هدية من صاحبه للمكتبة الصلاحية
دمشق ٢٠ شعبان ١٣٢٧ محمد كرد علي

المقتبس

الجزء الاول من المجلد الثاني

محرم سنة ١٣٢٥ الموافق فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على ما أقبستنا من قبس العلم بنور العقل السليم. فكان أفضل ما صدر عن كرمك الجزيل وفضلك العميم. وسدّد لساناً لا يحلو له الا النطق بما يعتقد صحته بعيداً عن المراءاة والتقية قوياً بنا مؤيداً بأيدك ليجد سبيل القبول من قلوب البرية. اللهم وفقنا الى معالجة سم الجهل الناقع. بترياق التعليم النافع والادب الرافع. وحبب الينا التواصي بالحق والانصاف. وجنبنا مضالّ الاعتساف ومزالّ الخلاف. وأشرب أفئدتنا حب الاقرار بحسنات العدو قبل الصديق. واصرفنا عن مزالق التدليس ومغامز التلفيق. وافتح مُغلق عقولنا برحمتك لنهتدي بما اهتدى به البشر الناهض بفضل البحث والتنقيب من نور علومه. واشدد عزائمنا لقرن العلم بالعمل فتمتزج روحه باجزاء نفوسنا وننتفع بحديثه وقديمه. ربِّ نسألك ان تطبع هذه الامة بطابع التسامح المقبول. وتبغض اليها التعصب المنبوذ المرذول. لتقبل الحكمة من أي وعاء خرجت. ومن أي جو تنفست. وعن أي لسان انبعثت. ولا تكلنا الى انفسنا لئلا نضل ونشقى.

وبعد فقد قضى المقتبس عامه الاول وهو اليوم في فاتحة عامه الثاني يدب ويدرج. حرَص — ولا يزال يحرص — على الانتفاع بنصح العقلاء. ونقد الجهابذة الفضلاء. وإرشاد المنزهين عن الاهواء. بما يؤهله الى السير على سنة النمو والارتقاء. ولكل عمل عمره الطبيعي لا مندوحة من قضائه. والنتائج أبداً بالمقدمات مقرونة. واذا جاز الفخر فيحق لهذه الصحيفة ان تفاخر بأنها قامت بمؤازرة العاملين والمفكرين. لا بمعونة الكبراء والموسرين. ولذلك فُرض عليها ان تشكر أيادي المتوفرين على إمدادها من معين دروسهم وأبحاثهم أضعاف ما تشكر لغيرهم.

وستظل ابحاثها على ما كانت عليه مع إشباع الكلام اكثر من ذي قبل في معظم ما تخوض عبابه من الموضوعات وتنشر في كل جزء رواية او قصة او افكوهة تروح عن النفس بعد تلاوة العلميات والادبيات وذلك عملاً بما اقتضاه منا جمهور من القراء. فنلتزم كل مرة فتح باب «نفاضة الجراب» وكنا نود ان لا نعود اليه مؤتمرين بأمر بعض الاكابر لولا أن ثبت لنا بالاختبار ان الجدّ البحت لا يروج بين ابناء الغرب وهم في تهذيبهم واستنارتهم ما هم فما بالك في هذا الشرق وهو ما هو.

ومما وضعته هذه المجلة موضع العمل بعد الآن ان لا تعطي من عندها القاباً علمية وان تقتصر على الالقاب الرسمية فتورد اسم المعاصر كما تذكر العالم الغابر وتدعو الشرقيّ باسمه كما تدعو الغربيّ وفي ذلك تخفيف على القراء واقتداء بالقدماء من اسلافنا الاقدمين وحملة لواء العلم والحضارة من الغربيين المحدثين والله وليّ الهداية

صدور المشارقة والمغاربة

قطب الدين الشيرازي[١]

هو القاضي قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي كان اماماً مبرزاً في عدة علوم مثل العلم الرياضي والمنطق وفنون الحكمة والطب والأصول وله عدة مصنفات وفضائله مشهورة . كان مولده بمدينة شيراز في صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة وتوفي بتبريز سنة عشر وسبعمائة فتكون مدة عمره ستاً وسبعين سنة وسبعة أشهر ملخصاً عن تاريخ ابي الفدا وقال ابن الوردي انهُ توفي وهو في عشر الثمانين وكان غزير العلم واسع الصدر حسن الاخلاق وجيهاً عند التتر وغيرهم ثم قال في رثائهِ

لقد عدم الاسلام حبراً مبرزاً — كريم السجايا فيهِ مع بعده قرب
عجبت وقد دارت رحا العلم بعده — وهل للرحا دور وقد عدم القطب

وقال الشيخ طاهر الجزائري في كُنَّاشهِ[٢] وقفت على كتاب في تراجم أناس من المشهورين جمع الامام العلامة نجم الدين أبي الخير سعيد بن عبد الله الدهلي البغدادي وفيهِ ترجمة القطب الشيرازي وهي ناقصة في النسخة فاثبتها على ماوجدتها اعتناء بهذا العلامة الأوحد : ومنها كتاب أقليدس[٣] وهو باللغة الفارسية أيضاً صنفهُ باسم البرواناه وزير الروم

---

(١) ملخصة عن رسالة استنسخها شكري افندى العسلي من رسالة كتبت بخط سليم افندي البخاري من علماء دمشق (٢) الكناشة أوراق تجعل كالدفتر تقيد فيها الفوائد والشوارد

(٣) من كتب المترجم به ما ذكره الشيخ طاهر الجزائري في كناشه ايضاً مشكلات التفاسير توجد نسخة منه في مكتبة يكي جامع بالاستانة والانتصاف شرح الكشاف في مكتبة راغب باشا وتفسير القطب في مكتبة أسعد افندي وشرح مختصر ابن حاجب في مكتبة الكوبرلي وشرح حكمة الاشراق في مكتبة اللاله لي وشرح النجاة في مكتبة الراغب والتحفة الشاهانية في الفلك ونهاية الادراك في علم الافلاك في مكتبة يكي جامع وفي المكتبة الخديوية شرح للقوشجي على التحفة الشاهانية وشرح القسم الثالث من مفتاح العلوم في المعاني والبيان وله كتاب في الهيئة ويقال ان من مؤلفاته حل مشكلات المجسطي وله كتاب حكمة الاشراق طبع بالهند ومن مؤلفاته « فتح المنان تفسير القرآن » في نحو ثلاثين مجلداً يوجد في مكاتب الاستانة وله كتاب تاج العلوم محفوظ في خزائن كتب الاستانة وغيرها من المصنفات التي ذكر اكثرها صاحب كشف الظنون

ومن جليل مصنفاتهِ شرح كليات القانون في الطب لابن سينا وهذا الشرح لم تسمح قريحة بمثله لأنهُ يشتمل على خلاصة الشروح المصنفة لهذا الكتاب وهي عشرة شروح اجتمعت عنده مع تنقيحات لطيفة وزيادات غريبة من نتائج خاطره الغزيرة من كتب عزيزة الوجود قد لايوجد مثلها الا في خزائن الملوك وسماه التحفة السعدية يعني باسم الوزير سعدالدين محمد الساوجي وزير الملك غازان وبعده أخيه (كذا) خر بنده واتفق ان هذا الكتاب تم شرحهُ وسيره الى الوزير المذكور وفي اثناء هذه الحال توفي الشيخ قطب الدين ووقع الترسيم والتوكيل علي الوزير المذكور وطولب بالاموال وذلك في أذربيجان سنة عشر وسبعمائة وقصد خر بنده العراق والوزير صحبتهلتحصيل المطلوب منهُ الى ان قتله ليلة السبت حادي عشر شوال سنة احدى عشرة بمحول قريب بغداد ومع ما كان فيهِ هذا الوزير من المضايقة رسم لقطب الدين جائزة هذا الشرح مبلغ ستة آلاف دينار رائج عنها من الدراهم ستة وثلاثون الف درهم وراجعوا الوزير سعد الدين في ذلك وعرفوه بوفاة الشيخ قطب الدين فقال الوزير انا لاأعود في هبتي وخصوصاً لمثله وفي مثل كتابهِ فأحضر جميع المال المذكور وجمع له أرباب الديون فقضى عنهُ ما كان عليهِ من الديون القديمة والحديثة التي كانت قد اجتمعت عليه مدة المرض وكان قد بقي مريضاً احد وخمسين يوماً وكان معظم نفقتهِ في هذه العلة الصدقة على الفقرآء وعلى طلبة العلم وبقيت من المال بقية وزعت على أولاده وخاصته وكان هذا الوزير قد أنعم بهذه الجائزة وهو يومئذ تحت التوكيل وهو مطالب بألف كومار من المال منها عشرة آلاف دينار روائج فانظر الى علو همة هذا الرجل وسعة نفسه وصدق اعتقاده . . .

وكان له مع المشائخ الصالحين والصوفية المحققين اتصال حقيقي ونفس روحاني يرتاح اليهم في أوقات خلواتهِ وصفاء مشروباتهِ قال: وقد لازمت ذراه المحروس ثماني عشرة سنة فشاهدت معظم سيرته تشتمل على الاخلاق الشريفة والفضائل الكاملة مع السخاء المفرط . كان لايبقي على شيء مما يحصل بيده لافي سفر ولا في حضر وكان أكثر

عطائهِ للفقرآء وطلبة العلم وذوي البيوت القديمة وذوي الحاجات قال ولقد حضر عنده في بعض الأيام مائتا دينار فبلغهُ ان صفيّ الدين عبد المؤمن بن فاخر صاحب الموسيقاه قد قدم من بغداد لضرورة ديون عليهِ قد غلبتهُ فقال هذا من بيت له خدمة قديمة للخليفة العباسي فبعث اليهِ بالمبلغ المذكور واعتذر اليهِ انهُ لم يكن عنده في هذا الوقت غير هذا المقدار . قال : وكان يقول في مرض موتهِ ليست فائدة المهلة في حياتي الا لاعطي الفقرآء شيئاً فكان مصمماً على العطاء والاحسان وفعل الخير الى ان صار الى أحسن مصير. قال وكان في أسفاره يصحبهُ من التلاميذ جماعات وخصوصاً في أيام توجههِ الى خراسان والروم فلقد اجتمع معهُ في سفره الى الروم نحو الاربعين طالباً وغالبهم أرباب فضائل وعلوم راسخة وكان يخدمهم بالمال والنفس والعلم وكانوا مع هذا ينتقصونهُ وما يفعله معهم من الخدمة والخير ويقولون هذا الرجل متطفل علينا لأن الناس انما يخدمونهُ ويعطونهُ الأموال لأجلنا ونحن الذين نشيد كلمتهُ ونظهر فضيلتهُ ونجمله بين الناس . قال وكان يبلغهُ هذا وامثاله عنهم فلا يغضب ولا يلتفت الى قول القائل اليهِ ذلك ويقول: انا أريض اخلاقي بالصفح عن زلات اخواني اليّ

وقال الاربلي: واخبرني الشيخ ضياء الدين الطوسي قال : اجتمعت بقطب الدين الشيرازي بقزوين وهو يقرأ الفقه على الشيخ علاء الدين الطاووسي صاحب التعليقة قال فسألته عن بعض احواله فحكى لي اشتغاله بالطب وانه ترك معالجة الناس وخرج من شيراز وقصد بلاد خراسان وانه توفر مدة سنين على تحصيل علم المعقولات من علم الكلام قال وقال لي ما وجدت نفسي في عمري متوفراً على طلب العلم لم اشتغل بسوى (كذا) هاتين السنتين هما كانتا خير تحصيل حصلت فيهما من العلوم النظرية ما احياني لكنني غير عالم بالفقه فقصدت الشيخ علاء الدين الطاووسي لا قرأ عليه الفقه فقرأت عليه الحاوي الصغير وكتاب الوجيز وكانت للشيخ علاء الدين نسخة من الوجيز محشاة بالفوائد اللطيفة من الفقه فسرقها وهرب من قزوين قال: وهكذا كانت عادته اذا اعجبه

كتاب يتحيل حتى يسرقه وكان مشتهراً بين طلبة العلم في مبادئ احواله بهذا الوصف قال وطلب علاء الدين نسخته فلم يجدها فقالوا لم يكن عندك غير محمود الشيرازي فقال ليس هو آخذها وقال لي مهذب الدين الشيرازي احد تلاميذ قطب الدين ان قطب الدين كان يلقي الدروس من هذه النسخة بمدينة سيواس ويقول هذه النسخة سرقتها من شيخي علاء الدين الطاووسي بقزوين في مبدأ تحصيل العلم وكنت عاجزاً عن مشترى الكتب

ولما عمر ملك خوارزم تلك مارستاناً انفذ الشيخ قطب الدين اليه برسم هذا المارستان كتباً طبية قيمتها بالتقريب اربعة آلاف درهم فاجازه بجائزة تشتمل على رقيق قماش ونقد قيمة الجميع ستة وثلاثون الف درهم . وصنف كتاباً باسم الملك عز الدين ملك شيراز في علم الاخلاق والحكمة فاجازه ببغلة سنية وآلاتها ومعها ثلثمائة مثقال ذهباً وتخت قماش ذكر هذا وما قبله الاربلي قال: وكنت بماردين فسير لصاحبها الملك المظفر هدية تشتمل على مملوك صغير تركي وآخر رومي وتخت قماش متنوع من الحرير وسجادة وكتاب صغير من تصانيفه فرد الملك المظفر الجميع وقبل السجادة والكتاب واجازه عليهما باثني عشر الف درهم وقال : هذا القدر هو الذي ينبغي ان يقبل من العلماء اما كتاب من فوائدهم واما خرقة من بركاتهم . ولم يحمل (؟) الا في دولة غازان فانهُ كان بينه وبين رشيد الدولة كراهية في النفوس بين الشخصين لأن قطب الدين كان ينتقص كثيراً برشيد الدولة وبتصانيفه ويستجهله ويحط عليه

وقد صنف تصانيف في تفسير الكتاب العزيز وفي غيره وكان قطب الدين يظهر نقصها ويكشف عن عورتها قلت :ولقد حدثني بعض شيوخنا عن قطب الدين انه لما بلغه ان الرشيد قد شرح القرآن العظيم قال لاصحابه ايه هاتوا التوراة حتى اشرحها قال الاربلي وتمكن رشيد الدولة من دولة غازان فاشاع انه يريد ان يقتل قطب الدين ثم ظهر انه قتله بقطع رزقه الذي كان مقرراً على الدولة ومبلغهُ ثلاثون الف درهم فقال

لغازان هذا رجل فقيه « ايش » يعمل بهذا المال كله هذا تضييع هذا يكفيه اثنا عشر الف درهم وكان غازان بخيلا فاصغى الى قول رشيد الدولة وقطع سائر ما كان لقطب الدين من المبلغ المذكور و بعد مدة طويلة سعى فيه حتى اطلق له في كل سنة اثناعشر الف درهم قال : وكان قطب الدين قد بيت مع رشيد الدولة وعجز عن تلافي ما افسد وعجز عن رضاه قال لكن كان قطب الدين سعيداً في عقله وعمره وتصانيفه واصحابه فما أثر ذلك عنده شيئاً لكنه كان خائفاً لأن يسعى رشيد الدولة في قتله فآمنه الله تعالى منه قال الاربلي واخبرني التاجر الشفار قال ولما تطاولت علة الشيخ قطب الدين الشيرازي واحس بالموت طلب اليه الصدر زين الدين علي بن فخر الدين بن عبد السلام الطيبي وقال له ياخواجه زين الدين اريد من انعامك ان تتولى امر تجهيزي ودفني فاني مارأيت ان اضع هذه المكرمة الاعندك لاني شاهدت رغبتك في فعل الخيرات والمبرات فاجاب زين الدين بالسمع والطاعة قال ولما توفي قطب الدين انفق زين الدين على جنازته وتجهيزه ودفنه وايام العزاء سبعة آلاف درهم ومائتي درهم ومن ذلك انه اشترى سبعة آلاف ذراع قماش قطن ابيض وفصلها قمصاناً وعمائم للأيتام والارامل والبسها سبعمائة انسان من الفقراء والتلاميذ الذين بقطب الدين وطائفة من الايتام والارامل فكانوا بين يدي الجنازة يبكون ويندبون وجلس مدة ايام العزاء للناس والتزم اطعامهم ومهامّهم وما هو من كلف العزاء لمثل هذا الميت . قال الصدر شمس الدين : وما رأيت احداً من الرؤساء اطول من نفس قطب الدين الشيرازي في الشفاعات لذوي الحاجات وذوي السلطان كان اذا جلس الى امير او وزير او قاض يخرج اوراقاً من جيبه نحو عشرين أو ثلاثين قطعة و يشفع في الجميع وكان غالبها يقضى وما يرد الا القليل وكان كثيراً ما يشاهد من الأمرآء والأكابر مللاً من كثرة شفاعاته فلا يلتفت الى ذلك الملل ولا يترك تردده اليهم ويقول ولأي شيء خُلقوا وخُلقنا وما نفعنا بالجاه اذا لم نقض حاجات الناس اذا تركنا هؤلاء وسجاياهم لا يقضون حاجة المسكين أو عاجز

محروم فنحن نسوقهم الى فعل الخير قهراً وتحيلاً عليهم حتى يؤجروا ونؤجر نحن معهم وتقضي حوائج الناس الملهوفين العاجزين كان هذا دأبهُ يفعل غالب أوقاتهِ الخير بجاههِ وماله وعلمهِ رحمهُ الله

تسامح العظماء

يظن من لا عهد له بدرس مشاهير رجال الاسلام انهم كانوا جبابرة لا يحسنون غير البطش والكر والفرّ على ان الباحث في سِيَرِهم يراهم من أشد الأمم حرصاً على على مافيهِ قوام عمرانهم ولم يكن في قلوبهم غالباً شيء مما يقال له تعصب أو تحزب بل ساسوا رعاياهم سياسة العدل لم يحابوا ولم يداجوا فقدروا الكفاءآت قدرها ولم يعتبروا في مصالحهم الا أهل الغَناء والعلم . وربما لا يصدق الاغمار في هذه الاعصار لو قلنا لهم (١) ان معاوية بن أبي سفيان اصطفى لنفسهِ ابن أثال النصراني من أطباء دمشق وأحسن اليهِ وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيهِ . وصحب تياذوق الطبيب الحجاج بن يوسف الثقفي المتولي من جهة عبد الملك بن مروان وخدمهُ بصناعة الطب وكان يعتمد عليهِ ويثق بمداواتهِ وكان له منهُ الجامكية الوافرة والافتقاد الكثير

وخدم جورجس بن جبرائيل الخليفة المنصور وكان عظيماً عنده رفيع المنزلة ونال من جهتهِ أموالاً جزيلة والمنصور هو الذي يقال له الدوانيقي لبخله . وخدم بختيشوع بن جورجس هرون الرشيد وتميز في أيامهِ وكان رئيس الاطباء كلهم في بغداد . وكان جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس حظياً عند الخلفاء رفيع المنزلة عندهم كثيري الاحسان اليهِ وحصل من جهتهم من الاموال مالم يحصله غيره من الاطباء وكان مكيناً عند جعفر بن يحيى بن

(١) اتخذت طبقات الاطباء مرجعاً في كتابة هذه الرسالة والغالب اني أنقل المقصود من عبارة المؤلف بالحرف الواحد

خالد بن برمك أحبهُ مثل نفسهِ وكان لا يصبر عنهُ ساعة ومعه يأكل ويشرب أعطاه الرشيد مرة من أجل مداواة احدى حظاياه خمسمائة الف درهم وأحبه مثل نفسهِ وجعله رئيساً على جميع الاطباء . وأمر له المأمون مرةً بألف الف درهم وبألف كر حنطة وردّ عليهِ سائر ما كان قبض منه من الاملاك والضياع وصار اذا خاطبه كناه بأبي عيسى جبرائيل واكرمهُ زيادة على ما كان أبوه يكرمه وانتهى به الأمر في الجلالة الى ان كان كل من تقلد عملاً لا يخرج الى عمله الا بعد ان يلقى جبرائيل ويكرمه وكان عند المأمون مثل أبيهِ

ووجد في خزانة بختيشوع بن جبرائيل مدرج فيهِ عمل بخط كاتب جبرائيل بن بختيشوع الكبير واصطلاحات بخط جبرائيل لما صار اليهِ في أيام خدمتهِ الرشيد وهي ثلاث وعشرون سنة يذكر ان رزقهُ كان من رسم العامة في كل شهر من الورِق عشرة آلاف درهم يكون في السنة مائة وعشرون الف درهم في مدة ثلاث وعشرين سنة الفا الف وستمائة وستون الفاً ونزله في الشهر خمسة آلاف درهم يكون في السنة ستون الف درهم في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف وثلثمائة وثمانون الف درهم ومن رسم الخاصة في المحرم من كل سنة من الورق خمسون الف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم ومن الثياب خمسون الف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم . تفصيل ذلك : القصب الخاص الطرازي عشرون شقة الملحم الطرازي عشرون شقة الخز الصوري عشر شقاق الخز المبسوط عشر شقاق الوشي اليماني ثلاثة أثواب الوشي النصبي ثلاثة أثواب الطيالسة ثلاثة طيالس ومن السمور والفنك والقاقم والدلق والسنجاب للقبطين . وكان يدفع اليهِ في مدخل صوم النصارى في كل سنة من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم وفي يوم الشعانين من كل سنة ثياب من وشي وقصب وملحم وغيره بقيمة عشرة آلاف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة

مائتا ألف وثلاثون ألفاً وفي يوم الفطر في كل سنة من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم وثياب بقيمة عشرة آلاف درهم على الحكاية يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة مائتا ألف وثلاثون ألف درهم

ولفصد الرشيد دفعتين في السنة كل دفعة خمسون ألف درهم من الورق مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وثلثمائة ألف درهم . ولشرب الدواء دفعتين في السنة كل دفعة خمسون ألف درهم مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وثلثمائة ألف درهم . ومن أصحاب الرشيد على ما فصل منهُ مع ما فيهِ من قيمة الكسوة وثمن الطيب والدواب وهو مائة ألف درهم من الورق اربعمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة تسعة آلاف ألف ومائتا ألف درهم . تفصيل ذلك عيسى بن جعفر خمسون ألف درهم زبيدة أم جعفر خمسون ألف درهم العباسة خمسون ألف درهم ابراهيم بن عثمان ثلاثون ألف درهم الفضل بن الربيع خمسون ألف درهم فاطمة أم محمد سبعون ألف درهم . كسوة وطيب ودواب مائة ألف درهم ومن غلة ضياعه بجندي سابور والسوس والبصرة والسواد في كل سنة قيمتهُ بعد المقاطعة ورقاً ثماني مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ثمانية عشر ألف ألف واربعمائة ألف درهم ومن فضل مقاطعته في كل سنة من الورق سبعمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ستة عشر ألف ألف ومائة ألف درهم وكان يصير اليهِ من البرامكة في كل سنة من الورق ألفا ألف واربعمائة ألف درهم . تفصيل ذلك : يحيى بن خالد ستمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث عشرة سنة أحد وثلاثين ألف ألف ومائتي ألف درهم يكون جميع ذلك مدة أيام خدمتهُ للرشيد وهي ثلاث وعشرون سنة وخدمتهُ للبرامكة وهي ثلاث عشرة سنة سوى الصلات الجسام فانها لم تذكر في هذا المدرج من الورق ثمانية وثمانين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم منها خمسة وثمانون ألف ألف درهم ثلاثة آلاف ألف واربعمائة ألف درهم

التذكرة : الخراج من ذلك ومن الصلات التي لم تذكر في النفقات وغيرها على ما تضمنه المدرج المعمول من العين تسعمائة ألف دينار ومن الورق تسعون ألف ألف وستمائة ألف درهم . تفصيل ذلك ما صرفهُ في نفقاتهِ وكانت في السنة ألفي ألف ومائتي ألف درهم على التقريب وجملتها في السنين المذكورة سبعة وعشرون ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم ثمن دور و بساتين ومتنزهات ورقيق ودواب والمجازات سبعون ألف ألف درهم ثمن آلات وأجر وصناعات وما يجري هذا المجرى ثمانية آلاف ألف درهم . ما صار في ثمن ضياع ابتاعها لخاصته اثنا عشر ألف ألف درهم . ثمن جواهر وما أعده للذخائر عن قيمة خمسمائة ألف دينار خمسون ألف ألف درهم . ماصرفهُ في البر والصلات والمعروف والصدقات وما بذل بهِ خطه في الكفالات لاصحاب المصادرات في هذه السنين المقدم ذكرها ثلاثة آلاف ألف درهم . ما كابره عليهِ أصحاب الودائع وجحدوه ثلاثة آلاف ألف درهم . ثم وصى بعد ذلك كله عند وفاتهِ الى المأمون لابنهِ بختيشوع وجعل المأمون الوصيّ فيها فسلمها اليهِ ولم يعترض في شيء منها عليهِ بتسعمائة الف دينار . ولا عجب فيما قاله فثيون الترجمان ان جنس جورجس وولده كانوا أجمل أهل زمانهم بما خصهم الله بهِ من شرف النفوس ونبل الهمم ومن البر والمعروف والافضال والصدقات وتفقد المرضى من الفقرآء والمساكين والأخذ بأيدي المنكوبين والمرهوقين على ما يتجاوز الحد في الصفة والشرح

وبلغ بختيشوع بن جبرائيل من عظم المنزلة والحال وكثرة المال مالم يبلغه أحد من سائر الاطباء الذين كانوا في عصره وكان يضاهي المتوكل في اللباس والفرس و بلغ من كمال المروءة ومباراة الخلافة في الزيــ والباس والطيب والفرش والصناعات والتفسيح والبذخ فى النفقات مبلغاً يفوق الوصف وكان أيضاً لطيف المحل من المهتدي بالله وشكا اليهِ ما أخذ منه في أيام المتوكل لنكبة وقعت عليهِ من هذا لفرط ادلاله عليهِ فأمر ان يدخل الى سائر الخزائن فكل ما اعترف بهِ فليرد اليهِ بغير استئمار ولا

مراجعة فلم يبق له شيء الا أخذه واطلق له سائر مافاته وحاطهُ كل الحياطة

وكان عبيد الله بن بختيشوع متصرفاً ولما ولي المقتدر الخلافة استكتبهُ لحضرتهِ وبقي معهُ مُديدة وصار ابنهُ جبرائيل من خاصة عضد الدولة بن بويه وكان يكرمه كثيراً ويغدق عليه المشاهرات ووصله الصاحب بن عباد بما قيمتهُ الف دينار وكان دائماً يقول صنفت مائتي ورقة أخذت عنها الف دينار يعني بذلك الكناش الذي وضعهُ بأمر الصاحب في الامراض التي تعرض من الرأس الى القدم

وكان عيسى المعروف بأبي قريش صيدلانيا اكرمهُ المهدي مرة ولم يزل يطرح عليهِ الخلع وبدر الدنانير والدراهم حتى علت رأسهُ وكناه أبا قريش أي أبا العرب. وخلف اثنين وعشرين الف دينار مع نعمة سنية. وكان عبدالله الطيفوري من أحظى خلق الله عند الهادي وزكريا بن الطيفوري كان من جماعة القائد أفشين كان منهُ ان امتحن الصيادلة في معسكره كما امتحن يوسف لقوة الكيمائي زمن المأمون صيادلة بغداد. وكان اسرائيل ابن زكريا الطيفوري جليل القدر عند الخلفاء والملوك كثيري الاحترام له وكان مختصاً بخدمة الفتح بن خاقان بصناعة الطب وله منه الجامكية الكثيرة والانعام الوافر. وكان المتوكل بالله يرى له كثيراً ويعتمد عليهِ ولهُ عند المتوكل المنزلة المكينة وجدّ مرة على المتوكل لما احتجم بغير اذنهِ فافتدى غضبه بثلاثة آلاف دينار وضيعة تغل له في السنة خمسين الف درهم وكان متى ركب الى دار المتوكل يكون موكبهُ مثل موكب الأمراء واجلاء القواد. وكان يزيد بن زيد بن يوحنا متطبب المأمون وخدم ابراهيم بن المهدي ولهُ منه الاحسان الكثير والانعام الغزير والعناية البالغة والجامكية الوافرة. وتقدم سابور بن سهل عند المتوكل وكان يرى له وكذلك عند من تولى بعده من الخلفاء وكان عالماً بقوى الادوية المفردة وتركيبها وكان موسى بن اسرائيل الكوفي متطبب ابراهيم بن المهدي. وكان سلمويه بن بنان متطبب المعتصم اختاره لنفسه لما استخلف واكرمه اكراماً كثيراً يفوق الوصف وكان يرد الى الدواوين توقيعات

المعتصم في السجلات وغيرها بخط سلمويه وكل ما كان يرد على الامراء والقواد من خروج امر وتوقيع من حضرة أمير المؤمنين فبخط سلمويه وولى اخا سلمويه ابراهيم ابن بنان خزن بيوت الاموال في البلاد وخلطه مع خاتم أمير المؤمنين ولم يكن أحد عنده مثل سلمويه وأخيه ابراهيم في المنزلة وكان المعتصم يسميه أبي فلما اعتل سلمويه عاده المعتصم وبكى عنده فلما مات امتنع المعتصم من اكل الطعام يوم موته وأمر بان تحضر جنازته الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصارى الكامل ففعل وهو بحيث يبصرهم ويباهي في كرامته وحزن عليه حزناً شديداً. وعالج ابراهيم بن أيوب الابرش اسمعيل اخا المعتز وبرئ فاجازته أمه والمتوكل بست عشرة بدرة [1] وكان أخص المتطببين عند المعتز لما أفضت الخلافة اليه. وكان جبرائيل كحال المأمون يدخل اليه في كل يوم عند تسليمه من صلاة الغداة فيغسل أجفانه ويكحل عينيه فاذا انتبه من قائلته فعل مثل ذلك وكان يجري عليه الف درهم في كل شهر

واجرى الرشيد على ماسويه ابو يوحنا الفي درهم في الشهر ومعونة في السنة عشرين الف درهم وعلوفة ونزل وألزمه الخدمة مع جبرائيل وكان لهذا في الشهر عشرة آلاف درهم ومعونة في السنة مائة الف درهم وصلات دائمة واقطاعات

وخدم يوحنا بن ماسويه بصناعة الطب المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وكان له منهم الانعام الكثير والمنزلة السامية وله عليهم دالة الاقران على اقرانهم لا الخدام على مخدوميهم. وكان ميخائيل بن ماسويه متطبب المأمون وكان به معجباً وله على جبرائيل بن بختيشوع مقدماً حتى كان يدعوه بالكنية اكثر مما يدعوه بالاسم وكان لا يشرب الادوية الا مما تولى تركيبه واصلاحه له. وبلغ حنين بن اسحق عند المأمون منزلة عالية لانه كان رئيس جماعة التراجمة لعهده وكانت له الاقطاعات الحسنة والجواري الجيد والاحسانات الفائضة وزادت مكانته كثيراً بعد خروجه من

(١) البدرة كيس فيه الف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار

المحنة التي ألحقها به أعداؤه وامر المتوكل الاطباء الذين طلبوا قتل حنين وسعوا فيه لديه ان يحمل اليه كل منهم عشرة آلاف درهم وأمر ان يضاف اليها مثلها من خزانته فكانت زهاء مائتي الف درهم . قال حنين في كلامه على ذلك ثم ان الخليفة امر باصلاح ثلاث دور من دوره التي لم أسكن قط منذ نشأت في مثلها ولا رأيت لاحد من أهل صناعتي مثلها وحمل اليها سائر ما كنت اليه محتاجاً من الاواني والفرش والآلة والكتب وما يشاكل ذلك بعد ان شهد لي بالدور وتوثق بشهادات العدول لانها كانت خطيرة في قيمتها لانها تقوّم بالوف دنانير فلمحبته لي وميله اليّ ان تكون لي ولعقبي ولا تكون عليّ حجة لمعترض فلما فرغ مما أمر به من الحمل الى الدور وجميع ما ذكر وتعليقها بانواع الستور ولم يبق غير المضي اليها امر بحمل المال الضعف الكثير بين يدي وحملني على خمسة أروس من خيار بغلاته الخاصة بمواكبها ووهب لي ثلاثة خدم روم وامر لي كل شهر بخمسة عشر الف درهم وأطلق لي الفائت من رزقي في وقت حبسي فكان شيئاً كثيراً وحمل من جهة الخدم والحرم وسائر الحاشية والاهل ما لا يمكن ان يحصى من الاموال والخلع والاقطاع وحصلت وظائفي التي كنت آخذها خارج الدار من سائر الناس آخذها من داخل الدار وصرت المقدم على سائر الاطباء

وخدم يوحنا بن بختيشوع بصناعة الطب الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل وكان يعتمد عليه كثيراً ويسميه مفرج كربي . وحظي بختيشوع بن يوحنا من الخلفاء وغيرهم واختص بخدمة المقتدر بالله وكان له منهُ الانعام الكثير والاقطاعات من الضياع وخدم بعد ذلك الراضي بالله فاكرمه وأجراه على ما كان باسمه في أيام أبيه المقتدر

الباقي للآتي

النعام في الحضارة المصرية

عن مجلة الطبيعة الفرنسوية

النعامة أعظم الطيور واضخمها يبلغ علوها نحو مترين ووزنها أربعين كيلواغراماً احياناً. سمعها دقيق ونظرها حاد وحاسة الذوق والشم فيها غليظة بحيث لا تتخير غذاءها وقلما تميز بين جيده ورديئه. فهي وان تكن من الحيوانات آكلة العشب تخضم أغذية نباتية وتحتك بكل ما يقع نظرها عليه من حديد وقرمد وخشب وتصدمه حتى يكاد يتناثر. ساقاها مستويتان مستطيلتان متينتان حتى انها لتقطع نحو ٢٨٠ كيلومتراً في أقل من عشر ساعات فتبذُّ بذلك الصافنات الجياد في حلبة الطراد. وريش جسم ذكر النعام اسود فاحم وريش الاجنحة والذنب أبيض وعنقها أجرد لا ريش له وهو أحمر كساقيها وعينها زرقاء ومنقارها أصفر ورجلاها سنجابيتان وهي كالجمل تنزل المناطق الحارة المنعزلة عن الناس

عرف القدماء النعام وورد ذكرها في التوراة أكثر من مرة وسماها اليهود « ابنة الصياح » وكثيراً ما تزعق في المطارح النائية الواسعة في ظلمات الليل وتنخر نخيراً ممزوجاً بعويل محزن يرمض القلوب ويجلب الكروب. وهي من البلاهة بحيث لا يضاهيها حيوان حرمها الخالق تعالى من الحكمة ولم يجعل لها حظاً من الذكاء كما ورد فى التوراة. ويذكر بلين ان الصيادين يضطرونها الى ان تقبع رأسها وتخفيه ظناً منها بأن لا يراها أحد ومتى طاردها المطاردون تستخدم رجليها بمثابة مقلاع وترمي بهما أحجاراً بغلظ الكف

هذا الطائر مشهور منذ القرون العريقة في القدم ويبيض في الرمل ولا تحضن اناثه بيضها الا من الليل لان حرّ النهار يتقفها. وانك لتراها أرسالاً وعصائب على مقربة من الواحات في رمال افريقية و بلاد العرب وتُرى في الصحراء من جبال الاطلس الى ضفاف النيل وفي رمال صحراء ليبية ومصر الوسطى وفي القفر الواقع في الجنوب

الغربي من الاسكندرية

رأينا النعامة مرسومة فى مصانع الفراعنة والحبشان آخذين بزمامها وقد لزَّت في قَرَن مع الاسود والفهود وغيرها من حيوانات تلك الارجاء . ويروى عنها في اساطير الاولين روايات من مثل اختيارها دون سائر الحيوانات لانقاذ اله الخمر لما ذهب هذا الى الهند على رأس جيشه الجرار مجتازاً صحاري ليبية حتى اذا اشتد به الظمأ استغاث بالمشتري فدله على نعامة فتبعها حتى قادته الى مكان حفرت فيه الارض بمنقارها فنبضت منها عين

ولطالما كان الصيادون يطاردون النعام مطاردة شديدة وكثيراً ما كانوا يلبسون جلودها ويقلدونها في حركاتها فيقتربون منها ويباغتونها . يستعملون لحمها غذاء لهم ويستخدمون جلدها تروساً أو ثياباً أو مضاجع وفرشاً . واذا تمكنت النعامة من صيادها نفثت فيه سماً قتالاً وعضته عضة يقاسي منها انواع الالم فلا تكون عاقبتها عليه سوى الموت. اما توم (بيض) النعامة فكان الصيادون يأكلون ما في داخلها فاذا أتوا عليه يستعملون القشرة اقداحاً واكواباً واذا رأوها ضخمة يقسمونها شطرين يكونان قُبَّعتين لرجلين يستران بهما رأسيهما

وما زال بعض السكان في افريقية الى يومنا هذا يقتاتون من لحم النعامة وشحمها وتومها ويبيعون ريشها أو يستخدمونهُ زينة لرؤوسهم . ويستخدم النعام لحمل الاثقال. وشاعت عادة ركوب النعام في القديم كل الشيوع . ويؤخذ مما قاله بوزانياس القائد الاسبارطي المشهور (٤٧٧ ق . م) انه روئي على جبل هيليكون من بلاد اليونان تمثال لارسينوي الأميرة المصرية التي تزوجت بطليموس محمولاً على نعامة من النحاس . ويقول اتينيه الكاتب اليوناني الذي جاء في القرن الثالث للمسيح انهُ كان في الاحتفال بظفر فيلادلف الذي قام في الاسكندرية ثمانية قطارات من النعام في كل قطار نعامتان وقد رُسمت صورة جماعة يتعاطون الشراب مرسومة على كوب وفيها ست نعامات يركب

متونها فتيان و يسير امامهم رجل مستور الوجه ووراءهم موسيقار يمشي الهوينا ضارباً بمزماره

ومما يقصونهُ من الاخبار عن فيرموس ما ركوس الجبار المصري انهُ كان يركب نعاماً ضخمة و يستوي على ظهورها فتنساب به انسياباً سريعاً حتى كنت تخاله يطير وكان أكولاً يُطعَم كل يوم نعامة . وذُكر ان هليوكابال الامبراطور الروماني وضع على مائدته ستمائة مخ نعامة . وكان موسى على العكس يكره لحم النعام وحظر على بني اسرائيل استعماله . واستعمل النعام في نينوى صوراً لطيفة في الثياب المطرزة والمشالح الاشورية . وفي بعض النقود الرومية صور مقلوبة تمثل نعامة تسير الى الشمال والكلاب يهمُّ بها . وفي صور قدماء المصريين أشياء كثيرة تدل على استخدامهم النعام في كثير من المهام

ورد في كتب التاريخ أقاصيص عن حسن تخلص النعام في الحروب مما يرجع الفضل فيه لشكلها لانها تشبه الطائر وتشبه ذوات الاربع ولها من كل فصيلة من هذه الفصائل أحسن ما فيها . وكان لريشها أثر وأي أثر في أساطير وادي النيل لم يصل اليه الجملان ولذلك نرى من جملة الجُزَى التي كان الفراعنة يضربونها على سكان الحبشة جزية وافرة من الريش و بيض النعام زيادة على ما كانوا يفرضونه عليهم من خرائط التبر

يقول هورابولون ان المصريين كانوا يمثلون للرجل العادل بريش النعام بدعوى ان هذا الطائر هو الوحيد من بين الطيور في تساوي ريشه . ولذلك أمثلة كثيرة في تاريخهم القديم . وترى في الخط الهيروغليفي ان ريش النعام اشارة الى صوتين مختلفين (ما وسو) فيستخدم الاول لكتابة الحقيقة . ويفهم من مغزى الفلسفة المصرية ان معنى (ما) العدل فمن ثم كانت ريشة النعامة رمزاً الى ربة الحقيقة والعدل

ترى هذه الريشة التي تمثل الحقيقة والعدل ماثلة احياناً وقد جعلت رأساً لجسد امرأة وكثيراً ما تظهر في صورة رشيقة متجلببة برداء ضيق وقد جعلت في ذراعيها وكاحليها أساور وفي احدى يديها اشارة الحياة وفي الثانية صولجاناً تريد بذلك الحقيقة والعدل . وكثيراً ما كنت ترى أمثال هذه الصور ماثلة بعضها امام بعض وقد

تزينت بحلاها و برزت بجمالها وجلالها

مُثلت (ما) ايضاً وعلى رأسها ريشة النعام وهي جاثمة وعيونها معصبة . وعلى هذا النحو كان الملوك يقدمون للارباب في مدافن الفراعنة صوراً من امثال هذه دليلاً على الطاعة وأداء الواجب . وكان رئيس المحكمة المصرية يحمل صورة صغيرة تشبه هذه الصورة مصنوعة من الاحجار الكريمة مناطة بسلسلة من ذهب واذا تقلدها الرئيس يكون ذلك رمزاً الى ان المرافعات ابتدأت . وكان المصريون يعتقدون ان (ما) هي صاحبة أوزيريس في الحياة الاخرى وانها تقف في مدخل الجنة تتلقى أرواح الابرار الاطهار وتبعث فيهم روح الطمأنينة وحسن الثقة بالارباب

وكذلك الحال في (سو) فانه كان رمزاً على رب الارباب ورمزاً على النور المنبعث من الشمس . و (سو) يمثل النسيم العليل الذي ينازع زعازع القفر وقواصف البادية . ولذلك ترى في قباب المعابد القديمة عقباناً تحرك ريش النعام لتدفع به التأثيرات السيئة

وترى كثيراً من ريش النعام معلقاً في رؤوس الارباب . والريشتان المزدوجتان خاصتان بعمون را وأوزيريس ونوفري توم رب الافراح . وكان ملوك الفراعنة يرفعون ريش النعام للقيام ببعض الفروع الدينية ويزدان اوزيريس في محكمته بريش النعام ايضاً

ولريش النعام مقام مأثور في العادات المصرية الدينية عند القدماء. فقد كان يجعل منهُ مذابُ ومراوح وكانت علامة مميزة للامراء من أهل بيت الملك ومن أعاظم الحكام فيستعمل مراوح وسجفاً يحيط بمظلة الملك وزينة تناط برأس خيوله وتخفق عليه كما رأيناها تناط بعصابة الرأس وتندمج مع الشعر المستعار أزرقاً كان أو أسود . وكان المصريون يجعلونه عنواناً على زعمائهم وهو لهم زينة نادرة الظرف واللطف . ولذلك ترى ريش النعام ماثلاً في المعابد والمدافن وتشاهده في مدينة عبو كما تشاهده في مدينة ثيبة

كان كبار القوم يعلقون ريشتين على شعورهم اشارة الى الزينة والابهة من اجل هذا ترى الريش حيثما اتجهت في ارض الفراعنة يُتخذ زينة فهو برفرف على الرؤوس ويتقلقل في أيدي أمراء الملك وآل بيت الفراعنة كما تراه على سدنة بيوت الارباب والكهنة والضاربين بالمزمار والطنبور يستجيدون ألطفها ويتزينون به كما كانت ترفع على اطار الثور الابيض الذهبي وغيره في الحفلات الدينية فيجيء النسيم يحركها

نعم كنت ترى الريش في كل مكان و بعضه ملون أخضر كالزمرذ و بعضه ابيض ناصع و بعضه أسود فاحم وآخر أحمر قانٍ . ومثل ذلك قلْ في بيض النعام ايضاً فمنها ما كان يُلَوَّن بالزُّرقة أو يبقى على طبيعته وكان يُعَدُّ في المقابر من توابع الزينة ومنه ما يجعل أكاليل أو سبحاً طويلة وكثيراً ما كنت تراها تضم الى العمد اللطيفة كأنها تاج للمظلات على نحو ما ترى لعهدنا في المدارس القبطية يستخدم لمثل هذه الغاية من الزينة واللطافة في كل ناحية بريم حرير غليظ تعلق به مصابيح قرمزية أو غيرها من الاضواء توقد ليل نهار امام المذبح

الشعر العربي

جزعت السهول وجبت الوعوثا	وسرت الى المجد سيراً حثيثا
عجلت وعندي لادراكه	صريمة نفس أبت أن تريثا
متى أنا أطلقت من غربه	يعدْ ذكرُ المرهفات أنيثا
دعاني الهوى والهوى ضلة	فكنت لدعوته مستريثا
واعرضت عن لفتات الدمى	وعفت خلاخيلها والرعوثا
اليكنَّ عني ذوات اللمى	لقد عاد حبي بكنَّ رثيثا
كتمت عن الناس اخباركن	ثم نثت الكتيم نثيثا

ذكرت حديث الهوى برهة — وأنسيت نفسي ذاك الحديثا
وما زلت فوق ظهور المطي — طوراً سميناً وطوراً غثيثا
الى ان بلغت قصارى المنى — وعدت لكل علاء وريثا
ونلت الذي لم تصله الظنو — ن مجداً أثيلا وعزاً أثيثا
وادركت غاية ما يرتجى — وحزت قديم العلى والحديثا
واصبحت بين الملا مفرداً — أجير طريد الليالي الكريثا
أفرج كربة كل امرىء — أتى بيَ من دهره مستغيثا
انا من تشير اليهِ البنا — ن ظعيناً اذا ما يرى أو لبيثا
تحط بأثقالها المكرما — ت حيثُ يحط الأمون الدلوثا
نجائب عزم اذا ارقلت — تركن الحزون أباطح ميثا
متى تحتلبها تجد عندها — لبون الخطوب شطوراً ثلوثا
من القوم عهدهم لم يزل — وثيقاً وعهد سواهم نكيثا
اذا ما دعوا للندى والكفا — ح هبوا أسوداً وسالوا غيوثا
ليوث وغىً انجبوا للعلى — ليوث وغىً تسترق الليوثا
فكم أصلحوا للورى فاسداً — وذادوا الليالي عن ان تعيثا
تمنى السماء وجوزاؤها — بوغاء أرضهم ان تلوثا
ترحل الى العز يا إبنه — ولا ترض في دار هون مكوثا
وخذها معتقة من على — تريك لدى المزج نوحاً وشيثا
ولا تخدعنك وجوه الورى — وكن للسرائر منها نبيثا
لكم من فتى خلتهُ طيباً — فألفيته بعد ذاك خبيثا

القاهرة — عبد المحسن الكاظمي

حكم وخواطر

كتبت منذ سنوات في المجلة المصرية بعض جمل وخواطر سنحت لي يومئذ منها ما نحديت بهِ مناهج الحكماء ومنها ماذهبت بهِ مذاهب التعريض والايماء الى معانٍ عصرية ومقاصد سياسية فاستحسن بعضهم تلك الجمل واستشهدوا بها ووجد في بعضها قوم إغلاقاً ولم يدركوا جميع مراميها فقصدت ان أجرّب هذا النمط مرةً ثانية لا لانني مخترعٌ شيئاً بل لاني مجدد أسلوباً اذ ان المعاني وان كان اكثرها قديما فلا بد لها في كل عصرٍ من زيّ يلائمه ولكل زمن لغة ولكل عصر بلاغة

قرائح الرجال كمعادن الجبال لا تظهر القرائح الا بالاختبار كما لا تعرف المعادن الا بالاحتفار

ما حثّ مطايا التقدم مثل مناخس الانتقاد

اذا تأخر بالانسان مركب الحياة تمنى مهبّ الحوادث

حملة العاقل في رأسهِ وحملة الجاهل على ظهره

الفضل ذنبٌ يذنبهُ الفاضل الى أهل النقص فليكفّر عنهُ بالتواضع

ربّ ملولٍ من العمل لو ارتاح ملّ اكثر

قد يفيد السلب كما يفيد الايجاب واحياناً ينهض بالمرء النقص ما لاينهض بهِ الكمال

قد يكون ما يُجدي العدو بعداوتهِ بوزن ما يفيد الصديق بصداقته وكم عداوة اكسبتك محابّ

المتكبر ممقوت ولو أخرج الحق من جنبهِ والمتواضع محبوب ولو لم يتب من ذنبهِ لانهُ مهما يكن من فضيلة فان الكبر ينسفها ومهما يكن من نقيصة فان الاقرار يُخففّها

أحسن مركز للعدو العاقل العدلُ في غير لين والادب في غير خضوع

بعض الناس يداوي العداوة بالظلم و بعضهم يعالجها بالذلّ وكلاهما يزيد الداء

قد تقع الندامة على العجلة بالخير كما تقع على العجلة بالشرّ وربما كان الندم على المعروف مع غير اهله انكى من الندم على الجزاء في غير اهله

الصادق اشدُّ الناس دهاء لانه يصل الى جميع مقاصده من أخصر الطرق ويعبر الى النجاة على جسر الاعتقاد

اذا كان العامل عالِماً كان اذاً العالم عالماً (العامل الاول هو الوالي)

اذا كان الملك حكيماً فمملكتهُ هي المدينة الفاضلة

لا تظنن العالم الشرير عالماً لان العلم الذي لا تطهر معه النفس هو كالماء الذي لا يطهّر من النجس

جميع الخلائق مفترسة لكن بعضها يأكل بالاسنان وبعضها يأكل باللسان

ليس المهذَّب من لا تجد له عدوّاً بل المهذَّب من لا تجد عليهِ طاعناً بحق

اكثر ما يمتدح العدوّ عدوَّه في موطن الحملة عليه

اذا ضعف زرع القلب انبت زوان الكذب على أسَلة اللسان

اذا قدرت فاصفح لان علو المقام كافٍ في الانتقام

ما أقبح الهجوم بالمعوِز والسباق بالمقصّر وإثارة العداوات بمخروق الستر

الثناء نبتٌ شائك لا يُجتنى الا بادماء الاصابع والراحة لصٌّ هارب لا يُمسك الا بهجر المضاجع

اذا أنعمت بنعمة وجحدها جاحد فلا تذكرها لان سكوتك عن المنّ اكرم من كرمك بالمنّة

أكبر الرجال في عيني من كان فعله اكثر من قوله وباطنهُ خيراً من ظاهره

ضدَّان لا أصعب من اجتماعهما لدى المرء ضيق الرزق وسعة العقل

لا تنتقم لنفسك مثلما ينتقم لك الدهر وقد يزيد على ما كنت تريد

ما عاض من المال مثل العقل ولا سدَّ هوَّة الفقر مثلُ الشرف ولا قصف غصن

الفضيلة مثل ريح الدعوى ولا جدع أنف الاصالة مثل دنس العرض والأصيل الطاهر أولى بالعشق من الجميل الباهر

مناط الحساب العقل وعلى قدر عقل الخصم يكون انفعال خصمه منه

لا يغلبك في خصام مثل المجنون لأنهُ محكومٌ له من الجميع من أول جلسة

الصداقة أمانةٌ وجدير بالامانة التي أبت حملها الجبال انلا تُعرض إلا على أقوياء الرجال

أسعد حالات الصداقة ان يتوازن الحسن والحب وان تتساوى درجات الاعتبار في العقل مع درجات الائتلاف بالقلب

يجب ان يصوَّب الصواب ولو خاب صاحبهُ وان يخطَّأ الخطأ ولو فاز راكبهُ لأن الصواب للنجاح أساس وما جاء خلاف ذلك فعلى خلاف القياس

كل عهدٍ لازمٌ ذمَّة صاحبه الا في الشرّ فالنقض حلال

ما أعجب الا ممن يتعرض للنوافل وهو غير متمم للفروض وممن يتصدى للمكارم وهو غير مؤد للحقوق وممن يأخذ طريقة رفاعية أو قادرية وهو مقصر في نفس الاسلام

من اغرب ضروب الحسد ان العين تجمد لجاهك ولو كنت مُحسناً وتسيل لبؤسك ولو كنت مُسيئاً

ليس معنى التعنُّت في اختيار الصديق النفور من الناس أو التقطيب في وجوه الجلاَّس اذ بين الصداقة والمؤانسة درجات فمؤانسة الجميع لباقة وكياسة ومصادقة الجميع حماقة وخساسة

لا يمكن الانسان ان يحب من لا يحترم ولكن ربما اتخذ من لا يحترم وسيلة لقضاء حاجته وشتان بين المحبة والمصانعة

لا يجب الاتكال على الكبار في تجويد الاعمال العامَّة بسبب علو مراتبهم لأن غلط الكبير يكون كبيراً ولان علو المركز يحول دون التدقيق

بقدر حظك من الدنيا تقسو عليك القلوب وعلى درجة علوّك تنظر شزراً اليك العيون

لو كانت قيمة كل امريء ما يحسنه حقاً لخسف المقام بكثير من كبار الارض

الشهادة الحسنة بحق العدوّ أحبولة التصديق عند الذمّ

الجهل البسيط أول درجات العلم وخيرٌ للانسان ان يقيم بالعراء من ان يقيم بالبناء الساقط

يستريح المرء مع الصدوق لأنهُ يركن الى كلامهِ كله ومع الكذوب لأنهُ لا يقبل شيئاً من جدّه ولا هزله وانما كان التعب مع المتوسط هذا الذي لا يُدرى متى يصدق ومتى يكذب

ما من خيرٍ محض ولا من شرّ محض ولا من حالٍ تضرُّ من وجهين

قيمة الشيء الحاجة اليهِ فالثلج قيمتهُ حملهُ والحجر ثمنهُ نقلهُ وكم تراب هو ذهب وكم عودٍ يستطرف وهو في أرضهِ حطب

اذا طال البؤس على امريء تمنى التبديل لأن بالتقلّب على الجنبين راحةً للعليل

التواضع ستّار كل العيوب والخضوع مليّنٌ لاقسى القلوب

لا تفرط في تشهي أمر فربما صار حلوُه علقماً وآلت راحتهُ ألماً وجنيت من كثرة التمني ندماً

كثرة التسهيل في الأول تورث كثرة التعقيد في الآخر

بيروت شكيب ارسلان

أميركا وعلماء العرب

كانت أميركا مجهولة عند ابناء القرن الخامس عشر بدليل ان المؤرخين في ذلك العهد لم يذكروا عنها سوى اخبار اكتشافها في أواخر ذلك القرن غير ان كلام ايراتوستينيس واسترابون اليونانيين اللذين عُنيا بفن الجغرافيا بنحو ٢٠٠ سنة ق . م يستدل منه على ان القدماء كانوا يتحدثون بوجود قارة مجهولة في أيامهم

ولقد اهتم الخليفة المأمون بن هرون الرشيد السابع من خلفاء بني العباس عام ٨٣٣ للميلاد بعلم الجغرافيا في جملة ما اهتم به من اصناف العلوم فكان من ذلك انه اشتغل في هذا الفن عدد من علية علماء العرب في دار الخلافة وانتشرت معرفته من تلك المدينة الى معظم البلدان بعد ان درست آثاره وطمست اخباره في القرون المتوسطة في أوربا

ولم يقتصر علماء العرب اذ ذاك على جمع ما بقي من أقوال علماء اليونان والرومان في هذا الفن بل جدوا في اكتشاف بلاد مجهولة في أيامهم وتخطيطها فذهب فريق منهم سنة ٩٠٠ للمسيح الى الشرق الاقصى من القارة الآسياوية ومضى فريق آخر الى القارة الغربية . ولو لم يثبط عزائمهم أمير الجزيرة التي بلغوها بعد ٢٤ يوماً من سفرهم من لشبونة من بلاد البرتوغال الى الغرب لكانوا أول من اكتشفوا أميركا

و بعد فقد ظلّ هذا الفن مجهولاً في أوربا حتى أواخر القرن الرابع عشر للميلاد ولذا بقيت القارة الاميركية واوستراليا والجهات الشمالية من أوربا والجهات الشرقية من آسيا مجهولة في تلك البرهة الطويلة . ومن الحروب والفتوحات ما يبعث على يقظة العباد والبلاد وهبوبها من رقاد الانحطاط فقد حدث ان طرد السلطان صلاح الدين الايوبي عام ١١٨٧م الصليبيين من سورية فعاد هؤلاء الى المغرب بعد سبع حملات حملوها على المشرق حاملين معهم ما اكتسبوه من علوم العرب وكتبهم واخذوا

يبثون تلك العلوم في البلاد الاوربية . ومن جملتها علم الجغرافيا فشرع الاوربيون في تهذيبه وهاموا بطلب اكتشاف الديار المجهولة . ثم حدت الهمة خريستوفورس كولمبس [١] فذهب في الثاني من شهر آب (أغسطس) ١٤٩٢ من مدينة بالوس بمساعدة ازيبا ملكة اسبانيا في ذلك العهد في تسعين رجلاً وثلاث سفائن . وبعد صعوبات جمة لاقاها في طريقه من أهوال البحر ولا سيما متاعب صادفها من رجاله اكتشف أميركا بعد مضي ٦٩ يوماً من سفره

فلاعجب اذا قلت ان العرب كانوا هم الداعين الى النهضة الاوربية والى اكتشاف أميركا . فلولا اهتمام العرب بفن الجغرافيا بهمة الخليفة المأمون لكان من المحتمل ان تظل أميركا مجهولة ولولا عنايتهم بتوسيع نطاق المعارف وترقية العلوم في أيامهم لكان من الممكن ايضاً ان تظل أوربا رازحة تحت أعباء الجهل كما كانت في القرون المتوسطة . ولا يزال علماء الجغرافيا في هذا العصر معوّلين على جغرافية افريقية وبلاد التتر وقسم كبير من الشرق على علماء الجغرافيا من العرب الذين نبغوا في القرن التاسع والقرن العاشر والقرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر. ومن جغرافيي العرب الذين ما برحوا موضوع اعتبار علماء الجغرافيا في هذا العصر من المغاربة الزمخشري [٢] والادريسي [٣] وابن بطوطة [٤] وابو الفدا [٥]

---

(١) ولد عام ١٤٤١ في جنوا من ايطاليا وتوفي عام ١٥٠٦ (٢) ولد الزمخشري سنة ١٠٧٥ م وتوفي سنة ١١٤٤ م . وهو صاحب التآليف اللغوية والنحوية المشهورة وصاحب كتاب الجبال والامكنة والمياه في الجغرافيا (٣) ولد محمد الشريف الادريسي سنة ١١٠٠ وهو من ولد ادريس من العلويين ملوك مراكش من سنة ٧٩١ الى سنة ٩٢٦ للميلاد . ومن تآليفه مقالته الجغرافية. وهي تقسم الى سبعة أقاليم وسبعين بلداً وقد ترجم موجزها الى اللغة اللاتينية سنة ١٥٩٢ في رومية وطبعت في باريس سنة ١٨٣٧ وترجمت الى الفرنسية (٤) ولد ابن بطوطة في طنجة من بلاد مراكش سنة ١٣٠٣ وتوفي سنة ١٣٧٧م . وقد طاف في أيامه العراق العربي وجزءاً كبيراً من قارة افريقية وسورية وبلاد العرب والهند والصين وبلاد التتر والاندلس وكتبت رحلته المشهورة وسميت « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » وطبعت في باريس وترجمت الى الفرنسية في أربع مجلدات (٥) ولد أبو الفدا في أواخر القرن الثالث عشر وتوفي في أواسط

وياقوت الحموي(١)

سميت قارة أميركا المكتشفة العالم الجديد لانها كانت مجهولة قروناً عديدة. وسميت اميركا لان أميركوس جآءها بعد ان اكتشفها كولمبس فنسبت اليهِ أوسميت باسمه. وكان من العدل ان تسمى هذه البلاد كولمبيا تخليداً لاسم مكتشفها الاصلي كولمبس ومكافأة لخدمتهِ للعلم التي لا يساويها ثمن. وهذا الاجحاف بالانصاف يدل دلالة صريحة على ان بعض فضلاَء الاوربيين القدمآء وعلمائهم كان معاصروهم يهتضمون حقوقهم ويجردونهم من فضلهم وان شئت فقل يحقرونهم كما احتقر ذلك المكتشف العظيم. ويسوءني وايم الحق ان أصرح بأن هـذه العادة متأصلة في الشرق وانها تدلّ على كساد بضاعة العلم وعدم تقدير رجال الادب والوطن حق قدرهم. وهؤلاَء أصل كل تمدّن وتقدّم في كل قطر ومصر. وياحبذا لو يقتدي من يهمهم خير البلاد والعباد بالخليفة المأمون و بأبي الفدا الملك والمؤرخ فيخلدون ذكراً مجيداً على مرّ الايام فالبلاد لا تسعد بدون انتشار العلم. والعلم لا تقوم له قائمة بدون مساعدة رجاله ومناصرة طلاّبه

الولايات المتحدة. اوماها. نبراسكا. يوسف جرجس زخم

القرن الرابع عشر للميلاد. وهو الملك المؤيد اسماعيل أبو الفدا صاحب حماة ويعتبره العلمآء ثاني الخليفة المأمون من حيث محبته للعلم ورجاله. ومن تآليفه في فن الجغرافيا كتاب تقويم البلدان طبع في باريس وفي درسدن

(١) ولد ياقوت الحموي سنة ١١٧٩ في بلاد الروم وتوفي سنة ١٢٢٩ في حلب. ومن تآليفه المفيدة في فن الجغرافيا معجم البلدان وكتاب المشترك وضعاً. وقد طبع هذين الكتابين العالم وستنفلد الالماني الأول في ليبسك في ستة مجلدات سنة ١٨٦٦ والثاني في مدينة غوتنغن سنة ١٨٤٦

الارض

خبر في الارض أوحتهُ السما لاولي العلم برُسْل الفِكرِ

أنَّ هذي الارض كانت أولا ما ترى بحراً بها أو جبلا
أو سهولاً أو ربىً أو سبلا أو رياضاً زهرها الغض نما
من سحاب جادها بالمطر
انما كانت كتلك الاخوات من نجوم سائرات دائرات
حول شمس هي احدى النيرات كنَّ من قبلُ عليها سُدُما
كتلةً واحدة في النظر
ثم بعدُ انفصلت من ذا السديم قِطَع منها صغير وجسيم
ضمنَ أفلاكٍ بها الدورَ تديم فاستقر الكل فيها أنجما
حول غير الشمس لم تستدر
أولاً نبتون منه انفصلا ثم أورانِسُ يهدي زحلا
ثم المشتري مرّيخ تلا ثم هذي الارض فالزهرة ما
بعدها غير أخيها الاشهر
وأخو الزهرة بالشمس اقتدى ولها أقربَ سيارٍ غدا
وهي سارت خلفهُ طول المدى فامامَ الارض ذان انتظما
خلفها المريخ ثم المشتري
أرضنا كانت لظىً مشتعله مذ من الشمس غدت منفصله
لم تزل في دورها منتقله كتلةً فيها اللهيب احتدما
وهي ترمي في الفضا بالشرر

كان فبح النار منها مصعدا وَهَجاً في الجوّ عنها مبعدا
حيث لا يمكن ان ينعقدا فوقها منهُ بخارٌ دِيَما
هاطلات بالحيا المنهمر
بقيت حيناً وهذا أمرُها وهي بالاشعاع يخبو حرّها
وانثنى يبرد من ذا ظهرها فاكتست قشراً يحاكي الأدَما
واستمرت بطنها في سُعُر
ثم قد صار على مرّ الزمان قشرها يغلظ آناً بعد آن
بَيْد ان النار عند الهيجان قد أعادت قشرها منخرما
بصدوع مدهشات البصر
شخصت أطراف هاتيك الصدوع بجبال شمخت منها الفروع
ولها في العين أشكال تروع تقذف الافواه منها حُمَما
صار منهن ركام الحجر
حصلت من قذف هاتيك المواد حيث يجمدنَ جبالٌ ووهاد
وركاز وصخور وجماد بعضها دقّ وبعض عظما
وهو صلب الجسم صعب المكسر
وهناك انعقدت فيها الغيوم من بخارٍ كان في الجو يعوم
ردّه البردُ مياهاً في التخوم فجرى السيل عليها مفعما
كل غور فوقها منحدر
عمها السيل فغطى حين سال سطحها مجترفاً منها الرمال
فطما المآء ولكن الجبال شخصت في المآء لما ان طما
وعلت كالسُفُن فوق الابحر

غمر المآء بها ما غمرا ثم خلّى بعضها منحسرا
محدثًا في السطح منها جُزُرا أنزل المآء بها ما حطها
من طُفال وحتات المدَر

بسيول المآء كم فيها أرتكم من رمال رسبت فيها أكم
ولكم خدّت أخاديد وكم قد بَنَت من طبقات عَلَما
نضدت فيه صفيح المرمر

ثم صارت وهي من قبلُ موات تصلح الاقطارُ منها للحياة
فانبرت تنبت في البدء النبات ثم أبدت من قواها النَّسَما
وارتقت فيها لنوع البشر

فغدت اذ ذاك تزهو بالرّياض وبها الادواح تنمو في الغياض
ثم ترميها أكف الانقراض بانحطام حيث تمسي فحما
حجريًا بمرور الاعصر

من حطام الخلق في الارض هضاب كونتهن أكف الانقلاب
ما تراب الارض والله تراب انما ذاك حطامٌ قدُما
من جسوم باليات الكِسر

كم على الارض رفات باليات من جسوم طحنتها الدائرات
فاحتفر في الارض تلك الطبقات تجد الانقاض فيها رمما
هي للاحيآء أو للشجر

كل وجه الارض للخلق قبور خفف الوطء على تلك الصدور
والعيون النجل منهم والثغور انما أنت ستفنى مثلما
قد فنوا والموت دامي الظُّفُر

ظلت الارض على كرّ الدهور تُبحر الاجبُل فيها والبحور
فوقها تُجبل والماء يغور وعلى ذاك استدل الحكما
بجبال السمك المستحجر

علماء الارض لم تبرح ترى حيوان البر لما دثرا
منه في الابحر أبقى أثرا وكذا في البرّ ألفى العلما
أثراً من حيوان الابحر

كل ما في الارض من قفرٍ وبيد وجبال شهقت فوق الصعيد
عن زهاء الربع منها لا يزيد وسوى ذلك منها انكتما
تحت ماء البحر لم ينحسر

في صعيد الابحر المنغمسِ مثلُ ما يوجد فوق اليَبَس
من جبال ناشات الاروس ووهاد تسترل القَدَما
ورُبىً مختلفات القَدَر

ما نرى اليوم من الماء الحميم والبراكين التي تحكي الجحيم
ومن الزلزال ذي الهول العظيم دلَّ ان الارض فيما قدُما
ذات جرم ذائب مستعر

كل ما كان بحال السيّلان فهو يغدو كرة بالدوران
وكذاك الارض في ماضي الزمان كرويّاً قد غدا ملتئما
جرمها من سيلان العنصر

ثم ان الارض من قبل الجمود ولدت منها وليست بالوَلود
قمراً دار عليها بسعود وجلا في الليل عنها الظلما
فهي بنت الشمس أم القمر

بغداد معروف الرصافي

نبأ من الصين

من مبحث لاحد علماء الفرنسيس في « المجلة » الباريزية

كان لانتصار اليابانيين على الروس رنة فرح في الصين والهند فاعتبرت الصين بهذه الحرب وتنبه في أبنائها شعور الوطنية وراحوا بعد ان كانوا يفزعون من العُدد الحربية التي هي أدوات التمدن الاوربي ينزعون عنهم لباس الخوف وتأبى نفوسهم الاستسلام للبيض على نحو ما كانت حالهم منذ قرون وقلما أُثر في الماضي عن الصينيين انتقاض أو ثورة على الاجانب بل كانوا أبداً يحتقرون برابرة الغرب في سرهم ويعتبرونهم دونهم من حيث الذكاء والمدنية . أما الآن وقد أثبتت الجيوش اليابانية لاهل الجنس الاصفر ان ما أقامه الاوربيون من العقبات في سبيلهم يمكن تذليله فقد نفضت الصين عنها غبار الكسل واطرحت الجبن جانباً وهبت من سباتها عازمة ان تشترك في الجهاد الزمني الذي يتمخض به الجنسان الابيض والاصفر ولم تكن الحرب اليابانية الروسية الا امارة من اماراته ومقدمة من مقدماته

تألف في الصين حزب يطالب بالاصلاح فأرادت الحكومة بادئ بدء ان تحل عراه مخافة ان يكون مبتسراً فلا تجني البلاد منه غير توطئة السبل للاغيار من الاوربيين ولكنها عادت فتركته وشأنه فكثر اشياعه لكثرة انتشار الافكار في مملكة ابن السماء بأنه لا امان من تقسيم الاوربيين او الاذلال بيد اليابانيين الا اذا صلحت حالها ولذلك انضم الى حزب (كانغ يو واي) المصلح الشهير كثير من العمال الذين يخشون على بلادهم من التمزق . وما لبثت الافكار الجديدة ان سرت الى بلاط امبراطورة الصين بفضل بنات سفير ابن السماء في باريز يوكانغ اللاتي تهذبن أحسن تهذيب فاختارتهن الامبراطورة نديمات لها فاغتنمن هذه الفرصة وانشأن يؤثرن حتى في الامبراطورة نفسها .

وانك لترى اليوم الامبراطورة — وهي صاحبة الصين من أقصاها الى اقصاها — بعد ان كانت منذ خمس سنين بعيدة كل البعد عن الافكار الحديثة وكانت عزلت ابن أختها عن الحكم لانه ظهر انه ممالئٌ لحزب الاصلاح قد أخذت اليوم تدخل بذاتها في طريق الاصلاح وعزمت كل العزم ان تنظم مملكتها وانشأ مستشاراتها العارفات على مافيهن من حذق ودربة يقنعنها بما تصير اليه المملكة من الدمار اذا تُركت وشأنها لان المطامع محدقة بها . فأي مسئولية تلحق الامبراطورة وبأي وجه تقابل أجدادها بعد موتها اذا هي غادرت المملكة السماوية نهب أيدي الناهبين ممزقة كل ممزق .

وينسب وصول حزب الاصلاح الى غاياتهِ لأولئك التلاميذ الذين يتلقون العلم في المدارس خارج بلادهم وخصوصاً لمن يدرسون في كليات اليابان وكلهم يد واحدة في محاولة اصلاح بلادهم ذاك الاصلاح الذي بهِ أصبحت اليابان مملكة مغبوطة مرهوبة الجانب والبأس وان كثيرين من هؤلاء التلاميذ ينزعون الى الثورة ويريدون ان يقطعوا كل صلة مع الماضي وان يقيموا على انقاضهِ أساس ملك جديد يتمكن من ضبط قياد الصفر عامة بيده . وكان من نتائج أعمالهم الشريفة ان انبث هذا الفكر على التدريج في عقول اربعمائة مليون نسمة من سكان الصين وانشأوا صحفاً باللغة العامية أخذ منشئوها ينقدون أحوال المملكة السماوية ويطالبون بتغيير ادارتها ويحملون الحملات المنكرة على كل عامل يقف في طريق الاصلاح ويناوئ سياستهُ غير مبالين بما قد ينتج لهم ذلك من العذاب الشديد أحياناً

ولم يتخلف النساء أيضاً عن الاشتراك في هذه الحركة اذ كان لهنَّ من بنات الوزير نديمات الامبراطورة المشار اليهن أعظم مثال ينشطهن ويحتذين مثاله فأسسن مدارس لبنات الحكام وأسست الامبراطورة من مالها الخاص مدرسة خاصة لتهذيب بنات موظفي قصرها . وكانت المرأة الصينية الى هذا العهد تعيش في جهالة جهلاء وحالها

نسق واحد مزوجة كانت أم عازبة لا تتخلل حياتها سلوى أدبية. وان كانت من الغنيات تمتاز بانقطاعها عن كل عمل عن نساء الشعب . أما اليوم فقد تغيرت حالها بالمرة فان الفتيات الصينيات يذهبن الى الكليات اليابانية ينجزن فيها دروسهن مع التلاميذ الصينيين . وأصبحت تطبع مجلات خاصة بالنساء وذلك في المدن الصينية الكبرى وتصدر كتب حديثة تبحث في شأن المرأة الصينية

وكانت الامبراطورة أصدرت أمراً سنة ١٩٠٢ تنصح بهِ لقومها ان يبطلوا عادة تعصيب الارجل لتكون صغيرة في الكبر فعادت اليوم تلغي هذه العادة البربرية رأساً بسعي مرسلي البرتستانت فتألفت جمعيات لهذا الغرض أخذ أعضاؤها على أنفسهم أن يتركوا أرجل بناتهم بدون تصغير ويمنعوا أولادهم من التزوج بزوجات ضُغطت أرجلهن في صباهن حتى صغرت . وهذه النهضة النسائية من الادلة على انقلاب حالة الصين في الزمن الاخير اذ ما كان يظهر قبل عشر سنين ان تدخل أمثال هذه الاصلاحات ويطرأ مثل هذا التبديل في أخلاق سكان مملكة ابن السماء وعاداتهم

وكانت الامتحانات المدرسية القديمة تجمع كل مرة من ٢٥٠ ألفاً الى ٣٠٠ ألف مرشح ينهم بعض الشيوخ فمنذ سنتين انقلبت الحال وأبدلت تلك الدروس الخطابية على نصوص كونفوشيوس حكيم الصين والتمارين الصعبة في الانشاء التي كان يكفي للمرء ان ينجح فيها حتى يعين عاملاً أو مهندساً أو قائداً أو طبيباً أو قاضياً أو أمير بحر الى آخره

وقد وضع الفاحصون في الامتحانات الاخيرة بأمر الامبراطورة مسائل لم يعهد مثلها للمرشحين من التلاميذ ربما لا تجرأ الكليات الفرنسوية ان تضع مثلها واليك سؤالين منها : « هل يحسن التمدن الاوربي أم لا يحسن بأمة لم تحصل عليهِ فقد أصبحت يابان دولة من الطراز الاول بقبولها له وعلى العكس في مصر فانها سقطت تحت نير انكلترا لما أدخلت اليها التمدن الغربي فماذا يستنتج الطالب من ذلك للصين »

والسؤال الثاني : «أي الطرق المشروعة تعمد اليها الصين لتكره الولايات المتحدة على الغاء القوانين التي تقيد الصينيين عن الهجرة الى أمريكا »

ولقد أوقع رخص أجور العملة الصينيين ومنازعتهم للعملة الاميركيين بلادَ الولايات المتحدة في حيص بيص فاصبح العامل منهم لا يكسب قوته الا بشق الانفس ففقدت بذلك ملايين من الريالات ولم يكتفوا بذلك بل حالوا دون البضائع الاميركية وتصريفها في مصارف الصين . وفي العام الماضي قضوا على التجارة الصينية في أقليم مغوليا وقد درست البعثة التي أنفذتهـا الصين الى أوربا ما ينبغي لامة متحضرة من الاوضاع السياسية والمدنية لتكسر الصين قيود التقليد بعد ان كانت قروناً ترسف فيها وتصبح الصين ولها دار ندوة وابنها يعرف الانتخاب بعد ان ظلت عشرين قرناً في حروب وغارات متواصلة ومذابح لا نهاية لها كان الصينيون اذا لم يتحاربوا في خلالها بعضهم مع بعض يلتقون مع القبائل الرحَّل في الشمال والسيتين والهونسيين والاتراك والتتر وقد نسي الصينيون منذ مئتي سنة ما كانوا يمتازون بهِ من الشجاعة وذلك على عهد أسرة مانشو الحاكمة الآن وما لقنتهم اياه من الاستكانة وحببتهُ الى قلوبهم من السلم واحتقار السلاح وحمله . بَيد ان ظفر اليابان الاخير أضرم في قلوبهم حب الغارة وعادت اليهم شجاعتهم السالفة وأخذت الصين تعد لها جيشاً وطنياً تستعين بهِ على دفع الطوارىء نظمتهُ على النسق الاوربي وهو يبلغ اليوم مئة الف جندي متخرجين على يد ضباط المان ويابان . وسيصبح عدد جيشها بعد خمس سنين خمسمائة الف جندي منظم . وقد سُلب حكام الولايات امتيازاتهم الحربية ومن شكا منهم ذلك عُزّر وغُرّم غرامة تصرف في التجهيزات الحربية

مطبوعات ومخطوطات

عقلاء المجانين

مهما اختلفت التقلبات على العقل البشري لا تزال مادة خواطره واحدة على تباين الاعصار والامصار . فما يجول في افكار أبناء هذا العصر الجديد من الموضوعات قد جال في خيال أهل القرون الخالية . وما كل ما اخترع اليوم واستنبط كُشف سرّه في جيل أو قرن بل ان التصورات تكاد تكون واحدة وان اختلفت ضعفاً وقوّة وكل ما يبهرنا من أسباب الحضارة هو عمل قرون كثيرة

من كان يظن ان بعض سلفنا خطر له ان يُطرف أبناء عصره بكتاب في نكات المجانين وحكم البله والمتبالهين . هذا المصنف[١] هو للعلامة الثبت الناقد الحجة الرحلة ابي القاسم الحسن بن حبيب المفسر النيسابوري بدأه بمقدمة في الجنون وما ورد فيهِ في الكتاب العزيز وما احتالت بهِ قريش على الرسول صلوات الله عليهِ من نسبتهِ الى الجنون لما دعاها الى الحق شأن كل قبيل ينسب للجنون كل عاقل يخالف قوله وفعله ما هو فيهِ وتوارثه بالتقليد الاعمى

قال المؤلف : «لقد سألني بعض أصحابي عوداً على بدء أن أصنف كتاباً في عقلاء المجانين وأوصافهم وأخبارهم وكنت اتغامس عنهُ الى ان تمادى بهِ السؤال فلم أجد بداً من اسعافهِ بطلبتهِ واجابته الى بغيته تحرياً لرضاه وتوخياً لهواه وكنت في حداثة سني سمعت كتباً في هذا الباب مثل كتاب الحافظ وكتاب ابن أبي الدنيا واحمد بن لقمان وابي علي سهل بن علي البغدادي رحمهم الله فوقع كل كتاب منها في جزءٍ ما يقارب

---

(١) ظفرت بهذا الكتاب في مكتبة الشيخ ابي الخير عابدين بدمشق ضمن مجموعة من مجاميعها وهي مكتوبة لثلاث وعشرين خلت من المحرم سنة ١٠٦٥ بالقسطنطينية

جزءاً تتبعتها وتيقنتها وضممت اليها قرائنها وعزوتها الى أصحابها وألفت هذا الكتاب على غير سمت تلك الكتب وهو كتاب يكفي الناظر فيه الترداد وتصفح الكتب وأرجو اني لم أسبق الى مثله »

ثم ذكر المؤلف أصل الجنون واسماء المجنون في اللغة أورد منها الاحمق واستشهد بقول الشاعر

سبحان من نزّل الاشياء منزلها وصير الناس مرفوضا وموموقا
فعاقل فطن أعيت مذاهبهُ وجاهل حمق تلقاه مرزوقا

ومنها المعتوه والاخرق والمائق والرقيع والمرقعان واستشهد بقول عبيدالله بن عبد الله

وما الناس الا وعاة العلوم وسائرهم غنم في قطيع
وانا بلينا بيله حمير ومحنة دهر رفيع رقيع

ومنها الموسوس والأنوك والبدهة والدولة والموتة والعرهاة والاولق والمهوس واللهلباجة والكع والجذب والهجاجة والرشاع ثم ذكر الامثال المضروبة في الحمق والحمق فمنها قولهم تحسبها حمقاء وهي باخس اي انها مع حمقها تظلم غيرها . ومن أمثالهم أحمق بلغ أي انهُ مع حمقه يبلغ حاجته ومن أمثالهم فيه خرقاء ذات نيقة اي انها حمقاء وهي مع ذلك تتأنق في الامور . ومن امثالهم أحمق من رجلة وهي البقلة الحمقاء وحمقها انها تنبت في السروح ومسايل الاودية فيجيء السيل فيجرفها . ومن أمثالهم انه لاحمق من ترب العقد والعقد عقد الرمل وحمقه انهُ ينهار ولا يثبت فيهِ الترب يُضرب للذي لا يثبت ولا يستقر على حال. ومن امثالهم انه لاحمق من دعة وهي امرأة عمرو بن جندب بن العنبر ومن أمثالهم أحمق من المهبورة احدى حدمتيها (هما الخلخالان) وتقول العرب للمبالغ في الجنون جنونه مجنون ولبعض أصحاب الشافعي

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون

ومنها خامري أم عامر (كنية الضبع) ومنها انه لاحمق من العقعق قال ابن الكلبي

تقول العرب انهُ لاحمق من حماقة عقعق وذلك لانها تبيض على الاعواد فربما وقع بيضها فانكسر . والمجانين على ضروب فمنهم المعتوه والممرور والممسوس والعاشق قال الاصمعي : لقد اكثر الناس في العشق فما سمعت بأوجز ولا أجمل من قول بعض نساء الاعراب وسُئلت عن العشق فقالت داء وجنون . وكانت العرب تقول الشباب شعبة من الجنون

وهنا تم القسم العلمي من الكتاب وبدأ المؤلف يورد القصص والحكايات الكثيرة على المجانين واشعارهم وذكر أمثلة ممن اعتقد بدعة وارتكب كبيرة فأدركه شؤمها فجنّ ومن جُنَّ من خوف الله ومن تجانّ وتحامق وهوصحيح العقل وهم ضروب فمنهم من تعاطى ذلك ليري شأنهُ و يستره على الناس ومنهم من تحامق لينال غناء ومن تحامق ليطيب عيشاً ومن تحامق لينجو من بلاء وآفة

ولم تخل هذه الحكايات من حكم وأمثال لا يتأتى مثلها الا لارباب العقول واشعار لطيفة قلما تجدها فيما بين أيدينا من الكتب كقول علي بن محمد بن قادم

عذلوني على الحماقة جهلاً وهي من عقلهم ألذُّ وأحلى
لو لقوا ماالقيت من حرفة العلـ ـم لساروا الى الجهالة رسلا
ولقد قلت حين أغروا بلومي أيها اللائمون في الحمق مهلا
حمقي قائم بقوت عيالي ويموتون ان تعاقلت هزلا

وذكر كثيراً من أخبار أُويس القرني اول من نسب الى الجنون في الاسلام ومجنون ليلى وسعدون المجنون وبهلول وعليان وغيرهم

ومن حكاياتهم ان رجلاً آلى بيمين ان لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقي واحد فخرج على ان يسأل أول من نظراليه فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم وسوّد وجهه وركب قصبة فأخذ رمحه فسلم عليه وقال : مسئلة . فقال : سل ما يعنيك واياك وما لا يعنيك . فقلت : مجنون

والله ثم قلت : اني أصبت من النساء بلاء وآليت ان لا أتزوج حتى استشير مائة نفس وأنت تمام المائة . فقال : اعلم ان النساء ثلاث واحدة لك وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك فأما التي لك فشابة طرية لم تمس الرجال فهي لك لا عليك ان رأت خيراً حمدت وان رأت شراً قالت كل الرجال على مثل هذا وأما التي عليك فامرأة ذات ولد من غيرك فهي تسلخ الزوج وتجمع لولدها وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك فان رأت خيراً قالت هكذا تجب وان رأت شراً حنت الى زوجها الاول . فقلت : ناشدتك الله ما الذي غير من أمرك ما أرى قال ألم اشترط عليك ان لا تسأل عما لا يعنيك فأقسمت عليه فقال : اني رُشّحت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء . قلت : وقد فعل ابن الهيثم الرياضي الفيلسوف المشهور مثل هذا وترك الوزارة وتجانّ ليكون له حرية يتمتع بها في خدمة العلم .

وقال الاصمعي : قال عمي : دخلت بعض احياء العرب فرأيت شيخاً موسوساً يهذي وقد اجتمع اليه الناس فقلت مَن هذا ؟ فقالوا حساس الموسوس لا يزال ينام ليله ونهاره وربما ينتبه فزعاً مرعوباً فيجلس ساعة ثم يصيح ويهيم على وجهه ثم يعود الى نومهِ فبت ليلة هناك وهو على الحال الذي وصفوه فلما أصبحنا أتيته فقلت : ما اسمك ياشيخ أنت أنوم من فهد مالك تنام دهرك فقال : النوم لا تبعة عليّ فيه وفي مجالستك ومجالسة أضرابك تبعات . قلت : وأي تبعة عليك في مجالستي ؟ قال : اشتغل بك عمن انشأني ثم أنشد يقول

لقد أغنيت عن هذا السؤال وعما أنت فيه من المقال
فان كنت الغداة تريد قولا فما فيه رضى مولى الموالي

ثم عدا هائماً على وجهه في تلك الرمال قائلاً : ما اكثر فضول أهل الحضر .

قال الاصمعي : بينا انا ذات يوم عند والي الكوفة وهو يسألني عن أهل البصرة اذ أقبل مجنون بالباب يتكلم بالشعر فقال : ادخلوه فدخل فاذا هو رجل كأنهُ نخلة

سحوق نتن الاطراف موسوس فسلم على الامير فرد عليه السلام وقال: من أنت ؟ فقال : اني أنا أبو الشريك الشاعر من يسأل عني فأنا ابن الفاغر فقال الوالي : ما أمدحك لنفسك!! فقال :

لانني ارتجل ارتجالا ماشئت يا من البس الجلالا

قال الاصمعي : فقال لي الامير ماهذا مجنون فألق عليهِ ما عندك فقلت له ما الريم فقال : الريم فضل اللحم للجزار ينحره للفتية الايسار فقلت ما الحلوان فقال :

أليس ماتعطي على الكهانة والحر لا يقنع بالمهانة

فقلت ما الدكاع فقال :

ان الدكاع هو سعال الماشية والله لايخفى عليه خافية

قلت فما التوله فقال :

عوذة عنق الطفل عندي توله وقد تسمى العنكبوت توله

قلت فما الرفة فقال :

الرفّة التبن فسل ماشيتا لقد وجدت عالماً خرّيتا

قال الاصمعي : فاستحييت من كثرة ما سألته فقال : قل ما الهلقس والسحساح والحل الرادح لابراح قلت : الهلقس الطمع الحريص والسحساح الذي لا يستقر في موضع والرادح المهزول فقال :

ما أنت الا حافظ للعلم أحسنت ما قلت بغير فهم

فقال الوالي : فحبذا كل مجنون مثل هذا ثم أمر له بعشرة آلاف درهم فلما قُدم اليه المال قال :

اكل هذا هو لي بمرة تم سروري واعترتني شِرّة

ثم أقبل على الامير فقال :

رِشت جناحي يا أخا قريش أقررت عيني وأطبت عيشي

والكتاب معظمهُ من هذا النسق وهو يقع في نحو مئة صفحة منصفة القطع مكتوب بخط جميل تغلب عليهِ الصحة . والغالب انهُ نقل عن نسخة صحيحة ووقع في أيدي جهابذة نقّاد فقوّموا منآده وأوده أما انشاؤه فانشاء المئة الثالثة والرابعة سلاسة بلا تكلف وطبع بلا تصنع

طبقات الشافعية الكبرى — اهدانا مصطفى افندي فهمي الكتبي نسخة من هـذه الطبقات لمؤلفها شيخ الاسلام تاج الدين بن تقي الدين السبكي المطبوعة في مصر على نفقة مولاي احمد بن عبد الكريم القادري الحسني الفاسي فجاءت في ستة مجلدات حوت من الفوائد التاريخيـة والاجتماعية والادبيـة والمذهبية والخلافية والمناظرات والمطارحات والفكاهات والحكايات ما لا يسع المتعلم جهله فضلاً عن المشتغلين بفقه الشافعي لان الوقوف على سِيَرِ أرباب هذا المذهب مما لا غنية لطالب عنه

ابتدأ المؤلف كتابه بتقدمة طويلة عريضة بلغت زهاء مئة وعشر صفحات من كتابه لاتخلو من مغامز وفوائد جاءت عرضاً . ولا بد أن تقع فيما ينقله المكثار ويرويه على طرفة تستطرفها وفائدة تقتطفها . ولذلك قالوا المكثار كحاطب ليل يجمع بين الجيد والرديء . ولا ذنب في ذلك على التاج السبكي بل الذنب في الاكثر على عصره فقد كان عصر المشاغبات والمماحكات وضعف ملكة التأليف

قسم المؤلف كتابه الى طبقات سبع الاولى طبقة من جالسوا الامام الشافعي وعددهم نحو اربعين فقيهاً والثانية وهي فيمن توفي بعد المائتين للهجرة ممن لم يصحب الشافعي وانما اقتفى اثره ، ويبلغ عددها نحو ثلاثين رجلاً . والطبقة الثالثة فيمن توفي بين الثلاثمائة والاربعمائة وعددها نحو ١٧٠ مترجماً والطبقة الرابعة فيمن توفي بين الاربعمائة والخمسمائة وهي نحو ٢٧٠ فقيهاً . والطبقة الخامسة من مات بعد الخمسمائة وعددها نحو ٤٧٠ فقيهاً . والطبقة السادسة فيمن توفي بين الستمائة والسبعمائة وهي قرابة ٢٥٠ فقيهاً . والطبقة

السابعة فيمن توفي بعد السبعمائة وتبلغ نحو ١٣٥ فقيهاً . وقد ساق المؤلف أسماءهم كلها على حروف المعجم واكثر من الكلام على من ارتضاهم وربما أدخل في غمار الفقهاء من ليس منهم كما يفعل بعض مؤلفي الطبقات في الغالب حباً بتكثير سوادهم

وقد أورد التاج طرفاً كبيراً من الكوارث والفتن التي حدثت في بعض تلك الادوار استطرد اليها لادنى مناسبة واكثر ما شاء وشاءت قريحته فلم يكن منها غير تكبير حجم الكتاب على غير طائل . وطبقات الرجال لادخل فيها لحوادث الاجيال وهذه من خصائص كتب التاريخ السياسي . ومن يقرأ المناظرات التي ذكرها المصنف وهي مما وقع بين بعض الفقهاء المترجمين وبين غيرهم ممن ليسوا على مذهبهم يتضح له ما كان ثمت من تعصب بين المتخالفين وكيف صرف ارباب المذاهب أوقاتهم في الجدال والقيل والقال .

وانا لم نرَ عبارة لوصف هذه الطبقات اجمل من التي كتب بها الينا احد كبار شيوخ العلم في الشام عند ماصدر الجزء الاول منها قال : « قد سررت بطبع طبقات التاج السبكي لقلة ما طبع من كتب التاريخ في مصر وان كان السبكي شديد التعصب كما يظهر من مقدمة الكتاب التي أفردها لذم التعصب والمتعصبين وجعل من المفرطين فيه شيخه الحافظ الذهبي فزعم انه افرط على الاشاعرة ومدح فزاد في المجسمة يريد بالمجسمة الحنابلة وعلماء الحديث وهي عبارة تدل على فرط السخافة فان كان الذهبي متعصباً فتعصبه نشأ عن خطاء في الاجتهاد وتعصب التاج عن عناد ولجاج غير ان الزمان سيسقط كل مموّه أياً كان فينتفع بكتابه بمثل ذكر ما للمؤلف من مؤلَّف ونحو ذلك »

والكتاب جيد الطبع على الجملة يطلب من مكتبة مصطفى افندي فهي بخمسين قرشاً مصرياً فنحث على اقتنائه فان حسناته كثيرة ولا يجوز أن يزهد في عقد من اللؤلؤ اذا كان فيه بعض الخرز . والصيرفيّ الحاذق ينقد الدينار الخالص من الستوق الزائف . ونثني على طابعه اجمل ثناء

سياحة في القطر المصري — هو كتاب في نحو ١٥٠ صفحة فيه مباحث اجتماعية وتاريخية عن البحيرة والشرقية والفيوم وأسيوط وغيرها ومباحث عمومية عن العربان والامن العام وغير ذلك مما له علاقة بحياة هذه المديريات المهمة من القطر المصري ساح فيها عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ورئيس تحرير جريدة مصر وتكلم عن شؤونها بما دله عليه اختباره وفضله وقد نشرها أولاً في مصر ثم جعلها ملحقاً لمجلة المحيط وأرسلها لمشتركيه في العام الماضي وهي تطلب من مؤلفها وفيها من الفوائد ما يرغب فيه كل مصري أديب فنحث على اقتنائها ونشكر لرصيفنا عنايته وهديته

سير العلم

لغة الاسبرانتو — انتشرت هذه اللغة التي ألفها الدكتور زامنهوف الروسي انتشاراً عظيماً في العهد الاخير وأقبل الاوربيون على تعلمها لسهولة مأخذها وسينعقد مؤتمرها هذه السنة في كمبردج فتقيم له كلية هذه المدينة احتفالاً بديعاً وقد أُنشئت جمعية من علماء الحقوق ممن تعلموا اللغة الجديدة. وممن ينتصر لهذه اللغة وتلقنها ملكة اسبانيا وملكة نروج التي تعلم هذه اللغة

للبرنس أولاف الصغير . والمظنون ان الدكتور زامنهوف سينال في العام المقبل جائزة نوبل جزاء خدمته الانسانية بهذا الاختراع المفيد للامم

اكل الاثمار — ألف المسيو جبرائيل فيو الفرنسوي كتاباً دعاه « لنغرس الاشجار ولنا كل الاثمار » ومما جاء فيه ان مئتين أو ثلثمائة متر مربع تنبت البقول اللازمة لأسرة فيبلغ متوسط غلة الهكتار (عشرة آلاف متر مربع) من الهليون والخرشف (ارضي شوكي) ١٢٠٠ فرنك ومن الملفوف ١٠٠٠ فرنك ومن الجزر ٧٠٠ فرنك ومن البطاطا ٥٠٠ فرنك ومن السلجم (اللفت) ٤٠٠ فرنك ومن الحنطة ٣٨٠ فرنكاً . واذا توفر العامل على زراعة حديقته خضراً وبقولاً تكون لأسرته مورد رفاهية ويسار وتنبه فيه الرغبة في الاقتصاد وتجود بذلك صحته . قال اذا غرست مئة شجرة مثمرة في هكتار من الارض تغل اكثر من الحنطة والبطاطا والشمندر بمعنى انه يأتي بمورد لا يقل معدله عن الف فرنك . وأوصى بغرس الاشجار المثمرة وجعل عشرة أو خمسة عشر متراً بين كل شجرة حتى لا يكون اشتباكها والتصاقها داعياً الى عدم الانتفاع من غلة الارض فتزرع أنواع المحاصيل والغلات . ثم استطرد المؤلف ونصح للناس ان يغتذوا بالاثمار خاصة قائلاً ان الامراض الشائعة في عصرنا هي مسببة من الافراط في تناول اللحوم ومما في عضلاتها من الزلال على حين ان قضم الاثمار يفيد الصحة اكثر من ذلك . وقال ان ضعف المجموع العصبي (نوراستينيا) يشفى بتناول الاثمار وعدد امراضاً ينتفع المصابون بها من تناول الفاكهة وأتى بادلة مقنعة وبراهين علمية لتأييد مدعاه

البنايات العائمة — وُفِّق أحد مهندسي كاليفورنيا الى اكتشاف طريقة لاقامة منائر في البحر وحصون وبنايات في مداخل المرافيء في عرض البحر تطفو على الماء وكل ما يبنى بحسب اشارته من هذه المباني يقاوم فعل جميع التقلبات التي تحدث على وجه الماء في البحر المحيط . والظاهر لاول نظر ان ما ادعاه المهندس المشار اليه يعد من المستحيل بلوغه ويناقض ما جرى عليه العمل في اقامة الابراج والمنائر والابنية في وسط البحر حتى الآن . فانه توصل الى اقامة هذه الابنية في عمق من المياه لا يتحرك باهتزاز سطح الماء والاساس اذا كان بعيداً عن الماء الذي يهتز بالامواج دام اكثر وقاوم فعل المياه . وهذا الاختراع سيفيد التجارة البحرية والدفاع عن المواني والشواطيء فائدة كلية . فان قليلاً من المواني تمكن فيها البناؤون من وضع الاوتاد التي تغرز ليقام البناء عليها في الماء وبهذا الاختراع يمكن بناء أرصفة عائمة فتفرغ عليها السفن شحنها بدون عائق وهذه الارصفة تعلو وتسفل بحسب حالة المد والجزر في البحر . وبهذا الاختراع يمكن تشييد منائر في الماء الكثير التلاطم الذي لم يكن يتيسر من قبل ان يبنى فيه كما تشيد أماكن بعيدة عن الساحل لتأمن السفن من اخطار الشواطيء

الملبس المسموم — ثبت ان في بعض الحلويات سماً يضر بعض الضرر احياناً ونسب ذلك بعض الباحثين الى ما يحشى به من الزبدة والبيض ثم قرّ الرأي ان في البيض سماً زعافاً احياناً لفساده وان كان جديداً وان احسن واسطة في اتقاء خطر البيض ان ينظر الطاهي أو ربة البيت اليه عند وضعه في الحلويات وغيرها ليرى فيما اذا كان سليماً أو فاسداً

تعقيم اللبن — بحث كثير من علماء الكيمياء والحياة بالمانيا في الايام الاخيرة فيما اذا كان اللبن (الحليب) المغلي أنفع من غير المغلي وبعد المراداًت الطويلة تبين ان اللبن المغلي للاطفال انفع ولكنه اذا أُغلي كثيراً تفقد خاصية من خواصه الكيماوية والحيوية . وبحث علماء من الاميركان في تعقيم اللبن بدون واسطة الحرارة فرأوا ان يضاف اليه كمية قليلة من محلول ممزوج باكبر مقدار من الاكسيجين ومادة أخرى لا تغير لونه ولا طعمه أصلها من مادة حيوانية . وبالجملة فان المسألة ما برحت موضوعة على بساط البحث بين العلماء هذا يقول بغلي اللبن وذاك يرى تناوله بارداً وغيره يرى ان يعدل عن تعقيمه بمزجه ببعض المواد كما تقدم

نبات ضار — اذا لم يكن في النباتات مادة سامة لا تضر في العادة اذا لم يكن فيها نفع . ولبعض النباتات خاصية الضرر كالنبات الذي يكثر في أميركا الجنوبية فيأتي باضرار بليغة للحيوان والانسان وهو من جنس « الستيبا » فتجد في غلاف الزهرة الاسفل من مجموع ما تتألف منه سنابله زُغبراً فيه حرير يتلوى على نفسه فاذا ثارت الريح تحمل براعم هذا النبات فتعلق بشعر الانسان ولحيته وتتلوى فتدخل الجلد فاذا حاول المرء قلعها تنكسر وتزيد في الانغراز . ويمكن الانسان ان يتخلص منها أما الحيوان فانه اذا أصابت عينه تقلعها فتعميها فلا يتيسر له ان يتناول غذاءه فاذا كانت تلك الحيوانات وحدها مطلقة يكون قلع عينيها سبباً في هلاكها وعدم قدرتها على الاقتيات ثم ان براعم هذا النبات تلصق في جلد الخرفان فتحدث فيها تقرصاً مؤلماً كما تدخل في فم الحيوان آكلة النبات وتجعلها كمغرز الابر .

وقد حاول العلماء ايجاد واسطة لاتقاء هذه الآفة فلم يفلحوا و« الستيبا » ما زال يكثر

الفلسفة الحديثة — ألف احد علماء الالمان كتاباً في تاريخ الفلسفة الحديثة وهو يترجم الآن الى اكثر اللغات الاوربية شأن كل كتاب نافع يصدر باحدى لغاتها فلا يلبث ان يترجم في الشهر الذي يصدر فيه وربما صدرت الترجمة والاصل في ساعة واحدة من المطبعة . وقد أتى بالبراهين السديدة عند كلامه عن فلاسفة القرن التاسع عشر فانتقد « كانت » واضع الفلسفة الحديثة احسن انتقاد ثم أنحى على الفيلسوفين «فيختي» و«هيكل» الالمانيين وسماهما بخارقي قوانين الفلسفة وأصولها وأضاف اليهما الفلاسفة شيلرماشير، وشوبنهاور ، وهربارت ، من فلاسفة الالمان لانه لا نظام في آرائهم وهم يتكلمون كلام المغتاظ الحانق وقال ان الفلسفة الحسية تبدأ من أغست كونت الفرنسوي كما تبدأ الفلسفة الانكليزية من ستوارت ميل وداروين وسبنسر فان هؤلاء أتوا الغرب بافكار وعواطف يسير عليها اليوم ويعيش في ظلها

الحلقة المفقودة — اكتشفت سنة ١٨٩١ في ترنيل من اعمال جاوة بعض عظام تحت التراب تشبه عظام القرد (جيبون) والانسان واستبشر العلماء عندئذ بانهم كادوا يظفرون بالحلقة المفقودة بين الانسان والقرد كما هو مذهب كبار علماء الطبيعة امثال داروين ووالاس وهاكل وغيرهم ثم أجلى البحث عن لا شيء . وقد فرح العلماء الآن بما وفق الى اكتشافه

الاستاذ كلاتش أثناء بحثه في شمالي أوستراليا من اكتشاف ينفع علم الانسان (انتروبولوجيا) . فقد اذاع انه صادف في بور داروين على الشاطئ في بقعة قلما ينزل اليها السائحون ولم يدخلها التمدن الحاضر — امرأة تعيش في البلاد على حالة التوحش من الفطرة الاصلية وتشبه باوصافها القرود التي تشبه الانسان (انتروبويد) ورجلاها مثل ارجل الزنوج تتسلق بهما الاشجار بمثل السرعة التي تتسلق بها القرود . وهذه أول مرة شوهد فيها مخلوق بشري على هذه الصفة . ويزعم الاستاذ المشار اليه ان هذه المرأة مرتقية من القِرَدة وان اجدادها كانوا قروداً ولا شك . فاذا ثبت له مازعم فيكون الدروينيون عثروا على الحلقة المفقودة التي ينشدونها منذ أزمان

التلفون في السكك الحديدية — أُخذ في استعمال الادوات التلفونية في قطارات الخطوط الحديدية الرئيسة في الولايات المتحدة فتتأتى المخابرة بعد الآن بين المركبات والقاطرة على اختلاف انواعها كما تتيسر مخاطبة المحطات وتنفع هذه التلفونات في اتقاء الاخطار التي تعرض للقطارات في طريقها . وتستعمل اسلاك هذه التلفونات في ارسال الرسائل البرقية ولا يحدث من ذلك التباس

الالكحول من الشجر — اكتشف في أوستراليا الغربية ضرب جديد من الالكول يأتي من شجر غض كبير تحتوي اليافه على خمسة في العشرة من الالكحول وكان هذا الشجر معروفاً منذ القديم بين النازحين الى تلك القارة والمبعدين اليها فقدكانوا يستخرجون منه سائلاً يقوم مقام الجعة (البيرا)

السكسون واللاتين

ألف احد علماء الاجتماع في ايطاليا كتاباً في العنصرين الانكليزي السكسوني واللاتيني أبان فيه أهم اسباب ارتقاء الشعوب وبحث بحثاً مدققاً مؤيداً بالحجة في أسباب سر تقدم الامم وانحطاطها وهو يرى انه ليس هناك عناصر بل أمم يؤيد ذلك لا من طريق علم الاجتماع بل من طريق علم الانسان وقال انه ليس في العالم الآن أمم مكوّنة من جنس واحد بل هي نتيجة الامتزاج الحقيقي وأخلاط من عناصر مختلفة . فكما ان الجنس أو العنصر يشتهر وينتظم بما له من الصفات التشريحية المعروفة فيه فكذلك تعرف الامة بمجماع الاخلاق النفسية والمظاهر الاجتماعية . وما سر تقدم أمة الآتٍ من أحوال اقتصادية أو غيرها تطرأ عليها فتنهضها الى أعلى عليين أو تسقطها الى أسفل سافلين . فلو حازت أمة تقدماً على غيرها كما يتوهمه بعض علماء الاجتماع لما رأيناها الا باقية ابداً في أعلى قمم المجد . بيد ان التاريخ لم يذكر بان أمة حالفها النصر والنجاح والتقدم في جميع أدوار حياتها السياسية والاقتصادية . وبينا كان ديمولين صاحب سر تقدم الانكليز السكسونيين ينشر كتابه كان العاقل يلاحظ ان الامة الانكليزية التي تمجد بها وأذل أمته لرفعة شأنها قد ظهرت فيها بعض اغراض الضعف .وعلى هذا فان من الازمان ما يواتي أمة ان ترقى رقياً عاماً في مهد الحضارة اذ تكون فيها القوى التي تلائم ذلك الرقي . ولذا ترى في الامم علواً وانخفاضاً وسقوطاً وارتفاعاً

وأغرب ما في هذا الكتاب فصل قارن فيه المؤلف بين ارتقاء المانيا وارتقاء ايطاليا وهما الامتان اللتان نالت كل منهما وحدتها في زمن متقارب فانه رأى ان الناس يبالغون بما بلغته المانيا في سلم الارتقاء الاقتصادي وانها تفوق ايطاليا بمراحل في هذا السبيل فقال ان في المانيا ٥٧ مليون ساكن وثروتها نحو ١٥٠ مليارا من الفرنكات أما ايطاليا فثروتها ٦٥ ملياراً وسكانها ٣٢ مليوناً فمعدل ثروة الفرد في المانيا ٢٦٢٢ فرنكاً وفي ايطاليا ٢٠٠٣ فرنكات أما من حيث عظمة ايطاليا في الامور العلمية فان كل من ينظر اليها نظر المجرد عن الغرض يرى فيما يشاهده من أعمالها العلميه والادبية بانها آخذة في المسير نحو دور جديد من العظمة والمجد

نفاضة الجراب

فجائع البائسين

هذه روايةٌ وطنيةٌ اخلاقيةٌ واقعيةٌ تمثل للقاريء ما تئن منه هيئتنا الاجتماعية من البؤس وما يتخلل نظام بيوتنا من الخلل تشبه في بعض مضامينها رواية البؤساء لأستاذ الفصاحة والادب حافظ افندي ابراهيم وان كان بين الروايتين فرق في الاسلوب وكيفية الأداء ولا عجب اذا تم للمتقدم ما لم يتم للمتأخر فان حافظاً هو بلا مراء مالك زمام البيان والتبيان . ولعل المغرمين بالروايات والعالمين بنسج الاقاصيص والحكايات يؤآخذونني على الاقتضاب في الفصول الغرامية فيعدُّونه نقصاً في الاسلوب فأنا أستميحهم عذراً على ذلك اذ قضى عليَّ وضع الرواية وسلسلة حوادثها بأن أقتصر على ما اقتصرت والله المستعان دمشق : شكري العسلي

١

في ليل الاربعاء السابع والعشرين من شهر شباط (فبراير) هطلت الامطار وهبت العواصف واشتد البرد فاستحال المطر ثلجاً وابيضت الدنيا فصارت كالعهن المنفوش واخذت خديجة تشعر بألم الوضع نحو الساعة الخامسة بعد الغروب فايقظت زوجها احمد وأخبرتهُ بما ألمَّ بها من ألم المخاض فهبَّ من ساعتهِ ليأتي بالداية وأحب ان يستصحب معهُ مصباحاً يستصبح بهِ في ظلام الليل الدامس ولما كانت داره خالية من كل شيء راح يطلب الى خادم جاره وكان هذا من الاغنياء ان يعيره فناراً أو مصباحاً فطرق الباب عليهِ وكان الخادم مهتماً باحضار سفرة الحلويات والفاكهة ليتناول

منها ضيوف سيده فخجل احمد وخشي ان يظن القوم انهُ أتى مدفوعاً بما انبعث من رائحة الطعام ولكن صاحب المنزل كان كريم الطبع محباً للضيوف فتبسم له ورحب بهِ واستثقل بعض الحضور مجيئه في تلك الساعة فهمس احمد في أذن صديقهِ الخادم قائلاً له : هل لك ان تعيرني مصباحاً أستنير بهِ في طريقي لاني ذاهب لاحضر الداية لامرأتي فقد أخذها المخاض .فسأل صاحب الدار خادمهُ عن سر مجيء احمد فاجابه الخادم انهُ يريد ان يستعير منا مصباحاً وأعلمه بالسبب فامره مولاه بان يلبي طلبه فاخذ صاحبنا المصباح وذهب مهرولاً الى الداية فلما قرع بابها سألته عن المُقرِب فاجابها بانها امرأته واذ أيقنت انه لا ينالها الا التعب والبرد ونسيت ما ستناله من الاجر والشكر وما يترتب على عملها من خدمة الانسانية لم يسعها الا ان تظهر أسفها واعتذرت بمرض اعتراها منذ أسبوع فدلت على أنها عارية من عواطف الرحمة مجردة عن الانسانية التي كانت توجب عليها ان تسعى الى تخليص تلك البائسة من خطر الموت ومن يدرِ كم من النساء اللواتي ذهبن لجهلها وعدم اعتنائها بقواعد الصحة . وكم سمعنا ورأينا من النساء اللواتي فارقن الدنيا بسبب الوضع لجهل القابلات وقلة عنايتهن

انفصل صاحبنا عن باب الداية وعينه تقذف قطرات الحنو الزوجي ممزوجاً بحسرة البؤس البادي على صفحات خديه وذهب الى قابلة أخرى فسألته عن الاجرة فاخبرها بما في مكنتهِ ان ينقدها اياه من الدراهم فامتنعت واعتذرت ثم قالت انها لا تخرج من منزلها العامر الا باجرة وافرة فاخذه البكاء وذهب الى عجوزة عرفت بعمل الخير لها خبرة بالتوليد فاستنهض همتها واخبرها بما جرى له مع تينك القابلتين فأسفت لحاله ولعنتها ولعنت الزمان الذي قل عمل الخير فيه وأخذتها الحمية والحماسة الشرقية فذهبت معهُ على الفور وأجلست خديجة على الكرسي وأخذت تعالجها وتحمسها وتقرأ لها ما تيسر من القرآن وتتوسل بالادعية على عادة العجائز التقيات . فلما حانت الساعة السابعة بعد منتصف الليل وضعت خديجة غلاماً سُر به ابواه وسمياه سعيداً تفاؤلاً بان ينالها السعد بهذا وقرأا الفاتحة على هذه النية ومن العادات التي لا خلاص منها اكرام القابلة

بضروب الحلواء والفاكهة ولم يكن عند صاحبنا درهم واحد ليقوم بهذه العادة فرهن قدراً له وأنى يبعض المآكل قدمها للقابلة وانصرفت واعدة اياه بالمجيء كل يوم لتتم احسانها

٢

أخذ سعيد ينمو يوماً فيوماً وغدا سلوى أبويه في بؤسهما ومحط آمالهما وكانت مياومة أبيه لا تقوم بنفقة عياله فحسن لديه أن يُستخدم في كتائب الدرك لينال ثلثمائة قرش مشاهرةً فقدم طلبهُ والتمس تعيينه وساعده على ذلك بعض اهل الخير فعين نفراً وظن أن ما تم له من الخير ناله بيمن طالع سعيد ابنه فأمل فيه خيراً وزادت محبتهُ له وكان احمد حسن المنزع مهذب الاخلاق عُرف بالامانة فاتخذه زعيم الدرك علي باشا وكيلاً على منزله وأحله منه محل الثقة وطفق يحسن اليه والى سعيد ابنهِ وكان قد بلغ السادسة من عمره فظهرت عليه أمارات النباهة وحدة الذهن . وكان للقائد المشار اليه ابنة وحيدة اسمها جميلة هي في السادسة من عمرها كسعيد وقد كان أجتماع سعيد بها في منزل واحد واشتراكهما في العمر سبباً في ارتباطهما برابطة الاخاء المتينة وألف كل منهما أخاه حتى صارا كأخ وأختهِ لا يطيقان افتراقاً

وفي غضون ذلك أدخل الباشا سعيداً الى المكتب الابتدائي فلما بلغ الثانية عشرة من عمره أتم الدراسة الابتدائية وثبتت لدى الباشا كفاءتهُ فأدخله المكتب الاعدادي الملكي بدمشق داخلياً بلا أجرة فجدّ في دروسه حتى تقدم في صفّه واصبح الاول فيه وهو يختلف الى منزل الباشا في اغلب الاحيان وكلما دخل المنزل يشعر بميل لرؤية جميلة و يشتاق اليها كلما غاب عنها فأدرك أن لها مكاناً من قلبه علياً وخُيل له ان يتزوج بها ولكن كان يمنعهُ عن هذا التصور ما بين أبيه وأبيها من تفاوت الطبقة عالماً أن الناس لا يزالون مغرمين بالظواهر وأن الصفة المطلوبة بل الضالة المنشودة في الزوجيـة هي المال والجاه وندر من اهتم بمكارم الاخلاق والتربية الصحيحة ولذلك أيقن انه لاينال ما تطمح اليـه نفسهُ الا اذا نال جاهاً ومقاماً عظيماً وكان كلما اجتمع بها يرى منها

أمارات الحب والميل اليه ولم يجسر أحدهما ان يبوح لصاحبه بما تكنه الصدور

٣

ألا ان خير الودّ ودٌّ تطوعت   بهِ النفس لا ودّ أتى وهو متعب

حدث ذات يوم أن كانت دار الباشا خاليةً فعزم سعيد على اظهار ما في فؤاده من دواعي الهوى وراح يختلس الفرص ويحادث جميلة ويأخذ معها في اهداب الكلام حتى ساقها ذلك الى ذكر ايام صباهما ثم تحين المناسبة وقال لها : أيخطر على بالك يا تُرى ما كان بيننا مستحكماً من علائق الحب والوداد أيام كنا احداثاً ؛ ألا تذكرين ذلك العهد الذي كان بهجة الايام والليالي ورياض الازمنة فكأن الشاعر نظر اليه حين قال :

شهور قد قُضين وما علمنا   بأنصاف ٍلهن ولا سِرار

— ألستَ تحبني الآن ؟

— كيف لا أحبكِ ؛ ولكني لا أعلم ان كنت باقيةً على العهد في الحب او زال أثره من نفسك ذهاب أمس الدابر فان الايام تقلب القلوب

— سلْ قلبك ينبئك عما في ضميري لك

— قلبي يحدثني بمحبتك ولكن لست ادري . . .

وعندها ساد السكوت واقتطعت سلسلة الحديث فلم يتجاسر احدهما على الاعتراف بأكثر مما اعترف والموقف حرج . فغير سعيد الموضوع خوفاً من لومها وعتابها وأخذا يبحثان عن المكتب فصار يمدح مستقبله ويشرح آماله ويتعلل بأنهُ سيكون منه رجل عظيم يحرز الرتب العالية والرواتب الوافرة اذا ساعده القدر ولم يخنهُ الحظ

وهنا تم الحديث واقتضت جلستهما التي يصح أن تسمى الاولى وهي الاولى

في شرح الغرام فودع سعيد حبيبتهُ وأليفة صباه وذهب الى مدرستهِ وآمالهُ تسبح به في سماء الخيال وقد أيقن انها شريكتهُ في الحب فارتسمت صورتها أمام عينيهِ في درسهِ وعند ما يخلو بنفسه وكان يذهب في تأويل كلماتها مذاهب شأن من رأى بصيص نور السعادة وكان منها محروماً او تجلت له أمارات الغنى وكان من قبل معدماً

« سل قلبك ينبئك عما في ضميري لك » جملة فاهت بها جميلة فأخذ أليف صباها يقيم العلالي والقصور من الاحلام ويتفنن في تفسير مضمونها على أوجه وبعد أن نثل ما في كنانة علمهِ من فهم المعاني الدقيقة قال يخاطب نفسه : أسألك يا قلب الا ما أطلعتني على ما حوتهُ ضلوعها ؟ فان كان وداً خالياً من الغرام فلست ارضاه اذ لا يجديني نفعاً . ثم راجع نفسهُ فقال ان قلبي يحدثني بأن عندهامني ماعندي منها وان سكوتها يدل على ذلك والسكوت في معرض الحاجة اقرار

ثم ما لبث أن سخر من نفسه وقال : واذ لم تعترف لي بما في فؤادها كيف يسوغ لي أن أحكم بحبها لي على الوجهِ الذي ترمي اليه آمالي ؟ . وأنشأ يفكر فيما يوصله الى معرفة كنهِ امرها من ناحيته فرأى أن يسطر لها كتاباً يستطلعها بهطلع افكارها فبعث اليها بالكتاب التالي :

« سيدتي — ساقتني الجرأة ان أكتب اليك بهذا الكتاب وأنا اخشى ان لا ينال منك قبولاً ولا يكون سبيلاً الى غضبك الذي أعده من قواصم الظهور . واني لأود أن يقيم لي عذراً مقبولاً بما يمت به اليك من بيان ما تجنهُ اضالعي لك من الحب الطاهر . فان قولك يوم اجتمعنا « ان ما في قلبي لك ينبئني بما في فؤادك » قولٌ خليق بالنظر فقد فتشت في سويدائهِ وحناياه فلم أجد فيه لك غير الحب الاكيد مما يدعوني الى تعليق الآمال بما هو اقصى مناي من دنياي وأعني به ان تكوني شريكة حياتي تشاطريني فيها الافراح والاتراح . واني أتقدم اليك اذا رأيت

في رسالتي هذه لجة وجرأة أن تطويها عاذرةً والكريم عاذر واذا وقع كلامي منك موقعاً حسناً فلا تلومي مفاتحتي لك بما في قلبي واعف عني وقني سوْرَة سخطك واكتمي الامر عن الشمس والقمر والسلام عليكِ . . »

ثم طوى الكتاب ووضعه في غلاف وذهب الى منزل الباشا وطلب ان يقابل الخانم الكبيرة ليقبل يديها ويقوم بما اعتاد من تقديم واجباته لها فدعتهُ اليها وسلمت عليه ودعت له بالتوفيق . فاختلس فرصةً في تلك الساعة وألقى الكتاب بيد جميلة فتناولته مرتعشةً وقد احمرّ وجهها ثم اقام هناك هنيهةً وانصرف الى مدرسته

ذهب سعيد فدخلت جميلة غرفتها وأغلقت الباب وأرخت ستور النوافذ وسدت المنافذ والشقوق بحيث لا يراها احد وجلست على كرسي ووجهت وجهها نحو الجدار وأخذت تقرأ الكتاب فاحمر وجهها خجلاً وعلمت انهُ وقع في شراك هواها فارادت ان تتماسك ولا تريه انحلالاً في الاخلاص لعلمها ان بعض الرجال يكرهون زواج من يبحن بسرائرهن في الهوى . فبعثت اليه كتاباً تعيبه به على جرأته وما وقع له من الالماع اليه على أسلة لسانه وبنانه . ولما تلا كتابها أخذ اليأس والخجل يقيمه ويقعده فهجر منزل الباشا زمناً حتى صار اهل بيته يسألون عنه ووقعت جميلة في شر اعمالها وندمت على ما فرط منها من عتابه المرّ الجافي على جرأته الغريبة وأيقنت ان الخوف اقصاه عن غشيان منزل أبيها فكتبت اليه بما يأتي :

« عزيزي : أراك هجرتنا هجراً طويلاً وما عودتنا من قبل ذلك فان كان هذا تناسياً فهو ينافي أملنا فيك وان كان خجلاً من عتابنا فعملك مردود عليك. فتعال اذاً يوم الثلثاء اذ يخلو لنا الدار بتغيب أمي وأبي لابوح لك بذات نفسي ولك مني الف سلام»

ثم طوت الكتاب وبعثت به مع خادمتها الامينة الى المكتب فلما تناوله سعيد كاد يطير فرحاً وأخذ يغوص في بحور الخيال ويسبح في فضاء الاماني الى ان اقبل اليوم المضروب للاجتماع فاحتال على مدير المكتب ونال منه رخصة بالخروج ذلك

اليوم فخرج مهرولاً نحو منزل حبيبته . فلما دخل عليها سلم سلام المتلعثم وهو لا يدري ما يقول فاحسنت استقباله بوجه يفتر سروراً ويطفح بشراً واخذت تلاطفه بالكلام وتقول كيف يخطر لك ان أسطر في الورق ما يخالج قلبي لك من الحب وليت شعري ماذا يكون حالنا لو وقع الكتاب في يد من يأتي به أبي ومن يشفع فينا عندئذ ؟ . فسكن روع سعيد وما جاش به من الجأش وعلم علم اليقين انها لم تجسر على مفاتحته فقال لها :

الآن حصحص الحق وعلمت مكانتي منك فهل تتنازلين لقبولي رفيقاً لك في حياتك غير ناظرة الى فقري وقلة جاهي وتكتفين بمكارم أخلاقي وآدابي وتعتمدين صدقي وفرط ودي وتثقين بان حياتي ستكون وقفاً على ما فيه رضاك

فقالت انت تعلم ان امر زواجي ليس بيدي ولو خيرت لما اخترت سواك . على اني أستطيع رد كل من يطلبني غيرك وأنا عالمة بشدة بأس ابي فكن في أمان من اني سأبذل الوسع لاظل عانساً ريثما تنجز سني دراستك ولعلك تنال مقاماً يبلغك أمانيك فأعطيك هذا الوعد وسأثبت عليه مهما كلفني من العذاب والهوان

— أنا أعلم منزلتي وان لا سبيل الى طلبك ولكن ما يخالج قلبي من الاماني يدفعني الى القول باني بعد ما أتم دروسي التجهيزية سأذهب الى الاستانة وادخل في احدى المدارس الكبرى فانال عند خروجي منها بعد نيل الشهادة منصباً يهيئ لي مستقبلاً جميلاً اكون جديراً بك ويسوغ لي طلبك من أبيك

— نعم ما قلت وفكرت فليس لك عندي سوى النصيحة ان لا تتأخر عن الجد في التعليم لئلا تقعد ملوماً محروماً واسع جهدك ولا ريب عندي انك ستحرز مقاماً يليق بنفاذ بصرك وبصيرتك ومكارم أخلاقك وسمو آدابك واياك ان تقلبك الايام فتنسى ما قر عليه قرارنا الآن وأوصيك بالثبات على الوعد ولو بُليت بانواع العذاب

وهنا أقسم لها بكل محرجة من الايمان وتحالفا على ان لا يخلا بالوعد وتفارقا على اللقاء ولو بعد حين

البقية تأتي

المقتبس

الجزء الثاني من المجلد الثاني

صفر سنة ١٣٢٥ الموافق مارس (آذار) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

امبرسون

١٨٠٣ - ١٨٨٢

يظن بعضهم ان العالم اذا بثّ فضل علمهِ والاديب اذا نشر آثار أدبهِ والاخلاقي اذا علّم الحكمة لاهل جيله وقبيلهِ وصاحب الدعوة أو النزعة اذا نفخ في الناس من روحه ولم يظهر للعيان في الحال أثر مما قصدوا له ووقفوا نفوسهم عليه وانفقوا نقد أعمارهم على خدمتهِ يعدون في الخائبين الخاسرين وان العمل اذا لم يُنتج لاول الامر لا يُعد صاحبه رجلاً مذكوراً ولا عمله مبروراً مشكوراً كأن يطلبون من الغرس ان يثمر في يومه ومن الطفل ان يكبر بانفصاله عن أحشاء أمه وفاتهم ان لكل عمل عمره ولكل مؤثر أثره والله لا يضيع عمل عامل

يكاد يوقن كل ناظر في الحضارة الغربية وباحث في تاريخها منذ مئتي سنة انها ترمي بالتدريج الى ان تكون حضارة مادية بحتة لا ينظر فيها لغير الابيض والاصفر وان اهل الغرب على اختلاف أصقاعهم وحكوماتهم لا يحبون ولا يريدون ان يحيوا

الا الحياة المادية ولا تراهم الا زاهدين في الحياة الادبية أو الروحية . فعلى نسبة غنى المرء عندهم وكثرة ذهبه تزداد حرمته والاعجاب به وكلما استحل أكل مال الضعيف وتفنن في هضم حق الفقير ولو تحت ستار الاحتكار أو الاستعمار أو الشركات والمضاربات عدَّ من ارباب العقول والمضاء وهذا من عيوب هذه المدنية الاوربية وما نخال ان الحال كانت كذلك على عهد الحضارة الاسلامية

الحياة المادية تكاد الآن تتغلب في كل بلد من المعمور على نسبة دخول نور العلوم وفضلات التمدن الحالي وتشهدها على اتمها في الولايات المتحدة الاميركية لان جميع أهلها من المهاجرين من أقطار العالم في طلب الرزق وقلَّ فيهم مثل المهاجرة الأوَل الذين هاجروا اليها فراراً بنفوسهم من ظلم الحكومات الاوربية فتكوَّن منهم والله اعلم على ما طبيعة تلك المملكة الضخمة من الخصب واسباب الثروة التي لم يجتمع مثلها لمملكة أقوام يحلمون بالدولار ويحيون به ويموتون في حبه ويفضلون كل شيء على مثاله ويسعون بكل ما يمكن الى نيله ولا يفكرون في غيره من الحياة الادبية التي لو نزعت من أمة لزالت عنها سعادتها وغبطتها ونعماؤها

ولقد كان أول من دعا من حكماء تلك الديار الى الاقلال من هذا التكالب الضار والجمع بين حب الذهب وحب الادب صاحب هذه الترجمة اميرسون حكيمها وعالمها العامل. دعا الى ذلك واهل طبقته من المفكرين في أمته فاثرت دعوته في بعض النفوس تأثيراً نظرياً ولكن لم تظهر آثارها العملية حتى الآن على ان كثيراً من زعماء الافكار وحملة العلم فيهم يتوفرون اليوم على قتل تلك الروح المادية ومحاربتها للتخفيف من شرر شرورها وفي طليعتهم الرئيس روزفلت[١] داهية الارض وعالم القياصرة والامبراطرة وأعقل المالكين من المطلقين والمقيدين

نشأ اميرسون في حجر الدين وكان أبوه رئيساً دينياً من شيعة الموحدين[٢]

---

(١) المقتبس ص ٢٧٩ م ١

(٢) الموحدون *Les Unitaires* هم شيعة من شيع البرتستانت ينفون التثليث ويقولون بوجود

فانصرف في أول أمره الى احتذاء مثال والده في الوعظ والارشاد ونال وظيفته في كلية هارفرد الجامعة فدرس فيها علم اللاهوت وغدا واعظاً موحداً في احدى بيع بوستون الا انه لم يلبث ان تخلى عن هذه الصناعة وذهب الى بلدة كونكورد[1] سنة ١٨٣٥ ينقطع للتعليم والالقاء على سبيل المذاكرات العامة والى تأليف الكتب وانشاء المقالات في المجلات وأسس لنفسه مجلة دينية فلسفية سماها الكمال وكانت تآليفه لاول عهده فلسفية محضة ولما زار انكلترا سنة ١٨٤٨ ورأى اهل العالم القديم وما عندهم من آثار وأمصار تنبهت فيه القوى النفسية فوضع تأليفاً كان سبباً لان لُقّب به « كارلايل أميركا » تكلم فيه على كثير من كبار الرجال ممن بلغوا مراتب الكمال على نحو ما تكلم كارلايل الانكليزي في كتابه « الابطال وعبادة الابطال » . ومن جملة كتب اميرسون التي تألقت بها شهرته كتاب سماه « الخُلُق الانكليزي » درس فيه أخلاق الامة الانكليزية من الوجه الاجتماعي والادبي وشرح فيه على أحسن طراز وألطفه واوضح أسلوب وانفعه الاسباب التي نجم عنها مجموع النقائص والعيوب التي يتألف منها الخُلُق البريطاني .

كان اميرسون كاتباً وشاعراً وهو الى الكتابة أميل وفيها امتن وارصن . منقطع القرين في سلاسة التعبير ولطف الاداء والتصوير مما كاد يبلغ به حد الاعجاز في لغته.

واحد أحد . وينزل أكثرهم في مقاطعة الماساشوست في الولايات المتحدة و بعضهم في انكلترا ومذهبهم أشبه بمذهب سوسين الايطالي القائل بعدم ألوهية المسيح والنافي ان فيه سراً الهياً . وربما كان عددهم يربو على مليوني نسمة . جاء في معجم القرن التاسع عشر الكبير للاروس : والموحدون أكثر شيع البرتستانت حرية فهم ولا جرم أكثرهم انصباغا بصبغة الديمقراطية كما ان شيعة الكواكر اكثر الشيع البرتستانتية احساناً وحناناً وعطفاً على القانع والمعتر ولكنهم أي الموحدون يكثرون من تغيير الكتاب المقدس

(١) احدى مدن الماساشوست الصغيرة لايتجاوز سكانها الخمسة آلاف وهي من أجل البقاع تحلو النزهة بنهرها العذب الصافي وغاباتها اللطيفة ولذلك اختارها كبار أهل العلم والأدب من الاميركان سكناً لهم وفيها الآن ماري ادي صاحبة ديانة العلم المسيحي واليها يحج اشياعها

وكان حكيماً مفكراً واخلاقياً عظيماً . قيل ان الوحدة التي مال اليها اميرسون وسعة العيش التي انقذته من الهموم الخارجية اتاحتا له ان يكون منه في القرن التاسع عشر رجل شبيه بمونتين في القرن السادس عشر هذا كاثوليكي وذاك برتستانتي . فأميرسون حكيم كمونتين وشارون الحكيمين الفرنسويين وشكسبير الشاعر الحكيم الانكليزي . ولقد أولع بدرس كتب مونتين ثم انتقل الى الاخذ من كتب شكسبير فهو مثلهما باحث من النظار وهو مثلهما في الابداع والعمل بما في فطرته بعيد الغور حسن التعليل جيد النقد نافذ البصيرة خالص من شوائب التقليد .

قال مترجموه انه جمع جميع الادوات التي تطلب للفلسفة ولم يتيسر له ان يحيلها الى طريقته . ومما امتاز به نقده احوال عصره لان طرق الحكومات الجمهورية تهلك الفرد في سبيل الجماعة فقام اميرسون وناهض في عصره هو وكبار ارباب العلم من اهل حلقته المتشبعين بافكاره امثال وتوروالكوت وشاننغ وفرانك سانبون[1] وغيرهم المتكالبين على الغنى المستحلين للمطامع . وقام يقول للفرد : اعتقد بما يوحيه اليك قلبك . ورأى ان الصناعات تقضي على عالم الكمال فأنشأ يقول ان العالم لا يحيا حياة طيبة رغيدة الا اذا نبذ الانانية وطهّر حياته من الشهوات البدنية ليبلغ الزلفى من رب العباد براً تقياً. فاميرسون هو صاحب الفلسفة المعنوية التي تدعو الى المعارف والآداب *Transcendan ta lisme* وقد وصفته مجلة بلاكوما كازين بقولها : « كان اميرسون من اسجح الناس خُلُقاً وأوسعهم علماً وأحسنهم رأياً واسمحهم فكراً وآلفهم بالفطرة واخلصهم من الاوهام المائجة المتغيرة ليس له نظرية يحيد عنها ولا طريقة يصعب الاخذ بها ولا ارب في القبض على قياد أحد . يطلب للمرء ان يكون لنفسه وان لا يعتمد الا عليها وان يوقرها ويحترمها على مثال كبار الرجال ممن لهم ما له وعليهم ما عليه . فان قام اميرسون بمبدإ

(١) حدثني صديقي أمين ريحاني ان سانبون لايزال حياً وقد زاره في مدينة كونكورد وهو شيخ كبير بعد آخر اشياع اميرسون وتلاميذه قال وقد أراني دار اميرسون وغرفة كتابته وهي الآن محفوظة على حالها يوم كان اميرسون حياً تزار للفرجة عليها

عام استنتج من فلسفته أو تصور انه أتى امراً جديداً لم يسبق اليه سابق فهو انه دعا الى اعادة الانسان الى شرفه في نظر أخيه والاهابة بالناس الى الغيرية وزحزحتهم عن الانانية ليكون المرء كبيراً في نفسه معتمداً عليها مستقلاً كل الاستقلال في افكاره وافعاله وهذه هي الشروط الحقيقية في القوة الشخصية والخير الاجتماعي

وما نرانا مخطئين لو عقلنا ان فلسفة اميرسون النظرية تتعاصى على التحليل فيقتضي حلها بحسب ما يوحي اليه وحي الوقت وان يرجع الى حلها في مشاكل المسائل المتعلقة بما وراء المادة واذا تعاورتها بالحذف والتنقيص تُفقدها رُواءها وتضيع سناها وسناءها فعليك يا هذا ان تقبلها على علاتها وتشربها على كدوراتها اذ ان حسنها ان تبقى على رسمها كما صدرت عن ابي عذرتها وهو يسير في الفلوات ويصعد الآكام والعقبات ويوغل في الحراج والغابات ويمليها بحسب ما تنزل عليه من السماء ويستنشقها من الهواء ويسمعها من حفيف الاوراق ويتناولها من أرج المروج الخضراء ويقرأوها في سطور المسايل والتيار . فان انت حذفت منها اضطرابها وارتخاءها وتلون صورها ولهجاتها وارتجالها ومواضع الوقف فيها تُصاب بآفة وعاهة . ولذا كان علينا ان نقبل تعاليم اميرسون بالحرف بدون ان نغير منها شيئاً فهو ابن الوحدة والتأمل »

شعراء النصرانية في الجاهلية

عُني حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي منذ برهة باظهار فضل شعراء النصرانية في عهد الجاهلية وهو نعم العمل لو توخى في ذلك صراط الحق واتبع سنن التاريخ المسنون نقلاً ورواية . الا انه حفظهُ الله قد أخذ على نفسه امراً هو في غاية الصعوبة والعنت ألا وهو تنصير بعض شعراء الجاهلية ممن لم يكن لهم من النصرانية حظ . فلا غرو انه يعد هذا العمل من قبيل تنصير من كان على الضلال مبتغياً بذلك القربى والزلفى من رب العباد واكتساب الاجر والثواب في الدنيا والمآب . غير انك

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ويا ليته وقف عند هذا الحد وكأنه لم يجترئ بذلك فاخذ الآن بحل قيد من تقيد بدين واجباره على النصرانية قبل أم أبى . كما فعل هذه السنة بالسموأل اذ اجبره وهو بين الاموات على انكار دينه وانتحال النصرانية له . فلا جرم لو أمكن للموتى ان ينطقوا لكان اول نطق السموأل انكار هذه الفعلة الشنعاء وهذا القهر المنكر : واذا سألتني متى فعل حضرة الاب هذا الفعل ؟ قلنا : فعل ذلك عند عثوره على قصيدة تُنسب الى صاحب الابلق الفرد (المشرق ٩ : ٤٨٢ و٦٧٤) وقد زاد عليها بعض النصارى بيتاً أو بعض ابيات لايهام القاري، انه كان على النصرانية . وهذا ما حدا الاب الى ان يقول في (المشرق ٩ : ٦٧٥)

« نشكر حضرة مراسلنا الذي أطلعنا على روايات هذه القصيدة . وكنا وددنا لو زادنا علماً عن النسخة التي أخذ عنها لتعريف قدمها وخواصها. وان كان البيت الاخير صحيحاً صدق ظننا السابق بان السموأل نصراني لا يهودي لا سيما ان أصله من بني غسّان و بنو غسان نصارى اهـ

قلنا : نقلنا كلام الاب برمته ليطلع عليه القاري، الحكم العدل و يعرف قوة براهينه وحججه . أما قوله : « ان كان البيت الاخير صحيحاً صدق ظننا السابق بان السموأل نصراني » . قلنا : ونحن نقول مثله غيرانه لسوء الحظ خطته يد أثيمة فحطته هذا المحطومن هذا يظهر ان الناظم النصراني الكاذب لم يراع انتقال الرموز شيئاً بعد شيء لتنتهي الى ظهور المسيح بل هجم على الموضوع دفعةً هجوم الذئب الجائع فوقع على فريسته وفراها بانيابه الا ان الغير وقعوا عليهما أيضاً فاظهروا خيانته

وأما قول الاب : « ولا سيما ان أصله من بني غسان و بنو غسان نصارى » فهو قول لا يسلم به المطلعون على أخبار العرب في عهد الجاهلية . لان من غسان من كان على دين دهماء العرب وهي الوثنية ومنهم من دان باليهودية وطائفة كانت على النصرانية

فكيف يقول بعد ذلك : ان غسان كانت نصارى

أما ان فريقاً منهم كان يدين بالوثنية فهو أشهر من ان يذكر فهذا الحارث الاكبر ابن أبي شمر الغساني الملقب بالاعرج وهو الذي اشتهر ملكه في ايام القياصرة فانه كان وثنياً قحاً ويتضح ذلك من انه : « اهدى سيفيه المعروف احدهما باسم رسوب والآخر باسم مخذم لبيت الصنم (عن الطبري ١ : ١٧٠٦) وبيت الصنم المذكور هو بيت مناة لان غسان كانت تعبد هذا الصنم (عن معجم ياقوت في مادة مناة)

وزد على ذلك ان تلبية غسان عند وقوفها عند صنمها كانت هذه : « لبيك رب غسان . راجلها والفرسان » (عن تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٧) . وهذا سطيح الكاهن المشهور فانه كان غسانياً الا انه لم يكن نصرانياً وان كان خال نصراني من اهل الحيرة

فهل بعد كلام هؤلاء الائمة الافاضل مندوحة للابهام والابهام ؟ — نعم ان حضرته اذا اراد ان يزكي نصرانية شاعر برأ ساحته من كل ما يمكن ان يقع على ثياب دينه ادنى غبار الا ان ذلك كله اذا فات على عقول بعض القراء فلا يفوت على عقول الادباء لانه لا يشفي فيهم علة كما لا يروي منهم غلة

أما ان اليهودية كانت في غسان فهذا بين من دين السموأل فانه ليس من كاتب أو اديب أو مؤرخ أو لغوي ذكر دين السموأل الا وقال عنه انه يهودي المذهب فهذا الطبري وابن الاثير وابن خلدون والمسعودي وابو الفداء واليعقوبي وابن رسته ونحوهم هم لسان واحد لاثبات هذه الحقيقة الراهنة التي هي على زُبية من سبل الوهم والخطإ . لا بل ان حضرة الاب نفسه يقول بذلك في مجاني الادب ٣ : ٣١٣ في الحاشية فكيف انثنى اليوم عن رأيه ؟ — هذا وان اليعقوبي يقول بصريح العبارة ٢٩٨ « وتهود قوم من غسان » وهو يقول ايضاً في ص ٢٩٩ ان النصرانية كانت ايضاً في غسان . ومن ثم فقول من يقول ان اليهودية كانت في غسان كما ان النصرانية والوثنية كانتا فيها فهو بعيد عن سهام الملام

هذا من جهة السموأل والا فان حضرته قد نصر ايضاً غير هذا من الشعراء ما قد اذّخر له أجراً مذكوراً لا يفنى ولا يزول اذ لا تمد اللصوص اليه يدها كما ان السوس لا يتعرض له . من ذلك انه نصر في الجزء الاول من كتابه « شعراء النصرانية » هؤلاء الواردة اليك اسماؤهم مرتبة على حروف المعجم :

الاخنس بن شهاب . أعشى بن قيس . الافوه الاودي . أفنون . امرؤ القيس وأعمامه . أمية بن أبي الصلت . بسطام بن قيس الشيباني . جساس بن مرة . جليلة . جحدر بن ضبيعة . الحارث بن حلزّة . الحارث بن عباد . الخِرْنِق أخت طرفة . سعد بن مالك البكري . السفاح التغلبي . سُوَيد بن أبي كاهل اليشكري . طرفة . عبد يغوث . عمرو بن قميئة . عمرو بن كلثوم . عميرة بن جُعيل التغلبي . الفند الزماني كليب . وائل بن ربيعة . المتلمس . المثقب العبدي . المرقش الاصغر . المرقش الاكبر . المسيب بن علس . المنخّل اليشكري . المهلهل أخو كليب

ونصر في الجزء الثاني : الاسود بن يعفر . ذا الاصبع العدواني . أوس بن حجر الحصين بن حمام . دريد بن الصمة . الذبياني . الربيع بن زياد . زهير بن أبي سلمى المزني . زيد بن عمرو بن نُفَيل . سلامة بن جندل . عُبَيد بن الابرص الاسدي . عروة بن الورد . علقمة الفحل . عنترة العبسي . كعب بن سعد الغنوي

ولعلك تظن ان عمله المبرور يقف عند حد تنصير الافراد فاربع على ظلعك فقد نصر أيضاً عدة قبائل وبطون مما يدل على غيرته . فعنده كندة ومذحج وطيء وتغلب وقضاعة وإياد وبكر وتميم ومُزينة وأسد وكنانة وعُدوان وذُبيان وغني وهوازن وعبس كلهم نصارى لا غير ولا غرو انهم تلقوا الايمان القويم عنه عند قدومه الى العالم واسماعه اياهم صوته وهم في القبور

على انك لو وقفت على سرّ دعاته هؤلاء الاقوام الى دين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لاستغرقت في النوم والاحلام الا اني لا أريد أن أطلعك بنفسي

على هذا السر الغريب بل أجتزيء بان أورد لك بعض الشواهد لتقف أنت بنفسك عليه بدون أن أبوح لك به ليكون كل الفضل لك

قال مثلاً في المشرق ٧ : ٦٢٠ « قال طخيم بن الطخماء يمدح بني تميم :

وإني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق » اه

قلت : ان الكلمات التي قدّمها على هذا البيت وصدّره بها يوهم ان تميماً كلها كانت نصارى . والحال ان الحق هو على غير هذا الوجهِ فان الشاعر مدح « بعضاً » من تميم . قال في الكامل ١ : ٣٦ (من الطبعة المصرية) ماهذا حرفهُ : قال أبو العباس : ومن سهل الشعر وحسنهِ قول طخيم بن أبي الطخماء الاسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة من بني امريء القيس بن زيد مَناة بن تميم . ثم من رهط عديّ بن زيد العبادي :

كأن لم يكن يومٌ بزورةَ صالحٌ وبالقصر ظلٌّ دائمٌ وصديقُ

بنو السمط والحدّاء كل سميدع له في العروق الصالحات عروقُ

واني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوقُ

اه المقصود من ايراده . وعلى هذا الوجهِ أيضاً جاء النظم المذكور في معجم ياقوت في مادة زورة ٢ : ٩٥٧ فكيف صير اذاً جميع بني تميم نصارى وفيهم الوثنيون والمجوس واليهود والثنويّة والنصارى الى غير ذلك من الاديان ؟ فلا جرم أن حضرة الاب واهمٌ في قوله هذا بل موهم !

ومن غريب أمره أنهُ من بعد أن نصَّر تميماً قال بعد صفحات من قوله المذكور في بني تميم كلاماً هذا نصهُ بحرفهِ : « وعلى ظننا أن الذين هجوا بني حنيفة لأكلهم ربهم وقت المجاعة انما أرادوا القربان الاقدس . كان بنو حنيفة النصارى يتناولونهُ فظن الشاعر أن ذلك لجوعهم قال بعضهم :

أكلت حنيفةُ ربها زمن التقحُّم والمجاعه

لم يحذروا من ربهم سوء العقوبة والتباعه

وقال الآخر :

أكلت ربَّها حنيفةُ من جو ع قديمٍ بها ومن اعواز

(اه عن المشرق ٧ : ٦٢٢)

قلنا : ان الذين هجوا بني حنيفة هذا الهجو كانوا من تميم (عن الآثار الباقية ص ٢١٠) فاذا كان الاب يزعم أن بني تميم كانوا نصارى وكان بنو حنيفة أيضاً نصارى فكيف يُعيِّر الواحد الآخر بشيء هو فيه ؟ أما تحرير الرواية فهو ان «بعض» بني حنيفة (لا كلهم) كانوا نصارى وهم الذين كانوا يكونون في رُصافة هشام المعروفة باسم الزوراء والا فان سائر بني حنيفة كانوا على أديان مختلفة حسب البلاد التي كانوا يكونون فيها . والذين أشار اليهم الشاعر هم الذين كانوا قد اتخذوا صنماً من حَيْس (والحيس تمر يخلط بسمن وأقط فيُعجن ويُدلك شديداً حتى يمتزج ثم يُندر منه نواه وربما جُعل فيه سويق . ولم يكن من الخبز قط) . قال في الآثار الباقية ص ٢١٠ : كان بنوحنيفة قبل مُسيلمة اتخذوا في الجاهلية صنماً من حيس فعبدوه دهراً . ثم أصابتهم مجاعة فقال رجل من بني تميم : أكلت ربها . البيت . وقال آخر : أكلت حنيفة . البيت . فاين هذا مما ذهب اليه حضرة الاب ؟ فلا جرم أنهُ واهمٌ بل موهِم

وقال حضرتهُ في المشرق ٧ : ٦٢١ «وكان المتنصرون من أهل الجاهلية يعبدون الصليب كما دل عليه بعضهم في هجو بني عجل وكانوا نصارى :

تهدَّدني عجلٌ وما خلت انني خلاةٌ لعجل والصليب لها بعلُ» اه

قلنا : ولم يكن بنو عجل كلهم نصارى بل «بعض» منهم . والا فان أغلبهم كانوا على الوثنية دين دهماء العرب لا النصرانية كما يريد الأب أن يوهمهُ . اذ بنو عجل كانوا من بكر بن وائل ووجود الوثنية في بطون بكر أمرٌ لا يحتاج الى ايضاح

وقال أيضاً في المشرق ٧ : ٦٢٤ «وقال الزِّبرقان بن بدر :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا منا القروم وفينا تنصب البِيَعُ» اه

فأدخل وهمين في هذا الكلام . أولاً جعل الزبرقان من النصارى كما أوضح ذلك بين العبارة في شرح المجاني ص ١٣٥ اذ قال : « كان (الزبرقان) في الجاهلية سيداً يدين بالنصرانية وهو القائل :

نحن الملوك فلا حيّ يقاومنا فينا العلاء وفينا تنصب البِيَعُ

وفَدَ مع بني تميم على نبيّ المسلمين سنة ٩ هـ ٦٣١ م فاسلم بنو تميم وأجازهم محمد » اه المقصود من ايراده

والحال ان الزبرقان لم يكن هنيهةً من الزمان نصرانيًّا فلو سلمنا له ان رواية البيت « وفينا تنصب البِيَع » صحيحة لكان لفظ « البيع » هنا جمع بيعة بكسر الاول مثل الجِلبة والرِّكبة للنوع والهيئة . والمراد مبايعة الملوك وطاعتهم والمعاقدة على ولائهم والمعاهدة عليه كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبهِ وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره . ومحصل معنى البيت على هذا هو : نحن الملوك والكرام أوالقروم وفي شأننا تجري عقود البيعة لا مستحق لها غيرنا . وهذا معنى يلائم ما قبله وما بعده ويمتزج معهما امتزاج الماء بالراح لا أن البِيَع جمع بيعة وهي كنيسة اليهود أو النصارى على ما ذكره أهل اللغة فانهُ مع عدم ملائمتهِ للكلام منافٍ لما صرح به أهل المقالات ومن تكلم على أديان العرب . والدليل اذا طرقهُ الاحتمال بطل به الاستدلال

على ان للبيت رواية ثانية ذكرها صاحب الاغاني ٤ : ٨ وهي :

نحن الملوك فلا حي يقاربنا منا الملوك وفينا يؤخذ الربع

وفي زاد المعاد وقد ذكر القصة مفصلة في الصفحة ٤٥٢ من الجزء الثاني رواية ثالثة وهي:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا يُنصب السُّبُعُ

وفسر السبع انه يوم عيد من أعياد الجاهلية . فكيف يقول ان الزبرقان كان نصرانياً وأي كاتب من الكتبة الاقدمين أو المحدثين يقول بهذا القول الفج والبراهين متضافرة ومتكاتفة ومتساندة على كونهِ خالياً من دين عيسى بن مريم

والوهم الثاني الذي حاول ادخاله في العقول هو تأييد بني تميم أنهم كانوا كلهم على النصرانية . وهو يزعم ذلك في جميع ما يكتبه فقد قال في المشرق ٧ : ٦١٨ « اشتهرت (عدة قبائل) بالنصرانيـة قبل الهجرة كتغلِب وتميم وكندة » اه . فنحن نقول : «انه لم يوجد في عهد الجاهلية قبيلة واحدة كان يدين جميع أفرادها بالنصرانية لا كندة ولا تميم ولا بكر ولا تغلب لا بل ولا غسان » فان هذه القبائل كانت أحياء وبطوناً تعبد الاصنام أو كانت على غير النصرانية فقد بينا لك ما كانت عليه غسان من اختلاف الاديان . وهذه تغلب المشهورة بكونها نصرانية فانها لم تكن كذلك في عهد الجاهلية

أما كون بعضها كان يعبد الاصنام فهذا ما لا ريب فيه . قال ياقوت في معجمه في مادة أُوال (١ : ٣٩٥) « أُوال اسم لصنم كان لبكر بن وائل وتغلب بن وائل » اه . وكانت تغلب من ربيعة وكانت تلبية ربيعة عند وقوفها عند صنمها هذه : لبيك ربنا لبيك . لبيك ان قصدنا اليك . وبعضهم يقول : لبيك عن ربيعة . لربها مطيعة . اه عن تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٦ ولم تكن التغالبة ممن كانوا يعبدون الاصنام عبادة بدون ان يعتقدوا بصحتها ولذا تراهم يحلفون بها . ومن ذلك كلام جساس حينما سأله أبوه مرّة بعد قتله لكليب : « ما وراءك يا بنيّ ؟ قال : طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصاً . قال : أقتلت كليباً ؟ . قال : إي وأنصاب وائل وأيّ قتل » . (عن كتاب شعراء الجاهلية ١ : ١٥٥) وبهذا المعنى حلف ايضاً المهلهل أخو كليب وكان وثنياً اذ قال

كلا وأنصابٍ لنا عاديّةٍ   معبودةٍ قد قطعت تقطيعا

قال صاحب الضياء مفنداً حضرة الاب لويس شيخو وقد أجاد : « الانصاب : الاصنام أو كل ما عُبد دون الله وفسرها جامع الكتاب بانها كانت حجارة ينصبونها في الجاهلية ويُهلّ عليها ويُذبح لغير الله تعالى . قال : وبقي منها بعضها بعد تنصُّر ربيعة وكان الجهال من العرب يعبدونها . اه . وكأنهُ ظن أن هذا القول يثبت نصرانية

المهلهل ويخرجهُ من الذين كانوا يعبدون هذه الانصاب مع أن الرجل يحلف بها ويصرّح بانها « معبودة » ولا يُعقل أن أحداً يحلف بمعبود غيره اذا كان يعتقده باطلاً . وزد على ذلك أنه يقول : وأنصاب « لنا » بضمير المتكلمين فجعل نفسه في جملة أصحاب تلك الانصاب ووصفها « بالعادية » أي القديمة اثباتاً لرسوخ عبادتها في قومه وان هذه العبادة انتهت اليه عن أسلافه الاولين . ولكن الظاهر ان حضرة الاب كلما عثر على من شكّ في دينه أو جُهل أمره عده نصرانياً تكثراً بالباطل وتبجحاً بما ليس وراءه طائل » اه (الضياء ٥ : ٢١٨)

ثم أيجهل حضرة الاب ان من التغالبة من اتبع سجاح بنت الحارث بن سويد ابن عقفان المتنبئة فليراجع الطبري ١ : ١٩١١ يرَ انهم تركوا التنصر مع رئيسهم الهذيل ابن عمران وانضووا اليها . وعليه فلم تكن كل تغلب نصارى الباقي للآتي

بغداد أحد القراء

تسامح العظماء

تابع ماقبله

اتصل ثابت بن قرة الحراني بالمعتضد وأدخله في جملة المنجمين وأقطعه ضياعاً جميلة وكان يجلسه بين يديه كثيراً بحضرة الخاص والعام ويكون بدر الامير قائماً والوزير وهو جالس بين يدي الخليفة . قال ابو اسحق الصابي وهو ممن حظي عند الامراء ايضاً : ان ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة للرياضة وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ثم نتر المعتضد يده من يد ثابت بشدة ففزع ثابت فان المعتضد كان مهيباً جداً فلما نتر يده من يد ثابت قال له: يا ابا الحسن وكان في الخلوات يكنيه وفي الملاء يسميه سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت

عليها وليس هكذا يجب ان يكون فان العلماء يعلون ولا يُعلون

وكان سنان بن ثابت بن قرة في خدمة المقتدر بالله والقاهر وخدم ايضاً بصناعة الطب الراضي بالله . وكان ابنه ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة في خدمة الراضي بالله ايضاً وخدم بصناعة الطب المتقي بن المقتدر بالله والمستكفي بالله والمطيع لله . واتصل ابو الحسن الحراني ثابت بن ابراهيم بن زهرون بعضد الدولة وكان له منه الجاري السني . وكان غالب طبيب المعتضد بالله وكان أولاً عند الموفق طلحة بن المتوكل وارتضع سائر أولاد المتوكل من لبن اولاد غالب فكان يسرّ بهم فلما تمكن الموفق من الامر أقطعه ونوّله وأغناه وكان له مثل الوالد وعالج الموفق من سهم كان اصابه في ندوته وبرأ فأعطاه مالاً كثيراً وأقطعه وخلع عليه وقال لغلمانه من اراد اكرامي فليكرمه وليصلْ غالباً فوجّه اليه مسرور بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب ووجه اليه سائر الغلمان مثل ذلك وصار اليه مال عظيم ولما قبض على صاعد وعبدون أخذ لعبدون عدة غلمان نصارى مماليك فمن اسلم منهم اجري له رزق وترك ومن لم يسلم منهم بعثه الى غالب وكان عدد من أُنفذ اليه سبعين غلاماً أزمة وغيرها فلما ورد عليه معهم رسول من قبل الحاجب قال غالب : أيّ شيء أعمل بهؤلاء ؟ وركب من وقته الى الموفق فقال : هؤلاء يستغرقون مال ضيعتي مع رزقي . فضحك الموفق وتقدم الى اسمعيل زيادة في اقطاعه الحرسيات وكانت ضياعاً جليلة تغل سبعة آلاف دينار وأوعدها له بخمسين الف درهم في السنة وبعد الموفق طلحة خدم لولده المعتضد بالله ابي العباس احمد وكان مكيناً عنده حظياً في ايامه وكان المعتضد يحسن الظن به ويعتمد على مداواته

وخدم ابو عثمان سعيد بن غالب المعتضد بالله بصناعة الطب وحظي عنده وكان كثير الاحسان اليه والانعام عليه . وعوّل الملوك على صاعد بن بشر في العلاج ولطالما حصل له مال عظيم وحشمه الخليفة ووزيره وزكاه وقدمه على جميع من كان في زمانه . وكذلك ديلم داود بن ديلم خدم هذا المعتضد بالله في الطب وخُصَّ به فكانت التوقيعات تخرج بخط ابن ديلم لمحله منه ومكانته وكان يتردد الى دور المعتضد وله منه الاحسان الكثير والانعام الوافر . ومنهم ابو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي كان منقطعاً الى الوزير علي بن عيسى . ومنهم عيسى طبيب القاهر كان عمدته ويركن اليه ويفضي اليه باسراره . وكان اسحق بن شليطا خادماً بالطب للمطيع لله . وفنون المتطبب كان يختص بخدمة بختيار ويكرمه ويعده امراً عظيماً . ونظيف القس الرومي استخدمه عضد الدولة في البيمارستان الذي انشأه ببغداد وخلع عليه خلعاً سنية .وكذلك ابو غالب بن صفية تقدم في زمن المستنجد بالله والمستضيء بأمر الله . وكذلك امير الدولة بن التلميذ من رجال المستضيء بامر الله وبلغت به الأنفة والغنى انه كان لا يقبل عطية الا من خليفة أو سلطان ، مدحه السيد النقيب الكامل بن الشريف الجليل والشريف ابو يعلى محمد بن الهبارية العباسي بقصيدتين غراوين وذكرا افضاله وكماله كما مدح الشريف الرضي ابا اسحق الصابي كثيراً وكانت بينهما مودة اكيدة . وكذلك مدحه الطغرائي وابن جكينا وغيرهما كما مدح الشريف ابن الهبارية ابا الفرج يحيى ابن صاعد بن التلميذ من أسرة امير الدولة وكان له « جماعة من الانساب كل منهم متعلق بالفضائل والآداب »

ومنهم اوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي اليهودي كان في خدمة المستنجد بالله . ومنهم ابو الخير المسيحي طبيب الناصر لدين الله . وابن نصر بن المسيحي حظيَّة أيضاً امره هذا الخليفة عقيب بوئه من مرض على يده ان يدخل دار الضرب ويحمل من الذهب مهما قدر أن يحمله ففعل به ذلك ثم أتته الخلع والدنانير من أمّ الخليفة ومن ولديه الاميرين محمد وعلي والوزير نصير الدين أبي الحسن بن مهدي العلوي الرازي ومن سائر كبار الامراء بالدولة فحصل من العين الدنانير عشرين ألف دينار ومن الثياب والخلع جملة وافرة وألزم الخدمة وفرضت له الجامكية السنية والراتب والاقامة . وكان ابو الفرج صاعد بن هبة الله ابن توما طبيب نجم الدولة ابي اليمن نجاح الشرابي وارتقت به الحال الى ان صار وزيره وكاتبه ثم دخل الى الناصر وكان يشارك من يحضر من أطبائه في اوقات امراضه ثم حظي عنده الحظوة التامة وسلم اليه عدة جهات يخدم بها وكان بين يديه فيها عدة دواوين وكتّاب قال ابن القفطي : انه كان بمنزلة الوزراء واستوثقه الناصر على حفظ اموال خواصه وكان يودعها عنده ويرسله في أمور خفية الى وزرائه ويظهر له في كل وقت

وخدم ابو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل المسيحي بالدار العزيزة الناصرية الامامية وتقرب قرباً كثيراً . وكسب بخدمته وصحبته الاموال وكانت له الحرمة الوافرة والجاه العظيم . ووصل ابو الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار بالطب الى ان قبل له محمود الملك الارض وكان الملك محمود عظيماً جداً .وتقدم ابو سهل المسيحي عند سلطان خراسان . وأجرى

الرشيد على منكه الهندي رزقاً واسعاً وأموالاً كافية . وخدم اسحق بن سليمان الاسرائيلي الامام ابا محمد عبيد الله المهدي صاحب إفريقية بصناعة الطب . وكان يحيى بن اسحق الطبيب في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله الاندلسي واستوزره وولي الولايات والعمالات وكان قائد بطليوس زماناً وكان له من الناصر محل كبير كان ينزله منزلة الثقة ويطلع على الكرائم والخدم . وهرون بن موسى الاشبوني خدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب واسحق بن قسطار من أحبار اليهود خدم بالطب الموفق مجاهداً العامري وابنه اقبال الدولة علياً . وحسداي بن اسحق من أحبار اليهود ايضاً خدم بالطب الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله . وكان ابن بكلارش يهودياً من اكابر علماء الاندلس في صناعة الطب وخدم بها بني هود

وحظي بليطيان الطبيب بطريرك الاسكندرية على النصارى الملكية في أيام الرشيد ووهب له مالاً كثيراً وكتب له منشوراً في كل كنيسة في يد اليعقوبية مما أخذوها وتغلبوا عليها ان ترد اليه فرجع بليطيان الى مصر واسترد من اليعقوبية كنائس كثيرة . وخدم ابراهيم بن عيسى بالطب الامير احمد بن طولون وكذلك سعيد بن توفيل . وكان اسحق بن ابراهيم بن نسطاس في خدمة الحاكم بامر الله ويعتمد عليه في الطب . وكان موسى ابن العازار في خدمة المعز لدين الله العلوي وكان في خدمته ايضاً ابنه اسحق بن موسى المتطبب وكان جليل القدر عند المعز ومتولياً أمره واغتم المعز لموت اسحق لموضعه منه ولكفايته وجعل موضعه اخاه اسمعيل بن موسى وابنه يعقوب بن اسحق . وكان ابو الفتح منصور بن سهلان بن

مقشر طبيب الحاكم بامر الله ومن الخواص عنده وكان العزيز ايضاً يستطبه ويرى له ويحترمه وكان متقدماً في الدولة الفاطمية . وكان الحقير النافع من أطباء الحاكم الخاص وكان ابن مقشر مكيناً في الدولة الفاطمية حظياً عند الحاكم بلغ منه أعلى المنازل وأسناها وكان له منه الصلات الكثيرة والعطايا العظيمة ولما مرض ابن المقشر عاده الحاكم بنفسه واطلق لمخلفيه مالاً وافراً.

وخدم أفرائيم بن الزفان الخلفاء الذين كان في زمانهم بمصر وحصل من جهتهم من الاموال والنعم شيئاً كثيراً . وكان ابن جميع الاسرائيلي من أطباء الملك الناصر صلاح الدين وحظي في أيامه وكان رفيع المنزلة عنده عالي القدر نافذ الامر يعتمد عليه في صناعة الطب . وخدم ابو البيان بن المدور الخلفاء المصريين في آخر دولتهم ثم خدم صلاح الدين يوسف وكان يرى له ويعتمد على معالجته وله منه الجامكية الكثيرة والافتقاد المتوفر وتعطل في آخر عمره من الكبر والضعف فاطلق له الناصر في كل شهر أربعة وعشرين ديناراً مصرية تصل اليه ويكون ملازماً لبيته ولا يكلفه خدمة وبقي على تلك الحال وجامكيته تصل اليه نحو عشرين سنة . وكان الرئيس بن هبة الله الاسرائيلي من خدمة الخلفاء المصريين بالطب وكانت له منهم الجامكية الوافرة والصلات المتوالية . وخدم الموفق بن شوعة الاسرائيلي الملك الناصر بالطب لما كان بمصر وعلت منزلته عنده. وممن حظي في أيامهذا ايضاً وأيام أخيه الملك العادل ابي بكر بن أيوب ابو المعالي بن تمام اليهودي. وكان السلطان صلاح الدين ايضاً يرى لابي عمران الرئيس موسى الاسرائيلي ويستطبه وكذلك ولده الافضل علي وهو الذي يمدحه القاضي

السعيد بن سناء الملك بقوله :

أرى طب جالينوس للجسم وحده … وطب أبي عمران للعقل والجسم
فلو انه طب الزمان بعلمه … لابراه من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التم من يستطبه … لتم له ما يدعيه من التم
وداواه يوم التم من كلف به … وأبرأه يوم السّرار من السقم

وكان ابراهيم بن الرئيس موسى في خدمة الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب . وكان ابو سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فانة الطيب حظياً عند خلفاء مصر . وكذلك ابنه ابو سعيد بن ابي سليمان جعله الملك العادل في خدمة ولده الملك المعظم واكرمه غاية الاكرام وأمر أن لا يدخل قلعة من قلاعه الا راكباً مع صحة جسمه فكان يدخل في قلاعه الاربعة كذلك وهي قلعة الكرك وقلعة جعبر وقلعة الرُّها وقلعة دمشق . وخدم أبو سعيد بالطب ايضا الملك الناصر والملك العادل . وكان ابو شاكر بن ابي سليمان مكيناً عند السلاطين جعله الملك العادل في خدمة ولده الملك الكامل فبقي في خدمته وحظي عنده الحظوة العظيمة وتمكن عنده التمكين الكثير ونال في دولته حظاً عظيماً وكانت له منه اقطاعات ضياع وغيرها ولم يزل يفتقده بالهبات الوافرة وكان الملك العادل يعتمد عليه وكان يدخل في جميع قلاعه وهو راكب . وكان ابو الفضل بن ابي سليمان طبيباً للملك المعظم في الكرك ثم خدم الملك الكامل . وكان عيسى الرقي المعروف بالتفليسي في خدمة سيف الدولة بن حمدان يأخذ أربعة ارزاق رزقاً بسبب الطب ورزقاً بسبب النقل ورزقين بسبب علمين آخرين . وأنعم صلاح الدين على سكرة

الحلبي المتطبب وخلع عليه وأقطعه اراضي مؤبدةً

وخدم موفق الدين بن المطران بالطب الملك الناصر صلاح الدين وحظي في ايامه وكان رفيع المنزلة عندهُ عظيم الجاه وكان يحجب عندهُ ويقضي اشغال الناس ونال من جهته من المال مبلغاً كثيراً قال ابو الظاهر اسمعيل وكان يعرف ابن المطران ويأنس به : ان العُجب والتكبر الذي كان يغلب على ابن المطران لم يكن على شيء منه في اوقات طلبه العلم وقال انه كان يراهُ في الاوقات التي يشتغل فيها بالنحو في الجامع يأتي اذا تفرغ من دار السلطان وهو في ركبة حفلة وحواليهِ جماعة كثيرة من المماليك الترك وغيرهم فاذا قرب من الجامع ترجل وأخذ الكتاب الذي يشتغل فيه في يدهِ أو تحت ابطهِ ولم يترك احداً من الغلمان يصحبه ولا يزال ماشياً والكتاب معه الى حلقة الشيخ الذي يقرأ عليه فيسلم عليه ويقعد بين الجماعة وهو بكيس ولطف الى ان يفرغ من القراءة ويعود الى ما كان عليهِ ثم انه اسلم فزوجه صلاح الدين احدى حظايا داره وترقت حاله عند سلطانه الى ان كاد يكون وزيراً وحصلت له اموال جمة من أمراء الدولة في حال مباشرته لهم في امراضهم وتنافسوا في العطاء له

وممن خدم صلاح الدين ايضاً بالطب ابو منصور النصراني وابو النجم النصراني وابو الفرج النصراني وخدم هذا الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين ثم صار أولاده خدمة اولاد الملك الافضل. وخدم ابو الحجاج يوسف الاسرائيلي بالطب الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين وكان يعتمد عليه وخدم ايضاً الامير فارس الدين ميمون القصري . وكان

عمران الاسرائيلي حظياً عند الملوك واعتمدوا عليه ونال من جهتهم الاموال الجسيمة والنعم التي تفوق الوصف ولم يخدم احداً من الملوك في الصحبة ولا يقيد معهم في السفر وحرص به الملك العادل بان يستخدمه في الصحبة فما فعل وكذلك غيره من الملوك

وكان موفق الدين يعقوب المسيحي خدم الملك المعظم عيسى وصار معه في الصحبة وكان حسن الاعتقاد فيه حتى انه كان يعتمد عليه في كثير من الآراء الطبية وغيرها فينتفع بها ويحمد عواقبها وقصد الملك المعظم ان يوليه بعض تدبير دولته والنظر في ذلك فما فعل واقتصر على مداومة صناعة الطب فقط وكان قد عرض للحكيم يعقوب في رجليه نقرس وكان يثور به في اوقات ويألم بسببه وتعسر عليه الحركة فكان الملك المعظم يستصحبه في أسفاره معه في محفة ويفتقده ويكرمهُ غاية الاكرام وله منه الجامكية السنية والاحسان الوافر

وخدم صدقة السامري بالطب الملك الاشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن ايوب وبقي معـه سنين كثيرة في الشرق وكان يحترمهُ غاية الاحترام ويكرمهُ كل الاكرام ويعتمد عليه وله منه الجامكية الوافرة والصلات المتواترة . وكان مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد السامري شمس الحكماء في خدمة الملك الناصر صـلاح الدين وخدم ايضاً لعز الدين فرخشاه بن شاهان شاه بن أيوب وخدم بعده لولده الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه وحظي في ايامه ونال من جهتهِ من الاموال والنعم شيئاً كثيراً وكان يستشيره في أموره ويعتمد عليه في احواله

هكذا كان عظماء الاسلام يعاملون أهل ذمتهم من نصراني ويهودي وسامريّ ومجوسي يبوحون لهم بأسرارهم ويطلعونهم على خُويصة انفسهم ويوسدون اليهم مهمات أمورهم ويأمنونهم على حرمهم وأرواحهم ويغدقون عليهم هباتهم واحساناتهم ويرفعون منزلتهم ومكانتهم لا ينظرون في ذلك الى نحلة ولا مذهب ولا يعتدون بمخالف ولا بموافق بل يتدبرون الكفاآت ويختارون الاصلح والانسب وقد قابل أولئك المقربون ساداتهم بصنوف الامانة وخدموهم فأحسنوا خدمتهم وقلما خان منهم الا بعض افراد فسدت فِطَرُهم واختلت عقولهم واحلامهم وضلوا عن سواء السبيل

حكم وخواطر

من ترك شغله للوكلاء ضاع عليه النصف اذا ربح ودفع من ماله الضعف اذا خسر

ما احتاج انسان مداجاة اعدائه الا من فسولة أصدقائه

كما لا تَرجو صداقة الكذّاب فلا ترجُ صداقة الجبان لان الكذب والجبن أخوان أبوهما الضعف

أدلُّ الدلائل على حماقة المرء جمع الضدين على بغضه والصادق الحكيم يجمع الاضداد على حبه

اكثر ما تكون المواعظ كالخزف الصيني في البيوت تُحفظ ولا تستعمل خمود الهمم عند اشتعال اللمم

انما آثر الناس العدو العاقل لا لانه لا يضر بل لانه أبلغ في الضرر

وأخفُّ في الالم فهو كالسيف الماضي يقطع ولا يؤلم أما العدو الجاهل فهو سيف كليل لا يقط الرقاب ولا يُريح من العذاب

لايقدر على احتمال رفعة الادنياء الا الفيلسوف الذي تساوت عنده الاشياء

يُظنُّ الكريم قليل الانانية والحال انه أشد حباً لنفسه حيث آثرها على المال ، ويُظنُّ اللئيم محباً لذاته والحال انه عدوٌّ نفسه اذ أسقطها في مساويء الاعمال ، وان سموأل الوفاء أشد إثرة من كل انكليزي على وجه الارض لانه سمح بحياة ابنه لاجل حياة اسمه

اذا خاف الانسان غائلة عدوّ متكبر أنامه بمورفين التقريظ

لا تظننَّ محالاً عداوة محب مهما اشتدَّ كلفه ولامحبة عدوّمهما تناهى شنآنه فان الزوجين يكونان جسماً واحداً ويقع بينهما الطلاق وان في مخازن الغيوب ما لا يخطر على القلوب

ان لم تلن دمامل الفتن بمراهم المراحم لم ينجع فيها الا المبضع الصارم لكن لا خير في عنف لم يتقدمه لطف

يتّقى الخراب الكبير بالاضطراب الصغير وكلاهما من البلاء كما يتّقى المرض الثقيل بالتلقيح الخفيف وكلاهما من العياء

العقل بلا قلب نورٌ بلا حرارة

لذةُ الخيال أقوى من لذة الواقع لذلك المجاز أوقع من الحقيقة

القليلُ من الخبيث يفسد الكثير من الطيب كما ان المتر المكعب من الآجن يُفسد ذوق مائة مثله من العذب الفرات

قوّة الارادة من قوّة الكهرباء لانه متى امتلأت الارادة جذبت

المقاصد البعيدة بدون سلك ظاهر

اذا تلبدت غيوم الغموم لم ينشرها مثل تموُّجات الهواء، بألحان الغناء

الطبيعة مثال، والشاعر مصوّر، وأحسن الشعراء توليداً، أجودهم للطبيعة تقليداً

يكاد الشعراء يكونون صوفيةً لان المعنى واحد والصور مختلفات كما ان الوجود واحد والتعدد للجهات

من دلائل أن الحياة خيالٌ لذةُ الانسان بالامانيّ وان علمها كواذب، ولهوهُ بالتصوُّرات ولو كانت محالات، وبكاؤهُ بالدموع في قراءة قصصٍ موضوع

لاتخالنَّ المستغرق في فنّ قاصر نظرهُ عليه أبصر به من سواه ممن ينظر في متعدد الامور لان تنوُّع الموضوعات في ذهن الانسان يوسّع دائرة العقل ويسدّد مرامي الحكم

ينبغي أن تدقق في اختيار صديقك كما تدقق في اختيار امرأتك اذ كما يجب للناس أن يتخيروا لنُطَفهم كذلك يجب أن يتخيروا لمرؤآتهم

خيرٌ للمرء أن يكون خصياً من أن يلد عاقاً عصياً

لا يرد على الاكباد شيءٌ كزكاء ثمراتها

التقبيل ضريبة الحسن، والمشورة ضريبة الذكاء، والجود ضريبة اليسار، والنجدة ضريبة البأس، ولا يمنع الضرائب الا العاصي على الله والناس

اذا أوصيتَ بامريءٍ ولم يرجع اليك فاعلم أن حاجتهُ قد انقضت لان اكثر المراجعة يقع استنجازاً للحاجة ونادراً يقع شكراً على النعمة

كذب الكبير يسمى سياسة

يستدلّ بسيادة الغرباء في بلاد على انحلال العصبية اكثر مما يستدل بها على الاخلاق الرضيّة

المملكة جسمٌ والاجنبيّ ميكروب ولا يرعى الميكروب من الجسم الا مواطن الضعف

قلوب العشاق أقدم من تلغراف ماركوني

العصر الجديد هو عصر الحديد والغناء الأقوى بالغثاء الأحوى (الفحم الحجري)

لوردّ الناس كلام الكذابين بحذافيره لالتزموا الصدق وانما روّج بضاعة الافك انه مهما اشتهر به الانسان فلا يزال يلصق منه بالاذهان

خير لمن لم يصب طهور العلم ان يتيم بالتقليد

ما أجدر العائلة بنقطة

كم وجهٍ أبيض منه بلاء ازرق وفرع اسود منه موت أحمر

اكثر الناس استعداداً لمداوتك من قام من تحت سلطتك لأنه يريد ان يقوم بقدر ما نام ولأن سواد الليالي متعادل مع بياض الأيام

قد لا يكون الامام تقياً وتصحّ الصلاة اذا راعت الجماعة وشرطها وقد لا يكون الوالي عادلاً وتمشي العدالة اذا عرفت الرعيّة قوانينها

الحسد نارٌ في الفؤاد يبردها بعضهم بالتنقّص ويلقي عليه اسم الانتقاد

الوالي الظالم خائن للسلطان في أمانته فجزاؤه جزاء الخائنين

« جهنم بالعز أطيب منزل » أبلغ بيت الا في مقام الهوى

قد تذهب الحقوق ضحيّة الخلابة وقد تأكل المتاع نار الدرابة وقد تختفي

الحقائق بين هدرات الشقاشق ولكن ذو البصر يميز بين الغث والسمين ودريفوس يتبرأ ولو بعد سنين

من كان مرمى نقده الاصلاح العام لم يخف ذلك من أسلوبه والناس اكيس من ان لا يفرقوا بين الحاسد والناصح

احذر من هو دونك في العداوة اكثر من حذرك ممن هو كفؤك لان الكفؤ يأنف ان يقاتلك الا بسلاحك ولا يأخذك غيلة أما الدون فانه يأخذك كيفما استطاع ولا يرى في ذلك غضاضة

كانت الفتوحات أولاً بالسيف فصارت اليوم بالدين فهي لا تزال بين الاحمرين

لا تجتاز عقبة بدون جهد سواء النازل فيها والطالع

متى ثارت القبائل وهاج هائج التعصب على الاجانب فاعلم ان في تلك الجهة معدناً أعجب المهندسين أو ان شركة تألفت لاستثمار بعض الارضين

أجدر المصابين بالشماتة قوم لم يزالوا يتحاملون على ولاتهم العقلاء حتى ابتلاهم الله بولاية المجانين

اذا اهتدى المغول الى معارف الافرنج فالصين قد صين

لا بد من يوم أسود بين الاصفر والابيض .

السياسة في أيامنا هي فوق الديانة لانه اذا تعارض العقل والنقل أُوّل النقل حتى يطابق العقل أما السياسة فلا تقبل التأويل أياً كان مصادمها

بيروت　　　　شكيب ارسلان

العالم شعر

قرأت وما غير الطبيعة من سفر — صحائف تحوي كل فن من الشعر
أرى غرر الاشعار تبدو نضيدة — على صفحات الكون سطراً على سطر
وما حادثات الدهر الا قصائد — يفوه بها للسامعين فم الدهر
وما المرء الا بيت شعر عروضه — مصائب لكن ضربه حفرة القبر
تنظّمنا الايام شعراً وانما — تردّ المنايا ما نظمن الى النثر
فمنّا طويل مسهب بحر عمره — ومنّا قصير البحر مختصر العمر
وهذا مديح صيغ من اطيب الثنا — وذاك هجاء صيغ من منطق هُجر

***

ورب نيام في المقابر زرتهم — بمنهلّ دمع لا ينهنه بالزجر
وقفت على الاجداث وقفة عاشق — بقفراء يدعو دراس الطلل القفر
فما سال فيض الدمع حتى قرنته — الى زفرات قد تصاعدن من صدري
أسكان بطن الارض هلا ذكرتم — عهوداً مضت منكم وانتم على الظهر
رضيتم باكفان البلى حللاً لكم — وكنتم أولي الديباج والحلل الحمر
وقد كنتم تؤذي الحشايا جنوبكم — فكيف رقدتم والجنوب على العفر
ألا يا قبوراً زرتها غير عارف — بها ساكن الصحراء من ساكن القصر
لقد حار فكري في ذويك وانه — ليحتار في مثوى ذويك أولو الفكر
فقلت وللاجداث كفي مشيرة — ألا ان هذا الشعر من أفجع الشعر

***

وليل غُدافي الجناحين بتّه — اسامر في ظلمائه واقع النسر
واقلع من سفن الخيال مراسياً — فتجري من الظلماء في لجج خضر
أرى القبة الزرقاء فوقي كأنها — رواق من الديباج رصّع بالدر
ولولا خروق في الدجى من نجومه — قبضت على الظلماء بالانمل العشر
خليليّ ما أبهى وابهج في الرؤى — نجوماً باجواز الدجى لم تزل تسري
اذا ما نجوم الغرب ليلاً تغورت — بدت أنجم في الشرق اخرى على الأثر
نجوت من حسن الكواكب في الدجى — وقبح ظلام الليل في العرف والنكر
الى ان رأيت الليل ولت جنوده — على الدهم يقفو أثرها الصبح بالشقر
فيا لك من ليل قرأت بوجهه — نظيم البها في نثر انجمه الزهر
وقلت وطرفي شاخص لنجومه — ألا ان هذا الشعر من أحسن الشعر

⁂

ويوم به استيقظت من هجعة الكرى — وقد قدّ درع الليل صمصامة الفجر
فاطربني والديك مشجٍ صياحه — ترنم عصفور يزقزق في وكر
ومما ازدهى نفسي وزاد ارتياحها — هبوب نسيم سجسج طيّب النشر
فقمت وقام الناس كلٌّ لشأنه — كأنّا حجيج البيت في ساعة النفر
وقد طلعت شمس النهار كأنها — مليك من الاضواء في عسكر مجر
بدت من وراء الافق ترفل للعلى — رويداً رويداً في غلائلها الحمر
غدت ترسل الانوار حتى كأنها — تسيل على وجه الثرى ذائب التبر
الى ان جلت في نورها رونق الضحى — صقيلاً وفي بحر الفضاء غدت تجري
وأهدت حياة في الشعاع جديدة — الى حيوان الارض والنبت والزهر

فقلت مشيراً نحوها بحفاوة ألا ان هذا الشعر من أبدع الشعر

*

وبيضة خدران دعت نازح الهوى أجاب ألا لبيكِ يا بيضة الخدر
من اللاء يملكن القلوب بكلمة ويحيين ميت الوجد بالنظر الشزر
تهادت ترينى البدر محدقةً بها أوانس أحداق الكواكب بالبدر
فلله ما قد هجن لي من صبابة الفت بها طيّ الضلوع على الجمر
تصافح احداهن في المشي تربها فنحر الى نحر وخصر الى خصر
مررت وقد اقصرت خطوي تأدباً وأجمعت أمري في محافظة الصبر
فطأطأنَ للتسليم منهنَ أرؤسا عليها أكاليل ضفرنَ من الشَعر
فالقيت كفي فوق صدري مسلّما وأطرقت نحو الارض منحني الظهر
وأرسلت قلبي خلفهن مشيّعا فراح ولم يرجع الى حيث لا أدري
وقلت وكفي نحوهن مشيرة ألا ان هذا الشعر من أجمل الشعر

*

ومائدة نسجُ الدمقس غطاؤُها بمجلس شبان هُمُ أنجم العصر
رقى من أعاليها الفنغراف منبراً محاطاً باصحاب غطارفة غُر
وفي وسط النادي سراج منور فتحسبه بدراً وهم هالة البدر
فراح باذن العلم يُنطق مقولاً عرفنا به ان البيان من السحر
فطوراً خطيباً يحزن القلب وعظه وطوراً يسرّ السمع بالعزف والزمر
يفوه فصيحاً باللُغا وهو أبكم ويسمع ألحان الغنا وهو ذو وقر
أمين أبى التدليس في القول حاكياً فتسمعه يروي الحديث كما يجري

تراه اذا لقنته القول حافظاً تمر الليالي وهو منه على ذكر
فيا لك من صنع به كل عاقل أقر لآديسون بالفضل والفخر
فقلت وقد تمت شقاشق هدره الا ان هذا الشعر من أعجب الشعر

***

وأصيد مأثور المكارم في الورى يريك اذا يلقاك وجه فتى حر
يروح ويغدو في طيالسة الغنى ويقضي حقوق المجد من ماله الوفر
تخونه ريب الزمان فأولعت باخلاقها ديباجتيه يد الفقر
فاصبح في طرق التصعلك حائراً يجول من الاملاق في سمل طمر
كأن لم يرح في موكب العز راكبا عتاق المذاكي مالك النهى والامر
ولم تزدحم صيد الرجال ببابه ولم يغمر العافين بالنائل الغمر
فظل كئيب النفس ينظر للغنى بعين مقل كان في عيشة المثري
الى ان قضى في علة العدم نحبه فجهزه من مالهم طالبو الاجر
فرحت ولم يحفل بتشييع نعشه أشيعه في حامليه الى القبر
وقلت وأيدي الناس تحثو ترابه ألا ان هذا الشعر من أحزن الشعر

***

ونائحة تبكي الغداة وحيدها بشجو وقد نالته ظلماً يد القهر
عزاه الى احدى الجنايات حاكم عليه قضى بطلاً بها وهو لا يدري
فويل له من حاكم صب قلبه من الجور مطبوعاً على قالب الغدر
من الروم أما وجهه فمشوه وقاح وأما قلبه فمن الصخر
أضر بعف الذيل حتى أمضه ولم يلتفت منه الى واضح العذر

تخطفه في مخلب الجور غيلةٌ فزجّ به من مظلم السجن في القعر
تنوء به الاقياد ان رام نهضة فيشكو الاذى والدمع من عينه يجري
تناديه والسجان يكثر زجرها عجوز له من خلف عالية الجُدْر
بُنيَّ أظن السجن مسك ضره بُنيَّ بنفسي حلَّ ما بك من ضر
بُنيَّ استعن بالصبر ما أنت جانياً وهل يخذل الله البري من الوزر
فجئت أعاطيها العزاء وأدمعي كأدمعها تنهلّ مني على النحر
وقلت وقد جاشت غوارب عبرتي ألا ان هذا الشعر من أقتل الشعر

بغداد معروف الرصافي

الشرق في الغرب

من مقالة للمسيو لوسين بوفا في مجلة العالم الاسلامي

عني اهل المجر وهم من اصل آسياوي وبلادهم على أبواب الشرق بالمباحث الشرقية عناية كبرى على ما هو مأثور عنهم من التوفر على خدمة العلم. وما زالوا منذ قرون كثيرة جيران شعب مسلم يتحدون معه في الاصول وان اختلفوا في الفروع ويتكلمون لغة تكاد تشبه لغته ولذلك رأوا من الواجب عليهم ان يتمحضوا لدراسة الموضوعات الاسلامية

قام منذ سبعين سنة رجل عالم غيور منهم اسمه كوسما كوروس فزار آسيا ليبحث فيها عن اصل الامة المجرية. وتاريخ حياة هذا الرجل يشبه تاريخ أرمنيوس فمبري في كثير من أدواره. لم ير كوروس حرجاً في دخول دير للبوذيين في بلاد التبّت بصفة كاهن رجاء الوقوف على احوال شعوب

آسيا الوسطى ولم يتحرج من الاخذ عن علماء بوذيين

ثم قام فمبري الذي طاف آسيا الوسطى لابساً ثياب درويش والاستاذ غولدسير الذي طلب العلم في الازهر. وكان من اعمال هؤلاء الرجال اكبر مجد لامتهم في خلال القرن التاسع عشر. وما برح علماء المجر يقصدون الهند الواحد تلو الآخر يبحثون في علومها وتاريخها واديانها ومنهم اليوم أورل ستين نزيل آسيا الوسطى الذي عرفت الحكومة الانكليزية ان تنتفع من مباحثه في شمالي الهند وبلوجستان وأتى بفوائد جمة

ومما لا مشاحة فيه ان رؤساء هذه المباحث اليوم في بلاد المجر هما الاستاذان فمبري وغولدسير من اساتذة كلية بودابست وقد اختص الاول بتعلم اللغة التركية حتى اتقنها اتقانه للغته وخدمها أجل خدمة وانصرف الثاني الى دراسة العربية واللغات السامية

ولد فمبري سنة ١٨٣١ أو ١٨٣٢ من أسرة يهودية فقيرة في بلاد المجر في قرية سان جيورجين وبعد ان تلقن مبادىء التعليم في قريته أخذ في تعلم العبرية والدين ثم انتقل الى مدرسة برتستانتية فتعلم فيها اللغة المجرية واللاتينية ومنها دخل مدرسة أخرى رومية ثم مدرسة كاثوليكية

ولما أتم دروسه كان قد أتى على آخر ما يملك من الدراهم فاضطرته الحال الى ان يعلم اطفالاً براتب ١٥٠ فلورنياً عند أسرة اسرائيلية في بلدة مارينتال وانتقل بعد الى التدريس براتب اكثر في بيت أسرة في قرية كوتيفو من أعمال سلافونيا. فترك مقامه في هذه القرية أجمل أثر في نفسه لانه تجلى له فيها السبيل الذي يحتم عليه سلوكه في حياته العلمية. ففيها عقد

العزم على ان يكون عالماً باللغات وفيها شرع لاول امره بتعلم التركية وبالنظر في المباحث التي أطارت شهرته في العلم وفيها درس التركية والفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية والدانيمركية والسويدية

واذ رأى ان ينصرف الى البحث في احوال الشرق نزل عاصمة فينا يستنصح العالم دي هامير الذي نشطه على ما هو آخذ نفسه في سبيله فذهب الى بودابست يتعلم فيها العربية والفارسية . وقضت عليه الحاجة في هذه المدينة ايضاً ان يكون مؤدِّباً ليسد بما يناله من الاجر بعض حاجته ولما كانت نفسه تنزع به الى رؤية الشرق لم يعتم عند ما اقتصد ١٢٠ فلورينًا ان سافر الى الاستانة

وصف فمبري هذه العاصمة عقيب حرب القريم سنة ١٨٥٧ فقال ان شُذَّاذ الآفاق كانوا ينهالون عليها من كل صوب واوب والعثمانيون لا يكادون يعباون بكل وارد عليهم بيد انهم تلقوا المترجَم بالعطف وعاملوه بالاحسان فكان لما بلغ الاستانة لا يملك الا دريهمات وصادف صعوبات جمة لاول أمره لكنه تمكن من التغلب عليها بمساعدة احد مواطنيه ممن انخرطوا في خدمة الدولة العثمانية وأعني به القائد كمتي الذي دُعي بعد باسم اسمعيل باشا فسمى له هذا بوظيفة معلم عند أسرة في بك اوغلي ومن ذاك الحين دخل على ناظر الخارجية رفعت باشا بصفة استاذ وأخذ فمبري يتشبه بالعثمانيين في أطواره ومناحيه عملاً بنصائح وطنيه اسمعيل باشا ومجاراة له فدعا نفسه رشيد افندي وأخذ يتعرف الى اهل الطبقة العليا في الاستانة على ذاك العهد ويختلط بهم ويعاشرهم . وفي خلال ذلك ايضاً بدأ يشتغل في الصحافة

فعين مراسلاً لاحدى الجرائد الالمانية الكبرى

أصبح فمبري « أفندياً » بحتاً لا ينقص عن أدباء الاستانة في معرفة اللغة التركية وآدابها . ولكنه لم يقنع بما حصل له من ذلك بل طمحت به نفسه الى زيارة آسيا الوسطى وهي البلاد التي قام منها الاتراك وهاجموا أوربا ليتيسر له ان يسمع اللغة التركية الاصلية في موطنها تلك اللغة التي لطفت فكانت منها اللغة العثمانية اليوم

وكانت الصعوبات التي تحول دون هذه الامنية كثيرة الا ان الاستاذ فمبري لم يبال بالمصاعب . وغادر الاستانة بمساعدة المجمع العلمي الذي عينه عضواً مراسلاً ليرحل رحلة كانت فيها شهرته وبعد صيته . فاكتسى ثياب مسلم واجتاز آسيا الصغرى ودخل فارس فعرفه العامة من ثيابه بانه سني وراحوا يطيلون اليه يد الاذى. وبعد شقّ النفس بلغ طهران ونال من ناظر خارجيتها اذ ذاك المرزا سيد خان جوازاً بمتابعة سيره

ذكر المترجَم به ما لقيه في رحلته هذه من المتاعب فانه طاف بلاد فارس متنكراً في ثياب درويش وكاد يكشف أمره ويعرف انه ليس من أهل الاسلام ولكنه نجا ولم تدرك حقيقته . ثم التحق بجماعة من الحجاج فرافقهم الى خيوه وبخارى ولقي من سفره هذا نصباً لم يكن أقل مما لقيه في مبدإ رحلته وبعد سنة عاد الى طهران فطلبته روسيا ان يكون موظفاً عندها فابى وعاد الى بودابست سنة ١٨٦٤

وبعد ان قضى فيها مدة طلب الى انكلترا بالحاح شديد فذهب اليها واستقبل فيها بالحفاوة . وقد نشر فيها رحلته هذه بالانكليزية فلم تلبث ان

ترجمت الى لغات اوربا واشتهر امرها وكانت الحكومة الانكليزية تود كثيراً ان تجعل في جملة رجالها رجلاً كالاستاذ فمبري يعرف الشرق معرفة حقيقية ليكون منه لها أحسن خدمة ولكن العالم المجري آثر ان يعود الى وطنه على شدة حبه لانكلترا . وعند عودته عين استاذاً لكلية بودابست فكان فيها اول استاذ غير كاثوليكي

وهنا انتهى تاريخ جهاد هذا الرجل وقد دام ثلاثاً وثلاثين سنة من حياته . وذكر فمبري في الفصول الاخيرة من رحلته كيف زار انكلترا وفرنسا ولقي فيهما الملوك والامراء وأعاظم العلماء ورأى منهم الحفاوة وأورد في فصلين اجتماعه بالسلطان عبد الحميد خان صديقه القديم والتقاءه بشاهي الفرس الاخيرين . وما أحلى الصفحة التي ذكر فيها كيفية اجتماع ناصر الدين شاه به لما اجتاز هذا مدينة بودابست في رحلته الى اوربا ودهشته لما رأى في المجمع العلمي المجري ذاك الدرويش الذي كان لقيه في طهران منذ بضعة عقود من السنين

كتب فمبري في العلم والسياسة وكل ما خطته يمينه نافع خطير . فقد ابتدأ يعمل في الصحافة بعد بلوغه الاستانة بقليل من الزمن ومن ذاك العهد لم يفتأ يؤازر في عدة مجلات انكليزية واميركية والمانية وافرنسية . والسنّ لم توقفه عن نشاطه ولا عاقت حركته عن الانبعاث فانا نراه الى اليوم يتناول الموضوعات المختلفة بالهمة المعهودة فيه فبينا تراه يبحث في اللغات وعلمها اذا هو يبحث في الآداب فاصول الشعوب فالتاريخ فالسياسة فالاحوال الاجتماعية

أما أغناس غولدسير المشار اليه فهو من أعاظم العلماء بالعربية في قارة أوربا . ولد سنة ١٨٥٠ فتخرج بارمنيوس فمبري الموما اليه ثم قضى اربع سنين في كليات برلين ولبزيك وليد. وفي الثالثة والعشرين من عمره عهدت اليه حكومته بمهمة فسافر الى سورية ومصر وقيد نفسه في طلبة الجامع الازهر ولما عاد الى بلاده عين أستاذاً في كلية بودابست وعضواً في المجمع العلمي المجري رصيفاً لاستاذه . ولغولدسير القدح المعلى في علم أصول اللغات السامية وأصل اللغة العربية خاصة وهو بحر طام في تاريخ الاسلام

وهنا عدد الكاتب بعض أعمال هذين الرجلين في العلم وذكر جانباً من مصنفاتهما وعقب عليهما بذكر بعض كبار علماء المشرقيات من المجر ومنهم من خص بتعلم التركية ومنهم الاخصائيون بالعربية وكلهم يخدمون الآداب الشرقية حق الخدمة . ففي قسم الفلسفة من كلية بودابست صفان للغة التركية وآدابها ولاصل اللغة الفارسية وفي القسم الديني منها صف للعربية والسريانية والكلدانية . وليس لتعليم اللغات الشرقية في بلاد النمسا والمجر غير كليتي بودابست وفينا

وللابحاث العلمية في المجر موارد غنية تساعد القائمين بها على البحث والتنقيب . منها المجمع العلمي المجري الذي جعل في زمرة اعضائه أناساً من المستشرقين أمثال فمبري وغولدسير وزيشي . ومنها جمعية علم خصوصيات الشعوب المجرية التي أنشأت فرعاً شرقياً خدم الابحاث الاسلامية أجل خدمة سواء كان بعلم أحوال الامم وأصولهم وأخلاقهم وتفرقهم (ايتنولوجيا وايتنوغرافيا) أو بعلم اللغات والادب والآثار والتاريخ والجغرافيا

وفي سنة ١٩٠٤ انشأ المجمع الدولي الآسياوي جمعية مجرية للبحث التاريخي والاثري واللغوي واصول الامم في آسيا الوسطى والشرق الاقصى. وهذه الجمعية تبحث بحثاً علمياً في بلاد الاورال وتتفرغ ما عدا البحث في اخلاق الامم وتفرقهم للابحاث المتعلقة بامم الاورال الالتايكية (١) كما تبحث في حالة البلاد التي ينزلها غير هؤلاء الشعوب وتعين هذه الجمعية فئة من علماء المجر تكون لهم صلة مع سائر الجمعيات والعلماء من الامم الغربية وتنفق على من يرحل الرحلات العلمية وتتفق مع سائر الجمعيات العلمية في المجر ليكون العمل بينهن مشتركاً ولا سيما فيما يتعلق بالآثار والعاديات. وتوزع الاعانة السنوية التي تعطيها نظارة الاديان والمعارف في المجر ثلاثة أثلاث. ثلث على المجلة التي هي لسان حال الجمعية والتي تنشر اعمال الاعضاء ومباحثهم. والثلثان الآخران يوزعان بالسوية على الفروع التي تريد الجمعية مساعدتها ولا سيما فرع اللغة والبحث في اصول الشعوب والآثار والتاريخ. وتعين نظارة الاديان والمعارف هؤلاء الاعضاء الى اربع سنين فاذا اتموا هذه المدة يقدمون لائحة بمن يرشحونهم بعدهم لتقر النظارة عليهم وقد انتخب للرئاسة هذه المرة الاستاذ فمبري.

وفي جانب هذه الجمعيات العلمية الصرفة جمعيات اقتصادية لا تقل عنها فائدة. فان المتحف التجاري الامبراطوري المجري في بودابست أسس سنة ١٨٨٧ وهو من المباني الفخيمة ويعد رسمياً تجارياً ونصب له وكلاء في جميع

(١) هي الامم التي كانت تعرف قديماً بالتاتار وهي عبارة عن الاتراك والتركمان والمجر والقرغيز

ارجاء بلاد البلقان كما له وكلاء في الاسكندرية وتونس . وقد أسس هذا المتحف فادرك لاول عهد تأسيسه ضرورة التعليم الابتدائي لاعداد بعض النشء للتجارة مع الشرق فانشأ سنة ١٨٩١ صفاً للتجارة الشرقية وهو الذي اصبح اليوم مجمعاً علمياً للتجارة ثم اعيد تنظيمه سنة ١٨٩٨ — ١٨٩٩ فنتجت منه احسن النتائج

اما التعليم الذي شرعه هذا المجمع العلمي فيتناول عدة ابحاث ومعارف يدرسها المتعلم في سنتين وهي عملية حقيقية لا نظرية خيالية . واهمها تعلم اللغات الشرقية ولغات بلاد البلقان خاصة والعلوم التجارية والقنصلية وعدة مواد اخرى . وعلى كل طالب ان يتعلم سنتين اللغات الشرقية وهي الرومانية والصربية والبلغارية والتركية والرومية الحديثة والعربية العامية والروسية . وان يتعلم المراسلات التجارية والكلمات الاصطلاحية في التجارة والقضاء وان يتعلم من اللغات الاوربيـة الايطالية والفرنسية ومن العلوم جغرافية الشرق ولا سيما بلاد البلقان وآسيا الصغرى وعلم اصول امها واخلاقهم وعلم التجارة والجمارك والحقوق العمومية والادارية وقوانين التجارة وطريقة الاعتمادات .

وهناك صفوف لتعليم اللغات الشرقية تقام في المساء . وقد خصص المجمع العلمي مبلغاً من المال ليستعين به بعضهم على التعلم وحذا حذوه في هذا السبيل بعض أرباب الخير وغيرهم . ثم رأت هذه الجمعيات العلمية انه لا غنية لها عن صحيفة تكون لسان حالها وسجل أبحاثها وتحقيقاتها فانشأت مجلة شرقية تكتب بجميع لغات أوربا وتباع بثمن بخس تعنى بالمباحث

الاورالية الالتايكية سمتها «كليتي زميل» وبعلم خصوصيات الشعوب وتنشر مقالات عن الامم الشرقية النازلة بين نهري فولغا وأورال من الجنس الفينو المجري وأبحاثاً في العنصر التركي وتعنى عناية خاصة بنشر التقاليد القديمة أو العامية وتبحث في صلات الامم الاورالية الالتايكية بعضها مع بعض أو مع غيرها وتبحث في احوال الشعوب الآسياوية ولا سيما في أصول التاتار والامم القافقاسية والايرانية والصقلبية (السلافية) وغيرها

وقد قال العالمان اللذان عنيا بادارة شؤون هذه المجلة ان المجر هم زعماء العناصر الاورالية والالتايكية وممثلو تلك الحضارة نزلوا بلادهم منذ الف سنة وظلوا محتفظين بلغتهم وهي أشبه بجزيرة خضراء في الشرق وسط بحر محيط مؤلف من سيل الشعوب الجرمانية والصقلبية على حين ان أمماً كثيرة تماثلهم كالبلغار والبشناق والخزر والكومان لم يتركوا أثراً من تاريخهم يذكر وبادت مملكتا الهونس والافار[1] وذهبتا ذهاب امس الدابر

وختم الكاتب هذا الفصل بتعداد ما كتبه اولئك الاعلام من الابحاث الممتعة وشاركهم في وضعه زمرة من علماء المشرقيات من الالمان والفرنسيس والانكليز والروس والترك وكان للمباحث الاسلامية ولا سيما التركية منها شأن عظيم في سجل اعمالهم

(١) الهونس امة بربرية كانت على شواطي بحر الخزر انقضّت على اوربا بزعامة البطل اتيلا في نحو القرن الخامس للميلاد . والافار شعوب من اصل اورالي الاتايكي هاجمت اوربا ثلاثة قرون وقضى عليها شارلمان امبراطور الفرنسيس في القرن الثامن

دمعة بعد جناية

آه حتى مَ يظل الحق غريباً في معاهدكِ أيتها الجمعية البشرية ، الى مَ تبقى التقية — كالجندي الجاهل العنيد — مسيطرة على الصلاح بين أفرادكِ ، ولماذا يُحرج على الصدق ان يخرج بموكبه وتاجه في هذا العالم كما يحب جلاله ؟

متى يا ترُى تنشطُ هذه الحقيقة من عِقالها الازلي وهل من أماني هذه الارض ان ترى كهربائية الصلاح مضيئة في آفاقها قبل ان تسوّد الشمس ؟

آه ، ما أوحش الانسان وما أقساه : يضم بين ضلوعه عواطف ملؤها الحنان والحب والحقيقة والفضيلة والعدل ، وضميراً هو هو معيار الانصاف في هذه الحياة ، وشعوراً هو السيّال الاثيري الذي ملأ ذرّات كل شيء ، نعم لقد ضمّ بين ضلوعه هذه المزايا الفاضلة وهو ربها وهو بها العالم الاصغر والنسخة الكبرى لهذه الكائنات ، ولكن أين هذه القوى الملكية ، أليست معه يوم يفعل فظائع الشيطان ، أما هي بين ضلوعه عند ما يُقدم على الشر والباطل ؟ . .

أجل ، هي لا تزال فيه ، ولكنها يا للاسف والخسران قد صدأت وتولتها رطوبة البعد عن الحق وسطا عليها غُبار الرذيلة . . .

كم وكم أيهذا الصلاح يبسم في العالمَ الانسانيِ القاتم بريقٌ ضئيل من ذُبالتك المعرضة لجميع الاهواء ، من كل الانحاء ، فأُريد ان أتبعها ، فلا أجدني الا بين الاشواك ، في جانب هوّة مدهشة ، يظهر منها التنين وجهنم والغول وكل خيالات الوهم ومخوفات الباطل . . .

كم وكم أيهذي الحقيقة عاهدت عواطفي وضميري وكل شعوري على

إخائك ، على الصدق لكِ وعلى اهدآء حياتي العزيزة عليَّ اليكِ ، نعم اليك فقط ، اليكِ وحدكِ ، فيضطرني هذا الوسط الاسود الى جناية لا محيص عنها ، فأفعلها وأنا شاعر باحتياج روحي الى البكاء ، فارجع الى نفسي ، وأبكي ، ثم أبكي ، ثم أبكي ، حتى أروي ظماءي من هذا الاحتياج في حين أني عارف تمام المعرفة ان الجناية البشرية لا تبررها قطرات الدمع

وكم وكم أيهذا العدل من دمعة قطرت بيني وبين نفسي من عينيَّ بعد جناية ، بعد حادثة مشؤومة ، فذكرت عند ذلك أنني لا أزال انساناً وحشياً قاسياً في هذه الحياة . . .

القسطنطينية محب الدين الخطيب

صحف منسية

قصيدة لأبي العلاء المعري(١)

أستغفر الله في أمني وأوجالي	من غفلتي وتوالي سوء أعمالي
قالوا هرمت ولم تطرق تهامة في	مشاةِ وفدٍ ولا ركبان أجمال
فقلت اني ضرير لم يحجَّ أبي	ولا ابن عمي ولم يعرف مِنى خالي
وحجَّ عنهم قضاة بعد ما ارتحلوا	قومٌ سيقضون عني بعد ترحالي
فان يفوزوا بغفران أفُزْ معهم	أولا فاني بنار مثلهم صالي

(١) ارسلها للمقتبس الاستاذ مرجليوث استاذ العربية في كلية اكسفورد وقال : ان الصفدي اوردها في الوافي بالوفيات عن سبط ابن الجوزي في ترجمة ابي علاء ، وهي عندي من غرر شعره مع انها لم تنشر

ولا أروم نعيماً لا يكون لهم … فيه نصيب وهم أهلي وأشكالي
فهل أسرُّ اذا حُمَّت محاسبتي … أم يقتضي الحكم تعتابي وتسآلي
من لي برضوان أدعوه فيرحمني … ولا أنادي مع الكفار أمثالي
باتوا وحتني أمانيهم مصورةً … وبتُّ لم يخطروا مني على بال
وفوّقوا لي سهاما من سهامهم … فاصبحت وُقَّعاً عني باميال
فما ظنونك اذ جندي ملائكة … وجندهم بين طواف وبقال
لقيتهم بعصا موسى التي منعت … فرعون ملكاً ونجت آل اسرال
أقيم صيني وصوم الدهر آلفه … وادمن الذكر ابكارا بآصال
عيدين أفطر في عامي اذا حضرا … عيد الاضاحيَ يقفو عيد شوال
اذا تنافست الجهال في حال … رأيتني في خسيس القطن سربالي
لا آكل الحيوان الدهرَ مأثرةً … أخاف من سوء اعمالي وآمالي
واعبد الله لا أرجو مثوبته … لكن تعبد اكرام واجلال
أصون ديني عن جعل أؤمله … اذا تعبد اقوام باجمال

مطبوعات ومخطوطات

مفردات الراغب — قال الامام الرازي ان الراغب الاصفهاني من أئمة السنة وقد قرنه بالغزالي وهو من اهل المئة الخامسة . ولم نعثر له على ترجمة حافلة على ان ما عرف من كتبه كاف في الدلالة على واسع علمه وكثرة تحقيقه فمن كتبه المطبوعة « الذريعة الى مكارم الشريعة » و « تفصيل النشأتين » وهذا « المفردات في غريب القرآن » . طبع الكتاب الاخير

وقد أعادت المطبعة الميمنية طبعه على نفقة أصحابها مصطفى افندي الحلبي وأخويه بكري افندي وعيسى افندي مصححاً بمعرفة الشيخ محمد الزهري الغمراوي على عدة نسخ بدار الكتب الخديوية وبعد ان تحرى أصوب الروايات في مظانها من الكتب اللغوية وضبط الفاظه بالشكل الكامل فجاء في ٥٧٦ صفحة حرياً بطالب معاني الكتاب العزيز والفاظه ان يقتنيه والفاظ القرآن كما قال المؤلف : هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها وعدا الالفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالاضافة اليها كالقشور والنوى بالاضافة الى أطايب الثمرة وكالحثالة والتبن بالاضافة الى لُبوب الحنطة

والكتاب يباع في مكتبة طابعيه بشارع التبليطة بالغورية وهو في اعتقادنا يغني الطالب عن الرجوع الى التفاسير اذا اراد كشف المعاني من الالفاظ اللغوية فنثني على طابعيه بما هم أهله فانهم أحيوا بمطبعتهم كثيراً من كتب السلف التي كان يعز وجودها وحبذا يوم يعيدون طبع جميع ما طبعوه ولا سيما الامهات بالحروف الجديدة اللطيفة ليكون أدعى للاقبال واحسن للمطالعين على كل حال

محاورات المصلح والمقلد — هي مقالات نشرت في المجلد الثالث والرابع من مجلة المنار الاسلامية الغراء ويليها فتاوي نشرت في المجلد السادس منه موضوعها الاجتهاد والتقليد وكليات الدين الاسلامي لمنشئها السيد محمد رشيد رضا المعروف بعلمه وعمله وقد شرح فيها باسلوبه الرصين المحكم كثيراً

من أدواء المسلمين ولا سيما المقلدين منهم والجامدين وزيف ترهات المخرفين ومعتقدات الحشوية المبطلين فافاد وأجاد أثابه الله وهي تقع في ١٤٠ صفحة مطبوعة طبعاً نظيفاً وتطلب من مكتبة المنار بخمسة قروش فنحث كل طالب ومتعلم على اقتنائها

الهداية الى فرائض القلوب — هو الباب الاول من كتاب التوحيد تأليف الرئيس بحية بن يوسف اليهودي الاندلسي نشره الدكتور ابراهيم سالم المقدسي وقد أراد ان يجعله تمهيداً لتأليف تام من كتاب الهداية للدائن (أي قاضي اليهود) الاندلسي المشهور بابن بحية . ولقد كان لليهود شأن في الفلسفة العربية يعرفه حق معرفته كل من درس الحضارة الاسلامية . فللميموني كتاب دلالة الحائرين ولسعدية كتاب الايمانات والاعتقادات ولسليمان بن جبيرول كتاب اصلاح الاخلاق وقد طبعت اكثر مصنفاتهم في أوروبا وترجم اكثرها الى الفرنسية أو الالمانية اما ابن بحية مؤلف هذا الكتاب فلم يترجم حتى الآن الى لغة من لغات الغرب ولذلك كان في عمل الدكتور المشار اليه أحسن مقدمة تدل على فضله . وانا لنرجو ان يوفق الى نشر ما ينوي تأليفه من مجاميع مسلسلة في فلاسفة اليهود الذين كتبوا بالعربية في القرون الوسطى على عهد ارتقاء الاندلس ي . د

فصول الحكماء — هي رسالة في مئة صفحة صغيرة تأليف سماحة محمد أبي الهدى افندي الصيادي جمع فيها تراجم بعض حكماء اليونان والاسلام وشيئاً من حكمهم وعقب عليها بتراجم بعض مشايخ الطريق والتصوف

وأورد شيئاً من اشاراتهم وعباراتهم وقابل بينها وبين كلام الحكماء

مقامة الامثال السائرة — طبع عبد القادر باشا الخضيري من بغداد هذه المقامات لمؤلفها الشيخ عبد الله السويدي البغدادي المتوفى سنة ١١٧٤ ضمنها الامثال السائرة القديمة المولدة المعروفة على طريقة التسجيع والترصيع التي كانت مألوفة في عصره . وفي ذيلها مقامة للشيخ عبدالرحمن الانصاري وهي مسجعة أيضاً

سير العلم

مضار الغبار — حدث في منجم فحم ببلاد الانكليز سنة ١٨٤٤ ان التهب التهاباً شديداً فقضى على كثيرين من المعدّنين . وقد دعي عالمان للبحث في سبب هذا الالتهاب فذهبا الى انه ناتج من الغاز المتجمع على سطح الغبار في المنجم ونصحا بالتوقي من هذا الغبار فثبت ان الغبار المترا كم كيف كان حاله يخشى من التهابه ولا سيما غبار الدقيق والسناج (الشحار) والسكر والقطن وغيره من المواد التي يضر مسها كما يضر مسّ الديناميت. وكل معامل القطن التي لا تعنى بازالة هذا الغبار من حيطانها يحترق ويلتهب اذا اصابته حرارة وكذلك مطاحن الدقيق والامثلة على ذلك كثيرة كما روت المجلة الباريزية . وكانت بعض المعامل تكتفي برفع هذا الغبار وتروّحه وقد اخترع احدهم آلة تفصل الغبار المتجمع وتقذفه بقوة شديدة الى مقر هذه الآلة فتتكون منه مادة تستعمل في تغذية الماشية وأُدخلت تحسينات كثيرة على هذه الآلة واخذوا في اميركا يجعلون استعمالها ضربة لازب

على كل محل يتصاعد الغبار منه مخافة ان يعلق بها شيء من اللهيب عن بعد فتلتهب وتضر بالسكان والمسكين.

البناء في اميركا — أخذ القوم في نيويورك يتمدون في الهواء بمبانيهم فانهم اقاموا فيها ١٩ مسكناً يكون مجموع ما فيها من الطبقات نيفاً واربعمائة طبقة ويكثر نوع هذه البنايات في الغالب في جزيرة مانهاتان والبنايات ذات الست والثلاثين طبقة كثيرة جداً وتستعمل الادوات الرافعة بقوة الماء أو الكهرباء لطلوع السكان ونزولهم واذا دامت الحال على هذا المنوال في سكنى العلالي بل الاعالي فسيكون للحياة في اميركا بعد حين شأن غير شأنها الحاضر فيقضي الرجل في مسكنه معظم ساعات نهاره لا يكلم الناس الا بالتلفون ولا ينزل الا اذا رأى حاجة ماسة لنزوله وقد ظهر ان الاعمال لم تتعطل بذلك عن سيرها وانها ما دامت تتزايد.

شقاء العلماء — هربرت سبنسر هو أكبر عالم انكليزي قام في القرن التاسع عشر وقد نشرت مفكراته عن حياته فاذا بها يصف نفسه قبل ان يموت باشهر بصورة تحزن ولكنها تعلم. قال: انه اصيب في السنة الخامسة والثلاثين من عمره بضعف في قواه عقيب اشتغاله الاشغال العقلية الطويلة الصعبة ومذ ذاك اصيب بالأرق الدائم وفي السبعين من عمره لم يعد يستطيع ان يعمل سوى ساعة في النهار متقطعة يراوح بينها وبين اعمال أخرى فلا يعمل كل مرة أكثر من عشر دقائق. وقبل ان يموت بعشرين سنة عدل عن تناول طعامه في المدينة واصبح اذا سمع الانغام الموسيقية خمس

دقائق وكانت من قبل تستهويه وتشوقه أولعب بالنرد أو غيرهامن الالعاب بضع دقائق يمرض اياماً وكاد لا يستطيع القراءة ولا يستطيع ان يمشي زيادة عن ثلثمائة متر ولا ان يتنزه اكثر من عشر دقائق في عربة ذات آلة مفرغة للهواء . ولما اهتدى الى مذهب النشوء لم يكن يهمّهُ له بال الا بوضعه وشرحه. وعاش وقلبه لا يعرف حباً غير حب الحقيقة . قال والعزوبة كانت بعد كل ذلك هي اليق بي بل هي اليق بالمرأة التي لا أعرفها والتي لم اتزوجها . قالت المجلة التي نروي عنها وهكذا حياة كبار الرجال وخصوصاً كبار العاملين المجاهدين منهم ما كانت قط عذبة المذاق . والمجد في الغالب لا ينال الا اذا بذل فيه كل ما عزّ وهان

اللغة الانكليزية — اللغة الانكليزية اكثر اللغات الفاظاً فقد قدروا مؤخراً عدد الفاظها بثلثمائة وخمسين الف لفظة هذا وشكسبير الشاعر الانكليزي لم يستعمل من هذه الالفاظ سوى ستة عشر الفا وميلتون الشاعر المشهور ايضاً لم يؤثر عنه انه استعمل اكثر من ثمانية آلاف لفظة . ويستخدم الانكليزي المتوسط في تعليمه من ثلاثة آلاف الى اربعة آلاف كلمة ويتأتى لمن يعرف الف لفظة ان يحسن التخلص باستعمالها في انكلترا وهذا غريب

فلسفة الشرق — كتب انكليزي في احدى المجلات الهندية الانكليزية فصلاً في العلوم التي يتيسر للغرب ان يأخذها عن الشرق فقال ان العلوم الفلسفية ينبغي ان تؤخذ عن الشرق أولاً وفي الهند ميدان فسيح اكثر

من كل بلاد شرقية سبقت لها حضارة قديمة لدرس أصول اللغات ومقارنتها والديانات ووضعها على محك التنظير وان لها في الفلسفة القدح المعلى . فالمذاهب الهندية في الفلسفة لم تأخذ شيئاً عن أفلاطون ولا أرسطو ولا القديس بولس بل ان حكماء الهند بحثوا منذ ألوف من السنين في المسائل الكبرى التي أزعجت الانسانيـة كمسألة الوجود المطلق والآخرة والروح والربوبية . فعلى من يودون ان ينصرفوا الى دراسة علم النفس وعلم ماوراء الطبيعة ان لا يباشروا هذين العلمين الا بعد ان يتمكنوا من الوقوف على بعض ما ذهب اليه قدماء حكماء الهند في هذا الموضوع

الطلاق في أميركا — يكثر شيوع الطلاق في الولايات المتحدة سنة عن سنة وان لم ينظر القانون في حال الاولاد الذين يولدون من المطلقات وقد غبطت احدى المجلات الاوربية بلاد الاميركان على قلة الطلاق بينهم على كثرة ما يقال عن شيوعه بينهم فقالت ان حدوث مئتي الف طلاق في سنة ١٩٠٠ باميركا لا يعد شيئاً مذكوراً اذا قيس بأمة يبلغ عددها نحو ثمانين مليوناً

مستقبل الاتوموبيل — نشرت مجلة المجلات النيويوركية فصلاً في الاتوموبيل استندت فيه الى ما تم له من الانتشار منذ اثنتي عشرة سنة في أميركا فقالت انه لم يكن فيها على ذاك العهد سوى خمسة اتوموبيلات ومنذ خمس سنين لم يكن في أميركا الا قليل من عجلات الاتوموبيل يقتنيها كبار المثرين للتسلية والبذخ ويقدر اليوم عدد الاتوموبيلات في أميركا بمئة الف أتوموبيل وقد صنع منها في السنة الماضية وحدها خمسة وعشرون الفاً

وأوصي لهذه السنة على خمسين الفاً أخرى وهذا مما يدل على ان عجلات الاتوموبيل ستقضي على عجلات الخيل وخصوصاً متى أدخل على الاتوموبيل بعض الاصلاح

اكتشاف في سيلان — اكتشفت في جزيرة سيلان مصانع عظيمة نخيمة أقامها الملك العظيم « باراكراماباهو » الذي شيد ١٤٧٨ حوضاً لخزن مياه الامطار ليستعملها الناس . وعثر في معبد « كال فيهارا » على ثلاثة تماثيل ضخمة للمعبود بوذا نُحتت في حجر الصوان على أجمل شكل واكتشفت كهوف حفظ فيها تاريخ سيلان قبل المسيح وعثر فيها على كتب بوذية كتبها الكهنة على أوراق النخيل ملتصقة بعضها الى بعض وموضوعة في ظروف من حرير لتجمع في صناديق صغيرة من خشب جعلت في مقاصير

الحياة المادية — كتب احد رجال العلم والدين مذكرات عن الولايات المتحدة قال فيها انها أصبحت جنة أرباب الصنائع والفنون واهل العلم راجت فيها الآداب والفنون رواجاً لم يعهد له نظير حتى ان الممثل أو المغني اذا طاف أميركا يعود منها بثروة . فالعمل في هذه البلاد هو الحياة حقيقة أي ان كل عامل ينال حظه من سعة الرزق بقدرجده في أعماله وقد اصبح الذهب فيها الغاية الوحيدة التي يسعى اليها الناس . وبحق ما قال احد الاميركان : اننا نحسن العمل ولكننا لا نحسن العيش فانا نرى الانتحار شائعاً بين اهل الطبقات الغنية اكثر من شيوعه بين اهل الطبقة الفقيرة

تلقيح الارض — رأى بعضهم منذ مدة ان يستعمل النيتراجيين لاخصاب التربة وامراعها . ثم ان احد علماء الزراعة من الانكليز اخترع في هذه الايام اختراعاً آخر لتلقيح الارض المجدبة خصوصاً اذا كانت رملية فجربت هذه المادة في عدة أصقاع من بريطانيا فأتت البقول قبل ثلاثة أسابيع من ميعادها وزاد محصولها خمسين في المئة ويكلف كل آكر (هو ٤٠ آراً ونصف والآر مئة متر مربع) شليناً واحداً فيأخذ الفلاح ثلاث رزم يكون في الاولى كمية من الاملاح المعدنية وفي الثانيـة ذرور وفي الثالثة فوسفات النشادر ويحعلها في اناء كبير يملأوه ماء ويجعل مسافة ٢٤ ساعة بين وضع كل رزمة ثم يجعل هذا المحلول مع البذور فتبتل بها أو يمزجها بتراب ويذرها على الارض أو يرش بهذا المحلول أديم الارض المزروعة .

النوام — هو مرض النوم الذي شاع كثيراً في افريقية الشرقية وهلك به نحو مئة الف نسمة في بضع سنين وقد انتدب للنظر فيه الدكتور كوخ الالماني ونشر الآن تقريره عنه فقال انه حقن المصابين به بمادة الاتوكسيل المؤلفة من النشادر فظهر انه يخفف بعض آلام المريض ويرجى ان يشفى به فاذا وفق الدكتور الباحث الى تحقيق الامنية من دوائه فيخفف عن ابن افريقية بدوائه الجديد ماخففه عن ابن الغرب بدوائه للسل الرئوي

وقف على العلم — وقف أحمد بك الشريف من أعيان طنطا مئة فدان من أجود اطيانه على المدرسة الجامعة المنوي انشاؤها في مصر ويقدرون ثمنها بثلاثين الف جنيه بارك الله به وبماله

نفاضة الجراب

فجائع البائسين

(٤)

مضت أيام وسعيد يجتهد فوق طاقته بحيث قدم لخصين عن دروس صفين في آن واحد حتى بلغ الصف المنتهي ليقرب وصوله الى المدارس العالية وظلّ مثابراً على خطته حتى خرج الاول من المدرسة ولم يترك جائزة لاحد من رفقائه في الصف فادهش المعلمين والتلاميذ واملّ الجميع بنجاحه في المستقبل وبعد ما نال الشهادة عزم على السفر واطلع الباشا على قصده فساعده على ما يريد ولم يتيسر له ان يختلي بجميلة ولكنه ودعها قائلاً « أؤمل ان اوفق الى مطلوبي » وذهب الى الاستانة تحف به الآمال وتشيعه الاحلام

حتى اذا بلغ دار السعادة اخذ يفكر في انتخاب مدرسة يتخرج فيها على النحو الذي يكون به في المستقبل جديراً بجميلة فلا تكبده ما لا يطيق من النفقات . فرأى ان دار المعلمين أحسن عائدة عليه لأن الأول في الصف فيها يقبض مشاهرة ليرة عثمانية وكان يعتمد على نفسه بأنه سيحرز الاولية بيد أنه فكر بما سيؤول اليه أمره في المستقبل وما ذا سيكون من اشتغاله فلما أدرك انه سيصير معلماً للنشء وقيماً على الاطفال امتنع عن الدخول الى دار المعلمين ذلك لأن هذه الصناعة تعد قبيحة عند العامة وهو يود ان يصير في مقام

يكسب به جاهاً يخوله الحق ان يخطب جميلة من أبيها ثم فكر في حقيقة تعليم النشء وتدريبهم فأدرك انه بعمله هذا يكون علمهم العلوم وأحسن تربيتهم وجعلهم رجالاً للأمة وقد يعلمهم المؤازرة والتضامن فيجعلهم جسماً واحداً وأمة واحدة كالبنيان المرصوص ويدربهم على الاعمال الشريفة التي تعود بالخير على وطنهم فيغنم بذلك أجراً جزيلاً وثناء جميلاً . وربما أحرز منصباً في نظارة المعارف يجعله في أوج المعالي اذا ساعده الدهر وخدمه الحظ وكان مغروراً بحظه لما رأى من نفسه الغناء في الفوز بالاولية في الصف ومحبة الناس عامة . وبعد ان فكر ملياً في الامر أزمع الدخول الى هذه المدرسة فدخلها وأخذ يقضي أوقاته ويفني صحته في الدرس لينال ذلك الراتب . وفي غضون ذلك انتقل الباشا من دمشق برتبة أكبر الى مكان بعيد فساقته الضرورة الى الاكتفاء بهذا الراتب القليل

وكان سعيد لما بلغ الاستانة نزل في خان من خانات « شنبرلي طاش » واستأجر أصغر حجرة فيه يدفع ثلاثين قرشاً في كل شهر وقد أتى معه بفراش ولحف واشترى قطعة بساط عتيق فمده وجعل يجلس على فراشه كل من يزوره من اخوانه وكان يشتري ما يلزمه من الأواني شيئاً فشيئاً ويعيش في غاية الاقتصاد . فكلما دخل حجرته او اكل او شرب او نام يعتريه ضيق صدر فيشكو دهره ويقول الى متى وأنا مقضيٌّ عليَّ بالتقتير والحرمان من كل لذة وقد ينتهي في الاحايين الى درجة اليأس بحيث يكاد ينتحر ليخلص من هذه الحياة التعسة ثم يرجع الى نفسه ويقول قتل الانسان ما اكفره . لا بد من تحمل المشاق حتى انال السعادة ومهما عاكسني الدهر فاني قاهرهُ

بشدة صبري ثم يأخذ يفكر في مستقبله وماذا يفعله وربما تجسمت أمامه السعادة ورأى نفسه في أعلى المناصب وانه نال حينئذ وصالاً من حبيبته جميلة وبينا هو يخوض بحار هذه الخيالات يرى ساعة الدرس اتت فيلعن الدرس والاجتهاد لانه كان في حرب من الافكار

وكان يمتنع عن التنزه الا اذا اكرهه اخوانه على رفقتهم فيذهب حياءً منهم فينغصون عيشه وهم بمالهم فرحون فكان اذا رأى منزلاً عالياً تذكر حجرته واذا رأى عربة جميلة تذكر ذهابه وايابه الى المدرسة ماشياً تحت المطر والثلج وان رأى نُزلاً تذكر دكان الطاهي الذي يتعشى فيها واذا استنشق هواءً نقياً تذكر هواء حجرته الفاسد واذا رأى غادة تذكر حبيبته واذا رأى عجوزة تخدمها السراري تذكر أمه وهي تعمل في المطبخ. وكلما شاهد ما يدل على السعادة كان يذكر ما يقابله من شقائه فيرجع من التنزه حزيناً كئيباً ويعود رفقاؤه مسرورين . ولذلك كان يعد أحسن أوقاته ساعة نومه الخالي من الاحلام اذ يستريح به من التفكر في الشقاء وكان كلما ذكر شقاءه يقطع أمله من جميلة ولكن الآمال كانت تبعث الاطمئنان الى قلبه . وقضى ثلاث سنين على هذا المنوال وهو بعيد عن راحة الفكر وانشراح الصدر فاتم الدراسة وأخذ شهادة تامة تؤهله لكل خدمة ثم عين معلماً براتب ثمانمائة قرش في الشهر فساقته الآمال واطمعته الرواتب وسعد به أبواه وأهله ولكن لم يمضِ زمن حتى مات أبوه وخلف له أسرة قضي عليه ان ينفق عليها فاصبح راتبه لا يكفيه وصار يلتمس ممن تعرف اليهم ان يعينوه معاوناً لمدير مكتب بيروت الاعدادي فبلغ راتبه الفاً ومائة قرش

على شرط ان لا يفارق المكتب الا ليلتين من كل أسبوع ويدرس أربع ساعات كل نهار ويعلم الرياضيات والتاريخ والانشاء فصار يتألم من تنوع الفنون التي يشتغل بها وكان يود ان يختص بفن واحد منها ولكن قلة الاجرة التي خُصصت للدروس اضطرته الى ان يتحمل هذا العذاب ويمنع نفسه من الاخصاء بفن واحد ومع كثرة اشتغاله وتألمه من كثرة عائلته ما انقطع لحظة عن التفكر بجميلة ولكن بعدها عنه وانقطاع أخبارها جعلاه في يأس من الوصول اليها وكان في احتياج للزواج

(٥)

في يوم راقت سماؤه ورق هواؤه ذهب سعيد مع صديق له يسمى رفيقاً الى متنزه ضبيا ليصرف وقتاً بدون فكر ويتخلى ساعة عن بؤسه وشقائه . فاخذا يتجاذبان اطراف الحديث في كل ما خطر ببالهما. فساقهما الكلام الى البحث في الزواج شأن من لم يتزوجوا من الشبان وكان لرفيق أخوات جميلات متعلمات يود الناس الزواج بهن ولكن كان له أم عرفت بمساويء الاخلاق واشتهرت بسوء الطوية فامتنع الناس عن التأهل باخواته . وكان رفيق في كدر من كساد هن وهو على علم من مكانة سعيد في الحال والمآل فتصور سعادة لاخته في قرانها بسعيد فتجاسر وكلفه بان يصير له صهراً ففكر سعيد هنيهة ووعده بالقبول فتعهد رفيق باسكانه في منزله واعتباره واحداً من اهله وفرداً من افراد عائلته وافترقا على أمل القران فذهب رفيق وأخبر أمه بما جرى بينه وبين سعيد ومدحه لها وأعلمها براتبه وأفهمها مستقبله فسرت به وأملت بسعادة ابنتها فرضيت

وساقت ابنها الى اتمام هذا الامر فذهب اليه غير مرة وسأله عن عزمه فاجابه بالقبول وكان سعيد فكر في جميلة وما بينهما من الوعد. ولكنه استبعد ثبات النساء على أقوالهن والوصول اليها لما بينه وبينها من الامتياز في الطبقة وعبثاً رأى نفسه معلقة بها فرضي بالزواج وتكلم مع رفيق على مقدار المهر فرضي هذا بخمسة آلاف بعد قبول أمه ولكنهما قررا على ان يعقدا النكاح على مهر مقداره ١٥٠ ليرة رثاء أمام الناس وعينت ليلة العقد ودعي الاقارب والخلان وشربت المرطبات وتولى الشيخ صيغة العقد وذهب كل من حضر داعياً بلسانه وهم ما بين معترض ومنتقد وساب وشاتم وحامد

وعينت ليلة العرس ودفع المهر سعيد فاستدان وباع راتبه بنقص ليقبضه قبل ميعاده حتى يقوم بما يلزم من نفقات العرس

واجتمع بقرينته « شهيرة » فوجدها على ما يرغب وسرّ بها وظن انه نال السعادة فصار معززاً مكرماً لدى أسرة رفيق بأسرها ولكنه وقع في قبضة الديون بعد ان كان يقتصد من راتبه ويجمع دراهم وصرت لا تراهُ الا شاكياً باكياً من دهره يفكر ويقدّر فيما يجعله غنياً وكانت عنده (تحويلات) البنك العقاري وتحويلات سكة حديد الروم ايلي فرهنها على مبلغ ليوفي ديونه فما خلص منها ولكن لذة ليالي الوصال واوقات الاجتماع كانت تنسيه همه وتسليه عن غمه . وظل نحو شهرين بين مسرور بزوجته ومغموم بديونه وكان أخبر امهُ التي تركها بدمشق بزواجه فأرسلت تطلب منهُ ان تحضر اليه لترى كنتها وتلتقي بابنها فاستدان لها مبلغاً ارسله اليها فأتت ونزلت ضيفة في بيت رفيق ولم تلبث يوماً او بعض يوم حتى اخذت أم رفيق تهينها هي وبناتها

الا شهيرة امرأة سعيد فانها كانت تجلها رعايةً لقرينها فتكدرت أمُّ سعيد وأخبرت ابنها بما وقع لهـا فأسف لذلك واضطر الى الرحيل فاتخذ له داراً سكنها هو وأمه وامرأتهُ فزادت نفقتهُ وازدادت ديونهُ فصعب انتقاله على أمّ رفيق لانه كان يشترك معها في الانفاق على البيت وكانت تقتصد بسببهِ وتخفف نفقات ابنها فسعت في ارجاع ابنتها بدعوى انها لا تطيق السكنى مع أمهِ وكانت تعلّم ابنتها ما تقوله فصارت هذه تلحُّ عليه باعتزال أمهِ وتبدي له الجفاء بعد أن كان لا يرى منها الا المحبة والوفاء فصار يؤاخذها على اعمالها وينصح لها بأن لا تسمع كلام أمها فما سمعت له وتركته وحيداً من اجل أن تنال رضى أمها ورجعت الى بيت أخيها . اغتنمت تغيب أهل الدار ذات يوم فأتت بحمالين ونقلت متاعها وتركت الدار بلا أثاث فرجع سعيد في المساء فلم يجد متاعاً وأخبره الجيران بما تمّ فلعن حماته والساعة التي عرف بها رفيقاً وكانت أمرأته حاملاً قد اقربت وكان أخوها متغيباً عن بيروت عند ما تمت هذه الاعمال القبيحة فلما رجع اخبرته أمه وعظمت الامر في عينه حتى جعلت سعيداً لحمة سوداء أوحية رقطاء وصورته لابنها مثال الدناءة والرذيلة وجردته من كل شهامة وخلة كريمة ونسبت اليه من الاعمال ما لم يخطر له على بال حتى أشربته بغض صهره وساقه الحنو الاخوي للانتصار لاخته وأعماه كلام أمه عن رؤية الحق وراح يظن الباطل حقاً وأصبح لا يثق بكلام سعيد فبدلاً من ان ينصح لاخته وأمه أخذ يزيدهما عتواً وطغياناً . وكان سعيد يسعى ليصلح الخلل ونصح لرفيق ووعظه فما استفاد الا هجراً وصداً فتركه وشأنه

وضعت شهيرة فطلبوا منه نفقات الوضع فما تأخر عن طلبهم وأرسل اليهم جميع ما يلزمهم من دراهم وغير ذلك على أمل ان يرجعوا عن غيهم . فولدت الفتاة غلاماً فرح به أبوه ولكنه لم يتيسر له ان يراه وصار يتوسط ليرى مهجة فؤاده فلم يحظ بطائل. وعندها رأى ان يهجر أهل زوجته هجراً جميلاً فاغتاظ رفيق لذلك وأقام الدعوى عليه في المحكمة الشرعية فأتى بشهود من أقاربه ليشهدوا ان سعيداً طلّق شهيرة فشهدوا بالطلاق وانه لم يدفع من مهرها المسجل شيئاً وقدره مائة وخمسون ليرة وهنا أدرك سعيد انه وقع في شَرَك احتيال رفيق الذي اتفق معه على خمسة آلاف قرش وكتب العقد ١٥٠ ليرة ولكنه أقام البراهين والادلة القاطعة على انه دفع المهر وانه لم يسبق منه طلاق وان الفتاة زوجته في كل وقت وانه يحبها وان تعيين هذا القدر من المهر كان من قبيل التظاهر امام الناس بالسعة ومفاخرة لا حقيقة

فادرك القاضي اخلاصه وأيقن بصحة دفع الخمسة آلاف من المهر المسجل وما استطاع الا ان يحكم ببقية المائة والخمسين ليرة مهراً مؤجلاً لانه مسجل بالقيود وشهادة الشهود على انه موقن بعدم صحة هذا المهر المسجل ورتب على سعيد مائة وخمسين قرشاً في كل شهر أجرة الحضانة وتربية ابنه وحكم ببقاء الزوجية

فعند ذلك يئس سعيد من امكان الاجتماع بزوجته الا اذا ماتت حماته ولم يجسر على الطلاق خوفاً من ان يحق عليه اداء بقية المهر لانه لم يبرح رازحاً تحت أحمال الديون التي تذهب ببركة راتبه كل شهر وأخذ يشكو من آلام الوحدة بعد ان كان يعيش العيشة الزوجية فساقته الضرورة الى الميل

للزواج مرة ثانية فوسط امرأة من اللواتي يتوسطن للنساء « سمسارات » واوصاها بان تفتش له على زوجة غنية لا أم لها ولا اب ولا اخوات

(٦)

من عجائب الاتفاق ان علي باشا عاد الى بيروت بمنصب أعلى من منصبه سابقاً فانشأ سعيد يتردد عليه ويزوره في أغلب الاحايين

علمت جميلة بما حل بسعيد فأسفت عليه وشمتت به لانه خان عهدها على أنها لا تزال مقيمة على العهد ويئست من الزواج وعزفت نفسها عن الرجال وحكمت عليهم بانهم أقل وفاء من النساء ولكنها ودت الاجتماع به لتعاتبه وتشكواليه وتشكو منه لانها لم تطلع احداً على سرها وأخذت تسعى وراء مقصدها حتى تيسر لها ان تخلو به في منزل أبيها فرحبت به وأخذت تعاتبه قائلة : لم يخطر ببالي انك ستخون عهدي لاني لم أعهد فيك الا الوفاء والثبات ومكارم الاخلاق فما الذي حملك على الخيانة ؟

— نعم خنت عهدكِ على ان مكانك لا يزال محفوظاً في قلبي ولكن علمي بمنزلتي وعدم امكان القران بك واحتياجي الى تدبيرامر معاشي وتنظيم حياتي ساقاني الى ذلك الزواج المشؤوم لازداد شقاء على شقاء وأنال جزاء خيانتي لعهدك وكان ينبغي ان أبقى على الوفاء ولو عشت العمر كله في حرمان

فضحكت جميلة ثم قالت : هب اني لم أشك بما أعهده فيك وانك لا تزال على عهدك القديم فما الذي ساقك الى الزواج مرةً أخرى وأنت على علم من حبي لك ووجودي في بيروت ؟

— لم أقصد من ذلك الا تعذيب زوجتي والانتقام منها لاني اعلم ان

اعظم ما يجازى به النساء الزواج عليهن ولو كانت الواحدة منهن مطلقة وعلى عصمة زوج آخر

— وهذا هو العجب العجاب ! فكيف يليق بمنوّر الفكر مثلك عُرف بمكارم الاخلاق أن يتنازل للانتقام ؟ أنسيتَ أن الرجال لا ينتقمون عند المقدرة ؟

— لا أنكر أن الانتقام نقيصة في الرجال ولكن اذا كان الذي لا تنتقم منه يعدُّ عدم انتقامك جبناً ويزيد في طغيانه فهل يعامل الا بالانتقام ؟ « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ودفع الشر بالشر أحزم ، واللئام لا يعاملون بغير الانتقام

— هب اني سلمت لك بأن الانتقام من هؤلاء الانذال واجب عليك واذا لم تفعل تلام فقل لي بأبيك ألا تأمل ارجاع امرأتك ؟

— لا أخفي عنكِ انني ربما رضيت بها اذا رجعت عن غيها وعلمت أن لا خلاص لها مني واصلحت نفسها وماتت أمها كل هذا اذا كنت في يأس منكِ

— فأنت اذاً عازم على الانتقام منها بزواج امرأة أخرى ؟ ألا تصبح اذا رجعت اليك ذا الزوجتين ؟ فكيف تتصور لك راحة او هناء بين زوجتين وانت على علم بأن من يتزوج امرأتين يشتري عذابه بيده فينغص تنغيصاً لا نهاية له ويلقي بنفسه في الغم والهم ، واذا طلقت الثانية لترجع الى الاولى فيكون عملك مما يشين العقلاء لان النساء لسن كما يقول بعض الجهلاء كالحذاء متى ما مللت منه تنزعه من رجلك ! . وتذكر ما كتبته احدى

منذ حين من أن رجلاً رأى في منامه ان حذاءهُ سقط في النهر فراجع كتب تفسير الاحلام فلم يجد تعبيراً لرؤياه سوى مفارقة زوجتهِ فطلق امرأته تفسيراً لمنامه وتصديقاً لكتب الحشو . على ان العاقل البصير يحترم النساء لانهن جنس لطيف جدير بالتعظيم والمحبة . النساء أمهاتكم اللواتي يعانين انواع العذاب في الوضع فمن لم تكن أمك فهي أمُّ اخيك او ابيك او صديقك او جارك او ابنك . فكيف يليق بك أن تطلق زوجتك بعد ما تستوفي حظوظك منها وتذهب برأس مالها فتتركها محرومةً من الزواج ؟ ولا يدورنَّ في خَلَدك اني لا اذكر ان الله تعالى أجاز لكم أن تأخذوا من النساء مثنى وثلاث ورباع ولكنه جل شأنه شرط عليكم العدل ثم ذكَّركم بأنكم لا تستطيعون أن تعدلوا بين النساء . وكيف ترضى امرأة بشريكة لها في حياتها بأعمالها وأفراحها ؟ ألا تضطر أن تحرمها منك لتعدل بين الاثنتين وتعاملها بالمساواة ، أو يخطر ببالك ان تلك التعسة تنام تلك الليلة وهي على علم من انك عند أعدى عدوَّاتها ؟ ثم افرض ان الاثنتين اتفقتا — وهذا ضرب من المحال — أليس من الممكن أن يأتيك اولاد من الاثنتين ؟ وبديهي أن يتنازع اولادك على أقل سبب فاذا انتصرت الواحدة لابنها لا تسكت الاخرى فيقع النفور بينهما وبين الاخوة فتحرم بذلك راحتك وتفقد سعادة عائلتك فاذا كان الشقاق دأب بيتك ونشأ الأخ على بغض أخيه فكيف تؤمل منه خيراً للهيئة الاجتماعية ؟ أوهل لك سبيل الى الاقناع بأن تعدُّد الزوجات حسن ونتائجه حسنة ؟

— لا يسعني الانكار بمضرة تعدد الزوجات الا اذا كان عن ضرورة

وللضرورة احكام ، ولا انكر أن الشرع الشريف لم يبحهُ الا لهذا السبب وما فرضه علينا فرضاً فمن لم يكن في اضطرار الى تعداد زوجاته فلا يليق به الا الرضا بواحدة

واذا صفا لك من زمانك واحد نعم الصديق فعش بذاك الواحد

— فاذا وافقتك الجديدة وأعجبتك بخلقها وخلقها وطلقت شهيرة فماذا تكون حال ولدك منها ؛ لو كان أجمل ولد في العالم وكنت أعقل رجل لا بد من ان تسقطه من عينك وتجعله نقطة سوداء لان المرأة عدوة طبيعية لابن زوجها فاذا نشأ ابنك في ظلم امرأتك واستبدادها ألا تكون حينئذ قد جنيت عليه ؛ وأنت في عيني أعظم من ان ترتكب جناية مثل هذه وهب انه سمحت لك كل هذه الاحوال أليس من العار ان تتزوج باسم الانتقام أو باسم الاحتياج وانت تعلم ان القصد من التأهل اتخاذ قرينة تشارك الرجل في أفراحه وتشاطره أتراحه ويكمل بها ويعيش معها عيشة راضية فيقومان بما يجب عليهما للمجتمع الانساني وهذا الامر لا يتم الا باقتران الرجل بمن توافقه طبيعة ومزاجاً وأخلاقاً ولذلك أرى ان تسعى في استرضاء خاطر شهيرة اذا كانت فيها هذه الشروط وترضى بما قسم لك ربك وتربي ابنك كما تشاء لتجعله خير الخلف من بعدك عساه يكون لك ذخراً وسنداً

— أنا وحقك معترف بما أتيت به من الحقائق ومن الاسف انه لم يتيسر لي الاقتران بمن توافقني وتكون جامعة لشروطك ولو أسعفني الحظ وتزوجت منك لسعدت وما أتاحت لي الايام ان أقع في المهالك والاخطار

— قضي الامر وكان بودي ان اكون قرينة لك ولكنك عجلت

فاخطأت وحرمت نفسك مني وحرمتني بعملك من التأهل بغيرك لاني وعدتك بان لا أرضى بسواك ومن شيمي وطبعي الثبات على وعدي فلهذا لا اقترن باحد وسأعيش عانساً متبتلة وابحكم القضاء راضية

فلما سمع سعيد هذه العبارة احمر وجهه وأطرق خجلاً وود الموت ليخلص مما عراه من الخجل امام من فاقته بمكارم أخلاقها واستولى عليه السكوت وانقطع عن الحركة

فلما أدركت خجله قالت لا تستحي فانك لست أول رجل خان الجنس اللطيف بوعده فمها كان الرجل عاقلاً رقيق الشعور كريم العواطف والاخلاق لا يزال في عتو بدعوى التفوق على النساء ولا يعد الخطأ امامهن الا من قبيل السهو والنسيان الملازمين للبشر ولكن كن على ثقة من انه سيجيء يوم ترتقي فيه الهيئة البشرية وتعلم منزلة المرأة وواجبات الرجال نحوها فتحفظ حقوقها فتصبح معززةً مكرمةً ولا يجسر احد حينئذ على خيانتها لان عمله يعدُّ سقوطاً في الاخلاق ، وأرجو منك أيها الصديق ان لا يشق عليك كلامي وما لك الا الاذعان والاعتراف بالذنب لاني صاحبة الحق . وأما أنا فاني اسلمت امري لخالقي الذي جعلني بائسة محرومة من شرف السعادة الحقيقية

فعند ذلك قام وعبرات الاسى تنهمل من عينيه على خديه واخذ يقبل يديها ويقول : ها أناذا أكرر اعترافي بذنبي فاعف عني والعفو من شيمك ولا تزيديني هماً وخجلاً فوق كدري ، وارحمي شبابي لئلا يسوقني هذا العذاب الى الانتحار

فضحكت وقالت : ارجو أن تجلس في مكانك . أتدري سبب ضحكي ؟ قال : لا . فقالت لاني قرأت من الروايات واخبار العشاق ما لم أتذكر عدده وقد ثبت لديَّ ان الرجال يستعطفون النساء ويستميلونهن بدعوى الانتحار فلا يصدق دعواهم الا اللواتي حرمهن الخالق من العقل والعلم وكم قرأت وسمعت من اخبار الرجال الذين كانوا عزموا على الانتحار من اجل معشوقاتهم وبعد ان حظوا بقربهن تركوهن يعانين آلام العذاب وندر من انتحر والنادر لا حكم له . واني لا أودُّ ان اسمع من عاقل مثلك ان يقول هذا الكلام فلو كنت ممن يطيب لهم الانتحار لصبرت من اجلي وعملت مثلي . هذا والشائع على الالسن ان الرجال اقدر من النساء على ضبط انفسهم ولكني رأيتك مع شدة عقلك ومتانة اخلاقك لم تمنع نفسك من خيانة العهد

— كفى سيدتي أما قلت لك اني تزوجت اضطراراً علماً مني انه من المحال ان اصل اليك لما بيننا من الدرجات والفروق

— هل طلبتني ورجعت خائباً حتى تعتذر هذا الاعتذار الواهي ؟

— لا أجرأ على ان اخطبك لاني كنت على يقين من رجوعي خائباً وخفت ان تحول عني انظار الباشا وان تنقلب محبته لي نفوراً مني فأكون حينئذ ضيعت آمالي على اني ما زلت غريقاً في بحر الآمال

— ماذا تقول ؟ أجننت ام تهذر ؟

— اعذريني على خطاءي ولا تجرحي حواسي فاني ما زلت اسعد بها

— ماذا تقول ؟ لقد صغرت في عيني بعد ما كنت كبيراً ! . أنسيت اننا كنا نتكلم عن تعدد الزوجات ووصف مضراته ؟ وكيف تخيل اليك ان

بجعلني شريكةً لمن خربت آمالي وجعلتني في حرمان من حبيبي الخائن ؟

— آه سيدتي دعي عنك هذا الكلام فاني سأطلقها من أجلك وارجع اليك اذا ساعدني الحظ

— كيف تطلق زوجتك امّ ولدك وانت تعلم ان ابغض الحلال الى الله الطلاق وماذا تكون حالها بعد الطلاق وماذا يؤول اليه امر ابنك التعيس الذي سيتربى على غير ما تريد ؟

— أنسيت ان الله تعالى قال فامساك بمعروف او تسريح باحسان على اني سعيت لامسكها بمعروف فلم يتيسر لي لانها شربت لبن اللؤم من امها ولا امل لي باصلاح حالها وهي كلما تقدمت ودرست على امها زادت لؤماً وخبثاً وبغضاً اليَّ فطبيعة الحال تسوقني الى تسريحها واما ابني فانه أُهمل وترك للطبيعة تتصرف به كما تشاء نخانتة وسلطت عليه الامراض وقد اخبرني الطبيب ان لا امل في حياته واذا مات اراحنا واستراح وبذلك تزول الموانع ويبقى مانع واحد وهو قبول الباشا الذي لا سبيل اليه فهل اليه من وسيلة ؟

— اما ثابتة على قولي وعهدي ولكن وجود زوجتك يمنعني عن قبول ذلك

فاقسم لها بالله بانه لو لم يخف من الحكم عليه بدفع بقية مهرها لطلقها ثم قال : لا يخفى عليك قلة ذات يدي وعدم اقتداري على دفع المبلغ ولعل الحظ يسعفني فيموت ابني على انى اعدك وعد حر انه يستحيل اجتماعي بها بعد الآن

المقتبس

الجزء الثالث من المجلد الثاني

ربيع الاول سنة ١٣٢٥ الموافق أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٧

التقية

الامم في اول نشأتها تحتاج الى كتم أمرها وضم أطرافها والتماسك في كل أحوالها خوف عدو قاهر ومليك مقتدر وعدة ضخمة وعدد دثر من مال ورجال حتى اذا استحكم أمرها وأصبحت كفوءاً لمناوئها تظهر ماكانت تضمر وتقدم إقدام الاتيّ على الوادي وتلوب على من تضمه اليها وتكثّر به سواد قومها . وهكذا حال الافراد فان العالم أو صاحب الدعوة اذا كان في مبدإ شأنه بين قوم يخاف بادرتهم اذا فاتحهم بافكاره يخفي شيئاً مما يكنه ضميره حتى اذا اشتدت شكيمته واستحكمت مُنَّتُهُ واستجاش له أنصاراً وخاصة يقبلون ولو جانباً من أفكاره وعلمه يتدرج في بث دعوته فيبدأ بالضعاف أو المستضعفين الى ان يصل الى الاقوياء والعظماء . وهذا الضرب من الكتمان يسمى التقية مشتقة من أتقاه أي خافه وهي ضد العلانية. عادة راجت ولا تزال رائجة في المشرق خصوصاً بين المغلوبين المخالفين

امام الغالبين الظالمين ولكم ذهب بها فيما غبر أرواح رجال لم يحسنوا استعمال التقية ونجا بها أناس جعلوها شعاراً يلبسونه ومجناً يتقون به عادية من يخالفونهم أو يريدونهم على العمل بما لا يعتقدون به من علم ورأي ونحلة

جاء الرسول العربي عليه الصلاة والسلام فقام يبث دعوته وتحمل فيها صنوف الاذى والاهانة ولما كثر أنصاره ومريدوه من المهتدين وخاف امتداد الاذى هاجر الى المدينة وهناك أقام على تلقين اليقين علانية . ولذلك أجمع رأي الصحابة على عهد عمر ابن الخطاب لما أرادوا التأريخ ان يبدأوا من سنة الهجرة لانه الوقت الذي حكم فيه الرسول على غير تقية فكأن الدور الاول ماكان الا لتأسيس ما بدأ ظهوره من الدعوة في المدينة فلم يحسبوه . وقد جاء في القرآن آيات تدل على الاخذ بالتقية وآيات على عكسها بحسب المناسبات

قال الخازن في تفسير قوله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الاّ ان تتقوا منهم تقاةً ويحذركم الله نفسهُ والى الله المصير » أي ألاّ ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن مداراة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعاً عن نفسه من غير ان يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً أو غير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين . والتقية لا تكون الا مع الخوف من القتل مع سلامة النية قال الله تعالى « الاّ من أُكره وقلبهُ مطمئن بالايمان » . ثم ان هذه

التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم . وانكر قوم التقية وقالوا انما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد أعز أمة الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم . قال يحيي البكاء : قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج : ابن الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان . فقال سعيد : ليس في الامان تقية انما التقية في الحرب . وقيل انما تجوز التقية لصون النفس من الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان . اه

واختلفت مذاهب المسلمين في التقية فروى المؤرخون انه كان سبب اختلاف نافع بن الازرق ونجدة بن عامر من زعماء الخوارج أن نافعاً قال التقية لا تحل والقعود عن القتال كفر واحتج بقوله تعالى « اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » وبقوله « يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » وخالفه نجدة فقال : التقية جائزة واحتج بقوله عز وجل « إلاّ أن تتقوا منهم تقاةً » وبقوله عز وجل « وقال رجلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعون يكتمُ إيمانهُ » فالازارقة من الخوارج وهم اصحاب ابن الازرق المشار اليه يقولون ان التقية غير جائزة في قول ولا عمل . وحكى الكعبي عن النجدات وهم اصحاب نجدة بن عامر ان التقية جائزة في القول والعمل كله . وقال الصفرية الزيادية وهم فرقة من الخوارج ايضاً : التقية جائزة في القول والعمل . والرّديّ عند الخوارج هو الذي يعلم الحق من قولهم ويكتمه.

أما الشيعة فلهم في التقية تجوّز لم تعرفه فرقة من المسلمين فيما أحسب

فكل ما ارادوه تكلموا به فاذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا انما قلناه تقية وفعلناه تقية . هذا ما نقله الشهرستاني في الملل والنحل وليس في الايدي كتاب من كتبهم نرجع اليه فيما قالوه هم في حقها . ولقد رأيت بعضهم يستعملون التقية في خلواتهم وجلواتهم فلا تجديهم الا صغر النفوس وضياع الشمم والشرف على حين لا يضطرهم الى ذلك داع ولا يريدهم عليه حاكم ولا محكوم عليه. ولكن هي العادات يرضعها الابناء مع لبن الامهات فيتعذر الاقلاع عنها الا بعد الاستغراق في نور العلم النافع والتربية الصحيحة

والعقل يقضي بان يستعمل في دار التقية ما لا يستعمل في دار العلانية على حسب الاحوال . وقد تترتب مفاسد دينية ودنيوية على سوء استعمال التقية ولكن قلَّ في العلماء وأرباب المقالات من احسن استعمالها وساعده محيط بلاده على تحقيق أمانيه . والتوسط في كل شيء محمود المغبة فكيف بالتوسط مع الطواغيت والمرء لا ينجو معهم بدونه

عهدنا الحجاج لما هزم عبد الرحمن بن الاشعث وقتل اصحابه وأسر بعضهم يتلقى كتاب عبد الملك بن مروان في عرض الاسرى على السيف فمن أقرَّ منهم بالكفر خلَّى سبيله ومن أبى قتله . فأُتي منهم بعامر الشعبي ومطرف بن عبد الله بن الشخير وسعيد بن جبير . وكان الشعبي ومطرف تريان التقية وكان سعيد بن جبير لا يراها فذهب عامر ومطرف الى التعريض والكناية فعفا عنهما وأما سعيد بن جبير فأبى ذلك فقتل . وكان مما عرَّض به الشعبي : أصلح الله الامير ، نبا بنا المنزل ، وانخزل بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة

أقوياء . قال : صدق والله ما برّوا بخروجهم علينا ولا قووا خليا عنه . ثم قدم اليه مطرف بن عبد الله فقال له الحجاج : أتقرُّ على نفسك بالكفر ؟ قال : ان من شق العصا ، وسفك الدما ، ونكث البيعة ، وأخاف المسلمين لجديرٌ بالكفر . قال خليا عنه . ثم قدم اليه سعيد بن جبير فقال له : أتقرُّ على نفسك بالكفر ؟ قال : ما كفرت بالله مذ آمنت به . قال اضربوا عنقه

أرأيت رجلاً معروفاً بصلابة دينه ووفرة علمه وثبات جنانه وقوة برهانه فادى بروحه من اجل الحق وغلّب الموت على القول بما يخالف ما وقع في نفسه ؟ أبى إباؤهُ وأنفت أنفتهُ أن يلجأ الى تقية لا يرضاها ذوو النفوس الكبيرة فذهب مثال الكمال وأنموذج الفضيلة والتقوى أبد الدهر . هذا هو سعيد بن جبير الذي لا تفتا الألسن تذكره بالرحمة وتسخط على من قتله شر قتلة

ومن التقية المحمودة ان صح ان يسمى تقية ما يأتيه بعض العلماء من الامتناع عن افشاء بعض الاسرار في الدين للعامة وقد أرجع الغزالي هذه الاسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها الى خمسة اقسام : الاول ان يكون الشيء في نفسه دقيقاً تكلُّ اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح من هذا القسم . الثاني من الخفيات التي تمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم من افشائه

من هذا القسم فلا يبعد ن يكون ذكر بعض الحقائق مضراً ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل . الثالث ان يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب كما لو قال قائل رأيت فلاناً يقلد الدر في اعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير أهلها . الرابع ان يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلاً بالتحقيق والذوق . الخامس ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده حقاً والبصير بالحقائق يدرك السر فيه

قال صاحب كتاب « إيثار الحق على الخلق » : كثرت البدع وكثرت الدعاة اليها والتعويل عليها وطالب الحق اليوم شبيهٌ بطلابه في أيام الفترة وهم سلمان الفارسي وزيد بن عمر بن نفيل وأضرابهما رحمهما الله تعالى . وان نشأة الانسان على ما عليه أهل شارعه وبلده وجيرانه وأترابه صنيعُ أسقط الناس همة وأدناهم مرتبة . قال ولا ينبغي ان يستوحش الظافر بالحق من كثرة المخالفين له كما لا يستوحش الزاهد من كثرة الراغبين ولا المتقي من كثرة العاصين ولا الذاكر من كثرة الغافلين بل ينبغي منه ان يستعظم المنة باختصاصه بذلك مع كثرة الجاهلين له الغافلين عنه

ونسب تنكب الناس عن طريقة الحق لعدم الحرص وقوة الداعي وللخوف من شر الاشرار مع الترخيص في التقية باجماع الامة فقد اثنى الله على مؤمن آل فرعون مع كتم ايمانه وسميت به سورة المؤمن وصح أمر

عمار بن ياسر بذلك وتقريره عليه ونزلت فيه إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالايمان . وقد قيل من عرف الخلق جدير ان يتحامى ولكن من عرف الحق فعسير ان يتعامى . والذين آمنوا أشد حباً لله . ونسبه أيضاً للخوف من الشذوذ من الجماهير والانفراد عن المشاهير

وذكر ايضاً انه زاد الحق غموضاً وخفاء امران احدهما خوف العارفين مع قلتهم من علماء السوء وسلاطين الجور وشياطين الخلق مع جواز التقية عند ذلك بنص القرآن وإجماع اهل الاسلام قائلاً : وما زال الخوف مانعاً من اظهار الحق ولا برح المحق عدواً لاكثر الخلق . وقد صح عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال في ذلك العصر الاول حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاءين اما احدهما فبثثته في الناس وأما الآخر فلو أبثه لقطع هذا البلعوم

وما زال الامر في ذلك يتفاحش .وقد صرح الغزالي بذلك في خطبة المقصد الاسنى ولوّح بمخالفته اصحابه فيها كما صرح بذلك في شرح الرحمن الرحيم . وأشار الى التقية الجويني في مقدمات البرهان في مسألة قدم القرآن ، والرازي في كتابه المسمى بالاربعين في أصول الدين . قال : وثانيهما الاعتماد على الكتابة في حفظ العلم فانه أدى الى كتم اهل العلم لكثير من مصونه في أول الامر ثم لمهمات الدين في آخره وكان العلم في أول الامر يبذل من اهله لاهله مشافهة ولو سراً وذلك أول النقص وهو محفوظ في الصدور غير مبذول لاهل الشرور في الشعور فلما قلّ الحفظ وطال الامر وكتب ليحفظ وتعذرت الصيانة وخيف العدوان من اعداء اهل الايمان

كتم بعضهم فلم يظهر علمه فازداد النقص واتقى بعضهم فتكلم بالمعاريض الموهمة للباطل خوفاً على نفسه ورمز بعضهم فغلظ عليه فيما قصده في رمزه فتفاحش الجهل

وأما الفرق بين ما يجوز من المصانعة والمداهنة وما لا يجوز من الرياء فما كان من بذل المال والمنافع فهو جائز وهو المصانعة وربما عبر عنه بالمداهنة والمداراة والمخالفة وما كان من امر الدين فهو الرياء الحرام . ومن كلام الامام الداعي الى الله تعالى يحيي بن المحسن عليه السلام في الرسالة المخرسة لاهل المدرسة : لا يجوز أن تكون الموالاة هي المتابعة فيما يمكن التأويل فيه لان كثيراً من اهل البيت عليهم السلام قد عرف بمتابعة الظلمة لوجه يوجب ذلك فتولى الناصر الكثير منهم وصلى بهم الجمعة جعفر الصادق وصلى الحسن السبط على جنائزهم وأقام علي بن موسى الرضا مع المأمون وكثر جماعته وتزوج ابنه محمد ابنة المأمون وغير ذلك . والوجه فيه ان الفعل لا ظاهر له فتأويله ممكن. وذكر الامام المهدي محمد بن المطهر عليهما السلام أن الموالاة المحرمة بالاجماع هي موالاة الكافر لكفره والعاصي لمعصيته ونحو ذلك . وهو كلام صحيح والحجة على صحة الخلاف فيما عدا ذلك أشياء كثيرة منها قوله تعالى في الوالدين المشركين بالله « صاحبهما في الدنيا معروفاً » ومنها قوله تعالى « لا ينهاكمُ اللهُ عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا اليهم ان الله يحبُّ المقسطين إنما ينهاكمُ اللهُ عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولّوهم ومَن يتولهمْ فأولئك همُ الظالمون »

تأمل هذا المنقول في التقية من كلام ذاك الامام المجتهد وهو نموذجٌ من تأليف من عمل بعلمهِ ولم يكتم حقيقةً ارضاء لخاطر ولم يتق رئاء وخوفاً وطمعاً . ذاك كلام أبي عبد الله محمد المرتضى من اكابر علماء القرن التاسع أنفت نفسهُ من التعصب لعادات الآباء والمشايخ فتجانف طرق اسلافهِ وحكّم الانصاف في اقوال فرق الاسلام ولولا عراقتهُ في الشرف و بُعد غوره في العلم واخلاصهُ في اقواله واعماله لاضطُهد وأوذي ونال من صنوف العذاب ألواناً . أقدم هذا الاقدام موثّراً أن ينصرف عنه جانب من حطام الدنيا مثل تولي الامارة عند الزيدية وشرطها عندهم أن يتقلدها أعلم الناس وأشرفهم وكان هو جامعاً لهذين الشرطين وهو من أسرة تولت زعامة الناس فرأى الدعوة الى الحق خيراً من الامامة والامارة فردّ على أبناء مذهبهِ الاصلي في كتاب ضخم يقع في زهاء ألف ورقة سماه « العواصم والقواصم » وخلّف مصنفات غيرها دلت على سعة فضله وعقله وأنه ممن احسنوا استعمال التقية ولم يتأذوا بالعلانية ورخصت اعمارهم في عيونهم فأفادوا واستفادوا . وكتابةُ ايثار الحق المنقول عنه آنفاً رأيهُ في التقية اكبر دليل على ما وصف به

واذا قابلنا بين كلام هذا الامام وكلام من اشتهر اكثر من شهرتهِ لا نعتم أن نشعر بفرق بين المشارب والعقول ولكلٍ ذوقهُ وعقله . فمن مشاهير المؤلفين والفلاسفة الفخر الرازي وكل من قرأ مصنفاتهِ ير فيها عقلاً كبيراً ومادة واسعة . ومع هذا وجد له أهل البصر ما ينتقد في حياته العلمية

درّس الرازي والتفت حوله التلاميذ والاساتذة فكان اذا ركب يمشي معه ثلثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم ونال الحظوة من أمراء عصره والحظة عند شعوبهِ وتعاظم حتى على الملوك ومع هذا مال الرازي الى مذهب الجبر القاضي بأن الانسان كالريشة في الهواء لا عمل له ولا تدبير ينفعه وأن القضاء والقدر يدوران به على مرادهما وهو المذهب الذي عشش اعتقاده في صدور معظم المسلمين فكان من دواعي انحطاطهم

وان لم يشعر ظاهر الشريعة ولا المأثور عن الأمناء عليها في الصدر الاول بشيء، من هذا المعنى وانما رأى الرازي الخير في نصرة هذا المذهب لانه كان متسلطاً بكثرة على اهل بلاده فقرر كما قال عن نفسهِ ما اعتقده أنه هو الحق وتصور أنه الصدق. ولقد رد عليه بعض علماء المسلمين وسفهوا رأيهُ فيما ذهب اليه حتى ان كل محب لاحترام العلم واكرام صنيع حملتهِ ليرجو أن تكون بعض هذه الافكار التي أخذها العلماء على الرازي هي التي سجل على نفسه في وصيتهِ بأنهُ رجع عنها

وأنت ترى ان الباني والرازي المشار اليهما قضيا حياةً طيبةً ممتعين بثمار عقلهما وغادرا هذه الدار بلا اهانة وفتنة واكتفى معاصروهما ومَن بعدهما من العلماء بالرد عليهما في الورق فكانا مثالاً فيمن نفعته التقية وعرف استخدامها . واذا جئنا نستشهد بمن جنى عليهم عدم استخدام التقية نخرج عن قصد الاختصار . قال الثوري : اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم أنه مخلّط لانهُ ان نطق بالحق أبغضوه

وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية قد صرح بما اعتقد صحتهُ والغناء فيه فعاداه أعداء التجديد والتحقيق واشياع التحريف والتلفيق من علماء السوء الرسميين وآذاه مَن شأنهم مسايرة الحزب الغالب من الامراء الذين لا مذهب لهم الا المال ولا دين الا بسطة الجاه ولا سياسة الا حكم الناس بما يريدون ولا عقل الا الاعتصام بالقوّة والجبروت

قضى فساد محيط ابن تيمية والجهل المركب الذي فُطر عليه من جُنُّوا في التجني عليه بملأة من لا رأي لهم أن قضى سجيناً سنين عديدةً في جب يوسف بقلعة الجبل بالقاهرة وأعواماً في برج بالاسكندرية وأعواماً في قلعة دمشق الى آخر ما عومل به من الحبس وكانَ القصد من هذا كله ايقاف قريحتهِ عن الانبعاث تفادياً من أن يجرف سيلها العرم ما وهى من باطل الاعتقاد ووجد ضعاف العقول وأسرى التقليد آباءهم عليه من الاضاليل والخزعبلات . ولا اقول ان ما لقيهُ ابن تيمية من الألاقيّ

حبس قلمهُ عن الكتابة وعاق تأثيره في نفوس مئات من القريبين للخير ولكن من لنا بعشرة عملوا عمله في تاريخ الاسلام رُزقوا نفساً كنفسه وعزيمةً كعزيمته يستهين بروحهِ وراحته ويستميت في نصرة الحق واماتة الباطل من دون ما تقية؟

ولقد شهدنا رجلاً قام في القرن الثاني عشر في وسط جزيرة العرب دعا الى مثل دعوة ابن تيمية واستنار بعلمهِ واهتدى بهديهِ فعاش سعيداً والنفع به عمياً ألا وهو محمد بن عبد الوهاب . قام هذا بين قوم تغلب عليهم السذاجة البدوية والفطرة العربية فصاح فيهم صيحةً أراد بها زحزحتهم عما كانوا فيه من العبادات والمعاملات لانها من شأن اهل الجاهلية منافية للاسلام فأذعن كبراؤهم لقوله طائعين وما هو الا أن انقضى جيل وجاء الثاني حتى نشر التوحيد اعلامهُ بين أناس ما عرفوا الا الشرك والوثنية . وكان نصيب هذا الداعية من علماء عصره أن بدّعوه وفسقوه وكفروه ولو طالت اليه يد الاشرار لمزقوه كل ممزق وجعلوه سلفاً ومثلاً للآخرين

نعم نفعت تلك البادية في بث الدعوة بلا تقيّة ولا مصانعة اكثر من الشام ومصر زمن ابن تيمية . والدعوات كلها سياسيةً كانت او علمية ما فتئت تبدأ في البوادي والاقاصي ثم تمتدّ امتداد شواظ من نار فتلتهم الأقرب فالاقرب . وأهل المدن يستغرقون في الترف على الاغلب ويتنكون النعيم حتى تكاد تنزع منهم وجداناتهم الا قليلاً فيلجأون الى المشاغبة في كل ما لم يألفوه والتمويهِ في الحق والباطل . ولذلك ترى سكان الجبال والارياف أنشط في كسب العلم وأرغب في التجديد ونزع التقليد لبعدهم عن نشأة السرف والترف

ومعاذ الله أن يفهم من هذا القول أن ابن تيمية لم يحسن استخدام التقية وابن عبد الوهاب احسنها ولكن الاول جمع الشروط كلها فخانتهُ بيئتهُ وأسلمه قومهُ لاهواء الحاسدين. وهذا هو السبب الذي من اجله اعتاد بعض اصحاب الافكار والمجددين المصلحين منذ القديم أن يهجروا مساقط رؤوسهم لبث دعوتهم وترويج بضاعتهم كما

ترحل التاجر بتجارتهِ والصانع بنتائج صنعته . عهدنا معظم العلماء لما أن يشتدّ عليهم في وطنهم الضغط الناشئ من حسد حاسد وكيد كائد ينزلون صقعاً آخر ليقدّروا بقيمهم الحقيقية ويثمنوا بما يساوون. كان هذا شائعاً في بلاد الاسلام أيام كان فيها بقايا من العلم ونسيس من الحياة الاجتماعية فكان العالم اذا كرُب أن تُكربهُ التقية في بغداد يهجرها الى الشام واذا اشتدت به الحال هنا يغادرها الى مصر أو المغرب او الاندلس واذا وقع عليه ما لا ترضى به نفسهُ في الروم يرحل الى فارس

اليك حكم التقية في العلم والعلماء والدين والامراء . ولم أفض فيما يستعمله اهل السياسة من التقية لان ما هم بسبيله مبني في الغالب على الخديعة والحيل مدعوم بالرهبوت والجبروت مصبوغ كل يوم بصبغة تخالف صبغة أمس

واني لأرجو أن لايكون جماع اهل العلم والسياسة داخلين في غمار من وصفهُ احد الأعراب بضعف فقال : « سيء الرويَّة ، قليل التقية ، كثير السعاية ، ضعيف النكاية » ولا أن يكونوا مثل من قال المأمون فيهم لرجل وعظهُ فأصغى اليه منصتاً فلما فرغ قال : « قد سمعت موعظتك فأسأل الله ان ينفعنا بها وربما عملنا غير انَّا احوج الى المعاونة بالفعال منا الى المعاونة بالمقال فقد كثر القائلون وقلّ الفاعلون »

شعراء النصرانية في الجاهلية

(تابع ما قبله)

هذا وان سألت حضرة الاب لويس شيخو كيف عرفت ان الشاعر الفلاني أو الفلاني كان نصرانياً على حين لم يصرّح لك بذلك احد الائمة. فيجيبك من فوره و بدون تمهل أجوبة باردة يعيدها كل مرَّة على من يطالبه بايراد الادلة على نصرانية احد شعراء الجاهلية ممن نصرهم علي يديه . فاسمع ما يقول مثلاً عن نصرانية امريء القيس

(المشرق ٨ : ١٠٠٣) « فبأي دين كان اذن يدين امرؤ القيس أبدين الوثنيين ؟ لا نظن وقد فند حضرة الاب أنستاس حجج القائلين بتعبده للاصنام . فبقي انه كان اما يهودياً أو نصرانياً . ولم يقل احد بيهوديته فكان اذن نصرانياً ولا نريد بنصرانيته هذه كما مر انه كان متمماً لفرائض الدين المسيحي أو انه كان كاثوليكياً . كلا . وعلى رأينا انه كان من ملة النسطورية التي أحل اصحابها أموراً لم يحلها غيرهم من النصارى

أما أدلتنا على نصرانيته فهي الآتية :

أولاً . ابطال مزاعم القائلين بوثنيته ومزدكيته

ثانياً . خلو شعره من آثار الشرك ففي كل ديوانه ليس من اشارة تدل على عبادة آلهة العرب في الجاهلية

ثالثاً . بل نجد اقراره بوحدانية الخالق و بالبعث والنشور مع شواعر دينية ظاهرة... هذا فضلاً عما في قلبه من الرغبة في المجد والامور الشريفة والعدول عن حطام الدنيا (كذا . وقد أورد هنا بيتين لا يدلان ابداً على عدوله عن حطام الدنيا بل على تعلقه باهداب مجد العالم المؤثل)

رابعاً . وفي شعره من الاشارات النصرانية ما في غيره من الشعراء النصارى . . . (كذكره) مصابيح الرهبان والمقدّس وهو الزائر لبيت المقدس والإران وهو تابوت النصارى . . .

خامساً . انتشار النصرانية في كندة قبيلة امرئ القيس لمح الى ذلك حضرة الاب مناظرنا

سادساً . خروج امرئ القيس الى القيصر يستنجد به وهذا لم يكن ليخطر على بال اهل البادية وهو يعلم ان القياصرة نصارى متعمقون في الدين لو لم يتخذ وحدة الدين وصلة بينه و بين القيصر لا سيما ان القيصر كان يومئذ يستنيان من أشد الامبراطورين تحمساً للدين وانه (على ما روى العرب) أزوجه ابنته

سابعاً . ومن الدلائل على نصرانية امرئ القيس نصرانية عمته هند بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى . . . وقد ذكرنا في المشرق (٥ : ١٠٦٠) الكتابة التي وضعتها في صدره وفيها تدل على نصرانيتها ونصرانية أبيها الحارث وابنها عمر بن هند . . .

ثامناً . وكذا قل عن نصرانية أمّ امرئ القيس التي تسمى فاطمة بنت ربيعة بن الحارث وكانت من تغلب وأخواها كليب والمهلهل التغلبيان ولا أحد يجهل أن تغلب كانت تدين « كلها » بالنصرانية

تاسعاً . وأقوى من ذلك ما كتبه المؤرخ ننوز وهذا الرجل العظيم أرسله يستنيان الى الحبشة والى امرئ القيس الكندي وهو يدعوه قيساً ليولي امرأ القيس فلسطين فلما عاد الى القيصر وأتم ما عهد اليه كتب خبر رحلتهِ في تأليف وقع في ايدي فوطيوس فاختصره في مكتبتهِ الشهيرة . . .

عاشراً .ويؤيد قول ننوز المؤرخ الشهير بروكوب من الكتبة المعاصرين لامرئ القيس » . . . انتهت الأدلة

فنحن الآن نجيب على كل واحد منها مستهلين بالنتيجة التي استنتجها من بحثهِ هذا وقد صدّر بها حججهُ الدامغة فنقول :

لو فرضنا أن امرأ القيس لم يكن وثنياً فلا يستنتج من ذلك انه « كان اما يهودياً واما نصرانياً » لان عدة اديان كانت في بلاد العرب وأصحابها من الموحدين وهم مع ذلك ليسوا من اليهود ولا من النصارى . فما على حضرة الأب الا ان يفتح كتاب الشهرستاني فيرى ذكر فرق دينية جمة كلها في بلاد العرب وكان اصحابها موحدين . لكن لما كان ذكرها يطول هنا فنضرب عنها صفحاً ونحيل القراء الكرام على مطالعتها في مظنتها . على انه لا يجوز لنا أن نسكت عن الحنيفية اذ كانت شائعة ذائعة في بلاد العرب كلها ولا سيما في بلدح ومكة والطائف ويثرب وغيرها . قال الشهرستاني : « من العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع . . .

فمن كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر وينتظر المقدم النبوي : زيد بن عمرو ابن نُفيل (وهو الذي نصَّره حضرة الاب ودوّن اسمهُ في سجل عماد النصارى يعني في كتاب شعراء الجاهلية — ٢ : ٦١٩) كان يسند ظهره الى الكعبة ويقول : أيها الناس هلموا اليَّ فانهُ لم يبق على دين ابرهيم أحد غيري » . اه

ولكي يتثبت ويتحقق أن الحنفاء لم يكونوا يهوداً أو نصارى بل على ملة ابرهيم اسمع ما جاء في كتاب الاغاني (٣ : ١٦) ما هذا نصهُ بحرفهِ بخصوص دين زيد بن عمرو بن نفيل قال :

« ان زيد بن عمرو خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : لعلي أدين بدينكم فأخبرني بدينكم . فقال اليهودي : انك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . فقال زيد بن عمرو : لا أفرُّ الا من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئاً ابداً وأنا استطيع . فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ قال ما اعلمه الا ان تكون حنيفاً . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين ابرهيم . فخرج من عنده وتركه . فاتى عالماً من علماء النصارى فقال له نحواً مما قال اليهودي . فقال له النصراني : انك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . فقال : اني لا احمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً ابداً وأنا استطيع . فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قال اليهودي : لا اعلمه الا ان تكون حنيفاً . فخرج من عندهما وقد رضي بما اخبراه واتفقا عليه من دين ابرهيم . فلما برز رفع يديه وقال : اللهم على دين ابرهيم »

فهل بعد هذا النص الجلي يماحكنا حضرة الأب ويقول : لا بل وكان زيد بن عمرو نصرانياً لانه لم يكن يهودياً ؟

قلنا : وكان أمية بن ابي الصلت من الحنفاء ايضاً لا من النصارى . قال في الاغاني

(٣ : ١٨٧) : كان أمية بن ابي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً وكان ممن ذكر ابرهيم واسمعيل والحنيفية وحرم الخمر (والنصارى لا تحرمه) وشك في الاوثان وكان محققاً والتمس الدين (والنصارى لا تلتمس غير دينهم) وطمع في النبوة (والنصارى لا تطمع في النبوة) لانهُ قرأ في الكتب (وليس ذلك في كتب النصارى) أن نبياً يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو » . اه بحرفه ·

فأين بقيت نصرانية أمية ؟ اللهم الا ان تكون بعدُ في عقل حضرة الأب حرسهُ الله . .

هذا من جهة كون الانسان قد يكون موحداً ولا يكون مع ذلك لا يهودياً ولا نصرانياً . وهو جواب مقدمته والآن نجيب على جواب أدلتهِ فنقول :

أولاً . انا ان سلمنا ان امرأ القيس لم يكن وثنياً فلا نسلم ابداً انه لم يكن مزدكياً لان براهين الأب في نقض أدلة براهين خصمهِ في منتهى الضعف والوهن . كيف لم يكن مزدكياً وقد أثبت اغلب المؤرخين وأرسخهم قدماً في تحقيق الاخبار وتحريرها ان جدّه الحارث كان مزدكياً وكذا كان ابوه حُجْر . ومزدكية او زندقة والده مما لا تحتمل الشك او الريب اذ قد قال اليعقوبي وهو من اقدم مؤرخي العرب في كتابه (١ : ٢٩٩) « وتزندق (أي تمزدك) حُجْر بن عمرو الكندي »

فاذا كان حضرة الاب يثبت دين رجل لكون أمهِ او خالته او عمته كانت على النصرانيـة فلماذا لا يريد أن يقبل حجة من يريد ان يثبت دين رجل لاتّباعهِ دين أبيهِ او جده ؟ فقد أثبت الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي في رسالة ألفها فيا خالف الاسلام ما عليه عرب الجاهلية وورد الشرع بابطاله وذكر نحو مائة مسألة . منها : تقليد الآباء والاسلاف والاعراض عن الاستدلال والى ذلك الاشارة : « واذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل اللهُ قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا » . قال : « أولو كان آباؤهم لا

يعقلون شيئاً ولا يهتدون » الى غير ذلك . اه . فامرؤ القيس على هذا هو على مذهب آبائهِ ان لم يقم دليـل صريح على خلاف ذلك به يقال انه خالف دين آبائهِ وانتحل الدين الفلاني مثلاً وهذا لم نعثر عليه في احد الاسفار

ثانياً . أما خلو أشعاره من آثار الشرك فيحتمل انه لم يكن وثنياً لكن لا يستنتج منه انه كان نصرانياً اذ كان في بلاد العرب عدة أديان كلها قائلة بالتوحيد كما سبق القول ولم يكن اصحابها مع ذلك نصارى . قال الشهرستاني : « كانت العرب اذا لبت وهللت قالت : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه ومالكه » . وقال قبل ذلك : « وصِنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقرّبوا القرابين وتقرّبوا اليها بالمناسك والمشاعر وحللوا وحرّموا وهم الدهماء من العرب الا شرذمة منهم » اه . وقال ايضاً : « وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والابداع وانكروا البعث (بعث الاجساد) والاعادة » اه .

فانت ترى من هذا انه لم يوجد نوع واحد من الموحدين بل أصناف مختلفة . ومثله يقول المسعودي في مروج الذهب فقد ذكر ثمّ ما هذا نصه : « كانت العرب في جاهليتها فرقاً . منهم : الموحد المقرّ بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقناً بان الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي » . اه . وقال ايضاً : « وكان من العرب من أقرّ بالخالق وأثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة وانكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام » . اه ومثل هذا الكلام كثير في كتب العرب الاقدمين والمحدثين

ثالثاً . جوابنا على خلوّ شعر امرىء القيس من آثار الشرك محتوٍ على جوابَينا السابقين فلا حاجة الى الاعادة

رابعاً . أما قوله ان الاشارات النصرانية الموجودة في شعره تنطق بلسان حالها

عن علاقاته مع النصارى فهذا لا ننكره لكن بين ان يكون له علاقات مع النصارى و بين أن يكون نصرانياً فرق ظاهر لا يخفى على عاقل اديب مثله . وكذلك القول في من استعمل الاصطلاحات النصرانية في شعره فهذا لا يدل على تنصره . والا لزم أن كل من ذكر مثل هذه الالفاظ والاصطلاحات واستعملها في ما كتب ونظم أنهُ نصراني مثل يزيد بن معاوية وابن المعتز ومدرك بن علي الشيباني وغيرهم من لغويين ومؤرخين واخباريين وغيرهم وغيرهم . وهو قول فاسد لايحتاج الى اظهار مافيه من الوهن

خامساً . أما استدلاله بانتشار النصرانية في كندة قبيلة امريء القيس فهو قول باطل لان النصرانية كانت أقلّ انتشاراً في كندة من سائر الاديان فيها . ولو فرضنا أنها كانت منتشرةً فيها فلا ينتج من ذلك ان كل افراد القبيلة كانت تدين بها . فهذه تميم مثلاً ففيها كان نصارى (الكامل ١ : ٢٦) وياقوت ١ : ٥٩٨ وكان فيهم المجوس ومنهم زرارة بن عدس التميمي وابنهُ حاجب والاقرع بن حابس وأبو الاسود جدّ وكيع بن حسان وكان فيهم صابئة عبدوا الدبران . ومنهم ثنويّة . وآخرون عبدة اصنام وكانت تلبيتهم عند صنمهم : لبيك اللهم لبيك . لبيك لبيك عن تميم قد براها . قد أخلقت أثوابها . وأثواب من وراءها . وأخلصت لربها دعاءها . (عن اليعقوبي ١ : ٢٩٦) ومنهم من اتبع سجاح المتنبئة . وفريق وافق مسيلمة الكذاب وهم بنو عطارد بن عوف بن كعب بطن من تميم . فهل يصح دائماً في الاستدلال والاستنتاج أن ننتقل من الجزئي الى الكلي ؟ هل يجوز لنا ان نقول ان بني تميم كانوا كلهم نصارى ؟ أو كلهم عبدة اصنام . او كلهم اتبعوا سجاح . او كلهم وافقوا مسيلمة لان بعضهم كان كذلك . فاذا كان لا يجوز دائماً : فلماذا يريد الاب أن يجوّز لنفسه ما لا يجيزه لغيره ؟ ففي كندة كانت اليهودية (اطلب بلوغ الارب ١ : ٣٧٩) والنصرانية (راجع كتاب الخراج للامام أبي يوسف ص ٨٦) والوثنية وكانت تلبيتهم :

لبيك لاشريك لك ، تملكه أو تهلكه ، انت حكيم فاتركه (اليعقوبي ١ : ٢٩٧) الى غير ذلك من الاديان . فلمَ يريد أن يخصها بالنصرانية ؟ أليس لمجرد الايهام ؟

سادساً . من أوهن أدلته على نصرانيـة امرىء القيس استنجاد أمير الشعراء بالقيصر ! فأي علاقة للدين هنا ؟ فنحن لا نرى في ذلك سوى استنجاد الضعيف بالقوي أو التعاقد والتعاهد لمنفعة شخصية أو غاية دولية . وبخصوص ما يشبه استنصار الشاعر المذكور أو هو هذا الاستنصار بعينه كتب الاديب دُشَين في كتابه الموسوم بالكنائس المفترقة ص٣٢٩ما هذا معناه(L. Duchesne. Les Eglises séparées) : « فأرادت دولة الروم أن تنتفع من هذه الحالة (حالة اضطراب أمور الحميريين) فأرسل قيصر الروم الى ملوك اكسوم وحمير عدة رسل كان أولهم يوليان ثم نَنُّوس . وكانت الغاية من ذلك تحويل تجارة الحرير من تلك الجهة لانها كانت على ما يُظن تتبع طريق هرمز فتتخذ دائماً طريق فارس . وكان في الصدر غايات عسكرية ايضاً . فألقى يُستنيان نظره على رجل اسمهُ قيس كان قد نكث حبل الوصال مع اسيمفيوس (ملك الحميريين النصراني) ليقيمهُ رئيساً على قبائل عرب كندة ومعدّ . وكان الغرض من ذلك أن قيساً يتفق مع الحميريين ليحارب الفرس بعد أن يكون قد تمكن من رئاسته » فهنا نرى القوي يلتجىء الى الضعيف وكل ذلك لغايات سياسية

ولو كان لِما يزعم حضرة الاب صحة أي استنصار الضعيف بالقوي من لوازم الديانة او نتائجها او روابطها لقلنا ان جميع الدول المتعاهدة هي على دين واعتقاد واحد ، والا لما ارتبطت . والحال ان المسائل السياسية لا تعلق لها بالمسائل الدينية ، وهذا ما يفقههُ أصغر الولدان ، وكما تشهد عليـه الاحوال واحداث الزمان ، في الحال وسابق الأوان

ومن غريب كلام حضرة الاب لويس المحترم ان امرأ القيس استنجد بالقيصر

لوحدة الدين ولولا ذلك « لما خطر على بال احد أهل البادية خاطر الاستنجاد » وهو مع ذلك يُظهر في دليله التاسع ان القيصر كان أول من فكر بهذا الامر اذ كانت قد جرت مذاكرات منذ عهد الحارث بهذا الخصوص فتمّها على يد حفيده امرئ القيس. وعليه فأي الروايتين أصح ؟ وأيهما نصدق ؟ لا شك أن التعصب يبين من اثناء السطور . واللسان شاهد على ما في الصدور

واليك الآن دليله السابع : « من الدلائل على نصرانية امرئ القيس نصرانية عمتهِ هند بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى » . . . ثم قال : « وقد ذكرنا في المشرق (٥ : ١٠٦) الكتابة التي وضعتها في صدره وفيها تدل على نصرانيتها ونصرانية أبيها الحارث وابنها عمرو بن هند »

قلنا : أما نصرانية عمته وولدها عمرو فلا ننكرها . وأما نصرانية أبيها فمشكوك فيها. لان قوله : « ويكون الله معها ومع والدها » كما رواه المشرق فغير صحيح . والذي أورده ياقوت « ومع ولدها » أي ابنها . وهو الامر الذي يدفعنا الى ان أباها لم يكن على دين النصرانية لتطلب الخير الاعظم لنفسه ولذا لم تقل : « ويكون الله معها ومع ولدها ووالدها » وكذلك قالت : « ويغفر خطيئتها ويترحّم عليها وعلى ولدها » ولم تذكر والدها لكونه لم يكن نصرانياً . وهذا يحملنا على القول بان أباها بقي مزدكياً حتى انها لم تطلب له ما طلبت لنفسها ولولدها من مغفرة الخطايا والرحمة والملك مع الله في مجد الآخرة . هذا ومن أعجب ما في هذه الحجة الاستدلال بمذهب عمة امرئ القيس على مذهبه مع ان حضرة الاب المستدلّ لم يرضَ باستدلال من استدلّ بالنصوص الواضحة الصريحة على ان أباه وجدّه كانا على دين المزدكية . ومن المعلوم ان الولد في الغالب المشهور يكون على دين آبائه لا سيما اهل الجاهلية . فلكم قالوا : « إنّا وجدنا آباءنا على أمة وانّا على آثارهم مقتدون » ولم نسمع أنهم قالوا :

ان الولد على دين عمته أو خالته كما أسلفنا قبل هذا

ودونك ما تقول عن الدليل الثامن : الاستدلال على نصرانيــة امرئ القيس بكون أمهِ كانت تغلبيةً ومن ثم انها كانت نصرانيةً وعليه فامرؤ القيس نصراني هو في غاية الضعف والوهن . فقد مرّ بك أن تغلب لم تكن « كلها » نصرانية ولا سيما قد أبنّا لك ان أخوي فاطمة أمّ امرئ القيس وهما كليب والمهلهل كانا على الوثنيــة فكيف يُستنتج بعد ذلك أن امير الشعراء كان نصرانياً ؟ هذا وقد يكون في البيت الواحد عدة اشخاص ولهم اديان مختلفة وهو أمر مشهور في الجاهلية

ثم ان الاب قد ذكر في دليله التاسع ما زين لنفسهِ ان يقول انه اقوى الادلة وهو ارسال الملك يستنيان ننوس سفيراً الى الحبشة والحميريين وقبائل البادية لكي يولي امرأ القيس رئاسة فلسطين . نعم ان هذا لا يبقي شبهةً في ارسال ننوس المذكور الى الحبشة والى امرئ القيس . لكن لا نرى كيف يستدل بذلك على نصرانية الشاعر والملك الضلّيل . ولقد أجبنا أن مثل هذا لا يستنتج منــه وحدة الدين في المولّي والمولّى بل يتحصل منه حسن التواصل بين القيصر والشاعر لاغير . وقد فعل القياصرة مثل ذلك في غير النصارى كما يشهد بذلك التاريخ والامثلة كثيرة فلتراجع في مظانها

وأما دليله العاشر فلا يخرج عن دائرة المعنى المتقدم ذكره والجواب عليه واحد . فليعد اليه والعود احمد

فيتحصل مما تقدم شرحةُ الحقائق الآتية وهي :

١ً — ان امرأ القيس كان مزدكياً ولا ريب في ذلك . والسبب هو لان أباه وجدّه كانا على هذا الدين . ومن ثم فالابناء يُعتبرون على دين آبائهم ان لم يأت ذكر صريح بكونهم اتبعوا ديناً آخر. ولما لم نقف على أثر يؤيدأن امرأ القيس خالف دين آبائهِ فالنتيجة واضحة كون الابن اتبع الاب في مذهبه . على اننا لا نريد بقولنا انه كان

مزدكياً كان من المتحمسين في دينه ؛ كلا . بل على حد ما كان الغير متبعين اديانهم . يعني انهم كانوا ينتحلون من الدين ظواهره وقشوره لا غير

٢ً — لا يجوز لنا ان نقول ان فلاناً من اهل الجاهلية كان على دين كذا ما لم يصرح بذلك احد الأئمة . فان حُرمنا هذا السند فيجب حينئذ أن تتضافر عدة أدلة لامعة على سدّ مسدّ هذا السند والا فمن اللازم أن يُعدّ ذلك الرجل بين جماعة المتدينين بدين دهماء العرب أي التوحيد مع عبادة الاوثان أو بدين طائفة عقلاء العرب وحكمائها يعني بالحنيفية

(حاشية : — ان الائمة من المتكلمين في الادب واللغة والتاريخ قد ذكروا كل من كان على دين من اهل الجاهلية وصرحوا به تصريحاً بيناً . ولم نجد احداً نسب النصرانية الى امريء القيس الا أنهم نسبوا المزدكية الى ابيه وجدّه ولهذا ورد فيه : « انه القائد لمن سلك مسلكه الى النار » مع ان كلام الائمة في اهل الفترة يأبى كونهُ من اهل النار اذا كان على النصرانية أو اليهودية يعني اذا كان من اهل الكتاب)

٣ً — الاستدلال بأسماء العرب او بدين قبائلها وعشائرها وأقوامها على حقيقة دين الواحد منها أو ببعض عوائده الملية او ببعض مُبهم اشاراته وتلميحاته وكلامه غير كافية لاقامة الدليل على جوهر دينه . اللهم الا أن تجتمع هذه الحجج العامة مع حجج خاصة فحينئذ تحمل تلك محمل هذه فيتبين الحق و يتصرم الباطل . وهذان الدليلان يوضحان أن امرأ القيس على دين المزدكية ولم يكن ابداً على دين آخر ولا سيما النصرانية كما توهمهُ وأوهمه الاب لويس شيخو اليسوعي

٤ً — ان ما يزيد اشكالاً مسألة دين عرب الجاهلية وجود عدة اديان وفِرق كانت تقول كلها بالتوحيد . ولم يكن اليهود والنصارى وحدهم موحدين ففي القرآن آيات كثيرة تشير الى هذه الحقيقة . وكتبة العرب قد ذكروا معتقد تلك الفرق بحيث

لا يبقى في الامر شبهة البتة . وعليه فاننا ان عدلنا عن القول بمزدكية امريء القيس (وهو أمر بعيد) فلا جرم أننا نميل الى القول بأنه كان موحداً الا انه لم يكن نصرانياً مهما حاول الغير أن يثبتوه لضعف براهينهم في هذا الصدد . وفوق كل ذي علم عليم .

بغداد أحد قراء المقتبس

حكم انكليزية

الحياة

الحياة أمر خطير ولكنه بهيج محفوف بالنعم والفرص الثمينة

الحياة لا تقدر بالسنين فقط لان الحوادث احياناً هي أفضل ما تحصى منها

الامر الوحيد العظيم للمرء ان يكون له في الحياة مسلك خاص به

يكاد يؤسف لكل خطوة نسيرها في الحياة اذا تأملنا خطوات أخرى كثيرة كان يتيسر ان نخطوها

الحياة أمثولة في التراضي فاننا أبعد ما نكون عن الرضا متى نلنا كل ما نريد

جُعلت الحياة للعمل لا للبطالة — للكد في الخطر والخوف ولعمل شيء من الخير قبل ان يأتي الليل الذي ينقطع المرء فيه عن العمل وما كانت الحياة ليحاول بها المرء الاستمتاع بجنة في الارض

محن الحياة كثيرة تعرض على الدوام وكثيراً ما تغير في لمحة كل ما نفكر فيه ونشعر به

الطفولية والشباب

تنيخ حول الطفل جميع الفضائل الثلاث وهي الايمان والرجاء والمحبة

ليس في الطفل ما ينذر بمخاوف المستقبل ولا تذكّر احزان مضت

خصال الرجل في أوائل عمره خصاله اذا بلغ أشده

كل أمر يبدأ في الدنيا صغيراً فيما يتناوله المرء من الاعمال كما ان كل بشر يبدأ الحياة من الطفولية

الشباب سعادة علية في نفسه لان الممكنات منطوية تحته باسرها وليس فيه مالا يمكن رده

اكثر ما يعمله الانسان في حياته هو ما يعمله في شبابه

للشباب الخطأ وللكهولة الكد وللشيخوخة الاسف

العمل الواجب

ثق بان الحق عامل للقوة وعلى هذا الايمان اجسر ابداً على عمل ما تراه من الواجب عليك

العمل الواجب لا يعبس وجهه الا متى هربت منه واذا تابعته تبسّم

ان من يعملون ما يجب عليهم في الامور اليومية الحقيرة هم الاولى يقومون به في الشؤون العظيمة

ما عرفت انه يجب عليك فاعمله في الحال

ما يجب دائماً على كل انسان لرفقائه هو ان يعرف ما فيه من القوى والمواهب الخاصة ويؤيدها لنفعهم

يتكامل العقل لا بالعلم بل بالعمل

لا يهم كل انسان خيبة سعيه أو نجاحه بل ان يعمل ما يجب عليه حتى الموت بحسب ما له من النور

العمل والهمة

لا خطر للمرء ولا كرامة له الا بالعزم الفاضل

ما نفع العافية والحياة اذا لم نعمل بهما عملاً

من وجد عمله فقد وجد السعادة التي عليه ان لا يطلب غيرها

لا مبالغة بان العمل الخالص يكاد لا يضيع بتة فاننا اذا لم نجد الكنز الوهمي في الحقل اخصبناه بالعمل على الاقل

ألا تعلم أنك كلما كنت أنشط على العمل كانت سعادتك اكثر

لا تعدّ مواهب المرء شيئاً اذا لم تكن مقرونةً بموهبة العمل

من العجب ان بعض الناس يحسبون لذة الحياة بلاعمل أمراً باهراً وهم يسوقون غيرهم الى عمل بلا لذة

النجاح

ليس للانسان ان يقضي بالنجاح وله ان يفعل اكثر من ذلك وهو ان يستحقه

سر النجاح حصر الفكر في الشيء المطلوب وهو ما يسبق كل عمل عظيم في الحياة

سبب نجاح من يهتمون بامورهم ان منازعتهم كانت قليلة

تيقن ان عطية النجاح ليست الا اتقان العمل في كل ما تعمله بلا التفات الى الشهرة التي اذا اتفق أبداً وقوعها كانت من باب الاستحقاق لا من باب غرض يسعى اليه .

كيف تستطيع اتيان عمل في الدنيا او تنجح في شأن من شؤونها اذا لم تكن لك ثقة بنفسك

اذا شئت النجاح في الحياة فاجعل المواظبة صاحبك العزيز والخبرة مشيرك الحكيم والحذر أخاك الاكبر والرجاء خُلقك الحارس

بيروت يوحنا ورتبات

التعليم بالعربية

تحيا لغة كل أمة بحياة سياستها فاذا انتعشت هذه خدمت تلك فانتشرت ونمت . ومتى ضعفت السياسة ضعفت اللغة بضعفها . فقد رأينا اللغة الانكليزية تغلبت على الفرنسية أو كادت في معظم اقطار المعمور لان سياسة انكلترا وابنتها الولايات المتحدة نافذة في القارات الخمس ولأن الشعوب الانكليزية السكسونية أرقى الامم بعلومها وآدابها واخلاقها وصناعاتها ومتاجرها واستعمارها . واللغة أيضاً كالتجارة تابعة لعَلَم الدولة فحيثما خفق لواء أمة وانبسط ظل سلطانها تتغلب بالطبيعة لغة ذلك العَلَم والسلطان . والناس مفطورون على تقليد حاكمهم في منازعهِ ومناحيهِ تقليدهم له في شعاره . واللغة رأس كل تقليد وتشبُّه . وعلى هذه السنة جرى المغلوبون على امرهم من الروم والقبط والترك والفرس في الدولة الاموية والعباسية وأخذوا يتلقفون العربية خصوصاً بعد أن نُقلت لغة الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان الاموي من الرومية والفارسية الى العربية وقال سرحون كاتب عبد الملك لكتاب الروم : اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم

وقد اهتمّ الانكليز لما احتلوا هذا القطر بجعل التعليم بالانكليزية في مدارسهِ لينشأ لهم على الزمن جيل جديد يفهم مغازيهم ومراميهم ويكون عونهم على تأليف القلوب وواسطة للتفاهم فلا يستثقل ظلهم ولا يتبرم بدولتهم . ومن تعلم لغة قوم وثق بهم وعرف تاريخهم وشرائعهم وأشرب قلبهُ حبهم . ولطالما رأينا من تعلموا العربية من متعصبي الافرنج هاموا بالعرب وتاريخها وشريعتها ولا هيام اهلها بها وغاروا عليها غيرة الكرام . وكذلك الحال بالانكليزية مثلاً فانا نرى متعلميها يتشيعون لاهل تلك اللغة . ومن علم شيئاً والاه ومن جهل شيئاً عاداه

حمي وطيس الحوار في الشهر الماضي في بهو الجمعية العمومية في هذه العاصمة بشأن اعادة التعليم بالعربيـة في المدارس الاميرية المصرية الى ما كانت قبل سنة ١٨٨٩ فكانت حجة الحكومة ان العربية لا يتسع صدرها ولا ينطلق لسانها للعلوم العصرية وما تنتجهُ حضارة الغرب كل يوم من المسميات التي لا أسماء لهـا في هذه اللغة وانها لو سمحت الآن باعادة التعليم بالعربيـة في المدارس لأعوزها الاساتذة والكتب . وليس هنا محل تفنيد الآراء التي تمليها الاهواء السياسية في هذا الشأن . وانما نذكر رأينا العلمي في هذه اللغة التي يرميها المماحكون بأنه يتعذر عليها أن تكون بعدُ لسان العلم ومباءة الحكمة الغربية

ان كل منصف للعربية ليراها قد اتسعت لكل ما ألقي عليها من علوم الحضارة ومطالبها ولم تتحرج من ادخال الكلمات الدخيلة التي لا عهد لهـا بها فما وجد التراجمة والنقلة في العهد الاول مرادفاً له في أصـل اللغة وضعوه وما لم يروا له لفظاً أو مادةً يشتقون منها نقلوه على اصله او نحتوه بعض النحت بحيث لا يصعب على العربي أن ينطق به لمخـالفتهِ الصيغ المألوفة . هكذا جروا في معظم الالفاظ الفقهية والكلامية والفلسفية والنجومية والطبيعية والطبية والرياضية والزراعية والكيماوية ولم يكن التراجمة كلهم من الماهرين بالعربيـة بل كان المترجمون كثيراً ما ينقلون المعاني وعلماء اللغة والمحيطون بشواردها وضوابطها يضعون الالفاظ والمصطلحات وكثيراً ما كانوا يترجمون اللفظة الواحدة اذا عجزوا بجملة تفسرها . وهذا مألوف في معظم اللغات وقلما يكون لكل لفظة في لغة مرادف لها من اللغة الثانية ولا سيما اذا كان النقل من لغة غربية الى لغة شرقية كما كان صدر الدولة العباسية . والعلوم نقلت عن الرومية والنبطية والفارسية والنقل عن الرومية اكثر . والرومية غربية بعيدة عن العربية الشرقية في أسلوبها

ألا وان كتب الاسلاف لتشهد أبد الدهر بأن العربية تقبل كل دخيل وعلم .

وفي المؤلفات العلمية التي ظهرت في مصر على عهد محمد علي وسعيد اكبر دليل على ذلك

فقد كان المترجمون ينقلون الكتب الى العربية فيجيء المصححون في دار الترجمة يقوّمون العبارة وينظرون في بعض ما له مقابل من اللغة. كان ذلك قبل ثمانين سنة واللغة العربية منحطة لارتفاع سند العلوم الكونية من بين اهلها قروناً فما بالك اليوم وقد ارتقت لهجة اللغة واستحكمت ملكتها في القائمين على الكتابة والتدريس وصار كثير من العامة ممن شغفوا بالمطالعة يميزون بالفطرة بين صحيح الكلام وفاسده وأصبح اكثر تلك العلوم لأبنائنا مألوفاً بل غدا معظم المترجمين ينقلون في اصعب الموضوعات بأسلوب تكاد لا تقرأ فيه صورة الترجمة لسلاسته

نعم ان الواحد منا قد يصعب عليه اليوم نقل علوم لا عهد لنا بها كعلم الحياة (بيولوجيا) مثلاً فلا يكون ضعفهُ في ذلك دليلاً على ضعف اللغة التي لم تحشر الى ذهنه ساعة الترجمة ألفاظها وتراكيبها بالسرعة التي يريدها بل الذنب كل الذنب على جهله ذلك العلم لان فهمهُ يتوقف على الاحاطة بعلوم كثيرة ليست من المألوفات عنده. وأنى يتأتى لمن لا يفهم الاصل أن يحسن نقله بألفاظ وأسلوب يفهمهُ من لم يفهمهُ واللفظ والمعنى يخونانهِ؟. ولو درسنا هذا الفن على اهله لما صعب علينا نقله بأسره فنترجم الالفاظ التي لا مرادف لها عندنا بجملة ريثما يقوم من يضع لها مرادفاً في لغتنا أو نأخذها كما هي في اللغات الافرنجية على نحو ما اخذنا كثيراً من الالفاظ في العهد الاخير وأدمجناها في مطاوي كلامنا

والعربية ليست دون التركية في معنى النقل فان الاتراك فتحوا باب النقل من اللغات الاوربية فاغتنت لغتهم على قلة مادتها الاصلية بآداب الامم الغربية وعلومها. ولو أتيح للعربية أن يعاد قلم الترجمة الى القاهرة كما كان لا يصعب على المدارس الابتدائية والثانوية والعالية أن تسير مع العلم الغربي كتفاً الى كتف. فلا يفوتنا هنا اليوم ما نُشر في الغرب أمس. وكيف يطلب من العربية الآن أن تحوي كتباً بأحدث

ما تمّ من ابحاث العلم واكتشافاته بعد أن بطلت منها الترجمة في العلوم العصرية منذ أبطلت كلية بيروت الاميركية تدريس العلوم بالعربية وجعلتها بالانكليزية وقضت نظارة معارف مصر أن تكون الانكليزية ايضاً لغة المدارس وضعف تعليم آداب اللغة في مدارس الاجانب في سورية وفي المدارس الاميرية بمصر

وكان من هذا الضعف أن زهدت النفوس في تعلم لسان العرب وانتهى أمره الى نفر من المولعين بهِ وهم افراد لا يبنى عليهم حكم في مصر والشام والعراق وتونس . بل وكلت خدمتهُ لمرتزقة الكتّاب كأكثر محرري الجرائد وكتاب الروايات وبعض أساتذة المدارس ومعظمهم لا يهمهم من اللغة الا أن يكتبوا ما يُطلب منهم أو يعملوا في الدائرة التي حددت لهم . وبديهي أن الناس لا ينبعثون الى التأليف في لغة الا اذا وجدوا المنشطات عليه والدواعي الحافزة اليه كأن تقبل الدولة ما يؤلفون وتنيلهم الجوائز عليه وتطبعه على نفقتها وتدرسه في مدارسها . وانما يرغّب الناس في العلم وهو أشق الصناعات وأشرفها رواج سوقهِ بين الخاصة والعامة ولكن اذا رأى المؤلفون أن بضاعتهم مزجاة وأن ارقامهم كعباً لا يربح من قلمهِ ما يسدّ جوعتهُ وأسعدهم من لم يُضطهد في سبيل نشر علمهِ فهيهات أن تنشط اللغة من عقالها . واذا لم توفق مصر الى جعل التعليم بالعربية يستحيل أن توجد كتب علمية أو ينشأ لها نشوء يحسن الكتابة والخطابة على مناحي البلغاء . دع عنك الافراد فانهم لا يخلو منهم زمن مهما بلغ من انحطاطهِ العلمي والاجتماعي

يا عدل

متى تحضر نطب يا عدل بالا ... واما ان تغب عنا فلا لا
وكم واعدتنا يا عدل وصلاً ... رجوناه فلم تُنِل الوصالا
وطالبناك بالانجاز لما ... مطلت فلم تزد الا مطالا

الى الناس التفت يا عدل يوماً — فان عليك للناس اتكالا
زوالك لا تهنّأ محضروه — يكون لعز مملكة زوالا
وان السعد حيث طلعت يبدو — وان الامن حيث تميل مالا
وانك كالصباح اذا تجلى — وأسفر عن عمود قد تلالا
وانك قد اضأت الناس قدماً — وانك كنت حينئذٍ هلالا
فكيف وانت هذا العصر بدرٌ — بلغت تمام ضوئك والكمالا
تُواري نورك المحبوب عنا — وتحجب عن محبيك الجمالا
أقم للحق ديواناً عظيماً — ورخّص كي نلمّ به عجالى
فنقرأ في ظلامتنا كتاباً — ونشكو في حضورٍ منك حالا

⁂

وقفت وأعيني مغرورقات — على ربع لميّة قد أحالا
على ربع لمية زايلته — ولم يكُ عرف مية عنه زالا
أسائله فلم يُرجع جوابي — كأن الربع ما فهم السؤالا
وقفت محاذياً طللاً حكاني — به وحكيت دارسه هزالا
كأني اذ أسائلهُ خيالٌ — يخاطب في معطّلة خيالا
ذكرت به زماناً فيه ميٌّ — تلاعبني وتوليني الوصالا
وصالاً قد نعمتُ به كأني — شربتُ به على ظمإٍ زلالا

⁂

ألا يا ميّ حبك في فؤادي — كمثل النار يشتعل اشتعالا
أبيني كيف ليلك قد تقضى — فبعدكِ ليلنا يا ميّ طالا
أمية نوّلينا منكِ قرباً — أمية ثم لا تذري النوالا
ولم نك اذ منعتِ الوصل ندري — أبخلاً كان ذلك أم دلالا
أذنب يا رعاكِ الله أنّا — عشقنا منكِ يا ميّ الجمالا

⁂

أدرْ في الربع عيناً منك وانظر ... الى حالٍ اليها الربع حالا
تولّى فيه عنك العيش حلواً ... فخلّ العين تنهمل انهمالا
وما الربع الذي أخبرتُ عنه ... سوى الوطن الذي ركناه مالا
وليس سوى العدالة ما هوينا ... وميٌّ قد ذكرناها مثالا
اذا أمست حياة المرء عِبئاً ... عليه لا يطيق لها احتمالا
ولازمه من الاحزان داء ... وأصبح داؤه داءً عضالاً
وقد فرحت أعاديه شِماتاً ... وفارقه أحبته ملالا
فليس سوى الحمام له طبيب ... يداوي منه آلاماً توالى
فان الموت يرحمه وينفي ... خطوباً قد نزلن به ثقالاً
وان الموت ملتجأٌ كريم ... لمن ألقى بساحته الرحالا
فزرنا عاجلاً يا موت زرنا ... فان لنا بزورتك احتفالا
ويا نفس ارحلي عنا فغينا ... بقاؤكِ لم يكن الا ضلالا
ودوسي في طريقك كل صعب ... بعزم تنطحين به الجبالا
فانك ان برحتِ الجسم منا ... سموتِ الى ذرى جو تعالى

نفرّ من الحياة الى المنايا ... لان حياتنا أمست وبالا
نريد من الكروب بها خلاصاً ... وعن دار الهوان بها ارتحالا
وان لنا اذا متنا حياةً ... ننالُ الى السماء بها انتقالا
ستخرج عن مضيق الجسم روحي ... وتُلفي في الفضاء لها مجالاً
بقاء الروح بعد الجسم أمر ... به اختلفوا ومن يدري المآلا
فقال البعض ان الروح تبقى ... اذا انفصلت عن الجسم انفصالا
وقال البعض ان النفس تفنى ... اذا لاقت قوى الجسم انحلالا
فظن بقاءها حتماً أناس ... وعدّ بقاءها قومٌ محالا
وقد قلنا به ونفاه بعض ... وان لنا مع النافي جدالا

هنود اميركا

لما وطئت أقدام البيض قارة أميركا ألفوا أنحاء كثيرة منها مأهولةً بالهنود فدهشوا لما رأوا ، كما عجب الهنود من رؤية البيض وتوهموهم آلهـةً بادي الرأي . فاخذوا يسجدون لهم ويعبدونهم ويقدمون لهم الهدايا النفيسة كالقطع الذهبية الكبيرة التي لم يكن لها قيمة عند الهنود

ولقد وهم المكتشفون الاوربيون في ظنهم أن سكان أميركا الاصليين على جانب من الحضارة والعمران ، بيد أنهم لم يلبثوا في ذلك العالم الجديد طويلاً حتى تحققوا أن أولئك الهنود قوم جهلاء انقضت عليهم ألوف من السنين وظلوا على حالة واحدة من الخشونة والجهالة . فكانت الفلاحة عندهم في ذلك العهد غير معروفة . وكانوا يعيشون من الصيد وثمار الارض الطبيعية . وكانت بنادقهم أقواس النشاب ورصاصهم الاحجار المحددة وسيوفهم العظم والصوّان

وكانت مساكنهم من تراب الارض وأعشابها . ولم تكن الا اكواخاً حقيرة ملأى بالاقذار لا ترتيب فيها ولا نظام . وكان معظمهم بدون مساكن يعيشون كالحيوانات البرية ، واذ كانوا يطوفون البقاع والربوع للقنص والصيد اضطرتهم حالة الاقليم الى عمل الخيام من جلود الحيوانات التي كانوا يصطادونها ويعيشون من لحومها وكثيرون منهم ما برحوا عائشين كسابق عهدهم

اهتمّ علماء أوربا بأمر أولئك الهنود فأخذوا يبحثون عن أصلهم وانقضت عشرات السنين على أبحاث كثيرين منهم والى اليوم لم يتوصلوا الى معرفة ذلك . فذهب فريق من العلماء الى أن أصل هنود اميركا من أوربا ، وذهب فريق آخر الى أن اصلهم من آسيا وهذا المذهب هو المعوّل عليه اليوم

أما كيفية نزولهم أميركا وعهد مجيئهم اليها فهما من المسائل الغامضة عند أهل

البحث والعلم اذ ليس من تاريخ لذلك وليس ثمت آثار تفيد في هذا الباب على ان أصل الهنود واحد وهم عريقون جداً في القدم

والدليل على ان الهنود من أصل واحد تشابه سحناتهم على تباين عشائرهم في جهات من مختلف الاقاليم في قارة أميركا . والدليل على قدمهم تفرع لغتهم الأصلية التي تختلف من الخمسين الى الستين فرعاً . وكل هذه الفروع منسوبة الى أصل واحد هو الأصل السامي . ويستلزم تفرع هذه الفروع العديدة من لغة واحدة دهراً طويلاً

وبحث جمهور من علماء القرن المنقضي عما اذا كان هنود أميركا من أصل قبل الطوفان أو بعده فكانت نتيجة ابحاثهم بأن أقرّ فريق منهم على ان الهنود من أصل قبل الطوفان . وذهب فريق آخر الى ان أصلهم من بعد الطوفان . والحقيقة انهُ ليس هناك أدلة تدل دلالة صريحة بحسب قوانين العلم الحديث على كون هنود أميركا من أصل بعد الطوفان . فعوائد الهنود تدلّ على انهم كانوا في أميركا منذ أكثر من خمسة آلاف سنة . ويقول علماء الدين انهُ انقضى على الطوفان نحو أربعة آلاف سنة . فاذا صحّ هذا الزعم فيكون مذهب الذاهبين الى ان الهنود من أصل بعد الطوفان فاسداً

ورجح علماء أصول اللغات في هذا العصر ان أصل لغة الهنود ساميٌّ وان هؤلاء الهنود من آسيا . ولقد تأملت ملياً في كثيرين منهم في أوقات مختلفة فوجدتهم يشبهون الكلدان وعرب البادية من وجوه كثيرة . وغنيّ عن البيان ان قارة آسيا أقرب القارات من قارة أميركا الشمالية . فالحاجز بين القارتين خليج بيرين المعروف

***

عرف عام ١٨٩١ ان لكل قبيلة من الهنود لغة مختصة بها وثبت ان للهنود ٥٩ لغة . اما عدد عشائرهم فقد ناهز الثمانمائة عشيرة . وعدد الهنود في الولايات المتحدة الآن ....، ٢٦٧ نفس ٨٠ الفاً منهم على جانب من التمدن و٠٠٠، ١٧٧ لايزالون

على جانب عظيم من التوحش كما كانوا في القرون الغابرة و٦٠ الفاً يحسبون من جماعة المصوتين في انتخابات الرؤساء والحكام والولايات . ولم يبق من أملاك الهنود الخصيبة التي كانت على التحقيق ٢٧٦ مليون آكر غير سبعة ملايين وأكثرها من الاراضي التي لا تصلح لغير رعي الماشية

ويرد تاريخ مساعي حكومات الولايات لتهذيب الهنود الى عام ١٧٧٥ فانها أخذت على ذاك العهد تنفق المبالغ الطائلة في تعليمهم فذهبت تلك الاموال ضياعاً لان الهنود غلاظ الرقاب ميالون الى اللهو وقضاء العمر في التنقل من بقعة الى أخرى. ولئن ذهبت اتعاب الولايات المتحدة بدون جدوى في أول الامر فان هذه العقبات لم تقف في طريق الحكومة الغيورة على تهذيب شعوبها . فقد جدد مجلس الامة الهمة عام ١٨٧٧ وبدأ بافتتاح المدارس الخصوصية للهنود لتعليمهم أولاً القراءة والكتابة والحساب . ثم العلوم وواجباتهم نحو الدولة والامة والوطن والدين والانسانية

ولم يأت ربع قرن على تأسيس تلك المدارس بين الهنود حتى استنار كثيرون منهم بقبس المعارف وأصبحوا يعدون من رجال الدولة والامة فكان من حكومات الولايات انها أبدت بما قامت مثالاً لكل دولة لاتحفل بتهذيب شعوبها وان التهذيب هو مطلب هذا العصر وان العزائم القوية تبدد غياهب الجهل وان الهمم العلية تخترق جبال المصاعب

وبعد فقد كان الهنود سابقاً يعدون بالملايين أما اليوم فقد انقرض معظمهم ولم يبق منهم اكثر من ٤٠٠ الف نفس ذلك لان حكومات الولايات حصرتهم في بقاع خاصة في أميركا الشمالية . فحرموا من المنافع الصحية التي كانوا يتمتعون بها أيام كانوا يمرحون ويسرحون في طول البلاد وعرضها أيام لا منازع ينازعهم ولا حاكم يقيد حديثهم أيام كانوا يعيشون من خيرات الارض الطبيعية وصيد الحيوانات

ومن أسباب انقراض نسل هذا الشعب المتوحش القديم حصر الزواج في العيال

والعشائر ولولا اختلاط زواج الهنود ببيض أوربا وعبيد افريقية لكان عددهم اليوم قليلاً جداً . ولعلّ لبقاء الا نسب فعلاً في الامر والله أعلم

الولايات المتحدة .أوماها نبراسكا يوسف جرجس زخم

مقاومة الالكحول

ثبت للباحثين في أدواء المجتمع الاوربي منذ أوائل القرن التاسع عشر ان الالكحول على اختلاف أجناسها تحدث المضار الجسيمة فتهلك الانفس وتبيد الاموال وتشوه الخلقة وتؤثر في النسل والعقل وان أقل ما يصيب المدمن جنون مطبق وسبة يلحقه عارها أبد الدهر فقام الصالحون من أهل ذلك المجتمع يناهضون الالكحول دفعاً لغوائلها ولا سيما في البلاد التي يزعم بعضهم انها وقاية لهم من برودة الجو كروسيا والسويد وشمالي فرنسا ونورمنديا وايرلاندا .

توفر المقاومون على مناهضة المسكرات فأثمرت أعمالهم على توالي الايام ثمرات غضة نافعة جناها أهل بلادهم فكان من السويد بفضل وعظ الواعظين ان أصبح يصيب الفرد من أهلها في السنة ستة لترات من المسكرات بعد ان كان يصيبه سنة ١٨٣٠ أربعون لتراً وكان بدأ الافراط في تعاطي المسكرات ببلاد السويد منذ أواخر القرن الثامن عشر . وقد جاهد بطرس ويزلكران عميد مدينة غوتمبورغ ثلاثين سنة جهداً حسناً فوفق عام ١٨٥٥ الى وضع حد للالكحول وكانت أفكاره في هذا المعنى أساساً للقوانين التي سنتها حكومة السويد وجرى العمل بها . وهذه الاعمال ترمي الى الشدة في معاملة بائعي المسكرات وصانعيها .

قالت الطان ضربت الحكومة السويدية على صانعي المسكرات ضرائب فاحشة وأخذت تزيدها الحين بعد الآخر حتى بلغت سنة ١٨٨٨ — ١٣٨ فرنكاً على كل

هكتولتر (مئة لتر) فعجزت المعامل الصغيرة عن صنع المشروبات اذ قضي على كل معمل ان يخرج في اليوم أربعة هكتولترات من الالكحول الخالص أو يغلق أبوابه ولم تسمح الحكومة بتنزيل هذا المعدل الى هكتولترين ونصف الا سنة ١٨٧١ وحظرت عمل الالكحول الا في شهرين من السنة ثم تسامحت ورخصت على توالي السنين بأن تصنع سبعة أشهر في السنة . فكان من ذلك ان قلّ في السويد عاصرو الخمر فبعدٌ ان كان فيها سنة ١٨٢٩ — ١٧٢ ، ١٢٤ معملاً نزل عددها سنة ١٨٩٨ الى ١٢٨ معملاً

وجعلت السويد بيع المسكرات حراً في الجملة الا انها جعلت معدل ما يباع منه بالجملة ٢٥٠ لتراً وان لا يباع بالمفرق أقل من لتر واحد ليأخذها المبتاع معهُ ولا يشربها في محل ابتياعهِ لها . وعاملت الحانات بأقصى الشدة فأمرت أهلها ان يغلقوا محالهم الساعة الثامنة مساء في القرى والساعة العاشرة في المدن ولم تسمح لبائع المسكر ان يتقاضى مالاً من غريم له باعه خمراً بالنسيئة . وضربت اثنين وأربعين فرنكاً ضريبة على كل هكتولتر من الالكحول الصافي فأصبحت تمر في أربع ولايات من تلك البلاد فلا ترى فيها محلاً واحداً لبيع المسكرات

وقامت جمعيات تنشيء مطاعم لا يُقدم فيها الشراب الا باثمان فاحشة وأنشئت في انحاء كثيرة من البلاد غرف للمطالعة ليلهو فيها العامة عن الاختلاف الى الحانات فنزل معدل تناول المشروبات الروحية في العشرين سنة الاخيرة الى أربعين في المئة بمدينة استوكهلم والى خمسة وأربعين في مدينة غوتمتبورغ وسنت سنة ١٨٩٢ قانوناً اجبارياً يقضي فيه على جميع المدارس ان تلقي دروساً في طبيعة الالكحول وتأثيراته المضرة

وقد حذت سويسرا حذو السويد في مقاومة المسكرات فقامت في كل ناحية من انحائها جمعيات تدعو الى الاقلاع عن المسكرات وجمعيات لمقاومة الالكحول ومؤتمرات للدعوة الى مقاومة الابسنت لانه ثبت انه من أضر المشروبات الروحية . ولما قتل أحد السكيرين

في مقاطعة فود زوجته وأبنيته منذ سنتين هاج أهالي تلك المقاطعة وقدموا للحكومة محضراً فيه زهاء ٧٥ الف توقيع وهو ربع عدد السكان . فاضطر مجلس النظار هناك الى اصدار قانون شديد في منع المسكرات وحصرها حتى كان ربح تلك المقاطعة وحدها من احتكار الابسنت نحوستة ملايين فرنك هذه السنة وقد أضرهذا الاحتكار بكثير من أرباب معامل الابسنت واقفلت بيوت كثيرة كان أهلها يرتزقون منهُ فآثرت الحكومة مصلحة البلاد على مصلحة الافراد . وهكذا لكل حين تنشأ المجامع وتعقد الجمعيات لمقاومة المسكرات في الجمهورية السويسرية

وكذلك فعلت ايرلاندا فنادى رجالها سنة ١٨٣٨ بالاقلاع عن المسكرات وكان بلغ اذ ذاك عدد محال بيعها ٢١٣٢٦ وما برحوا يكافحونها وأهلها حتى نزل عددها الى نصف ذلك بعد عشر سنين وأغلقوا الباقي ويقل اليوم في ايرلاندا عدد السكيرين واحداً في المئة كل سنة فقد كان يصيب الفرد من الايرلانديين سنة ١٩٠٣ سبعة وثمانون فرنكاً في السنة ثمن المشروبات فأصبح معدل ما يصيبه سنة ١٩٠٥ خمسة وسبعين فرنكاً ولا يزالون يسعون الى تقليل هذا المعدل . ويؤخذ من الاحصاءآت الأخيرة ان في نيويورك وسكانها نحو ثلاثة ملايين ونصف ١٠٨٢٠ محلاً لبيع المسكرات بالمفرق وفي باريز وسكانها مليونان ونصف ٣٠٠٠٠ . وفي لندن وسكانها أربعة ملايين ونصف ٥٨٦٠ محلاً

هذه خلاصة ماتلوناه بالافرنجية في هذا الشهر وكنا كلما تلونا احصاء أو فكراً نافعاً في هذا الباب نذكر ما قاله بنتام المشرع الانكليزي (١٧٤٨ — ١٨٣٢) في كتابه أصول الشرائع من ان الخمر في الاقاليم الشمالية يجعل المرء كالابله وفي الاقاليم الجنوبية يصبح بهِ كالمجنون ففي الاولى يكتفى بالمعاقبة على السكر لانه عمل فظيع وفي الثانية يجب منعه بطرق أشد لانهُ أشبهُ بالتشرر ولقد حرمت ديانة محمد جميع المشروبات

الروحية وهذا التحريم من محاسنها . فاذا رددناه ذكرنا ان هذا التحريم لم ينفذ بالفعل في الممالك الاسلامية الا على عهد نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام وديار الجزيرة فانه أبطل صنع المسكرات في أيامه من البلاد واقفل الحانات وعاقب الشريب الخمير بأقصى العقوبات فانتفعت البلاد من هذا المنع الشديد فوائد حسن أثرها على عهد خلفه صلاح الدين يوسف ومن بعده

نبأ من الصين

من مقالة في المجلة البارزية

للصين اليوم عشرون فيلقاً في كل واحد منها فرقتان تحتوي على ١٢٥٠٠ جندي وتؤلف كل فرقة من اربع كتائب من المشاة وكتيبة من الفرسان وثلاث بطاريات مدفعية وجماعة من المهندسين ويخدم الجندي في العسكرية تسع سنين ويخدم ثلاث سنين رديفاً يخدم فيها شهرين على رأس كل سنة بحيث يتأتى للصين أن يكون لها زمن الحرب مليون جندي منظم . وكان أبناء الاسرات الشريفة يستنكفون من خدمة الجندية أما اليوم فان اشرافهم يخدمون ضباطاً عن رضى لما أشربتهُ قلوبهم من حب بلادهم وكذلك تجد بين الجنود شباناً جازوا الامتحانات الادبية وآثروا خدمة أوطانهم على تقلد أعمال رابحة وليسوا في صبرهم على المكاره ورشاقة ابدانهم وخفة حركاتهم دون اليابانيين في شيء

وقد كان في أواخر سنة ١٩٠٤ في الصين اثنتان وعشرون مدرسة حربية فيها ٣٣٦٤ ضابطاً وأساتذتهم من الالمان واليابانيين وترسل الحكومة بأذكاهم عقولاً الى اليابان يتممون فيها دروسهم في المدارس الحربية يدرسون مع شبان يابان ويماثلونهم في نحوصهم حتى اذا خرجوا من المدرسة يقضون في الجيش الياباني ثلاث سنين أو أربعاً يمرنون فيها على الاعمال الحربية

يدخل الصين كل سنة نحو ثلثمائة ضابط واذ أضيف الى هذا العدد نحو ثمانمائة أو تسعمائة ضابط ممن يتخرجون في مدارس الصين نفسها كان للصين كل سنة ١٢٠٠ ضابط جديد معلّم وهناك ضباط من الدرجة الثانية يمكن استخدامهم عند نشوب الحرب كما فعلت اليابان في حربها الاخيرة مع الروس واستعملت من كان لديها على شاكلتهم. وقد قضت الامبراطورة على كل حاكم كبير أن يبعث الى يابان أو الى مدرسة نانكين العسكرية بأحد بنيهِ يتعلم فيها الاعمال الحربية وأخذ ضباط الصينيين يحذون حذو ضباط اليابانيين في عنايتهم بالجند وتدريبهِ على الاعمال الحربية

تعتني الحكومة الصينية بأسطولها الحربي فانه بعد أن دُمر في الحرب اليابانية أخذت تعيد انشاءه بواسطة رجال قدموا للصينيين (خصومهم سابقاً) عدة طرادات ومدفعيات وقد أنزلت بعض هذه السفن الحربية الى البحر في خلال الحرب اليابانية الروسية وافتخر الاميرال الياباني الذي كان برأس حفلة تسيير هذه السفن بأنه لم يعهد أن دولة أوربية سلمت سفناً حربية وجعلتها تحت امرة بلاد أخرى على حين هي مشتبكة في حرب اهوالها على ما ترون. هذا مع ما توصي عليه الآن الصين من السفن في المعامل الالمانية والانكليزية

كل هذا تقوم به حكومة ابن السماء لتحسين حال الميزانية فانها بعد أن كانت ٣٥٠ مليون فرنك اصبحت مليارين ونصفاً. ولقد كانت العادة أن يعهد الى حكام الولايات بجباية الاموال من مقاطعاتهم فيقضى عليهم القيام بجميع نفقات حكومتهم وارسال ما بقي من الجباية الى بكين. و بديهي انهم كانوا يخفضون النفقات و يقتصرون منها على ما لا بدّ منه ويرسلون الى خزينة العاصمة أقلّ من القليل. ولطالما كان الحاكم يتنحى عن عمله بعد أن يتولاه ثلاث سنين بعشرة ملايين فرنك ربحاً خالصاً له على حين لم يكن راتبهُ ليتجاوز مائتي ألف فرنك ويقضى عليه ان يوزع من ثمانمائة الى تسعمائة الف فرنك رشوة

أما الآن فقد أخذت هذه العادات تتعدل بفضل حزب الاصلاح . نعم ان خونة الموظفين ما برحوا هم السواد الاعظم بين العمال على انه حدث منذ سنين ان حكاماً منهم خلعوا ربقة العادات القديمة وعفوا عن مال الامة والتلاعب بها ليغتنوا من الرشوات . وأخذت الحكومة تجبي الجبايات على طريقة منظمة تتعلق بقصر بكين مباشرةً . وأصدرت الامبراطورة بتحريض حزب الاصلاح أمراً تتهدد فيه الموظفين بأشد العقوبات والتعذيب اذا هم ارتكبوا وارتشوا . ووعدت انها تزيد الرواتب اذا رأت انها لا تقوم بنفقاتهم بحيث لا يبقى للحكام حجة يتوكأون عليها في تلاعبهم وقد كان ارتشاء حكام الصين أهم سبب لضعف مملكةَ ابن السماء

ولا بد من التنويه هنا بأن الصينيين مابرحوا يستحلون جميع الاختراعات الاوربية ويقبلونها واحداً بعد واحد فقد اتصلت مدنهم الكبرى منذ بضع سنين بالاسلاك البرقية والتلفونية . ولكن الصينيين يستنكفون من مخاطبة البيض وبعبارة أخرى الاوربيين بواسطة التلفون ويستعملونهُ فيما بينهم في التخاطب . وان وزراء الصين يبدون ارتياحاً لانشاء الخطوط الحديدية وقد ذهبت الايام التي كانوا يزعمون فيها ان تنين الارض يجرح اذا مدت الخطوط فيغضب وتكون الهزات الارضية دليل غضبه . ففي الصين اليوم عشرة آلاف كيلومتر من السكك الحديدية أنشيء بعضها أو مُنح امتيازه ويعمل به . وتخلف بعض الشركات الاجنبية عن الاسراع في مد الخطوط الحديدية دعا حكومة الصين ان تعمد بعد الآن الى مد السكك على نفقتها وتحرم البيض منها ، وكل من يتسامح بعد الآن مع شركة اجنبية غير صينية من الحكام يعزل من وظيفتهِ مؤبداً . لا جرم ان الصين ايضاً تحاول ان تنزع ربقتها من اليابان بعد أن تأخذ عنها ما تحتاجهُ الآن كما حاولت نزع يدها من يد الاوربيين من البيض

قال أحد رجال الاصلاح فيهم : ان بلاد يابان على ما دخلها من الاصلاح منذ

سنة ١٨٦٨ ما برحت بلاد مملكة اقطاعات وحكومة أشراف ووراثية أما الصين فحكومتها في الحقيقة أميل الى الجمهورية ولذلك تختلف مقاصد الحكومتين . ومن المعلوم في التاريخ ان الصين ويابان قلما اتحدتا والاوربيين لا يستفيدون من الشرق الاقصى الا بدوام المباراة بين مملكة الشمس المشرقة ومملكة ابن السماء والظاهر انهم يحاولون تطبيق مذهب مونرو على بلادهم القائل أميركا للاميركيين فعساهم يقفون عند هذا الحد ولا يقولون أوربا للآسياويين

كتاب من العالم الجديد (١)

القانون الأساسي أعظم أسباب نجاح الولايات المتحدة وقد جاء فيه ان الولايات المتحدة ليس لها دين رسمي وان الاديان كلها سواء في نظر الحكومة . ولهذا ترى الحكومة لا تنفق درهماً واحداً على معهد ديني وأهل كل دين يبنون معابدهم من مالهم لانفسهم والمدارس خالية من التعاليم الدينية فيأتي المهاجرون الى أميركا بالالوف من جميع العناصر والنحل ولا يعدون أنفسهم غرباء بل يرسلون أولادهم الى هذه المدارس يتخرجون فيها على النحو الذي ينشأ عليه أولاد الاميركان الأصليين . وقد كتبت اليك سابقاً ان هذه المدارس حرة مجانية اجبارية للذكور والاناث .

هذه المدارس لاتعنى بالتعليم العقلي فقط بل تصرف وكدها الى تعليم أمور تعود بالمنافع الجسمية . فتعلم التلاميذ أصول اللبس والمشي لئلا يعتادونهما على غير الصورة المناسبة كما تعلم الطبخ وتدبير المنزل . والمدنية بهذه المدارس منتشرة بين أهل الحواضر والقرى على نمط واحد . وأعظم فرق بين مدارس أوربا والمدارس هنا ان أهل أوربا يعلمون صبيانهم في مدارس على حدة وبناتهم في مدارس خاصة بهن .

---

(١) بعث به أحد أعيان المسلمين السائحين من مدينة أوكلا في الولايات المتحدة الى قريب له في القاهرة

والبنات والصبيان هنا يدرسون في مدرسة واحدة في المدارس الابتدائية والعالية يتربون سوية من الخامسة الى الثامنة العاشرة أو العشرين من العمر . ويدعي الاميركان ان لهذه التربية محسنات جسيمة لم تثبت لي صحتها . ولكن مما لا شبهة فيه ان البنات يترجلن فترى الابنة الاميركانية متخلقة بأخلاق الصبيان ولها من الجرأة والاعتماد على النفس ما للصبي . وان الرجال يحترمون النساء كثيراً بحيث يبلغون حد الافراط في ذلك ويعدون من أعظم الجنايات التعدي على امرأة أو ابنة ولو كانت زنجية

ترى الفتاة الجميلة ذاهبة وحدها في المحال البعيدة ولا يجسر امرؤ ان يقترب منها أو يسمعها كلاماً بذيئاً لئلا يجلب عليه عمله هذا ضروب البلاء . ذلك ان القوم اذا رأوه يكلم من لا تريد مخاطبته يتعذر عليه الخلاص منهم فيضربونه ويدمونه وربما ضُرب بحيث يوشك ان يهلك . واذا قبضت الحكومة عليه تجازيه جزاء شديداً . واذا اعتدى معتد فاستباح العرض أو ما يشبهه فاعدامه أمر محقق على أي حال كان . وقد شهدت بعض حوادث من هذا القبيل وذلك ان عبداً صفع امرأة على خدها فأدى ذلك الى سقوطها في الوحل فاجتمع الناس فبحثوا عنه فوجدوه وفي الحال تألفت محكمة موقتة حكمت عليه بالاعدام فشنق لساعته . ورأيت رجلاً من البيض اعتدى على عرض ابنة مراهقة فحكمت المحكمة عليه بالسجن المؤبد . وشهدت عبداً آخر التقى بفتاتين وطلب اليهما ان يقبلهما ومع انه لم يمسسهما بيديه حكمت المحكمة عليه بألف ريال جزاء نقدياً لكل منهما النصف . وبالجملة فان الاعتداء على النساء مهما كان فضعيف ويعده القوم جناية لا عفو فيها . فأين هذه الاخلاق من أخلاق المصريين الذين يتفاخرون بالتعرض للنساء المسلمات بقحة وسلاطة

وبعد فان أمر التعليم في المدارس الاميركية موكول الى النساء فهن المعلمات وهن المديرات ولا تجد المعلمين من الرجال الا في المدارس العالية . وقد كنت ذهبت الى

الجبال حيث المناجم والمعادن فشاهدت فيها مدارس تشبه مدارس أعظم الحواضر. رأيت أولاد عملة المناجم ممتعين بتربية وتعليم أحسن من أكثر أولاد الاكابر في بلادنا . وفي هذه المناجم ملايين من العملة وأقل أجرة للعامل ثلاثة ريالات أميركية في اليوم

ودور الكتب العامة من أسباب ترقي الولايات المتحدة بعد المدارس فترى في كل بلدة أو قصبة مكتبة عامة يدخلها الناس مجاناً . وتقسم كل مكتبة الى أقسام بحسب حجمها وحجمها يكون على مقدار اتساع المدينة . فترى فيها قسما للمطالعة فيه الجرائد السياسية والمجلات العلمية والادبية وغير ذلك من المطبوعات اليومية والاسبوعية والشهرية وأصغر مكتبة تحتوي على خمسين جريدة . وفي المكاتب الكبرى اكثر من ذلك . وقسماً فيه الكتب على اختلاف ضروبها من كل فن وعلم وباب . وقسماً من المكتبة خاصاً بالاولاد وفيهِ كتب وجرائد ورسوم مما ترغب فيهِ نفوسهم ويبعثهم على المطالعة والبحث وترى في بعض تلك المكاتب امرأة عُهد اليها النظر في دائرة الاطفال من المكتبة تستقبلهم وتتلطف معهم

واطفال هذه البلاد لا يشبهون أطفال بلادنا فلا ترى بينهم أحداً يلبس ثياباً رثةً أو حافي القدم أو قليل الهندام أو ما يماثل ذلك من قلة العناية خصوصاً البنات فانهن بدون استثناء يلبسن الثياب النظيفة المكوية ويصففن شعورهن وينظمنها ويمشطنها وما السبب في ذلك الا شيوع العلم والمدنية بين أفراد الأمة على اختلاف طبقاتها . والى الآن لم أشاهد ولداً أقرع أو أرمد لان هذه الامراض تنشأ من قلة النظافة . فما الحال في البنات . والنساء على ما رأيت هن في الولايات المتحدة أرقى الجنس الانساني علماً وتهذيباً

عود الى حديث المكاتب . ان فيها دوائر أخرى منها واحدة للتحرير والتأليف

والترجمة وفيها من الكتب ما يلزم المؤلف والمترجم . وللمطالع ان يقرأ الكتاب الذي يريده في المكتبة وله ان يستعيره فيطالعهُ في بيته. وفي هذه المكاتب ضروب من الكتب كانت في وضعها بعضها مع بعض أثراً من آثار التسامح، ترى فيها كتباً من نوع واحد في الاديان والمذاهب والسياسة والى جنبها كتباً تنقضها . كتب الفلسفة التي تحمل على الدين موضوعة بجانب الكتب التي تؤيده وتبجله . وكذلك الجرائد ترى الصحف الاشتراكية التي دأبها انتقاد أقوال الرؤساء وافعالهم والحكومة ومجالسها موضوعة الى جانب الصحف التي تسالم الحكومة وزعماء السياسة . ولكل واحد الخيار في مطالعة ما يشاء وتصديق ما يشاء أو تكذيبه . ويبلغ مديرات هذه المكتبات وموظفاتها من النساء ثمانين في المئة من بقية الموظفين ويختلف راتب المديرة من ألف ومائتي ريال في السنة وهو الحد الادنى في الرواتب التي ينالها أمثالهن الى ألفين واربعمائة ريال وهو الحد الأعلى

للمستر كارنيجي المثري المشهور فضل عظيم في اتمام هذه المكاتب فانهُ أنشأ ألفاً ومائتي مكتبة في ألف ومائتي بلدة ولهذا الرجل خيرات جسيمة عدا هذه المكتبات . وقد منح هذا الشهر أحد أعاظم الاغنياء واسمه مستر جون روكفلر اثنين وثلاثين مليون ريال دفعة واحدة لانشاء مدارس وكان أعطى من قبل احد عشر مليوناً لتلك الولاية التي منحها هذه المنحة هذه المرة فتكون جملة اعاناته للمدارس ثلاثة وأربعين مليون ريال . وبهذا يمكنك ان تقيس درجة الغنى في الولايات المتحدة

ومعلوم ان نفوس الولايات المتحدة كان زمن استقلالها أي قبل ١٣٠ سنة أقل من أربعة ملايين وكانوا أقل الأمم ثروة فبلغوا الآن ٨٥ مليوناً ويقدرون نمو ثروة البلاد بعشرة ملايين ريال كل يوم . كل ذلك بفضل الحرية الدينية والمساواة الشخصية وانتشار العلم بين افراد الأمة ولا سيما النساء . في الولايات المتحدة نحو ثمانية عشر

مليون تلميذ منهم خمسمائة وخمسون ألف تلميذ في المدارس العالية منهم ٣٣٠ الف فتاة و٢٢٠ الف صبي. فاذا كان المتخرجون في المدارس العالية يصبحون بعدُ رؤساء الأمة ونخبتها فاستنتج من هذا الاحصاء ان البنات أرقى من الصبيان وتعال معي وأعجب ممن يدعي ان النساء ناقصات في عقلهن أليس هذا دليلاً حسياً لا يقبل الرّد بأن البنات أرقى من الصبيان ؟ اللهم لا اذا قلنا ان نساء بلادنا هنّ من جنس آخر أدنى من الجنس الاميركاني . وعليهِ فلا أدري كيف يدعي بعضهم النقص في عقل النساء وما النقص في الحقيقة الا من تربيتهنّ لا فيهن . والنساء هنا يدخلن في كل عمل من الاعمال المعاشية ومعظم كتاب دواوين الحكومة من النساء

هذا وليحط علمك ان طول السكك الحديدية في الولايات المتحدة هو نحو مائتين وعشرين الف ميل (الميل نحو ١٧٠٠ متر) ونحو ثمن هذه الخطوط لرجل اسمهُ هاريمين يلقبونه ملك السكك الحديدية . والخدمة في الجندية البرية والبحرية اختيارية هنا ويقبل فيها الاجانب على شرط ان تكون صحتهم جيدة وان يعرفوا الانكليزية قراءة وكتابة ويقضى على كل متطوع ان يخدم ثلاث سنين وراتبه ثلاثة عشر ريالاً في الشهر يزاد فيه كل سنتين اذا بقي في الخدمة حتى يبلغ راتبه ٢٥ ريالاً . ويلبس الجند ويأكلون أحسن الالبسة وأطيب الاطعمة وقد زرت ثكنة من ثكنهم فصادفت الجند في الطعام فرأيتهم يأكلون على موائد مجللة بالقماش الابيض ولكل واحد معلقتهُ وشوكته وسكينهُ وكأسه ولكل خوان خادم واقف في خدمة الجالسين اليه ويبلغ جيش هذه البلاد ثمانين الف جندي . هذا ما خطرلي الآن ان أدونه لك والسلام عليك

رأي في الشعر

الشعر لغةً الشعور وقد أخرج عن معناه الاصلي فأصبح يفهم منه الآن الكلام الموزون المقفى الذي يتوخى صاحبهُ ايداع خياله وشعوره فيه بصورة تستفز العواطف وتأخذ بمجامع القلوب وابتذله الاكثرون فأضحى حرفة يتعنى بها أحدهم ويعمد الى اكتسابها على طريقة علمية كأن يقرأ العروض والقوافي ثم يقبض على البراع ويحاول صف كلام ملفق ليس من الشعر في شيء طمعاً في أن يقال عنه انه شاعر وما أحراه أن يدعى صفافاً فهو أشبه بمنضد الحروف في المطابع الا ان هذا يصف الحروف بقياس معلوم وطريقة مصطلح عليها وذلك يصف الكلمات حسب تفاعيل الخليل

الشعر شعور لا كلام والشاعر صاحب هذا الشعور يشعر بما لا يشعر به غيره ويسمع ما لا يسمعهُ غيره فعينهُ تخترق السحب وتسرح في فضاء العوالم وتأتي اليه بما لم يخطر على بال . وخاطره يفترع أبكار المعاني التي لم يسبقهُ اليها أحد ، ووجدانهُ يختلف عن وجدانِ سائر الناس . والنظرة التي ينظر بها الى العمران ليست كنظرة الناس . فكل نظم خالٍ من الخيال ليس حقيقاً أن يدعى شعراً ولا يمكن أن يعيش بعد صاحبهِ وربما مات قبله . وكم من شعر نُظم وكم من شاعر نَظم فوارتهما أيدي الزمان في مدافن النسيان

فالشعر لا يعيش الا اذا استوفى شرطين : أولهما أن يكون فيه شعور فائق وخيال بالغ ، وثانيهما أن يكون مسبوكاً في قالب متين المبنى موضح المعنى فالشرط الاول لا يتنازع فيه أحد ضرورة انه من مقتضيات الشعر وشرائطهِ الكبرى . نعم ان الشعر الذي لا شعور فيه ليس شعراً كما ان العلم الذي ليس فيه العلم الصحيح لا يعدّ علماً . وما أحسن لفظة « شعر » تفصح عن المراد من الشعر وهي لفظة حسن وضعها لما يقصد

منها تفضل لفظة « بوتري » الاعجمية لان هذه تعني الفعل وليس فيها ما يستشف منه المعنى المرغوب والشيء المقصود . أما الشرط الثاني فلأن اللغة واسطة لنقل خيال الشاعر الى الناس . وأحرى بهذه الواسطة أن تكون ممحصة من شوائب التعقيد ومعائب الالتباس . وكلما كانت اللغة صحيحة كان فهم الشعر سهلاً . فهي كالوعاء تودع فيها سوامي الفكر وسوانح الفطن . واذا كان الوعاء ناقصاً في شيء يوجب تمامهُ كان المودَع فيه خليقاً أن تذهب بحسنه عوامل الايام . وكم من نظم طوتهُ صحف الدهر لغير علة سوى انه أنشيء بعبارة تافهة تخالف القياس المألوف

ومن الناس من لا يذعن لهذا الشرط فيحسبون أن مراعاة اللغة في الكتابة سواء كانت نظماً او نثراً ليست ذات شأن فيقولون ان الغرض من اللغة ليس الا التفاهم فلا ينبغي أن يعنى بها كثيراً فيجوّزون لانفسهم ارتكاب اغلاط فادحة في النحو واللغة وسائر العلوم اللغوية ناسين أن التغاضي عن الاهتمام باللغة يؤدي بهم الى فوضى لا يرأب صدعها ولا سيما ان للُّغة العربيــة ضوابط تقيدها وقواعد تضبطها فاذا فسد التركيب فسد المعنى وبفساد التركيب تضيع اللغــة وبفساد المعنى يغلط في فهم الافكار التي يقصد الشاعر نقلها الى قاريء شعره فينتج اذاً انه كلما كانت لغة الشعر ركيكة كان فناء الشعر المودع فيها سريعاً

يتضمن الخيال في الشعر وصف الانفعال الذي يطرأ على النفس اذا أدرك صاحبها في عالم الحسّ شيئاً يدعو الى الانفعال وباعثاً ينزع بهِ الى التأثر بحيث لا يستطاع معه الا الالتجاء الى الشعر للافصاح عما يكنهُ الفؤاد في صور كلاميــة يتجلى بها الخيال ويتجسم الشعور متنقلاً من عالم الخيال الى عالم المنظور ولا يتوخى في هذا الانتقال الا دفع ألم وسدّ مطلب من مطالب النفس تتقاضى صاحبها اتمامه كما قد تقتضيه تأديتها مطالب أخرى

ليس الشعر عملاً من الاعمال العادية التي يتكلفها الانسان ويضطره المعاش اليها فيسعى لنيلها . الشعر ينظم لنفسه لالغاية أخرى ولا يكون شعراً الا اذا نظم أثر انفعال من حادث أو شعور واما اذا نظم على سبيل التفكهة و بدون داعٍ فيكون متكلفاً فيــه والنفس مقسورة على ابرازه على حين يجب ان يكون منبعثاً من النفس باختيارها وقبولها فالشاعر الذي ينظم محمولاً على النظم بتيار الرغبة في الشهرة والنزوع الى الصيت لا يكون شعره شعراً . الشاعر كما قال بعض الاعاجم مخلوق لا مصنوع وحسبك عليه من حجة دامغة ان الشاعر المطبوع ينظم الشعر وهو صبي لا لغرض وانما يشعر بشيء فينطق بالشــعر عفواً مستخدماً الفاظ الصبيان للتعبير عن خياله ثم يرتقي فيصبح اقدر على اظهار شعوره وينمو شعوره بنموّ مركزه في الدماغ كما تنمو سائر القوى العقلية كلما تقدّم الانسان في العمر وقد تبطيء سجية الشعر في ظهورها لعلة خارجية فتتأخر الى سنّ العشرين أو بعدها كما جرى لملتون الشاعر الشهير ولكنها ظهرت في أغلب الشعراء في سن الصبا وأعلى درجات الشعر وصف الطبيعة ففيه تظهر قريحة الشاعر بأعظم مظاهرها . يرى الشاعر في الوجود أموراً يتعذّر على غيره روءيتها ينظر الى سيَّار كأنهُ هبط عليهِ وحيٌ من العلى فينظم فيهِ المعاني الحسان على حين لو سئل غيره ان يصف السيَّار لما قال غير نجم منير . وفي أساطير الأولين ان بعض الأمم اعتقدوا بوجود قوة غيبية تلهم الشعراء وتوحي اليهم الشعر ولا توحيه لسائر الناس . وما يراه الشاعر في ظواهر الطبيعة يكون مخبوءاً تحت حجاب كثيف لا يرى الناس من ورائهِ شيئاً على انهُ يصبح شفافاً اذا نظر اليــهِ الشاعر فيرى وراءه كنوزاً وركازاً . وقد عُني الافرنج بالشعر الوصفي فاجادوه ويتلوه في الحسن الشعر الذي يمثل الطبع البشري وما في الانسان من العواطف والاميال وما يتنازعهُ من الاشواق والشعور الذي يطرأ على الشاعر عند حدوث نكبة عامة وما شاكل ذلك وكل وصف بثَّ عليهِ انفعال عظيم

أما الشعر الرثائي فأحسنهُ ما نظم عن انفعال شديد كما وقع لشاعر الانكتار العظيم تنيسون حين نكب بفقد صديقه الحميم حلام المؤرخ المشهور فرثاه بقصيدة طويلة رنانة وصف فيها العواطف البشرية وصفاً دقيقاً وما استحوذ عليه من الغم في ذلك الخطب المؤلم . على ان الرثاء مبتذل الآن . وكم من شاعر يرثي ميتاً لا يعرف سوى اسمه فيأتي شعره وأمارات التكلف بادية عليه ليس فيه الا معان تافهة سبقت النفس الى ابرازها سوقاً . والمدح أسقط الشعر لما فيه من الاختلاق ولاسيما اذا قصد منه جرّ مغنم أو دفع مغرم فيضطرّ الناظم أن يبتدع المعالي والمكارم وينسبها الى ممدوحهِ

ويبلغ الشعر المدحي أعلى درجة في عصر البداوة ويأفل نجمهُ في عصر الحضارة حتى يكاد يكون معدوماً . وكان الشعراء يتخذون هذا النوع من الشعر وسيلة للزلفى من الامراء واستدرار العطايا من العظماء . والشعر الهجائي أرفع في نظري ان صح أن يكون لي نظر من الشعر المدحي وأقرب منه للغرض المبدئي من الشعر خصوصاً اذا نظم عقيب تهيج حاسة الاشمئزاز من ادراك شوائب ونقائص في المهجوّ تبعث الشاعر على الهجاء اضطراراً . وأما اذا تكلف له فيكون من اعمال العقل لا من اعمال الشعور والعواطف . وقد علمت مما مرّ بك أن الشعر من خصائص العواطف وليس للعقل علاقة به . ولذلك لا يعدّ من الشعر كل ما نظم من المعقولات والمنقولات . ويدخل تحت هذا الاراجيز على تفاوت انواعها وآراء الفلاسفة التي أودعت في الشعر وآي الحكماء وعلماء الاخلاق . وبالجملة فان كل ما ليس له اتصال بالعواطف ليس شعراً وانما هو نظم ولا يتعذر على النبيه التمييز بين الشعر والنظم ان هو تذكّر معنى كلمة شعر . والله أعلم

يافا خليل الخوري

التربية والتعليم

تربية السكسونيين

قامت منذ بضع سنين حركة في الافكار في معظم بلاد أوربا للمفاضلة بين التربية التوتونية واللاتينية أي بين تربية الانكليز والالمان والاميركان المعروفين بالانكليز السكسونيين وبين تربية الفرنسيس والطليان والاسبان ولقد أطلعنا على مقالة في احدى المجلات الكبرى الفرنسوية أفاض كاتبها في تأثير المسابقات بين طلبة الطب في الاخلاق . ومما جاء فيها ان هذه المباراة في الفحوص قد تؤدي الى ضعف ملكة الذكاء وان نفعت في تمرين الذاكرة بما يضطرون ان يودعوه ألواح محفوظهم من القوانين والصور وقد يستظهرونها استظهاراً نظرياً ولا تكون عندهم من العمليات في شيء بمعنى انهم مهما جعلوا دراستها دينهم وديدنهم لايخرجون من الامتحان الاوقد غربت تلك المواد عن اذهانهم . سئل أحد التلاميذ يوماً عن حرب السبعين وكان قد درسها من قبل بالطبع فلم يُحر فيها جواباً ، وسئل عن التلفون فانقطع ولم ينبس ببنت شفة . مع انهُ بعيد عن الظن ان يكون في الغرب اليوم ناهيك بفرنسا مَن لم يسمع بحرب السبعين وأخبارها والتلفون وآثاره

وبعدهذا لا يسعنا الا التصريح بأن الطريقة العقيمة في التربية التي اتخذتها فرنسا من نحو مئة سنة مازادتها الا الرجوع القهقرى وسبق الأمم السكسونية . تربية تسقم العقل وتضعف الجسم . تربية تحبب الى المرء الراحة والسكينة والاقتصاد والترف والسرف .

تربية كأنها ملصقة بغراء لاتلبث ان تتزعزع اذا أمطرتها سماء الدنيا بوبلة فمابالك لو هبت عليها أعاصيرها وعواصفها وسحت فوقها وابلها ومدرارها

قال بعض علمائنا ان فرنسا مستنبت الاوسمة والمراتب وميدان المسابقات والمناوشات وإذا أُردنا على ان لا ننقد هذا الخُلُق نكتفي بأن نقول انهُ دليل الانانية والشعور بالحاجة الى العدل ونحن لا نزال شعب تلاميذ أي اننا محتاجون في تربيتنا ان نربي تربية الصغار من مهدنا الى لحدنا فنساق منذ نعومة أظفارنا في المدرسة والبيت بقوة الايقونات والانواط والعلامات والصفوف والقوانين ومن نشأ على هذه الطريقة في التربية يحتاج اذا بلغ مبلغ الرجال ان يظلّ متطلّباً للأوسمة والجوائز وان تنظم حاله بنظام الاستحقاق والاهلية

وقال غستاف لبون مؤلف كتاب حضارة العرب وغيره من الكتب الممتعة : ان كليتنا معاشر الفرنسيس لا تنشيء الا اهل اوهام وأرباب اكثار وثرثرة ممن بعدت نفوسهم عن الحقيقة بُعدها عن معرفة العالم الذي يقضي عليهم أن يعيشوا فيه . من كل وُكلة تكلة لا يعمل بدون يدٍ تدفعه وعون يقوده وعين تلاحظه . ففي بيته تقوده أمهُ ويأخذ بيده أبوه . وفي المدرسة يشتدّ ساعده بزند معلمهِ ومربيهِ حتى اذا دخل في غمرة الحياة يظل حائراً لا يعرف مصيره ما لم تأخذ الحكومة بيده وتصرفهُ فيما تشاء وتهوى

وقال غيره : أين نجد في فرنسا مثل أولئك الاولاد الذين رأيتهم خارج هذه البلاد يسافر أحدهم وحده وهو في سن العاشرة من لندن الى بطرسبرج في فئة من اطفال الكتاتيب تختلف سنهم بين الثامنة والعاشرة فيقضون تحت الخيام نصف العطلة المدرسية في جزيرة من سان لوران يعيشون من صيدهم وقنصهم فكيف لا يتأتى لهؤلاء الاطفال من الانكليز أن يستعمروا حيث شاؤا من الارض ويكونوا من أنفع الطواريء متى بلغوا الخامسة والعشرين . وقال أحدهم : لاشيء أذلّ على النفس من رؤية الفرنسوي خارج بلاده فكأنهُ ميت انقطع عمله أو مدنف يتلجلج لسانهُ فلا يجيب عما يسأل

وقال غيره : من الرعونة أن يعتقد الفرنسيس بعلوّ كعبهم في كل شيء ولو ذهب الى المانيا ودرس احوالها عن أمم لرأى شعباً كان يشكو مما نشكو منه . داء أصيب به

زمناً فشفى نفسهُ منه . يرى السكسونية مجسمة بأبهى مظاهرها فيقدس « كارلايل » ظهيرها ونصيرها ويقيس حاله بالانكليز فيراهم سبَّاق غايات . ثم اذا رأى في تينك المملكتين ما رأى وقاسه بحاله يركب بحر الظلمات ليتبصر فيما تورثهُ جُدُد الفضائل في هذا القرن الحديث وينجلي له الفرق بين رغائبه ورغائب الاميركان

لفرنسا نظارة للمعارف ، ولأميركا مدرسة للتربية . فالاولى تعلم والثانية تربي . الاولى تلقن ابناءها كلمات يحفظونها ، والثانية تعلم مبادئ يسيرون عليها . تعدّ فرنسا أدمغة لحفظ قانون ، وتهيئ اميركا اذرعاً للعمل . يغرس الاميركان في عقول ناشئتهم شهامة الارادة التي لا تنفع بدونها المواهب وتضيع القوى بَدداً واذا فقدت يكون العلم نفسهُ قليل النفع . وهذا القانون الذي سنهُ لهم فيلسوفهم أميرسون تلميذ هيكل الالماني القائل في فلسفته : ليست الحياة شغلاً عقلياً ولا مناقشة ومهاوشة بل الحياة هي العمل . ولقد علق في أعلى باب كل مدرسة بأميركا شعار معناه : ان تهذيب الخلق أسمى غاية للمدرسة وعلى الشبان أن يحسنوا معرفة الحياة بارادة ثابتة

مطبوعات ومخطوطات

كنز العلوم واللغة — من المؤلفين المجتهدين في مصر محمد فريد افندي وجدي صاحب مجلة الحياة والمصنفات الكثيرة وقد أصدر هذا الشهر مجلداً ضخماً في زهاء ٨٧٠ صفحة كبيرة كل صفحة ذات ثلاثة أعمدة من الحرف المتوسط سماه كنز العلوم واللغة وهو صورة دائرة معارف مصغرة فيها بعض الفصيح وخلاصات من العلوم النقلية والعقلية والطبيعية والطبية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية . وقد أخذنا عليهِ اقتضابهُ في بعض المواد المهمة وتطويله في غيرها مما هو دونها في الفائدة فرأيناه مثلاً قد أغفل في الاعلام ابن تيمية وابن القيم وابن الهيثم والذهبي والسيوطي والقلقشندي وابن فضل الله العمري وذكر عبد الرحمن العمري والقليوبي والشنواني والشبراوي والكفراوي . والمعاجم

المختصرة في العادة تذكر الأهم فالأهم من الاسماء والاشخاص . ورأيناه تابع بعض المعاجم الأفرنجية في ايراد بعض الشؤون التاريخية الشرقية ونقلها على غلطها مثل قوله في محلين ان صلاح الدين يوسف هو ابن أخي نور الدين محمود بن زنكي مع انهُ لا قرابة بينهما وصلاح الدين كردي ونور الدين تركي ومثله قوله ان فاراب من بلاد الاناضول . وقد نقل بعض أعلام الاشخاص والاماكن بحسب الأصل الافرنجي فقال مثلاً سالونيك كما يلفظها الافرنج والصواب سلانيك . وجزيرة ساموس : سيسام . ونهر الدانوب : الطونه . والسلافيون وتسميهم العرب الصقالبة . وليسبون : والعرب تقول لشبونة . وجبال هيمالايا : حملايا . والتبيت : والعرب تقول تُبت كسكر . وبخارست : بكرش . وقد أعجبنا منهُ أدبه في كلامه على المخالفين من فرق الاسلام وغيرهم وفي الكتاب فوائد نافعة لا يسع متعلماً جهلها وعسى ان ينتشر كتابهُ بين جميع الطبقات فانهُ على ايجازه سلمٌ الى تناول دوائر المعارف الافرنجية الكبرى . وحبذا لو تدارك المؤلف ذكر من أهمل من الاعلام وما أغفل من أسماء البلدان ولو بملحق يبيعهُ على حدة . وفقهُ الله وأكثر فينا أمثاله من أهل النشاط في خدمة العلم والتوفر على التصنيف والنشر

فتح الرحمن لطالب آيات القرآن — هو مفتاح أو فهرس يعين على الاهتداء الى مواقع الآيات الكريمة جمعهُ فيض الله افندي العلمي الحسني المقدسي ووقف على طبعه الشيخ احمد حسن طبارة محرر جريدة ثمرات الفنون الغراء . وقد عُني الجامع بأن استعان بكتاب ترتيب زيبا وكتاب نجوم الفرقان واقتصر من ألفاظ الكتاب العزيز على الكلمات الرئيسة التي يكثر خطورها بالبال أي الافعال المشتقة والاسماء المتمكنة . وبالجملة فهذا السفر البديع يسهل الوصول الى الآيات الكريمة على من يريد الاستشهاد بها فيتناولها سالمةً من التحريف في أقل من لمح البصر وقد ألحق به فهرساً للاعلام فجاء من أنفس الذخائر التي لا يستغني عنها طالب . جزى الله جامعهُ ومصححهُ خيراً . والكتاب يباع بريال مجيدي في بلاد الشام ويطلب من المكاتب الشهيرة . وقد طبع

في المطبعة الاهلية في بيروت طبعاً متقناً للغاية على ورق صقيل جيد

تقويم المؤيد — صدر هذا التقويم البديع لسنة ١٣٢٥ هـ . فأتمّ بذلك سنته العاشرة وهو من وضع محمد افندي مسعود صاحب جريدة المنبر الغراء . وقد قرأنا فيه نبذاً في التوقيعات وعلم الفلك والكيمياء وفصولاً علمية وأدبية واحصائيات ونظام الحكومات والاخبار العمومية والتاريخ العام والتراجم والمسائل السياسية والمعاهدات وأحوال مصر سنة ١٩٠٠ وتخطيط الوجه القبلي وشذرات نافعة في القضاء والادارة والزراعة وتدبير المنزل والدليل المصري وغير ذلك من الفوائد التي تنفع أصحاب الاعمال والبيوت وانا لانزال نقول ان تقويم المؤيد من أحسن الكتب الدورية التي تصدر في هذه العاصمة وما برح التحسين فيهِ مستمراً سنة عن سنة فشكراً لفضل مؤلفهِ الذي ثبت على اصداره وتوفر على الاستزادة من فوائده الممتعة

ابدع الاساليب في انشاء الرسائل والمكاتيب — هو كتاب يقع في زهاء ستمائة صفحة يحتوي نموذجاً من العرائض والرسائل والمخاطبات التجارية والاخوانية والرسمية وفيه مختصر في اصول مسك الدفاتر لمؤلفه عبد الباسط افندي الانسي صاحب جريدة الاقبال الغراء في بيروت وقد طبعه الآن طبعة ثانية اجزل فيها فوائده وهو مطول من كتابه هداية السائل الى انشاء الرسائل وقد رتبه على خمسة ابواب ادخل فيها الاغراض التي تعرض للكاتب في مكاتباته وطبعه في مطبعته «المعارف» طبعاً لطيفاً وهو يباع في مكتبته «الانسية» باثني عشر قرشا فنحث الطلاب على اقتنائه ونشكر للمؤلف عنايته وهديته

السجل المصري — اصدر علي افندي يوسف الكريدلي من المشتغلين بصناعة القلم في القاهرة كتاباً بهذا الاسم واخذ على نفسه اصداره في منتصف كل شهر افرنجي مشتملا على كل ماحدث في الشهر السابق من الحوادث والوقائع واعمال الحكومة

المصرية كالاوامر العالية والمنشورات واللوائح والتنقلات والرتب والاوسمة والوفيات والمواليد فكان تاريخاً دورياً لمصر يصدر في اجزاء متفرقة مزينا بصور بعض امراء البلاد ووزرائها وكبرائها وعلمائها واعيانها ومشاهيرها وفضلائها وأدبائها وشعرائها وكتابها وكل ذي مظهر ومقام وفي الجزء الذي صدر عن شهر يناير كثير من الفوائد التي ينبغي تخليد اكثرها في تاريخ البلاد وهو في زهاء ١٨٠ صفحة متوسطة الحجم وقيمة كل جزء خمسة قروش اميرية وهي قليلة لكثرة فوائده فعسى ان يلاقي مشروع هذا الاديب الاقبال اللائق به

لباب الخيار في سيرة المختار — هي رسالة جميلة الطبع والوضع تدخل في ٨٢ صفحة من ذوات النصف في السيرة النبوية لمؤلفها الشيخ مصطفى سليم الغلاييني من المشتغلين بالعلم في بيروت ذكر فيها شذرات مهمة من احوال الرسول واعماله وجميع غزواته ولم يذكر من سراياه الا ما كان له علاقة ببعض الغزوات وقد علق شرحاً لغوياً موجزاً على الالفاظ اللغوية او التي يخشى التباسها على المبتدئ فجاءت نافعة لجميع الطبقات فله الشكر على عنايته وفضله .

خارطة العالم — هو المصور الذي رسمه الاكسرخوس يوحنا الحداد نزيل شيكاغو ومن اهل الفضل وقد اهدينا نسخة منه فرأيناه من اجمل المصورات الجغرافية الانكليزية وانفعها وليته يتفضل بترجمته الى العربية ليعم انتفاع الجالية السورية به في اميركا كما يعم سائر البلاد العربية

ديوان الشاب الظريف — طبعت المطبعة الاهلية في بيروت هذا الديوان المشهور لمؤلفهِ المتوفى سنة ٦٨٨ هـ عن ٢٧ عاماً واضافت اليهِ ماعثرت عليهِ من نظمهِ المتفرق في دواوين الأدب وفسرت الفاظه اللغوية وقد قالت انها جمعته خدمة لطلبة المدارس

مع ان أكثر الديوان من الغزل الذي لا يروق ان يطلع عليهِ الشيوخ دع عنك الاطفال وعلى كل فانَّا نشكر لها هذه العناية بنشره ونرجو ان تنشر غيره من آثار السلف النافعة

لطائف السمر — في سكان الزهرة والقمر أو الغاية في البدايه والنهاية وهو كتاب في ٢٨٠ صفحة لمؤلفهِ ميخائيل افندي انطون الصقال الحلبي جعله على شكل رواية اخلاقية فتصور انهُ رأى والده بعد وفاته في الرؤيا وقص عليهِ مارآه في العالم الثاني أي في السماء والحقيقة انهُ قص عليـهِ حالة الارض فتخلل ذلك كلام في المدينة الفاضلة والمدينة السافلة وأطور البشر واخلاقهم ومنازعهم والديانات والنحل والمعتقدات كل ذلك في أبواب مخصوصة و بعبارة سليمة فصيحة تخللها كثير من الشوارد اللغوية التي شرحها المؤلف في أسفل الصفحات فأجاد وأفاد في الاحتيال على بث الافكار الصحيحة المعتدلة في ثوب عربي جميل . وهذا الكتاب يطلب من المكاتب الشهيرة في القاهرة بريال مصري

الاخبار — أعاد هذا الشهر الشيخ يوسف الخازن اصدار جريدتهِ الاخبار بعد ان حجبها مدة وانشأ يصدرها في الصباح وهي الجريدة الصباحية الوحيدة باللغة العربية وصاحبها ممن تقلبوا في الصحافة كل مقلب وهو يحسن ما يقتضي لهذه الصناعة الشريفة من أدوات العلم العملي والنظري يضاف الى ذلك حنكة وتجارب و بعد غور ونظر فلا عجب اذا رجونا ان يكون لصحيفته شأن في الآداب عظيم وصوت في السياسة رخيم ولسان في صحة الاحكام قويم

الجريدة — اسم لجريدة جديدة يومية أنشأتها شركة من اعيان القطر وأصدرتها هذا الشهر في بزة جديدة وطبع جميل وعهدت بادارتها الى احمد بك لطفي السيد من رجال القضاء ، و بانشائها ومؤازرتها الى جماعة من اهل الفضل والادب كالسيد محمد

رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي وأحمد بك زكي ونجيب افندي شاهين وعبد الحميد افندي الزهراوي ويوسف افندي البستاني وكامل افندي دياب وغيرهم وهي تصدر كسائر جرائد العاصمة بعد الظهر . وقد تصفحنا الاعداد التي صدرت منها فرأيناها سليمة العبارة متينة التراكيب جيدة الموضوعات فرجونا لها أن تكون كجريدة «الديبا» الفرنسوية من حيث وفرة مادتها وصحة عبارتها فان الديبا وهي لشركة ايضاً ترمي الى خدمة الآداب . وسبيل الجريدة في سياستها مع الحكومة« سبيل المحاسنة التي لاتجر الى ترك حق أو تزيين باطل وهي أجلى مظاهر الاعتدال الذي يجب أن يكون دعامة العلاقات بين أمة و بين حكومة كلتاهما في طور التكون» .فعسى أن يكون منها ما يؤهلها لبلوغ الغاية النافعـة التي يتوقعها أنصارها ومساهموها . وقد بلغ بالجريدة عدد الجرائد العربية اليومية في القطر ثلاث‌عشرة جريدة . زاد الله النافع القويم منها فان هذا العدد يوجد في مدينة صغرى من مدن الغرب وأصغر جريدة من جرائد الولايات هناك تطبع أكثر من اكبر جريدة في عواصمنا

الاحياء — مجلة في ثماني صفحات تصدر مرتين في الشهر في مدينة الجزائر وهي اسلامية أدبية اخبارية وقيمة اشتراكها ٤ فرنكات في الجزائر وتونس و٥ في الخارج وهذه أول مجلة على ما نعلم صدرت بالعربية في ذلك القطر فعسى أن تكثر فيه بعد ذلك الصحف والمجلات ويحذو اخواننا الجزائريون حذو اخواننا التونسيين في نشر المطبوعات العربية النافعة واذا كان نقص ما يكتبونهُ محسوساً باديء بدء فان كثرة المران تجبر كل نقص

الريحانة — هي مجلة تاريخية أدبية قصصية تصدر في منتصف كل شهر عربي لصاحبتها ومحررتها جميلة خانم حافظ وقد قدمت لهـا مقدمة لطيفة في السعادة وغرض

المجلة وفيها مقالات في التربية والتاريخ وتعليم المرأة وهذا هو أهم ابحاث المجلة وان كل من عانى البحث في الشؤون العامة ليوافق الفاضلة صاحبة الريحانة على ان الرجال هم سبب تقهقر النساء في الآداب والعلم وانهنّ لو تعلمن كما يتعلم الرجال أو أقلّ لسعدت الامة الاسلامية كما سعد غيرها من الامم المعاصرة . وقيمة اشتراك الريحانة ٣٠ قرشاً في مصر و١٠ فرنكات خارجها فنرجو لها التوفيق الى ما تقصد اليه . أكثر الله من أمثالها العاملات

سير العلم

الحالة الاقتصادية في مصر — كتب الدكتور الفريد افندي عبد الملك الشهير تقريراً في الديون المعقودة على رهن في القطر المصري فقال ان فيه الآن خمسة مصارف تسلف النقود على رهن عقاري وهي المصرف الزراعي والمصرف العقاري وشركة الاراضي والرهنيات المصرية وصندوق الرهنيات واللندبنك وقد بلغ رأس مال المصرف الزراعي ٠٠٠ . ٧١٥ . ٧ جنيه ورأس شركة الاراضي والرهنيات المصرية ٥٠٠ . ٨٧٧ جنيه ورأس مال صندوق الرهنيات العقارية ١٠ ملايين فرنك ورأس مال اللندبنك ٩٧٥ الف جنيه هذا ماعدا قيمة السندات التي أصدرتها . وقال ان شركات التأمين الانكليزية سلفت مليوناً وار بعمائة الف جنيه وسلف جماعات أصحاب الاموال ثمانمائة الف جنيه واستنتج ان سُلَف الافراد بلغت ٥ ملايين و٤٤٥ الف جنيه فيكون مجموع الديون المعقوده على رهن في المصارف وغيرها ٣٨ مليون جنيه و١٤٥ الف جنيه ومجموع الاموال المستحقة للشركات العقارية التي باعت اراضيها على اقساط زهاء مليوني جنيه ومجموع الديون المستحقة على رهن ٣٨ مليون جنيه و٩٩٧٫٧٢٠ ج وقال ان تاريخ د الرهن في القطر يرد الى سنة ١٨٧٦ وان الرهنيات زادت قيمة الارض وقدر

الاموال التي سلفت على ارض البناء بمئة وخمسين مليون جنيه اما الاموال الموظفة فلم يرد جميعها من الخارج بل ان قسما منها من اموال البلاد

المصارف الزراعية العثمانية — نشرت نظارة المصارف الزراعية في البلاد العثمانية احصاء بأعمالها عن سنة ١٣١٩ على الحساب الشرقي فقالت انه كان عدد شعب المصارف في مراكز الولايات والالوية ٦٦ شعبة وعدد شعب الاقضية وبعض الالوية ٣١٤ شعبة وكان رأس مال هذه الشعب كلها ٣.٧٧٧.٥٠٠.٨٤١ قرشاً وأقرضت هذه المصارف للفلاح العثماني ٣٠٦.٨٢٤.٣٢٢ قرشاً وبلغ عدد المقترضين ٩٦.٠٧٤ مزارعاً وقد بيعت في مدة خمس عشرة سنة أراضي زهاء ٨١٠٠ فلاح لم يوفوا ما عليهم من الديون لتلك المصارف وبلغ عدد المستدينين من الفلاحين في ١٥ سنة أيضاً ٩٨١.٣٤٩ شخصاً . وهذه المصارف الزراعية في البلاد سهلت على الفلاح العثماني اقتراض المال في حين حاجتهِ بفائدة ستة في المئة كما سهلت المصارف العقارية في القطر المصري سبل استلاف النقود برهن العقارات فكان منها أن اغتنى ألوف من الناس ما كانوا يملكون من قبل الا ما لا يذكر . أما في البلاد العثمانية فان المصارف الزراعية أنقذت الفلاح بعض الانقاذ من شطط المرابين واجحافهم

احصاء غريب — كان في الولايات المتحدة في العام الماضي ٢٢٠٠٣٠ ميلاً من الخطوط الحديدية وبعد ان كانت منذ سنين زائدة عن حاجة البلاد اصبحت الآن تلك البلاد في اشد الحاجة الى الاستكثار من هذه الخطوط ويلزمها على اقل تعديل ٧٥ الف ميل اخرى ينفق عليها ١١٠٠ مليون ريال في السنة مدة خمس سنين وقد عجزت معامل اميركا على كثرة استعدادها عن صنع مايطلب منها من القاطرات والمركبات للخطوط الحديدية فان اميركا الشمالية يلزم لها من ذلك ٢٥٠ الف مركبة

في السنة وكان في أميركا سنة ١٩٠٥ — ٤٧،٣٥٠ قاطرة و٤٠،٧١٣ مركبة و١،٠٧٣١،٤٠٩ مركبة لنقل البضائع وكان عدد من ركبوا القطارات الحديدية الى مسافة ميل فاكثر في تلك السنة ٢٣،٧٠٠،١٤٩،٠٤٦ راكباً وبلغ ما نقل الى مسافة ميل من البضائع ١٨٦،٤٦٣،١٩٠،٥١٠ طنات

المعلمات والمعلمون — تقول احدى المجلات العلمية ان الحال اذا ظلت على هذا المنوال يُربَّى أهل الجيل القادم في انكلترا والولايات المتحدة على أيدي المعلمات بدل المعلمين فقد كان الرجال منذ خمسين سنة يديرون أربع مدارس ابتدائية في انكلترا من كل خمس مدارس وفي سنة ١٨٧٠ تساوى عدد المعلمين والمعلمات اما اليوم فانك ترى من كل اربع مدارس ثلاثاً يديرها النساء ويقدر عدد المعلمات في الجزائر البريطانية بعشرين الف معلمة وعدد المعلمين بأربعة آلاف معلم. اما في اميركا فان قلة المشاهرات التي تدفع للمعلمات تحول دون اقبال ربات الحجال على التعليم

شقاء العمال — وضعت مجلة اميركا الشمالية مقالاً ضافياً وصفت فيه حالة العملة وما يصيبهم من العاهات الطبيعية والعملة هم القسم الاعظم من أهل الولايات المتحدة فقال ان سبب ذلك زيادة عدد المحاويج وازدحام المدن بأقدام السكان وقلة الغذاء عند الفقراء والمساكين فلم يكن سكان المدن منذ مئة سنة في اميركا اكثر من ٣ في المئة وقد اصبح اليوم ٤٠ في المئة وفي بعض الولايات اكثر من ذلك . وسبب هذا رغبة الناس عن سكنى القرى والمزارع وانهيالهم على المدن والعواصم لادخال الادوات في الاعمال الزراعية والاستغناء في اكثرها عن ايدي العاملين كما كان من قبل فاضطر اكثر الفلاحين ان يدخلوا المعامل في المدن وان ينقطعوا عن الزراعة ولكن ما يقبضونه من المياومات لا يسد حاجاتهم الضرورية فيبيتون في اماكن رديئة الهواء تكثر فيها

الامراض والوفيات فاذا لم يهلكوا قبل سن الشيخوخة فان معظمهم يصابون بامراض بطيئة تزيد ضعفهم الطبيعي ضعفاً . وهذه الاسباب تنتج هذه النتائج في كل مكان ولا سيما في الولايات المتحدة فان الحالة هناك ادهى وامر . ولا سبيل الى تلافي هذه الآفات الا بان تجعل الرياضة الجسمية اجبارية في جميع المدارس وان تضاعف ايام العطلة وان يكره الاولاد على قضائها في الخلاء والبراري وان تسير التربية الطبيعية هي والتربية العقلية على نظام صحي وان يحسن طعام الاولاد في المدارس

لحم الخيول — نشرت أحد علماء الاسبان بحثاً في الدعوة الى تناول لحم الخيول فقال ان من يدعي من الاسبانيين انها قذرة رديئة لا توافق الصحة هو في ضلال مبين واذا استعمل هذا الضرب من اللحم ولا سيما بين الطبقات النازلة يتبين لآ كليه انهُ من اللحوم اللذيذة الطعم كثير التغذية يقوي الجسم وقد استشهد على صحة رأيهِ باحصاءآت أكلة الخيول في الأمم ولا سيما في بروسيا التي ينمو فيها متناولوه وقال ان فرنسا لم تبدأ بتناول لحم الخيل الا سنة ١٨٦٦ وكان بعض الفرنسيس قبل ذلك يتناولونهُ سراً على ان الجندي الفرنسوي في حرب القريم كان يؤثر لحم الخيل على لحم البقر أما الجندي الانكليزي فكان يتقزز من تناوله قال وكيفية تقديم لحم الخيل على الموائد هي التي تحببه الى النفوس أو تكرههُ اليها وان بعض الشرهين ليزعمون ان لسان الحصان لذيذ الطعم

المكاتب في نروج — بحثت احدى المجلات العلمية الهولاندية في تاريخ المكاتب العامة في بلاد النروج فقالت انها تُردُّ الى أواخر القرن الثامن عشر وكان مبتدعها رجلاً اسمه سورت ارفلو خطر له ان يجعل كتبه القليلة في غرفة يطالع فيها الخاصة والعامة فمشى على أثره غيره من عشاق الكتب وشاركوه في هذا العمل النافع وأخذ الشاعر ورجلاند يبث هذه الفكرة في العقول بما وضعهُ من كراسة ذكر فيها ما ينال الشعب

النروجي من النعم الجسام بتهيئة أسباب المطالعة له في الكتب العلمية الحقيقية فوضع بكتابتهِ هذه أساس مكتبة عامة للشعب وأشار بالكتب النافعة التي ينبغي وضعها فوقع كلامه موقع القبول من القلوب فلم تمض سبع سنين على دعوتهِ حتى صارت مكاتب الشعب هناك سنة ١٨٣٧ — ١٨٥ مكتبة منتشرة في طول البلاد وعرضها ويبلغ اليوم عددها نحو ثلثمائة والحكومة تنفق عليها ما يلزمها من النفقات

مدنية آسيا الوسطى — ذكرت مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية ان ضابطين انكليزيين رحلا منذ مدة من بلاد الهند الى بكين مارين ببلاد تُبت وتركستان الصينية فاكتشفا في طريقهما اكتشافات أثرية مهمة وكانت هذه الاصقاع وهي اليوم تكاد تكون غير مأهولة مهد مدنيات قديمة قوية زال أثرها فكان بحث هذين الضابطين مذكراً بها . وساح عالم الماني في الشمال الشرقي من تركستان فاكتشف بعد عناء ثلاثة أشهر نقوشاً على الحيطان ومخطوطات كتبت بالخط الناكاري والبرهمي وهي من خطوط آسيا الوسطى ومن هذه المخطوطات ما هو مكتوب بالخط الصيني والتبتي والتانغوتاني والسرياني والمانشوي والويكوري والتركي الازرق ومنها ما كتب بلغة مجهولة غريبة ويظن انها سريانية أو مشتقة منها . وانت ترى في هذه الخطوط مجموعة من اللغات الآرية واللغات السامية يضاف اليها تلك اللغة التركية الزرقاء أقدم اللهجات التركية التي عرفت. والمخطوطات التانغوتانية من أنفس ما عثر عليهِ من هذه الآثار لأن هذه اللغة مشتقة من اللغة التبتية ومكتوبة بخط محرف من اللغة الصينية غريب في شكله ووضعه ولم تعرف هذه اللغة الا برسوم كان عثر عليها منذ مدة . وقد كتبت بعض هذه الكتابات على ورق وبعضها على ورق البردي وبعضها على رق ابيض جميل وبعضها على خشب وفيها من الفوائد التاريخية واللغوية ما اغتبط بهِ اهل البحث والعلم . ومما لفت الانظار من هذه الآثار خصوصاً المخطوطات المانشوية المكتوبة

باللغة الفارسية الوسطى بحروف خاصة اخترعهــا في فارس ماني مؤسس المذهب المعروف به سنة ٢٧٠ ق ٠ م وحلها مولر اللغوي في متحف خصوصيات الشعوب في برلين لان هذا المخطوطات تؤكد ما كان لفارس من النفوذ العظيم في آسيا الوسطى ومما اكتشفه العالم الالماني عدد عظيم من الجثث لابسة ثياب كهنة بوذيين ماتوا صبراً في المعابد التي كانت لهم سجوناً وفي هذه الجثث اشارة الى ما كان يجول في صدور الفاتحين الصينيين من الكراهة للديانة البوذية . والتماثيل المصنوعة من الجص هي تماثيل بوذا تدل على انه كان للهند في تلك العصور نفوذ ممتد الرواق في الشرق الاقصى ويابان

التنويم الكهربائي — جرب احد اساتذة مدرسة نانت الطبية في فرنسا التنويم بالكهربائية بدلاً من التنويم بالكلوروفورم فاسفرت تجربته عن نتائج حسنة فان المنوَّم يبقى بدون حركة اختيارية ولا يحس بأي ألم يحدث له ويبقى في حال سبات مدة مرور المجرى الكهربائي عليه فاذا حُوّل عنه يقوم لساعته وجرب ذلك في الكلاب والارانب

حفظ الثمار — اخترعت وسائط لحفظ الثمار ومن أقربها تناولاً ما اخترعه احد علماء الانكليز وذلك بتغطيس الثمرة مدة عشر دقائق في محلول مؤلف من ٣ في المئة من محلول حامض النمل الصناعي (فورمول) فالثمار اللطيفة القشرة كالعنب والتوت الافرنجي والكراز ينبغي ان تغسل بالماء الصافي بعد ان تجعل في ذلك المحلول اما الثمار الاخرى التي تقشر كالتفاح والكمثرى والدراق فلا لزوم لغسلها وتحفظ الثمرة بهذه الوسطة من ١٠ الى ١٥ يوماً فاذا قطفت قليلة النضج تسافر بهذه الطريقة الى البلاد الشاسعة ولا تنبعث منها رائحة

اللفافة الجديدة — ان اللفافة التي اخترعها احد رجال الانكليز في العام الماضي قد عرضت الآن في لندن وكثير من امهات مدن الولايات المتحدة وهذه اللفافة لاتطوي الجرائد فقط بل تلصق عليها الطوابع وتربطها وتعلق عليها العناوين وتجعلها رزماً

وأضابير . ويقول بعضهم ان هذه الآلة معقدة بعض التعقيد ولكنها لا تشغل مكاناً كبيراً وتغني عن استعمال مئات من الايدي فتطوي في اقل من ساعة الوفاً من الجرائد المعدة للارسال وتربطها وتزمها وتناط بها آلة اخرى تمنع من وقوع سهو في عدد الاعداد المرسلة .

المعارف في مصر — ظهر منذ ايام تقرير اللورد كرومر السنوي عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٦ فما قاله عن معارف مصر ان الاعتمادات المخصصة لها أصبحت الآن ٣٧٤٠٠٠ ج.م بعد ان كانت ١٩٧٠٠٠ ج.م سنة ١٩٠٣ . وان في القطر ٣٢ مدرسة ابتدائية راقية تحت تفتيش نظارة المعارف وكان مجموع تلاميذها ٧٥٨٤ مقابل ٦٨١٥ تلميذاً سنة ١٩٠٥ و٩٧ في المئة من التلاميذ مسلمون . وفي مصر ٢٠ مدرسة أخرى من هذا القبيل ارادت أن تكون تحت مراقبة نظارة المعارف وفيها ٤٦٩٠ تلميذاً وتقدم للامتحان في الدروس الابتدائية الاخيرة ١٦٣٤ طالباً تخرجوا من مدارس الحكومة و١٧٣٦ تعلموا في مدارس خاصة أو درسوا في بيوتهم فقبل منهم ٩٠٤ تلاميذ فقط او ٢٧ من مجموعهم ومن الذين نالوا الشهادة الابتدائية ٥٦٤ تلميذاً ما زالوا يتممون دروسهم في مدارس الحكومة او مدارس خاصة ومنهم ٢١٤ تلميذاً دخلوا في خدمة الحكومة و٢٦ اخذوا يتعاطون اعمالاً حرة لانفسهم ومنهم ١٠٠ بقوا بلا عمل

وتقدم للشهادة الثانوية ٧٤٠ طالباً يقابلهم ٤٤٧ في سنة ١٩٠٥ فقبل منهم ٣٦٦ او ٤٩ في المئة من مجموعهم وكان منهم ٢٥٦ اي ٧٠ في المئة مسلمين ومنهم ٢٧٧ ما زالوا يدرسون في المدارس العالية و٧٢ دخلوا في خدمة الحكومة و١٢ استخدموا في أعمال خاصة و ٥ ظلوا بلا عمل ونحو ٤١ في المئة من الطلاب المقبولين أخذوا أنفسهم بدراسة الحقوق و ٢٦ في المئة درسوا الطب و ٢٤ طالباً دخلوا دار المعلمين

وقال في كلامهِ على الكتاتيب انهُ أنشئ في مديرية الدقهلية منذ أقل من سنتين ٢٢٨ كتّاباً من أموال الاغنياء ووقف عليها ما لا يقلّ عن ٣٠٩ أفدنة ما عدا المباني

ولم ينشأ في خلال السنة الماضية في القطر سوى ٣٣ كتاباً جديداً وأصلح ٩٠ وكان عدد الكتاتيب في القطر سنة ١٨٩٨ — ٣٠١ كتاب فيها ٦٩٣١ صبياً و ٨٩٨ بنتاً و٤٩٠ معلماً و٩ معلمات فاصبحت سنة ١٩٠٦ — ٤٤٣٢ — فيها ١٤٥ . ٨٣٨ صبياً و١٠.٧٠٤ بنتاً و ٦٥٥١ معلماً و٣٣ معلمة وشكا من قلة اقبال النساء على ان يكنَّ معلمات كما شكا من جهل المعلمين الموجودين في المدارس الابتدائيـة ونسب اليهم اخفاق التلاميذ في التقدم لنيل الشهادة

وقد بلغ عدد مدارس البنات ٢٠٩ وعدد التلميذات ١٣٧٠٥ و بلغ عدد البنات اللائي يذهبن الى كتاتيب الحكومة ٢١٣٥ وعدد اللائي يذهبن الى الكتاتيب الأخرى ١٠٧٠٤ تلميذات وقال ان الأهالي اقبلوا على تعليم بناتهم والتوسع في تلقينهنَّ علوماً أكثر من الأول

وتكلم على مدرسة الزراعة فقال ان فيها ٦٥ طالباً منهم ٣٨ مصريين و٢٧ مختلفة أجناسهم ومن هؤلاء المصريين ٢٩ من المسلمين . قال ولا يزال معدل المسلمين في هذه المدرسة قليلاً على زيادة فيه . وقال في كلامه على مدرسة الهندسة ان فيها الآن ٨٩ طالباً منهم ٥٨ مسلماً وقد دخل اليها ٤٠ طالباً في شهر سبتمبر الماضي منهم ٣٠ مسلماً فعدد الطالبين من المسلمين في هذه المدرسة يزداد سنةً عن سنة . ولفت انظار المصريين الى تعليم اولادهم الهندسة وقال ان مصر محتاجة الى مهندسين وطنيين وفيها أعمال كثيرة لهم

وذكر مدرسة الحقوق فقال : ان طلبتها الآن ٣٥٨ طالباً منهم ٢٦٣ مسلماً وقال ان الاقبال على تعلم الحقوق زاد منذ ست سنين . وقد نال شهادة الطب من المدرسة الطبية في القصر العيني ٢٠ طبيباً وتقدم للدخول فيها ٩٧ فقبل منهم ٥٣ طالباً . قال اللورد : ان عدد الاطباء قليل وان الامة بقدر ما تستنير تشتدُّ حاجتها الى الاطباء

وأشار في كلامه على مدرسة البيطرة الى أن فيها ٣٠ طالباً وفي كلامه على مدرسة العميان انها آخذة في التقدم والعطايا تنهال عليها وان فيها ٢٧ طالباً داخلياً وانهُ اختلف اليها في السنة الماضية نحو عشرة اولاد كل يوم بصفة خارجية . وقال ان في مدرسة فيكتوريا في الاسكندرية ٢١٥ صبياً منهم ٧٩ اسرائيلياً و٧٩ مسيحياً و٥٧ مسلماً

وقال في كلامه على المعارف في السودان : ان في مدارس حكومتها ٤٣٠ تلميذاً منهم ٣١١ مسلماً و٢٥ قبطياً و٤ اسرائيليين وذلك ما عدا صبيان الكتاتيب . وان قد اخذت تنشأ النتائج الحسنة من التعليم في السودان بعد أن رأى السودانيون ان منهم ٣٧ رجلاً تخرجوا في مدارس الحكومة فاستخدمتهم بعد في اعمالها . وأشار الى كلية غوردون في الخرطوم فقال ان تلاميذها قلائل وان خطتها تنشئة معاونين مهندسين ومساحين وان تكون فيها مدرسة ثانوية ومدرسة ابتدائية.وأصبحت المدارس الابتدائية الراقية في السودان ست مدارس فيها ٧٦٢ تلميذاً . وفي مدرسة الصنائع التي هي فرع من فروع كلية غوردون ١٢٥ خريجاً يتعلمون الصنائع المختلفة . ويؤخذ من كلام جناب اللورد ان الكتاتيب الخصوصية للذكور ضعيفة جداً في السودان على رغم تنشيط الحكومة لها وتكلم على مدارس المرسلين في السودان وقال ان الحكومة السودانية لم تأذن لهم بانشاء مدارس في الاصقاع السودانية المختلفة لان الاهلين كلهم من المسلمين وغاية الامر أنها ترخص لهم بانشاء مدارس في الخرطوم حاضرة السودان لتكون هذه المدارس تحت مراقبة الحكومة ولان فيها أولاداً لغير الطائفة الاسلامية . وعلى الجملة فان القارئ يلاحظ معنا بعد تلاوة ما تقدم أن مصر والسودان يستحيل عليهما أن يبلغا في معارفهما مبلغ الحكومات الراقية في كثرة المتعلمين والمتعلمات قبل أن تمضي قرون اذا ظلّ العمل جارياً على هذا النحو في البطء

آثار الافغان — ذكرت احدى المجلات الانكليزية في الهند بحثاً لأحد رجال التاريخ والأثر كشف فيهِ الغطاء عن بعض ما اشتملت عليهِ افغانستان من الشؤون التاريخية فقال ان افغانستان تهم كلاً من الهند وفارس وان اسمها كان على عهد خلفاء الاسكندر آري كما أطلق عليها آراشوزي و بارو باميز ودارنجيان وكانت لها مدنية راقية و بعد ان انتقل منها العنصر اليوناني الى بلاد الهند كانت كرسي مملكة الهند السيتية (السيت قبائل رحالة متوحشة كانت في الشمال الشرقي من أوربا وفي الشمال الغربي من آسيا) وهناك اجتمعت أديان ثلاثة وهي المزدكية والبرهمية واليونانية . وانك لترى الى اليوم فرعاً من لغة الزاند سارية في لغة افغان ومعظم اسماء المدن الحديثة من افغانستان ورد في كتاب ديانة الفرس الاقدمين . أما كون بارسيس من المتشيعين لزردشت في الهند استولى في غابر الدهور على بلاد الافغان فذلك ثابت بما شوهد من انقاض المعابد والحصون

النساء والاجتماع — تكلم أحد الباحثين من الفرنسيس في مجلة العالمين البار يزية عن الاعمال التي تقوم بها النساء في فرنسا لتحسين أحوال بنات جنسهن فذكر من الجمعيات المفيدة جمعية اتحاد البيوت لمؤسستها الآنسة كاهيري فقال ان غايتها ان تلقي في ذهن اعضائها منذ سن الطفولية حب الاقدام والتبصر والتكافل وان هذه الجمعية أقامت بيتاً يأوي اليه الاطفال من السنة الثانية ونصف الى السادسة فيعلمون ما يعدهم لتلقي الدروس الابتدائية بعد ذلك من أسهل الطرق . وقد جرى العمل في هذا المأوى بمذهب فوبرل في التربية ومذهبه مؤسس على مبدئين عظيمين وهما تعلم الولد القراءة قبل ان يتعلمها في الكتب وأن يتعلم الرسم قبل أن يؤخذ بتعلم الكتابة . والأسرة تدفع عن كل طفل من أولادها أو بناتها عشرة سانتيمات في اليوم واذا ارادت تعليمه الرياضة البدنية فتدفع عنه أجرة ذلك ٢٥ سانتيماً في الشهر وتدفع خمسين سانتيماً عن كتب تقدم له في الشهر

ومتى أحبت أسرته تعليمه الموسيقى تدفع عنه فرنكين في الشهر . ويتعلم البنات في هذا المأوى علم تدبير المنزل ويتلقين دروساً في الطبخ بحيث اذا أتقنها لا ينفقن أكثر من فرنك في اليوم عن كل شخص يُراد اطعامه واعالته . وهذه الجمعية تعلم ثمانمائة طفل ويجتمع آباء الأولاد وأمهاتهم كل شهر مع المعلمات المربيات ليتفاوضوا معهم في تربية أطفالهم . وفي سنة ١٩٠١ أنشئت في فرنسا اول مدرسة لتعليم تدبير المنزل انشأتها امرأة من فضليات النساء وفي فرنسا اليوم خمسون مدرسة من مثل هذه فيها ١٢٠٠ تلميذ وتلميذة منها خمسة في باريز ويعلم في كل مدرسة مايلزم للمختلفين اليها من الذكور والأناث وما يلائم حالهم وشأنهم

الذهب — كان المستخرج من الذهب سنة ١٧٩٦ : ٩٠٠ مليون فرنك فصار سنة ١٩٠٦ ملياراً و٨٠٠ مليون فرنك

احياء الموتى — اخترع أحد علماء الاميركان الاستاذ بو آلة كالمضخة «الطلمبة» التي تستخدم لاملاء اطار الدرّاجة بالهواء بعد تفريغهِ منه وقال انه يحيي بها بعض الحيوانات كالارانب والكلاب والجرذان وقد أجرى بالفعل تجارب من هذا القبيل فأفلح في تجرباتهِ ويقول انه يتمكن بآلتهِ من احياء من يموت من البشر مختنقاً او مسموماً ويحيي من يموتون تحت البنج ويمنع موت الاطفال اختناقاً عند الولادة ويعيد السكارى الى صحوهم بعد خمس دقائق ويحيي المصعوقين بالكهربائية الى غير ذلك من الاعاجيب التي قام بها بعد اشتغال ٣١ سنةً ودهش لها العلماء وصفقت لها مجامعهم وأنديتهم

محسنة أميركية — روت جريدة الهدي النيويوركية أن العقيلة رسل ساج أرملة أحد كبار اغنياء نيويورك (خلف لها زوجها ثمانين مليون ريال) قد منحت اليوم ١٠ ملايين ريال اختارت لتوزيعها نخبة من أفاضل جمهورية اميركا وفاضلاتها وجعلت

غايتها : — (١) تحسين حالة بيوت الفقراء صحياً . (٢) مقاتلة السل في نيويورك وأمهات المدن بتعليم المسلولين كيف يشفون بالعمل في الخلاء وأكل بعض المغذيات والامتناع عن المسكرات والتدخين وتعليم أهلهم كيف يتقون الداء . (٣) ارسال أولاد الفقراء الى البرية عند اشتداد الحر . (٤) جمع فضلات موائد الاغنياء لاطعام الجياع . (٥) مقاومة تدخين القاصرين . وتنوي هذه المحسنة انفاق ما خلفهُ لها زوجها فى مثل هذه السبل من اعمال الخير ونفع البشر

الاعمال العقلية — قال الدكتور فلوري في بحث له في المجلة الفرنسوية ان الاقلال من الطعام هو خير ما تداوى به معد أرباب الاعمال العقلية الذين يقضون الساعات الطويلة محصورين في غرف ضيقة يعملون اعمالاً تهيج اعصابهم وتثير قواهم وأدمغتهم وأكثرهم معرضون لوجع المفاصل وضعف المجموع العصبي . وقد أحصى الطبيب المشار اليه ٣٣ رجلاً من أرباب الاعمال والاموال و٢٦ من المستخدمين في الادارات و٢١ طبيباً فلم يظفر من بينهم بغير ٤ محامين ونقاشين ووكيل دعاوٍ واحد سالمين من الضعف مثل تعب الذاكرة وتشوش الفكر وضياع الارادة والسوداء وقلة الهمة للعمل وغير ذلك . قال : وكل ذلك ناشئ في الاكثر من الافراط في تناول اللحوم والخمور والالكحول والشاي والقهوة والدخان . وهو يصف لارباب الاشغال العقلية اذا كانوا لم يصابوا بأعراض هذه الامراض أن يقتصروا في الصباح على مائتي غرام من القهوة باللبن وقرصين بالسمن وعند الظهر أن يتناولوا قرصين بالسمن على شكل الخبز ومئة الى مئة وخمسة وعشرين غراماً من اللحم المشوي بدون « صلصة » وعلى بقول خضراء او

« سلاطة » مطبوخة وطعام من اللبن وكعكتين وفي المساء أن يتناولوا حساء وفطائر أو بقولاً ناشفةً او خضراء وفواكه مطبوخة وكعكتين بالزبدة وأن يمتنعوا كل الامتناع عن الخمر والمشروبات الروحية على اختلاف انواعها ويقللوا من القهوة

آلة للعمى — يقال ان عالماً نروجياً اخترع آلة توضع في عيون العمي فيبصرون ولكن لا بعيونهم كالمبصرين بل بتنبيه حواسهم

سحب الحمولات — كان يجري النقل في أوربا قبل اختراع السكك الحديدية على السفن في البحار والأنهار والترع وكانت الاجور التي تؤخذ عن النقل قليلة بالنسبة وقد عادت المانيا اليوم الى استعمال النقل في بعض أنهارها الكبيرة على السفن التى تسير بالكهربائية وتقطر معها عشرات من السفن فثبت لها ان مليوني طن من الاثقال تكلف أجرة نقلها بالكهرباء مثل ما تكلف بالبخار واذا تضاعف هذا العدد تقل النفقة عشرين في المئة ولذلك ستحذو أكثر الحكومات حذو ألمانيا

واقي الحبوب — اكتشف أحد علماء فرنسا اكتشافاً يقي الحبوب كالقرطمان والحنطة والشعير والذرة وغيرها من الآفات التي تطرأ عليها فتغيرها فخدم باكتشافه الزراعة خدمة لا تقدر بثمن

البحث في الاعماق — لم يتمكن الباحثون في أعماق المحيط الى بلوغ أكثر من ثلاثة عشر متراً فاذا جاوزوا هذا القدر واضطروا الى النزول الى عمق أكثر يستخدمون المسبار وقد اخترع أحد المهندسين آلة يستعملها الغطاس فتمكنه من الوصول الى السفينة الغرقى في قعر البحر وبها ينزل

الى عمق مئة متر بسهولة وقد جرب هذا المهندس هذه الآلة المعدنية ١١٥ مرة فوفت بالغرض وتوفر على تجربة اختراعه خمس سنين فتم كماله أخيراً على ما يرام . وهذه الآلة تجدد الهواء من تلقاء نفسها بواسطة محركات كهربائية معلقة بها وتنير للغطاس طريقه بالكهربائية أيضاً .

النزلة الصدرية — ثبت لدى كبار الاطباء ان النزلة الصدرية تعدي كالسل والجذام وغيرهما من الامراض وقد رأى أحدهم في لندن ان تصدر الحكومة أمرها الى شركات السكك الحديدية بتطهير المركبات ونفض المخدات والمتكآت والمقاعد في عجلات الخطوط الحديدية بعد ان تسير مدة لان جراثيم النزلة تعلق فيها لامحالة وقال ان المفرط في تناول الالكحول هو معرض للوقوع في هذا المرض أكثر من غيره وقال غيره ان المصاب بالنزلة اذا أقام في منزله خمسة عشر يوماً لم يخرج للناس يقل جداً المصابون بالنزلات الصدرية بقلة اختلاط السقيم بالسليم

جمعيات التعاون — عمت هذه الجمعيات أوربا بأسرها ففي المانيا نحو ألفي جمعية من هذا النوع ومثلها في ايطاليا وفي الدانيمرك الف جمعية وللبلجيك من هذه الجمعيات انواع وضروب نافعة وفي انكلترا من هذه الجمعيات ألوف وأهلها ينفقون على البائس والفقير بألوف الالوف فقد قدر أحد كبار رجال الانكليز العارفين ان الانكليز انفقوا على هذه الجمعيات ٧٥٦ مليون فرنك

اللحوم في فرنسا — فى احصاء اخير انفرنسا تكثر فى هذه الايام من تناول لحم الخيل ويقبل أهلها عليه ايما اقبال فانك ترى فى كل مدينة لها بعض الشأن من مدنها

مسلخاً لذبح الخيول وقد أكلت مدينة باريز فى السنة الماضية اربعين الف حصان اي ثمانية اضعاف ما كانت تأكل منذ سبع سنين . ولحم الخيل يساوي نصف لحم الضأن واذا روقب أمر تقديمه لا يضر بالصحة أصلاً كما تقدم فى غير هذا الموضع

ثروة الولايات المتحدة — لو وزعت الثروة في الولايات المتحدة على الافراد بالتساوي لاصاب كل أمريكي ١٢٣٥ دولاراً و٨٦ سنتاً وفي الولايات المتحدة و١٢٥ الف رجل يبلغ مجموع ثروتهم ٣٣ مليار دولار فلو قسمت عليهم بالتساوي لاصاب كل واحد منهم ٢٦٤ الف دولار وفيها ١ مليون و ٣٧٥ الف رجل يبلغ ثروتهم ٢٣ مليار دولار فلو وزعت عليهم بالتساوي لنال كل شخص منهم ١٦ الف دولار وفيها ٥ مليون و٥٠٠ الف شخص يبلغ مجموع ثروتهم ٨ مليارات و٢٠٠ مليون دولار فلو وزعت عليهم بالتساوي لنال كل فرد منهم ١,٥٠٠ دولار وفيها ٥ ملايين و٥٠٠ الف شخص يبلغ مجموع ثروتهم ٨٠٠ مليون دولار فلو وزعت عليهم بالتساوي لاصاب كل واحد منهم ١٥٠ دولاراً فهؤلاء ١٢٠ مليون و٥٠٠ الف شخص من سكان الولايات المتحدة يستحقون ان يذكروا في التقويمات المالية العامة ويبقى ٧١ مليوناً من سكانها غير موجودين مالياً

أصدر المستر ركفلر المثري تقريراً مثبتاً بشرف كلامه ان ثروته لا تتجاوز ٣٠٠ مليون دولار وان دخله السنوي من ١٥ مليوناً الى ٢٠ مليون دولار

ومن الاغنياء المستر كارنيجي الذي تقدر ثروته بمبلغ ١٦٦ مليون دولار ومسز انا واكر التي تقدر ثروتها بمبلغ ١٣٠ مليوناً ويليهما عدد كبير ممن تقدر ثروة الواحد منهم بمئة مليون دولار كفندر بلت وغيره وكل هؤلاء عاملون على زيادة ثروتهم لا على تفريقها فهم يملكون المناجم والسكك الحديدية واكثر الشركات التجارية وتقدر ثرواتهم مجموعة بمبلغ ٤٠ مليار دولار حال كون الاموال المبذولة في سبيل الخير في الولايات المتحدة كلها تقدر بأربعين الى خمسين مليون دولار وليست الا مبلغاً جزئياً بالنسبة الى دخل الاغنياء وليست كلها مجموعة منهم

عن الهدى بتصرف

المقتبس

الجزء الرابع من المجلد الثاني

ربيع الثاني سنة ١٣٢٥ الموافق مايو (ايار) سنة ١٩٠٧

تبذير الكبراء

الاسراف في الغالب آفة من آفات الحضارة ولا اسراف اذا لم توجد حضارة وعلى نسبة حضارة الامة وغناها يكون في الاكثر بذخها واسرافها وان شئت فقل اسراف اهل البسطة والغنى . مثاله ما نسمعه لهذا العهد عن ديار الغرب وايغال الموسرين من اهله في الانفاق على كل ما طاب وحلا و بهرج و زخرف فينفق انفرد في الشهوات والتبرج ما يكفي لاعالة عشرات الالوف اعواماً . وتأتينا عنهم انباء لا تكاد تصدق لولا تناصرها واتفاق المشاهدين لها عياناً على اثبات ما يقال ويروى . ولو استقريت تاريخ الامم لرأيت الشيء الكثير من ذلك قبل الوف من السنين وآخر من انتهت الينا اخبار ترفهم الرومان واليونان لما بلغت الحضارة بينهم حدها .

وهذا الشرق ايضاً ما خلا في كل دور من ادواره من مترفين كانوا اخوان الشياطين واسراف اليوم يختلف عن اسراف امس فانه كان في غابر الاحقاب مقصوراً على رجال الدول والكلمة النافذة عند الملوك والسلاطين اما اليوم فالاسراف يكون من الرعاة والرعايا معاً خصوصاً بعد ان انتقلت الثروة الى الافراد . وتاريخ العرب لم ينقل الينا سوى اخبار الامراء والملوك وما عني المؤرخون بنقل اخبار الافراد من الاغنياء ولذلك كان علينا اذا رغبنا ان نستشهد تاريخنا ونبحث في حالتنا الاجتماعية في القرون الغابرة ان نقتصر على ايراد ما انتهى الينا علمه من اخبار اولئك العظماء وهي لا تخلو من عبرة وتسلية .

خذ لك امثلة لا تستغرب بعدها زوال الممالك الشرقية وتقرأ فيها نموذجاً من تفننهم

في دورهم وقصورهم وافراحهم ومجتمعاتهم . فقد رأت الرميكية زوج المعتمد بن عباد الاندلسي الناس يمشون في الطين فاشتهت المشي فيه فامر المعتمد فسحقت اشياء من الطيب وذرت في ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على اخلاط الطيب وعجنت بالايدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاضبها في بعض الايام فاقسمت انها لم ترَ منه خيرًا قط قال ولا يوم الطين فاستحت واعتذرت .

ولما اقتعد ابن ابي عامر الذروة في ايام الحكم الاندلسي صنع قصرًا من فضة لصبح ام هشام وحمله على رؤوس الرجال لجلب حبها بذلك وقامت بأمره عند سيدها الحكم وحدث الحكم خواصه بذلك وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا بما يتحفهم به .

وكان في دار القاهر بالله عشرة آلاف خادم من الخصيان ويفرق الضحية من الابل والبقر اربعين الف رأس ومن الغنم خمسين الف رأس . وكان عز الدولة بن بويه متوسعًا في الاخراجات والكلف وكان يتناول احد الموظفين بايقاد الشمع امامه الف من في كل شهر .

ولما بعث ملك الروم يتوعد المستكفي بالله بالقتال استعرض عسكره فكان جملة العسكر المصفوف مائة الف وستين الفًا ووقف الغلمان بالزينة والمناطق الذهبية وكذلك الخدم والخصيان ووقف الحجاب وكانوا سبعمائة وزينت دار الخليفة بالستور والبسط فكانت جملة الستور المعلقة ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج المذهب وكانت جملة البسط اثنين وعشرين الف بساط وكان في جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة تشتمل على ثمانية عشر غصنًا واوراقها من ذهب وفضة واغصانها تتمايل بحركات موضوعة وعلى الاغصان طيور خضر من ذهب وفضة ينفخ الريح بها فيصفر كل طير بلغته .

وحكى الصابي عن بعض الرسل قال: دعينا الى باب مسعود يعني ابن محمود بن سبكتكين بغزنة فشاهدنا بالباب اصناف العساكر وملوك جرجان وطبرستان وخراسان والهند والسند والترك وقد اقيمت الفيلة عليها الاسرة والعماريات الملبسة بالذهب مرصعة بانواع الجواهر واذا باربعة آلاف غلام مرد وقوف سماطين وفي اوساطهم مناطق الذهب وبايديهم اعمدة الذهب ومسعود جالس في سرير من الذهب لم يوضع على الارض مثله وعليه الفرش الفاخرة وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر واليواقيت وقد احاط به الغلمان الخواص باكمل زينة ثم قام مسعود الى سماط من فضة عليه خمسون خوانًا من الذهب على كل خوان خمسة اطباق من ذهب فيها انواع من الاشربة فسقاهم الغلمان ثم قام مسعود الى مجلس عظيم الاقطار فيه الف دست من الذهب واطباق كبار خسروانية فيها الكيزان وعلى كل طبق زرافة ذهب واطباق ذهب فيها المسك والعنبر والكافور واشجار الذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت

وشموع من ذهب في رأس كل شمعة قطعة من الياقوت الاحمر تلع لمعان النار واشجار العود قائمة بين ذلك وفي آخر المجلس رحىً من ذهب تطحن المسك والكافور والعنبر وفي جوانب المجلس بحيرة في جوانبها من الجواهر والعنبر والفصوص شيء يقصر الوصف عنها وذكر اشياء أُخر تحير الاسماء والاسماع — قاله ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار

ومما يعد في باب ترف الكبراء وسرفهم ما رواه المقريزي من أعذار (طعام الختان) بني ذي النون ملوك طُليطلة من الثغر الجوفي في الاندلس وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الى الغاية ولهم الاعذار المشهور الذي يقال له الاعذار الذنوبي وبه يضرب المثل عند اهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند اهل المشرق . وبوران هي ابنة الحسن بن سهل امرأة المأمون قالوا لما دخل اليها نثرت عليه جدتها الف لؤلؤة من انفس ما يكون فامر المأمون بجمعه فاعطاه بوران ثم اوقد تلك الليلة شمعة عنبر فيها اربعون منّاً (رطلاً) وقالوا ان المأمون لم يرقه هذا الاسراف وقال فيه . واقام المأمون في معسكر الحسن سبعة عشر يوماً يعدُّ له كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج اليه وخلع الحسن على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ ما لزمه خمسين الف الف درهم وكتب الحسن اسماء ضياعه في رقاع ونثرها على القوّاد فمن وقعت بيده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها واوعز الى النوتية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصور الملك بمدينة المأمون لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين الفاً اجازوا الناس بها أُخريات نهارهم .

والمتتبع لهذه الاخبار يعثر منها على الكثير ولا سيما في ايام مباهاتهم ولائمهم واعراسهم فقد روى المؤرخون ان ابا الجيش خمارويه بن طولون صاحب مصر لما زوّج ابنته اسماء للمعتضد بالله العباسي على صداق قدره الف الف درهم جهزها ابوها بجهاز لم يعمل مثله حتى قيل كان لها الف هاون ذهب وشرط عليه المعتضد ان يحمل كل سنة بعد القيام بجميع وظائف مصر وارزاق جنودها مائتي الف دينار ويقال ان المعتضد اراد بزواجها افتقار الطولونية وكذا كان . وذكر ابن الاثير في حوادث سنة ثمانين واربعمائة كيف نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه السلجوقي الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي وكان اكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى اربعة وسبعين بغلاً مجللة بانواع الديباج الملكي واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقاً من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فرساً من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة

كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر اهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيداً ثم ارسل الخليفة — المقتدي بامر الله — الوزير ابا شجاع الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق في الحريم دكان الا وقد اشعل فيها الشمعة والاثنتان واكثر من ذلك وارسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسناً وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا امير المؤمنين يقول ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقد اذن في نقل الوديعة الى داره فاجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من اعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها وبين ايديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر اكثر شيء وقد احاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد احضر الخليفة امراء السلطان لسماط امر بعمله حكي ان فيه الف من من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر في العسكر وارسل الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك

وهكذا كانت اعمال اولئك الرجال تصدر عنهم بلا روية ولا حساب لان الرعايا والبلاد والثروة كانت لهم يتصرفون فيها بما يشاؤون واين هذا الترف من ذاك الاقتصاد الذي أُثر عن عمر بن عبدالعزيز وقد امر جليسه رجاء بن حيوة ان يشتري له ثوباً بستة دراهم فاتاه به فجسه وقال هو على ما احب لولا ان فيه ليناً قال رجاء: فبكيت قال: فما يبكيك قال: اتيتك وانت امير بثوب بستمائة درهم فجسسته وقلت هو على ما احب لولا ان فيه خشونة واتيتك وانت امير المؤمنين بثوب بستة دراهم فجسسته وقلت هو على ما احب لولا ان فيه ليناً فقال: يارجاء ان لي نفساً تواقة تاقت الى فاطمة ابنة عبدالملك فتزوجتها وتاقت الى الامارة فوليتها وتاقت الى الخلافة فادركتها وقد تاقت الى الجنة فارجو ان ادركها. وقال: قُوّمت ثياب عمر بن عبدالعزيز وهو يخطب باثني عشر درهماً وكانت قباء وعمامة وقميصاً وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة.

بل اين ذاك الاسراف من زهد نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر فانه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فاعطاها ثلاث دكاكين في حمص كانت له يحصل له منها في السنة

نحو العشرين ديناراً فلما استقلتها قال: ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك . وكذلك كان خليفته صلاح الدين يوسف ابن ايوب فانه كان على كثرة فتوحه وبسط يده على ذخائر وكنوز عظيمة لم يدخر منها شيئاً وفرقه في وجوه المبرات واقامة المعالم الخيرية حتى اذا لحق بربه لم يخلف في خزائنه غير دينار واحد صوري وار بعين درهما ناصرية ولما بنى له احد رجاله في دمشق قصراً مشرفاً بهجاه بحه على عمله ولم يرض ان يسكنه لما انفق عليه من النفقات الفاحشة .

وبالجملة فتاريخ الامة ينعي على المسرفين اعمالهم كما ينادي بالثناء على المقتصدين من رجالها فان جاء مثل ابن عباد وابن ابي عامر والقاهر والمستكفي والحسن بن سهل فقد جاء امثال عمر بن عبدالعزيز ونور الدين وصلاح الدين وكل منهم ذكر بعمله ولقي جزاءه في قصده واسرافه .

الانتحار

سلامٌ على الدنيا سلام مودع رأى في ظلام القبر انساً ومغنما

الانتحار واسبابه

الانتحار قتل النفس . ولا يعمد المرء اليه حتى تضيق به الدنيا او تضيق به نفسه . ولا يبعث الانسان على الانتحار باعث اشدّ من ضياع امل له كان يعلل به قلبه او نعمة زالت كان يمرح في نعيمها او مال فقده على غير رغبة منه او أسر وقع فيه وهو لا يرجو منه فكاكاً او ذنب جناه ولا يرى له من الجزاء عليه خلاصاً او غرام كوى فؤاده وهو لا يرجو ان يطفيء ناره بماء الوصال .

وهناك باعث اشد من تلك البواعث واعني به سوء التربية ونقص التهذيب . فان النفس الساذجة كالسيف البتار الذي اغفلته الصياقل او كالحجر الكريم لا يبدو بهاؤه حتى يزيل صدأه العامل الحاذق فيبهر الابصار بنوره . والتهذيب يصقل النفوس ويظهر الفضيلة الكامنة .

وانك ترى اخا الجهل اذا ثارت براسه سورة الغضب ولم يكن الانتقام طوع بنانه او احب حباً اخذ برشده وغشى على بصيرته ولم ينل اربه او فقد مالاً قليلاً تعب في الحصول عليه يضيق به عقله ويقتل نفسه بيده

الحكماء والانتحار

وابعد الناس عن قتل النفس اهل الحكمة والعلم فانهم يرون الانتحار جبناً وضعفاً في العزيمة ووهناً في الهمة . وهم اذا لم يبلغوا مناهم عادوا فاملوا واذا زالت نعمة كانوا يرفلون في حللها قدموا بآثارها وان فقدوا مالاً فالمال ادنى ما يتطلبون وان نالهم اسر علموا بان

لكل شيء مدة وتنقضي ما غلب الايام الا من رضي

وهم اشد الناس احجاماً عن الذنوب فانى لهم ان يجرموا فيحتويهم القنوط ? اريد باهل الحكمة اولئك الذين نالوا من العلم منالاً كبيراً فاسفرت لهم الحقيقة وعلموا بخلود النفس .

الفلاسفة الماديون والانتحار

ومن المفكرين فريق لا يقول بالنفس والخلود ويرون ان الموت نهاية كل حي . وهذا الفريق يؤثر الموت على الحياة والفناء على البقاء ويرى ان الحياة شر وتعذيب وفي الموت كل الراحة والهناء . ومن انصار هذا الفريق فريق الماديين وهم يقولون بان النفس بدعة لا وجود لها وان الكون خلق من المادة . انما توجد في الخلق الحياة بالحركة وغيرها من القوى الكامنة في المادة . ومنهم الدهريون القائلون بان « العالم ارحام تدفع وارض تبلع »

وان المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

وان امر الانسان في حياته موقوف على صروف الزمان . هؤلاء باسرهم يقولون بتفضيل الموت على الحياة ويرون ان الحياة ذنب جناه الناس على النسل . وقد نشأت هذه المبادئ عند الفرس واليونان وغيرهم من الامم التي اتى عليها الزمان . فلما اشرقت شمس الحكمة في الغرب واينعت ازهار المدنية الحديثة قام من الغرب اناس يدعون الى تلك المذاهب والبسوها لباس الغلو الشديد . حتى حدت الحال ببعضهم ان اسسوا جمعيات بعدان ائتمروا بينهم على الانتحار بالتعاقب فينتظم الفرد في سلكها على ان يقتل نفسه اذا انتهى اليه الدور واصابته النوبة .

الجهلاء والانتحار

وترى الجاهلين وهم لم يسمعوا بالخلود ولم يعوا بان لهم نفوساً زكية لها بالخالق اتصال ولم يعلموا بمبدإ الماديين ولم يبلغهم مذهب الدهريين اذا سئموا تكاليف الحياة (واي الرجال لم يسأم ?) عمدوا الى نفوسهم فاختطفوها من بين جنوبهم وهم على يقين من انهم يلقون عذاباً اليماً قائلين ولعذاب الآخرة خير لنا من تكاليف الاولى

كتاب القصص والانتحار

يلعب كتاب القصص بالنفوس لعباً . ويندر ان تقع لك قصة لا تنتهي بقتل نفس ليأس استحوذ على رجل او حب احدث في قلبه جنوناً . ولقد تنال تلك الصغائر من صغار العقول منالاً كبيراً فتمهد لهم السبيل الى ارتكاب ما يرتكبون .

على انه ليس في كتاب (الف ليلة وليلة) وهو اشهر القصص في لسان العرب قصة تنتهي بقتل النفس . وقد يقاسي احد ابطال ذلك الكتاب اهوالاً تشيب لها الولدان ولا يخطر على قلبه قتل نفسه .

واخبار العرب في كتب الادب وهي كثيرة غزيرة فيها اخبار الحروب والغرام والثأر والانتقام لا تجد فيها خبراً ينتهي بقتل النفس . انما تسرب الينا الاقتداء بابطال القصص في قتل النفس من تلك القصص الغربية التي يتحفنا بها المعربون

فن التمثيل والانتحار

وانك لا تشاهد رواية مؤلمة حتى تجد لقتل النفس فيها اثراً كأنه هو ما يعمد اليه الناس وقت ضيقهم وهم لا يعمدون الى خالقهم او يثوبون الى رشدهم .

واشد تلك الروايات في النفس وقعاً رواية (شهداء الغرام) وخلاصتها ان فتى يعشق فتاة . ويقف العداء في سبيل قربهما . ثم يحدث انه يقتل قريباً لها فينفيه الملك فتحزن عليه حبيبته وتجرع كأساً ينالها بعده سبات عميق فيدفنها اهلها . ويأتي حبيبها الى قبرها زائراً على غير علم بانها لا تزال حية ترزق . واذا ما رأى قبر حبيبته ورأى جمالها الفتان قد ذبلت زهرته يجرع سماً زعافاً فيختطف روحه الموت الزؤام وتفيق حبيبته من سباتها فيأخذ بصرها حبيبها فتراه جثة خامدة قد اطفأ الموت شعلتها فتقتل نفسها

وغير هذه من روايات شكسبير رواية القائد المغربي . فانه تلحقه غيرته على امرأته من رجل غريب ويوقع بينه وبينها رجل من اهل الشر والفساد فيخمد انفاسها . ثم يحصحص الحق ويدري بانها بريئة وان شرفه سليم لم يدله اذى فيقتل نفسه غيظاً من نفسه

ومن روايات فيكتور هوجو رواية طبق الخافقين ذكرها واشتهر امرها بين اهل الفضل والادب اسمها (رويبلاس) وخلاصتها ان اميراً من امراء الاسبان رأى ان الملك صائر الى الزوال لان الملك كان كثير التنقل والارتحال والملكة من ربات الجمال فأتى في بعد الملك بغلام من السوقة بهي الطلعة وقال انه اخوه فاحلته الملكة محل الاكرام والتبجيل واحب الغلام الملكة حباً مبرحاً هذب نفسه ولطف من خلقه وسما به سمواً كبيراً . ورأى

روبيلاس الوزراء يوماً يتفاوضون فيما بينهم على مال المملكة فعنفهم فسمعته الملكة فاحبته وقربته اليها . ولما علم الامير المحتال بذلك جمع بينهما تحت مدارع الظلماء على غير علم منهما بقصده ثم فاجأهما ووصم الملكة بوصمة العار وذلك لتخلى عن الملك وينفرد به . فعز الامر على روبيلاس وخلع لباس الامراء وقال انك لقيت الملكة مع غلام من بطانتها ولم تجدها مع امير يظن به وبها السوء . فذعر الامير الكبير لفعله فاخذ الغلام بسيفه وقتل به الامير ثم جرع السم فارتاعت الملكة وصرخت بملء فيها (روبيلاس) فيقول وهو يتضاءل بين يدي الموت :

« مولاتي الرحمة والرضوان »

ثم يغلبه الموت على امره .

قصيدة من الشعر

وحرام على حافظ ابراهيم ان ينظم قصيدة تهيج النفوس الساكنة وتحرك الشر في القلوب وتحمل من نالت منه الخطوب على ان يقتل نفسه اذ قال حفظ الله نفسه :

سعيت الى ان كدت انتعل الدما ... وعدت وما اعقبت الا التندما
سلامٌ على الدنيا سلامُ مودع ... رأى في ظلام القبر انساً ومغنما
اضرت به الاولى فهام باختها ... وان ساءت الاخرى فويلاه منهما
فهبي رياح الموت نكباً واطفئي ... سراج حياتي قبل ان يتحطما
فيا قلب لا تجزع اذا عضك الاسى ... فانك بعد اليوم لن تتألما
ويا عين قد آن الجمود لمدمعي ... فلا سيل دمع تسكبين ولا دما
ويا صدر كم حلت بذاتك ضيقة ... وكم جال في انحائك الهمُّ وارتمى
فهلا ترى في ضيقة القبر فسحة ... تنفس عنك الكرب ان بت مبرما

اكابر الرجال والانتحار

ولقد قام فريق من اهل الطب وقالوا بان الجنون اقوى اسباب قتل النفس . وعارضهم في ذلك آخرون وقالوا بان من يحفظ التاريخ ذكر انتحارهم كانوا من اعقل الناس واكبرهم نفوساً

ومن هؤلاء الرجال العظام الذين سعوا الى حتوفهم باظلافهم وخطفوا ارواحهم باسيافهم القائد القرطجني الشهير هنيبال فانه بعد ان هزم جنود الرومان شر هزيمة عاد فافل نجم سعده ورافقته الخيبة ولازم جنده الفشل وانهزم . فأوى الى ملك يحتمي به ثم لم تطق نفسه ان تبقى على الذل فانتحر

ومنهم كاتو القائد الروماني الشهير . وكان ذلك القائد من انصار بومبيوس الذين يمتون اليه بحبل الصداقة والاخلاص وكان من المتألبين على قيصر العاملين على انخذاله فلما اخلفت الايام ظنه وبات قيصر والنصر حليفه واندحر بومبيوس وانصاره شق الامر على كاتو وابت نفسه ان يبقى على الضيم فطعن نفسه بخنجره طعنة اودت بحياته .

ومنهم اوتو القيصر الروماني الكبير الذي تألبت عليه جنود الالمان وردوه مخذولاً محسوراً فابت نفسه العار واختار الصارم البتار . ووجد عليه اهل مملكته فقتل كثير منهم نفوسهم حزناً واسى

ومن له المام بالتاريخ الحديث يذكر ان فريدريك الكبير بعد ان ظهر على اعدائه ظهوراً كبيراً عاوده النحس ولزمه الفشل وتألبت عليه ثلاث دول كبرى وتخلى عنه محالفوه فاحتواه اليأس وزل منه القنوط وعمد الى الانتحار . ولكنه عاد فغلبته على امره بقية عزيمة فيه وتحوّل عن قتل نفسه بنفسه

نابوليون لم ينتحر

ولا يسعنا الا ان نذكر نابليون ذلك الملك الكبير صاحب الحروب والغارات ورب القتال الذي نال من الامم مالم ينله الاسكندر او هنيبال فانه بعد ان كان من امره ما كان واسرته انكلترا مالكة البحار وقذفت به الى تلك الجزيرة القصية التي يحيط بها « بحر الظلمات » احاطة المطبق بالاسير وبقي فيها في ذل وانكسار تحت حكم رجل جاف الطبع غليظ القلب لا يعبأ باكاليل النصر ولا تهمه تيجان الفخار ست سنين طوال لم يدُرْ في خلده امر الانتحار . فما اكبر تلك النفس في النصر والاسر؟

انتحار المرأة

والرجال الذين يقتلون نفوسهم اكثر من النسوة اللاتي يقترفن الانتحار لان الرجل اقرب الى متاعب الحياة وهمومها وهو الذي يلقى آلام العيش ويذوق اصناف العذاب فهو الهارب الطالب الراغب الراهب الهالك النادب . وهو الذي يخوض غمار معترك الحياة فاما فائزاً منصوراً او مخذولاً محسوراً .

اما المرأة فهي سيدة الرجل ومليكة قلبه يسعى ليأتيها برزقها وينصب ليصونها من الشقاء فهي ابعد منه عن مصائب الدهر وطوارىء الحدثان .

وانك لترى ان النساء لا يعمدن الى الانتحار فراراً من فقر او هرباً من عار اوحرمان

على شرف من ان تناله يد الاذى او حزنًا على مال مضيع او اسفًا على نصر عقد للاعداء لواؤه ولكن لحب دب في النفس دبيب الجنون في العقل او غيرة نالت من قلوبهن ماتناله النار من الحطب ·

وكأن المرأة لا تزال تخشى على جمالها من ان تذبل زهرته حتى بعد الموت فهي تقتل نفسها بما لا يمس حسن وجهها فتعمد الى السم او الغرق · واشهر من قتلن نفوسهن من النسوة الملكة كلوبطرة · فانها بعد ان مات عشيقها (انطونيوس) وامست الدنيا في عينيها اضيق من سم الخياط عمدت الى قتل نفسها · فدعت اليها وصيفة لها وقالت البسيني حلة الملك وضعي فوق رأسي تاج السلطان فقد آن لي ان اموت وكنت اهوى ان اكون من الخالدات اما الآن فما اسهل الموت وما احلاه وما امرّ العيش وما اقسى الحياة · آه · · اني اكاد اسمع صوت حبيبي وهو يدعوني اليه · واراه يهمّ بنفسه فاذا رآني اسعى نحوه تبرق أسرّته · ثم اخذت بالحية وقالت اليّ ايتها الحية الفانية حلي عقدة حياتي · ووضعت بها على صدرها وحنت عليها حنوّ ام مرضع ففغرت الأفعى فاها كأنها تبسم لها ووضعت من ثديها ماء الحياة · · · · ·

ولما جنت اوفليا عشيقة همليت عمدت الى قتل نفسها فارخت غدائر فرعها ووضعت فوق رأسها اكليلاً من الزهور وسعت الى غصن شجرة على شاطىء البحر وجلست عليه واخذت تهز بنفسها طربًا كما تهتز الطيور على الاغصان وهي تشدو وتغرد فلم يقو الغصن على حمل قدها وهوى بها فعانقها الموت على صدر الماء

على ان هناك سبيلاً الى الموت ايسر من السم والغرق · روى رجل رأى فتاة سلكت ذلك السبيل قال : « ودفعنا بالباب فهبت علينا من الحجرة روائح الازهار وعطرالرياحين ونظرنا الى الفراش فاذا به مثقل بالفل والياسمين والورد والنسرين · وبصرنا بالفتاة وهي بين خمائل الزهور وقد نامت ملء جفونها ولكن ورد خدودها لم يذبل تخاله بعض الزهور الزاهرة · »

الانتحار داء من ادواء المدنية

قال ابن خلدون : « ان البداوة اقرب الى الخير من الحضارة وسبب ذلك ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر واهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوثت انفسهم بكثير من مذمومات الخلق وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه · واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا انه في المقدار الضروري

لا في الترف ولا في شيء من اسباب الشهوات واللذات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل منهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى اهل الحضر اقل بكثير فهم اقرب الى الفطرة الاولى وابعد مما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها »

ونزيد على قول ذلك العالم الجليل ان في جسم الحضارة شوائب وادواء البداوة سليمة منها . فان اهل الحضر يجمعون في طباعهم بين الانانية والاستئثار بالنفع والكذب والنفاق والسرقة فتنزع نفوسهم الى الشر والفساد واما اهل البدو فهم ابعد عن تلك العيوب والمثالب لان الخيرات عندهم وافرة فلا يتسرب الطمع الى نفوسهم ولا يجد حب الذات من قلوبهم مكاناً رحيباً .

وليس الانتحار الا داء من ادواء المدنية الحديثة يلجأ اليه كل بائس ظلمه ذلك المجتمع الانساني واهمل شأنه وهو في حاجة اليه .

ولذا نرى قتل النفس يزداد رويداً في كل البلدان التي انتشرت فيها المدنية وهو على الاكثر في المدن الكبرى حيث معترك الحياة اشد بأساً ونار الجهاد في سبيل هذه الحياة الدنيا احمى وطيساً وعلى اقله في القرى الصغيرة وبين الفلاحين وحيث يجد كل انسان عملاً بعمله هو . وحيث لا ترى المرأة تتبرج وتتزين فتأخذ بعقل الرجل وحيث لاحانات يأوي اليها الفتيان فيزيدون جنونهم بما لديهم من المال القليل وحيث الطبيعة ساكنة هادئة تشهد بجمال الخالق وقدرته وكماله .

هل الانتحار عدل ؟

لا يستطيع الكاتب ان يبوح برأيه في امر قتل النفس بعد ان بينه هذا التبيين ويجدر بالقارىء ان يحكم على الامر بنفسه . وغير نكير ان الحياة كلها شر وان الخير فيها صائر الى الزوال . . وان ذوي المفسدة ينالون مالا يناله اهل الخير والفضل . ونعلم ان حب الحياة فطرة في الانسان فهو لا يعمد الى قتل نفسه الا اذا بلغت به الهموم والاحزان او الفقر والفاقة مبلغاً شديداً او نال منه داء لا يرجى شفاؤه او غرام مبرح منالاً كبيراً او ابت نفسه الذل بعد العز . وتلك امور لا يعرفها الا من يذوق مرّها لان الشوق لا يعرفه الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها . ونحن نعلم ان احد هذه البواعث يحدث في العقل جنوناً فيقتل المجنون نفسه . فهلا التمسنا عذراً للمجانين ؟

القاهرة محمد لطفي جمعة

الجباية في الاسلام

لفن المالية منزلة عالية عند رجال الدول لانهم في اشد الحاجة الى معرفته ليعلموا كيف يفرضون الضرائب على الامة ولهذا عني بهِ الاوروبيون بجعلوه من اهم الفنون التي تقرأ في ارقى المدارس الجامعة فمن درس هذا الفن واطلع على كتاب الخراج لابي يوسف رآه جامعاً للابحاث المالية في صورة مجملة مندمجة القواعد تكون اساساً لروح اموال الدول وبياناً لذلك اشرع بتعريف فن المالية واذكر موضوعه وغايته فاقول :

فن المالية (هو علم يبحث عن اموال الدول) وضع لوصف تلك الاموال وبيان نوعها وتكييف ادارتها . وغايته تعليم القواعد المقررة المأخوذة عن تجارب جرت لاخذ الاموال بالعدل وصرفها بالعقل على شرط ان تحفظ مصالح الامة والحكومة معاً فالدولة التي لا تراعي قواعد هذا الفن لا يتيسر لها ان تحصل على الاموال الطائلة التي تلزم لحفظ حياة بلادها والذود عن حياض امتها .

منشأ اموال الدول

ثبت بالاستقراء ان كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر سنة الكون في جميع الامور وناموس عام يشمل الاشياء كلها وهذا القول يصدق على البشر والدول . ولما اخذ الناس يتكاثرون وينمون في الارض انشأوا ينقسمون الى قبائل وعشائر واصبح قويهم يطمع في التغلب على ضعيفهم فطرة فيهم منذ خلقوا ودأبهم في كل جيل . وهذا ما دعا كل فريق الى الحذر من جاره او الانتقام منه او التعدي عليه فيتحاربون ويتقاتلون وينهب بعضهم اموال بعض ويعبثون بالسكان ويسبون النساء ويستحيون الذراري فيجعلونهم اذلاء صاغرين . وكانت الدولة في تلك الادوار عبارة عن هيئة تحفظ نفسها من تعدي القبائل والعشائر وتسعى لتكون على وفاق مع غيرها وتنشر لواء العدل وتحكم بالعرف والعادة معتمدة على الوجدان على حين كان لا فرق بين الحكومة والدولة ومن ثم يتضح ان اساس وظائف الحكومة واهمها منع اعتداء الاعداء ونشر لواء العدل بين افراد الامة وكانت العادة اذ ذاك ان يتجهز افراد القبيلة للحرب بسلاحهم واموالهم بيد انهم كانوا يتركون ما يغنمونه من الاموال والاراضي لرئيسهم واعوانه جزاء شجاعتهم في الحرب وقيامهم بسنة العدل في زمان السلم وما هذه الاموال والاراضي المسلوبة الا اموال الدولة الابتدائية وعلى هذا النمط كانت الامم الشرقية في العصور المتقدمة توزع الغنائم على الامراء والشجعان والرهبان وتأسر السكان وتوزع اراضيهم على اكتافهم . ولما ارتقت حكومات اليونان القديمة والدول الشرقية اخذن يوسعن نطاق

بلادهن ويقوين سطوتهن فبنين بتلك الاموال واولئك الاسرى المباني العظيمة والآثار الفخيمة التي لا تزال تدهش المتأخرين وظل هذا الناموس معمولاً به وقاعدة من قواعد حقوق الدول المعتبرة في ذلك الحين الى ان بزغت شمس الاسلام فتبين بطلان هذا القانون الواهي وجعل القائمون بدعوة الدين يكتفون بفتح البلاد وضرب الخراج على الاراضي والجزية على الرقاب ويتركون السكان احراراً يتصرفون في املاكهم كما يشاؤون « كتاب الخراج ص ١٤ و٣٠ » وجاء فيه بالحرف قال عمر رضي الله عنه « فاقرّ ما افاء الله عليك في ايدي اهله واجعل الجزية عليهم بقدر طاقتهم تقسمها بين المسلمين ويكونون عمار الارض فهم اعلم بها واقوى عليها ولا سبيل لك عليهم ولا للمسلمين معك . ص ٨٣ »

وغدت الدول الاسلامية وحكومات الرومان على ذلك العهد تصرف الاموال في توطيد دعائم الامن والعدل وتسهيل سبل النجاح على ان الملوك والامراء في الاجيال المتوسطة اخذوا يحصرون الاموال والاراضي بانفسهم فصاروا يديرون الممالك بذاتهم وكانت اموالهم يومئذ عبارة عن دخل الرهبان بعد موتهم ريثما يعين غيرهم يضاف الى ذلك دفائن الذهب والفضة المكتشفة واموال من لا وارث يرثهم او من قتلوا جزاء اعمالهم القبيحة وما يحصل من الخراج والمعادن وضرائب المسكرات والصيد وانتقال الاراضي بين الوارثين وعشور البيع والشراء والجزاء النقدي وغير ذلك فيتضح من ذلك ان الاموال المذكورة هي اساس الضرائب الجارية في البلاد المتمدنة الآن .

ولما اخترع البارود واستبدلت المحرقات الفاتكات بالجارحات واتحدت الامم والشعوب جعلت الدول تتيه عجباً بعظمتها فاخذت يثير بعضها على بعض ويشن الغارات اعواماً مديدة حتى صارت الحكومة تنوء باعباء الديون واضطرت الى تحصين القلاع وتقوية الحدود واستخدام الجيوش المنظمة في زمن السلم دون الحرب وانشأت تسعى في تزيد اموال الملة ليزداد دخلها وتسعى في رفاهيتها وسعادتها وتحسين اخلاقها وتهيء الاسباب الكافية لهذا الغرض فاقتضى لذلك مبالغ طائلة .

فتبين مما تقدم ان اهم وظائف الحكومة نحو الامة حفظ كيانها من تعدي الاعداء في الداخل والخارج وهذا لا يقوم الا باحكام أسس العدل والحرية وتعميم المعارف وتوفير اسباب الزراعة وتنظيم الصنائع وتسهيل طرق التجارة وكل ذلك يحتاج الى دراهم ولذلك حق للحكومة ان تأخذ من الامة اجرة قيامها بنشر العدل والامن داخلاً وخارجاً براً وبحراً وليست هذه الاجرة الا « اموال الحكومة » التي يحق لها تقاضيها من افراد الامة .

قال ابو يوسف : « كتب امير الطائف الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه » ان

اصحاب الحل لا يؤدون الينا ما كانوا يؤدون الى النبي صلى الله عليه وسلم ويسألون مع ذلك ان نحمي لهم اوديتهم فاكتب اليَّ برأيك في ذلك فكتب اليه عمر ان ادوا اليك ما كانوا يؤدونه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاحم لهم اوديتهم وان لم يؤدوا اليك ما كانوا يؤدونه الى النبي صلى الله عليه وسلم فلاتحم لهم قال وكانوا يؤدون الى النبي عليه الصلاة والسلام من كل عشر قرب قربة اه ص ٤٠ وقال: فلما رأى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشداء على عدو المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجلاً من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعاً لم يرَ مثله فاتى رؤساء اهل كل مدينة الامير الذي خلفه ابي عبيدة عليهم فاخبروه بذلك فكتب والي كل مدينة ممن خلفه ابو عبيدة الى ابو عبيدة يخبره بذلك وتتابعت الاخبار على ابي عبيدة فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين فكتب ابوعبيدة الى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح اهلها بأمرهم ان يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم . فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً واخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا شيئاً اه ص ٨١ فتأمل!

كيف تطرح الضرائب

تبين مما فصلناه ان طرح الضرائب العادلة التي تطيق الامة حملها (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) حق صريح من اهم حقوق الحكم والاستقلال ولا يخفى على من قرأ التاريخ ان الحكومات وقعت في ديون جسيمة وتداعت تحت اثقالها بسبب الحروب العظيمة التي امتدت اعواماً وشهوراً لعلل معقولة او غير معقولة حتى اضطرت الى تحميل الامة الاجرة التي تقدم ذكرها مع تسوية ديونها من اجل حفظ كيان الدول ولذلك عرف علماء هذا الفن الضريبة بقولهم: الضريبة ما اصاب كل فرد من افراد الامة من نفقات الحكومة بالنسبة لريعه الحقيقي

فالضرائب يجب ان تؤخذ من افراد الامة بالعدل والانصاف وشرط في اخذها النسبة مع صافي ايراد كل شخص وقد بذل الاوروبيون جهدهم في البحث فلم يروا غير ثلاث طرق يؤملون بها اخذ الضرائب التي لا مناص منها على قاعدة العدل والانصاف ولكنهم

فلما نجحوا فيما قصدوا له واما تلك الطرق الثلاث فهي :

(١) ان يبين افراد الامة ايرادهم و يعترفوا للحكومة بمداخيلهم

(٢) التحقيقات الرسمية

(٣) الامارات الخارجية

فبيان افراد الامة واعترافهم هو اجبار كل فرد على بيان حقيقة ربعه لينال نصيبه من النفقات اللازمة للحكومة . غير ان هذه الطريق لا تكون سالمة لان الناس يكرهون بيان حقيقة اموالهم مع ريعهم ولا يستثنى من ذلك الا الانكليز الذين حرموا على انفسهم الكذب امام حكومتهم فيما يترتب عليهم اداؤه لانهم على ثقة من عدلها فلا تكلفهم مالا يطيقون ومع ان هذه الطريق اقرب للعدل من سواها فهي لا تكون عادلة عند جميع الامم و يستحيل اعتراف المرء بحقيقة دخله اذا كان مقدار الضرائب فوق الطاقة .

واما التحقيقات الرسمية فهي ان يدقق عمال الحكومة و يحققوا دخل افراد الامة ومهما كان اولئك الموظفون متصفين بالعدل معروفين بالانصاف بريئين عن الغرض والغاية لا يصدقون في تقديراتهم ولا يصلون الى حفظ النسبة بين المكلفين ولذلك يصعب تحقيق العدل في هذا الطريق .

واما الامارات الظاهرة فهي اقل عدلاً من غيرها لان الظواهر لا تكون حقائق وذلك باعتبار المنازل الجسيمة والعجلات والخيول والخدم دليلاً على كثرة الريع . وهذه الطريقة غير سديدة لان الناس اعتادوا ان يتظاهروا بالمال والغنى و يضعوا انفسهم في مصاف من لهم من الايراد ما يساوي مالهم وكذلك البخلاء المقترون ممن اذا رأيتهم حسبتهم من الفقراء المدقعين مثلهم كمثل البغال والحمير يحملون الفضة والذهب ويأكلون التبن والشعير فلو نظر لظواهر هؤلاء وفرضت الضرائب على تلك النسبة ظلم الاولون وتضررت الحكومة بخسة الآخرين

ومع شدة عناية الدول المتمدنة بايجاد واسطة لوضع الضرائب بالعدل لتعم كل فرد وتؤخذ منهم على نسبة واحدة لكي لا يكلف الضعيف بالكثير ولا القوي بالقليل لم ينجحوا حتى الآن . بيد ان سعيهم هذا جعلهم يقربون من العدل وكذا المسلمون في صدر الاسلام بذلوا قصارى جهدهم من اجل ان يعدلوا بين الرعية في حفظ النسبة بين الايراد والضرائب

جاء في كتاب الخراج ص٢٠ فمسح عثمان (١) الارضين وجعل على جريب العنب عشرة دراهم وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وعلى جريب القصب ستة دراهم وعلى جريب

(١) هو عثمان بن حنيف ارسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحنطة اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين وعلى الرأس اثني عشر درهماً واربعة وعشرين درهماً وثمانية واربعين درهماً وعطل من ذلك النساء والصبيان . اه وقال : حدثني الحجاج بن أرطاة عن ابن عوف ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مسح السواد مادون جبل حلوان فوضع على كل جريب عامر او غامر يناله الماء بدلو او بغيره زرع او عطل درهماً وقفيزاً واحداً ومن كل رأس موسر ثمانية واربعين درهماً ومن الوسط اربعة وعشرين درهماً ومن الفقير اثني عشر درهماً وختم على اعناقهم رصاصاً والغى لهم النخل عوناً لهم واخذ من جريب الكرم عشرة دراهم ومن جريب السمسم خمسة دراهم ومن الخضر من غلة الصيف من كل جريب ثلاثة دراهم ومن جريب القطن خمسة دراهم اه ص ٢٣

وقال : ثم حمل الاموال على قدر قربها وبعدها فجعل على كل مائة جريب زرع مما قرب ديناراً وعلى كل مائتي جريب مما بعد ديناراً وعلى كل الف اصل كرم مما قرب ديناراً وعلى كل الفي اصل مما بعد ديناراً وعلى الزيتون على كل مائة شجرة مما قرب ديناراً وعلى كل مائتي شجرة مما بعد ديناراً وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم او اليومين واكثر من ذلك وما دون اليوم فهو في القرب وحملت الشام على مثل ذلك وحملت الموصل على مثل ذلك اه ص ٢٤ فتبين من هذا ان مراعاة النسبة للايراد الصافي من اهم الامور التي يجب ان يعنى بها في طرح الضرائب .

جباية الاموال

وخلاصة الامر ان رجال الاسلام سعوا لجعل التكاليف متناسبة مع ايراد الاشخاص كي لا يظلم زيد بعمرو . واما جباية الاموال فشرط فيها علماء هذا الفن ان تكون في زمان سعة المكلف بها فيحصل من الفلاح ضريبته مثلاً بعد ان يذري غلاته و يأتي بها للبيع لئلا يضطر للاستدانة بالربا . فيكون مكلفاً بالمال ورباه . ويتقاضى من ارباب المواشي بعدما تنتج وتدرج ويتمكن من بيعها حتى لا يستدين ايضاً وتؤخذ عن العقارات عند ما تؤجر ومن الصادرات والواردات عند دخولها وخروجها واوصوا ان لاتجبى تلك الاموال قبل اوانها فقال ابو يوسف « كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى احد عماله على العشور في العراق والشام من مر عليك فاخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً الى مثل ذلك اليوم من قابل الا ان تجد فضلا ـ الى ان قال . حدثني يحيى بن سعيد عن زريق بن حيان وكان على مكس مصر فذكر ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب اليه ان انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من اموالهم ومما ظهر من التجارات من كل اربعين ديناراً ديناراً وما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرين ديناراً فان نقصت تلك الدنانير

فدعها ولا تأخذ منها واذا مرَّ عليك اهل الذمة فخذ مما يديرون في تجاراتهم من كل عشرين دينارًا دينارًا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم دعها فلا تأخذ منها شيئًا واكتب لهم كتابًا بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول اه ص ٧٩

وقد شرط على الجباة ان لا يضايقوا الرعية لئلا تنفر من الحكومة وحددوا لهم زمان الجباية فمن تأخر عن الدفع انذره الجابي بلطف يخجله فاذا تأخر عن ايفاء ماعليه بعد انذاره انذره ثانية بشدة ممزوجة بلين واذا تأخر بعد ذلك اقام عليه الدعوى بالمحكمة ثم يوضع الحكم في دائرة الاجراء فتحصله هذه كسائر الديون بحسب القانون على شرط ان لا تمس كرامة المكلف بدفعها. قال ابو يوسف حدثني اسماعيل بن ابراهيم بن المهاجر البجلي عن عبد الملك بن عمير قال حدثني رجل من ثقيف قال استعملني علي بن ابي طالب رضي الله عنه على عكبراء فقال لي واهل الارض معي يسمعون: انظر ان تستوفي ماعليهم من الخراج واياك ان ترخص لهم في شيء واياك ان يروا منك ضعفًا ثم قال رح اليَّ عند الظهر فرحت اليه عند الظهر فقال لي انما اوصيك بالذي اوصيتك به قدام اهل عملك لانهم قوم خدع انظر اذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفًا ولا رزقًا يأكلونه ولا دابة يعملون عليها ولا تضربن احدًا منهم سوطًا واحدًا في درهم ولا تقمه على رجله في طلب درهم ولا تبع لاحد منهم عرضا في شيء من الخراج فانا انما أُمرنا ان نأخذ منهم العفو فان انت خالفت ما امرتك به ياخذك الله به دوني وان بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك. قال: قلت اذن ارجع اليك كما خرجت من عندك قال: وان رجعت كما خرجت قال: فانطلقت فعملت بالذي امرني به فرجعت ولم انتقص من الخراج شيئًا اه ص ٩

وقد منع عمال الصدقة «الجباة» عن قبول الهدية والصدقة قال ابو يوسف استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقال له ابن اللتبية على صدقات بني سليم فلما قدم قال: هذا لكم وهذا اهدي اليَّ قال فقام النبي عليه الصلاة والسلام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ما بال عامل ابعثه فيقول هذا لكم وهذا اهدي اليَّ افلا قعد في بيت ابيه وبيت امه حتى ينظر أيهدى اليه ام لا والذي نفسي بيده لا يأخذ احد منها شيئًا الاَّ جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته اما بعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه فقال اللهم هل بلغت اه ص ٤٦

ولما كان امر جباية الاموال من اهم الامور التي يجب بها تجنب الظلم والاعتساف وحفظ راحة العامة والخاصة قال ابو يوسف «ان نتخذ قومًا من اهل الصلاح والدين والامانة

فتوليهم الخراج ومن وليت منهم فليكن فقيهاً عالماً مشاوراً لاهل الرأي عفيفاً لا يطلع الناس منه على عورة ولا يخاف في الله لومة لائم ما حفظ من حق وادى من امانة احتسب به الجنة وما عمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت تجوز شهادته ان شهد ولا يخاف من جور في حكم ان حكم فانك انما توليه جباية الاموال واخذها من حلها وتجنب ما حرم منها يرفع من ذلك ما شاء ويحتجن منه ما شاء فاذا لم يكن عدلاً ثقة اميناً فلا يؤتمن على الاموال » الى ان قال : وقد يجب الاحتياط فيمن يولى شيئاً من امر الخراج والبحث على مذاهبهم والسؤال عن طرائقهم كما يجب ذلك فيمن اريد للحكم والقضاء ونقدم الى من وليت ان لا يكون عسوفاً لاهل عمله ولا محتقراً لهم ولا مستخفاً بهم ولكن يلبس لهم جلباباً من اللين يشوبه بطرف من الشدة والاستقصاء من غير ان يظلموا او يحملوا مالا يجب عليهم ثم قال : ولتصير مع الوالي الذي وليته قوماً من الجند من اهل الديوان في اعناقهم بيعة على النصح لك فان من نصحك ان لا تظلم رعيتك وتأمر باجراء ارزاقهم عليهم من ديوانهم شهراً بشهر ولا تجري عليهم من الخراج درهماً فيما سواه » وقال : تقدم في اختيار هؤلاء الجند الذين تصيرهم مع الوالي وليكونوا من صالحي الجند ومن له الفهم واليسر والنعمة منهم ان شاء الله تعالى اه ص ٦١ و يستنتج مما تقدم ان مراعاة النسبة بين الايراد و بين الضرائب من اهم القواعد الاساسية في فن المالية و يظهر للقارئ مما ذكر ان المسلمين في صدر الاسلام بذلوا طاقتهم من اجل تخفيف اثقال الضرائب عن الامة كما يفعل القائمون بوضع الضرائب من العمال العالمين بقواعد هذا الفن في البلاد الراقية اليوم وكذا اقرّ العلماء ان الدولة لا تكون غنية الا بشعبها ولا يغنى الشعب الا بقلة الضرائب فمنع ابو يوسف طلب الزيادة عن الخراج من المكلفين بعبارة طويلة ثم ختم كلامه قائلاً في الزيادة « وهذا كله ضرر على اهل الخراج ونقص للفيء مع ما فيه من الاثم» ص ٦١

ش . دمشق

من اين الى اين

من اين من اين يا ابتدائي	ثم الى اين يا انتهائي
امن فناء الى وجود	ومن وجود الى فناء
أم من وجود له اختفاء	الى وجود بلا اختفاء
خرجت من ظلمة لاخرى	فما امامي وما ورائي
مازلت من حيرة بامري	معانق اليأس والرجاء

ان طريق النجاة وعر | يكبو به الطرف ذو النجاء
ياقوم هل في الزمان نطس | يهدي الى ناجع الدواء
لاي امر هذي الليالي | تأتي وتمضي على الولاء
فنطلع الشمس في صباح | وتغرب الشمس في مساء
ارى ضياء يروق عيني | ولست ادري كنه الضياء
وما اهتزاز الاثير الا | علالة نزرة الجلاء
نحن على رغم ما علمنا | نعيش في غيهب العماء
نشرب ماء الظنون عبًّا | فلم نعد منه بارتواء
تاتي علينا مشاهدات | نروح منهن في مراء
وكم نرى فعل فاعلات | من القوى وهي في الخفاء
ياويلة الحس انه عن | حقيقة الامر في غطاء
فان اجزاء كل جسم | مبتعدات بلا التقاء
وفي دقاق الجماد عرك | يتهم الحس بالخطاء

***

ياقوة الجذب اطلقيني | من ثقلة اوجبت عنائي
لولاك لولاك ياشكالي | لطرت كالنور في الفضاء
انت عماد السماء لكن | خفيت عن عين كل راء
ربطت كل النجوم فيها | بعضاً ببعض ربط اعتناء
فدرن في الجو جاريات | كأنها السفن فوق ماء
نحن بني الارض قد علمنا | باننا من بني السماء
لو كنت في المشترى لبانت | ارضي سماء بلا امتراء
فليس فوق وليس تحت | ولا اعتلاء لذي اعتلاء
وانما نحن فوق نجم | نحيا محاطين بالهواء
فليت شعري اي ارتقاء | للروح يبقى الى ارتقاء
وانت ياكهرباء سر | بدا وما زال في غشاء
عجائب الكون وهي شتى | فيك انطوت ايما انطواء
اضأت ان شئت كل داج | لنا وادنيت كل ناء
فانت للكائنات روح | ان كانت الروح للبقاء

وكم تقاضاك فيلسوف حقيقة صعبة الاداء
فقال والقول منه ظن ما الكون الاّ بالكهرباء

***

وليلة بتها أُنادي نجومها ابعد التنداء
أُآخذ منهن بالتداني فكرًا ويأخذن بالتنائي
فانثني باكيًا بشعري ويطرب الليل من بكائي
وربما كرّ بعد وهن فكري فالقى بعض الشفاء
فارجع القهقرى اغني وما سوى الشعر من غناء
اقول والنسر فوق رأسي وطالع النجم في ازائي
يا أيها الانجم الزواهي لله ما فيك من بهاء
اما كفاك السنى جمالاً حتى تجللت بالسناء
يا انجم النعش فاصدقيني امات ذو النعش بانطفاء
اني اذا كنت في حداد اليك اهدي حسن العزاء
وانت يانسر من كلال وقعت ام طلبة الغذاء
اخوك هل طائر لوكر ام قاصد منتهى الفضاء
كأن ام النجوم سيف سُلّ على الليل ذو مضاء
رُصع متناه بالدراري فراق في الحسن والرواء
كأن نجم السها اديب في ارض بغداد ذو ثواء
كأن خط الشهاب مدل لاسفل البئر بالرشاء
كأنما انجم الثريا في شكلها الباهر الضياء
قفاز كف به فصوص من حجر الماس ذي الصفاء

***

برئت للموت من حياة ما نكبت مهيع الشقاء
لم يكفها انها احتياج حتى غدت حومة البلاء
يا أيها المترف المهنى يرح في ثوب كبرياء
مهلاً اخا الكبر بعض كبر ألست تفنى بعض الحياء
انت ابن فقر الى أُمور بهن تدعى يا ابن الثراء

بغداد معروف الرصافي

اميركا الشمالية

موقعها الجغرافي — تشغل اميركا الشمالية القسم الشمالي من القارة الغربية وتحتوي على نحو سدس اليابسة من الكرة الارضية وهي تقريباً مثلثة الشكل وشواطئها البحرية مسننة لعمق خلجانها .

سطحها — ان القسم الغربي من سطحها مرتفعات واسعة تخترقها سلسلة جبال عالية وهي تمتد بلسان طويل من برزخ تانتيبك الى آخر شمالي غربي القارة

مساحتها — مساحتها ٩٫٣٤٩٫٧٤١ ميلاً مربعاً وهي اكثر بقليل من نصف مساحة قارة آسيا — اكبر واعظم قارة في العالم — وتبلغ زهاء ثلثي قارة افريقية مساحة واكبر من قارة اوروبا مرتين . وطولها نحو ٥٥٠٠ ميل وعرضها نحو ٤٥٠٠ ميل وهي ثالثة القارات اتساعاً .

جبالها — اعلى جبالها هما جبل سانت ايلياس . وعلوّه ١٨٫٠١٠ اقدام . وجبل اوريزابا وعلوّه ١٨٣١٤ اقدماً . وهذان الجبلان من سلسلة جبال كورديلراس . وهما ثانيا جبال الدنيا بعلوّهما . فجبل حملايا في قارة آسيا يعلو عن سطح البحر ٢٧٠٠٠ قدم وهو اعلى جبال الدنيا وجبال القوقاس في اوربا تعلو عن سطح البحر ١٧٨٠٠ قدم وهي خامس جبال الدنيا بالعلوّ . اما الجبال الصخرية في اميركا الشمالية فتخترق البلاد من البحر الشمالي من جنوب تخوم الاسكا الى الجهة الجنوبية من اميركا الجنوبية .

انهارها — اشهر انهار اميركا الشمالية مسيسبي . ولورانس . ومكنتكي . وهي اهم سائر شرقي الجبال الصخرية . ويوكون . وكورليدو . وكولمبيا ثلاثة انهر مصدرها تلك الجبال وهي تصب في الاوقيانس الباسيفيكي . ومسيسبي من الانهر التي تسير فيها السفن ومصدره في شمالي البلاد ومصبه في بحر المكسيك وهو اسرع انهار اميركا ويصب فيه نهر اوهايو ونهر ميسوري ونهر اركانسس . ونسبة نهر مسيسبي في اميركا الشمالية الى سائر انهرها كنسبة نهر امازون الى سائر انهار الدنيا من حيث العظم والكبر والطول

ونهر امازون اعظم انهار الدنيا في برازيل في قارة اميركا الجنوبية ومساحته ٢٦٨١٠٠ ميل وهو ثاني انهار الدنيا طولاً . فنهر ياينسي في سيبيريا اطول انهار الدنيا طوله ٣٦٨٨ ميلاً وطول امازون ٣٥٩٦

بحيراتها — عدد بحيرات اميركا الشمالية عشر اشهرها واعظمها خمس بحيرات هي سو بيريو ومشيغن . وهورن . واري . واونتاريو ومن هذه البحيرة يخرج نهر سانت لورانس السابق الذكر

هواؤُها — اعظم قسم من اميركا الشمالية هو في المنطقة المعتدلة . وفي هذا القسم صحاري وحراج واسعة وقسم صغير منها في المنطقة المتجمدة حيث لا تعيش النباتات والمغروسات او حيث تكون الانجم والطحلب هي النباتات الرئيسة . وعلى الجملة فان شمالي اميركا الشمالية بارد كثيرًا وهواؤُها معتدل في اقاليمها المتوسطة وحار في جنوبيها حيث تجود الاشجار وتكثر البقول والثمار .

امطارها — تهطل الامطار تهطالاً كثيرا على الاقاليم الواقعة غربي شمالي كولمبيا وعلى الاراضي الواطئة المحيطة بخليج المكسيك وبحر كريب وقلما تمطر في سلسلة جبال كورديلراس وفي الاقاليم الواقعة غربي المكسيك . اما سائر اقاليم هذه القارة فمطرها معتدل وكثيرًا ما تمطر في فصل الصيف كما تمطر في فصل الشتاء .

اراضيها — اراضي اميركا الشمالية جيدة جدًا وفيها سهول واسعة وهي مخصبة . وقد بقيت قرونًا عديدة قبل اكتشافها بورًا فصارت اليوم بهمة الجالية الاوربية تدرّ على البلاد اخلاف الثروة واليسار وهي الارض التي يصح القول فيها انها ارض الميعاد التي تفيض لبنًا وعسلاً .

حاصلاتها — البر والشعير والذرة والانس والبطاطا والعنب والمشمش والدراق والخوخ والتين والموز والسكر والتفاح الذي لا نظير له في الدنيا بحجمه وجودته . والارز والقطن والشاي واكثر انواع البقول .

حيواناتها — اكبر حيواناتها المفترسة النمر المخطط والدب الاغبر والدب الاسود والجاموس البري والغزال والثعلب ودب القطب الشمالي والخيل والبقر والخنزير والغنم والماعز والكلب والهر وغيرها وتبلغ الحيوانات التي لا توجد في بلاد سواها نحو ثمانين نوعًا وعدد الطيور فيها ٣٦٢ نوعًا

اما الوحوش البرية التي كانت تأوي الغابات والحراج فقد انقرض اكثرها . واصدرت حكومات الولايات الاوامر بانقراضها وعمر الاوربيون المهاجرون معظم تلك الارجاء

معادنها — الذهب والفضة والفحم الحجري والقصدير والرصاص والماس والزمرد واللؤلؤ والمغناطيس . وهذه المعادن توجد بكثرة فيها واميركا الشمالية اغنى قارة في العالم بالمعادن ومعادنها الذهبية توجد بكثرة في كليفرنيا وهو الاقليم الذي يشبه الاقليم السوري في القارة الآسياوية من وجوه

اقسامها — تقسم اميركا الشمالية الى ثمانية اقسام هي الولايات المتحدة والمكسيك التي استقلت تحت الحكم الجمهوري سنة ١٨٢٤ واميركا المتوسطة وجزائر الهند الغربية وكرنيلاند

والاسكا ونيوفوندلاند . وتحكم سبعة اقسام منها الولايات المتحدة . اما كندا فتحكمها الدولة الانكليزية

حدودها — يحدها شمالاً الاوقيانوس المتجمد الشمالي وشرقاً الاوقيانوس الاتلانتيكي وجنوباً بحر كريب و برزخ داريان والاوقيانس الباسيفيكي وغرباً الاوقيانوس الباسيفيكي ومضيق بيرين والاوقيانوسات المحيطة بهذه القارة هي الاوقيانوس الشمالي المتجمد والاوقيانوس الاتلانتيكي والاوقيانوس الباسيفيكي

انواع للبشر القاطنة في هذه القارة — يقطن هذه القارة خمسة انواع من البشر هي النوع القوقاسي واصله من انكلترا وجرمانيا وفرنسا واسبانيا وسائر ممالك اوربا . والنوع الحبشي واصله من قارة افريقية الجنوبية وهو يكثر في جنوبي الولايات المتحدة . والنوع المغولي واصله من الاسكيميين وهم جيل من الناس يقيمون في بعض جهات الشمال من القارة والصينيون اتوا من الشرق الاقصى في آسيا وهم مقيمون غالباً في غربي البلاد في ولاية كليفرنا . والنوع المعروف بهنود اميركا — سكانها الاصليين الذين كتبنا عنهم نبذة تقدمت هذه

اديانها — نشأت اديان عديدة للانسان في كل جيل و بلاد قطنها الانسان وعمرها فمن البشر من عبد الشمس والقمر والنجوم والسيارات والاصنام و بعض انواع الحيوانات . ومنهم من عبدوا الله جلَّ جلاله . ومنهم من جعلوا افراداً ممتاز ين ببعض المواهب العقلية آلهة فسجدوا لهم وعبدوهم . وقد قام الملاحدة و يقومون في كل زمن وقطر ومصر

وتاريخ اديان الجنس البشري متفاوت فتاريخ دين اليهود يرجع الى اربعة آلاف سنة في ايام ابراهيم الخليل في غربي قارة آسيا وهم يؤمنون بالتوراة . وتاريخ دين النصارى يرد الى نحو الفي سنة وهم يؤمنون بالسيد عيسى وانجيله . وتاريخ قدماء المصريين يرجع الى نحو خمسة آلاف سنة . وكان هؤلاء يعبدون بعض الحيوانات والصور والنقوش التي توهموا انها كانت مقدسة . وتاريخ اهل الهند يرد الى اكثر من اربعة آلاف سنة وكان الهنود ولا يزال اكثرهم يعبدون برهم وفريق منهم يعبدون بوذا . وتاريخ بوذا يرجع الى نحو ٢٥٠٠ سنة . و يرد تاريخ الاسلام الى اكثر من الف وثلثمائة سنة

وما يقال في اديان سكان البلاد والقارات التي اشرنا اليها يقال في اديان قارة اميركا الشمالية . فان فيها عبدة الاوثان وهم في كرنيلاند في شمالي شرقي البلاد وكلهم من الاسكيميين وعبدة الشمس والقمر و بعض الحيوانات وهم معظم هنود اميركا . وفي هذه القارة البوذي والبرهمي والكافر والمؤمن والمحمدي والدرزي واليهودي والنصراني . والديانة العامة في هذه القارة هي الديانة المسيحية

اما اديان اميركا الشمالية فترجع الى تاريخ هنود اميركا المجهول وتاريخ اديان سائر القطان فيها واذا اعتبرنا تاريخ اديانها منذ اكتشافها فيكون اربعمائة واربع عشرة سنة تنوَّعت المذاهب وتعدَّدت المشارب في هذه البلاد ومع ذلك فليس للتعصب اثرٌ فيها . فالحرية مباحة فيها لكل دين من الاديان وان المهاجرين السوريين ليأتونها من بقعة عريقة في التعصب الى بقعة حديثة بالتساهل وقد حمل فريق منهم التعصب معهم الى هذه القارة واخذ هذا الفريق يتاجر بالاديان فكانت ثمرات التعصب وتلك التجارة اهراق الدماء وخسارة المال واهانة الاسم والسمعة

الولايات المتحدة — اوماها نبراسكا يوسف جرجس زخم

التجارة والشهرة

من مقالة في المجلة الباريزية

ظهر كتاب في نيويورك مؤخرًا اسمهُ « طريقة الاعلانات الجديدة » قال فيه مؤلفه انهُ انتشر الولع بالسياحة في المجتمع الحديث فلم تكتفِ كل امة ان تنعزل وراء تخومها عزلة تامة بل راحت تختص بعمل لا يشاركها فيه سواها . فاذا كانت المانيا تؤثر كبار رجالها المعروفين وتوسد اليهم الاعمال العلمية وفرنسا تعلم ابناءها الصنائع على اختلاف ضروبها فان اميركا تسوق ابناءها الى مضامير الاعمال وهي على ما يظهر موطن المشاريع الصناعية العظمى . وانا لنميل كل الميل ان نحكم على الأُمم حكمنا على الافراد . نحكم عليهم حكمًا مسمطًا في شؤون ليست فيهم على حين كان الواجب علينا ان نقدرهم قدرهم ونضعهم في المنزلة التي يستحقونها . وقد يذهب بنا الاستقراء الناقص الى ان نستنبط ان جارنا محروم من الامر الفلاني . وما على الغريب عن امة يريد ان يصفها حق وصفها الا ان يضيف ما رآه الى ما لم يره . فان في الاشياء ابدًا ما يعجب بهِ ويحب . ولا شك ان الحاجيات بأسرها والنزوع الى العلى قد اخذت حظها عند كل امة مثال ذلك انك تشهد التفنن بالصنائع في اميركا الا انك تراه على اتمه في مملكة اخرى وعلى وجه يخالفه كل المخالفة . فمن يطلب المصنوعات الفرنسية في اميركا يسخر منه كمن يطلب الى اللابوني (١) ان يلبس ثياب سكان

(١) اقليم لابونيا في شمالي اوروبا قسم منه تحت حكم روسيا وقسم منه للسويد وسكانه نحو سبعين الف نسمة وبلادهم على مقربة من القطب الشمالي تصاب بالجمد تسعة اشهر ويكون فيها كل سنة يوم وليلة طول كل منهما ستة اسابيع

المناطق الحارة او للنازل على مقربة من خط الاستواء ان يعد الادوات لصيد الدب الابيض من جواره

يعيب فلاسفة الالمان على الاميركي عدم اشتغاله بعلوم ما وراء الطبيعة وعلى العكس يعيب علماء النفس الاميركان على اساتذة الالمان اكتفاءهم من العلوم بالنظر فيها دون العمل بها . ويعيب المتفنن من الفرنسيس على الاميركي كونه نفعياً على حين ترى الاميركي يهزا اذا نظر الى ما في بلاد الفرنسيس من آثار التفنن والصناعة . قال الفيلسوف هربرت سبنسر: ان صاحب الفلسفة هو الذي يعرف الصلات التي يهتدي اليها عامة الناس .

وبعد فان اميركا توصف بانها مهد الاعمال المالية والحركة التجارية والصناعية . والاعلانات هي دليل على ما هناك من نشاط في الاتجار والصنائع . ومتى اوردنا لك بعض الارقام يتبين لك ان القوم غريبون في اعمالهم . قال موسيو ديسبي: تنفق الولايات المتحدة في السنة خمسمائة مليون ريال اجور اعلاناتها . اي ان ما تنفقهُ يقرب مما تنفقهُ الدول الاوربية العظمى كروسيا والمانيا وفرنسا والنمسا واسبانيا على جيوشها . كانت الولايات المتحدة تنفق هذا المبلغ سنة ١٩٠٥ وبحسب التقدير الذي قدره عالمان آخران ارتقت النفقات من ستمائة مليون ريال الى الف مليون ريال

وارتقاء الاعلانات في هذه البلاد آخذ بالزيادة تبعاً لارتقاء التجارة فقد كان يعد مسرفاً قبل الحرب المدنية من يدفع أجرة اعلانه ثلاثة آلاف فرنك اما اليوم فهذه الاجرة تعد عادية بسيطة حتى ان معمل الموازين (فيربانك وشركاؤه) الذي كان ينفق على الاعلانات نحو ثلاثة آلاف فرنك مسانهة اخذ اليوم ينفق نحو ثلاثة ملايين ونصف من الفرنكات في السنة . وليس هذا المعمل هو الوحيد في هذا المعنى بل ان تسعة بيوت ومعامل تنفق مثله او اكثر على نشر اعلاناتها . فقد خصص احد معامل الصابون منذ نحو ثلاثين سنة ثلاثين الف ريال للاعلان عن مصنوعاته وها هو اليوم يصرف الف ريال في اليوم على هذا الغرض . وتخصص المعامل الكبرى التي تبيع بالمفرق في مدينة نيويورك وحدها زهاء اربعة ملايين ريال في السنة لنشر اعلاناتها في الصحف . وفي مدينة شيكاغو يستخدمون البريد لنقل قوائم باعلاناتهم وقد صرف احد اصحاب المخازن الكبيرة لارسال طبعة واحدة من الاعلانات بطريق البريد ٦٤ الف ريال ومعظم الاجور التي يدفعها ارباب المحال التجارية والصناعية يؤدونها لارباب المجلات لان المجلة تبقى على المنضدة معرضة للانظار نصف شهر او شهر ريثما يصدر العدد التالي اما الجرائد فانها تغيب عن الانظار بعد ساعات من صدورها .

تتقاضى احدى صحف فلادلفيا وهي تطبع مليون نسخة ستة ريالات عن كل سطر من الاعلانات فتكون اجرة الصفحة الواحدة في اليوم ستة آلاف ريال واذا خصصت بمحل تجاري واحد تؤجر باربعة آلاف ريال · وهكذا الحال في جريدة العملة التي تصدر في اوغستا فان اجرة السطر فيها خمسة ريالات وهذه الجريدة تطبع مليونًا وربع مليون نسخة والمجلات تتقاضى في اميركا عن الاعلانات اجرة ارخص من اجرة الجرائد لانها اقل انتشارًا واعظم مجلة تطبع في العالم الجديد ٦٠٣٣٥ نسخة فتأخذ اجرة كل صفحة خمسمائة ريال وكثيرًا ما تكون نصف صفحاتها مشحونة بالاعلانات فقط وقد قدر ما تتقاضاه عشر مجلات كبرى في الولايات المتحدة فبلغ معدله السنوي ٣٥٣ر١٣٠ر٤ ريالا · وهكذا قل عن النفقات الطائلة التي ينفقها ارباب التجارة على تعليق اعلاناتهم في الحيطان والمواقف في الشوارع فان احدى شركات الحبوب استأجرت ثلاثين الف مكان لتعليق الاعلانات من حجم ثماني ورقات وعشرين الف مكان من حجم اربع وعشرين ورقة يبلغ خمسة وعشرين الف فرنك في الشهر · وكانت اعظم قيمة دفعت على هذا الضرب من الاعلانات عشرة ريالات في السنة عن كل قدم مربع في احدى ساحات نيويورك العظمى

ويكون للتاجر من الرجل الماهر في التفنن بالاعلانات اعظم ذخر وانفع عامل فينتقده راتبًا مهمًا · ولذلك تدفع المخازن الكبرى التي تبيع بالمفرق في امهات مدن اميركا مثل نيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا ١٢٥٠٠ ريال في السنة لمن ينشئ الاعلانات اليومية والرجل الذي يحسن صف البضائع في الزجاج يتقاضى اجرة مثل هذه مسانهة

قدر المقدرون ان متوسط ما ينفقه التاجر الاميركي على الاعلانات من اصل ارباحه خمسة في المائة ومنهم من ينفق اكثر ومنهم من ينفق اقل · ويقتضي ذلك من التفنن وحسن الذوق شيئًا كثيرًا · ولما كانت اميركا المثل السائر بغناها ترى الدراهم فيها تغدو وتروح من جيب الى جيب كأنها بانطلاقها دراهم ذاك الكريم المفتخر بقوله

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

فالمرء بادىء بدء لا يرى حاجة ماسة لا بتياع المصنوعات وبيعها الا طمعًا في الارباح الكثيرة ومباهاة بما لديه من عروض ومتاع وثروة حقيقية او غير حقيقية ثم تصبح هذه العادة بعد من ضروريات الحياة · قال باسكال في كتابه (الافكار) : اكثر من الصلاة تكن تقيًا · ويقول لسان حال التجارة : اجعل الزخرف والزينة ديدنك تغدو بطبعك مفتنًا والذوق يحصل لصاحبه بسرعة ·

قالوا ان التاريخ يعيد نفسه وهو قول صحيح فقد رأينا طبقة الاشراف في الغرب وهي

في الاصل من ابناء اولئك البرابرة القساة والامراء الغلاظ الجفاة في اوائل القرون الوسطى قد رقت طباع اهلها بالتعليم والتربية فالمال هو الذي يولي الشرف ويحسن الاذواق في الحقيقة . امر بديهي لان حواسنا تتأثر في الغالب والعجب يورث الرغبة في الجمال وامتلاك ناصية الجمال تكون مادة للعجب

خذ مثالاً لذلك رغبة القوم في اميركا بالملاحة والظرف وتأثيرهما في عقولهم . فان المخازن العظيمة التي تبيع بالمفرق في المدن الكبرى كنيو يورك مثلاً يكثر الطلب عليها ايام الاثنين اكثر من سائر ايام الاسبوع . ذلك لان الجرائد تصدر يوم الاحد طبعات خاصة من صحفها وتملؤها بالاعلانات وعلى العكس في يوم الجمعة فان الاشغال فيه تكون في فتور حتى يعده التجار من الايام التي لا حياة فيها ولا رواج لسلعهم . بيد انه لم يسعهم الا ان يتداركوا امره باعلانات جلبت الزبن على مخازنهم فعد ثاني الايام في منافعه التجارية وانك لترى كثيرات من ربات البيوت يغسلن غسيلهن و يقضين شؤون بيوتهن يوم الثلاثاء ليتمكن يوم الاثنين من الاختلاف الى المخازن والانتفاع بما جعلته للزبن في ذلك اليوم من الامتيازات .

ولو شئنا تعداد ما يأتيه الاميركان من ضروب الاحتيال في الاعلانات لضاق المجال فان القوم هناك يعتبرون الاعلانات من ادوات النجاح النافعة شهدت بذلك العادة والحس مثال ذلك ان القوم في الولايات المتحدة يصرفون كميات وافرة من الكعك بحيث يخشى ان ينسوا استعمال الخبز بعد . فكان من رغبة الناس في الكعك ان كثر الطلب عليه وهذا اقتضى انشاء معامل عظيمة لصنعه . وكان الكعك يباع بالمفرق منذ بضع سنين بان يوضع عند البدال في صناديق او براميل مفتحة ويجعل الواحد بجانب الآخر فيجيء الزبون يجس الكعك و يذوق قطعة منه ثم يشتري او ينصرف . فاذا اراد ان يشتري يتناول البائع الكعك باصابعه في العادة ليضعه في الميزان ويكون قد وُزن فيه من قبل سكر او بن او ملبس ثم يأخذه فيضعه في كيس من الورق . وانت خبير بان تناول الكعك على هذه الصفة فيه ما فيه من الاضرار بالصحة والقذارة التي تؤدي الى القرف وهي منافية للذوق قليلة السرعة والعناء . خل عنك بان الكعك اذا ظل على الدوام معرضاً للهواء يفقد طراوته وقضمه . على ان الناس لم يشتكوا من هذه الطريقة

وكان من الاعلانات انها هي التي سدت الخلل واصلحت الحال . غدا التاجر الاميركي لا يكتفي بان تكون بضاعته احسن بضاعة بل اقتضى عليه ان يؤثر في اذهان العامة ويحملهم على ابتياع ما لديه والاعتماد في تناول حاجياتهم عليه . فمن ثم كان على التاجر ان يشفع

جودة بياعاته بفوائد لم يكن يخطر للبتاع على بال اجتناؤها واخذ الباعة يتفننون بكعكهم حتى ادت الحال الى انه يباع الآن في رزمة وزنها محدد . فترزم اولا في ورقة غليظة صحية مشمعة تنفذ اليها لرطوبة والهواء ثم يوضع هذا المغلف في علبة من المقوى على شكل لطيف وتلف تلك العلبة بورقة ايضاً وترسم عليها علامة المعمل واسمه . وبهذه الطريقة اصبح الكعك في اميركا آمناً من الجراثيم الضارة والغبار الملوث يحفظ بحاله طويلا ولا ترقد فيه القطط في الليل كما كان من قبل واخذ الباعة يبيعون منه كميات اوفر . وتبارى الباعة في هذا التفنن حتى لا يتخلف احد عن صاحبه ولا يقطع البائع المتفنن على البائع الخامل رزقه وما الداعي الى كل هذا الا الرغبة في الاعلان

ولم يقف الامر في اميركا عند حد بيع الكعك على هذه الصورة بل انه تعداه الى السكر والبن والشاي والملح والفلفل والارز وغيره . وربما بيع الخبز بعد الآن في ورق خاص به لا تمسه يد ولا تراه عين ولا تؤثر فيه عوامل الحرارة والبرودة . وهكذا تدخل روح الترتيب والنظام والنظافة حتى الى افقر بيوت الاميركيين مما يعد خطوة عظيمة في طريق الاتجاه صوب الولوع بالجمال واختيار الاحسن من كل شيء

ومن فوائد الاعلانات انها نفعت في بيع الثياب الحاضرة «الجاهزة» فكان بعض الاميركيين ومنهم الفقراء فقط يلبسون من قبل البسة حاضرة و يعمد بعضهم الى الخياطين لان مقادير اجسامهم تختلف بعضها عن بعض وقد لا يوافق الاكتساء بالاقيسة المعتادة فقام احدهم وانشأ معملا لصنع الثياب الحاضرة من جميع انواع الطول والعرض والهندام وتوصل بواسطة الاعلان عن محله بالجرائد والمجلات ان اقبل الناس عليه لان قيمة الثياب الحاضرة تفرق عن التفصيل نحو النصف فاذا وجد كل انسان القياس الذي يطلبه يفضل اخذ «بدلة» حاضرة . ثم زال ما كان علق في اذهان القوم من ان الالبسة الجاهزة لا تلائم كل جسم وغدا معظم اهل اميركا يبتاعون الالبسة المهيأة وزال على الايام ذاك الوهم الذي غرسه الخياطون وغيرهم

وكان من رخص الثياب في اميركا ان غدا الاميركيون غاية في نظافتهم ولبسهم الجديد من الثياب . وحدث ان احد الاميركان نزل الى مدينة همبورغ في المانيا فقال لاحد رفاقه عجبت من اهل هذه المدينة كيف لا يوجد فيهم غني يلبس بزة جديدة . ذلك لانه رأى القوم يلبسون ثيابا لا تماثل في نظافتها وحسن نظامها ما يلبسه سكان المدن الاميركية وبهذا عرفت ان الاميركيين فاقوا الاوربيين في ولوعهم باتخاذ الجميل من كل شيء وان كان هذا الخلق حديثا فيهم قديماً في الاوربيين . ومثل ذلك قل عن الاثاث

والرياش في المساكن فان الاميركان يستجدونها ويستجيدونها . وارتأى كثيرون من مراقبي سير الاعلانات ان ما كان منها منظوماً يفضل على المنثور لان العامة تطالعها برغبة وينظرون فيها اذا كانت شعراً ولو عامياً اكثر من نظرهم في غيرها . ومن الناس من يقول ان الاعلانات كثيراً ما جلبت ضرراً لان القارئ يخدع بما فيها ويكون فيها مبالغة او خديعة فيبتاع السلعة او الشيء فيبخس او يغبن وانها كثيراً ما اتت بما لا تحمد مغبته .

ولكن القائلين بالاستكثار من الاعلانات يقولون ابداً : ان لكل سبب من اسباب العمل سلاحاً ذا حدين وذكاءنا ايضاً نصرفه في الشر كما نصرفه في الخير . فلا داعي اذاً لتعنيف المعلنين بحجة ما في اعلاناتهم من الخطاء . وليس من العقل ان ينبذ الدين والادب بحجة ان هناك ناساً من المنافقين المخادعين كما لا يجوز بحال ان يزهد في سهام المصارف (البنوك) لان في بعضها تدليساً وغشاً .

قيل لخياط في فيلادلفيا انك تغش الناس بما تنشره من اعلاناتك التي يخالف اكثرها حقيقة الواقع فقال : ان في هذه المدينة مليون نسمة فلو خدع بما اعلنه عشرة في المائة منهم وا كثرهم بلهٌ مغفلون وتيسر لي ان أُلقي في شراك احتيالي عشرة في المئة منهم اي عشرة آلاف نسمة فأنا في سعة من العيش وبسطة من الغنى . وفاته ان من خدع مرة لا يرجع ثانية في الغالب . واحسن طريقة لدفع الغش عن القراء ان يجعل ارباب الصحف والمجلات اجوراً غالية على الاعلانات التي يلحق منها بالناس ضرر فاذا شكا احد قرائهم من غش ناله من انخداعه باعلان تعوض عليه ادارة الجريدة من مالها لانها هي التي كانت السبب في خديعته .

العامة وضعاف العقول ينخدعون في العادة بكل ما حوت الاعلانات . والعامة اكثر الناس . ويليهم في الانخداع النساء ثم العملة . على ان العامة يقل عددهم في اميركا لشيوع التعليم فيها فيقل لذلك المخدوعون بالاعلانات الساقطة يوماً بعد آخر . قال مسيو بوانكره في كتابه (قيمة التعليم) وهو الكتاب الذي اشتهر بين الخاصة والعامة : لا يعرف كم نفع البشر الاعتقاد بعلم الفلك . فان قدر الفلاح لكبلر وتيخوبراهي (١) فذلك لانهما كانا يروجان على السذج من الملوك اخباراً من المغيبات يبنيانها على قرانات الكواكب . فلو لم يكن اولئك الامراء على جانب من التغفل يصدقون بما يلقى عليهم لكنا بقينا الى اليوم

(١) الاول فيلسوف الماني مات سنة ١٦٣٠ م ولقي الشدائد في نشر علمه وله قوانين في الفلك اخذ عنها نيوتن الفلكي الانكليزي فقال بالجاذبية العامة . والثاني فلكي سويدي اخترع مذهباً في الفلك يخالف مذهب بطليموس وكوبرنيك مات سنة ١٦٠١

نعتقد ان الطبيعة تابعة لهوى النفوس وظللنا نتسكع في بيداء الجهالة . وهذا القول ينسج مثله على منواله فيقال : لولم يكن للاميركيين رغبة في اكتساب المال ولولم يتنافسوا فيه ويتفاخروا في احرازه ولولم يكونوا متجرفين ربما كنا رأينا القوى السامية في الانسان تسقط في المزاحمة مع القوى العملية النافعة الصرفة في جنسنا الانساني وكنا نسير في الشؤون المادية على وجه سمج .

فالصنائع هي زخرف الحياة ولا يكون الزخرف الا مع الغنى ولا يحصل الغنى في هذه العصور الديمقراطية البعيدة عن العبودية الا بالتفاني في اصطياد الدرهم والدينار وقد ينتج من شر كبير خير كثير ومن الولوع بالمال في الاتجار الادب والفنون اه

نظام الاكل

معربة عن مبحث للدكتور فلوري في « المجلة » الفرنسوية .

سوء الهضم اكثر الامراض انتشاراً ولا سيما في الطبقة المستنيرة من الناس ومسبباته كثيرة فليست اسبابه الاخلاقية هي الغم والملل فقط بل الاهتمام بالاشغال والاعمال .

واذا تيسر للمصاب به ان يسلي نفسه ويبدل محيطه الذي يعيش فيه وان يستحم في حمامات البحر والنهر وان يصرف زمناً في الخلاء يزول هذا المرض موقتاً ثم يعود الى حالته عند عودة صاحبه الى معاطاة اعماله

ولطالما نصح الاطبيب للمصاب بسوء الهضم ان يتخلى عن افكاره ويتناسى ما يشغل ذهنه ولكن هذه النصيحة قلما عمل بها الا اذا كان في خلال الطعام . ولقد ابان بافلوف الفسيولوجي الروسي المشهور انه ينبغي تناول الطعام بسرور ليجود الهضم . فاذا كان صاحب هذا المرض مشتت البال وقضي عليه ان يتناول طعاماً لا طعم له ولا لذة فيه لا يسيل اللعاب وعصارة المعدة ولا يعمل الهضم عمله وعلى العكس اذا استحسن المصاب به صحفة من الطعام فانه يسيل لعابه في فمه وتحسن عصارة المعدة ويتم الهضم بسهولة .

يقولون ان الطاهي اذا اجاد الطبخ يحمل الآكل على ان يتناول من الطعام فوق حد الكفاية وهذا غلط فان الناس لا يفكرون بان امثال هذا الطاهي ينتفع بغفلة المصاب بسوء الهضم ويستدعي سيلان اللعاب والعصارة . وينبغي ان يكون الطعام تام النفع على ان ذلك لا يكفي اذ الواجب على الآكل ان يتناوله كما ينبغي على الوجه الذي ينبغي . وانا معاشر الناس باسرنا نأكل اكلاً رديئاً اي ان طريقتنا في تعاطي الطعام ليست صحية فلا نرى حرجاً في الاسراع بتناول كمية كبيرة من الطعام على المائدة .

وجوب التمهل في تناول الطعام

من الآفات المنتشرة كثيرًا تناول الطعام بسرعة فان الوقت يقضي على بعض الناس ان يسرعوا في خفتهم وقضمهم لان دواعي اعمالهم تبعثهم على ذلك . وبعضهم هم اهل المزاج العصبي يعجلون في جميع الاعمال و يستحيل عليهم ان يقوموا بالتأني في معاطاة عمل لهم فتراهم يقضون اعمالهم كلها بسرعة و يصدم حركاتهم بعضها بعضًا وتأخذ افكارهم بعضها برقاب بعض ترى كثيرين منهم من اذا حفزتهم الشهوة للطعام وجلسوا الى الخوان يشعرون بحاجة شديدة لتناول الاكل فيزدردونه ازدرادًا دون ان يجعلوا في وقتهم متسعًا للمضغ وقصاراهم ان يخضعوا طعامهم مسرعين . كأنهم يرون الغذاء ضربًا من ضروب السخرة فيأبون التريث والتلكؤ، فلا يكاد يفرغ ما بين ايديهم من الصحاف حتى يطلبوا غيرها بالحاح وسرعة .

وقد اطلقت اللغة ألفاظًا منوعة على الاكولين من مثل الاستراط والنهم والشره اما الطبيب فان هذه الاسماء تتساوى في نظره و يراها كلها بنتائجها فان النهم وسرعة تناول الغذاء على اختلاف حالاتها تؤول الى نتيجة واحدة من تشويش الصحة . ذلك ان العصارات الهاضمة لا تؤثر التأثير الحسن في الاطعمة التي لم يحسن مضغها فان الغذاء يتخمر و يحدث اضطرابات و برازًا فاسدًا وهي من الاسباب الفعالة في حدوث داء المفاصل .

تزول هذه الاضطرابات بأسرها اذا عقد المرء العزم على ان يحسن المضغ بالتدريج وقد نصح الدكتور فلتشر الاميركي باجادة المضغ على مهل و بتقليب اللقمة بحيث تستحيل كالمرق وتنعم وتمتزج باللعاب اي امتزاج (١) ومن رأيه ان يبقى اللبن والحساء والخمر وكل شراب مغذٍ مدة في الفم قبل البلع . واللقمة اذا جزئت وطحنت على هذا النحو تصبح كالمادة القلوية باللعاب السائل . وقد قال فلتشر ان هذه القلويات ضرورية لهضم الطعام ومما ينفع في هذا استعمال الفواكه الحامضة مثل التوت الافرنجي (فريز) والريباس (عنب الثعلب) . وقد تبين له ان الهضم سهل بهذه الطريقة فقلت جراثيم الامعاء ولم يبق فيها غازات ولا فساد وقلت رائحة المواد البرازية وبقيت في الامعاء مدة اطول وقلّ مقدارها وتقلصت الامعاء . والمتمهل في طعامه يشعر بزيادة المسرة عند الغذاء وتطيب نفسه لتناول طعام بسيط و يتبدل سير صحته فلا تعب في الجسم ولا في الفكر غب الطعام ولا وجع في ولا اوجاعًا مجهولة وتقل اعراض الرثية والنقرس بل تزول وهكذا الحال في ضعف المجموع العصبي فانه يتبدل و يبتهج صاحبه ويحسن نظره في المستقبل . لان جميع هذه الاعراض

(١) شاعت طريقته هذه في بلاد الانكليز السكسونيين انكلترا واميركا شيوعًا كثيرًا حتى عدّ القائلون بمذهبه والسائرون على خطته بمئات الالوف

السيئة وكثيرًا غيرها هي ولا جرم ناشئة من تسمم الانسان بيده وتناوله من الطعام فوق طاقته على طريقة مختلة . وان كثيرًا من الامراض المزعجة في الشيخوخة تحدث من ذلك فاذا جاد المضغ وحسن تناول الطعام لا يحدث من سوء اثرها ما يحدث . فليس من الضرورة لمن اراد الاحتفاظ بشبابهِ ان يملأ معدته كما قال الاستاذ متشنكوف باللبن الرائب او بحسب رأي القائلين بالتغذية بالنباتات ان يمتنع الانسان عن اكل اللحم بل يكتفي المرء بان يحتاط لنفسه احتياطًا واحدًا وذلك بأن يمضغ بتأنٍ فاذا فعل ذلك يسعده الحظ فيعمر مئة سنة .

نعم ان تحمس اتباع فلتشر لا يخلو من غلو فقد ابان جان فينو في كتاب فلسفة طول الاعمار ان احسن ما يداوى بهِ المرء ليبلغ اقصى حدود الشيخوخة ان لا يكون فقط معتدلاً في كل شيء بل ان يكون من أُسرة معمرة يبلغ افرادها المئة سنة . وقد اعترف الاطباء في كل عصر بضرورة اطالة المضغ ليكون الهضم على اصوله . وانت ترى ان فلتشر لم يأت امرًا جديدًا بل جعل من هذه الوصية الشائقة لجميع المصابين بسوء الهضم قاعدة يسيرون عليها وسنة يتبعونها .

وقد اثبت المستر ستيدان استاذ الفسيولوجيا في كلية يال الاميركية قدر هذه الوصية فاخذ ينظر في طعام الاساتذة والتلاميذ والجند وقسم جراية كل منهم الى نصفين وجرب ذلك بالدقة اشهرًا واخذ يسجل على وجه الصحة ما يدخل الجوف وما يخرج منه . فتوصل اقوياء البنية بمجرد تناولهم الطعام بتأنٍ ان يهضموا هنيئًا مريئًا نصف الطعام واحيانًا ثلثيه وقللوا خصوصًا من معدل اللحم لانه هو الغذاء الذي يهيج بالاكثر تركيب التوكسين فقويت اجسامهم ونشطت وحالفتها البهجة واخذوا يتمتعون بصحة اجود من صحة اخوانهم الذين لم يسيروا على سيرتهم .

ينبغي تقليل كمية الغذاء

انا لا نسرع في تناول الطعام بل نكثر ايضًا من تناوله فان هذين النقصين متلازمان بالضرورة . ولا بد لمن يسرع في تناول اكله ان يتناول كمية كبيرة من الطعام لان جزءًا من طعامه لا يهضم وكلما اكل زادت شهوته ونهمه ولا تنتهي به الحال الى الشبع ولقد عرف القدماء مضار الاكثار من الطعام فضربوا لذلك الامثال فاشتهرت عنهم . وكان اول مؤلف اشاع ذلك بين الملاءِ ودعا الى عدم الاكثار من الطعام لويجي كورنارو (١٤٦٧ — ١٥٦٦) فان هذا الشريف البندقي (نسبة لمدينة البندقية) بعد ان قضى شبابه في الفسق طفق في الاربعين من عمره عقيب مرض شديد عراه يجري على ترتيب

مدقق في معيشته على نحو ما يجري الرهبان النساك فاخذ يقلل كل يوم كمية طعامه شيئاً فشيئاً بحيث انزله الى ٣٤٠ غراماً من الطعام الجامد و٤٠٠ غرام من الخمر ونصب له ميزاناً يتحقق به ما يدخل معدته وما يخرج منها . وهكذا تقدم هذا السري غيره بقرون في الاقلال من الطعام ولكنه لم يذكر الطريقة التي كان يمضغ بها فقويت بذلك صحته كثيراً وفي السبعين من سنه حدث له حادث مريع من عربة فقضقضت اعضاؤه وتهشمت جمجمته فحكم الاطباء بانه هالك لا محالة ولكنه لم يلبث ان شفي . ولقد اراد ان يزيد طعامه بعض الشيء فمرض وعاد الى التقشف في اكله ولم يمد يغضب ووجد راحة في فكره واصبحت اخلاقه دمثة وحالته الى النشاط والبهجة . وفي الثالثة والثمانين من عمره وضع كتاباً ذكر فيه الطريقة التي ينبغي الجري عليها لتطول الحياة بلا اسقام ونشر ايضاً ثلاثة مصنفات في هذا الموضوع ومات في السابعة والتسعين وقال بعضهم في الثامنة بعد المئة .

ومن عهد هذا الرجل كثرت الامثلة المشابهة لحاله . وانا اقتصر منها على ايرادا حدثها فأقول ان الرحالة يوحنا شاركو الذي نزل من السفينة في رحلته الاخيرة الى القطب الجنوبي في جماعة من رفاقه ليتوغل في الجنوب لما كان توزيع الطعام موكولاً اليه اخذ يعطي كل فرد من رفاقه نصف جرايته بدون ان يقول لهم انه نقصهم من طعامهم فلم يشكُ احدهم جوعاً وكانوا على ما ينالهم من التعب مسرورين ولم يمرضوا وبذلك تيسر له ان يطيل امد هذه الرحلة حتى اذا كانوا في العودة وقد بقي معه قسم عظيم من المؤن انشأ يعطيهم الجراية تامة اي الجراية المظنون انها ضرورية للانسان فاصيبوا كلهم اذ ذاك بسوء الهضم .

وهنا سؤال وهو كم يقتضي للمرء من الجراية ليعيش على اقل تقدير . فاقول ان ذلك يرجع الى امور منها قامة الانسان ووزنه ثم البلاد التي يعيش فيها والجنس الذي ينسب اليه والعمل الذي يتعاطاه . وقد قام التواتر بتجارب مدققة للغاية في هذا الباب فاخذ رجلاً زنته من ٦٠ الى ٧٠ كيلو غراماً وكان يعيش في حرارة تبلغ ١٧ درجة ويمتنع من كل عمل لا جدوى فيه وجعله في غرفة ووزن ما يدخل اليه وما يخرج منه بادوات كثيرة منوعة كما وزن تنفسه وقدر جميع اعماله واعطاه من الغذاء ما يولد فيه الحرارة اللازمة لنشاطه فرأى انه في حاجة الى ٢٢٥٠ من الكالوري في كل ٢٤ ساعة هذا اذا كان لا عمل له اي الى ٣٣ من الكالوري في كل كيلو غرام (١) فالشبان يحتملون الافراط في التغذية فلا يحدث

(١) اقل ما يقتضي لمن كان في راحة تامة بحسب رأي الاستاذ غوتيه ٢٠٠٠ من الكالوري تقدم على نسبة ٨٢ غراماً من الالبومين و٥٠ غراماً من الدهن و٣٨٠ غراماً من هيدرات الكربون . وارتأى بعض الفسيولوجيين انه يكتفى باقل من ذلك . وذهب الدكتور

من ذلك فيهم سوى زيادة في حرارة الجسم وعرق غير اعتيادي وحاجة لعمل غير معتدل وليس الامر كذلك في الشيخ والرجل الذي بلغ اشده وفي جميع من لم تكن بنيتهم على حالة حسنة فان الافراط في تناول الاغذية يحمل المعدة فوق طاقتها فيشق عليها ويرهقها من امرها عسرًا . فاذا لم يتأت الهضم يحدث تخمر وتسمم ذاتي فتكثر الاملاح والحامض البولي والمواد الحامضة ويصاب المرء على الزمن باحتقان الكبد وتغير الكلى والتحول الى شحم فيكون بذلك مصابًا بوجع الاعصاب والمفاصل والسويداء وغيرها .

كيف يتمكن المرء من الاقلال من الطعام ومن تناوله بتأن

تبين لك مما تقدم ان من مصلحة الانسان ان يعدل عن طريقة عيشه ولا يقتضي ذلك كبير عناء ويكفي في هذا الباب اقناع المرء بذلك ليتحول اليه . على انه من المحقق صعوبة التغلب على عادة سيئة حتى ان المصاب بسوء الهضم ليعترف بانه يسرع في طعامه ويود اصلاح نفسه ولكن ارادته وحدها لا تكفي في مغالبة هواه فتراه يحتاط في اول جلوسه الى المائدة ولكنه لا يلبث ان يعود الى طبيعته فتتغلب عليه فيأخذ في القطع والبلع . ونظن ان مداواة هذا النقص تكون باعطاء اطعمة متنوعة كثيرًا تتقدمها توابل مطبوخة كحساء الجلبان او العدس والخذيعة (طعام من لحم او سمك مخردل) وربما نصحوا باستعمال العالك Masticateur فيهيج اللعاب والعصارة المعدية على الغذاء الا انه يلزم للعاب من الوقت ما يتمكن معه من السيلان . ولذلك اقتضت الضرورة ان تكون البداءة بالاكل لقمًا صغيرة وان يمضغ بتأن حتى اللحم المفروم والحساء بل السوائل من اللبن والمرق والشراب .

ويرجو بعضهم ان يعالجوا قلة سيلان اللعاب بان يمضغ المرء بعد الاكل قطعة من الصمغ مضغًا طويلاً . فقد اعتاد الاميركيون هذه الطريقة وما هي الا ملطفة وملينة

بوردي الى انه يلزم من ٦٠ الى ٨٠ غرامًا من المواد الزلالية (البومونيد) ومن ٥٠ الى ٦٠ غرامًا من الدهن ومن ٣٣٥ الى ٣٠٠ من هيدرات الكربون ووافقه على ذلك الدكتور مورل من تولوز . والغالب انه توجد فروق عظيمة لا بحسب ثقل الجسم والعمر بل بحسب المزاج وربما امكن تخفيض عدد الكالوري الى ٢٠٠٠ غرام في البلاد الحارة عند بعض الامم المتقشفة كالحبشة والهنود واليابانيين . ولا يفوتنك ان الادهان يمكن الاستعاضة عنها بهيدرات الكربون وعلى العكس والمواد الزلالية هي لازمة ضرورية في الغذاء ولا يمكن تنقيصها الى اقل من ٨٠ غرامًا . ويستدعي العمل الطبيعي زيادة في كمية الكالوري تختلف بحسب شدته ومدته فيصل صاحبه من ٣٥٠٠ الى ٥٠٠٠ وربما الى ٦٠٠٠

موقتاً فان اللعاب يسيل متأخراً كثيراً فاذا وصل الى المعدة يمتزج مع السوائل وعصارة المعدة فيفقد جزءاً من قوّته ·

وهناك حيل يحتال بها لاصلاح حال الاكولين وزحزحتهم عن الشره فاذا كان الاكول يملأ معدته ليشبع فوق طاقته فنصح له اولاً ان يقطع اللحم والخبز قطعاً صغيرة كالقطع للاطفال وان لا يتناول منها سوى لقمة دفعة واحدة وان يتناول الحساء والبقول الناشفة بملعقة صغيرة وان يعنى بان لا يأخذ الى فمه شيئاً منها الا اذا بلع الملعقة الاولى برمتها · وتتيسر معالجة سوء الهضم بتحريض صاحبه على الاقلال من انواع الاطعمة كثيراً كأن يراد على ان يتناول فطيراً فيأ كل منه على وتيرة واحدة وهو طعام قليل اللذة ولكنه من اكثر الاطعمة هضماً ولا نرى هنا تعداد الطرق المختلفة التي يعمد اليها بعض الامبركان فان بعضهم يتناولون غذاء مقتصرين فيه على الحبوب وبعضهم على الثمار وبعضهم يأبون ان يتناولوا طعاماً دخل النار ·

ومما يرتاب فيه ان تكون امثال هذه التدابير في الاكل صالحة في ذاتها وعلى كل فهي تقلل من الشراهة · ولهذه التدابير في نظر الفسيولوجيين عائق عظيم وهو ان المرء يتناولها بدون لذة على حين قد قلنا آنفاً ينبغي لجودة الهضم ان يستحسن الانسان ما يتناوله من الطعام · يقتضي ان يكون طعام المصاب بسوء الهضم بسيطاً ولكن ينبغي ان يكون لذيذاً محضراً احسن تحضير فاذا استحسنه المريض تنتهي به الحال ان يتلمظه ببطء واذا رضي بان يقدم له الطعام على مهل وان يفصل بين كل صحفة بحديث مفرح فيكون ذلك من حسن طالع المصاب بسوء الهضم اذ يغدو معتدلاً في شرهه ·

واذا لم يصلح الممعود نفسه على رغم ما تقدم فله طريقة اخرى ينصح بها فليتشر قال : اذا بلع الانسان الطعام وفيه بضعة اجزاء لم تسحق كل السحق تقف بعد الحلق اما الجزء السائل من اللقمة فانه ينزل الى البلعوم وعندها يستدعي ذلك عملاً جديداً من البلع لتسييرها الى مقرها . خذ مثالاً لذلك طلمة (قرصاً) من الفاكهة فامضغها وابلعها فان التفل يستحيل باللعاب الى مواد نشائية (هيدرات الكربون) نصف سائلة فتمر بعد ذلك في البلعوم اما قشر الثمار وبزرها فانه يقف قليلاً في الحلقوم (١) وليس اسهل عند ذلك من ابداء

(١) اوضح المستر فوستر هذه القضية بان فرّق بين طبقتين من الحيوانات الاولى كالفرس مثلاً ينبغي لها ان تمضغ طويلاً لبلع حساء نصف سائل والاخرى كالكلب فانه يأكل لقماً صلبة ولا يكاد يمضغها وبذلك تبين ان حلقوميهما مختلفان · فان للفرس جلدة في سقف حلقه الى العضلات الثخينة ولهاته متسعة ومدورة اما الكلب فعلى العكس فان جلدة سقف

حركة يعاد بها الطعام الى الفم بدون قيء وان تتعاور وهذه الاجزاء التي لم يحسن المرء سحقها ويعاد مضغها حتى لا يعود يحس بطعمها اصلاً فان هذه الطريقة التي ارتآها فلتشر وتحققها بذاته هي اسهل على الاجراء من ابقاء الطعام ريثما يمضغ بتمامه . وهكذا ينبغي استعمال الحيل للتغلب على العادات القبيحة فان الارادة مهما بلغ من قوتها لا تكفي اذا لم يساعدها الذكاء .

الاطعمة السهلة الهضم

يقول فلتشر ان كل من بلغت به الحال ان يأكل قليلاً بتأنٍ لا تأتي عليه بضعة اشهر حتى يتمكن من تناول كل شيء ويستطيع ان يهضم الحصا فينبغي له ريثما يسعده الحظ بهذه النتيجة ان يعنى كل العناية باختيار الاطعمة السريعة الهضم . وقد اختلف المؤلفون في معنى سريع الهضم على طرق شتى فقالت فئة : هو كل طعام يجري بسرعة الى الاحشاء وعلى هذا النظر قرروا لكل طعام الوقت الذي يصرفه في المعدة بيد انه يمكن ان يمر في الاحشاء وهو غير مهضوم وغير قابل للتعديل . ويفضل ان ينظر كل طعام سهل على الهضم لانه يستحيل في الحال الى كيموس متشابه وان من الصعب تحقيق امر هذه الكيموسية . والافضل ان يعمد في ذلك الى التعريف العامي وهو ان كل طعام سريع الهضم اذا هضم بدون ان يدركه الانسان وكل طعام لا يهضم هو الذي يحدث ثقلاً وانتفاخاً وتجشوءا

وقد وضع الكيماويون والفسيولوجيون في كل زمان طبقات للطعام على قابليتها للهضم وعدمه فلم يكن بحثهم الا تقرير الرأي الشائع . وانا لا نذكر هنا ما وضعوه من القوائم والفهارس لانك تجدها في جميع المقالات الصحية بل نكتفي بالقول بانه لا يمكن تطبيقها على جميع الممعودين بدون تمييز . بيد ان بعض الناس على لطافة معدهم يهضمون بعض الاطعمة الصعبة الهضم . دع عنك الاستعداد الشخصي الذي لا يحسن الاطباء تفسيره ويزخرفونه ستراً لجهلهم باسم مفخم فيدعونه (الاديوسانكرازيا) وهو الميل او الكراهة لبعض الامور وينشأ من استعداد خاص بالمزاج . ثم اني ارى من الاشبه ان يقال ان هذه الاطعمة قابلة للهضم لانه يلذ المرء تناولها ولا ينبغي ان يستنتج من هذا ان كل طعام يروق في الذوق يكون سهلاً على الهضم فان عكس ذلك هو المألوف واحسن ما يجدر في هذا الباب تعاطيه ان يثق المرء باختباره الخاص . وعلى كل فان بعض الاصناف من الغذاء سيئة الاثر في جميع الممعودين وهي الاطعمة المهيجة والاطعمة الدسمة . فان الفلفل الاحمر والبهار والخردل

حلقه خالية من الالياف العضلية تغلق ما وراء الحلق كما تغلق الصدفة فيكون منفذ الحلقوم عند البلع متسعاً واللهاة حادة ورفيعة فبنية حلقوم الانسان تشبه حلقوم الفرس .

والتوابل المصنوعة في الخل والطرطور الانكليزي (Sauces) تهيج شهوة الطعام وليس فيها سوى تهييج المخاطيات فينبغي الامتناع عنها وكذلك الحال في الادوية المنفخة (كالمياه المعدنية وغيرها) والابسنت والخمر فانها كلها تقاس على ما تقاس عليه تلك المشهيات اما الاطعمة الدسمة فان فيها عائقاً آخر لان الدهن يتحد مع مخاط المعدة فيمنع عنها البروز ويقاوم هجوم الاطعمة بالعصير المعدي ٠

ومن المبادىء المقررة التي ينبغي للممعود الجري عليها ان يكون طعامه لا دسم فيه ولحمه لا دهن فيه وسمكه كذلك وان تكون الثمار التي يتناولها غير زيتية ٠ وهنا اعتراض وهو انه كيف يتأتى تحضير الاطعمة اذا مُنع الطاهي من وضع شحم الخنزير والدهن و (السلسات) الدسمة فان معنى ذلك الضرب على ايدي الطاهي بحيث يتعذر عليه ان يحسن طبخ الطعام فيكون من ذلك على الممعود اشق من مرضه على انه يمكن استخدام مادتين دسمتين سهلتين على الهضم ألا وهما زيت الزيتون والسمن فان زيت الزيتون الخالص يحسن اكله ولكن ينبغي ترغيب الناس في طعام الزيت ٠ وسكان الجنوب من فرنسا عرفوا بهذه المزية٠ وكذلك السمن فانه الغذاء الدسم السريع الانهضام على شرط ان لا يكون مطبوخاً فاذا كان السمن نيئاً يكون منه مستحلب وقطيرات دقيقة تعوق العصارات الهاضمة عن عملها كثيراً واذا كان مطبوخاً يسوء هضمه كشحم الخنزير

فلا يضاف السمن على الاطعمة المختلفة الا اذا رفعت هذه عن النار وتم طبخها وهذه الطريقة التي اعتادها مهرة الطهاة لان السمن اذا أُذيب على هذا الوجه يحفظ طعمه ٠ اما السمن النباتي المستخرج من الجوز الهندي الذي اخذ يدخل المطابخ تحت اسماء متنوعة فانه يهضم كالسمن الحيواني

واراني في الختام قد مرنت على الكلام في فن الطبخ بكتابة هذه المقالة على انها ليست فصلاً في الفسيولوجيا بل هي درس في الطبخ اردت الخوض فيه واردت ان ابين ببساطة ان لعناية المصابين بسوء الهضم علاقة بهذا الفن ولو كنت اشكو من هذا المرض لعمدت الى طبيب ممن عرف بشرهه واخذت رأيه فيما يقتضي لي الجري عليه فانهُ يكون ولا جرم ابن بجدة هذا المرض ولكن من الغلو ان يطلب مجموع هذه الصفات من رجل فرد

نبأ من الصين

لأحد علماء الفرنسيس

بعد ان ثارت ثورات البوكسر من دعاة الفتنة في الصين وصار سبيل للاوربيين ان يتداخلوا في شؤونها عمدت ان تحذو حذو اليابان في ابدال اوضاعها باوضاع غربية وتصبغ بلادها بصبغة الحضارة الاوربية فكان منها ان صرفت وجهتها الى التعليم . وبعد اربع سنين الغت نظام التعليم القديم وطريقة الامتحانات العقيمة فعد ذلك انقلاباً عظيماً لا في السياسة بل عدّ ضربة قاضية على كونفوشيوس وما لقيه بين ابناء الصين منذ القرن التاسع من النفوذ والتأثير فاصبحت تعاليمه هي المعمول بها واساس كل تعليم في البلاد الصينية فكان يتحكم في جزئيات الصينيين وكلياتهم ولم يعهد ان كان لبشر مثل هذه السلطة على مثل ذي القوم في عدده وان دامت سيطرة انسان قروناً لا يجرأ احدٌ على نقضها . فقد كان قبل المسيح بستمائة سنة . ولد في إمارة «لو» التي هي اليوم ولاية «شانغ تون» وهي للالمان تعد جزءاً من «كياوتشو» . نعم لم يعهد في تاريخ البشر ما يشبه هذه العبادة وهي مدنية دينية يُعبدها رجل بسيط و يعبده شعب لا يحصى مدة ٢٤ قرناً في الشرق الاقصى . ولذلك لم يجسر احد من اتباع هذا المذهب على الغاء الطريقة القديمة في الفحوص وحذف اسم كونفوشيوس من المدارس سيما وصورته في كل صف يسجد لها التلميذ والاستاذ على حد سواء . فكان من هذا الانقلاب ان استعيض في المدارس عن تعليم جميع العلوم وجعلها فرعاً واحداً بجعل كل فرع منها مختصاً بفئة من الناس كأن تكون الاولى مدرسة الحقوق والاخرى للطب والثالثة للعلوم السياسية والرابعة للصنائع والفنون وغير ذلك وكان يكفي في نيل الطالب لشهادة المدارس الكلية ان ينشيء شيئاً في الادب يأخذ موضوعه من كتب كونفوشيوس و يطلب اليه كتابة شيء في الشعر وكانت تفتح ابواب المناصب والمراتب امام من يحسن ذلك من الطلاب . فعرفت الحكومة عقم هذه الطريقة في التعليم وانشأت مدارس خاصة دعتها «مدارس العلوم الحقيقية الثابتة» وانشأ الامبراطور نظارة للمعارف العمومية ترقب احوالها كما هو الحال في الغرب وستنقسم تلك المدارس الى ثلاث طبقات ابتدائية ووسطى وعليا . وقد رخصت الحكومة لبعض الولاة ان ينشئوا في عمالاتهم مدارس مجانية يقرأ فيها التلاميذ نصف النهار و يتمكن الفقراء في خلال ذلك من الدراسة في الصباح والعمل لتحصيل قوتهم بعد الظهر وهذه المدارس اشبه بمدارس البالغين في فرنسا والفرق بين هذه وتلك ان هذه تفتح في المساء وتلك تفتح في الصباح ذلك لان الصينيين

لا يسهرون في الليل اللهم الا من يتعاطى الافيون منهم وما عداهم فانهم يباكرون منامهم حفظاً لصحتهم وحرصاً على الاضواء وصرف شيء منها عبثاً

ولقد كان اصلاح التعليم في الصين ونشر المعارف بين طبقات العملة او الفقيرة من المستحيلات الا بتسهيل طريقة الكتابة وكانت هذه من الابهام والالتباس بحيث حالت دون العامة وتلقي المعارف الادبية وغيرها . فرأى الامبراطور من الحكمة ان يصدر امره ليستعمل خط جديد صيني يتألف كله من خمسين حرفاً ويسهل اتقانه في شهرين . وبفضل هذه الطريقة الجديدة اصبح الآن ثلثمائة الف صيني يعرفون القراءة والكتابة . وقد نشر اهل العلم جرائد تطبع بهذه الحروف الجديدة ليتمكن المتعلمون من استخدام هذه النعمة ولذا اصبحت نتائجها راهنة من الآن

ادركت الصين بعقول رجالها الثاقبة كل الادراك ان نشر التعاليم الديمقراطية بين الغوغاء من اهلها لا يكون الا بواسطة الصحافة التي تتناولها العقول كافة وان الطريقة الحقيقية في ازالة غشاوة الاوهام عن ابصار العامة وإزالة ما علق في نفوسهم عن الاجانب ان يطلعوهم على اوضاع الغربيين وكانوا يرونهم من قبل اعداء لا يميلون الا الى السلب ولا يظمأون الا لسفك الدماء ويطلقون عليهم إسم «شياطين الغرب» . واذ اخذت الصحف تستخدم الخط الجديد فستحارب هذه الاوهام وتنتهي بالتغلب عليها وإزالتها من العقول وهذا هو الرأي الشائع عند من يرون اختطاط خطة النجاح

يطمع الامبراطور ان يبث العلم في عقول رعاياه وهذا الامر موقوف على الاكثار من المدارس والمدارس تحتاج للانفاق والصين يعوزها المال كما قد تمس الحاجة اليه في كل مملكة فلم يرَ ابن السماء بدّاً من استوكاف اكف الطبقات كلها وراح يفتح الاكتتابات العامة وجعل لكل من يؤدي الف فرنك لقب شرف او وساماً ومن ادى من عشرة آلاف الى خمسين الف فرنك يحق له ان ينشئ وسط الشوارع العامة قوس نصر من الحجر يخلد به اسمه وعلى نسبة عظم المبلغ المعطى يكون البناء التذكاري جسيماً . وهذا من غرائب الحيل الباعثة على الطمع النافع . فالصيني يعجب باجداده ولذلك تراه يتعاظم الا ان اذا تخلد ذكره كما تخلدت اسماؤهم ويكون له بهذه الطريقة باب يثبت به اخلاصه لبلاده بل يؤيد به منحه وأعطياته وربما كان في الاوربيين من تطمح نفوسهم الى هذا التمايز من اقامة اقواس نصر من هذا النوع بعد ان كان الملوك حتى اليوم مستأثرين بحجدها دون سائر الناس .

ومما اضافه ابن السماء على تلك الاكتتابات لانشاء المدارس نزع ملكية الاراضي والعقارات لاجل المنافع العامة فصدر امره الى المعابد التي لم تقم على نفقة الحكومة ولا

اعترفت هي بها ان تدفع مداخيلها الى خزانة الدولة لتخصص للمدارس . وعلى هذا الفكر احالت الحكومة الصينية قصر امير توان السابق الذي اثار ثورة البوكسر الى مدرسة حربية خاصة بتعليم الامراء والاشراف وابناء الحكام من اهل الطبقة العالية وهذا القصر في بكين في المدينة التاتاربة . ولا بدّ من الملاحظة هنا ان انشاء هذه المدرسة الحربية هي على طرفي نقيض مع تعاليم كونفوشيوس الذى ينفي الحرب ويحظره على الصينيين و يعده اسوأ الجرائم . ولقد كان من كره هذا الفيلسوف ومقاومته للحروب ان اصبحت بهالمملكة السماوية بلا مدافع يدفع عنها عادية اعدائها فعرف الصينيون اليوم بما لقنتهم اياه يابان من درسها الحاجة الماسة في الشرق الاقصى الى تأليف الجيوش المنظمة القوية القائمة بحفظ تجارهم واستعدادهم ليقاوموا بها الدخيل الذي لا يرمي الا الى تجزئة بلادهم واكتساح ارضهم . وقد شعروا بان خضوعهم لتقاليدهم ولدينهم قد اضرّ بهم فقضى عليهم الحكيم كونفوشيوس . بيد انهم لم يعصوا عليه ولم ينزعوا حبه من نفوسهم بل تركوه وشأنه واخذوا ينظرون في امرهم من طريق آخر . وانشأت الحكومة بجانب نظارة المعارف العمومية نظارة اخرى للمعارف مهمتها الاولى ان تؤسس في المملكة كلها مدارس للتجارة والزراعة وتربية الدود والغابات وكان الصينيون على مثال قدماء الرومان يحتقرون التجارة و يعدون اهلها من الساقطين في الهيئة الاجتماعية ولا يرى الصينيون الا الطاعة العمياء لما رسمته شريعة كونفوشيوس لان هذا لا يحترم الا الادباء ورجال الدرس والبحث فاصبح ما كان يحول دونهم ودون الترقي قروناً كثيرة جائز العمل مرخصاً باتيانه

وكانت الصين من قبل محرومة من المكاتب العامة على مثال خزائن الكتب في اوربا فلم يظهر لاحدهم منذ عهد كونفوشيوس ما يتأتى عن المكاتب من الفوائد للمدنية فأسسوا اليوم مكاتب جمعوا فيها جميع الكتب المنقولة الى اللغة الصينية التي نشرت في ممالك كثيرة في العلوم العملية والمعارف الشائعة التي من شأنها ان تساعد الصين على النهوض وانشأت الحكومة مكاتب للترجمة رسمية في جميع المدن الصينية الكبرى . اما المجلات فليس غير المرسلين الكاثوليك والبروتستانت من يعنى بنشرها في الصين حتى الآن وهي تبحث في الموضوعات الدينية وتشغل قليلاً من صفحاتها بالابحاث العلمية وقد ارتقت الصحافة كثيراً في الصين وفيها اليوم كثير من الجرائد اليومية والجرائد التي تصدر ثلاث مرات في الشهر وادرك الصينيون منذ كارثة البوكسر ان الصحافة من المواد الجوهرية في الحياة العامة ولذلك ترى كل من تعلم القراءة منهم يقرأ الجرائد حتى الامبراطور وجميع الجرائد الجديدة كلها تقريباً تكتب على مثال جريدة « سهان باو » التي تصدر في مدينة شنغاي وهي التي اسست سنة

١٨٦٨على يد شركة صينية اوروبية وذرع هذه الصحيفة الكبيرة متر وثلاثون سنتيما ذات ثماني صفحات طولها ٠ ٣سنتيمتراً وعرضها ٣٠ وتباع بعشرة «سابيك» وهي تعادل خمسة سنتيمات

وترى المقالات في هذه الجريدة التي يكتبها الادباء العارفون من اهل الكفاءة جيدة في موضوعاتها منوعة الاساليب وهي في العادة مفعمة بالاحساس الطاهر ويظهر استقلال هذه الصحيفة مما تنصح به للحكومة وبما تدل عليه من الفساد المستحوذ في الادارة وبما تعلقه على السياسة الخارجية وقد تكون تعليقاتها سديدة . وفي هذه الجريدة مجال طويل للبحث في الشؤون المختلفة وترى رواد الاخبار في الصين على غاية من المهارة يدخلون في كل مكان ويعرفون كيف يحدثون غيرهم ويروون عنهم الاخبار وهي طريقة اخذوها عن اليابانيين. واحسنوها وترى الصفحات الاربع الاخيرة غاصة بالاعلانات التجارية صينية او اجنبية وفي اعلانات الاجانب حروف باللغات الافرنجية لالفات انظار الصينيين وورق هذه الجرائد معمول من ورق الخيزران «البامبو» ولذلك تراه رقيقاً للغاية ويطبع من وجه واحد ويترك الوجه الآخر ابيض لانه شفاف يرى ماوراءه لانه اميل الى الصفرة على ان لون ورق الجرائد وطبعها يمكن تغييرهما في بعض الاحوال على نحو ما يفعل ارباب الطباعة اذا مات احد الاسرة المالكة فتطبع الورقة التي تذكر الامر المعلن بالخبر على طبع ازرق وهو علامة الحداد عند امبراطرتهم لان البياض لا يتجلى على الورق الاصفر المستعمل في العادة وعند زواج الامبراطور وعيد ولادته او ولادة الامبراطورة والدته تصدر الصحف على ورق احمر وهو لون العيد والسعادة وتطبع بالسواد . ويستعمل اللون الاحمر ايضاً في اليوم الاول من السنة وهو يصادف بعد شهر من رأس السنة في اوربا.

والجرائد المصورة ناجحة في المدن العظمى وهذه الصحف مؤلفة من نحو اثنتي عشرة ورقة مضاعفة ولها غلاف احمر او اخضر وثمن النسخة عشرون سنتيما اما الصور فتكون خطوطا في موضوع جديد

ليس في الصين قوانين مقيدة لحرية الكلام والكتابة كما انه ليس فيها قوانين تضمن لها حقوقها بحيث ان الصحافيين الصينيين هم تحت رحمة رجال الشرطة والحكام كل حين . ولما لم تكن الصحف الصينية لهذا العهد لسان حال حزب سياسي فليس لها قوة ولا خطر منها على الحكومة ولذلك يصح ان يقال ان ليس في الصين صحف غير رسمية ولا صحف معارضة وقد حاولت مؤخراً جريدة انشئت في وسط بلاد الصين بشركة صينية يابانية ان تنزع عن تلك الطريقة وتخرج عن ربقتها فالغاها الوالي للحال

ولا بأس ان نختم هذا الفصل بالكلام على الصين الحديثة بان الحكومة الصينية

آخذة بتنشيط تعليم النساء وكان حتى الآن مهملاً بالمرة اذ ان المرأة كانت أبدًا في الشرق ولا سيما في الشرق الاقصى بعيدة عن الاهتمام بشؤون بلادها اما الآن فقد أسست الاميرات المالكة المدارس وتطوعت العقائل اليابانيات للتدريس في كل من بكين وسوتشو وهذه المدينة من بلاد الصين بمثابة باريز من فرنسا . وانشئت عدة مدارس كثيرة لبنات الاسرات الكبيرة وقد حضر في العهد الاخير اربع عشرة اميرة مغولية الى بكين ليلقين فيها التعليم الاوربي . واللغة الانكليزية تدرس في جميع هذه المدارس

وانت ترى ان للصين الجديدة مستقبلاً زاهرًا يبعث الغرب على الطمأنينة الآن وهو خائف من الخطر الاصفر وان الصين تسير الى المستقبل في نفس الخطة التي اختطها الغربيون نعم ان هذا الامر يحتاج الى زمن طويل قبل ان تأتي الشجرة المغروسة باثمار يعتد بها حقيقة ولكن الصيني عرف بصبره لذلك تراه يؤمل نيل النتيجة في هذا القرن وهو الذي عرف ان ينتظر الغد و يرقبه رقبة الفلاسفة مدة طويلة لا تقل عن بضعة الوف من السنين اه .

صحف منسية

كتاب الاشربة

لابن قتيبة

استخرجه احد علماء المشرقيات من الفرنسيس

توطئة

ابن قتيبة اشهر من ان يذكر هنا بكلمات قليلة تكون ترجمة له وقائمة بتصانيفه ولذلك لم أرَ حاجة الى اعادة ما ترجم به في وفيات الاعيان كما هو مذهب كل من طبع له كتابًا في الشرق فاكتفي بما اتى به ابن خلكان عن البحث اللائق بشأن صاحب عيون الاخبار وكتاب المعارف .

ثم اني رأيت ان صغر حجم كتاب الاشربة لا يقبل الاطالة في الخطبة — وان كانت الاطالة في الخطب مما عوتب به الامام ابن قتيبة في الوفيات — فارجأت الى وقت آخر انشاء مقالة تفي بحقوق هذا العلامة ان شاء الله فأحصر الكلام الآن في الكتاب الذي بدأت اليوم بنشره ووصف النسخة التي نقلته عنها وبالله التوفيق

اما الكتاب فمعروف وقد ذكره صاحب كشف الظنون (تحت عدد ٩٨٤٦ الجزء ٥ ص ٤٣) واستشهد ببعض فقراته غير واحد من الادباء لا سيما ابن عبدربه فان هذا

النهاب نقل الى العقد الفريد معظم كتاب الاشربة بعد ان خلط بين اجزائه ولو كان طبع العقد بما يجب له من العناية والدقة لكنا ربما امسكنا عن نشر كتاب الاشربة مع ما اسقطه ابن عبد ربه من الفوائد الجزيلة والمحاسن الجليلة التي جرت عادة ابن قتيبة ان يأتي بها على أسلة قلمه . واذا قرأت ما كتبه صاحبنا في الخمر والنبيذ وغيرهما مما قد حرم او أحل شربه فلا بأس بان تقرأ ما جاء به ابن عبد ربه في هذه المسألة لتصلح الاغلاط العديدة الواقعة في نسخ العقد المطبوعة وتطلع على ما عاب به الامام ابن قتيبة من اطالة الكلام وعلة النسيان المؤدية الى التناقض بين قوليه فنأسف لان الله عز وجل لم يمن على ابن قتيبة بعمر طويل ليحيا الى عصر ابن عبد ربه فيطلع على ما كتبه هذا ويهديه التوفيق لشرح قوليه في الاشربة وما فيهما من التناقض كما فسر ابن قتيبة اتفاق جميع الاحاديث التي ادعى الناس تناقضها في كتابه المؤلف في تأويل مختلف الحديث

اما النسخة التي نقل عنها النص فعبارة عن احد المؤلفات الموجودة في مجموع من مجاميع مصطفى باشا المحفوظة في دار الكتب الخديوية وقد نقلت من المجموع الذي عدده ١٦٦ ثلاثة كتب للاصمعي وهي كتاب الشاء وكتاب الدارات وكتاب النبات والشجر نشرها كلها الدكتور اوغست هفنر وطبع منها الآباء اليسوعيون ببيروت في سنة ١٨٩٨ كتاب الدارات وكتاب النبات والشجر . وتصفحت فهارس المخطوطات المحفوظة في دور الكتب في الشرق والغرب فلم اظفر بغير نسخة من كتاب الاشربة . فلله در هذا الناسخ الذي وقى من ايدي الضياع هذه الآثار الاصمعية والقتيبية وان لم يكن علمه باللغة والمعاني يوازي مهارته بفن الخط فانه يحذف الكلمات والفقر ولا يشعر وهذا شأن متأخري النساخ كما رأى الرائي ما ينسخون يحكم عليهم بانهم ينقلون الكلام بدون فهم ولا علم . واسم الناسخ عبد الحليم بن احمد اللوجي نسخ مجموعه النفيس في جزئين قدم الثاني وأخر الاول في التجليد فاوله قد انتهى من تحريره يوم الجمعة غرة محرم سنة ١١٠٥ وثانيه في اواخر ذلك الشهر وكتاب الاشربة موجود في الجزء الثاني المقدم من الصفحة ٥٥ الى الصفحة ٨٠ وطول الصفحة ٢٧ سنتمترا وعرضها ١٦ وعدد السطور في الصفحة ٢٩ سطرا والخط دقيق واضح ولما لم اعثر على نسخة اخرى للكتاب عمدت الى النص المنقول في العقد الفريد لضبط عبارة هذه الرسالة بعد المقابلة

اما الرواية فانها جاءت مرتين فاثبتنا التي بعد البسملة كما ترى وازلنا التي بعد ترجمة الكتاب وهي : رواية الحسين بن مظفر بن احمد بن كنداج عن ابي محمد عبد الله بن جعفر ابن درستويه النحوي عن ابن طاهر محمد بن علي بن محمد بن عبد الله البيع . اذ المشهور ان ابن درستويه كان من تلاميذ ابن قتيبة وروى عنه

القاهرة ي٠د

كتاب الاشربة

وذكر اختلاف الناس فيها

تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الشيخ ابوطاهر محمد بن علي بن محمد بن عبدالله البيّع فيما اذن لنا ان نرويه عنه قال اخبرنا ابوعبدالله الحسين بن المظفر كنداج (وفي الاصل كداج) البزاز قراءة عليه قال اخبرنا ابو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي قراءة عليه قال قال ابو محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة :

الحمد لله الذي هدانا لدينه المرتضى . واكرمنا بنبيه المصطفى . وجعلنا خير امة اخرجت للناس ايمانًا بالغيب وتصديقًا بالوعد وشفقًا من الوعيد . واخلاصًا للتوحيد . واعطانا بالصغير الكبير . وباليسير الكثير . وبالحقير الخطير . وبطاعته في الايام المعدودة الخلود في النعيم المقيم ورضي منا بعفو الطاعة وفسح لنا في التوبة وجعل من وراء الصغير المغفرة ومن وراء الكبير الشفاعة فلم يهلك عليه الا من نفر نفار الظليم وشرد شراد البعير واوسع لنا من طيب الرزق وحرم علينا الخبائث ولم يجعل في الدين من حرج ولا حظر بالاستعباد الا ماجعل منه الخلف الاطيب والبذل الاوفر رحمة منه وبرًا ولطفًا وعطفًا . فحرم علينا بالكتاب الميتة والدم ولحم الخنزير وبالسنة سباع الوحش والطير وعوضنا من ذلك بهيمة الانعام الثمانية الازواج وسائر الوحش وصنوف الطير وحرم علينا بالكتاب الميسر وبالسنة القمار وعوضنا من ذلك اللهو بالرهان والنضال وحرم علينا الربى (١) واحل البيع وحرم السفاح واحل النكاح وحرم بالسنة الديباج والحرير وعوضنا الخز والوشي والعقم والرقم وحرم بالكتاب الخمر وبالسنة المسكر وعوضنا منهما صنوف الشراب من اللبن والعسل وحلال النبيذ .

وليس فيما عازنا من هذه الامور التي وقع فيها الحظر والاطلاق شيء اختلف فيه الناس اختلافهم في الاشربة وكيفية ما يحل منها وما يحرم على قديم الايام مع قرب العهد بالرسول صلى الله عليه وسلم وتوافر الصحابة وكثرة العلماء المأخوذ عنهم المقتدى بهم حتى يحتاج ابن سيرين مع ثاقب علمه وبارع فهمه الى ان يسأل عبيدة السلماني عن النبيذ وحتى يقول له عبيدة وقد لحق خيار الصحابة وعلماءهم منهم عليّ وابن مسعود (٢) اختلف علينا في النبيذ . وفي رواية اخرى . اخذت الناس اشربة كثيرة فمالي شراب منذ عشرين

(١) في الاصل الربا (٢) في الاصل اختلف عليا

سنة الا من لبن او ماء او عسل . وان شيئاً وقع فيه الاختلاف في ذلك العصر بين اولئك الائمة لحري ان يشكل على من بعدهم وتختلف فيه آراؤهم ويكثر فيه تنازعهم وقد بينت من مذاهب الناس فيه وحجة كل فريق منهم لمذهبه وموضع الاختيار من ذلك بالسبب الذي اوجبه والعلة التي دلت عليه ما حضرني من بالغ العلم ومقدار الطاقة لعل الله يهدي به مسترشداً ويكشف من غمة وينقذ من حيرة ويعصم شارباً ما دخل على الفاسد من التأويل والضعيف من الحجة ويردع طاعنا على خيار السلف بشرب الحرام وأؤمل بحسن النية في ذلك من الله حسن المعونة والتعمد للزلة ولا حول ولا قوة الا بالله

***

قد اجمع الناس جميعاً على تحريم الخمر بكتاب الله الا قوماً من مجان اصحاب الكلام وفساقهم لا يعبأ (١) الله بهم فانهم قالوا : ليست الخمر محرمة وانما نهى الله عن شربها تأديباً كما انه امر في الكتاب باشياء ونهى فيه عن اشياء على جهة التأديب وليس منها فرض كقوله في العبيد والاماء : « فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً » . وقوله في النساء « فاهجروهن في المضاجع واضربوهن — ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » وقالوا لو اراد تحريم الخمر لقال حرمت عليكم الخمر كما قال حرمت عليكم الميتة والدم . وليس لاشتغل بهؤلاء وجه ولا لتشقيق الكلام بالحجج عليهم معنى اذ كانوا ممن لا يجعل حجة على اجماع واذ كان ما ذهبوا اليه لا يختل على عاقل ولا جاهل واجمع الناس على ان ما غلا (٢) وقذف الزبد من عصير العنب من غير أن تمسه النار خمر وانه لا يزال خمراً حتى يصير خلاً واختلفوا في الحال التي يخرج بها من منزلة الخمر الى منزلة الخل فقال بعضهم : هو ان يتناهى في الحموضة حتى لا يبقى فيها مستزاد وقال آخرون : هو ان تغلب عليها الحموضة وتفارقها النشوة . وهذا هو القول لان الخمر ليست محرمة العين كما حرم عين الخنزير وانما حرمت بعرض دخلها فاذا زايلها ذلك العرض عادت حلالاً كما كانت قبل الغليان حلالاً . وما اكثر من يذهب من اهل النظر الى ان الخمر اذا انقلبت عن عصير والخل اذا انقلب عن خمر ان عين كل واحد غير عين الآخر وهذا القول ما ليس به خفاء على من تدبره وانصف من نفسه وكيف يكون ههنا عينان والجسم واحد لم يخرج من الوعاء ولم يبدل وانما انتقلت اعراضه تارة من حلاوة الى مرارة وتارة من مرارة الى حموضة ولم يذهب العرض الاول جملة واحدة ولا أتى العرض الثاني جملة (واحدة) وانما زال من كل واحد شيء بعد شيء، كما ينتقل طعم الثمرة وهي غضة من الحموضة الى الحلاوة وهي يانعة والعين قائمة

(١) في الاصل يعبؤ (٢) في الاصل غلا

وكما يأجن الماء بطول المكث فيتغير طعمه وريحه والعين قائمة وكما يروب اللبن بعد ان كان صريفاً فيتغير ريحه وطعمه والعين قائمة ومثل الخمر مما حل بعرض وحرم بعرض المسك كان دماً عبيطاً حراماً ثم جف وحدثت رائحته فيه فصار طيباً حلالاً . واما النبيذ فاختلفوا في معناه فقال قوم : هو ماء الزبيب وماء التمر من قبل ان يغليا فاذا اشتدّ ذلك وصلب فهو خمر . وقالوا : انما كان الاولون من الصحابة والتابعين يشربون ذلك يتخذونه في صدر نهارهم و يشربونه في آخره ويتخذونه من اول الليل و يشربونه على غدائهم وعشائهم . وقالوا : سمي نبيذاً لانهم كانوا يأخذون القبضة من التمر او الزبيب فينبذونها في السقاء اي يلقونها فيه . وقال آخرون : النبيذ ما اتخذ من الزبيب والتمر وغيرهما من المستخرج بالماء او ترك حتى يغلي وحتى يسكن . ولا يسمى نبيذاً حتى ينتقل عن حاله الاولى كما لا يسمى العصير خمراً حتى ينتقل عن حلاوته ولا يسمى الخمر خلاً حتى تنتقل عن مرارتها ونشوتها وانما سمي نبيذاً لانه كان يتخذ وينبذ اي يترك و يعرض عنه حتى يبلغ . وهذا هو القول لان النبيذ لو كان ماء الزبيب لما وقع فيه الاختلاف ولاجمع الناس جميعاً على انه حلال من قبل ان يغلى ففيم اختلف المختلفون وعمّ يسأل السائلون ؟ قال الشاعر (طويل)

نبيذ اذا مرّ الذباب بدنه تعطر لو خرّ الذباب وقيذا

وقال ابن شبرمة (خفيف)

ونبيذ الزبيب ما اشتدّ منه فهو للخمر (١) والطلاء نسيب

وقال آخر (متقارب)

تركت النبيذ وشرابه وصرت حديثاً لمن عابه (٢)
شراباً يضل سبيل الرشاد ويفتح للشر ابوابه

فسماه نبيذاً وهو يفعل هذا الفعل ولا يجوز ان يكون اراد ماء الزبيب ولا ماء التمر قبل ان يغليا وروى الواقدي عن اخيه سملة بن عمر عن عمر بن شيبة بن ابي كبير الاشجعي عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يخدر (٣) الوجه من النبيذ وتتفاتر (٤) منه الحسنات» وماء الزبيب لايخدر منه الوجه ولا تتفاتر (٥) منه الحسنات وروى شريك عن ابي اسحق عن عمرو بن حريث قال : سقاني ابن مسعود نبيذاً شديداً من جر اخضر وحدثني سبابة عن عمرو بن حميد عن كبير بن سليم قال : حدثني اصحاب انس عنه انه كان

---

(١) في الاصل الخمر

(٢) في عقد الفريد . تركت النبيذ واصحابه وصرت خدينا لمن عابه

(٣) في الاصل خدر (٤) في الاصل تتناثر بدون واو (٥) في الاصل تتناثر

يشرب النبيذ الصلب الذي يكون في الخوابي وما جاء في مثل هذا مما يدل على ان النبيذ ما غلي «١» واسكر كثيره «٢» وفرق قوم بين نبيذ الزبيب ونبيذ التمر ولا اعلم بينهما فرقاً فيكره واحد ويشرب آخر لانهما جميعاً مسكران . انشد ابن الاعرابي (هزج)

ألا أيها المهدي ... إلينا الآس من شهر
دع الآس ولا تغفل ... اذا جئت عن التمر
فان الآس لا يسكر ... واللذة في السكر
حجج المحرمين لجميع ما أسكر

واما المسكر فان فريقاً يذهبون الى ان كل شيء اسكر كثيره كائناً ما كان ولو بلغ فرقاً فقليله كائناً ما كان ولو كان مثقال حبة من خردل حرام . فلم يفرقوا بين ابن ثلاث ليال من نبيذ التمر اذا غلي وبين ابن ثلاثة احوال من عتيق السكر وعتيق الخمر ولا فرقوا في ذلك بين منفرد وخليطين ولا بين شديد وسهل ولا بين ما استخرج بالماء وما استخرج بالنار وقضوا عليه كله بانه حرام وبانه خمر وذهبوا من الاثر الى حديث حدثنيه محمد بن خالد بن خداش عن ابيه عن حماد بن زيد عن ايوب عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام . وحديث حدثنيه اسحق بن راهويه عن المعتمر بن سليمان عن مهدي بن ميمون عن ابي عثمان الانصاري عن القاسم عن عائشة رحمة الله عليها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر حرام وما اسكر الفرق فالحسوة منه حرام . وحديث حدثنيه محمد بن عبيد عن ابن عيينة عن الزهري عن ابي سلمة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل شراب اسكر فهو حرام . مع اشباه لهذا من الحديث يطول الكتاب باستقصائها وفي ما ذكرنا من هذه الاحاديث غنى عن ذكر جميعها لانها اغلظها في التحريم واشدها افصاحاً به وابعدها من حيلة المتأول .

وقالوا : والشاهد على ذلك من النظر ان الخمر انما حرمت لاسكارها وجرائرها (٣) على شاربها لانها رجس . قال الله تعالى وجل من قائل : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون » . وقد كان كثير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرموا الخمر على انفسهم في الجاهلية لعلمهم بسوء مصرعها وكثرة جناياتها . قالت عائشة رحمة الله عليها : ما شرب ابو بكر رحمة الله

«١» في الاصل غلا «٢» في الاصل كثير «٣» وهذه العبارة احسن مما اتى في العقد الفريد وهو جناياتها لما تفيده من معنى الجر والانجرار فان الجارة الخمر والمنجر الشارب

عليه خمرًا في جاهلية ولا اسلام . وقال عثمان رحمة الله عليه :ما تغنيت ولا تفتيت ولا شربت خمرًا في جاهلية ولا اسلام ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم «١» وكان عبد الرحمن بن عوف ترك شربها وقال فيها بيتًا(وافر)

رأيت الخمر شاربها معنى   يرجع القول او فصل الخطاب

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال قال عثمان : اياكم والخمر فانها مفتاح كل شر . أتي برجل فقيل له : اما ان تخرّق هذا الكتاب واما ان تقتل هذا الصبي واما ان تسجد لهذا الوثن واما ان تشرب هذه الكأس واما ان تقع على هذه المرأة . فلم يرَ شيئًا اهون عليه من شرب الكأس فشرب فوقع على المرأة وقتل الصبي وخرّق الكتاب وسجد للصليب . وقيل للعباس بن مرداس في جاهليته : لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك . فقال : ما انا بآخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي واصبح سيد قومي وامسي سفيههم . وقيل له بعد ما أسنّ واسلم : قد كبرت سنك ودق عظمك فلو اخذت من هذا النبيذ شيئًا يقويك . فقال : اصبح سيد قومي وامسي سفيههم وآليت ان لا يدخل رأسي ما يحول بيني وبين عقلي . وكان قيس بن عاصم يأتيه في جاهليته تاجر خمر فيبتاع منه ولا يزال الخمار في جواره حتى ينفد «٢» ما عنده فشرب قيس ذات يوم فسكر سكرًا قبيحًا فجذب ابنته وتناول ثوبها ورأى القمر فتكلم بشيء ثم انهب ماله ومال الخمار وانشأ يقول وهو يضربه . (بسيط)

من تاجر فاجر جاء الاله به   كأنّ لحيته اذناب احمال
جاء الخبيث بيسانية «٣» تركت   صحبي واهلي بلا عقل ولا مال

فلما صحا خبرته ابنته بما صنع وما قال فآلى لا يذوق الخمر ابدًا وقال . (وافر)

رأيت الخمر صالحة وفيها   خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله اشربها صحيحًا   ولا اشفي بها ابدًا سقيما
ولا اعطي بها ثمنًا حياتي   ولا ادعو لها ابدًا نديما

وكان عثمان بن مظعون حرم الخمر في الجاهلية وقال : لا اشرب شرابًا يذهب بعقلي ويضحك بي من هو ادنى مني وازوج كريمتي من لا اريد . فبينا هو بالعوالي اذ اتاه آت فقال : اشعرت ان الخمر حرمت ؟ وتلا عليه الآية في المائدة فقال تبًا لها ! لقد كان بصري

---

(١) في الاصل : ما تغنيت ولا تمنيت . وفي عقد الفريد : ما تغنيت ولا تفتيت ولا مسست فرجي بيدي بعد ان خططت بها المفصل (٢) في الاصل ينفذ (٣) في الاصل نيسانية وفي العقد الفريد بيسانية ولا اظنها الا ميسانية لنسبتها الى ميسان

فيها نافذاً . قيل لاعرابي اتشرب النبيذ ؟ فقال : لا اشرب ما يشرب عقلي . ودعا يزيد ابن عبدالملك نصيباً او كثيراً الى ندامته فقال : ياامير المؤمنين اني لم أُمر الى هذه المنزلة بمال ولا دين وانما وصلت بلساني وعقلي فان رأيت ان لا تحول بيني و بينهما فافعل وقال بعض الشعراء (طويل)

ومن(١) تقرع الكأس الدميمة سنه فلا بدَّ يوماً ان يريب ويجهلا
فلم أرَ مشروباً اخس غنيمة واوضع للاشراف منها واخملا
واجدر ان تلقي حليماً بغيها و يشربها حتى يخر مجدَّلا

وقال آخر (طويل)

ولست بلاح لي نديماً بزلة ولا هفوة كانت ونحن على الخمر
عزلت بجنبي(٢) قول خذني وصاحبي ونحن على صهباء طيبة النشر
وايقنت ان السكر طار بلبه فاغرق في شتمي وقال وما يدري

ودخل أُمية بن خالد بن اسيد على عبد الملك بن مروان و بوجهه آثار فقال : ماهذا؟ فقال : قمت الليل فاصاب الباب وجهي فقال عبد الملك : (طويل)

رأتني صريع الخمر يوماً فسؤتها(٣) وللشاربيها المدمنيها مصارع

فقال امية : لا آخذني الله بسوء ظنك ياامير المؤمنين . فقال : لا بل لا آخذني الله بسوء مصرعك (٤) . ودخل حارثة بن بدر الغداني على زياد وكان حارثة صاحب شراب و بوجهه اثر . فقال له زياد : ما هذا الاثر بوجهك ؟ فقال : ركبت فرساً لي اشقر فحملني حتى صدم بي الحائط . فقال له زياد : اما انك لو ركبت الاشهب لم يصبك مكروه . وقال ابن هرمة الشاعر في شرفه ونسبه وجودة شعره يشرب الخمر بالمدينة و يسكر فلا يزال الشرط وقد اخذوه ورفعوه الى الوالي في المدينة فحده فوفد على ابي جعفر المنصور وقد قال فيه المدحة التي امتدحه بها وقافيتها لام فاستحسنها وقال له : سل حاجتك . قال : يا امير المؤمنين تكتب الى عامل المدينة ان لا يحدني ان وجدني سكراناً . فقال ابوجعفر : هذا حد من حدود الله وما كنت لأعطله فهل من حاجة غيره؟ قال لا والله ياامير المؤمنين فاحتل لي بحيلة فكتب المنصور الى عامله . من اتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين . فرضي ومضى بكتابه فكان العون اذا مرَّ به صريعاً قال : من يشتري ثمانين بمائة ؟ ثم اعرض عنه . وكان مالك بن قيس من ثقيف يشرب مع ابن

(١) في الاصل من تقرع بدون واو (٢) في الاصل عركت بجيني وفي الحاشية :لعله عزلت بجنبي وقبلنا تصحيحه (٣) عقد الفريد بسوقها (٤) عقد الفريد لا بل آخذك الله

الكاهلية يوم عرفة وهم محرمون فغلبه السكر فنام حتى فات الحج وادركه ابن الكاهلية فقال : (وافر)

اليس الله يامال ابن قيس وانْ غبنا عليك رقيب عين
أَلم صدر المطية واغْ اني اراني وابن نجبة هالكين

فاية جريرة اعظم من هذه واية غبنة اشد من غبنتها واية(١) صفقة اخسر من صفقتها وماذا يلقى صاحبها فاذا عاودها هان عليه القبيح قال القطامي (طويل)

افرُّ اذا اصبحت من كل عاذل وأُمسي وقد هانت علي العواذل

وقال ابن هانيء (رمل)

اسقني حتى تراني حسنًا عندي القبيح

وسقى قوم اعرابية مسكرًا فلما انكرت نفسها قالت لهم : ايشرب هذا نساؤكم ؟ قالوانعم : قالت : لئن كنتم صدقتم لا يدري احدكم من ابوه . وكانت العرب في الجاهلية وصدر الاسلام يشتدون على النساء في شربة حتى ما يحفظ ان امرأة شربت ولا ان امرأة سكرت . وحدثني الرياشي عن الاصمعي قال : كان عقيل بن علقمة المري غيورا فكان يسافر بينت له يقال لها الجرباء فسافر بها مرة فقال (طويل)

قفت وطرًا من دير سعد وربما على غرض ناطحنهُ بالجماجم (٢)

ثم قال لابن له يقال له عملس : أَجز فقال

فاصبحن بالموماة يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته : اجيزي ياجرباء فقالت

كأن الكرى سقاهم صرخدية عقارًا تمشى في المطا والقوائم

فقال : واللّه ما وصفتها هذه الصفة الا وقدشربتها ثم احال عليها يضربها (بالسوط) فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه فخلوا فخذه بسهم فقال (رجز)

انّ بني زملوني بالدم من يلقَ ابطال الرجال يكلم
شنشنة اعرفها من اخزم

واخزم فحل والشنشنة الشبه (٣) وقد فضح اللّه بالشراب اقوامًا من الاشراف فحدوا

---

(١) في الاصل واي (٢) جاء هذا البيت في الاصل هكذا :

قضت وطرًا من دار سعدى على عرض باطحته بالجماجم

(٣) ومرت حكاية عقيل والجرباء مرتين في العقد الفريد احداهما في باب بعد الهمة وشرف النفس من كتاب مخاطبة الملوك (الجزء الاول) الثانية في باب قولهم في المناكح من

ودوّنت في الكتب اخبارهم ولحقت بتلك السبة اعقابهم · منهم الوليد بن عقبة (بن

كتاب النساء وصفاتهن (الجزء الثالث) وناهيك بقلة اعتناء مؤلفي الكتب بالشرق ان جميع من طبعوا العقد الفريد لم يقابلوا بين النصوص المكررة فيه فتجد مثلاً بيت عقيل هذا في الجزء الاول هكذا

قضت وطراً من دير سعد وربما   علا عرض منها بدير الحماحم

وفي الجزء الثالث هكذا

قضيت وطراً من دير سعد وربما   غلا غرض ناطحته بالجماجم

فلله درّ علماء المشرقيات فانهم لم تفتهم كلمة الا واثبتوها على اصح الرواية واتم القياس وان كان من شأنها ان ينبه عليها القارىء دلوه عليها بالفهارس والمقابلات وحبذا لو اقتفى آثارهم علماء هذه الديار · اما الحكاية نفسها فهي من حكايات الاصمعي ولا فرق بينها وبين العقد الفريد ورواية كتاب الاشربة غير ان صاحب العقد اتمها بما يفيد ان عقيل بن علقمة المري كان رجلاً غيوراً فخوراً · وكان يصهر اليه خلفاء بني أمية فخطب اليه عبد الملك ابن مروان ابنته لبعض ولده فقال : جنبني هجناء ولدك وكان اذا خرج يمتار خرج بابنته الجرباء معه فخرج مرة فنزلوا ديراً من ديرة الشام يقال له دير سعد فلما ارتحلوا قال عقيل قضت وطراً · الخ · قال: فاستغاثت باخيها عملس فحال بينه وبينها فاراد ان يضربه فرماه بسهم فخل فخذه فبرك فمضوا وتركوه حتى اذا بلغوا ادنى ماء لاعراب قالوا لهم انا اسقطنا جزوراً فادركوه وخذوا معكم الماء ففعلوا فاذا عقيل بارك وهو يقول

ان بنيّ زملوني بالدم   من يلق ابطال الرجال يكلم

ومن يكن درء به يقوم   شنشنة اعرفها من اخزم

والشنشنة الطبيعة واخزم فحل معروف وهذا مثل للعرب · فهذه رواية الاصمعي كما ترى وللمدائني رواية اخرى نقلتها هنا اتماماً للفائدة عن كتاب بدائع البدائه المطبوع على حاشية كتاب شرح شواهد التلخيص للعباسي (الجزء الاول ص : ٣٠٣ مصر المطبعة البهية سنة ١٣١٦) قال علي بن ظافر الازدي صاحب كتاب بدائع البدائه : روى المدائني ان عقيل بن علقمة المري خرج هو وابناه جثامة وعلقمة وابنته الجرباء فانتجعوا بني مروان بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل :

قضت وطراً من دير سعد وربما   على عرض ناطحنه بالجماجم

اذا هبطت ارضاً يموت غرابها   بها عطشاً غطينه بالخزائم

ثم قال أجز يا علقمة فقال :

ابي معيط اخو عثمان بن عفان لامه) شهد عليه اهل الكوفة بشرب الخمر وانهم صلى بهم

اذا علم غادرنه بتنوفة تدارعن بالايدي لآخر طاسم

ثم قال اجز ياجثامة فقال :

واصبحن بالموماة يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال اجز ياجرباء فقالت : وانا آمن ؟ قال نعم فقالت :

كأن الكرى سقاهم صرخدية عقاراً تمشت في المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة لولا الامان لضربت بالسيف ما تحت قرطيبك اما وجدت من الكلام غير هذا ؟ فقال جثامة : وهل اساءت ؟ انما اجازت وليس غيري وغيرك فرماه عقيل بسهم فاصاب ساقه ثم شدّ عليها وقال : لولا يعيرني بنو مرة بعد اليوم ماذقت الحياة ثم نحر عند جثامة جزوراً وتركه وقصد قومه وقال : لئن اخبرت اهلك بشأن جثامة او قلت انه اصابه غير الطاعون اتيت عليك فلما قدموا على اهل اثير وهم بنو القين ندم عقيل على ما فعل بجثامة فقال لهم : هل لكم في جزور انكسرت ؟ قالوا نعم قال : الزموا اثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور . فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه وقد انزفه الدم فحملوه واقتسموا الجزور وانزلوه عليهم وعالجوه حتى برىء والحقوه بقومه فلما احتملوه وقرب من الحي تغنى جثامة يقول :

ايعذر لاهينا ونلحين في الصبا وما هن والفتيان الا شقائق

فقال له القوم انما افلت من الجراحة التي جرحك ابوك آنفاً وقد عاودت ما يكرهه فامسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لئلا يلحقك منه شرّ فقال : انها خطرة عرضت والراكب اذا سار يترنم . وقد ذكر ابن قتيبة في كتاب الاشربة هذه الحكاية على غير هذه الصفة وذكر لعقيل البيت الاول من بيتيه وجعل بدل علقمة اخاه عملس وانشد له البيت الاول ايضاً من بيتيه ثم ذكر انه انحنى على ابنته الجرباء يضربها بالسوط فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه فشلوا فخذه بسهم فقال :

ان بنيّ زملوني بالدم من يلق آساد الرجال يكلم
شنشنة اعرفها من اخزم

قال علي بن ظافر الازدي : وذكر ابو الفرج هذا الرجز في حكاية اخرى تتصل بيزيد ابن العباس التغلبي والربيع بن نمير قال : عدا عقيل بن علقمة على افراس له عند بيوته فاطلقها ثم رجع فوجد بنيه وامهم مجتمعين فشدّ على علقمة بسيف فحاد عنه وتغنى بقوله :

قفي يا ابنة المري نسألك ما الذي تريدين فيما كنت منيتنا قبلُ

الغداة(١)(ثلاث ركعات)وهوسكران فقال :(ان شئتم)زدتكم . شهره الله بذلك(٢)و بمنادمة ابي زبيد الشاعر وكان نصرانياً(٣) فحده علي بن ابي طالب بين يدي عثمان وفيه يقول الحطيئة:«كامل»

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد تمت صلوتهم ... أأزيدكم ثملاً وما يدري (٤)
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا ... لجمعت (٥) بين الشفع والوتر
كبحوا (٦) عنانك اذ جريت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري (٧)

تخبرك ان لم تنجزي الوعد اننا ... ذوو خلة لم يبق بينهما وصل
وان شئت كان الصرم بيني وبينكم ... وان شئت لم تبق المكارم والبذل

فقال عقيل : ياابن اللخناء متى منتك نفسك بهذا ؟ وشدّ عليه بالسيف وكان عملس اخاهُ لامه فحال بينه وبينه فشد على عملس بالسيف فرماه علقمة بسهم فاصابت ركبته فسقط عقيل وجعل يتمك في دمه و يرتجز بالرجز المقدم وبعده قوله :

من يلق ابطال الرجال يكلم ... ومن يكن ذا أود يقوّم

قال المدائني واخزم فحل لرجل كان منجبا فضرب ابل رجل آخر ولا يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله جملاً فقال : شنشنة اعرفها من اخزم . فأرسلت مثلا وذكر الحريري في تفسير بعض مقاماته ان اخزم جدّ حاتم الطائي وان جده الادنى سعداً ضربه له مثلاً لما رأى من تخلقه باخلاقه وآثاره والشنشنة الشبه والصحيح ما ذكره ابوالفرج وهذه الفعلة من علقمة كانت سبب تفريق عقيل اولاده وطردهم عنه وكانوا يقصدون اذاه بانشاد الغزل بحضرة اخواتهم لانه كان مفرط الغيرة مبالغا في الظن شديد الرقاعة وهم من شياطين العرب .

(١) في العقد الفريد : الصبح

(٢) في الاصل وهو سكران وقال ازيدكم بشهره الله بذلك

(٣) في الاصل هنا فضاء واسع غطيناه بما وجدناه في العقد الفريد ولا نحسب الناسخ الا اغاظه تكرر كلمة فحده مرتين فانتقل من الاولى الى ثانية غافلاً عما بينهما من خبر الوليد فجعل عمرو بن العاص يحده بمصر وهو بالكوفة ولا ندري أكانت ابيات الحطيئة التي انشدها صاحب العقد انشدها ابن قتيبة ام لا ولذا نقلنا هنا نصاً لم يكن لنا بدٌ من نقله بتمامه

(٤) كذا في ديوانه وهو يخالف ما جاء في العقد وهو : ليزيدهم خيراً ولا يدري

(٥) في ديوانه لقرنت

(٦) في ديوانه : خلعوا

(٧) ومما جاء في شرح ديوان الحطيئة لابي الحسن السكري قال : قال الهيثم بن عدي

ومنهم عبيدالله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر) فحده عناك عمرو بن العاص سراً فلما قدم على عمر رضي الله عنه حده حداً آخر (علانية) . ومنهم العباس بن عبدالله بن العباس كان ممن شهر بالشراب و بنادمة الاخطل الشاعر وكان نصرانياً وفيه يقول : (كامل)

ولقد غدوت على التجار بمسمح هرّت عواذله هرير الاكلب
لذ تقبله (١) النعيم كأنما مسحت ترائبه بماء مذهب

صلى الوليد بن عقبة صلوة الصبح بالناس وهو سكران فوثب جندب بن زهير وابو زينب الازديان فاخذا خاتمه من يده فلم يعلم بهما ويقال انه التفت اليهم فقال : أأزيدكم ثم ان الازديين رحلا الى عثمان ومعهما الخاتم فاعلماه ما كان من ذلك فقال او كلما عتب رجل على واليه جاء يقرفه بالحدود لأنكلن بكما ! فاتيا عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه فقال : عليكما بامّ المؤمنين فانه اشبع لامركما فاتيا امّ المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها فذكرا ذلك لها فقالت : كونا قريبا . فلما خرج عثمان رضي الله عنه الى صلوة العصر نادت عائشة : الا ان عثمان عطل الحدود وتهدد الشهود فدخل عثمان وهو مغضب فقال قائل ما لعائشة ولهذا ؟ انما هي زوج النبي صلى الله عليه وسلم امرها الله ان تقر في بيتها فقال قائل : من احق بالنظر في امور المسلمين من امهم ؟ فلم يزالوا حتى كتب عثمان الى الوليد ان أقدم واحضر معك من يقوم بعذرك ان كان لك عذر . فاقبل في سبعين من اشراف الكوفة فيهم عدي بن حاتم وكان الوليد خلائقه خلائق عربية فكان في مسيره يأمر رجلاً فيرجز باصحابه ساعة ثم يركب و ينزل آخر فيفعل مثل ذلك حتى ادركت الوليد النوبة فرجز باصحابه .

لا تحسبينا قد نسينا الايجاف والنشوات من معتق صاف

فقال عدي بن حاتم يا ابا وهب فيم تذهب اذاً ؟ فقدموا على عثمان فقال : ما تقولون في اميركم ؟ قالوا خيراً وسكت عدي بن حاتم فقال ابو زينب وجندب بن زهير : سلهم هل كانوا شهدوه يوم اخذنا خاتمه . فقالوا لا . فقالا : ليس هؤلاء ممن جئنا في شيء . فقال عثمان : اما والله لقد كنت اخاف عليك هذا ونحوه قال وكان علي رضي الله عنه يقيم الحدود فامره عثمان ان يضربه فضربه عليّ بسوط له طرفان اربعين جلدة فقال : اعتزلهم ابا وهب فلا خير لك فيهم . فقال الوليد : والله لا اساكن عثمان ببلدة ابداً الا بيني و بينه بطن واد فقال كثير بن الصلت الكندي يا ابا وهب داري ببطحان ودارك بالسوق و بيني و بين المدينة بطن واد فهل لك ان ابادلك ؟ فبادله فتحول كل رجل الى منزل صاحبه ثم استعمل عثمان سعيد بن العاص على الكوفة مكانه فلما قدم الكوفة قال : لا اصعد المنبر حتى يطهر فغسل ثم صعد

(١) في الاصل يقبله

لباس اردية الملوك يروقه | من كل مرتقب عيون الربرب
ينظرن من خلل الستور اذا بدا | نظر الهجان الى الفنيق المصعب
فضل الكياس اذا تشق (١) لم يكن | خلفاً مواعده كبرق الخلب
واذا تعورت (٢) الزجاجة لم يكن | عند الشراب بفاحش متقطب

فاخبر انه غدا على تجار الشراب به واخبر انه يروقه عيون النساء ويروقه · وكان عبيد الله بن عبدالله بن عباس من اجمل الناس وكان يقال له المذهب لجماله تمدحه كما كان يمدح بعض النصارى وكانت الشهرة في الشعر على حسب حسنه ورغبة الناس في حفظه · ومنهم قدامة بن مظعون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حده عمر بشهادة علقمة الخصي عليه وغيره في الشراب · ومنهم عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بابي شحمة حده ابوه في الشراب وفي امر آخر فمات · وعاصم بن عمر بن الخطاب حده بعض ولاة المدينة في الشراب · وعبدالله بن عروة بن الزبير حده هشام بن اسماعيل المخزومي في الشراب · وعبد العزيز (بن) مروان حده عمر بن الاشدق في الشراب · وممن يصحح بالشراب بلال بن ابي بردة (الاشعري) قال يحيى بن نوفل الحميري (متقارب)

واما بلال فذاك الذي | تميل الشراب به حيث مالا
يبيت يمص عتيق الشراب | كمص الوليد يخاف الفصالا
ويصبح مضطرباً ناعساً | تخال من السكر فيه احولالا (٣)
ويمشي ضعيفاً كمشي النزيف | تخال به حين يمشي شكالا

ومنهم عبدالرحمن بن عبدالله الثقفي القاضي بالكوفة فضح بمنادمة سعد بن هبار فقال حارثة بن بدر (٤) · (وافر)

نهاره في قضايا غير عادلة | وليله في هوى سعد بن هبار
ما يسمع الناس اصواتاً لهم عرضت | الا دويّاً دويّ النحل في الغار
فاصبح القوم اطلاقاً اصرّ بهم | حث المطايا (٥) وما كانوا بسفار
يدير اصحابه فيما يديرهمو | كأساً بكأس وتكراراً بتكرار (٦)

---

(١) في الاصل تمشى (٢) في الاصل تعوّرت (٣) العقد اختلالا (٤) جاءت اخبار حارثة بن بدر في الجزء ٢١ من الاغاني فراجعها (٥) في الاصل وفي العقد المطي كذا اثبتناه لاجل الوزن (٦) في الاصل وفي العقد

يدير اصحابه فيما يديرهم | كأساً بكأس وتكرار بتكرار

وقدم صاحب العقد البيت الآخر على البيت قبله

وهذا عبد الملك بن مروان بعد اجتهاده في العبادة فضحه الله تعالى في الشراب فكان يشرب المغذي وقال له سعيد بن المسيب : بلغني ياامير المؤمنين انك تشرب بعدي الطلاء . فقال اي والله والدماء . وهذا الوليد نقم عليه الناس شرب المسكر ونكاح امهات اولاد ابيه فقتلوه . وهذا يزيد بن معاوية كان يقال اذا ذكر يزيد الخمور والقرود فقال الشاعر فيه . (كامل)

ابني امية ان آخر ملككم جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده كوب وزق راعف مرثوم
ومرنة تبكي على نشوانه بالصبح تقعد تارة وتقوم

ومنهم خالد بن عمرو بن الزبير وفيه يقول القائل (طويل)

اذا انت نادمت العتير وذا الندى جبيراً وعاطيت الزجاجة خالدا
امنت باذن الله ان تقرع العصا وان يوقظوا من رقدة السكر راقدا
وصرت بحمد الله في خير فتية حسان الوجوه لا تخاف العرابدا

والعجب عندي قوله * وان يوقظوا من نومة السكر راقدا * وا كثر ما يوقظ السكران للصلوة افتراه حمدهم على تركهم ايقاظه للصلوة اذا سكر ؟ وهذا ابو محجن الثقفي شهد يوم القادسية وابلى بلاء حسناً شهر وكان فيمن شهد ذلك اليوم عمرو بن معديكرب فقدم عليه وهو القائل . (طويل)

اذا مت فادفني الى اصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

فحدثني عبدالرحمن بن عبدالله بن قريب قال : اخبرني الاصمعي عن ابن الاصم عن عبد العزيز بن مسلم العقيلي قال رأيت قبر أبي محجن الثقفي بارمينية الرابعة تحت شجيرات من كرم .

(الباقي يتبع)

مطبوعات ومخطوطات

شرح ديوان المتنبي

ما رزق احدٌ من الشعراء حظوة كحظوة المتنبي في شعره وما خدم ديوان بمثل ماخدم ديوانه . ولعل ذلك والله اعلم من اجل تلك الحكم الرائعة التي تخللت شعره . وما يخيل لي ان المتنبي بقي اسمه يردد على الافواه كل يوم أُلوفًا من المرات الا بفضل حكمه والا فالمديح والنسيب الذي فيه يوجد مثله في دواوين غيره من الشعراء . اطلعت بالاتفاق على شرح لهذا الديوان لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ قال صاحب كشف الظنون فيه وهو اجمل ما وجدنا عليه من الشروح واكثرها فائدة ليس في شروحه مثله

قال فيه الشارح بعد البسملة والحمدلة والصلولة : اما بعد فان الشعر انق كلام . واعلى نظام . وابعد مرقى فيدرجة البلاغة . واحسنه ذكرًا عند الرواية والخطابة . واعلقه بالحفظ مسموعًا . وادله على الفضيلة الغريزية مصنوعًا . وحقًا لو كان الشعر جوهرًا لكان عقيانًا . او من نبات لكان ريحانًا . ولو امسى نجومًا لزاد ضياؤُها . او عيونًا لما غار ماؤُها فهو الطف من در الطل . في اعين الزهر . اذا تفتحت الرياض غب المطر . وارق من دمع المستهام . ومن الراح رقرق بماء الغمام . وهذا وصف اشعار المحدثين الذين تأخروا عن الجاهلية . وعن نأْنأَة الاسلام الى ايام ظهور الدولة العباسية . فانهم الذين اصبح بهم الشعر عذبًا فراتًا بعد ما كان ملحًا اجاجًا . وابدعوا في المعاني غرائب اوضحوا بها لمن بعدهم طرقًا فجاجًا . حتى اصبحت روضة الشعر . مفتحة الانوار يانعة الثمار . مفتقة الازهار . متسلسلة الانهار . فثمرات العقول منها تجتنى . وذخائر الكتابة عن غرائبها تقتني . وكواكب الآداب منها تطلع . ومسالك العلم من جوانبها يسطع واليها تميل الطباع . وعليها تقف الخواطر والاسماع . واليها ينشط الكسلان . وعند سماعها يطرب الثكلان . لما لها من المزاين والتدبيج . وسطوع روائح المسك الاريج .

وبعد ان او . د حديث ان من الشعر لحكمة وقول عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح قال : ولقد رويت اشعارًا منها القصيدة اربعون ودون ذلك وان الناس منذ عصر قديم قد اولوا جميع الاشعار صفحة الاعراض مقتصرين منها على شعر ابي الطيب المتنبي نائين عما يروى لسواه . وان فاته وجاوز في الاحسان مداه . . وليس ذلك الاّ البخت انفق لها فعلاً وبلغ المدى وقد قال

هو الجد حتى تفضل العين اختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

وجاء في آخر الشرح . هذا آخر ما اشتمل عليه ديوانه الذي رتبه بنفسه وهو خمسة آلاف واربعمائة واربع وتسعون قافية ونقرر الفراغ من نسخ هذا التفسير والشرح السادس عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين واربعمائة قال الشيخ الامام رحمه الله : انما دعاني الى تصنيف هذا الكتاب مع خمول الادب وانقراض زمانه اجتماع اهل العصر قاطبة على هذا الديوان وشغفهم بحفظه وروايته والوقوف على معانيه وانقطاعهم عن جميع اشعار العرب جاهليها واسلاميها الى هذا الشعر واقتصارهم عليه في تمثلهم ومحاضراتهم وخطبهم ومقاماتهم حتى كأن الاشعار كلها فقدت وليس ذلك الا لتراجع الهمم وخلو الزمان وتقاصر الرغبات وقلة العلم بجوهر الكلام ومعرفة جيده من رديه ومطبوعه من متكلفه ومع ولوع الناس بهذا الديوان لا ترى احدًا يرجع في معرفته الى محصول او يعي ببيان عن مودعاته وغوامض معانيه ومشكلاته . . . .

وهاك نموذجًا صغيرًا من شرحه قال :

ابى خلق الدنيا حبيبًا تديمه فما طلبي منها حبيبًا ترده

قوله تديمه من فعل الدنيا وكذلك ترده اي تدفعه ويجوز ان يريد ترده الى الوصل يقول حبيب تديمه الدنيا قد ابت ذلك اي تأبى ان تديم لنا حبيبًا على الوصال فكيف اطلب منها حبيبًا تمنعه عن وصالنا وكيف اطلب منها ان ترده الى الوصال بعد ان اعرض وهجر .

واسرع مفعول فعلت تغيرًا تكلف شيءٍ في طباعك ضده

يقول ان الدنيا لو ساعدتنا بقرب احبتنا لما دام ذلك لان الدنيا بنيت على التغير والتنقل فاذا فعلت غير ذلك كانت كمن تكلف شيئًا هو ضد طباعه فيدعه من قريب ويعود الى طبعه كما قال حاتم

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه يدعه وترجعه اليه الرواجع

ومثله قول الاعشى السني

ومن يقترف خلقًا سوى خلق نفسه يدعه وتغلبه عليه الطبائع
وادوم اخلاق الفتى ما تشابه واقصر افعال الرجال البدائع

وقول ابراهيم بن المهدي

من تحلى شيمة ليست له فارقته واقامت شيمه

وقال في شرح

واتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهي النفس وجده

هو مثل ضربه لنفسه كأن يقول انا اتعب خلق الله لزيادة همتي وقصور طاقتي من الغنى عن مبلغ ما اهم به وهذا مأخوذ مما في الحديث ان بعض العقلاء سئل عن اسوإ الناس حالاً فقال من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته . وقال الخليل ابن احمد .

رزقت لبًا ولم ارزق مروته وما المروءة الا كثرة المال
اذا اردت مسامات تقاعدني عما ينوه باسمي رقة الحال
فلا يخلل في المجد مالك كله فيخل مجد كان بالمال عقده

هذا نهي عن تبذير المال والاسراف في انفاقه يقول لا تذهب مالك كله في طلب المجد لان المجد لا ينعقد الا بالمال فاذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذي كان يعقد بالمال الاترى الى قول عبدالله بن معاوية

ارى نفسي تتوق الى امور يقصر دون مبلغهن مالي
فلا نفسي تطاوعني ببخل ولا مالي يبلغني فعالي

وقد كتب الاصل بالحمرة والشرح بالحبر الاسود على عادة الكتب القديمة ولولا نقص كراس منه لكان جديرًا بالطبع وقد روى بعضهم ان هذا الكتاب مطبوع في اوروبا والنسخة التي تكلمت عليها كتبت في شهر رمضان سنة ١٠٧٥ وعدد اوراقها ٥٢٥ من الحجم الوسط

الادراك للسان الاتراك

نشر مسيو لوسين بوفا من مشاهير علماء المشرقيات عند الفرنسيس هذه الرسالة النافعة لمؤلفها ابي حيان الاندلسي المولود في غرناطة سنة ٦٥٤ هـ والمتوفى في مصر سنة ٧٤٥ وكان ابو حيان كثير التصنيف ذكر له مترجموه زهاء ستين مصنفًا وهو العلم المفرد في النحو وله خمس رسائل في نحو اللغة التركية وصرفها وقد قال عن هذه الرسالة انها لم ينسج على منوالها كتبها عقيب مقامه في مصر واختلاطه بالترك الذين كانوا ملوك عصره وهذه الرسالة تنقسم كما قال ناشرها الى كتاب مفردات اللغة التركية مترجمة الى العربية وفيها نحو الفين ومائتي لفظة والقسم الثاني في التلفظ والتصريف والقسم الثالث في النحو فنشكر للناشر عنايته ا كثر الله في خدمة العلم امثاله

الفنون السبعة

اهدانا مسيو هرمان كيز من علماء المشرقيات من الالمان نسخة من هذه الرسالة وعني بالفنون السبعة الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما وشرحها كلها بالالمانية مع ايراد بعض الفقرات باللغة العربية . والقوما والكان وكان لا يعرفهما سوى اهل العراق . وحبذا لو عاد هذه الآونة الى ما كان كتبه في هذا الموضوع واشبعه مع ترجمة جميع ما يكتبه بالعربية لتعم فائدته الجميع

مناقضات العلماء

اطلعنا على رسالة للامير شكيب ارسلان في رثاء فقيد اللغة الشيخ ابرهيم اليازجي فما قاله فيها :

لم يبرح الدهر فتاك المضارب عن ايامه البيض او ليلاته السمر

اذا لهـا غافل عن رعي طارفة فللشدائد منه بالغ النـذر
كفى بريب المنايا واعظاً وجزا رشداً لمن كان من دنيا على غرر
تخالف الناس في الاهواء حين حيوا وجمع الموت منهم كل منتثر
وقد يلج بيمض كيد شانئه ولو درى لصفا صفواً بلا كدر
وقد يحاول في اعدائه ظفراً وانه بين ناب الموت والظفر
كم وترت قوس ضغن كف ذي ترة فأذهب الموت عزم الوتر والوتر
والدمع يغسل ما بالقلب من وضر كما يزول غبار الارض بالمطر

الى ان يقول بعد ان وفاه حقه من الرثاء

اليك حقك لا ظلمٌ ولا سرفٌ لا ينكر الشمس الا فاقد البصر
وان يوءاخذك نقادٌ ببادرة فليس يرجم الا مثمر الشجر
وقد يعاب الذي في البدر من كلف وليس يسلب معنى الحسن في القمر (١)

الاسلام في افريقية الشرقية

« L'Islam dans l'Afrique occidentale, par M. A. Le Chatelier »

مسيو لشاتليه من كبار علماء المشرقيات المتصرفين في فرنسا الى دراسة احوال الشرق ولا سيما اهل الاسلام و بلادهم قضى في ذلك السنين الطويلة وهو اليوم رئيس ادارة مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية وله في الابحاث المشار اليها عدة مصنفات ممتعة ومنها هذا الكتاب الذي اتحفنا بنسخة منه قرأنا فيها ادلة على فضله وتحقيقه فقد تكلم فيه على مسلمي غربي افريقية كلام من رحل اليهم وخالطهم وعرف عجرهم و بجرهم وشفع كلامه بنصوص تاريخية ووصف احوالهم الاجتماعية والدينية والمعاشية والسياسية في سفر ضخم وقع في زهاء ٣٧٠ صفحة وشفعه بمصوَّرات تفيد القاري، اذا اراد ان يتصور تلك البلاد . ومما استنتجهُ ان الاسلام عريق في تلك البلاد يرد عهده الى زمن عمرو بن العاص لما فتح مصر وجاءهُ سنة من البربر ودانوا بالاسلام و راحوا ينشرونه بين اهلهم وعشيرتهم وان الويز دي كادا موستو قال سنة ١٤٥٥ ان الاسلام يزداد انتشاره بين قبائل الزنوج في افريقية الغربية . ومن

(١) هذا البيت والذي قبله يشيران الى ما كان حدث بين المرثيّ والراثي من المناقشة مراراً وقد توخى الامير في هذه القصيدة جملة اغراض منها ان الانتقاد لا يسلب الفضل ومنها ان الموت يذهب الاحقاد ومنها ان التوجع لفقد كل انسان فرض على كل انسا ن لان ذهاب الفرد ايذان بذهاب النوع الذي يندمج في طيه كل فرد

رأي المؤلف ان الدين المحمدي يعم الزنوج في افريقية اذا لم يستخدم المرسلون الكاثوليك والبروتستانت الاسباب لتنصير من بقي منهم بلا دين. وعلى الجملة فقد وصف بلاد السودانيين والصحراء والبربر والعرب بما لم يبق بعده مجال لقائل شأن العارفين المحققين الذين يؤلفون ويحسنون التأليف فجاء هذا الكتاب مرجعاً يستفتيه كل من تهمه دراسة احوال اولئك الزنوج ·

منهل الوراد

قسطاكي بك الحمصي من اعيان حلب مشهور بادبه وفضله الف بعد بحث ستة عشر عاماً كتاباً في علم الانتقاد اصدر الجزء الاول منه في نحو ثلثمائة صفحة صغيرة تكلم فيه على علم النقد عند العرب وقال انه لم يكن معروفاً عندهم ايام استبحار العلم والحضارة في اقطارهم وان ما عرف عنهم لا يصح في الاكثر ان يسمى نقداً وتكلم على تاريخ النقد عند سائر الأمم في القرون الوسطى والقرون الحديثة وعلى اساليب الانشاء ورتب الشعر وطبقاته وافاض في ذلك فهذا الجزء الاول هو في تاريخ النقد وموضوعه استوفى تاريخه عند الافرنج اكثر مما استوفاه عند العرب والجزء الثاني وهو تحت الطبع في قواعد هذا الفن وفروعه · وقد اهدى المؤلف كتابه لطلاب العلم وتلاميذ المدارس عسى يقعون على فائدة في تضاعيف سطور صرف المصنف على تدوينها شطراً من العمر قائلاً انه خالف بذلك عادة متقدمي العلماء والكتاب في هذا اللسان العربي المبين من اهداء تآليفهم لبعض امراء عصرهم وحكام زمانهم كما فعل ابو منصور الثعالبي باهداء كتابه نثر النظم وحل العقد الى الملك المؤيد ابي العباس خوارزم شاه وكتابيه المشهورين فقه اللغة ويتيمة الدهر الى الامير عبيدالله ابي الفضل الميكالي وحذا حذوه الفتح بن خاقان باهداء كتاب قلائد العقيان الى امير المؤمنين ابي اسحق بن يوسف بن تاشفين والفيروزابادي باهداء القاموس لمجلس الملك الاشرف اسماعيل صاحب اليمن واهدى الفيلسوف ابن خلدون تاريخه الى امير المؤمنين ابي عبدالله المريني ·

بارك الله لقسطاكي بك بهمته التي ساقته الى افراد هذا الفن بالتأليف · والنقد كما هو المعلوم يرتقي بارتقاء الامة فعسى ان يكون من الكتب النافعة ما ينتج منه ارتقاؤه في هذا العصر بين الامة العربية ·

نجعة الرائد

اتحفنا الشيخ حبيب اليازجي بنسخة من هذا الكتاب النفيس في المترادف والمتوارد تأليف عمه فقيد اللغة الشيخ ابرهيم اليازجي وفي هذا الكتاب ابواب مهمة لا يستغني كاتب

او معرب عن الفاظها وجملها التي اختارها الشيخ من ارق الالفاظ ومنسجم التراكيب للعرب وهذا الجزء في العلم والادب وما اليهما وفي سياقة احوال وافعال شتى مما يعرض في الالفة والمجتمع والمعاش وفي معالجة الامور وذكر اشياء من صفاتها واحوالها وهو يقع في ٢٢٥ صفحة جيدة الطبع والوضع تدل على بعد غور كاتبها وتدقيقه فحبذا لو اعتمدت عليه المدارس المصرية في التدريس والمراجعة فانه من خير ما أُلف في موضوعه وهو يطلب من مطبعة المعارف بالفجالة بمصر

كتاب الاخلاق

طبع محمد افندي هاشم الكتبي هذه الرسالة المفيدة للشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي التي كتبها الى بعض اخوانه سنة احدى وتسعين وخمسمائة هجرية بقلم بليغ يذكرنا بنمط الاندلسيين في الانشاء . وهذه الرسالة مما يعلي مقام الشيخ الاكبر في صدور المنكرين عليه دع عنك المعتقدين به لانهُ لم يذكر فيها مالا يقع تحت الحس بل ذكر فاضل الاخلاق وسفسافها ومما قاله فيها : وملاك الامر في تهذيب الاخلاق وضبط النفس الشهوانية والنفس الغضبية هي تقوية النفس الناطقة فان بهذه النفس تكون جميع السياسات وهذه النفس اذا قويت (واصبحت) متمكنة من صاحبها امكنه ان يسوس بها قوتيه الباقيتين ويكف نفسه عن جميع القبائح ويتبع ابداً مكارم الاخلاق واذا لم تكن هذه النفس قوية في صاحبها وكانت مقهورة خافتة فاول ما ينبغي ان يعتمده في سياسة اخلاقه ان يروض هذه ويقويها وتقوية هذه النفس انما يكون بالعلوم العقلية فانه اذا نظر في العلوم العقلية ودقق النظر فيها ودرس كتب الاخلاق والسياسة وداوم عليها تيقظت نفسه وتنبهت وانتعشت من خمولها واحست بفضائلها وانفت من رذائلها وذلك ان هذه انما تضعف وتخفت اذا عدمت الفضائل والمناقب واستولت عليها فاذا اقتبست الفضائل واكتسبت الآداب تيقظت من غشيتها وثارت من سكرتها وقويت بعد ضعفها وفضائل هذه النفس هي العلوم العقلية وخاصة ما دق منها والرسالة كلها من هذا النمط في الانسجام والمرامي السامية في تهذيب النفس واشرابها حب الفضيلة .

غريب القرآن

طبع محمد امين افندي الخانجي وشركاؤه هذا الكتاب المسمى بنزهة القلوب للامام ابي بكر محمد بن عزيز السجستاني من اهل المئة الرابعة وهو على حروف المعجم مشروح الطف شرح واسهله، تيسر لطالب معاني مفردات الكتاب العزيز ان يرجع اليها في اسرع ما يمكن والكتاب من الحجم الصغير ويطلب من طابعه بالقاهرة بثلاثة قروش .

امالي السيد المرتضى

السيد المرتضى المتوفى في سنة ٤٣٦ هو شقيق الشريف الرضي الاول عالم والثاني اديب وقد طبع هذه الآونة محمد امين افندي الخانجي وشركاؤه اماليه وهي اربعة اجزاء صدر الجزء الاول منها وقد جعل اشتراكه ١٥ قرشاً اميرياً بالاشتراك اذا اشترك المشترك قبل صدور الجزء الثاني وما بعد ذلك يباع بخمسة وعشرين قرشاً . وهذا الكتاب هو احد مآخذ كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي وفيه نبذ كثيرة في الادب والتاريخ قد لا نجد اكثرها في الكتب المتداولة وقد جعله المؤلف مجالس مجالس فكان هذا الجزء اثنين وعشرين مجلساً كل مجلس فيه ما رق وراق من الاخبار والآثار مثل تراجم بعض الدهريين والزنادقة والمعمرين وبعض رؤساء المعتزلة ومما رواه لابن المقفع من الحكم قوله: قيل ان يحيى بن زياد الحارثي كتب اليه يلتمس معاقدة الاخاء والاجتماع على المودة والصفاء فأخر جوابه فكتب اليه كتاباً آخر يستريثه فكتب اليه عبدالله : ان الاخاء رق فكرهت ان أُملكك رقي قبل ان اعرف حسن كنهك . وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لا يكاد يخطئك . وكان يقول اذا نزل بك امرٌ مهم فانظر فان كان مما لهُ حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع وقال لبعض الكتاب : اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر . وقال لآخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة . وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انهُ يحسن مثلها . ومن كلام الجاحظ : ينبغي للكاتب ان يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى . وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة .

وروى من اخبار المعمرين ان عبدالمسيح بن بقيلة الغساني ذكر الكلبي وابو مخنف وغيرهما انهُ عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وادرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانياً وروي ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه اهلها ارسل اليهم ابعثوا اليَّ رجلاً من عقلائكم وذوي اسنانكم فبعثوا اليه بعبدالمسيح بن بقيلة فاقبل يمشي حتى دنا من خالد فقال: أنعم صباحاً ايها الملك قال: قد اغنانا الله عن تحيتك فمن اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال: من ظهر ابي . قال : من اين خرجت قال : من بطن امي . قال : فعلام انت قال : على الارض قال : ففيم انت قال : في ثيابي . قال : اتعقل لا عقلت . قال : اي والله واُقيد . قال : ابن كم انت . قال : ابن رجل واحد . قال خالد : ما رأيت كاليوم قط اني اسأله عن الشيء وينحو في غيره . قال : ما اجبتك الا عما سألت فاسأل عما بدالك . قال اعرب انتم

ام نبط قال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا . قال : فحرب انتم ام سلم . قال : بل سلم . قال : فما هذي الحصون . قال : بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليم فينهاه . قال : كم اتى لك . قال : خمسون وثلاثمائة سنة . قال : فما ادركت . قال ادركت سفن البحر في السماوة في هذا الجرف ورأيت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكتلها على رأسها لا تزود الا رغيفاً حتى تأتي الشام ثم قد اصبحت خراباً يباباً وذلك دأب الله في العباد والبلاد قال : ومعهُ سم ساعة يقلبهُ في كفهِ . فقال لهُ خالد : ما هذا في كفك . قال : هذا السم . قال : ما تصنع بهِ . قال ان كان عندك ما يوافق قومي واهل بلدي حمدت الله وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم ذلاً وبلاء اشربهُ فاستريح من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير . قال خالد: هاته فاخذه ثم قال بسم الله و بالله رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء فشربهُ فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلاً ثم غرق فافاق كأنما نشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه فقال جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم واخرجوهم عنكم فان هذا امر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة الف درهم وانشأ يقول :

ابعد المنذرين ارى سواماً يروّح بالخورنق والسدير
ابعد فوارس النعمان ارعى مراعي نهر مرّة فالحفير
تحاماهُ فوارس كل قوم مخافة ضيغم عالي الزئير
فصرنا بعد هلك أبي قبيس كمثل الشاء في اليوم المطير
تقسمنا القبائل من معد علانية كأيسار الجزور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى وخرج بني قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال فيوم من مساة او سرور

وبالجملة فالكتاب رخيص الثمن ثمين القيمة والنفع جداً وقد عني السيد محمد بدرالدين النعساني الحلبي بتصحيحه وضبط الفاظه وتعليق بعض حواش عليه وهذا الجزء في ٢٣٠ صفحة مطبوع الطبع المتوسط مشكول محل الاشكال من الفاظه

المقتبس

الجزء الخامس من المجلد الثاني

جمادى الاولى سنة ١٣٢٥ الموافق يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٧

غلو الشرقيين

عرف علماء البيان المبالغة بأنها وصف شيء بما يزيد على ما في الواقع واختلفوا في جوازها واباحتها فجعلوا منها المقبول ومنها المردود وهو الرأي الراجح وقسموا المبالغة الى اقسام ثلاثة الاول التبليغ وهو وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه في العادة والثاني الاغراق وهو وصف الشيء بالممكن في العقل دون العادة والثالث الغلو وهو الوصف الذي لا يمكن في عقل ولا عادة .

ولقد راجت سوق الغلوّ ولا تزال رائجة في الشرق بما سرى اليه من ضعف العقول بضعف العلوم التي تنفع في التمييز بين ما يقع وما يمتنع . والغلو موجود عند كل امة ولكنك تراه على اشده عند المشارقة فان المفهوم من تاريخ المغاربة وآدابهم بأنهم دوننا في المبالغات والسبب في ذلك والله اعلم ان فلسفة ابناء الغرب فلسفة حسية مبنية على الحس وفلسفتنا فلسفة خيالية .

الشرقي يبالغ ويفحش في الغلوّ بالدقيق والجليل من شؤونه الدنيوية والاخروية فقد بالغ في تصوير الامور الروحية حتى صار كثير من أممه يؤلهون المخلوقات ويسجدون للجمادات والعجماوات او يثبتون لما يحترمون من الآدميين من ضروب الصفات ما تضل في تكييفه العقول ويعتريها الذهول .

جاءت الاديان السماوية لتنزع هذا الغلوّ من العقول فسلمت بتعاليمها العقول في بعض اصقاع الشرق حيناً من الدهر حتى عادت بالتدريج الى سابق اغراقها وافراطها في وصف

البشر وتأليههم الى حد الهزل فدل ذلك على عموم الجهل وضعف العقل . الشرقي يبالغ في تصوير الصفات فاذا وصف احداً بالعفة اختلق لهُ من النعوت ما تمليه المخيلة وتساعد عليه محفوظاته من الفاظ اللغة واقل ما يصف به من يريد وصفه ان يثبت له من الصفات ما لا يليق بعضه الاّ باكبر دعاة الحكمة من افراد العالم .

الشرقي يبالغ اذا وصف احداً بالسخاء والشجاعة والمروءة والشمم وكل ما يرفع النفوس الى المقامات السامية . وفي دواوين الشعر وكتب المحاضرات امثلة اكثر من ان تحصى او يستشهد بها فاقرأها يتجلى لك كيف تضيق الاحلام بالاوهام وأنى تسطو الخرافات على المخلوقات .

نعوذ بالله من شعرائنا الجاهليين والمخضرمين والمولدين اذا انشأُوا ينشئون القصائد و يشدون بالمناقب والمحامد . تأملها ملياً وضعها على محك النقد الصحيح وانصف في تطبيق مفاصلها على الحقيقة وانظر اذا كنت لا توجب عليهم الكفارات لفرط ما غلوا في المبالغات واذا غاليت ايضاً فاحكم عليهم بالجلد مئين واسجنهم لئلا يعلموا الناس هذا الخلق المشين و يحملوا اليهم ذاك الرأي الافين والداء الدوي الدفين . وقل معي ان امة تقول « اعذب الشعر اكذبه واشعر الناس من استجيد كذبه » هي هي امة المبالغة والغلوّ .

ومع ان الحساب من اختراع الشرقيين وكان لهُ فيما مضى بين ظهرانيهم شأن عظيم ترى خاصتنا دع عنك عامتنا في القديم والحديث اذا عدوا وقاسوا نسوا الحساب والمساحة واذا قدروا اوغلوا في عالم الخيال وخرجوا عن طور الحس وتناسوا التدقيق فكالوك او وزنوك بالالوف وربما كانت الحقيقة في العشرات .

ترى قومنا هداهم الله اذا سألت اكثر الطبقة العالية منهم كم قوّة الدولة الفلانية اجابوك لساعتهم كذا وكذا بتحديد الارقام مع انك لو سألت كبار رجال تلك الدولة لتمهلوا في الجواب واضطروا ان يرجعوا الى حساب وربما بقيت في نفوسهم بعد ذلك من صحة ما قالوا اشياء كما مات الفراء وفي نفسه شيء من حتى .

ترى كثيرين من خاصتنا اذا سألتهم عن الثروة لا يسعك الا ان تقف شاخصاً تستعيذ بالله من غلوّ المشارقة وتجويزهم الكذب وايغالهم في الباطل وضعف استقرائهم واستنتاجهم وغفلتهم عن القياس . قف واسأل الله السلامة وهم يصورون لك صاحب المئة من اصحاب الالوف وصاحب الالف من اصحاب مئات الالوف وهكذا الى ما شاء الله وشاء اتساع عقولهم .

ولقد كان بعض الظرفاء يقول: اذا ذكرت اموال صاحب الثروة في الشرق وقدر

ما تملك يمينه فاحذف صفرين من يمين الارقام فاذا قالوا لك ان فلاناً يملك عشرة آلاف فاعرف انه يملك مئة واذا قيل لك مئة الف فاعرف انه يملك عشرة آلاف وهكذا افرض اقل تعديل لعلك تسقط على الحقيقة وكان يقول اذا لم تصدق فاسأل العادلين ممن يقدرون ثروات الافراد الى آخر درهم مما عندهم على حين انك لو سألت اصحابها عما يملكون لما عرفوا ان يقدروا لك الاً بالتخمين والتقريب هذا اذا لم يكونوا من اهل الغلو والاغراق

اجارك الله من شرقي يتشدق بذكر عالم عرفه او سمع به او وجد نسب اليه ولا سيما اذا كان ذاك العالم في عالم الاموات والشرقي يرى المبالغات بالاموات من اقرب القربات ولعلهُ يحيل على بعيد عن قصد لان الحكم على الاحياء القريبة يستلزم منه ان يأخذ المتكلم من عنان لسانه و بيانه

ساعدت الجرائد والمطابع والمدارس على تخفيف الشرقيين من المبالغات ولكنها لم تتمكن الى اليوم من نزع هذا الخلق المتأصل في السواد الاعظم وبعض الناس في الغالب مسوقون الى المبالغة بحكم العادة والبيئة . ولقد وقعت من ذلك حادثتان كانتا من اكبر الادلة على ان هذا الخلق فينا لا ينزع الاً اذا اكثر الكتاب من التنديد فيه وعملنا كلنا على قلب اوضاع مجتمعنا وعاداته .

فالحادثة الاولى جرت في مصر إبان مسألة العقبة في السنة الماضية فقالت احدى الجرائد المتحمسة ان الدولة حشدت في عريش مصر ثمانمائة الف جندي كتبت ذلك برقم غليظ ولما سئلت من الغد في معنى هذه المبالغة قالت ان المحشود من الجنود هو ثمانون الفاً وان الصفر زائد وبعد التحقيق تبين ان ما كان جمع هناك من الجند لم يتجاوز الالفين فتأمل مبالغة تقولها جريدة كبرى في مدينة كالقاهرة في مثل هذا العصر عصر الاحصاء والتقدير في قطر اتصل جنوبهُ بشماله وشرقهُ بغربه بالخطوط الحديدية والاسلاك البرقية والتلفونية بحيث لا يحتاج تحقيق هذا الغلو الا لشيء من البحث

والحادثة الثانية جرت لصاحب هذه المجلة اذكرها للقارىء على سبيل التمثيل والفكاهة فاني ما ذكرتها الا وذكرت معها غلوّ الشرقي . ذلك اني كنت منذ تسع سنين اكتب جريدة الشام فنعى الناعي ذات يوم رجلاً من وجهاء الاكراد في صالحية دمشق كان معروفاً بين اهل جيله وحيه بانهُ من المعمرين الممتعين فقال لي الناعي وكان من اكابر الفضلاء: اكتب انهُ مات عن خمس وثلاثين سنة بعد المئة . فقلت لهُ : ان العدد عظيم فهل لك ان تنزله فنهرني وقال : اكتب والحق اقول ان المرحوم كان اطول عمراً مما قلت لك يعرف ذلك الناس حتى ان فلاناً قال لي ذلك واكده افلا يسعك ما يسع العارفين به وعندها

كتبت : ومات عن عمر جاوز الخامسة والثلاثين بعد المئة · ولم يكتف الناعي بذلك بل قال ان المتوفى خلف خمسمائه نفس ذكوراً واناثاً فكتبت بعد تأبينه والغلوّ في ذكر عاداته وصحته طول حياته : ومما يجدرُ بالذكر ان لهُ من الولد وولد الولد ما ينوف عن خمسمائة نفس ذكوراً واناثاً ·

كتبت هذا وانا بين الشك واليقين في صحته لكني كنت والحق يقال الى اليقين اقرب لان الناقل ممن اعتقد فيهم سعة العقل وصحة القياس · فاعجب الناس بما كتب وتحدثوا به وربما زاد بعضهم فقال : ان عمر المرحوم كان اكثر مما ذكر وان الجريدة اخطأت في تقدير عمره ولعل سنه لا تقل عن مئة وخمسين واولاده واحفاده اكثر من ذلك بمئين ·

ولما انتشرت الصحيفة في البلاد تناقلت الخبر عنها بعض المجلات العلمية واكثر الجرائد السيارة في البلاد العثمانية وربما لم تغفل زميلاتها في مصر ايضاً عن نقل هذا النبإِ الغريب فدهشت من هول ما رأيت ونبهني احد العقلاء الى هذا التسرع في الحكم على عمر الميت واولاده فلم يسعني الا ان اخذت في تحقيق الخبر فتبين ان الرجل لم يتجاوز المئة وان ابناءه وابناء ابنائه هم دون الخمسين بيقين · وان ظل بعض احباب المبالغة يقولون ان الرجل مسن جداً وقد حارب في جيش ابراهيم باشا المصري ولكن لم يسعهم ان يكثروا في عداد اولاده لان الاغراق في عددهم يكذبه العيان واما عمره والدهم فليس فيه مستند تاريخي صحيح يعول عليه ما دام الشرقي يأخذ تاريخ رجاله واكثر ساسته في الاكثر من افواه الشيوخ والعجائز · وبعد مدة ظهر لي ان المتوفى المشار اليه كان جاء الى ادارة تلك الجريدة بنفسه قبل وفاته بسنتين وكتبت تعجب منهُ ومن صحتهِ ونشاطهِ وقالت ان عمره مئة وخمس وعشرون سنة · فكان ما جرى من المبالغة في تقدير عمر الرجل وعدد اولاده واحفاده اشبه بما تأتيه الجرائد الصفراء في اميركا من الغلو في تجسيم الاخبار لالفات الانظار ·

واحسن تعليل للمبالغة ما ذكره ابن خلدون بقولهِ : وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم او قريباً منهُ وتفاوضوا في الاخبار عن جيوش المسلمين والنصارى او اخذوا في احصاء اموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الاغنياء والموسرين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس الاغراب فاذا استكشفت اصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت احوال اهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستجليت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونهُ وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطاء ولا عمدٍ ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة

ولا يرجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنانه ويسيم في مراتع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزوًا ويشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفقة خاسرة .

المرأة في الاسلام (١)

تعدد الزوجات حالة لازمة لبعض درجات النشوء العمراني لا مناص منها فكثرة الحروب بين القبائل وما ينشأ عنها من نقص الرجال مع حفظ عدد النساء واستبداد الامراء امور كلها توجب هذه العادة التي نستقبحها في عصرنا هذا ونراها ضررًا عظيمًا .

ولقد عُرف تعدد الزوجات في القديم بين الامم الشرقية كافة واستعمال الملوك لها وهم مظنة الاتصال بالله تعالى حللها للرعية وحببها اليهم وقد انتشرت في الهندوس وهم مجوس الهند منذ ابتداء امرهم والظاهر انهم كانوا كالماديين والاشوريين والبابليين والفرس لا حدّ لهم في ما يمكنهم التزوّج به من النساء وان براهمة «الصف الاول» الى يومنا هذا يباح لهم من تعدد الزوجات ما تشتهي نفوسهم

وانتشرت هذه العادة ايضًا في بني اسرائيل قبل ظهور موسى وهو رضي بها من غير ان يضع حدًّا لها الاّ ان التلمود في الاعصر المتأخرة علق العدد على كفاءة الرجل ومع ان الربانيين وهم احبار اليهود نصحوا للناس بان لا يتزوَّجوا باكثر من اربع فقد خالفهم القراؤون في ذلك ولم يجوزوا وضع حد ما .

ودين الفرس الاقدمين يكافيء الرجل على تعدد زوجاته وقد انحطت هذه العادة عند الفينيقيين والسوريين الاقدمين الى الخروج عن الاطوار البشريه وبلغت عند التراسيين والليديين والبلاسجيين الذين نزلوا القارة الاوروبية وغربي آسيا مالم تبلغه عند غيرهم وكانت المرأة عند الاثينيين وهم ارقى الشعوب الخالية متاعًا يُباع ويشرى ويورث ويوصى به بعد الموت . وابيح لهم من التعدد ما شاؤُا .

اما رومية فان الاحوال الخاصة التي بنيت عليها ادارتها منعت تعدد الزوجات غالبًا . ومهما يكن من صحة ما ورد من اغتصاب الصابنيات فان وجود هذا الخبر في الاساطير الرومانية يدل على الاسباب التي دخلت في سن الشرائع الرومانية الخاصة بالزواج . اما في الاقطار المجاورة وخصوصًا عند الاتروسكانيين فان تعدد الزوجات كان من العادات الممتاز اصحابها . ومجاورة الرومانيين لغيرهم من الامم سكان ايطاليا احقابًا متوالية وحروبهم

(١) معربة عن الانكليزية من كتاب «روح الاسلام» للامير علي العالم الهندي الشهير

وانتصاراتهم قروناً عديدة مع ما ينشأ عن ذلك من عادات البذخ والترف كل ذلك كان منه اخيراً ان الارتباط الاخلاقي في الزواج اصبح شبيهاً بالالفاظ المرددة ليس الا

واذا كان تعدد الزوجات ممنوعاً في صريح القانون الروماني فان السيدات الرومانيات بعد الغلبة على قرطاجنة تطالت نفوسهن للانتفاع من منافع جمهورية حرة ضخمة كالجمهورية الرومانية فلم يروهن غير العاشقين واصبح الزواج حينئذٍ تسرياً مختلطاً . وتشير حرية النساء وضعف ارتباطهن بالرجال وكثرة تغيير الزوجات وافراغهن على الغير — الى انتشار تعدد الزوجات تحت اسم مستعار .

وفي غضون ذلك ابتدأت تعاليم النصرانية الاولى تنتشر على شطوط الجليل وتنير العالم الروماني كله . وتأثير الاسينيين الظاهر في تعاليم المسيح وما يضاف اليه من الاعتقاد بقرب الساعة كل ذلك حمل نبي الناصرة على الحط من قدر الزواج عموماً وان لم يمنعه صراحة وهكذا بقي حال تعداد الزوجات حتى منعه يستيانس الا ان هذا المنع القانوني لم يغير شيئاً في آداب الامة وبقي حال تعدد الزوجات كما كان عليه حتى مجته اذواق اهل القرون المتأخرة وكانت الزوجات ما عدا الزوجة الاولى تئن تحت اعباء ثقيلة لا حقوق لهن ولا ضامن بل كن عبيد اوهام ازواجهن وتصوراتهم واولادهن لا يورثون بل كانوا يدعون نغولاً ويعاملون معاملة المتشردين ولم يكن هذا النوع من الزواج محصوراً في الطبقة العالية فقط لان خدمة الدين كثيراً ما نسوا عهد الرهبانية وارتبطوا بغير واحدة من النساء سواء كان ارتباطاً مشروعاً او غير مشروع

ومن المحققات التاريخية التي لا تقبل الشك ان تعدد الزوجات لم يستنكر الا في الاعصر المتأخرة . والظاهر ان القديس اغسطينس نفسه لم يرَ فيه سقوطاً في الآداب او اثماً وحرجاً بل صرح ان تعدد الزوجات لا يعد جريمة لان قوانين البلاد تبيحه . واننا نرى المصلحين الجرمانيين وهم في عصر متأخر كالعصر السادس عشر اباحوا الزواج مثنى وثلاث لاسباب العقر او ما اشبهه

ويقول بعض الباحثين وهم لا يرون اثماً في تعدد الزوجات ان المسيح لم يصرح بمنع هذه العادة ويذهبون الى ان الاقتصار على زوجة واحدة هو من العوائد الداخلة على النصرانية من الجرمانيين او اليونانيين والرومانيين . اما الاحتمال الثاني فهو يخالف الحقائق التاريخية مخالفة ظاهرة ولا يجدر بالذكر .

واما الاحتمال الاول وهو القول بالاصل الجرماني فانه يتوقف على شهادة ضعيفة لواحد او اثنين من الرومانيين الذين هم اكذب الناس في شهادات ينتفعون من التلاعب بها

ولو فرضنا صحة شهادة تاستس فبماذا نعلل تعدد الزوجات بين سراة الجرمانيين حتى في القرن التاسع عشر ؟

ومهما يكن من عوائد الرومانيين في العصور الاولى فمن الواضح ان تعدد الزوجات في اواخر ايام الجمهورية وابتداء الامبراطورية كان سنة مقررة او على الاقل لم يحسب مخالفاً للقانون . والامر الصادر بمنع نشر تعدد الزوجات يشير الى وجوده واستعماله ونجاح هذا الامر « البريتوري » في اصلاح الخلل ودفع الضرر يظهر لمن طالع جواب الامبراطور هونوريس والامبراطور اركاديس في اواخر القرن الرابع وعرف سلوك قسطنطين وابنه اللذين كانت لهما زوجات متعددة . وان الامبراطور فالينتيان الثاني اذن علناً لافراد رعيته ان يتخذوا من الزوجات ما شاؤا . اما الكنيسة في تلك الاعصر فلا نرى في تاريخها ما يدل على ان الاساقفة او رؤساء الكنيسة استاءوا او اظهروا اقل اعتراض على هذا القانون بل اننا نرى ملوك رومية كانوا على العكس وتزوجوا بعدة نساء وكذلك عامة الناس لم يقصروا عنهم فقلدوهم .

وهكذا بقي حال الشرائع الرومانية حتى ايام يستيانس حين تجمعت حكمة ثلاثة عشر قرناً من قرون النشوء في تدبير المعيشة فسنت تلك الشرائع الجديدة التي لم يكن للنصرانية فيها اثرٌ يذكر واعظم مشيري يستيانس كان ملحداً وثنياً . على ان منع تعدد الزوجات في قوانين يستيانس لم ينجح في ابطالها وايقاف اميال العصر . وهذا القانون يدل على ترق في الفكر واختص تأثيره ببعض الافراد ارباب العقل واما العامة فكان عندهم حبراً على ورق

اما في مقاطعات غربي اوروبا فاختلاط البرابرة بالسكان الاصليين وامتزاج آدابهم بآدابهم حط من علاقة الرجل بالمرأة . ولا ينكر ان بعض القوانين البربرية سعى في اصلاح تعدد الزوجات الا ان المثال اقوى من الكلام فكان اعتياد الملوك هذه العادة قدوة للعامة لا يقوى عليها النظام حتى ان خدمة الدين والرهبانية الدائمة مما يستحب لم حباً بطاعة الكنيسة قد رووا انفسهم من عادة تعدد الزوجات بحصولهم على رخصة بسيطة من المطارنة او غيرهم من رؤساء الدين

واعظم خطاء ارتكبه كتاب النصارى اعتقادهم ان النبي العربي تمتع بتعدد الزوجات او شرعه وما كان يقال قديماً من انه هو الذي احدث هذه العادة هو علامة على جهل القائلين به وقد ظهر فساده ورده الاعداء والاصدقاء . واما القول بان النبي انتحل هذه العادة او شرعها فلا يزال تقول به عامة النصرانية وكثير من خاصتها من اهل العلم ولكن لا رأي افسد من ذلك وان النبي لم يجد عادة تعدد الزوجات في امته فقط فقد وجدها

شائعة عند جميع الامم المجاورة حيث اتخذت بعض افبح صورها . نعم ان المملكة النصرانية سعت في دفع هذا الضرر الا انها حاولت عبثاً فتعدد الزوجات بقي على ما كان عليه من غير وازع والمرأة البائسة ما عدا الزوجة الاولى بقيت تئن انيناً

وقد كانت بلاد فارس ايام النبي منبعث الفساد ولم يكن لها قانون للزواج معترف به واذا فرضنا وجوده فانه كان مجهولا منبوذاً . ولما لم يحدد الزندفستا عدد الزوجات التي يمكن التزوج بها ارخى الفرس لانفسهم عنان التمتع بزوجات متعددة شرعيات وسراري

وزواج المتعة كان مالوفاً عند الجاهليين واليهود مع عادة تعدد الزوجات فاثرت هذه التصورات الاخلاقية الدنيئة في الجزيرة العربية اسوأ تأثير .

حسنت الاصلاحات التي قام بها النبي العربي حال المرأة تحسيناً ظاهراً ورفعت مقامها لان المرأة كانت في الجاهلية وعند اليهود من اهل الجزيرة العربية على احط ما يكون فكانت الفتاة اليهودية تعامل كالخادمة حتى في بيت ابيها وكان له ان يبيعها اذا كان مقلاً من المال ولاولاده من بعده ان يتصرفوا بها كيفما شاؤا وهي لا ترث شيئاً من مال ابيها ان لم يمت ابتر لا ذكور له وكانت تعد المرأة عند الحضر من العرب مالاً وتحسب جزءاً صحيحاً من ثروة والدها اوزوجها والارملة تصبح بعد وفاة زوجها مما يرثه الاولاد لذلك كثيراً ما تزوج الابناء بزوجات آبائهم من بعدهم وهو زواج حرمه الاسلام وسماه المسلمون زواج المقت . ومما استعمل في الجزيرة العربية من العادات السيئة ايضاً عادة تعدد الازواج استعملها اهل اليمن

وبلغ من بغض الجاهليين للنساء انهم كانوا يئدون بناتهم وهي عادة فظيعة كانت منتشرة بين قريش وكندة . وقد استقبحها النبي جداً وانكرها بعبارات كالصواعق بل هي اشد وجعل لها ولعادة تقديم الاطفال للارباب اشد العقاب

اما المرأة في المملكتين الفارسية والبيزنطية فكانت منحطة جداً و بعض اهل الطيش ممن دعاهم النصارى بعد زمن «قديسين» كان ديدنهم ان يحطوا من قدر المرأة ناسين ان الشر الذي رأوه فيها انما هو صورتهم المعكوسة . وعلى هذا الحال من الانحطاط العمراني والانحلال الادبي ونداء الناس ان الشرائع القديمة وجدت بعد وزنها بميزان التجربة ناقصة ادخل النبي اصلاحاته فجعل احترام المرأة من اركان دينه ودعى اتباعه ابنته «خاتون الجنة» حباً بها واحتراماً لها وهي عندهم مثال لنوعها «وسيدتنا الزهراء» تمثل الاخلاق الفاضلة وعفة الازار في المرأة وهي اشرف كمال ادركه الانسان وقد خلفتها سلسلة من النساء طويلة كرمت هذا الجنس بفضائلها حتى قل من لم يسمع بالسيدة رابعة

وبالف من اضرابها . وقد منع النبي في شريعته عادة الزواج المشروط ومع انهُ اباح المتعة في اول الامر لكنهُ حرمها في السنة الثامنة من الهجرة (١) واعطى المرأة من الحقوق ما لم يكن لها من قبل وخولها امتيازات سوف تُقدر قدرها كما تقدَّم الزمن فساواها بالرجل كل المساواة من حيث استعمال القوى الشرعية ووضع لتعدد الزوجات حداً اعلى وشرط العدل بينهن ومما هو حري بالنظر ان الآية القرآنية التي تبيح التزوج باربع يتبعها ما يرجع العدد الى الحد الطبيعي والآية هي «وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة»

والتشديد في هذا الشرط مع النظر الى معنى كلمة العدل في التعاليم القرآنية لم يخف على عقلاء الامة الاسلامية وليس المقصود من العدل المساواة في المسكن والملبس وغيرهما من الحاجات الاهلية بل المقصود منهُ ايضاً المساواة في المحبة والميل والتقدير ولما كان العدل التام في مسائل الشعور مما يستحيل كانت نتيجة الاباحة هي المنع وهذا لم يخف على بعض ائمة القرن الثالث وبعض ائمة المعتزلة في عصر المأمون فقد قالوا ان تعاليم القرآن تنتج اباحة التزوج بزوجة واحدة فقط . ومع ان اضطهاد المتوكل الطائش منع نشر مبادئهم فان الاعتقاد يسري في اركان البلاد الاسلامية الراقية بان تعدد الزوجات مخالف لروح الشريعة الغراء كما ينافي تقدم العلم والتمدن .

ومما يجب النظر اليه ان تعدد الزوجات ينشأ عن احوال خاصة في بعض الازمنة وفي انتقال الهيئة الاجتماعية من حال الى حال يكون من الضروريات الاساسية لحفظ المرأة من الهلاك . واذا صحت الاخبار والاحصائيات فاكثر الفظائع المنتشرة في منبعث المدنية الغربية ناشيء عن الحاجة الشديدة وقد اشار ابهلك والسيدة دف غوردن الى ان تعدد الزوجات في الشرق هو في الغالب مما تؤدي اليه ضرورة الحال .

ولما تقدَّمت الافكار وتحوَّلت الاحوال ذهبت ضرورة تعدد الزوجات واصبح استعمالها اما مهجوراً مسكوتاً عنهُ او ممنوعاً صراحة . ولذلك اصبحت البلاد الاسلامية التي تغيرت فيها الاحوال الداعية الى تعدد الزوجات تعد هذه العادة ضرراً عمرانياً ومبدأً يخالف روح الاسلام على حين لا بد من استعمال هذه العادة في البلاد التي لم تتغير فيها هذه الاحوال حيث لا توجد الوسائط المماشية التي تعتمد عليها النساء في البلاد المتمدنة .

---

(١) لم تزل فرقة من الشيعة تبيح المتعة ولا نرى بداً مع احترامنا للمجتهدين اهل هذا الرأي من القول بان المتعة وضعت لمناسبات الوقت او لا بال الامراء الذين نشأ هؤلاء المجتهدون في ايامهم وفي كثير من اقوالهم اثر للاميال الشخصية

وللمعترض ان يقول ان الاباحة الكلامية تترك محلاً للتمتع المشبوه والتلذذ المستكره لذلك يكون ابطال تعدد الزوجات من الاعمال الشاقة ونحن نسلم بقوة هذا الاعتراض وهو حري بالفات انظار من يريد تخليص التعاليم الاسلامية من المذمة الملتصقة بها ويريد التقدم مع الزمن . ومما يجب ذكره ان مرونة الشرائع هي اعظم محك تعرف به قيمة تلك الشرائع ومنافعها وهي سرّ القرآن وقيمته لانه تقبله ارقى الشعوب وهو يسد عوز احطها ولا يتعامى عن ضروريات الانسان المترقي بالطبع ولا ينسى ان في الارض اقواماً وجماعات يضر بها الاقتصار على زوجة واحدة ضرراً شديداً . اما القيام بابطال تعدد الزوجات فليس من الصعوبة بالمكان الذي يتوهمه بعضهم . والمصيبة التي اصابت المسلمين وهي اصل ما هم عليه اليوم منعهم الاجتهاد وتمسكهم بالتقليد .

وليس بالبعيد يوم يرجع فيه الفقهاء الى كلام النبي في حل مسألتهم وهي هل يقلدون النبي ام يقلدون الفقهاء الذين استعملوا اسمه الكريم في اغراضهم او اغراض الامراء الذين عاشوا في اكنافهم . وقد مرت اوروبا في مثل هذه الطريق وكان الاولى بها ان تراقب نهضة الاسلام واصلاحه بالصبر والحنو لا ان تسلقه بالسنة حداد . ومتى تم التخلص من شرك الافكار القديمة يصير من السهل على مشترعي البلاد الاسلامية نسخ تعدد الزوجات الا ان سداداً كهذا لا يتأتى الا بعد ترقٍ عام في ادراك الحقائق واحاطة بروح الاسلام . وان موافقة التعاليم الاسلامية لكل درجة من درجات الترقي تدل على حكمة المعلم . وليس تعدد الزوجات بين اقوام متدنية وله من الشروط ما وضعه النبي مما يؤسف له وهو على الاقل خير من عادة تعدد الازواج وخير من حياة ليس فيها وازع ادبي . وكلما انتشر العلم وكثر التهذيب قدرت اضرار تعدد الزوجات قدرها وصار الناس اكثر علماً بوسائط منعها . ولا نقول الان ان مسلمي الهند استفادوا كثيراً من اختلاطهم بالبراهمة الذين يحل في مذهبهم الفجور جهاراً بل نقول ان هؤلاء المسلمين فسدت اخلاقهم وانحطت تصوراتهم التي من شأنها رفعة الانسان وتشريفه ونقاء قلبه وانتشرت طبقة المتري Hetairai بينهم كما هي بين جيرانهم الوثنيين ومع ذلك فثمة دلائل محسوسة تحيي فينا ميت الامل بان النور الالهي الذي اضاء البلاد العربية في القرن السابع سوف يضيء قلوبهم ويخرجهم من ظلماتهم . وقد ادى المعتزلي اجتهاده الى الاقتصار على زوجة واحدة لان الشريعة تمنعه من ارتباط ثان في خلال وجود ارتباط سابق . والخلاصة ان الزواج في عرف المعتزلة هو « ان يكون ارتباطاً اختيارياً حتى آخر رمق من الحياة بين رجل واحد وامرأة واحدة وهو اليوم حد الاقتصار على زوجة واحدة » .

وقد سرى كره تعدد الزوجات وصار من المسلمات العمرانية ان لم يكن من المسلمات الاخلاقية وهو مع كثير من العوامل الخارجيه يقتلع هذه العادة من بين الهنود المسلمين حتى صار من المعتاد بينهم ان يضعوا في عقد الزواج جملة تمنع الزوج صراحة من حق التزوج بثانية ما دامت الاولى موجودة . وفي كل مئة منهم اليوم خمسة وتسعون مقتصرون على زوجة واحدة وهذا اما لاقتناعهم بفائدة ذلك او لاضطرارهم اليه . وتستقبح عادة تعدد الزوجات بين الطبقات المهذبة العالمة بتاريخ اسلافها والقادرة على مقابلته بتاريخ بقية الامم اما في بلاد فارس فقسم صغير من السكان يتمتع بهذه العادة المشكوك بلذتها (١) والمأمول ان يقوم قريباً جماعة من حكماء المسلمين يفتون بان تعدد الزوجات كالرق مكروه في شريعة الاسلام .

ولنرجع الآن الى موضوع زواج النبي المتعدد وهو يظهر لكثيرين ممن يجهلون الحقيقة او يتجاهلون موضع انتقاد ومحل لوم . ومنتقدوه من النصارى يذهبون الى انه باتخاذه زوجات متعددة ميز نفسه بما لم يجوزهُ الشرع فاظهر ضعفاً في الاخلاق يصعب اتفاقه مع النبوءة . الاَّ ان التعمق في التاريخ وتقدير الحقائق بدلاً من ان يبرهن أن النبي كان مفرطاً في الشهوات يدل دلالة صريحة على انهُ كان يفادي بالعزيز في سبيل الغير باتخاذه بحسب شرع امته عدة زوجات فقيرات وسد حاجتهن وهو فقير لا مال له ولا عقار . واننا اذا درسنا عواطفه درساً مدققاً ونظرنا اليها من الجهة الانسانية يظهر لنا تخرص المعترضين عليه . ولما تزوَّج خديجة كان في الخامسة والعشرين من العمر وكانت هي اسن منهُ كثيراً وقد قضيا سوية نحو ربع قرن رافلين في اثواب السعادة والاخلاص وكانت كل هذه المدة رفيقه الوحيد ومساعده الامين على تخفيف ما كان يصيبهُ من اذى قريش واضطهادهم وعند حلول اجلها كان في الحادية والخمسين ولا يمكن لاعدائهِ ان ينكروا انهم لا يرون في حياته كل هذه المدة ثلمة في اخلاقهِ او نقطة سوداء في صحيفته البيضاء . وهو لم يتزوَّج بغيرها في حياتها على ان الرأْي العام في عشيرتهِ يجوّز لهُ ذلك لو شاء .

وعند رجوعه من الطائف بعد بضعة اشهر من وفاتها وهو ضعيف مضطهد تزوَّج بسودة ارملة السكران وهو ممن كان اسلم وهاجر الى بلاد الحبشة فراراً بدينهِ وبنفسهِ من قريش وقد توفي في منفاه وابقى من بعده امرأته في اشد البؤس والشقاء . وعوائد البلاد لا تمكنهُ من مساعدة هذه المسكينة ان لم يتزوَّج بها لذلك نرى ان مبادىء الانسانية والشفقة تحتم عليه اتخاذها زوجاً لهُ على انهُ كان حينئذٍ في اضيق الحالات

(١) اثنان في المئة فقط بحسب احصاء مكركن

وكان عبدالله بن عثمان بن ابي قحافة المعروف بعد ذلك في التاريخ (بأبي بكر) من انبل الاتباع واشدهم تعلقاً بالنبي واسبقهم للاسلام وهو اشبه بعلي بن ابي طالب من حيث حبه للنبي وكانت لهُ ابنة صغيرة اسمها عائشة فكان جل قصده ان يمكن علاقته بالنبي بتزويجه ابنته وكانت حينئذ في السابعة من العمر الا ان عوائد البلاد تسمح بمثل هذا الزواج وبعد الالحاح صارت تلك الآنسة الصغيرة في مصاف الزوجات الطاهرات .

وبعد مدة من وصول المهاجرين الى المدينة حدثت مسألة تدل على حال المعيشة العربية في ذاك الزمن وكل من عرف العرب وعرف انهم اهل أنفة وحرب وثأر يتيسر له ان يدرك سر هذه الحادثة وهي ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني كانت له ابنة اسمها حفصة فقدت زوجها في غزوة بدر وكانت صعبة المراس حادة المزاج كابيها لذلك كان يتجنبها الصحابة ويكرهون التزوج بها فكان ذلك كاللوم والتوبيخ عند ابيها وليدفع عن نفسه ذلك عرضها زوجة على ابي بكر فابى ثم على عثمان فابى ايضاً فذهب مغضباً الى النبي ليشكو اليه مالحقهُ من العار فكان لابدَّ من ارضائه وتسكين غضبه بحل هذه المعضلة الاان ابابكر وعثمان يستحيل عليهما احتمالها والصبر على خلقها . ور بما نعد اليوم هذا النزاع واسبابه الواهية من المضحكات لكنهُ كان كافياً في ذلك الزمن لاشعال نار الفتنة بين المؤمنين وهم في اول امرهم فتدارك النبي ذلك وسكن غضب عمر بتزوجه ابنته وهكذا ارضى اصحابه واصلح ذات البين

ومن زوجاته هند ام سلمة وام حبيبة وزينب ام المساكين وهن ايضاً كن ارامل ذهبت عداوة قريش بن بعيلهن وامتنع ذوو قرابتهن عن مساعدتهن اولم يكونوا اكفاء قادرين

وكان النبي زوَّج صديقه ومولاه زيداً سيدة اسمها زينب تنتسب لبيتين من اشرف بيوت العرب فلفخرها بنسبها ور بما بجمالها (١) ايضاً كانت تغتاظ من زواجها بمولى من الموالي ور بما زاد في الطين بلة تكرار زينب في حال مناسبة كلمات كان قالها النبي وقد زار زيداً ورآها مكشوفة الوجه وهي (سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب) — جملة يقولها اليوم كل مسلم يرى صورة جميلة — وكانت زينب كثيراً ماتكرر امام زوجها هذه الكلمات التي قيلت في حالة الاعجاب الطبيعية لتريه ان جمالها اعجب الناس حتى النبي .

ولما عيل صبر زوجها زيد عزم اخيراً ان يطلقها فذهب الى النبي ليظهر لهُ ذلك فقال له النبي (مالك ارابك منها شيء ؟) قال (لا والله ما رابني منها شيء يارسول الله ولا رأيت الا خيراً) فقال له النبي (امسك عليك زوجك واتق الله) الا ان زيداً لم يطع الامر الشريف فطلقها فاغتاظ النبي من عمله خصوصاً وهو الذي خطبها عليه وزوَّجه بها

(١) « المقتبس » اكثر هذه الروايات لم تثبت في كتب السيرة النبوية المعتمدة

وبعد نجاح زينب في الخلاص من عصمة زيد قامت تلح في طلب التزوج بالنبي ولم ترجع حتى تشرفت بان تكون في عداد زوجاته

وللنبي امرأة اخرى تدعى جويرية ابنة الحارث سيد بني المصطلق كان اسرها المسلمون في غزوة لاخماد ثورة قامت بها عشيرتها ورضي منها من اسرها ان تفتدي نفسها بفدية تقدمها له فسألت النبي هذا المال فاعطاها اياه حالاً فاعترافاً بفضله عليها وشكراً له عرضت نفسها عليه فرضيها زوجة وحالما عرف المسلمون هذا الارتباط الجديد قالوا فيما بينهم ان بني المصطلق صاروا من ذوي قرابة النبي فيجب علينا ان نكرمهم ونعاملهم بما هم اهله وهكذا عفوا عن الاسرى حتى بارك هذا الزواج السعيد مئة اسرة أطلقت من الوثاق . وكانت صفية اليهودية ممن أسره المسلمون في غزوة خيبر فاعتقها النبي وكرمها بالتزوج بها

ومن زوجاته ميمونة وهي من ذوي قرابته تزوّجها في مكة وكانت فوق الخمسين من العمر . وهذا الزواج إكسب الاسلام رجلين مشهورين هما ابن عباس وخالد بن الوليد قائد قريش في وقعة أحد وقاهر الروم

وهكذا كان حال زواج النبي ومن الممكن انه تزوَّج بعض الاحيان ليرزق ولداً لانه لم يكن من الآلهة وربما شعر بالميل الطبيعي الى ترك وارث من بعده وقد يكون احب التخلص من اللقب الذي لقبه بهِ اعداؤه ولكن اذا نظرنا الى الحقائق كما هي نرى ان هذا الزواج المتعدد نشأ عنهُ من المنافع زيادة على ما ذكرنا ميل لائتلاف القبائل المتعادية واجتماع كلمتها . ومما يجب ذكره انعادة الاخذ بالثأر كانت شائعة في الجاهلية وهي التي اضعفت القبائل ولم يكن اذ ذاك بيت ليس له ثارات او عليه ثارات تقتل فيها الرجال وتستحيي النساء . ولما قام موسى وجد هذه العادة شائعة في قومه ايضاً (كما تشيع في الأمم اذا كانت على درجة من العمران مخصوصة) ولما لم ينجح في ابطالها اباحها الا ان النبي محمداً كان اشد ادراكاً للدواء الذي يجب استعماله فربط القبائل المتنازعة بعضها ببعض كما ربطها بنفسه برباط الزواج وعند حلول اجل البعثة وقف على عرفات وصرح بابطال هذه العادة الجاهلية .

الا ان خبث اعداء يجورون في احكامهم ويتعصبون لاوهامهم شوه عواطف حملت محمداً على تعدد زوجات كن ارامل ومستضعفات لولاه نبا بهن المربع ولجفت قلوبهن من حرارة الجوع على ان هذه العواطف اباحها الانبياء السابقون . وربما عد الغربيون اليوم عادة تعدد الزوجات شراً محضاً وليست هي بالمحرمة فقط بل نتيجة شره وفساد وكأني بهم قد نسوا ان هذه العوائد كلها هي نتيجة المحيط وابنة الحاجة وان كبار الانبياء من اليهود وهم

مثال الكمال في المذاهب السامية اجازوا تعدد الزوجات واستعملوه الى حدّ يعد في نظر المعاصرين نهاية الفساد ·

والغالب ان يقال ان الواجب على النبي ان لا يخضع لاي ضرورة تضطره الى مدح عادة سيئة كهذه او لاباحتها وان الواجب عليه تحريمها بتاتاً فالمسيح غض الطرف عنها ولم يتعرض لها · لكن من امعن النظر يرى ان هذه العادة مثل كثير غيرها من العوائد ليست شراً محضاً والشر كلمة نسبية لانهُ قد تكون عادة من العادات مباحة في اول الامر تقبلها مبادىء الافراد والجماعات الا ان تقدماً في افكار الامة وتغيراً في احوالها ربما يجعل هذه العادة مضرة حتى تمنعها الحكومة بعد حين · اما ان الافكار تترقى فهو من المسلمات واما ان العوائد والاعمال تتوقف على ترقي الافكار وانها تكون حسنة او سيئة بحسب الاحوال (وروح العصر) فهي حقيقة يجهلها اهل الافكار السطحية كثيراً

بيروت عبدالرحمن شهبندر

الكنى والالقاب

جرى الاصطلاح في الاسماء على تقسيمها الى علم وهو ما علق على شيء بعينه غير متناول ما اشبهه ولقب وهو ما اشعر بمدح او ذم وكنية وهو ما صدر باب او ام

وقد ولع العرب بالكنى والالقاب ولعاً غريباً حتى صاروا يكنون الطفل والعقيم بل الوحش والطير بل الجماد والمعاني كما ستراه

من اعظم مقاصد الكنى في الاناسيّ خشية مبادرة اللقب السيء على لسان عدوّ او ماجن فليصق بالمرء لصوق الجرثومة في المنبت الوبيء. وفي اثر (بادروا اولادكم بالكنى قبل ان تغلبهم الالقاب) · ومن مقاصدها فيها تعظيم المكني وتوقيره فقد فطرت الانفس على كراهة خطابها باسمها ومشافهتها به · واما في غير الاناسي فلقصد التوسع في باب الاعلام والتفنن في الاوضاع والازدياد من المعاني · ولم تك كناهم تخلو عن نكتة وسرّ في وضعها اي ملاحظة معنى بازائه يكون الوضع كما قالوا في ابي لهب كني به لجماله لان اللهبة البياض الناصع واوثر في التنزيل الكريم اما لشهرته به او للتعريض بكونه جهنمياً وكما قالوا للضبع ام رسم لانها ترسم الطريق لا تفارقه وام المثوى لصاحبة المنزل والامثلة يطول تعدادها و يسهل تعرف اسرارها من معاجم اللغة المطولة

وما برحت الكنى والالقاب آخذة في الاعلام دوراً مهماً في الجاهلية والاسلام سيما

في قرونه الوسطى فقد نسيت بسببها اعلام كثير من الاعلام لغلبتها عليها ولقد رأيت من يخفى عليه مثلاً اسم الامام ابي يوسف او القاضي ابي الطيب ونحوهما ممن اشتهر بكنيته فنسي اسمه لذا سنح لي ان ابين قاعدة للمتقدمين في نوع من الكنى والالقاب تتكشف بها معرفة الاعلام مما اصطلح عليه اولئك وجرى عليه المؤرخون

فمن الكنى ابواسحق كنية لمن اسمه ابراهيم تأسياً باسمي الخليل وابنه عليهما السلام ابو ابراهيم لمن اسمه اسماعيل · ابوالحرث لليث وارسلان · ابوالحسن لعلي · ابوداود لسليمان · ابوالدرّ لياقوت · ابوزكريا ليحيى · ابوسليمان لداود · ابوالشكر لايوب · ابوالصبر له ايضاً ابوالطيب لطاهر · ابوالعباس لاحمد وخضر · ابوعلي لحسن والحسين · ابوعمران لموسى · ابوالفضل لجعفر وللربيع وليحيى · ابوالفتح لنصر · ابوالقاسم لعليّ ومحمود · ابومحمد لعبدالله ابو محفوظ لمعروف · ابوالمعالي لعبدالملك · ابومروان له ايضاً · ابوالمسك لكافور · ابواليمون لمبارك · ابوالمنصور لظافر · ابوالوقت لعبدالاوّل · ابوهريرة لعبدالرحمن · ابو يحيى لزكريا · ابو يوسف ليعقوب ·

ومن الالقاب للمتأخرين · سيف الدين لغازي · شمس الدين لمحمد · شهاب الدين لاحمد · صلاح الدين ليوسف · عماد الدين لاسماعيل ·

هذا ما غلب من الكنى والالقاب واشتهر في تلك الاسماء وقد يكون لها كنى والقاب اخرى · وقد يكون للمرء عدة كنى كما تراه في قولهم ذو الكنى وقد يشتق للمرء كنية من معنى اسمه او اشارته او حاله (ومنه ابوالطيب) لمن اسمه طاهر لما بين الطيب والطهر من التناسب وكذا (ابوالسرور) لمن اسمه عيد · وابوالجود للسخيّ · وابوالمطاع للامير · وابوالغارات للمجاهد · وذوالقرنين لعظيم الملك · وقد لا يكون لشيء من ذلك كما حدث في عهد منح الالقاب المضافة لذوي السيطرة من اجيال والمضافة للدين وقد اشار للثاني الاديب الخليع عبدالرحمن المصحف الملقب ببدر الدين من رجال فوات الوفيات (مدفون في بستانه بدمشق قرب المزة وامام قبره المحجر قبة يجري عندها نهر تظن اهل القرى هناك انهُ من الاولياء وليس تحت القبة مزار) في قوله

قالوا تلقب بدر الدين مفتخراً نجل الجنوبيّ من قد زين الامنا
فقلت لا تعجبوا منهُ فذا لقب وقف على كل نحس والدليل انا

وقد يكنى الرجل باكبر اولاده او باشهرهم او باحبهم اليه وقد يكنى بابن اخيه كما كنيت السيدة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها بام عبدالله ابن اختها وقد يكنى الرجل بما يقوم عليه و يعرف به كأبي الرجال لمن تربى عنده الصغار مجازاً ولمن له عدة اولاد حقيقة وبما

ظهر فيه من اليمن والخير كأبي البركات وقد وضع كثير من الالقاب والكنى علماً برأسه في العصور الاخيرة كبهاء الدين وصلاح الدين وابي الخير وابي بكر ولا حجر في ذلك الا ان القرون الاولى كان لاسمائها نوع نظام سهل به وضع نظام بازائها لالقابها وكناها مع ما شف عن ادب مع الائمة الاعلام فان من رعاية الكبير وقدره قدره وضع لقب له يعرف به . نعم لكل عصر مظهر ولكل دور طور ولكن باب الادب مع الاعلام لا يغلق على الدوام

قلنا بلغ من شغف العرب بالكنى ان وضعتها للطير والوحش والجماد والمعاني لما ملئت به اسفار اللغة من ذلك فمن ذلك ابو الحباحب لدويبة تظهر ليلاً صغيرة يخيل انها نار . وابوالحصين للثعلب . وابوجعدة للذئب . وابو براقش لطائر فيه الوان . وابوفراس للاسد وابوحفص له ايضاً . وابوقبيس لجبل بمكة . وابو الابيض للبن . وابوالاثقال (الحملات) للبغل . وابوالاخضر للريحان . وابوالاصفر للخبيص . وابوايوب للجمل . وابو بحير للتيس وابوحماد للديك . وابوحميد للدب . وابوحيان للفهد . وابو خداش للسنور . وابوصابر للحمار . وابوشجاع للفرس . وابو طالب له ايضاً . وابو طامر للبرغوث . وابوعاصم للزنبور وابو العوام للسمك .

ومن المعاني ابومالك للهرم . ابوسعد له ايضاً . ابو مرحب للظل . ابو زيد للمكر . ابو عمرة للفقر وسوء الحال والجوع . قيل لاعرابي اتعرف ابا عمرة قال كيف لا وهو متربع في كبدي .

ومن الامهات ام القرى لمكة المكرمة . ام قشعم للمنية . ام الرأس لاعلى الهامة . ام الدماغ لجلدة الرأس . ام جابر للخبز . ام سويد للاست . ام الهدير للشقشقة . ام الطعام للمعدة . ام النجوم للثريا . ام خداش للهرة . ام شبل للبوة

وقد الف في معرفة الكنى عدة مؤلفات منها كتاب ابي العباس الاحول ولم يتقدمه احد في هذا الفن والف ابن السكيت كتاب المثنى والمكنى والمبنى والمؤاخى ولابن الاثير كتاب سماه المرصع . وعني المحدثون بهذا الفن وصنفوا فيه ايضاً منهم الامام ابن المديني ثم الامام مسلم ثم النسائي ثم الحاكم ابواحمد — غير صاحب المستدرك على الصحيحين — ثم ابن مندة والدولابي . وكذا صنف غير واحد من الحفاظ في معرفة الالقاب كالشيرازي وابي الفضل الفلكي وابي الوليد الدباغ وابي الفرج بن الجوزي وآخرهم الحافظ ابن حجر . وليت واحداً منهم مُثل للطبع وبالله مانسي من العلوم واسفارها . وللمحدثين تقسيم غريب في باب الكنى اوصلها بعضهم الى تسعة

(١) من سمي بالكنية ولا اسم له غيرها كابي بكر بن عبد الرحمن احد الفقهاء السبعة بالمدينة

(٢) من عرف بكنيته ولم يعرف له اسم كأبي موبيهبة مولى النبي صلوات الله عليه
(٣) من لقب بكنيته وله غيرها اسم وكنية كأبي تراب علي رضي الله عنه اسما وابي الحسن كنية
(٤) من له كنيتان او اكثر كمنصور الفراوي ابي بكر وابي الفتح وابي القاسم
(٥) من اختلف في كنيته كأسامة رضي الله عنه ابي زيد وقيل ابو محمد وقيل غيرهما
(٦) من عرفت كنيته واختلف في اسمه كأبي بصرة قيل هو حميل (بالحاء مصغرا) وقيل جميل (بالجيم مكبرًا) وكأبي هريرة قال القطب الحلبي اجتمع في اسمه واسم ابيه نحو اربعين قولاً واصحها عبدالرحمن بن صخر
(٧) من اختلف فيهما كسفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم حكي في اسمه وكنيته اثنان وعشرون قولاً
(٨) من عرف بالاثنين كأبي عبدالله سفيان الثوري ونحوه مما لم يختلف فيهما
(٩) من اشتهر بها مع العلم باسمه كأبي ادريس الخولاني عائذ الله

دمشق احد قراء المقتبس

تأثير العقائد والمقاصد في الاخلاق

ان العلماء الذين وضعوا الكتب المطولة والمختصرة في تهذيب الاخلاق لم ينظروا الى هذا البحث الدقيق الا من عُرض فلا يُعثر لهم على كلام يكشف القناع عن حقيقته ويجمع اطرافه وانما ذلك لان الحوادث والاحوال لم تتجه بهم الى الدخول من هذا الباب ولقد رأيت العصر يستصرخ الحراس على انتظام الاحوال ويتقاضى الكتاب القائمين على هداية الناشئة الى سبيل النهضة الادبية ان يقبلوا عليه اقبال المغرم بالدنيا على استخراج الكنوز المدفونة وان يبذلوا الجهد في اظهار ما خفي من اسراره ويستنفدوا الوسع في اباحة ما حجب من ذخائره

ولما رأيت ان الكلام فيه من جلائل الخدم التي يسع المنشيء ان يقوم بها لاهل العصر هزني الغرام بهذه المحمدة ان اتوفر ليلة على انشاء مقالة اكلف المقتبس ان يحملها الى قرائه المنبثين في الآفاق مع ما يحمل اليهم من ازاهره العاطرة وثماره الطيبة الناضجة آملاً ان تلاقي عند الشبان الادباء والناشئة النجباء ما يلاقي الزائر الكريم من الهشاشة واكرام الوفادة في منازل الكرام وبيوت الكبراء وذلك بان يكرموها بالمطالعة وتدقيق النظر فيما يترتب عليها من النتائج المفيدة بل من الادوية الناجعة في شفاء ادواء الاخلاق اذا اندفعت النفوس لاتباعها واحبت الجري عليها .

تعريف الخلق

الخلق بضم فسكون والخليقة والفطرة والطبع والطبيعة والغريزة وما هو في معناها صفة باطنية تشبه الصورة الظاهرة فالكرم الذي طبعت عليه نفس زيد خلق يشبه ما ترى من الجمال في محياه والشجاعة التي فطرت عليها نفس عمرو بمنزلة ما ترى من طول قامته وامتلاء اعضائه . وقداختلف اصحاب الحكمة الخلقية في قبول الاخلاق للتغيير فمن قائل ان الاخلاق لا تقبل التغيير الا متى صار الذئب حملاً والجمل برغوثاً ودليلهم ان الخلق الباطن مثل الصورة الظاهرة وهذه لا تقبل التغيير فهو كذلك لا يقبل التغيير ومن قائل ان الاخلاق تقبل التغيير فمن طبع على الشح تصيره بعض الاحوال اكرم من حاتم ومن فطر على الجبن فقد يقوم في خياله ما يحبب اليه الموت حتى ان الصورة الظاهرة في الانسان تتغير تبعاً لحالة النفس كما يرى في وجه الغضوب والمنفعل والمسرور والكمد والخائف والمطمئن والخالي القلب والمهموم والا فأين هيئة من يتوقع العزل عن منصب عال من هيئة من يبشر بالارتقاء اليه واين صورة من يرزأ ظهيره من صورة من يلقى نصيره وهل من فرَّ من بيته وقد تداعت جدرانه كمن دخل صرحه وقد كمل تجيده وتزويقه فاذا علمت ذلك تبينت ان الرأي انما هو رأي القائل بقبول الاخلاق للتغيير والا فمن اين تعلم الدب الرقص واي فائدة للشرائع ان لم تحدث تغييراً في الطبائع وتبدلاً في الغرائز .

فان كنت تريد ان تتعرف تصاريف الطبائع واحوالها فلا بد لك من امرين الاول ان تراقب ذلك في الناس وفي نفسك . والثاني ان تنظر الى مايولده اختلاف العقائد وتبدل المقاصد في النفس البشرية حتى ينقلب الراغب زاهداً والزاهد راغباً والشجاع جباناً والجبان شجاعاً .

تأثير العقائد

العقائد مبادىء تقرر في ذهن صاحبها انه يسعد بطاعتها ويشقى بعصيانها وانه يهلك اذا خالفها وينجو ان اتبعها وترسم على لوح قلبه أن حفظها يكفل له خاتمة سعيدة وآخرة حميدة وان نبذها يدفعه الى عاقبة شؤم ونهاية عذاب فهذه العقائد باطلها وحقها سواء من حيث التأثير في نفس المعتقد فمن استحكمت العقيدة في روحه هان عليه كل عزيز وغال في سبيلها فتحلو له المرائر وتطيب له المكاره حتى اذا دعته الى فراق الحياة لبى دعاءها فهذه اقاصيص الشهداء واحاديث الاولياء تبسط امامك من آثار العقائد الحية في الصدور ما تريك افانينه ان الاهواء البشرية اماء خواضع طوائع لملك الاعتقاد المتسلط على النفس وكم لك في سير الرسل الكرام من خطيب صادع بان لا سطوة في الكون على النفس الأدون سطوة العقائد . واذا ذكرت القوم الذين كانوا يجيزون بنيهم في النار اكراماً لتمثال مولوك

الذي اتخذوه معبوداً يلجأون اليه . والهنود الاولى يرمون باولادهم في النهر . او اخطرت على بالك الشيوخ والعجائز الذين يأتون من اقاصي الارض الى اورشليم تبركاً بزيارة قبر المسيح غير مبالين بما يقاسون من مشاق السفر ومكاره الغربة مع ما يستلزمهُ بعد الشقة من وفرة النفقة قطعت ان لاسيد للنفس البشرية الا وسيادتهُ دون سيادة الاعتقاد .

تأثير المقاصد

واذا راقبت الناس عوامهم وخواصهم رأيتهم الاَّ قليلاً منهم يجورون على عقولهم ويغالطون حسهم ويكذبون عيونهم في سبيل مقاصد تحيك في نفوسهم فاذا كلفت انفسهم بشيء او مقتته يخال من يسمع كلامهم فيه انهم قد فارقوا البابهم او ان البابهم قد فارقتهم فان احب احدهم بلدة جعل الحسن مقصوراً عليها وقال سعادة الحياة لا تعرف الاَّ تحت جوها والتنزه لا يطيب الاَّ في كرومها وبساتينها وان ألم الظماء لا يشفى الاَّ بورد مائها وان كرم الخلال لا يتعدى سكانها والتبحر في العلم لم يعهد الاَّ لعلمائها وان الفصاحة لم تظهر بدائعها ولم تبدُ روائعها الاَّ على السنة خطبائها وشعرائها وان رئاسة الصنائع قد انتهت اليها وان الجود لم يضرب خيامهُ الاَّ في ارضها وبالجملة فانها المخصوصة من بين بلاد الله كلها بانها مجتمع المحاسن الطبيعية والصناعية وانها الحرية بان تستبد بمجد التفوق على كل بلدة في الارض واذا كره بلدة قال نسيمها يحمل نسم الامراض (١) وثمارها تورث الاسقام وحرها يذيب الاجسام واهلها خبثاء لئام وعلماؤُها اقل من صغار الطلاب علماً وخطباؤُها اقل الناس عقلاً واضعفهم تصوُّراً ليس لهم من مقتضيات الخطابة الاَّ الجراءة على الكلام في المحافل فاذا سمع ذو لب من خطبهم اشتهى الصم واحب البكم ونعجب ممن يبيع الخرز بسعر الدرر وينادي على النحاس كما ينادي على الذهب بل استغرب امر من يعرض القطن ويقول هذا حرير ثم يشتري منهُ القطن حريراً والنحاس ذهباً .

واعلم ان تساوي البلدتين هواء وماء وادباً وعلماً وتجارةً وزراعةً عند جميع الناس لا يردهُ عن قصر المحاسن عليها دون الاخرى اذا كان لهُ من وراء مدحها غاية كما لا يردعه عن سلب كل حسن عن البلدة الأخرى وهكذا يفعل بهم الكلف والمقت في سائر الاشياء وانك لترى اثر هذا الامر في تلاميذ المدارس فقد يقوى قصد احدهم تارة فتشتد رغبتهُ ويكثر تحصيله وقد يضعف تارة فتضعف رغبته في الطلب ويقل تحصيله وقد نرى في الطلبة من رسخ في نفسهِ فضل العلم فذلك لا يعتريه في طلبهِ ملل ولا يأخذه ضجر ولا يستطيل زمان التحصيل وان طال ويحسب الكتب مغاوص اللؤلؤ ومعادن الذهب .

(١) اردت بنسم الامراض الميكروبات

خلاصة

فقصارى القول ان من اراد حمل الناس على محمدة فلا مندوحة له ان يزرع في نفوسهم بزور الانتفاع بها واكتساب الفائدة بتحصيلها حتى اذا تمكن تصوُّر ذلك في اذهانهم اقبلوا عليها اقبال الناس لهذا العهد على ما يحدث من الازياء (المود) وعلى سبيل الاستطراد اقول ان من اراد الاقتدار على الترغيب وبلوغ الارب فليقفُ آثار مخترعي الازياء فهؤلاء هم أئمته العظام وشراحه الكرام وكل ما في كتب الخطباء من التنبيهات لا يعدل بجزء مما يجري على السنتهم او يصوَّر في دفاتر ازيائهم فهؤلاء قد عرفوا الطباع البشرية وخبروا الاهواء الانسانية وقبضوا على مفاتيح القلوب وعرفوا طرق الوصول الى امتلاكها فمثلهم مثل واعظ كلف ان ينهى النساء عن اتيان المعابد بالزينة والروائح الطيبة فقال قد شكا اليَّ واعظ البلدة انكن تأتين المعبد متطيبات وعلى رؤوسكن انواع الزينة وانهُ طال ما نهى عن ذلك فزادكن النهي تمادياً في الامر فاجبتهُ ان لا حق لك في ذلك . فتعجب واستغرب وقال ما السبب قلت الا وان الادب يقضي على كل من تعلم ان رائحة فمها خبيثة ان تتعطر وتتزين حتى لا تؤذي جاراتها فما سمعت النساء هذا الكلام حتى دفقت كل واحدة تنزل ما على رأسها من انواع الزينة حذر ان يظن ان رائحة فمها خبيثة ومن ثم هجرن التزين والتخلق والتعطر واقتصرن على الذهاب الى المعبد بالاثواب النظيفة فقط .

فلولم يكن هذا الواعظ فطناً ذا علم بما ركب في الطباع لذهب كلامهُ بلا فائدة كما ذهب كلام واعظ البلدة من قبل .

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

الميكروب

الميكروب اصغر ما خلق في عالم الاحياء جرماً وجسماً واعظمها قوَّة وفعلاً . كان اوَّلاً يعيش ويتنفس على سطح المعمور منسابا بين بقية المخلوقات دأبهُ دأب كل حي من ايجاد القوت والمكافحة للحياة والبقاء . ذلك انه لا يترك جامداً يحتوي على بعض ما يصلح لغذائه الاَّ ويحاله مبدلاً حاله تبديلاً او يمحوهُ فيجعله اثراً بعد عين وليس في الارض حيٌّ من حيوان ونبات الاَّ وهو يتصدى لهُ منازعاً اياه قوته وحياته . على انهُ في ذلك يخدم بانواع منه عالم الحيوان ويقوم بوظيفة عظيمة الخطر كتحويل المواد الجامدة الى غذاء يعيش به غيره وكاصلاح انفس المأكولات والمشروبات للانسان بواسطة الاختمار وبانواع اخرى منه

يكون مفسدًا ومخربًا . فان اكثر آفات الزروع وضربات الاشجار وامراض الحيوانات والبشر يكون الميكروب مسببها والفاعل الوحيد فيها . فهولنا في الحياة رفيق غير مفارق ومجاور جابر او جائر .

وعلى هذه السنة مرت السنون والاجيال والانسان تناله من الميكروب الضربات والنكبات ويتجرع السموم بصبر جميل من دون ان تتجلى له يد الجائر بل لم يخطر له ببال او خيال بان هناك عدوًا خفيًا يحمل الى الاحياء داء دويًا .

وذلك بالنظر الى الحيوان والانسان خاصة . اما اذا انعمنا النظر وسما بنا الفكر ونظرنا في وظيفة الميكروب على وجه البسيطة نظرًا عامًا بعد ان نكون قد اختبرنا وتوغلنا في الاحاطة بمنافع كل من انواعه واحدة فواحدة تحار عقولنا لا محالة من حكمة مبدع الكون الذي جعل اصغر مخلوقاته واخفها يقوم باعظم وظيفةٍ وخدمةٍ في العالم . وناهيك بتحول جثث الموتى مثلا الى تراب وهذا الى ما يصلح لتغذية النباتات وغيرها وكذلك اصلاح مياه البحور والانهر من ازدياد الاملاح والاوساخ فيها التي تنافي حينئذٍ وجود الاسماك والحياة مطلقًا يتوقف كله على الميكروب . فلولاه لما حصل التعديل والموازنة بين الجامد والحي وتعطلت بينهما الدورة الطبيعية فتعذر خلود بل وجود عالم الاحياء . والميكروب في فعله ذلك انما يسعى لنفسه ويطلب الغذاء لحفظ حياته وخلود نسله .

آراء الاقدمين في تولد بعض الحيوانات من دون والد

لم يعرف الميكروب الا اناس قلائل من القدماء عرفوه بالظن والحدس فكانوا يخبطون خبط عشواء في امر تولد الذباب والحشرات والدقيق من كل حيوان ونبات . وما كان ذلك عن نقص في ادراكهم بل لانهم لم يدخلوا المسألة من بابها ولقلة اطلاعهم فيها وقلة ما لديهم من الآلات والوسائط التي ساعدت المتأخرين على حلها . فيجدر بنا قبل ان نبحث عن هذه ان نذكر بعض آراء الاقدمين في تولد بعض الحيوانات والنباتات من دون والد

قيل ان ارسطو كتب في بعض مادون كل جسم يابس ابتلّ وكل مبتل منه جفّ يولد الحيوانات الدقيقة . وينسبون اليه ايضًا الزعم بان الديدان التي تظهر على بعض البقول في مزارعها لاتتكون الا من تعفن الاقذار والاوساخ وتخمرها اعني السرجين الذي تُصلح به الحقول والسماد الذي يخصب التربة . وكذلك تتكون البراغيث في التراب . وقرر الشاعر فرجيل بانه قد يتولد النحل من امعاء ثور جافة . وقال فلوطرخس بان ارض مصر الكثيرة المستنقعات تتولد فيها الفيران والجرذان من دون والد .

وفي القرن السابع عشر قال «فان هلمونتسا» بان الروائح الكريهة التي تنبعث من قعر

المستنقعات تتولد منها الضفادع والبزاق والعلق وبعض الحشائش الى غير ذلك من الحشرات والذباب التي يشاهد فيها وكان على يقين في قوله فيزعم انه اذا اخذ جرة وملأها قمحاً وسد فمها بخلق قميص وسخ لم يمر على ذلك القمح اكثر من واحد وعشرين يوماً حتى يتحول الى فيران . وهذه يكون منها ذكور واناث تتزاوج وتتكاثر . ومن هذا القبيل كيفية تولد العقارب من الحبق فان العالم المذكور كان يشير على من اراد التجربة ان يأخذ آجرة ينقر على احدى جوانبها حفرة يملأها بمسحوق نبات الحبق ثم يأخذ آجرة اخرى يضمها الى الثانية مغطياً بها حفرة الحبق فلا يلبث هذا مدة حتى يتحول الى عقارب حقيقية . وقيل ان بزر السماق يتحول الى قراد الكلاب ودودة القز بزرها نباتي الى غير ذلك من الآراء الواهية التي لم تبن على ملاحظات حقيقية . وهو مما يستغرب حقيقة من رجال كانوا افراد زمانهم على حين هم من السذاجة والجهل على جانب ويتعرضون لحل اعظم المسائل الطبيعية كالتولد والحياة بنوع من القول لا يقبله العقل السليم

وكان ريدي الايطالي اول عالم فتح باب الملاحظات المدققة في مسألة تولد الديدان من والد وذلك سنة ١٦٣٨ فانه قال بان الدود الذي يشاهد في اللحوم الفاسدة يتولد من بيضات يلقيها الذباب الذي يقف عليها . فاذا غطي اللحم حين قطعه بنسيج رقيق يمنع عنه الذباب فلا يعود يتولد فيه دود البتة . نعم ان هذا الرأي صحيح ولكن ريدي المشار اليه لم يتمكن من اقناع جمهور العلماء ولم يظفر بشرف الاكتشاف . لان الفضل ليس لمن عرف الحقيقة بل لمن اكتشف احسن اسلوب واعظم واسطة لاثباتها واقناع العموم بها اقناعاً منطقياً حسياً . فلم ينتج ادنى منفعة للعلم من هذا الاكتشاف ولم يتصد او يتحزب له احد بل دامت المجادلات في مسألة التولد الذاتي نحو مائتي سنة وهي في طور الحدس ولم تتقدم اكثر مما فعل ريدي

تغلب رأي التولد الطبيعي او الحيوي

عندما اخترعت النظارة المعروفة بالمكروسكوب اي نظارة الاجرام الدقيقة وسميت عندنا بالمجهر فتحت طريقاً جديدة للبحث في مسألة التولد المذكور والحكم فيها حاسياً من بعد التحقق بالنظر والعيان لجرى التخالف والجدال بين القائلين بتولد الدقيق من الحيوان من دون والد او طرائياً والذين لا يقبلون الا بالتولد الحيوي الطبيعي مطلقاً . فادتهم خاتمة التجارب والتدقيق الى ساحة الحق فاتفقت الكلمة في القول بان كل حي من حي او كل بيضة من بيضة . فمن بعد اختراع المجهر طرحت المسألة هكذا : هل التولد الذاتي ممكن ومن اين تتولد الديدان والذباب وبقية الحشرات والدقيق من الحيوان .

فقال ندهام الانكليزي : ان الرأي المشهور بان الديدان والذباب حتى الفيران

والعقارب وغيرها قابل تولدها من ذاتها طرائياً في المواد الآلية الخامرة قد تبين غلطهُ واضمحلَّ على انهُ من انحلال تلك المواد وفسادها تتولد حقيقة الوف من الحيوانات الدقيقة التي لا ترى الا بالمجهر · فلا يقتضي ان ننكر او نشك في هذه الحقيقة من اجل غلطنا وجهلنا في تلك ·

ثم قام « بفون » الشهير وتحزب لندهام المذكور وحامى عن آرائه فتغلب وقتئذٍ على الحيويين لانه لم يكن بينهم كفوءٌ لمقاومته · وفي سنة ١٨٢٨ اكتشف اهرنبرغ نوعاً من الحيوانات في الماء والتراب لا ترى الا بالمكروسكوب ما سماه بالانفروار وهي خلايا متفرقة ومنفردة عن بعضها كل منها قائم بذاته ولهُ جميع الخواص الحيوية اعني الاغتذاء والنمو والتولد · ومن بعده بثمان سنوات سنة ١٨٣٧ اظهر « شوان » الالماني « وكانيارد لاتور » الفرنسوي كل من قبله ومن دون تعاط بينهما ولكن الاوَّل اسبق — بان الاختمار الذي يحصل حيث توجد المواد الآلية هو فعل حيوي مختص بالخلايا او الحيوانات الدقيقة البسيطة التي سميت بالميكروب فهو اعني الاختمار لا يحصل الاَّ بها ملازم لها ومتوقف عليها وعلى الاكسجين الذي يكون بمنزلة الغذاء للخلايا · فذاع هذا الاكتشاف وصار قاعدة عليها بني رأي الحيويين وطرحت القضية هكذا : هل ان الاختمار والتعفن وبعض الامراض تفعلها الخلايا فعلاً حيوياً ناتجاً عن اغتذائها بشيءٍ مما تتركب منهُ المواد القابلة الاختمار ·

فاثبت شوان احد المكتشفين المذكورين بان جميع المواد المختمرة لا تخلو ابداً من الاجرام والخلايا الحية · ولدى الامتحان صادق عليه اكثر العلماء · واما المعارضون فانهم لما لم يروا سبيلاً الى انكار الواقع سلموا بالقضية ولكنهم حاولوا وجود اختمار من دون الخلايا عند ما زاحمتهم النتيجة كما سنبينهُ

دمشق سليمان غزالة

علوّ الهمة

ابى الله ان يسمو الى قنن المجد ويعطى زمام الفخر الا فتى الجد
فتى لا يبالي بالنوائب والنوى ولوطوّحته في حزون من الجهد
فتى ان يكن بالشرق امسى مقامه وفي الغرب مقباس بغاه على البعد
واطلق للشوق العنان فاوجفت صوافنه في السهل والغور والنجد
تجوب الفيافي معنقات كأنها قطار بخار هاج من سورة الحقد
فسار يباري الريح يبغي عدوّه وفي قلبه نار الضغينة في وقد

***

فلما رأى عجز الجياد وهاجه لواعج في الاحشاء من قبس الوجد
دعا قائد الشمس التي دوارم زورقاً الي فآتيها ورهطي او وحدي
فهذى الجياد الصافنات أكلها سراها على الآكام والحزن والوهد
لعلي اقضي ما اروم من المنى فارجع كالسيف الجراز الى الغمد

***

كذا فليكن همّ الرجال وحزمهم والا فموت او رجوع الى المهد
فليس ينال المجد الا بهمة اشدّ مضاء من شبا الصارم الهندي
ومن لم يروّ النفس من آجن المنى ويقذف بها في هوّة الجهد والكد
فما هو يوماً للمعالي بصاحب ولا مالكاً ما عاش ناصية المجد
ولا نائلاً من دهره ما يرومه ولا لحياض المكرمات بذي ورد
وما المجد الا همة ان تمثلت تزلزلت الافلاك منثورة العقد
فلا تبغ ان ترقى الى ذروة العلى ولم تركب الاهوال نصاً على وخد
فترجع عنها كاسف البال مخفقاً تمرّ بك الاطيار نحساً بلا سعد
وهل يخطب الحسناء من ليس قادراً على مهرها ماذاك من عادة الجعد
فمن شاء ان يولى السعادة فلتكن له الهمة القعساء رائدة القصد
ويتخذ التقوى شعاراً ومذهباً الى مورد الرضوان والمسرح الرغد
فمن يجعل التقوى صوى لفعاله فما هو يوماً بالمزيغ عن الرشد
ومن عدم التقوى اناخت بصدره كوارث اشجان اشد من الصلد
وليس التقى ثوباً تقادم عهده وما لبسه زهداً يعدّ من الزهد

ولا ان يُرى بين المصلين ساجداً ومذهبه الاضرار دأب الفتى الوغد
ولكنما التقوى فؤاد مطهر سليم من الآفات اشهى من الرند
به قد رعى سرح الوئام وبددت كتائبه سرح الشقاق عن الورد
فان رمت ان تحيي برغد من المنى بدنياك والاخرى مطيراً من الرفد
فجدّ بخير واجهد النفس حقبة من الدهر تبلغ منتهى شعف الحمد

بيروت مصطفى سليم الغلاييني

اليونان

معربة من كتاب تاريخ الحضارة

العناصر اليونانية

صورة هذه البلاد — ارض يونان من الاقاليم الضيقة المضطرب (هي ٥٧٠٠٠ كيلو متر مربع) لا تكاد مساحتها تزيد عن مساحة سويسرا ولكنها بما فيها من اختلاف الاهوية وما يتخللها من الجبال وبتقسيمها من الخلجان اقليم غريب في شكله خلق ليؤثر تأثيراً كبيراً في اخلاق ساكنيه . وتقطع ارض اليونان من وسطها سلسلة من الجبال (البند) فيناوح الجبل فيها جبلاً مثله ويقوم الصخر الى جانب الصخر حتى اذا بلغ ترعة كورنت يتخفض وترتفع مقاطعة المورة في الجانب الآخر من الترعة فيعلو عن سطح البحر ستمائة متر كأنه حصن احاطت به سلاسل عالية وعرة مثلجة تنزل في البحر على خط قائم وتمتد الجزر على طول الشاطيء وما هي الا جبال مغمورة يبرز رأسها فوق الماء . وتقلُّ في هذه الارض ذات الوهاد والنجاد التربة الزراعية وتكاد لا ترى حيثما القيت ناظرك غير صخور جرداء مرداء اما الانهار فتشبه سيولاً ليس فيها غير طريدة ضيقة من التربة المنبتة بين مجراها ونصفه جاف وبين صخور الجبال الجرداء . وكان في هذه البلاد الجميلة بعض غابات واشجار سرو وغار ونخيل وكروم غرست في مواضع من التلال ولكن قلما انبتت بغلات جيدة او بمراعي خصيبة . فبلاد هذا شأن طبيعتها ينشأ ابناؤها هامة شوقة قدودهم قوية اجسادهم قانعة نفوسهم .

البحر — تعد بلاد يونان من البلاد الساحلية وهي اصغر من البرتغال وشواطئها تكاد تقرب من شواطيء اسبانيا بكثرتها ينساب فيها البحر من عدة خلجان ووقائع (١) وتخاريم . ومن العادة ان يحيط باليم صخور تتقدم او جزر تتقارب يتألف منها مرفأ طبيعي . وهذا

(١) في القاموس الوقيعة نقرة في جبل او سهل يستنقع فيها الماء جمعه وِقاع ووقائع .

البحر اشبه بحيرة لامدّ فيها ولا جزر ولذلك سلمت شواطئه من الضرر وليس لونه كالبحر المحيط ابيض كامداً كئيباً وهو في العادة هادي، صاف ولونه كالبنفسج كما يقول هوميروس ولا اكثر استعداداً من هذا البحر للسفر فيه سفراً قصيراً . ولقد تهب ريح الشمال صبيحة كل يوم فتسير بها قوارب مدينة آثينة نحو آسيا وتقذفها ريح الجنوب في المساء الى المرفاء والجزر من بلاد اليونان الى آسيا الصغرى قائمة مثل صخور الكمين واذا صحت السماء تقطع السفينة المسافة وهي بمقربة من اليابسة تراها كل حين . ولذلك كان لسكان هذه البلاد من سكون بحرهم باعث على ركوبه واجتيازه فاصبح اليونان من ثم بحارة وتجاراً وسياحاً ولصوص بحر ومتشردين على نحو ما كان الفينيقيون فانتشروا في العالم القديم اجمع وجلبوا الى بلادهم سلع مصر وبلاد الكلدان وآسيا واختراعاتها .

هواؤها — لطف هواء بلاد اليونان حتى ان الجليد في آثينة لا يحدث الاّ في كل عشرين سنة والحر معتدل في الصيف بما يهب عليها من نسيم البحر والى اليوم لا يزال الشعب فيها ينام في الطرقات منذ شهر مايو « ايار » الى نواخر سبتمبر « ايلول » والهواء فاتر جاف وكان يُرى على بضعة فراسخ في القلعة المطلة على آثينة ريش تمثال بالاس وليست دوائر الجبال القاصية مستورة بالضباب كما هو الحال عندنا معاشر الفرنسيس بل انها تُطل بأسرها في السماء الصافية . هذه البلاد بجمالها تدفع المرء ان يتخذ الحياة عيداً فيرى كل شيء يبسم حواليه فمن نزهة في الحدائق بالليل واستماع اصوات الصراصير ومن الجلوس في ضوء القمر والضرب بالشباب وقصد الجبال للشرب من مائها واستصحاب اراح وشربه على النغمات والاغاني وقضاء الايام في الرقص هذه هي ملاذ اليونان وما هي الا ملاذ جيل من الناس فقير مقتصد فتيّ لا يعرف الهرم ابداً .

بساطة العيشة اليونانية — لا يتعب المرء من حرارة هذه البلاد ولا يشقى ببردها بل يعيش في الهواء الطلق مسروراً قليل النفقة ولا تقتضيه البلاد غذاء غزيراً ولا ثياباً ثقيلة ولا داراً مرفهة. فقد كان اليوناني يتبلغ بحفنة من الزيتون وسمك السردين ويلبس نعلاً وقميصاً ورداء كبيراً . وكثيراً ما كان يخرج حافياً مكشوف الرأس وداره بناية منيعة ليست من المتانة بحيث يدفع اللصوص عن دخولها بثقب حائطها ولا له من الاثاث غير فراش وبعض لحف وبضع اوان جميلة ومصباح وكانت الجدران خالية من الزينة مبيضة بالجير « الكلس » ولا يأوي الى الدار الاّ آونة النوم فقط .

بلاد اليونان الاصلية

اصل اليونان — كان اصل الشعب الساكن في هذه البلاد الجميلة الضيقة النطاق من

الجنس الآري انسباء الهنود والفرس جاؤوا مثلهم من جبال آسيا . ولقد نسي اليونان تطواف اجدادهم الطويل فكانوا يقولون انهم ولدوا من التراب كالصراصير . بيد ان لغتهم واسماء اربابهم لم تترك مجالاً للشك في اصلهم . وكان اليونان الأول كسائر الآريين يقتاتون باللبن ولحوم القطعان ويسيرون مدججين باسلحتهم وهم ابداً على قدم القتال ينقسمون قبائل وفصائل تحت إمرة بطاركتهم .

اساطيرهم — جهل اليونان اصولهم كسائر الشعوب القديمة فلم يكن لهم علم بنشوء اسلافهم ولا بالزمن الذي توطنوا فيه ارض يونان ولا بشيء من اخبارهم واعمالهم فيها . وان حفظ ذكر الحادثات الطارئة كما وقعت ليتوقف على اعداد الاسباب لها ومن اسبابها الكتابة . غير ان اليونان لم يعرفوها الاَّ حوالى القرن الثامن (ق . م) ولم يكن لهم واسطة لحساب السنين ثم اتخذوا بعدُ طريقة حساب السنين اعتباراً من المهرجان العظيم الذي كانوا يحتفلون به في اولمبيا كل اربع سنين وتدعى هذه المدة الفترة الاولمبية وقد وضعت الاولمبية الاولى عام ٧٧٦ فتسلسل تاريخ اليونان منذ ذاك الحين ولم يتصل بنا وراء ذلك . ومع هذا فقد نقلت اساطير كثيرة عن هذه المدة الاولى في البلاد اليونانية وخصوصاً قصص قدماء الملوك والابطال الذين كانوا يعبدونهم كأنهم نصف ارباب وهذه الاقاصيص مشوبة بحكايات يتعذر الالمام بما فيها من حق وصدق فقد ذكروا في آثينة ان الملك الأول المدعو سكروبس كان نصفه ملكاً ونصفه حية وذكروا في ثيبة ان كادموس مؤسس المدينة جاء من فينيقية للبحث عن اخت اوروبا التي خطفها ثور وكان قبل تنيناً وزرع اضراسه فنبتت منها مقاتلة ومنهم تناسلت الاسرات الشريفة في ثيبة وزعموا في مدينة ارغوس ان اصل الاسرة المالكة من بيلوبس وكان اعطاها المعبود زيوس كتفاً من العاج للاستعاضة عن كتفه التي اكلتها احدى الارباب . وهكذا كان لكل بلد اساطير يتلونها ويتناقلونها وظل ابناء يونان يذكرونها الى ما بعد ويثبتون لابطالهم القدماء نصيباً من روح الربوبية مثل ابطالهم برمي وبيليروفون وهيراكليس وتيزي ومينوس وكاستورس وبولوكس وميلياكرس وادبنس ومعظم اليونانيين بل ان الطبقة المنوَّرة منهم اتخذوا هذه التقاليد حقائق لا نزاع فيها الاَّ قليلاً . تلقوها على نحو ما تؤخذ الحادثات التاريخية اخبار الحروب بين ابني اديس ملك ثيبة وحملة الارغونوت التي سافرت في طلب جزة الكبش التي قام بحراثتها ثوران لما ارجل من فلز تقذف النار من افواهها .

حرب طروادة — اشهر هذه الاقاصيص كلها حروب طروادة وهي اوسعها بياناً وتفصيلاً فيروى انه كان نحو القرن الثاني عشر مدينة غنية ذات سطوة اسمها طروادة وكانت الحاكمة

المحكمة على شاطيء القارة الآسياوية فجاء احد امراء هذه المدينة واسمه باريس الى ارض يونان وسبى هيلانة حليلة منيلاس ملك اسبارطة فاتفق اغاممنون ملك ارغوس مع سائر ملوك اليونان وانفذوا لحصار طروادة جيشاً يونانياً على اسطول مؤلف من الف ومائتي سفينة فدام الحصار عشر سنين اذ كان الرب زيوس راضياً عن الطرواديين عاقداً النصر بالويتهم: ولقد اشترك مقاتلة اليونان كافة في هذا الحصار فقتل هكتور رئيس المدافعين عن حياض طروادة بيد اشيل وكان اجمل اليونانيين خلقة واشجعهم نفساً وجرّ جثته حول المدينة . قاتل اشيل بسلاح الهي وهبته اياه امه ربة البحر ثم هلك بسهم اصابه في عقبه . حتى اذا يئس اليونان من الاستيلاء على المدينة بالقوة عمدوا الى الحيلة فاوهموا انهم ازمعوا الرحيل وتركوا وراءهم حصاناً ضخم الجثة من خشب اختبأ فيه زعماء الجيش فاخذ الطرواديون هذا الحصان وادخلوه مدينتهم فلما جن الليل خرج القوّاد منه وفتحوا ابواب المدينة لليونان فحرقت طروادة وذبح الرجال واستعبد النساء .

ولما قفل زعماء اليونان من غزاتهم هبت عليهم العاصفة فغرق بعضهم في البحر وقذفت الانواء بفريق منهم الى شواطيء بعيدة وكان من حظ عولس اكثر هؤلاء الزعماء جريرة ودهاء واطولهم يداً في كيد المكايد ان قضى عشر سنين تتقاذف به البلاد حتى ادت به الحال ان فقد سفنه جمعاء ونجا من الغرق برأسه .

وبعد فقد كان الاعتقاد بحروب طروادة شائعاً في القرون القديمة شيوع الاخبار الثابتة . فزعم القوم ان غاية الحصار كانت سنة ١١٨٤ وحددوا مركز تلك المدينة . وقد خطر لمسيو شيلمان من علماء الآثار سنة ١٨٧٤ ان يحفر محل هذه المدينة فاتفق له ان يزيل انقاض عدة مدائن منضدة بعضها فوق بعض فعثر على عمق خمسة عشر متراً في اعمق طبقة من تلك الانقاض على آثار مدينة حصينة استحالت رماداً وظفر في خرائب اهم تلك الابنية بصندوق مليء بالحلي من ذهب سماه كنز بريام . وكان ثمت نقش وكانت تلك المدينة التي ظهر سورها كله صغيرة حقيرة وعثروا فيها على عدد كثير من الاصنام الصغيرة الرديئة الصنع والوضع وهي تمثل ربة لها رأس بومة (وعلى هذه الصورة كان اليونان يمثلون الربة بالاس) ومع كل هذا فليس ثمت دليل يقوم على ان هذه المدينة الصغيرة دعيت باسم طروادة قديماً .

ميسينيا — ورد في الاساطير اليونانية ان الملك اغاممنون الذي كان قائد الحملة اليونانية على مدينة طروادة كانت عاصمته مدينة طروادة وان زوجته قتلته عند عودته من هذه الغزاة ودفن بالقرب من قصره . ولقد عرف اليونان مكان مدينة ميسينيا لانها كانت

مأهولة الى القرن الخامس قبل المسيح ولا يزال الى اليوم حول الجبل سور من الصخور الضخمة مصفوفة بعضها فوق بعض بدون ملاط يلحم بين اجزائها وثخنها خمسة امتار وكان اليونان يدعون هذا السور الحيطان السيكلونية اعتقاداً منهم بان الجبابرة سيكلون قد اقاموا بنيانها و رفعوا قواعدها . و يدخل الى هذا السور من باب علوه زهاء ثلاثة امتار مؤلف من ثلاثة صخور هائلة وفوقها عمود بين اسدين منقوشين وهذا هو باب الاسود

ولما اكتشف شيلمان سنة ١٨٧٦ مدينة طروادة عزم ان يبحث عن قبر اغاممنون في ميسينا وكان الحفر قد جرى فيها غير بعيد عن سطح الارض فحفر شيلمان في التراب حتى وصل الى الصخر فلما كان على عشرة امتار من العمق عثر على ستة قبور فيها سبع عشرة جثة مع كمية كبيرة من الحلي الذهبية واساور وعقود ودبابيس وتيجان وسبعمائة سفيقة« ورقة ذهب » و زهاء مائتي سيف وخنجر مع نصال مموهة بالذهب والفضة . وكان على وجوه بعض الجثث برقع من السفيقة وكانت هذه القبور على ما ظهر مدافن امراء ميسينا .

ومنذ ذاك العهد اكتشف الباحثون في كثير من انحاء اليونان اشياء كثيرة ومنها اواني خزفية وحلي تشبه خزف ميسينا وحليها وقد عثر في بعض الاحيان بين هذه الدفائن على حلي مصرية من عهد الدولة التاسعة عشرة فاستنجوا من ذلك بانه كان في يونان منذ الزمن العريق في القدم (بين القرن الثامن عشر والخامس عشر ق . م) ملوك اصحاب شوكة يستطيعون معها انشاء مدن حصينة ذات غنى متوسط وتيسر لهم به ان يكنزوا الكنوز و يستصنعوا الآثار النفيسة وهذا ما دعي بالتمدن الميسيني .

اشعار هوميروس — ان القصيدتين المنسوبتين للشاعر هوميروس وهما الالياذة التي ذكرت فيها حروب اليونان ورجولية اشيل امام طروادة والاوذيسية التي جاءت فيها حوادث عولس بعد سقوط طروادة . هاتان القصيدتان هما اللتان اذاعتا في اطراف العالم اجمع سقوط مدينة طروادة . وقد حفظتا قروناً دون ان يكتبا فكان المغنون الذين ألفوا الترحل يستظهرون ابياتاً طويلة منهما و ينشدونها في الاعياد . وفي القرن السادس امر احد امراء آثينة واسمه بيز يسترات ان تجمع القصيدتان وتكتبا فاصبحتا بعد وما زالتا ابداً اجمل الآداب اليونانية المعجبة المطربة . يقول اليونان ان مؤلفهما هوميروس كان احد ابناء يونان من مدينة ايونية وعاش نحو القرن التاسع او العاشر ويمثلونه على صفة شيخ ضرير فقير يهبط ارضاً و يصعد ارضاً وتنازعت سبع مدن شرف نسبته اليها تدعي كل منها انها مسقط رأسه وقد وقع التسليم بذلك تقليداً بدون مناقشة فيه . وفي اواخر القرن الثامن عشر قام احد علماء الالمان واسمه فولف وابان بعض تناقض في هاتين القصيدتين اداه ان

يجزم بانهما ليسنا من نظم شاعر واحد ولكنهما كتاب مؤلف من مقاطيع لشعراء مختلفين وقد حمل اهل العلم على هذه القضية حملات منكرة وهم بين مثبت لها تماماً ومنكر لها تماماً وظلوا مدة نصف قرن يتنازعون في وجود هوميروس او عدمه وما زال فريق اهل العلم الى اليوم على ان هذه المسألة متعذر حلها . ومن المؤكد ان هاته القصائد قديمة العهد جداً وربما كانت من القرن التاسع . الفت الالياذة في آسيا الصغرى وربما تألفت من مجموع قصيدتين خصت احداهما بحروب طروادة وثانيتهما بحوادث اشيل اما الاوذيسة فانها على ما يظهر من نظم شاعر واحد . ولكن ليس ثمت من دليل يقوم على انها من نظم مؤلف الالياذة بعينه .

اليونان على عهد هوميروس — يتعذر علينا ان نوغل في تاريخ اليونان الى قرون بعيدة . واشعار هوميروس اقدم مستند بشأنهم . ولما نظم هذا الشاعر منظومته نحو القرن التاسع قبل المسيح لم يكن لبلاد اليونان اذ ذاك اسم يطلق على سكان اليونانية قاطبة فسماهم هوميروس باسم قبائلهم الاصلية ويظهر انهم كما وصفهم قد نجحوا منذ غادروا آسيا فعرفوا حرث الارض وبناء المدن الحصينة وتألفوا شعوباً صغيرة . واطاعوا ملوكاً لهم وكان لهم مجلس شيوخ ودار ندوة وقد فاخر اليونان بحكومتهم واحتقروا الشعوب النازلة بقربهم لانهم كانوا دونهم فدعوهم البرابرة . ولقد صرح عولس بخشونة السيكوليس بقوله : (ليس لهم قواعد في العدل ولا اندية يتشاورون فيها وافرادهم يحكمون نساءهم واولادهم بالذات ولا يعنى بعضهم ببعض) ومع هذا فقد كان اليونان الى ذاك العهد نصف برابرة فلم يعرفوا الكتابة ولا النقود ولا تطريق الحديد وقلما كانوا يجرأون على ركوب البحر وتجشم اخطاره ويزعمون ان الغول سكن جزيرة صقلية .

المترجمات وحكم المترجم فيها

يتوقف النقل من لغة غربية الى لغة شرقية على امور منها احاطة المترجم بالموضوع احاطة تامة ومنها تمكنه من اللغتين او من اللغة التي يترجم اليها اكثر من اللغة التي ينقل عنها وقد جرت عادة النقلة والمترجمين في هذا اللسان قديماً وحديثاً ان ينقلوا بالمعاني كما ينقلون بالالفاظ (١) والنقل بالمعنى اعذب واسلس لان المترجم ينشيء جمله على مناحيه ويؤلف كلامه بحسب تسلسل افكاره والترجمة باللفظ اي نقل كل كلمة بما يرادفها في اللغة المنقول اليها هي من اشق الاعمال وقلما يجيد فيها الا افراد . ولذلك رأينا اكثر الناقلين يختارون طريقة النقل بالمعنى ولكن المرء يضطر في بعض الموضوعات الى النقل بالحرف الواحد خصوصاً اذا كان المنقول عنه عالماً كبيراً او صاحب رأي ونحلة يجب الناقل ان يطلع من ينقل اليهم على فكر المنقول عنه على علاته بدون زيادة فيه او نقص منهُ مخافة ان يصدق عليه المثل الطلياني القائل (ان المترجم خائن) واي خيانة اكبر من نقل اقوال صاحب نزعة او مذهب محرفة مهزعة وان ينسب اليه مالم يقله او ينقص من اقواله ما لهُ بذكره مأرب وربما لا تسدد مرامي كلامه الا بتلك الجمل او المعاني التي لا يحفل المترجم بنقلها ولا يتعنى بتصويرها .

من اجل هذا ترى اهل الامانة من المعانين لصناعة القلم قد يحتفظون بما يكتب غيرهم وينقلونهُ لمجرد الاطلاع ولو ادى بهم الى الخروج عن سنن البلاغة وخالف ما في اعتقادهم فكل ما يأتي به المترجم والحالة هذه لا يورده وهو مسئول عن مكانه من الصحة . ولو قصد الناقل ولا سيما في الصحف الدورية العلمية او اليومية السياسية ان يملق على كل فكر ينقله عن غيره او يحذف كل جملة لا توافق ماوقع في نفسه لضاع الغرض المقصود والوقت الثمين . واذا فعل فيكون كمن يحاول ان يحيل كل فكر الى فكره وان يعبث باكثر المقاصد بنسجها على طريقته ويقضي على القاري واذ ذاك ان يسمع نغمة واحدة تملها اذنه مهما كانت جيدة التوقيع والتلحين

ومن ثم ترجمت الى العربية في زمن الخلفاء الذين كان لهم ولوع بالعلوم مؤلفات كثيرة كان الغرض من نقلها مجرد معرفة آراء اربابها ككتب النحل والملل والدهر والطلاسم وماشاكلها ولا يلتفت الى ما يراه كثير من الاغمار من ان كل ناقل مأخوذ بتبعة ما ينقل فان هذا مما لا يقول به احد من اهل العلم . ولقد رأينا كثيراً من فحول العلماء ألفوا في الملل والنحل وذكروا رأي كل فريق مشفوعاً بادلته ولم يتصدوا لنقد ذلك مع مباينتهم له اعتماداً على ان لرد تلك الشبه كتباً خاصة يرجع اليها من يعنى بذلك .

---

(١) المقتبس ج ١ ص ٥٥٨ وص ٦١٦

سير العلم

تربية الازهار

كان اخترع احد الباحثين في كوبنهاغ طريقة لتربية الازهار بواسطة المواد المخدرة فتداول اختراعه هذا جماعة من ارباب الزراعة في فرنسا واكملوه وطريقتهم ان توضع النباتات وهي جافة على طبقة من الرمل الناشف في صندوق يمكن اغلاقه اغلاقاً محكماً ويعلق على غشاء الصندوق اناء يلقى فيه الاثير من ثقب ليسد بسرعة وكلما تبخر الاثير ينزل الى اسفل الصندوق ويغشي النباتات الموجودة فيه وبعد ٤٨ ساعة ترفع النباتات وتجعل في بيت آخر في هواء بليل وتربى كالعادة فتزهر اكمامها وازهارها بسرعة اكثر من سرعة النباتات التي لا تربى على هذه الصورة ويكون شكلها اجمل . فانك ترى البحلة (ليلاك) المحضر على هذه الصفة يزهر ويورق في ثلاثة عشر يوماً على حين يقتضي لزرعه المعتاد سبعون يوماً ولا يأتي مثله وهكذا قل في سائر الازهار .

اعارة الكتب

منذ سبع سنين انشأ جماعة من الالمان في برلين خزانة كتب وغرفة للقراءة وهي تعير الكتب ليأخذها القارئ الى بيته ومحل عمله فكان مجموع مااعارته في السنة الماضية ثمانين الف مجلد استعار اكثرها الرجال وكان عدد القارئات واحدة في كل خمسة وعشرين مستعيراً ونصف ارباب الاستعارة عملة وربعهم من المستخدمين على اختلاف الطبقات وثلثا الكتب المعارة ادبية ونحو ربعها علمية ولم يفقد من هذه الكتب سوى تسعة . قالت المجلة الافرنسية ومن الغريب ان هذه المكتبة تستجلب ٥٣٩ جريدة ومجلة لفائدة قرائها على انك لا ترى في مكتبة الامة بباريز سوى خمسين من نوعها .

الطالبات في انكلترا

أُنشئت سنة ٨٦٨ ، في كلية كمبردج في انكلترا مجالس يجتمع فيها النساء خاصة ليستمعن ما يلقى فيها من اصناف العلوم واذ تكاثر عدد المستمعات قضت الحال بان ينشأ لهن بيوت يأوون اليها وكان حضورهن اولاً على سبيل التسلية والتفنن فاصبحن الآن كالرجال يتعلمن ويزاحمنهم في الحضور الى تلك المدارس وصفوفها ويشتغلن في مكتبتها التي فيها اربعمائة الف مجلد وهي ثالث مكتبة في انكلترا بفخامتها واصبح القسم الخاص بهن من هذه الكلية الآن ينقسم الى ثلاث جمعيات الاولى دينية والثانية ادبية والثالثة سياسية واعضاؤها من

البنات وقد وصفت احدى المجلات صورة اجتماعهن ومناقشاتهن وما يصرفن فيه اوقاتهن من مفيد الاعمال والرياضات كالرقص والسباق والالعاب المحللة وتمرين بعضهن على استعمال مضخات الحريق الحين بعد الآخر حتى اذا كبرن وصرن ربات بيوت وحدث ان داهمت النار بيتاً لهن يستطعن اطفاء الحريق من ايسر السبل

الصحة في يابان

قال رئيس اطباء الجيش الياباني في تقرير له ان يابان بلغت ارقى درجات التقدم فان ثمانمائة الف جندي الذين عادوا موءخرا الى بلادهم من ديار الحرب قد جرى تطهيرهم على الاصول الصحية فكان الجندي ينزع ثيابه كلها و يضعها في كيس ويستحم في خابية مملوءة بالماء الحار ثم يلبس قميصاً و يمشي قليلاً في الشمس ريثما تدخل البسته في المستحم الخاص بها وكذلك تطهر اسلحته بامرار بخار فورمول عليها وقد طهرت حتى الخواتم التي يلبسها الجنود واعطوا اوراقاً مالية جديدة بدل الاوراق التي كانوا يقبضونها زمن الحرب مشاهرات لهم . وقد دامت هذه العملية ٧٥ دقيقة لكل جندي وبهذا لم يجلب الجيش الياباني معه الى بلاده امراضاً وبيلة واوبئة فاشرة كان يأتي بها الجنود معهم من ديار الحرب ايام كانت الامم لا تعتقد بالجراثيم والنسم

حياة العميان الطبيعية

الف احد علماء براغ كتاباً مهماً درس فيه احوال العميان وحواسهم فقال ان حاستي اللمس والسمع تفيدان العميان فائدة كلية لا كما كان يظن على وجه عام وليس ذلك لان هاتين الحاستين قويتان فيهما بل لانهم يحسنون استعمالها والانتفاع بهما وحاسة الشم تهديهم لامور لا يهتدون اليها باللمس اما حاسة الذوق فيهم فلا تختلف عما هي عليه عند المبصرين وللاعمى حاسة سادسة وهي شعوره بالمصاعب والحوائل وهي حاسة موءلفة من السمع واللمس وهو ذو ذاكرة قوية لانهُ يقضى عليه ان يمرن نفسه منذ صغره على حفظ ما ينقل اليه ولا يزال يستظهر ما يسمعهُ في ليلهِ ونهارهِ وهذا التمرين الدائم لذاكرتهِ يمكنهُ من اتقان الموسيقى . وقد ترى ذاكرته في الغالب من اعجب الذاكرات في البشر

الصدأ

تبين من الكشف الاخير ان الصدأ يفعل فعلاً شديدا لم يكن من قبل معهوداً في انكلترا يخرب في اليوم ثمانية عشر طناً على طول خط حديدي واحد وفي اميركا يأتي بضرر اكثر من ذلك على السكك الحديدية وقد كانوا يعالجون الصدأ بطلاء الحديد ولكن

الباحثين الآن بحثوا في طريقة تقي الحديد من الصدإ فلا تفعل فيه المياه ولا غيرها من الرطوبات وقد وفقوا الى اتقانها .

الصلع

اختلفت الآراء في الصلع فقال بعضهم بانهُ حملة طفيلية معدية وقال غيرهم انهُ نتيجة بعض امراض واوجاع وارتأى آخرون بانهُ نتيجة السهر في اجهاد العقل بامورصعبة وعاقبة من عواقب الهموم والاضطرابات . وقد تبين لاحد اساتذة مدرسة الطب في دتروا من ولاية مشيغان الاميركية بان الصلع يحدث من فساد استنشاق الهواء ولا يمكن التخلص منهُ الا باحسان استنشاق الهواء الجيد فان الهواء الفاسد في الرئتين اذا لم يستنشق كما ينبغي يسري كما يسري السم في الدم ولا تكون تغذية بصلات الشعر الا قليلة وفاسدة . وقد جرب الدكتور المشار اليه هذه القضية في ألوف من الاشخاص فثبت لهُ رأيه بالاختبار وقد جرب ان يشق هواء نقياً لجماعة من الصلع او المعرضين لهُ فبعد اسبوع من استنشاقهم له من اعلى الصدر نشطت بصلات الشعر واخذت تنمو ولم تات على هذه العمليه عشرة اسابيع حتى صارت لهم شعور اثيثة . قالت المجلة التي نقلت هذا الخبر انهُ انشق الكلاب والدجاج والحمام هواء فاسداً ففقدت ريشها وشعرها .

اندية الانكليز

زار احد المفكرين اندية لندن فكتب عنها مقالة ضافية في احدى مجلاتها كانت في الحقيقة وصف الحياة الانكليزية واختلاف تغيراتها المتتابعة فما قالهُ : الاندية مرآة صادقة تقرأ فيها عنوان التقلب والابدال الذي طرأ على الهيئة الاجتماعية والاخلاق على توالي القرون ولطالما مرت فيها اجيال من الناس ذكروها فذكرتهم واقدم اندية لندرا النادي البحري الملوكي أُسس سنة ١٦٧٤ وانشئ غيره في النصف الاول من القرن السادس عشر وأُسس نادي طرف الغار سنة ١٨٠٥ الى غير ذلك من الاندية التي كان ولا يزال يختلف اليها العالم والمفكر والموظف والسياسي والبحري واهل جميع الطبقات .

بلاد الزنج

كتب المسيو لوسين بوفا في مجلة العالم الاسلامي بحثاً وصف فيه سكان البلاد الساحلية من افريقية الشرقية ولغتهم وعاداتهم وذكر لمعة من تاريخهم وجغرافيتهم فما قالهُ ان الشاطئ الشرقي من افريقية كان معروفاً عند الملاحين الفينيقيين واليونانيين في البحر الاحمر وان قد كانت لهُ صلات تجارية مع الخليج الفارسي وعمان والشاطئ الغربي من الهند قبل الهجرة

بزمان وقد ذكر بطليموس الجغرافي في القرن الثاني للميلاد جزءاً من البلاد في جنوبي الحبشة سماه "زانجيبر" ثم دعي الزنوج النازحون منها بالزنج وهم يختلفون عن بقية الشعوب الافريقية كالنوبيين والحبش بشفاههم المقلدة وانوفهم المفلطحة ثم كثر ذكرهم في تاريخ الاسلام في القرن الثاني بعد ان انتشر الاسلام بينهم ولم تكن العلائق بين بلاد الزنج والممالك الاسلامية مقصورة على جلب الرقيق منها بل انه كان من تأثيرها دخول الاسلام اليهم ولم يكن انتحال العرب للاسلام ليغير شيئاً من نوع الصلات التجارية التي كانت بينهم وبين بلاد الزنج قبل البعثة المحمدية فدخل الاسلام اليهم على يد حمزة اخي الخليفة عبد الملك سنة ٨٦ واستنتج الكاتب بان عمان والخليج الفارسي كان لهما شأن عظيم في الاستعمار الاسلامي منذ القديم قال وقد تعاقبت الاسماء الكثيرة على هذه البلاد ومنذ عهد ابن بطوطة اخذ يزول عنها اسم بلاد الزنج ففي شماليها شاطىء الصومال ثم السواحل وتعاقب الحكم عليها الترك فالبرتغال فجماعة من اهلها مثل سلاطين مسقط وزنجبار وسنة ١٨٩٠ تقاسمت كل من انكلترا والمانيا هذه البلاد فاخذت الاولى الساحل الشمالي والثانية الجنوبي فصارت زنجبار والجزائر الملاصقة لها في منطقة نفوذ انكلترا . ويقدر نفوس هذه البلاد بزهاء مليون وخمسمائة الف نسمة منهم مليون واربعمائة الف من الوثنيين والباقون عرب وايرانيون وزنوج واوروبيون وقد اصبحت اللغة الساحلية مزيجاً من العربية والفارسية وبعض الالفاظ الافرنجية واصل لغتهم لغة البانتو وقد ارجعها الباحثون في اللغات الى تقاسيم كثيرة فقالوا انها ١٦٨ لغة و٥٥ لهجة واللغة الساحلية مستعملة بين المسلمين خاصة بحيث اصبحت لغة التجارة في افريقية الشرقية والوسطى . وختم هذا الفصل بقوله ان جوهانستون قال منذ عشر سنين ان اللغة العربية تضمحل في داخلية بلاد الزنج من زامبيز الى النيل الابيض وان اللغة الساحلية تقوم مقامها وذكر لهم عادات لا تختلف عن اكثر عادات المسلمين في معظم البلاد ولا سيما البادية منها .

مداواة المسلولين

في احدى مجلات كوبنهاغ بحث في معاملة المانيا والدانيمرك للمسلولين قال فيه كاتبه ان الالمان في مقدمة الامم التي انشأت المستشفيات الكثيرة لمحاربة هذا الداء وتليها الدانيمرك . ويقيم المسلولون في المصاح بالدانيمرك من عشرة اشهر الى اثني عشر شهراً اما في المانيا فيقيمون ثلاثة اشهر ولكن المصابين بهذا الداء في الدانيمرك يشتغلون في المصاح او المستشفيات اشغالاً يستطيعونها وتدفع حكومة تلك البلاد ثلاثة ارباع النفقات التي تنفقها هذه المستشفيات والربع الآخر تدفعه العمالات والولايات .

علم الجراثيم

كان من نتيجة البحث عن الجراثيم في الممالك الغربية ان احدث فيها خوفاً من عاديتها على اختلاف انواعها وسرى من ذلك الى بلاد الشرق عدوى التخوف منها كما هو الآن في الغرب . وما برح الاطباء يحذرون الناس من اخطار الميكروب على اختلاف انواعه والحق معهم في ذلك فمن الضرورة تحذير الخلق من الاخطار التي تلحقهم من قلة العناية الصحية فاذا انتشر مرض الجدري لا بدّ للطبيب من ان ينصح باعادة التلقيح ولكن ينبغي ان يلاحظ ان المسافة تختلف بين ما يقال له احتياط وما يقال لهُ خوف فالاعتدال مطلوب على كل حال وانا لنرى ارباب المزاج العصبي يعيشون الآن في هلع دائم على حين كان الواجب عليهم ان يكتفوا بالحذر والاحتياط فبعضهم يقول ابتعدوا عن التقبيل وعمموا اللبن وغيره من المشروبات مخافة ان ينقل جراثيم السل الى متناولها وان يبتعد المرء عن مصالحة غيره لئلا يأخذ الجراثيم التي تكون نازلة على الجلد ويوصون ان لا ينزل المرء في سياحته في احدى الفنادق لئلا يأخذ جراثيم مرض ينتقل اليه بواسطة الفراش واللحاف وعلى من اضطر ان يركب القطار ان لا يمس المخدات والمتكآت والستائر . وقد كثر التخوف من الميكروب حتى قام احدهم في نيويورك واخترع آلة صغيرة وهي عبارة عن انبوب صغير يحمله المرء تحت طرف ثيابهِ ويملأوه بسائل مطهر فتمر بالعروة عقدة تناط بالانبوب الصغير فتتألف منها آلة مبخرة فاذا تنهد المرء قليلاً يبدأ التبخر فيستعمل المرء هذه الآلة على هذه الصورة كلما اجتمع في الشارع مع شخص كما يستعملها لتبخير كل ستار او قطار او دثار او شعار او جدار يشتبه في امره . قالت المجلة الباريزية ولا يبعد ان يأتي يوم يبني فيه المهندسون بيوتاً ومساكن تكون بمأمن من الجراثيم الضارة وقد بدأ القوم في اميركا يجربون تجربات من هذا القبيل بانشاء غرف كلها من الزجاج ولا ينبغي الاستهزاء بهذه الفكرة فان الطلبات متوالية في ذلك .

مطبوعات ومخطوطات

دائرة المعارف الاسلامية

ستصدر عما قريب دائرة المعارف الاسلامية التي الفها الاستاذ هوتسما من اساتذة كلية ليدن بمعاونة جماعة من علماء المشرقيات مثل هوار وفولرس و برتولد وزترتستين وهورفيس و بكير ومارسي و باسي وغيرهم من الهولانديين والفرنسويين والالمانيين والنمسويين والسويديين وقد ذيلت كل مقالة بتوقيع كاتبها على عادة الاوروبيين في موسوعات العلوم عندهم وقرأنا في مجلات العلوم الشرقية ثناء كثيراً على هذا العمل النافع وتدقيق كتابها في المسائل التاريخية والاجتماعية الاسلامية . وانا نعرف بعض من اشتركوا في تأليف هذه الدائرة النافعة وهم متمكنون من آداب العرب وتاريخهم مطلعون على ماضي الاسلام وحاضره وما منهم الا من طاف كثيراً في اقطار المسلمين وعاشر اهلها واطلع على احوالها . فلاجرم ان يجيء مما تخطه انامليهم مثال التحقيق وانموذج الروية والبعد عن الغرض .

عرب سورية قبل الاسلام

المسيو دوسو عالم من اهل الاخصاء في تاريخ سورية عرفناه منذ بضع سنين ايام رحلته الاخيرة الى بلاد الصفا وهو يكاد اليوم يكون حجة بلغة الصفا وتاريخها . وكتابة الصفا لم تكن معروفة قبل خمسين سنة نحلها جماعة من علماء المشرقيات وانتهت الرياسة فيها لصديقنا دوسو . واللغة الصفوية هي اللغة العربية واهل الصفا هم اول النازحين الى سورية وان جاء بعدهم بعض القبائل الا ان تاريخ اولئك قد عرف اكثر من غيرهم من اهل سورية الراحلين بما اكتشف من آثارهم ومصانعهم ونقوشهم المزبورة على الاحجار وقد كان عدد ما عثر عليه ١٧٥٠ كتابة اكتشف نصفها المسيو دوسو والمسيو ماكر وهي مهمة من حيث الحياة الاجتماعية لامة بدوية رحالة وقد نشر هذه الآونة كتاباً في عرب سورية قبل الاسلام ومما قاله فيه انهُ ينبغي تصحيح الافكار الشائعة والاغلاط التي يقع فيها بعضهم بشأن العرب فان العرب ليست على اطلاقها من اهل الجزيرة العربية بل ان سكانها الرحالة في الجنوب من اصول اخرى و ينبغي ان يطلق اسم العرب على سكان اواسط جزيرة العرب وشماليها وعلى القبائل الرحالة التي تطوف بادية الشام لان هذه البلاد عربية صرفة والتنقل كل سنة يأتي هذه البلاد بقبائل من نجد وكل قبيلة تعقد مع القبائل الرحالة الاخرى عهوداً يسمونها « خوة » وتقضي بينها الربيع . والتنقل قديم يرد عهده الى اوائل التاريخ

المسيحي . قال ان الصفا غير قابلة للسكنى لانها ذات براكين ولكن في جوارها بلاداً تسكن خصيبة ذات مياه قال فيها ياقوت الحموي انها اصل البلاد الصفوية . وقال ان اللغة الصفوية هي احدى اللهجات العربية وليست فينيقية . وذكر ان الآثار التي عثر عليها ليست ذات شأن من حيث علاقتها بالدين لان المسلمين عفوا آثار الجاهلية الاولى فلم يبقوا منها اثراً وقال ان الصفويين كانوا يذكرون اسم «الجلالة» قبل الاسلام وقبل ان يختلطوا بالرومانيين وان العرب لم تفتتح تلك البلاد عفوا بل ان اختلاطهم بالأمم المجاورة قبل الاسلام هيأ لهم سبل الفتح وان الرومانيين لم يحاولوا ان يصدوا عرب البادية عن التنقل بل كانوا يعاملونهم بسلام لئلا تكدر كأس الراحة .

ديوان حافظ

محمد حافظ افندي ابراهيم من اعاظم شعرائنا الافراد نبغ في البلاغة فاستولى على غاياتها وله نمط خاص به في الانسجام وجودة التصوير في الموضوعات التي ينظم فيها معظم قصائده على حين لا يقع منها له ره الا الابيات الفذة النادرة فشعر حافظ هو الذي تقرأ فيه روح العصر . شعرٌ شعر شاعره بحركة العقول والاجتماع فنظم فيه وابدع . ومن اعظم حسنات حافظ في شعره انه ينقحه ويشذبه فلا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً . فان نظم في شهر قصيدة ينظمها غيره في يوم ولكن قصيدة الشهر تبقى وتخلد ويتناقلها الناس ويستظهرونها وقصيدة اليوم تذهب بذهابه . وقد نشر الآن الجزء الثاني من ديوانه في ١٣٦ صفحة صغيرة الحجم ولكنها كبيرة النفع ومعظم ما فيه قصائد اجتماعية في شؤون عامة تهم الامة قال على لسان اللغة العربية .

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي	وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني	عقمت فلم اجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم اجد لعرائسي	رجالاً واكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية	وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة	وتنسيق اسماء لمخترعات
انا البحر في احشائه الدر كامن	فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
فياويحكم أبلى وتبلى محاسني	ومنكم وان عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فانني	اخاف عليكم ان تحين وفاتي
ارى لرجال الغرب عزاً ومنعة	وكم عز اقوام بعز لغات
اتوا اهلهم بالمعجزات تفنناً	فياليتكم تأتون بالكلمات

ايطربكم من جانب الغرب ناعب … ينادي بوادي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم … بما تحته من عثرة وشتات
سقى الله في بحر الجزيرة اعظماً … يعز عليها ان تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته … لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت اهل الغرب والشرق مطرق … حياء بتلك الاعظم النخرات
ارى كل يوم بالجرائد مزلقاً … من القبر يدنيني بغير أناة
واسمع للكتاب في مصر ضجة … فاعلم ان الصائحين نعاتي
ايهجرني قومي عفا الله عنهم … الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى … لعاب الافاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة … مشكلة الالوان مختلفات
الى معشر الكتاب والجمع حافل … بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فاما حياة تبعث الميت في البلى … وتنبت في تلك الرموس رفاتي
واما ممات لا قيامة بعده … ممات لعمري لم يقس بممات

وقال من قصيدة في غلاء الاسعار

ايها المصلحون اصلحتم الار … ض وبتم عن النفوس نياما
اصلحوا انفساً اضر بها الفقـ … ـر واحيا بموتها الآثاما
ليس في طوقها الرحيل ولا الجـ … ـد ولا ان تواصل الاقداما
تؤثر الموت في ربى النيل جوعاً … وترى العار ان تعاف المقاما
ورجال الشآم في كرة الارض … يبارون في المسير الغماما
ركبوا البحر جاوزوا القطب فاتوا … موقع النيرين خاضوا الظلاما
يمتطون الخطوب في طلب العيـ … ـش ويبرون للنضال سهاما
وبنو مصر في حمى النيل صرعى … يرقبون القضاء عاماً فعاما
ايها النيل كيف تمسي عطاشاً … في بلاد رويت فيها الاناما
يرد الواغل الغريب فيروى … وبنوك الكرام تشكو الأواما
ان لين الطباع اورثنا الذ … ل واغرى بنا الجناة الطغاما
ان طيب المناخ جرَّ علينا … في سبيل الحياة ذاك الزحاما

حياة الزوجين

هو كتاب ادبي اجتماعي يشتمل على آداب حياة الزوجين وما يجب على كل منهما نحو

صاحبه وعلى ما تضمنته اسفار الحكماء واحكام العلماء وقد بحث فيهِ مؤلفه عبداللطيف افندي مصطفى في حالة البيوت والزواج المشروع المعقول ووصف اختلال احوال الخطبة والتربية والعادات السافلة بعبارات تشف عن ادب وقد درس الموضوع في مظان كثيرة فجاء مفيداً يشهد لمؤلفهِ بالفضل ويرجى منهُ عموم النفع

الدروس التهذيبية

عرب احمد افندي فوزي هذا الكتاب المفيد عن اللغة الانكليزية وهو على اسلوب في التأليف لم يؤلف في العربية يأتي بتراجم العظماء والعلماء باسلوب حكاية ويستطرد الى ذكر اعمالهم واختراعاتهم بحيث يتطلع القارئ الى ما تنطوي عليه القصة فيتعلم الافكار الصحيحة والحوادث التاريخية ويلمُّ بسير المشاهير واحوال الاجتماع والآداب بدون ان يتعب او يملّ كما وقع لهُ في فصول الكتاب الجليلة مثل ضبط النفس وحياة معتدلة والمثابرة والشجاعة والاعتماد على النفس والتبصر والنظام والتواضع والصدق في العمل والحرية في القول والبحث عن الحق واختلاف الآراء وغيرها. الكتاب موضوع لاطفال تختلف سنهم بين العاشرة والرابعة عشرة ونرى انهُ يفيد الكبار من الرجال والنساء وحبذا لو حذا حذو معربهِ كل من يعرف احدى اللغات الاوروبية فينقل الى العربية كتاباً او كتابين في حياتهِ في ضروب العلم والادب زكاة عن علمه وحباً بنفع لغته وامته . والكتاب في ٣٥٠ صفحة صغيرة مطبوع طبعاً جيداً وثمنه فرنك واحد ويطلب من المكاتب الشهيرة فنحث على اقتنائه

مجلة الازهر

اصدر محمود بك زكي مجلة بهذا الاسم وهي علمية دينية ادبية تهذيبية تاريخية تبحث في المسائل العلمية وتدافع عن حق الازهر وعلمائهِ وتصدر مرة في كل اسبوعين وتحرر تحت ملاحظة بعض اكابر علماء الازهر وقيمة اشتراكها ثمانون قرشاً وللازهريين وطلبة العلم بار بعين وقد استبشرنا بهذه المجلة فلعل الازهريين يتمرنون بعد الآن على الكتابة والتأليف فان مدرسة فيها اثنا عشر الف طالب حرية بان تصدر باسمها مجلة تدوّن فيها آراء اهلها واميالهم وزبدة علومهم واذا كان في هذه المجلة الآن بعض امور تؤخذ عليها فان كثرة المران على العمل تجوده مع الزمن وما قط جاء عمل تاماً من يوم البداءة به فنرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو لها طول البقاء

فجائع البائسين

(تابع ما قبله)

— كنت وعدتني واخلفت وعدك وهيهات ان تثبت عليه

— اما قنعت وعذرتيني ؟

واخذت تفكر مترددة ان تكلفه بالطلاق المشؤوم الذي لا تود ان تسمع ذكره وهي تخاف ان لا يقبل فتخجل او يطلقها حباً بها وهو لا يريد ثم قالت يستحيل ان اكون زوجة ثانية واجتمع باعدى عدواتي او اتصوّر ان لي عدوة في حياتي ولذلك ارجوك ان تعذرني اذا ابيت ان اجيبك الى سؤلك

— فان كان المانع لقبولك وجود شهيرة فهي طالقة ثلاثاً فكوني على ثقة من ان اجتماعي بها مرة اخرى ضرب من المحال

— ما كان بودي ان تطلقها ولكنه سبق منك فاعدك بالقبول وقد عفوت عنك وسامحتك بما بدر منك ونسيت كل خطيئاتك

— اشكر لطفك واحسانك ولم يبق امامنا من العقبات سوى قبول ابيك او اقناعه

— سأجد اليه وسيلة تضطره الى اجابة الطلب . وهنا تعانقا وتفارقا على امل اللقاء

واخذ سعيد يفكر بالسعادة و يؤمل بقربها وهيهات ! هيهات ! لان السعادة الحقيقية مفقودة وقد يظن المرء انه سعيد بالنسبة للشقي او يتظاهر بالسعادة :

(تعب كلها الحياة فما اعجب الا من راغب في ازدياد) ولكن الاماني تجعل الانسان يعيش في خيال السعادة فهذا سعيد ولد بالامل وعاش بالامل وسيعيش بالامل وصار يسبح في بحور الخيال ، اخذ يؤثر البقاء في فراشه على الذهاب الى احسن سمر ليفكر فيما استصير اليه حاله . فبينا هو يفكر في خيالاته اتاه خبر وفاة ابنه مع احد اقارب زوجته فطلب هذا منه ان يرسل يجهزه للدفن ولم يكن سعيد رأى ابنه فحدثته نفسه ان يرى صورته ولو كان ميتاً ليلتذ بالبكاء عليه و يقول انه كان لي ابن فارسل وطلب ذلك فوعده الرسول وذهب فاخبر شهيرة وامها بما اراد فغضبتا ونادتا بالويل والثبور قائلتين ان هذا لا سبيل اليه واسرعتا بتجهيز الطفل وحمل الى الجبانة فاتى سعيد فوقف قرب الباب المشؤوم وارسل خادمه ليطرق الباب فصاحت النساء وشتمنه ولعنت الولد واباه ودعتا الله ان يلحق الاب بالابن فادرك من ذلك الصياح ان الميت ارسل الى الجبانة وسأل الجيران فاخبروه انه أخرج وصلي عليه ثم اخذوه ليواروه التراب فذهب الى المدفن فلم يجد سوى حملة الميت راجعين فسألهم عنه فقالوا انه

دفن واجره على الله فاخذهُ البكاء واسف اسفاً عظيماً . وبينا هو يكفكف عبراته اتاهُ طغمة الشحاذين فاحاطوا بهِ فمنهم من كان يقول « اسمعونا الفاتحة الى روح الميت » ومنهم من تسرع في تلاوة حزب من القرآن ومنهم من كان يقول « اعطنا من مال الله وتصدق عن روح ابنك » فما وسعه الا ان شتمهم وكدرهم وطردهم ولكنهم ثبتوا واستعملوا القحة سلاحهم اذ اعتادت نفوسهم السب والشتم فاعطى خادمه ريالاً وامره بان يصرفه قطعاً صغيرة ويوزعه عليهم على السوية تخلصاً من سلاطتهم والحافهم فتركوه ولحقوا الخادم وكادوا يضربونهُ فرمى الريال وفرَّ امامهم يعدو مسرعاً فانقضوا جميعهم على الريال وانتشوا يترامون بعضهم فوق بعض فجرح احدهم وراح ينتقم من رجل بريء فقابله وانتصر له آخر وعلا الصياح فاتى الشرطي واخذ يضربهم بسوطهِ ففرَّ بعضهم وقبض على الآخر فساقهم الى المخفر واخذ الخادم فلم يتركهم حتى اخذ منهم ما يرضي خاطره .

طغمة الشحاذين في كل بلدة ضروب واشكال واكثرهم عدداً وارقاهم في الشحاذة والتفنن في الالحاح والالحاف « كلاليب » دمشق فلهم هناك رئيس يحكم على اعوان لهُ من كل حي من احياء المدينة ومن وظيفة الاعوان اخبار الرئيس في اسرع وقت بموت ميت وتوزيع صدقة وهذا يعلم جميعهم فما هو الا ان يصطفوا حول جدار بيت الميت قبل المعزين ينتظرون خروج النعش ليمشوا حولهُ مهللين مكبرين بانغام خاصة بهم فيمدون الكلام ويتمون باشداقهم ويخرجون السنتهم . وللرئيس اجرة الاخبار يتقاضاها من كل فرد منهم حتى اذا دفن الميت يهجمون على اهله و يطلبون منهم اجرة التهليل والتكبير كأنهم دعوهم وقاولوهم على اجرة معلومة وقد يسمعونهم الفاظاً فظة و يحملونهم منة كأن يقولون لا يليق بمن ورث مبالغ من المال ان لا يتصدق عن روح مورثه كأنهم شركاء الوارث في ميراثه فيزيدونهُ غماً الى غمه

ولما رجع سعيد من الجبانة وفكر بانهُ خلص من اجرة الحضانة وحيل بينهُ وبين زوجه قوي امله وشكر ربه على ما ازال عنهُ من النمة وذهب الى زيارة الباشا على حسب عادتهِ واخبرهُ بما وقع لهُ فاسف هذا لهُ ورقَّ لحالهِ وشعر بلزوم حمايته لأنهُ هو وليُّ نعمته ولامهُ على التأهل بهذهِ الزوجة ثم قال لهُ : ينبغي لك ان تفتش على زوجة توافقك

— لا يخفى على سعادة الباشا ان رفيقي اخو زوجتي هو الذي غشني باختهِ وكان سيدي الباشا حينئذٍ متغيباً عن بيروت فلو كان هنا ما تزوجت الاَّ بعد استشارتهِ والآن اسعى في سبيل الزواج ولكني عزمت على ترك هذه المسألة لرأي مولاي

— سأفكر لك بزوجة حسنة وآمر الخانم انتبحث لك عن امرأة تليق بك .

فشكر فضله وقبل يده وبعد ان مكث هنيهة في حضرته استأذن بالانصراف الى داره

٧

ظلت جميلة وحيدة في المنزل واخذت تفكر وتقول الى متى وانا في حرمان من الزواج ؟ لست براهبة ولا يحظر عليّ التأهل وما يخيل لي اني اجد احسن واوفق من سعيد وحبي له شديد ولا اود ان اقترن بغيره فمن يطيق ان يمنعني من اتخاذه رفيقاً لي ؟ اذا كان اعتقاد ابي بالمناصب والمواقع وهو لا يعلم انه لا تمييز بين البشر بالفضائل ومكارم الاخلاق فارادته لا تمنعني عن ذلك ولست لامره طائعة على ان الشرع الشريف مخيّني حرية الزواج بعد البلوغ وهاأنا اذا بلغت سن الرشد وطاعة الاب الذي ينكر الحقائق بضعف عقله وقلة علمه غير واجبة عندي اذا كان اولاده اعلم منه بمصالحهم واعقل منه وامثل في تدبير خصوصياتهم وانا اعلم من ابي ولا شك بمن يصلح لي ولكن الادب والكمال يضطرانه الى ان يرضى عن زواجي ومن الحزم والعقل ان اسوقه الى ما اتمناه ولكن كيف اصل الى ذلك ؟ واخذت تفكر في وسيلة تحمل اباها على ان يهتم بزواجها من سعيد فجلست يوماً مع امها وذكرت سعيداً وما قاساه من امرأته وصارت تمدح مكارم اخلاقه وتعظم مستقبله بعين امها وتتمنى له زوجة ترتاح اليها نفسه ونطيب وكانت امها تصدّق ما تقوله حتى حمستها فقالت : اذا كان يود الزواج فانا سأسعى له .

فتجاسرت حينئذٍ جميلة وقالت لو كان لي فكر بالزواج لما تزوجت سواه . وقصدت بهذه العبارة استطلاع طلع رأي امها فقالت هذه نعم وانا اوافقك على افكارك ولكني ما زلت استغرب امتناعك عن الزواج وقد فات اوانه وانقطعت الرغبات فيك فالام وانت على تصوُّراتك الغريبة ؟

— اتدرين متى ارضى بالزواج ؟ متى وفقت لكفوء يقوم بغرور راتي ويعرف قدري ولا يتزوجني الا من اجل فضيلتي وانت تعلمين ان الذين طلبوني حتى الآن لم يقصدوا مني الا الانتساب لابي ولا يخفى عليك ان الذي يطلبني من اجل ابي عند ما يتوفى والدي يهملني ولعله يطلقني او يتزوج مرّة أخرى ويتركني حزينة ابد الدهر .

— ما زلت تلقين هذه المشكلات فمن اين لنا ان نأتيك بمن يوافقك على ما تنزع اليه نفسك ؟

— قد يوجد ولكنه لا يجسر احد على طلبي لعلمه اني ارد طلبه وهذا يصعب عليه ان يرد خائباً لعزة نفسه وشرف طبعه وكرم اخلاقه .

— هل تعلمين فتىً بهذه الاخلاق ؟

— وانت تعلمينه

— من هو ؟

— سعيد

— لا اشك بمكارم اخلاقه وعزة نفسه ولكنهُ غير كفوء لك من حيث الشرف لان اباك باشا وابوه كان جنديًا وعائلته غير معروفة بين الناس والعجب العجاب رضاك به زوجًا

— لا محل للعجب هنا لان مكارم اخلاقه تقوم مقام شرف عائلته والشاعر يقول

لا تقل اصلي وفصلي ابدًا   انما اصل الفتى ما قد حصل

واذا كان فقر عائلته يمنعك عن القبول فليس الفقر عيبًا للمرء وشينًا ولا الغنى شرفًا للانسان. وخلاصة الامر كوني على يقين من اني اذا قصدت الزواج لا اتزوّج غيره لانه هو وفق مرغوبي

— فهمت الآن ان لهُ في قلبك مكانًا والحب اراك اياهُ موافقًا على اني لا اطيق ان اذمه لاني لا اجد فيه من العيوب سوى فقره وانحطاط منزلة أسرته .

— قلت لك ان الفقر ليس بعيب واما انحطاط مكانته فمكارم اخلاقه تشفع بها ومع هذا كله فانهُ سيتولى منصبًا عاليًا يبلغ به مبالغ الاشراف و ينال راتبًا عظيمًا يصيره في زمرة المتنعمين المترفين .

— فان كنت ترغبين فيه زوجًا لك فصرحي بكلامك ولا حاجة الى براهينك .

— ... سكوت واطراق في الارض

— فلو رضيت به لك وشايعتك على فكرك فهل تتصوَّرين ان الباشا يرضى بذلك وهو غرس نعمته وزيدي على ذلك ان لهُ زوجة اخرى

— انت قادرة على اقناع الباشا وارضائه واما زوجة سعيد فليس فيها كبير امر لاني على ثقة من انه يطلقها من اجل ابي

— من اين لي ان اقنع الباشا ليرضى بذلك ؟

— انت تعلمين كيف تفعلين

— دعيني الآن ريثما اجد فرصة مناسبة استرق فكر ابيك واعلم ان كان يمكن لك ذلك ام لا

***

وبعد ما خرج سعيد من منزل الباشا دخل هذا الى دائرة الحريم واخذ يظهر اسفه و يقول لا حول ولا قوّة الاَّ بالله . فسألته الخانم عن السبب فاخبرها بما جرى لسعيد وابنه فبكت لحاله واسفت عليه ثم قال لها : اني تعهدت لهُ بان أزوّجهُ وان ارسلك لتفتشي له على امرأة توافقه . فتجاسرت الخانم عندئذٍ وقالت : ان كنت تودّ ان تحميه وتريحهُ زوّجهُ بابنتك فهو غرس نعمتك وقد نشأ بفضلك وفي ظلك وما هو في الحقيقة الا ابنك ولعلنا نتخذهُ ولدًا فيكون لنا عونًا وسندًا

— لا انكر مزاياه واحبه كولدي ومنزلته عندي منزلة جميلة ولكن امتناع جميلة وكلام الناس يحولان دون ذلك على اني لست ممن يعدون الفقر انحطاطاً ومزرياً بالشرف ولا استنكف من مصاهرته لان مكاني وشرفي يكفيانه

— كلام الناس ليس مما يحفل بهِ العاقل في مثل هذا المقام لان العاقل البصير من لا يبالي بكلام لا طائل تحته وقد يكفيهِ رضا الاخيار والاخيار لا يرون الفقر وجهل مكانة العائلة منافياً لمكارم الاخلاق وهم يرجحون الفضائل على كل مزية والمدح ما كان من الاخيار والذم ما كان منهم ولعل جميلة ترضى به لان امتناعها ناشيءٌ عن عدم وجود قرين يوافقها على انها تمدح سعيداً في كل حين وتقرّ لهُ بالفضل

— وانا لا ابالي بكلام العامة ولا بكلام من انحطت افكارهم ولكن اذا رضيت انا بذلك فهل جميلة ترضى بهِ

— فلنسألها — اذهبي واسأليها

***

دخلت على جميلة واخبرتها بما جرى بينها وبين ابيها ففرحت وقالت لامها يجب علينا ان نحتاط لئلا يفهم فيغضب وانت تعلمين حاله اذا اخذهُ الغضب ·

— اصبت بما فكرت · فماذا نعمل ؟

— اذهبي وقولي لهُ ان جميلة لا تخالف امرك ولكنها تلتمس منك مهلة تفكر في هذهِ المسألة الحيوية التي تحتاج الى امعان وزيادة استبصار

— ها انذا ذاهبة وذهبت · فدخلت على الباشا واخذت تمدح جميلة على ترويها وعقلها وكمالها ثم قالت : انها لا تخالف ارادتك وهي طوع امرك فيما تقضيه عليها ولكنها تلتمس منك مهلة يومين لتفكر في امرها ثم تخبرنا سلباً او ايجاباً

— اخاف ان تصر على عنادها وانا اود ان ازوِّجها في حياتي لنفرح بها فقولي لها اني امهلتها يومين فذهبت وخبرتها ففرحت بنيل المراد وبشرت سعيداً بواسطة خادمتها ففرح هذا وظن ان السعادة العظمى لاحظته عيونها واخذ يفسرها ويقلبها على وجوه آمالاً ان تكون تلك السعادة مكافأةً لما عاناهُ من قبل وصار يسبح في ظلمات الخيال وصرت لا تراه الاَّ ضاحكاً مسروراً يقول تارة سأرتاح من اجرة الدار واسكن منزلاً عالياً واركب عربة خاصة وارتقي بمعونة الباشا واخلص من همّ صرف الراتب على تدبير المنزل واقتصد راتبي واوفي ديني فاكون حينئذٍ سعيداً ثم اخذ يتفكر فيما يفعل بالذي سيتراكم من مشاهراته فقرر ان يشتري اوراق يانصيب المصرف العقاري وتحويلات سكة حديد الروملي واصبح في

امان من كسب اعظم المبالغ ورأى ان يشتري خيلاً ليقيم على تربيتها فيبيعها بما تيسر من الليرات و يشتري دكاناً ثم مخزناً ثم ضيعة فيصير من الاغنياء و يستغني عن الاستخدام وعن معاناة شرور العالم ويكتفي بان يصير عضواً في احد المجالس وطوراً يقول ان هذه السعادة ليست شيئاً في الحقيقة بجانب اقتراني بجميلة لان السعادة العظمى هي اقتران زوجة بزوج يوافقها في الخلق والخلق ويقوم بما يفرض عليه لتقوم هي بما يفرض عليها من اعمال الحياة وبمثل هذه الخيالات كانت تمر ايامه ولياليه فصار لايفكر الاّ في السعادة ونسي كل ما عاناه من قبل بل وتناسى ما وقع له شأن الانسان يتذكر السعادة في الشقاء وينسى الشقاء في الاقبال وكان يرقب وصول ذلك اليوم السعيد الذى سيعقد به له على حبيبته جميلة ٠

ولما مضى اليومان اجابت بالقبول وفوّضت الامر لابيها ففرح هذا وارسل يستدعي سعيداً فاتى هذا مسرعاً لانه كان عالماً بالامر فقطع الطرق وما شعر الاّ وهو امام المنزل وكان من عادته ان يأتي ماشياً على رجليه فاتى هذه المرة في العربة واستأذن عليه فدخل الى ردهة الباشا فقبل يده وجلس امامه فقال له الباشا يابني انت تعلم اني ربيتك كولد لي واحبك بمثابة ابنتي جميلة والآن اريد ان اجعلك ابناً حقيقياً وافرح بك فهلا تطيع امري ؟

— سيدي العبد غرس نعمائك وان كنت عشت او اصبح لي شأن فذلك بفضلك واحسانك فمقامك اعظم من مقام ابي عندي ان كان ابي الذي توفي والدي بالجسم فانت ابي بالفكر ابي بالعلم ابي بالادب ابي بالسعادة ابي بكل شيء قال الله تعالى (ولئن شكرتم لازيدنكم) والعبد يقرّ و يعترف بانه ليس في وسعه شكر النعم الجسام التي اوليتنيها مولاي فليس لي الاّ ان اطيعه في كل ما يصدر من سعادتك فمرّ بما تريد وانا عبدك المطيع ٠

— بارك الله بكرم اخلاقك و وفقك وجملك من اسعد الناس واعلم يابني اني على غاية من الاسف لما عانيته من العذاب في زواجك وانا ربيتك حتى بلغت ما بلغت مما اقرّ عيني به كلما نظرت اليك وسمعت عنك فاحب ان اصل ما بدأته معك لتترحم عليّ بعد موتي وتكون ولياً على عائلتي التي ستصبح بعدي بدون رجل يتولى شؤونها وهذا لايتم الاّ بزواجك من ابنتي جميلة فاعرضها عليك اذا لم يكن لك مانع

— لا مانع لي يمنعني عن نيل النعم فالعبد رهين الامر في كل حين فمرّ بما تريد فلا تجدني الاّ عبداً مطيعاً

— حفظك الله وسنعقد لك عليها هذا الاسبوع ان شاء الله السميع العليم

— اطال الله عمر مولاي

ثم شكر فضله وقبل يده وذهب ودخل الباشا واطلع امرأته على مادار بينه وبين سعيد

وهذه اخبرت جميلة ففرحت وايقنت بنيل المراد . وبعد اربعة ايام دعي عمال الولاية والامراء والوجهاء والعلماء الى دار الباشا المشار اليه ووكل سعيد احد احباب الباشا فعقد العقد وعين العرس بعد شهر من تاريخ العقد .

***

غدا سعيد يرقب يوم العرس بفروغ صبر ولما آن الوقت استعد للسرور فدعا رفقاءه ليشاركوه بفرحه وحبوره وما علم بما اخفاه له الدهر الخؤون وقد نامت عينه عنه الى حين فادخله الباشا تلك الليلة على جميلة واوصاهما بعضهما ببعض ودعا لهما بالتوفيق .

فلما دخل بها وخلت به اخذت تعاتبه قائلة : لو كنت خالياً من اوهامك الغريبة وحفظت العهد لنلت ما نلته الآن وما كنت وقعت فيما وقعت ولكن خلق الانسان عجولاً على اني ما زلت اعجب منكم معشر الشرقيين فمهما كبر عقلكم وارتقى فكركم ودرستم العلوم والفنون لا تزالون مقيدين بالاوهام الباطلة ولقد ترى الواحد منكم ينتقد الخرافات ويعيب اوهام غيره ويرتكبها غير مختار وذلك بما تعلمه من امه الجاهلة في طفوليته يرضع لبان الخرافات مع لبن أمه ولا يخطر ببالك ايها الحبيب اني اقصد بانتقادي هذا مدح الجنس اللطيف فانا عالمة ان وجود فتاة مرتقية الفكر سليمة العقل خالصة من الاوهام والخرافات في بلادنا قد اصبح ضرباً من المحال وذلك ان المدارس التي أسست لتثقيف عقول البنات لا تعلمهن الا مبادىء العلوم والفنون ضعيفة ضئيلة لا تكاد تسد الحاجة وقد لا توجد مهذبات مدربات في المدارس يهذبن الفتيات ويدربنهن على الفضائل وحب الكمال الا ما ندر ومما يؤسفني ان ارى ان اهم درس يدرس في المدارس تعليم لغة من اللغات لاننا لا نزال نعد التكلم او العلم باحدى اللغات دليلاً على الفضل والكمال واغرب من هذا كله ما نراه من انهماك المعلمات في تعليم البنات التفصيل على الزي « المودة » وزركشة الفساطين فالمعلمات يغرسن حب الازياء في عقول النساء وهن غير مباليات بتثقيف عقول الفتيات ولذلك نرى الفتاة تخرج من المدرسة على آخر طرز واحسن زي من الزينة والتبرج وقد تتكلم بلغة من اللغات فتكون حينئذ بلغت منتهى العلوم والآداب بزعمها وزعم اهلها . ولا يخفى عليك ان التي دأبها التزين واللباس وتجديد الازياء لا تجد في وقتها متسعاً لتعليم ابنها وتهذيبه ولذلك اصبحت المرأة علتنا الاجتماعية ومقياسنا متى ارتقت ارتقينا واذا هوت هوينا معها فلا تقوم لنا قائمة الا بتهذيب المرأة التي اذا هزت بيدها اليمنى سرير ابنها هزت باليسرى الدنيا باسرها والرجل العظيم لا يأتي الا من عظيمة سبقته وهي أمه ولله در من قال (الطفل صحيفة بيضاء وامه تنقشها كما تشاء) ولعلنا نرى يوماً يكثر به نصراء المرأة الضعيفة فيعلمون حقائق الامور

ويعنون بتهذيب ذاتهم ويخدمون بذلك بني نوعهم . واما نحن فاننا نربي ابناءنا كما نشاء ونجعلهم مثال الكمال ونثقف عقولهم ونعدهم للهيئة الاجتماعية خدمة يقومون بواجباتهم نحو بني الانسان والحيوان .

= لقد اعجبني خطابك البديع الذي اعرب عما في ضميري ولكن مالي اراك مرتدية على آخر زي ؟ اما كان اللائق بك ان تبتدئي بنفسك وتهجري الازياء وتنزعي عنك هذه الجوهرات الثقيلة التي استغرب كيف تطيقين حملها على انه كان يكفيك رداء جميل قليل الزركشة في شكل بسيط حسن يقبله الذوق السليم .

= كان يجب علي ان ابتدأ بنفسي ولكنني خفت من ان توجه سهام اللوم نحوي واصير عرضة لافواه الناس وربما جلب ذلك على والدي كلام المتكلمين فحطوا من قدره

= اليس من العقل ان لا تبالي بكلام الجاهلات اللواتي لا يميزن بين الحسن والقبيح وانت لست من اللواتي يتزين ليلة العرس ليغرن ازواجهن حتى يملكن قلبهم فانت ملكت فؤادي منذ كنت طفلاً ومكانك لا يزيده لباسك وتبرجك شيئاً في عيني ولا تنقصه بساطة ردائك ويا ليتك كنت جعلت البساطة زياً بين الناس لانه ينظر اليك والنساء يقلدنك ولكن كما قلت ان الانسان مهما ارتقى لا يزال مقيداً بقيود الاوهام . واما عدم تصبري وخيانتي لعهدك فهذا امر مقدر والمقدر محتوم والاشياء مرهونة باوقاتها ولا يستطيع بشر ان يفر من القدر ولذلك لا ارى محلاً للوم

= ان هذه العبارات عبارات العجزة الذين اذا اخطأوا واساءوا رجعوا بخطأهم على القدر وشكوا من الدهر واذا احسنوا منوا وافتخروا .

= دعينا من الفلسفة والكلام فلنطرب بالحان المغنيات وترنم بآلات الطرب لان هذه الساعة ساعة طرب وهي الليلة الوحيدة التي لا تتكرر في حياتنا والايام بيننا سنتجاذب اطراف الحديث ونبيع بعضنا بعضاً من الحكم والحقائق ما نشاء

وثاني يوم العرس عهد الباشا الى سعيد بان يتصرف بمنزله كما يشاء ووكل اليه اشغاله الخاصة وصار يتصرف بالصدق والاستقامة واقتصد كثيراً من النفقات وغدا هو المرجع ومن كان له حاجة عند الباشا كان يأتيه فيلتمسها منه وهو يحسن معاملة الناس حتى استجلب قلوبهم وكان يساعد المغدور ويسعى في استحصال حق المظلوم من الظالم . وتكلم مع الباشا على ان يسعى في ترقية وظيفته فوعده بذلك ففرح وقوي امله بالسعادة وصار يوفر رواتبه ويوفي ديونه حتى اشترى سندات البنك العقاري وتحويلات سكة حديد الروم ايلي واشترى حصانين ليربيهما واخذ خياله يتسع وآماله تكبر فنسي شقاءه فهو يأكل ويشرب وينام ولا يدفع بارة ويتنزه بعربة الباشا ولا يصرف الا القليل فتخلص من الطلب ومن الدين

المقتبس

الجزء السادس من المجلد الثاني

جمادى الثانية سنة ١٣٢٥ الموافق يوليو (تموز) سنة ١٩٠٧

الهجرة الى مصر

اذا كان اصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين اقاربي

دحا الله الارض ليعيش عليها البشر ويتناسلوا فيها فيعمروها ويحيوا مواتها ويسيطروا على المخلوقات كلها فالارض هي المنزل العام يجلس اهله في اي ناحية منه احبوها وراقتهم ويتنقلون في بقاعها واصقاعها ووهادها ونجادها وسهلها وحزنها وبحرها وبرها على حسب ما تقضي احوال الصحة وطبائع الاجسام وخواص النفوس ·

فقد هاجر الفينيقيون قديماً واقاموا قرطجنة ، عمروها وغيرها من شواطئ البحر الرومي وهاجر القوط من جرمانيا الى جنوبي اوربا وداهموا المملكة الرومانية وهاجر الروم من بلادهم الى شواطيء البحر المتوسط وجزره وشواطيء البحر الاسود وبلاده وعمروها وكثير من الامم امثالهم غادروا مساقط رؤوسهم واتخذوا لهم بلاداً ثانية استعمروها ·

وهاجرت في العهد الحديث امم كثيرة واهم هجرة وقعت هجرة الاوربيين الى اميركا عمروها بجنسهم الابيض بعد ان كانت خربة بالجنس الاسود · وكذلك هجرة الهولانديين الى جنوبي افريقية وهجرة الروس الى سيبيريا وهجرة القافقاسيين والجراكسة الى البلاد العثمانية وهجرة الاسرائيليين من بلاد روسيا وهجرة المسلمين الروسيين الى اميركا وغيرهم ·

وللعرب حظ وافر من الهجرة والتنقل في الجاهلية والاسلام بل ان الهجرة من طبيعة جزيرتهم يعمدون اليها طلباً للكلأ والمراعي او للاتجار بنتائج مواشيهم وحاصلاتها · واول هجرة في الاسلام كانت هجرة عشرة من الصحابة واربع نسوة وقيل اكثر امرهم الرسول

بالهجرة الى الحبشة لما رأى ما يصيبهم من البلاء قائلاً لو خرجتم الى ارض الحبشة فان فيها ملكاً لا يظلم احد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما انتم فيه فخرجوا ثم عادوا بعد سنين . وهكذا هاجرت العرب الى فارس ومصر والشام وافريقية والاندلس والسند وكشغر لما فتحت . ولولا اقدامهم على الهجرة ما رأينا الاسلام منتشراً في قلب آسيا وافريقية .

ولا نزال الى اليوم نشهد اثراً من آثار حب العرب للهجرة وقد زادها اليوم قرب المواصلات وسهولة السفر . نرى اهل حضرموت في جنوبي الجزيرة يهاجرون الى حيدر آباد الدكن الهندية فيكون معظم جيش البلاد منهم ونراهم يهاجرون الى جاوة فيكثر فيها سوادهم ويغتني بعض افرادهم . ونرى النجديين يهاجرون الى الهند في التجارة ثم يستوطنونها ويصبحون فيها اصحاب كلمة ونفوذ . ونشهد السوريين يهاجرون الى اميركا وافريقية فيرتاشون ويتأثلون .

وانهيال السوري على هذا القطر خاصة قديم جداً يصعب تعيين زمنه لاتصاله ببلاد الشام براً وبحراً ولم تكن القوافل في الاسلام تنقطع في البر كما ان المراكب لم تكن تنقطع عن السفر في البحر ولم تبرح بلاد الشام مصيف مصر واحداها مكملة لعمران جارتها . وقد وصف ابن فضل الله العمري في التعريف بالمصطلح الشريف طريق القوافل بين القطرين كما عقد القلقشندي في صبح الاعشى فصلاً في مراكب الثلج الواصل من البلاد الشامية الى الملوك بالديار المصرية . ومصر ما برحت كما وصفها ابن خلدون في القرن الثامن (بستان العالم ومحشر الامم ومدرج الذر من البشر) .

نعم هي محشر الامم ولا سيما الامم المجاورة لها من البر او المتاوحة لها من سيف البحر . وذلك لان عمرانها طبيعي مستبحر في معظم ادوارها فلا عجب اذا كانت مهاجر الامم من عرب وعجم قبل ان تكون نقطة الاتصال بين قارات اوربا وافريقية وآسيا بفتح ترعة السويس فما بالك بعد ان تم لها ذلك .

فمصر والحالة هذه مقصودة من اقطار الارض اكثر مما يقصد اهلها سائر الاقطار والامة التي تكثر في الغالب خيرات بلادها لا يهون عليها مغادرتها . وطلب الحاجيات هو الباعث الاقوى على المهاجرة فاذا كفيها المرء يصاب بالوناء وضعف العزائم .

وما فتيء السوريون والروم والترك والمغاربة مذ كانت حكوماتهم تتغلب على مصر ينزلون بلاد النيل . فالروم حكموها زمناً طويلاً وكذلك الترك والعرب والجراكسة فكان من هذه العناصر ان نزلتها بكثرة واصبح اكثرهم فيها عمالاً وحكاماً وقضاة ورؤساء جند وعلماء وارباب صنائع وتجارة ولم تكثر هجرة الاوربيين اليها الا عقب الاحتلال الفرنسوي عند

م بدأ الفرنسيس والطليان والمجر وغيرهم من امم الغرب يهبطون اليها وقد كثر سوادهم على عهد الخديوي اسماعيل لانه فتح امامهم طرق الهجرة واحسن معاملتهم ووفر لهم المغانم وطرق الكسب .

ولما قبض رجال الاحتلال من الانكليز على ازمة الاعمال اخذ الناس يفدون على مصر من كل فج عميق حتى انك تجد فيها الآن من جميع الشعوب واللغات اناساً اسسوا فيها الاعمال التجارية والزراعية والمالية والعلمية وكثير منهم اغتنوا من خيراتها بفضل كدهم . وقد قدرت ثروة السوريين فيها بخمسين مليون جنيه اي بعشر ثروة القطر وهكذا سائر الامم ولا سيما الروم والطليان والفرنسيس فان فيها من هذه الاجناس أُلوفاً اغتنوا من خيراتها واتخذوها دار هجرتهم ووطناً ثانياً لهم . وحال مصر اليوم مع المهاجرين اليها يختلف عن حالها مع امثالهم في القرن الماضي لان ثقة الأُمم تزداد بها الحين بعد الآخر ولان الاساس الذي قامت عليه حضارتها اليوم اساس مالي زراعي . خصوصاً وقد ظهرت الآن نتائج ما تعب القابضون على ازمة سياستها سنين في تأسيسه واشتهر ذلك عند الخاص والعام في الاقطار النائية بما يتصل بهم من اخبارها واخبار من يغتنون من المهاجرين اليها ممن توفرت لديهم رؤوس اموال او كانوا من ارباب العقل والعمل فكانت مصر ميداناً لظهور آثارها . وربما لا يذكر الناس الاَّ من نجحوا وقلما يذكرون من اخفقوا . عادة في البشر ولعلها من موجبات اقدامهم على الكسب والكدح في هذه الدار .

ولقد ساعد على كثرة الهجرة اليها حال بعض البلاد المجاورة لها من حيث اجتماعها ومادتها . فترى سكان جنوبي ايطاليا القاحلة يهاجرون اليها اكثر من القاطنين في الشمال منها لان شمالي ايطاليا مخصب واهلها مكتفون بما تجود به عليهم ارضهم وسماؤهم . وكذلك تكثر اليها هجرة سكان جزائر البحر الرومي ولا سيما بلاد اليونان الجديدة واهل سواحل الشام وجبالها .

هذه مصر من حيث هي مهاجر الامم فهي دولية كما يقول الساسة او مشتركة بين اجناس واديان شتى . والتاريخ يشهد انها كانت رحبة الصدر بالوافدين عليها في كل العصور للين عريكة اهلها ولم يحدث هذا التمييز بين سكانها الاَّ عندما اراد مهاجرو الافرنجة ان يستطيلوا على اهلها فاحدثوا لهم ما يقال له « الامتيازات الاجنبية » التي تخوّلهم من الحقوق ما ليس للوطني مثله . ثم كثر توارد الاخلاط عليها ولم يكن الوافدون اليها على غرار واحد بل كان منهم المتنوّرون العالمون وهم افراد . ومنهم المتعلمون المهذبون وهم اكثر . ومنهم العامة الأُميون وهم السواد الاعظم . ومعظمهم طلاب رزق وسوقة نازعوا ابن البلاد وربما غلبوه لان من جاء في طلب غرض يحتالُ للوصول اليه . والغريب في الغالب يكون اجرأ وانشط من الاصيل لان الغربة في ذاتها امارة من امارات النشاط .

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

والامثلة كثيرة في هذا الباب من القديم والحديث فليس للوافد ما للقاعد من الخمول والاتكال ويكفي ان في لندرا لهذا العهد وهي مهد الصناعات والارتقاء زهاء مائتي الف رجل من رجال الالمان استولوا على اعمالها المالية واستأثروا بها دون ابن البلاد المتعلم المتنور الذي لا يقل عنه في مواهبه هذا في عاصمة انكلترا فما الحال بمصر واكثر الوافدين اليها هم من الشعوب القوية ومن اهل البلاد الباردة التي تبعث النشاط في قلوب ابنائها واجسامهم وعقولهم فيتخذون عدتهم استعدادهم وكدهم رأس مالهم وعتادهم وذخرهم قصدهم واقتصادهم على حين قد اتت على الوطني ازمان من الفوضى ضعفت بها قواه فاصبح لا يقوى على العمل الا اذا عوده زمناً ولقنه بالتعليم والتربية وقد فاجأته الثروة والحرية مفاجأة بهرته وحيرته ثم ان ابن البلاد في الغالب لا يسف الى المكاسب التي يتنازل اليها الغريب فالاول يدل بأرومته ويعتز بأمته والثاني يذل في سد حاجته ونيل بغيته .

ولما رأت الحكومة المصرية على عهد الوزارة الرياضية ان الوطني يكاد يفنى في الدخيل سنت لائحة صعبت فيها على النازل في مصر اسباب الحصول على حقوق الوطني الا بعد مقامه خمس عشرة سنة واشعاره الحكومة بعزمه على تغيير جنسيته قبل حلول الوقت المعين بخمس سنين فكانت هذه اللائحة غريبة في بابها منعت بعض الطراء على القطر من ولوج باب الاستخدام في دواوين الحكومة وحظرت عليهم تعاطي الاعمال الادارية والسياسية الا انها صرفت وجهتهم الى اتخاذ الاعمال التجارية والزراعية والمالية والعلمية الحرة فافلحوا اكثر مما لو كانوا حصروا وكدهم في الوظائف الاتكالية ولم تحق عليهم كلمة « مصر للمصريين » . ومن هنا نشأ بغض كثير من المصريين للغرباء . كان السبب في ذلك اولاً منافسة هؤلاء لابناء البلاد في احتياز الوظائف وساعد عليها ما ألقته بعض الجرائد المسموعة الكلمة من عبارات التفرقة وهناك اسباب اخرى قواها ارباب الاهواء والغايات فانتقلت بالتقليد الى العامة ومن نحا منحاهم من الخاصة .

وليست الشكوى التي يشكوها بعض الوطنيين من الوافدين في محلها كلها لان من اغتنى بكده او بطرق غير شريفة فانما غنمه له وغرمه عليه . ولو تسنى لابن البلاد ان يعمل عمله ما تأخر . ويا ليت خاصة هذه البلاد يسعون الى نزع هذه الاوهام من عقول العامة حتى لا يبغضوا غيرهم بسبب وبلا سبب ويمتزج بعضهم مع بعض لتحيل بوتقة مصر ذلك الدخيل الى المعدن الذي تريد ان يكونوا كلهم عليه . فقد ثبت ان هذه البوتقة المصرية احالت اليها فيما مضى التركي والجركسي والكردي والحجازي واليماني والعراقي والشامي

والمغربي والسوداني والرومي والفارسي فاتى منهم بعد مقامهم قليلاً في هذا الوادي مصريون يغارون على مصلحة مصر وكثير منهم نفعوها وخدموها بعقولهم وايديهم اكثر من خدمة ابنائها لها تحت اسم مصريين ·

وما قط كانت بقعة من الارض معلومة الحدود والمساحة وقفا على جنس خاص من البشر لا ينازعها فيه منازع تسرح وتمرح فيها ما شاءت · فالارض ارض الله والناس عباد الله وما احلى بيت البحتري في هذا المعنى

ولا تقل أُمم شتى ولا فرقٌ فالارض من تربة والناس من رجل

وكل من نظر في نهوض الأُمم لا يعتم ان يرى بان كل امة ربيت على كره غيرها وتجافت عن الاختلاط به وحسن الانتفاع منه تجني من الخسارة اكثر من الربح · ولقد كانت بغداد من اكبر امثلة التسامح في البلاد الاسلامية رفعت مقام الغريب واحسنت الاستفادة منه فكان يعد بغداديا كل من دخل بغداد · تساوى في ذلك عجميها وديلميها وعربيها وتركيها ونسطوريها وروميها ومجوسيها ومسلمها لجميع العدل من شملهم وآخت الواحة بينهم وعد سواء في النسبة اليها من نزلها اليوم ومن نزلها منذ قرن وقد اعان على تكوين هذا المزيج النقاء الجنسية في الاسلام ورفق المسلمين باهل ذمتهم ولولا ذلك ما قامت تلك الحضارة التي نسبت للمسلمين العرب مع ان اثرهم فيها اقل من اثر غيرهم من الاجناس والاديان · ولكن العمل مشترك وهو منسوب لصاحب البيت كالجنود يشقون في الحروب ثم ينسب النصر لقائدهم ·

وانا لا نزال نقول ان من حظ مصر ان تكون البلاد المجاورة لها محتاجة اليها حتى اشبهت فاس في القرون الوسطى لما تواترعيث العرب على القيروان واضطربت قرطبة باختلاف بني امية بعد موت محمد بن ابي عامر وابنه فرحل من قرطبة ومن القيروان من كان فيها من العلماء والفضلاء من كل طبقة فنزل اكثرهم مدينة فاس قال صاحب المعجب في الثلث الاول من المئة السابعة ان فاس اليوم على غاية الحضارة واهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف ولغتهم افصح اللغات في ذلك الاقليم وما زلت اسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب وبحق ما قالوا ذلك وقال ان القيروان كانت منذ الفتح الى ان خربها الاعراب دار العلم بالمغرب اليها ينسب اكابر علمائه واليها كانت رحلة اهله في طلب العلم فلما استولى عليها الخراب تفرق اهلها في كل وجه فمنهم من قصد مصر ومنهم من قصد صقلية والاندلس وقصدت منهم طائفة عظيمة اقصى المغرب فنزلوا مدينة فاس ·

قصدوا فاس كما قصد الاندلسيون بلاد مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام لما تأذن

الله بانقراض دولتهم فعدوا من اهلها بل كما رحل الايطالي والالماني والاسباني والانكليزي والفرنسوي الى اميركا لما ضاقت سبل الرزق في وجوههم فعدوا اميركيين وانشأوا يخدمون اميركا اكثر من خدمتهم لبلادهم حتى اذا تناسلوا فيها جاء اولادهم اميركيين صرفًا . وكلما ارتقت الامم تتطال الى ادماج غيرها في مجموعها والامم الافرنجية اليوم اكثر تسامحًا في هذا المعنى من الامم الشرقية كما يظهر بالاستقراء .

قال ابن حزم الاندلسي : ان جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين دون محاشاة احد بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها الى ان مات فان ذكروا الكوفيين من الصحابة (رض) صدروا بعلي وابن مسعود وحذيفة (رض) وانما سكن علي الكوفة خمسة اعوام واشهرًا (قال ابن حجر صوابه اربعة اعوام) وقد بقي ٥٨ عامًا واشهرًا بمكة والمدينة شرفها الله تعالى وكذلك ايضًا اكثر اعمار من ذكرنا وان ذكروا البصريين بدأوا بعمران بن حصين وانس ابن مالك وهشام بن عامر وابي بكرة وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن اكثرهم واكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف وجمهرة اعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وابي الدرداء وابي عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية والامر في هؤلاء كالامر فيمن قبلهم وكذلك في المصريين عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوي وفي المكيين عبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير والحكم في هؤلاء كالحكم فيمن قصدنا فيمن هاجر الينا من سائر البلاد فنحن احق به وهو منا بحكم جميع اولي الامر منا الذين اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرم اقترافه ومن هاجر منا الى غيرنا فلا حظ لنا فيه والمكان الذي اختاره اسعد به

فضل العربية

كتب مستشار معارف مصر فصلاً سلخ فيه اللغة العربية من مزاياها نُشر في آخر تقرير عميد الاحتلال عن السنة الماضية قال فيه : ان تعليم العلوم بالانكليزية في المدارس الاميرية بمصر لا مناص منه الآن لعدم وجود الكتب اللازمة والاساتذة الاكفاء ولان اللغة العربية فقيرة في تركيب الجمل العلمية وبالنظر لجمودها والتباس تراكيبها لا تستطيع ان تكون لسان حال العلم والتدريس وانه ليس فيها شيء من روح الادبيات الحديثة وان احسن الترجمات لا تتوصل الى نقل فكر المؤلف الا مشوهاً اذا ارادت نظارة المعارف ان تعتمد على ما يترجم من اصناف العلوم الى العربية وقد وقع كلامه موقعاً سيئاً في نفوس العارفين بخصائص العربية ولما كان اكثر ما كتبه مما له دخل بسياسة هذا القطر رأينا ان ننقل للقراء زبدة ما ساجلناه به ثم نردف ذلك بفصل في فضل اللغة (١) لاحد علماء المئة الخامسة ·

فقد قلنا ان لغة في معاجمها المطبوعة ثمانون الف مادة وكل مادة يشتق منها عشر الفاظ هي بلا شك من اللغات الواسعة وقد وسعت العلوم في العصر الذي لم تكن تعتبر فيه لغة علم اي في عهد المأمون العباسي وبعده فنقلت اليها علوم الفرس واليونان والرومان والهند في وقت كانت لغة بدوية فكيف لا يتسع صدرها لهذه العلوم الآن وهي لغة علم منذ الف سنة هذا مع ان بعض العلوم من اختراع العرب كالجبر مثلاً فانهم وضعوا قواعده ودوّنوا كتبه ونقله الاوربيون عن العرب فاللغة التي اخترع بها ودوّن بها ودرس بها لا تضيق عنه اليوم وهي هي وهو هو · ولا تزال العلوم الرياضية هي اياها منذ اول نشأتها وان زادت بعض نظريات او تمرينات فالكتب المؤلفة كافلة لتدريسها اما العلوم الطبيعية فان ما يدرس في المدارس لا يتجاوز ما وضع له من الكتب بالعربية في القرن الماضي وتسهل زيادة ما زاد منها وتعريب ما يصدر منها الحين بعد الآخر في بلاد الغرب · واستشهدنا له بقول احد رجال الفرنسيس الذي نصح لمصريين ان يحتفظوا بلغتهم ويتعلموا احدى اللغات الاجنبية معها كما فعل المجر والتشك والبولونيون ولا غنية للانسان الآن عن تعلم عدة لغات اجنبية هذا فضلاً عن لغة واحدة كالانكليزية او الافرنسية او الالمانية ·

(١) نشرنا في جريدة المؤيد ثلاث مقالات في هذا المعنى وقد استخرج هذا الفصل من كتاب سرّ الفصاحة لابي محمد عبدالله بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦ الشيخ احمد عمر المحمصاني الازهري

اما الفصل في فضل العربية فيما هو بنصه : اللغة عبارة عما يتواضع القوم بينهم به من الكلام او يكون توقيفاً يقال في لغة العرب ان السيف القاطع حسام اي تواضعوا على ان سموه هذا الاسم وتجمع لغة على لُغات وأُغين وأُغُون وقد قيل في اشتقاقها انها مشتقة من قولهم لغيت بالشيء اذا اولعت به واغريت به وقيل بل هي مشتقة من اللغو وهو النطق ومنه قولهم سمعت لواغي الناس اي اصواتهم ولغوت اي تكلمت واصلها على هذا لغوة على مثال فُعلة (الى ان يقول في فضيلة اللغة العربية ومزيتها) : فاما ما نحن بصدده من ذكر اللغة العربية فلا خفاء بميزتها على جميع اللغات وفضلها اما السعة فالامر فيها واضح · ومن تتبع جميع اللغات لم يجد فيها لغة تضاهي اللغة العربية في كثرة الاسماء المسمى الواحد على ان اللغة الرومية بالضد فان الاسم الواحد وجد فيها المسميات المختلفة كثيراً وقد كان بعض اللغويين حصر اسماء الاسد في لغة العرب فكانت اوراقاً عدة · وهي مع هذه السعة والكثرة اخصر اللغات في ايصال المعاني في النقل اليها يبين ذلك انه ليس كلام ينقل الى لغة العرب الا ويجيء الثاني اخصر من الاول مع سلامة المعاني و بقائها على حالها وهذه بلاشك فضيلة مشهورة وميزة كبيرة لان الغرض في الكلام ووضع اللغات بيان المعاني وكشفها واذا كانت لغة تفصح عن المقصود وتظهره مع الاختصار والاقتصار فهي اولى بالاستعمال وافضل مما يحتاج فيه الى الاسهاب والاطالة · وقد خبرني ابوداود المطران وهو عارف باللغتين العربية والسريانية انه اذا نقل الالفاظ الحسنة الى السرياني قبحت واذا نقل الكلام المختار من السرياني الى العربي ازداد طلاوة وحسناً · وهذا الذي ذكره صحيح يخبر به اهل كل لغة عن لغتهم مع العربية · وقد حكي ان بعض ملوك الروم واظنه نيفور سأل عن شعر المتنبي فأنشد له

كأن العيس كانت فوق جفني مناخات فلما ثرن سالا

وفسر له بالرومية فلم يعجبه وقال كلاماً معناه ما اكذب هذا الرجل كيف يمكن ان يكون جمل على عين انسان · وما احسب ان العلة فيما ذكرته غير النقل الى اللغة العربية ومنها وتباين ذلك الا ان لغتنا فيها من الاستعارات والالفاظ الحسنة الموضوعة ماليس مثله في غيرها من اللغات فاذا نقلت لم يجد الناقل ما يتوصل به الى نقل تلك الالفاظ المستعارة بعينها وهي على هيئتها لتعذر مثلها في اللغة التي ينقل اليها والمعاني لا تتغير فنقلها ممكن من تبديل وكان ما ينقل من العربية فتغير حسنه لهذه العلة وما ينقل اليها يمكن الزيادة على طلاوته لان ناقله يجد ما يعبر به في العربية افضل مما يريد وابلغ مما يحاول وهذا وجه يمكن ذكر مثله ويجب ان يتأمل وينظر فيه لاني لا اعرف لغة سوى العربية انما ذهبت اليه ظناً

وحدساً · وقد تُصرف في هذه اللغة مالم اظنه تصرف في غيرها من اللغات فلم توجد الاَّ طبيعةً عذبة في كل ما استعملت فيه نظماً ونثراً وهي الى الآن لا تقف على غاية في ذلك ولا تصل الى نهاية كما قال ابو تمام في هذا المعنى * اذا انجلت سحائب منه اعقبت بسحائب * وقد بينت فضلها وما فيها من الاختصار في العبارة عن المعاني وذكرت وجه التفصيل بالاختصار مما لا شبهة فيه · فاما السعة فالامر فيها ايضاً واضح لان الناظم والناثر اذا حظر عليه موضع ايراد لفظة وكانت اللغة التي يتسع منها ذات الفاظ كثيرة تقع موقع تلك اللفظة في المعنى اخذ ما يليق بالموضع من غير عنت ولا مشقة · وهذا غير ممكن لولا السعة في كثرة الاسماء المسمى الواحد وتلك فائدة حاصلة بلا خلاف على انه ربما عرض في وضع الاسماء المشتركة فائدة في بعض المواضع مثل ان يحتاج الناطق الى كلام يؤثر ان يكني فيه ولا يصرح فيقول لفظة و يوهم بها معنى قد قصد غيره وهذا وان قل الداعي اليه الاَّ في اليسير من المواضع فلم تُجعل اللغة العربية خالية منه بل فيها اسماء مشتركة كقولهم عين وما اشبهها · وهاهنا لها فضيلة اخرى وهي ان الواضع لها ان كانت مواضعة تجنب في الاكثر كل ما يثقل على الناطق تكلفه والتلفظ به كالجمع بين الحروف المتقاربة في المخارج وما اشبه ذلك واعتمد مثل هذا في الحركات ايضاً فلم يأت الاَّ بالسهل الممكن دون الوعر المتعب ومتى تأملت الالفاظ المهملة لم تجد العلة في اهمالها الا هذا المعنى وليس غيرها من اللغات كذلك كلغة الارمن والزنج وغيرهم

ومما يدل على فضل هذه اللغة العربية وتقدمها على جميع اللغات ان اربابها واصحابها وهم العرب الذين لا امة من الامم تنازعهم فضائلهم ولا تباريهم في مناقبهم ومحاسنهم وان كانوا تواضعوا على هذه اللغة فلم تكن نتج اذهانهم الصقيلة وخواطرهم العجيبة الاَّ شيئاً خليقاً بالشرف وامراً جديراً بالتقدم وان كان توفيقاً من الله تعالى لهم ومنة منَّ بها عليهم اه

وقال ابن حزم(١) : لا ننكر اصطلاح الناس على احداث لغات شتى بعدان كانت لغة واحدة وقفوا عليها بها علموا ماهية الاشياء وكيفياتها وحدودها ولا ندري اي لغة هي التي وقف آدم عليه السلام عليها اولاً الا اننا نقطع على انها اتمّ اللغات كلها وابينها عبارة واقلها اشكالاً واشدها اختصاراً واكثرها وقوع اسماء مختلفة على المسميات كلها المختلفة من كل مافي العالم من جوهر او عرض لقول الله عز وجلّ وعلم آدم الاسماء كلها فهذا التأكيد يرفع الاشكال ويقطع الشغب فيما قلناه وقد قال قوم هي السريانية وقال قوم هي العبرانية

(١) منقولة من كتاب الإحكام في اصول الأحكام وهو من المخطوطات المحفوظة في خزانة كتب السيد احمد بك الحسيني

وقال قوم هي العربية والله اعلم الاَّ ان الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً ان السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الاندلسي اذا رام نغمة اهل القيروان ومن القيرواني اذا رام نغمة الاندلسي ومن الخراساني اذا رام نغمتهما ونحن نجد مَن سمع لغة اهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد ان يقول انها لغة اخرى غير لغة اهل قرطبة وهكذا في كثير من البلاد فانه بمجاورة اهل البلدة لاخرى يتبدل لغتها تبدلاً لا يخفى على من تأمله ونحن نجد العامة قد بدلت الالفاظ في اللغة العربية تبديلاً وهو في البعد عن اصل تلك الكلمة كلغة اخرى ولا فرق فنجدهم يقولون في العنب العينب وفي السوط اسطوط وفي ثلاثة دنانير ثلثدا واذا تعرب البربري فاراد ان يقول الشجرة قال السجرة واذا تعرب الجليقي ابدل من العين والحاء هاء فيقول مهمد اذا اراد ان يقول محمد ومثل هذا كثير فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية ايقن ان اختلافها انما هو من نحو ما ذكرنا من تبدل ألفاظ الناس على طول الازمان واختلاف البلدان ومجاورة الامم وانها لغة واحدة في الاصل واذ قد تيقنا ذلك فالسريانية اصل للعربية وللعبرانية معاً والمستفيض ان اول من تكلم بهذه العربية اسمعيل عليه السلام فهي لغة ولده والعبرانية لغة اسحق ولغة ولده والسريانية لا شك هي كانت لغة ابراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم بنقل الاستفاضة الموجب لصحة العلم والسريانيه اصل لهما وقد قال قوم ان اليونانية ابسط اللغات ولعل هذا انما هو الآن فان اللغة يسقط اكثرها وتبطل بسقوط دولة اهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم و بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم فانما يقيد لغة الامة وعلومها واخبارها قوة دولتها ونشاط اهلها وفراغهم واما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة اعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم ونسيان انسابهم واخبارهم و بيود علومهم هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة ولدولة السريانيين مذ ذهبت و بادت آلاف من الاعوام في اقل منها ينسى جميع اللغة فكيف تلفت اكثرها والله اعلم ٠

اصل لفظ كعبة ومكة وكربلاء

نشر احد المكاتبين في بعض المجلات العلمية ما صورته :

سألتكم عن اصل كعبة ومكة فاجبتم ان الاسم كعبة محرف من الكلمة كابلا (كذا) التي معناها مسجد . فارى انكم مصيبون (كذا) لان كلمة كابلا كانت تطلق على بعض المعابد المسيحية ككعبة نجران . وبعد البحث وجدت ان الكلمة كابلا مشتقة من كار بالا اي العمل الصلوي (كذا) وكاربلا كانت اسم كذا . يريد اسماً) لمعبد عظيم وهو مشهد النبي تموز المذكور في التوراة في سفر حزقيال ص ٨ : ١٤ . والمذكور في تواريخ الشرق عن النبي تموز هو انهُ وُلد في مدينة الاهواز وهجر الاهواز الى كربلاء وهناك قتل هو وبنوهُ وانصارهُ وبعد قتلهِ آمنت بهِ قبائل تلك النواحي وبنت على قبرهِ قبة عظيمة وكانوا يأتون من جميع النواحي لاجل زيارتهِ . وكانوا في هذه الزيارات ينشدون المراثي ويلبسون الثياب السوداء ويبكون عليهِ . وغالبًا لا تكون هذه الزيارات الاَّ في شهر تموز . أما اتباعهُ فقليلون الآن البعض منهم في سوك شيخ (؟) والآخر في البصرة . واسمهم الآن الصابئون واكثر عملهم في الصياغة ولا يزالون للآن يجرون شعائرهم الدينية بالتطواف حول كربلاء ولبس الثياب السوداء وانشاد المراثي . ويظن بعض الشيعيين انهم يبكون على الحسين رضي الله عنه . وذلك من الاتفاقات الغريبة . اي ان يكون مشهد الامام الحسين هو ذات مشهد تموز اه وقد تبين لي ان الكاتب المذكور قد اخطأ المرمى فاقول :

١ً لا يمكن ان تكون لفظة كعبة مأخوذة من كابلاً (capella) لان هذا الحرف بهذا المعنى حديث الوضع بالافرنجية بالنسبة الى مثله في العربية .

٢ً ان بين اللفظتين كعبة وكابلاً بونًا عظيمًا

٣ً ان كابلاً فرنساوية الوضع لا لاتينيتهُ . ومن تلك اللغة نقلت الى هذو . والحال لا يمكن ان يعقل امر اخذ العرب لفظة عن محدثي الفرنسيس .

٤ً ولو فرضنا ان اللاتينية سبقت الفرنساوية في هذا المعنى فالعرب لم يأخذوا عن اللاتين لفظة تتعلق بامور الديانة . الاَّ ما حدث منها في هذه العصور الاخيرة .

٥ً واما ان كلمة كابلا اطلقت على بعض المعابد المسيحية ككعبة نجران . فالتاريخ يخالف هذا التأكيد الزائغ عن الغرض . واما ان كابلاً مشتقة من كاربالا فهذا امر يخالف كل معقول ومنقول . لان كاربالا فارسيّة وكابلاً فرنساوية او لاتينية على رأي ضعيف ونصارى الفرس لم يعيروا الافرنج لفظة واحدة دينية لتكون هذه اللفظة الثانية . اما كابلاً فمشتقة

من cappa، وهي الحبرية او الغفارة و يراد بها ثوب يشتمل به الكاهن كالرداء عند القيام بشعائر الدين والظاهر ان اسم الكابلاً وهي المصلى مأخوذ عند الافرنج من غفارة او حبرية وضعت في مصلى وتلك الحبرية كانت لاحد القديسين بمنزلة الذخيرة فسمي المصلى بها . هذا الذي ذهب اليه لتره وهو ارجح من كلام مكاتب تلك المجلة

اما ان كابلاً لا يراد به المسجد ولا سيما كعبة نجران فلأنَّ المصلى او الكابلاً لا يكون فيهِ الاَّ مذبح واحد واكثر ما يكون لأهل بيت او قصرٍ خاص . ولا يمكن ان يقال فيهِ القدّاس الاَّ بإذن أُسقف الابرشية والكعبة معبد عامٌّ . وتفسير كاربالا بالعمل الصلوي غريب فلفظة «كار» فارسية ومعناها العمل او الشغل «و بالا» يعني الاعلى فيكون محصل المعنى : «العمل الاعلى» لا العمل الصلوي .

اما كون كاربالا مشهد النبي تموز المذكور في التوراة في سفر حزقيال ص ٨ : ١٤ فالمذكور في هذا الموطن ان « هناك كانت نساء جالسات يبكين على تموز » ولم يقل صاحب السفر الكريم انهُ نبي . والمشهور عن تموز انهُ من معبودات اهل فينيقية وكان يسمى ايضاً «أدونيس» ومن الاخبار الشائعة عنهُ انهُ قتل وهو شاب في قرية غينة من الاصقاع المذكورة فناحت عليه امه الزهرة او عشتاروت . وهذه هي خرافة لا حقيقة لها وانما كانوا يرمزون بها الى الشمس وتقلباتها من حالة النور الى الظلام في بعض فصول السنة . فكانوا اذا قدم الخريف يحتفلون باعياد يدعونها « جنازة ادونيس » . راجع المشرق ٢ : ٥٩٨ و٧٠٢ الخ . فقول المكاتب ان تموز وُلد في مدينة الاهواز فليس لهُ من الحقيقة ادنى نصيب واما انهُ قتل هو وبنوهُ وانصارهُ في كربلاء فحديث خرافة لا ذكر لذلك في تواريخ الشرق . والمكاتب لم يذكر اسم هذه التواريخ ولا اصحابها الذين نطقوا بها

واما قولهُ : (واتباعهُ قليلون اليوم . . . واسمهم اليوم الصابئون) . فليس لهذا المعبود اتباع في بلاد العراق . والمتعبدون لهُ كانوا في فينيقية لا غير . وحكاية قتلهِ موضوعة فكيف يقال بعد هذا انهُ دفن هو واتباعهُ في كربلاء . والصابئون لا يعبدون تموز قط . وهم لا يوجدون في سوق الشيوخ (لا سوك شيخ) ولا في البصرة بل كانوا هناك في سابق الزمان وهم الآن في الناصرية والعمارة وما جاورها من القرى الصغيرة . والصابئون لا يترددون الى كربلاء ابداً ولا يكون احداً في مواطنهم .

وعندي ان كربلاء منحوتة من كلمتين اشوريتين وهما : (كَرَب) و (إيلا) ومعنى الكرب : الحَرَم وايلا : الاله . فيكون محصل المعنى : حرَم الله او حرَم الاله . لإلهٍ كان لهم هناك وهذا يدل على ان هذا الموضع كان في سابق الزمن حرَماً لإلهٍ من آلهة

الاشوريين او الكلدانيين او ما ضاهاهم من أُمم تلك البلاد المنقرضة الممحوقة · ووجود الأحرام (جمع حرَم) عند تلك القرون امر مشهور لا يحتاج الى تنبيه الافكار اليه · وعليه فكانت كربلاء في سابق العهد إما بمنزلة الحرم لاحد آلهتهم · واما انهُ كان فيهِ محراب او هيكل يعبد فيه · لان لفظة (حرَم) عند الاشوريين (وكذا عند الكوشيين والحبش) تعني كلا الامرين يعني الحرَم والمحراب ·

والظاهر ان (الكرب) مبدلة من لفظة (الحرَم) او هذه من تلك · فقال بعضهم فيه (الحرَب) على لغة مازن اي ممن يبدل الميم باء كما قالوا : البوباه والموماة · والصرم والصرب ورجل بجباج ومجماج الخ · ومن بقايا الحرب بالعربية المحراب وهو بمعناها او يكاد · ولا جرم ان (الكرب) بمعنى (الحرم) كان معروفاً عند بادية بائدة العرب ثم اميتت اللفظة بعد ان وُلد من عقبها لفظ محراب فعاش الى يومنا هذا بعد ان قتل ذاك · ولما صارت الكلمة بلفظ الحرب تلقاها عرب آخرون من مجاوري الاشوريين او تلقى الاشوريون اللفظة عن العرب اولما اختلط الاشوريون بالعرب وكان يصعب على الاشوريين النطق بالحاء اذ هي غير موجودة في لسانهم ابدلوها بالكاف وفي بعض الاحيان بالخاء فانتقلت اللفظة من صورة (حرَب) الى صورة (كرَب) · بل ان بعض العرب كانت تبدل ايضاً الحاء كافاً · فقد قالوا الحنحث والكنكث · وأكثر النخل وأحثر والكابي والحابي ·

ووقوع حرفين مبدلين في الكلمة الواحدة غير منكر عند العرب فقد قالوا : السبِتُ والشبِثُ وأَمَنَّك ولعلك وفلان منسرحٌ من الكرم ومنسلخٌ · الى آخر ما هناك وعندنا غير هذه الامثلة تربي على المئات ·

واما من ذهب الى ان كربلاء منحوتة من (كرْب) و (بلاء) فمن الاقوال السخيفة الواهنة التي لا تحتاج الى اظهار ما فيها من بعد التأويل واسم الموضع معروف قبل وجود العرب فيه · فتأمل ·

واسخف من هذا كله قول من قال ان كربلاء سميت بهذا الاسم اخذاً من الكربلة مصدر كربل · وكربل الشيء خلطه لان ترابها مخلوط برمل · وقيل من كربل الحنطة غربلها لان ثراها يشبه ان يكون مغربلاً وقيل من كربل الرجل : مشى في الطين وكربل فلان : خاض في الماء وذلك ان الامطار اذا كثرت في كربلاء لا يوجد للرجل وسيلة سوى المشي في الطين او الخوض في الماء · وفي كل ذلك من التعسف في التأويل ما يكفينا مؤونة الخوض في تفنيد هذه الاقاويل · فاحفظه

واما اصل لفظة الكعبة فعندي انهُ عربيٌّ محضٌ لان الكعبة عندهم الغرفة وكل بيت

مربع وهذا يشير الى اصل وضع الكعبة في سابق العهد . هذا فضلاً عن ان مادة (ك ع ب) تدل على التجمع والامتلاء ومنه كعبت الجاريه نهد ثديها . وكعب فلان الاناء : ملأه . وهذا يشير الى ان هذا البيت كان يجتمع اليه الناس من كل حدب وصوب والظاهر ان هذا الاصل الثلاثي من ارومة ثنائية الحرف يعين : (ك ب) ومنه : كب الشيء : ثقل (ويثقل عند تجمع جواهره او دقائقه) والغزل : جعله كبباً . والكباب : الكثير من الابل والغنم والتراب والطين اللازب والثرى وما تجعد من الرمل . والكبة الجماعة من الخيل والجرّوهق من الغزل والابل العظيمة والثقيل ... الى آخر المادة فان معنى التجمع لا يزال معقوداً بناصيتها

وقل مثل هذا القول اذا ابدلت الكاف حرفاً يقاربها ويكثر التبادل بينها . يعني (ق ب) تقول : قب النبات : يبس (واليبس لا يخلو من تجمع في اجزائه) والقب : الرئيس والملك والخليفة (اي الذي تجتمع عنده الناس لغرض من الاغراض) الى آخر ما هناك من مثل القبة . وهو بناء سقفه مستدير مقعر معقود الحجارة على هيئة الخيمة ...

وكذلك اذا اقحمت العين بين القاف والباء فانه ينهض ناهض بين يديك هو القعب والقعبة . وقعب الحافر كان مقبباً كالقعب . والقعب : القدح الضخم الجافي (الذي يجمع السوائل) والقعبة : شبه حقة للمرأة (تجمع فيها ادواتها) والقعبة : النقرة في الجبل (يجتمع فيها الماء) والقعيب : العدد الكثير (المجتمع بعضه الى بعض) ... الخ

واذا استقريت مبدلات الحرفين وما يقحم بينهما لا تقع الا على مثل ما مرّ بك . وهذا كله يدل على ان الكعبة من اصل عربي فخ معناه التجمع لتجمع الناس فيها كما تجمع دقائق السوائل ونحوها في الاناء . ولقد اتخذ العرب والعجم في السابق وفي هذه الازمان معنى لفظ الاناء وما جاء من هذا القبيل لمعنى محل التجمع فهكذا قالوا في معنى الكنيس والكنيسة وهكذا قالوا في بعض الالفاظ التي تدل على السفن

ولا تظن ان مادة (ك ب . او : ق ب . او : ك ع ب . او : ق ع ب) خاصة بالعربية بل قد وردت ايضاً بهذا المعنى في اليونانية . فان اهل هذه اللغة يقولون (قنبي) كما تقول العرب : قنب وذلك في بعض معانيها . وقالت اليونان (كوبي) كما قالت العرب: (كوب) وقالت اليونان (قوبس) كما قالت العرب : كعب وكعبة ومكعب

ومن ثم فاذا اراد بعضهم ان تكون الكعبة من اصل اعجمي فلا تكون الا من احد هذه الالفاظ اليونانية الثلاثة المذكورة الا اننا نقول ونقول دائماً انها عربية العمومة والخؤولة اما لفظة (مكة) فالذي يظهر لنا في اصلها انها اشورية من (مكا) ومعناه (البيت) من باب التغليب . كما ان الكعبة معناها : البيت المربع . ووجود الاشوريين في بلاد

العرب امرٌ لا شبهة فيه . والدلائل كثيرة بهذا الخصوص نكتفي بايراد واحدٍ منها وهو قول عليّ حينما سأله اعرابي عن اصل قريش : (اننا نبط من كوثى) وقد اتفق اغلب المفسرين واثبتهم قدماً في العلم ان المراد بكوثى هنا هي كوثى العراق وسكانها كانوا اشوريين فانتقال الاشوريين والكلدانيين الى مكة في سابق الزمن امرٌ لا ينكر ولا سيما بعد الاكتشافات العادية التي حسرت اللثام عن اسرار جمة كانت خفية عن عيون الانام . وربك اعلم بحوادث الايام والاقوام .

بغداد . احد قراء المقتبس

بني الارض

بني الارض هل من سامع فابثه حديث بصير بالحقيقة عالم
جبلنا على حب الحياة وانها مخيفة احلام اطافت بحالم
سعى الناس والاقدار مخبوءة لهم وناموا وما ليل الخطوب بنائم
جرت سفن الايام مشحونةً بنا على بحر عيش بالردى متلاطم

***

تأملت في الاحياء طرّاً فلم اجد بهم باسماً الا على الف واجم
ورب سعيد واحد تم سعده بالف شقيّ في المعيشة راغم
وما المرء الاّ دوحة في تنوفةٍ ملوّحةٌ اغصانها بالسمائم
لها ورق قد جفّ إلاّ اقله وعيدانها بين النيوب العواجم
ولا بدّ ان تجتث يوما جذورها وتقلعها احدى الرياح الهواجم

***

ارى العمر مهما ازداد يزداد نقصه اذ انحن في نقص من العمر دائم
ولولا انهدام في بناء جسومنا لما احتيج في تعميرها للمطاعم
لحا الله بأساء الحياة كأننا نكبل من حاجاتها بالاداهم
نروح كما نغدو نجاهد دونها اموراً دعتنا لارتكاب الجرائم
فلو كنت في هذا الوجود مخيراً وفي عدمي لاخترته غير نادم

***

هل الموت الا سالك وحياتنا اليه سبيل مستبين المعالم

وما زال هذا الدهر غضبان آخذا … على الناس من سيف المنون بقائم
تبصر تجد هذي البسيطة منزلا … كثير اليتامى عامرًا بالمآتم
وليس الذي آسى له فقد هالك … ولكن ضياع المفجعات الكرائم
ارامل تستذري الدموع وحولها … يتامى كافراخ القطا والحمائم
وكائن ترى مخدومة في جلالها … سعت حيث ابكاها الردى سعي خادم
فليت المنايا حين قوضن بيتها … بدأن بها من قبل هدم الدعائم

***

ارى الخير في الاحياء ومض سحابة … بدا خلبًا والشر ضربة لازم
اذا ما رأينا واحدًا قام بانيًا … هناك رأينا خلفه الف هادم
وما جاء فيهم عادل يستميلهم … الى الحق الا صدّه الف ظالم
جهلت لجهل الناس حكمة خالق … على الخلق طرًا بالتعاسة حاكم
وغاية جهدي انني قد علمته … حكيمًا تعالى عن ركوب المظالم

***

دأبت لنفسي في الحياة كأنني … من العيش ملقى في شدوق الضراغم
يخاصمني منها على غير طائل … اناس فابدي الصفح غير مخاصم
واقنع بالقوت الزهيد لطيبه … حذار وقوعي في خبيث المطاعم
واترك ما قد تشتهي النفس نيله … لما تشتهيه قلة في دراهمي
وكم لي في بغداد من ذي عداوة … وما انا في شيء عليه بجارم
اذا جئت بالقلب السليم يجيئني … بقلب له من كثرة الحقد وارم

بغداد — معروف الرصافي

الامم بأفرادها (١)

آن للسوريين عامة ولا سيما المتهذبين منهم والمتعلمين ان يعلموا جميع الوسائل التي رقت الأمم في الادبيات والماديات ويعرفوا كيفية التدرج بها الى مجاراة الغير في الرقي وان ما بلغهُ الناس في هذا العصر من العلوم والمعارف وما ادركوه من الآداب والفضائل وما استنارت به اذهانهم وارتقت عقولهم واتسعت مداركهم وهذب اخلاقهم وما بلغوه من التفنن والمهارة والاتقان في الزراعة والصناعة والتجارة وما اعتمدوا عليه من القوانين في السياسة والرئاسة والقضاء والادارة وما احرزوه من اسباب التمدن والعمران وما اتوه من جليل الاعمال وعظيم الحسنات ليس جميعه نتيجة الاتفاق وابن الرفاهية والكسل وانما هو ابن العمل والاجتهاد والتعب والعرق ابن الدرس والبحث والاستقراء والاختبار ابن الافراد والنابغين فما نراه اليوم من ترقي المعاصرين وتمتعهم بوسائل التقدم والنجاح انما اتى على يد تلاميذ خمسة وسبعين قرناً حسب رواية التوراة او اكثر من ذلك على رأي العلماء الطبيعيين والمؤرخين وما مر بهم من الادوار كاف لتعليمهم والاخذ بأيديهم الى هذا المقام

فقد توالى على الجنس البشري ازمان كانت بين الشدة والرخاء والبؤس والنعيم واحاطت بابنائهِ المضرات والمنافع احاطة الهالة بالقمر واكتنفتهم العبر من جميع الجهات فكانوا تارة يعتبرون بها فينتفعون واخرى يتلاهون عنها فيفوتهم النفع ويتضررون . وعلى هذا المنوال كانوا يتراوحون في التقدم والتأخر والصعود والهبوط وكانت تتفاوت مراكز الأمم في مراتب العمران تفاوتاً عظيماً لم يزل بيناً صريحاً حتى الآن غنياً عن الدليل والبرهان . وذلك لعدم اعتدادها بالاسباب والمسببات والمقدمات والنتائج بنسبة واحدة

موضوع خطابي — الامم بأفرادها — واريد بالافراد النوابغ والشاذين الممتازين والمتفردين باعمالهم وما آتيهم مجددين مخترعين مبتكرين واعني المحررين من رق العادات المستقلين في الاعتقادات الذين لا يكتفون بتحصيل الرزق والاهتمام بالاكل والشرب واللباس وما اشبه من شؤونهم الخاصة فقط ولا يقلدون التافه المبتذل من الموضوعات والشؤون ولا تصدهم العقبات وتثنيهم المعاكسات الذين يخلدون ذكرهم بفعالهم ويعد الواحد منهم بمقام الالوف والملايين

هؤلاء هم الافراد الذين اعنيهم بكلامي الآن وهم الذين يجمعون شتات الأمم ويؤلفونها

---

(١) من خطاب لجرجي افندي نقولا باز تلاه في حفلة جمعية الاعتدال في غرف القراءة في بيروت يوم الاربعاء ١٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٧ م

او يقسمونها و يمثّرونها . يشيدون اركان مجدها و يرفعون اعلام عزها او يزعزعون دعائمها ويهدمون اسوارها . يقيمونها او يقعدونها . يغنونها او يفقرونها . يقوونها او يضعفونها . يقدمونها او يؤخرونها . يعزونها او يذلونها . ينشطونها او يخملونها . وبعبارة واحدة يؤثرون فيها حسب اميالهم ومبادئهم وغاياتهم . وهم نافع قلما يضر وضار قلما ينفع ومتوسط بين النفع والضرّ اي مفيد ومؤذ معاً . فالاوّل من هبات الله للخلق والثاني من تلاميذ ابليس والثالث من الجبلتين بدليل ما نراه من التباين والتناقض والاختلاف في نتائج اعمالهم الخاصة والعامة مما يؤيد القول بان الامم بافرادها والافراد بتربيتهم وتعليمهم

صفحات التاريخ شهود عدول تبرهن على تأثير الافراد في الأمم وتوضح مالهم فيها من المآثر والاعمال بنسبة استعدادهم وقواهم ونقر بانها شاكرة لهم ممتنة او ناقمة منهم حاقدة عليهم ولا ننكر انها تنادي على رؤوس الاشهاد انها مدينة لهم بما تمتع به من الحسنات او تصيح وتتأوّه وتئن وتتنهد مما حملوها عليه ورغبوها فيه وعودوها اياه من السيئات . وقلما ذكر التاريخ غير الافراد في كل جيل ومصر وامة ودولة . وقلما عدد غير مناقبهم ونوّه بغير نعالهم لما لهم من التأثير في الأمم

فمها اشتغل العاديون اي العامة وكدوا واجتهدوا مهما قلدوا وتشبهوا ومهروا واتقنوا مهما تعددوا وتكاثروا وتناظروا وتزاحموا فلا يؤثرون في ذويهم تأثير الافراد في الخير او في الشر ولا يرقون صنائعهم وفنونهم ترقية الافراد لها ولو مرّ عليهم قرون برمتها ومهما بلغ عديد الامة في اي مكان وزمان كانت مهما ساعدتها طبيعة البلاد ودرت عليها اخلاف الرزق والثروة مهما سعت في سبل العمران ورغبت في نيل الادبيات والماديات لا قيام لها الأ بافراد يحثونها على النهوض والثبات ويرشدونها الى اقوم السبل ويتولون زعامتها ويقودونها في سبل الخير العام باخلاص وبراعة وتفنن

ويختلف تأثير الافراد باختلاف مراكزهم في هيئة الاجتماع ويتباين بتباينها فكلما علا مركز الفرد ازداد تأثيره واشتد نفعه او ضره . والويل لامة لا تعبأ بافرادها ولا تعمل على تنشيط النافعين منهم ومعاونتهم وترقيتهم جهدها فانها لا محالة خاسرة لان ترقي الفرد لا يتوقف على سعيه الشخصي واعتماده على نفسه فقط واقتحامه المصاعب واجتيازه العقبات بل ان ارتقاءه مناط بالاحوال المحيطة بهولها تأثير فيه لا ينكره غير المكابر . وللأمم يد طولى في ايجاد الافراد كما ان للافراد يداً اطول في ايجاد الامم

وحيثما عرفت قيم الافراد وجلت اقدارهم فنشطوا واخذ بايديهم ووثق بهم وركن اليهم تعددوا وافادوا لان الوسائل المعاونة لهم تسهل سبل نجاحهم فيبلغ معظمهم او كلهم

مبلغ النفع الحقيقي بدلاً من بلوغ الربع او الثلث او النصف فقط . اي فرد يستطيع اليوم اشغال العالم بما شغله به الاسكندر وتيمورلنك ونابليون وامثالهم قديماً . في مكنة كل مستعد ان يصير اعظم من روسو وباستور وبرتلو ولكنه يندر جداً او يستحيل ان يوجد نيرون ثانٍ على الارض اليوم او فيما بعد وما ذلك إلاّ لأن الامم امست قادرة على تكييف افرادها بما تبثه فيها الافراد من المبادىء والآراء وبامكانها جعلهم فضلاء مجردين الى النفع ولو باكراه . والفرق عظيم بين الفرد المفيد المخلص الغيري وبين المضر المرائي الاناني . ذاك يسعد امته وهذا يشقيها والامم الحية تتطلب السعادة من جميع ابوابها بكل ما فيها من القوى

سطوة الافراد عظيمة على العقول وليس هذا بمستغرب فان من طبائع الناس تقليد كبارهم ونوابغهم كلٌّ حسب مهنته وحرفته وميله فالغني يقتدي بالاغنى منه والعالم بالاكثر علماً والاديب بالاوفر ادباً والفاضل بالافضل وهلم جرا

كلّ ما تتمتع به الامم من الحسنات قد جنته بواسطة الافراد . العلم والادب المعرفة والفضيلة الثروة والرفاهية المجد والشهرة جميع ذلك من نتائج اتعابهم وتفردهم . ارتقى الطب بافراد لا يعدون جزءاً من مليون من الاطباء الذين نشأوا في الارض محققين ودجالين والناهضون يعدون على الاصابع وهم ابوقراط وهرفي وجنر وتروسو وبريتونو وباستور وباهرنغ ويرسن وكوخ ورو . والكيمياء قد تنكر نفسها ولا تنكر فضل لافوازيه وبرتلو . والزراعة لايمكنها نسيان النتائج الآتية من تجارب السرجون لوز ورفيقه الدكتور غلبرت . والفلسفة مقرة بخدم ارسطو وابن رشد وتوما واوغسطينوس وديكارت وباكون وكانت وسبنسر والاجتماعيات تردد بالشكر والامتنان ذكر فولتير وروسو وسيمون وتولستوي . والشعر يترنم باميروس ودانت والمتنبي وشكسبير وهوكو وكل فن مقر بافضال افراده عليه وتأثيرهم فيه . ولا عجب اذا غير الفرد من حالات امته او حرفته ما لا يغيره الالوف والملايين من العاديين .

هدم باكون وديكارت اسوار الفلسفة القديمة واسسا الحديثة واوضح داروين مذهب النشوء والارتقاء . وعلم مكس ملر الاوربيين والمشارقة كثيراً مما لم يكونوا يعلمونه من تاريخ لغاتهم ومعتقداتهم . وبطرس الاكبر الروسي وكرمويل الانكليزي وفرنكلين الاميركي وبسمارك الالماني والميكادو الياباني الحالي وامثالهم كثيرون ممن قد نهضوا ببلادهم بتفردهم دع عنك المصلحين والمشرعين كما ان كثيرين من الافراد قد اساؤوا الى اممهم اساآت قلما يغفرها لهم التاريخ ككارلوس الثاني عشر ملك الاسوجيين ونابليون الثالث امبراطور الفرنسيس واشباههما . كولمبوس ومجلان وفاسكودي غاما اغنوا العالم باكتشافاتهم أدباً ومادة . فكتور وهوكو وكمال بك غيرا طرائق الانشاء في الفرنسية والتركية . بهرام مالاباري واحمد

خان افادا الهنود اكثر مما استفادوه من انفسهم وهم عشرات الملايين · بوكر واشنطون بعمل على ترقية السود اعمالاً لم يأت بمثلها ملايين منهم · فانديك وبلس والبستانيون واليازجيان افادونا اكثر مما استفدنا من مجموعنا برمته

عرف الغربيون ان الامم بافرادها فنشطوا الافراد وعززوهم ورفعوا اقدارهم ولم يضنوا بعزيز ونال في هذا السبيل · واول ما وجهوا انظارهم اليه تكثير الوسائل العامة التي يسهل وصول الافراد اليها واستخدامها في ما يقدمهم و يرقيهم فاكثروا المدارس وجعلوا التعليم الزامياً وانشأوا المكاتب للمطالعة واسسوا المنتديات للمباحثة غير جاهلين ان وجود الافراد غير متوقف على كل هذه الامور وانما حجتهم تسهيل الوسائل لظهورهم ومعاونتهم على الاستفادة والافادة اذ لا يعلم غير الله من اي فئة ينبغ الافراد في كل حين من الفقراء ام من الاواسط ام من الاغنياء · ولكن الرأي المعول عليه ان الافراد كثيراً ما يرون نور الوجود في الاكواخ والبيوت المتوسطة لا في القصور والمنازل الفخمة · وبهذا تتضح غاية انشاء المدارس المجانية والمكاتب والمنتديات العمومية · ولم نعدم نحن في بلادنا افاضل منا ومن محبينا ادركوا هذا الامر الجليل فعملوا على ايجاده وتعزيزه

كثير من الناس لا يعبأون بغرف القراءة ولا يرون فيها غير التسلية وصرف اوقات الفراغ على انها انشئت لغرض اسمى واعم ولا يقتصر نفعها على استمالة الشبان عن القهاوي والحانات وترقية عقولهم بالمطالعة وتهذيب نفوسهم بها بل هي مورد عذب للافراد يستفيدون منها ما يضن به الدهر عليهم · واذا لم يكن لها غير هذا النفع لكفاها فضلاً وفخراً

الميكروب

تولده وعلة الاختمار

انقسم العلماء نظريًا بناء على اكتشافات «شوان» السابق بيانها في علة الاختمار الى ثلاثة اقسام . اولهم القائلون ان الاختمار عارض يطرأ على بعض الجوامد في احوال مخصوصة لا ينتج ولا ينوقف حصوله على الخلايا او الميكروب التي لا يكون لها فعل او مدخل في الاختمار اذا وجدت في شيء من تلك المواد بل تصادف احيانًا فيها لانها تكون منها بنوع عارضي طاريء بلا علة ولا والد . وسمي اهل هذا المذهب (اصحاب التولد الذاتي او الطرآني)

والقسم الثاني وهم القائلون ان الاختمار فعل حيوي قائم بالخلايا وملازم لحياتها واغتذائها وهي تنمو وتتكاثر وتخلد طبيعيًا بالتناسل وهؤلاء هم (الحيويون) .

والقسم الثالث هم الذين ينسبون الاختمار الى فعل كيماوي . وكان الرأي الاول مرجحًا ومقبولاً عند الجميع لما لم يكن قائمًا على اساس وقاعدة علمية وليس في تعليلاته النظرية ما يشفي غليل المنتقد المتوغل و يقنع النبيه المتبصر كأن يقوم الحين بعد الآخر من يخطيء القائلين به ويحاول اكتشاف سبب حقيقي وتعليل تركن اليه العقول و يقبله الحدس السليم . وكان كثيرون قد وقعوا على الحدس وقرروا وجود سبب خفي عن الابصار يكون علة الاختمار والامراض ولكنهم كانوا قاصرين عن اثباته ببرهان تسند قضاياه على الادراك حسيًا ومنطقيًا .

ففي سنة ١٧٧٦ حاول (سپلنزاني) الايطالي اثبات وجود الخلايا و بيان تولدها وفعلها في الاختمار مستندًا على التجارب فاخذ بعض السوائل الاختمارية ووضعها في اكواب من الزجاج احكم سدها ثم غلاها في الماء قاصدًا اتلاف ما فيها من الخلايا او الميكروب ومنع دخول الهواء اليها بعد الغليان فنجحت تجربته تلك . لان بعض الاكواب دامت معقمة لم يفسد ما فيها ولم يختمر . وذاع خبرها فبنيت عليها كيفية حفظ بعض المأكولات من الفساد بوضعها في علب تغطى ويحكم سدها ليمتنع دخول الهواء اليها .

ان نجاح هذا المسعى وان لم يكن غير كاف لاقناع الكافة فقد كفاه فضلاً ادخاله الشك على المذهب القديم وفتحه بابًا للدخول علميًا وعمليًا في الموضوع .

وبعد ذلك قام كثيرون وتفرغوا للبحث والتوغل في المسألة وخصوا انفسهم لها و بذلوا النفس والنفيس في استقصاء الحقيقة فتركوا المناقشات النظرية والحدسية واقتصروا على التجربة والعمل واذ كانت سوق العلوم وقتئذ رائجة ناجحة لم يتركوا واسطة املوا منها بعض النجاح

لاي علم او فن نُسبت ولم يستعينوا بها في البحث عن الحقيقة . وافضل الوسائط والآلات لم خدمةً هو كما سبق القول المجهر الذي كان وقتئذٍ قد أُتقنت صناعته واستكملت فتوصلوا به الى رؤية أدق الميكروب عيناً وعياناً .

ولما كان مجرد وجود الاجرام الحية في مادة مختمرة او متعفنة لا يكفي للتصديق بانها المسبب الوحيد لذلك اقتضى ان يتبين ايضاً بالتجربة بان ظواهر الاختمار لا يمكن حصولها في مادة ما جردت من تلك الاجرام وحجبت عنها . وعليه فانهم كانوا يصنعون المواد التي يقصدون التجربة عليها في زجاجات فيغلونها في الماء لكي تموت بالحرارة الاجرام الحية من السائل والزجاجة وذلك اما بسد الزجاجات اثناء الغليان او بتعرية الهواء الداخل اليها من الاجرام الحية .

قلت فيما سبق ان هذا الامتحان كان سبق اليه وجرب منذ سنين عديدة . فكان العالم مثلاً قد اختبر بانه يقي من الفساد جميع المواد التي كان يغليها ثم يغمرها في الزيت الذي يحجزها عن الهواء او انه كان ينقي و يصفي الهواء من اجرامه بالحوامض قبل ان يمس تلك المواد المغلية .

وفي سنة ١٨٣٧ اعاد شوان المومأ اليه تلك التجارب عينها وكان زيادة على ذلك اذا اهلك الاجرام الموجودة في الهواء بامراره في انبوب حام قبل وصوله الى المواد المعروفة للتجربة لم تفسد .

ان تنقية الهواء من الاجرام الحية سواء كانت بوسائط كيماوية او بحرارة النار لم تغير تركيبه الطبيعي . على ان المخالفين للرأي الحيوي تشبثوا بها محتجين بان الهواء بتلك الوسائط يطرأ عليه تبدلات جوهرية فلا يعود صالحاً للحياة . فرداً لهذا الاعتراض عاود شريدر وفوندش سنة ١٨٥٤ تلك التجارب ولكنهما جعلا ذلك في زجاجات ذوات عنق او انبوب طويل منحنٍ على زاوية قائمة . والغرض من ذلك هو تسريح البخار والهواء الخارج من الزجاجة عند الغليان وبعد تصفية الداخل اليها بقطعة قطن مندوف نقي توضع في فوهة الانبوب فصحت التجربة وافحم المعترضون . ولكن حاول بوشه في سنة ١٨٥٨ ايضاً اثبات حدوث الاختمار من دون هواء ومن بعد تعقيم المواد المجرب عليها . فاخذ زجاجة ملأها ماء فوضعها على النار تغلي ريثما تهلك الجراثيم منها و يطرد الهواء ثم اخذ الزجاجة وسدّ فمها سداً محكماً فكبه في اناء مملوء زئبقاً . فبعد ان برد الماء في الزجاجة ادخل اليها من تحت الزئبق كمية من الاكسجين و بضعة غرامات من حشيش يابس معقم بالبخار فما لبث الماء ان فسد والزجاجة في الزئبق لم يدخلها الهواء فاستنتج المعلم المومأ اليه بان هذه قد حصلت من ذاتها ولم تأت لا من المواد التي كانت قد عقمت ولا من الهواء الذي لم يدخل الزجاجة . فردّ عليه باستور بان جراثيم الخلايا التي ظهرت بماء الزجاجة انما وصلت اليه بواسطة الزئبق الذي لم يعقم قبل التجربة وكان في انائه معرضاً للهواء تتساقط عليه الجراثيم المنثورة في الهباء

ثم اخذ باستور بالاتفاق مع شفروبل في اعادة جميع التجارب التي تثبت رأي الحيويين وذلك باسلوب جلي بسيط تراه العيون وتدركه العقول فصنعا زجاجة ذات عنق كالانبوب طولها نحو متر واحد او اكثر منحنية على زاوية قائمة عند اصلها وذات تعرُّجات كثيرة اشبه بالحية الزاحفة تنتهي فوهتها منحنية نحو الارض . والغرض من ذلك ان الهواء الداخل الى الزجاجة بمروره في الانبوب يترك في تعرُّجاته جميع ما يحمله من الهباء حتى يتنقى اذا وصل الى داخل الزجاجة واختلط بالسائل . فيكون بهذه الواسطة غنياً عن جميع الوسائل التي اتخذها المجربون من قبل لتنقية الهواء فكانت هذه حقيقة التجربة الاخيرة لانها اكدت جميع ما قبلها وقطعت قول كل معترض . وناهيك بان باستور لم يكن يكتفي بتجاربه العديدة على ملاحظة زجاجةٍ واحدةٍ بل انهُ كان كل مرَّة يعدُّ عدة من الزجاجات كلها على صفات وشروطٍ واحدةٍ لا اختلاف بينها البتة . فكان يعقم الزجاجات وما فيها ويتركها في مكان خاص تصلح درجة حرارته لحدوث الاختمار فلم يظهر ذلك في شيءٍ منها . فكان يكسر انبوب زجاجة من اصله ليثبت بان الهواء اذا دخل زجاجة من تلك الزجاجات من دون ان يتنقى بالانبوب يفسد السائل فلم يلبث ان يختمر ما فيها ولاثبات تنقية الهواء بمروره بالانبوب تاركاً هباءه والجراثيم الحية في تعرجاته كان يحني زجاجة نحو انبوبها ليمرَّ السائل فيه حتى يصل الى حدٍ ما منه فيعود يرجعه اليها . فكان السائل يختلط ببعض الجراثيم المتساقطة في الانبوب فيختمر لا محالة . واذا ادخل جزءًا يسيراً من مادة خميرية في زجاجة كان يختمر ما فيها . وقصارى القول فان الزجاجات المعقمة كانت تبقى كذلك ابداً ما لم يدخل اليها عمداً للاختبار بعض جراثيم الاختمار . فاشتهرت تلك التجارب وعرفت قواعدها وشروطها في العالمين حتى صارت دستور العمل لحفظ المأكولات والمشروبات ووقايتها من الفساد وسميت باسم واضعها ومكتشفها باستور . وعند ما كثر المجربون واختلفت مآربهم ودرجة معلوماتهم في فن الميكروب تهاون بعضهم في الدقة واستكمال الشروط التي لا بدَّ منها للنجاح حبطت بعض تجاربهم فاعتمدوا على القواعد الموضوعة وغالطوها وادعوا بانهم اتخذوا جميع الوسائط المقررة فلم يتمكنوا من منع الفساد والاختمار ولما كان ذلك نتيجة خطأهم وقلة دقتهم وقصر باعهم فاعتراضاتهم لم تزعزع القواعد التي تقرر حكمها ابداً .

جراثيم الميكروب وصِبانه

لم يفتر باستور من تحصين اكتشافاته واستكمال الفوائد والشروط للاحتراز فيها من الفشل . من ذلك انه عند ما اطلع بان بعض الميكروب لم تهلكه حرارة الماء التي تغلي والقدر مكشوفة بل كان يبقى بعضه حياً من بعد الغليان اما على الزجاجات او فيها فيفسده

اخذ بسخنها والزجاجات الى درجة ١١٠ - ١٢٥ من الحرارة في القدر المعروفة باسم مخترعها باپن .

وعرف «شريدر» ايضاً ذلك فصار اما ان يسخن المواد الآلية بالقدر المذكورة او يتركها تغلي على العادة القديمة بضع ساعات . ولا يخفى ان من الميكروب الذي لم تمته حرارة الماء الغالي هي جراثيمه او صئبانه . واكتشف باستور سنة ١٨٦٥ جراثيم او بيضات ونسجها صئباناً لكل من انواع الميكروب تخلفها هي فيتكوّن منها النسل .

واشهر من توغل في البحث عنها المعلم كوخ الالماني ونشر فيه كتاباسنة ٨٧٦ ، واظهر بان جميع الميكروب وهو في إبان نشوئه ونموه يهلكه الماء الغالي بل اقل حرارة من درجتها انما جراثيمها تحتمل بطرا شديد الأجاج واظهر ايضاً بان الحرارة الرطبة انجع منها يابسة لاهلاك تلك الجراثيم لجعل بعض انواعها في حمام جاف درجة حرارته ١٣٠ مدة اربع ساعات فلم تهلك ولكن تم ذلك بمدة ساعتين في حمام درجة حرارته ١٤٠ واما الحرارة الرطبة اعني في حمام فيه بخار الماء فمئة درجة من الحرارة تكفي غالباً لاهلاكها تماماً بمدة قصيرة . ولاجل الحصول على الامنية التامة في ذلك علمنا كوخ بان نكرر عملية التسخين في حمام البخار المذكورة بضع دفعات بين بعضها عدة ساعات ريثما يبرد السائل . فالجراثيم التي لم تهلكها الحرارة تنتعش وتنمو حينئذٍ فقبل ان يدرك وقت تخليفها صئباناً وضع السائل من جديد في حمام البخار فيهلك الميكروب الناشيء فيه . فاذا اعيد ذلك مرة اخرى او اكثر تحوّل الصئبان كلها الى خلايا ناضجة فتهلك ويحصل كذلك التعقيم التام .

سليمان غزالة دمشق

اليونان

غارات على ارضهم ورحلات اليها

تاريخ اليونانية — لم يسكن جميع شعوب يونان منذ الزمن الاطول البلاد التي كانوا فيها في القرن السابع اي في العصر الذي اخذ اهل العلم يعرفون عنهم شيئاً يوثق به. وقد حفظ كثير من هذه الشعوب ذكرى نزولهم في تلك البلاد وامتازوا عن الشعوب العريقة في القدم النازلة في تلك البلاد . جاءت امم كثيرة فاحتلت ارض يونان بقوائم سيوفها وتشتت شمل غيرهم امام المغيرين عليهم . ويقول اليونان ان بدء هذه الغارات الشعواء والرحلات كانت من القدم بحيث لم تصلنا اخبارها مسطورة ونقلت وشاع ذكرها تقليداً ويقولون انها كانت في القرن الثاني عشر (اي بعد اخذ طروادة بثمانين سنة) ولاعبرة بهذا التاريخ اذ لم يكن لليونان وسائط يحسبون بها في ذاك العهد المتطاول على ان هذا التاريخ أُخذ قضية مسلمة بدون جدال ولا نزاع فيه .

دعي اقدم سكان يونان بالبيلاسج (ولعل معناه القدماء) ولم يُعرف عنهم شيء ولا فيما اذا كانوا من جنس يوناني او من جنس آخر . ومن هؤلاء السكان لا يعرف غير اليونان ولا يعلم ايضاً كيف ابدل اسم بيلاسج بالهيلانيين اذ لم يرد في اشعار هوميروس ايضاً ذكر لهذا الاسم . ومن المقرر ان بضعة بلاد حفظت أثراً من آثار فاتحيها وغزاتها . فقد جاء قوم برابرة من البلاد المشهورة ببلاد الالبانيين « الارناؤط اليوم» وهاجموا سهل بينيه الفسيح فدعي بعد باسم تساليا وتألفت من هؤلاء المهاجمين عصابة من الفرسان الاشراف وامسى سكان البلاد الاصليون عملة يزرعون ويحرثون ليس الا . وقد رحل الى وادي سيفيز الذي سمي باسم (بيوسيا) كل من لم تخضع نفسه لهذا الحكم

وبعد ردح من الدهر خرج الدوريون من جبال البند واجتازوا برزخ كورنت واغاروا على بلاد المورة واستوطنوا من اقاليمها ما امرعت تربته وغنيت رباعه وبقاعه مثل لاكونيا ومسينيا وارغوليديا وسيكيونيا وكورنت وميكار . ويروى ان قدماء ملوكهم دعوهم الهيراكليديين (اي نسل المعبود هيراكليس) ليغلبوا رعاياهم الثائرين ويعيدوهم الى عروشهم وكان ملوك اسبارطة يرون انهم من نسل قدماء السكان لا من الدوريين وقد استحال الشعب الذي احتل البلاد التي اغار عليها الدوريون الى زراع واهل فلاحة

واستولت عصابة من الايتوليين الذي صحبوا الدوريين في تلك الحملة على مقاطعة ايلديا في الغرب . وانهال الاشيائيون ممن ابت نفوسهم الخضوع على شاطئ شبه جزيرة المورة

الشمالي وطردوا منها الايونيين واسسوا الاثنتي عشرة مدينة الآشيانية فلجأ الايونيون المطرودون الى مقاطعة اتيكيا وامتزجوا بسكانها الاقدمين ومن ذاك العهد عرف الاثينيون اي سكان اتيكيا شعباً ايونياً . ثم انفصلت عصابات من عدة شعوب وراحوا يؤسسون مستعمرات في السيف الآخر من البحر . والايوليون اقدم هذه العصابات النازلة في آسيا ثم سكنوا بعدُ ذاك الشاطئ بعينه . واحتل الدوريون جزيرة اقريطش (كريت) وبعد زمن استعمر اليونان صقلية وايطاليا الجنوبية .

الدوريون — يراد بالدوريين نسل سكان الجبال النازلين من الشمال ممن طردوا او اخضعوا سكان السهول وشاطئ بلاد اليونان الجنوبية المعروف ببلاد المورة ويذكر هؤلاء المخبرون ان ملوكاً من اسبارطة من نسل البطل هيراكليس قد طردهم رعاياهم فجاؤا يبحثون عنهم في جبالهم فتبع الدوريون اخلاف هذا البطل حباً به ونصبوهم على عروشهم ثم اغاروا على السكان واستصفوا ارضهم وديارهم . وكان هذا العنصر جيلاً من الناس اشتهر بجماله وقوته وصحة اجسامه وتعود البرد وشظف العيش وحياة الفقر والفاقة فترى رجالهم ونساءهم يلبسون ثياباً قصيرة لا تصل الى ركبهم . والدوريون امة حربية دعاها الاضطرار الى ان تكون ابداً على قدم الدفاع تحمل عدتها وعتادها وهم اقسى اهل يونان لبعد اقليمهم عن البحر ولذلك احتفظوا باخلاق الاجيال المتوحشة وهم اعرق في اليونانية من غيرهم من سكان تلك الامصار لانهم كانوا على وحدتهم لا يستطيعون الامتزاج بالغرباء ولا تقليدهم في منازع اخلاقهم .

الايونيون — يدعى شعوب اتيكيا والجزائر وشاطئ آسيا بالامة الايونية . ولا يعلم من اين جاءتهم هذه التسمية وهم على عكس الدوريين جنس من البحارة او التجار . ومن اكثر شعوب اليونانية تهذيباً لانهم استفادوا من الاحتكاك بامم مشارقة اعرق منهم في الحضارة واقتبسوا من النظر اليهم وهم ضعاف في صبغتهم اليونانية لامتزاجهم بالآسياويين ولانهم نحوا نحو هؤلاء في عاداتهم الا قليلاً يميلون الى السلم ويولعون بالصناعات ويعيشون عيش الترف يمضغون الكلام ويرققونه ويلبسون ثياباً ضافية الاذيال على مثال المشارقة

الهيلانيون — هذان العنصران او الجنسان المتباينان المعروفان بالدوريين والايونيين هما اشهر عناصر اليونان واقدرها . فاقليم اسبارطة للدوريين واقليم اثينية للايونيين وليس السواد الاعظم من اليونان دوريين ولا ايونيين ويعرفون بالايليون وهو اسم مجهول يطلق على شعوب مختلفة في تلك الاصقاع من ايوليين واكرنانيين وفوسيديين وبيوسيين من اهل البلاد اليونانية الوسطى والاشانيين من اهل المورة . وكل من تقدم ذكرهم يسمون

باسم الهيلانيين الذين عرفوا به منذ ذاك العهد وهم لا يعرفون وجه تسميتهم هذه كما نجهل نحن ذلك على انهم يقولون ان دوروس وعولس كانا اولاد هيلانة وايون حفيدها

مستعمرات اليونان (١)

الاستعمار اليوناني — لم يقتصر الهيلانيون على سكنى بلاد اليونان فقط بل قام منهم طوارئ من اهل المدن انشأوا بلداناً في جميع الانحاء المجاورة وكانت عدة من هذه الممالك الصغيرة اليونانية في جميع جزائر الارخبيل وعلى جميع شاطئ آسيا الصغرى واقريطش وقبرص وفي كل ما احاط بالبحر الاسود الى بلاد القافقاس والقريم على طول البلاد العثمانية في اوربا (المعروفة اذ ذاك بتراسيا) وعلى شاطئ افريقية وفي صقلية وايطاليا الجنوبية الى شواطئ فرنسا واسبانيا

اخلاق هذه المستعمرات — بدأ تاريخ المستعمرات اليونانية من قرون كثيرة اي من القرن الثاني عشر الى القرن الخامس وهذه المستعمرات اشتقت من كل المدن ونجمت عن كل جنس دوريا كان او ايونيا او ايوليا . ولطالما قامت المستعمرات في اماكن قفرة تارة وفي بلاد مأهولة اخرى أُسست حيناً بالفتح وآونة بالاتحاد مع السكان وانشأها تجارة او تجار او منفيون او مشردون . وتتاز هذه المستعمرات على اختلاف زمانها ومكانها وجنسها باصلها بخلق عام وانها نشأت دفعة واحدة بمقتضى قواعد ثابتة . وما كان الطوارئ او المستعمرون من اليونان يحلون في بلد واحداً بعد واحد عصابات صغيرة ولم ينزلوا بقعة عرضاً فيقيمون لهم مساكن تصبح بالتدريج مدينة على نحو ما يفعل الطوارئ من الاوربيين في اميركا اليوم بل كان الطوارئ منهم يسافرون قضهم وقضيضهم دفعة واحدة ورئيسهم واحد فيؤسس البلدة الجديدة في يوم واحد . وكان تأسيس احدى المدائن يعد احتفالاً دينياً فيخط المؤسس لها سوراً مقدساً ويجعل بيتاً مباركاً يوقد فيه ناراً مقدسة

تقاليد المستعمرات — يتضح مما نقل من القصص القديمة في تاسيس بعض هذه المستعمرات وجه الاختلاف بينها وبين المستعمرات الحديثة . واليك كيفية استعمار مدينة مرسيليا والبداءة به فقد جاء الى بلاد الغال (فرنسا اليوم) اوكسينس احد اهالي مدينة فوسي في آسيا الصغرى على سفينة تجارية فدعاه احد زعماء الغاليين الى عرس ابنته ومن عادة هذا الشعب ان تدخل العروس بعد الطعام حاملة كأساً تقدمها لرجل تختاره من الجماعة فوقفت امام اليوناني ومدت الكأس نحوه . فظهر للقوم ان هذا العمل كان بالهام من السماء

(١) جاء هذا الفصل متأخراً عن هذا بضعة فصول في الطبعة الاخيرة

اذ لم يكن متوقعاً . فما كان من الزعيم الغالي الا ان زوج اوكسينس من ابنته وسمح له بان يؤسس ورفاقه مدينة على خليج مرسيليا ثم لما رأى اهل فوسى ان الجيش الفارسي يحاصر مدينتهم قاموا يعدون لهم سفناً نقل عيالهم واثقالهم واصنامهم وحلي معابدهم وغادروا بلادهم ماخرين في سفنهم واقسموا عند منصرفهم ان لا يعودوا اليها الا اذا عامت على وجه الماء الحديدة المحماة التي القوها في البحر . وقد نكث كثير منهم هذا العهد وعادوا الى مسقط رؤوسهم اما الباقون فظلوا يشقون العباب بعد العباب حتى وصلوا الى مرسيليا بعدان تجشموا اهوالاً كثيرة . واسس الايونيون مدينة ميلت تاركين نساءهم وراءهم واستولوا على بلد يقطنها ناس من آسيا فذبحوا الرجال وتزوجوا بنسائهم وبناتهم قسراً . ويقال ان هؤلاء النساء اقسمن ان لايتناولن الطعام مع ازواجهن وان لايناديهم يا ازواجنا . عادة بقيت قروناً يعمل بها عند نساء ميلت . اما مستعمرة برقة في افريقية فقد اسست بامر صريح من المعبود ابولون ووحي منه . فلم يكن سكان مدينة تيرا الذين أُمروا بذلك يحاذرون من نزول بلد مجهول ولم يعملوا بهذا الامر الا بعد سبع سنين وكانت جزيرتهم عرضة للجفاف فاعتقدوا ان ابولون ساقهم الى تلك الجزيرة عقاباً منه لهم . وحاول الطواريء الذين انفذوهم ان يرجعوا فداهمهم مواطنوهم واكرهوهم على السفر . وبعد ان قضوا عامين في احدى الجزر وقد خانتهم فيها اسباب النجح انتهى بهم الحال ان يستوطنوا ابد الدهر مدينة برقة فكان منها مدينة عامرة راقية .

خطورة المستعمرات — من شأن هذه الطواريء ان تؤسس حكومة جديدة في كل مكان تنزله ولا تخضع لأُم القرى التي انفصلت عنها بتة . وهكذا بلغت الحال بان كان البحر المتوسط محاطاً بمدن يونانية كل منها مستقلة تمام الاستقلال . فاصبح كثير من هذه المدن آية في غناه وقوته لم تضاهه بهما المدن التي خرجت منها وكان لها اصقاع اوسع واخصب وسكان او فرو اكثر . ويقال انه كان في مدينة سيباريس في ايطاليا ثلثمائة الف رجل يحمل السلاح وان كروتون جيشت جيشاً مؤلفاً من مئة وعشرين الف مقاتل وفاقت سيراكوزه في صقلية وميلت في آسيا بقوتهما مملكتي اسبارطة وآثينية وكان يدعى جنوب ايطاليا يونان الكبرى . وما كانت المملكة الاصلية غير بلاد صغرى بالنسبة لتلك المملكة المأهولة كلها بالطواريء من اليونان . وحدث ان كان الميلانيون اوفر عدداً في البلاد المجاورة منهم في بلاد اليونان نفسها . وترى بين رجال تلك المستعمرات طائفة صالحة من المشاهير مثل هوميروس والسيوس وسافوس وطاليس وفيثاغورس وهيراقليطس ودموقريطس وانفيدكلس وارسطوطاليس وارخميدس وتيوكريتس وغيرهم

المدن — ظل اليونان منقسمين الى طوائف صغيرة في كل البلاد التي نزلوها كما كانوا على عهد هوميروس · وغير خاف ان ارض يونان وايطاليا الجنوبية متقطعة بالبحر والجبال ولذلك انقسمت بالطبع الى عدد كثير من المقاطعات الصغيرة كل منها منفردة عن جارتها برأس من البحر او بجدار من الصخر بحيث يسهل الدفاع عنها وتصعب المواصلات فكانت تتألف من كل مقاطعة حكومة على حدتها تدعى مدينة وقد بلغت اكثر من مئة مدينة · واذا احصيت المستعمرات بلغت زهاء الالف (١) وليست مملكة اليونانية الا صورة مصغرة بالنسبة الينا فان ايتكيا كلها لا تساوي نصف اصغر مقاطعات فرنسا لهذا العهد اما اراضي كورنت او ميكار فقد صارت ريفاً ومزارع · ومن العادة ان يكون ما يعبرون عنه بمملكة عبارة عن مدينة وساحل ومرفأ او بضع قرى مبعثرة في الفلاة حول قلعة فترى من المملكة الواحدة قلعة المملكة الثانية وجبالها او مرفأ المملكة المجاورة وكثير من هذه الممالك لا يسكنه اكثر من بضعة ألوف من الناس واعظمها لا يكاد يكون فيه مائتان او ثلثمائة الف نسمة · وبعد فلم يؤلف الهيلانيون او اليونانيون أمة برأسها ولا انفكوا من التقاتل والتقاطع على انهم تكلموا لغة واحدة على حد سواء وعبدوا آلهة واحدة وعاشوا عيشة واحدة منذ شطوط اسبانيا الى طرف البحر الاسود · فكانوا بهذه العلامات يتعارفون كما يتعارف ابناء نبعة واحدة ويمتازون عن سائر الامم التي يدعونها البرابرة فينظرون اليها نظر الاستخفاف والامتهان ·

الديانة اليونانية

تعدد الارباب — اعتقد اليونان اعتقاد سائر قدماء الآريين بارباب كثيرة ولم يكن لهم شعور باللانهاية ولا بالازلية ولم يؤمنوا برب واحد تكون السماء سرادقه والارض سلمه ومرتقاه · واعتقد اليونان ان كل قوة في الطبيعة من هوائها وشمسها وبحرها هي قوة الهية ونسبوا كلاً من هذه القوى الى رب خاص اذ لم يدركوا ان علة واحدة تنتج كل هذه الاكوان ولذا عبدوا عدداً عديداً من هذه الآلهة فكانوا وثنيين على هذا النحو ·

نسبة الشهوات البشرية ودعوى تجسد الرب — كل رب هو قوة من الطبيعة وله اسم خاص به ولشدة تصور اليونانيين وسعة خيالهم مثلت لهم اذهانهم تحت هذا الاسم كائناً حياً في ابهى المظاهر من الصور البشرية وكانوا يتمثلون المعبود او المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة وامرأة وسيمة المحيا وعند ما كان عولس او تيلماك يصادفان رجلاً عظيماً وسيماً يبدآن بسؤاله عما اذا كان رباً من الارباب · وقد صوّر على ترس البطل آشيل صورة

(١) في الطبعة الاخيرة حذف المؤلف هذه الفقرة الطويلة كلها الى آخر الفصل

جيش . قال هوميروس في وصفه له : ان اريس واثينيه كانا يقودان الجيش وكلاهما متشح بالذهب وكانا من الجمال والاعتدال على صورة تليق بالارباب اذ البشر اقزام قصار القامات وكان الارباب اليونانيون بشرًا يلبسون ثيابًا ولهم قصور واجساد كاجسادنا وهم ان لم يموتوا يجرحون . وذكر الشاعر هوميروس كيف ان احد المحاربين جرح الرب اريس فراح يصرخ من الالم . وهذا الضرب من اختيار الارباب على مثال البشر هو ما يدعى «انتروبومورفيسم» اي تجسيد الارباب .

علم الميثولوجيا — للارباب اقرباء واولاد ورهط وامرات لانهم ناس كالآدميين فامهم ربة واخوتهم ارباب واولادهم ارباب غيرهم او ناس هم نصف ارباب . وتدعى انساب هذه الارباب تيوغونيا . وللارباب تاريخ وحوادث ولهم قصص في مواليدهم واخبار شبيبتهم واعمالهم . فالرب ابولون مثلا ولد في جزيرة ديلوس وكانت لجأت اليها امه لاتون وقتل غيلانًا كان قد خرب تلك البلاد في سفح جبل البارناس . وهكذا كان لكل مقاطعة يونانية اخبار تعزوها لاربابها سموها الخرافات ومن مجموعها تتألف الميثولوجيا اي تاريخ الارباب .

الارباب المحليون — بقي الارباب اليونانيون وهم على صفتهم البشرية على ما كانت عليه اولاً كوائن طبيعية فكان القوم يتخيلونها كما يتخيلون البشر وقوى الطبيعة فقد كانت النا ياد فتاة جميلة ونبعًا منبجسًا في آن واحد . وتخيل هوميروس الشاعر ان نهر جزيرة الزانت هو رب وقال فيه (لقد تدفق نهر الزانت على البطل آشيل وهو يزبد غيظًا ويرغي حنقًا ويخر طافحًا بالزبد والجثث) وظلت الامة تقول ان الرب زيوس ينزل المطر ويرسل الرعد . وكان اليوناني يعتقد ان الرب عبارة عن مطر وسيل وسماء او شمس لا السماء والشمس والارض على الجملة . وكان ربه مسامتًا للسماء التي تظله والارض التي تقله والنهر الذي يعله . فمن ثم كان لكل مدينة ارباب ومعبودات كثيرة فمن رب الشمس الى ارباب الارض الى رب البحر وكانت تلك الارباب منفصلة عن شمس البلد المجاورة وارضها وبحرها بمعنى انه كان لاهل كل مقاطعة ربها ومعبوداتها الخاصة بها . فليس رب اسبارطة زيوس ربًا لآثينة زيوس بمينه وربما كان يذكر في قسم واحد ربان تحت اسم اثينيه او ربان تحت اسم ابولون . ذكر احد من طاف بلاد اليونان من السياح انه شاهد الوفًا من الارباب كانت تدعى ارباب المدينة ولم يكن هناك سيل ماء ولا غابة غيباء ولا اكمة شماء الا وهي مؤلهة (١) ولها صفة لا يشاركها فيها غيرها وربما كان هذا المعبود صغيرًا لا يعبده الا ناس من اهل الجوار وما مزاره غير مغارة في الصخر .

(١) يقول الشاعر ازيودس اليوناني انه كان في بلاده ثلاثون الف رب

الارباب الكبيرة — وهم اليونان ان فوق طوائف الارباب الكثيرة الصغيرة المنبثة في كل مقاطعة بضعة ارباب كبيرة كالسماء والشمس والارض والبحر المدعوة بهذا الاسم ولها في كل مكان معبد خاص او مزار يتقرب فيه اليها وكانت تمثل كل من هذه الارباب اهمّ القوى الطبيعية وما أكثر عدد هذه الارباب التي اشترك اهل يونان كافة في التقرب اليها فانك لو احصيتها لاتكاد تصل في عدها الى العشرين . ومن سوءعادالتنامعاشر الافرنج ان ندعو هذه الارباب باسماء ارباب لاتينية واليك حقيقة اسمائهم :

زيوس (المشتري) = هيرا (جونون) = اتينيه (منرفا) = ابولون = ارتيمس = (ديان) = هرميس (عطارد) = هيفزتوس (فولكين) = هيستيا (فيستا) اريس (المريخ) = افروديت (الزهرة) = بوزيدون (نبتون) انفيتيريت = برونه = كرونوس (زحل) = ريهيا (سيبيل) = ديميتير (سيريس) = برسيفونه (بروزربين) = هاديس (بلوتون) = ديونيزوس (باخوس) . وهذه الزمرة من الارباب هي التي كانت تعبد في كل المعابد على الجملة ويتوسل اليها في الصلوات

خصائص الارباب — لكل من هذه الارباب هيئته وهندامه وادواته المدعوة خصائص هكذا صورها المؤمنون من ابناء يونان وهكذا مثلها النقاشون منهم . ولكل خلقه المعروف به بين عابديه ولكل منها عمله الخاص به في العالم ويقوم بوظائف معينة وذلك بمعونة ارباب ثانوية تطيعه في العادة ويتصرف فيها بامره . فالرب اتينه مثلاً هو على صورة عذراء ذات عينين براقتين مثلث قائمة وهي تحمل رمحاً وعلى رأسها خوذة وعلى صدرها سلاح لامع وهي عندهم ربة الهواء النقي والحكمة والاختراع وعلى جانب من الهيبة والشراسة .

ومثل هيفيزتوس رب النار حاملاً بيده مطرقة على صورة حداد اعرج قبيح الهيئة وزعموا انه ينزل الصاعقة . وان الربة ارتيمس كانت عذراء متوحشة تحمل قوساً وكنانة وهي تطوف الغابات تتصيد مع زمرة من الجنيات وهي ربة الغابات والصيد والموت . اما هرميس الذى قلوه لابساً نعالاً مجنحة فهو رب المطر المخصبة وله اعمال اخرى وهو رب الاسواق والاماكن ورب التجارة ورب السرقة ورب الفصاحة يسري بارواح الموتى ويمشي في السفارات بين الارباب ويقوم على تربية الحيوانات . وللرب اليوناني ابداً عدة وظائف في الغالب هي في نظرنا متخالفة غير ان اليونان تخيلوا ان بينها تشابهاً ويرتاًون لها صلة وعائداً

الاولمب وزيوس — كل من هذه الارباب اشبه بملك في مقره ومع هذا فقد لاحظ اليونان ان جميع قوى الطبيعة لاتدير بالتصادف وانها تعمل يداً واحدة فكانوا يطلقون اللفظ الواحد للتعبير عن النظام والعالم ففرضوا ان الارباب اتحدت على تسيير نظام العالم

وانه كان لهم شرائع وحكومة كما للبشر . وكنت ترى في شمالي اليونان جبلاً ذا قمم مكسوة بالثلج لم يصعد اليه بشر واسمه الاولمب وعلى هذه القمة المستورة عن اعين الناس بما يتراكم عليها من الضباب توهم اليونان ان الارباب يعقدون جلساتهم فيجتمعون مستنيرين بنور سماوي يتفاوضون في شؤون العالم وعظيمهم زيوس (المشتري) يرأس تلك الجلسات لانه رب السماء والنور والرب الذي يؤلف السحاب ويرسل الصواعق وصوروه على مثال شيخ مهاب ذي لحية بيضاء جالس على عرش من ذهب وهو الذي خُص بالزعامة دون سائر الارباب ولذلك تراها تخضع له فاذا بدرت من احدها بادرة المقاومة في امر يتهددها زيوس واليك ما ذكره هوميروس على لسانه « اعقدوا في السماء سلسلة من ذهب وتعلقوا بها انتم معاشر الارباب ذكوراً كنتم او اناثاً ولو بذلتم الجهد كلكم لا تجرون زيوس الى الارض وهو الملك الآمر وعلى العكس اذا اردت ان اجذب السلسلة الي فانا جاذب الي الارض والبحر ثم اعلقه بقمة الاولمب ويبقى العالم كله معلقاً مصلوباً ما دمت اعلى منزلة من الارباب والبشر »

آداب الميثولوجيا اليونانية — وهم اليونان ان معظم اربابهم من القسوة والسفك والخداع والسفاهة على جانب فاخترعوا لهم اخباراً سفيهة واعمالاً نابية عن طور اللياقة . فكان هرميس بزعمهم لصاً واشتهرت افروديت بغنجها وخفرها واريس بقسوته وكانوا كلهم من العجب بحيث لا ينفكون عن اضطهاد من تساهل في تقديم الضحايا لهم . ولما أُعجبت نيوبي ملكة ثيبة بكثرة أُسرتها لم يصعب عليها ان رأت الرب ابولون يصمي اولادها بالسهام ويمزقهم كل ممزق . وكان من حال تلك الارباب في الحسد بحيث لا تتمالك من رؤية انسان بلغ غايات السعادة . فاليونان رأوا السعادة من اعظم الاخطار لانها تجلب غضب الارباب حتماً ولذلك ابتدعوا ربة للغضب والانتقام سموها نيميزيس ويذكرون لها قصصاً كالآتية مثلاً : ذلك ان بوليكراتس الظالم من اهل جزيرة سيسام خاف يوماً حسد الارباب اذ غدا ذا طول وحول وكان يملك خاتم ذهب له موقع كبير من نفسه فالقاه في اليم لئلا تكون سعادته مشوبة بالشقاء ثم ان صياداً احضر لبوليكراتس ذات يوم سمكة عظيمة وجد خاتمه في جوفها فكان ذلك بنظره شؤماً دالاً على وقوع المصيبة الاكيدة. فحوصر بعدُ في مدينته وأُخذ وصلب وعاقبه ارباب يونان على سعادة نالها وحظ من النعم اصابه .

عرف بهذا ان الميثولوجيا اليونانية كانت عارية عن الاخلاق اذ كان الارباب قدوة سيئة للناس قال ذلك فلاسفة اليونان وضيقوا على الشعراء الذين نشروا هذه الحكايات وذكر احد تلاميذ فيثاغورس ان معلمه اطلع على الجحيم فرأى فيه روح هوميروس الشاعر مصلوبة في شجرة وروح ازيودس الشاعر مدلاة في دعامة عقوبة لها على اهانتهما الارباب

وقال كسينوفان ان هوميروس وازيودس قد نسبا للارباب اعمالاً من شأنها ان تكون عاراً بين البشر وشناراً عليهم وهناك إله واحد لا يشبه البشر باجسادها ولا بعقولها وكان يزيد على ذلك قوله : لو كان للبقر والاسود ايدٍ واستطاعت ان تصور كالناس لصنعوا للارباب اجساداً تشبه اجسادهم ولجعلت الخيل للارباب اجساداً كالخيل والبقر. والناس يذهبون الى ان للارباب احساساً وصوتاً وجسداً. هذا قول كسينوفان وهو من الحق والعدل بمكان اذ قد جعل اليونان الأُول اربابهم على صورهم مثل ما كانوا عليه في ذلك العهد سفاكين غدارين حسودين معجبين وكذلك كان اربابهم . ثم صاروا على نسبة التحسين في اخلاقهم ينشأ اخلاقهم متبرمين من هذه المبادي، كلها عازفين عنها ولكن تاريخ الارباب واخلاقهم كانت مقررة بحكايات قديمة اخذها اهل الاجيال الحديثة ولم يجرأوا على تغيير ارباب اجدادهم الفظة السفيهة بغيرها

بعض تباريح

«المعنى مأخوذ عن شاعر اميركاني»

حمامةَ هذا الفجر ويحك رفرفي ... لتلتقطي حب النجوم وطيري
لعل الصبا تُندى على القلب ندوة ... تُنفس وجدي او تبلُّ زفيري
فلي في الصبا شكوى ولي في الصبا هوى ... وبعض تباريح وبعض امور
تحرك نفسي كلما هفهفت وما ... تظن بانفاس وشعلة نور
فيامن لنفس كل شيء يهيجها ... الى اثرٍ من لوعة وسرور
تلاقى اليها الحب من كل مذهب ... كما استهدفت فيه لكل مصير
فكيف اتثنت تلق الهوى او شعاعه ... لحاظاً والفاظاً ونور ثغور
كثيرٌ على نفسي همومي وحسبها ... على عنت الايام حملُ ضميري
تخالجني بالرغم يأسٍ مبرّحٌ ... سواء عسيري بعده ويسيري
وما انا مردود الى الرأي بعد ما ... تحكّم طبعي واستمر مريري (١)
شجينا وباتوا قد خلت مهجاتهم ... على أفق بادي الصفاء منير
وما في اكتئاب العشق حزن وانما ... لمعنى يُرى في اللحظ بعض فتور

طنطا ... مصطفى صادق الرافعي

---

(١) يقول الرجل استمر مريري اذا استحكم امره عليه وألِفه

سير العلم

آثار رومانية

كان احد علماء الآثار من الطليان اكتشف منذ بضع سنين في فياسا كرا من جبال مدينة رومية مدافن قديمة جدًّا يرد عهدها الى ما قبل تأسيس رومية بقرون فاهتز لذلك العلماء والمؤرخون اذ ثبت لهم ان ما وجد في تلك المدافن من الخزف والحلي والتعاويذ وضروب الزينة التي زينت بها العظام هو مما يدل على ان هناك عنصرًا وتمدنًا يخالف العنصر الروماني وتمدنه . وقد عثر الآن في جبال بلاتين اي في تلك البقعة عينها على مدافن اخرى قديمة جدًّا تثبت ما كان ذهب اليه ذاك العالم الاثري وهي قبور على شكل آبار مثل قبور الفوروم وربما كان المدفون فيها اناس من سكان تلك البلاد الاصليين وما زال الحفر متتابعًا .

اميركا والفينيقيون

ما برح علماء الآثار يبحثون عمن سكن اميركا قبل القرون الوسطى قائلين انها عرفت قبل مكتشفها خريستوف كولمبس بنحو خمسة وعشرين قرنًا لان الآثار التي وجدت في كثير من انحائها كالهياكل والاواني النحاسية والكتابات العبرانية تدل على انه سكنها ناس من العبرانيين او الفينيقيين والارجح انهم فينيقيون لان جميع الهياكل كانت ابوابها متجهة الى الشرق خاصة بعبادة الشمس على نحو الهياكل الفينيقية ووجد فيها صور بعض الحيوانات الكاسرة والداجنة منها ما عهد عند الفينيقيين ومنها ما أثرت عبادته عن قدماء المصريين ومعظم تلك العاديات اشبه بهياكل سورية وجنوبي اوربا وشمالي افريقية وغيرها من البلاد التي نزلها الفينيقيون واقاموا فيها متاجرهم فاستنتج من ذلك علماء الآثار ورجحوا ان الفينيقيين نزلوا اميركا كما نزلوا ايرلاندا في اقصى الشمال الغربي من اوربا وان اهل اميركا قبل الاكتشاف كانوا يعرفون ما عند الفينيقيين من الصنائع والدين واللغة وكلما ظهرت عاديات جديدة تجلت حقائق كثيرة وثبتت ثبوتًا لا مجال للشك فيه .

المنازل المهلكة

وضعت « المجلة » مقالة وصفت فيها المنازل الفقيرة في باريز بدأت فيها بما جاء في المثل الفارسي القديم « يدخل الطبيب احيانًا الى الدار المحرومة من الهواء والشمس » وقالت ان الامراض المعدية ولا سيما السل لا تنتشر الا في الامكنة الندية التي لا تضربها اشعة الشمس وان جراثيم هذا المرض تعيش اسابيع بل اشهرًا في الظلام فاذا اقام امرؤ ضعيف

الجسم مستعد لهذا المرض الخبيث في غرفة معرضة للشمس يسلم من هذا المرض وعلى العكس تسرع اليه جراثيمه اذا جلس في مكان رطب لا شمس فيه ولا هواء ينفذ اليه حتى قال بعضهم ان السل هو من امراض الظلمة وقد اجمع اطباء الامم الباحثين في هذا الداء العياء على ان السبب الرئيسي في انتشاره فقدان النور والشمس من اكواخ الفقراء التي يحشر اليها العيال والاطفال وقالوا لا يكفي ان تكون غرفة النوم وردهة الاستقبال وغرفة الطعام معرضة للشمس بل انه لا بد من ان يكون المطبخ وكل مكان في البيت معرضاً لها ايضاً ولاجل السكنى في بيت ذي ثلاث طبقات ينبغي ان يكون قائماً على شارع عرضه من ١٥ الى ٣٠ متراً بحيث يغدو الهواء والشمس فيه وتروح . وقال كاتب المقالة انه يؤخذ من الاحصاء الذي جرى مدة عشر سنين في مساكن باريز وهي ٨٠ الف مسكن انه قضى بالسل ١٠١٤٩٦ شخصاً في ٢٣١٢٤ مسكناً منها ٥٢٦٣ مسكناً وقع فيها ٣٨ في المئة من مجموع من قضوا بالسل وثبت ان ٣٥٨ مسكناً من هذه المساكن كان فيها ٢٦٢٨ غرفة مسكونة لا هواء فيها ولا نور بالمرة وان ٨٢٠ مسكناً ينبغي ان تهدم حالاً لانها منبعث هذا الداء العقام . وقد قامت عدة جمعيات في فرنسا تدعو الى تطهير البيوت واختيار اماكن صحية للعمل والنوم والراحة في الليل والنهار . وفي المانيا مجالس بلدية تعطي التعليمات الصحية الكافية لكل مستأجر يريد ان يتخذ له مسكناً وتذكر له حسنات المسكن الذي يختاره وسيئاته لئلا يصاب وأسرته بمرض عششت فيه جراثيمه وكذلك نرى في كثير من المدن مجالسها البلدية عارفة بالبيوت الملوثة والبيوت السليمة لتتوفر على محاربة جراثيم السل الرئوي . وفي مقالة ثانية ان السل يمكن شفاؤه اذا تدورك امره وانه ثبت ان الفقراء هم اكثر الناس عرضة له ففي المانيا يموت به ١١٠ آلاف نسمة منهم ٨٠ الفاً من الطبقات العاملة التي يقل دخلها عن الفي مارك في السنة

عادة الافيون

تعاقب اليابان متعاطي الافيون بالاشغال الشاقة وتختلف مدة ذلك باختلاف استهتاره واسترساله وقد اصدرت الصين في العهد الاخير امراً تقضي فيه على جميع بيوت الافيون العامة ان تصفي اشغالها وتقفل ابوابها واعطتها مهلة لذلك عشر سنين ولكن عادة الافيون التي يطاردها اهل الشرق الاقصى التي نشأت بينهم اصبح اهل اوربا يتساهلون معها بحيث يجري تداول الافيون جهاراً في العواصم والحكومات غافلة عن متعاطيها الذين اعتادوها في رحلاتهم الى الشرق مثل بعض الانكليز والفرنسيس وقد ارتأى احد اطباء الفرنسيس ان خير ما يعالج به متعاطي هذا المخدر ان يسجن في دار خاصة بامثاله ويقطع عنه الافيون دفعة

واحدة فى الاسبوع الاول يشكو كثيراً ثم يخف ألمه لفقد ما كان ألفه وتسمم به دمه لا كما يعامل الذين يستخدمون المورفين اذا أريد منعهم من تعاطيه بالتدرج معهم في نزع عادته منهم وهو يرى ان الافيون كالاوبئة ينبغي مكافحتها بشدة زائدة وانه خطر اجتماعي لا يقل عن خطر المسكرات يعود باعظم المضار على الجنس كما يعود على الشخص وعلى المجتمع كما على الأسرة .

الرعاد الجديد

اخترع احد رجال الانكليز رعاداً جديداً يقطع في الدقيقة ٢٠٠ امتر وهي اعظم سرعة بلغتها السفن البخارية حتى الآن وسيحدث عنه تبديل في الملاحة الحربية وتتضاعف به قوة الغواصات .

ذرور اللحى

اخترع احد الانكليز ذروراً للحى تستغني به بعد الآن عن استعمال المواسي في حلقها وهو يجعل معجوناً يمد على اللحية فتزول بالحال ولا يحتاج صاحبها إلاَّ الى غسلها بعد ذلك وقد جرب هذا الاختراع ونجح ويؤكدون انه من خير ما عرف من نوعه حتى الآن .

تأثير الشعراء

قالت بعض المجلات العلمية ان الشعراء في بعض ادوار الامم هم الذين ينشئون لغة بلادهم وعنهم تنبعث وبهم تهتدي فاللغة الالمانية الادبية الحقيقية نشأت من عهد كيتي وقد جعل دانتي الطلياني لهجة طوسكانيا لغة لايطاليا عامة وقد تبين لاحد الباحثين ان اشعار هوميروس اليوناني هي التي احكمت اللهجة الآتية في بلاد اليونان .

الطلبة في فرنسا

نشرت نظارة المعارف العامة في فرنسا احصاء بطلاب الكليات والمدارس الجامعة في هذه السنة فكانوا ٣٨ الفاً منهم ٢٣٠٠ انثى ونحو ٣٥٠٠ غير وطني ونصف هؤلاء الطلبة يتعلمون الحقوق بينهم نحو مئة طالبة وطلاب الطب اقل من طلاب الحقوق فيهم نحو الف طالبة وفي كلية باريز نصف طلاب فرنسا ثم تجيء كلية ليون وتولوز وبوردو

موت الاطفال

ينقص معدل الوفيات من الاطفال في معظم البلاد المتمدنة ولا سيما في المانيا وانكلترا ففي كل مئة طفل في المانيا يبلغ ٧٥ منهم السنة الاولى من اعمارهم . اما فرنسا فان ٨٧ في المئة يبلغون هذه السن .

عقل امبراطورة

امبراطورة اليابان من اعقل نساء الارض واكثر الملكات والامبراطورات عناية بالمسائل النسائية فهي محسنة كريمة تصرف القسم الاعظم من وقتها في الاختلاف الى المستشفيات والمدارس وقد انشأت للبنات كثيرًا من المستشفيات الخاصة بهن وهي التي اسست منذ سنة ١٨٧٤ اول مدرسة لتخريج المعلمات في طوكيو اذ انها علمت بان المرأة اليابانية ينبغي لها ان تعضد زوجها في عمله لاصلاح حال اليابان .

سكر الفاكهة

يوصي علماء الصحة باستعمال السكر لمن يصرفون كثيرًا من قواهم العضلية ليعوضهم عما فقدوه وقد رأوا الآن ان استعمال سكر القصب يهيج الغشاء المخاطي المعدي كما ظهر من تجارب كثيرة في الجند الالماني وانه يفضل استعمال السكر المصنوع من الثمار .

التآليف في أوربا

يؤخذ من الاحصاآت الاخيرة انه ظهر في المانيا في السنة الماضية ضعفا ما ظهر في فرنسا من المصنفات الادبية وانه كان حظ ايطاليا من ذلك حظ فرنسا تقريبًا اما انكلترا فصدر فيها نصف ما صدر في فرنسا . وقد صدر في سنة ١٩٠١ نحو ٢٥ الف مصنف في المانيا و١١٠٠٠ في فرنسا ومثلها في ايطاليا و٦٠٠٠ في انكلترا . فكم تأليف صدر باللغة العربية يا ترى لغة نحو مئتين وخمسين مليونًا من المسلمين ولغة يقدر المتكلمون بها في افريقية وغربي آسيا بنحو ستين مليونًا .

الترجمة باليابانية

اكد احد علماء اليابان ان الترجمة من اللغات الاوربية الى اللغة اليابانية صعبة جدًّا ويصعب نقل جميع صور الالفاظ والمعاني كما يسهل نقل العلوم من لغة اوربية الى لغة مثلها ولو لم يكن في اللغة المنقول اليها نفس المفردات والاوضاع الموجودة في اللغة المنقول عنها وقال ان اللغة اليابانية اليوم عائقة عن ادخال اساليب الارتقاء الاوروبي وان لغة يابان غنية وفيها من الالفاظ والاساليب في الشعر ما لا يوجد مثله في لغة سواها والصعوبة في ذلك ان فيها لغة للكتابة ولغة للتكلم فهي من جهة ترسم التصوُّرات ومن جهة تنطق بها فمن المتعذر والحالة هذه رسم التصوُّرات في مفردات مفهومة فما دامت الالفاظ تحول دون الترجمة الصحيحة يصعب ان تكون يابان في تمدنها كاهل اوربا كما تحب وترضى

صحة العيون

اثبت الدكتور كوليك مدير التربية الطبيعية في مدارس نيويورك بما اقام به من التجارب العديدة ان لاضطراب النظر تأثيراً يلحق بالصحة واستنتج ان اجهاد العيون يضر بمجموع تركيب الانسان وقال ان العلماء هاكسلي وكارلايل وواغنر كان سبب هلاكهم سوء حالة عيونهم . ولا يزال هذا المرض يتزايد بتزايد الحالة الاجتماعية . ومعلوم ان عيون الحضري اعظم من عيون البدوي لما تتعرض له الاولى من القراءة والتحديق في الامور الدقيقة او الحروف السوداء على الورق على حين ان الثاني لا يقرأ ولا يكتب ولا يتعب نظره لانه يسرح بصره في الابعاد في هواء مطلق بدون ان يهيج اعصاب النظر واثبت الدكتور المشار اليه ان كثيراً من الامراض كالاوجاع الطبيعية والشقيقة وآلام المعدة مسببة من القراءة فلا تداوى الا بوضع المناظير على العيون . ومعظم الناس لا يحتاطون في قراءتهم ويجهلون بانه ينبغي ابداً اجتناب القراءة او العمل وهم على وضع يدخل النور الى عيونهم مباشرة على حين ان يؤبوء العين يتطلب نوراً معكوساً . ومن رأيه ان من يعنى بعينيه تجود صحته وغسلهما بالماء البارد حسن واحسن منه عدم تعريضهما لما يضرها .

اكتشاف القطب

ستسافر هذه السنة بعثتان لاكتشاف القطب الشمالي علاوة على البعثتين اللتين سافرتا اليه فالبعثة الاولى برئاسة رجل دانيمركي تتولى البحث عما اذا لم يكن ارض غير معروفة في شمال الاسكا والثانية بزعامة امير من امراء الفرنسيس وهي ستتم ابحاث القبطان ايريشين في غروانلاند وترسم صورة جزء من الشاطئ الشمال الشرقي من هذه الجزيرة . كما تسافر في هذا الصيف بعثة علمية الى القطب الجنوبي من طريق المحيط الهندي حتى تصل الى ارض فيكتوريا ومنها تنزل من السفن وتستعمل طريقة اخرى للنقل وربما استعمل الاتوموبيل في هذه الرحلة . وكان الرحالة روس وصل الى عرض ٧٨ في القرن الماضي واعلن انه يستحيل ان يتقدم المرء الى الامام ولكن الرحالة سكوت اكتشف سنة ١٩٠٢ و١٩٠٣ بان وراء سد الثلج الذي منع روس من التقدم قمة يمكن الوصول اليها على مراكب بلا عجل فبلغ بذلك درجة ٨٢ ودعا ذلك المكان باسم ادوارد السابع .

نور غير الشمس

الاسيتلين مادة من المواد التي تستعمل في انارة المصابيح . وقد ارتأى احدهم في اميركا بانه يمكن الاستغناء بها عن نور الشمس في زراعة النباتات ويمكن بواسطته الحصول على توت ارنجي جيد لطيف قبل موسمه بخمسة عشر يوماً

مطبوعات ومخطوطات

مجموع متون اصولية

لا يوجد فن من الفنون يتسع فيه مجال النظر مثل فن اصول الفقه ولذلك عني به اهل العلم وأُلِّفت فيه كتب كثيرة ومن غرائب هذا الفن انه يتيسر ان تجمع امهات مسائله في ورقة او في ورقات ويمكن التوسع فيه حتى يكتب فيه في عشرة آلاف ورقة وهو كغيره من الفنون قد وقعت فيه كتب في غاية الجودة وكتب دون ذلك الا ان اكثر الكتب الجيدة كاد يفقد اثرها ومنها رسالة الامام الشافعي وهو اول من جمع مسائل هذا الفن . وا كثر ما عني به المتأخرون كتب في غاية الايجاز تعد عبارتها من قبيل الالغاز فكان المبتدي يتندي بهامع انها لم توضع له البتة تحدث من ذلك انه هجر هذا الفن حتى ان كثيراً من الخواص لا يوجد بها من له المام به . ولقد حاول بعض افاضل العلماء ان يبحثوا عن كتب جعلت للمبتدي حتى اذا قرأها اولاً هان عليه الامر فيما بعد . ومن اعظم من قام بهذا الامر الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق فقد انتخب اولاً اربع رسائل من احسن رسائل هذا الفن وكتب عليها حواشي نافعة بحيث تكشف الغطاء في كثير من المواضع ولم يكفه ما فعل اولاً حتى اتبعها ثانياً برسائل اربع في مذاهب الائمة الاربعة وحشاها كذلك . وقد وصلنا هذا المجموع وهو مشتمل على مختصر المنار لزين الدين الحلبي الحنفي المتوفى سنة ٨٠٨ والورقات لامام الحرمين ضياء الدين الجوني الشافعي المتوفى سنة ٤٧٨ ومختصر تنقيح الفصول لشهاب الدين القرافي المالكي المتوفى سنة ٦٨٤ وقواعد الاصول لصفي الدين البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٩ طبعت هذه الرسائل على نفقة محمد افندي هاشم الكتبي وتطلب من مكتبته في دمشق وهي في زهاء ١٥٠ صفحة متوسطة القطع .

البريد المصري

اتانا تقرير مصلحة البريد المصري عن سنة ١٩٠٦ فاستفدنا منه اموراً كثيرة تدل على حياة القطر منها انه بلغ عدد المراسلات التي اصدرتها ادارة البريد في السنة الماضية ٥٨٠٠٠٠٠٠ رسالة وكانت في السنة التي قبلها ٥٠٧٧٠٠٠٠ رسالة فتكون الزيادة ١٤ في المئة . وكانت الزيادة عامة لجميع انواع المراسلات المتبادلة في القطر مع البلدان الخارجية ولا سيما المراسلات المسجلة داخل القطر اذ زادت ٧٠ في المئة والسبب الاكبر في ذلك تخفيض رسوم التسجيل داخل القطر من اول يناير سنة ١٩٠١ من ١٠ الى ٥ مليمات عن كل مراسلة . وبلغ ما صدر بواسطة البريد من حوالات وصرر نقود داخل القطر ٢٣٣٥٨٠٠٠ ج . م مقابل ٢٢٨٨٠٠٠٠ في سنة ١٩٠٥ وبلغ عدد الحوالات التي تبودلت

مع الجهات الخارجية ١٩٧٥٠٠ حوالة بمبلغ ٧٩٦٩٠٠ ج ٠ م وبلغ عدد الطرود المرسلة ٨٥١٠٠٠ طرد مقابل ٧٥١ الفاً في السنة التي قبلها وتقدم عدد الطرود المحول عليها من ٧٧ الفاً سنة ١٩٠٥ الى ٨٥٨٠٠ سنة ١٩٠٦ واحدث في القطر ١٦٨ جهة للبريد فصارت ادارات البرد فيه ١٣٤٩ وزاد عدد مودعي النقود في صندوق التوفير فكان ٥٩٠٨٥ شخصاً منهم ٤٣٨٧٧ وطنيون و١٥٢٠٧ اجانب وكان عددهم سنة ١٩٠٥ ٣٠٤١١ من الوطنيين و١٣٠١٣ من الاجانب فمعدل الزيادة ٤٠ في المئة وأُنشئت فروع جديدة لصندوق التوفير في ٣١ مكتباً في تلك السنة فاصبحت فروعه ١٤٣ وانشئت صناديق توفير للاحداث فبلغ عدد الموفرين فيه منهم ٤٢٢٥ وبلغت ايرادات ديوان البريد ٢٣٧٠٩٧ ج ٠ م وكانت في السنة التي قبلها ٢١٥٩١٧ وبلغت المصروفات ١٨٥٠٧٦ ج ٠ م وكانت ١٤٩٦٥٦ في سنة ١٩٠٥ فيكون مقدار زيادة الايرادات على المصروفات ٥١٩٢١ ج ٠ م فزادت بذلك وارداتها اكثر من الضعف في مدة العشرين سنة الماضية على ما ادخل في خلال هذه المدة من تخفيض الرسوم على المراسلات بفضل انتباه مصلح هذه المصلحة يوسف سابا باشا ٠

الانسانية

هي المجلة العلمية التهذيبية الفكاهية الدينية الادبية التي تصدر في غرة كل شهر لصاحبها الشيخ ابراهيم الدباغ كان اصدر منها خمسة اجزاء وتوقف مدة عن اصدارها وامامنا الآن الجزء السادس من سنتها الاولى وفيه كلمة افتتاح لطيفة الاسلوب فيها تصريح محزن بكساد بضاعة الاقلام ومقالة « اعتدل في الانسانية » لعبدالقادر افندي المغربي ومقالة « مناحي المنشئين » للسيد حسين وصفي رضا وغير ذلك من المقالات والشذرات الفكاهية والادبية التي تدل على سلامة ذوق كاتبها وادبه وفضل مؤازريه وانصاره فنرجو للانسانية الانتشار في جميع الاقطار وقيمة اشتراكها ٦٠ قرشاً اميرياً في السنة و٣٠ قرشاً لطلبة العلم وهو قدر زهيد اذا قيس بفوائدها.

السند

هي رسالة لمحرم بك ابراهيم خلف اللبناني فيها اهم الملاحظات في احكام السند والسفتجة والحوالة وصور كثيرة منها ومن الصكوك والاستدعاآت ومعاملة دائرة الاجراء وتعليمات محرري المقاولات وقانون الافلاس وغير ذلك من المسائل التي تهم من يحب الاطلاع على المسائل العدلية في البلاد العثمانية ولا سيما العربية منها وان شئت فقل اللبنانية وقد الحقها بجدول باسماء قرى لبنان مرتب على حروف المعجم مع الاشارة الى القصبة والمديرية والقضاء التابعة لها كما الحق بها متن الرحبية في الفرائض لابي عبدالله محمد الرحبي المعروف بابن المتقنة

المترجم

Le Traducteur, à La Chaux-de-fonds (Suisse)

المترجم مجلة نصف شهرية لدرس اللغتين الالمانية والافرنسية تصدر في سويسرا وفيها كل جملة وترجمتها مقابلها عمود افرنسي وعمود الماني وموادها عبارة عن قصص وحكم وامثلة عملية وادبية وفي كل جزء منها جانب عظيم من الكلمات التي يسهل استخدامها وقد وافتنا الاجزاء العشرة التي صدرت منها وتصفحناها كلها . وهي في ١٦ صفحة وقيمة اشتراكها اربعة فرنكات وخمسة سانتيمات فنحث عشاق هاتين اللغتين على اقتنائها ولاسيما الالمانية فان العارفين بها بيننا قلائل جداً فلو تعلم احدهم مبادىء قراءتها وكتابتها لسهل عليه احكامها بواسطة هذه المجلة .

وصايا للطبيب

من كتاب الاصول لعلي بن رضوان المتوفى سنة ثلث وخمسين واربعمائة

الطبيب على رأي بقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال (الاولى) ان يكون تام الخلق صحيح الاعضاء حسن الذكاء جيد الروية عاقلاً ذكوراً خير الطبع

(الثانية) ان يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب

(الثالثة) ان يكون كتوماً لاسرار المرضى لا يبوح بشيء من امراضهم

(الرابعة) ان تكون رغبته في ابراء المرض اكثر من رغبته فيما يلتمسه من الاجرة ورغبته في علاج الفقراء اكثر من رغبته في علاج الاغنياء

(الخامسة) ان يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس

(السادسة) ان يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من امور النساء والاموال التي شاهدها في منازل الاغنياء فضلاً عن ان يتعرض لشيء منها

(السابعة) ان يكون مأموناً ثقة على الارواح والاموال لا يصف دواء قتالاً ولا يعلمه ولا دواء يعالج الاجنة يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه اه

فجائع البائسين

« تابع ما قبله »

٨

بعد ما قبرت شهيرة ابنها انشأت تفكر فيما يؤول اليه امرها لانها ادركت انقطاع اجرة الحضانة وزوال العلاقة التي كانت تربطها بسعيد ولم يبق بينهما غير عقد الزوجية فادركت ايضاً ان استصدار الحكم عليه بمائة ليرة يمنعه عن الطلاق اذا ارادت ان يطلقها فما وجدت انفع من الرجوع اليه والرضا به وكان بلغها انه يسعى في زواج غيرها فاعربت لامها عما يخالج ضميرها وقالت لها انها تود الرجوع الى زوجها قبل ان يقترن بغيرها فآخذتها على افكارها وطمنتها بقولها : انه لا يقدر على الزواج لان الناس علموا بما جرى بينكما فيخافون على بناتهم من ان يصرن الى ماصار اليه امرك . ثم قالت : وليس كل الناس مثلنا قليلي العقل والبصيرة .

— ماذا جرى لي حتى يمتنع الناس عن تزويجه بناتهم اما كنت انت السبب في تنافرنا ونحن كنا راضين من بعضنا وكان الصفاء ملازمنا والهناء يرافقنا فانت التي كدرت صفاءنا بتهوراتك الدنيئة فلو كنت تركتينا وشأننا لما حدث شيء بيننا ولكن طمعك الذي ادى بنا الى الفراق وبعث فينا روح الشقاق فاسألك بابيك ماذا تبغين مني ? ألست بالغة سن الرشد والكمال ? فلماذا لا تتركينني حرة في اعمالي اتصرف بها كما اشاء ? فان كان قصدك قتلي وهلاكي فبئست الامهات اللواتي تبدلن سعادة بناتهن بالشقاء واني لا ادرك غرضك من افتراقنا مع اننا كنا على وئام وسلام يحسدنا عليهما من سمع بنا قامت عليه قواعد ائتلافنا

— مالي اراك اليوم تشتاقين الى زوجك الذي هو مطية العار فلا عاش الرجال ?

— لم ارسبة بانتسابي اليه اما انت التي سعيت في زواجي به ? وهل كان مجهول الاحوال لديك ولدى اخي الذي رافقه ثماني سنين وانا على علم من انه لا يزال كما كان عليه من قبل وما يخيل لي ان اجد مثله بين الناس فهل رأيت ام سمعت برجل يعامل امرأته بالمساواة ويسعى فيما يرضيها بكل ما امكنه في هذه البلاد ? من لي برجل يعاملني هذه المعاملة الحسنة ? على اني اعجب من اعمالك مع اصهارك . الست انت التي كنت سبباً في طلاق اختي حتى اصبحت محرومة من الزواج ? وهي لا تزال في كدر واسف على زوجها مع اني اعلم و يعلم كل انسان ان الامهات تحب اصهارهن اكثر من ابنائهن وانت على العكس

تبغضينهم فتنفرينهم من بناتك حتى تحرميهن منهم . اما سمعت قول بديعة التي طلبت اختي الصغيرة انها اعجبتها وودت تزويجها بابنها ولكنها خافت على ابنها منك فها انت قد اشتهرت بين الناس بسوء الخلق ورديء الطباع

— لقد تجاوزت حدك ياشهيرة فانت لا تزالين في سن الطفولية لا تميزين الصالح من الطالح وانا أخطأت بقبول سعيد زوجاً لك ولكني سأجتهد في التكفير عن خطئي واصلاحه فلا تأسفين على هذا الرجل الدنيء الاصل الفقير الحال ايقني بانه عندما يثبت طلاقك ازوجك وتعيشين معه عيشة لا يشوبها كدر ولا يتخللها شقاء . او تحسبين اننا في قحط من الرجال ؟

— اما تتقين الله في سعيك لاثبات طلاق لا اصل له وهب انك وفقت الى اثباته بشهادة شهود الزور والبهتان وحكم القاضي بتفريقنا واعطاني اعلاماً شرعياً باني مطلقة فهل يكون الطلاق موافقاً لحقيقة الشرع الشريف

— لا ! ولكن نكون اخذنا لك مائة ليرة

— فاذا كنت لا ازال على عصمته كيف يتسنى لي ان اتزوج بغيره

— تتزوجين باعلام الحاكم وحكم الحاكم امر مقضي يعمل به ويقوم مقام الطلاق

— في اي ديانة واي شريعة وجدت هذا الجواز وهذا الحكم المعقول او تحسبين اني لا اخاف الله تعالى بانتقالي الى عصمة رجل وانا على عصمة غيره فاذا كان طمعك بالمائة ليرة التي تودين اخذها زوراً وبهتاناً فلا حاجة لي بها ولا اود ان اعصي الخالق طمعاً في حطام الدنيا أو نسيت ان من يغنمون الدراهم بطرق غير مشروعة لا يصرفونها الا على امراضهم ويدفعونها ثمن ادوية واجرة اطباء وهم يقضون آخر ايام حياتهم في انعس الاحوال وقد يتمنون الموت فلا يجدونه واذا تزوج زوجي وهجرني هجراً دوبلاً كيف تصير حالي فهل لي حينئذ سوى البكاء والنحيب حتى تستولي عليّ الامراض وارزح في فراش الاسقام والعلل فاموت شهيدة سوء تصرفك

— انت تظنين انه يتزوج ويطيق هجرك . ستربن انه متى يئس من الزواج يتوسط من يرجعك اليه ويدخل تحت حكمنا فنتصرف به كما نشاء

— انت تحسبين انه لا يتمكن من الزواج وانا شعرت بانه سيوفق لأن كثرة البنات وبقاءهن من غير زواج وفساد هذا العصر يدعو العقلاء للتساهل في زواج بناتهم وانا على يقين من انه سيهجرني فاما ان اموت واما ان ارجع اليه من هذا النشوز فاكون تحت سيطرة امرأته الجديدة فان مت تكونين انت الجانية عليّ وان رجعت اليه تكونين سبب بؤسي وشقائي بعد ما كنت سعيدة

لقد فهمت انك تودين الرجوع اليه قاتل الله بنات هذا العصر اللواتي لا يطقن الهجر ساعة

— فليخطر ببالك ما تشائين فاني اعزهُ واحب الرجوع اليه قبل ان يتزوج

ثم قامت وتركت أمها ودخلت حجرتها واغلقت الباب عليها واخذت تبكي وتندب حظها وتلوم نفسها على اطاعة امها

مضت على هذه المحاورة هنيهة وجيزة فدخلت على ... احدى صويحباتها التي كانت تتنسم الاخبار عن زوجها وتأتيها بها فقالت لها اتدرين ماذا جرى ؟ قالت : لا

— ان سعيداً اعقد لهُ على جميلة خانم ابنة علي باشا فصاحت قائلة : آه . واغمي عليها .

فندمت هذه على اخبارها ثم اتت بالماء والعطريات ورشت على وجهها وجعلت تفرك يديها وتدلكها حتى تنبهت فاخذت تبكي وتلعن امها التي سببت لها هذه النقمة وتفكر فيما حلّ بها فايقنت انها ستفارقه ابد الدهر وانه سيحتفظ بعد الآن بود جميلة خانم ولا يسأل عنها وقد دخلت امها فاخبرتها بواقعة الحال وقالت لها : كنت تظنين انه لا يتزوج فها هو قد اقترن باحسن ابنة في بلدنا فانقطع املي بلقائه واظن انه لا يطلقني ولا يأخذني اليه الا اذا رقت زوجته لحالي فاكون تحت امرها وارادتها فهذه نتيجة اعمالك القبيحة

فأدركت امها خطأها واخذت تلطفها بالكلام وتعدها بالآمال ثم دعت ابنها رفيقاً وعزموا على اقامة دعوى الطلاق مرة ثانية واتوا بشهود غير الاولين وعينوا يوم الجلسة يوم عرسه لينغصوه وظنوا انهم يوفقون الى اخذ الحكم عليه فيكون يوم عرسه يوم نحسه ولم يدر في خلدهم ان يوم عرس المرء في غالب الاحوال يكون يوماً مباركاً ولا يخطر ببال العروسين سوى السعادة ففرح بما اتوه ولم يتنغص وايقن انه سينتصر عليهم لانهم حصروا الدعوى في يوم كان عنده اشرف الايام واحسن يوم وصاله ونيل آماله فذهب رحيب الصدر عالي الهمة ودخل المحكمة فأقيمت الدعوى وضبطت الافادات فشهد الشهود بما علموا لا بما عملوا فجرح شهادتهم واقام البراهين فانتصر عليهم واخذ الحكم مرة ثانية بوجود الزواج وعاد رابحاً ورجعوا خائبين وكان ما كان . فاستولى الكدر على شهيرة واعتراها الارق ولازمها الحزن والبكاء فنحل جسمها وتبدلت الوانها وضعفت قواها فسطت جراثيم السل على كرياتها البيضاء فعطل جهاز التنفس وخرب الرئتين فمنع تطهير الدم من الحامض الكاربونيك فتبدلت حمرة خدها بالاصفرار واخذت وطأة المرض تزداد عليها يوماً فيوماً فماتت شهيدة ضعف الارادة وسوء التصرف ولم أخوها خطأه ولكنه حمل الذنب على سعيد وعزم على الانتقام منه بدلاً من أمه الجانية . ولما بلغ سعيداً موت شهيرة أسف لها وحزن عليها وبكى بكاء دعا الى كدر جميلة ولكن اعتذر لها واقسم الأيمان على ان بكاءه كان من قبيل الاسف على ما عانته من العذاب والشقاء .

٩

ولما تخلص سعيد من كل منغص ايقن انه لم يبق عنده شك ولا شبهة في السعادة التي كان يسعى اليها فاتسعت آماله وصار لا يفكر الا في السعادة وصار لا يرى الا ضاحكاً مسروراً وقد نسي ما اتى عليه من قبل وظن انه خلق سعيداً وعاش سعيداً وسيموت سعيداً ولكن فاته قول الشاعر :

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وذلك ان سعيداً بينا كان راكباً عربته يجول بها على ساحل البحر في رأس بيروت ويتطلع الى الاوانس اللواتي تتزين لتسحر الالباب وتطغي الشباب ممن يسابقونهن في الزينة والتبرج وسرعة الانتقال من زي الى آخر وهما فريقان بين ساحر ومسحور وعاشق ومعشوق او عاشق محروم وعجوز تفكر في ايام صباها يوم كان الشبان يلتفون من حولها متسابقين في استجلاب قلبها وكان صاحبنا يأسف لذلك العاشق المحروم ويضحك من تلك العجوز الشمطاء التي صبغت شعرها وبيضت وجهها بالذرور ولوّنت خدودها بالصباغ الاحمر لترجع فتاة « وهل يصلح العطار ما افسد الدهر » ويلوم تلك الغادة الدعجاء التي زين الخالق جمالها بعيون نجل تكاد تفتت الاكباد على ما شوهت به نور وجهها من الذرور لتجعله ابيض ولو تركته على طبيعته لكان اجمل وقد تؤثر فيها شدة حرارة بيروت فيكللها العرق ويرسم خطوطاً في غضون خدها المبيض بالبزموت فتشعر بذلك او تنبهها رفيقتها فتخرج منديلا من جيبها ملیء بالذرور فتمسح وجهها كأنها تمسح العرق .

ويضحك من الشبان الذين حرمهم الله من نعمة الجمال عند ما يراهم يرفعون سبلاتهم وشواربهم ويتزلون طرابيشهم ليستعطفوا قلوب الغادات وربما التفتت اليهم واحدة من قبيل الصدقة والاحسان فيظن ذلك انه اعجبها بطوره وجماله .

ويزداد ضحكه عند ما يرى ذلك الشاب الذي اذا رأى سيدة احنت رأسها لحفرة في الارض رفعت العربة فكان الانحناء اضطرارياً يظن ان ذلك كان منها للسلام عليه فيحني رأسه فتضحك من جهله ويحسب ذلك تبسما والتفاتاً ويذكر حينئذ قول شوقي

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ويقول لرفيقه لم يبق بيني وبينها الا الكلام والكلام يجر مابعده . ويعجب لذلك الفتى الذي لو رأى الآنسة تصلح شعرها بيدها او ترفع غرتها عن جبينها لظن ذلك سلاماً له ووضع يده على رأسه كأنه يرد السلام بدون ان يشعر باحد عينا على مكانها وهي لا تبالي به ولا تنظر اليه .

ويبكي اسفاً على المومسات اللواتي خرجن يقلدن كبيرات العقائل بلبسهن ليجلبن قلوب

الشبان ويعشن بتمزيق ثوب عفتهن ونقدهن بدلها دراهم معدودة على انهن يظهرن المحبة لمن لا يطقن ان يراه ولذلك لا يجدر بالعاقل ان ينظر اليهن بعين الكبر والغرور ويهينهن من اجل بيع شرفهن وعفتهن لمن يردنه اولا يردنه فلو نحص عن الاسباب التي ساقتهن الى ادنى المتاجر لما تأخر عن العذر ووجه سهام الملام نحو غيرهن

ومما كان يأسف له سعيد ما يراه من الشبان الذين لو رأيتهم ونظرت الى لباسهم لحسبتهم من ابناء اغنى الأسر في بيروت على انهم لا يملكون سوى راتبهم الذي لا يتجاوز ثلاث ليرات يأخذونها من الاستخدام في مخزن او متجر ولا يجدون حرجاً في التشبه بالاغنياء وتراهم ابداً شاكين باكين من قلة الدراهم وقد يتخيلون السعادة ولكنهم لا يجدون لها اثراً الا في اميركا فيهاجرون اليها وقد يموت الكثير منهم من الجوع او يرجعون ملومين مدحورين

بينما كان سعيد يفكر في الهيئة الاجتماعية ويتأمل هذا المعرض البديع اتاه الخادم مسرعاً فقال له ان سعادة الباشا اتى من سفره وهو مريض مرضاً شديداً فذعر لهذا الخبر ورجع الى المنزل مسرعاً وكان الاطباء اتوا ومرضوه فلازم فراشه واخذ سعيد يستقبل العواد ولكن المرض اخذ في الازدياد حتى قضى الباشا وانتقل الى رحمة الله فجهزه وواراه التراب واحتفل بمأتمه احتفال الابن البار بوالده الفقيد. وهنا انكسفت شمس آمال سعيد وخاف من رجوعه الى البؤس والشقاء لان الباشا كان مستقيم المبدإ فلم يترك لوارثيه سوى الدين واثاث البيت . وحسب صاحبنا الراتب الذي ستناله حماته زوجة الباشا فبلغ الفي قرش فاطمأن بعض الاطمئنان وادرك انه لا يزال في عيشة راضية وكانت حملت منه جميلة فصار يفكر في ولده وصار البحث بينه وبينها على ابنهما الذي سيصرفان في تربيته مزيد العناية ليأتي منه انموذج الكمال ومثال الادب ويعلمانه حقائق العلوم في طفوليته ليشب على حب العلم ويتعرى من كل خرافة وقررا تلقينه تراجم احوال اعاظم الرجال وافعالهم وحقائق الكائنات وانشاء يربيآن به عن سماع القصص والحكايات المشوبة بالاكاذيب والعجائب ولما قرب وقت الوضع اخذ سعيد يستجلب الكتب المدونة في تربية الاطفال فيقرؤها هو وامرأته ويعينان الخطة التي يجريان عليها في تربية ثمرة غرامهما حتى وضعت له انثى حسنة الخلق اشبه به من امها فسمياها (خيرية) لعلها تكون مبشرة بالخير وفرحا بها كثيراً ولكنه لم تمض عليهم هنيهة من الزمان حتى فاجأتهما وفاة الخانم الكبيرة وانقطع الراتب فاصبحت الأسرة حملاً على سعيد ولم يبق لها من ايراد سوى راتبه وهو الف قرش فصرف ما جمعه واقتصده وباع الحصانين لعجزه عن القيام بنفقتهما ورجع الى عالم الاقتصاد والادارة ومع هذا كله كان يعالي النفس بطهارة بيته من الادناس ويرى نفسه في راحة من كل عناء .

١٠

في يوم سكنت نأمة القيظ وهب ريح الصبا اعترى صدر سعيد ضيق ساقه الى التنزه فبحث عن صديق له ليذهب معه الى قرية من القرى النزهة واذ لم يوفق الى صاحب يرافقه ذهب برأسه واخبر جميلة بذهابه وكان خرج على حصان استأجره فبينا هو يجد في المسير فاجأه رجل كان يعرفه من اقارب رفيق فسلم عليه كأنه اخ حميم ثم سأله عن سفره فاجابه بما قصد فطلب رفقته فقبله وشكر له فضله وقال انه كان يود ان يجد له رفيقاً يتسلى معه فنعمت الصدفة ثم اخذا يقطعان الطريق رويداً رويداً وكان الحديث بينهما عن شهيرة فصار ذلك الرفيق يؤاخذ سعيداً وينسب اليه القصور وهذا يعتذر ويرجع بالذنب الى امها والى رفيق فما كان من هذا الخبيث الا ان اخرج غدارته واطلق الرصاص عليه قائلاً خذها جزاء عملك بشهيرة فاصاب قلبه فوقع في الارض يقول: آه قتلتني ياخائن. وكانت هذه العبارة آخر كلامه ثم ذهب ذلك اللعين الى مدير الناحية واخبره بانه حدث قتل في المحل الفلاني ففرح المدير لذلك بمجيء الرزق ولكنه لم يكن عنده من انفار الدرك احد لانهم ذهبوا الى القرى يستنشقون اخبار الوقوعات التي حدثت بين الاهالي لانهم اصبحوا بفضل مديرهم يرضون بغدر يقع بينهم واعتداء بعضهم على الآخر لانه لا يستنكف من اخذ الدراهم من الشاكي والمشتكى عليه واصبح من اصابه حيف من جاره يغضي على القذى ويحتمل مصابه بالصبر فانقطعت عنه الواردات فجعل يرسل الدرك والجواسيس ليستطلعوا طلع الوقائع ويأتي باصحاب الحقوق ويدعوهم الى اقامة القضايا فينكرون ذلك وهو بين مطمن لهم على حقوقهم ومهدد ان لم يقيموا الدعوى فارسل يستدعي انفار الدرك واخذ يجمع من مرّ على القتيل وتكلم معه او رآه او سمع به ويحبس من يشاء ويضرب من يشاء ويترك من يدفع له فدية النجاة وكان معظم مساعيه في جمع الدراهم لا في اثبات الجرم ولكن اعتراف الجاني بانه كان اخرج غدارته ليراها سعيد فخرجت الخرطوشة من نفسها خطأ وكان سمع (لا علم لانه كان امياً لا يقرأ ولا يكتب) ان المخطيء ينجو من العقاب فلم يسعه الا القاء القبض عليه وارساله الى حاضرة الولاية مع محضر التحقيق . ونقل سعيد الى داره مضرجاً بدمه فلما طرق الباب خرجت الخادمة وفتحت الباب فوجدت سيدها قتيلاً محمولاً في محفة فصاحت ووقعت على الارض مغمى عليها فسمعت سيدتها صيحتها وشعرت باضطراب وارتعدت فرائصها فهمت لتذهب فما تمكنت لانحلال قواها ولكنها جسرت نفسها فسعت لترى ماذا جرى فوجدت رفيقها محمولاً على الاكتاف في لون اصفر والدم خضب وجهه وفمه وصبغ لباسه ولا حركة به فسقطت على الارض لا حراك بها . وكان الجيران دخلوا البيت فاخذوا ينبهون

جميلة من غشيتها وادخلوا القتيل غرفته ووضعوه على فراشه وبدأ البكاء والنحيب وكان الناس هناك نساء ورجالاً يبكون دماً على هذا الفتى البائس الذي لم يجتمع عنه الا الفضائل وما عرف الا بالكمال واللطف وحسن الخلق ولين العريكة واتى طبيب البلدية والمستنطق ومعاون المدعي العمومي وعاينوه وامروا بغسله ودفنه فغسلوه وكفنوه وحملوه على الاعناق ليواروه ترابه. ولبؤسه حتى يوم مماته لم يكن في المدينة من اصدقائه احد غير فتى قام بواجباته نحوه ومما ذكر ذلك الصديق انه رأى خيرية ابنة سعيد على يد الخادم تضحك وتقول (باء باء ئوئو دح ئو ئو ؟) كأنها عرفت ان اباها نام نومة ابدية وعلمت ان الكفن لباساً جديداً وانه دخل في حياة جديدة وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء فلسان حالها يهنئه على خلاصه من البؤس والشقاء وكأنها تقول : انت ذهبت وتركتني انا وامي وعمتي وجدتي في عذاب أليم فهنيئاً لك وبؤساً لنا واسفاً علينا . قال الصديق لما تمثل لي ما حل بهذه الاسرة التعسة ورأيت ابتسامة تلك الفتاة زاد تأثري وبكائي من مشاهدة هذه الفاجعة المدهشة .

فهذا سعيد ولد بائساً فسعد بالاسم وعاش شقياً فسعد بالخيال والآمال ومات تعساً فسعد بالخلاص من العناء والشقاء فرحمة الله على روحه الطاهرة .

***

اخذت العدلية تنظر في القضية فما وجدت باوراق المدير ما يدل على ثبوت الجرم فشرعت بالتحقيقات وثبت لديها وجود عداوة وضغائن وعلمت بان الفعل نتج عن قصد كما ادعت زوجة سعيد ان القاتل الحقيقي هو رفيق وذلك انتصاراً لأخته التي قتلها هو وامه بسوء تصرفه ولكن نتيجة المحاكمة كان الحكم فيها باكثرية الآراء على القاتل بالحبس ثلاث سنوات . والله يقتص من عباده باعمالهم وهو العليم الحكيم اهـ

المقتبس

الجزء السابع من المجلد الثاني

رجب سنة ١٣٢٥ الموافق أغسطس (آب) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

جبرائيل مونو (١)

كان ثلاثة من سراة الناس في السابع من تموز «يوليو» سنة ١٨٠٧ مجتمعين حول منصة سترت بنسيج الدمقس الاخضر في مدينة تيلسيت من اعمال بروسيا وقد اتشحوا بالحرما القلنسيه الكبرياء والفخفخة من الالبسة المذهبة وتقلدوا الاوسمة البراقة .

هؤلاء الرجال هم المسيو شارل دوتاليران وزير خارجية نابليون الاول امبراطور

---

(١) معربة عن فصل من كتاب (المصنفون والمصنفات — حياةو كتابلر) لاستاذنا شعيب بك من مفكري الشبان الساميين واحد اساتذة مدرسة الحقوق بالقسطنطينية وهو كتاب في تراجم مشاهير المتأخرين من صدور المغاربة مثل هيبولت تن ومونو هذا وصديقه ارنست لافيس وغستاف فلوبر ونيبور ورانك ومومسن . وليس في التركية فيما أحسب كتاب انفع من هذا في الفلسفة الحاضرة والعلوم الاجتماعية وقد كتب المؤلف هذا الفصل في ١٦ ايلول «سبتمبر» سنه ١٣١٥ رومية معتمداً فيه على مؤلفات مونو نفسه وهي :

الالمان والفرنسويون Allemands et Français, 1 vol . مطالعات انتقادية على تاريخ أسرة المروفنجيين Etudes critiques sur les sources de l'histoire mérovinigienne

اساتذة التاريخ «Renan, Taine, Michelet» Les maitres de l'histoire .

الصور والتذكارات Portraits et souvenirs . المجلة التاريخية Revue historique .

فرنسا والبرنس اسكندر كوراكين مستشار القيصر الخاص واحد اعضاء مجلس الشورى ومن اشراف الروس والبرنس لوبانوف الفريق في الجند الروسي ٠

دعي أُولئك الثلاثة الى قاعة المذاكرات بواسطة موظف خاص حسب ما تقتضيه « قواعد التشريفات » التي يُظن انها ابدية ليوقعوا على العهدة التي بدأت مادتها الاولى بهذه الجملة : « سيدوم السلام والوئام بين نابوليون بونابرت امبراطور فرنسا وملك ايطاليا وبين قيصر الروسيين اجمعين منذ اول يوم يتم فيه التصديق على هذه العهدة من الجانبين » فذهبت هذه المعاهدة ببروسيا والبروسيين الى اقصى دركات اليأس حتى كأنما كانت نذيرة بانقراضهم وتأذن سلطانهم او ان ذاك الوفاق الفرنسوي الروسي بناء يقام على انقاض حكومة هذه البلاد ...

بينا كان مندوبو هاتين الدولتين المتحالفتين يجوبون الارض مسرعين ليبشروا الشعوب الاوروبية باشراق افق السياسة عن ازمنة جديدة اذا باستاذ بروسيّ لا ينظر اليه امراء السياسة والحرب الا بعين الازدراء يفكر في اسباب فلسفية يسد بها ثلمات القنابل والمعاهدات التي خرَّبت وطنه فاخذ يعقد المؤتمرات ويخطب افراد قومه بان يرجع كل الى قوّته ويعمد الى ادراع بأسه ويسعى في انهاض بلاده قدر طاقته ٠

هذا هو فيختي الذي اتخذه البروسيون استاذاً في جامعة برلين لما رأوا من ذلاقة لسانه وصدق بيانه وسداد جنانه ٠ وكان فيختي يرجو في خطبه ان يرى شعوب الجرمان وحكوماته متحدة ليكون لها من اتحادها قوّة ٠ تلك الامة التي برهنت في حرب السبعين على انها عملت بنصائح فيختي كما ينبغي للأمم المغلوبة ان تعمل بنصح رجالها اذا كانت الدعوة الى الاتحاد روح نصحهم ٠

***

مضى على معاهدة تيلسيت اربعة وستون عاماً ثم عادت تلك المنصة الاخضر غطاؤُها واجتمع حولها في عاشر مايو سنة ١٨٧١ في مدينة فرانكفورت من اعمال المانيا ايضاً اربعة مندوبين كانت المفاوضات بينهم ذات صخب وعياج تارة وممزوجة باستهزاء مشئوم طوراً ٠

من المندوبين رجل قوي الحجة شديد البأس يدعى بسمارك وهو الرجل الذي لم يكن يعبأُ ببرامج التشريفات ولا يهتم بما اعتادت السياسة ان تكنه في مثل هذه المواقف وكان اذا بحث امامه عن التقارير التي وضعتها الساسة في هذا الباب فك ازرار ملابسه وانشأ يستغرب في الضحك كثيراً قائلاً « ان هذه كلها اشبه بما ينشر في رفرف الصحف اليومية من الروايات فبينا يحسب الانسان ان سيكون من ورائه وقائعها حادث اذا به يسيح في خيال » ثم انه بعد

رجليه بحذائهما العسكري و يطلب الجعة ليشرب في حضرة المسيو دارنيم الحرج الصدر من حربية بسمارك وامام المسيو دجولار الذي خجل من هذه الاعمال والمسيو جول فادر الذاهل الحائر .

هذا هو بسمارك فلاح براندنبورج الذي انتهى الى رئاسة الوزارة الالمانية قد اضطر المسيو جول فادر والمسيو جولار الى ان وقعوا على عهدة تقضي بانفصال ولايتين من ولايات الفرنسيس وادخالها في سمط البلاد الالمانية .

وهنا ذكر الفرنسيس — وقد أصبح كل شيء عندهم قريب الانحلال قريب الاضمحلال — ما كان من امر الاستاذ فيختي وتأثير خطبه في الدعوة الى الاتحاد ومواعظه الاجتماعية وراحوا يرون مداواة جرحى وطنهم بالادوية الفكرية وترياق الاخلاق على ما شاهدوا من همز الساسة وغمزهم واستخفافهم . ذلك لان رجال العلم كانوا على يقين من ان نصر الامبراطور غليوم المؤزر لم يكن من رصاص البنادق فقط بل ان تربية الالمان الفكرية عملت يومئذ ما لم تعمله افواه المدافع . من اجل ذلك اخذ الفرنسيس يبحثون عن مذهب نافع في التربية يذهبون اليه لينهضوا بامتهم وبلادهم حتى تضارع بلاد جيرانهم .

وفي مقدمة من فادوا بانفسهم في سبيل سعادة فرنسا وسلامتها الموسيو جبرائيل مونو الذي رأى الناس من اعماله ما جعله اليق العلماء بهذه الوظيفة المقدسة .

***

تلقى جبرائيل العلم مع لافيس ورامبو ودوروي وفيدال دولابلانش واجستن فيلا في صف واحد من مدرسة دار المعلمين وكان يتطاول ببصره الى ما وراء الافق باحثاً عن مكان يلجأ اليه للتحقيق والتتبع ثم انجذب دفعة واحدة بما فطر عليه من الاستعداد نحو المانيا تلك الارض التي اجمع هو واصدقاؤه واساتذته على انها الوطن الثاني للذين يحبون ليفكروا ويدأبوا فكانت حجرة عمله في زقاق (اولم) تردد دائماً اصداء نغمات وادي الب ووادي اردر

ولا غرابة اذا ذهبوا هذا المذهب في حين ان بلاد الالمان هي المسيطرة بتحقيقاتها العلمية على جميع الشبان العاملين الاذكياء الباحثين عن الحقيقة في تلك الديار وهي ملجأ المتخرجين في مدرسة دار المعلمين الفرنسوية من آراء الفلسفة القديمة .

يسير علم اللغات نحو التكمل والنشوء في بافيرا وسكسونيا وبومرانيا بجميع فروعه حتى اصبح افاضل فرنسا مدينين لكليات ليبسيك و بون وهاله وغوتنغن . وما كان لارنست رنان ان يضع كتابه « حياة المسيح » لولا ابحاث استراوس في اصول اللغات وهذا غاستون بوفاسيه احد اعضاء المجمع العلمي الفرنسي يعترف بانه تلميذ مومسن المؤرخ الالماني وهؤلاء فوكار وجورج

برو وميكائيل بريال والبردومن قد بتواسوءلقاتهم كلها على افكار علماء المانياشاكرين وكذلك القصصيون في فرنسا قد ساروا وفي مقدمتهم غاستون باري تحت لواء الاستاذ دبيز الشهير مرت على المسيو مونو في دار الاستاذ وايج أمام كلية غوتنغن ليال حفل وطابها بالفوائد الجمة وهنا كان يلقي الاستاذ على مونو وعشرة من رفاقه مباحث حافلة وخطابات ممتعة في نقد التاريخ وفلسفته حتى قال مونو : «كانت هذه الدروس تبث في افكارنا انتظاماً ووضوحاً وكنا نخرج متلذذين بما نشعر به من حب العلم والحقيقة وابداء صفحة الوجوه لها» . كان وايج ذا فطرة ملكية تلائم عمله الواسع ولطالما كان يقول «ان تلاميذي هم اجود مصنفاتي وقد بذلت جهدي في تربية افكارهم اكثر من اجتهادي في التأليف واظنني نجحت . ذلك لان كتبي ستذهب بها الايام الى زوايا النسيان ولكن اسمي ستتناقله العصور بعضها عن بعض ما دامت اعمال تلاميذي ومباحثهم العلمية باقية» .

فيمثل آراء هذا الاستاذ الفاضل تهذب الالمان واحسوا بوجوب الانتقام من الفرنسيس وبمثل هذا التهذيب تمثلت كوائن بسمارك وحركته السياسية .

وبينا كان جبرائيل مونو متطوعاً في خدمة جرحى حرب السبعين تحت قيادة المارشال ماكماهون والجنرال اورل بالادي الفرنسويين حدث ان صادف اكابر لغويي الجرمان في لباس افراد الجند البروسي فدهش لذلك ووقف امامهم ذاهلاً معجباً .

ما امحت امافي الفرنسيس في البراز الاخير من هذه الحرب المشؤومة حتى ذكر مونو — الذي كان يسعى بين جثث جرحى الحرب يائساً مضطرباً — انه مؤرخ واخذ يؤلف كتابه (الالمان والفرنسيس) ناقلاً فيه مشاهداته منذ بلغ مدينة (ركور) من اعمال اللورين الى ذهاب نابوليون الثالث وفي هذا الكتاب طبق مونو نظرياته الفلسفية التي كان يعلمها تلاميذه . وانك لتقرأ من خلال سطوره اسلوباً مشبعاً بالجد والتؤدة بريء من كل طعن او تعريض دالاً على ان مونو من المؤرخين الذين يرون ان التصريح بالحقيقة كيفما كانت انفع الطرق واسماها . من اجل ذلك كان الكتاب من اثمن ما كتبه المعاصرون عن هذه الحرب وان اسباب غلب الفرنسيس يتمثل امام انظار القارىء في كل صفحة من صفحاته حتى كانت حرية وجدان المؤلف وصدق لهجته المعزز بالآراء العلمية سبباً لنحت أسلته على السن مدعي الوطنية الغارقين في لجج الخيال .

ومما فطر عليه المترجم به استيلاؤه على غايات التواضع فلا يريد ان يصفق له ولا أن يستحسن عمله مكتفياً بتسليم ما اهتم بجمعه من الخزائن الى فريق خاص غير طالب لقاء ذلك شهرة او سمعة وان المصغي الى مونو ليحار من اصوله المتينة وتبحره الواسع وتدريسه

القويم مع قلة اهتمامه بالخطابيات . واذا وجد في المجالس التي ترجح التؤدة والسكون انصت حتى اذا سنحت له — والقوم في اثناء المناقشة والحوار — سانحة تلألأت جبهته المفكرة وابرقت عيناه من وراء نظارتيه الذهبيتين وترك قلمه ومذكرته واخذ يلقي على السامعين ما يظهر له بعواطف شديدة ولسان مبين . وانك لترى الجهل واللهو والعيون الساهية قد انتبهت كلها مغلوبة لما فتح امامها من اعماق مناظر الماضي الفسيح .

وبعد فان تأثيرات مؤرخنا الفاضل في التدريس لا تظهر كل الظهور من مؤلفاته لا من تعليمه في دار المعلمين ولا من كتاباته في المجلة التاريخية التي تولى ادارتها اكثر ايام حياته بل من محاوراته الخاصة مع تلاميذه ورفاقه في التحرير ومع اصدقائه وقد خاطبه صديقه ارنست لافيس في خطبة القاها يوم احتفال احدى الكليات قائلاً : (انك لتلقي بنفسك الى التهلكة لتخلص غيرك منها ولا تمنع نصائحك ومعونتك عن احد وانك لتسرع الى مكاتبة المشتغلين بالبحث عن الحقيقة وسلامة البشر مهما كانت نحلتهم وقوميتهم) .

ومن نتائج ابحاث مونو المثمرة في المانيا اجتهاده في تفهيم جميع تلاميذ المدارس معنى (التعاون والاتحاد) . وخلاصة الفكر الاساسي الذي يذهب اليه هو واصدقاؤه : (ان الفرنسيس مستحقون لما نزل بساحتهم من البلايا كما ان الالمان اهل لما نالوه من النصر وما علينا الآن الا ان نسعى الى اقتطاف ثمرات هذا الدرس المفيد فانها نافعة لنا ولا تكون الصدمات الاجتماعية وخيمة الا على اصحاب الغفلة والخمول .

ولقد عرفنا عملنا منذ الآن ونحن مضطرون لدفع جميع ما يتهدد جامعتنا والسلم العام من الحوادث . وان الغالبين قد اخذوا المقاطعتين من ارضنا والخمسة مليارات من اموالنا وما علينا الا ان نقتبس من فضائلهم لقاء ذلك)

وبعد فان من الابطال الذين القوا بانفسهم الى ساحة البراز في مسألة دريفوس الاجتماعية من اجل الحقيقة والعدل هو المسيو مونو ايضاً فانه اجتهد في هذا الدرس العام ان يعلم الانسان ان من واجباته ان يفادي بنفسه في نصرة الحق ولكنه لم يسلم بدفاعه هذا من تعريض المعرضين وسهام المستخفين اولئك الذين رأى ان ليس من اهانة لم غير (السكوت) .

القسطنطينية — محب الدين الخطيب

روزفلت وحرب اميركا

الاجتماعية والاقتصادية

من راجع تاريخ الامة الاميركية وراقب نشوءها ونموّها وسيرها السريع في مضمار العمران والفلاح ووقف على خدمها لجنس البشري لا يستغرب اذا قلت ان هذه هي ارض الميعاد وان شعبها هو شعب الله المختار — شعب الله المختار لا ليأ كل العسل ويشرب اللبن ويتمتع بالطيبات ويتنعم بالخيرات فقط بل شعب الله الذي اختاره ليحمل للعالمين نبراس الحرية والانصاف ويُمد يد الاخاء للبائس في كل قطر ويغيث المحتاج في كل مصر ولتكون بلاده ملجأ للمظلوم والتعس ويجد فيها طالب الحرية والاستقلال الشخصي والتقدم والارتقاء ما يؤهله لنيل مبتغاه . وليس معنى ذلك ان البلاد بلغت حدّ الكمال او انها حلت جميع مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية او انها استراحت من الاتعاب فالقت رأسها على مسند الرغد والنعيم وانقطعت عن الجد والعمل الى التلذذ بالخيرات لان البلاد الحية كالفرد الحي لا تطلب الراحة ولا ترتاح الى الهدوء والسكينة بل تقوى بركوب الاهوال ومصارعة الصعاب

لأميركا مشاكل عديدة تظهر عسرة الحل لمن لا يعرف نشاط هذا الشعب واقدامه . كأن الله عز جلاله يبتغي بقاء هذا الشعب فيقيم لهُ من ابنائه رجالاً يدفعون عنه الاخطار كما تهددت البلاد المشاكل وسطت عليها الازمات . أُرسل وشنطن القائد الباسل لحل بيده ربقة الاجنبي ثم لما اوشكت البلاد ان تنقسم على نفسها بعث « لنكن » فبدد عوامل الانقسام وربط اجزاء البلاد بعضها ببعض حتى صارت كما كانت قبل حربها الاهلية تحت علم واحد تسعى الى غاية واحدة وتدفعها الى السعي نفس القوى والآمال .

واليوم اذ تفاقم شرّ حربها الاقتصادية وبلغ اعتساف ملوك المال الحد الذي لا يطاق اقام الله بطل الامة (ثيودور روزفلت) ليدافع عن حقوق الشعب ويؤيّد سلطة القانون ويعاقب المجرمين سواء كانوا من ارباب الملايين او من الذين دأبهم السعي لهد اركان المجتمع الانساني الحاملين الراية الحمراء الذين لا يحترمون الشرائع ولا يعبأُون بنظام الهيئة الاجتماعية .

ان سياسة هذا الباسل منذ ابتدأ في معاركة المسائل الاجتماعية ومحاربة الاختلال والفساد في الاحكام يتضمنها قولهُ : (ان حربي لا تعرف اخًا)

فهذه الحرية التي لا تعرف الصديق اذا اعتدى على الحق هي التي جمعت حواليه قلوب الامة وألقت الرعب في قلوب اهل الشرّ والفساد . روزفلت رئيس البلاد اليوم وقائد

الحزب الجمهوري كان من اتباع هذا الحزب منذ انجز دروسه في كلية هارفرد ودخل ميدان الحياة غير ان هذا لا يمنعه من رؤية العيوب التي انتطخ بها بعض رجال حزبه ·

ما تعين رئيس شرطة مدينة نيويورك حتى شهر سيف الحرب على اعداء الفضيلة والامن والآداب ولم تعرف حربته اخاً او صديقاً فتضايق كثيرون من اتباعه وخاف الجمهوريون عاقبة هذه الصرامة فحسبوا ان هذا التدقيق يكثر اعداء حزبهم ويقوي جيوش اضدادهم فهرعوا اليه وقالوا لقد تجاوزت حد الاعتدال والحكمة في تنفيذك القانون فبعض هذه الشرائع مضر بالمدنية اذا صار تنفيذها حسب منطوقها الحرفي · فاجابهم اني مسؤول عن تنفيذ الشرائع كما اجدها فان تكن غير موافقة فليبادر المشرعون الى تغييرها ·

ولما انتخبته ولاية نيويورك حاكماً كانت اشد حملاته على الفاسدين من رجال حزبه فشعر يومئذ بنفوذ اهل المال وتأثيرهم في نواب الشعب واشترائهم الامتيازات بالاموال وادرك ان هذا هو الخطر الذي يسرع بالحكومات النيابية الديمقراطية الى الفساد والانحلال فنالمت نفسه الحرّة لا سيما وان اكثر اصحاب الاعمال والاموال هم من حزبه ·

لما شبت الحرب الاسبانية استقال من منصبه وكان مستشار وزارة البحرية وتطوع لمقاتلة الاسبان فقاد فرقةً من الخيالة المتطوعين وقد سطر التاريخ له البسالة والشجاعة في موقعة (سان جوان) وملكته شجاعته قلوب مواطنيه ·

فلما اجتمع زعماء الحزب الجمهوري في فيلادلفيا سنة ١٩٠٠ م لترشيح رجلين للرئاسة ولنيابة الرئاسة كان روزفلت يومئذ (اسد الشعب) فظن كثير من الكتاب ورجال السياسة ان مجلس الامة سيرشح روزفلت للرئاسة ولكن رؤساء الحزب وقدعرفوا استقلال وجدانه وقوة ارادته سعوا الى ابعاده عن الرئاسة فاشار الداهية بلات مدير الحزب الجمهوري في نيويورك ان يرشحوا روزفلت لنيابة الرئاسة املاً ان يقلده ذلك المنصب القليل الخطر من حيث القوة والنفوذ فيرضون بذلك الشعب الذي يحب روزفلت ثم يضعون في منصب الرئاسة رجلاً يصغي الى اقوالهم ولا يحارب مصالحهم وكان ما كان من ترشيح مكنلي للرئاسة وروزفلت لنيابة الرئاسة وفوز الاثنين في ذلك المعترك على زعماء الحزب الديمقراطي الا ان الله بعث لمقاصد سامية فوضويا اثيماً ليطعن الطيب القلب وليم مكنلي تلك الطعنة التي ارسلت روحه الى العالم الثاني فارتقى روزفلت الى كرسي الرئاسة فهلعت قلوب ملوك المال وقالوا في سرهم خلا الجو لروزفلت فانه سيقيم علينا الحرب التي كنا نخشاها وخاف الشعب ايضاً من ان تغيير السياسة فجأة يضر بالاحوال فيوقف حركة الاعمال وتصاب الاشغال بكساد عظيم · غير ان روزفلت ابى ان يجلب الاضطراب الى البلاد فتعهد للشعب انه

سيسير في سياسته على الخطة التي رسمها مكتفلي فهدأ روعاورباب المصانع ورؤساء الشركات الكبيرة واصحاب السكك الحديدية وبقيت البلاد تتمتع بالنجاح والفلاح . ولما انتهت مدة رئاسته الاولى سنة ١٩٠٤ م رشحه الجمهوريون ثانية للرئاسة لان صوت الشعب لم يقبل بشخص آخر . وما خمدت نيران تلك المعركة السياسية حتى انجلت عن فوز روزفلت على خصمه باركر فوزًا باهرًا لم يسبق له مثيل في تاريخ الامة .

ما استلم روزفلت ازمة الرئاسة للمرة الثانية حتى جرّد سيفه لمقاتلة كل من اعتدى على شرائع البلاد لا يرهب في حربه سطوة عدو ولا يراعي حرمة صديق . او كما قال ان حربي لا تعرف الخطأ .

ارتقت البلاد وتقدمت وزادت ثروتها في السنين الاخيرة زيادة يصعب على العقل ان يدركها فليس من دولة بين دول المتقدمين او المتأخرين ادركت ما ادركت اميركا من التقدم . تجارتها سبقت كل تجارة ومصانعها ومعاملها لا مثيل لها في الارض . زراعتها تدر الخير على البلاد كالسيل الجارف . خطوطها الحديدية لو مدت في خط واحد لبلغ طول ذلك الخط اكثر من المسافة بين الارض والقمر . صادراتها وواوارداتها السنوية تزيد على الثلاثة آلاف مليون ريال وهذه ليست الا سبعة بالمائة من تجارتها الداخلية وفيها من اصحاب المال من يزيد ايراد الواحد منهم على ايراد بعض دول الارض . تكاثر المال فزادت قوة الماديات واصبح تأثير الريال خطرًا على المطامع والغايات في بلاد الحق والحرية والمساواة

أخذ المتمولون يؤلفون الشركات الكبرى ولا هم لهم الا الكسب وان تكن طرق تأسيسها مخالفة لشرائع البلاد ونظاماتها ومغايرة للصدق والشهامة والحق .

اختلت الآداب في الاشغال الكبيرة فصار من الهين على بعض ملوك المال ان يشتروا الامتيازات من مجالس التشريع ومنتديات الولايات كأن تلك الامتيازات سلع تجارية تباع وتشرى بالمال . ثقلت وطأة هؤلاء الملوك الذين اخذوا يحتكرون الحاجيات والكماليات فصرخ الشعب صراخ المظلوم في ارض الحرية سمع صراخه الاسد الباسل تيودور روزفلت فحمل على العدو الحملة بعد الحملة وها هو الآن لا يزال في ساحة الوغى يرميه اعداؤه وهم اعداء الشعب بسهام العدوان والبغضاء فيبددها ترسه المتين محطمة مكسرة لانه يدافع عن الحق ولان الشعب والله يشدان ازره في حربه الشريفة

اتفق سرًا ملوك السكك الحديدية (هريمن) و (هل) و (مورغن) وغيرهم على جعل شركات الخطوط الحديدية التي تربط شيكاغو ومدن الولايات المتوسطة بالشاطئ الباسيفيكي شركة واحدة .

قصدوا من ذلك الاتفاق قتل المناظرة ليتيسر لهم الاستبداد في اجور الشحن والسفر ضموا بذلك الاتفاق شركة (الباسيفكي الشمالية) وشركة (الباسيفيكي المتحدة) وشركات اخرى صغيرة دعوها شركة التأمين الشمالية · وما انتشر امر هذا الاتفاق حتى شكا اهل الغرب وتذمروا من استبداد ملوك الخطوط الحديدية · ورفعوا شكواهم الى ستة من حكام الولايات الغربية فلم يستطع هؤلاء ان يردوا المعتدين عن سيرهم السيء وعبثهم بالقانون فعرضوا على الرئيس الحالة فاوعز روزفلت الى المدعي العمومي ان يستقريء امر الشركة الجديدة فبحث المستر نوكس سراً فوجد ان الشركة العظمى قد تعدت حدود القانون · فلم يتأخر روزفلت يوماً واحداً عن اقامة الدعوى على هؤلاء الملوك الماليين فحاكمتهم الحكومة امام مجلس القضاء فوجدتهم معتدين فاجبرتهم على فض الاتفاق ولم يكن بالحسبان ان الحكومة تقدم على مقاتلة شركة اموالها تعد بمئات الملايين ولكن حكومة رئيسها روزفلت لا ترهب (مورغن) ولا تهاب (هريمن) ولا تخشى (روكفلر) ولا (هيل) ·

لما طلب روزفلت رؤساء الشركة التي اشرت اليها للمحاكمة هرع (مورغن) العظيم الى وشنطن فدخل القصر الابيض وهو عالم ان لخصمه حرية لا تعرف اخاً · فقال مورغن: يلزم ايها الرئيس ان نجتمع معاً ونتفق على امر · يجب ان نحل المسألة بالمسالمة ·

فاجابه الرئيس اخاف يامستر مورغن ان لا تكون حتى الآن عارفاً منصبي · انا هنا لانفذ شرائع الولايات المتحدة ·

— لكن نحن يامستر روزفلت لم نخالف القانون اذاً لماذا تخاف من الاذى ؟

— نعم ولكن يجب ان نتساهل ايها الرئيس

— لا تساهل في تنفيذ القانون

فآب مورغن ملك المال في اميركا الذي يرعب (وال ستريت) — شارع الصيارفة في نيويورك — لاقل حركة او لفظة منه تكسوه الخيبة ويرافقه الفشل · وبعد ان عاد مورغن خائباً الى نيويورك ذهب الى وشنطن غيره من رؤساء السكك الحديدية ممن لهم علاقة بالشركة الكبرى قال احدهم: كان من الضروري ياحضرة الرئيس ان تخبرنا قبل ان ترفع علينا الدعوى امام المحاكم

فاجابه روزفلت بقوله لماذا ؟

— لان اقامة الدعوى بغتة اسقطت اسهم السكك الحديدية فكان يجب ان تفيدنا عن عزمك رحمة بالارامل والايتام الذين يملكون اسهماً في هذه الشركات

فاجابه المدعي العام هل اخبرتم الارامل والايتام لما احتكرتم اسهم شركة الباسيفيكي الشمالية ؟

وعندئذٍ تكلم الرئيس بلغة لم يسمعها قبلاً هؤلاء الاغنياء فقال : ان الحكومة لا تعلن المجرم عند ما تعتقد انه ارتكب جريمة بل توقفه ثم تخبره عن الجريمة التي ارتكبها . لماذا تطلبون من الحكومة ان تعلن المجرم اذا كان غنياً ولا تعلنه اذا كان فقيراً ؟ وهكذا انتصر روزفلت خادم الشعب الاميركي وخاب هريمن ملك السكك الحديدية الذي يستولي على خطوط تزيد قيمتها على الف ومائتي مليون ريال .

والذي يسعى اليه روزفلت هو ان يضع كل شركات السكك الحديدية تحت مراقبة الحكومة في وشنطن المراقبة الرسمية ويعتقد ان هذه الشركات متى علمت ان عين الحكومة ترى كل مخبآتها وتعلم بكل افعالها فلا تجسر على الاعمال المخالفة للشرائع على ان بعض رجال السياسة يخشى من ان تزيد هذه المراقبة في سلطة الحكومة الزيادة التي ربما تعود بالاخطار على المبادىء الديمقراطية وهؤلاء الساسة يطلبون هذا الحق — حق المراقبة الرسمية الفعالة على السكك الحديدية للولايات المختلفة . اما براين زعيم الحزب الديمقراطي فيرى ان اعتساف شركات الخطوط الحديدية لا تكون عاقبته السيطرة ومراقبة حكومة وشنطن على الخطوط الحديدية فقط بل الاستيلاء التام ايضاً على جميع سكك البلاد . ولكن روزفلت لا يرى الآن دافعاً الى هذا التطرف في محاربة هذه الشركات الهائلة . وال ستريت يكره روزفلت الكره الشديد لانه لا يستطيع ان يلين ارادته الحديدية .

اتفقت شركات اللحم تحت ادارة شركة واحدة فصارت تشتري المواشي من الفلاحين بالاثمان التي تعينها وتبيع اللحوم بالاسعار التي تلائمها وعدا ذلك فانها كانت تبيع اللحوم غير الصالحة للصحة فحاربها الرئيس فقهرها امام الحاكم ثم حمل مجلسي الشيوخ والنواب على سن قانون يعين رقباء من قبل الحكومة يفحصون كل ما يذبح من المواشي وكل ما تقدده الشركات من اللحوم فمن يخالف القانون يعاقب حتى ان الحكومة صارت تجبر هذه الشركات على وضع ختم المراقبة على كل ما تبيعه .

اختلت نظامات السكك الحديدية وفسدت آداب مديريها فصار يحابون بالامتيازات التي يعطونها لارباب المتاجر والمصانع يطلبون من زيد التاجر الغني رسوماً اقل من عمرو المتوسط الحال فاذا كان عمرو الفقير او المتوسط الحال مناظراً لزيد الغني في بلد واحد يعجز عن مناظرته لانه يدفع رسوماً باهظة لاستجلاب بضائعه من مصادرها على حين يستجلبها زيد باجور زهيدة فسنت الحكومة قانوناً يقتضي بموجبه ان تكون الاجور واحدة للغني الكبير والتاجر الفقير . ولكن التجار الكبار واصحاب السكك الحديدية لجأوا الى حيلة يدوسون بها القانون ولا يكونون بها تحت سلطته وبذلك اعني « نظام الترجيع » Rebate System اي ان شركة الخط الحديدي تأخذ

نفس الاجور من كل التجار الذين يشحنون بضائعهم على خطوطها ولكنها ترجع سرًّا الى من تشاء مبالغ ينفقون عليها قبل الشحن . فالفقير والمتوسط الحال شكيا امرهما الى الحكومة فسنت النظام ضد الارجاع Anti Rebate Law ولكن الشركات الكبرى استمرت على مخالفة القانون فاقام عليها روزفلت حربًا عوانًا . ومن هذه الشركات شركة الزيت العظيمة التي يرأسها روكفلر اغنى اغنياء العالم وشركة السكر وغيرها . والحرب اليوم قائمة في المحاكم بين الحكومة وبين شركة الزيت الشهيرة وقد اقامت الحكومة الادلة الراجحة على ذنوب هذه الشركة ولا شك انها ستلاقي جزاء آثامها العديدة ويقال انها ستدفع من الغرامات لا اقل من ثلاثين مليون ريال فتأمل .

حمل الطمع بعض الشركات التي تجهز الاطعمة المقددة على الانجاء الى الغش والفساد فتكاثرت اضرار هذه الاطعمة حتى لم يعد يثق الانسان بسلامة نوع من هذه الانواع استخدموا الكيمياء فصاروا يخلطون المركبات الكيماوية بالاطعمة لكي يطول حفظها في علب الصفيح «التنك» او الزجاج بل تعدوا هذا الحد فصاروا يركبون المواد المختلفة ويقلدون الاطعمة الطبيعية كالعسل والدبس والقهوة وما شاكل ذلك حتى لم يعد يعرف الناس بعض الاحيان هل هم يأكلون اطعمة مركبة في معامل كيماوية ام مستخرجة من خيرات الارض . عقد النية روزفلت ان يضع حدًّا لهذا الغش والفساد فسعى بكل قواه حتى حمل مجلسي الشيوخ والنواب على سن قانون (الطعام النقي) وفاز بسعيه على الرغم مما انفقته هذه الشركات من الاموال وما بذلته من المساعي . ومن يغش الطعام الآن يعاقب اشد المعاقبة

ومما يزيد جهاد روزفلت شرفًا في محاربة ملوك المال المفسدين ان هذا المحارب ابن عائلة غنية وصاحب ثروة طائلة فحربه ليست حرب رجل اشتراكي المبادىء او حرب رجل يروم نقض بنيان الهيئة الاجتماعية انما هي حرب رجل تتألم نفسه من الاعتساف والرشوة والفساد والاختلال سواء صدرت هذه المساوىء من هريمن ملك السكك الحديدية او من اصغر عامل في احقر معمل في البلاد .

فالكل في اعتقاده متساوون امام القانون من يعصي الشريعة او يدوس النظام يجب ان يلقى العقاب سواء كان من اصحاب المعامل او من العمال . فروكفلر يعرف انه يلقى من روزفلت اذا زار القصر الابيض الاكرام والرقة ولكنه يعرف ايضًا ان جون متشل رئيس جمعيات الفعلة في المناجم يلقى نفسها المعاملة وقد سأله مرة احد اصدقائه وهو على القطار في كليفورنيا « اي رسالة تحب ان احملها منك الى جمعيات العمال المتحدين » فاجابه روزفلت قل لهم اني ساعامل بالعدل والانصاف الفعلة المتحدين في جمعيات منظمة وساعامل بنفس

العدل والانصاف الفعلة الذين لا ينتسبون الى جمعيات منظمة وسأعامل بنفس العدل والانصاف ارباب المال والاملاك . الجميع سواء امام الشريعة

لما احتفل نادي كرد ايرن في وشنطن في العام الغابر احتفاله السنوي وكان من المدعوين روزفلت وسفراء الدول واكبر رجال الاعمال والاشغال في البلاد خطب روزفلت خطاباً صريحاً لا يزال صداه يرن في آذان سامعيه . ومن جملة ما قال وقد وجه مقاله وقتئذٍ الى كبار المتموّلين الحاضرين ما معناه « انا لست عدوّ المال او المتموّلين . انا لست عدوّ الارزاق . انا اعظم صديق للمال المجموع طبقاً للشريعة والنظام . انا اخلص صديق ومدافع عن الاملاك . اذا اردتم ان تُحرس املاككم من الرعاع الذين يعتدون على القانون فعلموهم انتم كيف تكون المحافظة على القانون .

الغني المعتدي على القانون اكثر مسئولية من المعتدي الفقير . اذا رمتم سلامة الاملاك والامان على الارزاق فحافظوا انتم على النظام واحترموا الشريعة والاّ فاني احذركم من الرعاع . الرعاع . الرعاع » .

صيارفة « وال ستريت » يسمونه (روزفلت الفضولي) و « يوجين دس الفوضوي » يدعوه (روزفلت المجرم) و « الدكتور داي » رئيس كلية سيدكيوز الجامعة يسميه (الفوضوي) وبعض اعدائهِ يدعونه (المحارب) . (المهيج) . (الساعي الى القلاقل الاقتصادية) . (الذي لا يجدلذة بغير الحروب والخصام) ولكن الشعب الذي يتكوّن منهُ الرأي العام — تلك القوّة الفعالة في البلاد الديمقراطية يحبه ويجله ويثق به . اعداؤُه يرون في سياسته خطراً على البلاد اما الشعب فانهُ يحثه على القبول ان يرضى بترشيحه للرئاسة سنة ١٩٠٨ لكن روزفلت يرفض الرفض الصريح لانه لا يحب ان يخالف النظام غير المكتوب الذي لا يستصوب انتخاب رجل لرئاسة البلاد ثلاث مرات . جورج وشنطن محرر اميركا هو اوّل من رفض الانتخاب المرة الثالثة وقد مشى الرؤساء بعده على هذه الخطة الحميدة والمقصود منها ان لا تبقى القوّة طويلاً في قبضة رجل واحد لئلا يميل الى حب الاستبداد والاستئثار بالاحكام .

لم يقم رئيس بعد وشنطن احبهُ الشعب في حياته كما يحب تيودور روزفلت ففيه تتمثل اسمى آمال الشعب الاميركي وارقى عواطفه . فمن اخلاقه الشجاعة وحرّية الوجدان ومحبة الانصاف والعدل والميل الى مساعدة المظلوم البائس وحب الجدّ والهمة والاقدام على عظائم الامور بصبر وثبات فهو اشرف ممثل لصفات الامة فلذلك هامت به القلوب وتعلقت بهِ الافئدة . يتهمه اعداؤُه بمحبة الحرب والقتال والميل الى سفك الدماء . ولكن الشعب يعلم

انهُ هو الوحيد بين عظماء الارض وملوكها الذي اوقف افظع حروب الاعصر الحديثة — الحرب الروسية اليابانية — وحقن دماء بني البشر التي كانت تجري كالانهر في اودية مانشوريا ولذلك يدعونه واضع السلام ولا يستغربون ان وهبته دولة نروج مدالية نوبل التي لا تهبها الا لمن يخدم السلام اكبر الخدم .

ينسب اليه اعداؤُه الكبرياء وحب السلطة ولكن الشعب يعلم انه يرى الفضيلة ويكرمها اينما وجدها فلذلك اضاف في القصر الابيض الزنجي الاسود بوكر وشنطن لانهُ يعلم ان بوكر وشنطن الزنجي رجل فاضل يخدم شعبه ويرقي حالتهم ويساعد بذلك اميركا على حل اكبر مشاكلها مشكل الزنوج .

اعداء روزفلت يتهمونه بتحريك الاضطرابات الاقتصادية ولكن الشعب لا ينسى ان روزفلت هو الذي اطفأ نار تلك الحرب الاقتصادية التي قامت بين اصحاب مناجم الفحم والعمال المتصبين وانقذ البلاد من اخطار ثورة عظيمة عند ما تعاظم الخلاف بين ارباب المال والعمال في المناجم وتوقف عن العمل لا اقل من نصف مليون عامل . ولقد ارتفعت اثمان الفحم في بعض الاماكن الى حدّ لا يطاق وفي اماكن اخرى لم يقدر الناس ان يشتروا الفحم بابهظ الاثمان لعدم وجوده عند مادخل الشتاء ببرده وثلجه والخلاف لم يزل مستحكماً فضاقت النفوس وتهيجت الخواطر وخاف العقلاء من شر يحدث وسعى كثيرون ان يرجعوا الحالة الى سابق عهدها ولكن اصحاب المناجم ابوا ان يسلموا بواحد من مطالب المتعصبين . عندئذٍ عزم روزفلت على حسم الخلاف فاستل سيف الغيرة متخذاً من قوة الرأي ترساً يرد به كيد اصحاب المناجم الذين جاهروا في اوّل الامر ان ليس لروزفلت حق بالمداخلة . فتداخل روزفلت على الرغم من اعتراضاتهم واجبرهم ان يعرضوا المشكل على مجلس تحكيم يتألف اعضاؤُه من رجال اشتهروا بالنزاهة والعدالة والمعرفة .

تألف مجلس التحكيم ونظر في الخلاف فوجد ان الحق مع العمال فابدى حكمه تخضع الفريقان وانتهى ذلك الخلاف العظيم ونجت البلاد من شرور ذلك الاعتصاب .

ولا يسمح المقام ان اذكر اكثر مما ذكرت من حسنات هذا الرجل العظيم وخدمه للشعب الاميركي خصوصاً وللعالم عموماً . ولا سيما في هذه الحرب الاقتصادية التي يسعر نارها ويكفيه فخراً انه بث في الناشئة الاميركية روحاً ظهر تأثيرها في كل ولاية ومدينة في اميركا — روح احترام القانون وكره الاختلال والفساد فهو الذي في جهده وحياته واقواله وكتاباته يفسر اتباع البلاد كلمة « نجاح » بمعنى جديد او قديم ولكن كاد ينزع من الاذهان فالنجاح الذي يبشر به روزفلت هو النجاح الحقيقي الذي لا يشتريه المرء بالمفاداة بمبادئه وفضائله

بل الذي يقوي المبادي، السامية ويكثر الفضائل . المال خير الا اذا كان الحصول عليه لا يتيسر بغير العبث بالشرائع وقتل الوجدان فاذ ذاك يصير شرًّا ما يتهدد الفرد والامة

وخلاصة القول ان الخوف على فناء البلدان والممالك واضمحلال الشعوب وتأخرها لا يجب ان يكون من حدوث الاختلال والشرور فهذه ملازمة للعمران حتى يبلغ درجة الكمال انما الخوف كل الخوف متى استحكم الفساد ولا من يستأصله متى ضرب الشر اطنابه وليس من يجرد عليه سلاح الحرب والمقاومة فكيف نخاف على حياة امة لا يظهر فيها فساد حتى تجد من يقاتله بغيرة وثبات كيف نخاف على مستقبل هذا الشعب الاميركي ومثل اسمى صفاته هو ثيودور روزفلت الذى اذا نادى ودعا الشعب لمساعدته في خدمة الحق ومحاربة الاثم. سمع الناس نداءه لانهم احياء فقاموا يعضدونه في جهاده . وعلى الجملة فان الحرب قائمة بين الحق والباطل وان الآمال عظيمة بفوز الحق والعدالة اذ لم يرَ الى الآن ان قائد لحق روزفلت خاب في موقعة منذ بدأ في حربه الشريفة لتأييد النظام والعدل .

ولله درّ جون مورلي السياسي الاميركي الشهير الذي قال بعد ان زار الولايات المتحدة منذ عهد قريب رأيت في اميركا مظهرين عظيمين للطبيعة شلالات نياغرا وثيودور روزفلت

شحادة شحادة

بروفيدنس (الولايات المتحدة)

اليونان

ابطالهم

البطل — البطل في بلاد اليونان رجل معروف يغدو بعد موته روحاً ذات سلطان ولا تتم له الربوبية بل ينال منها نصفها فمن ثم لا يسكن الابطال في الاولمب في سماء الارباب ولا يديرون شؤون العالم اجمع ولهم مع هذا ايضاً سلطة فوق كل سلطة بشرية يغيثون بها احبابهم ويهلكون اعداءهم . ولذا عبدهم اليونان عبادتهم للارباب واستغاثوا بهم وتضرعوا اليهم . وما من مدينة او قبيلة او أسرة الا ولها بطل خاص بها وهو عبارة عن اشباح متخيلة تحميها فتعبدها وتتقدم اليها بانواع القربات .

ضروب الابطال — ومن هؤلاء الابطال فئة اشتهرت في الاساطير وعدت من الاعيان مثل اشيل واوليس واغاممنون ولا شك في ان بعضهم لا حقيقة لهم قط مثل هيراكليس واديب . وليس بعضهم إلاَّ اسماء لا مسميات لها مثل هيلين ودوروس وعوس

غير ان عبدتهم ينظرون اليهم نظرهم الى اشخاص قدماء وقد عاش معظم هذه الارباب وبعضهم من الاعيان قد ذكرهم التاريخ وكانت لهم اعمالهم مثل لبونيداس وليزاندر وكانا من القوّاد وديمقراط وارسطو وكانا فيلسوفين وليكورك وصولون وكانا مشرعين · وعبد اهل مدينة كروتون احد مواطنيهم فيلبس لانه كان اجمل اهل زمانه في بلاد اليونان · وكان الزعيم الذي يقود الطواري٠ ويؤسس مدينة يعد بين السكان البطل المؤسس فيقيمون له معبداً ويتقربون اليه كل عام بانواع النذور والقربات · وهكذا كان ملتياديس الآثيني يعبد في مدينة من اعمال تراسيا وبرازيداس الاسبارطي الذى قتل في دفاعه عن امفيبوليس كما يعبد في هذه المدينة اذ اعتبره السكان مؤسساً لبلادهم ·

حضور الابطال — يظل البطل ساكناً في البلد التي دفن فيها جسده سواء كان في قبره او في الجوار · وقد وصف هيرودتس هذا المعتقد فكانت مدينة سيسيون تعبد البطل ادراتس فاقامت في الساحة العامة مصلى اكراماً له · ولقد ارتأى كليستين جبار سيسيون ان يتخلص من هذا البطل فراح يسأل هاتف دلفيس عما اذا كان يفلح في طرد ادراتس · فاجابه الهاتف بقوله : ان ادراتس كان ملك السيسونيين وانه لص وقاطع طريق فلما لم يستطع كليستين ان يطرد ذاك البطل عمد الى الحيلة فبعث الى ثيبة يبحث عن عظام بطل آخر اسمه ميلانيبس وجعلها في مقبرة المدينة باحتفال حافل · قال هيرودتس انه عمل كذلك لان ميلانيبس كان من ألدّ اعداء ادراتس قتل له صهره واخاه · ثم جعل تلك الاعياد والنذور تقدم الى ميلانيبس بعد ان كانت تقدم الى ادراتس زمناً وراح يقنع وسائر اليونانيين ان البطل المغتاظ يركن الى الفرار ·

مداخلة الابطال — للابطال قوة الاهية ففي وسعهم كما في وسع الارباب ان يفعلوا الخير والشر كما يشاءون · ولقد اخطأ الشاعر ستيزيشور في كلامه على هيلانة المشهورة (تلك التي جيء بها الى طروادة على نحو ما ورد في الاساطير) فكف بصره للحال حتى اذا رجع عن كلامه عاد بصيراً · ويزعمون ان هيلانة صارت نصف ربة بعد موتها فارسلت للشاعر بالداء بادئ بدء ثم اتبعته بالدواء · ويدعون ان الابطال الحامية لبلدٍ تدفع عنها الادواء والمجاعة وتذب عن حياضها من غارة الاعداء · وقد زعم الجند الآثيني انهم رأوا بين صفوفهم في حرب ماراثون تيزيه بطل آثينة ومؤسسها وقد تدجج بسلاح لامع في حرب سلامينة وظهر البطلان اجاكس وتيلامون اللذان كانا فيما مضى ملكي جزيرة سلامينة في اعلى ذروة منها باسطين ذراعيهما نحو الاسطول اليوناني · قال تيموكلس (وما قهرنا الفرس اذ قهرناهم ولكن الارباب والابطال قهروهم) وفي احدى روايات سوفقلس

(اديب الى تولون) بينا كان اديب مشرفاً على الموت زاره ملك آثينة وملك ثيبة واراده كلاهما على الرضا بترك جثته تدفن في ارضهما ليكون بطلاً حامياً لها فاجاب طلبهما في ان يدفن في بلاد الآثينيين وقال لملوكهم : اني لا اكون بعد موتي خالياً من النفع في هذا القطر بل اكون ركناً ركيناً لا تقاويه الوف الالوف من المحاربين . وكان يرى ان بطلاً واحداً يساوي جيشاً برمته ويرهب بأس هذا الشيخ ولا رهبة الاحياء اجمعين .

العبادة

بدء عبادة الارباب — كان الارباب والابطال على ما لها من الحول والطول ينشرون في الناس جماع الخيرات والسيئات كما يشاءون فكان من الخطر ان يكونوا على المرء إلباً ومن العقل ان يكونوا واياه يداً واحدة . ولقد ذهب القوم الى انهم كانوا اشبه بالبشر يسخطون اذا تركوا وشأنهم ويرضون اذا عُني بهم . وعلى هذا الفكر نشأت العبادة فكانت عبارة عن اتيان صالح الاعمال مع الارباب لنيل رضاهم . وقد صرح افلاطون بالرأي العام كما يلي قال : (ان الاضطلاع بالقول والقيام بصالح الاعمال مع الارباب سواء كان في الصلوات او في النذور هو من التقوى التي بها نجاح الخاصة والبلاد وعكسها هو الشقاء الذي به تثل عروش الممالك وتندك معالم العمران) يقول كسينوفان في آخر كتابه الفروسية ان الارباب لا يرضون عمن يفزعون اليهم في حاجاتهم فقط بل يرضون عمن يكرمهم في بحبوحة النجاح . فالديانة كانت بادي بدء عهداً وميثاقاً فكان اليوناني يسعى في استرضاء الارباب وينال من لدنهم مقابلة ذلك منافع ومغانم قال احد كهنة ابولون لمعبوده « اني قد احرقت من اجلك ثيراناً سمينة منذ زمن طويل فاقبل الآن تضرعاتي وارم بسهام غضبك اعدائي »

الاعياد العظيمة — زعم اليونان ان لاربابهم احساساً وعواطف كعواطف البشر ولذلك عُنوا بالقيام بكل ما يُسترضى به الانسان فكانوا يقدمون لهم لبناً وخمراً وحلواء وفاكهة ولحماً وينشئون لهم قصوراً ويحتفلون اكراماً لهم باعياد اذ كانت تلك المعبودات ارباباً سعيدة تحب الفرح والمناظر الجميلة . وما كان العيد كما هو الحال عندنا اليوم عبارة عن افراح بل كان احتفالاً دينياً يضرب في خلاله عن الاعمال وتأخذ الامة في ابداء مظاهر المسرة على رؤوس الاشهاد امام المعبود . فمن ثم كان اليوناني يُسرّ بهذه الاعياد ويحتفل بها اجلالاً لاربابه ومعبوداته لا قياماً باهوائه الخاصة وشهواته . جاء في نشيد قديم اكراماً للمعبود ابولون ان الايونيين يدخلون السرور عليك بما يقومون به من مطاعنتهم المعهودة وغنائهم ورقصهم .

الالعاب الاحتفالية — نشأت الالعاب الاحتفالية من هذه المسليات التي كانت تقام اعظاماً للارباب فكان لكل مدينة ضرب من ضروبها تكرم بها معبوداتها وما كانت في العادة تقبل لمشاركتها بها غير ابناء وطنها ومع هذا فقد كانوا يقومون بالعاب يشترك بها جماع ابناء يونان و يحضرونها وذلك في اربعة اماكن من البلاد اليونانية . وتدعى الالعاب الاربعة العظيمة واخص تلك الالعاب العاب اوليبيا . يحتفل بها كل اربع سنين اكراماً لمعبود زيوس وتدوم خمسة ايام او ستة فيأتي دهماء اليونان من اطراف البلاد تغص بهم الملاعب والمشاهد و يأخذون في تقديم الضحايا والتقرب بالصلوات الى المعبود زيوس (الشمس ؟) وسائر الارباب ثم يتبارى القوم في الاعمال الآتية : عدو على الاقدام حول الملعب . قتال يعرف عندهم بالبانتاثل لانه كان عبارة عن خمسة العاب فيقفز المتبارون و يركضون من طرف الملعب الى طرفه الآخر ويقذفون الى بعد بطارة من معدن و يرمون الحراب و يتقاتلون بالايدي والابدان . ثم ملاكمة بجمع الاكف يتقاتلون فيها واذرعهم مستورة بسيور من جلد . ومسابقة عجلات كانت تجري في الميدان والعجلات خفيفة يجرها اربعة جياد و يتصدر القضاة في الالعاب بالبستهم القرمزية وقد تتوجوا باكاليل الغارفينادي المنادي بعد القتال باسم الظافر واسم بلده على رؤوس الاشهاد و يكافأ بتاج من الزيتون جزاء ما وفق له و يستقبله مواطنوه استقبال الظافر الفاتح وربما خرقوا خرقاً في حائط ليجروا به منه فيقبل نقله مركبة تجرها اربعة من الجياد لابساً القرمزي والشعب كله يخفره . كان يعدهذا النصر الذي نعده اليوم من اعمال المصارعين في المحال العامة من احسن الاعمال واولاها على ذاك العهد يحتفل بها اعظم الشعراء ولم يكن هم بيندار اشهر شعراء الاغاني القدماء غير نظم المقاطيع في سباق المركبات . و يروى ان احدهم واسمه دياكوراس رأى في يوم واحد ولدين له وقد توجا فحملاه على اعين القوم حمل الظافرين فلما شاهد الشعب ان امثال تلك السعادة عظيمة جداً بالاضافة الى الميت ناداه : مت يادياكوراس اذ ليس في وسعك ان تكون بعد معبوداً . فضاق ذرع دياكوراس من الاضطراب ومات بين ايدي ولديه وفي نظره ونظر ابناء يونان ان رؤية ولديه وا كفهما قوية شثنة وسوقهما سريعة كان ذلك منتهى السعادة الارضية . وعلى هذا يحق لليونان ان يعجبوا بالقوة الطبيعية فقد كان اقوى المصارعين من احسن الجند في الحروب التي يتقاتلون فيها جسداً لجسد .

الفأل — كان اليونان يرجون من آلهتهم اعمالاً كبيرة لقاء تلك الواجبات والاعياد والاحتفالات فكانت المعبودات تحمي عبدتها وتسبغ عليهم برود العافية والغنى والنصر وتقيهم المصائب والنوائب التي يتوقعون نزولها ترسل علامة من لدنها يفسرها الناس . وهذا ما كان

بدعى بالفأل . قال هيرودتس كان اذا اقتضى لاحدى المدن ان تمتحن ببعض الخطوب بتقدَّمها على ذلك علامة في العادة . ولقد تفاءل اهل شيو (صاقز ؟) تفاؤلاً دلهم على ما ينالهم من الهزيمة فلم يرجع من مئة فتى بعثوا بهم الى دلفيس يترغون و ينشدون سوى فتيين وهلك سائرهم بالوباء . وعلى ذاك العهد انقض سقف مدرسة المدينة على اطفال كانوا يتعلمون القراءة فلم ينجُ منهم سوى طفل واحد وكان عددهم مئةوعشرين .هذه هي الامارات التي قدم الارباب ارسالها على ابناء يونان تنذرهم وتبشرهم . ولقد كان اليونانيون يرون الاحلام والطيور التي ترفرف في السماء واحشاء الحيوانات التي يتقربون بها لاربابهم بل وكل ما يقع نظرهم عليه من الزلزال والكسوف الى عطاسة يعطسها المرء — يرون كل هذه الامور الطبيعية امارات الهية فيها سعادتهم وشقاؤهم ففي حملة صقلية بينا كان نيسياس القائد الآثيني يركب جيشه المنهزم في السفن اوقفه خسوف القمر فظن ان الارباب بعثت بهذه العجيبة تنذر الآثينيين ان لا يتموا ما بدأوا به من الاعمال الحربية فاضطرَّ نيسياس الى الانتظار سبعة وعشرين يوماً وهو يقدم القرابين تسكيناً لغضب الارباب . فسدَّ الاعداء في هذه الفترة ميناءالمدينةوحطموا اسطولها وبددوا شمل جيشها . ولم يرَ الآثينيون لما بلغهم هذا النبأ سوى امر واحد نجوا من اجله نيسياس وذلك انه كان عليه ان يعرف ان اختفاء القمر بالنظر الى جيش منهزم علامة حسنة . وفي غضون العودة المعروفة بعودة العشرة آلاف خطب القائد كسينوفون في جنده فلما انتهى الى هذه العبارة : « لنا الامل الوطيد ان نرجع والمجد اليفنا بمعونة الارباب » عطس احد الاجناد على الاثر فاخذ الجيش يصلي و يضرع الى الرب على ان بعث لهم هذا الفأل فهتف كسينوفون : الا فلننذر بتقديم ضحايا لزيوس اذ بعث الينا ما نتفاءل به بينا نحن نتفاوض في سلامتنا .

هاتف الغيب — كان الرب في الاحايين يجيب سؤْل من يدعوه و يستشيره من المؤمنين لا باشارة صماء بل على لسان احد الملهمين من علية الناس فيأتي القوم مزار رب ينشدون اجوبة يتلقونها ونصائح يستنصحون بها وهذا هو معنى الهاتف بالغيب . وانك لترى في اماكن كثيرة من بلاد اليونان وآسيا جملة صالحة من الهاتفين بالغيب واشهرهم في دودون من بلاد ابيروس ودلفيس في سفح جبل البارناس فكان الرب زيوس في دودون يجيب دعوة المضطرين بدوي اشجار البلوط المقدسة والرب ابولون كان المستنصح في دلفيس وكان يسري في مغارة من معبده من شق التراب مجرى نسيم ظن اليونان ان الرب بعث به لانهُ ما استنشقه انسان الا وخرف وجن ولذا وضعوا أثفية على شق الارض وهي عبارة عن امرأة (بيسيا) فتجلس على تلك الأثفية بعد ان تستحم في حمام مقدس وتقبل الالهام

فما هو الأ ان يأخذها شيءٌ من البحران العصبي حتى تبدأ تصرخ اصوات وتتفوَّه بكلمات منقطعة فيتلقاها منها كهنة يجلسون حولها فينظمونها شعرًا ويقصونها على من جاء يستفهم فكان هتاف الغيب من بيسيا هذه مشوَّشاملتبسًا · ولما سألها كريزوس عما اذا كان يجب عليه ان يشهر على الفرس حربًا اجابته بقولها (ان كريزوس يدمر مملكة عظيمة) ثم ان مملكة عظيمة تقوَّضت اركانها ولكنها كانت مملكة كريزوس · وكان للاسبارطيين ثقة عظمى بالبيثيا ولم يكونوا يسيرون حملةلم دون استشارتها وقد اقتدى بهم سائر اليونانيين وهكذا اصبحت دلفيس مبعث الهاتف الوطني ·

الامفكتيونيا — ألف اثنا عشر رجلاً من اعيان الشعوب اليونانية جمعية سموها الامفكتيونيا حبًا بحماية قبر دلفيس فكان يجتمع نوَّاب هذه الشعوب كل سنة في دلفيس للاحتفال بعيد ابولون وللنظر فيما اذا كان المعبد يُخشى عليه من مدِّ يد الاذى لانه كان فيه ثروة عظيمة ربما تدعو اللصوص ان ينهبوه · وقد صادر اهل سيرا وهي المدينة القريبة من دلفيس هذه الكنوز الثمينة في القرن السادس فاعلن عليهم اولئك الاعيان المشار اليهم حرب من استباح الامور المحظورة وخرق سياج المقدَّسات فأُخذت سيرا وهدمت من اساسها وبيع سكانها بيع الرقيق واصبحت ارضها كأن لم تغن بالامس ·

ومع هذا فلا ينبغي ان يذهب ذاهب الى ان مجمع الامفكتيون اشبه في وقت من الاوقات مجلسًا يونانيًا · بل انهُ لم يعن الأ بعيد ابولون لا بالشؤُون السياسية وما قط ضرب على ايدي شعوب الامفكتيون حتى لا يثيروا بينهم دواعي الشقاق فالهاتف الغيبي والامفكتيونيا في دلفيس كان لهما من السطوة حظ اوفر من سطوة الهاتفين والامفكتونيين ولكنهُ ما ضم قط اشتات اليونانيين وجعلهم امة قائمة برأسها

اسبارطة

شعبها

لاكونيا — لما هاجم اهل الجبال من الدوريين شبه جزيرة المورة نزلت اعظم عصابة منهم في مقاطعتي اسبارطة ولاكونيا ومقاطعة لاكونيا وادٍ ضيق يشقه نهر عظيم يعرف بالاوروتاس يحيط بهما جبلان عظيمان غطيت قممهما بالثلوج وقد وصفهما احد الشعراء بقوله : « ايتها الارض الغنية التربة المخصبة الرباع المتعذر استنباتها واستثمارها ايتها البلدة الجوفاء المحصورة بين جبال قائمة الكثيبة في منظرها المنيعة على شبات المهاجمين » وقدعاش الدوريون من الاسبارطيين في هذه البلاد الحصينة بين ظهراني سكانها القدماء فاصبح بعضهم

رعايا لهم وفريق منهم عبيدهم ومواليهم وبهذا انقسم سكان لا كونيا الى ثلاث طبقات وهم الهيلوتيون والبيريكيون والاسبارطيون .

الهيلوتيون — سكنت هذه الطبقة من السكان اكواخاً منتشرة في الفلاة واقاموا على حرث الارض وزراعتها وما ملكوا الاراضي التي كانوا يعملون فيها ولم يكونوا مطلقين في مغادرتها وما كان حالهم في ذلك الا حال عبيد القرون الوسطى مستأجرين تابعين للارض خلفاً عن سلف عاملين لمالكيها الاسبارطي وكان يتناول منهم افضل قسم من غلاتهم . ولطالما احتقرهم الاسبارطيون وحاذروا بأسهم واساءوا معاملتهم واضطروهم الى لبس ثياب غليظة وضربوهم بلا داع ليذكروهم انهم عبيد وارقاء . وربما اسكروهم في الاحايين لينفروا ابناءهم من السكر . وقد شبه احد شعراء اسبارطة الهيلوتيين « بحمر موفورة تكبو وتنوء تحت اعباء الاحمال واعياء الضرب »

البيريكيون — سكنت هذه الفئة مئات من القرى في الجبال او على الساحل وألفوا الاسفار البحرية واتجروا وصنعوا المواد الضرورية للحياة فكانوا احراراً يديرون شؤون مزارعهم بيد انهم كانوا يؤدون ضريبة لحكام اسبارطة ويخضعون لهم .

حالة الاسبارطيين — ابغض الهيلوتيون والبيريكيون ساداتهم الاسبارطيين . يقول كسينوفون لم يكن لاحدهم عند ما تكلم في شأن الاسبارطيين ان يكتم مبلغ سروره لو تسنى له ان يأكل الاسبارطيين احياء . زلزلت اسبارطة ذات يوم وكادت تتداعى اركانها فما كان باسرع من البرق حتى انهال الهيلوتيون من اطراف الفلاة ليقتلوا الاسبارطيين الناجين من الهلاك . ثم انتقض البيريكيون وابوا الخضوع . على ان الاسبارطيين كانوا من سوء السلوك بحيث يستحقون سخطهم . ولقد امر الاسبارطيون عقيب حرب اشترك فيها كثير من الهيلوتيين في معسكراتهم ان ينتقوا من اشتهر منهم بالشجاعة ووعدوهم ان يعتقوهم وكان هذا الوعد منهم حيلة ليعرفوا بها اشجعهم نفوساً واجرأهم على ابداء نواجذ الثورة فانتخب ألفان منهم طافوا بهم ارجاء المعبد متوجة رؤوسهم اشارة الى الحرية ثم ادخلهم الاسبارطيون في خبر كان ولم يعرف احد كيف هلكوا على حين كان المضطهدون عشرة اضعاف مواليهم وما قط ربا الاسبارطيون على تسعة آلاف رب أسرة يقابلهم مائتا الف من الهيلوتيين ومئة وعشرون الفاً من البيريكيين واقتضى ان يعادل واحد من الاسبارطيين عشرة من مواليهم في مسائل القتل واذ اعتادوا المصارعة قضت الحال بان يكون افرادهم اقوياء اشداء فكانت اسبارطة معسكراً لا جدار له وكان شعبها جيشاً على قدم الدفاع ابداً

التربية

الاولاد — يؤخذ اطفال هذه الامة منذ ولادتهم ليكون منهم اجناد فكل مولود يؤتى به امام المجلس فاذا وجد انه ضعيف اشوه يعرضونه على مجلس لان احوالهم اوجبت ان لا يكون جيشهم مؤلفاً الا من ارباب القوَّة والجلادة ثم يستحيونهم يؤخذون من اهلهم في السابعة من عمرهم و يربون مع اقرانهم كأنهم اولاد جماعة فيروحون عارية اقدامهم وليس على ابدانهم غير رداء واحد هو وقايتهم صيفاً وشتاء وينامون على كدس من القصب و يغتسلون في المياه الباردة من نهر الاوروتاس ويقللون من الطعام ويزدردون كثيراً واطعمتهم غليظة ليعتادوا ان لا يملأوا معدهم . ويقسمون الى سرايا كل سرية مئة رجل ولكل منها زعيم . وكثيراً ما يريدونهم على التطاعن بالارجل والاكف . ويساطون في عيد ارتميس حتى تسيل دماؤهم امام هيكله وربما مات بعضهم متأثراً من الضرب على انهم قلما يستغيثون فيرون الشرف ان لا يرفعوا اصواتهم يريدون بذلك تدريبهم على ان يقتتلوا ويحتملوا العذاب والالم . وكثيراً ما يمنعون عنهم الطعام بتاتاً فيسرقون ما يقتاتون به فاذا خدعوا يضربون بالسياط ضرباً مبرحاً . وكان من احد اولاد الاسبارطيين كما قيل وقد سرق ثعلباً صغيراً وخبأه تحت ثوبه ان آثر جعل بطنه فريسة للثعلب ينهشه على افتضاح امره واظهار فعلته . وكان يراد تدريب هؤلاء الاطفال على حسن التخلص في الحروب فيسيرون غاضين ابصارهم ساكتين وايديهم تحت ثيابهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة كأنما على رؤوسهم الطير امام الهياكل وكان عليهم ان لا يتكلموا على الطعام و يطيعوا كل من يلقونهم وذلك لكي يخضعوهم للنظام .

البنات — اما سائر اليونانيين فيحجبن بناتهم في البيوت ويشغلنهم بحياكة الصوف . اراد الاسبارطيون ان يقووا اجسام نسائهم ويجعلنهم من المقدرة بحيث يلدن الاقوياء من الاولاد فمن ثم كانوا يربون البنين على غرار البنات الا قليلاً . ولقد كانوا يمرنون في رياضاتهم على الركض والقفز ورمي الأطر والطعن بالحراب . وقد وصف شاعر ألعاباً كانت فيها البنات كالمهارى مسترسلة شعورهن والغبار ثائر وراءهن وقد اشتهر من امرهن انهن كن احصن نساء يونان واشجعهن .

التهذيب — حياة الرجال منظمة ايضاً كحياة الجند اذ قضت الحال ان لا تنثني عزائمهم امام جمهور الاعداء فيكون الاسبارطي في السابعة عشرة من سنه جندياً ويظل كذلك الى الستين . فكانت الازياء وساعة القيام والنوم والطعام والرياضات محددة معروفة بنظامات كما هو الحال في ثكنة الجند اليوم . فاذا لم يحارب الاسبارطي يستعد للحرب فيمرن نفسه

على العدو والقفز وحمل السلاح ويروض كل حين عامة اطراف جسمه من عنقه وذراعيه وكتفيه وساقيه . ولا يحق له ان يتجر ولا ان يحترف ولا ان يحرث ارضاً فهو جندي وليس عليه ان يحيد عن مهمته بمعاطاة اي عمل كان . وليس له ان يعيش في أسرته على هواه فان الاسبارطيين يتناولون الطعام زمراً زمراً ولا يخرجون من بلادهم الا باذن وهذا يعد من باب تنظيم جيش في ديار العدو

الايجاز في الكلام — قاسى هؤلاء المحاربون شظف العيش فكانت محادثاتهم صفيقة نقراً فيها العجب والخيلاء وكانوا يختزلون الكلام اختزالاً . وهذا ما يسمى بالكلام الموجز وبالافرنجية (لا كونيك نسبة لمقاطعة لاكونيا وقد بقي منها هذا التعبير) . فكانت الحكومة تبعث الى حامية على خطر من مباغتة العدو لها برسالة لا تكتب فيها سوى كلمة (الحذر) وقد اخطر ملك الفرس جيشاً اسبارطياً ان يطرح سلاحه فاجابه القائد « تعال خذه » ولما استولى لزاندر على آثينة لم يكتب سوى هذه الجملة « سقطت آثينة » .

الموسيقى والرقص — كانت الاشغال الاسبارطية صنائع حربية بجيش . حمل الاسبارطيون معهم ضرباً من الموسيقى خاصة بهم كانت على جانب عظيم من الوقار والحماسة والكراهة في الاسماع وهي من ضروب الموسيقى العسكرية . فيروح الاسبارطيون الى ساحة الوغى على نغمات المزمار ويسيرون على الايقاع . ورقصهم عبارة عن استعراض قائد لجند فيرقص الراقصون الرقص العسكري المألوف ببلاد يونان المدعو بالبيريك مسلحين ويتابعون عامة حركات القتال ويشيرون بالضرب والكر والفر والطعن بالحراب .

بأس النساء — عرف النساء بتحميس الرجال على القتال واشتهرت آثار شجاعتهن في يونان فكتبت فيها المصنفات . وقد قتلت امرأة اسبارطية ولدها لفراره من الزحف قائلة « ان نهر الاوروتاس لا يجري ليشرب منه الوعول » ولما علمت احدى نساء تلك البلاد ان خمسة اولاد لها هلكوا قالت ليس هذا ما اسألكم عنه فهلا كتب النصر لاسبارطة فلما اجيبت بالايجاب قالت اذاً فلنحمد الآلهة ولنشكر لهم » .

الترتيبات

الملوك والمجلس = للاسبارطيين اولاً كما لسائر ابناء يونان ملوك ومجلس شيوخ ودار ندوة وقد حفظت كل هذه الترتيبات ولكن من حيث الصورة فقط . فالملوك وهم من نسل المعبود هيراكليس يشرفون ويكرمون ولهم حق التصدر في المواضع الاولى في المآدب ويقدم لهم من الطعام ما يكفي اثنين واذا مات احدهم لبس جميع الرعايا عليه الحداد . بيد انهم لم يتركوا لهم ادنى حكم بل يراقبونهم كل المراقبة . وكان مجلس النواب مؤلفاً من

ثمانية وعشرين شيخاً منتخبين من العيال الغنية القديمة يقومون بما ندبوا اليه مدى الحياة ولكنهم لا يحكمون ·

المفتشون — ان المفتشين (ايفور) هم السادة الحقيقيون في اسبارطة وهم خمسة حكام يتجدد انتخابهم كل عام و يناط بهم تقرير السلم والحرب وفصل القضايا · وهم يرافقون الملك في قيادة الجيش فيديرون حركة الاعمال الحربية وكثيراً ما يريدونه على الرجعة من الحرب وهم في العادة يستشيرون اعضاء مجلس الشيوخ ويقررون ماينبغي باتفاق آرائهم ثم يجمعون الاسبارطيين في احدى الساحات و يطلعونهم على ما تم من القرار ويطلبون اليهم ان يصدقوعليه اما الامة فانها تستحسن ما تم بالهتاف دون ان تناقش في اقل مسألة · ولا يعلم فيما اذا كان للامة الحق ان ترفض ما قرر وهي التي عُلمت الخضوع وان لا تعاند اصلاً · وكانت هذه الحكومة حكومة اشراف مؤلفة من عدة أُسرات حاكمة · فمن ثم لم تكن اسبارطة بلاد مساواة وكان فيها اناس يدعون اهل المساواة وذلك لانهم كانوا سواء فيما بينهم اما غيرهم فيدعون المرؤوسين ولم يكن لهم شيء من الحكم البتة ·

الجيش — بفضل هذه الطريقة في الحكم احتفظ الاسبارطيون باخلاقهم الجبلية القاسية فلم يكن عندهم نقاشون ولا مهندسون ولا خطباء ولا فلاسفة بل انهم انصرفوا كلهم الى الحروب وحذقوا علم الكر والفر ايما حذق وغدوا من المتفننين لغيرهم من اليونانيين واتوا العالم بعملين عظيمين احسن طريقة في القتال واحسن طريقة في التدريب ·

المسلحون — كان اليونان قبلهم يسيرون الى القتال بغير انتظام فيمتطي الزعماء صهوات الخيول او عجلات خفيفة و يتقدمون صفوف الحملات والناس يتبعونهم مشاة وقد تسلح كل منهم كما اراد وقد تفرقوا طرائق قدداً وليس في وسعهم ان يكونوا يداً واحدة في العمل او المقاومة · وما هو الا ان يستحيل القتال الى مبارزات ثم الى مذابح · اما في اسبارطة فللمقاتلة باجمعهم سلاح واحد وكانت وسائل دفاعهم درعاً يغطي النصف الاعلى والخوذة تقي الرأس والمسامي (الطاقات) تقي الساق والترس تجعل في مقدمة الجسد · اما وسائل هجومهم فسيف قصير ورمح طويل · ويسمى المسلح على هذه الصورة باسم ابوليت · والمسلحون من الاسبارطيين مقسومون الى كتائب وسرايا وفرق وشراذم على مثال ترتيب جيوشنا لهذا العهد الا قليلاً · فكان الضابط يقود احدى هذه العصابات و يبلغ رجاله اوامر الرئيس بحيث انه يتأتى للقائد العام ان يوحد حركة الجيش كله · وهذه الطريقة التي نراها سهلة هي بالنسبة لليونان ابداع عجيب ·

مصاف الجيش — متى بلغ الجند مقدمة الاعداء يأخذون مصافهم ويكون في العادة

على ثمانية صفوف متقاربين بعضهم من بعض مؤلفين من جموع متكاثفة تدعى جحافل ومصافاً ويقدم الملك وهو قائد الجيش عنزة على سبيل النذر للارباب واذا تفاءلوا باحشاء الذبيحة تفاؤلاً حسناً يبدأ جماعة من الجند يرددون لحناً وعندئذ تهتز صفوفهم فيباغتون اعداءهم مسرعين على الايقاع ونغمات المزمار والرمح يعلو والترس على الجسد فيحملون عليهم وصفوفهم متراصة فينكسون اعلامه بمجموعهم ووثوبهم ويهزمونه ويقفون حالاً لئلا يقطع مصافهم وانه ليتسنى لكل جندي ان يحمي اخاه مادام سير الجيش كتفاً الى كتف فيكون بذلك كالبنيان المرصوص يتعذر على العدو ان يجد الى خرقه سبيلاً . نعم ان هذه التعبئة كثيفة في ذاتها ولكنها تكفي لغلبة جيش مشوش وقلما يقاوم ناس منفردون مثل تلك الجموع ولقد فهم سائر اليونان هذا الامر فاقتدوا جميعهم بالاسبارطيين ما ساعدتهم المكنة فكان جندهم حيثما حلوا مدججين بالسلاح وقاتلوا جحافل وكتائب متراصة .

الرياضة الجسمية = اقتضى تدريب رجال خفاف اقوياء لتتسنى مهاجمة العدو في مثل تلك الصفوف وتنكيس اعلامه لاول وهلة فكان على كل جندي ان يحسن البراز والصراع فمن ثم رتب الاسبارطيون الرياضات البدنية واقتدى بهم سائر اليونانيين فاصبحت الرياضة عملاً من اعمال الامة كافة . واكثر اعمالها اعتباراً ما يكلل صاحبه في الاعياد العظيمة . عرفت احدى المدن في البلاد النائية بين برابرة الغول او البحر الاسود وثبت انها يونانية اذ كان لها ملعب للاعمال الرياضية . وكان هذا الملعب قطعة مربعة عظيمة تحيط بها اروقة او دهاليز وهي في الاغلب على مقربة من نبع وله حمامات وقاعات للتمرين . فيحضر السكان الى ذاك المكان للنزهة والمحادثة فهو اشبه بناد وكان الفتيان يقضون في هذا الملعب عامين على الاقل يختلفون اليه كل يوم يتعلمون القفز والركض ورمي الاوطار وضرب الحراب ويتصارعون بوسط الجسد لتقوية العضلات والجلد ويغمسون في الماء البارد ويطلون ابدانهم بالزيت ويتمسحون بمسحة .

المصارعون = معظم الاسبارطيين يقضون عامة حياتهم في ممارسة هذه التمرينات إباءة ومروءة فلا يعتمون ان يصبحوا مصارعين وقد وفق بعضهم الى ان تمت على ايديهم خوارق ويقال ان ميلون من مدينة كروتون في ايطاليا كان يحمل ثوراً على كتفيه ويوقف عجلة وهي راكضة بان يمسكها من خلفها . ولقد كان هؤلاء المصارعون يخدمون في الحروب خدمة الاجناد وكثيراً ما يقومون بقيادة الزحوف وبهذا صح قولنا ان الرياضات البدنية بمثابة تدريب على الحرب .

اعمال الاسبارطيين = تعلم الاسبارطيون من اليونانيين التروض والقتال وجاءهم

مصارعون اقوياء اشداء وجند منظم وعرفوا بهذه المزية في بلاد اليونان وكانوا من اجل ذلك يحترمون في كل مكان . ولما قضي على سائر الشعوب اليونانية ان تقاتل الفرس مجتمعة تحت راية واحدة لم يستنكفوا من اتخاذ الاسبارطيين زعماءهم . قال خطيب آثيني وكان هذا الامر بحجة صحيحة واستحقاق تام .

أبكني ياضياء

أجدك يا كواكب لا تريننا ... بياناً منك يخبرنا اليقينا
كأن العالم العلوي سفر ... نطالعه ولسنا مفصحينا
نحاول منه اعراب المعاني ... بتأويل فنرجع معجمينا
كواكب في المجرة عائمات ... حكت في بحر فسحتها السفينا
سرت زهر النجوم وما دراها ... فلاسفة مضت ومنجمونا
شموس في السماء علت وجلت ... فظنوا في حقيقتها الظنونا
سوابح في الفضاء لها شؤون ... ولما يعلموا تلك الشؤونا
وما ارتجفت بجنح الليل إلا ... لتضحك فيه مما يزعمونا
لعل لها بهذا الجو شأناً ... سوى ما نحن فيه مرجمونا
تلوح على الدجى متلألئات ... فتبهج في تلألؤها العيونا
وأنى يدرك الرائي مداها ... وان ألقى لها نظراً شفونا
تود الغانيات اذا رأتها ... لو انتظمت لها عقداً ثمينا
تقلده على اللبات منها ... وتطرح الدمالج والبرينا

***

أبكني ياضياء الى الدراري ... رسالة مسهر فيها الجفونا
لعلك راجع منها جواباً ... يزيل عماية المتحيرينا
فقل اني تحير فيك فكري ... كذاك تحير المتفكرونا
فيا أم النجوم وانت أم ... ايولد فيك كالارض البنونا
وهل فيك الحياة لها وجود ... فيمكن للردى بك ان يكونا
وهل بك مثل هذى الارض ارض ... وفيها مثلنا متخالفونا
وهل هم مثلنا خلقاً وخلقاً ... هناك فيأكلون ويشربونا

وهل هم في الديانة من خلاف نصارى او يهود ومسلمونا
وهل طابت حياة بنيك عيشاً فنوق الارض نحن معذبونا
وهل حسبت بك الايام حتى تألف من تعاقبها السنونا
وهل بالموت نحن اذا خرجنا عن الاجساد نحوك مرتقونا
فتبقى عندك الارواح منا تصان فلا ترى جنفاً وهونا
فاحبب بالمنون اذاً واحبب بها ان كان سلمك المنونا

***

ابيني ما وراءك يادراري فنحن نخاله بعداً شطونا
قد اتسع الفضاء لك اتساعاً فهل ابعاده بك ينتهينا
وصغرك ابتعادك فيه حتى اليك استشرف المتشوقونا
فهل كان ابتعادك من دلالٍ علينا ام بعدت تخدعينا
خوالد في فضائك انت ام قد يحل بك الفناء فتذهبينا
وقالوا ما لعدتك انتهاء فهل صدقوا او ارتكبوا المجونا
وقالوا الارض بنتك غير مين فهل ابناء بنتك يصدقونا
وقالوا ان والدك المفدى اثير في الفضاء أبى السكونا
ترصدك الانام وما اتانا بعلم كيانك المترصدونا
(فهرشل) ما شفى منا غليلاً ولا (غاليل) انبأنا اليقينا
و(كبلر) قد هدى او كاد لما ابانك يا نجوم تجاذبينا
الى كم نحن نلبس فيك لبساً ومن جراك ندرع الظنونا
لعل النجم في احدى الليالي سيبعث للورى نوراً مبينا
تقوم له الهواتف قائلات خذوا عني النهى ودعوا الجنونا

بغداد معروف الرصافي

خرائب مدينة بمبي

كان اسم بمبي يطلق في القرون الخالية على مدينة انشأها الرومان في سفح جبل يزوف (في ايطاليا اليوم) مدينة توفرت فيها دواعي الهناء فاحبها عظماء البلاد واصحاب الوظائف العليا فكانت مباءتهم في تلك الجنة . شادوا قصوراً يختلفون اليها في الاحايين ليسرّوا عن انفسهم الهموم ويجددوا ما فقدوا من قواهم في مشاغل السياسة .

ومما كان يزيد جمال تلك المدينة انهم كانوا يزينون جدران بيوتها ومنازلها بانواع النقوش الملوّنة بالالوان السبعة المعروفة وفي آخر كل من الشوارع كان نبع يجلس بجانبه المرء وامامه الحدائق الغناء يشرف على بحر الروم وتجلى له المناظر البديعة فيخال انه في جنان السماء ويتمنى لو يبقى هناك ابد الدهر . الى هنالك كان الناس يتقاطرون فرادى، وازواجاً فيفرج المكروب كربته ويتناسى المنكوب نكبته ويزيد عدد المتنزهين يوم تروق السماء فيجتمعون على تباين المشرب وقد تحلى بعضهم بالملابس الارجوانية وجلس الآخر على مقاعد الرخام يستظلون بالمظال وامامهم الموائد الفاخرة وقد وضعوا عليها الخمور والثمار وزينوها بالزهور والانوار فكان البيت في تلك المدينة يبدو كقصر صغير والقصر لا يقل في فخامته عن قصور هذا الزمان او هياكل اسلافنا الاولين .

كانت مساكن عظماء الرومان في بمبي مثال الرونق والجمال ونموذج الابهة والكمال يفد على احد تلك القصور زائر فيجتاز المدخل المزين بالعمد الكثيرة ثم يأتي الردهة العظمى التي كان صاحب المنزل يستقبل الضيوف فيها بالحفاوة والاكرام ويصغي الى شكاوي المظلومين ويسمع مصانعات المنافقين وفيها كان يودع ماله يضعه في صناديق الحديد ويكل امره الى رب المنزل . ثم يفضي المتفرج الى غرفة اخرى قد دفت ارضها بالفسيفساء وزخرفت حيطانها بالنقوش وانواع الصور ورصعت بالفصوص الذهبية والياقوت وسائر انواع المعادن الثمينة وفيها كانوا يحفظون سجلات الأُسر واخبارها لاول امرهم وكان في المنزل غرف متعددة مهيأة لتناول الغذاء وحجر للنوم مزوّقة مزخرفة وغرف اخرى تجعل فيها العاديات والاحجار الكريمة .

ثم ينتهي المتفرج الى غرفة واسعة اعدت لمحاكمة المذنبين وهذه تفضل سائر الغرف لانها كانت تطل على حديقة وفيها جميع انواع المبهجات فمن ثمر يفتن النواظر بالوانه المتفاوتة ومن ينابيع تنبعث مياهها الى كل صوب وتلطف الهواء ينشأ عنها اصوات تشنف الآذان ومن اوان خزفية زرعت فيها زهور نادرة الوجود والى جانب هذه وضع بعض انصاب الرجال العظماء

وكانت النقوش على حوائط القصر تمثل بعض المشاهد في اساطير اليونان كالاستيلاء على اوروبا ووقعة لامازون وكثير من هذه المناظر لا يزال محفوظاً في متحف نابولي المشهور. وصوَّروا على باب القصر صورة كلب وكتبوا في اسفلها احترز من الكلب اشارة الى أسطورة من اساطيرهم. وكانت تلف عمد الحكمة باكاليل صنعت من الزهور تبدل كل صباح. والموائد كان يعمل اكثرها من شجر الليمون الحامض وتزين بالنقوش العربية وكانوا يهتمون جدّا بالاسرَّة فيصنعونها من النحاس والذهب والجوهر ويضعون فيها المساند الكثيفة ويزوّقونها بشغل الابرة الذي لم يفقهم فيه احد.

وكان صاحب القصر اذا أدب مأدبة لاهل الوجاهة والمكانة لا يألو جهده في تجهيز كل ما من شأنه ابهاج الزائرين فيجلس الضيوف على مقاعد الردهة متكئين على المساند ثم يغسلون ايديهم في الاواني الفضية وينشفونها بالمناشف الملوّنة بصباغ الارجوان ثم يتناولون الاطعمة ويأكلون الفواكه الموضوعة في اوعية ذهبية. وكانوا يأتون في اشد ايام الحرّ بالثلج ويستعملونه على الاخونة لتبريد الماء وانعاش الجسم.

وكان من يديرون كؤوس الخمر على الحضور في خلال المأدبة يقدمون لهم من افخر خمور الدنيا وفريق آخر من الخدم يرقصون لاطراب الزائرين واصحاب الغناء يوقعون الالحان ويغنون شيئاً من اغاني هورس او انقريون واذا انتهت الوليمة تنبعث المياه العطرة بغتة من قساطل لا تُرى فتؤرج كل ما تحويه الردهة وتنتعش نفوس الجماعة ثم تبرز موائد اخرى وقد فرشت عليها صنوف الطعام فتعيد قابلية الضيوف ويأكلون ما لذ لهم اكله ثم تختفي هذه الموائد وتبرز بدلاً منها موائد اخرى يلعب عليها بعض اعضاء مجلس الاعيان والقناصل والحكام بالنرد فيخسرون الممالك او المقاطعات بهذه اللعبة او يربحون. هذا الفساد طرأ على أمة الرومان في ابتداء هبوطها. ويعقب هذه المشاهد مشهد الرقص يقوم به زمرة من الفتيات يدهشن الناظرين بما يأتينه من التفنن في ضروب الرقص الغريب ويغنين من الاغاني ما يسبي القلوب ويلعب بالعواطف والنفوس.

هكذا كانت احوال بمبي في اواخر القرن الاول بعد الميلاد يؤمها المتنزهون من اطراف البلاد ويفضلونها على متنزه الدنيا. طرأت عليها نازلة جائحة في الثالث والعشرين من شهر اغسطس عام تسعة وسبعين والناس فيها منغمسون في الملاهي دهمتهم طوارق الحدثان وثار بركان يزوف في ظهيرة ذلك النهار وطفق يقذف الرماد والحمم من جوف الارض ويدفعها الى المدينة فطبق الدخان كل ناحية. دخان كثيف اسود كالقار احال صفاء المكان ظلمة مدلهمة فعقبه انين وعويل وشتائم المنكوبين بعضهم بعضاً في ساعة اضاع فيها الاخ

اخته والعروس عروسه والزوج زوجته والام ولدها في آن تعذر على الانام ان ينظروا من الموجودات سوى لمعان كان يلمع من قمة البركان ·

فمادت الارض بسكانها وتزعزعت القصور من اركانها وبدأَت المنازل تهدَّم واصحابها يستجيرون ولا مجير فير حم والبحر يتراجع عن اليابسة كأنه ارتعد فرقاً من ثوران بركان يزوف وهيجانه وكثف الهواء بما انقذف اليه من الغبار ثم تراكمت كل هذه المقذوفات وحملت الى المدينة فطمرتها ابد الدهر ومحتها من هذا الوجود ·

ادرك اهلها الموت وهم منغمسون في لذائذ الحياة فهلك الضيوف في ردهات القصور وربات الحجال في الخدور والجند في ثكنهم والسجناء في محابسهم ومطابقهم والارقاء بقرب الينابيع حيث كانوا يتنزهون واصحاب التجارة وهم يبيعون السلع في مخازنهم وطلبة العلم وهم بين المحابر والدفاتر وحاول بعضهم الهرب فقادهم العميان الذين تعوَّدوا السير في حالك الظلمات فبغتهم البوار وانقلب الناس من المدن المجاورة الى بمبي بعد تلك النازلة ببضعة ايام فلم يلقوا هنالك سوى بقعة مغطاة بالرماد وفي الاعماق طُمر أُلوف من البشر ورقدوا رقاداً لم يعقبه قيام. طمروا فطمرت معهم لذائذهم وعفت من بعدهم آثار مدينتهم وتقوَّضت معالمها

وقد تسنى لها في القرن الثامن عشر اشخاص تمحضوا لدراسة الآثار فطفقوا ينقبون في تلك البقعة وبعد ان تكبدوا المشاق وجدوا المدينة في الحالة التي طمرت بها فبعض المنازل لم يزل ثابتاً وبعض النقوش لا تزال ظاهرة وهيا كل الموتى موجودة في الاماكن التي ادرك الموت اصحابها فيها منذ عهد سحيق فالسجين لم يزل مغلولاً بالاغلال والعروس لابسة سلاسل الذهب والاساور والشحيح قابضاً على درهمه والكهنة مختبئين في اجواف تماثيل اربابهم المجوفة ليخدعوا اتباعهم الى آخر ماهنالك من المناظر المدهشة والمشاهد المذهلة

هذه آثار دولة الرومان التي خفق نسرها في كل جوّ وعقدت رايتها في كل ارض فكأنك في درسك آثار بمبي تستطلع اخبار الرومان ايام كانوا في اعلى ذرى رقيهم وسيطرتهم وتتجلى لك مظاهر حضارتهم منذ ظهورهم مضافة اليها مظاهر التمدن اليوناني التي نقلها الرومان عن اليونان والمظاهر التي اقتبسها هؤلاء عن أُمم المشرق التي كان لها في القدم الكعب الاعلى في العمران وقد انقرضت كأنها لم تكن تلك سنة الكون تغير دائم تصدق على جميع العوالم ولا تزال تفعل في هذه الموجودات حتى ترجع بها الى العدم كما كان الحال في غابر الازمان ·

خليل الخوري

يافا

قصيدة مجهولة للسموأل

نشرت بعض المجلات والجرائد العربية منذ بضعة اشهر قصيدة نسبها الناشر الاوّل لها وهو الاستاذ مرجليوث الانكليزي الى السموأل الشهير ثم وجدت منها نسخة ثانية في الموصل اصح رواية من الاولى . ثم وجدت منها نسخة ثالثة اصح رواية من السابقتين وجدت في بغداد . وذلك بينا انا ابحث في كتبي على احد شعراء بغداد في القرن المنصرم ورد ذكره في مخطوطٍ نفيس عندي فعثرت على قصيدة السموأل ولما انعمت النظر فيها وجدتها قليلة الضرائر الشعرية والاغلاط النحوية وألفيتها تختلف الرواية عن النسختين المذكورتين فجئت اتحف بها قراء المقتبس واصفاً لهم المخطوط مع بعض الانتقاد لهذه المنظومة .

وردت القصيدة في الصفحة ٢٧٤ من مخطوطنا وقد ترجمت بهذا العنوان . «هذه القصيدة للسموأل من بني قريظة لا للسموأل من بني غسان» . واليك الآن نصها مع الضبط المشكول بكل تدقيق وامانة :

الا ايها الضيف الذي عاب سادتي   ألا اسمع جوابي لست عنك بغافل
ألا اسمع فخر يترك القلب مولهاً   وينشب نارًا في الضلوع الدواخلِ
فأحصي مزايا سادةٍ بشواهدٍ   قد اختارهم رحمانهم للدلائل
قد اختارهم عقماً عواقر للورى   ومن ثمَّ ولأَهم سنامَ القبائل
من النار والقربان والمحن التي   لها استسلموا حب العلا المتكامل
فهذا خليلٌ صير النارُ حوله   رَياحين جنات الغصون الذوابل
وهذا ذبيحٌ قد فداهُ بكبشهِ   يَراهُ بديهاً لا نتاج الثياتل
وهذا رئيس مجتبىً ثمَّ صَفوُهُ   وسماهُ اسرائيلَ بكرَ الاوائل
ومن نسله السامي ابو الفضل يوسف الـ   ـذي اشبع الاسباط قمح السنابل
وصار بمصرٍ بعد فرعون امرُهُ   بتعبير احلام لحلّ المشاكل
ومن بعد أحقاب نسوا ما اتى لهم   من الخير والنصر العظيم الفواضل
ألسنا بني مصر المنكلة التي   لنا ضربت مصرٌ بعشرٍ مناكل
ألسنا بني البحر المفرّق والتي   لنا غرّق الفرعون يومَ التحامل
واخرجهُ المبدي الى الشعب كي يرى   اعاجيبه مع جوده المتواصل
وكيما يفوزوا بالغنيمة اهلها   من الذهب الابريز فوق الحمائل
ألسنا بني القدس الذي نصبت لهم   غمامٌ تقيهم في جميع المراحل

من الشمس والامطار كانت صيانة — تجبير نواديهم نزولَ الغوائل
أسنا بني السلوى مع المن والذي — لم نجو الصوّان عذبُ المناهل
على عدد الاسباط تجري عيونها — فراتاً زلالاً طعمهُ غير حائل
وقد مكثوا في البرّ عمراً مجدداً — يغديهم العالي بخير المآكل
فلم يبلَ ثوب من لباس عليهم — ولم يحوجوا للنعل كلَّ المنازل
وارسل نوراً كالعمود امامهم — ينير الدجى كالصبح غير مزايل
السنا بني الطور المقدّس والذي — تدحدح للجبار يوم الزلازل
ومن هيبة الرحمان دُكّ تذللاً — فشرّفه الباري على كل طائل
وناجي عليهِ عبدهُ وكليمهُ — فقدّسنا للرب يومَ التباهل اه

فمن قابل بين هذه الرواية والروايتين الأُوليين يحكم ان هذه اصح من تينك . وان هذه نقلت عن اصل اصدق روايةً من النسختين اللتين أُخذت عنهما الروايتان الافرنجية والموصلية. يظهرُ ذلك من مقابلة بعض الالفاظ مثلاً قد ورد في القصيدتين الاوليين هذا البيت :

فهذا خليلٌ صير الناس حوله — رياحين جنات الغصون الذوابل

فهذا لا معنى لهُ وهو محرَّف والاصح ما في نسختنا اي « صير النارُ حوله » وورد ايضاً قوله في النسختين : « بتعبير تدبير لحل المشاكل » والتدبير لا يعبر وانما تعبر الرؤى والاحلام ومنه ما انشده المبرد في الكامل لبعض الاعراب :

رأيت رؤيا ثم عبرتها — وكنت للاحلام عبارا

وعليه فروايتنا اصح ايضاً في هذا البيت وقول النسختين :

من الشمس والامطار كانت صيانة — تجيز عساكرهم لهوف الغوائل

فهذا مكسور البيت فضلاً عن اضطراب معناه في قوله « لهوف الغوائل » والاصح ما جاء في روايتنا « تجبير (بالراء المهملة) نواديهم نزول الغوائل » لان الغوائل تنزل بالمرء وبهذا المبنى والمعنى ورد اغلب كلام العرب كما هو مشهور وجاء في النسختين :

وارسل نوراً كالعمود امامهم — ينير الرجا كالصبح غير مزائل

فهذا البيت لا يخلو من المعنى . لكن من لا يرى ان هذا البيت مصحف الرواية وان الصحيح « ينير الدجى » بالدال المهملة لا بالراء كما يتضح للقارئ لادنى تأمل

واما البيت الاوّل على رواية النسختين فلا يخلو من معنى بقوله : « الا ايها الصنف » لكن نوع التصحيف فيه بادٍ لكل ذي عينين والاصح : « ألا ايها الضيف » اما ناظم هذه القصيدة فلا اظن قط انها للسموأل بن عاديا. فاين هذا الشعر من قوله :

تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل ٠٠ الخ

ففي هذا النظم من محكم المبنى ومتانة المعنى ما لا يرى له اثرٌ في هذه القصيدة ولعل سبب وهم الناس في نسبتها الى السموأل بن عادياء توافق في اسم ناظم آخر عرف باسم السموأل لان هذا الاسم يوافق شموئيل وشموئيل او شميل ورد لالوف من اليهود ففي نسبتها الى واحدٍ من بني قريظة امكان لان هؤلاء محقوا بعد الاسلام بقليل اما لانهم دانوا بالاسلام او لانهم هجروا وطنهم ولحقوا باخوانهم خارج بلاد العرب فلم يصل الينا من شعرهم الا النزر القليل وعلى كلٍ فليس هذا من نظمهم او نظم بعضهم لان « تعبير النصرانية الحديث » ظاهر من خلال النظم يشف عن حداثة وضعه لان ورود كي وكيما في الشعر الجاهليّ قليل ونادر وهاتان اللفظتان قد وردتا تباعاً في هذين البيتين:

واخرجه المبدي الى الشعب كي يرى اعاجيبه مع جوده المتواصل
وكيما يفوزوا بالغنيمة اهلها من الذهب الابريز فوق الحمائل

ثم انظر الى قوله:

الا اسمع لفخر يترك القلب موهناً ويشب ناراً في الضلوع الدواخل

فهل من ضلوع تكون خوارج حتى تشبّ النار في الدواخل منها . فلا غروَ ان في هذا التعبير لغوا وتكلفاً لا يأتيهما واحد من اهل الجاهلية ولو اردنا ان نقبل الروايتين الاوليين فلا يمكننا الا ان نضرب بهذا النظم عرض الحائط اذ فيهما من الاغلاط الفظيعة ما لا يرتكبه اضعف طلبة المدارس في يومنا هذا فكيف يعزى الى ناظم بليغ كالسموأل ابن عادياء الغساني .

ومما يشهد ان يداً غريبة تصرفت بهذه الابيات البيت الاخير الذي ورد في القصيدة الموصلية ولم يرد في الرواية الافرنجية ولا في الرواية البغدادية وهو هذا:

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكامل

فما معنى « سلام التكامل » ثم اننا اذا اقررنا بنسبة هذه الابيات الى السموأل المشهور وهو يهودي فخ كما تشهد عليه جميع كتب العرب فلا يمكن ان يقول مثل هذا الكلام وكذلك اذا نسبناه الى يهودي آخر . فلا جرم ان ناظم هذا البيت الاخير مسيحي النحلة (١) لاقراره بمجيء المسيح (٢) لانه زاد هذا البيت بدون ان ينظر الى تسلسل التشابيه والرموز فجاء به نهجاً بدون ادنى مراعاة لما ورد قبله (٣) لو قيل لنا ان السموأل بن عادياء كان من غسان وغسان كانت كلها نصارى قلنا ان دعوى ان السموأل كان مسيحياً فجميع مؤرخي العرب وكتبتهم وادباؤهم فضلاً عن ان غسان لم تكن كلها على النصرانية مخالفون لها فقد

كان فيهم من يعبد الاصنام ومن اوثانهم مناة . قال ياقوت في معجمه : هذا اسم صنم في جهة البحر مما يلي قديداً بالمشلل على سبعة اميال من المدينة . وكانت الازد وغسان يهلون له ويحجون اليه وكان اول من نصبه عمرو بن لحي الخزاعي . . . اه . ومنهم من كان على دين دهماء العرب كسطيح بن ذئب الكاهن المشهور فلم يكن نصرانياً البتة . وقد جاء في تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٧ — (وكانت تلبية غسان عند وقوفها امام صنمها لبيك رب غسان راجلها والفرسان) اه وقال في ص ٢٩٨ (وتهوّد قوم من غسان) . وقال في ص ٢٩٩ وتنصر . . . غسان وهذا كلام يدل على ان النصرانية واليهودية كانتا في غسان لا النصرانية وحدها وقال الطبري في تاريخه ١ : ١٧٦ (وكان الحارث بن ابي شمر الغساني نذر سيفين كانا له لبيت الصنم يقال لاحدهما رسوب وللآخر مخزم) اه فهذا نص صريح على انه كان وثنياً مشركاً وكل من وقف على النسختين السابقتين وعلى نسختنا يعرف بنفسه ما في نسبة هذه القصيدة الى السموأل من الشطط . اما اسم مخطوطنا فهو « نيل السعود في ترجمة الوزير داود » كتب سنة ١٢٣٢ وعدد صفحاته المكتوبة والبيضاء ٣١٤ وطول الصفحة ٢١ سنتمتراً في عرض ١٣ وهو مصحف بجلد احمر ومؤطر بخطين احمرين مزدوجين وفي الوسط خطان متآزيان على بعد سنتمتر واحد والقرطاس المخطوط من النوع المسمى بالترمذي المشهور عند العامة بالترمة . وتبتدئ الصفحة الثالثة بقصيدة لناظمها الملا جواد البصير يمدح بها والي بغداد والبصرة وشهرزور داود باشا ثم تليها عدة قصائد في مديحه ايضاً بخط حسن وهي لعدة شعراء عراقيين مجهولين اليوم ولا نعرفهم الا مما بقي مدوناً من قريضهم في هذه المجموعة وهذا وحده كاف لان يعرفك منزلة هذا الديوان النفيس اذ بواسطته نعرف عدة شعراء عراقيين من بصريين وحليين وبغداديين وغيرهم .

وقد بلغت عدة القصائد في مديح الوزير ستاً وسبعين ثم يتلوها قصائد أُخرى مختارة من نظم الاقدمين والمولدين ومعاصري الكاتب ثم يتلو ذلك منتخبات من كتب الحديث والادب والاقوال المأثورة المشهورة مختلفة الموضوعات والاغراض وكلها من انيق النثر والنظم ومما يزري ضياء حسنه ببهاء النجم واغلب ما جاء في هذا الديوان لم اعثر عليه في الكتب المطبوعة . جمعه مؤلفه من عدة كتب مخطوطة عزيزة المنال . ومما فيه ابواب في الاحاديات والثنائيات والثلاثيات ثم ديوان مرتب القوافي على حروف المعجم لعدة شعراء وكلها قصائد غراء آخر قصيدة منها دالية لابن حجة . ومن غريب ما في هذا الديوان بيت شعر لبديع الزمان الهمذاني وهو يقرأ من احد عشر وجهاً . وهو من اعجب ما جاء في هذا الصدر ونحن نورده هنا لما فيه من الغرابة . ودونك اياه بنصه ومواقع الحبر الاحمر منه .

(كفى)نا بأنا في زمان مذمم بذاد عن الحق المبين ويدفع
(حزنا)أنا نزور معاشراً فنهمل فيما بينهم ونضيع
(اني) اقول مقالة فيمنعني منها اللئيم ويقمع
(بدار) اراذلٍ قلوبهم غيظاً عليّ تقطع
(مذلة) وليس بها حرّ من الناس ينفع
(ارى) كل من فيها عن الحق يدفع
(الذل) فيها دائماً ليس يقطع
(من) ارجائها يتنوّع
(أ) كنافها يتسرع
(ملا كها) يتفزع
(يتوقع)

وفي الوجه ٣٩٧ من هذا الديوان صور لبعض الرسائل التي دارت بين خان الحويزة ورستم اغا بشأن معركة البصرة سنة ١١٥٦ وهي من الآثار التاريخية التي يحرص عليها الباحث كل الحرص لانها لا توجد في غير هذا الكتاب النفيس وتقع في اربع قوائم ونيف مشتبكة السطور محبوكة الحروف وفي الصفحة ٣١٣ قصيدة للسيد عبد الغفار الموصلي مكتوبة بقلمه على ورقة طيارة فاخذها جامع الديوان وقطعها قطعاً محكماً يناسب شكل الصفحة محافظة على خط الناظم وهو من مشاهير شعراء القرن الماضي . وهذه القصيدة هي الدرة الثمينة لانها هي وحدها محفوظة بخطه فلا يحفظ من خطه غيرها وبها يختم الكتاب وليس في صفحة من صفحاته ذكر اسم جامعه .

بغداد ش ١٠

صحف منسية

كتاب الاشربة — لابن قتيبة

عني بنشره المسيو ارتوركي

احد علماء المشرقيات

قال العتبي شعرًا ذكر فيه كثيرًا من مقابح السكر : (بسيط)

دع النبيذ تكن عدلاً وان كثرت ... فيك العيوب وقل ما شئت يحتمل
هو المشيد(١) باسرار (٢) الرجال فما ... يخفى على الناس ما قالوا وما فعلوا
كم زلة من كريم ظل يشهرها (٣) ... من دونها تستر (٤) الابواب والكلل
اضحت كنار على علياء موقدة ... ما يستسر (٥) لها سهل ولا جبل
والعقل علق (٦) مصون لو يباع لقد ... الفيت بياعه يعطون(٧) ما سألوا
فاعجب لقوم (٨) مناهم في عقولهم ... ان يذهبوها بعلٍّ بعده نهل
قد عقدت لحمار (٩) السكر السنهم ... عن الصواب ولم يصحح بها علل
وازرت (١٠) بسنات النوم اعينهم ... كأن احداقها حول وما حولوا
تخال رائحهم من بعد غدوته ... حبلى اضرّ بها في مشيها الحبل
فان تكلم لم يقصد لحاجته (١١) ... وان مشى قلت مجنون به خبل

قالوا وانما قيل لشارب الرجل نديمه من الندامة لان معاقر الكأس اذا سكر تكلم بما يندم عليه وفعل ما يندم عليه فقيل لمن شاربه نادمه لانه فعل مثل فعله والمفاعلة تكون من اثنين كما تقول ضاربه وشاتمه ثم اشتق من ذلك نديم كما يقال جالسه وهو جليس وقاعده فهو قعيد ويدل على هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الجنة : فيها انهار من عسل مصفى وانهار من كاس ما بها صداع ولا ندامة . وحدثنا عبد المنعم عن ابيه عن وهب بن منبه انه قرأ (١٢) فيما قرأ (١٢) من الكتب ان الله تعالى لما لعن ابليس واخرجه من الجنة قال : يارب لعنتني وجعلتني شيطانًا رجيمًا وانزلت الكتب وبعثت الرسل فما رسلي ؟ قال : رسلك الكهنة . قال : فما كتابي ؟ قال : الوشم . قال : فما حديثي ؟ قال : حديثك الكذب . قال : فما قراءتي ؟ قال : قراءتك الشعر . قال : فما مؤذني ؟

---

(١) في الاصل المسبد (٢) في العقد اخبار (٣) في الاصل يسيرها (٤) في الاصل ستر (٥) في العقد يستسن (٦) في العقد عقل (٧) في العقد اضعاف (٨) في العقد بقوم (٩) في العقد بحمار (١٠) في العقد وزررت (١١) في النص بحاجته (١٢) في الاصل قرى

قال : مؤذنك المزامير . قال : فما مسجدي ؟ قال : مسجدك السوق . قال : فما بيتي ؟ قال : بيتك الحمام . قال : فما طعامي ؟ قال : طعامك كل ما لم يذكر اسمي عليه . قال : فما شرابي ؟ قال : شرابك كل مسكر . قال : فما مصائدي ؟ قال : مصائدك النساء .

وكتب عمر بن عبدالعزيز الى عدي بن ارطاة (١) حين تتابعت الاخبار عليه وتتابع الناس في الاشربة المسكرة على التأويل : اما بعد فانه قد كان من امر هذا الشراب امر ساءت فيه رغبة الناس حتى بلغت بهم الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام وهم يقولون شربنا شراباً لا بأس به وان شراباً حمل الناس على هذا لبأس شديد واثم عظيم وقد جعل الله عنه مندوحة وسعة من اشربة كثيرة ليس في الانفس منها حاجة : الماء العذب واللبن والعسل والسويق واشربة كثيرة من نبيذ التمر والزبيب في اسقية الادم التي لا زفت فيها فانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نبيذ الظروف المزفتة وعن الدنان والجرار وكان يقول : كل مسكر حرام . فاستغنوا بما احل الله عما حرم فانه من شرب بعد تقدمنا اليه اوجعناه عقوبة ومن استخفى فالله اشدُّ بأساً واشد تنكيلا . (٢)

وحدثني القطعي عن الحجاج عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن : قال اذا دخلت على اخيك فكل ما اطعمك واشرب مما سقاك . قال : يا ابا سعيد انهم ينبذون في الجرّ فقال : اوَ يفعلون ؟ ما كنت ارى ان احداً يفعله بعد كتاب عمر بن عبدالعزيز — يعني هذا الكتاب . قال وقد شهر المتعاشرون على الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ وانهم اصدقاؤك (٣) ما استغنيت حتى تفتقر وما عوفيت حتى تنكب وما غلت دنانك حتى تنزف وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك قال الشاعر (طويل)

اری کل قوم يحفظون حريمهم … وليس لاصحاب النبيذ حريم
اذا جئتهم حيوك الفا ورحبوا … وان غبت عنهم ساعة فذميم
إخاؤهمو ما دارت الكأس بينهم … وكلهمو رث الوصال (٤) سؤوم
فهذا ثباتي لم اقل بجهالة … ولكنني بالفاسقين عليم

وقال آخر (طويل)

بلوت النبيذيين في كل بلدة … فليس لاصحاب النبيذ حفاظ
اذا اخذوها ثمّ اغنوك بالمنى … وان فقدوها فالوجوه غلاظ

---

(١) عامله على البصرة وارضها (٢) لم اقف على خبر في كتب الطبري وابن الاثير لهذه الرسالة التي اتى صاحب العقد على نصها مع تغيير طفيف في ألفاظها (٣) في الاصل صديقك (٤) في العقد الحبال . وقدّم صاحب العقد هذا البيت على البيت السالف

مواعيدهم ريح لمن يعدونه ... بها قطعوا برد الشتاء وقاظوا
بطان اذا ما الليل التى رواقه ... وقد اخذوها فالبطون كظاظ
يراع (١) اذا ما كان يوم كريهة ... وأُسدٌ اذا أُكل الثريد فظاظ

وربما بلغت جناية الكأس الى عقب الرجل ونجله . قال المأمون لقوم : يا نطف الخمار ومرابع الصؤور (٢) واشباه الخول(٣) وقال مسلم (٤) بن قتيبة : ان آل فلان اعلاج اوباش لئام غدر شرابون بانقع ثم هذا يعد في نفسه نطفة خمار في رحم طاحد (٥) وربما بلغت جناية الكأس زوال النعمة وسقوط المرتبة وتلف النفس فان الرجل ربما استخلصه السلطان لمنادمته وادخله موضع انسه فيزين له الكأس غمزة القينة والعبث بالخادم والتعرض لحرمة وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثة اشياء افشاء السر والقدح في الملك والتعرض لحرم . وقد بلغك من ذلك ما لا احتاج الى ذكره وقديماً بُلي المعاقرون بمثل هذا من جرائر الكأس . وقد كان عمرو بن هند استخلص طرفة بن العبد لندامته فبين هو يوماً معه يشرب اشرفت اخته عليهما فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده فقال (هزج)

ألا (يا) أيها الظبي ... الذي يبرق شنفاه
ولولا الملك القاعـ ... ـد قد ألثمني فاه

سمعه عمرو بن هند فكتب له كتاباً الى عامله بالبحرين واوهمه انه امر له فيه بجائزة وامر العامل بقتله فلما ورد على العامل سقاه من الراح حتى اثمله ثم فصد اكحله حتى نزف فمات فقبره هناك مشهور يشرب عنده الاحداث و يصبون فضل كؤوسهم عليه .

وروي ان رجلاً من طي نزل به رجل من شيبان يقال له المكاء فذبح له الطائي شاة وسقاه من الخمر فلما سكر الطائي قال للشيباني هلمّ افاخرك اطي أكرم ام شيبان ؟ فقال له الشيباني : حديث حسن ومنادمة كريمة احب الينا من الفخار . فقال الطائي : لا والله ما مدّ رجل يداً اطول من يدي ! ومدّ يده . فقال له الشيباني : اما والله لئن اعدتها لاخضبنها من كوعها ! فاعاد فضربه الشيباني فقتله فقال ابو زيد في ذلك لبني شيبان (خفيف)

خبرتنا الركبان ان قد فخرتم ... وفرحتم بضربة المكاء
ولعمري لعارها كان ادنى ... لكم من تقى وحق وفاء
ظل ضيفاً اخوكم لاخينا ... في صبوح ونعمة وشواء
ثم لما رآه رانت به الخمـ ... ـر والا تريبه باتقاء

(١) اليراع بفتح الياء هو الجبان (٢) في العقد ومرابع الطنبور (٣) في الاصل الخوَولة في العقد الخوَلة (٤) في الاصل سلم (٥) لعلها طامث

لم يهب حرمة النديم وحفت بالقوم بالسوأة السوآء

قال : وربما طمس الخمار على العقل وربما ذهب بالبيان وغير الخلقة فعظم انف الرجل وحمرّ وترهل . قال جرير في الاخطل (كامل)

وشربت بعد ابي ظهير وابنه سكر الدنان كأنّ انفك دمل

شبهه بالدمل لحمرته وورمه . وقال آخر في حماد الرواية (كامل)

نعم الفتى لو كان يعرف ربه (١) ويقيم وقت صلوته حماد
هدلت مشافره الدنان فانفه مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد

قالوا : ومن شربة النبيذ الشطارُ والخلعاء والمجان تحملهم الكأس على المجون وتحملهم المجون على ركوب الكبائر معلنين واتيان الفواحش مجاهرين ويرون اتم ذلك لذة اظهره وانقصه مسرّة استره فقال قائلهم (طويل)

فبح باسم ما تأتي ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

وقال ايضاً (وافر)

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان عليّ مأثور القبيح

وربما كفروا بالله مجوناً وكذبوا الرسل وجحدوا بالنشور والبعث في حال شربهم . قال الوليد (رمل)

قربا مني خليلي عبدلا دون الشعار
واسقياني وابن حرب واسترانا بالازار
فلقد ايقنت اني غير مبعوث لنار
سأروض الناس حتى يركبوا دين الحمار
واتركا من طلب الجـ ـنة يسعى في خسار

وهذا الشعر مما استحل الناس به دمه . وقال روح المعروف بابن همام (خفيف)

اسقني يا أسامه من رحيق مدامه
اسقنيها فاني كافر بالقيامه

وهو القائل : وانما الموت بيضة العقر

وقال ابو نواس (٢) . (وافر)

---

(١) في العقد وجهه (٢) شاعت نسبة هذين البيتين لابي العلاء المعري مع انهما قد سطرا في الصحف قبل ان يولد بمدة

تعلل بالمنى اذ انت حي — وبعد الموت من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم بعث — حديث خرافة يا ام عمرو

وهو القائل ايضاً (خفيف)

فدعاني وما ألذّ واهوى — واقذفاني في بحر يوم الحساب

وهو القائل ايضاً يصف الخمر (رمل)

عتقت في الدن حتى — هي في رقة ديني

وحدثنا دعبل الشاعر انه اجتمع هو ومسلم وابو الشيص وابونواس في مجلس لهم فقال لهم ابونواس : ان مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ولهذا اليوم ما بعده فليأت كل امرىء منكم باحسن ما قال فلينشدناه فانشد ابوالشيص (كامل)

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي — متأخر عنه ولا متقدم
اجد الملامة في هواك لذيذة — حباً لذكرك فليلمني اللوم
اشبهت اعدائي فصرت احبهم — اذ كان حظي منك حظي منهم
واهنتني فاهنت نفسي طائعاً — يا من يهون عليك ممن يكرم

قال فجعل ابونواس يعجب من حسن الشعر حتى ما يكاد يقضي عجبه وانشد مسلم ابياتاً من شعره الذي يقول فيه (بسيط)

موف على مهج في يوم ذي رهج — كأنه اجل يسعى الى امل

قال : فقال لى ابونواس هات يا ابا علي وكأنني بك وقد جئتنا بام القلادة (كامل)

لا تعجبي ياسلم من رجل — ضحك المشيب برأسه فبكى

فقلت : كأنك كنت في نفسي ثم سألوه ان ينشدهم فانشدهم (بسيط)

لا تبك ليلى ولا تطرب (١) الى هند — واشرب على الورد من حمراء كالورد

فلما بلغ الى قوله

تسقيك من عينها خمراً ومن يدها — خمراً فمالك من سكرين من بد

قاموا فسجدوا له فقال : افعلتموها العجمية لا كلمتكم ثلاثاً ولا ثلاثاً ولا ثلاثاً . ثم قال : تسعة ايام في هجرة الاخوان كثير وفي هجرة بعض يوم استصلاح للفاسد وعقوبة على الهفوة . ثم التفت الينا فقال : علمتم ان رجلاً عتب على اخ له في المودة فكتب اليه المعتوب عليه : ان ايام العمر اقل من ان تحتمل الهجر (٢)

---

(١) في الاصل تضطرب (٢) وهنا في الاصل ما نصه : قال ناسخ الكتاب : خطر ببالي بيت من الشعر لبعض المحدثين يلائم هذا المعنى ويطابقه ويجانسه ويوافقه فاثبته لا متعمداً للزيادة والنقصان اعوذ بالله وانما استحسنته فوصفته واستملحته فوضعته وهو قوله :

فهذه جرائر السكر قد ذكرنا منها ما حضرنا وهي اكثر من ان نحيط بها . قالوا : وشاهدنا على ان السكر والخمر شيء واحد من اللغة ان الخمر ما خمر (١) والمسكر يخمر فاسم الخمر يلزمه ووجدناهم يقولون لمن اعتقب الصداع وغثث النفس والارعاش من شرب الخمر مخمور وبه خمار ويقولون لمن اصابه مثل ذلك من المسكر الذي يسمونه نبيذاً مخمور وبه خمار والخمار مأخوذ من الخمر وهو اسم للداء الذي يصيب منها والادواء كثير تأتي على فعال نحو كباد لوجع الكبد والقلاب لوجع القلب والصفار والصداع والبوال والعطاس ولم نسمعهم يقولون لمن اصابه ذلك منبوذ ولا به نباذ . فهذا ما للمغلظين فيه من القول والحجج . ونذكر ما للمطلقين له من الحجج والقول

حجج المحلين لما دون السكر

قال المطلقون : انما حرمت الخمر التي اجمع الناس على صفتها وكيفيتها بعينها وما سوى ذلك كائناً ما كان فهو نبيذ ما دون المسكر (٢) منه حلال فسووا بين النقيع والطابخ والحديث والعتيق والتمر والزبيب والمفرد والخليطين والسهل والشديد وما اتخذ من عصير العنب اذا ذهب منه الثلثان — لانه جاء في الحديث ان الثلثين حظ الشيطان — ورد عليه الماء واحتجوا بحديث ابن عباس : حدثنا زيد بن اخزم قال حدثنا ابوداود عن شعبة عن مسعر ابن كدام عن ابي عون الثقفي عن عبدالله بن شداد عن ابن عباس انه قال : « حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والمسكر (٣) من كل شراب » . وبحديث رواه يحيى بن اليماني عن الثوري عن منصور عن خالد بن سعد عن ابي مسعود الانصاري ان النبي صلى الله عليه وسلم عطش وهو يطوف في البيت فأتي بنبيذ من السقاية فشمه فقطب فدعا بذنوب من

العمر اقصر مدة من ان يصرم بالعتاب

رجع الحديث الى متصله وعاد الى منفصله اه فطرحنا هذا الاسهاب الذي لا تصح نسبته لابن قتيبة والعياذ بالله !

(١) هذا اشتقاق يدل على بطلان مذهب النحويين والا فكيف يقال « ان الخمر ما خمر » (يعني ما اسكر) وهل تعرف تأثير الخمر قبل ان تعرف الخمر ؟ غير ان الخمر ما كانت تعرفها العرب فتلقتها واسمها من سكان الشام والعراق وهي تسمى بالسريانية حمرى (للونها) ولا فرق في اللغات السامية بين الحاء والخاء الا ان الخاء حديثة ولا تلتقي في العبرانية والسريانية وهذا يهديك الى ان تعرف ان علم الاشتقاق علم تاريخي اكثر مما هو لغوي .

(٢) في الاصل السكر (٣) في الاصل السكر

ماء زمزم فصب عليه فشرب فقال له رجل آخر امرٌ هو يارسول الله ؟ قال : لا . وحديث رواه عبدالرحمن بن سليمان عن يزيد بن ابي زياد عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف وهو شاكٍ وهو راكب معه محجن كلما مرَّ بالحجر استلمه بالمحجن حتى اذا قضى طوافه نزل فصلى ركعتين ثم اتى السقاية فقال : اسقوني من هذا فقال له العباس : الا نسقيك مما نصنع في البيوت ؟ قال : لا ولكن اسقوني مما يشرب الناس . فأُتي بقدح من نبيذ فذاقه فقطب فقال : هلموا فصبوا فيه ماء ثم قال : زد فيه ! مرتين او ثلاثاً (١) ثم قال : اذا صنع « احد منكم هكذا » (٢) فاصنعوا به هكذا . وبحديث يرويه وكيع عن ابن ابي خالد عن قرة العجلي عن عبد الملك بن اخي القعقاع بن شور عن ابن عمر انه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتي بقدح فيه شراب فقربه الى فيه ثم رده فقال بعض جلسائه احرامٌ هو يارسول الله ؟ فقال ردوه . فرده ثم دعا بماء فصبه عليه ثم شرب وقال : انظروا هذه الاشربة اذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء . وبحديث رواه عبدالله ابن الفضل عن ابي غالب الضبيعي حابس بن محمد عن ابن جرير عن عطاء ان عمر وقف على السقاية فوضع يده على بطنه فقال : هل من شراب فإني اجد في بطني غمزا . فأُتي بشربة من السقاية فشربها ثم قال : اخرى . فأُتي بها ثم ثالثة فشرب منها ثم دعا بسجل — وربما قال : بذنوب — فشجَّ الاناء بالماء حتى فاض نواحيه ثم قال : عباد الله كل شراب استخرج ماؤه بمائه فهو حرام لا تشربوه وكل شراب استخرج ماؤه بغير مائه فهو حلٌّ اشربوه . مع احاديث كثيرة واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وما اسكر الفرَق منه فملء الكف منه حرام . فان هذا منسوخ نسخه (٣) شربه الصلب (٤) يوم حجة الوداع . قالوا : ومن الدليل على ذلك انه كان نهى وفد عبدالقيس عن شرب المسكر ثم وفدوا اليه بعد فرآهم مصفرة الوانهم سيئة حالهم فسألهم عن قصتهم فاعلموه ان ذلك لانتهارهم بما امرهم به من ترك شرابهم فأذن لهم في شربه . وبان ابن مسعود قال : شهدت التحريم وشهدتم (٥) وشهدت التحليل وغبتم وبأنه كان يشرب الصلب من نبيذ التمر (٦) حتى كثرت الروايات به (٧) عنه وشهرت واذيعت فاتبعه عليه التابعون الكوفيون وجعلوه اعظم حججهم . قال بعض الشعراء (بسيط)

من ذا يحرم ماء المزن خالطه   في جوف خابية ماء العناقيد

---

(١) في الاصل ثلاث (٢) في الاصل اذا صنع هذا فاصنعوا به هكذا (٣) في الاصل نسخ (٤) في العقد للصلب (٥) نص العقد (٦) كذا عن العقد وفي الاصل من النبيذ الجرّ (٧) كذا عن العقد

اني لاكره تشديد الرواة لنا فيه (١) ويعجبني قول ابن مسعود

وانما عنى الطلا وهو ما طبخ من عصير العنب حتى يذهب ثلثاه ويرد عليه الماء وكان كثير من الكوفيين يشربونه . وحدثني محمد بن خالد بن خداش عن مسلم (٢) بن قتيبة . قال: حدثنا حمزة الزيات قال: رأيت الحكم يشرب طلا جعلت اعجب من رقته وكان يهدي لابراهيم بختج (٣) خاثر فكان نبيذه ويلقى فيه العطر وبأن عمر كان يشرب على طعامه الصلب ويقول يقطع هذا اللحم في بطوننا وشرب نبيذاً كاد يصير خلا وماء التمر وماء الزبيب لا يكاد ان يكون خلاً حتى يكون نبيذاً ثم يدخلها شيء من الفساد من غير ان يصير خلاً لان كاد في كلام العرب هم ان يفعل ولم يفعل وقد قال قوم انه شرب خلاً والخل لا يسمى نبيذاً ولا يسمى شراباً لانه ليس مما يشرب ومن ذا شرب الخل من الناس للذة او منفعة فيشربه عمر ؟ وقال الشعبي شرب اعرابي من إداوة عمر فانتشى فحده عمر وانما حده على السكر لا على الشرب ودخل على قوم يشربون ويوقدون في الاخصاص فقال لهم: نهيتكم عن معاقرة الشراب فعاقرتم ونهيتكم عن الايقاد في الاخصاص (٤) فاوقدتم . وهم بتأديبهم فقالوا مهلا: يا امير المؤمنين نهاك الله عن التجسس فتجسست ونهاك عن الدخول بغير اذن فدخلت . فقال: هاتان بهاتين . وانصرف عنهم . وانما نهاهم عن المعاقرة وهي ادمان الشرب . حتى يسكروا ولم ينههم عن الشرب . واصل المعاقرة من عقر الحوض وهو مقام الشاربة وكذلك قال الاشج (٥) لبنيه: لا تبسروا ولا تنجروا ولا تعاقروا فتسكروا ولو كان ما شربوا عنده خمراً لحدهم كما حد ابنه في الخمر . وبلغه عن عامله (٦) بدستميسان انه قال (طويل)

الا هل اتى الحسناء ان خليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم

---

(١) كذا عن العقد وفي الاصل فيها (٢) في الاصل سالم وسبق تصليحنا لسلم (٣) البختج الخمر المطبوخة من الفارسي بخته مطبوخ (٤) الظاهر اتقاء من الحريق يدل هذا على ان بيوت المدينة في عهد عمر كانت بعضها بالاحجار او الآجر وبعضها اخصاص . (٥) الاشج لقب عمر بن عبدالعزيز الاموي ويطلق على غيره (٦) عامل عمر بن الخطاب على ميسان هو النعمان بن عدي بن نضلة كان من مهاجرة الحبشة ولاه عليها لما فتحت واراد النعمان امرأته الحسناء معه على الخروج الى ميسان فابت عليه فكتب اليها الابيات المروية ههنا فبلغ ذلك عمر فكتب اليه

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو . اما بعد فقد بلغني قولك

لعل امير المؤمنين يسوءه تنادمنا في الجوسق المتهدم

اذا شئت غنتني دهاقين قرية وصناجة تجدو على كل منسم
فان كنت ندماني فبالا كبر اسقني ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل امير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم (١)

فقال انه والله ليسوءني ذلك ووالله لا عملت لي عملاً ! وعزله . قالوا : فانما انكر عليه الندام وشربه بالكبير والصنج والرقص وشغله باللهو عما يشغله اليه ولو كان ما شرب عنده خمراً لحده

سير العلم

التغذية بالفاكهة

كاد اكلة الفاكهة ينازعون بمذهبهم في الغرب اكلة البقول وهم يعتمدون على الفواكه والثمار ويحرّجون كل الحرج في استعمال غذاء غيرها وقد نشر المسيو كولير بحثاً في هذا الشأن اثبت فيه ان الاكتفاء بالثمار يكفي البنية الانسانية . قالت المجلة المنقول عنها ومعلوم ان الامر في التغذية معلق على كمية الكالوري الموجودة في الطعام فان المرء الذي يتغذى تغذية حسنة يحتاج على اوسط تعديل الى ١١٠ غرامات من الالبومين و٦٠ غراماً من الدهن و٤٣٢ غراماً من هيدرات الكربون والى ٣٠٠٠ من الكالوري . ويرى الباحث المشار اليه ان الاغتذاء بالثمار يقوم مقام هذه المواد المغذية فالثمار ذات البزور والنوى والحب والثمار الناشفة والمائية والسكرية على العموم والثمار ذات الدقيق (كالبلوط والكستانة) والزيتية كلها نافعة واختلاف انواعها يعوض عن اختلاف الاطعمة والثمار الحامضة تنفع

وايم الله لقد ساءني ذلك وقد عزلتك . فلما قدم عليه سأله فقال : والله ما كان من ذلك شيء وما كان الا فضل من شعر وجدته وما شربتها قط فقال عمر اظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملاً ابداً « عن ياقوت في ميسان » كورتان متصلتان بين واسط والبصرة

(١) الابيات مشهورة رواها ابن هشام وابن دريد والجواليقي والقزويني والدميري والبلاذري وصاحب الحماسة والمبرّد وصاحب العقد الفريد وهذه رواياتهم فيها تختلف : الا ابلغ العقد والبيت كله لم يأت في نصنا ورقاصة (ابن هشام وابن دريد) تشدو (العقد) وتحبو (ابن دريد) وتجدو « البلاذري » على كل ميسم « العقد » على حرف ميسم « بعضهم »

القابلية وما في تلك الثمار من المائية يقوم مقام المياه المعدنية ولم تعلم الى الآن تأثيرات الثمار في مداواة الامراض اللهم الا العنب فقد ثبت نفعه في كثير منها وكيف كانت الحال فان الاعتدال في تناول الثمار نافع والمرء اذا اقتصر على الاجاص والتفاح يأمن الجراثيم والعدوى من كثير من الامراض .

ورق جديد

لم يكن ينتفع بسوق «جمع ساق» القطن انتفاعاً يذكر من قبل وقد اكتشفت الآن طريقة تحليلها والانتفاع بها كالانتفاع بحملها فاستخرج ورق منها كالورق الذي يستخرج من القطن نفسه ومن لحاء الشجر . وقد فرح اهل العلم بهذا الاكتشاف لما ان الورق مهدد بارتفاع الاسعار لان الولايات المتحدة وكندا اخذتا تشددان في منع قطع الغابات فلا يتيسر بعد مدة الانتفاع بلحائها الذي كان يستخدم في صنع الورق ويقدرون ان سوق شجيرات القطن تبلغ من عشرة الى اثني عشر مليون طن في العالم كل سنة ولعله يكون من وراء ذلك رخص الورق الذي يكون اعون على نشر العلم كما كانت الطباعة بعد النسخ .

السعال في المعابد

من دخل المعابد والمساجد في ساعات الوعظ والخطب وقد غصت بالمستمعين لا يلبث ان يسمع شخصاً يسعل حتى يتابعه غيره كأنما عداه وكثيراً ما شوهدان بعض الخطباء والوعاظ اضطروا الى السكوت ربثما يفرغ الحضور من سعالهم وهذه العدوى التي تصيب المصلين والمستمعين كالتثاؤب الذي يعرو ركاب الحوافل والسكك الحديدية . وقد بحث احد علماء الاميركان في علة هذا السعال فرأى ان الضغط اذا اشتدَّ على الاذن من كثرة الكلام يؤثر في الحنجرة فيكون منه السعال الاَّ ان الباحثين لم يقنعهم هذا التعليل وظلوا ينكرونه ويتابعون النظر في علته .

مركبات كهربائية

ستنشأ قريباً مركبات كهربائية من مدينة بال الى مدينة هونغ في المانيا بدون قضبان حديد ولا تختلف عرباتها في الداخل عن عربات الترامواياث المعروفة وستكون قوتها ناشئة من سلك هوائي كما هو الحال في عجلات مهندسي السكك الحديدية .

الحديد في العالم

قدر ما استخرج من الحديد سنة ١٩٠٦ ؛ ٥٨٩٧٥٠٠٠٠ طن منها ٢٥٥٠٠٠٠٠٠ من الولايات المتحدة و ١٢٤٩٠٠٠٠٠ من المانيا و ١٠٤٥٠٠٠٠٠ من انكلترا و ٣٢٢٧٠٠٠٠٠

من فرنسا و٠٠٠٠٠ ٢٣٤ من البلجيك و٠٠٠ ٦٢٨ من كندا و٠٠٠٠٠ ٥٣٤ من الممالك الاخرى وقد كان ما استخرج في العالم سنة ١٨٧٠ — ١٢ مليون طن وما استخرج سنة ١٨٨٠ ١٨ مليون طن وسنة ١٨٩٠ — ٢٧ مليون طن ·

علائم السل

اختلفت الافكار في معرفة هذا المرض لاول ما يصيب صاحبه وقد اكتشف الدكتور بيركي من فينا طريقة بسيطة لمعرفة المصاب بهذا الداء وذلك بشق الجلد شقاً سطحياً صغيراً وفركه بسدادة مغطسة بيضع نقط من مصل كوخ المضاد للسل فاذا لم يكن المرء مصاباً بهذا المرض يلتحم الشق بدون ان يصاب بشيء واذا كان به مرض تخرج على سطح الجلد دملة صغيرة تصير بعد بضعة ايام بثرة تشبه بثرة التطعيم · وقد جرب هذا الاكتشاف في البقر المسلول فظهرت صحته ·

إدبار الكتاب

يشكو كتاب الانكليز منذ حين من عدم اقبال الناس على ما يكتبون اقبالهم عليه قديماً وقالوا ان تأثير المؤلفين آخذ في التناقص وقد نسبوا ذلك لانتشار الادبيات العامية في الناس حيناً بعد آخر فأفسد الذوق العام ولكن النقاد يرون ان الذنب على الكتاب فانهم اذا لم يجدوا من يستحسن مكتوبهم فذلك اما لانهم تسفلوا في كتاباتهم او انهم رفعوها بحيث علت عن مفهوم القراء ثم ان الشعراء والقصصيين انشأوا يحيدون عن الحياة العادية الطبيعية وراحوا يتشبثون باذيال الجمال في مسطورهم فخرجوا بذلك عن مطلق الادب الى مطلق التفنن وقد كان الاقبال يتم لكارلايل وامبرسون وروسكين وجورج اليوت قديماً لان من الناس من وافقوهم ومنهم من خالفوهم اما المؤلفون المحدثون فلم يتبعوا تلك الطريقة ولذلك آن ان يتكلم العلماء لغة تدخل الآذان بلا استئذان وتفعل في القلوب الفعل المطلوب ·

تبادل التعليم

تمت جمعية تبادل الاطفال والشبان من امم مختلفة نمواً عده بعض علماء الاجتماع الخطوة الاولى نحو السلام العام · ويرجع الفضل في اصل تأسيس هذه الجمعية للاستاذ توني ماتيو من اهل باريز فانه رأى ان اختلاط اطفال امة بامة اخرى مما ينزع العداوات من الصدور ويقرب بين الاجناس المختلفة فقد ارسلت جمعيته لاول عهد تأسيسها منذ اربع سنين ٢٥ ولداً افرنسياً يتلقون العلم في البلدان الاجنبية وزاد عدد من ارسلتهم في

السنة الماضية الى ١١٦ طفلاً وقد ذهب اربعة اخماسهم الى المانيا ليعودوا منها وفداً شربت قلوبهم محبة اقرانهم واترابهم الذين يدرسون وإياهم في مدارسها حتى اذا شبوا وشابوا يعملون على ما فيه نفع الامتين .

التعليم في الريف

ابتاعت مدينة اركاشون في فرنسا ٣٤ فداناً في غابة على ضفة البحر تبني بها مدرسة تجهيزية يدخلها من يريدون من الاولاد ان يتعلموا في هواء نقي لا تشوبه شوائب المدن ومفاسدها . قالت المجلة التي عربنا عنها : وانشاء هذه المدرسة هو في الحقيقة بدء عهد في تطبيق مبدإٍ تأسيس المدارس في الفلاة التي يرجى ان يكثر عددها في ارجاء فرنسا الاربعة

الهواء والعاملات

عرف أُناس من اهل الاحسان في مدينة كمبري الفرنسوية بان الهواء للابدان خير دواء فاسسوا جمعية لارسال النساء والفتيات ممن يحتجن الى الراحة والاستمتاع بالهواء الطلق الى الخلاء واخذوا يرسلون جماعات منهن الى جبال سافوا ولا تدفع الواحدة ثمن طعامها وايوائها في اليوم سوى فرنكين وهو مما لا يصعب على النساء العاملات ان يدفعنه .

الزمنى والشواذ

فتحت في احدي مدارس باريس صفوف خاصة بالاولاد الزمنى وشواذ الخلق اذ تبين ان في فرنسا ١٢٠ الف طفل وفتى كانوا يحرمون من التعلم لعاهات طرأت على اجسامهم فجعلتهم من شواذ الخلق وانهم اذا لم يكن لهم صفوف خاصة بهم يحرمون من نعمة العلم .

الاسنان الصناعية

كان اطباء الاسنان قبلاً يتولون صنع الاسنان الصناعية بانفسهم لتجيء متناسبة مع الاسنان الطبيعية الباقية محفوظة في شكلها وحجمها اما الآن فقد تولت المعامل ذلك فاخذت تصنع بمئات الالوف ما يلائم كل انسان من الاضراس والثنايا والانياب فخفت بذلك مؤُونة التعب على اطباء الاسنان واعظم معمل للاسنان الصناعية في العالم معمل فيلادلفيا فانه يرسل في السنة الى اقطار الولايات المتحدة وسائر انحاء العالم من اسنانه بالملايين وقد عهد الى النساء خاصة في صنع الاسنان فيدربن على عملها منذ نعومة اظفارهن واجورهن حسنة ولكن نعلم صناعتهن صعب ولا سيما فيما يتعلق بوضع الالوان .

نبات الاحجار الكريمة

ذكرت احدى المجلات العلمية ان من خصائص نباتات جزائر الفيلبين ان يوجد فيها احجار كريمة ومن جملة النباتات التي يستخرج منها ذلك نوع من الخيزران يعرف بالوابا سهير ففيه ضرب من الحجارة الثمينة يشبه الاحجار المعروفة ولكنه اغلى منها قيمة لانه اندر وليس في جميع جذوع هذا النبات احجار بل انك قد تبحث في أُلوف منها حتى تظفر بذلك الحجر ولونه وردي يضرب الى الخضرة و يوجد منه في بعض انواع النارجيل في سيلان ولا يكون كبيراً في العادة بل هو صغير يختلف حجمه من حجم رأس دبوس الى حجم الحمصة . وفي بعض المتاحف باوروبا بضعة احجار من هذا النوع وهي تفاخر بها وتحرص عليها كما تحرص حكومة الفيلبين الآن على استخراج امثالها من الخيزور .

واقية من البرد

معلوم ان بعضهم يعمد الى اطلاق مدفع او بندقية اوقذيفة لوقاية اشجاره ومزروعاته من البرَد وقد ادعى احدهم الآن انه اخترع مناطيد صغيرة تشبه المناطيد المستعملةفي رصد الاحداث الجوية للتحليق في الجوّ واطلاق قذائف منها ذكر صورة استعمالها ولا يزال الامل قوياً في نتيجة هذا الاختراع ولعله يكون منه ما ينفع كما نفع الشاري « قضيب الصاعقة » في اتقاء الصواعق .

بريد كهربائي

شرعوا في برلين ينشئون طريقاً كهربائياً تحت الارض لتربط مكاتب البريد بمحطات السكك الحديد مباشرة فيمد بين المحطات الى المكاتب مجاز ضيق عرضه ٥٠ سنتيمتراً وعلوه متر ونصف تسير فيه قاطرات كهربائية صغيرة لحمل البريد فيها من ست الى سبع قطارات بحيث لا يتعذر عليها ان تجتاز الخطوط المستديرة . وستطلى جوانب هذا المجاز بالملاط منعاً للرطوبة . وبهذه الطريقة يرسل البريد بسرعة زائدةوعلىوجه مضمون اكثر مما كان يرسل

الارمن في اميركا

كتبت مجلة المجلات الانكليزية مقالة ذكرت فيها ما بلغه الارمن من الارتقاء في الولايات المتحدة بفضل كدهم واقدامهم فقالت انهم اتخذوها ميداناً لمضائهم واعمالهم وقدافلحوا بحيث اصبح في وسعهم ان يرسلوا الى اخوانهم في البلاد العثمانية مسانهة خمسمائةالف فرنك اعانة لهم وفي الولايات المتحدة خمس جرائد اسبوعية تصدر بالارمنية وخمسةوخمسون رجلاً منهم يدعون الى دينهم وفي كلية يال الجامعة خمسون تلميذاً منهم يتعلمون العلوم على اختلاف

ضروبها وقد نزل الارمن في معظم تلك البلاد فهم في كليفرنيا يعنون بزراعة الاشجار المثمرة وفي نيويورك يتعاطون اعمال اليد على اختلاف انواعها ·

نفقات التعليم

قدروا انه بلغ مجموع النفقات على التعليم العام في ميزانية انكلترا عشرة في المئة وستة في المئة في فرنسا والمانيا واثنين في المئة في روسيا قال احد الروسيين واذا اسقطنا من نفقات التعليم في روسيا ما يصرف منها على التعليم العالي والثانوي لا يبقى الاَّ ستة بالالف يصرف على التعليم الابتدائي وليس في روسيا سوى مائتي الف مدرسة لتعليم الفلاحين وهي بادارة الرهبان وذلك عدا المدارس الوزارية القليلة وهناك مدارس تابعة لنظارة الداخلية او الحربية خاصة باولاد الممتاز بن وكل هذه المدارس تكلف الامة مائة ونصفاً في المئة من مجموع الميزانية وفي روسيا مئة مليون من الرجال والنساء لا يقرأون ولا يكتبون وقد طلب الى الندوة الروسية ان تزيد ميزانية المعارف سبعة ملايين روبل

المجرمات

ذكرت احدى المجلات اللندنية ان عدد المجرمين في فرنسا هو اربعة اضعاف عدد المجرمات · وان نسبة المجرمين الى المجرمات في الولايات المتحدة كنسبة ١ الى ١٢ اما في انكلترا فان المجرمات كثيرات ولا سيما اللائي يرتكبن الجرائم الكبرى وسبب ذلك قلة الاعتدال وتعاطي المسكرات فقد بلغ عدد الاحكام الصادرة على النساء في انكلترا سنة ١٨٧٨ م ٥٤٣٤٨ حكماً من اجل تعاطيهن المسكر فارتفع سنة ١٩٠٤ الى ٦٠٢١١ حكماً وحكم على كثيرات لانهن ضربن سكة زائفة ·

المطالبات بحق الانتخاب

قالت المجلة ان المطالبات بحقوقهن في الانتخابات من النساء — كما ينتخب الرجال — يعملن في المانيا والسويد ونروج والدانيمرك وايطاليا على نحو ما يعمل بنات جنسهن في بريطانيا وان فرنسا متقهقرة في هذا المعنى وليس فيها منتخبات وقد الفت الجمعيات النسائية الكثيرة تحالفاً عاماً يجمع بين المطالبات بهذا الحق على اختلاف الدول وذلك بزعامة عقيلة اميركية اسمها كات وللنساء الهولانديات المطالبات بهذا الحق مجلة شهرية لهذا الغرض

المقتبس

الجزء الثامن من المجلد الثاني

شعبان سنة ١٣٢٥ الموافق سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

تولستوي

ما خلت كل امة وكل عصر عن وجود مصلح او مجدد يقوم بين قومه بالوعظ والارشاد ويأخذ بيدها في مهيع السداد . تساوت في ذلك الامم المنحطة والناهضة قديمها وحديثها شرقيها وغربيها . وتولستوي هو رجل روسيا اليوم ومجدد حياتها الاجتماعية سعى الى الاصلاح فاثرت حكمته في عقول مئات ممن استعدت نفوسهم لقبول الخير فما عتموا ان بثوا افكاره في مئات واُشربت القلوب محبته واكبرت الامم دعوته . ولا يزال على ما اصاب بلاده من رفع وخفض يتبع النظر بما يجري في القرب والبعد فهو اليوم في التاسعة والسبعين من عمره قتل الدهر علماً ومخر الايام فهماً فكانت جملة ما استفاده من علم وتجارب وماورثه من آبائه من مال وضياع وقفاً على افادة امته وما ينهضها من عثرتها .

من العادة ان يترجم كبار العلماء انفسهم في كل امة . وقد طلب من الحكيم الروسي احد اصدقائه منذ مدة ان يوافيه بترجمة حياته او يدله على طريقة يتسنى له بها ان يجمع موادها فكتب اليه شيئاً من احواله صبياً و يافعاً وذكر له بيته ومنشأه وهما اساس في تربية ملكات الرجال . قال ما نعربه عن احدى المجلات الافرنجية : فكرت في اجابة طلبتك فرايتني في تيهاء من الحيرة يتنازعني عاملان عامل شر وعامل اشر منه . واعني بالاول اعجاب المرء بنفسه والاغضاء عما اتاه من المفاسد في حياته واريد بالثاني الانطلاق في الحرية

المفرطة السفيهة وايراد مظالم الحياة باسرها . ان اخلصت في وصف نذالتي وغفلتي ومفاسدي وانطلقت في فكري وتجوزت في ابدائه على نحو ما انطلق الفيلسوف روسو في هذا المعنى يأتي من ذلك كتاب او مقال يخلب الالباب . ويقول الناس اليكم هذا الرجل الذي يعلي كثيرون مقامه هاهو انظروا اليه اي نذل كان . فهل نلام نحن ضعاف الفطرة من البشر اذا كنا انذالاً مثله واني لا انكر عند ما بدأت اذكر حياتي وقد تمثلت امامي غفلتي ولؤمي وذهبت بي الهواجس كل مذهب ورحت اقول في نفسي انا ذاك الرجل الذي يطربني كثيرون على ما بي من شقاء وبلاهة . ولك ان تفسر قولي هذا باني اكثر احتيالاً من غيري—اقول لك هذا القول بحرية ولا اقوله لأجمل به انشائي . من اجل هذا عمدت الى تسطير ترجمتي لاني رأيت من اللازم اللازب ان اظهر للملإ لؤم حياتي بأسره الى ان تنبهت من غفلتي وان اذكر محاسنها بعد انتباهي .

ذكرت بادىء بدء الحسنات في حياتي ولكنني لما فكرت في الحوادث المكررة التي انتابتني في غضونها رأيت ان مثل هذه الترجمة ان لم تكن كلها كذباً لم تكن مكتوبة باخلاص لاني مثلت فيها المناحي الحسنة واسدلت حجاب السكوت على المناحي السيئة وعند ما فكرت في كتابة الحقيقة على بابها دون ان اكتم منها شيئاً من السيئات التي تخللت حياتي ذعرت بما ذكرت مما يكون لهذه الترجمة من التأثير في الاذهان وفي خلال ذلك مرضت وعاودني الفكر خلال هذه العطلة التي ساقني اليها حكم الاضطرار وبقي يتردد في خاطري ذكرى ولكنها كانت مفزعة . وكنت اشعر بحدة لا توصف بما قاله بوشكين الشاعر في قصيدته « الذكرى » .

ذاقت نفسي عذاب الجحيم لما ذكرت لؤم حياتي الماضية ولم اعد أفارق تلك الذكرى بتة فانها سممت حياتي وكدرت سربي وشربي . جرت العادة ان يأسف الناس على نسيان ما جرى لهم بعد موتهم فيا ما اسعد ذلك من حال . وليت شعري اي اوصاب كانت تنالني في هذه الحياة لو ذكرت كل ما تعذب به وجداني وكل ما ارتكبته من اثم في حياتي السالفة ومن ذكر الخير كان عليه ان يذكر الشر . فياسعدي ان نسيت ذكرى ما شقيت به بعد موتي فلا يبقى من ذات نفسي غير الوجدان ذاك الوجدان الذي يمثل الخير والشر والصغير والكبير والسلبي والايجابي .

نعم اذا غربت الذكرى عن الذهن عدَّ ذلك نعمة كبرى وما دامت تردد في الخاطر لا يتأتى ان يعيش المرء مسروراً ولكن اذا غابت صورتها ندخل ميدان الحياة وصحيفتنا بيضاء نقية فيكتب عليها ما جدَّ لنا من الخير والشر .

وبعد فلم تكن حياتي كلها منحطة المقام في خبثها بل كان منها عشرون سنة كذلك ومعلوم ايضاً ان حياتي في ذاك الدور لم تكن شراً دائماً كما تمثلت في عيني في غضون مرضي اذ قد تنبهت فيَّ اثناء ذلك اميال نحو الخير لم تطل كثيراً بل اطفئت شعلتها للحال بهادمهني من الشهوات التي لم يضبطها عنان.

على ان اشتغال الفكر على هذا النحو في خلال مرضي دلني دلالة صريحة على ان ترجمة الانسان نفسه على ما تكتب في العادة التراجم اذا اغضيت فيها عن نذالتي وجريتي في حياتي تكون ولا جرم كذباً وان خير الاساليب التي يتوخاها الكاتب في ترجمته ان ينطق بالحقيقة على جليتها. وامثال هذه التراجم هي التي تمثل الحقيقة على بابها للقارئ، وان اورثت كاتبها الخجل.

فلما ذكرت ماضي حياتي على هذا النحو اي ذكرت ما اتيت من خير وما تم على يدي من شر رأيتني اقسم ادوار حياتي الطويلة باسرها الى اربعة ادوار: اولها ذاك الدور العجيب خصوصاً اذا قيس بالدور الذي يليه — البار البهج الشعري واعني به دور الطفولية. ثم الدور الثاني وهو عشرون سنة كان فيه من الفساد الغليظ والخدمة والطمع بالمعالي وخصوصاً في المكاسب ما كان. ثم جاء الدور الثالث وهو ثماني عشرة سنة اي منذ تزوجت الى نشوري الروحي وهو الدور الذي يحق له ان يدعى في نظر العالم دور الاخلاق بمعنى اني عشت في هذه الثماني عشرة سنة كما تعيش الأسر بالحشمة والنظام غير مستسلم لمفسدة ينبذها الناس ولكن جميع مصالحي كانت مقصورة على عنايتي بأسرتي عناية مقرونة بحب الذات ممزوجة بالانانية وعلى زيادة ثروتي وعلى نجاحي الادبي وعلى مختلف حظوظ تنالها نفسي والدور الرابع يرد الى عشرين سنة التي انا فيها الآن واود ان اموت عليها وبها يتمثل لي ما في الحياة الماضية من عظيم الخطر وهو الدور الذي لا ابغي سواه ما خلا اعتيادي الشر الذي اندمج في روحي في الادوار الاخيرة.

وارى كتابة حياتي على هذا النحو انفع من هذر بدر من القلم في اثني عشر مجلداً من مصنفاتي وتناولها الناس في عهدنا ونسبوا اليها من التأثير ما لا تستحقه.

كانت جدتي ابنة الامير نقولا ايفانوفيش غورتشاكوف الاعمى وكان غنياً تأثل وارتاش وجمع من حطام الدنيا شيئاً كثيراً. وكل ما اتصوره فيها انها كانت قليلة التعلم كثيرة الذكاء وكانت مثل كثيرات من ابناء وطنها على ذاك العهد تحسن الفرنسوية اكثر من الروسية وكان تعليمها عبارة عن معرفة هذه اللغة فقط فدللها والدها دلالاً ثم زوجها وكانت عنواناً على الأسرة باجمعها لانها كانت بكرها وموضوع احترامهم اجمعين. وكان

جدي على ما ظهر لي ايضاً على شاكلة جدتي محدود المعرفة ولكنه كان من اللطف والانس على جانب وقد ادى به الكرم الى الاسراف الذي بلغ حد الحمق . وكان يثق ويخلص وكانت داره في مقاطعة بيليف في بوليانى ميدان الولائم وتمثيل الروايات والمراقص والمآدب ويضاف الى ما يقتضي ذلك من النفقات ولوع جدي بالمقامرة على ضعف معرفته فيها مع ما كان مُني به من اقراض كل من يقصده دراهم ما كان يرجعها اليه . هذا الى الاعمال الكثيرة التي باشرها فانتهت كلها بخراب بيته وافلاسه حتى اباع املاك زوجه واضطر الى التوظف فصار للحال والياً لقازان . ذكروا لي ان جدي لم يكن يقبل الرشى ما خلا رشوات من عملة الالكحول وهي الرشوة التي ما كانت تستنكر اذ ذاك في كل ناحية من انحاء الامبراطورية الروسية ولكن قيل لي ان جدتي كانت تقبل الرشوة بدون اطلاع جدي وهكذا دامت الحال حتى زوّجت ابنتها الثانية في قازان والبكر في بطرسبرج من احد الاشراف وبعد ان قضى زوجها نحبه سكنت جدتي لدى والدي في اياسنيا بوليانا وهناك ادركتها شيخة عجوزة وكانت تحب والدي واولاده وتتلهى بنا كما نتلهى بخالاتي . وظهرانها لم تكن تحب والدتي لانها كانت تجدها دون قدر والدي وتحسدها على حب والدي لها . واذكر من جدتي سياحتنا معها الى موسكو واهم ما يخالج فكري من ذلك ثلاثة مشاهد . المشهد الاوّل عند ما كانت جدتي تغسل يديها بالصابون فتخرج منها فقاقيع كنت أدهش وأسر بمرآها واذكر يديها البيضاوين ووجهها الناصع الباسم . والمشهد الثاني ايام كنا نذهب الى غابة البندق ونجنيه في صحبة مؤدبنا وكانت جدتي تصحبنا في عجلتها والخادم يجر اليها الاغصان الميلاء لتقطف بندقها وتضعه في كيس امامها واذكر قوّة معلمنا في جره الاغصان الكبيرة من ادواح البندق وتلك الظلال الوارفة والحر الشديد وسط الغابة والهواء البليل في الظل وتناوح اشجار الغاب ورائحتها وكيف تأكل الفتيات اللاتي كن معنا البندق على طراوته فلا نبقي منه ولا نذر ونملأ به جيوبنا واردان ثيابنا وعجلتنا . وكنت يخيل لي ان تلك الفقاقيع لا يتيسر احداثها الا على يد جدتي وذاك الريح البليل في غابة البندق لا يهب الا اذا رافقتنا اليها جدتي . والمنظر الثالث وهو اعظمها واعني به (ليون ستيبانيش) الاعمى القصاص الذي كان في بيتنا من بقايا مجد جدي الغابر يسكن دارنا ولا عمل له الا سرد الاقاصيص في الليل وذلك لان عماه كان يساعده على حفظ الحكايات بالفاظها بمجرد تلاوتها عليه مرتين وكان يتلو على مسامع الحضور حكاية قمر الزمان المعروفة في قصة الف ليلة وليلة وكنت اقترب من القصاص استمع اليه ولكنني ما كنت افهم شيئاً مما يقول ثم انام ولا اعود احس بما يجري في دارنا الى الغد .

وما اعرفه عن جدي والد امي انه بعد ان صار قائداً عاماً على عهد الامبراطورة كاترينا عزل دفعة واحدة عن منصبه لانه لم يرض ان يتزوَّج ابنة اخت المشير بوتمكين نديم كاترينا الثانية فنحاه عن وظيفته لانه رفض الزواج منها لاسباب عرفها فيها رداً غير جميل . ولما نحي عن منصبه تزوَّج بفتاة من اهل الصون رزق منها ابنة . وكان جدي هذا مشهوراً بجبروته وانه من الرؤساء البغاة . بيد اني لم ينقل لي شيء عن قسوته ولا عن عقوباته المعتادة في عهده واظن ان ذلك كان يقع منه على التحقيق لكنه لم يجسر احد حاشيته وفلاحيه ان يطلعني على ذلك مع الحاحي في السؤال وذلك تشريفاً لقدره واعظاماً لحكمته فلم اكن اسمع عنه غير عبارات الثناء على بعد غوره وسداد نظره واعتداده بفلاحيه وخدامه على كثرتهم . وقد أسس بناية عظيمة لخدمته وكان لا يقصر عنايته على اطعامهم فقط بل يُعنى بكسوتهم احسن كسوة وبادخال السرور على قلوبهم وكان يقيم لهم الالعاب المختلفة في ايام الاعياد والمواسم . وكان اتباعه وخاصته آمنين بما له من النفوذ من ظلم الظالمين من الحاكمين فمن ثم كان جدي في جميع اعماله يميل الى المتانة والراحة والاحسان والظرف يعشق الطرب والموسيقى ويجلس الى سماعها من والدتي في اماكن اعدها لذلك في حديقة الدار

لا اتذكر والدتي قط فقد كنت ابن سنة ونصف لما قضت نحبها فانا لا امثلها اصلاً ولا اعرف شيئاً يدلني على جسم انسان بل اعرفها بالروح وكل ما بلغني من امرها كان حسناً جميلاً . سألت اهلي عنها فحدثوني باطيب الحديث لا لكونها امي بل لانه كان فيها صفات عالية من الخير والاحسان . وكنت اجدني في طفوليتي بين ظهراني قوم حفهم الصلاح والفضل ارى ذلك خاصة فيهم من والدي الى سائق عجلتي كما يرى اصفياء القلوب غالباً كل حسن في الناس ولا تُمثل لهم الا الصفات الطاهرة . وعندي ان ما تمثل لي فيمن نشأت بينهم من الصفات كان الى الصحة اقرب . ولذلك أُعجبت به في صغري .

لم تكن والدتي من الجمال بحيث تسبي الالباب بل كانت على جانب من الذكاء بالنسبة لعصرها فكانت تحسن الروسية قراءة وكتابة خلافاً لمعاصراتها اذ ذاك وتعرف الفرنسوية والالمانية والانكليزية والايطالية ولها ميل الى الفنون وتجيد الضرب على البيانو . ولقد ذكر لي عشيراتها بانها كانت تحسن القاء الحكايات فتستدعي اعجاب الحضور وترتجل الكلام ارتجالاً وكانت تمتاز بكظم غيظها على ما روى لي الخدام . فاذا عرض لها ما يهيجها يحمر وجهها وربما بكت على ما نقلت لي وصيفتها ولكنها ما قط فاهت بكلمة قبيحة اذ انها لم تكن تعرف من الفاظ الهجر ولا كلمة .

لدي رسائل كتبتها والدتي الى والدي والى خالاتي وجريدة تصف فيها سلوك اخي

البكر (نيكولانكا) الذي كان عمره ست سنين عند ما توفيت وكان اشبه منا كلنا بصورتها . وكانت امي وابنها على ما استنتجت ذلك من كتاباتها ولحظت ذلك من اخي وعليه علم اليقين عدم الاحتفال بآراء الغير والاتضاع بحيث كانا يحاولان ان يكتما فوائد التعليم والذكاء والفضيلة التي امتازا بها دون سائر القوم ويخجلان مما تحليا به من الصفات حتى قال احدهم في اخي انه كان بريئاً من العيوب اللازمة ليعد صاحبها من كبار الكتاب ولقد شاهدت ذات يوم احد الاغنياء الساقطين وهو حارس والي الولاية وكان يصطاد معه اخذ يهزأ به امامي واذكر كيف ان اخي لما حدجني ببصره مسروراً رأى في هذه الاهانة مسرة عظمى . ومثل هذا الخلق كان في والدتي وكانت في اخلاقها ارقى من والدي واسرته اللهم الا (تاتيانا الكسندرا اركولسكي) التي قضيت معها نصف حياتي وكانت امرأة مشهورة باخلاقها المهذبة . ولم يكن اخي وامي ممن يقولان الا خيراً عن الناس وكنت ارى شقيقي اذا كان له ما يقال في سيرة احد ان يبتسم ويبدي حسن الخلق وكذلك كانت امي كما فهمت من رسائلها .

وكنت قرأت في حياة احد القديسين قطعة من كلامه تأثرت بها نفسي . ذلك ان راهباً كان معروفاً عند الناس بكثرة خطاياه فرآه رئيسه ذات ليلة في عداد الاخيار يسرح ويمرح في اعلى عليين فسأله عن امره فقيل له انه لم يعتب احداً في حياته . قلت فان كان في الآخرة جزاء يشبه هذا فوالدتي واخي لا شك احرزا هذا الجزاء .

وامتازت والدتي عن محيطها بحرية وجدانها وسذاجة لهجتها في رسائلها فكان القوم اذ ذاك يغالون في اظهار حاساتهم . عادة لم كانت مألوفة غير مستنكرة فيقول القريب لقريب يكتب اليه انت منقطع القرين واني عبدك وانت بهجة حياتي وكم كانت التبجيلات في الاخوانيات قليلة دل ذلك على قلة اخلاص الكاتب للمكتوب اليه . وقد شهدت هذه العادة في رسائل والدتي ولكنها كانت معتدلة في اظهارها وعباراتها تدل على الاعتدال والاخلاص . قيل لي ان والدتي كانت تحبني حباً جماً وتدعوني بنيامينى الصغير وقد كانت غنية وكان والدي نشيطاً بهجاً واسع الصيت والصلات واظن ان والدتي كانت تحب والدي لانه والد بنيها وزوجها ولم تكن تحبه حب العاشق المستهام وكان حبها خطيبها الاول الذي اختطفته المنية حب الفتيات الذي لا يشعرن به الا مرة واحدة وان ما اعلمه علم يقين هو ان امي كانت تحب ثلاثة حباً حقيقياً وهم خطيبها الاول والآنسة اينيس الفرنسوية احدى صويحباتها وابنها البكر وكانت تنشيء له جريدة يومية تسطر له فيها ما يقترفه من الذنوب وتعيدها على مسامعه ثانية وفي هذه الجريدة ذكر لرغبتها الشديدة في تربيته ما امكن وهناك دليل

على انها كانت ضعيفة في هذا المعنى لا تدري ما تعمله · مثال ذلك انها كانت تؤنبه عند ما يشتد فيه الشعور والاحساس فيبكي مثلاً عند ما يشاهد الحيوانات تتألم امامه لان على المرء برأيها ان يكون قاسي القلب وكانت تعاتبه على الصغائر كأن يقول لجدته اشكرك عوضاً عن ان يقول لها اسعد الله صباحك ومساءك · وا كدت لي خالتي ان امي كانت تحبني واني كنت احد من يحبه قلبها وخلفت والدتي خمسة اولاد كانت آخرهم ابنة ماتت في نفاسها · وظلت مع والدي تسع سنين كانت ايام سعد ورخاء فكانت على علو منزلتها ولطافة اخلاقها وآدابها تحب من حولها ويحبونها وكانت اميل الى العزلة تصرف وقتها باولادها ومطالعة الروايات امام جدتي في الليل بصوت عال والاشتغال بمطالعات نافعة مثل كتاب «اميل» للفيلسوف روسو والمذاكرة فيما قرأته ويقضين شيئاً من الوقت في الضرب على آلة طرب ثم يتدارسن اللغة الايطالية وتتنزه وترى اعمال البيت ·

لبعض الأسرات اوقات من الصفاء لا يزعجها موت احدهم ولا مرض بعض افرادهم فيعيشون سعداء وهذا الدور صادفته والدتي الى حين وفاتها فكان والدي يدخل البهجة على قلوب اهل البيت بما يتوفر على ذكره من الاضاحيك الملهية والاحاديث المسلية ·

هذا ما عرفته من مطالعة المفكرات والرسائل عن والدتي وحياتي في بيتنا على ذاك العهد في الطفولية وهاءنذا وصلت الى وقت ألم فيه بما اذكره بنفسي فارويه مقروناً باشخاصه واماكنه · اما والدي فقد كان عمره سنة ١٨١٢ سبع عشرة سنة وانخرط في سلك الجيش على كثرة توسل اهله به ليرجع عما قصد له وخوفهم عليه وكان اذ ذاك احد انسبائنا قائد الجيش العامل فعينه له حاجباً واشترك في حرب سنة ١٨١٣ — ١٨١٤ واسره الفرنسيس ولم يخلص من الاسر الا سنة ١٨١٥ عند ما دخل جيشنا باريز ·

بلغ العشرين من عمره ولم يكن على شيء من العفاف حتى ان اهله زوجوه بخادمة وكان عمره ست عشرة سنة تفادياً من ان تسوء صحته على نحو ما كان القوم يذهبون اليه اذ ذاك فولد له منها ابن دعوه ميشانكا عاش في حياة والدي عيشة حسنة ثم ساءت حاله فكان كثيراً ما يلجأ الينا لنعينه واني لاذكر شعور التعجب الغريب الذي شعرت به عند ما امسى اخي هذا شحاذاً يستوكف الاكف وهو شبيه في خلقته بابي بل اشدنا به شبهاً ثم يجيء ويطلب منا ان نحسن اليه بشيء من المال ويسر بما ندفعه اليه من عشرة روبلات او خمسة عشر · ثم تنحى والدي عن الخدمة ونال راتب العزل ولحق بجدي في قازان وكان حاكمها وبعد قليل ذهب جدي الى سبيله واصبح والدي رب أسرته مع جدتي المعتادة على البذخ والديون مثقلة كاهل بيتنا وعندئذٍ تزوّج ابي بوالدتي على ما نحو شرحته آنفاً من امرها ·

كان والدي دمويًا ربعة القوام مقبول الوجه كئيب النظر يعنى بامور زراعته ولم يكن معروفًا بالقسوة بل كان الى الضعف اقرب بحيث اني لم اسمع انه كان يضرب فلاحيه على اجسادهم على نحو العادة المتبعة في هذه الديار على انه لم يبلغني انه كان في بيتنا اثر لهذه العقوبات الا بعد موته. وحدث ما شئت ان تحدث عن مبلغ استغرابي يوم كنت آتيًا من نزهة لي مع مؤدبي وسأل احدنا وكيلنا وكان معه سائس الخيل عن المكان الذي يقصده فقال له انه ذاهب الى الانبار ليضرب السائس على بدنه ورحت من ساعتي اسأل خالتي عن سر ذلك وكانت هي تكره العقوبة بالضرب فلامتني على اني لم اوقف ذاك الوكيل عن عمله ولكن بعد ان سبق السيف العذل.

كان ابي مصروفًا بجملته الى الزراعة وفض القضايا التي خلفها له والده وكان يذهب الى الصيد ويحب المطالعة كثيرًا وقد اقتنى مكتبة فيها كتب آداب الفرنسيس وبعض كتب العلم وآلى على نفسه ان لا يبتاع كتابًا جديدًا حتى يأتي على ما لديه من الاسفار ويطالعها برمتها ولم يكن به ميل الى العلوم. بيد انه كان في علمه يعادل المتعلمين من اهل عصره ولا يصح ان يسمى من الاحرار في دهره بل كان يكره تغيير شيء من حاله فلا يخضع للكبراء ولا يزور الموظفين بل ولا يزورنا واحد منهم لما كان بينه وبين اهل الحكم في ذاك الوقت من التباين الضمني في المبادىء والغايات

واني لاذكر والدي وهو جالس على ديوانه يدخن بغليونه واذكر صيوده واذكر ايامه واجتماعنا به وتحفيظي شيئًا من شعر بوشكين وكيف أُعجب بتلاوتي له. نعم اذكر رحلاته وغدواته وروحاته واذكر ما كان يفيضه عليَّ من حسناته واحسانه واذكر حبه وحبي ذلك الذي شعرت به بعد موته اكثر من شعوري به من قبل. وهنا استطرد الى ذكر شيء مما علق بذهني من امور طفوليتي اذكرها وانا لا اتثبت بعضها حقيقية كانت او خياليه. ولقد كنت في القماط واريد ان افلت يدي ولا استطيع ذلك واصرخ وابكي وصوتي كان منكرًا حتى في عيني ولكن ما كنت اتمالك نفسي من البكاء وارى احدهم في قربي يحنو عليَّ ولا اذكر شخصه وارى ذلك كأنه ظلم او يكاد يكون ظلمًا ولكني اذكر انهما كانا اثنتين وكان صوتي يؤثر فيهما فكانتا تسمعان صوتي ولكنهما لا تنقذاني مما اشكو منه ثم اصرخ بشدة ايضًا فيريان انه من اللازم ان اكون مقيدًا في قماطي وانا ارى انه ليس كذلك واريد ان اثبت لهما ذلك واصرخ صوتًا حادًا كانت نفسي تكره ولكن لم اكن اتمالك منه واشعر بالظلم والقسوة لا من الناس فقط بل من الاقدار اذ كنت اشهد الناس يرثون لحالي وكنت اشفق على نفسي ولا اعرف ذلك ما هو ولن اعرفه. هل كان قماطي عند ما كنت بعد رضيعًا واحاول ان اخرج ذراعي من القماط او القماط عند ما كانت سني تزيد على سنة.

وعلى الجملة فقد كان ذلك من المؤكد اول تأثر بل اشده شهدته في حياتي ولا اذكر صوتي وآلامي فقط بل اذكر مزاجي واختلاف تأثراتي . اطلب الحرية وهي لا يتضرر بها انسان وانا على حاجتي الى القوة ضعيف وهم الاقوياء وكذلك اذكر عند ما كانوا يغطسونني في القادوس وقد جعلت فيه رائحة زكية جديدة يمسحون بها جسمي واستلذ جلوسي في القادوس وهو صقيل لطيف والماء فاتر خفيف ويد مربيتي تروح وتجيء تدلك بدني . وهاتان الذكريان هما اللتان اذكرهما منذ ولدت الى الثالثة من عمري بل اني الى الخامسة لا اكاد اذكر السماء ولا الشمس ولا الورق ولا العشب . بحيث ساغ لي ان اقول اني عشت عيش البهيم ايام كنت اتعلم وانظر وانست واحاول ان اتكلم وانام وارضع واضحك واُسر والدتي في ذاك العهد حصلت ما اعيش به الآن حصلت به في مدة وجيزة باقصى ما يمكن من الكثرة بحيث اني لم استطع ان ازد واحداً في المئة على هذه المعرفة . ليس بيني وبين ابن الخامسة سوى قدم كما انه ليس بين الوليد الى ابن الخامسة سوى مسافة لا تصدق وليس بين الجنين والوليد سوى هوة وليس بين العدم والجنين سوى شيء صعب تعليله ومعرفته . وهنا يقال ان الوقت والسبب هما صور من الفكر وان معنى الحياة خارج عن تلك الصور بيد ان حياتنا كلها ليست سوى الخضوع المتواتر لهذه الصور او الخلاص منها .

اما تذكاراتي القصية فانها ترجع الى السنة الرابعة او الخامسة من عمري وكلها قليلة لا تتعدى حد البيت والعيش المنزلي . وما انس لا انس في طفوليتي وانا على سريري فرح مبتهج ووصيفتي او اللاتي عهد اليهن تربيتي تقص عليّ قصة ايرميفنا (كما تخوف عامة النساء في الشرق الادنى الاولاد بالعفريت والبعبع) فكانت تنقبض نفسي لسماعها واتبدل البهجة بالفزع والفرح بالترح واذكر شقيقتي بجانبي واذكر مؤدبنا الالماني تيودور ايفانوفيتش وان لم اكن في تلك السن تحت وصايته واذكر دارنا وانها كانت شاهقة واذكر ما القاه فيها من النساء وربما كن من الغسالات وكيف كنت اقفز ويقفز معنا مؤدبنا ولكن قفزة خفيفة .

هذا ما يتردد في خاطري من ذكرى الحوادث التي طرأت عليّ قبل الخامسة اما بعدها فان ما اذكره ولا انساه هو اخذهم بيدي الى المؤدب ايفانوفيتش واستعاضتي عن اللعب والقفز وغيرهما بالدراسة وتبديل ما كنت الفته بعادات اخرى ومنازع جديدة . وهنا اذكر الحكيم خالته تاتيانا الكسندروفنا وما اثرته باعماله في حياته وكانت من النساء المتهذبات فعلمته الحب والميل الى الوحدة والتأثر من المظالم

الولايات المتحدة

يقسم تاريخ الولايات المتحدة الى خمسة ادوار : الاول دور السكان الاصليين وهم الهنود والثاني دور السفر والاكتشاف وهو من سنة ٩٨٦ م الى سنة ١٦٠٧ م والثالث دور الاستعمار وهو من سنة ١٦٠٧ م الى سنة ١٧٧٥ م والرابع دور الثورة من اجل الاستقلال وهو من سنة ١٧٧٥ م الى سنة ١٧٨٩ م والخامس دور الجمهورية وهو من سنة ١٧٨٩ م الى سنة ١٩٠٧ م ·

اكتشف خريستفورس كولمبس اميركا سنة ١٤٩٢ ب · م فاخذ بعض الاوروبيين بادئ بدء يهاجرون اليها بقصد امتلاك ديارها وجمع لجينها ونضارها · ولما ذاع صيت هذه الديار في اقطار اوروبا واشتهر امر غناها واتساع بقاعها وخصب اراضيها وغباوة هنودها اخذ يتقاطر اليها الاوربيون زرافات وجماعات وذلك من سنة ١٦٠٧ م فصاعداً

وكانت الامة الانكليزية اكثر الامم الاوربية اهتماماً بالمهاجرة الى اميركا · ثم لما كثر عدد الاوربيين فيها اغتصبوا املاكاً واسعة من الهنود واشتروا بعضها باثمان بخسة واستوطنوا بعض مقاطعات الولايات المتحدة ·

وفي ١٨ نيسان سنة ١٧٧٥ م اعلن الاميركيون الحرب على بريطانيا العظمى · وفي ٧ حزيران سنة ١٧٧٦ نهضوا لطلب الاستقلال من سلطة تلك الدولة لاستبدادها بهم وتضييقها على املاكهم حينئذٍ فتابعوا الحرب · وبعد سبع سنين جرت فيها الدماء انهاراً استقلوا في ٤ تموز سنة ١٧٨٣ م

ويرجع معظم الفضل لذلك الى ريكارد هنري لي وتامس جفرسن من فرجينيا ويوحنا ادامس من ماشوست وبنيامين فرنكلن من بنسلفانيا وروجر شيرمان من كننكت وروبرت لنكستن من نيويورك فهم الستة المشهورون الذين اجتمعوا في ١١ حزيران سنة ١٧٧٦ م وقد قرروا ان ينزعوا ربقة الاستبداد عن رقاب الشعب

وسنة ١٧٨٩ م جدد الاميركيون المعاهدة بعضهم مع بعض ودوّنوا فيها نظامات وشرائع في مدينة فيلادلفيا · وكان عدد الولايات التي دخلت في المعاهدة اذ ذاك ثلاث عشرة ولاية وهي نيوهمبشير وفرمونت ومشوست ونيويورك وكننكت ونيوجرسي وبنسلفانيا ودالوار ورودايلند ومريلاند وفرجينيا وكرولينا الشمالية والجنوبية

وفي ٤ حزيران سنة ١٨١٢ م اعلنت الولايات المتحدة الحرب ايضاً على بريطانيا العظمى وكان ذلك في عهد ماديسن الرئيس الرابع للولايات وكانت نتيجة تلك الحرب ازدياد العمران وتعزيز قوّة السكان ·

وفي ٢٦ نيسان سنة ١٨٤٥ م اخذت الولايات المتحدة تحارب الاسبان فاظهر الاميركيون قوة الاتحاد والاستقلال ولم تزدهم تلك الحرب الا مجداً وعزاً وقوة وعمراناً . ونشأت الحرب المذكورة في عهد بولك الرئيس الثاني عشر للبلاد .

وفي ١٢ نيسان سنة ١٨٦١ بدأ حرب تحرير العبيد بين الشمال والجنوب في الولايات المتحدة وانتهت في ٩ نيسان سنة ١٨٦٥ م وكان رئيس البلاد اذ ذاك ابراهيم لنكن الشهير

وسنة ١٨٩٨ م حاربت الولايات المتحدة اسبانيا وفازت عليها ووسعت دائرة نفوذها واشتد ساعدها وذاعت سطوتها واتسع نطاق بقاعها وارتفع شأن تمدنها وعمرانها وكان ذلك في عهد مكنلي الرئيس الخامس والعشرين للبلاد

***

اول رجل عظيم رأس الجمهورية الاميركية هو جورج واشنطن . ولد في ٢٢ شباط سنة ١٧٣٢ م في وست فرجينيا وشب على الآداب الرائعة والهمة الرافعة والمبادىء النافعة وفي ٣٠ نيسان عام ١٧٨٩ م رأس الولايات المتحدة وظل في منصبه الخطير ٨ سنوات وقضى نحبه في ١٢ كانون الاول سنة ١٧٩٧ م . واقل ما يقال عنه انه كان رجلاً فاضلاً ورئيساً عاملاً غير مدافع رقى بلاده الى درجة سامية تحسد عليها . والشعب الاميركي يجله كثيراً و يعيد له كل سنة و يدعوه اب الامة

وتولى اريكة الرئاسة بعد واشنطن يوحنا ادامس . ولد في برينتري من اعمال ماشوست في ١٩ تشرين الاوّل عام ١٧٣٥ م وانتخب رئيساً للولايات المتحدة في ٤ آذار سنة ١٧٩٧ م واتم مدة الرئاسة التي هي اربع سنوات . وقد نمت البلاد في ايامه وانتهت مدّته بختام القرن الثامن عشر

وخلف الرئيس ادامس تامس جفرسن احد الستة الاشخاص المصلحين الذين مرَّ ذكرهم وهو الرئيس الثالث . ولد في البيمارلي من اعمال فرجينيا في ٢ نيسان عام ١٧٤٣ م وانتخب رئيساً للبلاد في غرّة القرن التاسع عشر سنة ١٨٠١ م ورأس البلاد ثماني سنوات وكان غيوراً على الاصلاح ومصلحة الوطن والامة كفواً للقيام بالعظائم والامة الاميركية تحسبه من اعظم المصلحين وافضل رؤساء البلاد توفي في ٤ تموز سنة ١٨٤٦ م

وقام بعد جفرسن جيمس ماديسن وهو الرئيس الرابع ولد في كن جورجيا من اعمال فرجينيا في ١٦ آذار عام ١٧٥١ م وتوفي في ٢٨ كانون الثاني عام ١٨٣٦ م في مونتيلر من اعمال فرجينيا . كان ماديسن ناظر الداخلية في عهد الرئيس جفرسن وفي ٤ آذار عام ١٨٠٩ م انتخب رئيساً للولايات المتحدة ورأسها مرتين وللرئيس ماديسن افضال على الجمهورية

يذكرها الاميركيون و يغالون بها وقام بعد جفرسن جيمس منرو وهو الرئيس الخامس ولد في ٢٩ نيسان سنة ١٧٥٨ م في ويستمورلاند من اعمال فرجينيا ومات في ٤ تموز عام ١٨٣١ وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار عام ١٨١٧ م ورأس البلاد مدتين اى ٨ سنوات . ومونرو وهو الرئيس المشهور بشريعته التي سنها وهي « ان اميركا للاميركيين » وقد افادت هذه الشريعة الجمهورية الاميركية فوائد عظيمة . وكان مونرو احد المتصفين بالغيرة والمروءة والشهامة وخدمة الدولة والامة خدمة صادقة .

وخلف مونرو يوحنا كونيكي ادامس وهو الرئيس السادس . ولد في شهر تموز عام ١٧٦٧ وقضى نحبه في ٢٣ كانون الثاني عام ١٨٤٨ م وكان من اقدر رجال الجمهورية في السياسة الخارجية والداخلية . تولى نظارة الداخلية في عهد الرئيس مونرو وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار عام ١٨٢٥ م وبعد ان اكمل مدته عين نائباً لولاية ماشوست في واشنطن العاصمة

وقام بعد يوحنا ادامس اندراوس جاكسن وهو الرئيس السابع . ولد في اكسم من اعمال سائلنت في ٥ آذار عام ١٧٦٧ م وتوفي في ٨ حزيران عام ١٨٤٥ م وانتخب للرئاسة عام ١٨٢٩ م ورأس البلاد مدتين وكان ديمقراطياً

وخلف جكسن مارتن بيورن وهوالرئيس الثامن ولد في كندر هوك من اعمال نيويورك عام ١٧٨٢ م ومات في عام ١٨٦٢ م . كان عضواً في مجلس الاعيان في نيويورك ونائباً للرئيس جكسن ٤ سنوات وفي ٤ آذار عام ١٨٣٧ م انتخبه الحزب الديمقراطي رئيساً للبلاد وكانت مدته اربعة اعوام .

وقام بعده وليم هنري هرسن وهو الرئيس التاسع والبطل الشهير . ولد في بيركلي من اعمال فرجينيا سنة ١٧٧٣ م وانتخب للرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٤١ م وكانت مدته شهراً واحداً وذلك بسبب وفاته .

واقيم بعده يوحنا تيلر وهو الرئيس العاشر . ولد في مدينة تشارلس من اعمال فرجينيا في ٢٩ آذار عام ١٧٩٠ وتوفي في ١٧ كانون الثاني عام ١٨٦٢ م . وانتخب للرئاسة في ٤ نيسان سنة ١٨٣٧ م وكانت مدته اربع سنوات الا ثلاثين يوماً .

وخلف الرئيس تيلر نوكس بولك . ولد في كرولينا الشمالية عام ١٧٩٥ م ومات في تانسي عام ١٨٤٩ م . وولي رئاسة البلاد في ٤ آذار عام ١٨٤٥ م وكانت مدته اربعة اعوام وهو الرئيس الحادي عشر للبلاد .

وقام بعد بولك زكريا تيلر . ولد في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٧٨٤ م وقضى نحبه في ٩ تموز عام ١٨٥٠ م وتولى كرسي الرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٤٩ م وكانت مدته اربعة

شهور واربعة ايام · ومما يذكر عنه انه كان محبباً الى النفوس وذا شهرة عظيمة حازها بدربته وحنكته وبسالته التي ابداها ايام كان القائد العام في حرب الولايات المتحدة مع المكسيك وهو الرئيس الثاني عشر ·

وظهر بعد تيلر ميلارد فيلمور وهو الرئيس الثالث عشر · ولد في كيغو نيورك في ٧ كانون الثاني عام ١٨٠٠ م ومات في ٨ آذار عام ١٨٧٤ · في بفلو نيورك · وانتخب للرئاسة في ٨ ايار سنة ١٨٤٩ وكانت مدته ثلاثة اعوام وثلاثة اشهر و٢٧ يوماً

وخلف فيلمور فرنكلن بايري وهو الرئيس الرابع عشر · ولد في ٢٣ تشرين الثاني عام ١٨٠٤ م وقضى نحبه في ٨ تشرين الاول في نيوهمشير عام ١٧٦٩ م وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار سنة ١٨٥٣ م وكانت مدته اربع سنوات · وفي اثناء رئاسته فتحت ابواب التجارة للولايات المتحدة في مملكة يابان وكان بايري ديمقراطياً

وقام بعد الرئيس بايري جيمس بوتشانن رئيساً على الولايات وهو الرئيس الخامس عشر ولد في ١٣ نيسان عام ١٧٩١ م في بلدة الرئيس فرنكلن من اعمال بنسلفانيا · وتوفي في اول حزيران سنة ١٨٦٢ م · كان الرئيس بوتشانن قبل ان يتولى رئاسة البلاد ناظر الداخلية في عهد رئاسة بولك وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار عام ١٨٥٧ م وكانت مدته اربع سنوات وكان ديمقراطياً

اما ابراهيم لنكن فقد ولد في ١٢ شباط سنه ١٨٠٩ م في ولاية كنتكي وقتل في ١٥ نيسان سنة ١٨٦٥ م وذلك في اول عهد رئاسته للمدة الثانية وانتخب رئيساً للولايات في ٤ آذار عام ١٨٦١ م وكانت مدته اربع سنوات و٤٢ يوماً وهو الرئيس السادس عشر المشهور بفضائله والمحبوب جداً من شعبه · وتحتفل الامة الاميركية في مولده سنوياً اعتباراً لخدمه الجليلة في سبيل الانسانية والوطنية وتقديراً لمقامه السامي في قلوب الاميركيين خصوصاً وعالم الحضارة عموماً

والرئيس السابع عشر هو اندراوس جانسن · ولد في كرولينا الشمالية عام ١٨٠٨ ومات في ٣١ تموز عام ١٨٧٥ وتولى الرئاسة في ١٥ نيسان سنة ١٨٦٥ وكانت مدته ثلاثة اعوام وعشرة اشهر و١٥ يوماً

والرئيس الثامن عشر يوليس غرانت · ولد في ولاية اهايو في ١٧ نيسان عام ١٨٢٢ ومات في ميفرور من اعمال نيويورك في ٢٣ تموز عام ١٨٨٥ تولى الرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٦٩ وكانت مدته ثماني سنوات

والرئيس التاسع عشر هو ارثر فورد هايس · ولد في اهايو عام ١٨١٧ وكان من

اشراف البلاد واكابر اغنيائها · رأس البلاد في ٥ آذار عام ١٨٧٧ وذلك بعد ان تقلب في وظائف سامية كثيرة وكانت مدته ٤ اعوام

والرئيس العشرون هو جيمس غارفيلد · ولد في ١٩ تشرين الثاني عام ١٨٣١ في كويهفو اهايو واطلق عليه الرصاص في ٢ تموز عام ١٨٨١ ومات من جراء ذلك في ١٩ ايلول عام ١٨٨١ وتولى الرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٨١ وكانت مدته نحو خمسة اشهر

والرئيس الحادي والعشرون هو تشستر ارثور · ولد في فرنكلن من اعمال فرمونت في ٥ تشرين الاول سنة ١٨٣٠ وحاز شهادة محام سنة ١٨٥٠ ثم انتخب نائباً للرئاسة عام ١٨٨٠ ثم تولاها في ١٩ ايلول عام ١٨٨١ بداعي اغتيال الرئيس غارفيلد وكانت مدته ثلاثة اعوام و٧ اشهر الاّ يومين

والرئيس الثاني والعشرون هو غروفيلد كيفلند · ولد في كالداوي من اعمال نيوجرسي في آذار عام ١٨٣٧ وبعدان تعلم قبل في مجمع العلماء في نيويورك ثم درس الشريعة في بفلونيورد عام ١٨٥٥ م ونال الشهادة عام ١٨٥٩ م ثم نصب مدعياً عاماً لبفلو عام ١٨٦٣ م ثم مأموراً للاحكام عام ١٨٦٩ م ثم حاكماً على مدينة بفلو عام ١٨٧١ وسنة ١٨٨٣ اقيم حاكماً على مدينة نيويورك وسنة ١٨٨٤ م انتخب رئيساً للولايات وكانت مدته ٤ اعوام وكان ديمقراطياً ·

والرئيس الثالث والعشرون هو هاريسن وكانت مدته من سنة ١٨٨٨ الى سنة ١٨٩٢ والرابع والعشرون هو كيفلند المتقدم الذكر وكانت مدته من سنة ١٨٩٢ م الى سنة ١٨٩٦ م والخامس والعشرون هو مكنلي وكانت مدته من سنة ١٨٠٦ الى سنة ١٩٠١ م والسادس والعشرون هو تيودور روزفلت الرئيس الحالي

***

ما برحت الولايات المتحدة بعد استقلالها في حاجة ماسة الى من يعمر ديارها ويحرث اراضيها ويستغل خيراتها ويستخرج معادنها ويساعدها على تنظيم مدنيتها وتوسيع نطاق عمرانها وترقيها في مراقي الارتقاء ففتحت حكوماتها ابواب المهاجرة لجميع الامم على اختلاف هيئاتها ولغاتها · فوافاها الاوروبي من انكلترا وجرمانيا والنمسا وايطاليا وروسيا واسوج ونروج واليونان وبرتغال وسويسرا وهولاندا والبلجيك ويمها الآسياوي من الصين واليابان والهند والبلاد العثمانية وجاءها الافريقي من ديار النيل ومراكش والسودان · ومما يلي يعلم القارئ نمو سكان الولايات المتحدة وعمرانها الغريبين ·

عدد سكان الولايات المتحدة

عام	١٧٩٠	٣٩٢٩٢١٤
«	١٨٠٠	٥٣٠٨٤٨٣
«	١٨١٠	٧٢٣٩٨٨١
«	١٨٢٠	٩٦٣٨٤٥٣
«	١٨٣٠	١٢٨٦٦٠٢٠
«	١٨٤٠	١٧٠٦٩٤٥٣
«	١٨٥٠	٢٣١٩١٨٧٦
«	١٨٦٠	٣١٤٤٣٣٢١
«	١٨٧٠	٣٨٥٥٨٣٧١
«	١٨٨٠	٥٠١٥٥٧٨٣
«	١٨٩٠	٥٣٦٢٢٢٥٠
«	١٩٠٠	٧٥٩٩٤٥٧٥
«	١٩٠٧	

اما عدد الولايات المتحدة فكان سنة ١٧٨٩ م ثلاث عشرة ولاية واليوم صارت ٤٨ ولاية . وتقع سبع عشرة ولاية في الجهة الشرقية على الاوقيانس الاتلانتيكي وهي نيويورك ونيوجرسي ونيوهمشير ورود ايلند وماين وبنسلفانيا وكولمبيا وكنتكت وفرمونت ومشوست ومريلاند وفرجينيا وكرولينا الشمالية والجنوبية وجيورجيا ودولار

وخمس ولايات تقع على بحر المكسيك وهي تكس ولوزيانا ومسيسبي والاباماوفلوريدو وسبع عشرة ولاية تقع في وسط البلاد وهي ايلنيس ومشغن وويسكنسن وانديانا واهايو وايوي ونبراسكا وميسوري واوكوتا الشمالية والجنوبية وكنس واركنس وكنتكي وتنسي ومينسوتا وفرجينيا الغربية

واحدى عشرة ولاية غربية تقع على الاوقيانس الباسيفيكي وهي كليفرنيا واوريكون ونيفادا ويوتاه ومونتانا وايدهو واوشنطن وكولوريدو ونيومكسيكو وارزونا ووايوما

ولا يزال باب المهاجرة الى الولايات المتحدة مفتوحاً لجميع الشعوب ما خلا الصينيين فان حكومة الولايات سنت شريعة لمنع دخولهم الى بلادها سنة ١٨٨٤ م . وفي ٢٨ شباط سنة ١٩٠٧ م صادق المجلس التشريعي في ولاية كليفرنيا على لائحة تمنع الاجنبي من التملك في تلك الولاية . هذا اذا لم يكن متجنساً بالجنسية الاميركية . وغاية المجلس القصوى منع

اليابانيين والصينيين من دخول كليفرنيا والتملك فيها فهم لا يستطيعون التجنس بالجنسية الاميركية . ويظهر من تشديد حكومة العم سام على المهاجرين في هذا العهد الاخير انه لا بد من ايصاد باب المهاجرة في وجه الاسياويين ان لم يكن عاجلاً فآجلاً

ودعوى حكومة العم سام ان الشعب الآسياوي سواء كان من الصين ام اليابان ام الدولة العلية فهو لا ينفع البلاد . فما يرمي اليه الآسياوي هو جمع المال وانفاذه الى وطنه خلّ عنك انه ربما ضاقت الولايات على رحبها باهاليها بعد مضي قرن . ومن جدول عدد سكان الولايات الآنف يتبين ان زيادة السكان بلغت في مدة ١١٧ سنة نحو اثنين وثمانين مليونًا من النفوس فاذا استمرت الزيادة على هذا المعدل فلا شك ان حكومة واشنطن تضطر الى اقفال باب المهاجرة وربما قفلته قبل انقضاء تلك المدة

***

مما تقدم يعلم المطالع ان النصر كان حليف الولايات المتحدة في الخمس حروب التي ذكرتها وان نمو السكان والعمران كان أليفها وانها اي الولايات صارت في مدة ١٣٢ سنة في طليعة الممالك المتمدنة بالقوة والسطوة والجاه والثروة بل المدنية والحضارة والعمران وهذا لعمري من بعض الادلة على نشاط الشعب الاميركي واتحاده وارتقاء شخصيات افراده وعلى بذله ومروءته وشهامته وغيرته وصدق وطنيته وعلى سهر حكوماته على مصلحة البلاد والانام وقيامها بواجباتها نحو امتها ووطنها خير قيام

فانعم بكل امة تحذو حذو الامة الاميركية وتقفو اثر مصلحيها العظام ورؤسائها الكرام وانعم بكل دولة تسهر على مصلحة رعاياها وتبذل ما في وسعها لاسعادها وانهاضها . وما احرى الشعوب الآسياوية المنحطة ان تقتدي بنهضة الامة الاميركية وتنهض بذلك الشرق الهازل النازل فتخلد لملوكها وحكامها طيب الذكر ولبلادها ولها الشكر والفخر

اوماها نبراسكا «الولايات المتحدة» يوسف جرجس زخم

الكنى والالقاب

رأيت بحثاً في الكنى والالقاب لاحد قراء المقتبس ذكر فيه القاعدة المصطلح عليها في الكنى كقولهم ابو اسحق لمن اسمه ابرهيم وابو ابرهيم لمن اسمه اسماعيل وابو داود لمن اسمه سليمان وابو محمد لمن اسمه عبدالله وابو العباس لمن اسمه احمد وهلم جرا وذكر ايضاً من شغف العرب بالكنى وضعها اياها للطير والوحش بل للجماد والمعاني مثل قولهم ابو الحصين للثعلب وابوطامر للبرغوث وابوصابر للحمار وقولهم ايضاً من باب المعاني للهرم ابو مالك وللفقر ابوعمرة الى آخر ما ورد في ذلك البحث

ولما كان يجمل بالبحث الجميل ان يحيط باطراف الموضوع بحيث لا يترك منه شاردة ولا تهمل فيه فائدة فقد قصدت ان اضم اليه اصطلاح اهالي جبل لبنان بل واكثر البلاد التي تجاوره في امر الكنى فانه قد يختلف عن الاصطلاح الاول فانهم يقولون هكذا :

ابو ملحم لمن اسمه ابراهيم وقد يقولون له ابوخليل وابوداود لمن اسمه ملحم وابوسليمان لمن اسمه داود وابوعلي لمن اسمه سليمان وقد يقال ابومحمد وابوشاهين لمن اسمه محمد وقد يقال ابوسليمان و يقال ابوقاسم وابوعلم الدين لمن اسمه قاسم وابوحسين لمن اسمه علي و يقال ايضاً ابوخطار وابونجم لمن اسمه خطار وابواحمد لمن اسمه شاهين وابومحمد لمن اسمه اسماعيل وابو يوسف لمن اسمه امين وابوعلي لمن اسمه احمد وابوعباس لمن اسمه حسين هذا اشهر كناه وقد يقال ابو قاسم وابومحمد لمن اسمه مصطفى وابومرعي لمن اسمه حسن وابوحسن لمن اسمه عبدالله و يقال ايضاً ابوزين الدين وابوحسين لمن اسمه يوسف ولمن اسمه محمود ايضاً واما الاسماء المضافة الى الدين مثل نصر الدين و زين الدين و بدر الدين فاكثرها ابومحمد ومنها يكنى بابي يوسف مثل عز الدين وعلم الدين و بابي داود مثل حسام الدين

و يقولون ايضاً ابوناصيف الياس وابوعساف جرجس وابوشبل ناصيف وابوقبلان اسعد وابومنصور حنا وغير ذلك

ومن كناهم للوحش ابوفارس للنمر . ومن الكنى الجمادية ما ينسب الى قرية عين دارة وهو قولهم للجوز ابوحسن طقطق وللتين المطبوخ بالدبس ابونجم الدين محني ذقنه وللابريق ابو يوسف علم الدين ولذلك قالوا اذا حضر ابونجم الدين محني ذقنه قام يرقص ابو يوسف علم الدين اي اذا حضر التين المطبوخ بالدبس فلا بدّ من دوران الابريق للشرب وهذا يحاكي اصطلاح القدماء الذي ذكره كاتب بحث الكنى والالقاب من جهة تكنية الجوامد ومما اهمله مكاتبكم من الكنى الحيوانية ابوجخادب للحرباء وابوالحسل وابوالحسيل للضب

وابوعـلة وابو مذقة للذئب وابوسلمان لضرب من الجعلان وابوالابد للنسر وابو روح للهدهد وابو الاخذ للباشق وابوالاخطل للبرذون وابوالاشعب للبازي وابوالاشيم وابوحسان للعقاب وابوثقل للضبع وابوجاعرة للغداف من الغربان وابو حكيم للذباب ومثله ابوجعفر وابو برائل للديك وابو زيد للمقعق وابوالجراح وابوحذر للغراب ومثلها ابوزاجر وابو جهينة للدب وابوالجيش للشاهين وابوحاتم للكلب ومثله ابوخالد وابودغفل للفيل وابوالحسن للطاوس وابو الحسين للغزال وابو راشد للقرد وابو زرعة للخنزير وابو العرمض للجاموس وابوعكرمة للحمام وابو نعيم للكركي وابو يعقوب للعصفور وابوزفير للاوز وابوزياد الحمار مثل ابوصابر وابو طالب الفرس مثل ابي شجاع وغير ذلك

ومن المعاني ابومالك للسغب وابودراس للفرج وابوجابر للخبز ويقال له ايضاً تسمية بدون تكنية جابر بن حبة وابوعاصم للسويق وابو الابيض للبن وكما كثرت اسماء الاسد فقد كثرت كناه فيقال له عدا ابا الحارث ابو الابطال وابو الاخياس وابو شبل وابولبد وابو ليث وابوالعباس وابوالنحس وابورزاح وابوحفص وابوالوليد وابوالهيصم وابومحراب وابوالتامور وابوالحذر وابومحطم وللنمر جملة كنى منها ابوخلعة وابوالخطاب وابوجهـل وابورقاش وابواسود وابوالابرد

ولا ندخل الآن في الامهات والابناء والبنات والاخوة والاخوات والاذواء والذوات فانه يطول بذلك الشرح وانما نقول على وجه الاجمال ان اتساع هذا الباب في اللغة العربية هو من جملة الدلائل على ثروة اللغة وفخامتها و بلاغة عبارتها وان الكنى خصوصاً ما أطلق على الجمادات والمجرّدات مما يدل على شدّة تخيل الناطقين بها وانزالهم الصامت منزلة الناطق وتجسيمهم المجرَّد الى حد ان يتمثل ولا يخفى ان ابلغ البلاغة هو ما قوى لك الخيال ومثل لك صورة المعنى حتى كأنك تراها بالعين وتلمسها بالكف فالبليغ اذا اجزل خيل لك المعنى جسماً واذا اراد الرقة هلهل لديك المادة حتى حسبتها هباء او ظننتها وهماً وان اطلاق الكنى حتى في الجوامد والمعاني واجراءها مجرى ما به الحياة لما يجسم المعاني و يحرك الجوامد عند من كان يشعر بالبلاغة

بيروت (ش)

سوء المنقلب

بغدادُ حسبك رقدة وثبات ... أوَ ما تمضّك هذه النكبات
وَلعت بك الاحداث حتى اصبحت ... ادواءُ خطبك ما لهن أُساة
قَلب الزمان اليك ظهر مجنه ... أفكان عندك للزمان تِرات
ومن العجائب ان يمسك ضرّه ... من حيث ينفع لو رعتك رُعاة
اذ من ديالة والفرات ودجلة ... أمست تحل باهلك الكرُبات
ان الحياة لفي ثلاثة انهر ... تجري وارضك حولهن موات
قد ضل اهلك رشدهم وهل اهتدى ... قوم اجاهلهم هم السرَوات
قوم اضاعوا مجدهم وتفرّقوا ... فتراهم جمعًا وهم اشتات
لقد استهانوا العيش حتى اهملوا ... سعيًا مغبة تركه الاعنات
ياصابرين على الامور تسومهم ... خسفًا على حين الرجال أُباة
لا تهملوا الضرر اليسير فانه ... ان دام ضاقت دونه الفلوات
فالنار تلهب من سقوط شرارةٍ ... والماء تجمع سيله القطرات
لا تستنيموا للزمان توكلاً ... فالدهر نزاءٌ له وثبات
فالى متى تستهلكون حياتكم ... فوضى وفيكم غفلةٌ وأناة
تالله ان فعالكم بخلافه ... نزل الكتاب وجاءت الآيات
أفتزعمون بان ترك السعي في ... هذي الحياة توكلٌ وتقاة
ان صح نقلكم بذاك فبينوا ... او قام عندكم الدليل فهاتوا
لم تلق عندكم الحياة كرامة ... في حالة فكأنكم اموات
شقيت بكم لما شقيتم ارضكم ... فلها بكم ولكم بها غمرات
وجهلتم النهج السويّ الى العلى ... فترادفت منكم بها العثرات
بالعلم تنتظم البلاد فانه ... لرقيّ كل مدينة مرقاة
ان البلاد اذا تخاذل اهلها ... كانت منافعها هي الآفات
تلك الرصافة والمياه تحفها ... والكرخ قد ماجت به الأزمات
سالت مياه الواديين جوارفًا ... فطفحن والاسداد مؤتكلات
فتهاجم الماآن من ضفتيهما ... فتناطحا وتوالت الأثبات
حتى اذا اتصل الفرات بدجلة ... وتساوت الوَهدات والرَبوات

زحفت جيوش السيل حتى اصبحت ... بالكرخ نازلة لها ضوضاة
فسقت بيوت الكرخ شر مقيءٍ ... منها فقاءت اهلها الايسات
واستنقعت منها المياه فطحلبت ... بالمكث ترغو تحتها الحمآت
حتى استحال الكرخ مشهد ابؤسٍ ... تبكي به الفتيان والفتيات
طرقاته مسدودة ودياره ... مهدومة وعراصه قذرات
يا كرخ عزّ على المروءة انه ... لجج المياه عليك مزدحمات
فلئن اماتتك السيول فانما ... امواجهن عليك ملتطمات
من مبلغ المنصور عن بغداده ... خبرًا تفيض لمثله العبرات
امست تناديه وتندب اربعًا ... طمست رسوم جمالها الهبوات
وتقول يا لابي الخلائف لو ترى ... اركان مجدي وهي منهدمات
لغدوت تنكرني وتبرح قائلاً ... بتعجب ما هذه الخربات
اين البروج بنيتهن مشيدةً ... اين القصور علت بها الشرفات
اين الجنان بحيث تجري تحتها ... الانهار يانعة بها الثمرات
اترى ابو الامناء يعلم بعده ... بغداد كيف تروعها النكبات
لا دجلةٌ بالمرزبة دجلةٌ ... بعد الرشيد ولا الفرات فرات
كان الفرات يمدّ دجلة ماؤه ... بجداولٍ تدقى بها الجنات
اذ بين دجلة والفرات مصانع ... تفترّ عن شنبٍ بها السنوات
يا نهر عيسى اين منك موارد ... عذبت واين رياضك الخضلات
ماذا دهى نهر الرُفيل من البلى ... حيث المجاري منه مندرسات
اذ قصر عيسى كان عند مصبه ... وعليه منه اطلت الغرفات
ام اين بركة زُلزُل وزلاله ... السلسال تسرح حوله الظبيات
يا نهر طابق لا عدمتك منهلاً ... اين الصراة تحفها الروضات
ام اين كرخايا تمد مياهه ... نهر الدجاج فتكثر الغلات
ام اين نهر الملك حيث تسلسلت ... فيه المياه وهن مطردات
قد كان تزدرع الحبوب بارضه ... فتسح فيه بفيضها البركات
ام اين نهر بطاطيا تأتيه من ... نهر الدجيل مياهه المجراة
وله فروع اصلهن لشار ... ع الكبش الجاري منه منتهيات
تنمو الزروع بسقيه فغلاله ... كل العراق ببعضها يقتات

لهفي على نهر المعلى اذ غدت … لا تستبين جنانه النضرات
نهر هو الفردوس تدخل منه في … قصر الخلافة شعبة وقناة
كالسيف منصلتاً تضاحك وجهه … الانوار وهي عليه ملتمعات
اذ نهر بين عند كلواذى به … مُلد الغصون تهزها النسمات
وبقربه من نهر بوق دارة … تنفي الهموم مروجها الخضرات
يا قصر باب التبر كنتَ مقرّنا … والنفي يصدر منك والاثبات
ايام تطلعك العدالة شمسها … وترف فوقك للهدى رايات
ايام تبصرك الحضارة في العلى … بدراً عليك من الثنا هالات
ايام تنشدك العلوم نشيدها … فتعود منك على العلوم صلات
ايام تقصدك الافاضل بالرجا … فتفيض منك لهم جداً وهبات
ايام يأتيك الشكيّ بامره … فيروح عنك وما لديه شكاة
تمضي الشهور عليك وهي انيسة … وتمرّ باسمةً بك الساعات
ماذا دهاك من الهوان فاصبحت … آثار عزك وهي منطمسات
قد ضيعت بغداد سابق عزّها … وغدت تجيش بصدرها الحسرات
كم قد سقاها السيل من انهارها … ضرراً وهن منافع وحياة
واليوم قلت بجانبيها ارّخوا … دفق السيول فماجت الأزمات

بغداد — معروف الرصافي

اليونان

آثينة

الشعب الآثيني

اتيكيا — فاخر الآثينيون لسكناهم ابداً بلاداً واحدة وادعى اجدادهم انهم ولدوا من الرمل كالزيزان . وقد اجتاز الفاتحون من سكان الجبال بالقرب من بلادهم ولم يهاجموها وقلما دعتهم اتيكيا الى قتالها . هذه المقاطعة مؤلفة من جبال شاهقة صخرية نائئة في البحر على شكل مثلث الاضلاع . وهذه الصخور المشهورة بقطع رخامها وبعسل نحلها جرادة مرداء بينها و بين البحر ثلاثة سهول صغيرة قاحلة لا تروى (لجفاف سواقيها في الصيف) ولا تقوم بتغذية امة كبيرة .

آثينة — على فرسخ من البحر في اعظم تلك السهول قامت صخرة عظيمة وحيدة منتصبة وقد أنشئت آثينة في سفحها . اما المدينة القديمة التي كانت تدعى الاكروبول (المدينة العالية) فانها كانت في قمة الجبل . وقد اخذ سكان اتيكيا يتفرقون الى ممالك عديدة فكانت كل قرية تحكم نفسها بنفسها ولها ملك فجمع جميعها تحت زعامته وهو ملك آثينة فيتألفون بذلك مدينة واحدة وليس معنى ذلك انهم كلهم يحطون رحالهم في المدينة . بل يظل كل منهم يسكن قريته ويزرع ارضه . بيد انهم كلهم عبدوا اربابا واحدة وهي آثينة معبودة آثينة وخضعوا باجمعهم لملك واحد .

ثورات آثينة — قد رجعت آثينة فنزعت السلطة الملكية واستعاضت عنها بتسعة زعماء (اركون) يتبدلون كل عام . وانا لنجهل هذا التاريخ كل الجهل اذ لم يبلغنا عن ذاك الوقت اقل كتابة نستند اليها . ويروى ان الآثينيين عاشوا قروناً في شقاق يضطهد اشراف اصحاب الاملاك (اوباتريد) العملة من اصحاب المياومات في اراضيهم ويبيع الدائنون مدينيهم بيع الارقاء . ولقد عهد الآثينيون حباً بتوطيد الراحة الى صولون احد حكمائهم ان يسن لهم قوانين يسيرون عليها فقام بثلاث اصلاحات : اولاً تقليل قيمة السكة وهو مما سهل على المديونين ان يوفوا ما عليهم من اهون سبب . ثانياً جعل الفلاحين ملاكاً للاراضي التي يزرعونها ومن ذاك الحين صار في اتيكيا كثير من صغار اصحاب الاملاك مما لم يعهد مثله في بلاد يونانية . ثالثاً قسم السكان عامة الى اربع طبقات بحسب مداخيلهم وفضى على كل منهم ان يؤدي الضرائب ويقوم بالخدمة العسكرية على نسبة ثروته . اما الفقراء فأعفاهم من الضرائب والخدمة . ولقد خضع الآثينيون بعد صولون الى بيزيستراس احد ابنائهم العالمين العارفين ثم بدأ الاضطراب سنة ٥١٠

اصلاح كليستين — استفاد كليستين احد زعماء الاحزاب من هذه الاضطرابات فقام بثورة عظيمة . ولقد سكن كثير من الغرباء في اتيكيا وكان معظمهم ملاحين وتجاراً يقطنون مدينة بيرا بالقرب من المرفإ . فاعطاهم كليستين حقوق الوطنيين وساواهم بالسكان الاقدمين فصار من ثم في تلك المقاطعة شعبان مختلفان سكان اتيكيا وسكان بيرا وكانا يتميزان احدهما عن الآخر بعد ثلاثة قرون من هذا الاختلاط باختلاف سحناتهم فيشبه اهل اتيكيا سائر اليونانيين ويشبه اهل بيرا الآسياويين . وهكذا زاد الشعب الآثيني فاصبح امة جديدة ومن اكثر سكان بلاد اليونان حركة ونشاطاً حتى اذا كان القرن الخامس تألفت الهيئة الاجتماعية في آثينة تأليفها الاخير فكان ثلاث طبقات من السكان يقطنون اتيكيا الاوهم الموالي والاجانب والوطنيون .

الموالي — الموالي هم السواد الاعظم من اهل البلاد فلم يكن ثمت رجل مهما بلغ من الفقر المدقع الا و يملك مولى. اما الاغنياء فيملكون منهم كتيبة وملك بعضهم نحو خمسمائة مولى وكان من شأن هؤلاء الموالي ان يبقوا في الدور وشغلهم الطحن والعجن وحياكة الثياب ونسجها وطبخ الطعام وخدمة ساداتهم . ويعمل بعضهم في المعامل حدادين وصباغين او يشتغلون في المقالع والمناجم الفضية . ويقوم سيدهم باودهم ولكنه يبيع لنفسه كل ما تنتجه ايديهم ويأتي ثمرة اعمالهم ولا يعطيهم من جميع ذلك الا الطعام . فكان عامة الخدمة والعاملين في المناجم ومعظم الصناع عبيداً وارقاء . يعيشون في المجتمع دون ان يعدوا منه بل لا يتصرفون بانفسهم وهم ملك مواليهم جسماً ومادة . ولم يعتبروا الا اعتبار عروض تملك وربما دعوهم « اجساداً » وليس لهم من شريعة غير ارادة سيدهم . ولسيدهم عليهم كل حق وسيطرة فان شاء شغلهم وان شاء حبسهم وان شاء حرمهم من طعامهم وان شاء ضربهم واذا نشأت لاحد الوطنيين قضية يتأتى لخصمه ان يطلب تعذيب مواليه ليقروا بما يعملون . وقد امتدح عدة خطباء آثينيين هذه العادة وعدوها ضرباً من ضروب الحذق لاخذ شهادة صحيحة . قال الخطيب ايزيه ان التعذيب احسن واسطة لنيل البراهين ولذلك متى كان عليك ان توضح مسألة متنازعاً فيها فاياك ان تعمد الى الاصرار بل انك تصل الى كشف القناع عن محيا الحقيقة بجعل العبدان في العذاب الشديد .

الاجانب — هم ناس من اصول مختلفة يقيمون في اتيكيا وهم الذين يدعون الميتيكيين (اي المتساكنين) . ولم يكف الرجل كما هو الحال عندنا ان يولد في ارض آثينية ليعد وطنياً بل يجب ان يكون ابن وطني . وعبثاً استوطن الطراء في اتيكيا اجيالاً كثيرة وماعدت قط اسراتهم آثينية . فالميتيكيون والحالة هذه لم يكن لهم ان يشتركوا في الحكومة ولا ان يتزوجوا وطنية ولا ان يقتنوا ملكاً على حين كانوا احراراً في اشخاصهم ولهم حق السفر في البحر وان يكونوا صيارف وتجاراً على شرط ان يتخذوا لهم زعيماً ومولى يمثلهم امام القضاء . وكان في آثينة زهاء عشرة آلاف أسرة من الميتيكيين ومعظمهم صيارف وتجار

الوطنيون — اقتضت الحال ان يكون الانسان ابن وطني او وطنية ليكون وطنياً آثينياً ومتى بلغ الفتى الثامنة عشرة من عمره يعد عندهم راشداً فيقف امام جموع الشعب ويدفع اليه السلاح الذي يقضى عليه حمله ويقسم يميناً فيقول : أقسم انني لا اهين هذا السلاح المقدس ولا أغادر موقفي في صفوف الاعداء وان اخضع للحكام والقوانين وأشرف دين وطني . فيكون بهذا الحلف وطنياً وجندياً معاً ويقضى عليه بعدُ ان يخدم في الجندية الى سن الستين وله لقاء ذلك حق الجلوس في مجلس الامة والقيام بوظائف الحكومة وربما رغبي

الشعب الآثيني بجعل رجل وطنياً على حين ليس هو ابن وطني ولكنه يرضى بذلك على صفة استثنائية وتوسعاً في المكرمة العظيمة . فيوافق المجلس على قبول الغريب وينبغي ان ينتخبه على الاقل ستة آلاف وطني بعد تسعة ايام من هذا الاقتراع وفي جلسة ثانية وذلك في انتخاب سري . والشعب الآثيني هو كدائرة مطبقة لا يدخل فيه اعضاء جدد الا إذا رضي الاعضاء القدماء بقبوله على انهم لا يقبلون غير ابنائهم .

المجلس — يلقب الآثينيون حكومتهم بالحكومة الديمقراطية (اي حكومة الشعب) وليس هذا الشعب ما نعني به عندنا من جمهور السكان بل هو جماعة الوطنيين وخلصاء الاشراف وعددهم بين خمسة عشر الفاً الى عشرين الف رجل وهم زعماء الامة بأسرها . ولهؤلاء الجماعة سلطة مطلقة وكلمة عليا وهم على التحقيق ملوك آثينة فان مجلسهم يلتئم ثلاث مرات في الشهر للمفاوضة والاقتراع . يجتمعون في الهواء الطلق في ساحة البينكس فيجلس الوطنيون على مقاعد من حجر ذات درجات ويقعد الحكام بازائهم على مصطبة ويفتحون الجلسة باحتفال ديني وصلاة يصلونها ثم يعلن المنادي بصوت جهوري بالمسألة التي يتناقش فيها المجلس قائلاً من منكم يشرع في الكلام اولاً . ولكل وطني الحق ان يطلب ذلك . وعندها يصعد الخطباء المنبر بحسب تفاوت اعمارهم ومتى تكلموا كافة يضع الرئيس المسألة المطلوبة على بساط البحث فيقترع المجلس بان يرفع اعضاؤه ايديهم ثم ينصرفون .

المحاكم — لما كان الشعب حاكماً فهو يقضي في القضايا لذاته بذاته ولكل وطني بلغ الثلاثين من عمره ان يكون من اعضاء مجلس الحكم فيجتمع الحكام في القاعات الكبرى فرقاً كل فرقة مؤلفة من خمسمائة نسمة . وفي كثير من القضايا يلتئم فرقتان او ثلاث فرق من الحكام فتتألف المحكمة من جمهور يبلغون ألفاً واً لفاً وخمسمائة قاضٍ ولم يكن للآثينيين حكام كما هو الحال عندنا لرفع القضايا بل كانت هذه المهمة من وظيفة الوطني الذي يعهد اليه تجريم المجرمين . فيتمثل المدعي والمدعى عليه امام المحكمة ويخطب كل منهما خطبة تزيد على وقت حُدّد بساعة دقاقة مائية . ثم يبدأ القضاة بالموافقة على وضع حصاة بيضاء او سوداء فاذا توفر للمدعي بضعة آراء (اصوات) زيادة على خصمه يحكم عليه ويجرَّم .

الحكام — كان الشعب الحاكم في حاجة الى مجلس لوضع المسائل موضعها من البحث والى حكام ينفذون ما يقرره ويتألف المجلس من خمسمائة وطني تصيبهم القرعة حولاً كاملاً . واذ كثر عدد الحكام خص عشرة منهم لتعبئة الجيش وقيادته وثلاثون لادارة الشؤون المالية وستون منهم يعهد اليهم خطة الحسبة من النظر في الشوارع ونظافتها والاسواق وباعاتها والاوزان والقياسات وما يتبعها .

منعة هذه الحكومة — لم تكن السلطة في آثينة في ايدي الاغنياء والشرفاء كما كانت في اسبارطة بل كانت تقرر كل مسألة باكثرية الآراء وتتعادل الآراء فيجري انتخاب الحكام واعضاء المجلس والعمال بالقرعة . الا القواد فانهم لا ينتخبون كذلك . والوطنيون يتساوون لا من حيث الامور النظرية بل من حيث الامور العملية . ولقد قال الحكيم سقراط لاحد اهالي آثينة المنورين وكان لا يجرأ على الكلام امام الشعب « ياهذا ممن تخاف ؟ امن القصارين ام من السكافين او المعمارين او الحراثين ام من السوقة والمرتزقين فمن هاته الطبقات يتألف المجلس » وكثيرون من هؤلاء الحكام مضطرون الى الاحتراف ليعيشوا ولم يكن في وسعهم ان يخدموا الحكومة بالمجان ولذلك عينت لهم مشاهرات واجوراً فيتناول كل وطني اجرة جلسة واحدة في المجلس او المحكمة ثلاثة فلوس او خمسة واربعين سانتيماً من سكتنا وهو القدر الذي يتأتى لرجل ان يعيش به في ذاك العصر . من اجل هذا كثر الاعضاء الفقراء في هذه المجالس وجلسوا على دكات المحاكم مع الاغنياء كتفاً الى كتف ووجهاً لوجه .

الفوضويون من الشعب — لما كانت تفصل المسائل برمتها في المجلس او المحاكم بالمناقشة فيها والقاء الخطب في مضامينها كان فصحاء القوم هم ارباب المكانة المكينة في الامة . فاعتادت هذه ان تسمع لاصوات الخطباء وان تعمل بنصائحهم وتعهد اليهم في السفارات وان تعينهم قواداً وزعماء . ويدعى هؤلاء الرجال الفوضويين « او زعماء العصاة » . اما حزب الاغنياء فيضحك منهم . وقد مثل اريستوفان الشعب في احدى الروايات الهزلية في صورة شيخ سخيف فقال : انت غبي تصدق كل ما تسمع تستسلم لاهل النفاق والدسائس يتلاعبون بك على هواهم وتغتبط بالسعادة متى خطبوا فيك . وقال احدهم خطاباً لاحد زعماء الآفاق : انت ياهذا شقي فظ غليظ وصوتك شديد وفي بلاغتك من القحه وفي حركاتك من السرعة ما يؤهلك على ما ارى الى كل ما يلزمك لحكم آثينة .

الحياة المنزلية

اخترع الآثينيون وظائف كثيرة عهد القيام بها الى فئة من الوطنيين . فكان الوطني الآثيني كالموظف والجندي في ايامنا مهتماً بالانصراف الى الاعمال العامة يصرف ايام حياته في اشهار الحرب والحكم على الشعب يقضي ايامه في المجلس او في المحكمة او في الجيش وفي محال الرياضة او في السوق وكان له ابداً امرأة واولاد لان الدين يأمره بذلك ولكنه ما كان يعيش عيش البيوت .

الاولاد — يحق للوالد عندما يولد له مولود ان يطرحه ويطرده خارج بيته فيموت

طريحاً اذا لم يلتقطه احد ابناء السبيل و يربيه ليجعله مولى له . وانت ترى ان آثينة اتبعت في هذا خطة جماع الشعوب اليونانية . والبنات كن يُنبذن في العراء ويُطرحن خارج المنازل اكثر من البنين قال احد الخطباء الهزليين ان الابن يُربى في الغالب ولو كان ذووه في اقصى دركات الفاقة اما الابنة فتهمل ولو كان اهلها من الغنى على جانب . فان قبل الوالد الولد يعد من الأُسرة و يترك اولاً في مساكن النساء بالقرب من الام حيث يظل البنات الى ان يتزوّجن اما البنون فينفصلون عن تلك البيوت في السابعة من عمرهم فيسلم الطفل الآثيني الى المربي الذي يعهد اليه تعليمه وتحسين هيئته والخضوع والطاعة وكثيراً ما يكون المعلم من طبقة الموالي الا ان والد الطفل جعله في حل من ضرب ابنه . وهذه كانت عادة عامة في القديم . ثم يذهب الولد الى الكتاب يتعلم القراءة والكتابة والحساب وانشاد الاشعار والتغني مع جماعة الموسيقيين على نغمات المزمار ثم يأخذ في تعلم الالعاب الرياضية وهذه غاية ما يتعلمه الولد فيجيء من هذا التعليم من ابناء الآثينيين رجال صحيحة اجسامهم هادئة افكارهم يدعوهم اليونانيون اهل الصلاح والجمال . اما الفتاة فتظل بالقرب من امها لا تتعلم شيئاً . ويذهبون الى انه يكفي الابنة الآثينية ان تحسن الخضوع وتتشبث باهداب الطاعة . وقد مثل كسينوفان احد اغنياء الآثينيين المهذبين وهو يخاطب الحكيم سقراطاً في شأن زوجه قال : لم تكد تبلغ الخامسة عشرة حتى تزوّجتها وقد كان ذووها جعلوها الى ذاك العهد تحت المراقبة الشديدة وارادوا ان لا تبقى وتعيش ولا تسمع شيئاً على التقريب مما اهلها لان تكون امرأة تحسن نسج الصوف وتصنع منها ثياباً ورأت باي الطرق يستخدم الاماء والخادمات . ولما اقترح عليها زوجها ان تكون شريكة في حياته اجابته مدهوشة : على اي امر أُعينك وهل انا قادرة على شيء ? فلطالما قالت لي أُمي ان شأني الخاص بي ان اكون عاقلة . فمعنى كون المرأة عاقلة ان تخضع وهذه هي الفضيلة التي تطلب الى المرأة اليونانية .

الزواج — تتزوّج الفتاة في الخامسة عشرة من سنها واهلها يختارون لها زوجها فيكون تارة شاباً من أُسرة قريبة او رجلاً طاعناً في السن من اصدقاء والدها ولا يعدو ابداً ان يكون وطنياً آثينياً وقد تعرفه الفتاة من قبل في بعض الاحوال وما قط أُخذ رأيها في معنى زواجها . ولما تكلم المؤرخ هيرودتس عن احد ابناء يونان قال : ان كالياس هذا جدير بان يتكلم المتكلمون في امره للخطة التي يسلكها مع بناته فانهن متى صلحن للزواج يخولهن من المال شيئاً كثيراً ويسمح لهن باختيار ازواج لهن من ابناء الامة ويزوجهن بهن بتخيّيهم

النساء — كان في داخل كل بيت آثيني مسكن منعزل خاص بالنساء يدعى الحرم

ولا يختلف الى هذا المسكن غير الزوج والانسباء وتبقى فيه ربة البيت دائماً مع صويحباتها واماثها تراقب اعمالهن وتلقنهن اصول تدبير المنازل وتوزع بينهن الصوف لحكته وهي تشغل نفسها بحياكة الثياب ايضاً . وقلما كانت تخرج من دارها الا في الاعياد الدينية ولا تظهر في مجتمعات الرجال قط . قال الخطيب ازيس : حقاً انه لم يكن لاحد ان يجرأ على الغداء عند امرأة متزوجة فان النساء المتزوجات لا يخرجن لتناول الطعام مع الرجال ولا يسمحن لانفسهن ان يأكلن مع الغرباء وغير المحارم . وما كانت المرأة التي تخالط الرجال معدودة في جملة النساء المحتشمات المهذبات . وهكذا لم تكن المرأة وهي على حالها من الاعتزال والجهل ذات عشرة مقبولة فيتزوج بها الرجل لا لتكون شريكة حياته بل لتقوم بأمر بيته وتلد له اولاداً ولان العادة والدين عند اليونانيين يقضيان بان يكون للمرء حليلة . وقال افلاطون اذا تزوّج المتزوج فليس برضاه وذوقه السليم بل لان الشريعة تقضي عليه بذلك. وقال مياندر الشاعر الهزلي هذه العبارة : اذا شئت التحقيق فقل ان الزواج شر ولكنه شر لا مناص منه . ولذا كان ابداً للنساء في آثينة كما في معظم المدن اليونانية مقام وضيع في المجتمع .

الحروب المادية

سببها — بينا كان اليونان آخذين في تنظيم مدنهم كان ملك الفرس يجمع شتات بلاد الشرق كافة تحت لواء واحد . ولقد تقابل اليونان والمشارقة وكان المصاف بينهم لاول الامر في آسيا الصغرى . وكان على شاطيء آسيا مستعمرات يونانية غنية مأهولة فطمع قورش ملك فارس في ضمها الى بلاده فبعثت تلك المستعمرات تستنجد بالاسبارطيين وقد اشتهروا بانهم اجرأ ابناء اليونان وانذروا بذلك قورش فاجابهم بقوله : انني ما خشيت قط هذا الضرب من الناس الذين يجتمعون في ساحة وسط مدنهم ليخدع بعضهم بعضاً بالايمان والعهود (كلامه على ساحة السوق) فغلب ابناء اليونان في آسيا واصبحوا رعايا ذلك الخاقان الاعظم . وبعد ثلاثين سنة تقابل الملك دارا مع يونان اوروبا ولكنهم ظهروا عليه هذه المرة فارسل الآثينيون عشرين سفينة على الايونيين العصاة فدخل جندهم في ليديا واستولوا عنوة على مدينة ساردس عاصمة ليديا واحرقوها . فانتقم دارا عن ذلك بان خرب المدن اليونانية في آسيا ولم يبق على يونان اوربا . وقيل انه امر ان يمثل لديه ضابط في كل مأدبة يكرر على مسامعه قوله : مولاي تذكر الآثينيين . وقد بعث الى المدن اليونانية يطلب تراباً وماء . وهذه الاشارة الشائعة عند الفرس كانت دلالة على ان شعباً يخضع بلاده لسلطة الخاقان الاعظم فاوجس معظم اليونانيين خيفة واستسلموا خاضعين

باخعين فطرح الاسبارطيون المندوبين من الفرس في بئر قائلين لهم ان يأخذوا منها ماء وترابا يحملونها الى ملكهم . وهذه كانت فاتحة الحروب المادية .

مبادلة الخصمين — ان التباين بين هذين العالمين المتحاربين قد اشار اليه هيرودتس احسن اشارة في صورة محاورة بين كسيركيس ملك الملوك وديمارات احد المنفيين من الاسبارطيين فقال هذا : اتجاسر ان أؤكد لك ان الاسبارطيين يعلنون عليك حرباً حتى ولو انحاز سائر ابناء يونان كافة الى حزبك ولو لم يبلغ جيشهم الف رجل . فاجاب كسيركيس ضاحكاً وليت شعري هل في وسع الف رجل ان يشهروا حرباً على هذا الجيش الكثير العدد والعدد واني لاخشى ان يكون في كلامك تحذلق كثير . وهب ان عددهم خمسة آلاف فنحن زهاء الف لقاء واحد . فلو كان لهم زعيم مثلنا فان الخوف يحمسهم و يزيد نفوسهم مضاء فيزحفون بضرب السياط على جيوش اكثر منهم حصاً وعدداً . واذ انهم احرار لا علاقة لهم باحد فليس لهم من الشجاعة اكثر مما خصتهم به الفطرة . يقول ديمارات ان ليس الاسبارطيون دون غيرهم في حرب يتلاقى فيه المتحاربون جسداً لجسد حتى اذا انضموا بعضهم الى بعض صاروا جيشاً برأسه ومن اشجع الناس وامضاهم . وقصارى القول فانهم وان كانوا احراراً في الظاهر ليسوا كذلك في سائر شؤونهم فلهم حاكم مطلق ألا وهو « القانون » فهم يخافونه كثيراً و يرهبون بأسه اكثر من رهبة رعاياك لك . يطيعونه والقانون يأمرهم ان يثبتوا في مصافهم ابداً الى ان يغلبوا او يموتوا — اليك حال هذين الحزبين احدهما مع الآخر فترى من جهة عدداً عديداً من الرعايا تضمهم القوة بزعامة رئيس ذي هوى وشهوات . ومن جهة ثانية جمهوريات صغرى محاربة يحكم ابناؤها انفسهم بانفسهم بقوانين يحتفظون بها و يرعونها .

الحرب المادية الاولى — نشبت حربان ماديتان كانت الاولى بمثابة حملة على آثينة فارسل دارا ستمائة سفينة أنزلت جيشاً فارسياً في سهل ماراثون الصغير على سبع ساعات من آثينة . ولقد كان دين الاسبارطيين يحظر عليهم ان يسيروا قبل ان يكون الهلال بدراً وكان القمر اذ ذاك في الربع الاول فقضي على الآثينيين ان يحاربوا وحدهم فجاء عشرة آلاف من الوطنيين مسلحين سلاح الابطال واقاموا لهم معسكراً امام صفوف الفرس بقيادة عشرة قواد يتناوبها كل منهم يوماً حتى اذا كانت نوبة القيادة لمتيادس عبى جيشه للحرب فهاجم الآثينيون صفوف الاعداء على صفوف مشتبكة فلما رآهم الفرس اقتربوا منهم ولم يجعلوا في مقدمتهم فرساناً ولا دارعين فظنوهم جنوا واضاعوا رشدهم . وهذه هي المرة الاولى التي جسر فيها اليونان على اقتحام صفوف الفرس في حرب منظمة . فطفق الآثينيون يحملون على

جناحي الجيش ويمزقونه كل ممزق ثم رجعوا الى القلب وحملوا الفرس على الهزيمة نحو البحر واضطروهم الى معاودة ركوب البحر وكان من نصرة اليونان في حرب ماراثون ان انقذتهم واطارت صيتهم في ارض يونان كلها (٤٩٠)

حرب مادي الثانية — نشبت الحرب بعد عشر سنين بغارة لجمع كسيركيس بن دارا شعوب بلاده كلهم ويقال ان جيشه البريّ بلغ مليوناً وسبعمائة الف مقاتل مؤلفا من ماديين وفرس لابسين قمصاناً ذات اكمام مسلحين بدروع من حديد واتراس واقواس وسهام ومن اشوريين يلبسون دروعاً من كتان مسلحين بدبابيس محددة الرؤوس ومن هنود يلبسون ثياباً قطنية يحملون اقواساً ونبالاً من خيزران ومن زنوج يلبسون جلد النمور ومن قبائل رحالة ليس لهم سلاح الا ما كان من حبل ذي أنشوطة ومن فريجيين مسلحين بحراب قصيرة واتراس صغيرة ومن ليذيين مجهزين على الطريقة اليونانية ومن تراكسيين يحملون حراباً ومُدى وقد شغل تعداد صفات هذا الجيش عشرين فصلاً في تاريخ هيرودتس . وكان هؤلاء المحاربون يجرون وراءهم جموعاً توازي الجموع المدربة على القتال من خدمة للجيش وموالي من النساء وكثير من البغال والخيل والجمال والعجلات المشحونة بالاثقال ولقد اجتاز هؤلاء الاخلاط هيلسبون على جسر قام من مراكب في ربيع سنة ٤٨١ وظلوا يتابعون سيرهم سبعة ايام بلياليها تحت ضرب السياط ثم اجتازوا تراكسيا وساروا على بلاد يونان يجرون بالقوة وراءهم من يصادفونه من الشعوب فكان الاسطول الفارسي وهو مؤلف من الف ومائتي سفينة حربية يمشي على شواطي، تراكسيا مجتازاً ترعة جبل اتوس الذي خرقه كسيركيس عمداً . فدخل الرعب في قلوب اليونانيين وخضع معظمهم لخاقان الفرس فضموا جندهم الى الجيش الفارسي . وراح الآثينيون يستشيرون هاتف دلفيس فاجابهم اولاً ان آثينة تخرب ويكون عاليها سافلها حتى اذا تضرعوا اليه ان يجيبهم بجواب يبعث على الطمأنينة رد عليهم بقوله : ان زيوس يمنح بالاس (حامية آثينة) جداراً من خشب لا يتأتى الاستيلاء عليه وحده وانكم تجدون فيه سلامتكم انتم وبنوكم . ولقد حث العرافون الذين طلبوا اليهم ان يفسروا كلام هذا الهاتف جماعة الآثينيين على مغادرة اتيكيا وان يذهبوا ليستوطنوا مكاناً آخر . وفسر تمستوكلس جدار الخشب بالمراكب. فقضت الحال اذاً ان يرجعوا على الاسطول ويحاربوا الفرس في البحر.

واذ قد عزم اهل آثينة واسبارطة على المقاومة اخذوا يبحثون في تأليف عصابة من اليونان لحكم على الفرس فاجترأت بعض المدن على الدخول في هذه العصبة وانضموا تحت قيادة اسبارطة ولما نشبت اربع حروب في عام واحد قرروا القتال فسحق الفرس ليونيداس

ملك اسبارطة في الترموبيل وكان معسكرًا لسد فم احد المضايق وضرب الاسطول اليوناني الاسطول الفارسي في سلامينة وكان هذا مجتمعاً في خليج يزحم بعضه بعضاً (٤٨٠) وبدد ابطال اليونان في بلاتيه الجيش الفارسي الذي بقي في بلاد اليونان ولم ينج من ثلثمائة الف رجل سوى اربعين الفاً ونزل في ذاك اليوم جيش يوناني في ميكال على شاطيء آسيا وهزم الفرس (٤٧٩) وهكذا غلب اليونان الخاقان الاعظم صاحب فارس ·

صحف منسية

كتاب الاشربة — لابن قتيبة

عني بنشره المسيوارتوركي

احد علماء المشرقيات

وحدثني محمد بن داود عن نصير عن سنان عن جعفر قال : سمعت مالك بن دينار وسئل عن النبيذ فقال : انظر ثمن التمر من اين هو · اراد مالك انه يجب على المستفتي عن النبيذ حلال هو ام حرام ان يتنزه عما لا اختلاف فيه من اكتساب الحرام الذي هو ثمن التمر ثم يسأل بعد ذلك عن النبيذ المختلف فيه · قالوا : فلو كان عند خمر ما توقف هذا التوقف(١) ·وقد يحتمل ان يكون اراد : إن كان ثمن التمر حلالاً كان النبيذ الذي اتخذ منه حلالاً وان كان ثمن التمر حراماً كان النبيذ الذي اتخذ منه حراماً · فان كان ذهب هذا المذهب فالخبز واللباس والادام على هذا ٢) السبيل عنده تحل ان طابت المكسبة وتحرم ان خبثت · وعوتب شعيب (٣) بن يزيد في النبيذ فقال : اما انا فلا ادعه حتى يكون شر عملي · يريد انه قد يأتي ما هو اشر من شربه وان الواجب على من اراد اصلاح نفسه والانتقال الى طهارة التوبة ان يبدأ بالاخبث فالاخبث من عمله والاعظم فالاعظم من ذنوبه فينزع عنه فاما ان يدع التزوج بالاماء لما كره منه وهو يزني او يترك الشرب في آنية الذهب لما نهي عنه من ذلك وهو يشرب الخمر في العساس فهذا من السخف وافراط الجهل وقال ابو العالية الرياحي اشرب النبيذ ولا تمزز والتمزز ان يشرب قليلاً قليلاً وهو مثل التمزز · واراد ابو العالية ان يشربه دفعة واحدة للري ولا يناقل الاقداح ويتابعها ليسكر وقيل لمحمد بن واسع : اتشرب النبيذ؟ قال نعم · قيل : وكيف تشربه ؟ قال على غداي

(١) في الاصل توقيف(٢)في الاصل هذه (٣) في العقد سعيد بن زيد

وعشاي وعند ظمائي . قيل فما تركت منه ؟ قال التكاءة ومحادثة الرجال.(١) قال المأمون اشرب النبيذ ما استبشعته فاذا سهل فاتركه . فاراد انه يسهل على شاربه اذا اخذ في الاسكار . وقيل لسعيد بن سالم (٢) : اتشرب النبيذ ؟ قال لا . وقيل لم ؟ قال تركت كثيره لله وقليله للناس . حدثني محمد بن عبيد عن ابراهيم بن ابي بكر بن عياش . قال : صام عمي الحسن بن عياش خمسين حولاً متتابعة فكان لا يفطر في السنة الا خمسة ايام كان ابي يصنع ايام التشريق طعاماً بكثرة وتجودة ويدعو الفقهاء ومشائخنا فيتغدون مع ابي ويسقيهم او قال من اراد منهم النبيذ الصلب ؟ وكان سفيان الثوري يشرب النبيذ الصلب الذي تحمر منه وجنتاه واحتجوا من (جهة) (٣) النظر بان الاشياء كلها حلال الا ما حرمه الله . قالوا فلا نزيل يقين الحلال بالاختلاف ولو كان المحللون فرقة من الناس فكيف وهم اكثر الفرق ؟ واهل الكوفة جميعاً على التحليل لا يختلفون . حدثني اسحق بن راهويه قال سمعت وكيعاً يقول : النبيذ احل من الماء ولم يكن احد من الكوفيين يحرمه غير ابن ادريس وكان بذلك عندنا معيباً . وقيل لابن ادريس : من خيار اهل الكوفة ؟ فقال هؤلاء الذين يشربون النبيذ . قيل : وكيف ذلك وهم يشربون من يحرم عندك ؟ فقال : ذلك مبلغهم من العلم . وقال لنا اسحق : عيب وكيع بقوله : هو احل من الماء لانه ان كان حلالاً فهو بمنزلة الماء فكيف جعله احل منه ؟ ونحن نقول انه ليس يلحق وكيعاً في هذا الموضوع عيب ولا يرجع عليه منه عتب لان كلمته خرجت مخرج كلام العرب في مبالغتهم في الوصف واستقصائهم بالمدح والذم يقولون هو اشهر من الصبح واسرع من البرق وابعد من النجم . وليس ذلك بكذب لان السامع له يعرف مذهب القائل فيه وكلهم متواطئون عليه كذلك قوله هو احل من الماء يريد المبالغة في وصفه بالتحليل . وانما عاب اهل الكوفة ابن ادريس بمخالفته اهل بلده وتغليظه ما ترخصوا فيه . وحدثني محمد بن عبدالله عن ابراهيم ابن ابي بكر بن عياش قال : قلت لابن المبارك : من اين جئت بهذا القول في كراهتك النبيذ ومخالفتك المشائخ واهل المصر ؟ فقال : هوشيء اخترته لنفسي . قلت : فنعيب من شربه ؟ قال لا . قلت (انت) (٤) وما اخترت لنفسك ! وقال عاصم بن ابي النجو : لقد ادركت قوماً يجعلون هذا الليل جملاً يشربون النبيذ ويلبسون المعصفر فهؤلاء اهل الكوفة واكثر اهل البصرة على مثل مذهبهم . وكان عبدالله بن داود يقول : ما هو عندي وماء البركة (٥) الا سواء . وقال القطعي : قال لي عبدالله بن داود : لا بأس ان يشربه الرجل على اثر

(١) في العقد الاخوان (٢) في العقد ابن اسلم (٣) عن العقد (٤) عن العقد (٥) في العقد ماء الفرات

الطعام كما يشرب الماء . وقال : اكره ادارة القدح واكره نقيع الزبيب واكره المعتق واكره نبيذ السقاية . وقال : من ادار القدح لم تجز شهادته . قالوا : وكان كثيراً من الحجاز يترخص فيه حتى غلط فيه مالك وحدَّ في الرائحة والرائحة قد تلتبس وتشتبه بغيرها وكيف يخرق ظهور المسلمين على الظهور وظهر المسلم حمى لا يباح الا بيقين وقد يأكل الرجل الكمثرى والتفاح والسفرجل ويشرب المشبه (١) النبيذ فيوجد منه رائحة النبيذ وكان الاقيشر (٢) أُخذ وقد شرب وأُستنكه فوجدوا منه رائحة نبيذ ظاهرة فقال (طويل)

يقولون لي انكه قد شربت مدامة فقلت لهم لا بل اكلت سفرجلا

وقالوا : وجدنا الناس ثلاثة اصناف اصحاب الرأي وهم جميعاً مجمعون على تحليله ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد وكل من سلك سبيلهم واصحاب الحديث واكثرهم على التحليل . واصحاب الكلام وهم ايضاً على ذلك وكيف نزيل يقين التحليل بطائفة من الناس ؟ قالوا : ومثل النبيذ مثل نهر طالوت . حدثني شبابة (٣) قال : حدثنا غسان بن ابي الصلاح (٤) الكوفي عن ابي سلمة يحيى بن دينار عن ابي المطهر الوراق قال : بينما زيد بن علي على بغلة له (٥) بصر برجل من اصحابه محجل (٦) الازار على قميصه ردع من زعفران فقال له مَهيم (٧) فقال له يا ابن رسول الله اني اعرست وقد احببت ان تكرمني بدخول منزلي . فثنى رجله ونزل فاخذ صاحب المنزل بيده فأدخله منزله واقعده على الحجلة فما استكبر ذلك واتي بطعام . وبلغ الشيعة مكانه فازدحموا على مائدته فطعم وطعم القوم ثم انه عطش واستسقى فأُتي بعس فيه نبيذ فكرع فيه ثم قطب ثم دعا بماء فكسره ثم شرب وناولني وكنت عن يمينه فشربت وناولت الذي عن يميني ودار العس على القوم جميعاً فقلت له : يا ابن رسول الله حدثنا بحديث سمعته من آبائك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبيذ قال : حدثني ابي عن جدي عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لتنزل امتي منازل بني اسرائيل حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو ان رجلاً من بني اسرائيل نكحت نساؤها في الاسواق لكان في امتي من يفعل ذلك . الا وان الله ابتلى بني اسرائيل بنهر طالوت احل منه الغرفة وحرم منه الري الا وان الله جعل فيكم النبيذ احلَّ منه الريَّ وحرم منه السكر . وقالوا :

(١) لا نقط في الاصل على الشين ولا تحت الباء (٢) هو المغيرة بن الاسود بن وهب احد بني اسد بن خزيمة بن مدركة وهو من اتراب الفرزدق (٣) في العقد شبابة (٤) في العقد صباح (٥) زاد في العقد في بعض ازقة الكوفة (٦) كذا في الاصل (٧) قال ابو عبيدة مهيم كلمة يمانية معناه ما امرك وما الذي ارى بك ونحو هذا من الكلام . الجوهري مهيم كلمة يستفهم بها معناها ما حالك وما شأنك (لسان العرب)

لم يحرم الله شيئاً الا وقد جعل منه عوضاً في مثل معناه فلو كان النبيذ خمراً ما كان العوض من الخمر وانما خلق الله الاقوات والثمرات قدراً لحاجة الناس اليها فلو كان النبيذ خمراً ما كان يصنع بالتمر والزبيب والدوشاب (١) واشباه ذلك مما لو ترك الناس اتخاذ الشراب منه لبار وفضل اكثره من ما كل الناس وحاجتهم وقولوا: والله لا يحرّم شيئاً الاّ لعلة الاستعباد ولو كان تحريم الخمر للسكر لم يطلقها الله تعالى للانبياء والامم فقد شربها نوح عليه السلام حين خرج من السفينة واعترس الحبلة (٢) حتى سكر منها وبدت عورته وشربها لوط وشربها عيسى عليه السلام ليلة رُفع وشربها المسلمون في صدر الاسلام. وقالوا: واما قولهم ان الخمر ما خمر والمسكر مخمر فهو خمر مثله فان الاشياء قد تتشاكل في بعض المعاني فيسمى بعضها بعلة فيه وهي في آخر ولا يطلق ذلك الاسم على الآخر الا ترى ان اللبن يخمر بروبة تلقى فيه ويترك حتى يروب ولا يسمى اللبن خمرا وان خمير العجين يسمى خميراً ولا يسمى هو ولاما خمر به من العجين خمراً (٣) وان نقيع التمر (يسمى) سكراً لاسكاره (٤) ولا يسمى غيره سكراً وان كان يسكر وهذا اكثر في كلام العرب من ان نحيط به. وقالوا: واما قولهم للرجل مخمور وبه خمار اذا اصابه الصداع والارعاش عقب الشراب فان ذلك قد يقال لمن اصابه مثله في النبيذ فيقال: به خمار ولا يقال: به نباذ فان الخمر اسم قديم وكانت الجاهلية تعرفه وتلفظ به من الخمر والنبيذ محدث اسلامي لم تكن العرب في الجاهلية تعرفه وكان شَرَبة النبيذ من السلف لا يبلغون السكر ولا يقاربونه فيصيبهم عليه ما كان يصيب شربة الخمر من الخمار وانما كانوا ينالون منه اليسير على الغداء والعشاء ثم خلف من بعدهم خلف يشربون الخمر ولم يتهيبوا من المسكر فقيل: بهم خمار على ما سبق من الاسم المتقدم ولو كان الله حين احل النبيذ احلّ منه السكر الذي يكون منه الخمار وكان شَرَبة النبيذ من الصحابة والتابعين سكروا فاصابهم ذلك للزمنا ان يقال به نباذ او لا يقال فيجب ماذهبوا اليه. وقد فرقت الشعراء بين النبيذ والخمر. قال الاقيشر وكان مغرماً بالشراب (طويل)

وصهباء جرجانية لم يطف بها ... حنيف ولم تنعر (٥) بها ساعة قدرُ

اتاني بها يحيي وقد نمت نومة ... وقد غارت الشعرى وقد خفق النسر

فقلت اصطبحها او لغيري فاهدها ... فما انا بعد الشيب ويلك (٦) والخمر (٧)

---

(١) فارسي هو عسل التمر والدوشابي هو النبيذ المتخذ منه (٢) كذا في الاصل اعترس الحبلة بلا نقط (٣) في الاصل خميراً (٤) في الاصل: وان نقيع التمر سكار الاسكارة صححناه على العقد (٥) في كتاب الشعر والشعراء لم تنفر وفي العقد لم تغل (٦) في الاصل ربك (٧) هذه الابيات في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وبعدها بيتان جاءا ايضاً في العقد وهما

فاعلمك ان الخمر هي التي لم تغل بها القدور . وقال ابوزيد في الوليد بن عقبة حين عزله عثمان عن الكوفة بشهادة اهلها عليه بشرب الخمر (خفيف)

قولهم شربك الحرام وقد كا ن شراب سوى الحرام حلال

يريد انهم زعموا انك تشرب الخمر وقد كان هناك شراب حلال من النبيذ ويروى * وقد كان حلالاً سوى الحرام قالوا *

يريد كان شراب من النبيذ حلال قالوا عنه وقذفوك بشرب الخمر . ولم نحتج بالجوزيد وهو نصراني لانا رأيناه حجة في تحليل او تحريم وانما اردنا انه اعتذر له الى عثمان والى الناس بهذا القول ولم يكن ليعتذر الاّ بما لاينكر الناس . قال جميل بن معمر (١) (خفيف)

فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله

اتكأنا — طعمنا . ومنه قول الله تعالى . (واعتدت لهن متكا (٢) وشربنا الحلال يعني النبيذ والقلل جمع قلة وهي جرار يكون فيها النبيذ . قال الشاعر (طويل)

وقد كان يسقى من قلال وحنتم

ولما دُخل على الوليد ليقتل قال لهم : ما تنكرون مني ? الم افعل ? وجعل يعدد احسانه اليهم . قالوا : ننكر منك شرب الخمر ونكاح امهات اولاد ابيك . فقال : قد جعل الله فيما احلّ سعة عما تذكرون . وقال : (طويل)

دعوا لي سليمى والنبيذ وقينة وكأسا ألا حسبي بذلك مالا
خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم ثباتا يساوي ما حييت عقالا
اذا ما صفا عيشي برملة عالج(٣) وعانقت سلمى لا اريد بدالا(٤)

افما تراه حين اعتذر فرق بين الخمر والنبيذ وقال : قد جعل اللهُ لي فيما احلّ من النبيذ

اذا المرء وفى الاربعين ولم يكن له دون ما يأتي حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي اتى وان جرّ ارسان الحياة له الدهر

وبعدها : وكان له (الاقيشر) جار صالح يقال له يحيي فقال : يافاسق انا انيتك بها ? فقال : سبحان الله ما اكثر يحيي في الناس ! (١) هو جميل بن عبدالله بن معمر العذري احد عشاق العرب المشهورين صاحبته بثينة عاش في ايام معاوية(٢) سورة يوسف آية ٣١ (٣) رملة عالج او رمل عالج ارض تحيط باكثر ارض العرب تصل الى الدهناء (اي ما بين اليمامة والبصره) وما يلي وادي القرى وتيماء من الحجاز (عن معجم البكري بتصرف) (٤) جاءت هذه الابيات في العقد اولها مؤخر وثانيها مقدم وبدل الثالث :

ابا الملك ارجو ان اخلد فيكم الا رب ملك قد ازيل فزالا

سعة عن شرب الخمر وفيما احل من النساء سعة عن نكاح الامهات . وكان ابو الهندي الشاعر مغرماً بالخمر فعاتبته ابنته على ذلك و وعظته فاعلمها انه غير صابر وانه ان تركها اعتل فقالت له : اشرب نبيذ التمر فشربه ثم عاد الى الخمر وقال : (طويل)

أأشرب تمراً ابتفخ البطن منتناً واتركها صهباء طيبة النشر

وقال بعض الاشراف وكان ركبه الدين وخفت حاله (وافر)

ان يك ياجناح عليَّ دين فعمران بن موسى يستدين
تلم بنا الخصاصة ثم تعفي على اقتارنا حسب ودين
فما يعدمك لا يعدمك منا نبيذ التمر واللحم السمين

اما تراه وصف نفسه بالحسب والدين ثم ذكر انه لا يترك اقامة اللحم ونبيذ التمر لاضيافه ولو كان نبيذ التمر حراماً ما وصف نفسه بالحسب والدين ثم قرن ذلك بشرب الخمر . واراد عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وقال يحيى بن نوفل اليماني (١) (وافر)

ويغتبقان الشراب الذي يحل به الجلد للجالد
شراب يوافق فهر اليهود ويكره للمسلم العابد

يريد انهما يغتبقان الخمر الذي يوجب شربه الحد ثم تنبه فقال يوافق فهر اليهود ويكره للمسلم العابد فهذا يدل على ان غيره لا يكره له ولا يوجب الحدّ . وفهر اليهود هو موضع مدارسهم الذي يجتمعون فيه ومنه حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه رأى قوماً يصلون قد سدلوا ثيابهم فقال : كأنهم اليهود خرجوا من فهرهم .

وهذا ابو نواس شاهد الناس على شيء فقال . (رمل)

يا ابنة القوم اصبحينا ما الذي تنتظرينا
قد جرى في عوده الما ء فأجري الخمر فينا
انما نشرب منها فاعلمي ذاك يقينا
كل ما كان حلالا لشراب الصالحينا

قال : واما قولهم الخمر رجس فقد صدقوا في اللفظ وغلطوا في المعنى ان كان ارادوا انها نتن لان الخمر ليست منتنة ولا قذرة الا بالتحريم فانه اوجب التنفير منها . قال الاخطل وذكر الخمر (بسيط)

كأنما المسك نهباً بين ارحلنا مما تضوّع من ناجودها الجاري (٢)

---

(١) شاعر كان الحجاج بن يوسف يجري عليه الرزق وقد تقدمت له ابيات في هذا الكتاب (٢) في العقد

كأنما المسك رهناً بين ارحلنا وقد تضوّع من ناجوده الجادي

وقال آخر . (كامل)

فتنفست في البيت اذ مزجت   كتنفس الريحان في الانف

مطبوعات ومخطوطات

الدليل في موارد اعالي النيل

ألف هذا الكتاب السير وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية في مصر وعربه ابراهيم مصوّر بك رئيس الترجمة في هذه النظارة . وقد جمع فاوعى في وصف كل ماله علاقة بالنيلين الابيض والازرق من منطقة البحيرات في اواسط القارة الافريقية حتى بلاد السودان . صرف المؤلف سنين في الرحلة الى تلك البلاد ووصف احوالها الطبيعية والجيولوجية وامدته الحكومة بالنفقات الطائلة التي لا تقوى عليها الا الدول العظمى وساعده في مهمته بعض رجال الري والعلماء المختصين في هذا الفن فجاء ما كتب دليلاً على جودة البحث والاستقراء . والكتاب في ٦٣٦ صفحة كبيرة من اجود الطبع والورق وفيه ماعدا المحققات وذكر ما يمكن القيام به في المستقبل من الاعمال في سبيل زيادة الانتفاع بمياه النيل رسوم شمسية في الاماكن والجبال والجداول والانهار التي يمر بها هذا النيل وهي ٤٦ رسماً متقناً . ومن تلاه بالامعان الذي يستحقه يدرك عناية الافرنج في اشباع مصنفاتهم وصرف اقصى الهمة الى تحسينها واتقانها ويدرك مبلغ اهتمام المترجم بنقل هذا الكتاب الفني الذي يهم العربية نقل امثاله من اللغات الافرنجية .

هذا السفر المفيد شاهد عدل على اتساع صدر العربية لترجمة عامة العلوم والفنون بلغة بليغة لا تشوبها شائبة العجمة وتنطبق على الاصل المنقول عنه ولا نغالي اذا قلنا ان لغة الدليل هي من اصح الانشاء بلاغة وتحريراً فان كان ابن النيل لا يجد مندوحة من تناول هذا الكتاب ليعرف سر ماء يرويه فان ابن غير هذا الوادي يجب عليه ان يتناوله ليتخذه انموذجاً في التعريب الصحيح كما يستفيد منه الفوائد العلمية والفنية التي تكثر في كل صفحة من صفحاته . ولو نقل كل شهر الى هذا اللسان كتاب استوفى شروط التأليف على الصورة التي ذكرناها في فرع من فروع العلم التي لا عهد بها للعربية لما اتت عليها بضع سنين الا وهي تحاكي ارقى اللغات العلمية الاوربية .

ومن تصفح كتاب الدليل ممن عانى صناعة التعريب يتجلى له ما عاناه معربه في نقله

وخصوصاً بعض المصطلحات التي عمد الى بحر اللغة واغترف منه الفاظاً عربية قابل بها المفردات الافرنجية وهي تربو على مئة لفظة ومعظمها مما لم يدر على السن الكتاب والمعربين .

تاريخ الاستاذ الامام

هو اسم تاريخ فقيد الشرق الشيخ محمد عبده جمعه له مريده السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر في ثلاث مجلدات كبيرة الاول في سيرته وهو لا يزال تحت الطبع والثاني في منشآته وهو يحتوي على بعض رسائله ومقالاته التي نشرت في الجرائد والمجلات ولوائحه في اصلاح التربية والتعليم الديني ورسائله الى العلماء والأدباء وحكمه المنثورة وهو في ٥٦٠ صفحة من قطع الثمن وقد قدم له مؤلفه مقدمة بين فيها منزلة المرحوم المفتي من العلم والعمل ثم اخذ في نقل بعض ما خطته يراعته في خلال حياته على اختلاف اطوارها ومن تلاه يدرك قدر الفقيد العزيز . والجزء الثالث وهو في ٤٣٨ صفحة من قطع الثمن ايضاً يحتوي على تأبين الجرائد وبعض الكبراء والفضلاء ونموذج من التعازي ومراثي الشعراء وفيه شيء كثير من ذكر العواطف يدل على مكانة من وضع التاريخ له في قلوب مريديه واحبابه على اختلاف الامصار والافكار وفي هذا الجزء مثال من شعر العصر ونثره في موضوع واحد وهو الرثاء وتقييد المناقب والآثار .

وثمن الجزء الثاني خمسة عشر قرشاً صحيحاً في مصر وأجرة البريد ثلاثة قروش وفي الخارج ستة فرنكات وثمن الجزء الثالث عشرة قروش صحيحة وثلاثة اجرة البريد واربعة فرنكات في سائر الاقطار ويباعان بمكتبة المنار في شارع درب الجماميز وهما من جيد الطبع والورق . فنثني الثناء الاطيب على حسن وفاء رصيفنا جامع هذا التاريخ وعلى ما بذله من الهمة العالية في وضعه وجودة تنسيقه حتى جاء كتاب ادب وحكمة وكنا نود الاقتباس منه لنفع القراء لولا معرفتنا بانه سينتشر انتشاراً عظيماً في عامة الاقطار والامصار .

لوائح الانوار البهية

كتاب للشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثري الحنبلي من اهل القرن الثاني عشر يتضمن شرح منظومته التي ضمنها امهات مسائل عقائد السلف وهو في مجلدين الاول في ٣٨٨ صفحة والثاني في ٤٨٨ صفحة طبعهما على نفقته طبعاً متقناً بعض الراغبين باتحاف الخلف بآثار السلف وذلك في مطبعة المنار وبملاحظة صاحبها الفاضل وقد وشحه بفهرست مرتب على الحروف يتيسر به الوقوف على محتويات الكتاب فنحث الاثريين على اقتنائه ونشكر لطابعه ومصححه عنايتهما .

مؤلفات السيد البكري

سماحة السيد محمد توفيق البكري نقيب الاشراف هو من بيت مذكور بالشرف في مصر وهو معروف باشتغاله بالعلم والادب وقد طبع في هذه الايام خمسة كتب ممتعة في بابها احدها سماه صهاريج اللؤلؤ وهو سفر وقع في ٣٨٨ صفحة بقطع الثمن جيد الطبع جمع فيه كثيراً من نثره ونظمه الرائق وسلك فيه مسلكاً جديداً في الوصف جمع الى فخامة اللفظ براعة المعنى وشرحه الشيخ احمد الشنقيطي والشيخ محمد المصري شرحاً ضافياً . والثاني كتاب التعليم والارشاد جمعه بعض رجال الصوفية في عصرنا بامره وهو في ٦٦٧ صفحة وفيه ما لا يسع الصوفية جهله من المسائل . والثالث كتاب بيت السادة الوفائية تأليف سماحته واسمه يدل على مسماه ذكر فيه تراجم ما اشتهر من هذا البيت ومناقبهم . والرابع كتاب بيت الصديق تأليفه ايضاً نقل منثوره من اسفار عديدة استقصى فيه تاريخ هذا البيت الظاهر مكانه في الاسلام وهو في ٤١١ صفحة من قطع الثمن . والخامس كتاب المستقبل للاسلام وهو من قلم المؤلف ايضاً ذكر فيه ما يتعلق بهذا الشأن فنثني على همة المؤلف ونرجو ان يواصل اتحاف القراء بمثل ما اتحفهم به من هذه الآثار الرائعة .

مجموعة

هي مجموعة مشتملة على الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام ابن تيمية وعلى كتاب الحيدة للامام عبدالعزيز الكناني وعلى عقيدة السلف لابن سهيل الصابوني وهذه الرسائل الثلاث ممتعة في بابها ولا سيما رسالة الحيدة فانها صورة مناظرة جرت في حضرة امير المؤمنين المأمون في مسألة خلق القرآن بين عبدالعزيز الكناني و بشر المريسي وكان المأمون هو الحكم فابان عن فضل جم وانه كان يقصد بمسألة خلق القرآن التي شغلت بعض العلماء في آخر عهده تحقيق حقيقة علمية لا الانتصار لنفسه او لما وقع في ذهنه وهذه الرسالة اعظم مثال في الحرية العربية . طبعها الحاج مقبل الذكير وجعلها وقفاً لا يباع ولا يشرى بمعرفة فرج الله افندي زكي الكردي الكتبي المعروف في القاهرة بجمالية في ٢٦٤ صفحة جيدة الشكل

الجامعة الاسلامية واوربا

هي رسالة تأليف رفيق بك العظم صاحب كتاب اشهر مشاهير الاسلام وغيره من المصنفات الاجتماعية بحث فيها بحثاً تاريخياً في الجامعة الاسلامية وذكر فيها للمتعصبين من ساسة الاوروبيين تحاملهم على بلاد الاسلام بالبراهين التاريخية الدامغة ونصح فيها للشرقيين والغربيين نصيحة من خبر الامور الحاضرة وقاسها بالغابرة وهي في ٥٨ صفحة جيدة الطبع والوضع

الانسان ابن التربية

كتاب ادبي اخلاقي انتقادي لجرجي افندي نقولا باز المعروف بمقالاته الاجتماعية والاخلاقية وفيه مباحث مفيدة مثل محاسن العصر ومساوىء الحضارة وسوء التربية والوالدين والتربية البيتية والاجتماعية وغير ذلك مما ينفع ارباب البيوت ويؤثر في عقول الناشئة وهو في مئة صفحة اهداه لرصيفنا صاحب الهلال جرجي افندي زيدان وصدره برسمه وطبعته جمعية شمس البر في بيروت وخصصت ريعه لاعمالها الادبية ٠

عبد القادر الجيلاني

هي نبذة في ترجمة هذا العالم نشرها بالعربية والانكليزية الاستاذ مرجليوث مدرس العربية في كلية اكسفورد جمعت فاوعت في هذا الباب وقد نشرت ملحقة في المجلة الآسياوية الانكليزية ٠

التقية في الاسلام

رسالة من قلم الاستاذ غولدسهير مدرس العربية في كلية بودابست كتبها بالالمانية ونشرت ملحقاً للمجلة الالمانية المشرقية اهدانا اياها مؤلفها عقيب ان اطلع على مقالة التقية في الجزء الثالث من هذه السنة وسنعود الى الاقتباس منها ما لم نحصل عليه من النقول

مقالات قصر الدوبارة

كتاب في ١١٠ صفحات طبعه عبدالله افندي حسين وصالح افندي شكري حوى مقالات كتبتها جريدة المؤيد في اللورد كرومر وسياسته وخطابه الوداعي ورد المؤيد عليه وغير ذلك مما له صلة بهذا البحث وقد احسن طابعاه في نشره على هذا الشكل الجميل فان هذه المقالات من خير ما خطته يراعة كاتب سياسي في معنى الدفاع عن امته وبلاده وهو يطلب من طابعيه في دار المؤيد ٠

لبنان في خمس سنين

هو كتاب وقائع في ١٤٠ صفحة شرح فيه كاتبه ما حدث من الحوادث والاخبار في جبل لبنان في عهده الاخير شرحاً ضافياً يستعان به في المستقبل على وضع تاريخ مفصل لهذا الجبل فجاء ما كتبه الكاتب اشبه بالاخبار اليومية لابن بدير في القرن الثاني عشر في دمشق والجبرتي في القرن الثالث عشر في مصر هذا مع سلاسة في التعبير وتلاعب بالالفاظ والمعاني يدل على بعد غور الكاتب وحسن بيانه

اطباق الذهب

لشرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله المغربي الاصفهاني مائتا مقالة ومقالة في الحكم والمواعظ على طريقة السجع البديع شرحها الشيخ محمد منير المقدم في الازهر وضبطها بالشكل الكامل وطبعها طبعاً جيداً فجاءت في زهاء ١٥٠ صفحة صغيرة ·

رواية الخادعين

هي احدى روايات احمد مدحت افندي الكاتب التركي عربها حقي بك العظم صاحب كتابي دفاع بلفنا وحرب اليونان وهي تمثل صورة من المدنية الاسلامية في القرن الاول نشرت ملحقة لجريدة الكلمة الحرة وتباع باربعة قروش في مكتبة القاهرة

الدقائق في الحقائق

« افكاري عن النفس والروح ثم القدرة الالهية والاديان تأليف يعقوب (افندي) جبرائيل مراد » وهو في ١٢٦ صفحة جيدة الورق ·

نسمات الصباح

هذه نبذة من شعر حلمي افندي مصري صدرها بنبذة بالشعر والعرب وضمنها مقاطيع وتخاميس وقصائد عرب بعضها عن الافرنسية ونظم بعضها في اغراض عصرية لطيفة فجاءت في ٦٤ صفحة صغيرة ·

اكاذيب السياسة

كراسة في الرد على خطبة اللورد كرومر التي القاها في حفلة وداعه التي اقيمت بامره في دار التمثيل الكبرى بالقاهرة مساء ٤ مايو سنة ١٩٠٧ تأليف « ابنة النيل » وهي فتاة مصرية لم تصرح باسمها وعدد صفحاتها ٧٨ صفحة صغيره

سبر العلم

سكة حديد جديدة

اخترع مهندس ايرلاندي اسمه لوي برنان بعد ان صرف سنين طويلة في النظر والبحث طريقة جديدة لتسيير مركبات السكك الحديدية اذا سلمت له من كل وجه فانها تقلب اصول النقل المتبعة الآن في اقطار الارض واختراعه عبارة عن تطبيق ناموس الجيروسكوب (هي آلة اخترعها فوكول سنة ١٨٥٢ ليستدل بها على دوران الارض) على مركبات السكك الحديد بل على جميع المركبات كمركبات الاتوموبيل وغيرها . فالسكة الجديدة تسير اذاً على خط واحد فتوفر نفقات كثيرة وليس فيها ادنى خطر وتسير بالكهربائية لا بالبخار .

التصوير بالالوان

منذ اربعين سنة اخترعت طريقة التصوير بالالوان وما برحت تتعاور بالعناية لتبلغ كمالها وقد وفق رجل فرنساوي هذه الايام اسمه لوميير فاخترع طريقة جديدة اقتصادية لرسم الالوان الطبيعية كلها على اجمل وجه يتصوره العقل .

الانتفاع بالفطر

الميكولوجيا هي فرع من فروع علم النبات خاص بمعرفة انواع الفطر . وتقسم ضروب الفطر الى نوعين وهما النوع المريء الجيد والنوع السام الضار . ولما كان الفطر يكثر في تارار من اقليم الرون في فرنسا رأت جمعية تعليم العامة ان تنشيء لها في تارار مكتباً لمعرفة الجيد من هذا النبات من رديئه وكل من جنى فطراً واتى به ذاك المكتب يفحصه له و يعطيه ورقة باسمه فكان الفطر بذلك لاهالي ذاك الاقليم الجبلي منذ ثلاث سنين اعظم مورد لهم يقتاتون منه و يبيعون ما فضل منه وتساوت في معرفة جيده من رديئه الطفلة والشيخ الكبير ولم يعد احد يتسمم ببعض انواعه .

سم الغضب

ثبت للاستاذ غاتس من واشنطون ان للغضب الذي يثور في رؤوس الناس سماً كما ان للحزن سماً خاصاً به وللخوف كذلك . ذلك لان التغييرات الباطنية مهما كانت جنائية او زائلة يكون منها رد فعل على المجموع العصبي فنفس الشخص الغضبان او السوداوي يختلف بلونه عن نفس السوداوي الكئيب ولكي يثبت ذلك جعل بعضهم يتنفسون في انبوب برّد بالجليد ليتحل النفس المستنشق فيه فجاء منه سائل لا لون له عند ما كان المتنفس في الانبوب

ساكناً غير مضطرب ٠ وسائل اسفع اذا كان المستنشق غضوباً وسائل اسود اذا كان حزيناً وسائل وردي اذا كان وجدانه يتألم ٠ وقال ان نفس الغضب اذا سال على الطريقة التي ابتدعها يكون فيه كمية من القوة الحيوية ومواد كيماوية اذا ابتلعها المرء نورده حتفه وان هذا السم هو اشد سم عرفه العلم حتى الآن ٠

كتب الارض

قدروا عدد المطبوعات الادبية في العالم بخمسين مليون مجلد ٠ ولم يكن حتى الآن لغير خزائن الكتب العظمى قوائم مطبوعة بالكتب التي لديها فكان مما يهم المشتغلين بالامور العلمية وباعة الكتب ان ينظروا في المجلات التي تعنى بذكر الاسفار القديمة والحديثة ٠ وقد جرت العادة في المانيا ان يرسل كل طابع الى مكتب العلوم الاجتماعية في برلين نسخة مما يطبع وان يرسل الطابعون مطبوعاتهم في انكلترا الى مكتب العلوم الطبيعية ٠ وفي كلتا العاصمتين توضع فهارس كل سنة ٠ وقد ارتأى احد علماء الالمان ان تضاف فهارس مكتبة الامة في باريز وهي ثالث مكتبة من مكاتب العالم بكثرة كتبها وتسقط منها المكررات وهكذا يعمل بالاحدى عشرة مكتبة من المكاتب الكبرى في العالم فيأتي من ذلك فهرس عام لجميع الاسفار في الارض ٠

السيارات

صنعت الولايات المتحدة سنة ١٩٠٦ — ٥٨ الف سيارة (اتوموبيل) وصنعت فرنسا ٥٥ الفاً وصنعت انكلترا ٢٧ الفاً وصنعت المانيا وايطاليا ٢٠ الفاً ٠

التوفير

كان فيما مضى يمدح اهل الطبقة الوسطى في فرنسا لاقتصادهم ولكن ثبت ان الالمانيين من اهل طبقتهم اكثر منهم اقتصاداً فان ما وضع في صناديق التوفير في فرنسا في سنة ١٩٠٤ قد بلغ اربعة ملايين ونصفاً من الفرنكات وسكان فرنسا ٣٩ مليوناً على حين بلغ ما وضعه الالمانيون وعددهم ٣٧ مليوناً تسعة ملايين ونصفاً وقد زاد المودع في صناديق التوفير في فرنسا من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٠٤ مائتي مليون اما في بروسيا فقد بلغ مليارين من الفرنكات ٠

غلاء الحاجيات

غلت اسعار الحاجيات في العالم المتمدن مع ان ما يستخرج سنوياً من الذهب قد بلغ ضعفي ما كان عليه منذ عشر سنين ٠ ويؤخذ من احصاء التجارة العام ان تجارة العالم ارتفعت

من ٥٤ مليار فرنك سنة ١٨٦٧ الى ١٣٦ مليارًا سنة ١٩٠١ اي ان مجموع النقود المتعامل بها قد بلغت ثلاثة اضعاف ما كانت في ٣٤ سنة على ان محصولات العالم لم ترتق ثلاثة اضعاف ما كانت عليه ولا تنسب الزيادة لارتفاع اسعار البضائع بل لبخس اثمان الذهب لكثرة المستخرج منه .

عمال المخازن

كتب احد كبار البيوت التجارية التي تبيع بالجملة في شيكاغو نصيحة لمستخدميه وهي : لا تحتقر اصلاً زبونًا ولو كان رث الثياب . ولا تقلم اظافرك على ملاء من الناس واجعل في جيبك ابدًا قلم رصاص ولا تعره لاحد ولا ترتكب غلطة واحدة سبق للشارتكابها

طواف العالم

آخر ما اهتدى اليه البشر من السرعة في الاسفار ان يقطع المرء الارض في خمسين يومًا بانفاق ١٤٦ جنيهًا فيسير السائح من باريز الى موسكو ففلاديفوستك فكوبه فيوكوهاما فسيتيل فنيويورك فشربورغ ففرنسا

اتقاء الغش

من احسن الطرق التي سارت عليها الولايات المتحدة في اتقاء الغش في الاعلانات انه اذا نشرت جريدة اعلانًا ضارًا تنذرها دار البريد بانها تحرمها من الامتيازات التي خصتها بها اذا ظلت تنشر هذا الاعلان وترجع جميع الرسائل الواردة باسم المعلن الى من صدرت عنهم وتكتب عليها « مزوّرة » وفي المانيا وروسيا يتداخل الاطباء في الامور الضارة بالصحة التي تنشر الجرائد عنها الاعلانات

التربية في يابان

كتب احد نبلاء يابان مقالة في احدى المجلات الانكليزية ذكر فيها ماتوفر الميكادو عليه من العناية منذ خمس وعشرين سنة لانهاض الآداب في بلاده . قال انه شرع سنة ١٨٨٠ بمنع بعض الكتب المدرسية والدساتير وفي سنة ١٨٩٠ جعل بناء التعليم على أسس جديدة وامر الامبراطور ان تكون مبادىء التربية مأخوذة عن تربية البيوت وعواطف المربين وعطفهم على من يربون وان يسعى كل امرىء الى توسيع مداركه العقلية بان يتأهل للدفاع عن المصلحة العامة

وصية عالم

ترك ادوارد دي هارتمان الفيلسوف العظيم كتاباً عظيماً سينشر بعده في ثماني مجلدات وهو خلاصة الفلسفة كلها وشرح مبادئها وقد خص كل مجلد بفرع من فروعها كعلم النفس والعلوم الطبيعية والمادية والمبادىء الاوَّلية والاخلاقية وهذه هي وصيته .

معونة على العلم

كان احد محسني الفرنسيس المسيو كاهن وقف على كلية فرنسا الوفاً من الفرنكات تصرفها كل سنة في اعانة بعض اهل العلم والادب يسيحون في الارض ليزدادوا علماً ويؤوبوا الى بلادهم لينفعوها بفضل علمهم وقد وقف الآن خمسة عشر الف فرنك تصرف لامرأتين او فتاتين كل سنة لتطوفا بها اوربا والولايات المتحدة واشترط ان تكونا معلمتين في المدارس الثانوية وان تكونا عارفتين بلغة اجنبية .

عنصر الفقراء

كان الرأي الشائع ان اولاد الفقراء اصح اجساماً من اولاد الاغنياء وان هؤلاء دون اولئك بذكاء عقولهم وصحة احلامهم ولكن العالم نيسفورو احد اساتذة كلية لوزان في سويسرا بما احدثه من الفن الجديد وهو علم تعريف طبقات الفقراء قد اثبت ان اولاد الاغنياء ارقى فطرة وصحة وعقلاً مما كانوا يوصفون به ففتح بذلك سبيلاً نافعاً في مستقبل الانسانية وكان بعمله الجديد القائم على البحث في احوال الفقراء لا البحث في الفقر اشبه بعلم البحث في الجانين لا البحث في الجنايات قال من بحث له في المجلة الافرنسية : ويعرف الاختلاف الظاهر في اشكال طبقات اهل السعة واهل الفاقة من الناس وما بينها من الفروق التي تكاد تجعلها امتين متباينتين مع انهما يعيشان في ارض واحدة ويتكلمان بلغة واحدة بالبحث في اشكال الطبقات النازلة وتأثيراتها الطبيعية والفسيولوجية . قال توكفيل الكاتب السياسي الفرنسوي (١٨٠٥ — ١٨٥٩) : « تتألف أمم مختلفة كثيرة من طبقات المجتمع الواحد » وقالوا ان كل امة تنقسم الى امتين وهو قول صحيح لاننا لو بحثنا في حياة الفقير وحياة الغني لرأينا ان مبدأ التناقض بينهما على اتمه بيد ان هذا الرأي يعدُّ من غريب الآراء

قامات الفقراء من ارباب الاعسار اصغر من قامات الموسع عليهم من اهل اليسار . فطول ابن الفقير في الرابعة عشرة من عمره متر وستة واربعون سنتيمترًا وطول ابن الغني في مثل

هذه السن متر ونصف وطول قامات الرجال الفقراء متر واربعة وستون سنتيمترًا في الغالب وطول الاغنياء في سنهم متروثمانية وستون سنتيمترا ووزن جسم الموسرين من الاولاد وهم في الثالثة عشرة ٣٥ كيلو وزنة جسم ابن الفقير في مثل تلك السن ٣٢ كيلو · ومحيط رأس ابن الفقير في الحادية عشرة اصغر من محيط رأس ابن الغني فهو في الاول ٥٢٤ وفي الثاني ٥٣٣ وابن الغني وهو في سن العشرين ٩ر٥٥١ وابن الفقير ٠ر٥٤٧ وهكذا ارتفاع الجبهة وقوة الجمجمة والدماغ والجمجمة الداخلية وزاوية الوجه كلها في قياسها في الفقراء اصغر مما هي في الاغنياء وسعة الحنك في الفقراء اكثر مما هي في الاغنياء

واذا قيست قوّة ابناء الفقراء بقوة ابناء الاغنياء بمقياس القوة (دينامومتر) نجد ابن الغني في السابعة يحمل عشرة كيلو على حين لا يقدر ابن الفقير ان يحمل اكثر من ثمانية · والفتاة من بنات اليسار تحمل ١٢ كيلو وهي في الثانية عشرة ومثلها من الفقيرات لا تقوى على حمل اكثر من ٧ كيلو · واولاد الاغنياء اقل صبرًا على التعب من اولاد الفقراء فقد دلت التجارب الكثيرة ان ابناء الاغنياء في الثانية عشرة من اعمارهم تنقص قوتهم من ١٩ الى ١٢ كيلو على حين ان اولاد الفقراء في مثل اعمارهم تنقص من ١٨ الى ٧ كيلو · وكذلك الصدر فانه في اولاد الموسرين اكثر سعة من ابناء المعسرين اللهم الا فيمن يعملون اعمالاً صناعية من ابناء الفقراء يكبر بها محيط صدورهم

وحركة النمو في اولاد الفقراء ابطأ مما هي في اولاد الاغنياء · وبنات الفقراء لا يبلغن الا بعد سنة او سنتين من السن التي يبلغ فيها امثالهن من بنات الاغنياء · واثبت كثير من الاطباء ان المولودين حديثًا من اولاد الفقراء اقل وزنًا من امثالهم من ابناء الاغنياء والام المستريحة تلد اولادًا اثقل وزنًا من الام المتعبة الى آخر يوم من حملها وليس لها غذاء جيد · ومن المؤثرات في صحة المولود سن الام وزمن بلوغها وتعاقب ولادتها وصحة حالتها وكل هذه الامور تؤثر في طول الطفل ووزنه ·

ويخطئ من يقول ان الجمال وتناسب الاعضاء موجودان في اولاد الفقراء لان الجمال والقوة والنشاط تابعة لسعة العيش ابدًا ولا سيما لحالة الام وان وجد جمال في ابناء الفقيرات وبناتهن فانه عرض زائل يذبل لاول نضارته واقل تعب ينالهم · وتكثر الاسقام والموت في الفقراء اكثر من كثرتها بين الاغنياء وذلك لان الفقير عرضة للامراض اكثر بالنظر لتركيبه فلا يقوى على مقاومتها ولان معيشته شاقة · وخالف من يقول بان تشويه وجوه الفقراء وسحناتهم ناتج من تعاطيهم بعض الصنائع واثبت بان ذلك خلقي فيهم وان للفقر والانحطاط الطبيعي وما يلحق بذلك من التبدلات والاضطرابات في التغذية يدًا كبيرة

في التأثير في الطفل قبل ان يحيا · وتكلم على الاخلاق النفسية من الاحساس على اختلاف انواعه والعواطف الادبية والتأثرات والذكاء فقال انها في الفقراء اقل مما هي في الاغنياء واذ يتأخر ابن الفقير في نموه فهو لا يبلغ اشده بدون مساعدة شروط كثيرة من التعليم والمحيط المرتقي والرفاهية الطبيعية والاقتصادية وهو مما لا يحلم ان يراه من كانوا في ادنى سلم الاجتماع · ولئن نشأ من الطبقة النازلة اناس يكذبون هذه القضية كانوا من خيرة العقلاء والاذكياء ولكنهم قلائل جداً لان الاسباب الصحية والاقتصادية تؤثر في بنية الانسان وعواطفه وعقله ولا سيما في ذكائه ونبوغه وليس الذكاء والنبوغ مما يستفاد من المحيط بل هما خلقة في المرء · ومما لا ريب فيه انه كما كثر في عنصرٍ الانحطاط العقلي والانحطاط المعاشي لا ينشأ وسطه الا اناس ضعيفة عقولهم منحطون عن غيرهم من اهل السعة ·

بحث الباحثون في خصائص الشعوب والاجناس والقبائل ولم يبحثوا كثيراً في خصائص الطبقات الاجتماعية في امة واحدة · ومما الخصائص التي تميز طبقتين من طبقات شعب واحد غنية وفقيرة الا باكثر تبايناً حتى بين اهل البلد مما هي بين امة في القاصية وامة في الدانية وثبت للباحث بالبراهين المدققة ان الاختلاف في الولادة والموت وسن الزواج والامراض وغيرها بين الباريز بين الفقراء و بين اهل طبقتهم من سكان فينا اقل مما هو بين سكان مملكتي ايطاليا ونروج مثلاً وان الاختلاف يكثر بين طبقتي الفقراء والاغنياء من اهل البلد الواحد ولا يكثر على تلك النسبة بين شعبين متباينين بلغتيهما واصلهما بعيدين احدهما عن الآخر مئات من المراحل · والتمدن يبدو في الطبقات النازلة مهما ارتقت بلادهم كما يبدو عند الطبقات النازلة في البلاد المنحطة اي ان فقراء بلاد التمدن ينتشر فيهم الجهل ويقل النسل ويكثر الموت والجرائم كما هو الحال بين فقراء البلاد الساقطة · ولا يفوتنا النظر ان التمدن لا ينتشر في الآفاق المتنوعة من ارض واحدة على معدل واحد بل انه يستنير كل الانارة في أفق و يظلم في آخر او يكون ذا نور ضئيل ورسم محيل · وهم قوم ان الطوطمية وعبادة الظلام والحيوانات والاحجار والاشجار والمياه والنيران والظواهر الجوية والسحر وغيرها من انواع التعبد هي من خصائص الامم المتوحشة القديمة والحقيقة ان هذه العبادات لا تزال حية نامية بين الطبقات النازلة عند اكثر الامم عراقة في الحضارة على انك تجد مثل هذه العادات والاوهام والاخلاق شائعة ايضاً عند ارقى الطبقات المتحضرة لهذا العهد وذلك لان للاموات تأثيراً شديداً في نفوسنا وهي الحاكمة المتحكمة فينا ولكم يحاول المتمدن منا ان ينزع عنه ما كان الفه اسلافه من العادات والعبادات ومهما يبالغ ما اراد لا تحكام ذلك منه وغلبة العادة ولكن ذلك يقل في الطبقات العالية ويكثر في الطبقات النازلة

نقد المقتبس

كان معظم النقد الذي ورد على هذه المجلة في عامها الاول مقصوراً على الالفاظ والوضع اما نقد هذه السنة فاكثره على المعاني والمقاصد . وقد كتب الينا احد اهل العلم في القاهرة يقول : « كنت آليت على نفسك ان لا تتعرض في المقتبس للمباحث المتعلقة بالدين او السياسة لئلا يظهر منك ما يشتم منه رائحة التعصب لملة او دولة ثم رأيتك كأنك نسيت عهدك حتى نبهك احد ادباء بغداد على ذلك . وقد رأيتك عدت الى مثل ذلك فاكبرت الامر في مثل مسألة بسيطة لا توجب شدة ولا حدة كمسألة التقية ورحت تنحي فيها على الشيعة وان كان ما اوردته منقولاً عن غيرك حتى احرجت بذلك صدورنا دع عنك صدورهم . وكذلك فعلت في مسألة السموأل فانها مسألة طفيفة فما بالك اعظمت الامر فيها ولعلك تقول ان المقصد بذلك تنقيح البحث في التاريخ وهو من مباحث العلم على ان الاعتراض جاء من غيري فنشرته . اقول نعم كان الخطب سهلاً لو لم يكن في المقالة شدة. وصاحب المجلة مسئول عما يكتب في مجلته . والمأمول ان لا تعود الى مثل ذلك او تبين عذرك المقبول في هذا الشأن والسلام عليك »

هذا ما تناولناه بيد المنة لكاتبه وكنا نود ان نكتفي بنشره ونترك الحكم فيه للقراء كما فعلنا حتى الآن في جميع ما جاءنا من هذا القبيل لولا ان كثر مثل هذا النقد علينا وجاءنا شيء من نوعه من مصر والشام والعراق فاصبح السكوت عن الاجابة ضرباً من ضروب الاهمال . وبعد فالمجلة لا تزال جارية على الخطة التي رسمتها في اول جزء صدر من التمحض للعلم المحض والانطلاق في الفكر والتجوز في الاقتباس والنشر . وما يبدر منا في بعض الموضوعات مما قد يحمله بعضهم على نزعة دينية او سياسية فانما يكون في الغالب من موازري المجلة الكرام او مما نقتبسه من غيرنا او يقع لنا بالعرض لا بالقصد ولا نبرىء النفس من الذهول في بعض الاحيان فالانسان محل النسيان .

ليس معنى نشرنا في السنة الماضية لمقالتين في حريق مكتبة الاسكندرية احداها معربة عن التركية والاخرى عن الانكليزية مما يستدل منه على اننا نريد الغض من دين والرفع لآخر فالمسألة تاريخية صرفة تعاورتها الاقلام ولا تزال تتعاورها من اهل كل نحلة وجنس . وكذلك درجنا بحث « شعراء النصرانية في الجاهلية » وهو من المباحث التي لامنا بعضهم على القبول بنشرها ولو علم اللائمون بان الناقد والمنتقد عليه متحدان في النحلة والمشرب لخففوا من اللائمة . وهكذا قل في نشرنا مقالة التقية فانا لم نقصد الى الحط من فرقة معينة فيما كتبنا وعذرنا الى من تألموا مما نقلناه في التقية عند الشيعة ان ليس لدينا كتاب من

كتب محققيهم ننقل عنه ما يتم به البحث · ولو تفضل اولئك الناقدون فوافونا بما أُثر عن اهل العلم من الشيعة لكانوا احسنوا صنعاً · وقد كان وعدنا احد افاضلهم ان يوافينا بما قاله علماؤهم ثم عاد فاعتذر بان شواغل شغلته عن ذلك اهمُّ من هذه المسأَلة ·

ولا يفوتنا النظر بان تعلق العلوم بعضها ببعض يقضي علينا في الاحايين ان ندخل في مبحث اجتماعي او علمي شيئاً من مسائل الدين تتميماً للبحث كما وقع لنا في بحث التقية وما كان في وسعنا ان نصوِّر للقارىء هذا الموضوع لولم نعمد الى كتب التفسير والكلام ونقتبس منها ماله اتصال بالبحث ·

اما قول المنتقد المشار اليه بان صاحب المجلة مسؤول عما ينشر ولا يعذر فكلام لا يخلو على اطلاقه من نظر · ذلك لانه لا يتيسر تقييد حرية المكاتبين اذا كانوا مخلصين فيما يكتبون مالم يتجاوز قلمهم الحد في التنكيت والتبكيت فان ذلك مما يلام فيه الكاتب والناشر على اننا كثيرًا ما نعدّل مثل هذه السقطات مالم نذهل او نجد الامر فيه غير جلل على انا قد اشرنا الى العذر في مثل ذلك في نبذة نشرناها منذ شهرين تحت عنوان المترجمات وحكم المترجم فيها · فهل فيما اوردناه مقنع ؟

***

اقترحنا منذ مدة على احد اصدقائنا ان يعرب لنا عن الانكليزية شيئاً من مقالات القاضي امير علي الهندي نظرًا لشهرة المؤلف في بلاد الانكليز فعرب لنا مقالة المرأة في الاسلام فنشرنا نصفها في الجزء الخامس من هذه السنة وقد وردت علينا من احد فضلاء سورية رسالة شديدة الوطأة ينقد فيها مقال القاضي الهندي وبنى نقده على امرين احدهما ضعف الاخبار التي نقلها وانها لا تعرف في كتب الثقات من علماء الاثر والثاني تعليله بعلل لا تعقل فان كثيرًا من علماء الاسلام بل وغيرهم من المحامين عنه قد اوردوا في ذلك عللاً محكمة فيها مقنع للناظر · ولما كان نشرها برمتها يوجب الدخول في تفصيل قضايا بباين ما أُنشئت له المجلة من الابحاث رأينا ان نكتفي بالاشارة الى تلك الرسالة شاكرين للمنتقد عنايته منبهين على ان المنتقد عليه حسن النية فيما كتب وكثيرًا ما يكبو الجواد

المقتبس

الجزء التاسع من المجلد الثاني

رمضان سنة ١٣٢٥ الموافق اكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

ابن زيدون

اذا انتشرت الآداب والعلوم في أمة وكادت تعم افرادها كافة يأتي من بين اولئك المتعلمين الكثار صفوة من الرجال منهم ينشأ النوابغ لان ارتقاء العلوم في الخصوص يكون على نسبة ارتقائها في العموم . وصاحب الترجمة هو احد افراد الاندلس المعدودين زكا اصله وسما عقله ورجح بيانه وانفتق لسانه وبعد صيته بين حملة رايات القريض وصوّاغ عقود الانشاء جمع الى تليد مجده طريفاً والى آدابه الوهبية آداباً كسبية وقد عُدّ في الطبقة العالية بين شعراء الاندلس ونال من المنثور حظاً كبيراً فهو على التحقيق كما وصفه احد الادباء «بحتريّ المغرب» لحسن ديباجته وسهولة معانيه ومتانة تراكيبه نقرأ في منظومه العواطف في ابهى مظاهرها وتتجلى لك اغراضه في اسمى معانيها فشعره جعبة الادب البارع ودرج الذهب الرائع ومثال الظرف والرقة وعنوان الانسجام والاجادة حتى قال احدهم فيه: من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لابي عمرو وتفقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف كله

وصفه صاحب القلائد بقوله : زعيم الفئة القرطبية ونشأة الدولة الجهورية الذي بهر بنظامه وظهر كالبدر ليلة تمامه فجاء من القول بسحر وقلده ابهى نحر لم يصرفه الا بين ريحان وراح ولم يطلعه الا في سماء مؤانسات وافراح ولا تعدى به الرؤساء والملوك ولا تروّى منه

الا حظوة كالشمس عند الدلوك فشرف بضائعه وارهف بدائعه وروائعه وكلفت به تلك الدولة حتى صار ملهج لسانها وحل من عينها مكان انسانها ٠

وفي بعض المجاميع ان الوزير ابا بكر بن عمار وابا الوليد بن زيدون كانا في حسن الشعر فرسي رهان ورضيعي لبان وقد ذكر اكثر الأدباء بالاندلس انهما اشعر اهل عصرهما هذا ما ذكره العماد الكاتب وذكر له القصيدة التي اولها * اما في نسيم الريح عرف يعرف * والرسالة التي كتبها لاستاذه ابن جهور يستعطفه بها وقد اعتقله لما سمع انه مال الى المعتضد عباد وذكر لابن عمار الرائية التي استوزره لسببها ابن عباد وهي ادر الزجاجة الخ ٠

ولقد كان ابن زيدون آية في طلاقة لسانه كما كان غاية في حسن بيانه ويحكى ان ابنته توفيت وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فقيل انه ما اعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لاحد قال الصفدي :وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفنن في اساليب الكلام وهو امر صعب الى الغاية وارى انه اشق مما يحكى عن واصل بن عطاء انه ما سمعت منه راء لانه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب في تهوين هذا الامر وعدم تهوينه ان واصل بن عطاء كان يعدل الى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير في كلام العرب فاذا اراد العدول عن لفظ فرس قال جواد او ساع او صافن او العدول عن رمح قال قناة او صعدة او يزنى او غير ذلك او العدول عن لفظ صارم قال حسام او لهذم او غير ذلك واما ابن زيدون فاقول في حقه اقل ما كان في تلك الجنازة وهو وزير الف رئيس ممن يتعين عليه ان يتشكر له و يضطر الى ذلك فيحتاج في هذا المقام الى الف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده ٠

ولكنه صوب العقول اذا انبرت سحائب منه اعقبت بسحائب

وقال ابن بسام في الذخيرة في ترجمة ذي الوزارتين الكاتب ابي الوليد ابن زيدون وصاحب الذخيرة خير من يصوّر الرجال ومناشئهم واحوالهم :

كان ابو الوليد غاية منثور ومنظوم ٠ وخاتمة شعراء مخزوم ٠ احد من جر الايام جرا ٠ وفات الانام طرا ٠ وصرف السلطان نفعاً وضرّا ٠ ووسع البيان نظماً ونثرًا ٠ الى ادب ليس للجدول تدفقه ٠ ولا للبدر تألقه ٠ وشعر ليس للسحر بيانه ٠ ولا للنجوم الزهر اقترانه ٠ وحظ من النثر غريب المباني ٠ شعري الالفاظ والمعاني ٠ اخبرني غير واحد من وزراء اشبيلية قال : لما خلص ابن عبد البر من يد عباد ٠ خلوص الفرزدق من يد زياد ٠ بقيت حضرته من اهل هذا الشان ٠ اعرى من ظهر الافعوان ٠ واخلى من صدر الجبان ٠ فهمّ باستخلاف ابي محمد

ابن الباجي المشهور امره الآتي في القسم الثاني من هذا الديوان ذكره مكان ابا الوليد غص بذلك وواطأ ابا محمد بن الجد على الاشارة بالاستغناء عما هنالك فكانت الكتب تنفذ من انشاء ابي الوليد الى شرق الاندلس فيقال: تأتي من اشبيلية كتب هي بالنظم اشبه منه بالنثر. وقد اجرى ذكره ابو مروان بن حيان في وصف من كان اصطنع ابن جهور من رجال دولته فقال: ونوّه بفتى الادب وعميد الظرف الشاعر البديع الوصف ابي الوليد احمد بن زيدون ذي الأبوّة النبيهة بقرطبة والوسامة والدراية وحلاوة المنظوم والسلاطة وقوّة العارضة والافتنان في المعرفة وقدمه الى النظر على اهل الذمة لبعض الامور المعترضة وقصره بعد على مكانه من الخاصة والسفارة بينه وبين الرؤساء فاحسن التصرف في ذلك وغلب على قلوب الملوك. قال ابو مروان وكان ابو الوليد من ابناء وجوه الفقهاء بقرطبة في ايام الجماعة والفتنة وبرع ادبه وجاد شعره وعلا شانه وانطلق لسانه فذهب به العجب كل مذهب وهوّن عنده كل مطلب وكان علقه من عبدالله بن احمد احد حكام قرطبة ما اداه الى السجن فالقى نفسه يومئذ على ابي الوليد بن جهور في حياة والده ابي الحزم فشفع له وانتشله من نكبته وصيره في صنائعه ولما ولي الامر بعد والده نوّه به واسنى خطته وقدّمه في الذين اصطنع لدولته واوسع رايته وجاله كرامته ولم يقنعه ذلك فيما زعموا فاتفق ان عنّ له مطلب بحضرة ادريس الحسني بمالقة فاطال الثواء هنالك واقترب من ادريس وخف على نفسه واحضره مجالس أنسه فعتب عليه ابن جهور وصرفه في السفارة بينه وبين امراء الاندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمداخلة فاستقل بذلك بفضل ما أوتيه من العارضة بالنسب والجاه والمنفعة ولم يغنه ذلك عن التهافت في الترقي لبعد الهمة فهوى عما قليل الى عباد صاحب اشبيلية فهاجر عن وطنه اليه ونزل في كنفه وصار من خواصه وصحابته يجالسه في خلواته ويسفر له في مهم رسائله على حال من التوسعة وكان ذهابه لعباد سنة احدى واربعين واربعمائة.

قال ابو حسن: فامّا سعة ذرعه وتدفق طبعه وغزارة بيانه ورقة حاشية لسانه فالصبح الذي لا ينكر ولا يرد والرمل الذي لا يحصر ولا يعد اخبرني من لا ادفع خبره من وزراء إشبيلية قال: لعهدي بابي الوليد قائماً على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمع يجيب احداً بمثل ما اجاب به غيره لسعة ميدانه وحضور جنانه. وقد اخرجت من اشعاره التي هي حجول وغرر ونوادر اخباره التي هي مآثر وأثر ورسائله التي اخرست السنة الحفل (ما ستتلوه). ثم ذكر له ما يتعلق بذلك في نحو خمسين صفحة ختمها بفصل يتعلق بذكر وفاته قال: ومما يتعلق بذكر وفاة ذي الوزارتين فصل من تاريخ الشيخ ابي مروان

ابن حيان رأيت اثباته لنبل مساقه وحسن انساقه يقول فيه :وفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنتين وستين واربعمائة سار الحاجب سراج الدولة عباد بن محمد الى اشبيلية الحضرة الاثيرة لمطالعتها وتأنيس اهلها من وحشة خامرت عامتهم من اجل عدوان رجل منهم على يهودي زعم انه سب الشريعة فبطش به المسلم وسط السوق وجرجه وحرك عليه العامة فقبض عليه صاحب المدينة عبدالله بن سلام واعتقله فكان لعامة الناس في انكار حبسه كلام وا كثار فخاطب السلطان بقرطبة بما كان منه ويستأمره في شأنه فعجل انفاذ ولده الحاجب سراج الدولة الى اشبيلية في جيش كثيف من نخبة غلمانه ووجوه رجاله لمشارفة القصة والاحتياط على العامة وانفذ معه ذا الوزارتين ابا الوليد بن زيدون احد الثلاثة كابري وزرائه المثناة وزارتهم مع الحاجب على بقية وعك كان متألمًا منه ولم يعذره في التوقف من اجلها فقضى لطيته مسوقًا الى منيته وخلف ولده ابا بكر الفذ الوزارة المرتسم بالكتابة وراءه سادًا مكانه بالحضرة فأقرّ فيها اياماً ثم أمر بالمسير وراء والده لامر كلفه فعجل بالانطلاق له فقضى غداة يوم السبت من ثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وستين نخلت منهم منازلهم بقرطبة وُصيرت على سواهم فتحدث الناس بنبوّ مكان الاديب ابن زيدون لدى السلطان وبما جرى من الحظيين لديه ابن مرتين وابن عمار في ابعاده وابعاد ابنه واحتوائهما على خاصة السلطان وتدبير دولته ولم يطل الامد بابن زيدون بعد لحاق ابنه به ووجدانه اياه متزيدًا في مرضه نازحًا عن ألآفه على جهد في استدعائها على انتهاء المدة وانتهاك القوّة فاستقرّ به وجعه الى ان قضى نحبه وهلك بدار هجرته اشبيلية صدر رجب سنة ثلاث وستين فدفن فيها مشهودًا مفتقدًا واحتوى تربها عليه فيابعد ما بين قبره وقبر ابنه لدينا رحمة الله عليهما ٠

ولقد اتصل خبر ُهلكه بعشيرته اهل قرطبة فتنازعوه وسيئوا لفقده وحزنوا عليه اذ كان منهم متعصبًا لهم هاويًا اليهم حدبًا عليهم والبقاء لمن تفرد به وحده ٠وقد عزى اخوانه عنه امتداد بقاء فتاه الندب ابي بكر ولده بعده سادًا ثلمه ساميًا مسماه غائظًا عداه عاطيًا منتهاه مع شماخة ودماثة وحصافة ونزاهة ومعرفة ووفور حظ من ادب بلاغة وكتابة وشركة في التعاليم المعلية واشتداد في رعاية منتقادي الذمة لم يفقد اخوان ابيه معها الا عينه اه

اما شعره فمعروف سائر على الالسن ٠ وقد افضنا في الكلام على ديوانه في غير هذا الموضع من هذا الجزء ٠ واما نثره فقليل في الايدي لم يشتهر منه غير رسالتين مفردتين لم ينسج ناسج على منوالها احداها رسالته في التنكيت على احد وزراء عصره وهي التي شرحها الاديب المشهور ابن نباتة السعدي ٠ والثانية رسالته التي كتبها وهو في الحبس يستعطف

بها امير مصره وقد شرحها صلاح الدين الصفدي (وطبع هذان الشرحان في الديار الاوربية) ومتى ساعدنا الوقت نشرناها لكثرة ما فيهما من التنقيح للامور التاريخية التي يجدر بكل اديب الوقوف عليها وقد احببنا ان ننشر له بعض الرسائل التي ذكرها صاحب الذخيرة تقرأوها في باب الصحف المنسية ·

ثروة العرب

قد يظن من يطالع تاريخ الاسلام بدون ان يعمل نظره معمله ان ما يراه في تضاعيف سطوره من اخبار الثروة وطول ارقامها وتفاني الباحثين عنها والمتفانين في نيلها ضرباً من ضروب الغلو ساق اليه تسرع المؤلف او اختلاق منه ليجعل لمن يتكلم عنه وقعاً في النفوس ويحبب اليها مطالعة كتابه خصوصاً والبشر في كل دور من ادوارهم كادوا يجعلون الدينار معبودهم ·

ولم يرد احصاء الثروة الاسلامية في كتب الثقات ما كان كلام بعضهم عنها بحيث يصح نقله · فقد لقي الرسول عليه الصلاة والسلام ربه وحاله من الزهد في المال والرفاهية حاله واستن معظم اصحابه بسنته وكان من امر ابي بكر وعمر وعلي من الزهد في المال ماشاع ذكره وظهر اثره وتحدث به السمار في الامصار · قال (١) معاوية وقد ذكر المال « اما ابو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده واما عمر فارادته الدنيا ولم يردها واما عثمان فاصاب منها واما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن » ·

على هذا النحو كان التأثل والارتياش راح الخليفة الاول واسباب الفتوح معدودة ولم يصل قواده الى اقصى جزيرة العرب ليفتحوا بلاداً عامرة كفارس ومصر والشام كانت خزانة الثروة والاموال بما كان فيها من حضارة قديمة وانما تهيأت الفتوحات وكثرت الغنائم ايام الخليفة الثاني ففتح الله للمسلمين تلك البلاد الغنية فعف عنها هو ومعظم اصحابه وكان يصادر من عماله من يجمع مالاً من غير حله · اما الخليفة الثالث فاخذ نصيباً من الدنيا هو وعماله وربما اغرق هؤلاء في نيلها بطرق لم تعهد زمن الخليفتين السالفين لان معظمهم من انسبائه

(١) اعتمدت في هذه الرسالة على مختصر تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي وهو مخطوط كبير الحجم غزير الفائدة وقد جعلت عبارته وسط علامتين اما سائر هذه الاخبار فمرجعه كتب التاريخ ·

وخاصته لا يحاسبون فيما هم فاعلون حتى اذا جاء الخليفة الرابع اراد ارجاع الخلافة الى طورها اللائق وقتر على نفسه وعلى خاصته وذويه ولم يتسع له الوقت حتى تظهر فيها اخلاقه بالقول والفعل لاشتغاله بدفع غوائل الفتن .

جاء معاوية فانقلبت الخلافة الى ملك عضوض وبدأ يستكثر من المال فيعطيه الاديب والطبيب والخطيب والفقيه والكاتب والقائد والعامل ومن ماثلهم يجعلهم عدته في توطيد الملك له ولذريته فكثرت الاموال واتسأ المسلمون يقلدون الروم والفرس في السعي وراء المكاسب واختزان الاموال والناس على دين ملوكهم . ولم يكن الا قليل حتى ابدى عبدة الدرهم نواجذهم من غير نكير وكاد ينسى ما كان عليه اهل الصدر الاول الا قليلاً في حوادث سنة اثنتين وثلاثين « ان الدنيا اتسعت على الصحابة حتى كان الفرس يشترى بمائة الف وحتى كان البستان يباع بالمدينة باربعمائة الف وكانت المدينة عامرة كثيرة الخيرات والاموال والناس يجبي اليها خراج الممالك وهي دار الامارة وقبة الاسلام فبطر الناس بكثرة الاموال والخيل والنعم وفتحوا اقاليم الدنيا واطمأنوا وتفرغوا »

«وكان عبد الرحمن بن عوف الزهري احد الثمانية الذين سبقوا الخلق الى الاسلام تاجراً كثير الاموال بعد ان كان فقيراً باع مرة ارضاً له باربعين الف دينار فتصدق بها كلها وتصدق مرة بسبعمائة جمل باحمالها قدمت من الشام واعان في سبيل بخمسمائة فرس عربية» «ومات ابو طلحة الانصاري احد من شهد بدراً في سنة اربع وثلاثين وكان اكثر الانصار مالاً » . « وكان الزبير بن العوام ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم واحد العشرة كثير المتاجر والاموال قيل كان له الف مملوك يؤدون اليه الخراج فربما تصدق بذلك في مجلسه وقد خلف املاكاً أبيعت بنحو اربعين الف الف درهم وهذا لم يسمع بمثله قط » . «وكان طلحة بن عبيد التيمي احد العشرة من الاجواد يقال له طلحة الفياض وطلحة الجود ويقال انه فرق في يوم واحد سبعمائة الف ويروى ان اعرابياً من اقاربه قصده وتوسل اليه فوصله بثلاثمائة الف درهم ويروى عن عمرو بن دينار عن مولى طلحة أن دخل طلحة كان كل يوم الف درهم ويقال انه خلف من المال الفي الف درهم ومائتي الف دينار وقال ابن الجوزي :خلف طلحة ثلاثمائة حمل ذهباً وروى ابن سعد باسناده قومت اصول طلحة وعقاره بثلاثين الف الف درهم»

وخلف عمرو بن العاص نائب معاوية على مصر « اموالاً عظيمة من ذلك سبعون رقبة بعير مملوءة ذهباً وكان معاوية قد اطلق له خراج الديار المصرية ست سنين شارطه على ذلك لما اعانه على وقعة صفين» . جمع ابن العاص ما جمع لا من الخراج الذي كان يستأثر به وحده وانما من تلونه في اساليب استخراج المال من اهل مصر ولذا صادره عمر بن الخطاب

لما كان عاملاً له عليها. روى الديري في كتاب الحبس على التهمة عن ابي القاسم بن سلام في كتاب الاموال في اسناد له عن هشام بن ابي رقية وكان ممن افتتح مصر قال افتتحها عمرو ابن العاص فقال: من كان عنده مال فليأتنا به فقال: فأتي بمال كثير قال: و بعد ذلك بعث الى عظيم اهل الصعيد فقال: المال فقال: ما عندي مال فسجنه قال: وكان عمرو يسأل من يدخل عليه هل تسمعونه يذكر احداً قالوا: نعم يذكر راهباً بالطور فبعث يعمع رسول من قبله الى الراهب فأتي بقلة من نحاس مختومة برصاص فاذا فيها كتاب واذا فيه يابني ان اردتم مالكم فاحفروا تحت الفسقية فبعث عمرو الامناء الى الفسقية فحفروا فيها فاستخرجوا منها خمسين اردباً دنانير قال فضرب عنق القبطي وصلبه .

ومصر هي ام المدن الاسلامية بثروتها وتربتها ذهب كما وصفها احد حكامها ولم يزل امراؤها يستنزفون اموالها في سنة خمس وثمانين «مات متولي مصر والمغرب عبد العزيز بن مروان الاموي اخو الخليفة وقد ولي الديار المصرية عشرين سنة وخلف اموالاً لا تحصى» وسنة ٥١٥ مات بمصر الافضل امير الجيوش شاهنشاه احمد بن امير الجيوش بدر الارمني وكانت ولايته ثمانياً وعشرين سنة على الديار المصرية «واستولى الآمر على حواصله كلها ولم يسمع في الدنيا بمثلها كثرة كانت دوابه بأثني عشر الف الف دينار وكان لبن المواشي التي له يغل في العام ثلاثين الف دينار واما ابن خلكان فنقل عن صاحب الدول المنقطعة قال: خلف الافضل وزير الديار المصرية وامير جيوشها ستمائة الف الف دينار ومائتين وخمسين اردب دراهم وخمسة وسبعين الف ثوب ديباج .»

وكانت اسباب الثروة في البلاد الشرقية كثيرة وخصوصاً لمن وَلي شيئاً من امر الامة في دور الانحطاط وارتفاع المراقبة وفساد التربية فان المصادرات والرشوات وانواع الهدايا والقربات وقلة النفقات ورخص البياعات كانت كلها من الاسباب التي تهيء لامير متى رفع خوف الله من قلبه ان يكون صاحب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة يسلبها ألوفاً من الضعفاء لينعم بها باله و بال عياله واولاده من بعده . والا فكيف كان يتأتى للامراء ان يخلفوا الاموال الطائلة في خزائنهم و يسرفوا اسرافاً لا يكاد يصدق لولا صحة ما رواه المحققون من اهل النظر .

قيل ان جملة ما انفقه عبدالله محمد بن ابي يوسف احد ملوك الاندلس في سفرة له مائة وعشرون حملاً ذهباً فكم كان في خزائنه ياترى ؟ ولا يخفى على ذي بصر ان احوال العرب الاجتماعية لم تكن في الدرجة التي نتصوّرها ولو حفظت لنا كتبهم وسجلاتهم من الضياع لكان حكمنا على مدنيتهم من هذا القبيل صحيحاً لا شوب فيه ولا تخليط ولا

شك انه كان للقوم عناية بالمال وطرق استثماره واخبار اصحابه عنايتهم بالشؤون التي قلما يخطر بالبال ان كتاب العرب دونوافيها وصنفوا . وما نعانيه من يود الخوض في ذكر احوال العرب على جليتها الا ناتج من قلة الظفر بكل ما كتبوه وقد صام القوم عن العلوم الاجتماعية قرابة خمسمائة سنه لم يكن لهم فيها بعد ابن خلدون فيما احسب كتاب ولا رسالة يصح الرجوع اليها في المعضلات .

***

رغب كثير من اهل الاسلام في الدنيا على اصولها ونشدوها من ابوابها وادخروا الاصفر والابيض بعرق الجبين والكدح المشروع والطرق المعقولة والارتياض والاستنفاض والصناعات والتجارات والزراعات . وان قلّ من جمعوا المال من حله وانفقوه كذلك فلتهم في كل امة بحيث يتأتى للباحث في تراجم كبار الاغنياء في العالم ان يُرجع طبقاتهم الى ثلاث اما سارق بطرق تجارية او صناعية كما في الغرب اليوم او سارق برشوة ومظلمة كما في الشرق قديماً وحديثاً او وارث ترك له اهله مالاً جنوه بتلك الاسباب وقليل منهم بالعمل واتخاذ اسباب الرزق . ولا يعقل ان يكسب المرء من حلال صرف ويسير على قانون مشروع او معقول ويتسنى له ان يكون من رجال الخزائن والصناديق .

كان امام اهل مصر الليث بن سعد الفهمي المتوفى سنة ١٧٥ «من بحور العلم له حشمة وافرة وكان نظير ملك قيل كان دخل الليث في السنة ثمانين الف دينار وما وجبت عليه زكاة مال قط وكان نواب مصر من تحت اوامره» وسنة ٣٠٢ صادر المقتدر بالله العباسي حسين ابن الجصاص الجوهري وسجنه قال ابن الجوزي : واخذوا منه ماقيمته ستة عشر الف الف دينار قال بعضهم : رأيت ابن الجصاص يُقبن بين يديه بالقبان سبائك الذهب قال الكتبي في ذيل الوفيات : كان ابن الجصاص من اعيان التجار ذوي الثروة الواسعة ولما بويع لعبدالله ابن المعتز وانحل امره وتفرق جمعه وطلبه المقتدر اختفى عند ابن الجصاص هذا فوشى به خادم صغير لابن الجصاص فصادره المقتدر على سته آلاف الف دينار قال ابن الجوزي: اخذوا منه ما مقداره ستة عشر الف الف دينار عيناً وورقاً وقماشاً وخيلاً وبقي له بعد المصادرة شيء كثير الى الغاية من دور وقماش واموال وبضائع وضياع .

قال ابن الجصاص في سبب ثروته : انه كان في دهليز ابي الجيش خمارويه بن احمد ابن طولون وكان وكيله في ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاجون اليه وما كان يفارق الدهليز لاختصاصه به فخرجت اليه قهرمانة لهم في بعض الايام ومعها عقد جوهر فيه مائة حبة لم ير قبله ولا بعده انفس ولا احسن منه كل حبة منه تساوي مئة الف دينار عنده وقالت :يحتاج

ان يخرط هذه حتى تصغر فتجعل في آذان اللعب وفي قلائده قال : فكدت اطير واخذتها وقد قلت السمع والطاعة وخرجت في الحال مسرورًا وجمعت التجار ولم ازل اشتري كل ما قدرت عليه الى ان جمعت مائة حبة اشكالاً في النوع الذي طلبته واردته وجئت عشياً وقلت ان خرط هذا يحتاج الى انتظار وزمان وقد خرطت اليوم ما قدرنا عليه وهو هذا ودفعت اليها المجتمع وقلت الباقي يُخرط في ايام فقنعت بذلك واعجبها الحب فخرجت وما زلت اياماً في طلب الباقي حتى اجتمع فحملته اليها وقامت عليّ المائة حبة بدون المائة الف درهم واخذت منهم جوهرًا بمائتي الف الف دينار ثم لزمت دهليزهم واخذت لي غرفة كانت فيه فجعلتها مسكني وكان يلحقني من هذا اكثر مما يحصى حتى كثرت النعمة وانتهيت الى ما استفاض خبره ·

هكذا اغتنى ابن الجصاص المتوفى بعد العشرين والثلثمائة تقريباً وله اخبار ونوادر لا تصدر الا عن النوكى كان يتظاهر بها ليرى الوزراء منه هذا التغفل فيأمنوه على انفسهم اذا خلا بالخلفاء·

ومما يدل على مقدار الثروة الاسلامية النظر في مصادرات الملوك لامرائهم وقوادهم فقد صادر المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة خالد بن برمك «واخذ منه ثلاثة آلاف الف ثم رضي عنه» · «وسنة ٢١٩ غضب المعتصم على وزيره الفضل بن مروان واخذ منه عشرة آلاف الف دينار ونفاه» · «وفي سنة سبع غضب المتوكل على احمد بن ابي دؤاد القاضي وصادره واخذ منه ستة عشر الف الف درهم» · «وفي سنة تسع عُزل القاضي القضاة يحيى بن اكثم وأُخذ منه مائة الف دينار» · «وكان الوزير ابن الفرات ذا جبروت وفتك وُزر مرات للعباسيين ثم صودر وقتل قيل كان دخله من ملكه في السنة الفي الف دينار وكان له من الخيل والمماليك والتجمل مالا يكون مثله لسلطان» · ولما جرت المحنة على الوزير ابي علي بن مقلة صاحب الخط المشهور في زمن الراضي بالله في سنة ٣٢٤ اخذخطه بالف الف دينار «ومات ايتاخ التركي الامير مقدم جيوش الواثق سنة اربع وثلاثين ومائتين خافه المتوكل فقبض عليه وأُميت عطشاً واخذوا له الف الف دينار»

جاء في ذيل الدول وسنة ٧٥٣ قبض السلطان على الوزير علم الدين بن زنبور وصودر بعد الضرب والعذاب فكان المأخوذ منه من النقد ما يزيد على الفي الف دينار ومن اواني الذهب والفضة نحو ستين قنطارًا ومن اللؤلؤ نحو اردبين ومن الحياصات الذهب ستة آلاف ومن القماش المفصل نحو الفين وستمائة قطعة وخمسة وعشرين معصرة سكر ومائتي بستان والف واربعمائة ساقية ومن الخيل والبغال الف ومن الجواري سبعمائة ومن

العبيد مائة ومن الطواشية سبعون الى غير ذلك . وكان دخل القاسم بن عبيدالله وزير المعتضد العباسي من املاكه في السنة سبعمائة الف دينار «ومات سنة ٣٠١ امير جنديسابور علي بن احمد الراسبي وخلف تركة عظيمة منها الف الف دينار والف فرس» . وخلف احمد ابن يونس الحراني من اطباء الاندلس ما قيمته ازيد من مائة الف دينار نال اكثرها من الطب . وكان ابوعبدالله بن الكتاني من اطباء الاندلس وفلاسفتها ذا ثروة وغنى واسع وفي عيون التواريخ (١) ان عبدالله بن محمد الاسدي المعروف بابن الاكفاني قاضي قضاة بغداد المتوفى سنة ٤٠٥ انفق على ما قيل مائة الف دينار على طلب العلم . وخلف خاسر الشاعر ايام الرشيد ستة وثلاثين الف دينار وليس هذا بعجيب على من نظم بيتين في مدح محمد بن زبيدة لما بايعه الرشيد فحشت فاه دراً باعه بعشرين الف دينار

وذكر ان السلطان سنجر بن ملكشاه المتوفى سنه ٥٥٣ صاحب خراسان وغزنة وما وراء النهر الذي خُطب له بالعراقين واذربيجان واران وارمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة وضُربت السكة باسمه في الخافقين — اصطبح خمسة ايام متوالية ذهب في الجود بها كل مذهب فبلغ ما وهبه من العين ستمائة الف دينار غير ما انعم به من الخيل والخلع والاثاث وغير ذلك وقال خازنه اجتمع في خزائنه من الاموال مالم اسمع انه اجتمع في خزائن احد من الملوك الاكاسرة وقلت له يوماً حصل في خزائنك الف ثوب ديباج اطلس واحب ان تبصرها فسكت وظننت انه رضي بذلك فابرزت جميعها وقلت اما تنظر الى مالك اما تحمد الله تعالى على ما اعطاك وانعم عليك فحمد الله تعالى ثم قال يقبح بمثلي ان يقال مال الى المال وامر الامراء بالاذن في الدخول عليه ففرق عليهم الثياب الاطلس وانصرفوا واجتمع عنده من الجوهر الف وثلاثون رطلاً ولم يجتمع عند احد من الملوك مثل هذا ولا ما يقاربه قاله ابن خلكان .

قال صاحب الدول : خلف الملك الافضل ستمائة الف الف دينار عيناً ومائتين وخمسين اردباً دراهم نقد مصر وخمسة وسبعين الف ثوب ديباج اطلس وثلاثين راحلة احقاق ذهب عراقي ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر الف دينار ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة مسامير على كل مسمار منديل مسرود مذهب بلون من الالوان ايما احب منها لبسه وخمسمائة صندوق كسوة لخاصته من دق تنيس ودمياط وخلف من الخيل والرقيق والبغال والمراكب والطيب والحلي والتجمل مالا يعلم

(١) هو الصلاح الكتبي صاحب ذيل وفيات الاعيان وجدت منه في مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق الجزء الاول والثالث والخامس والسادس والثاني عشر والثالث عشر

قدره الا الله تعالى وخلف خارجاً عن ذلك من البقر والغنم والجواميس ما يستحي الانسان من ذكر عدده وبلغ ضمان البانها في سنة وفاته ثلاثين الف دينار ووجد في تركته صندوقان كبيران فيهما ابر ذهب برسم الجواري والنساء ·

ذكر الطبري في سنة ثلاث عشرة ومائتين ان المأمون ولى اخاه المعتصم الشام ومصر وابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم واعطى كل واحد منهما ومن عبدالله بن طاهر خمسمائة الف دينار وقيل انه لم يفرق في يوم واحد من المال مثل ذلك ·

وكان ابو محمد عبدالله بن احمد الطالي المصري صاحب رباع وضياع ونعم ظاهرة وعبيد وحاشية كثير التنعم كان بدهليزه رجل يكسر اللوز كل يوم من اول النهار الى آخره برسم الحلوى التي ينفذها لاهل مصر من الاستاذ كافور الاخشيدي الى من دونه فمن الناس من كان يرسل له الحلوى كل يوم ومنهم كل جمعة ومنهم كل شهر وكان يرسل الى كافور في كل يومين جامين حلوى ورغيفاً في منديل مختوم قاله ابن خلكان · ودفع ابو محمد عبدالله ابن عبد الحكم والد ابي عبدالله محمد صاحب الامام الشافعي لهذا الامام عند قدومه الى مصر الف دينار من ماله واخذ له من ابن عسامة التاجر الف دينار ومن رجلين آخرين الف دينار وكان ابو محمد من ذوي الاموال والرباع وله جاه عظيم وقدر كبير

هذه امثلة مما عثرنا عليه تصوّر للقارىء حالة الثروة عند العرب بعض التصوير والله اعلم بالصواب

اليونان

سبب نصرة اليونان — لم تكن حرب مادي حرباً وطنية بين يونان وبرابرة بل كان يونان آسيا ونصف يونان اوروبا يقاتلون في الجيش الفارسي ولم يجسر كثيرون من ابناء جنسهم على ابداء اقل حركة · وكان الخاقان الاعظم ورعاياه هم الذين حاربوا اسبارطة وآثينة ومن حالفهما في الحقيقة · فكان من خوارق العادات ان يغلب هذان الشعبان الصغيران ذاك الخليط العظيم من الفرس · وزعم اليونانيون ان الآلهة قاتلوا عنهم ومتى درست احوال الخصمين عن أمم يبطل عجبك · فقد كان الجيش الفارسي جسيماً فظن كثير كس على سذاجة قلبه ان النصر معقد اللواء بكثرة العدد بيد ان هذه الجموع كانت مرتبكة من نفسها ولم تدر من اين تأخذ ذخيرتها ولتقدم تقدماً بطيئاً ويضيق ذرعها من اول يوم الحرب حتى ان السفن المزدحمة كانت تغرز طرف مقدمها في السفن المحيطة بها

وتحطم لها مجاذيفها ثم ان في ذاك الجماء الغفير كما يقول هيرودتس كثيراً من الناس وقليلاً من الجند . ولم يكن غير الفرس والماديين وهم خيرة الجيش يقاتلون بشدة اماغيرهم فلم يكونوا يزحفون الى العدو الا اذا انهالت السياط عليهم وقدجاؤا بسيف القوة والقهر الى حرب لا يهمهم امرها ولا سلاح لديهم ولا نظام في مصافهم فهم لا يلبثون ان يركنوا الى الفرار بمجرد ان تغيب اعين الحراس عنهم . وتقاتل الماديون والفرس وحدهم في بلاتيه وميكال ونجا الرعايا . وكان الجند الفارسي سيء النظام والعدة يلبس ثياباً طويلة وقدوقيت رؤوسهم بقلنسوة من لباد وحفظت اجسامهم اتراس من شجر الصفصاف والخلاف وسلاحهم قوس ومدية وحربة قصيرة جداً ولم يكونوا يستطيعون القتال الا بعيدين ويقاتل الرجل رجلاً مثله . اما الاسبارطيون والمتحدون معهم بعقد المحالفة فكانوا على عكس ذلك تقيهم التروس العظيمة والخوذ ووقايات السوق ويسيرون جموعاً مشتبكة لا تقاوم يخرقون صفوف العدو بحرابهم الطويلة وما هو باسرع من رد الطرف حتى تصير الحرب ملحمة كبرى ومذبحة تباع فيها الارواح بيع السماح .

نتائج الحروب المادية — قادت اسبارطة الجيوش ولكن كما قال هيرودتس كانت آثينة هي التي انقذت اليونانية بان كانت لها مثالاً في المقاومة . فالفت اسطول سلامينة وقد استفادت آثينة من هذه النصرة اما المدن الايونية من الجزر وشاطيء آسيا جملة واحدة فقد ثارت ومردت والفت عصابة تبايعت فيها على الموت في سبيل الذود عن اوطانها من مهاجمة الفرس . واما الاسبارطيون وهم شعوب جبلية فلما لم يستطيعوا ان يديروا حرباً انصرفوا راجعين ادراجهم فاصبح الآثينيون اذ ذاك زعماء العصابة . وفي عام ٤٧٦ جمع اريستدس قائد اسطولهم نواب المدن المتحالفة فقر رأيهم على متابعة حرب الخاقان الاعظم وتآمروا بينهم على تقديم سفن ومحاربين وان يؤدوا كل سنة قطيعة من المال قدرها ٤٦٠ تالانا (اسي مليوناً وسبعمائة الف فرنك) وجعلت الخزانة بمدينة ديلوس في معبد ابولون معبود الايونيين وكان عهد الى آثينة ان تقود الجيوش وتجبي القطائع . وقد القى اريستدس في البحر قطعة من الحديد المحمى واقسموا كلهم ان يحتفظوا جميعاً بالعهود الى يوم تطفو هذه الحديدة على سطح الماء وذلك حباً بتأكيد العهد وتفادياً من نقض يمين الاخلاص .

وقد حدث مع هذا ان الحرب وقفت وعقد اليونان — وكان النصر اليف الويتهم ابداً — معاهدة سلمية او هدنة مع الخاقان الاعظم فابى الملك ان يعد يونان آسيا من رعاياه (نحو سنة ٤٤٩) . وهنا سؤال يورد في هذا الباب وهو كيف انتهت معاهدة اريستديس وهل كان على المدن المتحدة ان تؤدي القطائع على حين ليس عليها ان تقاتل بعد فابى بعضها

ذلك حتى قبل ان أطفئت نار الحرب . وزعمت آثينة ان المدن كانت أخذت على انفسها العهد على الدهر فاضطرتها الى ان تؤدي ما يطلب اليها . حتى اذا وضعت الحرب اوزارها لم تُجدِ خزانة ديلوس فتيلاً ولذلك نقلها الآثينيون الى مدينتهم واستخدموها في ابتناء المصانع والمعاهد . ولطالما كانوا يقولون ان المتحدين يؤدون ما يتقاضونه من الضرائب للخلاص من ايدي الفرس فمن ثم لم يكن لهم ما يطالبون به بتة ما دامت آثينة تدفع عنهم عادية الخاقان الاعظم . وهذا مما غير حالة المتحالفين فصاروا ملزمين بدفع الضرائب لآثينة وما عتموا ان امسوا رعاياها فزادت آثينة في قطائعهم واكرهت مواطنيهم على المثول امام المحاكم الآثينية بل قد انفذت بطواريء من قبلها ليستعمروا جانباً من ارضهم وبهذا النظر اصبحت آثينة ام القرى تحكم زهاء ثلثمائة مدينة متفرقة في الجزر وشواطيء الارخبيل وتجبي قطيعة قدرها ستمائة تالان في كل سنة .

الصنائع في بلاد اليونان

آثينة على عهد الامبراطور بيركليس

بيركليس — كانت آثينة في منتصف القرن الخامس من اقدر المدن اليونانية يدير امرها بيركليس احد ابناء الأسرات العظيمة وكان مقلاً من الكلام غير متبذل في شخصه ولم يكن يتوقع في اعماله رضى الامة بل كان الآثينيون يحترمونه ولا يجرون الا على نصائحه وهو معروف بانه متمكن من شؤون الادارة ومعرفة البلاد ولذلك دخلوا تحت سيطرته وحكمه فادار سياسة آثينة كلها اربعين سنة كما قال معاصره توسيديس المؤرخ : ان الحكومة الديمقراطية كانت موجودة بالاسم بل كانت تلك الحكومة حكومة الوطني الاول على التحقيق

آثينة ومصالحها — كانت منازل القوم الخاصة في آثينة كما في معظم المدن اليونانية ضيقة واطئة متراكمة بعضها على بعض يكون منها ازقة ضيقة منعطفة سيئة التبليط . وقد جعل الآثينيون عظمتهم في معالمهم العامة . فمنذ اخذوا يجبون من محالفيهم قطائع لتصرف في سبيل الحروب كانوا ينفقون النفقات الطائلة في اقامة ابنية جميلة فعمروا في ساحة احد الشوارع رواقاً مزيناً بالصور (الفيسيل) وانشأوا في المدينة دار تمثيل ومعبداً اكراماً لتيزيس احد ابطالهم واوديون معهد الشعر والموسيقى وذلك لمسابقة في هذا العلم . ولكن قامت اجمل المباني على صخرة الاكروبول كأنها على قاعدة هائلة وهما معبدان (احدهما وهو البارتينون جعل قرباناً للمعبودة آثينة حامية مدينة آثينة) وهيكلاً ضخماً من القلز يمثل آثينة وسلماً من الآثار الجليلة يصل الى البروبيلي ورواق الرخام في آثينة . ومن ذاك العهد كانت آثينة اجمل بلاد اليونانية وانضرها .

عظمة آثينة — ومع ما خصت به آثينة من الصفات المشار اليها كانت ايضاً مدينة اهل الصنائع فقد حشر اليها الشعراء والخطباء والمهندسون والمصورون والنقاشون وكان بعضهم من اهل آثينة ووجهائها وجاءها البعض الآخر من اطراف ارض يونان يحملون الى تلك المدينة العظيمة نتائج صناعاتهم وطرف طرائفهم . لا جرم انه نبغ كثير من ارباب الصنائع اليونان لم يكونوا من اهل مدينة آثينة وذلك قبل القرن الخامس وبعده بكثير من الزمن ولكن قل ان اجتمع هذا القدر العظيم من ارباب الصنائع في مدينة واحدة ولقد كان معظم اليونانيين من اكيس ارباب المعارف في الصناعات ومبادئها بيد ان الآثينيين فاقوا غيرهم بحسن ذوقهم وصنع ايديهم وامتازوا بعقول متقفة ورغبة في الطرف وآثار الظرف واللطف . ولئن جاء من ابناء يونان امة رفيعة القدر عالية المكانة في تاريخ الحضارة فذلك لانها امة تحسن ملكة الصناعات فلا جيوشهم القليلة ولا بلادهم الصغيرة الرقعة خدمت العالم والعمران خدمة اعظم من خدمة صناعهم لها . فاليك السبب الذي من اجله كان القرن الخامس اجمل عهد في تاريخ يونان والداعي الى ان جعل آثينة تستأثر بفضل الشهرة اكثر من غيرها من المدن اليونانية .

الآداب

الخطباء — امتازت آثينة اولاً ببلاغة خطبائها فكانت حقاً بلد الادب وحسن الالقا فبالخطب في مجلس الامة يقرر اشهار الحروب وعقد السلم ووضع القطائع والضرائب وكل الشؤون العظيمة وبالخطب التي تلقى في المحاكم يحكم على الوطنيين والرعايا او يبرؤون فللخطباء السلطة وعلى الامة ان تعمل بنصائحهم ومواعظهم وربما عهدت اليهم بادارة شؤون المملكة فقد عين كليون قائداً وراس ديموستين الخطيب حرب فيليب . وللخطباء نفوذ وكثيراً ما يلجؤون الى بلاغة القول للنيل من عداتهم في سياستهم وربما اغتنوا لانهم ينالون من ارباب الغايات ما يرضيهم من المال ليعضدوا احد الاحزاب . فقد اخذ اشيل مالاً من ملك مكدونيا وقبض ديموستين دراهم من ملك الفرس .

ثم ان بعض الخطباء ينشئون خطباً ليلقيها غيرهم . ولا يسوغ لمن كانت له قضية ان يرفعها بواسطة محام كما هو الحال عندنا بل تقضي شريعة البلاد ان يتكلم صاحب القضية في قضيته بالذات . فمن ثم كان عليه ان يروح الى احد الخطباء يلتمس منه تأليف خطاب له يستظهره ليتلوه امام المحكمة . ولطالما جاب بعض الخطباء بلاد يونان وتكلموا في موضوعات توحيها اليهم المخيلة فاقاموا لهم كما نقول مقامات وعقدوا اندية ومؤتمرات (١) وكان قدماء

(١) اشتهر عشرة من هؤلاء الخطباء خاصة فدعوا خطباء اتيكيا العشرة

الخطباء يتكلمون بدون تصنع مقتصرين على ان يقصوا على المنابر الكوائن بدون ان يعمدوا الى اساليب خطابية فيقفون في المنبر لا حراك لهم دون ان يصرخوا او يتحركوا وكان الملك بيركليس يخطب خطبه على طريقة هادئة دون ان يحرك اهداب ردائه وعند ما كان يقف في منبر الخطابة وقد تكلل رأسه حسب العادة باوراق الشجر يزعم الشعب انه يتخذه ربًا من ارباب الاولمبيا ولكن الخطباء الذين جاؤوا بعد ذلك طمعوا في اثارة الامة وتحريك احساسها والنفوذ الى شعورها واصطلحوا على الانشاء المتين يروحون في المنبر ويغدون منشدين متحركين . وما عتمت الامة ان اعتادت هذا الاسلوب في الفصاحة . ولما اخذ ديموستين يتكلم في منبر الخطابة للمرة الاولى طفق الحضور يقهقهون ويضحكون من اسلوبه اذ لم يكن يحسن التلفظ ولا الوقوف ثم ما لبث ان مرن على الالقاء واحسان الحركات المطلوبة حتى صار نديم الشعب وعزيزه . دبت الايام ودرجت الليالي وديموستين خطيب في امته . وقد سُئل بعد عن اول صفة في الخطيب فاجاب بانها العمل ثم سئل ثانية فقال العمل ثم سئل ثالثة فقال العمل . ومعنى العمل طريقة الالقاء فانها كانت تهم اليونان اكثر من الخطبة .

الحكماء — كان منذ قرون عند يونان آسيا خاصة اناس يراقبون المادة ويفكرون في امرها لقبوا بالحكماء والعلماء في آن واحد وقد عُنوا بالطبيعيات والفلك والتاريخ الطبيعي اذ لم يكن العلم قد انفصل بعد عن الفلسفة وهكذا كان حال مشاهير الحكماء السبعة ببلاد يونان في القرن السابع .

السفسطائيون — جاء ناس على قرب عصر بيركليس الى آثينة فاتخذوا تعليم الحكمة صناعة واجتمع لهم كثير من التلاميذ انشؤوا يتقاضونهم أجور الدروس التي يلقونها . وجعلوا ديدنهم الانكار على الدين والعادات واصول ادارة المدن اليونانية يوهمون انها غير مبنية على العقل . ويأخذون من ذلك ان المرء لا يعرف شيئًا صحيحًا (مما كان قريبًا من الصواب في عهدهم) وليس في طاقته ان يعرف امرًا صدقًا كان او زورًا قال احدهم : لا وجود لامر ومتى وجد صعبت معرفته . ويدعى هؤلاء المعلمون للتشكيك بالسفسطائيين . وقد خص بعضهم بملكة الخطابة .

سقراط والفلاسفة — حاول سقراط احد شيوخ آثينة ان ينكر على السفسطائيين ويوقفهم عند حدهم على فقر حاله وبشاعة منظره ولكنة لسانه ولم تكن له دروس يلقيها كاولئك السفسطائيين بل يكتفي بالرواح الى المدينة يخاطب من يصادفهم من جماعتهم بكثرة ويحملهم بكثرة الاسئلة على ان يفكروا فيما ينكر فيه بنفسه . وكان بحثه مع الفتيان خاصة

بعلمهم وينصح لهم . ولم يكن يظهر سقراط انه شدا شيئاً من العلم بل كان يقول ان غاية علمي انني ادري بانني لا ادري . وود لو دعي فيلسوفاً اي محباً للحكمة لا حكيماً كسائر تلك الزمر . ولم يتدبر شيئاً من طبيعة الكون او مسئلة من مسائل العالم بل كان همه دراسة احوال الانسان . وكانت حكمته في قوله : اعرف نفسك . فكان من ثمّ مبشراً بالفضيلة . واذ انه كثيراً ما كان يخوض في الموضوعات الاخلاقية والدينية عدّه الاثينيون سفسطائياً . وفي سنة ٣٩٩ مَثل امام المحكمة متهماً بانه يتجافى عن عبادة ارباب المدينة وانه يحاول ادخال ارباب جديدة اليها ويفسد على الشبان عقائدهم فلم يحاول ان يدافع عن نفسه بل حكم عليه بالموت وكانت سنه اذ ذاك سبعين سنة فانتصر له كسينوفون احد تلاميذه والف افلاطون من الفلاسفة محاورات اقام فيها سقراط زعيم المتحاورين فاعتبر من ذاك العهد اباً للفلسفة اما افلاطون فقد كان صاحب مذهب معروف (٤٢٩ — ٣٤٨) وخص ارسطو تلميذ افلاطون (٣٨٤—٣٢٢) علوم عصره كافة في كتبه وقد انقسم الفلاسفة الذين اتوا بعد المعلمين ارسطو وافلاطون قسمين دعيت شيعة افلاطون بالرواقيين وشيعة ارسطو بالمشائين (لان ارسطو كان يعلم وهو يروح ويغدو)

الموسيقيون — كان من العادات القديمة ان يرقص القوم في الحفلات الدينية فيجر جمهور من الفتيان حول مذبح المعبود ثم يرجعون واقفين كالاشراف وقفة ذات معان واشارات . اذ كان القدماء يرقصون باجسادهم كلها ويختلف رقصهم كثيراً عن رقصنا وهو ضرب من التطواف الحماسي اواشبه برواية ذات ايماء وكان هذا الرقص الديني ابداً مشفوعاً باغان تعظيماً للارباب ويسمى جمهور الراقصين والمغنين جماعة الموسيقيين . وللمدن كلها جماعة من الموسيقيين ومنهم ابناء اشرف العيال يعدون كذلك بعد ان يستعدوا زمناً . ومن فرط العناية ان يكون خدمة الرب جديرين بخدمته .

الروايات الفاجعات والهزليات — كان يحتفل الفتيان في الارياف المجاورة لآثينة كل عام باقامة المراقص الدينية اكراماً للرب ديونيزوس اله الكرمة وكان بعض هذا الرقص متثاقلاً يمثل اعمال المعبود فيضرب رئيس جماعة الموسيقيين على وتر أغنية ديونيزوس ويصور جوقه رفاقه وهم اناس لهم ارجل تيوس يسكنون الغابات ثم يأخذون في تمثيل عيش ارباب أخر وابطال قدماء . ثم خطر لاحدهم ان ينصب مصطبة يجيء ممثل يلعب عليها عند ماينقطع جوق الموسيقي عن الضرب بانغامه . وهكذا تم المشهد ونقل الى المدينة بالقرب من شجر الحور الفارسي او مجتمع السوقة فنشأت من ذلك الروايات الفاجعات .

اما الرقص الآخر فكان مضحكاً فينكر الراقصون وجوههم و يتغنون بمدائح الرب

ديونيزوس وقد شابوها باضاحيك يسلون بها الحضور او بتصوّرات هزلية في حوادث حدثت ذاك اليوم · وقد صنع في الجوق الهزلي ما صنع في الجوق المفجع من ادخال ممثلين ومحاورات ونقل المشهد الى اثينة وهكذا نشأت الروايات الهزلية (الكوميديا) من اجل هذا كانت الروايات الفاجعة تمثل الى يوم الناس هذا ابطالاً اما الروايات الهزلية فتمثل حياة كل يوم واحتفظت الفاجعات (المأساة) والهزليات ببعض اصلها وظلت تمثل امام هيكل الرب وان تكن فاجعة ولئن غدا الممثلون وهم جلوس على المصطبة اصحاب موقع في المشهد فقد ظل جوق التمثيل يرقص ويتغنى وهو يطوف حول المذبح وكان جماعة الموسيقيين في الروايات الهزلية كما كان يجيء المتنكرون يبدون ملاحظاتهم على السياسة بغلظة ·

الملاهي — جعل في منحدر قلعة الاكروبول ملعب للرب ديونيزوس اله الكرمة يسع ثلاثين الف متفرج وذلك ليحضر الاثينيون كافة هذه المشاهد · وكان هذا الملعب كسائر الملاعب اليونانية مكشوفاً تحت السماء ومؤلفاً من دريجات من الحجر مصفوفة على شكل نصف دائرة بازاء جماعة الموسيقى حيث كان يطوف المنشدون وامام المشهد الذي تمثل فيه الرواية · ولا تقام المشاهد فيه الا في اوقات اعياد الارباب بيد ان المشاهد كانت تدوم اذ ذاك عدة ايام متوالية يبدأون في الصباح عند بزوغ الغزالة ويمثلون للحال ثلاث فاجعات وقصة هجوية تنتهي على ضوء المشاعل من الليل والفاجعات الثلاث يؤلفها واحد وتمثل فاجعات اخرى في الايام التالية وهكذا كان المشهد ميدان مسابقة بين الشعراء والامة تعطيهم جوائز الاستحسان واشهر هؤلاء المتبارين اشيل وسوفقلس واربيدس · وقد عهدت المسابقة ايضاً بين مؤلفي الروايات الهزلية ولم يؤثر من كل ما الفوه من الروايات غير قطعة واحدة الفها اريستوفان الشاعر الهزلي ·

المقامات اللزومية

ما زال الزمان يرينامن آثار الاندلسيين كل سفر جليل ويكشف لنا عن عنايتهم بجميع العلوم ما يدل على عظيم اقتدارهم وسمو افكارهم لا سيما في العلوم الادبية التي هي عنوان رقة الشعور وصفاء الذوق فقد تفننوا في طرق الانشاء واساليب البلاغة بما لا يدخل تحت الحصر. اسعدني الحظ في الاستانة بالوقوف على المقامات اللزومية وهي عبارة عن خمسين مقامة في مكتبة (جامع لالهلي) للوزير الكاتب الامام ابي الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي الاندلسي انشأها عند ما وقف على ما انشأه الرئيس ابومحمد الحريري بالبصرة وبناها على احسن اسلوب والتزم في نثرها ونظمها مالا يلزم وقدوجدت على ظهر الكتاب ما نصه (المقامات الخمسون) المحتوية على معاني الادب للوزير الكاتب الامام ابي الطاهر محمد بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن ابراهيم التميمي المازني السرقسطي و يعرف بابن الاشتركوني ابو الطاهر . قال ابن الزبير : كان اديباً لغوياً شاعراً كاتباً معتمداً في الادب فرداً متقدماً في ذلك في وقته روى عن ابي علي الصفدي وابي محمد بن السيد وابن البادش وابن الاخضر واخذ عنه ابوالعباس بن ضا قال : وعليه اعتمدت في تفسير كامل المبرد لرسوخه في اللغة العربية وله المقامات اللزومية الشهيرة وشعره كثير مات بقرطبة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادي الاولى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ومن شعره

ومنعم الاعطاف معسول اللمى   ما شئت من بدع المحاسن فيه
لما ظفرت بليلة من وصله   والصب غير الوصل لا يشفيه
الفيحت وردة خده بتنفسي   وظللت اشرب ماءها من فيه

وهاءنذا اذكر المقامة الاولى تفكهة للقراء ورجاء ان يطلع عليها من لهم عناية بنشر آثار السلف فيمثلها للطبع فيفيد و يستفيد وهي هذه :

المقامة الاولى القفرية

قال:حدثنا المنذر بن حمام قال:حدث السائب بن تمام قال:اني لفي بعض البلاد وقد اقويت من الطريف والتلاد استاف الارض واذرع الطول والعرض افلل الدهر في الذروة والغارب وارقب منه كل شارق وغارب قد افردني حتى الامل ونابذني حتى السعي والعمل عبرسفار ونضو مهامه وقفار ولا صاحب على طول الاغتراب الا رقراق آل وسراب اذ دفعت الى اباطح واجارع ومسارح ومشارع فاجلت الطرف في نور وزهر واحلت العيش على جدول اونهر واذا بثلة كالنجوم يترامون من الكؤس بالرجوم يتهللون طلاقة و يتبذلون

خلافة قد نبذوا الوقار واستحلوا العقار واستنفذوا العين والعقار وعوضوا من المسك الدَّن والقار ثم عن شمائلهم الرياض وتخجل من ايمانهم الحياض قد غفلوا عن العواقب ولم يشعروا بالزمان المراقب « يحيون بالريحان يوم السباسب » وينتمون الى اكرم المناصب والمناسب قد لفهم الشباب في بروده ورواهم من سلسله وبروده ينتقلون جنيات اللمم ويجرون فضول الريط واللمم والكاس قد تمشت في المفاصل فما ترى غير مساعد او مواصل قد نزلوا من الارض وهادا وافترشوا الروض مهادا واذا امامهم شيخ رائع السبلات ضخم العبلات يصغون الى حديثه ويفتنون بقديمه وحديثه فهو يعللهم من خبره بطرف ويهدي اليهم منه اندى تحف وطرف يجنب اليهم البطاله فما يملون منه اسهابا ولا اطاله فملت الى منتداهم وكنت الذي حياهم وفداهم فقالوا : كرم رائع ومجد ضائع ونضو هازل وضيف نازل وابتدر الشيخ فقال: خبر ذائع وحديث شائع وخب هازل وعود بازل من اين يااشعث ويااشعب كلا امريك اشد واصعب لقد اجترأت على الملوك وتحللت نظم السلوك وركبت المهالك وتوغلت المسالك هل عندك من معزبة ياهذيل فانك ما شئت من عذيق او حذيل أني وانت اخو الصعاليك سموت الى ذوي الرتب والمماليك فقلت: مهلاً ايها الشيخ مهلاً وهلا مرحباً بك واهلاً ان زرني وقد نفد زادي وصغر مزادي وطني ، شبابي واخلق اهابي وخشن اديمي وتفرعني صاحبي ونديمي فلقد فتنت الكواعب وذللت المصاعب وارضيت الآمال وتسوغت الآمال وبذلت الخطير ووصلت الشطير واكرمت النزيل ووهبت الجزيل ومحبت فضل الذيل وارسلت طرفي بين الخول والخيل وقدت الجياد ومتعت القياد ثم لم يكن الا ان تقلبت احوال وتعاقبت سنون واحوال ذهبت بالحديث والقديم واثرت في الصميم والاديم فبدلت من النعيم البوس ومن البشر القطوب والعبوس وعوضت من العذب المجاج بالملح الاجاج ومن الاعزاز بالاذلال ومن الاكثار بالاقلال فابتدر الشيخ يفديني بابنائه ويهديني بهنائه ويقول: انه لكما قال ومن اين لعاثر ان يقال انا اعرف آباءه واجداده وشهدت جموعه واعداده طالما ركب السرير ولبس الحرير وصبت اليه الكعاب وانقصفت دونه الكعاب وخضعت لجده الاملاك وكان به القوام والملاك لقد اطاعت الانداد واجابته الاعداد ودوخ البلدان فذل كل له ودان فيالك من دهر لا يبقي على احد ولا يبقى على مستأنس وخد يعنى بالقريب والبعيد ويولع بالشقي والسعيد ومن حق ذلك الفضل ان توصل اسبابه وترفع قبابه ويصان مذاله ويحلى جيده وقذاله وانتم يابني الاكارم وذوي الهمم والمكارم رفوا للافاضل واعطفوا بالفواضل وارحموا عزيزاً ذل وكثيراً قل ومثريا ادقع وحائما على موردكم وقع فكل خلع ما عليه والقى بما عنده اليه وخلع عني تلك الاسمال وجاء بما شاء وشئت من كسوة ومال

فملأ اليمين والشمال واستقبل الجنوب والشمال ثم قال اللهم يارافع الاعدام وجامع الندام وعالم الخفيات وميسر الخفيات وملطف الاسباب ومؤلف الاحباب متعهم بالمسرات والحبرات والحفهم بالمروط والحبرات وافض عليهم جدواك وزحزح عنهم بلواك واحرسهم عن الغير ولا تجعلهم عظة الامثال والسير وارسل عليهم من سترك مديدا وخذ بهم من امرك سديدا وقال لي: خذها اليك . واذا كنت معك فلا عليك . فسرنا وقد اظل العشا وسقط عليه العشا يقودني زعم الى امرته ويحادثني عن يسره وعسرته وجعل يومي ويشير ويقول هناك العدد والعشير كل له خول وطاعه ولك عليَّ امرة مطاعه فسرت حتى دنا بي الى خيام ومعشر نيام فقال: امكث هاهنا قليلاً حتى اريك جليلاً واكشف لك من امري عجيباً واقودلك سابحاً او نجيباً تحل من متن هذا في انيق وتسمو من ذروة ذاك على نيق ثم تتبوأ القصر المشيد وتخلف المأمون والرشيد فتخلل تلك الخيام وايقظ النيام فما شعرت الا بالقوم وقد اخذوني باللوم من المنتاب والطارق ولعله الخائن البارحة والسارق والا كف لا تكف واليمين تصفع والشمال لا ترفع ولا قول لي يسمع ولا انا في الحياة اطمع حتى طردوني عن حمامهم ورموا بي الى مرمامهم لا اقلب طرفاً ولا اقرر حرفاً والشيخ مع ذلك يرميني بسهامي ويعجب من صيبه وجهامي ويذكرني بالعهد ويقول ما احوجك الى المهد ثم انصلت عني انصلاتا وولى انسراباً وانفلاتا وهو ينشد .

دعا بي الدهر لو تجيب ... ياحبذا السامع المجيب
كم تصحب الدهر بالاماني ... يغرك الطرف والنجيب
نخذ حديثاً عن الليالي ... فكل انبائها عجيب
من خادع الدهر والبرايا ... فذلك السيد النجيب
المجد فوز الفتى بحظ ... فما تميم وما تجيب
يارب خدن تركت يوماً ... وحظه الوجد والوجيب
مجداً لا في التراب يدعى ... منه سميع فلا يجيب

فعلمت انه الشيخ ابو حبيب فقلت مالداء كيده من طبيب

دمشق محمد علي

المرأة في الاسلام (١)

ومن اوضح اوصاف النصرانية في عصورها الاولى حطها من قدر الزواج فكانت تعد هذا الارتباط من الاحوال المنحطة وتحسب البنين جناية وشرًا وكانت الاديار والصوامع حجبت عن العالم اصح العقول فكان خدمة الدين اما ان يُمنعوا من الزواج بتاتًا او لم يؤذن لم ان يتزوّجوا غير مرة واحدة · وقد نشأ بعض هذا الانحراف عن التشبه بالمعلم نفسه وبعضه عن احوال متنوّعة حملت النصارى الاول على تنظيم سلكهم ·

وشدة تعلق نبيّ الناصرة باهل المذهب الاسنى وانتظاره حلول الساعة في العاجل حين تنتهي جميع الارتباطات المدنية وانقضاء بعثته وهو في مقتبل العمر كلها امور تجلو لنا اسباب حطه من قدر الزواج وكيف انه « لم يجن على احد » واجتماعه بالتعمديين وهو اسني يرشدنا الى طرف من حياته القصيرة التي تثير العواطف وشدة بغض بولس للنساء مع ما يعضده من كلام المعلم قوى في الكنيسة الاعتقاد الاسني بان الارتباط الزوجي وهو اقدس العقود انما هو اثم يجب تجنبه ما امكن وكان يحسب المقصود من الزواج ايلاد الاولاد وقضاء الشهوة البهيمية ليس الا · ولا تزال عقود الزواج في اكثر الكنائس مصبوغة بهذه الصبغة الخالية الى يومنا هذا ولا يزال هذا التصوّر الدخيل على النصرانية يذهب بالناس حيث لا توجد العلوم الكونية الى ان الرجل الذي لم يدخل دنيا قط هو افضل كثيرًا ممن تدنس بالزواج · و بوجيس الهند المعفر بالرماد ونساك الشرق مسبلو الشعور واحبار بوذا هم من اهل التبتل وعندهم ان ادراك العلم لا يتم الا بحل الروابط الاهلية وان الوصول الى الازل لا يكن الا بعيش التوحد وقد اخذت النصرانية الاعتقاد بالتبتل عن مشكّكي المشرق وزهاده · ومن الناس من اتخذ عصمة المسيح من « الاثم » برهانًا على ألوهيته ومنهم من اتخذها حجة على شدة فضله على غيره من المتشرعين وعندنا ان مقابلة فاسدة الاساس كهذه بين المسيح والنبي هي من الموهومات بتاتًا واساسها خطاء في تقدير المقاييس الاخلاقية · وان صح ان التبتل مما يجعل صاحبه كاملاً فالمتصوفون والنساك والدراويش هم اذًا الكاملون والحياة الكاملة تكون حينئذ بترك الروابط الاهلية وان من المحقق ان نظرية مثل هذه لا تعد الا انحرافًا

(١) تابع المعرب في الجزء الخامس من كتاب روح الاسلام للقاضي امير علي الهندي ولا يسعنا هنا الا ان نكرر ما سبق لنا الالماع اليه من ان بعض ما ورد في هذه المقالة من الافكار والاحكام فيه نظر عند فئة من اهل العلم ولكن الامانة قضت بان ننشره بحرفه وعلى علاته حبّ الاطلاع (المقتبس)

عن الفطرة وما نتيجتها الا الدمار . اذ لم يأت هذا الحط من قدر النبي وهو الذي اكمل بعثة المسيح ألا نه تزوج بغير واحدة وقد بينا الحكمة في زواجه المتعدد وسعينا على الاقل في بيان ان هذه الأعمال التي اتخذت للحط من قدره انما هي من باب ايثار الغير .

ولننظر الآن في امر زواجه بالنظر المطلق ولنسأل انفسنا لم تزوج موسى بغير واحدة أكان في عمله هذا من اهل الفضيلة ام من اهل الرذيلة ؟ ولم تمتع داود بزواج لا حد لهُ ومكانته عند الله معلومة ؟ والجواب بسيط وهو ان لكل زمان مقياساً خاصاً ومعياراً مقدراً وما يوافق زمناً واحداً لا يوافق غيره . ومن الواجب ان لا نقيس الماضي بالحاضر . وان امثلة الفضيلة من اهل الكمال لا يخسرون شيئاً من عظمتهم اذا عملوا بمقتضى زمنهم وكانوا في عملهم امناء شرفاء . ايجوز ان ندعو المسيح طامعاً خيالياً يحاول العبث او ان ندعو موسى وداود شهوانيين يسفكان الدماء لان عقل الاول كان مفعماً بتخيلات ملك منتظر وسلوك الاثنين الاخيرين هو مما ينتقد في القرن التاسع عشر . اننا لو فعلنا ذلك لاخطأنا في كلا الحالين لأن اماني المسيح واعمال موسى وداود هي من الحقائق التاريخية التي مشت على مقتضى الزمن

ومن اوضح ميزات النبي انه وهو في اسمى حالاته لم يتعدم عن الاحياء منتظراً جيلاً لم يولد بعد وهو يمثل في نموه نمو البشر . وان المسيح ومحمداً لم يقدرا على تغيير الجمعية البشرية دفعة او محو كل ترتيباتها السياسية المليئة . وهو كالمسيح اكتفى ان يغير المقتضيات الحالية بزرع مبادىء تلاشي هذه المقتضيات متى حان الوقت المناسب ونضجت في قلوب اتباعه .

اما القول بان النبي ميز نفسه بمنافع حرمها على اتباعه فهو من الوهم الناشيء عن الجهل لان حد تعدد الزوجات لم يوضع الا في المدينة بعد الهجرة بسنين وما أبيح لهُ كان عبثاً وضع قصداً على ذي وجدان يحاسب نفسه في اعمالها بدلاً من ان يكون لذة لكل متهتك . وحدث كل زواجه قبل نزول الحد ومما نزل مع هذا الوحي التحديدي وحي آخر نزع من النبي كل امتياز فاصحابه أبيح لهم اذا راعوا حدود الشرع زواج مثنى وثلاث ورباع وكان لهم ان يكرروا زواجهم بقوة الطلاق الذي كان يكرهه اما هو فقد حرم عليه طلاق اية من زوجاته او ان يضيف اليهن زوجة اخرى . أيُعد هذا امتيازاً انتفاعياً ام عملاً انسانياً يراد به القيام باود من احتمى به وايثاره

وسبب موضوع الطلاق في الاسلام اغاليط وجدلاً الا انه مما لا شك فيه ان احكام الطلاق القرآنية هي اعدل من احكام الطلاق في سائر الكتب . وقد حسب حق الطلاق في الامم الخالية كافة نتيجة لازمة لسنة الزواج الا ان هذا الحق كان محصوراً في يد الجنس

الاقوى الا في النادر ولم تخوله الزوجة في حال من الاحوال · وان تقدم المدنية وترقي الافكار حسنا من حال المرأة بعض التحسين فالنساء ايضاً حصلن على نوع من هذا الحق الذي لم يقصرن في استعماله حتى صارت سهولة عقد الزواج وحله في الامبراطورية الرومانية من باب الاكتفاء باللفظ · وللزوج في شريعة العبرانيين ان يطلق زوجته لاي سبب يقبحها في عينيه · وكاد لا يوجد عندهم ما يحدد سلطته هذه وهواه ولم يجوّزوا للزوجة المطالبة بالطلاق بحال من الاحوال · وعدل الشمعيون عادة الطلاق بعد ذلك نوعاً من التعديل بوضع بعض الشروط الا ان الهلاليين حافظوا على الناموس وابقوه على صورته الاصلية · وعند ظهور النبي كانت سنة الهلاليين هذه هي الجارية بين يهود جزيرة العرب وكان الطلاق منتشراً عندهم كما كان منتشراً عند جيرانهم الوثنيين

اما الطلاق عند الاثينيين فكان بيد الرجل كما كان عند الاسرائيليين · وقد اباحت الاحكام الرومانية الطلاق منذ ابتدائها وكذلك الالواح الاثنا عشر · واذا صح ما يقوله المعجبون بالرومانيين من انهم لم يتمتعوا بهذه العادة الا بعد ان مضى على تأسيس رومية خمسمائة سنة فليس ذلك من دواعي فضلهم على غيرهم لانه ابيح للزوج عندهم ان يقتل زوجته لاسباب معينة كالسم والخمر الخ ولم يجز للمرأة ان تطالب بالطلاق واذا التمست مفارقته فان تهورها يجعلها اهلاً للقصاص · الا ان كثرة الطلاق في الجمهورية اللاحقة كانت علامة ظاهرة على انحطاط الآداب وسبباً ونتيجة له في آن واحد

ذكرنا هاتين الامتين لانهما اشهر الامم الخالية ولان افكارهما اثرت في الافكار المعاصرة اشد التأثير · ولا ينكر ان صبغة احكام الطلاق عند الرومانيين صبغة ارتقائية ونتيجتها رفعة المرأة ومساواتها بالرجل وهذا ناشيء عن تقدم الافكار كما هو ناشيء عن غيره من الاسباب الخارجية ·

« وكلمة المسيح التي تتضمن امره في الطلاق مرنة تقبل اي تفسير تتطلبه حكمة المقنن » ولنا ان نقول ان المسيح لما قال « فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان » لم يكن في تصوره الا اقتلاع حطة الاخلاق وانه لم يفكر في نتائج كلامه ويدل الحكم الملحق القاضي بجعل الزنا السبب الوحيد لجواز الطلاق على تنبه المسيح لمقتضى الحال (١) الا ان حكمة المقننين التالين

(١) لم يذكر انجيلان من الاناجيل السبب الذي حمل المسيح على الاذن لتلاميذه بتطليق نسائهم (مرقص ١٠ — ١١ ولوقا ٣٦ — ١٨) واذا حسبنا الاخبار الواردة في هذين الانجيلين اصح مما يسمى بانجيل متى نقول حينئذ ان المسيح ينا كان يعلم آداباً سامية لم يقصد ان يعمل بكلامه حرفياً بل كان قصده اقتلاع جرثومة الكفر وفساد الاخلاق ليس الا · وظن سلدن ان المسيح قصد بجوابه المبهم تجنب ايلام الشمعيين والهلاليين

لم نقف عند التمسك الاعمى بحكم وضع في الغالب لجمعية في طفوليتها . ويمكن ان تحسب قاعدة المسيح مبدأً يدل على شعور سام لا ان تحسب نموذجاً في حكم الطلاق هو مما ترده الاصلاحات التي أُضيفت الى هذه القاعدة في الاعصر التالية في البلاد النصرانية

ولم يقيد حق الطلاق في الجاهلية والجاهليون لم يراعوا في نسائهم عدلاً او شفقة الا ان النبي نظر الى هذه العادة بعين السوء وعد استعمالها مما يهز اركان الاجتماع وكثيراً ما صرح بان لا شيء يرضي الله اكثر من عتق الرقاب ولا شيء يغضبه اكثر من الطلاق ولكن كان من المستحيل عليه اقتلاع هذه العادة بتاتاً من بين الأعراب وهم على ما كانوا عليه . فمن ثم تحتم عليه ان يهذب جمعية ساذجة على جانب عظيم من التوحش و يعدها لحالة اسمى حتى اذا حان الوقت ونضجت الافكار تنمو مبادئه وتزهر اخلاقه في قلوب البشر ولم تكن تلك العادة شراً محضاً لذلك اباحها للرجل على شروط معلومة فاجاز للزوجين مدداً ثلاثاً يمكن لهما في غضونها اصلاح ذات البين فاذا لم يتم ذلك جرى الطلاق . ووضع قاعدة التوسط والحكم فيما اذا حدث نزاع بينهما . قال المسيو سربو وهو ممن لم يفضله احد في تحليل الاحكام الاسلامية : « اجيز الطلاق ولكن وضعت له رسوم تفضل الغاء طلاق مستعجل لم يترو فيه . ولكي يكون الطلاق مما لا يقبل الرجعة تلزم ثلاث طلقات متعاقبة بفصل ما بينها شهر واحد » .

ولقد احدثت اصلاحات النبي تغيراً جديداً في الشرائع المشرقية فهو وضع حداً للطلاق ومنح النساء حق المفارقة لاسباب معقولة وفي اواخر ايامه بلغ به الحال انه حرم الطلاق اذا لم يوجد حكم وقال « ان ابغض الحلال الى الله الطلاق » لانه يمنع السعادة ويضر في تربية البنين . لذلك نرى من اللازم ان لا نفسر اباحة الطلاق في القرآن التي لها صورة العادات الخالية الا بعبارات الشارع نفسه ومتى عرفنا امتزاج القانون والدين في الاسلام يسهل علينا فهم مقاصد الشارع في حكم الطلاق .

ومن المنتظر اختلاف المذاهب في اباحة الطلاق للزوج من غير مداخلة القاضي ، وقسم مهم من الفقهاء يعد الطلاق الصادر عن الزوج محرماً الا لضرورة كالزنا مثلاً وجماعة أُخر واكثرهم من المعتزلة لا يبيحون الطلاق مالم يجزه حاكم الشرع وهم يذهبون الى ان اباحة الطلاق تتوقف على حكم قاض عدل لا يميل مع احد الخصمين ويستندون في ذلك على كلام الشارع الذي ذكرناه وعلى قاعدته في وجوب انتخاب حكم لفصل الخلاف بين الزوجين ويذهب الاحناف والشافعيون والمالكيون واكثر الشيعة الى اباحة الطلاق لا لغير سبب وبعد ان اعترض صاحب « رد المحتار » على القائلين بتحريم الطلاق قال « واما الطلاق

فان الاصل فيه الحظر بمعنى انه محظور الا لعارض يبيحه وهو معنى قولهم الاصل فيه الحظر ومع ان الفقهاء اتخذوا الاباحة الموقتة قاعدة دائمة وجهلوا كثيرًا من قواعد العدل التي وضعها الشارع فان الاحكام التي سنوها اعدل كثيرًا وارحم بالنساء من اكمل الشرائع الرومانية التي نمت في حجر الكنيسة. وجوّز الفقهاء للمرأة طلب الفراق لسوء الاستعمال وسوء المعيشة وغيرها من الاسباب لكنها اذا لم تأت بحجة مقبولة في طلبها هذا تخسر صداقها. وعلى كل فمتى صدر الطلاق عن الزوج وجب عليه ان يعطيها صداقها الذي كانا عيناه وقت الزواج.

وتكرار نصح القرآن للزوجين ان لا يفترقا وتحريضه على حسم المنازعات بالتسوية الشخصية يدلان على احترام الشارع لعقد الزواج وفي سورة النساء « وان امرأة خافت من بعلها نشوزًا او اعراضًا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحًا والصلح خير وأُحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرًا. ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورًا رحيماً » (١)

وجاء فيها ايضاً « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيرا »

والاجانب اما انهم لم يدركوا احترام الزواج في الفقه الاسلامي اولم يقدروه قدره. جاء في الاشباه والنظائر وهو كتاب اسلامي مشهور ما خلاصته : ان الزواج سنة وضعت لحفظ الهيئة الاجتماعية ولكي يحفظ الناس انفسهم من التحش ويخلصوا اعراضهم من الدنس وهو مقدس وضعه الله بامره لانه عبادة تحفظ البشر من اختلاط النسل ومتى عومل معاملة الشركات والاتفاقات يكون ارتباطاً دائماً بُني على اتفاق اثنين رجل وامرأة لم يكن بينهما ما يمنعها من اتفاق مشروع

وكثيرًا ما قيل ان النبي اباح لاتباعه التسري فضلاً عما اباحه لهم من الزوجات الاربع الشرعيات الا ان ذكر الحكم المختص بهذه المسألة يكفي لبيان بُعد ذلك عن روح الاسلام. جاء في سورة النساء «ومن لم يستطع منكم طولاً ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات .... ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم»

(١) هذه الآية ايضاً حجة على الذين يذهبون الى ان الشريعة تبيح تعدد الزوجات لمن يقابل بينها وبين « فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة »

وقد بنى الفقهاء اباحة التسري بالجواري على هذا الاساس الضعيف وعلى احوال خاصة حدثت في ابتداء ظهور الاسلام. وهذه المسألة مع مناقضتها لروح الشريعة سببت بعض الحملات الشديدة على الدين الاسلامي. والتسري هو ارتباط السيد بالأمة من غير جواز زواجي كان معروفاً عند العرب واليهود والنصارى وجميع الامم المجاورة ولم يحرمه النبي في اول الامر الا انه في اواخر ايامه منعه صراحة جاء في سورة المائدة «اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌ لكم وطعامكم حلٌ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدانٍ»

قابل القسم الاول من هذا الامر بتعصب الكنيسة التي منعت زواج النصراني بغير النصرانية وكثيراً ما كان الحرق نصيب الكافر الذي يتزوج النصرانية ومن هنا يظهر الفرق بين هذه القاعدة والقاعدة الاسلامية التي هي نرقٍ ظاهر في المعيشة والمدنية

اما تحريم زواج المسلمات بغير المسلمين فاسبابه مقتضيات سياسية حدثت في اول تأسيس الجمعية الاسلامية. وغير نكير ان كثيراً من العادات التي اخذها المسلمون عن الجاهليين والتي بقيت ككثير من بقايا نشوء سالف مالت بالامم الاسلامية نحو الانحطاط ومن هذه العادات عادة الحجاب فقد كانت منتشرة بين الامم الخالية منذ اقدم العصور والجينكونيتس Gynaikonitis كانت من السنن المعروفة عند الاثينيين ونساؤهم كن محجوبات عن الانظار العامة كالفارسيات والهنديات اليوم والجينكونوفي Gynaikonowi هم مثل زملائهم من المشارقة حرس البيت يراقبون النساء بدقة شديدة. ونشأت من احتجاب المرأة بالطبع طبقة المتري التي كان لبعض اعضائها اثر مهم في التاريخ الاثيني. ولولا المظهر الخارق للعادة التي ظهرت به الدولة البيزنتية والدول الاوروبية والاميركية لقلنا ان منشأ الطبقة البائسة التي تظهر في كل هيئة اجتماعية تقدمت ولو قليلاً في الصناعات المدنية والتي هي خطر على البشر وعار على المدنية هو انسحاب المرأة وحرمانها من حقها المشروع في تهذيب العقول وتمحيصها وترقية عواطفها. ومن خواص العقل البشري انه متى لم يدرك النقي يسعى في ادراك المشوب. وخير مثال لقولنا هذا في الازمنة الخالية البابليون والاتوسكانيون والآثينيون والجاهليون من اهل مكة.

ومنشأ الفساد العمراني الذي يتسل الى كل قلب ويسمم دماء الامم المعاصرة هو انتشار عبادة المادة مغطاة بغشاء من الدين رقيق سواء كان نصرانياً او اسلامياً او غير ذلك. وقد تألم النبي منذ صباه من انتشار فساد الآداب المخيف بين اهل مكة واتخذ اقوى وسيلة

موافقة لاقتلاع جرثومته قال بسورث سمث : « ولقوانين النبي الشديدة في اول الامر ثم بالتنبه الادبي الذي حدث من هذه القوانين بعد ذلك نجح حتى يومنا هذا وكان نجاحه اشد من غيره في تخليص البلاد الاسلامية » حيث لم تطفح بالاجانب « من هؤلاء المتشردين الذين يعيشون بشقائهم وهم بوجودهم طبقة معروفة يخجلون كل فرد من الهيئة التي ينتمون اليها »

ومن المحقق ان سنة الحجاب لها منافع كثيرة في الهيئات الساذجة التي لم يستتب عمرانها بل ان الحجاب لا ينتج بتاتاً في بلاد تختلف فيها طرق التهذيب وتتباين الاخلاق تبايناً كلياً . وهي منتشرة اليوم بين اقوام يبعدون كثيراً عن التأثير الاسلامي الذي يظنه بعضهم السبب في حجاب المرأة في بلاد الهند وغيرها من البلاد الشرقية ففي بلاد كوريا بلغ حجاب المرأة درجة الهزء والسخرية وفي الصين وفي المستعمرات الاسبانية في جنوبي القارة الافريقية لا تزال عادة الستر محافظاً عليها . ولما قام النبي كانت منتشرة بين الفرس وغيرهم من الامم المشرقية فادرك منافعها وربما استحب للنساء العزلة والتفرد لانتشار فساد الاخلاق بين جميع الطبقات ولكن لا يقال انه اراد ان يكون انفرادها على هذه الصورة الجامدة المعروفة اليوم او انه اذن بالحجاب او اوصى به هو مخالف لروح اصلاحه كل المخالفة وليس في القرآن ما يدل على ان الحجاب هو جزء من هذا الدين . جاء في سورة الاحزاب « يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً » . وفي سورة النور « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن الآية » .

ارشادات سهلة الفهم في وسط ذاك الاضطراب الذي كان النبي يسعى في اخراج الترتيب منه بهداية الله — ارشادات حكيمة يقصد منها نشر الحشمة والادب بين النساء وتحسين لباسهن وسلوكهن ووقايتهن من الاهانة . فمن الخطإ اذاً ان نعتقدن في الدين ما يثبت هذه العادة . ومما يفسر استحسان النبي العزلة للنساء تفسيراً ظاهراً تمتع افراد بيته تمتعاً لا مانع فيه ولا حجاب . وهذه عائشة ام المؤمنين وزوج النبي بعد وفاة خديجة دبرت الحملة على علي وهي قادت عساكرها في وقعة الجمل وكثيراً ما دخلت فاطمة ابنة النبي في مبحث الخلافة وان زينب سبط النبي واخت الحسين حمت ابن اخيها من الأمويين بعد كربلاء وصلابة اخلاقها هالت عبيدالله بن زياد القاسي ويزيد القليل الرحمة .

وكان انحطاط الاخلاق الذي اجتث اصول العمران في الجاهلية وعند الاسرائيليين

والمسيحيين في اشد الحاجة للاصلاح[1]. ومما لا شك فيه ان استحسان النبي العزلة للنساء قصد به استئصال جذور الفساد ومنع عادة تعدد الازواج المخيفة التي كانت شائعة في الجاهلية الى زمن البعثة .

قال فن همر « ان الحريم بيت مقدس يُمنع منه الاجانب لا لأن النساء ليست حرية بالثقة بل لما البستهن العادات من ثياب التقديس وشدة احترام النساء في اعالي القارة الآسياوية والاوروبية (في البلاد الاسلامية) مما يظهر للعيان »

واتخاذ النساء مثالاً كالياً ميزة طبيعية تمتاز بها ارقى الشعوب الا ان العجب القومي والتعصب الديني احدثا نظريتين متناقضتين لرفعة المرأة بين الطبقات المهذبة في البلاد النصرانية اليوم . احداهما ترجع هذه الرفعة لما يسمى عند النصارى بالمار يولتري او تأليه العذراء وعبادتها والثانية للفروسية في القرون الوسطى المزعوم انها من نتائج المبادي التيوتونية اما من حيث النصرانية وعلاقتها بالنساء فكلما غضضنا الطرف واوجزنا في المقال نحن لها لاننا نرى الكنيسة في العصور الاولى حينما كان دين القوم من جميع الطبقات عبادة ام المسيح جردت المرأة من اوصاف الفضيلة والبستها رداء من شتم وحرمان وكتب آباء الكنيسة الواحد تلو الآخر فصولاً طوالاً في قبح النساء وميلهن للشر وتأصلهن في الخبث . وقد مثل ترتليان افكار معاصريه في المرأة في كتاب يقول فيه « انها باب الشيطان وفاتحة الشجرة المعلقة تاركة الاوامر الالهية مهلكة الصورة الرحمانية وهي الانسان » . وذكر كاتب اخر باستخفاف انه فتش عن العفة في النساء فلم يجد لها اثراً . ومثل كريزستوم وهو من كبار القديسين رأي الكنيسة في المرأة بقوله انها شر ضروري ومحنة طبيعية ومصيبة ملازمة وخطر مبين وسحر مميت وضرر مزين وقد حرمت الكنيسة على النساء القيام بالوظائف الدينية كلها الا ما كان منها وضيعاً ومنعتهن من حضور الجمعيات الخاصة والعامة ومن الذهاب الى الحفلات والاعياد وامرتهن ان يعتزلن الناس وان يصمتن ويطعن رجالهن وينصرفن الى النسيج والغزل والطبخ وان يحتجبن من فروقهن الى اقدامهن ان خرجن من بيوتهن — هكذا كان حال المرأة ايام كانت المار يولتري سائدة بين الناس . وفي الايام التالية وفي المدة التي انقضت بين انقراض الدولة الغربية واستتباب العمران الاوروبي الحاضر وهي مدة وصفت بانها « زمن الاغتصاب والمداهنة والاستبداد والشهوة والعنف » حسنت النصرانية من حال المرأة بعض التحسين بادخال مسألة الاديار للرهبان والراهبات وهذا التحسين المشكوك فيه لا يصلح الا لعصر كان اختطاف المرأة فيه من الامور المعتادة وبلغ فساد الاخلاق فيه درجة لا توصف . ولم تكن الاديار معاهد الفضيلة ابداً وكذلك لم تكن الرهبانية اشد

حفاظ لطهارة الذيل والعفاف . وفي يومية ريكو المذكور فيها زياراته الدينية مايوضح خاصة حال الاخلاق ومقام المرأة في ابهى دور « من عصر الايمان » ولم يؤثر قيام الانجيليين شيئاً في احوال المرأة او في افكار المشرعين المختصة بها . والخلاصة ان المسيح اكرم المرأة اما اتباعه فحرموها من العدل والانسانية .

والنظرية الثانية التي اشرنا اليها وهي الشائعة بين طبقة كتاب الروايات في اوروبا فهم يحسبون ان كل من قام في الاعصر المتوسطة هو بيرد او كريشتن . والمظنون ان عصر الفروسية يمتد من ابتداء القرن الثامن الى انتهاء القرن الرابع عشر « وهي المدة المعاصرة لحكم الامويين في الاندلس » . الا ان المرأة في هذه المدة وان احاطت بها هالة من الشعر والروايات فكثيراً ما كانت موضع الشر والاذى وكانت القوة والخداع اوصافاً مميزة للعصر الذهبي عصر الفروسية النصرانية . وكان اولند وآرثر حديث خرافة حتى التقى الغرب بمدنية الشرق . ولم تكن الفروسية ابنة المجاهل الاسكندناوية اوالحراج الجرمانية لان النبوة والفروسية كلتاهما من نتاج الصحراء . فمن الصحراء قام موسى وعيسى ومحمد ومن الصحراء اتى عنترة وحمزة وعلي .

وكانت المرأة عند الحضر من العرب وهم ممن انتحلوا المبادئ الشائعة بين السوريين والفرس والرومانيين على غاية من الانحطاط كما ذكرنا لكنها كان لها عند بعض الرحل حرية حسنة وتأثير قوي في احوال القبيلة قال برون « ولم تكن كاليونانية موضع البؤس والشقاء » فكانت ترافق الرجال الى الحرب وتبث فيهم روح الحماسة والنخوة وكان الكماة يخوضون عباب الحرب متغنين بمديح الاخت او الزوجة او المحبوبة وعندهم ان ما يكافئ به الحبيب هو خير مكافأة لهم عن صولتهم وبطشهم . وكانت الشجاعة والكرم خير خصال الرجال والعفة خير خصال النساء . وربما لو اصابت امرأة في القبيلة سُبة او لحقها عار استعرت لها لظى الحرب بين قبائل الجزيرة كلها . وما اسباب حروب الفجار التي استعرت نارها اربعين سنة حتى اطفأ النبي ثائرتها الا سُبة لحقت ابنة فتية في سوق عكاظ

وقد حول النبي عادة حسنة الى اعتقاد ثابت فاصبح احترام المرأة باباً من ابواب الاسلام ونرى في كثير من الاحوال التي تعكس لنا صورة عصره الساذج ان سننه تبعث على الشهامة والمروءة في معاملة المرأة اكثر من سنن سائر المعلمين السابقين ويختلف الاسلام كالنصرانية باختلاف الافراد والعصور لكن المروءة الخالصة كانت في الاجمال اكثر مصاحبة للاسلام منها لغيره .

وكما كان بطل الاسلام وابن مؤسس حلف الفضول على أهبة لمحاربة اعداء الله بسيفه

ورمعه كذلك كان على اهبة للاخذ بناصر الضعيف والمظلوم ولم يعدم الداعي الملوّح المستجير سواء كان في سهول العراق او ما هو اقرب للجزيرة فارساً يأتي للاخذ بناصره وجبر كسره. وكانت اعمال هؤلاء الفرسان تدوّن في الاخبار وتنقل من الخيمة الى القصور فتؤثر في صولة الاجيال التالية وان الخليفة التي من يده يوماً قدح الشراب في دار ضيافته لما بلغه ان فتاة عربية قالت وهي في اسر الرومانيين لم لا يأتي عبدالملك لتخليصي(١) وعاهد نفسه على ان لا يذوق شراباً او ماء حتى يخلص تلك الفتاة من الاسر فسار من وقته بجيش عرم على الرومانيين الانذال وما برَّ بيمينه حتى ملكت تلك الفتاة امرها. وان احد الملوك المغوليين وهو الملك همايون بينا كان يسير الى كابل والافغانيون يطاردونه وصله سوار ملكة مؤاخية وهو علامة على الصداقة وطلب المساعدة فترك شؤونه الخاصة واعاد كرته وكسر اعداءها ثم عاد الى سيره السابق.

وسمي عنترة ابا الفروسية وكان عليّ مثالها الكمالي جمع الشهامة والشجاعة والكرم وكان نقي القلب رفيق الخصال عالماً لا يخاف ولا يوبخ فوضع امام الناس اشرف مثال لمتانة الاخلاق والشجاعة والمروءة وقد ظلت مبادئه — وهي صورة مبادي ومعلمه — البلاد الاسلامية وكانت الروح المحرك المحيي لكثير من الاجيال التالية. وكان من امر الحروب الصليبية انها جمعت الغرب البربري بمدنية الشرق الاسلامي فنبهته الى عظمة المسلمين وترفهم. وكان تأثير مسلمي الاندلس خاصة في جيرانهم النصارى هو الباعث على ادخال الفروسية في الغرب ولم يكن التروبادور والتروفور الذين قاموا في جنوب فرنسا والمنسنجر الذين قاموا في البلاد الجرمانية والذين تغنوا في الحروب باناشيد العشق والشهامة الاتلاميذ رومنسور قرطبة وغرناطة ومالقة وقد استمد بترك وبكاشيو بل تاسو ونسوشر من الينبوع الاسلامي الا ان خشونة البرابرة الغربيين في عاداتهم وتصوراتهم كست الفروسية ثوباً خشناً.

وبقيت المرأة في الاعصر الاسلامية الاولى حتى سقوط الدولة العربية في المشرق تشغل مكاناً علياً كمكان المرأة المعاصرة فزبيدة امرأة الرشيد قامت بعمل عظيم في عصرها وتركت بحكمتها وادبها اسماً يفتخر به المتأخرون. وان حميدة امرأة الفاروق ادبت ابنها في غياب زوجها حتى صار من اشهر علماء عصره وكان اسمه ربيعة الرأي. وكانت سكينة ابنة الحسين وسبط علي اذكى اهل زمانها واكثرهم فضيلة وتهذيباً وقد سماها برون «سيدة سيدات زمانها» ووصفها بانها «اجملهن وارقهن واوضحهن اخلاقاً» وجمعت الى علمها حسن

(١) المشهور انه المعتصم

استماعها لحديث العلماء والصالحين . ولقد عرف نساء بيت النبوة بعلمهن وفضيلتهن وتصلب اخلاقهن . وكانت بوران امرأة المأمون واخته ام الفضل امرأة الامام الثامن العلوي وابنته ام الحبيب كلهن مشهورات بالعلم . وقامت في القرن الخامس من الهجرة السيدة سكينة الملقبة بفخر النساء والقت دروساً عامة في مسجد بغداد الجامع موضوعها الادب والبيان والشعر ولها في تاريخ الاسلام شأن يساوي شأن اشهر العلماء . وماذا كان بعينها يأتري لو انها نشأت بين اخوان القديس سرل والجواب يظهر مما اصاب هيباتيا وكان من الممكن ان لا يزرقها اولئك المتحمسون ولكن من المحقق انها كانت تحرق كالساحرات وكانت ذات الهمة (المحرفة في اللغات الاوروبية الحازمة) قلب الاسد وصاحبة كثير من الوقائع تحارب مع اشهر الفرسان جنباً لجنب

وقد اعترف كل من لم يتعصب من الكتاب باصلاح المرأة الذي اتى به النبي . على ان المتعصبين لا يزال ديدنهم القول بان الاسلام حط من مقام المرأة — تهمة لا اكذب منها — وان تسعة عشر قرناً من قرون النشوء والترقي عملت مع ما اورثته مدنية سابقة واحوال مناسبة على جعل المرأة في اكثر البلاد النصرانية اعلى درجة من الرجل بالنظر الاجتماعي اي ولدت آداباً تعترف على الاقل بحق المرأة بالافضلية الاجتماعية . ولكن ما هو حقها الشرعي يا ترى حتى في اعظم البلاد النصرانية . وان المرأة المتزوجة كانت في البلاد الانكليزية حتى في عصر متأخر جداً لا يعترف لها وحدها بحق من الحقوق دون زوجها . والآن اذا لم تبلغ المرأة المسلمة في مئة سنة آتية مقام اختها النصرانية الاجتماعي فثمة وقت كاف للحكم القاضي على الاسلام ورده . الا ان معلماً اتى في عصر لم تعترف فيه امة من الامم او دين من الاديان او جمعية من الجمعيات بحق للمرأة سواء كانت بكراً او متزوجة وعاش في بلاد تعد ولادة الابنة مصيبة ومع ذلك خول النساء حقوقاً لا تخولهن اياها الحكومات المتمدنة اليوم الا كرهاً — ان معلماً كبيراً مثل هذا حري بثناء الخلق واعترافهم له بالجميل ولو لم يفعل غير هذا لصدق في دعواه انه ارسل رحمة للعالمين . وان حقوق المرأة المسلمة كما هي مدونة في كتب الفقهاء لا تقل عن حقوق المرأة الاوروبية اليوم وانَّا لا نتعرض هنا لغير الضمانات التي تضمن حقوقها في الشريعة الاسلامية وهي ان المرأة ما دامت غير متزوجة تبقى في بيت ابيها وما دامت دون سن البلوغ فابوها يسوسها ومتى بلغت اشدها فان الشريعة تمنحها بيدها ما يخصها من الحقوق من غير ان يشركها شريك في ذلك . ولها حصة معلومة في ميراث ابويها كاخوانها واذا اختلفت النسبة فذلك لاختلاف المقام . ولا يمكن اجبار البالغة على زواج واحد حتى السلطان في حال من

الاحوال (١) ولا تخسر المتزوّجة بزواجها حقوقها الخاصة وللزوجة على الزوج صداق مقدم فاذا لم يدفعه تحكم الشريعة لها بصداق يناسب درجتها · والزواج الاسلامي عمل مدني لا يحتاج الى قسيس او رسوم معلومة (٢) وان عقود الزواج الاسلامية لا تخول الرجل سلطة على الزوجة وراء ما عينته الشريعة له عليها ولا تعطيه حقاً من الحقوق بالتسلط على امتعتها او ثروتها · فحقوقها من حيث انها امّ لا يتوقف الاعتراف بها على وساوس القضاة المختلفي المشرب والتربية · وما كسبته بيدها لا يتمكن من اتلافه زوج مبذر وان زوجاً شرساً لا يقدر على الاساءة الى زوجته من غير عقاب وهي تدير امرها بيدها متى كانت بالغة من غير مداخلة زوجها او ابيها · وتداعي غرماءها في المجالس العلنية من غير ان تضطر الى الانضمام الى رفيق ثان او تحت اسم زوجها وبعد ماتترك بيت ابيها تبقى لها الحقوق التي يخولها الرجل · وان امتيازاتها من حيث انها ام وزوجة لا تضمنها المجاملات المتقلبة ولكن تضمنها الاحكام المسطرة في كتاب الشرع · ونقول اجمالاً ان حالتها لا تقل عن حالة كثير من نساء الغرب ومن المحقق انها في كثير من الشؤون ارفع منهن مقاماً وتأخرها بالنسبة الى الغربيات ناتج عن قلة التهذيب بين الطبقات عامة لا عن شيء خاص في احكام الفقهاء ·

بيروت عبدالرحمن شهبندر

الازمة المصرية

يقول علماء الاقتصاد ان لايجاد الثروة ثلاثة عوامل كبيرة لا غنية لاحدها عن الآخر وهي العمل والمادة ورأس المال · فينشأ العمل بنشر التعليم بين طبقات الامة وجعله عملياً ونظرياً ومتى توفرت الهمة على العمل توفرت المادة · ورأس المال اهم من العنصرين الاوّلين وبدونه لا يقوم مشروع · ولقد ساعد مصر في هذا الربع الاوّل من القرن الرابع عشر للهجرة تحسين طرق ريها بفضل مهندسين بارعين وطنيين واجانب وتنظيم طرق الجباية وانتشار الامن بعض الشيء في بلاد الاقاليم والحواضر الكبرى واصلاح احوال المحاكم وامن

---

(١) بقي ملوك الغرب يجبرون البنات على زواج رعاياهم قروناً عديدة بعد ما وضع الفقهاء تلك القاعدة ·

(٢) ان العادات الوثنية التي اكتسبها مسلمو الهند والعادات الخالية التي كانت قبل الاسلام في سورية ومصر والتي لا تزال باقية ليست من الاسلام في شيء

الناس على ارواحهم واعراضهم واموالهم فكان من ذلك ان كثر العمل والمادة الاصلية موجودة في تربة البلاد وجودة مائها وهوائها وبقي رأس المال لحصل بعضه بقوة العمل وحسن المعرفة بتصدير حاصلات البلاد الى الديار الاجنبية وجاءت على الاثر الشركات تحمل رؤوس اموالها العظيمة تتجر بها وتستثمر الاطيان والاراضي وتبني المصانع والمعامل القليلة وتضارب وتقرض وتمدّ .

جاءت تلك الشركات واكثرها اوربية فرأت من سير البلاد نحو التقدم ما نشطها واعانها على ما تنشده استمتاعها بالامتيازات الاجنبية فضوعفت ثقتها باعمالها وثقة الناس بها وقد تساهلت الحكومة في الترخيص لها فتم لها ما ارادت من المغانم وبذرت عشرات الملايين من الجنيهات في وادي النيل تستعملها في كل ما رأت الربح فيه من الاعمال وكثر عددها حتى بلغت مائتين واربعين شركة بعد ان لم تكن منذ عشر سنين اكثر من خمسين شركة ولا يقلّ رأس مالها عن مائة مليون جنيه .

هذه الشركات وتحسين صادرات البلاد واكثرها من القطن هي التي اتت مصر برأس مال عظيم ولما كثر المال في الايدي ارتفعت اسعار العقارات والمنقولات والاراضي . وقد كان لخزان اسوان يد طولى في زيادة الثروة وما عولت الحكومة عليه من تعليته ثانية بحيث يقدّر ان ما سيحيا به من الاراضي الموات بنحو تسعمائة وخمسين الف فدان فاذا كان ثمن الفدان الواحد خمسين جنيهاً فتكون قد زادت ثروة القطر من هذه التعلية وحدها نحو ثمانية واربعين مليون جنيه .

وقد انصرفت معظم هذه الشركات الى ابتياع اراض زراعية وتمحضت لاصلاحها وبيعها من صغار الفلاحين بعد . وطفق بعضها يبتاع اراضي للبناء في ضواحي الحواضر كالقاهرة والاسكندرية فارتفعت بذلك اسعار الاراضي ولا سيما اراضي البناء لانها دخلت في دور المضاربة يضارب بها زيد فيربح فيأتي عمرو ليضارب بها ويبيعها بثمن اغلى حتى بيع الفدان الذي يؤجر بخمسة عشر جنيهاً في ظاهر القاهرة بزهاء ثلاثة آلاف جنيه ومعظم الاراضي التي أبيعت في سوق المضاربات لا تشتد حاجة الناس الى البناء فيها ولو بلغ سكان القاهرة ثلاثة ملايين نسمة فما بالك وهي لم تجاوز السبعمائة الف .

ولما رأى بعض الاهالي هذه الارباح راحوا يقلدون الغربيين في المضاربة مع قلة اختبارهم وعدم مرانهم على اعمالها هذا والمصارف تمد الناس في الاعتمادات وتملي لهم فتعطي صاحب الالف عشرة آلاف، وربما تثق بمن لا يوثق به : واغرق في هذه المضاربة كثير من الاروام والاسرائيليين والسوريين ممن هبطوا مصر ليغتنوا فيها في زمن قصير . وكان من

اثر تطوح البيوت المالية في امداد الناس بالمال وتطوح المزارعين والمضاربين في الاستلاف ان كثر التعامل بالربا وربما زاد معدله عن معدل الربح الصافي المتعامل به ودخل السوق المالية كثير من المحتالين المتلاعبين والسماسرة واحسنوا استخدام غفلة ابن البلاد ليربحوا بما يغفره ويجر عليه الخراب في العواقب ٠

ولما تجاوزت المضاربات حدود المعقول ارادت البيوت المالية التي نشرت اموالها في القطر ان تتوقف قليلاً في فتح الاعتمادات لمصارف مصر فتوقفت هذه عن الاقراض بالطبع وهناك حدثت ازمة رنت في ارجاء العالم انتهت بخراب بيوت مئات كانوا اغتنوا بالوهم اذ استحقت عليهم اموال لا مناص لهم من ادائها في اوقاتها وقبضت المصارف ايديها عنهم ولم تقف الازمة عند حد المضاربات بل تجاوزت الزراعة والتجارة وصادف ذلك موسم وقوف دولاب الاعمال وهو يقف بالطبع في فصل الصيف في مصر فتأذى من تلك الهزة كثيرون كما كان انتفع بتلك الهبة كثيرون وبات الذي اغتنى في اقل مدة وقد صفرت كفه من الدراهم واضاع آخر ما ملك بالوهم من مال المضاربات غير المعقولة ٠

وزاد الحال اعضالاً توسع القوم في الاسراف وفساد الاخلاق والاغراق في تقليد المترفين من الغربيين وبطر الفلاح النعم ولم يحسن التقليد لان الثروة جاءته عفواً صفواً فدهش لها وبهرته زبارجها وزخارفها واطارت لبه فتوسع في شراء الاطيان ولا سيما ما كان منها للحكومة فقسمته وباعته بالاقساط فصح على الفلاح المصري ما قاله الفيلسوف جول سيمون في الفلاح الافرنسي من قوله : « من اعظم الخطوب التي تصيب المزارعين اقتراضهم المال بالربا ذلك ان الفلاح يحب الارض فيستدين لشراء قطعة منها فلا يلبث ان يصبح مثقلاً بالديون لانه لم يأخذ لنفسه الحيطة خصوصاً اذا اصابته سنة بجوائحها السماوية واتت على مزروعاته فاضرت به ضرراً لا يستطيع معه القيام بحاجات ارضه ومسكنه لقلة دراهمه ٠ وفي اقراض المرابي للزارع على نسبة ارضه وعقاره نفع كبير للمرابي على انه ليس للزارع الا وسيلة لا تبلغ الغرض ودواء يسكن الم حاجته تسكيناً موقتاً ٠ وافضل الفلاحين من كانت اراضيه متناسبة مع مقدرته بحيث يتأتى له ان ينظر فيها نظراً بليغاً ويتعهدها في كل فصل من فصول السنة المرة بعد المرة والزراعة من اشد الشؤون في الاحتياج الى نظر القائم عليها اكثر من احتياج سائر الحرف واذا اتسعت اراضي الزارع وتناءت عنه فهو فلاح بالاسم وماحك جسمك مثل ظفرك ٠

« ومن كان له من المال والعلم ما يرغبه في الزراعة كأن يريد ان يجعل بالمال زراعة لا زراعة بالمال فيتخذ له مزارعاً يقوم مقامه ولو بعض القيام لئلا يخسر وتدعو خسارته الى

تثبيط عزائم جيرانه . الارض تستدعي رجلاً صنعته تعهدها واستثباتها كما ينبغي فارس للفرس وبطل لحمل السيف . واقصى ما تحتاجه الزراعة زارع منوّر وعامل خبير له من الارض ملكاً كانت ام ايجاراً ما يسمح له نشاطه بادارته ومتى زاد على ذلك فيكون صاحب مزارع ليس الا . واذا ضاقت عليه ارضه يتعذر عليه ان يقوم بما تقتضيه اياه من النفقات والتحسينات » .

هذا ما قاله سيمون ولكن الفلاح المصري لم يشكُ جائحة سماوية ولولم يكن النيل على وفائه معه وصادف انه خانه سنة او سنتين كما حدث ذلك في ادوار التاريخ الماضية لخرب معظم المزارعين المصريين ولا سيما الكبراء منهم ممن ابتاعوا اراضي ولم يروها وبقيت في ملكهم سنين وهم لا يعرفون موقعها فكيف لهم ان يتعهدوها ويحسنوا استثباتها واستثمارها .

وقد اضر بالبلاد ان رؤساء معظم الشركات والقائمين على المضاربات هم من شياطين الانس يعرفون من اين تؤكل الكتف لصيد الدرهم ولو بتطبيق اعمالهم على القانون صورة واعان على حدوث ما حدث ان الحكومة حصرت وكدها في تنشيط البلاد في امورها المادية الصرفة بحسب ما اداها اليه اجتهادها ولم تعر ارتقاءها الادبي جزءاً من تلك العناية وذلك لانها كانت ولا تزال تقول ان حالة البلاد المالية اذا حسنت فالادبيات تجيء تبعاً لذلك ولكن الشرق يحتاج الى غير هذه السياسة الاقتصادية . يحتاج الى العلميات كما يحتاج الى الماديات والا فتبقى الثروة بيد الاجانب او معظمها وتجني البلاد الضرر العظيم لانها لا تعرف كيف تسير كما جرى للمصري في العهد الاخير . ولو كانت اسباب التربية والعلم منتشرة بين المصريين كانتشار الشؤون الزراعية ولو اخصبت العقول كما اخصبت التربة لما صارت الحال الى ما صارت اليه من الاسراف والتبذير .

قال احد كبار الماليين كان من الواجب لفت انظار القطر الى الامور الضرورية المطلقة النافعة من مثل تعلم الاقتصاد الشخصي ليكون منه الارتقاء الاقتصادي للبلاد كلها وانهيال الثروة عليها وانه تجب عناية الافراد وان لا يخاطروا بما يقتصدونه الا في مشاريع ذات فائدة مضمونة وان لا يعتمدوا في مواردهم على ما تحسن به عليهم المضاربات من الارباح . فحسنات المضاربات ليست ثابتة ولا سليمة . قال ولو تعلم المصريون هذا التعليم لكان لهم منه اعظم رادع عن المضاربة في الاراضي بحيث ارتفعت اسعارها بمال استقرض من الخارج بدون ان يكون متلائماً مع ايرادها والسبب في عدم وقوف الناس عند حد الاعتدال في مطالبهم وغرورهم بالثروة المجنية هو الجنون في المضاربة الذي ضم الى الارباح الحقيقية ارباحاً كاذبة وهمية فتبخرت في الحال كالماء او كالسراب وساعدها فقدان التربية المتينة العامة التي

لو نالت مصر قسطها منها لاستنارت العقول ووقفت البلاد على حقيقة سر الحياة الاقتصادية أُشربت معرفة جمع الثروة الحقيقية الثابتة وحسن التعقل في صَرفها ·

صحف منسية

نثر ابن زيدون

كتب ابن زيدون من قرطبة الى ابن مسلمة باشبيلية قبل تحوله اليها

ياسيدي وارفع عُددي · واول الذخائر في عَددي · واخطر عِلق ملأْت من اقتنائه يدي · ومن ابقاه الله في عيشة باردة الظلال · ونعمة سابغة الاذيال · قد تناصر الثناء عليك · وتوالى الحديث الحسن عنك · حتى حللت محل الامانة · وكنت موضع تقليد الوطر واثبات الطوية · والله يمتعك بما حازه لك من الخير · ووفره عليك من طيب الذكر ·

في علمك اعزك الله ما تقتضيه العطلة من اظلام الخاطر وصداء النفس ويجنيه طول المقام من إخلاق الديباجة وارخاص القدر وقد رأيت ان اجتني ثمرة من آداب اطلت الاعتناء بها · واخلاق ادمت رياضة الانفس عليها · ولما تخصت الملوك وجدت عميدهم الذي انسى السالف قبله · وتقدم الراهق(؟)معه · واتعب العابر بعده · الحاجب فخر الدولة مولاي · ومن اطال الله بقاءه · وكبت اعداءه · بما خصه الله به من سناء الهمم · وشماخة الشيم · وانتظام اسباب الرياسة · وكمال آلات السياسة · واجتماع المناقب التي افردته من النظراء · واعلته عن مراتب الاكفاء · فرأيت قبل ان احمل لغيره نعمة · واوسم ممن سواه بصنعة · ان اعرض نفسي مملوكته عليه عرض من لا يؤهلها لاجازته الا بالاستجازة ولا يطمع لها في قبوله الا مع المسامحة · فلو كنت الوليد بن عبيد براعة نظم · وجعفر بن يحيى بلاغة نثر · وابراهيم بن المهدي طيب مجالسة · وامتاع مشاهدة · ثم حضرت بساطه العالي لما كنت مع سعة احاطته الا في جانب التقصير وتحت عهدة النقصان غير انه لا يعدم مني نجابة غرس اليد واصابة طريق المصنع من ولاية أخلصها · ونصيحة أمحضها · وشكر اجنيه الغض من زهراته · وثناء أهدي اليه العطر من نفحاته · ففوضت اليك هذه السفارة · واعتمدتك بتكليف النيابة · لوجوه منها حظوتك لديه · ومكانتك منه · سوَّغك الله الموهبة في ذلك وانهضك باعباء الشكر لها ومنها سرو مذهبك · وكرم سجيتك · وصحة مشاركتك لمن لم يستوجبها استيجابي · ولا استدعاها بمثل اسبابي · من تداني الجوار · وتصافي السلف

والانتماء الى آصرة الادب . فان وافقت السانحة الارادة فحظ أقبل . وعبد بلغ من سيده ما امّل . ولم اقل عمرك الله كما قيل في النجمين . بل قلت وقد يجمع الله الشتيتين . وان عاق حرمان عادته ان يعوق عن الظفر و يعترض دون الامل فأعلمه ايده الله اني في حال العطلة مع غيره والتصرف . و يومي الايطان والتطوف . كالمهتدي بالنجم حين عدم ذكاء ومتيمم الصعيد اذا لم يجد الماء .

فان اغشَ قوماً غيره او ازرهم فكالوحش يدنيه من الأَنس المحل

والله يتولاه بالفسحة في عمره . والاعلاء لامره . و يصرف الاقدار مع ايثاره . و يصرف وجوه التوفيق الى اختياره . ولك ياسيدي في انتدابك كما ندبتك له ما للساعي المنجح من الشكر . او المجتهد البالغ من العذر . وملاك الامر تقديم المراجعة للايجاب فاسكن اليه . والجواب فاعتمد عليه . وأهدي اليك ندى الغض الناضر من سلامي والارج العطر من تحيتي . اه

وله رسالة خاطب بها ابا مروان بن حيان المؤرخ المشهور قال في فصل منها وقد اهداه احمالاً من الزيت والبر في سنة محلة .

وللذي اسكن اليه من حسن قبولك . وجميل تأويلك . اقابل بالحقير . واواجه بالتافه اليـ ـير . و يعلم الله تعالى اني لو تاحفتك (قاسمتك ?) عمري ما رأيت ان ذلك كفوءٌ لقدرك . ولا وفاءٌ ببرك . فكيف ما دونه فلك المنزلة التي لا تسامى . والجلالة التي لا توازى . وما شيءٌ وان جل الا محتقر لك مستصغر عند محلك . و يصل مع موصل كتابي هذا ما ثبت ذكره في المدرجة طيه وانت بمعاليك تتفضل بقبوله وتصل اجمل صلة بالتغاضي عن رتاحته . والاستجازة لنزارته . مقتضياً بذلك شكري وحمدي ومستبداً منهما بجميع ما عندي . اه

وقد راجعه ابن حيان برقعة يقول فيها : ان لفجأة المسرات الباعثة لآمال النفوس الخائمة صدمات تذهل الجنان وتعقل اللسان فمن فرح النفس ما يقتل ومن باهر الصنع ما يذهل . ولا كمثل ما فاجأتني به من فضلك المبتدر ميقاته على وفاض من الازودة وخمود من المصابيح وضغطة من الظنون المخوفة لنكد السنا لم يشغلك عن جودك شاغل حتى قضيت نذرك فيَّ لاول وقته ولم ترض بعادتك المتكافئة لي بشأن الدين حتى تحملت عني ثقل القوت فطرقني قطار هديتك الفاجئة غداة اصبحت فيها منفضاً من الزاد مستوفزاً للارتياد فسكنت دهشاً فرحاً واستحال بياني بلها حتى نوَّلت كتابك الكريم . نظرت في لآليه فتالني به اهتزاز لذكرك وارتياح لقولك فجوزيت جزاء المحسنين بما ارحت من فكري لكشفك في اديم

يوم عمّ عام مع انك قبلت شكري فلا فضل فيه لمقابلة معروفك الا بامحاض الدعاء لك في حراسة مهجتك ودوام نعمتك واستبصار الملك الاعلى عميد الورى مستكفيك في حسن رأيه فيك اعاذك من عين الكمال ووقاك طوارق الايام والليال وحفظ على زماننا ما فيك من كرم الخلال وانهضك بما التزمته من احناث من اقسم في عصرنا ان اجود عدم لا ينال بمنه ويمنه اه . وقد طوينا في هذه الرسالة بعض الفاظ لسقم النسخة المنقول عنها .

شعر ابن زيدون

في دار الكتب الخديوية بالقاهرة نسخة خطية من ديوان بحتري المغرب ابن زيدون وقع في ١٠٧ ورقات صغيرة تغلب عليه الصحة في الغالب ولم يذكر فيه تاريخ ليعرف به الزمن الذي كتبت فيه وقد كتب في آخره مانصه : تم شعر ذي الوزارتين ابي الوليد احمد ابن زيدون وشعر الملكين والحمد لله وحده

وان خير ما يقرظ به ديوان صاحب قصيدة « اضحى التنائي بديلاً من تجافينا » التي بعث بها الى ولادة بنت المستكفي بالله ان يكتفى بنقل شذرات منه تدل على مبلغ ذاك الشعر من العراقة في الحضارة والرقة . وقد اتصل بنا ان اديباً من دمشق قد مثل هذا الديوان البديع للطبع او كاد ولا شك ان اصحاب القريض سيسرون بنشره بينهم .

قال ابن زيدون يمدح ابا الوليد بن جهور احد ملوك الطوائف وهي اول ديوانه

هذا الصباح على سُراكِ رقيبا ... فصلي بفرعك ليلك الغربيبا (١)
ولديك امثال النجوم قلائد ... الفت سماءك لبة وتريبا
ليشب عن الجوزاء قرطك كلما ... جنحت تحث جناحها تغريبا
واذا الوشاح تعرضت اثناؤه ... طلعت ثريا لم تكن لتغيبا
ولطالما ابديت اذ حييتنا ... كفاً هي الكف الخضيب خضيبا
اظنينة دعوى البراءة شأنها ... انت العدو فلمْ دُعيت حبيبا
ما بال خدك لا يزال مضرجاً ... بدم ولحظك لا يزال مريبا
لو شئت ما عذبت مهجة عاشق ... مستعذب في حبك التعذيبا

(١) قوله « فصلي بفرعك ليلك الغربيبا » من قول ابي الطيب

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فارت ليالي اربعا

وينظر اليه ايضاً قول المعري

يود ان ظلام الليل دام له ... وزيد فيه سواد القلب والبصر (ذخيرة)

ولزرته بل عدته ان الهوى　　مرض يكون له الوصال طبيبا
ما الهجر الأ البين لولا انه　　لم ينعَ فاه به الغراب نعيبا
ولقد قضى فيك التجلد نحبه　　فثوى واعقب زفرة ونحيبا
وارى دموع العين ليس لفيضها　　غيض اذا ما القلب كان قليبا
مالي وللايام لجّ مع الصبى　　عدوانها فكسى العذار مشيبا

وقال مع تفاح اهداه الى الوزير الاجل محمد بن جهور

اتتك بلون الحبيب الخجل　　مخالط لون المحب الوجل
ثمار تضمن ادراكها　　هواء احاط بها معتدل
تأتى لالطاف تدريجها　　فمن حر شمس الى برد ظل
الى ان تناهت شفاءالعليل　　وانس المشوق ولهو الغزل
فلو تجمد الراح لم تعدُها　　وان هي ذابت نخمر تحل
لها منظر حسن في العيون　　لدنياك لكنه منتقل
وطعم يلذ لمن ذاقه　　كلذة ذكراك لو لم يُمل
وريا اذا نفحت خلتها　　تملي ثناك او تستهل
يمثل ملمسها للاكف　　لين زمانك او يمثل
صفوت فادلت في عرضها　　ومن يصف منه الهوى فليدل
فبولكها نعمة غضة　　وفضل بما قبله متصل
ولو كنت اهديت نفسي اخ　　تصرت على انها غاية المحتفل

وكتب الى الاديب ابي بكر مسلم بن احمد رسالة يتنصل بها

شحطنا وما للدار نأي ولا شحط　　وشط بمن نهوى المزار وما شطوا
اداحبابنا الوت بحادث عهدنا　　حوادث لا عقد عليها ولا شرط
لعمركم ان الزمان الذي قضى　　بشت جميع الشمل منا لمشتط
واما الكرى مذ لم ازركم فهاجر　　زيارته غبٌّ والمامه فرط

الى ان يقول وهو مما ذكر له في القلائد

عدا سمعه عني واصغى الى عدى　　لهم في اديمي كلما استمكنوا عط
بلغت المدى اذ قصروا فقلوبهم　　مكامن اضغان اساودها رقط
يولونني عرض الكراهة والقلى　　وما دهرهم الا النفاسة والغبط
وقد وسموني بالتي لست اهلها　　ولم يَمنِ امثالي بامثالها قط

فورت فان قالوا الفرار ارابه فقد فرَّ موسى حين همَّ به القبط

وقال وهو السحر الحلال

صاحب اعدائي لانك منهم يامن يصح بمقلتيه و يسقم
اصبحت تسخطني فامنحك الرضى محضاً و تظلمني فلا انظلم
يامن تألف ليله ونهاره فالحسن بينهما مضيءٌ مظلم
قد كان في شكوى الصبابة راحة لوانني اشكو الى من يرحم

وله

سقى الغيث اطلال الاحبة بالحمى وحاك عليها ثوب وشي منمنما
واطلع فيها للازاهير انجما فكم رفلت فيها الخرائد كالدما
اذ العيش غض والزمان غلام

اهيم بجبار يعز واخضع شذا المسك من اردانه يتضوع
اذا جئت اشكوه الهوى ليس يسمع فما انا في شيء من الوصل اطمع
ولا ان يزور المقلتين منام

قضيب من الريحان اثمر بالبدر لواحظ عينيه ملين من السحر
وديباج خديه حكى رونق الخمر والفاظه في النطق كاللؤلؤ والنثر
وريقته في الارتشاف مدام

سقى جنبات القصر صوب الغمائم وغنى على الاغصان ورق الحمائم
بقرطبة الغراء دار الاكارم بلاد بها عقَّ الشباب تمائمي
وانجبني قوم هناك كرام

فكم لي فيها من مساء واصباح بكل غزال مشرف الوجه وضاح
يقدم افواه الكؤوس بتفاح اذا طلعت في راحه انجم الراح
فانا لاعظام المدام قيام

ويوم لدى البنى (؟) في شاطيء النهر تدار علينا الراح في فتية زهر
وليس لنا فرش سوى يانع الزهر يدور بها عذب اللما اهيف الخصر
بفيه من الثغر الشنيب نظام

ويوم بحوجي (؟) الرصافة مبهج مررنا بروض الاقحوان المدبج
وقابلنا فيه نسيم البنفسج ولاح لنا ورد بخد مضرج
تراه امام النور وهو امام

واكرم بايام العفاف السوالف ولهو اثرناه بتلك المعاطف

بسود اثيث الشعر بيض السوالف اذا رفلوا في وشي تلك المطارف
فليس على خلع العذار ملام
وكم مشهد عند العقيق وجره قعدنا على حمر النبات وصفره
وظبي يساقينا سلافة خمره حكى جسدي في السقم رقة خصره
لواحظه عند الدنو سهام
فقل لزمان قد تولى نعيمه ورثت على مر الليالي رسومه
وكم رق فيه بالعشي نسيمه ولاحت لساري الليل فيه نجومه
عليك من الصب المشوق سلام

وله وقد قال فيها صاحب الذخيرة انه كتب بها من بطليوس ايام تكدره عليها وهي من غرر نظامه ودرر كلامه

يادمع صب ما شئت ان تصوبا ويافؤادي آن ان تذوبا
ان الرزايا اصبحت ضروبا لم ار لي في اهلها ضريبا
قد ملأ الشوق الحشا ندوبا في الغرب اذ رحت به غريبا
عليل دهر سامني تعذيبا ادنى الضنا اذ ابعد الطبيبا
ليت القبول احدثت هبوبا ريح يروح عهدها قريبا
بالافق المهدي الينا طيبا تعطرت منه الصبا جنوبا
يبرد حر الكبد المشبوبا يامتبعاً إساءه التأويبا
مشرقاً قد سئم التغريبا اما سمعت المثل المضروبا
ارسل حكيماً واستشر لبيبا
اذا اتيت الوطن الحبيبا والجانب المستوضح العجيبا
والحاضر المنفسح الرحيبا فحي منه ما رأى الجنوبا
مصانع تجاذب القلوبا حيث الفت الرشأ الربيبا
مخالساً في وصله الرقيبا كم بات ليلي بدره الغربيا
لما انثنى في سكره قضيبا تشدو حمام حليه تطريبا
هصرته حلو الجنى رطيبا ارشف منه المبسم الشنيبا
حتى اذا ما اعتن لي مريبا شباب افق هم ان يشيبا
بادرت سعياً هل رأيت الذيبا (١) اهاجري ام موسعي تأنيبا

(١) اخذه من قول الراجز يصف لبناً ممذوقاً جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط وهذا

من لم أسغ من بعده مشروبا ما ضره لو قال لا تثريبا
ولا ملام يلحق القلوبا فلا ملام لحق المغلوبا
قد طال ما تجرّم الذنوبا ولم يدع في العذر لي نصيبا
ان قرت العين بان اوّبا لم آل ان استرضي الغضوبا
حسبي ان احرم المغيبا قد ينفع المذنب ان يتوبا

وقال
ولما التقينا للوداع غدية وقد خفقت في ساحة القصر رايات
وقربت الجرد العتاق وصفقت طبول ولاحت للفراق علامات
بكينا دماً حتى كأن عيوننا بجري الدموع الحمر منها جراحات
وكنا نرجي الأوب بعد ثلاثة فكيف وقد كانت عليها زيادات

مطبوعات ومخطوطات

المانيا الحديثة ونشوءها

صدر هذا الكتاب النفيس في الشهور الاخيرة باللغة الافرنسية من قلم المسيو هنري ليشتنبرجي من اساتذة كلية السوربون في باريز وهو في نحو اربعمائة صفحة تلونا في مسطوره آثار عظمة الامة الجرمانية وارتقائها في آدابها وعلومها وصنائعها واخلاقها واوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في خلال القرن التاسع عشر كل ذلك مكتوب بلسان الانصاف البحت اوحاه العلم الذي لا ينطق صاحبه من جانب القلب بعامل هوى النفس واملاء التمحيص الذي يتوفر عليه علماء الغرب اذا اخصوا في فن من الفنون وارادوا ان يضعوا فيه المصنفات الممتعة النافعة . وقد عددنا الظفر بهذا الكتاب نعمة لانا كنا نعرف درجة ارتقاء الالمان معرفة سطحية وذلك لان من اخلاق هذه الامة بل من اخلاق الامم السكسونية كالانكليز والاميركان ان لا يهمها التظاهر بعظمتها الحقيقية الا بعد ايراد الدلائل الحسية على ذلك وظهور نتائج الاعمال بالطبع .

ومما استفدناه منه ان الالمان لم يكتفوا بنزول بلادهم بل هم منتشرون في جميع بلاد اوربا ولا سيما فيما وراء تخومها من الجهات الاربع فقد كان سنة ١٩٠٠ في بلاد النمسا

التشبيه عند اهل النقد نوع من انواع الاشارة لانه اشار الى تشبيه لونه بلون الذئب بسبب شوبه بالماء الذي غلب على اللبن (الذخيرة)

٩١٧١٠٠٠ الماني اي ٣٦ في بالمائة من مجموع السكان يحيون فيها لغتهم وحضارتهم ونفوذهم وفي الاكثر في بوهيميا على كثرة مناضلة عنصر الصقالبة لهم · وعلى الرغم من معاكسة العنصر المجري للعنصر الجرماني لا يزال في بلاد المجر ٢١٣٥٠٠٠ الماني اي نحو ٣٣ في المئة من عامة السكان يحافظون على حالتهم وان شئت فقل يفلحون في الاعمال وينتشرون كما هم في اقليم كرواسيا سلافونيا من ديار المجر فانهم زادوا فيها اربعة اضعاف ما كانوا في النصف الثاني من القرن الاخير · وعدد الالمان في شرق المانيا من ولايات البلطيق من اعمال روسيا نحو ربع مليون وهم العنصر المتمدن المتعلم الغني · وفي جنوبي المانيا اي في بلاد سويسرا الالمانية يتراجع عنصرهم قليلاً بالنسبة لعنصر الولش وفي غربي المانيا ٣٢ الفاً اي في هولاندا والبلجيك الفلامندية و٦٨ الفاً في البلجيك ولوكسمبرغ

وما عدا هؤلاء فان هناك ملايين من الالمانيين غادروا المانيا على ان يعودوا اليها او هاجروا منها هجرة قطعية فمنهم جنود يخدمون الاجانب ودعاة دين للكثلكة او البروتستانتية وروّاد في آسيا وافريقية يكتشفون المجاهل والمعالم ومهاجرون مدفوعون بعامل الفقر نزلوا وراء البحر المحيط اي في اميركا يبحثون عن الثروة وكل هؤلاء الالمان الذين طرحتهم النوى مطارحها والقتهم الاقدار في اطراف المعمور كلهم عنصر قوي في جسم القوة الجرمانية ذو شأن عظيم ·

قال المؤلف ومعلوم ان هجرة الالمان كانت متصلة بعد سنة ١٨٣٠ حتى انه يقدر عدد الالمانيين الذين غادروا المانيا في خلال القرن التاسع عشر بخمسة ملايين ومعظمهم بين سنة ١٨٨١ و١٨٩٠ وهكذا أُسست منذ ذاك العهد مستعمرات المانية كثيرة واهمها مستعمرة الالمان في الولايات المتحدة ويقدر عدد الاميركيين الذين هم من اصل الماني بخمسة وعشرين مليوناً وبعشرة الى اثني عشر مليوناً نفراً في جبهتهم المانيتهم وهم اما انهم يتكلمون بالالمانية او هم مولدون من آباء المان او انهم احتفظوا بعاداتهم وتهذيبهم بما قوى الرابطة بينهم وبين بلادهم الاصلية وكان هذا العدد الدثر من اعظم القوى الالمانية اذ لم يتشبه على ايسر وجه بمن نزل بين اظهرهم من الاميركان وينزع عنه اخلاقه وآداب جنسه في الجيل الثاني او الثالث واحياناً في الجيل الاول

ويبلغ الالمان في اميركا الجنوبية نصف مليون نسمة وهم فيها اكثر احتفاظاً بلغتهم وآدابهم واغنياء من الطراز الاول وفي اوستراليا يتشبهون بالعنصر الانكليزي السكسوني لاول امرهم وعلى العكس في النازحين منهم الى الشرق من جهات الاملاك العثمانية والروسية كقفقاسيا وتركستان وسيبيريا من جهة وفلسطين من جهة اخرى فقد احتفظوا باصولهم ولغاتهم وهم على اقاب قوسين من النجاح والتقدم وهكذا الحال في سائر البلاد التي نزلوها في

آسيا ولا سيما في المستعمرات الهولاندية وكذلك في افريقية ولا سيما في مستعمرة الرأس ويقدرون عدد الالمان في اوربا بستة وسبعين مليونًا ونصف يضاف اليهم نحو اثني عشر مليونًا منتشرين في اطراف القارات الاربع الاخرى منهم عشرة ملايين في الولايات المتحدة واربعمائة الف في اميركا الشمالية وخمسمائة الف في اميركا الجنوبية وثمانية عشر الفًا في اميركا الوسطى و٦٢٣ الفًا في افريقية و١٠٠ آلاف في جزائر المحيط و٨٨ الفًا في آسيا. وسنعرب من هذا الكتاب بعض فصوله لفائدة القراء

محمد علي

هي قصة تاريخية غرامية تشتمل على سيرة محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية من اول نشأته حتى قبض على ازمة الحكومة المصرية عربها عن الانكليزية نسيب افندي المشعلاني المشهور في تعريب القصص والفكاهات ونشرتها مجلة الهلال الغراء ملحقًا لها تعويضًا لقرائها عن شهري الصيف وهما اللذان تحتجب فيهما هذه المجلة النافعة وقد جعلتها هدية لمن يؤدي قيمة الاشتراك من القراء لان مشتركي الجرائد والمجلات في الامة العربية لا يدفعون في الاغلب الا اذا حفزهم حافز ورغبهم مرغب كأن ما يتناولونه كل يوم او كل اسبوع او كل شهر من الافكار والابحاث لا يساوي وحده في نظرهم ان يقابل بثمن طفيف. وقد احسن رصيفنا صاحب الهلال بهذه القاعدة التي جرى عليها منذ سنين وفقنا الله واياه. والرواية عذبة العبارة جمة الحوادث والتفرعات الملذة وهي في زهاء ثلاثمائة صفحة من قطع الثمن فنحث عشاق الفكاهات على مطالعتها ونثني على ناقلها وناشرها بما يستحق فضلها

ديوان صريع الغواني

صريع الغواني او مسلم بن الوليد شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية وهو فيما زعموا اول من قال الشعر المعروف بالبديع وهو الذي لقب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة واشهرهم ابو تمام الطائي وكان حسن النمط جيد القول في الشراب وكثير من الرواة يقرنه بابي نواس في هذا المعنى توفي سنة ٢٠٨ وقد كان طبع ديوانه في اوربا والهند واعاد طبعه الآن فئة من انصار الادب ببورسعيد فاحسنت ونعما فعلت وحبذا لو تتبعه بغيره من الكتب المطبوعة في اوربا وهي تعد كالمخطوطة في ديارنا لندرتها. قال مسلم في الحكم

شكا الزمان بما امضى به قدرا ... ان الزمان لمحمود على الابد
لن يبطىء الامر ما املت اوبته ... وان اعانك فيه رفق متئد
والدهر آخذ ما اعطى مكدر ما ... اصفى ومفسد ما اهوى له بيد

فلا يغرنك من دهر عطيته فليس يترك ما اعطى على احد

وقال من هذا النوع

كم رأينا من اناس هلكوا فبكى احبابهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم ودهم لو قدموا ما تركوا
كم رأينا من ملوك سوقة ورأينا سوقة قد ملكوا
قلب الله عليهم وركا فاستداروا حيث دار الفلك

مرآة الزمان

جرت عادة كثير من طباع الغربيين ان يطبعوا بالزنكوغراف كثيرًا من الكتب القديمة الخطية لا سيما اذا كان خطها بديعاً يغلب عليه الضبط والصحة وفي ذلك فوائد لا تحصى لان المالك نسخة من كتاب او رسالة طبع على هذه الصورة كأنه ملك النسخة الاصلية الفريدة في بابها وربما طبع الكتاب بهذه الطريقة لا لما ذكر بل لصعوبة النسخ او الطبع على الطريقة المألوفة ومن ذلك ما فعله الدكتور ربكارد جوت استاذ العربية في جمعة شيكاغو فانه طبع في الايام الاخيرة الجزء الثامن من مرآة الزمان للعلامة يوسف سبط ابن الجوزي وهذا الجزء يحتوي على مهم الاحداث من سنة ٤٩٥ الى سنة ٦٥٤ ه ولعل بعض الطابعين في المشرق يقتفون هذا الاثر وان كان يحتاج الى عناء وكلفة فان في دور الكتب هنا وعند كثير من المولعين بها كثيرًا من الكتب التي يجدر ان تطبع على هذه الطريقة لا على الطريقة الاخرى

الفضيلة والرذيلة

جورج اونه من مشاهير كتاب فرنسا المعاصرين له عشرات من المؤلفات في التمثيل والقصص وكلها منتشرة بين الفرنسيس وهو من الناقمين على ارباب المجد والمال ولذلك ترى معظم كتاباته تدور على هذا المحور . وقد عرب منشيء هذه المجلة في هذه الآونة رواية من سلسلة روايات له كثيرة سماها جهاد الحياة نشرتها مجلة مسامرات الشعب في ٢٦٧ صفحة منصفة القطع وسميت «الفضيلة والرذيلة» وهي تمثل رجلاً من اهل الادب والقريض اتصل بفتاة اديبة وامرأة متأدبة تحاول ان يحل من الاولى محلاً دفعته عنه بفضل ادبها وتربيتها مع ان امها كانت معروفة بالخلاعة والتبذل وحل من الثانية وهي غنية من ربات القصور محلاً لا يليق بمن كتب وصنف ان يحله فاخذت ترفع مقامه بين خاصتها وتبره ليصلح لها كتاباتها المنثورة والمنظومة لانها كانت مولعة بالاشتهار ادبية ولما تستعد لها

على اصولها وقد تخلل ذلك كلام في النقد على ارباب الرفاهية والمجد وطلاب الشهرة الباطلة مثال من تغفل بعض ارباب المطابع والجرائد والمجلات والمجامع العلمية في فرنسا مما تحتاج كل صفحة من صفحاته الى شرح طويل . وهذه الرواية تلذ مطالعتها الخاصة اكثر من العامة وهي تطلب من مجلة مسامرات الشعب وثمنها خمسة عشر قرشاً وتهدى لمن يشترك بالمجلة المذكورة

المجرم البري٠

نشرت مجلة مسامرات الشعب القصصية هذه الرواية معربة بقلم كاتب هذه السطور ايضاً وهي رواية تلذ مطالعتها جمهور الناس تمثل صورة من صور التهور في الغرام الحرام وعواقبه المدمرة وذلك ان صاحب معمل في باريز كان في حالة حسنة من دنياه يعيش في غبطة مع زوجته وفتاته فساقه الغرور الى الاتصال بامرأة احد كبار المحامين استلت منه آدابه وماله ثم جمعته الاقدار في حرب السبعين مع زوجها وكان يعرفه من قبل معرفة بسيطة فتصادفا على الرغم منه وانقذ كل منهما حياة صاحبه في بعض المواقع فعاد صاحبه وقد قطعت ساقاه فلم ير صاحب المعمل ان يعود الى سالف عهده مع زوجة صاحبه بعد تلك الحقوق التي بينهما وراح يوبخ نفسه على ما قدمت يداه اما هي فكتمت الامر واخذت تدبر له مكيدة للانتقام منه بواسطة رجل كان قبض عليه صاحب المعمل في دار الحرب وهو يتجسس للعدو وسجنه ريثما ينفذ فيه حكم الاعدام ففرَّ في الليل وعاد الى باريز وتعرَّف الى تلك المرأة وكان مطلعاً من قبل على شيء مما يدور بينها وبينه قبل الحرب . وصادف ان وقع صاحب المعمل في ضائقة عقيب وقوف الحركة المالية في فرنسا وكان مديناً لرجل عجوز بمبلغ من المال فاراده ان ينظره الى ميسرة فالح هذا في تقاضي دينه فلم يسعه الا ان يدفع اليه ما اراد وعندها دمر ذلك الجاسوس الى دار الشيخ وذبحه واخذ اوراقه المالية التي كانت فيها اشارة الى انها صادرة عن صاحب المعمل ودفع القسم الاعظم منها الى عشيقة صاحب المعمل القديمة لتؤديها اليه وفاء عن مبلغ كانت اقترضته منه ايام اتصالها به فاخذها هذا فرحاً وصادف ان كانت دار صاحب المعمل في ضاحية باريز مناوحة لدار الشيخ القتيل الذي كان دائن الاول مديناً له وان صاحب المعمل تأخر ليلة القتل مضطرباً من الازمة المالية التي تهدده بالخراب وان زوجته وابنته رأتا شخصاً شبيهاً به فظنتاه انه هو الذي دخل دار ذلك الجار العجوز قبيل منتصف الليل واتفق وجود شبه في الصورة بين صاحب المعمل وبين الجاسوس القاتل ووقعت للابنة وامها امارات قوية تدل على ان صاحب المعمل هو القاتل لا محالة ولما استنطقتهما النيابة من الغد ظهر عليهما ترددلم يشك القضاة معه بان القاتل هو صاحب المعمل قتل غريمه بعد ان دفع اليه المبلغ كما علم من كتابين كان بعث بهما اليه قبل يومين من مقتله يهدده فيهما ضمناً ان لم يمهله في الدفع

ولما سجن صاحب المعمل بما قامت عليه من الامارات وهو ينادي بانه بريء تقدم صديقه في دار الحرب ذاك المحامي على عجزه ليتولى الدفاع عنه وفاء بحقوق الصداقة فابى ان يطلعه على سر قضيته ليحسن انقاذه من ايدي القضاء. لكن صديقه المحامي عرف بان في المسألة سرًا له اتصال بامور نسائية ابت مروءة صاحبه ان يبوح به اليه لانه ربما ادى الى خراب بيت وتشتيت شمل أسرة عظيمة وبينا هو في المحكمة يدافع عنه يوم صدور الحكم عليه وقد ايقن الناس بانه كاد يؤثر بطلاقة لسانه في عقول القضاة فيبرؤن صاحبه او يحكمون عليه بعقوبة خفيفة جدًا أُلقيت اليه بطاقة فلما قرأها دهش وتلعثم ثم نقلوه الى غرفة وجاء الطبيب وقد فارق المحامي الحياة وعندها حكمت المحكمة على الذي تبين لها انه القاتل بالاشغال الشاقة مؤبدًا. وفي خلال ذلك هلكت امرأة صاحب المعمل حزنًا وخلفت ابنتها وهي في السابعة يتيمة عجية فكفلها خال ابيها وباع المعمل والمصيف وجميع ما يملكه ابن اخته ووفى ما كان عليه من الديون. اما صاحب المعمل فتمكن بعد سنة من الفرار من محبسه في خمسة من المجرمين السياسيين وانقلب الى نيويورك فقيرًا وقيرًا فدخل في احد المعامل وكان يحسن صناعة الحديد قوي العضل عارفًا بالميكانيكيات فظهرت كفاءته ووفق الى ان جمع مبلغًا من المال عاد به بعد سنتين الى فرنسا متخفيًا واخذ ابنته من خاله ورجع الى اميركا فزوده خاله بمبلغ من المال يستعين به على تربية ابنته وكان خاله عقيمًا فانشأ ذاك المحكوم عليه يتوسع في عمله وذهب الى كندا فاغتنى كثيرًا بفضل كده وعمله وسعة معارفه في الميكانيكيات والطبيعيات وعلم ابنته التعليم العالي وبدل اسمه واسم أسرته وبعد ان قضى هناك نحو عشر سنين حدثته نفسه بالرجوع الى وطنه ليكشف سر قضيته ويعاد النظر فيها ليعرف من اين أتى فرجع واتخذ له دارًا في ظاهر باريز. ومن غريب المصادفات ان القصر الذي اكتراه كان بالقرب من مزرعة انتقلت بالارث الشرعي لزوجة صديقه الذي هلك في خلال الدفاع عنه او عشيقته القديمة وكانت اوت اليها بعد وفاة زوجها مع ولديها فاتصل اهل البيتين بواسطة ابنة صاحب المعمل وعقدت بينهما صلات التعارف وما زال الغني المحكوم عليه يبحث حتى توصل الى معرفة القاتل الحقيقي ودخل معه في شركة ثم بعث الى البورصة من قبله من سعى الى اسقاط اسعمها فافلس شريكه او كاد ولم يجد ملجأ الا شريكه صاحب المعمل فوعده باعطائه شيئًا من المال الا ان القاتل القديم اضمر ان يقتله وراح من الليل الى داره وكان نصب له تمثالاً من الخشب وضعه على المنضدة فشبه له وظنه هو فانشأ يضربه بخنجره وكان صاحبنا كامنًا له مع اثنين من رجال الشرطة وقاضيين كان لم يد في الحكم عليه سابقًا فامسكوه واعترف بفعلته وهو متلبس بالجريمة الا انه طعن نفسه في الحال بخنجره وسألوه اسئلة

فاعترف بانه هو قاتل ذاك الشيخ العجوز الذي كان صاحب المعمل مديناً له وان له شريكاً في قتله وحشرجت روحه فلم يسم ذاك الشريك وعندها صدر عفو الحكومة عن صاحب المعمل وعقد لابنته على احد ولدي صديقه المحامي وكان محامياً ايضاً وماتت في خلال ذلك امها اي عشيقة صاحب المعمل وقد اقرت بما جنته وسقطت من عيني ابنيها وراح الزوجان الجديدان تحالفهما السعادة بعد ان شقي ابواهما واماهما هذا الشقاء الذي قاد اليه الغرور وطيش الصبا والصبوة · وقد وقعت القصة في ثمانمائة صفحة صغيرة صدرت في اربعة اجزاء وهي تطلب من مكتبة المسامرات وثمنها ثمانية قروش وفيها كثير من الحوادث التي تلذ العامة وبعض الخاصة ·

سير العلم

حروب العالم

الف احد علماء الفرنسيس كتاباً جليلاً سماه ماضي الحرب ومستقبل السلم ذكر فيه ما احدثته الحروب من الويلات في القرن التاسع عشر قرن العلم والنور فقال ان القوانين حكمت في خلاله على عشرة آلاف مجرم بالاعدام في العالم على حين ان الحروب ازهقت ارواح خمسة عشر مليون شاب شجاع وعلى هذا فقد كفر مجرم واحد عن فعلته بالموت وقضى الفان من الابرياء في ميادين الوغى فكان الماضي حقاً مجزرة عقيمة واذا ظلت هذه المجازر تجري على مرأى ومسمع من العالم فان عارها تحمر منه الخدود وذكراها تقشعر منه الجلود · قال ومن ادعى بان فرنسا اذا سعت الى ابطال الحروب ولم تعد الى ما اتته من حوادث الجنون في اهراق الدماء على عهد فرنسيس الاول ولويس الرابع عشر ونابوليون الاول تسعى الى حتفها بظلفها فهو في غرور واذا فعلت فرنسا فانها بذلك تعمل على ما فيه مجدها واعلاء شأنها · قال واما اولئك الالوف من الضباط ومئات الالوف من العملة في دور الصناعات الذين يعملون الآن فانهم ينصرفون الى اعمال غير اعمالهم الآن فبدلاً من انشاء الدوارع الحربية ينشئون البواخر التجارية وبدلاً من صنع الخرطوش يعملون على استنبات الحنطة وقال ينبغي ان تكون معاهدات التحكيم اجبارية بين الامم وبذلك تمتنع الحروب من العالم ·

الدخان الضار

يحدث من دخان المعامل في المدن الصناعية الكبرى كلندن وباريز ما يضر بالسكان

والمكان فقد قدر الحامض الكبريتي الذي يتكون منها كل سنة في لندن وحدها بنصف مليون طن تدخل في رئة الناس فتقرضها كالنقرض الحجر الجيري والرخم «الدبش» والقرميد وتحيل هذه المواد الى سلفات الجير وتتفتت ويخشى منها على المصانع الكبيرة والمعاهد والمعابد . وقد جربوا عدة مواد للاقاة ضرر هذا الدخان ورأوا ان احسن واسطة طلي البنايات بمحلول الباريت لانه كالملاط يُحكم الربط بين اجزاء الحجارة فاسفرت تجربته عن تقوية الحجارة كأنها الآن خارجة من المقلع وكانت من قبل تتفتت باليد . ولكن اذا اغتبطت الجمادات بانها لا تتضرر بعد الآن بهذا الدخان فان الانسان والنبات ما زالا يتضرران منها والعلماء يبحثون عن طريق تقي منها البشر

اقزام جدد

صادف احد رجال البعثة الانكليزية التي عهد اليها صعود جبال القمر في خلال سياحتها في افريقية جيلا من الافريقيين الاقزام لم يكن معروفاً من قبل في بقعة كاد يظن انها امنع من جبهة الاسد تمتد من جنوبي بحيرة البرت ادوارد وهي جبلية ذات وهاد ونجاد وعقاب وشعاب وفيها فوهات بركانية خامدة وهذه الجبال مغطاة باشجار الخيزران الجيد وقد نزل اولئك الاقزام في ادغال هناك وهم يعيشون بشن الغارات على من في جوارهم ونهب السكان المنتشرين في الجبال . وهم اقصر قامات من اقزام الكونغو ولم يعرف العلماء الباحثون في اصول الامم عنهم شيئاً . فهم لا يعرفون الصنائع ولا الصيد ولا يحسنون غير السلب والنهب وعندهم خلايا يقتاتون بعسلها مع اللبن وقد اتى المكتشف معه الى اوربا باقزمين مثالاً من اولئك القزم المجهولين .

اللغة العربية

قال الدكتور براون احد اساتذة جامعة كامبردج في مأدبة اقامتها اللجنة المصرية في دار الندوة الانكليزية لجماعة المصريين : ان لغة مصر الآن تهبط وهي اللغة العربية الفصحى لان الازهر قد بقي في خلال هاتيك القرون المظلمة حصناً منيعاً للغة العربية والآداب الاسلامية . وقال : يقولون ان اللغة العربية غير صالحة للعلوم العصرية . يقولون هذا وهم لا يعرفون من اللغة العربية حرفاً واحداً . اللغة التي حفظت لنا فلسفة اليونان والرومان من الضياع . اللغة التي نقلت لنا آداب الفرس والهنود والقرون البائدة . اللغة التي كتبت بها جميع المؤلفات العلمية الثمينة كيف يمكن ان يقال انها لا توسع صدرها لتلقين مبادىء علوم عصرية ؟

ألفت الكتب في علم الجغرافيا وتخطيط البلدان على طريقة لم يؤلف مثلها وكتبهم العربية في التاريخ اوسع الكتب وادقها بل في نظري ان التاريخ في بعض المؤلفات العربية لم يكتب على نسقه في اوربا وذكر ابن خلدون وابن الاثير والطبري والفخري وغيرهم ثم قال : وفي باب العلم والفلسفة والاخلاق نجد من المؤلفات ما لا يوجد له مثيل . ما ظنكم بجماعة من كبار اهل العلم يجتمعون في القرون التي كنا فيها في دور الهمجية والوحشية يؤلفون دائرة علوم اسمها « اخوان الصفاء » ونحن من الآن نفتخر بكتاب دائرة العلوم الانكليزية في القرن العشرين ونقول ان اللغة العربية لا تصلح لتلقين العلوم . هذا الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » قد جمع في مؤلف صغير خلاصة الآراء الدينية والفلسفية التي كانت تعتقد فيها الامم الغابرة والحاضرة وهذه دوائر العلوم العربية في مكاتب اسبانيا وفي مكاتب اوربا وكيفما كانت الحجة في عدم تعليم العلوم باللغة العربية في مصر فلا مراء مطلقاً في ان تعليم امة العلم بغير لغتها صد لها عن التقدم وعقبة كبرى في سبيل نهضتها بل اقول انه لا تعليم البتة لامة بغير لغتها .

ورق الخيزور

ذكرنا ما كان من اتخاذ بعضهم الورق من شجيرات الاريقي وما كان من اتخاذه من سوق القطن وعيدانه . وقد قرأنا في الاخبار العلمية الآن انهم اخذوا يصنعون الورق من الخيزور في برمانيا من اعمال الهند الصينية فمنحت حكومتها عدة امتيازات للانتفاع بالخيزران وقد كان الصينيون منذ الزمن الاطول يعرفون الياف الخيزور وانه يصنع به ورق وان لم يستعمل في الصناعة بالفعل ولكن احد الانكليز المقيمين في جزائر الجامايك عنّ له هذا الخاطر فاخذ منذ عام ١٩٠٠ يضاعف الهمة في زرع الخيزران في ذاك الارخبيل ولكن اعماله لم تأت بفائدة لنزع اليافه من الصمغ الذي يلصقها بالجذوع وقد توصلوا الآن الى صنع ورق جميل جداً من الياف الخيزور وهو من الطراز الاول في الجودة والمتانة واخذت الحكومة الانكليزية في ذاك الصقع تنشط زراعة الخيزران لرخص اسعاره وجودة ورقه وسيعمل من اليافه بعد سبع سنين كل سنة عشرة آلاف طن وبعد خمس عشرة سنة عشرون الف طن فيأتي بارباح عظيمة .

البيض

قدم احد العارفين الى كلية باريز بحثاً في منافع بيض الدجاج وبيض الفسيخ « البطارخ » قابل فيه بين تغذية هذا البيض وتغذية اللحوم فقال ان البيض ولا سيما بيض الفسيخ تكثر

فيه مادة الالبومين اكثر من اللحم وانه من حسن الرأي الاعتماد على هذا البيض في التغذية على شرط ان لا يتعدى معدله من الجنسين من خمسين الى مائة غرام في اليوم وقال انه من حيث الثمن ارخص من اللحم وسالم من العيوب وفيه غذاء نافع فوسفوري

المطاط

كتب احدهم في مجلة المجلات الاميركية مقالاً تكلم فيه عن المطاط وذكر شيئاً من تاريخ معرفة الناس فوائده واكتشافهم الجهات التي تنمو فيها اشجاره واستخراجهم له قال: في المنطقة الحارة التي هي المنبت الحقيقي لاشجار المطاط نحو الثلاثمائة او الاربعمائة شجيرة وغرسة يخرج منها سائل يضرب لونه الى البياض فيه خواص المطاط واهم مورد له الآن وادي الامازون والكونغو ومن المحتمل الحصول عليه ايضاً في المستقبل من جزيرة سيلان ومستعمرة سنغافورة بكميات وافرة . وفي هذا الوقت تزرع ملايين من اشجاره بالهند مع انواع منها جديدة يرجى ان يكون مطاطها رائجاً جداً في جميع الانحاء .

المطاط مادة تستخرج من لحاء الاشجار ولتلك المادة لون يشبه لون اللبن وهي في عرف علماء الكيمياء من قسم الجوامد التي تعرف بالمواد الغروية Colloids غير انهم يجهلون كل الجهل المنشأ الحقيقي لخاصتها الغروية . وقد وفق شارلس ماكنتوش عام ١٨٣٣ الى تذويب المطاط في البنزين وفي سنة ١٨٣٩ اكتشف شارلس جديير من نيويورك انه اذا مزجت كمية من المطاط مع اخرى تعادلها من الكبريت لم يكن الناتج لينحل اذا سلطت عليه حرارة خفيفة او ليزلج اذا كانت درجة الحرارة عالية . لم يكن المطاط في ذلك الوقت مستعملاً بكثرة في الولايات المتحدة اما اليوم فانها تستعمل زهاء نصف ما يستخرج من المطاط في الكرة الارضية ويصح ان نقول ان المطاط يكون نداً من الزم ضروريات الحياة واصبح عظيم الخطر والقدر وقد جاء وافياً بما كنا ننشده من متممات معينات النقل . ولولاه لكان من المستحيل عمل مركبات السكك الحديد الهوائية (مركبات تسير على قضبان من حديد بواسطة الهواء المضغوط) ولولاه لما تمكنا من نقل الكهرباء وتسييرها في الاسلاك .

من الممكن للناس ان يستغنوا عن المطاط في صنع الاحذية والجوارب مثلاً ولكنهم لا يمكنهم ان يتخلوا عن استعماله — اذ لا يوجد ما يغني عنه — في عمل وسائل النقل الجديدة كعربات السكك الحديدية والسيارات وفي المفاوضات بالكهرباء والانارة بها وكذلك يحتاج اليه في عمل الجراحات وفي الادوية ويبلغ مجموع ثمن ما يباع منه في انحاء العالم ١٦ مليون درهم انكليزي وزنة هذا المحصول ١٢٥ مليون رطل انكليزي والمدن التي فيها اكبر اسواق المطاط والتي يصدر منها الى سائر الامم هي : نيويورك وليفربول ولندرة

وانتورب وكمبرج ولشبونة والهافر ولا يزيد مايؤخذ سنويًا من المطاط من الاشجار التي زرعت حديثًا عن مائة طن . والاشتغال بجمع المطاط في جهات الامازون والكونغو صعب جدًا ولا يقدر على المعيشة والعمل هناك غير الوطنيين . وجميع الاحذية والنعال والملابس المصنوعة منه بالولايات المتحدة — ما عدا مدينة بوستن — تحتكرها شركة واحدة تدعى « شركة مطاط الولايات المتحدة » . ويفيدك ان تعلم انه يمكن اصلاح ما يخرب مما يصنع من المطاط اذا تقادم عليه العهد وارجاعه الى سابق حاله .

السكك الحديدية

تكثر الاعشاب والجميم في ممر الخطوط الحديدية حتى تكاد تكون احيانًا من عوائق القطارات وقد استعملت عدة ذرائع لاهلاكها فلم تأت بنتيجة وقد اخترعت الآن شركة سكك حديد المحيط الهادي في اميركا مركبة كهربائية ذات دواليب تحرق الاعشاب على طول الخط الحديدي فتزيل في النهار الواحد الحشيش والعشب من ثلاثين الى اربعين كيلومترًا وهذه المركبة تسير كما يسير القطار العادي واذا اجتازت مرتين او ثلاثًا في مكان فبشره بعدها بانه لا ينبت فيه عرق اخضر .

اللبن النباتي

يستعمل هذا اللبن في الصين ويستعاض به في بعض الاحوال عن لبن البقر وهو يصنع من بزور الفاصوليا الزيتية Soja Hispida فتطبخ وتعصر جيدًا بحيث يأتي منها نوع من العصيدة اذا حُلت في الماء يكون منها مشروب يسمى اللبن النباتي ويصنع من جبن طري ويمكن حفظه بوضعه في الملح فيشبه جبن « الروكفور » وجبن العنز المعروف بالشيبيتو وجبن « الجرافيرا » .

اللغات الاوربية

يقول احد علماء السكسونيين انه سيكون عدد المتكلمين باللغة الانكليزية في اواخر القرن العشرين ٦٥٠ مليونًا من البشر وعدد المتكلمين بالروسية ٢٣٥ مليونًا وعدد المتكلمين بالالمانية ٢١٥ وعدد المتكلمين بالافرنسية ٩٠ مليونًا وعدد المتكلمين بالايطالية ٧٩ مليونًا وبالاسبانية ٧٥ وقد اوقع بعض الفرنسيس الشك في هذا التخمين .

قاموس المجمع العلمي

ذكروا ان عدد المفردات التي شرحها قاموس المجمع العلمي الفرنسوي اثنان وثلاثون الفًا فيها عشرون الفًا من اصل علمي او غريب . وقد قدروا عدد المفردات البسيطة

المستعملة بالافرنسية في الحاجيات اليومية باربعة آلاف كلمة . ويقول اللغوي ماكس مولر في كتابه علم اللغات ان غاية ما يستعمله المتعلم من الانكليز في شؤونه هو اربعة آلاف كلمة ايضاً . ونحن لا نظن ان المألوف من الالفاظ في معظم اللغات يتجاوز هذا القدر او اكثر منه بقليل مهما كانت اللغة متسعة .

أثر لارخميدس

عثر المؤرخ هيبرج الدانيمركي مؤخراً على نسخة خطية كتبت على ورق صادر من مدينة القدس وهي عبارة عن رسالة في الحساب غير معروفة من ارخميدس اعظم مهندس يوناني وهذه الرسالة تكاد تصور حساب التكامل الذي عرف في العصور المتأخرة وبهذا الاكتشاف يكون ارخميدس اعظم رياضي قام في العالم .

التربية المتحدة

انشأ احدهم مجلة بالانكليزية في انكلترا سماها مجلة « كليتي اكسفورد وكمبردج » وهما اشهر مدارس انكلترا يتوخى فيها الجمع بين المدرستين لتتحدا في التعليم وقد كتب احدهم فيها مقالة بين طريقة الولايات المتحدة في توحيد التربية فقال انه لم يكن في اميركا سنة ١٨٧٠—٧ر٣٠ في المئة من المدارس المختلطة من الصبيان والبنات وما بقي منها كان يختلف اليه الصبيان فقط . وفي سنة ١٨٩٨ اصبحت المدارس المشتركة ٧٠ في المائة من مجموع مدارسها وربما أنشئت هناك كلية عظمى خاصة بالبنات فقط .

تنزيه المستخدمين

يتنافس كثير من المحال التجارية الكبرى في فرنسا في ارسال مستخدميهم لا سيما مستخدماتهم الى الضواحي والجبال خلال اشهر الصيف ليروحن نفوسهن باجور طفيفة جداً وقد أنشئت في باريز جمعيات لارسال الاولاد الى الجبال مدة القيظ وبمثل هذه الاعمال الافرادية تحل المشاكل الاجتماعية احسن حل .

مدارس النساء

قالت المجلة يجدر بنا بمناسبة مرور السنة الخامسة والعشرين على تأسيس مدارس البنات العالية ان نقول ان في فرنسا ٥٦ مدرسة وسطى و٤٧ مدرسة عالية للبنات .

العاملات في فرنسا

في فرنسا ستة ملايين امرأة مستخدمة في الصناعة ومليون امرأة تخدم في البيوت والحوانيت

ومائة وخمسون الفاً انصرفن الى الاعمال الحرة ومئة الف في خدمة الحكومة في العاصمة والولايات .

المهاجرون الى اميركا

يؤخذ من التقرير السنوي الذي نشره مكتب المهاجرين الى اميركا انه كان عدد المهاجرين الى الولايات المتحدة سنة ١٩٠٦ زهاء مليون نسمة ولم يهاجر اليها في سنة واحدة اكثر من هذا العدد حتى الآن ومعظم المهاجرين هم من الطليان فقد بلغوا ٢٨٧ الفاً ويليهم البولونيون والالمان واليابانيون والفرنسيس .

المتعلمون فى العالم

احصى احد اساتذة كلية كولومبيا الجامعة عدد الاولاد الذين يتعلمون في المدارس فكان عددهم ٢٣ في المئة من مجموع الامة في الولايات المتحدة و١٩ في المئة فى المانيا و١٥ في انكلترا وفرنسا وثلاثة ونصفاً في المئة في روسيا وفى روسيا سبعة ملايين ولد ليس لهم مدرسة يتعلمون فيها

سياح الاميركان

تشاءمت صحف اميركا من كثرة اقبال الاميركان على السياحة في اوربا فقد زاد عددهم في هذه السنة زيادة عظيمة فقدر الراحلون منهم بمئة الف سائح فاذا كان معدل ما ينفقه الواحد منهم خمسة آلاف فرنك فيكون ما تخسره اميركا من ذلك خمسمائة مليون فرنك

الاحتكار فى اميركا

بدأت الولايات المتحدة تدرك مضار الاحتكار فقد قدّر بان معامل السكر التي أُغلقت بمنافسة كبار المحتكرين لها سنة ١٩٠٥ في تلك البلاد بلغت ثلثمائة معمل ومثل هذا العدد من المدابغ ومعامل الاحذية كما أُغلق مائتا معمل للقطن وقد زادت اثمان هذه المصنوعات ثلث ما كانت عليه كما زاد المصنوع منها ثلاثين في المئة .

ثروة اميركا

كتب احدهم في مجلة العالمين البارزية فصلاً في ثروة الولايات المتحدة قال فيه ان نجاحها في زراعتها هو بيت قصيد فلاحها فان صادراتها الزراعية بلغت اربعة مليارات فرنك وهي تزيد عن وارداتها الزراعية مليار وخمسمائة مليون . فالثروة الزراعية تساوي نصف ثروة الامة باسرها والزارع الاميركي يمثل ٣٥ في المئة من مجموع الشعب العامل واكثر

رؤوس الاموال تصرف في الزراعة وما ينهضها وتصريف المياه والتنقل والمهاجرة وتسهيل المواصلات واسباب التنقل . وما نظارة الزراعة في تلك البلاد العظيمة الا مستودع عظيم للبذور « التقاوي » على اختلاف انواعها توزعها على المدارس العامة او يوزعها نواب البلاد بايديهم على الفلاحين يتناولونهم اياها باليمين كما يتناولونهم بالشمال كراسة تطبع منها تلك النظارة ملايين من النسخ فيها كل ما ينفع الزارع في زراعته .

طعام الفرد

قالت مجلة العلم في القرن العشرين ان الاعتماد على البقول في الغذاء نافع على شرط ان يطبق على حاجة كل فرد ولا يكفي ان يحرم المرء نفسه من اللحم ويحشو معدته بالبقول الخضراء والمواد النشوية ولا ان يمتنع من تناولها بل ينبغي ان ينظر في ذلك الى القوى الهاضمة التي تختلف في كل انسان بحسب الشهوة والسن وثقل الجسم وغير ذلك فالفرد الذي يبلغ وزنه من ٦٥ الى ٧٠ كيلوغراماً مثلاً يكتفي بالفين او بالفين وخمسمائة جزء من الكالوري اذا اجاد مضغ الاطعمة تماماً .

قانون الامية

اقترح على الولايات المتحدة وضع قانون من شأنه ان لا يرخص بالدخول للعامي الامي من المهاجرين اليها فلا يدخل الولايات المتحدة الا من تعلم التعليم الابتدائي واذ كان اهل ايطاليا اكثر الامم هجرة الى اميركا فيقتضي عليهم ان يتعلموا كلهم ما يخرجهم عن الأمية لان قانون التعليم الاجباري لم يسر في ايطاليا الا في سنة ١٨٨٣ ومع هذا فقد دل الاحصاء الاخير ان على ٦٠ في المئة من اهالي اقليم كالابرو وهي واقعة الى الجنوب الغربي من شبه جزيرة ايطاليا لا يعرفون ان يوقعوا على صك زواجهم وفي مقاطعة نابولي ٣٠ في المائة من المتزوجين ما برحوا أميين اما في رومية فان عدد الاميين ١٢ في المئة ونصف من هاجروا في السنة الماضية من ايطاليا لى اميركا أميون .

دائرة المعارف الالمانية

صدر الجزء الثامن من هذه الموسوعات التي دعوها « العلوم العصرية وانتشارها وغاياتها » التي ينشرها الاستاذ بولس هينبرغ تحت حماية امبراطور الالمان ويساعده في وضعها مئات من اهل الاخصاء في العلوم والفنون المتنوعة ومن المقالات التي فيها ما يعد بين كبار اهل العلم من الآثار النادرة والكتابات الباهرة . هي كسائر دوائر المعارف على حروف المعجم ولكنها تقسم الى اربعة اقسام فالقسمين الاولين يتناولان البحث في العلوم العقلية كالدين والفلسفة والادب

والفنون الجميلة والحكومة والمجتمع والحقوق والاقتصاد السياسي والقسم الثالث مخصص للعلوم الطبيعية والقسم الرابع يبحث في العلوم الاصطلاحية وهو من اهم الاسفار التي أُلفت في هذا القرن لانه خلاصة علوم البشر وزبدة ابحاث الالمان المعروفين بصبرهم وانكماشهم في خدمة المعارف ٠

الجرذان

الجرذان من اشد المصائب على العالم ولم تُعرف الى الآن واسطة لابادتها ٠ نادت بذلك نظارة الزراعة في الولايات المتحدة وحق لها ان تنادي لان الجرذان قد قامت منذ قرون باضرار لا تحصى في اميركا وهي آمنة مطمئنة وراحت تنتقل الى العالم الجديد من العالم القديم وتتناسل وتتكاثر وكانت الاسباب المتخذة لابادتها عقيمة بلا جدوى ٠ والجرذان ثلاثة انواع الاسود وهو المنتشر في اميركا منذ ثلاثة قرون والاسمر واصله من نروج وصل الى هناك منذ سنة ١٧٧٥ واثار حرباً عواناً على الاسود والنوع الثالث جرذ انتقل الى اميركا من مصر على البواخر التجارية وانتشر على الشواطىء ولا سيما في الجنوب وباض فيها وفرخ والجرذ الاسمر اشد هذه الانواع فتكاً وا كثرها تخريباً ويقدرون ما تقضمه الجرذان في الولايات المتحدة كل سنة من الحبوب بما لا يقل عن نصف مليار فرنك وهولا يكتفي بتناول الحبوب فقط بل يقرض الاقمشة والحرائر والامتعة ولا يتحامى قضم الاسلاك الكهربائية وكثيراً ما كان يحدث عن فعله حرائق ٠ وقد قدرت الخسائر التي تنجم عن الحريق في السنة بخمسة وسبعين مليوناً من الفرنكات باميركا والجرذان هو السبب الاعظم في ا كثرها ٠ خل عنك سطو الجرذان على غيره من الحيوان الداجن والحمام والاطفال في سررهم ٠ هذا وهو واسطة لنقل الجراثيم المعدية من بيت الى آخر ومن مدينة الى أُخرى ٠ والسبب في كثرته انه تناسل تناسلاً غريباً فتلد الفأرة في كل شهرين او ثلاثة من عشر الى اربع عشرة فأرة فلا تكاد ترى النور حتى تبدأ بقرض كل ما تراه وتشمه وقد حسبوا ان جرذاً واحداً في ثلاث سنين يلد منه ويولد له زهاء عشرين مليون جرذ يموت ا كثرها ولكن ما يبقى منها كاف لان يقرض الطري واليابس ٠ والحكومة الاميركية ساعية لابادة الجرذان ووضع نشرة بمضاره وخبث آثاره وستشاركها الدول كلها في اعلان الحرب على تلك القراضة ٠

الزجاج المغزول

اخترعوا زجاجاً ناعماً كالشعر له لونه وبعض نعومته ليستعاض به عن الشعر المستعار لان انكلترا منعت القرويات من بيع شعورهن من صناع الشعور المستعارة ليبيعوها من النساء الغنيات الصلعاء والزجاج المغزول يستعمل ايضاً للرجال الذين اصيبوا بفقد شعورهم

المقتبس

الجزء العاشر من المجلد الثاني

شوال سنة ١٣٢٥ الموافق نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

لسان الدين ابن الخطيب

٧١٣ — ٦٧٧

قلما يتأتى لعالم وَلي المناصب الرفيعة في الدول ان يبارك له في وقته فيجمع على أحسن وجه القيام باعبائها الى الاعمال العلمية . والامارة والعلم قلما يجتمعان وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . من اجل هذا رأينا مثل ابن حزم وابن الهيثم يزهدان في الوزارة بل يحتالان الى الخلاص من توليها علماً منهما بانها صارفة لها عن التمحض لخدمة العلم والتوفر على التصنيف . وقلَّ في رجال هذه الامة من جمعوا بين المزيتين ولاية الاعمال وصرف اوقات الفراغ في التصنيف وتنمية ملكة العلم على ما كان شأن القاضي الفاضل ولسان الدين ابن الخطيب

فمترجمنا هذا هو احد مفاخر الاندلس ونوابغها علماً وعملاً لم تلهه اعمال الوزارة عن النظر في علوم كانت هي السبيل في وصوله اليها وساعده زيادة على ما كان يحافظ عليه من اوقاته انه كان مبتلىً بالارق يسهر الليل الا اقله ولذلك قيل له ذو العمرين لانه كان يعمل في ليله كما يعمل في نهاره . فلا عجب بعد هذا ان عدت مصنفاته بستين مصنفاً لو خلف بعضها عالم انقطع للعلم جملة لعدت غريبة في بابها فما بالك بابن الخطيب يتولى امور الناس والاندلس قد اشرفت على السقوط والفتن بين الامراء على ساق وقدم والدسائس عليه من كل جهة

يكتب ويفكر وقد ترجمه ابن خلدون فقال : اصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة كان له بها سلف معروفون في وزارتها وانتقل ابوعبدالله الى غرناطة واستخدم لملوك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل واخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الادب وأخذ عن أشياخه وامتلأ حوض السلطان من نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه وبلغ في الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما.

وامتدح السلطان ابا الحجاج من ملوك بني الاحمر وملأ الدولة بمدايحه وانتشرت في الآفاق قدماه فرقاه السلطان الى خدمته واثبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤساً بابي الحسن ابن الجياب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية ولما هلك ابن جياب سنة تسع واربعين وسبعمائة ولى السلطان ابوالحجاج يومئذ محمد بن الخطيب هذا رياسة الكتاب ببابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان في تولية العمال على يديه بالمشاركات فجمع له بها أموالاً وبلغ به المخالصة الى حيث لم يبلغ بأحد من قبله وسفر عنه الى السلطان ابي عنان ملك بني مرين بالعدوة معزياً بأبيه السلطان ابي الحسن فجلى في اغراض سفارته. ثم هلك السلطان ابوالحجاج وبويع ابنه محمد بالامر لوقته فأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفاً له في أمره وتشاركا في الاستبداد معاً. ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيراً الى السلطان ابي عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها استأذنه في انشاد شيء من الشعر يقدمه بين يدي نجواه فاذن له وانشد وهو قائم ابياتاً اهتز السلطان لها فاذن له في الجلوس وقال له قبل ان يجلس : ما ترجع اليهم الا بجميع عطائهم . ثم اثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع مطالبهم . قال القاضي ابو القاسم الشريف : لم يُسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا هذا . وبعد ذلك اعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه الى ان شُفع فيه ثم سار في ركاب السلطان الى وادي آش قادمين على السلطان ابي سالم فارغد هذا عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم استأذنه السلطان في التحول الى جهات مراكش والوفود على آثار الملك بها فاذن له وكتب الى العمال باتحافه فبادروا في ذلك وحصل منه على حظ وعند مامرّ بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان ابي الحسن وانشد قصيدته على روية الراء الموصولة يرثيه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

ان بان منزله وشطت داره قامت مقام عيانه اخباره
قسم زمانك عبرة او عبرة هـذا ثراه وهـذه آثاره

فكتب السلطان ابوسالم في ذلك الى اهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذاً عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس فاستقدم ابن الخطيب من سلا ورده الى منزلته كما كان . وبعد ذلك فصل عن الوزارة ثم أعيد الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته وادركته الغيرة من عثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه تحذره السلطان واخذ في التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته واودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان واخذ ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه بندمائه واهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت عليه الآمال وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صم السلطان عن قبولها ونما الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده في التفويض عنهم ·

وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما خيل ان السلطان مال الى قبولها وانهم قد احفظوه عليه فاجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان في تفقد الثغور الغربية وسار اليها في لمة من فرسانه ومعه ابنه علي الذي كان خالصة السلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه اذ ند بين يديه فخرج قائد الخيل لتلقيه وقد كان السلطان عبدالعزيز ملك العدوة قد اوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه فاجاز الى سبتة وتلقاه بها بانواع التكرمة وامتثال الاوامر ثم سار بقصد السلطان فاهتزت له الدولة واركب السلطان خاصته لتلقيه واحله بمجلسه محل الامن والغبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزة واخرج لوقته كاتبه ابا يحيى بن ابي مدين سفيراً الى الاندلس في طلب اهله وولده فجاء بهم على اكمل الحالات من الامن والتكرمة

ثم لغط المنافسون له في شأنه واغروا سلطانه بتتبع عثراته وابدوا ما كان كامناً في نفسه من سقطات دابته واحصاه عصابته وشاع على السنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة احصوها عليه ونسبوها اليه ورفعت الى قاضي الحضرة الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضي ابا الحسن الى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصم لذلك وانف لذمته

ان تخفر ولجواره ان يردى وقال لهم : "هلاّ انتقمتم وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه واما انا فلا يخلص اليه بذلك احد ما كان في جواري ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة اربع وسبعين سار هو في ركاب الوزير ابي بكر بن غازي القائم بالدولة فنزل فاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ له القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى . ولما استولى السلطان ابو العباس على البلد الجديد دار ملكه قبض على ابن الخطيب واودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر فبعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو ابو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس واحضر ابن الخطيب بالمشورة في مجلس الخاصة واهل الشورى وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونُكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملإ ثم تُلّ الى محبسه واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وافتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود رديف وزير السلطان لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلاً ومعهم زعانفة جاؤوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقاً في محبسه واخرجوا شلوه من الغد فدفن ثم اصبح من الغد على شافة قبره طريحاً وقد جُمعت له اعواد واضرمت عليه ناراً فاحترق شعره واسود بشره واعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته .

قال ابن خلدون : وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه واهل دولته والله الفعال لما يريد . وكان عفا الله عنه ايام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك :

بعدنا وان جاورتنا البيوت ... وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة ... كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاماً ... وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا ... غربن فناحت عليها البيوت
فكم جدّلت ذا الحسام الظبا ... وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة ... فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيـ ... ـب وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له ... فقل يفرح اليوم من لا يموت

قلت هي اهواء السياسة صيرت لسان الدين الى ما صيرته اليه وما عدوه عليه مما خالف به الشرع وجرى مع الفلسفة فانما هي حجة طالما كثر التوكؤ عليها منذ ضعف العلم في هذه

الامة ولو صح ما زعموا اما كان الاجدر بالامناء على الدين وهو في عهد عزه ان يغيروا عليه وينبذوه عن حمى سلطانهم لئلا يستشري افساده العقائد بما نشره من المصنفات .
والقليل الذي انتهى الينا مما خطه يمين لسان الدين يدل ولا جرم على حرية في الفكر لم يحاب معها ولم يداج ولعلها هي التي عدها اعداؤه له من الهنات قال في ترجمة الحاكم باديس بالاندلس في كتابه الاحاطة بعد ان وفاه حقه من الوصف وانه من الملوك الجبابرة فائل الرأي خليع الرسن : وقد ادال اعتقاد الخليفة في باديس بعد وفاته وقدم العهد بتعرف اخبار جبروته وعتوه على الله سبحانه لما جبلهم عليه من الانقياد للاوهام والانصياع للاضاليل فعلى حفرته اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج والشفاء من الاسقام حتى اولو الدواب الوجيعة ما ليس على قبر معروف الكرخي وابي يزيد البسطامي . واليك كيف وصف في مكان آخر جعفر بن احمد الخزاعي الغرناطي من مشايخ الطريق قال : ان قومه خرجوا من وطنهم عند تغلب العدو على شرق الاندلس فنزلوا في ربض البيازين جوفي المدينة وارتاشوا وتأثلوا وبنوا المسجد العتيق واقاموا رسم الارادة يرون انهم تمكنوا من طريق الشيخ ابي احمد باثره فلا يغبون بيته ولا يقطعون اجتماعاً على حالهم المعروفة من تلاوة حسنة وايثار ركعات ثم ذكر ثم ترجيع ابيات في طريق التصوف مما ينسب للحسين بن الحلاج وامثاله يعرفونها منهم مشيخة قوالون هم لحول الاجمة وصراديك (لعله صناديد) تلك القطيعة يعجون بلابلهم فلا يتثبون ان يحمى وطيسهم ويختلط مرعيهم بالهمل فيرقصون رقصاً غير مساوق للايقاع الموزون دون انجال (؟) الغالية منهم بافراد كلمات من بعض المعقول ويكر بعضهم على بعض وقد خلعوا خشن ثيابهم ومرقعات قباطيهم ودرانيكهم (١) فيدوم حالهم حتى يتصببوا عرقاً وقوالهم يحركون فتورهم ويذمرون روحهم يخرجون بهم من قول الى آخر ويصلون الشيء بمثله فربما اخذت نوبة رقصهم بطرفي ليل التمام ولا تزال المشيعة لهم يدعونهم ويحاجون بهم الى منازلهم وربما استدعاهم السلطان الى مصره محضاً لطائف نعيمه باخشيشانهم مبدياً التبرك بهم . الى ان يقول فتسقط فيما بينهم بفلتة سماعه اي المزمار اخوة الطريق وهم اهل سذاجة وسلامة اولو اقتصاد في ملبس واقتيات بادنى بلغة وهم في التعصب نزعة خارجية واعظمهم ما بين مكتسب متسبب وبين معالج مدره ومريع حياكة (؟) وبين اظهرهم من الدعرة والصعاليك كثير . والطرق الى الله تعالى على عدد انفاس الخلائق جعلنا الله مما قبل سعيه وارتضى ما عنده ويسره لليسرى .

(١) الدرنيك والدرنوك ضرب من الثياب والبسط جمع درانك ودرانيك والقباطي نوع من الثياب

وقد ترجم لسان الدين نفسه في آخر كتاب (١) الاحاطة ونقل عنه المقري في سبب نكبته ما يأتي ملخصاً : وخلفني يعني اباه عبدالله عالي الدرجة شهير الخطة مشمولاً بالقبول مكنوفاً بالعناية فقلدني السلطان سرّه ولما يستكمل الشباب ويجتمع السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة الى الملوك واستنابني بدار ملكه ورمى الى يدي بخاتمه وسيفه وائتمنني على صوان حضرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه . ولما هلك السلطان ضاعف ولده حظوتي واعلى مجلسي وقصر المشورة على نصحي الى ان كانت عليه الكائنة فاقتدى في اخوه المتغلب على الامر فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمله اهل الشحناء من اعوان ثورته على القبض عليّ فكان ذلك وتقبض عليّ ونكث ما ابرم من اماني واعتقلت بحال ترفيه وبعد ان كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاعلاق وابرد الى ما ناء (؟) واستؤصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذوات النظائر ولا ربات الامثال في تبحر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الآلات ورفعة الثياب واستجادة العدة ووفور الكتب الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر الحمولة وقوام الفلاحة والحيل فاخذ ذلك البيع وتناهبتها الاسواق وصاحبها البخس ورزأتها الخونة وشمل الخاصة والاقارب الطلب واستخلصت القرى واعملت الحيل وطوّقت الذنوب امدّ الله تعالى بالعون وانزل السكينة واصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتعلقت الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات وسببها الحال حسبما قلت عند اقالة العثرة والخلاص من المهفوة

تخلصت منها نكبة مصحفية لفقداني المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة في مكتتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصي شرطاً في العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطاني المكفور الحق الى المغرب وبالغ ملكه في بري : منزلاً رحباً وعيشاً خفضاً واقطاعاً جماً وجراية ما وراءها مرمى وجعلني بمجلسه صدراً ثم اسعف قصدي في تهيوء الخلوة بمدينة سلا منوّه الصكوك مهنأ القرار متفقداً باللها والخلع تخوّل العقار موفور الحاشية مخلى بيني وبين اصلاح معادي الى ان ردّ الله تعالى على السلطان امير المسلمين ابي عبدالله بن امير المسلمين ابي الحجاج ملكه وصير اليه حقه فطالبني بوعد

---

(١) ان شئت التوسع في اخبار لسان الدين ومشايخه ونشأته وشعره ونثره فعليك بما كتبه المقري في القرن الحادي عشر من كتاب خصه به وسماه نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب وهو في اربع مجلدات مشهور بين الادباء ومطبوع مرات

ضربته وعمل في القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسعني عذراً ولا فسح في الترك مجالاً فقدمت عليه بولده وقد ساء بامساكه رهينة ضده ونغص رهينة القفع بعده على حال من التقشف والزهد فيما يبدو وعزف عن الطمع في ملكه وزهد في رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات :

قالوا لخدمته دعاك محمد فانفتها وزهدت في التنويه
فاجبتهم انا والمهيمن كاره في خدمة المولى محب فيه

لما عاهدت الله على ذلك وشرحت صدري للوفاء به وجنحت الى الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة املي ومرمى نيتي وعملي فعلق بي وخرج لي عن الضرورة واراني ان مؤازرته ابرّ القرب وراكنني الى عهد بخطه فسح لعامين امد الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه في طلب الزيادة على تلك النسبة واشهد من حضر من العلية ثم رمى اليّ بعد ذلك بمقاليد رأيه وحكم عقلي في اختيارات عقله وغطى من جفائي بحلمه وحثا في وجوه شهواته تراب زجري ووقف القبول على وعظي وصرف هواي في التحول ثانياً قصدي واعترف بقبول نصحي . الى ان قال ومع ذلك فلم اعدم الاستهداف للشرور والاستعراض المحذور والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله بسياسة الدهماء ورعاية مختطة ارزاق السماء وقتلة الانبياء وعبدة الاهواء ممن لا يجعل لله تعالى ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجمل في الطلب ولا يتلبس مع الله بادب ...

هذا ما قاساه لسان الدين من ضروب النعم والنقم فعد فرداً في التقلب في نعمائه وغريباً في بلوائه وقد اكتفينا آنفاً بنقل ما قاله فيه ابن خلدون صديقه وما قاله هو في شرح نكبته اوردناه بعبارتيهما الا قليلاً وان اورث هذه الترجمة تطويلاً وذلك لعلمنا بان انشاءهما مما ينبغي احتذاء مثاله وجزالة الفاظهما وجودة معانيهما مما يعز نظيره .

المكروب

اعتراض اهل المذهبين الكيماوي والطرآني على الحيويين

لم تزد الايام والتجارب مذهب الحيويين الا تحقيقاً وثبوتاً . فبعد ان تقرر بانه اذا منع اختلاط الميكروب بالمواد الآلية المفعمة لن تحصل فيها ظواهر الحياة والاختمار حتى يرتفع الحجر عنها فيحدث الاختلاط عمداً كان ام سهواً كان الاولى والاجدر ان تتقرر هذه

النتيجة بان الميكروب لا يمكن تكوّنه من ذاته طرآئياً بل يتولد من آخر مشابهٍ له جنسياً ولكن اهل الرأي الكيماوي اعترضوا بقولهم: ان جميع المواد القابلة للاختمار التي يعرّضها المجربون للحرارة تتغير تغيرًا جوهريًا وتفقد الخميرة الكيماوية طبيعياً فيها فلم تعد تختمر. لانهم يزعمون بان الاختمار يحصل بواسطة خميرة كيماوية والحرارة تتلفها فيتعذر الاختمار. ومن ثم كانت تلك المواد عينها التي لم تعرض للحرارة تختمر لا محالة من دون الميكروب. وكذلك كان اصحاب اعراض التولد الذاتي القائلون بان الحرارة تغير المواد جوهريًا فيمتنع حصول الاختمار فيها وتولد الميكروب. هذا كان اصعب الاعتراضات حلاً لا جوهريًا لانه دعا الى ايجاد وسائط ومواد غيرالتي دارت عليها التجارب والامتحانات ومن دون التعقيم بالحرارة.

فنقت الحاجة للحيويين بان يعيدوا جميع التجارب ولكن على موادٍ عقيمة طبيعياً وذلك كالدم والحليب والبول وعصير العنب الخ فان هذه المواد السائلة اذا أُخذت باحترازٍ ووضعت في الزجاجات ذوات الانبوب المذكورة في الفصل السابق من دون ان يختلط بها او يلامسها الهواء الخارجي كانت تفي بالمقصود حق الايفاء. لان تلك المواد عرضت للتجربة ودامت في الزجاجات عقيمة لم يمسها الفساد. وبعضها لم يزل ولن يزال باقياً الى ما شاء الله ذكرًا نفيساً وشاهدًا لتلك التجارب الشهيرة التي قطعت قول كل معترض معاندٍ.

وجود الميكروب في الماء والهواء والتراب

اثبت الحيويون بان انواع الميكروب موجودة ومنتشرة في المسكونة لان المواد الصالحة للاختمار كلها تختمر لا محالة حيث وجدت اذا استوفت الشروط الملازمة للحياة ولم تحجر عن الميكروب. وهذا دليل كاف وواضح على وجود الميكروب في كل مكان على سطح الارض ومع ذلك فان العلماء اجهدوا قرائحهم لاثبات وجوده عيناً وفعلاً فيما يحيط بنا ويجاورنا.

ففي سنة ١٨٣٨ ابتدأ اهرنبرغ بفحص الماء والغبار فوجد فيها من الخلايا ما سماه بالانفزوار ومعناه خلايا مائية وسماها بعضهم بالنقاعيات. واظهر من بعده بوشه وتندال وباستور بان الهواء والماء والتراب وجميع ما يحيط بنا لا يخلو ابدًا من الميكروب الذي يكون هباء في الريح وسابحاً في الماء وملتصقاً بالاواني وجميع ما يستعمل فينتشر بواسطتها ويتساقط حيث اتفق له. فالواقع منها على ما يليق به ويصلح لمعاشه وساعدته الاحوال والشروط التي لا بد منها للحياة لم يلبث ان تنتعش فيه الحياة فينمو ويتكاثر محوّلاً تلك المواد الى حال اخرى يقال لنوع منها اختمار وللآخر ختر فتعفن .... فالحواصل الآلية تكون اصلياً لا ميكروب فيها وهذا انما ينتقل اليها بواسطة خارجية.

في ان الميكروب هو سبب الاختمار

لم يترك خصوم الحيويين وسيلة املوا منها بعض الصواب في آرائهم ولم يتشبثوا بها . فمن بعد ان افحمهم برهان وجود الخلايا وتكونها بالتناسل الطبيعي ووجوب وجودها لحصول الاختمار في اي مادةٍ كانت على الاطلاق وكذلك وجودها وانتشارها على وجه البسيطة قام من ادّعى بان من ذلك كله لا ينتج بان الميكروب هو بنفسه السبب الوحيد الملازم للاختمار لانه لم يتبين باي نوع وكيف وما هي القوّة الكامنة فيه تؤثر بالمواد الجامدة فتبدلها من حالٍ الى اخرى .

صرح «شوان» بادي، بدء بان زيادة ظواهر الاختمار وقلتها تلازم نموّ الخميرة وازديادها وقلتها وذلك لان الخلايا تأخذ من المواد الصالحة لها ما ينفعها في غذائها ونموّها وما لم تنتفع به يتكوّن منه الالكحول .

وقال كثيرون بعد شوان بذلك المبدإ ودافعوا عنه جهدهم ولكنه لما لم يُسند الى تجارب وبينات تدركها الحواس لم يكن كافياً للاقناع وعندها قام ابن بجدتها بل عُذيقها المرجّب وجُذيلها المحكك واعني به باستور واثبت سنة ١٨٥٧ اوّلاً ان الاختمار يلازم جوهريًا حياة الخميرة ونموّها وان ظواهره كلها تتوقف على فعل الخلايا التي تنمو وتنشأ باتخاذها غذاء الاجزاء التي تتركب منها المواد الصالحة للاختمار . ومن اجل ذلك فباقتيائها بالمادة السكرية مثلاً لا تتحول هذه جميعها الى الالكحول وحامض الكربونيك بل بجزء منها نحو خمس في المائة تتكوّن الخلايا نفسها . فكانت من ثم اجزاء المواد الاختمارية هي غذاء الخميرة وهذه تصرف الجزء الاصغر من ذلك لنموّها وتكاثرها والاكبر يتحوّل بالاغتذاء الى الالكحول وحامض الكربونيك . ولما كان في تركيب الخلايا يدخل ايضاً جزء من الازوت والاملاح المعدنية ظن باستور في اول الامر بانه لا بد من وجودها في المحلول المعدّ للاختمار لكي تنمو الخلايا وتحلل المادة السكرية . واطلع بعد ذلك على انه لا حاجة لذلك فان الخلايا يمكنها ان تنمو في المحلول السكري المحض بدون ازوت واملاح . على ان النموّ في هذه الحال يحصل اما من مادةٍ ازوتية مذخورة في الخلايا نفسها او ان الخلايا الفتية تستفيد فيه من بقايا اسلافها . واطلع ايضاً بانه اذا جعل الخميرة وحدها في الماء الخالي عن السكر تصلح تلك البقايا موقتاً لان تكون غذاء تاماً تعيش عليه هذه الخلايا الفتية وتحولها الى الالكحول وحامض الكربونيك . بمعنى انه يحصل هنالك الاختمار من دون سكر وفي سنة ١٨٦٠ اظهر باستور بان الاجزاء الآزوتية الداخلة في غذاء الخلايا ليس من الواجب ان تكون من المواد الزلالية فان الاملاح النشادرية تقوم مقامها في التغذية . والحاصل فان

المحلول المركب من جزء من الاملاح المذكورة والمعدنية ومن السكر يكون اصلح غذاء «ومادة» للاختمار الالكحولي · تحقق كثيرون بعد باستور ذلك عملياً واثبتوا بان لا دخل للمواد الزلالية لحصول الاختمار ونشوء الخلايا بخلاف ما ادّعاه وقتئذ الكيماوي الشهير ليبيج ·

واما غاز الاكسيجين الذي يحتوي عليه الهواء وكان يظنه الاوّلون السبب الوحيد للاختمار فقد اظهر باستور ان الخلايا تجتذبه من الهواء بكثرة وتقذف حامض الكربونيك كما تفعل بقية الحيوانات وجاء بعده شتزمبرغ فابان ذلك واثبته قائلاً بان نموّ الخلايا وتكاثرها يكون على نسبة ما تصرف من الاكسيجين فاتضح بذلك ايضاً بان الاختمار انما يتوقف على اغتذاء الخلايا وتنفسها الهواء لا على الاكسيجين · ولما كان باستور قد اظهر من بعد ذلك بان بعض الميكروب لا يحب الاكسيجين و يعيش بدونه و بدون الهواء سمي ذلك بالهوائي وهذا بغير الهوائي · وفي ذلك بحث طويل لا يساعدنا المجال على تفصيله · ان الاختمار هو فعل حيوي (فسيولوجي) وما عدا الادلة التي سبق بيانها الناتجة عن التجارب المختلفة واخصها تجارب شوان و باستور التي تثبت بان الاختمار فعل حيوي نذكر ايضاً شواهد تؤيد بان جميع الظواهر التي تُشاهد في الاختمار والتعفن وغيرها لا يمكن ان تكون الاَّ فسيولوجية اعني افعالاً حيوية · ومن ذلك ان زيادة الاختمار وقلته تكون في نسبة نموّ الخلايا وتكاثرها في المحلول الاختماري وان ذلك يتوقف ايضاً على حصول الحرارة المعتدلة في المكان والمحلول وان المواد السامة التي توقف الافعال الحيوية في الحيوان والنبات او تخدرها كالكلوروفورم والاثير وغيرها ولو جزءاً زهيداً منها توقف ايضاً فعل الخلايا وتعطل الاختمار · وزد على ذلك ما عرف بالتحليل الكيماوي من ان الاختمار يبدل تبديلاً جوهرياً جميع المواد بنوع وكيفية لا يمكن حصولها الا بفاعل كيماوي له اعظم قوّة وتأثير · ولما كان في المحلول الاختماري لا يدخل شيء من ذلك فالتبدل فيه لا يمكن ان يسند الاَّ الى فعل حيوي ·

انواع الميكروب وتفصيلها

عُرف من الميكروب انواع كثيرة مختلفة لكل منها شكل وخواص وطبائع وافعال تميزه عن غيره ولا تقوم الا به · فان ميكروب الاختمار الالكحولي مثلاً يختلف شكلاً وفعلاً وطبيعة عن الخلي واللبني وغيرها وميكروب الكوليرا ليس ميكروب الطاعون · وكذلك بقية الامراض الميكروبية فان لكل منها نوعاً خاصاً يمتاز ويختلف بعضه عن بعض اختلاف الامراض · وقد عرض الاستاذ سديو في ١١ آذار سنة ١٨٧٨ على الجمعية العلمية الباريسية بان تسمى جميع دقائق الحيوان والنبات المحكي عنها بالميكروب ليكون لها اسم شامل

لانواعها · لان الاسماء كانت قد كثرت وتشتت لاكتشاف اجناس وانواع مختلفة، لهذا صفات نباتية ولذلك حيوانية ولآخر بين بين حتى ان بعضهم اشار بان يسمى بعالم الدقائق الحية ليمتاز عن عالمي الحيوان والنبات توفيراً لعناء التفصيل والتفريق ودفعاً للشذوذ عن القواعد المصطلح عليها لذلك العهد ·

وفي بحثنا الآن عنها عامة لا يفيدنا جدول اسمائها لانه يبعدنا عن الموضوع ويشغلنا عن حكاية اكتشافها · ولما لم يكن من انواع الميكروب ما يوجد طبيعياً وحده محضاً الا في النادر من دون ان يكون مختلطاً معه من نوع او انواع اخرى اقتضى ان يتوصل العلماء الى تفصيله وتفريقه عن بعضه · فباستور هو اول من بين وجوب ذلك واليه يعود الفضل في اكتشاف الواسطة وحل المشكل · فانه اخذ ذرةً من الهباء مثلاً ادخلها في زجاجة سائل معقم وخلطها به ثم اخذ من تلك الزجاجة نقطة خلطها في زجاجة ثانية فمن هذه نقطة في ثالثة وهلمَّ جرًّا الى العاشرة بل اكثر · وجعل الزجاجات كلها في محل واحد فصار من بعد ذلك اعني لدى ظهور الاختمار في واحدة منها يفحصها ليرى نوع الميكروب الذي فيها · ففي اغلب الاحيان كان ميكروب الزجاجات الاخيرة من جنس واحدٍ محض اذا اخذ منه وزرع في زجاجات معقمة لا يجني الا من ذلك الميكروب جنساً ونوعاً · وهذه الواسطة اعني تمييز الميكروب بعضه عن بعض واجتناء نوع محض منه صار عليها مدار علم الميكروب فتقدم ونجح واي نجاح ·

ولا يخفى ما هنالك من الصعوبات وطول الانتظار وصرف الاموال الجزيلة مع طول الاناة والصبر فاخترع الاستاذ كوخ واسطةً عوضاً عن السابق بيانها صار عليها التعويل عند جمهور العلماء لانها قريبة المأخذ عاجلة النتيجة كفيلة بنجاحها وهي لا تكلف الا شيئاً قليلاً من المصاريف ولولاها لما توصل لاقتباس علم الميكروب الا الخاصة من المعلمين واغنيائهم ·

الاعتراضات

كان اصحاب مذهب التولد الذاتي في باديء الامر هم الاكثرون ولهم الصوت الاعلى واليد الطولى والتصدر في المحافل العلمية فكانوا يعدون من خالفهم مبتدعاً ودخيلاً فيخذلونه بل يحرمون عليه حرية القول والعمل لايضاح افكاره والدفاع عن آرائه وعند ما كثر الحيويون واشتهرت آراؤهم المبنية على نتائج التجارب التي يراها ويقبلها كل ذي عقل سليم ولا سيما عند ما ظهر باستور وانتشرت اعماله وانتصر له كثيرون من العلماء اضطر اولئك الى البروز الى ميدان الجدال واذ لم تسعهم المكابرة واسكات الخصم بينات دامغة املوا الانتصار عليه بمقاومته بسلاحه نفسه اعني بالتجربة والامتحان فاصابتهم سهامهم وحملوا للحق

واذعنواله . لان اعتراضاتهم كانت اوهى من بيت العنكبوت : فمنهم من كان ادّعى انه وجد بالتجربة بعض الاختمار من دون ميكروب وآخرون استشهدوا لاثبات زعمهم بحدوث التعفن في جوف جثث الموتى وفساد بيض الدجاج مع بقاء قشرها سالماً . وكذلك حدوث الاختمار اللبني والخلي على الرغم من منع اختلاط الميكروب بسائلها العقيم . وادعى بعضهم بانهم حافظوا على الجبول بدقة واتقن مع ذلك . وكذلك انهم نقوا مواد الاختمار بالترشيح والتصفية ولم تبق كلها سالمة . وفي تلك الاحوال كلها كانوا اما يزعمون بانهم لم يجدوا اثرًا للميكروب في جميع المواد التي أُعدت للتجربة فينسبون الاختمار والتعفن الى فعل كيماوي واما ان يقولوا بان الميكروب وجد في جميعها على كثرة احترازهم منه فيستنتج الطرآنيون حجة صريحة على صحة التولد الذاتي . وقال بيشام ان التدرنات التي تشاهد في الحياة في بروتو بلاسم الخلايا التي يتركب منها جسم كل حي من نبات وحيوان تتحول الى ميكروب بعد الممات

ان مخافة تلك الاعتراضات كلها بينة فلم تزعزع رأي الحيو بين بل زادته متانة ورسوخاً وسبب ضلالهم وخبطهم هو عدم تصديقهم بوجود الميكروب فلم يعبؤا به ولم يتخذوا بحق وسائط التحرز من انسيابه فيما يجربونه سيما وانهم لم يريدوا التوغل في علم الميكروب الذي كان يومئذ صعب المنال وهم يستهينون به .

الاختمار الكيماوي

ذكرنا فيما سبق بان بعض العلماء كانوا يعتبرون الاختمار فعلاً كيماوياً فكان ليبيج وحزبه منذ سنة ١٨٣٩ يدعي بان الخميرة هي مادة كيماوية بتحللها يحصل تحول السكر الى الالكحول والحامض الكربونيك وحاولوا اثبات زعمهم ببينات مسندة كلها على مشابهة الاختمار بفعل بعض الاجسام وعناصرها كيماوياً . فعجزوا وبدّل ليبيج سنة ١٨٧٠ مدعاه وزعم بان وجود الخلايا في الاختمار انما يكون ثانوياً فهي تحدث مادة خاصة تسبب الاختمار كيماوياً وهذا لا يتوقف على الخلايا بل على المادة التي تفرزها فلو امكننا اذاً باحدى الوسائط افراز تلك المادة لتوصلنا الى حصول الاختمار بها وحدها من دون الخلايا . واستشهد بظواهر حيوية تضاهيها تشاهد في النبات والحيوان من الطبقة العليا وكذلك عند الانسان وهي حصول اليبسين والتربسين والميوزين والدياستاز وغيرها ومنفعتها لا تختلف عن الاختمار قطعياً فهي اذاً خميرة كيماوية .

ان الحيو بين لم ينكروا وجود الخميرة الكيماوية ولكنهم لم يسلموا بان للنوعين فعلاً وتأثيرًا متشابهين حقيقة . لان الخمير الكيماوي يؤثر ويفعل بمجرد الاختلاط والملامسة وفعله تحليلي اعني انه يفرق الاجزاء والعناصر بعضها عن بعض كفعل الحامض الكبريتي وغيره

بالاجسام وكميته لا تزيد بل تنقص في الاختمار ويقتضي له اكثر من ستين درجة ليؤثر الاثر الذي لا تعطله السموم الفسيولوجية . واما الخميرة الميكروبية تحول وتبدل ماهية المواد تحويلاً جوهريًا وكميتها ليست بمحدودة فانها تجري حكمها معًا زادت او قلت وهي تزيد او تنقص على نسبة كثرة الاختمار او قلته . وفعلها يحصل بين الـ ٢٥ و٤٠ من درجة الحرارة ويتعطل تمامًا اذا أضيف اليه شيء من السموم الفسيولوجية . فلا ملابسة اذًا بين الاثنين

واما في بعض المواقع التي يحدث فيها اختمار مختلط كيماوي وحيوي كما في التعفن فيجري الخميران حكمها معًا فالكيماوي الناتج بعضه عن الميكروب يحلل بوجوده المواد فيتناولها الحيوي ويغتذي بها فيحولها ويبدل ماهيتها تبديلاً جوهريًا فاذا اردنا من ثم ان نوافق ليبيج ونقبل بان التحلل الطارئ على العناصر في الاختمار يحصل عن اختلاط او ممعمة عنصرية اشبه شيء بالخميرة وان هذه لا يمكن حصولها الاَّ بوجود الخلايا وحياتها واقتياتها فلا يعتبر حينئذ ليبيج معترضًا بل مؤيدًا لرأي الحيويين .

وقصارى القول إن الحيويين بعد ان استمروا نحو خمسين سنة بين دفاع وهجوم ظفروا بجميع من عاداهم وعاندهم . وسلم بصحة آرائهم قابضو زمام العلم من جميع الامم والملل . فتوطدت بينهم دعائم السلام وعلائق الاتفاق ونشرت راية الاتحاد والتعاضد لمحاربة العدو المضرّ من انواع الميكروب بالاكتشاف على مكامنه وحركاته وختلاته وخزاته فيمزقون حبائله ويخلصون الجنس البشري بل عالم الاحياء اجمع من حملاته وصولاته ويكسرون حدته وشوكته ابدًا .

دمشق سليمان غزالة

اليونان

الصنائع اليونانية

المعابد اليونانية — قامت اجمل المباني في اليونان تعظيمًا للارباب فمتى ذُكرت هندسة اليونان فلا يذهب الفكر الاَّ الى معابدهم . وليس المعبد اليوناني كالبيعة النصرانية خاصًا بقبول المؤمنين الذين يهرعون الى الصلاة فيها بل هو قصر بمنزلة الرب وتمثاله يمثله قصر تحفه الابهة والجلالة ولا يلجه جمهور المؤمنين بل يظلون خارجه حوالى مذبح تحت السماء وقد قامت مقصورة الرب في وسط المعبد وهو مزار سري لا نافذة له ولا ضوء ينفذ اليه

الا ما كان من كوى في الاعالي · وقام الصنم في داخله معمولاً من خشب او رخام او عاج لابساً ذهباً محلى بالثياب والحلي وكثيرًا ما يكون هيكلاً عظيماً · وقد مثل زيوس في معبد الاولمبيا قاعداً ويكاد يصل رأسه الى القمة ولذا قيل ان الرب لو تمثل قائماً لخرق السقف وقد حجب هذا المزار عن الانظار من كل ناحية وهو عبارة عن مستودع ذخائر الصنم ويجتاز من يروم دخوله ضرباً من الرواق مؤلفاً من صفوف من السواري · ووراء الغرفة غرفة ثانية معلقة فيها الاعلاق الثمينة الخاصة بالرب وجميع قنياته (١) وربما جعل فيها ذهب المدينة وفضتها · وهكذا كان المعبد صواناً وكنزًا ومتحفاً وتحيط بالمعبد صفوف من السواري من اطرافه الاربعة مؤلفة حوالى جدار المزار غشاء ثانياً للرب وكنوزه والسواري على ثلاثة انواع تختلف باختلاف اساسها ورأسها او تاجها وعلى كل منها اسم الامة التي اخترعتها او اكثرت من استعمالها وهي بحسب اختلافها في القدم السواري الدورية والسواري الايونية والسواري الكورنثية · ويدعى المعبد باسم السواري التي بني عليها · وفوق الاعمدة حوالى البناء صفائح من رخام منقوشة على شكل اللوحة تتناوب على قطع من رخام منضمة ومنها يتألف الافريز · ويعلو المعبد بنية مثلثة في اعلى مقدم البناء مزدانة بتماثيل وقد صوّرت المعابد اليونانية بالوان عديدة من اصفر وازرق واحمر وبقي اهل التمدن الحديث زمناً وهم يأبون تصديق ذلك · وكان من الوهم العام ان لابناء اليونان ذوقاً معتدلاً جداً في نقش البناء · بيد انه اكتشفت في كثير من المعابد آثار نقوش لا تبقي مجالاً للشك حتى ادت الحال بالباحثين ان علموا بالتأمل فيها ان تلك الالوان اللامعة لم تحسن اخراج الخطوط وكان عليها ان تحسنه اكثر من ذلك ·

صنعة النقش اليوناني — يتراءى المعبد اليوناني بادئ بدء انه ساذج لا زينة فيه وما هو الا علبة مستطيلة من حجر موضوع على صخر اما الواجهة فتحتوي على شكل مربع تعلوه زاوية · فلا نرى لاول نظرة غير خطوط مستقيمة وأسطوانات حتى اذا نظرت فيها عن أمم تنكشف لك انه ليس من هذه الخطوط المستقيمة العديدة الا خط واحد مستقيم في الحقيقة · فالسواري منتفخة نحو الوسط والخطوط القائمة منحنية قليلاً نحو المركز والخطوط الأفقية محدبة في الوسط · وكان هذا من الدقة بحيث اقتضى قياسه بالتدقيق لاكتشاف الصنعة فيه · وقد لحظ النقاشون اليونان ان اخراج مثل هذا المجموع المتطابق

(١) كان في البارتينون احد معابد آثينة على قول خزنة كنوز الارباب اوان ذهبية وفضية وتاج من ذهب واتراس مخوذات وسيوف وحيات من ذهب ومنضدة من عاج وثمانية عشر فراشاً وجعاب من عاج ايضاً (للمؤلف)

من البناء يقتضي تجنب الخطوط الهندسية التي تظهر منحدرة وتوفير العناية بظواهر المناظر البعيدة . قال كاتب يوناني ان غاية النقاش ان يخترع طرقاً يسحر بها اعين الناس . ولقد كان اهل الصنائع في يونان يعملون باخلاص لانهم يعتقدون عملهم قربى من احد الارباب لذلك كانت صنائعهم معتنىً بها في كل اطرافها حتى فيما لا يرى منها وهي من المتانة بحيث يطول امد بقائها بعد لولم يعاجلها التخريب بشدة . ودام البارتينون الى القرن السابع عشر سليماً وانشق شطرين بانفجار مخزن من البارود كان بقربه وقد جمع النقش اليوناني الى المتانة حسن ذوق والى السذاجة علماً ومهارة . زالت معابد اليونان كلها تقريباً ويكاد يبقى بعضها مبعثراً مخدوشاً مهدماً متداعي الاركان وربما كانت طبقات من سوار على انها تكفي على علاتها ان تلفت نظر من يراها .

النقش — لم يكن النقش عند المصريين والاشوريين الا زينة من توابع الابنية اما اليونان فقد احلوه محل صناعة رئيسة . واشهر ارباب الصنائع عندهم النقاشون فيدياس وبراكسيتيل وليزيب . فينقشون البارز دون النصف من البناء ليزينوا جدران معبد وواجهته والبنية المثلثة في اعلى البناء . ومن هذا النوع الافريز الشهير في الباناتينيه المحيط بالبارتينون وهو يمثل تطواف شابات آثينة يوم الاحتفال بعيد الربة الكبير . وكان هؤلاء النقاشون ينقشون هياكل وتماثيل خاصة بعضها يمثل رباً او يستخدم صنماً وبعضها يمثل مصارعاً ظافراً في الالعاب الاحتفالية أقيمت له هذه التماثيل جزاء نصرته .

واقدم التماثيل اليونانية منحدرة عوجاء تشبه النقوش الاشورية ثم نحت لدنة ظريفة وكانت اعظم الاعمال من صنع فيدياس في القرن الخامس وبراكسيتيل في القرن الرابع اما تماثيل القرون التالية فانها على التأنق فيها اقل شرفاً وعظمة . وكان في يونان ألوف من التماثيل اذ ان لكل مدينة تماثيلها وقد تابع النقاشون عمل التماثيل بلا انقطاع مدة خمسة قرون ولم يبق منها على كثرتها غير خمسة عشر تمثالاً لم تعبث به الايدي . ولم تنقل الينا طرفة من الطرف الشهيرة بين اليونان واشهر تماثيلنا اليونانية اما ان تكون نسخة عن الاصل مثل تمثال الزهرة في ميلوا او اعمالا أثرت عن عصر الانحطاط مثل تمثال ابولون في البلفيدير . ومع هذا فقد بقي منها ما يكفي اذا أضيفت اليها قطع التماثيل والصور البارزة التي ما زالت تستخرج بالحفر لان يتصوّر المرء حالة النقش اليوناني ويكون له فكر اجمالي عنها فالمهندسون اليونان فكروا اولاً في تمثيل اجمل الاجسام في مظهر وقور شريف . وما اضاعوا الفرص كلما سنحت ليشهدوا اجمل الرجال في اجمل الهيآت من محل الرياضة والجيش والمراقص والاجواق المقدسة فيدرسونها ويحسنون نقلها . وما ضاهاهم احد في محاكاة الجسم البشري

ومن العادة ان يكون الرأس صغيرًا في تمثال يوناني والوجه ساكنًا كامدًا ولم يعن اليونان مثلنا بمعاني الوجه بل يعتنون بجمال التخاطيط ولم يراعوا التناسب بين الاعضاء والرأس . والجسم برمته مثال الجمال في التماثيل اليونانية .

صناعة الخزف — عرف اليونان ان يتخذوا من الفخار صناعة حقيقية دعوها سيراميك بقي منها اسمها فقط فالخزف او الفخارلم يعتبر في يونان مساويًا لسائر الصناعات ولكن له منفعة عظيمة لنا وذلك اننا نعرفه احسن من معرفتنا غيره فقد تداعت المعابد والتماثيل اما اعمال الخزافين اليونان فقد حفظت بحالها في المدافن التي يعثر فيها عليها اليوم . وقد جمع منها الى الآن زهاء عشرين الف خزفة في متاحف اوروبا وهي نوعان : الاواني المنقوشة بنقوش سوداء او حمراء على اختلاف الحجم والشكل . والتماثيل الصغيرة المعمولة من التراب المطبوخ التي عرفت منذ خمس عشرة سنة وقد اشتهرت الآن او كادت منذ اكتشفت الدمى البديعة في تاناكار من بيوسيا ومعظمها انصاب صغيرة وبعضها يمثل اولادًا او نساء

التصوير — اشتهرت في يونان عصابة من المصورين مثل زوكسيس وفارانيوس وابيل وكل ما اتصل بنا عنهم يرجع الى بضع اقاصيص وربما كانت مبهمة في الاحايين او الى بعض اوصاف ذات صور . وانا للوقوف على حالة التصوير اليوناني قد اقتصرنا على ما عثر عليه من تصاوير الحوائط في بيوت بومبي احدى المدن الايطالية وهي من القرن الاول للميلاد وكأنها تقول بلسان الحال اننا لم نعرف عنها شيئًا

التجارة الآثينية — اصبحت آثينة في القرن الخامس مدينة كبرى على حين كانت اتيكيا اقليماً مجدبًا لا تغل ما يكفي لاعالة سكانها فتضطر الى جلب الحنطة والخمر والسمن والسمك من الخارج . وقد كان عبيد آثينة على العكس يعملون الثياب والخزف والسلاح والاثاث مما يباع خارج بلادهم . فمن ثم كثرت اساليب التجارة . فكانت البضائع ترد الى مرفإ بيرا او تصدر منها وكانت أنشئت فيها ارصفة ومخازن وقد سماها احد الخطباء في القرن السادس بانها سوق بلاد اليونان بأسرها . وكانت تأتيها حاصلات بلاد الشمال خاصة ويحمل اليها من الداخلية في موانئ البحر الاسود وتراسيا الحنطة والخشب والجلود والعبيد وكانت آثينة تتجر مع اليونان النازلين في جنوبي ايطاليا الى نابولي . واذ كان لكل مدينة يونانية نقودها الخاصة بها فقد كان يأتي آثينة دراهم من ضروب مختلفة فاقتضى لذلك صيارفة يبدلونها وكانوا يدعونهم «ترابيزيت» لانهم كانوا يجلسون في الساحة وراء منضدة (ترابيزة) وكانوا كلهم تقريبًا من الغرباء الذين اصحوا ميتيكيين ثم انهم كانوا اتخذوا مهنة اضافوها الى مهنتهم تلك وهي اقراض النقود فيخزنون الدراهم و يقرضونها بفائدة فاحشة بنحو (٣٠ في المئة)

حرب المورة

خصائص عامة — الاستيلاء على آثينة

خصائص عامة — انقسم اليونان الى قسمين بعد تأسيس مملكة آثينة في الجزائر اليونانية فكانت المدن الساحلية خاضعة الى آثينة والمدن الداخلية باقية تحت امرة اسبارطة . وبعد خلاف طال امره نشبت الحرب بين اسبارطة وحليفاتها في ذاك الصقع من جهة وآثينة ورعاياها الساحليين من الجهة الاخرى وكانت هذه الحرب هي المعروفة بحرب المورة . دامت سبعاً وعشرين سنة (٤٠٤ — ٤٣١) ولما القت اوزارها عادت فنشبت باسم آخر الى سنة ٣٦٠

كانت تلك الحروب مشوّشة يقتتل المتحاربون فيها برّاً وبحراً يقتتلون في ارض اليونان وفي آسيا وتراسيا وصقلية اي في اصقاع مختلفة وكان جيش الاسبارطيين احسن انتظاماً فجعل مقاطعة اتيكيا قاعاً صفصفاً وكان اسطول الآثينيين اكثر استعداداً لحرب الشواطئ، ولم يؤثر عن تلك الحروب الناشبة بين المدن اليونانية الا الشدة ويكفي في وصفها الاشارة الى بعضها . فقد كان احلاف الاسبارطيين في بدء الحرب يلقون في البحر جميع سلع المدن المعادية لهم فقابلهم الآثينيون بقتل سفراء اسبارطة بدون ان يستمعوا لاقوالهم .

خضعت مدينة بلاتيه صلحاً وكان وعد الاسبارطيون جماعة المحاصرين بانهم لا يعاقبون احداً بدون محاكمة واليك مع هذا كيف كان قضاة الاسبارطيين يعاملون الاسرى : يسألون كل واحد منهم عما اذا قام في خلال الحرب بخدمة للاسبارطيين فكان الاسير يجيب سلباً فيحكمون عليه بالاعدام . وقد بيع النساء كالاماء . عصت مدينة مدللي على الآثينيين فاعادوها الى طاعتهم ثم اجتمع الشعب الآثيني وبعد المشورة بينه قضى باعدام سكان مدللي نعم انه رجع من الغد عن رأيه وارسل باخرة ثانية تحمل العفو عن اولئك المنتقضين . بيد انه كان نفذ حكم الاعدام على زهاء الف من سكان مدللي . وكان من العادة اذا داهم جيش بلاد العدو ان يخرب البيوت ويقطع الاشجار ويحرق الغلات ويقتل الحراثين . وبعد انتهاء الحرب يجهز على الجرحى ويعمد الى قتل الاسرى صبراً . واذا جرى الاستيلاء على مدينة يؤول كل ما فيها ملكاً للغالب فيباع رجالها ونساؤها واولادها كما يباع العبيد . هكذا كانت اذ ذاك حقوق الحرب . وقد اوجزها توسيديد في خطاب له في الجملة الآتية قال: تنفض المسائل بين الناس بواسطة قوانين العدل متى اضطروا اليها من الطرفين ولكن القوي يأتي ما في طاقته والضعيف يذعن له . فالارباب يتسلطون بضرورة الفطرة لانهم الاقوياء والناس يجرون على مثالهم .

الاستيلاء على آثينة — ولما تعب الشعبان من هذه الحرب الباطلة عقدا السلم بينهما ولكن امده لم يطل . وذلك ان آثينة بعثت بجيشها الى صقلية لتفتح سيرا كوس المحالفة لاسبارطة وهناك أحيط به وبعد نكبة سيرا كوس أسر الجيش الآثيني برمته وطفق الغالبون يحنقون عامة القواد وجماعة من الجند ومن ابقوا عليه انزلوهم الى لاتومي وهي مقالع قديمة كانت تتخذ حبوساً القوهم فيها سبعين يوماً متزاحمين متراصين لا وقاية تقيهم حرارة الشمس في الصيف اورطوبة ليالي الخريف . فمات كثير منهم مرضاً وجوعاً وعطشاً لانهم لم يكادوا يطعمونهم الا ما يسد رمقهم بعض الشيء وبقيت اشلاؤهم ملقاة على الارض تفسد الهواء ثم اخرج اهل سيرا كوس من بقي حيّاً من الآثينيين وباعوهم كما يباع الرقيق . واقام الاسبارطيون حامية في جبال اتيكيا بحيث تمكنوا من توقيف تجارة آثينة مع بلاد الشمال ومنها كانوا يأتون بالحنطة . وذهب ليزاندر القائد الاسبارطي الى آسيا واخذ مالاً من الفرس جهز به اسطولاً وطاف شواطيء آسيا واذ كان احلاف آثينة لا يقاتلون الا بالقوة تركوه وشأنه ثم ان ليزاندر حطم الاسطول الآثيني في آسيا (٤٠٥) وحاصر آثينة واخذها جوعاً واضطرها الى تخريب اسوارها وحرق سفنها الحربية .

أين مني ما أريد

اريد لو استتب لي الخلود ولكن اين مني ما أريد
على ان البقاء يطيل همي وما في رتبته ما استفيد
وليس بنافعي شيئاً بقائي وقد غصت باحبابي اللحود
ولكن كيف اقناعي لنفس تعلقها بدنياها شديد
أأصبر عن احبابي الأولى قد ثووا اني اذاً رجل جليد
مشوا للموت من دار اقاموا معي فيها فاقفرت العهود
تثير ديارهم حزناً بقلبي وتوحشني التهائم والنجود
فان يك في الاسى رجل وحيد فاني ذلك الرجل الوحيد

***

يسير الى المقابر كل يوم اخٌ منها التراب به يزيد
ولو عاد الذي يخفي سلونا ولكن من نرحل لا يعود
وما هي حالة الشهداء فيها أأيقاظ هنالك ام رقود
لعمرك لا يرد الموت حصن ولا هذي العساكر والجنود

يبيد نعم يبيد المرء لكن عناصره تدوم ولا تبيد
يدور الشيء من صفة لأخرى ولكن منه لا يفنى الوجود
وجسم المرء تبنيه خلايا زمان حياتها فيه زهيد
اذا ما مات منها فيه قسمٌ يجيء مكانه قسمٌ جديد
وينقطع التجدد حين يودي فلا يخضرّ بعد اليبس عود

***

الا ان الحياة اعز شيءٍ نحبّ وانها الخصم اللدود
شقاءٌ عمّ هذا الناس حتى تشكى الشيخ منه والوليد
وقالوا بعض من يحيا سعيد فمن هو ذلك الحي السعيد
اتعكس حالة الشرق الليالي فتجتمع المعارف والجدود
لعمرك لا ينيل المجدَ مالٌ ولا خيلٌ ولا ابلٌ ترود
ولا ثوب على طرفيه وشيٌ ولا قصرٌ على تلّ مشيد
فان المجد في ادب غزير وان المجد في علم يفيد
وان المجدَ ذبٌ عن ضعيف تهضمه اخو الظلم العنيد

***

اداري الحاسدين رجاء ان لا يبالغ في مساءتيَ الحسود
يضرّ النفس منه او يقيها فتى يلج الحوادث او يحيد
واوقات الفتى اما نحوس تدور على المصائب او سعود
ليالٍ هن بالافراح بيضٌ واياٌم من الاحزان سود
كذاك الشعر فهو يكون اما رديئًا لا يطيب به النشيد
واما رائق الالفاظ يزهو فتحسب انه العقد الفريد
وذاك هو الذي ان انشدوه تزين منه للآداب جيد
اقول الشعر منقادًا اليه بطبعي وهو اكثره قصيد
فانظمه ولا ادري أأني مسيء حين انظم ام مجيد

***

اليك عن المجرّة لا تسلني وعن عدد العوالم كم يزيد
ولا عما وراء السحب فيها فذلك امر مطلبه بعيد
حدود تنتهي الافكار منا وما ان تنتهي تلك الحدود

وبين الفرقدين على اتصال تراه عيوننا بعد مديد
أيكني ياضياه الى نجوم منوَّرة لها منها وقود
يراها من له لبٌ شموساً ويعمه عن حقائقها البليد
وجيءُ منها باخبارٍ الينا فانك بيننا نعم البريد
سترقى النفس طائرة اليها اذا انفكت عن النفس القيود
لقد تعست هنا فاذا تعالت يكون نصيبها عيش رغيد

***

لعمرك قد تشابهت الليالي فما في عودها شيءٌ جديد
نهار خلفه يأتي نهار وليل كلما ولى يعود
ترى عيني بكف الموت قوساً بها سهمٌ الى جهتي سديد
فياموت ارمني ان كنت ترمي فاني بالردى صب عميد
ولم ارَ منهلاً كالموت عذباً على طرفيه تزدحم الورود
اقول لمن يهاب الموت جبناً برغمك كائن ما لا تريد
ولكني اخلف عند موتي نساء حزنها بعدي شديد
فتلدَم للجوى منها صدورٌ وتخمش في الاسى منها خدود
مرزأةٌ واخرى ذات نوح واخرى ما لا عينها جمود

بغداد ص . . .

حكم مقتبسة عن الانكليزية

الكمال

البساطة هي غاية الكمال في صفات المرء واخلاقهِ وعبارتهِ

اقصد الكمال في كل شيءٍ

الكمال لا ينال الاّ مهلاً مع مرور الزمان

لا ينال الرجل كمالاً الا اذا كان له اصدقاء صادقون او اعداء الداء

اذا اقتلعنا من انفسنا رذيلةً واحدة في كل سنة شرعنا في سبيل الكمال

قياس الانسان القياس الاعلى

الكمال مكوّن من صغار الامور وما الكمال بالامر الصغير

الرجاء

آمالنا تقصد كالبزاة الشامخة اغراضاً في مرتفعات الهواء

لاشيء يؤيد الناس بالاقدام والمخاطرة في كل ما تطلبه كالامل الوطيد

متى انحدرت غيوم العواصف كان المستقبل شديد الدجى لولا شروق الرجاء باشعته البهجة في هذا العالم المظلم

اذا كان طبعك طبع الرجاء المتسع فذلك هو حصنك الوحيد المنيع الذي تحتمي به في هذا الوادي وادي الدموع

يستيقظ باكرًا من يوقظه الرجاء واذا رافقه في الطريق كان سيره حثيثاً

الطاعة

الطاعة واجبة على الذين لا يعلمون كيف يحكمون

الطاعة جيدة لا غنى عنها

وُلدنا خاضعين لاحكام الله ومن اطاع الله كان حرًا آمنًا مرتاحًا (سنكا الفيلسوف الروماني)

الاشرار يطيعون خيفةً والصالحون على حبٍ (ارسطو)

من لا يقدر على الطاعة لا يقدر على الحرية او على السلطة ومن لا يكون ادنى في شيء لا يكون ارفع في شيء

انني اتعلم كل ساعة تعلياً من تعاليم الطاعة

السرور

من اسرَّ غيره كان ذلك سرورًا لنفسه

كن بهجاً ما امكن لان السرور لا ينحصر فينا بل هو عامل عظيم في سرور غيرنا

الصديق البهج كنهار منير يضيء كل ما حوله

لا سعادة ثابتة في الحياة الا لمن ينسى نفسه من اجل غيره

اذا كان الزحف نصيبي فازحف راضياً وان كان الطيران نصيبي فاطير نشيطاً ولكنني سأجهد كل الجهد ان لا اكون مغموماً

الرفيق البهج كمركبة لمن قد تعب في الطريق

آمال الدنيا التي قد يشغل الناس قلوبهم بها تخيب او قد تصح ولكنها كالثلج الذي يغطي وجه الارض ساعة او ساعتين ثم يزول (عمر الخيام)

شوق النفس الى الكمال

الشوق الى الكمال خفير قوي الى الفضيلة

كل انسان يتوق احيانًا الى ما يجب عليه من معالي النفس

جزاء المرء الذي يشتاق الى اعلى ما تتصوره النفس هو انه لا ريب له فيها

كل ما على الارض اظلال لاشياء في السماء هي وحدها الباقية

لا ريب في ان التصورات العالية ثابتة الوجود

الكمال الذي يتخيله الانسان آفة لما عنده من نقص الكمال

التشوّقات الخيالية بعيدة جدًا عنا فلنرض بالسعي وبما يمكن من الدنو اليها

التأمل والتذكر

تذكر مراحم الله السابقة علاج دافع للقنوط في يوم الشدة

ما مضى فقد مضى الى الابد وهو مجموع مذخور ولكنه لم يبق لنا فكل كلمة نطقنا بها وكل خطوة نخطوها لا يمكن استرجاعها

اذا نظرنا الى ما مضى من الشدائد رأينا ان بعضها كان خيرًا عظيمًا يفوق ما تحملناه من مشقتها

اذا تردد فيك العقل وارتاب فاذكر ما مضى واهتد به واذهب الى البيت الذي ولدت فيه وان كان قد وُلد الايمان هناك فردد ما كان يعتقده ابوك والصلاة التي كانت تصليها امك

التذكر مهما كان محزنًا فهو افضل العلائق التي تصل حياة الدنيا بحياة الآخرة

العادة

العادة حبل ننسج منه خيطًا كل يوم الى ان يبلغ حجمًا لا يمكن قطعه

ربّ في نفسك عادة الانتباه الشديد الى كل امر يعرض لك سواء كان في القراءة او المراقبة او الاصغاء الى التعليم

العادة افعل النواميس التي تعمل في الفطرة البشرية

تتكوّن فينا العادات كما يتراكم الثلج بعضه فوق بعض

عادة النظر الى الاشياء بالسرور وتأمل الحياة بالامل تربى فينا كغيرها من العادات

تتكوّن العادات الحسنة باعمال العقل والمجاهدة الدائمة للتغلب على المحن

النصيب

كل امرىء عامل على نصيب نفسه

اذا قرع النصيب بابنا فمن الخطإ ان لا نفتح له ونرحب به

دولاب النصيب يدور ابدًا ومن يستطيع ان يقول انني سأكون اليوم الى الاعلى ؟

بيروت حنا ورتبات

السجن

سكنا ولم يسكن حراك التبدد ... مواطن فيها اليوم ايمن من غد
عفا رسم مغنى العز منها كما عفت ... «لخولة اطلال ببرقة ثهمد»
بلاد اناخ الذل فيها بكلكل ... على كل مفتول السبالين اصيد
معاهد عنها ضل سابق عزها ... فهل هو من بعد الضلالة مهتد
احاطت بها الارزاء من كل جانب ... الى ان محتها معهداً بعد معهد
وحلق في آفاقها الجور بازياً ... مطلاً عليها صائناً بالتهدد
وينقض احياناً عليها فتارة ... يروح وفي بعض الاحايين يغتدي
فيخطف اشلاء من القوم حية ... ولم يقد المقتول منها ولم يدِ
ويرمي بها في قعر اظلم موحش ... به اين تسقط جذوة الروح تخمد
هو السجن ما ادراك ما السجن انه ... جلاد البلايا في مضيق التجلد
بناء محيط بالتعاسة والشقا ... لظلم بريء او عقوبة معتدي

***

زُر السجن في بغداد زورة راحم ... لتشهد للانكاد افجع مشهد
محل به تهفو القلوب من الاسى ... فان زرته فاربط على القلب باليد
مربع سورٍ قد احاط بمثله ... محيطٍ باعلى منه شيد بقرمد
وقد وصلوا ما بين ثانٍ وثالث ... بمعقود سقف بالصخور مشيد
وفي ثالث الاسوار تشجيك ساحة ... تمور بتيار من الخسف مزبد
ومن وسط السور الشمالي تنتهي ... اليها بمسدود الرتاجين موصد
هي الساحة النكراء فيها تلاعبت ... مخاريق ضيم تخلط الجد بالددِ
ثلاثون متراً في جدارٍ يحيطها ... بسمك زهاء العشر في الجو مصعد
تواصلت الاحزان في جنباتها ... بحيث متى يبل الاسى يتجدد
تصعد من جوف المراحيض فوقها ... بخار اذا تمرر به الريح تفسد
هناك يود المرء لو قاء نفسه ... واطلقها من اسر عيش منكد
فقف وسطها وانظر حواليك دائراً ... الى حجرٍ قامت على كل مقعد
مقابر بالاحياء غصت لحودها ... بخمس مئين انفس او بازيد
وقد عميت منها النوافذ والكوى ... فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
تظن اذا صدر النهار دخلتها ... كأنك في قطع من الليل اسود

فلو كان للعباد فيها اقامة لصلوا بها ظهرًا صلاة التهجد
يزور هبوب الريح الا فناءها فلم تحظ من وصل النسيم بموعد
تضيق بها الانفاس حتى كأنما على كل حيزوم صفائح جلمد
وحتى كأن القوم شُدت رقابهم بحبل اختناق محكم الفتل محصد

***

بها كل مخطوم الخشام مُذلل متى قيد مجرورًا الى الضيم ينقد
يبيت بها والهم ملء اهابه بليلة متبول الحشا غير مُقصد
يُميت بمكذوب العزاء نهاره ويحيي الليالي غيرَ نوم مُشرَّد
بنوء باعباء الهوان مقيدًا ويكفيه ان لو كان غير مقيد
وتقذفهم تلك القبور بضغطها عليهم لحر الساحة المتوقد
فيرفع بعض من حصير ظلالةً ويجلس فيها جلسة المتعبد
وليست تقيه الحر الا تعلةً لنفس خلت من صبرها المتبدد
و بالثوب بعض يستظل وبعضهم بنسج لعاب الشمس في القيظ يرتدي
فمن كان منهم بالحصير مظللا يعدّونه ربّ الطراف الممدّد
تراهم نهار الصيف سُفعًا كأنهم اثافيُّ اصلاها الطهاة بموقد
وجوه عليها للشحوب ملامح (تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد)
وقد عمهم قيد التعاسة موثقًا فلم يتميز مطلق عن مقيد
فسيدهم في عيشه مثل خادم وخادمهم في ذله مثل سيد
يخوضون في مستنقع من روائح خبائث مهما يزدد الحر تزدد
تدور رؤوس القوم من شم نتنها فمن يك منهم عادم الشم يحسد
تراهم سكارى في العذاب وماهم سكارى ولكن من عذاب مشدد
وتحسبهم دودًا يعيش بحمأة وما هو من دودٍ بها متولد

***

الا رب حرٍ شاهد الحكم جائرًا يقود بنا قود الذلول المعبد
فقال ولم يجهر ونحن بمنتدى به غير مأمون الوشاية ينتدي
على اي حكم ام لاية حكمة ببغداد ضاع الحق من غير مُنشد
فادنيت للنجوى فمي نحو سمعه وقلت لان العدل لم يتبغدد
رعى الله حيًا مستباحًا كأنه من الذعر اسراب النعام المطرّد

وما صاحب البيت الحقير بناؤه ... بافزع من رب البلاط الممرد
وما ذاك الاّ انهم قد تخاذلوا ... ولم ينهضوا للخصم نهضة ملبد
فناموا عن الجلى ونمت كنومهم ... سوى نوحة مني بشعر مغرّد
وهل انا الا من اولئك ان مشوا ... مشيت وان يقعد اولئك اقعد
وكم رمت ايقاظاً فاعيا هبوبهم ... وكيف وعزم القوم شارد مرقد
نهوضاً نهوضاً ايها القوم للعلى ... لتبنوا لكم بنيان مجد موطد
تقدّمنا قوم فابعد شوطهم ... وقد كان عنا شوطهم غير مبعد
وسدّ علينا الاعتساف طريقنا ... فاجحف بالغوريّ والمنجد
افي كل يوم يزحف الدهر نحونا ... بجند من الخطب الجليل مجند
فيارب نفس من كروب عظيمة ... ويارب خفف من عذاب مشدد

بغداد معروف الرصافي

كتاب الاشربة

لابن قتيبة

عني بنشره المسيوارتوركي

احد علماء المشرقيات

وانما معنى قوله تعالى: « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس » (١) اي معصية والكفر والنفاق والمعاصي رجس يدلك على ذلك ان الازلام هي القداح فاي نتن لها ؟ وهذا مثل قوله: « واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم » (٢) اي نفاقاً الى نفاقهم ومثله: « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » (٣) وكيف يكون رجساً اي نتناً وهي في الجنة ؟ قال الله تعالى: « وانهار من خمر لذة للشاربين » (٤) فوصفها باللذاذة ولم يصف بذلك غيرها مما ذكر معها . وقال: « يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا » (٥) ولم يرد فيما يري اهل النظر ان الزنجبيل باق فيها وانما ارادوا انها تلذع اللسان

(١) من المائدة آية ٩٢ (٢) براءة آية ١٣٦ (٣) يونس آية ١٠٠ (٤) الصافات آية ٤٥ (٥) الانسان آية ١٧

كأنها مزجت بزنجبيل . والشعراء تصف افواه النساء براح مزجت بالزنجبيل . قال المسيب ابن علس (١) (كامل)

وكأن طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر

وقال الاعشى يشبهه بالزنجبيل والعسل : (متقارب)

كأن جنياً من الزنجبيـل بات بفيها وأريا مشورا

وقال الجعدي (طويل)

وبات فريق منهم وكأنما سقونا طفامن اذرعات مفلفلا

ولهذا يقول الشعراء للخمر مزّة للذعها اللسان ولا يريدون الحموضة وقال بعض اصحاب اللغة : انما مَزّة بفتح الميم اي فاضلة من قولك : هذا امز من هذا اي افضل وارفع . وقال: « يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس من معين لا يُصدَّعون عنها ولا يُنزِفون » (٢) فنفى عن خمر الجنة عيوب خمر الدنيا وهو الصداع ونفاد الشراب وذهاب العقل والمال ونحو هذا قوله في فاكهة اهل الجنة « لا مقطوعة ولا ممنوعة » (٣) فنفى عنها عيوب فواكه الدنيا لان فواكه الدنيا تأتي في وقت وتنقطع في وقت ولانها ممنوعة الا بالثمن والعرب تسمي الخمر درياقة يريد انها شفاء كالدرياق . قال ابن مقبل (٤) (متقارب)

سقتني بصهباء درياقـة متى ما تلين عظامي تلن

وقال الله تعالى : « يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما » (٥) فالاثم العذاب وكذلك الآثام قال : « ومن يفعل ذلك يلق اثاما » (٦) اي عقاباً واما منافعها فكثيرة لا تحصى . وانما تقع مضارها مع اكثار وتجاوز المقدار فاما الاقتصار فلم يكن لشاربيها قبل التحريم فيها مضار . فمن منافعها ما يصيبه الناس من اثمانها ولولم تعتصر الاعناب لبارت على اهلها . ومن ذلك منفعتها الجسم لانها تدرّ الدم وتقوي المنة (٧) وتصفي اللون وتبعث النشاط وتفتق اللسان ما أخذ منها بقدر الحاجة فاذا اخذ الافراط فكل شيء مع الافراط يضر . وكانت الاوائل (٨) تقول : الخمر حبيبة الروح وكان رجل من قدماء الاطباء اذا دخل على عليل لم يرَ فيه موضعاً لسقي الدواء سقاه الخمر الريحانية الممزوجة بالماء ليلقي الروح بحبيبه ويبعث من النفس بالمسرة ما قد اسقطه الداء فان رأى العليل قد قوي قليلاً واحتمل بعض الدواء عالجه . قالوا: ولذلك اشتق لها اسم

(١) من شعراء بكر بن وائل المعدودين وخال الاعشى (٢) الواقعة آية ١٧ — ١٩ (٣) الواقعة آية ٣٣—٣٦ (٤) هو تميم بن ابي مقبل جاهلي اسلامي (٥) البقرة آية ٢١٦ (٦) الفرقان آية ٦٨ (٧) في العقد المعدة (٨) في العقد بنو وائل

من الروح فسميت راحاً واصل الراح والروح والرَّوح من موضع واحد الا انهم خالفوا بينها في البناء ليدل كل واحد منها على معناه ويقارب معانيها كتقارب اسمائها فالروح روح الاجسام والروح النفخ لانه ريح يخرج عن الروح والروح طيب النسيم والروح هي الريح الهابة . والراح على فعل واصله رَوح فقلبت واوه الفاً لما انفتحت وانفتح ما قبلها ثم اشتقوا الريحان من ذلك لرائحته وربما سموا الخمر روحاً قال النظام (بسيط)

مازلت آخذ روح الزق (١) في لطف واستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي والزق (١) مطرح جسم بلا روح

وربما سموا الخمر دماً لانها تزيد في الدم والنفس تتصل بالدم . وكذلك قالوا : نفست المرأة اذا حاضت . وقالوا نفساء لسيلان الدم . قال مسلم (طويل)

خلطنا (٢) دماً من كرمة بدمائنا فاظهر في الالوان منا الدمُ الدمُ

وحدثني الرياشي عن مورج عن سعد بن سماك عن ابيه عن عبيد راوية الاعشى قال : قلت للاعشى : اخبرني عن قولك (كامل)

ومدامة (٣) مما تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

فقال : شربتها حمراء وبلتها بيضاء يريد ان حمرتها صارت دماً . وقال ابن الطثرية (٤) (طويل)

ويوم كظل الرمح قصر طوله دمُ الزق عنا واصطفاق المزاهر

وفي الخمر انها تسخي البخيل وتستخرج من اللئيم . قال عمرو بن كلثوم (٥) (وافر)

مشعشعة كأن الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا
ترى اللحز الشحيح اذا امرت عليه لماله فيها مهينا

قوله : سخينا من السخاء واراد بقوله اذا ما الماء خالطها لانها لا تمزج الا عند الشرب قال طرفة (رمل)

واذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كل جواد (٦) وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم يلحفون الارض هداب الأزر

وقد عيب بهذا طرفة لانه مدحهم بالعطاء وهم نشاوى ولم يشرط لهم ذلك في صحواتهم كما قال عنترة (كامل)

---

(١) في العقد الدن (٢) في العقد مزجنا (٣) في العقد وسلافة (٤) هو يزيد بن عبيد ابن عمرو ابن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم (من كتاب من ينسب الى امه من الشعراء لابي جعفر محمد بن حبيب خط في الكتبخانة الخديوية مج ٣٢ ص ١٦٠) قتلته بنو حنيفة يوم الفلج فرثته اخته (الشعر والشعراء) (٥) هو المشهور بقتل عمرو بن هند الملك (٦) في العقد امون

واذا شربت فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

والجيد في هذا المعنى قول زهير (طويل)

اخو ثقة لا يذهب الخمر ماله ولكنه قد يذهب المال نائله

يريد انه يعطى اذا بخلت النفوس . وقال ابن ميادة (١) (بسيط)

ما ان ألح على الاخوان اسألهم كما يلح بعظم الغارب القتب
وما اخادع ندمانی لأخدعه عن ماله حين يسترخي به اللبب

وقال بعض المحدثين (طويل)

كساني قميصاً مرتين اذا انتشى وينزعه مني (٢) اذا كان صاحيا
فلي فرحة في سكره وانتشائه (٣) وفي الصحو ترحات (٤) تشيب النواصيا
فياليت حظي من سروري وترحتي (٥) ومن جوده ان لا علي ولا ليا

وفي الخمر انها تشجع الجبان وتبعث الحصر العي وقيل للعباس بن مرداس في جاهليته لمَ لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك ؟ والترك وكثير من العجم يشربونها في الحرب وكانوا في الجاهلية ينالون منها يوم اللقاء، وكذلك اصطبحها قوم من المسلمين يوم بدر قبل ان ينزل تحريمها وفي الخمر ان كل شارب يمل شرابه غير شرابها وان احداً لا يقدر يشرب منها فوق الري الا بالكره للنفس على القليل غير شارب الخمر وما اشبهها من المسكر . حدثني القطعي عن ابي داود قال حدثنا ابو بجرة عن الحسن قال: لو كان في شرابهم هذا خير لرووا منه وفي الخمر انها تزيد في الهمة والكبر وتهيج الانفة والاشر (٦) وسقى قوم اعرابياً كؤوساً ثم قالوا له: كيف تجدك ؟ قال اجدني اسرّ (٧) واجدكم تحسنون (٨) الي وقال الاخطل (طويل)

اذا ما زياد علني ثم علني ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت اجر الذيل مني كأنني عليك امير المؤمنين امير (٩)

العلل بين النهل فلذلك قال ثلاث زجاجات لانها نهل وعللان قال المنخل (١٠)

---

(١) هو الرماح بن يزيد من بني ذبيان وهو ممن ينسب الى امه من الشعراء (٢) في العقد عني (٣) في العقد تمميصه (٤) في العقد روعات (٤ في العقد وفرحتي (٦) يعني الفرح والنشاط (٧) في الاصل اشرّ (٨) في الاصل تحببون (٩) لم اقع على هذه الابيات في ديوان الاخطل الذي طبعه الاب صالحاني ببيروت (١٠) هو المنخل بن عبيد بن عامر بن يشكر من اجمل العرب كان يتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر حتى قالوا ان ولديها منه (الشعر والشعراء)

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فانني رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني رب الشويهة والبعير

وقال الاعشي (كامل)

ولقد شربت ثمانياً وثمانيا وثمان عشر واثنتين واربعا
من قهوة باتت ببابل صفوة تدع الفتى ملكاً يميل مصرّعا

وقال في الخمر انها تمد في الأمنية قال الاعشي (طويل)

لعمرك ان الراح ان كنت شاربا لمختلف آصالها وغداتها
لنا من ضحاها خبث نفس وكابة وذكرى هموم ما تغب اذاتها
وعند العشي طيب نفس ولذة ومال كثير عده نشواتها

وفي الخمر انها تطيب النفس وتذهب الهم وكانت ملوك العجم تجعلها مجمة للقلوب ومستراحاً من الشغل . قال اعرابي كان يشرب النبيذ ثم تركه وشرب اللبن (خفيف)

قد تركت النبيذ مذ كن عندي وتحببت رسلهن مذيقا
فوجدت المذيق يوجع بطني ووجدت النبيذ كان صديقا
تعد النفس بالعشي مناها وتسل الهموم سلاً رقيقا

وذكر الهيثم بن عدي عن ابي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير ان جبلة بن الايهم (١) قال لحسان : يا ابا الوليد اني مشغوف بالخمر فذمها لي فقال : (طويل)

لولا ثلاث هن في الكأس لم يكن لها ثمن من شارب حين يشرب
لها نزف مثل الجنون ومصرع دني وان العقل ينأى فيذهب

فقال : افسدتها فامدحها فقال :

لولا ثلاث هن في الكأس اصبحت كأفضل مال يستفاد ويطلب
امانيها والنفس يظهر طيبها على همها والحزن يبلى فيذهب

وفي الخمر ان كل شارب على شرابه يصبر عنه غير الخمر فان لها ضراوة لا يشبهها الاّ ضراوة اللحم . وكان عمر رضي الله عنه يقول اتقوا هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر . وقالوا : اهلك الرجال الاحمران اللحم والخمر . واهلك النساء الاصفران الذهب والزعفران وقال الشاعر حين منع اهل الشام من شرب الخمر : (طويل)

الم تر ان الدهر يعير بالفتى ولا يملك الانسان صرف المقادر

(١) حديث جبلة بن الايهم وارتداده عن الاسلام مشهور

صبرت ولم اجزع وقدمات اخوتي   وما انا عن شرب الطلاء بصابر
رماها امير المؤمنين بحتفها   فخلانها يبكون حول المعاصر

فهذه وما اشبهها منافعها في الجاهلية واما منافع الميسر فان اهل الثروه والاجواد من العرب كانوا في شدة البرد وجدب البلاد وكلب الزمان ييسرون اي يتقامرون بالقداح وهي عشرة اقداح على جزور يجزئونها على ثمانية وعشرين جزءا وقد ذكرت هذا في كتاب الميسر وبينت كيف كانوا يفعلون فاذا قمر احدهم جعل اجزاء الجزور لذوي الحاجة واهل المسكنة واستراش الناس وعاشوا وكانت العرب تمدح باخذ القداح ويعيب من لا ييسر وتسميه البرم قال متمم يرثي اخاه مالكاً : (طويل)

ولا برما تهدي النساء لعرسه   اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

ولم اسمع احداً من الاسلاميين ذكر انه قامر بالقداح فالخش الخاش القائل وهو الاخطل (وافر)

ولست بصائم رمضان طوعاً   ولست باكل لحم الاضاحي
ولست بقائم كالعير ادعو   قُبيل الصبح حيَّ على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً   وآكل ما تفوز به قداحي (١)

قال : واما ذمهم شربة المسكر بقلة الوفاء وسوء العهد فاسوأ من ذلك اقدامهم على السكر وترك الصلوة وركوب الفواحش واعجب منه عقدهم على ان كل مسكر خمر محض لعلة الاسكار وهم يشربونه وعلمهم بان الله حرم المسكر وهم لا يبيتون الا عليه فاذا عوتبوا على شربه مع الاعتقاد انه خمر قالوا : لان نشربه ونحن نعلم انه ذنب نستغفر الله منه احب الينا من ان نشربه مستحلين له غير مستغفرين منه . وما ادري أمن الجرأة على الله اعجب ام من العلة . اما الجرأة على الله والاقدام على ما حرم في كتابه عندهم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ونكاح ذوات المحارم واما العلة فالطمع في المغفرة وهم مصرون لا ينصرم عنهم يوم جمعتهم الا عقدوا النية على الاجتماع في غده او بعد غده وانما يغفر الله بالاستغفار للمقلعين ويتقبل من المتقين وكيف ما جاهروا الله بالعصيان فيه وهم مستيقنون اسلم مما ركبوه وهم غارّون وماذا يقولون في رجل زنى وهو لا يعلم ان الله حرم الزنا وآخر زنى وهو يعلم ان الزنا من الكبائر التي تسخط الرب وتوجب النار ايهم اقرب الى السلامة واولى من الله بالعفو اوليس اهل العلم على ان الذي لا يعلم لا حدّ عليه من جلد وتعزير ولا رجم وان على الآخر حد البكر

(١) هذه الابيات تختلف عن الابيات الموجودة في ديوان الاخطل اختلافاً بيناً ولا شك ان هذه الرواية هي الصواب

ان كان بكرًا وحدّ المحصن ان كان محصنًا فهذه احكام الدنيا واما احكام الآخرة فلولا كراهة التألّي على الله لقلنا في الذي ركب الفاحشة وهو لا يعلم ان الله حرمها معفو عنه . وقد روي ان رجلاً اقرّ بالزنا بأم مثواه فلما أُمر باقامة الحد عليه قال : ما علمت ان الله حرم ذلك فاستحلف ثم دريء عنه الحد . وكانت العلماء تنهى العوام عن كثرة السؤال وقالوا لان يؤتي الشيء على جهل به اسلم من ان يؤتى على علم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البرّ ما سكنت اليه القلوب واطمأنت اليه النفوس والاثم ما حاك في صدرك فكرهت ان تطلع عليه الناس .

تأتي البقية

التقية

لما قرأ احد كبار علماء دمشق ما كتبناه في التقية في الجزء الثالث من مجلد هذه السنة كتب الينا يقول : « ان مسألة جواز التقية قولاً وعملاً عند الصفرية الزيادة فيه نظر اذ المعلوم انها جائزة عندهم قولاً لا عملاً لان المذاهب فيها عند الخوارج ثلاثة عدم جوازها اصلاً عند الازارقة وجوازها قولاً وعملاً عند النجدات وجوازها قولاً لا عملاً عند الصفرية الزيادية » .

وقد عقد في كتاب مشارق العقول لعبدالله بن حميد السالمي العماني الاباضي فصل في التقية فقال :

اجز تقية بقول ان خلص — من نيل ضرّ من به القول يخص
وامنعها في اتلاف نفس ان جنى — والخلف في اتلاف مال ضمنا
ولم تجز تقيــة بالفعــل — كالحرق والغرق ومثل القتل
لكن جواز ما أبيح في الضرر — كالاكل للميتة والدم اشتهر
ومكره جاء بما الحد يجب — عليه في ان لا يحدّ نتحب

وقال ابن حزم في الملل والنحل : وقد اجمع اهل الاسلام على ان انسانًا لو سمع مظلومًا قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق ويأخذ ماله غصبًا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدًا بذلك السلطان فسأل السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فانه ان كتم ماسمع وانكر ان يكون سمعه او انه يعرف موضعه او موضع ماله فانه محسن مأجور مطيع لله عز وجل وان صدقه فاخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقًا

عاصياً لله عز وجل فاعل كبيرة مذموماً تماماً وقد أبيح الكذب في اظهار الكفر في التقية . ونقل الاستاذ غولدسيهر في رسالته التقية في الاسلام عن بعض علماء الشيعة : ان الله جعل هذه التوربة مما حفظ به شيعتنا ومحبينا . ونقل : مؤمن لاتقية له كمثل جسد لا رأس له . ونقل من كتاب كشف القناع عن وجوه حجة الاجماع ان امير المؤمنين كان منذ قبض الله نبيه في حال تقية ومداراة ومدافعة لاستيلاء من استبد بالامر الخ ... ان التقية لم تفارقه ولم يجد منها بداً في حال من الاحوال ولم يتمكن من تتبع احوال القوم وكان يقول لقضاته وقد سألوه بماذا نحكم فقال : احكموا بما كنتم تحكمون حتى يكون الناس على جماعة او اموت كما مات اصحابي .

هذا ما اتانا من النقول بعد طبع ذاك المبحث فالحقناه به تتمة له والغاية منه كما علمت تاريخية اجتماعية صرفة وذلك لان للتقية علاقة كبرى بمجتمعنا ونهضتنا

التعليم في المانيا

اعظم حسنة تسجل لالمانيا فصلها التعليم الديني عن التعليم الدنيوي بدون ان تمس احدهما بسوء وتعطي لاحدهما ما سلبته من الثاني ولذلك استقام امرها واصبحت مدرسة العالم فلم تغلُ في محاربة الدين كفرنسا ولم تبالغ في التعصب له كاسبانيا بل كانت بين بين واليك ما قاله صاحب كتاب المانيا الحديثة ونشوئها في كيفية فصلها للتعليمين على اسلوب حكيم قال ما ترجمته :

جاهدت المانيا في سبيل نشوئها المادي ولم تترك الجهاد في طريق ارتقائها العلمي واحداث تعليم وطني لبلادها تتعاوره الايدي بالاصلاح كل حين . ومن المحقق ان الحكومة الالمانية اخذت على نفسها في القرن الثامن عشر ان تنظم قواها الدفاعية والهجومية وان تنمي شعبها وثروتها وتسهر على امن رعاياها ورفاهيتهم المادية ولكنها لم تقف عند هذا الحد في القرن التاسع عشر بل ما كاد يطلع فجره حتى قام الفيلسوفان فيختي وهيجل يحققان الاماني بما انشآه من الاوضاع العلمية وبدلان الالمان على الطرق التي تبلغ بهم اقصى درجات الارتقاء . وما برح هذا الاعتقاد منذ نهض هذان العظيمان ينتشر ويقوى حتى ادى الى نتيجتين عظيمتين احداهما تولي الحكومة لادارة التعليم بدل الكنيسة واخذها على عاتقها تنسيقه ومراقبته وتوفرها على نشره على اختلاف درجاته توفراً لم يسبق له نظير وثانيتهما ان الامة انتظمت

حالها على التدريج فايقنت بما تُسأل عنه مع جميع افرادها ورأت ان من واجبها ان تحتفظ برأس مالها الانساني فتحمي المساكين والضعفاء خاصة وتدفع عنهم عوادي الهلاك واسواء الفساد الادبي وتمد اليهم يد المعونة في الازمات وتقيهم عوارض العجز والزمانة · وهكذا كان نجاح التعليم العام وتنظيم التضامن الاجتماعي اول ما بذلت الحكومة الالمانية عنايتها به ·

اخذت الحكومة اولاً بالتتابع تصبغ التعليم بصبغة عامية وتسلب من الكنيسة هذا الحق بعد ان كان في القرون الوسطى لها وحدها القول الفصل في شؤون التعليم · في اواخر القرون الوسطى سقطت الكليات تحت مراقبة الحكومة وبعد دخول عهد الاصلاح « قيام لوثيروس المصلح في النصرانية » سقطت في يدها المدارس الثانوية ايضاً · وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر جاء دور المدارس الابتدائية فآل امرها الى الحكومة تصرفها كما تشاء وتهوى · قبضت بيدها على ازمة التعليم واخذت في ادخال التغيير عليه · فقد كانت الكليات والمدارس اللاتينية فيما سبق ترى من اهم واجباتها ان تخرّج رهباناً ولاهوتيين فتعنى المدارس الابتدائية بنشر مبادىء الاعتقاد الديني بين الامة وتعدّ الاطفال ليختلفوا بعدُ الى البيع ويحضروا وعظ يوم الاحد · بيد ان المدارس لم تلبث ان نزعت عنها الصفة الدينية فاصبحت مجامع علمية لا يتصدر فيها اللاهوتيون اليوم كما كانوا امس ولا يتصدر فيها الفلاسفة واللغويون كما كانوا في اوائل القرن التاسع عشر بل الصدارة فيها كل الصدارة لرجال العلم والاطباء ·

انتظمت المدرسة الالمانية على صورتها الحاضرة في اوائل القرن التاسع عشر وخلعت عنها اللباس الديني بل صبغته بصبغة الفكر الادبي المولد من الحضارة اليونانية التي ازهرت دراستها على ذلك العهد في المانيا وانشأت تعلم تعليماً من مجملات العلوم كعلم اللغات والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية · ثم نزعت يدها من يد الكنيسة بتحريض بستالوزى (١) واخذت تلقي في نفوس التلاميذ الاعتماد على النفس وحب العمل وتبث فيهم بحسب مطالب اللاهوت الادبي الذي قال به « كانت » الفيلسوف القول بحب الذات او بالشخصية الحرة المستقلة Conscienc de la personalité · ولئن كان التعليم العام نحو منتصف القرن الثامن عشر قد بقي على صبغته الدينية ولا سيما في البلاد التي تنتشر فيها الكثلكة فان

(١) حنا هنري بستالوزي (١٧٤٦ — ١٨٢٦) من كبار علماء التربية في الالمان نشر بين قومه مبادىء روسو الفيلسوف ودعا الى تعليم الالمان ولا سيما الفقراء منهم الصناعات والزراعة وعلّم مئات من ابناء الطبقات البائسة في بيته وآواهم على قلة ذات يده · وله مصنفات كثيرة نفعت المانيا في نهضتها

المدرسة الابتدائية في القرن التاسع عشر اصبحت على التدريج مدرسة وطنية تشرب فيها قلوب الشبان محبة الوطن كأنها دين ثان . كل ذلك بفضل العناية التي صرفت لتعليم اللغة الالمانية وتاريخ المانيا .

ولا يزال للكنيسة الى اليوم تأثير مهم في المانيا ولا سيما في دائرة التعليم الابتدائي . وقد ظلت المدرسة على الجملة تقر بالايمان وتعترف به وما زالت تعلم تعليماً دينياً اعتقادياً . ومن العجب ان نرى ثمت مدارس كاثوليكية او برتستانتية او اصلاحية تعلم تحت حماية الحكومة حقائق دينية بادية التناقض وهي خاضعة في كثير من الاحوال للتفتيش الكنائسي . وقد ثبت ان الاصوات ما برحت تعلو بالشكوى من هذه الحالة فيشتكي المخالفون من الزام اولادهم بتعليم مناف لايمانهم او لمعتقدهم العلمي . حتى انك لترى في المعلمين كثيرين يقيمون الحجة على الاكراه في تعليم الدين بحسب قانون لا ينطبق على معتقداتهم الخاصة . وهناك حزب عظيم من القوم يطالب على الدوام بالاستكثار من المعاهد التي تقبل التلاميذ من كل المذاهب .

والظاهر ان المانيا لا تنوي الآن نزع النصرانية من المدرسة حتى ان ارباب الافكار الحرة وهم بعيدون عن كل معتقد لا يرون بان نزع الصبغة الدينية من التعليم في المانيا هو من الممكن او مما يرغب فيه وهم معتقدون بانه متى اصبحت المدرسة «كافرة» لا دين لها يحوّل قسم وافر من سكان البلاد ولا سيما من الكاثوليك وجوههم عن المدارس العامة وينظمون لابنائهم مدارس خاصة يتلقى فيها الاطفال التعليم الديني الذي يراه ذووهم ضرورياً لهم . على ان جمهوراً كبيراً من الالمان لا يرون «المدرسة الحرة» على الطريقة الفرنسوية من الانموذجات التي تحتذى والامثلة التي ينسج عليها .

يرى المسيو بولسان وهو من مشاهير المؤرخين في علم التربية ومن ارباب التأثير ان فرنسا الكاثوليكية ان رأت اضطرارها الى تأسيس مدرسة عامية حرة لتكون متشبعة بالروح الوطنية فان هذه الضرورة لم توجد لحسن الطالع عند الالمان لانهم اعتادوا مجاراة النشوء الديني ان يوفقوا بين العلم والدين والمعرفة والايمان ولهم من التوراة اداة لا مثيل لها من التربية الادبية لا تغني عنها اجمل الشذرات المنتخبة من كتب الآداب العامة . اذاً فلا مانع يمنع الاساتذة من احتفاظهم بالتعليم الديني والتوراة وان يعدوا عقول الناشئة الالمانية لتعليمها مبادىء النصرانية التاريخية مشذبة من صبغتها الدينية مقتصراً على ما فيهامن لباب الآداب . اما انا فلا اعجب مما يذهب اليه العالم المشار اليه من هذا التوفيق اذا كان هو المقبول بين اهل الطبقة الوسطى في البلاد اكثر من المذهب المتطرف الذى ينبذ من

المدرسة كل تعليم ديني . فالتعليم العام على هذا الوجه يتحرر من قيوده كما انه يكون اكثر انصباغاً بالصبغة الديمقراطية .

ولقد كان التعليم في المانيا بادئ بدء مقصوراً على طائفة خاصة من الناس ثم صار تعليماً اكليريكياً في القرون الوسطى ثم عالياً وارستوقراطياً على عهد النهضة (سنة ١٤٥٣) الى القرن الثامن عشر ثم اصبح مدنياً بامتزاجه بفلسفة انكار الوحي والانصباغ بصبغة الحضارة اليونانية فساغ بذلك لاهل الطبقة المتحضرة من الالمان ان يرأسوا الحركة العقلية . وفي القرن التاسع عشر اقتربت المانيا شيئاً فشيئاً مما كانت ترمي اليه من التهذيب الوطني الذي نادى به فيختي في خطبه للامة الالمانية .

زالت الحواجز التي كانت تحول دون اصناف التعليم ولم تبق اللغة اللاتينية لغة اجبارية لكل من اراد التهذيب العالي . وانتزع من المدرسة المدنية على التدريج ما كان لها سابقاً من صبغة مدرسة لاتينية وكان من النجاح الذي تم للمدارس الابتدائية او قرب بينها وبين المدارس الثانوية وان قلت على التوالي مسافة الخلاف بين الاساتذة الذين تخرجوا في المدارس الدينية وبين الاساتذة الذين تلقوا التعليم العلمي لا سيما وان التعليم على اختلاف درجاته اصبح يلبس ثوب العمل والحقائق . وكان تعليم الطبقات العالية في المجتمع الالماني في اواخر القرن الثامن عشر عبارة عن تحسين الذوق والادب تخلف هذا التعليم في اوائل القرن التاسع عشر التعليم الادبي . وقد رأينا النشوء نحو الفلسفة الحسية الذي تم بين الطبقات المستنيرة وكان من امر هذا النشوء بالطبع رد فعل في معاهد التعليم فغدا التعليم على اختلاف درجاته اكثر تشبعاً بالروح الادبية او الفلسفية واقل تمسكاً بالنظريات . وقامت بجانب المدرسة الادبية مدارس احدث من مدارس الفلسفة الحقيقية والحسية وزادت العناية بتعليم العلوم واللغات الحية فكانت وافية بحاجات اهل المدن الصناعية او التجارية ونشأت بالقرب من الكليات في كل مكان مجامع علمية ما زالت على ارتقاء ونماء . وهكذا اخذ يتداعى الحاجز القديم الذي كان قائماً بين المتعلم في القديم العلوم الادبية واللغوية والامي الذي لم يكن يعرف اللغات المدرسية وحل التهذيب الديمقراطي العام الذي لا يتطال اليه كل امرىء ولم يكن واحداً للكل بل يحق لكل فرد ان يأخذ منه بقدر ما تسمح له قواه الطبيعية والعقلية محل التهذيب الادبي واللغوي الخاص بعلية القوم واهل الطبقة المستنيرة منهم .

وعلى الجملة فقد عملت المانيا في خلال القرن الماضي بهمة لم تعرف الوناء في سبيل نشر العلم بين جميع ابنائها ولا شك ان حماستها في ميدان المدارس اختلفت صعوداً وهبوطاً في تلك الحقبة من الزمن . فكانت شديدة للغاية في خلال الثلث الاول من القرن الذي

وضعت فيه أسس انظم التعليم العام من المدرسة الابتدائية الى الكليات ثم بردت في خلال الثلث الثاني من القرن خاصة فكانت حكومات المانيا على عهد الثورة بين سنتي ١٨٣٠ و ١٨٧٠ يحذرن بل يعادين التعليم العام ولكنه عادت اليه حياته غداة الغلبة التي كتبت لبروسيا وتوطيد كلمة الامبراطورية . وقد جرى بين الناس جري المثل بان المعلم الالماني كان هو الظافر الحقيقي في معركتي سادوفا وسيدان وان غلبة المانيا انها في الحقيقة من سرّ تقدمها في مضمار العلم والتهذيب. لاجرم انه بدرت اليوم بوادر الشك في فضيلة تأثير التعليم ولذلك تلاحظ في الاندية التي لها اتصال بالكليات اعراض التواني وتجد العقول في حالة تشبه الحالة التي دفعت بعض ارباب الافكار عندنا « الفرنسويين » ان يطالبوا باسقاط العلم و « تفليسه » فاثبتوا والسويداء متغلبة على عقولهم بان العلم الذي يرجى ان يكون منه كشف اسرار ما في الكون وان يأخذ بايدي الآخذين من معينه فيقودهم الى وجهة عامة ويسوق ارادتهم سوقاً لم يؤد قط الى حقائق قطعية مطلقة. بل كان من منافعه ان حلّ بعض المعضلات حلاً قليلاً موقتاً لا يزال على الدهر موضع النظر والتنقيح . وكثير من الناس من شعروا دفعة واحدة بان قد انتهكت قواهم بما يقضي عليهم تعلمه من المعارف الكثيرة التي تؤهلهم الى الاحاطة بعض الشيء في دائرة من دوائر العلم ولذلك يئسوا او كادوا من هذه الحالة التي توشك ان تكون مستديمة لهذا التشوه الذي لا حدّ له وتستلزمه دواعي العلم . وربما ظهر اليوم ما كان يخالج افئدة الطبقة الخاصة وبعض اهل الطبقة الوسطى من سوء الظن بالمستقبل الذي استحكم منها حوالى منتصف القرن . وتساءل الحكومة فيما اذا كانت لم تسرف في بث التعليم بين طبقات الامة وفيما اذا لم يكن التعليم نقمة لا نعمة على قسم عظيم من الامة وفيما اذا كان لا تتعذر ادارة شؤون امة نالت من التعليم شطره او نصفه . وقد ساعد القلق الذي سببه نجاح الاشتراكية على نشر هذه الشكوك بين اناس كانوا منذ عهد غير بعيد مقاومين كل المقاومة بل مقتنعين كل الاقتناع بانه من الفروض العينية على الحكومة ان تبذل العلم وتنشره بين جميع رعاياها .

وقد ظل الرأي المعتدل موقتاً على الجملة كما قال المسيو بولسان بانه لا تحرز المكانة العليا في الجهاد العام نحو التفوق والسلطة الا الامم التي تحسن ان تضمن لفتيانها تعليماً متيناً وتهذيباً راسخاً بما تنظمه من المدارس المتقنة وما تكوّنه من البيوت الناجحة من حيث شؤونها الاقتصادية والسالمة من شوائب المفاسد الاخلاقية

ويرى العارفون ان تأويل الارتقاء الذي فازت به المانيا اتى من اسراع الالمان قبل جميع الامم في وضع التعليم الاجباري قبل غيرهم ومن عنايتها بتخريج اساتذة عارفين ما الممكن

في جميع فروع التعليم . ويستنتجون من ذلك بان جهل السواد الاعظم من الامة لا يتأتى ان يكون البتة ضماناً لراحة مملكة وبقائها وان الظاهر من مصلحة الحكومة الملوكية انها تطلب تفاني الحكومة في نشر التعليم وان المستقبل مضمون للأمم التي تحسن اكثر من غيرها حل مشكلة التعليم الوطني .

صحف منسية

وصف عاصمة الاندلس

قال لسان الدين بن الخطيب في « كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة » عند ما ألمّ باسم هذه المدينة و وضعها و وصفها الجغرافي ما نصه : ويردها لذلك من المنقب الشتوي شديد وتجمد بسببه الادهان والمائعات ويتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين فجسوم اهلها بصحة الهواء صلبة وسحناتهم خشنة وهضومهم قوية ونفوسهم لمكان الحر الغريزي جريئة وهي دار منعة وكرسي ملك ومقام حصانة . وكان ابن غانية يقول للمرابطين في مرموتة وقد عوّل عليها للامتساك بدعوتهم « الاندلس درقة وغرناطة قبضتها فاذا تجشمتم يامعشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من ايديكم » ومن ابدع ما قيل في الاعتذار عن شدة بردها مما هو غريب في معناه قول القاضي ابي بكر بن شبرين .

رعى الله من غرناطة متبوأ   يسر كئيباً او يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عند ما رأى   مسارحها بالبرد عدن جليدا
هي الثغر صان الله من اهلت به   وماخير ثغر لا يكون برودا

وقال الرازي عند ذكر كورة البيرة: ان ارضها سقي غزيرة الانهار كثيرة الثمار ملتفة الاشجار واكثرها ادواح الجوز ويحسن فيها قصب السكر ولها معادن جوهرية من ذهب وفضة ورصاص وحديد وكورة البيرة اشرف الكور نزلها جند دمشق ... وخصها لا يشبه بشيء من بقاع الارض طيباً ولا شرفاً الا بالغوطة غوطة دمشق . وقال بعض المؤرخين بعد ان عدد نباتاتها ومعادنها : وكفى بالحرير الذي فضلت به تجراً وقنية وغلة شريفة وفائدة عظيمة تمتار منها البلاد وتجلبه الرفاق فضيلة لا يشاركه فيها الا البلاد العراقية وخصها الافيح المشبه بالغوطة الدمشقية حديث الركاب وسمر الليالي قد دحاه الله في بسيط سهل تخترقه

المذانب (مسيل الماء الى الارض) وتخلله الانهار والجداول وتتزاحم فيه الغرف والجنات في ذرع اربعين ميلاً او نحوها تنبو العين فيها عن وجهه ...

وبعد ان فصل المؤلف كتابه الى فصول كثيرة واتى على ذكر ما آل اليه حال من ساكن المسلمين بغرناطة من النصارى وما ينسب لهذه الكورة من الاقاليم التي نزلتها العرب وما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجنات والجهات قال في احصاء بيوتها : وتذهب هذه الغروس المغروسة قبلة ثم بفيض تيارها الى غرب المدينة وقد كثرت بها الجبال الشاهقة والسفوح العريضة والبطون الممتدة والاغوار الحائفة مكللة بالاعناب غاصة بالادواح متزاحمة بالبيوت والابراج بلغ الى هذا العهد عدها في ديوان الخرص الى ما يناهز اربعة عشر الفاً نقلت ذلك من خط من يشار اليه في هذه الوضيعة . وقال في فصل آخر : ويحيط بما خلف السور من المباني والجنات في سهل المدينة العقار الثمن العظيم الفائدة المتعاقب الغلة الذي لا يعزفه الحمام ولا يفارق الزرع من الارض البيضاء ينتهي ثمن المرجع منها العلي الى خمسة وعشرين ديناراً من الذهب العين لهذا العهد فيه مستخلص السلطان ما يضيق عنه نطاق القيمة ذرعاً وغبطة وانتظاماً يرجع الى دور ناجمة وبروج سامية وبيادر فسيحة ومصاب للحمام والدواجن ماثلة منها في طوق البلد وحمى سورها جملة ... الى ان يقول بعد ذكر القرى والدساكر : ان اكثر هذه القرى امصار فيها ماينـاهز خمسين خطبة تنصب فيها لله المنابر وترفع الايدي وتتوجه الوجوه . وجملة المراجع العلية المرتفعة فيها في الازمنة في العام بتقريب ومعظمها السقيا الغيط (اغبط النبات غطى الارض وكثف وتدانى كأنه من حبة واحدة) السمين الغالي ما ينيف على اثنين وستين الفاً وينضاف الى ذلك مراجع الاملاك السلطانية ومواضع احباس المساجد وسبل الخير ما ينيف على ما ذكر فيكون المجموع باحتياط خمسمائة الف وستين الفاً والمستفاد فيها من الطعام المختلف المجلوب لجانب السلطاني ثلاثمائة الف قدح ويزيد ويشتمل سوادها وما وراءه من الارحاء الطاحنة بالماء ما ينيف على مائة وثلاثين رحى الحقها الله جناح الامنة ولا قطع عنها مادة الرحمة بفضله وكرمه .

وقال في وصف اخلاق اهل ذلك القطر وعاداتهم وملابسهم : فتبصرهم في المساجد ايام الجمع كأنهم الازهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الاهوية المعتدلة . وذكر اصولهم وانسابهم وجندهم واسلحتهم ثم قال : واعيادهم حسنة مائلة الى الاقتصاد والغنى بمدينتهم فاش حتى في الدكاكين التي تجمع صناعها كثيراً من الاحداث كالخفافين ومثلهم واشار الى طعامهم وفواكههم وصرفهم (سكتهم) فقال ما نصه : وعادة اهل هذه المدينة الانتقال الى حلل العصير اوان ادراكه بما تشتمل عليه دورهم والبروز الى الحصون باولادهم وعيالهم معولين

في ذلك على شيامتهم واستحثهم على اكتناد دوابهم واتصال امصارهم بحدود ارضه · وحليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص الى هذا العهد في اولي الجدة والجبن في كثير من آلة الرجلين فيمن عداهم والاحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرذ ونفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل دولة او اصالة معروفة موفرة

وحريمهم حريم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المجاورة الا ان الطول يندر فيهن وقد يبلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنافس بالذهبيات والديباجيات والتماجن في اشكال الحلي الى غاية نسأل الله ان يغض عنهن فيها عين الدهر ويكف كف الغدر ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وان يعامل جميع من بها بستره ولا يسلبهم خفي لطفه بعزته وقدرته

وصف لسان الدين امة ملك قشتالة (Castille) فقال: وحال هذه الامة غريبة في الحماية الممزوجة بالوفاء والرقة والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمية عادة العرب الاول واخبارهم في القتال غريبة من الاسترجال والزحف على الاقدام اميرهم ومأمورهم والجثو في الارض او الدفن في التراب والاستظهار في حال المحاربة ببعض الالحان المهيجة ورماتهم قسيهم عربية جافية وكلهم في دروع ولا لجام عندهم والتهقر مقدار الشبر ذنب عظيم وعار شنيع ورماتهم يسبقون الخيل في الطراد وحالهم في باب التحلي بالجواهر وكثرة آلات الفضة غريب

مطبوعات ومخطوطات

الاحاطة في اخبار غرناطة

قلَّ في كتب الادب والتاريخ ما ينتفع به مطالعه في امور كثيرة لقلة الجيد منها وذلك لان المصنفات كالبضائع فيها الجيد وفيها الرديء والمصنفين اصناف فقسم يؤلف وقد تمت ادواته وتشبع بما يود الخوض فيه فلا يكتب الا الثمين النافع وقسم بين ذلك وقسم يخلط ويخبط لا هوى له الا في ذكر اسمه وحشر نفسه في عداد المصنفين · وصاحب كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة هو من اهل الصنف الاول ما كتب كتاباً الا عن فكر وروية وناهيك بما يصدر من نفثات ابن الخطيب حسنة الاندلس ونابغة عصره بل كثير من العصور قبله وبعده ·

وفقت شركة طبع الكتب العربية بمصر الى نشر الجزئين الاولين من هذا الكتاب واوقفت طبع الثالث لكثرة التحريف الذي وجدته فيه بحيث يتعذر على القارىء كشف وجه الحقيقة منه . ولئن وقع في هذين الجزئين اغلاط وتحريفات التبس بها الحق بالباطل وكانت العناية تقضي استثبات صحتها وارجاعها الى نصابها لو امكن فان هذا التهاون يغتفر في جانب تلك الذخيرة التي نبشوها ونشروها وهي ولا جرم من بعض ما يعمر به بناء الشعر والنثر ولسان الدين حجة فيهما قاطعة .

وان لنا ريبة في كون هاته المجلدات الثلاث هي كل ما كتبه المؤلف في رجال عاصمته وعبارة صاحب نفح الطيب تساعد على هذا الشك . قال : ان كتاب الاحاطة هو الطائر الصيت بالمشرق والمغرب والمشارقة اشد اعجاباً به من المغاربة واكثر لهجاً بذكره مع قلته في هذه البلاد المشرقية وقد اعتنى باختصاره الاديب الشهير البدر البشتكي وسماه مركز الاحاطة في ادباء غرناطة وهو في مجلدين سنة ٧٩٣ وقد جعل كل اربعة اجزاء من الاصل في مجلد اذ هو في مجلدين ونسخة الاصل في ثمان مجلدات . وقف سلطان الاندلس نسخة منه على بعض مدارس غرناطة وكانت في اثني عشر سفراً متقنة الخط والعمل وكان لسان الدين ارسل في حياته نسخة من الاحاطة الى مصر وقفها على اهل العلم وجعل مقرها بخانقاه سعيد السعداء قال المقري وقد رأيت المجلد الرابع منها وكان في ثمانية اجزاء ورأيت بظهر اول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء وعلمت ان المكتوب في الوقفية ثمان مجلدات لا اثني عشر فلعل ذلك الاختلاف بسبب الكبر والصغر اه

قلت وهذه العبارة كتبت بعد الالف . وكيفما كانت حال الكتاب كبراً وصغراً فقد أخرج الى عالم المطبوعات نموذجات من نثر لسان الدين وشعره ونثر جماعة من اصحابه وشعرهم . ابتدأ الجزء الاول بوصف جغرافية الاندلس الطبيعية والسياسية ولا سيما عاصمتها بحيث يتراءى لك متى قرأته ان الكاتب عصري نشأ في حجر حضارة هذا القرن

للسان الدين نمط خاص به في الانشاء وتعبيرات لا تجدها لغيره من كتاب المغرب والمشرق تتمثل في كلامه روحاً عالية ولفظاً شفافاً ومعنى جزلاً . وما كان نسقه ليرضي كل الرضى ولم يكن يغوص على بدائع المعاني التي يمليها عليه اشمئزازه من محيطه وتقززه من خدمة دولته حتى كان يدعو ان يلطف الله بمن ابتلي بذلك وان يخلصه خلاصاً جميلاً . وكيف لا تدفعه حميته الى القول وقد استولى العدو في ايامه على معظم قواعد الاندلس مثل اشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان والمرية ولسان الدين يستصرخ وزعماء السلطة في لهوهم وغرورهم مسترسلون . ولئن خاطبهم « دون الجهر من القول لمكان التقية » فما نجا ممن يرميه بالزندقة

ايضاً في كتابه هذا لان لسان الدين املاه بلسان الانصاف والانطلاق فعزّ على نظرائه خروجه عن مألوف العادة في ذكر تراجم الناس حتى يُخيل اليك انهم كلهم كأُسنان المشط في الاستواء ·

نقرأُ الترجمة في الاحاطة وهو في تراجم الرجال الذين نشأُوا فيها او مروا بها وبعبارة اخرى هو تاريخ الاندلس ورجالها فيتجلى لك المترجم به كأَنك تراه وما اظن ان كتاب التراجم من الافرنج اليوم باقدر على وصف رجالهم من صاحبنا لسان الدين ولا عجب فهو اوروبي ايضاً تغذي بتلك التربة المسكية والهواء الصافي والماء العذب وللبقاع تأثير في الطباع وما المرء الا نسخة ثانية من محيطه وبيته ·

ولم يقصر المؤلف كتابه على ذكر الملوك والرؤساء والفقهاء واهل الطرق كما هي عادة معظم المؤرخين بل ذكر كثيراً ممن غلبت عليهم المعارف الدنيوية مثل ابي القاسم اصبغ بن محمد (٤٣٦) احد مفاخر الاندلس قال وكان محققاً لعلم العدد والهندسة مقدماً في علم الهيئة والفلك والنجوم وكانت له مع ذلك عناية بالطب وذكر تآليفه على عادته في اثبات حسنات المترجمين وسيئاتهم · ومثل ابي علي الصعلعل حسن بن محمد رئيس الموقتين بالمسجد الاعظم من غرناطة (٧١٦) وكان فقيراً اماماً في علم الحساب والهيئة اخذ عنه الجلة والنبهاء قائماً على الاظلال والرخائم والآلات الشعاعية ماهراً في التعديل مع التزام السنة والوقوف عند حدّ العلماء في ذلك مداوم النظر ذا استنباطات ومستدركات وتواليف نسيج وحده وريحة وقته · ومثل ابي جعفر احمد بن حسن بن باصة السلمي الموقت بالمسجد الاعظم بغرناطة قال وكان نسيج وحده وقريع دهره معرفة بالهيئة واحكاماً للآلة الفلكية ينحت منها بيده ذخائر يقف عندها النظر والخبرة (؟) جمال خط واستواء صنعة وصحة وضع بلغ في ذلك درجة عالية ونال غاية بعيدة حتى فضل بما ينسب اليه من ذلك كثيراً من الاعلام المتقدمين وازرت آلاته بالحمائريات (١) والصفاريات وغيرها من آلات المحكمين وتغالى الناس في اثمانها اخذ ذلك عن والده الشيخ المتفنن شيخ الجماعة في هذا الفن · ومثل ابي العباس احمد ابن مفرج الاموي النباتي المشهور (٦٣٨) ومن ضارعهم في علمهم من الاطباء والفلاسفة والحكماء والكيماويين ممن لا يعدهم اكثر المؤرخين في صنف العلماء ·

وذكر شهيرات النساء في عصره مثل نزهون بنت القلاعي وام الحسن بنت القاضي

(١) في التاج : وفي حديث جابر فوضعته على حمارة من جريد هي ثلاثة اعواد يشد بعض اطرافها الى بعض ويخالف بين ارجلها تعلق عليها الاداوة ليبرد الماء وتسمى بالفارسية سهباي والحمائر ثلاث خشبات يوثقن ويجعل عليهن الوطب لئلا يقرضه الحرقوص واحدتها حمارة

ابي جعفر العنجالي وحمدة بنت زياد المكتبي وحفصة بنت الركوني وغيرهن من الاديبات وتجوز في ايراد بعض مجالسهن مع ادباء الاندلس وما كان في ذلك بأس في عصره . والكلام على الجزء الثاني لا يخرج عن حد الكلام على الجزء الاول وان كان في الثاني تطويل في بعض التراجم كاطالته في ترجمة ابي عبدالله محمد القرشي التلمساني فانه كتب تسعاً وعشرين صفحة بين شيوخه ونثره ونظمه ونكته مما اخرجه عن الصدد وكذلك ترجمة ابن زمرك احد اعيان ادباء الاندلس كتب فيه عشرين صفحة وقيل ان ابن زمرك كان يعد من جملة الساعين بنكبة ابن الخطيب . وقد يحمل المؤلف الحنق فيطلق عنان القلم في ترجمة الكبراء ايضاً كما وصف اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر السلطان الذي احتال على اخيه المتوثب على ملكه ومثل ما ترجم به محمد بن اسماعيل بن محمد بن فرج بن اسماعيل ابن نصر الرئيس المتوثب على الملك وعلى كرسي الامارة ووزراء دولته وكاتب سره وشيخ الغزاة على عهده . وقد عثرت فيه على الفاظ ما كان يخيل لي ان الاندلسيين سبقونا الى استعماله مثل طومارة للبطاقة وفي القاموس الطامور والطومار الصحيفة ج طوامير . ولفظة الممطر لما يعرفه الفرنسيس بالباردسو ذاك الرداء الطويل . واستعمل لفظة عائلة التي انكرها احد علماء اللغة المعاصرين فقال في ترجمة احدهم : عظيم الهشة مبذول البشر عظيم المشاركة قديم العائلة . ووردت لفظة يخت في الشعر الاندلسي وكنا نظنها من قبل انكليزية في قصيدة لمحمد بن جزي الكلبي

نعم لست ارضى عن زماني اوارى … مكاناً به السفن المواخر واليخت

الزجل وتاريخ الدول

للسان الدين بن الخطيب كتاب سماه رقم الحلل في نظم الدول طبع في تونس نظم فيه ملوك المسلمين من لدن صاحب الرسالة « ص » الى القرن الثامن كل دولة على حدتها نظماً رائماً ليس فيه للتكلف شائبة وعلق على كل دولة شرحاً لطيفاً ضمنه ما ساعد عليه الاختصار من اخبار الملوك واحوال اممهم ووزرائهم . وفي هذا المختصر من الحقائق ما لا يكاد يوجد الا في المطولات وخصوصاً في اخبار دول المغرب كبني الاغلب وملوك الشيعة من العبيديين بافريقية ومصر وبني امية بالاندلس وملوك الطوائف فيها ودولة المرابطين من لمتونة اهل اللثام والموحدين ودولة بني ابي حفص بافريقية وبني زيان بتلمسان وبني مرين وبني نصر وهاك نموذجاً منه في وصف الملك المأمون

وهو المليك العالم الحليم … ساعده السعد بما يروم
من بعد ما كابد امر عمه … وفرّج الله له من غمه

فقرَّ بالمأمون ملك الامة بعد اضطراب دائم وغمه
واشرق السعد على الخلافة وانسدل الامن بلا مخافة
وكان حبرًا عالمًا حكيماً عدلاً تقيًا حازمًا حليماً
وثار ابراهيم نجل المهدي وناله قسرًا بغير عهد
فآثر العفو واغضى عن دمه منقبة شاهدة بكرمه
ومات في غزواته المعلومة كانت بها اعماله مختومة

معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار

هي رسالة طبعت حديثًا في فاس بمطبعة الدكتور احمد يمني افندي لمؤلفها لسان الدين ابن الخطيب جاءت في ٥٤ صفحة في اجمل حرف واجود ورق ولم تنقصها الاَّ العناية بالتصحيح . وصف فيها المؤلف على طريقة السجع المنمق معظم بلاد المغرب والاندلس وصف متقيد بالسجع على طريقة السؤال والجواب فذكر جبل الفتح واسطبونة ومربلة وسهيل ومالقة وبلش وغمارش والمنقب وشلوبانة وبرجة ودلاية والمرية وبطرنش وبيرة ومحاقر وقنتورية وبرشانة واوربة وبلش وبسطة واشكر واندرش وشبالش ومدينة وادي آش وفنيانة والحمة وصالحة وانيرة ومنتفريد ولوشة وارجلانة وانتقيرة ودكوان وقرطمة ورندة وسبتة وطنجة وقصر كتامة واصيلا وسلا وآنفا وآزمور وتيط ورباط اسفي ومرّاكش واغماة ومكناسة وفاسًا ومدينة الملك وامرسلوين وسجلماسة وتازا وغساسة

فما قاله في وصف فاس : هي الحشر الاول والقطب الذي عليه المعول والكتاب الذي لا يتأوّل بل المدارك والمدارس والمشايخ والفهارس وديوان الراجل والفارس والباب الجامع من موطا المرافق ولواء الملك الخافق وتنور الماء الدافق ومحشر المؤمن والمنافق وسوق الكاسد والنافق حيث البنى التي نظر اليها عطارد فاستحفاها وخاف عليها الوجود ان يصيبها بعينه الحسود فسترها بالغور واخفاها والاسواق التي ثمرات كل شيء اليها قد جبيت. والموارد التي اختصت وحبيت والمنازه المخطوبة وصفاح الخلج المشطوبة والغدر التي منها ابوطوبه

بلد اعارته الحمامة طوقها وكساها ريش جناحها الطاوس
فكأنما الانهار فيه مدامة وكأن ساحات الديار كؤوس

اجتمع بها ما اولده سام وحام . وعظم الالتئام والالتحام . فلا يعدم في مساكنها زحام فاحجارها طاحنة . ومخابزها شاحنة . والسنتها باللغات المختلفة لاحنة . ومكاتبها هائجة ورحابها متهائجة واوقافها جارية والهمم فيها الى الحسنات واضدادها متبارية .

وقال في آنفا وهي التي سماها البرتغاليون في القرن السادس عشر الدار البيضاء : جون

الحط والاقلاع ومجلب السلاع تهوي اليها السفن شارعة وتبتدرها مسارعة تصارف برها الذهبي بالذهب الابريز وتراوح برها وتغاديه بالتبريز

تسقط الطير حيث يلتقط الحـ ب وتغشى منازل الكرماء

وخارجها يفضل كل خارج . وقانصها يجمع بين طائر ودارج . وفواكهها طيبة . وامطار عصيرها صيبة . وكيلها وافر . وسعرها عن وجه الرخاء سافر . وحبرتها لا تنقطع لها خف ولا حافر . لكن هواؤها وماؤها عديما الصحة . والعرب عليها في الفتن ملحة . والامراض بها تعيث وتعبث . والحزين بها لا يلبث

صفوة العرفان في تفسير القرآن

اهدانا محمد فريد افندي وجدي صاحب مجلة الحياة نسخة من مقدمة تفسيره هذا اتى فيها على موجز من فلسفة الاديان وادوار الانسان في الاستسلام للعقيدة او التردد فيها وعلاقة ذلك بالجهل والعلم والحضارة والبداوة وذكر فصولاً في الوحي والنبوات وخوارق العادات والشؤون الروحية وتاريخ القرآن من حيث وحيه وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه وتعدد قرآآته كل ذلك بعبارة سهلة تدل على فضل المؤلف وقد استشهد بآراء علماء المشرقيات في الكتاب العزيز واهل الاسلام فزادت بذلك فائدة هذه المقدمة التي وقعت في ١٨١ صفحة كبيرة فنهنئه على نشاطه الذي يرينا كل حين اثراً من آثاره . ومما عربه عن المسيو جول لابوم في مقدمة فهرسته الذي جمع فيه الآيات المتشابهات قوله في حالة العالم قبل البعثة النبوية : « كان جو العالم في حوالى ميلاد محمد (صلى الله عليه وسلم) في القرن السادس الميلادي متلبداً بغيوم الاضطرابات والفتن فكان شعب الوزيزيغوآلاريون في اسبانيا وفرنسا الجنوبية يصادقون الملك كلوفيس واولاده الكاثوليكيين فكانوا من اجل ذلك يطلبون مساعدة امبراطور ممكلة الرومان الشرقية المدعو جوتسنياس ثم اضطروا الى الدخول معه في حرب جديدة تخلصاً من سلطة القواد الذين جاؤوهم بتلك المساعدة فقد كانوا يزعمون ان لهم حق الفاتحين لا ولا « المساعدين الحامين

« اما في فرنسا نفسها فكان اولاد كلوفيس هذا متغادرين متقاتلين وكانت الحروب التي شبت نيرانها بين المملكة الوزيغوتية بروبهو والمملكة الفرنكية فيريديجوند تهيء للتاريخ اشد الصحائف اثارة للاسى والكمد . وكان الانجلو في انكلترا ينازعون السكسونيين الارض التي احتلوها واستعبدوا فيها ذرية كيمريس وهم اقدم المغيرين على تلك الجزيرة التي تتطلع اليوم للوقوف في مقدمة الامم علماً وصناعة وقوة وهي التي كانت في ذلك الوقت مجالاً للقوة الوحشية السائدة في تلك الغياهب الحالكة .

« اما في ايطاليا فكان اسم الرومان وهو ذلك الاسم الشامخ قد فقد موقعه القديم وكانت رومية وهي الشظية الاخيرة او رأس ذلك القتال الكبير المتهشم (يعني مملكة الرومان) في حالة تمثلها من استحالة امرها الى مركز ديني بسيط ترتج وتضطرب كلما المّ بها طائف من ذكرى عظمتها القديمة ايام كانت مركزًا دينيًا اصليًا فكانت تهيء نفسها لان تكون مركز البابوية وهي تلك السلطة الزمنية كما اقتضت سياسة شارلمان ان يجعلها كذلك بعد قرنين من الزمان ولكنها مع ذلك لم يسعها حمل نير الهيروليين والاستروغوتيين وامبراطرة المملكة الرومانية واللومبارديين الذين تداولوا السلطة عليها تداولاً

« اما مملكة اليونان التي كانت قد نسيت مجدها القديم فكانت تابعة لمملكة الرومان الشرقية مثلها منها كمثل الزينة ذات الفوضاء . وكان شرق اوروبا مقلقًا جنوبها من اول مصب نهر الرون من جهة الغرب الى مصب نهر الطونة « الدانوب » من جهة الشرق فكان الاسكندينافيون والبروجيبون والدانيماركيون يتزاحمون في الطريق الذي كان سلكه الغوط والهونيون الذين احتلوا تراسيا ومكدونية ولمبارديا وايطاليا بالقوّة او بالخديعة . في ذلك الوقت بدأ ظهور الاتراك من اعماق آسيا الصغرى وهي تلك الامة التي قصرت فيما بعد مملكة اليونان على اسوار القسطنطينية

« التصوير البديع الذي جادت به قريحة المسيو رينان لبيان مركز الامبراطورية الرومانية في القرن الاول من التاريخ المسيحي لا علاقة له البتة بالتصوير الممكن عمله لتجلية حال اوروبا في القرن السادس : تلك كانت مفاسد قيصرية مختمرة اما هذه فوحشية حربية تلعب بالارواح وتمرغ في الاوحال .

« اما آسيا فلم تكن اهدأ بالاً من اوروبا في شيء : فمملكة التبت والهند التي اقتبست منها الامم السائدة في اوروبا الآن قرائحها وافكارها العامة ولغاتها . والصين التي تعد مسألتها اغرب المسائل السياسية والفلسفية وبالجملة اغرب المسائل الاجتماعية كانت كلها ممزقة الاحشاء بالحروب الداخلية والخارجية المتضاعفة بالمنازعات الدينية

« اما السفح الشمالي من الهضبة الآسياوية العالية التي هي في حوزة روسيا الآن فكانت غير معروفة على الاطلاق واما مملكة الفرس التي كانت احوالها مرتبطة باحوال الغرب خصوصاً من لدن حملة الاسكندر المكدوني فكانت مشتبكة في حرب مع اليونان الرومانيين في القسطنطينية الذين كانوا اصحاب السلطة على آسيا الغربية . واما في افريقية فكان هؤلاء اليونان الرومانيون انفسهم وهم اخلاط من عساكر وتجار وحكام مجموعون من آفاق مختلفة — دائبين على امتصاص دم القطر المصري وناملين على جعل مصر العلمية ذات

المجد القديم كالجثة المصبرة لا حركة فيها ولا حس وكان هذا شأنهم في الاقاليم الخصبة يومئذ في الجهات الشمالية من افريقية التي انتزعوها من ايدي الفنداليين »

كتاب الحيوان

لا مجال هنا للكلام على هذا الكتاب الجليل الذي احياه بالطبع محمد افندي الساسي المغربي كما احيا كثيراً من كتب مؤلفه الجاحظ والمدونة للامام مالك وغير ذلك بعد ان تكلمنا في المجلد الاول في فضل الجاحظ ومزية كتبه بما لا نرى الآن في اعادته كبير امر اما الآن فنزف البشرى الى عشاق العلم والادب ان قد تم الجزء الخامس والسادس والسابع من كتاب الحيوان وبه تم هذا السفر البديع الذي لم ينسج كاتب على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فتمت بذلك فائدة جعبة علم وادب بل خزانة كلها منافع حيثما قلبت طرفك منها تسقط على ما تقرّ به عينك وتنشرح به صدرك وتحلي به عقالك وها نحن اولاء ننقل هنا للتسلية فائدة نأخذها بالعرض من ألوف الفوائد في اسماء لعب الأعراب قال الجاحظ : النقيرا وعظيم وضاح والخطوة والدارة والشحمة ولعبة الضب فالنقيرا ان يجمع يديه على التراب في الارض الى اسفله ثم يقول لصاحبه اشته في نفسك فيصيب ويخطيء . وعظيم وضاح ان تأخذ بالليل عظماً ابيض ثم يرمي به واحد من الفريقين فان وجده واحد من الفريقين ركب اصحابه الفريق الآخر من الموضع الذي يجدونه فيه الى الموضع الذي رموا به . والخطوة ان يعمدوا مخراقاً ثم يرمي واحد منهم من خلفه الى الفريق الآخر فان عجزوا عن اخذه رموا به اليهم فان اخذوه ركبوهم . والدارة هي التي يقال لها الخراج . والشحمة ان يمضي واحد من احد الفريقين بغلام فيتنحون ناحية ثم يقبلون ويستقبلهم الآخرون فان منعوا الغلام حتى يصيروا الى الموضع الآخر فقد غلبوهم عليه ويدفع الغلام اليهم وان هم لم يمنعوه ركبوهم وهذا يكون كله في ليالي الصيف عن غب ربيع مخصب . ولعبة الضب ان يصوروا الضب في الارض ثم يحوّل واحد من الفريقين وجهه ثم يضع بعضهم يده على شيء من الضب فيقول الذي يحول وجهه انف الضب او عين الضب اوذنب الضب او كذا وكذا من الضب على الولاء فان اخطأ ما وضع عليه يده ركب وركب اصحابه وان اصاب حوّل وجهه الذي كان وضع يده على الضب ثم يصير هو السائل .

تقرير اللورد كرومر

صدرت الترجمة العربية من تقرير معتمد انكلترا في هذا القطر سابقاً عن الحالة المالية والادارة والحالة العامة في مصر وفي السودان سنة ١٩٠٦ مترجماً في ادارة المقطم ومطبوعاً

في مطبعته وهذا آخر تقرير للورد كرومر ضمنه حقائق كثيرة عن مصر والسودان وتكلم فيه كلام السياسي والاجتماعي الذي يخدم امته بالذات وغيرها بالعرض وجاء في ٢٤٨ من قطع الثمن وبحرف كهذا الحرف . وقد سبق لنا نشر شيء منه عن حالة المعارف عند صدور النسخة الافرنسية منذ بضعة اشهر وتقارير العميد السالف من خير الكتب الاجتماعية والاقتصادية في حياة مصر فهي حرية بان لا تخلو منها مكتبة

نخب لغوركي

سليم افندي قبعين ممن اتقنوا اللغة الروسية وترجم بعض كتب لمشاهير كتابها منها كتاب حقوق المرأة في الاسلام وانجيل تولستوي ومذهب تولستوي وقد ترجم مقالات لمكسيم غوركي الكاتب الشاعر الاشتراكي الذي كان له اثر مهم في نهضة روسيا الاخيرة فاستفدنا منه الوقوف على اسلوب هذا الكاتب الذي رفعت امته قدره ورفع هو قدرها ومن لنا بعشرة ينقلون للعربية من الروسية والالمانية والايطالية ما يغنيها فان من اعظم النقص في النهضة العلمية المصرية الحديثة ان لا يكون فيها تراجمة ينقلون الينا ما تمس اليه الحاجة من آداب تلك الامم واخلاقهم وآثار عقولهم لان ما يترامى الينا عن طريق الفرنسيس والانكليز لا يساوي ما نأخذه عن تلك الامم نفسها .

تهذيب الشبيبة السورية

اخذنا التقرير السنوي الرابع لهذه الجمعية النبيلة المقصد وفيه خلاصة اعمالها من اول تموز سنة ١٩٠٦ الى مثله من سنة ١٩٠٧ فكان مجموع دخلها ١٩٧٥٣ غرشاً ومجموع ما انفقته ٨٠٣٥ غرشاً انفقته على شبان لا يستطيعون ان يتعلموا لضيق ذات يدهم وما زالت تنفق على بعض نابتة الذكاء . والقائمون بهذا العمل فئة من افاضل المتخرجين من المدرسة الكلية الاميركية جزاهم الله خيراً .

حديث البلبل

هي محاورة ادبية خيالية وكلمات وعظية لمحمود افندي رمزي وقعت في ٤٨ صفحة صغيرة .

الابيض والاسود

هي احدى روايات فيكتور هوغو عربها لمسامرات الشعب نقولا افندي رزق الله بسلاسة تعربيه ونقله فنشرتها تتمة لسنتها الثالثة وقد اعلنت ادارة هذه المجلة القصصية الفريدة في بابها بانها ستصدر في سنتها الرابعة في ٢٤٤ صفحة صغيرة مرتين في الشهر اي في ٢٨٨٠

صفحة في السنة وقد حسنت ورقها وطبعها وزادت قيمة اشتراكها الى خمسين قرشاً وهي تذكر لصاحبها خليل بك صادق الذي عرف ذوق الجمهور وخدمه بهذه الروايات الا... وقد صدَّر المعرب روايته بثلاث قصائد في وصف هوغو الاولى لاحمد بك شوقي والثا... لحافظ افندي ابراهيم والثالثة من نظمه وقد جاء في الاولى :

ثأر الملوك وظل عند اباته يرجو ويؤمل عفوه المنثور
واعار «وترلو» جلال يراعه فجلال ذاك السيف عنه قصير
يا ايها البحر الذي غمر الثرى ومن الثرى حفر له وقبور
انت الحقيقة ان تحجب شخصها فلها على مر الزمان ظهور
ارفع حداد العالمين وعد لهم كما يعيد بائس وفقير
وانظر الى البؤساء نظرة راحم قد كان يسعد جمعهم ويجير
الحال باقية كما صوَّرتها من عهد آدم ما بها تغيير
البؤس والنعمى على حاليهما والحظ يعدل تارة ويجور
ومن القوي على الضعيف مسيطر ومن الغني على الفقير امير
والنفس عاكفة على شهواتها تأوي الى احقادها وتثور
والعيش آمال تجد وتنقضي والموت اصدق والحياة غرور

ومما جاء في الثانية :

عاف في منفاه ان يدنو به عفو ذاك العاهل المغتصب
بشروه بالتداني ونسوا انه ذاك العصامي الابي
كتب المنفي سطراً للذي جاءه بالعفو فاقرأ واعجب
ابريء عنه يعفو مذنب كيف تسدي العفو كف المذنب
جاء والاحلام في اصفادها مالها في سجنها من مذهب
طبع الظلم على اقفالها بلظاه خاتماً من ذهب
وانبرى يصدع من اغلالها باليراع الحر لا بالقضب
هاله ان لا يراها مرة تمتطي في البحث متن الكوكب
ساءه ان لا يرى في قومه سيرة الاسلام في عهد النبي

***

قلت عن نفسك قولاً محكماً لم تشبه شائبات الكذب
انا كالمنجم تبر وثرى فاطرحوا تبري وصونوا ذهبي

وجاء في الثالثة :

الا هل اتى اقوامنا ان دولة ... تدول اذا ما شاعر قام منشدا
اغار على رب السرير بشعره ... وضعضع ملكاً ظنه الناس سرمدا
وكانت قوافيه جيوشاً تزوّدت ... حياة وموتاً للاحبة والعدى
تولى بريد الدهر للناس نقلها ... وانشدها في الخافقين مرددا
ولم يبق في ارض الفرنسيس غير من ... يقر له بالفضل او يحفظ اليدا
فعاد الى اوطانه غير نافر ... على غربة اولته ذكراً مؤبدا
واعلاه اقدار الرجال وخفضها ... اضل واشقى الشرق والغرب اسعدا

الانتقام

قصة بقلم ناصيف افندي نقولاوس والغالب انها مترجمة وان لم يذكر صاحبها ذلك . وهي في ١٩٢ صفحة متوسطة وتطلب من مكتبة الهلال ومكتبة الشعب

سير العلم

حقيقة السجون

كتب السيد هاملتون من رجال ادارة سجن مقاطعة مشيغان في الولايات المتحدة فصلاً في «مجلة العالم الكبيرة» وصف فيه هذا السجن الذي هو مثال السجون الحقيقية التي يراد منها ان يجد الناس فيها ما يسيرون معه بعد مغادرتهم اياها على محور الاستقامة ويتركون ما الفوه مما يخالف ارتكابه القانون ويهدد اركان النظام والسلام ويجعلهم اعضاء اشلاء في جسم الامة قال : يقيم بين جدران هذا السجن سبعمائة نفس من اسوإ سكان المقاطعة خلالاً وهم مع هذا يعاملون على الجملة بشفقة ولهم في سجنهم الحرية التامة . وبما انهم يعودون الاخلاق الكريمة فمن الممكن ان يبلغوا ويسموا بنفوسهم الى مراتب الامانة والاستقامة . ولا يسمح بجلد المذنبين في هذا السجن ويؤذن لهم بعد ظهر كل سبت بالتنزه احراراً مدة ساعة في ارض خضراء كثيرة الكلاء واذ كان هذا الامتياز الذي يناله المجرمون عرضة للالغاء ان شاعنه سوء فالمسجونون انفسهم يبالغون في الاحتراس من وقوع ما يؤخذ عليهم وعلى هذا فليس في السجن اكثر من ثلاثين حارساً وجميعهم لا يحملون بايديهم غير العصي فقط

ولا يسمح لهم بحمل اسلحة نارية داخل الحبس وتعرف المسجونين بسيماهم والبستهم فمن ك حسن الخلال يلبس رداء ازرق ومن لم يزل تحت التدريب على ذلك يلبس كسوة رماد غير ان اولئك المذنبين الذين لم يصلحوا لقبول ذلك وقد جردوا من جميع الامتيازات ال ينالها الآخرون فهم يلبسون اردية خاصة بهم مخططة . ويبقى السجين محبوساً ولا يطل من سجنه حتى تصبح اخلاقه شفيعة بنيله ذلك . ويشترط قبل مبارحته السجن ان ينعو الى احد يتكفل بان يبحث له عن عمل يحترف به ويراقبه ويسوغ للسجناء ان يتكلموا في السجن في خلال عملهم ولا يجوز ذلك وقت تناولهم الطعام وعند ما يسيرون صفوفاً . ويسو لهم بعد ان يتموا ما يفرضه عليهم نظام السجن من الاعمال ان يعملوا ما شاؤوا وما يربحونه م عملهم يكون لهم . هذا ويجيزون لهم ان يضعوا في غرفهم آلات الطرب وتأتي في الغال جمعيات التمثيل التي تزور المدينة الى السجن فتمثل القصص على المسرح اللطيف الصغي الذي بناه المجرمون فيه . وهذه المعاملة بالشفقة والرحمة هي الوسيلة الوحيدة التي تتبع في هذا السجن من زمن قديم . ولقد شوهد ان التهذيب بالعنف والرهبة مهما سهل امره ف مضر للغاية ومميت الشعور من يعنى بتأديبه وتهذيبه .

انقراض الطيور

ينقرض في الغالب كل سنة نوع او عدة انواع من الحيوانات والطيور وهذا الانقراض آخذ في الزيادة والاسراع . وقد قال السيد ادورد فيفان من مقال نشر في جريدة شامبر الانكليزية انه كان في جزيرة سانت توماس من جزر الهند الغربية اربعة عشر نوعاً من انواع الطيور منذ قرن فانقرض الى الآن منها ثمانية انواع ومكث في افريقية الغاغة Quagga حتى سنة ١٨٦٥ ثم انقرض وانقرضت معه عدة انواع من طيور اخرى . وبادت من جزائ المحيط الهندي عدة انواع من طيور ثمينة القدر وقد انقرض الدودو Dodo في القرن السابع عشر وغاب عن الانظار الجاموس الاميركاني تقريباً من اميركا الشمالية .

فظائع الحروب

انشأ السيد كارل شوروز مقالاً بليغاً في احدى المجلات الانكليزية تكلم فيه عن وقعة جتسبرج وقد رأينا ان ننشر شيئاً مما كتبه في وصف ما يراه الناظر بميدان القتال في اليوم الثاني لحدوث احدى الوقائع قال : لا افجع ولا ابشع من النظر الى جثث القتلى في ساحة الحرب وقد لبثوا يوماً او اكثر قبل ان يذوقوا حتفهم عرضة لاشعة الشمس المحرقة والهواء الحار . وقد تنكرت سحنتهم فانتفخت وجوههم وانصبغت بالسواد وبرزت اعينهم وصارت

ة في مكانها لا تتحرك وتبدلت هيئتهم حتى بعدوا عن ان يميزوا و يعرفوا وقد انقرد بعضهم
ي غيرهم مرتبين صفوفاً ووقع آخرون بعضهم على بعض فكانوا اكواماً . وبدت على
خرين هيئة من يريد الراحة بالصلح وقد رفعت ايدي فريق منهم . وظهر آخرون في صورة
لموس . واخذ نفر يركعون . وبقي بعضهم ينبش الارض باظفاره . وقد تشوه كثيرون
وهاً منكراً بينا كانت الحرب شديدة الوطيس وملك المنون يرفرف فوق الرؤوس .

امتلأت الديار ومحابس الحيوانات والمزارع بالانين و وضعت النضائد في فضاء الارض
ك الجراحون واكمامهم مرفوعة الى مرافقهم . وسواعدهم المكشوفة «وكذلك وزراتهم»
كتانية مخضبة بالدماء وهم — الا قليلاً منهم — قابضون على اسلحتهم باسنانهم بينا يكونون
تمين بمداواة جريح راقد فوق المنضدة او على مكان آخر او تكون ايديهم مشتغلة بعمل
هناك من خلفهم برك الدماء و بجانبها اكوام من السواعد والارجل المقطوعة مما يزيد ارتفاعه
بعض الاحايين عن قامة الانسان !

الجريح راقد على المنضدة وهو غالباً يصيح مما يقاسيه من الالم فيخف اليه الجراح ويفحص
سرعة جرحه ثم يشرع في بتر العضو الذي يؤذيه و يشير الى الخدم بالاستعداد لاحضار
خر . فيخرج سلاحه من « بين اسنانه » التي كان قابضاً عليه بها حين كانت يداه مشغولة
يمسحه بخفة مرة او مرتين في « وزرته » الملطخة بالدم ثم يبدأ بالبتر . فاذا انتهى من عمله نظر
لى خلفه وتنهد تنهداً كثيراً صادراً من اعماق فؤاده ثم نادى : « غيره ! » ....

ويلفت نظرك ان ترى الجراح — وقد مضى عليه زمن طويل وهو يشتغل — نازعاً
سلاحه من يده قائلاً والدموع الغزيرة تنهمل من عينيه انه لم يعمل عمله بثبات فان ما
يشاهده تعجز عن رؤيته طاقة البشر . وترى كثيرين ممن جرحوا من المجاهدين يتحملون
آلامهم وهم سكوت بجلد وسكون وجبينهم متجعدة واعينهم دامية . ثم يصل الى اذنيك صدى
انين من فؤاد كليم واصوات من الالم منكرة تشق الفضاء وصريخ يائس قانط يقول : « ايها
المورد ! » .. « ايها المورد ! » او « دعني اموت » . ثم تسمع اصواتاً ضئيلة تردد وتقول :
« امي ... ! » او « ابي ... ! » او « وطني ... ! »

رعاية الاطفال

اسس السيد جرانشر عام ١٩٠٣ بباريز جمعية دعاها « جمعية وقاية الاطفال من داء
السل » والعمل الذي تقوم به هذه الجمعية هو انها تبحث عن الاطفال المصابين بهذا الداء
ثم تأخذهم وترسل بهم الى المزارع وهناك يعيشون في الهواء الطلق مع اسرات الفلاحين
يعودهم جماعة من الاطباء تنتخبهم الجمعية

وقد انشئت مدرستان بفرنسا خارج المدن حيث يكون الهواء خالصاً نقياً فيدرس فيها التلاميذ المرضى ممن لا يوافقهم هواء المدن وهناك يعالجهم الاطباء . والآن يعملون في انشاء مثل هذه المدارس في المانيا حيث رأى الدكتور بندكس انشاء مدارس الغابات واول مدرسة منها فتحت ابوابها سنة ١٩٠٤ وكانت نتيجتها مرضية . ويتعلم في هذه المدرسة التلاميذ الرقيقو المزاج المصابون بالسل . ونظامها ان يذهب اليها التلاميذ كل يوم صباحاً في الساعة السابعة ونصف تقريباً مشاة على اقدامهم او في المركبات الكهربائية فاذا بلغوها تناولوا في الحال حساء سخيناً وقطعة من الخبز . وبعد ان يدرسوا الدرس الاول يتناولون قدحاً من اللبن وشيئاً من الخبز ايضاً . اما طعام الغذاء فيتألف من اللحم والبقول والبطاطا . وهم كذلك يتناولون عند الساعة الرابعة بعد الظهيرة لبناً وخبزاً . اما اجرة التعليم فالاغنياء ملزمون بدفعها عن اولادهم . وابناء الفقراء تدفع (البلدية) نفقاتهم . هذا وقد شيدت ملاجيء صحية كثيرة لاغلب البلاد الالمانية في الغابات يقضي فيها نهارهم من تمكنت منهم العلل والامراض

الطعام الصحي

كتبت السيدة ك . ايرل في العدد الاخير من مجلة (الشرق والغرب) الانكليزية مقالة صحية موضوعها (الطعام الصحي) صرحت بانها تذكر فيها ما يحصل به الانسان على القوة والصحة قالت :

احدث اكتشاف هارفي لدورة الدم انقلاباً عظيماً في العلوم الطبية واني اعتقد انه سيأتي يوم لا ينكر احدٌ فيه النظرية الطبية الجديدة وهي ان كثرة وجود الحامض البولي في الجسد يسبب الضعف وهذه الحال سواء في كل مناخ وهواء . وارى ان الطعام الذي يخرج الحوامض البولية من الانسجة والعضلات والمفاصل يسهل شفاء المصابين بداء النقرس او المفاصل او المصابين بآلام عصبية .

ويكفي ان يتناول الانسان الطعام في اليوم ثلاث مرات . وخير لمن يحب ان يغير دائماً الاطعمة التي يتناولها ساعات الاكل ان يسير على النظام الآتي : —

اولاً { الشاي والقهوة وحساء اللحم
تبدل بانواع اللبن والحليب والماء وحساء مع اللبن }

ثانياً { طعام الصباح : — اللحم والبيض والسمك
تبدل بالثريد والخبز المحمص والبقسماط وحبوب الدقيق ونحو ١٠٠ او ١٣٣/٢ درهم لبن وشيء من البندق }

ثالثاً { ما يتناول بين طعام الصباح وطعام الظهيرة : —
السمك واللحم
يبدلان بالخبز المحمص والبقسماط وحبوب الدقيق والطعام المركب (طعام يتكوّن من البيض والدقيق واللبن وغيرها) ومائة درهم من اللبن واوقية انجليزية من الجبن

رابعاً { طعام الظهيرة : —
السمك واللحم
يبدلان بالخبز المقدد والبقسماط وحبوب الدقيق والطعام المركب وصفحة من الجبن ومائة درهم من اللبن

قالت الكاتبة : ومن اهم البواعث التي تسبب القابلية للاكل ان يكون الانسان تعباناً او يكون قد عمل شيئاً نشط به جسمه ·

١٠ ز ١٠

الهجرة الطليانيه

كتب احدهم في مجلة المسائل الدولية الاستعمارية الفرنسوية مقالاً في هجرة الطليان جاء فيه انها تزيد سنة عن سنة ويؤخذ من الاحصاآت الرسمية ان عدد المهاجرين سنوياً بين سنة ١٨٩٥ — ١٩٠٠ كان حوالى ثلثمائة الف فاصبح من سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٤ نصف مليون كل سنة وارتقى سنة ١٩٠٦ الى ٧٨٧٩٧٧ مهاجراً ومعظمهم من الفلاحين والمهاجرون من الذكور على نسبة ٨١ في المئة و١٩ من الاناث والمهاجرون في الاكثر هم سكان الجنوب وينزلون اميركا كما يهاجر سكان شمالي ايطاليا الى اقطار اوروبا فقط ليغتنوا فيها · وقد بحث علماء الاجتماع من الطليان في نفع الهجرة لبلادهم او عدمها ولم يبتوا لهم رأياً بعد · وشوهد ناس من اهل الطبقة الوسطى اباعوا اراضيهم وانقلبوا الى بلاد اخرى يرتاشون فيها ويتأثلون وهذا ما ينسب الى قلة التناسب المتزايد بين وسائط الحياة التي تقل وحاجياتها المتكاثرة · ومن الاسباب التي ذكروها في مضار الهجرة ان عدد العجزة في ايطاليا خف عن ذي قبل ولكن لم تعد نمو سكان البلاد في العشر سنين الاخيرة على نسبة نموها من قبل وذكروا من حسناتها انه قل عدد البطالين وارتفعت اسعار ايجار الاراضي وترقت اثمانها بما جاء به بعض المهاجرين لدن عودتهم الى بلادهم من الاموال كما زادت ثروة ايطاليا بما يغدق عليها اباؤها المهاجرون من مهاجرهم · وقد جاء في ذاك التقرير ان للهجرة يداً في ايطاليا منذ ثلاثين سنة في ارتقاء ايطاليا الاقتصادي وهو مادة ارتقائها التجاري

اجتياز البحار

يتحدثون الآن في الاندية الصناعية والعلمية في اجتياز المسافة بين اوروبا والولايات المتحدة في اربعة ايام . وقد ادعى مهندس اميركي انه يقطع في باخرة جديدة انشأها حديثًا ثلاثين عقدة في الساعة وكانت باخرتان المانيتان وهما من آخر طراز يقطعان ٢٣ عقدة . ولم تكن البواخر تقطع لاول اختراعها سوى ٩ عقد في الساعة ثم تدرجت حتى وصلت الى ٢٣ عقدة وهاهي اليوم قد بلغت او كادت الثلاثين على ان المسافة تجتاز بين اميركا واوروبا في خمسة ايام وبضع ساعات . اما الباخرة الجديدة فتحمل من عشرين الى ثلاثين الف طن وآلتها بقوة ثلاثين الف حصان ووزن الآلة المحركة يبلغ مائتي طن واذا أضيف اليه عدَّاد الغاز فيكون خمسمائة طن ويقتضي ٨٥٠ طنًا من زيت البترول الخام لاجتياز مسافة مائتي ميل ما عدا الوقود ولا يخرج منه دخان

اوراق السفر

رأى بعض الباحثين ان عمال السكك الحديدية يأخذون الاوراق من المسافرين ليقطعوها ويعيدوها اليهم وربما احبوا العجلة فقطعوها بريقهم مما لا يخلو من نقل جراثيم الامراض ورأوا ان احسن طريقة في هذا الباب هي التي سارت عليها بعض شركات السكك الحديد في سويسرا فانها تجعل الاوراق اضبارة واحدة وتقطعها كما تقطع الطوابع بادنى مس باليد .

المدارس في مصر

احصى مدير الاحصائيات في مصر عدد المدارس الوطنية والاجنبية في هذا القطر فكانت ٣٠٠ مدرسة مصرية فيها ٤٧٥٣٤ من البنين و٣٨٩٧ من البنات و٣٠ انكليزية فيها ١٤١٥ تلميذًا و٦١٩ تلميذة و١٢٠ اميركية فيها ٧٠٤٤ تلميذًا و٢٠٥٣ تلميذة و٩ نمساوية فيها ٨٨١ تلميذًا و٥٥٠ تلميذة ومدرستان هولانديتان فيها ١٤٢ تلميذًا و٣٦ تلميذة و٨٥ مدرسة فرنسوية فيها ٨٦٤٥ تلميذًا و٦١٤٠ تلميذة واربع مدارس المانية فيها ٢٢٣ تلميذًا و٤٤٦ تلميذة و٣٩ يونانية فيها ٣١٠٨ تلاميذ و١٣٦٣ تلميذة و٣٥ ايطالية فيها ٢٣١٤ تلميذًا و٢٣٣٨ تلميذة ومدرسة روسية واحدة فيها ٤٧٥ تلميذًا

وصية للعلم

اوصى الماني بمئة الف مارك لينفق ريعها على تلميذ ذكي من المدارس العثمانية العالية يتمُّ دروسه في المانيا .

جماجم المصريين

ظهر للاستاذ اليوت سميث معلم التشريح في مدرسة الطب بالقاهرة من البحث في المومياء المصرية ان جماجم قدماء المصريين كانت رقيقة وان القسم الخارجي منها هو على الجملة من النحافة على ما يعجب منه الناظر على ان تجويف الجمجمة لم يصب بمرض ولا تظهر فيه نحافة حيث كانت العضلات . وقد شاهد ذلك في اهل السلالة الرابعة الى اهل السلالة الرابعة عشرة خاصة ولم يجدها فيمن كان قبلهم او بعدهم وقد تبين مما قام به الاستاذ ماسبرو وغيره من علماء الآثار المصرية من الحفريات ان اهل الطبقات العالية في الامة المصرية كانوا يضعون على رؤوسهم شعوراً مستعارة فنسب العلماء نحافة رؤوسهم لثقل تلك الشعور وذلك لان الاستاذ اليوت سميث لم يشاهد هذا الضعف الا في جماجم اهل الغنى والثراء من تلك السلائل ولا يقدح في ذلك ما ألفه الفلاحات من حمل اشياء ثقيلة على رؤوسهن على ان جماجهن سالمة من العيوب فان الضغط الموقت لا يؤثر في الجماجم كما يؤثر فيها الضغط الدائم من مثل الشعور وغيرها . والمسألة ما برحت موضع النظر

خارطة الولايات المتحدة

شرعت حكومات الولايات المتحدة في رسم مصوّر لتلك البلاد لم يعهد مثله حتى الآن في رسم الارض فاخذت كل ولاية تقيس وتمسح وتذكر ما جد من القرى والدساكر والمدن ويقولون ان حكومة الاسكا تجتهد من وراء الغاية في رسم بلادها لتضمها الى خارطة تلك البلاد مع ان القسم الاعظم منها لم يكتشف بعد . وناهيك بما يقتضي ذلك من النفقات في بلاد هي في مساحتها كاوروبا او اكثر ويقال ان هذا العمل يكلف اميركا مليوني فرنك اي من ٧٥ الى ١٠٠ فرنك في كل كيلومتر مربع ولا ينجز قبل سنة ١٩٠٩

التعليم في فرنسا

تنفق فرنسا على التعليم العالي في ست عشرة كلية ثلاثة عشر مليونًا وثمانمائة الف فرنك وقد كان مجموع الطلبة في هذه المدارس الجامعة سنة ١٩٠٦ — ٣٥٦٧٠ تلميذاً وزاد منذ عشر سنين نحو عشرة آلاف طالب وكان الاساتذة اذ ذاك ٥٩١ فصاروا الآن ٨٠٠

الرخص والعلم

لئن ارتفعت اثمان الحاجيات منذ خمسين سنة لكثرة النقود فقد كان من تأثير العلم ان ارخص كثيراً من المواد الصناعية بفضل ادخال التحسين على ادواتها فنزل سعر المتر الواحد

من المرايا نحو الثلثين ونزل سعر الحامض الكبريتي الى النصف والصودا الى ثلاثة ارباع وقد استفادت الزراعة والصناعة من هذا الرخص فائدة كبرى

نساء اليابان والالمان

منذ عهد غير بعيد تضاعف عدد مدارس الاناث في اليابان فاصبح المتخرجات منها يتعاطين التدريس او المحاماة او الكتابة . وانك تجد في جميع امهات المدن اليابانية اندية للنساء وقد اخذ بعضهن ينشرن في طوكيو الآن جريدة سمينها « المرأة في القرن العشرين » تتولى ادارتها « اونا ايجي » الكاتبة الاشتراكية المشهورة التي احكمت الانكليزية كما احكمت لغتها فصارت الصحف الاميركية تتلقى مقالاتها بالقبول كما تتلقى مقالات كبار الكتاب من الانكليز . وما برح النساء في المانيا يطالبن بقبول البنات المتعلمات في العشر كليات الالمانية التي سدت حتى الآن ابوابها في وجوه البنات وقصرت تعليمها على البنين والغالب انهن ينلن بغيتهن كما نلنها في كليات بافاريا مثل كلية مونيخ وارلانجن وورتزبورغ وفي دوقية باد ككلية فريبورغ وهايدلبرغ وتوبنغ وفي امارة تورنغ ككلية اينا وفي امارة ساكس ككلية ليبسيك . وقد طلب ١١٠ استاذًا من اساتذة الكليات الالمانية الى الحكومة ان تسمح بحرية الدخول للبنات في مدارس الصبيان . وينقسم الطالبات في المانيا الى طالبات طب وطالبات فلسفة وطالبات علم اصول اللغات وطالبات تاريخ . فمتى يطلب نساؤنا يا ترى حقوقهن من التعليم الابتدائي المنتظم فقط

الشعب النظيف

يرى الدكتور ماتينيون الفرنسوي وهو ممن اقام مدة في الشرق الاقصى ان النظافة عند ابناء يابان كادت تكون من الايمان فيرى الياباني ان الاستحمام كل يوم من الضروريات كتناوله قدح الارز . وقد اثبتت الحرب الروسية اليابانية الاخيرة شدة تعلق هذه الامة بالنظافة فكان الجند في معسكراتهم يستعملون جرارًا صينية كبرى من الفخار المطلي يجعلونها تحت اديم الارض ويتخذونها مستحمًّا لهم . ولكل جندي في جعبته فرشة لتنظيف اسنانه وذرور لها لان الياباني يعنى باسنانه كل العناية ويتمضمض مرات عديدة في اليوم . وقد عجب الاطباء الاوربيون من تنطع اليابانيين في النظافة الى هذا الحد كما ثبت لهم ان من كل خمسة جنود من الاوربيين يموت اربعة من الامراض وواحد قتلاً اما من ابناء يابان فان في خمسة قتلى يموت واحد منهم من الامراض

المقتبس

الجزء الحادي عشر من المجلد الثاني

ذي القعدة سنة ١٣٢٥ الموافق دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٧

محاسن الكتب

للجاحظ (١)

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء ازدشير وبناء إصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون . ثم ان العرب شاركت العجم في البنيان وتفرّدت بالكتب والاخبار والاشعار والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد وقصر شعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان . وتصنيف الكتب اشد تقييداً للمآثر على ممر الايام والدهور من البنيان لان البناء لا محالة يدرس وتعفو رسومه والكتاب باقٍ يقع من قرن الى قرن ومن امة الى امة فهو ابداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو ابلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير . وكانت العجم تجعل الكتاب في الصخور ونقشاً في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان فربما كان الكتاب هو الناتئ وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لامر جسيم او عهداً لامر عظيم او موعظة يرتجى نفعها او احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرُّها يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون الخط في ابعد المواضع من الدثور وامنعها من الدروس واجدر ان يراه من مرَّ به ولا ينسى على وجه الدهور .

(١) منقولة من كتاب المحاسن والاضداد ومن كتاب الحيوان وقد حذفنا بعض الفقرات المكررة في الثانية فقط

ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدوّنة لبطل اكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولولم يتم ذلك لحرمنا اكثر النفع ولولا ما رسمت لنا الاوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من انواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق لجمعنا الى قليلنا كثيرهم وادركنا مالم نكن ندركه الا بهم لقد بخس حظنا منه · واهل العلم والنظر واصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وارباب النحل وورثة الانبياء واعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهي وكتب اعوان الصلحاء وكتب اصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية · ومنهم من يفرط في العلم ايام خموله وترك ذكره وحداثة سنه · ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وانفت من حال الجهل وان يكونوا في غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى ان يكون لا يمكن الإخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير ·

وسمعت محمد بن الجهم يقول : اذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً فاجد اهتزازي للفوائد والاريحية التي تعتريني من سرور الاستنباه وعز التبيين اشد إيقاظاً من نهيق الحمار وهدة الهدم فاني اذا استحسنت كتاباً واستجدته ورجوت فائدته لم أُوثر عليه عوضاً ولم ابغ به بدلاً فلا ازال انظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله · وقال ابن داحة : كان عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر ابن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم ارَ اوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا اسلم من الوحدة · واهدى بعض الكتاب الى صديق له دفتراً وكتب معه : هديتي اعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب وهي انس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدّث مطاوع ونديم صدق · وقال بعض الحكماء : الكتب بساتين العلماء · وقال آخر : الكتاب جليس لا مؤونة له · وقال آخر : ذهبت المكارم الا من الكتب ·

قال الجاحظ وانا احفظ واقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل · والكتاب وعاء ملئ علماً وظرف حشي ظرفاً واناء شحن مزاحاً إن شئت كان ابين من باقل وان شئت كان ابلغ من سحبان وائل وان شئت سرّتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ ملهٍ وبناسك فاتك

وناطق اخرس ومن لك بطبيب أعرابي ورومي هندي وفارسي يوناني ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشيء يجمع لك الاول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده .

وبعد فما رأيت بستانًا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من الارض واكتم للسر من صاحب السر واحفظ للوديعة من ارباب الوديعة ولا اعلم جارًا آمن ولا خليطاً انصف ولا رفيقاً اطوع ولا معلماً اخضع ولا صاحباً اظهر كفايةً وعناية ولا اقل املالاً ولا ابرامًا ولا ابعد عن مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال من كتاب . ولا اعم بيانًا ولا احسن مواتاة ولا اعجل مكافأة ولا شجرة اطيب عمرًا ولا اطيب ثمرًا ولا اقرب مجتنى ولا اسرع ادراكاً ولا اوجد في كل ابان من كتاب . ولا اعلم نتاجاً في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمعه كتاب .

ومن لك بزائر ان شئت كانت زيارته غبا وورده خمسًا وان شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك . والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يقليك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي لا يستزيدك والجار الذي لا يستبطئك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق . والكتاب هو الذي ان نظرت فيه اطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك وفخم الفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر وهو المعلم ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبت ريح اعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً منه بادنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء .

وان امثل ما يقطع به القرّاء نهارهم واصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر في كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد في تجربة وعقل ومروءة وصون عرض واصلاح دين وتثمير مال ورب صنيعة وابتداء انعام . ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم من فضول النظار وملابسة صغار الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة واخلاقهم الردية

وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الا انه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له في ذلك على صاحبه اسبغ النعم واعظم المنة وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يمل لانه وان كان كتاباً واحداً فانه كتب كثيرة في خطابه والعلم بالشريعة والاحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير . وقال مصعب بن الزبير : ان الناس يتحدثون باحسن ما يحفظون ويحفظون احسن ما يكتبون ويكتبون احسن ما يسمعون فاذا اخذت العلم تخذه من افواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختاراً ولؤلؤاً منظوماً . وقال الزهري : اذا سمعت ادباً فاكتبه ولو في حائط .

قال ذوالرمة لعيسى بن عمر : اكتب شعري فالكتاب احب اليّ من الحفظ لان الاعرابي ينسى الكلمة قد سهر في طلبها ليلته فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام ولا اعلم جاراً ابرَّ ولا خليطاً انصف ولا رفيقاً اطوع ولا معلماً اخضع ولا صاحباً اظهر كفاية ولا اقل جناية ولا اقل ملالاً وابراماً ولا احفل اخلاقاً ولا اقل خلافاً واجراماً ولا اقل غيبة ولا ابعد من عضيهة ولا اكثر أعجوبة وتصرفاً ولا اقل تصلفاً وتكلفاً ولا ابعد من مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال من كتاب . ولا اعلم قريناً احسن موافاة ولا اعجل مكافاة ولا احضر معونة ولا اخف مؤونة ولا شجرة اطول عمراً ولا اجمع امراً ولا اطيب ثمرة ولا اقرب مجتنى ولا اسرع ادراكاً ولا اوجد في كل ابان من كتاب ولا اعلم نتاجاً في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع بين التدابير العجيبة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة ومن الاخبار عن القرون الماضية والبلاد المتنازحة والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمع لك الكتاب .

والكتاب هو الذي يؤدي الى الناس كتب الدين وحساب الدواوين مع خفة نقله وصغر حجمه صامت ما اسكته وبليغ ما استنطقته ومن لك بسامر لا يبتديك في حال شغلك ويدعوك في اوقات نشاطك ولا يحوجك الى التجمل له والتذمم منه . قال ابوعبيدة قال المهلب لبنيه في وصيته : يابنيّ لا تقوموا في الاسواق الا على زراد او وراق . وحدثني صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتاباً فيه من مآثر غطفان فقال : ذهبت المكارم الا من الكتب . وسمعت ابا الحسن اللؤلؤي يقول : غبرت اربعون يوماً ما قلت ولا بت الا والكتاب موضوع على صدري . وذكر العتبي كتاباً لبعض القدماء فقال: لولا طوله

وكثرة ورقه لتسخنه فقال ابن الجهم : لكني ما رغبني فيه الا الذي زهدك فيه وما قرأت قط كتاباً كبيراً فاخلاني من فائدة وما أحصي كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت ·

وقال العتبي ذات يوم لابن الجهم الا تتعجب من فلان نظر في كتاب اقليدس مع جارية سلمويه في يوم واحد وساعة واحدة فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة على انه حر مخير وتلك أمة مقصورة وهو احرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم جارية قال ابن الجهم : قد كنت اذن انه لم يفهم منه شكلاً واحداً واراك تزعم انه قد فرغ من مقالة · قال العتبي : وكيف ظننت به هذا الظن وهو رجل ذو لسان وادب قال : لاني سمعته يقول لابنه : كم انفقت على كتاب كذا قال : انفقت عليه كذا انما رغبني في العلم اني ظننت اني انفق عليه قليلاً واكتسب كثيراً فاما اذا صرت أنفق الكثير وليس في يدي الا المواعيد فاني لا أريد العلم بشيء فالانسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ولا بد ان تكون كتبه اكثر من سماعه ولا يعلم ولا يجمع العلم ولا يختلف حتى يكون الانفاق عليه من ماله الذّ من الانفاق من مال عدوه ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب الذّ عنده من عشق القيان وانفاق المستهزئين بالبنيان لم يبلغ في العلم مبلغاً رضياً وليس ينتفع بانفاقه حتى يؤثر اتخاذ الكتب إيثار الاعرابي فرسه باللبن على عياله وحتى يؤمل في العلم ما يؤمل الاعرابي في فرسه·

وقال ابراهيم بن السندي مرة : وددت ان الزنادقة لم يكونوا حرصى على المقالات بالورق النقي الابيض وعلى تخير الحبر الاسود المشرق البراق وعلى استجادة الخط والارغاب لمن يخط فاني لم ار كورق كتبهم ورقاً ولا كالخطوط التي فيها خطاً واذا غرمت مالاً عظيماً مع حبي للمال وبغض الغرم كان سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليلاً على تعظيم العلم وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سكر الآفات ·

وقال بعضهم : كنت عند بعض العلماء فكنت اكتب عنه بعضاً وادع بعضاً فقال لي : اكتب كل ما تسمع فان مكان ما تسمع اسود خير من مكان ابيض · وقال الخليل بن احمد : تكثر من العلم لتعرف وتقلل منه لتحفظ · وقال ابو اسحق القليل والكثير للمكتب والقليل وحده للصدر وانشد قول ابن بشير :

اما لو أعي كل ما اسمع … واحفظ من ذاك ما اجمع
ولم استفد غير ما قد جمعـ … ـت لقيل هو العالم المصقع
ولكن نفسي الى كل نو … ع من العلم تسمعه تنزع

فـلا انا احفظ ما قد جمـ ـت ولا انا من جمعه اشبع
وأحصر بالعي في مجلسي وعلمي في الكتب مستودع
فمن يك في علمه هكذا يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

وقال ابن اسحق: كلف ابن بشير الكتب ما ليس عليها ان الكتب لا تحيي الموتى ولا تحول الاحمق عاقلاً ولا البليد ذكياً ولكن الطبيعة اذا كان فيها ادنى قبول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف وتشفي ومن اراد ان يعلم كل شيء ينبغي لاهله ان يداووه فان ذلك انما تصور له بشيء اعتراه فمن كان ذكياً حافظاً فليقصد الى شيئين والى ثلاثة اشياء ولا ينزع الدرس والمطارحة ولا يدع ان يمر على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الاصناف فيكون عالماً بالخواص ويكون غير غفل عن سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً الا نسي ما هو اكثر منه فهو من الحفظ من افواه الرجال ابعد. وحدثني موسى بن يحيى قال: ما كان في خزانة كتب يحيى وفي بيت مدارسه كتاب الاوله ثلاث نسخ. وقال ابوعمرو بن العلاء: ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيته ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد الا اعتقدت انه افضل منه واعقل

وقال ابوعمرو بن العلاء: قيل لنا يوماً ان في دار فلان ناساً قد اجتمعوا على سوءة وهم جلوس على خيرة لهم وعندهم طنبور فتسورنا عليهم في جماعة من رجال الحي فاذا فتى جالس في وسط الدار اصحابه حوله واذا هم بيض اللحى واذا هو يقرأ عليهم دفتراً فيه شعر فقال الذي سعى بهم: السوءة في ذلك البيت وان دخلتموه عثرتم عليها فقلت: والله لا اكشف فتى اصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكريا وانشد رجل يونس النحوي.

استودع العلم قرطاساً فضيعه فبئس مستودعُ العلم القراطيسُ

قال فقال يونس: قاتله الله ما اشد ضنانته بالعلم واحسن صيانته له ان علمك من روحك ومالك من بدنك فضعه منك بمكان الروح وضع ماله بمكان البدن. وقيل لابن داحة واخرج كتاب ابي الشمقمق واذا هو في جلود كوفية دفتين طائفتين بخط عجيب فقيل له: لقد اضيع من تجود بشعر ابي الشمقمق فقال: لا جرم والله ان العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه ولو استطعت ان اودعه سويداء قلبي او اجعله محفوظاً على ناظري لفعلت ولقد دخلت على اسحاق بن سليمان في امرته فرأيت السماطين والرجال مثولاً كأن على رؤوسهم الطير ورأيت فرشته وبزته ثم دخلت عليه وهو معزول واذا هو في بيت كتبه

وحواليه الاسفاط والرقوق والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر فما رأيته قط افخم ولا انبل ولا اهيب ولا اجزل منه في ذلك اليوم لانه جمع مع المهابة المحبة ومع الفخامة الحلاوة ومع السؤدد الحكمة . وقال بعضهم : كتب الحكماء وما دوّنت العلماء من صنوف البلاغات والصناعات والآداب والارفاق من القرون السابقة والامم الخالية ومن له بقية ابقى ذكرًا وارفع قدرًا واكثر رداءً لان الحكمة انفع لمن ورثها من جهة الانتفاع بها واحسن في الاحدوثة لمن احب الذكر الجميل والكتب بذلك اولى من بنيان الحجارة وحيطان المدر لان من شأن الملوك ان يطمسوا على آثار من قبلهم وان يميتوا ذكر اعدائهم فقد هدموا بذلك السبب المدن واكثر الحصون كذلك كانوا ايام العجم وايام الجاهلية وعلى ذلك في ايام الاسلام كما هدم عثمان صومعة غمدان وكما هدم الآطام التي كانت بالمدينة وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وكما هدم اصحابنا بناء مدن الشامات لبني مروان .

ان من شكر النعمة في معرفة مغاوي الناس ومراشدهم ومضارهم ومنافعهم ان تحتمل ثقل مؤونتهم في تقويمهم وان تتوخى ارشادهم وان جهلوا فضل ما يسدى اليهم فلن يصان العلم بمثل بذله ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره على ان قراءة الكتب ابلغ في ارشادهم من تلاقيهم اذ كان مع التلاقي يشتد التصنع ويكثر التظالم وتُفرط العصبية وتقوى الحمية وعند المواجهة والمقابلة يشتد حب الغلبة وشهوة المباهاة والرياسة مع الاستحياء من الرجوع والانفة من الخضوع وعن جميع ذلك تحدث الضغائن ويظهر التباين واذا كانت القلوب على هذه الصفة وعلى هذه الهيئة امتنعت من التعرف وعميت عن مواضع الدلالة وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية واصابة الحجة لان المتوحد يدرسها والمنفرد بفهم معانيها لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله وقد عدم من له يباهي ومن اجله يغالب .

والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ويرجح قلمه على لسانه بامور منها ان الكتاب يقرأ بكل مكان ويظهر ما فيه على كل لسان ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الاعصار وتباعد ما بين الامصار وذلك امر مستحيل في واضع الكتاب والمتنازع في المسألة والجواب . ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجلس صاحبه ومبلغ صوته وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ويذهب العقل ويبقى اثره ولولا ما اودعت لنا الاوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودوّنت من انواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وادركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لما حسن حظنا من الحكمة ولضعف سببنا الى المعرفة ولو لجأنا الى قدر قوّتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا لما تدركه حواسنا وتشاهده نفوسنا لقلت المعرفة وسقطت الهمة وارتفعت العزيمة وعاد الرأي

عقيماً والخاطر فاسداً ولكل الحدّ وتبلد . واكثر من كتبهم نفعاً واشرف منها خطراً واحسن موقعاً كتب الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة والاخبار عن كل حكمة وتعريف كل سيئة وحسنة وما زالت كتب الله تعالى في الالواح والصحف والمهارق والمصاحف وقال الله عز وجل : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » . وقال : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . ويقال لاهل التوراة والانجيل اهل الكتاب . وينبغي ان يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا على انا قد وجدنا من العبرة اكثر مما وجدوا كما ان من بعدنا يجد من العبرة اكثر مما وجدنا فما ينتظر العالم باظهار ما عنده وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه وقد امكن القول وصلح الدهر وخوى نجم التقليد وهبت ريح العلماء وكسد العي والجهل وقامت سوق البيان والعلم وليس يجد الانسان في كل حين انساناً يدربه ومقوّماً يثقفه والصبر على افهام الريض شديد وصرف النفس عن مغالبة العالم اشد منه . والمتعلم يجد في كل مكان الكتاب عتيداً وبما يحتاج اليه قائماً وما اكثر من فرط في التعليم ايام خمول ذكره وايام حداثة سنه .

ولولا جياد الكتب وحسنها ومبينها ومختصرها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونزعت الى حب الادب وانفت من حال الجهل وان تكون في غمار الحشو ولدخل على هؤلاء من الخلل والمضرة من الجهل وسوء الحال ما عسى ان لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : تفقهوا قبل ان تسوّدوا . وقد نجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين عاماً وهو لا يعد فقيهاً ولا يجعل قاضياً فما هو الا ان ينظر في كتب ابي حنيفة واشباه ابي حنيفة ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة او سنتين حتى تمر ببابه فتظن انه من بعض العمال وبالحري ان لا يمر عليه من الايام الا اليسير حتى يصير حاكماً على مصر من الامصار او بلد من البلدان . قال ابن بشير في صفة الكتب في كلمة له .

اقبلت اهرب لا آلو مباعدة ... في الارض منهم فلم يحصني الهرب
فقصر اوس فما والت خنادقه ... ولا النواويس فالماخور فالحرب
فايما موئل منها اعتصمت به ... فمن ورائي حثيثاً منهم الطلب
لما رأيت بأني لست معجزهم ... فوتاً ولا هرباً قربت احتجب
فسرت في البيت مسروراً به جذلا ... جاراً لبوأة لا شكوى ولا شغب
فرداً يحدثني الموتى وتنطق لي ... عن علم ما غاب عني منهم الكتب
هم مؤنسون وألاف غنيت بهم ... فليس لي في انيس غيرهم ارب

لله من جلساء لا جليسهمو ولا عشيرهمو للسوء مرتقب
لابادرات الاذى يخشى رفيقهم ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
ابقوا لنا حكماً تبقى منافعها أخرى الليالي على الايام والشعب
فايما آدب منهم مددت يدي اليه فهو قريب من يدي كثب
ان شئت من محكم الآثار يرفعها الى النبي ثقات خيرة نجب
او شئت من عرب علماً باولهم في الجاهلية انبتني بها العرب
او شئت من سير الاملاك من عجم تنبي وتخبر كيف الرأي والادب
حتى كأني قد شاهدت عصرهمو وقد مضت دونهم من عمرهم حقب
يا قائلاً قصرت في العلم نهيته امسى الى الجهل فيما قال ينتسب
ان الاوائل قد بانوا بعلمهم خلاف قولك ما بانوا ولا ذهبوا
ما مات مثل امريء ابقى لنا ادباً نكون منه اذا ما مات نكتسب

قال الجاحظ : وتمايدل على نفع الكتاب انه لولا الكتاب لم يجز ان يعلم اهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة وما يحدث بالكوفة في بياض يوم حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة فنعلم بها اهل البصرة قبل المساء اه

غلاة الكتب

لله اخوان افادوا مفخراً فبوصلهم ووفائهم اتكثر
هم ناطقون بغير السنة ترى هم فاحصون عن السرائر تضمر
ان ابغ من عرب ومن عجم معاً علماً مضى فيه الدفاتر تخبر
حتى كأني شاهد لزمانها ولقد مضت من دون ذلك اعصر
خطباء ان ابغ الخطابة يرتقوا كفي وكفي للدفاتر منبر
كم قد بلوت بها الرجال وانما عقل الفتى بكتاب علم يسبر
كم قد هزمت به جليساً مبرماً لا يستطيع له الهزيمة عسكر

ليس في الدنيا منظر تنصرف اليه الوجوه ولا صورة تحدق فيها العيون ولا نفحة ترتاح اليها الارواح وتخاطبها القلوب ولا صديق اخلص من ذاك الكتاب تودعه سرك فلا يخونك وتبوح اليه بذات نفسك فيحفظ غيبتك ويطرب حضرتك . ليس في صنع البشر مثل هذه

الاوراق الثمينة التي قد يجهد كاتبها في تسويدها نفسه ويصرف عليها ايامه واعوامه رجاء نفع يرتجى وعقل يرتقي وجهالة تضمحل وذكر يخلد ومحمدة تردد . نعم ليس افعل في القلوب من الكتاب يعيد مظلمها مستنيراً وميتها حياً ويجعل بعد عسر يسراً . فبالكتب تحيا الامم وترتفع الى ذرى المجد والسؤدد وبالصحف تأنس النفوس المستوحشة وتنبسط الصدور المنقبضة .

وماذا عسانا نقول في وصف الكتاب بعد ان قرأ القارئ ما قرأ في صدر هذا الجزء من قول الجاحظ سيد العلماء ورأس الحكماء وانما نقول هنا على الجملة ان قد كثر المولعون في جمع الكتب قديماً بكثرة اسباب الحضارة بحيث لو اراد المرء احصاء من ولعوا بذلك من العرب ووصف شيء من حالتهم لاقتضى ذلك كتاباً برأسه . فبلغ من عناية الملوك بالكتب وجمعها ان حمل المأمون الى بغداد من الكتب المخطوطة ما يثقل مائة بعير وكان من شروط صلحه مع ميشيل الثالث ان يعطيه مكتبة من مكاتب الاستانة . قيل ان عدد مجلدات خزانة المأمون كان ستمائة الف وان فهرستها دخلت في اربعة واربعين مجلداً وقيل ذلك في مكتبة الخلفاء بالاندلس . وأنشيء بيت الحكمة في بغداد على عهد الرشيد في غالب الاقوال وكان يجتمع فيه النساخ والمؤلفون والمترجمون والمطالعون . اما دار الحكمة او دار العلم في القاهرة فكانت فيها خزانة انشأها الحاكم بامر الله وحمل اليها الكتب من خزائن القصور . وكان في القاهرة في اوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مئة الف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك لا غير وكان من نظامها ان تعار بعض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة . وقد تكاثرت خزائن الكتب في المدارس الكبرى والصغرى فقومت كتب المدرسة النظامية ببغداد بالوف وكذلك كان شأن مدارس الشام ومصر .

قال القلقشندي في خزائن الكتب المشهورة : ويقال ان اعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن احداها خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسة ولم تزل على ذلك الى ان دهمت التتر بغداد فذهبت خزائن الكتب فيما ذهب . الثانية خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت من اعظم الخزائن واكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم ولم تزل على ذلك الى ان انقرضت دولتهم فاشترى القاضي الفاضل اكثر كتب هذه الخزانة ووقفها بمدرسته الفاضلية بدرب ملوخيا بالقاهرة فبقيت فيها الى ان استولت عليها الايدي فلم يبق منها الا القليل . الثالثة خزانة خلفاء بني امية بالاندلس وكانت من اجل خزائن الكتب ايضاً ولم تزل الى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف عليها . قال واما الآن (اي في القرن الثامن) فقد قلت عناية الملوك بخزائن الكتب اكتفاء بخزائن كتب المدارس .

ولم تكن الحكومات ورؤساؤها مولعة بجمع الكتب وجعلها وقفاً على المطالعة والمراجعة في قصورهم او مكاتب ينشئونها لهذا الغرض او في مدارسهم بل كان العلماء والوزراء وكثير من اهل الثراء مولعين باقتناء الكتب على تعذر الحصول عليها فقد كان نور الدين الشهيد مولعاً بالكتب جمع منها الامهات ووقف كثيراً منها على الاستفادة . وكذلك كان صلاح الدين فانه نقل بعض الكتب المهمة من مصر الى الشام لما صار عليهما سلطاناً . وانشأ يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله ثاني خلفاء الفاطميين خزانة كتب وبذل الاموال في الاستكثار من المؤلفات النافعة . وكان يجمع فيها من الكتاب الواحد عشرات من النسخ ولقد غالى من كتب عنها ومنهم المقريزي وقالوا كان العزيز يتعهدها بنفسه حيناً بعد آخر . وانشأ نوح بن منصور صاحب بخارى من ملوك بني سامان مكتبة منقطعة القرين فيها الكتب على اختلاف ضروب العلم . وقد وصفها ابن سينا وكان أذن له بدخولها وقراءة ما فيها من كتب الطب فقال : دخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض في بيت منها كتب العربية والشعر وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد فطالعت فهرست كتب الاوائل وطلبت ما احتجت اليه منها ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته ايضاً من بعد .

ولما كتب نوح بن منصور الى الصاحب بن عباد وزير بني بويه المتوفى سنة ٣٨٥ ورقة في السر يستدعيه ليفوض اليه وزارته وتدبير مملكته كان من جملة اعذاره اليه انه يحتاج لنقل كتبه خاصة الى اربعمائة جمل فما الظن بما يليق بها من التجمل . وكان سيف الدولة بن حمدان مولعاً بجمع الكتب ولوع نوح بن منصور فكانت في داره خزائن كبيرة جمع فيها الامهات المفيدة . وقيل ان وزير الواثق بالله كان ينفق ثلاثين الف دينار كل شهر على ترجمة الكتب ونسخها . وكان للفتح بن خاقان وزير المتوكل خزانة كتب جمعها علي بن يحيى لم ير اعظم منها كثرة وحسناً وكان يحضر داره فصحاء العرب وعلماء البصرة والكوفة قال ابوهفان ثلاثة لم ار قط ولا سمعت باكثر محبة للكتب والعلوم منهم الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي وكان الفتح يحضر لمجالسة المتوكل فاذا اراد القيام لحاجة اخرج كتاباً من كمه او جيبه وقرأ فيه الى حين عودة المتوكل — قاله ابن الكتبي في الفوات .

وذكر المبرد مثل هذه الرواية فقال انه ما رأى احرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي . فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع بيده كتاب

قرأه من اوله الى آخره اي كتاب كان واما الفتح بن خاقان فانه كان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام بين يدي المتوكل للبول او للصلاة اخرج الكتاب للنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه الى ان يأخذ مجلسه · واما اسمعيل بن اسحق فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه · ويلغ من ولوع بعض الخاصة بالتوفر على خدمة العلم انهم كانوا يفتحون ابواب خزائنهم لكل مستفيد فقد جعل حنين بن اسحق النسطوري في بغداد داره مكتبة عامة تفد اليها طلاب العلوم العقلية والرياضية وكان يتبرع بمذاكرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه · وكان لافرائيم بن الزفان الاسرائيلي من اطباء مصر همة عالية في تحصيل الكتب الطبية وغيرها وكان ابداً عنده النساخ يكتبون ولهم ما يقوم بكفايتهم منه · قال ابن ابي أصيبعة وحدثني ابي ان رجلاً من العراق كان قد اتى الى الديار المصرية ليشتري كتباً ويتوجه بها وانه اجتمع مع افرائيم واتفق الحال فيما بينهما ان ابتاع افرائيم من الكتب التي عنده عشرة آلاف مجلد · وكان ذلك في ايام ولاية الافضل بن امير الجيوش فلما سمع بذلك اراد ان تبقى تلك الكتب في الديار المصرية ولا تنتقل الى موضع آخر فبعث الى افرائيم من عنده بجملة المال الذي كان قد اتفق ثمنه بين افرائيم والعراقي ونقلت الكتب الى خزانة الافضل وكتبت عليها القابه وخلف افرائيم من الكتب ما يزيد على عشرين الف مجلد · وكان للصاحب امين الدولة السامري همة عالية في جمع الكتب وتحصيلها قال ابن ابي اصيبعة: واقتنى كتباً كثيرة فاخرة في سائر العلوم وكانت النساخ ابداً يكتبون له حتى انه اراد مرة نسخة من تاريخ دمشق للحافظ بن عساكر وهو بالخط الدقيق ثمانون مجلداً فقال: هذا الكتاب الزمن يقصر ان يكتبه ناسخ واحد ففرقه على عشرة نساخ كل واحد منهم ثمان مجلدات فكتبوه في نحو سنتين وقد اجتمع عنده اكثر من عشرين الف مجلد وفي رواية انها بلغت مئة الف مجلد لا نظير لها في الجودة · ووقف موفق الدين ابي طاهر بساوة دار كتب · قال ابو بكر بن شاذان: وكان ممن اخذ عن الصولي وكان يتباهى كثيراً بالكتب وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الالوان كل صف من الكتب لون فصف احمر وصف اصفر وغير ذلك قال فكان الصولي يقول هذه الكتب كلها سماع وكان ابومنصور الخوافي كثير الرواية واكثر رواياته كتب الادب وكان قد جمع كتباً من كل جنس · وكانت لبني موسى بن شاكر همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل واتعبوا انفسهم في شأنها وانفذوا الى بلاد الروم من اخرجها لهم واحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاماكن البعيدة بالبذل السني فاظهروا عجائب الحكمة — قاله ابن خلكان

وكانت لموفق الدين بن المطران المتوفى سنة ٥٨٧ على ما في تاريخ الاطباء همة عالية في تحصيل الكتب حتى انه مات وفي خزائنه من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها . وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له ابداً ولهم منه الجامكية والجراية وكان من جملتهم جمال الدين المعروف بابن الجمالة وكان خطه منسوباً وكتب المطران ايضاً بخطه كتباً كثيرة وكان كثير المطالعة للكتب لا يفارق ذلك في اكثر اوقاته واكثر الكتب التي كانت عنده توجد وقد صححها واتقن تحريرها وعليها خطه بذلك وبلغ من كثرة اعتنائه بالكتب وغوايته فيها انه كتب لكثير من الكتب الصغار والمقالات المتفرقة في الطب وهي في الاكثر يوجد جماعة منها في مجلد واحد استنسخ كلاً منها بذاته في جزء صغير قطع نصف ثمن البغدادي بمسطرة واضحة وكتب بخطه ايضاً عدة منها واجتمع عنده من تلك الاجزاء الصغار مجلدات كثيرة جداً فكان ابداً لا يفارق في كمه مجلداً يطالعه على باب دار السلطان او اين توجه .

وكان للقاضي الفاضل من رجال صلاح الدين يوسف ولع بتحصيل الكتب ونعه بالكتابة قيل ان كتبه التي ملكها تكون مئة الف مجلد وليس هذا يبعيد على من كان له من صلاح الدين المكانة المعروفة فقد كان دخله ومغله على ما في كتب التاريخ نحو خمسين الف دينار سوى متاجر الهند والمغول وغيرهما . وكان جمال الدين بن القفطي الصعيدي وزير حلب المعروف بالقاضي الاكرم المتوفى سنة ٦٤٦ جماعاً للكتب جمع منها ما لا يوصف وكانوا يحملونها اليه من الآفاق وكانت مكتبته تساوي خمسين الف دينار ولم يكن يحب من الدنيا سواها وله حكايات غريبة من غرامه بالكتب ولم يخلف ولداً فاوصى بمكتبته لناصر الدولة صاحب حلب .

وكان ناصر الدين العسقلاني المتوفى سنة ٧٢٣ جماعاً للكتب خلف ثمان عشرة خزانة مملوءة كتباً نفيسة ادبية وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب وبقيت تبيع منها الى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان اذا لمس الكتاب وجسه قال: هذا الكتاب الفلاني وملكته في الوقت الفلاني وكان اذا اراد اي مجلد قام الى خزانته وتناوله كأنه الآن وضعه بيده قال ابن الكتبي: وكان يباشر الانشاء بمصر زماناً الى ان اضرّ لانه اصابه سهم في نوبة حمص الكبرى فعمي وبقي ملازماً بيته . وخلف ابو زكريا يحيى معين المري البغدادي الحافظ المشهور من الكتب مائة قطر واربع حباب ثلاثة (كذا) مملوءة كتباً وكان الامير ابن فاتك من افاضل اعيان مصر محباً لتحصيل العلوم وكانت له خزائن كتب فكان في اكثر اوقاته اذا

نزل من الركوب لا يفارقها وليس له دأب الا المطالعة والكتابة ويرى ان ذلك اهم ما عنده وكانت له زوجة كبيرة القدر ايضاً من ارباب الدولة فلما توفي نهضت هي وجوارٍ معها الى خزائن كتبه وفي قلبها من الكتب وانه كان يشتغل بها عنها فجعلت تندبه وفي اثناء ذلك رمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق اكثرها قال ابن ابي اصيبعة : فهذا سبب ان كتب المبشر ابن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال ·

وجمع الوزير الفاضل ابونصر المنازي كتباً كثيرة وقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد قال ابن خلكان وهي الى الآن موجودة بخزائن الجامعين ومعروفة بكتب المنازي · وكان الاستاذ ابوالفتوح برجوان من خدام العزيز صاحب مصر ومدبري دولته مولعاً بالكتب ولعه بالطرائف والاثاث والرياش والآلات وخلف منها مالا يحصى كثرة · واقتنى تاج الدين البغدادي اوحد عصره في فنون الآداب وعلو السماع من كتب خزائن مصر كل نفيس · وكان ابو موسى سليمان بن محمد الحامض النحوي المتوفى سنة ٣٠٥ صاحب الكتب الحسان في الادب اوصى بكتبه لابي فاتك المقتدري بخلاً بها الى ان تصير الى احد من اهل العلم · وذكر صاحب نفح الطيب ان جده كان غنياً جداً حتى ان المقري هذا لم يدرك من ثروة جده الا اثر نعمة اتخذ فصوله عيشاً واصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب · ومن جملة ذخائر قصر العاضد آخر ملوك العبيديين بمصر التي استولى عليها صلاح الدين يوسف خزانة كتب من الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة الف مجلد · وكان ابو سعد السمعاني صاحب كتاب الانساب يحصل الكتب · وكان ولد القاضي الفاضل الاشرف بهاء الدين مثابراً على تحصيل الكتب مثل والده · وكان في دار ابي المظفر بن معروف من افاضل مصر واطبائها مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه ولم يزل في معظم اوقاته في ذلك المجلس مشتغلا في الكتب والقراءة والنسخ قال في طبقات الاطباء : ومن اعجب شيء منه انه كان قد ملك الوفاً كثيرة من الكتب في كل فن وان جميع كتبه لا يوجد شيء منها الا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية كانت لابي المظفر وعليها اسمه وما منها شيء الا وعليه تعاليق مستحسنة وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب

قال الذهبي وسنة اثنتين ومائة مات الضحاك بن مزاحم الخراساني صاحب التفسير وكان علامة وكان مؤدباً عنده ثلاثة آلاف صبي (كذا) ومكتبة كالجامع كان يدور عليهم قلت : ومن العجيب وجود كتب في القرن الاول تكون من الكثرة بحيث صح ان تدعى مكتبة

وكان اسحق بن ابراهيم النديم الموسيقي المتوفى سنة ٢٣٥ كثير الكتب حتى قال ابو العباس ثعلب رأيت لاسحق الموصلي الف جزء من لغات العرب وكلها سماعه وما رأيت اللغة في منزل احد قط اكثر منها في منزل اسحق ثم منزل ابن الاعرابي . وكانت كتب الواقدي تملأ ستمائة صندوق ويقتضي حملها مئة وعشرين جملاً . وكان صاحب القاموس الفيروزابادي لا يسافر الا ومعه احمال من الكتب . وكتب ابن قيم الجوزية بخطه مالا يوصف وكان محباً للعلم ومطالعته وكتابته واقتناء كتبه واقتنى من الكتب ما لا يحصل لغيره . وكان عند محمد ابن سيد الناس كتب كبار وامهات جيدة وهو من الحفاظ والمحدثين ورأى ابن النديم صاحب الفهرست مكتبة ابن ابي بعرة من اهل مدينة الحديثة في الموصل وقال : انه لم ير لاحد مثلها . ومدح ياقوت الحموي مدينة مرو فقال : ولولا ما عرا من ورود التتر الى تلك البلاد واخرابها لما فارقتها الى الممات لما في اهلها من الرقة ولين الجانب وحسن العشرة وكثرة كتب الاصول المتقنة بها فاني فارقتها وفيها عشرة خزائن للوقف لم ار في الدنيا مثلها كثرة وجودة منها خزانتان في الجامع احداها يقال لها العزيزية وقفها رجل يقال له عزيز الدين ابو بكر عتيق الزنجاني اوعتيق بن ابى بكر وكان فقاعيا للسلطان سنجر وكان في اول امره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مرو ثم صار شرابيا له وكان ذا مكانة منه وكان فيها اثنا عشر الف مجلد او ما يقاربها والاخرى يقال لها الكمالية لا ادري الى من تنسب وبها خزانة شرف الملك المستوفي ابي سعد محمد بن منصور في مدرسته ومات المستوفي هذا في سنة ٤٩٤ وكان حنفي المذهب وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحاق في مدرسته وخزانتان للسمعانيين وخزانة اخرى في المدرسة العميدية وخزانة لمجد الملك احد الوزراء المتأخرين بها والخزانة الخاتونية في مدرستها والضميرية في خانكاه هناك وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد واكثره بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وانساني حبها كل بلد والهاني عن الاهل والولد واكثر فوائد هذا الكتاب (معجم البلدان) وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن .

وفي خطط مصر ومزاراتها للسخاوي ان المدرسة المحمودية بخط الموازينيين انشأها محمود الاستادار في سنة ٧٩٧ ورتب بها درساً للسادة الحنفية وللحديث النبوي وعمل بها خزانة كتب لم تحو خزانة مثل ما فيها من الكتب وهي كلها كتب قاضي القضاة ابراهيم بن جماعة . وكان الامام زين الدين ابوحفص عمر بن مسلم القرشي من علماء دمشق المتوفى سنة ٧٩٢ مولعاً بالكتب وملك من نفائسها شيئاً كثيراً حتى انه لما اعتقل هو وابنه بقلعة دمشق في دولة الظاهر برقوق رهن كثيراً من كتبه على المبلغ الذي طلب منهما . واولع الامام

المقري الواعظ المفسر الخطيب الصوفي شيخ العراق عزالدين ابوالعباس احمد الفاروقي الواسطي بالكتب كثيرًا قال ابن كثير : انه خلف الفي مجلد ومائتي مجلد وتوفي سنة ٦٩٤ واحب بدر الدين بن غانم احد كتاب الانشاء بدمشق الكتب وُعني بجمعها وخلف الفي مجلدة . ووقف فخر الدين الماردیني الفيلسوف سنة ٥٩٤ جميع كتبه في مدينة ماردين في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن ارتق الفيلسوف والكتب التي وقفها فخر الدين هي من اجود الكتب وهي نسخه التي كان قد قرأ اكثرها على مشايخه وحررها وقد بالغ في تصحيحها واتقانها . وحصل عمران الاسرائيلي الطبيب المتوفى سنة ٦٣٧ من الكتب الطبية وغيرها مالا يكاد يوجد عند غيره . وأُحصيت الكتب التي وجدت في خزانة نور الدين علي بن جابر فكانت نحو ستة آلاف مجلد . وبامثال هؤلاء راجت صناعة الوراقة والنسخ في البلاد الاسلامية رواج المطابع اليوم او اكثر حتى كان الوجيه بن صورة المتوفى سنة ٦٠٧ سمسارًا في الكتب بمصر « وله في ذلك حظ كبير وكان يجلس في دهليز داره لذلك ويجتمع عنده في يوم الاحد والاربعاء اعيان الرؤساء والفضلاء ويعرض عليهم الكتب التي تباع ولا يزالون عنده الى انقضاء وقت السوق فلما مات السلفي سار الى الاسكندرية ليبيع كتبه »

وبعد فقد أُولع اهل الاندلس بالتطريس على آثار المملكة الاسلامية الشرقية في علومهم وصناعاتهم وزراعتهم حتى كان لبعض العظماء منهم في كل عاصمة من عواصم العلم في الشرق نساخ متوفرون على نقل الكتب التي يؤلفها المشارقة ولا يصح ان تخلو منها مكاتب المغاربة فكان الاندلسيين كسائر الغربيين الاوربيين من الافرنج يولعون من الفطرة بالاخذ عن الشرق كليات الحضارة وجزئياتها . ونرى اليوم مثالاً من ذلك يشبه حال الاندلسيين مع سكان المشرق قديمًا فان اهل الغرب ما برحوا يتتبعون آثار السلف في الشرق على ارتقاء العلوم عندهم وايغالهم في مرامي المدنية .

ذكروا انه كان في الاندلس وحدها سبعون مكتبة عامة فيها مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة . قال ابن الخطيب كانت في سبتة خزانة كتب العلوم وكذلك في مكناسة الزيتون خزائن كتب . وكان الحكم بن الناصر المتوفى سنة ٣٦٦ جماعًا للكتب يبذل الاموال في استجلابها من الاقطار قال الذهبي : ولعل كتبه كانت تساوي اربعمائة الف دينار وقال لسان الدين بن الخطيب انه كان محبًا في العلم والعلماء مثيرًا للرجال من كل بلد جمع العلماء من كل قطر ولم يكن في بني امية اعظم همة ولا اجل منزلة في العلوم وغوامض الفنون منه قال ابن حزم: اخبرني تليد الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار مروان ان عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة

ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين لا غير . وقال ابن خلدون ان الحكم كان يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالاً من التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه قال جمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد فاوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من من قبله ولا من بعده الا ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستضيء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بيع اكثرها في حصار البربر وامر باخراجها وبيعها الحاجب واضح ونهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة . ونقل المقري ان الحكم جمع من الكتب مالا يحدولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل انها كانت اربعمائة الف مجلد وانهم لما نقلوها اقاموا ستة اشهر في نقلها قال : وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه ودق نظره وجمت استفادته وقلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في اي فن كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشأن . وكان ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أحد ملوك المصامدة شديد الولع بالعلم والادب طمح به شرف نفسه وعلو همته الى تعلم الفلسفة فجمع كثيراً من اجزائها وبدأ من ذلك بعلم الطب ثم تخطى ذلك الى ما هو اشرف منه من انواع الفلسفة وأمر بجمع كتبها فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الاموي قال صاحب المعجب : اخبرني ابو محمد عبد الملك الشذوني احد المتحققين بعلمي الطب واحكام النجوم قال : كنت ايام شبيبتي استعير كتب هذه الصناعة يعني صنعة الاحكام من رجل كان عندنا بمدينة اشبيلية اسمه يوسف يكنى ابا الحجاج يعرف بالمراني كانت عنده منها جملة كبيرة وقعت الى ابيه في الفتنة بالاندلس فكان يعيرني اياه في غرائر احمل غرارة واجيء بغرارة من كثرتها عنده فاخبرني في بعض الايام انه عدم تلك الكتب بجملتها فسألته عن السبب الموجب لذلك فاسرّ اليّ ان خبرها أنهي الى امير المؤمنين فارسل الى داري وانا في الديوان لا علم عندي بذلك وكان الذي ارسل كافور الخصي مع جماعة من العبيد الخاصة وامره ان لا يروّع احداً من اهل الدار وان لا يأخذ سوى الكتب وتوعده والذين معه اشد الوعيد ان نقص اهل البيت ابرة فما فوقها فأخبرت بذلك وانا في الديوان فظننته يريد استصفاء اموالي فركبت وما معي عقلي حتى اتيت منزلي فاذا الخصي كافور الحاجب واقف على الباب والكتب تخرج اليه فلما رآني وتبين ذعري قال لي لا بأس عليك واخبرني ان امير المؤمنين يسلم عليّ وانه ذكرني بخير ولم يزل يبسطني حتى زال ما في نفسي ثم قال لي : سل اهل بيتك هل راعهم احد او نقصهم شيئاً . جاء ابو المسك حتى استأذن علينا ثلاث مرات فاخلينا له الطريق

ودخل هو بنفسه الى خزانة الكتب فامر باخراجها فلما سمعت هذ القول منهم زال ما كان في نفسي من الروع وولوه بعد اخذهم لهذه الكتب منه ولاية ضخمة ما كان يحدث بها نفسه . ولم يزل يجمع الكتب من اقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصةاهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك قبله من ملوك المغرب . ولما تغلب السلطان يعقوب بن عبدالحق صاحب المغرب الاقصى على ملك قشتالة في اواخر المئة السابعة سأله ان يبعث اليه بكتب العلم التي بايدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملاً فامر السلطان بحملها الى فاس وتحبيسها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم . وكان احمد بن الرومية احد اعلام المحدثين المتوفى سنة ٦٣٧ وهو النباتي الذي وقف على ما لم يقف عليه غيره ممن تقدم في الملة الاسلامية حتى صار فرداً لايجاريه احد باجماع من اهل هذا الشأن - كثير الكتب جماعاً لها كما قال في الاحاطة وذلك في كل فن من فنون العلم وربما وهب منها المتمسه الاصل النفيس الذي يعز وجوده احتساباً واعانة على التعليم قال: وانتشرت عنه تصانيف ابي محمد بن حزم واستحسنها واظهرها واعتنى بها وانفق عليها اموالاً جمة حتى استوعبها جملة فلم يشذ له منها الا ما لا خطر له مقتدراً على ذلك بجدته ويساره . قال: ولما وصل الى المشرق لقي مئين من شيوخها فقفل برواية واسعة وجلب كتباً غريبة .

وذكر صاحب الاحاطة ان ذا الوزارتين ابي عبدالله اللخمي المتوفى سنة ٧٠٨ اكرم العلم والعلماء ولم تشغله السياسة عن النظر ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وافرط في اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها واثرت انديته من ذخائرها . قال ابن خاتمة: كان للشيخ ابي بكر الحكيم الرندي عناية بالرواية وولوع بالادب وصبابة باقتناء الكتب على جمع من امهاتها العتيقة واصولها الرائقة الانيقة ما لم يجمعه في تلك الاعصر سواه ولا ظفرت به يداه وكان اقتناء الكتب عند الاندلسيين من شارات الوجاهة وامارات الظرف وقد يجمع الغني ما شاء من كتب وقماطر وهو لا يعلم الفائدة المترتبة عليها وكان اهل قرطبة ارغب في مقتناها من اكثر البلاد الاندلسية . جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بن الفقيه ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما ادري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع آلاته حملت الى قرطبة وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته وكتبه حملت الى اشبيلية حتى تباع فيها قال ابوالفضل التيفاشي : وقرطبة اكثر بلاد الله كتباً . وروى المقري ان ذلك صار عندهم من آلات التعين والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة

يحتفل في ان تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس الا لان يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلاني ليس عند احد غيره والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به . قلت: وهذا الغلو يشبه لعهدنا غلو جماع الطوابع والعاديات والصور وممن كان جماعاً للكتب والدواوين العلمية بالاندلس احمد بن عباس الانصاري فكان معتنياً بها مغالياً بها نفاعاً بها من خصه لا يستخرج منها شيئاً لفرط بخله بها الا لسبيلها حتى لقد اثرى كثير من الوراقين والتجار معه فيها وجمع منها ما لم يكن عند ملك — قاله لسان الدين . وقال في ترجمة احمد بن الصغير الخزرجي من علماء الاندلس المتوفى سنة ٥٥٩ انه كان مولعاً بالاسفار كتب من دواوين العلم ودفاتره مالا يخفى كثرة بشدة ضبط وحسن خط وعد في جملة محنته ان ضاعت له في ذلك وفي غيره كتب كثيرة بخطه مما تجل عن القيمة . قال وكان احمد ابن ابراهيم من اهل الاندلس امتحن بان نشأ بينه و بين المتغلب بمالقة من الرؤساء وحشة فكبس منزله واستولت الايدي على ذخائر كتبه وفوائد تقييده عن شيوخه ما طالت له الحسرة وجلت له الرزية ولما سربت عنه النكبة كانت له الطائلة على عدوه والطائلة الحسنى بعد التياث امره والظفر بكثير من منتهب كتبه وتوفي سنة ٧٠٨

وكان ابو جعفر احمد بن الجواز من اهل القيروان عالماً وجد له خمسة وعشرون قنطاراً من كتب طبية وغيرها . وكان القاسم بن محمد الاشبيلي الامام الحافظ المحدث المؤرخ باذلاً لكتبه واجزائه و وقفها . وكان ابن نغرلة اليهودي كاتب باديس الصنهاجي احد رؤساء الاندلس جماعاً للكتب وكان ضليعاً في العلم كتب عنه وعن صاحبه بالعربي فيما احتاج اليه من فصول التحميد لله تعالى والصلاة على رسوله والتزكية لدين الاسلام .

وكان محمد بن حزم جماعاً للكتب . وكان ابو بكر محمد بن يحيى والد ابي زكريا الراوية من حفاظ النحو واللغة والشعر مولعاً بالكتب جمع منها شيئاً عظيماً .

وكان عبدالله محمد بن عبدالله السلمي المرسي احد ائمة العلم كتب في البلاد التي ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر اليه . وكان الوزير الكاتب ابوجعفر احمد بن عباس وزير زهير الصقلي ملك المرية من بلاد الاندلس جماعاً للدفاتر حتى بلغت اربعمائة الف مجلد واما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها . وكان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كثير الادب جم المعرفة محباً لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب ومعرفة — قاله ابن حيان . وقال ابن بسام : كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر ايضاً اسمه بالكتاب

المظفري في خمسين مجلداً يشتمل على فنون وعلوم من مغازي وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الادب ·

هذا ما ظفرنا فيه من اسماء غلاة الكتب في عصور الارتقاء في هذه الملة فليته يعود للشرق بعض هذه الهمة في اقتناء المفيد ·

نظام الشرب

للدكتور فيلكس رينول نشرت في «المجلة» الفرنسوية

لماذا نشرب

الماء ضروري للحياة · وقد ثبت ان بعض المخلوقات المنحطة كذوات الثديين تصبر على قلة الماء حتى اذا بُلت به تعود الى الحياة في الحال · وفي الواقع انها تموت بعد ان تترك بيوضاً ذات قشرة ثخينة تبقى في الجفاف وتنقف في الرطوبة · وترى الحيوانات المائية في البلاد الحارة عند ما يقلّ الماء تتخذ لنفسها وقاية من مادة ملتحمة ثم تخلد الى السبات · ففي بطائح السنيغامبيا التي تجف ثلاثة ارباع السنة سمك غريب « بروتو بتروس انيكتانس » متى اعوزه الماء ينغمس في قالب من الطين الملتحم الاجزاء وينام نوماً طويلاً · ولا يعيش الانسان في القفار وبلاد السهوب المعشبة الا بفضل بعض الينابيع القليلة · والحيوانات على اختلاف اجناسها تردها وهي تريد بلّ صداها ·

تحمل الحيوان على الشرب ضرورة دفع العطش والمرء وحده هو الذي يتوقع من الشرب لذائذ اخرى · فهو يتطلب اشربة تبعث شهوته للطعام فيختار لذلك في العادة من الادوية المفتحة ما يتألف من الالكحول ممزوجاً بنباتات مرة كنبات كف الذئب وغيره مما يوصي به الاطباء · يتطلب الاشربة التي تسهل الهضم · والمرق من اكثرها تأثيراً وتغذيته متوسطة ولكن ينشأ عنه ترشح غزير في الاخلاط فنكثر العصارة المعدية ولذلك جرت العادة ان يتناول في بدء الطعام · ويتطلب المرء ايضاً اشربة تسره وتطيب بها نفسه كالقهوة والشاي واللوز المندي والالكحول تحسن صوت القلب وتدفع التعب وتهيج الرأس ·

وفي بعض الامثال ان من يقتصرون على الماء تعروهم الكآبة · فاذا كان العامل يتعاطى الالكحول بعد معاطاة عمله الشاق فذلك لانه يريد ان يرى نضرة الحياة · والبحث

عن المبسرات من مبادىء اعمالنا . ثم ان المرء يتطلب اشربة تغذيه طبيعية كاللبن ومحضرة كالشوكولاتا ومخمرة كالالكحول . وقد تبين اليوم ان الالكحول مادة تدب منها الحرارة في اجسامنا ولكن الافراط في تناوله ملازم لاستعماله .

مدة بقاء الاشربة في المعدة

تقضي الحال بهضم الاشربة كما تهضم الاغذية ويقول الفسيولوجيون ان درجة هضم الطعام تختلف فهي تبع لمكثها في المعدة . وقد رأى بعض الباحثين باستعمالهم آلة الفونانذسكوب ان للمعد اطوارًا في هضم الشراب فاذا فرغت لا تستغني في العادة عن ان يكون فيها كمية قليلة من الشراب فمتى تناول المرء شرابًا يسقط الى المعدة في الحال على خلاف رأي الاقدمين ويمكث فيها زمنًا . ويرون ان المعدة تنقبض وتصعد وتستطيل مارة بالعرض ويرتفع معدل ما فيها حتى يبلغ فم المعدة وهكذا ينزح الشراب على طريقة لا تنقطع

اذا عرفت هذا فلك ان تقول ان الشراب الممزوج بالاطعمة يمر في فم المعدة قبل الطعام لقلة كثافته ويشغل الطبقة العالية منها . ويرى احد الباحثين من الالمان ان المعدة تهضم نصف لتر من الماء في نصف ساعة على حين يبقى اللحم فيها مدة ثلاث ساعات . واذا جرب البحث في الاشربة المختلفة يتجلى ان مقامها في المعدة يختلف كاختلاف الاطعمة في سرعة هضمها وعدمه وقد جرب الطبيبان بيانشي وكونت فعل الاشربة في انسان على الريق فاخذا يعطيانه نصف لتر من الماء فتمددت المعدة كالكيس وبعد ساعتين فرغ معظم الماء وعادت المعدة الى صورتها السالفة . ومدة بقاء الماء في المعدة تختلف باختلاف درجة حرارة الماء فاذا كانت حارة او باردة تهيج انقباض المعدة فتفرغ بسرعة واذا كانت فاترة تبطئ في انقباضها وينشأ عنها مقس (تحرك الى القيء) اما الماء المبرَّد الذي هو من درجة ١٢ الى ١٣ فانه من احسن المياه للشراب واذا اشتدت برودته يضعف المعدة ويفلجها وربما حدث عنه التهاب فيها .

وتتمدد المعدة بالاشربة الغازية مثل ماء سلتز مثلاً تمددًا كثيرًا وتتسع دائرتها ويطول زمن امتلائها فتجدها بعد ساعتين من تناول الماء وهي محتوية على كمية كبيرة منه . وعليه فالواجب اتقاء الاشربة الكثيرة الغازية كماء سلتز الصناعي الذي ينعش شهوة الطعام الضعيفة قليلاً ثم يحدث عنه في الحال كسل دائم في المعدة . وليس في الخمور المزبدة هذا العائق فان الالكحول الذي يحتوي عليه يقبض المعدة ثم ان مدمنيها يتعاطونها باردة جدا على درجة برودتها من ٨ او ١٠ درجات واحيانًا على معدل درجتين كما تشرب الشمبانيا المبردة . اما المرق فانه يحدث غازات فتتمدد المعدة ويطول امر تفريغها فاذا هاج المرق

ترشح عصارة المعدة فانه على العكس يبطئ الانقباضات المعدية . بمعنى انه يسكن شهوة الطعام على حين يظهر انه يغذي وليس في تغذيته كبير امر بل ان المرء يشعر بالجوع بعد تناوله سريعا وعليه فمن الواجب ان يتناول من المرق كمية قليلة كما يجب ان يكون قليل المائية يتناول على انه مسهل للهضم زائد في العصارة المعدية لا على انه غذاء .

اما الاشربة المغذية كاللبن والشكولاتا فانها تجري في المعدة فتتقلص بها مسرعة بعد ساعتين من هضمها ولا يعود فيها غير جزء ضعيف والاشربة الحارة والعطرة تبقى في المعدة اقل من جميع انواع الاشربة ونعني بالاشربة الحارة القهوة واللوز الهندي (كاكوا) والشاي والماتي (١) والاشربة الاخيرة اي القهوة والشاي واللوز الهندي والماتي نافعة للاعصاب بل انها ملينة لها وذلك ان المعد الكسلانة تحسن حالتها اذا استعملتها على ما اثبتته التجارب واعترف به العامة والخاصة في كل زمن .

في اي وقت يسوغ الشرب

لا يكفي بيان اي شراب ينبغي الاعتماد عليه بل ينبغي ان يعرف في اي وقت يناسب تعاطيه . لا جرم ان في العادة قاعدة لذلك . فاللبن والشكولاتا يتناولها الناس في الصباح والخمر مع الغذاء والقهوة بعد الطعام . واذا عرفت هذه القواعد فان السبب في بقائها مجهول على الجملة وذلك لاننا نخضع للعادات بدون ان نبحث عن سرها فالمرق او الحساء من المقبلات المعينة على الهضم وهو على جودته يمدد المعدة وهذه تصلح بالخمر الذي يقبضها فاذا لم تكف الخمور المألوفة في تنبيه المعدة الكسلانة فان القهوة التي تشرب بعد الطعام تقوم مقامها وذلك لانها تؤخذ على درجة ٤٥ من الحرارة . والاشخاص المصابون بضعف في اعصابهم يستعيضون عن القهوة بقدح من منقوع الاخوان اذا كانت القهوة تهيج معهم وذلك لان في الاخوان مواد عطرة وحرارتها نافعة كحرارة القهوة . قليل من الخمر على الطعام خير مما يأتيه المدمنون فانهم يتناولون منها في الصبوح والغبوق فيأخذون قدحا في الصباح على الريق ليبعثوا النشاط في اجسامهم ويتناولون المقبلات والمشهيات والالكحول طول النهار . هذه الاشربة اذا جمعت تهيج المخاط المعدي كما تهيج عروق الكبد فينشأ عنها وجع في المعدة ومرض في الكبد اما العارف باشكال الخمر فانه يحافظ على اصول الطبخ فيتيسر له ان يتناول كمية كبرى من الالكحول بدون ان يشعر بتأثيرات ضارة .

---

(١) الماتي غير مألوف في اوربا ولا في بلادنا وهو ورق يتناول منقوعاً وقدعم استعماله في اميركا الجنوبية وفيه مادة عطرية قلما عرفت وهكذا فان خاصية التهييج في الشاي الاخضر ترجع الى المادة العطرية التي فيه وليس فيه من مادة التيين ما في الشاي العادي

كيف ينبغي الشرب

لا تكفي معرفة الساعة التي يجدر بها الشرب بل ينبغي ايضاً ان تعرف طريقته . فكما ه ينبغي تناول الطعام بتأن ينبغي كذلك شرب الماء بتأن فالعارف بالشراب اذا ذاق قدحاً ن الخمر الجيد يشربه نغبة بعد نغبة ويضعه في فمه شيئاً فشيئاً ويترشفه ليدرك رائحته وتصل ، الحال ان يحسن ذوقه بحيث يعرف اصل ما يتناول من الخمر وحالته من القدم وهذه لمعرفة تبلغ ارقى درجاتها عند المتذوق .

فالسير على هذه الصفة التي من شأنها التلذذ مما يساعد على الهضم كثيراً وتأثر الاعصاب لذوقية يهيج ترشح الريق فيأتي الماء الى الفم ويحلل الشراب . وقد ابان الفسيولوجيون ان لمعدة وان كانت فارغة ترشح عصارة معدية بكثرة . وعند ما يصل اليها الشراب فان كان من لمغذيات يهضم بسرعة واذا كان من المهيجات كالالكحول يتحلل ولا يؤثر اصلاً في المخاط . من سوء الحظ ان قليلين من المتذوقين يحسنون معرفة طعم الاشربة وذلك لاننا جميعنا لا النادر منا نشرب كما نأكل بسرعة زائدة دون ان نفكر فيما نعمل حتى اذا أصبنا بسوء لهضم نسرع الى استشارة الطبيب وهذا لا يلبث ان يوصينا بالتأني ونحن لا نعمل بما يرسم لان الاقلاع عن العادات السيئة يصعب مباشرة والاجدر استعمال الملعقة او طاس ذي عنق طويل كالذي يستعمله المرضى او يستعمل النبيذ الذي يجفف عنبه على القش . ومعلوم ان لطريقة الاخيرة تستعمل في احتساء الاشربة المبردة والاحتياط في ذلك مطلوب واذا تناولها لمرء بسرعة تؤثر البرودة في المعدة وتحدث فيها اضطرابات تضر بها .

واصعب من ذلك المدمن الذي يتناول القدح دفعة واحدة فتنفتح المعدة وتقفل بسرعة كالآلة فلا يشعر المسكين الا بالحرارة التي تنشأ عن الالكحول فاذا جرى تناوله على هذه الصورة من السرعة ودخل على معدة فارغة من الطعام لا يحلله اللعاب فيدخل الى معدة جافة فيكون من ذلك ما يزيد في المضرة .

المدمن كالشره لا صواب في عمله فالاول مدخول في عقله والثاني شهواني . وارضاء شهوة اقل خطراً من الافراط . وتكفي الشره كمية قليلة من الطعام فاذا اكثر منه تضعف حواسه وينقطع والمجنون بالسكر هو ولا شك مصاب في عقله حقيقة لا يشبع مهما كرع واحسن الطرق في معالجة دائه ان يمنع من السكر على رغم انفه .

الاكثار من الاشربة

يشرب الناس كما يأكلون بسرعة بدون ان يتمهلوا في ذوق ما يتناولون وبعد ذلك يكثرون من العجلة في طعامهم وشرابهم وكلتاهما عادتان رديئتان متلازمتان . فيشرب

الشارب شرابه بدون شعور منه كلما رأى كأسه فرغ يملأوه حتى اذا استوفى حظه يكون قد ملأ معدته بشراب والقى الاضطراب في عقله بابخرة خفيفة من السكر · ومن اصعب الاشياء ان يلح عليك من دعاك الى تناول طعامه وشرابه بالاكثار فتضطر الى امتثال امره ادباً وما هو الا ان تنقلب الى اهلك مريضاً لكثرة ماشربت ·

ليست الاشربة الروحية ضارة فقط لما فيها فان التسمم بالالكحول بل بالقهوة بل بالشاي مشهور لدى الخاصة والعامة بل ان ضررها يكثر من تناول الكميات الوافرة منها حتى ان الماء العذب النقي اذا جرى تناوله بافراط يصبح ضاراً فيحل العصارة المعدية ويمنع الهضم ويتعب المعدة والطعام الكثير لا يستلزم اكثر من ثمانمائة غرام من الشراب ولكن الشريب لا يلبث ان يتناول ضعف هذا الوزن او ثلاثة اضعافه على ان قدحين من الشراب اي من ثلثمائة الى خمسمائة غرام تكفي في غذاء متوسط والمكثرون من تناول الجعة (البيرا) يصابون بتمدد المعدة وتضخم البطن وارتخاء البدن وتعب الكلى ويصابون بالزحير وانبساط القلب المفرط فالاكثار ضار على كل حال ·

الاشربة الشافية

اذا كان الافراط في تناول الاشربة قتالاً فان استعمالها في بعض الاحيان قد يشفي وكلامي هنا لا يتناول الادوية العديدة كالمياه المعدنية ومياه البزور والعرق وغيرها من الاشربة التي تجهز على صورة سوائل بل ان في الماء الصرف وحده مساعداً حسناً على التداوي · فقد قام في الازمان السالفة اطباء عالجوا الادواء بالماء واول من سن هذه الطريقة فلاح من اهل العقول الكبيرة اسمه بريسنيز اشتهر في اوائل القرن التاسع عشر بعد ان كان خاملاً في قرية صغيرة من سيلزيا من اعمال بروسيا وراح الناس من كل مكان يفزعون الى تعاطي التداوي بالماء للاستحمام او للشرب ومنذ ذلك العهد اكثر الاطباء من وصف التداوي بالماء · وكيفما كانت طريقة استعماله فان الماء اذا أخذ بكثرة يجلب الانحطاط والسميات ويكثر الاخلاط الضارة بالحياة على الكلى او الجلد · فمن الضروري ان يشرب الماء على الريق لينفع في غسل المعدة فان المصابين بضعف المجموع العصبي تجود صحتهم بتناول قدح من الماء البارد صباحاً عند القيام من النوم وينبغي اختيار ماء تقل فيه المعادن والا فتتعب الكلى · ولقد قام في عصر بريسنيز من ينافسه ويصف غير طريقته في نفس قريته التي نشأ فيها واخذ يحظر على الناس الشرب بينام في التعريق (العرق) والتعريق بزعمه يدوم من ست الى ثماني ساعات وكان يوعز بالاقلال من الطعام كثيراً وقد فاخر بان كثيرين شفوا على يده بهذه الطريقة ولكن الناس الذين يتحملون طريقته قلائل

اما الآن فقد لطفت طريقة الامتناع عن الشرب لان الطبيب يصف للمصاب بسوء الهضم الذي ثقل فيه العصارة المعدية ان يخفف من السوائل كما يصف ذلك لارباب المعد المصابة بالتمدد والمصابين بالضعف الذين يحاذرون الامتلاء والكظة . ولا سيما للشرهين ممن نرى حرمانهم من الاشربة يعدل شهواتهم للطعام بالقوة وفي تلك الحال يكفي تناول قدح في خلال الطعام ولكن ينبغي ان يمتنع عن الشراب ساعتين او ثلاثاً بعده وهكذا اصدق المأثور عن النبي محمد (عليه السلام) «الماء في خلال الطعام يعطي قوة»

المشروبات القتالة

ثبت الآن ان من الماء تنبعث الجراثيم الباثولوجية كالهواء الاصفر والحمى والتيفوئيد وغيرها وقلما يعرف الناس ان الماء ينقل بيوض جراثيم الاحشاء كما اوضح ذلك العالم متشنكوف حديثاً وكثيراً من الناس من يحملون في احشائهم جراثيم التيفوئيد بل والكوليرا ولا تضرُّ بهم . فالماء يحتوي على حلمات طفيلية بقدر ما يحتوي من الباشلس فاضافة شيء من الالكحول عليه في صورة خمر او غيره من الاشربة المخمرة لا تأثير له ولا نفع . اما تقطيره الذي طالما دعا اليه الاطباء فلا يؤثر الا اذا بولغ في التدقيق فيه وهو مما يصعب اتخاذه في المنازل حتى ان الماء اذا استقى من نبع يمكن ان يكون ضاراً اذا كان هناك تربة ترشح وفيها شقوق . واحسن الطرق في تناول افضل الماء سالماً من المضار ان يطال تعريضه للهواء والشمس فهما يقللان سمية الجراثيم ويقضيان عليها . وبذلك يفهم القارىء كيف ان اهل مدينتي كفرسان وانجر احداهما تشرب من نهر السين والثانية من نهر اللوار هم اقل اصابة بالحمى التيفوئيدية من غيرهما من المدن التي تستقي ماءها من الينابيع وذلك لان تينك المدينتين تشربان الماء بعد ان يمر على مرشحات متسعة من الرمل والفحم فيتعرض للهواء ويتصفى . اما من حيث الحلمات الطفيلية فان الهواء والنور لا يؤثران فيها . ويقول متشنكوف ينبغي غلي الماء للوقاية منه ولكن هذا الاحتياط يصعب اتخاذه اذ ان الناس اذا تناولوا طعامهم مطبوخاً وامكنهم الاستغناء عن البقول الفجة الا بغسلها بالماء المغلي واذا أكلت من الفواكه ما طبخ او كان قابلاً للتقشير ولم يؤخذ اللبن الا مغلياً فان استعمال الماء المغلي هو في العادة ثقيل تفه لا لذة فيه . نقول تفه لانه فقد حامض الكربونيك الذي يوليه الطعم وثقيل لانه زالت عنه مواده المعدنية . على انه يمكن على كل حال ان لا يغالى برداءة الماء المغلي وذلك بان يهوى بالتكرير ويحفظ في مكان رطب .

ويستعمل الجنس الاصفر (اليابانيون والصينيون) الشاي الخفيف في امصارهم لان الماء النقي من الشوائب يصعب ايجاده في بلادهم الكثيرة السكان ولكننا لا نرى استعماله

في بلادنا لان تأثير الشاي اذا أضيف الى تأثير الاشربة المخمرة والاكثار من اللحوم يضرنا اكثر مما ينفعنا . وانه ليطول العمل بهذه النصائح ولكنها تنفع ضعاف الاجسام ممن يريدون عود العافية عليهم كما تنفع صحاح الاجسام ممن يتعرضون لانتهاك القوى والضعف اذا استرسلوا بلا وازع صحي . وحفظ الصحة عدو اللذة .

سياحة العقل

لاتقبل الاجرام عدّا كلا ولا الابعاد حدّا
العقل يرجع خاسئاً عنها وان لم يأل جهدا
يرقى اليها موربا بالفكر في الظلماء زندا
متجهزًا بضياء انـ ظارٍ بها ان ضل يهدى
وقد استعدّ وكل سا ع يستعين بما استعدّا
فيسيح في ليلٍ به زهر النجوم بقدن وقدا
ويجوز اجوازًا لها متعسفاً فيكاد يردى
مهما ترقى صاعدًا الفى وراء البعد بعدا
يسمو وينفذ موغلا فيصدّه الاعياء صدّا

***

حكت المجرة صارما وحكت سحائبها فرندا
نفسي تود وكيف ام نع في نفسي ان تودّا
لو انها وجدت طريـ قا منه للشعرى يؤدّى
وتصعدت فتقلدت من انجم الجوزاء عقدا
وبكفها لمست من الا قرب السماء اللازوردا
خادعت نفسي حين لم ارَ من خداع النفس بدّا
اني اذا خالفتها كانت ليَ الخصمَ الالدّا
يانفس بعد الموت ذا لك كائن فاليك وعدا

***

والعقل يعلم من سيا حته التي اولته مجدا

ان المجرة لم تكن ... الاّ عوالم فقس عدّا
والسحب فيها الانجم ... هن الشموس بعدن جدا
متحركات في السما ... ء تخال ان لهن قصدا
متنقلات في فسـ ... ـيح فضائها عكساً وطردا
فلها مجاز في مجا ... هلها تسير به ومعدى
زُرقاً وحمراً زاهيا ... تٍ في مجاريها ورُبدا
متجاذبات لو تجا ... نف واحدٌ عنها لاودى

***

وهناك اجرام على ... كرّ الدهور جمدن بردا
ستعيد يوماً ما حرا ... رتها القديمة او اشدّا
وتمد ثانية اشعّـ ... ـتها الى الاطراف مدا
اني لاحسب ان هـ ... ـذا الكون حي سوف يردى
وكذاك احسب كل نجـ ... ـم جوهراً للكون فردا

***

والارض بنت الشمس تر ... ضع من حرارتها وتغذى
وتدور في اطرافها ... مشدودةً بالجذب شدا
فتطوف مثل فراشة ... لاقت بجنح الليل وقدا
وبدور محورها توجّـ ... ـه نحو نور الشمس خدّا
لولا دليل الجذب ما ... ملكت بهذا السعي رشدا
ولأ بعدت عن امها ... فمضت وما الفت مَرَدّا
بل تاه جامد جرمها ... او صادمت في السير ضدا
فهناك يهلك اهلها ... وتكون للسكان لحدا
ويلي لها ان صادمت ... جرماً من الاجرام صلدا

***

لهفي على الشبان تخـ ... ـمد منهم الانفاس خمدا
وعلى الحسان الكاعبا ... ت عرضن كالرمان نهدا
والورد خدّاً والظبي ... عيناً وخوط البان قدّا
تردى واكبر في نفو ... س العاشقين بذاك فقدا

فتموت سلمى في الشبا ب وزينب وتموت سعدى
وعلى الرجال الذائدي ن عن الرعية من تعدى
كشفت بهم غماؤها واحيل بؤس العيش رغدا
هم البسوا الاقوام اذ فسدوا من الاصلاح بردا
وبنوا بفضل الذبّ بي ن الظلم والضعفاء سدا
مثل السيوف المصلتا ت لهم تكون الارض غمدا
وعلى الفلاسفة الأُلى كشفوا من الاسرار عدا
وعلى الرجال الماحصي ن العلم تحقيقا ونقدا
ويلي له من حادثٍ يستنفد الاعمار حصدا
ان لم يمت في يومه الا نسان فهو يموت بعدا
ما الموت الاّ منهلٌ تأتمه وفداً فوفدا
قد مرّ للمتنعمي ن وطاب للبؤساء وردا
حمداً لك اللهم في الـ سرّاء والضرّاء حمدا

***

ماذا تكون الارض بعـ د صِلائها اتعود تهدا
اتجد بعد خرابها الـ مظنون للعمران عهدا
ألما اذا بلغت نها ية دورها المسعود مبدا
اني لآمل ان تعيـ د قوى الحياة وتستردا
وتعيش حيواناً بها وتكون للانسان مهدا
وتعيد آباء كما كانوا بها وتعيد ولدا
الارض بالانسان تكـ سب بهجةً وتنال سعدا
يا ارض لولا سعيه لم تدركي يا ارض مجدا
هو ذلك السر الذي افشاه مبدعه وابدى
لا تحتقره لكونه في زعمهم قد كان قردا
فلقد تقدم في الكما ل وبالفضائل قد تردى

بغداد

ج ...

تهذيب الفرد في المجتمع الانساني

معربة من كتاب علم الاجتماع لهربرت سبنسر

(١)

تهذيب الفرد لفظ يراد منه معاونته على التذرع بالذرائع التي تؤهله الى حياة تامة في هذا الوجود . والتهذيب من حيث هو يشتمل على امرين احدهما ان يكسب الفرد شيئاً من العلم ثم يصحبه بشيء من العمل وكلاهما نافع . بل هما من الامور التي يترتب عليها قوام معاش الفرد والاسرة والامر الآخر يتضمن ترقي القوى المودعة في الفرد على اختلاف انواعها وهذا الترقي يمكن تلك القوى من نيل اللذائذ التي تهديها طبيعة الوجود والبشر الى نفوس تقبلها وتستطيع ان تستمتع بها .

النوع الاول تحث عليه الاخلاق وتوجبه لان به يحصل التلاؤم بين الفرد ومحيطه ويصبح خليقاً بالوجود . ولما كان لهذا النوع علاقة بالحياة كان الحصول عليه من واجبات الفرد نحو نفسه ثم نحو المجتمع . واصحاب العمل اليدوي لا ندحة لهم عن احراز هذا النوع من التهذيب لان به معاشهم ولاغنى عنه لكل فرد من البشر اللهم الا لمن انتقل اليه شيء من الرزق بالارث فيمكنه ان يعيش به . اما سائر الافراد فانهم اذا اغفلوه ولم يتعنوا له يتعذر عليهم مناصبة الطوارىء الطبيعية التي تقضي بنسخ الضعيف ليقوم مقامه الاقوى . وينتج من هذا ان الفرد الذي لا يكون متأهباً التأهب التام بهذا التهذيب يصبح كلاً على كاهل سائر الناس هو واسرته و ولده فاذا هم ابوا تقديم الضرورات له ولنسله فلا يتخلصون من قلق وسآمة ينالانهم عند مشاهدة عجزهم وألمهم . وهو بلية على البشرية مصدرها اولئك الذين عاثوا في الارض فساداً و بخسوا التهذيب حقه وخلطوا فيه اذ وهموا فيما يتقاضونه فاطلقوه على معلومات ربما حملت في مطاويها ضرراً اكثر من نفع و ربما كانت وسيلة لاكثار القاعدين الذين لا طاقة لهم بهذا الوجود . هؤلاء باسم العلم والتهذيب ينقلون مناكب البشر و يكلفونهم بتقديم القوت وسائر الحاجات . يتسمون بسمات لو نزعتها عنهم لرأيت تحتها العجب العجاب .

اما النوع الثاني فليس له نهج خاص ولا يجب ان ينحى في طلبه طرق معلومة والاولى ان تترك القوى وشأنها فلا يكون الواجب مسيطراً عليها ودليلها الطبيعة والسليقة وهما تسوقان الفرد الى معرفة اللذائذ التي هو اهل ان يتمتع نفسه بها والتي اذا تغاضى عنها ولم يبال بها كان

ذلك باعثاً على انتقاص سروره وزيادة ألمه · ان اهل الزهد يتخلون عن البشر ويعمدون الى مسخ جسومهم وتعذيب ابدانهم ويحظرون على اتباعهم اية ملذة كانت وينفرون من كل ما يطلق عليه هذا اللفظ على ان تعظيم العامة لهم ومجرَّد ذهابهم الى ان العناية الغيبية راضية عنهم فيه من اللذة ما فيه هذا مع انه لا دليل لهم على قهر انفسهم وكراهتهم للذة · وغلوّهم في الزهد حدا بفرقة الكوكر (Quakers) ان يندِّدوا بهم ويخطّئوهم · وقد رأينا طائفة من الفلاسفة مذهبهم ان السعادة هي اسمى فضيلة وفلسفتهم تدعى الهدونية (Hedonism) فهؤلاء يحرضون على ترقية المدارك والعواطف وتمرينها على معالجة المحسوسات بحيث تصبح خليقة ان تكسب منها كل ما من شأنه جرّ سرور لصاحبها او رفع ألم عنه وعلى التمادي تصل به الى السعادة المنشودة وكله استعداد لحياة تامة وهذا مما يقتضيه التهذيب على ما مرَّ بك وتحث عليه الاخلاق ·

(٢)

ترى مما تقدم اننا وصفنا التهذيب وصفاً عاماً ونتوخى الآن ان نورد لمعاً عن فروعه المتفاوتة ومآخذه المتعددة · فمن جملة هذه الفروع التهذيب العملي وهو اعظمها خطراً على ان الناس لا يقدرونه حق قدره وقد كاد يهمل امره في كثير من معاهد الطلب وتلافى هذا الخطر اهل النظر فقاموا يشدون أزره وسعوا بادخاله في لوائح المدارس · على ان المنافع التي تنجم عن التمرين العملي والمهارة اليدوية تجلى لمن توقف معاشه عليهما وانحصرت مصادر ضرورات حياته فيهما على انه لا يسع من كانوا في غنى عنهما لما توفر لهم من دواعي الثروة واسباب الدعة الا الاقرار بالنفع الذي يتأتى من التحصن بهما

ولا نزاع في ان هذا التهذيب يأتي بمرافق خطيرة لمن ينصرفون الى الاشتغال بالصنائع وسائر الاعمال البدنية على انه لا ينبغي ان يعنى به كثيراً في تربية الطلبة الذين عقدوا النية على معاطاة الصنائع في المستقبل لان هؤلاء يتيسر لهم فرص لاتمامه وحسبهم التمرن على شيء طفيف منه · اما الطلبة الذين يتوخون ولوج الدوائر العليا من المجتمع كوظائف الحكومة وسائر الاعمال العقلية فيجب ان تربى فيهم المهارة الفنية والقوى المدركة على السواء لان محيطهم المنتظر لا يمكنهم من الرياضة العضلية وانهماكهم بمعضلات المسائل يذيبهم الواجب عليهم لابدانهم ·

ثم ان الفرد الذي يهذب عقله و بدنه يكون اقل عرضة لعوامل الوجود وعوارض الطبيعة من مشوّه الجسم وان دهمته نكبة او بغتته حادثة فهو اقدر على درء ضررها عنه وقد يكون عوناً لاخوانه في كثير من الاحايين بيد ان الضعيف من البشر يعرضه ضعفه الى الوقوع

في حبائل النوائب وقد يؤدي به الى الهلكة ان لم يغثه قريبه المقتدر فترى من هذا ان مشاعر الفرد واعضاء بدنه لها غاية واحدة وهي المناسبة والمطابقة بين افعال الفرد وبين الاشياء والحركات التي تتناولها افعاله فوجب اذاً على البشران يربوا مداركهم وجسومهم على السواء لتكون خليقة بافعال ذات شأن حتى يكمل التناسب بين الفرد والمحيط .

ان في الطرائق التي تتخذ الآن في تربية الطلبة نقصاً محسوساً . وما اسخف تربية تلقن برمتها بمثائل تلقى على الطالب ليعيها في حافظته فالعلم معلى شأنه والعمل مهمل امره ولا يسوغ الشطط في وجوه التهذيب فالتمرين العملي واجب وينبغي ان ينظر فيه الى الغاية التي ينشدها الفرد ويريدها ان تكون أساً لحياته ثم هو يتروى في فوائد التمرين ويأخذ منه قدراً ينفعه في ادراك غايته ويهمل مالا يجديه اما المنافع التي تكون من تهذيب القوى بأسرها فمما لامراء فيه وهي تظهر في كل عمل من اعمال البشر .

(٣)

التهذيب العقلي هو الفرع الثاني من تهذيب الفرد ولعله ينطبق في مأخذه على الفرع الاول فكما ان في التهذيب العملي رياضة لاعضاء بصور تعدها لمعالجة الاشياء مباشرة فهكذا التهذيب العقلي يوجب تمرين العقل وتجهيزه للمطابقة بينه وبين الاشياء ومعالجته اياها بواسطة الاعضاء . على ان التهذيب العقلي باعلى صوره هو فوق طاقة العامة فيكاد يخفى عليهم ان ثمة علاقة بينه وبين الحياة العملية وان بينهما مطابقة وانه نافع للبشر في تحصيل معايشهم وما ذلك الا لضعف نظرهم في الامور وجهلهم بطبائع الاحوال . فقد نسوا ان العود الذي يرفع به ثقل وان الدولاب والجذع اللذين يستخدمان في باخرة ماهي كلها تطبيق لمبادىء العلم في نظريات المخل . نسوا ان تثقيف النبال يقتضي علماً ببعض مبادىء القوة والحركة في العلم الطبيعي . وانا نحن نتدرج من هذه المبادىء البسيطة في العلم ثم نتطرق الى نتائج رياضية وفلكية وان العلم نفسه نشأ نشوءاً وما زال يترقى حتى بلغ حاله المعهودة الآن وان المعارف المشوشة التي ابتدأ العلم بها قد كانت للبشر اساساً لاكتشاف العلم المنظم والنافع للفرد وبدونه لا يقوى على الحياة . الا ترى ان المعارف العالية في الفلك وسائر الرياضيات هي دليلنا الامين في المعامل ومكاتب اهل العمل التجاري وفي تسيير السفائن والبواخر . وان علم الحكمة والكيمياء ليس لنا عنهما غنى في التجارب العملية والتحليل المادي وعلى الجملة فالتهذيب العقلي يوجب ترقية قوة الفرد ومواهبه وبذلك يؤثر في محيطه ثم يستعد لان ينفع نفسه ويحيا حياة تامة . ولما كان التهذيب العقلي وسيلة لمعرفة طبائع الاشياء وجب توسيع نطاقه معما امكن فلا يجوز للفرد ان يتخذ جزءاً منه ويغفل اجزاء ولعل هذا

من نقائص الاساليب الحاضرة في تعلم الصنائع . فان العلم ببضعة من المظاهر الطبيعية مع جهل سائرها قد يؤدي الى سقطات فادحة في ابداء الاحكام في احوال الموجودات وقد يتعذر بقاؤه في الذاكرة .

ثم ان لكل شيء وكل عمل في هذا الوجود روابط تربطه الى ظواهر الكون على تباين صنوفها فمنها ما هو رياضي ومنها ما هو طبيعي ومنها ما هو كيماوي ومنها ما هو حيوي وهذه الظواهر جميعها مشتبكة بعضها ببعض حتى ان العلم التام بجملة منها يقتضي العلم بمبادىء بقيتها . وقد يستغرب بعضهم من الحث على توسيع التهذيب العقلي الى هذا الحد ويجيل لم ان ذلك لا ضرورة تدعو اليه على ان تعميم التهذيب على هذا الاسلوب يمكن الفرد من ادراك حقائق كل علم على حدته دع عنك ما فيه من ادراك النتائج الاصلية التي تتفرع عن هذه الحقائق ولا يجب عليه ان يبحث عن تشعباتها ونسبها وتفاصيلها فليس ذلك من شأنها وبعد ان يقف على مبادىء العلوم باسرها يصبح ذا المام بمظاهر الكون جميعها واذذاك يكون قد استعد استعداداً تاماً للاخصاء فيصرف نفسه الى جملة من ظواهر الطبيعة و بممدالى درسها واتقانها .

نرى من هذا ان الاجتماع نفسه يحث على التهذيب العقلي من وجه مضمن لانه كما عظم شأنه سهل امر معاش الفرد والأسرة . وبالجملة استدر المجتمع النفع العام . وهنالك وجه آخر ظاهر يؤيد التهذيب العقلي على انه ليس له علاقة بالحياة العملية وهو مستقل عنها كل الاستقلال وهاك ما نقصد على سبيل الايضاح : — اكثر البشر لا يدركون عظمة الكون وذلك لقلة مادة العلم وكساد بضاعة التهذيب بينهم فالخادم وصاحب الحانوت وحامل العلم والادب جميع هؤلاء لا يدركون عظمة ما في هذا الوجود من حي وجماد ولا يدركون ما يستطيع ادراكه ناس انقطعوا الى درس حركات الطبيعة وظواهرها . هؤلاء يقدرون ان يبحثوا في دقائق الطبيعة و يسرحوا مخيلتهم في الكون بعد ان يكونوا قد اقصوا عن عقولهم المباحث والخواطر التي تتعلق بالحياة العملية . تصوَّر ردهة مزدانة حوائطها بانواع الزين وقد دخلت اليها في جنح الدجى ولم يكن فيها الا شمعة منارة موضوعة بقرب زاوية في الحائط . فبان لك شيء من الزينة والنقوش وخفيت عنك اشياء وبينا انت في هذا الحال أنيرت مئة قنديل كهربائي فازالت من الردهة رداء الظلام الحالك ومثلتها لعينيك بما فيها من الزين والنقوش . هذا مثال ينطبق على ظواهر الكون كل الانطباق فالعلم يعلي شأن الحياة العقلية وكلما كان تهذيب الفرد اتم كان نظره في الكون اوسع .

فينتج من هذا ان درس نظام المظاهر الطبيعية يوجد في الفرد علماً عاماً باحوالها على

انه يؤدي به الى حدود يقف عندها العقل البشري في دهشة و يتقاصر عن تجاوزها كل بحث وعبروا عنها بقولهم ماوراء الطبيعة . وهذا الدرس يمكننا من ادراك العلاقة بين الفرد واسرار الوجود ويخولنا ان نشارك الطبيعة ونتمتع بما تفيضه علينا من سوابغ النعم وعظيم اللذائذ .

(٤)

اما العلم الذي يجب على الفرد ان يتطلبه فعلم الاجتماع وهذا يتضمن الاطلاع على التاريخ ولاسيما ما كان يبحث منه عن الوطن وما له علاقة به و ينبغي تتبع آثار الامم والرجوع بها القهقرى الى ما قبل انبلاج فجر حضارتها والبحث عن آثارها في إبان بداوتها لان هذا البحث هو المصدر الذي نشأت منه الحقائق الاجتماعية المتفرقة وهو مهمل في دوائر التربية الحاضرة . ثم انه يجب الوقوف على احوال الامم المشرقية لان ذلك يقتضيه علم العمران ويوجبه . ودرس التاريخ يجب ان يتناول بالا كثر احوال الامة وكل ما ليس له علاقة بالاشخاص على انه لايجوز اغفال سيرة الرجال بتاتاً ولايجب ان يبخس حقه . غير ان المؤرخين افرطوا في الاهتمام به حتى انهم حصروا علم التاريخ بتراجم العظماء . وما زال الاغمار في كل عصر يؤيدون هذا الرأي . وقد صرّح كارليل ان علم التاريخ كناية عن تدوين حوادث قام بها الملوك مضافاً اليه ترجمة حالهم والناس الآن يميلون الى الاطلاع على تواريخ الرجال الغابرين كما يرغبون في الاطلاع على احوال المعاصرين . والغرض من درس التاريخ هو الاطلاع على نواميس النشوء الاجتماعي وهذا لا يتيسر بالوقوف على ترجمة حال الملوك والوزراء والبابوات والقواد ولا بالعلم بما شنوه من الغارات او قاموا به من المحاصرات او احدثوه من المؤامرات وابرموه من المحالفات والمعاهدات .

ثم انك اذا تدبرت الطرق التي ترقى بها المجتمع ترى ان رقيه كان بادىء ذي بدء في تقسيم الاعمال وتوزيعها على الافراد وكثيراً ما احدث التقدم بدون رضى الحكام . هذا يدلك على ان النشوء العمراني يجري مجراه فيكيف المجتمع وينوعه غير مبال بالعوائق التي يحاول الكبراء صده بها . ويليق بنا ان نعلم شيئاً من الاعمال التي قام بها بعض الملوك ونطلع على اخلاقهم لما في ذلك من النفع لنا في ادراك مشاهد النشوء التي حدثت في زمانهم والتي ان هي فصلت عن حوادثها وعن اشخاص كان لهم علاقة بها تعذر ادراكها حق الادراك . ثم ان المعرفة المتوسطة من هذا العلم تعيننا على ادراك الطبع البشري وتقف بنا على بقاع نشرف منه على ما بلغه الانسان عند طرفين متناقضين وهما الضير والخير فمن البشر من يسعى الى دمار العمران وخرابه ومنهم من يسعى الى اعلاء شأنه وتوسيع نطاقه .

اما علم الادب فلا ريب ان له شأناً عظيماً في تهذيب الفرد واعداده لحياة تامة ولا يجب مع هذا ان يخص بوقت طويل لاسيما في تهذيب الراشدين واعني بهم من بلغوا من العمر ما يناهز العشرين وذلك لان البشر عموماً يرغبون العمل في امور تلذهم ويستسهلون معاطاتها . فالتاريخ المتعارف والشعر والروايات وتراجم العظماء طالما عُني بها كثيرون وانصبوا عليها وانصرفوا اليها اما العلم الذي يبحث عن الطبيعة وظواهر الكون فليس للبشر ميل اليه ولذا وجبت العناية به اكثر من الادبيات . على ان للادبيات قدراً عظيماً عند اصحاب الهدونية (Hedonism) يتخذونها من وسائل بلوغ السعادة لان عليها تترتب البلاغة في الحديث والطلاقة في اللسان ومنها تكتسب العبارة جزالة ورقة وبها تتولد اللذائذ العقلية وتنصبغ المشاريع الاجتماعية ولولاه لكان الحديث كناية عن الفاظ يتفاهمون بها وهي خلو من الحياة كالجسم اذا فقد الروح .

(٥)

بيد ان البشر يتطرفون جداً في متابعة تهذيب الفرد فمنهم من يفرّط فيه ويغفله بتاتاً فيخسر فوائده جهلاً . ومن سلك هذا المسلك هم السواد الاعظم من البشر ومنهم من يفرط فيه كأن ينصرف بكليته اليه فيؤدي به هذا الافراط الى اضرار ربما كانت مهلكة .

قال اميرسون: ان من شرائط التهذيب الاولية ان يكون الفرد حيواناً قوياً وهو قول ينطبق على افراد البشر بدون تفرقة . فالحياة التي تزري بالوجه الحيواني من الفرد ليست حياة . وان كان يعذر صاحبها في بعض الاحوال فانه ملوم على وجه العموم . ولو تقصينا احوال البشر ومعارفهم لظهر لنا انه لا يمكن انفصال العقل عن الحياة ولا انفصال الحياة عن الاجسام ونتبين انه لا يمكن ان يحيا الفرد حياة تامة الا اذا كان قويّ البنية شديد العضل وان الاعتداء على شرائع الصحة الطبيعية يؤدي بالفرد الى مضار طبيعية ويجلب مع الزمن مضار تشوش العقل وتضعضع احواله . ثم انه لا ينبغي للفرد ان ينصرف الى التهذيب الاعلى الا بعد ان يكون عرف انه اكمل الواجب عليه من سائر مطالب الحياة ولا يجب ان يكون تهذيبه عقبة امام نشوء الجسم ولا ان يتوخى منه التمرين على الحركات القانونية التي تتضمن الالعاب اليدوية فان هذه لا تنفع في الحياة الا قليلاً . ومن الخطإ الفادح الاهتمام المفرط بالتهذيب بحيث تنتهي الحال بالانسان ان ينصرف به عن سائر اللذائذ الطبيعية وقد يولد فيه هذا الافراط سآمة تناله في نفس الموضوعات والاشياء التي اخذ النفس بها ولعل هذا الكره متأتٍ عن الضغط الشديد على النفس واكراهها على سلوك مسلك مذموم . وان الافراط في تهذيب النساء تهذيباً عالياً مذموم في ذاته لما يجلب عليهن من الاضرار

الجسيمة قال بعضهم : ان جامعتي غرتون (Girton) ونيهم (Newnham) في كمبردج (Cambredge) ليستا على صواب في تهذيب البنات لانهما متطرفتان والتهذيب الذي تستعملانه مناف للصحة الجيدة · وهو قول حق اذا أُخذ على بابه · على ان قائليه يخلطون في فهم معنى « الصحة الجيدة » ويعنون بها سلامة الجسم من التوعك والانحراف الظاهرين · اما نحن فنريد منها ان يكون الفرد ذا مزاج قوي وان يكون فيه نشاط في الحركة · فترى ان القول المار ذكره صحيح وان كان فكره مغلوطاً فيه · وان هناك بوناً شاسعاً بين معاني الصحة فالناس ينظرون الى الظواهر

ومن الغريب ان كثيراً من النساء يخدعن بظواهرهن فيظن الناظر اليهن انهن ممتعات بصحة جيدة غير انهن في الحقيقة غير خليقات بانشاء نسل صالح لحفظ النوع ذلك ان في المرأة فضلة من الكريات الحيوية ليست في الرجل خلقت لانشاء النوع البشري فاذا أُرهقت الاعضاء بالاهمال والافراط في التهذيب الاعلى كان ذلك باعثاً على نقصان تلك الفضلة وقد تبقى المرأة قادرة على التوليد لبقاء ما يقتضيه في بدنها من القوة الحيوية فلا يشعر بذلك النقصان · ثم انه تتلف من الجسم مقادير عظيمة من الكريات في اعمال اخرى غير اعمال التوليد كالحركات اللازمة للحياة العملية وما يندثر من الدماغ عند اعمال الفكرة واعمال الروية وانفعال المتأثر به وما شاكل من الاتلاف الحيوي الذي يؤثر على التمادي في كريات التوليد فيضعفها · فترى من هذا ان قوة التوليد في المرأة تضعف على نسب متفاوتة فطوراً تضمحل فلا تستطيع المرأة الولادة وتارة تولد ولكنها لا تستطيع الارضاع وفي بعض الاحوال تتأتى اضرار لا اقدر ان اصرح بها · ومن العواقب السيئة التي تنجم عن الافراط في تهذيب النساء وقوع النفرة والتباعد بين الزوجين وهو من النتائج الدقيقة التي لا تظهر الا لاصحاب التروي ·

ولو هذبت لوائح المدارس عندنا (انكلترا) بطرق مطابقة للعقل لتأتى للنساء التهذيب الضروري لهن وتخلصن من مضار التربية الحاضرة · يجب ان يلغى منها كل ما يعبث بها من المضار ويبقى كل نافع · ولا يمنع ولاة الامور من الغاء الطرائق الحاضرة الا زعمهم انها موافقة لمقصود التربية ·

على ان التربية باسمى معانيها تقتضي الحصول على شيء من العلم ضروري لكيان البشر نافع لانارة الاذهان وتوسيع العقول مقصود به اعداد الفرد لحياة كاملة وما تجاوز ذلك كان فيه غلو عقيم او افراط سقيم ·

(٦)

سبق لنا في هذه المقالة ان الاخلاق توجب تهذيب الفرد وتحث عليه وهناك موجبات

عمرانية فمنها ما هو غيري ومنها ما هو اناني . اما الانانية فهي تحتم على الفرد ان يتحلى بالتهذيب العقلي لان به تترقى قواه ويطيب له المعاش وان هو اغفله وجهله كان اشبه بالحيوان منه بمخلوق عاقل . والغيرية تتقاضى الفرد ان يبذل من قواه شيئاً في سبيل سرور غيره فان لم يكن مهذباً يستحيل عليه نفع المجتمع الانساني .

وافضل انواع التهذيب هو التهذيب الفني واعني به درس الفنون الجميلة كالموسيقى والتصوير والشعر ولا يجب ان يتوخى فيه فقط النفع الشخصي والسعادة الذاتية وانما ينبغي ايضاً ان يعنى به لانه يهيء الفرد لنفع محيطه وهذا هو الموجب الغيري . على ان للوجه الاناني شأناً عظيماً في هذا التهذيب لان الفرد الذي يتعلم الموسيقى وسائر الفنون ينال من اللذة ما يتعذر استمتاع غيره بها ممن ليس على شيء من العلم بها .

الا ان الافراط في التهذيب الفني ليفضي بصاحبه الى اضرار شأن الافراط في سائر انواع التهذيب العقلي ولذلك وجب الاعتدال لان التطرف فيه يذهب الوقت و يضيع العمر سدى . واقبح المضار التي تنجم عنه مشاهدة في النساء اللواتي انصرفن الى الفنون الجميلة واغفلن سائر الاعمال . ومع ان الاخلاق تحث على التهذيب الفني فهي تشدد النكير على الافراط فيه ولا ترضى عن اساليبه في هذا العصر . وما احسن البحث في الرذائل التي انبعثت عن الغلو في حب الموسيقى فان ذلك يظهر كل الظهور ان المغالاة سوس ينخر عظام الامم حتى ينتهي بها الى العدم .

القاهرة خليل الخوري

المطلقة

بدت كالشمس يحضنها الغروب	فتاة راع نضرتها الشحوب
منزهة عن الفحشاء خود	من الخفرات آنسة عروب
نوارٌ تستجد بها المعالي	وتبلى دون عفتها العيوب
صفا ماء الشباب بوجنتيها	تحامت حول رونقه القلوب
ولكن الشوائب ادركته	فعاد وصفوه كدر مشوب
ذوى منها الجمال الغض وجداً	وكاد يجف ناعمه الرطيب
اصابت من شبيبتها الليالي	ولم يدرك ذوائبها المشيب

وقد خلب العقول لها جبين تلوح على اسرّته الكروب
الا ان الجمال اذا علاه نقاب الحزن منظره عجيب

***

حليلة طيب الاعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب
رعى ورعت فلم تر قط منه ولم ير قط منها ما يريب
توثق حبل ودهما حضوراً ولم ينكث توثقه المغيب
فغاضب زوجها الخلطاء يوماً بامر للخلاف به نشوب
فاقسم بالطلاق لهم يميناً وتلك أليـة خطأ وحوب
وطلقها على جهل ثلاثاً كذلك يجهل الرجل الغضوب
وافتى بالطلاق طلاق بت ذوو فتيا تعصبهم عصيب
فبانت عنه لم تأت الدنايا ولم يعلق بها الذام المعيب

***

فظلت وهي باكية تنادي بصوت منه ترتجف القلوب
لماذا يانجيب صرمت حبلي وهل اذنبت عندك يانجيب
ومالك قد جفوت جفاء قالٍ وصرت اذا دعوتك لا تجيب
ابن ذنبي اليّ فدتك نفسي فاني عنه بعدئذٍ اتوب
اما عاهدتني بالله ان لا يفرّق بيننا الاّ شعوب
لئن فارقتني وصددت عني فقلبي لا يفارقه الوجيب
وما ادماء ترتع حول روضٍ ويرتع خلفها رشأ ربيب
فما لفتت اليه الجيد حتى تخطفه بآزمتيه ذيب
فراحت من تحرقها عليه بداء ما لها فيه طبيب
تشم الارض تطلب منه ريحاً وتنحب والبغام هو النحيب
وتمزع في الفلاة لغير وجه وآونة لمصرعه تؤوب
باجزع من فؤادي يوم قالوا برغم منكِ فارقكِ الحبيب

***

فاطرق رأسه خجلاً واغضى وقال ودمع عينيه سكوب
نجيبة اقصري عني فاني كفاني من لظى الندم اللهيب
وما والله هجرك باختياري ولكن هكذا جرت الخطوب

فليس يزول حبك من فؤادي وليس العيش دونك لي يطيب
ولا اسلو هواك وكيف اسلو هوىً كالروح فيَّ له دبيب
سلي عني الكواكب وهي تسري بجنح الليل تطلع او تغيب
فكم غالبتها بهواك سهدًا ونجم القطب مطلع رقيب
خذي من نور رنجن شعاعًا به للعين تنكشف الغيوب
والقيه بصدري وانظريني ترى قلبي عليك به ندوب
وما المكبول أُلقي في خضم به الامواج تصعد او تصوب
فراح يغطه التيار غطًا الى ان تم فيه له الرسوب
باهلكَ يا ابنة الامجاد مني اذا انا لم يعدْ بك لي نصيب

***

الا قل في الطلاق لموقعيه بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلوًا يضيق ببعضه الشرع الرحيب
اراد الله تيسيرًا وانتم من التعسير عندكم ضروب
وقد حلت بامتكم كروب لكم فيهن لا لهم الذنوب
وهي حبل الزواج ورق حتى يكاد اذا نفخت له يذوب
كخيط من لعاب الشمس ادلت به في الجو هاجرة حلوب
يمزقه من الافواه نفث ويقطعه من النسم الهبوب
فدى ابن القيم الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا
ففي (اعلامه) للناس رشد ومزدجر لمن هو مستريب
نحا فيما اتاه طريق علم نحاها شيخه الحبر الاريب
وبين حكم دين الله لكن من الغالين لم تعه القلوب
لعل الله يحدث بعد امرًا لنا فيخيب منهم من يخيب

بغداد معروف الرصافي

مخطوطات نادرة

اما وقد خصصنا شطراً من هذا الجزء للكلام على محاسن الكتب وغلائها فيجدر بنا ان ننقل هنا من كنّاش الشيخ طاهر الجزائري وناهيك بما يقع عليه اختيار هذا الاستاذ الكبير بعض المخطوطات النادرة من الاسفار المحفوظة في خزائن الكتب العامة في الاستانة ودمشق وحلب والقاهرة وباريز نسوقها هنا ليرجع اليها من يتصدون لطبع الكتب او يرغبون في الاستنساخ تعميماً للفائدة ·

علم الحكمة

من الجدير بالطبع والاحياء في دار الكتب الخديوية بالقاهرة في هذا الفن (١) تلخيص كتب ارسطو الاربعة وهي المقولات والقضايا والقياس والبرهان لابن رشد (٢) تلخيص كتب ارسطو الاربعة وهي السماع والسماء والعالم والكون والفساد والآثار العلوية لابن رشد (٣) ويلي ذلك كتابان له اولهما في اثبات اقاويل المفسرين المطابقة لما قاله ارسطو في العلم الطبيعي ثانيهما في التقاط الاقاويل العلمية من مقالات ارسطو الموضوعة في علم ما بعد الطبيعة (٤) مقالات ارسطو الموضوعة في علم ما بعد الطبيعة (٥) مقالات ارسطو لابي الفرج عبدالله بن الطيب كتب سنة ٤٨٠ (٦) الانصاف لابن سينا (٧) التعليقات له ·

وفي مكتبة اللالهلي بالاستانة (٨) شرح الاشارات لابن كمونة اليهودي (٩) شرحها للسيف الآمدي (١٠) المعارف العقلية للغزالي (١١) في مكتبة اياصوفية بالاستانة الحكمة المشرقية لابن سينا (١٢) كتاب في الحكمة الجديدة لابن كمونة اليهودي ٦٧٦ (١٣) كتاب في المناظر للحسن بن الهيثم (١٤) العمل بالكرة الفلكية لقسطا بن لوقا البعلبكي (١٥) تحرير اقليدس لمحيي الدين المغربي (١٦) مجموعة الرئيس ابن سينا فيها رسالة في معرفة الله وصفاته وافعاله واخرى في قصائد الشيخ واخرى في مسائل دارت بينه وبين بعض المتكلمين واربعة في خطبة الشيخ وخامسة في امر المهدي (١٧) ومجموع آخر للرئيس ايضاً فيه رسالة في الارزاق وفي ايراد البراهين على مسائل عويصة وثالثة في اثبات النبوة ورابعة في اقسام العلوم العقلية وخامسة في حل مشكلات في الهيئة ·

وفي المكتبة العثمانية بالاستانة (١٨) ترجمة كتب ارسطو لاسعد اليانيوى ١١٣٤ وفي مكتبة الفاتح (١٩) مختصر صوان الحكمة لحجة الحق عمر بن سهلان · وفي مكتبة راغب باشا (٢٠) شرح النجاة للشيرازي (٢١) المدخل في الموسيقى للفارابي (٢٢) في مكتبة بني جامع بالاستانة (٢٣) نهاية الادراك للقطب الشيرازي · في مكتبة الكوبرلي (٢٤)

الكاشف لابن كمونة سعد بن منصور اليهودي (٢٥) المنتخب من صوان الحكمة لابي سليمان محمد بن طاهر السجستاني. في المكتبة الاحمدية في حلب (٢٦) المباحث المشرقية للفخر الرازي

علم التاريخ

في دار الكتب الخديوية (٢٧) الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ليوسف البيامي ج ٣ (٢٨) در السحابة في مواضع وفيات الصحابة للصغاني (٢٩) طبقات فقهاء اليمن (٣٠) تجارب الامم وتعاقب الهمم لابن مسكويه طبع منه الجزء السادس (٣١) المغرب في حلي اهل المغرب لستة سادسهم ابن سعيد سنة ٦٧٢ كتبه بخطه للخزانة الكمالية بحلب (٣٢) نهاية المشتاق للادريسي محلى بالذهب كتب سنة ٧٤٨ (٣٣) الدرر الكامنة في المائة الثامنة لحافظ ابن حجر (٣٤) المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموي ٠

في مكتبة بشير اغا بالاستانة (٣٥) منتخب تاريخ الحكماء ويسمى صوان الحكماء لابي القاسم البيهقي ٠ في مكتبة الكوبرلي (٣٦) احوال الهند للبيروني (لعله المطبوع في اوروبا) (٣٧) انباء الغمر بابناء العمر للحافظ ابن حجر سنة ٨٥٢ (٣٨) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي نسخة ٤ (٣٩) تاريخ مصر ودمشق للعلم البرزالي ٧٣٨ (٤٠) ترجمة الشاهنامة الى العربية للشرف الاصفهاني (٤١) تنبيه الملوك لعمرو الجاحظ (٤٢) كتاب الخراج لابي الفرج بن قدامة (٤٣) دول الاسلام للحافظ الذهبي (٤٤) الذيل على الروضتين (٤٥) ذيل تاريخ الذهبي لعبدالرحمن العراقي (٤٦) شذور العقود في تاريخ العهود لابن الجوزي (٤٧) طبقات الادباء لياقوت الحموي (٤٨) عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والاقران للبقاعى ٥٨٥ (٤٩) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ولمختصر صاحب لسان العرب وهو ٣٩ مجلداً اكثره غير موجود ٠

وفي مكتبة الفاتح (٥٠) سيرة الملك الظاهر لمحيي الدين بن عبد الظاهر (٥١) فتوح مصر والمغرب لعبدالرحمن القرشي ٠ وفي مكتبة اللالهلي (٥٢) مختصر تاريخ الطبري لابن العميد سنة ٦٧٢ ٠ في مكتبة اياصوفية (٥٣) اعيان العصر للصفدي (٥٤) تاريخ حلب لابن العديم (٥٥) تاريخ صنعا واليمن (٥٦) العبر للذهبي مع ذيله لتلميذه الحسيني (٥٧) المنتظم لابن الجوزي ج ٨ (٥٨) تجارب الامم لابن مسكويه ج ٦ (٥٩) ذيل مرآة الزمان لموسى البعلبكي ٧٢٦ (٦٠) الدر الثمين في سيرة نور الدين للبدر ابن شهبة ٠ في مكتبة راغب باشا بالاستانة (٦١) تاريخ الحكماء للشهرزوري ٠ في مكتبة يني جامع بالاستانة (٦٢) طبقات الفقهاء لابي اسحق الفيروزابادي ٠ في مكتبة حلب (٦٣) الوافي للصفدي ج ٤ (٦٤) مختصر تاريخ الذهبي ج ٦ (٦٥) عيون التواريخ في مكتبة باريز (٦٦) تاج

المفرق في تحلية علماء المشرق (٦٧) تاريخ ابن الفرات (٦٨) الاعلام والتبيين في خروج الفرنج على بلاد المسلمين (٦٩) تكملة تاريخ الطبري (٧٠) الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة (٧١) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ·

كتب الادب

في دار الكتب الخديوية (٧٢) شمس العلوم لعلامة اليمن نشوان بن سعيد الموجود منه جزء من اربعة ذكر فيه نبذاً من كل فن (٧٣) التكملة والذيل والصلة لحسن الصنعاني ٦٥٠ وهي في ست مجلدات مضبوطة جمعها من نحو الف كتاب (٧٤) سر الصناعة لابن جني (٧٥) المحيط للصاحب بن عباد ٣٨٥ الموجود منه الثالث (٧٦) الصبيبات لفضل الله الزوزني فرغ منها سنة ٧٤٠ عارض بها التجديات · في مكتبة الكوبرلي في الاستانة (٧٧) سحر البيان للجاحظ (٧٨) الزاهر في تفسير غريب الفاظ الامام الشافعي للازهري (٧٩) كتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه (٨٠) تاريخ ابي مسلم الخراساني (٨١) رسالة في اول كتاب صنف في الاسلام · في مكتبة الفاتح (٨٢) البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي نسخة ٥ (٨٣) رسالة في مدح العلوم وذمها للجاحظ · مكتبة اسعد افندي بالاستانة (٨٤) شرح نهج البلاغة لحسين الارديلي · مكتبة اياصوفية ومكتبة ولي الدين في الاستانة (٨٥) مكاتبات الغزالي · مكتبة عاشر افندي في الاستانة (٨٦) كتاب التيجان لابن هشام (٨٧) مدح الكتب والحث على جمعها للجاحظ · في مكتبة يني جامع بالاستانة (٨٨) التوسل الى الترسل لمحمد بن مؤيد البغدادي · في مكتبة حسام الدين بالاستانة (٨٩) ترسل القاضي الفاضل · في مكتبة باريز (٩٠) المختار من رسائل الوزير ابن عباد

كتب مختلفة

دار الكتب الخديوية (٩١) نصائح للزمخشري انشأها سنة ٥١٢ اولها احمده على ما اروح من آلائه في تضاعيف بلائه (٩٢) المدهش لابن الجوزي (٩٣) ادب السلوك لعبد المنعم الجلياني رتبه على ٦٠ مشرعاً · في مكتبة اياصوفية (٩٤) الاخلاق لابي الليث السمرقندي (٩٥) تقويم سياسة الملوك للفارابي (٩٦) ارشاد الملوك لسداد السلوك لابراهيم المنذي (٩٧) نهج السلوك في سياسة الملوك لعبد الرحمن بن نصر (٩٨) السياسة في تدبير الرياسة للفرغاني · في المكتبة العثمانية (٩٩) رسالة في الاخلاق لعبد الله بن المقفع (١٠٠) كنز العلوم لابن تومرت · في دار الكتب الخديوية (١٠١) الطراز في فنون الاعجاز للسيد يحيى اليمني فرغ منه سنة ٧٢٨ (١٠٢) النقائض بين جرير والفرزدق لابي عبيدة سنة ٢٠٩ (١٠٣) رسالة في القيان ليعيش الاندلسي (١٠٤) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية

للطوفي (١٠٥) ايمان العرب في الجاهلية للنجيرمي الكاتب (١٠٦) العمدة في علم الكتابة لعبدالله المبقي (١٠٧) حواش على درة الغواص لابن بري سنة ٥٨٢ ولابن ظفرسنة ٥٦٥ (١٠٨) ذيل على درة الغواص للجواليقي . في مكتبة الداماد ابراهيم باشا بالاستانة سر الصناعة لابي علي الحاتمي ٣٨٣ في مكتبة الكوبرلي (١٠٩) في آلات الساعات والعمل بها لرضوان الخراساني (١١١) كتاب المناظر للحسن بن الهيثم (١١٢) كتاب المغازي لمحمد بن اسحق (١١٣) كتاب في نسب قريش للزبير بن بكار (١١٤) مختار الاغاني للجمال بن مكرم (١١٥) قانون الادب للتفليسي (١١٦) مجموع رسائل لابن سينا (١١٧) كتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه (١١٨) فيما نقل الكندي من الفاظ سقراط . في مكتبة الفاتح (١١٩) نزهة الملوك في الطب والسياسة للرازي في سنة ٣١١ (١٢٠) البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي نسخة ٥ في المكتبة العمومية (١٢١) انموذج العلوم للفخر الرازي (١٢٢) مختصر حلية الآداب للعماد الكاتب (١٢٣) نقائض جرير والاخطل لابي تمام مكتبة دمشق (١٢٤) المدبجات لعبد المنعم الجلياني . في مكتبة اياصوفية مجموع في الرسائل التي دارت بين النصير الطوسي والصدر القونوي

الكتاب

كتابي لا اروم سوى كتابي ... فكم خففت فيه هموم ما بي
اجيل الطرف فيه فيجتلي لي ... مخائل حكمة في كل باب
اذا غمزت قناة الدهر قلبي ... اداوي في مباحثه مصابي
لان اخطأت في فكري ببحث ... ففيه قد هديت الى الصواب
وان شاهدت من قومي جفاء ... يسليني باقوال عذاب
حوى خبر الزمان بما اتاه ... وما يأتي الى يوم الحساب
غدا عمن تقدم ترجمانا ... يخبرنا باخبار عجاب
اعاتبه اذا خطب دهاني ... فليس يمل من كثر العتاب
تراه اخرساً وتراه يحكي ... بابلغ ما تريد من الخطاب
كتوم ان بثثت اليه سراً ... وان حابيت غيرك لا يحابي
فكم نادمته بالليل وحدي ... فيغنيني عن الخود الكعاب

وكم فيه سكرت من المعاني فعفت لطيبها طيب الشراب
تكفل بالعلوم فكل علم حواه لا يؤل الى ذهاب
فما حاسبته الا تراه خبيرا بالدقيق من الحساب
فمن والاه نال هدى وفضلاً ومن عاداه راح الى عذاب

بغداد السيد عبدالقادر العبادي

اليونان

تقدم اسبارطة

الاعضاء الثلاثون — سقراط — اجازيلا

الاعضاء الثلاثون — لما غدا القائد ليزاندر صاحب آثينة اكره اهلها على تنظيم حكومتهم بحيث لايخرجون عن حكمه بتاتاً . فانشؤا مجلساً مؤلفاً من ثلاثين عضواً انتجبوا من اعداء الحكم الديمقراطي وكانوا قبلُ حاولوا النزوع الى الثورة ليفصموا عرى الدستور وعهد الى هذا المجلس ان يؤلف دستوراً جديداً ويحكم آثينة بدون ان يرجع الى رأي احد ولا ان يراعي قانوناً . وأقيمت لحماية هذا المجلس من سطوة الآثينيين حامية من الجند تحت امرة قائد اسبارطي في قلعة الاكروبول المشرفة على المدينة . وهذه كانت طريقة الحكم التي وضعها ليزاندر في المدن اليونانية في آسيا والجزر عند ما اخرجها من محالفة آثينا

خول هؤلاء الاعضاء سلطة لا نهاية لها وشعروا بانهم مؤيدون بالجيش الاسبارطي فانشئوا يحكمون حكم السادة القادة ويقبضون على اشياع الحكم القديم وينفذون عليهم الاحكام وربما كانت سيطرتهم تتناول الاغنياء متخذين ذلك حجة في مصادرة اموالهم فمن ثم لقب اولئك الاعضاء بالثلاثين ظالماً . وانتهت الحال بترامين احد الاعضاء وكان تآمر على الديمقراطية واتفق مع الاسبارطيين ان قال لرصفائه بانه قتل اناس كثيرون فيجب الكف عن ازهاق الارواح فما كان منهم الا ان اتهموه بالخيانة وطردوه من المجلس وحكموا عليه بالاعدام .

وقد فرَّ كثير من الوطنيين من آثينة ولجؤا الى البلاد المجاورة ولا سيما الى ميكار وثيبة واستولى احد هؤلاء النازحين المدعو تراز يبول في ٧٠ من اصحابه على قلعة من اعمال

دث لهم ضرراً اكثر مما ينشأ منها للاعداء على ان الفرس لا يكتمون انفسهم ضعفهم
سكري و يعترفون بانحطاطهم في هذا الشأن ولا يجرأون على الدخول في المعارك بدون
، يكون بعض الروم في جيوشهم · ومن قواعدهم ان لا يقاتلوا اليونانيين بدون ان يكون
منهم مساعدون ·

حملة العشرة آلاف — شوهد هذا الضعف عند ما سار كيكاوس سنة ٤٠٠ اخو
لخاقان الاعظم ارتا كسركيس ليخلفه وكان في تلك البلاد اذ ذاك ألوف مؤلفة من نزاع
لآفاق او المنفيين من اليونانيين يوءجرون انفسهم اجناداً فدعا كيكاوس عشرة آلاف
جل منهم حتى ان احدهم كسينوفون كتب يصف حملتهم · فاجتازوا بلاد آسيا الى حدود
فرات بدون ان يقف احد في وجوههم ثم اقتتلوا بالقرب من بابل · واخذ اليونان جرياً
لى عادتهم يَعدون مسرعين وهم يصرخون صريخ الحرب وقبل ان يكون البرابرة على قِيد
لوة بادروا الى الهزيمة فلحقهم اليونان وهم يتصارخون ان لا يفارق احدهم صاحبه · ولما
نتهت اليهم مركبات الحرب فتحوا صفوفهم ليتركوا لهم سبيلاً الى المرور ولم يصب يوناني باذى
سرب ما خلا واحداً جرح بسهم ·

جرح كيكاوس وتشتت جيشه بدون ان يقاتل وظل العشرة آلاف يوناني وحدهم في
داخلية بلاد محاربة امام جيش عظيم ومع هذا لم يجسر الفرس ايضاً على مهاجمتهم ولكنهم
غدروا فقتلوا خمسة قواد لهم وعشرين ضابطاً ومائتي جندي جاؤا لعقد محالفة · ولما اصبح
ولئك المستأجرون من الجند بلا قواد وضباط انتخبوا زعماء جدداً وحرقوا خيامهم ومركباتهم
وركنوا الى الفرار ودخلوا في جبال ارمينية الوعرة وعلى ما نالهم من الجوع وكثرة الثلوج
وسهام القبائل الوطنية التي لم ترض ان تُفسح لهم مجالاً للمرور وصلوا الى البحر الاسود ورجعوا
الى ارض يونان بعد ان قطعوا مملكة فارس وبقي منهم لدن عودتهم «سنة ٣٩٩»
٨٠٠٠ جندي ·

اجازيلا — وبعد ثلاث سنين داهم اجازيلا ملك اسبارطة في جيش صغير بلاد
آسيا الوسطى وليديا وفريجيا المشهورة بغناها وخصبها وقاتل الولاة والعمال وراح يدخل
الى آسيا ولكن الاسبارطيين ارجعوه ليقاتل جيوش التيبيين والاثينيين · وكان اجازيلا
اول يوناني قام في ذهنه ان يفتح بلاد فارس فحزن ان رأى اليونانيين يقتل بعضهم بعضاً
ولما اخبروه بنبأ الم لغاية كورنث قائلين له انه هلك فيها ثمانية من الاسبارطيين فقط وعشرة
آلاف من العدو لم يفرح بهذا النصر بل تنفس الصعداء وقال: «مسكينة انت يا بلاد
اليونان التعسة لقد اضعت رجالك وكان لك فيهم وحدهم غناء في اخضاع عامة البربر» ·

اتيكيا في الجبال على طريق بيوسيا عنوة فجاء الاعضاء الثلاثون في اشياعهم يداهمونه الا انهم رُدوا على اعقابهم وحاولوا ان يحاصروا القلعة ولكن رجع رجالهم الى آثينة لما هطل الثلج و بعثوا بالحامية الاسبارطية و بالفرسان فهجم تراز يبول عليهم وقتل منهم ١٢٠ رجلاً ولحق بتراز يبول نازحون جدد فلما اجتمع له منهم الف رجل اجتاز اتيكيا فاستولى على مرفإ بيريه ونزل في مونيشي وراء معاقل اتخذها للتحصن فتقدم الاعضاء الثلاثون في رجالهم الا انهم ردوا على الاعقاب . وعندئذ نزع اشياعهم السلطة منهم واعطوها الى مجلس مؤلف من عشرة طلب معونة اسبارطة فبعثت هذه اليها بليزاندر حاكماً من قبلها وحاصر بيريه بالسفن . ثم وصل ملك اسبارطة في جيشه ووصل الى آثينة وامر بالكف عن القتال وفصلت حكومة اسبارطة بين الفريقين ورخصت لجميع النازحين ان يعودوا الى آثينة فدخل تراز يبول ورجاله اليها وهم مدججون باسلحتهم وصعدوا الى قلعة الاكروبول يقدمون ضحية للمعبودة . ثم اعاد الآثينيون الدستور القديم وتراجع الاعضاء الثلاثون في اشياعهم الى الوز يس فقصدهم الآثينيون وهاجموهم وقتلوا الزعماء وارجعوا الباقين ثم اقسموا كلهم ان لا تنزع الاحقاد من صدورهم لما انتشب من الحرب الاهلية وهو مما دعي بالمدنة « النسيان » ولم تعد تحدث ثورة في آثينة بعد .

ضعف المملكة الفارسية — شغل اليونان بقتال بعضهم بعضاً فكفوا عن مهاجمة الخاقان الاعظم بل واخذوا يسعون في محالفته . وكانت المملكة الفارسية لا تقل عن ذلك في تيهاء الضعف فاصبح الحكام لا يخضعون للحكومة بتاتاً ولكل منهم بلاطه وخزائنه وجيشه يحارب من يشاء وقد امسى قيلاً « ملكاً صغيراً » في ولايته وكان الملك اذا اراد ان يعين والياً مكان آخر لا يجد الى ذلك سبيلاً الا بقتل السلف ففقدت ملكة الحرب من نفوس الفرس بعد ان كانوا امة يرتجف لذكرها جميع شعوب آسيا . وهاك كيف وصف الفرس كسينوفون احد ضباط اليونان الذي كان موظفاً عندهم : انهم ينامون على البسط و يلبسون قفافيز في ايديهم و يتدثرون بالفرو و يلبس الكبراء حجابهم وخبازيهم وطباخيهم وحماميهم والخدمة الذين يخدمونهم على موائدهم و يطيبونهم و يعطرونهم ليجعلوا منهم فرساناً موظفين و يربحوا اجورهم ولئن كانت جيوشهم كثيرة العدد فلم ينتفع بها في شيء وسهل على المرء ان يحكم عند ما يرى اعداءهم يطوفون بلاد فارس احراراً اكثر من اصحابهم ولا يجرؤن اصلاً على قتال بعضهم بعضاً عن أمم والفرسان مسلحون كما كانوا سابقاً بالسيف والترس والفأس ولكن لم تكن لهم الجرأة على استعمالها . وكان سائقو المركبات الحاصدة قبل ان تصل الى العدو تلقي بنفسها عمداً او تقفز الى الارض بحيث ان تلك المركبات اذا خلت من سائقيها

وابى ذات يوم ان يخرب مملكة يونانية قائلاً : « اذا ابدنا جميع اليونان الذين لا يقومون بواجبهم فاين نجد رجالاً للتغلب على البرابرة ؟ » وهذا الشعور كان قليلاً على عهده · قال مترجمه كسينوفون عند ما اورد هذه الكلمات لاجازيلا هاتفاً « من كان غيره يرى من المصيبة ان يغلب عند ما كان يحارب شعوباً من جنسه » ·

عظمة ثيبة · ابامينوداس

مقاومة اسبارطة — جاء زمن كانت فيه اسبارطة صاحبة السيادة براً وبحراً · قال كسينوفون : وكانت على ذلك العهد جميع المدن تخضع لامر يصدر عن احد الاسبارطيين ولما ضاقت صدور المتحالفين مع اسبارطة من الخضوع لها الفوا عصابة لمقاومتها · فكان من ذلك ان طرد الاسبارطيون اولاً من آسيا ولم يسلم لهم سلطانهم على بلاد اليونان بضع سنين الا بمحالفتهم لملك الفرس «٣٨٧» بيد ان استيلاءهم لم يدم طويلاً فكان في سهل بيوسيا شعب شديد البأس شجاع النفس وهؤلاء البيوسيون الذين شهرهم جيرانهم الآثينيون وربما على غير استحقاق قد ظلوا منقسمين بين احدى عشرة مدينة وكانت ثيبة اقواها سقطت على حين غرة في ايدي الاسبارطيين فادخل زعيم حزب الاشراف المحار بين من الاسبارطيين القلعة واوقف زعيم حزب الديمقراطيين ونفذ عليه القضاء المبرم ·

واذ لم يرض اربعمائة رجل من اهالي ثيبة ان يظلوا تحت حكم الاسبارطيين لجأوا الى آثينة · فعزم احدهم المدعو بيلو بيداس وهو شاب من أسرة شريفة غنية ان ينقذ بلاده كما فعل ترازيبول في تخليص وطنه فراح يقيم في قرية مع جماعة من المنفيين واتفق مع الثيبيين الذين بقوا في ثيبة فدخل في احدى ليالي الشتاء الى المدينة في رجاله وداهم الحكام وهم في مأدبة فذبحهم ومن الغد دعا مجلس الامة فهتف له هذا بانه محررها من اسر العبودية · وعندها سلمت الحامية الاسبارطية التي كانت في القلعة · وعادت ثيبة مستقلة وعملت على ان تجمع تحت ادارتها جميع مدن بيوسيا لتسير جميع البيوسيين تحت لواء احد لحروب اسبارطة ·

ابامينوداس — كان ابامينوداس هو الرجل الذي نظم حالة الثيبيين فخفقت به لهم اعلام النصر · وكان من اسرة شريفة الا انها غنية فاعتاد نوعاً من الحياة القاسية وظل يعيش فيها مقلاً من الطعام لا يتناول الخمر وليس له غير رداء واحد ولا مال لديه · فصيح اللسان الا انه يندر ان تراه يتكلم ولا يقول الا الحق « وهذا مما لم يكن من عادة اليونان » شجاع جداً في الحروب ولكنه مفرط في الانسانية متضع شديد البأس يحبه ، يحترمه كل من يراه · ولم يكن يعنى بصراع المصارعين الذي كان يشوق سائر ابناء يونان بل انه اعتاد

السباق واللعب بالسلاح واخترع ضرباً جديداً من القتال . وكان الثيبيون كسائر اليونانيين قد اختاروا العادة الاسبارطية فيصطف الجند الرجلي منهم كتائب كتائب على ثمانية الى عشرة صفوف وكانت جيوشهم في كل مكان في تعبئتها نمطاً واحداً تؤلف مثلثاً ذا زاوية قائمة مستطيلة ورقيقة فكانوا اذا حمل جندهم على العدو يشعرون بان تروسهم المعلقة على اذرعتهم الشمال تحميهم من اليسار ومن اليمين صفوف رفاقهم يحمون الميمنة بالطبع بحيث ان الجناح الايمن من الكتيبة يشعر بانه اقوى ما يكون في العادة . فتخيل ايامينوداس ان يعبيء رجاله على شكل زاوية قائمة مؤلفة على طولها من صفوف متساوية في عددها بل ان يضع في الجناح الايسر صفوفاً اكثر من الايمن فتأخذ الكتيبة شكلاً غير متناسب يشبه شكل زاوية قائمة . فيكون الجناح الايسر اضخم من الايمن ومؤلفاً من احسن المحاربين يحمل حملة منكرة على جناح العدو الذي يكون اضعف منه فينكس وسط جيش العدو ويأخذه من جنبه فدافع الثيبيون عن بلادهم بادي بدء من الجيش الاسبارطي الذي بقي يداهم بيوسيا في ربيع كل سنة اعواماً كثيرة ويقطع الشجر ويحرق الغلات ولم يجسر ان يقاتل قتالاً منظماً بل كانت غاراته مناوشات فقويت شكيمتهم وتمرسوا في الحروب . ورأى ايامينوداس ان جيشه قد اعتاد قراع الابطال وقوي ساعده في حومة النزال وكانت الرجالة من جند الاسبارطيين اصطفت على عمق اثني عشر مقاتلاً بالقرب من لوكترس وكانت رجالة الثيبيين اقل وفرسانهم اكثر « لان بيوسيا كانت بلاداً تربى فيها الخيول الجياد » فاستطاع ايامينوداس ان يحمي الميسرة وكان من ذلك ان اختصر خط الحرب وحمل الجناح الايسر من جيشه وكان مؤلفاً من خمسين صفاً فبدد شمل الجناح الايمن من الاسبارطيين حيث كان الملك واقفاً فقتل «٣٧١» وهذه كانت المرة الاولى التي تغلب فيها جيش يوناني على جيش اسبارطي واصبحت ثيبة المدينة المقدسة اكثر من جميع مدن يونان وصارت لها الامرة على بيوسيا كلها وكانت الشعوب اليونانية في المورة الى ذاك العهد خاضعة لاسبارطة فالتمست معونة الثيبيين لنيل استقلالها . فانشأت مدينة مانتينه في بلاد اركاديا اسوارها على الرغم من دفاع اسبارطة وذبحت نخبة الاغنياء احلاف اسبارطة وكان الاركاديون من سكان الجنوب مشتتين الى ذاك العهد في القرى فانضموا بعضهم الى بعض وانشئوا مدينة حصينة سموها ميكالوبوليس ثم اراد ايامينوداس جمهور الثيبيين على ان يذهبوا الى غزو الاسبارطيين في عقر دارهم فدخل الجيش اليوسي الى بلاد المورة وكثر سواده بالاركاديين واهالي ارغوس وتوغل في اقليم لاكونيا وطفق يعسكر امام اسبارطة «٣٧٠» وكانت هذه هي المرة الاولى التي رأى فيها الاسبارطيون العدو في ارضهم . ولم

بكن لاسبارطة اسوار فسلح اجازيلا «وكان قد بلغ اذ ذاك من العمر ٧٦ سنة» جماعة الهيولتيين وحصن الآكام المحيطة بالمدينة .

ولم يجسر ابامينوداس على الهجوم واذ كان عاجزاً عن اطعام جيشه في البلاد التي استباح حماها وجعل عاليها سافلها استرجعه ادراجه وقبل ان يغادر المورة جمع المسينيين وقد اصبحوا منذ ثلاثة قرون رعايا الاسبارطيين واعانهم على انشاء مدينة قوية سميت ميسين وعادوا يلمون شعثهم . وتحالفت اسبارطة مع الآثينيين الذين كانوا يحسدون الثيبيين كما حالفوا اهل سيرا كوزة ومع الجبار ديس الذي بعث اليها بالمحاربين الغاليين فغلب الاركاديون احلاف ثيبة . وعندها حاولت ثيبة ان تنال معونة ملك الفرس وارسل القائد بيلوبيداس الى آسيا وآب يحمل كتاباً من الخاقان الاعظم الذي وعد ان يحارب اليونان الذين لا يقبلون بمحالفة ثيبة «٣٦٧» اما سائر المدن فلم تكن تخشى ملك الفرس وابت ان تخضع له .

ولم تكن ثيبة من القوة لتخضع الى سلطانها جميع بلاد اليونان فظهر ابامينوداس على احسن حال في بلاد المورة مع الجيش البيوسي وحالف المسينيين ثانية وحاول ان يداهم اسبارطة واذ بلغ ذلك اجازيلا كرَّ راجعاً وراح ابامينوداس يهجم على جيش العدو في اركاديا بالقرب من مدينة مانتينه وظفر في هذه المعركة باتخاذه الاسباب التي اتخذها في لوكترس ولكن اصابه سهم فمات ليومه . وفقد الثيبيون به قائداً يقودهم وانتهت ايام عز ثيبة ولم يبق مما قام به القائد ابامينوداس الا مدينة مسيسينا التي اصبحت مملكة مستقلة وسقط سلطان اسبارطة من بلاد المورة كما سقط من بلاد اليونان .

نتائج الحروب — لم تؤد هذه الحروب الى تأليف اليونانيين كافة امة واحدة اذ لم يكن لمدينة من مدنهم لا اسبارطة ولا آثينة من القوة ما تكره به سائر المدن على الطاعة لها والخضوع لسلطانها وما كان منهم الا ان ينهك بعضهن قوى بعض ويكافح بعضهن بعضاً وكان ذلك من حظ ملك الفرس الذي استفاد من هذا الانقسام ولم تبلغ الحال بالمدن اليونانية انها لم تتفق عليه بل انها كانت كل واحدة على حدتها تحالفه للانتقام من سائر ابناء يونان وقد صرح الخاقان الاعظم (٣٨٧) في معاهدة انتالسيداس بان جميع المدن اليونانية في آسيا هي ملك له ولم تخالف اسبارطة قوله ذلك ولا نقضت زعمه وكذلك كان شأن آثينة وثيبة بعد بضع سنين فقد قال خطيب آثيني : « ان ملك الفرس هو الذي يحكم بلاد اليونان ولم يبق عليه الا ان يقيم له عمالاً في مدننا . اليس بيده الحل والعقد في بلادنا ؟ اما نحن فندعوه الخاقان الاعظم كما لو كنا عبيده ؟ » وهكذا اضاع اليونان بتفاشلهم وتدابرهم ما كانوا غنموه في حرب مادي .

سير العلم

التنفس الصناعي

وفق الاستاذ بو بعد اشتغال ثلاثين سنة الى تكميل آلة التنفس الصناعي وهي مؤلفة من اسطوانتين صغيرتين لها بوقان موضوعان بحيث يمكن تحريكهما معاً فاحداها توصل كمية من الاوكسجين والاخرى تأتي بالهواء ويناط في كل منهما انبوب توضع طرفه على مناخير الذي يراد تنفيسه وقد جربت هذه الآلة في الارانب والكلاب فحسنت نتائجها ·

حامض الكربون

أنشئ معمل في اوفرن من اعمال فرنسا لصنع حامض الكربون السائل وهو يكثر في ارض تلك الناحية وكان من قبل يضيع منه في الهواء ملايين من الامتار المكعبة وهذا الغاز احسن بطبيعته من المصنوع فاخذت فرنسا تحذو حذو المانيا في الانتفاع من المحاشها البركانية فتصنع في اليوم ملايين الكيلوغرامات من حامض الكربون السائل وعدد ينابيع الغاز التي يمكن الانتفاع بها ستة وستكون لاهل تلك الناحية مورد ربح عظيم ·

جوهر صناعي

الكورندون Corindon حجر لطيف يعتبر بعد الماس بقيمته ويسميه صياغ الافرنج الجوهر الشرقي وهو ذو ألوان مختلفة فمنه الوردي والاصفر والازرق والبنفسجي والاخضر واللازوردي وقد اكتشفت احدى الشركات في اميركا معدناً تستخرج منه بطرق صناعية ما يشبه الجوهر الشرقي بصلابته ولا يقل عنه رواء ومتى كثر انتشاره تسقط قيمة الماس الطبيعي اكثر مما سقطت ·

كتب العميان

الآنسة هيلانة كيلر هي ممن ابتلاهن الله بالعمى والصمم والبكم وقد خدمت ابناء جنسها بان سعت الى تعليمهن خدماً تذكر فتبين لها بعد الاختبار ان الطرق المألوفة لتعليمهن بحروف نائتة او محفورة او غيرها ليست من السداد في شيء وتؤدي الى ان الاعمى الالماني لا يستفيد من مثيله الفرنساوي ولا الاميركاني من الانكليزي ولذلك ترى توحيد طريقة تعليم العميان والصم البكم على طريقة برايل الفرنسوية وربما عقدت مؤتمرات لذلك ·

التدفئة الكهربائية

اصطنعت شركتان للكهربائية في اميركا ادوات من الكهربائية تستخدم للتدفئة وتوليد الحرارة ارخص من توليد الحرارة من الغاز بثلاث مرات .

عاملة عاملة

ذكرت الصحف انه عهد للآنسة هاس ان تنظم مجموعة المستندات الرسمية في نيويورك لانها اقدر فيمة على الكتب والدفاتر في جميع الولايات المتحدة وهي مديرة دار الكتب العامة في نيويورك . وقد عجبت المجلات من ان تكون مجموعة الاعمال الرسمية في الولايات المتحدة من ترتيب امرأة اديبة ولكن هو العلم يشترك بعد الاخذ منه الاسود والابيض والنساء والرجال

الرقص

انشأت فرنسا في بعض فيالقها مدرسة لتعليم صغار الضباط الرقص على انواعه وكان لها من قبل في كل معسكر مدرسة للرقص اذ ثبت ان الرقص ينفع الصحة و يزيد انشراح النفس وهو من المتممات للرياضة الصحية المسلية وكان نابوليون الاول يكره جنده على الرقص قبل انتشاب المعركة و بعدها وفي كل فرقة في روسيا معلم للرقص .

قضاة الانكليز

ينسبون معظم الفضل في تحري قضاة الانكليز الحق في بريطانيا لكثرة الرواتب التي يتقاضاها الفرد منهم فان قاضي القضاة يقبض ٢٥٠ الف فرنك في السنة والقضاة العاديون ١٥٠ الفاً وفيهم من يقبض ٢٠٠ الف وقضاة المقاطعات يتناولون ٣٧٥٠٠ فرنك وعند الانكليز ٦٠ قاضياً يقضون في خمسمائة محكمة وعند فرنسا ٣٠٠٠ اقاض لثلاثمائة وخمسة وسبعين محكمة وهم يقبضون اقل من ذلك بكثير ولكن انكلترا تعطي قضاتها رواتب باهظة وتطلب منهم عملاً حسناً كثيراً .

مدرسة المثريات

اقسمت الولايات المتحدة ان تكون رأساً في عامة اسباب الحضارة والعمران فمن جملة مدارس البنات العالية عندها مدرسة اكوتز في ضواحي فيلادلفيا بنيت وسط حدائق ذات بهجة وهي عبارة عن قصور ملوكية حوت ارقى درجات الترف والرفاهية وفيها دار تمثيل كبرى وحديقة للشتاء . واجرة تعليم الفتاة الواحدة فيها عن السنة المدرسية وهي ثمانية اشهر عشرة آلاف فرنك .

الطب في البلاد العثمانية

كتب احد اطباء العثمانيين فصلاً ضافياً في مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية تكلم فيه على طب التجارب والطب الاصولي ومدارس الطب والمستشفيات في الاستانة والولايات وصناعة الطب فقال ان الطب في البلاد العثمانية قبل افتتاح المدرسة الطبية في الاستانة سنة ١٨٢٧ كان عبارة عن تجارب وما كانت الامة تعتقد على ذلك العهد بالطب الغربي بل ولم يكن لها ثقة حتى بالطب التجريبي وكانت تكد في العقاقير تأخذها من دساتير الدجالين على غير جدوى والمسلمون يضيفون الى هذه الطريقة المألوفة في القرون الوسطى في التداوي القول بالادعية للاستشفاء. وكانوا يرونها نافعة في امراض كثيرة ولا سيما الامراض الباطنية والعصبية وان هذه العادات ما برحت شائعة على كثرة المعتقدين بتأثيرات الطب وليس هذا الاعتقاد خاصاً بالمسلمين بل ان المسيحيين كان لهم مثال منها في حضارتهم وتاريخهم واستشهد بحديث «آخر الدواء الكي» وقال ان بعض القوم يصفونه فينفعهم وان الحكومة لما انشأت المدرسة الطبية الاولى في الاستانة كان اساتذتها اجانب وكانت تدرس بالفرنسوية ولم تدرس بالتركية الا سنة ١٨٧٣ ولم يكن رغبة للمسلمين في تعلم هذه الصناعة فتنق على الاساتذة الذين اخذوا بتدريس الطب بالتركية باديء بدء ثم اخذوا يتعلمون المصطلحات الطبية ويؤلفون لها مفردات من العربية والفارسية والتركية واذا صعب عليهم التعبير عنها بلفظ عربي او تركي او فارسي يأتون باللفظ اللاتيني او الفرنسوي بدون ان يعمدوا الى اخذ شيء عن الانكليزية والالمانية.

وبعد ان ذكر كيفية تدريس الطب واورد اسماء مشاهير الاطباء العثمانيين من المسلمين والارمن والروم ومعاملة طلبة المدارس واحوالهم قال ان في البلاد العثمانية مدرستين طبيتين ملكيتين احداها في الاستانة والثانية في دمشق. وعدد المستشفيات العثمانية ووصفها فقال ان في الاستانة وضاحيتها عشرة مستشفيات ما عدا مستشفيات المدارس وفي الولايات وهي احدى وثلاثين ولاية ١٣٢ مستشفى اهمها في الحواضر وقال ان تشريح الجثث ممنوع في المستشفيات العسكرية والملكية ولا يجري الا اذ حدثت جناية او في السجون وقد عاق منع التشريح تقدم الطب مع انه من جملة برنامج دروس المدرسة الطبية الكبرى وهو غير مناف الاسلام لان السلطان محمود الثاني استصدر فتوى من شيخ الاسلام في الترخيص بالتشريح فافتاه بذلك.

وقال ان المستشفيات البلدية في الاستانة اربعة وان عدد المستشفيات البلدية في الولايات اربعة وعشرون وفي الاستانة ثلاثة مستشفيات خاصة واحد للارمن والثاني

للاسرائيليين والثالث للروم وفيها مستشفيان احدهما الماني والثاني فرنسوي وختم كلامه بالكلام على الدجالين من الرجال والنساء والعثمانيين والاجانب ممن يمارسون اعمالهم في السر سواء كان في الاستانة او في الولايات ويربحون ما يربحون لفرط استسلام الناس اليهم وتفضيلهم احياناً على غيرهم ·

تحريم التقبيل

رأى كثير من الاطباء في مؤتمر لهم عقدوه في احدى مدن اميركا ان يسن قانون يحظر التقبيل على المتزوجين بل على الامهات وعلى ذوي القربى والاخدان المتحابين ورأوا ان تعلق على حوائط المدينة اعلانات يذكر فيها عدد الجراثيم التي يلصقها المقبل بشفتيه على خد المقبل · قالت المجلة التي ننقل عنها وما هو يا ترى رأي هؤلاء النطاسيين لو حضروا عيد القبل في رومانيا وهو الذي يجيء فيه البنات والفتيات زرافات من جميع اطراف القرى المجاورة تحمل كل منهن سجلاً او دلواً من الخمر مزيناً بالرياحين ويقبلن كل من يصادفنه في طريقهن من شفتيه ثم يقدمن له السجل ليسقى منه ويرتوي ومن ابى ان يتناول ما يقدم له يعد عمله اهانة · ويا رب كم من الجراثيم تنتقل من فم الى آخر يوم ذاك العيد وفي تلك العادة الغريبة ·

كلام النساء

كان يظن ان كثرة كلام النساء آت من ضيق عقولهن اما الآن فقد اثبت الاستاذ ماراج من كلية السوربون بباريز ان اقتدارهن على الكلام ناشيء من متانة صدورهن وذلك انه بحث في اصوات الرجال واصوات النساء وقاس مقدار ضغط الهواء الصادر من الفم فظهر له ان المتكلم من الرجال يتعب اربعة اضعاف المتكلمات من النساء وان النساء لا يتعبن من الكلام بقدر ما يتعبن اذا استعملن مراوحهن ·

المناطيد

كان لسباق المناطيد شأن عظيم في فرنسا والمانيا في العهد الاخير وتفننت الامم في تطييرها تفنناً ذكرت الجرائد السيارة اكثره وآخر سرعة قطعتها المناطيد الالمانية كانت ١١٠ كيلومترات في ساعتين و١٧ دقيقة والمنطاد الجديد اشبه بسفينة طوله ١٢٨ متراً وعمقه ١١ متراً و٧٠ سنتيمتراً وقطره ١١٤٣٠ متراً مكعباً وهو على شكل اسطواني ينتهي بمخروط سنبي وفيه ست عشرة غرفة في كل منها منطاد من القماش منفوخ بالهيدروجين ·

جريدة بالتلفون

الف احد كتاب الاميركان سنة ١٨٨٨ كتاباً خيالياً ذكر فيه كيف يعيش الانسان بعد مئة سنة ومما قاله ان طريقة تبليغ الاخبار وسماع الموسيقى وخطب الاندية والمؤتمرات ستنقل الى الناس بواسطة التلفون فضحك بعضهم من هذه النبوءة ولكن مدينة بودابست عاصمة المجر قامت تحقق اليوم ما تنبأ بحدوثه ذاك الكاتب فاسست شركة تلفون تنقل لاهالي تلك العاصمة بواسطة مائتي عامل لها يعملون بلا انقطاع في اسلاك تلفونية طولها ثلثمائة كيلو متر الى خمسة عشر الف مشترك اخبار العالم وانباءه البرقية وحوادث اليوم وانباء المجالس النيابية والخطب السياسية واخبار البورصة والاسواق وحوادث الشرطة والقضايا المرفوعة امام المحاكم وشذرات من صحف بست وفينا وانباء الظواهر الجوية والاعلانات وغيرها كل يوم من الساعة الثامنة صباحاً الى الساعة العاشرة مساء وتنقل للمشتركين الفاظ الممثلين في اشهر دور التمثيل كما يلقونها والمواعظ كما يفوه بها اصحابها وغيرها والمشترك لا يدفع لقاء هذه الاخبار التي تنقل اليه باسرع ما يكون سوى عشرين سانتيماً في اليوم وستسارع باريز ولندن وبرلين وغيرها من العواصم الى تأليف شركات من هذا الطراز ·

نظافة الشوارع

اصبحت نظافة شوارع لندن وبرلين المثل المضروب عند الامم بنظافتها على كثرة الحركة فيها ولا سيما لندن اعظم عواصم الارض فان برلين تمنع المارة من القاء الورق دع عنك الفضلات في الشوارع ولندن تستخدم ألوفاً من الاطفال يحمل كل منهم مكنسة ورفشاً لتناول السرقين حالة وقوعه وجعله في علب كبيرة تجمع وتباع من ارباب الحدائق سماداً للارض من انفع ما يكون ·

تبخير الموتى

يقول كوى المستشرق بان عادة حرق الخشب الذكي الرائحة اكراماً للاموات كانت مألوفة في المدينة قبل الاسلام وبقيت بعده راسخة ·

نفقات التعليم

في احصاء اخير ان المدارس الابتدائية البلدية في انكلترا تسع ٣٥٢٠٠٠٠ الف تلميذ والمدارس الاهلية ٣٥٠٩٩١٤ تلميذاً وقد كان معدل من اختلفوا الى المدارس الاولى سنة ١٩٠٥ — ٣١٩٩٠٥٠ تلميذاً والى المدارس الاهلية ٢٨٤٢٦٥٤ تلميذاً وبلغت نفقاتها ٢١٣٣٣٢٧٤ جنيهاً منها ١١٠٣٢٦٠٠ دفعتها الحكومة و١٠٣٠٠٦٧٤ دفعتها

المجالس البلدية وبلغ سائر ما انفق على التعليم ٣٠٤٠٩٦٤ جنيهاً منها ١٥٥٦٤٨١ جنيهاً دفعتها الحكومة و١٤٨٤٤٧٦ جنيهاً من موارد معينة اي ان برنامج معارف انكلترا بلغ خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات في حين ان حكومة مصر تنفق على ضروب التعليم اقل من اربعمائة الف جنيه . بل الانكى من ذلك ان ولاية فيكتوريا في اوستراليا وسكانها مليون وربع تنفق على تعليم اولادها عشرين مليون فرنك .

التعليم في الهند

يؤخذ من الاحصاء الاخير ان عدد المدارس في ولاية مدراس من اعمال الهند قد كان سنة ١٩٠٦ — ٨٣٩٩١ . وكان قبل ٨٤١٠٣٤ مدرسة ونزل معدل الصبيان الذين يتعلمون فيها فصار ٢٩ بالمئة كما زاد معدل المتعلمات من البنات فاصبح خمسة وكسوراً في المئة وكان يجب ان يكون في المدارس تسعمائة الف متعلمة فلم يأتها غير ثمانية واربعين الفاً بحيث اضطرت مدارس كثيرة الى اقفال ابوابها والحكومة لم يتيسر لها ان توزع ما خصصته للانفاق على المتعلمين والمتعلمات اما في اقليم بنجاب فقد ساءت حالة التعليم اكثر وذلك ان ١٤ في المئة من البنين يختلفون الى المدارس و٣٨ — ٣ في المئة من البنات .

ثروة فرنسا

يؤخذ من احصاآت المواريث ان ثروة الافراد تكثر في فرنسا فبعد ان كانت الايرادات اربعة مليارات فرنك سنة ١٨٧٣ اصبحت سنة ١٩٠٢ ستة مليارات وارتقت واردات المنقولات من مليار سنة ١٨٧٣ الى مليار وثمانمائة الف فرنك سنة ١٩٠٣ . وليس لامة بقدر ما لفرنسا من المنقولات خارج بلادها وقد زادت وارداتها من مليار و٥٨ مليوناً سنة ١٨٧٣ الى مليار و٨٩٤ مليوناً سنة ١٩٠٣ وكان دين فرنسا سنة ١٩٠٤ ملياراً ونحو نصف مليار .

اتحاد التربية

تحاول دوقية باد في المانيا ان تدخل الى مدارسها طريقة الوحدة في التربية بحيث يتعلم الاناث بجانب الذكور في مدرسة واحدة وقد كان عدد البنات اللاتي تعلمن سنة ١٩٠٦ في المدارس العلمية والصناعية مع الصبيان ٥٣ ابنة واخذت المدارس العالية تقبلهن ويقبلن على التعليم فيها .

البطالة في انكلترا

بلغ هذا العام عدد من ليس لهم عمل في بلاد الانكليز مليون نسمة اي ان واحداً

من كل اربعين ليس لهم عمل وربما يستكثر بعضهم هذا العدد وهو كثير الآ ان جميع الممالك مصابة بداء البطالة والسبب في ذلك ان القرى يقل سكانها ويكثر سكان المدن وليس في هذه اعمال تقوم باعالتهم فقد كان الفلاحون سنة ١٨٩٠ ثلث مجموع سكان بريطانيا فهم الآن خمسهم وكذلك الحال في المانيا فقد بلغ عدد المشتغلين بالزراعة فيها ٢١ مليوناً من اصل ٦٢ مليوناً والباقون يعملون في التجارة والصناعة .

التيسير في السياحة

كتب احدهم في بعض المجلات العلمية في تيسير السفر في النصف الاخير من القرن الماضي والاقتصاد والراحة التي نشأت فيه قال ان المسافر كان يقضي ستين ساعة في قطع المسافة بين باريز وبوردو وهي ٦٨٥ كيلومتراً اي انه يقطع نحو عشرة كيلومترات في الساعة وكان يدفع اجرة عن كل ساعة في المركبة لا تقل عن ١٤ سانتيماً ما عدا الاكل ومن يسافر مع البريد يؤدي ضعف هذه الاجرة كما يقطع المسافة في اقل من ذلك بقدر النصف اما الآن فان المسافة تقطع في السير السريع بالسكة الحديدية في سبع ساعات وعشرين دقيقة والاجرة ليست فاحشة .

الكتابة على الزجاج

الكتابة على الزجاج تسلية لا تتطلب غير المران عليها ولكي ينجح الانسان فيها ينبغي له قلم رصاص من معدن الالومنيوم يمكنه صنعه بنفسه وذلك بان يلف عليه شيئاً من هذا المعدن ثم يبل الزجاج بلاً خفيفاً او يغشيه بمحلول ملح القلي ويبرع في هذه الكتابة من سبق لهم انهم عانوا التصوير قليلاً .

مدرسة الممرضات

اقتبست فرنسا من انكلترا انشاء المدارس لتعليم الممرضات وقد انشئت مدرسة في بوردو منذ ثلاث سنين تخرج فيها من الممرضات احسنهن وافضلهن وقد جعلت هذه المدرسة داخل مستشفى فتتولى مديرتها امر ممرضاتها وتعلمهن وتمرنهن كأنهن تلميذات فى الطب ومتى تمم حصصهن ينقلبن الى غرفهن او يصرفن اوقاتهن في قاعة كبيرة جعلت فيها خزانة كتب ومحال للمطالعة والكتابة او الى الضرب على البيانو .

الموظفون الفرنسويون

احصى احد الباحثين عدد الموظفين في الجمهورية الفرنسوية فقال انهم كانوا سنة ١٨٤٦ ١٨٨ الفاً فاصبحوا الآن ٤٠٠ الف واذا عدّ فيهم موظفو المقاطعات والعمالات بلغوا ٥٣٠

القاوالشفاعات وعطف اصحاب المناصب على ذوي قرباهم Le favoritisme,le népotisme هي السبب في هذه الزيادة المفرطة التي تكلف نحو مليار فرنك في السنة اذا أُضيفت اليها رواتب المتقاعدين

مكتبة تجدد

وصف احد فضلاء الفرنسيس المكتبة التي انشأها كارنجي الغني الاميركي في مدينة ادنبرغ التي هي من بريطانيا كمدينة آثينة من يونان ايام عزها فقال ان ليس فيها كتب نفيسة كثيرة بل فيها ادلة وكتب ارشادات وتقاويم وخطط وغيرها معروضة على المناضد للمطالعة يرجع اليها المختلفون الى تلك المكتبة لاول ساعة وعددهم كل يوم لا يقل عن ٧٠٠٠ وان ٤ من ٧ يترددون على غرفة المجلات وهناك غرفة لاعلاق الكتب لمن يطلبها فيها ٥٢ الف مجلد وهي تمزق وتعتق فتجدد كل مدة ويؤتى باحسن منها اما قاعة المراجعة ففيها ١٠١٣٩٦ مجلداً من المعاجم والموسوعات ومجاميع القوانين وغيرها .

فقراء الهند

نشرت احدى المجلات الالمانية بحثاً في حكماء المسلمين في الاصقاع الهندية الذين يدعون بالفقراء فقالت ان الاوروبيين الذين يزورون الهند زيارة سطحية بدون ان يسبروا اخلاقها يرون من هؤلاء الفقراء مجانين مختلة شعورهم ولكن لهؤلاء الصالحين الشحاذين دخلاً في الدين وعددهم بحسب الاحصاء الاخير نحو خمسة ملايين نسمة في الهند ومن اشهرهم كوريسانكار وكان من قبل وزيراً لبهافنكار وهو ذو حظوة عند الانكليز ومؤسس مدارس وسجون كانت انموذجاً في انتظامها ثم نفض يده من الدنيا وانقطع الى غابة سنة ١٨٧٩ وكتب الى ماكس مولر الفيلسوف اللغوي الالماني : لقد عشت ستين سنة في الحياة الخارجية فاريد الآن ان اصرف عمري في التأمل .

العرب والغوط

بين احد الباحثين الانكليز النسبة بين الهندسة الغوطية والعنصر الغوطي وبين الهندسة العربية والعنصر العربي والغوط هم شعب كان ينزل في جرمانيا واغار على المملكة الرومانية سنة ٤١٠ م فقال ان الهندسة العربية غير ثابتة ولذلك فنيت واضمحلت اما الابنية الغوطية فهي على العكس تنبيء بعقول بناتها من اهل الشمال وبشدة اخلاقهم وان ما خص هذا العنصران اي الغوطي والعربي مما انبأ به تاريخهما من قلة نظامهما يقرأه المرء فيما بقي من مصانعهما وآثارهما .

المقتبس

الجزء الثاني عشر من المجلد الثاني

ذي الحجة سنة ١٣٢٥ الموافق يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٨

حالتنا العلمية والاجتماعية

حري بنا والربع الاول من القرن الرابع عشر ينتهي بانسلاخ هذا الشهر ان نذكر بعض ما تم للبلاد العربية في خلاله من اسباب النهوض وتحسين الملكات والارتقاء العلمي والادبي فنثبت من ذلك ما نعرفه عن مصر والشام بالعيان وما يبلغنا عن البلاد القاصية من ثقات من رحلوا اليها او اطلعنا عليه فئة من اهلها فنقول :

كان حظ مصر من هذا الارتقاء عظيماً اذا قيس بالخطوات التي خطتها الاقطار الاخرى ومصر لا تزال منذ سقوط الدول الاولى محط رحال العالمين والمتعلمين ومقصد اهل الاسلام من اهل افريقية واوروبا وآسيا وجزائر المحيط . فقد زاد فيها عدد المتعلمين وبعد ان كانوا واحداً او اثنين في المئة اصبحوا الآن نحو عشرة وزاد المتأدبون والقراء ايضاً فبعد ان كانت الجرائد لا يتناولها اكثر من الفي قارئ ومعظمهم لا يكادون يفقهون ما يقرأون زاد عددهم زيادة كبرى حتى جاوزوا فيما احسب ثلاثين الفاً وكثير منهم يعقلون ما يلقى عليهم كما زاد تحسين الصحافة العربية واخذت تجري على مثال الصحافة الغربية وصار لها صوت وتأثير في الامة . وعلى تلك النسبة نما فريق الكتاب والادباء والمعربين والمصنفين بعد ان كان الكتاب في مصر اواخر القرن الثالث عشر يعدون على الاصابع ومعظمهم ضعاف يكثر في كلامهم اللحن والركاكة كما تقل الافكار السديدة . ولولم يكن المصريون منصرفين الى تولي اعمال القضاء والادارة والطب والهندسة في الحكومة لرأيت الكاتبين والمفكرين منهم اكثر سواداً واعظم نفعاً ولكن الآمال معقودة بان يزيد عددهم ويكثر الانتفاع بثمرات عقولهم وتجاربهم في الربع الثاني من هذا القرن اذ اصبح بعضهم يشعرون بان الاعتماد في تعليم

ابنائهم على الحكومة وحدها ليس من السداد في شيء ومتى اخذت الوظائف كفايتها من العمال يغدو المتعلمون وقد سُدت في وجوههم الابواب في الحكومة فلا يعود امامهم غير الصناعات الحرة ومنها القيام على التأليف والكتابة وهي من المعايش التي يزهدون فيها الآن

ساعد مصر على النهوض انتشار الحرية الشخصية وكثرة احتكاك الاهلين بالاجانب فنشأ من ذلك نشء ان لم يكن في الغاية بتعليمه فهو اهل للعمل لو دُرب عليه · وعرف اكثرهم منزلتهم ومنزلة قومهم من القصور فهموا ان يعملوا وحاولوا ان ينفعوا واصبح الناس يبحثون في الشؤون العامة اكثر من ذي قبل وان كان بحث عامة الناس في الشؤون السياسية عقيماً في الاغلب · والجرائد هي السبب في غرس هذا الميل في نفوس القوم فهي المدرسة اليومية بعد المدارس الاميرية والاجنبية والكتاتيب الاهلية ولطالما اكثرت من ترديد عبارات التحميس والنقد والتنديد والنعي والعويل ففعلت اقوالها في الاذهان بقدر تأثير كتابها حتى خاف العقلاء ان تكون الآراء السياسية مشغلة للقوم عن النظر في شؤون التجارة والزراعة والصناعة · وقد اخذت بعض الجرائد الخطيرة تحاول سد هذه الثلمة فانشأت تكثر من نشر الموضوعات الاجتماعية والتاريخية والادبية على نحو ما تفعل الصحف في بلاد الغرب · وكما كان لجرائد العربية تأثير في الافكار فقد فعلت فعلها في الالسن والاقلام باستعمالها الكلام الفصيح كل يوم بحيث علق من تراكيبها ومصطلحاتها جملة صالحة صار العامة يدمجونها في تضاعيف كلامهم وخطابهم وترقت بواسطتها لغة الدواوين وكانت من قبل في احط دركات الركاكة ·

نشأ لمصر مهندسون واطباء وقضاة متعلمون كاحسن ابناء صنفهم في بلاد الغرب لولا ان رجالنا يصابون في الاكثر بشيء من الفتور ووقوف عقيب سن الدراسة قد يعوقهم عن الجري في العمل بعد ان يستوفوا النظريات ولولا ذلك لرأينا من آثارهم في نشل ابناء بلادهم من سقطتهم اكثر مما رأينا · وابناء مصر لا يزالون مقصرين فيما يربي النفوس على حب العمل الحر النافع ولم يقبلوا حتى الآن على اتقان العلوم الزراعية والصناعية وما ينبغي لها اقبالهم على الحقوق مع شدة حاجة القطر الى الزراعة قبل كل علم ·

ويسرنا ان نرى كثيرين من المصريين يقصدون بلاد الغرب للتعلم في مدارسها وبعضهم من ابناء الاعيان · وكيفما كانت الغاية من تعلمهم فهم مفخر من مفاخر بلادهم ولابد ان يكون السابقون مقصرين فيما يجب عليهم اتباعه والاضطلاع به بداءة بدء ولكن الجيل المقبل سيكون انشط في عمله واسرع الى تلقف ما يلزمنا من مدنية اوروبا وما يضرُّ بنا منها وهو كالصدإ علينا وعقلاء اهلها ينادون بالتخلي عنه في كل شارقة وبارقة ·

قلت ان الجرائد اثرت في نهضة المصريين ولم اقل المجلات لان هذه مقصورة على طبقة خاصة من القراء وبعضها منتشر خارج القطر اكثر من انتشاره داخله لان العلميات والاجتماعيات والدينيات والادبيات ليس لها في نفوس العامة تلك المنزلة التي يجدها القارىء فيما يقرأه للتفكهة من الاخبار والمناقشات السياسية ويجده منه قيد النظر ويكيفيه الاماني. على ان لبعض المجلات الكبرى التي ظهرت في مصر على قلة انصارها فضلاً كبيرًا في التعليم والتربية .

ومن الترقي في الافكار ان بعض اهل الجمود ممن كانوا لا يقولون بتلاوة الصحف والكتب الحديثة اخذوا يقرؤُنها اضطرارًا وسمحوا او تسامحوا بمطالعتها فكان من اثرها ان عرف بعض طلبة العلوم الدينية تقصيرهم في الاخذ من علوم الدنيا بحظ وافر يعينهم على فهم اسرار الشريعة ونشأ من هذه الحركة ان دخل شيءٌ من الاصلاح طفيف على طريقة التعليم في الازهر وادخل في قاعة دروسه من علوم الرياضة وتقويم البلدان والتاريخ وفن الادب ما كانت تلك المدرسة الكبرى محرومة منه زمنًا طويلاً . وانه على عقم طريقتها الى الآن يرجى ان ينشأ منها ناشئة يفضلون بما تعلموه اخوانهم الذين سبقوهم خصوصًا وقد توفرت العناية بمدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم وهما من انفع المدارس لاتمام دروس من يخرجون في الازهر وانشأت مدرسة ابي العباس المرسي في الاسكندرية تخرج من طلبة الدينيات من لم مشاركة في شيء من علوم الدنيا . فكان مشايخ العلوم الدينية وكانوا لا يسفون للتنازل الى تعلم ما فاتهم من اسباب العلم بزمانهم رأوا الآن وقد قامت المدارس المنظمة على الطريقة الاوربية بعض التنظيم تنازعهم فضل تربية الامة واعداد رجالها ان لا مندوحة لهم عن دعوة صغار الطلبة ولو بلسان الحال ان ينظروا نظرًا اجماليًا فيما لا غنية عنه من علوم العصر .

فعسى ان تتم للناهضين من هذه الامة امنيتهم من الاهابة بالمتعلمين الى الاخذ من علوم الدنيا والدين على حد سواء ثم يتمحض منهم من يريد ان يتمحض لفرع من الفروع التي يجد فيها له الغناء . ومن قرأ تاريخ اوروبا في القرن السادس عشر يجده كتاريخنا في هذا الربع الاول من القرن : عراك بين القديم والحديث وقلة اتقان لها كليهما والنفوس آخذة بالشعور تلوب على ما يوليها نهوضًا . وادراك الفرد نقصه وسعيه الى كماله ولو اخطأ الطريق بادىء بدء فأل خير وبشرى سعادة . والقول اول مراتب العمل والشك اول درجات اليقين . ولا بقاء لهذه الامة الا اذا ابقت على النافع من قديمها ولم تستهن به واضافت اليه من الحديث ما لا عهد لها به وفيه قوام اجتماعها .

ان اختلاط مصر بالغرباء والافرنج منهم خاصة ممن كثر اقبالهم عليها اكثر من كل

بلد يتكلم اهله بالعربية اللهم الا الجزائر وتونس وتعلم جانب من ناشئتها في مدارسهم والقائهم للغاتهم وذهاب اهل السعة منهم كل صيف للاصطياف في اوروبا وارسالهم بعض اولادهم يغترفون من مَعين العلم في مدارسها و سَلاً — كل هذه الاسباب ادخلت مصر في طور البلاد الافرنجية ولا سيما حواضرها وامهات مدنها حيث يكثر المتعلمون واهل اليسار وتصدر الصحف والمطبوعات ويجتمع الموظفون والمزارعون والمضاربون واهل التجارة ·

ومما يعد في باب الارتقاء في الفكر الديني بفضل ما انتشر بالطبع من امهات الكتب الدينية وتناقلتها الايدي على اختلاف الطبقات ان اخذ بعض العامة دع عنك الخاصة يدركون ان في بعض معتقداتهم شوائب وفي الكتب المعتمدة في القرن الماضي من مؤلفات المتأخرين اغلاطاً لا بدَّ من نزعها والرجوع فيها الى الاصول الصحيحة · وهذا الاعتقاد سرى في النفوس لاسباب منها انسيال تيار الفلسفة الجديدة واحياء الامهات من اسفار السلف وانتباه اهل العقول الى ان الرجوع بالناس الى الاصول خير من الضلال بها في مهامه الفروع المشوبة والمعتقدات الضارة ·

وقد دخلت المطبوعات في دور جديد فبطل بعض الطبع السقيم واخذ ارباب المطابع يحاولون تجويد الطبع وانتقاء المصنفات النافعة فاحيوا كثيراً من الامهات القديمة في الشريعة والادب والتاريخ كما ترجموا بعض المترجمات الجليلة في الحقوق والطب والكيمياء والطبيعة والاجتماع والقصص · وكان الفضل في تحريك نفوس المسلمين هنا وايجاد حركة ادبية بينهم لاحد ارباب النفوس الكبيرة والحكمة ونعني به السيد جمال الدين الافغاني فانه هبط مصر في الربع الاخير من القرن الثالث عشر ولقي فيها من بقايا اهل العلم والذين تعلموا في اوروبا من ساعدوه على قبول دعوته وكانت العجلة من طبعه يريد التأثير والاصلاح مباشرة ولولم يكن كذلك لدل الامة اكثر مما دلها على معايبها ووصف لها من اسقامها بنغمة لم تكن تألفها وقد نفعت دعوته في تهيئة الملكات فربى له رجالاً يغلب عليهم النشاط والعقل في الجملة ومنهم اكبر مريديه الشيخ محمد عبده الذي وفق الى تولي منصب الافتاء فكان له فيه اعظم تأثير ومضى زهاء عشر سنين على مصر كان فيها زعيم الحركة الاصلاحية كما كان شيخه جمال الدين من قبل ومن اعظم آثار الشيخ المفتي انشاء الجمعية الخيرية الاسلامية وهي عمل نافع تثلج له الصدور وتقر العيون ·

اما القطر السوري فكانت حركته العلمية والادبية جيدة على الجملة ولا سيما في بيروت مدينة العلم والمدارس في الشام ومركز الحركة العقلية التي نشأت في الحقيقة بفضل مدارس مرسلي الاميركان والفرنسيس ومطبعتيهما العظيمتين وسائر المطابع والجرائد التي نشأت فيها

اواخر القرن الماضي وبعده وثلة من الافاضل الذين خدموا العربية خدمة نافعة كفانديك وورتبات وبوست والبستاني والاسير والاحدب واليازجي والحوراني والشرتوني وشيخو وبلو واضرابهم السائرين على آثارهم ·

ومما ساعد على تحسين الاذواق في بيروت ولبنان كثرة ولوع سكان الجبل بالهجرة الى اميركا منذ اوائل القرن كما اولع اجدادهم الفينيقيون بها من قبل وعودة بعضهم باموال اقاموا فيها القصور والمباني على النسق الغربي وحاولوا العيش على المناحي الافرنجية وجلبوا معهم عادات ومعارف جديدة نفعت في انشاء ملكاتهم وآدابهم · والفلاح السوري على الجملة ارقى من الفلاح المصري واذكى منه ولكن اهل الطبقة الوسطى والعليا من المصريين ارقى من اهل جنسهم في الشام · وقد سرت من حب الهجرة شظية الى داخلية سورية وهب المسلمون الى الاغتراب بعد ان كان المسيحيون وحدهم يضربون في اكناف الارض ولا سيما في اميركا ومصر كما سرت عدوى العلوم الحديثة وحب تعلم اللغات الاوروبية ولكن هذه الجراثيم ما زالت قليلة الانتشار بينهم · وممن كان لهم اليد الطولى في الدعوة الى تصحيح الافكار في سورية ولا سيما في دمشق واعمالها الشيخ طاهر الجزائري فانه نفع بتآليفه وارشاده وخطبه في الاندية الخاصة حتى كان سبباً في انارة عقول جمهور كبير من المتعلمين والمتأدبين والمتصدين للنفع والتدريس فكان العضو العامل في انشاء المدارس الابتدائية في سورية واحياء كتب السلف بعد ان بددها الخلف وجعلها في خزائن عامة كالمكتبة العمومية في دمشق وغيرها · ولكن سورية مُنيت بالمراقبة على المطبوعات فهجرها اكثر المفكرين والكاتبين من ابنائها بحيث صح ان تدعى سورية مدرسة وميدان العمل مصر واميركا وغيرهما · ولئن لم يأت المسلمون في سورية حتى الآن بعمل يدل على فضل وعقل فان الانتباه الذي حدث في هذا العهد يدعو الى الامل بانه سيكون منه عما قريب احسن اثر يعود على البلاد بما ينفعها في مادياتها ومعنوياتها · ومتى ايقن المرء بجهله تعلم والجهل البسيط خير من الجهل المركب ونريد بالجهل البسيط هو ان لا يعلم صاحبه ويعلم انه لا يعلم والجهل المركب هو ان لا يعلم ولا يعلم انهُ لا يعلم ·

هذا في العلوم الدنيوية اما العلوم الشرعية فقد قلَّ المشتغلون بها كثيراً لان الناس مفطورون على حب المنفعة العاجلة اكثر من الآجلة · وذلك ان فريق المتعلمين رأوا العلوم الشرعية اصبحت لا يرزق صاحبها منها بقدر رزق صاحب العلوم الدنيوية فرغبوا عن الاولى الى الثانية وفشا فيهم داء الاستخدام كمصر فضعفت بذلك العلوم الاسلامية التي كانت تعد دمشق وحلب مثلاً من امهات مدنها واسواقها في العصور السالفة ·

واذا تقدمنا الى العراق نجده يشبه حال الشام وان بقي له شيء من العلوم القديمة ولم يأخذ من الحديثة بقسط وافر على ان ذكاء العراقي ونشاطه معروفان موصوفان ولا يبعد اذا تهيأت اسباب واحدة للقطرين الشقيقين ان يسبق العراق الشام . ومثل ذلك يقال في نجد واليمن والحجاز فان الذكاء موجود في اهلها على اتمه ولكن اسباب التعلم ضعيفة جداً والعاقلون العاملون لا يهتدون الى طريقة تفتح امامهم سبيل الوصول .

واقليم نجد ما برح على الفطرة حتى ان علوم العربية ضعيفة فيه وليس هناك غير العلوم الشرعية من الفقه الحنبلي وغيره مما بثه فيهم امامهم محمد بن عبدالوهاب في القرن الثالث عشر وكانوا من قبل في جاهلية جهلاء وهم لا يزالون بعيدين عن تعلم العلوم العصرية مع كثرة تجول بعضهم في الاقطار المجاورة في التجارة ورؤيتهم في الهند ومصر وغيرهما من آثار العلم الغربي ما يبهج ويدهش . وكذلك الحال في اليمن الا ان العلوم الاسلامية على كثرة الفتن هناك ما فتئت بين الزيدية ارقى مما هي في غيرها من الاقطار وهي منحطة عند غيرهم ويمتاز عامة اهل نجد واليمن عن عامة غيرهم بمعرفتهم المبادىء الاولى التي هي اساس لما بعدها بحيث ان عامتهم يشاركون اعلى طبقات العلماء في المبادىء الصحيحة حتى ان كثيراً من عامتنا بل من علمائنا يتوهمون في كثير من عامتهم بانهم علماء نحو اصنا ارقى من خواصهم وعامتهم ارقى من عامتنا . والحجاز ما برح كما وصفه الكتاب العزيز وادياً غير ذي زرع كما انه لا يزال وادياً غير مخصب بالعلم والادب وان كان كما قال لي احد الثقات بانه قد ينزل فيه علماء كبار ولكن يقصدونه للعبادة والتخلي عن الدنيا لا ليعملوا ويجدوا فترى فيه الافغاني والهندي والمغربي وغيرهم ممن صرفوا اعمارهم في النافع واحبوا ان يختموها بالعبادة . اما السواد الاعظم من السكان هناك فبعيدون الآن عن التغيير ولعل السكة الحجازية متى وصلت بلادهم ببلاد الشام تنقل اليهم من وراء البحار ما تستنير به عقولهم كما ستنقل اليهم الغلات و الثمار .

هذه احوال جزيرة العرب من الارتقاء وهو احرى كما رأيت ان يدعى وقوفاً واما شمالي افريقية فحالتها ليست الا دون ما يرجى فاذا نظرت الى المغرب الاقصى ترى الفوضى السياسية تمزق احشاءها منذ سنين بل منذ اعصار والقول الفصل فيها لمشايخ الطرق منذ خمسة قرون وليس لعلماء الدين الحقيقيين سلطة تنفع اما العلوم العصرية فمعدومة بالجملة واذا نظرت الى فاس وغيرها من امهات مدن العلم في ذاك الصقع الواسع لا تجدها قد اختلفت شيئاً عما كانت عليه منذ قرون اللهم الا في انحطاط العلوم الدينية مع ان المغرب الاقصى من اوروبا على قيد غلوة ولكنه ضرب دونه ودون المدنية باسوار منيعة وحرم اهل الشأن فيه

ما لم يحرمه دين ولا عقل كقراءة الكتب الجديدة والصحف بل وصل الغلوّ بهم الى تحريم تفسير القرآن لخيالات يتخيلونها من قراءته ·

واذا جئت المغرب الاوسط وهو الجزائر ترى العلوم الاسلامية منحطة فيه والعلوم الجديدة ليس منها شيء الا في المدارس الفرنسوية على قلة جدواها ولم يصل منها الى اهل البلاد النافعين في انهاضها غير نور ضئيل جدًا لان اكثر الدول المستعمرة تذهب الى ان العلم يرفع ربقتها عن المستعمرين وكذلك الحال في المغرب الادنى وهو تونس وبرقة اي طرابلس وما والاها من بلاد الصحراء الا ان اهل تونس هم بالنسبة للمغربين المجاورين لها ارقى في العلوم الدينية والدنيوية · وجامع الزيتونة يكاد يكون ارقى من الجامع الازهر على ان تونس كانت منذ القديم تعنى بالعلوم الاسلامية اكثر من غيرها من الاقطار وحسن الترتيب بين التوانسة في طريقة التعليم قديم العهد كيف لا وهم في الاكثر من نسل الفينيقيين وجالية الاندلسيين · ويرجى لهم بعد ان نفس عنهم الخناق بعض الشيء ان تنفعهم الحرية فيفكر قادتهم لهم وان ما نسمع به ونراه من الصحف والجمعيات التي اكثروا من تأسيسها مؤخرًا ليدعونا الى الرجاء بان يكون الربع الثاني من القرن احسن فائدة واكبر عائدة عليهم ان لم يعاودهم الضغط والمراقبة ·

هذه حال البلاد التي يتكلم فيها باللغة العربية بقي السودان وزنجبار وحالهما حال سائر البلاد العربية واضعف وكنا نأمل لاهل زنجبار ان يكونوا كاهل اليمن في العلم والانتباه ولا ندري ما احاق بهم حتى تأخروا عن اللحاق بهم · واذا احصيت العرب لا تراهم يقلون عن خمسين مليونًا ولو قست حالهم العلمية والمادية باصغر الشعوب الاوروبية كالبلجيك او هولاندة او سويسرا لبكيت وانتحبت هذا ولغة العرب ينطق بها نحو مئتين وخمسين مليونًا فهي اقوى اللغات واضعفها اقواها باساسها الثابت المتين واضعفها باهلها المشتتين · فنسأل الله ان يهيء لهذه الامة من يرشدها ولا خير لها الا من انفسها لان سادتها وكبراءها ناموا عن رعايتها ·

مصائب المكاتب

ليس اعزّ على عالم من كتب واوراق كتبها هو او غيره ولذلك تجد المصنفين في كل عصر ومصر يختارون اجود الورق واثبت المداد واجمل الخطوط تخليداً لجدهم وحرصاً على بنات افكارهم او افكار من عاصرهم اوتقدمهم . ولما كان لكل شيء في العالم عمر طبيعي يقضيه حيواناً كان او نباتاً او جماداً لم تخرج الكتب عن حد كونها عرضة للفناء وان طالت اعمارها اكثر من غيرها في عالم الكون والفساد بيد ان المصيبة بها جليلة لانها ثمرة عقول البشر وزبدة اقوالهم وافعالهم وافضل ما في المرء عقله ولا يتم له حفظ ثمراته في الغالب الا بكتاب .

حدثت الكتب في الاسلام في اواخر القرن الاول ولم يمض قرن او قرنان حتى عدّت بالالوف وصار لها شأن عند القوم بعد ان كانوا أُمة أُمية لا يقرأون ولا يكتبون . قيل ان الكتب التي كتبها ابو عمرو بن العلاء المتوفى بعد الخمسين ومائة عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب السقف ثم انه تقرأ اي تنسك فاخرجها كلها . وفي رواية احرقها . فلما رجع الى علمه الاول لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه . ومعلوم ان اصحاب السلطان في الاسلام عُنوا باقامة الخزائن وتسبيلها على المطالعة والمراجعة والنسخ بنتابها خاصة الناس وعامتهم لندرة الكتب وعزة الظفر بها اذ ذاك وقد اصاب تلك الخزائن ما اصاب غيرها من مخربات العمران واقلها التحريق والتمزيق والضياع والتفريق . ولذلك طالت لها الحسرة . وهلاك فرد لا يوازي هلاك افراد وان عُدّ الفرد احياناً بامة . وكذلك الحال في الكتب فان ذهاب مكتبة او مكاتب برمتها لا يشبه ذهاب كتاب او بضعة كتب واهم المآتم التي اقيمت على الكتب الاسلامية ثلاثة .

الاول يوم دخل هولاكو سنة ٦٥٦ الى بغداد وقتل الخليفة العباسي وازال الخلافة جملة وخرب دار السلام فالقيت الكتب في دجلة حتى قيل ان لون مائه على غزارته بقي اياماً اسود مكمداً بما تحلل فيه من مداد الاسفار التي ابتلعها وبالغ المؤرخون فيما ذهب في تلك النكبة . ويكفي بان بعض تلك الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة على زمن هؤلاء التتر قد انشأ بها نصير الدين الطوسي احد فلاسفة الاسلام خزانة عظيمة اتخذها بمراغة في القبة والرصد الذي انشأه هناك فتجمع فيها زيادة على اربعمائة الف مجلد . والمأتم الثاني يوم دخل الافرنج مدينة طرابلس الشام في الحروب الصليبية فاحرقوا مكتبتها بامر الكنت برترام سنت جيل وكان قد دخل غرفة فيها نسخ كثيرة من القرآن فقضى باحراق المكتبة كلها وفيها على ما قيل ثلاثة ملايين مجلد . واصاب البلاد غير هذين الرزيئتين

ما اصابها من الخراب بايدي التتر واهل الصليب . والمأتم الثالث نكبة الاندلس وداهيتها الدهياء فقد وقعت كتب المسلمين في ايدي اعدائهم وقد اعماهم الجهل والتعصب فجعلوها طعاماً للنار .

قال قوندي في تاريخه ان مسيحيي اسبانيا لما استولوا على قرطبة حرقوا كل ما طالت اليه ايديهم من مصنفات المسلمين وعددها مليون وخمسون الف مجلد جعلوها زينة وشعلة في يوم واحد ثم رجعوا على صبعين مكتبة في الاندلس وانشؤا يتلفون كل ما عثروا عليه في كل اقليم من مؤلفات العرب . وقال احد مؤرخيهم ربلس ان ما احرقه الاسبانيول من كتب الاندلسيين بلغ الف الف وخمسة آلاف مجلد . وذكر بعض المؤرخين ان احد جثالقتهم امر باحراق ثمانين الف مجلد في ساحات غرناطة عقيب استيلائهم عليها وانهم قبضوا على ثلاث سفن قاصدة مراكش تقلُّ ما عزَّ على المسلمين ان يخلفوه وراءهم من اسفارهم فالقوها في قصر الاسكوريال ثم لعبت فيها النيران وبقيت منها بقية رتب فهرستها احد مسيحيي سورية وجعلوها الى اليوم مكتبة يتناقلها علماء الارض وكان بقي منها على عهد من رتبها ١٨٥١ سفرا . وقد ادعى قوم ان المسلمين حرقوا كتب الامم قبلهم في الفتح فعاملهم الدهر بعملهم بعد . فقالوا ان عمر بن الخطاب امر باحراق كتب الاوائل وانه امر عمرو بن العاص باحراق مكتبة الاسكندرية وفيها قسم كبير من حكمة اليونان وغيرهم من الامم الخالية وانهم حرقوا مكاتب فارس في خلال الفتح وان عبدالله بن طاهر قائد المأمون حرق في خراسان سنة ٢١٣ هـ ما كان باقياً من مؤلفات المجوس الى غير ذلك مما يتذرعون به من الحجج وهو مردود عند اهل التمحيص ونقدة الاخبار .

ولو كان لما ادعوه ظل من الحقيقة لذكر قدماء المؤرخين من المسلمين ذلك ولو باشارة طفيفة . ولماذا يا تُرى لا نرى لهذه الدعوى ذكراً فيما بين ايدينا من كتب التاريخ كابن جرير والمسعودي والبلاذري وغيرهم كما انا لا نجد لذلك اثراً في كتب سيرة العمرين وكان على مؤلفيها لو كانت رُويت هذه الاخبار لهم من طريق صحيح وتواترت في زمانهم ان يعدوها في باب مناقب الخليفة الثاني ويوردوها بسلامة صدر على عادتهم في بعض اخبارهم . بل كان على اصحاب الكتب الستة مثلاً ان يفردوا لاحراق الكتب باباً لو كان صدر من بعض الخلفاء الراشدين مثل هذا العمل . كل هذا لم يرد شيء منه في تضاعيف كتب الثقات واناهم الوضاعون وضعوا هذا الخبر كما وضعوا مئات مثله والصقوه بالامام فتلقفه من لا عهد له بوضع الاخبار على محك النقد من مؤرخي القرون الوسطى قضية مسلَّمة وراح بعضهم يتذرعون به الى النيل من الائمة باحراقهم الكتب ليحولوا دون العقول والاخذ من

علوم الاوائل وكل ما نسب للمؤرخين المتأخرين منقول عن القفطي من اهل القرن السادس ولا يبعد ان يكون تلقفه من كتب الوضاعين وتابعه عليه من بعده . يؤيد ذلك ما مُني به المسلمون من التفرق الى شيع يضاد بعضها بعضاً وما ثبت في التاريخ من ان الحريق طرأ على هذه المكتبة مرات قبل الاسلام ولما فتحت الاسكندرية في الصدر الاول لم يكن في مكتبتها من الكتب ما يدعو الى مد يد الفاتح اليها بشيء من الاذى والحرق ولذا لم يذكر هذا الخبر احد من معاصري الفتح من المؤرخين سواء كانوا من الروم او غيرهم .

هذا ما وقع للكتب العربية من النكبات العامة في القرون الوسطى وقد وقع لها ما بعده نكبات اعظم وادهى نريد بها جهل القوم وزهدهم فيها ومفاداتهم بها و بيعها بثمن بخس لكل طالب . وما زال الشيوخ من اهل هذا الجيل يحدثوننا بما وقع لكتبنا في مصر والشام واقله السرقة والحرق الاختياري وبيعها من الدلالين لينقلوها الى الاجانب .

حدثني ثقة ان دلال كتب في دمشق كان يغشى منازل اهل العمائم ممن يعرفون بين القوم بالعلماء ويختلف الى متولي خزائن الكتب في المدارس فيبتاع منها ما طاب له من كتب القوم المخطوطة باثمان زهيدة اذ لم يكونوا يحرصون الا على كتب الفقه وكانوا ابيع من اخوة يوسف لكتب التاريخ لانها كذب بزعمهم والكذب لا ينبغي ان يوضع في قماطرهم وخزائنهم وهناك فنون كثيرة تلحق فن التاريخ بالطبع وهي كتب الحكمة والادب . قال وقد ابتاع معظم هذه الكتب قنصل المانيا اذ ذاك بما يساوي ثمن ورقها ابيض وبقي سنين يتلقطها من اطراف سورية حتى اجتمع له منها خزانة مهمة رحل بها الى بلاده فاخذتها حكومته منه وكافأته عليها والغالب ان معظم ما في مكتبة برلين العربية هو من بقايا الكتب التي كان يعدها اولئك المتعالمون اضاليل واباطيل والتخلص منها بدراهم معدودة خير وابقى .

ومثل هذا وقع في كثير من بلاد الشرق العربي ولا سيما القاهرة فان ما تدورك امره وجمع في دار الكتب الخديوية هو غيض من فيض . وكذلك ما جمع في خزانة الكتب العمومية في دمشق وما بقي في بعض مدارس حلب وغيرها وما اظن الان حظ سائر البلاد الاسلامية كان كحظ هذين القطرين في كتبه لان الداء واحد وهو عموم الجهل .

اما مكاتب الاستانة وهي نحو اربعين مكتبة الآن ويبلغ ما فيها نحو مائة الف مجلد ففيها النفيس الذي لا خطر له ولكنها مغلقة تأكلها الارضة ولا ينتفع بها وكثيراً ما سطا عليها شياطين الانس من الغربيين وابتاعوا بعضها من القوّام عليها لقاء ريالات يرضخون بها لهم ولا يزال معظمها في حكم العدم وتوشك اذا دامت كذلك ان تفنى مع ما فني وترحل مع ما رحل .

الا فلتعمر مكاتب مونيخ وبرلين وستراسبورغ وليبسيك وليدن وفيناو بودابست واكسفورد ولندن وباريز والاسكوريال وبطرسبرج ونيويورك وشيكاغو وغيرها من المكاتب العامة والخاصة فانها هي التي عرفت قدر ما احتقرناه وبواسطة رجالها يحيا كل كتاب انتقل اليهم وينتفع به ولو بعد حين وآمالنا في انتشار مدنية الاسلام على يد اولئك الغربيين اكثر من آمالنا من انتشارها على يدنا وان كنا نود مشاركة اولئك الغيورين في احياء مدنيتنا وصاحب الحاجة اولى بها .

نظام العمل

للدكتور موريس دي فلوري نشرت في «المجلة» الفرنسوية

لا ارى انسانًا يصف نفسه بانه يقتلها في العمل خليقًا بان يكون حكمه معقولاً لان العمل في ذاته لا يقتل بل هو على العكس شرط من شروط الصحة وموازنة القوى . اذاع في العهد الاخير احد الدعاة الى نزع الملكية (١) (Collectiviste) المتحمسين المخلصين بان دور السعادة اتى وانه سيكفي المرء بعد الآن ان يعمل كل يوم ساعة وثلثا ليقوم بحاجاته الخاصة ويوفي ما للمجتمع عليه من المطالب . وهو نظر في المستقبل لم احفل به بتة اذ لم يقع من قلبي موقعًا مقبولاً لعلمي بان الانقطاع عن العمل اثنين وعشرين ساعة واربعين دقيقة هو مما يؤدي بالانسانية الى مواقع الضعف الطبيعي المحزن والغفلة التي تغشى الابصار والبصائر سيئاتها . هذا اذا لم اقل ان هذه البطالة والاغراق في عدم استعمال قوانا ربما يدفعاننا الى السقوط فيما سقط فيه اسلافنا الاول من الوحشية . على حين نرى العمل اليومي الطويل ضروريًا لتجديد قوانا وهو منظم غريب في جهادنا العصبي فعلينا والحالة هذه ان لا نتطال الى الاقلال منه بدون تبصر .

لا يموت كبار العاملين شبابًا كما يموت اسوأ الخاملين والامراض السارية لا تبقي على النساء المنقطعات عن العمل ونتناول الرجال المجدين في تعاطي اعمالهم . وكذلك الحال في رجل له دخل يعيش في احدى الولايات فتراه لا عمل له الا ان يقرأ جريدة ويذهب ليتفرج

---

(١) هذا التعليم هو من التعاليم الاجتماعية الحديثة يقضي بالغاء التملك الشخصي ليجعل بيد الحكومة والمجتمع

على مرور القطار السريع تراه يشيخ بسرعة على نحو ما يشيخ ذاك الطبيب من معارفي وهو يستيقظ الساعة السابعة صباحاً من نومه ويذهب ليقوم بوظيفته في المستشفى ثم يلقي درساً في المدرسة الطبية ويسأل المرشحين في الفحوص ويطب عشرين مريضاً احسن تطبيب ويكتب عشر رسائل ويدير دفة اعمال المباحث في معمل كيماوي ويرأس لجنة طبية وينشر كل سنتين او ثلاث سنين مجلداً ممتعاً من قلمه . ثم انك لترى الشعوب المفرطة في الكسل مهما كان هواء بلادها جيداً يموت منهم اكثر مما يموت من الشعوب المتوفرة ابداً على تعاطي الصناعات .

ومن المحق ان من الصنائع ما يضر بالصحة تعاطيه . والمرء قد يمرض لانه استنشق زمناً غباراً او ابخرة مضرة مهلكة . ولا يختلف اثنان بان للعمل العقلي والعضلي شروطاً وارى ان انصح للعاملين بما لديّ من النصائح لاعلّمهم ان لا يعرضوا انفسهم للاعياء والاعنات . ولا بدّ لي ان اقول في فاتحة كلامي لمن اتخذوا الكسل شعاراً ان كل حاسة من حواس الانسان اذا انصرفت زمناً الى الراحة تهزل على ان الحاسة التي تعمل على الدوام تحفظ وتزداد وتكمل

يقول علماء منافع الاعضاء ان صرف القوى بالعمل المعتاد يكاد لا يدرك اذا كان قانونياً ويعوض النوم والغذاء ما فقد منها . وان المرء اذا كان صحيح الجسم وجرى في تدبير صحته على قاعدة معقولة يقوم بعمل يوازي على الاقل يومي العمل المقنن في العادة وهو ما تراه نقابات العملة الآن مغايراً للمعتاد وذلك بدون ان تنفد قواه . وارى ان هذه الكمية من العمل هي في الواقع نافعة لقوام البنية الحيوية القانونية .

نشر الاستاذ لاندوزي في مؤتمر السل الاخير خلاصة ابحاثه المهمة التي عُني بتحقيقها هو واثنين من تلاميذه المسيو هنري والمسيو مارسل لابي واورد الصورة التي يغتذي بها في العادة العملة الباريزيون . فدلت تحقيقاتهم على ان معظم العاملين بقواهم يبذلون تقريباً من الدراهم ضعفي ما يقتضي لغذائهم اليومي وان انتقاء انواع الاطعمة كما هو الآن ينافي كل المنافاة قواعد تدبير الصحة الغذائية النافعة وهي مبادئ قلما يعنى بها علماء الاجتماع لهذا العهد .

ومن المحقق بعض التحقيق ان العمل الصناعي اذا قام به المرء وعمل فيه التركيب النامي على حد الكفاية لا يستلزم شيئاً من التعب العصبي الكثير لانه يكاد يجري على وتيرة واحدة بدون وساطة الفكر الاختياري ولا تعب سوى المصاعب التي لم تنتظر والصعوبات غير المألوفة لانها تستلزم من القوى تطبيقاً جديداً لتجري نحو غاية تحدث ولم تكن متوقعة فالطعام القليل الذي يسوء انتقاؤه وكميته هو الذي يتعب الجسم ويمرضه نعم ان الضرر

تنشأ من الافراط في استعمال المقويات الرديئة والمهيجات والالكحول وفساد المسكن وازدحامه وقلة نفوذ الهواء الى محل العمل حيث يعمل العامل مع اخوانه ممن يكونون مصابين بالسل . ولقد احسن من سنوا قانوناً لعمل صغار الاولاد اذ دل الاختبار على انه لا يتأتى اكراه الاعصاب التي لم تتكامل على العمل الطويل بدون ان يحدث فيها ضرر ويستندون في ذلك على ان عظام الاطفال تكون آخذة بالنمو . ولكن رجلاً بالغاً صحيح الجسم يحسن ما يعمل من الصنائع ولا يسم جسمه في حانة بما يتناوله من المشروبات الروحية لا يتعب بمقدار ما يكون عمله منتظماً .

يذهب المديرون للطبقة العاملة الآن الى اعتبار العمل اليومي امرًا وظلماً ينبغي الخلاص منه بالسرعة الممكنة . وهذه المزاعم منافية من كل وجه لمبادئ علم منافع الاعضاء الحديث الثابتة المحسوسة اذ ثبت ان العمل مبعث السرور والصحة يطيل فينا حبل الحياة وينهضنا من خمولنا وبدونه لا يتأتى لنا ان نعيش في المجتمع . اليس العمل هو السبيل الوحيد الذي ينسينا شقاءنا فلا نفكر في آلامنا ويحملنا على مداواتها بان نلجأ الى بعض الرفاهية والدعة .

من شأن المؤثرات الخارجية ان تديم اعصابنا على انكماشها فالقوة البشرية فينا تنشأ من قوة الادراك بالحواس لا لتعمل تلك القوة عملها وتفنى في مكانها بل لتصدر عنا ونقوم بما قدر لنا ونتبع الاعمال بنتائجها . ولا بد من الوقوع في خطر اذا تركت تلك الحاسة تجمع في مراكز اعصابنا فالفتور يؤدي بادئ بدء الى الغضب ثم ينتهي بالهزال .

فعلينا والحالة هذه ان ندعو الى حب العمل فانه مصدر القوة المتجددة النامية والرضى والامان . وعلينا ان نعنى كل العناية بتحسين حال العمل وتعميم قواعد تدبير الصحة في الحرف الشاقة وان نطالب بتطهير المعمل والمسكن ونضاعف عدد المطاعم الصحية الرخيصة وان نغلق ابواب كثير من الحانات وان نلقن العملة مبادئ التمدن ونعلمهم ان يعيشوا بعقل وحشمة وان لا ينهبوا حياتهم نهباً وان يحاذروا من استعمال الالكحول لانه اضر المقويات التي يسر باديها ويسوء خافيها وان نجعل لهم سلاحاً يجاهدون به البؤس والمرض وان نصرح على رؤوس الملاءِ ولو ساء ذلك بعضهم بان من يفتري بان العمل مذلة ومنقصة كاذب في مذهبه ختار في مبدإِه .

يظهر ان نوع العمل الذي اعتاد الناس ان يدعوه عقلياً لانه يستدعي شيئاً من الجهاد العصبي هو اقل موافقة لقواعد الصحة واقل نفعاً من عمل الحقول والمعامل . فحياة من يقضون اوقاتهم في الغرف فيها ما يعوِّد التركيب النامي على كسل الاعصاب وليس فيها بوجه

من الوجوه ما يبعث النشاط في اسقاط المسمات وقلما يطعم طعاماً او يشرب شراباً ويدخن وهو يعمل. ثم من يقضي نهاره في اماكن ضيقة غير معرضة للهواء ولا يجري من انواع الرياضة الا ما يأتيه كل يوم من القفز الى الحافلة (اومنيبوس) ليصل بها الى داره لا شك انه يصاب بوجع المفاصل وما اليه من الاوجاع الكثيرة ولا تلبث حواس الافراز مثل الاحشاء والكبد والكلية ان تتدرن فلا تعمل عملها وينتهي ذلك بفساد الصحة عامة والهرم العاجل.

فاذا كان من يعمل بعقله حامي الرأس بارد الارجل ضعيف المعدة متداعي الاحشاء رخو الاعصاب ضعيف السوق فهو بلا مراء عرضة اكثر من عامل المدينة والحقول لسوء الهضم والبدانة والصلع والنقرس وضعف المجموع العصبي ولامراض كثيرة سببها البطء في التغذية.

هذا حظ العاملين بعقولهم ممن يعملون لغيرهم ولا يتحملون اقل مسئولية اما من يعملون بعقولهم ويديرون حركة اشغالهم فيكون لهم خيرها وشرها وخلها وخمرها فاولئك اناس تضطرهم الدواعي الى اجهاد القوى والدقة وتجديد جدة الارادة والخوف من السقوط والقلق مما يأتي به الغد ويكثر المصابون بضعف المجموع العصبي من ارباب الاشغال العقلية من مثل المهندسين واصحاب الصنائع والساسة والشبان الذين يستعدون لتقديم الامتحانات او الدخول في المسابقات.

ولقد كنت لاول امري مثل كثير من رصفائي في طب الآلام العصبية اذهب الى ان ضعف الجهاز العصبي كان ينبعث في الغالب من الاجهاد في العمل والافراط فيه اما الآن فقد علمت بالتجربة خمس عشرة سنة ان الاعتقاد بان اهم سبب في المتاعب العصبية ناتج في الاكثر من عمل مؤثر وغم وشدة الجد وكد الذهن في موضوع مخصوص والعمل القلق والمؤثرات من الافكار والملقيات في الاضطراب والتذبذب من مثل النظر الى الغاية وتوقع الثمرة. ثم ورثوا عن والديهم مرض النقرس والاعصاب هم عرضة للتألم من الحياة خاصة فتسوّد ايامهم في عيونهم وتبهظهم فيستطيلون حياتهم فتختل قواهم الدماغية وبهذا عرفنا ان طريقة العمل هي التي تولد الاعياء لا العمل نفسه. يتظاهر الانكليز السكسونيون ان لا تبدو عليهم امارات العجلة والقلق ولا يتجلى الاضطراب على محياهم وان يسلكوا مسالك التؤدة والعقل. ومن المحقق ان برودة الطبع في الظاهر تكره صاحبها على استعمال السكون في الباطن وتقمع الجهاز العصبي. فقلة الصبر والخمول والحمية تجيء بالتعود والمران اكثر مما تنشأ بعامل الطباع والامزجة ومن يتأمل يتضح له ان السيئات التي تحملها لنا حوادث الحياة يكون شرها الاصلي لا بذاتها بل بالكيفية التي نحلها منا ومعظمها لا يفعل فينا الا بقدر

تحسبها في انفسنا . على ان من يعملون قليلاً هم الذين يجلون في استنفاد قوة حواسهم العصبية وذلك لان تثاقلهم عن العمل يلقي في قلوبهم الخوف حتى ليغصون بالماء الفرات ومن يقع في نفسه انه قام بكل ما يقدر عليه يتوقع ابداً والسكون رائده نتيجة اجتهاده الذي قلما يضيع بامره .

والحال سواء في الاعمال العقلية والاعمال اليدوية وجميع اعمال حياتنا على انواعها وفي جملتها الحب وما يتصرف عليه لا تُتعب الا اذا كانت منقطعة نادرة او غير مألوفة وعارضة بدون تسلسل بينها . والعادة والميل يزيلان مفعول المؤثرات العصبية . ولقد بحثت قديماً في حالة المشاهير والطريقة التي يجري عليها كبار المفكرين من كتابنا في حياتهم فما رأيتهم يتوقعون ان يوحى اليهم من السماء بالخواطر والافكار بل انهم كانوا ينشدونها بطول الثبات وانتظام اعمالهم انتظاماً تاماً فكان اعاظمهم يبدأون بعملهم كل صباح في ساعة معينة على نحو ما يشرع المستخدمون في مكتب تجاري بعملهم وكان دوام تحديقهم في شيء واحد يضاعف افكارهم بحيث تكون عالية عظيمة وكان الصبر الطويل عند معظمهم اول الملهم القوي في عقولهم وقد عمروا الا قليلاً منهم امثال بالزاك الذي قتلته همومه وزولا الهالك بعارض طرأ وموسيه قضى من تعاطي المسكرات وبودلير وجول دي كونكور والفونس دودى وموباسان قضوا نحبهم عقيب امراض طرأت عليهم عرضاً وساقط تسبب موتهم قبل استيفاء سني حياتهم للعمل الذي كانوا يتعاطونه .

وهنا نأتي على التدابير التي تعين العاملين فلا يلاقون نصباً ولا وصباً . فاعلم انه ليس احسن في شرع العمل من توفر المرء على عمله وان ما يجلب التعب في العمل الطبيعي او العقلي هو كيفية تعاطي العمل اي ان اجهاد الذهن وحصره في موضوع يعطي المرء قوة تعلى الارادة ريثما يستحضر الذهن ويشرب حب الميل الى العمل الذي ينوي استخراج شيء منه ان تتوسط في الامر فالحال تستدعي انتباه الفكر واجتهاده وهذا مما يجلب التعب ولكن متى تهيأ سبيل الموضوع الذي يقضي الشروع به ومتى اعددت للموضوع عدته واسبابه يجري العمل فيه بذاته ويعمل الدماغ فلا يعود يتأثر بالفكر وحصر الذهن فعلى المرء والحالة هذه ان يعمل بمضاء وتسلسل ويجدر به ان يحاذر استنزاف قواه . خيرٌ لمن لم يرزق ارادة ثابتة وقوة ادبية عجيبة ومن لم يؤت فضائل سامية خارقة ان يعتاد عادات نافعة فان العادة الحسنة والضارة سواء في تأثيرها في النفس . وبعد فلنتعلم تنظيم حياتنا بتدقيق وان نجلس الى منضدة العمل كل يوم في وقت معين ليتراكم الدم من ذاته في دماغنا ويستعد لعمله وتعد المعدة جهازها الهضمي للطعام وتجوع من نفسها في الوقت المعين لغذائها . حقاً ما

قيل ان العادة طبيعة ثانية بل هي قوّة جميع الضعفاء وهي ايضاً سر الاقوياء اذ ان ارباب العقول الكبيرة يكرهون انفسهم عليها عند ما تحدثهم نفوسهم بابراز تأليف مطول ممتع ·

قال موسو الايطالي عند كلامه على التعب ان اطالة الفكر في موضوع واحد تضاعف في قيمة الوقت مضاعفة خاصة · وهو كلام لطيف لانك ترى الانسان في تعاطي العمل ثلاث ساعات شديدة التي تأتي بها المداومة على الفكر النافع يعمل عملاً اكثر واحسن من عمل عشرين ساعة منقطعة وتفكر لا طائل تحته وفي احلام مختلفة غير مقررة التي يقضي فيها المرء وقته في انتظار الوحي والالهام · ولقد كانت طريقة مشاهير كتاب العالم على هذا النحو ومعظمهم لم يصرف اكثر من ساعتين او ثلاثاً في عمله اليومي اما سائر ساعات الفراغ فكانوا يقضونها بالطبع في التدبر وهو من توابع الاعمال العقلية ·

وهنا مجال لان ابين انه ينبغي تدبير الصحة ومن اللازم اللازب على ابن الكتابة ان يتريض كل يوم بعض الرياضة العضلية مخافة ان يشنج التركيب النامي كله وفي جملة ذلك الدماغ الذي يحتم احراق فضلاته واسقاطها فان المشي وركوب الدراجة والارتياض والفروسية نافعة لارباب العقول على شرط ان يعتدل فيها فلا يكون في معاطاتها تعب عضلي يزيد التعب العقلي · وجميع حركاتنا الاختيارية ناشئة من قشرتنا الدماغية · واني لاعرف اناساً افرطوا كثيراً في حصر اذهانهم في السباق فاضاعوا قوّة افكارهم وعلينا ان لا ننسى ان الحركة العضلية ينبغي ان تجري بالطبيعة لا دخل للارادة فيها ليحسن اثر الرياضة ولا يقع المرء في الافراط

وعلى المرء ان يلتزم القصد للغاية تحامياً من الوقوع في بطاءة التغذية والربالة ووجع الاعصاب وتجمد الشرايين وجميع ما يجري هذا المجرى من الامراض فان الاطعمة المعتادة والخمور الجيدة والمشروبات والافسنتين كلها مما يورث حواسنا اذى كبيراً فتغير الدماغ وتضر بالاعتدال والصفاء وحضور الذهن واذا ثارت في متعاطيها ثائرة الغضب تورث رأسه ثقلاً وسباتاً مضراً فان الافراط وسوء الهضم مضران بارباب العقول الكبيرة لما انه ثبت ان جميع كبار كتابنا على التقريب اقتصروا على تناول الماء ولم يتعاطوا المشروبات الروحية ·

اما العفة التي يراها بعضهم غير ضرورية للقرائح فانا لا اراها الا نافعة فان المرء الذي يقضي حياة طيبة في العمل لا تأتيه المفاسد والاستهتار الا بالضرر وهي امارة نقص فيه اما الحب الشريف فانه يرفع قدر الاحساس ويسمو بالنفس وينبه الارادة للانتقال من عمل الى آخر ·

ارتقاء الافكار

ترجمة مقدمة كتاب المانيا الحديثة ونشوءها

اذا قيس العصر الحاضر بالقرون السابقة فاول ما يبدو للناظر كالشمس الرائعة ازدياد مقدرة البشر في خلال القرن الاخير . ولعلَّ في الناس من يرتاب في تقدم الانسانية من هذا الوجه فيقول ان ابن اليوم اذا قيس بابن امس فليس اسعد منه حالاً ولا اوسع عقلاً ولا اكثر امناً وطمأنينة . على اننا نعتقد اعتقاداً لا تردد فيه بان القوَّة المشتركة التي يتمتع بها المتمدنون و يكافحون بها عناصر الوجود قد زادت زيادة كبرى . فتسنى للذكاء الانساني ان يخطو خطوة عظيمة خلال القرن التاسع عشر في سبيل تسخير القوى الطبيعية وحسن الانتفاع بها والتغلب عليها . فغدا المرء لا ينظر للعالم على ما كان ينظر اليه ابن القرون الغابرة ولا يشعر بمثل شعوره نحوه سابقاً بل ارتقى عقله واي ارتقاء وتقدم كما يقول نقدة كتبة الالمان فصار كل شيء ذاتياً في الانسان .

عرفت القرون الوسطى بعدم استقلال شعورنا و بتبعيته لقوى الوجود التي تربو على قوانا كثيراً . واذا حللنا العقل الذي اخذ يقوى حوالى القرن الخامس عشر يثبت لدينا بان ما يزيد في مسافة الخلاف بيننا و بين اهل القرون السالفة نشأ من عدم توفقهم الى معرفة مبدإ تحليل عناصر المادة وتعليل المسببات . نحن نقول بوجود رابطة سببية مستحكمة بين جميع الظواهر الحسية بدون استثناء ونسعى جهدنا بما لدينا من التجارب ان ندرك جميع هذه الصلات والاسباب والنتائج حق الادراك . ولا نزال في حال عدم اطلاعنا على تلك الصلة موقنين بوجودها وان العلم الناضج يتمكن من تحليلها وتعليلها . وهذا اليقين الاساسي هو الذي نقص ابن القرون الوسطى . فكانت معرفته بالعالم الخارجي ضيقة النطاق ولم يكن لديه كما لابن هذا العصر تجارب جمة مبنية على قواعد راهنة منظمة بنظام معقول ومرتبة على احسن اسلوب . ولم يتلمس عقله كلما عرض امامه حادث وبدت لعينيه الظواهر ان يبحث عن شرح الاسباب وتعليلها بل كان يكتفي كل حين في باب التبصر في وجوه الامر وكشف غامض كل سر يعرض في فضاء الظواهر بان يعللها باقيسة مختلفة وقد تكون سطحية لا قائمة على استدلال مدقق واستنتاج متين .

واي شيء اعجب مما كان عليه ابن القرون الوسطى امام مجموع حوادث مازالت ضيقة المضطرب علمته العادة ان يميز فيها بعض النظام فجزم من تلقاء نفسه بوجود عالم المعجزات والخوارق و بانه فسيح المدى غير خاضع للنواميس الطبيعية على قربه منا وفي مكنته ان

يفرط كل حين السلسلة القانونية من هذه الظواهر · واي شيء اعجب من حال ابن القرون الوسطى وقد فقد الحلم الحسي المنظم فكان من قلة اختباره ان اثر فيه كل التأثير ما ورثه من الحكمة التقليدية · واي شيء اعجب من مذهب قائم على الاعتقاد بالخوارق ومؤسس على سلطة تقليد قديم يستولي على العقول وتلزم به الاذهان والارادات بقوة لا تغالب ·

اما العقل الحديث فيختلف عن ذلك كل الاختلاف · وذلك ان العقول كانت في القرون الوسطى تذل برضاها امام سلطة التقاليد وتعترف في كل مكان بالخوارق وبتأثيرات السحر والتنجيم والامور الغيبية المطلقة التي تشير الى ان هناك قوى سامية في عالم الكون والفساد · غير ان العقل الحديث غدا اكثر استقلالاً وامتد فضاء التعقل في الانسانية ايما امتداد واخذت تجاربه الكثيرة تنظم وصار لها قانون تكثر به وتزيد وانتشر العلم والميل العلمي على موازاة ذلك · وحل بالتدريج الاعتقاد بالمقدور محل الاعتقاد بما فوق الطبيعة وقام البرهان بالاستدلال المسدد مقام البرهان بالقياس · وانتظمت اذ ذاك معرفة العالم معرفة مبنية على العقل والتجارب التي ما زالت تكثر وتتم ولا سيما في خلال القرون الثلاثة الاخيرة · فألفت الرياضيات الميكانيكية في خلال القرن السابع عشر والثامن عشر بما قام به من الاكتشافات العظيمة كل من «سيمون ستيفن» و «غاليلة» و «نيوتن» و «ديكارت» و «لايبنز» و «اولر» و «المبر» و «لابلاس» وخرجت العلوم التجريبية ايضاً في اواخر القرن الثامن عشر من دور الشك والحيرة وبدأ تاريخ الكيمياء الحديث بلافوازيه كما بدأ علم الكهرباء بكلفاني وفولتا · وفي خلال القرن التاسع عشر نضجت المواد واتسعت الآراء في المجموع الميكانيكي في العالم وعرف العقل الانساني تصوّر جميع العوامل الطبيعية في الوجود والاعمال الميكانيكية والحرارة والصوت والكهربائية كأنها مرادفات كثيرة مختلفة ترجع الى شيء واحد وانها قوة سياسية تظهر متحدة الذات والمعنى بنفسها في جميع الظواهر الطبيعية · وهكذا برهن العقل البشري على وحدة قوى الطبيعة واثبت ان القوة في كل مكان على تباين اشكالها تخضع لناموس القواعد الاساسية في الطبيعيات ولقانون حفظ القوة وبقائها ومعرفة المادة · ثم توسع اكثر من ذلك في اكتشافاته فحاول ان تعم هذه القوانين الطبيعية العضوية واظهر في احد الاجسام البسيطة التي لا تجزأ بان الكربون وهو الجسم الغريب الذي يدل على تكوّن المجموع الحيوي وتنوّعه الى ما لا نهاية له بانه يمثل اساس الكيمياء في الحياة (رأي هيكل الالماني) واكتشف في الخلايا البسيطة الفردة جسماً حيوياً صغيراً تتولد منه باجتماعه المتصل جميع الانسجة التي تتألف منها التراكيب النباتية او الحيوانية وتوصل العقل الانساني بنظرية النشوء التي كان تنبأ بها الشاعر كيتي في اواخر القرن الثامن

عشر وقررها داروين سنة ١٨٥٩ بان قدّم لعلم الحياة (بيولوجيا) مسألة التحليل والتركيب واعلن بان العالم اذا أخذ بمجموعه فليس الا نشوءاً دائماً من المادة ·

ولكن العقل لم يقف عند حد العناية بشرح العوالم المؤسسة على مبادىء تعليل الاشياء ولم يكتف بالنظريات بل تعداها الى العمليات فاصبح يعمل ويوجد · فكان كلما احسن معرفة النواميس الفعالة في الحوادث ايضاً اخضع قوى الوجود اليه وادخلها تحت نظام وترتيب وشغلها فيما ينفعه فكما انه اوجد العلم فقد رتب الفنون العقلية ·

وكانت الفنون القديمة تجريبية صرفة يعرف الصانع كيف يتصرف بما لديه من المصنوعات جارياً في ذلك على الطريقة التي تعلمها ممن سبقه وذلك لان معلمه نقل اليه بالعمل الطرق التجريبية وعلمه كيف ينبغي له ان يتعاطى العمل ليتمكن من صنع الشيء الفلاني · وكان على جهله بنواميس الوجود يطبق طريقته في العمل بدون ان يعرف في الاكثر كيف تبلغ به النتيجة المطلوبة وعلى اي وجه تسير · وكثيراً ما كان يعثر بالعرض على طريقة جديدة للوصول الى الغاية المنشودة من اسرع سبيل فيغني في الحال مجموع قوانين الفن بقاعدة جديدة يخلفها لاعقابه واخلافه ولكن مجموعة القوانين التي اهتدى اليها بالصدفة وانتقلت اليه من اسلافه لم تبرح على الدوام طريقة تجريبية اكتشفت عرضاً لا مجموعاً حسن التنسيق بالمعارف المبنية على العقل المؤيدة بالعلم والتجربة ·

وبعد فان مما تمتاز به الفنون الحديثة التوسع كل حين باستبدال العلم المبنيّ على العقل بالعلم الذي كان يقوم على النظر واحلال الطريقة العلمية محل الطريقة التقليدية فمن ثم كان من توابع معرفة الوجود معرفة علمية ان عُدّلت جميع الفنون التي برزت في شكل اعرق في الحداثة والجدة · ما هي الغاية التي يرمي اليها علم الوجود ؟ انه يعنى بالذات ان يُرجع اختلافات الكيفية الى اختلافات الكمية وبايجاد طريقة رياضية توضح باسلوب تام احدى الظواهر الطبيعية وان يرجع جميع ظواهر الحياة العضوية في ذاتها الى حركات تكون اكثر تركيباً من المواد الاولية التي ما كانت تختلف في جوهرها عما تتألف منه الاجسام غير الآلية · حتى ان العلم الحديث على اختلاف اشكاله ميكانيكية كانت او طبيعية كهربائية او كيماوية وغيرها ترمي الى ان تسقط في كل مكان العوامل الحيوية لتستعيض عنها بعناصر ميتة فتبدل مثلاً القوة المحركة الانسانية او الحيوانية بقوة البخار او الكهرباء وتستبدل عوامل الحديد او الفولاذ ذي الادوات بالعملة الذين خلقوا من لحم وعظم وتستعيض عن الحاصلات الآلية والطبيعية كالخشب والالوان النباتية والاسمدة بحاصلات غير آلية وصناعية كالفحم الحجري والفحم القلي النيلي والاسمدة الكيماوية · فاصبحت الانسانية بذلك على التوالي معروفة المقاصد لا تعلق لها

بشيء مستقلة عن المسافة او الزمن غير تابعة للكفاآت الطبيعية او الكسبية من مثل رشاقة اليد وحدة البصر والسمع والذوق والشم ولا وفقاً على فئة خاصة من الناس بل تجري بدقة شديدة لا تتغير حركتها واعني بها الآلة والاداة. ولم تقتصر الانسانية على الاستسلام لاحوال الزمان والمكان التي جعلت نمو الاحياء الحيوانية والنباتية الطبيعي تحت تصرفها ولكنها انتجت الحاصلات التي ارادت ايجادها بان ركبت تركيباً صناعياً من العناصر والقوى التي لها. ولم يقف الامر عند حد صناعة دقيقة يوشك سرها ان يضيع بل اصبح ذلك من الاكتشافات التي لا نزاع فيها النافعة في علوم البشر على مر الازمان كلها وبين ظهراني جماع الامم. وهكذا بلغ انتشار العلم والفنون العقلية في قدرة الانسان وتسلطه على الطبيعة الى التي لا تصدق ودخل القلب والابدال على اسلوب العلم باسره وتناول فهم اسرار الحياة والعالم.

كنا نقول بان الانسان شعر في القرون الوسطى بانه مستقل بالذات بعد ان كان خاضعاً في جميع اطوار حياته المادية والروحية لله او لتعاليم الكنيسة فكان له في الامور الدينية من التوراة والكنيسة حل تام لا جدال فيه لجميع المسائل العويصة في مسائل ما وراء الطبيعة وهذا الحل اوحى به المولى بالذات. فكان على ابن تلك القرون ان يقبل ذلك بدون نظر او مماحكة فيه. فقانون الاخلاق مفروض عليه كأنه امر الهي وما عليه الا الخضوع له صاغراً. وكان النظام الاجتماعي مؤسساً على تعاليم قديمة له صفة نصف مقدسة فيخضع الانسان في جميع اعماله المهمة في حياته لامر صادر من قوة وارادة اسمى من قوته وارادته لا يسعه معها الا الخضوع المطلق والاستسلام التام.

بيد ان حالة هذه من الخضوع لسلطة خارجية هي التي تعدلت كلما ايقن المرء بقوته ولقد مضت القرون والنصرانية تأتي ابناء الغرب بقواعد تكون المادة وتشرح النشوء التاريخي وتأول معنى الحياة وتسن السنن وتشرع الآداب. مضت قرون وكانوا يضعون الايمان في في رأس كل شيء وكلما ازداد انتشار العلم العقلي والسلطة المنتظمة التي يوليها هذا العلم تزداد ثقة المرء بنفسه فاصبح العلم من ثم خصماً للايمان وراح العقل يعجب بما أوتيه من آيات الغلبة وكتب له من اسباب الفلج والنجح طامعاً الى ان يحل محل الدين في كل ما له علاقة بالحياة البشرية وطامعاً ان ينزل المقام الاول من صحيفة اعمال الناس. وما جاء القرن السابع عشر والثامن عشر حتى ادت الحركة العقلية الى تأليف مبادئ واسعة وانتهت بانشاء فلسفة ديكارت وسبينوزا ولايبنز وطفق العقل ينزل منزلة القاضي المسيطر على الحق واخذ على نفسه انشاء مذهب يجري عليه العالم وعدَّته مارزقه من نور المعرفة مستقلاً عن كل سلطة نازعاً من كل تقليد ووحي. وفي اوائل العهد الحديث اعلن الفكر الالماني على رؤوس

الملأ بلسان « كانت » و « فيختي » بالمبدإ العظيم في استقلال الارادة فعكس العلاقة التي كانت مقبولة الى ذاك العهد بين الدين والاخلاق . وكان اللاهوت الادبي القديم يرى مبدأ الاخلاق في الارادة الالهية ويخضع الارادة البشرية لارادة الله وهذا ما رآه « كانت » ادبًا مختلف القانون قائمًا على مبدإ السلطة وقضى عليه بكل جهده حاكمًا بان الارادة الخالصة المقررة خاصة بحدود العقل الصرف تكون وحدها الفاعلة العاملة فيه بتاتسنه لنفسها بنفسها من قانون تجعله مبدأ كل ادب حقيقي معلنًا بانه ليس في الارض سلطة لها حق التسلط على الحرية البشرية وان المرء يشرع لنفسه ويقنن لاجتماعه وانه اذا خضع لقانون الادب فانه يخضع بذلك لعقله الخاص فكان من « كانت » ان تم على يده في دائرة اللاهوت الادبي عمل قريب المأخذ وفتح بذلك عصرًا جديدًا في تاريخ الوجدان الادبي وبفضله تم للانسانية استقلالها وللعقل تحريره

وانشأت الانسانية بعد ذلك تتناغى بهذا العقل وتؤيده بقضاء دائم وفضت زيادة على ذلك الاعتقاد بان الشخص المفكر العامل لا يعترف بسلطة فوقه يجب عليه الخضوع لها وزاد في ابن العصر الشعور بانه لا يجب ان يخضع بل ان يدبر وينظم ووطد نفسه على تجشم المشاق في استخراج خيرات الارض بقوة الفكر وعلى العمل لتنظيم الحياة في كل مظاهرها بقانون العقل وذلك من حيث الاخلاق والاقتصاد والاجتماع والسياسة . وقام الفيلسوف نيتش ونادى بانكار الالوهية في فلسفته الذاتية العصرية على صورة متطرفة غريبة ولم ينكر من يقول اهل اللاهوت بوجوده بل جحد المولى الفاعل الذي يعتقد به علماء ما وراء المادة واخذ يدعو الانسان ان يبقى « مخلصاً للارض » وان يطرح جانباً كل اهتمام بمسائل الآخرة وان يفهم بانه هو موجد الاشياء قائلاً ان ليس فيما عداه حقيقة مرئية ادبية او طبيعية يجب عليه الخضوع لها بل عليه ان يشرع لنفسه شريعته حرًا مستقلاً . وان ليس في العالم الا مراكز قوى لا تزال في نشوء وهي ابدًا في تفاعل وتدافع يؤثر بعضها في بعض . فالجد في احراز الحول والمنعة بل المنعة المتزايدة على المدى تلك المنعة التي تخضع لسلطانها جزءاً عظيماً من القوى هو العمل الرئيسي في الحياة العامة . وبذلك صح قولنا ان المباينة تمت على اشدها بين العقل في القرون الوسطى والعقل اليوم . فصار المؤمن وهو يشعر من جهة بانه محاط باسرار واعاجيب ويخضع مختارًا لسلطة التقليد الديني والادبي والعلمي ومن جهة ثانية يرى الشيطان المريد الذي لا يعترف اصلاً بقانون ولا بد فوقه ويرى في الجهاد المتواصل لاحراز المنعة انه هو حظ الانسان على الدوام بل قسط الانسانية من العالم اجمع .

واذا عارضتُ على هذه الصورة بين السلطة القديمة والذاتية الحديثة فلا ادعي بحال

من الاحوال انني اثبت ان لاحد هذين الرأيين في الحياة قيمة خاصة به تسمو منزلتها عن الاول ولا ان احدهما يجب بطبيعة الحال ان يختلس مكان الثاني ولا ان التاريخ يدلنا على ان ثمت نشوءاً دائماً لا حد له نحو «الذاتية» العقلية . وغاية ما اريد ان اقول ان المرء في العهد الحديث ولا سيما في خلال القرن التاسع عشر احس من نفسه بانه اتسع في صدره على نسبة كبيرة الشعور بالقوة المنظمة للذكاء وللارادة الانسانية فصرف همته من وراء الغاية الى احراز القوة العلمية او الفنية والاقتصادية او السياسية فالجهاد ربما كان اعظم حادث في القرن التاسع عشر وبه تمت الغلبة للعقل العلمي المستقل على ما عداه . على انه من الثابت ان الغريزة الدينية التي كانت تخضع الارواح في القرون الوسطى للاسرار الآلهية وتحملها على تبجيل هذا التقليد في الدعوة الربانية وتخنعها للعبادة والخضوع للنظام العام وتحملها على الخضوع لقانون العالم بل على الخشوع المحترم امام معميات العالم لا بالسلطة والعنف — هذه الغريزة لم تبرح تسمع لها الى عهدنا ركزاً . يعمل ابن العصر بما فيه من قوة على تسخير العالم لذكائه وارادته وهو يفاخر بقوته ولكنه يظل محساً بما في نفسه من ضيق مضطر به في الاستيلاء على المادة ولم يفتأ يعظم القوى اللامتناهية المخوفة التي تحيق به ويشعر بانه تبع لها فتراه عن رضى ولا سيما في المانيا يحترم ويبجل تلك الحكمة التي لا شعور بها في النفس التي تتجلى من التقاليد العظيمة الدينية او الاخلاقية السياسية او الاجتماعية مضيفاً هذا الى سنن السلوك التي املاها العقل .

يهم البحث في حالة المانيا في القرن التاسع عشر من وجهتين وذلك لان الالمان كانوا في اوروبا الشعب الذي ابلى بلاء حسناً في خدمة الفنون العقلية والارادة المنظمة والامة التي تفتحت بينها «الذاتية» الحديثة على ادهش صورة وهم مع ذلك من الامم التي حفظت للفكر الديني ولاحترام التقاليد الدينية قوة اكثر من غيرها . فقد ساعد الفكر الالماني كل المساعدة على انتشار العلوم الحسية وإحكام التفسير العقلي للعالم . فانتظمت القوة الالمانية على طريقة حسنة المنهاج هائلة الحول والطول فقصدت بجد لا نظير له الى احراز القوة الاقتصادية والقوة السياسية بما اصبحت به المانيا احدى الدول التي هي اعظم الناس انتشاراً وارتقاء على نحو ما هي انكلترا والولايات المتحدة . وهكذا رسخ العقل الالماني بتأثير من الطراز الاول واداة من القوة منقطعة القرين ولكنه لم يلزم به متخذاً من مطلق سلطانه قوة ومن قلة تسامحه سلاحاً . ولطالما حاول العقل الالماني ان يتفق ما امكنه مع السلطات القديمة وحاول في الدينيات عقد عهود التحكيم مع المعتقدات التقليدية وذلك بان يصلح النصرانية لا ان يشتد في حربها وكان من أمر العقل الالماني في السياسيات انه لم يجعل من

كل قطعة مملكة تقوم بنظام العقل وتحافظ على التقاليد مراعياً اياها كل المراعاة وابدى احترامه للسلطة الملوكية وتلطف فلم يعتد على الحقوق المكتسبة ولا غالى في نشوئها السياسي الذي يؤدي الى الديمقراطية في الامم الحديثة ·

ايعد كل هذا ضعفاً ام قوّة ؟ سؤال فيه نظر · يعجب بعض الناظرين من استمرار النشوء السياسي والديني في المانيا ويرون من اعظم المنافع التي نالت هذه الامة انها لم تأت على قديها فتدكه من اساسه وبهذا لا يستبعدون بانها ستظل في تقدمها على النحو الذي نحته آمنة العوادي والصدمات باحثة وظافرة عن قانون يقبله السواد الاعظم في المعضلات الديمقراطية والاشتراكية او الاقطاعية والاكليريكية · ويرى آخرون على العكس من ذلك بان المانيا اليوم وهي على اغراقها في اعداد معدات الحرب وشدة احتفاظها باقطاعاتها وتفانيها في بسط سلطانها وتغاليها في فلسفتها العقلية وولوعها باحراز السلطة واحتجان المال مزدرية بالديمقراطية او الانسانية بحيث اصبحت ناقلة بنظريات الافكار في وسط اوروبا الحديثة القديم الذي كان من حقه ان يضمحل الى هذه القرون الحديثة وربما لا تلبث ان يصيبها قريباً تغيير عظيم يكون عليها شديداً · وهذا امر طالما تناوله النظار بالبحث والى الآن لم يسفر عن نتيجة ·

اللغات الافرنجية (١)

لهجت بعض الالسن في منافع اللغات الاوروبية ومضارها في مجتمعنا عقيب ان قام صاحب المؤيد في الجمعية العمومية في الربيع الماضي وناقش ناظر معارف مصر في وجوب تعليم العلوم في المدارس الاميرية باللغة العربية فكان من اثر ذاك الحوار ان بطلت دروس الاشياء وجعل تدريس علم تقويم البلدان باللغة العربية في المدارس الابتدائية كما شرع بتعليم الرياضيات في السنين الاولى من المدارس الثانوية باللغة العربية ايضاً ·

فقام بعض الناس متخذين من هذا الاصلاح حجة على قلة غناء اللغات الافرنجية زاعمين ان في العربية ما يكفيها من العلوم · على حين كان ما دعا اليه الداعون من التدريس بالعربية لمقصد آخر أريد به احياء لغة البلاد اذا دُرست العلوم بها واشراب نفوس المتعلمين حب امتهم ليعم النفع مما يتعلمون لا التنفير من تعلم اللغات الافرنجية التي لا يمتري عاقلان

(١) هذه المقالة والتالية لها كتبتهما لجريدة المؤيد ونشرتا فيه

في وجوب تعلمها على فريق كبير من الناس ولا سيما من تصدوا للنفع والتأليف والكتابة على نحو ما يفعل علماء اليابان فيتعلمون الانكليزية كما يتعلمون لغتهم الاصلية ·

نقول تعلم اللغات الاجنبية وما احرانا ان نقول اتقانها لان المبادىء البسيطة منها قد لا تفيد المتعلم الا توهمه انه اصبح من العارفين · فان تعوذ علماؤنا قديماً من نصف فقيه ونصف صوفي ونصف كاتب ونصف شاعر فما احرانا ان نتعوذ من ناشيء يتعلم طرفاً من لغة لا يستفيد منها ولا يفيد · وليس معنى هذا انه يحتم وجوباً على كل متعلم للغة اجنبية ان يكون فيها مؤلفاً خطيباً كاتباً مترجماً فهذا مناف لسنة الكون ولكن المطلوب ان يعرف الناس في تعلم احدى اللغات الاوروبية القدر الذي يؤهلهم للانتفاع منها في التجارة واعمال الادارة والقضاء والعلم ·

ولا مشاحة في ان اكثر من تعلموا اللغات الاجنبية من ابنائنا لم يتقنوها وان حذقوها فلا يكون لهم من المعرفة بلغتهم ما يستطيعون معه ان يعبروا به عن افكارهم وينقلوا اليها ما يعوزها من علوم الغرب وحضارته · بيد ان اللغة وان اتقنها صاحبها لا تنفعه وينتفع بها النفع المطلوب الا اذا اضاف اليها علماً او فناً اخصى فيه واللغة آلة لا غاية وان كان من يتقن لغة اوروبية لا يتسنى له ذلك الا بعد ان ينظر نظرة اجمالية في الفنون المتعارفة ·

اما ما يقوله بعض من لا يساعدهم الوقت على تعلم لغة اجنبية من انه ليس في النقل من اللغات الغربية كبير امر وان العالم يستفيد من الوجود اكثر من استفادته مما دونه كبار ارباب العقول من امم الحضارة فهذا من الآراء التي يقصد بها الاعتذار عن التقصير ومن جهل شيئاً عاداه · اذ من الثابت المقرر اننا مهما تأملنا في صحيفة الكون لا نستطيع ان ندرس فيه نظام الاجتماع ولا تقنين القوانين ولا الطب والهندسة ولا الفلك والطبيعة والكيمياء وفنون الادب والتاريخ ورسم الارض وغيرها من الفروع الكثيرة التي لا اسماء لها في العربية اذ لم يكن للعرب عهد بها ولا تتم سعادة مجتمع اليوم الا بتعلمها واتقانها ·

ومن قال بان اسلافنا من العرب قد اجالوا في هذه العلوم قداح انظارهم ووضعوا فيها ما وضعوا من رسائلهم واسفارهم فهو على صواب وخطاء · وذلك ان اجدادنا قاموا بالواجب من خدمة هذه العلوم في عصر تماسكهم وانبساط ظل دولتهم الا انه انقطعت سلسلتها بعد القرن السادس الى منتصف القرن الثالث عشر للهجرة وهي القرون التي كانت فيها الامة العربية في غفلة والامم الغربية في انتباه فاخذ الغرب عن الشرق ما عنده من حضارة وزاد عليها اضعافاً ولا يزال يركض طرف عقله في مضمار البحث والاستقراء ويعاني من ضروب العلم ما نحن فيه معه اجهل من تلميذ مبتدي، بالتهجئة بالنسبة الى عالم يكتب الكتاب ويقصد القصيد

فالامة العربية اذا ارادت النهوض العقلي والعلمي يجب عليها ان تأخذ من كل علم بالسهم الاوفر ولا يتم لها ذلك الا بالنقل عن الامم الغربية وهذا لا يتأتى الا بعد ان تخرج مدارسنا الالوف من الطلبة المتعلمين على الاساليب الحديثة لينشأ لنا منهم عشرات يكونون لنا عوناً على ما ينقصنا من اسباب نهضتنا وما تشتد حاجتنا اليه · ويكاد ذلك الى الآن يعد مفقوداً بيننا اللهم الا طائفة من اسفار نقلها بعض المولعين بالعربية وما تيسر للمجلات تعريبه من حين الى آخر من علوم الغرب · وكله دون حد الكفاية بكثير . قال ابن رشد في فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال :

« اذا تقرر انه يجب بالشرع النظر في القياس العقلي فبين انه ان كان لم يتقدم احد من قبلنا بفحص عن القياس العقلي وانواعه انه يجب علينا ان نبتدىء بالفحص عنه وان يستعين في ذلك المتقدم بالمتأخر حتى تكمل المعرفة فانه عسير او غير ممكن ان يقف واحد من الناس من تلقاء نفسه وابتداء على جميع ما يحتاج اليه من معرفة انواع القياس العقلي بل معرفة القياس العقلي احرى بذلك وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا او غير مشارك في الملة فان آراءه التي تصح بها التذكية ليس يعتبر في صحة التذكية بها كونه آلة لمشارك لنا في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة واعني بغير المشارك من نظر في هذه الاشياء من القدماء قبلة ملة الاسلام ·

«واذا كان الامر هكذا وكان كل ما يحتاج اليه من النظر في امر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء اتم فحص فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان كله صواباً قبلناه منهم وان كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه فاذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلات التي بها بقدر على الاعتبار في الموجودات ودلالة الصنعة فيها فان من لا يعرف الصنعة لا يعرف المصنوع ومن لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانع فقد يجب ان نشرع في الفحص عن الموجودات على الترتيب والنحو الذي استفدناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية وتبين ايضاً ان هذا الغرض انما يتم لنا في الموجودات بتداول الفحص عنها واحداً بعد واحد وان يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم على مثال ما عرض في علوم التعاليم فانه لو فرضنا صناعة الهندسة في وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة علم الهيئة ورام انسان واحد من تلقاء نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها وابعاد بعضها عن بعض لما امكنه ذلك مثل ان يعرف قدر الشمس من الارض وغير ذلك من مقادير الكواكب ولو كان اذكى الناس طبعاً الا بوحي او شيء يشبه الوحي بل لو قيل

ان الشمس اعظم من الارض بنحو ١٥٠ ضعفاً او ستين يعد هذا القول جنوناً من قائله . وهذا شيء قد قام عليه البرهان في علم الهيئة قياماً لا يشك فيه من هو من اصحاب هذا العلم «قال وهذا امر بين بنفسه ليس في الصنائع العلمية فقط وفي العملية فانه ليس منها صناعة يقدر ان ينشئها واحد بعينه فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة . واذا كان هكذا فقد يجب علينا ان القينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظراً في الموجودات واعتباراً لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ان ننظر في الذي قالوه من ذلك وما اثبتوه في كتبهم فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم»

هذا ما قاله الفيلسوف الاسلامي في عصر كان العرب اساتذة العلم في العالم وقوله كما رأيت غاية غايات الحكمة . وما الغربيون الآن بالنسبة الينا الا قدماء متقدمون وبهديهم يجب علينا ان نهتدي في العلوم . وهذا لا يقدح فيما خلفه لنا اسلافنا من آثارهم ايام استبحار عمرانهم واتساع سلطانهم . اما اللغات الحديثة التي تشتد حاجتنا الى الاخذ منها فهي الانكليزية والافرنسية والالمانية . وفي كل لغة من هذه اللغات من انواع المعارف ما لا يكاد يحلم به من لا يعرف لغاتهم .

وليت شعري اذا كان بعض اهل الغرب والعلوم قد بلغت عندهم ما علمت من الارتقاء الغريب يتعلمون لغات الشرق لينقلوا منها الى لغاتهم بعض الكتب التاريخية والادبية والاخلاقية والشرعية ويستعينوا بها على قراءة آثاره وما زبر على احجاره افلسنا نحن احرياء بان نتعلم لغاتهم على فقرنا الثابت ونقتبس منهم ما يعوزنا من علوم البشر ؟

الا ان ما نفاخر به من علم اسلافنا وحضارتهم العظيمة انما قام باحيائهم مدنية من قبلهم من الامم كالروم والفرس وغيرهم ولم يتأت لهم ذلك الا بترجمة علومهم والزيادة عليها وتحسينها فكانوا بذلك احسن صلة وعائد بين ام الحضارة السالفة والامم الاوروبية الخالفة . فحضارة الاسلام ان انصفنا قامت بفضل التراجمة والنقلة من اليعاقبة والاسرائيليين والمسلمين لا بايدي علماء الكلام مثلاً وقد كان على يد هؤلاء التشتيت وعلى يد اولئك الجمع وشتان بين المفرق والمجمع . وليس معنى هذا انكار فضل من تمحضوا لخدمة الشريعة واللغة في القرون الاولى للاسلام وما في الناظرين من يقول بان الخليل والجاحظ والغزالي والماوردي هم في حسن بلائهم في خدمة هذه الامة دون ابي الريحان البيروني ونصير الدين الطوسي وحنين بن اسحق وثابت بن قرة . وما كان قط اهل الفريق الاول يحتقرون علم الفريق الثاني ولا العكس لما وقر في النفوس من ان المجتمع لا يقوم على امتن الدعائم الا اذا اتقن كل ذي علم عمله

قال الجاحظ : الانسان وان اضيف الى الكمال وعرف بالبلاغة وفاتش العلماء فانه لا يكمل ان يحيط علمه بكل مافي جناح بعوضة ايام الدنيا ولو استمد بكل نظار عظيم واستعان بكل بحاث واع وكل نقاب في البلاد ودارسة للكتب وما اشك ان عند الوزراء في ذلك ما ليس عند الرعية من العلماء وعند الخلفاء ماليس عند الوزراء وعند الانبياء ما ليس عند الخلفاء وعند الملائكة ما ليس عند الانبياء وما عند الله عزّ وجلّ اكثر والخلق في بلوغه اعجز وانما علم الله كل طبقة من خلقه بقدر احتمال فطرهم ومقدار مصلحتهم .

وقال الراغب الاصفهاني في الذريعة : العلم طريق الى الله تعالى ذو منازل قد وكل الله تعالى بكل منزلة منها حفظة كحفظة الرباطات والثغور في طريق الحج والغزو فمن منازله معرفة اللغة التي عليها بني الشرع ثم حفظ كلام رب العزة ثم سماع الحديث ثم الفقه ثم علم الاخلاق والورع ثم علم المعاملات وما بين ذلك من الوسائط ومعرفة اصول البراهين والادلة ولهذا قال (هم درجات عندالله) وقال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) وكل واحد من هؤلاء الحفظة اذا عرف مقدار نفسه ومنزلته في حق ماهو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله ان يحفظ مكانه ثواباً على قدر علمه لكن قلما ينفك كل منزل منها من شرير في ذاته وشره في مكسبه وطالب لرياسته وجاهل معجب بنفسه بصير لاجل تنفيق سلعته صارفاً عن المنزل الذي فوق منزلته من العلم وعائباً له فلهذا ترى كثيراً ممن حصل في منزلة من منازل العلم دون الغاية عائباً لما فوقه وصارفاً عمن رامه فان قدر ان يصرف عنه الناس بشبهة مزخرفة فعل او ينفر الناس عنه فعل اه .

وان ما في عبارة هذين الحبرين ليذكر بما يجب للمجتمع من مراعاة مبدإ التعاون والتكافل الاجتماعي وقد قال احد كبار شيوخ العلم من المعاصرين ان مما يؤخر الشرق في العلم عدم مراعاة ابنائه لمبدإ التعاون والتكافل الاجتماعي ففيه من يحسن التفصيل كما فيه من يحسن الخياطة وليس بينهما من يضم اعمال الفئة الاولى للثانية لينتفع بها المجتمع حق الانتفاع ومثل لذلك بمن نقلوا لنا العلوم على عهد الحضارة الاسلامية الاولى فقال انه كان يندر ان يجمع المترجم بين معرفة العلم الذي يترجمه واللغتين اللتين ينقل منهما فمن كان يجيد السريانية لا يحسن العربية الا انه كان يترجم ما يفهم بعبارة ركيكة او عامية فيجيء المصحون يصلحون العبارة على الاسلوب العربي فتجيء معرباتهم من اصح ما يكون لفظاً ومعنى وعلى هذا درج ديوان الترجمة في الدولة العلوية الخديوية في القرن الثالث عشر في مصر فكان المترجم غير المصحح ولذلك جاء فيمانقلوه روح العربية اكثر من المصنفات التي نقلت الى العربية حتى في هذا القرن قال وهكذا عرفت دولة العباسيين في بغداد

والامويين في الاندلس والاسرة العلوية في القاهرة ان تجمع بين من يحسن التفصيل ويحسن الخياطة فكان من هذا الجمع ما كان كما حسن النفع من كل ما تصرف تحت اسم علم ·

الشعر الاجتماعي

ليس جميع ما خلد في بطون الاوراق من شعر شعرائنا الغابرين هو في المديح والهجاء والرثاء والغزل والنسيب والخمريات والزهديات والخلاعيات بل كان منهم ذوو أخلاق طاهرة يتأثرون بمحيطهم ويشعرون بشعور امتهم يشاركونها في آلامها واسقامها ويسعون الى صلاحها واصلاحها · وان ما انتهى الينا من شعر الجاهليين والمخضرمين والمولدين ان صح اصدار الحكم عليه لقلته ليدعو الى القطع بان معظم الشعراء اميل الى الخصوصيات منهم الى العموميات · وابو العلاء المعري رأسهم في تشريف الشعر والتفادي من ابتذاله وجل لزومياته من الشعر الاجتماعي الصادر عن نفس ابية مشرفة على ما يعبث بجسم المجتمع من الشرور والغرور والقصور ولذلك لم يبرح يضرب على نغمة التنديد وكثيرًا يخرجه النقد الى الغلو واي شعر خلا من غلو ·

ولو خلت نفس ابي الطيب المتنبي من المطامع والتغالي في حب الجاه والغنى لساغ ان يكون من مجموع حكمياته ديوان شعر اجتماعي ينفع الامة في تكبير نفوسها وتحسين ملكاتها ولا سيما لو كانت الحكمة مختلطة باجزاء نفسه اختلاطها باجزاء روح المعري وكانت اقواله على قدر افعاله · فقد رأيناه يملأ الدنيا مديحًا بسيف الدولة ثم يهجوه ويمدح كافورا الاخشيدي لما كان يرجو ان يوليه ولاية ثم يهجوه افحج هجو لما يئس منه فكيف يثق العقلاء باقواله وتفعل اشعاره في النفوس فعلاً محمودًا ·

واذا تقدمنا الى ما وراء ذينك العصرين وبحثنا في شعراء اوائل العباسية كابي العتاهية وابي نواس لا نعتم ان نقول فيهما ما قلناه في ابي الطيب وان كانت الزهديات غالبة على شعر الاول والخمريات مستحكمة من شعر الثاني ·

اما من كانوا بعد ذلك العهد من الشعراء كابي فراس الحمداني فانك تجد شعرهم بحسب محيطهم · فنقرأ في شعر هذا علو النفس والشمم وشيئًا من روح الاجتماع · وبحق ما قيل بدئ الشعر بملك وهو امرؤ القيس وختم بملك وهو ابو فراس وبحق. اقالوا كلام الملوك ملوك الكلام ·

وانك لا تجد في نفسك النشأة التي تجدها بتلاوة شعر الشريف الرضي وابن الرومي ما تجده بكلام صريع الغواني وناصح الدين الارجاني . اما اذا جئت تقرأ الشعر في القرون الخمسة الاخيرة وهي عصور انحطاط اللغة وانحطاط الافكار فنكاد لا تجد الجيد واحداً من مائة واكثر من اجادوا في الاجتماعيات من كانوا على شيء من معرفة زمانهم من الشعراء وتأثروا بتأثر امتهم مثل تلك الزمرة من الشعراء التي سقطت الاندلس في ايامها فبكوها ورثوها او كانوا قبيل سقوطها لحذروا ملوكهم عاقبة التفاشل وبينوا لهم مواضع الضعف واي شعر اوقع في النفس وافعل في إثارة الشجون من قصيدة ابن الابار لما اوفده صاحب بلنسية عند ما حاصرها ملك برشلونة البرتغالي الى ابن ابي حفص صاحب افريقية التي يقول في مطلعها .

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ... ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست ... فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها ... فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
بالجزيرة اضحى اهلها جزرًا ... للحادثات وامسى جدها تعسا
في كل شارقة المام بارقة ... يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة اجحال شائبة ... تثني الامان حذاراً والسرور اسى
وفي بلنسية منها وقرطبة ... ما ينسف النفس او ماينزف النفسا

واي شعر اصدق من رقعة وجدت في جيب ابي عبدالله الفازازي يوم موته يقول فيها

الروم تضرب في البلاد وتغنم ... والجور يأخذ ما بقي والمغرم
والمال يورد كله قشتالة ... والجند تسقط والرعية تسلم
وذوو التعين ليس فيهم مسلم ... الاَّ معين في الفساد مسلم
اسفي على تلك البلاد واهلها ... الله يلطف بالجميع ويرحم

قال المقري ان هذه الابيات رفعت الى سلطان بلده فلما وقف عليها قال بعد ما بكى صدق رحمه الله تعالى ولو كان حياً ضربت عنقه .

ولم يزل اهل الاندلس بعد ظهور الافرنج على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاخذ الثار بالنظم والنثار فمن القصائد الموجهة في ذلك قول بعضهم لما اخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية ابا حفص ويقول فيها .

ياحسرتي لعقائل معقولة ... سئم الهدى نحو الضلال هداءها
ابه بلنسية وفي ذكراك ما ... يمري الشؤون دماءها لا ماءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد ... شب الاعاجم دونها هيجاءها

والى را وباطح لم تعترض حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرس والمقيل خلالها وتطلعت غرر المنى اثناءها

ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة

لثكلك كيف تبتسم الثغور سرورًا بعد ما يئست ثغور
أما وابي مصاب هدّ منه ثبير الدين فاتصل الثبور

الى ان يقول

فان قلنا العقوبة ادركتهم وجاءهم من الله النكير
فانا مثلهم واشد منهم نجور وكيف يسلم من يجور
أنأمن ان يحل بنا انتقام وفينا الفسق اجمع والفجور
واكل للحرام ولا اضطرار اليه فيسهل الامر العسير

ومما قيل في ذلك قصيدة ابي البقاء الرندي وهي مما اشتهر

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته ازمان
وهذه الدار لا تبقي على احد ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتماً كل سابغة اذا نبت مشرفيات وخرصان

ومن هذا الباب قصيدة العقيلي يتوسل بسلطان فاس التي يقول فيها

كنا ملوكاً لنا في ارضنا دول نمنا بها تحت افنان من النعم
فايقظتنا سهام للردى صبب يرمى باقجع حتف من بهن رمي
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا وايّ ملك بظل الملك لم ينم

وهكذا كانت تلك الطبقة من الشعراء على ذلك العهد في الاندلس على نحو ما كان بعض شعراء المانيا في القرن الماضي وقد قاموا يحمسون الامة والحكومة في معارضة الدين ومناهضة الحكم المطلق مثل ستراوس Strauss والاخوان بو ير Bauer وارنولد روج Arnold Ruge وكارل ماركس Karl Marx وفورباخ Feuerbach وجمهور من الشعراء السياسيين مثل هوفمن فون فالرسليبن Hoffman Von Fallersleben ودنجلستيد Dingelstedt وفرايليجرات Freiligrath وميسنير Meissner وكارل بيك Karl Beck وعوتفر يد ottfried وكاين كيل Kin Kel وغيرهم ممن اخذوا على انفسهم الدفاع عن حقوق الامة والحرية واخذوا ينشرون في

اوروبا دعوات حماسية ولكن شتان بين من يسعون الى تأسيس ملك ضخم وسلطان عظيم العلم رائده والعقل قائده يقولون فتسمع اقوالهم وتؤثر الاثر المطلوب و بين من يقولون كبقايا اولئك الاندلسيين وهم خائفون فلا تؤثر اقوالهم ويمسون ينشدون و يصبحون يندبون بلاداً سقطت واطفالاً يتمت ونساء ايمت وعمراناً اضمحل وما كنا ابذعر

وليس معنى هذا ان الشعر كله يجب ان يكون اجتماعياً بل ان اكثره اذا اصبح كذلك ينفع و يرقي · والشعر ادعى الى التأثير واسرع ان يعلق في الذهن من النثر · والشعراء اذا احسنوا القصيد وصرفوه فيما يفيد تقطف البلاد بثمرة اقوالهم ما تقطفه من ثمرات اقوال الخطباء والكتاب ان لم نقل اكثر · الشاعر الاجتماعي هو الذي يدل امته على عوارها وعارها و يبين لها طريق نجاتها وعثرتها و ينوع الاساليب في تعليمها وتهذيبها · وما انس لا انس غوركي شاعر الروس وقد كان منذ سنين يؤلف القصيدة الثورية الاجتماعية و يلقنها الفلاحين حتى اذا استظهروها يرحل عنهم وقد ظل اعواماً على هذه الدعوة ورجال الشرطة يطاردونه وهو يجر بذنه يفلت من ايديهم حتى كانت اقواله من جملة ما ولد الثورة الروسية الاخيرة

وقد اذكرني غوركي بعمارة اليمني الشاعر الذي دعا في مصر للدولة الفاطمية بعد ان حل عراها صلاح الدين يوسف وما قال في ذلك من قصائد ومقاطيع كانت سبب صلبه ومن جملة شعره القصيدة التي توضح عذر السلطان صلاح الدين في قتله وقتل من شاركه في ذلك قال في مطلعها

رميت يادهر كف المجد بالشلل وجيده بعد حلي الحسن بالعطل
سعيت في منهج الرأي العثور فان قدرت من عثرات البغي فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فانفك لا ينفك ما بين نقص الشين والخجل
لهفي ولهف بني الآمال قاطبة على فجيعتنا في اكرم الدول

الى ان يقول

ياعاذلي في هوى ابناء فاطمة لك الملامة ان قصرت في عذلي
بالله زر ساحة القصرين وابك معي عليهما لا على صفين والجمل
وقل لاهليهما والله ما التحمت فيكم قروحي ولا جرحي بمندمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة في نسل آل امير المؤمنين علي
هل كان في الامر شيء غير قسمة ما ملكتم بين حكم السبي والنفل
وقد حصلتم عليها واسم جدكم محمد وابيكم غير منتقل
مررت بالقصر والاركان خالية من الوفود وكانت قبلة القبل

قملت عنها بوجهي خوف منتقد … من الاعادي ووجه الود لم يمل
اسبلت من اسف دمعي غداة خلت … رحابكم وغدت مهجورة السبل
ابكي على ما نرا آى من مكارمكم … حال الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافة كانت انس وافدكم … واليوم اوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم ان اصغت مكارمكم … تشكو من الدهر ضيماً غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست … ورث منها جديد عنهم وبلي
وموسم كان في كسر الخليج لكم … يأتي تجملكم فيه على الجمل

وختمها بقوله

وما خصصتم ببر اهل ملتكم … حتى عممتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين ولا … ضيف المقيم وللطاري من الرسل
وللجوامع من احباسكم نعم … لمن تصدر في علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا لمعقلها … منكم واضحت بكم محلولة العقل

ولسائل ان يقول اما في شعراء العربية اليوم من نقع لهم بانرى مثل هذه القصائد الحماسية الاجتماعية يحسنون بقريضهم الملكات ويضمون الشتات قبل الفوات . فالجواب ان هذه الروح ضئيلة جدًّا في شعرائنا فان غلبت على شعر حافظ افندي ابراهيم حتى جاز ان يدعى الشاعر الاجتماعي بلا مدافع وقرئت في قصائد جميل صدقي افندي الزهاوي ومعروف افندي الرصافي من شعراء بغداد فانها تقل في شعر الشيخ عبدالمحسن الكاظمي واحمد بك شوقي والامير شكيب ارسلان ومصطفى صادق افندي الرافعي والسيد توفيق البكري والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي وخليل افندي مطران والامير نسيب ارسلان ونقولا افندي رزق الله وعبدالله افندي البستاني وابراهيم افندي الحوراني وفارس افندي الخوري وعيسى افندي اسكندر معلوف ورزق افندي حداد واحمد افندي محرم وامين افندي حداد واسماعيل باشا صبري وحفني بك ناصف والياس افندي فياض ومحمد امام افندي العبد وطانيوس افندي عبده وقسطاكي بك الحمصي واحمد افندي الكاشف واضرابهم المجيدين في شعرائنا ممن لم تحضرني اسماؤهم فانك لا تقرأ لاحدهم المقطوعة او القصيدة الفذة حتى تقرأ له عشرات غيرها في اغراض اخرى فياحبذا لو توخى قادة القريض بما ينظمون النفع العام ونحوا في اشعارهم منحى السداد لتفعل في عقول منشديها وراويها فتسدد خطاهم وتصحح افكارهم وتقوي قلوبهم وتصلح عيوبهم . فعصرنا هذا عصر الحقائق لاعصر الخيالات والعاقل ينتفع باقواله بحسب نيته وهيهات ان نقول ان للشعر العربي دولة الا اذا حسنت

آثار اقوال زعمائه في ابنائه وقديماً قالوا اعذب الشعر اكذبه اما نحن اليوم فنقول اعذب الشعر اصدقه وعهدنا هذا يفتح بما فيه من دواعي القول قرائح من لم يحلم بانه يقول الشعر.

الغروب

نزلت تجر الى الغروب ذيولا ... صفراء تشبه عاشقاً متبولا
تهتز بين يد المغيب كأنها ... صبٌ تململ في الفراش عليلا
ضحكت مشارقها بوجهك بكرةً ... وبكت مغاربها الدماء اصيلا
مذ حان في نصف النهار دلوكها ... هبطت تزيد على النزول نزولا
قد غادرت كبد السماء منيرةً ... تدنو قليلاً للافول قليلا
حتى دنت نحو المغيب ووجهها ... كالورس حال به الضياء حيولا
وغدت باقصى الافق مثل عرارةٍ ... عطشت فابدت صفرةً وذبولا
غربت فابقت كالشواظ عقيبها ... شفقاً بحاشية السماء طويلا
شفق يروع القلب شاحبُ لونه ... كالسيف ضُمّخ بالدما مسلولا
يحكي دم المظلوم مازج ادمعاً ... هملت بها عين اليتيم همولا
رقت اعاليه واسفله الذي ... في الأفق أشبع عصفراً محلولا
شفق كأن الشمس قد رفعت به ... ردناً بذوب ضيائها مبلولا
كالخود ظلت يوم ودّع إلفها ... ترنو وترفع خلفه المنديلا
حتى توارت بالحجاب وغادرت ... وجه البسيطة كاسفاً مخذولا
فكأنها رجل تخرّم عزّه ... قرع الخطوب له فعاد ذليلا
وانحط من غرف النباهة صاغراً ... واقام في غار الهوان خمولا

***

لم انس قرب (الاعظمية) موقفي ... والشمس دانية تريد افولا
وعن اليمين ارى مروج مزارع ... وعن الشمال حدائقاً ونخيلا
وتروع قلبي للدوالي نعرة ... في البين يحسبها الحزين عويلا
ووراء ذاك الزرع راعي ثلة ... رجعت تؤم الى المراح قفولا
وهناك ذو برذونتين قد انثنى ... بهما العشيّ من الكراب نحيلا

وينتهي نظري دخان صاعد   يعلو كثيراً تارةً وقليلا
مدَّ الفروع الى السماء ولم يزل   بالارض متصلاً يمدّ اصولا
وتراكبت في الجوّ سود طباقه   تحكي تلولاً قد حملن تلولا
فوقفت ارسل في المحيط الى المدى   نظراً كما نظر السقيم كليلا
والشمس قد غربت ولما ودعت   ابكت حزوناً بعدها وسهولا
غابت فاوحشت الفضاء بكدرة   سقم الضياء بها فزاد نحولا
حتى قضت روح الضياء ولم يكن   غير الظلام هناك عزرائيلا
واتى الظلام دجنةً فدجنةً   يرخي سدولاً جمة فسدولا
ليلٌ بغيهبه الشخوص تلفعت   فظللت احسب كل شخص غولا
ثم انثنيت اخوض غمر ظلامه   وتخذت نجم القطب فيه دليلا
ان كان اوحشني الدجى فنجومه   بعثت لتؤنسني الضياء رسولا
سبحان من جعل العوالم انجماً   يسبحن عرضاً في الاثير وطولا
كم قد تصادمت العقول بشأنها   وسعت لتكشف سرها المجهولا
لا تحتقر صغر النجوم فانما   ارقى الكواكب ما استبان ضئيلا
دارت قديماً في الفضاء رحى القوى   فغدا الاثير دقيقها المنخولا
فاقرأ كتاب الكون تلق بمتنه   آيات ربك فصلت تفصيلا
ودع الظنون فلا وربك انها   لم تغن من علم اليقين فتيلا

معروف الرصافي

الشمس في الطلوع

طلعت في جلالة ووقار   من وراء التلول شمس النهار
طلعت من حجابها كإله الـ   حسن في موكب من الانوار
وتجلت مثل العروس بوجهٍ   نوره باهرٌ اولي الابصار
فكست منكب الربى وحوالي   ها رداء مطرزاً بالنضار
وادرّت على الرياض شعاعاً   لجّ في لثم مبسم الازهار
كلما مسَّ ظاهر الارض اعطى   رونقاً للتراب والاحجار

ماتدانى الاً واهدى نشاطاً لحياة الحيوان والاشجار
وله في جداول الروض رقص فوق سطح الماء الزلال الجاري
واضاء الهواء فهو كبحر ماج في لجّ نوره الموّار
ان للشمس منظراً سوف يلفي مثله في النجوم والاقمار
منظراً راق حسنه غير اني كل يوم اراه بالتكرار
انما الشمس مركز لنظام سابح في بحر بعيد القرار
ليس في عالم المجرة الا قدراً صاغراً من الاقدار
نحن من ارضنا نعيش جميعاً فوق جرم محقر سيار
طاف يسعى على ذكاء كما دا رت بلبل فراشة حول نار

الشمس في المغيب

اترى افزع الغزالة ذيب فهي تسعى شريدة وتغيب
وقد اصفر وجهها كفتاة قلبها من وشك الفراق كئيب
ام قضت نصف دورة هذه الار ض دنا فيه من ذكاء غروب
وعلاها السحاب فاحمر منه لدواع ذوائب وجيوب
صاح ما هذه الدماء اراها بعيوني اسيف السماء حروب
ام ترى ابدت الطبيعة لوحاً نظر الروح نحوه مجذوب
تقف العين نحوه وهي حيرى يستبيها جماله المحبوب
حار في وصفه الاديب فلا يع لم ماذا عسى يقول الاديب
وانظر البر في مقابلة الشم س تجد ما تذوب منه القلوب
بقر الحي من مراتعها تر جع في مشية خطاها قريب
وقطيع الاغنام من وجهة الشر ق الى جانب الخيام يؤب
وصغار الحملان مربوطة ته بو الى امهاتها وتلوب
تسمع الامهات وهي اليها مسرعات بغامها فتجيب
منظر للغروب في البر يشجي فتكاد القلوب منه تذوب
منظر يعجز المصور والشا عر عن رسمه ويعيا الخطيب

بغداد ج ...

اليونان

عظمة مكدونية

فيليب — الاسكندر — فتح آسيا

انهكت الحروب المتصلة مدة قرن بين اسبارطة وآثينة قوى تينك المملكتين فتركتا قتال ملك الفرس الا ان شعباً جديداً وهم المكدونيون عاودوا قتاله حتى نالوا منه وكانوا على خشونتهم وقسوتهم اشبه بقدماء الاوروبيين شعباً مؤلفاً من رعاة وجند . ولقد سكنوا شمال بلاد يونان في واديين عظيمين مطلين على البحر . وقلما كان اليونانيون يحنونهم محل الاعتبار بل ينظرون اليهم نظراً ثانوياً كما ينظرون للبرابرة واذ كان المكدونيون يدعون انهم من نسل هيراكليس سمح لهم اليونان بان يركضوا خيولهم في سباق الالعاب الاولمبية و بذلك اعترف بهم ضمناً بانهم من ابناء يونان .

فيليب — قلما كان هؤلاء الملوك النازلون في بلاد الداخلية بعيدين عن البحر يشتركون في حروب اليونان . وفي سنة ٣٦٠ تسنم اريكة العرش المكدوني شاب نشيط شجاع طموح ونعني به الملك فيليب فطمحت به نفسه الى القيام بثلاثة امور .

(١) ان ينشيء جيشاً قوياً

(٢) ان ينشيء جميع الموانئ على شاطيء مكدونية

(٣) ان يكره سائر اليونان على الانضواء تحت لوائه لقتال الفرس

فصرف في هذا الشأن اربعاً وعشرين سنة ونجح فيما قصد له . واستسلم اليونان اليه بل واعانه كثير منهم واتخذ له انصاراً يبذل المال في جميع المدن يحسنون الظن فيه و يمتدحونه قال : « ما من قلعة يتعذر الاستيلاء عليها اذا استطاع المرء ان يدخل اليها بغلاً مثقلاً بالذهب » وهكذا استولى على جميع مدن شمالي اليونانية واحدة بعد اخرى .

ولقد كان الخصم اللدود لفيليب الخطيب ديموستين وهو ابن صانع اسلحة تيتم في السابعة من عمره واختلس اوصياؤه جزءاً من ماله ولما بلغ اشده اقام عليهم قضية واكرههم على ان يعيدوا اليه مااختلسوه منه وكان درس خطب ايزيه واستظهر تاريخ توسيديد بيد انه عند ما خطب على المنبر العام قوبل كلامه بالقهقهة اذ كان صوته ضعيفاً جداً ونفسه قصيراً فتوفر عدة سنين على ترويض صوته . ويروى انه كان ينقطع شهوراً طويلة ونصف رأسه محلوق لئلا يحاول الخروج و يلقي خطباً وفي فمه حصا وهو على شاطيء البحر ليمرن نفسه على التغلب بصوته على جلبة الناس ولما رجع الى المنبر كان قد اخضع صوته لارادته واذ كان يحافظ كل

المحافظة على اعداد جميع خطبه قبل القائها غدا ارقى خطيب واعظم مفوّه في بلاد اليونان . وكان الحزب الذي يرجع اليه امر آثينة على ذلك العهد بزعامة فوسيون يطمح في السلم اذ لم يكن لآثينة جند كاف ولا مال وافر لا يقاف ملك مكدونية عند حده فكان فوسيون يقول سأشير عليكم بالحرب متى صرتم بحيث تستطيعون القيام باعبائها . وكان ديموستين على العكس يحتقر فيليب ويراه كأنه من المتوحشين فتطوّع في خدمة الحزب الذي يطلب محاربته واستخدم ما فيه من فصاحة لاخراج الآثينيين من سياسة المسالمة ولم يدخر وسعاً مدة خمس عشرة سنة في تحريضهم على ذلك .

وانك تجد موضوع كثير من خطب ديموستين الحملة على الملك فيليب وكان يسميها الفليبية . قال في خطابه الاول سنة ٣٥٢ : متى تقومون ايها الآثينيون بواجباتكم ؟ اتريدون ان تسرحوا وتمرحوا في الساحات وبعضكم يسأل بعضاً بقوله : ما وراءك من الاخبار ؟ اما انا فاقول لكم ليس من جديد الا اننا نشاهد مكدونياً يتغلب على آثينة و يستولي على ارض يونان ؟ اقول لكم انه من الواجب تسليح خمسين سفينة وان تعقدوا العزم ان تركبوها بالذات عند مسيس الحاجة . جنبوا مسمعي حديث جيش مؤلف من عشرة او عشرين الفاً من الاجانب ولا حقيقة له الا على الورق فاني لا اريد الا جنوداً من الوطن متطوّعين في خدمته . وقال ديموستين في الفيليبيات الثالثة سنة ٣٤١ بذكر الآثينيين بما حازه فيليب من الظفر عليهم لغفلتهم وقلة حركتهم : «كان اليونان قديماً عند ما يسيئون استعمال سلطتهم ليظلموا غيرهم تقوم بلادهم كلها على ساق وقدم لمنع هذا الظلم ونحن اليوم نقاسي ما نقاسي من مكدوني حقير متوحش من اصل ملعون فيخرب المدن اليونانية ويحتفل بالالعاب البيثية (١) او يأمر خدمه بالاحتفال بها وهذا ما ينظر اليه اليوناني بدون ان يأتي امراً كما ينظر الى البرد يتساقط وهو يضرع بان لا يصيبه . والسلطة تعظم بدون ان يخطو احد خطوة لا يقافها . وكل ينظر من عهد اليه في تمزيق شمل غيره كما لو كان يعد ذلك ربحاً في وقته بدلاً من ان يفكر ويعمل لسلامة اليونان عند ما يعرف الناس ان المصيبة ستنال البعدين» . ولما استولى فيليب على الاتيه في مدخل بيوسيا (٣٣٩) ازمع الآثينيون بما نصح لهم به ديموستين ان يشهروا الحرب و يبعثوا بوفود الى ثيبة وذهب ديموستين زعيماً للوفد ولقي في ثيبة وفداً جاء من قبل فيليب فتردد الثيبيون واراده ديموستين على ان يتناسوا جميع احقادهم القديمة وان لا يفكروا في غير سلامة الوطن اليوناني وفي الدفاع عن الشرف والحرية فعزموا بمساعيه ان يعقدوا محالفة مع آثينة وان يظلوا على المقاومة والحرب .

(١) هذه الالعاب كانت تقام كل اربع سنين كالالعاب الاولمبية في مدينة دلفيس اكراماً لابولون البيثي

وبعد سنة (٣٣٨) نشبت الحرب في شيرونيه من اعمال بوسيا وكان عمر ديموستين اذ ذاك ثمانياً واربعين سنة تخدم في الجيش جندياً بسيطاً واذ كان جيش الآثينيين والثيبيين قد دعي الى حمل السلاح بسرعة لم يعادل جند فيليب المدربين ولذلك كانت الهزيمة من حظ الجيش الاول ·

الاستيلاء المكدوني — واذ ظفر فيليب اقام حامية في ثيبة وصالح آثينة ثم دخل الى ارض المورة فاستقبله اهلها كأنه المحسن الى الشعوب التي طالما اضطهدتها اسبارطة ومن ذاك العهد لم يصادف اقل مقاومة فجاء الى كورنث (٣٣٧) وجمع فيها مندوبي جميع المدن اليونانية (ما خلا الاسبارطيين فانهم لم يبعثوا بمندوبين قط) وعرض عليهم مشروعه وهو ان يتولى زعامة جيش يوناني لغزو فارس فاستحسن المندوبون رأيه وعقدت محالفة عامة بين المدن اليونانية كافة وذلك على ان تحكم كل مدينة نفسها بنفسها وتعيش بسلام مع غيرها وأُنشيء مجلس لتلك الوحدة لمنع الحروب والفتن الاهلية والقتل والمصادرة وهذه الوحدة كان من شأنها الاتحاد مع ملك مكدونيا والاقرار له بالزعامة على جميع الجنود والسفن اليونانية وحظر على كل يوناني ان يحارب فيليب واذا فعل تضرب عنقه بدون محاكمة ·

الاسكندر — خنق فيليب ملك مكدونية سنة ٣٣٤ وكان ابنه الاسكندر اذ ذاك ابن عشرين سنة وكان مثل جميع اليونان من ابناء البيوت الشريفة ماهرًا في الالعاب الرياضية شديد القوى في الكفاح يحسن ركوب الصافنات الجياد (وهو الذي وحده استطاع ان يكبح جماح حصانه بوسيفال في الحرب) وكان زيادة على ذلك عارفاً بالسياسة حسن البيان يعلم التاريخ الطبيعي وكان استاذه من سن الثالثة عشرة الى السابعة عشرة الفيلسوف ارسطو اعظم عالم في اليونان فكان يتلو الالياذة بشوق ويدعوها دليل فن الحرب ويريد ان يتشبه بالابطال الذين ورد ذكرهم فيها · فكأنه خلق ليكون فاتحاً لانه مغرم بالقتال مولع بحب الشهرة وكان ابوه يقول له « ان مكدونية ضيقة النطاق فلا تسعك »

الجحافل المكدونية — ترك فيليب لابنه الاسكندر اداة من ادوات الفتح ونعني بها الجيش المكدوني وهو احسن جيش عهد في بلاد اليونان يؤلف جيش المشاة وجيش الفرسان فكان الجحفل المكدوني مؤلفاً من ١٦ الفاً من الرجال مصفوفين أُلوفاً أُلوفاً ستة عشر صفاً ويحمل كل واحد منهم رمحاً طوله ستة امتار وكان المكدونيون في ساحة الوغى بدلاً من ان يسيروا الى العدو كلهم من جهة واحدة يقفون لا حراك بهم ويضربون برماحهم العدو من كل صوب وكان جنود المؤخرة يمدون رماحهم من فوق رؤوس الصفوف الاولى بحيث كان ذلك الجيش يشبه حيواناً عظيماً وقد انتصب وعليه الحديد والعدو يداهمه فيحطم ·

وكنت ترى الاسكندر بيناكان الجيش في ساحة الحرب يوقع بالعدو وهوفي مقدمة فرسانه وكانت هذه الكتيبة من الفرسان مؤلفة من خيار الفتيان الاشراف ·

فتح آسيا — سافر الاسكندر في ربيع سنة ٣٣٤ في ثلاثين الف راجل (معظمهم من المكدونيين) وفي ٤٥٠٠ فارس لا يحمل معه غير ٧٠ تالونتًا من المال (اقل من اربعمائة الف فرنك) وذخيرة تكفي هذا الجيش الضخم اربعين يومًا · ولم يكن عليه ان يقاتل ذاك الغوغاء من الشعوب التي لا سلاح لها وقد سخرها كيخسرو الفارسي لامره فقط بل كان امامه خمسون الفًا من اليونان المجندين في خدمة الخاقان الاعظم تحت قيادة قائد حاذق يدعى ممنون الرودسي فقد كان في مكنة هؤلاء اليونان ان يصدوا المكدونيين عن العبور ولكن صادف ان مات ممنون وتشتت جيشه شذر مذر فتخلص الاسكندر من خصمه الوحيد العنيد وفتح المملكة الفارسية في سنتين · وذلك بعد ان ظفر في ثلاث مواقع فبدد في آسيا الصغرى الجيوش الفارسية الرابطة وراء نهر غرانيك (في مايو ٣٣٣) وهزم الاسكندر داريوس ملك فارس وجيشه الذي يقال انه كان مؤلفًا من ستين الفًا في مضايق سيليسيا في ايسوس (نوفمبر ٣٣٣) وشتت في اربل بالقرب من دجلة جيشًا اكثر عددًا (٣٣١) ·

فكانت هذه الغلبات مثالاً من الحروب المادية فالجيش الفارسي لا سلاح له ولا يحسن الرماية وهو مشوش بنفسه في اخلاط من الجند والاجراء والاثقال وكانت الجنود المختارة وحدها هي التي تقاتل والباقي يشتت ويقتل ولم يكن الفتح في غضون الحرب الا نزهة يكتب فيها الظفر وهذا الفاتح لا يجد امامه مقاومًا (١) وماذا يهم شعوب المملكة ان يخضعوا لداريوس او للاسكندر ؟ وكل غلبة يحرزها الاسكندر كان يفتح بها مملكة برأسها فموقعة الغرانيك استولى فيها على آسيا الصغرى ومعركة ايسوس افتتح فيها سورية ومصر ومعركة اربل بقية البلاد ·

ولما صار الاسكندر الحاكم المتحكم في المملكة الفارسية اعتبر نفسه وارثًا للخاقان الاعظم صاحب فارس فلبس اللباس الفارسي واستعمل عادات البلاط الفارسي في الاحتفالات الرسمية واكره قواده ان يركعوا امامه على السنة الفارسية وتزوج بامرأة من بنات الفرس وزوج ثمانين من ضباطه من ثمانين فتاة من بنات اشرافهم واراد ان يوسع مملكته الى اقصى الحدود كما فعل الملوك القدماء وتقدم فاتحًا نحو الهند وهو يقاتل القبائل المحاربة ولما عاد في جيشه الى بابل (٣٢٤) هلك بالحمى في بضعة أيام في الثالثة والثلاثين من عمره (٣٢١)

مقصد الاسكندر — من المتعذر جدًا ان نعرف ما كان يقصد الاسكندر · هل كان

(١) ما عدا مدينة صور الفينيقية خصيمة اليونان لاسباب تجارية

بفتح حباً بالفتح ؟ او انه كان له مقصد آخر ؟ وهل كان يريد ان يجعل جميع تلك الشعوب شعباً واحداً ومملكة واحدة ؟ هل اتخذ المناحي الفارسية ليكون مثالاً لغيره ؟ او انه قلد الخاقان الاعظم صلفاً واعجاباً ؟ اننا لم نقف على نياته الا ان اعماله كانت لها نتائج عظيمة

ولقد أسس سبعين مدينة وعدة مدائن في مصر كالاسكندرية وفي بلاد التتر حتى بلاد الهند ووزع على رعاياه الكنوز التي وجدها في خزائن الخاقان الاعظم وكانت مطروحة فيها لا ينتفع بها واخذ معه علماء يونانيين لدرس نباتات آسيا وحيواناتها وجغرافيتها وهيأ الملكات في الشعوب الآسياوية الى تعلم لغة اليونان والتخلق باخلاقهم ولذلك اطلق على الاسكندر لقب الكبير

تأسيس الممالك اليونانية

الاسكندرية — المتحف — ممالك آسيا — التمدن اليوناني في الشرق

خراب مملكة الاسكندرية — جمع الاسكندر تحت علم واحد جميع بلاد العالم القديم من بحر الادرياتيك الى نهر الاندوس ومن مصر الى القافقاس · ولم يدم هذا الملك العظيم الا بدوامه فلما هلك اختلف قواده فيمن يولى الملك بعده وحارب بعضهم بعضاً مدة عشرين سنة واتخذوا بادئ بدء حجة لحروبهم بانهم يتقاتلون لمعاضدة احد أسرة الاسكندر كاخيه وابنه وامه واخوته او احدى زوجاته ثم تقاتلوا علناً بأسمائهم وتوطيداً لدعائم الملك لسلطانهم فكان لكل واحد منهم جزء من الجيش المكدوني او جنود يونان مأجورون فكان اليونانيون يتقاتلون فيمن يستأثر بآسيا ويحكم عليها والناس ينظرون اليهم غير محتفلين بما يأتون كما لو كان اليونان يقاتلون الفرس اعداءهم

ولما وضعت الحرب اوزارها لم يبق الا ثلاثة قواد وقد هيأ له كل منهم مملكة واسعة مما خلفه الاسكندر فحكم بطليموس مصر وسلوقس سورية وليزيماك مكدونية وكانت انفصلت بعض الممالك الصغرى او اخذت بالانفصال عنها مثل ابير في اوروبا ومثل بون وبيثيني وغالاسيا وكابادوس وبرغام في آسيا ومثل مقاطعتي باكتريان وبارسيا من بلاد الفرس وبذلك تم تقسيم مملكة الاسكندر

التمدن اليوناني في الشرق — كان الملك من ابناء اليونان في هذه الممالك الجديدة وقد اعتاد ان يتكلم باليونانية ويتعبد بالارباب اليونان ويعيش عيش اليونان ويحافظ على لغته ودينه وعاداته · رعاياه من الآسياويين أي من البرابرة وهو يحاول ان يجعل له حاشية من جنسه ويجند جنوده من أبناء يونان بالاجرة ويتخذ موظفين يونان لادارة البلاد ويجلب الى عاصمته شعراء وعلماء وارباب فنون من اليونانيين

وكان في البلاد على عهد ملوك الفرس كثير من اليونان والطوارىء والتجار ولا سيما من الاجناد فاكثر ملوك اليونان من جلبهم وانتشروا في جميع اطراف آسيا وكثر سوادهم حتى انتهت الحال بالوطنيين ان يلبسوا اللباس اليوناني وينحلوا الديانة اليونانية والاخلاق اليونانية بل واللغة اليونانية ولم يعد الشرق آسياوياً بل اصبح يونانياً حتى ان الرومانيين لم يجدوا في آسيا في القرن الاول الا شعوباً يشبهون اليونان و يتكلمون باللغة اليونانية باسرهم(١)

الاسكندرية — لقب ملوك اليونان في مصر وهم خلفاء بطليموس بلقب الفراعنة على نحو ما كان يلقب ملوكها الاقدمون ولبسوا التاج ودعوا الناس الى عبادتهم باسم ابناء الشمس ولكنهم كانوا محاطين باليونانيين واقاموا عاصمتهم على شاطىء البحر في مدينة يونانية وهي الاسكندرية . تلك المدينة الجديدة التي أُنشئت بأمر الاسكندر

بنيت الاسكندرية على سطح مستو فكانت ذات نظام اكثر من غيرها من المدن اليونانية وكانت الشوارع تنقسم الى زاوية قائمة ويشقها من وسطها الشارع الاعظم وعرضه ثلاثون متراً وطوله ستة كيلو مترات وعلى جانبيها ابنية عظيمة مثل بناء الستاد حيث كانت تقام الالعاب العامة والجمناز والمتحف والارسينوم

وكان المرفأ مؤلفاً من سد طوله الف وثلثمائة متر يصل بين اليابسة وجزيرة فاروس وفي طرف هذه الجزيرة أقيم برج من الرخام جعل في قمته مكان ينبعث منه ضوء على الدوام لتسير به السفن التي تريد دخول المرفإ ومن هناك جاء اسم المنارة . فقامت الاسكندرية مقام المدن الفينيقية وغدت الميناء العظمى للتجارة في العالم باسره .

المتحف — كان المتحف بناء عظيماً من الرخام متصلاً بقصر الملك وقد اراد ملوك مصر ان يجعلوه معهداً علمياً عظيماً . وفيه مكتبة عظيمة (٢) وكان لرئيس القوّام عليها ان يبتاع جميع ما يتسنى له الظفر به من الكتب فكل كتاب يدخل مصر يحمل الى المكتبة والنساخ ينقلون المخطوطات ويرجعون نسخة لصاحبها مع التعويض عليه واتصلت الحال بان جمع على هذا النحو عدد من المجلدات لم يسمع بمثله (وهو اربعمائة الف مجلد كما قيل) وكانت الكتب المخطوطة لكبار المؤلفين الى ذاك العهد مبعثرة مشتتة وعرضة لخطر الضياع فاصبحت يعرف لها مقر يرجع اليه .

(١) كتبت الاناجيل واعمال الرسل في آسيا الصغرى باللغة اليونانية

(٢) حرقت مكتبة المتحف في خلال حصار قيصر لمدينة الاسكندرية ولكن كان لها فرع جعل في السرابيوم وفيه على ما يقال ثلثمائة الف مجلد . وقيل ان هذه المكتبة الثانية حرقها المسلمون في القرن السابع ولكن الظاهر انها فقدت من قبل (قاله المؤلف)

وكان في المتحف ايضاً حديقة للنبات والحيوان ومرصد فلكي وقاعة للتشريح اتيحت على الرغم من اوهام المصريين كما أقيم معمل كيماوي (كان الملك بطليموس فيلادلف يخشى كثيراً من الموت فقضى بضع سنين في البحث عن اكسير لاطالة الحياة) وكان في المتحف العسكري مساكن للعلماء والرياضيين والفلكيين والاطباء والنحويين ويقدم لهم غذاؤهم على نفقة الحكومة وكثيراً ما كان الملك يتناول الطعام معهم دليلاً على احترامه لهم وكانوا يقضون اوقاتهم في المحاورة والمطالعة ويجيء الناس من جميع بلاد يونان ليستمعوا لما يلقون وكان الشبان يبعث بهم آباؤهم الى الاسكندرية ليتعلموا . ويقال انه كان فيها نحو ١٤ الفاً من الطلاب .

ومن ثم كان المتحف مكتبة ومجمعاً علمياً ومدرسة في آن واحد فهو اشبه بمدرسة جامعة وهذا الوضع الذي هو عام بيننا مألوف كان على ذاك العهد من الاوضاع الجديدة التي لم يسبق لها نظير . ولقد اصبحت الاسكندرية بفضل متحفها مقصد جميع المشارقة من يونان ومصريين واسرائيليين وسوريين يحمل اليها كل منهم دينه وفلسفته وعلمه ويختلط بعضهم ببعض فغدت الاسكندرية اذ ذاك وظلت قروناً كثيرة عاصمة العلم والفلسفة في العالم

برغامة — كانت برغامة في آسيا الوسطى من الممالك الصغرى ولم تعد لها سطوة بيدان عاصمتها برغامة كانت كالاسكندرية مدينة ارباب الصنائع والادب وانشأ نقاشو برغامة في القرن الثالث قبل الميلاد مدرسة مشهورة (١)

وقد ملكت برغامة كما ملكت الاسكندرية مكتبة كبرى جمع اليها الملك اتال الكتب المخطوطة لقدماء المؤلفين وفي برغامة اخترعت الكتابة على الجلود للاستعاضة عن ورق البردي وكان هذا الورق الجديد ورق برغامة هو الرق الذي حفظت به المخطوطات القديمة

الحروب الاخيرة في يونان

العصابات — الفتح

الحروب الاهلية — كانت بأيدي بضع أسرات غنية من اليونانيين في جميع المدن اليونانية على التقريب جميع الاعمال والمعامل الصناعية والسفن التجارية وعامة مصادر الربح وموارد العيش اما سائر الاسرات اي السواد الاعظم (٢) فلم يكن لهم ارض ولا مال

(١) اتصل بنا بعض التماثيل التي استصنعها الملك اتال ذكرى لانتصاره على الغالبين في آسيا المعروفين بالغلاسيين

(٢) لم يكن في جميع المدن ايونانية تقريباً طبقة وسطى تشبه الطبقة الوسطى في اوروبا

وماذا كان الوطني الفقير يعمله ليكسب رزقه ؟ لم يكن له الا ان يؤجر نفسه زراعاً او عاملاً او ملاحاً . بيد ان عبيد ارباب الثروة في مصانعهم ومعاملهم ومنهم كانوا يقومون بهذه الاعمال ولا يكلفون للانفاق عليهم غير شيء زهيد بالنسبة للنفقات التي كان على السادة ان ينفقوها اذا استخدموا الاحرار في اعمالهم لانهم كانوا يطعمون عبيدهم طعاماً غليظاً ولا يؤدون اليهم اجوراً . ثم انه من الصعب على الفقير ان يعمل لحسابه لندرة الدراهم ولم تكن الفائدة اقل من عشرة في المئة وهيهات ان يقرضه انسان مايعوزه

على ان العادة لم تكن تسمح للوطني ان يتعاطى الصنائع لان الفلاسفة كانوا يقولون بانها تفسد الجسم وتضعف النفس ولا تترك في وقت صاحبها متسعاً للنظر في الشؤون العامة ولذلك قال ارسطو ان المدينة الحسنة النظام لا يجب عليها ان تعد الصانع فيها وطنياً . فكانت من الوطنيين في يونان طبقة شريفة ترى كما كان يرى الاشراف في فرنسا قديماً ان لها الحق ان تحكم وتحارب وفي ذلك شرفها اما تعاطيها الاعمال بايديها فيعد تنازلاً واتضاعاً ومن اجل هذا حالف البؤس معظم الوطنيين بما كانوا عرضة له من منافسة العبيد في اعمال الحياة وما وقر في نفوسهم من شروط الشرف والنباهة فحكم الفقراء المدن ولم تكن اسباب عيشهم متوفرة وخطر لهم ان يسلبوا الاغنياء فألف هؤلاء شركات منهم لمقاومة اولئك وعند ذلك انقسمت كل مملكة يونانية الى قسمين الاغنياء ويدعون « الاقلية » والفقراء ويدعون « الاكثرية » او الشعب . وبدأ الاغنياء والفقراء يتباغضون ويتقاتلون فاذا صار الحكم للاغنياء يطردون الاغنياء ويصادرون اموالهم وربما اتخذوا واسطتين بالغتين في التطرف وهما الغاء الديون وتقسيم الاراضي من جديد . فاذا عادت السلطة للاغنياء يطردون الفقراء وكانوا يتعاهدون بينهم في كثير من المدن قائلين : « اقسم بأني اظل ابداً معادياً للشعب واوذيه ما استطعت » ولم يكن ثمت من سبيل الى التوفيق بين الفريقين فلا الاغنياء يستطيعون ان يستسلموا للتخلي عن ثروتهم ولا الفقراء يرضون بان يموتوا جوعاً . قال ارسطو « ان الثورات تنشأ من سبب تقسيم الثروات » . ويقول بوليب « ان كل حرب اهلية تنشب فهي لنقل الثروات من يد الى اخرى » .

ومن ثم كان الفريقان يقتتلان اشد قتال على نحو ما يحدث ابداً بين الجيران فتغلب الفقراء بادئ بدء في ميلت واكرهوا الاغنياء على الهرب من المدينة ثم اسفوا لانهم لم يذبحوهم فاخذوا اولادهم وجمعوهم في الانابير تحت ارجل البقر ودخل الاغنياء المدينة

وبذلك كانت تعد آثينة بما فيها من ١٣ الفاً من ارباب الاملاك من الشواذ النادرة وكانت من المدن التي قلت فيها الثورات

فاصبحوا اصحابها الحاكمين فيها واخذوا هم ايضاً ابناء الفقراء وزفتوهم (دهنوهم بالزفت) واحرقوهم احياء .

الحكم الجمهوري والحكم الافرادي — كان لكل من الاغنياء والفقراء شكل خاص في الاحكام يجرونها في المدينة عند ما يقوى احد الفريقين . فكانت حكومة الاغنياء من نوع الحكم الافرادي (اوليكارشي) تعهد بالاحكام الى بعض افرادها اما حكم الفقراء فكان حكمهم ديمقراطياً يكلون حكمهم الى مجلس الامة وكل واحد من الفريقين يتفق مع الفريق المماثل له في المدن الاخرى و بذلك تألفت عصابتان تقاسمتا بينهما جميع المدن اليونانية : عصابة الاغنياء او الحكم الافرادي وعصابة الفقراء او الحكم الجمهوري . وبدأت هذه الطريقة في الحكم خلال حرب المورة فكانت آثينة تعضد الحزب الديمقراطي واسبارطة تمالىء الحكم الافرادي فاتحدت المدن التي كان فيها للفقراء سلطة مع آثينة كما اتحدت المدن التي تسلط عليها الاغنياء مع اسبارطة .

ولقد دامت الحروب الاهلية بين الاغنياء والفقراء نحو ثلاثة قرون (من ٤٣٠ الى ١٥٠) ذبح في خلالها كثير من ابناء البلاد وطرد منهم عدد اكثر من ذلك فاخذوا يهيمون في اطراف الارض على وجوههم لا مورد لهم يعيشون منه ولا يعرفون الا صناعة واحدة وهي الجندية فينخرطون متطوعين في الجيش الاسبارطي والآثيني وفي جيش الخاقان الاعظم والجيش الفارسي بل وفي كل جيش يدفع اليهم اجورهم فكان من ابناء يونان خمسون الفاً في خدمة دارا عند ما قاتل الاسكندر وهم لا يكادون يعودون الى بلادهم متى خرجوا منها .

العصابات — ضعفت الشعوب التي حكمت على بلاد اليونان واسبارطة وآثينة وثيبة ولم يبق في القرن الثالث من اهل الشدة والبأس غير سكان غربي البلاد فالايتوليون يسكنون الجبال في شمالي خليج كورنت والآشيون النازلون في شاطىء المورة في جنوبي هذا الخليج وقد نظموا احوالهم عصابات لا مدناً فاحتفظت كل مدينة بحكومتها وكان لها كلها مجلس للعصابة يقرر فيه الحرب والعهود ويفرض الجند الذي تقدمه وينتخب القائد الذي يقضى عليه ان يقود جيش العصابة .

فانقسمت المدن اليونانية بين هاتين العصابتين المتعادتين . ومن العادة ان تعضد العصابة الايتولية الحزب الديمقراطي والعصابة الآشية الحزب الاوليكارشي . وقد رأس العصابة الآشية ضابطان شهيران احدهما ارتوس في القرن الثالث وهو الذي طاف بلاد اليونان سبعاً وعشرين سنة (٢٥١ — ٢٢٤) طارداً الظالمين من جميع المدن آخذاً بيد

الاغنياء معيداً اليهم اموالهم ومقلدهم حكم البلاد والقائد الثاني فيلو يمان قام في القرن الثاني وقاتل الظالمين في اسبارطة فقتله المسينيون ·

احلاف الرومانيين — لم يكن احد من تينك العصابتين من القوة بحيث يجمع جميع المدن اليونانية وعندئذ ظهر الرومان فحاربهم من ملوك اليونان فيليب ملك مكدونية (١٩٧) ثم ملك سورية انطيوخس (١٩٣ — ١٦٩) فنكست اعلامهما كليهما ودمرت رومية جيوشهما واستولت على اساطيلهما وقاتلت «برسي» ملك مكدونية الجديد وأسرته وخربت مملكته (١٦٧) ·

ولم يحاول اليونان قط ان يجتمعوا للدفاع عن انفسهم وظل فقراؤهم واغنياؤهم يقتتلون وكل حزب يمقت الحزب المعادي له اكثر من بغضه الغريب وتحالف الحزب الديمقراطي مع ملك مكدونية ودعا الحزب الاوليكارشي للرومانيين · وبينا الثيبيون من الديمقراطيين يقاتلون في جيش فيليب كان مواطنوهم من الاوليكارشيين يفتحون ابواب المدينة للقائد الروماني وقد حكم بالاعدام في رودس على كل من قاموا او تكلموا بما يخالف رضى رومية وكتب كاليكرات احد اشياع الرومانيين ن الآشيين قائمة بالف وطني اتهمهم بانهم كانوا يميلون للبرسي فارسلوا الى رومية وامسكوا فيها عشرين سنة بدون ان يحاكموا

الفتح — لم يظهر الرومانيون اولاً في مظهر الاعداء وقد ذهب القنصل فلامانيوس سنة ١٩٧ بعد ان غلب ملك مكدونية الى برزخ كورنت واعلن امام اليونانيين المجتمعين للالعاب البرزخية بان جميع الشعوب اليونانية حرة فطارب الجمهور لقوله واقتربوا منه ليشكروه يريدون ان يسلموا عليه وهو محررهم وان يروا صورته ويلمسوا يده ويلقوا عليه اكاليل النصر وباقات الزهور فازدحم الناس عليه حتى كاد يختنق ·

ولم يلبث الرومانيون ان اصبحوا سادة تحدثهم انفسهم بان يقودوا البلاد فاطاعهم الاغنياء عن رضى لان رومية كانت لهم واسطة للخلاص من حزب الفقراء ودامت هذه الحال اربعين سنة · ولما شغلت رومية بقرطجنة سنة ١٤٧ اعادت للحزب الديمقراطي حياته في بلاد اليونان فاعلن الحرب على الرومانيين فذعر لذلك فريق من اليونانيين وتقدم كثيرون الى الجند الروماني ووشوا اليهم بمواطنيهم بل وشوا بانفسهم وبعضهم فروا الى اقاصي المدن وآخرون القوا بانفسهم في الآبار او الهوات وصادر زعماء المقاومين اموال الاغنياء والغوا الديون واعطوا سلاحاً للعبيد وكان الجهاد شديداً واذ غلب الآشيون للمرة الاولى عادوا فحشدوا جيشاً وساروا الى القتال مستصحبين نساءهم واولادهم وحبس القائد ديوس نفسه وجميع عياله في بيته والقى فيه النار ·

وكانت كورنت مركز المقاومة فدخلها الرومانيون وذبحوا الرجال و باعوا النساء والاولاد (١٤٦) ونهبت المدينة وحرقت وكانت مملوءة بالنفائس وكنت ترى صور كبار المصورين مطروحة في الغبار والجند الروماني مستلقياً فوقها يلعب بالنرد اه ·

صحف منسية

وصف الهرمين

قال القاضي الفاضل : الهرمان قداقد الارض(؟) وكل شيء يخشى عليه من الدهر الا الهرمان فانه يخشى على الدهر منهما (وللمتنبي)

اين الذي الهرمان من بنيانه — من قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن اصحابها — حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وقال ابو الصلت أمية بن عبدالعزيز

بعيشك هل ابصرت احسن منظراً — على ما رأت عيناك من هرمي مصر
انافا بمنانًا للسماء واشرفا — على نحو اشراف السماك او النسر
وقد وافيا نشزًا من الارض عاليًا — كأنهما نهدان قاما على صدر

وقال الفقيه عمارة اليمني

خليلي ما تحت السماء بنية — تماثل في اتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما — على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفي في بديع بنائها — ولم يتنزه في المراد بها فكري

وقال آخر

انظر الى الهرمين اذ برزا — للعين في علو وفي صعد
وكأنما الارض العريضة اذ — ظمئت لفرط الجزر والمد
حسرت عن الثديين بارزة — تدعو الاله لفرقة الولد
فاجابها بالنيل يشبعها — رياً ويشفيها من الكمد

وقال ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وانظر — وبينهما ابو الهول العجيب
كعمار يتن على رحيل — بمحبوبين بينهما رقيب

ودونهما المقطم وهو يحكي ركاب الركب ابلغها الركوب
وظاهر سجن يوسف مثل صب تخلف وهو محزون كئيب

وقال ابن الساعاتي

ومن العجائب والعجائب جمة دقت عن الاكثار والاسهاب
هرمان قد هرم الزمان وادبرت ايامه ويزيد حسن شباب
لله اي بنية ازلية تبغي السماء باطول الاسباب
وكأنما وقفت وقوف تبلد اسفًا على الايام والاحقاب
كتمت عن الاسماع فضل جهادها وغدت تشير اليه بالالباب

وقال سيف الدين بن جبارة

لله اي غريبة وعجيبة في صنعة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع قصة اهلها ونضت عن الابداع كل نقاب
فكأنما هي كالخيام مقامة من غير ما عمد ولا اطناب

وقال بعضهم واجاد

تبين ان صدر الارض مصر ونهداها من الهرمين شاهد
فواعجبا وقد ولدت كثيرًا على هرم وذاك النهد ناهد

ولما عدى القاضي شهاب الدين بن فضل الله الى الاهرام كتب الى الامير الجاولي الدوادار وذلك في سنة تسع وعشرين وسبعمائة قال

لي البشارة ان امسيت جاركم في ارض مصر باني غير مهتضم
حفظتمو لي شبابي في ظلالكم مع انكم قد وصلتم بي الى الهرم

مطبوعات ومخطوطات

بهجة الصيانة في عجائب مصر والكنانة

هذا الكتاب من جملة مخطوطات خزانة الكلية الاميركية في بيروت لمؤلفه احمد محمد القزويني اوله : الحمد لله الذي خلق الانسان من صلصال من حماء مسنون وفضل بعضهم على بعض فهم بذلك يتفاوتون . « فجعل منهم الخادم والمخدوم والحاكم والمحكوم وخص بالنبوّة والخلافة بعض اولاده وخص بالسلطنة والعبودية منهم على مراده »

ذكر فيه المؤلف المواضع التي وقع بها ذكر مصر في القرآن والاحاديث المنقولة فيها ثم ذكر جغرافيتها وبلادها واول من نزل فيها ومن ملكها ودخلها من الانبياء والعلماء وذكر عجائبها وآثارها ومن دخلها من الصحابة والتابعين وحكمها من الملوك والسلاطين الى زمن الملك الاشرف قايتباي في النصف الاخير من القرن التاسع . والكتاب كله موجز العبارة تسهل قراءته كتب سنة ١٠٨٥ هـ ولا يخلو من خرافات وموضوعات كما انه لا يخلو من حقائق حرية بالنشر . وقد رأينا علماء المشرقيات ينشرون الكتاب من اجل مسألة او بعض مسائل فمن لنا من ارباب مطابعنا من يطبع لنا كتاباً من مثل هذا له علاقة كبرى بتاريخ بلادنا وقد نقلنا عنه ما جاء فيه في وصف الهرمين في باب الصحف المنسية

المستصفى

يكفي في شرف علم اصول الفقه ما قاله الغزالي مؤلف هذا الكتاب من ان « اشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي والشرع وعلم الفقه واصوله من هذا القبيل فانه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد » وقد ذكر لنا احد كبار العلماء ان اهم الكتب التي ألفت في هذا الفن على طريقة المتكلمين اربعة كتب كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفى للغزالي وهما من اهل السنة وكتاب العمد للقاضي عبدالجبار وشرحه المعتمد لابي الحسين البصري وهما من المعتزلة وما بقي فهو متفرع عن هذه الاربعة وهي قواعد هذا الفن واركانه . وقد اصبحت اكثر هذه الاربعة كالمفقود ان لم تكن مفقودة وتدارك احد اركانها وهو الركن الاهم فيما يبدو لنا كتاب المستصفى لحجة الاسلام الغزالي الذي هو من آخر مؤلفاته واجودها وكلها جيد الشيخ فرج الله زكي الكردي وطبع معه كتاباً آخر يسمى فواتح الرحموت في شرح مسلم الثبوت للشيخ محب الله بن عبد الشكور . وكان بودنا لو طبع مع هذا الكتاب كتاباً يناسبه مثل المنخول للامام المشار اليه او لو طبعه مجرداً على عادة ارباب المطابع الراقية . وقد طبع في المطبعة الاميرية طبعاً جيداً مما يوجب الشكر للطابع وحبذا لو اتبعه بامثاله من امهات الكتب النافعة في الفنون المختلفة خصوصاً ما يخشى فقده منها والكتاب في مجلدين وقعا في نحو ثمانمائة صفحة من قطع الربع وثمنه ٤٥ قرشاً اميرياً من الورق الجيد و٣٥ قرشاً من الورق العادي .

الفوائد السمية

في شرح النظم المسمى بالفرائد السنية في فروع الفقه على مذهب الامام ابي حنيفة

للشيخ محمد الكواكبي المتوفى سنة ١٠٩٦ ويليه منظومة الفرائض للشيخ عبدالله الحنبلي وبهامشه ارشاد الطالب الى منظومة الكواكب في علم الاصول للكواكبي ايضاً طبع الجزء الاول منه بالمطبعة الاميرية الشيخ فرج الله زكي وهذا الجزء في ٣٧٦ صفحة ويطلب من طابعه ، ٣٥ غرشاً من جيد الورق و٢٥ من عاديه وسينجز الجزء الثاني قريباً

تقريب المرام

تهذيب الكلام كتاب مشهور لسعد الدين التفتازاني وهو من اخصر ما ألف في هذا الفن واجمعه ولما كان يحتاج الى شرح يبين مقاصده ويشيد قواعده تصدى لذلك الشيخ عبدالقادر السنندجي من علماء الاكراد وطبعه الشيخ فرج الله زكي ويطلب منه وثمنه ١٢ قرشاً

رسائل وكتب منوعة

كتاب العقد الثمين في بيان مسائل الدين تأليف الشيخ علي السويدي من اهل القرن الثالث عشر للهجرة طبع طبعاً متقناً بمطبعة مصطفى افندي وعيسى افندي وبكري افندي البابي الحلبي وهو في ٢٢٣ صفحة ويباع في مكتبهم بستة قروش ونصف مجلداً ، ويطلب منها ايضاً كتاب كشف الظلمة لحسين افندي قلي الداغستاني وهو بثلاثة قروش . والرحلة الشنقيطية لتقييد الرواية واللغة الشيخ محمد محمود الشنقيطي تباع بمكتبتهم بثلاثة قروش .

واهدينا كتاب المفيد الكافي للتعليم الجغرافي تأليف محمود افندي عابدين في مائة صفحة صغيرة .

ورسالة في التنويم المغناطيسي لمحمد افندي مختار الباجوري وثمنها قرشان . ومنظومة في الانسان والسلم والحرب لناظمها الشيخ سليمان ظاهر .

ونبذة من شعر الشيخ عبدالسلام الشطي نشرها حفيده جميل افندي .

والتقرير الرابع عن اعمال مشيخة علماء الاسكندرية سنة ١٣٢٤ وفيه ان عدد الطلاب الى نهاية العام الماضي ٥٧٦ والذين استمروا على الدراسة منهم ٣٢٤ وتقدم للمشيخة هذا العام ٤٨٥ استمر منهم على الطلب ٢٩٣ وفي التقرير فوائد كثيرة تدل على سلوك هذا المعهد العلمي سبيل النجاح .

سير العلم

العلم في مصر

مما يسجل بالحمد ويدعو الى توسيع الآمال في مستقبل مصر ان نظارة معارفها وفرت العناية هذه السنة بالتعليم باللغة العربية في المدارس الاميرية وارسلت ثمانية عشر تلميذاً من نبهاء المصريين الى بعض مدارس انكلترا يتعلمون فيها كما كانت العادة جارية منذ زمن محمد علي الى عهد قريب بارسال طائفة من التلاميذ الاذكياء الى مدارس الغرب ليعودوا منها فينفعوا بلادهم بفضل علمهم وقد انشأت المعارف بقوة ارادة ناظرها تتوسع بالتعليم المجاني وانشأت مدرسة القضاء الشرعي وشرع في التدريس فيها منذ اول السنة المدرسية والرجاء ان يأتي من هذه المدرسة من المنافع مثل ما اتى من مدرسة دار العلوم ومدرسة الالسن ·

ومما يدعو الى الرجاء في اعتماد الاهلين على انفسهم لتعليم اولادهم انه زادت العناية بانشاء الكتاتيب الاهلية في ارجاء القطر ولا سيما في مديرية الدقهلية حيث بلغ عددها زهاء ثلثمائة كتاب صرف على بنائها نحو مئة وخمسين الف جنيه ووقف عليها من الاطيان والعقارات ما يبلغ ايراده السنوي ثلاثة آلاف وخمسمائة جنيه والقطر في اشد الحاجة الى الاستكثار من امثال هذه الكتاتيب المنظمة المتقنة ولو كانت البلاد مستعدة لانشاء مدرسة جامعة لرأينا الامة تقوم قومة رجل واحد للبذل في هذا السبيل ويقال ان عدم مد الايدي بالاعانة لانشاء مدرسة جامعة ناتج من الضائقة المالية التي اهتزت لها اعصاب القطر هذه السنة ولم تتجاوز الاعانة التي جمعت حتى الآن السبعة والعشرين الف جنيه ما عدا المئة فدان التي وقفها عليها احد اغنياء الغربية ·

ومما يذكر في باب ارتقاء مصر الاجتماعي قيام عدة احزاب سياسية فيها من اهلها · وفي ذلك دليل بان القوم بدأوا يعرفون الاجتماع وان قوى الفرد ضائعة اذا لم تكن مجموعة كما انشأ المتخرجون من دار العلوم نادياً في القاهرة واختاروا اناساً منهم ومن غيرهم من الافاضل ليتولوا من الاعمال ما يرقي اللغة العربية فيكون مجمعهم هذا نسخة مصغرة من المجامع العلمية في اوروبا فالرجاء ان تكون الفائدة من اجتماعهم لمجموع الامة اكثر من نادي المدارس العليا الذي أسس في القاهرة منذ ثلاث سنين ولم يأت بفائدة عامة حتى الآن · ومن هذا القبيل مجيء اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التركية في باغجه سراي من بلاد القريم ومن رجال النهضة التترية الى القاهرة وخطبته في نزل كنتننتال امام مئات من العلماء والكتاب والاعيان يدعو المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الى عقد

مؤتمر اسلامي عام ينظر فيما طرأ على المسلمين من الامراض الاجتماعية فجعلهم في مؤخرة الامم على استعداد فيهم وما لهم من التاريخ المجيد . ومما يعد خسارة على الآداب العربية هذه السنة وفاة حسن باشا عاصم و المطران يوسف الدبس و رشيد افندي الشرتوني والسيد محمد ابن الخوجه والشيخ طه محمود وخليل افندي الخوري ونجيب افندي حبيقة وكانوا اخلف الله علينا من يقوم مقامهم اعضاء نافعة في جسم المجتمع خدموه جهد طاقتهم بعقولهم . اما البلاد العربية الاخرى فلم يحدث فيها هذه السنة ما هو جدير بالتدوين هنا .

العلم في المانيا

ساعد على ارتقاء المانيا في اواخر القرن التاسع عشر ان التعليم العام فيها انتشر انتشاراً لا يكاد يتصوره العقل فبعد ان كان فيها سنة ١٨٨٣ — ٣٠٤٤٠ مدرسة ابتدائية تحتوي على ١٤٣٧٠٤٥ تلميذاً اصبح فيها سنة ١٩٠١ في المدن ٤٤١٣ مدرسة فيها ٣٥٧٣٣ فرقة وفي القرى ٣٢٣٣٢ مدرسة فيها ٦٨٣٤٩ فرقة وفي مجموعها كلها زهاء ٥٦٨٠٠٠٠ تلميذ وهكذا الحال في التعليم الثانوي فقد كان فيها سنة ١٨٣٥ — ١٣٦ مدرسة عالية فغدا فيها سنة ١٩٠٥ — ٣٦٣ مدرسة يضاف اليها ٣٣٥ مدرسة يسمونها المدارس الحقيقية المجردة و زاد عدد طلاب الكليات فكان فيها سنة ١٨٣٠ — ١٥٨٧٠ طالباً فصار عددهم سنة ١٩٠٥ ٣٧٦٧٧ وبعد ان كانت نظارة المعارف والاديان في بروسيا تنفق في سنة ١٨٥٠ عشرة ملايين مارك اصبحت تنفق سنة ١٩٠٥ — ١٨٥ مليون مارك وعدا ما انشىء فيها من المدارس العالية الفنية والزراعية والتجارية ومدارس الكبار وكليات الشعب وقاعات الخطب والمحاورات المجانية والمكاتب المجانية والمتاحف وغيرها فان المانيا اكثر البلاد اصداراً للكتب وتجارتها عندهم رائجة الى التي لا بعدها لم يكن في اوائل القرن الماضي عدد المصنفات الجديدة التي تصدر في المانيا سوى ٣٩٠٠ فاصبحت تصدر سنة ١٩٠٠ — ٢٤٧٩٢ وسنه ١٩٠٥ — ٢٨٨٨٦ على حين لم تصدر فرنسا وهي معدودة في الدرجة الثانية بين الامم التي تكثر اصدار الكتب سنة ١٩٠٤ سوى ١٣١٣٩ مصنفاً واذا فرضنا انه يطبع من كل كتاب في المانيا الف نسخة فيصيب كل اثنين من سكانها مجلد واحد هذا على اقل تعديل وكان في المانيا سنة ١٩٠٥ — ٧١٥٢ محلاً لتصريف الكتب اصدرت الى البلاد الخارجية كتباً بمائتين وتسعين مليون مارك والكتب والصحف والمجلات في المانيا كثيرة جداً ففي اواخر الربع الاول من القرن التاسع عشر كان في المانيا ٨٤٥ جريدة فارتقت سنة ١٨٦٩ الى ٢١٢٧ جريدة وفي سنة ١٨٩١ صارت ٧٠٨٢ جريدة يزيد ما تطبعه شهرياً عن شهر

وبعد ان كان الاشخاص الذين يعيشون من التمثيل والموسيقى والمعارض الصناعية سنة ١٨٨٢ ٤٦٥٠٨ اشخاص اصبح سنة ١٨٩٩ — ٦٥٥٦٥

استحالة الطماطم

بلغ من تفنن بوربانك مؤلف كتاب الفواكه Pomologie ان اخرج من الطماطم (البندورة) عنباً واجاصاً وكمثرى وتفاحاً ودراقاً وغيرها من الفواكه مما اذا رأيته ظننته اصلياً . وكان من اجود اختراعاته في ذلك الطماطم بالعنب والطماطم بالكمثرى ومنها الاصفر والاحمر ويستخدم الاصفر في المربيات لجودة رائحته وكانت الطماطم بهذه الانواع من الفاكهة تخرج كل نبتة منه من مئة الى مائتين وخمسين وتعطي ارباحاً عظيمة وهي تنبت من شهر يوليو الى اكتوبر بعد ان تزرع من ابريل الى مايو .

الاستصباح الصناعي

نشر احد مهندسي الاميركان بحثاً في هذا المعنى قال فيه ان الاستصباح بالاضواء الصناعية المتعارفة يجب ان يكون الى الانوار الطبيعية اقرب وان يجمع بين الفائدة والجمال وان الطريقة المتبعة الآن في تنوير المساكن والمحال العامة في الليل سواء كان بالاضواء الكهربائية او الغازية او الزيتية او غيرها ليست من الاضواء الطبيعية في شيء وينبغي ان يستعمل من مواد الانارة ما يقربها من الطبيعي لئلا تتضرر العيون ورأى ان الاجدر بالنور الصناعي ان يكون مستوراً او معتدلاً وبذلك يجب التخلي عن المصابيح الشائعة بالاستعمال الآن وان اضواء المسكن يجب ان تكون متناسبة مع اثاثه وفرشه كما تكون متوافقة مع عدد الاشخاص الساكنين فيه وهو يحاول ابدال الطريقة المستعملة في الانارة بغيرها .

طول العمر

نصح احد كبار الاطباء لمن اراد ان يطول عمره مئة سنة ان يقوي حواس جسمه وانسجته برياضات يومية في الهواء الطلق وذلك باستعمال الالعاب الجسدية او النفسية وان يعتدل في اكله وشربه ولذائذه الطبيعية وان يهوّي المساكن ويقيم ما امكن في العراء وان يقاوم الامراض والاستعداد لما ورثه من آبائه وان يباكر النوم ويباكر اليقظة ولا ينام اقل من ست ساعات ولا اكثر من ثماني وان يعزز القوى العقلية بعمل منظم وان يحتفظ باسباب الصلاح والسرور وسكون الروح والامل في الحياة وان ينبه في نفسه الشعور بالواجب كل وقت من اوقات الحياة ويقوي العزيمة في مجاهدة المصائب وينشطها على فعل

الخير واتقاء الضير . قال احد الظرفاء وعندي شرط عاشر لطول الحياة وهو ان لا يشتغل المرء بالسياسة فان الاشتغال بها يقصر الاعمار .

دواء الكلب

اخترع احد اطباء نيو يورك دواء جديداً للكلب . وقد زاد عدد المصابين بهذا الداء الذي ينسب انتشاره لرداءة الاسباب الصحية التي تعيش فيها الكلاب في العادة فيحبس بعضها في الدور ويغذى باخبث المآكل . ولاحظ بعضهم ان الكلاب تعيش في ستين ايسلاند وهي جزيرة واقعة بين لون ايسلاند وجون راريتان في المحيط الاتلانتيكي اهناً عيشة ويعنى بامرها من وراء الغاية ومع هذا فهي تصاب بالكلب . ورد بعضهم على هذه الحجة قائلاً ان الكلب ينتقل الى تلك الكلاب المرفهة بالعدوى . ويقول الاميركيون ان الدواء الذي اخترعه باستور الفرنسوي لمعالجة الكلب يطول به الشفاء ولا يهتدى لمعالجة المصاب لاول اصابته به اما الطبيب النيويوركي فانه يفحص رأس الحيوان لاقل شبهة تقع في النفس من ناحيته فحصاً ميكروسكوبياً ليعرف بذلك فيما اذا كان فيه بعض الاجسام التيجريةنسبة للبكتريولوجي نيجر مخترعها ومتى وجدت هذه الاجسام في الكلب فهو مصاب بالكلب لا محالة وبذلك لا يعمد الى استعمال الطريقة المتبعة الآن في كشف حال الكلب بحقن عين ارنب والانتظار خمسة عشر يوماً لتحقيق الاصابة بل ان المصاب يعرف في اليوم الذي يشتبه فيه .

دواء للصمم

منذ خمس عشرة سنة اكتشف دواء يعين بعض الشيء على الشفاء من الصمم سموه التيوزينامين La thiosinamine ولم يثبت نفعه الا في هذه السنة بفضل محلول مائي منه اخترع حديثاً ويؤكدون ان هذا الدواء يسكن بعض التسكين ولا يفيد كل الفائدة .

أعظم ضوء

هو الذي ينبعث من الكرة المعلقة في اعلى برج من المحطة الجديدة في مدينة لاكاوانا في ولاية نيوجرسي من اعمال الولايات المتحدة فقد جعل داخل هذه الكرة التي يبلغ قطرها متر ين ٤٩ مصباحاً ذا اقواس يكون منها نور يعادل مليون ونصف مليون من الشموع وينير الضواحي والاقاصي .

مكتبة العميان

اغتنت مكتبة العميان في نيويورك المؤسسة من اعانات المحسنين بقائمة جديدة من

كتبهم مؤلفة من ثلاثة آلاف كتاب جعلت في جرار خاصة يكفي الاعمى ان يمر يده على احدها حتى يفهم موضوعه وهذه الكتب تساعد الاكمه كثيرًا على التعلم وعدد العميان في الولايات المتحدة نحو سبعين الفاً ·

نبوغ الكاتبات

قالت احدى المجلات الفرنسية من الصعوبة ابدًا ان يبدأ المرء في عمل ويبرز فيه والبداءة بالادب من جملة الامور المتعذرة وقد كان شأن القصصية هازي كوبفيل شأن غيرها من الكاتبات والكاتبين في ذلك فطافت لاول عهدها ادارات تحرير الجرائد والمجلات فلم تقبل لها شيئاً من رواياتها فاضطرت ان تعيش في مسكنة وتسكن مسكناً حقيرًا وقد قبلت « مجلة العالمين » وهي من اهم مجلات فرنسا ذات يوم من هذه الكاتبة ان تنشر لها احدى قصصها بعد ان نخصتها وما هي الا عشية او ضحاها حتى اختلف الى المؤلفة الطابعون في باريز يسألونها ان تخصهم بشيء من مؤلفاتها واذ كانت هي على ثقة من نفسها ويقين من جودة منثورها خطر لها ان تشترط على اولئك الطابعين بان تتقاضى منهم ضعف ما انفقت معهم عليه عند ما يتجاوز المطبوع من قصصها الطبعة العاشرة وكان ذلك كما خطر لها اذ انها لم تمت حتى رأت معظم ما كتبت وقد طبع اربعين مرة فاتاها بثروة عاشت فيها في خفض وسعة ·

الراحة الاسبوعية

نشرت جريدة الاقتصاديين مقالة في فضل الراحة يوماً في الاسبوع وشيء من تاريخها واوردت صورة المحضر الذي وقع عليه في لندن سنة ١٨٥١ بقلم ٦٤٠ طبيباً وما كتبه الفلاسفة في هذا الشأن مثل روسو وعلماء الاجتماع مثل ما كولي ولنكلن والاقتصاديون مثل برودون ورجال السياسة مثل بالمرستون وروبرت بيل وكلهم يثبتون ضرورة راحة يوم في الاسبوع ومنافعها الطبيعية والاخلاقية وحسناتها الاقتصادية والاجتماعية ·

نساء اميركا

بحثت احدى المجلات الالمانية في حالة النساء في الولايات المتحدة فقالت ان عددهن فيها بالنسبة لعدد الرجال يقل نحو مليوني نسمة اما في التعليم فان عدد المتعلمات منهن هو ضعفا عدد الرجال ولذلك يقوى الميل كل يوم في تلك البلاد في تقليل تربية البنات مع الصبيان وانشاء مدارس للبنات خاصة ·

حب الوطن

اسف احد المفكرين في احدى المجلات الالمانية من ان محبة الوطن لا تلقن الناس

الا بتمجيد ابطال الحروب فيعلم التلميذ الاعجاب بالغالب في ساحة الوغى وما المجد الحقيقي الا لتلك الاجيال من الفلاحين والعملة ممن عملوا بسلام على اغناء بلادهم وراحة افرادها ولا سيما اولئك العلماء ممن تجردت نفوسهم عن الاغراض فنفعوا بما اتوا من اعمالهم الجليلة ابناء البشر عامة ولا يحتفظ بحب الوطن الحقيقي الا بالقاء النظر على اعمال السواد الاعظم من الامة . وقد قال الاشتراكي فولمار منذ ايام : ان محبة الانسانية لا تمنعنا مطلقاً من ان نكون من احسن الالمان عراقة في الوطنية .

استعارة الكتب

نشرت مجلة التعليم الدولية مقالة في نظام اعارة الكتب من مكاتب باريز وجميع انحاء فرنسا وكلياتها وبلدياتها سواء كان لابناء البلاد او لمن يطلبها من العلماء في الخارج لقاء رهن وشروط تشترطها نظارة معارف فرنسا على المستعير وعلى دولته المتوسطة في الامر فقالت ان الحكومة هناك بذلت وما زالت تبذل منذ ثلاثين سنة كل ما يساعد المؤلفين والعاملين على الانتفاع بالكتب ايًا كانت جنسيتهم وبلادهم والقيود التي وضعتها سهلة ولم تستثن الابعض المخطوطات التي كتبت على الرقوق قبل اختراع الطباعة وقال ان في مكتبة الامة بباريز من المخطوطات ١٠٨٥٠٠ وذلك عدا ما في الولايات وخزائن الكليات والبلديات وان الفرنسيس مقصرون في الاستعارة من مكاتب الامم الاخرى مع ان مكاتب الامم المتمدنة مفتحة ابوابها لهم ما خلا مكاتب انكلترا واسبانيا فان هاتين الحكومتين لم تريا من العقل ان تخرجا الكتب الثمينة وتعرضها لخطر الضياع والحوادث باعارتها . اما الامم الغربية فتستعير من فرنسا اكثر مما يستعير علماء الفرنسيس من غيرهم وقد كان عدد الكتب التي اعارتها مكاتب باريز والولايات سنة ١٩٠٦ — ٤٨٨ وما اعارته فرنسا للخارج ١٣١ اما عدد ما استعارته من الخارج فهو ١١ كتاباً .

الشعر والثورة

الف احد علماء الفرنسيس مجلداً ضخماً اثبت فيه بالبرهان التاريخي تأثير الثورة الفرنسوية الاولى في عقول بعض شعراء الانكليز المعاصرين لها حتى صارت روحها تظهر على اسلات اقلامهم وتجلى في ابداعهم ونظامهم ولا سيما وردسورث وصوثي وكولريج وقال ان الاضطرابات والشعور الذي نالهم من ذاك الحادث قد ساعدهم على تجديد حياة الشعر الانكليزي المعروف بالرومانتيك اي الجديد الخالي من التقليد . وبين المؤلف تأثير الثورة الفلسفي اي الافكار الادبية والاجتماعية التي نتجت منها ورددها اولئك الشعراء وتغنوا بها بين قومهم .

محصول السكر

كان محصول السكر في العالم سنة ١٨٧٠ — ٠٠٠ر٦٠٠ر٢ طن فبلغ سنة ١٩٠٥ ٠٠٠ر٠٨٦ر١٠ طن ٠

مسكرات العالم

في احصاء اخير انه كان مجموع الوارد من المشروبات على اوروبا سنة ١٩٠٦ ٦٣٣٥٦٦ هيكتولترمنها ٤٧٦٤ على البلاد العثمانية في اوروبا و٩٧٩ على بلادها في آسيا والهيكتولتر مئة ليتر ٠

مدارس الاجانب

بلغ عدد التلاميذ الذين يدرسون اللغة الفرنسوية في مدارس فرنسوية ٩٠ الفاً في البلاد العثمانية و١٦٧٥٣ في مصر ٠ وايطاليا والمانيا تحاولان ان تتقدما على فرنسا في هذا الباب ولا سيما بعد فصل فرنسا الدين عن السياسة واعلانها الحرب على الدين واهله فقد بلغ ما خصصته ايطاليا سنة ١٩٠٤ لانشاء مدارس لها في اسكوب واشقودرة والاستانة وسلانيك وازمير ١١١٢٠٠٠ لير والليرمعاملة طليانية قدره فرنك وبلغ ما خصصته المانيا ٦٥٠ الف مارك للانفاق على مدارسها في فلسطين وغيرها والمارك فرنك وربع

الخطوط الحديدية

بلغ ما مدّ الى الآن من السكك الحديدية في السلطنة العثمانية ٦١٠٠ كيلو متر وبلغ طول السكك الحديدية في الديار المصرية ٥٣٥٢ كيلو متراً

شاعر مضحك

عثروا في احدى القرى التي غابت عن الانظار في ضفة النيل على اربع قطع للشاعر اليوناني الهزلي مياندر المتوفى قبل ٢٢٠٠ سنة وقد فرح اهل الادب بهذا الاكتشاف لانهم لم يروا مما خلفه مياندر حتى الآن الا محاورات طفيفة والمأثور عنه انه الف ثمانمائة رواية ويقول مؤرخو الادب ان مياندر جاء العالم بقصائده المضحكة قبل تراس الشاعر الهزلي وقبل شعراء اللاتين

التلغراف اللاسلكي

من اهم ما وفق اليه العلم في الايام الاخيرة ربط اوروبا بامبركا بالتلغراف اللاسلكي الذي اخترعه ماركوني الايطالي وبه ينقل الكلام باسرع مما كان ينقل بواسطة الاسلاك البحرية وبه يمكن ارسال رسالتين في آن واحد ومعنى مختلف وهذا الاختراع سيغير احوال المخابرات بعض التغيير

فهرس المجلد الثاني من المقتبس

(ا)

(ب)

(ت)

صحيفة

صحيفة

(ن)

هدية صاحب المقتبس لخزانة كتب الكلية
الصلاحية في القدس
دمشق في شعبان ١٣٣٤
محمد كرد علي

المقتبس

مجلة أدبية علمية اجتماعية

تصدر في كل شهر عربي بالقاهرة

لمنشئها

محمد كرد علي

المجلد الثالث

١٣٢٦ — ١٩٠٨

قيمة الاشتراك خمسون قرشاً مصرياً تدفع سلفاً

AL MOKTABAS

REVUE MENSUELLE, LITTÉRAIRE

SCIENTIFIQUE ET SOCIOLOGIQUE

Paraissant au Caire

Rédacteur - Propriétaire

MOHAMMED KURD-ALI

Abonnement [illegible] francs

"Tome III - 1908"

طبع بمطبعة الظاهر أمام محكمة الاستئناف بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعالى جدك اللهم خلقت الجماد والنبات والحيوان ، وكرمت ابن آدم بنور العقل وفضل البيان . فاستخدم عناصر الارض وجواهر السماء ، وأدرك سر الفلك وسير الفلك ودقائق الماء والهواء ، وطوى البحار ، بالبخار ، والبيداء ، بالكهرباء ، وسوى الاطواد ، والانجاد ، فأصبحت بعد الجهاد ، بعض الوهاد ، واحال اليابسة بحرا ، والبحر برا ، وصير من المجاهل الخالية ، معالم نافعة ، ومن القفار الخاوية ، رياضاً ممرعة ، فجمع بعلمه الى المخلوق مصنوعا ، وغدا الوجود من مادتي الطبيعة والعقول مجموعا .

سبحانك ابدعت نظام الكون والفساد ، وجعلت لكل شيء سبباً في المعاش والمعاد ، فلم تفقر فقيراً الا لحكمة ، ولم تغن غنياً الا بتيسيرك له اسباب النعمة ، ولا اهلكت من الأمم الا الظالمة لنفسها ، ولا رفعت منها الا الناظرة في يومها وأمسها ، فمن قانونك ان يسعى كل حي لبقائه بالفطرة ، وان لا يكون النشوء لساعته بالطفرة ، ومن استهان بالجزئيات لا يحرز الكليات ، ومن لم يعمل الفكر السليم لا يعرف حقائق الكائنات ، ناموس مطرد لا تغيره الازمان ، ولا يبليه الجديدان ، فتقدست أسماؤك ما أعظم سلطانك في السماء والارض ، وما ابهر آثار هديك في الرفع والخفض .

وبعد فهذا المقتبس على رأس عامه الثالث يدعو الى ما أنشيء للاخذ به من مذاهب التعليم والتهذيب ، والعلم والعمل مقدمة الاصلاح وبغيرهما كل سعي ضائع ، والسلم لا يصعد اليه من رأسه ، والبناء لا يقوم على غير

أسسه، فلسان حاله ومقاله ربوا البنين والبنات، تصلح لكم الحكام والحكومات، وقوموا الوجدانات، وحسنوا الملكات، تصح الآداب وتسلم الديانات.

يتوفر على احياء القديم القويم، واحتذاء مثال الجديد المفيد، ويقتبس من كل نافع كيف كان قائله، ويمثل بعض اجدّ للانظار وان تشعبت مسائله، يورد الحاضر ويذكر بالغابر زيادة في الاعتبار والاستبصار، وينشر ما انطوى مما فيه حياة اللغة وجدتها، واللغة مبدأ سيادة الامة ومفتاح سعادتها، يخاطب الافراد قبل المجموع، ويقدم تعليم الصغار على الكبار، يقين ان الضعيف لا يتغلب على القوي بغير سلاح، ولا يكتب النصر لمن لا يستحقه، والاجسام تتكون من الذرات، كما تقوم المجتمعات بقوى أفرادها، ويبصرهم بما ينمي الثروة ويحفظ البيضة ويجود الاخلاق

ولقد أرادنا بعض المفكرين على ان تمحض في هذه المجلة لفرع خاص تعرف به، وموضوع معين لا تتعداه، ليكون ذلك أجمع للفائدة، وانفع في الأثر، وعذرنا اليهم بأن الاخصاء في علم واحد والبحث فيه من عامة أطرافه يستدعي مواد كثيرة وقراء يتلون ما يكتب بالقبول ليرجى معها حياة العمل طويلاً، ولو اقتصرنا على البحث في آداب اللغة مثلاً كما أشار بذلك بعض النبهاء لاقتضى لنا مادة واسعة يكاد يكون أكثرها مفقوداً وان نستعين بخمسة على الاقل من المؤازرين المتمكنين من هذا الفن. ثم أين مجامعنا العلمية وخطب العلماء ومحاوراتهم في هذا الموضوع ليتسنى لنا نقلها أو تحصيلها كل مدة فانا نرى مجلات الاخصائيين في الغرب ينشئها على صغر حجمها عشرات من المشتغلين المنقطعين وهناك الجمعيات والمجامع تعد منها ولا تعدها.

هذا ما نقوله لمن نصحوا لنا بالتمحض لفرع من الفروع التي تخوض

فيها المجلة الآن في جملة ما تخوض فيه بقدر ما تسمح به الحال . وانا على يقين من انه متى كثر سواد المنورين على الاساليب الصحيحة تصدر لهم بطبيعة الحال عشرات من أمثال تلك المجلات المنشودة باللسان العربي واذ ذاك يعرف الناس ان للمطبوعات ثمناً لا بد من قضائه في أوقاته ولا يقع لاربابها مثل ما وقع لنا في السنة الغابرة من حذف نحو أربعمائة اسم من سجل المشتركين وكان نصفهم طلبوا الاشتراك برسائل منهم فلما ذكروا بوفاء ما عليهم سكتوا اللهم الا بضعة عشر واحداً منهم .

على ان طلبات الاشتراك ما زالت ترد علينا من بلاد ما كنا نظن أهلها يقرأون العربية ويرغبون في المجلات مصحوبة بقيمتها على الطريقة الغربية يشترك بعضهم عن رغبة من تلقاء أنفسهم وبعضهم بارشاد بعض الغيورين وعددهم لا يزال في نمو . ولا نكتم القراء ان مجموع ما ورد على الادارة في الحولين الماضيين لم يوف حتى الآن ثمن ما صرف في الورق والطبع والبريد فقط

كل هذا ونحن نعد ما لقيناه ضرباً من ضروب الرقي في الافكار ونرى المقتبس ينجح نجاحاً كبيراً يوم يقوم بنفقاته . اذ من العبث الاعتماد على العلميات الآن وعدها مذهباً من مذاهب المعاش الطبيعي ما دام الشرق العربي متأخراً بمعارفه هذا التأخر المحسوس لا سيما ان المتصدين للتأليف في الغرب قاسوا قبلنا من أممهم ما لم نقاس نحن بعضه وما زال حال من ينقطعون عندهم للابحاث التي يقتضي فهمها شيئاً من العلم بالنسبة لمن يشتغلون بالموضوعات الساذجة الهزلية دون ما نتوهم بكثير فلا فضل لنا اذاً فيما نفادي به .

وهنا نتقدم الى من يتناولون المجلة في هذا القطر وغيره من الاقطار ان يعودوا أنفسهم ارسال اشتراكاتهم من أول السنة بدون مطالبة على نحو

ما تجري عليه الأمم المتمدنة خصوصاً وكلهم الآن من أهل الرغبة المختارين. وقد زدنا في حجم المقتبس بحيث يقع مجلده آخر السنة في ثمانمائة صفحة جيدة الطبع والورق وكان في السنتين السالفتين ستمائة واثنتين وسبعين صفحة واستكثرنا من المواد التي نقتبس منها أو نعرب عنها من مجلات وموسوعات أفرنجية وأسفار ممتعة عربية مع ابقاء قيمة الاشتراك بحالها . والله نسأل ان يحقق آمالنا لنقوم ببعض الواجب وهو يهدي السبيل .

الادب الصغير

لابن المقفع

عني بنشره الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري

توطئة للناشر

من اعظم ما تدعو الحاجة اليه علم تهذيب الاخلاق لتوقف نجاح الامم عليه وهو فن ذو افنان تحتاج اليه الافراد على اختلاف طبقاتها . ومع قلة ما انتشر من كتبه ففي جلها من عدم التنقيح وانسجام العبارات ما يصد كثيراً من الطالبين عن الاقبال عليها . ومن ثم كثر بحثنا عن كتب تفي بهذا المطلب مع رشاقة مبانيها لتكون الفائدة مزدوجة وهو اقصى آمال الذين يسعون في احياء اللغة العربية واعادتها الى ما كانت عليه في عهدها الاول . ولما ذهبت الى مدينة بعلبك سنة ١٣٣٣ رأيت عند بعض الافاضل الواردين عليها مجموعاً استعاره من بعض اعيانها فرأيت فيه الضالة المنشودة وهي رسالة الادب الصغير لعبدالله بن المقفع الكاتب الذي يضرب ببلاغته المثل فكتبتها بخطي في نحو يوم وارجو ان ييسر لنشرها من عرف بحسن الطبع ليعم بها النفع والله الموفق .

وهذا بيان الرسائل التي في المجموع المذكور : (١) كتاب عجائب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وهو في نحو ثلاث كراسات يشتمل على ما نقل عنه من بدائع الاحكام (٢) ذكر الخلائف وعنوان المعارف تأليف الصاحب ابي القاسم اسماعيل بن عباد اوله « الحمد لله الواحد العدل وصلى الله على النبي وخيرة الاهل قد اسعفتك بالمجموع الذي

التمسته في نسب النبي عليه السلام وبنيه وبناته واعمامه وعماته وجمل من غزواته وسائر ما يتصل بذلك » وهو اثنتا عشرة ورقة وفي آخره: وكتب في رجب سنة عشرين واربعمائة (٣) رسالة الى احمد بن ابي دؤاد في فضل العلم وهي ٣ اوراق وفي آخرها: وكتب في شهر ربيع الاول سنة عشرين واربعمائة (٤) ويتلوها كتاب الادب الصغير الذي نقلناه وهو في الصفحة اليسرى من آخر ورقة من الرسالة السابقة بخط كاتب واحد فتكون كتابتها في التاريخ المذكور ولم يذكر في آخرها تاريخ (٥) ويتلوه كتاب ذخائر الحكمة تأليف ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي وهو في نحو ثلاث وعشرين ورقة (٦) مختصر من كتاب جاويدان خرد في حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف احمد بن مسكويه وهو في اكثر من كراس .

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان لكل مخلوق حاجة ولكل حاجة غاية ولكل غاية سبيلاً والله وقّت للامور اقدارها وهيأ الى الغايات سبلها وسبب الحاجات ببلاغها فغاية الناس وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد . والسبيل الى دركها العقل الصحيح . وأمارة صحة العقل اختيار الامور بالبصر وتنفيذ البصر بالعزم . وللعقول سجيات وغرائز بها تقبل الادب وبالادب تنمى العقول وتزكو فكما ان الحبة المدفونة في الارض لا تقدر على ان تخلع يبسها وتظهر قوتها وتطلع فوق الارض بزهرتها ونضرتها وريعها ونمائها الا بمعونة الماء الذي يغور اليها في مستودعها فيذهب عنها اذى اليبس والموت ويُحدث لها باذن الله القوّة والحياة فكذلك سليقة العقل مكنونة في مغرزها من القلب لا قوّة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعتملها الادب الذي هو نماؤها وحياتها ولقاحها . وجلّ الادب بالمنطق وكل المنطق بالتعلم ليس حرف من حروف معجمه ولا اسم من انواع اسمائه الا وهو مرويّ متعلم مأخوذ عن امام سابق من كلام او كتاب وذلك دليل على ان الناس لم يبتدعوا أصولها ولم يأتهم علمها الا من قبل العليم الحكيم . فاذ خرج الناس من ان يكون لهم عمل اصيل وان يقولوا قولاً بديعاً فليعلم الواصفون المخبرون ان احدهم وان احسن وابلغ ليس زائداً على ان يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً فنظمه قلائد وسموطاً واكاليل ووضع كل فص موضعه وجمع الى كل لون شبيهه بما يزيده بذلك حسناً فسمي بذلك صانعاً رفيقاً — وكصاغة الذهب والفضة صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي والآنية — وكالنحل وجدت ثمرات اخرجها الله طيبة وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً اليها مذكوراً به امرها وصنعتها فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه او يستحسن منه فلا يعجبن به اعجاب المخترع المبتدع فانه انما اجتباه كما وصفنا .

ومن اخذ كلاماً حسناً عن غيره فتكلم به في موضعه على وجهه فلا يُرَيَنَّ عليه في ذلك ضؤولة فانه من أُعين على حفظ قول المصيبين وُهدِيَ للاقتداء بالصالحين ووفق للاخذ عن الحكماء فلا عليه ان لا يزداد فقد بلغ الغاية وليس بناقصه في رأيه ولا بغامطه من حقه ان لا يكون هو استحدث ذلك وسبق اليه وانما حياة العقل الذي يتم به ويستحكم خصالٌ ست : الايثار بالمحبة · والمبالغة في الطلب · والتثبت في الاختيار · والاعتقاد للخير · وحسن الوعي · والتعهد لما اختير واعتقد · ووضع ذلك موضعه قولاً وعملاً ·

اما المحبة فانما يبلغ المرء مبلغ الفضل في كل شيء من امر الدنيا والآخرة حين يؤثر بمحبته فلا يكون شيء امرأ ولا احلى عنده منه · واما الطلب فان الناس لا يغنيهم حبهم ما يحبون وهواهم ما يهوون عن طلبه وابتغائه ولا يدرك لهم بغيتهم نفاستها في انفسهم دون الجد والعمل · واما التثبت والتخير فان الطلب لا ينفع الا معه وبه فكم من طالب رشدٍ وجده والغي معا فاصطفى منهما الذ منه هرب والغى الذي اليه سعى فاذا كان الطالب يحوي غير ما يريد وهو لا يشك بالظفر فما احقه بشدة التبين وحسن الابتغاء · واما اعتقاد الشيء بعد استبانته فهو ما يطلب من احراز الفضل بعد معرفته · واما الحفظ والتعهد فهو تمام الدرك لان الانسان موكلٌ به النسيان والغفلة فلا بد له اذا اجتبى صواب قول او فعل من ان يحفظه عليه ذهنه لأوان حاجته واما البصر بالموضع فانما تصير المنافع كلها الى وضع الاشياء مواضعها وبنا الى هذا كله حاجة شديدة فاننا لم نوضع في الدنيا موضع غناء وخفض ولكن موضع فاقة وكدّ ولسنا الى ما يمسك بارماقنا من المطعم والمشرب باحوج منا الى ما يثبت عقولنا من الادب الذي به تفاوت العقول · وليس غذاء الطعام باسرع في نبات الجسد من غذاء الادب في نبات العقل · ولسنا بالكد في طلب المتاع الذي يلتمس به دفع الضر والعيلة باحق منا بالكدّ في طلب العلم الذي يلتمس به صلاح الدين والدنيا ·

وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عونٌ على عمارة القلوب وصقالها وتجلية ابصارها واحياء للتفكير واقامة للتدبير ودليلٌ على محامد الامور ومكارم الاخلاق ان شاء الله ·

الواصفون اكثر من العارفين · والعارفون اكثر من الفاعلين · فلينظر امرؤٌ اين يضع نفسه فان لكل امرئ لم تدخل عليه آفة نصيباً من اللب يعيش به لا يحب ان له به من الدنيا ثمناً · وليس كل ذي نصيب من اللب بمستوجب ان يسمى في ذوي الالباب ولا ان يوصف بصفاتهم · فمن رام ان يجعل نفسه لذلك الاسم والوصف اهلاً فليأخذ له عتاده وليعدّ له طول ايامه وليؤثره على اهوائه فانه قد رام امراً جسيماً لا يصلح على الغفلة ولا يدرك بالمعجزة

ولا يصبر على الاثرة وليس كسائر امور الدنيا وسلطانها ومالها وزينتها التي قد يدرك منها المتواني ما يفوت المثابر ويصيب منها العاجز ما يخطئه الحازم

وليعلم ان على العامل اموراً اذا ضيعها حكم عليه عقله بمقارنة الجهال · فعلى العامل ان يعلم ان الناس مشتركون مستوون في الحب لما يوافق والبغض لما يؤذى وان هذه منزلة اتفق عليها الحمقى والاكياس ثم اختلفوا بعدها في ثلاث خصال هن جماع الصواب وجماع الخطإ وعندهن تفرقت العلماء والجهال والحزمة والعجزة

الباب الاوّل من ذلك

ان العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره فيعلم ان احق ذلك بالطلب ان كان مما يحب واحقه بالانقاء ان كان مما يكره اطوله وادومه وابقاه فاذا هو قد ابصر فضل الآخرة على الدنيا وفضل سرور المروءة على لذة الهوى وفضل الرأي الجامع العام الذي تصلح به الانفس والاعقاب على حاضر الرأي الذي يستمتع به قليلاً ثم يضمحل وفضل الاكلات على الاكلة والساعات على الساعة

والباب الثاني هو ان ينظر فيما يؤثر من ذلك فيضع الرجاء والخوف فيه موضعه فلا يجعل اتقاءه لغير المخوف ولا رجاءه في غير المدرك فيترك عاجل اللذات طلباً لآجلها ويحتمل قريب الاذى توقياً لبعيده فاذا صار الى العاقبة بدا له ان فراره كان تورطاً وان طلبه كان تنكباً ·

والباب الثالث من ذلك هو تنفيذ البصر بالعزم بعد المعرفة بفضل الذي هو ادوم وبعد التثبت في مواضع الرجاء والخوف فان طالب الفضل بغير بصر تائه حيران ومبصر الفضل بغير عزم ذو زمانة محروم · وعلى العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والابانة لها والتنكيل بها ·

اما المحاسبة فيحاسبها بما لها فانه لا مال لها الا ايامها المعدودة التي ما ذهب منها لم يستخلف كما تستخلف النفقة وما جعل منها في الباطل لم يرجع الى الحق فيتنبه لهذه المحاسبة عند الحول اذا حال والشهر اذا انقضى واليوم اذا ولى فينظر فيما افنى من ذلك وما كسب لنفسه فيه وما اكتسب عليها في امر الدين وامر الدنيا فيجمع ذلك في كتاب فيه احصاء وجد وتذكير وتبكيت للنفس وتذليل لها حتى تعترف وتذعن

واما الخصومة فان من طباع النفس الامارة بالسوء ان تدعي المعاذير فيما مضى والاماني فيما بقي فيرد عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها

واما القضاء فانه يحكم فيما ارادت من ذلك على السيئة بانها فاضحة مردية موبقة وللحسنة

بانها زائلة منجية مربحة . واما الابانة والتنكيل فانه يسر نفسه بتذكر تلك الحسنات ويرجو عواقبها وتأميل فضلها و يعاقب نفسه بالتذكر للسيئات والبشع بهاوالاقشعرارمنهاوالحزن لها .

فافضل ذوي الالباب اشدهم لنفسه بهذا اخذاً واقلهم عنها فترة وعلى العاقل ان يذكر الموت في كل يوم وليلة مراراً ذكراً يباشر القلوب و يقدع الطماح فان في كثرة ذكر الموت عصمة من الأشر وامانا باذن الله من الهلع

وعلى العاقل ان يحصي على نفسه مساويها في الدين وفي الرأي وفي الاخلاق وفي الآداب فيجمع ذلك كله في صدر او في كتاب ثم يكثر عرضه على نفسه و يكلفها اصلاحه و يوظف ذلك عليها توظيفاً من اصلاح الخلة او الخلتين والخلال في اليوم او الجمعة اوالشهر فكلما اصلح شيئاً محاه وكلما نظر الى ثابت اكتأب

وعلى العاقل ان يتفقد محاسن الناس ويحفظها ويحصيها و يصنع في توظيفها على نفسه وتعهدها بذلك مثل الذي وصفنا في اصلاح المساوي

وعلى العاقل ان لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استطاع الا ذا فضل في الدين والعلم والاخلاق فيأخذ عنه او موافقاً له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وان لم يكن له عليه فضل وان الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى الا بالموافقين والمهذبين والمؤيدين وليس لذي الفضل قريب ولا حميم هو اقرب اليه واحب ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته ولذلك زعم بعض الاولين ان صحبة بليد نشأ مع العلماء احب اليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

وعلى العاقل ان لا يحزن على شيء فاته من الدنيا او تولى وان ينزل ما اصاب من ذلك ثم انقطع عنه منزلة ما لم يصب وينزل ما طلب من ذلك ثم لم يدركه منزلة ما لم يطلب ولا يدع حظه من السرور بما اقبل منها ولا يبلغن سكراً ولا طغياناً فان مع السكر النسيان ومع الطغيان التهاون ومن نسي وتهاون خسر

وعلى العاقل ان يؤنس ذوي الالباب بنفسه ويجرئهم عليها حتى يصيروا حرساً على سمعه وبصره ورأيه فيستنيم الى ذلك ويريح له قلبه و يعلم انهم لا يغفلون عنه اذا هو غفل عن نفسه .

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على نفسه ان لا يشغله شغل عن اربع ساعات ساعة يرفع فيها حاجته الى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها الى اخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في امره وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل و يجمل فان هذه الساعات عون على الساعات الاخر وان استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها

وفضل بلغة وعلى العاقل ان لا يكون راغباً الا في احدى ثلاث خصال تزوُّدٌ لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم

وعلى العاقل ان يجعل الناس طبقتين مختلفتين متباينتين ويلبس لهم لباسين مختلفين فطبقة من العامة يلبس لهم لباس انقباض وانحجاز وتحرز وتحفظ في كل كلمة وخطوة وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشدد ويلبس لباس الانسة واللطف والبذلة والمفاوضة ولا يدخل في هذه الطبقة الا واحدٌ من الف كلهم ذو فضل في الرأي وثقة في المودة وامانة في السر ووفاء بالاخاء

وعلى العاقل ان لا يستصغر شيئاً من الخطإ في الرأي والزلل في العلم والاغفال في الامور فان من استصغر الصغير اوشك ان يجمع اليه صغيراً وصغيراً فاذا الصغير كبير وانما هي ثلم يثلمها العجز والتضييع فاذا لم تُسد اوشكت ان تنفجر بما لا يطاق ولم نرَ شيئاً قط قد أُتي الا من قبل الصغير المتهاوَن به

قد رأينا الملك يؤتى من قبل العدو المحتقر ورأينا الصحة تؤتى من الداء الذي لا يُحفل به ورأينا الانهار تنبثق من الجدول الذي يستخف به — واقل الامور احتمالاً للضياع الملك لانه ليس منه شيءٌ يضيع وان كان صغيراً الاَّ اتصل بآخر يكون عظيماً

وعلى العاقل ان يجبن عن الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً وأن ظن انه على اليقين ·

وعلى العاقل ان يعرف ان الرأي والهوى متعاديان وان من شأن الناس تسويف الرأي واسعاف الهوى فيخالف ذلك ويلتمس ان لا يزال هواه مسوَّفاً ورأيه مسعفاً

وعلى العاقل اذا اشتبه عليه امران فلم يدر في ايهما الصواب ان ينظر اهواهما عنده فيحذره ·

من نصب نفسه للناس اماماً في الدين فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة والرأي واللفظ والاخدان فيكون تعليمه بسيرته ابلغ من تعليمه بلسانه فانه كما ان كلام الحكمة يونق الاسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم

ولاية الناس بلاءٌ عظيم

وعلى الوالي اربع خصال هي اعمدة السلطان واركانه التي بها يقوم وعليها يثبت — الاجتهاد في التخير — والمبالغة في التقدم — والتعهد الشديد — والجزاء العتيد

اما التخير للعمال والوزراء فانه نظام الامر ووضع مؤونة البعيد المنتشر فانه عسى ان يكون بتخيره رجلاً واحداً قد اختار الفاً لانه من كان من العمال خياراً فسيختار كما اختير ولعل عمل العامل وعمل عماله يبلغون عدداً كثيراً فمن تبين التخير فقد اخذ بسبب وثيق

ومن اسس اموره على غير ذلك لم تجد لبنيانه قواماً . واما التقديم والتوكيل فانه ليس كل ذي لب او ذي امانة يعرف وجوه الامور والاعمال ولو كان بذلك عارفاً لم يكن صاحبه حقيقاً ان يكل ذلك الى عمله دون توقيفه عليه وتبيينه له والاحتجاج به عليه واما التعهد فان الوالي اذا فعل ذلك كان سميعاً بصيراً وان العامل اذا فعل ذلك به كان متحصناً حريزاً واما الجزاء فانه تثبيت المحسن والراحة من المسيء

لا يستطاع السلطان الا بالوزراء والاعوان ولا تنفع الوزراء الا بالمودة والنصيحة ولا المودة الا مع الرأي والعفاف واعمال السلطان كثيرة وقلما تستجمع الخصال المحمودة عند احد وانما الوجه في ذلك والسبيل اليه الذي يستقيم به العمل ان يكون صاحب السلطان عالماً بامور من يريد الاستعانة به وما عند كل رجل من الرأي والغناء وما فيه من العيوب فاذا استقر ذلك عنده عن علمه وعلم من يأتمن وجه لكل عمل من قد عرف ان عنده من الرأي والنجدة والامانة ما يحتاج اليه فيه وان ما فيه من العيوب لا يضر بذلك و يتحفظ من ان يوجه احداً وجهاً لا يحتاج فيه الى مروءة ان كانت عنده ولا يأمن عيوبه وما يكره منه

ثم على الملوك بعد ذلك تعهد عمالهم وتفقد امورهم حتى لا يخفى عليهم احسان محسن ولا اساءة مسيء

ثم عليهم بعد ذلك ان لا يتركوا محسناً بغير جزاء ولا يقروا مسيئاً ولا عاجزاً على الاساءة والعجز فانهم ان تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الامر وضاع العمل . اقتصاد السعي ابقى للجمام وفي بعد الهمة يكون النصب ومن سأل فوق قدره استحق الحرمان .

سوء حمل الغنى ان يكون عند الفرح مرحاً . وسوء حمل الفاقة ان يكون عند الطلب شرهاً . وعار الفقر اهون من عار الغنى . والحاجة مع المحبة خير من الغنى مع البغضة . والدنيا دول فما كان منها لك اتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . اذا جعل الكلام مثلاً كان اوضح للمنطق وابين في المعنى وآنق للسمع واوسع لشعوب الحديث

اشد الفاقة عدم العقل . واشد الوحدة وحدة اللجوج . ولا مال افضل من العقل . ولا أنس آنس من الاستشارة — مما يعتبر به صلاح الصالح وحسن نظره للناس ان يكون اذا استعتب المذنب ستوراً لا يشيع واذا استشير سمحاً بالنصيحة مجتهداً للرأي واذا استشار مطرحاً للحياء ومعترفاً للحق

القسم الذي يقسم للناس ويمتعون به نحوان فمنه حارس ومنه محروس فالحارس العقل والمحروس المال

والعقل باذن الله هو الذي يحرز الحظ ويؤنس الغربة وينفي الفاقة ويعرّف النكرة ويثمر

المكسبة ويطيب الثمرة ويوجه السوقة عند السلطان ويستنزل للسلطان نصيحة السوقة ويكسب الصديق وينفي العدوّ

كلام اللبيب وان كان نزرا ادب عظيم ومقارفة المأثم وان كان محتقرا مصيبة جليلة ولقاء الاخوان وان كان يسيرًا غنم حسن ·

قد يسعى الى ابواب السلطان اجناس من الناس كثير اما الصالح فمدعوّ واما الطالح فمقتحم واما ذو الادب فطالب واما من لا ادب له فمحتبس واما القويّ فمدافع واما الضعيف فمدفوع واما المحسن فمستثيب واما المسيء فمستجير فهو مجمع البرّ والفاجر والعالم والجاهل والشريف والوضيع

الناس الا قليلا ممن عصم الله مدخولون في امورهم فقائلهم باغ — وسامعهم عياب — وسائلهم متعنت — ومجيبهم متكلف — وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل — وموعوظهم غير سليم من الاستخفاف — والامين منهم غير متحفظ من اتيان الخيانة — وذو الصدق غير محترس من حديث الكذبة — وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجرة — والعازم منها غير تارك لتوقع الدوائر — يتناقضون البنى — ويترقبون الدول — ويتعاطون القبيح — ويتعايبون بالغمز — ويرعون في الرخاء بالتحاسد — وفي الشدة بالتجاذب

ثم قد انتزعت الدنيا ممن قد استمكن منها واعتكفت له فأصبحت الاعمال اعمالهم والدنيا دنيا غيرهم واخذ متاعهم من لم يحمدهم وخرجوا الى من لا يعذرهم فأصبحنا خلفًا من بعدهم نتوقع مثل الذي نزل بهم فنحن اذا تدبرنا امورهم احقاء ان ننتظر ما نغبطهم به فنتبعه وما نخاف عليهم منه فنجتنبه

كان يقال ان الله تعالى قد يأمر بالشيء ويبتلي بثقله وينهى عن الشيء ويبتلي بشهوته فاذا كنت لا تعمل من الخير الا ما اشتهيت ولا تترك من الشر الا ما كرهت فقد اطلعت الشيطان على عورتك وامكنته من ازمّتك فأوشك ان يقتحم عليك فيما تحب من الخير فيكرّهه اليك وفيما تكرهه من الشر فيحببه اليك · ولكن ينبغي لك في حب ما تحب من الخير التحامل على ما يستثقل منه وينبغي لك في كراهة ما تكره من الشر التجنب لما تحب منه

للدنيا زخرف يغلب الجوارح ما لم تغلبه الالباب والحكيم من لم يغض عليه طرفه ولم يشغل به قلبه اطلع من ادناه فيما وراءه وذكر في بدئه لواحق شره فأكل مرة وشرب كدره ليحلولي له ويصفو في طول من اقامة العيش الذي يبقى ويدوم غير عائف للرشد ان لم يأته برضاه ولم يأته من طريق هواه

لا تألف المستوخم ولا تقم على غير الثقة · قد بلغ فضل الله على الناس من السعة وبلغت نعمته عليهم من السبوغ ما لو ان اخسهم حظاً واقلهم منه نصيباً واضعفهم علماً واعجزهم عملاً واعياهم لساناً بلغ من الشكر له والثناء عليه بما خلص اليه من فضله ووصل اليه من نعمته ما بلغ له منه اعظمهم حظاً واوفرهم نصيباً وافضلهم علماً واقوامهم عملاً وابسطهم لساناً لكان عما استوجب الله عليه مقصراً وعن بلوغ غاية الشكر بعيداً ومن اخذ بحظه من شكر الله وحمده ومعرفة نعمه والثناء عليه والتحميد له فقد استوجب بذلك من ادائه الى الله والقربة عنده والوسيلة اليه والمزيد فيما شكره عليه خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة

افضل ما يعلم به علم ذي العلم وصلاح ذي الصلاح ان يستصلح بما اوتي من ذلك ما استطاع من الناس و يرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله وحب حكمته والعمل بطاعته والرجاء لحسن ثوابه في المعاد اليه وان يتبين الذي لهم من الاخذ بذلك والذي عليهم في تركه وان يورث ذلك اهله ومعارفه ليلحقه اجره من بعد الموت

الدين افضل المواهب التي وصلت من الله تعالى الى خلقه واعظمها منفعة واحمدها في كل حكمة فقد بلغ فضل الدين والحكمة ان مدحا على السنة الجهال على جهالتهم بهما وعماهم عنهما

احق الناس بالسلطان اهل الرأفة واحقهم بالتدبير العلماء واحقهم بالعلم أحسنهم تأدباً واحقهم بالغنى اهل الجود واقربهم من الله انفذهم في الحق علماً واكملهم به عملاً واحكمهم ابعدهم من الشك في الله تعالى واصوبهم رجاء اوثقهم بالله واشدهم انتفاعاً بعلمه ابعدهم من الاذى وارضاهم في الناس افشاهم معروفاً واقوامهم احسنهم معونة واشجعهم اشدهم على الشيطان وافلجهم بالحجة اغلبهم للشهوة والحرص وآخذهم بالرأي اتركهم للهوى واحقهم بالمودة اشدهم لنفسه حياء واجودهم اصوبهم بالعطية موضعاً واطولهم راحة احسنهم للامور احتمالاً واقلهم دهشاً ارحبهم ذرعاً · واوسعهم غنىً اقنعهم بما اوتي · واخفضهم عيشاً ابعدهم من الافراط واظهرهم جمالاً اظهرهم حصافة

وآمنهم في الناس اكلهم ناباً ومخلباً

واثبتهم شهادة عليهم انطقهم عنهم

واعدلهم فيهم ادومهم مسالمة لهم

واحقهم بالنعم اشكرهم لما اوتي منها

افضل ما يورث الآباء الابناء الثناء الحسن والادب النافع والاخوان الصالحون

فصل ما بين الدين والرأي ان الدين يسلم بالايمان وان الرأي يثبت بالخصومة فمن جعل

الدين خصومة فقد جعل الدين رأياً ومن جعل الدين رأياً فقد صار شارعاً ومن كان هو يشرع لنفسه الدين فلا دين له

قد يشتبه الدين والرأي في اماكن لولا تشابهما لم يحتاجا الى الفصل

(للكتاب بقية)

الخاصة والعامة

قال الراغب : الناس ضربان خاص وعام فالخاص من قد تخصص من المعارف بالحقائق دون التقليدات ومن الاعمال ما يتبلغ به الى جنة المأوى دون ما يقتصر به على الحياة الدنيا والعام اذا اعتبر بأمور الدين فالذين يرضون من المعارف بالتقليدات ومن اكثر الاعمال بما يؤدي الى منفعة دنيوية واذا اعتبر بأمور الدنيا فالخاص ما تخصص بأمور البلد مما تخرم من افتقاده احدى السياسات المدنية والعام مالا يخرم بافتقاده شيء منها ٠ وهم من وجه آخر ثلاثة خاصة وعامة واوساط والاوساط هم المسمون في كلام العرب بالسوقة فالخاص هو الذي يسوس ولا يساس والعام هو الذي يساس ولا يسوس والوسط هو الذي يسوسه من فوقه وهو يسوس من دونه ٠ ومن وجه آخر ثلاثة اضرب اصحاب الشهوات وهمهم الجدة واليسار والاكل والشرب والبعال واصحاب الكرامة والرياسة وهمهم المدح واستجلاب الصيت والمحمدة واصحاب الحكمة وكل واحد منهم يستعظم من هو من جنسه ٠ قال بعض الحكماء : مامن انسان الا وفيه خلق من اخلاق بعض الحيوانات وبعض النبات لكون الانسان مشاركاً لها في الجنسية وان كان مبايناً لها في النوعية فمن الناس غشوم كالاسد وعائث كالذئب وخب كالثعلب وشره كالخنزير وجامع كالنمل وفج كالذباب وبليد كالحمار والوف كطير الوفاء وصنع كالسرفة (١) وآنف كالاسد والنمر وغيور كالديك وهادي كالحمام ومنهم حسن المنظر والمخبر كالاترج ومنهم بخلاف ذلك كالعفص والبلوط ومنهم قبيح المنظر حسن المخبر كالجوز واللوز ومنهم حسن المنظر قبيح المخبر كالحنظل والدفلى والمؤمن الخير هو في الحيوانات كالنحل يأخذ اطايب الاشجار ولا يقطع ثمراً ولا يكسر شجراً

(١) دويبة تتخذ بيتاً مربعاً من دقاق العيدان تجمعها بمثل غزل العنكبوت وفي المثل اصنع من سرفة واخف من سرفة

ولا يؤذي بشرًا ثم يعطي الناس ما يكثر نفعه ويحلو طعمه ويطيب ريحه وهو في الاشجار كالاترج يطيب حملاً ونورًا وعودًا وورقًا والمنافق الشرير هو في الحيوانات كالنمل والارضة وفي الاشجار كالكشوث (١) فلا اصل له ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا زهر يفسد الثمار ويبس الاشجار وكالشجرة التي قلّ ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها ·

هذا ماذكره الاصفهاني في وصف طبقات الناس وما يرجى منهم من المنافع وما يخشى من مضارهم قاله منذ زهاء ثمانمائة سنة ويقال مثله بعد قرون كما يصح اطلاقه على ألوف من الذين من قبل · ويرى الناظر في هذه الحياة الدنيا من سلطان الاوهام الكثيرة تأثيرًا في دفع الناس بعضهم عن بعض ولولا ذلك لاختل النظام او كاد · وكان معظم تأثير الاوهام في خلال القرون الوسطى ايام انتشار الاقطاعات وتسلط الاشراف ورؤساء الديانات في الغرب اما في الشرق — ونريد به البلاد العربية — فان الاوهام كانت تتسلط على الناس بعد الاسلام بحسب حال الحكومات المتغلبة من العقل والجهل والدين والالحاد ولذلك اتت على العامة ادوار كانوا يعتقدون ان الخاصة من طينة غير طينة البشر فهم احق بالتقديس فقدسوهم ورفعوهم فوق اقدارهم ولم تكن نفوس الطبقة العالية من التهذيب بحيث تحسن استعمال هذه الامتيازات التي امتازت بها بل استعملتها ذرائع الى الاستكثار من الثروة من غير حلها والتبجح بالباطل بما لم يأمر به شرع الهي ولا عقل انساني ولذلك صرت ولا تزال ترى بين الطبقة العليا والدنيا من الفروق ما لا تراه في اكثر الامم اللهم الا الهنود والصينيين فان مسافة الخلف بين طبقات الناس هناك مما يعجب منه ايضًا

انتبه اهل الغرب لسر الاجتماع البشري اكثر منا · والغالب ان سلطة الاشراف او اهل الطبقة العالية بلغت عندهم قبيل نهضتهم مبلغًا لا تطيقه نفس بشرية فكان القيام على نزع تلك السلطة من اول الاصلاح عندهم ثم بقيت الطبقات تتقارب بعضها من بعض والى اليوم لم يبلغ هذا التقارب اشده عندهم ولكنه لو قيس بما بين مختلف الطبقات في شرقنا لعد غاية الارتقاء ·

اذا تقارب الخاصة من العامة وعرف كل حقه ولم يتعده تستقيم احوال المجتمع وتقوى دعائمه وتنبث في نفوس ابنائه روح التضامن الحقيقي واذا بقيت كل طبقة مقتصرة على اهل طبقتها يحدث بين الطبقات من سوء التفاهم ما لا يكون منه حضارة ولا غبطة · العامة هم

(١) نبت يعلق بالاغصان ولا عرق له في الارض ويسميه الفلاحون في غوطة دمشق بالشخوت اذا سطا على القنب او غيره من المزروعات الصيفية اهلكها وكم اهلك فيها من اموال ولم توجد طريقة لرفع ضرره

سواد كل امة وهم القائمون على الزراعة والصنائع المختلفة والاعمال الصعبة والخاصة افراد قلائل · وقوتهم بافكارهم وعقولهم في الاعم الاغلب من احوالهم · والعاقل ينبغي له ان يحسن الانتفاع من كل شيء في هذا الوجود فما الحال بانتفاعه من مخلوق مثله لو علمه بعض الضروريات لكان عمله له ولغيره اتم واعم ·

مضى العهد الذي كان العلم فيه مقصورًا على اهل طبقة خاصة ككهنة قدماء المصريين واشراف اليونانيين والرومانيين ورهبان الاديار والصوامع في القرون الوسطى · مضى ذاك الزمن وما نظن يعود مثله على البشر بعد وقد اخذت حضارة الغرب تنفذ انوارها حتى الى القفار ويستنير بها المتمدن والمتوحش بحسب ما رزق من قوة بصر وبصيرة · طوي ذاك البساط بما عليه جملة ولن يعود الى سالف حاله بعد ان توفر جمهور كبير من علماء الغرب يخطبون العامة في مجالسهم بما لا يعلوعن افكارهم ويعلمونهم في مدارس ليلية اقاموها لتعليم من لم يسعده الحظ بالتعليم وبعد ان انشؤا جرائد لهم خاصة ووضعوا المجلات والكتب ليلقنوهم الافكار الصحيحة والمعارف اللازمة من أيسر الطرق واخصرها وبعد ان فتحوا لهم المعارض والمتاحف ودور التمثيل لتكون منهم مقوّمات العقول على طرف الثمام وبعد كل ما اقاموه لمنفعتهم من اسباب التعليم يستحيل ان يغالط عامتهم في حقائق الاشياء بعد اليوم وقد غولطوا فيها زمنًا طويلا ·

قال سيابل (١) : لا غنية للديمقراطية عن خيرة رجال كما لا يسعها الا ان تقدر الذكاء والعلم والفضيلة حق قدرها · ولا مشاحة في ان الديمقراطية تأتي على الحواجز التي كانت تحول بين الطبقة العالية وجمهور الامة فتدكها من اساسها وذلك لان المجتمع يختار كبار الرجال من جمهور اهل البلاد ممن ينشؤن ابدًا بين ظهراني عامة الناس ولا يزالون ينمون ويتجددون بما يصدر اليهم من حوض القوّة والنشاط واعني بهذا الحوض العامة · فاذا اعتزل اولئك الرجال واقتصروا على الاجتماع بابناء طبقتهم محتقرين ما عداها فانهم يقضون على انفسهم بالضعف وعلى امرهم بالفشل · ليس الشعب هو الجمهور بل هو الامة وهو الحاكم المتحكم · والفكر لا يكون الا مجردات ونظريات اذا لم يكن له كيان وحقيقة تؤثر في عقول ابناء الامة وارادتهم · وعلى الطبقة الخاصة من الناس وهي في الاصل ممتزجة بجهلاء الامة واهل الوضاعة منهم ان يكون ذا اتصال بالشعب وعليها ان تعمل على اقناعه لتنال ثقته تتصل به وتشركه في معرفة الحقيقة السامية التي تخضع لناموسها الارادات مختارة وعلى مجموع من

(١) كتاب التربية او الثورة لجبرائيل سيابل يطلب من مكتبة ارمان كولين بباريز
Gabriel Séailles : Éducation ou Rolution , Librairévie Arman Colin paris

يتألف منهم المجتمع الديمقراطي ان يشتركوا بالحياة العقلية لانهم كلهم يشتركون في الحياة الوطنية اه

ولقد وَقر في نفوس خاصتنا زمناً طويلاً بان اجتماعهم بالعامة يعد منقصة وسُبة ولذلك كانوا واكثر من يتطالون الى التشبه بهم من اهل الطبقة الوسطى في العقول يشمئزون من الاختلاط بغير طبقتهم كأن العلم بزعمهم يفسد اذا أُلقي على من ينتفع به او انه تذهب بركته ويزول بهاؤه ورواؤه وقد كان هذا الخلق يقوى في الشرق على عهد ضعف الوازعين الديني والسياسي وانحلال التربيتين البيتية والمدرسية ·

وما مجالس الوعظ ايام الحضارة الاسلامية الا من بركة تلك العقول الكبيرة والتربية الراقية فكنت ترى امثال الحسن البصري والفخر الرازي وابن الجوزي ومئات غيرهم في المساجد والمنابر يعظون العامة ليعلموهم ما حرموا منه فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم · بدأ ذلك على عهد الخليفة الرابع فكان يأتي بواعظ العامة ويسأله فان رآه متمكناً من العلم بحيث لا يضل الناس بكلامه اذن له بالوعظ والا منعه وما كان جلة العلماء يستنكفون من تفهيم العامة كما كانوا يعلمون الخاصة

وظاهر ان ما كانوا يلقونه على مسامع جمهور الناس من انواع العلوم لم يكن في صعوبته كالذي يلقونه على خواصهم ولذلك قلما كان يتأتى العبث بعقول العامة في القرون الستة الاولى للاسلام فقربوا من الخير والسلامة من اكثر خاصة العصور المتأخرة ممن جعلوا الدين سلماً الى الدنيا وقشور العلم للجاهاة · ومقادير الخاصة والعامة في كل امة نسبية في الغالب فقد يكون رجل من طبقة الخواص في امة فاذا قيس بغيرها من الامم الراقية لا تنزله الا منزلة العوام ·

قال الاصفهاني : لا شيء اوجب على السلطان من مراعاة المتصدين للرياسة بالعلم فمن الاخلال بها ينتشر الشر وتكثر الاشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر وذلك ان السواس اربعة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والحكماء وحكمهم على بواطن الخاصة والوعظة وحكمهم على بواطن العامة وصلاح العالم بمراعاة امر هذه السياسات لتخدم العامة الخاصة وتسوس الخاصة العامة وفساده في عكس ذلك ولما تُركت مراعاة المتصدي للحكمة والوعظ ترشح قوم للزعامة بالعلم من غير استحقاق منهم لها فاحدثوا بجهلهم بدعاً استغووا بها العامة واستجلبوا بها منفعة ورياسة فوجدوا من العامة مساعدة لمشاكلتهم لهم وقرب جوهرهم منهم ·

فكل قرين الى شكله كأنس الخنافس بالعقرب

وفتحوا بذلك طرقاً منسدة ورفعوا بها ستوراً مسبلة وطلبوا منزلة الخاصة فوصلوا اليها بالوقاحة وبما فيهم من الشره فبدعوا العلماء وكفروهم اعتصاباً لسلطانهم ومنازعة لمكانهم واغروا بهم اتباعهم حتى وطئوهم باخفافهم واظلافهم فتولد من ذلك البوار والجور العام اه

ولقد بقي من دروس الوعظ او القصاصين كما كانوا يدعون قديماً اثر ضئيل في بعض البلاد الاسلامية ولكن ضررها يربو على نفعها لان من يتولون امرها في الاكثر قلما يدركون مبلغ اقوالهم وتأثيراتهم ومعظمهم ممن تزببوا قبل ان يتحصرموا فراحوا على قلة علمهم وعملهم يدعون الى الخرافات في الاغلب يستسهلون الكلام في الزهد في الدنيا وذكر فضائل الايام والمواسم واكثر خطب الجمع من هذا القبيل او هي ادهى وامر . اما الخاصة الحقيقيون في الامة فقد اضطرتهم الفوضى في العلم والنظام الى ان يقبعوا في بيوتهم ويكونوا احلاسها واقتصروا اليوم من تعليم العامة على من يلوذون بهم من اهلهم واصحابهم وجيرانهم والعشرة تعدي جرائمها .

القيام على تعليم العامة عندنا ليس بالامر الحديث كما هو في الغرب ولكن اصوله بليت بين اظهرنا ونمت اي نمو عندهم شأن الأمم الراقية والنازلة هذه يمسخ فيها كل شيء حتى جمال وجوه اهلها وتلك يرتقي فيها كل شيء حتى موبقاتها وشرورها . ولا نقصد بتعليم العامة ان نعلم ما يصدهم عما هم بسبيله من امور المعاش ولكننا نقصد ان يعلموا كعامة ابناء اليابان القواعد الاساسية القليلة ليستحيل بعدها التلاعب باهوائهم ويكونوا عوناً للخاصة في كل عمل نافع لا عثرة في سبيل كل مشروع ينهضون بلا سبب معقول ويسكنون كذلك .

نريد ان يعلم العامة القراءة والكتابة البسيطة ومبادىء التاريخ والجغرافيا والحساب والاقتصاد والصحة وتدبير المنزل وشيئاً من آداب الدين التي لا تعلو عن افهامهم وعندها يشاركون الخاصة في الفهم ان لم يكن في معظم مسائل الوجود ففي بعضها وهناك من الفائدة للخاصة ما لا ينكره عاقل ويكفي انهم لا يعدون غرباء كأنهم من عالم آخر اذا نزلوا بين قوم في الارياف والقرى والدساكر اذ يجدون فيها من يزيل عنهم موجبات الوحشة ويقدرهم قدرهم في الجملة . هذه الطبقة من العامة اذا كثرت في الشرق العربي مثلاً تكون حاله احسن مما هي عليه بما لا يقاس ويقل تبرم المتعلمين المنورين من عشرة الاميين العاميين ولا سيما في المدن الصغرى حيث لا عقل يفكر الا في الامور البسيطة من المعاش وقل من يشارك في الشؤون العامة .

قال الجاحظ تقول العرب: لولا الوئام لهلك الانام وقال بعضهم في تأويل ذلك لولا ان بعض الناس اذا رأى صاحبه قد صنع خيراً فتشبه به لهلك الناس وقال الآخرون انما ذهب الى انس

بعض الناس يبعض كأنه قال انما يتعايشون على مقادير الانس الذي بينهم ولو عمتهم الوحشة عمتهم الهلكة ·

واذا لم يتيسر لبلادنا الآن ان تؤسس لها مجامع ومدارس لهذا الضرب من التعليم فما احرى كل من رُزق علماً خرج به عن العامية ان يجمع حوله طائفة من اهله وجيرانه يرشدهم ويأنسهم بحسب ما يعرف ويصحح لهم افكارهم القاء ويعلمهم مالم يسعدهم الحظ بتعلمه في كتاب · ولا اعلم في بلادنا احداً يهتم بتعليم العامة وتصحيح الافكار مثل الشيخ طاهر الجزائري على اتساع مادته في العلوم المختلفة اتساعاً لم اره في عالم عربي وقد انتبه بعض علماء فارس لهذه النكتة فاخذوا ولا سيما في العهد الاخير يخدمون العامة بما ينفعهم و يطبقون لهم المدنية على حسب عقولهم وهم هناك بضعة عشر رجلاً ورأسهم المجتهد السيد جمال الدين فقد قرأت له خطباً في هذا الموضوع لا تقلُّ في جودتها عن خطب ارنست لافيس وجبرائيل سيايل وغيرهما من فلاسفه فرنسا المعاصرين ممن لا يرون حطة في اقدارهم ان يتنزلوا لتعليم العامة لاعتبارهم اياهم عمد اخبية المجتمع وقواعد بنيان بني الانسان ·

ان يوماً نرى فيه هذه البلاد مملوءة بخزائن كتب يختلف اليها العامة فيتناولون فيها ماشاؤا من المطبوعات والاسفار البسيطة النافعة ومدارس ليلية اونهارية ابتدائية لتعليم الكبار والصغار والبنات والصبيان ومعارض ومتاحف في كل مديرية اومتصرفية اوعمالة لهو يوم سعيد يسوغ بعدها لامتنا ان تدعي انها راقية تستحق استقلالها في سياستها اذ حررت العقول من ظلمتها ·

الرياضة المعقولة

قلَّ استعمال الالعاب الرياضية في هذه البلاد لان الفقير لا يقدر فوائدها قدرها ويروض جسمه من حيث لا يشعر باعماله اليدوية وحركاته اليومية اما الغني فيرى في الاكثر ان اللعب لترويض الجسم منقصة وسُبة لا ينطبق مع الوقار والرزانة · ولما كان اجدادنا ينصرفون الى الالعاب المختلفة آونات فراغهم كانت اجسامهم اصح وامراضهم اقلَّ · دام ذلك الى عهد قريب وضعفت الالعاب الرياضية بيننا بضعف العلوم و يدلك على عناية قومنا بالرياضة قديماً انهم افردوها بالتأليف وعددوا ضروبها واساليبها ·

ولقد كان صلاح الدين الايوبي ونور الدين زنكي اذا استراحا قليلاً من جهاد

الصليبيين يصرفون شطراً من اوقاتهما في ركوب الجياد والسباق في سهل اللوان بظاهر دمشق ولا يريان بذلك نكيراً. ولما انكر احد علماء ذلك العصر على احدهما ما يأتيه من هذه المسليات المضيعة للاوقات قال له : اننا نستعين بها على تقوية اجسامنا لئلا نضعف عن النزال ومقارعة الابطال . ولم يزل في بعض بلاد الشام اثر من آثار هذه الالعاب بين ابناء الطبقة المتوسطة والدنيا ومن اهمها ركوب الجياد للسباق والركض والوثب والسباحة ولعب العصا والصراع كما نرى منها بعض الشيء في هذا القطر.

بيد ان الغربيين سبقونا اشواطاً الى كل محمدة ومن جملة ما يمتاز به خاصتهم وعامتهم عن خاصتنا وعامتنا الالعاب الرياضية يأتونها كأنها من الضروريات كالاكل والشرب والنوم. حتى قال بعضهم ان على نسبة ارتقاء الالعاب الرياضية في امة تقوى اجسامها وتطول اعمارها وتصح عقولها والعقل السليم في الجسم السليم. ادركوا ان غاية الحركات الطبيعية بث القوة في عامة الجسم لا جعلها قاصرة على بعض الاعضاء فانبساط القلب المفرط ينشأ من الافراط في انهاك احد الاعصاب بالعمل وافناء قوى بعض الحواس . فترى الجبار ممن اعتاد رفع الاثقال قوي العضلات ولكنه ضعيف الساقين اذا أُريد على الجري انقطع نفسه وخانته رجلاه ولئن كانت اعضاؤه متينة فآلته التنفسية سيئة السير ولا يعالج هذا النقص الا بتمرينات منظمة حتى ان المصارع نفسه يحتاج الى الرشاقة في حركاته اذا عرض له اتوموبيل في سكته او حريق في داره ليتأتى له ان يقفز ويصعد الدرج ويزحل على الحبل . اما عامة الناس فهم كلما استحكمت قوتهم وزادت خفة اجسامهم يستعدون لتسلق الجبال وحمل الاحمال والقفز والسباق . وهذا الميل الى كل ضرب من ضروب الرياضة وان أُريد به التسلي فهو من الضروريات لقوام البنية حتى يكون من الناس كما يقول الفيلسوف هربرت سبنسر « حيوانات صالحة » أي اناس لهم من تراكيبهم الطبيعية ومن اعصابهم وحواسهم الباطنية ما يؤهلهم للقيام بما في طاقتهم بدون ان ينقص عضو من عضو شيئاً او يقوى عصب بضعف اخيه . ولذلك كثرت اساليب الرياضة وكلها تدور على قوانين طبيعية مبنية على علم التشريح والحياة والميكانيك. وممن قام يدعو الى طريقته في الرياضة رجل من اهل السويد اسمه لنج نظر في الطرق المتبعة في التريض تخالف المتبع منها في التربية الطبيعية التي من شأنها اعداد اناس منبسطة قلوبهم فاستعاض عما كان اهل الرياضات يستعملونه من قبل بالتجارب من الالعاب باساليب له معقولة معتقداً ان احسن رياضة لتحسين الجنس الانساني في تجويد تقليل اسباب الضعف وتقوية الابدان تقوية تامة . تعلم هذا الرجل التعليم العالي وانصرف الى اللاهوت والادب لاول امره فصنف فيهما وألف فشغله ما هو

فيه من الاشغال العقلية عن النظر في الالعاب الرياضية الى ان التقى بمهاجرين فرنسويين في كوبنهاغ اوائل القرن الماضي فعلماء المسايفة « لعب السيف والترس » فمهر فيها حتى عين معلماً لحمل السلاح في كلية لوند وكان حاد الفكر والتصور صعب المراس لا يقف في امر يتعاطاه عند حد التوسط فاهتدى بذكائه الى ان وراء المسايفة واحسان الكر والفر مقصداً اسمى فاخذ نفسه بدرس منافع هذا الفن ونظر في التشريح وعلم النفس وتوغل في التاريخ فرأى ان السكنديناويين كانوا يستعملون الرياضة واليونان من قبلهم كذلك . وتبين له ان ما هو ماثل في مصانع اليونان وتماثيلهم من جمال الوجوه وتناسب الاعضاء وصحة الجسوم انما كان بفضل الرياضات التي يرتاضونها وثبت له ان تحسين النسل وجماله وجودة الصحة الطبيعية والاخلاقية تنشأ من استعمال الرياضة المعقولة .

قام هذا الخاطر في ذهنه ولم يبرح وجدانه الا عند ما تقدم الى حكومة السويد ان تمنحه شيئاً من المال يستعين به على نشر طريقته فردته رداً غير جميل وعدته تخرفاً اخرق فحفظ من ذلك وهو غضوب عبوس الا انه لم ييأس . وكان نجاحه في ثباته على المطالبة . فصدر الامر الملوكي سنة ١٨١٣ بانشاء مجمع علمي للالعاب الرياضية في استوكهلم عهد اليه ادارته ووفق الى تحقيق الافكار التي كانت تخالج صدره وان كانت تلك الافكار مشوشة مرتبكة لاول امرها الا ان العمل يجليها والبحث يهذب اصولها وفروعها وساعده على نياته ما تم للعلم من الاكتشافات الحديثة وزيادة انتشار فن الطب ومعرفة ما بين اعضاء الجسم من الصلات .

اما طريقته فهي في الحقيقة مجموع اعمال صحية غايتها تقوية الاعصاب وان يقاوم المرء المؤثرات المضرة ويستعد لدفع الاخطار التي تحيق به . وبفضل الجهاد الذي جاهده لنج في اعماله زاد في مدة نصف قرن معدل قامات الجنود في تلك البلاد ثلاثة سانتيمات وطالت الاعمار فصار معدل الزيادة تسع سنين عن ذي قبل . ولما ثبت ذلك بالبرهان والاحصاء ارادت بعض دول الغرب ان تجري على طريقة السويديين فادخلت طريقة لنج الى المدارس الجامعة وثكن . الجند ولكن العنصر اللاتيني لم يفلح كثيراً في الجري على تلك الخطة لان اهل شمالي اوروبا ارقى منه في معنى التوفر على الواجب والمبالغة في الخضوع لضروب السخرة المملة فلا يتبرمون من تكرار حركات واحدة وحضور جلسات طويلة على نمط واحد كما يتبرم اهل العنصر اللاتيني .

وبعد فان من فوائد السباق وفضائله في التربية انه يضطر صاحبه الى تعلم النظام ويعده للقيام بالفروض الجندية ولذلك نرى الجذافين في القوارب وهم مضطرون الى تطبيق

حركاتهم بعضهم على بعض وان يسيروا بنظام تام يأتون في ذلك مثالاً من امثلة النظام والتكافل وكذلك الحال في لاعبي الكرة بخضوعهم لامر زعيمهم . هذه الالعاب احسن مدرسة للشبان كل يوم لانها لا تبقي عضلة الا وتحرك في خلالها وتثير الحركات التنفسية مع رفع الاعضاء وبذلك يقوى الصدر وتكبر رقعته وتحسن ضربات القلب وتتصلب الاعصاب وتمرن المفاصل .

ولكن هذه الطريقة في الالعاب على ما هي عليه من النفع بحيث جرى العمل بها في الثكن والمدارس يصعب ان يجري عليها من يتعلمونها بعدُ لان الثكنة او المدرسة اذا خصصت للجندي والتلميذ ساعة كل يوم للرياضة فمن الصعب على من يدخل في مدرسة هذا العالم ان يصرف هذا القدر من وقته كل يوم . بيد ان القوم اخترعوا صوراً من الالعاب لا يحتاج معها المرء الى شيء من الادوات ولا تأخذ له من الوقت اكثر من عشر الى خمس عشرة دقيقة .

وقد كثر تحدث الناس في اسكاندينافيا مهد طريقة لمجبطريقة اخترعها مولر الدانيمركي وما وفق الى اتقانه في كل فرع من فروع الالعاب وهذا الرجل يحسن تعاطي المجداف والسباحة والتزحلق Patinage والصراع والمشي وحمل الاثقال والقفز والملاكمة والسير السريع وقد نال من ذلك ١٢٣ جائزة حتى قال فيه احد المصورين : انك ياهذا اجمل مخلوق رأيته في حياتي . بل انه كتب مؤخراً انه سيزيد نفسه جمالاً ورقة مع انه الآن في الاربعين من سنه . وتاريخ هذا الرجل غريب في بابه وذلك ان اباه كان مختل الصحة مبتلىً بعدة امراض وهو كان في صغره كثير الامراض ايضاً وقد قال عن نفسه : اني لما ولدتني امي لم يكن وزني اكثر من ثلاث لبرات ونصف بحيث كانت علبة لفائف تسعني وفي السنة الثانية أصبت بزحير كدت اهلك عقيبه كما أصبت في تلك السن بجميع امراض الاطفال . ولما دخلت المدرسة اصبحت امرض كل سنة مرتين او ثلاثاً بالحمى والبرداء والاسهال وغيرها فانت ترى ان ما لي من الصحة والقوة الآن لم ارثهما واني لم اكن من اهل العافية والسلامة في طفوليتي

ففي سنة ١٨٧٤ « وكان عمره اذ ذاك ثماني سنين » وقعت اليه كتب بالالعاب الرياضية مترجمة من الانكليزية والالمانية ولما قرأها ربت فيه ذوق التمرينات الطبيعية واخذ يتمحض لها وترك دروس اللاهوت التي كان اخذ بدراستها لاول امره وتعلم الهندسة العسكرية ثم صار مهندساً ملكياً وبعد ان قضى عشر سنين في هذه الصناعة عين مديراً لمصح في جوتلاند « شبه جزيرة دانيمركية » وهناك نشر كتاباً في الالعاب الرياضية سماه

«طريقتي» انتشر انتشاراً غريباً فطبع منه من ٣ اغسطس سنة ١٩٠٤ الى شهر مايو من السنة التالية ثلاثون الف نسخة هذا وسكان الدانيمرك نحو مليونين ونصف فقط . وترجم الى الالمانية فطبع منه ٧٠ الفاً والى الانكليزية فطبع منه ٣٥ الفاً والى السويدية ٢٠ الفاً والى الافرنسية ١١ الفاً . ولئن كان لنشر هذا الكتاب يد في التفنن بالاعلان عنه فان سهولة طريقته كانت اعظم سبب لانتشاره اذ ليس فيها قيود ولا تعقيد بل ان الربع الساعة يقضيها المرتاض في غسل جسمه كله ومحن جلده (دعكه) وتمميز بدنه تكفي فيمحن جسمه وهو يستلقي على قفاه ويتلوى ويتوتر وينثني بحيث لا ينتهي من اغتساله الا وقد تحركت جميع اعضائه واعصابه ويكون قد نظف جسمه وبشرته .

وهذه الطريقة نافعة اكثر من غيرها من الالعاب الرياضية لانها تجعل تنبيه البشرة وغسلها من الاعمال الرئيسة وتلين اعصاب البطن وتجعل لتنفيس الجلد شأناً عظيماً . وقد كتب مولر اني ضحكت من اناس من ارباب المسابقات والصراع يغتبطون بان اجسامهم لا ترشح عرقاً عند ما يتعاطون اعمالهم مع اني موقن بان مسام اجسامهم مشحنة بالادران والادهان البشرية وصفرة وجوههم واكداد الوانهم اكبر دليل على سوء صحتهم . وقد علق مولر على ترويض البطن شأناً كبيراً في تحسين الهضم والعون على انتظام وظائف الاحشاء وتحسين حالة الكلى والكبد .

وسواء شاعت طريقة لنج او طريقة مولر او طريقة الجيوجيتسو «١» اليابانية في الالعاب

«١» الجيوجيتسو رياضة يابانية من فوائدها التغلب على القوة الوحشية . جاء في مجلة الطبيعة انها شاعت في بلاد اليابان منذ الفي سنة وما برحوا يعلمونها في كلياتهم وسفي معسكراتهم بل وفي كل مكان يختلف اليه الشبان وهي عندهم الرياضة المحبوبة كما تجد عند الاوروبيين الصراع والملاكمة والمسايفة . فالجيوجيتسو او الجيوجيتس كما يلفظها اليابان هي علم باصول يعرف بها الانسان ان يدفع عن نفسه القوة الوحشية ويتغلب عليها بمعرفة علم بنية الابدان الذي يمكنه من ايلام خصمه ألماً شديداً من دون عناء كبير وذلك باللين والرشاقة . وللنظر في موقع الخصم دخل كبير في التغلب عليه .

ولقد ألف في جندلة الخصم بدون سلاح وهي رياضة الجيوجيتسو رسائل كثيرة كما الفت كتب في لعب الخيل ومطاردة الصيد وقنص الاسماك ولعب السيف واطلاق الرصاص والسهام والالعاب الرياضية ولكن رأى فريق من العلماء في فرنسا ان لا يقتصروا في علم هذا اللعب على النظريات فانتدبوا احدهم الى يابان ليتعلم الجيوجيتسو بالعمل ففعل وعاد فاسس في باريز مدرسة لتعليمها

الرياضية فان ما يهم في هذا الباب انتشار الرياضة البدنية بين جميع الطبقات لا ان تبقى محصورة في طبقة خاصة فيجب ان يتعلم الطفل اعتياد العناية بجسمه وغسله وتقويته ومحنه وان يواظب على ذلك مادام حياً . ومن اجل هذا تجد الحكومات الاوروبية تنشط جمعيات الالعاب الرياضية . وقد كتب وزير حربية فرنسا الى جمعية اتحاد الالعاب الرياضية في العهد الاخير يقول : يجب ان لا تبقى بعد الآن غير طريقة واحدة في التعليم الطبيعي تستعمل في الثلاثة ادوار من ادوار التربية الوطنية وهي المدرسة والمجتمع والجندية وهذه الطريقة هي كبر الصدر وسلامة الرئتين والقلب وتقوية الساقين . طريقة تحسن جسم المرء ادبياً وصحياً وتعده كأحسن الناس للحياة والعمل والقتال اذا اقتضت الحال .

رب اسرائيل في جزيرة أسوان

جزيرة أسوان Eléphantine هي اول الجزر العظيمة الواقعة في مصب الشلال وتدعى ايضاً الجزيرة وكانت قديماً مأهولة بجماعة من النوبيين وهي عبارة عن قريتين تابعتين لاسوان وتعد عاصمة تخوت « التخوم » ومدينة « ابو » او « كوبهو » العظمى قال لاروس في معجمه الاوسط : وكان امراؤها نحو اواخر السلالة الخامسة او السادسة يغزون الصحاري المجاورة او شواطىء البحر الاحمر او يتجرون معها وكانت ملوك السلائل المنفية تنزلها عند ما تريد الاشراف على احوال التخوم واستعمر سكان هذه الجزيرة بلاد النوبة الشمالية بين السلالة السادسة والحادية عشرة . ولقد ضعفت مكانتها عند ما توسعت في التخوم نحو الجنوب على عهد ملوك الثيبيين واصبحت مدينة يرحل اليها للتجارة والزيارة ولما جاء المصريون الى جوار الشلال عند ما انفصلت الحبشة عنهم في الدولة الثانية عشرة استعادت مركزها الحربي الا ان ارتقاء أسوان Syène المعدودة من جملة احيائها على الحدود بين الحبشة ومصر على عهد الدولة الفارسية ثم على عهد الدولة اليونانية قد اضر ضرراً بليغاً بحالتها كما سقطت على عهد الرومان ولم تكن على عهد الفتح البيزنطي والعربي غير انقاض وقد بقي من المعبد الكبير قطعة من بابه انشأها توتموسيس الثاني وجددت على عهد الاسكندر الثاني ولا يرى من عادياتها الا صخور مشتتة بين خرائب المدينة او مسدودة بالرصيف القديم ومقياس النيل الذي جدد على عهد القياصرة وعني بأمره احد علماء الفلك من العرب محمود باشا الفلكي سنة ١٨٧٠ وقال بوليه في معجمه التاريخي والجغرافي انه كان في جزيرة أسوان قديماً معبدان

جيلان يرد عهدهما الى زمن اماناهو بتو الثالث وقد خربا حوالى سنة ١٨١٨ لتبنى بانقاضهما ثكن في أسوان .

وقال ياقوت في معجم البلدان وأسوان بالضم ثم السكون وواو والف ووجدته بخط ابي سعيد السكري ُسوان بغير الهمزة وهي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر واول بلاد النوبة على النيل في شرقيه وهي في الاقليم الثاني طولها سبع وخمسون درجة وعرضها اثنان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة وفي جبالها مقطع العمد التي بالاسكندرية . قال ابو بكر المروي وباسوان الجنادل ورأيت بها آثار مقاطع العمد في جبل أسوان وهي حجارة مانعة ورأيت هناك عموداً قريباً من قرية يقال لها بلاق او براق يسمونها الصقالة وهو مانع مجزع بحمرة ورأسه قد غطاه الرمل فذرعتُ ما ظهر منه فكان خمسة وعشرين ذراعاً وهو مربع كل وجه منه سبعة اذرع وفي النيل هناك موضع ضيق ذُكر انهم ارادوا ان يعملوا جسراً على ذلك الموضع . وذكر آخرون انه اخو عمود السواري الذي بالاسكندرية . واشار ياقوت الى ما بأسوان من التمور المختلفة وانواع الارطاب وقد ذكرها البحتري في مدحه خمارويه ابن طولون بقوله :

هل يُلقيني الى رباع ابي الجيـ ... ـش خطارُ التغوير او غرره
وبين أسوان والعرا ... ق زها رعية ما يغبها نظره

ونسب الى أسوان قوم من العلماء . وقال المقريزي في الخطط ما يقرب من هذا القول في أسوان وبتطويل اكثر . هذه هي أسوان وقد قرأنا في جريدة الطان لمسيو كلرمون كانو من اعظم علماء الآثار الشرقية في الغرب فصلاً وصف فيه ما عثر عليه من آثار تلك الجزيرة الازلية فرأينا تعريبه مع مراعاة الاصل قال : ان مجموع الاكتشافات الحديثة التي ظفرنا بها في هذه الجزيرة قد وقعت بين العلماء اعظم موقع وهي تهم تاريخ التوراة في الغاية . هذه الاكتشافات اليهودية لم يعثر عليها في طور سيناء مهد اليهودية ولا في القدس مقرها بل عثر عليها فيما وراء ذلك من البلاد على تخوم مصر والنوبة على بضع دقائق من دائرة الانقلاب في جزيرة للشلال الاول على النيل في مكان لم يكن يتوقع ان يرى فيه رب اسرائيل «يهوه» Jehovah بعيداً الى هذا الحد ويرد عهده الى خمسة قرون قبل المسيح . وقد قام يقول لنا بلسان من يتعبدون به ممن رافقوه الى تلك البلاد من ابناء اسرائيل اموراً جديدة ربما تغير بها تفسير الكتاب المقدس وبذلك صح لنا ان نقول ان النور جاءنا من الجنوب اليوم ولم يكن ينتظر ان يجيئنا بعد منه شيء .

ومعلوم ان بلاد الفراعنة ما زالت قديماً وحديثاً مخصبة بضروب الاكتشافات الاثرية

فهي البلاد التي ازهر فيها ورق البردي فكانت ميدانًا مباركاً لعلم الآثار اتانا ولم يبرح يأتينا بكتابات قديمة خطت على هذه المدارج الرقيقة من ضروب الكتابات المصرية واليونانية واللاتينية والقبطية والعربية وغيرها فكان لنا منها كنوز ادبية حقيقية في صورة اوراق من البردي ولنا منها كل يوم قطعة جديدة ومادة تدهش بيانًا ونسرًا . فبالامس اكتشفت قطع من روايات مياندر الشاعر الهزلي ففرح بها اهل الادب . وقبلها بقليل كان اكتشاف آثار المسيح تصل بنا الى اصول النصرانية وما يدرينا ماذا خبأته لنا مصر غدًا من الآثار ولعل اكتشاف اليوم سيكون توراة اقدم من التوراة المعهودة وان ما اكتشف حتى الآن ليدعو الى الامل في ذلك ·

ولكي نمثل للانظار طبيعة الصكوك اليهودية وخطارتها التي ظهرت للوجود في أسوان تقضي الحال بان نرجع قليلاً الى البحث في المسألة من اصلها · فقد كانت مصر عجيبة بما اكتشف فيها من اوراق البردي التي كتبت عليها لهجات اجناس من البشر مختلفة كثيرة ممن تعاقبوا احتلالها فيما سلف الا انها ضنت الى اليوم كل الضنانة باخراج كتابات باللغات السامية القديمة اللهم الا بضعة عشر قطعة من البردي كتبت بحروف آرامية عثر عليها منذ نحو ثلاثين سنة · ولئن اختلفت آراء علماء المشرقيات في امر هذه الكتابات لصعوبة حلها فالرأي المجمع عليه يكاد يكون متفقًا على امر واحد وهو ان تلك الاوراق هي من عهد البطالسة اليونان كما هو الحال في بعض المنقوشات على الخزف والمزبورات على الحجر المخطوطة بلغة وحرف مشابه لها مما عثر عليه حتى الآن في مصر ·

واذ سمح لي الزمن منذ سنين بالتوفر على البحث في هذا الموضوع تبين لي حل آخر يخالف رأي غيري واستندت على امور مختلفة استنتجت منها بان جميع هذه الصكوك الآرامية يجب الرجوع بها الى اقدم مما قدرها من العمر اي الى عهد الفرس الحخامنيين وعهد دارا وكسركس وارتا كسركس ·

واذ صح ان الامر كذلك فيكون منها اثر تاريخي نادر لانها لم تقف عند ابدال شيء من التاريخ بل يكون منها تغيير تام في المحيط السياسي والديني · تبين لي هذا الرأي المخالف للآراء كلها من تأويل احدى قطع تلك الاوراق من البردي المكتوبة الآرامية المعروفة ببردي تورين فقد قرأت فيها رأس محضر رسمي أرسل الى احد المرازبة في مصر وعليه اسم ميثراوهيشت Mithrawahicht وهو اسم آرامي لا محالة ورأيت شاهدًا في التعبير المستعمل بين هذ المعروض وبين الذي أرسله الى الملك ارتاكسركس حاكم بلاد السامرة بشأن منع اعادة بناء معبد المقدس الذي شرع فيه اليهود ثم تم على يد نحميا وهو المعروض الذي

حفظ بنصه الآرامي في كتاب استرادس المتعلق بالتوراة . وظاهر ان هذا الاستنتاج التاريخي يتناول مجموع النصوص الاخرى المماثلة لها التي صدرت من تلك البلاد ولم تلبث ان تحقق امرها بما تهيأ لها من الاكتشافات المتعاقبة في مصر وغير ذلك من الكتابات والرقوق الآرامية التي كتب عليها التاريخ بحروف جلية من عهد كسركس ودارا وارتا كسركس فثبت ما قلناه بالبرهان .

ومن جملة اوراق البردي المكتشفة موَخرًا ورقة ذكرت فيها بعض الحوادث التي حدثت سنة اربع عشرة لعهد الملك دارا الثاني الموافقة لسنة ٤١١ قبل التاريخ المسيحي . وقد غلط المسيو اوتنج احد علماء الالمان الذي عهد اليه نشر هذه الاوراق في قراءة عدة فقرات منها واذ اخذت انظر فيها بعده تبين لي انها عبارة عن شكوى عامة او معروض عام ارسله الى المرزبان في مصر جماعة من غير المصريين وربما كانوا من اليهود لاقامة الحجة على اعتداء مدرسة الكهنة المصريين وعبثهم بقبر الرب خنوم في جزيرة أسوان وبذلك عرفت هذه الجزيرة بانها مركز سامي آرامي جليلة القدر جدًا من العهد الفارسي لا سيما وقد اسعد الحظ باكتشاف صكوك مماثلة لها . وقد اردت الحكومة اذ ذاك على المبادرة في الحفر والبحث في تلك الارجاء التي هي كالمعدن المملوء بالخيرات ولكني كنت كمن ينفخ في قفر او يصرخ في واد . وما جاء ربيع سنة ١٩٠٤ حتى تبين اني لم اكن ضالاً فيما دعيت اليه فعثر بالعرض بعض الوطنيين ممن كانوا يحفرون في خرائب أسوان في تربة نشادرية يسمونها سباخًا ويستعملونها في تسميد الزرع على نحو عشر قطع من اوراق البردي مطوية مختومة فابتاعها في الحال المسيو موند واللادي ويليام سيسيل وكانا اذ ذاك في مصر وبعد مدة نشرها المستر كولي من كلية اكسفورد . وكان فيها نصوص سالمة عظيمة بحروف آرامية لطيفة تشبه القطع المعروفة حتى الآن من كل وجه وكلها بلا شك من صنع اليهود النازلين في جزيرة أسوان ومدينة أسوان الواقعة على الشاطىء الشرقي للنيل امام الجزيرة . لاجرم ان هذا الحادث مهم في ذاته ولكنه ليس مما يدهشنا لاننا نعرف بان اليهود في سفر الخروج تركوا لغتهم العبرانية القديمة الوطنية وتعلموا اللغة الآرامية وكتابتها وكانت هذه اللغة شائعة في مديريات المملكة الفارسية . كما ترك اليهود امورًا كثيرة اخرى ليس هذا محل ذكرها .

هذه الخطوط المكتوبة على البردي هي حجج حقيقية مسجلة غريبة للغاية ترد عهدها بالتدقيق الى كسركس وارتا كسركس ودارا بالسنين والشهور والايام مع بيان موافقة حساب السنين الآرامية والمصرية وهي مرتبة على ستين سنة مضت بين سنة ٤٧٠ الى ٤١٠ قبل المسيح وقد دونت بطلب الاحزاب بمعرفة احبار من اليهود ووقع عليها توقيعات

جمة للتصديق عليها بشهادة كثيرين وهي تدور على مسائل كثيرة من التعامل كالبيوع والشراء والهبة في العقارات والاراضي ومسائل الاسواق والاحكام وحل الاختلافات امام المحاكم او على طريقة ودية وعقود زواج ونظر في مسائل الطلاق مع خلاصتها الشرعية سواء كان للمتزوجين او لاولادهما ووصف من ادق ما يكون وافيده لجهاز المتزوجين وتقدير اثمانه قطعة قطعة والمواريث وقسمة العبيد المنتقلين بالارث الى غير ذلك.

وبعد فان مجموع هذه المستندات المنقطعة القرين التي ظهرت سالمة من بعض دفاتر بعض البيوت قد انتنا بجملة من الفوائد هي غاية في مكانتها وذلك لانها دلتنا على وجود شعب عظيم من الاسرائيليين في أسوان قبل المسيح بخمسة قرون وعرفتنا بلغته وكتابته واخلاقه واوضاعه ومعتقداته وصلاته مع الحكومة الفارسية والشعب المصري وغير ذلك. ومن جملة المسائل التي تُحل بواسطة هذه الاوراق او توضع موضع البحث مسألة دونها كل المسائل الا وهي التي لها علاقة برب اسرائيل وما له في تلك البلاد من الشأن. فقد رأينا اسمه مذكوراً فيها عدة مرات بدون حرج كما صار ذكره بعد. فكان القوم هناك يقسمون برب اسرائيل كما يقسم بالارباب المصرية (كانت ساتي ربة جزيرة أسوان) عند ما يراد القسم ثم انهم لم يبالوا بالحظر التقليدي عليهم وانشئوا في ذاك الرجا البعيد معبداً لعبادة رب اسرائيل غير مبالين ان ينافس معبد القدس وليس المعبد الذي اقاموه عبارة عن كنيس بسيط او مصلى صغير بل هو معبد حقيقي مستوفٍ للشروط وفيه مذبح تراق فيه دماء الضحايا ويصعد منه دخان البخور كأن اليهود اذ ذاك في هاتيك الجزيرة هم في عهد عزهم واسعد ايامهم كما كانوا في صهيون.

اصغت الحكومة الفرنسوية لطلبي وارسلت بعثة علمية تحت رئاستي الى أسوان في السنة الماضية للبحث عن حارة اليهود فيها او لتحديد موقع معبد رب اسرائيل ان امكن وكانت هذه المسألة من اعقد المسائل لان معرفة موقع المعبد كانت معلقة على معرفة ما اذا كان موجوداً في مدينة أسوان المنفصلة عن الجزيرة بذراع من النيل او على العكس كما كنت اظنه في الجزيرة نفسها. وانا اقطع منذ الآن ان المسألة مبتوتة في هذا الشأن.

ولقد دامت الحفريات اربعة اشهر يعاونني فيها اخلص تلاميذي واقدمهم المسيو كليدا فقاسينا في عملنا عرق القربة وكانت اعمالنا لاول عهدها تدعو الى اليأس ولا سيما فيما يتعلق بغايتي الخاصة. وذلك انا لما وصلنا الى الجزيرة رأينا بعثة المانية قد سبقتنا اليها منذ مدة واختصت دوننا بطبيعة الحال بالموقع الحسن لاجراء الحفر واختارت اقدم بقعة يرجى ان يكون فيها خير كثير ويسهل على المعاول ان تحفر فيها.

فا كتفينا بما اغفلته تلك البعثة من الاراضي واخذنا نجيل فيها قداح انظارنا ونضرب فيها معاول عمالنا ولم يأتنا الحفر مدة شهر بن بغير بعض الآثار المصرية واليونانية ولكنها كانت بكثرة ونادرة بنوعها ومنها عدة مسلات فرعونية وتمثالان جميلان لتوتمس الثالث مصنوعة من حجر الكرانيت الاسود ولا سيما قبر الرب خنوم اوشتوب اكبر ارباب أسوان وهو الذي لم يكن على اتفاق مع اليهود الذين وقعوا على الشكوى المذكورة آنفاً . وعثرنا على قاعة تحت الارض لم تمس باذى تحتوي على نواويس من الكرانيت والحجر الرملي جعلت عليها اغطية مذهبة وجملت باجمل زينة من الصور والنقوش وهناك خمسة عشر كبشا محنطة مقدمة للثورابيس على نحو ما اكتشف مثالاً من ذلك قديماً ماريت الفرنسوي في مدينة منفيس .

كل هذا حسن ونافع في ذاته ولكنه لم يقف دونه غرضي . لاني لم اتحمل مشقة السفر الى أسوان لبحث عن العاديات المصرية بل للبحث عن الآثار اليهودية . وبعد ان كدنا نصل الى أخريات وقت بعثتنا عثرنا بعد الجهد الجهيد على حارة اليهود الآرامية وظفرنا بكمية من النقوش المزبورة على الفخار مغشاة بكتابات آرامية يهودية . وقد كتب معظمها من وجهين . وهذه الكتابات النادرة على كثرة الخرق فيها قد اطلعتنا على جزء من المراسلات الودية اليومية التي جرت بين يهود جزيرة أسوان واخوانهم يهود مدينة أسوان وقد كتبت في زمن واحد مع اوراق البردي الآنف بيانها وبخط واحد ولغة واحدة حتى ان في جملة الموقعين عليها نفس الاشخاص الذين عرفناهم بتلك الاوراق البردية . وذكر فيها اسم رب اسرائيل بصورة من الاملاء خاصة لم تكن تعهد . ولا شك انه متى تمت قراءة هذه الآثار الفخارية نطلع على امور جديرة بالنظر وكبيرة الخطر والقيمة .

وقد كان داهمنا الحر بخيله ورجله فاوقفت العمل في شهر ابريل وسنعاوده بعد اسابيع بفضل ما جاد به المجمع العلمي ووزارة المعارف من المال ومامد به يده من المساعدة رصيفي المسيو ادمون روتشلد واني على ثقة من اننا نوفق هذه المرة الى الظفر بموقع معبد رب اسرائيل وقد اكتشفت البعثة الالمانية التي كانت تعمل بالقرب منا برئاسة المسيو روبنسون اوراقا من البردي الآرامية اليهودية وُكل امر قراءتها للمسيو ساشو من برلين وقد نشر كلامه على ثلاثة منها . واهمها صك رسمي ذو شأن عظيم يفيد فوائد كثيرة في تاريخ اليهود والتوراة وهذا الصك عبارة عن محضر مؤرخ في اليوم العشرين من شهر مارحشوان من السنة السابعة عشرة لحكم دارا (٤٠٨ قبل المسيح) بعث بها الى السيد باكوهي والي الفرس في بلاد فلسطين ارسلها اليه يدوناه ورصفاؤه من كهنة أسوان باسم جميع سكان تلك المدينة من اليهود ولقد اتى الموقعون على ذلك المحضر بعبارات تكاد تكون بمعناها مشاكلة لما في ورقة البردي

المعروفة باسم تور بن وكلها دائرة على الدعاء له بان يمنحه رب اسرائيل بركاته ودعاء له ان يحفظ عليه رضا دارا مولاه ورضى الال الملوكي وقد ذكروا له ان الكهنة المصريين للمعبود خنوم في أسوان قد كادوا لهم مكيدة عند ما تغيب مرزبانهم في مصر المدعو ارسام الذي كان قصد الملك بدعوة منه وتربصوا بهم الدوائر عند واليها المدعو ويدانغ الذي رشوه بالمال فحصلوا منه على امر يوعز به الى قائد أسوان العسكري ان يذهب لتخريب معبد رب اسرائيل في جزيرة أسوان قائلين ان هذا المعبد كان انشيء قديماً على يد آبائهم وكان موجوداً قبل ان يفتح كمبيز مصر فلم يربداً من احترامه على حين خرب سائر معابد المصريين ويفهم من ذلك ضمناً ان المعبد كان بناء هائلاً مبنياً بالحجر النحيت وهو ذو سبعة ابواب اثرية وعمد من الحجارة وسقف من خشب الارز . وقد نفذ امر الوالي ويدرانغ بلا شفقة في الحال واعان الجند جمهور من المصريين فخربوا المعبد المقدس وحرقوا ما فيه وحطموه ونهبوا الاواني الذهبية والفضية وسائر الاعلاق النفيسة . فعم الحزن سكان اسوان باسرهم رجالهم ونسائهم واولادهم من اجل خراب معبدهم ولبسوا الحداد واخذوا ينتحبون بكاء وصاموا وضرعوا الى رب اسرائيل ان ينتقم من الظالمين . واضرب القوم عن التزين وتعاطي الخمر فاصبح النساء كالايامى . وبعد حين نكب الوالي ويدرانغ وجاد بنفسه مضطراً وهلك جميع من نفذوا امره في خراب معبد ابناء اسرائيل فكفروا بذلك عما جنت ايديهم بيد ان اصحاب المحضر لم ينالوا الى ذاك اليوم على كثرة ما بذلوا من المساعي رخصة باعادة بناء معبدهم بحيث قضوا ثلاث سنين في حزن لانهم لا يتمكنون من تقديم الضحايا الدينية وايقاد البخور وعرض الذبائح على معبد رب اسرائيل . وعبثاً توسلوا ايام نكبتهم بخراب معبدهم بباكوهي والي بلاد اليهودية وبيوهوحانان الكاهن الاعظم في القدس وبسائر الكهنة رصفائه وباخيه استان الثاني وامراء اليهود في فلسطين فلم يأتهم جواب ولذلك وضعوا آمالهم ثانية في باكوهي ان يرضى عنهم ويجعلهم في حل من اعادة بناء معبدهم في أسوان كما كان من قبل وهم لقاء هذا المعروف الذي يسديهم اياه يقدمون لاسمه الضحايا الى رب اسرائيل على المذبح الذي يقيمونه لتمجيده وعبادته قالوا وان جميع يهود أسوان رجالاً ونساء واولاداً لا ينفكون يباركون على باكوهي ويدعون له ثم هم زيادة على الضحايا والذبائح يقدمون له دخلاً قدره الف بدرة من الفضة خلا عنك الذهب الذي اخبروه بانهم سيؤدونه اليه اذا رضي باجابة طلبهم (ما اقدم البخشيش في الشرق) وذكروا في الختام بانهم اطلعوا على ذلك كلاً من دلاياح وشلاياح ابني سانابالايات حاكم بلاد السامرة وان الكاهن ارسام لا يعرف من ذلك شيئاً .

اما الصك الثاني فيكاد يكون مخرقاً كله ويحتوي مع بعض اختلاف على صورة ثانية من هذا المحضر الذي احتفظ مرسلوه بصورته ومسودته . وفي الصك الثالث عبارات كثيرة تشير الى ان يهود أسوان رخص لهم باعادة معبدهم بفضل توسط باكوهي ودلاياح فاعادوه الى ما كان وعمروه بالعبادة ومما لا شك فيه ان بعض الاوراق التي لم نقرأ قد ذكرت فيها اكلاف المعبد ونفقات بنائه .

وهنا لا ارى بيان فائدة هذه الاوراق وموقعها من نفوس العلماء فقد احيت في نظرنا رجالاً اشتهر امرهم في التاريخ وهم من الطراز الاول وذكر فيها اسم يوهوحانان الكاهن الاعظم في بيت المقدس وسانابالات والي السامرة وهما مذكوران في التوراة ووالي اليهودية باكوهي وقد ذكره فلافيوس جوزيف المؤرخ اليهودي باسم معرف عن اليوناني وهو باكواس وهذه الورقة هي صفحة صحيحة من عهد حوادث ينبغي اضافتها الى سفر نحيميا . فهل يكون من حظ البعثة الافرنسية ام من حظ البعثة الالمانية يا ترى الظفر هناك بتوراة يرد عهدها الى ما قبل المسيح بخمسة قرون في حفرياتنا الجديدة ؟

مطبخ الفقير

من مبحث للدكتور فيليكس رينيول في المجلة الباريزية

طعام المتوحش غليظ كبنيته

اصبح افقر البائسين لعدنا في مأمن من الجوع على ان المتوحش لا يزال عرضة للمجاعة لا لأن الطعام المذخور عنده قليل بل لانه يجهل الزراعة وتربية الماشية . وتختلف موارد عيشه من الصيد والقنص كثيراً اذ ليست ابداً منه على طرف الثمام . ومامثل المتوحش الا كالجوارح الكبيرة من النمر والفهد يصيد الصيد تلذذاً بالقتل وهو لا يحسب للغد حسابه ولما كان على جهل بطريقة تجفيف اللحم والتقديد اصبح من الصعب عليه ان يدخر اللحوم لاوقات القلة . وهناك امور من الخرافات المضحكة تزيده بلاء . وذلك انه يرى بعض الحيوانات مقدسة ويعتقد انها اجداد قبيلته فاذا رآها اتخذها طوطه وحاميه ويعد نفسه اذا قتلها كانها بانه خرق الحرمة وعبث باقدس المقدسات . يتقزز المتوحش من جميع الاطعمة التي لم يعتد

تناولها قط فان تغذى بلحوم الصيد تأنف نفسه من تناول السمك وان اغتذى بالسمك يعاف اللحم . ومع هذا تراه يعمد الى اختيار الاطعمة الغليظة . ان جاع عمد الى الحبوب البرية والجذوع الخشبية واسترط الحشرات والديدان واخذ القمل عن اخيه يقضمه (١) ومعلوم ان لا شيء يخلو من صوالة مغذية حتى التربة الصلصالية التي تغتذي منها ديدان الارض احسن تغذية والانسان يدبر على مثالها فيكون من اكلة التراب ولكن امعاءه لا تهضمه فينتفخ بطنه ويحدث التهاب في الاحشاء يكون منه الموت

اذا اسعد المتوحشين الحظ فقتلوا حيوانًا كبيرًا او صادوا سمكة ضخمة يقعون عليها كالحيوانات الجائعة . فقد وصف لنا ارباب الرحلات شراهتهم الحيوانية فان الصائدين من قبائل الهوتنوت في افريقية الشرقية اذا ضربوا فرس بحر يفتحون جثته وهو حار ويأكلون احشاءه كما تأكلها الكلاب . واذا سقط حوت على الشاطئ يخف سكان اوستراليا الجياع عراة كيوم خلقوا وينغمسون في الدهن ويلهمون قطع لحم الحوت الكبير بلعًا ولا يرجعون عنه الا وقد امتلأت كراشهم وشبعوا وانتفخت بطونهم فينامون بعد ذلك طويلاً . بيد انه لا يجب علينا ان نسخط مما يبلغنا عن اولئك المنحطين في سلم المدنية فان فلاحينا يأتون في ولائمهم من الاكثار من الطعام والشراب ما لا يقفون فيه عند حد ولولا ان انواع الاطعمة تختلف لقلنا انهم المتوحشون بعينهم .

المتوحش اذا لم يتخير رديء الاطعمة فهو لا يعرف الطبخ ولا اعني بذلك انه لا يجيد طبخ طعامه بل انه لا يعرف كيف يطبخه ولا شك انه لم يعهد الى الآن قوم مهما انحطوا في دركات التقهقر يجهلون ايقاد النار . ولكن من القبائل من لا تحسن الانتفاع بها وهي توقد جذوة على الدوام لتظل النار عندها بلا انقطاع . ولا عهد لهم بأواني الطبخ لما ثبت من ان بعضهم يجهلون صنع الفخار فيلقون حجرًا محمى في الماء اذا ارادوا تسخينه وهم على جانب من الكسل بحيث يؤثرون ان يأكلوا معظم المآكل نيئة كالديدان والهوام والاسماك ويقضمون بفكوكهم القوية الجذوع القاسية والاثمار الليفية .

قال المترفه بريللا سافارين الفرنسوي مؤلف كتاب فسيولوجيا الذوق (١٧٥٥ ـ ١٨٢٦)

(١) لا يظن القارىء ان في هذا القول مبالغة فان قبائل التشوكش في سيبريا كما قال الرحالة نورد انسكيولد يأكلون القمل الذي يمشي على الطبول . والرجل وامرأته من هنود كويانا في اميركا الجنوبية يبحثان كالقرود عن القمل ويقضمانه وكذلك حال الشحاذين من الصينيين .

قل لي ما تأكل اقل لك من انت . وهذه الحكمة يتيسر لعلماء الانسان ان يطبقوا عليها ابحاثهم وذلك ان طعامه قلما يكون صالحاً للاكل وان للمتوحش فكوكاً ضخمة مستطيلة واضراساً غليظة واعصاباً لمضغ قوية . وعند ما يتحضر تحسن اطعمته وتخف قوة شدقيه واسنانه .

يقول المسيو حنا فينو انه ليس بين الاجناس المتمدنة من البشر فروق كثيرة وعلى العكس في الاجناس المتوحشة فان بينها و بين المتمدنة اختلافاً كثيراً في الدور الظاهرة والحواس الباطنة . وظن بعض علماء الانسان بان هذه الاختلافات هي على اطلاقها على انها مما يمكن تعديله و بذلك يتسنى لنا تعليلها . ولقد كانت اول الاكتشافات في اول عهد الحضارة هي اكتشافات الطبخ فقد رفع القدماء الى مصاف الارباب الاذكياء الذين علموهم زراعة الارض وتدجين الحيوان وصنع الخبز وتخمير المشروبات .

افراط المتمدنين في المآكل . الاطعمة التي يتقزز منها والتي يرغب عنها

قلما ان المرء اليوم يكاد يكون في مأمن من الجوع ولكن الشر الذي عجز الوجود ان يسومه اياه اصبح خاضعاً له بواسطة الحروب مختاراً . فاذا حوصرت مدينة بعمد الجياع من اهلها الى تناول الاطعمة القذرة كالكلاب والقطط وجرذان المجاري وسائر اصناف الحيوان و يذكرون ان الجلد والعشب والخشب لها بعض الخصائص في التغذية والضرورة احكام .

تجد مائدة الفقير في الاوقات المعتادة مغشاة بالاطعمة التي هي اكثر تغذية والطف طعوماً مما يقنع به اخوه الفقير الحقير ولذلك يستهين بالاغذية التي تطيب بها نفس اخيه المتوحش فتعاف نفسه الحبوب والجذوع والحشرات والديدان وكل ما يدب و يطير علماً منه بان مثل هذا الغذاء لم يُخلق له . على ان جودة التحضير قضت على الفرنسيس ان يتناولوا اتخاذ الضفادع والحلزون . والانكليز يتقززون من الفرنسيس مع انهم لا يستنكفون من تناول فطير الغراب .

الفقير كالمتوحش عدو التجديد Misonéiste في كل ماله علاقة بغذائه فهو يأبى تناول احسن طعام اذا لم يعتده منذ طفوليته . ولم ننس ما قاساه بارمانتيه في القرن الثامن عشر حتى صير البطاطا مألوفة بالاستعمال بين الناس . وقد مضت اعوام قبل ان يقبل الفقير باستعمال لحوم الخيل مع انها مغذية جداً ولا نزال الى الآن في جهاد حتى يألف الناس استعمال السمن النباتي المستخرج من الجوز الهندي على ان في استعماله اقتصاداً وهو سهل المهضم لذيذ الطعم يأبى العملة الاعتياد عليه وبعض اهل الطبقات الوسطى تقبل عليه .

نحن كالمتوحش نسرف في الطعام . ويصعب تقدير كمية الطعام التي تلزم كل يوم في

علبة الفضلات وليتنا نحسب الارغفة البائتة التي تطرح طرح الزوائد وليت جمعيات الاحسان تتمكن من جمعها لتعمل بها ثريداً او حساء لالوف من الفقراء . ولا يخلو واحد فينا من الاسراف في الطعام حتى الجند في ثكنتهم فانهم يلقون بفتات الخبز الاسمر . اما سائر الاطعمة فلا ننتفع بها لكثافتها على ان فيها ما لا يزدرى به وينفع كل النفع . فمثلاً كل صباح في اسواق باريز عجلات الصوالات والفضلات بمواد يسهل استعمالها وذلك ان القوم يطرحون رؤوس الاسماك ولا سيما « الكابيلو » و « الكولين » ولو اخذت لصنع بها حساء لطيف .

وربما اعترض معترض فقال ان هذه الفضلات قليلة واذا صارت تباع ترتفع اثمانها على اننا لو فرضنا ان رأس سمكة الكولين يبع بخمسة وعشرين سنتيماً وصرف في الارز والطماطم والبصل والبقدونس والصعتر والملح والثوم والنار نحو فرنك يكفي الحساء المستخرج على هذه الصورة بفرنك واحد لاطعام ثمانية اشخاص .

تعمل سلاطة مقبلة باوراق القضبارون (سفورجنة) وان سفير (الاوراق الذابلة) الفجل اذا استعملت كما يستعمل السبانخ تطيب وتلذ وان الجزء الاخضر من الكراث الذي يطرح في العادة يمكن الانتفاع به في الحساء حتى ان الاوراق الخارجية وبقايا (قرمبية الملفوف تحتوي على مواد مغذية . نعم ان الناس يخشون من اليافها الصلبة ولكن اذا اجيد اجيد طبخها واطيل الاطالة اللازمة وسحق سحقاً كافياً لا يخشى منها . والناس يلقون ايضاً فضلات رؤوس البقر على حين تستخدم في زيادة طعم حساء البقول ولكن العامل يصنع منها مرقاً بالخضر وهو لا يعرف الا المرق المطبوخ بالبقول الناشفة المقسمة احسن تقسيم ويأبى اباؤه ان يغتذي بمثل هذه الفضلات .

وهناك بعض المواد يمكن الانتفاع بها في الغذاء على شرط ان تحضر تحضيراً خاصاً ولطالما بحث الباحثون من اجل الانتفاع بالالياف العظمية tissu osseux فان الكلاب يأكلها جيداً واذا لم يستطع الانسان ان يجري على مثاله فذلك لان ماضغيه واحشاءه ضعيفة . ولقد حاول كثيرون منذ قرون ان ينتفعوا بالعظام او بالهلام (الجلاتين) المستخرج منها ليطعمها الفقير واستعملت طريقة الكيماوي « ابرت » في استخراج الهلام من العظام لحفظ الماء كولات ولكن الجلاتين المستخرج على تلك الكيفية لم يستعمل الا في المصنوعات وقد ثبت من بعده ان الجلاتين اقل تغذية مما كان يذهب اليه الناس من قبل فهو يزيد الحرارة في الجسم ولكنه لا يقوى على تقوية انسجتنا ولا تجد فيه خاصية اللحم والالبومنيد واذا تغذى الكلب بالجلاتين خاصة يموت لساعته .

جمود الفقراء وغيرهم على احسية واحدة

يقول علماء الاقتصاد حيثما يخرج رغيف يولد انسان · يريدون بذلك ان سكان كل بلد على نسبة غناها في غذائها واذا كان الجمهور يزهدون في جميع هذه المواد النافعة في التغذية التي تكثر سواد الناس اما في طاقة دور الاحسان ان تستخدمها وتحسن استعمالها ؟ كانت العقيلة روبرت اول من فكر سنة ١٨٤٠ في تحضير وجبة طعام لفقراء باريز لقاء اربعة فلوس وطعامها مؤلف من حساء بالمألوف وقطعة من الثريد والخبز وقدح من الخمر · ثم كان عقيب ذلك ان صار يقدم حساء بلا مقابل للفقراء وكان بربيان اول رجل من اصحاب مطاعم الفقراء اخذ يوزع الطعام على المساكين · ومع ما دخل هذه المطاعم من الادوات التي تهيء الاطعمة اسرع من ذي قبل وعلى صورة احسن مثل ادوات القطع والفرم والسحق فان هذه المطاعم لم ترتق الارتقاء المطلوب وامثال هذه الادوات تستخدم للانتفاع بالمواد التي تطرح ولا تستعمل بالنظر اصلابتها وذلك بان تحيلها الى ثريد يسهل تشبيهه بالثريد المعروف وهكذا الحال في انواع الاطعمة فان مطاعم الشعب لا تبحث لصنع حسائها عن الحبوب التي تكثر تغذيتها وتقل قيمتها كالارز والشعير والقرطمان ·

ولعل هذا ناتج من ان للفقير من عزة النفس ما يحمله يأنف من بعض الاطعمة حتى انك لو قدمت له طعاماً مؤلفاً من الفضلات اللذيذة لرأى في المسألة نظراً · وكثير من الفنادق توزع بقايا الطعام على الفقراء · وقد قال احدهم يوماً وخدام احد الفنادق يريدون ان يطعموه : انهم اكلوا الاطايب ولم يتركوا الا الاخابث · واظهر من هذا صراحة ما قاله الدكتور فيرون : اريد ان اعرف ماذا جرى للكمأة فانني لا اجدها قط ·

الا وان كل اختراع في هذا السبيل ليصعب ويسوء قبوله بين هؤلاء الزبن وما اظن انه لو قام احد المحسنين في هذا القرن وانشأ يطعم الفقراء من الفضلات التي تطرح في الازقة على طريقة علمية الا ويكون شأنه شأن سويه الفرنسوي منذ ستين سنة · وهذا الرجل كان من اعظم الطهاة اشتهر في وقته وله شراب منسوب اليه كما له مرق اشتهر به فقد كان مديراً لمطابخ « ريفورم كلوب » في لندن · فزعم انه اكتشف طريقة لمكافحة القحط في ايرلاندا واسس في احد شوارع دوبلين بامر الحكومة مطعماً للشعب واحتفل بافتتاحه فحضر الاحتفال جمهور كبير من الناس ومنهم رئيس اساقفة دوبلين ونائب ملك ايرلاندا وقدم للناس سبعة انواع من الطعام على اخونة لطيفة وفي اوان حسنة وكانت نكهة انواع الحساء تنبعث كالعطر واستطاب الناس تلك الاحسية واقبلوا على محله اقبالاً غريباً يغدون خماصاً ويروحون بطاناً · دام الحال على هذا المنوال شهراً واولمت الولائم لسويه في المدينة حتى ان نائب الملك

دعاه لتناول الطعام على مائدته . واخذ الفقراء يباركون اسمه لانه كان لهم بمثابة المسيح الذي انقذهم من مخالب الجوع والمخمصة وفي خلال ذلك عزمت دار الندوة ان تقرر انشاء مطابخ للشعب تشبه مطعم سويه في بلاد الاقاليم انقاذاً للناس من فتكات الجوع وعندها خطر لسويه ان ينشر كراسة يكتب فيها كيفية تحضيرة هذه الانواع من الاحسية قائلاً ان لحومها قليلة وكثير منها خالٍ من اللحم بالمرة فقامت الجرائد المعارضة تشهر عليه حرباً عواناً قائلة ان انواع هذا الحساء لا تغذي طاعمها وتفسد بنية الانسان وينشأ عنها امراض شديدة بل مهلكة وذهبوا الى ان انكلترا رأت في هذا الطعام القتال احسن واسطة لالقاء السلام في ايرلاندا للتخلص بصور شريفة من ألوف من البائسين المعربدين لان وجودهم كان على الدوام سبب القلق على سياستها وحملاً ثقيلاً على الميزانية . فاضطر صاحبنا سويه الى السفر خفية توقياً مما يلحقه من الاذى وربما كان صلب .

تعليم العامل كيف يحسن ابتياع طعامه واجادة طبخه

لسنا ندعو المحاويج وحدهم الى الانتفاع من علم التغذية بل ان العامل والمتوسط على اختلاف طبقاتها بل جميع ابناء الوطن يتيسر لهم ان يستفيدوا منه فقد اجاد لاسال احد زعماء الاشتراكية في المانيا (١٨٢٥ — ١٨٦٤) بقوله ان المسألة الاجتماعية هي اولاً مسألة طعام واكل . وقد اثبت الاطباء لاندوري ولابي وروم هذه النظرية التي قال بها ذاك الاشتراكي فاذا كان السل منتشراً في المدن الكبرى فهو ناشئ في الاكثر من قلة التغذية يضاف اليها اسباب اخرى من البؤس كالتعب والادمان على الشراب والعادات الرديئة .

والذي يظهر لمن ينظر في الامور نظراً سطحياً ان العامل يغتذي احسن تغذية ويختار اجود انواعها وان امرأته تبتاع للبيت يوم يقبض زوجها اجرته احسن الحاجات البيتية فيكثر اهل البيت من الاكل ومن الغد تنقلب وليس عندها شيء فتحمل زوجها على الاقتراض ريثما يقبض عمالته ومن اجل هذا تجد في حي الفقراء في باريز اجود انواع البطاطا واحلاها واحسن اجناس السمن والسمك فتبتاع زوجته ما شاءت منها بدون حساب وكيفما اتفق لها على حين لو اشترت بالجملة ودققت في حسابها لكان ما يكفها بالمفرق فرنكاً وربما لا يكفها اكثر من خمسة وثمانين سانتيماً في الجملة .

ثم ان العامل معتقد بان كل طعام رخيص الثمن فيه ربح له وهو لا يحسب تلك الفضلات التي لا تؤكل . فمن وزن اللحم يجب اسقاط العظام والجلود « الجلاميط » والعراقيب ومن السمكة احشاءها وحسكها ومن البيض قشره ومن الجبن قشرته ولكل خضرة نفاية ولكل ثمرة قشرة او بزرة او ساق « عقب » ثم ينبغي ان تلاحظ كمية الماء الموجودة في المواد

وان لا ينسى ان البقول الناشفة ولو كان ثمنها اغلى فانها خير من الطرية لقلة المائية فيها ولحم العجل وان كان ارخص من لحم البقر فليس هو احسن منه لما فيه من المائية وقلة التغذية وهكذا لكل بقل ولحم فضلات وحثالات وعندي ان تجمع هذه المعلومات في شكل قائمة تنشر في كراسة ليعرف جميع الناس ان مئة غرام من اضلاع العجل تعادل في تغذيتها ١٢٩ غراماً من صدره ولا يفوت الناظر قيمة التتبيل والوقود . على ان علماء الاقتصاد لا يحسبون في العادة حساب هذه النفقات و يعدونها طفيفة مع ان لها شأناً في تحضير الطعام

وهناك شيء آخر لا يحفل به عيال العملة واعني به الوقت وذلك ان نساء العملة يشتغلن ايضاً في المعامل حتى اذا جاء المساء يضطررن لان يسرعن في تحضير الطعام فلا يجدن ايسر من « البفتيك » والاضلاع والمشوي ولذلك يكثر استعمال هذه الانواع في احياء العملة وربما ابتعن اللحم المقدد والثريد المصنوع والبقول المطبوخة الحاضرة . اما وانه يصعب فصل النساء الفقيرات عن معاطاة الاعمال فمن العبث ان يعلمن اساليب الطبخ والتفنن فيه فما اجدر ان يعنى الطباخون بتحضير اطعمة خاصة بالطبقات النازلة بثمن بخس ومؤلفة من مواد جيدة

من المتبلات اللذيذة التي ذقتها واستطبتها وهي من تحضير المسيو مونتانيه ولا تكلف الانسان اكثر من عشرة سانتيمات مربب التفاح وكيفية صنعه ان تأخذ ٥٠٠ غرام من التفاح من الجنس المعروف بر ينت (Reinette) و ٢٠٠ غرام من الخبز البائت و ٢٥ غراماً من السمن و ٥٠ غراماً من السكر و ٣ ديسالترات من الماء . وهذه المواد لا تكلف اكثر من خمسين سانتيماً بالجملة وتكفي لطعام ستة اشخاص . وكيفية تحضيرها ان تقشر التفاح وتقطعه قطعاً كبيرة وتقطع الخبز قطعاً ناعمة وتلت اسفل الصفحة « الطبق او الصحن » بعشرة غرامات من السمن وترش ملعقة صغيرة من السكر ثم تضع سافاً من الخبز وسافاً من التفاح وهكذا الى ان تأتي عليهما ثم تضيف اليهما ما بقي من السكر والسمن وتقسمه الى قطع وتبله بالماء وتضع الصفحة عشرين دقيقة في الفرن وتتناول ما فيها في الحال . ثم انه يمكن ان يجوّد هذا المربب اكثر من ذلك بزيادة نفقة قليلة وان يجعل دسيلتران من اللبن بدل الماء يضاف اليه بيضة مخلولة ويمكن زيادة كمية السكر وان تحسن رائحته بان يوضع فيه قشرة من الليمون او البرتقال اوالقرفة

يجب تغيير الطعام بحسب العمل وما يجب على العامل معرفته

هب ان العامل يعرف ان يبتاع طعامه و يطبخه فان المسائل الاقتصادية والصحية ليست وحدها هي التي يطلب حلها بل ان الاهم منها هي المسألة الفسيولوجية التي يجب ان يكون لها مبدأ صريح اذا اراد العامل ان يضمن صحته وعمله . فان الفسيولوجي يعلمنا بان الطعام يجب

تنويعه بحسب نوع العمل بحيث يكون منه ثلاث منافع : اصلاح الانسجة التي تبليها اعمال الحياة واعطاء الحرارة التي تحفظ على الجسم حرارته وايراث القوّة اللازمة لكل عمل عضلي. فنحتاج للقيام بهذه الحاجيات الثلاث الى ثلاثة عناصر اولية الالبومنيد من اللحم والبيض والبقول والدهن الحيواني او النباتي وهيدرات الكربون او الدقيق الذي يكثر في البقول فالالبومنيد يصلح من انسجتنا والدهن يعطي الكالوري والدقيق يعين على العمل و يعطي المرء كمية من الحرارة . ولجعل التغذية على نظام مخصوص يجب ان يوضع موضع العناية لا المناخ والفصل (اذ من البين ان في الشتاء يحتاج الجسم الى كمية من الكالوري اكثر من الصيف) ولا اختلاف احوال الحياة (اذ ان المرأة الحبلى او التي ترضع والولد الذي ينمو يحتاجان الى انشاء انسجة جديدة فيهما) بل ينبغي ان ينظر الى نوع العمل .

ومنذ مدة بحث الدكاترة لاندوزي وهنري ومارسل لابي في تغذية مئة من العملة والمستخدمين في باريز فكان لبحثهم رنة كبرى وذلك انهم قسموا العملة الى اربع طبقات جعلوا في الاولى جميع العملة الذين يعملون اعمالاً بدنية كالنجارين والحفارين والنقالين (Coltineur) والحمالين وصناع الحديد الخ . هؤلاء العاملون يكثرون من تناول اللحم فيأكلون مئتي غرام في اليوم وقلما يتناولون المعجنات المغذية والبقول والدقيق (Féculent) والسكر و ٤٠٠ غرام من الخبز و ١٩٠ غراماً من البقول ونصف لتر من الحساء ولا يتناولون سكراً بل يفرطون في تناول المسكرات على انواعها فيكرعون ثلاث ليرات من الخمر و ١٥٠ سانتيمتراً مكعبا من الابسنت و ٤٠ سانتيمتراً مكعباً من الالكحول على درجات مختلفة . والطبقة الثانية العملة الذين يعملون اعمالاً معتدلة كمن يشتغلون في المصانع او المعامل الميكانيكية والنجارة الخفيفة والقفالين وغيرهم فهؤلاء يتناولون ايضاً لحماً كثيراً فيأكلون ٢٢٥ غراماً منه وقليلاً من المواد النشوية والمعجنات المغذية والاحسية والبقول والاطعمة المعمولة بالسكر فيأخذون ٤٠٠ غرام من الخبز و ٧ غرامات من السكر و ربع لتر من الحساء ولتراً من الخمر و ٥٠ سانتيمتراً مكعباً من الالكحول من درجة خمسين .

والطبقة الثالثة من العملة الملازمون للجلوس ككتاب الادارات ومستخدمي المخازن وعملة المكاتب التجارية وغيرهم فهؤلاء يكثرون من كل شيء ولا سيما من اللحم والالبومين النباتي والبيضي فيأكلون ٥١٠ الى ٥٤٠ غراماً من الخبز و ٤٠ غراماً من السكر والشوكولاتا ولا يأخذون حد الكفاية من البقول الطرية والمأكولات المعمولة بالسكر ويكثرون من المقبلات الالكحولية والمشروبات فيأخذون ثلثي لتر من الخمر و ٨٠ سانتيمتراً مكعباً من الالكحول على خمسين درجة وعلى العكس من ذلك فانهم لا يشربون ماء نقياً بقدر ما يجب

ومعلوم ان الماء ينفع في تنقية الانسجة غير العاملة في الجسم . والطبقة الرابعة عبارة عن العملة والمستخدمين كالخياطات وبائعات الازياء (Midinette) ومستخدمات المحال التجارية وغيرهن فانهن ايضاً يرتكبن اغلاطاً كبيرة تخالف قواعد صحة الغذاء فيأكلن اطعمة كثيرة قليلة التغذية والادام كالسلاطة والنجل والمرق المخلل والقثاء والثمار الرديئة واقل من حد الكفاية من كل نوع فيتناول الفرد منهم ٢٥٠ غراماً من الخبز و ٧ غراماً من اللحم و٨٠ غراماً من البقول وربع لتر من الخمر .

ولا يفوتك ان المستخدمين الملازمين للجلوس وحدهم يأكلون في الصباح قبل تعاطي اعمالهم وما عداهم فانهم يبدأون باشغالهم على الريق .

ويرى الاطباء المشار اليهم انه يلزم للعامل الذي يبذل من قوة جسمه ٣٦٠٠ من الكالوري كل يوم وللعامل المعتدل ٢٦٠٠ وللعاملين الجالسين على كراسيهم ٢١٠٠ ولبائعي الازياء ٢٠٩٠ وهو حد الوسط الكافي ولا ينبغي تطبيقه بالحرف بل ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص وقاماتهم ووزنهم واعمالهم . فاذا احب العامل الالبومين لتغذيته فعليه بسمك الارنكة والجبن ونخذ الخنزير والبقول الناشفة فان فيها بغيته بثمن معتدل وعلى العكس في اللحم والبيض فانها مواد غذائية تعد من نعيم البطون . ولكي يحصل على الهيدروكربون عليه ان يستعمل البطاطا فانها في الدرجة الاولى برخصها ثم الارز والخبز والسكر والبقول والثمار الناشفة . واذا اراد الادهان فليعمد الى دهن الخنزير وشحمه وانواع الجبن والشوكولاتا

هذا وقد عرف جميع المشرعين مكانة تنظيم التغذية وقد حرم موسى على العبرانيين لحم الخنزير والحيوانات المقدسة لفكر ديني كما حظر مانوي على الهنود لحم البقر . وما زالت معتقدات المتوحشين بشأن الحيوانات التي يعدونها اجدادهم واعتقادهم بالطوطمية موجودة الى اليوم عند ابناء هاتين النحلتين وتجعل لهذا الحظر وجهاً من الشرع . وقد كان ليكورك اول من سن للاسبارطيين ان يتخذوا اطعمة تامة يعتمد عليها كالحساء الاسود اما الآن فان الافكار اكثر حرية في هذا المعنى فلا تقدر الحكومة ان تستعبد ارادة المحكوم عليهم في طعامهم فليس احسن من ان نعمد الى طريقة الامتناع من طريق الخطابة والكتابة وعلى اندية كليات الشعب خاصة ان تبين امثال هذه الموضوعات وان تنشر كراريس رخيصة لنشر هذه الافكار . والتعليم الديني الذي يعلم في المستقبل هو تعليم التغذية في الحقيقة .

الاسرة (١)

قامت الاجتماعات البشرية الاولى على مناسبات طبيعية منشأوها روابط عصبية وميل الى ارض واحدة واتحاد في العادات واجتماع على اسباب المعاش ولم تتألف لاول امرها الا من أُسرات منفردة ثم تقارب بعضها من بعض فتألفت منها جماعات جدد . وما احتيج في العقود الزوجية بادي بدء الى اقامة الحفلات لان الرجل والمرأة كانا يعملان كلاهما اعمالاً شاقة تضطرهما الى جهاد متواصل ويختلطان اكثر من اختلاطهما اليوم . وما كان يطلب من النساء ما يطلب منهن على عهد التمدن الحديث او ما يطلبنه لانفسهن فيه من اساليب الظرف والكمال فان هذا كله لم يكن في تلك الادوار معروفاً كما لا يشاهد الآن في العناصر المنحطة من البشر . وكان بين الرجال والنساء من التمازج الذي يسقط دونه التمايز والنسبة هي صلة القربى والابناء ينسبون لأُمهاتهم .

ثم حدثت رغبة التزوج بزوجة فنشأ من ذلك الزواج بالبيع اي بيع حقيقي عند الشعوب الاولى و بالبيع في الظاهر فيما بعد ثم نظم الزواج انواع التنظيم المختلف . فتيسر بذلك للاغنياء و زعماء القبائل ان يأخذوا عدة زوجات ونشأ من اجل ذلك الضر بعد ان كان الابناء يدعون لأُمهاتهم . وما زال الضرُّ اي تعدد الزوجات شائعاً في آسيا وافريقية وذلك للعادة المتبعة في تسليم الاعمال اليدوية للنساء بحيث يكون منهن اعظم مساعدو ينتفع بجهادهن احسن انتفاع .

الضر وان كان من طبيعته جائراً فهو خطوة نحو التقدم اذا قيس بما كان البشر يألفونه من قبل من نسبة الابن لامه وذلك لان الاب والام معروفان فيه . فقويت درجات القرابة اكثر من ذي قبل وغدا من السهل على الناظر اذا رجع الى الماضي ان يأتي بسلسلة متصلة من الاباء . ونشأت من احترام الاجداد ولا سيما في الشرق عبادة خاصة ما زالت في بعض انحائه على قوتها .

جرت عادة الشعوب الآرية منذ عهد بعيد ان تقتصر على زوجة واحدة وكان من نتائج هذه العادة اكرام المرأة واحترام حريتها ورضاها كل الاحترام وحل الشعور بالحب محل توحش القرون الاولى واصبحت المرأة ملكة في بيت زوجها وان تكن مستعبدة من حيث الاخلاق . وحدث من عواقب الاقتصار على واحدة من النساء في اوروبا نظام الأُسرات ففرضت على كلا الزوجين واجبات كثيراً ما كانت موضع المناقشة وقد تعدل

(١) معربة عن كتاب الحياة الاجتماعية لارنست فان بروبسل

فيقبلها الرأي العام والقانون . وهكذا جرى عقد تبادل الواجبات بين الزوجين على غير قاعدة المساواة فاليونان والرومان لم يقولوا بتعدد الزوجات ولكنهم لم يمنعوا التسري ولطالما رأوا ان لا مانع من التزوّج بامرأة غير المرأة الاصلية على طريقة نصف شرعية ولذلك لم تكن الفتاة اليونانية محررة من قيود العبودية كل التحرير فهي في طفوليتها طوع ارادة ابيها واذا تزوّجت اصبحت تحت حكم زوجها واذا ترملت يكون امرها بيد اقربائها او بكر اولادها . ولم تمتز العقيلة الرومانية على ما كان لها من الحرمة عن الرجال بامر ولا خلصت من وصايتهم عليها .

وكان نفوذ المرأة في شمالي اوروبا بين البرابرة ضئيلاً وكذلك عند ام السلت والغاليين وحالها احسن بقليل عند الجرمانيين ولذلك اقتضى لها حركة عقلية قوية للاستمتاع بحريتها . ولقد كانت النصرانية بتمجيدها الأمومة عوناً على رفعة شأن المرأة الادبي واعلاء مقامها وتكريمه اكثر مما كانت . ومع هذا فنكاد لا تخلو حالها من نقد ويوشك ان لا يكون موقفها معه بعيداً عن الحرج . ويكفي للاقتناع في هذا الباب ان يدرس المرء ما يتعلق بالمرأة من مواد القانون درساً موجزاً ليعرف حالها اذ ذاك . على ان هذه القوانين ما برح حكمها الى اليوم نافذاً في معظم الممالك الاوروبية .

فقد جاء في تلك القوانين بشأن المرأة بان عليها ان تطيع زوجها وتفقد بعقدها عليه جنسيتها واسم أسرتها واسم بلدها وحرية التمتع بحقوقها وليس للزوج ان يتنازل عن الحقوق التي منحه القانون اياها ويُحظر على المرأة ان توقع على عهد مدني او شرعي بدون اذن من زوجها او ممن يرجع اليه امرها . وتفضل القانون عليها فمنحها حق الايصاء وهي لا تستطيع وان تجردت عن مالها ان تكون لها صفة امام المحاكم ولا ان تمنح مالها وتبيع وترهن وان تأخذ شيئاً بثمن او بلا ثمن دون توسط زوجها فيه واذا لم يكن لها زوج فالشرع يتولى ذلك منها واذ كان الزوج يشرك زوجه في الاموال ساغ له ان يتصرف لا بريع املاكها فقط بل ان يملك في بعض الاصقاع وارداتها الناتجة من عملها بالذات .

ولا يحق للمرأة ان تنظر في مستقبل اولادها . ويُحظر عليها اذا كانت اميرة ملكية ان تجلس على سرير الملك في كثير من الممالك وان دلّ تاريخ بعض الملكات في انكلترا والمانيا وروسيا على ان صولجان الملك في ايدي النساء لم يكن دونه في ايدي الرجال قوّة وسطوة وقد بذلت العناية من وراء الغاية ولا سيما في العهد الاخير في تعديل القانون الذي لا يمنح الزوجة وهي في حجر الاسرة الا شطراً محدوداً من العمل فسوغ المعارضون تلك القيود الموضوعة وعللوها بقلة حنكة المرأة وتجاربها وما يعتريها من التأثرات النفسية والبواعث المحركة

لها بدون ان ينظروا اذا كانت هذه الدواعي في الخطإ والاعمال النابية عن التدبر كثيراً ما اثرت اثرها وان معظمها ناتج من ذاك القانون نفسه الذي يزعم بانه غير جائر · لاجرم ان التعليم الذي تُعلمه المرأة اليوم على قلة كفايته وغنائه اذا توسع فيه وجرى تحسينه بحسب سنة العقل لا يلبث ان تظهر نتائجه في الحال · واذا رُبي عقل ام البيت المقبلة وأُشعر قلبها الاحساس بما لها من المكانة ينشأ من ذلك اساس تربية الولد الذي يطلب اليها ان تراقب تأثراته الاولى وتديرها بيدها ·

يجب ان تكون المرأة رفيقة الزوج لا خادمته · واذ انها شاركته في نعيمه وبؤسه فلها الحق ان تشركه في حياته واعماله وامانيه في المستقبل وان تستند الى معونته وحمايته في جميع الاحوال واذا احترمت في ذاتها تظل امينة معه فهي حارسة التقاليد البيتية فاذا خانت وادخلت عنصراً اجنبياً الى بيتها في وقت ضعفها فتكون قد ارتكبت عملاً شائناً توبخها نفسها عليه و يؤدي ذلك بها الى نفاق وكتمان لا ينطبقان مع طبيعتها الشريفة وتضطرب نفسها اي اضطراب كلما تمثلت لها فعلتها ·

فالزواج على ما يتمثل لفكر عادل مستقيم يفرض ان هناك احساساً حقيقياً بين الزوجين المقبلين وانهما على كمال الاستمتاع بقواهما في المال والقدرة على العمل ليضمن بقاء الأسرة وهذا الشرط الاخير كثيراً ما يصعب تنفيذه وياللاسف ومنه ينتج ان بعضهم قد يطيلون امد عزوبتهم الى اجل غير مسمى مع ما في امتناعهم عن الزواج من الاستهتار والشذوذ · و يعقد بعضهم من العقود الزوجية كل ضعيف ضئيل يكون الداعي الاعظم فيها مصلحة خاصة واغراض ذاتية · ومن هناك اتت المفاسد وهي ناشئة من عادات رديئة وكثيراً ما تكون هي الجرائم بعينها · وقد ظهر في بعض الزواج من التنافر في الطباع والاخلاق ما اقتضى معه ان يُتلافى امره بالسماح بحل رابطته · وما الاذن بطلاق الزوجين المتنافرين الا اقرار شرعي على امر ثابت اصبح دوامه لا يطاق ·

وكل ما يفصم عرى عهود الزواج وان كان معقولاً في ذاته لا يخلو من حسرة تلحق الابناء الذين ولدوا من ابوين يريدان الانفصال والطلاق · وبهذا النظر تعين على زوجين يرغبان في الطلاق ان لا يُقدما عليه الا بعد التأمل الكثير تحاميا الوقوع في مصائب تربو آلامها على ما صارت اليه حالهما ·

ولقد دعا تعدد الزواج المتسرع في عقده دون النظر في المستقبل والتدبر في قلة ملاءمته الى القدح في نظام الزواج نفسه في صورته الحاضرة وتعظيم امر الزواج الذي الحرّ اذا ضمنت فيه حالة الاولاد الذين يولدون منه ببعض ضمانات خاصة فلا يقوم الزواج بعد ذلك باجراء

شعائره المدنية او الدينية بل بانشاء صك بسيط تكون شروطه معلقة على ارادة المتعاقدين.
ولعله يأتي من هذا التغيير المتطرف ضرر بالطريقة المستعملة الآن في الزواج . على اني قلت آنفاً ان الزواج الذي لا يفكر في عاقبته ويتم الرضى فيه دون العناية بما يحدث عنه من المسئوليات قد اصبح شائعاً فليس من العبث اذاً ان يجعل لمراسيم الزوجية بعض الشروط ليفهم المتعاقدان كل الفهم خطارة ما عُقد لهما عليه . وبذلك يصبح احترام المرأة على اساس راهن . فاذا كانت الوعود التي تسبق عقد الزواج الحر هي بحيث تضمن للمرأة مكانة اجتماعية فلا تعرضها لاحتمال اهواء النفوس التي يصعب الاعتذار عنها فانها لا تختلف عن الشروط الزوجية الشائعة ولا موجب اذ ذاك للتغيير واذا نقص من حرية الطرفين شيء فلحق المرأة من ذاك القسط الاعظم . فهي التي تستفيد في الواقع من الزواج خاصة لان الزواج يعود منه في الغالب على الرجل زيادة موارد ثروته . وان المرأة لا تتمتع بجمالها وتستوفي شروط التحبب اليها زمناً طويلاً فماذا تكون حالها يا ترى اذا شاخت ولم يكن لها بمقامها الطويل في بيت زوجها والتمتع بما تستحقه من الحقوق في حياتها ما يجعلها موضوع الحب الدائم والاحترام من زوجها ؟ فكل عقد لا يوليها حالة ثابتة لا يتأتى لها معه مهما بلغ من جمالها وطهارة اخلاقها ان تأمل الوصول الى انواع سعادات الامومة التي هي خاصة بالزوجة الشرعية . تستدعي حالة الولد عناية فائقة من الاب والام حتى ينمو النمو القانوني في طبيعته واخلاقه على انه لا يستطيع ان يسير بما امكن من الحكمة والتعقل ليجعل قياده بيده الا اذا بلغ اشده او كاد . فالمصلحة الاجتماعية تقضي بان يعيش ابواه معاً حتى يبلغ تلك السن ويستلزم ذلك قضاءهما اعواماً معاً فاذا انقضى ذاك الدور ايمكن انجع للزوجين بان يفترقا ليبدأ آ حياة جديدة بعد فوات الوقت . وانه ليرجى حرصاً على مصلحة الزوج وزوجه ان يكون الزواج دائمياً ولا يحل عقده الا في احوال نادرة .

قلت انه يجب ان يفرض في الزواج وجود عواطف في الحب متبادلة بين الراغبين فيه مصحوبة بحرية التمتع بمال يكفي لاعالة الاسرة ولا يلزم اكثر من ذلك في الحقيقة للافراد حتى يكون الزواج شرعياً . وهنا سؤال وهو انه هل تكفي هذه الشروط من حيث الاجتماع الا يلزم النظر في صحة الزوجين لمصلحة الاولاد الذين يولدون منهما ؟ ايسمح لبعض من اصيبوا بامراض تنتقل بالوراثة او معدية ان يعقدوا زواجاً وينقلوا بأثرتهم وسوء غفلتهم العدوى الى أسرة جديدة اخرى ؟ هذه مسألة حرية بان توضع محل النظر لانها من ادق المسائل ولا يتعذر حلها لو جرى فيها كما يجري في دور تربية الحيوانات حيث يعزل السقيم عن السليم لاول وهلة اما في المبدإ الذي يستلزم اولاً العناية بتحسين النوع فانه تحذف

منه بحسب القياس الاعضاء الضعيفة الكثيرة او السيئة التركيب لما في وجودها من الضرر الذي يلحق المجموع . ولك ان ترجع الى القواعد الطبيعية الظاهرة لتبرير هذا العمل فترى قاعدة الانتخاب الطبيعي تجري مجراها حولنا في ذوات الاعضاء فنشاهد ابدًا في طبقة الكائنات النباتية والحيوانية فناء كمية عظيمة من الجراثيم لقلة غنائها في المحيط الذي تظهر فيه او لضعف تركيبها عن المقاومة .

الا يكون المرء قد عمل بسنة العقل وبما يقضي به الواجب اذا ارجأ بذاته ومحض ارادته واخلاصه عدم ايلاد اشخاص يصبحون عرضة لعامة المصائب الطبيعية منذ ولادتهم . ومن المحقق ان المرء لم يتأثر وجدانه من هذا القبيل . فكان الحق للاب في الازمان السالفة ان يستحيي من يولد له من البنين والبنات او يقتلهم ومتى رأى ولده ضعيفًا ضئيلاً يقدمه للموت بلا شفقة . ولقد نشأ في القرون الحديثة شعور وان لم يكن حديثًا في الناس الا ان ارتقاء التمدن جعله عامًا ونعني بهذا الشعور « الرحمة » فهي اليوم تعارض ما كان يجري سالفًا من قتل الاحياء الساقطة . لان من لا يعجبك ظاهر حاله لفساد تركيبه الطبيعي لا يجب ان تحكم عليه باسقاطه من المجتمع بل يتيسر ان يشغل من اعمال الاجتماع الكثيرة حيزًا يعمل فيه عملاً . فالحال تقضي اذًا بايجاد وسائط اخرى تكون الى الاعتدال لتحسين اجناس الناس .

وقد اقترح بعضهم ان يفحص المرشحون للزواج فحصًا طبيًا تفاديًا من سوء الاستعمال ولو امكن تطبيق هذه الطريقة الواقية لنشأ عنها نتائج حسنة اذ الظاهر ان تطبيق القول على العمل لا يخلو من شبهة . وذلك لان الاهواء البشرية اذا ضيق عليها على هذه الصورة لا تلبث ان تخرج عن حد ما رسمه القانون وتعمد الى التزوير والى الشهادات الطبية التي تنال بالشفاعات لتجتنب هذه القيود والاوامر . ومتى اصبحت هذه القوانين معمولاً بها وتعذر الزواج الشرعي على بعض الناس لا يلبثون ان يعمدوا الى الزواج الحر فيخلصون على هذا الوجه من كل قيد وسلطة .

ولا دواء لهذه الادواء الا التربية اذا سارت على سنة العقل وكانت الغاية منها ترقية العواطف الشخصية بالآداب العالية . فالتربية هي التي تعلم اولئك الذين حظر عليهم الزواج لضعف فيهم انه اذا جار القانون عليهم ولم يرض لهم الاشتراك في النسل والحب فهو يوجب عليهم اذا ارادوا الخضوع لما اوصى به الشرف والواجب ان يمتنعوا عما يجعل العاهات فيهم دائمة .

اتجد تناقضًا في هذا الاستنتاج وفي شعور الآداب العالية التي دعوت اليها ؟ لا اظن ذلك . بل اني اعتقد ايضًا في بعض الاحوال الخاصة مثل قلة اسباب معاش الأسرة انه

يستحب لربها ان يتجنب زيادة عدد اولاده بدون روية لعلمه بانه يحكم عليهم بالحرمان والفقر منذ ولادتهم . وليس معنى هذا ان نقبل رأي مالتوس (١) كأنه حقائق في قوله بعدم التناسب بين نمو السكان ومواد معاشهم وان نقص التوازن بين الاحياء وما يحيون به لا بد من وقوعه على انه اذا ظهر ذلك فيكون من عدم التساوي في توزع الاجناس البشرية على سطح الكرة الارضية .

ترى العناصر الانسانية تتكاثف في بعض المحال بحيث يؤدي بها ضيق مضطربها الى النزاع على اصغر قطعة من الارض التي كادت تفقد قوتها الانباتية على حين ان هناك اراضي واسعة نادرة بخصبها وهي لا تزال بوراً . بيد ان مصاعب كثيرة تحول دون الافراط في الاكثار من الجنس الانساني . وبعد فان للطبيعة اسباباً ملطفة ما زالت نواميسها غير معروفة حق معرفتها ولكن لها عمل لا يسع احداً انكاره على ضروب التناسل في عالم النبات كما في عالم الحيوان .

فقد ذكرت بعض الحوادث النادرة فيجب الآن ان ادخل في التعميم بان امور سلطة الاب على نحو ما هي معروفة عند ارباب الافكار الحديثة . كانت سلطة الاب على اولاده مطلقة في القديم وجعلت الوصايا العشر برَّ الوالدين من اقدس واجبات الابناء فاذا قال الولد لابيه أفٍ وخرج عن طاعته يعاقب بالموت . ومثل هذا القانون كان نافذاً في آثينة وان كان بشدة اقل . وكان لرب الأسرة في رومية الحق المطلق ان يقمع ما ارتكب ابناؤه واهله من الاغلاط ولم تكن صلة القربى منظوراً اليها بانها نتيجة عقد بين الزوجين ولا يتيسر حلها اللهم الا عند الجرمان والصقالبة (السلافيين) وما كان الابن حراً بالخروج من أسرته بمحض ارادته بل من الضروري استحصال رضى والده بمنحه اياه في صورة كأنه يحرره من رقه .

وغير نكير ان الطفل على جهله في كل شيء محتاج للتعليم والتهذيب فيجب عليه الطاعة لوالديه ويجب عليهما ان يحباه كثيراً ويحترماه بما بينهما من الصلات وبما يعاملانه به من المعاملة الحسنة لتكون تلك الطاعة مبنية على العطف والطبيعة . يجب ان تقوى فيه الرغبة في التعليم والعادة على الافتكار والشعور بالعدل وطيب السريرة تلك الصفات التي تضيق

(١) هو اقتصادي انكليزي مات سنة ١٨٣٤ ومن رأيه ان يمنع ارباب العاهات عن الزواج لئلا يزيدوا النسل البشري اعضاء ضارة وان نمو السكان يزيد في الارض عن نمو ما يقيتهم من الزرع والضرع فيجب ان يقلل الناس من الايلاد وقد طبق مبدأه على نفسه فلم يتزوج الا في الثامنة والثلاثين ورزق ثلاثة اولاد .

الخناق على اهوائه وتجعله عضواً نافعاً في حياته المستقبلة . فاذا اعتاد ذهنه الاشتغال يقوى ويجود كما يقوى الشعور بالمسئولية . يجدر ان تترك له حريته وان يستعاض عن اخضاعه لاوامر والديه بنصائح فيها العطف والحنان . فاذا طلب الى الولد وقد استكملت منه ان يحتفظ كل الحفظ بما يلزم به من الطاعة وهو على كمال الاستحكام في قواه فيعد ذلك اجحافاً بحقوقه واحراجاً لصدره . وعلى الوالد في تلك الحال ان لا يكون الا بمنزلة صديق يؤخذ كلامه بالاجلال لا ان يكون بمنزلة معلم يسيطر على مستقبل ليس له منه ناقة ولا جمل .

كان التبني يسهل كثيراً في القديم فوضعت له القوانين اليوم قيوداً وشروطاً . واخذت الصلات العائلية في الانحطاط عند الطبقات التي هي اكثر من غيرها انغماساً في الحضارة في اوروبا واميركا فكان للحياة الخاصة في سالف الازمان صفة ثابتة نتجت من النظام الاجتماعي الموضوع الذي فُقد في المدن الكبرى لهذا العهد . وكان من ازدياد صلات الامم بعضها مع بعض وتمازج العناصر المختلفة تعديل كثير من العادات المتأصلة والآراء التي كانت تخيل سابقاً فزاد الارتباط بين الافراد والمجموع الذين هم بعضه ودعت سهولة التنقل الى حدوث تغييرات في المحيط فنشأ عن ذلك بحكم الطبع تأثرات جديدة اثرت في الحركة العقلية فاتسع مداها وانصبغت بصبغة الانسانية . على ان موازنة الاخلاق القديمة قد مرت اليها امور كثيرة القت فيها الاضطراب وزعزعت منها الاركان وستصلح بالضرورة اذ لا يقوم مبدأ الاسرة على اساسه الطبيعي بدون شيء من التضامن . وكل اجتماع بشري عُرض للزوال يعدُّ عقيماً لا ثمرة فيه بتاتاً .

نبأ مصر

وحالة الاجتماع فيها للسنة الماضية

نسيمٌ بوادي النيل غيرُ بليلِ — وظلٌّ بهذا الروض غيرُ ظليلِ
فلا الارض تلك الارض خصباً لاهلها — ولا النيلُ في ارض البلاد بنيلِ
نفضنا يدينا وانزوينا مذلةً — وأضيعُ ما في الناس حقٌّ ذليلِ
لنا كل يوم ألفُ رأيٍ وما لنا — عليها من الافعال فردُ دليلِ
نقلد ألفاظ السياسة عمرَنا — وندهل عند الحزم أيَّ ذهولِ
ويابعدَ ما بين (الصليل) وهوله — وان قربا لفظاً وبين (صهيل)

فلاسفةٌ فيما نقول فلم نزل ... نصول على الدنيا ببعض نقولِ
وما من حديث بات غير مُشقق ... ولا من جدال بات غير فصول (١)
أفي كل يوم كاتبٌ يشرع القنا ... ليقلب جنب الارض بعد قليل
أفي كل يوم صارخٌ ذو حميةٍ ... بضجّ بقالٍ في البلاد وقيلِ
أفي كل يوم شاعرٌ ذو حفيظة ... يخط سطوراً من دماء قتيلِ
أيحسب ميزان السياسة في الورى ... كميزان مفعولاته وفعول
وأنبئتهم يستصرخون ليوقظوا ... نياماً بليلٍ في المطال طويلِ
فياباذخ اليمّ اضطربت ولم تزد ... على نزوات أعقبت بخمول (٢)

***

أألآنَ والفرسُ الذي تمطرونه ... ملايينُ لم تثمر ببعض عقول
صغارٌ وجبنٌ خالعٌ في كبارهم ... واصغرهم غايتهُ لفظة «غولِ» (٣)
تخيلتمونا أهل كل عزيمةٍ ... كما خال قصراً ناظرٌ لطلول
ولا طولَ فينا غير نوع تطاولٍ ... ولا فضل فينا غير بعض فضول
بكل سبيل نزمعُ السير للعلى ... ونرتدّ للسفلى بكل سبيل
تأدّوا لغايات المنى بأداتها ... فما جلّ لا يبغيه غير جليل
ألا إنما الداء العضيض عقولنا ... وما شجرٌ ينمو بغير أصول
وأهون بتفريج الامور ولفها ... اذا القيت يوماً لغير جهول

***

تباين ما بين الرجال وكلهم ... على زعمه بالامر خير كفيل (٤)
فياعصبة الاحزاب ردوا حلومكم ... وجرّوا على غير الثرى بذيول
فقد سطعت في مصر منكم عجاجة ... ولكنها لاحت بغير صليل
عجاجة صيفٍ قد اثارت قتامها ... خيولُ سباقٍ لا ضراغمُ غيل (٥)
وما انتمُ في امر شيءٍ من الهوى ... فما بال واشٍ بينكم وعذول
واحييتموها سنةً جاهليةً ... عداءً اصيل فيكم «ودخيل»

(١) الحديث المشقق الذي يشتق بعضه من بعض وهي كناية عن ترديد كل قائل ما يقوله الآخر (٢) باذخ اليمّ موجه المرتفع (٣) اشارة الى مبدء تربيتنا المهول من التفزيع بالبعبع والغول (٤) تباين ما بينهم انقطع كل عن صاحبه (٥) اشارة الى استباق اكثرهم غاية الشهرة من غير اتحاد على مبدء يناضلون عنه بحماسة فطرية

تخلوا بأمر العلم واستجمعوا له قواكم فان العلم خير دليل (١)
ولا تخلطوه بالنفاق تقيةً وجبناً فظهر الحق غير ذلول
فما لكمُ الا الذي تعملونهُ وان تُبدلوا منه فشر بديلِ
ألما تزالوا قاصرين فامركم ضياعٌ اذا لم يعتدهم «بوكيل»
تقوا عارها من سُبةٍ تتركونها لجيلٍ ويُبقيها الزمان لجيلِ

***

أرى فئةً كالغانيات تدللاً تميل مع الاهواء كل تميل
تخال الفتى منهم على ظلمة النهى لالوان ثوبيه سماء اصيل (٢)
ملولٌ كما شاء الهوى واقتداؤه بمن حوله من خلعٍ وخليل
وما وجد الاعمال يوماً وانما ليستحسنوا فيه دلال ملول
وظن الفتى أن «التمدن أنثوي» فتابعَ فيه كل ذات حليلِ
تماجنَ في اشكالها من مُصبغٍ الى كل مجلوٍ وكل صقيل
الى اللفظ حتى ما تكاد شفاهه تُبين بلفظٍ منه غير نحيلِ
الى اللحظ حتى ما تكاد جفونه تُطارح لحظاً منه غير عليلِ
دلال جميل بالجمال مهنا فآهٍ عليه من دلال جميل

***

اولئك هم شباننا لو عرفتمُ وهم كل من في مصر غير قليل
مظاهر نُبلٍ نافقوا في اصطناعها ألا قُبحت من صنعة لنبيل
أحلنا على غيب القضاء همومنا واية سلوى في القضا لمحيلِ
وما نحن «اهل الحكم» ندفع دفعهم فان لم ينيلونا فايُّ مُنيلِ
هُمُ عوّدونا الذل ثم تطوّلوا فمنوا علينا بين كل قبيلِ
ومن عوّد الذل الرجال حلا له افتخارُ اذا ما قابلوا بقبول
فيامصر انت السيف صقلاً وجلوةً ولكن بلا حدّ (ولو بفلول)
ويا كفَّ مصر ذلك السيف والوغى فان تستطيعي بعد ذاك فصولي

***

لُجمنا بما لا تُقيمون حذارَه وا كثرنا من عالةٍ ومعيلِ

---

(١) تخلى بالامر انفرد به وافرده بالعناية (٢) الثوبان هنا هما الثوب الظاهر كله والثوب الباطن بعضه كالقميص وما اليه

فياشؤمها من ازمة تركتكم واولاكم بالفقر كل بجيل
وكم أمرق تمسي المضاجع منهم تقلب طول الليل كل هزيل
يعدّ رغيف الخبز فيهم وليمة لدى كل منفضم هناك ضئيل (١)
اخاف على ارض البلاد ونيلها ذهابهما رهناً لكل نزيل
فنمسي على نيل البلاد وارضها كأنا على ماء (وبعض وحول)
جريتم سراعاً للغنى تطلبونه بكل طريق فاهنأوا بوصول (٢)
وإما اراد المقعدون سلامة فما «لصعود» بينهم «ونزول»
نصيحون بالمحتل تستعبدونه مراغمة ما انتم بعدول
الا فاطلبوا اثباتنا في بلادنا فان ضياع الملك بدء رحيل
ومن يطلب الامر البعيد ويهمل الـ قريب يضع امريه بعد حصول
انظنا تقسي الآن والماء في يدي وأترك للانهار بل غليلي
فلا تتنوا توا انما الوقت فرصة تمر ومر الوقت غير ثقيل

مصطفى صادق الرافعي

على رمل الاسكندرية

ايه ايتها الامواج الخالدة كم شاهدنا من امواج الانسانية ومن بحورها الفانية ·

امام عيونك الزرقاء وفي ظل ابتسامتك الفضية كم تجزر بحر ونضب وكم تبددت تحت اقدامك موجة هادرة شامخة من امواج البشرية ·

على هذا الساحل الذهبي الجميل قاتلت الملوك قديماً فتغنت باخبار مواقعها ارباب الفنون ورددت صدى غزواتها السن الشعراء ·

بالقرب من صدى هديرك الهائل هاجت امواجهم وماجت فعادت الى حيث لا يبلغ مدك ولا تبصر عيونك الرمل والصخور ·

عادت امواج انفسهم المضطربة الى حيث لا نبع الا نبعك الدافق من ميازيب ذهبية في بساتين من النور الازلي الروحاني ·

---

(١) المنفضم الضامر (٢) هذه التهنئة في اسلوب التهكم على اهل الجحيم من قوله تعالى (ذق انك انت العزيز الكريم)

هناك نبعك ايتها الامواج وهناك ايضاً نبع الانسانية .

***

انت هجت قديماً في صدر الاسكندر فجئت به الى هنا ليبني لك هذه المدينة الزاهرة .
انت حملت انطونيوس اليها ليطفىء لوعة غرامه .
انت منحت القيصر قسطاً من عظمتك فخاض عبابك طمعاً بملك عظيم بل شغفاً بوجه وسيم .
واراك الآن هائجة في قلوب الصغار والاذلاء كما هجت قديماً في قلوب الملوك والامراء .
اراك مضطربة مبتسمة معاً اذ تشاهدين على ساحلك هذه الامواج المزدوجة من بحر الانسانية .

هي تتمازج على الرمل في كنف الصخور تمازجك في بطن امك .
هي امواج من النفس يحنّ بعضها الى بعض ويهيج بعضها على بعض ويختفي زبد الواحدة تحت زبد الاخرى و يذوب زجر الهائجة تحت مدّ المدبرة .
الحب ايتها الامواج يؤيدك .
والحب يحمل اليك هذه الامواج القلقة الفانية .
ومهما عظم اضطرابها على سواحلك الذهبية فراحتها اخيراً تحت ابتسامتك الفضية الازلية .

***

لا تعجبي من هياج هذا الانسان واضطرابه فما هو سوى طوائف من الاسماك والحيوانات البحرية تختبط في بحر من النفس لا يرى مدينتنا من المدن الكائنة تحت امواجك .
ايها البحر الهائل ايها الرقيب الازلي وفيها من الحيتان والدلافين ما يزري بحيتانك ودلافينك .
فيها يهدر بحر من هذه الانسانية المتكالبة .
ولكل موجة من هذا البحر الغريب لون يختلف عن الآخر .
لكل موجة صوت لا يشبه اخاه .
لكل موجة شكل ومنهج وعبوسة وابتسامة .

***

هذه الاسكندرية وفي بحرها تشاهدين الآن ما لم تشاهديه فيما مضى من الزمان .
امامك الآن امواج مزبدة من نهر التايمس الهادىء . وامواج هادئة من نهر المسيسيبي المتدفق وامواج كرواسي الجبال من انهر الرون والرين والدانوب والسين . وامواج عليلة لطيفة من بحر الاحمر وبحر الهند وبحر فارس .
هي الامواج يتلاطم بعضها ببعض ويمتزج بعضها ببعض ويبتلع بعضها بعضاً و يقتل بعضها بعضاً

او يعطف بعضها على بعض والكل يهلك نفسه في هذه الحركة الدائمة . في هذا العراك الشديد والضجيج المديد .

يشيدون الصروح ويهدمونها . ويؤسسون الممالك ويبيدونها . فيتلاشون اخيرًا تحت اقدامك . وانت باسمة ضاحكة تسخرين منهم وامواج منك كالطفل تحمل اليهم نبأً من الابدية .

***

بحر الانسانية يفيض ويزبد ويهيج ويهدأ ويتفجر ويتصبب ويعكر ويرسب ويتلاشى وانت باقية الى الابد .

تشاهدين هذا الزمان كما شاهدت اباطيل الازمنة الغابرة .

تسمعين ضجيج ابطال هذا الجيل في «البورص» كما سمعت صليل رماح ابطال الاجيال الماضية في ساحات القتال .

وتستقبلين الشمس كل مساء كما تستقبلينها يوم لم يكن على سواحلك مدن ولا عمران ولا نبت ولا حيوان .

لبنان امين ريحاني

نحن على منطاد

نحن من ارضنا على منطاد جائل في شواسع الابعاد
طائر في الفضاء عرضًا وطولا بجناح من القوى غير باد
ايها الارض سرت سيرك مثنى ذا نتاجين في زمان أحاد
فنقلبت في نهار وليل ذا مضل وذاك للناس هاد
في بلاد يكون سيرك تأو... بًا على انه سرى في بلاد
فيك دفع وفيك يا ارض جذب لك ذا سائق وذلك حاد
فلك دائر على الشمس طورًا في اقتراب وتارة في ابتعاد

***

ليت شعري وما حصلت من الآ راء الا على خلاف السداد
لبقاء نقلنا الارض في تـ يارها أم نقلنا لنفاد
نحن في عالم تقصف فيه عارض النائبات بالارعاد

شأننا العجز فيه نوجد أنى قذفتنا يد الخطوب الشداد
ضاع جذر الحياة عنا نخلنا انها كالاصم في الاعداد
شغلتنا الدنيا بلهو ولعب فغفلنا والموت بالمرصاد
ضل من رام راحة في حياة نحن منها في معرك وجلاد
كلما قد أجلت في ام دفر فكر مستبصر بها نقاد
قلت قولاً افاد من قبل فيه فيلسوف القريض غير مفادي
«ان نجحا في ساعة الموت اضعا اف خدار في ساعة الميلاد»
انما هذه الحياة جروح اثخنتنا والموت مثل الضماد
كل امر يهون ان أطلقت أر واحنا الموثقات بالاجساد
لا تلمني اذا جزعت فاني ماملكت الخيار في ايجادي
طال عتبي على عدات الليالي مثلما طال مطلها بمرادي
كدرت عيشي الحوادث حتى لا ارى الصفو غير وقت الرقاد

***

صاح ما دل في الامور على الاشـ ـكال الا تفحص الاضداد
فاعتبر بالسفيه تمس حليماً وتعرّف بالغي طرق الرشاد
واللبيب الذي تعلم انيا ن المعالي من خسة الاوغاد
ايها الغر لا تغرنك دنيا ك يكون مصيره لفساد
خف من غاص في الغرور كما في لجة الماء خف ثقل الجماد
ياخليلي والخليل المواسي منكما من يقوم في اسعادي
خاب قوم اتوا وغى العيش عزلاً من سلاحي تعاون واتحاد
قد جفتنا الدنيا فهلاً اعتصمنا من جفاء الدنيا بحبل وداد
لو عقلنا لما اختشى قط محسو دون وقع الأذاة من حساد
فمتاع الحياة احقر من ان يستفز القلوب بالاحقاد
أنا والله لا أريد بان أو قع شراً ولو على من يعادي
ان لي ان سمعت انة محزو ن انيناً مرجعاً في فؤادي
ان تفني عن همها ذات شغل بهموم العباد كل العباد
لا احب النسيم الا اذا هـ ـب على كل حاضر او باد

***

ايها الناس انّ ذا العصر عصـ ... ـر العلم والجدّ في العلى والجهاد
عصر حكم البخار والكهربائيـ ... ـة « والماكنات » والمنطاد
بُنيتْ فيه للعلوم المباني ... وأُقيمت تُبحث فيها النوادي
فاض فيض العلوم بالرغم ممن ... ضربوا دونهن بالاسداد
ان للعلم في الممالك سيرًا ... مثل سير الضياء في الابعاد
اطلع الغرب شمسه فحبا الشر ... ق اقتباسًا من نورها الوقاد
ان للعلم دولة خضعت دو ... ن علاها عوالم الاضداد
ما استفاد الفتى وان ملك الار ... ض باعلى من علمه المستفاد
لا تسابق في حلبة العزّ ذا العا ... م فما للهجين شأو الجواد
ان اموات امة العلم احيا ... ء حياةَ الارواح والاجساد
وكأين في الناس من ذي خمول ... صار بالعلم كعبة القصاد

***

ربّ يوم وردت دجلة فيه ... موردًا خاليًا عن الوراد
حيث ينصبّ في سكوت عميق ... ماؤها لاثمًا ضفاف الوادي
وهبوب النسيم يكتب في الما ... ء سطورًا مهتزة في اطراد
يمحي بعضها ويظهر بعض ... فهي تنساب بين خافٍ وباد
وئين المياه لي بخرير ... كأنين السقيم للعوّاد
قمت في وجهها أردّد طرفي ... ساكنًا والضمير مني ينادي
واقفًا تحت سرحة ناح فيها ... طائر فوق غصنها المياد
منشدًا في النواح شعرًا غريزًا ... حزينًا كأنه انشادي
جاوبته افنانها بأنين ... من حفيف الاوراق والاعواد
ايها الطائر المرجع فوق ال ... غصن هل انت نائح ام شاد
بين ماء جارٍ ولحن شجيّ ... منك ياطائر استطار فؤادي
يا مياهًا جرت بدجلة تجتا ... ز مرورًا بجانبي بغداد
ان نفسي الى الحقيقة عطشى ... افتشفين غلة من صاد
كنت تجرين والرصافة والكر ... خ خلاء من رائح او غاد
ايها الماء اين تجري ضياعًا ... وحواليك قاحلات البوادي
فمتى تفطن النفوس فيحيا ... بك سقيًا موات هذي البلاد

لو زرعنا بك البقاع حبوباً لحصدنا النضار يوم الحصاد
افيدري خليج فارس ماذا فمه منك بالع بازدراد
انت والله عسجد ولجين لو اتينا الامور باستعداد
فاجرِ ياماه ان جريت رويدا بأناة ومهلة واتآد
علنا نستفيق من رقدة الفقر فنغنى بفيضك المزداد
سلكتك السما ينابيع في الارض امدتك ايما امداد
فتفجرت في السفوح عيوناً نبعت من مخازن الاطواد
واذا ما انتهيت في جريان عدت للبدء في متون الغوادي
هكذا دار دائر الكون من حيث انتهى عاد راجعاً للمبادي

بغداد معروف الرصافي

مطبوعات ومخطوطات

الحياة الاجتماعية وتقلباتها

Ernest Van Bruyssl .- La vie sociale et ses évolutions. Paris , Librairie Ernest Flammarion

هذا كتاب اخرجه مؤلفه للناس باللغة الافرنسية في الشهر الماضي في نحو اربعمائة صفحة وقسمه الى عشرة اجزاء ذكر في الاول الأسرة ومقر الأسرة وفي الثاني طوائف الناس وتاريخهم وحالة العالم الحاضرة وفي الثالث العواطف الدينية ومظاهرها وتأثير المعتقدات الدينية الاجتماعي وفي الرابع الاوضاع القانونية وتعديل تنظيم القانون وفي الخامس المصالح المادية واتساعها ومكانتها بين الامم والحملات الحربية والاستعمارية ونتائجها وفي السادس الصنائع والفنون والهندسة والنقش والتصوير والموسيقى وفي السابع الآداب وانتشار القديم والحديث منها وفي الثامن نظرة في العلوم وما نتج من الاحصاء فيها على التوالي وفي التاسع طريقة التعليم على اختلاف العصور وفي العاشر نشوء الافكار السياسية والنزاع الاجتماعية. هذه فصول الكتاب وكلها مفيد نافع توخى مؤلفه بعد التجارب الطويلة ان يجعله معلماً للقاريء يتنزل لتعليمه لا ان يلقي عليه مسائل قد لا يفهمها الا كبار العلماء . فجاء كتابه نافعاً للخاصة والعامة جامعاً العمليات الى النظريات قال المؤلف في مقدمته :

« كنت في قرطجنة على شاطيء البحر والظلام ملق سدوله على السماء فلا نرى فيها الا

ما ازدانت به من زينة الكواكب والسكون يخف بي وقد ملىء اسراراً وساد الآكام والسهل حيث كانت هذه المدينة الفينيقية في سالف العصور محاطة باسوارها الثلاثة وفيها معابدها وقصورها وارصفتها الزاهية واليوم لا يرى فيها الا بضعة حوائط مبعثرة يردعهدها الى العصر الروماني واكوام من الانقاض يحدق بها فلاح عربي بجرانه وقباب باهتة واحواض نصفها مملوء وقبور مدنسة وقطع من عُمد ملقاة بين باقات نبات البرواق والنجم.

رأيت ثمت صورة لا تنسى فذكرت بتلك الخرائب المبعثرة ما طرأ من التبدل العظيم على الحياة الاجتماعية فكان منه انحلال في بعض الاصقاع وتحسين في اخرى ومابرح قابلاً للتحول بما فيه من النقص الظاهر لاتساعه وانبساط محيطه فادى بي التأمل الى ان اخذت أُفكر في القوانين التي لاتتبدل احكامها في هذا الوجود ولم يبرح امرها مجهولاً في الاغلب

وما تاريخ الانسانية في الحقيقة إلا سلسلة من الحوادث لو بحثنا فيها بحثاً منطقياً لرأينا بعضها متشعباً من بعض فاذا اوردت هذه الحوادث الغزيرة فلا ترى فيها الا اتعاباً للذاكرة بدون ان يستنير بها الفكر واذا جمعت على ترتيب حسن بقطع النظر عن تفاصيلها العديدة فتكون مملوءة بالفوائد . الا وان الاشتغال في اتمام هذه الباكورة العامة التي تتضمن درس المجتمعات البشرية منذ ابتدائها وتتبعها في نشوئها التدريجي وتضعها موضع التطبيق والعمل بحيث تصف ما فيها من المنازع والمناحي لما يساعد على نشر هذه الافكار الكثيرة ويدعو الى التوفر على ابحاث اهمّ واحدث .

خطر لي هذا الخاطر ساعة وانا في خلوة وامامي ماضي البشر الذي يوحي الى القلب ما يوحي . فاهاب بي ان اشرع بمثل هذا العمل على حين لم اجهل صعوبته وذلك لانه اقتضى ان اوضح فيه مجموع ما ظهر من بدائع عقول البشر في السياسة والعلوم والفنون والادب وهو متوقف على جميع انواع البحث على صورة تكاد تكون كدائرة المعارف بما تجمع وتضم . وفي هذا التأليف من الفائدة ولولم يستوف حقه انه يسهل تقويم كثير من المشاكل الاجتماعية التي لا تزال موضوع البحث وان يرسم قانوناً صريحاً لمجموع الاعمال العقلية امام الناظر لاحدث الاضطرابات الدنيوية الحديثة والاخلاص رائد القول في الاستنتاج بحرية فكر فلا تورد الا بعد تمحيصها كل التمحيص . هذه الامور حملتني على ان اتم ما قام في ذهني وان اضم نتائجه في الصفحات التالية اه . وقد عربنا منه في غير هذا المكان مبحث الاسرة وسننقل للقراء اهم مباحثه .

المزهر

للسيوطي كتب لا تحصى افردها بمؤلف خاص ومنها الجيد ككتاب المزهر وكتاب

الاتقان في علوم القرآن . اجاد في المزهر كل الاجادة فافاض في متعلقات علم اللغة وكتب فيه فصولاً بديعة انتقاها من الكتب المعتمدة فجاء الكتاب منفرداً في بابه وقلَّ من كتب فيه من المتأخرين مع انه من اجلّ الفنون التي عُني بها المتقدمون . وقد تعرض فيه لكثير من اسرار اللغة العربية وهو من اهم ما يعنى به المستشرقون في هذا العصر . وهذا كلمة ينبغي ان تقال وذلك ان كثيراً من المؤرخين ومنهم أناس من مؤرخي عصر السيوطي قد بخسوه بعض حقه فزعموا انه نقال غير نقاد يجمع بين الغث والسمين وهذا على اطلاقه مما ينتقد عليهم لانه قد اجاد الانتقاء في مثل هذا الكتاب على انه قد اظهر اعظم اجتهاد في أصول اللغة العربية وذلك في الاقتراح في اصول النحو ناظر

طبع هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد الرافعي على اجمل شكل وحرف بعد ان طبعت الطبعة الاولى في المطبعة الاميرية منذ زمن وقد اختار له ورقاً صقيلاً رقيقاً فوقع الجزآن منه في قدر سبعمائة صفحة متوسطة القطع خفيفة الحمل ويباع في المكتبة الازهرية بالقاهرة بعشرة قروش مجلداً وهو من الامهات الا لا يسع احداً من المشتغلين العلم ان يزهد فيها

الاضداد

بلغت عناية العلماء باللغة ان افردوا كل فرع من فروعها بكتاب وهو غاية ما يتصور في العناية ومن ذلك الاضداد وهي الكلمات التي تدل على الشيء وعلى ضده كالجون فانهم قالوا انه يطلق على الابيض وعلى الاسود وقد انكر ذلك ابن درستويه والف كتاباً في انكاره بناء على ان ذلك مناف لحكمة الوضع وخالفه الاكثر في ذلك والفوا فيه ومنهم قطرب والتوزي وابو بكر ابن الانباري وابو البركات ابن الانباري وابن الدهان والصاغاني فانهم اثبتوا ذلك والفوا فيه وكتاب الاضداد لابن الانباري المتوفى سنة ٣١٨ هـ من انفس ما ألف في هذا النوع وقد تعرض في اوله لسبب وقوع مثل هذا في اللغة ودفع اعتراض المعترضين وافاض في هذا الموضوع افاضة واسعة وكتابه من اهم ما كتب ناظر

طبع هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الازهرية وكان طبع في اوروبا من قبل وقد عُني الشيخ احمد الشنقيطي بضبطه وشكله وتصحيحه فجاء في ٣٨٠ صفحة متوسطة جيد الطبع وهو يطلب من طابعه بمصر باثني عشر قرشاً فنحض على اقتنائه .

رسائل الفارابي

هي ثمان رسائل منسوبة للحكيم ابي نصر الفارابي المشهور بالمعلم الثاني الاولى في الجمع بين رأيي افلاطون وتلميذه ارسطاطاليس فيما يظن انهما اختلفا فيه وذلك في مسألة حدوث

العالم وقدمه وفي اثبات المبدع الاول وفي وجود الاسباب منه وفي امر النفس والعقل وفي المجازاة على الافعال خيرها وشرها وفي كثير من الامور المدنية والخلقية والمنطقية . والرسالة الثانية في الابانة عن غرض ارسطاطاليس في كتابه المعروف بما بعد الطبيعة اشار فيه الى الغرض الذي وضع فيه هذا الكتاب النبيل المقصد . والرسالة الثالثة في معاني العقل قال في اولها اسم العقل يقال على اشياء كثيرة الاول الشيء الذي يقول به الجمهور في الانسان انه عاقل الثاني العقل الذي يردده المتكلمون على السنتهم فيقولون هذا مما يوجبه العقل او ينفيه العقل الثالث العقل الذي يذكره ارسطاطاليس في كتاب البرهان الرابع العقل الذي يذكره في المقالة السادسة من كتاب الاخلاق الخامس العقل الذي يذكره في كتابه النفس السادس العقل الذي يذكره في كتابه ما بعد الطبيعة ثم افاض في بيان كل واحد منها وناهيك ببيان مثل ابي نصر . والرسالة الرابعة فيما ينبغي ان يقدم قبل الفلسفة ذكر فيها الاشياء التي يحتاج الى تعلمها ومعرفتها قبل تعلم الفلسفة التي أخذت عن ارسطو وهي تسعة اشياء منها بيان ما ينبغي ان يبدأ به قبل تعلم الفلسفة قال فيه : اصحاب افلاطون يرون انه علم الهندسة ويستشهدون على ذلك بقول افلاطون (لانه كتب على باب هيكله من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا) وذلك ان البراهين المستعملة في الهندسة اصح البراهين كلها واما آل ثوفرسطس فيرون ان يبدأ بعلم اصلاح الاخلاق وذلك ان من لم يصلح اخلاق نفسه لم يمكنه ان يتعلم علماً صحيحاً والشاهد على ذلك افلاطون في قوله من لم يكن نقياً ذكياً فلا يدنُ من نقي ذكي وبقراط حيث يقول ان الابدان التي ليست بنقية كلما غذوتها زدتها شرّاً واما بواثيس الذي هو من اهل صيدا فيرى ان يُبتدأ بعلم الطبائع لانها اعرف واقرب عنده وآلف واما ازوبنقس تلميذه فيرى ان يبتدأ بعلم المنطق اذ كان الآلة التي تمتحن الحق من الباطل في جميع الاشياء . قال ابونصر وليس ينبغي ان يرذل واحد من هذه الآراء ومنها الحال التي يجب ان يكون عليها الرجل الذي يؤخذ عنه علم ارسطو قال فيه : هي ان يكون في نفسه ما قد تقدم واصلح الاخلاق من نفسه الشهوانية كيما تكون شهوته للحق فقط لا للذة واصلح مع ذلك قوته الناطقة كيما تكون ارادته صحيحة . والرسالة الخامسة في مسائل مهمة في علم الحكمة عبر عنها باوجز عبارة قال في آخرها عناية الله تعالى محيطة بجميع الاشياء ومتصلة بكل احد وكل كائن فبقضائه وقدره . والرسالة السادسة فيما يصح وما لا يصح من احكام النجوم ومما قال فيها : التجارب انما تنفع في الامور الممكنة على الاكثر فاما الممكنة في الندرة والممكنة على التساوي فانه لا منفعة للتجربة فيها وكذلك الروية واخذ التأهب والاستعداد انما ينتفع بها في الممكن على الاكثر لا غيره واما

الضروريات والممتنعات فظاهر من امرهما ان الروية والاستعداد والتأهب والتجربة لا تستعمل فيهما وكل من قصد لذلك فهو غير صحيح العقل واما الحزم فقد ينتفع به في الامور الممكنة في الندرة والتي على التساوي . والرابعة في مسائل متفرقة سئل عنها الحكيم الثاني ومنها اي افضل الحفظ ام الفهم فقال : الفهم افضل من الحفظ وذلك لان الحفظ فعله انما يكون في الالفاظ اكثر وذلك في الجزئيات والاشخاص وهذه امور لا تكاد تتناهى ولا هي تجدي وتغني لا باشخاصها ولا بانواعها والساعي فيما لا يتناهى كباطل السعي والفهم فعله في المعاني والكليات والقوانين وهذه امور محدودة متناهية وواحدة للجميع والذي يسعى في هذه الامور لا يخلو من جدوى ثم قال : واذا كان معوّله على الاصول والكليات وعرض له امر من الامور امكنه ان يرجع بفهمه الى الاصول فيقيس عليها بهذا وقد تبين ان الفهم افضل من الحفظ . والرسالة الثامنة في فصوص الحكم وهو كتاب من كتبه المهمة شرحه السيد محمد بدر الدين النعساني ومنه : اذا عرفت اولاً الحق عرفت الحق وعرفت ما ليس بحق وان عرفت الباطل اولاً ولم تعرف الحق على ما هو حقه فانظر الى الحق فانك لا تحب الآفلين بل توجه بوجهك الى وجه من لا يبقى الا وجهه .

هذه هي الرسائل كما ترى وللفارابي كتب كثيرة مهمة من اهمها بالنسبة الينا كتاب احصاء العلوم وترتيبها وبلغنا انه طبع في اوروبا وشرح كتاب الخطابة لارسطاطاليس وكتاب الالفاظ والحروف وكلام في الملة والفقه المدني جمعه من اقاويل النبي صلى الله عليه وسلم وكلام له في الشعر والقوافي وكتاب في اللغات وكتاب شرائط اليقين ورسالة في ماهية النفس . وقد قدم له طابعه محمد امين افندي الخانجي مقدمة تناها بترجمة الحكيم ابي نصر وترجمة افلاطون وارسطاطاليس وهو يطلب من مكتبته بالقاهرة بقرشين ونصف وعدد صفحاته ١٧٦ صفحة صغيرة .

امالي السيد المرتضى

من اشهر كتب الامالي امالي السيد المرتضى ابي القاسم علي بن الطاهر ابي احمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ وهو في التفسير والحديث والادب طبع في بلاد فارس فاعاد طبعه احمد افندي ناجي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي واخوه في مصر في اربعة اجزاء من قطع الوسط وبلغت صفحاته نحو سبعمائة صفحة . وقد سبق لنا ان وصفنا هذا الكتاب ببيان اطول عند صدور الجزء الاول منه وقد كانت قيمته بالاشتراك عشرين قرشاً وهي الآن بعد تمام طبعه بخمسة وعشرين يطلب من مكتبة الخانجي بالحلوجي .

الايمان

كل ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ في الشريعة والفقه والرد على المخالفين هو آية في حسن اسلوبه وغنائه . وكتاب الايمان هذا من جملتها طبع في الهند لمرة الاولى واعاد طبعه هذه الآونة احمد افندي ناجي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي واخوه بمصر هو يباع عندهم بستة قروش وعدد صفحاته ١٩٠ صفحة من القطع الكبير .

منجم العمران

في المستدرك على معجم البلدان

عُني محمد امين افندي الخانجي بطبع معجم البلدان لياقوت الحموي الذي كان طبع في اوروبا وارخص ثمنه فاقبل على ابتياعه المغرمون بآثار السلف وقد جمع في مجلدين جاآ في نحو ٧٥٠ صفحة ما فات المؤلف من ذكر الممالك الاوروبية والاميركية لان اقاسيمها حدثت بعد زمنه كما اكتشفت اميركا بعده بسنين طويلة مستنداً في ذلك من كتب المتقدمين على كتاب جزيرة العرب للهمداني وكتاب معجم ما استعجم للبكري وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي وكتاب الاشراف للمسعودي وكتاب البلدان لابن الفقيه وغيرها من الكتب القديمة كما اعتمد في الجمع على زهاء ثلاثين كتاباً من كتب المحدثين في الجغرافية والتاريخ ولم يتعرض لذكر القرى والمحال والهضاب والجبال لان المؤلف الاصلي بالغ في البحث عنه وانما عمد الى ما للناس فيه فائدة من حادثة تاريخية او اثر جميل اوشيء غريب من احوال الصناعات والتجارات والمتنزهات وغير ذلك . وكنا نود لو صرف العناية اكثر من ذلك الى تمحيص المنقول فان في اكثر المؤلفات الحديثة في العربية في هذا الشأن من الاغلاط ما يكاد يرفع الثقة الا قليلاً . وعلى كل فنشكر لامين افندي توفره على احياء الكتب النافعة للخاصة والعامة ونرجو ان يكثر في طابعينا وكتبيينا من ينظرون الى منفعة المطالعين نظرهم الى منفعتهم الخاصة ليستفيدوا بذلك ويفيدوا . ويطلب معجم البلدان وذيله من الطابعين بمئة وعشرين قرشاً بدون تجليد .

الركوسية

عُرف الاب انستاس الكرملي في بغداد بسعة الفضل وبعد الغور في المباحث اللغوية والتاريخية بما نشره حتى الآن في المجلات العربية والافرنجية . وامامنا الآن من قلمه هذه النبذة الاخيرة بالافرنسية نشرت في مجلة الانثروبوس (الانسان) الصادرة في النمسا

L'Anthropos, Revue internationale d'ethnologie et de linguistique, Salzburg, Autriche

في الركوسية وهم فئة قال بعض علماء العرب انهم طائفة بين النصرانية والصابئة وقال آخرون والحق معهم وعليه الاب انستاس انهم كانوا طائفة نصرانية فقط بدون ان يعرفوا ما هي معتقداتهم . ومن رأي المؤلف ان الركوسيين ليسوا الا كروسيين قلب اسمهم من كبروس بطريرك الاسكندرية الذي اعلن سنة ٦٣٣ للمسيح عقيدة وحدة الارادة في السيد المسيح (عليه السلام) (Monothélisme) واذا صح رأيه في هذه الطائفة وهو ما نسلم له فانا نرى استنتاجه بان عدي بن حاتم الطائي هو من ابناء هذه النحلة كما استشهد ببعض الاحاديث في ذلك مردود لما ان الحديث المستشهد به غير معروف . وكيف يمكننا ان نقول بان عديا كان كروسيا او ركوسيا قبل وفاة النبي (عليه السلام) اي قبل سنة ٦٣٢ وهي قبل اعلان المجمع الاسكندري لهذا المذهب بسنة . وكذلك الحال في الاخطل فليس لدينا ما يثبت انه كان من اهل هذه الطائفة بمجرد انه كان يلبس لباس عدي

ا . ج

مخطوطات اسبانية

M. Lucien Bouvat-Sur quelques manuscrits de la Société Asiatique Relatifs à l'Espagne , extrait de la Revue Hispanique

هي رسالة بالافرنسية كتبها المسيو لوسين بوفا احد علماء المشرقيات الذي عرف القراء بعض فضله بما نشرناه معربا من بعض ابحاثه وتقدامتاز بالشرقية منها عامة والاسلامية خاصة . تكلم في هذه الكراسة على بعض كتب عربية كان اهداها اللورد كينغسبورغ الايرلندي للجمعية الآسياوية سنة ١٨٣٤ اي بعد تأسيسها بسنتين في جملة ما اهداها من الكتب الاسبانية والعربية والفارسية والتركية والهندية واليابانية . وقدم المؤلف مقدمة في ذكر المتبرع بتلك الكتب فقال انه طبع كتابا ضخما في «العاديات في المكسيك» لم يتمه انفق عليه لا اقل من اثنين وثلاثين الف جنيه فكان فيه افلاسه وموته سجينا لعجزه عن قضاء دينه واثبت فيه ان التمدن المكسيكي انتشر بفضل اناس من مستعمري الاسرائيليين . وافاض الناشر في وصف تلك المخطوطات العربية التي لها علاقة باسبانيا واكثرها مطبوع في اوروبا ونقل منها شذرات بالعربية وقد نشرتها المجلة الاسبانية واخرجت منها نسخا على حدة فجاءت ناطقة بفضل مؤلفها وتحقيقه فيما يخوض عبابه من الابحاث

تقرير المجمع العلمي السمثسوني

Annual report of the Board of regents of the Smithsonian Institution 1905

انتهى الينا تقرير هذه الدار العلمية في واشنطون وهي التي أسست سنة ١٨٤٦ بـ ٥١٥١٦٩

دولاراً اوصى بهالها احد اهل الخير من الاميركان المدعو سميثسون لتنفق في مشروع علمي يكون منه زيادة انتشار العلوم بين الناس ومساعدة رجال العلم على البحث ونشر مباحثهم في مجلدات وارسالها الى كل مكتبة مهمة في العالم . والعلوم التي يجيز هذا المجمع عليها في الاكثر هي الحيوان والنبات والجيولوجيا وعلم الآثار والفلك وقد وقفت عليه اموال اخرى تجاوز رأس ماله الآن زهاء مائتي الف جنيه . ولسبت الجمعية لواضع اساسها الاول . واعضاء هذه الجمعية المؤسسون رئيس الولايات المتحدة ونائبه وقاضي القضاة ورؤساء الدوائر التنفيذية وقد وقع هذا التقرير في ٥٧٦ صفحة متوسطة مطبوعاً اجود طبع وفيه خلاصة اعمال الجمعية ونفقاتها ومقالات العلماء وابحاثهم كما ان فيه رسوماً كثيرة ومصورات جميلة جدير بان تزدان به المكاتب ليكون من جملة العبر للشرق تنعي عليه توانيه عن اللحاق بالغرب في العلم والعمل

سير العلم

التمتمة

عنيت لجنة التعليم الابتدائي في مدينة لانكاستر بانكلترا بالبحث في احوال الاولاد الذين يتلجلجون في القاء دروسهم فثبت لمن عهدت اليه النظر في ذلك ان الاطفال يتمتمون ولا سبيل الى نزع هذه العادة منهم الا بالتمرين ورياضة الصوت وتعويدهم على عدم التردد في الكلام فجمع لذلك صفاً مؤلفاً من اربعين من البنات والبنين واخذ يعلمهم على اساليبه في تقوية التنفس وتحسين التلفظ وبعد غاية ستة اسابيع طفق الاولاد يقرأون بصوت جهوري ساعات بدون تمتمة ثم زودهم الاستاذ بنصائح يجرون عليها في بيوتهم بمراقبة اهلهم . وهذه الطريقة تستدعي عناية فائقة من المعلم والمتعلم وكثيراً من الثبات ولا بد من التوفر على ترويض الصوت على هذا النحو حتى تزول التمتمة كل الزوال وقد ارتأت اللجنة المشار اليها ان تنشأ فرق خاصة في كل مدرسة لهذه الغاية كما تؤسس فرق استعدادية في جميع مدارس المعلمين .

حواس النبات

قال علماء النبات منذ نحو خمسين سنة بان للنبات حياة كحياة الحيوان وقام اليوم احدهم في هولاندة ليثبت بان للنبات كالحيوان حواس وان خفيت عن الانظار فلها حاسة الذوق وحاسة

السمع وحاسة اللمس . فالنبات على ما يقول بحسب الفصيلة التي ينسب اليها يتغذى بمواد يؤثرها على غيرها لانه يرى فيها لذته ويستطيبها . وللنبات حاسة الذوق والدليل على ذلك الطحلب فان نموّه معروف بتزاوج الذكر بالانثى وهكذا ايد مدعاه في قوله ان للنبات ذوقاً وسمعاً ولمساً .

الانحطاط البشري

نشر الدكتور اميل كنج من علماء الفسيولوجيا في برلين كراسة ليس فيها علامة خير على مستقبل البشر فقال ان الانسان قد انهك قواه وتركيبه الفسيولوجي فاصبح عرضة للامراض حتى انك لترى هذا الانحطاط بادياً في كثير من الناس واذ كانت هذه الحال تنتقل من اجيال الى اخرى فقد نشأ عنها تغير عام في النوع الانساني يؤيد ذلك تعدد الاصابات بالسرطان الذي نسبه في الاكثر لحياة الانسان على هذا العهد الحديث وزاد بان امراض القلب قد كثرت وان معظمها ناشيء من ضغط الدم على الاوعية الدموية الناتج من الافراط في العمل والجهاد والاسراع والتعب على اختلاف ضروبه . واثبت بان معدة الانسان تسوء حالها من حين الى آخر وان سوس الاسنان وسقوطها قبل الاوان مما يزيد في ضعف المعد زيادة محزنة . وزاد بان الناس اذا ظلوا يعيشون كما يعيشون وسط هذا التمدن الموهوم فسيجيء يوم ليس ببعيد كما يظن الظانون فيكثر فيه الانتحار كل يوم بسبب ما يلقاه المتمرون من الاوصاب والاوجاع التي لا تطاق . قالت المجلة التي عربنا عنها هذا المقال : لا شك ان رأي العالم الالماني لا يخلو من مبالغة وغرابة ولكن فيه شيئاً من الحق ايضاً وذلك لان حياة البشر في تناقص وتشوه ما عدا احوال استثنائية فبعد ان ادرك المرء ان خير ما له صحة يتمتع بها نراه مع هذا يسرف فيها اي اسراف كولد طائش ورث من اهله مالاً فتوفر على اتفاقه بكلتا يديه . وقد جرت عادة الصينيين ان يضعوا جوائز سموها جوائز الفضيلة يمنحونها لمن يحسن الخلاص من الامراض فهلا اقتدت اوروبا بهم في هذا السبيل ؟

البيوت الغريبة

اخترع شيخ الكهربائية في هذا العصر المستر اديسون الاميركي قوالب تكلف ثمانية آلاف جنيه وتبنى بها مساكن ذات ثلاث طبقات لا يكلف واحدها اكثر من مائتي جنيه ويتم في اربع وعشرين ساعة في ارض رملية يستعمل ما يستخرج من رملها في بناء حوائط الدار وأسسها كالسمنت وبهذا الاختراع قد خدم الانسانية اجل خدمة خصوصاً وهو يقول انه لا يريد ان يربح من اختراعه بل يجعله وقفاً على نفع البشر فبارك الله به وباختراعه وانسانيته

حاصلات البن

بلاد البرازيل اعظم الممالك اخراجاً للقهوة في الارض والبن المعروف بالسانتوس مشهور في جميع الاسواق التجارية في العالم . وسانتوس مرفأ تجاري من مرافيء تلك البلاد تجيء اليها القهوة من اطراف الجمهورية البرازيلية ومنها تصدر الى اقطار المعمور فتنسب القهوة اليها . وقد قدّر محصول القهوة في العالم من سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩٠٢ بنحو تسعة عشر مليون كيس وبـ ١٧٦٨٥٠٠٠ كيس من سنة ١٩٠٢ الى ١٩٠٣ وبـ ١٥٧٣٠٠٠٠ كيس من سنة ١٩٠٣ الى ١٩٠٤ وبـ ١٤٩٠٠٠٠٠ كيس من سنة ١٩٠٤ الى ١٩٠٥ وكان حظ البرازيل من هذا المحصول اكثر من حظ الامم جمعاء فاصدرت سنة ١٩٠٢ اربعة عشر مليوناً ونصف مليون من الاكياس التي يبلغ واحدها ستين كيلو وسنة ١٩٠٣ ١٢٣٨٠٠٠٠ كيس وسنة ١٩٠٤ — ١٠٣٠٠٠٠٠ كيس وسنة ١٩٠٥ — ٩٦٤٠٠٠٠ كيس

البحرية الالمانية

من القاعدة التي اتخذتها انكلترا في استعمارها ان تكون بحريتها موازية لبحرية دولتين عظيمتين من دول اوروبا الا ان المانيا قد كادت تخل لها تلك القاعدة فقد قررت ان تبني سنة ١٩٠٨ ثلاث دارعات كبرى وفي كل من سنة ١٩٠٩ و١٩١٠ ثلاثاً مثلها ومدرعتين سنة ١٩١١ ومن سنة ١٩١٢ الى ١٩١٧ كل سنة دارعة عظمى وطراداً عظيماً فيكون مجموع ما ستبنيه في تسع سنين ١٧ دارعة و٦ طرادات عظمى و٢٩ طراداً صغيراً وقد بلغت ميزانيتها البرية والبحرية زهاء مليار مارك اي ما يربو على ١٢٠٠ مليون فرنك فزادت ١٣٣ مليون مارك عن السنة الماضية ولا تزال الزيادة تزيد سنة عن سنة والمانيا تريد ان يكون لها المقام الاول ببحريتها كما لها المقام الاول ببريتها وهناك مؤتمر السلام في مدينة الهاي ينادي اعضاؤه بنزع السلاح والاجتماعيون ينادون بالسلم والسياسيون لا يرتاحون الا للحرب .

تجارة كريت

في احصاء اخير ان واردات هذه الجزيرة المعروفة عند كتاب العرب بجزيرة اقريطش قد بلغت في السنة الماضية ١٥١٨٥٠٧٣ فرنكاً وصادراتها ١١٣٢٤٤٤٩ فرنكاً واهم ما يرد اليها الدقيق والانسجة واهم ما يصدر منها زيت الزيتون ثم الخروب والزبيب والصابون قالت مجلة الاستعمار ان تجارة هذه الجزيرة وزراعتها وعدد سكانها ليست متناسبة مع سعتها وخصب ارضها وجودة مناخها وموقعها الجغرافي فان مساحتها تبلغ نحواً من عشرة آلاف كيلومتر مربع وليس فيها من السكان اكثر من ثلثمائة الف نسمة

لغة الجغطاي

كتب المسيو لوسين بوفا في مجلة العالم الاسلامي بحثاً في هذه اللغة قال فيه : ان معنى جغطاي في الاصل « المحتشم الشجاع » وهذا الاسم اذا أطلق على انسان عند الترك في آسيا الوسطى يراد به مدحه ولذلك دعي جنكيز خان بجغطاي وسميت هذه اللغة باسم المملكة العظيمة التي شاعت فيها وقد قسمها بيرسين منذ ستين سنة في كتابه « البحث عن اللهجات التركية» الى ثلاث فصائل الاولى الجغطائية الشرقية او التركستانية وهي عبارة عن لغة الويكور والكومان والجغطائي والاوزبك والتركمان والتركستاني ولغة قازان المكتوبة والفصيلة الثانية هي التتارية او الشمالية (كيشاك) وهي عبارة عن لغة القرغيز والباشكير والنوجاي والكوموك والكاراتشاي والميشرباك والسيبيري والفصيلة الثالثة التركية اوالغربية وهي عبارة عن اللهجات الداغستانية والازربية المنتشرة في بلادالقريم والاناضول والروم ايلي . وقسمها ارمينيوس فمبري المستشرق المجري بعد عشرين سنة من ذاك التاريخ الى ثلاث فصائل رئيسة وهي الصيني التاتاري (الترك الكشغري) والجغطاي الصرف او الاوزبكي والتركماني يضاف اليها في الدرجة الثانية لغة التبشان والقرغيز والقره قالباق كما يضاف اليها لغتان قريبتان من التركية كل القرب وهما اللغة الياقوتية والشوفاشية

قال وقد اعتبرت لهجة الويكور اقدم ضروب اللهجات التركية وا كتشف بعضهم مخطوطات نادرة في اورخون من بلاد المغول منذ نحو عشرين عاماً كتبت بلغة تركية اقدم من جميع تلك اللهجات خالية من الالفاظ العربية التي طرأت على اللهجات التركية عقيب ان دان اهلها بالاسلام . ومن الغريب انها اقرب الى التركية العثمانية من لغة الويكور واللهجات التركمانية ويقال على الجملة ان لهجات سكان الشرق من الاتراك تمتاز عن لهجات سكان الغرب بنافيها من الالفاظ العربية المهجورة ولها الفاظ خاصة بها استعاض عنها الترك العثمانيون بالفاظ عربية وفارسية او افرنجية (افرنسية وايطالية وانكليزية ويونانية وصقلبية وغيرها) ولفظ سكان الشرق شديد حلقي وبعض اللهجات كلغة القريم وآذربايجان مثلاً هي رابطة بين اللهجات

ثم وصف اللغة البخارية واللغة الخوقندية واللغة الاوزبكية الشائعة في خيوة وما تمتاز به كل منهن وقال ان الاحوال السياسية التي جرت في آسيا الوسطى في القرون الاخيرة كان من نتائجها التأثير في كل لهجة من تلك اللهجات فلم تحفظ كيانها كما كانت . اما الجغطاي اليوم فهو اللغة الاوزبكية يتكلم بها في ثلاث امارات تحكم عليها الآن روسيا وهي خوقند وبخارى وخيوه ما عدا من نزح ممن يتكلمون بلغتهم الى الافغان . ولئن ساغ تحديد البلاد التي يتكلم فيها بتلك اللهجة فان عدد من يتكلمون بها كثيرون وقد قدر فمبري

عدد من يتكلمون بالاوزبكية بمليوني نسمة منهم مليون في بخارى وحواليها وسبعمائة الف في خيوه ومائتا الف تحت حكم الافغان · وقدّره آخرون بثلاثة ملايين وثلثمائة الف ولكن بدون ان يذكر فيه العناصر واللغات ·

وقد وصف الاستاذ فمبري اخلاق الاوزبكيين وعاداتهم فقال ان سكان المدن منهم ما برحوا اذا نظرت فيهم ترى عليهم اثرًا من آثار المدنية الزردشتية ومن ذلك انهم مازالوا محافظين كل المحافظة على عيد النوروز وهو اول يوم في السنة عند الفرس الموافق للاعتدال الربيعي وما برح اوزبك بخارى كمجوس الفرس في يزد وكرمان يرقصون حول نار يوقدونها من القش ويجب على العروس عندهم ان توقد نارًا لطرد الارواح الشريرة عند ما تدخل للمرة الاولى الى بيت زوجها ولا يسوغ لها ان تستدبر تلك النار · ويتوقى اهل البادية منهم ان يبصقوا في النار او يلقوا فيها قاذورات ويعزون للشمس كما يعزون للنار ان فيها خاصية شفاء الامراض كما يعتقدون معتقدات قدماء الايرانيين في الارواح والجن · وذكر عاداتهم في مآكلهم ومشاربهم وقال ان التدين يغلب عليهم كثيرًا بدون تعصب ولا يكادون يعرفون الرياء وهم يقدسون الاولياء ولكن اقل من خيوة وبخارى وخوقند وقلما يحجون وهم اشبه باتراك الاناضول منهم باتراك بخارى ·

ثم قال ان الترك العثمانيين كانوا يحتقرون قديمًا المتكلمين بلغة الجغطاي او الاوزبك اي التركية الاصلية القديمة ويصفونهم بالغلظة ويسمون لغتهم بالجفاء على ان تجافيهم عن اصل لغتهم لم يزدهم الا انهيال الالفاظ الدخيلة عليهم حتى صارت التركية العثمانية مزيجًا من لغات امم شرقية وغربية ولو احتفظوا باصول لغتهم لكان لهم من الفاظها مادة يمكنهم ان يعبروا بها عن افكارهم ومع هذا انتبهوا في العهد الاخير واخذ بعض علمائهم يبحثون في الرجوع بها الى اصولها ونشروا نصوصًا قديمة من اللغة الجغطائية كما ينشر علماء المشرقيات آثار الشرق القديمة ثم وصف مملكة الخوجة في تلك البلاد وما تعاقب عليها من الملوك وكيف سقطت الآن في يد الروس وقال انه لا يرجى لاهلها بعد الآن نفوذ ديني ولا سياسي ·

نظر الوقادين

قدم احدهم الى جمعية امراض العيون في باريز رسالة قال فيها ان كثيرًا من الوقادين في الاتوموبيل والاومنيوس مصابون بامراض في عيونهم فينشأ منهم لضعف ابصارهم ضرر على الراحة العامة وخطر على حياة الركاب والمارة ومن العجب ان يطلب من الميكانيكي ان يكون حاد النظر وتفحص عيناه فحصًا طبيًا دقيقًا ولا يطلب مثل ذلك من الوقاد و « السواق » واثبت ان ٨ في المئة من الوقادين ضعاف البصر · وصادف ان رأى وقادين كانت مقامهم

(قرنيتهم) كثيفة بحيث لا يبصرون وبعضهم مصابون بتغبش النظر وبلغ الحسر اي قصر النظر ببعضهم انهم اذا رأوا في رابعة النهار قطيع غنم ظنوه غباراً وان وقع نظرهم على جبل اتخذوه سحاباً ومنهم من لا يبصرون الا بعين واحدة فاذا أصيبت الصحيحة بعارض يصبحون والعميان لا محالة . ومن رأيه ان تُفحص عيون الوقاد والسواق قبل ان يناط بهم العمل كالجمل هذه الرسالة موضع التنفيذ لان الحوادث التي تنشأ من ضعف الابصار من هذا القبيل طالما جلبت المضار والاخطار .

تلفون جديد

اخترع الاخوان لوريمه اللذان لهما في تاريخ التلفون يد طولى آلة يخاطب بها الانسان من يريد من تلقاء نفسه بدون ان يخاطب مركز ادارة التلفون اولاً لتفتح له طريق من يجب مخاطبته . وقد جعلت الآلة بحيث لا يحدث منها لبس في التخاطب ولا انقطاع ولا يفهم احد ما يدور بين المتخاطبين كما هو الحال الآن وذلك على طريقة تسهل على المتخاطبين وتوفر من العاملين وتكون سرعة التخاطب بهذا التلفون في الليل اكثر من سرعتها في النهار وقد جرب اختراعها في كندا فظهرت نتائجه الحسنة .

طباعة العميان

كان العميان في اكثر مدارس الغرب يتعلمون القراءة في كتب جعلت لهم خاصة بحروف ناتئة عرفت بحروف برايل اما الآن فقد اخترع احدهم اختراعاً جديداً بحيث يمكن للعميان ان يقرؤا الخطوط التي تطبع بحروف كالعادة الا ان نصف الحرف الاول يجعل بطبع ناتيء ونصفه الآخر بطبع عادي غير ناتيء وبذلك يمكن للمبصرين والعميان ان يقرؤا الكتب المطبوعة على هذا النحو .

ورق النرد الطبي

ثبت بالفحص الطبي ان جراثيم العدوى يكثر انتقالها بورق النرد لتنقلها من يد الى اخرى خصوصاً وبعض الناس يبلون اصابعهم بريقهم ليتناولوا الورق ويناولوه بسرعة . فتساعد على نقل جراثيم النزلات والسعال وامراض الحلق وغيرها رطوبة الاماكن التي يلعب فيها اللاعبون والرطوبة من اشد المعينات على نماء الاحياء الضارة . وقد ارتأى احد الاطباء الانكليز ان يجعل ورق اللعب من القماش ليمكن تطهيره وتعقيمه بعد كل لعبة وربما كان لاستعمال هذه الاوراق الصحية شيء من النفع لصحة الاجسام .

انقاذ السفن

اخترعت آلة لتعويم السفن الغرقى وذلك بجعل هواء مضغوط في جدران السفينة الغارقة ضغطاً اشد مما يقابله من العمق، وقد جربت في تعويم الغواصات وربما انتفعت في تعويم البوارج

حوادث الخطوط الحديدية

جربت حكومة المانيا من مدينة برلين الى ستيتين عدة طرق لتعريف سائق القطار ما امامه من الاشارات اثناء الضباب توقياً من الاخطار فلم ترَ احسن من وضع كل مئة متر صفارة من الكهربائية تجعل على علو ثلاثة مترات فتصفر وتنبه السائق الى الاشارات التي امامه .

عدو المحار

أصيب المحار او سمك البدلان في شواطيء فرنسا ولا سيما على بحر المانش بعدو ازرق من الخث (نبات الماء) الذي يعلق بالحصا فلا يرتفع عنه كما يعلق على المحار فاذا امتلأ هذا الخث ماء بلغ بحجم البيضة واحيانا بحجم اليد فاذا علق بالمحار لا يتركها حتى يقتلها وقد قدر ما فسد من هذا السمك في شهر مايو من سنة ١٩٠٦ باربعمائة الف سمكة وذلك في (بارك برونون) وحدها ولم يجدوا طريقة للخلاص من هذا العدو الا القاء حزم من الشوك في الماء تمزق الخث

المانيا والسل

يؤخذ من تقرير الصحة في المانيا ان فيها ٨٧ مصحاً Sanatorium للشعب فيها ٨٦٤٨ سريراً منها ٥٧٧٣ للرجال و٣٦٥٨ للنساء و٢٩٣ للرجال والنساء بدون استثناء وفيها ٣٥ مصحاً خاصاً تحتوي على ٢١١٨ سريراً و١٧ مصحاً للاولاد المسلولين فيها ٦٥٠ سريراً و٦٧ مصحاً للاولاد المصابين بداء الخنازير فيها ٦٠٩٢ و يعمر فيها اليوم ١١ مصحاً للامة فيها ثمانمائة سرير وعشر دور خاصة بمداواة هذا المرض ودار ان آخران تشيدان حديثاً هذا ما عدا دور النقاهة التي اقامتها المانيا وجمعياتها في الغابات وغيرها

سماعة جديدة

اخترع احد جراحي لندن سماعة جديدة للصم استعاض فيها عن المعدن بالمطاط وكان المعدن تتأثر منه حاسة السمع بعض التأثر والمطاط يسهل مسه و يلطف وضعه .

أم الكتب

قيل ان الصاحب ابن عباد كان يستصحب في سفره احمالاً من الكتب للتسلية والاستفادة فلما ظفر بكتاب الاغاني استغنى عنها كلها واكتفى بحمله معه والغالب ان الناس في اوروبا

سئمت نفوسهم من كثرة الكتب او كادت وخافوا ان تكون لهم كما قال ابن خلدون عائقة عن التحصيل فعرضت احدى المجلات الدولية التي تخوض المباحث الحرة على المعاصرين من العالمين ان يبينوا لها آراءهم فيما يختارونه من الاسفار التي تؤلف مكتبة يعتمد عليها المرء في خلوته وجلوته ولا تكون اكثر من اربعين كتاباً تبحث في الفلسفة والاخلاق والفنون والادب ٠

التصوير عن بعد

Le télestéréographe

هذا اللفظ الافرنجي معناه التصوير عن بعد اخترع مسماه احد علماء الالمان منذ مدة فقام مخترع افرنسي اليوم يتم ما بدأ به السابق فتمكن من نقل مسودة فوتوغرافية بالفحم الى مسافة بعيدة واخرج صورة منها في صورة تشبه الاصل وليس في القيام بذلك ادنى صعوبة

تلوين الجوهر

ثبت ان الحجر اللطيف المعروف بالكوروندون المعتبر بعد الماس بقيمته يتأتى تلوينه حتى يصير جوهراً لطيفاً وكذلك بعض الاحجار الكريمة . ولكن الاحجار الكريمة تبقى على نفاستها وغلائها ويمكن تلوين الياقوت الاحمر بلون آخر وان كان من الثابت ان الاحجار تعيش وتموت كالنباتات فان ذلك مما يسر السبيل على المخترع ان يلوّن الاحجار الكريمة الواناً غريبة

غذاء الانسان

نشر شيتدن من اساتذة كلية يال الاميركية كتاباً في الاكثار من التغذية ولا سيما في الاكثار من تناول اللحوم واورد امثلة كثيرة في هذا الباب ٠ واثبت الآن ان التغذية المعتدلة هي من الشروط المهمة في حسن الصحة ومتانة الاعضاء ومرونتها ٠ وقد استعمل هذا الاستاذ بذاته مع بعض رصفائه من الاطباء طريقة التقدير في الطعام ولا سيما في الالبومين اللازم كل يوم فجادت صحتهم ايما جودة وطبقت هذه القاعدة على جنود في الخدمة مضطرين كل يوم الى معاناة الاعمال الصعبة فثبت ان اعصاب ظهورهم وسوقهم وصدورهم واذرعهم قد قويت اي قوة وان خير طريقة لاتقاء الامراض ان نقدر كمية الطعام على ما ينبغي ولا سيما اللحوم

الديكتوغراف

Le dictographe

آلة اخترعت مؤخراً في اميركا تمنع ان يسمع احد حديثك وانت تكلم احداً بالتلفون او يفهم كلامك او يجعل الهواء التباساً في حديثك وحديث من تكلم

تقهقر انكلترا

قالت المجلة الباريزية ان انكلترا لم يعد لها المقام الاول في التجارة والصناعة كما كانت منذ مئة سنة فقد بلغ ما اصدرته سنة ١٨٢٠ من المصنوعات مليار فرنك اي انه يعادل ما اصدرته فرنسا والولايات المتحدة معاً او النمسا والمانيا او يوازي مصنوعات العالم اجمع اذا أخرجت منه تلك الدول الاربع · ونزل ما اخرجته سنة ١٨٨٠ الى خمس الحاصلات الصناعية وفي سنة ١٨٩٤ الى السدس ولم تبلغ الصادرات الانكليزية مندسنة ١٨٩٤ الى سنه ١٩٠٢ سوى ثلاثة عشر في المئة وصادرات فرنسا ستة عشر في المئة والمانيا تسعة وثلاثين في المئة والولايات المتحده ستة وستين في المئة · وكانت اليابان قديماً من احسن الزبن للمصنوعات القطنية الانكليزية الاانها اخذت تصنع مثلها في بلادها من ذاك العهد وتقدمت صنائعها تقدماً غريباً فكانت تنسج سنة ١٨٨٦ ستة ملايين لبرة من القطن فاصبحت تنسج سنة ١٨٩٥ — ١٣٥ مليون لبرة اي ان مصنوعاتها زادت اربعة وعشرين ضعفاً في تسع سنين وغدت اليابان التي كانت تبتاع سنة ١٨٨٤ بثمانية ملايين دولار من المصنوعات القطنية لا تشتري سنة ١٨٩٥ سوى نصف ذلك

الجزائر والصحراء

نشرت مجلة العلم في القرن العشرين مقالة بحث فيها كاتبها في اصول سكان جنوبي الجزائر والصحراء فقال ان اهم عنصر في سكان الجزائر هم البربر والعرب والاول زارع والآخرون يقيمون على تربية المواشي وكثيراً ما كان هذان العنصران يتمازجان وقد اثر هناك الدم الزنجي ايضاً قال ومنذ استولت فرنسا على تلك الانحاء اخذ كثير من قبائل الطوارق يعناشون من رعي الماشية او يسيرون القوافل واصبح بعضهم زراعاً يحرثون ويفلحون ·

الدين في الصين

نشر احد الباحثين من الانكليز مقالة قال فيها ان الدين يرجع القهقرى في الصين فلا يقل فيها المتدينون بالكونفوشيوسية اوالبوذية او الطاوسية بل ان النصرانية هناك لامستقبل لها ايضاً ·

أولاد الفقراء

بحث بعض العلماء في السنين الاخيرة في قامات اولاد الفقراء ووزنهم ونسبتهم مع اولاد الاغنياء فثبت ان الاغنياء اعظم واقوى (المقتبس ٣ — ٤٤٤) وقد عينت الحكومة الانكليزية نخبة من الاطباء والعلماء فحصوا ٧٢٨٤٨ صبياً في المدارس العامة

في غلاسكو سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٦ فنظروا اليهم من حيث مساكنهم لان سعة المسكن دليل على سعة العيش في الغالب فثبت لهم ان ٨ في المئة يعيشون في مسكن ذي غرفة واحدة و٥٨ في المئة في مسكن ذي غرفتين و٢٤ في المئة في مساكن ذات ثلاث غرف و١٠ من المئة في مساكن ذات غرف كثيرة واثبتوا ان قامات البنين والبنات من الخامسة الى الثالثة عشرة تضعف بحسب صغر المساكن التي يسكنونها وايدوا بالبرهان ان عظم المساكن اذا كانت دليلاً عاماً واضحاً على حالة الثروة فان قامات الاطفال ووزنهم تضعف بحسب ضعف الاسرة في السعة و بسطة العيش ·

ترجمة التوراة

قالت المجلة : ترجمت التوراة الآن الى اربعمائة لغة وقد اورد الباحث فيزجيرالد بعض المصاعب العظيمة التي تحول دون نقلها الى اللغات الهمجية التي كثيراً ما تعوزها اهم الكلمات اللازمة · مثال ذلك ان اهل تاهيتي ليس عندهم لفظ يعبر عن « الحشمة » ولعلهم لا يعرفون هذا المعنى ومتوحشو الماوريس في زيلاندا الجديدة ليس عندهم كلمة « شريعة » والبلاد التي لم تدخل اليها التوراة بعدُ هي بلاد العرب والفرس والسودان ·

مطاط جديد

اكتشف في التونكين شجر جديد من المطاط من النوع الجيد وهو كثير في عدة ولايات من تلك المستعمرة ولم يكن يعرف من شجره في الهند الصينية غير نوع كان يصعب استثماره كثيراً وقلما يأتي بمطاط جيد ·

ضرائب فرنسا

كان سكان فرنسا سنة ١٨٠٨ يدفعون ضرائب للحكومة ٢١ مليارًا فاصبحوا يدفعون سنة ١٨٩٦ — ١٤٢ مليارًا من الفرنكات ولم يتضاعف في خلال تلك الحقبة من القرن عدد سكانها على حين انشؤا يدفعون سبعة اضعاف ما يدفعون و زاد عدد الدفاتر التي أُخذت من صناديق التوفير منذ سنة ١٨٦٩ — ١٨٩٧ من ثلثمائة الف الى ستمائة الف و بلغت المبالغ المودعة ١٤٨ مليونًا وكانت ٥٢

تشغيل الاولاد

عدوا من دواعي الخجل على القرن التاسع عشر ان ينصرم و يخلف للقرن العشرين مسألة من اصعب مسائله الاجتماعية الا وهي تشغيل الاطفال من البنين والبنات في المعامل والمصانع والمناجم يعملون بايديهم وهم ضعاف الاجسام ولما يبلغوا نموهم المطلوب فتستولي عليهم

الامراض المختلفة . وقد دلت الاحصاآت في فرنسا سنة ١٩٠٥ على ان عدد العاملين من الاولاد يبلغ ثلثمائة الف وعدد العاملات من البنات مائتين وستين الف عاملة وان بعض المعامل يكتفي اصحابها بعامل كبير لقاء ثلاثين من هؤلاء الصغار لرخص اجورهم وشدة همتهم ولطالما اظهرت تقارير مفتشي المعامل ان بعضها تستخدم في السراولاداً من ابناء الثانية الى العاشرة وتطعمهم خسيس الطعام وتشغلهم عشر ساعات ولذلك صدق ماقاله احد اساتذة العلم في المجمع الطبي الباريزي من ان ١٤١ من كل ١٨٩٦ ابناً وابنة يموتون بالسل الظاهر

نفقات الكليات

احصى احد اساتذة التعليم العالي ما تنفقه فرنسا والمانيا على كلياتهما فتبين ان المانيا تصرف ٣١ مليون فرنك على التعليم العالي في السنة وفرنسا تنفق ٢١ مليوناً على حين يبلغ سكان الاولى ٥٦ مليون نسمة وسكان الثانية ٣٩ مليوناً هذا ما خلا بعض الكليات القديمة في المانيا التي لها واردات سنوية تبلغ خمسة ملايين فرنك فمعدل ما يصيب المكلف في المانيا نفقة على التعليم العالي ٥٤ سانتيماً ومعدل ما يصيب الفرنسوي ٥٦ سانتيماً ونصف . وقد قالت بعض المجلات وليس هذا مما يعاب على الفرنسيس ولكن الحقيقة انه ينشر كل سنة في المانيا ثلاثة اضعاف ما ينشر في فرنسا من المطبوعات في التاريخ الحديث وينشر في المانيا خمسون ضعف ما ينشر في فرنسا من المطبوعات في التاريخ القديم ولكن ترى هل كل ماتنشره المانيا عقود ودرر .

عمال التجارة

رأى سفير فرنسا في لندن ان خير واسطة لنشر تجارة أمته في بريطانيا ان تبعث اليها باناس من بنيها تدربهم على الاعمال التجارية على الاسلوب الانكليزي وعندها تعهد اليها ان يكونوا وكلاء عن بيوتها التجارية وان نقل الاشخاص الذين يصرفون المصنوعات ينفع اكثر من الاعتماد على اناس من الانكليز لتصريف المصنوعات الفرنسوية وما حك جسمك مثل ظفرك . ولذلك بدأ المجمع التجاري في باريز بارسال كثيرين الى ليفربول يدرسون الاعمال على الاسلوب الانكليزي وسيكون ذلك مقدمة لنشر البضائع بين امة اخرى

تجارة الكتب

لم تكن فرنسا تصدر الى ايطاليا من الكتب سنة ١٩٠٣ سوى نصف ما تصدر المانيا اليها اي ان الاولى تصدر الى ايطاليا باربعمائة الف فرنك والمانيا تصدر الى ايطاليا بثمانمائة فاصبحت فرنسا تصدر الى ايطاليا في السنة الماضية ٦٣٦ الف فرنك والمانيا ٩١٦ وورد

على فرنسا في السنة الماضية ٨١٧ قنطاراً من الكتب المغلقة ومثل هذا القدر ورد على المانيا وفرنسا والمانيا في مقدمة بلاد اوروبا باصدار الكتب ·

المتوهون

تبين ان احسن طريقة في اختبار المتوهين ممن وقعت لهم عوارض وقتية وليسوا من العته في شيء هي التي جرت عليها مدينة غلاسكو في بلاد الانكليز فانهم هناك قبل ان يلقوا المصاب في مستشفى المجاذيب يجعلونه تحت المراقبة بضعة ايام وبذلك كان يظهر ان خمسين في المئة لا يصلحون للبيمارستانات وستجري اكثر مدن اوروبا على هذه الطريقة في استثبات حال المجانين ·

الملكة فيكتوريا

نشر في العهد الاخير في انكلترا كتاب ضخم في ثلاثة مجلدات وهي رسائل الملكة فيكتوريا والدة الملك ادوارد السابع ملك الانكليز الحالي التي تولت الملك ٦٤ عاماً مما لم يعهد لملك في تاريخ انكلترا ان تولى امر الناس هذا الزمن الطويل وكان ابنها هو وكاتم امراره مساعدين في اعداد هذه المفكرات ليكون منها للشعب الانكليزي صورة حقيقية من قلب الملكة فيكتوريا وافكارها بدون تغيير الحقيقة التاريخية او تعديلها وبدون ان يغفلوا عن ذكر الاوهام التي كانت مستحكمة فيها لاول عهدها وهذه المجلدات هي عن الخمس والعشرين سنة الاولى من حكمها ·

الانتحار والتربية

الف احد علماء الافرنج كتاباً في التربية وانتحار الاولاد فاثبت ان عدد المنتحرين من الاطفال يزداد سنة عن سنة وان الداعي الى الانتحار هو الغيرة والغضب والكبر والخصومات الاهلية ومضادة الاميال والاجهاد العقلي وسوء معاملة الوالدين وفي تضاعيف ذلك ما يبدو في المنتحر من ضعف الارادة الناتج من مجتمع قليل المتانة وبالجملة فان القرف من الحياة يأتي ابداً من ضعف المزاج ولا وسيلة لدفع الاولاد عن الانتحار الا باطعامهم جيداً وتنويمهم طويلاً وتقوية اعصابهم بالجري على التدابير الصحية والمعالجة بالماء البارد وادخال السرور على قلب من كان فيه استعداد لذلك والتخفيض عليه اذا ضاق صدره·ومن رأيه ان تأثير المعتقدات الدينية والقراءة في الكتب الصحيحة من احسن المؤثرات في عقل المستعد للانتحار وابان بالامثلة والشواهد ما ينال الشبيبة من المخاطر اذا حشيت عقولها بالمعارف فوق طاقتها ·

اخطار المسكرات

ذكرت مجلة المعين الاجتماعي انه أحصيت محالّ بيع المسكرات في فرنسا سنة ١٩٠٥ فكانت ٤٧٣٥٩٣ محلاً وما برحت آخذة بالزيادة منذ قرن قالت : وان الحكومة لا تجهل ان جميع اصلاحاتنا الاجتماعية تكون من العبثيات وجميع تربيتنا لجمهور الامة وحرياتنا السياسية والمدنية ونظامنا الدستوري تصبح أبهة باطلة واثراً بعد عين اذا ظل باثعوا المسكرات يسممون الناس عندنا كما هم الآن . وقد امر وزير الداخلية بان تحقق احوال دور المجانين فاثبتت اللجنة التي عهد اليها النظر في ذلك في ٣٦ ولاية انه زاد عدد المعتوهين بتعاطي المسكرات منذ عشر سنين ٥٧ في المئة وان نصف المصابين بالجنون كان لتعاطيهم الابسنت والاشربة المقبلة . وفرنسا ساعية في ابطال المشروبات الضارة واغلاق معظم محال بيعها جرياً على مثال معظم الامم الراقية في الغرب

القرى والمدن

تشكو معظم بلاد الغرب من كثرة زهد الفلاحين في قراهم وانقلابهم الى المدن يتعاطون فيها الاعمال الصناعية وغيرها وقد وضعت فرنسا احصاء لذلك فظهر لها ان سكان الارياف كانوا فيها سنة ١٨٤٦ — ٧٥ في المئة من مجموع الامة فنزل معدلهم اليوم الى ستين في المئة هذا مع ان فرنسا ارقى البلاد الاوروبية بزراعتها . وقد غادر الحقول من سنة ١٨٧٢ الى ١٨٩١ نحو اربعة ملايين ونصف من الريفيين ولحقوا بالمدن والعواصم وفي الاحصاء الذي تم سنة ١٨٩١ كان سكان باريز ٢٣٠٠٠٠٠ منهم ٨٠٠٠٠٠ باريزيون اصليون والباقون ريفيون .

غلاء المعيشة

يقول الاقتصاديون ان السبب في غلاء الحاجيات هذه الايام كثرة الذهب في الايدي فقد زاد محصول الذهب في العشر سنين الاخيرة ضعفي ما كان عليه فكان مجموع ما في العالم من الذهب سنة ١٨٩٦ عشرين مليارًا فاصبح في العام الماضي ثمانية وثلاثين مليارًا من الجنيهات فالجنيه هو الجنيه وقيمته قيمته ولكن ما كان يتيسر للمرء ان يبتاع به من البضاعة لا يتيسر له ان يبتاعها به الآن لانها قلت وعلى هذه النسبة تضاعفت اثمان اللحوم والفراخ او زادت الثلث عما كانت عليه منذ عشر سنين . والمتأخر في هذا الباب آخذ باللحاق بالمتقدم

الدعوة الى السلم

اول من دعا الى السلام في العالم هو الفيلسوف الهولاندي ايراسم المدعو فولتير اللاتين

فرأى سنة ١٥١٧ ان يجتمع ملوك الارض الى مؤتمر عام في مدينة كامبري الفرنسوية تحت زعامة الامبراطور ماكسيمليان وفرنسيس الاول وهنري الثامن ملك انكلترا

مطاعم الشعب

كانت مدينة ليون سنة ١٨٩٢ اول من فتح مطاعم للشعب تبيع الوجبة باربعين سنتيماً وهي تحتوي على لحم وبقول وجبن وخمر فيربح المطعم من كل وجبة سنتيمين ونصفاً ويربح من يقومون بهذا العمل ستة في المئة الا ان سويسرا ارادت ان تفوق فرنسا في هذا السبيل فانشأ بعض اهلها في مدينة زوريخ مطعماً ونزلاً للشعب معالمين على رابية هناك من اجمل المناظر البديعة وجعلت الاجرة عن كل يوم ثلاثة فرنكات ونصفاً عن الطعام والشراب والمنام ومن اراد ان يمسك له محلاً في الصيف يجب عليه ان يخابر ادارة الفندق قبل ستة اشهر

العلم والاحسان

تبين بالاحصاء ان النفوس رغبت في الثلاث سنين الاخيرة عن مد يد المعونة لدور الاحسان فقد كان ما جادت به النفوس في فرنسا سنة ١٩٠٤ — ٢٤ مليون فرنك من الوصايا والمنح في سبيل الخير فنزلت سنة ١٩٠٦ الى ثمانية عشر مليوناً ولكن ثبت ان من يوصون لدور العلم والمجامع العلمية يكثر عددهم وما تجود به ايديهم فقد كان ما جادت به نفوس الفرنسيس في هذا السبيل سنة ١٩٠٥ مليوناً ونصفاً من الفرنكات فبلغ سنة ١٩٠٦ ٣٫٣٨٩٫٠٠٠

الاميون في بولونيا

ثبت بالاحصاء ان سكان فارسوفيا عاصمة بولونيا قديماً التي هي اليوم من اعمال روسيا يكثر عدد نفوسها كثرة غريبة فقد بلغوا مليوناً من النفوس ولكن الاميين فيهم كثار بلغ معدلهم ٤١ في المئة من الرجال و ٥١ من النساء وان عدد الاميين في بولونيا اكثر منه في جميع الولايات الروسية في اوروبا الغربية فان صح ما قالوا فما نقول مصر والاميون فيها تسعون في المئة والبلاد العثمانية وما نظن الاميين فيها يقلون عن ثمانين في المئة ·

الاحسان العام

ذكر بعض المحققين من الانكليز ان انكلترا في مؤخرة الشعوب الراقية من حيث جودها بالمال على البائسين فان فينا من هذا القبيل خير من لندرا وبرلين خير من فينا وكوبنهاغ خير من برلين فترى الشيخ العاجز في بلاد الدانيمرك موضوع العناية العظمى ولا يكلف اكثر من سبعة فرنكات على صناديق الاحسان على حين ان الرجل في انكلترا

يموت جوعًا اذا لم يمد يده فيشحذ ويكاف العاجز فيها على المكافين من الاهلين زهاء عشرة فرنكات ٠

الورق في اميركا

اكدت مجلة المجلات النيويوركية ان مجاعة من الورق ستنتشر في الولايات المتحدة بعد بضع سنين وذلك ان صنع الورق من الاشجار قد كاد يفنيها فاذا دامت الحال على هذه الصورة في قطع الاشجار لصنع الكاغد لا يمضي ربع قرن حتى لا يبقى شجر ولا ورق وقد اوردت مثالاً لذلك احدى جرائد نيويورك التي تطبع ثمانمائة الف نسخة في اليوم على ثمانين صفحة كبيرة قالت ان هذه الكمية من الورق التي تصرفها جريدة واحدة تحتاج الى ٩٧٧٩ شجرة من علو عشرين مترًا تخمينة وطلب الكاتب من الحكومة ان تنظر في حال الغابات التي تحطم لتصنع منها تلك الورقات والصفحات ٠

معامل اللبن

رأى احد المفكرين ان مراقبة الحكومات لمعامل اللبن (الحليب) من اهم الخدم التي تخدمها لاممها وذلك لان اللبن يستعمله الناس عامة فاذا لم يكن سليماً يزيد في عدد الوفيات وقد ظهر بالاحصاء ان معدل وفيات الاطفال قد نزل في روشتر من اعمال ولاية نيويورك الى اربعين في المئة لان حكومتها راقبت اللبن مراقبة صحية دقيقة

سياح اليابان

ينتشر ميل اليابانيين الى السياحة في الارض ولم يقصروا سياحاتهم على بلاد الصين والشرق الاقصى بل هم يقصدون بلاد الغرب ايضاً وقد رأى احد عظماء مفكريهم ان السياحة تطلب لكل من يشتغل طول السنة بالاشغال العقلية وان في المدن اليابانية المنقطعة كمدينة كينو ونيكو وهاكون غنية عن ارتياد البلاد البعيدة الا انه ينقصها فنادق على الطرز الحديث ومحال للسماع ومحال للسباق وقال ان اليابان من هذه الوجهة متقهقرة فرقى لها من اجل ذلك ٠

المدنية الحديثة

بحثت احدى المجلات اليابانية عن الطرق الحقيقية التي يجب سلوكها للاخذ باهداب هذا التمدن الحديث فقالت كل ما يسلك في هذا السبيل لغو واثم ان لم ينظر فيه لسعادة البشر وهذه السعادة لا تنال الا بترقية الاخلاق الشخصية وتحسين الذوق وهذا لا يتأتى الا بنشر التعليم والتهذيب ٠

خطب ومحاضرات

اخذ حديثاً نادي المدارس العليا في هذه العاصمة يدعو بعضاً من المشتغلين بالعلم والادب لالقاء خطب ومحاضرات على بعض اعضائه فممن خطبوا فيه رفيق بك العظم واحمد بك كمال واحمد بك زكي وعمر بك لطفي وهم من اساطين النهضة المصرية اليوم . فقد خطب الاول في « التدوين في الاسلام » خطبة قال فيها : اذا قيل ان العرب أمة أمية فليس هذا القول على اطلاقه بل ربما أُطلق هذا الوصف على عرب البادية اطلاقاً اعم من اطلاقه على غيرهم من سكان المدن وارباب الدول البائدة كسكان اليمن ومدن نجد والحجاز والعراق والجزيرة واطراف الشام الذين عرفت لهم دول ذات حضارة ومجد كالتبابعة في اليمن والمناذرة في العراق والحوارث في اطراف الشام الذين منهم ملوك تدمر في شرقي سوريا واليهم تنسب الزباء « ذنوبيا » وزوجها ازينة (اوزينوس) ومنهم ملوك غسان في جنوب سوريا وتاريخهم مشهور معروف .

فهؤلاء الشعوب لا يجوز ان يطلق عليهم وصف الأُمية الا بالنسبة لحالة كل عصر كانوا فيه وانما غموض تاريخهم وطموس آثارهم اضاف تاريخهم الى التاريخ القديم فكان مجهول الحقيقة الا قليلاً مما وقف عليه الباحثون من الآثار الكتابية للحميريين في اليمن والكتابات النبطية في شمال الحجاز وسيكشف دؤوبهم على البحث وتتبع الآثار اكثر من ذلك . وحسبكم شاهداً على ان الأُمية لا يجوز اطلاقها على كل العرب ما كان موجوداً من كتب اهل الحيرة الى اوائل القرن الثالث الهجري بدليل ما قاله هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب الانساب وهو اني كنت استخرج اخبار العرب وانسابهم وانساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ اعمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة .

اما عرب الحجاز فالمعروف عن الكتابة عند سكان المدن منهم قبيل البعثة انها كانت موجودة ولو مع الندرة يدلك عليه كتابة المعلقات السبع التي كانت على الكعبة والصحيفة التي تعاقدت فيها قريش على رد الحقوق وانصاف المظلوم وعلقوها على الكعبة والمعروف انهم كانوا يكتبون العربية تارة بالخط النبطي واخرى بالخط الحيري الذي عرف بعد ذلك بالكوفي ومرة بالخط العبري . ثم ذكر ان الحديث كتب ان لم يكن كله فجله على عهد الرسول واصحابه والحديث يشمل اكثر تاريخ الخلفاء وكذلك كتب فن النحو الذي املاه علي بن ابي طالب على ابي الاسود الدوئلي واما في عصر التابعين وتابعيهم فقد كانت العناية بكتابة الاخبار اكثر واقبل الناس على اقتناء الكتب وجمع المكتبات ومن ذلك ما رواه ابن عبد البر عن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة وكان يقول وددت لو ان عندي كتبي

باهلي ومالي وكانت وقعة الحرة في سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية وكان ابن شهاب الزهري اذا جلس في بيته وضع الكتب حوله فشغلته عن كل شيء وهو من اهل المئة الاولى ولم يأت القرن الثاني حتى كثرت الكتب في فنون شتى خصوصاً فنون العربية والادب فاذا كان ذلك كذلك هل يبقى مجال للريب في ان العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الاول وهل يستراب في صحة هذه العلوم على ما ثبت معنا من انها كتبت مدعومة بالرواية لتكون ابعد عن سهو الكاتبين وتحريف الناسخين ·

قال وهذه الطريقة في النقل لا تعد ثلمة في تاريخ الاسلام ينطرق منها اليه الوهن والتجريح بل تعد تحقيقاً للاخبار بالغاً حد الامانة والتمحيص لم تسبق اليه امة من الامم غير المسلمين اما تلك الكتب التي دونت في الصدر الاول فانها ادمجت في الكتب الجامعة التي أُلفت بعد ارتقاء التأليف كما يرى في كتب الفنون التي اشتغل بها العرب ودونت بعد القرن الثاني معزوة لقائليها ·

وخطب احمد بك كمال في « التوحيد عند قدماء المصريين وتكوين ارض مصر والنيل وفي اصل الخليقة واصل المصريين » فقال ان صيغة التوحيد عند المسلمين موافقة تقريباً للصيغة التي كان يدين بها المصريون قبل عصر الملوك و يدلنا على ذلك رسوم هيروغليفية وجدت في اوراق البردي القديمة فترجم صورة هذه الصيغة عندهم بما يأتي : « الله وحده لا ثاني له يودع الارواح في الاشباح انت الخالق تخلق ولا تُخلق خالق السموات والارض » وقال ان علماء الآثار المصرية كانوا يعتقدون الى ما قبل عشر سنين ان قدماء المصريين وثنيون ولكن زال هذا الاعتقاد باكتشاف هذه الصيغة وان التوحيد اتاهم من نوح عليه السلام بدليل قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً » اذا قيل ان الشرك كان شائعاً عند قدماء المصريين بدليل قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار » فيقال ان يوسف كان سجيناً عند فرعون مصر وان عقيدة الشرك لم تدخل مصر الا مع الرعاة (الهكسوس) الذين دخلوا مصر قبل عصر الأُسرات ولذلك كان المصريون يطلقون على بلاد العرب اسم بلاد الوثنية وقال انه جمع اسماء الاصنام بالعربية فرأى اسماءها تشابهها بالهيروغليفية · واستطرد الى ذكر البردي فقال انه كان يزرع في الوجه القبلي وان اللوتس (له ثمر كالشعير يقتات به) كان ينبت في الوجه البحري وان المصريين سطروا علومهم من طب وهندسة وحساب على اوراق البردي واللوتس · وهذان النبتان رمزان على من يحكم الوجه البحري والقبلي فاذا رأيت كرسياً مرسوماً عليه صورة البردي واللوتس فاعرف ان الملك الجالس عليه كان يحكم الوجهين القبلي والبحري

وقال ان قدماء المصريين كانوا يعتقدون ان النيل ينبع عند أُسوان ثم علموا انهم مخطؤن في اعتقادهم وان منبع النيل ابعد مما كانوا يتوهمون فلما وصلوا الى بحيرة « نو » اعتبروها اصلاً واطلقوا عليها هذا الاسم ومعناه (ماء) والمصريون هم الذين عرفوا الجهات الاربع فكانوا يطلقون على الجهة التي يأتي منها النيل قرن الارض اي طرفها ولذلك قيل عن ذي القرنين انه ملك المعمور لكونه اخذ بطرفيها و يطلقون على المقابلة لها بحري والشرق على مطلع الشمس وقالوا عنه بخ اي الميلاد . وعرف المصريون الجنة والنار لانه وجدت رسوم للنار والزبانيه والحساب الاخروي في آثارهم . وان النيل لم يكن له مجرى ثابت بل كان يفيض سيحاً وكان منحصراً بين جبال برقةوليبيا . والبحر الابيض يضرب الى الفيوم واسم الفيوم بالهيروغليفية بيوم ومعناه الماه وكان هناك للنيل خزان كبير وما زال طمي النيل يرسب في قطعة الدلتا و يتقدم نحو البحر حتى تكون الوجه البحري وكان يتفرع عند اكاسور امام انبابه الى فرعين فيذهب احدهما الى دمياط والثاني الى ابي قير وكان يتولد عند بنها فرع ثالث يسمى فرع سمنود الذي طم بعد ذلك فتكون من الفرعين الباقيين والبحر شكل الحرف اليوناني المسمى دلتا واول بلد أُنشئت في مصر لصلاحية ارضها للزرع هي اسيوط .

وكان موضوع محاضرة احمد بك زكي « هل تخيل العرب اكتشاف اميركا قبل كريستوف كولومب » فقال ان لفظة تاريخ ليست عربية وان الهرمزان الفارسي الذي كان في مجلس عمر بن الخطاب عند ما جمع هذا الصحابة يشاورهم في امر التوقيت قال اننا معاشر الفرس نأخذ مبدأً معلوماً نجعله بداية التوقيت ونسميه ماروز فاصطلح العرب على هذا وجعلوا يوم الهجرة النبوية اول التوقيت الاسلامي وخرّج لفظة ماروز بان الهاء حرف صامت او ناطق عند الافرنج وكذلك عند العرب فتسقط الهاء على انها حرف صامت فتصير ماروز ونسمع لانفسنا في ابدال الزاي خاء فتصير ماروخ و يتصرف منها ارخ يؤرخ تاريخاً

ثم تكلم على شغف العرب بنقل كتب الفلسفة والعلم وكيف كان المأمون يحارب فتزهد نفسه في اخذ البلاد او تكثير الجزية ولا يريد من المغلوبين على امرهم من الملوك والاقيال الا كتب العلم وان هذا مما لا يعهد له نظير في فتوح العصور المتأخرة وذكر كيف ان هذا الخليفة انتدب يوحنا ابن البطريق المصري الى بلاد الروم ليبحث له عن كتاب ارسطو في السياسة فاخذ ينتقل من دير الى دير ومن عالم الى عالم حتى عثر عليه ونقله الى العربية وقال ان البحر المتوسط كان على عهد المأمون بحيرة محاطة بملكه وجزيرة صقلية من جملة ملك العباسيين ثم استطرد على عادة محاضرات العرب الى ذكر صقلية لما ملكها روجر الثاني وقال ان عماله كلهم كانوا من المسلمين

وبهم كان يقتدي ويهتدي كما نحن اليوم نأخذ عن الافرنج كل شيء · وتكلم على الاخوة المغررين او المغرورين وهم جماعة من قبيلة واحدة من العرب قاموا من لشبونة معتمدين على الصبا وعددهم ثمانون عربياً للبحث عن ارض جديدة في المحيط فلم يتمكنوا اذ هاجمهم في الطريق عدد لا يحصى من البواشق فرجعوا وقصوا اشياء غريبة فسموا بالمغرورين وسمي درب بهم في لشبونة بدرب المغرورين وهذا ما ايده الشريف الادريسي في جغرافيته · وفي رواية ثانية ان المغرورين كانوا ثمانية رجال كلهم ابناء عم ركبوا البحر في اول هبوب الريح فجروا بها نحواً من ١١ يوماً فوصلوا الى بحر كريه الرائحة كدر الماء كثير الطروش قليل الضوء فعادوا ونزلوا بجزيرة كثيرة الاغنام وأخذوا الى ملكها فاكرمهم ولما سألهم عن حالتهم قصوا عليه ما حدا بهم فلم يرَ الا ان يركبهم في سفينتهم ويصحبهم بجماعة من عنده عصبوا عيونهم اياماً فلما توسطوا البحر تركوهم ليضلوهم عن الطريق ولما وصلوا الى مكان هناك سألوا جماعة من البرابرة عن المسافة بينهم وبين لشبونة فقال الزعيم مسيرة شهرين فقال القوم وا أسفي وسمي المكان أسفي والمغاربة يحذفون منها الالف · وبذلك تبين ان الثانية او الثامنين المغرورين قد ساروا احدعشر يوماً حتى وصلوا الى جزيرة آسور عام ١٤٣٣ م وان العرب لم يستطيعوا مواصلة سيرهم لضعف الوسائل ·

وكانت محاضرة عمر بك لطفي في اصل البنوك والمصارف فقال كان في القرون الوسطى في ايطاليا اناس يحترفون بابدال العملة يجلسون في الطرقات العامة وامامهم منضدة (ترابيزة) موضوع عليها نقود للصرف وتلك المنضدة تسمى بالايطالية « بانكا » ثم نرقت وظيفة هذه الطائفة واتسعت فاخذ الناس يحفظون نقودهم عند هؤلاء الصيارف وصارت مصارفهم محلاً للودائع والامانات ثم اخذوا سكة (عملة) وهمية بدل السكة الحقيقية التي كانت معرضة للتلف فاصبحت كاوراق البنوك اليوم واول مصرف حاز اسم بنك مصرف مدينة البندقية سنة ١١٥٧ والصين اول البلاد التي احلت حكومتها سنة ٨٠٧ م العملة الاصطلاحية محل عملة النحاس ورأى ابن بطوطة هذه العملة الاصطلاحية كما وصفها الرحالة جون موروفيل سنه ١٤٣٧ م ولم يظهر اثر للعملة الاصطلاحية في البلاد الغربية الا في سنة ١١٢٣ اثناء حصار اهل البندقية لصور فان الدوق ميكيلي الذي كان قائماً باعمال الحصار اصدر اذ ذاك عملة من الجلد عليها علامات الدوقية ورسومها فصرفت بالنقد لاربابها عند ما وردت على البندقية وسنة ١٣٤٠ اصدرت مدينة ميلانو لاول مرة في اوروبا اوراقاً لها حكم للعملة الحقيقية ·· ولعل النادي يطبع خطبه ومحاضراته تعميماً لفائدتها

المقتبس

الجزء الثاني من المجلد الثالث

صفر سنة ١٣٢٦ موافق مارس (آذار) سنة ١٩٠٨

الادب الصغير

لابن المقفع

عني بنشره الشيخ طاهر الجزائري

العجب آفة العقل واللجاجة قعود الهوى

والبخل لقاح الحرص والمراء فساد اللسان والحمية سبب الجهل والانف توأم السفه والمنافسة اخت المداوة

واذا هممت بالخير فبادر هواك لا يغلبك واذا هممت بشر فسوّف هواك لعلك تظفر فان ما مضى من الايام والساعات على ذلك هو الغنم

لا يمنعنك صغر شأن امرئٍ من اجتباء ما رأيت من رأيه صواباً واصطفاء ما رأيت من اخلاقه كريماً فان اللؤلؤة الفائقة لا تهان لهوان غائصها الذي استخرجها

من ابواب الترفق والتوفيق في التعليم ان يكون وجه الرجل الذي يتوجه فيه من العلم والادب فيما يوافق طاعة ويكون له عنده محمل وقبول فلا يذهب عناؤه في غير غناء ولا تفنى ايامه في غير درك ولا يستفرغ نصيبه فيما لا ينجع فيه ولا يكون كرجل اراد ان يعمر ارضاً تهمة فغرسها جوزاً ولوزاً وارضاً جلساً فغرسها نخلاً وموزاً

العلم زين لصاحبه في الرخاء ومنجاة له في الشدة

بالادب تعمر القلوب وبالعلم تستحكم الاحلام فالعقل الزاكي غير الصنيع كالارض

الطيبة الخراب · ومما يدل على معرفة الله (وهو) سبب الايمان ان وكل بالغيب لكل ظاهر من الدنيا صغير او كبير عيناً فهو يصرّفه و يحركه فمن كان معتبراً بالجليل من ذلك فلينظر الى السماء فيعلم ان لها رباً يجري فلكها و يدبر امرها · ومن اعتبر بالصغير فلينظر الى حبة الخردل فيعرف ان لها مدبراً ينبتها و يزكيها و يقدر لها اوقاتها من الارض والماء يوقت لها زمان نباتها و زمان تهشمها · وامر النبوة والاحلام وما يحدث في انفس الناس من حيث لا يعلمون ثم يظهر منهم بالقول والفعل ثم اجتماع العلماء والجهال والمهتدين والضلاّل على ذكر الله تعالى وتعظيمه واجتماع من شك في الله تعالى و كذّب به على الاقرار بانهم أنشؤوا حديثاً ومعرفتهم انهم لم يحدثوا انفسهم فكل ذلك يهدي الى الله و يدل على الذي كانت منه هذه الامور مع ما يزيد ذلك يقيناً عند المؤمنين بان الله حق كبير ولا يقدّر احد انه باطل

ان للسلطان المقسط حقاً لا يصلح لخاصة ولا عامة امرٌ إلاّ بارادته فذو اللبّ حقيق ان يخلص لهم النصيحة و يبذل لهم الطاعة و يكتم سرهم و يزين سيرتهم و يذبّ بلسانه و يده عنهم و يتوخى مرضاتهم و يكون من امره المواتاة لهم والايثار لاهوائهم ورأيهم على هواه و يقدّر الامور على موافقتهم وان كان ذلك له مخالفاً · وان يكون منه الجدّ في المخالفة لمن جانبهم وجهل حقهم ولا يواصل من الناس الاّ من لا تباعد مواصلته اياه منهم ولا تحمله عداوة احد له ولا اضرارٌ به على الاضطغان عليهم ولا مواتاة احد على الاستخفاف بشيء من امورهم والانتقاص لشيء من حقهم ولا يكتمهم شيئاً من نصيحتهم ولا يتثاقل عن شيء من طاعتهم ولا يبطرُ اذا اكرموه ولا يجتريء عليهم اذا قرّبوه ولا يطغى اذا سلطوه ولا يلحف اذا سألهم ولا يدخل عليهم المؤونة ولا يستثقل ما حملوه ولا يغتر بهم اذا رضوا عنه ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه وان يحمدهم على ما اصاب من خير منهم او من غيرهم فانه لا يقدر احد على ان يصيبه بخير الا بدفاع الله عنه بهم

مما يدل على علم العالم معرفته بما يُدرَك من الامور وامساكه عما لا يدرَك وتزيينه نفسه بالمكارم وظهور علمه للناس من غير ان يظهر منه فخر ولا عجب ومعرفته بزمانه الذي هو فيه و بصره بالناس واخذه بالقسط وارشاده المسترشد وحسن مخالقته خلطاءه وتسويته بين قلبه ولسانه وتحريه العدل في كل امر ورحب ذرعه فيما نابه واحتجاجه بالحجج فيما عمل وحسن تبصيره · من اراد ان يبصر شيئاً من علم الآخرة فبالعلم الذي به يعرف ذلك

ومن اراد ان يبصر شيئاً من علم الدنيا فبالاشياء التي هي تدلّ عليه

ليكن المرء سؤولاً وليكن فصولاً بين الحق والباطل وليكن صدوقاً ليؤمن على ما قال وليكن ذا عهد ليوفى له بعهده وليكن شكوراً ليستوجب الزيادة وليكن جواداً ليكون

للخير اهلاً وليكن رحيماً بالمضرورين لئلا يبتلى بالضر وليكن ودوداً لئلا يكون معدنًا لاخلاق الشيطان

وليكن حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه لئلا يؤخذ بما لم يجترم وليكن متواضعاً ليفرح له بالخير ولا يُحسد عليه وليكن قنعاً لتقرّ عينه بما أوتي وليسرّ للناس بالخير لئلا يؤذيه الحسد

وليكن حذراً لئلا تطول مخافته

ولا يكن حقوداً لئلا يضر بنفسه اضراراً باقياً

وليكن ذا حياء لئلا يستذم للعلماء فان مخافة العالم مذمة العلماء اشدّ من مخافته عقوبة السلطان

حياة الشيطان ترك العلم وروحه وجسده الجهل ومعدنه في اهل الحقد والقساوة ومثواه في اهل الغضب وعيشه في المصارمة ورجاؤه في الاصرار على الذنوب

وقال: لا ينبغي للمرء ان يعتدّ بعلمه ورأيه مالم يذاكره ذوو الالباب ولم يجامعوه عليه فانه لا يُستكمل علم الاشياء بالعقل الفرد

اعدل السير ان تقيس الناس بنفسك فلا تأتي اليهم الا ما ترضى ان يؤتى اليك

وانفع العقل ان تحسن المعيشة فيما اوتيت من خير والاّ تكترث من الشر بما لم يصبك

ومن العلم ان تعلم انك لا تعلم ما لا تعلم

ومن احسن ذوي العقول عقلاً من احسن تقدير امر معاشه ومعاده تقديراً لا يفسد عليه واحد منهما الآخر فان اعياه ذلك رفض الادنى وآثر عليه الاعظم

وقال: المؤمن بشيء من الاشياء وان كان سحراً خير ممن لا يؤمن بشيء ولا يرجو معاداً

لا تؤدي التوبة احداً الى النار ولا الاصرار على الذنوب احداً الى الجنة

من افضل اعمال البر ثلاث خصال الصدق في الغضب والجود في العسرة والعفو عند القدرة

رأس الذنوب الكذب هو يؤسسها وهو يتفقدها ويثبتها ويتلوّن ثلاثة الوان بالامنية والجحود والجدل يبدأ صاحبه بالامنية الكاذبة فيما يزين له من السوآت فيشجعها عليها بان ذلك سيخفى فاذا ظهر عليه قابله بالجحود والمكابرة فان اعياه ذلك ختم بالجدل فخاصم عن الباطل ووضع له الحجج والتمس به التثبت وكابر الحق حتى يكون مسارعاً للضلالة ومكابراً بالفواحش

لا يثبت دين المرء على حالة واحدة ابداً ولكنه لا يزال اما زائداً واما ناقصاً

من علامات اللئيم المخادع ان يكون حسن القول سيء الفعل بعيد الغضب قريب الحسد حمولاً للفحش مجازياً بالحقد متكلفاً للجود صغير الخطر متوسعاً فيما ليس له ضيقاً فيما يملك

وكان يقال اذا تخالجتك الامور فاستقل اعظمها خطراً فان لم يستبن ذلك فارجاها دركا فان اشتبه ذلك فاجدرها ان لا يكون له مرجوع حين تولي فرصته

وكان يقال الرجال اربعة اثنان يُختبر ما عندهما بالتجربة واثنان قد كفيت تجربتهما فاما اللذان يحتاج الى تجربتهما فان احدهما برٌّ كان مع ابرار والآخر فاجر كان مع فجار فانك لا تدري لعل البر منهما اذا خالط الفجار ان يتبدَّل فيصير فاجرًا ولعل الفاجر منهما اذا خالط الابرار ان يتبدل فيصير برًّا فيتبدل البر فاجرًا والفاجر برًّا

واما اللذان قد كفيت تجربتهما وتبين لك ضوء امرهما فان احدهما فاجر كان في ابرار والآخر برٌّ كان في فجار

حق على العاقل ان يتخذ مرآتين فينظر من احداها في مساوي، نفسه فيتصاغر بها ويصلح ما استطاع منها وينظر من الاخرى في محاسن الناس فيحليهم بها ويأخذ ما استطاع منها

احذر خصومة الاهل والولد والصديق والضعيف واحتجج عليهم بالحجج

لا يوقعنك بلاء تخلصت منه في آخر لعلك ان لا تخلص منه

الورع لا يَخدع والاريب لا يُخدع

ومن ورع الرجل ان لا يقول ما لا يعلم ومن الارب ان يتثبت فيما يعلم

وكان يقال عمل الرجل فيما يعلم انه خطأ هوى والهوى آفة العفاف وتركه العمل بما يعلم انه صواب تهاون والتهاون آفة الدين

واقدامه على ما لا يدري أصواب هو ام خطأ جماحٌ. والجماح آفة العقل

وكان يقال وقر من فوقك ولِن لمن دونك واحسن مواتاة اكفائك وليكن آثر ذلك عندك مواتاة الاكفاء فان ذلك هو الذي يشهد لك ان اجلالك من فوقك ليس بخضوع منك لهم وان لينك لمن دونك ليس لالتماس خدمتهم

خمسة مفرطون في خمسة اشياء متندمون عليها الواهن المفرّط اذا فاته العمل والمنقطع من اخوانه وصديقه اذا نابته النوائب والمستمكن منه عدوه لسوء رأيه اذا تذكر عجزه والمفارق الزوجة الصالحة اذا ابتلي بالطالحة والجريء على الذنوب اذا حضره الموت

امور لا تصلح الا بقرائنها لا ينفع العقل بغير ورع ولا الحفظ بغير عقل ولا شدة البطش بغير شدة القلب ولا الجمال بغير حلاوة ولا الحسب بغير ادب ولا السرور بغير امن ولا الغنى بغير جود ولا المروءة بغير تواضع ولا الخفض بغير كناية ولا الاجتهاد بغير توفيق

امورٌ هن تبعٌ لامور فالمروآت كلها تبع للعقل والرأي تبع للتجربة والغبطة تبع لحسن الثناء والسرور تبع للامن والقرابة تبع للمودة والعمل تبع للقدر والجدة تبع للانفاق

اصل العقل التثبت وثمرته السلامة

واصل الورع القناعة وثمرته الظفر

واصل التوفيق العمل وثمرته النجح

لا يذكر الفاجر في العقلاء ولا الكذوب في الاعفاء ولا الخذول في الكرماء ولا الكفور بشيء من الخير

لا تؤاخين خبًا ولا تستنصرن عاجزًا ولا تستعينن كسلاً

ان من اعظم ما يروّح به المرء نفسه ان لا يجري لما يهوى وليس كائنًا الا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن

اغتنم من الخير ما تعجلت . ومن الاهواء ما سوّفت . ومن النصب ما عاد عليك . ولا تفرح بالبطالة ولا تجبن عن العمل

من استطعم من الدنيا شيئًا فبطر واستصغر من البر شيئًا فتهاون واحتقر من الاثم شيئًا فاجترأ عليه واغترّ بعدوّ وان قلّ فلم يحذره فذلك من ضياع العقل

لا يستخف ذو العقل باحد واحق من لم يستخف به ثلاثة الاتقياء والولاة والاخوان فانه من استخف بالاتقياء اهلك دينه ومن استخف بالولاة اهلك دنياه ومن استخف بالاخوان افسد مروءته

من حاول الامور احتاج فيها الى ست الرأي والتوفيق والفرصة والاعوان والادب والاجتهاد وهن ازواج فالرأي والادب زوج لا يكمل الادب الا بالرأي ولا يكمل الرأي بغير الادب

والاعوان والفرصة زوج لا تنفع الاعوان الا عند الفرصة ولا تنفع الفرصة الا بحضور الاعوان والتوفيق والاجتهاد زوج فالاجتهاد سبب التوفيق وبالتوفيق ينجح الاجتهاد

يسلم العاقل من عظام الذنوب والعيوب بالقناعة ومحاسبة النفس

لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد مالا يجد انجازه ولا يرجو ما يعنف برجائه ولا يقدم على ما يخاف العجز عنه وهو يسخي نفسه عما يغبط به القوّالون خروجه من عيب التكذيب ويسخي نفسه عما ينال به السائلون سلامته من مذلة المسألة

ويسخي نفسه عن فرح الرجاء خوف الاكداء

ويسخي نفسه عن محمدة المواعيد براءته من مذمة الخلف

ويسخي نفسه عن مراتب المقدمين ما يرى من فضائح المقصرين

لا عقل لمن اغفله عن آخرته ما يجده من لذة دنياه وليس من العقل ان يحرمه حظه من الدنيا بصره بزوالها

حاز الخير رجلان سعيد ومرجوّ والسعيد الفالج والمرجوّ من لم يخصم والفالج الصالح ما دام في قيد الحياة وتعرض الفتن في مخاصمة الخصماء من الاهواء والاعداء

السعيد يرغبه الله في الآخرة حتى يقول لا شيء غيرها فاذا هضم دنياه وزهد فيها لآخرته لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا ولم ينقصه من سروره فيها والشقيّ يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول لا شيء غيرها فيعجل الله له التنغيص في الدنيا التي آثر مع الحزن الذي يلقى بعدها

الرجال اربعة جواد وبخيل ومسرف ومقتصد فالجواد الذي يوجه نصيب آخرته ونصيب دنياه جميعاً في امر آخرته

والبخيل الذي لا يعطي واحدة منهما نصيبها

والمسرف الذي يجمعهما لدنياه

والمقتصد الذي يلحق بكل واحدة منهما نصيبها

اغنى الناس اكثرهم احساناً

قال رجل لحكيم: ماخير ما يؤتى المرء قال: غريزة عقل قال: فان لم تكن قال فتعلم علم قال: فان حرمه قال: صدق اللسان قال: فان حرمه قال: سكت طويل قال: فان حرمه قال: ميتة عاجلة

من اشد عيوب الانسان خفاء عيوبه عليه فانه من خفي عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره ومن خفي عليه عيب نفسه ومحاسن غيره لم يقلع عن عيبه الذي لا يعرف ولن ينال محاسن غيره التي لا يبصرها ابداً

خصال يسر بها الجاهل كلها كائن عليه وبالا . منها ان يفخر من العلم والمروءة بما ليس عنده ومنها ان يرى بالاخيار من الاستهانة والجفوة ما يشمته بهم

ومنها ان يناقل عالماً وديعاً منصفاً له في القول فيشتدّ صوت ذلك الجاهل عليه ثم يفلجه نظراؤه من الجهال حوله بشدة الصوت وكثرة الضحك

ومنها ان يفرط منه الكلمة او الفعلة المعجبة للقوم فيذكر بها

ومنها ان يكون مجلسه في المحفل او عند السلطان فوق مجالس اهل الفضل عليه

من الدليل على سخافة المتكلم ان يكون ما يرى من ضحكه ليس على حسب ما عنده من القول او يجاذب الرجل الكلام وهو يكلم صاحبه ليكون هو المتكلم او يتمنى ان يكون صاحبه قد فرغ وانصت له فاذا انصت له لم يحسن الكلام

فضل العلم في غير الدين مهلكة وكثرة الادب في غير رضوان الله ومنفعة الاخيار قائد الى النار

والحفظ الذكي الواعي بغير العلم النافع مضر بالعمل الصالح والعقل غير الوازع عن الذنوب خازن للشيطان

لا يؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا الف فان اخوف ما يكون الانسان لحريق النار اقرب ما يكون منها وكذلك الجاهل ان جاورك انصبك وان ناسبك جنى عليك وان الفك حمل عليك ما لا تطيق وان عاشرك آذاك واخافك مع انه عند الجوع سبع ضار وعند الشبع ملك فظ وعند الموافقة في الدين قائد الى جهنم فانت بالهرب منه احق منك بالهرب من سم الاساود والحريق المخوف والدَّين الفادح والداء العياء

كان يقال قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك ولا تقارب به كل المقاربة فيجترئ عليك عدوك وتذل نفسك ويرغب عنك ناصرك ومثل ذلك مثل العود المنصوب في الشمس ان أمَلته قليلاً زاد ظله وان جاوزت الحدّ في امالته نقص الظل

الحازم لا يأمن عدوه على كل حال ان كان بعيداً لم يأمن من معاودته وان كان قريباً لم يأمن مواثبته فان رآه متكشفاً لم يأمن استطراده وكمينه وان رآه وحيداً لم يأمن مكره

الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بمواده من الانهار

الظفر بالحزم . والحزم باجالة الرأي . والرأي بتكرار النظر وتحصين الاسرار

ان المستشير وان كان افضل من المستشار رأياً فهو يزداد برأيه رأياً كما تزداد النار بالودك ضوءاً وعلى المستشار موافقة المستشير على صواب ما يرى والرفق به في تبصير خطاء ان اتى به وتقليب الرأي فيما شكا فيه حتى تستقيم لهما مشاورتهما

لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء ولا الخب في كثرة الصديق ولا السيء الادب في الشرف ولا الشحيح في المحمدة ولا الحريص في الاخوان ولا الملك المعجب بثبات الملك

صرعة اللين اشد استئصالاً من صرعة المكابرة

اربعة اشياء لا يستقل منها قليل النار والمرض والعدوّ والدين

احق الناس بالتوقير الملك الحليم العالم بالامور وفرص الاعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضا والمعاجلة والاناة الناظر في الامر يومه وغده وعواقب اعماله

السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم وبين طلبته

ان اهل العقل والكرم يبتغون الى كل معروف وصلة وسبيلاً والمودة بين الاخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومثل ذلك مثل كوب الذهب الذي هو بطيء الانكسار هين الاصلاح والمودّة بين الاشرار سريعٌ انقطاعها بطيء اتصالها كالكوز من الفخار يكسره ادنى عبث ثم لا يوصل له ابداً

والكريم يمنح الرجل مودّته عن لقاءة واحدة او معرفة يوم واللئيم لا يصل احدًا الا عن رغبة او رهبة وان اهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم امرين و يتواصلون عليهما ذات النفس وذات اليد فاما المتباذلون ذات اليد فهم المتعاونون المستمتعون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض متاجرة ومكايلة

ما التبع والاعوان والصديق والحشم الا للمال ولا يُظهر المروءة الا المال ولا الرأي والقوّة الا بالمال ومن لا اخوان له فلا اهل له ومن لا اولاد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له فلا شيء له والفقر داعية الى صاحبه مقت الناس وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن للتهمة ومجمعة للبلايا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدًا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره مقت ومن مقت أوذي ومن أوذي حزن ومن حزن ذهب عقله واستنكر حفظه وفهمه ومن أُصيب في عقله وفهمه وحفظه كان اكثر قوله وعمله فيما يكون عليه لا له فاذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمنًا واساء به الظن من كان يظن به حسنًا فان اذنب غيره اظنوه وان كان للتهمة وسوء الظن موضعًا وليس خلة هي للغني مدح الاهي للفقير عيب

فان كان شجاعًا سمي اهوج
وان كان جوادًا سمي مفسدًا
وان كان حليمًا سمي ضعيفًا
وان كان وقورًا سمي بليدًا
وان كان لسنًا سمي مهذارًا
وان كان صموتًا سمي عييًا

وكان يقال من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه او بفراق الاحبة والاخوان او بالغربة حيث لا يعرف مبيتًا ولا مقيلاً ولا يرجو ايابًا او بفاقة تضطره الى المسألة فالحياة له موت والموت له راحة

وجدنا البلايا في الدنيا انما يسوقها الى اهلها الحرص والشره فلا يزال صاحب الدنيا يتقلب في بلية وتعب لانه بخلة الحرص والشره

وسمعت العلماء قالوا: لاعقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ولا غنى كالرضا واحق ما صُبر عليه مالا سبيل الى تغييره

وافضل البر الرحمة ورأس المودة الاسترسال ورأس العقل المعرفة بما يكون ومالا يكون وطيب النفس وحسن الانصراف عما لا سبيل اليه وليس في الدنيا سرور يعدل صحبة الاخوان ولا فيها غم يعدل غم فقدهم

لا يتم حسن الكلام الا بحسن العمل كالمريض الذي قد علم دواء نفسه فاذا هو لم يتداو به لم يغنه علمه والرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال كالاسد الذي يهاب وان كان عقيراً والرجل الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهون على الناس وان طوق وخلخل

ليحسن تعاهدك نفسك بما تكون به للخير اهلاً فانك اذا فعلت ذلك اتاك الخير يطلبك كما يطلب الماء السيل الى الحدور

ان اولى الناس بفضل السرور وكرم العيش وحسن الثناء من لا يبرح رحله من اخوانه واصدقائه من الصالحين موطوءاً ولا يزال عنده منهم زحام يسرهم ويسرونه ويكون من وراء حاجاتهم وامورهم فان الكريم اذا عثر لم يستقلل الا بالكرام كالفيل اذا وحل لم تستخرجه الا الفيلة

لا يرى العاقل معروفاً صنعه وان كثر كثيراً ولو خاطر بنفسه وعرضها في وجوه المعروف لم ير ذلك عيباً بل يعلم انه انما اخطر الفاني بالباقي واشترى العظيم بالصغير

واغبط الناس عند ذوي العقول اكثرهم سائلاً منجحاً ومستجيراً آمناً

لا تعدّ غنياً من لم يشارك في ماله ولا تعد نعيماً ما كان فيه تنغيص وسوء ثناء

ولا تعدّ الغنم غنماً اذا ساق غرماً ولا الغرم غرماً اذا ساق غنماً ولا تعتد من الحياة ما كان في فراق الاحبة

ومن المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الاخ اخاه وافضاء كل واحد منهما الى صاحبه بثه واذا فرق بين الاليف والفه فقد سلب قراره وحرم سروره

وقال: ماز انا نخلف عقبة من البلاء الا صرنا في اخرى لقد صدق القائل الذي يقول: لا يزال الرجل مستمراً حتى يعثر فاذا عثر مرة واحدة في ارض الخبار لج به العثار وان مشى في جدد لان. هذا الانسان موكل به البلاء فلا يزال في تصرف وتقلب لا يدوم له شيء ولا يثبت معه كما لا يدوم لطالع النجوم طلوعه ولا لآفلها افوله ولكنها في تقلب وتعاقب فلا يزال الطالع يكون آفلاً والآفل طالعاً انتهى

الاخصاء في العلوم

المخصي هو الذي ينفرد بدراسة فن واحد من اخصى الرجل اذا تعلم علماً واحداً والنتفة (كهمزة) من ينتف من العلم شيئاً ولا يستقصيه قال في التاج: وكان ابوعبيدة اذا ذكر له الاصمعي يقول ذاك رجل نتفة قال الازهري: اراد انه لم يستقص كلام العرب انما حفظ الوخز والخطيئة منه اي القليل. فالاخصاء وهو موضوع بحثنا هنا يتوقف عليه نجاح العلم وارتقاؤه ولا يقال عن أمة انها مرتقية في علومها الا اذا كثر فيها الاخصائيون في كل علم من علوم الحياة والاجتماع وكل من تفردوا في الغالب وطار ذكرهم في الآفاق وتناقلت اعمالهم الاجيال بعد الاجيال والعصور غب العصور كانوا بلا مراء من اهل الاخصاء صرفوا وكدهم الى معاناة علم واحد والنظر في دقائقه وخفاياه ودرسه من عامة اطرافه.

وَهِم قوم ان الاخصاء في العلوم يُرتجل ارتجالاً فالمهندس يتعلم الهندسة وحدها والاثري يدرس علم الآثار والمؤرخ التاريخ والكيماوي الكيمياء والطبيعي الطبيعيات والفلكي الافلاك فيبرزون وترتقي مداركهم. ولكن دلَّ تاريخ العلم في الامم القديمة والحديثة على انه لا يخصي في علم الا من سبق له ان شارك في علوم كثيرة ولو مشاركة بسيطة لان للعلوم علاقة بعضها ببعض كعلاقة البشر بعضهم ببعض فكما انه لا يتيسر النفع لامة ان تبقى وراء تخومها منعزلة عن جاراتها فكذلك العلم الواحد وهو ثمرة عقول العالمين لا يتقن الا اذا قدمت له المقدمات وشدا صاحبه شيئاً من اكثر ما ينفع. وقلما سمع بان رجلاً اثر في انهاض امة او خدم علماً او نفع نفعاً يذكر وكان ما تميز به وحده هو كل رأس ماله العلمي والعقلي حتى ان نفس علماء الدين في الاسلام الذين اثروا تأثيراً كبيراً كانوا مشاركين في علوم الدنيا مشاركة تامة كالغزالي والماوردي والفخر الرازي وابن تيمية وابن حزم وابن القيم وابوحاتم الرازي والجاحظ وغيرهم كثيرون لم يؤثروا في قومهم ولم يزالوا مؤثرين الا لانهم سعوا في تنمية ملكات عقولهم بالعلوم الرياضية والتاريخية فعرفوا كيف يسلكون ولذلك ترى لكلامهم قبولاً لا تراه لغيرهم ممن لم يشاركوا مشاركتهم في العلوم الدنيوية.

وكذلك الحال فيمن عُرفوا بالعلوم المدنية كنصير الدين الطوسي وابن رشد وابن سينا والفارابي وعبداللطيف البغدادي وابن الهيثم والبتاني والبيروني ومئات غيرهم لم ينفعوا في علومهم التي تفردوا فيها الا بعد ان عرفوا من علوم الدين ما حسنت معه سيرتهم وسريرتهم

واذا امعنا النظر في تاريخ هذه الامة نجدها لم تعهد الاخصائيين في العلوم المدنية الا في اواخر القرن الثاني او في منتصف الثالث على حين بدأت بالنقل وتعلم علوم الحضارة منذ القرن الاول للهجرة ولما عمت هذه العلوم وخصوصاً الفلسفية نشأ بحكم الطبع اناس متفردون

ودام هذا التفرد على اشده الى اواخر القرن السادس ثم اخذ يضعف بضعف طرق التعليم وزهد الحكومات في العلم الا ما كان منه تحت ستار الآخرة تمويهاً على عقول السذج . وفساد السياسة فساد العالم فكيف بالعلم وهو الذي لا تنفق سوقه الا في ارض الراحة والطمأنينة ولا يقوى الا بالبواعث والدواعي .

وكأن العقول في اهل هذه البلاد ضعفت بعد اشتغالها الطويل قروناً فاخلدت الى الراحة طوعاً او كرهاً في القرون الخمسة الاخيرة التي لم تبق منها الا حثالة من فروع الدين واللغة فقط وقل في كبار المشتغلين من اهلها بعقولهم من صح ان يدعى ثقة في علم فضلاً عن اخصائي . او كأن ضعف امة قوة اخرى كما قال بعضهم :

حياةُ بعض مماتُ بعضٍ حياةُ كلٍّ محالٌ فرض

فقد كنا هنا كلما ضعفت عقولنا وزهدنا في ترقية مداركنا وانصرفنا الى التافه الذي لا يؤبه له قويت الامم الغربية بعلومها ومدارك اهلها وطفق العلم يعم افرادها جيلاً بعد جيل حتى جاء القرن الثامن عشر الميلادي وقد كثر الاخصائيون فيهم وزادوا في القرن التاسع عشر اي زيادة واتى هذا القرن العشرون وقد كاد يعم العلم قضهم وقضيضهم وذكورهم واناثهم . ومن جمهور المتعلمين يخرج في العادة الاخصائيون وهم اما مسوقون بنابل من طبيعتهم الى اتقان فن او فنين والتبريز فيهما على الاقران او ان احدهم يني في نفسه الميل الى فن ينفع الناس نفعاً حقيقياً . قال عبدالله بن مسلم بن قتيبة :من اراد ان يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ومن اراد ان يكون اديباً فليتفنن في العلوم . وقال احد الحكماء :اقصد من اصناف العلوم ما هو اشهى لنفسك واخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك له وسهولته عليك .

ما ظهر في الغرب امثال نيوتن ولابلاس وكبتي وشيلر وهيكل وهيجل وفيختي وما كولي ولايبنز وسبينوزا وكانت وكونت وديكارت وشوبنهور وروسو وفولتير وديدرو ودروين وهاكسلي ومئات غيرهم الا بعد ان نظم التعليم عندهم تنظيماً حسناً وعم الاصلاح اصوله وفروعه فصار الاخصاء في افراد منهم الآن على ما يعجب منه بل اصبح العلم الواحد ينقسم الى فروع كثيرة ويشتغل في كل فرع منه عدة افراد . فواحد للميكروبات وآخر للعدسيات وبعضهم للاجواء وآخرون للاضواء وغيرهم للماء وفريق للسماء وافراد للكهرباء وطائفة للكيمياء وآخرون للعيون وبعضهم للجنون وهكذا تجد لكل ما يخطر ببالك وما لا يخطر من فروع المعرفة مئات من الاخصائيين ومئات من المجامع العلمية الخاصة بها والمدارس الموقوفة عليها . ويحق ما قال احد اساتذة كلية اكسفورد في مأدبة أقيمت لجماعة من اساتذة الانكليز

في كلية السوربون بباريز منذ شهور ان كانت القرون الوسطى هي قرون التعميم في التعليم فان هذا العصر عصر الاخصاء فيها .

اما هذه البلاد على ما دخل اليها حتى الآن من قشور علوم الغرب فليست الا كاوروبا في قرنها الخامس عشر او السادس عشر تحتاج الآن الى تعلم ما يخرجها عن حدّ الامية ثم ان نتعلم البسائط من اوليات العلوم واللغات فاذا تمت لها هذه الامنية ينشأ فيها بحكم الطبع اولئك الاخصائيون الذين تتطاول نفوسنا الى الاستكثار منهم بين اظهرنا لقيام جامعتنا واحكام ملكات العلوم فينا والانتفاع بحقائقها ودقائقها في العمليات لا الاقتصار على النظريات منها كما نحن فيها حتى اليوم اللهم الا الطب والهندسة والحقوق .

ان من يقول بان الاخصائيين اليوم بيننا ينبغي ان يكثروا بين اظهرنا وجمهور الامة في التعليم كما ترى هو كمن يريد ان يعلم التعليم العالي لمن لم يتعلم مبادىء القراءة والكتابة . فحالنا الآن اذا قست ما اخذناه من بحور العلوم الزاخرة الى ما هي عليه حقيقتها حال من لم يعرف القراءة البسيطة واهله يريدون ان يعلموه الفلسفة التي هي علم العلوم او كمن هو في سفر بعيد وتريده ان يقطع اليوم في دقيقة وان يعدي من سيف البحر الى سيفه الآخر ولا سفينة لديه او كمن تريده على ان يخطب في علم ما وراء الطبيعة في صحراء افريقية .

قال لاروس في معجمه الكبير : اتسعت معارف البشر النظرية والعملية بعد استقرار امرها فاحتاج الناس ان يقسموها بحسب استعدادهم وحاجاتهم الى اقسام لا آخر لها ينقطع اليها افراد ويبحثون في مضامينها فالاصول من المعارف هي المعلومات العامة وتفرعاتها هي الاخصائيات . ولقد كان بادىء بدء كل شيء مفهوماً في الفلسفة فكانت لفظة عام عند الامم الجاهلة تتناول جميع العلوم وتنقسم الى قسمين المحسوسات والمعقولات ودعيت علوم الطبيعة وعلوم ما وراء الطبيعة . اما الصنائع اليدوية فلم تكن منظمة تنظيماً معقولاً ولا جارية على طريقة معقولة وكان ارباب الافكار يحتقرونها فلا يمارسها الا الصعاليك ينصرفون اليها تقليداً ويخلفون في تعلمها آباءهم بدون وقوف على القوانين الميكانيكية او الطبيعية التي كانوا يعملون بها على الدوام .

ثم حسنت حال الانسان بالتدريج ودخلت الاعمال في طور نظام وانقسمت العلوم الرئيسة لا سيما الآداب والفنون وعلوم النظر والعلوم العملية اي التجارة والصناعة والحرف ونشأ الاخصاء في كل فرع من فروع هذه الطبقات . فالطبيب مضطر الى تعلم امور كثيرة ولا يختص في تعاطي فرع واحد الا في المدن اما في القرى فيمارس كل فرع من فروع الامراض الباطنية والخارجية . وهكذا الحال في الاعمال التجارية والصناعية فان كل

حرفة او مهنة تنقسم الى اقسام تدعى تقسيم الاعمال . وقد دخل كل علم اليوم في دائرة الاخصاء حتى ما يلزم الطاهي والبائع والسوقي من المعارف فاصبح من الضروري بالنظر لتكاثر اعمال البشر وانتشارها ان يزيد ابداً الاخصاء في كل علم وشأن . واذا نظرت الى الاخصاء من حيث العلم فانه دليل الكفاءة وبدونه لا يكون عالم فان المبادي الاولية من جميع العلوم هي ولا شك نافعة لكل الناس حتى العامة ومتى حاز المرء قسطاً من هذه العلوم السطحية ورأى ان يتبحر فيها يجب عليه تعيين الموضوع الذي سينصرف اليه وبدون ذلك يتقدم المرء في علمه تقدماً بطيئاً ويخلط فيه ويبقى متوسطاً والى الضعف . والاخصاء ضروري ايضاً في العلم العملي اي في المعامل والاعمال اليدوية وذلك للاسراع فيها ويرى ارباب معامل الابر والخياطة في لندرا ان في تقسيم الاعمال اقتصاداً كبيراً .

اذا قسمت الاعمال واخصى المشتغلون بالعلوم وتوسعوا فيها فالاخصاء يؤدي ولا جرم الى الضعف الادبي . وذلك ان العاملات مثلاً اذا قضين نهارهن في عملهن السهل اللطيف في الظاهر كأن يتوفرن على ادخال الخيوط في ابرهن فانهن لا يفقدن شيئاً من حواسهن ولكنه ثبت بالاحصاء انهن يفقدن حاسة النظر في اقرب وقت اما القوى العقلية والقوى المائلة لها فانها تتأذى ايضاً . اما في العلم المحض فان من ينصرفون الى الاخصاء ككثير من الرياضيين والمهندسين والفلكيين يعيشون في العالم كأنهم ليسوا منه ويدهشون معاصريهم بغرابة اخلاقهم وتشتت افكارهم التي جرت مجرى الامثال . وبالجملة فيقتضى على كل مخص في العلم او في الصناعة ان يحرز حظاً من المعارف لاول امره وان يخصي في علمين اوثلاثة فاذا مارس احدهما اراح غيره اه

وقال الراغب الاصفهاني في الذريعة : حق الانسان ان لا يترك شيئاً من العلوم امكنه النظر فيه واتسع العمر له الا ويخبر بشمه عرفه وبذوقه طيبه ثم ان ساعده القدر على التغذي به والتزود منه فيها ونعمت والا لم يصر لجهله بجهله ولغباوته عن منفعته الا معادياً له بطبعه

فمن يكُ ذا فم مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا

فمن جهل شيئاً عاداه والناس اعداء ما جهلوا بل قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم . وحكي عن بعض الفضلاء انه رؤي بعد ما طعن في السن وهو يتعلم اشكال الهندسة فقيل له في ذلك فقال : وجدته علماً نافعاً فكرهت ان اكون لجهلي به معادياً له ولا ينبغي للعاقل ان يستهين بشيء من العلوم بل يجعل لكل حظه الذي يستحقه ومنزله الذي يستوجبه ويشكر من هداه لفهمه وصار سبباً لعلمه . ولقد حُكي عن بعض الحكماء انه قال: يجب ان نشكر ايادي الذين ولدوا لنا الشكوك اذ كانوا سبباً لما حرك خواطرنا لطلب العلم

فضلاً عن شكر من افادنا طرفاً من العلم ولولا مكان فكر من تقدمنا لاصبح المتأخرون حيارى قاصرين عن فهم مصالح دنياهم فضلاً عن مصالح اخراهم · فمن تأمل حكمة الله تعالى في اقل آلة يستعملها الناس كالمقراض حيث جمع بين سكينتين مركباً على وجه يتوافق حداها على نمط واحد للقرض اكثر تعظيم الله تعالى وشكره ويقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ·

ومن اجمل ما يروى في باب الانفراد بعلم والالمام بعلوم اخرى ماقاله ابوحاتم السجستاني قال: قدم علينا عامل من اهل الكوفة لم ار في عمال السلطان ابرع منه فدخلت عليه مسلماً فقال: ياسجستاني مَن علماؤكم بالبصرة قلت: الزيادي اعلمنا بعلم الاصمعي والمازني اعلمنا بعلم النحو وهلال الرازي افقهنا والشاذكوني اعلمنا بالحديث وانا أنسب الى علم القرآن وابن الكلبي اكتبنا للشروط فقال لكاتبه: اذا كان غداً فاجمعهم لي فجمعنا فقال: ايكم المازني فقال ابوعثمان انا · فقال: هل يجزيء في كفارة الظهار عتق عبد اعور · فقال المازني: انا صاحب عربية لست بصاحب فقه · فقال: يازيادي كيف تكتب بين رجل وامرأة خلعها زوجها على الثلث من صداقها فقال: ليس هذا من علمي هذا من علم ابي حاتم · فقال لي: ياباحاتم كيف تكتب الى امير المؤمنين تصف فيه خصاصة اهل البصرة وما اصابهم في الثمرة من الجوائح وتسأل النظر لهم فقلت: انا صاحب قرآن لست بصاحب بلاغة وكتابة فقال: اقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف الا فناً واحداً حتى اذا سئل عن غيره لم يحر فيه جواباً لكن عالماً بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا لاجاب ·

ومن استقرى تاريخ العرب يجد من امثال الكسائي مئات كما قلنا ممن كتب لهم التقدم في علوم كثيرة فقد ذكر ابن خلكان وابن ابي أصيبعة في ترجمة كمال الدين بن يونس المتوفى سنة ٦٣٩ وهو ممن لم يشتهروا كثيراً بيننا انه تبحر في جميع الفنون وجمع من العلوم ما لم يجمعه احد وتفرد بعلم الرياضة وكان الفقهاء يقولون انه يدري اربعة وعشرين فناً دراية متقنة منها المذهب والخلاف العراقي والبخاري واصول الفقه واصول الدين والحكمة والمنطق والطبيعي والالهي والطب وفنون الرياضة من أقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وانواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة والارثماطيقي وطريق الخطأين والموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره الا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها واستخرج في علم الاوفاق طرقاً لم يهتد اليها احد وكان يبحث في العربية والتصريف بحثاً مستوفياً وكان له في التفسير والحديث وما يتعلق به واسماء الرجال يد طولى وكان يحفظ من التواريخ وايام العرب ووقائعهم والاشعار والمحاضرات شيئاً كثيراً وكان اهل الذمة يقرؤن

عليه التوراة والانجيل وشرح لما هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لايجدون من يوضحها لهم مثله وكان في كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه قال صاحب وفيات الاعيان: وبالجملة فان مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع عن احد ممن تقدمه انه قد جمعه قال ابو بشر ثمامة بن الاشرس النميري المعتزلي وكان خصيصاً بالمأمون: رأيت رجلاً يتردد على باب المأمون ورأيت عليه أبهة اديب فجلست اليه ففاتشته في اللغة فوجدته بحراً وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم وبالنجوم ماهراً! وبالطب خبيراً وبايام العرب واشعارها حاذقاً فقلت له من تكون وما اظنك الا الفراء فقال: انا هو.

وكان القاضي ابو الفرج المعافى النهرواني فقيهاً اديباً شاعراً عالماً بكل فن قال ابن خلكان ذكر احمد بن عمر بن روح ان ابا الفرج المذكور حضر في دار لبعض الرؤساء وكان هناك جماعة من اهل الادب فقالوا: في اي نوع من العلوم نتذاكر فقال: ابو الفرج لذلك الرئيس خزائنك قد جمعت انواع العلوم واصناف الادب فان رأيت ان تبعث غلاماً اليها تأمره ان يفتح بابها ويضرب بيده الى اي كتاب منها فيحمله ثم يفتحه وينظر في اي العلوم هو فنتذاكره ونتجارى فيه وقال ابن روح: وهذا يدل على ان ابا الفرج كان له انسة بسائر العلوم وكان ابو محمد الباجي يقول اذا حضر القاضي ابو الفرج فقد حضرت العلوم كلها. وقال: لو اوصى رجل بثلث ماله لاعلم الناس لوجب ان يدفع الى ابي الفرج المعافى وكان ثقة مأموناً في روايته. هذا ما حضرنا من امر الاخصاء والاخصائيين ولعل بعض مؤازرينا يكتبون فصلاً واسعاً في حالة الاخصاء عند الغربيين والطرق التي يعتمدون اليها بتفصيل اوسع واشفى

تاريخ ابن الساعي

وقفنا على قطعة من كتاب الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير (١) قال في كشف الظنون انه تأليف الشيخ تاج الدين علي بن انجب بن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ (خازن كتب المستنصرية) وهو تاريخ كبير في خمسة وعشرين مجلداً بلغ فيه الى آخر سنة ٦٥٦ والتاريخ مرتب على السنين وهذا الجزء وهو مخروم من اوله وآخره يبدأ من حوادث

(١) استخرجه من دشت من الورق احمد بك تيمور من علماء القاهرة وسراتها وهو الذي عرف بانه قطعة من الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير

سنة ٥٩٥ وينتهي في حوادث سنة ٦٠٦ أي ان فيه حوادث عشر سنين تامة ذكر فيه ماوقع فيها من الكوائن السياسية والطبيعية وترجم كثيراً ممن توفوا في تلك الحقبة من الزمن ولا سيما القاضي الفاضل والعماد الكاتب والفخر الرازي وابو السعادات ابن الاثير الجزري صاحب النهاية وهو موجز العبارة سهل الانشاء

ومعلوم ان الدولة العباسية كانت على ذاك العهد آخذة بالضعف ولذلك نقرأ نموذجاً من هذا الضعف في مسطور هذا التاريخ منها ان ابن ليون صاحب ارمينية اغار على اطراف حلب وغنم ونهب وقتل ومنها ان صاحب الكرج كان يغير على بلاد المسلمين ومنها ان ملوك الطوائف كصاحب غزنة وهراة والشام ومصر كانوا يتقربون لبغداد تقرباً ظاهرياً . وفي تلك المدة بدأ الصوفية يرد ذكرهم مع الفقهاء والوعاظ والقراء . واخذت العادة تسري بتقبيل «العتبة الشريفة بباب النوبي الشريف» حتى ان نظام الدين محمد بن عبد الكريم السمعاني لما انفذ رسولا من علاء الدين محمد خوارزمشاه وتلقي بموكب الديوان العزيز ونزل بباب النوبي الشريف وأريد على تقبيل العتبة امتنع عن تقبيلها فأهين والزم بتقبيلها مكرهاً ولما جاء رئيس علماء بخارى قبل تلك العتبة أسوة غيره من العامة والخاصة . وفي هذا التاريخ الفاظ واصطلاحات لذاك العصر منها ماورد في ترجمة ابي منصور بن نقطة المشجر وانه كان مجيداً في صنعة الغناء وعمل الكان ومنها ماذكره في ترجمة الامير قيصر العوني «نسبة الى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة كان مملوكاً افرنجي الجنس الا انه كان موصوفاً بالحسن والملاحة واللطف فقدمه الوزير على جميع مماليكه وكان يخرج في الاعياد في صدور موكبه بالقباء والعمامة القصب الكحلية والى جانبه خادم له من خدم الوزير بالاهبة أيضاً»

وقد ذكر فيه ماوقع سنة ٥٩٧ في مصر من الغلاء العظيم الذي اهلك معظم أهلها وهو جملة من كتاب الاعتبار في أخبار الديار المصرية لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي . وهذا الكتاب طبع قديماً في مصر . وترجم كثيراً من المسيحيين والاسرائيليين وغيرهم من غير اهل الاسلام ووفاهم حقهم واليك مثالاً من ذلك بالحرف: «ابو سعيد الحسن ابن خالد بن المبارك بن محضر النصراني المارديني الملقب بالوحيد كان مؤثراً للوحدة والانقطاع واظب على الاشتغال بالعلم في اول شبابه واتقن علم الاوائل وبرّز فيه ثم رفض الاشتغال وكان بينه وبين قطب الدين بن ايلغازي بن أرتق ملك ديار بكر صحبة في سن التربية فكان يعاتبه على الانقطاع عنه ويندبه الى خدمته الى ان اجاب فتقدم عنده وصارت له المنزلة الرفيعة والاحترام والتقدم وندبه بارق شاه بن قلج لوزارته فابى ثم قصد بغداد واقام بها مدة عند الجاثليق ابي حكيم ماري بن ايليا بن الحديثي ثم عاد الى بلده وكان قد رزق طبعاً في نظم الشعر فمن ذلك قوله:

ومعتدلٍ ساجي الجفون كأنما … بعينيه سيف سُلَّ للقتل والفتك
اذا رام عند الوصل تركَ دلاله … ترد عليه طبعه صولة الترك
وما عذل العذال الاَّ جهالة … اذا لم ازل مغرى الخلاعة بالمالك
وما تركت مني الصبابة في الهوى … سوى جسد مثل الخلال ام السلك
أشفعه فيما يريد بحسنه … ولا أتعدى في الهوى طاعة النسك
ولكنني ارعى مباسم ثغره … والثم من لألائها موضع الضحك

وقوله

لقد اثرت صدغاه في لون خده … ولاحا كفيء من وراء زجاج
ترى عسكر الروم في الزنج قد بدت … طلائعه تبغي ليوم هياج
ام الصبح بالليل البهيم موشح … حكى آبنوساً في صفيحة عاج
لقد نار صدغاه على ورد خده … فسيجه من شعره بسياج

وقوله في جواب كتاب

وقفت على فحوى كتابك معلناً … بشكرك اني بالثناء خليق
وما خلته الا كاكناف روضة … تناثر فيها لؤلؤ وعقيق
وراق بسمعي منه لفظ كأنما … معانيه سحر للقلوب وثيق
وان تك اعمال الجميل تقدمت … فانك سيف بحر الوداد غريق
فلا تولني فوق الوداد تفضلاً … فليس باعباء الثناء أطيق
ولم يك بدعاً ما قصدت من العلى … فانك بالطبع الكريم خليق

وقوله في مثله

اتاني كتاب انشأته انامل … حوت ابحراً من فيضها يغرف البحر
فواعجباً في التوت فوق طرسه … وما عودت بالقبض انمله العشر

كان مولد ابي سعيد هذا في سنة سبع واربعين وخمسمائة وتوفي في سنة ستمائة.

وللمؤلف عناية باخذ التقاليد الصادرة عن الملوك وغيرها من الصكوك الرسمية ولو كتب لكتابه كله البقاء لانتفع به كثيراً في هذا الباب لان فيه ولا شك ما يعقله اكثر المؤرخين. ومما ذكره تقليد فخر الدين ابي الحسن محمد بن محمد المختار الكوفي نقابة الطالبين ببغداد قال المؤرخ: وقد وقفت عليه وهو بخط المكين ابي الحسن محمد بن محمد بن عبدالكريم القمي كاتب ديوان الانشاء المعمور حينئذ ومن انشائه ومن خطه نقلت . وهنا اورد العهد وهو في اربع ورقات ولولا ان في بعض الكتب المطبوعة ما يماثله من التقاليد وربما فاقه باسلوبه وبلاغته لاقتبسناه .

ومن فصول الكتاب المهمة ما ذكره في نقل الفتوة وما تجدد فيها سنة اربع وستمائة. والفتوة كما في التاج لغة الكرم والسخاء وفي عرف اهل التحقيق ان يؤثر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة وصاحب الفتوة يقال له الفتى ومنه لا فتى الا علي وقول الشاعر

فان فتى الفتيان من راح واغتدى لضرّ عدوّ او لنفع صديق

وعبر عنها في الشريعة بمكارم الاخلاق ولم يجئ لفظ الفتوة في الكتاب والسنة وانما جاء في كلام السلف واقدم من تكلم فيها جعفر الصادق ثم الفضيل ثم الامام احمد وسهل والجنيد ولهم في التعبير عنها الفاظ مختلفة والمآل واحد . قلنا والفتوة فيما نرى كما يظهر من هذا التقليد الصادر عن الناصر اشبه بجمعية سياسية، والعهد الصادر عن الخليفة الناصر لدين الله الذي نحن بصدده هو في هذه السنة أحدرت الفتوة القديمة وُجعل امير المؤمنين الناصر لدين الله رضي الله عنه القبلة في ذلك والمرجوع اليه فيه وكان هو قد شرف عبد الجبار بالفتوة اليه وكان شيخا متزهدا فدخل في ذلك الناس كافة من الخاص والعام وسأل ملوك الاطراف الفتوة فنفذ اليهم الرسل وقد البسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة الشريفة وانتشر ذلك ببغداد ونفتى الاصاغر الى الاكابر واتفق ان الفاخر العلوي كان رفيقاً للوزير ناصر بن مهدي وكان له رفقاء فاختصم احد رفقائه مع رفيق لعز الدين نجاح الشرابي وصار بذلك فتنة عظيمة بمحلة قطفتنا حتى تجالدوا بالسيوف فانتهى ذلك الى الامام الناصر لدين الله رضي الله عنه فانكره وتقدم الى الوزير بجمع رؤوس الاحزاب وان يكتب في ذلك منشور يؤمرون فيه بالمعروف والالفة وينهون عن التضاغن ويقرأ بمحضر منهم ويشهد عليهم بما يتضمنه فمن خالفه أخذ سراويله وأبطلت فتوته وعوقب بما يرى من العقوبة واحضر الفاخر العلوي وقال الوزير للحاضرين اشهدوا عليّ اني قد نزلت عنه وقرأ المنشور عليهم المكين ابو الحسن محمد بن محمد القمي كاتب ديوان الانشاء المعمور وهو من انشائه وهذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم. من المعلوم الذي لا يتمارى في صحته ولا يرتاب في وضوح براهينه وادلته ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه هو اصل الفتوة ومنبعها ومنجم اوصافها الشريفة ومطلعها وعنه تروى محاسنها وآدابها ومنه تشعبت قبائلها واحزابها واليه دون غيره ينتسب الفتيان وعلى منوال مؤاخاته الشريفة النبوية نسج الرفقاء والاخوان وانه كان عليه السلام مع كمال فتوته ووفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها ويستوفيها من اصناف الجناة على تباين جناياتها وملاها ومذاهبها غير مقصر عما امر به الشرع المطهر وقدره ولا مراقب فيما رتبه من الحدود وقرره امتثالاً لامر الله تعالى في اقامة حدوده.

وحفظاً لمناظم الشرع وتقويم عموده فانه عليه السلام فعل ذلك برأي من السلف الصالح وبمسمع ومشهد من اخيار الصحابة ومجمع فلم يسمع ان احداً من الامة لامه ولا طعن عليه طاعن في حد اقامه وحقيق بمن اورثه الله مقامه وناط به شرائع الدين واحكامه وانتمى اليه عليه السلام في فتوته واقتفى شريف شيمته وكريم سجيته ان يقتدي به عليه السلام في افعاله ويحتذي فيما استرعاه الله تعالى واضح مثاله غير ملوم فيما يأتيه من ذلك ولا معارض فتوة ولا شرعاً فيما يورده و يصدره وقد رسم الله على المراسم العلية المقدسة النبوية الامامية وزادها نفوذاً معضوداً بالصواب وتأييداً ممتد الاطناب محكم الاسباب على كل من تشرف بالفتوة برفاقة الخدمة الشريفة المقدسة المعظمة الممجدة المكرمة الطاهرة الزكية الامامية الناصرية لدين الله تعالى شرف الله مقامها وخلد ايامها واعلى كلمتها ونصر رايتها ان من قتل له رفيق نفساً نهى الله تعالى عن قتلها وحرمه وسفك دماً حقنه الشرع المطهر وعصمه وصار بذلك ممن قال الله تعالى في حقه حيث ارتكب هذا المحرم واحتقب عظيم هذا المأثم ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ثلاثة ان ينزل عنه في الحال في جمع الفتيان عند تحققه لذلك ومعرفته ويبادر الى تغيير رفقته مخرجاً له بذلك عن دائرة الفتوة التي كان متسماً بها مسقطاً له من عداد الرفاقة التي لم تعم نواحيها ذلك خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وان كل فتى يحوي قاتلاً ويخفيه ويساعده على امره و يؤويه تنزل كبيرة عنه و يغير رفاقته و يتبرأ منه وان من حوى ذا عيب فقد عاب وغوى ومن آوى طريد الشرع فقد ضل وهوى والنبي عليه السلام يقول من آوى محدثاً فعليه لعنة الله وملائكته والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا حدث اكبر من قتل النفس عدواناً وظلماً ولا ذنب اعظم منه وزراً واثماً فان الفتى متى قتل فتى من حزبه سقطت فتوته ووجب ان يؤخذ منه القصاص عملاً بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص وان قتل غير فتي عوناً من الاعوان او متعلقاً بديوان في بلد سيدنا ومولانا المفترض الطاعة على كافة الانام الناصر لدين الله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين فقد عيب هذا القاتل في حرم صاحب الحوب بالقتل فكأنما عيب على كبيرة فسقطت فتوته بهذا السبب الواضح واجب القصاص منه عند كل فتى راجح وليعلم الرفقة الميمونة ذلك وليعملوا بموجبه وليجروا الامر في امثال ذلك على مقتضى المأمور به وليقفوا عند الحدود في هذا الموسوم المطاع ويقابلوه بالانقياد والاتباع ان شاء الله تعالى وكتب في صفر من سنة اربع وستمائة وسلم الى كل واحد من رؤوس الاحزاب منشور بهذا المثال فيه شهادة ثنتين من العدول ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور ما هذا صورته: قابل العبد بما تضمنه هذا المرسوم المطاع وقابله بما

يجب عليه من الانقياد والاتباع والامتثال وهو الذي يجب العمل به فتوة وشرعاً وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلا وسمعاً وقد الزمت نفسي اجراء الامر على ما تضمنه هذا المرسوم الاشرف فمتى جرى ما ينافي المأمور به المحدود فيه كان الدرك لازماً لي والمؤاخذة مستحقة على ما يراه صاحب الحرب ثبت الله دولته واعلى كلمته وكتب فلان بن فلان في تاريخه » اه

ومن العهود ما صدر عن الخليفة العباسي لرئيس اليهود قال ابن الساعي : « وفي تاسع ذي القعدة المذكور ولي ابن وهبة رأس مثيبة (؟) اليهود وكتب عهده بذلك وسلم اليه فقرأه على اليهود في الكنيسة وهذه نسخته: « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواجب شكره الغالب امره العلي شانه القوي سلطانه السابغة نعمته البالغة حكمته المتفرد بالجلال والاقتدار المصرف على مشيئته مجاري الاقضية والاقدار الدال على وحدانيته ببديع فطرته المانع اعجائب صنعته من ان تتعذر في الاوهام كنه معرفته الهادي الى سبيل الرشاد من شاء من خلقه الهامي سحاب فضله على كل مقر بربوبيته عارف بحقه الذي اصطفى محمداً صلى الله عليه وعلى آله من اكرم ارومة واعلى محتد وجرثومة واشرف العرب منصباً وامجدها أُمّاً واباً واعزها قبيلاً واوضحها في المكارم سبيلاً وارسله الى الاحمر والاسود نبياً واختاره من اصناف الامم عربياً وايده بالحكم أُمياً وجعله منصوراً ايلاً نكبته محمياً وابتعثه بالبرهان الساطع والدليل القاطع ونسخ بشريعته المطهرة الملل السالفة والشرائع فلم يزل صلى الله عليه وسلم وعلى آله بامر الله صادعاً ولانف الباطل جادعاً ولما انزل الله مبلغاً ولجهده في نصح الامة مستفرغاً فصلى الله عليه وعلى آله وعلى سلالة عمه ووارثه وصنو ابيه العباس الذي طهره من الادناس وفرض مودتهم وطاعتهم على جميع الناس الخلفاء الراشدين وأئمة الحق المجتهدين صلاة لا انقشاع لغمامها ولا انقطاع لتواصل دوامها والحمد لله الذي اصار الى خليفته في ارضه ونائبه في خلقه الامام المفترض الطاعة على سائر الامم الناصر لدين الله امير المؤمنين ووارث الانبياء والمرسلين حجة الله على الخلق اجمعين من مواريث انبيائه ومآثر خلفائه في ارضه وامنائه ما هو احق بحيازة مجده وارتداء علائه واخذ ميثاق طاعته على الامم في الازل والزم الاواخر منهم ما الزم الاول وفرض على خلقه الاقتداء به والائتمام وحاز له وراثة الخليفة عن الخليفة والامام عن الامام زاده الله شرفاً الى شرفه وادام على العالمين ما منحهم به من شمول عدله وحصانة كنفه فالمسلم والذمي والمعاهد في ظلال اياديه الشريفة وادعون وفي رياض الامنة راتعون ومنابكلاءتهم من عين رأفته اليقظى هاجعون لا يكدر لهم شرب ولا يذعر لهم سرب وحكم عدله يوجب النظر العام في مناظم امرهم وجوامع مصالحهم ورعاية جمهورهم لما وكله الله تعالى اليه من سياسة

عباده وناطه بشريف آرائه واجتهاده · ولما ضرع دانيال بن العازر بن هبة الله في ترتيبه رأس مثنية عوضاً عن العازر بن هلال بن فهد الدارج على قاعدته وجاري عادته وانتهى ما يتحلى به عند اهل نحلته ويتصف به واستحقاقه لما ضرع فيه بحسن طريقته فيهم وسلامة مذهبه رسم اعلى الله تعالى المراسم الشريفة المقدسة المعظمة الممجدة المكرمة النبوية الامامية الطاهرة الزكية الناصرة لدين الله زادها الله اجلالاً ممتد الرواق ونفاذاً في الاقطار والآفاق ترتيبه رأس مثنية على عادة الدارج المشار اليه حيث كان ابن الدستور رأس مثنية ايضاً وان يكون له النظر في الولاية عليه من جميع الاماكن التي جرت عادته بتوليها والتصرف فيها وان يتميز عن نظرائه واشكاله بالالبسة التي عهدت لامثاله وسبيل طوائف اليهود وحكامهم بمدينة السلام واكناف العراق الانتهاء في ذلك الى المأمور به والرجوع الى قوله في توسط امورهم والعمل بموجبه وان يخرجوا اليه من الرسوم التي جرت عادة من تقدمه بها بالاماكن التي كان يتصرف فيها من غير معارضة له في ذلك مع قيامه فيما يأتيه ويذيره بشرائط الذمة والتزامه ومحافظته بالامتثال وبواجب الاعتصام والاجلال ان شاء الله تعالى وبه الثقة وكتب في تاسع ذي القعدة من سنة خمس وستمائة والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الذي ختم النبيين وهو سيد المرسلين المصطفى على سائر الخلق اجمعين » .

والخليفة الناصر لدين الله هذا هو الذي تقدم كما قال ابن الساعي « بانشاء دور ضيافة لفطور الفقراء في شهر رمضان في سائر محال بغداد شرقيها وغربيها فوقع الشروع في ذلك على يد قوام الدين نصر بن ناصر صدر المخزن المعمور وسُلم الى كل ثقة من اهل محلة مقدار من العين وامر باثبات فقراء اهل كل محلة وان يجري لكل واحد في كل يوم رطلين من الخبز الفائق وقدح طبيخ فيه نصف رطل لحم ضأن فاثبت في كل دار مقدار خمسمائة نفس زائداً وناقصاً فعم الفقراء والضعفاء هذه الصدقة وانتفعوا بها وتفرغ بالهم في هذا الشهر واستراحوا من السعي في تحصيل القوت والاهتمام به فالله تعالى يجعل ذلك نوراً يسعى بين يديه هذا سوى ما يفرق على الفقهاء في جميع المدارس والصوفية في سائر الربط والمنقطعين في الجوامع والمساجد والزوايا من الغنم والدقيق والذهب اجزل الله بذلك ثوابه وخفف به حسابه » .

كيف كانوا يسيحون

كتب احد الباحثين فصلاً ضافياً تحت هذا العنوان في « المجلة » فآثرنا تحصيله لجمعه بين الفائدة والفكاهة قال : ان السفر اليوم لا يتعدى حد السباق السهل اللطيف فهو قليل النفقة وفي مكنة كل انسان ان يقوم به ولم يكن كذلك في الازمان السالفة . بل كان التنقل ولا تدعو اليه الا الحوادث او الاشغال لا اللذة وحب الانتقال يستلزم صنوفاً من المتاعب والمصاعب والمخاطر يصعب علينا الآن تصوّرها .

لم تكن وسائط النقل في القديم لتتعدى الحمار والحصان والجمل والعجلات والهوادج فينزل المسافرون في فنادق لم تكن وافرة العدد . ولقد كان عند العبرانيين فنادق غير مستوفية لشروط النزول فيها حتى ان ارباب الحشمة كانوا يربأون بانفسهم عن قصدها فكان لهم في كل مدينة احباب يستقبلونهم فينزلون عليهم وهم يقابلونهم بالمثل وينزلونهم في بيوتهم عند ما يسافر هؤلاء ايضاً . دام هذا الحق بين الاسرات مرعياً معمولاً به واصبح القرى عندهم من اقدس الفروض ولكنه لم يلبث ان اعتوره القلب والابدال .

ولم يمض زمن حتى انقلبت كيفية الضيافة في بلاد اليونان والرومان والعبرانيين وذلك لانه من الصعب ان يؤوي الانسان كل قادم واقتصروا في انزال الضيوف على معارفهم واصحابهم ومن لهم مقام سام في قومهم او يحملون وصية لا بد من تنفيذها وكانوا يرسلون من عداهم الى الخانات على نحو ما يقوم اليوم ابناء القرى في ايواء الجند وضباطهم خلال الحروب . وعمت هذه العادة على عهد الفيلسوف اليوناني تيوفراست (٣٧٤ — ٢٨٧ ق . م) وقد وصف المؤرخ توسيديد هذه الخانات او المضافات بانها دور كبيرة طولها مائتا قدم وهي مقسومة الى مساكن عالية وسفلية مفروشة وفيها سرر من حديد وقلز

لم تكن تعرف الفنادق في ارض اليهودية ولكن كان منها على طريق مصر رأى بعضها موسى وامرأته مصورة على انها لم تكن ذات بهجة وانيقة بل هي عبارة عن مرابط للبهائم وبالقرب منها آبار فيقضي على المسافر ان يأتي معه بجميع ما يلزم لغذائه . ولا تزال الخانات في المدن والمضافات في الارياف ببلاد الشرق الى عهدنا هذا على هذه الصورة لا تفوق القديمة بوضعها ولا باستعدادها .

وكانت فنادق الاجرة عند العبرانيين سيئة السمعة وقد صرح بلوتارك المؤرخ اليوناني بأنه لا يجب ان يتعب المرء فيها نفسه بل عليه ان يعمل ما يهوى ولا يحفل بجيرانه فكنت ترى فيها محلاً للمائدة واصطبلاً للبهائم ومكاناً للمركبات . وقد وصف افلاطون اصحاب

الخانات في عصره بانهم لصوص متجبرون اهل نخة وسلاطة يزدرون بن يعطيهم قليلاً من الاجرة وهي صورة تصدق ولا جرم على بعض اصحاب الفنادق في عصرنا ·

من كان يظن ان البلاد التي تفردت في تلك الاعصر براحة السائحين فيها هي بلاد فارس ؟ فقد كان البريد ينقل فيها (ولا يزال كذلك) مع السعاة على الخيل فينتقلون من محطة الى اخرى الاوامر وقد توفرت اسباب الرفاهية في تلك الفنادق الفاخرة · وعهد عند الرومانيين ضربان من الفنادق منها الفاخر وهو ما كان ينزل فيه السائحون والجند وكانت تحت مراقبة الحكومة وقد ذكر المسيو كالي بانه رأى مثالاً منها عند ما اقام في البوسنة والهرسك · والحكومة النمسوية تلاحظ تلك الفنادق وتشرف عليها ولكن كانت تلك الفنادق للطبقة العالية من الناس وربما حلّ فيها الملوك فهل يسوغ ان ينزل هؤلاء مع الصعاليك وربما وصل اليهم منهم اذىً · اما الفنادق العامة فكانت منازل حقيرة قال فيها هوراس الشاعر اللاتيني : « اذا رغب المرء ان ينزل في احد هذه الفنادق التي يراها على طريقه من كابو الى رومية فالعقل ان يترحل واذا رضي لنفسه النزول احياناً فلا ينزلها الا اذا بلغت به الحال ان تلوث بالوحل الى ظهره وتبلل بالمطر الى عظمه » وكنت ترى امثال هذه الاكواخ على الطريق في ايطاليا بكثرة وهي ممقوتة حتى لقد شكا بلين العالم الروماني من ان الفرش لم تكن وثيرة بل كانت محشوة بعيدان القصب على مثال الريش وكان طعامها غليظاً · ومن اجل ذلك كان الاغنياء السائحون يحملون معهم ادوات مطابخهم وبعض ارباب الشرف يصحبون معهم عجلات تحمل لهم البطيخ والثمار التي لم تنضج لئلا يحرموا من الفاكهة ويحمل كل منهم معه اواني السفرة كما لا تزال العادة في روسيا الى اليوم ان يأتي المسافر معه بادوات الفراش لنومه · وكانت فنادق رومية وخاناتها كثيرة ولاسيما من طريق ابين وهي كأمثالها في بلاد الغاليين سكان فرنسا الاقدمين من حيث قلة العناية وسوء الخدمة · وعلى عهد المؤرخ بوليب اليوناني (٢٠٤ — ١٢٢ ق · م) احدثت طريقة اخذ شيء من الدراهم من كل مسافر اجرة مبيته في احد الخانات وكان ثمن غذاء الرجل ومبيته يعادل في اليوم ثلاثة سنتيمات بسكة زماننا ·

وفي القرن السابع للميلاد بدأ المسيحيون في الغرب يحجون الى الارض المقدسة وفي تآليف ادمان وبليبالد أسقف اشتياد سنة ٧٣٠ اشارات كثيرة تدل على ما كانت عليه اسباب التنقل في القرن السابع والثامن على ان الحج الى البيت المقدس بدأ قبل ذلك العهد ببرهة طويلة · فقد كتب كاهن لم يذكر اسمه منذ سنة ٣٣٣ جدولاً ذكر فيه الطريق من بوردو الى القدس ذكراً مجرداً · وفي خلال تلك المدة كان للنورمانديين فضل السبق

على سائر الامم الاوروبية بتحمسهم في مثل هذه الزيارات يضاف اليها في الغالب رغبتهم في جمع المال والاتجار فكانوا يتحاشون تجشم اهوال البحر ولذلك كنت تراهم يقطعون المسافة برًّا مجبرون بفرنسا و بجزء عظيم من ايطاليا ثم يركبون البحر من نابولي او كايت او سالرنا وهي المواني التي كانت تتقايض المتاجر مع سورية ٠ وفي السنين الاولى من القرن الحادي عشر للميلاد اجتمع اربعون سائحًا من النورمانديين وردوا العرب على اعقابهم عند ما اغاروا على سالرنا وانشأوا لهم دولة نورماندية في جنوبي ايطاليا ٠

وكانت الحملات الصليبية الاولى على الشرق تسير برًّا من طرق متعددة ٠ وقد ساعدت العادة في الحملة الثالثة على ادخال تسهيلات كثيرة في تسفير تلك الحملات الضخمة فانشأوا يؤثرون الرحيل من البحر ٠ وكانت المدن او بعض افرادها تتعهد بتقديم لوازم السفر٠ فقد فاول ريكاردس قلب الاسد ملك الانكليز في حرب الصليب ميناء مارسيليا على ان تقدم له عشرين سفينة وثمانية مراكب متوسطة الحجم لتقله وتقل اتباعه الى الارض المقدسة وكان قد تقدم فن الملاحة وكثر التفنن في احداث السفن الكبيرة والصغيرة و بلغ عدد الاسطول الذي اجتمع في ايكومورت في الحملة الصليبية السابعة الفًا وخمسمائة سفينة وقد قضى الصليبيون الذين سافروا الى فلسطين من طريق الاستانة ثمانية اشهر٠

وما لنا وتلك الحملات وما قاسته من المتاعب في قطع المسافات فان اخبار الافراد الكبراء ومنهم من كانوا يسيحون لاشغال لهم او للزيارة احق بالتدوين ٠ فقد كانت الهوادج والمحفات مألوفة لكبار الاغنياء يركبونها في أسفارهم ولهم عجلات ضخمة خاصة بهم غريبة في شكلها و بطئها ومعها كانت البقر التي تجرها قوية فانها لا تكاد تجتاز بضعة كيلومترات في النهار الا بشق الانفس وذلك لوعوثة الطرق وكثرة البطائح ولطالما اضطرت السائحين ان يحملوا على ظهورهم ما كان يحملهم ٠

وقد كثرت الاديار والصوامع في القرون الوسطى في اوربا فكنت تراها حيثما انقلبت في المدن والقرى تؤوي المسافرين وتطعمهم (على نحو اديار جبال سورية الى اليوم) واذا دفع المرء من تلقاء نفسه شيئًا من الدراهم للدير الذي اطعمه وآواه فانما يدفع ما لا يتجاوز القدر الذي كان يلزمه لو نزل في خان او فندق بعد ان ينزل على الرحب والسعة ويكفى المؤونة بفضل اصحاب الدير ٠ وهذه الاديار على الصورة التي وصفناها تعد والحق يقال اعظم حسنات القرون الوسطى تأتيها تلك الاديار ضاحكة مستبشرة وهي لا تريد ممن تسدي اليهم معروفها جزاء ولا شكورًا ٠

ولقد كان الحاج الى البيت المقدس يدفع في القرون الوسطى خمسًا وخمسين دوكا

(سكة ذهبية تختلف باختلاف البلاد) ليركب البحر من مدينة البندقية الى يافا ومن ذلك ثمن الطعام . وكان المترفون من الفرنجة يتزودون باللحوم والمآكل المغذية كما يحملون الحصر والفرش والخمور والماء وتحمل السفينة مائة راكب . وقد صرفت احدى السفن سنة ١٤٨١ خمسين يوما في البحر للسفر من البندقية الى يافا وفي هذه المدينة يتلقاهم العرب وبعد ان يقوموا خمسة ايام في مكان رديء يركبونهم الحمير الى القدس ويحمونهم من البدو ومن الباعة . قال احد الرهبان ممن رافقوا تلك العصابة ولم يكن العرب يعتدون الا على المأكولات والمشروبات يطيلون ايديهم عليها ليملؤا بطونهم .

وقد كثر التأنق في السياحات خلال القرن الخامس عشر على كثرة الاضطرابات التي حدثت فيه بحيث اصبحت اساليب النقل اكثر رفاهية من القرون التالية . وشاع على عهد الملك شارل السادس (١٣٨٠ — ١٤٢٢) استعمال الجياد والبغال وكان النساء يركبن رديفات للرجال ومن بعده كثر ولوع الناس بالبغال منذ سنة ١٥٤٠ وصار الناس يسيحون على ظهورها لا فرق في ذلك بين الاساقفة ورؤساء الاديار والحكام ومستشاري المملكة والزعماء . وسهل على الناس انشاء محطات كثيرة للبريد بين البلاد ان يسيحوا بسرعة . والاثقال (العفش) يحملها الخدم على ركائب أخرى يتبعون ساداتهم . وعلى ذلك العهد قل الامن في الطرق وشاعت الخرافات في فرنسا بما حملت اليها المانيا من الافكار فاصبح القوم يكثرون من الاعتقاد بالسحر والسحرة والطوالع السيئة وشاع ان اصحاب الفنادق على وفاق مع الشياطين ومع ذلك كان القتل يكثر في الفنادق وتزورها الارواح فيفزع السياح ولا يسع اصحابها ان يأخذوا النازلين فيها الى دورهم وهم يوهمونهم بانهم ما داموا معهم فلا تسطو عليهم الشياطين و يتلاعبون بهم و يستعملون من اساليب الدهاء والجربذة الوانا فصار القوم يعتقدون ان الفنادق مسكونة بالجن .

وفي اواخر القرن الخامس عشر عنيت الحكومة الفرنسوية بالسائحين واخذت توعز الى ارباب الفنادق ان يرفقوا بمن ينزل عليهم فحددوا اسعار المآكل والنوم وكتبوها على واجهات نزلهم وكانت الاجور غالية بالنسبة لذاك العصر وكانت فنادق اسبانيا سيئة الحال اذا قيست بالفنادق الفرنسوية وذلك من حيث الوساخة وسوء الخدمة وكآبة الداخل من بنائها والخارج منه . اما فنادق المانيا وايطاليا فكانت احسن من فنادق تينك المملكتين لكثرة اختلاف السائحين اليها .

جاء القرن السادس عشر وقد اشتهرت اوروبا بنهضة الآداب والفنون ولكن الاخلاق بقيت على توحشها على المبالغة في التنطس في ابداء الافكار . وكلما كان ينتشر الادب والعلوم

والفلسفة واللاهوت والتصوير بين الناس وتصفو النفوس وتسمو الى قمم الحقائق والعظمة والكمال كانت العادات تنحط الى دركات التوحش فتكثر الحروب والسلب والقتل من اجل امور تافهة وكل اختلاف في الاذواق يسوّى بحد الخناجر واقل نزاع ديني يكفي لنشوب ثورة في البلاد ·

يلبس الرجال ثياب الديباج والمخمل ويزين الظرفاء آذانهم بأقراط ويعطرون شعورهم ويمسكون بايديهم الخناجر وهم يلبسون القفافيز (الكفوف) بسرور يوازي سرور من يحمل آنية الملبس او يروح بمروحة · اما النساء فكن يكتسين الالبسة الحريرية والاطواق الغليظة اللؤلؤ والزنانير المحلاة بالجواهر ولم تكن تلك الابهة تخفي اخلاق الرجولية فيهن بل كن يطلقن العبارات النارية كما يطلقها فرسان الالمان ممن جعلوا اطلاق النار صناعة لهم وعندئذ اخذت الاذواق تحسن في فرش الدور والقصور وتسير نحو الرفاهية والملاءمة بيد انه لم ينشأ من ذلك تحسين في اسباب السياحة ولا في موارد الفنادق والخانات وظلت على حقارتها على نحو ما كانت عليه في القرون الماضية او اكثر

وقد كثر اقبال الفرنسيس على السياحة في القرن السادس عشر ومن اهم السياحات التي تؤثر عن ذاك القرن سياحة الرحالة الجسور آرامون فانه خلف ايضاحات نافعة عن زيارته للاستانة سنة ١٥١٨ ومما ادهشه ما شاهده من حذق بعض ابطال العثمانيين اذ ذاك ورشاقة ايديهم فقال انه رأى احدهم بلع بيضة بدون ان يكسرها وبعد ربع ساعة اخرجها سالمة · ووصف القافلة عند منصرفه الى فارس فقال انه كان معهم عشرة اعلام واربعون جملاً وثمانية عشر بغلاً واحدى عشرة دابة اخرى وهودج يقله بغلان وكانوا خمسة وخمسين سائحاً راكبين على احسن صورة مسلحين سافروا من الاستانة سنة ١٥٤٨ فرجعوا الى فرنسا في اوائل سنة ١٥٥٠ بعد ان زاروا البلاد العثمانية والفارسية والقدس ومصر ·

ورحل الرحالة فيليب دي فرسن سنة ١٥٧٣ الى الاستانة فرأى سوق النخاسة قائمة فيها والاماء والعبيد من اطراف الارض يعرضون للبيع ومن اراد ابتياع أمة يكشف عن وجهها القناع ولكي يتمكن من معرفة سحنتها وصباغها لا يستنكف من البصاق عليه ليتأكد فيما اذا كان صبغة او هو خلقة بلا تصنع · وقد سار في الطريق التي كانت متبعة في القرن السادس عشر للذهاب من فرنسا الى الشرق براً وهو راغوس — نوي بازار — اسكوب — تاتار بازارجق ·

ولا يذهبن الفكر الى ان جميع السائحين كانوا يصرفون وقتاً طويلاً لقطع المسافات فلم يكن جميع الناس كالرحالة مونتين في رفاهيته وبطئه يسيرون على هواهم فان البارودي

لا كارد فقضى اثنين وعشرين يوماً للذهاب من الاستانة الى فونتينبلو في فرنسا وقد عدت هذه السرعة من الغرائب التي يفتخر بها . وبعد ان زار برتراندون دي لابروكيير القدس رجع راكباً من الاستانة الى فرنسا من طريق بلاد الفلاخ وبلغراد وبست في خمسين يوماً وقف في الطريق اياماً مرات كثيرة .

وكثرت على ذاك العهد الرحلات العظيمة فرحل يعقوب كارتيه ثلاث رحلات متواليات الى كندا وطاف دراك الانكليزي الهند الغربية وطاف الهولانديان بارانتز وهمسكرك للبحث عن منفذ الى بلاد الهند من شمالي اميركا وفي رحلتهما امور نافعة فقد كتبا رحلتهما سنة ١٥٩٦ وكأنهما دوناها امس بل انك اذا تلوت ما كتباه يتجليان لك كأنهما الرحالتان المتأخران نوردا لسكيولد ونانسن فقد اعربا فيها عن آمال كآمال هذين الرحالتين وقاسيا مثل ما قاسيا من قلة وجوع وبرد ونصب .

كل هذا والمركبات قليلة فلم يكن في اوئل سنة ١٦٠٠ في باريز سوى اربع مركبات منها واحدة للملك والفنادق فيها مما يضحك ومضى قرنان بعدها والقوم في اوروبا عدتهم البغال والخيل والمركبات وسياحاتهم تختلف باختلاف اغراض السائحين ومبلغهم من الشجاعة حتى جاء البخار والكهرباء فقصرا المسافات وسهلا السفر بعد ان كان قطعة من العذاب وبعد ان كانت تصرف الايام الطويلة في الرحلات ويتعارف الناس الى بعضهم ويقضون الايام والليالي في المحادثات اصبحوا الآن يصلون اسرع من البرق الخاطف ولعل الاوتوموبيل الذي رغبت النفوس في السفر فيه اليوم بدل السكك الحديدية سيبطل بعد حين كما بطلت العربات والهوادج والمحفات ويرى ابناء ابنائنا ما لا يخطر لنا ببال فقد اصبحت الخانات قصوراً فيها كل ما طاب ولذّ والحوافل بعد ان كانت يجرها البقر والخيل اصبحت تجر بقاطرة بخارية .

القضاء على الشقاء

كتب فريدريك باسي احد اعضاء مجمع العلوم الادبية والسياسية في باريز مقالة في الشقاء الانساني وتخفيف ويلاته او نزع شأفاته فقال انه على كثرة الباحثين في تخفيف ويلات الانسان والكاتبين فيه ما زال الناس يقولون بان الشقاء ان لم يزد عما كان فهو لم ينقص ولم يوفق احد من اولئك العاملين الى فتح دور النعم والرضى العام . ومهما كان من

حسن نية واضعي القوانين وواضعي الادوية فليس من السهل الاهتداء الى طريقة لنهض الانسانية من كبوتها المزمنة في يوم وليلة ولا من الهين اللين القضاء على ما يحف بالبشر من الآلام والاوصاب ·

ومع هذا فلا ازال اقول ان هذه المعضلة ليست مما يتعذر حله وهذا الداء لا بد من شفائه وهو مما يجب على كل ذي ذمة يحترم طبيعته ويهتم لما يلقى عليه من اعباء المسئولية ان يسعى الى بلوغ تلك الضالة المنشودة سعيها و يعقد ناصية الامل بشفاء الداء · ولا يتم ذلك بسن القوانين واتخاذ الذرائع الخارجية للحيلولة دون هذه الويلات لتقف عند حد القشور دون النفوذ الى اللباب بل لا يرجى الفوز بهذه الامنية الا اذا غيرت الافكار والاخلاق ولا يدخل التغيير والاصلاح اللذان يقللان من الشر و يدفعانه الا اذا أدخل الاصلاح من الداخل لا من الخارج على من يتألف منهم المجتمع · وما على من يود الوقوف على اسباب هذا الشر والشقاء الا ان يبحث و يستقصي وعندها يتجلى له فيما اذا لم تكن الاسباب كلها اختيارية ومعظمها مما يدخل في طوقنا و يصدر عن ارادتنا · فاذا صحت ارادتنا وطردنا شيطان الجهل الذي يضل عقولنا وابتعدنا عن الشهوات المفسدة والسيئات والخطيئات المهلكة وكلها مولدة للشقاء فنكون قد قضينا على الداء في موطنه واجتثثنا عرق الفساد من اصله ·

لا ينبغي الخلط بين لفظتي الشقاء والفقر واختلاف طبقات الناس فالفقر نسبي · وليس من لوازمه ان يكون مضنيا · فقد قال البارون روتشيلد الغني المشهور في نحو النصف من القرن الماضي عند ما بلغه موت اغادو من اغنياء الاسبان : ياحسرتا على اغادو فقد كنت اظنه في سعة من العيش اكثر من ذلك · وذلك لانه بلغه انه لم يترك سوى ستين مليونا من الفرنكات · وقالت عجوزة للفيلسوف جول سيمون عند ما زار منازل مدينة ليل للبحث في حالة ساكنيها : الحمد لله على ان لنا احذية من قش · تريد ذلك تشبيه نفسها بجيرانها الذين قضي عليهم ان يضطجعوا على الارض بلا غطاء ولا وطاء · ومن المحقق ان الفقر يحالفنا من بعض الوجوه اذ ليس في الناس إنسان الا و يحرم من الاستمتاع بلذة شريفة ولا يصد عن امنية مطلوبة · ولكن هذا الحرمان اذا لم يبلغ حده فينا وفي الموجودات التي نعزها لا يمس جوهر الحياة ومتى حصلنا بفضل العمل والعناية الكثيرة اليومية على ما يبلغنا الضروريات الى حد محدود واخذنا بحظ من الطعام واللباس والمسكن والمنام لنا ولذوينا · متى حصلنا بفضل الكد على ما نقدر به قدر كفاية انفسنا بانفسنا ونستحق به ان نحيا فلا يحق لنا ان نتكلم في الشقاء واذا فعلنا فنكون قد جلبنا على انفسنا الاهانة · وما على المرء الا ان يغتبط وهو

في ثيابه القليلة بل وعليه ان يفاخر بها ويباهي بسعادتها اذا كان غنياً عن مسألة احد على حين لا يظفر بزخارف الحياة الدنيوية والبذخ العالمي الا باراقة ماء الوجه ومقاساة الهموم والغموم ·

الشقاء حالة تصيب المرء بغلطات ارتكبها هو مباشرة او هو نتيجة سيئة لاغلاط ارتكبها من يلوذ به او هو عقبى سوء سلوك سببه الجهل والفساد والشهوة والمطامع السيئة وانحلال عرى التضامن فيصير به الانسان كلاً على غيره عاجزاً مادياً او ادبياً عن كفاية نفسه وآله تنقطع حيله عن المقاومة وتحرير النفس من ربقة العبودية والانحطاط الذي اصابه او قبل به فامسى غريقاً في لجة مزبدة بالنقص الانساني وما هو الا الفضيحة والالم والخطر على مجتمعاتنا · بيد اني اكرر ما قلت بان هذا الانحطاط وذاك التسفل الذي يصيب كثيرين من البشر يسهل تعيين تأثيراته المضنية التي كانت سبباً فيه وان من السهل وضع الدواء لداء هذه العوارض ما خلا الحوادث والنكبات التي قد يتأتى تخفيف ويلاتها ايضاً ·

قال الكاتب لايولاي اذا اردت ان تنزح بحر الآلام البشرية فلا تحاول ان تأتي ذلك باتخاذ بعض الكؤوس الكبيرة تجعلها سلاحاً في يد المشرع فان البحر تجري اليه المادة على الدوام وخير ما تأتيه ان تحول دون تلك المصادر التي تأتي اليه بالمياه · اصلح الغلط واتئد سورة الغضب وسدد الاميال الفاسدة واجعل الحكمة عوضاً من الجنون وحسن الالفة بدل الشقاق وعندها ينزل ذاك البحر اللجي عن معدله بالطبع وتحسن الحالة العامة · لنفهم هذه النصيحة ولننظر ما هي تلك المجاري والانهار التي تجري الى ذاك البحر الذي لا يغاث الناس فيه ويهلك من يهلك ·

فالحرب هي اول المدمرات والمهلكات · اما الحرب فلا احاول ان اقضي عليها بعد الذي علم من تنافس الامم فيما تتخذه من اسباب الحذر والحيطة · وما دام يخشى شر الحريق فلا احسن من الاستسلام الآن الى اصحاب المضخات ودفع مبالغ لضمانة البيوت والمحال واذا لم نؤد اليهم ما يلزم لاعالتهم فلا نلومن الا انفسنا · ولعله يقال بان المال الذي يصرف في هذا السبيل فاحش ولكن اذا توصلنا الى الغاء الخطر فلا معنى اذ ذاك للانفاق على الضامنين وارباب المضخات واذ ان خطر الحرب صعب تقليله وهي مخاطرة يمكن توقي الوقوع فيها اكثر من خطر الحريق لان الحرب توقد نارها الحكومات والامم فهي اذاً شر لا يجري دائماً بالرضى لانه كثيراً ما يتحمل الناس مصائبها مكرهين وما الحرب الا صناعية تضمحل ذات يوم فتصل الامم بكثرة ما تعلمها التجارب الى درجة تعلم معها انها لا تربح شيئاً من تحاسدها والحاق الاضرار وان الاربح لها ان تحترم انفسها وتتعاون وما يقال في تحاسد الامم ومنافستها

وتباغضها يقال ايضاً في الاحقاد الاجتماعية وشدتها. ما سبب ما نرى من بوادي الحرب وبوادرها مهما كان من تجليها او خفائها بين الأمم والجماعات الا اننا نعتقد في الغالب بان الاغراض والحقوق متغايرة و يصعب بث روح السلام فيها لان عظمة الأمة وقدرتها وثروتها تجلي لنا كأنها غنائم قضي علينا ان نتضارب من اجلها وليست ارثاً عاماً عهد الينا تثميته بحسن العشرة والمعونة المتبادلة فبدلاً من ان نفتح تخومنا للتجارة لتأتينا بما ينقصنا من الغلات وتفتح لنا مصارف نصرف فيها ما يزيد عندنا منها لا نفكر الا في وضع العقبات في تلك التخوم لانا موقنون بان الواحد اذا كسب يلزم عنه ان يخسر الثاني وهذا لاننا لا نعلم ان رأس المال هو ثمرة العمل وبذر لا يحفظ ويمو الا اذا استحال الى اجور وبذلك يضم الى العمل المنتج قوة اخرى تقضي قضاءها على الهموم والاحقاد. الا فلنصلح الأفكار ولنعدل الاحساس ولنحكم الرضا والمعونة المتبادلة بدلاً من التخوف والحسد

ليس ثمت غير الخطيئات العامة كعداوة الاجناس بعضها لبعض وعداوة اهل اللغات المتباينة وعداوة الدين وعداوة الطبقات وهناك خطيئات شخصية كلما زادت تصبح خطيئات عامة ولا تبقى قاصرة على فاعليها. كان علماء الاخلاق هم المتشددين سابقا في النقمة على انتشار المسكرات والموبقات ولكن من منا اليوم لا يشعر بما شعروا هم به من قبل ونددوا بسيئاته

ليست الحكومات وحدها هي التي تبوء بتبعة اكثار الضرائب على الناس كما قال فرنكلين بل هناك ضرائب كثيرة وضعناها بانفسنا على عواتقنا وذلك ان كسلنا يتقاضانا ما يعادل تلك الضرائب وشراهتنا تسلبنا ضعفي ذلك وعجبنا ثلاثة اضعافه.

وهناك سلسلة من سلاسل المصائب الانسانية هي هي سبب البلاء واللأواء واعني بها الخصومات وضروب القسوة وسوء معاملة النساء والاولاد والامراض التي تنجم عن الخصومات وقلة العفة وضعف البصر ورجفان اليد واعمال تؤدي بفاعلها الى الجنون وتضعف الجنس وتورث الابناء يجهل الآباء امراضاً يجنيها عليهم آباؤهم. ولا ننس ان تذكر في تلك السلسلة نهب الوقت والمال وصرفها في الملاذ والبذخ والاسراف وما يصرف في الحفلات والاعياد مما جمع بعرق القربة وانهاك القوى وكذلك ما يجري في سباق الخيل. فان ادعى قوم بان السباق نافع للجياد فهو ولا جرم غير نافع للناس.

وسواء كان المرء بيده شقاؤه ام لم يكن وهو به جدير ام لم يكن فينبغي النظر الى الاصل فيه فان من الناس من يقولون بان للاقدار ايضاً يداً في اشقاء الشقي واسعاد السعيد وذلك لان العوارض والامراض والمصائب هي التي تحمل على البيوت فتخربها او تعبث بالنفوس فتشقيها. اما انا فاقول ان معظمها صادر عنا ونتيجة لازمة لسيئاتنا. نحن لا نحسن

تناول الغذاء وجعل نسبة بين طبيعة الاغذية اللازمة للقوة العضلية والعصبية والدماغية وبين كميتها . نحن لانحسن لبس الثياب ولا نجيد التصرف ولا نُعنى بامور الصحة والنظافة المطلوبة واستجادة الهواء والمسكن الذي يقينا التعرض لضروب الادواء نحن وعيالنا . لانحسن انتخاب دور نسكنها واهلنا بحيث تضمن لنا الهواء النقي والتعرض المطلوب للنور الذي يلقي الحياة . ولانحفل بالاسباب المختلفة اللازمة للرفاهية كل حين وبدونها تهزل الحياة ولا تنمو ويصبح المرء عرضة للامراض على اختلاف انواعها كالحميات الطفحية والرمد والخناق والسل . ومتى دققنا النظر في الشؤون واعملنا العناية معملها نجد اننا لو احسنا العناية والحذر والعلم لكنا نجونا من تلك السيئات والزلات .

بقي هناك شيء لا ينبغي لنا ان نغلو فيه لانه قليل واعني به المصائب التي لا ضامن من الوقوع فيها كالامراض التي تصيب اعقل العقلاء واكبر ارباب الانتباه . هناك الموت الذي لا ينجو منه انسان والحريق الذي لا يكون ابداً نتيجة سوء التدبير . والغرق والفيضانات والمقذوفات وسقوط السكك الحديدية . فهذه المصائب لا ينفع فيها الا التسليم وهذا ما اعنيه بقولي القضاء على الشقاء لا تلك الضروب من الحوادث التي ليست في الحقيقة مادة الشقاء وأس اساس كل بلاء . على انها ليست كلها مما يتعذر شفاؤه بل ان العلم بما بلغه من الارتقاء قد احدث اساليب كثيرة لاستئصال شأفة تلك المواد فاذا لم نستطع ان تمنعها كلها ففي وسعك على الاقل ان تقلل صدماتها وتعدل من نتائجها . نعم ان الحذر قد لا يمنع من قدر . ولكن ليس هناك ما يمنع من التوقي منه بان يبذل في سبيله ما لا بد منه من العناية ما امكن . والضمان اذا لم يحل دون حرق العقار وضياع السفينة والموت بأخذ المرء من وسط اشغاله وعياله فهو على الاقل يهيء السبل لاعادة بناء البيت وفتح المعمل والاستعاضة عن تلك السفينة فلا يُدخل المرء الى داره مع الحزن الخراب والفضيحة فيكون قد اتى بحشف وسوء كيلة .

وما اسباب الشقاء في الحقيقة الا نتيجة اغلاط ناشئة من الجهل واغلاط ناشئة من سلوك اذا تدبرنا مصيرها وتعلمناه وكانت لنا ارادة في اصلاح النفس كان في الامكان الخلاص من الشقاء . فالمسألة متوقفة على قليل من المعرفة وقليل من الارادة فعلينا ان نثير بصائرنا وبصائر غيرنا . والارادة الثابتة تحول دون الشقاء . وجماع النجاح في ثلاث كلمات: المعرفة والارادة والقدرة . والعلم والارادة تولدان القدرة . ويقول تولستوي: ان دواء الداء لا يخرج عنا وليس هو محصوراً في تدابير الادارة التي تتخذها الحكومات ولا في ادخال الاصلاح على المجتمع بطريقة عرفية قاسية وما الدواء الا بيدنا بل القسم الاعظم منه فينا

فاذا أريد تحسين حالة الانسانية فالواجب اولاً تحسين حالة الانسان . وربما قام المشككون وقالوا وهل في الاستطاعة تغيير الناس فنقول لهم نعم نحن نستطيع تغييرهم بتأنٍ ويجب علينا ان نسعى الى تغييرهم وهذا في الامكان .

الرومان

وصف ايطاليا

شعوبها القديمة — سكنت ايطاليا عدة اجناس من الامم لم يتحدوا في عاداتهم ولغاتهم فكان يعتبر السهل العظيم الشمالي بين جبال الالب والابنين جزءاً من ايطاليا وهناك نزل شعوب من الغالبين اتوها من الشمال. فكان الاتروسكيون ينزلون في البلاد الواقعة بين جبال الابنين والبحر (هو اقليم توسكانيا) الى نهر التيبر وفي جنوبه ينزل اللاتين . ولقد سكنت قبائل كثيرة في جبال الابنين الوعرة وراء السهول الرومانية في الشرق والجنوب ولم تدع كل هذه الشعوب باسم واحد ولم تؤلف امة واحدة بل كانت تنقسم الى اومبريين وصابنيين وفولسكيين وايكيين وهرنكيين ومارسيين وسامنيين ولكنهم يكادون كلهم يتكلمون بلغة واحدة ويعبدون ارباباً واحدة ولهم عادات واحدة . يتكلمون كالفرس والهنود واليونان بلغة آرية ولبعدهم وراء جبالهم عن الاختلاط بغيرهم احتفظوا بعاداتهم القديمة وعاشوا عصابات مع قطعانهم مشتتين في الخلاء ولم يكن لهم مدن ولا حواضر بل كانوا يلجؤن زمان الحرب الى حصون أقيمت في الجبال وقد عرفوا بالشجاعة والقتال وبسلامة الاخلاق ومتانتها وكان منهم بعد حين اعظم قوة للجيش الروماني وفي امثالهم : « من يستطيع ان يتغلب على المارسيين او ان يغلب بدونهم »

جاء في احدى اساطيرهم ان الصابنيين نزل بهم خطب فادح فاعتقدوا ان الارباب ساخطون عليهم فعقدوا العزم على ان يسكنوا غضبها وان يقدموا ضحية الى رب الحروب والموت كل من يولدون من الاولاد في احدى فصول الربيع . ودعيت الضحية « الربيع المنذور » فاصبح جميع الاطفال الذين وضعتهم أمهاتهم تلك السنة ملكاً للرب حتى اذا بلغوا سن الرجال غادروا البلاد وبعدوا عنها الى القاصية وتألفوا عصابات فاختارت كل عصابة احد حيوانات ايطاليا المقدسة دليلاً من مثل الصرد والذئب والثور وهي تتبعه كأنها تتبع مرسلاً من الرب وحيثما وقف الحيوان تنزل العصابة وتتخذه موطناً لها . وقيل ان عدة شعوب من

ايطاليا كان اصلها من تلك الأسرات من النازحين وما زالت محافظة على اسم الحيوان الذي كان اجدادها اتبعوا آثاره في القديم وذلك مثل الهربينيين (شعب الذئب) والبيسانيين (شعب الصرد) والسامنيين وكانت عاصمتهم تسمى بوفيانوم اي مدينة البقرة .

السامنتيون — كان السامنتيون من اقدر تلك الشعوب وقد سكنوا في اقليم الابروز وهو معصى حقيقي فينزلون الى السهول المخصبة في نابلي و بويل و ينهبون المدن الاتروسكية والمدن اليونانية . جاهدوا قرنين في الرومانيين فكانوا كل مرة يردون على اعقابهم خاسرين اذ لم يكن لهم موطن ولا نظام ثم يعاودون القتال . وكان جهادهم الاخير شديداً . ولقد اتى شيخ الى زعماء الجيش بكتاب مقدس كتب على نسيج من الكتان فاقاموا داخل المعسكر سوراً من نسيج الكتان وجعلوا في وسطه مذبحاً والجند واقفين من حوله شاهرين سيوفهم فيدخل اشجع انحار بين الى السور وتؤخذ عليهم العهود ان لا يهربوا من الزحف امام العدو وان يقتلوا المنهزمين فاخذ من اقسموا الايمانات المغلظة وكانوا ستة عشر الفاً البسة من الكتان فتألفت منهم (كتيبة الكتان) وشرعت في القتال فقتلت عن آخرها .

يونان ايطاليا — سكن ايطاليا الجنوبية طوارىء من اليونانيين كما سكن بعضهم مدينة سيباريس وكروتون وتارانت وقوي فيها امرهم وكثر سوادهم . بيد ان اليونانيين لم يلقوا بانفسهم قط الى الوقوع في التهلكة اذ لم يقصدوا رومية خوفاً من الاتروسكيين وما عدا مدينة كومس فان المستعمرين من ابناء يونان كانت لهم الى القرن الثالث صلات قليلة مع الرومانيين .

الاتروسكيون — أطلق اسم الاتروسكيين على اقليم توسكانيا فسمي تروسكي وهو اقليم حار رطب مخصب للغاية . وظلت حال الاتروسكيين الى الآن طلسماً من الطلاسم لم نفكه فهم لم يكونوا يشبهون جيرانهم ولا يعلم من اين اتوا بل اننا لا نعرف اللغة التي يتكلمون بها الا ان ابجديتهم تشبه ابجدية اليونان ولكن الآثار التي عرفت عن هذا الشعب قصيرة لا نتمكن معها من استثبات لغتهم .

كان الاتروسكيون يحسنون استخدام ارضهم في الزراعة على انهم عرفوا بالبحارة والتجارة ايضاً وكانوا يذهبون كالفينيقيين الى البلاد القاصية للبحث عن عاج الهند وعنبر البلطيق وعن القصدير والارجوان الفينيقي والحلي المصرية المكتوب عليها حروف هيروغليفية وعن بيض النعام . وانك لتجد من جميع هذه الاشياء في قبورهم . وكانت سفنهم تتقدم نحو الجنوب حتى جزيرة صقلية . وقد كان اليونان يكرهونهم و يدعونهم (التيرينيين المتوحشين) او القرصان الاتروسكيين . وكل بحار في تلك العصور ساعدته الاحوال يأتي منه قرصان بحر فكان من مصلحة الاتروسكيين خاصة ان يردوا البحارة اليونان و يصدوهم ليخلوا لهم الجو في الشاطىء

الغربي من ايطاليا ويستأثروا بتجارته · ولم يبقوا من آثارهم الا حوائط حصينة وقبوراً · وعند ما يفتح قبر احد الاتروسكيين تشاهد وراء باب ذي عُمد غرفاً فيها سرر وقد امتدت عليها جثث وحواليها حلي من الذهب والعاج والعنبر واقمشة الارجوان وفرش واوان كبيرة منقوشة اما الجدران فيرسمون عليها صور حروب والعاب وولائم ومشاهد غريبة ·

وان ما استخرج من القبور بالالوف من الاواني الاتروسكية فازدانت به متاحفنا وصنع على مثال الاواني اليونانية هو من صنع الاتروسكيين انفسهم وفيها مشاهد ميثولوجية يونانية ولا سيما صور الحروب التي جرت حول طروادة والاشخاص نائئة حمراء على صفيح اسود وقد أسس الاتروسكيون في طوسكانيا اثنتي عشرة مدينة ولكل منها ملكها وحكومتها وكان لهم من الجانبين مستعمرات فلهم اثنتا عشرة مستعمرة في اقليم كامبانيا في جوار نابولي واثنتا عشرة في سهل بو·

ديانتهم — اعتقد الاتروسكيون بارباب جبارين وربما كانوا اشراراً وارقى اولئك الارباب الارباب المستورون المجهول امرهم ثم يجيء بعدهم الارباب الذين يرسلون الصاعقة وعددهم اثنا عشر رباً يؤلفون مجلساً لهم ويعتقدون انه يقيم تحت الارض في مدافن الاموات ارباب مشائيم وكثيراً ما كانوا يمثلون صورهم على اوان من صنع ايديهم فيمثلون ملك الجحيم المدعو مانتوس في صورة جبار مجنح جالس وتاج على رأسه ومشعل بيده كما يمثلون شياطين آخرين مسلحين بسيف او مطرقة والحيات يقبضون عليها بايديهم وهم يتلقون ارواح الموتى واهمهم الشيطان شارون المعروف عند اليونان بهذا الاسم ايضاً وقد تخيلوه على صورة شيخ ذي هيئة قبيحة يحمل مطرقة ثقيلة ليضرب بها ضحاياه · ويعتقدون ان ارواح الموتى وتسمى «المان» تخرج ثلاثة ايام في السنة من مقرها في عالم الظلمات وتطوف الارض تروّع الاحياء وتؤذيهم فيقدم لهم الاتروسكيون ضحايا بشرية تسكيناً لغضبهم لانهم يحبون الدم· وكانت معارك المصارعين المشهورة التي اصطلح عليها الرومان ضحايا دموية اكراماً للميت في اصل نشأتها وكان للعرافين الاتروسكيين الذين دعوا بالهار وسبيسيين او اهل الفأل قواعد يجرون عليها للتنبوء عن المستقبل فيرصدون احشاء الضحايا كما يرصدون الصاعقة وطيران الطير فيقف العراف ويدير وجهه نحو الشمال ماسكاً بيده عصا معقوفة ويخط خطاً يقطع به السماء شطرين فشطر الشرق وهو على اليمين يكون فأل خير وفأل الشمال يكون فأل شر (١) ثم يقطع الشطر الاول على قطع الصليب ويؤلف خطوطاً متوازية يكون

(١) هذا اشبه بالسانح والبارح عند العرب ولعلها اخذته عن الرومان تقول العرب : من لي بالسانح بعد البارح اي بالمبارك بعد الشؤم قال ابوعبيدة سأل يونس رؤبة وانا شاهد

منها في السماء شكل مربع يدعونه المعبد فيرمي العرّاف بصره الى الطيور التي تمر في ذاك المربع فبعضها كالنسر علامة خير واخرى كالبومة طالع شؤم.

ولقد تنبأ الاتروسكيون عن مستقبلهم انفسهم فهم الشعب الوحيد من بين الشعوب القديمة الذي لم يعتقد بانه خالد وكانوا يقولون ان بلادهم يدوم امرها عشرة قرون . وهذه القرون لم يكن كل واحد منها موءلفاً من مئة سنة ولا تعين مدة القرن الا بعد ان يجري له فأل . ففي سنة ٤٤ وهي سنة وفاة قيصر ظهر في السماء نجم مذنب فقال احد العرافين من الاتروسكيين في رومية في جمع من الامة ان هذا النجم يشير الى نهاية القرن التاسع وابتداء القرن العاشر وهو آخر قرن يستقيم فيه امر الاتروسكيين .

نفوذ الاتروسكيين — كان الرومان امة نصف متوحشة فاقتدوا كثيراً بالاتروسكيين وهم اكثر منهم تمدناً واخذوا عنهم بعض المصطلحات الدينية خاصة مثل البسة الكهنة والحكام والشعائر الدينية وعلم معرفة الغيب وزجر الطيور وعند ما كان الرومانيون يوءسسون مدينة يجرون على شعائر الاتروسكيين فيخط الموءسس لها بالمحراث سوراً مربعاً وللمحراث سكة من النحاس يجرها ثور ابيض و بقرة بيضاء فيتبع الناس الموءسس و يلقون بزيد العناية جميع مدر الارض من ناحية السور وتصبح كل الهوة التي يشقها المحراث مقدسة لا يستطيع احد ان يتعداها للدخول في السور ولذلك اقتضى ان يقطع الموءسس تلك الاثلام او الهوى المقدسة من عدة مواقع فكل مكان يتخطاه المحراث يفتح فيه باب وكل فرجة لم تمسها السكة تبقى غير مقدسة وتكون باباً يسوغ منه الدخول . ولقد أسست رومية بحسب هذه المراسيم الدينية وكانت تسمى رومية المربعة و يقولون ان موءسسها قتل اخاه عقاباً له عن تجاوزه السور المقدس الذي خطه ثم جرى الاصطلاح ان تخطط اسوار المستعمرات والمعسكرات الرومانية بل وحدود المساكن بحسب هذه القواعد الدينية وبخطوط نصف هندسية . وكان دين الرومانيين من اصل اتروسكي فنقلوه الى ارجاء العالم القديم بأسره ولذلك حق لآباء الكنيسة ان تسمي بلاد الاتروسكيين « ام الخرافات »

اللاتينيون — نزل اللاتينيون في بلاد الآكام والشعاب الواقعة جنوبي نهر التيبر وهي

عن السانح والبارح فقال السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره وقال ابو عمرو الشيباني : ما جاء عن يمينك الى يسارك وهو اذا ولاك جانبه الايسر وهو انسيه فهو سانح وما جاء عن يسارك الى يمينك وولاك جانبه الايمن وهو وحشيه فهو بارح قال ابن بري العرب تختلف في العيافة يعني في التيمن بالسانح والتشاؤم بالبارح فعلى نجد يتيمنون بالسانح (المترجم)

يطلق عليها اليوم اسم بربة رومية وكانوا قليلاً عددهم ولم تكن مساحة البقعة التي يسكنونها اكثر من ٢٧٠ كيلومترًا مربعاً وكانوا من عنصر واحد كسائر الطليان يشبهونهم باللغة والدين والاخلاق ولكنهم يفوقونهم في التمدن بعض الشيء يزرعون الارض ويبنون المدن الحصينة وينقسمون الى شعوب صغيرة مستقلة ولكل شعب ارضه الخاصة به ومدينته وحكومته وتدعى تلك المملكة الصغيرة مدينة ·

ولقد قامت ثلاثون مدينة لاتينية فالفت منها مجتمعاً دينياً يشبه مجتمع الامفكتيون اليوناني واخذوا كل عام يحتفلون احتفالاً عاماً بعيد لهم وتندب كل مدينة عنها من يمثلها في مدينة الب فيذبحون ثورًا ضحية للرب المشترك بينهم وهو كوكب المشتري اللاتيني ·

وقفة في الاجداث

احاطت بليل اليأس مني غياهب ... تضيء من الآمال فيها كواكب
وجاءت اخيرًا من همومي سحائب ... تحجبت الآمال تلك السحائب
فما بان لي الا شجاً متكاثف ... ولا لاح لي الا دجىً متراكب
فيالك من ليل هنالك حالك ... باهواله ضاقت عليَّ المذاهب
ومال الى ان لاح لي في سمائه ... على الافق فجرٌ من رجائي كاذب

***

اقول لعيني حين جفت دموعها ... أأمسكت لما الجعتنا النوائب
لقد غاب من تهوين مرأى وجوههم ... كأنهم زهر النجوم الغوارب
وما كان ظني انه بعد ساعة ... تجف كذا منك الدموع السواكب
جمودك ياعيني وقد وقع النوى ... على غير ما وعدٍ لهم لا يناسب
واني على هذا الجمود وطوله ... الومك ياعيني واني اعاتب
فلست براض عنك ياعين بعدهم ... لانك ما اديت ما هو واجب

***

وللقلب مني بعد ان كرَّ راجعاً ... وقد رحلت اظعانهم والركائب
عهدتك تمشي ايها القلب خلفهم ... فقل لي لماذا انت ياقلب آيب
سألتك ياقلبي عن السبب الذي ... رجعت له اني لعودك عاجب

فما لك تجثو راجفاً متغيراً — وما لك ترنو ساكتاً لا تجاوب
اجئت تعزيني لاني آسفٌ — واني مفجوعٌ واني خائب
فقال بصوت هزَّ اوتاره الاسى — فرنت رنيناً اكبرته المصائب
تبعتهمُ حتى ثووا في حفائر — وحجبهم عني من الترب حاجب
وقفت على الاجداث حيث تغيبوا — وصحت فما ردَّ الجواب مجاوب
فجئتك كيما اخبر الحال انها — شجتني فمرني بالذي انت طالب
ورأبيَ ان نسعى معاً لقبورهم — فقلت له ياقلب رأيك صائب
اصبت نعم ياقلب فيما رأيته — فلي بين هاتيك القبور مآرب
تقدَّم امامي ماشياً لتدلني — عليهم فسرنا والحنين مصاحب

***

فلما وصلنا ساء عيني ان ترى — هنالك اجداثاً عفاهن حاصب
سطور قبور في العراء تناسقت — كما نمق العنوان في الطرس كاتب
قبورٌ بها نامت اوانس خرَّدٌ — ونامت بها في جنبهن الذوائب
فجاشت هناك النفس من لاعج الجوى — وقلت لهاتيك القبور اخاطب
هنا فيكِ قد غابت حسانٌ كواعب — فما فعلت تلك الحسان الكواعب
وما فعلت تلك السوالف في الثرى — ومافعلت في الترب تلك الترائب
الى مَن تشير اليوم فيك عيونها — وفوق العيون النجل تلك الحواجب
نجوم جمال امعنت في غروبها — وانت لهاتيك النجوم المغارب
وكانت مشيدات القصور بروجها — فمن اين جاءتها تصيب المعاطب
لقد كنَّ اما ودهنَّ فحاضرٌ — قريبٌ واما صدهنَّ فعازب
وفي كل يوم كان للزي مطلبٌ — لهن تجلى منه فيما يناسب
ولكنما اليوم انتهت لتعاستي — بثوب من الاكفان تلك المطالب
وكنَّ كازهار الربيع مباديا — اهذي لهاتيك المبادي عواقب
قد انتزعتها من حياتي يد الردى — كما ينهب العقد المفصل ناهب

***

هنالك جادت اعيني بدموعها — فهن على الخدين مني سوارب
هنالك من نفسي وصدق طويتي — تمنيت لو ان المنون تقارب
نظرت الى قلبي وكان بجانبي — اذا هو من فرط الكآبة ذائب

فلملمت ذوب القلب ثم سكبته على جدث فيه حبيبي غائب
والفيت في نفسي العزاء كمعبد قد انهدّ منه جانب ثم جانب
وفارقني لبي لهيبة مصرعي فابعد عني في الفلا وهو هارب

***

وجدت على الايام والطب والغنى وقلت لهم اني عليكم لعاتب
واوحشت الدنيا كأن بيوتها بعيني وان كانت قصوراً خرائب
مكثت الى ان اقبل الليل زاحفاً واظلم منه في عيوني الجوانب
فابت الى داري وفي شعب الحشى لهيب من الحزن المبرّح لاهب
وليس معي في اوبتي لا نهى ولا عزاء ولا قلب لشخصي يصاحب
سوى نفس في الصدر مني مردد فذلك طول الليل آتٍ وذاهب
ستبسم في وجهي المنون كأنها محب يسلي او صديق يراقب
وتدركني قبل الصباح ونهضه فانجو من الهم الذي هو ناصب

بغداد ج . ص .

الصديق المضاع

علام حرمنا منذ حين تلاقيا أفي سفر قد كنت ام كنت لاهيا
عهدناك لا تلهو عن الخل ساعة فكيف علينا قد اطلت التجافيا
ومالي اراك اليوم وحدك جالساً بعيداً عن الخلان تأبى التدانيا
انابك خطب ام عراك تعشق فاني ارى حزناً بوجهك باديا
وما بال عينيك اللتين اراهما تديران لحظاً يحمل الحزن وانيا
واي جوى قد عدت اصفر فاقعاً به بعد ان قد كنت احمر قانيا
تكلم فما هذا الوجوم فانني عهدتك غرّيداً بشعرك شاديا
تجلد تجلد يا (سليم) ولا تكن بما ناب من صرف الزمان مباليا
ولا تبتئس بالدهر ان خطوبه سحابة صيف لا تدوم ثوانيا

***

فقال ولم يملك بوادر ادمع تناثرن حتى خلتهن لثاليا

لقد هجتني يا (احمد) اليوم بالاسى ... وذكرتني ما كنت بالامس ناسيا
اتعجب من حزني وتعلم انني ... قريع تباريح تشيب النواصيا
لقد عشت في الدنيا اسيفاً وليتني ... ترحلت عنها لا عليَّ ولا ليا
وقد كنت اشكو الكاشحين من العدى ... فاصبحت من جور الاخلاء شاكيا
وما رحت استشفي القلوب مداوياً ... من الحقد الا عدت عنها كما هيا
وداويت حتى قيل لي متملق ... وما كان من داء التملق دائيا
وحتى دعاني الحزم ان خلِّ عنهم ... فان صريح الرأي ان لا تداريا
وربَّ اخ اوقرت قلبي بحبه ... فكنت على قلبي بحبيه جانيا
اراد انقيادي للهوان وما درى ... باني حر النفس صعب قياديا
اذا ما سمائي جاد بالذل غيثها ... ابيت عليها ان تكون سمائيا
الا فابك لي يا (احمد) اليوم رحمة ... ودعني وشأني والاسى وفؤاديا
فان احق الناس بالرحمة امرؤٌ ... اضاع وداداً عند من ليس وافيا
وما كان حظي وهو في الشعر ضاحك ... ليظهر الاَّ في سوى الشعر باكيا
ركبت بحور الشعر رهواً ومائجاً ... واقحمت منها كل هول يراعيا
وسيرت سفني في طلاب فنونه ... والقيت في غير المديح المراسيا
وقلت اعصني ياشعر في المدح انني ... ارى الناس موتى تستحق المراثيا
ولو رضيت نفسي بامرٍ يشينها ... لما نطقت بالشعر الاَّ اهاجيا
وكم قام ينعي حين انشدت مادحاً ... اليَّ الندى ناعٍ فانشدت راثيا
وكم بشرتني بالوفاء مقالةٌ ... فلما انتهت للفعل كانت مناعيا

***

فلما بكى امسكت فضل ردائه ... وكفكفت دمعاً فوق خديه جاريا
وقلت له هوِّن عليك فانما ... تنوب دواهي الدهر من كان داهيا
وما ضر ان اصفيت ودك معشراً ... من الناس لم يجنوا لك الود صافيا
كفى مفخراً ان قد وفيت ولم يفوا ... فكنت الفتى الاعلى وكانوا الادانيا
لعلَّ الذي اشجاك يعقب راحةً ... فقد يشكر الانسان ما كان شاكيا
الا رب شر جرَّ خيراً وربما ... يجر تجافينا الينا التصافيا
فلو ان ماء البحر لم يك مالحاً ... لرحنا من الطوفان نشكو الغواديا
ولولا اختلاف الجذب والدفع لم تكن ... نجومٌ بافلاك لهن جواريا

وكيف نرى للكهرباء ظواهرًا اذا هي في الاثبات لم تلق نافيا
تموت القوى ان لم تكن في تباين ويحيين ما دام التباين باقيا
فلا تعجبن من انا في تنافر ألم تر في الكون التنافر ساريا
وهبهم جفوك اليوم بخلاً بودهم ألم تغن عنهم ان ملكت القوافيا
فطرْ في سموات القريض مرفرفاً واطلع لنا فيها النجوم الدراريا
فانت امرؤ تعطي القوافي حقها فتبدو وان ارخصتهن غواليا
يجيئك عفوًا ان امرت شرودها وتأتيك طوعاً ان دعوت العواصيا

***

فقال وقد القى على الصدر كفه تشدُّ بها قلباً من الوجد هافيا
لقد جئتني بالقول رطباً ويابساً فداويت لي سقماً وهيجت ثانيا
فاني وان ابدى لي القوم جفوة أمني لهم مما احب الامانيا
وما انا عن قومي غنياً وان اكن اطاول في العز الجبال الرواسيا
اذا ناب قومي حادث الدهرنابني وان كنت عنهم نازح الدار نائيا
وما ينفع الشعر الذي انا قائلٌ اذا لم اكن للقوم في النفع ساعيا
ولست على شعري اروم مثوبة ولكن نصح القوم جل مراميا
وما الشعر الا ان يكون نصيحة تنشط كسلاناً وتنهض ثاويا
وليس سري القوم من كان شاعرًا ولكن سري القوم من قام هاديا
فعلمهم كيف التقدم في العلى ومن اي طرق يبتغون المعاليا
وابلى جديد الغي منهم برشده وجدد رشداً عندهم كان باليا
وسافر عنهم رائداً خصب نفعهم يشق الطوامي او يجوب المواميا
وان افسدتهم خطة قام مصلحاً وان لدغتهم فتنة قام راقيا

بغداد معروف الرصافي

التربية والتعليم

تهذيب البنات

كنا منذ مدة نقرأ في احدى المجلات الفرنسوية المصورة ان في فرنسا خمسة آلاف كاتبة وادبية ما منهن الا وقد الفت كتاباً او كتابين وخاضت عباب الادب الى الركب وقلبت القلم بيدها كل مقلب وما كدنا ننسى هذا الارتقاء الغريب ونتمنى لو كان لهذه البلاد جزء من مئة جزء منه فقط حتى وافتنا مجلة التعليم الدولية تحمل في صدرها بحثاً ضافياً لاحدى تلكن الاديبات العالمات العقيلة هيلانة مونيز افاضت في وظائف المرأة الفرنسوية وقصورها فقالت : من الاسف ان بعض النساء يذهبن الى انهن لا يعملن عملاً نافعاً في المجتمع الا اذا خرجن عما قدر لهن من الاعمال ودخلن في سلك اعمال الرجال وتعاطين الصنائع الحرة. يزيد كل سنة عدد الاديبات والعالمات ومتعاطيات الصنائع الحرة فتفقد بهن ما كان يرجى منهن ان يأتينه في الحياة الاجتماعية من المساعدة على تبديل حال البلاد احسن مما هي عليه .

ان نساءنا لا يدركن في العادة معنى الحياة الاجتماعية ولا خطارتها فيتخيلن انهن لا يقدرن على الاشتراك فيها الا اذا دخلن غمار السياسة فاصبحن منتخبات ومنتخبات ونائبات ووزيرات وكان عليهن ان يتخلين عن هذه التصورات وينصرفن الى حماية حياة الاطفال وبذلك يخدمن جنسهن ويسهرن على مستقبله ويمددن يد معونتهن للبائسين وفي هذا حل للمسألة الاجتماعية .

ليس من الغريب ان اقول ان تهذيب البنات من حيث الوجهة الاجتماعية هو اهم من تربية البنين وذلك لان الشاب اذا خرج من المدرسة يستطيع اتمام دروسه باعداد نفسه للاعمال التي يتعاطاها ويقوى عقله بدروس التجارب التي تأتيه بها الحياة وعلى العكس في الفتاة اذا تعلمت واتمت دروسها وقد تكون من بنات العملة او من اهل اليسار فلا تعود تتعلم شيئاً الى حين زواجها والغالب ان اسرتها وزوجها تتضرران من قلة اختبارها اذا انقطعت سلسلة تعلمها .

ان الدروس التي تلقتها في المدرسة تشبه الدروس التي يتعلمها الفتى ولكن ما يقتضي عليها تعلمه اكثر من غيرها لم تتعلمه واعني به كيفية ارضاع الطفل وحفظ صحة المولود فاذا رزقت ولداً لا تحسن تربيته لنقص في مواد تعليمها واذا كانت موسرة فانها لا ترضع ابنها

في الغالب وكثيراً ما تخالف القانون الذي يقضي عليها بان ترضع طفلها الى الشهر السابع من عمره فتجلب له مرضعة عتق لبنها فتؤذيه لا محالة ·

البنات عندنا يتعلمن في المدارس واجباتهن نحو آبائهن وأمهاتهن وأميرهن ووطنهن ولكنهن لا يلقنّ ان اهم واجباتهن الادبية ان يرضعن اولادهن ويربينهم ليقينهم من العوارض بتقوية ابدانهن وبذلك يخدمن البلاد بان يعطينها قوة اخرى زيادة على قوتها ·

فان كان تهذيب الفتيات لا يعدهن عندنا الى ان يشتغلن في بيوتهن العمل الذي خلقن له فمن المتعذر ان يرجى ان يعنين بغير ابنائهن فان ما جرى عند ما أريد اشراك النساء في حماية الاولاد يحجل بالاسف · وكان على النساء ان يدركن ان محبة الوطن ليست بالاعمال الحماسية بل ان تنوب المرأة ولو ساعة واحدة مناب ام طفل طرحته امه او ماتت عنه · ولا انكر ان ما جبل عليه قلب المرأة من الشفقة هو غريب واخلاصها لا حد له ·

ومتى عني المربيات والمعلمات والتلميذات والفتيات والامهات بالمسائل الاجتماعية الكبرى ومددن ايديهن للبذل في الامور الخيرية العامة او الخاصة وشاركن في الخيرات والمقومات نستطيع ان نقاوم جميع الاخطار التي تتهدد عنصرنا كالضعف من البؤس وكثرة موت الاطفال والسل والالكحول ·

برنامج التعليم عندنا غير ناقص ليزاد فيه مواد اخرى ولكنه يجب تخفيفه وحذف بعضه فان العناية في مدارسنا متوفرة اليوم لتوسيع حواس بناتنا العقلية ولم تصرف لتحسين ملكاتهن الاخلاقية · نعم ان فلسفة الاخلاق هي اساس تعليمهن ولكن هذه الاخلاق هي بالنظريات اشبه منها بالعمليات وهي ارق من ان تتغلب على ما يستولي على نفوس الفتيات في سني الدراسة الاولى من انواع التعاليم فينبغي اشراب قلوبهن الشفقة فان الشفقة كما قال احد علماء الاخلاق من الالمان تزيد وتتضاعف

يجب ان نعلم بناتنا ان كل فلسفة تؤدي الى انكار فعل الخير فلسفة كاذبة خطرة وان نطبعهن على حب المرحمة · الرحمة مخصبة الرباع وبها تقوى الامة بانقاذ ألوف من المخلوقات وهي تسكن احقاد الطبقات او تقللها ·

ألا وان المخلوقات التي رزقن جمال الطبع وحسن الخلق هي المحسنة الحقيقية للانسانية فان اهل الخير الذين عملوا الاحسان منذ كان العالم قد ساعدوا على سعادة البشر اكثر من ارباب العقول السامية الذين تمثل اسماؤهم في التاريخ فلو كانت ارتقت اخلاقنا منذ اوائل القرن الماضي كما ارتقت علومنا ولو كملت قلوبنا كما كملت قوانا العقلية لكنا منذ زمن خففنا مصائب الناس الى ادق ما يمكن · وان يوماً نتوصل فيه الى تأليف انسانية كاملة لا يرى

السواد الاعظم من اعضائها بؤس فرد بدون ان يعينه من تلقاء نفسه نكون قد ظفرنا فيه بالسعادة على هذه الارض وحللنا بالسلم الازمة لاجتماعية التي تقودنا الى المهالك ·

وعندي ان يعمم تعليم تربية الاطفال ويتعلم بنات المدارس ما ينبغي للمرضعات وان يعلمن كيف يغاث البائسون وارباب الادواء يطلعن على تاريخ الجمعيات الخيرية ودور الاحسان وان عمل الفرد وحده ضعيف في نتائجه ان لم يضم عمله الى عمل غيره فيكون للمجتمع اعمال منظمة بنظام الذكاء والتعقل وان لا يعود البنات على الاعتقاد بفعل الخير نظرياً بل ان يعملن بانفسهن الخير في المدارس ويشتركن في اعانة المجتمع ·

مدح التأني

كتب هنري لافدان احد اعضاء المجمع العلمي الباريزي في جريدة (الآنال) يذم العجلة ويمدح التأني قال : لو كنت غنياً ما تأخرت عن ان اوصي بمبلغ يخصص ريعه كل سنتين او ثلاث جائزة لمن يجيد في مدح التأني وذلك لانا نرى هذه المحمدة آخذة وياللاسف بالتناقص فمن اللازم اللازب ان تعاد اليها الثقة الماضية والشرف الدراج لانا اذا ظللنا على هذه الحال نهلك بالعجلة لا محالة ·

كلما قضى احدنا بضعة اشهر في الضواحي وعاد الى باريز يأخذه العجب من تموجها في اعمالها ويشعر بالقلق والاضطراب والسرعة والحركة والآلام ويدهش من السرعة الجديدة المنتظمة الممرضة في جميع اعمال الحياة · ولا يزال هذا الجنون يزداد على نسبة مخوفة ويكثر ويزيد سخط القادم من العجلة المتصلة التي تطوح بنا في هذه المهاوي المتنوعة التي نكاد لا نراها لسرعة مرورها على بصرنا ولان وقتنا لا يسمح لنا بامعان النظر ·

نحن نسرع في كل امر وكلما حركنا جنون السرعة اثبتنا ان الحكمة تقودنا فلا يقنعنا الا ان نصل قبل ان نسافر وآراؤنا مضطربة تود السباق ونتضارب تضارب اولئك السذج الذين يتدافعون ليلقوا قبل غيرهم رسائلهم في صندوق البريد وقد كتبوا عليها « معجلة » وهماً منهم انهم اذا سارعوا الى وضعها وكتبوا عليها تلك الكلمة تصل الى مقصدها قبل غيرها على ان البريد والقدر لا يعطيان على الخاطر ولا يعملان لرضى الناس ·

ولكن من يتطاول الى نيل كل شيء لا ينال شيئاً · وماذا تجديه السرعة الفائقة للعادة التي تؤذيه وتضعف من قيمة كل ما ينوي القيام به · وبعد فلا يفوتنا ان قاطرة بخارية اذا تركت على سرعتها الفائقة تنتهي بها الحال ان لا تمس قضبان الحديد ولا تكاد تقف على الارض كأنها في الخلاء · وهكذا الحال في الاعمال فان الرجل بكثرة اسراعه في الذهاب يطير ويعثر بالحوادث ويقع فيها وهكذا شأنه في اوجاعه وافراحه وكل ما يناله · فهو لا

يحفل بتأثراته وشعوره ولا يتوسع فيهما بل يمسها مساً خفيفاً لا يأخذ منها ولا يترك ولا يستفيد الدرس النافع الذي يفيده عبرة وحكمة . فهو كالريشة بل كالقذيفة الطائشة العمياء تطير على العماية في الفضاء الذي يتقاذفها ويحدد انفاسها في جميع المحطات التي تقف فيها من الحب والبغض والشر والخير فلا يميز بينها ويخلط فيها الى ان يناديه داعي الاجل المحتوم فلا يجعل له من الوقت متسعاً يتنفس فيه .

لا يقولن قائل اني اغالي فيما اقول فالحوادث تؤيد قولي : نحن نأكل سراعاً فلا نهضم . قال مونتين ان الحياة تمضغنا ونحن لا نمضغها بل نبلعها فنختنق احياناً . نشرب سراعاً ونرسل الطعام ارسالاً الى معدنا وما الغذاء الا عمل مقدس نأتيه ونحن جلوس على طرف المائدة في اغلب الاوقات لا ننفخ فاننا فنتكلم ولا نقول كلماً طيباً ولا سيما في البيوت فانا نتغدى ونتعشى باسرع ما يمكن كأننا في مقصف (Buffet) محطة سكة حديدية والمنادي ينادي لم يبق الا دقيقتان لسير القطار فنأكل ونحن سكوت لا نتكلم وقد استغرقتنا الصحفة قبل ان نستغرقها نفكر فيما يهمنا ونحلم فيه وقد عبست جبهتنا وسدت معدتنا والقينا الطرف الى ابعد مما نحن فيه بدون ان نأخذ مقعدنا ونتناول الحلواء والفاكهة بل نقوم سراعاً ونهب خماصاً او بطاناً .

سقى الله ازماناً كان الناس يرتاحون فيها الى الجلوس على الموائد يتناولون طعامهم وهم يتضاحكون و يتمازحون و يقصون من الاحاديث ما يكون تسلية لقلوبهم وراحة لنفوسهم . سقى الله اياماً كان احدنا يسير وانفه في الهواء وقد تأبط كتاباً . ما هذا الوقاد في القطار الحديدي الا مهلك المتنزهين في الحقيقة بما خفف عليهم من مؤونة المشي . فقد بطلت عادة النزهة في الشوارع والازقة و باليد عصا و بطلت المظلات او كادت كما بطلت العصي . وبطلت عادة السير على الاقدام وعادة الراحة والغداء على العشب . فاصبحنا والفرد منا اذا جلس على الارض يصعب عليه النهوض بحيث تخدرت على التوالي ارجلنا ووهنت قوانا . خلّ عنك تلك المصعدات (Asceuseurs) التي تحملنا من الادنى الى الاعلى فقد نزعت من سوقنا قوتها على العمل ومن رئاتنا ما ينفعها في تصعيد السلالم .

ولا اكتمكم انني كلما زرت بيتاً من البيوت القديمة التي لا تزال محافظة على ادراجها وسلالمها الرخام اجد في الصعود عليها نشأة وتجلى لي الحكمة الغريبة التي اهتدى اليها المهندسون وانشأوا تلك الادراج ليصعد عليها بين الزهور بدون هزة وعلى مهل . وما احلى ذلك وانفعه . لاجرم انه يعينك على ان تجمع فكرك وحواسك قبل ان تقرع جرس دارك او دار من تزوره وتختلف اليه .

ولم يقف الامر في سرعتنا عند هذا الحد بل تعداها الى كلامنا فصرنا نتكلم بالمجاز ولا ايجاز صغار الزنوج في كلامهم · وامسينا نسرع في نومنا ونقوم مذعورين ونحلم والضغط آخذ منا فنحن في المساء كالصباح لا نحسن الاضطجاع على سريرنا ولا نقرأ والقلم بيدنا نشير الى ما يجدر نقله واقتباسه ولا نفكر الافكار النافعة بل نسرع في الراحةاي سرعة ·

واذا رجعنا البصر في الامور العقلية فانك تجدنا نفاخر بما يعرض لافكارنا كل يوم بل كل ساعة من التنوع · فقد غدا الكاتب لا يعيد نظره فيما يكتب فنحن مضطرون الى ان نجيد فيما نكتب كل يوم وكل من لا يؤلف روايتين في السنة او ثلاث روايات مضحكة يعد مقلاً جاف القريحة · الكتب اليوم لا تؤلف بل تتساقط كما يتساقط الجوز · والغاية ان نكتب ولا عبرة بما نكتب ونتائجه · ومهما كان من اعتبار الاكثار والاخصاب فمن العقل ان نحرز ونأخذ من عنان الاقلام مخافة ان نمسي للحال كالام الضعيفة التي تأتي بالاولاد ضعافاً محتقرين · وما كل عمل جميل وعظيم الا ابن التأمل والصبر والجلادة· ولطالما كان للوقت تأثير في تجويد الاعمال ·

فالوقت جائزة تنال باسرهاوالجمال اعظم العوامل فيها · فكما ان الوقت يوجد الجمال و ينميه ويقيه العوادي و يحوبه مناحي الكمال فكذلك الخرائب لا تكون خرائب ان لم يأت عليها الزمن ويمتد لها الى ما شاء الله والايام والشهور لا تكفيها بل يقتضي لها عدد لا يحصى من السنين لتستحق ان تذكر بين الخرائب وان تخفق فيها الارياح ويثار عليها الغبار و يعبث بها الهواء و ينزل عليها الماء والشمس و ينبت فيها الطحلب والسندر المعرش وكل ذلك من عوامل البطء والجلادة ·

ثم ان الناس اصبحوا يريدون الاستمتاع والانتفاع في الحال وان يكون لهم اكثر من الدخل قبل ان يضعوا رأس المال وان يجنوا بعد عشر دقائق من البذر · نقرأ مسرعين هذا اذا تظاهرنا باننا نقرأ ونلقي نظرة على العنوان والفهرس ونقلب الطرف في بعض صفحات من الكتاب وهذا كل ما نقرأوه · اغرقنا في حب العجلة حتى صرنا لا نقطع اوراق كتابنا بيدنا بل نوعز الى الخادم او كاتب سرنا ان يقطعها لنا ·

انا لا اجهل ما يجيبني به القارىء فيقول بان الكتب كثرت وكذلك الجرائد والملاذ والسخرات والواجبات وان الحياة قصيرة وان الحال تقضي بان نسترط الثلاث او الاربع لقم في لقمة ولكن الحقيقة ليست كذلك فان الحياة كلما تضاعفت وكثرت بحيث تجزأت كان علينا ان نقتصرها ونضم شملها · فبما انه تصدر كل صباح اربعون جريدة وهذا من جملة الاسباب الداعية الى ان نزهد في قراءتها وكل اسبوع يصدر خمسون كتاباً ونحن لا نعرف

منها الا عشرها ولكننا نعرفه احسن معرفة وهكذا فان المفكرين اصبحوا يفكرون بسرعة ففقدوا خاصية التفكر ·

اصبح الواحد يحب ويبغض سريعاً ويسرع في التصديق كما يسرع الى الجحود ويعطي ويمنع كذلك غير مكترث بنصائح الليل ومواعظ النهار · واخذ الغضب يسارع الينا ونحن لا نعرف كيف نغضب وعلى من نصب جام غضبنا · وليت شعري من يحتفل بالحب البطيء الصادر من اعماق القلب المتأني ؟ من يحيكه احسن حياكة وامتنها ويبالغ في احكامها خيطاً خيطاً باليد لا بآلة ؟ ومتى نرضى بالوقوف والتريث لنذوق طعم المواقف ونجني بوسيم السعادة ونجلس هنيهة في الواحات ؟

الحياة اقصر طريق يسلك من نقطة الى اخرى ونحن نريد ان نقتصرها ايضاً ؟

مطبوعات ومخطوطات

غياث الامم في التياث الظلم

تصنيف امام الحرمين ابي المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ وضعه في الامامة وإن قدمه (كتب سنة اربع واربعين وسبعمائة) ليحملنا على ذكر موضوعه · ومعلوم ان هذا المبحث خاض فيه الخائضون ومنهم الامام الماوردي · وكتاب الجويني هذا في مثل موضوعه وقد حمل فيه على الماوردي حملة غريبة واستفدنا منه ما كنا نعرفه عن حرية عصر المأمون قال امام الحرمين: « وقد اتفق للمأمون وكان من انجد الخلفاء واقصدهم خطة ظهرت هفوته فيها وعسر على من بعده تلافيها فانه رأى تقرير كل ذي مذهب على رأيه فنبغ النابغون وزاغ الزائغون ونفاق الامر وتطوق خطباً هائلاً وانتهى زلله وخطله الى ان سوغ لمعطلة ان يظهروا آراءهم ورتب مترجمين ليردوا كتب الاوائل الى لسان العرب وهلم جرا الى احوال يقصر الوصف عن ادناها ولو قلت انه مطالب بغيات البدع والضلالات في الموقف الا هول في العرصات لم اكن مجازفاً » ·

قال فيه : الحمد لله القيوم الحي الذي بارادته كل رشد وغي وبمشيئته كل نشر وطي كل بيان في وصف جلاله حصر وعي وبين عيني كل فيهر وكي من قهر تسخيره وسم وكي

(١) هذا الكتاب والتالي له من مخطوطات خزانة احمد بك تيمور

فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الانعام ازواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء . فالعقول عن عز جلاله معقوله ومعاقد العقود في نعت كماله محلوله . وبعد ان بالغ في وصف كتابه وقدمه لنظام الملك الوزير صاحب المدرسة النظامية ببغداد وغيرها ذكر فيه ابياتاً منها .

وإني لغرس انت قدماً غرسته ورببته حتى علا وتمددا
لانك أعلى الناس نفساً وهمةً واقربهم عرفاً وابعدهم مدى
واوراهم زنداً وارواهم ظبا واسجاهم بحراً واسخاهم يدا
وما انا الا دوحة قد غرستها واسقيتها حتى تمادى بها المدى
فلما اقشعر العود منها وصوحت اتتك باغصان لها تطلب الندى

وقال في موضوع كتابه : اقسام الاحكام وتفاصيل الحلال والحرام في مباغي الشرع ومقاصده ومصادره وموارده يحصرها قسمان ويحويهافي متضمن هذا المجموع نوعان احدهما ما يكون ارتباطه وانتياطه بالولاة والائمة وذوي الامر من قادة الامة فيكون منهم المبدأ والمنشأ ومن الرعايا الاتسام والتتمة والثاني ما يستقل به المكلفون ويستبد به المأمورون المصرّفون . والكتاب في ١٣٠ ورقة تغلب عليه الصحة في الجملة والغالب انه وقع في يد عالم فصححه .

التلميذ

رسالة في معنى التلميذ للفاضل عبدالقادر البغدادي صاحب خزانة الادب بحث فيها عن لفظ التلميذ ومعناه في امهات كتب اللغة فلم يجد فيها ما يشفي فرجع الى تتبع بطون الدفاتر فوجده في كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري فانه ساق فيه شعراً للبيد بن ربيعة وفيه هذا البيت .

فالماء يجلو متونهن كما يجلو التلاميذ لؤلؤاً قشبا

قال التلاميذ غلمان الصناع ووجده ايضاً في شعر أمية بن الصلت في قصيدة له قال فيها :

والارض معقلنا وكانت أمنا فيها مقامتنا وفيها نولد (١)
وبها تلاميذ على قذفاتها حبسوا قياماً فالفرائص ترعد

قال شارح ديوانه التلاميذ الخدم وقال امية في هذه القصيدة

فمضى واصعد واستبد اقامة بأولي قوى فمبتل ومتلمد

(١) وفي نسخة نوأد

قال شارحه يريد متلمذ اي خادم من التلاميذ وتلمذ جعل للخدمة قال البغدادي ويؤخذ مما مضى ان تاءه اصلية وان له فعلاً متصرفاً وهو تلمذه تلمذة وتلماذاً فهو متلمذ بمعنى خادم وذاك متلمذ اي جعل خادماً فأطلق التلميذ على المتعلم صنعة او قراءة لانه في الغالب يخدم استاذه وقول الناس تلمذ له وتلمذ منه خطأ .

الكون والمبدا

او الفنون الجميلة والكنيسة نظم الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي وهي أرجوزة في ٣٤ صفحة مطبوعة طبعاً نفيساً بالشكل الكامل وثمنها فرنك تطلب من بيروت

الطرف الادبية

هي رسائل كثيرة في اللغة والادب لمشاهير ائمة العربية عزم محمد امين افندي الخانجي الكتبي ان ينشرها تباعاً في اجزاء صغيرة وقد انتهى الينا منها الآن الجزء الاول وهو يحتوي على كتاب فصيح اللغة لابي العباس ثعلب وشرحه لابي سهل الهروي وذيل الفصيح لعبد اللطيف البغدادي وكتاب فعلت وافعلت لابي اسحاق الزجاج وهذا لم يطبع حتى الآن فيما نعلم عني بتصحيحها السيد محمد بدر الدين ابو فراس النعساني وشكل محل الاشكال منها وقد جاءت في ١٨٨ صفحة متوسطة الحجم حرية بان ينتفع بها المتأدبون في هذا الوضع الجديد وثمنها مجلدة سبعة قروش تطلب من طابعها .

محو الالفاظ العامية

رسالة جمع فيها محمد الحسني افندي مائتين وعشرين كلمة من الكلمات العربية المقابلة لبعض الالفاظ العامية مثل « بوفيه » فقال انها الخورنق وسماها بعضهم بالمقصف « وسكرتير » « ناموس » و « شكمجية » فسماها « مسفط » او « عكم » واورد الفاظاً مشهورة في الجرائد او بين الكتاب الغابرين او المعاصرين مثل صيدلاني للاجزاجي ومستشفى او مارستان للاسبتالية وقفاز للكف وبالتركية الدون وغرفة او حجرة لاوده ومرفأ او ميناء للاسكلة وقمطر لدولاب الكتب ورتاج لخوخة الباب ومساد للسباح وفرسان للسواري ورجالة للبيادة وحبذا لو يكثر من نشر مثل هذه الالفاظ بكمية اوفر وينشرها في الجرائد والمجلات ليثبت صحيحها بالاستعمال او يسقط .

سير العلم والاجتماع

عرب الدنادشة

يبحث بعض العلماء عن اصل قبيلة الدنادشة الساكنة في متصرفية طرابلس الشام فتشوقت لمعرفة اخبار حقيقية عنهم فاتحفني بعض سكان تلك الجهات بالتفصيلات الآتية فالرجاء ادراجها في مجلتكم خدمة للعلم .

كان جدّ عشيرة الدنادشة من اليمن جاء البلاد الشامية ونزل حوران منذ نحو ثلثمائة سنة وساد على تلك البلاد حتى لقب بالتحيلي واكره العربان الضاربة خيامها هنالك ان يدفعوا اله « خوّة » ومنع العرب من غير حيه من المرور باراضيه الا اذا دفعوا له رسوماً مقطوعة من المواشي ولقد اهان مرة احد مشايخ عشيرة من العرب يدعى المسايح من الحسيني فاغتاظ هذا وتمل على كيده فاتى يوماً وعرض عليه حضور جميع شيوخ عشيرة الحسين ليعطوه عهداً بالخضوع له فقبل بذلك ولما وصل القوم هجموا عليه وذبحوه في بيته وفتكوا بجماعته ونهبوا متاعهم وفرّ من بقي منهم واتى الى جهات قضاء حصن الاكراد وسكنوا في مكان يدعى الآن برج الدنادشة وهو فوق تل كلخ مسكنهم الحالي وكان اذ ذاك مأهولاً بجماعة من المتاولة والتركمان فطردوهم واستولوا على محالهم ورئيسهم على ذاك العهد رجل يدعى الشيخ اسماعيل على جانب عظيم من البسالة والشجاعة فاعطته الحكومة لقب آغا ووهبته خمس قرى وهي القنايا والحوز ومدان وحير البصل والموح التابعة لقضاء حمص وبموجب فرمان من السلطان محمد خان الرابع عهد لاسماعيل آغا وجماعته بالمحافظة على تلك النواحي .

اما لقب دندشلي فقد سماه به التركمان ممن لا يزال لهم الى الآن بعض قرى يسكنونها في القضاء المذكور وذلك ان اسماعيل كان يتقن زينة خيوله ويجللها باقمشة لها اطراف و « دنادش » فلذلك اطلق عليهم هذا الاسم ولم يبرحوا يلقبون به حتى اليوم وبعد ان سكنوا مدة قرن في تل كلخ رجع احد اخوان اسماعيل آغا مع قسم من قبيلته الى حوران وبقي فيها واسم عشيرته التحيلية وفي كل سنة يأتي من حوران جمع من التحيلية لزيارة الدنادشة في ديارهم ويتوجه آخر من تل كلخ الى حوران . والدنادشة الساكنون في جهات المرمل ليس لهم قرابة مع دنادشة تل كلخ هؤلاء سنية واولئك شيعة .

ثم ظهر ثلاثة اخوة من الدنادشة لهم شهرة مستفيضة واسم احدهم حمزة آغا والثاني ابراهيم آغا والثالث حمود آغا فاحبوا تقسيم املاكهم لمنع الشقاق بينهم فالقوا قرعة وتفرقوا فبنى حمزة محلاً وسكن فيه ودعاه باسمه اي مشتى حمزة وسكن ابراهيم قرية تل كلخ وسكن

حمود في محل سماه مشتى حمود واسماء هذه المحال التي اصبحت الآن عامرة بذريتهم ما فتئت باقية الى اليوم وكل من هؤلاء الثلاثة اصبح مديراً ولكل قرية الآن من هذه القرى رئيس من نسل الاخوة الثلاثة الاكبر فالاكبر ورئيس الجميع يسكن تل كلخ لانها اهم منازلهم وهي واقعة الى جنوبي قلعة الحصن مركز القضاء الآن تبعد عنه نحو ساعة ونصف على طريق العجلات الممتد من طرابلس الى حمص واما مشتى حمزة ومشتى حمود فموقعهما شرقي تل كلخ وعلى مسافة زهاء ساعتين منه . ورئيسهم في تل كلخ اليوم هو على جانب عظيم من الكرم ودماثة الاخلاق محب للفقراء والمحاويج بيته مفتح الابواب لكل من قصده وهو عبدالله آغا وله من العمر نحو الستين او اكثر ومنازل الاغوات مبنية على النسق الجديد ومنها ما كلف أُلوفاً من الليرات واملاك الدنادشة كثيرة متسعة لا سيما اراضيهم في سهل البقيعة المشهور بخصبه واكثر خبزهم من طحين الذرة الصفراء وقلما يستعملون دقيق الحنطة . ولكل من الاغوات «مضافة» لقبول الزائرين . ومن عاداتهم ان لا يتناولوا طعام الصباح والمساء مع حريمهم بل يأكلون في مضافاتهم وجد فيها ضيوف ام لم يوجد . ولهم ولع عظيم بركوب الصافنات الجياد يعنون كثيراً بتربيتها وقلَّ فيهم من لا يركبها ويتفنن فيها وعند محمد بك صاحب بيت تل كلخ فرس اصلها حمدانية زرقاء اللون لا يبيعها ولو دفع له فيها خمسمائة ليرة وعند ركوبهم يحملون الرماح والسيوف وفي اعراسهم يدقون الطبول وينفقون على خيولهم وافراحهم نفقات باهظة . وفي منتصف حكم السلطان محمد خان الرابع الذي جلس على تخت السلطنة سنة ١٠٥٩ منحهم فرماناً بتلك القرى المذكورة آنفاً

بيروت جرجي ديمتري سرسق

تحريف الاعلام

كتب الاستاذ نالينو مدرس اللغة العربية في كلية بلرمة حاضرة صقلية رسالة بالافرنسية في نشرة الجمعية الجغرافية الخديوية في مصر سماها (اعلام البلدان في بلاد الاسلام) اتى فيها بامثلة كثيرة على تحريف بعض الاعلام في كتب الجغرافية والتاريخ والمصوَّرات الحديثة تحريفاً يلتبس به وجه الصواب ويضيع به تصوّر مواقعها وتاريخها واصلها على وجه الصحة وقال ان المشتغلين بالعربية من الافرنج قد لا يهتدون الى كثير من المواقع اذا نظروا في تلك المصوّرات الحديثة وقابلوها بما كان كتاب العرب يطلقونه عليها فذكر من ذلك امثلة غلط فيها بعض علماء المشرقيات فادعى ان لفظ المولوية المستعمل في حكومة مُرّاكش مضافاً كالحضرة المولوية او المقام المولوي جاءت من ملويا وهو اهم نهر في بلاد مُرّاكش يخرج عن حكم الأُسرة المالكة ولذلك يطلق سلاطين المغرب على انفسهم الامراء

المولوية ليؤيدوا حكمهم على تلك البلاد التي يجتازها النهر. وقال والحقيقة ان قولهم الحضرة المولوية مشتق من المولى ولفظ النهر بلفظ «ملوية» . وذكر كيف ان بعضهم حرّف لفظ «تل العمارنة» فجعلها «تل امرنا» عند الترجمة وانه وقع في كتاب في التاريخ والادب قررته نظارة المعارف المصرية سنة ١٨٩٣ من الاغلاط الشائعة في اسماء الاعلام ماحرف التاريخ ولا سيما فيما يتعلق بجزيرة العرب ومثل لذلك بانه جاء فيه «زاده» بدل «صعدة» و«دراما» بدل «ظرما» و«زحاد» بدل «صحار» و«بجا» بدل «بيشة» ثم ذكر امثلة لذلك من المصورات الجغرافية فقال انهم حرفوا اسم ذوي منيع وهي قبيلة مشهورة في المغرب الاقصى وجعلوها دوي منية وحرفوا لفظ نهري صا ومسون فقالوا زا ومصون وحرفوا اسم قبيلة بني يزناسن فقالوا بني سناسن وقالوا عن سهل تفراته تافراطا وحرفوا ايت سغروشن وايت شخمان من بلاد المغرب فقالوا ايت سروشن وايت شكمان نقلاً عن المصورات الفرنسوية ولفظة ضاية المستعملة في الجزائر للقيعان التي يجتمع فيها ماء المطر في الشتاء بلفظ داية وكيكو بجيقو وغياثة برياطة ومكس بمكاس والنجاة بنجا وارضم بردم وبهت بجحط وصفرو بسفرو ومدينة وازان بوزان وقبيلة غصاوة بغزاوة وتافيلالت بتفيلالت وتعلالن بتيالالين والرتب بالرطب ومرغاد بمراد وتادغوست تدروشت وتدغة بطدرة وعطة باطا وتيزني بتزني . وقال انهم حرفوا في الاعلام المغربية درعة بدرا والقايجة وترناطة واقة او اقا بالفيجة وترنانه وعقة والشاون او شفشاون بشاون ونسات بتيسينت وسكتانة بسقطانة ومحاط بامجات وكتيم باوقليم وسكيوة بسقصاوة والشياظمة بالشيادمة ورهونة برحونة وكرفط بقرفيت وتسول بتصول وزبان بزابان ووزغت بواو يزرت وكرط بقرط وشالة بشلة وقرباطة ببرج غربالة وسيدي صيد عقارب (محل في تونس) بسيدي العقاربة وبوتقا بعنقا وبلاد الحضر ببلاد الحيدر وتبليو وكثانة وعرام بطبلبو وكتنة والعرم وهداج وشعبة السماعلة وغنوش بحديج وشابة الزمالة وقنوش وطبرقة بتبرنة وتوكابر بتكابر ومكثار بمكثر وجبل صاغرو بجبل سارو والخيثر بالكريدر وخنق النطاح بكاركنتا والسوارقية بالسويرجية والاكرة بالعكرة والشرفة بالشرفا والخضيراء والصفينة بالخضيرة والسفينة . وقال ان المصوّرات الجغرافية والكتب المطبوعة في علم تقويم البلدان المترجمة حديثاً في الاستانة وسورية مملوءة بالاغلاط الشائعة ولذلك تجافى عن نقل شيء منها لتفاهتها وان خير طريقة يعمد اليها لاصلاح هذه الاعلام ورد كل شيء الى اصله العربي عند الترجمة ان تنظر مصر في ذلك لانها مجمع العالم الاسلامي وفيها صفوة من رجال العلم

من المسلمين الذين يساعدون بمعارفهم في هذا السبيل كان فيها المجمع المصري والجمعية الجغرافية الخديوية التي ساعدت كثيرًا على ارتقاء المعارف الجغرافية

الحكومات والاوبرات

تعطي حكومة برلين الاوبرا الالمانية ٠٠٠ر٣٢٥ر١ فرنك وتعطي حكومة باريز ٠٠٠ر٨٠٠ فرنك وحكومة درسد ٠٠٠ر٦٠٠ وحكومة فينا ٠٠٠ر٦٠٠ وتعطي حكومة مصر ٠٠٠ر١٢٥ لجوق الاوبرا ولكنه اوروبي يمثل في الشتاء لتفكهة السياح فقط ٠

جرائد العالم

تبين ان في ايطاليا ٣٣٠ر٣ جريدة ومجلة منها ١٣٤ يومية تقسم الى اقسام في مبادئها منها ٣٣٣ من حزب رجال الدين و٢٩٥ من المحافظين و٢٦٠ من الاشتراكيين ٠ وفي المانيا ٥٠٠ر٥ جريدة ومجلة وفي فرنسا ٢٨١٩ر٢ وفي انكلترا نحو ٥٠٠ر٢ وفي النمسا والمجر ٢٠٠ر١ وفي روسيا ٨٠٠ وفي سويسرا ٤٥٠ وفي الولايات المتحدة ٠٠٠ر٥٠ (كذا) جريدة ومجلة ٠

عاصمة الالمان

يطعم المجلس البلدي في برلين الاولاد الفقراء ويكسوهم ولذلك لا ترى في شوارعها شحاذين فتيانًا يدعون كما في بعض عواصم اوروبا انهم يبيعون جرائد او زهورًا واذا شاهد الشرطي ولدًا يدخن يقطع له اللفافة وهي في فمه ٠

العمل بالايدي

ابان تقرير العمل في الولايات المتحدة الفرق بين ما تكلف بعض اصناف التجارة اذا صنعت بالايدي او بالادوات فظهر لها ان عشرة محاريث زراعية اذا أريد صنعها بالايدي يشتغل فيها عاملان يعملان فيها احد عشر نوعًا من الاعمال ويصرفان ١١٨٠ ساعة وتكلف ٢٧٢ فرنكا اما بالآلات فان هذه العشرة محاريث يعمل فيها ٥٢ عاملاً يتعاطون فيها ٩٧ عملاً مختلفًا ويصرفون في صنعها ٣٧ ساعة فتكلف ٣٩ فرنكًا ٠ وان المئة زوج من النعال ليصنعها عاملان بايديهما فتكلفهما الفي فرنك ولكن اذا صنعت بالآلات يعمل في صنعها ١١٣ عاملاً فتكلف ١١٧ فرنكًا ٠ وهكذا فان في تقسيم العمل بفضل الادوات والالات الحديثة اعظم وفر ودخل

العلم في مصر

صدر الامر الخديوي بان يخصص من الاوقاف الخيرية مبلغ خمسة آلاف جنيه مسانهة لمشروع المدرسة الجامعة المصرية المزمع انشاؤها في القاهرة . ووقف الامير حسين باشا كامل زهاء ٧٦ فدانًا من اطيانه في البحيرة على مدرسة دمنهور الصناعية وايراد كل فدان ثمانية جنيهات في السنة فتكون قيمة ما اعطاه عشرة آلاف جنيه كما ان قيمة العقارات والاطيان التي خصصت مداخيلها للجامعة تساوي مئة الف جنيه بحسب وارداتها . ولا يزال الاربعة عشر مديرًا من مديري القطر يتفننون في تشويق علية القوم لانشاء الكتاتيب على اساليب مختلفة فبارك الله بهذه النهضة العلمية المنجحة .

السياح ونفقاتهم

كثير من البلاد تنتفع بالقادمين عليها كل سنة للسياحة ومنها سويسرا في اوربا ومصر في افريقية فان القطر المصري يربح كل سنة نحو مليون وربع من الجنيهات من المال الذي يصرفه فيه السياح . وقد ذكرت مجلة المجلات النيويوركية ان السياحة من اعظم المساعدات على انتقال المال من بلد الى اخرى فقدرت ما يصيب فرنسا كل السنة من القادمين عليها من السياح بمليارين ونصف مليار فرنك ويصيب ايطاليا خمسمائة مليون فرنك وقد زار سويسرا سنة ١٩٠٦ اربعمائة الف سائح فصرفوا فيها مائة وخمسين مليون فرنك . وقدر عدد الاميركيين الذين كانوا في اوربا هذه السنة بمئة وخمسة وعشرين الفًا الى مئة وخمسين الفًا نالت من مالهم انكلترا ١٣٥ مليون فرنك ونالت فرنسا ثلاثة اضعاف ذلك ونال المانيا ١٣٥ مليونًا وايطاليا ٢٥٠ مليونًا . فالارتحال هو من الدواعي الكبرى في نقل المال ومن اعظم المنافع في الحياة الاقتصادية .

البيض

قدر بعضهم ان محصول البيض في اوربا يبلغ في السنة اربعة مليارات واربعمائة مليون بيضة وزعم ان ما تخرجه انكلترا هو احسن بيض ثم يجيء بالجودة بيض فرنسا فالدانيمرك وقال ان مجموع ما يتجر به في انكلترا وخارجها من البيض الانكليزي يبلغ مليارين ومائتين وسبعين مليون بيضة تساوي ستة ملايين جنيه وترسل روسيا الى انكلترا كمية وافرة من البيض الا ان بيضها دون بيض بريطانيا بجودته ومع بيض اسبانيا من اجمل بيض في العالم والرديء من البيض يدخل المعجنات .

المسكرات

ثبت ان المسكرات في اوربا هي السبب في موت ثلث الوفيات وقد قدم بعضهم الى الجمع الطبي الباريزي رسالة يقول فيها ان الالكحول هو السبب الرئيسي في عشر الوفيات والسبب المساعد على اكثر من اثنين في العشر الآخر فهو في المجانين سبب هلاك نصفهم وتأثيره في الرجال اكثر منه في النساء .

الضرائب والموظفون

ترى بعض المجلات الباريزية ان فرنسا اذا ألغت وسام جوقة الشرف توفر عليها مالا يوازي ما تتقاضاه من الضريبة على الثقاب (عيدان الكبريت) فان عندها ٤٥ الفاً يحملون هذا الوسام منهم ٣٠ الفاً من رجال الجندية يتناول الفرد منهم راتباً يختلف بين ٢٥٠ فرنكاً الى ٣٠٠٠ فرنك والباقون ملكيون . وقد بلغ عدد الموظفين في فرنسا ٨٧٠٥٨٩ موظفاً وقريباً يبلغون المليون فماليتها محتاجة لمئة الف موظف وحربيتها لمئة وخمسين الفاً منهم ٣٥ الفاً من الضباط الموجودين وادارات البريد والبرق لمئة الف والمعارف لمائة وثلاثين الفاً وفي نظارة الخارجية ٩١٨

زيت البترول

لم يكثر منذ عشرين سنة من المواد الاولية غير صنف واحد وهو زيت البترول فقد كان محصوله سنة ١٨٨٨ في العالم اجمع ستة ملايين طن فصار سنة ١٨٩٧ خمسة عشر مليوناً وارتقى في السنة الماضية الى ثمانية وعشرين مليوناً ويرجى ان يكون الاعتماد على البترول اكثر من غيره اذا ظلت العناية بالاتوموبيل متوفرة حيناً بعد آخر .

اشد البقاع حرارة

قالت احدى المجلات الباريزية ان اشد الاصقاع حرارة في العالم هو في مدخل الخليج الفارسي في جزيرة كيشم العظمى لايكاد الانسان يستطيع ان يسكن هناك لشدة الحرارة الآن فيها اناساً متفرقين هنا وهناك لا يكادون يخرجون من اكواخهم المبنية بالطين ويتغذون بالاسماك خاصة ويمكن لسكان تلك البلاد ان يسكنوها من شهر نوفمبر الى مارس وقد كان أقيم فيها محطة للسلك البحري فترك بعد ذلك لان جميع المستخدمين قضوا نحبهم حرقاً بالشمس وبعضهم فروا ولكنهم جنوا . وقد جرى البحث في خلال المفاوضات التي جرت مؤخراً بين انكلترا وروسيا على ان تنشأ فيها « اصلاحية » الا انه لم يتيسر تحقيق

هذا الفكر اذ لم يرض احد ان يحكم على نفسه بالموت في تلك النار المحرقة ولو معها كانت مشاهرته ٠

الحيوانات البائدة

بادت عدة اجناس من الحيوانات في بعض اصقاع الكرة الارضية بعد ان كانت فيها كثيرة ومن العجيب ان العلماء يبحثون عن الحيوانات النافعة فلا يجدون لها اثرًا واختلفت آراؤهم فيما اذا كانت تنسب هذه الابادة للانسان ام لفطرة الوجود ومعظمهم على ان للسببين يدًا في قرض الحيوانات فقد كان في جزيرة سان توما احدى جزائر الارخبيل التابعة للدانيمرك اربعة عشر نوعًا من الايائل لم يبق منها الآن الا ثمانية ولم يبق من البائدة غير وصفها الذي وصفها به السائحون الى تلك الجزر ٠ وقد كان شأن قارة افريقية من هذا القبيل انحس من شأن القارات الاربع الاخرى كما كان شأنها في استيلاء الغريب على معظم اصقاعها ٠ فقد كان من امر الملعب الروماني المدعو كوليزة في رومية ان كانت تعرض فيه الحيوانات الكاسرة خصوصًا فكان بذلك انقراض بعض الاجناس التي كانت في هذه القارة السوداء ٠ اما قارة آسيا فقد نجت حيواناتها اكثر من افريقية اللهم الاجنسًا واحدًا من الحيوانات وهو الفرس الوحشي ذو اللون الاشهب ٠ ومنذ عهد شارل الاول لا يرى اثر للخنزير البري ومنذ سنه ١٨٦٠ لا يرى اثر للذئب في ايكوسيا وكان آخر ذئب وجد في ايرلاندا منذ ثلاثين سنة ٠

المال في اميركا

اشتدت العسرة المالية في اميركا حتى أقفلت معامل كثيرة وافلست بيوت تجارية ومالية بالمئات واضطر كثير من الاوربيين الى العودة الى بلادهم حتى بلغ عدد من هاجروا منها في الشهور الاخيرة نحو مليون رجل وقد نسب بعض الاجتماعيين هذه الازمة لاجتماع رؤوس الاموال في ايدي افراد وهو ما توفر الرئيس روزفلت في عهد رئاسته الثانية على مكافحته اشد كفاح على ما يظهر لمن يطلع على الجرائد السيارة ويؤخذ من احصاء جرى سنة ١٩٠٣ ان اثني عشر في المئة من مجموع ثروة الولايات المتحدة بيد مديري احتكار الفولاذ او ملوكه فهم يديرون نصف الخطوط الحديدية في اميركا الشمالية ولهم اهم سلك تلغرافي وهم مديرو خمس شركات كبرى للضمان ويملكون كثيرًا من المناجم والمقالع وغيرها ويديرون احتكارات يتجاوز رأس مالها التسعة مليارات دولار اي ما يوازي الدين العام في انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة اذا أضيف معًا وهؤلاء المديرون او المحتكرون هم اربعة

وعشرون رجلاً زعيمهم مورغان وهو وركفلر صاحبا القول الفصل ومن اكبر قادة الاموال وهكذا الحال في انضمام السكك الحديدية واحتكارها فقد كان عدد الشركات في الولايات المتحدة سنة ١٩٠٤ اثني عشر الف وعشرين شركة فيها ٣٢٧٨٥١ مساهماً منهم ثمانون الفاً من الاهالي فقط . وفي الولايات المتحدة سبعة آلاف رجل يملك كل فرد منهم زهاء مليون ريال ويدعون اصحاب الملايين .

الاعمال في ايطاليا

تشكو ايطاليا من دائين كثرة المحامين عندها وقلة المهندسين فقد بلغ طلاب الحقوق فيها هذه السنة نحو عشرة آلاف طالب وطلاب الطب نحو خمسة آلاف وبلغ طلاب الادب الفاً وخمسمائة طالب ومثلهم طلاب الهندسة . وتطلب نظارة الاشغال هناك مهندسين وميكانيكيين فلا تجدهم حتى تعطلت هذه السنة بعض المسابقات التي فتحتها لطالبي الدخول لقلة الاكفاء والمتعلمين .

افكار في الشقاء

كتب فريدريك باسي الذي عربنا له مقالة القضاء على الشقاء في هذا الجزء مقالة افتتاحية في مجلة الاقتصاد الاجتماعي العامية فآثرنا تعريبها وضمها الى اختها السالفة بياناً لتفنن الافرنج في الكتابة في موضوع واحد قال فيها ما ترجمته : يقول علماء الاخلاق المتدينون ان كل شر ينشأ من الخطيئة فهم على سداد اذا أُريد بالخطيئة كل ما من شأنه الخروج عن القوانين التي يجري عليها نظام الاخلاق ونظام الماديات في العالم . ومن المحقق ان ثمت شروراً لسنا نحن السبب فيها كالعواصف والزلازل والفيضانات والحرائق والاوباء وآفات الفلك التي تأتي على الغلات وتنقص الثمرات . ومن هذه المصائب الطبيعية ما نستطيع التوقي منه او من تقليل اثره فينا الى حد محدود . وان كثيراً من الحرائق والامراض وانواع الهلاك هي نتيجة غفلتنا فاذا لم نستطع ان نعرفها قبل وقوعها ففي وسعنا ان نقلل من تأثيرها اذا ضمننا الضامنون وتعهد لنا المتعهدون . فاتقاء الفيضانات يكون على الجملة باقامة السدود واصلاح مجاري المياه . وتمكن الوقاية من الانواء بالدخول الى المرفإ او بالابتعاد عن الشواطئ الخطرة عملاً بما تنقله الاسلاك البرقية والاسلاك البحرية من الاخبار الواجب تصديقها . وتحمى الغلات والثمرات من بوائق الجو بما يعلم من الاشارات التي تؤخذ عن المراصد الجوية المؤذنة بقرب الزعازع وتتقى الامراض بالامتناع عن التعرض لموجبات العدوى على غير ضرورة .

ونتأتى النجاة من معظم اسباب الفاقة والالم اذا صحت عزيمة المرء وفويت ارادته لان اغلبها صناعي غير طبيعي . فالكسل هو الذي يضيع الوقت والفراغ هوالذي يسيء استعماله و يصرفه فيما لا ينتج واعظم من ذلك استعماله فيما يؤذي النفس والغير ولا يعود منه فائدة على عامل اخرق جاهل لا نفاذ في بصيرته ولا مضاء في عزيمته . فقد يصرف بعضهم في المشروبات الضارة التي تنهك الصحة والعقل بقدر ما يدفعون الى خزانة الحكومة من الضرائب عن يد وهم صاغرون متملون بل اكثر بكثير . وقد يقضون اوقاتهم وهم يتفرجون على الخيل تعدو مسرعة وهم لا يعرفون منها اعيانها ولا اعيان اصحابها ويحضرون تمثيل روايات او يستمعون لشتائم وسباب او يصرفون اياماً وليالي كان في وسعهم ان يقضوها في عمل مثمر .

ترى بعضهم يلقون بمالهم في المضاربات والمراهنات التي كثيراً ما تكون ضرباً من ضروب السرقات المدبرة . يأتي المرء هذه المنكرات بسائق الجهل و يرمي بنفسه في هذه المهالك التي كان في وسعه اتقاؤها فلا يظلم نفسه فقط بل يظلم المجتمع بما يرتكب من سخف ليس هو الا اعتداء عاما هائلاً يورث تلك المجتمعات التي هو احد افرادها ضعفاً في رفاهيتها ونقصاً في ثروتها بل انها كاً لقواها ودفناً لحياتها . ليس من العقل في شيء ان يسوق المرء نفسه الى مواطن الهلاك و يفادي بروحه وروح جيرانه بما يبذله من احسن موارده المالية وقواه الكثيرة فيروح بعد ذلك ينفق عن سعة على الجيوش المؤلفة من شجعان الشبان يرابطون على الحدود و يعهد اليهم ان يطردوا عن تخطيها كل وطني او غريب يريد دخولها وهو يحمل اطعمة للجائعين وألبسة للعريانين وادوات وآلات لمن لا سلاح لهم مواد اولية لمن يستخدمونها وسماداً للاراضي التي ضعفت قوة انباتها ومواد كيماوية للاعمال الصناعية المختلفة . ولو حسن استخدام تلك الساعات الضائعة او التي تصرف في الباطل والمواد او الثروة المبددة للقضاء العام على بني الانسان وبذل ذاك النشاط الكثير و وجهت وجهة العلم نحو الغاية المقدسة التي تطلب من تحسين حالة البشر والبعد بهم عن فساد الاخلاق والتباغض — لو تم كل ذلك لما صعب ان يقدَّم لعامة من خانهم دهرهم ما يتبلغون به بل ما يصل بهم الى الرفاهية والاحترام والسعة .

نعم ادعُ ما نقدم بما شئت من خطيئة او جهالة او جنون فالشر كل الشر الذي ابتلينا به انما جاءنا من قبل انفسنا الا ما حدث بحسب الظاهر قضاء وقدراً ولكن يمكن على الجملة التعديل من حاله او ما نشأ من البوائق الخارجية التي هي مناط عملنا و بيدنا امرها . قالوا قديماً ان المرء لا يموت الا اذا كانت له ارادة في الموت يريدون بذلك اثبات قوة الجهاد الادبي . الشعوب لا تتألم الا بسيئات ترتكبها وهي تنزع الشقاء من اساسه متى عرفت او ارادت ان تقاتله بالفعل

صناعات الملوك

رأى بعض ملوك الارض ان الحكمة تقضي عليهم بان يتجروا لانفسهم ويدخروا المال للطوارىء ولذلك كان مما يملك ملك انكلترا سكة حديدية في الكندا ولامبراطور المانيا معظم الاسهم في مجلتين تأتيانه بواردات وافرة وللملكة هولاندة مزرعة واسعة في قصرها في لو وللبابا مبالغ جسيمة وضعها في مصرف انكلترا لحين الحاجة ۰ ولكن بعض ملوك الاسلام كانوا لا يرون ان يتجر الملك ويزارع فكان ادنى فرد من حواشيهم يملك مالاً اكثر منهم لان هذا من شأن الرعية ۰ ومن ملك الرقاب يعاب عليه ان يملك المال والعروض ومن اخذ الممالك لا يجمل به ان يملك قطعة ارض منها ۰ هكذا كان شأن كثيرين ومنهم صلاح الدين يوسف ونور الدين محمود بن زنكي ۰ وفي التذكرة الحمدونية انه كان لعمر بن عبد العزيز سفينة يحمل فيها الطعام من مصر الى المدينة فيبيعها وهو واليها فحدثه محمد بن كعب القرظي عن النبي عليه السلام ايما عامل تجر في رعيته هلكت رعيته فامر بما في السفينة فتصدق بها وفكها وتصدق بخشبها على المساكين ۰

الفولاذ والحديد

اذا برد الجو كثيراً ونزلت درجة الحرارة الى ٢٠ تحت الصفر نقل مقاومة الفولاذ خمسة اسداس ما كانت عليه من قبل وقد ثبت في الجليد الاخير انه تحطم الخطوط في السكك الحديدية والتراموايات فيتكسر الحديد المصفح كما يتكسر الزجاج ولا سبيل الى ملافاة ذلك الا باحماء الخطوط كأن يصب عليها ماء حار للغاية والا كانت حياة الركاب في القطارات التي تمر بعد ذلك عليها في خطر مبين ۰

مضار الدخان

ثبت ان الدخان او التدخين يضر بالنساء اكثر من ضرره بالرجال ولا سيما في ابان حملهن وحبلهن فكثيراً ما كان بعضهن يسقطن الحمل من رائحة الدخان حتى ان بعض النساء المستخدمات في معامل الدخان كن يسقطن حملهن قبل الاوان واذا ولدن فلا يولدن الا اولاداً مشوهة صورهم وكثيراً ما يموتون صغاراً جداً قبل غيرهم من الاولاد قال العالمان اللذان اثبتا ذلك وعلى هذا فيجب على الاطباء ان ينبهوا الحبالى ان لا يدخن اثناء الحمل ان كن ممن يدخن ۰

فقر الشعراء

مات في لندرا منذ ثلاثة اشهر في مستشفى المجاذيب شاعر اسمه فرنسيس طومسون كانت

حياته على ادب فيه اشبه بالشاعر بن جيلبر الفرنسوي وشاترتون الانكليزي فقد كان ابوه طبيباً في منشستر فاراد ان ينصرف لتعاطي الكتابة وقد تخلى عنه ابواه فعاش في لندن عيشة ضنكى فتعاطى اولاً بيع الثقاب (عيدان الكبريت) ثم صار بواباً ثم خادماً في ابواب دور التمثيل وقد عزم ذات ليلة ان يسم نفسه الا انه ذكر قصة شاترتون الشاعر الذي سم نفسه وما جرى له فعدل عن ذلك ولم يعلم ان السعادة كانت في انتظاره من الغد وقد تناول جائزة عن قصيدة نشرتها مجلة انكليزية وبعث له بها وبعد ذلك اخذ يكتب وينظم ونظم أغنية سماها في غروب الشمس لم ينظم احسن منها منذ عهد شيلي كما قال بذلك كبار النقاد الا ان عقله قد اصيب بشيء من الخلل فقضى في مستشفى المجاذيب . وبعد هذا فلا يحسبن احدٌ انَّ جميع الشعراء والكتاب ينامون في الغرب في فرش من ورد كما يقول الفرنسيس بل طالما اقض مضجعهم وخوى مربعهم .

العملة

كتب احدهم في مجلة انكليزية ان العملة يزداد اتحادهم في القيام على ارباب الاموال في الغرب فالنازعون الى هذه الثورة هم ثلاثة ملايين عامل في المانيا ومليون في فرنسا وثمانمائة الف في النمسا واربعمائة الف في روسيا وثلثمائة الف في البجيك ومائتان وخمسون الفاً في ايطاليا ومائة الف في انكلترا ومئة الف في سويسرا وخمسة وثلاثون الفاً في الدانيمرك وخمسون الفاً في السويد واربعون الفاً في هولاندة وثلاثون الفاً في اسبانيا .

الكبراء وما يشربون

طلب احد كتاب الفرنسيس الى كبار كتاب بلاده وعلمائها وشعرائها والمتفننين فيها يسألهم ما يعولون عليه من المشروبات فكان معظمهم على ان الماء هو خير ما يتعطاه الانسان وقد نشرت المجلة الباريزية اجوبتهم فجاء في اجوبة العازفين عن المشروبات الروحية كلمات حري بكل شرقي يقلد الغربيين فيما يشكون منه من العادات ان يعتبر به فممن لا يتعاطون الالكحول الا في الندر جول كلارسي فهو لا يرى انها تفيد في فتح القرائح وتوقد شعلة الذكاء كما يدعي من يتعاطون المسكرات ومثله ارنست هربرت وكاميل فلامار يون واميل زولا وسولي برودم وماسنيه وجول لميتر ومرى لافدان وفيكتور بن ساردو وموريس بولينا وبول بورجه وادمون هاركور ودالو وبول وفيكتور مارغريت وبنيامين كونستان وبيرلوتي واوجين كاربير واميل اوليفيه . ويكاد ان يكونوا كلهم مجمعين على ان الالكحول مضر حتى القليل منه والاحسن الامتناع عنه دفعة واحدة .

الصينيون واليابانيون

كتب احدهم في بعض المجلات الافرنجية الكبرى مقالة قابل بها بين الصينيين واليابانيين فقال انهم ليسوا من عنصر واحد فالأول من عنصر مغولي والآخرون من عنصر ماليزي واختلافهم في الاصول كان سبب اختلافهم في الفروع اي العادات والاخلاق وكان من اليابانيين ان تحرروا من قيودهم وقبلوا المدنية الغربية لانه لم يكن لهم مدنية اما الصينيون فانهم ما زالوا يتناغون بمدنيتهم و يعتمدون على قوتهم ولهم من معتقداتهم مايتفانون معه في الخضوع للكبير والفناء فيه. ومن القواعد المتبعة في شريعة كونفوشيوس ان تكون الشفقة الاخوية اساس كل عمل فالشفقة تجمع بين الاب واولاده والشفقة تربط بين الملك ورعيته والشفقة تجمع بين الزوج وزوجته والشيخ والفتى والصاحب وصاحبه. والصينيون يرضون بالقليل ضعاف الارادة لاشجاعة فيهم ولا يحبون ان يلقوا بانفسهم في المخاطر والمخاوف ولئن اخذوا الآن يعملون في تقليد الاوربيين في الجندية فان امرتشبههم بالاوربيين يطول . و يصعب دخول المدنية الغربية عليهم .

وعلى العكس في اليابانيين فانهم من عنصر متنوّع. يفكر الياباني فيما تعرضه عليه من الافكار ويحاول ان ينقل عنك ما يليق بالمتمدنين ان يعملوه من العاد والاخلاق والافكار وهو يتروى في كلامه فيزنه في ميزان التعقل ولا سيما امام الغريب عن جنسه. اليابانيون ليسوا خفافاً في حركاتهم فلا ييأسون ولا تسمع لهم صوت تألم وقد يموت الياباني ولا تسمع له ركزاً بل تراه باسماً والرضى هو اساس طبيعته ولا ترى الياباني متجبراً غضوباً واذا غضب فلا يغضب الا عن سبب قوي جداً ولا يهرق في سبيل غضبه دماً . ولئن اخذ بعض العملة في بلاد اليابان يعتصبون الآن الا ان اعتصابهم ليس كاعتصاب العملة الاوربيين قد يؤدي الى الخصام وتجريد الحسام بل انه ينفض في يومه . الياباني فرح مسرور من حاله يعتاد كل عيش مهما كان فيه من الشظف والقلة والتعب والنصب هذا ولا يفوته ان هناك مطالب سامية وعيشة راضية اكثر مما هو فيه ولا ترى الياباني ينتحر من اجل شيء الا اذا اصيب بما يثلم شرفه فيختار ان ينتحر على صورة لا يسمع به احد . واعتقاد اليابانيين بتناسخ الارواح هو سبب غلبتهم الروس في كوريا ومنشوريا والتناسخ عندهم بعد موت الانسان يكون على ست صور فاذا كان الميت ممن عاش في تقىً في الحياة الدنيا تنتقل روحه او تتقمص في جسم امير او شريف او رئيس او وزير واذا لم تكن سيرته حسنة في الدنيا تتقمص روحه في اجسام ايامى ويتامى وعميان وعجزة واذا كان رجلاً شريراً تتقمص روحه في جسم

حصان او حمار او دابة تكفيرًا عن سيئاته واذا كان بين بين في الشر والخير يتقمص كالطيور الداجنة او سمكًا او غيره من حيوانات الماء او هوامًا وحشرات .

المطبوعات الاشتراكية

للاشتراكيين جرائد ومجلات في عامة مدن اوروبا واميركا ودعوتهم ما برحت في انتشار متزايد سنة عن سنة حتى ان جريدة من جرائدهم اسمها « الدعوة الى العقل » في مدينة جيرارد من اعمال الكنساس في اميركا قد بلغ المطبوع منها كل يوم ٣٥٠ الفًا فاصبحت اكثر الجرائد الاشتراكية انتشارًا وقد أُسست سنة ١٨٩٥ ولا تزال في نمو .

نفقات الجيوش

زار احد قواد الاميركان بلاد الالمان والفرنسيس وحضر «مناورات» الجيوش فعاد يقول لامته ان جيشها من اضحك جيوش العالم اكثرها نفقة واقلها فائدة قال : خمسمائة الف جندي فرنسوي يكلفون امتهم في السنة خمسمائة مليون فرنك وستمائة الف جندي الماني يكلفون حكومتهم خمسمائة وخمسين مليون فرنك وستون الف جندي اميركاني يكلفون الولايات المتحدة اربعمائة مليون فرنك واذا أُضيف الى ذلك ما تنفقه اميركا في الشؤون العسكرية الاخرى يبلغ سبعمائة مليون مسانهة . تنفق كل هذا من اجل جيش يبلغ معدل من يفرون منه في السنة ستة آلاف جندي .

نساء اميركا

يؤخذ من احصاء سنة ١٩٠٠ ان النساء في الولايات المتحدة اقل من الرجال فقد كنَّ ٣٣ مليون امرأة مقابل ٣٤ مليونًا وثلثمائه الف رجل وان نحو خمسة ملايين ونصف من النساء يضطررن الى الكدح لمعاشهن وان عدد العاملين من الرجال ٢٣ مليونًا وبلغ النساء هناك نحو نصف الرجال في معاطاة الاشغال العقلية فهن ٤٣٠ الفًا لقاء ٨٢٠ الفًا من الرجال وعدد المعلمات منهن ثلاثة اضعاف عدد المعلمين فهناك ٢٧ الف معلم و١١٥ الف معلمة والقاعدة العامة في المدارس الاميركية تربية البنين مع البنات .

محصول النحاس

كان النحاس غالي الثمن في السنة الماضية وقد زاد محصوله ثلاثة اضعاف ما كان عليه منذ عشرين سنة فصار سنة ١٩٠٦ — ٧٠٠ الف طن بعد ان كان سنة ١٨٨٦ — ٢١٧ الف طن كما ان استعماله في الامور الصناعية كثر على نسبة على ان بعض مناجمه كادت تنضب مادتها منه فكانت قديمًا كورنوابل في انكلترا تصدر اكبر كمية من النحاس

اما الآن فالولايات المتحدة هي اكبر مصدرة له وكذلك المكسيك وبيرو اما مناجم اسبانيا فانها الى الضعف ·

صنع الالبان

تبين ان الطريقة المستعملة في بلادنا لصنع الجبن والسمن من الالبان المختلفة قد تخلصت منها بلاد الغرب كل الخلاص بفضل الادوات الجديدة فلم يبق احد هناك يعاني الالبان كما يعانيها فلاحنا وراعينا بيده ويد ذويه ·

الجرائد الاميركية

ذكروا ان عدد الصحف الاسبوعية في الولايات المتحدة بلغت في الخمس والعشرين سنة الاخيرة مبلغاً من الارتقاء لم يسمع به ثمنها ما يباع بقرش واحد ولا يكون اقل من مئة صفحة كبيرة حوت من ضروب الاعلانات كل غريب وكل مايهم القارئ معرفته من اخبار البورصة والفضائح والمذر والافادات العالمية والحوادث المنوعة محلية كانت او خارجية والقصص والصور الهزلية وألعاب الاولاد وصفحات تقطع لتكون كتباً فهي غذاء ارواح ملايين من الناس وكثيراً ما تملأ بالسخيف ولكن الامة ترغب فيها وتجعلها سمرها ولذتها

الانسان والمحيط

رأت احدى المجلات الروسية ان حالة الانسان آخذة بالتعدل في كل مكان بفضل اساليب الارتقاء التي تكاد تكون متحدة في الأمم حتى ان اهل البلد الواحد يقل بينهم الشبه اذا تعاطوا صناعات مختلفة بخلاف ما يكثر الشبه بين اهل البلاد المتنائية ممن يتعاطون اعمالاً متشاكلة فلذلك تجد رجال الطب والمحاماة في انكلترا والمانيا وفرنسا يشبه بعضهم بعضاً في منازعهم وعيشهم اكثر مما يشبه الانكليزيُّ الانكليزيَّ والالمانيُّ الالمانيَّ والفرنسويُّ الفرنسويَّ وهي ترجو ان يجيء على العالم زمن احسن من هذا تنتشر فيه الحضارة في جميع انحاء الارض فترتفع من بين اهلها العداوة والبغضاء والانسان ابن محيطه لا ابن طبيعته ·

خزانة اديسون

اهم ما اعلنه اديسون مخترع الفونوغراف انه وفق الى اختراع خزان للكهربائية سيوضع عن قريب موضع العمل فيغير نظام المواصلات الكهربائية لانه يرخص سعرها بنقلها من مملكة الى اخرى ويقول اهل العلم ان عجلات الاتوموبيل ستقل اثمانها فيتيسر لاهل الطبقة الوسطى او الدنيا ان يقتنوها ويركبوها وهكذا اقدم العلم ان يسوي بين طبقات الناس في الاستمتاع بملاذ هذا الوجود ومنافعه ·

مطبوعاتنا في اميركا

يسرنا ان نبشر قراء العربية ان علماء المشرقيات من الاميركان اخذوا في العهد الاخير يعنون بطبع مؤلفات العرب فقد طبع ريشاردس كوتهيل Richard J. H. Gottheil احد اساتذة كلية كولمبيا في نيويورك كتاب تاريخ قضاة مصر تأليف ابي عمر محمد بن يوسف ابن يعقوب الكندي مع شروح لابي الحسن احمد بن عبد الرحمن بن برد عن نسخة وجدت في المتحف البريطاني وهو في ١٥٠ صفحة وثمنه ثمانية فرنكات .

الفحم الحجري

نشرت نشرة احصائية المجلس التجاري في انقرس احصاء بحاصلات الفحم الحجري في العالم من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٩٠٦ فدلت على ان محصوله كان في منتصف القرن الماضي ٨٩٨٨١٣٥٧ طناً وما برح في نمو حتى بلغ سنة ١٩٠٦—١٨٩٣٣٤٩٥٥٧ طناً اي انه زاد عشرة اضعاف عما كان . يستخرج من الولايات المتحدة ٣٧٥٣٩٧٠٠٠ طن وتجيء بعدها بريطانيا العظمى فتستخرج ٢٥١٠٥٠٠٠ ثم المانيا تخرج ١٣٦٤٨٠٠٠٠ ثم فرنسا فالبلجيك

مقاومة السكيرين

سويسرا من اكثر البلاد الاوربية مقاومة للمسكرات ومما رآه الاستاذ فوريل احد اطباء المجاذيب فيها لمقاومة السكيرين وتحقيرهم ان تجعل ادارة السكك الحديدية مساء كل احد مركبة او مركبتين تكتب عليهما «للركاب السكارى» فكل من شوهد انه سكران او شرب مسكرًا يدعى الى الجلوس في تينك المركبتين ان اراد السفر . وهي طريقة تندى لها وجوه من لهم احساس من الركاب الذي يتعاطون المسكرات فيقلعون عنها .

سكة حديد بغداد

كثر بحث الباحثين في هذه السكة ومستقبلها وجلهم يحسنون الظن بها و يعلقون الآمال الواسعة على ما سيتم من العمران في البلاد التي تجتازها . وهذا الخط هو اعظم خط حديدي انشيء في البلاد العثمانية بل اهم خط قام لانه يربط اقصى المملكة باقصاها ويمر في اصقاع كان لها مجد قديم وحضارة زاخرة . وطوله الفان وثمانمائة كيلومتر ويكلف خمسمائة مليون فرنك او اكثر ويقتضي له من العمال والاعمال والادوات والآلات والجسور والقاطرات وغيرها مالا يكاد يقع عليه الحصر ويتيسر ان تقطع المسافة بين الاستانة وبغداد في خمسة ايام وهي الآن لا تكاد تقطع في خمسين يومًا لراكب المطايا .

يقولون ان بلاد بابل واشور ستحيا بعد مواتها بهذا الخط الحديدي وان آسيا الصغرى

سيرجع اليها ما فقدته من اسباب العمران وسيكون من العراق مصر جديدة تزرع القطن والحنطة على شطوط الرافدين دجلة والفرات فتخسر بذلك مصر بعض وارداتها ولا سيما ان السكة البغدادية ستتولى نقل البريد الى الهند وتختصر الطريق من البحر فتفقد السويس بعض مكانتها لان البريد الهندي ينقل عن طريق الاستانة فبغداد فالكويت فبمباي في عشرة ايام وهو الآن لا ينقل من طريق السويس باقل من اربعة عشر يوماً ·

وتقول مجلة العالمين ان مخبآت مدينة هارون الرشيد وما يروى عنها من الاقاصيص الشعرية ويجري في مخيلات العامة من ذكرى عظمتها الغريبة على عهد الخلفاء ومساجدها العربية ذات القباب والتيجان واسواقها وفنادقها — كل ذلك اثر في عقول كبار ملتزمي مدّ هذا الخط الحديدي فحملوا بتمديده الى بغداد وما اكثر المطامع التي اخرجت هذا المشروع من القوة الى الفعل · وقد نشأت فكرة الملاحة في نهر الفرات وربط الهند ببغداد منذ ستين سنة فنالت شركة انكليزية سنة ١٨٥١ امتيازاً بانشاء خط حديدي من السويدية اي سيلوسيا القديمة في خليج الاسكندرونة الى الكويت على الخليج الفارسي واذ لم تحصل على رهن للضمانات الكيلومترية سقط امتيازها · وفي سنة ١٨٧٢ عاد مشروع سكة السويدية والكويت الى الحياة وقدرت نفقاته بعشرة ملايين جنيه وطوله بالف وار بعمائة كيلومتر ولكن قلة ما في طريقه من البلاد العامرة التي يُرجى الانتفاع منها صرفت القلوب عنه

وتحدث الناس في لندن بعد فتح ترعة السويس ان تربط الاسماعيلية بالكويت بخط حديدي يمر بصحاري بلاد العرب وكان هذا الفكر من الاحلام ولا يبعد ان يتحقق امره بعد زمن · وحاولت روسيا ان تمد سكة من طرابلس الشام الى الكويت مع انشاء ناشطة (فرع) منها الى كربلا بحيث يجتاز بادية الشام وطوله ثمانمائة كيلومتر فسقطت اماني الشركة التي تألفت بطبيعة الحال ثم تعاقب نيل الامتيازات في آسيا الوسطى فانشأت شركة انكليزية سنة ١٨٥٦ سكة حديد ازمير — دينار وقامت بعدها شركة انكليزية اخرى فانشأت سكة حديد ازمير — قصبة وهي ساردس عاصمة كريزوس ثم امتدت الى مدينة الاشهر وتعاقبت الشركات الفرنسوية والبلجيكية والعثمانية في الاناضول والروم ايلي

ولقد شبه بعضهم البلاد التي مر بها خط اسكي شهر — قونية بمضايق سويسرا اذ ضل فيها الصليبيون بزعامة غودفري دي بوليون وقاسوا الامرّين من الجوع والعطش ولذلك تحامى الدخول فيها كونراد الثالث احد ملوك الصليبيين من الالمان وفريدريك الاول الالماني الملقب ببربروس وقيل انهما خفا الى الخروج منها ·

فمشروع السكة البغدادية اليوم الماني وفي المانيا نشأ وكبر حتى أُخرج من القوة الى الفعل

لا سيما بعد ان كثرت صنائع الالمان وصادراتهم وهم يلوبون على مصرف يصرفونها فيه فنظروا ذات اليمين وذات الشمال فلم يروا أحسن من هذه البلاد خصوصاً وقد نالت الشركة احتكار مخازنها ومستودعاتها والانتفاع بالشلالات والمعامل الكهربائية والمناجم المختلفة على طول هذه السكة وما يتفرع منها على مسيرة عشرين كيلو متراً من كل جهة عن يمين الطريق وشماله

فاستفاد تجار الالمان وسيستفيدون من هذا الخط كثيراً لان الاقطار التي سيجتازها مازالت بكراً لم تمس فآسيا الصغرى لم تستثمر الا من جهتها الغربية على يد شركات انكليزية وفرنسوية . اما ارمينية و بين النهرين والعراق فانها لم يدخلها الى الآن غير علماء الآثار فقط . وما اشبه آسيا الصغرى ببلاد اسبانيا فهي محاطة بجبال شاهقة وحيث يقل المطر فهناك القفر . والسكان بادية رحالة يقتاتون بمواشيهم و ينتجعون لها الكلأ فهذه القطعة من تلك البلاد هي اشبه بمملكة قشتالة لقلة خصبها وامراعها ولكنك ترى فيما يحيط بتلك الشبه الجزيرة في سفوح تلك الجبال وما يتخللها حيث تنساب المياه من اعلى قمم الاطواد وتحلل من تلوجها الحدائق الغلب والحقول العامرة بالذرة والحنطة والشعير والكرمة والرمان والزيتون والبرتقال والنخيل فهذه البلاد اشبه ببلاد الاندلس .

ولقد عرف الرومان واليونان ان يحسنوا الانتفاع من تلك الاصقاع الغنية قديماً وسيكون من نصيب الخط البغدادي اليوم ان يعيد اليها بهاءها فهو سيجتاز مملكة كريزوس اي قونية وقيصرية وارغلي . وما دامت البلاد قريبة من الساحل فبشرها بالرخاء وبشر حاصلاتها بالتصريف وكلما بعدت عنه فهناك الشقاء المبين . ومنذ سنين كنا نسمع بان بعض العمال يحرقون الحنطة التي يأخذونها عشوراً لانهم لم يجدوا سبيلاً الى نقلها الى البلاد التي تحتاج اليها وكذلك قل عن الفلاحين وزهدهم فيما تخرج ارضهم من الغلات والثمار بعد ان يفيض عنهم اضعاف ما يلزمهم .

هذا ما كان من آسيا الصغرى اما بلاد ارمينية واشور و بابل فستحيا حياة طيبة بعد ان خربت منذ خمسة آلاف سنة وزيادة وبعد ان دام عمرانها الغريب ثلاثة آلاف سنة فعدت من اعظم الممالك تمدناً وحضارة . هذا وشمس تلك البلاد شمسها ومياهها مياهها وارضها ارضها . والبلاد من حلب الى الموصل ينبت فيها القطن وفي الموصل كان يعمل الشاش الرفيع والبهانسب اسمه الغربيون كما نسبوا اسم الدمقس عندهم الى دمشق .

وقال بعض الباحثين في هذا الخط ان العراق كان على عهد العباسيين يغل عشرة ملايين طن من الحنطة و يطعم ستة ملايين من السكان وليس فيه اليوم اكثر من نصف مليون نسمة يعيشون في مسكنة وان السكة البغدادية ستضمن الامن والتجارة في تلك الربوع فتعود اليها حياتها السالفة وتكون بقطنها ونخيلها وحبوبها مصراً ثانية وتستثمر مناجم الحمر

الموجودة على الضفة الشمالية من دجلة في سفوح سلاسل جبال فارس ومنابع زيت البترول التي يعبث بها الاهلون فيوقدون فيها النار للتسلية اذا مرَّ بهم سائح عظيم ويقتضي ذلك عشرين سنة من الزمن فيأتي الماليون باموالهم ليستثروها في تلك البلاد كما استثروها في عبر القافقاس وتركستان واسبانيا ومصر وتأتي البضائع الالمانية لتصرف على اهل تلك البلاد وينهال علماء الالمان للبحث في آثارها وعظمتها ويخلدون لامتهم من المفاخر مثل ما خلد ماريت وشامبليون الفرنسويان في مصر من الآثار والمحامد . ان الالمان في مدهم الخط الحديدي في بلاد يكاد يكون اكثرها خراباً الآن قد تعلموا بما استفادوه من دروس ملوك السكك الحديدية في الولايات المتحدة امثال فندربلت وهاريمان ممن اثبتالاوروبا بان السكة الحديدية ولو مدت في قفر تكفي لان تحيله روضاً ممرعاً آهلاً بالسكان وآية من آيات العمران .

قدر العمر

تحت هذا العنوان نشرت مجلة « الحياة البيتية » الفرنسوية مقالة لطيفة قالت فيها ما تعريبه : قال طبيب انكليزي اسمه اوسلر منذ عهد ليس ببعيد في خطاب فاه به امام طلاب احدى المدارس الجامعة في اميركا رأياً احدث بعض الهياج في الافكار وهو ان الرجل اذا بلغ سن الاربعين يقلّ الانتفاع به على الجملة وانا لو تأملنا مجموع الاكتشافات والاعمال البشرية واسقطنا منها ما تم للناس بعد بلوغ هذه السن لتجلى لنا ان عمل الناس بعد الاربعين لا يعد شيئاً مذكوراً . فالعظائم قام بها العظام قبل ان يتجاوزوا الاربعين من اعمارهم . والعمر الحقيقي الذي ينتج فيه المرء ويبني به المجد هو ولا جرم بين الخامسة والعشرين الى الاربعين وان المرء اذا جاوز الستين ينقطع عمله ولا يستفاد منه بتة . قال وقد نرى من بلغوا هذه السن في الامم الراقية يعهد اليهم بادارة الحياة السياسية او التجارية او الصناعية ولكنهم قلما اغنوا الغناء المطلوب واثمروا ثمرة جنية .

على ان بعض المناصب قد يعهد بها الى اناس من ابناء الستين ولو وسدت الى اقل منهم سناً لحسن اثرها اكثر ولكن اناساً كثيرين اتوا بعد الستين من جلائل الاعمال ما هو من مفاخر الدهر امثال غلادستون وبسمرك ومولتكه . وبديهي ان ذلك لا يثبت ان اعمال الشيوخ ارقى من الرجال الذين استكملوا قوتهم وفي ذلك ما يدل على ان الرجل قد ينيف على الستين وهو حافظ لقواه العقلية في معاناة المطالب العالية .

لاجرم ان دعوى الاستاذ اوسلر منقوضة برجال جادوا والنفع تم على ايديهم بعد ان شابوا ووهن العظم منهم . ومن هذه الفئة « كانت » ملك الفلاسفة فانه لما نشر كتابه « نقد العقل المحض » كان ابن سبع وخمسين سنة . ولو صحت قضية اوسلر لكان « كانت » معدوداً في الغابرين منذ سبع عشرة سنة . ومن المحقق ان « كانت » قضى حياته كلها في

التأمل بفلسفته وليس ثمت دليل على انه قضى عمره بعد سن الاربعين منقطعاً عن كل عمل ولا يتأتى ان ندعي ان «كانت» لو مات في الاربعين لما خسر العالم بموته شيئاً من كتاباته ·

واذا بحثنا في حياة لابلاس الفلكي فانا نجده قد قال رأيه في نظام العالم حوالى سن الخمسين ولم ينجزه الا عند ما اناف على السبعين · وكذلك الحال في حياة «ليل» العالم بطبقات الارض مجدد هذا العلم فانا نراه قد اتم معظم اعماله بعد سن الاربعين ولم يتخلص من قيود تقليد ما تعلم الا بعد ان جاوزت سنه الاربعين ودخل في دور التجديد ·

وهكذا قل في داروين فانه بلغ التاسعة والاربعين ولم يكن قد اتى غير البحث وجمع الحوادث ففي سن الخمسين كتب كتابه «اصل الانواع» وكنا نعلم انه نشر اهم اعماله من سن الخمسين الى السبعين وكان عمره اثنتين وستين سنة عند ما كتب كتابه «اصل الانسان» · ويصدق على هربرت سبنسر ما يصدق على داروين في قوة العقل في الشيخ قوتها في الكهل والشاب او اكثر فقد بلغ هذا الحكيم الاربعين من عمره ولم يعمل غير استعداد لما يريد القيام به وهو لا يهتدي الى السبيل المؤدية اليه · اتت عليه اربعون سنة وهو لم يرسم «فلسفته التأليفية» الا رسماً خفيفاً وفي الثانية والاربعين نشر المبادئ الاولية وفي الثانية والخمسين نشر مبادئ علم النفس وفي السادسة والخمسين نشر كتابه «علم الاجتماع» وفي الحادية والستين نشر كتاب «العدل» ولما اتم اعماله كانت قد بلغت سنه الثمانين ·

واذا تخطينا رجال العلم والحكمة الى النظر في تراجم الساسة وارباب الرحل نجد كثيراً امثال بسمرك وتيرس بل وفرنكلين الذي خدم بلاده في السبعين من عمره وكان سبباً في تأسيس الوحدة الاميركية كما نجد خريستوف كولمب قد اكتشف اميركا في السادسة والخمسين من عمره وطاف ماجلان حول الارض وهو في التاسعة والاربعين · ولعل صاحب تلك الدعوى يقول انه لو كان غير هؤلاء واصغر منهم سناً مكانهم لعمل عملهم ولكن من الثابت ان من كانوا قبلهم وعلى عهدهم اصغر منهم عمراً ولم يأتوا ما اتوا ·

ولا يفوتنا هنا ذكر العالم الالماني هومبولد فانه كتب اهم كتبه «الكوسموس» وهو في السادسة والسبعين ولو صح قول الاستاذ المشار اليه لكان هومبولد منذ ٣٦ سنة قليل الفائدة على الجملة · وقليل في اسفار العلماء يحوي ما حواه كتاب هومبولد من بعد النظر وسعة المدارك · وكذلك كان شأن كيتي فانه كان ينيف على الستين عند ما رسم نظريته في الالوان وفي الخامسة والستين انصرف الى اعمال علمية لم يكن يعانيها من قبل ويرتز فيها وكان في الثمانين عند ما انجز كتابه «فوست» واحسن فصوله ما كتبه في آخر امره ·

ومن جملة علماء الموسيقى وانيير الالماني فانه لم يبلغ قمم مجده الا في الخمسين ومعظم

كتبه النافعة نشرها بعد الستين وكذلك الحال في هايدن الموسيقي الالماني وهاندل ٠ وفيكتور هوغو كان بعد الخمسين غيره قبلها وكذلك باستور ٠

وبهذا رأيت ان رأي الاستاذ اوسلر لا يخلو من غرابة وان كان فيه بعض الحق ٠ فالامر موقوف على نوع العمل الذي يعمل والصفات التي يحرزها العامل ٠ ومن الثابت ان كثيرين يعجلون كثيراً في الانقطاع عن تنمية قوتهم العقلية ويدخلون في مضمار فيعملون في الحال ما يلزم له دون ان يتمكنوا من زيادة شيء يذكر بعد ذلك فهؤلاء هم من الفئة التي يعجل لها قاتلة الفائدة ٠

ولكن الرجال الذين يثابرون على التعلم الى الخمسين او الستين ويظلون يبحثون ويوجدون الحقائق او يجزئون الافكار والقضايا وينسقون وضعها — الرجال الذين لا ينفكون عن تنمية عقولهم على الدهر بما يعانونه من الاعمال التي تستدعي اهتمام الذهن وانصراف القلب هؤلاء يدوم امد الانتفاع بهم ولو بلغوا ارذل العمر ٠ وكثيراً ما يتأخرون في الابداع والايجاد الى الاربعين والخمسين ويظلون يبدعون الى خاتمة اعمارهم اي السبعين والثمانين ٠ وما رأيناه من اعمال بسمرك وغلادستون ومولتكه في تغيير حال السياسة في ايامهم اكبر دليل على ان المعمرين ليسوا بنتائج عقولهم دون من لم يعمروا مثلهم في النشاط والفضل وان الشيوخ لا يلزمون بيوتهم بدون استثناء ويجلسون الى مواقد النار للدفء وقضاء الوقت في التسلية ٠

نفاضة الجراب

ويل للمطففين (١)

ا

قامت مدينة آبيري التجارية الصغيرة في جزيرة ايسلاندا في مكان بهيج على لسان من اليابسة يدخل في البحر ويتمثل للاعين ضيقاً لما يكتنفه من التلعات والمنحدرات العالية ٠ ولم يكن في هذه المدينة قديماً غير محل تجاري واحد وجواز تجاري صادر عن ملك الدانيمرك وهذا المحل يعرف من النظر اليه لاول وهلة ٠ والمعروف في تلك البلاد انه ملك رجل اسمه كربيور انشأ هذا البيت التجاري في دار قديمة العهد على ما تشهد بذلك اعلامها وراياتها وكانت

(١) قصة نقلتها المجلة البارزية الى الافرنسية من اللغة الدانيمركية لمؤلفها جستور بالسون وهو من مشاهير ادباء ايسلاندا له قصص صغيرة تتأثر بها النفس لما فيها من وصف الاخلاق والآداب ولفوائدها الاجتماعية العديدة وله هجو يفعل في النفس فعل السيف ليس فيه تقريع وشتيمة بل هو مجموع حوادث شوهدت وعاشت تدخل اعماق القلوب وتؤثر فيها الاثر المطلوب ٠

تمتاز بقلة ارتفاع حوائطها المتناسبة مع علو السقوف وكان في الشبابيك السفلى الواح صغيرة من الزجاج وفي الطبقة العليا غرف صغيرة وزوايا صغرى كأن الظلمة من مميزاتها .

اما الآن فان كريبور التاجر كان قد شاخ وابيضت لحيته كلها وكان ابن زهاء سبعين سنة ولكنه لم يكن في الحقيقة يعرف عمره على وجه الصحة اذ قد مضى عليه زمن طويل وهو لا يحسب ايامه واعوامه لانه قضى حياته في حساب امور اخرى اهم في نظره من غيرها .

مضى عليه نحو نصف قرن عند ما فتح مخازنه في آبيري ولم يصرف ساعة من هذا الزمن الا في ادخار المال بكل الوسائط وكان ذلك من السهل عليه اذ لم يكن ثمت احد يباريه في تجارته بل لم يخطر على بال احد ان يناهضه . وتعاقب جيلان من الناس بدون ان يحاول فرد فذ ان يقيم في تلك البلدة لينازعه في زبنه (زبائنه) .

فكان وحده مستأثراً بحلواء الارباح عرف من اين تؤكل الكتف فلم يراع في جميع اعماله الا مصلحة نفسه فكان الحاكم المتحكم في مدينته يقنن قوانينها ويتصرف بحلوها ومرها . فكل شيء يباع في محله بضعفي قيمته او بثلاثة اضعافه والبضائع التي يبيعها من الناس تساوي ثلاثة اضعاف اقل مما تساوي في اي محل من المحال التجارية في ايسلاندا وكان مع هذا لا تأنف نفسه من غش زبنه في كمية البضائع وكيفيتها ويتقاضى عند الحساب ثمن بضائع لم يبعها ولا استلمها المبتاع . ولذلك لم يكن مما يدعو الى العجب ان تقل البركة من آبيري وضواحيها ولا يجد اهلها فلاحا . كل ذلك وكريبور لا يهتم لما يجني على الناس ويكفيه على الدوام ان يزيد اعماله وارباحه .

وبديهي ان كريبور لم يكن محبوباً في بلدة آبيري اذ كان زبنه يعرفون كيف يعاملهم قبل ان يدخلوا مخازنه التي كانت قطعة من جهنم . ولقد شكا الناس كلهم من حاله الا ان الفقراء كانوا احق بالرثاء من غيرهم من السكان . وزد على ذلك فان كريبور تولى منذ زمن طويل زمام جمعية «الاحسان العام» واصبح يحجز صوف الفقراء ويختلس الاموال المجموعة لاعالتهم والادرار عليهم حتى لقد شاع على الالسن بان ليس في آبيري بائس يلجأ اليه الا ويرجع من لدنه افقر مما اتاه وكان من مبدإ كريبور ان الفقر مفسدة ابداً وان المخاويج كلهم من الكسالى والمسرفين وكل من يطلب معونته يعامله اسوأ معاملة فلا يعود اليه بعدها مهما برحت به تباريح الفقر المدقع . ومن اخباره ان بعض البائسين مدوا ايديهم اليه يستجدون نواله فضربهم عليها ضربة كسرها وبقي اثر الكسر بادياً عليها . بيد ان المضروبين ما قط شكوا امرهم لاحد . وذلك لما وقر في نفوسهم من ان دعواهم عليه لا تسمع لانه غني وتجارته ناجحة . فالقضاء ان لم يكن له فلا يكون عليه من اجل مظهره .

ومما لا شك فيه ان كريبور كان آية في نشاطه لا ينازعه في ذلك منازع بعمل حتى

يكاد يتصبب عرقاً كما يعمل الوحش الضاري وقد قبض بكلتا يديه على فريسته . فيا كر بكور الزاجر الى مخزنه قبل جميع مستخدميه ويخرج منه بعدهم كلهم ويتعب تعباً لا مزيد عليه بحيث لو جمع تعبه وقيس بتعب بضعة افراد من مستخدميه لرجح تعبه لا محالة . فكان يضع بيده المعاجين ويكيل بيده الخمر ويزن القهوة ويخاطب الفلاحين ويمسك دفاتره بيده ليقيد فيها ولم يكن في حاجة الى التقييد والحساب لانه يأخذ ما يشاء وهو لم يتعلم ولا يحسن الكتابة الا قليلاً . ولا يمنعه ذلك من ان يضع بيده الصوف والشحم في ميزان ويدفعه بيده قليلاً ليرجح . ومن العادة ان يطالب المبتاع ان يحسن الكيل والوزن ولكنه اذا طالب بذلك يضحك منه كريبور ويجيبه باسماً رافعاً كتفيه او مردداً بعض الالفاظ . فاذا ذهب الزبون يلتفت كريبور الى مستخدميه ويوعز اليهم ان يستعملوا الكيل والميزان كما يستعملهما هو ويريدهم على ان يطففوا ويتلاعبوا ويقول لهم ان مهارتهم في ذلك متوقفة على حسن التخلص بلباقة . ومع هذا فقد كان قاسياً من وراء الغاية في معاملة مستخدميه وقلما يقعد احد منهم عنده زمناً مع انه من الصعب ايجاد تجار آخرين يخدمونهم اذا خرجوا من محله وما كان يناديهم بغير الفظاظة والالفاظ الفجة الوحشية ويطعمهم ارداً طعام ولا يمتنع في الاحايين من صفعهم ليثبت لهم بان يده خفيفة في الضرب خفتها في النشل والنهب .

وما كان كريبور يُعنى بطعامه ولكنه قد يتأنق بعض الايام ويتناول قطعة من اللحم المحمر وقدحاً من الشراب وفي ذلك اليوم يدعو بعض اغنياء الفلاحين من اهل تلك الناحية لتناول الطعام معه ولكن هذه المآدب الخارقة للعادة تنتهي في الغالب على اسوإ حال وذلك ان الفلاح يذكر له في خلال الحديث الغلط الذي وقع في ورقة الحساب الذي كان بعث به اليه التاجر فيجيبه كريبور بحدة وتنتهي حالهما من الكلام الى الشتائم ومن الشتائم الى الملاكمة ويتهال الضرب على المدعو ويطرد من بيت التاجر طرداً .

ومن المحقق انه لم يلتئم احد معه قط وقد تزوج اربع مرات وماتت ازواجه الاربع سأماً من الحياة معه . وكان كريبور يتعزى عن فقدهن في الحال اذ لم تأت السنة على فقد الواحدة حتى يكون عروساً في آخرها . دام ذلك الى ان ترمل للمرة الرابعة . وقد رزق ولدين من زوجه الاولى ماتا كلاهما واسم البكر آرني كان ساقطاً حقيراً شريباً خميراً ابكره كل عمل حتى انتهت الحال بوالده ان طرده من بيته فاخذ يقرع البيوت ويستجدي الاكف في آبيري وهو يسكر حيثما نزل وكيفما اتجه . ثم سدت في وجهه جميع الابواب فرجع الى دار ابيه طالحاً سكراً فطرده ابوه ولما لم يقدر ان يقف على رجليه زحف الى الباب (قبو) وكان غير مقفل كاينبغي فشوهد من الغد ميتاً وهو ملقى على كوم من الصوف اما ابنه الثاني المدعو يوحنا فكان على العكس من

اخيه حسن السلوك ذكياً للغاية عاملاً لا يكلّ ولكنه غرق بينا كان يسبح في البحر في العشرين من عمره في آخر سنة له في المدرسة فكان فقده على كريبور اول يوم حزن فيه مدة حياته . فقد تلقى مصابه بفقد زوجاته الاربع غير مكترث لما اصابه ولكنه لما كان يذكر امامه ابنه يوحنا كان وجهه يتغير على ان حزنه عليه لم تبد في وجهه اماراته بكثرة واكتفى بان يقول ان دفن الميت يكلف كثيراً وان جميع الشعائر التي تقام في الجنازة لا تفيد الميت شيئاً ومن رأيه ان يجعل الميت في تابوته وان يحمله اهله الى المقبرة بدون توسط احد من رجال الدين لما في ذلك من الاقتصاد في النفقة والتخفيف عن الميت وآله .

وكان اسم زوجته الاخيرة كودرون وهي انشط نسوانه الاربع ولما بنى بها كريبور شعر بالشيخوخة وضعف الذاكرة وتقهقر الاشغال . ولكنها عند ما استلمت ادارة بيته وضعت كل شيء موضعه وسار كل شيء على نظامه واخذت تجارته حياتها السالفة وذلك لانها كانت منتبهة للغاية فتدخل مرات كل يوم الى المخازن على غفلة لتفاجئ المستخدمين وتنظر في الدفاتر وتحقق الحسابات وتكلم الزبن اذ كان لسانها فصيحاً كما كانت يدها رشيقة وحركتها خفيفة . على ان الشيخ كريبور لم يرض عن زوجه لانها كانت تتراءى له بانها تكلفه من النفقة اكثر ممن تقدمها من زوجاته . ويعتقد انها مسرفة لانها تريد ان يكون لزوجها ما يجب ان يكون له وان يقبض كل واحد اجرته وهو مما يسميه جنوناً وقلة تدبير . وعند ما كانت تطلب منه دراهم كان يردد ابداً عليها نغمة واحدة وهي : ان القليل الذي استطعت ان اقتصده سيبذر في الحال عند ما اقضي نحبي ... بيد ان ما تنبأ به لم يتحقق قط فماتت كودرون بعد اثنتي عشرة سنة من زواجها بكريبور وعاش هذا بعدها طويلاً .

ولم تخلف كودرون ولداً فانحصرت ذرية كريبور في طفل اسمه ماركوس وهو ابن ابنه يوحنا المتوفى وكان ولداً معتقلاً ولكن صورته مزرية وقليل النشاط والحركة فتبناه جده بعد ان فكر زمناً ان يتركه عالة على المدينة ولم يرض بقبوله في بيته الا تخلصاً من ان يكون فريداً وحده ولا عقب له .

٢

ماتت كودرون فكان موتها فاتحة سوء الطالع على كريبور فاتخذ له خادمة بعد اخرى وكلما غير خادمة تزداد حال بيته اختلالاً فهن لا يعرفن الا الانفاق ولم تجرأ واحدة منهن ان تعمل له عملاً نافعاً لان الشيخ كان كثير الظنون والسارقات والسارقون يعبثون باموالة في كل مكان . على ان حذره لم يحل دون دخول فساد على اعماله فاخذ المستخدمون لا يخافون بأسه وكل منهم يسرق من المخازن ما يروقه ناسياً بالقصد ان يقيده فدخلت تجارته في دور الانحطاط واصبح كريبور اذا غضب واراد ان يعاقب المتلاعب من كتبته وخدامه

يسكون بذراعيه ويديه ولا يفلتونها الا اذا رضي بان يعود الى السكون ولا يعمد الى العربدة

وحدث في غضون ذلك حادث كان فيه القضاء المبرم على هذا التاجر ومحله وذلك ان تاجرين غريبين جاءا ذات يوم الى آبيري وانشأ آ محلاً تجارياً فاخذ زبن كريبور يتخلون عنه واحداً بعد واحد فخفض اسعار بياعاته الى ارخص مما يبيع ذانك التاجران وزاد في رواتب مستخدميه الا ان ما اتاه لم يأته بفائدة وارتفعت ثقة الناس من محله منذ زمن واصبح في الحور بعد الكور وفي الخسران بعد الربح حتى لم يعد يرض احد الفلاحين ان يعامله مخافة ان يعود ثانية فينشب فيه مخالبه ولكن كريبور بذل جهده في مقاومة سوء البخت فكان يدفع كل سنة من ماله عجزاً كبيراً .

وكان من هذا الجهاد ان قلّ ماله بالتدريج وكل ما يصرفه من ثروته على هذه الصورة كان في الحقيقة لحمه ودمه فاستولى الضعف على قواه الطبيعية وحل الوهن محل القوة التي كانت عضده في شؤونه خلال خمسين سنة واقام عنه وكيلين لادارة اعماله ولم يكن منهما الا ان زادا الطين بلة واخذا بسوء سلوكهما يبعدان الفلاحين عن معاملة المحل كما كانوا من قبل وكانا يصرفان معظم النهار في ملاطفة صاحب المحل ليحلا من قلبه مكاناً يتذرعان به الى نيل مآربهما منه ومن ماله فيحتالان على مدح جميع اعماله ليحرزا ثقته ولم يكن الى ذاك العهد قد وضعها في انسان وما اقتربا منه الا ودعواه بيا « صديقي العزيز » ويقال انهما كانا يسرقان من الصندوق اكثر مما كانا يضعان فيه من الدراهم .

وبعد ذلك وفق كريبور الى الظفر بخادمة على هواه تتولى امور بيته اسمها مريم جاوزت الخمسين من سنها وتمرنت في خدمة البيوت ومعاناة الرجال وكان ما يرضيه من طباعها في الاكثر هو انها تمقت كل المقت ما كان يسميه بالنظافة والنظام اللذين لا فائدة منهما فلا تمسح ارض الدار الا في الاعياد الكبرى ولا تكنس الغرف الا صباح الاحد ولا تعنى بزينتها الا اذا بقي لها وقت فكانت « فرشات » الثياب يطول عمرها معها لانها قلما تستعملها في نفض الثياب . تخف ابداً الى الاقتراب من ذاك الشيخ وتطيعه لاول كلمة يفوه بها وتقص عليه ما يجري في الدار والمخزن والمدينة وما يقال فيها ومالم يقل وتنسب سوء القصد لكل من كان لكريبور بعض الثقة فيهم وتزيف اقوالهم وتوردها في قالب لا يفهم منه الا عكس ما يراد منها ثم تعرض عليه بان الناس كلهم يسرقونه اذا لم يعهد اليها بان تراقبهم .

فوقع كلامها من قلب الشيخ موقع التصديق حتى زادت ثقته بالناس ضعفاً واقتنع بانه محفوف بفئة لا غاية لها الا ان تنهب ماله حاشا مريم فانها الوحيدة التي ما عراه شك في امانتها ولم تكن مريم تسرق مالاً بل توفر من جميع النفقات ولا سيما من الطعام وخصوصاً طعام المستخدمين فيدخولها بيت التاجر دخله الجوع . ومن المميزات التي اختصت بها مريم

انها كانت تحسن الانتفاع بكل شيء وما قط طرحت بقية من بقايا اللحم ولذلك كنت تستنشق في غرفة كريبور التي يقف فيها عندما يترك مراقبة المستخدمين روائح كريهة منبعثة من تلك اللحوم المدخرة

عرفت مريم كيف تحسن معاملة زوجها وتستولي على عقله كما تحسن معاملة الناس وتخدعهم وكان صوتها رقيقاً تتلطف مع الزبن وتلاطف الاولاد وتوهم كل من يكلمها لتتوسط له امام كريبور انها مساعدته فيما يريد وانها مبرأة من كل غاية الا من النفع العام على انه لم يحدث من اثر هذه الغيرة كلها ما يعود على محل التاجر بالفلاح واخذ الانحطاط يزداد في اشغاله يوماً فيوماً على ما تبذله هذه الخادمة من وسائط نجاحه .

وكان لكريبور في غرفة مجاورة للغرفة التي ينام فيها خزانة من شجر الكابلي جعلها صندوقاً لوضع ماله ولما كانت اعماله سائرة على قدم النجاح قديماً كنت ترى جرار الخزانة طافحة بالنقود الذهبية والفضية وفي وسطها اكياساً ملأى فاخذت هذه الاكياس تنقص شيئاً فشيئاً منذ انحطت تجارته حتى لم يبق واحد منها بل قلّ ما كان في الجرار من النقود وفرغ كثير منها بتة .

٣

حدث ذات يوم من ايام الخريف بعد ان عادت القطعان من المراعي ان منافسي كريبور في تجارته باعوا من فلاحي آبيري كثيراً من البضائع انتهم بارباح وافرة ولما نمي الخبر اليه انزعج انزعاجاً شديداً واصابته سكتة دماغية فوقع في مخزنه لاحراك به فنقل الى غرفته واضجعوه في سريره واستدعوا الطبيب . وكان هذا شاباً لم تمض بعد سنوات قليلة على نيله الشهادة سكن في تلك البلدة حديثاً . فحف فحص المريض فرآه غائباً عن رشده فقضى الليل كله بالقرب من سريره وهو يمرضه ولما طلع النهار رجع الى الشيخ كريبور صوابه

ودام دور نقاهته طويلاً وانشأ كريبور يسير على رجليه قليلاً حتى استطاع ان يطوف محله زاحفاً وكان الطبيب يُعنى بصحته كثيراً . وكان هذا الطبيب قد حاز ثقة الجمهور لا لحذقه بل لانه اشتهر بالنصح .

وما كان للشيخ كريبور اعتقاد كبير في الطب لان صحته القوية قد اغنته عن الالتجاء اليه على ان الدكتور « توردور » قد استولى في الحال على عقله وكلما كان يزوره يتهلل وجه الشيخ كريبور بشراً وطلاقة . فكان الناقه ينتظره وهو جالس على كرسيه الكبير طول النهار ساكتاً لا يتكلم كالحجر الاصم وكانت الضربة قد اصابته في جانب فمه فالجمته فلم يعد يتكلم الا ببطء شديد ولا يلفظ في الاحايين الا بعض مقاطع من الحروف كثيراً ما تكون مبهمة لا تفهم .

اشار كريبور ذات يوم بعد ان انصرف الطبيب من غرفته الى خادمته مريم ان تقترب منه وسألها ان تقرأ له شيئاً فاخذت من صندوقها التوراة وكانت الكتاب الوحيد الذي احتفظت به طول حياتها ففتحت باب رؤيا القديس يوحنا الانجيلي وقرأت الآيات التي ورد فيها ذكر تعذيب من يعذبون في النار والكبريت ولا ينالهم الراحة ليلاً ولا نهاراً

فقاطعها كريبور والغضب آخذ منه قائلاً : ما انحس هذا النبي يوحنا يتكلم عن هذه النار وهذا الكبريت اللذين ليس لهما اساس . وحدّق بها بعينيه اللتين كانتا تبرقان بشرر الغضب فذعرت منه حتى ارتجفت كلها وعادت فأخذت بيدها الجورب الذي كانت تحيكه قبل أن تشرع في القراءة له . اما كريبور فلم يرفع نظره منها وظلّ ساكتاً لا يتكلم واخذ وجهه ينقبض ابشع تقبض من هيئة الى اخرى ويحرك ذراعيه كأنه يريد ان يطرد احداً يهدده بالقبض عليه . وكانت غرفة الخادمة متصلة بغرفة سيدها فذهبت اليها عند ما رأته قد نام الا ان النوم لم يجئه في تلك الليلة ولم يتمكن من اغماض جفنيه وترك نظره يسرح وهو في قلق يبدو عليه في غرفته واخذ من وقت الى آخر يتنهد ويلفظ كلمات متقطعة .

وكان بالقرب من سرير كريبور منضدة صغيرة يضيء عليها مصباح في الليل منذ وقع مريضاً ومن عادة مريم ان تنزل الفتيل للاقتصاد من الزيت وهكذا رسمت ظلال مشوشة على الحائط . وفي تلك الليلة اراد كريبور مخالفة عادته في ترك الفتيل صغيراً بحيث لا ينطفئ فقط واراد ان يكبره ليكون ضوءه كثيراً لان الظلام كان يخيفه .

فظنت مريم ان الشيخ راقد واخذت تسير نحو غرفته سيراً لطيفاً فلما سمع وقع قدمها صاح والذعر آخذ منه : مريم مريم . فاجابته فقال لها انظنين بان الموت سيأخذني ؟ فقالت له : ان الموت بعيد عنك لان صحتك تحسنت كثيراً عن ذي قبل وعما قريب ستشفى كل الشفاء فاجابها بقوله : نعم صحتي احسن وقريباً أشفى ولا اموت .

ثم سكت وخفت مريم بالانصراف من غرفته فناداها قائلا : اتعتقدين يا مريم انني سأذهب الى النار متى حلّ بي ريب المنون ؟ فاجابته : انت تروح الى النار سامحك الله على مثل هذا الفكر اما انا فلا اعتقد بانه يخشى عليك من النار . ولما سمع ذلك اجابها : نعم لن اذهب الى النار . ثم غاص في بحر السكوت من جديد وعاد فقال لخادمته : هل عملت شراً وارتكبت كبيرة اعاقب عليها ؟ فقالت له كلا انك كنت سليم الصدر ابداً وما قط اسأت الى انسان وعلى العكس فان كثيرين قد اساؤوا اليك فنهبوا منك مالك وخدعوك بكل حيلة من احابيلهم . فاجابها بقوله : نعم ان الناس اساؤوا اليّ . اساؤوا اليّ هؤلاء الملاعين .

ثم استولى السكوت عليه وقال بعد لحظة : انظنين ان من خدعوني يروحون الى جهنم .

فقالت له : اذا نجا احدهم من النار فيكون في نجاته وجه الغرابة . فاجابها : ان المسألة ظاهرة وسينتقم المولى لي منهم اذ يرى انني عاجز عن الانتقام بنفسي لنفسي والا لما كان ثمت عدل. فنهضت مريم ورتبت وسادتي كريبور ووضعتهما وضعاً حسناً تحت ابطيه ليتمكن من الجلوس وتسريح النظر في الغرفة وبعد ذلك انصرفت لتنام واطبق كريبور جفنيه ولم يعد يتحرك حتى ظننته قد رقد . الا انه لم يلبث هنيهة ان فتح جفنيه واخذ منه الهلع وهو يحدق في زاوية الشباك ويصرخ « هناك في تلك الزاوية ضوء انجدوني ! » فقفزت مريم الى الارض واسرعت فاوقدت المصباح فبدد النور غياهب الظلمة وصارت الغرفة كأنها في رابعة النهار . وكان العرق يكلل وجه كريبور ويحاول ان يمسحه وهو يفيض عليه وعيناه تشخصان الى كل ناحية من انحاء الغرفة ذات اليمين وذات الشمال وفي اعلاها واسفلها وشعره الابيض كالثلج مسترسل على جبهته وعيناه تنظران وتحدقان والهلع آخذ من قلبه مأخذه . فاخذ يسأل مريم قائلاً : يامريم اتعتقدين بان هناك جهنم ؟ فاجابته ان سؤالك عن النار اشبه بمن يسأل عن وجود الله تعالى . فقال لها : اذاً فانت ابتها المجنونة المقدسة تروحين اليها والناس كذلك ولا سبيل الى النجاة منها . فلم يسع مريم الا ان قالت له : لاتفكر في هذا ليس ثمت مسمى لهذا الاسم (جهنم) . فاجابها نعم ليس ثمت جهنم . والتفت كريبور الى الحائط واطبق جفنيه وقال لها : تسهرين هنا طول الليل ولا تطفئي المصباح بل اتركيه موقداً يسطع بنوره . قال هذا وهو ينظر الى السقف ثم تقلب وعند مارأى مريم قد جلست بالقرب من سريره وانها اضاءت المصباح واوقدت مصباحاً آخر بدا عليه الاطمئنان واستغرق بعد ذلك في النوم فنام حتى الصباح .

ولما استيقظ واجلسته مريم في كرسيه حضر الطبيب فسأله عن صحته ثم كلمه في شؤون وشجون الا ان كريبور كان مشغول القلب فلم يجب طبيبه بغير « لا » و« نعم » ثم انقطع الطبيب عن كلامه فانشأ المريض ينظر الى الطبيب وحاول ان يضحك من شق فمه الذي لم يفلج وقال له : يقال ايها الدكتور انك لاتعتقد بشيء . فاجابه الدكتور قائلاً : ما من احد الا وهو يعتقد بشيء ياعزيزي كريبور . فقال هذا : اعني بقولي ياحكيم انك لاتعتقد اي انك لاتعتقد بالشيطان . فاستضحك وقال وهو يدرك ما يجول في خاطر صاحبه : او تعتقد بان للشيطان وجوداً ؟ فقال كريبور : كلا ! وجود للشيطان . قال هذا وحاول ان ينهض من كرسيه وامسك يد الطبيب فقال : كنت اعرف حق المعرفة بان ليس ثمت شيطان ولا جهنم ايضاً . فقال الطبيب : نعم انا على ثقة من ان الشيطان وجهنم لا وجود لها . فاجاب الشيخ المريض : انك تعرف ذلك وانت الذي درست العلوم واحكمتها . فقال

الدكتور : لا يعترف العلم بوجود شيطان ولا جهنم · فقال الشيخ اذا كان العلم لا يعترف بوجودها فذلك لانه صحيح · قال هذا وقد اخذ مقعده من كرسيه واطبق جفنيه وسطع في وجهه بريق الفرح ثم همس قليلاً بصوت يكاد لا يفهم قائلاً : نعم ليس في الوجود شيطان ولا جهنم العلم يعرف ذلك ومن اعرف من العلم بمثل هذه الامور · ثم فتح عينيه واخذ يحدق في الطبيب وامارات الشك تقرأ في وجهه كأنه يريد ان يبحث في ذهنه عن امر لا يعثر عليه وينتظر الطبيب ان يعينه عليه ·

الا ان الطبيب سكت وهو يتأمل في كريبور ويتلو في جبهته ما ينمّ به قلبه الذي لا يكتم السر كالصبي · ثم ظهر كريبور في مظهر من زال عنه همه واخذ يد الطبيب وقال له : وماذا يقول العلم عن الحياة الثانية ؟ فاجابه الطبيب العلم لا يستطيع ان يبين حقيقة العالم الثاني فان هذه المسألة من المسائل الاعتقادية · ثم سأله : وهل انت يا دكتور تعتقد بالآخرة ؟ كلا لا اعتقد · فقال المريض الظاهر ان ليس هناك آخرة اذ العلم لا يعترف بها ولا يثبتها · ثم مُلكت على الشيخ كريبور مشاعره وسكت وأخذ يهز رأسه وفتح فاه واغلقه ثم فتحه ثانية واغلقه · وبدا على سحنته ان في قلبه سراً يريد ان يحل مشكلته وحاول الابتسام وان منعته شفته المفلوجة منه وقال : من البلاهة بل غاية في البلاهة ما يذكرونه عن الجزاء بعد الموت وهل للجزاء من حقيقة ؟ فاه بهذا السؤال وهو محتاج لجواب ايجابي فكان جواب الطبيب له : اذا عنيت بالجزاء ان على المرء ان يذكر ما قدمت يداه وان هذا هو الجزاء فانني لا ارى فيه شيئاً من البلاهة ولطالما اعتقدت بان كل امرىء في ذاته بل الانسانية بمجموعها يجب عليهما ان يحاسبا عاجلاً او آجلاً عما اتياه من الاقوال والافعال في هذه الحياة الدنيا · ولما سمع الشيخ هذه العبارة قال : انني لا افهم · فاجابه الطبيب : ومع هذا فانت مدرك ما اعتقده من انه لا بد من وقت يجيء في هذه الحياة ايضاً يكافأ فيها الخير ويعاقب الشر · فقال الشيخ يجازى في هذه الحياة بالذات هذا غير ممكن بل متعذر كل التعذر ·

ولما فاه الشيخ كريبور بهذه الكلمات فاه بها بلهجة الفزع وقد تمسك بذراعي الكرسي وهو يحدج الطبيب ببصره وقال : كلا انك لا تقول ما تفكر فيه وما انت الا مردد لما كنت سمعته فقل لي ماذا يقول العلم وما اظن العلم يقول بما انت تدعيه فماذا يعلمك العلم ؟

فاجابه الطبيب : ليس للعلم في هذا الموضوع شأن وما انا الا مصرح لك باعتقادي بعد تجاربي الخاصة ومعرفتي في الحياة · فلما سمع المريض ذلك حاول ان يقلل الشدة لانه لاحظ ان ما صرح به من معتقداته قد اثر تأثيراً شديداً في المريض فاستلقى على ظهره في

الكرسي من جديد واخذ يطبق عينيه ويفتحها و يطوف الغرفة والفزع الشديد آخذ منه واصفر وجهه اكثر من ذي قبل واصبحت يداه بلا حراك على ذراعي المقعدوقال: تجاربك ايها الطبيب تجاربك تقول بذلك ؟ فقال الطبيب : نعم هذا هو اعتقادي اعتقده وا كرره واقول غير هياب ولا وجل ان كل امرىء في هذه الارض يجازى عما قدمت يداه ان خيرًا فخيرٌ وان شرًّا فشرٌّ وتؤخذ منه الفائدة (الربا) وفائدة الفائدة اضعافًا مضاعفة ·

فلما فاه الطبيب بهذه الجملة نظر اليه كريبور نظرة من يجب الاقتناع بان هذه الافكار هي من الافكار الخاصة للدكتور ليس الا وقال : نعم الفائدة وفائدة الفائدة ولكن هذا القول فظيع وهو معتقد غير مقبول ·

وهنا ادرك الطبيب ان هذا الحديث لا يزيد المريض الا ضيق صدر فقاطعه وقال: عليك ياصاح ان تطرد من ذهنك الافكار السيئة وان لا تفكر الا في شفاء جسمك وان تساعد على نقاهتك ما امكن وها قد اصبحت احسن صحة من ذي قبل فما عليك الا ان تعنى بالشفاء كل العناية · ثم سلم وانصرف

فنظر اليه كريبور حتى اذا غاب عن نظره عاد يحدق في كل مكان محاولاً ان يجلس في كرسيه بحيث كان ينظر الى الغرفة بمجموعها وانه لكذلك دخلت عليه الخادمة فقال لها ادعي ماركوس فقد تاقت نفسي الى رؤيته · فنادت مريم هذا الولد وكان في غرفة في الطبقة العالية يستعد للذهاب الى المدرسة وكاد يأتي على صفحة من كتاب النحو اللاتيني ويستظهرها كلها · فخف الى غرفة جده وكتابه مفتوح في يده واخذ مقعده في زاوية من زوايا الغرفة · ولما سمع كريبور بقدوم حفيده سكنت نفسه بعض الشيء واغمض عينيه ليحاول ان ينام ولكن استيقظ مرتجفًا قائلاً : ياماركوس هل انت عندي ؟ فاجابه الولد نعم ياجداه انا هنا ·

ومنذ ذاك اليوم اصبح يجيء الولد الى غرفة جده كل يوم ولم تنعكس صحة هذا ولكنها لم تحسن ايضًا وعلى هذا النحو مضى الاسبوع · والطبيب يعود مريضه كل يوم وقد ظهر له ان كريبور يكاد لم يستعد قواه الا ببطء شديد · ولم يعودا يبحثان فيما بينهما عن المعتقدات وقد حاول المريض ان يعود الى الخوض في هذه الموضوعات ولكن الطبيب كان يقاطعه ويدخل في شؤون اخرى ·

مضت على ذلك ايام والعجوز لا يترك كرسيه الا للنوم في سريره وقد حدث انه جرّ نفسه مرة وحده وساقاه ضعيفتان الى المخزن وكان متصلاً بداره ولم يلتفت في الحقيقة الى ما كان يجري فيه امامه وقد هدد بيده المستخدمين الذين كان يعتقد انهم يزنون ويقيسون

على الاصول وعاد فاستشاط غضباً منهم على نحو ما كان يغتاظ ايام صحته عند ما دار في خلده بانهم يحسنون الكيل والوزن والقياس . واتت عليه ساعات وهو يردد ما قاله لبعض مستخدميه عند ما رآهم يزنون بالميزان ويقيسون بالمقياس : لا تزنوا هكذا بل اقل من ذلك والا فانا ... وبقي يردد هذه النصيحة بدون ان يكلم احداً بعينه ولكن هذا التهديد كان ينبعث من فؤاده كأنه عام لجميع من يخالفون ارادته

ولم يطل مقامه في غرفته وهو يشعر بانه احسن حالاً فيها من حيث الصحة واخذ يطوف غرفته ويتماسك وكان عليه لما فيه من الضعف ان لا ينهض من سريره ولكنه كثيراً ما يمشي في ألبسته الرثة ويقف امام الشباك ويهز رأسه ويقول وهو صموت بل يحنق ويقول همساً : مع الفائدة وفائدة الفائدة ! يقول هذا ثم يهز رأسه هزة غريبة وينظر الى كرسيه الكبير فيقع فيه ويطبق اجفانه وينام ولكن نومه لا يطول فيستيقظ في الحال كأن قلقاً عظيماً اخذ من نفسه مأخذاً ويسحب نفسه متثاقلاً نحو الشباك ويطل على ما وراء غرفته ويعاود تلك الكلمات التي طالما رددها وهي : مع الفائدة وفائدة الفائدة .

وكان حفيده ماركوس يتألم من اخلاق جده اكثر من غيره لانها كانت في الغالب سيئة وكان جده اذا استغرق في افكاره يكلم نفسه ثم ينادي : ياماركوس ياماركوس اين انت يامضحك ؟ فيجيبه هاءنذا ياجداه . ويقرب منه وفرائصه ترتعد فيسأله الشيخ المريض ماذا تعمل يا كسلان ؟ فيقول اتعلم النحو ياجدي . فيجاوبه : تتعلم النحو ومن قال هذا ياممتوان اذهب وزن لي سكراً ناعماً . يقول هذا وكأنه يمد يده الى الولد ليصفعه ولكن هذا يغطي اذنيه بيديه لينجو من الصفع . ويذهب الى المخزن كالسهم المرسل فيأتي جده في اسرع من لمح البصر بالسكر الذي طلب منه احضاره ويجيء به حاملاً كيساً منه بكل قوته ومعه اكياس صغيرة ويأخذ عملاً وهاهو يزن في ميزان صغير وضع على منضدة فها هو الان يقول له جده لا تكثر يانحس واجتهد بان تعطي ابداً قليلاً فالناس لا يدركون الكمية التي انت تضعها . ثم تكمد جبهة الشيخ وبعد هنيهة يعود هذا فيصرخ : اين انت ياماركوس ياغبي ؟ فيخف اليه الولد وهو خائف يترقب وقد وضع يديه على أذنيه ويتقدم نحو كرسي جده قائلاً : هاءنذا ياجداه . فيسأله ماذا تصنع ؟ فيقول له انني ازن سكراً . فيعود فيقول ومن قال لك ذلك ؟ واين كتابك في النحو ؟ فانت تزن سكراً بدل ان تتعلم دروسك يا كسلان وتتظاهر بانك تتعلم مع انك لا تصلح لشيء

وعند ذلك يجر الولد الكيس في المخزن ويرجع الى زاويته ولكن كريجور لا يتركه زمناً مستريحاً فتارة يطلب منه وزن السكر واخرى يدعو اليه بدروسه وهكذا دون تسلسل في افكاره ولا رابطة في اوامره .

٤

ولما نقه كريمور ذات يوم بعض النقاهة طرد ماركوس من غرفته واغلق الباب اغلاقاً محكماً ثم اخرج من جيبه حزمة من المفاتيح وكانت مفاتيح خزانة الكابلي وما كان يفارقها قط . حتى كان يذكرها في اضيق حالات مرضه ويضعها تحت مخدته . فذهب اذ ذاك نحو الخزانة وفتحها واخرج منها الجرار واحداً بعد آخر وقد اصبحت معظمها فارغة الا قليلاً وكان بعضها فقط يحتوي على قليل من النقود الذهبية فجردها كلها بيده ثم وضعها وهو يهمس قائلاً : فقد ذهبت كلها ولم يبق الا القليل ! ثم عالج قفل صندوق كبير فاخرج غطاءه ولم يكن فيه غير كتاب متوسط الحجم فلما رآه وقف قليلاً وهو يحدق فيه ثم اخرج القفاز من يديه وتقدم من الشباك ورفع طاقيته فوضعها على المنضدة وفتح الكتاب ولم يفتحه ليقرأ فيه بل انه لم ير صفحة اسمه وهذا الكتاب هو تفسير الكتاب المقدس باللاتيني كان لابنه الصغير عند ما كان في المدرسة . ولم يقرأ ما فيه ولكن نظره وقع على الصفحة التي كتب عليها بيد طفل مبتدىء هاتان الكلمتان « يوحنا كريمور » وبقي ينظر في الكتاب ملياً وهو يمسكه بيده وعيناه ناظرتان لهذا الاسم وهما لا تريان غيره وعندها فاضت بالعبرات فتساقطت على الاسم وعلى الصفحة وحاول ان يكفكفها بكم قميصه الممزق . وعند ذلك اطبق الكتاب ووضعه في الصندوق وادخله في الخزانة واغلقها ووضع «طاقيته» على رأسه وقفازه بيده وراح يخطر في الغرفة وسرموجه (شبشب او صرماية) في رجله ليسمع صوته . ووقف جاعلاً رجله على الاخرى بالقرب من النافذة ونظر الى خارج وتنهد وهو يكلم نفسه قائلاً : مع الفائدة وفائدة الفائدة ولعل هذا صحيح ؟ ثم علت وجهه الكآبة والحزن

٥

وفي بعض الايام دخل ماركوس الصغير وهو يبكي الى المطبخ حيث كانت مريم قائلاً : ان جدي مات في كرسيه . فقالت له وكيف ذلك ولم تكن حالته في خطرانه لم يكن وجوده حملاً ثقيلاً علينا ثم قصدت الغرفة فوجدته ملقى على الدف وقد ظهر لها انه جاءته نوبة وهو في كرسيه وادركت في الحال انه لم يمت فحملته الى سريره واستدعت الطبيب فحضر ورأى كريمور غائباً عن رشده وعيناه مغمضتان وقد فلجت جميع اعضائه . فوقع الطبيب في حيرة ولما سألته مريم فيما اذا كان ثمت امل في الشفاء لم يجبها بكلمة فامر بان يوضع على رأسه خرق تجعل في ماء فاتر وان لا يقصد الا ان كريمور فقضى الليل كله وجميع نهار الغد بدون حركة . وعند المساء فتح عينيه قليلاً ورجفت يداه وكان ماركوس جالساً على

صندوق بالقرب من سرير كريمور وعيناه تفيضان بالدمع وهو ينظر الى جده ومريم واقفة بالقرب من الشباك ترتب الكراسي ففتح كريمور شفتيه قليلاً كأنه يريد ان يتكلم وتنفس الصعداء فلم يبن منه الا مقطع واحد من مقاطع الحروف وهو الفا الفا اي الفائدة وهي الكلمة التي طالما رددها بقوله الفائدة وفائدة الفائدة ثم اغمض عينيه وعاد الفالج فاستولى عليه فجأة وارتعشت اعصابه واخذت عينه تتجه صوب حفيده قائلاً له : مار .. مار .. ماركوس ! . فاجابه الطفل : هاءنذا ياجدي فقال وما تصنع ؟ فاجابه : لا شيء ياجدي

ثم ظهر كأن عينا كريمور خرجتا من محجريهما واكمد وجهه وقال بصوت لا يفهم : الفا ... حنا ! ثم عانى كثيراً وحشرجت روحه وتقلصت شفتاه وحدق بعينيه في السقف وراح لاحراك به . فتقدم كل من مريم وماركوس نحو سريره . فقالت المرأة : لقد مات ! فوقع الولد من الصندوق الذي كان جالساً عليه ووضع يديه على وجهه وشهق بالبكاء كأن صدره اوشك ان يتصدع . اما مريم فكانت تنظر الى تلك الجثة الجامدة ولا فكر لها الا ان تطمئن وتتأكد انه مات حقيقة . ولما ثبت لديها موته القت بيدها الى تحت مخدته وتناولت حزمة المفاتيح . ثم اغلقت باب المسكن ودخلت على حين غرة الى الغرفة التي كانت فيها الخزانة وفتحتها . وصرفت وقتاً في معرفة كل مفتاح وجراره الا انها تمكنت من ذلك بعد العناء ولما فتحتها قالت والغضب آخذ منها : فارغة كلها فارغة لعنة الله عليها كلها فارغة .

ورأت في اسفل احدى الجرار بضعة نقود ذهبية وفضية فاخذتها ووضعتها في جيبها وهي تنظر الى خلفها مخافة ان يباغتها احد . ثم نظرت ذات اليمين فبصرت بصندوق فبرقت لرؤيته اسارير جبهتها وقالت كنت على ان انساه ولعل فيه الخير الكثير وبعد ان عالجته طويلاً فتح لها ولكنها لم تجد فيه غير كتاب التفسير . فقالت وقد استشاطت غضباً وماهذا الكتاب العتيق وما السر ياترى في اخفاء هذا الكتاب في الصندوق الكبير فما عتمت ان اخذته والقته طعاماً للنار واغلقت الخزانة وعادت الى غرفة الميت فرأت ماركوس ينتحب ويبكي فوضعت حزمة المفاتيح تحت مخدة كريمور وخرجت تاركة الباب وراءها مفتوحاً قليلاً وذهبت الى المخزن تنادي المستخدمين قائلة ان معلمكم قضى نحبه فتعالوا اعينوني حتى نقوم بما يجب اكراماً له فهبوا الى غرفة الميت اما هي فاقتربت من ماركوس وانحنت عليه بحنان واخذته الى ناحية وقالت له : « لاتبك يابني » ثم انشأت تمر يدها على خديه وجعل الولد يتمسك بعنقها فقالت له بصوت كئيب : مات المحسن الينا فيالهمن خطب جسيم ياماركوس عزاؤنا في اننا سنراه في السماء فالله رحيم وهو سيتفضل علينا ذات يوم ان نشاهد من اسدى الينا اياديه . وما جدك ياولدي الآن الامع الابرار في السموات العلى !

المقتبس

الجزء الثالث من المجلد الثالث

ربيع الاول سنة ١٣٢٦ موافق ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٨

المعتزلة

من العادة ان كل فرقة او اهل مذهب اذا ارادت ان تصف الفرقة المخالفة لها تبخسها حقها و ربما نسبت اليها ما لم تقله اعتقاداً منها بان تنفير الناس عن المخالف والدعوة الى المذهب لا يتيسران الا بهذه الطريقة الغثة الباردة حتى ان بعضهم جوزوا الكذب على المخالف وما تدري اي دين سماوي او مذهب فلسفي يجوز الكذب في امثال هذه المسائل . والمعتزلة ما خلوا ممن يرميهم بما ليس فيهم خصوصاً ايام استحرت المجادلات بينهم و بين الفرق الاخرى من اهل الاسلام ايام كانوا ممتعين على عهد اوائل الدولة العباسية بحريتهم الدينية على اصولها ولم يلاقوا من ارباب السلطة شدة ولا عنتاً . وقد كثر بحث الغربيين في العصر الاخير عن المعتزلة ومنشإهم حتى قال بعضهم ان من سوء طالع المسلمين ان ينقرض المعتزلة فانهم كانوا معدلين لامزجة الحكومات وارباب المذاهب الاخرى اذ جروا مع العقل وطبقوا المنقول على المعقول ونظروا الى الجوهر اكثر من العرض ومن حكم العقل في اقواله وافعاله يحترمه احبابه وخصومه على السواء .

ولقد استطلعنا طلع رأي احد كبار علماء الاسلام في امر المعتزلة فاملى علينا الجملة التالية فكانت خلاصة احوالهم وغاية الغايات في الافصاح عنهم . قال دام نفعه :

في اواخر عصر الصحابة ظهرت ثلاث فرق من فرق الاسلام اولاها الخوارج وهذه الفرقة من الفرق التي اعترضت على علي بن ابي طالب في تجويزه التحكيم في امر الخلافة وكانت تحكم بكفر الفاسق صريحاً كشارب الخمر ونحوه فضلاً عمن يسعى في سفك دماء

المسلمين لاجل مأرب دنيوي ومذهبها مبني على هذه القاعدة وكان في ذلك العصر قد دخلت الناس افواجاً في دين الاسلام بسبب الفتوحات العظيمة وا كثرهم ممن لم يتهذب بمكارم اخلاق الدين فكان الناس يسمون المتساهل في الدين فاسقاً ويجعلونه من المسلمين البتة وكان كثير من الناس يصرح بان الامور كانت مقدرة عليهم تخفيفاً عنهم من الملام . وفي خلال ذلك هبت فرقة لم شدة تمسك بالدين وتحلٍ بآدابه فانكروا ذلك وصرحوا بان الانسان مختار في اعماله وان الله تعالى لو اجبر الانسان على عمله لم يؤاخذه عليه وجعلوا الناس ثلاثة اقسام مؤمن وكافر وفاسق فالمؤمن من يقوم بجميع شروط الدين والكافر الجاحد مطلقاً والفاسق من اتى بكبيرة ومنعوا من تسمية الفاسق باسم المؤمن واعتزلوا مجلس الحسن البصري لانه لم يرض بالتصريح بسلب اسم المؤمن عن الفاسق فسميت هذه الفرقة المعتزلة . وفي اثناء ذلك ظهرت فرقة هي بالفرقة السياسية اشبه منها بالفرقة الدينية وهي فرقة الشيعة المشايعة لامير المؤمنين عليّ بن ابي طالب . والشيعة حزبان حزب منهم كانوا يقولون انه هو الاحق بالخلافة غير ان عوارض الاحوال اوجبت تأخيره لكثرة اعدائه من المنافقين وغيرهم وكانوا لا يطعنون في الذين اخروه عنها وقسم يقولون انما اخروه لعداوة في انفسهم لا رعاية لمصلحة الامة ثم اخذ كل مذهب دوراً من الادوار كما يعلم من التواريخ المتفصلة .

واذ كان الخوارج ارباب حرب وضرب وتحمس في الدين وعبادة ونسك ولم يكن لهم بصيرة في العلم كانت امورهم العلمية بسيطة جداً وا كثر ما يقابلون به السيف . اما المعتزلة فكانوا في امرهم ارباب تؤدة وتأن واستبصار بما يقتضيه الوقت وكان مقتضى مذهبهم القيام بانكار المنكر ولو افضى الامر الى سل السيف الا ان ذلك مشروط فيه الامكان فكان المعتزلة بغيضين الى فريقين العامة والامراء اما الامراء فلما يشترطونه في الامارة من الشروط التي اذا انتشرت في افكار العامة لم يتيسر لامير ان ينطلق في امر الامة بما يشاء واما العامة فلانهم ينفرون ممن يخرجهم عن الدين بمجرد اتيان المنكرات التي اطلق لهم العنان فيها من طرف خفي امراء السوء الذين يهمهم ان تكون العامة ممن يعينونهم على مقاصدهم وكانت هذه الفرقة اعظم الفرق في المناضلة عن الدين ورد شبه الملحدين وكان الجمهور يقولون لا حاجة لنا الى الجدل فان كل من خالفنا استتبناه فان تاب فيها ونعمت والا طهرنا الارض بسفك دمه عليها . ولم يزل الامر كذلك حتى افضت النوبة الى المأمون وكان ممن خالط ناساً منهم وكان لهم دهاء عظيم في مخالطة الطبقات العالية مع انكماشهم وشدة ورعهم فتلقف المأمون افكارهم فتوبت في نفسه فلما افضت الخلافة اليه بادر الى اعلانها وكان مقتضى الحال ان يدعو الى مذهبهم كما يقتضيه حال كل من اخذ بمذهب الا ان المأمون لجدلي الذي

كان عليه وهو اطلاق الحرية للموافق له والمخالف وجد من الواجب ان يطلق العنان لكل الفرق فالتي اخطأت يتيسر اقناعها بالحجة والبرهان والتي معها الحق ينبغي ان تُتبع على ما معها منه فانطلقت في عصره جميع الفرق وجعل في داره مجالس للمناظرات بين ارباب الملل والنحل وكان العصر المفرد في ذلك ·

ثم لما افضى الامر الى من بعده خف اطلاق العنان لهم · غير انه بقيت من ذلك بقية حتى افضت النوبة الى المتوكل فقام في اضطهاد الفرق المخالفة للجمهور رعاية لمشرب العامة وخلاصاً من فرقة اذا قوي امرها في مشارق الارض ومغاربها كان فيهما الخطر على امر الخلافة لانها شرطت فيها شروطاً يصعب القيام بها على كثير ولم تزل حال المعتزلة بين انخفاض وارتفاع حتى انحطت الامة انحطاطاً زائداً وقبل انقراضها كان كثير من الملوك يسعى في ابادتهم بالسيف كما يعلم من التاريخ ولم يبق لهم ملجأ غير اليمن فان فيه تكوّن حزب ذو عدة وعُدة يصعب محوه وهم المسمون بالزيدية · فما الزيدية الا فرقة من فرق المعتزلة يخالفون جمهورهم في بعض مسائل الامامة ونحوها ·

ومذهب المعتزلة في كون الانسان مختاراً ليس كما ينقله عنهم المخالفون لهم فانهم ينقلونه على صيغة مستبشعة ينفر منها العوام فضلاً عن الخواص فمن ثم وافقهم عليه كثير من علماء اهل السنة كما وافقهم على كثير من مسائلهم الفرعية التي استخرجوها وكانت هذه الفرقة كثيراً ما تذكر في التاريخ باسم المعتزلة مع ان المترجم يكون من المخالفين للمعتزلة في باقي مسائلهم اشد المخالفة فكان يقع للناظر في التواريخ اضطراب وحقيقة الامر تفهم مما ذكره التاج السبكي في الطبقات فقد نقل في ترجمة القفال عن الحافظ ابن عساكر انه قال في القفال : بلغني انه كان مائلاً عن الاعتدال قائلاً بالاعتزال في اول امره ثم رجع الى مذهب الاشعري · قال السبكي وهذه فائدة جليلة انفرجت بها كربة عظيمة وحسيكة في الصدر جسيمة فان مذاهب تحكي عن هذا الامام في الاصول لا تصح الا على قواعد المعتزلة وطال ما وقع البحث في ذلك حتى توهم انه معتزلي واستند الوهم الى ما نقل ان ابا الحسن الصفار قال سمعت ابا سهل الصعلوكي وسئل عن تفسير الامام ابي بكر القفال فقال قدسه من وجه ودنسه من وجه اي دنسه من جهة نصرة مذهب الاعتزال · والقفال هو استاذ عصره قرأ عليه الاشعري علم الفقه وقرأ هو عليه علم الكلام وهو معدود من كبار أئمة الشافعية وعلل السبكي ذلك بقوله اعلم ان هذه الطائفة من اصحابنا ابن سريج وغيره كانوا قد برعوا في الفقه ولم يكن لهم قدم راسخ في الكلام وطالعوا على الكبر كتب المعتزلة فاستحسنوا عباراتهم ·

والمعتزلة هم الذين احدثوا علم الكلام وكان الاولون ينهون عنه كثيراً الا ان النفوس

لما كانت مولعة بالعلم مطلقاً تابعهم عليه غيرهم والفوا فيه كثيراً واوهموا اللائمين لهم بان الكلام المنهي عنه انما هو الكلام على طريقة المعتزلة غير ان الكتب التي ألفت على طريقة المعتزلة امتن جداً لما كان في اصولهم من منع التقليد البتة ولذلك لم يكن بعضهم يقلد بعضاً وان كل انسان مكلف بقدر ما اداه اليه اجتهاده ووسعه ولا يخفى الفرق بين المقيد والمطلق .

وهم الذين وسعوا اصول الفقه حتى ان اكثر المسائل المذكورة فيه هي من مبتكراتهم غير ان الاصوليين لم يحبوا ان يتركوها لهم وهذا ظاهر لمن يتتبع فن الاصول عصراً فعصراً واما ما يرميهم به خصومهم من ان الاعتزال نشأ من انتشار كتب الفلاسفة فهي فرية لان الاعتزال وقواعده الاصلية نشأت قبل ترجمة كتب الفلسفة المتعلقة بالالهيات بلا خلاف وكثير مما قالوه كمسألة الاختيار المطلق ومسألة خلود العاصي مؤبداً ونحو ذلك كان يستعين خصومهم في ارد دعاويهم بها بكلام الفلاسفة واما كان دأب المعتزلة يقتضي متانتهم ان يخوضوا في اي شيء كان من العلوم التي كانت قبل وان يجروا على ما يظهر لهم لاعتقادهم وجزمهم بانه لا توجد حقيقة تخالف الدين فكانوا اشد الناس اسراعاً للخوض في الفنون واكثر المؤلفات المهمة في العلوم المتنوعة ما عدا الفقه يدهم فيها اطول من يد من يخالفهم اجمالاً . والتاريخ يظهر ذلك باجلى مظاهره . واما الفقه فانهم اخذوا فيه بما اخذ به غيرهم لاعتقادهم ان الخطب فيه سهل غير ان لهم في الفقه دقائق غريبة يجدها الانسان في تضاعيف الكتب هم منشأوها واما الحديث فانهم رأوا كثرة الوضع وظهر لهم ان التمييز بين الصحيح وغيره يعسر لاسيما ما روي من طرق غيرهم فانهم لا يطمئنون اليه لاعتقادهم ان كثيراً من اهل الورع والصدق من غيرهم ربما يجوزون وضع الحديث لمصلحة وشاهدوا في عصرهم احاديث وضعت في حقهم مثل « القدرية مجوس هذه الامة » فنفروا من المحدثين (١) وثلبوهم اشد ثلب ولما كان علم الحديث اهم علوم الدين وهم اشد الناس ولوعاً به ذهبوا الى قاعدة غريبة وهي ان كل حديث لا يخالف القرآن وهو قريب من مقاصد الشارع اوكان مما يدل على مكارم الاخلاق سلموا به اجمالاً بدون نظر في رواته وما وجدوه مخالفاً لذلك ردوه البتة ومن هذا نشأ كثرة ما تراه من ذكر الاحاديث في كتب مثل الجاحظ والزمخشري وغيرهما من ائمة المعتزلة فهم يبحثون عن القول لا عن راويه .

غير انهم يعتقدون ان من اخذوا بقوله كان على مذهبهم ومشربهم . . وقد وقع في التواريخ مناقشات كثيرة في مسألة نحل كثير من المشهورين في العلم والفضل والسبب في ذلك ان كثيراً من المتقدمين كانوا لا يصرحون بما يصرح به المتأخرون فكان كل فريق يدعي

(١) راجع كتاب مختلف الحديث لابن قتيبة

ان فلاناً منهم ويظهر ذلك لمن راجع كتب مناقب المشهورين على طريقة المتقدمين فانهم كانوا يفيضون في كل شيء لا على طريقة المتأخرين الذين يطوون كل شيء لا يوافق مأربهم الخاص ظناً منهم انهم بذلك يحسنون صنعاً وكثيراً ما يذكرون منقبة وهي في الباطن مثلبة وربما كانت موضوعة

ما يبلغ العاقل من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

هذا ما قاله ننقله بلفظه ومعناه من لسان ذاك الامام الكبير وقد قال المرتضى (١) واما ما أجمعوا عليه فقد اجمعت المعتزلة على ان للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لالمعان ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر عيناً واحداً لا يدرك بحاسة عدلاً حكيماً لا يفعل القبيح ولا يريده كلف تعريضاً للثواب ومكن من الفعل وازاح العلة ولا بد من الجزاء وعلى وجوب البعثة حيث حسنت ولا بد للرسول صلى الله عليه وآله من شرع جديد او احياء مندرس او فائدة لم تحصل من غيره وان آخر الانبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن معجزته وان الايمان قول ومعرفة وعمل وان المؤمن من اهل الجنة وعلى المنزلة بين المنزلتين وهو ان الفاسق لا يسمى مؤمناً ولا كافراً الا من يقول بالارجاء فانه يخالف في تفسير الايمان وفي المنزلة فيقول الفاسق يسمى مؤمناً واجمعوا على ان فعل العبد غير مخلوق فيه واجمعوا على تولي الصحابة واختلفوا في عثمان بعد الاحداث التي احدثها فاكثرهم تولاه وتأول له واكثرهم على البراءة من معاوية وعمرو بن العاص واجمعوا على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي تعداد علمائهم مصنفات عدة كالمصابيح لابن يزداذ وغيره اه . هذا ما قاله واحد منهم في حقيقة ما اجمعوا عليه .

واليك ما قاله الشهرستاني صاحب الملل والنحل وهو ليس منهم قال : والمعتزلة ويسمون اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازاً عن وصمة اللقب اذ كان الذم به متفقاً عليه لقول النبي عليه السلام القدرية مجوس هذه الامة وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على ان الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل تضاد فكيف يطلق لفظ الضد على الضد وقد قال النبي عليه السلام القدرية خصماء الله في القدر والخصومة في القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم

(١) راجع رسالة المعتزلة التي نقلها الاستاذ توما ارنلد Prof. T. W. Arnold المستشرق الانكليزي من كتاب المنية والامل في شرح كتاب الملل والنحل لاحمد بن يحيى بن المرتضى وطبعها في مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣١٦ هـ ففيها تراجم مختصرة لائمة المعتزلة وذكر طبقاتهم على ابسط وجه .

والتوكل واحالة الاحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بإن الله تعالى قديم والقدم اخص وصف لذاته ونفوا الصفات القديمة اصلا فقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به لانه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو اخص الوصف لشاركته في الالهية واتفقوا على ان كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كتب امثاله في المصاحف حكايات عنه فانما وجد في المحل عرض فقد فني في الحال واتفقوا على ان الارادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالابصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه جهة ومكاناً وصورة وجسماً وتحيزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيراً وتأثراً واوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيداً واتفقوا على ان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق مايفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة والرب تعالى منزه ان يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية لانه لو خلق الظلم كان ظالماً كما لو خلق العدل كان عادلاً واتفقوا على ان الحكيم لا يفعل الا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد واما الاصلح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلاً واتفقوا على ان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء الثواب واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً واتفقوا على ان اصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع والحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك وورود التكاليف الطاف للباري تعالى ارسلها الى العباد بتوسط الانبياء عليهم السلام امتحاناً واختباراً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة واختلفوا في الامامة والقول فيها نصاً واختياراً .

وهنا ذكر الشهرستاني مقالة كل طائفة من طوائف المعتزلة مثل « الواصلية » اصحاب ابي حذيفة واصل بن عطاء الغزال و « الهذيلية » اصحاب ابي الهذيل حمدان بن ابي الهذيل العلاف و « النظامية » اصحاب ابراهيم بن سيار بن هاني النظام و « الحائطية » اصحاب احمد ابن حائط و « الحدثية » اصحاب فضل بن الحدثي و « البشرية » اصحاب بشر بن المعتمر و « المعمرية » اصحاب معمر بن عباد السلمي و « المزداربة » اصحاب عيسى بن صبيح المكنى بابي موسى الملقب بالمردار و « الثمامية » اصحاب ثمامة بن اشرس النميري و « الهشامية » اصحاب هشام بن عمرو الفوطي و « الجاحظية » اصحاب عمرو بن بحر الجاحظ و « الخياطية » اصحاب

ابي الحسين بن ابي عمرو الخياط و « الجبائية والبهشمية » اصحاب ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي وابنه ابي هاشم عبد السلام ·

ومن رجال المعتزلة الحسنان عليهما السلام ومحمد بن الحنفية وسعيد بن المسيب وابو الاسود الدؤلي وعلقمة والاسود وشريح من اصحاب عبد الله بن مسعود والحسن البصري وعبد الله بن عمر وابو الدرداء وابوذر الغفاري وعبد الله بن عباس وغيلان بن مسلم الدمشقي قتله هشام بن عبد الملك وقتل صاحبه صالحاً في ابشع صورة لانه انكر على بني أمية سوء سياستهم في الرعية وواصل بن عطاء وهو الذي انفذ اصحابه الى الآفاق وبث دعاته في البلاد فبعث عبد الله بن الحارث الى المغرب فاجابه خلق كثير وبعث الى خراسان حفص بن سالم وبعث القاسم الى اليمن وبعث ايوب الى الجزيرة وبعث الحسن بن ذكوان الى الكوفة وعثمان الطويل الى ارمينية · ومنهم عمرو بن عبيد وكان المنصور العباسي يبالغ في تعظيمه ورثاه وقلما عهد ان الخليفة رثى رعية بقوله

صلى الاله عليك من متوسد قبراً مررت به على مُرّان
قبر تضمن مؤمناً متخشعاً عبد الاله ودان بالقرآن
واذا الرجال تنازعوا في شبهة فصل الحديث بحجة وبيان
ولو ان هذا الدهر ابقى صالحاً ابقى لنا عمراً ابا عثمان

ومنهم ابو الهذيل العلاف الذي قال فيه المأمون اطلّ ابو الهذيل على الكلام كاطلال الغمام على الانام · ومنهم ابراهيم النظام وهو الذي يقول فيه الجاحظ · الاوائل يقولون في كل الف سنة رجل لا نظير له فان كان ذلك صحيحاً فهو ابو اسحاق النظام وبشر بن المعتمر الهلالي وابو عمرو بن بحر الجاحظ وعبد الرحمن بن كيسان الاصم واحمد بن ابي دؤاد وثمامة بن الاشرس ومنهم الجعفران اللذان يضرب المثل بعلمهما وزهدهما كما يضرب المثل في حسن السيرة بالعمرين وهما ابو محمد جعفر بن مبشر الثقفي وابو الفضل جعفر بن حرب ومنهم ابو جعفر الاسكافي وابو عبد الله الدباغ وابو علي الجبائي ومنهم ابو العباس الناشيء ومحمد بن عمر الصيمري والسيرافيان ابو القاسم وابو عمران وقاضي القضاة عبد الجبار الهمداني ومنهم الصاحب بن عباد والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني والجوهري صاحب الصحاح والشريف المرتضى وابو بكر الرازي وابو بكر الدينوري

ومما يؤثر من اخلاق ائمة المعتزلة وورعهم ما قاله الواثق لاحمد بن ابي دؤاد لم لا تولي اصحابي (اي المعتزلة) القضاء كما تولي غيرهم فقال يا امير المؤمنين ان اصحابك يمتنعون من ذلك وهذا جعفر بن مبشر وجهت اليه بعشرة آلاف درهم فابى ان يقبلها فذهبت اليه

بنفسي واستأذنت فأبى ان يأذن لي فدخلت من غير اذن فسلّ سيفه في وجهي وقال الآن حلّ لي قتلك فانصرفت عنه فكيف أولي القضاء مثله · وروي ان احد ائمتهم جعفر بن مبشر اضرت به الحاجة حتى كان يقبل القليل من زكاة اخوانه فحضره يوماً بعض التجار فتكلم بحضرته في خطبة نكاح فاعجب به ذلك التاجر فسأل عنه فاخبر بمسكنته فبعث اليه بخمسمائة دينار فردها فقيل له قد عذرناك في رد مال السلطان للشبهة وهذا تاجر ماله من كسبه فلا وجه لردك فقال جعفر انه استحسن كلامي افتراقي ان آخذ على دعائي الى الله تعالى وموعظتي ثمناً لولم اكن فعلت هذا ثم ابتدأني لقبلت · وروي ان بعض السلاطين وصله بعشرة آلاف درهم فلم يقبل وحمل اليه بعض اصحابه بدرهمين من الزكاة فقبل فقيل له في ذلك فقال : ارباب العشرة احق بهامني وانااحق بهذين الدرهمين لحاجتي اليهما وقد ساقهما الله اليّ من غير مسألة واغناني بهما عن الشبهة والحرام ·

وفي طبقات السبكي : قال ابن الصلاح هذا الماوردي عفاالله عنه يتهم بالاعتزال وقد كنت لا اتحقق ذلك عليه واتاول له واعتذر عنه في كونه يورد في تفسيره في الآيات التي يختلف فيها اهل التفسير تفسير اهل السنة وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيان ماهو الحق منهما واقول لعل قصده ايراد كل ما قيل من حق اوباطل ولهذا يورد من اقوال المشبهة اشياء مثل هذا الايراد حتى وجدته يختار في بعض المواضع قول المعتزلة وما بنوه على اصولهم الفاسدة ومن ذلك مصيره في الاعتراف الى ان الله لا يشاء عبادة الاوثان قال في قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن وجهان في جعلنا احدهما معناه حكمنا بانهم اعداء والثاني تركناهم على العداوة فلم نمنعهم منها وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشحوناً بتأويلات اهل الباطل تلبيساً وتدليساً على وجه لا يفطن له غير اهل العلم والتحقيق مع انه تأليف رجل لا يتظاهر بالانتساب الى المعتزلة بل يجتهد في كتمان موافقتهم فيما هو لهم فيه موافق ثم هو ليس معتزلياً مطلقاً فانه لا يوافقهم في جميع اصولهم مثل خلق القرآن كما دل عليه تفسيره في قوله عز وجل ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وغير ذلك ويوافقهم في القدر وهي البلية التي غلبت على البصريين وعيبوا بها قديماً انتهى ·

هذا ماسمح به الوقت الآن من الكلام على هذه الفرقة وعسانا نوفق الى درس كتبهم وما قيل فيهم فنعود الى موضوعهم باجلى بيان واوسع برهان ·

اكرام الشعراء

ما ندري متى نشأت في العرب الاجازة على الشعر في المديح . والغالب ان هذه القاعدة قديمة في امرائهم و روؤسائهم قبل الاسلام ولما جاء كعب بن زهير الى الرسول عليه السلام وانشد بين يديه قصيدته المشهورة خلع عليه خلعة سنية . حتى اذا كان عهد الحضارة اخذ بعض الكبراء يغالون في عطاء الشعراء لما وقر في نفوسهم من تأثير اقوالهم في الناس . والشعراء يقولون كلما زدتمونا عطاء زدناكم مديحاً وثناء . حتى اصبح الشعراء على عهد بعض الخلفاء والملوك والامراء اشبه بجماعة من ولاة الامر وقوام الدولة تطلق لهم الجرايات والمشاهرات ويأخذون الجوائز والأعطيات ويرجع اليهم في المهمات ويثيرون النفوس في الملمات . وكم من ملك لولا اماديح شعرائه لكان خامل الذكر لا نسمع به الا في الندر وكم من شاعر شرّف ممدوحه بما صاغ له من عقود الثناء .

الا ان الشعراء في هذه الامة قد ابتذلوا في العصور المتأخرة شعرهم حتى اصبحت تستنكف من سماعه . والامة اذا ضعفت سياستها يضعف فيها كل شيء على نسبته فكيف يتأتى للشعراء ان يضعوا اماديحهم في محلها ومحيطهم كما رأيت من الانحطاط . نعم ضعفت ملكة الشعر وقلت قيمته بقلة اقدار الامراء وشعرائهم حتى اصبح الشعراء والحال لم يزل لها بقية في بعض البلاد اشبه بشحاذين يستوكفون الاكف بما ينظمون ويضعون من المعاني والالفاظ ما يعد غلوًا لو أطلق على اعظم رجل في الارض فما الحال بممدوحيهم ولو انصفوهم لهجوهم بدل ان يمدحوهم . نعم هزلت حالة الشعر واشمأزت نفوس المتأدبين الحقيقيين من الاماديح فاصبحوا لا يجوزون المديح حتى على من يستحقونه وعدوه من سخف القول وهجره .

ولقد رأينا الشعراء في القرن الرابع والخامس والسادس مثلاً يصونون الشعر عن الابتذال فكانت له قيمة عند الناس ولاسيما عند من يرجون نوالهم فكنت ترى ابا الطيب المتنبي لا يجوّز ان يمدح غير ارباب الدولة والزعامة وقلّ ان قال شيئاً يذكر فيمن دونهم مع انه طالما أريد على ذلك . وان رجلاً استنكف بداءة بدء ان يمدح الصاحب بن عباد وهو في الفضل ما هو لجدير بان يوفر شعره والقول يشرف بشرف قائله والمقول فيه . ولو ابتذل المتنبي شعره في عصره ومدح به كل من يعطيه لما كان له هذا الرونق والطلاوة ولما اجزل الامراء له العطاء على ما رأينا في سيرته . فقد رأينا ابا شجاع فاتكاً يبعث اليه بألف دينار عند ما هبط مصر بعد ان فارق سيف الدولة بن حمدان فلم يسعه الا مدحه . واتصل بكافور ملك مصر فاعطاه ومدحه ثم لما اراده على ان يوليه ولاية صيدا وكان كافور « وعده بولاية بعض

اعماله فلما رأى تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال : ياقوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم اما يدعي المملكة مع كافور لحسبكم» هجاه الهجو المقذع ولم يرضه ورحل عن مصر رقبعث على اثره من يقبض عليه ولكنه كان خلص الى بلاد أخرى . وهكذا لو استقريت احوال الشعراء في تلك العصور لوجدت شعرهم يعلو على حسب اقدار من يمدحونهم من معاصريهم من الملوك وكلما اقترب الشاعر من كبير كبر كما قيل جاور السعيد تسعد . ومن اعظم الشعراء الذين اشتهروا وصار لشعرهم موقع لقربهم من الكبراء واخذهم الجوائز على قصائدهم عمارة اليمني من اهل القرن السادس . هذا الرجل كان كالمتنبي غريباً في اطواره . كان كما قال عن نفسه (١) من قحطان ثم الحكم بن سعد العشيرة المذحجي من مدينة في تهامة في اليمن يقال لها مرطان من وادي وساع وبعدها من مكة في مهب الجنوب احد عشر يوماً وكان اهلها بقية العرب في تهامة لانهم لا يساكنهم حضري ولا يناكحونه ولا يجيزون شهادته ولا يرضون بقتله قوداً باحد منهم ولذلك سلمت لغتهم من الفساد واذ كان من اهل بيت مجد وعلم انتدبه صاحب الحرمين الى السفارة عنه والرسالة منه الى الدولة المصرية فقدمها في شهر ربيع الاول سنة خمسين وخمسمائة والخليفة بها يومئذ الامام الفائز بن الظافر الفاطمي والوزير له الملك الصالح طلائع بن رزّيك فلما أُحضر للسلام عليهما في قاعة الذهب في قصر الخليفة انشدهما قصيدة اولها .

الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما اولت من النعم
لا اجحد الحق عندي للركاب يدٌ تمنت اللجم فيها رتبة الخطم
قرّبن بُعد مزار العزّ من نظري حتى رأيت امام العصر عن أَمم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم وفداً الى كعبة المعروف والكرم
فهل درى البيت اني بعد فرقته ما سرت من حرم الاّ الى حرم
حيث الخلافة مضروبٌ سرادقها بين النقيضين من عفوٍ ومن نقم
وللامامة انوار مقدسة يجلو البغيضين من ظلمٍ ومن ظلم
وللنبوة آيات تنص لنا على الخفيين من حُكمٍ ومن حِكم
وللمكارم اعلام تعلمنا مدح الجزيلين من بأسٍ ومن كرم
وللعلى ألسن تثني محامدها على الحميدين من فعلٍ ومن شيم

(١) راجع كتاب النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية وديوانه الذي طبعه المستشرق هارتويغ دارنبرغ في مدينة شالون على نهر سون من اعمال فرنسا سنة ١٨٩٧ وهو من مطبوعات مدرسة اللغات الشرقية الحية

ورايةُ الشرف البذَّاخ ترفعها يد الرفيعين من مجد ومن همم

الى آخرما مدح به الخليفة ووزيره فافيضت عليه الخلع المذهبة واعطي خمسمائة دينار من مال الخليفة وأُخرج له مثلها من عند السيدة الشريفة بنت الامام الحافظ وأُطلقت له من دار الضيافة رسوم لم تطلق لاحد من قبله وتهاداه امراء الدولة الى منازلهم للولائم وانثالت عليه صلات الخليفة فمن بعده من الوزراء وكبار عماله وقضى في مصر تسع عشرة سنة والدولة الفاطمية في اواخر ايامها تضعف وتقوى وتسفل وتعلو وكلما مدح كبيرًا نال جزيلاً وجميع شعره وفيه المعاني الجيدة المصوَّرة احسن تصوير يدور على غرض مديح الكبراء واغراض من السياسة تقتضيها حال من يدخل في غمارها ·

جاء عمارة سفيرًا الى ملك مصر فطاب له المقام فيها واوسعه ارباب السلطان برًّا لا على انه شاعر يطلب الجوائز بل على انه سياسي له ضلع في احوال اليمن والحجاز وقد كان الفاطميون على عهده يملكون الحجاز وتطمح نفوسهم الى امتلاك اليمن فحريٌّ بمن كان مثل عمارة ان يؤمل منه ان يسهل لهم اسباب فتحها ولذلك انهالت عليه الصلات اي انهيال وعاش عيشة امير لا عيشة شاعر · ذكر ذلك في كتاب النكت العصرية وكثيرًا ما يذكر مقدار ما تجود به عليه ايدي الامراء من الارزاق والاموال حتى صار اذا تأخروا عنه حفزهم بنابل من شعره فيعودون الى ما عودوه عليه · قال عمارة في مدح شاور وزير الفاطميين ·

حمي الوطيس فخاضه بعزائم علمن حسن الصبر من لم يصبر
ضجر الحديد من الحديد وشاورٌ في نصر آل محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يازمان فكفر
يافاتحاً شرق البلاد وغربها يهنئك انك وارث الاسكندر

قال وكانت هذه الابيات من احد الاسباب التي قوت عزمي على الاستعفاء من عمل الشعر لان الناس فيما تقدم كانوا يغنون الشعراء بتاليس فوقها في الجودة الى ان يقول: ورأيته (شاور) يومًا وقد انشرح صدره فقلت له ان لي مدة تنازعني النفس في الحديث معك في حاجة وقد عزمت ان اقولها لك فان قضيتها والا كنت قد ابليت عن نفسي عذرًا قال : وما هي. قلت : تعفيني من عمل الشعر وتنقل الجاري على الخدمة راتبًا على حكم الضيافة فاني ارى التكسب بالشعر والتظاهر به نقيصة في حقي قال : ما منعك ان تستعفي في ايام الصالح وابنه قلت : كانت لي اسوة وسلوة بالشيخ الجليس ابن الحباب وبابني الزبير الرشيد والمهذب وقد انقرض الجيل والنظراء قال : تعفى ثم امر بانشاء سجل باعفائي واخذ عليه خط الخليفة وخطه بذلك ·

وبهذا عرفت ان اخلاق عمارة كانت لاول امرها تأبى الدخول في زمرة الشعراء والارتزاق من طريق الشعر ولكن عاد يتناول الجوائز من الخليفة فمن دونه من ارباب الدولة الا انه لم يكن في اخلاقه كالشعراء في العادة بل كان كثيراً ما ينصح للعظماء من الفواطم ولا يخاف بأسهم وسطوتهم قال : ولما عاد (شاور) من حصار الاسكندرية اكثر من سفك الدماء بغير حق وكان يأمر بضرب الرقاب بين يديه في قاعة البستان من دار الوزارة ثم تسحب القتلى الى خارج الدار فسألني الجماعة ان اعمل قصيدة في هذا المعنى فقلت :

الا ان حد السيف لم يبق خاطراً ... من الناس الا حائراً يتردد
ذعرت الورى حتى لقد خاف مصلح ... على نفسه اضعاف ما خاف مفسد
فأغمد شفار المشرفيّ وعد بنا ... الى عادة الاحسان وهي التغمد
فان بروق الماضيات وصوتها ... رواعد منهن الفرائص ترعد
وان صليل السيف الخش نغمة ... تظل تغني في الطلى وتغرد
تجاوز والا فالمقطم خيفة ... يذوب وماء النيل لا شك يجمد

ومع ما كان يقرّع به رجال الفاطميين ويخوفهم من ارتكاب الظلم كانوا يرتاحون اليه هذا وهو سني وهم شيعة محض حتى اراده بعض أمرائهم وهو الصالح بن رزيك ان يعود متشيعاً ويأخذ منه ثلاثة آلاف دينار فابى .

ولطالما كانوا يطلقون له الرواتب ويخلعون عليه الخلع ويرسلون اليه باردبات من الحنطة والشعير واباليج من السكر ودكاكيج كبار من الزيت الطيب وخرفان رضع سمان وله قصائد ومقطوعات يصح ان تدرج في باب الشعر الاجتماعي لما فيها من المعاني الغريبة فما قاله في مدح شمس الدولة :

العلم مذ كان محتاج الى العلم ... وشفرة السيف تستغني عن القلم
وخير خليك ان صاحبت في شرف ... عزم يفرق بين الساق والقدم
ان المعالي عروس غير واقعة ... ان لم تخلق رداءيها بريح دم
ترى مسامع فخر الدين تسمع ما ... املاه خاطر افكاري على قلمي
فان اصبت فلي حظ المصيب وان ... اخطأت قصدك فاعذرني ولا تلم

ومنها

لا يدرك المجد الا كل مقتحم ... في موج ملتطم او فوج مضطرم
لا ينقض الخطرة الاولى بثانية ... ولا يفكر في العقبى من الندم
كأنما السيف افتاه وقال له ... في فتح مكة حل القتل في الحرم
ولم يراعوا لعثمان ولا عمر ... ولا الحسين ذمام الاشهر الحرم

فما تروم سوى فتح صوارمه ... يضحكن في كلِّ يوم عابس البهم
حتى كأن لسان السيف في يده ... يروي الشريعة عن عاد وعن ارم
هذا المحدَّث عنه في ثيابك يا ... شمس الهدى والعلى يصغي الى كلمي
هذا ابن تومرت قد كانت بدايته ... كما يقول الورى لحمًا على وضم
وقد ترامى الى ان امسكت يده ... من الكواكب بالانفاس والكظم
وكان اول هذا الدين من رجل ... سعى الى ان دعوه سيد الامم
والغيث فهو كما قد قيل اوله ... قطر ومنه خراب السد بالعرم
والبدر يبدو هلالا ثم يكشف ... الانوار ماسترته شملة الظلم
تموقوى الشيء بالتدريج ان رزقت ... حظًا ويقوى شرار الزند بالضرم
حاسب ضميرك عن رأي اتاك وقل ... نصيحة وردت من غير متهم

وقال من قصيدة

هل القلب الا بضعة يتقلب ... له خاطر يرضى مرارًا و يغضب
ام النفس الا وهدة مطمئنة ... تفيض شعاب الهم منها وتنضب
فلا تلزمن الناس غير طباعهم ... فتتعب من طول العتاب ويتعبوا
فانك ان كشفتهم ربما انجلى ... رمادهم عن جمرة تتلهب
فتاركهم ما تاركوك فانهم ... الى الشر مذ كانوا من الخير اقرب
ولا تغترر منهم بحسن بشاشة ... فاكثر ايماض البوارق خلب
واصغ الى ما قلته تنتفع به ... ولا تطرح نصحي فاني مجرب
فما تنكر الايام معرفتي بها ... ولا انني ادرى بهن وادرب
واني لاقوام جذيل محكك ... واني لاقوام عذيق مرجب
عليم بما يرضى المروءة والتقى ... خبير بما آتي وما اتجنب
حلبت افاويق الزمان براحة ... تدر بها اخلافه حين تحلب
وصاحبت هذا الدهر حتى لقد غدت ... عجائبه من خبرتي تتعجب
ودوخت اقطار البلاد كأنني ... الى الريح أعزى او الى الخضر أنسب
وعاشرت اقواما يزيدون كثرة ... على الالف او عدا لحصا حين يحسب
فما راقني في ارضهم قط مرتع ... ولا شاقني في وردهم قط مشرب
تراني واياهم فريقين كلنا ... بما عنده من عزة النفس معجب
فعندهم دنيا وعندي فضيلة ... ولا شك ان الفضل اعلى واغلب

على ان ما عندي يدوم بقاؤه — عليَّ ويفنى المال عنهم ويذهب
اناس مضى صدرٌ من العمر عندهم — أصعد ظني فيهم واصوب
رجوت بهم نيل الغنى فوجدته — كما قيل في الامثال عنقاء مغرب
وكل عزم المدح بعد نشاطه — ندى ذمه عندي من المدح اوجب
كأن القوافي حين تدعى لشكرهم — على الجمر تمشي او على الشوك تسحب
افوه بحق كلما رمت ذمهم — وما غير قول الحق لي قط مذهب
واصدق الا ان اريد مديحهم — فاني على حكم الضرورة اكذب
ولو علموا صدق المدائح فيهم — لكانت مساعيهم تهش وتطرب

ولهُ في الوصف اشعار منها قصيدة يذكر فيها حريق منظرة بدر بن رزّيك على الخليج ويذكر داره الاخرى وما فيها من الستور وتصاويرها ومقاطعها قال فيها :

لم تحترق دار الخليج وانما — شبت لمن يدري بها نار القرى
طلبت يفاع الارض دون وهادها — فتوقدت في رأس شامخة الذرى
او هل تزور النار ساحة جنة — اجريت فيها من نداك الكوثرا
انشأت فيها للعيون بدائعاً — زُفت فاذهل حسنها من ابصرا
من الرخام مسيراً ومسهماً — ومثمناً ومدرهماً ومدثرا
والعاج بين الآبنوس كأنه — ارض من الكافور تنبت عنبرا
قد كان منظرها بهياً رائقاً — فجعلتها بالوشي ابهى منظرا
وكذاك جيد الظبي يحسن عاطلاً — ويروقك البيت الحرام مسترا
البستها بيض الستور وحمرها — فاتت كزهر الورد ابيض احمرا
فمجالس كسيت رقيماً ابيضاً — ومجالس كسيت طميماً اصفرا
لم يبق نوع صامت او ناطق — الا غدا فيها الجميع مصوّرا
فيها حدائق لم تجدها ديمة — ابداً ولا نبتت على وجه الثرى
والطير مذ وقعت على اغصانها — وثمارها لم تستطع ان تنفرا
لا تعدم الابصار بين مروجها — ليثاً ولا ظبياً بوجرة اعفرا
أنست نوافر وحشها بسباعها — فظباؤها لا تتقي اسد الشرى
وبها زرافات كأن رقابها — في الطول ألوية تؤم العسكرا
نوبية المنشى تريك من أدما — روقاً ومن بزل المهارى مشفرا
جبلت على الاقعاء من اعجابها — فتخالها للتيه تمشي القهقرا

دارت الايام دورتها وكتب لصلاح الدين يوسف ان يقلب الدولة الفاطمية ويديل منها الامر للعباسية فاصبح شاعرنا هذا بعد ان كانت عطايا الفاطميين تغدق عليه اغداقا مقترًا عليه في الرزق يسأل فلا يجاب ويهز الاكف فلا تندى ويعرض حاله ويعرّض بنواله فلا يؤبه له وبقي اشهرًا على هذه الحال وقد انقطعت عنه النعم السالفة فلم يجد له في اهل الحل والعقد في مصر من يعوضه عن بعض ما كان يتناوله فصار الى الحور بعد الكور ونعوذ بالله من زوال النعم · فكتب الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف قصيدة لم ينشدها وقد ترجمها بشكاية المتظلم ونكاية المتألم وهي تعرب عما لقي من الالاقي والشدائد قال :

ايا أذن الايام ان قلت فاسمعي ... لنفثة مصدور وأنة موجع
وعي كل صوت تسمعين نداءه ... فلا خير في أذن تنادى فلا تعي
تقاصر بي خطب الزمان وباعه ... فقصر عن ذرعي وقصر اذرعي
واخرجني من موضع كنت اهله ... وانزلني بالجود في غير موضعي
بسيف ابن مهدي وابناء فاتك ... اقض من الاوطان جنبي ومضجعي
فيممت مصرًا اطلب الجاه والغنى ... فنلتهما في ظل عيش ممنع
وزرت ملوك النيل اذ زاد نيلهم ... فاحمد مرتادي واخصب مرتعي
وفزت بالف من عطية فائز ... مواهبه للصنع لا للتصنع
وكم طرقتني من يد عاضدية ... سرت بين يقظى من عيون وهجع
وجاد ابن رزيك من الجاه والغنى ... بما زاد عن مرمى رجائي ومطمعي
واوحى الى سمعي ودائع شعره ... فخبرته مني باكرم مودع
وليست ايادي شاور بذميمة ... ولا عهدها عندي بعهد مضيع
ملوك رعوا لي حرمة صار نبتها ... هشيمًا رعته النائبات وما رعي
وردت بهم شمس العطايا لوفدهم ... كما قال قوم في علي ويوشع
مذاهبهم في الجود مذهب سنة ... وان خالفوني في اعتقاد التشيع
فقل لصلاح الدين والعدل شأنه ... من الحكم المصغي الي فادعي
سكت فقالت ناطقات ضرورتي ... اذا حاقات الباب علقن فاقرعي
فادللت ادلال المحب وقلت ما ... أبالي بعفو الطبع لا بالتطبع
وعندي من الآداب مالو شرحته ... تيقنت اني قدوة ابن المقفع
اقمت لكم ضيفًا ثلاثة اشهر ... اقول لصدري كلما ضاق وسع
اعلل غلماني وخيلي ونسوتي ... بما صفت من عذر ضعيف مرقع

ونوابكم للوفد في كل بلدة … تفرق شمل النائل المتوزع
وكم من ضيوف الباب ممن ألسانه … اذا قطعوه لا يقوم باصبع
مشارع من نعمائكم زرتها وقد … تكرر بالاسكندرية مشرعي
وضايقني اهل الديون فلم يكن … سوى بابكم منه ملاذي ومفزعي
فياراعي الاسلام كيف تركتها … فريقي ضياع من عرايا وجوّع
دعوناك من قرب وبُعد فهب لنا … جوابك فالباري يجيب اذا دعي
الى الله اشكو من ليالي ضرورة … رجعنا بها نحو الجناب المرجع
قنعنا ولم نسألك صبرًا وعفةً … الى ان عدمنا بلغة المتقنع
ولما اغص الريق مجرى حلوقنا … اتيناك نشكو غصة المتوجع
فان كنت ترعى الناس للفقه وحده … فمنه طرازي بل لثامي وبرقعي
ألم ترعني للشافعي وانتم … اجلُّ شفيع عند اعلى مشفع
ونصري له في حيث لاانت ناصر … بضرب صقيلات ولا طعن شرع
ليالي لا فقه العراق بسجسج … بمصر ولا ريح الشآم بزعزع
كأني بها من اهل فرعون مؤمن … أسارع عن ديني وان حان مصرعي
امن حسنات الدهر ام سيئاته … رضاك عن الدنيا بما فعلت معي
ملكت عنان النصر ثم خذلتني … وحالي بمرأى من علاك ومسمع
فما لك لم توسع عليّ وتلتفت … اليّ التفات المنعم المتبرع
فاما لاني لست دون معاشر … فتحت لهم باب العطاء الموسع
واما لما اوضحته من زعازع … عصفن على ديني ولم اتزعزع
وردي الوف المال لم التفت لها … بعيني ولم احفل ولم اتطلع
واما لفن واحد من معارفي … هو النظم الا انه نظم مبدع
فان سمتني نظماً ظفرت بمفلق … وان سمتني نثرًا ظفرت بمصقع
طباع وفي المطبوع من خطراته … غنى عن افانين الكلام المصنع
سألتك في دين لياليك سقنه … وألزمتنيه كارهاً غير طيع
وهاجرت ارجومنك اطلاق راتب … تقرر من ازمان كسرى وتبع
وليتك فيمن اطلق الشرق مطلعي … لتعلم نبعي ان عجمت وخروعي
وما انا الا قائم السيف لم يعن … بكف ودر لم يجد من مرصع
وياقوتة في سلك عقد مداره … على خرزات من عقيق مجزع

وكم مات نضناض اللسان من الظما | وكم شرقت بالماء اشداق الكع
فياواصل الارزاق كيف تركتني | امد الى نيل المنى كف اقطع
اعندك اني كلما عطس امرؤ | بذي شمم انفى عطست باجدع
ظلامة مصدوع الفؤاد فهل له | سبيل الى جبر الفؤاد المصدع
واقسم لو قالت لياليك للدجى | اعد غارب الجوزاء قال لها اطلعي
غدا الامر في ايصال رزقي وقطعه | بحكمك فابذل كيف ماشئت وامنع
كذلك اقدار الرجال وان غدت | بحكمك فاحفظ كيف شئت وضيع
فيازارع الاسلام في كل تربة | ظفرت بارض ثبتت الشكر فازرع
فعندي اذا ماالعرف ضاع غريبه | ثناء كعرف المسكة المتضوع
وقد صدرت في طي ذا النظم رقعة | غدا طمعي فيها الى خير مطمعي
أريد بها اطلاق ديني ورائبي | فأطلقهما والامر منك ووقع
وبيني وبين الجاه والعز والغنى | وقائع اخشاها اذا لم توقع
وما هي الا مدة تستمدها | وقد نجحت الارزاق من كل منبع
الى هاهنا انهي حديثي وانتهي | وما شئت في حقي من الخير فاصنع
فانك اهل الجود والبر والتقى | ووضع الايادي البيض في كل موضع

هذا ما قاله عمارة لما ضاقت عليه الدنيا والغالب انه في تلك الحال نظم قصيدته المشهورة يرثي بها الفاطميين ويعرض بصلاح الدين التي يقول في مطلعها (المقتبس — ٣ : ٦٤٧)

رميت يادهر كف المجد بالشلل | وجيده بعد حلي الحسن بالعطل

وفي ذاك الحين اخذ يدبر مكيدة على صلاح الدين يريد وجماعة من رجال الفاطميين الوثوب به والفق رأيهم كما قال ابن الاثير على استدعاء الفرنج من صقلية ومن ساحل الشام الى ديار مصر على شيء بذلوه لهم من المال والبلاد فاذا قصدوا البلاد فان خرج صلاح الدين بنفسه اليهم ثاروا هم في القاهرة ومصر واعادوا الدولة العلوية وعاد من معه من العسكر الذين وافقوهم عنه فلا يبقى له مقام مقابل الافرنج وان كان صلاح الدين يقيم ويرسل العساكر اليهم ثاروا به واخذوه اخذاً باليد لعدم الناصر له وقال لهم عمارة : وانا قد ابعدت اخاه الى اليمن خوفاً ان يسد مسده وتجتمع الكلمة عليه بعده وارسلوا الى الفرنج وصقلية والساحل في ذلك وتقررت القاعدة بينهم ولم يبق الا رحيل الفرنج وكان من لطف الله بالمسلمين ان الجماعة المصريين ادخلوا معهم زين الدين علي بن نجا الواعظ والقاضي المعروف بابن مجية ورتبوا الخليفة والوزير والحاجب والداعي والقضاة الا ان بني رزيك قالوا يكون الوزير

منا و بني شاور والقاضي قالوا يكون الوزير منا . فلما علم ابن نجا الحال حضر عند صلاح الدين واعلمه حقيقة الامر فامره بملازمتهم ومخالطتهم ومواطأتهم على ما يريدون يفعلونه وتعريفه ما يتجدد اولاً باول ففعل ذلك وصار يطالعه بكل ما عزموا عليه ثم وصل رسول ملك الفرنج بالساحل بهدية ورسالة وهو في الظاهر اليه وابباطن الى اولئك الجماعة وكان يرسل اليهم بعض النصارى وتأتيه رسلهم فاتى الخبر الى صلاح الدين من بلاد الفرنج بجلية الحال فوضع صلاح الدين على الرسول من يثق به من النصارى وداخله فاخبره الرسول بالخبر على حقيقته فقبض حينئذٍ على المقدمين في هذه الحادثة ومنهم عمارة .

وذكر صاحب الكامل انه كان بين عمارة والقاضي الفاضل عداوة من ايام العاضد وقبلها فلما اراد صلاح الدين صلبه قام القاضي الفاضل وخاطب صلاح الدين في اطلاقه وظن عمارة انه يحرضه على هلاكه فقال لصلاح الدين : يامولانا لا تسمع منه في حقي فغضب الفاضل وخرج وقال صلاح الدين لعمارة : انه كان يشفع فيك فندم ثم أُخرج عمارة ليصلب فطلب ان يمر به على مجلس الفاضل فاجتازوا به عليه فاغلق بابه ولم يجتمع به فقال عمارة :

عبد الرحيم قد احتجب ان الخلاص هو العجب

الدرة اليتيمة

لابن المقفع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبينا محمد وآله الطاهرين . قال عبدالله بن المقفع وجدنا الناس قبلنا كانوا اعظمَ اجساداً واوفرَ مع اجسادهم احلاماً واشدَّ قوة واحسن بقوتهم للامور اتقاناً واطولَ اعماراً وافضلَ باعمارهم للاشياء اختباراً فكان صاحبُ الدين منهم ابلغ في امر الدين علماً وعملاً من صاحب الدين منا وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل ووجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفضل لانفسهم حتى اشركونا معهم فيما ادركوا من علم الاولى والآخرة فكتبوا به الكتب الباقية وكفونا به مؤونةَ التجارب والفطن وبلغ من اهتمامهم بذلك أنَّ الرجل منهم كان يُفتح له البابُ من العلم والكلمةُ من الصواب وهو بالبلد غيرِ المأهول فيكتبه على الصخور مبادرةً منه للاجل وكراهيةً لان

يسقط ذلك على من بعده (١) فكان صنيعهم في ذلك صنيع الوالد الشفيق على ولده الرحيم بهم الذي يجمع لهم الاموال والعقد (٢) ارادة ان لا تكون عليهم مؤونة في الطلب وخشية عجزهم إن هم طلبوا فمنتهى علم عالمنا في هذا الزمان ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محسننا ان يقتدي بسيرتهم واحسن ما يصيب من الحديث محدثنا ان ينظر في كتبهم فيكون كأنه اياهم يحاور ومنهم يستمع غير ان الذي نجد في كتبهم هو المنتخل في آرائهم (٣) والمنتقى من احاديثهم ولم نجدهم غادروا شيئاً يجد واصف بليغ في صفة له مقالاً لم يسبقوه اليه لا في تعظيم لله عز وجل وترغيب فيما عنده ولا في تصغير للدنيا وتزهيد فيها ولا في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامها وتجزئة اجزائها وتوضيح سبلها وتبيين مآخذها ولا في وجوه الادب وضروب الاخلاق فلم يبق في جليل من الامر لقائل بعدهم مقال وقد بقيت اشياء من لطائف الامور فيها مواضع لصغار الفطن مشتقة من جسام حكم الاولين وقولهم ومن ذلك بعض ما انا كاتب في كتابي هذا من ابواب الادب التي يحتاج اليها الناس

ياطالب الادب اعرف الاصول والفصول فان كثيراً من الناس يطلبون الفصول مع اضاعة الاصول فلا يكون دركهم دركاً ومن احرز الاصول اكتفى بها عن الفصول وان اصاب الفصل بعد احراز الاصل فهو افضل

فاصل الامر في الدين ان تعتقد الايمان على الصواب وتجتنب الكبائر وتؤدي الفريضة فالزم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفة عين ومن يعلم أنه ان حرمه هلك ثم ان قدرت ان تجاوز ذلك الى التفقه في الدين والعبادة فهو افضل واكمل

واصل الامر في اصلاح الجسد ألا تحمل عليه من المآكل والمشارب والباه الا خفافاً وان قدرت على ان تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو افضل

واصل الامر في البأس ألا تحدث نفسك بالإدبار واصحابك مقبلون على عدوهم ثم ان قدرت ان تكون اول حامل وآخر منصرف من غير تضييع للحذر فهو افضل

واصل الامر في الجود ألا تضن بالحقوق عن اهلها ثم ان قدرت ان تزيد ذا الحق على حقه وتطول على من لا حق له فافعل فهو افضل

واصل الامر في الكلام ان تسلم من السقط بالتحفظ (٤) ثم ان قدرت على بارع الصواب فهو افضل

---

(١) اي يضيع عليه (٢) العقد جمع عقدة وهي العقار ونحوه يقال اعتقد فلان عقدة اذا اشترى ضيعة او اتخذ مالاً من عقار وغيره (٣) المنتخل المختار (٤) السقط بفتحتين الخطأ من القول والفعل ورديء المتاع

واصل الامر في المعيشة ان لا تنيَ عن طلب الحلال وان تحسن التقدير لما تفيد وما تنفق ولا يغرّنك من ذلك سعةٌ تكون فيها فان اعظم الناس في الدنيا خطرًا احوجهم الى التقدير والملوك احوج الى التقدير من السوقة لان السوقة قد يعيش بغير مال والملوك لا قوام لهم الا بالمال ثم ان قدرت على الرفق واللطف في الطلب والعلم بالمطالب فهو افضل

وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقًا ان تعلمها وان لم تُخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولاً لتروض (١) نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان الانسان قد تبتدر اليه في شبيبته المساوي، وقد يغلب عليه ما بدر اليه منها

ان ابتليت بالامارة فتعوذ بالعلماء واعلم ان من العجب ان يُبتلى الرجل بها فيريد ان ينتقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها في ساعات دعته وشهوته وانما الرأي له والحق عليه ان يأخذ لعمله من جميع شغله فيأخذ من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونسائه فاذا تقلدت شيئًا من الاعمال فكن فيه احد رجلين اما رجلاً مغتبطًا به فحافظ عليه مخافة ان يزول عنه واما رجلاً كارهًا فالكاره عامل في سُخرة اما للملوك ان كانوا هم سلطوه واما لله ان كان ليس فوقه غيره

اياك اذا كنت واليًا ان يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلمةً من الثلم (٢) يتقحمون عليك منها و بابًا يفتحونك منه وغيبةً يغتابونك بها و يضحكون منها . اعلم ان قابل المدح كمادح نفسه والمرء جدير ان يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده فان الراد له محمود والقابل له معيب .

لتكن حاجتك في الولاية الى ثلاث خصال رضى ربك و رضى سلطان ان كان فوقك ورضى صالح من تلي عليه وما عليك ان تلهى (٣) عن المال والذكر فسيأتيك منهما مايكفي ويطيب واجعل الخصال الثلاث بمكان ما لا بد لك منه والمال والذكر بمكان ما انت واجد منه بدًا . (٤)

اعرف اهل الدين والمروءة في كل كورة وقرية وقبيلة فيكونوا هم اخوانك واعوانك و بطانتك وثقاتك ولا يقذفنَّ في رُوعك أنك ان استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأي غيرك فانك لست تريد الرأي للافتخار به ولكن تريده للانتفاع به ولوانك

---

(١) راض نفسه على الشيء اكثر من استعمالها فيه ليسلس وهو من قولهم راض المهر رياضة (٢) الثلمة في الحائط وغيره الخلل وفيها ثُلَم مثل غرفة وغرف (٣) لهي عن الشيء سلا عنه وترك ذكره (٤) قد استعمل بدا هنا في الاثبات وقد قال بعضهم انه لا يعرف

مع ذلك اردت الذكر كان احسن الذكرين وافضلها عند اهل الفضل ان يقال لا ينفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي

انك ان تلتمس رضى جميع الناس تلتمس ما لا يدرك وكيف يتفق لك رأي المختلفين وما حاجتك الى رضى من رضاه الجور واه، موافقة من موافقته الضلالة والجهالة فعليك بالتماس رضى الاخيار منهم وذوي العقل فانك متى تصب ذلك تضع عنك مؤونة ماسواه

لا تمكن اهل البلاء من التذلل ولا تمكن من سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم

لتعرف رعيتك ابوابك التي لا ينال ما عندك من الخير الا بها والابواب التي لا يخافك خائف الا من قبلها . احرص الحرص كله على ان تكون خبيرا بامور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك قبل ان تصيبه عقوبتك وان المحسن يستبشر بعلمك قبل ان يأتيه معروفك

ليعرف الناس فيما يعرفون من اخلاقك أنك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم خوف الخائف ورجاء الراجي

عوّد نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ولا تسهل سبيل ذلك الا لأهل العقل والسن والمروءة لئلا ينتشر من ذلك ما يجترىء به سفيه او يستخف لم شأن

لا تتركن مباشرة جميع امرك فيعود شأنك صغيرا ولا تلزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعا

اعلم ان رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم وان مالك لا يغني الناس كلهم فاختص به ذوي الحقوق وان كرامتك لا تطيق العامة فتوخ بها اهل الفضائل (١) وان ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وان دأبت فيهما وانه ليس لك الى ادائها سبيل مع حاجة جسدك الى نصيبه من الدعة (٢) فأحسن قسمتهما بين دعتك وعملك

واعلم انك ما شغلت من رأيك بغير المهم ازرى بالمهم (٣) وما صرفت من مالك بالباطل فقدته حين تريده للحق وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اضر بك في العجز عن اهل الفضل وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة ازرى بك في الحاجة

اعلم ان من الناس ناسا كثيرا يبلغ من احدهم الغضب اذا غضب ان يحمله ذلك

استعماله الا مقرونا بالنفي يقال لا بد من كذا اي لا محيد عنه او لا عوض منه (١) توخيت الشيء تحريته وقصدته (٢) الدعة بالفتح الراحة والسكون والوديع الساكن (٣) ازريت به قصرت به وحقرته

على الكلوح (١) والتقطيب في وجه غير من اغضبه وسوء اللفظ لمن لا ذنب له والعقوبة لمن لم يكن يهم بعقوبته وسوء لمعاقبة باليد واللسان لمن لم يكن يريد به الا دون ذلك ثم يبلغ به الرضى اذا رضي ان يتبرع بالامر ذي الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ويعطي من لم يكن اعطاه ويكرم من لا حق له ولا مودة فاحذر هذا الباب كله فانه ليس احد اسوأ حالاً من اهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم في غضبهم وسرعة رضاهم فانه لو وصف بصفة من يتلبس بعقله او يتخبطه المس من يعاقب في غضبه غير من اغضبه ويحبو عند رضاه غير من ارضاه لكان جائزًا في صفته

اعلم ان الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا أقيم لاهله دينهم وكان دينهم هو الذي يعطيهم مالهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك ونزل الساخط منهم منزلة الراضي في الاقرار والتسليم واما ملك الحزم فانه يقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر ·

اذا كان سلطانك عند جدة دولة فرأيت امرًا استقام بغير رأي واعوانًا جزوا بغير نيل وعملاً انجح بغير حزم فلا يغرنك ذلك فلا تستنم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في انفس آخرين فيعين قوم بانفسهم ويعين قوم بما قبلهم ويستتب بذلك الامر غير طويل ثم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها فما كان من الامر بني على غير اركان وثيقة ولا عماد محكم اوشك ان يتداعى ويتصدع

لا تكونن نزر الكلام والسلام ولا تفرطن بالهشاشة والبشاشة فان احداهما من الكبر والاخرى من السخف

اذا كنت لا تضبط امرك ولا تصول على عدوك الا بقوم لست منهم على ثقة من رأي ولا حفاظ من نية فلا تنفعك نافعة حتى تحولهم ان استطعت الى الرأي والادب الذي بمثله تكون الثقة او تستبدل بهم ان لم تستطع نقلهم الى ما تريد ولا تغرنك قوتك بهم وانما انت في ذلك كراكب الاسد الذي يهابه من نظر اليه وهو لمركبه اهيب

ليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته · وليس له ان يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه على غير ما يريد · وليس له ان يبخل لانه اقل الناس عذرًا في تخوف الفقر وليس له ان يكون حقودًا لان خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس · وليتق ان يكون حلافًا فأحق الناس باتقاء الايمان الملوك وانما يحمل الرجل على الحلف احدى

---

(١) الكلوح تكشر في عبوس

هذه الخلال اما مهانة يجدها في نفسه وضرعٌ وحاجة الى تصديق الناس اياه واما عيٌّ بالكلام حتى يجعل الايمان له حشوًا ووصلاً واما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزّل نفسه منزلة من لا يُقبل منه قوله الا بعد جهد اليمين واما عبث في القول اوارسال اللسان على غير روية ولا تقدير

لا عيب على الملك في تعيشه وتنعمه اذا تعهد الجسيم من امره وفوَّض ما دون ذلك الى الكفاة .

كل الناس حقيق، حين ينظر في امر الناس ان يتهم نظره بعين الريبة وقلبه بعين المقت فانهما يُريان الجور ويحملان على الباطل ويقبحان الحسن ويحسنان القبيح واحق الناس باتهام عين الريبة وعين المقت الملك الذي ما وقع في قلبه ربا مع ما يُقيض له من تزيين القرناء والوزراء واحق الناس باجبار نفسه على العدل في النظر والقول والفعل الوالي الذي ما قال او فعل كان امرًا نافذًا غير مردود

ليعلم الوالي أنَّ الناس يصفون الولاة بسوء العهد ونسيان الود فليكابد نقض قولهم وليبطل عن نفسه وعن الولاة صفات السوء التي يوصفون بها

ليتفقد الوالي فيما يتفقد من امور الرعية فاقةَ الاحرار منهم فليعمل في سدها وطغيانَ السفلة منهم فليقمعه وليستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع

لا يحسدن الوالي من دونه فانه في ذلك اقل عذرًا من السوقة التي انما تحسد من فوقها وكلٌّ لا عذر له

لا يلومنَّ الوالي على الزلة من ليس بمتهم على الحرص على رضاه الا لومَ ادب وتقويم ولا يعدلنَّ بالمجتهد في رضاه البصير بما يأتي احدًا فانهما اذا اجتمعا في الوزير او الصاحب نام الوالي واستراح وجُلبت اليه حاجاته وان هدأ عنها وعُمل فيما يهمه وان غفل

لا يولعن الوالي بسوء الظن لقول الناس وليجعل لحسن الظن من نفسه نصيبًا موفورًا يروّح به عن قلبه ويُصدر به اعماله

لا يضيعنَّ الوالي التثبت عند ما يقول وعند ما يعطي وعند ما يفعل فان الرجوع عن الصمت احسن من الرجوع عن الكلام وان العطية بعد المنع اجمل من المنع بعد الاعطاء وان الاقدام على العمل بعد التأني فيه احسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه وكل الناس محتاج الى التثبت واحوجهم اليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافع وليس عليهم مستحث

ليعلم الوالي ان الناس على رأيه الا من لا بال له منهم فليكن للبرّ والمروءة عنده نَفاقٌ فيكسد بذلك الجور والدناءة في آفاق الارض (١)

جِماعُ (٢) ما يحتاج اليه الوالي رأيان رأي بقوي سلطانه ورأي يزينه في الناس ورأي القوة احقهما بالبداءة (٣) واولاهما بالأثرة ورأي التزيين احضرهما حلاوة واكثرهما اعوانًا مع ان القوّة من الزينة والزينة من القوة لكن الامر ينسب الى اعظمه

ان شغلت بصحبة الملوك فعليك بطول الرابطة (٤) في غير معاتبة ولا يحدثن لك الاستئناس غفلة ولا تهاونًا

اذا رأيت احدهم يجعلك اخًا فاجعله ابًا ثم ان زادك فزده

اذا نزلت من ذي منزلة او سلطان فلا ترين ان سلطانه زادك له توقيرًا واجلالاً من غير ان يزيدك ودًّا ولا نصحًا وانك ترى حقًا له التوقير والاجلال وكن في مداراته والرفق به كالمؤتنف (٥) ما قبله ولا تقدر الامر بينك وبينه على ما كنت تعرف من اخلاقه فان الاخلاق مستحيلة مع الملك وربما رأينا الرجل المدلّ على ذي السلطان بقدمه قد اضرّ به قدمه

لا تعتذرنّ الا الى من يحب ان يجد لك عذرًا ولا تستعيننّ الا بمن يحب ان يظفر لك بحاجتك .

لا تحدثنّ الا من يرى حديثك مغنمًا ما لم يغلبك الاضطرار

اذا غرست من المعروف غرسًا وانفقت عليه نفقة فلا تضننّ بالنفقة في تربية ما غرست فتذهب النفقة الاولى ضياعًا

اذا اعتذر اليك معتذر فتلقه بوجهٍ مشرق وبشر طليق الا ان يكون ممن قطيعته غنيمة

اعلم أنّ اخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا . زينةٌ في الرخاء . وعدّة في الشدة . ومعونة في المعاش والمعاد فلا تفرّطن في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والاسباب اليهم

اعلم انك واجدٌ رغبتك من الإخاء عند اقوام قد حالت بينك وبينهم بعض الابهة (٦) التي قد تعتري اهل المروآت فتحجز منهم كثيرًا ممن يرغب في امثالهم فاذا رأيت احدًا من اولئك قد عثر به الزمان فأقله

(١) كسد الشيء لم ينفق لقلة الرغبات فيه ويعدى بالهمزة فيقال اكسده الله (٢) جماع الشيء بالكسر ما يجمعه ومنه الخمر جماع الاثم (٣) البداءة اسم من بدأ واما البداية بالياء فهو عامي (٤) الرابطة العلقة والوصلة وهذا المعنى غير مناسب لهذا الموضع فاملها محرفة من الرياضة (٥) ائتنف الشيء واستأنفه اخذ فيه وابتداه (٦) الابهة كسكرة العظمة والنخوة

اذا عرفت نفسك من الوالي بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرنّ من الدعاءله في كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمهُ على رؤوس الناس فلا تألُ عما عظمهُ ووقرهُ .

ان استطعت الا تصحب من صحبت من الولاة الا على شعبةٍ من قرابةٍ او مودة فافعل فان اخطأك ذلك فاعلم أنك تعمل على عمل السخرة وان استطعت ان تحمل صحبتك لمن قد عرفك منهم بصالح مروءتك (١) قبل ولايته فافعل

انّ الوالي لا علم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته فاما اذا ولي فكل الناس يلقاه بالتزين والتصنع وكلهم يحتال لان يُثني عليه عنده بما ليس فيه غيرَ أنّ الارذال والانذال هم اشدُّ لذلك تصنعاً وعليه مكابرةً وفيه تمحلاً فلا يمتنعُ الوالي وان كان بليغَ الرأي والنظر من ان ينزل عنده كثيرٌ من الاشرار بمنزلة الاخيار وكثيرٌ من الخانة بمنزلةا مناءِ وكثيرٌ من الغدَرَة بمنزلة الاوفياء ويغطى عليه امرُ كثير من اهل الفضل الذين يصونون انفسهم عن التمحل والتصنع

لا يعرفنك الولاةُ بالهوى في بلدةٍ من البلدان ولا قبيلةٍ من القبائل فيوشك ان تحتاج فيها الى حكايةٍ او مشاهدةٍ فتتهم في ذلك واذا اردت ان يُقبل قولك فصحح رأيك ولا تشوبنه بشيءٍ من الهوى فان الرأي يقبله منك العدوّ والهوى يردُّه عليك الوليُّ واحق من احترست من ان يظن بك خلط الرأي بالهوى الولاةُ فانها خديعة وخيانة وكفر

ان ابتليت بصحبة والٍ لا يريد صلاح رعيةٍ فاعلم انك قد خُيرت بين خلتين ليس بينهما خيار اما ميلك مع الوالي على الرعية وهذا هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالي وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك الا بالموت او الهرب . واعلم أنهُ لا ينبغي لك وان كان الوالي غير مَرضيّ السيرة اذا علقت حبالك بحبله الا المحافظةُ عليه الا ان تجد الى الفراق الجميل سبيلاً

تبصر ما في الوالي من الاخلاق التي تحب والتي تكره وما هو عليه من الرأي الذي يُرضى له والذي لا يُرضى ثم لا تكابره بالتحويل له عما يحب ويكره الى ما تحب وتكره فان هذه رياضة صعبة تحمل على التنائي والقلى

اعلم انك قلما تقدر على رد رجل عن طريقته التي هو عليها بالمكابرة والمناقضة وان لم يجمع عن السلطة ولكنك تقدر ان تعينه على احسن رأيه وتسبب له منه وتقويه فيه فاذا

(١) المروءة بضم الميم آداب نفسانية تحمل الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات وقد تشدّد فيقال مروّة

قويت منه المحاسن كانت هي التي تكفه عن المساوي واذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك هو الذي يبصره الخطأ بالطف من تبصيرك وادل من حكمك في نفسه فان الصواب يريد بعضه بعضاً ويدعو بعضه الى بعض فاذا كانت له مكانة اقتلع الخطأ فاحفظ هذا الباب واحكمه . ولا يكونن طلبك ما عند الوالي بالمسألة ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق له واستأن وان طالت الأناة (١) فانك اذا استحققته اتاك من غير طلب وان لم تستبطئه كان اعجل له

لا تخبرن الوالي أن لك عليه حقاً وانك تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان ينسى حقك وبلاءك فافعل وليكن ما تذكره من ذلك تجديدك له النصيحة والاجتهاد والا يزال ينظر منك الى آخر يذكره اول بلائك

واعلم ان ولي الامر اذا انقطع عنه الآخر نسي الاول وان الكثير من اولئك ارحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة الا عمن رضوا عنه واغنى عنهم في يومهم وساعتهم

اياك ان يقع في قلبك تعتب على الوالي او استزادة له فانه ان آنست ان يقع في قلبك بدا في وجهك ان كنت حليماً وبدا على لسانك ان كنت سفيهاً وان لم يزد ذلك على ان يظهر في وجهك لا من الناس عندك فلا تأمنن ان يظهر ذلك للوالي فان الناس اليه بعورات الاخوان سراع فاذا ظهر ذلك للوالي كان قلبه هو اسرع الى التعتب والتعزز من قلبك فمحق ذلك حسناتك الماضية واشرف بك على الهلاك وصرت تعرف امرك مستدبراً وتلتمس مرضاته مستصعباً

اعلم ان اكثر الناس عدواً مجاهراً حاضراً جريئاً واشياً وزير السلطان ذو المكانة عنده لانه منفوس (٢) عليه بما ينفس على صاحب السلطان ومحسود كما يحسد غيره وغيره انه يجترأ عليه ولا يجترأ على ذلك لان من حاسديه احباء السلطان الذين يشاركونه في المداخل والمنازل وهم وغيرهم . عدوه الذين هم حضاره ليسوا كعدو من فوقه النائي عنه المتكتم منه وهم لا ينقطع طمعهم من الظفر به فلا يغفلون عن نصب الحبائل فاعرف هذه الحال والبس لهؤلاء القوم الذين هم اعداؤك سلاح الصحة والاستقامة ولزوم الحجة فيما تسر وتعلن ثم روح من قلبك كأنه لا عدو لك ولا حاسد وان ذكرك ذاكر عند ولي الامر بسوء في وجهك او في غيبك فلا يرين منك الولي ولا غيره اختلاطاً لذلك ولا اغتياظاً ولا يقعن ذلك موقع ما يكرثك فانه ان وقع منك ذلك الموقع ادخل عليك اموراً مشتبهة

---

(١) استأنى في الامر تأنى فيه ولم يعجل والاسم منه أناة بوزن حصاة (٢) نفس عليه بخير حسده عليه ولم يره له اهلاً ونفس بالشيء ضن به وهو من باب سلم

بالريب مذكرة لما قال فيك العائب وان اضطرك الامر في ذلك الى الجواب فاياك وجواب الغضب والانتقام وعليك بجواب الحجة في حلم ووقار ولا تشكن في ان القوة والغلبة للحليم ابداً

لا تحضرن عند الوالي كلاماً لا يعني ولا يؤمر بحضوره الا لعناية به او يكون جواباً بالشيء سئلت عنه ولا تعدن شتم الوالي شتماً ولا اغلاظه اغلاظاً فان ريح العز قد تبسط اللسان بالفاظ في غير سخط ولا بأس

جانب المسخوط عليه والظنين (١) به عند الولاة ولا يجمعنك واياه مجلس ولا تظهرن له عذراً ولا تثنين عليه خيراً عند احد من الناس فاذا رأيته قد بلغ من الإعتاب (٢) مما سخط عليه فيه ما ترجو ان يلين له الوالي واستيقنت أنّ الوالي قد استيقن بتباعدتك اياه وشدتك عليه فضع عذره عند الوالي واعمل في ارضائه عنه في رفق ولطف

ليعلم الوالي انك لا تستنكف عن خدمته ولا تدع مع ذلك ان تقدم اليه القول عند بعض حالات رضاه وطيب نفسه في الاستعفاء من الاعمال التي يكرهها ذو الدين وذو العرض وذو المروءة من ولاية القتل والعذاب واشباه ذلك

اذا اصبت الجاه والخاصة عند الملك فلا يحدثن لك ذلك تغيراً على احد من اهله واعوانه ولا استغناء عنهم فانك لا تدري متى ترى ادنى جفوة فتذل لهم فيها وفي تلون الحال عند ذلك من العار ما فيه

ليكن مما تحكم من امرك ان لا تسار احداً من الناس ولا تهمس اليه بشيء تخفيه عن السلطان فان السرار مما يُخيل الى كل من رآه انه المراد به فيكون ذلك في نفسه حسيكة ووغراً وثقلاً (٣)

لا تتهاونن بارسال الكذبة (٤) عند الوالي او غيره في الهزل فانها تسرع في رد الحق وابطال الصدق مما تأتي به

تنكب فيما بينك وبين الوالي خلقاً قد عرفناه في بعض الاعوان والاصحاب في ادعاء الرجل عند ما يظهر من صاحبه من حسن اثر او صواب رأي انه هو عمل في ذلك او اشار به واقراره بذلك اذا مدحه مادح بل وان استطعت ان يعرف صاحبك انك تنحله (٥)

---

(١) الظنة بالكسر التهمة والظنين المتهم (٢) الاعتاب مصدر قولك اعتبني فلان اذا عاد الى مسرتك راجعاً عن الاساءة (٣) الحسيكة الضغن والعداوة — الوغر شدة الغيظ وهو مأخوذ من الوغرة وهي شدة توقد الحر (٤) الكذبة بفتح الكاف وسكون الذال وجمعها كذبات بفتح الذال (٥) يقال نحلته القول اذا اضفت اليه قولاً قاله غيره

صواب رأيك فضلاً عن انك تدعي صوابه وتسند ذلك اليه وتزينه فافعل فان الذي انت آخذ بذلك اكثر مما انت معطٍ باضعاف

اذا سأل الوالي غيرك فلا تكونن انت المجيب عنه فان استلابك الكلام خفةٌ بك واستخفاف منك بالمسؤول والسائل . وما انت قائل اذا قال لك السائل ما اياك سألت او قال لك المسؤول عند المسألة يعاد له بها دونك فاجب . واذا لم ينصب السائل في المسألة لرجل واحد وعمّ بها جماعة من عنده فلا تبادر بالجواب ولا تسابق الجلساء ولا تواثب الكلام مواثبةً فان في ذلك مع شين التكلف والخفة انك اذا سبقت القوم الى الكلام صاروا لكلامك خصماء فيتعقبونه بالعيب والطعن واذا انت لم تعجل بالجواب وخليته للقوم اعترضت اقاويلهم على عينك ثم تدبرتها وفكرت فيما عندك ثم هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت جواباً رضياً واستدبرت به اقاويلهم حتى تصيخ اليك الاسماع ويهدأ عنك الخصوم وان لم يبلغك الكلام حتى يكتفى بغيرك او ينقطع الحديث قبل ذلك فلا يكون من العيب عندك ولا من الغبن في نفسك فوتُ ما فاتك من الجواب فان صيانة القول خير من سوء وضعه وان كلمة واحدة من الصواب تصيب موضعها خيرٌ من مئة كلمة امثالها في غير فرصها ومواضعها مع ان كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير وان ظن صاحبه ان قد اتقن واحكم .

واعلم ان هذه الامور لا تنال الا برحب الذرع عند ما قيل وما لم يقل وقلة الاعظام لما ظهر من المروءة او لم يظهر وسخاوة النفس عن كثير من الصواب مخافة الخلاف والعجلة والحسد والمراء

اذا كلمك الوالي فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسك واحذر هذا من نفسك وتعهد ما فيه

ارفق بنظرائك من وزراء السلطان ودخلائه واتخذهم اخوانًا ولا تتخذهم اعداء ولا تنافسهم في الكلمة يتقربون بها والعمل يؤمرون به فانما انت في ذلك احد رجلين اما ان يكون عندك فضل على ما عند غيرك فسوف يبدو ذلك ويحتاج اليه ويلتمس منك وانت مجمل واما ان لا يكون ذلك عندك فما انت مصيب من حاجتك عندهم بمقاربتك وملاينتك وما انت واجد في موافقتك اياهم ولينك لهم من موافقتهم اياك ولينهم لك افضلُ مما انت مدركه بالمنافسة والمناظرة

لا تجترئن على خلاف اصحابك عند الوالي ثقةً باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك فانا قد رأينا الناس يعرفون فضل الرجل وينقادون له ويتعلمون منه وهم اخلياء فاذا حضروا

ذا السلطان لم يرض احد منهم ان يقرّ له وان يكون له عليه في الرأي والعلم فضلٌ فاجترؤوا عليه بالخلاف والنقض فان ناقضهم كان كأحدهم وليس بواجد في كل حين سامعاً فعلاً وقاضياً عدلاً وان ترك مناقضتهم صار مغلوب الرأي مردود القول

اذا اصبت عند الوالي لطف منزلة لغناء (١) يجده عندك او هوى يكون له فيك فلا تطمحن كل الطماح ولا تزيننّ لك نفسك المزايلة له عن اليفه وموضع ثقته وسره قبلك بان تقتلعه وتدخل دونه فان هذه خلّة من خلال السفه قد يبتلى بها الحلماء عند الدنو من ذي السلطان حتى يحدّث الرجل منهم نفسه ان يكون دون الاهل والولد لفضل يظنه في نفسه او نقص يظنه بغيره ولكل رجل من الملوك او ذي هيئة من السوقة (٢) اليفٌ وانيسٌ قد عرف روحه واطلع على قلبه فليست عليه مؤونة في تبذّل يتبذل له عنده او رأي يستنزله منه او سر يفشيه اليه غير ان تلك الأنسة (٣) وذلك التبذل يخرج من كل واحد منهما ما لم يكن ليظهر منه عند الانقباض والتشدد ولو التمس ملتمسٌ مثل ذلك عند من يستأنف ملاطفته وموانسته ان كان ذا فضل من الرأي والعلم لم يجد عنده مثل ما هو منتفع به ممن هو دون ذلك في الرأي ممن قد كفي موانسته ووقع على طباعه لان الأنسة روح القلب والوحشة روع عليه ولا يناط (٤) بالقلب الا الا ان عليها ومن استقبل تأسيس الوحشة استقبل امراً ذا مؤونة فاذا كفتك نفسك السمو الى منزلة من وصفت فاقدعها عن ذلك بمعرفة فضل الاليف والانيس واذا حدثتك نفسك او غيرك ممن لعله يكون له فضل في المروءة انك اولى بالمنزلة عند الكبير من بعض دخلائه وثقاته فاذكر الذي عليه من حق اليفه وثقته وانيسه في التكرمة والذي يعينه على ذلك من الرأي انه يجد عنده من الالف والأنس ما ليس واجداً عند غيره فليكن هذا مما تحفظ فيه على نفسك وتعرف فيه عذر الرجل ورأيه والرأي فيه لنفسك في مثل ذلك ان ارادك مريد على الدخول دون انيسك واليفك وموضع ثقتك وجدك وهزلك

اعلم انه تكاد تكون لكل رجل غالبةٌ حديث اما عن بلد من البلدان او ضرب من ضروب العلم او صنف من صنوف الناس او وجه من وجوه الرأي وعند ما يغرم به الرجل من ذلك يبدو منه السخف ويعرف منه الهوى فاجتنب ذلك في كل موطن ثم عند اولي الامر خاصة

(١) الغناء بالفتح الكفاية (٢) السوقة خلاف الملك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما جمع على سوق مثل غرفة وغرف (٣) الانسة بالتحريك ضد الوحشة (٤) التاط الشيء بقلبه لصق به من فرط الحب

لا تشكونَّ الى وزراء السلطان ودخلائه ما اطلعت عليه من رأي تكرهه له فانك لا تزيد على ان تُفطنهم لميله وتُغريهم بتزيين ذلك له والميل عليك معه

اعلم ان الرجل ذا الجاه عند الوالي والخاصة لا محالة انه يرى من الوالي ما يخالفه من الرأي في الناس والامور فاذا آثر ان يكره كل ما يخالفه او يتمعض من الجفوة يراها في المجلس او النبوة في الحاجة او الرد للرأي او الادناء لمن لا يهوى ادناءه والاقصاء لمن يكره اقصاءه فاذا وقعت في قلبه الكراهية تغير لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتى يبدو ذلك للوالي وغيره وكان ذلك لفساد منزلته سبباً فذلل نفسك باحتمال ما خالفك من رأي الولاة وقررها بانهم انما كانوا اولياءك لتتبعهم في آرائهم واهوائهم ولا تكلفهم اتباعك وتغضب من خلافهم اياك

اعلم ان الملوك يقبلون من وزرائهم التبخيل ويعدونه منهم شفقة ونظرًا ويحمدونهم عليه وان كانوا اجوادًا فان كنت مبخلاً غششت صاحبك بفساد مروءته وان كنت مسخياً لم تأمن اضرار ذلك بمنزلتك عنده فالرأي لك تصحيح النصيحة على وجهها والتماس المخرج فيما تتوك من تبخيل صاحبك بان لا يعرف منك فيما تدعوه اليه ميلاً الى شيء من هواك ولا طلباً لغير ما ترجو ان يزينه وينفعه

لا تكوننَّ صحبتك للملوك الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الامور على ميلهم دون ميلك وعلى ان لا تكتمهم سرك ولا تستطلع ما كتموه وتخفي ما اطلعوك عليه من الناس كلهم حتى تحمي نفسك الحديث به وعلى الاجتهاد في رضاهم والتلطف لحاجاتهم والتثبيت لحجتهم والتصديق لمقالتهم والتزيين لرأيهم وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا اذا اساءوا وترك الاستحسان لما فعلوا اذا احسنوا وكثرة النشر لمحاسنهم وحسن الستر لمساويهم والمقاربة لمن قاربوا وان كان بعيدًا والمباعدة لمن باعدوا وان كانوا اقرباء والاهتمام بامرهم وان لم يهتموا به والحفظ له وان ضيعوه والذكر له وان نسوه والتخفيف عنهم لمؤونتك والاحتمال لهم كل مؤونة والرضى عنهم بالعفو وقلة الرضى من نفسك لهم بالمجهود فان وجدت عنهم وعن صحبتهم غنى فأغنِ عن ذلك نفسك واعتزله جهدك فان من يأخذ عملهم يحول بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لا يأخذ بحقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة . انك لا تأمن أنفهم ان اعلمتهم ولا عقوبتهم ان كتمتهم ولا تأمن غضبهم ان صدقتهم ولا تأمن سلوتهم ان حدثتهم . ان لزمتهم لم تأمن تبرمهم بك وان زايلتهم لم تأمن عقابهم . انك ان تستأمرهم حملت المؤونة عليهم وان قطعت الامر دونهم لم تأمن فيه مخالفتهم . انهم ان سخطوا عليك اهلكوك وان رضوا عنك تكلفت من

رضاهم ما لا تطيق فان كنت حافظاً ان بلوك جلداً ان قربوك اميناً ان ائتمنوك تشكرهم ولا تكلفهم الشكر بصيراً باهوائهم مؤثراً لمنافعهم ذليلاً ان ظلموك راضياً ان اسخطوك والا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر

باب الصديق

ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك وتحننك ولعدوك عدلك واضنن بدينك وعرضك عن كل احد

ان سمعت من صاحبك كلاماً او رأياً يعجبك فلا تنتحله تزيناً به عند الناس واكتف من التزين بان تجتني الصواب اذا سمعته وتنسبه الى صاحبه . واعلم ان انتحالك ذلك مسخطة لصاحبك وان فيه مع ذلك عاراً فان بلغ ذلك بك ان تشير برأي الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء وهذا من سوء الادب الفاشي في الناس . ومن تمام حسن الخلق والادب ان تسخو نفسك لاخيك بما انتحل من كلامك ورأيك وتنسب اليه رأيه وكلامه وتزينه مع ذلك ما استطعت

لا يكونن من خلقك ان تبتدئ حديثاً ثم تقطعه وتقول سوف كأنك روأت فيه بعد ابتدائه وليكن ترويك فيه قبل التفوه فان احتجان الحديث بعد افتتاحه سخف (١)

اخزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل حين يحسن كل الصواب وانما تمام اصابة الرأي والقول باصابة الموضع فان اخطأك ذلك ادخلت المحنة على علمك حتى تأتي به ان اتيت به في غير موضعه وهو لا بهاء ولا طلاوة له

لتعرف العلماء حين تجالسهم انك على ان تسمع احرص منك على ان تقول

ان آثرت ان تفاخر احداً ممن تستأنس اليه في لهو الحديث فاجعل غاية ذلك الجد ولا تعدون ان تتكلم فيه بما كان هزلاً فاذا بلغ الجد او قاربه فدعه ولا تخلطن بالجد هزلاً ولا بالهزل جداً فانك ان خلطت بالجد هزلاً هجنته وان خلطت بالهزل جداً كدرته غير اني قد علمت موطناً واحداً ان قدرت ان تستقبل فيه الجد بالهزل اصبت الرأي وظهرت على الاقران وذلك ان يتوردك متورد بالسفه والغضب فتجيبه اجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق

ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك فانما هو احد رجلين ان كان

---

(١) الروية الفكر والتدبر وهي كلمة جرت على السنتهم بغير همز تخفيفاً وهي من روأت في الامر بالهمز اذا نظرت فيه . واحتجن المال ضمه الى نفسه وامسكه

رجلاً من اخوان الثقة فانفعُ مواطنه لك اقربها من عدوك لشرّ يكفه عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك وان كان رجلاً من غير خاصة اخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من تهوى ·

تحفظ في مجالسك وكلامك من التطاول على الاصحاب وطب نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي مداراةً لئلا يظن اصحابك ان ما بك التطاولُ عليهم

اذا اقبل اليك مقبل بوده فسرّك الا يدبر عنك فلا تنعم الاقبال عليه والتفتح له فان الانسان طُبع على ضرائب لؤم فمن شأنه ان يرحل عمن لصق به ويلصق بمن رحل عنه

لا تكثرنّ ادعاء العلم في كل ما يعرض فانك من ذلك بين فضيحتين اما ان ينازعوك فيما ادعيت فيهجم منك على الجهالة والصلف (١) واما الاّ ينازعوك ويخلوا الامور في يديك فينكشف منك التصنع والمعجزة

استحي الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل مصرّحا او معرضاً وان استطلت على الاكفاء فلا تثقن منهم بالصفاء

ان آنست من نفسك فضلاً فتحرج ان تذكره او تبديه فاعلم ان ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب اكثر مما يقرر لك من الفضل واعلم انك ان صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف ولا يخفين عليك ان حرص الرجل على اظهار ما عنده وقلةَ وقاره في ذلك باب من البخل واللؤم وان من خير الاعوان على ذلك السخاء والتكرم

ان احببت ان تلبس ثوب الوقار والجمال وتحلى بحلية المودة عندالعامة وتسلك الجدَدَ الذي لاخبار (٢) فيه ولاعثار فكن عالماً كجاهل وناطقاً كعيّ · فاما العلم فيرشدك واما قلة ادعائه فينفي عنك الحسد واما المنطق اذا احتجت اليه فسيبلغ حاجتك واما الصمت فيكسبك المحبة والوقار

واذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبرًا قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تتعقبه عليه حرصاً على ان يعلم الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وشحاً وسوء ادب وسخفاً ليعرف اخوانك والعامة انك ان استطعت ان تكون الى ان تفعل ما لا تقول اقربُ

(١) الصلف مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرًا (٢) الجدد المستوي من الارض وقيل الارض الصلبة وفي المثل من سلك الجدد امن العثار · والخبار ارض رخوة فيها حجرة وفي المثل من تجنب الخبار امن العثار

منك الى ان تقول ما لا تفعل فعلت فان فضل القول على الفعل عارٌ وهجنةٌ وفضل الفعل على القول زينة وانت حقيق فيما وعدت من نفسك او اخبرت صاحبك عنه ان تحتجن بعض ما في نفسك اعداداً لفضل الفعل على القول وتحرّزاً بذلك عن تقصير فعل ان قصر وقلما يكون الا مقصراً

احفظ قول الحكيم الذي قال لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل وفيما بينك وبين صديقك الرضى وذلك ان العدو خصم تضربه بالحجة وتغلبه بالحكام وان الصديق ليس بينك وبينه قاضٍ فانما حكمه رضاه

اجعل عامة تشبثك في مؤاخاة من تؤاخي ومواصلة من تواصل(؟) ووطن نفسك على انه لا سبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة التي تطلقها اذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك فانما مروءة الرجل اخوانه واخدانه فان عثر الناس على انك قطعت رجلاً من اخوانك وان كنت معذراً نزل ذلك عند اكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء والملال وان انت صبرت مع ذلك على مقارنته على غير الرضى عاد ذلك الى العيب والنقيصة فالاتئاد الاتئاد والتثبت التثبت

اذا نظرت في حال من ترتئيه لاخائك فان كان من اخوان الدين فليكن فقيهاً ليس بمراء ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حراً ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع فان الجاهل اهلٌ لان يهرب منه ابواه وان الكذاب لا يكون اخاً صادقاً لان الكذب الذي يجري على لسانه انما هو من فضول كذب قلبه وانما سمي الصديق من الصدق وقد يتهم صدق القلب وان صدق اللسان فكيف اذا ظهر الكذب على اللسان وان الشرير يكسبك العدو ولا حاجة لك في صداقة تجلب العداوة وان المشنوع شانع صاحبه

تحرّز من سكر السلطة وسكر العلم وسكر المنزلة وسكر الشباب فانه ليس من هذا شيء الا وهو ريح جنة تسلب العقل وتذهب الوقار وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان عن المنافع

اعلم ان انقباضك عن الناس يكسبك العداوة وان تفرشك لهم يكسبك صديق السوء وفسولة الاصدقاء اضرّ من بغض الاعداء فانك ان واصلت صديق السوء اعيتك جرائره وان قطعته شانك اسم القطيعة والزمك ذلك من يرفع عيبك ولا ينشر عذرك فان المعايب تُنمى والمعاذير لا تُنمى

البس للناس لباسين ليس للعاقل بدٌ منهما ولا عيش ولا مروءة الا بهما لباس انقباض واحتجاز تلبسه للعامة فلا تلقين الا متحفظاً متشدداً متحرزاً مستعداً ولباس انبساط واستئناس تلبسه للخاصة من الثقات فتلقاهم ببنات صدرك وتفضي اليهم بموضوع حديثك وتضع عنك

مؤونة الحذر والتحفظ فيما بينك وبينهم واهل هذه الطبقة الذين هم اهلها قليل لان ذا الرأي لا يُدخل احداً من نفسه هذا المدخل الا بعد الاختبار والسبر والثقة بصدق النصيحة ووفاء العقل ·

اعلم ان لسانك اداة مغلبة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك فكل غالب عليه مستمتعٌ بهو صارفه في محبته فاذا غلب عليه عقلك فهو لك واذا غلب عليه شيء من اشباه ما سميتُ لك فهو لعدوك فان استطعت ان تحتفظ به فلا يكون الا لك ولا يستولي عليه او يشاركك عدوك فيه فافعل

اذا نابت اخاك احدى النوائب من زوال نعمة او نزول بلية فاعلم انك قد ابتليت معه اما بالمؤاساة فتشاركه في البلية واما بالخذلان فتحتمل العار فالتمس المخرج عند اشتباه ذلك وآثر مروتك على ما سواها فان نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة اخيك فيها فاجمل فلعل الاجمال يسعك لقلته في الناس

اذا اصاب اخاك فضل فانه ليس في دنوك منه وابتغائك مودته وتواضعك له مذلة فاغتنم ذلك واعمل فيه

اذا كانت لك عند احد صنيعةٌ او كان لك عليه طَول فالتمس احياء ذلك باماتته وتعظيمه بالتصغير له ولا تقتصرن في قلة المنّ على ان تقول لا اذكره ولا اصغي بسمعي الى من يذكره فان هذا قد يستحيي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم ولكن احذر ان يكون في مجالستك اياه وما تكلمه به او تستعينه عليه او تجاريه فيه شيء من الاستطالة فان الاستطالة تهدم الصنيعة وتكدر المعروف

احترس من سورة الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل واعدد لكل شيء من ذلك عُدة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة واعلم انك لا تصيب الغلبة الا بالجهاد وان قلة الاعداد لموافقة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام وانه ليس احد الا فيه من كل طبيعة سوء غريزة وانما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء فاما ان يسلم احد من ان تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع الا ان الرجل القوي اذا كابرها بالقمع لها كلما تطلعت لم يلبث ان يميتها حتى كأنها ليست فيه وهي في ذلك كامنة كمون النار في العود فاذا وجدت قادحاً من غير علة او غفلة استورت كاستوري عند القدح ثم لا يبدأ ضرها الا بصاحبها كما لا تبدأ النار الا بعودها التي كانت فيه

ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك ما لا يكاد يخطئك فان الصبر صبران صبر الرجل على ما يكره وصبره عما يحب فالصبر على المكروه

اكثرها واشبهها ان يكون صاحبه مضطراً واعلم ان اللئام اصبر اجساداً والكرام اصبر نفوساً وليس الصبر الممدوح بان يكون جلد الرجل وقاحاً او رجله قوية على المشي او يده قوية على العمل فانما هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون للنفس غلوباً وللامور محتملاً وفي الضر متجملاً ولنفسه عند الرأي والحفاظ مرتبطاً وللحزم مؤثراً وللهوى تاركاً وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفاً وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات مواظباً ولبصره بعزمه منفذاً

حبب الى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك وبلغتك . واعلم ان العلم علمان علم للمنافع وعلم لتزكية العقل وافشى العلمين واجداهما ان ينشط له صاحبه من غير ان يحرّض عليه علم المنافع وللعلم الذي هو ذكاء العقول وصقالها وجلاؤها فضيلة منزلة عند اهل الفضل في الالباب

عود نفسك السخاء واعلم انهما سخاآن سخاوة نفس الرجل بما في يديه وسخاوته عما في ايدي الناس وسخاوة نفس الرجل بما في يديه اكثرهما واقربهما من ان تدخل فيه المفاخرة وتركه ما في ايدي الناس امحض في التكرم وابرأ من الدنس فان هو جمعهما فبذل وعف فقد استكمل الجود والكرم

ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك الا تكون حسوداً فان الحسد خلق لئيم ومن لؤمه انه يوكل بالادنى فالادنى من الاقارب والاكفاء والخلطاء فليكن ما تقابل به الحسد أن تعلم أنَّ خير ما تكون حين تكون مع من هو خيرٌ منك وأنَّ غنماً لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل منك في العلم فتقتبس من علمه وافضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته وافضل منك في المال فتفيد من ماله وافضل منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهه وافضل منك في الدين فتزداد صلاحاً بصلاحه

ليكن ما تنظر فيه من امر عدوك وحاسدك ان تعلم انه لا ينفعك ان تخبر عدوك انك له عدو فتنذره نفسك وتؤذنه بحربك قبل الاعداد والفرصة فتحمله على التسلح لك وتوقد ناره عليك

اعلم ان اعظم خطرك ان تري عدوك انك لا تتخذه عدواً فان ذلك غرّة له وسبيل لك الى القدرة عليه فان انت قدرت فاستطعت اغتفاراً لعداوته عن ان تكافي بها فهنالك استكملت عظيم الخطر وان كنت مكافئاً بالعدوة والضرر فاياك ان تكافي عداوة السر بعداوة العلانية وعداوة الخاصة بعداوة العامة فان ذلك هو الظلم والعار. واعلم مع ذلك انه ليس كل العداوة والضرر يكافأ بمثله كالخيانة لا تكافأ بالخيانة والسرقة لا تكافأ بالسرقة ومن الحيلة في امرك مع عدوك ان تصادق اصدقاءه وتؤاخي اخوانه فتدخل بينه وبينهم

في سبيل الشقاق والتجافي ، فانه ليس رجل ذو طرق (١) يمتنع من مؤاخاتك اذا التمست ذلك منه . وان كان اخوان عدوك غيرَ ذوي طرق فلا عدوّ لك

لا تدع مع السكوت عن شتم عدوك احصاء معايبه ومثالبه واتباع عوراته حتى لا يشذ عنك من ذلك صغير ولا كبير من غير ان تشيع عليه فيتقيك به و يستعد له او تذكره في غير موضعه فتكون كمستعرض الهواء بنبله قبل امكان الرمي

لا تتخذ اللعن والشتم على عدوك سلاحاً فانه لا يجرح في نفس ولا في مال ولا دين ولا منزلة

ان اردت ان تكون داهياً فلا تحبن ان تسمى داهياً فانه من عُرف بالدهاء خاتل علانية وحذره الناس حتى يمتنع منه الضعيف وان من ارب الاريب دفن اربه ما استطاع حتى يُعرف بالمسامحة في الخليقة والطريقة ومن اربه ألاّ يؤارب العاقل المستقيم له الذي يطلع على غامض اربه فيمقته عليه

ان اردت السلامة فاشعر قلبك الهيبة للامور من غير ان تظهر منك الهيبة فيفطن الناس لهيبتك ويجرّئهم عليك ويدعو ذلك اليك منهم كل ما تهاب فأشعب لمداراة ذلك من كتمان المهابة واظهار الجراءة والتهاون طائفة من رأيك . وان ابتليت بمجازاة عدو مخالف فالزم هذه الطريقة التي وصفت لك من استشعار الهيبة واظهار الجراءة والتهاون وعليك بالحذر في امرك والجراءة في قلبك حتى تملأ قلبك جراءة و يستفرغ عملك الحذر

انّ من عدوّك من تعمل في هلاكه ومنهم من تعمل في البعد عنه فاعرفهم على منازلهم ومن اقوى القوة لك على عدوّك واعز انصارك في الغلبة ان تحصي على نفسك العيوب والعورات كما احصيتها على عدوك وتنظر عند كل عيب تراه او تسمعه لاحد من الناس هل قارفت مثله او ما شاكله فان كنت قارفت منه شيئاً فأحصه فيما تحصي على نفسك حتى اذا احصيت ذلك كله فكابر عدوك باصلاح عيوبك وتحصين عوراتك واحراز مقاتلك وخذ نفسك بذلك تمسياً مصبحاً فاذا آنست منها دفعاً لذلك او تهاوناً به فاعدد نفسك عاجزاً ضائعاً جانياً معوراً لعدوك ممكناً له من رميك وان حصل من عيوبك بعض ما لا تقدر على اصلاحه من امر قد مضى يعيبك عند الناس ولا تراه انت عيباً فاحفظ ذلك وما عسى ان يقول فيه قائل من حسبك او مثالب آبائك او عيب اخوانك ثم اجعل ذلك كله نصب عينيك واعلم ان عدوك مريدك بذلك فلا تغفل عن التهيؤ له والاعداد اقوتك وحجتك وحيلتك فيه سراً

---

(١) الطرق بفتح فسكون ضعف العقل وقد طرق كعني فهو مطروق ويقال فلان به طرقة اي هوج . وطرق فلان واخذ في التطريق اذا احتال

وعلانية فاما الباطل فلا تروعن به قلبك ولا تستعدن له ولا تشتغلن به فانه لا يهولك مالم يقع واذا وقع اضمحل

اعلم انه قلما يُبدِه احد بشيء يعرفه من نفسه وقد كان يطمع في اخفائه عن الناس فيعيره به معير عند السلطان او غيره الا كاد يشهد به عليه وجهه وعيناه ولسانه للذي يبدو منه عند ذلك والذي يكون من انكساره وفتوره عند تلك البداهة فاحذر هذه وتصنع لها وخذ اهبتك لبغتاتها

اعلم ان من اوقع الامور في الدين وانهكها للجسد واتلفها للمال واضرها بالعقل واسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرام بالنساء ومن البلاء على المغرم بهن انه لا ينفك يأجم ما عنده وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهن . وانما النساء اشباهٌ وما يرى في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن باطلٌ وخدعةٌ بل كثيرٌ مما يرغب عنه الراغب مما عنده افضل مما تتوق اليه نفسه وانما المترغب عما في رحله منهن الى ما في رحال الناس كالمترغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام وما في رحال الناس من الاطعمة اشد تفاضلاً وتفاوتاً مما في رحالهم من النساء . ومن العجب ان الرجل الذي لا بأس في لبه يرى المرأة من بعيدٍ متلففةً في ثيابها فيصور لها في قلبه الحسن والجمال حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم منها على اقبح القبح وادمّ الدمامة فلا يعظه ذلك عن امثالها ولا يزال مشغوفاً بمالم يذق حتى لولم يبق في الارض غير امرأة واحدة لظن ان لها شأناً غير شأن ما ذاق وهذا هو الحمق والشقاء ومن لم يحم نفسه ويظلفها ويجلها عن الطعام والشراب والنساء في بعض ساعات شهوته وقدرته كان ايسر ما يصيبه من وبال امره انقطاع تلك اللذات عنه بخمود نار شهوته وضعف عوامل جسده وقلّ من تجد الا مخادعاً لنفسه في امر جسده عند الطعام والشراب والحمية والدواء وفي امر مروءته عند الاهواء والشهوات وفي امر دينه عند الريبة والشبهة والطمع

ان استطعت ان تنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال ورأي وفعل فافعل فان رفع الناس اياك فوق المنزلة التي تحط اليها نفسك وتقريبهم اياك في المجلس الذي تباعدت عنه وتعظيمهم من امرك ما لم تعظم وتزيينهم من كلامك ورأيك مالم تزين هو الجمال

لا يعجبنك العالم ما لم يكن عالماً بمواضع ما يعلم ... على الكلام وقتاً فلا تغلبن على السكوت فانه لعله يكون المراء واعرفه ولا يمنعك حذر المراء من حسن المناظرة والمجادلة

واعلم ان المماري هو الذي لا يحب ان يتعلم ولا يتعلم منه فلن زعم زاعم انه انما يجادل في الباطل عن الحق فان المجادل وان كان ثابت الحجة ظاهر البينة فانه يخاصم الى غير قاض وانما قاضيه الذي لا يعدو بالخصومة الا اليه عدلُ صاحبه وعقله فان آنس او رجا من صاحبه عدلاً يقضي به على نفسه فقد اصاب وجه امره وان تكلم على غير ذلك كان ممارياً

ان استطعت ان لا تخبر اخاك عن ذات نفسك بشيء الا وانت محتجنٌ عنه بعض ذلك التماساً لفضل الفعل على القول واستعداداً لتقصير فعل ان قصر فافعل واعلم ان فضل الفعل على القول زينة وفضل القول على الفعل هجنة وان احكام هذه الخلة من غرائب الخلال

اذا تراكمت الاعمال عليك فلا تلتمس الروح في مدافعتها بالروغان منها فانه لا راحة لك الا في اصدارها وان الصبر عليها هو يخففها وان الضجر منها هو يراكمها عليك فتعهد من ذلك في نفسك خصلة قد رأيتها تعتري بعض اصحاب الاعمال ان الرجل يكون في امر من امره فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخيره فيكدر ذلك بنفسه تكديراً يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتى لا يحكم واحداً منهما فان ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك الذي تختار به الامور ثم اختر اولى الامرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه ولا يعظمن عليك فوت ما فات وتأخير ما تأخر اذا اعملت الرأي معمله وجعلت شغلك في حقه

اجعل لنفسك في كل شيء غاية ترجو القوة والتمام عليها واعلم انك ان جاوزت الغاية في العبادة صرت الى التقصير وان جاوزتها في حمل العلم صرت من الجهال وان جاوزت تهافي تكلف رضى الناس والخفة معهم في حاجاتهم كنت المصنع المحشود

اعلم ان بعض العطية لؤم وبعض البيان عيٌّ وبعض العلم جهل فان استطعت ان لا يكون عطاؤك خوراً ولا بيانك هذراً ولا علمك جهلاً فافعل

اعلم انه ستمر عليك احاديث تعجبك اما مليحة واما رائعة فاذا اعجبتك كنت خليقاً بان تحفظها فان الحفظ موكل بما راع وستحرص على ان تعجب منها الاقوام فان الحرص على ذلك التعجب من شأن الناس وليس كل معجب لك معجباً لغيرك واذا نشرت ذلك مرة او مرتين فلم تره وقع من السامعين موقعه منك فازدجر عن العود فان العجب من غير عجيب سخف شديد وقد رأينا من الناس من يعلق الشيء ولا يقلع عن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول اصحابه له من ان يعود ثم يعود

اياك والاخبار الرائعة وتحفظ منها فان الانسان من شأنه الحرص على الاخبار لا سيما ما راع منها فاكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالي ممن سمع وذلك مفسدة للصدق

ومزراةٌ بالرأي فان استطعت الاَّ تخبر بشيء الا وانت به مصدق وألاَّ يكون تصديقك الا ببرهان فافعل

ولا تقل كما يقول السفهاء أخبر بما سمعت فان الكذب اكثر ما انت سامع وان السفهاء اكثر من هو قائل وانك ان صرت للاحاديث واعياً وحاملاً كان ما تعي وتحمل عن العامة اكثر مما يخترع المخترع باضعاف

انظر من صاحبت من الناس من ذي فضل عليك بسلطان ومنزلة ومن دون ذلك من الخلصاء والاكفاء والاخوان فوطن نفسك في صحبته على ان تقبل منه العفو وتسخو نفسك عما اعتاص مما قبله غير معاتب ولا مستبطيء ولا مستزيد فان المعاتبة مقطعة للود وان الاستزادة من الجشع وان الرضى بالعفو والمسامحة في الخلق مقرب لك كل ماتتوق اليه نفسك مع بقاء العرض والمودة والمروءة

اعلم انك ستبتلى من اقوام بسفه وان سفه السفيه سيطلع لك منه فان عارضته اوكافأته بالسفه فكأنك قد رضيت ما اتى به فاجتنب ان تحتذي مثاله فان كان ذلك عندك مذموماً فحقق ذمك اياه بترك معارضته فأما ان تذمه وتمثله فليس ذلك لك

لا تصاحبن احداً وان استأنست به اخا قرابة او اخا مودة ولا والداً ولا ولداً الا بمروة فان كثيراً من اهل المروة قد يحملهم الاسترسال او التبذل على ان يصحبوا كثيراً من الخلصاء بالادلال والتهاون ومن فقد من صاحبه صحبة المروة ووقارها احدث له في قلبه رقة شأن وخفة منزلة

لا تلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه بكل كلمة وراي ولا تجترئن على تقريعه وتبكيته بظفرك اذا استبان وحجتك اذا وضحت فان اقواماً يحملهم حب الغلبة وسفه الرأي في ذلك على ان يتعقبوا الكلمة بعد ما تُنسى فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الاصحاب وذلك ضعف في العقل ولؤم في الاخلاق

لا يعجبنك اكرام من يكرمك لمنزلة او سلطان فان السلطة اوشك امور الدنيا زوالاً ولا يعجبنك اكرامهم اياك للنسب فان الانساب اقل مناقب الخير غناء عن اهلها في الدين والدنيا ولكن اذا أكرمت على دين او مروءة فذلك فليعجبك فان المروءة لا تزايلك في الدنيا والدين لا يزايلك في الآخرة

اعلم ان الجبن مقتلة وان الحرص محرمة فانظر فيما رأيت او سمعت أمن قتل في القتال مقبلاً اكثر ام من قتل مدبراً وانظر أمن يطلب اليك بالاجمال والتكرم احق ان تسخو اليك نفسك بطلبته ام من يطلب اليك بالشره

اعلم انه ليس كل من كان لك فيه هوى فذكره ذا كرٌ بسوء وذكرته انت بخير ينفعه ذلك او يضره فلا يستخفنك ذكر احد من صديق او عدو الا في موطن دفع او محاماة فان صديقك اذا وثق بك في مواطن المحاماة لم يحفل بما تركت مما سوى ذلك ولم يكن له عليك سبيل لائمة وان الاحزم في امر عدوك ان لا تذكره الاحيث يضره وألا تعد يسير الضرّ ضراً

اعلم ان الرجل قد يكون حلياً فيحمله الحرص على ان يقال جليدٌ والمخافة ان يقال مهين على ان يتكلف الجهل وقد يكون الرجل زميتاً(١) فيحمله الحرص على ان يقال لسن والمخافة من ان يقال عيٌّ على ان يقول في غير موضعه فيكون هذراً فاعرف هذا واشباهه واحترس منه كله

اذا بدهك امران لا تدري ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه فان اكثر الصواب في خلاف الهوى

يجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك اليهم في لين كلمتك وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك

لا تجالس امرءاً بغير طريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل بالعلم والجافي بالفقه والعيّ بالبيان لم تزد على ان تضيع عقلك وتؤذي جليسك بحملك عليه ثقل ما لا يعرف وغمّك اياه بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي لا يفقه واعلم انه ليس من علم تذكره عند غير اهله الا عادوه ونصبوا له ونقضوه عليك وحرصوا على ان يجعلوه جهلا حتى ان كثيراً من اللهو واللعب الذي هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به . ليعلم صاحبك انك حدبٌ على صاحبه واياك ان عاشرك امرؤ ورافقك ان لا يرى منك بأحد من اصحابه واخدانه رأفة فان ذلك يأخذ من القلوب مأخذاً وان لطفك بصاحب صاحبك احسن عنده موقعاً من لطفك به بنفسه

اتق الفرح عند المحزون واعلم انه يحقد على المنطلق ويشكر للمكتئب

اعلم انك ستسمع من جلسائك الرأي والحديث تنكره وتستجفيه من محدث عن نفسه او عن غيره فلا يكونن منك التكذيب ولا التسخيف لشيء مما يأتي به جليسك ولا يجرئنك على ذلك ان تقول انما حدث عن غيره فان كل مردود عليه سيتمعض (٢) من الرد وان كان في القوم من تكره ان يستقر في قلبه ذلك القول لخطأ تخاف ان يعقد عليه او مضرة تخشاها على احد فانك قادر على ان تنقض ذلك في سر فيكون ايسر للنقض وابعد للبغضة

(١) الزميت كامير وسكيت الحكيم الساكن القليل الكلام كالصميت (٢) امتعض من الشيء غضب منه وشق عليه

واعلم ان البغضة خوف والمودة امن فاستكثر من المودة صامتاً فان الصمت يدعوها اليك وناطقاً بالحسنى فان المنطق الحسن يزيد في ود الصديق ويسل سخيمة (١) الوغر

واعلم ان خفض الصوت وسكون الريح ومشي القصد من دواعي المودة اذا لم يخالط ذلك بأو (٢) ولا عجب اما العجب فهو من دواعي المقت والشنآن

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول. واعلم ان المستشار ليس بكفيل والرأي ليس بمضمون بل الرأي كله غرر لان امور الدنيا ليس شيء منها بثقة ولانه ليس شيء من امرها يدركه الحازم الا وقد يدركه العاجز بل ربما اعيا الحزمة ما امكن العجزة فاذا اشار عليك صاحبك برأي فلم تجد عاقبته على ما كنت تأمل فلا تجعل ذلك عليه لوماً وعذلاً تقول انت فعلت هذا بي وانت امرتني ولولا انت ولا جرم لا اطيعك فان هذا كله ضجر ولؤم وخفة وان كنت انت المشير فعمل برأيك او ترك فبدا صوابك فلا تمتن ولا تكثرن ذكره ان كان في نجاح ولا تلم عليه ان كان استبان في تركه ضرراً تقول: الم اقل لك الم افعل فان هذا مجانب لادب الحكماء

اعلم فيما تكلم به صاحبك ان مما يهجن صواب ما تأتي به ويذهب بهجته ويذري بقبوله عجلتك في ذلك قبل ان يفضي اليك بذات نفسه. ومن الاخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع فيه ومن الاخلاق التي انت جدير بتركها اذا حدث الرجل حديثاً تعرفه الا تسابقه اليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه حتى كأنك تظهر للناس بانك تريد ان يعلموا انك تعلم من مثل الذي يعلم وما عليك ان تهنئه بذلك وتفرده به وهذا الباب من ابواب البخل وابوابه الغامضة كثيرة

واذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التطاول عليهم في البلاغة او الفصاحة

اعلم ان بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان شدة الاتقاء تدعو اليك ما تتقي

ان رأيت نفسك تصاغرت اليها (٣) الدنيا ودعتك الى الزهادة فيها على حال تعذر منها عليك فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة ولكنها ضجر واستخذاء (٤) وتغير نفس عند ما اعجزك من الدنيا وغضب منك عليها مما التوى عليك منها ولو تممت على رفضها وامسكت عن طلبها اوشكت ان ترى من نفسك من الضجر والجزع اشد من ضجرك الاول باضعاف ولكن اذا دعتك نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع اجابتها

(١) السخيمة الضغن والحقد والوغر شدة الغيظ (٢) البأو الكبر والفخر (٣) تصاغر اليه الشيء صار صغيراً عنده (٤) والاستخذاء الخضوع

اعرف عورتك واياك ان تعرّض باحد فيما شاركها واذا ذكرت من احد خليقته فلا تناضل عنه مناضلة المدافع عن نفسه فتتهم بمثلها ولا تلحّ كل الالحاح وليكن ما كان منك من غير اختلاط فان الاختلاط من محققات الريب. واذا كنت في جماعة قوم ابدًا فلا تعمنّ جيلاً من الناس او امةً بشتم ولا ذم فانك لا تدري لعلك تتناول بعض اعراض جلسائك ولا تعلم ، ولا تذمنّ مع ذلك اسماً من اسماء الرجال او النساء بان تقول ان هذا القبيح من الاسماء فانك لا تدري لعل ذلك موافق لبعض جلسائك في بعض اسماء الاهلين والحرم ولا تستصغرنّ من هذا شيئاً فكله يجرح في القلب وجرح اللسان أشد من جرح اليد

اعلم ان الناس يخدعون انفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم ومساويهم ونقيصتهم وكل ذلك ابين عند سامعيه من وَضَح الصبح فلا تكونن من ذلك في غرور ولا تجعلن نفسك من اهله

اني مخبرك عن صاحب كان اعظم الناسُ في عيني وكان رأسُ ما أعظمه عندي صغر الدنيا في عينه كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤونةً ولا يستخف له رأياً ولا بدناً وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة او منفعة وكان اكثر دهره صامتاً فاذا قال بذّ (١) القائلين كان يُرى متضعفاً مستضعفاً (٢) فاذا جاء الجد فهو الليث عادياً وكان لا يدخل في دعوى ولا يشرك في مراء ولا يدلي بحجة حتى يجد قاضياً عدلاً وشهودًا عدولاً وكان لا يلوم احدًا على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعاً الا الى من يرجو عنده البرء ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة لهما جميعاً وكان لا يتبرّم (٣) ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى ولا ينتقم من الوليّ ولا يغفل عن العدوّ ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه بحيلته وقوته فعليك بهذه الاخلاق ان اطقت ولن تطيق ولكن اخذ القليل خيرٌ من ترك الجميع وبالله التوفيق

(١) بذهم سبقهم وغلبهم
(٢) استضعفه وتضعفه عده ضعيفاً كضعفه
(٣) برم وتبرّم تضجر

يتيمة ثانية

لابن المقفع

وقعت شبهة لبعض اهل العلم فيما اذا كانت هذه الرسالة المنشورة قبلُ هي اليتيمة بعينها ام هي يتيمة ثانية لابن المقفع ويزول هذا التناقض اذا لوحظ ما قاله امام المتكلمين ابو بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ثلاث واربعمائة فانه ذكر في كتابه اعجاز القرآن ان الدرة اليتيمة كتابان احدهما يتضمن حكماً منقولة والآخر في شيء من الديانات . غير انه يبقى هناك اشكال في انه ليس في احدى الرسالتين ما يتعلق بالديانات كما قال الباقلاني واذا رضينا بالظن فنقول ان هذا الاسم وضعه اناس لبعض رسائل ابن المقفع ومن هنا نشأ الاشتباه فعددها الناظرون . وبعدان يقال ان ابن المقفع سمى الرسالتين معاً باسم واحد لمخالفته في الظاهر لمقتضى الحكمة . ولو قلنا انه سمى احدى الرسائل فيبعد مع قرب عصر الناقلين عنه وقوع الاشتباه في المسمى مع شدة عنايتهم بجميع ما قال . اما الرسالة الثانية فمنقولة عن كتاب المنثور والمنظوم المحفوظ في دار الكتب المصرية لمؤلفه ابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور من ابناء خراسان ولد كما جاء في فهرستها سنة ٢٠٤ وتوفي سنة ٢٨٠ وهاك ما اورده ولم نحذف منه الا بعض جمل اشرنا اليها بحرف (ف) لانها محرفة جداً لم نهتد الى وجه الصواب فيها قال ابو الفضل احمد بن ابي طاهر : ومن الرسائل المفردات اللواتي لا نظير لها ولا اشباه وهي اركان البلاغة ومنها استقى البلغاء لانها نهاية في المختار من الكلام وحسن التأليف والنظام الرسالة التي لابن المقفع وهي اليتيمة فان الناس جميعاً مجمعون انه لم يعبر احد عن مثلها ولا تقدمها من الكلام شيء قبلها ومن فصولها قوله في صدرها ولم نكتبها على تمامها لشهرتها وكثرتها في ايدي الرواة فمن فصولها قوله في صدرها

وقد اصبح الناس الا قليلاً ممن عصم الله مدخولين منقوصين فقائلهم باغ وسامعهم عياب وسائلهم متعنت ومجيبهم متكلف وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل وموعوظهم غير سليم من الهزء والاستخفاف ومستشيرهم غير موطن نفسه على انفاذ ما يشار به عليه ومصطبر للحق مما يسمع ومستشارهم غير مأمون على الغش والحسد وان يكون متهما كأن لا يستتر مشيعاً للفاحشة مؤثراً للهوى والامين منهم غير متحفظ من ائتمان الخونة والصدوق غير محترس من حديث الكذبة وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجرة و يتقارضون الثناء و يترقبون الدول و يعيبون بالهمز يكاد احزمهم رأياً يلفته عن رأيه ادنى الرضا وادنى السخط و يكاد يكون امتنهم عودا ان تسخره الكلمة وتنكره العظة وقد ابتليت ان اكون قائلاً وابتليتم ان تكونوا سامعين ولا خير في القول الا ما انتفع به ولا ينتفع الا بالصدق ولا صدق الا مع الرأي ولا رأي الا في موضعه وعند الحاجة اليه فان خير القائلين من لم يكن الباطل غايته ثم لزم القصد والصواب وخير السامعين من لم يكن ذلك منه سمعة ولا رياء ولم يتخذ ما يسمع عوناً على دفع الهدى ولا بلغة الى حاجة دنيا فان اجتمع للقائل والسامع ان يرزق القائل من الناس مقة وقبولاً على ما يقوله و يرزق السامع اتعاظاً بما يسمع في امر دنياه وقد صلحت نياتهما في غير ذلك فعسى ذلك ان يكون من الخير الذي يبلغه الله عباده و يعجل لهم من حسنة الدنيا ما لا يحرمهم من حسنة الآخرة كما ان المريد بكلامه ان يعجب الناس قد يجتمع عليه حرمان ما طلب مع سوء النية وحمل الوزر . وقد وافقتم من مسارعة فيما سألتموني طمعاً في ان ينفع الله بذلك من يشاء فانه ما يشاء يقع .

اما سؤالكم عن الزمان فان الزمان الناس . والناس رجلان والٍ ومولى عليه . والازمنة اربعة على اختلاف حالات الناس فخيار الازمنة ما اجتمع فيه صلاح الراعي والرعية فكان الامام مؤدياً الى الرعية حقهم في الرد عنهم والغيظ على عدوهم والجهاد من وراء بيضتهم والاختيار لحكامهم وتولية صلحائهم والتوسعة عليهم في معايشهم وافاضة الامن فيهم والمتابعة في الخلق لهم والعدل في القسمة بينهم والتقويم لاودهم والاخذ لهم لحقوق الله عز وجل عليهم وكانت الرعية مؤدية الى الامام حقه في المودة والمناصحة والمخالطة وترك المنازعة في امره والصبر عند مكروه طاعته والمعونة له على انفسهم والشدة على من اخل بحقه وخالف امره غير مؤثرين في ذلك آباءهم ولا ابناءهم ولا لابسين عليه احداً . فاذا اجتمع ذلك في الامام والرعية تم صلاح الزمان وبنعمة الله تتم الصالحات ثم ان الزمان الذي يليه ان يصلح الامام نفسه ويفسد الناس ولا قوة بالامام مع خذلان الرعية ومخالفتهم وزهدهم في صلاح انفسهم على ان يبلغ ذات نفسه في صلاحهم وذلك اعظم ما تكون نعمة الله على الوالي

وحجة الله على الرعية بواليهم فبالحري ان يؤخذوا باعمالهم وما اخلقهم ان لا تصيبهم فتنة او عذاب اليم ·

والزمان الثالث صلاح الناس وفساد الوالي وهذا دون الذي قبله فان لولاة الناس يدًا في الخير والشر ومكانًا ليس لاحد وقد عرفناه فيما يعتبر به ان الف رجل كلهم مفسد واميرهم مصلح اقل فسادًا من الف رجل كلهم مصلح واميرهم مفسد · والوالي الى ان يصلح ادبه الرعية اقرب من الرعية الى ان يصلح الله بهم الوالي · وذلك لانهم لا يستطيعون معاتبته وتقويمه مع استطالته بالسلطان والحمية التي تعلوه · وشر الزمان ما اجتمع فيه فساد الوالي والرعية (ف) فقولي في هذا الزمان انه الا يكن خير الازمان فليس على واليكم ذنب والا يكن شر الازمان فليس لكم حمد ذلك غير انا بحمد الله قد اصبحنا نرجو لانفسنا الصلاح بصلاح امامنا ولا نخاف عليه الفساد بفسادنا قد رأينا حظه من الله عز وجل في التثبت والعصمة فلم يبرح الله يزيده خيرًا ويزيد به رعيته مذ ولاه فعندنا من هذا وثائق من عبر وبينات ونحتسب من الله عز وجل ان لا يزال امامنا يسارع في مرضاة ربه بالاستصلاح لرعيته والصبر على ما يستنكر منهم وقلة المؤاخذة لهم بذنوبهم حتى يقلب الله له بصلاحه قلوبهم ويفتح له اسماعهم وابصارهم فيجمع ألفتهم ويقوم اودهم ويلزمهم مراشد امورهم وتتم نعمة الله على امير المؤمنين بان يصلح له وعلى يديه فيكونوا رعية خير راع ويكون راعي خير رعية ان شاء الله وبه الثقة ·

والذي يحمد من امير المؤمنين انا ذاكر ما تيسر منه (ف) وقلما نلقى من اهل العقل والمعاينة منكرًا لنعمة الله بامير المؤمنين على المسلمين (ف) ومن اشد جهلاً واقطع عذرا ممن لم يعرف النعمة ولم يقبل العافية نعوذ بالله ان نكون من الذين لا يعقلون فتفهموا ما انا ذاكر لكم وتدبروه بالحق والعدل فان المرء ناظر باحدى عيون ثلث وهما الغاشتان والصادقة وهي التي لا تكاد توجد · عين مودة تريه القبيح حسنًا · وعين شنآن تريه الحسن قبيحًا · وعين عدل تريه حسنها حسنًا وقبيحها قبيحًا · فتفكروا فيما جمع الله لامير المؤمنين في معدنه وفي سيرته وفيما ظاهر عليكم من النعمة والحق والحجة بذلك فيما عسى القائل ان ينبغي فيه المغمز والمقال فلعمري ان الشيطان من اهواء الناس والسنتهم في الامر لمصيب وان له لمستراحا حين يستوفي أمنيته ويصدق عليهم ظنه ويوحي اليهم بمكايده فيجعل الله كيده ضعيفًا وحزبه مغلوبًا وجعله واياهم نصيبًا لجهنم من اجزائه المقسومة لابوابها وحطبها ووقودها وحصبها ابعد لما فمن كان سائلا عن حق امير المؤمنين في معدنه فان اعظم حقوق الناس منزلة واكرمها نسبة واولاها بالفضل حق رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة وامام

الهدى ووارث الكتاب والنبوة والمهيمن عليهما وخاتم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بعثه الله بشيرًا ونذيرًا وداعيًا الى الله باذنه وسراجًا منيرًا ثم هو باعثه يوم القيامة مقامًا محمودًا شرع الله به دينه واتم به نوره على عهده ومحق به رؤوس الضلالة وجبابرة الكفر وخوله الشفاعة وجعله في الرفيق الاعلى صلى الله عليه وسلم

الصنائع الاسلامية

نشرت مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية فصلاً ممتعاً للمسيو كليمان هوار من علماء المشرقيات في الادوار التي تقلبت على الصنائع الاسلامية قال : اصدر كل من المسيو سالادين والمسيو ميجون مختصرًا في الصنائع الاسلامية وقع في مجلدين ضخمين احدهما في الهندسة الاسلامية والآخر في فن التصوير والنقش . ولقد لفت انظار الناس معرض الصنائع الاسلامية الذي أقيم في قسم مرسان سنة ١٩٠٣ والمعرض الذي وافق وقته زمن انعقاد مؤتمر المستشرقين الدولي في الجزائر سنة ١٩٠٥ لاعلاق الصنائع الاسلامية التي كانت حتى الآن مزهودًا فيها اللهم الا عند بعض غلاة في جمعها ممن حصلوا على مجاميع بديعة منها . في البحث في هذا الموضوع تتجلى لنا القرون الوسطى في الشرق وتحيا امامنا على مثل ما كانت عليه . وما من احد يصدق اليوم بان العاديات القديمة تستحق اعجاب ارباب الصنائع والمولعين في اقتنائها فقط بل ان ارتقاء فن الآثار ارتقاء خارقاً للعادة بفضل الاكتشافات المدهشة في السنين الاخيرة والبحث في آثار القرون الوسطى اليونانية والغربية قد وجه انظار المتعلمين . فمن الواجب من ثم ان يجعل حظ عظيم من البحث للقرون الوسطى الاسلامية لانها من اجمل الادوار التي يتأتى للانسانية ان تفاخر بها وكانت مراكز الحضارة التي انشأتها قديمًا تلك المدنية في آسيا حلقة ضرورية لنا تربط اوروبا بالشرق بل تقرب بين القرون الحديثة والقرون القديمة وتصل عمران البحر المتوسط بتمدن آسيا العليا .

ان درس الصنائع المصورة اليوم هو من المتممات الضرورية للتاريخ كما كانت الجغرافية ولا تزال كذلك . فدرسها نافع للنظر في الآثار القديمة التي عرفناها منذ القدم كما هو لازم للوقوف على حال القرون الوسطى التي شرع بالبحث فيها منذ حين ولا سيما فيما له علاقة بالشرق مما هو موضوع الابحاث الاخيرة . وقبل ان يبدأ بها لم يكد يعرف عنها شيء . وقد جعل المؤلفان النبيهان المشار اليهما من التصوير الشمسي اكبر مساعد لهما في كتابيهما الوجيز

فجاء الاول من نوعه وكان من هذين المجلدين مجموعة تصاوير اذا فحصها المرء تمثل لعينيه مصانع الشرق وشؤونه عياناً ان لم يكن رآها من قبل ويتذكرها باعيانها اذا كان أتيح له ان متع نظره فيها ذات يوم . سهلت اسباب التنقل واصبحت قريبة المنال فغدت الاستانة والقاهرة والهند غير بعيدة المزار كما كانت وربما غدت كذلك طهران واصفهان عما قريب ولذلك جاء الزمن الذي نعرض فيه على الجمهور في صورة كتاب مجموع الاطراف زبدة ما يعرف عن ارتقاء الصنائع وترتيب المصانع الاسلامية .

لم يتأت والاسلام في مبدإ ظهوره وشعشعته الاولى محصور في حدود شبه جزيرة العرب ولم ينتشر بعد في البلاد المجاورة ان ينشأ شيء من الصنائع في تلك الاصقاع المقفرة التي تطوفها العرب الرحالة على قلة مدنها وبلدانها ويقضي فيها التجار عيشة بسيطة خالية عن أبهة الحضارة . وكان المعبد العظيم في الحجاز عبارة عن مكعب من الصخر خال من الزينة وقد بقي زمناً طويلاً بدون سقف ثم غطي بسقف من الخشب على يد عامل من القبط نجا من سفينة يونانية غرقت فالقته الاقدار في بلاد العرب وجذبته مكة اليها لاحوال غير معلومة . وكانت القوافل عند عودتها من سورية وقد سرحت الطرف في المصانع العظيمة فيها على العهد الامبراطوري تقص احاديث عجيبة مما رأت فأشربت نفوس الشعب تلك القصص وكان منها ان انشؤا في صحاري شمالي بلاد اليمن جنات النعيم وهي ارم ذات العماد الغريبة وقد بنيت في غالب الظن على مثال دمشق وتدمر وبعلبك . وكانت العرب الرحالة ترى ان القبور التي نحتها في الصخر في مدائن صالح جماعة من المستعمرين الآراميين في صميم بلاد العرب انها بيوت الثموديين وذكرها محمد (عليه السلام) بان الغضب الالهي نالها لانها انكرت ان ناقة صالح غير مقدسة . وكانت المصانع التي خلفتها الشعوب القديمة البائدة تنسب الى عاد ممن بادوا فلم يبقوا من الآثار غير ما خلفوه من اعمالهم التي حيرت عقول البدو

اما الآن فليتمثل القارىء الفاتحين من العرب يجولون في اكناف سورية ومصر وفارس وافريقية الشمالية واسبانيا وكلها بلاد متحضرة مملوءة ببدائع الصنائع واعمال الهندسة . ولكم كان العربي الرحالة يندهش عند ما كان يقع نظره على بيوت ذات ثلاث طبقات في مكة ويثرب فتتراءى له انها قلاع وهو لا عهد له من قبل الا بخيمته السوداء او الدكناء المصنوعة من وبر العنز . وبعد ان كان المسجد البسيط الذي يسع النبي واصحابه وهو عبارة عن كوخ خال من الزخرف مبني باللبن وجذوع النخل ليس فيه ساف من الحصا على التراب المرصوص ظهر للحال بانه غير كاف لاستيعاب جمهور من دانوا بالاسلام وغير لائق (١) بان يكون

(١) نحن نترجم بالحرف ونترك البحث في بعض تعليلات الكاتب لارباب النظر

بيت الواحد الاحد. وزد على ذلك فان الفاتحين من المسلمين كانوا يشاهدون الكنائس الجميلة التي انشأها المتقون من النصارى ويقابلون بين التأنق فيها وبين شقائهم في سكنى البادية .

اكتفى الخلفاء الاول بان سكنوا بيوتهم التي يأوون اليها كما فعل امبراطرة رومية الأول لان المسجد كان لهم ميدانًا ومحكمة وندوة . ولما صار الامر الى معاوية طمحت بهم نفوسهم الى اتخاذ القصور يعمدون اليها ليستروا فيها غفلتهم وبذخهم وزهوهم .

فبالهندسة بدأ نمو الصنائع التي دعا اليها الفتح الاسلامي وما كان للعرب صنائع خاصة بل استخدموا بادي بدء من المهندسين وارباب الصنائع من وجدوهم في البلاد التي افتتحوها فكان اسلوب البناء الاسلامي في اول الامر سوريًا في سورية وقبطيًا في مصر وبيزنطيًا في آسيا الصغرى ورومانيًا بربريًا في افريقية ورومانيًا ايبيريًا في اسبانيا وبارتيًا (١) وساسانيًا في فارس وبين النهرين .

رأينا صورًا من الهندسة الآسياوية تنقل الى البلاد المغلوبة على امرها عند ما كان الشرق اولاً ميدانًا للفاتحين . وانك لتشاهد في اقدم المصانع المنقوشة المزينة في المغرب والمسجد الاعظم في قرطبة ومسجد سيدي عقبة في القيروان مسحة من الزينة الشرقية نقلها اليها صناع صحبوا الفاتحين او نسجت على مثال صور الاقمشة والزرابي المطرزة والبسط المجلوبة من الشرق .

ومن مميزات الهندسة الاسلامية القبة ذات الشكل البيضوي وهي منقولة بلا مراء عن اصل جاء من بين النهرين اي اشوري بابلي . وقد بقي منها نموذج سالم من الصور البارزة في قيونجق (٢) زمن الدولة الساسانية كما هو المشاهد من صورة اقواس المدائن وساروستان وفيروزآباد فتبين بهذا ان ماضي الهندسة الاسلامية كان عظيمًا والتمدن الاسلامي جدد استعمالها . وانا لنجد منارات جوامع سامرا وابن طولون في القاهرة ابراجًا ذات ادراج على شكل حلزوني وبعيد ان لا نعترف فيما رأينا بانها بقايا من معابد رصد الافلاك الكلدانية التي نجد برج بابل مثالاً مشهورًا منها .

رأت العرب في سورية ومصر الصناعة البيزنطية ودرسوها عن أمم وما هي الا تشويه

---

(١) البارتيون هم سكان اعالي آسيا الواقعة بين الفرات غربًا وبحر الخزر شمالاً ونهر جيحون شرقًا وبحر الهند جنوبًا واهم مدنهم الدامغان « هيكاتومبيلوس » والمدائن « كتيزيفون »

(٢) قرية وتلال واقعة على الشاطىء الشمالي من دجلة قبالة الموصل وهي في البقعة التي كانت فيها نينوى وقد اغتنت متاحف اوروبا واميركا بما أخرج من آثارها وتماثيلها ونقوشها والواحها الخزفية وهي صادرة عن ملوك اشور

آسياوي للصناعة الرومية الرومانية اهم آثارها جامع اياصوفيا في الاستانة · وبقيت الصناعة اليونانية آخذة بالتبدل بعد فتوحات الاسكندر وظلت كذلك الى ان خطر للملك قسطنطين ان ينقل عاصمة المملكة الى ضفاف البوسفور ولا يخفى ما حدث من السرعة في تمازج العنصر اليوناني بالعناصر اللاتينية واللغة اللاتينية · فالتقاليد العسكرية والقضائية والادارية فقط بقيت زمناً قصيراً بحالها اما الصلات المتصلة التي كانت لمملكة الروم « بيزانس » مع المملكة الفارسية فقد كان منها ان بدلت الصنائع بتأثيرات آسياوية وتقدمت فيها تقدماً هائلاً حتى ان الالبسة وتزيين الابنية الداخلي وقصور الامبراطورة وادوات تنعمهم وبذخهم كلها لم يكن فيها شيء يشير الى انه روماني ·

سلمت عدة مصانع ومعاهد من اوائل الهندسة الاسلامية واعجبها المسجد الاقصى في القدس وان شئت فقل قبة الصخرة اذا اردت ان تسميها باسمها الحقيقي · وليس هذا المسجد في الواقع - اماما لان هذا النوع من الابنية معروف بما يماثله مثل مسجد عمرو بن العاص في القاهرة الذي انشيء سنة ٦٤٢ م وهو عبارة عن حائط له عدة محاريب لضبط سمت القبلة التي توجه اليها الوجوه للصلاة · وكانت القبلة الى القدس اولاً فاصبحت منذ الف وثلثمائة وخمسة وعشرين عاماً الى مكة ثم هناك صفوف من الاعمدة ومكان مربع مكشوف وفي وسطه صهريج ماء للوضوء · وعلى العكس في قبة الصخرة كما يستفاد من اسمها على ما هو المعروف فانها تشغل فسحة المعبد · وهذا الشكل وطني جعل على رسم كنيسة العذراء في انطاكية في شكل بيت مدور ذي قباب وعده المسعودي المؤرخ من اعاجيب الدنيا · ويوجد من هذا الشكل ايضاً في اواسط سورية وحوران وآسيا الصغرى وقد أنشيء هذا البناء على عهد الخليفة عبدالملك بن مروان الاموي سنة ٦٨٧ ولما رمم بعضه الوليد سنة ٧٠٧ جعل من خارجه الفيسفساء صنعها له صناع يونان بعث بهم اليه امبراطور القسطنطينية · وعلى عهد السلطان سليمان القانوني استعيض عن احجار الفيسفساء بكاشاني محلي بالمينا · فالقبة والحالة هذه هي صوان او وعاء مقدس للصخرة والمسجد الحقيقي هو الذي يشرف على حوائط المكان في الجنوب ويدعى بالمسجد الاقصى وقد اشير اليه في القرآن والمراد به معبد سليمان ·

بنيت المساجد في المغرب على مثال جامع عمرو · فجامع الزيتونة في تونس المؤسس سنة ٧٣٢ مؤلف من افنية موازية لحائط المحراب وفناء (صحن) اوسط كبير وصفوف من العمد مؤلفة من مواد قديمة او بيزنطية جاءت من قرطاجنة الرومانية · وانشيء المسجد الاعظم في قرطبة سنة ٧٨٥ على ذاك المثال ولكن زينته تختلف عن غيره من المساجد اختلافاً كلياً

فان القطع العديدة التي بقيت من آثار القوط الغربيين واستخدمت في البناء تدلنا على ان المصانع المسيحية في اسبانيا قبل القرن الثامن كان لها اثر كبير في انشاء الهندسة العربية الاصلية ·

والبحث في الهندسة الفارسية نافع على وجه خاص وذلك لانها حفظت لنا تقاليد قديمة لها علاقة بالهندسة فاحسنت الانتفاع بها ورقتها واكملتها · فان بناء القباب كانت الطريقة التي اختيرت من بين اساليب البناء لقلة الخشب الذي يصلح للبناء في معظم اقطار تلك البلاد ·

وبلغ من حذق الفرس الغريب انهم يمثلون لعينيك اذا نظرت الى ابنيتهم كأنهم يلعبون بالمصاعب لعباً · ولم تبلغ امة من الامم مبلغهم في ايجاد طرق منوعة غريبة في القباب على اشكال غير متناسقة الا فرنسا فانها قلدتهم في القرون الوسطى · والى الفرس يرجع الفضل في اختراع المقرنصات وهي من الصنائع الغريبة ذات النقوش التي تستر البناء البارز المشبك · واكثر ما فاقت به فارس تفننها في تزيين الابنية بالكاشاني (القيشاني) وهو نقش رائع الا انه سريع العطب تبتهج به العيون ما دام الملاط (المونة) الذي يلصقه بالبناء الاصلي على حاله متماسكاً فاذا قلع لقلة العناية به وسقط وتناثر من آفات اصابته ودفن في الارض نبت العيون عنه واستوحشت من النظر اليه ·

وصناعة الكاشاني قديمة جداً في البلاد الايرانية فقد زين ملوك الاخمانيين قصورهم بنقوشها البديعة التي جعل بعضها في قاعات متحف اللوفر المظلمة ولا يزال يأسف على الهواء المضيء والشمس المشرقة في سهول فارس · وبدأ استعمال الكاشاني في فارس بعد ظهور الاسلام فيها بجعل القرميد اولاً محلى بالمينا في اطراف الاحجار منفصلاً من داخله بآجر او ببلاط من الجير والرخام ثم استعملوا نوعاً من البناء ملوناً مؤلفاً من قطع صغيرة مجزأة موضوعاً بعضه بجانب بعض · كما فعلوا في ابنية الرخام او الخشب في ايطاليا توصلاً الى تزيينها بصفائح من الكاشاني على سطوح متسعة وقد شوهدت منذ القديم عندهم بنايات بارزة داخلها ازرق كالفيروز اوابيض كالعاج ويكثر انعكاس الاشعة التي تلمع فيها كلمعان السيوف كما تشهد في « امام زاده يحيى » في ورامين (١) وهو من القرن الثالث عشر · وابنية اصفهان التي انشئت على عهد الشاه عباس الاول اجمل مثال من هذه النقوش العجيبة ولمحة ارتقاء طويل في الصناعة · ويتيسر تتبع ادوار هذه الصناعة اذا بحث في مصانع السلجوقيين في قونية التي أنشئت في القرن الثالث عشر وفي البنايتين اللتين أنشئتا على الطرز الفارسي في مدينة بورصة وفي المسجد الاخضر وقبر محمد الاول اللذين أسسا في القرن الخامس عشر ·

---

(١) بليدة من نواحي الري قرب زامين

بنيت جميع المساجد التي انشأها سلاطين بني عثمان على مثال كنيسة اياصوفيا ٠ وقد كثر البناء على هذا الشكل في جميع المساجد التي أسست في المملكة العثمانية بعد القرن السادس عشر فالصورة الاصلية من هذا البناء هي اذاً بيزنطية ولكن الاسلوب الفارسي يظهر في بعض انواع الزينة كالابواب والكوى المقرنصة مثلاً ٠ ومسجد بايزيد اقدم اسلوب من هذا النوع عمره المهندس خير الدين ٠ ومسجد محمد الثاني الغازي انشأه خريستودولو محل كنيسة الحواريين وخرب كله بزلزال سنة ١٧٦٣ ثم أعيد انشاؤه على عهد السلطان مصطفى الثالث الا انه لم يرجع الى ما كان عليه من اسلوب البناء ٠

واقدم المصانع الاسلامية في الهند مسجدا دهلي واجمير اللذان انشئا في القرن الثالث عشر ٠ وهما من المصانع التي قامت على اسلوب جينا Djaina (١) كما اثبت ذلك الرحالة فرغوسن والوسم العام منه هندي ثم اثرت فيه الاساليب الايرانية والغربية وظهرت فيه النقوش المشجرة وهي تذكر بقصر ماشيتا (٢) وهو ساساني او ببعض محال من اياصوفيا ٠

وقد كان اول سلطان لبيجابور (كذا) ابن السلطان العثماني مراد الثاني الذي ارتقى من رتبة ضابط في الحرس الى عرش الملك فانشأ له دولة وبنى حفيد حفيده عادل شاه اجمل مصانع تلك المدينة ٠ وطرز بنائها مأخوذ من اسلوب غربي حتى لقد ذهب الرحالة فرغوسن عند ما ذكر اصل هذه الدولة وكيفية نشأتها الى انها اختارت من الصناع فرساً واتراكاً ٠ ودخل التمدن الايراني والصناعة الفارسية الى الهند على عهد فتح بابر (ظاهر الدين محمد من احفاد تيمورلنك) وتأسيس مملكة المغول العظمى ٠ وعلى عهد السلطان اكبر انتشر الاسلوب الهندي في البناء فظهر بمظهر بديع مع المحافظة على اشكاله الغريبة وعرف كيف يمزج في المصانع التي لها صورة خاصة الظرف والبهجة عن الفرس ويضمها الى متانة الاسلوب الجيني والافغاني ٠ فقد قال مؤرخ فنون البناء الهندية (فرغوسن) انهم كانوا يبنون كالجبابرة وينقشون كالصياغ ٠ ولا يفوتنا النظر هنا بان استعمال الكاشاني على طريقة عامة لم يبق له اثر في تلك البلاد بل اخذت الهند تبني بالحجارة والرخام وهو ادل على البراعة في الصناعة وامتن وافخم ٠ اما النقش الفارسي على جماله فقليل البقاء وبالاسف اشبه بزينة مسرح التمثيل تزول اذا صفر لها من عهدت اليه ادارة حركة التمثيل ليجعل غيرها مكانها ٠ ولا يعلم لاي امة ينسب مهندس بناء تاج محل في آكرا (الهند) ولكن المعلوم ان السلطان محمد الرابع بعث الى شاه جنان مهندساً يبني له في احمد آباد قبة نور محل ولا ينبغي

(١) الجينا احد مذاهب الهنود يبلغ اهله نحو مليون نسمة وهم معروفون بعزة نفوسهم وامانتهم ولعلهم هم المقصودون هنا (٢) ينسب للملك خسرو

العجب اذا رأينا من بعد هذا العصر الاشكال الفارسية مطبقة على البناء من الرخام في حجم كبير . ويقال ايضاً ان رجلاً فرنسوياً من بوردو اسمه اوستين او اوغوستين الذي لقب نادر العصر قد عهد اليه النظر في اعمال ترصيع الحجارة الكريمة التي ازدان بها تاج محل من داخله وخارجه . ولذلك كان الحق مع المسيو سلادين في قوله بانه يظهر بان يد مهندس او روبي قد رسمت الصور الواضحة ورسوم جانب البناء الكثيرة التدقيق في هذا المصنع ولعل هناك اثراً من التأثير الغربي .

اما في الصين فان هندسة الجوامع صينية محضة ولم تقتبس شيئاً عن البلاد التي يتكلم اهلها بالعربية ولا عن فارس ولا الهند .

لم يكن للنقش اذا قيس بالهندسة شأن ظاهر . ولا يسعنا هنا ان نبحث في استعماله للتزويق فان ما لدينا منه قليل لا "يعتد" به وقد ازدانت حوائط قصير عمرا بالنقوش ولكنها بيزنطية . وكان ملوك الفاطميين يزوقون قصورهم في القاهرة بصور ذات ارواح كما قال المقريزي . وجلب اليازوري وزير المستنصر بالله الى مصر ابن عبد العزيز والقصير وهما نقاشان مشهوران الاول من البصرة والثاني من العراق فكانا يمثلان بما ينقشان نساء يرقصن ومشاهد مأخوذة من التواريخ المنقولة عن التوراة على نحو ما اوردها القرآن ولكن لم يبق شيء مما نقشاه . وما على من اراد ان يتمثل كيف كان النقش عند العرب الا ان ينظر الى نقش المخطوطات ولا سيما الصور المصغرة التي تستعمل فيها رسوم الاشخاص والحيوانات دليلاً . ويرتقي عهد اقدم المخطوطات العربية من هذا النوع الى صلاح الدين وبعبارة ثانية الى الدولة الايوبية وهي من اصل بيزنطي على ما يتجلى منها كل التجلي . ومن اهم الامثلة في هذا الباب كتاب مقامات الحريري المخطوط وهو مما ملكه شفر (العالم الفرنسوي) وألحق بجامع خزانة كتب الامة بباريز كتب كاتبه اسمه في آخر ورقة منه واسمه يحيى بن محمود بن يحيى بن ابي الحسن نشأ في واسط من بلاد بين النهرين . ومما حواه صفحة تمثل جيشاً للعباسيين يحملون العلم الاسود ويضربون بابواق ضخمة فارسية كما رسمت فيه ايضاً مشاهد من غير هذا الشكل وتجد فيها كلها اثراً ظاهراً من تأثيرات الرسم البيزنطي وذلك للتوسع في صنعها الذي يشبه رسوم الحيطان على الكنائس الكبرى .

ان ما كتب في مصر من المصاحف هو من الصنائع البديعة فتراها محلاة بالعناوين المزوقة والنقوش المدورة الموضوعة في الحواشي من اجمل ما تخط يد وهي من زمن المماليك . ولا يعرف المرء بماذا يعجب في صناعة مزج الذهب بالالوان بدقة الرسم ولطفه او بالذوق العظيم الذي اوجد الوفاً من التراكيب المزينة الهندسية . وقد انتشر الرسم المصغر في فارس

اكثر من غيرها فظهرت الكتب المزينة بالرسوم بظهور دولة المغول التي اسسها هولا كو حفيد جنكيزخان . وربما كان هذا النقش قد ظهر بتأثير الصنائع الصينية (لانه كانت للساسانيين كتب مزينة بصور لم يذكرعنها كتاب مجمل التواريخ غير اخبار ركيكة) اما الاكتشافات الحديثة في خوقند التي لم يطلع عليها المؤلفان المشار اليهما (ظهر مصنف المسيو ستين حديثاً) فقد اوردت لنا امثلة من الصناعة البوذية والفارسية معاً ويجب ان يبحث فيها عن الاصل الذي اخذت منه فارس طريقتها في النقش وعلى هذا فتكون تركستان الصينية هي الطريق التي دخل منها الى ايران تأثير آسيا الشرقية .

ومهما يكن من منشلها فمن المحتمل ان فارس نقلت طريقة التصوير المصغر عن مملكة ايلخان . وبذلك ساغ لنا ان نجعل الرسم ثلاث طرق او ثلاثة مذاهب وهي المغولي والتيموري والصفوي ومن الجنس الاول الصورة المصغرة الوحيدة التي رسمت في تاريخ جهان خوشاي لعلاء الدين الجويني (المحفوظة في مكتبة الامة بباريز) وهي تمثل المؤلف يقدم نسخة من كتابه الى آراغون . وقد تجلى تأثير الصين كل التجلي بعد عهد تيمور بحيث ان النفس تحدث المرء اذا نظر الى ر- وم ذاك الدور فيما اذا كان هناك اناس من ارباب الصنائع من الفرس تخرجوا على ايدي اناس من الصينيين او ان هؤلاء النقاشين هم صينيون في الاصل جيء بهم الى فارس فرسموا ما رسموا

بين العصر الماضي وهذا العصر بون بعيد لانه دور التوسع الصناعي الموافق للعهد الذي كانت فيه بلاد الفرس وتركستان غاصة ببدائع المصانع . ولقد غصت بخارا وخيوه وطاشقند بالصناع الذين ازدانت بمصنوعاتهم دور الكتب في اوروبا . ثم ان عصر الصفوية السعيد قد ازهرت فيه صناعة بديعة غريبة تعلم اربابها في سمرقند وبخارا ولما انتقلت الى الهند مع سلاطين المغول همايون واكبر وجهانكير واورنك زيب انشأت فيها بدائع في الرسم والنقش باسلوب يتنافس الناس في اوربا في الحصول عليه . وما هذه الرسوم الا مستندات ثمينة لا تقدر بقيمة سواء كان من حيث التاريخ او للوقوف على الاحوال الاجتماعية في الهند في القرن السابع عشر والثامن عشر . والصناعة الصفوية لينة سهلة تتجلى فيها العواطف الرقيقة ذات بهجة فائقة . واشتهرت النقوش التي كتبت بقلم الرصاص بوضوح التقاطيع وثبات الشكل والصورة

وانتقل النقش على عهد الشاه عباس الاول الذي كان يحب الابهة وهو على شيء من الافكار العالية والمدارك الواسعة من الكتب المخطوطة الى حوائط القصور في اصفهان وما زال من هذه النقوش بقايا في قصر علي قبو وقصر الاربعين عموداً . وقد كان

السائح الروماني « بيترو دلافال » استصحب معه نقاشاً في رحلته الى بلاد فارس فمن الممكن ان يكون الشاه اخذ رأي هذا النقاش و باحثه في الرسوم الكبرى التي اعتاد الطليان رسمها على الجدران فنبه فكره الى ان يزوق قصوره على مثالهم · ولكن هذا من القياس الفرضي وكان على بيترو وقد اطال في رحلته بوصف ما عمل ورأى ان لا يقصر في ذكر ذلك. على ان كثيراً من النقوش الفارسية تشعر بتأثيرات النقش الايطالي ·

وكثيراً ما تكون جلود الكتب غاية في الجمال ومن الخسارة ان مؤلفي كتاب الوجيز المشار اليهما لم يدخلا في تفصيل ذلك · ولقد شاهدت في الاستانة بعض المولعين بالآثار يأخذون الجلود القديمة كافة ليجعلوها في المتاحف مثالاً من امثلة الحذق في الصنائع · والجلود المصمغة عند الفرس غاية في الجمال ويتألف من بعضها جداول حقيقية ·

(الباقي للآتي)

اللغة والدخيل

في مصر اليوم حركة فكرية مدارها الانتشار فيما وصلت اليه اللغة العربية في هذا العهد من العجز والتقصير والنظر فيما ينشطها من عقالها ويخرج بها من هذا المأزق الحرج بعد ما استحدث من المخترعات والمكتشفات والمصطلحات العلمية ما ضاق عطنها عن قبوله · فكتب الكاتبون في ذلك ما كتبوا وذهب كلٌّ مذهبه وابان عن رأيه حتى اوشكت هذه الفكرة ان تتعدى حدَّ القول فيؤذن موّذن الفلاح بحيَّ على خير العمل · ولنا في النهضة الكريمة التي قام بها رجال نادي دار العلوم خير شاهد على ما نقول ·

وقد كنت ممن خاض هذا الغمار واجال القلم في هذا المضمار فنشرت في صحيفة المؤيد عشرين كلمة من العاميّ والدخيل اردفتها بما يرادفها من العربي الفصيح وقصدت بذلك عرضها للنقد والتمحيص حتى يتبين الصحيح من الزائف اذ لا ينبغي للفرد الواحد ان يستبد بمثل هذا العمل · ثم عنَّ لي ان اضمَّ اليها عشراً اخرى وانشرها في المقتبس الاغر ليطلع عليها افاضل العلماء والكتاب في الانحاء العربية فيمدونا بآرائهم فيها خدمة لهذه اللغة الشريفة وهي :

(ملة القلم) المدة بضم اوله وهي ما يعلق بالقلم من المداد بعد غمسه في الدواة ·

(بوية الجزم او طلاء الاحذية) البرندج او الارندج بفتحتين وهو السواد يسود به الخف

(صحيحة الورد) الطاقة وهي الحزمة من الريحان ونحوه ولعلها اقرب لفظة لمعنى الصحبة وقد اصطلح الكتاب على تسميتها بالباقة وهو خطأ لان الباقة خاصة بحزمة البقل

(نشان التعليم) الدريئة بفتح فكسر وهي الحلقة يتعلم الرامي عليها .

(الكشك) اصله بالفارسية كوشك وهو القصر الصغير وقد عربوه بالجوسق .

(العطفة) الردب بفتح الراء وسكون الدال وهو الطريق الذي لا ينفذ .

(العديل) السلف او الظأب من المظاءبة وهي ان يتزوج انسان بامرأة ويتزوج آخر باختها . اما التجاب بتشديد الباء من باب التفاعل فهوان يتزوج كل من الرجلين باخت الآخر .

(قشيرة الجرح) الجلبة بضم فسكون وهي القشرة تعلو الجرح عند البرء

(الطاقية) السكبة بفتح فسكون وهي خرقة تقور للرأس كالشبكة .

(ناظر العمارة او مقدم الفعلة) الوهبين كامير وهو الرجل يكون مع الاجير يحثه على العمل .

(اليشمق) اللفام بكسر اوله وهو النقاب يكون على طرف الانف فان كان على الفم فهو اللثام .

(السردين) الصير بكسر اوله وهو كما في القاموس السميكات المملوحة يعمل منها الصحناة وفسر الصحناة بانه ادام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للمعدة . فعلى هذا يجوز اطلاق الصحناة على كل مايقدم امام الطعام من المشهيات كالصير ونحوه المسمى عند الاعاجم (Hors d'œuvre) ويمكن ان يسمى السردين ايضاً بالطريخ كسكين وهو سمك صغار تعالج بالملح وتؤ كل .

(العزبة) كأنها محرفة عن العزوبة بالفتح وهي الارض البعيدة المضرب الى الكلأ وصوابها الضيعة وهي الارض المغلة وقد استعملت قديماً بمعنى (العزبة) واظنها مستعملة الى الآن بهذا المعنى بالبلاد الشامية .

(مضرب الكورة) الطبطابة بفتح فسكون وهي خشبة عريضة يلعب بها بالكرة ويقال لها ايضاً الميجار بكسر اوله وهو كما في المخصص الصولجان الذي تضرب به الكرة .

(المزة) النقل بالفتح او بالتحريك وهو ما يعبث به الشارب او يتنقل به على شرابه من فاكهة ونحوها . والعامة تقول نقل بضم فسكون وهو خطأ قديم نبه عليه ائمة اللغة .

(اللباس الرسمي) السواد وهو لون اتخذه بنو العباس شعاراً لهم ثم اطلق عندهم على لباس اسود خاص بالامراء والعلماء وذوي الاخطار وكان الرجل اذا اراد الذهاب الى ديوانه او مقابلة خليفته قال لغلامه عليّ بسوادي وسيفي .

(ثياب الحزن) السلاب بكسر اوله وهي ثياب سود تلبسها النساء في المأتم واحدتها سلبة بفتحتين وتسلبت المرأة وسلبت بتشديد اللام اذا لبستها وهو مثل احدت الا ان الاحداد يكون على الزوج خاصة والتسلب على الزوج وغيره .

(الجبل الحاجز في الطريق) عند اصلاحها او في احتفال كبير . الماصر وهو كما في مختصر العين للزبيدي حبل على طريق او نهر تحبس به السفن او السابلة . واقتصر في اللسان على انه الحبل يلقى في الماء لمنع السفن عن السير .

(المعدية) المعبر كمنبر وهو المركب الذي يعبر به .

(عقدة وشنيطة) الانشوطة بضم فسكون وهي عقدة يسهل انحلالها اذا مددت باحد طرفيها انحلت . وتقول نشطت الانشوطه من باب نصر اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها .

(الحصان البوني ponet او Poney) المكبون والانثى المكبونة وهو الفرس القصير القوائم الرحيب الجوف الشخت العظام ولا يكون المكبون اقعس ومعنى الاقعس في الخيل المطمئن الصهوة المرتفع القطاة .

(الشال) الطيلسان وقد فسره اللغويون بانه ضرب من الاكسية واقتصروا على ذلك الا ان الشيخ ابراهيم السجيني فسره في كتابه المسمى بالعمى الاكبر في عين من انكر لبس الاصفر بانه ثوب طويل عريض كالرداء يجعل على الرأس فوق نحو عمامة و يغطي اكثر الوجه ثم يدار طرفه تحت الحنك الى ان يحيط بالرقبة ثم يلقى طرفاه على الكتفين اه وهو كما ترى قريب جداً من معنى الشال .

(رخو الكرباج) الشيب بكسر اوله وهو سير السوط . وفي اللسان وشيبا السوط سيران في رأسه وشيب السوط معروف عربي فصيح اه

(الجرسون او السفرجي) لم اقف على لفظ مفرد يدل دلالة تامة على (الجرسون) وقد ذكر اللغويون الندل بضمتين وفسروه بخدم الدعوة قالوا سموا نُدُلاً لانهم ينقلون الطعام الى من حضر الدعوة واصله من ندل يندل اذا تناول اه . الا انهم لم يذكروا مفرده فارجو ممن وقف على لفظة اخرى او على مفرد الندل ان يتفضل بنشره افادة للجمهور . على اني رأيت بهامش اللسان ان هذا اللفظ وجد مضبوطاً بخط الصاغاني بفتحتين وعليه فلا يبعد ان يكون اسم جمع لنادل كخادم وخدم الا ان مثل هذا لا ينبغي الحكم فيه الا بالنص الصريح .

(القطن الزهر) اصطلح المصريون على تسمية القطن قبل حلجه بالزهر وعربيته الفصيحة المكهل بصيغة اسم المفعول وهو كما في القاموس القطن ما دام فيه الحب والقطن الحليج كأمير هو ما استخرج حبه و يسميه المصريون بالشعر . اما شجرة القطن فتسمى الزعبل بفتح اوله وثالثه وسكون ثانيه .

(السنارة) الشص بفتح اوله او كسره وهي حديدة عقفاء يصاد بها السمك . واما الصنارة بكسر الصاد المهملة وتخفيف النون ومنع في اللسان تشديدها فهي الحديدة الدقيقة

المقفقة التي في رأس المغزل فاستعارتها العامة لمصيدة السمك وابدلوا صادها سيناً ولا داعي للاستعارة متى وجدت الكلمة الموضوعة

(الجاكيتة Jaquette) اصطلح الكتاب على تسمية « البالطو » بالمعطف ومن المعلوم ان الجاكيتة كالبالطو الصغير فلا حرج اذا سميناها بالعطيف تصغير ترخيم لمعطف ·

(البيرة السوداء) البيرة خمر الشعير وعربيتها الجعة وزان حبة فيجوز ان يقال الجعة السوداء الا ان العرب سمت الخمر السوداء بام ليلى فما المانع من اطلاقها على هذا النوع من البيرة

(عمود الغاز) المائلة وهي منارة المسرجة كما في القاموس

(البونية Coup de poing) الجمع بضم فسكون وهو من الكف حين تقبضها قال طرفة بن العبد ·

بطيء عن الجلى سريع الى الخنا ذلول بأجماع الرجال ملهد

و يقال فيه ايضاً الصقب بفتح فسكون وصقبه اي ضربه بجمع كفه · والله اعلم ·

القاهرة احمد تيمور

مطبوعات ومخطوطات

كتاب البدء والتاريخ

لم نكد نقرأ مبحث الصنائع الاسلامية الذي نقلناه الى العربية في هذا الجزء حتى جاءنا البريد من باريز يحمل الجزء الرابع من كتاب البدء والتاريخ لابي زيد احمد بن سهل البلخي الذي نشره المسيو كلمان هوار كاتب تلك الرسالة واحد اساتذة مدرسة الالسنة الشرقية الحية في باريز مترجماً بقلمه الى الافرنسية · اخذه عن نسخة وحيدة في مكتبة الداماد ابراهيم باشا بالاستانة وطبع في الاجزاء الاربعة التي صدرت منه الى الآن نحو ثلثيه وبقي الثلث الآخر

وقد كان ناشره العلامة يرى اولاً ان الكتاب للبلخي لان النسخة المنقول عنها كتب عليها اسمه ثم تبين من بعض القرائن التي ذكرها في مقدمة الجزء الثاني والثالث ان الكتاب لمطهر بن طاهر المقدسي المقيم ببست من اعمال سجستان · ساعد على هذا الشك امور منها ان ابن النديم صاحب الفهرست لم يذكر كتاب البدء والتاريخ في جملة مصنفات البلخي ومنها ان كتاب خريدة العجائب المنسوب لابن الوردي الذي اقتطع بعض فقرات من البدء والتاريخ وان قال انه للبلخي الا ان ابامنصور الثعالبي في كتابه الغرر في سير الملوك واخبارهم ذكر كتاب البدء والتاريخ مرتين وقال انه لمطهر بن طاهر · والثعالبي ثقة لقدمه · فقد كان

بعد تأليف البدء والتاريخ بخمسين سنة وابن الوردي كان في القرن التاسع للهجرة . وان ياقوت الرومي يقول في كتابه معجم الادباء ان البلخي توفي سنة ٣٢٢ على حين انتهى هذا الكتاب الى سنة ٣٥٥ بيد ان من نسب اليه الكتاب مشهور بين اهل العلم في عصره بالفضل والفلسفة واحكام النجوم والرحلة وله مصنفات في الجغرافية وغيرها والمطهر بن طاهر غير معروف ولم يعثر له على ترجمة .

وكيفما كان الحال فقد بذل ناشره جزاه الله خيرًا من العناية بتصحيحه ما وصل اليه ذرعه مستعينًا ببعض ائمة التاريخ والادب العربي من علماء المشرقيات في اوربا امثال كوي الهولاندي وغولدسير المجري ومرجليوث الانكليزي ودارنبورغ وباربيه دي مينار الفرنسويين . كل هذه العناية وقد اعتذر عن نفسه وعدّ منها جراءة ان ينشر كتابًا من القرن الرابع منقولاً عن نسخة مخطوطة واحدة فقال انه لم يرَ بدًا من نقل العبارة بنصها وعلى علاتها بل على اغلاطها النحوية وان يقتصر على التصحيح الظاهر مشيرًا في الحاشية للاصل وكيف ورد .

قال المؤلف في المقدمة : « تسلق الزائغون عن المحجة في التلبيس على الضعفاء وتعلق المنحرفون عن نهج الحق في افساد عقيدة الاغبياء من طريق مبادىء الخلق ومبايه وما اليه مآله تعلقًا به ينتهبون غرة الغافل ويحيرون فطنة العاقل وذلك من انكى مكايدهم للدين وانجح لبلوغهم في انتقاص الموحدين ويأبى الله الا ان يتم نوره ويعلي كلمته ويفلج حجته ولو كره الكافرون وان من اعظم الآفة على عوام الامة تصديهم لمناظرة من ناظرهم بما تخيل في اوهامهم وانتصب في نفوسهم من غير ارتياض بطرق العلم ولا معرفة باوضاع القول ولا تحكك بادب الجدل ولا بصيرة بحقائق الكلام ثم القاؤهم بايديهم عند اول صاكة تصك افهامهم وقارعة تقرع اسماعهم ضارعين خاشعين مستجدين مستقلين (؟) الى ما لاح لهم بلا اجالة روية ولا تنقير عن خبيئة وعلى اهل الطرف والشرف منهم التخصيص بالنادر الغريب والرغبة عن الظاهر المستفيض والايجاب بغوامض الالفاظ الرائقة والكلم الرائعة وان كانت ناحلة المعاني مخيفة الضمائر واهية القواعد فقصارى نظرهم الاستخفاف بالشرائع والاديان التي هي وثاق الله تعالى في سياسة خلقه وملاك امره ونظام الالفة بين عباده وقوام معاشهم والمنبه على معادهم الرادع لهم عن التباغي والتظالم والمهيب بهم الى التعاطف والتواصل والباعث لهم على اعتقاد الذخائر من مشكور صنائع العاجل ومحمود ثواب الآجل .

الى ان قال : وجمعت ما وجدت في ذكر مبتدإ الخلق ومنتهاه ثم ما يتبعه من قصص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم والاجيال وتواريخ الملوك ذوي الاخطار من العرب والعجم وما روي من امر الخلفاء من لدن قيام الساعة الى زماننا هذا وهو سنة ثلثمائة وخمس وخمسين

من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وماحكي انه واقع بعد من الكوائن والفتن والعجائب بين يدي الساعة على نحو ما بُين وفصل في الكتب المتقدمة والاخبار المؤرخة من الخلق والخلائق واديان اصناف الامم ومعاملتهم ورسومهم وذكر العمران من الارض وكيفية صفات الاقاليم والممالك ثم ما جرى في الاسلا من المغازي والفتوح وغير ذلك الخ و يشتمل الكتاب على اثنين وعشرين فصلاً يجمع كل فصل ابواباً واذكاراً من جنس مايدل عليه. قدمه مؤلفه الى احد ملوك عصره الا انه لم يذكر اسمه ويرى الناشران المقدم اليه ربما كان وزير المنصور بن نوح الساماني.

والجزء الرابع الذي أُهدي الينا يبدأ من الفصل الثاني عشر بذكر اديان اهل الارض ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم من اهل الكتاب وغيرهم وانتهى بالسادس عشر لسنة احدى عشرة من الهجرة قال في ذكر المعطلة او الملاحدة او الدهرية او الزنادقة او المهملة: وقط ما انتشروا في امة من الامم ولا افروا في وقت من الاوقات انتشارهم في هذه الامة لاعطائهم الاقرار بالديانة ظاهراً (هو ما نسميه اليوم بحرية الاديان) وحقن الشريعة دم من اجاب اليها وهم هؤلاء الباطنية الباطلية الذين تخلعوا عن الاديان ومرجوا نفوسهم في ميادين الشهوات تحظوا عند الظلمة بترخيصهم لهم في ارتكاب ما يهوون ويهوينهم عليهم عواقب ما يحذرون حتى ترى المظالم قد فشت والقلوب قد قست والمنكرات ظهرت والفواحش كثرت وارتفعت الامانة وغلبت الخيانة وعطلت المروءة واستخف بالربانيين واهتضم المستضعفون وأميت العدل وأُحيي الجور فظهر ما لم يذكر في عهد ملك من الملوك في قديم الدهر وحديثه ولا في زمن نبي من الانبياء عليهم السلام ...

وفي الكتاب فوائد كثيرة جغرافية وتاريخية واجتماعية وعمرانية وهو من اهم الكتب في النحل والملل وخوضه فيها يدل على ان المؤلف هو البلخي لما عرف من ترجمته انه طالما اجتمع بزعماء ارباب الملل واستوصفهم معتقداتهم قال في طورسينا: «يخرج الرجل من مصر الى قلزم في ثلاثة ايام ومن قلزم الى الطور طريقان احدهما في البحر والآخر في البر وهما جميعاً يؤديان الى فارن وهي مدينة العمالقة ثم يسير منها الى الطور في يومين فاذا انتهى اليه صعد ستة آلاف وستمائة وستاً وستين مرقاة وفي نصف الجبل كنيسة لايليا النبي وفي قلة الجبل كنيسة مبنية باسم موسى عليه السلام باساطين من رخام وابواب من صفر وهو الموضع الذي كلم الله عز وجل فيه موسى وقطع منه الالواح للتوراة ولا يكون فيها الا راهب واحد للخدمة ويزعمون انه لا يقدر احد ان يبيت فيها فيهيئ له بيت صغير من خارج يبات فيه».

والكتاب كما رأيت لطيف الاسلوب في انشائه. وانشاء القرن الرابع مهما انحط ارقى من

انشاء الاعصر التي تليه . وقد اتضح ان مؤلفه معتزلي من نسبة الاختيار المطلق للانسان ورعاية الاصلح لله سبحانه وتعالى ونحو ذلك مما ذكره في المعراج النبوي فانه قال : والوجه في هذا وما اشبهه ان لا يجاوز فيه نص الكتاب ومستفيض السنة مع المخالف المنكر المستعظم لما يخرج عن العادة المعهودة والطبع القويم وقال ان المسرى قد يكون بالروح والجسم وانه لا خلاف بين اهل اللغة ان الرؤيا في المنام لا غير وان كان جاء في التفسير انه رؤية العين لحكم العاقل ان يخاطب كلاً على قدر فهمه .

فهذا الكلام يدل على ان المؤلف معتزلي فان كان المطهر الذي نسب اليه التأليف معتزلياً تقوى الشبهة في ان الكتاب له والا فيبقى هناك مجال للقول في انه للبلخي . وامل الذي احيا هذا الكتاب الذي كاد يدفن يوفق الى تصفح بعض ما يعثر عليه من مصنفات البلخي فيقابل بين اسلوبه فيها واسلوبه في كتاب البدء والتاريخ ليتجلى له ان كان هذا المؤلف له او نسب اليه وهو لغيره فان المدقق لا يلبث ان يدرك من بعض الالفاظ والتعابير ان المؤلف واحد ولكل كاتب الفاظ تكاد تكون خاصة به يستعملها في معظم ما تخطه يراعته .

وقد تصفحنا جملة صالحة من الترجمة الافرنسية فرأيناها موافقة للاصل العربي اللهم الا اذا كان في هذا بعض التباس فهناك المترجم يعذر لا محالة . ومهما يكن فانا نهنيء المسيو هوار على احياء هذا الاثر النفيس وما احرى ان تكون مبالغته في العناية بالنشر معلمة لطابعينا ومؤلفينا كيف تطبع الكتب اذا أريد بها النفع الحقيقي لا مجرد النسخ والالقاء للطبع كيفما اتفق . ونشكر لمدرسة اللغات الشرقية على طبعها هذا السفر الجليل ونرجو ان يوفق امثال المسيو هوار وغيره من رصفائه الجهابذة الى نشر كثير من آثار الشرق على النحو الذي طبع به هذا الكتاب من الاتقان والجودة . وكل جزء منه يباع بعشرين فرنكا . فنحث طلاب العلم والادب على اقتنائه فانه من خير الكتب التي تزين المكاتب والقماطر ويسر بوضعها وطبعها الخاطر والناظر ومن جملة فوائده انه يعين من اراد ان يتعلم الترجمة من الافرنسية الى العربية وبالعكس .

بلاغات النساء

هو كتاب حوى طرائف كلام النساء وملح نوادرهن واخبار ذوات الرأي منهن واشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام تأليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ هـ نقله عن نسخة مخطوطة في خزانة الكتب الخديوية احمد افندي الالفي من افاضل ادباء مصر وقدم له مقدمة رشيقة وصف فيها الاصل الذي اهتدى اليه وحافظ على كلام المؤلف فلم يحذف منه ما لا ينطبق مثلاً على عادات هذا العصر في التآليف فابقى قسم المجون بحاله « لانه

داخل في انواع الاحوال الاجتماعية والبلاغات اللغوية المروية عن النساء ليتم للمطالع الاشراف على هذه الاحوال والبلاغات في قسميها الجدي والفكاهي » وقد يستغرق المطالع في مطالعة هذا الاثر النفيس فيحار في التفضيل ولا غرو فان كلام عائشة وفاطمة وزينب وام كلثوم وحفصة واروى بنت الحارث وسودة بنت عمارة والزرقاء بنت عدي وبكارة الهلالية وام الخير بنت الحريش البارقية والحجانة بنت المهاجر وام معبد ورقيقة بنت بنانة وامرأة ابي الاسود الديلي وصفية بنت هشام المنقرية وجمعة وهند بنتا الخس وآمنة بنت الشريد وام سنان بنت خيثمة بن خرسة ونائلة بنت القرافصة وعائشة بنت عثمان بن عفان وفاطمة بنت عبد الملك وعكرشة بنت الاطش والدارمية الحجونية وجروة بنت مرة بن غالب وام البراء بنت صفوان الى غيرهن من الاديبات الحكيمات — هو للبلاغة معين وعلى الادب اكبر معين يقل وقوع مثله للرجال دع عنك ربات الحجال . وقد جاء الكتاب في زهاء مئتي صفحة مطبوعة طبعاً جيداً وعلق عليه ناشره تفسير بعض الالفاظ الغويصة وبذل الجهد في ارجاع النصوص الى الصواب ما امكن لان النسخة الاصلية محرفة تحريفاً مشيناً جزاه الله خيراً . والكتاب يطلب من المكاتب الشهيرة بمصر وثمنه عشرة قروش .

سير العلم والاجتماع

قوة الحياة في العالمين

ادعى جون بورغوس من مشاهير علماء الطبيعة في اميركا ان الاحياء من الانسان والحيوان هي في اوربا اقوى واعظم واكثر نسلاً مما هي في اميركا فاثبت الرئيس روزفلت عكس هذه القضية ونشر كل من المدعي والمنكر مجلدات في هذا الصدد فقال روزفلت : ان كثيراً من الحيوانات والطيور التي تنسب بان اصلها من اوربا قد وردت عليها في الحقيقة من بلاد اخرى كما هاجرت الى الولايات المتحدة واوستراليا مثال ذلك الارنب والجرذ والفأرة فانها كانت تأوي بادي بدء الى شمالي افريقية او جنوبي آسيا . واستنتج من ذلك ان الضعف في هذه الحيوانات اذا قيس بالحيوان الاميركي لا تكون منه فائدة عامة كما يكون وجه الشبه بين الحيوانات المتوحشة التي ما زالت في فرنسا والمانيا وانكلترا . اما ذوات الثديين من الحيوانات فلا يعرف اذا كانت في اميركا تمتاز عن بنات نوعها في مكان آخر من حيث القوة والنشاط . فترى الوعل والأيل في اميركا اعظم جثة مما هما في

اوربا وهكذا الحال في كلب الماء وجرذ الحقل فانك تشاهد اعظمها جثة ما كان اصغر ابقع وهو يكثر في جون هودسون . ولئن كان الارنب الاميركاني في الشمال احط بقوته وجرأته من الارنب في شمالي اوربا وآسيا فان الدب الاميركي ارقى من الدب الاسفع الاوربي . واذا بدا البقر الوحشي في اوربا وآسيا وافريقية انه اضخم من البقر الذي من جنسه في اميركا فالايل في اميركا اعظم من الذي من جنسه في غيرها . ويكاد الثعلب الاميركي يكون مساويًا في قده للثعلب الفرنساوي واصغر من الارنب الايكوسي ولكن هذا دون الارنب في اعالي ميسوري . وما من شيء يدعو الى الاعتقاد بان الثعلب الاحمر جيء به من اوربا الى اميركا لان سكان كندا كانوا يصيدون الثعالب منذ ازمان متطاولة ويتجرون بفروها .

هذا رأي الرئيس روزفلت في الحيوانات واما في الانسان فقد استعان على صحة مدعاه بالاحصاآت الطبية من عهد حرب الرقيق لانه اشتركت فيها امم من جميع اهل اوربا وعامة اقطار الولايات المتحدة وجرى البحث في اجسامهم على طريقة طبية تشريحية فنتج من البحث ان الجسم الانساني في شرقي الولايات المتحدة قد فسد فسادًا محسوسًا . فقامات سكان ولاية نيويورك مثلاً اصغر من قامات الانكليز والايرلنديين واتساع صدورهم اقل . واجمل الناس صورة هم سكان ولايتي كنتكي وتنيسي ثم السويديون والايكوسيون والاميركون في ويسكنسن ومينوستا ويليهم الايرلنديون والالمان والانكليز ثم الفرنسيس اللهم الا سكان كندا منهم . واكثر الناس نسلاً سكان كنتكي وتنيسي وفرجينيا وكرولينا وكندا . واستنتج الرئيس من ذلك ان ليس ثمت قاعدة مطردة يتأتى السير عليها للحكم على قوة الحياة في الحيوان والانسان اذا كان الاستناد في ذلك على هواء البلاد فقط . ونحن نستنتج معجبين بالرئيس روزفلت الذي يباري العلماء ويبذهم في علمهم كما هو اعظم سياسي . فسبحان من خص رؤساء الغرب بالعلم والعمل وخص رؤساءنا بالدعوى والكسل حتى اصبحنا نقول الرئيس روزفلت بعد ان كنا نقول الرئيس ابن سينا .

مزارع النعام

لئن كان اصل النعام من سهول افريقية وبلاد العرب الرملية فقد ربي في الناتال سنة ١٨٧٤ وكثرت الاستفادة منه حتى بلغ رأس المال المخصص لتربيته سنة ١٨٧٩ ثمانية ملايين جنيه ويصدر منه كل سنة زهاء خمسة وعشرين مليون ريشة الا ان حرب الزولولاند وغيرها من الحوادث قضت بتخريب تلك المزارع فانتقل بعض اصحابها الى زلاندا الجديدة فاخذوا يربون النعام وقد انشئت شركة سويسرية لتربية النعام فيها انت بارباح وافرة واقتدى بهم بعض الناس في اوستراليا فاصبح فيها زهاء الف نعامة وتباع الواحدة

التي يبلغ عمرها ثلاثة اشهر بخمسة جنيهات او يباع زلوج من ذكر النعام وانثاه بمئة جنيه وما زال في نمو . والنعام ثروة لمربيه ولكن لا في افريقية .

المستعمرات الفرنسوية

كتب احد اعضاء مجلس النواب الفرنسوي تقريراً قال فيه ان المستعمرات الفرنسوية اخذت تزيد باراضيها وسكانها وغناها فلم يكن لفرنسا سنة ١٨٧٠ ما خلا الجزائر وتونس غير مستعمرات لا يتجاوز سكانها المليونين ونصفاً اما اليوم فسكانها يبلغون خمسة وثلاثين مليوناً نصفهم في الهند الصينية وهي اكثر البلاد الآهلة بالسكان وافريقية الغربية والكونغو اوسع المستعمرات الفرنسوية . وذكر ما قصرت فيه الحكومة في مدغسكر من تعليم سكانها على حين اخذ مرسلو البروتستانت من الانكليز والفرنسيس يكثرون من المدارس وفيها من التلاميذ اكثر مما في مدارس الحكومة . وقد رد عليه بعضهم فقال : ما اسخف عقل من يحنق على من يأتي الخير لانه اتاه باسم الدين وما على الطبيب الطيب الا ان يقول في نفسه ماذا يهم من الدواء اذا كان فيه الشفاء .

دعاة الدين

يقولون ان ايطاليا اليوم تحارب رجال الدين كما حاربتهم فرنسا من قبل ولكن الدين مع هذا لم يبرح منتحلوه يكثرون في عدة جهات وان قلوا في بعضها فقد كان عدد من دانوا بالبروتستانتية في النمسا ٣٤٣١ في السنة الماضية وبلغ مجموع من انتحلوها هناك في تسع سنين ٤٥ الفاً وفي فينا دان سنة ١٩٠٧ — ٢٢٧ اسرائيلياً بالنصرانية منهم بالبروتستانتية ومنهم بغيرها . وذكروا ان في البلجيك اليوم ٢٤٧٤ جمعية دينية على حين ليس فيها سوى ٢٦٣٣ مركزاً .

حجر السماء

اكتشف بالعرض احد سكان كاليفورنيا جوهراً جديداً معدنياً لم يكن من قبل معروفاً وسينافس عما قريب احجار الياقوت والزمرد وهو ازرق كالصفير او الياقوت الازرق وزرقته كزرقة السماء في الصيف . وقد كتم المكتشف سر اكتشافه الا انه عرضت بعض الاحجار فتنافس فيها غلاة الجواهر من كبار اغنياء الاميركان . وفي تلك الناحية من كاليفورنيا اكتشف منذ عشر سنين زمرد اخضر كما اكتشف حديثاً في تلك البقعة نفسها حجر الكونزيت الذي يختلف بلونه من الارجوان الى الوردي .

اكبر باخرة

اكبر باخرة تسير في الانهار هي التي صنعتها اميركا وتستخدم للملاحة قريباً في جون هودسون وهي تقل خمسة آلاف راكب وطولها ١٢٠ متراً وعمقها ١٣ ومجموع علوها ٢٤ وتقطع ٣٨ كيلو متراً في الساعة . يزيد قطر دواليبها على سبعة امتار .

تجارة تونس

أحصيت تجارة الصادرات والواردات معاً في القطر التونسي سنة ١٩٠٦ فبلغ مجموعها ١٧٠ مليون فرنك منها ٩٠ مليوناً للواردات والباقي للصادرات وقد كانت الواردات سنة ١٩٠١ — ٦٥ مليوناً والصادرات ١٠٥ ملايين وما برح الارتقاء في الواردات آخذاً في النمو واهم الممالك التي تعامل تونس فرنسا وايطاليا وانكلترا والجزائر ثم البلجيك والمانيا والولايات المتحدة . يصيب كل مملكة منها بحسب نشاط افرادها وما لديهم من الغلات والمصنوعات .

تطهير الكتب

اخترعت عدة طرق لتطهير الكتب من الجراثيم التي يلحقها بها المطالعون من ارباب الامراض المعدية ولكنها لم تأت بالغرض المقصود وقد اخترع الدكتور برليوز الفرنسوي آلة جديدة اسهل على العمل واضمن للنتيجة من جميع ما اخترع من نوعها وذلك بان تبخر الكتب بسائل خاص على درجة من الحرارة لا تقل عن ٧٥ وبدون ضغط على الكتاب ولا فتح لاوراقه ولا ضرر على جلده وورقه والكتب المجلدة تجليداً نفيساً يكتفى بتغليفها بورقة رفيعة فيذهب بذلك من الكتب كل جرثومة ضارة بل ان هذا العمل بها يساعد على زيادة بقائها وحفظها .

الزراعة في انكلترا

انحطت زراعة انكلترا انحطاطاً هائلاً فكانت سنة ١٨٧٠ تقوم باطعام نصف الامة ولم تعد تكفي سنة ١٩٠٠ لغير طعام عشر سكانها وقلت الاراضي التي تزرع حبوباً قلة محسوسة فاصبحت انكلترا عالة على مستعمراتها اذا قطعت عنها هذه مادة حياتها وحدث ما اخر بريطانيا عن الاستئثار بسلطة البحار يسوء حالها لا محالة . اثبتت ذلك اللجنة الزراعية الانكليزية في العام الماضي فقالت ان عدد العاملين في الزراعة كان سنة ١٨٧١ — ١٦٨٥٠٠٠٠ فاصبحوا سنة ١٩٠١ — ٩٠٠٠٠٠ واكدوا ان زراعة انكلترا احط الزراعات في امم الارض كلها .

المقتبس

الجزء الرابع من المجلد الثالث

ربيع الثاني سنة ١٣٢٦ موافق مايو (ايار) سنة ١٩٠٨

رسالة ابن المقفع في الصحابة (١)

اما بعد اصلح الله امير المؤمنين وأتم عليه النعمة والبسه المعافاة والرحمة فان امير المؤمنين حفظه الله يجمع مع علمه المسألة والاستماع كما كان ولاة الشر يجمعون مع جهلهم العجب والاستغناء ويستوثق لنفسه بالحجة ويتخذها على رعيته فيما يلطف له من الفحص عن امورهم كما كان اولئك يكتفون بالدعة ويرضون بدحوض الحجة وانقطاع العذر في الامتناع ان يجتريء عليهم احد برأي او خبر مع تسليط الديان . وقد عصم الله امير المؤمنين حين اهلك عدوه وشفى غليله ومكن له في الارض وآتاه ملكه وخزائنها من ان يشغل نفسه بالتمتع والتفتيش والتأثل والاخلاد وان يرضى ممن آوى بالمتاع به وقضاء حاجة النفس منه واكرم

(١) ظفرنا بهذه الرسالة والتاليات لها في كتاب المنثور والمنظوم لاحمد بن ابي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ هـ المحفوظ في دار الكتب المصرية فاثبتناها في المقتبس بعد ان صححنا ما امكننا تصحيحه من الفاظها وادغلب قليل من التحريف على هذا المخطوط النفيس الاصل ولا نعرف نسخة اخرى نقابل عليها بل ولا شذرات من هذه الرسائل نقلها فيما نذكر بعض مؤلفي الكتب المتداولة في الادب والمحاضرة ا كتفينا بتركها على ما وجدناها عسى ان يهدينا بعض اهل العلم الباحثين في الاقطار الى اصل نعارض به هذه الاعلاق النفيسة التي ابقتها الايام من قلم ابن المقفع . اما رسالة الصحابة فالظاهر من سياقها ان المقصود بالصحابة اصحاب السلطان واطلاق الصحابة على اصحاب السلطان غير مألوف لنا ولعلها رسالته المشهورة في السياسة

الله امير المؤمنين باستهانة ذلك واستصغاره اياه وذلك من ابين علامات السعادة وانجح الاعوان على الخير . وقد قص الله عز وجل علينا من نبإ يوسف بن يعقوب انه لما تمت نعمة الله عليه وآتاه الملك وعلّمه من تأويل الاحاديث وجمع له شمله واقرّ عينه بابويه واخوته اثنى على الله عز وجل بنعمته ثم سلا عما كان فيه وعرف ان الموت وما بعده هو اولى فقال: توفني مسلماً والحقني بالصالحين .

وفي الذي قد عرفنا من طريقة امير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على تناوله بالخبرة فيما ظن انه لم يبلغه اياه غيره وبالتذكير بما قد انتهى اليه ولا يزيد صاحب الرأي على ان يكون مخبرًا او مذكرًا . وكلٌّ عند امير المؤمنين مقبول ان شاء الله . مع ان مما يزيد ذوي الالباب نشاطاً الى إعمال ذوي الرأي فيما يصلح الله به الامة في يومها او غابر دهرها الذي اصبحوا قد طمعوا فيه (؟) ولعل ذلك ان يكون على يدي امير المؤمنين فان مع الطمع الجدّ ومع اليأس القنوط . وقلما ضعف الرجاء الا ذهب الرخاء . وطلب الموئس عجز وطلب الطامع حزم . ولم تدرك الناس نحن وآباؤنا الا وهم يرون فيها خلاًّ لايقطع الرأي ويمسك بالافواه من حال والٍ لم يهمه الاصلاح او اهمه ذلك ولم يثق فيه بفضل رأي او كان ذا رأي ليس مع رأيه صول بصرامة او حزم او كان ذلك استئثارًا منه على الناس بنشب او قلة تقدم لما يجمع او يقسم او حال اعوان ينيل بهم الولاة ليسوا على الخير باعوان وليس له الى اقتلاعهم سبيل لمكانهم من الامر ومخافة الدول والفساد ان هو هاجهم او انتقص ما في ايديهم او حال رعية منتزرة ليس لها من امرها النصف في نفسها فان أُخذت بالشدة حميت وان أُخذت باللين طغت . وكل هذه الخلائق قد طهر الله منها امير المؤمنين فآتاه الله ما آتاه في نيته ومقدرته وعزمه ثم لم يزل يرى ذلك منه الناس حتى عرفه منه جهالهم فضلاً عن علمائهم . وصنع الله لامير المؤمنين الطف الصنع في اقتلاع من كان يشركه في امره على غير طريقته ورأيه حتى اراحه الله وآمنه منهم بما جعلوا من الحجة والسبيل على انفسهم وما قوى الله عليه امير المؤمنين في رأيه واتباعه مرضاته واذل الله لامير المؤمنين رعيته بما جمع له من اللين والعفو فان لان لاحد منهم في الاثخان (؟) له شهيد على ان ذلك ليس بضعف ولا مصانعة وان اشتد على احد منهم في العفو شهيد على ان ذلك ليس بعنف ولا خرق مع امور سوى ذلك يكفّ عن ذكرها كراهة ان يكون كأنا نصبنا المدح . فما اخلق هذه الاشياء ان تكون عتادًا لكل جسيم من الخير في الدنيا والآخرة واليوم والغد والخاصة والعامة . وما ارجانا لان يكون امير المؤمنين بما اصلح الله الامة من بعده اشد اهتماماً من بعض الولاة بما لا يصلح رعيته في سلطانه وما اشد ما قد استبان لنا ان امير المؤمنين اطول

بامر الامة عناية ولها نظرًا وتقديرًا من الرجل منا بخاصة اهله في دون هذا ما يثبت الامل وينشط للعمل ولا قوة الا بالله ولله الحمد وعلى الله التمام ·

فمن الامور التي يُذكرها امير المؤمنين امتع الله به امر هذا الجند من اهل خراسان فانهم جند لم يدرك مثلهم في الاسلام وفيهم منعة بها يتم فضلهم ان شاء الله · اما هم فاهل بصر بالطاعة وفضل عند الناس وعفاف نفوس وفروج وكف عن الفساد وذل للولاة فهذه حال لا نعلمها توجد عند احد غيرهم · واما ما يحتاجون فيه الى المنعة من ذلك تقويم ايديهم ورأيهم وكلامهم فان في ذلك اليوم اختلاطًا من رأس مفرط غالٍ وتابع متحير شاكٍ · ومن كان انما يصول على الناس بقوم لا يعرف منهم الموافقة في الرأي والقول والسيرة فهو كراكب الاسد الذي يوجل من رآه والراكب اشدّ وجلًا · فلو ان امير المؤمنين كتب لهم امانًا معروفًا بليغًا وجيزًا محيطًا بكل شيء يجب ان يقول فيه ويكفوا عنه بالغًا في الحجة قاصرًا عن الغلو يحفظه رؤساؤهم حتى يقود به دهماءهم ويتعهد به منهم من لا يؤبه له من عرض الناس لكان ذلك ان شاء الله لرأيهم صلاحًا وعلى من سواهم حجة وعند الله عذرًا · فان كثيرًا من المتكلمين من قواد امير المؤمنين اليوم انما عامة كلامهم فيما يؤمر الامر ويرغم الرغم ان امير المؤمنين لو امر الجبال ان تسير سارت ولو امر ان تُستدبر القبلة بالصلاة فعل ذلك وهذا كلام قلما (يرتضيه) من كان مخالفًا وقلما يرد في سمع السامع الا احدث في قلبه ريبة وشكًا · والذي يقول اهل القصد من المسلمين هو اقوى للامر واعز للسلطان واقمع للمخالف وارضى للموافق واثبت للعذر عند الله عزّ وجل ·

فانا قد سمعنا فريقًا من الناس يقولون لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق · بنوا قولهم هذا بناء معوجًا فقالوا ان امرنا الامام بمعصية الله فهو اهل ان يُعصى وان امرنا الامام بطاعة الله فهو اهل ان يطاع · فاذا كان الامام يعصى في المعصية وكان غير الامام يطاع في الطاعة فالامام ومن سواه على حق الطاعة سواء · وهذا قول معلوم يجده السلطان ذريعة الى الطاعة والذي فيه أمنيته لئلا يكون للناس نظائر ولا يقوم بامرهم امام ولا يكون على عدوهم منهم ثقل · سمعنا آخرين يقولون بل نطيع الائمة في كل امورنا ولا نفتش عن طاعة الله ولا معصيته ولا يكون احد منا عليهم حسيبًا هم ولاة الامر واهل العلم ونحن الاتباع وعلينا الطاعة والتسليم · وليس هذا القول باقل ضررًا في توهين السلطان وتهجين الطاعة من القول بالذي قبله لانه ينتهي الى الفظيع المتفاحش من الامر في استحلال معصية الله جهارًا صراحًا · وقال اهل الفضل والصواب : قد اصاب الذين قالوا : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولم يصيبوا في تعطيلهم طاعة الائمة وتخفيفهم اياها واصاب الذين اقروا بطاعة الائمة لما حققوا منها ولم

يصيبوا ما ابهموا من ذلك في الامور كلها فاما اقرارنا فانه لا يطاع الامام في معصية الله فاذا ذلك في عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله لاحد عليها سلطانا . ولو ان الامام نهى عن الصلاة والصيام والحج او منع الحدود واباح ما حرم الله لم يكن له في ذلك امر .

فاما اثباتنا للامام الطاعة فيما لا يطاع فيه غيره فان ذلك في الرأي والتدبير والامر الذي جعل الله ازمته وعراه بايدي الائمة ليس لاحد فيه امر ولا طاعة من الغزو والقفول والجمع والقسم والاستعمال والترك والحكم بالرأي فيما لم يكن فيه اثر وامضاء الحدود والاحكام على الكتاب والسنة ومحاربة العدو ومخادعته والاخذ للمسلمين والاعطاء عليهم . وهذه الامور واشباهها من طاعة الله عز وجل الواجبة وليس لاحد من الناس فيها حق الا الامام ومن عصى الامام فيها او خذله فقد اوتغ نفسه . وليس يفترق هذان الامران الا ببرهان من الله عز وجل عظيم . وذلك ان الله جعل قوام الناس وصلاح معاشهم ومعادهم في خلتين الدين والعقل ولم تكن عقولهم وان كانت نعمة الله عز وجل عظمت عليهم فيها بالغة معرفة الهدى ولا مبلغة اهلها رضوان الله الا ما اكمل لهم من النعمة بالدين الذي شرع لهم وشرح به صدر من اراد هداه منهم ثم لو ان الدين جاء من الله لم يغادر حرفا من الاحكام والرأي والامر وجميع ماهو وارد على الناس وجار فيهم مذ بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى يوم يلقونه الا جاء فيه بعزيمة لكانوا قد كلفوا غير وسعهم فضيق عليهم في دينهم وآتاهم مالم تسع اسماعهم لاستماعه ولا قلوبهم لفهمه ولحارت عقولهم والبابهم التي امتن الله بها عليهم ولكانت لغوا لا يحتاجون اليها في شيء ولا يعملونها الا في امر قد اتاهم به تنزيل ولكن الله من عليهم بدينهم الذي لم يكن يسعه رأيهم كما قال عباد الله المتقون : ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

ثم جعل ما سوى ذلك من الامر والتدبير الى الرأي وجعل الرأي الى ولاة الامر ليس للناس في ذلك الامر شيء الا الاشارة عند المشورة والاجابة عند الدعوة والنصيحة بظهر الغيب . ولا يستحق الوالي هذه الطاعة الا باقامة العزائم والسنن مما هو في معنى ذلك . ثم ليس من وجوه القول وحده يلتمس فيه ملتمس اثبات فضل اهل بيت امير المؤمنين على اهل بيت (من سواه) وغير ذلك مما يحتاج الناس الى ذكره الا وهو موجود فيه من الكلام الفاضل المعروف ما هو ابلغ مما يغلو فيه الغالون فان الحجة ثابتة والامر واضح بحمد الله ونعمته .

ومما ينظر فيه لصلاح هذا الجند ألا يولي احدا منهم شيئا من الخراج فان ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة . ولم يزل الناس يتحامون ذلك منهم وينحونه عنهم لانهم اهل ذاك ودعوى وبلاء . واذا خلا بالدراهم والدنانير اجترأ عليهما واذا وقع في الخيانة صار كل امر مدخولا

نصيحته وطاعته فان حيل بينه وبين رفعته امرضته الحمية مع ان ولاية الخراج داعية الى ذلة وعقوبة وهوان · وانما منزلة المقاتل منزلة الكرامة واللطف · ومما ينظر فيه من امرهم ان منهم من المجهولين من هو افضل من بعض قادتهم فلو التمسوا وصنعوا كانوا عدة وقوة وكان ذلك صلاحاً لمن فوقهم من القادة ومن دونهم من العامة ·

ومن ذلك تعهد ادبهم في تعليم الكتاب والتفقه في السنة والامانة والعصمة والمباينة لاهل الهوى وان يظهر فيهم من القصد والتواضع واجتناب زي المترفين وشكلهم مثل الذي يأخذ به امير المؤمنين في امر نفسه · ولا يزال يطلع من امير المؤمنين ويخرج منه القول ما يعرف مقته للاتراف والاسراف واهلهما ومحبته القصد والتواضع ومن اخذ بهما حتى يعلموا ان معروف امير المؤمنين محظور عمن يكنزه بخلاً ان ينفقه سرفاً في العطر واللباس والمغالاة بالنساء والمراتب فان امير المؤمنين يؤثر بالمعروف من وجهه المعروف والمؤاساة · ومن ذلك امر ارزاقهم ان يوقت لهم امير المؤمنين فيها وقتاً يعرفونه في كل ثلاثة اشهر او اربعة او ما بدا له وان يعلم عامتهم العذر الذي في ذلك من اقامة ديوانهم وتحمل اسمائهم و يعلموا الوقت الذي يأخذون فيه فينقطع الاستبطاء والشكوى · فان الكلمة الواحدة تخرج من احدهم في ذلك اهل ان تستعظم فان باب ذلك جدير ان يحسم مع ان امير المؤمنين قد علم كثرة ارزاقهم وكثرة المال الذي يخرج لهم وان هذا الخراج ان يكن رائجاً لغلاء السعر فانه لا بد من الكساد والكسر وان لكل شيء درة وغزارة وانما درور خراج العراق بارتفاع الاسعار وانما يحتاج الجند اليوم الى ما يحتاجون اليه من كثرة الرزق لغلاء السعر فمن حسن التقدير ان شاء الله ان لا يدخل على الارض ضرر ولا بيت المال نقصان من قبل الرحمن الا دخل ذلك عليهم في ارزاقهم مع انه ليس عليهم في ذلك نقصان لانهم يشترون بالقليل مثل ما كانوا يشترون بالكثير · فاقول لو ان امير المؤمنين ما خلا شيئاً من الرزق فيجعل بعضه طعاماً ويجعل بعضه علفاً فاعطوه باعيانهم فان قومت لهم قيمة تخرج ما خرج على حسابه قيمة الطعام والعلف لم يكن في ارزاقهم لذلك نقصان عاجل يستنكرونه وكان ذلك .. نزالهم لحمل العدو وانصاف بيت المال من انفسهم فيما يستبطئون مع انه ان زاد السعر اخذوا بحصتهم من فضل ذلك · ومن جماع الامر وقوامه باذن الله ان لا يخفى على امير المؤمنين شيء من اخبارهم وحالاتهم و باطن امرهم بخراسان والعسكر والاطراف وان يحتقر في ذلك النفقة ولا يستعين فيه الا بالثقات النصاح فان ترك ذلك واشباهه احزم بتاركه من الاستعانة فيه بغير الثقة فتصير جنة للجهالة والكذب

ومما يذكر به امير المؤمنين امتع الله به امر هذين المصرين فانهم بعد اهل خراسان اقرب الناس

او ان يكونوا شيعته ومعينيه مع اختلاطهم باهل خراسان وانهم منهم وهامتهم وانما ينظر امير المؤمنين منهم ٠٠ صدق ولرابطتهم او ما اراد من امورهم معرفته استثقال اهل خراسان ذلك لم من امرهم مع الذي في ذلك من جمال الامر واختلاط الناس بالناس العرب بالعجم واهل خراسان بالمصرين٠

ان في اهل العراق يا امير المؤمنين من الفقه والعفاف والالباب والالسنة شيئاً لا يكاد يشك انه ليس في جميع من سواهم من اهل القبلة مثله ولا مثل نصفه فلو اراد امير المؤمنين ان يكتفي بهم في جميع ما يلتمس له اهل الطبقة من الناس رجوناان يكون ذلك فيهم موجوداً٠ وقد ازرى باهل العراق في تلك الطبقة ان ولاة العراق فيما مضى كانوا اشرار الولاة وان اعوانهم من اهل امصارهم (كذلك) فحمل جميع اهل العراق على ما ظهر من اولئك الفسول وتعلق بذلك اعداؤهم من اهل الشام فنعوه عليهم ثم كانت هذه الدولة فلم يتعلق من دونكم من الوزراء والعمال الا بالاقرب فالاقرب مما دنا منهم او وجدوه بسبيل شيء من الامر فوقع رجال مواقع شائنة لجميع اهل العراق حيث ما وقعوا من صحابة خليفة او ولاية عمل او موضع امانة او موطن جهاد وكان من رأي اهل الفضل ان يقصدوا حتى يلتمسوا فابطأ ذلك بهم ان يعرفوا وينتفع بهم وان كان صاحب السلطان لمن لم يعرف الناس قبل ان يليهم ثم لم يزل يسأل عنهم من يعرفهم ولم يستثبت في استقصائهم فزالت الامور عن مراكزها ونزلت الرجال عن منازلها لان الناس لا يلقونه الا متصنعين باحسن ما يقدرون عليه من الصمت والكلام غير ان اهل النقص هم اشد تصنعاً واحلى السنة وارفق تلطفاً للوزراء او تمحلاً لان يثنى عليهم من وراء وراء ٠ فاذا آثر الوالي ان يستخلص رجلاً واحداً ممن ليس لذلك اهلاً دعا الى نفسه جميع ذلك الشرح وطمعوا فيه واجترأوا عليه وتوردوه وزحموا على ما عنده واذا رأى ذلك اهل الفضل كفوا عنه وباعدوا منه وكرهوا ان يروا في غير موضعهم او يزاحموا غير نظرائهم ٠

ومما ينظر امير المؤمنين فيه من امر هذين المصرين وغيرهما من الامصار والنواحي اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها امراً عظيماً في الدماء والفروج والاموال فيستحل الدم والفرج بالحيرة وهما يحرمان بالكوفة ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة فيستحل في ناحية منها ما يحرم في ناحية اخرى غير انه على كثرة الوانه نافذ على المسلمين في دمائهم وحرمهم يقضي به قضاة جائز امرهم وحكمهم مع انه ليس مما ينظر في ذلك من اهل العراق واهل الحجاز فريق الا قد لج بهم العجب بما في ايديهم والاستخفاف بمن سواهم فاقحمهم ذلك في الامور التي يشنع بها من سمعها من ذوي الالباب ٠

اما من يدعي لزوم السنة منهم فيجعل ما ليس له سنة سنة حتى يبلغ ذلك به الى ان يسفك الدم بغير بينة ولا حجة على الامر الذي يزعم انه سنة واذا سئل عن ذلك لم يستطع ان يقول هُريق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم او ائمة الهدى من بعده . واذا قيل له اي دم سفك على هذه السنة التي تزعمون قالوا: فعل ذلك عبد الملك بن مروان او امير من بعض اولئك الامراء وانما من يأخذ بالرأي فيبلغ به الاعتزام عن رأيه ان يقول في الامر الجسيم من امر المسلمين قولاً لا يوافقه عليه احد من المسلمين ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وامضائه الحكم عليه وهو مقر انه رأي منه لا يحتج بكتاب ولا سنة . فلو رأى امير المؤمنين ان يأمر بهذه الاقضية والسير المختلفة فترفع اليه في كتاب ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة او قياس ثم نظر امير المؤمنين في ذلك وامضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله ويعزم له عليه وينهى عن القضاء بخلافه وكتب بذلك كتاباً جامعاً عزماً لرجونا ان يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطإ حكماً واحداً صواباً ورجونا ان يكون اجتماع السير قربة لاجماع الامر برأي امير المؤمنين وعلى لسانه ثم يكون ذلك من امام آخر آخر الدهر ان شاء الله .

فاما اختلاف الاحكام اما شيء مأثور عن السلف غير مجمع عليه يدبره قوم على وجه ويدبره آخرون على وجه آخر فينظر فيه الى احق الفريقين بالتصديق واشبه الامرين بالعدل . واما رأي اجراه اهله على القياس فاختلف وانتشر ما يغلط في اصل المقايسة وابتداً امر على غير مثاله . واما الطول ملازمته القياس فان من اراد ان يلزم القياس ولا يفارقه ابداً في امر الدين والحكم وقع في الورطات ومضى على الشبهات وغمض على القبيح الذي يعرفه ويبصره فابى ان يتركه كراهة ترك القياس . وانما القياس دليل يستدل به على المحاسن فاذا كان ما يقود اليه حسناً معروفاً أُخذ به واذا قاد الى القبيح المستنكر ترك لان المبتغي ليس غير القياس يبغي ولكن محاسن الامور ومعروفها وما الحق الحق باهله . ولو ان شيئاً مستقيماً على الناس ومنقاداً حيث قيد لكان الصدق هو ذلك اولى ان يعتبر بالمقايس فانه لو اراد ان يقوده الصدق لم ينقد له . وذلك ان رجلاً لو قال: اتأمرني ان اصدق فلا اكذب كذبة ابداً لكان جوابه ان يقول نعم ثم لو التمس منه قود ذلك فقال: اتصدق في كذا وكذا حتى يبلغ به ان يقول الصدق في رجل هارب استدلني عليه طالب لبظلمه فيقتله لكسر عليه قياده وكان الرأي له ان يترك ذلك وينصرف الى المجمع عليه المعروف المستحسن .

ومما يذكر به امير المؤمنين اهل الشام فانهم اشد الناس مؤونة واخوفهم عداوة وبائقة . وليس يؤاخذهم امير المؤمنين بالعداوة ولا يطمع منهم في الاجتماع على المودة فمن

الرأي في امرهم ان يختص امير المؤمنين منهم خاصة ممن يرجو عنده صلاحًا او يعرف منه نصيحة او وفاء فان اولئك لا يلبثون ان ينفصلوا عن اصحابهم في الرأي والهوى و يدخلوا فيما حملوا عليه من امرهم فقد رأينا اشباه اولئك من اهل العراق الذين استدخلهم اهل الشام وليس احد في امر اهل السلم على القصاص(؟) حُرموا كما كانوا يحرمون الناس وجعل فيئهم الى غيرهم كما كان فيء غيرهم اليهم ونُحوا عن المنابر والمجالس والاعمال كما كانوا ينحون عن ذلك من لا يجهلون فضله في السابقة والمواضع ومنعت منهم المرافق كما كانوا يمنعون الناس ان ينالوا معهم اكلة من الطعام الذي يصنعه امراؤهم للعامة . فان رغب امير المؤمنين لنفسه عن هذه السيرة وما اشبهها لم يعارض ما عاب ولم يمثل ما سخط كان العدل ان يقتصر بهم على فيئهم فيجعل ما خرج من كور الشام فضلاً عن النفقات وما خرج من مصر فضلاً عن حقوق اهل المدينة ومكة بان يجعل امير المؤمنين ديوان مقاتلتهم ديوانهم او يزيد او ينقص غير انه يأخذ اهل القوة والغناء وخفة المؤونة والعفة في الطاعة ولا يفضل احدًا منهم على احد الا على خاصة معلومة و يكون الديوان كالغرض المستأنف ويأمر لكل جند من اجناد اهل الشام بعدة من العيال يقترعون عليها و يسوي بينهم فيما لم يكونوا أسوة فيه فيمن مات من عيالاتهم ولا يصنع باحد من المسلمين .

واما ما يخوف المخوفون من نزواتهم فلعمري لئن أخذوا بالحق ولم يؤخذوا به انهم لخلقاء ان يكون لهم نزوات ونزقات ولكنا على مثل اليقين بحمد الله من انهم لم يشركوا بذلك الا انفسهم وان الدائرة لامير المؤمنين عليهم آخر الدهر ان شاء الله . فانه لم يخرج الملك من قوم الا بقيت فيهم بقية يتوثبون بها ثم كان ذلك التوثب هو سبب استئصالهم وتدويخهم .

ومما يذكر به امير المؤمنين امر اصحابه فان من اولى امر الوالي منه بالتثبت والتحيز امر اصحابه الذين هم بهاء فنائه وزينة مجلسه والسنة رعيته والاعوان على رأيه ومواضع كرامته والخاصة من عامته فان امر هذه الصحابة قد عمل فيه من كان وليه من الوزارة والكتاب قبل خلافة امير المؤمنين عملاً قبيحًا مفرط القبح مفسدًا للحسب والادب والسياسة داعيًا للاشرار طاردًا للاخيار فصارت صحبة الخليط امرًا سخيفًا فطمع فيه الاوغاد وتزهد فيه من كان يرغب فيما دونه حتى اذا التقينا ابا العباس رحمة الله عليه وكنت في ناس من صلحاء اهل البصرة ووجوههم فكنت في عصابة منهم ابوا ان يأتوه فمنهم من تغيب فلم يقدم ومنهم من هرب بعد قدومه اختيارًا للمعصية على سوء الموضع لا يعتذرون في ذلك الا بضياع المكتسب والدعوة والمدخل يقولون هذه منزلة كان من هو اشرف من ابائنا يرغبون

فيما هو دونها عند من هو اصغر امراء ولاتنا اليوم ولكنها قد كانت مكرمة وحسباً اذ الناس ينظرون ويسأل عنهم فاما اليوم ونحن نرى فلاناً وفلاناً ينفر باسمائهم على غير قديم سلف ولا بلاء حدث فمن يرغب فيما هاهنا يا امير المؤمنين اكرمك الله اما يصير العدل كله الى تقوى الله عزّ وجل وانزال الامور منازلها فان الاول قال

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال هم سودوا نصرًا وكل قبيلة يبين عن احلامها من يسودها

وان امر هذه الصحابة قد كان فيه اعاجيب دخلت فيه مظالم . اما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول ما رأينا أعجوبة قط اعجب من هذه الصحابة ممن لا ينتهي الى ادب ذي نباهة ولا حسب معروف ثم هو مسخوط الرأي مشهور بالفجور في اهل مصر قد غبر عامة دهره صانعاً يعمل بيده ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء الا انه مكنه من الامر صاغ فاحتوى حيث احب فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من ابناء المهاجرين والانصار وقبل قرابة امير المؤمنين واهل بيوتات العرب ويجري عليه من الرزق الضعف مما يجري على كثير من بني هاشم وغيره من سروات قريش ويخرج له من المعونة على نحو ذلك لم يضعه بهذا الموضع رعاية رحم ولا فقه في دين ولا بلاء في مجاهدة عدو معروفة ماضية متتابعة قديمة ولا غناء حديث ولا حاجة اليه في شيء من الاشياء ولا عدة يستعد بها وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة الا انه خدم كاتباً او حاجباً فاخبر ان الدين لا يقوم الا به حتى كتب كيف شاء ودخل حيث شاء .

واما المظلمة التي دخلت في ذلك فعظيمة قد خصت قريشاً وعمت كثيرًا من الناس وادخلت على الاحساب والمروآت محنة شديدة وضياعاً كثيرًا فان في اذن الخليفة والمدخل عليه والمجلس عنده وما يجري على صحابته من الرزق والمعونة وتفضيل بعضهم على بعض في ذلك حكماً عظيماً على ان الناس في انسابهم واخطارهم وبلاء اهل البلاء منهم وليس ذلك لخواص المعروف ولطيف المنازل او الاعمال التي يختص بها المولى من احب ولكنه باب من القضاء جسيم عام يقضي فيه للماضين من اهل السوابق والمآثر من اهل الباقين واهل البلاء والغناء بالعدل او بإيجال فيه عليهم فان احق المظالم بتعجيل الرفع والتغيير ما كان ضره عائباً وكان للسلطان شائناً ثم لم يكن في رفعه مؤونة ولا شغب ولا توغير بصدور عامة ولا للقوة ولا اضرار سبب(؟) .

واصحابة امير المؤمنين اكرمه الله مزية وفضل وهي مكرمة سنية حرية ان تكون شرفاً لاهلها وحسباً لاعقابهم حقيقة ان تصان وتحظر ولا يكون فيها الا رجل بدر بخصلة من

الخصال ومن رجل له عند امير المؤمنين خاصة بقرابة او بلاء او رجل يكون شرفه ورأيه وعمله اهلاً لمجلس امير المؤمنين وحديثه ومشورته او صاحب نجدة يعرف بها ويستعد لها يجمع مع نجدته حسباً وعفافاً فيرفع من الجند الى الصحابة ورجل فقيه مصلح يوضع بين اظهر الناس لينتفعوا بصلاحه وفقهه اورجل شريف لا يفسد نفسه او غيرها فاما من يتوسل بالشفاعات فانه يكتفي او يكتفى له بالمعروف والبر فيما لا يهجن رأياً ولا يزيل امرأ عن مرتبته ثم تكون تلك الصحابة المخاصة على منازلها ومداخلها الا يكون للكاتب فيها امر في رفع رزق ولا وضعه ولا لحاجب في تقديم اذن ولا تأخيره .

ومما يذكر به امير المؤمنين امر فتيان اهل بيته وبني ابيه وبني علي وبني العباس فان فيهم رجالاً لو متعوا بجسام الامور والاعمال سدوا وجوهاً وكانوا عدة لاخرى .

ومما يذكر به امير المؤمنين امر الارض والخراج فان اجسم ذلك واعظمه خطراً واشده مؤونة واقربه من الضياع ما بين سهله وجبله ليس لها تفسير على الرساتيق والقرى فليس للعمال امر ينتهون اليه ولا يحاسبون عليه ويحول بينهم وبين الحكم على اهل الارض بعدما يتأنقون لها في العمارة ويرجون لها فضل ماتعمل ايديهم . فسيرة العمال فيهم احدى ثنتين اما رجل أخذ بالخرق والعنف من حيث وجد وتتبع الرجال والرساتيق بالمغالاة ممن وجد واما رجل صاحب مساحة يستخرج ممن زرع ويترك من لم يزرع فيعمر من عمر ويسلم من اخرب مع ان اصول الوظائف على الكور لم يكن لها ثبت ولا علم وليس من كورة الا وقد غيرت وظيفتها مراراً فخفيت وظائف بعضها وبقيت وظائف بمض فلو ان امير المؤمنين اعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق والقرى والارضين وظائف معلومة وتدوين الدواوين بذلك واثبات الاصول حتى لا يؤخذ رجل الا بوظيفة قد عرفها وضمنها ولا يجتهد في عمارة الا كان له فضلها ونفعها لرجونا ان يكون في ذلك صلاح للرعية وعمارة للارض وحسم لابواب الخيانة وغشم العمال . وهذا رأي مؤونته شديدة ورجاله قليل ونفعه متأخر . وليس بعد هذا في امر الخراج الا رأي قد رأينا امير المؤمنين اخذ به ولم نره من احد قبله من تخير العمال وتفقدهم والاستعتاب لهم والاستبدال بهم

ومما نذكر به امير المؤمنين جزيرة العرب من الحجاز واليمن واليمامة وما سوى ذلك ان يكون من رأي امير المؤمنين اذا سخت نفسه عن اموالها من الصدقات وغيرها ان يختار لولايتها الخيار من اهل بيته وغيرهم لان ذلك من تمام السيرة العادلة والكلمة الحسنة التي قد رزق الله امير المؤمنين واكرمه بها من الرأي الذي هو باذن الله حمى ونظام لهذه لامور كلها في الامصار والاجناد والثغور والكور . ان بالناس من الاستخراج والله اد ماقد

على امير المؤمنين وبهم من الحاجة الى تقويم آدابهم وطرائقهم ما هو اشد من حاجتهم الى اقواتهم التي يعيشون بها. واهل كل مصر وجند او ثغر فقراء الى ان يكون لهم من اهل الفقه والسنة والسير والنصيحة مؤدبون مقومون يذكرون ويبصرون الخطأ ويعظون عن الجهل ويمنعون عن البدع ويحذرون الفتن ويتفقدون امور عامة من هو بين اظهرهم حتى لا يخفى عليهم منها مهم ثم يستصلحون ذلك ويعالجون على ما استنكروا منه بالرأي والرفق والنصح ويرفعون ما اعياهم الى ما يرجون قوته عليهم مأمونين على سير ذلك وتحصينه بصراء بالرأي حين يبدو او اطباء باستئصاله قبل ان يتمكن . وفي كل قوم خواص رجال عندهم على هذا معونة اذا صنعوا لذلك وتلطف لهم وأعينوا على رأيهم وقووا على معاشهم ببعض ما يفرغهم لذلك ويبسطهم له . وخطر هذا جسيم في امرين احدهما رجوع اهل الفساد الى الصلاح واهل الفرقة الى الالفة والامر الآخر ان لا يتحرك متحرك في امر من امور العامة الا وعين ناصحة ترمقه ولا يهمس هامس الا واذن شفيقة تصيخ نحوه. واذا كان ذلك لم يقدر اهل الفساد على تربيص الامور وتلقيحها واذا لم تلقح كان نتاجها باذن الله مأموناً .

وقد علمنا علماً لا يخالطه شك ان عامة قط لم تصلح من قبل انفسها ولم يأتها الصلاح الا من قبل خاصتها . وان خاصة قط لم تصلح من قبل انفسها وانها لم يأتها الصلاح الا من قبل امامها . وذلك لان عدد الناس في ضعفتهم وجهالهم الذين لا يستغنون برأي انفسهم ولا يحملون العلم ولا يتقدمون في الامور فاذا جعل الله فيهم خواص من اهل الدين والعقول ينظرون اليهم ويسمعون منهم اهتمت خواصهم بامور عوامهم واقبلوا عليه بجد ونصح ومثابرة وقوة جعل الله ذلك صلاحاً لجماعتهم وسبباً لاهل الصلاح من خواصهم وزيادة فيما انعم الله به عليهم وبلاغاً الى الخير كله . وحاجة الخواص الى الامام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة الى خواصهم واعظم من ذلك . فبالامام يجمع الله امرهم ويكبت اهل الطعن عليهم ويجمع رأيهم وكلمتهم ويبين لهم عند العامة منزلتهم ويجعل لهم الحجة والايد والمقال على من نكب عن سبيل حقهم . فلما رأينا هذه الامور ينتظم بعضها ببعض وعرفنا من امر امير المؤمنين ما بتله جمع الله خواص المسلمين على الرغبة في حسن المعاونة والمؤازرة والسعي في صلاح عامتهم طمعنا لهم في ذلك يا امير المؤمنين وطمعنا فيه لعامتهم ورجونا ان لا يعمل بهذا الامر احد الا رزقه الله المتابعة فيه والقوة عليه . فان الامر اذا اعان على نفسه جعل للقائل مقالاً وهيأ للساعي نجاحاً . ولا حول ولا قوة الا بالله وهو رب الخلق وولي الامر يقضي في امورهم يدبر امره بقدرة عزيزة وعلم سابق فنسأله ان يعزم لامير المؤمنين على المراشد ويحصنه بالحفظ والتثبيت والسلام ولله الحمد والشكر .

تحميد لابن المقفع

الحمد لله ذي العظمة القاهرة والآلاء الظاهرة الذي لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه ولا يدفع قضاؤه ولا امره وانما قوله اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون . والحمد لله الذي خلق الخلق بعلمه ودبر الامور بحكمه وانفذ فيما اختار واصطفى منها عزمه بقدرة منه عليها وملكة منه لها لا معقب لحكمه ولا شريك له في شيء من الامور يخلق ما يشاء ويختار ما كان للناس الخيرة في شيء من امورهم سبحان الله وتعالى عما يشركون . والحمد لله الذي جعل صفو ما اختار من الامور دينه الذي ارتضى لنفسه ولمن اراد كرامته من عباده فقام به ملائكته المقربون يعظمون جلاله ويقدسون اسماءه ويذكرون آلاءه لا يستحسرون عن عبادته ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقام به من اختار من انبيائه وخلفائه واوليائه في ارضه يطيعون امره ويذبون عن محارمه ويصدقون بوعده ويوفون بعهده ويأخذون بحقه ويجاهدون عدوه وكان لهم عند ما وعدهم من تصديقه قولهم وافلاجه حجتهم واعزازه دينهم واظهاره حقهم وتمكينه لهم وكان لعدوه وعدوهم عندما اوعدهم من خزيه واحلاله بأسهم وانتقامه منهم وغضبه عليهم مضى على ذلك امره ونفذ فيه قضاؤه فيما مضى وهو ممضيه ومنفذه على ذلك فيما بقي ليتم نوره ولو كره الكافرون ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون والحمد لله الذي لا يقفي في الامور ولا يدبرها غيره ابتدأها بعلمه وامضاها بقدرته وهو وليها ومنتهاها وولي الخيرة فيها والامضاء لما احب ان يقفي منها يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون . والحمد لله الفتاح العليم العزيز الحكيم ذي المن والطول والقدرة والحول الذي لا ممسك لما فتح لاوليائه من رحمته ولا دافع لما انزل باعدائه من نقمته ولا رادّ لامره في ذلك وقضائه يفعل مايشاء ويحكم مايريد . والحمد لله المثيب بحمده ومنه ابتداؤه والمنعم بشكره وعليه جزاؤه والمثني بالايمان وهو عطاؤه

***

كتب ابن المقفع الى صديق ولدت له جارية :

بارك الله لكم في الابنة المستفادة وجعلها لكم زيناً واجرى لكم بها خيراً فلا تكرهها فانهن الامهات والاخوات والعمات والخالات ومنهن الباقيات الصالحات . ورب غلام ساء اهله بعد مسرتهم ورب جارية فرّحت اهلها بعد مساءتهم .

تعزية لابن المقفع عن ولد :

اعظم الله على المصيبة اجرك واحسن على جليل الرزء ثوابك وعجل لك الخلف فيه وذخر لك الثواب عليه .

وله :

انما يستوجب على الله وعده من صبر لله بحقه فلا تجمعن الى ما فُجعت به من ولدك الفجيعة بالاجر عليه والعوض منه . فانما اعظم المصيبتين عليك وانكى المرزيتين لك . اخلف الله عليك بخير وذخر لك جزيل الثواب .

وتعزية له عن بنت :

لا ينقص الله عددك ولا ينزع عنك نعمته التي البسك واحسن العوض لك وجعل الخلف لك خيراً مما رزأك به وما اعطاك خيراً مما قبض منك :

وله تعزية عن ابنة :

جدد الله لك من هبته ما يكون خلفاً لك بار زئته وعوضاً من المصيبة به ورزقك من الثواب عليه اضعاف ما رزأك به منها . فما اقل كثير الدنيا في قليل الآخرة مع فناء هذه ودوام تلك .

وتعزية له ايضاً :

اعظم الله اجرك في كل مصيبة واوزعك الشكر على كل نعمة . اعرف لله حقه واعتصم بما امر به من الصبر تظفر بما وعد من عظيم الاجر .

وتعزية لابن المقفع :

اما بعد فان امر الآخرة والدنيا بيد الله هو يدبرهما ويقضي فيهما مايشاء لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه فان الله خلق الخلق بقدرته ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة لئلا يطمع احد من خلقه في خلد الدنيا ووقت لكل شيء ميقات اجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليس احد من خلقه الا وهو مستيقن بالموت لا يرجو بان يخلصه من ذلك احد . نسأل الله خير المنقلب . وبلغني وفاة فلان فكانت وفاته من المصائب العظام التي يحتسب ثوابها من ربنا الذي اليه منقلبنا ومعادنا وعليه ثوابنا فعليك بتقوى الله والصبر وحسن الظن بالله فانه جعل لاهل الصبر صلوات منه ورحمة وجعلهم من المهتدين .

ولابن المقفع في السلامة :

اما بعد فقد اتاني كتابك فيما اخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح ما قبلك وفي الذي ذكرت من ذلك نعمة مجللة عظيمة نحمد عليها وليها المنعم المفضل المحمود ونسأله ان يلهمنا واياك من شكره وذكره ما به مزيدها وتأدية حقها . وسألت ان اكتب اليك بخبرنا ونحن على حال لو اطنبت في ذكرها لم يكن في ذلك احصاء للنعمة ولا اعتراف لكنه الحق فنرغب الى الذي تزداد نعمه علينا في كل يوم وليلة تظاهراً ألا يجعل شكرنا منقوصاً ولا مدخولاً وان يرزقنا مع كل نعمة كفاءها من المعرفة بفضله فيها والعمل في الاداء اليه حقها انه ولي قدير .

وله كتاب للثقفي في السلامة :

اما بعد فان مما نمق الله به مناقبك الكريمة المحمودة الغانية عن القول والوصف انك موضع المؤونات عن اخوانك حمال عنهم اثقال الامور ما وضعت عنه المؤونة ارتفاعك عن الامور التي يطأطأ اليها الكلام على السنة الناس اذ اباحوه و بهرجوه وضيعوا القول ونسوا القصد فيه واخذوا به في كل فن واصفوا بصفوته غير اهلها فيما لا ينبغي لهم من التشبيه والتوفير والتفضيل . كان من خبري بعدك اني قدمت بلد كذا فتهيأ لي بعض ما شخصت له والمحمود على ذلك الله عز وجل وانا على ان يأتيني خبرك محتاج فاما جملة خبري في فراقك فقلبي مكة كل ما سواك حرام فيها .

وله جواب في السلامة :

اما بعد فقد اتاني كتاب الامير رجعة كتابي اليه فكان فيه تصديق الظن وتثبيت الرأي ودرك البغية والله محمود فامتع الله بالامير وامتعه بصالح ما آتاه وزاده من الخيرات مستعمراً له فيه مستعملا بطاعته التي بها يفوز الفائزون والذي رزق الله من الامير فهو عندي عظيم نفيس وكل الذي قبلي عن مكافأته فقصر الا انه ليس في النية تقصير ولا بلوغ لشيء من الامور الا بتوفيق الله عز وجل ومعونته والسلام .

وله في السلامة جواب ايضاً :

اما بعد فلقد اتاني كتابك فيما اخبرتني عنه من صلاحك وصلاح ماقبلك وفي الذي ذكرت نعمة مجللة عظيمة نحمد عليها الله (١) المنعم بها المحمود ونسأله ان يلهمنا واياك من شكره وذكره ما به مزيدها وتأدية حقها (٢) نحن من عافية الله وكفايته ودفاعه على حال لو اطنبت في ذكرها لم يكن في ذلك احصاء لنعمة ولا اعتراف (٣) لكنه الحق فنرغب الى الذي يزيد في نعمه علينا تظاهراً الا يجعل شكرنا منقوصاً ولا مدخولاً وان يرزقنا مع كل نعمة كفاء (٤) من المعرفة بفضله فيها والعمل في اداء حقها .

وفي السلامة ايضاً (ولم يتبين انها له) :

كتبت اليك وامير المؤمنين وما يأتيه من لين الطاعة واتساق الكلمة عمت في الداني

---

(١) هذا الكتاب ورد في الاصل مرتين وفي المرة الثانية ورد (نحمد عليها وليها المنعم المفضل المحمود) الخ (٢) هنا في الصورة الثانية وسألت ان اكتب اليك بخبرنا ونحن على حال الخ (٣) في النسخة الثانية ولكنه الحق فنرغب الى الذي تزداد نعمه علينا كل يوم وليلة تظاهراً (٤) في الصورة الثانية : كفاءها من المعرفة بفضله فيها والعمل في الاداء اليه حقها انه ولي قدير .

والقاصي من بلدانه وحواشي سلطانه على ما يحمد الله عليه فان نعمة الله على امير المؤمنين تجري على أذلالها وتنقاد في اسهل سبيلها ·

قال المؤلف : ومن مختار ما كتب به من باب الشكر ولم اعرف ان كانت له او لغيره لانه اورد كتب بضم اولها ومع هذا فهذه هي الرسالة :

اما بعد فما اعجز تعدادي عما اتعرف منك واتعرفه بك دانياً ونائياً وما ادري ما ابتدأتني به من معروفك ارهن لشكري ام ما ثبت به من برك لبدئك بعنايتك على نأيك ام ما البستني جماله على لسانك باطرائك وثنائك ام ما عقدته لي عند غيرك بتلطفك وتأتيك غير اني اعلم انك لم تقصر في استحقاق شكر علي وارجو الا اكون مقصرًا في معرفة ذلك منك ومن لم يقصر علمه ولم يوت في شكره الا من عظم المعروف عنده مع جهده فقد دخل بالعلم والجهد في الشاكرين · غير ان الذي آنستني به من رفدك وتوطيدك قد زادني وحشة اليك وان حفظ من حفظني فيك وان لم يكن مقصرًا وقد جدد لي المعرفة بوثارة مكاني عندك واتئد بلغت ان اصلحت لي الامور والرجال واصلحتني الى صلاحي لنفسك فليس كتابي هذا باستبطاء لاحد حتى يستبطئه ولا شكري حتى يكون البدء منك ولكن روحت عن نفسي بذكرك وزينتها بشكرك وزكيتها بالاقرار بفضلك ·

ولابن المقفع :

ان الناس لم يعدموا ان يطلبوا الحوائج الى الخواص من الاخوان وان يتواصلوا بالحقوق ويرغبوا الى اهل المقامات ويتوسلوا الى الاكفاء وانت بحمد الله ونعمته من اهل الخير وممن اعان عليه وبذل لاهل ثقته المصافين وان بذل النفوس فيه واعطاء الرغيب ليس منك ببكر ولا طريف بل هو تليد اتلده اولكم لآخركم واورثه اكابركم اصاغركم ومن حاجتي كذا وانت احق من طلبت اليه واستعنته على حوادث الدهر ونازلات بهاموري لقرب نسبك وكريم حسبك ونباهتك وعلو منزلتك وجسيم طبائعك وعوام اياديك الى عشيرتك وغيرها فليكن من رأيك ما حملتك من حاجتي على قدر قسم الله لك من فضله وما عودك من مننه ووسع غيري من نعمائك واحسانك ·

ولابن المقفع ايضاً :

اما بعد فان من قضى الحوائج لاخوانه واستوجب بذلك الشكر عليهم فلنفسه عمل لا لهم · والمعروف اذا وضع عند من لا يشكره فهو زرع لا بد لزارعه من حصاده او لعقبه من بعده · وكتبت اليك ولحالنا التي نحن بها فيما نذكرك حاجة اول مافيها معروف استوجب به الشكر علينا وتدخر به الايادي قبلنا ·

ولعبدالله بن المقفع الى يحيى بن زياد (الحارثي)ابتداء في المؤاخاة :

اما بعد فان اهل الفضل في اللب والوفاء في الود والكرم في الخلق لهم من الثناء الحسن في الناس لسان صدق يُشيد بفضلهم ويخبر عن صحة ودهم وثقة مؤآخاتهم فيتخير اليهم رغبة الاخوان ويصطفي لهم سلامة صدورهم ويجتني لهم ثمرة قلوبهم فلا مثني افضل تقريظاً ولا مخبر اصدق أحدوثة منه . وقد لزمت من الوفاء والكرم فيما بينك وبين الناس طريقة محمودة نسبت الى مزيتها في الفضل وجمل بها ثناؤك في الذكر وشهد لك بها لسان الصدق فعرفت بمناقبها ووسمت بمحاسنها فاسرع اليك الاخوان برغبتهم مستبقين يبتدرون ودك ويصلون حبلك ابتدار اهل التنافس في حظ رغيب نصبت لهم غاية يجري اليها الطالبون ويفوز بها السابقون . فمن اثبت الله عندك بموضع الحرز والثقة وملأ بك يده من اخي وفاء ووصلة واستنام منك الى شعب مأمون وعهد محفوظ وصار مغموراً بفضلك عليه في الود يتعاطى من مكافأتك ما لا يستطيع ويطلب من اثرك في ذلك غاية بلوغها شديد . فلو كنت لا تؤاخي من الاخوان الا من كافأ بودك وبلغ من الغايات حدك ما آخيت احداً وأصبحت من الاخوان صفراً ولكن اخوانك يقرون لك بالفضل وتقبل انت ميسورهم من الود ولا تجشمهم كلف مكافأتك ولا بلوغ فضلك فيما بينك وبينهم فانما مثلك في ذلك ومثلهم كما قال الاول .

ومن ينازع سعيد الخير في حسب ينزع طليحاً ويقصر قيده الصعد

ولم أُرد بهذا الثناء عليك تزكيتك ليكون ذلك قربة عندك وآخية لي لديك ولكن تحريت فيما وصفت من ذلك الحق والصدق وتنكبت الاثم والباطل فان القليل من الصدق البريء من الكذب افضل من كثير الصدق المشوب بالباطل . ولقد وصفت من مناقبك ومحاسن امورك واني لاخاف الفتنة عليك حين تسمع بتزكية نفسك وذكري ما ذكرت من فضلك لان المدح مفسدة للقلب مبعثة للعجب . ثم رجوت لك المنعة والعصمة لاني لم اذكر الا حقاً والحق ينفي من اللبيب العجب وخيلاء الكبر ويحمله على الاقتصاد والتواضع . وقد رأيت اذ كنت في الفضل والوفاء على ما وصفت منك ان آخذ بنصيبي من ودك واصل وثيقة حبلي بحبلك فيجري بيننا من الاخاء اواصر الاسباب التي بها يستحكم الود ويدوم العهد وعلمت ان تركي ذلك غبن واضاعتي اياه جهل لان التارك لحظ داخل في الغبن والعائد عن الرشد موجف الى الغي فارغب من ودي فيما رغبت فيه من ودك فاني لم ادع شيئاً استملي به منك الرغبة واجتر به منك المودة الا وقد اقذذت اليك ذريعته وأعملت نحوك مطيته اثرى حرصي على مودتك ورغبتي في مؤاخاتك والسلام .

جواب من يحيى بن زياد في صفة الاخاء :

اما بعد فانا لما رأينا موضع الاخاء ممن يحتمله في تأنيسه من الوحشة وتقريبه لذي البعدة ومشاركته بين ذوي الارحام في القربة لم نرض بمعرفة عينه دون معرفة نسبته فنسبنا الاخاء فوجدناه في نسبته لا يستحق اسم الاخاء الا بالوفاء فلما انتقلنا عنه الى الوفاء فنسبناه انتسب لنا الى الصبر فوجدناه محتويا على الكرم والنجدة والصدق والحياء والنجابة والزكانة وسائر ما لا يأتي عليه العدد من المحامد ثم انحدرنا فيما اصعدنا فيه من هذا النسب فعدنا الى الاخاء فوجدناه لا يقوم به الا من هذه الخصال كلها اخلاقه . ولما استوجب الاخاء مسالك المحمدة كلها رأينا ان نتخير له المواضع في صواب التوزير واحكام التقدير وعلمنا ان الاحتباس به احسن من الندم بعد بذله واستوجب اذ كان جماع المحامد ان نتخير له محامله التي كان يحمل عليها فكان الناس فيما احتسبنا به عنهم من الاخاء على صنفين فصنف عذرونا بالتحبس للتخير اذ كان التخير من شأنهم وصنف هم ذوو سرعة الى الاخاء وسرعة في الانتهاء فقدموا اللائمة واستعجلوا بالمودة وتركوا باب التروية واستحلوا عاجل المحبة ولهوا عن آجل الثقة فكانوا بذلك اهل لائمة ولم يجد المعذرون الا الصبر على تلك والاستعمال للرأي والاستعداد بالعذر عند الحاجة . وقد فهمت كتابك اليّ بالمودة واستحثاثك اياي في الاخوة وما دنوت به من حرمة المحبة فنازعت اليك نفسي بمثل الذي نازعت به اليّ نفسك فوانبتني عادة الاستعمال للتروية في الخبرة والتخير للغيبة فجلت عن كتابك جولة غير نافرة ثم راجعت مقاربتك فقلت القي اليّ اسباب المودة قبل كشف الغطاء بالخبرة فخشيت ان تعذرنه لك بالتقدم وتحدث الزهادة التعسف بالجهالة عند الخبرة فجلت عن هذا جولة كالجولة الاولى ثم عاودت اسعافك وطاعة التشوق ومعصية التخير ثم قلت ما حال من جعل الظن دون اليقين والتقدم قبل الوثيقة فلما كان الرأي لي خصماً تنكبت الوقوع في خلافه فلم اجد الا الادبار عن اقبالك سبيلاً ولا مع ذلك في طاعة الشوق حجة فتغيبت السبيل بين ذلك الى اعطائك طرف حبل الاخاء في غير الخروج من سبيل التخير وكرهت ان تستعبدني بالاخاء قبل ان اعرفك بحسن الملكة وان تستظهرني على الاعداء قبل ان اعرفك بعدل السيرة وان تستضيء بي في ظلم الجهل قبل ان اعرفك بعقد اللب وان تتمكن بي في المطالب قبل ان اعرفك بقصد الهمة فقدمت اليك الترحيب والعدة واحسنت عنك المفاوضة والثقة وتنظرت ان تثمر لي فاذوق جناك فاعرفك بالمذاقة في الطعم اما لافظاً واما مستبلغاً فان كان اللفظ لم اكن من الرأي في قلبه وان كان الاستبلاغ ذوقتك ما تشوقت اليه مما ادعيت مني به الخبرة واول ما انا معتبر به منك المواظبة على استنجاح ما سألت او السآمة له فان كانت المواظبة فاحد الشهود المعدلين وان كانت السآمة فانت عن حمل ما تعطي اضعف منك عن جميل ما تطلب . طالعني بكتبك فانك قد حللت قبلي عقداً من التحفظ وعقدت عقداً من التقرب والسلام .

الصنائع الاسلامية

تابع ما قبله

اذا أطلق لفظ النقش عند المسلمين فلا ينبغي ان يفهم منه انه يراد به تمثيل صورة ذات روح بل قد تكون تلك الصور نقوشاً يراد بها امر آخر . ومما يعجب له انه يوجد في هذا الكتاب الوجيز اشارة ضعيفة لصورة فارس يمسك رمحه بيده نُقش على القبة في مسجد ببغداد . ولم يزد المسيو ميجون بان هذا الفارس يشير الى الناحية التي يجيء منها الهواء . فكان هذا التمثال ضرباً من دوارة على الهواء صنعت من الحديد المصفح وجعلت في الهواء تمثل فارساً والرمح بيده وقد ذكروا أسطورة بشأنها . فكان العامة يعتقدون ان هذا الفارس يدل بقوة تعويذة معه على الناحية التي تنشأ فيها ثورة من مملكة الخلفاء العباسيين

وليس النقش عند المسلمين الا خادماً خاضعاً للهندسة على نحو ما كانت الفلسفة من علم الكلام في القرون الوسطى . والاسود التي رآها ابن بطوطة قد صنعت من الرخام المستخرج من افروجيا « فرجيا » في آسيا الوسطى حيث يكثر فيها . وبلغ من احترام السلاجقة للنقش ان كانوا ينزلونه في الحوائط . وليس للتماثيل من الخشب التي صنعها صناع من المسلمين بامر الطولونيين علاقة بالصنائع الاسلامية بل هي فرع متأخر من فروع الصناعة الوطنية . وقد بدأت في مصر صناعة النقش للزينة باستعمال الكلس والرخام غير المسحوق بالآلة بل بيد صنع الايدي . واقدم ما وجد من ضروبها اشكال مهندس ممزوج بعروق خيالية ظريفة . اما الحجر للزينة فقلما يوجد الا في المساجد التي يرد عهدها الى القرن الرابع عشر وعلى العكس في اسبانيا فانا نرى هذه الصناعة مزهرة فيها منذ اوائل الخلافة الاموية .

وقد بقي لنا شاهد واحد منها وهو مغسل الوضوء المصنوع من الرخام ولا يزال محفوظاً الى الآن في متحف الآثار في مدريد . وجرن الرخام وحوض الاسود في قصر الحمراء معروفان موصوفان . الا ان تزيين المصانع ما كان الا من الجبس موضوعاً في القوالب وضعاً محكماً بما يبدو في هيئة بديعة تفوق اجمل نموذجات الهندسة . وان قصر الحمراء على جماله لم يعمل الا من معجون الجبس .

لا يأخذنا العجب اذا رأينا السلجوقيين في آسيا الوسطى قد ابقوا تصويراً تمثل الصورة الانسانية . ولئن كان المهندسون في زمنهم سوريين او روميين فان الافكار السائدة في بلاط قونية ان منشأها ايراني زادت انتشاراً بما كان لشمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي الصوفيين العظيمين من النفوذ وكان الاول صاحب السر والثاني مؤسس طريقة

الدراويش المولوية · وكان سلاطين السلجوقيين مهوَّسين اشد التهوس بكل ما هو من اصل فارسي حتى انهم كانوا يدعون ابناءهم باسماء استخرجوها من قصص الابطال في الملاحم · وظلت الصناعة التي انتشرت بهذا التأثير محصورة في آسيا الصغرى ولم تنتشر في سائر البلاد الاسلامية ·

اخذت العرب صناعة الفسيفساء عن البيزنطيين فاستجلب من الاستانة الخليفة عبد الرحمن الى قرطبة صناعاً من الروم ليزين مسجدها · وخابر الوليد ملك القسطنطينية ليبعث اليه بالعملة والمواد اللازمة لتزويق المسجد الاموي في دمشق وهي كنيسة القديس يوحنا الدمشقي القديمة · تغير هذا المسجد ولم يُبق منه حريق سنة ١٨٩٣ ما كان سلم من آثاره · وفي سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) جرى اصلاح فسيفساء قبة الصخرة كما قرأت ذلك في الصورة الشمسية من الصفحة الثالثة والثمانين من الجزء الثاني والرسم ٧٣ · وقد كسي داخل المصانع الاسلامية في القاهرة بانواع من الزينة صنعت من الرخام على ابهج صورة وازهاها ·

***

ان ما يرى في مصر من الخشب المنقوش لا يتأتى الا ان يكون مجلوباً من سورية او من آسيا الصغرى · ومعلوم ان في مصر صناعة خاصة بها لا يرى لها اثر في غيرها من الاقطار الا وهي صناعة المشربيات وهي اقفاص نوافذ على طنف بارزة بحيث تكون للنوافذ التي تطل على الشوارع اقفاص لئلا يتطلع الى ما وراءها متطلع ولو بدون قصد · من اجل هذا يستعمل القوم « شعريات » من اقفاص خشب رقيق · وفي مصر يستعمل خشب غليظ خرط بالمخرطة وجمل على صورة يتفنن فيها كل التفنن · وفي المتحف العربي في القاهرة حشوات منقوشة غاية في الجمال ومن جملتها ثلاثة محاريب نوفر المسيو رافيس على البحث فيها وهي من عهد الفاطميين · وقد كانت الحشوات في القرن الثالث عشر اصغر مما هي الآن وخطوطها ادق واشكالها اكثر تنويعاً وصورها التزويقية مطلقة · وصورت على ابواب البيمارستان القلاووني صور ذات ارواح · والفرق ظاهر بين طريقة هذه المصانع في الصنع والحشوات التي جعلت على القبور الفارغة في ذاك العهد والصورة العامة مربعة في هذه وذات خط مستدير في ابواب البيمارستان · ويجلى الفرق للانظار بالمقابلة بين النقوش الصغيرة التي وردت في صفحة ١٠٠ و ١٠١ الموضوعة احداها بجانب الاخرى · فان الحشوات صنعة عربية مصرية اما الابواب فصنعة فارسية · ومن هنا اتت الصور ذات الارواح · وظاهر انه كان في ذاك العهد في القاهرة طريقة فارسية في النقوش جاءت زيادة على ما كان فيها من الصناعة الوطنية وليس ذلك من ارتقاء الصناعة المحلية كما لاحظ ذلك المسيو

ميجون . واري انه لم يبن رأيه على صورة بانة كافية وان شئت فقل على صورة ظاهرة . المنبر في المسجد من المواد التي لا يستغنى عنها فمنه ما يبنى بالحجر مثل منبر مسجد برقوق في الصحراء بالقرب من القاهرة . ومن العادة ان يعمل المنبر من الخشب . وقد عرفت من المنابر نموذجات بديعة كمنبر مسجد ابن طولون الذي امر ببنائه احد سلاطين المماليك السلطان لاجين ولا تزال حشواته المعمودية محفوظة في لندرا ومثل منبر قايتباي ومسجد علاء الدين الاول قاي قوباد في قونية وجامع الزيتونة في تونس وغيرها . وهناك شيء آخر خاص بمساجد مصر واعني به الكرسي او الخزانة المسدسة الزوايا والاضلاع كانوا يضعون عليها المصاحف للتلاوة فاذا فرغوا خبؤوها في داخلها وكانت حشواتها مزينة بتطعيم (تنزيل) من العاج ومن خشب ملون .

ويوضع المصحف في المساجد العثمانية مفتوحاً او مطبوقاً على دعامة تطبق على شكل تسمى «رحلاية» . وقد فات المسيو ميجون ان يذكر هذا المتاع الذي يعمل من خشب الجوز المتين ويطعم باشكال من عرق اللؤلؤ والعاج (صنع الاستانة) على نمط الاخونة الواطئة التي يقال لها « اسكملة » .

وفي اسبانيا اجمل انموذجات من النقش على العاج اخذها المسلمون عن القوط الغربيين ولم يستطع احد ان يوفق بين معامل هذه الصناعة ومراكز اخراجها بل ثبت من فحص هذه المصنوعات التي لا تزال محفوظة بكمية وافرة انها صناعة محكمة تدل على فرط مهارة فنية تقلبت عليها الاحوال باهوالها ومنها الشرقي ومنها البيزنطي . واللوحان البديعان من العاج اللذان لم يبرحا محفوظين في مجموعة كاران في متحف بارجللو في فلورنسة هما من اصل يختلف احدهما عن الآخر ولا نعلم من امرهما شيئاً يذكر بيد ان النسور والاسود المرسومة على اللوحين هي من اصل اشوري وقد رسمت عليهما رسماً دل على مهارة تحملنا على المقارنة بينها وبين نحاس الموصل وشواطىء دجلة حيث بقيت التقاليد الصناعية القديمة محفوظة بحالها خلال القرون الوسطى .

اما الصياغة فقديمة العهد رأى الشاعر الرحالة الفارسي ناصر خسرو في مدينة صور ثريات من الذهب والفضة وفي القدس ابوابا مغطاة بالواح من النحاس بديعة الصنع وفي القاهرة عرش المستنصر الفاطمي معمولاً من الذهب والفضة الخالصة وقد نقشت عليه كتابات وصورت صور صيد وقنص . وان سفط العاج في كنيسة بايو (فرنسا) الملبسة بالفضة المثقورة (المخرمة) واسفاط كنيسة كوار (سويسرا) وسان سيرفي (فرنسا) وماستريخت (هولاندة) وسان مارك في البندقية لتمثل لانظارنا ما كانت عليه صناعة الصياغة من البهاء في

القرن الثاني عشر . والى ذاك العهد يرتقي صنع النحاس الجميل الملبس الذي حفظ الى اليوم ولكن مما لا شك فيه ان ازدهار هذه الصناعة اقدم من ذلك وان ما نعثر عليه من ذاك التاريخ من الاعلاق النفيسة ليس الا زبدة قرون طويلة وابحاث متصلة . ولقد تساءل بعضهم عن السبب الرئيسي في انتشار صناعة النحاس المحفور ببلاد بين النهرين ولا سيما الموصل . ويوشك ان يكون ذلك من مجاورة معادن ارغني (١) والخابور وبالقرب من مناجم الخابور جبل مغارات (٢) الذي يستخرج منه النحاس الخام ويذوَّب ثم ينقل الى جميع بلاد آسيا قديماً .

وتبين من عرض هذه المصانع بعضها في جانب الآخر ان التزويق المحفور في صور بارزة هو اقدم طرق النقش على المصنوعات النحاسية . اما تنزيل الذهب والفضة فلم يحدث الا مؤخراً . وقد تغلبت صور البشر والحيوانات في الموصل مما يدل على ان الصناعة فارسية الاصل حفظ فيها الساسانيون تقاليدهم الصناعية التي يرد عهدها كما قال لونكبريه الى عهد الصور البارزة الاشورية .

وقد ساق البحث المسيو ماكس فان برشم تحلّ الكتابات التي كتبت على اجمل هذه المصنوعات وقسمها قسمين رئيسين او مجموعتين اساسيتين احداها شرقية انتشرت في خراسان كما انتشرت في الموصل والثانية غربية اى سورية مصرية وهي عبارة عن نحاس صنع في زمن الايوبيين في اوائل القرن الثالث عشر . وكان من غارات المغول ان قطعت زمناً قصيراً سلسلة هذه الاعمال وجاء المماليك في القرنين التاليين فرقوا هذه الصناعة باعمال اتصل بنا علمها وهي كثيرة . وماصناع الشام ومصر الا تلاميذ صناع الموصل وبهم تخرجوا .

واذا بحثنا في القلز (النحاس الاحمر) نذهل من رؤية المصانع المخطة بجمالها مثل صورة العنقاء في بيز التي جلبت من مصر على عهد الصليبيين وصورة الأيل من صنع الفاطميين الموجود في متحف الامة في مونيخ والجواد المحفوظ في متحف قرطبة والطسوت المعمولة على شكل الاوز والمباخر على شكل الببغاء المحفوظة في متحف اللوفر . وما اعجب مصابيح المساجد المصنوعة من القلز والحديد كالتي لا تزال محفوظة في المتحف الاثري في مدريد وقد جيء بها من غرناطة ومثل الموجودة في دار الآثار العربية بالقاهرة المأخوذة من جامع السلطان حسن وكثير امثالها .

اما الاسلحة فلم يجر حتى الآن تنظيم تاريخها ولم يذكر هذا المختصر الذي نحن بصدده

(١) قرية صغيرة من اعمال ديار بكر الآن

(٢) لعله اراراط وهو جبل الجودي في ارمينية الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام

سوى اشارات موجزة بشأنها . ويرجى ان يطلعنا المسيو موزر ذات يوم على ما وقف عليه وجمعه من الايضاحات بشأن صنع الفولاذ فتكون اعماله مساعدة لنا على تنظيم المعلومات المبهمة التي حصلنا عليها حتى الآن . ولطالما تكلم الناس عن فولاذ دمشق لغرابة مقاومته. ولما ارسل السلطان بيبرس من سلاطين المماليك هدايا سياسية الى باراق سلطان المغول في تركستان بعث اليه باسلحة دمشقية . ولما استولى تيمورلنك على دمشق اخذ معه الى سمرقند صناع الفولاذ الدمشقي . وقد كان في القاهرة في شارع النحاسين الحالي بين القصرين سوق للسلاح رائجة كثيراً الا اننا لا نعلم شيئاً عن اصل الاسلحة التي كانت تباع فيها . وليس ثمة ما يدل على انه كان في مصر معامل لصنع نصال الفولاذ وربما كانت تصنع فيها مقابض سيوف واغماد ويصلحونها على النحو الذي اختاروه وهذا عمل غير عمل نصال الفولاذ ويجب ان يميز عند تدقيق هذه الآثار في المستقبل بين معامل صنع النصال ومعامل تركيبها . ولم يتعرض لذلك كتاب الوجيز ولا يستطيع ان يتكلم الآن الا على المعامل المتأخرة . ومع هذا فقد توصل المسيو بوتين بعد البحث في المقابلة بين النصال الى ان المعمول منها في دمشق هو مزيج من الحديد والفولاذ وانه في الاغلب من سكب بلاد الفرس واذا كانت النصال في الهند ذات لمعة بذوبانها فهي منقوشة بالطرق . وقبل الفتح العربي كانت طليطلة في اسبانيا مشهورة بسقي نصالها . وفتح عبد الرحمن الثاني معملاً لها (٨٢٢—٨٥٢) ولم يبق ولا حسام اسباني مغربي من قبل القرن الخامس عشر وما بقي منها مما يرد صنعه الى ذاك العهد جيء به من غرناطة . وتاريخ الاسلحة في بلاد فارس والمملكة العثمانية غريب والمعلومات عنه اغرب . وكنا نود ان تكون اغزر مما وصلنا ولكن تاريخ الاسلحة كما قلت سابقاً لم يوضع بعد .

يعرف من يسيحون في الشرق اسم الخنجر والقامة ومع هذا لا تجد لهما ذكراً بين الاسلحة العثمانية والفارسية . ولم يقولوا كلمة عن الزمان والمكان الذي استعيض فيه عن السيف القديم المستقيم بنصل معوج . وان اسنة الرماح والبنادق والطبنجات وقطع الخيل (كوباناتها) على خطارتها عند الساسانيين والمصورين بالخطوط اللطيفة من الفرس مما بقي كثير من امثالها في طي الخفاء فقد كان يرجى ان نعرف عنها شيئاً يركن اليه لخطارتها وفائدتها للتاريخ . على انه قد اطيل البحث في صنع الاواني الخزفية وهي صناعة جديرة بأن يفاخر فيها . اصلها من فارس وان لم يذكر ذلك المسيو ميجون ذكراً تاماً . وتدل مصانع الاخمانيين في سوس على ذلك دلالة صريحة وربما كانت هذه الصنائع موروثة لهم عن الصنائع الاشورية .

وتمتاز مساجد ورامين واصفهان بما جعل على جدرانها من الطلاء الذي يعكس اشعة ذهبية ولكنها عبارة عن قشرة رقيقة من النحاس . ولقد جلبت المربعات الموضوعة للزينة في مساجد سيدي عقبة في القيروان من مدينة بغداد (وهي المدينة التي انشأها العباسيون بتأثيرات فارسية وكان الفرس الذين اتى بهم ابو مسلم هم سبب رفعتها) جلبها الى افريقية مؤسس دولة الاغالبة سنة ٨٩٤ وصنعت معامل مدينة الرقة على الفرات بضع قطع سلمت الى هذا العهد وكثيراً من بقايا الخزف . وقد الف المسيو فاليس عدة كتب للتوسع في البحث عن الاواني المجلوة في فارس واصلها من الري التي كانت تعرف قديماً باسم راجيس . واذ كثر البحث في هذا الموضوع ساغ لنا ان نبين تاريخ حدوث هذه الصناعة فقد ذكر احد الباحثين في هذا الشأن واسمه المسيو اوتو فون فالك في كتابه صناعة الكاشاني القديم ان الواح الزجاج الملونة البراقة التي بقيت من القرن الثالث عشر في ايران هي دهان على سطح مستو وان الصفحات التي كتبت عليها كتابات بارزة لم تظهر الا في القرن الرابع عشر . ودامت صناعة التلبيع خلال القرون الثلاثة التالية وبلغت درجة من التفنن غريبة . وان طبخ بعض القطع برفع الحرارة فيها الى درجة عالية قد جعلها كالصيني على ما يتجلى ذلك فيها . وقد بدت على عهد المغول تأثيرات الصناعة الصينية فانتشرت صور التنين وابي الهول وغصن الخوخ وهو مزهر وكل ذلك من اصل صيني . ولنا ما عثر عليه في مصر في سهل الفسطاط او مصر العتيقة على ما كانت عليه صناعة الخزف على عهد الفاطميين . واصل نقوشها على الاقل فارسية وان كان صنعها يختلف على ان المواد الاولية هي من مصر نفسها . وقد اثبت الرحالة ناصر خسرو امراً غريباً من الاواني الخزفية ذات الالوان المتغيرة التي شاهدها في القاهرة وهذه الالوان هي من صفات الكاشاني الذي يلمع كحد النصال وعليه فيفهم من ذلك ان نظر هذا السائح الفارسي لم يقع في بلاده على ما يماثلها وان ما وجد منها في الري لا يرتقي عهده في الحقيقة الا الى اواخر القرن الثاني عشر . على ان ناصر خسرو رحل في الحادي عشر . وتوجد من هذا النوع صناعة شامية مصرية .

وفي داخل مساجد السلجوقيين في قونية وكلها من القرن الثالث عشر صور متأنق في صنعها من المربعات على الكاشاني . وكان محمد بن عثمان المعلم الذي كسا الحوائط بهذا النوع من القسيفساء (اي الخزف المطلي والكاشاني المقطع) في مدرسة صرت شالو Syrtchalu من مدينة طوس في خراسان وهي المدينة التي اصبحت مدينة المشهد . وبقي من ذلك العهد هذا الضرب من الزينة في بورصة والاستانة من البلاد العثمانية .

بدئ بالبحث في الكاشاني الاسباني المغربي منذ عهد طويل . وفي سنة ١٨٤٤ اظهره

ر يوكرو امين متحف السيفر للمرة الاولى · اما اليوم فقد ثبت تاريخه احسن ثبوت · والظاهر ان هذه الصناعة جاءت من بغداد · وربما كان ذلك عن طريق القيروان لا توأ٠ وتعد اواني قصر الحمراء من بدائع صناعة مالقة · ويظهر انها نشأت في القرن الرابع عشر وهو العهد الذي زار ابن بطوطة في هذه المدينة المعامل التي كانت تصنع فيها الاواني الخزفية الجميلة او الصيني المذهب · والزينة بتصوير الوعول تدل على بقاء شكل قديم لا يتأتى صدوره الا من الشرق ·

اما صناعة الاقداح المزينة بالمينا فلا يليق اغفال الكلام عليها لخطرها · وقد كانت هذه النموذجات من الاقداح في اوائل الفتوحات العربية تستعمل للعيار على صورة اقراص المعجون الكبير كتبت عليها التواريخ ودرسها المسيو كازانوفا للوقوف على حقيقتها · ثم انك تجد اكوابًا ملونة بضروب الالوان كقوس قزح لطول بقائها في الارض · وربما اختلطت احيانًا بالاكواب القديمة والاكواب التي نقشت عليها صور مطبوعة يرغب فيها ارباب الفن رغبة خاصة مثل الكأس الصغيرة الموسوم عليها اسود ووعول وقد اقتناها مؤخرًا متحف اللوفر · وتشير الاقداح المزينة بالمينا ولاسيما مصابيح المساجد المصنوعة من الزجاج التي ربما كانت مأخوذة عن مملكة الروم البيزنطية الى مهارة صناعها الغريبة على حين تدل مادة الزجاج المملوءة بالفقاقيع والعيوب على انها ما كانت بجودتها ابدًا من الطراز الاول · ومن هذه المصابيح مجموعة فيها ستون قطعة في متحف الآثار العربية في القاهرة وهي اتم مجموعة وجدت · ومن المحتمل ان هذا الزجاج لم يصنع في مصر حيث اخترع الزجاج على قول سياح الروم · وتكلم مؤلفو العرب على زجاج صور وذكر الرحالة بنيامن دي توديل ايضًا شيئًا منها وقال انه صادف ايضًا عشرة معامل للزجاج في انطاكية كما قال يعقوب دي فيتري انه رأى منها في عكا · وقد نقلت هذه الصناعة من صور الى دمشق وفيها رأى الرحالة بوجيبومي سنة ١٣٤٦ معامل الزجاج تشتغل على طول المسجد الأموي وقد اخذ تيمورلنك صناع الزجاج الى سمرقند كما فعل بصناع الفولاذ · واثبت كتاب العرب والفرس انه كان في حلب والعراق معامل للزجاج ايضًا ·

يتبين من الاقمشة العربية انها كانت بادئ بدء مصنوعة على طرز ساساني او قبطي او رومي ويستفاد من حفريات انصنا (١) ان الاقمشة الرومية والقبطية صارت كلها شيئًا

---

(١) سألنا عن اسم Antinoe احمد زكي بك العالم المصري الشهير فقال انها انصنا من مدن مصر الوسطى قبالة الاشمونين بمركز ملوي من مديرية اسيوط دثرت الآن وقد وردت هذه اللفظة في كتاب البدء والتاريخ فنقلها مترجم كاتب هذه المقالة الى الافرنسية بلفظها العربي

واحداً بعد وكان التأثير الساساني فيه مستحكماً فان صور الحروب والصيود وصور الفرسان الذين يعدون مسرعين و يرمون الايائل والظباء بالنشاب هي من الكتابات الفارسية . وقد امتلأت ذخائر كنائسنا بقطع من الاقمشة بقيت زماناً لم تعرف البلد التي صنعت فيه وما هي في الحقيقة الا من صنع الشرق في القرون الوسطى . ثم اشتهرت فارس بعد حين بالاطلس والمخمل (القطيفة) المقطع وقد رسمت عليه صور اشخاص وسط الازاهير المتكاثفة واشتهرت مدينة كاشان بصنع الاستبرق والحبر .

ولما فتح السلطان سليمان طوروس اخذ نساج الحرير الى البلاد العثمانية وانشأوا فيها معامل صنعت هذه الاقمشة الحريرية والمخمل المكتب واشتهرت باسم حرير بورصة . وانتقلت هذه المصنوعات من آسيا الصغرى الى البندقية وفلورنسة وجين وفرنسا . ولم يعودوا يرسمون عليها صور اشخاص واقتصر في تزيين الاقمشة على الازهار جعلوها بلا معنى وضعي كما في قطع الاواني الخزفية . ويستفاد مما قاله عماري (العالم الايطالي) انه كان في صقلية قبل الفتح النورماندي فندق فرش بالوشي وكان ملاصقاً لقصر الامراء الذين كانوا يحكمون على الجزيرة باسم الفاطميين . ودعت حملات روجر الثاني على بلاد اليونان الى ان يجلب معه الى بلرمة صناع الحرير واسم (ماليازري) الذي يطلق بالافرنسية على معامل الحرير جاءنا في الاصل من مدينة مان احدى مدن جنوبي بلاد المورة اليونانية .

ولما غلب هرقل خسرو الثاني عثر الجيش الرومانى في قصر يزدجرد (داسكارات الملك) على طنافس مطرزة بالابرة ووقع في ايدي العرب عندما فتحوا المدائن بسط منسوجة بالذهب والفضة ومرصعة بالاحجار الكريمة . ويعتقدون ان البسط ذات الوبر الكبير من اصل فارسي ومن فارس يجب ان نطلب الا انه لم يبق شيء من تلك العصور المتوغلة في القدم . ولاجل تنسيق تاريخ البسط رأوا ان يرتبوها بحسب اشكالها والتواريخ التي اهتدي اليها من صور اساليب التصوير الفلامندي والهولاندى والايطالي . واخترع هذه الطريقة البديعة المسيو ليسنغ سنة ١٨٧٧ . وكانت اوربا اذ ذاك غاصة بالبسط التي تجلبها البندقية و يروج فافتتن المصوّرون بلطافة الوانها وجودة نقشها و بادروا الى ادخالها في نقوشهم ورسومهم . ويظهر ان البساط القديم المزين بالصور على اسلوب بديع الذي دخل مؤخراً في ملك متحف الامبراطور فريدريك في برلين واهتم به كل من المسيو كاراباسيك والمسيو ريجل كان اصله من قونية من مخلفات سلاطين السلجوقيين الذي حكموا فيها فهو مما صنع في القرن الثالث عشر . اما البسط العجمية المرسوم عليها صور الطيور فانها من بدائع ما حاكه كبار صنع الايدي . وكذلك الحال في البسط المنقوشة بالازهار الكبيرة ومصابيح المساجد والاواني

فانها تؤلف طبقة بديعة ايضاً وعلى العكس في البسط المزينة بصور مهندسة فانها من مصنوعات آسيا الصغرى وما زالت الى اليوم كل من مدينتي جيرودس Guerudès وعشاق من مراكزها العظيمة .

***

وبعد فهل من الممكن ان نشير الى ما اثرته الصناعة الاسلامية في صنائع الغرب . نعم اذا اريد بذلك جمع الصنائع الماضية صبرة واحدة وتوحيدها كلها معاً على نحو ما كانت على عهد الفتح العربي وكما يحدث ابداً عند ما تنشأ ممالك كبيرة متسعة . واذ بدل هذا الفتح وجه الشرق كان الداعي الى اختلاط آسيا العليا بالغرب في عدة اماكن . واننا نجد النقوش المسماة (هوم) بلا داع وقد رسمت عليها الشجرة المقدسة او حياة الاشوريين على نحو ما اقتبسها الساسانيون سواء كانت وحدها او جعل على جانبيها حيوانات قائمة او رابضة وكذلك الطريقة القديمة في صراع الحيوانات .

ولقد كانت سفن العرب تتقدم الى البحر الاتلانتيكي منذ عهد الأسرة الكارولنجية (١) تحملت نقود الأمويين بواسطة الصلات التجارية الى روسيا وبولونيا والدانيمرك والسويد ووجدت انسجة مكتوب عليها كتابات كوفية محرفة في أطر ابواب الكنائس في نوتردام في بوى انقالي وفي كنيسة فوت شيهان الفرنسويتين وعلى كثير من المصانع وفي بعض المحال كما عثر على مثل ذلك في ابراج كاندرائية شارتر ونقل المصورون بعض الصور الشرقية بالحرف .

يرى المسيو ميجون ان يدرس صناعنا تلك الصنائع لانها بقوة جمال اشكالها ودقة وضعها وصنعها المعقول ولمعان ألوانها ليس لها ما يشبهها بكثرة الصور واللطف السامي . وقد جرب بعضهم تقليد تلك الصنائع فافلحوا في اقتباسها على نحو ما فعلوا في قباب زاوية قصر المعرض العام سنة ١٨٨٩ فوضعوا فوق الحديد الذي يحول بين الاقسام واتخذوه حيطاناً مصفحات من الكاشاني ذي النقوش الفارسية فكانت بذلك أول تجربة نجحت في هذا السبيل .

كان بذخ ملوك المسلمين من الدواعي للصناع ان يرقوا الاساليب التي كانوا يأخذونها تقليداً عن اجدادهم شفاهاً فجددوها وتفننوا فيها فارتقت مع عدة اشكال قديمة بعضها من اصل بيزنطي وهي وارثة اليونان وروميه والآخر ساساني من اخلاف الدولة الاخمانية ولا سيما (في الامور الصناعية) واشوري او بابلي . ارتقت عدة فروع من الصنائع الاسلامية المتنوعة الاساليب وهي ليست من اصل بيزنطي ولا فارسي فيفضل بعضهم التزيين المهندس او النقوش التي تجمل على هيئة النباتات والاوراق وهو النمط الوحيد الذي بقي في الحقيقة

(١) الأسرة الفرنسوية الثانية التي حكمت فرنسا منذ سنة ٧٥٢

حيث تأصل مذهب اهل السنة . ويمزج بعضهم فيه صور حيوانات ذات روح وهذه ينبغي نسبتها في اكثر الاحوال الى تأثير فارس . ومن درس الصنائع القابلة للتشكل والتحول كالهندسة والصنائع اليدوية تمثل لعينيه القرون الوسطى في الشرق بما اتى به من تمدنه الخاص وما هو الا مثال المجتمع الذي اوجده القرآن في صورة ظاهرة مؤثرة . فاذا اضيفت الى ذلك اقوال المؤرخين والجغرافيين لا تلبث ان تطلع على هذا النظام الاجتماعي الذي يختلف من عدة وجوه عن نظامنا وكان ثقلاً على اوربا كما كان صلة بين العصور القديمة والعصور الحالية .

المسلمون والذميون والمعاهدون (١)

الاحساس دليل الحياة !

التضامن رائد العمران !

يابني أمي ! ويابني عمي !

تدبروا رعاكم الله فيما ترونه عن أيمانكم . وتبصروا فيما تبصرونه عن شمائلكم . وتفكروا فيما بين ايديكم . ثم خبروني ماذا تجدون ؟

تجدون الشعور القومي قد تجسم معناه . حتى كادت اليد تتقراه . والعين تراه . والاحساس لعمري دليل على الحياة .

ثم ثوبوا الى انفسكم وانظروا كيف كنا الى عهد قريب متنافرين متفككين لا نستمسك بحبل متين من جهة الدنيا او من جهة الدين حتى قال فينا فيلسوف المشرق : اننا اتفقنا على ان لا نتفق . .

فاليوم احمد الله اليكم يابني مصر فقد اراد بكم الخير اذ وفقكم الى سبيل الاتفاق .

اليوم بدأنا نطرح تلك الاهواء التي جعلتنا شيعاً متفرقة . أستغفر الله ! بل جعلت كل فرد منا مستقلاً بنفسه منفصلاً عن سائر بني جنسه .

اليوم بدأنا نخالف ما ألفناه من تلك الاختلافات التي علمتنا افانين العداوات وعبثت بكيان الامة .

(١) هي خطبة القاها في دار التمثيل العربي احمد بك زكي من كبار علماء الشرق يوم ٢٤ صفر سنة ١٣٢٦ هجرية موافق ٢٧ مارس سنة ١٩٠٨ ميلادية و ١٧ برمهات سنة ١٦٢٤ قبطية

اليوم بدأ الافراد يتضامون بعضهم الى بعض فتألفت منهم افواج وجماعات بحسب المشارب والاميال والغايات .

اليوم بدأت هذه الجماعات تتجاذب وترتبط بما فيه توثيق عرى الجامعة القومية واظهار الامة في مظهرها الصحيح ..

اليوم اخذت تلك الجماعات في وضع الحجر الاول من هذا البنيان . لي . فان اجتماعنا الآن دليل على اننا قد ادركنا : « ان التضامن رائد العمران » .

***

أيما أمة تولد فيها الاحساس وسعى افرادها الى التضامن فبشرها بخير قريب وفلاح عاجل . ولكن هنالك شرطاً لامندوحة عنه : وهو ان يتعهد اهل الرأي فيها وأولو العزم منها هذا المظهر الجديد حتى لا يتغلب الشوك فيقتل النبت الصالح الذي يأتي بالثمر الشهي النافع . ذلك واجب مقدس يحتم علينا جميعاً ان نقوم به لخيرنا جميعاً : فكل فرد منا هو في الحقيقة خادم للمجموع كما ان المجموع يتكفل بخدمة كل فرد على السواء .

***

دعاني أولو الفضل الذين تتألف منهم هذه الجمعية « جمعية الرابطة المسيحية » لاقف خطيباً بينكم وتركوا لي اختيار الموضوع كما أشتهي وأريد . فلم أرَ افضل من المثول بين قومي وهم بنو أمي وبنو عمي داعياً الى انضمام العنصرين اللذين يتألف منهما كيان الامة المصرية راجياً ان يقوم غيري من الخطباء المفوّهين فينسجون على هذا المنوال حتى نتوصل لتقويض دعائم التفريق التي جعلتنا مضغة في الافواه وصيرتنا عبرة للناظرين .

لا ينبغي لي ان اقول ان المقام ضيق وا المركز حرج لاني وجدت مجال القول ذا سعة ولكن هذه السعة كانت سبباً في حيرتي فصرت اتردد واردد المثل السيار الذي ضربه الفرنساويون وهو : انما الحيرة في الاختيار .

بيد اني بعد انعام النظر رأيت أن اجعل خطابي على شكل محاضرة في صورة منا كهة احاذيكم بها الحديث بذكر نوادر واخبار حفظها التاريخ . وليس لي من امل سوى ان نتوصل لحمل الاخلاف يرددون عنا شيئاً شبيهاً بما سأذكره لكم من مآثر الاسلاف فيكون لنا لسان صدق في الآخرين : اذ يشتركون مع ارواحنا بسلام واغتباط في تحية هذا اليوم الذي هو باكورة الارتباط بين المسلمين والاقباط .

***

المسلم والقبطي : واذا تشرفت لكم القبطي والمسلم . فالاولون الآخرون والآخرون والاولون .

ليس لها الا أمٌ واحدة : هي مصر . وليس لها الا أبٌ واحد : هو النيل . فهما صنوانٌ بل شقيقان قد فرق بينهما الزمان حينما فسدت الاخلاق وتنكرت المعارف في هذه البلاد فتحكم فيهما الاجنبيّ والطارئ والدخيل سواء كانوا من هذا الدين او من ذلك الدين .

بل تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : ان لا نقول بغير الوطن وان لا نفزع لغير الجامعة القومية . هذا تاريخنا وتاريخكم يشهد لاجدادنا واجدادكم ويشهد علينا وعليكم . فما بالنا لا نرجع اسنة الاسلاف وقد كان فيها مجدنا ومجدكم ؟

سيقولون ان المسلمين اضطهدوا الاقباط . كبرت كلمةً تخرج من افواههم فكلها اغلاط في اغلاط .

هلموا يا بني أمي ويا بني عمي الى قاضي التحقيق او الى قاضي الاحالة ليأمر بحفظ هذه القضية لانها لم تتوفر فيها اقل دلالة بل لانها مبنية على الضلالة لا محالة .

***

من هم المضطهدون ومن هم المضطهدون ؟

اولئك نفر قليل من الحكام الغرباء الذين لم يرعوا إلاً ولا ذمة لا في المسلمين ولا في اهل الذمة . والمضطهدون (بفتح الهاء) هم المسلمون والاقباط على السواء : اللهم الا ان يقال على سبيل البسط ان الاضطهاد والضغط كانا اشدّ وقعاً على رهط القبط : لان اسمهم جاء على حرف الطاء .

كان الحاكم الظالم اذا تولى على مصر (والظالم لا دين له) يستنزف الاموال ويستعبد الرجال لا يفرق بين فريق وفريق ولكن اثرهُ لا يظهر ظهوراً واضحاً في المسلمين لانهم اكثر مالاً واعز نفراً بخلاف الاقباط فان اقل حيف يقع عليهم يكون اثرهُ اشنع وافظع لقلة عديدهم . فلو كان لي تسعون نعجة وكان لاخي عشر ثم وقع وباء اهلك ثلثي ما املك وخمس ما لأخي لكانت مصيبتي اجل واكبر وان كانت لا تذكر ولا تظهر في جنب ما حاق باخي الاصغر اذ يبقى لي ثلاثون ويبقى له ثمان . ولو كان ثوب ذرعهُ عشرة اشبار في عشرة اشبار وله ثوب قدره شبر في شبر ثم وقعت نقطة من الزيت على كل من الثوبين لكان وقعها على ثوبه اعظم اثراً وان كنا قد تساوينا ضرراً .

تلك هي حقيقة الحال وان كان هنالك بعض شذوذ نادرة فالنادر لا حكم له . فما بالنا لا نتناسى الاضغان ان كان هنالك اضغان ؟ بل ينبغي لنا ان لا نكون اقلّ في العقل واحط في الادراك من ذاك الشرطي بذلك الحوذي . اذ اخذ الاول نمرة الثاني ليحرر فيه « محضر المخالفة » فاخذ الثاني نمرة الاول ليشكوه الى العظيم الذي استوقفه . فقال له « امسح وانا امسح »

إليكم الآن احاديث الرسول وما ورد في شريعة المسلمين مشفوعة بنتف من اخبار الماضين عليها تكون عبرةً وتذكرةً وعسى ان يكون من ورائها ما نرجوهُ من الرجوع الى توثيق علائق الارتباط بين المسلمين والاقباط

ورد في الآثار الثابتة الصحيحة انه قال :

(١) « ستفتحون مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً »

(٢) « اذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا فان لهم ذمة ورحماً »

(٣) « ان الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرًا فان لكم منهم صهراً وذمة »

(٤) « استوصوا بالقبط خيرًا فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال عدوكم»

(٥) « اتقوا الله في القبط لا تأكلوهم اكل الخضر »

وأبلغ من ذلك :

(٦) ان الرسول مرض فاغمي عليه ثم افاق فقال استوصوا بالأدم الجعد ثم أغمي عليه الثانية ثم افاق فقال مثل ذلك ثم أغمي عليه الثالثة فقال مثل ذلك . فقال القوم: لو سألناه من الادم الجعد ؟ فافاق فسألوهُ فقال : قبط مصر »

وابلغ من ذلك :

(٧) (قبط مصر اكرم الاعاجم كلها واسمحهم يدًا وافضلهم عنصرًا واقربهم رحماً بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن اراد ان يذكر الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين يخضرّ زرعها وتنوّر ثمارها »

وابلغ من ذلك :

(٨) انه قال عند وفاته « الله الله في قبط مصر فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة واعوانًا في سبيل الله »

(٩) وفي الحديث عن شفي بن عبيد الاصبحي « بلد مصر بلد معافاة من الفتن لا يريد احد هلكهم الا اهلكه الله »

(١٠) وفي الحديث ايضاً « اهل مصر الجند الضعيف ما كادهم احد الا كفاهم الله مؤونته »

تلك هي احاديث الرسول . وهل بعد هذه الوصايا المتكررة من حفاوة ظاهرة . الا انها آية تجعل المسلمين انفسهم يغبطون عليها اخوانهم الاقباط .

***

ولننظر الآن الى ما جاء في الشرع وقرره الفقهاء :

وجه اهل المصيصة سؤالاً الى الامام مالك فقالوا انا نخرج في بلاد الروم (آسيا

الصغرى) فنلقى العلج منهم مقبلاً الينا فاذا اخذناه قال : انما جئت اطلب الامان فهل نصدقه ؟ فقال مالك : هذه امور مشكلة ارى ان يردّ الى مأمنه ·

وبناء على ذلك افتى علماء الاسلام بان الرومي اذا حلّ بساحل المسلمين تاجرًا ونزل قبل ان يعطي الامان وقال: ظننت انكم لا تعرضون لمن جاءكم بتجارة حتى يبيع تجارته وينصرف عنكم : فقالوا بان يقبل منه قوله او يردّ الى مأمنه (مدونة جزء ٣ صفحة ١٠)

فهل بعد هذا بيان في مبالغة المسلمين بالحرص على التجارة وحماية اصحابها ولو اتخذوها حيلة بل افلا يقال بانهم السابقون الى فتح سياسة الباب المفتوح قبل ان بفتحه اهل اوربا في هذه الايام ·

انهم توسعوا في سياسة هذا الباب المفتوح فقد ورد عن الامام مالك ايضاً (في الجزء المذكور صفحة ١١) في حق الروم ينزلون بساحل المسلمين بامان معهم التجارات فيبيعون ويشترون ثم يركبون البحر راجعين الى بلادهم فاذا امعنوا في البحر رمتهم الريح الى بعض بلدان المسلمين غير البلاد التي كانوا اخذوا فيها الامان · قال مالك : ارى لهم الامان ابداً ما داموا في تجرهم حتى يرجعوا الى بلادهم ولا ارى ان يهاجوا ·

وافتى بان الذمي اذا اسره المحاربون المسلمين ثم غنمه المسلمون فلا يكون فيئاً بل ترجع له حريته كما كانت ويردّ الى ذمته واهله وماله · وقد قرر ايضاً بان اموال اهل الذمة واموال المسلمين سواء فاذا غنم المحاربون شيئاً من اموال الفريقين ثم تغلب المسلمون وغنموا هذه الاموال في جملة مغانمهم وادركها صاحبها قبل القسمة سواء كان مسلماً او ذمياً كان هذا اولى بها بغير شيء واذا ادركها بعد القسمة اخذها بالثمن وان عرف اهل الاسلام انها اموال اهل الذمة لم يقسموها في الغنيمة ويردونها اليهم اذا عرفوها فمثلهم في ذلك مثل المسلمين سواء بسواء (راجع المدوّنة في الجزء المذكور صفحة ١٣ و١٤) ·

ورأيت في كتاب « الذخائر الاشرفية في ألغاز الحنفية » المطبوع على هامش « كنز البيان صفحة ١٣٦ » : اذا ماتت ام الولد وهو رضيع فاعطاه ابوه ليهودية ترضعه مع ابن لها وغاب ابوه وماتت اليهودية واشتبه الحال ايهما ولد المسلم ولم يحصل التمييز بوجه وبلغا على اليهودية فابن المسلم مسلم تبعاً وقد ارتدّ ولا يُلزم احدهما بالاسلام للاشتباه فاحدهما مرتدّ ولا يلزم بالاسلام لعدم تعيينه · وفيه ايضاً انه اذا كان للعدوّ حصن وفيه واحد من اهل الذمة لا يُعرف وقد افتتحه المسلمون عنوة ولم يؤمنوا من فيه لا يحل لهم قتلهم بسبب هذا الذمي الواحد الذي لا يمكن تعيينه وذلك لقيام المانع بطريقة يقينية وهو وجود رجل غير معين له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وله في عنقهم عهد وذمة ·

ولا يلزم اليهودي بالحضور الى مجلس القضاء في يوم السبت الا اضطرارًا بحيث لا يكون المقصود ايقاع الضرر به تعمدًا بهذه الوسيلة ومن المقرر ايضاً انه اذا دعت الحال لتغليظ اليمين فيكون ذلك في المحل المعظم وهو المسجد الجامع للمسلم ولا يقوم مقامه مطلق مسجد ويحلف اليهودي في بيعته والنصراني في كنيسته والمجوسي في بيت النار وقال الشيخ سراج الدين عمر الحنفي قارئ الهداية اذا بنى الذمي دارًا عالية بين دور المسلمين وجعل لها طاقات وشبابيك تشرف على جيرانه هل يمكن من ذلك فاجاب بقوله : اهل الذمة في المعاملات كالمسلمين وما جاز للمسلمين جاز لهم وانما يمنع الذمي من تعلية داره اذا حصل لجاره ضرر من منع ضوء او هواء هذا هو ظاهر المذهب انتهى · وحكم المسلم كذلك ايضاً في حكم الضرر بالجيران ·

وحسبي هذه الشواهد الآن لانني لست بمتفقه ولا متشرع كما انني لا ابغي اغتنام هذه الفرصة لالقاء درس في الشريعة الاسلامية الصريحة السمحاء فاسمحوا لي اذن بان اطرق باب التاريخ وفيه غناء وكفاء بل هو الموعظة البالغة والحجة الدامغة ·

***

لاحاجة للاشارة الى العهود الكريمة والمنح الجليلة التي اتحف بها نبي الاسلام كثيرًا من النصارى · فامرها مقرر معلوم وهي اشهر من ان تذكر · قال المؤرخ القبطي الشهير بالمكين ما نصه : « ورد في تواريخ النصارى انه كان مؤثرًا لهم رؤوفًا بهم ... وقال لعمر ان نفوسهم كنفوسنا واموالهم كاموالنا واعراضهم كاعراضنا · ذكر هذا الحديث صاحب كتاب المهذب واسمه (اسنده) الى مسلم وهو حجة الامام ابي حنيفة في قتل المسلم بالذمي · وفد عليه بعض اكابر النصارى فقام له واكرمه · فقالوا له في ذلك فقال : اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وهذا كبير قومه ... وقال من ظلم ذميًا كنت خصمه يوم القيامة · وقال من آذى ذميًا فقد آذاني » · ولكنني لا ارى بدًا من التلميح الى العهد العمري الذي جعله عمر بن الخطاب في رقبة المسلمين والكتابيين ما داموا مرتبطين بعروة الوطن التي لا انفصام لها · فان ثاني الخلفاء الراشدين هو اول من اشتبكت في ايامه مصالح المسلمين وغير المسلمين · فقد روى المقريزي عن « علماء الاخبار من النصارى ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى امانًا على انفسهم واولادهم ونسائهم واموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن · وانه جلس وسط صحن كنيسة القيامة ولما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده ثم جلس وقال للبطرك : لو صليت داخل الكنيسة لاخذها المسلمون من بعدي

من النصارى وقالوا هنا صلى عمر . وكتب كتاباً يتضمن انه لا يصلي احد من المسلمين على الدرجة الا واحداً واحداً . ولا يجتمع المسلمون للصلاة فيها ولا يؤذنوا عليها . وانه اشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجداً وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر رضي الله عنه من التراب في ثوبه فتبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شيء وعمر المسجد الاقصى امام الصخرة (١) ثم ان عمر رضي الله عنه اتى بيت لحم وصلى في كنيسته عند الحنية التي ولد فيها المسيح . وكتب سجلاً بايدي النصارى : ان لا يصلي في هذا الموضع احد من المسلمين الا رجل بعد رجل ولا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذنوا عليه » .

وكثيراً ما يشير المؤرخون الى العهود العمرية وقد ألف ابو العباس احمد بن محمد بن العطار الدنيسري المتوفى سنة ٧٩٤ كتاباً سماه « العهود العمرية في اليهود والنصارى » ولم اظفر بشيء سوى اسمه في كشف الظنون الذي افادنا صاحبه ايضاً هو والسخاوي في « التبر المسبوك » ان المقريزي له كتاب اسمه « شذور العقود » واكمل صاحب الكشف اسمه في موضع آخر بانه « عقود في تاريخ اليهود » (٢) وجانها لم تصلنا لسوء الحظ .

***

فلما ظهر الاسلام وارتفعت كلمته كانت مصر في يد الروم روم الدولة الشرقية وكان عددهم فيها ثلثمائة الف نفس توزعوا وظائف الدولة فيما بينهم وكانت الامة كلها مهضومة الحقوق ليس لها سوى الاحتراف بالكتابة في الدواوين والتجارة والبيع والشراء والزراعة والفلاحة والخدمة والمهنة هذا فضلاً عن خدمة الدين فكان الاساقفة والقساوسة وغيرهم من الاقباط فلما قدم عمرو بجيوش المسلمين قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعاً لهم عن بلادهم حتى غلبهم عمرو على امرهم فطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها واقرهم على ما بايديهم من الاراضي وغيرها وصاروا معه عوناً للمسلمين على الروم وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليعاقبة اماناً في سنة عشرين من الهجرة فسره ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسي بطركيته .

ولما توجه عمرو لفتح الاسكندرية خرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد اصلحوا للمسلمين الطرق واقاموا لهم الجسور (القناطر) والاسواق وصارت لهم القبط اعواناً على ما ارادوا من قتال الروم حتى تم فتح الاسكندرية ورجع عمرو قاصداً الفسطاط فجاز بناحية

(١) هي الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب فلما كانت ايام عبد الملك بن مروان ادخل الصخرة في حرم الاقصى وذلك سنة ٦٥ من الهجرة (٢) ذكر في كشف الظنون كتاباً آخر بهذا الاسم للامام ابن الجوزي المتوفى سنة ٩٠٧ وهو محفوظ بمكتبة بالاستانة

الطرانة فاستقبله بها سبعون الف راهب خرجوا من وادي النطرون وبيد كل واحد عكاز وطلبوا منه الامان على انفسهم واديارهم فكتب لهم بذلك اماناً بقي عندهم وكتب ايضاً بجراية الوجه البحري فاستمرت بايديهم وقد بلغت في احدى السنين ما يزيد على خمسة آلاف اردب . قال علي باشا مبارك انها لا تزيد الآن عن مائة اردب . وقال المقريزي ان دير ابي مقار الموجود بوادي النطرون فيه الكتاب الذي كتبه عمرو بن العاص لاولئك الرهبان بجراية نواحي الوجه البحري على ما اخبره من أُخبر برؤيته فيه . وقد توجهت الى تلك الجهة في شهر يوليو سنة ١٨٩٤ بعناية الاب الجليل المثلث الغبطة كيرلس الخامس بابا الكنيسة المرقسية وبمساعدة المطران النبيل يوأنس مطران البحيرة والاسكندرية وزرت هذه الديارات كلها ونقبت فيما بها من الغرائر والركائب والجوالق الموضوعة فيها الاوراق والكتب والمصاحف املاً في العثور على ذلك الكتاب فلم اظفر به مطلقاً والغالب على الظن انه ضاع او تلقفه احد سياح الافرنج فكان مثل الاقباط مثل المسلمين في التفريط بذخائر الاجداد . فاهل مصر كلهم في ذلك سواء . والا فاين المعاهدات والمكاتبات الدولية التي تبادلها ملوك مصر مع امثالهم في اوربا وغيرها ؟ اننا اذا اردنا العثور على شيء من هذا القبيل كنا عالة في اخص خصائصنا على الافرنج الذين حافظوا على ما وصلهم منا وقد نشره بعض علمائهم في القرن الماضي . فالتفريط والافراط يستوي فيهما المسلمون والاقباط . فما بالهم لا يتساوون في احكام علائق الارتباط ؟

اتسع بعد ذلك ملك الاسلام وانتشرت اعلامه في سائر الآفاق . فكان الخلفاء والسلاطين حماة المسيحيين يدفعون عنهم الاذى ويحوطونهم باصناف الرعاية والاكرام ويعاملونهم مثل المسلمين بتمام المساواة بل ربما زادوا في تعظيمهم وتقريبهم بما لا يكاد يصل اليه سراة المسلمين .

هل اتاكم حديث عمرو بن العاص داهية العرب مع يحيى المعروف عند النصارى بغراماطيقوس اي النحوي ؟ دخل هذا الفيلسوف على الامير وقد عرف موضعه من العلوم فاكرمه وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم يكن للعرب بها أُنسة ما هاله ففتن به . قال المؤرخ النصراني الفاضل غريغوريوس ابوالفرج المعروف بابن العبري في كتاب « مختصر الدول » : « كان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه » .

وعندي ان يحيى كان يحسن التكلم بالعربية دون عمرو فقد اثبت لنا التاريخ جهله باللغة الرومية وذلك في حادثة الارطبون التي وقعت له بالشام وفي حديث اسره بالاسكندرية وسنذكره فيما بعد فانه لم يفطن للمكيدة التي دبرها الروم لاغتياله لولا معرفة صاحبه في

الاول ومولاه في الثاني بتلك اللغة وحسن تلطفهما في انقاذه من التهلكة .

هل اتاكم حديث الحجاج بن يوسف ذلك الداهية الثاني فقد كان ملازماً لتيادوق وثيادون النصرانيين ولهما مكرماً . دخل الثاني عليه يوماً فقال له الحجاج : اي شيء دواء اكل الطين . فقال : عزيمة مثلك ايها الامير . فرمى الحجاج بالطين ولم يعد الى اكله بعدها .

وهل اتاكم حديث الدواوين في صدر الاسلام ؟ فقد كان القيمون عليها كتاباً من النصارى وكانوا يكتبون الدفاتر باللغة الرومية حتى جاء عبدالملك بن مروان فالزمهم باستخدام اللغة العربية .

وهل سمعتم في دولة من الدول او هل جاءكم نبأ عز ملة من الملل بمثل ما حصل للاخطل ؟ فان هذا الشاعر النصراني كان في خصام مستديم مع شعراء المسلمين بل خاض في حق الهاشميين وتهجم عليهم بالمثالب والمطاعن وهو على نفسه وماله آمن .

هذا بعض ما امكنني استحضاره الآن مما يتعلق بالدولة الأموية .

***

اما الدولة العباسية فحدث عن البحر ولا حرج فقد كان لها في هذا الباب ما هو اعجب واغرب انظروا ماذا جرى للخليفة المنصور و بخلدمه هو حتى سماه التاريخ ابي الدوانيق و بالدوينيقي اكرم طبيبه جيورجيس بن جبريل بن بختيشوع وامر له بخلعة جليلة وانزله في اجمل موضع من دوره واكرمه كما يكرم اخص اهله . فلما مرض الرجل خرج الخليفة بنفسه ماشياً اليه وتعرّف خبره . ولشدة شغفه به وتفانيه في حبه قال له : ياحكيم اتق الله واسلم وانا اضمن لك الجنة فقال : قد رضيت حيث آبائي في الجنة او في النار . فضحك المنصور وامر له بعشرة آلاف دينار .

والمنصور كان حازم الرأي قد عركته الدهور وخافت الايام سطوته وروى العلم وعرف الحلال والحرام لا يدخله فتور عند حادثة ولا تعرض له ونية عند مخوفة يجود بالاموال حتى يقال هو اسمح الناس ويمنع في الاوقات حتى يقال هو ابخل الناس ويسوس سياسة الملوك ويثب وثوب الاسد العادي لا يبالي ان يحرس ملكه بهلاك غيره وخلف من الاموال ما لم يجتمع مثله لخليفة قبله ولا بعده وهو تسعمائة الف الف وستون الف الف ففرق المهدي جميع ذلك حين افضى الامر اليه .

وشبيه بذلك ما حدث بمصر القاهرة في سنة ٣٨٥ فان الطبيب ابا الفتح منصور بن مقشر القبطي كان له منزلة سامية من اصحاب القصر والفق انه اعتل وتأخر عن الركوب

فلما تماثل كتب اليه العزيز بخطه : « بسم الله الرحمن الرحيم . طبيبنا سلمه الله سلام الله الطيب واتم النعمة عليه . وصلت الينا البشارة بما وهبه الله من عافية الطبيب وبرئه . والله العظيم لقد عدل عندنا ما رزقناه نحن من الصحة في جسمنا . اقالك الله العثرة واعادك الى افضل ما عودك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش بحوله وقوته » . وقد دخل ابن مقشر في خدمة الحاكم بامر الله وكان مكيناً في دولته وبلغ معه اعلى المنازل واسناها وكان له منه الصلات الكثيرة والعطايا العظيمة فلما مرض عاده الحاكم بنفسه ولما مات لم يقبض على تركته كما جرت بها العادة على كبار المسلمين والنصارى بل ابقاها كلها لورثته واطلق لهم مالا وافراً من خزينته .

وشبيه بذلك بل ابلغ منه ما وقع للمعتصم العباسي مع طبيبه سلمويه فانه مرض فعاده الخليفة وبكى هذا الهمام الجبار عنده وهو الرجل الذي لا يقاس به الرجال قوة بدن وشدة بأس وشجاعة قلب وكرم اخلاق وقال له : اشر عليّ بعدك بمن يصلحني فقال عليك بهذا الفضولي يوحنا بن ماسويه واذا وصف لك شيئاً خذ اقله اخلاطا . فلما مات سلمويه قال المعتصم : سألحق به لانه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي . وامتنع عن الاكل في ذلك اليوم وامر باحضار جنازته الى الدار وان يصلى عليها بالشمع والبخور على رأي النصارى ففعل ذلك وهو يراه وهو خليفة المسلمين . فهل سمعتم بمثل ذلك عند غير اهل الاسلام . نعم سمعنا في هذه الايام بان ملك الانكليز وهو مسيحي برتستانتي قد انتقل الى الكنيسة الكاثوليكية في لوندره لحضور الصلاة عن نفس ملك البرتغال فقامت عليه القيامة من جمهور الانكليز وسوادهم الاعظم وكادوا يجاهرون بخلع طاعته لانه خالف الدستور .

نرجع بالحديث الى المنصور العباسي فقد كان في خدمته نوبخت المنجم الفارسي النصراني فطلب ما نسميه الآن « الاحالة على المعاش » فسأله الخليفة عمن يخلفه فاشار بولده فاستقدمه واستسماه فقال اسمي خرشاذماه طيماذاه مابازار خسروانشاه . فقال المنصور كل ما ذكرت فهو اسمك قال : نعم . فتبسم الخليفة وقال : اختر مني احدى خلتين اما ان اقتصر بك من كل ما ذكرت على طيماذ واما ان تجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل . فقال رضيت بالكنية . فبقيت كنيته وبطل اسمه .

ومن ذلك العهد الى قرب دخول الدولة العثمانية في مصر كان النصارى واليهود والصابئة يكنون (١) بابي علي وابي الحسن وابي الفضل وابي النجم وابي الخير وابي الفرج وابي

(١) قال الزمخشري في ربيع الابرار لم تكن الكنى لشيء من الامم الا للعرب خاصة وهي من مفاخرها . والكنية اعظام وما كان يؤهل لها الا ذو شرف من قومه الذين دعاهم

الكرم وابي البقا وابي بشر وابي الحسين وابي الفضل وابي العلاء وابي المكارم وابي النصر وابي الفتح وابي المنا وابي الحجاج وابي العشائر وابي المجد وابي المعالي وابي البركات وابي الفخر وابي الرجا . ويتلقبون بموفق الدين وجمال الكفاة وصنيعة الخلافة وعماد الرؤساء وامين الملك وصنيعة الملك وسيف الدولة وشمس الرياسة وركن الدين وكريم الدين وفخر الدين وشرف الدين واوحد الدين وامين الدولة وفخر الدولة وغرس النعمة ويتسمون بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي .

ونحو ذلك من عنوانات الشرف التي نظن نحن وانتم انها وقف على المسلمين على انها اسماء لرجال ورد تاريخهم في عيون الانباء وفي طبقات الحكماء وفي مختصر الدول وفي الكامل والمقريزي وغيرها من المؤلفات المعتبرة .

***

ومن ألطف ما يدل على دلال اهل الفضل في تلك الدولة ولو كانوا من غير الملة ان المهدي العباسي همّ بالخروج الى ماسبذان (من اقليم الجبل بفارس) فتقدم الى حسنة حظيته ان تخرج معه . فارسلت الى رئيس المنجمين وهو توفيل بن توما النصراني الماروني قائلة له : انك اشرت على امير المؤمنين بهذا السفر فجشمتنا سفراً لم يكن في الحساب فعجل الله موتك واراحنا منك . فقال للجارية التي اتته بالرسالة : ارجعي اليها وقولي لها ان هذه الاشارة ليست مني . واما دعاؤك عليَّ بتعجيل الموت فهذا شيء قد قضى الله به وموتي سريع . فلا توهمي ان دعوتك استجيبت . ولكن أعدّي لنفسك ترابا كثيراً فاذا انا مت فاجعليه على رأسك . فما زالت متوقعة تأويل قوله منذ توفي حتى توفي المهدي بعده بعشرين يوماً . وتوفيل الرهاوي هذا هو الذي نقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون (تروادة) في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة وقد نقل العلامة سليمان البستاني احدهما في ايامنا هذه الى اللغة العربية فجاء آية في بابه

ولما جاء زمن الرشيد كان من اطبائه يوحنا بن ماسويه السرياني وخدم ابنه المأمون الى ايام المتوكل وكان معظماً ببغداد جليل القدر وكان يعقد مجلساً للنظر ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة باحسن عبارة وكان يدرس ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون . وكان فيه دعابة شديدة يحضره من يحضره لاجلها في الاكثر . وكان من ضيق الصدر وشدة الحدة بحيث تصدر عنه الفاظ مضحكة . شكا اليه رجل علة فاشار عليه بالفصد فقال

الى التكنية الاجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه ثم ترقوا من الكنى الى الالقاب الحسنة .

لم أعتده' فقال يوحنا : ولا احسبك اعتدت العلة من بطن امك . وصار اليه قسيسه وقال: قد فسدت معدتي عليّ فقال له استعمل جوارش الخوزي فقال له : قد فعلت : قال : واستعمل الكموني قال : استعملت منه ارطالاً . فامره باستعمال البنداذيقون فقال : قد شربت منه جرة . قال : استعمل المروسيا . فقال : قد فعلت واكثرت . فغضب يوحنا وقال له : ياابانا ياقسيس ان اردت ان تبرأ فادخل في دين الاسلام فانه يصلح المعدة .

وفي ايام المامون وهي الايام البيض التي يفخر بها الاسلام كان الحكماء والعلماء وكلهم مقربون لديه لا يفرق بين احد وآخر بسبب دين او مذهب . والافاضة في هذا الموضوع تطول ولكنني اقتصر على امر واحد يدل على عداوة اهل الفن . فقد كان في زمنه من الاطباء سهل بن سابور فارسيّ نصراني في لسانه لكنة خوزية وكان اذا اجتمع مع يوحنا بن ماسويه وجيورجيس بن بختيشوع وعيسى بن الحكم وزكريا الطيفوري قصر عنهم في العبارة ولم يقصر في العلاج . ولكنه كان يأخذ بثاره بطريق الدعابات . فمن ذلك انه تمارض واحضر شهوداً يشهدهم على وصيته وكتب كتاباً اثبت فيه اولاده وجعل اولهم جيورجيس بن بختيشوع والثاني يوحنا بن ماسويه . وارجو اعفائي من السبب الذي اتخذه لذلك . فعرض لجيورجيس زمع من الغيظ وكان كثير الالثغات فقال سهل : « صرع وحق المسيه احروا في اذنه آيه خرمي » أراد بالعجمة التي فيه : صرع وحق المسيح اقرؤا في اذنه آية الكرسي . ومن دعاباته انه خرج في يوم الشعانين يريد المواضع التي تخرج اليها النصارى، فرأى يوحنا بن ماسويه في هيئة احسن من هيئته فحسده على ذلك فصار الى صاحب مسلحة الناحية (اي القره قول) وقال له ان ابني يعقني وان انت ضربته عشرين درة موجعة اعطيتك عشرين ديناراً ثم اخرجها فدفعها الى من وثق به صاحب المسلحة . ثم اعتزل ناحية الى ان بلغ يوحنا الموضع الذي هو فيه فقدمه الى صاحب المسلحة وقال: هذا ابني يعقني ويستخف بي فجحد ان يكون ابنه وقال يهذي هذا . قال سهل انظر ياسيدي . فغضب صاحب المسلحة ورمى يوحنا من دابته وضربه عشرين مقرعة ضرباً موجعاً مبرحاً .

تلك امورٌ مما يتعلق بالافراد وسنعود الى شيء منها فيما بعد ولكن لا بأس من توجيه النظر الى المجموع . ففي ايام الرشيد خطب وزيره الفضل بن يحيى البرمكي بنت خاقان الخزر فارسلها في تجمل عظيم ولكن منيتها وافتها في مدينة برذعة فاوهم اعداء الخلافة اباها ان ذلك كان بدسيسة عليه للتنكيل به فخرج في سنة ١٨٣ من مدينة باب الابواب في جيوش كثيفة من قومه فاوقعوا بالمسلمين واهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف نفس وانتهكوا امراً عظيماً لم يسمع بمثله في الخافقين .

والتاريخ يحدثنا بان بابكا الخرمي خرج على خلفاء الاسلام وابلى في المسلمين ومثل بهم وكاد يهدم خلافتهم ويمحي اثرهم من الوجود . وكان اصحابه لا يدعون رجلاً ولا امرأة ولا صبياً ولا طفلاً مسلماً او ذمياً الا قطعوه وقتلوه واحصي عدد القتلى بايديهم (انظروا) فكان ٢٥٠٥٠٠ انسان . فوجه المعتصم بالله عنايته لاستئصال شأفته وقطع جرثومته حتى ضيق في وجهه المخانق واخذ عليه المنافذ وسد دونه المسالك . فخرج الخارجي الى بلاد الروم هارباً في زي التجار ومعه اهله فعرفه سهل بن سنباط الارمني البطريق فاسره فافتدى نفسه منه بمال عظيم فلم يقبل وبعثه الى قائد جيوش المسلمين بعد ما ركب الارمن من امه واخته وامرأته الفاحشة بين يديه وكذا كان يفعل الملعون بالناس اذا اسرهم مع حرمهم فكان اهل الذمة يجدون منه بقدر وجد اهل الاسلام . اذ كانوا سواسية عنده يرتكب فيهم المحارم والآثام . ولولا اخلاص الذمي ما تخلص من هذا الفاسق الكافر اهل الاسلام .

وكان المسلمون اذا حاربوا اعداءهم في الملك والسياسة وهم الروم لا يستهينون بمعاونة اهل الذمة فكان هؤلاء يصيبهم ما يحل بالمسلمين من ظفر او نكاية . ولطالما أخذ الروم من اهل الذمة أسارى وعاملوهم بنفس القسوة التي يعامل بها اسارى المسلمين ولكن اذا وقع الفداء بين المتحاربين كان اول ما يشترطه المسلمون استخلاص النصارى الذميين ايضاً . فقد روى التاريخ انه في سنة ٢٣١ هجريه في ايام الواثق ابن المعتصم كان الفداء بين المسلمين والروم على يد خاقان خادم الرشيد . فاجتمع المسلمون على نهر اللامس (١) على مسيرة يوم من طرسوس وامر الواثق بان يكون فداء اهل الذمة مطلقاً وبلا قيد ولا شرط . واما فداء المسلمين فقد امر خليفتهم بامتحانهم قبل فكم من الاسرى ممن قال بخلق القرآن وان الله لا يرى في الآخرة فودي به باسير رومي وأعطي ديناراً . ومن لم يقل ذلك ترك في ايدي الروم . فسمعوا واجيبوا . فلما كان في يوم عاشوراء اتت الروم ومن معهم من الاسارى فكان المسلمون هم البادئون بهذا الخبر فيطلقون الاسير فيطلق الروم اسيراً فيلتقيان في وسط الجسر فاذا وصل الاسير الى المسلمين صاحوا : الله اكبر . واذا وصل الرومي الى قومه صاحوا كيرياليسون . حتى فرغوا فكان عدة اسارى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين نفساً والصبيان ثمانمائة واهل ذمة المسلمين مائة نفس .

وفي سنة ٢٣٨ هجرية هجم الروم على دمياط في ثلثمائة مركب فنهبوها واحرقوا دورها وجامعها وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة فلم تشفع للذميات مقولتهن بالاقانيم الثلاثة عند اولئك الذين قالوا انا نصارى . بل كن والمسلمات سواء في البؤس والشقاء .

(١) نهر لامس او اللامش . بالافرنجية Lamus

وفي سنة ٢٨٣ سارت الصقالبة الى الروم فحاصروا القسطنطينية وقتلوا من اهلها خلقاً كثيراً وخربوا البلاد . فلما لم يجد ملك الروم منهم خلاصاً جمع من عنده من اسارى المسلمين وأعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا وكشفوهم وازاحوهم عن القسطنطينية وانظروا مكافأته لهم على هذه النجدة العربية والشهامة الاسلامية . لما رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه فاخذ سلاحهم وفرقهم في البلدان حذراً من جنايتهم عليه فدعا ذلك الخليفة العباسي وهو المعتضد بن الموفق الى السعي في الفداء فتم الامر وبلغ جملة من فودي به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة واربعة انفس .

وهل يصح لنا ان نقابل تلك النخوة الشرقية بما فعله الافرنج المقيمون (لا الاسارى) بالقسطنطينية ؟ في سنة ٦٠٠ هجرية حاصرها ملك الفرنج فروى ابن العبري ان الافرنج المقيمين بها كان عددهم ثلاثين الفاً فتواضعوا مع الافرنج المحاصرين لها ووثبوا في البلد والقوا فيه النار فاحترق نحو ربع البلد فاشتغل الروم بذلك ففتح الفرنج الابواب ودخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايام وقتلوا حتى الاساقفة والرهبان والقسيسين الذين خرجوا اليهم من كنيسة أياصوفيا العظمى وبايديهم الاناجيل والصلبان يتوسلون بها ليبقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم اجمعين ونهبوا الكنيسة . فاين فعلهم من فعل عمرو بن العاص مع رهبان النطرون .

هذا وقد كانت الفتن توالت ببغداد فخربتها فشرع عضد الدولة سنة ٣٦٩ في عمارتها فعمر المساجد والاسواق وادر الاموال على الائمة والعلماء والقراء والغرباء والضعفاء الذين يأوون الى المساجد وجدد ما دثر من الانهار واعاد حفرها وتسويتها . ولكن هل وقف ذلك الامير المسلم عند هذا الحد في عاصمة عواصم الاسلام ؟ كلا : فقد ذكر ابن الاثير في الكامل انه اذن لوزيره نصر بن هارون (وكان نصرانياً) في عمارة البيع والاديرة واطلاق الاموال لفقرائهم . فكان المسلمون والنصارى في هذا الرخاء سواء . بل ان المجوس انفسهم وهم لا ذمة لهم ولا كتاب نالوا من عدل الرجل وانصافه ما خلدته الدفاتر مع الثناء الوافر . فقد وقعت في تلك السنة فتنة في شيراز بين عامة المسلمين وعامة المجوس فنهب الاولون دور مواطنيهم وضربوا وقتلوا جماعة منهم . فسير عضد الدولة من جمع له كل من له اثر في ذلك وضربهم وبالغ في تأديبهم وزجرهم لانهم لم يراعوا حرمة الوطن والجوار .

ومما يدل على ارتباط المسلمين باهل الذمة عند حلول الشدائد بهم جميعاً ماوقع سنة ٦٤٠ في ملطية بآسيا الصغرى عند هجوم التتار وتوالي نكباتهم بالارض وباهل الارض . فان المسلمين والنصارى اجتمعوا في البيعة الكبرى وتحالفوا ان لا يخون بعضهم بعضاً ولا

يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم اليهم من مداراة التتار والقيام بحفظ المدينة والبيتوتة على اسوارها وكف اهل الشرّ عن الفساد .

وفي حدود سنة ٦٥٦ هجرية ازاح التتار اميرًا مسلمًا عن ملطية فلما رحلوا عنها رجع هذا الامير اليها واسمه علي بهادر . فاغلق اهلها الابواب في وجهه ولم يمكنوه من الدخول خوفًا من التتار . فشدد عليها الحصار حتى ضجر الناس وضاقت بهم الحيلة . ففتح له العوام احد الابواب فدخل المدينة عنوة . وكان اول همه انه لم يتربص حتى يجيء الصباح فاصعد بالليل على المنابر جماعة ينادون و يقولون : ان الامير قد امن الرعية النصارى منهم والمسلمين فليخرج كل واحد الى عمله ودكانه وليشتغل ببيعه وشرائه فانما كلامه مع الحكام .

***

ولنرجع الى ذكر الافراد لنشير الى مقدار عناية ملوك الاسلام بفضلاء النصارى واحتمالهم منهم ما لا يمكن ان يتصوّره عقلنا في هذه الايام . فقد روى التاريخ ان يوحنا بن ماسويه الذي اشرنا اليه فيما سبق كان مع الخليفة العباسي الواثق في دكان (اي دكة مبنية للجلوس عليها) وكان مع الواثق قصبة فيها شص وقد القاها في دجلة ليصيد بها السمك فحرم الصيد . فالتفت الى يوحنا وكان على يمينه وقال : قم يامشؤوم عن يميني . فقال يوحنا : « ياامير المؤمنين لا تتكلم بمحال . يوحنا ابوه ماسويه الخوزي . وامه رسالة الصقلبية المبتاعة بثمانمائة درهم واقبلت به السعادة الى ان صار نديم الخلفاء وسميرهم وعشيرهم حتى غمرته الدنيا فنال منها ما لم يبلغه امله . فمن اعظم المحال ان يكون هذا مشؤومًا . ولكن ان احب الامير ان اخبره بالمشؤوم من هو اخبرته » فقال من هو ؟ فقال « من ولدته اربعة خلفاء ثم ساق الله اليه الخلافة . فترك خلافته وقصورها وقعد في دكان مقدار عشرين ذراعًا في مثلها في وسط دجلة لا يأمن عصف الريح عليه فيغرقه . ثم تشبه بافقر قوم في الدنيا وشرهم وهم صيادو السمك » فماذا فعل الخليفة ؟ نجع فيه الكلام ولكن تشاغل مدة ثم قال ليوحنا وهو على ذلك الدكان : يايوحنا الا اعجبك من خلة ؟ قال: وماهي ؟ قال : « ان الصياد ليطلب الصيد مقدار ساعة فيصيد من السمك ما يساوي دينارًا وما اشبه ذلك . وانا اقعد منذ غدوة الى الليل فلا اصيد مايساوي درهمًا » فقال يوحنا « امير المؤمنين وضع التعجب في غير موضعه . ان الله جعل رزق الصياد من صيد السمك . فرزقه يأتيه لانه قوته وقوت عياله . ورزق امير المؤمنين بالخلافة فهو غنيٌّ عن ان يرزق بشيءٍ من السمك . فلو كان رزقه من الصيد لوافاه مثل ما يوافي الصياد »

ومثل ذلك ماحدث للمتوكل الذي تولى الخلافة بعد الواثق هذا . فقد جرى على سنة

اسلافه في تعظيم اهل الفضل مهما كانت عقيدتهم . كان الطبيب بختيشوع اذا دخل عليه في داره الخاصة جلس بجانبه على السدة : وهي منزلة لم يصل اليها وزير من المسلمين . فاتفق يوماً ان الخليفة رأى فتقاً في ذيل دراعة الطبيب وكانت من ديباج رومي . فاخذ يحادثه ويعبث بذلك الفتق حتى بلغ الى حد النيفق (وهو الموضع المتسع في السراويل والقميص) . ودار بينهما كلام اقتضى ان سأل المتوكل بختيشوع : بماذا تعلمون ان الموسوس يحتاج الى الشد . قال بختيشوع : اذا بلغ في فتق دراعة طبيبه الى حد النيفق شددناه . فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره وامر له بخلعة حسنة ومال جزيل .

وكان بختيشوع هذا قد بلغ في ايام المتوكل العباسي من الجلالة والرفعة وعظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال مبلغاً يفوق الوصف مع كمال المروءة حتى انه كان يباري الخليفة في اللباس والزي والطيب والفرش والضيافات والتفسح في النفقات .

وهل سمعتم بمرثية لمسلم في مسلم او نصراني في مسلم مثل المرثية البارعة التي نظمها الشريف الرضي في ابي اسحاق ابراهيم الصابي المتوفى في شوال سنة ٣٨٤ ومطلعها :

ارأيت من حملوا على الاعواد ارأيت كيف خبا ضياء النادي

وهي من غرر اشعاره وابياتها كلها عامرة تبلغ الثمانين بيتاً وقد عاتبه بعضهم في ذلك لكونه شريفاً يرثي صابئاً فقال : انما رثيت فضله . وناهيك بمقام الرضي لانه كان مرشحاً للخلافة حتى خاطب خليفته القادر بالله بقوله :

عطفاً امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم العلاء تفاوت ابداً كلانا في العلاء معرق
الا الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوق

وكان للنصارى واليهود في بغداد كلمة نافذة وقول مسموع في شؤون الدولة العامة والسياسية يشهد بذلك ما حدثنا به صاحب تاريخ الوزراء عن يوسف بن فنحاس او بنحاس اليهودي وزكريا بن يوحنا وابي عمرو سعيد بن الفرخان النصراني وهرون بن عمران اليهودي وبشر بن علي النصراني وابي سهل نصر بن علي النصراني وابي نصر بشر بن عبد الله الانباري النصراني وابي الفضل يدان بن بنان النصراني وعلي بن عيسى الزنداني النصراني بل النساء النصرانيات كان لهن يد في سياسة الملك مثل فرج النصرانية فقد كان الخليفة المقتدر العباسي ينفذها في امور الدولة وبعمل برأيها ويرسل خاتمه معها الى من يريد تقليده الوزارة وامثال ذلك كثيرة حتى ان الناصر لدين الله قلد الجيش اسرائيل النصراني كاتبه والمعتضد بالله ملك ابن الوليد النصراني كاتب بدر الولاية العامة على الجيش . وكذلك فعل الوزير الكبير ابن الفرات فانه قلد الولاية

العامة على جيش المسلمين لرجل نصراني وجعل انصار الدين وحماة البيضة يقبلون يده ويمتثلون امره بسبب هذه الوظيفة .

وكان بيت مال المسلمين تخرج منه الانعامات السنية لا كابر الكتاب من النصارى وتقديرها بالمائة الف دينار كما وقع لاصطفن بن يعقوب كاتب بيت مال الخاصة في ايام ابن الفرات وليعقوب ابنه حتى بلغت ثروتهما الف الف دينار .

وكان ابن الفرات قد رسم بان يدعى في كل يوم الى طعامه خمسة من اصحابه المسلمين وهم : ابوالحسن موسى بن خلف وابوعلي محمد بن علي بن مقلة وابو الطيب محمد بن احمد الكلوذاني وابوعبدالله محمد بن صالح وابوعبدالله الذي روى ولده هذه القصة وهو ابوالقاسم ابن زنجي . واربعة من اخصائه النصارى وهم : ابو بشر عبدالله الفرخان النصراني وابوالحسين سعيد بن ابراهيم التستري النصراني وابومنصور عبدالله بن جبير النصراني وابوعمرو سعيد بن الفرخان النصراني . فكانوا يحضرون مجلسه في وقته من جانبيه و بين يديه و يقدم الى كل واحد منهم طبق فيه اصناف الفاكهة الموجودة في الوقت من خير كل شيء . ثم يجعل في الوسط طبق كبير يشتمل على جميع الاصناف وكل طبق فيه سكين يقطع بها صاحبه ما يحتاج الى قطعه من سفرجل وخوخ وكمثرى ومعه طست زجاج يرمي فيه الثفل فاذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفوا كفايتهم شيلت الاطباق وقدمت الطسوت والاباريق فغسلوا ايديهم أحضرت المائدة مغشاة بديبقي فوق مكبة خيازر ومن تحتها سفرة ادم فاضلة عليها وحواليها مناديل الغمر من الثياب المقصور . فاذا وضعت رفعت المكبة والاغشية واخذ القوم في الاكل وابوالحسن ابن الفرات يحدثهم و يباسطهم و يؤانسهم . فلا يزال على ذلك والالوان توضع وترفع اكثر من ساعتين . ثم ينهضون الى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه و يغسلون ايديهم والفراشون قيام يصبون الماء عليهم والخدم وقوف على ايديهم المناديل الدبيقية ورطليات ماء الورد لمسح ايديهم وصبه على وجوههم .

وقد ذكرت هذه العبارة لاظهر ما كان للقوم من رفاهة وتأنق في داخليتهم كما كان لهم من عظمة وجلال في خارجيتهم فمثل هذا النظام لو حدثنا به احد لاتهمناه بانه يصور لنا شيئا مما يجري في منازل عظماء اوربا واميركا لولا انه منقول بالحرف الواحد من كتاب «تحفة الامراء في تاريخ الوزراء» للصابيء .

***

ومن المقرر في الشريعة الاسلامية بناء على ماجاء في القرآن وسنة الرسول وعمل عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبدالله بن العباس وعبدالله بن مسعود ومن اتبعهم من ائمة الهدى ان ذوي

الارحام تردّ عليهم مواريثهم . وقد كان العمل في ذلك جارياً على هذه القاعدة بصرف النظر عن ملة الوارث سواء كان مسلماً او ذمياً . ولكن السنة قد تختفي في بعض الدول فيبطلها الحكام ظلماً وعدواناً . فقد وقع ان بيت المال اغتصب حقوق هؤلاء الوارثين من مسلمين وذميين فامر المعتضد بالله ثم المستكفي بالله بالرجوع اليها في حق كل منهما ثم نكرت هذه السنة الشريفة فاعادها المقتدر بالله واصدر منشوراً جليلاً امر باظهاره وقراءته على الناس في المسجدين الجامعين بمدينة السلام وارسله الى جميع اصحاب الاعمال في الآفاق ومما ورد فيه بنوع التخصيص قوله: «وان يردّ تركة من مات من اهل الذمة ولم يخلف وارثاً على اهل ملته» .

وكان النصارى وائمتهم يعرفون حق المسلمين عليهم ويؤازرونهم في الشدة كما يستفيدون منهم في الرخاء فقد اتفق في ايام المقتدر بالله في اوائل القرن الرابع للهجرة ان القسطنطينية تولى على ملكها حدثان فعسفا اسارى المسلمين وشددا في التنكيل بهم واجاعاهم واعرياهم وطالباهم بالتنصر ولم ير الوزير علي بن عيسى مساعدةً من جانب الخليفة على انفاق الاموال وتجهيز الجيوش . فاشار عليه بعض جلسائه لتصريف الهمّ عنه بان يوسط عظيم النصارى بانطاكية وهو البطرك وعظيمهم بالقدس وهو الجاثليق او القاثليق لان امرهما ينفذ على ملوك الروم ولا يتم لهم امر الا بهما والطاعة لا تلزم جمهور رعيتهم الا بقولهما وربما حرم الواحد منهم فيحرم عندهم فما هو الا ان ارسل اليهما الوزير على يدي عامليه في انطاكية والقدس حتى بادر عظيما النصرانية الى انفاذ رسول عنهما مع رسول من العامل الى ملكي الروم وكتبا لهما مانصه : « انكما قد فعلتما باسارى المسلمين عندكما ما هو محرم عليكما ومخالف لوصية المسيح عليه السلام في امثالهم وامره فيمن جرى مجراهم . فاما زلتما عن هذه الطريقة وعدلتما عنها الى ما تقتضيه السنة المأثورة واحسنتما الى من في ايديكما وتركتماهم على اديانهم ولم تكرهاهم على خلاف آرائهم والا لعنا كما وتبرأنا منكما وحرمنا كما » فلما وصل الرسولان الى القسطنطينية اوصل رسول البطرك والقاثليق الى الملكين وحجب صاحبه . وبعد ايام اذن له الملكان في المثول بين يديهما وقالا له : الذي ادى الى ملك العرب من فعلنا باسارى المسلمين كذب وشناعة وقد اذنا في دخولك دار البلاط لتشاهدهم وتسمع شكرهم وتعلم استحالة ما ذكر لكم في امرهم . فذهب فرآهم كأنما هم خارجون من القبور وقائمون الى النشور ووجوههم دالة على ما كانوا فيه من الضرّ والعذاب الا انهم في حالة صيانة مستأنفة ورفاهة مستجدة . قال الرسول : فتأملت ثيابهم فكانت جدداً كلها فتبينت انني أخرت ذلك التأخير حتى غيرا زيهم وجدّدا زيهم . وقالوا لي : نحن شاكرون للملكين . فعل الله بهما

وصنع مع ابنائهم الي بان حالهم كانت على ما تأدى الينا وانما خفف عنهم وأحسن اليهم بعد حصولي هناك . وقالوا لي في عرض قولهم : كيف عرفت صورتنا ومن ننبه على مراعاتنا حتى انقذك من اجلنا . فقلت وَلِيَ الوزارة الوزير ابوالحسن علي بن عيسى . فبلغه خبركم فانفذ وفعل كذا وكذا فضجوا بالدعاء له . وسمعت امرأة منهم تقول : مر باعلي بن عيسى لانسى الله لك ذلك الفعل . فعند ذلك بكى الوزير بكاء شديداً ثم سجد لله تعالى شاكراً وحامداً .

والبلاط المذكور هنا هو دار كانت بالقسطنطينية مخصوصة لاسارى المسلمين(١) ذكره المتنبي وابوفراس وغيرهما في اشعارهم وقد ذكره ابوالعباس الصفوي شاعر سيف الدولة وكان محبوساً وضربه مثلاً .

ارائي في حبسي مقيماً كأنني ولم اغزُ في دار البلاط مقيم

***

ومجمل القول ان افاضل الروم والسريان والكلدان واليعاقبة والفرس وسائر النصارى على اختلاف مللهم واليهود والمجوس والصابئة كانوا في ايام خلفاء بني العباس موضع التجلة والاعزاز والاحترام ووصلوا بعناية الخلفاء واكابر الدولة من المسلمين الى مقام محمود ودرجة لم يكن لها نظير في دولة اخرى شرقية اوغربية حتى ولا في هذه الايام التي انتشرت فيها اعلام الحرية وانطلقت الافكار من قيودها القديمة التقليدية .

فكان الخلفاء وملوك المسلمين وامراؤهم يجعلون ثقتهم فيهم ويسلمون اليهم طبهم وطب نسائهم ويأتمنونهم على حريمهم واموالهم ويفضون اليهم باسرار الدولة الاسلامية ويودعون عندهم اموالهم وذخائرهم ولا يجعلون بينهم وبينهم حجاباً بل يستقبلونهم في كل وقت وبغير اذن مثل المسيحي نزيل بغداد واسحق بن حنين بن اسحق وبختيشوع بن جورجيس وابي الكرم صاعد بن توما المعروف بامين الدولة واشباههم ممن لا نرى حاجة لسرد اسمائهم .

---

(١) وقال المسعودي «والبلاط القصر ويعرف بالاتبارو وفي هذا البلاط ميناعليه سلسلة ينزل فيه رسل العرب اذا قدموا للفداء» والبلاط تعريب Balatium من اللغة اللاطينية العامية ومنه في اللغة الفرنساوية القديمة Balet و Balay و Balé واصله مشتق من اللاطينية الفصحى Palatium التي اخذ الافرنج منها Palais الفرنساوية و Palazzo الطليانية و Palacio الاسبانية و Palace الانجليزية وهكذا ومعناها في كل تلك اللغات القصر والسراي . من كلمة بلاط بمعنى القصر الملوكي اخذنا نحن كلمة البلاط اوالبلاط الملوكي . واما الاتبارو فهو تعريب لكلمة يونانية إفتاريو

وكان اكابر علماء المسلمين يتلقون العلم عن افاضل النصارى وغيرهم عملاً بالحديث الشريف كما كان النصارى واليهود وغيرهم يتلقون العلوم الفلسفية وغيرها عن علماء الاسلام فان محمد بن موسى بن شاكر الذي كان من اوفر الناس حظاً في الهندسة والنجوم في ايام المأمون كانت له دار في بغداد ككعبة لطلاب الفضل وعشاق العلم وقد تعلم فيها كثيرون ممن جعلوا لتلك الدولة بهاء ورواء وعطروا اسم الشرق والاسلام . نكتفي الآن بذكر ثابت بن قرة بن مروان الصابي، الحراني نزيل بغداد فان ابن شاكر المسلم لم يكتف بتخريجه في العلم بنفسه والانفاق عليه من ماله حتى اكمل دروسه في داره عن الاساتذة الذين كان يدر عليهم الارزاق لتنوير الاذهان بل رأى ان لهذا الصابيء حقاً عليه بهذا الجوار فوصله بالخليفه المعتضد وادخله في جملة المنجمين فظهر فضله حتى بلغ عنده اجلّ المراتب واعلى المنازل وكان يجلس بحضرته في كل وقت ويحادثه طويلاً ويضاحكه والخليفة يقبل عليه دون وزرائه وخاصته .

وقريب من ذلك ما وقع في مصر اذ التجأ اليها موسى بن ميمون اليهودي المشهور بعد ما أُكره في الاندلس على الاسلام فاظهره وحفظ القرآن واشتغل بالفقه واسرّ اليهودية حتى اذا ما تحين الفرصة خرج الى مصر في اواخر ايام الفاطميين فلما استقر الامر فيها لصلاح الدين الايوبي اخذه القاضي الفاضل (عبدالرحيم بن علي البيساني) تحت حمايته واشتمل عليه وقدر له رزقاً من خزينة الدولة لما رآه فيه من العلم الواسع والفضل الكامل . فانه كان اوحد زمانه في صناعة الطب علماً وعملاً وكان متفنناً في العلوم وله معرفة جيدة بالفلسفة وكان الناصر صلاح الدين وولده الملك الافضل يجلان قدره كثيراً ويعتمدان على رأيه في الطب وقد تولى الرياسة العامة على جميع اليهود بديار مصر . ولقد ابتلي موسى هذا في آخر زمانه برجلٍ من الاندلس فقيه يعرف بابي العرب وصل الى مصر وحاققه على اسلامه ورام اذاه فمنعه عنه القاضي الفاضل وقال له : رجل يُكره على الاسلام لا يصح اسلامه شرعاً . وقد مدحه القاضي السعيد بن سناء الملك فقال :

اری طب جالينوس للجسم وحده   وطب ابي عمران للعقل والجسم
فلو انه طبّ الزمان بعلمه   لابراه من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التم من يستطبه   لتم له ما يدعيه من التم
وداواه يوم التم من كلف به   وابرأه يوم السرار من السقم

وافادنا التاريخ ان الفارابي وهو المعلم الثاني (لان المعلم الاول هو ارسطوطاليس) دخل العراق واستوطن بغداد وقرأ بها العلم الحكمي على يوحنا بن حيلان النصراني وانه هو اقرأ

يحيى بن عدي النصراني اليعقوبي الذي انتهت اليه رياسة اهل المنطق في زمانه . وقيل ان اباسهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني هو معلم الشيخ الرئيس ابن سينا صناعة الطب وان كان الشيخ الرئيس بعد ذلك تميز ومهر فيها وفي العلوم الحكمية حتى صنف كتباً للمسيحي وجعلها باسمه . هذا وانتم تعلمون ان يحيى ابن عيسى بن جزلة النصراني قرأ الطب على النصارى واراد قراءة المنطق فلم يكن فيهم من يقوم بهذا الشأن وذكر له ابوعلي بن الوليد شيخ المعتزلة بانه عالم بعلم الكلام ومعرفة الالفاظ المنطقية فلازمه لقراءة المنطق ثم حسن الشيخ له الاسلام حتى استجاب وكان يطب اهل محلته وسائر معارفه بغير اجرة ولا جعالة بل احتساباً ومروءة ويحمل اليهم الادوية بغير عوض . وممن درس على شيوخ الادب المسلمين يحيى بن سعيد ابن مالك النصراني فقد برز في هذا الفن حتى صنف ستين مقامة على مثال البديع والحريري فاحسن فيها وكان فاضلاً في علوم الاوائل وعلم العربية والشعر يرتزق بالطب .

وهذا باب كبير جداً يتسع فيه المجال لعشرة امثال هذا المقال غير اني التمس الاذن من حضرات السامعين لاقص نبأ عليهم من اغرب الانباء :

اعرف في باريس رجلاً يهودياً من الذين توفروا على درس المشرق وآدابه وتواريخه وعنوا بالتنقيب عن كل شؤونه ونشروا كثيراً من مآثره الخالدة واسفاره الممتعة وترجموا بعضها الى اللغات الاجنبية . ذلك الرجل هو زميلي وصديقي العلامة الفاضل هرتويغ درنبورغ ولست الآن في مكان تقريظه وتعديد حسناته وانما اقول لكم انني رأيته في باريس قائماً بتفسير القرآن الكريم على جماعة الطلبة الفرنساويين في مدرسة اللغات الشرقية فعجبت في نفسي من امر هذا اليهودي الذي يشرح للنصارى في باريس وبلسان الفرنسيس كتاب المسلمين . ولكنني تذكرت تاريخ اجدادي وبه سيبطل اعجابكم كما بطل اعجابي . فقد كان الشيخ المؤرخ تقي الدين ابو العباس المقريزي المشهور صاحب كتاب الخطط المتوفى سنة ٨٤٥ من الهجرة له المام تام بمذاهب اهل الكتاب حتى كان افاضلهم يترددون اليه للاستفادة منه فيما يتعلق بامور دينهم وشرح مذاهبهم ومعرفة اسرار ملتهم . وقد الف كتاباً سماه « شارع النجاة » يشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه الحق منها وهذا بخلاف ما تراه من البيانات المفيدة الكثيرة في كتابه المشهور بالخطط الذي طبعه الخواجه روفائيل عبيد القبطي وقد اخذ الفرنساويون يترجمونه في هذه الايام الى لغتهم بمعرفة العلامة اوربان بوريان وبمعرفة العلامة كازانوفا المقيم بين ظهرانينا الآن لا كمال هذا العمل الجليل الذي برز في عالم المطبوعات قسم كبير منه .

ولكن ابن المقريزي وابن عمله من الفقيه الشافعي كمال الدين ابن يونس الذي تفقه في الموصل ثم توجه الى بغداد ثم رجع الى الموصل ومات بها رابع عشر شعبان سنة ٦٣٩ فقد كان آية ولا كالآيات واعجوبة ولا كالاعاجيب وموسوعة ولا كالموسوعات تبحر في جميع الفنون وجمع من العلوم ما لم يجمعه احد وتفرد بعلم الرياضة واتفق الفقهاء على القول بانه يدري اربعة وعشرين فناً دراية متقنة فمن ذلك مذهب الشافعي فكان فيه اوحد الزمان وكان جماعة من الطائفة الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ويحل لهم مسائل «الجامع الكبير» احسن حل مع ماهي عليه من الاشكال المشهور وكان يتقن فن الخلاف العراقي (اي على مذهب الشافعي) والبخاري (اي على مذهب الحنفي) واصول الفقه واصول الدين ولما وصلت كتب فخر الدين الرازي الى الموصل وكان بها اذ ذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم احد منهم اصطلاحه فيها سواه، وكذلك كتاب الارشاد للامام ركن الدين العميدي لما وقف عليه حل اصطلاحاته في ليلة واحدة واقرأها على ما قالوه وكان يدري فن الحكمة والمنطق (اي كتب ارسطوطاليس المنطقية الثمانية) والطبيعي والالهي وكذلك فنون الرياضة من اقليدس (اي كتبه الرياضية) والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي (اي الفلك) وانواع الحساب: المفتوح منه (اي علم العدد) والجبر والمقابلة والارثماطيقي وطريقة الخطأين والموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره الا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها واستخرج في علم الاوفاق طرقاً لم يهتد اليها احد وكان يبحث في العربية والتصريف بحثاً تاماً حتى انه كان يقرأ كتاب سيبويه والايضاح والتكملة لابي علي الفارسي والمفصل للزمخشري وكان له في التفسير والحديث وما يتعلق به واسماء الرجال يد جيدة وكان يحفظ من التاريخ وايام العرب ووقائعهم والاشعار والمحاضرات شيئاً كثيراً وكان في كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه وبالجملة فان مجموع ما يعلمه من الفنون لم يسمع عن احد ممن تقدمه انه جمعه ولقد كان كبار المشايخ الذين لهم القدم الراسخة في العلوم يأخذون الكتاب ويجلسون بين يديه ويقرؤن عليه مع ان لهم من الكتب الفائقة ما يشتغل به الناس والطلاب بل كانوا يتركون بلادهم وتدريسهم ويحضرون اليه للتلقي عليه، لقد تخرج عليه خلق كثير في كل فن. وليس كل ذلك شيئاً يذكر بجانب امر صغير كبير قد اشتهر عنه وهو الذي اردت ان اتخلص اليه بهذه المناسبة. وذلك ان علماء النصارى واليهود كانوا يقرؤن عليه الطب والفلسفة وغيرها من العلوم التي اعتاد اهل ذلك العصر عصر النور ان يقرؤها لاهل الكتاب ولا يمنعوهم منها. فليس في هذا شيء من الغرابة وانما الغريب انه مع كونه معدوداً من الفقهاء والمفسرين كان كما رواه ابن خلكان

وهو حجة ثقة يجيء اليه اهل الذمة من اليهود والنصارى ويقرؤن عليه التوراة والانجيل وقد شرح لهما هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله . ولو وقع مثل هذا في عصرنا لعد غريباً جداً . وممن قرأ عليه الحكيم ثاذري الانطاكي اليعقوبي الذي احكم اللغة السريانية واللاطينية بانطاكية وشدا بها شيئاً من علوم الاوائل ثم هاجر الى الموصل وقرأ على كمال الدين بن يونس مصنفات الفارابي وابن سينا وحل اوقليدس والمجسطي . ثم عاد الى انطاكية ولم يطل المكث بها لما رأى في نفسه من التقصير في التحصيل فعاد مرة ثانية الى ابن يونس واقتبس ما استفهمه من علمه وانحدر الى بغداد واتقن علم الطب وقيد اوابده وتصيد شوارده وقصد السلطان علاء الدين ليخدمه فاستغر به ولم يقبل عليه فرحل الى الارمن وخدم قسطنطين ابا الملك حاتم ولم يستطب عشرتهم فسار مع رسول كان هناك للامبرور ملك الفرنج وهو (فريدريكوس الثاني) فنال منه افضالاً ووجد له به نوالاً واقطعه مدينة باعمالها . فلما صلح حاله وكثر ماله اشتاق الى بلده واهله فلم يؤذن له بالتوجه فاقام الى ان امكنته الفرصة بخروج الملك في بعض غزواته الى بلاد المغرب فضم اطرافه وجمع امواله وركب سفينة كان قد اعدها لهربه وسار في البحر مع من معه من خدمه يطلبون بر عكة . فبينما هم سائرون اذ هبت ريح رمت بهم الى مدينة كان الملك قد ارسى بها فلما أخبر ثاذري بذلك تناول شيئاً من سم كان معه ومات خجلاً لا وجلاً لان الملك لم يكن يسمح باهلاك مثله .

وممن جرى على ذلك النحو العلامة برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ فانه فسر القرآن في كتاب له اسمه « نظم الدرر في تناسب الآي والسور » وهو كتاب لم يسبقه اليه احد جمع فيه من اسرار القرآن ما تحار فيه العقول وهو محفوظ بالمكتبة الخديوية وفي كثير من مكاتب القسطنطينية . ولكي يكون هذا المفسر المحقق على بصيرة من امره استمد كثيراً من الامور والبيانات من التوراة والانجيل وقد اشار في اوله الى التوراة التي اعتمد عليها فقال ما نصه : « واعلم ان اكثر ما ذكرته في كتابي هذا من نسخة وقعت لي لم ادر اسم مترجمها وعلى حواشي فصولها الاوقات التي تقرأ فيها والظاهر انها نسخة اليهود وهي قديمة جداً فكان في الورقة الاولى منها محو في اطراف الاسطر فكملته من نسخة السبعين ثم قابلت نسختي كلها مع بعض اليهود الربانيين على ترجمة سعيد الفيومي وهي عندهم احسن التراجم فوجدت نسختي اقرب الى حقائق اللفظ العبراني ومترجمها اقعد من سعيد في لغة العرب » وسعيد هو المشهور باسم سعديا . وقد ذكره صاحب كتاب الفهرست

وكان البقاعي كلما ذكر قصة مما ورد في القرآن تتعلق باهل الكتاب شرح امرها من التوراة

وغيرها من صحف الملل المتقدمة مثال ذلك انه اشار في بعض المواضع الى احدى القصص فشرح امرها من التوراة فقال ما نصه : « في آخر السفر الرابع منها في النسخ الموجودة بين اظهر اليهود الآن في هذا القرن التاسع فيما قرأته في نسخة مترجمة بالعربية وخطها كذلك وعليه آثار قراءتهم لها و بيان الاوقات التي يقرأ فيها كل فصل منها ثم قابلتها بالمعنى مع شخص منهم وكان هو القاري، ما نصه : وهذه مظاعن بني اسرائيل حيث خرجوا من ارض مصر باجنادهم على يدي موسى وهرون وكتب موسى مخارجهم ومراحلهم عن قول الرب : ظعنوا من رعمسيس (وفي نسخة من عين شمس) في خمسة عشر يوماً من الشهر الاول » .

ولذلك قام عليه بعض الجهلة من اهل عصره وقبحوا طريقته قبحهم الله واهانوه وسعوا به لدى الحكام ونفوه واضطهدوه بكل ما في وسعهم ولكن الرجل ثبت في عمله حتى اتم تفسيره وصنف ايضاً بسبب ذلك كتابين احدهما « مصاعد النظر في الاشراف على مقاصد السور » والثاني « الاقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة » وهو محفوظ بالكتبخانة الخديوية .

تأتي البقية

حكم منوعة

حكم في سيرة الحياة

ملخصة من كتب ديانة الهنود القديمة

تطهير النفس بمعرفة الذات وضبطها عن الشر وبالاستقامة والادب والدين

الام اثقل من الارض والاب اعلى من السموات والعقل اسرع من الريح والافكار اكثر عدداً من العشب

صديق رب البيت الزوجة . وصديق الغريب في بلاد بعيدة . الرفيق وصديق المريض الطبيب . وصديق المشرف على الموت الصدقة

اعظم خير للفضل الكرم . وللشهرة العطاء وللسماء الحق . وللسعادة السيرة الحسنة

الابن هو نفس الانسان . والزوجة عطية من الله . واخص معيشة الانسان من الغيوم

خير ما يمدح الحذق وخير ما يقنى العلم وخير ما يكسب العافية وخير انواع السعادة القناعة

اعظم ما يجب على الانسان الامتناع عن الاضرار بالناس

اذا ابى الانسان الكبرياء كان محبوباً واذا ابى الغضب فلا يندم واذا ابى الهوى صار غنياً واذا ابى الطمع كان سعيداً

زجر النفس احق الزجر . الصفح يقوم بالصبر على العداوة . والابتعاد عن كل عمل معيب يخلص من الخجل والعار . والرحمة قائمة بطلب الخير للكل . والبساطة راحة القلب

الغضب عدوٌ لا يغلب والطمع داء لا دواء له . والصادق من يريد الخير للخلق عامة وغير الصادق من لا رحمة فيه

الجهل الحقيقي هو الجهل بما يجب عمله . والكسل عدم القيام بما يجب عمله

الغسل الحقيقي غسل القلب من اوساخه . والصدقة مساعدة كل مخلوق محتاج

العالم من علم ما يجب عليه . والحسد ليس الا حزن للقلب

الجهل الاعمى هو الكبرياء . والشر كلام السوء في الغير

من يعد ولا يفي والغني الذي لا يعطي ولا ينفق على نفسه بخلاً كلاهما في النار الخالدة

من يقول قولاً شهياً صار شهياً عند الكل ومن عمل بالحزم نال ما طلب ومن كان له خلان كثيرون كان سعيداً ومن تابع الفضل كان له نصيب سعيد في الآخرة

السعيد من لا دَين عليه ومن يلازم بيته

يذهب اليوم بعد اليوم اناسٌ لا يحصى عددهم الى منازل الموتى واما الاحياء المتأخرون فيظنون انفسهم خالدين في الحياة

خبر العمل الصالح يبلغ عنان السماء وينتشر في الارض فما دام هذا الخبر كائناً يدعى الرجل رجلاً

من استوى عندهُ الطيب والمكروه والخير والشر والماضي والحاضر فهو المالك لعامة انواع الثروة

من اقوال الفلاسفة القدماء

الحواس كالشمس فكما ان الشمس تخفي السموات وتجلي رؤية الارض هكذا الحواس تخفي الاشياء السماوية وتظهر الاشياء الارضية

الاسم الحسن كالنار اذا اشتعلت مرة سهل دوام اشتعالها واذا انطفأت لم تسهل اعادة اشتعالها

الحب الذي لا نهاية له هو الحب الذي لا غرض دنيّ منه

احوج ما في العلم لفائدة الحياة نسيان ما هو غير صحيح

يتعلم الحكماء من الجهال اكثر مما يتعلم الجهال من الحكماء

بست الرحمة صفة مغصوبة بل هي آتية من السماء كالمطر الرذاذ الى ما تحتها . وبركتها بركتان بركة للمعطي وبركة للآخذ . وهي اجدر بالملك الجالس على عرشه من تاجه . وهي صفة ذات الله فتصير القوة الارضية اشبه بقوة الله متى لطفت الرحمة العدل . وان كان العدل حجتك فاعلم ان من هذا الوجه لا يرى احد منا نجاة عند الله الا انا نلتجيء الى رحمته وهذا الالتجاء يعلمنا جميعاً اعمال الرحمة (شكسبير)

بيروت يوحنا ورتبات

حكم عصرية

للأسوف عليها العقيلة « انيسة » كريمة الشيخ سعيد الخوري الشرتوني

احقر الناس جاهل ابن عالم وفقير ابن غني

ميراث كبير تعويد الولد العمل واجتناب المحرَّمات

من احرز العلم بلغ ذروة الشرف

الغني الجاهل اخرس في مجالس العلماء

اجلّ الناس من جمع بين العلم والمال والفضيلة

افضل رجال الدين من نمت في جوارحهم الفضائل وانتشرت في معاشريهم نفحات الصلاح

معاشرة العلماء ضياء ومعاشرة الجهال ظلام

جرائد كل عصر اصدق شاهد على اخلاق اهله وطبقاتهم في العلم

لا موؤنة للقلم واللسان بعد اللغة كالتاريخ والجغرافية

حافظ التاريخ والجغرافية ولطيف الشعر والامثال والحكم زينة المجالس وفاكهة المحاضر

لا يضعف العدل والدين الا متى كان زمامهما في ايدي اعدائهما

ما نظر الحكيم في شيء الا استخرج منه فائدة

لا يسعد الا من اعتصم بحبل الله

الفضلاء في الناس كالجواهر في الحجارة

قيمة العلماء في الامم الشائخة قيمة المصابيح عند العميان

لا يغلب الحق وان قل انصاره

من افظع العار ان يخالف الديانة من يسود باسم الديانة

الوعظ في فم الشرير كالماء الطاهر في المجرى النجس

افضل ما تعمله المدارس اختيار الفضلاء البارعين للتربية والتعليم

اثمن الهدايا نصائح الحكماء

مجاورة الصالحين كمجاورة النباتات المطرية

املك الناس للقلوب مهذب حميد السيرة

من احكم علماً عاش به

اولى الناس بالتزام السيرة الصالحة الحاكم والكاهن والطبيب فكل منهم مقتدى

استخدام الفقير انفع من التصدق عليه

جدة المبادي، كالشباب وقدامتها كالشيخوخة فاصحاب المبادي، الجديدة ذوو همم قوية واصحاب المبادي، القديمة ضعاف الهمم

من احسن وسائل التقويم الترغيب في حسن الذكر

من افضل الكتب التي تسمن عليها الآداب كتاب تليماك

الدين كاللوزة اجتناب المحرمات لبه والتكاليف قشره والمحافظة على القشر بعد اتلاف اللب رياء

افضل المنشئين من لا تبلي الدهور كلامهم

جوامع الكلم

منقولة عن الانكليزية

خشية الله اصل المعرفة والمجنون من يزدري بها

(رأس الحكمة مخافة الله)

فطرنا على حب الحياة ولو انها قليلة اللذات

(جبلنا على حب الحياة وانها مخيفة احلام اطافت بحالم)

جانب الشرير ولا تسر في سبيل اهل الدعارة فهم لا يأكلون غير طعام الخبث ولا يكرعون الا من نبيذ القسوة

لكل انسان ان يعيش على الدهر اذا كانت حياته روحية لا جسدية : اذا كانت حياته في طلب الحكمة وتخليد المآثر . وهذه حياة عظماء الرجال تؤكد لنا ذلك .

الناس دون جهادهم موتى وا كن الأُلى عملوا المدى احياء

وفي هذا المعنى قال الرافعي ايضاً :

وما غير العظائم باقيات يكرر ذكرها في كل آن

يعمل المرء في حياته اما اعمالاً حسنة اوسيئة وعلى قدر ذلك يترتب هناؤه اوتعسه في الوجود

النجاح لا يقع اختياره الا على رجل واحد من الناس لا يصاحب سواه وهذا الرجل هو الذي لا يعمل عملاً قبل ان يعمل فكره فيه

قال وليم شكسبير : انما العالم مسرح والناس من رجال ونساء ليسوا سوى ممثلين يظهر كل عليه ويختفي . والمرء في حياته يمثل سبعة ادوار . فالدور الاول وهو زمن الطفولة اذ يكون رضيعاً يصرخ ويقيء بين ذراعي مرضعه . والثاني حين يصبح تلميذاً يحمل قمطره ووجهه يفيض بشرًا وسناء في الصباح يقفز كطير الحجع ويتظلم من الذهاب الى المدرسة . والثالث دور الهوى وهو الزمن الذي يكون فيه عاشقاً يتنهد تنهدات حارة تحكي زفرات الافران وهو ينشد اغاني مطربة يخاطب بها لحاظ مالكة فؤاده . والدور الرابع وهو دور الشجاعة والاقدام حين يكون جندياً يقسم الايمانات ولحيته تشبه لحية النمر : يغار على الشرف ويقتحم الغارات بخفة باحثاً عما يجديه فخارًا ولو في فوهات المدافع — هذا الفخار الذي اراه كحبب الماء لا يدوم ولا يلبث . والخامس وهو الدور الذي يجلس فيه على سرير الاحكام ويقضي بين الناس وبطنه ممتلئ مستدير وبصره حاد ولحيته مقصوصة قصاً مخصوصاً : عقله راجح وفكره ملمٌ بكثير من الحوادث واعٍ لما صدر فيها من الاحكام . والسادس يبدأ باكتسائه الاردية الرفيعة القماش الواسعة الحجم ووضعه المنظار امام عينيه وتعليقه كيساً بجانبه وقد غدت جواربه التي كان يلبسها وقت الصغر غير ملائمة لرجليه لكبر حجمها وصوته ضئيلاً متلعثماً يحاكي صوت الاطفال

اما المنظر الاخير الذي ينتهي به هذا التاريخ المحزن الغريب فهو الطفولة الثانية « يعني الشيخوخة » والخبل المتناهي يتبعه فقد الاسنان والبصر والذوق بل وتضعضع جميع الجسد . وقال كذلك على لسان ماكبيث

انطفئ ياذا السراج انطفئ فان الحياة خيال يسير

وقال ايضاً : تأمل كثيرًا وتكلم قليلاً ولا تشرع في تحقيق رأي يعجز عقلك دونه . عامل الناس بالعرف وراع واجبات الصداقة وضم من صادقتهم وتحققت اخلاصهم الى قلبك وعلقهم به باطواق من الحديد ولا تضع كل انسان حديث العهد بالمعرفة بك موضعاً علياً فتعلق يدك الا كدار . حاذر من التشاجر مع احد واذا قدر لك هذا فاجتهد في ارهاب خصمك . أعر كل انسان سمعك ولا تدع صوتك يقرع الا آذان فئة قليلة من الناس .

وقال يوحنا رسكن : خلق الانسان لثلاثة دواع وهي العمل والاسى (الحزن) والسرور وكل من هذه الثلاثة له درجتان : وضيعة ورفيعة . فهناك عمل وضيع وعمل رفيع . وهناك حزن هين وآخر شديد . وكذلك فرح قليل وسرور مفرط فيلزمك ان لاتنأى عن الجمع بين هذي الثلاث ظناً منك انه يتأتى لك ان تحيا بدونها فليست هناك نفس خالت من التشبث بها فانجبر وهيا . والعمل بدون السرور رديء . وهو بدون الحزن كذلك .

والحزن من غير العمل قتال وكذلك الحبور بدون العمل · وقال : تواضع على قدر ما ترغب فليس التواضع بمؤذٍ لانسان ولكن خلِّ شرفك في المحل الاول · وقال : لا يتقدم في سبيل الحياة الا من كان قلبه آخذاً يزداد ليناً ودمه حرارةً وخاطره سرعةً ونفسه رغبةً في العيش مع السلام واولئك الذين يوجد فيهم هذا الشعور هم هم — لا غيرهم — الامراء والملوك الحقيقيون في الارض ·

القاهرة ١٠ز٠١

الساعة

وخرساء لم ينطق بحرف لسانها — سوى صوت عرق نابض بحشاها
حكت لهجة التمتام نطقا ولم تكن — لتفصح الا بالزمان لغاها
لها ضربان في الحشا قد حكت به — فؤاداً تغشاه الهوى وحكاها
جرت حركات الدهر في ضربانها — وبانت مواقيت الورى بعماها
على وجهها خطت علا ثم تهتدي — بها الناس في اوقاتها لمناها
مشت بين آنات الزمان تقيسه — وما هو الا مشيها وخطاها
بها يتقاضى الناس ما يوعدونه — ويرشد ضلال الزمان هداها
غدت كأخي الايمان تأكل في معاً — وما أكلها الا التواء معاها
تدور عليها عقرب دور حائر — بتيهاء غمت في الظلام صواها
تريك مكان الشمس في دورانها — اذا حجبت عنك الغيوم ضياها
فأعجب بها مصنوعة جاء صنعها — نتيجة افكار الورى وحجاها
بنتها النهى في الغابرين بسيطة — فتم على مر الزمان بناها
تنادي بني الايام في نقراتها — أن اسعوا بجد بالغين مداها
ولا تهملوا الاوقات فهي بواتر — تقطع اوصال الحياة شباها

بغداد — معروف الرصافي

للشرق

رعى الله عهداً بالحمى ليس يرجع وهل راجع ما فات والقوم شجع
وقد كان فيه من اقاموا بجدهم ارا كين مجد دونها القوم خشع
وشادوا قصور المكرمات واطلعوا بدور علوم مالها اليوم مطلع
وقد غربت في الغرب شمس علومهم فهل بعد ما نقضي اللبانة تطلع
وانا عهدنا الشمس تحجب ليلةً ولو لبثت عنا ليالي نجزع
فما بالها تمضي القرون ولا نرى جمال محياها على الشرق يسطع
فهل لك يا نور الوجود ضغينة على اهله ام هم الى اللهو نزّع
سلوك فأسلوك المرابع بعد ما سفرت لهم دهراً وما لك برقع
وما الشرق الا منزل نام اهله طويلاً فما يدرون ما الناس تصنع
فيا علماء العصر اشكو اليكم فهل عندكم للشكو يا قوم موضع
فان لم تجيبوا داعي الله للعلى « فللصبر ان لم ينفع الشكو» اوسع

بيروت الغلاييني

مطبوعات ومخطوطات

مبادىء اللغة

للشيخ الامام ابي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي المتوفى سنة ٤٢١ ﻫ مع شرحه له عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي وطبع على نفقة احمد افندي ناجي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي واخيه بمصر عن نسخة جيء بها من بغداد وقد وجد في الاصل المنقول عنه : هذا الكتاب اعني مبادىء اللغة مستخرج من كتاب العين للخليل ونوادر ابن الاعرابي وحروف ابي عمرو الشيباني ومصنف ابي زيد وجمهرة ابن دريد الازدي . وفي الكتاب كثير من الفصيح الذي اخذه صاحب فقه اللغة وهو مما ينتفع به المترجمون والمؤلفون في هذا العصر وفيه فصح كثيرة وردت في ابواب منه مثل باب الكسوة ويدخل تحتها اصناف الثياب والملابس وباب البسط والفرش ونحوهما وباب الحلي والجواهر وباب الاواني والسراج وابواب الطعام والطبخ والالبان والشراب وآلات البيت والادوات

وآلات الكتاب والزرع والسلاح وغير ذلك مما يلزم المخاطبين في سفرهم ومقامهم وليلهم ونهارهم وبيوتهم واعمالهم وحضارتهم وتأخرهم . وحبذا لو اضاف اليه طابعوه فهرساً باسماء ابوابه وبيان فوائده وشوارده واوابده . وقد وقع في ٢٠٤ صفحات وثمنه سبعة قروش مجلداً

توفيق المواد النظامية

لاحكام الشريعة المحمدية

هي رسالة للمرحوم الشيخ محمد الشطي المتوفى سنة ١٣٠٧ ذكر فيها مائتي مادة مما وافق فيها القانون العثماني الشرع الاسلامي قال في مقدمتها : « ولما نشأ من تضييق بعض العلماء على الملوك السابقين جعل الحكم على قسمين شرعي ونظامي تبادر الى الاذهان ان الحكم النظامي مخالف للشريعة المطهرة المأخوذة من القرآن والسنة ومن تتبع اقوال الائمة المجتهدين واحكام الصحابة والتابعين وجد ان الاحكام كلها مأخوذة عن سيد المرسلين » والرسالة مطبوعة طبعاً جيداً في مطبعة الشيخ فرج الله زكي بمصر .

تقويم المؤيد

صدر تقويم المؤيد عن سنة ١٣٢٦ وهي السنة الحادية عشرة له تأليف محمد افندي مسعود المعروف بسعة اطلاعه وعلمه وادبه حافلاً باجل الفوائد التي يحتاج اليها الخاصة والعامة والرجال والنساء والمصريون والغرباء ولا عجب اذا قلنا انه صورة مصغرة من تاريخ مصر وما يلزم لنا كنها خصوصاً بل لسائر البلاد العربية عامة من المعلومات الفلكية والفنية والادبية واخبار الملوك والممالك والحوادث والمعاهدات الدولية والمسائل السياسية واحوال الزراعة وتدبير المنزل وما تم من اساليب الارتقاء المادي والادبي في مصر في السنة الماضية وقد طبع في مطبعة المؤيد طبعاً جميلاً ويطلب من ادارتها وثمنه خمسة قروش نحث على اقتنائه ونرجو ان يوفق مؤلفه الى اصداره سنين كثيرة ليزيده ارتقاءً فوق ارتقائه خدمة للغة واهلها .

مجموعة خطب

للشيخ جمال الدين القاسمي وهي خطب جمعية منبرية مقتبسة من خطب نبوية وصحابية وائمة مشاهير موضوعها العقائد والعبادات والمعاملات والشمائل والاوامر والزواجر والآداب والاخلاق والمواعظ واحوال المعاد وهي في نحو ١٣٠ صفحة صغيرة جميلة الوضع والانتخاب وكنا نود لو كانت كلها مما كتب قبل القرن السادس لتجمع الفائدتين كما هي نافعة في الدارين . تطلب من طابعها محمد افندي هاشم الكتبي في دمشق .

سياحة في التبت

ترجم عن التركية حكمت بك شريف سياحة مختصرة في بعض مجاهل آسيا كما ترجم من قبل تاريخ زنجبار وسيام فعساه يترجم او يؤلف لنا رحلة او تاريخاً عن هذا الشرق الادنى او القريب فيكتب بعد ُنبت عن العراق ونجد والحجاز واليمن ويحدثنا بعد زنجبار وسيام باخبار آسيا الصغرى و بلاد الشام . تطلب الرحلة من المكتبة الرفاعية في طرابلس الشام

دليل السلام

اصدرت ادارة جريدة السلام التي تطبع بالعربية في بونس ايرس عاصمة الارجنتين (الجمهورية الفضية) دليلاً حوى اهم الفوائد التجارية والاحصائية والتاريخية والحسابية والاخبار والفكاهات بالعربية والاسبانيولية جاء فيه ان عدد السوريين في تلك البلاد يربو على ٤٥ الفاً وان عدد الجرائد والمجلات التي صدرت بالعربية منذ سنة ١٨٩١ في اميركا الشمالية والجنوبية قد بلغت الى الآن اربعين بقي منها حياً ٢١ وفي هذا الدليل فهرس عام لتجار السوريين في الارجنتين وفيه صور كثيرة وفوائد غزيرة واعلانات جمة وجاء فيه ان احوال الجالية هناك على احسن ما يكون من الارتقاء فمنذ بضع سنين كان يندر ان تجد محلاً تجارياً قائماً بما يتطلبه نظام التجارة من ضبط دفاتر وحسابات واليوم ترى مثل هذه المحال مئات ومنذ بضع سنوات كانت تنقضي السنوات ولا تسمع بجمعية أُسست ومشروع قام وفي ايامنا لا تخلو سنة من عشرات المشاريع يقوم بها المتنبهون عن كفاءة وشعور .

اللباب

هي مجلة علمية فلسفية طبية زراعية تصدر في القاهرة في اول كل شهر اصاحبها م٠١٠١٠ن ومديرها خليل افندي ميلود جاءنا الاجزاء الثلاثة الاولى منها فقرأنا فيها عدة مقالات مختصرة في المعنى الذي ترمي اليه فالت في مقدمتها : « اننا نرمي في كلامنا على بطء سير حركة العلم ونضوب معين الاقلام في التنقيب على استجلاء الحقائق والتمحط الذي اصاب ادمغة رجال الاقلام وارباب الكتابة والتأليف ولم يتناول جميع المطالب العصرية التي عقمت بها ارحام الاقلام واجدبت عن إنباتها رياض الافهام وغدت بها مجلات العلم والادب عالة على النقل والتعريب عن منشآت سحب اوربا حالة ان مجال الكتابة ارحب من الفضاء وموضوع عمراننا اغزر من الدأماء ولم نجد الالسنة قد انفتقت الا لتزيين التقليد والتقاعد عن ركوب خطة التوليد ولم نر الخواطر قد انقدحت الا لاختراع ضروب النقل والمسخ

مكافأة لهذا النوع من الكتابة الذي جرّ على العربية وآدابها معرة النقص واورث صناعة الادب كساداً واي كساد »

وانا لندعو ان توفق رصيفتنا الجديدة الى سد هذا النقص المحسوس في اللغة العربية ونعني به التوليد والاختراع والبعد عن مواطن التقليد والجمود من نقل وتعريب · وفي كل جزء من الاجزاء الثلاثة مقالة للامير شكيب ارسلان الكاتب الشهير الاولى في الانتقاد والثانية في حقيقة التعريب والثالثة في تركة الفضل اخلد الآثار · والمجلة سلسة العبارة لطيفة المنزع تصدر في ٥٦ صفحة في حرف واضح جلي وطبع سليم نقي وقيمة اشتراكها في القطر خمسون قرشاً وسبعون في سائر الاقطار فنرحب بها ونتمنى لها الثبات في خدمة اللغة والآداب والاقبال الذي تستحقه ·

شورا

هي مجلة علمية ادبية فيها بعض ابحاث دينية تصدر مرتين في الشهر باللغة التركية في مدينة اورنبورغ من اعمال روسيا لصاحبيها محمد شاكر افندي ومحمدذاكر افندي راميف ومحررها رضاء الدين افندي بن فخر الدين صدر منها الى الآن ستة اجزاء فتلوناها مسرورين من نشاط اخواننا الروسيين في خدمة المعارف والآداب وعبارتها تركية تتربة يسعى كاتبها الى تقريبها من التركية العثمانية ليعم الانتفاع بها وفي هذه الاجزاء مقالات لطيفة تدل على سلامة ذوق الكاتب وادبه الجم وفيها بعض صور لمشاهير الروسيين المسلمين ممن كان لهم اثر في نهوضهم الاجتماعي والعلمي مثل الشيخ شامل وغيره وتراجم موجزة لهم وقيمة اشتراكها اربعة روبلات واذا اشترك المشترك بها مع جريدة وقت يؤخذ منه سبعة روبلات وياحبذا لو جعلت هذه المجلة ملزمة واحدة منها باللغة العربية تنقل فيها اهم ما يهم الامة من اخبار تلك البلاد ونهضتها العلمية والادبية تجعلها ملحقاً في كل جزء من اجزائها فيكون لها شأن بين قراء العربية كما لها شأن بين قراء التاتارية والتركية ·

المفضليات

طبع الشيخ ابوبكر بن عمر داغستاني والشيخ حمزة امين حلواني مختارات المفضل الضبي التي اختارها من شعر العرب للمهدي بطلب من امير المؤمنين المنصور فجاءت في نحو مئتي صفحة متوسطة مشكولة كلها ما خلا الشرح الخفيف الذي علقه عليها الشيخ ابو بكر المومااليه والمفضليات غنية عن التعريف وهي تطلب من مكتبة مصطفى افندي البابي الحلبي واخويه في مصر بستة قروش ·

تقرير المجمع العلمي الشمثوني السنوي

Annual report of the Board of regents of the Smithsonian Institution 1906

من اعظم المجامع العلمية في الولايات المتحدة المجمع الشمثوني الذي أسس في نيويورك سنة ١٨٤٦ بمال جاد به رجل اسمه سمثون ولا تزال اعماله في نجاح سنة عن سنة كما يفهم من تقاريره السنوية . وامامنا الآن تقريره عن سنة ١٩٠٦ شرحت فيه الجمعية ميزانيتها التي بلغت مئات الدولارات وذكرت اسماء من تبرعوا لها بالاموال وفيه مقالات كثيرة لمشاهير كتاب الطبيعة والكيمياء والفلك والحيوان والنبات من اميركان وفرنسيس وغيرهم مما تنشر مثله كل سنة ليكون عوناً للناس على التعلم والاستنارة والتقرير يقع في نحو ٥٥٠ صفحة جيد الطبع جداً نفيس الورق وهو حاوٍ لرسوم علمية ومصورات جغرافية كثيرة فنثني على رجال هذا المجمع بما هم اهله ونتمنى لشرقنا المسكين ولو مجمعاً واحداً من مثل مجمعهم النافع .

نادي دار العلوم

احسن هذا النادي بان طبع ما أُلقي فيه من الخطب هذا الشتاء في موضوع اللغة العربية وتسميته المسميات الحديثة فان فيها من المباحث ما هو جدير بان تتناقله كل يد في كل بلد وقد قرر النادي حلاً لهذا الاشكال ان يبحث في اللغة العربية عن اسماء للمسميات الحديثة باي طريق من الطرق الجائزة لغة فاذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعمل اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية . فنرجو ان يوفق القائمون بهذا المشروع الى تأليف المجمع الذي ينوون تأسيسه للنظر في هذا الغرض الشريف

سير العلم والاجتماع

التعليم والذكاء

من المعروف الشائع ان التعليم يزيد الذكاء حدة ويقوي الذهن الا ان طبيبين نطاسيين قد بحثا بحثاً طويلاً في ذلك فتبين لهما ان الولد ينسى بعد خمس سنين من سنه ما تعلمه من قبل نسياناً تاماً فالذاكرة كما يتوفر على تنميتها في المدارس لا يبقى فيها شيء بل ان العقل لا يحاول ان يعرف ما يجهل وقليل من الاولاد من حازوا من المعارف قسطاً لم يتعلموه في المدارس وما يعرفونه كله مبادئ ويزول اثره من الذهن في الغالب . وقد سأل احد الدكتورين

تسعة وثلاثين تلميذاً من الصفوف العالية وتسعة وثلاثين تلميذاً من الصفوف الواطئة وثمانية وخمسين تلميذاً من الكليات اسئلة كلها بسيطة فلم يكن الجواب الا التسجيل عليهم بالجهل المطبق وفي المسائل التي كان ينبغي لها شيء من صحة الحكم كان سكوتهم عليها محزناً فاستنتج من ذلك ان التعليم لا يساعد الا قليلاً جداً على تقوية العقل وينبغي اصلاحه على صورة عملية اكثر من الآن . وهذا الرأي موافق لرأي هرون غورست الذي يرى المعارف المدرسية للذكاء اشبه بسم حقيقي ولذلك يطلب ان يكون الامتحان محدوداً معيناً وان كل من يعاني صناعة بموجب شهادة بيده يجب عليه ان يفحص امام جماعة من المحكمين كل خمس سنين وما هذا الا لان التعليم اليوم يقتصر فيه على الاكثار من الكتب والاكثار من الامتحان الشفاهي وتعلم الالفاظ والجمل واهمال التزود من الافكار وتمرين العقل على التفنن فيها وايجادها .

التفروزين

La téphrosine

هو نبات ينبت في جزيرة سيلان وكولمبيا واميركا الوسطى وهو يستعمل للصباغ ويخرج منه نوع صباغ من النيلة ويكون منه مسهل ويستعمله الاميركان لتدويخ السمك ليسهل صيده وقد قرأ احدهم في مجمع العلوم الباريزي تقريراً جاء فيه ان هذا النبات من السموم الشديدة وان الصيادين لا يسكرون السمك به بل يسممونها ورأى ان يناقشوا الحساب في استعماله ويمنع بيعه ان امكن .

بعد الشمس

ثبت ان الشمس بعيدة عن الارض اكثر مما كان معروفاً فبعد رصدها ٢٦٠٠ مرة بالتلسكوب و١٠٠٠ امرة بالصور الشمسية تبين ان الشمس بعيدة عنا ١٤٩٤٧١٠٠٠ كيلومتر وكانوا يقولون منذ عهد كبلر انها بعيدة ١٤٨٥٠٠٠٠٠ كيلومتر والفضل في هذا التحقيق يرجع الى ما اكتشفه المرصد الفلكي في برلين سنة ١٨٩٨ من نجم مذنب صغير لم يكن معروفاً من قبل سموه (ايروس) وهو يقترب من الارض بعد الاحايين فساعد هذا النجم على حساب بعد الشمس .

الأرق

اثبت احد روّاد الانكليز في خلال صعوده جبل كون كون في بلاد كشمير شمالي

لهند ان النوم على علو سبعة آلاف متر يقلّ ويخالف السهاد المقلق لان الاكسجين يندر والتنفس يصعب فلا يلبث المرء ان يغفى حتى يستيقظ كالمذعور.

اغنى كلية

اغنى كلية في العالم هي كلية هارفرد الجامعة في الولايات المتحدة فان رأس مالها خمسة وعشرون مليون جنيه فاذا اضيف اليه ثمن اراضيها واماكنها وخزائن كتبها ومستشفياتها بلغ مجموعها نحو ثمانية وثلاثين مليوناً وهذه المدرسة بعيدة عن مدينة نيوكمبردج. وفي هذه الولاية يُحظر بيع المشروبات الروحية. ويقبض رئيسها راتباً في السنة ستة آلاف دولار وكل استاذ ثمانمائة جنيه وكل مساعد استاذ اربعمائة جنيه وفيها نحو ٥٠٠ استاذ و ٤٠٠٠ طالب

تبرج النساء

كتب باولو لومبروزو العالم الايطالي مقالة في هذا الموضوع قال فيها انه ثبت ان اصل التبرج المشهود في النساء كان في اول الامر مألوفاً لهن فاخذن يعمدن اليه استمالة لقلوب الرجال وما زلن في تفننهن حتى صار فيهن على كرور الاعصار عادة وجبلة. فقد شوهد ان النساء المجنونات يفقدن لاول عهدهن بالجنون الرقة والحشمة والطهارة على ان حب التبرج يبقى مغروساً فيهن فيحرصن عليه. والتبرج مما عمت به البلوى كل النساء بدون استثناء فتراه عند الاميرة الكبيرة كما تراه عند الزنجية الحقيرة ولهن في التفنن بذلك اساليب حتى ان احدى الغنيات الكبيرات في اميركا اراد ان يزورها ذات يوم احد الامراء من بعض الأسرات المالكة فتأهبت لذلك بان اوصت على قفطانين جميلين احدهما وردي والآخر ابيض صرفت فيهما الفي جنيه. ولكن كيف السبيل الى ان تظهر امام الامير بالقفطانين في آن واحد فأوعزت الى خادم لها وهي على المائدة ان يلقي عليها شيئاً من المرق من صحفة يحملها فعندها انسلت الى غرفة تبرجها ولبست القفطان الآخر فتم لها ما ارادت من الظهور امام الامير في ثوبين ثمينين في آن واحد. وليست المرأة محبة للتبرج في جميع طبقات المجتمع الآن بل كانت كذلك منذ العصور المتطاولة في زمن يكاد يكون فيه اختراع السكة والمحراث جديداً اي في العصر الذي كان الانسان يسكن فيه المغاور. فقد عثروا في بعض الكهوف على اقراط وحلق واساور. وترى النساء المتوحشات لا يبالين بالالم ويفادين بكل عزيز في سبيل تبرجهن فيضعن الوشم على اكثر اطراف اجسامهن تأثراً كالفم والصدر ويثقبن آذانهن وانوفهن وشفاههن ويدخلن في لثاتهن قطعة من الخشب ويقلعن اسنانهن ويضغطن على رؤوسهن لتكون مستطيلة ويصغرن ارجلهن تساوي في ذلك الشابات

والعجائز. وانك لترى بنات الستين يذكرن ايام شبابهن ولا يقصرن في التبرج كما ترى الطفلة الصغيرة اول ما تفتح عينها عليه انواع التبرج والزينة . ومن غريب ما شاهد في تبرج النساء ان امرأتين في احدى مستشفيات المجاذيب توصلتا الى ان يضعن على وجهيهما الابيض والاحمر مع انه يحظر على المجذوبات كثيراً ان يؤتى اليهن بشيء من الذرور الابيض والعطور وغيرها من ادوات الزينة فاخذت احداهن او بعضهن يحتّن باسنانهن كلس حيطان غرفهن وجمعنه فصبغن به وجوههن ابيض ناصعاً اما الحمرة فعمدت احداهن الى قميصها وهو قميص المستشفى وكان فيه بعض خيوط حمر فاخذت تسلها حتى اتت عليها ثم وضعتها في اناء وصبت عليها ماء فانحل صباغه فصبغت به وجهها . وقد توصلت احدى مختلات الشعور الى ان صنعت لنفسها شدّاً من اسلاك الحديد تشد به خصرها فكانت تذنب مرات عمداً حتى تسجن في مكان بعيد عن رفيقاتها وراء حائط من اسلاك الحديد فتسل كل مرة سلكاً حتى تجمع لها ما ارادت . وقد جرب بعضهم ادخال ثلاثة اصناف من الالبسة الى احدى مستشفيات المجذوبات اعلى واوسط وادنى وقرر ان من كانت منهن حسنة السلوك تعطى الثوب الاعلى فما كان منهن كلهن الا ان حسنّ سلوكهن ليأخذن ثياباً من النمط الجيد

النساء وان يكن لا يرين في التبرج حرجاً عليهن الا انهن لا يردن ان يقال عنهن متبرجات ويتظاهرن بانهن لا يصرفن في التبرج اوقاتاً كثيرة مع ان اكثر اوقاتهن تصرف في اعداد معدات التبرج وما شأنهن في ذلك الا شأن اولئك الشعراء الذين يحذفون ويثبتون من قصائدهم عشرين مرة ثم يدعون انهم ارتجلوها ارتجالاً . ولطالما تحمل النساء صنوف الاوجاع في سبيل ما يورثهن بهجة ويعددنه من آيات التبرج مثل اولئك الصينيات اللائي يضعن ارجلهن في قوالب خاصة ليصغر حجمها ولكن ذلك يورثهن امراضاً واوصاباً اقلها انهن يمشين قفزاً مشية الكركي الاشل وكذلك النساء في شبه جزيرة ملقة فانهن يرين من آيات الجمال ان يكون عنق المرأة طويلاً فيضعن لذلك كلابات يضعن فيها رؤوسهن ليورثن بذلك طولاً لاعناقهن حتى تصير كاعناق الزرافة . والنساء الزنجيات في غانية الجديدة وبريطانيا الجديدة في المحيط الكبير يقلعن اسنانهن ليظهرن اكثر جمالاً بزعمهن بل ان النساء في تونس يطعمن الارز ليصبحن كالاوز السمين بحيث لا يستطعن الحركة وكذلك نساء الافرنج يتحملن كل مشقة في سبيل وضع المشدّ على خصورهن . وعلى كثرة تحذير الاطباء لهن عاقبة ضغط المشد ما برح اكثر النساء يستعملنه ويصبن بامراض الكبد وتشوه الجسم واحياناً يفضي بهن الى الموت وهن لا ينتهين بل يصبرن على آلام المشد صبر

ايوب على بلواه ويكدن لا ينفسن طول ليلة باسرها ومن مع الرجال في الاندية . كل هذا مما يستدل به على ضبط النساء لهواهن وقمعهن انفسهن

وهنا استنتج بان التبرج مطلوب للنساء وانهن في حل مما يقمن به وانهن كن قبل ستمائة سنة لا يقرأن ولا يكتبن في اوربا ومع هذا كن يعنين بالتبرج ولهن فيه اساليب اخترعنها وتقلبن فيها بحسب الازمان شأن النساء الموغلات الى اليوم في التوحش من الامم فانك تراهن قد يغيرن اساليب التبرج وان كانت آنيتهن وماعونهن وخرثيهن على الصورة الاصلية . فالتبرج ضروري للاجتماع يورثه بهجة ونشأة ولولا النساء وتبرجهن ما تجلت لعينيك البيوت والقصور ذات بهجة فالنساء بتبرجهن يدخلن السرور على القلوب والنظام على الاما كن واذا قارنت بين بيت لا نساء فيه يزدنه بهجة ويزين غرفه ومقاعده وحوائطه وبين دير ليس فيه الا الضروريات من لوازم الحياة تجد الفرق بين التبرج وعدمه وزينة النساء ونقيضها مثل الشمس ظاهراً فالتزين والتبرج مطلوبان على كل حال في حياتنا الاجتماعية ولهما نفع عظيم فيها لان فيهما اللذة وسعادة العيش الخضال .

مآكل العظماء ومشاربهم

بحثت المجلة البار يزية فيما يأكله العلماء والكتاب وارباب الفنون في انكلترا فقالت ان من صفات الانكليز والابكوسيين والغاليين والايرلانديين ممن تتألف منهم بريطانيا العظمى في الاكثر الثبات وتحمل شدة الهواء فيرون في الاغلب التنزه في الهواء الطلق من الواجبات الصحية مثال ذلك اللورد ابوري المعروف باسم السير جون لوبوك فان قوة جسمه ناشئة عن جمعه الرياضات الطبيعية والسياحة الى الاعتدال والتقلل وقال ان سبب طول حياته عنايته بقواعد فن الحياة فيأكل مآكل بسيطة قليلة ويتناول شيئاً قليلاً جداً من الالكحول او انه يكاد لا يتناولها ولا يدخن وهو مشهور بالسياسة والعلم يتعب كثيراً في اعماله وعمره اربع وسبعون سنة . وقال السير وليام كروكس وهو من كبار العلماء الذين لا ينفكون عن البحث والدرس والتأليف والاختراع وهو الآن في الخامسة والسبعين من عمره انه يأكل بسرور كل ما يستطيبه على المائدة ولكن باعتدال ويشرب الخمر ويدخن وكانت صحته في جميع اطوار حياته جيدة جداً . ومثله في عدم الكلال من العمل فريدريك هاريسون العالم المؤرخ الفيلسوف وهو اليوم في السابعة والسبعين من عمره يقتصر في مأكله على اللحم ولكنه مقل من تناوله كما يأكل البقول واللبن والبيض . قال وارى ان سبب الهرم العاجل الذي يصيب الطبقة العالية الغنية هو مايتناولونه من المآكل لا ما يتناولونه من المشارب ومن بلغوا سن السبعين يجب عليهم ان يقللوا كمية طعامهم الى

النصف مما كانوا يأكلون في فتوتهم · واول قاعدة في الصحة جريت عليها هي ان اخرج من المائدة بدون ان تكون قابليتي للطعام قد سكنت · وانا مسلم من حيث تناول الاشربة الروحية فلا اتناولها طول نهاري اللهم الا في المساء فاني اتناول قدحاً او قدحين من خمر المانيا الابيض او غيره ولكن لا على انه يعين القوى الطبيعية او العقلية · ولا يسعني الا ان امدح الاعتدال في تناول الشاي والقهوة في النهار لا في الليل او المساء · وانا لا ادخن وامقت هذه العادة واعدها مما يتقزز منه و يضر بالحاضرين · فالتدخين كاستعمال السعوط والسكر وحلف الأيمانات كلها من العادات الفاسدة الضارة · وانا اعرف كثيراً من الناس اثرت في صحتهم عادة استعمال التدخين · انا اليوم في السابعة والسبعين من عمري لم امرض في حياتي منذ كنت في التاسعة وقد اصبت بالحميراء وما قط عرفت نفسي عن العمل والكتابة فانا اليوم اقدم المفروض عليَّ للمطابع من الكتابة بنشاط اكثر من نشاطي ايام حياتي الماضية وعندي ان طول حياتي كان لتقللي وعنايتي بالرياضة كل يوم في الهواء الطلق وربما صعدت الجبل اذا اتسع لي الوقت وما قط تعبت من العمل ولا عملت بدون سرور · وقال الكونت روبرتس وهو الآن في السادسة والسبعين خدم الجندية وقاسى الاهوال في حياته واكل الجشب وشرب العكر وتعرض للملاريا والامراض وحضر حصار المدن ومعاركة الابطال ومع هذا فهو في اجود صحة: ان سبب طول حبل اجله ناشيء من انه يدخن قليلاً او لا يدخن وانه يأكل ويشرب بالاعتدال · والسير وليام ميكايل روزتي هو الآن في التاسعة والسبعين من عمره عالم واديب سُئل عن القوائد التي يراها لدوام الصحة فقال ان الاعتدال في مأكله ومشربه هو سبب صحته وقد اعتدت التدخين منذ صباي وانا اعد مكثراً منه وارى انه يشوش عليَّ الهضم في الاحايين ولكني لست مصاباً بسوء الهضم وقال السير شارل ستانلي وهو من كبار الممثلين والمغنين وعمره الآن ٧٤ سنة انه يأكل كل ما يشتهي ويشرب ويدخن كذلك ولكن باعتدال · وقال المستر جورج برنارشواف وهو في الثانية والخمسين من عمره خطيب كاتب اديب ناقد قصصي وهو ممن يركب الدراجات ويعاني السياحات والسباحات : اني لم اتناول اللحم منذ ٢٧ سنة واني لا اشرب الالكحول وارى انها ضارة في ارباب الاقلام فهي ليست مقوية على العمل بل مخدرة وشاربها لا يخدع عليه بالافكار بل يضيع منها اما التدخين فلا اتعاطاه واراه قذراً · وترى العقيلة الين تري الممثلة وهي الآن في الستين ولكنها اذا ظهرت على محل التمثيل فلا تظن الا انها في السابعة عشرة من عمرها ان احسن قاعدة للصحة ان يأكل الانسان في اوقات معينة قالت حاولت ان انقطع مرة عن اللحوم فضعف جسمي بعد شهر ثم حاولت مرة

ان امتنع عنها فلم اقدر فظهرت لي صحة ما يقال من ان ما ينفع واحداً قد يكون سماً لغيره ولا اتناول مشروباً على الطعام وانا على ثقة من ان الماء احسن شراب ولكنني اشرب كمية قليلة من الخمر والوسكي على انني اراهما اضر على الانسان من طبخة مملوءة بالخرطوش في ايدي اناس لا يحسنون ان يضبطوا انفسهم ولا ادخن وان حاولت التدخين · وقال الاستاذ الفرد روسل والاس وهو من ابناء التسعين وخصيم داروين في مذهب النشوء واشتغل بمذهب الانتخاب الطبيعي والجغرافية الجيولوجية وبحث في المادة والصحة الاجتماعية والتنويم المغناطيسي فقال انه الى السبعين من سنه كان يأكل كما يهوى وكان هضمه جيداً ثم ضعف هضمه فاضطر ان يغير نظام طعامه ويقلل من كميته فانقى بذلك مرض ازّبو المزمن وكان لاول امره يشرب المشروبات الروحية باعتدال وفي الخامسة والعشرين من عمره امتنع عنها كل الامتناع فجادت صحته وقال ان التجارب والنظر دلته على ان المرء اذا قرب ان يشيخ ينبغي له ان يمتنع عن الالكحول كل الامتناع لانها تضر به لا محالة وان يقلل من الطعام وانا اتناول الشاي والقهوة واحسن اوقات عملي في الصباح والمساء بعد ان اتناول كأساً من الشاي ومدة صباي لم ادخن قرفت من التدخين لما رأيت من سوء اثره في المدخن ·

نوم النباتات ويقظتها

يختلف ميعاد نوم النباتات بحسب اجناسها فاللبلاب الاحمر يفتح عند الغسق ونبات زهر الربيع يزهر في الشمس عند مغيبها وازهار النوفر (عرائس النيل) تطبق زهراتها الملونة في آخر النهار وتغوص في الماء من الليل ·

الثقاب في يابان

يشتغل في صنع الثقاب او الكبريت في بلاد اليابان ١٣٠ الف نسمة فتصدر يابان منه بما قيمته ستة وعشرون مليوناً وربع مليون فرنك هذا مع ان المواد الاولية لصنعه لا توجد في يابان ومع تشدد اليابانيين في ان لا يوقدوا المصابيح التي يوقدونها لاجدادهم الا من شعلة نار صافية ما برح استعمال الثقاب يزداد في الاستعمال بين اليابانيين ·

الممثلون في اميركا

يشكو الممثلون في اوربا من قلة ارباحهم بالنسبة للممثلين في اميركا فان كاروزو يتناول خمسمائة الف فرنك لتمثيل ثماني ليال واكثر من مائتي الف فرنك لاغان تغنى امام آلة الغراموفون ومثل ذلك في الليالي الخاصة ثم انه يأخذ في الاسبوع ربع مليون فرنك لنفقته الخاصة في الفندق والمطعم ويربح الممثل بادرفسكي في كل شتاء ٦٢٥ الفاً وكوبليك

نصف مليون و بالنظر لكثرة المتفرجين في اميركا ولغلاء اجور التمثيل فالليلة تربح في العالم الجديد عشرة اضعاف ما تربح في العالم القديم ·

تفاحة هائلة

عرف علماء النبات اكبر شجرة تفاح في العالم وهي في شسهيبر من ولاية كننكيت في اميركا الشمالية غلظها خمسة امتار وعلوها خمسة وعشرون مترًا وعمرها مائتا سنة وهي تعطي اثنين وخمسين هيكتولترًا من الثمر في السنة وخمسة من اغصانها تعطي ثمرًا سنة واحدة والثلاثة الاغصان الباقية تعطي في السنة التالية الا ان تفاحها صغير ويكاد يكون خاليًا من طعم ·

سمن قديم

عثر اثناء الحفر في احدى المحافر في ايرلاندا على عدة اواق من السمن تبين بالفحص انه قديم جدًا ظاهره ابيض وكأن فيه حبوب و باطنه استحال كتلة شمعية وان ما وجد ثمت من جلود البقر ازال كل شك في ان السمن اصلي لا شائبة فيه ·

اطباء يابان

راجت صناعة الطب في يابان واي رواج فبينما تجد في فرنسا وهي عش الاطباء خمسين طبيبًا لكل مئة الف نسمة ترى في يابان تسعين طبيبًا لكل مئة الف وقد زاد اطباء يابان في سنة ١٩٠٧ وحدها ٧٥٠ طبيبًا ·

وقف على العلم

وقف حسن بك زايد من سراة مصر زهاء خمسين فدانًا من اجود اطيانه في المنوفية على مشروع الجامعة المصرية · وهذه الاطيان تساوي احد عشر الف جنيه بارك الله بمانحها وا كثر فينا من امثاله ·

هبة محمودة

تبرع احد محسني الاجانب في مصر بخمسمائة جنيه للجمعية الخيرية الاسلامية ولم يحب ان يذكر اسمه مثل الذي كان تبرع لها في السنة الماضية بخمسة آلاف جنيه ولم يحب ان يذكر اسمه ·

مدرسة صناعية بالفيوم

نجز بناء مدرسة صناعية للبنين في الفيوم كلفت عشرة آلاف جنيه جمعها الاهلون ومنها الف جنيه اعانة من الاوقاف ومدة الدراسة فيها ست سنين ثلاث للقسم العلمي

وثلاث للصناعي والصنائع التي تعلم فيها النقش والنجارة والبرادة والخراطة والحدادة والسروجية وستدفع المعارف ٨٥٠ جنيهاً اعانة سنوية لادارتها ويدفع الاهلون ٣٥٠ جنيهاً لهذا الغرض

مناجم البترول

مناجم البترول كمناجم الفحم الحجري آخذة بالنضوب شيئاً فشيئاً فقد نزل معدل ما يستخرج من مناجم ابالاش واوهيو وفيرجينيا والتكساس ولوزيانا في الولايات المتحدة كما قل معدله في غاليسيا من بلاد النمسا وكذلك الحال في القافقاس من بلاد الروس فان ما يستخرج منه نزل الى ثلث ما كان يستخرج منه بادئ بدء

الياف الخشب

أخذوا ينسجون من الياف الخشب نسيجاً يقوم مقام القطن والكتان ويكلف اقل منهما في الثمن بل اقل من الحرير كما اخذوا ينسجون قماشاً اشبه بالصوف من بعض مواد يمزجونها بماء البحر .

الزرنيخ والحمى

اثبت احد الاخصائيين من الاطباء ان الزرنيخ هو الدواء الوحيد الذي يقي من الحمى الصفراء فقال ان الي شخص في اورليان الجديدة استعملوا الزرنيخ سنة ١٩٠٥ فنجوا كلهم من هذه الحمى الخبيثة وهم معرضون للعدوى من كل جانب

مجهر جديد

اخترع مجهر (ميكروسكوب) جديد ترى فيه ادق الدقائق بحيث يكون الانتفاع به ضعفي المجهر الحالي فبه ترى كيف تكبر الجراثيم وكيف تسير العدوى وكيف يسري اللقاح في الجسم .

التصوير البارز

اخترع احدهم طريقة للتصوير الشمسي البارز ويقولون انها ستكون داعية لتغيير التصوير ظهراً لبطن الا ان الصور التي ترسم على هذا النحو لا تصور الطبيعة في منظرها الحقيقي كله

عداد جديد

كان باسكال اول من اخترع العداد وما زال المشتغلون متوفرين على تحسينه وآخر عداد اخترع كان لمهندس روسي ظهرت فوائده العديدة لانه يعد من الارقام من عشرة الى عشرين في وقت واحد ولا يحصل فيه خطأ ولا يتعب عقل المشتغل به

القطط والكلاب

اخذت المحاجر الصحية منذ مدة تتوفر على ابادة الجرذان والفيران في السفن لانه تبين انها ناقلة لعدوى الاوبئة للبشر وقد انتبه احد اطباء نيو يورك الى الاضرار التي تلحق من القطط والكلاب بنقلها في وبرها بعض الجراثيم والديدان التي تجلب الضرر على الصحة واورد على ذلك عدة ادلة منها انه حدث سنة ١٨٨٧ وباء كبير بين القطط في لندرافكان القط يحمل الى اخيه العدوى وبالتالي تسري الى الاولاد الذين يلعبون مع تلك القطط وحدث في سنة ١٩٠١ ان الطاعون اشتد في الاسكندرية وما كانت جراثيمه تنتقل اولا من ملاح الى ملاح على الباخرة الا بواسطة قط كانوا يدللونه ويحبونه . وترى بعض الامم المتمدنة الآن ان تعدل عن حب القطط والكلاب حباً بالتوقي وحرصاً على الصحة وقد بدأت المانيا فحظرت دخول الكلاب والقطط الى الصيدليات وياحبذا لو حظر دخولها الى المجازر والمخابز والصيدليات والمطاعم

بطائح اميركا

ستوافق حكومة الولايات المتحدة على تجفيف البطائح في ولاياتها فيكون منها من الارض القابلة للزراعة ما يكفي لاعالة اثني عشر مليونا من النفوس على ان يكون لكل واحد منهم ستة عشر هكتاراً من الارض وتساوي هذه الاطيان ملياراً من الجنيهات ويستلزم ذلك انفاق عشرة ملايين فرنك

حفظ المخطوطات

بعد ان احترقت مكتبة تورين في ايطاليا وذهبت فيها الوف من المخطوطات النادرة اخذ اهل العلم في اوربا واميركا يفكرون في طريقة لحفظ المخطوطات لانها تكون في الغالب غير متعددة فاذا وجد في احدى المكاتب مخطوط يعد في نظر العلماء كنزاً لانه لامثيل له وقد ارتأى بعضهم في نقل صورة من كل مخطوط نادر تطابق الاصل بشكلها وخطها الا ان هذا العمل يحتاج الى نفقات طائلة وتقدم المستر غولي الى حكومة الولايات المتحدة مؤخرا ان يجعل صفحات (كليشهات) المخطوطات وامهات الطوابع والنقود في مكان واحد وان يجعل منها مسودات (بروفات) يتناولها العلماء ويستعيرونها للاستفادة منها لقاء ثمن بخس والغالب ان مكاتب اوربا تضطر بعد حين الى الجري على هذه الطريقة لحفظ الكتب النادرة .

مرض جديد

اكتشف مرض في افريقية جديد اسمه البالري La Baleri يشبه النوام اي مرض النوم وهو عبارة عن نقاعيات تصيب الحيوانات كالخيل والكلاب والحمير والقطط والخنازير فيصاب الحيوان بنزلة في انفه واذنه فيضعف في الحال . و يشتد هذا المرض بالقرب من الانهار بحيث لايتيسر تربية هذه الحيوانات الا على بعد خمسة عشر كيلو مترا عن المياه ولم يجدوا له حتى الآن دواء

سرعة البواخر

تتبارى كل من انكلترا والمانيا والولايات المتحدة في سرعة البواخر والبوارج التي تنشئها كل واحدة منهن بحيث يتساءل العارفون قائلين : اما لهذه المباراة في السرعة من حد نقف عنده . اما زيادة السرعة فلا تتأتى الا بزيادة القوة المحركة فان قطع اثني عشرة عقدة وحمل ستة عشر الف طن تقتضي قوة ٤٥٠٠ حصان وسرعة خمس عشرة عقدة تقتضي قوة ٨٧٠٠ حصان و ٣٠ عقدة يلزم لها ٣٠٠٠٠ و ٣٢ عقدة يقتضي لها ٢٥٠٠٠ وهكذا يزيد معدل الانفاق زيادة هائلة

آلة للكتابة

اخترع احدهم آلة سماها الستينوتيبا La sténotypie وهي تنقل الكلام بدون استعمال اشارات الاختزال المعروفة وهذه الطريقة تلغي عدة آلات اخترعت من هذا القبيل لنقل الكلام فيقرأ الانسان الكلام فيها بسرعة كأنه يقرأ املاء صحيحا او طبعا حجريا عاديا

خسائر مصر

فقدت مصر في الاشهر الثلاثة الاخيرة ثلاثة رجال كان لهم أثرهم في الخطابة والكتابة والتأثير وهم ابراهيم بك اللقاني ومصطفى باشا كامل وقاسم بك امين

زوجان معمران

احتفل في احدى قرى بلاد المجر بمرور مئة سنة على زواج رجل عمره الآن ١٢٦ سنة وامرأة عمرها ١١٦ سنة وقد بلغ عدد اولادهما واحفادهما واحفاد احفادهما ٧١٣ نفساً وهنأهما الامبراطور فرنسيس يوسف بعيدهما المئوي .

الكلاب والكلب

احصيت الكلاب في باريز وضاحيتها فكان عددها ١٦٣٣٥٢ كلباً اصيب بالكلب منها ٣٠ عضت ٣٠٨ اشخاص لم يمت منهم احد وبذلك ثبت ان العضات البشرية تشفى باقل سرعة مما تشفى عضة الكلاب .

اشجار اميركا

قدروا انه لا تمضي خمسون سنة حتى لا يبقى في اميركا الشمالية صقع مشجر لان المقطوع منها يربي على المغروس فمعدل النمو ٢٣ ونصف في المئة ومعدل النقص ٩٤ في المئة وبعد خمس وعشرين سنة يفنى الصنوبر الاصفر ذو الورق الطويل كل ذلك لما تقتضيه الصناعة هناك من الاخشاب .

الحمى التيفوئيدية

كان الاطباء يقولون ان اغلاء الماء قبل شربه خير واق من الحميات والاوبئة الا ان ابحاث اللجنة الصحية في نيويورك ادت الى ان الحمى التيفوئيدية فيها قد انتشرت في الناس بواسطة الذباب اذ ثبت ان ظهور الذباب يسبق انتشار هذه الحمى كل سنة بايام قلائل وثبت لديها ان هذا المرض الخبيث يكثر حيث يكثر الذباب في المستودعات الجوية الكبرى وعلى الارصفة ورأت بالمجهر (الميكروسكوب) على رجل كل ذبابة وفمها الوفاً من الجراثيم الخبيثة فاذا زارت ذبابة وجهك او طعامك ولو قليلاً تترك فيه اثراً لها وذكرى سيئة وتبقى جرثومة معدية تتبعها حمى مهلكة .

الجراد في افريقية

ذهب احد الانكليز في افريقية الجنوبية الى بعض الاماكن التي انتشر فيها الجراد انتشاراً هائلاً فعمي عليه طريقه ولم يعد يعرف اين يذهب وقد حسب الجراد الذي سقط على ساق شجيرة واحدة فكان خمسمائة جرادة فاذا انتشر الجراد في قطر بهذه الكثرة لا ينقضي نصف نهار حتى يجرد جميع غلاتها وثمراتها ويجعل حاصلاتها وخيراتها اثراً بعد عين .

مدرسة للامهات

أسس بعض اعيان الانكليز واطبائهم لجنة ناطوا بها تعليم الامهات الفقيرات اللاتي لم يسعدهن الحظ ان يتعلمن في صغرهن ما ينفعهن في كبرهن . والتعليم الذي يعلمنه تعليم عملي يلقى عليهن خطباً تدور على تربية الاطفال وحفظ الصحة وتدبير المنزل وتفصيل ثياب

ازواجهن بحيث تصلح ليلبسها ابناؤهن ثم ان الآباء يذهبون ايضاً الى تلك المدارس مرة في الاسبوع وتلقى عليهم دروس تنفعهم وتنفع ذويهم كالتي تلقى على ازواجهم وقد اسفرت هذه المدارس عن نفع عظيم في التربية وقلّت من الوفيات بين الاطفال ويفكر رجال الانكليز ان يكثروا من هذه المدارس في جميع اصقاع انكلترا

صحافة المانيا واميركا

بلغت الصحافة في المانيا ارقى درجات الارتقاء ففيها بحسب احصاء اخير ٨٦٦٨ جريدة ومجلة منها ٢٨٩٤ صحيفة تنشر باللغات الاجنبية واقدم جريدة في المانيا هي جريدة فرنكفورت أنشئت سنة ١٦١٥ وجريدة ماكوبورغ أنشئت سنة ١٦٢٦ . و يعجب المراقبون للحركة الاجتماعية اليوم من ارتقاء الصحافة الاسبوعية في الولايات المتحدة وهي الجرائد التي تصدر ايام الآحاد فان ما تطبعه كل واحدة منها يختلف من نصف مليون نسخة الى مليون وفي نيويورك وحدها من هذا الضرب من الجرائد ١٥ جريدة وفي فيلادلفيا ١١ ومثلها في شيكاغو وهي من احسن المجلات في الحقيقة لانها تصدر في مئة صفحة وتحتوي على اربعين صفحة اعلانات والباقي مواد علمية واقتصادية واجتماعية وسياسية وادبية وغيرها من كل ما يرقي العقل ويهدي السبيل

محاكم الاطفال

تألفت في بروسيا لجان لحماية الاطفال تقوم بوظيفة مستنطق وهي مؤلفة من اساتذة وقسس فاذا ارتكب طفل ذنباً تنظر في جرمه تحقق فيما اذا كان ارتكبه عن جهل او خبث فاذا رأته مسؤلا عما جنت يداه تحيله الى المحاكم واذا كان ارتكب ما ارتكب بدون تمييز ترسله الى الاصلاحية على ان حكومة المانيا تفكر في انشاء محاكم نظامية للاطفال

الالكحول والجرائم

ثبت لاحد قضاة فرنسا ان الجرائم تزيد في اكثر مقاطعاتها على نسبة ازدياد المشروبات الروحية وان معدل السن التي كانت ترتكب فيها الجرائم كان ثلاثين فاصبح اليوم عشرين سنة وان عدد الانتحار يزيد وان كثرة الجنون زادت زيادة هائلة فكان منذ خمسين سنة في فرنسا ٣٢ مختل الشعور في كل مئة الف ساكن فاصبح سنة ١٩٠٥ — ٤٤٣ بل بلغ في بعض المقاطعات ٣٣٤ والسبب في ذلك انه كان في فرنسا خمارة واحدة لكل ١١٣ ساكناً سنة ١٨٨٠ فاصبح فيها هذه السنة خمارة لكل ٧٨ شخصاً

المقتبس

الجزء الخامس من المجلد الثالث

جمادى الاولى سنة ١٣٢٦ موافق يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨

رسالة عبد الحميد الكاتب

في نصيحة ولي العهد

قال ابوالفضل احمد بن ابي طاهر في كتابه المنثور والمنظوم ومن الرسائل المفردات رسالة عبدالحميد بن يحيى الى عبدالله بن مروان حين وجه لمحاربة الضحاك الخارجي (١) في تعبية الحروب فانه يقال انها لا مثل لها في معناها : (٢)

(١) هو الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي كان له شأن في اواخر الدولة الأموية في الكوفة وواسط خرج سنة سبع وعشرين ومائة واستولى على الموصل وكورها قال ابن الاثير في حوادث سنة ثمان وعشرين ومائة وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشتغل بقتال اهلها فكتب الى ابنه عبدالله وهو خليفته بالجزيرة يأمره ان يسير الى نصيبين فيمن معه يمنع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار اليها في سبعة آلاف او ثمانية آلاف وسار الضحاك الى نصيبين فحصر عبدالله فيها وكان مع الضحاك ما يزيد على مائة الف ثم ان مروان سار الى الضحاك فالتقوا بنواحي كفرتوثا من اعمال ماردين فقاتله يومه اجمع فاحدقت بالضحاك واصحابه خيول مروان والحوا عليهم في القتال حتى قتلوهم . قلنا وكثرة ظهور الخوارج على الامويين في آخر امرهم دعت مروان الى ان يكتب الى ابنه بهذه الرسالة من انشاء كاتبه عبدالحميد والدهشة بادية على سطورها من امر الضحاك وجنده

(٢) نشرنا هذه الرسالة على ما فيها من التحريف حرصاً على فوائدها الظاهرة محافظين

اما بعد فان امير المؤمنين عند ما اعتزم عليه من توجيهك الى عدو الله الجلف الجافي الأعرابي المتسكع في حيرة الجهالة وظلم الفتنة ومهاوي الهلكة ورعاعه الذين عاثوا في الارض فسادا وانتهكوا حرمه استخفافا وبدلوا نعم الله كفرا واستحلوا دماء اهل سلمه جهلا احب ان يعهد اليك في لطائف امورك وعوام شؤونك ودخائل احوالك ومضطر تنقلك عهداً يحملك فيه ادبه ويشرع لك عظته وان كنت والحمد لله من دين الله وخلافته بحيث اصطنعك الله لولاية العهد مختصاً لك بذلك دون لحمتك وبني ابيك

ولولا ما امر الله به دالا عليه بتقدمة المعرفة لمن كانوا اولي سابقة في (الدين) وخصيصي(١) في العلم لاعتمد امير المؤمنين منك على اصطناع الله اياك بما يراك اهله في محلك من امير المؤمنين وسبقك الى رغائب اخلاقه وانتزاعك محمود شيمه واستيلائك على تشابه تدبيره .

ولو كان المؤدبون اخذوا العلم من عند انفسهم ولُقنوه الهاما من تلقائهم ولم يتعلموا شيئاً من عند غيرهم لنحلناهم علم الغيب ووضعناهم بمنزلة خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته وفردانيته في الاهيته واحتجاجاً (؟) منهم لتعقب في حكمه وتثبت في سلطانه وتنفيذ ارادته على سابق مشيئته ولكن العالم الموفق للخير المخصوص بالفضل المحبوّ بمزية العلم ادركه معاداً عليه بلطيف بحثه واذلال كنفه وصحة فهمه وهجر سآمته .

وقد تقدم امير المؤمنين اليك اخذاً بالحجة عليك مؤدبا حق الله الواجب عليه في ارشادك وقضاء حقك وما ينظر الوالد المعنيّ الشفيق لولده . وامير المؤمنين يرجو ان ينزهك الله عن كل شيء قبيح يهش له طمع وان يعصمك من كل مكروه حاق باحد وان يحصنك من كل آفة استولت على امريء في دين او خلق وان يبلغه فيك احسن ما لم يزل يعوده ويريه من آثار نعمة سامية بك الى ذروة الشرف ومنجحة لك بسطة الكرم لائحة بك في ازهر معالي الادب . والله استخلف عليك واسأله حياطتك وان يعصمك من زيغ الهوى ويحضرك دواعي التوفيق معاناً على الارشاد فيه فانه لا يعين على الخير ولا يوفق له الا هو اعلم ان للحكمة مسالك تفضي مضايق اوائلها بمن أمها سالكاً وركب خبارها قاصداً

على عباراتها ولم نصحح منها الا ما كان من قبيل الاشياء الظاهرة وابقينا سائرها على ما وجدناه فعسى ان يعثر احد على نسخة اخرى فيصحح ما تعذر علينا تصحيحه وقد اشرنا الى محالّ الاشكال منها بعلامة استفهام وفسرنا المبهم من الفاظها

(١) يقال خصه بالشيء خصاً وخصوصاً وخصوصية وخصيصي (بالفتح والقصر ويمد) وخصية وتخصة فضله ولا نظير لها الا المكيثى

الى سعة عاقبتها وأمن سرحها وشرف عزها وانها لا تعاف بسخف الخفة ولا تنسى بتفريط الغفلة ولا يتعدى فيها بامن حد(؟)·وقد تلقتك اخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها من غير تعب البحث في ادراكها ولا متطاول المنال لذروتها بل تأثلت (١) منها اكرم معانيها واستخلصت منها اعتق جواهرها ثم سمرت الى لباب مصاصها واحرزت منفس (٢) ذخائرها فاقدمها احرزت وتنافس فيما اصبت ·

واعلم ان احتواءك على ذلك وسبقك اليه باخلاص تقوى الله في جميع امورك مؤثرًا لها واصطبارك على طاعته واعظام ما انعم به عليك شاكرًا لها مرتبطًا للمزيد بحسن الخياطة له والذب عنه ان تدخلك منه سآمة ملال او غفلة او ضياع او سنة تهاون او جهالة معرفة فان ذلك احق ما بدئ به ونظر فيه معتمدًا عليه من القوة والآلة والانفراد من الاصحاب والحامة (٣) فتمسك به لاجئًا اليه واعتمد عليه مؤثرًا له والتجئ الى كنفه متحرزًا به انه ابلغ ما طلب به رضا الله وانجحه مسألة واجزله ثوابًا واعوده سعيًا واعمه صلاحًا وارشدك الله لحظك وفهمك سداده واخذ بقلبك الى محموده ·

ثم اجعل لله في كل صباح بنعم عليك يبلوغه و يظهر منك السلامة في اشراقه من نفسك نصيبًا تجعله لله شكرًا على ابلاغه اياك يومك ذلك بصحة وعافية بدن وسبوغ نعم وظهور كرامة وان تقرأ من كتاب الله عز وجل جزءًا تردد رأيك في ادبه وتزين لفظك بقراءته ويحضره عقلك ناظرًا في محكمه وتفهمه متفكرًا في متشابهه فان فيه شفاء القلوب من امراضها وجلاء وساوس الشيطان وسفاسفه وضياء معالم النور تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون · ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك فانه مغلاق الحسنات ومفتاح السيئات

واعلم ان كل اعدائك لك عدو يحاول هلكتك و يعترض غفلتك لانها خدع ابليس وحبائل مكره ومصائد مكيدته فاحذرها مجانبًا وتوقها محترسًا منها واستعذ بالله من شرها وجاهدها اذا تناصرت (٤) عليك بعزم صادق لا ونية فيه وحزم نافذ لا مثنوية (٥) لرأيك بعد اصداره عليك وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ومضاءة صارمة لا اناة معها ونية صحيحة لا خلجة (٦) شك فيها فان ذلك ظهري (٧) صدق لك على ردها عنك وقطعها دون ما تتطلع اليه منك وهي واقية لك مخطة ربك داعية لك رضا العامة ساترة عليك عيب من دونك فازدن به ملتحفًا واصب باخلاقك مواضعها الحميدة منها وتوق عليها التي تقطعك عن

---

(١) اكتسبت وجمعت (٢) شيء نفيس ومنفوس ومنفس كمخرج اذا كان يتنافس فيه (٣) الاقارب (٤) تناصرت الاخبار صدق بعضها بعضًا (٥) استثناء (٦) اضطراب (٧) الظهري ما يجعله المرء عدة له عند مس الحاجة اليه

بلوغها وتقصر بك عن ساميها فحاول بلوغ غايته محرزاً لها بسبق الطلب الى اصابة الموضع محصناً لاعمالك من العجب فانه رأس الهوى واول الغواية ومقاد الهلكة حارساً اخلاقك من الآفات المتصلة بمساويء العادات وذميم ايثارها من حيث اتت الغفلة وانتشر الضياع ودخل الوهن فتوقَّ الآفات على عقلك فان شواهد الحق ستظهر بامارتها تصديق رأيك عند ذوي النهى وحال الرأي وتخص النظر . فاجتلب لنفسك محمود الذكر وباقي لسان الصدق بالحذر لما تقدم اليك فيه امير المؤمنين متحرزاً من دخول الآفات عليك من حيث امنك وقلة ثقتك بمحكمها .

ومنها ان تملك امورك بالقصد وتصون سرك بالكتمان وتداري جندك بالانصاف وتذلل نفسك للعدل وتحصن عيوبك بتقويم اودك . واناتك فوّقها الملال وفوت العمل ومصابك فدرعها (٢) رؤية النظر واكنفها بأناة الحلم وخلواتك فاحرسها من الغفلة واعتياد الراحة وصمتك فانف عنه عيّ اللفظ وخف فيه سوء القالة (١) واستماعك فأرعه (٢) حسن التفهم وقوّه باشهاد الفكر . وعطاءك فانهد له (٣) بيوتات الشرف وذوي الحسب وتحرز فيه من السرف . وحياءك فامنعه من الخجل وحلمك فزعه عن التهاون وأحضره قوة الشكيمة (٤) وعقوبتك فقصر بها عن الافراط واعمد بها اهل الاستحقاق وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق وخذ به واجب المفترض واقم به أود الدين . واستئناسك فامنع منه البذاءة وسوء المنافثة وتعهدك امورك فخذه اوقاتاً وقدّره ساعات لا يستفرغ قوتك ويستدعي سآمتك . وعزمتك فانف عنها عجلة الرأي ولجاجة الاقدام . وفرحاتك فاشكمها عن البطر وقيدها عن الزهو . وروعاتك فحطها من دهش الرأي واستسلام الخضوع وحذارتك (فاصرفها) عن الجبن واعمد بها للعزم ورجاءك فقيده بخوف الفائت وامنعه من أمن الطلب

هذه جوامع دخائل النقص منها واصل الى العقل بلطائف الله وتصاريف حوله فأحكمها عارفاً وتقدم في الحفظ لها معتزماً على الاخذ براشدها والانتهاء منها الى حيث بلغت بك عظة امير المؤمنين وادبه ان شاء الله

ثم ليكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ودخلاؤك في سرك اهل الفقه والورع من اهل بيتك وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بتصاريف الامور وخبطته فصالها بين قرائن البزل (٥) وقلبته الامور في فنونها وركب اطوارها عارفاً بمحاسن الامور ومواضع الرأي مأمون النصيحة مطويّ الضمير على الطاعة

---

(١) يطلق القول في الخير والقال والقيل والقالة في الشر (٢) يقال ارعني سمعك وراعني سمعك استمع لمقالي (٣) نهد المدية عظمها واضخمها (٤) الشكيمة قوة القلب (٥) البازل في الاصل البعير اذا ظهر نابه ومن المجاز البازل للرجل الكامل في تجربته تشبيهاً بالبعير البازل

ثم أحضرهم من نفسك وقاراً تستدعي منهم بك الهيبة واستئناساً يعطف اليك منهم بالمودة وانصافاً يفل اقاصيهم منك عما نكره ان ينتشر عنك من مخافة الرأي ويقطعك دون الفكر ·

واعلم ان خلوت بسر فالقيت دونه ستورك وأغلقت عليه ابوابك فذلك لامحالة مكشوف للعامة ظاهر عنك وان استترت بما ولعل وما أرى اذاعة ذلك · واعلم بما يرون من حالات من يُنقطع به في تلك المواطن فتقدم في احكام ذلك من نفسك وسد خلله عنك فانه ليس احد اسرع اليه سوء القالة ولفظ العامة بخير او شر ممن كان في مثل حالك ومكانك الذي اصبحت به من دين الله والامل المرجوّ المنتظر · واياك ان يغمز (١) فيك احد من عامتك وبطانة خدمك بضعفة يجد بها مساغاً الى النطق عندك بما لا يعتزلك عيبه ولا تخلو من لائمته ولا تأمن سوء القالة فيه ان نجم ظاهراً وعلن بادياً ولن يجترؤا على تلك عندك الا ان يروا منك اصغاء اليها وقبولا لها وترخيصاً بها

ثم اياك ان يفاض عندك بشيء من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي يستخف بها اهل البطالة ويتسرع نحوها ذوو الجهالة ويجد فيها اهل الحسد مقالا لعيب يرفعونه ولطعن في حق يجحدونه مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض وهدم الشرف وتأثيل الغفلة وقوة طباع السوء الكامنة في بني آدم كمون النار في الحجر الصلد فاذا قدح لاح شرره ولهب في وميضه ووقد تضرمه · وليست في احد اقوى سطوة واظهر توقداً واعلى كموناً واسرع اليه بالعيب منها الى من كان في سنك من أغفال الرجال وذوي العنفوان في الحداثة الذين لم يقع عليهم سمات الامور ناطقاً عليهم لانحيا ظاهراً عليهم وسمها ولم تحضهم شهامتها مظهرة للعامة فضلهم مذيعة حسن الذكر عنهم ولم يبلغ بهم الصمت في الحركة مستمعات (؟) يدفعون به عن انفسهم نواطق السن اهل البغي ومواد ابصار اهل الحسد ·

ثم تعهد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من اهل السلطان والقدرة من اقطار (؟) الذرع ونخوة التيه فانها تسرع بهم الى فساد رأيهم وتهجين عقولهم في مواطن جمة منها قلة اقتدارهم على ضبط انفسهم في مواكبهم ومسايرتهم العامة · فمن مقلقل شخصه يكثر الالتفات تزدهيه الخفة ويبطره اجلاب (٢) الرجال حوله · ومن مقبل في موكبه على

(١) اغمز في فلان اذا عابه واستضعفه وصغر شأنه والجمع بزل كركع وكتب

(٢) الجلب اختلاط الاصوات كالجلبة واجلبوا وجلبوا فعلان من الجلب بمعنى الصياح وجماعة الناس

مداعبة مسايره بالمصاحبة له والتضاحك اليه والايجاف في السير مهمرجاً (١) وتحريك الجوارح مستسرعاً يخال له ان ذلك اسرع له واخف لمطيته فتحسن في ذلك هيئتك وتجمل فيه رعيتك وليقل على مسائلك اقبالك الا وانت مطرق النظر غير ملتفت الى محدث ولا مقبل عليه بوجهك في موكبك لمحادثته ولا تخف في السير تقاقل جوارحك بالتحريك . فان حسن مسايرة الوالي وابتداعه في تلك من حاله دليل على كثير من غيوب امره ومستتر احواله

واعلم ان اقواماً سيسرعون اليك بالسعاية و يأتونك من قبل النصيحة و يستميلونك باظهار الشفقة و يستدعونك بالاغراء والشبهة و يوطئونك عشوة (٢) الحيرة ليجعلوك لهم ذريعة الى استئكال (٣) العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة او اسرعوا بك في امره الى الظنة فلا يصلن الى مشافهتك ساع بشبهة ولا معروف بتهمة ولا منسوب الى بدعة فيعرضك لابتداع في دينك ويحملك على رعيتك ما لا حقيقة فيه ويحملك على اعراض قوم لاعلم لك بدخلهم الا بما اقدم به عليهم ساعياً واظهر لك منهم متنصحاً .

وليكن صاحب شرطك ومن احببت ان يتولى ذلك من قوادك اليه انتهاء ذلك وهو المنصوب لاولئك والمستمع لاقاويلهم والفاحص عن نصائحهم ثم لينه ذلك اليك على ما يرتفع اليه منه لتأمره بامرك فيه وتقفه (٤) على رأيك من غير ان يظهر ذلك للعامة فان كان صواباً نالتك حظوته وان كان خطأ اقدم به جاهل او فرطة يسعى بها كاذب فنالت الباغي منها او المظلوم عقوبة و بدر من واليك اليه نكال لم يعصب (٥) ذلك الخطأ بك ولم تنسب الى تفريطه وخلوت من موضع الذم فيه

فافهم ذلك وتقدم الى من تولى فلا يقدم على شيء ناظراً فيه ولا يحاول اخذ احد طارقاً له ولا يعاقب احداً منكلاً به ولا يخل سبيل احد صالحاً عنه لاظهار براءته وصحة طريقته حتى يرفع اليك امره و ينهي اليك قضيته على جهة الصدق ومنحى الحق .

فان رأيت عليه سبيلاً لحبس او تجاوزاً لعقوبة امرته فتولى ذلك من غير ادخال له

(١) المهمرجة الخفة والسرعة ولغط الناس والاختلاط في المشي والهملجة سير الدابة في سرعة وبختره (٢) العشوة الظلمة كالعشواء وركب فلان العشواء اذا خبط في امره (٣) من قولهم استأكل الضعفاء اذا اخذ اموالهم (٤) وقف يتعدى بنفسه قال تعالى وقفوهم انهم مسؤلون اما وقفته توقيفاً واوقفته ايقافاً فقد انكره الجمهور وقالوا انهما غير مسموعين او غير فصيحين (٥) يعصب يقرن

عليك ولا مشافهة منك له فكان المتولي لذلك ولم يجرِ على يدك مكروه ولا تغلظ عقوبة وان وجدت الى العفو عنه سبيلاً وكان مما قرف به خلياً كنت انت المتولي للانعام عليه بتخلية سبيله والصفح عنه باطلاق اسره فتوليت أجر ذلك وذخره ونطق لسانه بشكرك فقرنت خصلتين ثواب الله في الآخرة ومحمود الذكر في العاجلة ·

ثم اياك وان يصل اليك احد من جندك وجلسائك وخاصتك وبطانتك بمسألة يكشفها لك اوحاجة يبدهك (١) بطلبها حتى يرفعها قبلُ الى كاتبك الذي اهدفته لذلك ونصبته له فيعرضها عليك مُنهياً لها على جهة صدقها ويكون على معرفة من قدرهافان اردت اسعافه ونجاح ما سئل منها اذنت له في طلبها باسطاً له كنفك مقبلاً عليه بوجهك مع ظهور سرور منك بما سألك بفسحة رأي وبسطة ذرع وطيب نفس · وان كرهت قضاء حاجته واحببت رده عن طَلبته (٢) وثقل عليك اسعافه بها امرت كاتبك فصحه عنها ومنعه من مواجهتك بها تخفت عليك في ذلك المؤونة وحسن لك الذكر وحمل على كاتبك لائمة انت منها بريء الساحة ·

وكذلك فليكن رأيك وامرك فيمن طرأ عليك من الوفود واتاك من الرسل فلا يصلن اليك احدٌ منهم الا بعد وصول علمه اليك وعلم ما قدم له عليك وجهة ما هو مكلمك وقدر ما هو سائلك اياه اذا هو وصل اليك فاصدرت رأيك في جوابه واجلت فكرك في امره وانفذت مصدر رويتك في مرجوع مسألته قبل ما دخوله عليك وعلمه بوصول حاله اليك وفعت عنه مؤونة البديهة وارخيت عن نفسك خناق الروية فاقدمه على رد جوابه بعد النظر والفكرة فان دخل عليك احد منهم فكلمك بخلاف ما انهى الى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك دفعته عنك دفعاً جميلاً ومنعته جوابك منعاً ودفعاً ثم امرت حاجبك باظهار الجفوة له والغلظة ومنعه من الوصول اليك فان ضبطك ذلك مما يحكم لك تلك الاشياء صارفاً عنك مؤونتها ان شاء الله ·

احذر تضييع رأيك واهمال ادبك في مسالك الرضا والغضب واعتوارهما اياك فلا يزدهينك افراط عجب تستخفك روائعه ويستهويك منظره ولا يبدرن منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه وان حل بك او حادث وان طرأ عليك · وليكن لك من نفسك ظهري ملجإ تحرز به من آفات الردى وتستعهده (٣) في مهم نازل وتتعقب به امورك في التدبير فان احتجت الى مادة من عقلك وروية من فكرك او انبساط من منطقك كان انحيازك الى ظهريك

(١) بدهه بالامر استقبله به مفاجأة (٢) الطلبة بكسر اللام ما طلبته (٣) استعهد فلاناً من نفسه ضمنه حوادث نفسه

مزداداً مما احببت الامتيار منه وان استدبرت من امورك بوادر لجهل او مفي زلل او معاندة حق او خطإ تدبير كان ما احتجنت من رأيك عذراً لك عند نفسك وظهري قوة على ردّ ما كرهت وتخفيفاً لمؤونة الباغين عليك في القالة وانتشار الذكر وحصناً من غلوب الآفات على اخلاقك ان شاء الله .

وامنع اهل بطانتك وخاص خدمك وعامة رعيتك من استلحام (١) اعراض الناس عندك بالغيبة والتقرب اليك بالسعاية والاغراء من بعض ببعض والنميمة اليك بشيء من احوالهم المستترة عنك او التحميل لك على احد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة . فانه ابلغ سمواً الى منال الشرف واعون لك على محمود الذكر واطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير .

واملك نفسك عن الانبساط في الضحك والانفهاق (٢) وعن القطوب باظهار الغضب وتحله فان ذلك ضعف من سورة الجهل وخروج من انتحال اسم الفضل .

وليكن ضحكك تبسماً او كبراً (؟) في احايين ذلك واوقاته وعند كل مرأى ملهي ومستخف مطرب وقطوبك اطراقاً في موضع ذلك واحواله بلا عجلة الى السطوة ولا اسراع الى الطيرة دون ان يكتنفها روية الحلم وتملك عليها بادرة الجهل .

اذا كنت في مجلس ملإك وحضور العامة مجلسك فاياك والرمي ببصرك الى خاص من قوادك او ذي أثرة من حشمك . وليكن نظرك مقسوماً في الجميع واعارتك سمعك ذا الحديث بدعة وادائه ووقار حسن وحضور فهم مستجمع وقلة تضجر بالحدث ثم لا يبرح وجهك الى بعض قوادك وحرسك متوجهاً بنظر ركين وتفقد محض فان وجه احد منهم نظره محدثاً او رماك ببصره ملحاً فاخفض عنه اطراقا جميلا بابداع وسكون . واياك والتسرع في الاطراق والخفة في تصاريف النظر والالحاح على من قصد اليك في مخاطبته اياك رامقاً بنظره

واعلم ان تصفحك وجوه قوادك من قوة التدبير وشهامة القلب فتفقد ذلك عارفا بمن حضرك وغاب عنك عالماً بمواضعهم من مجلسك ثم اعدُ بهم عن ذلك سائلا عن اشغالهم التي منعتهم من حضورك وعاقتهم بالتخلف عنك ان شاء الله

ان كان احد من اعوانك وحشمك تثق منه بغيب ضميره وتعرف منه لين طاعة وتشرف منه على صحة رأي وتأمنه على مشورتك فاياك والاقبال عليه في حادث يرد او التوجه نحوه

---

(١) استلحم الطريق اذا تبعه ولزمه واستلحمه الخطب اذا نشب فيه (٢) الانفهاق في الشيء التوسع فيه

بنظرك عند طوارق ذلك او ان تريه او احداً من اهل مجلسك ان بك اليه حاجة موحشة وان ليس بك عنه غنىً في التدبير او انك لا تقضي دونه رأياً اشراكاً له في رؤيتك وادخالا له في مشورتك واضطراراً الى رأيه فان ذلك من دخائل العيوب المنتشر بها سوء القالة عن نظرائك واتقها عن نفسك خائفاً لاغفالها ذكرك واحجبها عن رؤيتك قاطعاً اطماع اولئك عن مثلها عندك او غلبتهم عليك منك

واعلم ان للمشورة موضع الخلا وانفراد النظر فابغها محرزاً لها ورمها طالبا لبيانها واياك والقصور عن غايتها والافراط في طلبها

احذر الاعتزام بكثرة السؤال عن حديث اما اعجبك او امر اما ازدهاك والقطع لحديث من ارادك بحديثه حتى تنقضه عليه بالاخذ في غيره او المسألة عما ليس منه فان ذلك عند العامة منسوب الى سوء الفهم وقصر الادب عن تناول محاسن الامور والمعرفة لمساوئها وانصت لمحدثك وأرعه سمعك حتى يعلم انك قد فهمت عنه واحطت معرفة بقوله فان اردت اجابته فعن معرفة حاله وبعد علم بطلبته والا كنت عند انقضاء كلامه كالمتعلل من حديثه بالتبسم والاغضاء فاجرى عنك الجواب وقطع عنك السن العتب

اياك وان يظهر منك تبرم بمجالسك وتضجر بمن حضرك وعليك بالتبثت عند سورة الغضب وحمية الأنف وملال الصبر في الامر تستعجل به والعمل تأمر بانفاذه فان ذلك سخف سائر وخفة مردية وجهالة بادية . وعليك بثبوت المنطق ووقار المجلس وسكون الريح والرفض لحشو الكلام وترديد فضوله والاعتزام بالزيادات في منطقك والترديد للفظك من نحو اسمع او اعجل او ألا ترى او ما يلهج به من هذه الفصول المقصرة باهل العقل المنسوبة اليهم بالعي المردية لهم في الذكر . وخصال من معايب الملوك والسوقة عيبها (؟) عند النظر الا من عرفها من اهل الادب وقلما حامل لها مضطلع بثقلها اخذ لنفسه بجوامعها فاتقها عن نفسك بالتحفظ منها واملك عنها اعتقادك معنياً بها (؟) كثرة التنخم والتبزق والتنحنح والتثاؤب والجشاء والتمطي وتنقيض الاصابع وتحريكها والعبث باللحية والشارب والمخصرة وذؤابة السيف والايماض بالنظر والاشارة بالطرف الى احد من خدمك بأمر اردته والسرار في مجلسك والاستعجال في طعمك وشربك

ليكن مطعمك مبتدعا (١) وشربك انفاسا وجرعك مصاواياك والتسرع في الأيمان فيما صغر او كبر من الامور او الشتيمة بابن الهيبة او العمرية (؟) لاحد من خدمك وخاصتك بتسويغهم مفارقة الفسوق بحضرك او في دارك و بنائك فان ذلك مما يقبح ذكره و يسوء موقع

---

(١) ابدع الشيء انشأه واخترعه والمراد بالطعام المبتدع الحديث

القول فيه ويحمل عليك معايبه ويناك شينه وينشر عنك سوء نبإه فاعرف ذلك متوقياله واحذره مجانبا لسوء عاقبته

استكثر من فوائد الخير فانها تنشر المحمدة وتقيل العثرة · واصطبر على الغيظ فانه يورث العز ويؤمن الساحة · وتعهد العامة بمعرفة دخلهم وبتظر احوالهم واستثارة دفائنهم حتى يكون على مرأى العين ويقين الخبرة فتنعش عديمهم وتجبر كسيرهم وتقيم أودهم وتعلم جاهلهم وتستصلح فاسدهم فان ذلك من فعلك يورثك العزة ويقدمك في الفضل ويبقي لك لسان صدق في العامة ويحرز لك ثواب الآخرة ويرد عليك عواطفهم المستنفرة وقلوبهم المستجنة عنك · (وميز) بين منازل اهل الفضل في الدين والحجى والرأي والعقل والتدبير والصيت في العامة وبين منازل اهل النقص في طبقات الفضل واحواله والجود عنه ثناها(؟) باهل الحسب والنظر نصيحة لهم تنال مودة الجميع وتستجمع لك اقاويل العامة على التفضيل وتبلغ درج الشرف في الاحوال المتصرفة بك فاعتمد عليهم مستدخلا لهم وآثرهم بمجالستك مستهماً منهم واياك وتضييعهم مفرطاً لهم واهمالهم مضيعاً

هذه جوامع من خصال قد لخصها لك امير المؤمنين وجمع شواهدها مؤلفا واهداها لك مراشد تقف عند اوامرها وتنتهي عند زواجرها وتثبت في مجامعها وتخذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى وتنل انفس الحظوظ ومزية الشرف واعلى درج الذكر والله يسأل لك امير المؤمنين حسن الارشاد وتتابع المزيد وبلوغ الامل وان يجعل عاقبة ذلك بك الى غبطة يسوّغك اياها وعافية يحلك اكنافها ونعمة يلهمك شكرها فانه الموفق للخير والمعين على الارشاد وبه تمام الصالحات وهو مؤتي الحسنات عنده مفاتح الخير وبيده الملك وهو على كل شيء قدير

فاذا افضيت نحو عدوك واعتزمت على لقائهم واخذت اهبة قتالهم فاجعل دعامتك التي تلجأ اليها وثقتك التي تأمل النجاة بها وركنك الذي ترتجي به منال الظفر وتكتهف (١) به لمغالق الحذر تقوى الله عز وجل مستشعراً له بمراقبته والاعتصام بطاعته متبعاً لامره والاجتناب لمساخطه محتذياً سننه والتوقي لمعاصيه في تعطيل حدوده وتعدي شرائعه متوكلا عليه فيما صمدت (٢) له واثقاً بنصره فيما وجهت نحوه متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر وتلقاك من عز راغباً فيما أهاب (٣) بك امير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك اليه محمود الصبر عند الله عز وجل من قتال عدو الله للمسلمين اكليهم عليهم

(١) اكتهف وتكهف لزم الكهف والكهف المغارة والوزر والملجأ (٢) صمد الامر قصده معتمداً عليه (٣) اهاب بصاحبه دعاه

واظهرهم تداوة لهم وافدحهم ثقلاً لعاتهم واخذة بربقهم (١) واعلاه عليهم بغياً واظهره فيهم فسقاً وجوراً واشده على فيئهم الذي اصاره الله لهم موؤنة

ثم خذ من معك من تبعك وجندك بكف معرّتهم ورد مستعلي جورهم واحكام خللهم وضم منتشر قواصيهم ولمّ شعث اطرافهم وخذهم بن مروا به من اهل ذمتك وملتك بحسن السيرة (وعفة) الطعمة ودعة الوقار وهدي الدعة وجمام (٢) (النفس) محكماً ذلك منهم متنقداً لهم فيه تنقدك اياه من نفسك

ثم اصمد بعدوك المتسمي بالاسلام خارجاً من جماعة اهله المنتحل ولاية الدين مستحلاً لدماء اوليائه طاعناً عليهم راغباً عن سنتهم مفارقاً لشرائعهم يبغيهم الغوائل وينصب لهم المكايد اضرم حقداً عليهم وارصد عداوة لهم من الترك وام الشرك وطواغي الملل يدعو الى المعصية والفرقة والمروق من الدين الى الفتنة مخترعاً بهواه الى الاديان المنتحلة والبدع المتفرقة خساراً وتخسيراً وضلالاً واضلالاً بغير هدى من الله ولا بيان ساء ما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد وبئس ما سولت له نفسه الامارة بالسوء والله من ورائه بالمرصاد وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

حض جندك واشكم نفسك في مجاهدة اعداء الله وارج نصره وتنجز موعده متقدماً في طلب ثوابه على جهادهم معتزماً في ابتغاء الوسيلة اليه على لقائهم فان طاعتك اياه فيهم ومراقبتك له ورجاءك لنصره مسهل لك وعوده وعاصمك من كل سيئة ومنجيك من كل هوّة وناعشك من كل صرعة ومقيلك من كل كبوة ودارئ عنك كل شبهة ومذهب عنك لطخة كل شك ومقويك بكل أيد (٣) ومكيدة ومؤيدك في كل مجمع لقاء وحافظك من كل شبهة مردية والله وليك وولي امير المؤمنين فيك

اعلم ان الظفر ظفران احدهما اعم منفعة وابلغ في حسن الذكر قالة واحوطه سلامة واتمه عافية واعوده عاقبة واحسن في الامور مورداً واصحه في الرواية حزماً واسهله عند العامة مصدراً ما نيل بسلامة الجنود وحسن الحيلة ولطف المكيدة ويمن النقيبة (٤) بغير اخطار (٥) الجيوش في وقدة جمرة الحرب ومنازلة الفرسان في معترك الموت وان ساعدك (الحظ) ونالك مزية السعادة في الشرف في مخاطرة التلف ومكروه المصائب وعضاض السيوف وألم الجراح وقصاص الحروب ومجالها بمعاورة (٦) ابطالها على انك لا تدري لاي

---

(١) الربقة حبل يوضع في العنق وجمعه ربق (٢) الجمام كسحاب الراحة (٣) الايد القوة (٤) النقيبة النفس يقال انه ميمون النقيبة منجح الفعال مظفر المطالب (٥) اخطر جعله في خطر (٦) يقال تعاور القوم فلاناً اذا تعاونوا عليه بالضرب واحداً بعد واحد

الفريقين الظفر في البديهة من المغلوب في الدولة ولعلك ان تكون المطلوب بالتمحيص فحاول ابلغهما في سلامة جندك ورعيتك واشهرها ... في باديء رأيك واجمعهما لا لفة وليك وعدوك واعونهما على صلاح رعيتك واهل ملتك واقواها في حربك وابعدها من وصم عزمك واجزلها ثواباً عندك . وابدأ بالاعذار والدعاء لهم الى مراجعة الطاعة وامر الجماعة وعرى الالفة آخذاً بالحجة عليهم متقدماً بالانذار لهم باسطاً امانك لمن لجأ اليه منهم داعياً لهم اليه باللين لطفك والطف حيلتك متعطفاً عليهم برأفتك مترفقاً بهم في دعائك مشفقاً عليهم من غلبة الغواية لهم واحاطة الهلكة بهم منفذاً رسلك اليهم بعد الانذار تعدهم كل رغبة يهش اليها طمعهم في موافقة الحق وبسط كل امان سألوه لانفسهم ومن معهم ومن تبعهم موطناً نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بوعدك والصبر على ما اعطيتهم من وثائق عهدك قابلاً توبة نازعهم (١) عن الضلالة ومراجعة مسيئهم الى الطاعة مرصداً للمنحاز الى فئة المسلمين وجماعتهم اجابة الى ما دعوتهم اليه وبصرته من حقك وطاعتك بفضل المنزلة واكرام المثوى وتشريف الحال ليظهر من اثرك عليه واحسانك اليه مايرغب في مثله لصارف عنك المصرّ على خلافك ومعصيتك ويدعو الى الاعتلاق بحبل النجاة وما هو املك به في الاعتصام به عاجلاً وانجى له من العقاب آجلاً واحوط على دينه ومهجته بدءاً وعاقبة فان ذلك مما يستدعي نصر الله عز وجل به عليهم وتعتصم به في تقدمة الحجة اليهم معذراً ومنذراً ان شاء الله .

ثم اذك عيونك (٢) على عدوك متطلعاً لعلم احوالهم التي ينتقلون فيها ومنازلهم التي هم بها ومطامعهم التي مدوا بها اعناقهم نحوها . واي الامور ادعى لهم الى الصلح واقودها لهم الى العافية ومن اي الوجوه ما اتاهم من قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والارهاب والابعاد والترغيب والاطماع مستأنياً في امرك متخيراً في رويتك متمكناً من رأيك مستشيراً لذوي النصيحة الذين قد حنكتهم التجربة ونجذتهم (٣) الحروب متسرباً في حربك آخذاً بالحزم في سوء الظن معداً للحذر محترساً من الغرة كأنك منزل كله ومنازلك جمع مواقف لعدوك رأي عين تنظر حملاتهم وتخوف غاراتهم معداً اقوى مكيدتك واجد تشميرك وارهب عتادك معظماً لامر عدوك لاكثرها ... بفرط تبعة له (؟) من الاحتراس عظيماً من المكيدة قوياً من غير ان يفثأك (٤) عن احكام امورك وتدبير رأيك واصدار رويتك والتأهب لحربك مضغ له بعد استشعار الحذر واطمئنان الحزم واعمال الروية واعداد الأهبة

---

(١) المنتهي عن الضلالة (٢) العين الجاسوس واذكها ايقظها (٣) نجذته التجارب احكمته (٤) يسكنك

فان لقيت عدوك كليل الحد وتم النجوم نضيض الوفر (؟) لم يضررك ما اعددت له من قوة واخذت به من حزم ولم يزدك ذلك الا جرأة عليه وتسرعاً الى لقائه وان الفيته متوقدالجمر مستكشف التبع قويّ الجمع مستعلي سورة الجهل معه من اعوان الفتنة وتبع ابليس من يوقد لهب الفتنة مسعرًا ويتقدم الى لقاء ابطالها متسرعاً كنت لاخذك بالحزم واستعدادك بالقوة غير مهين الجند ولا مفرط في الرأي ولا متلهف على اضاعة تدبير ولا محتاج الى الاعداد وعجلة التأهب مبادرة تدهشك وخوفاً يقلقك ومتى تعزم على ترقيق التوقير وتأخذ بالهوينا في امر عدوك لتصغر المصغرين ينتشر عليك رأيك ويكون فيه انتقاض(١)امرك ووهن تدبيرك واهمال الحزم في جندك وتضييع لهوهو ممكن الاصحار رحب المطلب قوي العصمة فسيح المضطرب مع ما يدخل رعيتك من الاغترار والغفلة عن احكام اسرارهم وضبط مراكزهم لما يرون من استنامتك الى الغرة وركونك الى الامن وتهاونك بالتدبير فيعود ذلك عليك في انتشار الاطراف وضياع الاحكام ودخول الوهن بما لا يستقال محذوره ولا يدفع مخوفه ·

احفظ من عيونك وجواسيسك ماياتونك به من اخبار عدوك واياك ومعاقبة احد منهم على خبر ان اتاك به اتهمته فيه او سوّت ظنًا عليه واتاك غيره بخلافه وان تكذبه فيه وترده عليه ولعله ان يكون من محضك النصيحة وصدقك الخبر وكذبك الاول اوخرج جاسوسك الاول متقدمًا قبل وصول هذا من عند عدوك · ولقد ابرموا امرا وحاولوا لك مكيدة وازدادوا منك غرة وان دفعوا اليك في الامر ثم انتقض بهم رأيهم واختلف عنه جماعتهم فاوردوا رأيًا واحدثوا مكيدة واظهروا قوة وضربوا موعدًا وأموا مسلكا لمدد اتاهم او قوة حدثت لهم او بصيرة في ضلالة شغلتهم فالاحوال منتقلة بهم في الساعات وطوارق الحادثات ولكن البسهم (٢) جميعًا على الانتصاح وأرجح لهم المطامع فانك لم تستعبدهم بمثله · وعدم جزالة المثاوب في غير ما استنامة منك الى امر عدوك والاغترار بما لم يأتوك به دون ان تعمل رويتك في الاخذ بالحزم والاستكثار من العدة واجعلهم اوثق من يقدر عليه ان استطعت ذلك وآمن من تسكن الى ناحيته ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك ان استطعت فتنقض عليهم بتدبيرك ورأيك مالم يرموا (٣) وتأتيهم من حيث اقدموا وتستعد لهم بمثل ما حذروا

واعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك وغشوك ونصحوا عدوك وكثير مما يصدقونك ويصدقونه فلا يبدرن منك فرطة في عقوبة الى احد منهم ولا تعجل بسوء الظن الى من اتهمته على ذلك وابسط من

(١) الانتقاض الانتكاث (٢) لابس فلانًا خالطه (٣)رمّ الشيء اصلحه

آمالهم فيك من غير ان ترى احداً منهم انك اخذت من قوله اخذ العامل به والمتبع له او عملت على رأيه عمل الصادر عنه او رددته عليه رد المكذب له والمتهم المستخف بما اتاك منه فتفسد بذلك نصيحته وتستدعي غشه وتجتر عداوته

احذر ان يُعرف جواسيسك في عسكرك او يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وامين سرك و يكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من اردت مشافهته منهم واعلم ان لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة وجواسيس كامنة وان رأيه في مكيدتك مثل ما تكايده به وسيحتال لك كاحتيالك له و يعدّ لك كاعتدادك له فاحذر ان يشعر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك و يعرف موضعه فيعدله المراصد و يحتال له بالمكايد فان ظفر به واظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وحوله عن تطلب الاخبار من معادنها واستقصائها من عيونها حتى يصيروا الى اخذها عن عُرض من غير الثقة ولا معاينة لغطائها(؟) بالاخبار الكاذبة والاحاديث المرجفة

واحذر ان يعرف بعض عيونك بعضاً فانك لاتأمن تواطؤهم عليك وممالأتهم عدوك واجتماعهم على غشك وكذبك وان يورط بعضهم بعضاً عند عدوك وأحكم امرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعليهم مدار حربك وهو اول ظفرك فاعمل على حسب ذلك وجنب (؟) رجاءك به نيل املك من عدوك وقوتك على قتالهم وانتهاز فرصته ان شاء الله فاذا احكمت ذلك وتقدمت فيه واستظهرت بالله وعونه فولّ شرطتك وامر عسكرك اوثق قوادك عندك وآمنهم نصيحة واقدمهم بصيرة في طاعتك واقواهم شكيمة في امرك وامضاهم صريمة واصدقهم عفافاً واجزأهم (جناناً) واكفاهم امانة واصحهم ضميراً وارضاهم صبراً واحمدهم خلقاً واعطفهم على جماعتهم رأفة واحسنهم لهم نظراً واشدهم في دين الله وحقه صلابة ثم فوض اليه مقوياً له وابسط من امله مظهراً عنه الرضا حامداً منه الابتلاء . وليكن عالماً بمراكز الجنود بصيراً بتقديم المنازل مجرباً ذا راي وتجربة وحزم في المكيدة له نباهة في الذكر وصيت في الولاية معروف البيت مشهور الحسب وتقدم اليه في ضبط معسكرك واذكاء احراسه في آناء ليله ونهاره ثم حذره ان يكون له اذن لجنوده في الانتشار والاضطراب والتقدم لطائفة فيصاب منهم غرة يجترئ بها عدوك و يسرع اقداماً عليك ويكسر من افئدة جنودك و يوهن من قوتهم فان اصابة عدوك الرجل الواحد من جندك وعبيدك مطمع لهم منك مقو لهم على شحذ اتباعهم عليك وتصغيرهم امرك وتوهينهم تدبيرك فحذره ذلك وتقدم اليه فيه ولا يكون منه افراط في التضييق عليهم والحصر لهم فيعمهم ازله و يشملهم ضنكه ويسوء عليه حالهم وتشتد به المؤونة عليهم

وتخبث له ظنونهم . وليكن (موضع) ازاله اياهم مستديرًا ضامًا جامعا ولا يكون منتشرًا ممتدًا فيشق ذلك على اصحاب الاحراس ويكون فيه النهزة للعدو والبعد من المادة ان طرق طارق في فجاآت الليل وبغتاته . واوعز اليه في أحراسه ومره فليول عليهم رجلا ركينا مجربًا جريء الاقدام ذكي الصرامة جلد الجوارح بصيرًا بوضع أحراسه غير مصانع ولا مشفع للناس في التنحي الى الرفاهة والسعة وتقدم العسكر او التأخر عنه فان ذلك مما يضعف الوالي ويوهنه لاستنامته الى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه

واعلم ان موضع الأحراس من موضعك ومكانها من جندك بحيث الغناء عنهم والرد عليهم والحفظ لهم والكلاءة لمن بغتهم طارقا وارادهم تخاتلا ومراصدها المتسلل منها الآبق من ارقائهم واعبدهم وحفظ العيون والجواسيس من عدوهم (؟) واحذر ان يضرب على يديه او يشكمه على الصرامة لمواصرتك في كل امر حادث وطارق الا في الملم النازل والحدث العام فانك اذا فعلت ذلك به دعوته الى نصحك واستوليت على محض ضميره في طاعتك واجهد نفسه في ترتيبك واغاثتك وكان ثقتك . وزيدك وقوتك ودعامتك وتفرغت لمكايدة عدوك مريحا نفسك من هم ذلك والعناية به ملق عنك مؤونة باهظة وسلفة فادحة ان شاء الله

ثم اعلم ان القضاء من الله بمكان ليس به شيء من الاحكام ولا يمثله احد من الولاة لما يجري على يديه من مغالظ الاحكام ومجاري الحدود فليكن من توليه القضاء بين اهل العسكر من ذوي الخير في القناعة والعفاف والنزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع والبصر بوجوه القضايا ومواقعها قد حنكته السن وايدته التجربة واحكمته الامور ممن لا يتصنع للولاية ويستعد للنهزة ويجتريء على المحاباة في الحكم والمداهنة في القضاء عدل الامانة عفيف الطعمة حسن الانصات فهم القلب ورع الضمير متخشع السمت هادي الوقار محتسبًا للخير ثم أجر عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه وفرغه لما حملته وأعنه على ما وليته فانك قد عرضته لهلكة الدنيا وثواب الآخرة او شرف العاجلة وحظوة الآجلة ان حسنت نيته وصدقت رويته وصحت سريرته وسلط حكم الله على رعيته منفذًا قضاءه في خلقه عاملاً بسنته في شرائعه آخذًا بحدوده وفرائضه

واعلم انه من جندك ومعسكرك بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية احكامه عليهم النافذة اقضيته بينهم فاعرف من توليه ذلك وتسنده اليه ان شاء الله

ثم تقدم في طلائعك فانها اول مكيدتك ورأس حربك ودعامة امرك فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالا ذوي نجدة وبأس وصرامة وخبرة وحماة كفاة قد صلوا بالحرب

وتداولوا سجالها وشربوا من مرارة كؤوسها وتجرعوا غصص درتها وزبنتهم (١) بتكرارها وحملتهم على اصعب مراكبها ثم اتبعهم على عينك واعرض كراعهم (٢) بنفسك وتوخ في انتقائهم ظهور الجلد وسجاحة الخلق وجمال الآلة واياك ان تقبل من دوبهم الا اناث الخيول مهلوبة (٣) فانها اسرع طلباً وانجى مهرباً وابعد في الحوق غاية واصبر في معترك الابطال اقداما وتجذم من السلاح بابدان الدروع ماذية الحديد شاكة السخ متقاربة الحلق متلاحمة المسامير واسوق الحديد مموهة الركب محكمة الطبع خفيفة الصوغ وسواعد طبعها هندي وصوغها فارسي رقاق المعطف بأكف وافية وعمل محكم وبلق البيض مذهبة ومجردة فارسية الصوغ خالصة الجوهر سابغة الملبس وافية اللبن مستديرة الطبع مبهمة السرد وافية الوزن كتريك (٤) النعام في الصنعة معلمة بأصناف الحرير وألوان الصبغ فانها اهيب لعدوهم وافت لاعضاد (٥) من لقيهم والمعلم مخشي محذور له بديهة وادعة معهم السيوف الهندية وذكور البيض اليمانية رقاق الشفرات مسنونة الشحذ غير كليلة المشحذ مشطبة الضرائب معتدلة الجواهر . افية الصفائح لم يدخلها وهن الطبع ولا عابها امت الصوغ ولا شانها خفة الوزن ولا فدح حاملها بهور الثقل قد اشرعوا لدن القنا طوال الهوادي (٦) زرق الاسنة مستوية الثعالب وميضها متوقد وشحذها متلهب معاقص (٧) عقدها مخونة ووصم اودها مقوم . اجناسها مختلفة . وكعوبها جعدة . وعقدها حنكة . شطبة الاسنان . محكمة الجلاء مموهة الاطراف . مستحدة الجنبات دقاق الاطراف ليس فيها التواء اود . ولا امت وصم . ولا لها سقط عيب . ولا عنها وقوع أمنية مستحقب كنائن النبل وقسي الشوحط والنبع (٨) اعرابية التعقيب رومية النصول فانها ابلغ في الغاية وانفذ في الدروع واشك في الحديد سامطين حقائبهم على متون خيولهم مستخفين من الآلة والامتعة الا ما لا غناء بهم عنه

واحذر ان تكل مباشرة عرضهم الى احد من اعوانك او كتابك فانك ان وكلته اليهم اضعت موضع الحزم وفرطت حيث الرأي ووقفت دون الحزم ودخل عملك ضياع الوهن وخلص اليك عيب المحاباة . ونالك فساد المداهنة وغلب عليه من لا يصلح ان يكون طليعة للمسلمين . ولا عدة ولا حصناً يدرؤن به ويكتنفون بموضعه

«١» الزبن الدفع «٢» الكراع اسم يجمع الخيل «٣» المقطوعة الذنب «٤» التريكة البيضة بعد ان يخرج منها الفرخ او يخص بالنعام والجمع ترائك وتريك «٥» فت في ساعده اضعفه «٦» الهادي العنق والجمع هوادي «٧» المعقص كمنبر السهم المعوج وما ينكسر نصله فيبقى سنخه في السهم فيخرج ويضرب حتى يطول «٨» الشوحط شجر تتخذ منه القسي او ضرب من النبع اوهما والنبع مثله

واعلم ان الطلائع عيون وحصون المسلمين فهم اول مكيدتك وعروة امورك وزمام حربك فليكن اعتناؤك بهم بحيث هم من مهم عملك ومكيدة حربك ثم انتخب لهم رجلا للولاية عليهم بعيد الصوت مشهور الفضل نبيه الذكر له في العدو وقعات معروفات وايام طوال وصولات متقدمات قد عرفت نكايته وحذرت شوكته وهيب صوته ونكب لقاؤه امين السريرة ناصح الغيب قد بلوت منه مايسكنك الى ناحيته من لين طباعه وخالص المودة ونكاية الصرامة وغلوب الشهامة واستجماع القوة وحصافة التدبير ثم تقدم اليه في حسن سياستهم واستنزال طاعتهم واجتلاب مودتهم واستعداد (؟) ضمائرهم وأجر عليهم ارزاقا تسعهم وتمد من اطاعهم سوى ارزاقهم في العامة وفي ذلك من القوة لك عليهم والاستنامة الى ما قبلهم

واعلم انهم في اهم الاماكن لك واعظمها غناء عنك وعمن معك واقمعها كنا(؟) وأشجى لعدوك ومتى يكون في البأس والثقة والجلد والطاعة والقوة والنصيحة حيث وصفت لك وامرتك به تضع عنك مؤونة الهم وترخي عن خناقك دروع الخوف وتلجيء الى امر متين وظهر قوي وامر حازم تأمن به فجاآت عدوك ويصير اليك علم احوالهم ومتقدمات خيولهم فانتخبهم رأي عين وقوهم بما يصلحهم من المثالات والاطماع والارزاق واجعلهم منك بالمنزل الذي هم به من محارز علامتك «؟» وحصانة كهوفك وقوة سيارة عسكرك واياك ان تدخل فيهم احداً بشفاعة او تحتمله على هوادة (١) او تقدمه منهم لأثرة وان يكون مع احد منهم بغل ثقل او فضل من الظهر او ثقل فادح فيشتد عليهم مؤونة انفسهم ويدخلهم كلال السآمة فيما يعالجون من أثقالهم ويشتغلون به عن عدوهم ان دهمهم منه رائع او فاجأهم لهم طليعة . فتفقد ذلك محكما له وتقدم فيه آخذاً بالحزم في امضائه ارشدك الله لاصابة الحظ ووفقك ليمن التدبير

ولِّ دراجة عسكرك واخراج اهله الى مصافهم ومراكزهم رجلا من اهل بيوتات الشرف محمود الخبرة معروف النجدة ذا سن وتجربة لين الطاعة قديم النصيحة مأمون السريرة له بصيرة في الحق تقدمه ونية صادقة عن الادهان (٢) تحجزه واضمم اليه عدة من ثقات جندك وذوي أسنانهم يكونون شرطة معه ثم تقدم اليه في اخراج المصاف واقامة الاحراس واذكاء العيون وحفظ الاطراف وشدة الحذر ومره فليضع القواد بانفسهم مع اصحابهم في مصافهم كل قائد بازاء موضعه وحيث منزله قد شد ما بينه وبين صاحبه بالرماح شارعة

«١» الهوادة اللين وما يرجي به الصلاح والرخصة «٢» المداهنة والغش

والتراس موضونة (١) والرجال راصدة ذاكية الاحراس وجلة الروع خائفة طوارق العدو وبياته . ثم مره ان يخرج كل ليلة قائداً من اصحابه او عدة منهم ان كانوا كثيراً على غلوة او غلوتين من عسكرك محيطاً بجزك ذاكية احراسه قلقة التردد مفرطة الحذر معدة للروع متأهبة للقتال آخذة على اطراف العسكر ونواحيه متفرقين في اخلافهم كردوساً كردوساً (٢) يستقبل بعضهم بعضاً في الاختلاف ويكسع (٣) منقدماً في التردد فاجعل ذلك بين قوادك ولدان عسكرك نوباً معروفة وحصصاً مفروضة لا يعد منه مزدلفاً بمودة ولا يتحامل على احد فيه بموجدة ان شاء الله .

فوض الى امراء جندك وقوادهم امور اصحابهم والاخذ على ايديهم رياضة منك لهم على السمع والطاعة لامرائهم والاتباع لامرهم والوقوف عند نهيهم وتقدم الى امراء الاجناد في النوائب التي الزمتهم اياها والاعمال التي استنجدتهم لها والاسلحة والكراع التي كتبتها عليهم واحذر اعتلال احد من قوادك عليك بما يحول بينك وبين جندك وتقويمهم لطاعتك وقمعهم عن الاخلال بمراكزهم لشيء مما وكلوا به من اعمالهم فان ذلك مفسدة للجند معي للقواد عن الجد والمناصحة والتقدم في الاحكام .

واعلم ان استخفافهم بقوادهم وتضييعهم امرهم دخول الضياع على اعمالك واستخفاف بامرك الذي يأتمرون به ورأيك الذي ترتئي واوعز الى القواد ان لا يتقدم احد منهم على عقوبة احد من اصحابه الا عقوبة تأديب وتقويم ميل وتثقيف أود فاما عقوبة تبلغ تلف المهجة واقامة الحد في قطع او افراط في ضرب او اخذ مال او عقوبة في سفر فلا يلين ذلك من جندك احد غيرك او صاحب شرطتك بامرك وعن رأيك واذنك ومتى لم تذلل الجند لقوادهم وتضرعهم (٤) لامرائهم يوجب عليك لهم الحجة بتضييع (؟) وان كان منهم لامرك خلل ان تهاونوا به من عملك او عجز ان فرط منهم في شيء وكلتهم اليه او اسندته اليهم ولم تجد الى الاقدام عليهم باللوم ومض العقوبة مجازاً تصل به الى تعنيفهم بتفريطك في تذليل اصحابهم لهم وافسادك اياهم عليهم فانظر في ذلك نظراً محكماً وتقدم فيه تقدماً بليغاً . واياك ان يدخل حزمك وهن او عزمك امارا (؟) من رأيك ضياع . والله استودع ديناً في نفسك .

اذا كنت من عدوك على مسافة دانية وسنن لقاء مختصر وكان من عسكرك مقترباً قد شامت طلائعك مقدمات ضلالته وحماة فتنته فتأهب اهبة المناجزة وأعد اعداد الحذر

(١) وضن الشيء يضنه فهو موضون ووضين ثنى بعضه على بعض وضاعفه ونضده
(٢) كردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة والكردوسة بالضم قطعة عظيمة من الخيل والجمع كراديس (٣) كسعه كمنعه ضرب دبره بيده او بصدر قدمه (٤) تذللهم

وكتب خيولك وعبّ جنودك وإيك والمسير الا مقدمة وميمنة وميسرة وساقة قد شهروا بالاسلحة ونشروا البنود والاعلام وعرف جندك مراكزهم سائرين تحت ألويتهم قد اخذوا أهبة القتال واستعدوا للقاء ملحين الى مواقفهم عارفين بمواضعهم من مسيرهم ومعسكرهم . وليكن ترجلهم ونزولهم على راياتهم واعلامهم ومراكزهم . وعرّف كل قائد واصحابه ومعهم من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة لازمين لها غير مخلين بما استنجدتهم له ولا متهاونين بما اهبت بهم اليه حتى تكون عساكرهم في كل منهل تصل اليه ومسافة تختارها كأنه عسكر واحد في اجتماعها على العدة واخذها بالحزم ومسيرها على راياتها ونزولها على مراكزها ومعرفتها بمواضعها ان اضلت دابة موضعها عرف اهل العسكر من اي المراكز هي ومن صاحبها وفي اي المحل حلوله منها فردت اليه هداية ومعرفة ونسبة قيادة صاحبها . فان تقدمك في ذلك واحكامك له اطراح عن جندك مؤونة الطلب وعناية المعرفة وابتغاء الضالة . ثم اجعل على ساقتك اوثق اهل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذا ورضا في العامة وانصافا من نفسه للرعية واخذا بالحق في المعدلة مستشعرا تقوى الله وطاعته آخذا بهديك وادبك واقفا عند امرك ونهيك معتزما على مناصحتك وتزيينك نظيرا لك في الحال وشبيها بك في الشرف وعديلا في المواضع ومقاربا في الصيت ثم اكثف معه الجمع وايده بالقوة وقوه بالظهر واعنه بالاموال واعمره بالسلاح ومره بالعطف على ذوي الضعف من جندك ومن رخفت به (١) دابته واصابته نكبة من مرض او رجلة او آفة من غير ان تأذن لاحد منهم في التنحي عن عسكره او التخلف بعد ترجله الا المجهود او المطروق بآفة ثم تقدم اليه محذرا ومره زاجرا وانهه مغلظا بالشدة على من مرّ به منصرفا عن معسكرك من جندك بغير جوازك شادا لهم اسرا وموقرهم حديدا ومعاقبهم موجعا او موجههم اليك فتنهكهم عقوبة وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة .

واعلم انه ان لم يكن بذاك الموضع من تسكن اليه واثقا بنصيحته عارفا ببصيرته قد بلوت منه امانة تسكنك اليه وصرامة تؤمنك مباينته ونفاذا في امرك يرخي عنك خناق الخوف في اضاعته لم آمن تسلل الجند عنك لواذا (٢) ورفضهم مراكزهم واخلالهم بمواضعهم وتخلفهم عن اعلامهم آمنين تغيير ذاك عليهم والشدة على من اخترمه منهم ما ... ذاك في وهن واخذ من قوتك وقلل من كثرتك .

اجعل خلف ساقتك رجلا من وجوه قوادك جليدا ماضيا عفيفا صارما شهم الرأي

(١) استرخت

(٢) اللوذ بالشيء الاستتار والاحتصان به كاللواذ مثلثة واللياذ والملاوذة

شديد الحذر شكيم القوة غير مداهن في عقوبة ولا مهين في قوة في خمسين فارساً من خيلك تحشر اليك جندك ويلحق بك من يتخلف عنك بعد الابلاغ في عقوبتهم والنهك لهم والتنكيل بهم وليكن لعقوتك في المنزل الذي ترتحل عنه والمنهل الذي تتقوض منه مفرطاً في النقض والتبع لمن تخلف عنك مشدداً في اهل المنهل وساكنه بالتقدم موعزاً اليهم في ازعاج الجند عن منازلهم واخراجهم من مكانهم وإبعاد العقوبة الموجعة والنكال المثيل في الاشعار واصفاء الاموال وهدم العقار لمن آوى منهم آحداً او ستر موضعه واخفى محله وحذره عقوبتك اياه في الترخيص لاحد والمحاباة لذي قرابة والاختصاص بذلك لذي أثرة او هوادة .

وليكن فرسانه منتخبين في القوة معروفين بالنجدة عليهم سوابغ الدروع دونها شعار الحشو وحب الاستحثاث (؟) متقلدين سيوفهم سامطين كنائنهم مستعدين لهيج ان بدههم او كمين ان يظهر لهم واياك ان تقبل في دوابهم الا فرساً قوياً او برزوناً ونجاً فان ذلك من اقوى القوة لهم واعون الظهير على عدوهم ان شاء الله .

ليكن رحيلك اباناً واحداً ووقتاً معلوماً تخف المؤونة بذلك على جندك ويعلموا اوان رحيلهم فيقدموا فيما يريدون من معالجة اطعمتهم وأعلاف دوابهم وتسكن افئدتهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ويطمئن ذوو (الحاجات) ابان الرحيل ومتى يكون رحيلك مختلفاً تعظم المؤونة عليك وعلى جندك ويخلوا بمراكزهم ولا يزال ذوو السفه والنزق يترحلون بالارجاف وينزلون بالتوهم حتى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة .

اياك ان تنادي برحيل من منزل تكون فيه حتى يأمر صاحب تعبيتك بالوقوف على معسكرك اخذاً بفوهة جنبتيه باسلحتهم عدة لامران حضر ومفاجأة من طليعة للعدو ان اراد نهزة او لحت عندكم غرة . ثم مر الناس بالرحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدة وجُنتك واقية حتى اذا استقللتم من معسكركم وتوجهتم من منزلكم سرتم على تعبيتكم بسكون ريح وهدو وحملة وحسن دعة .

فاذا انتهيتم الى منهل اودت نزوله او هممت بالمعسكر به فاياك ونزوله الا بعد العلم بان تعرف لك احواله او يسبر علم دفينه ويستبطن علم اموره ثم ينهيها اليك وما صارت اليه لتعلم كيف احتمال عسكرك وكيف مأواه وأعلامه وكيف موضع عسكرك منه وهل لك اذا اردت مقاماً به او مطاولة عدوك ومكايدته فيه قوة تحملك ومدد يأتيه فانك ان لم تفعل ذلك لم تأمن ان يهجم على منزل يزعجك منه ضيق مكانه وقلة مياهه وانقطاع مواده ان اردت بعدوك مكيدة واحتجت من امرهم الى مطاولة فان ارتحلت منه كنت غرضاً

لعدوك ولم تجد الى المحاربة والاخطار سبيلا . وان اقمت به اقمت على مشقة حصر وفي ازل(١) وضيق فاعرف ذلك وتقدم فيه

فاذا اردت نزولا امرت صاحب الخيل التي رحلت الناس فوقفت منتحية من معسكرك عدة لامر ان راعك ومفزعا لبديهة ان راعتك قد امنت باذن الله وحوله فجأة عدوك وعرفت موقعها من حربك حتى يأخذ الناس منازلهم وتوضع الاثقال مواضعها و يأتيك خبر طلائعك وتخرج دباباتك (٢) من عسكرك دبابا محيطين بعسكرك وعدة لك ان احتجت اليهم . وليكن دباب جندك بعسكرك اهل جلد وقوة قائدا او اثنين او ثلاثة باصحابهم في كل ليلة و يوم نوبا بينهم فاذا غربت الشمس ووجب (٣) نورها اخرج اليهم صاحب تعبيتك ابدالهم عسسا بالليل في اقرب من مواضع دباب النهار يتعاور ذلك قوادك جميعا بلا محاباة لاحد منهم فيه ولا ادهان ان شاء الله

اياك ان يكون منزلك الا في خندق او حصن تأمن به بيات عدوك وتستنيم فيه الى الحزم من مكيدته . اذا وضعت الاثقال وخططت ابنية اهل العسكر لم يمدخباء ولم ينتصب بناء حتى يقطع لكل قائد ذرع معلوم من الارض بقدر اصحابه فيحتفروه عليهم (ويبنون) بعد ذلك خنادق الحسك طارحين لها دون اشجار الرماح ونصب الترسة لها بابان قد وكلت بعد بحفظ كل باب منهما رجلا من قوادك في مائة رجل من اصحابه فاذا فرغ من الخندق كان ذلك القائدان اهلا لذلك المركز (ومو)ضع تلك الخيل وكانوا هم البوابين والاحراس لذينك الموضعين ندالى (؟) الرفاهة والسعة ونقدم العسكر او التأخر عنه فان ذلك مما يضعف الوالي و يوهنه لاستنامته الى من ولاه ذلك وامنه به على جيشه

واعلم انك اذا امنت باذن الله طوارق عدوك وبغتاتهم فاذا راموا ذلك منك كنت قد احكمت ذلك واخذت بالجد فيه وتقدمت فى الاعداد له و رأيت مخوف الفتق منه ان شاء الله

اذا ابتليت ببيات عدوك او طرقك رائعا في . . . حذرا معدا مشمرا عن ساقك مسريا لحربك قد قدمت دراجتك الى مواضعها على ماوصفت لك . . التي قدرت لك وطلائعك حيث امرتك وجندك حيث عبأت قد خطرت عليهم بنف لك ولتقدم الى جندك ان (طرق) طارق او فاجأهم عدو الا يتكلم احد منهم رافعا صوته بالتكبير مستغفرا (؟) في اجلاب معلنا للارهاب الا اهل الناحية (التي) يقع بها العدو طارقا وليشرعوا رماحهم مادين لها في

(١) الازل الضيق والشدة (٢) الدبابة مـدة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل الحصن فينقبون وهم في جوفها (٣) وجبت الشمس غابت

وجوههم ويرشقهم بالنبل ملبدين ترستهم لازمين لمراكزهم .. قدم من موضعها ولا متحازين الى غير مراكزهم وليكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون .. عدوك من معسكرهم فتمد اهل تلك الناحية بالرجال من اعوانك وشرطك ومن انتخبت قبل ذلك عدة للشدائد وتدس لهم النشاب والرماح واياك ان يشهروا سيفاً يجالدون به وتقدم اليهم فلا يكون قتالهم بالليل في تلك المواضع ممن طرقهم الا بالرماح مسندين لها الى صدورهم والنشاب راشقين به وجوههم قد ألبدوا بالترسة واستجنوا بالبيض والقوا عليهم سوابغ الدروع وجباب الحشو فان صد العدو عنهم حاملين على ناحية اخرى كبر اهل تلك الناحية الاولى وبقية العسكر سكوت والناحية التي صدر عنها العدو لازمة لمراكزها فعلت في تقويتهم وامدادهم بمثل صنيعك باخوانهم واياك وان تخمد نار رواقك واذا وقع العدو في معسكرك فأججها ساعراً لها وأوقدها حطباً جزلا يعرف بها اهل العسكر مكانك وموضع رواقك وبسكن نافر قلوبهم ويقوى واهن قوتهم ويشتد متخذل ظهورهم ولا يرجفون فيك بالظنون ويجيلون لك آراء السوء وذاك من فعالك رد عدوك بغيظه ولم يستقل منك بظفر ولم يبلغ من نكايتك سروراً ان شاء الله

فان انصرف عنك عدوك ونكل عن الاصابة من جندك وكان بخيالك قوة على طلبه او كانت لك خيل معدة وكتيبة منتخبة قدرت ان تركب بهم اكتافهم وتحملهم على سننهم فأتبعهم جريد خيل عليها الثقات من فرسانك واولو النجدة من حماتك فانك ترهق عدوك وقد أمن بياتك وشغل بكلاله عن التحرز منك والاخذ بابواب معسكره والضبط لحارسه موهنة حماتهم لغبة (١) ابطالهم لما لقوكم عليه من التشمير والجد قد عقر الله فيهم واصاب منهم وجرح من مقاتلتهم وكسر من اماني ضلالتهم ورد من مستعلي جماحهم. وانقدم الى من توجه في طلبهم وتتبعه (ان يكونوا و) هم في سكون الريح ،وقلة اللفظ وكثرة التسبيح والتهليل واستنصار الله عز وجل بقلوبهم والسنتهم سرا وجهراً ألا لجب ضجة ولا ارتفاع ضوضاء دون ان يردوا على مطايهم وينتهزوا فرصهم ثم يشهروا السلاح وينضوا السيوف فان لها هيبة رائعة وبديهة مخوفة لا يقوم لها في بهمة الليل الا البطل المحارب وذو البصيرة المحامي المستميت المقاتل وقليل ماهم عند تلك المواضع ان شاء الله

ليكن اول ماتتقدم به في التهيؤ لعدوك والاستعداد للقائه انتخابك من فرسان عسكرك وحماة جندك ذوي البأس والحنكة والجد والصرامة ممن قد (اعتا) دطراد الكماة وكشر عن ناجذه في الحرب وقام على ساق في منازلة الاقران ثقف الفراسة مستجمع القوة مستحصد

(١) لغب اعيا اشد الاعياء

المويرة صبورًا على اهوال الليل عارفًا بتناهز الفرص لم تمهنه الحنكة ضعفًا ولا ابلغت به السن ملالاً ولا اسكرته غرة الحداثة جهلا ولا ابطرته نجدة الاغمار صلفا جريئًا على مخاطرة التلف متقدمًا على ادراع الموت مكابرًا لمرهوب الهول متقحمًا تخشي الحتوف خائضًا غمرات المهالك برأي يؤيده الحزم ونية لا يخلجها الشك واهواء مجتمعة وقلوب موقنة عارفين بفضل الطاعة وعزها وشرفها وحيث محل اهلها من التأييد والظفر والتمكين ثم اعرضهم رأي عين على كراعهم واسلحتهم ولتكن دوابهم اناث عتاق الخيول واسلحتهم سوابغ الدروع وكمال آلة المحارب متقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجواهر وصافي الحديد والمتخيرة من معادن الاجناس هندية الحديد او بدنية يمانية الطبع رقاق المضارب مستوية الشحذ مشطبة الضريبة ملبدين بالترسة الفارسية صينية التعقيب محكمة المقابض بحلق الحديد انحاؤها مربعة ومحارزها بالتجليد مضاعفة ومحملها مستخف وكنائن النبل وجعاب القسي فداستحقبوها وقسي الشريان والنبع اعرابية الصنعة مختلفة الاجناس محكمة العمل ونصول النبل مسمومة وتركيبها عراقي وتريشها بدوي مختلفة الصوغ في الطبع شتى الاعمال في التشطيب والاستزادة ولتكن الفارسية مقلوبة المقابض منبسطة السئة سهلة الانعطاف مقربة الانحناء ممكنة المرمى واسعة الاسهم فرضها سهلة الورود معاطفها غير معنون (؟) المواتاة

ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلا من اهل خاصتك وثقاتك ونصائحك ولتقدم اليهم في ضبطهم وكـ .. واستنزل نصائحهم واستعداد طاعتهم واستخلاص ضمائرهم وتعهد كراعهم واسلحتهم معفيًا لهم من النوائب التي تلزم اهل العسكر وعامة جندك ثم اجعلهم عدة لامر ان فاجأك او طارق يبتك . ومرهم ان يكونوا على اهبة معدة وحذرهم فانك لا تدري اي الساعات من ليلك ونهارك تكون اليهم حاجتك فليكونوا كرجل واحد في التشمير والتردف وسرعة الاجابة فانك عسيت ان لا تجد عند جماعة جندك مثل تلك الروعة والمباعتة ان احتجت الى ذلك منهم معونة كافية ولا أهبة معدة بل ذاك كذلك فاذكرها ولى الذين تحت (؟) عدتك وقوتك تقويًا قد قطعتها على القواد الذين وليتهم امورهم فسميت اولا وثانيا وثالثا ورابعا وخامسا الى عشرة فان اكتفيت فيما يبدهك ويطارقك ليث واحد كان معدا لم تحتج فيه الى امتحانهم في ساعتهم تلك وقطع البعث عليهم عند ما يرهقك وان احتجت الى اثنين وثلاث وجهت منهم ارادتك ان شاء الله

وكل بخزائنك ودواوينك رجلاً امينًا صالحًا ذا ورع حاجز ودين فاضل واجعل معه خيلاً يكون مسيرها ومنزلها وترحلها مع خزائنك وتقدم اليه في حفظها والتوفر عليها واتهام من يستولي على شيء منها على اضاعته والتهاون به والشدة على من دنا منها في مسير اوضامها

في منزل ٠ وليكن عامة الجند والجيش الا من استصلحت للمسير معها متنحين عنها مجانبين لها فانه ربما كانت الجولة وحدثت الفزعة فان لم يكن للخزائن ممن يوكل بها اهل حفظ لها وذب عنها اسرع الجند اليها وتداعوا نحوها حتى يكاد يترامى ذلك بهم الى انتهاب العسكر واضطراب الفتنة فان اهل الفتن وسوء السيرة كثير وانما همتهم الشر فاياك وان يكون لاحد في خزائنك ودواوينك وبيوت اموالك مطمع او يجدوا الى اغتيالها ومرزئتها (؟) ان شاء الله ٠

اعلم ان احسن مكيدتك اثراً في العامة وابعدها صوتاً في حسن القالة ما نلت الظفر فيه بحسن الروية وحزم التدبير ولطف الحيلة فلتكن رويتك في ذلك وحرصك على اصابته لا بالقتال واخطار التالف ٠ وادسس الى عدوك وكاتب رؤوسهم وقادتهم وعدهم المنالات ومنهم الولايات وسوغهم التراب وضع عنهم الاحن واقطع عنهم اعناقهم بالمطامع واملأ قلوبهم بالترهيب وان امكنتك منهم الدوائر واصار بهم اليك الرواجع وادعهم الى الوثوب بصاحبهم او اعتزاله ان لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة ولا عليك ان تطرح الى بعضهم كتباً كأنها جوابات كتب لهم اليك وتكتب على السنتهم كتباً اليك يدفعها اليهم ويحمل بها صاحبهم عليهم وتنزلهم عنده منزلة التهمة فلعل مكيدتك في ذلك ان يكون فيها افتراق كلمتهم وتشتيت جماعتهم واحش قلوبهم سوء الظن من واليهم فيوحشهم منه خوفهم اياه على انفسهم اذا ايقنوا بانها منا ياهم فان بسط يده بقتلهم واولغ في دمائهم سيفه واسرع في الوثوب بهم اشعرهم جميعاً الخوف وشملهم الرعب ودعاهم اليك الهرب وتهافتوا نحوك بالنصيحة وان كان متأنياً محتملاً رجوت ان تستميل اليك بعضهم وتستدعي بالطمع ذوي الشر منهم وتنال بذلك ما تحب من اخبارهم ان شاء الله ٠

اذا تدانى الصفان وتواقف الجمعان واحتضرت الحرب فعبأت اصحابك لقتال عدوهم فاكثر من لا حول ولا قوة الا بالله والتوكل على الله والتفويض اليه ومسألته توفيقك وارشادك وان يعزم لك على الرشد والعصمة الكالئة والحيطة الشاملة ٠

ومر جندك بالصمت وقلة التلفت الى المشار له وكثرة التكبير في انفسهم والتسبيح بضمائرهم والا يظهروا تكبيراً الا في الكرات والحملات وعند كل زلفة يزدلفونها فاما وهم وقوف فان ذلك من الفشل والجبن ٠ وليكثروا من لا حول ولا قوة الا بالله حسبنا الله ونعم الوكيل ٠ اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغي واكفنا شوكته المستحدة وابدنا بملائكتك الغالبين واعصمنا بعونك من الفشل والعجز انك ارحم الراحمين ٠

وليكن في عسكرك مكبرون بالليل والنهار قبل المواقعة يطوفون عليهم يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوهم ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ويذكرونهم الجنة

ورخاء اهلها وسكانها ويقولون اذكروا الله يذكركم واستنصروه ينصركم . وان استطعت ان تكون انت المباشر لتعبية جندك ووضعهم من راياتك ومعك رجال من ثقات فرسانك ذوو سنّ وتجربة ونجدة على التعبية وامير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابه هذا ان شاء الله ايدك الله بالنصر وغلب لك على القوة واعانك على الرشد وعصمك من الزيغ واوجب لمن استشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الاصفياء والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ومن الرسائل المفردات في الشطرنج رسالة عبد الحميد

اما بعد فان الله شرع دينه بانهاج سبله وايضاح معالمه باظهار فرائضه وبعث رسله الى خلقه دلالة لهم على ربوبيته واحتجاجاً عليهم برسالاته ومقدماً اليهم بانذاره ووعيده ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وحيه وقفى به رسله وابتعثه لاحياء دينه الدارس مرتضياً له على حين انطمست له الاعلام مختفية وتشتت السبل متفرقة وعفت آثار الدين دارسة وسطع رهج الفتن واعتلى قتام الظلم واستنهد (١) الشرك واسدف (٢) الكفر وظهر اولياء الشيطان لطموس الاعلام ونطق زعيم الباطل بسكتة الحق واستنطرق الجور واستنكع (٣) الصدوف عن الحق واقمطر (٤) سلهب (٥) الفتنة واستضرم لقاحها وطبقت الارض ظلمة كفر وغيابة فساد فصدع بالحق مأموراً وبلغ الرسالة معصوماً ونصح الاسلام واهله دالاً لهم على المراشد وقائداً لهم الى الهداية ومنيراً لهم اعلام الحق ضاحية مرشداً لهم الى استفتاح باب الرحمة واعلان عروة النجاة موضحاً لهم سبل الغواية زاجراً لهم عن طريق الضلالة محذراً لهم الهلكة موعزاً اليهم في التقدمة ضارباً لهم الحدود على ما يتقون من الامور ويخشون وما اليه يسارعون ويطلبون صابراً نفسه على الاذى والتكذيب داعياً لهم بالترغيب والترهيب حريصاً عليهم متحنناً على كافتهم عزيزاً عليه عنتهم رؤوفاً بهم رحيماً تقدمه شفقته عليهم وعنايته برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما بقاء النعمة عليهم وسلامة اديانهم وتخفيف اواصر الاوزار عنهم حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه ناصحاً منتصحاً اميناً مأموناً قد بلغ الرسالة وادى النصيحة وقام بالحق وعدّل عمود الدين حتى اعتدل ميله واذل الشرك واهله وانجز الله له وعده واراه صدق اسبابه في اكماله للمسلمين دينه واستقامة سننه فيهم وظهور شرائعه عليهم قد ابان لهم موبقات الاعمال ومقظعات الذنوب ومهبطات الاوزار وظلم الشبهات وما يدعو اليه نقصان الاديان وتستهويهم

(١) نهد الرجل نهض ولعدوه صمد له والمناهدة المناهضة في الحرب (٢) اسدف اظلم (٣) يقال نكع النعاس عينه غلبها (٤) اقمطر اشتد (٥) السلهب الطويل من الرجال ومن الخيل ما عظم وكاد

به الغوايات واوضح لهم اعلام الحق ومنازل المراشد وطرق الهدى وابواب النجاة ومعالق العصمة غير مدخر لهم نصحاً ولا مبتغ في ارشادهم غنما

فكان مما قدم اليهم فيه نهيه واعلمهم سوء عاقبته وحذرهم اصره واوعزاليهم ناهياً وواعظاً وزاجراً الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج والمواصلة عليها لما في ذلك من عظيم الاثم وموبق الوزر مع مشغلتها عن طلب المعاش واضرارها بالعقول ومنعها من حضور الصلوات في مواقيتها مع جميع المسلمين وقد بلغ امير المؤمنين ان ناساً ممن قِبلك من اهل الاسلام قد الهجهم الشيطان بها وجمعهم عليها والف بينهم فيها فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم الى ممساهم ملهية لهم عن الصلوات شاغلة لهم عما أُمروا به من القيام بسنن دينهم وافترض عليهم من شرائع اعمالهم مع مداعبتهم فيها وسوء لفظهم عليها وان ذلك من فعلهم ظاهر في الاندية والمجالس غير منكر ولا معيب ولا مستفظع عند اهل الفقه وذوي الورع والاديان والاسنان منهم فاكبر امير المؤمنين ذلك واعظمه وكرهه واستكبره وعلم ان الشيطان عند ما يئس منه من بلوغ ارادته في معاصي الله عز وجل بمصر المسلمين وبجمعهم صراحاً وجهاراً اقدم بهم على شبهة مهلكة وزين لهم ورطة موبقة وغرهم بكيدة حيله ارادة لاستهوائهم بالخدع واجتيالهم( )بالشبه والمراصد الخفية المشكلة بكل مقيم على معصية الله صغرت او كبرت مستحلاً لها مشيداً بها مظهراً لارتكابه اياها غير حذر من عقاب الله عز وجل عليها ولا خائف مكروهاً فيها ولا رعب من حلول سطوته عليها حتى تلحقه المنية فتختلجه وهو مصرٌّ عليها غير تائب الى الله منها ولا مستغفر من ارتكابه اياها فكم قد اقام على موبقات الآثام وكبائر الذنوب حتى مد به مخرم ايامه .

وقد احب امير المؤمنين ان يتقدم اليهم فيما بلغه عنهم وان ينذرهم ويوعز اليهم ويعلمهم ما في اعناقهم عليها ومالهم في قبول ذلك من الحظ وعليهم في تركه من الوزر فآذن (٢) بذلك فيهم وأشده في اسواقهم وجميع انديتهم واوعز اليهم فيه وتقدم الى عامل شرطتك في انهاك العقوبة لمن رفع اليه من اهل الاعتكاف عليها والاظهار للعب بها واطالة حبسه في ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان امير المؤمنين وافطمهم عما هجوا به من ذلك والتمس بشدتك عليهم فيه وانهاكك بالعقوبة عليه ثواب الله وجزاءه واتباع امير المؤمنين ورأيه ولا يجدن احد عندك هوادة في التقصير في حق الله عز وجل والتعدي لاحكامه فتحل بنفسك ما يسوءك عاقبة مغبته وتتعرض به لغير الله عز وجل ونكاله واكتب الى امير المؤمنين ما يكون منك ان شاء الله والسلام .

(١) اجتالهم حوّلهم عن طريق قصدهم (٢) آذنه الامر وبه اعلمه

وله تحميد في ابي العلاء الحروري :

الحمد لله الناصر لدينه واوليائه وخلفائه المظهر للحق واهله والمذل لاعدائه واهل البدعة والضلالة الذي لم يجمع بين حق وباطل واهل طاعة ومعصية الاجعل النصرة والفلج والعاقبة لاهل حقه وطاعته وجعل الخزي والذلة والصغار على اهل الباطل والخلاف والمعصية حمداً يتقبله ويرضاه ويوجب به لامير المؤمنين واهل طاعته الزيادة التي وعد من شكره والحمد لله على ما يتولى من اعزاز امير المؤمنين ونصره وافلاجه واظهار حقه على ما وقع باعدائه واهل معصيته والخلاف عليه من سطواته ونقماته وبأسه فيما ولي امير المؤمنين من موالاة من والاه وعداوة من بغى عليه وعاداه لا يكله في شيء من الامور الى نفسه ولا الى حوله وقوته ومكيدته فانه لا حول ولا قوة لامير المؤمنين الا به .

تحميد لعبد الحميد في فتح

الحمد لله العلي مكانه المنير برهانه العزيز سلطانه الثابتة كلماته الشافية آياته النافذ قضاؤه الصادق وعده الذي قدر على خلقه بملكه وعزّ في سماواته بعظمته ودبر الامور بعلمه وقدرها بحكمه على ما يشاء من عزمه مبتدعاً لها بانشائه اياها وقدرته عليها واستصغاره عظيمها نافذاً ارادته فيها لا تجري الا على تقديره ولا تنتهي الا الى تأجيله ولا تقع الا على سبق من حتمه كل ذلك بلطفه وقدرته وتصريف وحيه لا معدل لها عنه ولا سبيل لها غيره ولا علم احد بخفاياها ومعادها الا هو فانه يقول في كتابه الصادق وعنده مفاتح الغيب الى آخر الآية .

ولعبد الحميد في فتح يعظم فيه امر الاسلام

اما بعد فالحمد لله الذي اصطفى الاسلام ديناً رضي شرائعه وبين احكامه ونور هداه ثم كنفه بالعز المؤيد وايده بالظفر القاهر وآزره بالسعادة المنتجبة وجعل من قام به داعياً اليه من جنده الغالبين وانصاره المسلطين كلما قهر بهم مناوئاً او رشهم رباعهم المأهولة واموالهم المثرية ودارهم الفسيحة ودولتهم المطولة امراً حتمه على نفسه ثم جعل من عاندهم وابتغى غير سبيلهم مسلماً قد استهوته ذلة الكفر بظلمها وحيرة الجهالة بجوارها وتيه الشقاء بمغاويه وكلما ازدادوا لدعوة الحق اباءً ازداد الحق اليهم ازدلافاً وعليهم عكوفاً وفيهم اقامة الى ان يحل بهم عزّ الغلبة ونجاة المتجاوز داعين فيما شوقهم اليه محافظين على ما ندبهم له قد بذلوا في طاعة الله دماءهم وقبلوا المعروض عليهم في مبايعة ربهم لهم بانفسهم الجنة محمود صبرهم مسهل بهم عزمهم الى خير الدنيا والآخرة .

والحمد لله الذي اكرم محمداً صلى الله عليه بما حفظ له من امور امته ان اختار لمواريث

نبوته ما اصار الى امير المؤمنين من تطويقه ما حمل بحسن نهوض به وثبح عليه ومنافسة فيه ان فعل وفعل (؟)

والحمد لله الذي تمم وعده لرسوله وخليفته في امة نبيه مسدداً له فيما اعتزم عليه. والحمد لله المعز لدينه المتولي نصر امة نبيه المتخلي عمن عاداهم وناواهم حمداً يزيد به من رضي شكره وحمداً يملو حمد الحامدين من اوليائه الذين تكاملت عليهم نعمه فلا توصف وجلت اياديه فلا تحصى الذي حملنا ما لا قوة بنا على شكره الا بعونه وبالله يستعين امير المؤمنين على ذلك واليه يرغب انه على كل شيء قدير .

ولعبد الحميد ايضاً

اما بعد فالحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه وارتضاه ديناً لملائكته واهل طاعته من عباده وجعله رحمة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى به من خلقه واكرمهم وفضلهم وجعلهم بما انعم عليهم منه اولياءه المقربين وحزبه الغالبين وجنده المنصورين وتوكل لهم بالظهور والفلج وقضى لهم بالعلو والتمكين وجعل من خالفه وعزب عنه وابتغى سبيل غيره اعداءه الاقلين واولياء الشيطان الاخسرين واهل الضلالة الاسفلين مع ماعليهم في دنياهم من الذل والصغار . فاعجل لهم فيها من الخذلان والانتقام الى ماعد لهم في آخرتهم من الخزي والهوان المقيم والعذاب الاليم انه عزيز ذو انتقام

وكتب عبد الحميد الى اخ له في مولود ولد له وهو اول مولود كان

اما بعد فان مما اتعرف من مواهب الله نعمة خصصت بمزيتها وأصفيت بخصيصتها كانت أمرأً لي من هبة الله لي ولداً سميته فلاناً واملت ببقائه بعدي حياة وذكرى وحسن خلافة في حرمتي واشراكه اياي في دعائه شافعاً لي الى ربه عند خلواته في صلاته وحجه وكل موطن من مواطن طاعته فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجدي وظهر به سروري وتعطفت عليه مني أنسة الولد وتولت عني به وحشة الوحدة فانا به جذل في مغيبي ومشهدي أحاول مس جسده بيدي في الظلم وتارة اعانقه وارشفه ليس يعدله عندي عظيمات الفوائد ولا منفسات الرغائب . سرفي به واهبه لي على حين حاجتي فشد به أزري وحملني من شكره فيه ما قد آدني بثقل حمل النعم السالفة الي به المقرونة سراؤها في العجب بتارات ما يدركني به من رقة الشفقة عليه مخافة مجاذبة المنايا اياه ووجلاً من عواصف الايام عليه

فاسأل الله الذي امتن علينا بحسن صنعه في الارحام تأديبه بالزكاء وحرسه بالعافية ان يرزقنا شكر ماحملنا فيه وفي غيره وان يجعل ما يهب لنا من سلامته والمدة في عمره

موصولا بالزيادة مقرونًا بالعافية محوطا من المكروه فانه المنان بالمواهب والواهب لحق لاشريك له . حملني على الكتاب اليك لعلم ما سررت به علي بحالك قبله وشركتك اياي في كل نعمة اسداها الي ولي النعم واهل الشكر اولى بالمزيد من الله جل ذكره والسلام عليك

وكتب عبد الحميد عن هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر وهو باليمن في السلامة فان امير المؤمنين كتب اليك وهو في نعمة الله عليه وبلائه عنده في ولده واهل لحمته والخاص من اموره والعام والجنود والقوامي والثغور والدهماء من المسلمين على مالم يزل ولي بالنعم (؟) فتولاه من امير المؤمنين حافظا له فيه ومكرما له بالحياطة لما الحمه الله فيه من امر رعيته وعلى اعظم واحسن واكمل ما كان يحوطه فيه ويذب له عنه والله محمود مشكور اليه فيه مرغوب . احب امير المؤمنين لعلمه بسرورك به ان يكتب اليك بذلك لتحمد الله عليه وتشكره به فان الشكر من الله باحسن المواضع واعظم المنازل فازدد منه تزدد به وحافظ عليه وتحفظ به وارغب فيه يهد اليك مزيد الخير ونفائس المواهب وبقاء النعم فاقرىء على من قبلك كتاب امير المؤمنين اليك ليسر به جندك ورعيتك ومن حمله الله النعم بامير المؤمنين ليحمدوا ربهم على ما رزق الله عباده من سلامة امير المؤمنين في بدنه ورأفته بهم واعتنائه باموره فان زيادة الله تعلو شكر الشاكرين والسلام

ولعبد الحميد الى مروان في حاجة

ان الله بنعمته علي لما رزقني المنزلة من امير المؤمنين جعل معها شكرها مقرونًا بها فهي تنمى بالزيادة والشكر مصاحب لها فليست تدخلني وحشة من ابتاء حاجتي وانا اعلم انه لو وصل الى امير المؤمنين علم حالي اغناني عن استزادته ولكني تكنفتني مؤن استنفضت مافي يدي وكنت لخلف من الله منتظرًا فاني انما انقلب في نعمه واتمرغ في فوائده واعتصم بسالف معروفه كان عندي

ولعبد الحميد في وصف الاخاء

فان اولى ما اعتزم عليه ذوو الاخاء وتوصل اليه اهل المودات ما دعا اسبابه صدق التقوى وبنيت دعائمه على اساس البر ثم انهد البنا حزين (؟) التواصل وشيده مستعذب العشرة فادعم قويًا وصح مرتقا وبخاصه (؟) الحقة منعطفة وسكنت به القلوب انيسة وسمت من مواصلته الهمم مستعلية عن كل زائغ معتاف ومخوف نارش يحترم مسكة الاخاء ويختار مربوب الثقة ضنًا بما استعذبوا من محمود وثائقه وازديادًا فيما تمطقوا به من حلاوة جناه فاذا استحكم لهم مدخور الصفاء بثبات اواخيه وظهور أعلامه ومحصول مخبره وثقة موادة كان سرورهم باعتلاقه وابتهاجهم بوجدانه وانما هم صلته وبذلهم رعايته وحياطتهم محمودة بحيث

نالوا من معرفته حظوته واستولوا عليه من مزية كرمه وتعرفوا من ذخيرة عائدته ومأمون حفاظه وكشف لهم عن نفسه مظهرًا اعلامه مبديًا دفينته طارحًا قناع سره معلنًا مكنون ضميره في نأي الدار وجدان (؟) المجتمع باظهار ما استتر من المحاسن وبث في الحقب من المكارم قياماً لهم بالنصرة وحياطاً للمودة وترغيباً في العشرة فكان اكهف لجاء واحرز حصن واحصف جنة واعون ظهير وابقى ذخيرة واعظم فائدة واشرف كنز وانخر صنيعة وآنق منظر وابنع زهرة اكثر الاشياء ريعاً وانماها وصلاً وامدها سبباً واقواها ايداً واحلاها ذوقاً وادعمها ثباتاً وارساها ركناً لا يدخل مستحقها سآمة ملال ولا كلال مهنة ولا تثبيط ونية ولا ضعف خور لنزول بائقة او طروق طارقة من عوارض الاقدار وحوادث الزمان بل مواسياً في ازمهامتورطاً غمرات قحمها (١) متدرعاً هائل بوائقها مستلحماً (٢) نواظر مقاطعها حتى تصير به الاقدار الى تناهيها ويبلغ به القضاء مقداره غير منان النصرة ولا برم التعب يرى تعبه غنماً ونصبه دعة وكلفه فائدة وعمله مقصرًا وسعيه مفرطاً واجتهاده مضيعاً عدل الولد في بره والوالد في شفقته والاخ في نصرته والجار في حفظه والذخر في ملكه فاين المعدل عن مثله او كيف الاصابة لشبهه او انى عوض من فقده جمعنا الله واياك على طاعته والثنا بمحابه وجعل اخوتنا في ذاته

قد حددت لك اي اخي الاخاء متشعباً ووصفته لك مخلصاً وانتهيت بك الى غاية اهل العقل منه وما تواصل اهل الرأي عليه ودعا اليه الاخاء من نفسه منتطقاً به ضامناً له ما فرط في ذلك تقصير من اهله وداخله تضييع من حملته او حاطه احكام وكنفه حفاظ من رعاته .

ووافاني كتابك بما ساءت من ذلك وعقلي محصور ورأيي منقسم وذهني فيما يتأهب به الامير . . . والله من خزر الترك واختلاف رسله الى جبال اللان والطبران وما والاهما بنوافذ امره ومخارج رأيه فانا مصيخ السمع لانفطه عقل العقل عن سوى امره محتضر الذهن في تدبيرهم ذهل القلب عن تفنين القول وتشعيب الكلام في تصنيف طبقات الرجال ومن اين دخل عليهم نقص الاخاء وكيف خانهم موثق الصفاء وقد صرحت لك عن رأي ذوي الصفاء وكشفت لك خباء الاخاء وجمعت لك الف مودة اهل الحجى فلقّ ما وصفت لك بقلب فهم عقول ذي ميزة يقظان وذهن جامع حافظ ذي ثقافة راع احضرك الله عصمة التوفيق وسددك الله لاصابة الرشد ومكن لك صدق العزيمة والسلام .

---

(١) القحمة بضم القاف الاقتحام في الشيء والمبالكة

(٢) استلحم مجهولا روهق في القتال

ومن رسائل عبد الحميد ما كتب عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه (١)

ان الله تعالى امتع امير المؤمنين من انسيته وقرينته متاعاً مده الى اجل مسمى فلما تمت له مواهب الله وعاريته قبض اليه العارية ثم اعطى امير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها انفس منها في المنقلب وارجح في الميزان واسنى في العوض فالحمد لله وانا اليه راجعون ·

وكتب موصياً بشخص يقول :

حق موصل كتابي اليك كحقه عليّ اذ جعلك موضعاً لامله ورآني اهلاً لحاجته وقد انجزت حاجته فصدق امله ·

وكتب في فتنة بعض العمال من رسالة :

حتى اعترافي حنادس جهاله ومهاوي سبل ضلاله ذللاً لسياقه وسلما في قياده الى نُزُل من حميم وتصلية جحيم سوى ما انتجت الحفيظة في نفسه من عوائد الحلك وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب مضادة لله تعالى بالمناصبة ومبارزة لامير المؤمنين بالمحاربة ومجاهرة للمسلمين بالمخالفة الى ان اصبح بفلاة قفرونية صفر بعيدة المناط يقطع دونها النياط وكذلك الله يفعل بالظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ·

وكتب من رسالة اخرى الى اهله وهو منهزم مع مروان :

اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضته بنابها ذمها ساخطاً عليها وشكاها مستزيداً لها وقد كانت اذاقتنا افاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فملح عذبها وخشن لينها فابعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة · وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعداً واليكم وجداً فان تتم البلية الى اقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من اظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار · نسأل الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ان يهب لنا ولكم أُلفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين وارحم الراحمين ·

وله من رسالة (١) كتب بها عن آخر خلفاء بني امية وهو مروان الجعدي لفرق العرب حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد تدعو للدولة العباسية ·

فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية من يد الفئة العجمية واثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة ونصحو من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل والله مع الصابرين والعاقبة للمتقين

---

(١) هذه الرسائل الاربع منقولة عن شرح رسالة ابن زيدون (٣) اوردها صاحب كتاب عنوان المرقصات والمطربات

الحماسة البصرية (١)

تقدم ابو تمام الطائي فيما نحسب غيره من زعماء القريض وحملة رايات الادب بجمع ماوقع اختياره عليه من شعر العرب العرباء وسماه (الحماسة) وحذا حذوه غيره في ضم شتيت شعر العرب ولكل اختياره ومنهم الشيخ ابو الحسن صدر الدين علي بن ابي الفرج بن الحسن البصري الف حماسته برسم الملك الناصر صلاح الدين بن الملك العزيز بن الملك الظاهر سنة ٦٤٧ هجرية وسماها الحماسة البصرية . قال في مقدمته : توخيت في تحرير مجموع يحتوي على قلائد اشعارهم (العرب) وغرر اخبارهم مجتنباً للاطالة والاطناب بما تضمنته ابواب الكتاب كامالي العلماء وحماسات الادباء ودواوين الشعراء من فحول المحدثين وجواهر الكلام غير انهم قد نسبوا فيها اشياء الى غير قائلها ولم يقيدوا الكتاب بترجمة ابواب فغدت فوائده متبددة الانتظام مستصعبة على الحفظ والافهام فجاء مشتملاً على غرائب البديع وملح التصريف والترصيع ثم ان الشعر على اختلاف معانيه واصوله ومبانيه ينقسم الى نعوت واوصاف فما وصف به الانسان من الشجاعة والشدة في الحرب والصبر في مواطنها يسمى حماسة وبسالة وما وصف به من حسب وكرم وطيب محتد سمي مدحاً وتقريظاً وفخراً وما اثني عليه بشيء من ذلك ميتاً يسمى رثاءً وتأبيناً وما وصفت به اخلاقه المحمودة من حياء وعفة واغضاء عن الفحشاء ومسامحة الاخلاء سمي ادباً وما وصف به النساء من حسن وجمال وغرام بهن سمي غزلاً ونسيباً وما وصف به من ايقاد النيران ونباح الكلاب سمي قرى وضيافة وما وصف به من بخل وجبن وسوء خلق ونميمة سمي هجاءً وما وصفت به الاشياء على اختلاف اجناسها وانواعها سمي نعتاً ووصفاً وملحاً وما ذكر به الانابة الى الله تعالى ورفض الدنيا سمي زهداً او عظة . وهاك نموذجات منه قال رجل من لخم يحرض الاسود اللخمي وذلك انه كانت حرب بين ملوك غسان وملوك العراق وهم لخم فظفر الغسانيون باللخميين وقتلوا جماعة منهم ثم في آخر السنة التقوا في ذلك الموضع وكان قد جمع اللخميون جمعاً عظيماً فظفروا بالغسانيين واسروا منهم جماعة واراد ملكهم ابن المنذر الاسود البقاء عليهم فقام رجل من قومه وكان قد قتل له اخ يحرضه على قتلهم فقال .

	ما كل يوم ينال المرء ما طلبا	ولا يسوغه المقدار ما وهبا
	واحزم الناس من ان نال فرصته	لم يجعل السبب الموصول مقتضبا
	وانصف الناس في كل المواطن من	سقا المعادين بالكأس الذي شربا
ومنها	لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها	ان كنت شهماً فالحق رأسها الذنبا
ومنها	هم اهلة غسان ومجدهم	عال فان حاولوا ملكاً فلا عجبا
	وعرضوا بفداء واصفين لنا	خيلاً واملاً تروق العجم والعربا
	ايحلبون دما منا ونحلبهم	رسلاً لقد شرفونا في الورى حلبا

(١) في دار الكتب المصرية الجزء الاول منه

المتحفان المصريان

المتحف المصري القديم

من طاف في أرجائه وتجول بين معروضاته وحدق نظره في عادياته وغرائب آثاره — أدرك لأول وهلة عجزه عن ان يفي تلك الآثار حقها من الوصف وبيان المعنى الذي وضعت له والغرض الذي اتخذت من أجله . وان ذلك المتحف بما حواه من الآثار الجمة التي كادت تفوق الحصر كالبحر الزاخر المتلاطم بالامواج : ففيه أدوات وهنات (خرداوات) لا يكاد يتبينها الطرف لدقتها وصغر حجمها كما ان فيه من المحاريب والتماثيل الهائلة.والعمد الممددة أو الماثلة.ماينوء بالعصبة أولي القوة ويحتاج في زحزحته من مكانه الى تعضيد الآلات وأعمال الماكينات فكيف يتسنى للكاتب ان يودع أوصافاً وملاحظات غير محدودة ـ في مقالة محدودة . ذات سطور معدودة.مثل بعض الوعاظ عن معنى قوله تعالى « والسماء ذات الحبك » فأجاب بقوله : السماء هي التي نشاهدها فوق روؤسنا وأما الحبك فهو شيء لانعرفه لانحن ولا أنتم . وهكذا أراني عاملا في الاعتذار لأديب كلفني وصف المتحف وآثاره : فاقول : المتحف بناء جليل بجوار قصر النيل وأما العاديات التي فيه فشيء لاأعرفه.ولا يتيسر لي وصفه : المتحف المصري مكتبة تاريخ ومعجم هيروغليف ومعرض صناعة وهيكل عبادة. والباحث في عادياته يلزمه ان يعرف — عدا عما ذكر — التاريخ الطبيعي والكيمياء والهندسة وان يكون له ذوق خاص في الفنون الجميلة كالنحت والنقش والتصوير والا كان شأنه ان يدخل فيرى كل شيء ثم يخرج فلا يبقى في ذهنه شيء اللهم الا وقفة على رأس « رعمسيس الثانى » تنتزع المرء من عالم الشهادة الى عالم الغيب.وتقذفه فيها أمواج اليقين على صخور الريب .

اذا دلنا النيل بصراحة على ان الامة المصرية القديمة أمة زراعية بطبيعتها ـ فان هذا المتحف يدلنا باكثر صراحة على انها كانت أيضاً أمة صناعية ضربت في اتقان الصنائع وأحكامها بسهم وافر

أما الكهانة والديانة والعبادة وسر الروح والموت والحساب والعقاب فهذا يكاد ينطق به كل أثر تقع عينك عليه في هذا المتحف .

وقد راعت الحكومة النظير في البناء الذي شيدته لتلك الآثار . فكان فخما مفخما مثلها : بل ربما قاسمها اعجاب الزائرين .ولفت اليه عنها أنظار المتفرجين .

والمتحف قسمان : وقد وضع في القسم السفلى العاديات الضخمة الهائلة : ففيه ألواح وصفائح حجرية كبيرة جدا وقد رسم عليها بالخط البربائي صور طيور وحيوانات واشارات ورموز أخر ويتخللها صور شخوص أيضاً . وهذه النقوش تراها منبثة على ظاهر التوابيت والنواويس والتماثيل وقلما يخلو أثر منها.وأكثر ما يرى بين تلك النقوش من الحيوانات صور الجعلان والعجول والغربان ثم القرود والبواشق وبنات آوى.ولا أذكر أني رأيت ما بين تلك الصور صورة فرس أوفارس فكأن المصريين القدماء ما كانوا يقتنون الخيول ولا يزاولون الفروسية.

وقد ترى على ظاهر التابوت الحجري صورة بقرة يحلبها رجل وقد ربط عجلها من مقوده باحدي قوائمها كيلا يفلت ويضل.

والفرق بين التابوت والناووس ان الأول على هيئة الصندوق من الحجر أو الخشب ويوضع على الارض كما يوضع الصندوق. أما الناووس فوضعه عمودي وفتحته على طول الانسان المقابل له بحيث يمكنه ان يدخل تلك الفتحة كما يدخل من باب الدار . وترى بين المعروضات موائد من حجر على أشكال مختلفة .وهي كمذابح يضع عليها كهنة المصريين الادوات التي يمارسون بها طقوس عبادتهم .

وترى تماثيل حجرية هائلة جدا منها ماهو على اسم المعبودات ومنها ماهو على اسم الملوك والفراعنة . وشأن المصريين كشأن اليونان الاقدمين: من حيث ان القبيلين مزجوا بين معبوداتهم وملوكهم حتى اختلط حابلهم بنابلهم • وقد نحتوا من حجر الغرانيت سفينة سموها مقدسة . وكأن المقدسة عندهم هي التي يتخذونها للجنائز ونقل الموتى من شاطئ الى آخر . ويوجد من تلك السفن زورقان كبيران كالزوارق الاعتيادية وباقيها مثل صغيرة تمثل الكبيرة في سواريها وأشرعتها وملاحيها. وهي في الدور العلوي وليس الا كثر من التوابيت الحجرية والخشبية والاولى مغطاة باحجار منحوتة على شكل الانسان تمثل الميت المودع فيها أما الاخرى الخشبية فيرسم على غطائها صور ذات ألوان وأصباغ تمثل الميت أيضاً. وفي هذا القسم كثير من الاحجار المختلفة في الحجم والشكل فمنها العمودي ومنها الهرمي وكثير منها شظايا حفظت لتجمع مع مايوائمها ويأتلف معها

أما الدور العلوي ففيه معظم العاديات وأنفس ذخائرها وأثمن كنوزها: ومن ذلك مجموعة الحلي والمصوغات. ومجموعة المومياوات البشرية. وأخرى للمومياوات الحيوانية. ومجاميع للنسيج والخزف وأجناس المعبودات والتوابيت والامتعة والادوات والخرثي- في نظير ذلك مما كان المصريون القدماء يرتفقون به في منازلهم ويعتمدون عليه في قضاء مصالحهم ومزاولة مختلف مهنهم وأعمالهم • والمومياء كناية عن جثة الميت تعالج بالأدوية والعقاقير ثم تشد وتلف بقطع ولفائف من النسيج شداولفاً محكمين على شكل خاص فتحفظ بذلك من البلى وتصل سليمة الى الدار الاخرى

ويوجد في المتحف من تلك المومياوات زهاء عشرين مومياء مابين ملوك وملكات وقواد وكهان وأطفال صغار .وفيها مومياء أعظم وأجل ملك قام في تاريخ مصر القديم وهو رعمسيس الثاني من ملوك العائلة التاسعة عشرة واذا نظرت

الى تلك الجثث رأيت عجباً وباعثاً على الاتعاظ والدهشة الى حد الذهول وانفعال المشاعر. ولم يبق من تلك التجاليد الا رق من جلد على فخ من عظم. وقد تتراءى لك مزع (قطع) اللحم محمرة أو كامدة اللون لكنها لاطئة على الاعضاد والافخاذ حتى عادت كالجلد اليابس. ومن تلك الجثث ماهو سليم تام الجوارح ومنها ماتشوه بهتم أسنانه أو صلم آذانه أو سمل عينه أو هشم أنفه. ومنها ما أمسى لونه أسود كالزنجي. ومنها المحمر والرصاصي اللون وما استولت عليه الكمدة

وقد قال أبو النجم الشاعر العربي ان جذب الليالي وكرور الايام عليه حلت شعر رأسه وميزت عنه قنزعاً عن قنزع. فماذا يقول هؤلاء الفراعنة وقد كرت عليهم آلاف من السنين فوق الارض وتحتها ثم فوقها ثانية اذا رأينا شعورهم مدلاة خصلا وقنازع ذات ألوان منكرة لايدري هل هي طبيعية أو نشأت عن جذب دهر الدهارير. أو تأثير الادوية والعقاقير

وأذا رأى المرء هذه المومياوات تذكر ما قاله ابن خلدون من أن الاقدمين ما كانوا اضخم مناجثة ولا أطول قامة الى الحد الذي وصفه القصاص والممخرقون وانما هم امم أمثالنا بدليل تلك المومياوات التي عثروا عليها في المدافن والنواويس. كما ان تقليب الفكر في هذه الجثث يوحي الى النفس بان العذاب الذي أوعدبه الكافرون في برازخهم لايصيب الا الروح. والا فيلزمنا القول بان أموات المصريين الاقدمين كانوا على عقيدة صحيحة تنجيهم من عذاب البرزخ. أو انهم لم تبلغهم دعوة رسول فما كانوا معذبين. أو يقال ان صناعة التحنيط المصرية كانت تحول بين القدرة الالهية و بين التنكيل بهذه الموميات فلا يصيبها شر ولا يلحقها أذى. اللهم غفرا. أما المومياوات الحيوانية فلها مستودع خاص بها. وترى هناك تماسيح طوال الواحد زهاء أربعة أمتار. وسمكة طولها أكثر من متر وطيور

ماء ودجاج وأفراخ وكلاب وقطط وقرود وغزلان ووعول وخرفان وهذه الاجناس الاخيرة ماثلة امام النظارة هيا كل عظام مجردة عن اللحم. كما ان بعض الطيور والقرود لها نواويس تناسب حجمها قد أودعت فيها. وبين هذه الموميا وات كثير من الاصداف والابواق والقواقع البحرية وعدة قطع من الذبل (عظم السلاحف) ومن بيض الدجاج وبيض آخر أكبر منه وأصغر من بيض النعام. وقد الحقوا بهذه الموميا وات الحيوانية موميات نباتية فترى غصونا وأوراق أشجار وأثمارا وضروبا اخرى من النبات وحبوبا وبذورا وعدة أقراص من الخبز وقرص عسل من شمع النحل. وكلها معالجة بالادوية والعقاقير ومحفوظة بذلك من الاندثار

واذا حفظ المصريون أجساد أمواتهم من البلى لتقوم سليمة ساعة الحشر والنشر فلا بدع اذا تداركوا لهم من أطايب الزاد وشهي الاثمار ما يقوون به على تحمل اعباء الحساب. ولكن ما الغرض من حفظ جثث الكلاب والقطط والقرود يا ترى؟ وقد خصصوا في المتحف مكانا للحلي وأدوات الزينة وانك لترى فيها قطعا نفيسة جدا. واذا أدركت كنه بعضها وفقهت الغرض الذي تتخذ لاجله كالاسورة والعقود والخواتيم — فانك ترى منها مالا تعرف له مغزى ولا تفقه له غرضا بل اذا حاول المرء وصفه بقلمه أو لسانه فلا يقدر عليه. ومن ثمة كانت الزائرات من نساء الافرنج يصورون ما يستحسنه من تلك القطع في مذكراتهن تصويرا. وقد رأيت فتاة تصور خنجرا له مقبض جميل مطوق بالذهب ومرصع بالاحجار الكريمة. واخرى تصور عقدا مؤلفا من عدة أسلاك نظمت فيها الاحجار الكريمة وفصلت بالجمان وخيوط الذهب تفصيلا. وليست تلك الاحجار الكريمة مما نعهده بيننا اليوم كالماس واللؤلؤ والياقوت والمرجان وانما هي أجناس اخر ليست منها وليس لها بريقها وبصيصها. ثم اذا طفت في ارجاء ذلك المتحف

وقلبت طرفك بين عادياته وذخائره بصرت بأشياء وأدوات كثيرة: منها ما له مثال في مرافقنا وتكاليف مدنيتنا كالجرار والاسرة والمدارج. ومنها ما ليس له مثال كقطع من خزف أو طين على هيئة مخروط لا يعرف المرء منفعتها مهما قلب فيها الطرف واخرى متخذة من الخزف والابريز والزجاج والمرمر والحجر والعاج وغير ذلك بحيث لا يدري ان كانت تستعمل في مرافق منزلية او صناعية. وترى أواني خزفية عليها كتابة فينيقية مما يدل على اتصال المعاملة والمتاجرة بين تينك الامتين القديمتين وزوارق من خشب لها سوار وأشرعة على غير الوضع المعهود في زماننا وفي تلك الزوارق صور رجال تمثل الملاحين والنواخذة وشرازم جنود بايديهم الدرق والرماح وآخرون بايديهم السهام والسيوف

وهناك تمثال شخص منحن على ركبتيه ويداه في اجانة أو وعاء أمامه كأنه يعجن أو يغسل. وآخر بيده حجر كأنه يسحق به عقارا. وخدم على رؤوسهم كهيئة الصناديق يمشون بها. ونعال من جلد أوخوص ومراوح من خوص وقماش. وكراسي ومقاعد وعربات على شكل غير معهود عندنا وصحاف وازيار واسرة لوضع الموميات في الاحتفالات الجنائزية. وأمتعة وأوان غريبة الشكل منقوشة ومكتتبة بالقلم البرباني. وادوات وآلات للصناع وأرباب الحرف كالبنائين والنجارين وموازين ومقاييس ومكاييل ومثاقيل ومغازل وصناديق صغيرة من خشب مطعمة بالعاج والعظم. كما ان أخشاب التوابيت والزوارق مجموعة على طريقة التحشية المعروفة لدى أرباب هذه الصناعة اليوم. ورقوق وأدراج من البردي عليها نقوش وتصاوير ملونة بالاصباغ الزاهية ودمى وتماثيل صغيرة من مواد مختلفة من مثل الذهب الى مثل الخزف تمثل موميات الاموات وكأنهم يحفظونها كند كار لامواتهم. وأكثر ما ترى بين التماثيل المبثوثة في جنبات المتحف تمثال الجعل

والعجل. وهناك تماثيل اخر على شكل الغراب والباشق وابن أوى والقرد وهم تارة ينحتونها من الخشب والحجر وطورا يصنعونها من المعادن والفلز وآونة من اللازورد والجزع واليشب . وانك لترى الحجر الضخم بحجم حجر الرحى الكبيرة وقد نحت فيه من أعلاه صورة جعل كبير طوله نصف ذراع أو أكثر . وقد ينقشون الجعل تذكارا لبعض الحوادث والامور كالجعل الذي نقش تذكارا لاقتران « أمنوتس » الثالث بتي

أما العجل أبيس فقد أبدعوا في تمثيله وتصويره وتفننوا في الرمز الى احواله وأطواره : أبيس واقف ـ أبيس رابض ـ أبيس على شكل رجل برأس ثور ـ أبيس على يمينه « أسيس » وخلفه « نفتيس » الى غير ذلك. وتماثيل العبودات مختلفات الهيئات متعددات الاشكال : فمعبودة « صا الحجر » يخالف شكلها معبودة « عين شمس » وتماثيل المعبودة « سلكيت » على وضع غير وضع تماثيل المعبودة « صا نحور » وغير تماثيل المعبودة « نفتيس » . هنا معبودة في حجرها طفل ترضعه. وهناك معبود له جناحان وقد نجم في رأسه قرنان كقرني الشيطان وقد أشرق من بينهما مثال الشمس او القمر . وثمة آخر يرفع يديه الى السماء يمنعها أن تسقط على الارض وأمامه معبود رأسه رأس كبش ووراءه آخر برأس سبع. وما هذا المعبود الذي أمسك بكل يد من يديه ثعبانين وعقربا وغزالا وأسدا وقد وطئ بأخمصيه رؤوس تماسيح؟ وماهذه المعبودات الاخرى التي نصفها الاسفل أفعى والاعلى امرأة ولها مكان اليدين جناحا نسر وكأنه قد بسطهما؟

هذا ماوعته الذكرة أيها الاديب من أمر ذلك المشهد العجيب فان كان مما يعجبك . والا فاني قائل ماقاله الواعظ في « الحبك »

دار الآثار العربية

يتوقف التمكن من علم او صناعة على معرفة تاريخ ذلك العلم أو هذه الصناعة. فان في هذه المعرفة ما يدعو المرء الى التوسع في علمه أو تحسين صناعته وزيادة البصيرة فيها . وكان التاريخ في القديم مسطوراومقروءا. أما الآن فقد تنبه الافرنج الى نوع من التاريخ أقرب تناولا من الأول واكثر فائدة منه. ويصلح أن نسميه التاريخ الماثل المنظور - ذلك التاريخ هو مايعرض على طلبة هذا الفن في المعارض وفي دور الآثار القديمة : فمن أراد ان يدرس تاريخ صناعة الكاشاني مثلا كان عليه أن لايقتصر على قراءة ذلك في السطور والاسفار بل يزور ماحفظ منها ونضد في دور الآثار : فهي تعرض عليه ماوجد من آثار تلك الصناعة من أول نشأتها وكيف تدرجت الى أن وصلت الى حالتها الحاضرة

وهذا النوع من التاريخ أتقنه الاوروبيون وشادوا له المباني الفخيمة . والدور العظيمة . وقد تنبهنا نحن الى ذلك في الازمنة المتأخرة . فكان في الاستانة وفي القاهرة بعض الشيء من ذلك

ومن الاسف ان دار الآثار العربية في القاهرة كأنما أنشئت للاوربيين وللمشتغلين بالتاريخ والصناعة منهم : فهم الذين يزورونها ويتفقدون معروضاتها ويستفيدون منها وقلما ترى زائرا لها من أهل البلاد أو من أهل الحرف والصناعات فيها

واذا سألت عن السبب في وضع «فهرست» لتلك الآثار باللغة الافرنجية من دون العربية اعتذروا اليك بما قلناه من أن الافرنج هم الذين يتداولون الفهرست ويحرصون على الاستفادة مما فيه . أما أبناء العرب فاذا وجد منهم بضعة آحاد يحذون حذو أولئك فهم في الغالب على معرفة من اللغة الاجنبية تمكنهم من

الانتفاع بما سطر في الفهرست. ومعظم الآثار الموجودة في «دار الآثار العربية» يرجع عهده الى القرن السابع والثامن والتاسع من الهجرة: أي هي من مخلفات أمراء المماليك والجراكسة الذي عاشوا بين الدولتين الصلاحية والعثمانية

فمن نظر في آثار تلك القرون الثلاثة تبين له من حسنها ونفاستها واتقان العمل فيها - مايحكم معه بأن عصر أولئك المماليك كان عصر عمران وترق في الصناعة والذوق والترف . وانه امتاز عن العصور التي سبقته وخلفته في ذلك

ويمكن تقسيم الآثار الى خمسة مجاميع

(١) مجموعة الحجر والرخام : ومعظمها يتألف من شواهد قبور وازيار ماء وبينها صفيحة حجر ضخمة عثروا عليها في الاسكندرية . ومكتوب عليهامايفيد أن البناء التي كانت فيه مما أمر بانشائه السلطان صلاح الدين . وشاهدة قبر محمد بك أبي الذهب مملوك محمد بك الالفي . وهي مذهبة ومكتوب عليها شعر يدل على اسمه ووفاته في سنة ١١٨٩

ومعظم الازيار من رخام . ولها أحواض خاصة بها ترتكز عليها . ومما هو من الغرابة بمكان أن ترى حجرا ضخما من الرخام نحت منه زير كبير مستطيل أو كروي الشكل. وقد جوف تجويفا تاماً يحار العقل في الطريقة التي اتخذها صانعوه في تجويفه ثم نحت على ظاهره أشكال نافرة ورسوم متناسبة أو أضلاع مستوية كلها غاية في الحسن ودقة الصنعة • وأحد تلك الازيار النفيسة اصطنع برسم الخاتون «تاتار» ابنة السلطان قلاوون وهناك صفائح من الرخام كبيرة حفر على سطوحها نقوش متعرجة متناسبة . وتسمى الصفيحة من تلك الصفائح «السلسبيل» والغرض منها أن يسيل الماء عليها من انبوبة فوقها وفي أثناء سيلانه يتكسر بسبب ماتحته من التعاريج ويكون ذلك وسيلة الى امتزاجه بالهواء ثم

يصل الى حوض رخامي صغير في أسفل الصفيحة فيكون ماء صحياً صالحا للشرب كذا قالوا . وعندي ان السلسبيل وتحدر الماء عليه مما أتخذ لترويح النفس وامتاع النظر كما اتخذوا لذلك الفساقي ونوافرها . والسلسبيل في اللغة يوصف به الماء والشراب السائغ السهل المدخل في الحلق

(٢) مجموعة الاخشاب وهي تحتوي على محاريب ومنابر وأبواب وشبابيك ورواشن وكراسي للمصاحف وغيرها منها ماهو جاف غليظ ومنها مابلغ منتهى الدقة والحسن. وقد ترى أغلاق الابواب والنوافذ مؤلفة من قطع صغيرة من الخشب ذي الالوان المختلفة بحيث يقوم اختلاف تلك الالوان مقام الدهن بالاصباغ. وتلك القطع متناسقة ومرتبة على أشكال وأوضاع هندسية كصناعة الفسيفساء في الزجاج والرخام . وهي متماسكة الاجزاء لا بالمسامير وانما بطريق الجمع والتحشية

فهل كانت المسامير أو مادة الحديد عزيزة وقليلة الوجود في تلك الاعصر الى هذا الحد ؟ أو ان الصناع يريدون أن يظهروا مهارة وبراعة في صناعتهم بحيث يستغنون عما لا غنية عنه في العادة ؟

(٣) مجموعة المعدن والبرونز : وهي تتضمن أدوات كثيرة وأشياء مختلفة من ذلك ـ الثريات النحاسية التي قد تحمل الواحدة منها زهاء ٣٦٠ مصباحا . ومنها كرسيان عاليان من نحاس شغل تفريغ مكتب بالذهب والفضة وهما مما صنعها الصناع برسم ابن قلاوون . ومن الآثار النفيسة في هذه المجموعة مقلمة الغزالي وهي علبة مستطيلة من النحاس كان الامام يضع فيها دواته وأقلامه ومكتوب على ظاهرها شيخ الاسلام محمد الغزالي الخ وهناك قطعة من الحلي ضخمة محدبة الشكل على هيئة نصف كرة من فضة وذهب ومرصعة بالياقوت

والماس أهداها الى دار الآثار حضرة محمد مجدي بك مستشار الاستئناف بمصر ويقال ان صاحبها في القديم كان يعيرها أو يؤجرها الى أهل العرس يزينون بها عروسهم ليلة اهدائها الى زوجها

(٤) مجموعة الكاشاني والزجاج : ومعظم هذه المجموعة يتألف من مشكاوات (جمع مشكاة) وقطع آجر منقوشة ومكتبة وملونة بالاصباغ المختلفة. وقد اختلفوا في معنى المشكاة في القرآن اختلافاً كثيرا وأشهر الاقوال فيها أنها الكوة غير النافذة أما المشكاة في دار الآثار فلا خلاف في أنها وعاء من زجاج منتفخ البطن مخصر العنق له عرى حول عنقه يشد منها بالسلاسل الى السقف ويوضع في جوفه الزجاجة التي يكون فيها المصباح .والمشكاوات في دار الآثار تبلغ المئة .وانك ترى ظاهرها منقوشا ومصبغا بالالوان وبعضها مكتبا بالآيات مثل «الله نور السموات» الى قوله تعالى المصباح في زجاجة . ومن نفائس هـذه هذه المجموعة قطعة من الكاشاني نصف ذراع في مثله - صورت عليها مكة وحرمها ومعاهدها وضواحيها فهي بمثابة خارطة جغرافية لتلك البقاع المباركة وقد نقشت بالاصباغ والالوان المختلفة وعليها كتابات تنبيء بأسماء المعاهد ومكتوب عليها اسم صانعها-كل ذلك بمادة المينا أو بالدهان الملون الذي يشوى على سطح الخزف شيًا

وفي هذه المجموعة زير من خزف ضخم كري الشكل مدهون بدهان قاتم شديد اللمعان وقد عثروا عليه وهم يحفرون في بعض جدران جامع الازهر وهناك أواني لوضع الزهور (زهريات) وهي كالزير الصغير ولها أعناق مستطيلة على شكل الزهريات التي تصنع في شرقي آسيا وقد صنعت برسم السلطان حسن صاحب الجامع المشهور

ومما تتضمنه تلك المجموعة هنات مدورة من زجاج كانوا يستعملونها في الموازين مكان الصنوج المعدنية لان هذه يركبها الصدأ أو يأكلها فتزيد أوتنقص واما تلك فلا تزيد ولا تنقص

(٥) مجموعة النسيج : فيها قطعة من ثوب مكتوب عليه اسم قلاوون. وأنفس ما في هذه المجموعة بل أثمن تحفة تنافس بها دار الآثار العربية سائر الدور الاخرى - قطعة من حاشية نسيج كان حيك في مصر برسم الخليفة الامين العباسي ابن هرون الرشيدي المتوفى في أخريات القرن الثاني من الهجرة وقد كتب على هذا النسيج بخيوط السدا واللحمة مانصه « بسم الله بركة من الله لعبد الله الامين محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر بصنعته في طراز العامة بمصر- الفضل ابن الربيع مولى أمير المؤمنين » والفضل هذا كان وزيرا للامين. وقدأريد بطراز العامة « دار الطراز » التي كان يصنع بها. والطراز من شارات الخلفاء وشعائرهم وهو ان ترسم أسماؤهم أو علامات يختصون بها أنفسهم - في حواشي أثوابهم التي يلبسونها - بخيوط من ذهب أوحرير ماون فيدل الطراز على لابسه كما تدل شرائط القصب والحرير الملون على مراتب ضباط الجند لهذا العهد. وكان لنسج الطراز مصانع خاصة به تسمى دور الطراز والقيم الذي يشرف عليها يسمى صاحب الطراز. و يؤخذ مما كتب على قطعة النسيج المذكورة ان دار طراز الخلفاء العباسيين في زمن الامين - كانت في مصر.

هذا مثال مما يمكن أن يقال عن دار الآثار العربية ومن حسن عناية ولاة الامور بتلك الدار ان اختاروا لها من أبناء البلاد ذوي الكفاءة ممن يعرف كيف يرتب تلك الآثار ويقرأ الكتابات المختلفة التي عليها ويهتم بحل الرموز التي تتراءى فيها ثم يشرح كل ذلك للوافدين فيكثر ان شاء الله ترددهم اليها وانتفاعهم بها المغربي

الفقر والسقام

أيّ مضنى يمدها باكتئاب أنة تترك الحشا في التهاب
يتشكى والليل وحف الاهاب ضمن بيت جثا على الاعقاب

صفعته شمال كفّ الخراب

تسمع الأذن منه صوتاً حزيناً راجفاً في حشا الظلام كميناً
يملأ الليـل بالدعاء أنينـا ربّ كن لي على الحياة معينا

ربّ ان الحياة أصل عذابي

وجع في مفاصلي دق عظمي ودهاني ولم يرق لعدمي
عاقني عن تكسبي قوت يومي ربّ فارحم فقري بصحة جسمي

ان فقري أشد من أوصابي

ياطبيباً وأين مني الطبيب حال دون الطبيب فقرعصيب
لا أصاب الفقير داء مصيب ان سقم الفقير شيء عجيب

بطلت فيه حكمة الاسباب

— • —

رجـل معسر يسمى بشيرا كان يسعى طول النهار أجيرا
كاسبـاً قوته زهيـدا يسيرا مالكا في المعاش قلباً شكورا

راجيا في المعاد حسن المآب

وله أخت حكته خلقاً نزيهاً عانس جاوز الزواج سنيها
لزمت بيت أمهـا وأبيها مع أخيها تعيش عند أخيها

مثله في طعامه والشراب

كل يوم له ذهاب ومأتى في معاش من كده يتأتى
هكذا دأبه مصيفاً ومشتى فاعتراه داء المفاصل حتى
عاقه عن تعيش واكتساب

بينما كان في قواه صحيحا ساعياً في ارتزاقه مستميحا
اذ عراه الضنى فعاد طليحا ورمته يد السقام طريحا
جسمه من سقامه في اضطراب

بات يبكي اذا له الليل آوى بعيون من السهاد نشاوى
فترى وهو بالبكا يتداوى قطرات من عينه تتهادى
كشهاب ينقض اثر شهاب

ان سقماً به وعدماً ألما تركاه يذوب يوماً فيوما
فهو حيناً يشكو الى السقم عدما وهو يشكو حيناً الى العدم سقما
باكياً من كليهما بانتحاب

ظل يشكو للاخت ضعفاً وعجزا اذ تعزيه وهو لا يتعزى
أيها الاخت عز صبري عزا ان للداء في المفاصل وخزا
مثل طعن القنا ووخز الحراب

قد تمادى به السقام وطالا وتراءى له الشفاء محالا
اذ قلاباً به السقام استحالا كان هيناً فصار داء عضالا
ناشباً في الفؤاد كالنشاب

— · —

ظل ملقى واعوزته المطاعم موثقا من سقامه بالاداهم

منفقا عند ذاك بعض دراهم ربحتهامن غزلها الاخت فاطم
قبل ان يبتلى بهذا المصاب
قال والاخت أخبرته بان قد كربت عندها الدراهم تنفد
اخبري السقم عله يتبعد أيها السقم خل عيشي المنكد
لا تعقني في عيشتي عن طلابي
مرضيني شقيقتي مرضيني وعلى الكسب في غد حرضيني
واذا مسك الطوى فارفضيني أو على الناس للبيع أعرضيني
علهم يشترونني مما بي
رام خبزا والجوع اذكى الاوارا في حشاه فعلاته انتظارا
ثم جاءت بالماء تبدي اعتذارا وهل الماء وهو يطفىء نارا
يطفىء الجوع ذا كيا في التهاب
خرجت فاطم الى جارتيها وهي تذري الدموع من مقلتيها
فابانت برقة حالتيها من سقام ومن سعار لديها
وشكت بعد ذا خلوّ الوطاب
فانثنت وهي بين ذل وعز تحمل التمر في يد فوق خبز
وبأخرى دهناً وبعض أرز منحوها به وذو العرش يجزي
من أعان الفقير حسن الثواب

— • —

ليلة تنشر العواصف ذعرا في دجاها حيث السحاب اكفهرا
ذا هزيم يمج في الاذن وقرا حين تبدي صوالج البرق تترى
كهربائية سرت في السحاب

مد فيها ذاك المريض الا كفا   في فراش به على الموت أوفى
طرفه كالسها يبين ويخفى   حيث يغضي طرفا ويفتح طرفا
عاجزا عن تكلم وخطاب

فدعته والعين تذري الدموعا   أخته وهي قلبها قد ريعا
يا أخي أنت ساكت أجوعا   ساكت أنت يا أخي أم هجوعا
فاشفني يا أخي برجع الجواب

فرأت منه انه لا يجيب   فتدانت والدمع منها صبيب
ثم أصغت وفي الفؤاد وجيب   ثم هابت والموت شيء مهيب
ثم قامت بخشية وارتياب

خرجت فاطم من البيت ليلا   حيث أرخى الظلام سدلا فسدلا
وهي تبكي والغيث يهطل هطلا   مثل دمع من مقلتيها استهلا
أو كماء جرى من الميزاب

رب ادرك باللطف منك شقيقي   وامنع الغيث ان يكون معيقي
ومر البرق أن يضيء طريقي   ببريق يبديه اثر بريق
فعسى اهتدي به في ذهابي

قرعت في الظلام باب الجار   وهي تبكي الاسى بدمع الجار
ثم نادت برقة وانكسار   أم سلمى الا بحق الجوار
فافتحي انني أنا في الباب

فأتتها سعدى وقد عرفتها   وعن الخطب في الدجى سألتها
ثم سارت من بعد ما أعلمتها   تقتفيها وبنتها تبعتها
فتخطين في الدجى بانسياب

جئن والسحب أقلعت عن حياها وكذاك الرعود قلّ رغاها
حيث يأتي شبه الأنين صداها غير ان البروق كان ضياها
مومضاً في السماء بين الرباب

فدخلن المحل وهو مخيف حيث ان السكوت فيه كثيف
وضياء السراج نزر ضعيف وبه في الفراش شخص نحيف
دب منه الحمام في الاعصاب

قالت الاخت أمّ سلمى انظريه ثكلت روح أمه وأبيه
فرأت منه اذ دنت نحو فيه نفساً مبطئ التردد فيه
ثم قد غاله الردى باقتضاب

وجمت حيرة وبعد قليل رمقت فاطماً بطرف كليل
فيه حمل على العزآء الجميل فعلا صوت فاطم بالعويل
وبكت طول ليلها بانتحاب

فاستمرت حتى الصباح توالي زفرات بنارها القلب صال
فأتاها ودمعها في انهمال بعض جاراتها وبعض رجال
من صعاليك أهل ذاك الجناب

وقفوا موقفاً به الفقر ألقى منه ثقلا به المعيشة تشقى
فرأوا دمع فاطم ليس يرقا وأخوها ميت على الارض ملقى
مدرج في رثائث الاثواب

فغدت فاطم ترن رنينا ببكاء أبكت به الواقفينا
ثم قالت لهم مقالا حزينا أيها الواقفون هل ترحمونا
من مصاب دها وأيّ مصاب

أيها الواقفون لاتهملوه دونكم أدمعي بهن اغسلوه
ثم بالثوب ضافياً كفنوه وادفنوه لكن بقلبي ادفنوه
لاتواروا جبينه بالتراب

بعد ان ظلّ لافتقاد المال وهو ملقى الى أوان الزوال
جاد شخص عليه بعد سؤال بريال وزاد نصف ريال
رجل حاضر من الانجاب

كفنوه من بعد ماتم غسلا وتمشوا به الى القبر حملا
فترى نعشه غداة استقلا نعش من كان في الحياة مقلا
دون ستر مكسر الاجناب

ناحت الاخت حين ساروصاحت أختك اليوم لوقضت لاستراحت
ثم سارت مدهوشة ثم طاحت ثم قامت ترنو له ثم راحت
تسكب الدمع أيما تسكاب

أيها الحاملوه لاتمشي ركض ان هذا يوم الفراق الممض
فاسألوه عن قصده أين يمضي انه قد قضى ولم يك يقضي
واجبات الصبا وشرخ الشباب

ان قلبي على كريم السجايا طاح والله من أساه شظايا
قائل الله يا ابن امي المنايا أنا من قبل مذ حسبت الرزايا
لم يكن وزنه موتكم في حسابي

ان ليلي ولست من راقديه كلما جاءني وذكرتيه
قلت والدمع قائل لي ايه يا فقيدا أعاتب الموت فيه
بيكائي وهل يفيد عتابي

رحت يوماً وقد مضت سنتان أتمشى « بشارع الميدن
مشي حيران خطوه متدان أثقلته الحياة بالاحزان »
وسقته كأساً كطعم الصاب

بينما كنت هكذا أتمشى عرضت نظرة فابصرت نعشا
بادياً للعيون غير مغشى نقش الفقر فيه للحزن نقشا
فبدا لوح أبؤس وا كتئاب

قلت سراً والنعش يقرب مني أيها النعش أنت أنعشت حزني
للأسى فيك حالة ناسبتني ان بدا اليوم فيك حزن فاني
انا للحزن دائماً ذو انتساب

رحت أسعى ورآءه مذ تعدى مسرعاً في خطاي لم آل جهدا
مع رجال كأنجم النعش عدا هم به سائرون سيراً مجدا
فتراه يمرّ مرّ السحاب

مذ لحدنا ذاك الدفين وعدنا قلت والدمع بلّ مني ردنا
ان هذا هو الذي قد وعدنا فأبينوا من الذي قد لحدنا
فتصدى منهم فتى لجوابي

قال ان الدفين أخت بشير أخت ذاك المسكين ذاك الفقير
بقيت بعده بعيش عسير وبطرف باك وقلب كسير
وقضت مثله بداء القلاب

قلت اقصر عن الكلام فحسبي منك هذا فقد تزلزل قلبي
ثم ناجيت والضراعة تؤبي ربّ رحماك ربّ رحماك ربّ
ربّ رشداً الى طريق الصواب

ربّ ان العباد أضعف أن لا يجدوا منك ربّ عفوا وفضلا
فاعف عن أخذهم وان كان عدلا أنت يا ربّ أنت بالعفو أولى
منك بالاخذ والجزا والعقاب

قد وردنا والارض للعيش حوض واحد كلنا لنا فيه خوض
فلنا ذا به مشوب ومحض عظمت حكمة الآله فبعض
في نعيم وبعضنا في عذاب

أيها الاغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما ان رحمتم
سهر البائسون جوعاً ونمتم بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام منوّع وشراب

كم بذلتم أموالكم في الملاهي وركبتم بها متون السفاه
وبخلتم منها بحق الله أيها الموسرون بعض انتباه
أفتدرون انكم في تباب

بغداد معروف الرصافي

الفتوة والفتيان

قرأت ما نقلتموه عن تاريخ ابن الساعي من أمر الفتوة والفتيان وذهبتم الى أنها أشبه بجمعية سياسية والاليق أن يقال انها جمعية للانسانية تعاهد المنتظمون في سلوكها على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقويم المعوج واغاثة الملهوف وقرى الضيف وما أشبه ذلك من مكارم الاخلاق ولما كان لا بد لمن نصب نفسه للقيام بهذه المقاصد من فرط القوة والنجدة وتوفر الحمية والحفيظة فكان لا بد في

هذه الحالة من أن تثور تلك الحمية التي قد تنقلب أحياناً حمية جاهلية وتدخل فيها المنافسات والمناظرات والتساجل بقوة الساعد ووثاقة العضل أو حسن الرماية أو اتقان المضاربة والمطاعنة مما قد يبعد بالجمعية عن أصل وضعها ويصيرها نوعاً مما يقال له « مشيخة شباب » في بلادنا فيلبس لها الفتيان سراويلات مخصوصة ويتنافسون في امور هي محض جهالة ودعارة وان كان أصل المقصد سامياً شريفاً فقد احتوت هذه الجمعية في وقتها على ما يمدح ويذم شأن سواها من الجمعيات وقد كان يعاب على الخليفة الناصر العباسي اشتغاله بهذه المسائل فقرأت في تاريخ أبي الفداء صاحب حماة في حوادث سنة سبع وستمائة انه وردت في تلك السنة رسل الخليفة الناصر لدين الله الى ملوك الاطراف أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وان ينتسبوا اليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم اه لاجرم ان هذا مما يترفع عنه الخلفاء ولا يليق بأصحاب هاتيك المقامات ثم انه يقول عند ذكر وفاة الخليفة المذكور انه كان قبيح السيرة منصرف الهمة الى رمي البندق والطيور المناسيب ويلبس سراويلات الفتوة ومنع رمي البندق الا من ينسب اليه فأجابه الناس الى ذلك الا انساناً واحداً يقال له ابن السفت وهرب من بغداد الى الشام اه ثم انا وجدنا آثار هذه الجمعية في القرون المتأخرة فقد أخبر ابن بطوطة من أهل القرن الثامن بوجودها في الاناضول وهي متلونة هناك بلون اناسها من كرم الخلق وحسن السريرة فان الجمعيات تدخل كل البلاد فتتلون في كل بلد بأخلاق أهله وتحمل طباعهم ولهذا امتدحها السائح الطنجي امتداحاً فائقاً في رحلته الشهيرة فقال : ذكر الاخية الفتيان واحد الاخية أخي على لفظ الاخ اذا أضافه المتكلم الى نفسه وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية في كل بلد ومدينة وقرية ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد

احتفالاً بالغرباء من الناس وأسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج والاخذ على أيدي الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم من أهل الشر والاخي عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان الاعزاب والمتجردين ويقدمونه على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضاً ويبني زاوية ويجعل فيها الفرش والسرج وما يحتاج اليه من الآلات ويخدم أصحابه بالنهار في طلب معايشهم ويأتون اليه بعد العصر بما يجتمع لهم فيشترون به الفواكه والطعام الى غير ذلك مما ينفق في الزاوية فان ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم وكان ذلك ضيافة لديهم ولا يزال عندهم حتى ينصرف وان لم يرد وارد اجتمعوا هم على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا الى صناعتهم بالغدو وأتوا بعد العصر الى مقدمهم بما اجتمع لهم ويسمون بالفتيان ويسمى مقدمهم كما ذكرنا الاخي ولم أر في الدنيا أجمل أفعالاً منهم ويشبههم في أفعالهم أهل شيراز وأصفهان الا أن هؤلاء أحب في الوارد والصادر وأعظم اكراماً له وشفقة عليه وفي الثاني من يوم وصولنا الى هذه المدينة أتى أحد هؤلاء الفتيان الى الشيخ شهاب الدين الحموي وتكلم معه باللسان التركي ولم أكن يومئذ أفهمه وكان عليه أثواب خلقة وعلى رأسه قلنسوة لبد فقال لي الشيخ : أتعلم مايقول هذا الرجل فقلت : لا أعلم ماقال فقال لي : انه يدعوك الى ضيافته أنت وأصحابك فعجبت منه وقلت له : نعم فلما انصرف قلت للشيخ : هذا رجل ضعيف ولا قدرة له على تضيفنا ولا نريد أن نكلفه فضحك الشيخ وقال لي : هذا أحد شيوخ الفتيان الاخية وهو من الخرازين وفيه كرم نفس وأصحابه نحو مائتين من أهل الصناعات قد قدموه على أنفسهم وبنوا زاوية للضيافة وما يجتمع لهم بالنهار أنفقوه بالليل فلما صليت المغرب عاد الينا ذلك الرجل وذهبنا معه الى زاويته فوجدناها زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية الحسان

وبها الكثير من ثريات الزجاج العراقي وفي المجلس خمسة من البياسيس والبيسوس شبه المنارة من النحاس له أرجل ثلاث وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس وفي وسطه أنبوب للفتيلة ويملأ من الشحم المذاب والى جانبه آنية نحاس ملآنة بالشحم وفيها مقراض لاصلاح الفتيل وأحدهم موكل بها ويسمى عندهم الخراجي (الجراغجي) وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان ولباسهم الاقبية وفي أرجلهم الاخفاف وكل واحد منهم متحزم على وسطه سكين في طول ذراعين وعلى رؤوسهم قلانس بيض من الصوف بأعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض اصبعين فاذا استقرّ بهم المجلس نزع كل واحد منهم قلنسوته ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قلنسوة اخرى من الزردخاني وسواه حسنة المنظر وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة للواردين ولما استقر بنا المجلس عندهم أتوا بالطعام الكثير والفاكهة والحلواء ثم اخذوا في الغناء والرقص فراقنا حالهم وطال عجبنا من سماحهم وكرم أنفسهم وأنصرفنا عنهم آخر الليل وتركناهم بزاويتهم

بيروت ش

مطبوعات ومخطوطات

العمدة

نص ابن خلدون في المقدمة عند كلامه على صناعة الشعر ووجه تعلمه ان كتاب العمدة لابن رشيق (المتوفى سنة ٤٦٣) مستوفٍ في هذه الصناعة وتعلمها وفيه البغية من ذلك . وقد كان طبع الجزء الاول منه في تونس فاعيد طبعه الآن وأضيف اليه الجزء الثاني مصححاً بقلم الشيخ محمد بدر الدين النعساني وذكر في الصفحة الاولى منه انه قوبل على ثلاث نسخ وكنا نود لو عرفنا هذه النسخ

باعيانها وتواريخها ليظهر فضـل العناية . والكتاب سهل الانشاء متين العبارة آخذ باطراف الموضوع الذي طرقه ابن رشيق والادب غضّ والنفوس مولعة به. نشأ مؤلفه في مدينة القيروان خامس مدينة في الاسلام ولما خربت رحل عنها الى صقلية وناهيك بمن يقول فيه الصلاح الصفدي وفي مصنفاته وأكثرها في الشعر والادب : وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة بجميعها فوجدتّها تدل على تبحره في الادب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبحره في النقد . والكتاب لايسأم المطالع من النظر فيه خصوصاً مع جودة طبعه الآن لان مؤلفه لايطيل الابواب والفصول وينتقل فيه الناظر من فكاهة الى أطروفة الى أدب وعلم وشعر وكله ممـا يروّح به الانسان عن نفسه وفيه قصص لطيفة تصور حالة العرب في اجتماعهم وتنافسهم في الشعر والادب قبل الاسلام وبعـده وقد وقع الكتاب في مجلدين ويطلب من مكتبة طابعه أمين افندي الخانجي بالحلوجي

ديوان الخليل

أتحفنا خليل افنـدي مطران الشاعر الكاتب المشهور في خدمة الادب والصحافة بنسخة من الجزء الاول من ديوانه الذي طبعـه مؤخرا في زهاء ثلثمائة صفحة في الغزل والنسيب والمديح والرثاء والتهنئة ووقائع أحوال وأحسن مايقال فيه ان نورد للقراء نموذجاً من هـذا الشعر العصري المنسجم قال في وصف قلعة بعلبك

همّ فجر الحيـاة بالادبار فاذا مرّ فهي في الآثار
والصبي كالكرى نعيم ولكن ينقضي والفتى به غير داري
يغنم المرء عيشه في صبـاه فاذا بان عاش بالتـذكار

ايهِ آثار بعلبك سلام ... بعد طول النوى وبعد المزار
ووقيت العفاء من عرصاتٍ ... مقويات اواهل بالنخار
ذكرتني طفولتي واعيدي ... رسم عهد عن اعيني متواري
مستطاب الحالين صفواً وشجواً ... مستحب في النفع والاضرار
يوم امشي على الطلول السواجي ... لا اقترار فيهن الا اقتراري
نزقاً بينهن غراً لعوباً ... لاهياً عن تبصر واعتبار
مستقلاً عظيمها مستخفاً ... ما بها من مهابة ووقار
يوم اخلو بهند نلهو ونزهو ... والهوى بيننا اليف مجاري
نتبارى عدواً كأنا فراشا ... روضةٍ ما لنا من استقرار
نلتقي تارة ونشرد اخرى ... كل ترب في مخباء متواري
فاذا البعد طال طرفة عين ... حثنا الشوق مؤذناً بالبدار
وعداد اللحاظ نصفو ونشقى ... بجوار ففرقة فجوار
ليس في الدهر محض سعد ولكن ... تلد السعد محنة الاكدار
كلما نلتقي اعتنقنا كأنا ... جِدُّ سفر عادوا من الاسفار
قبلات على عفاف تحاكي ... قبلات الانداء والاسحار
واشتباك كضم غصن اخاه ... باياد غرٍّ من النوار
قلبنا طاهر وليس خلياً ... اطهر الحب في قلوب الصغار
كان ذاك الهوى سلاماً وبرداً ... فاغتدى حين شب جذوة نار
حبذا هند ذلك العهد لكن ... كل شيء الى الردى والبوار
هدَّ عزمي النوى وقوض جسمي ... فدمار يمشي بدار دمار

***

خرب حارت البرية فيها ... فتنة السامعين والنظار
معجزات من البناء كبار ... لأناس ملء الزمان كبار
البستها الشموس تفويف در ... وعقيق على رداء نضار
وتحلت من الليال بشاما ... ت كتنقيط عنبر في بهار
وسقاها الندى رشاش دموع ... شربتها ظوامئ الانوار
زادها الشيب حرمة وجلالاً ... توجتها به يد الاعصار
رب شيب اتم حسناً واولى ... واهن العزم صولة الجبار

معبد للاسرار قام ولكن   صنعه كان اعظم الاسرار
مثل القوم كل شيء عجيب   فيه تمثيل حكمة واقتدار
صنعوا من جماده ثمرًا يجـ   ـنى ولكن بالعقل والابصار
وضروبًا من كل زهر انيق   لم تفتها نضارة الازهار
وشموسًا مضيئة وشعاعًا   باهرات لكنها من حجار
وطيورًا ذواهبًا آيبات   خالدات الغدوّ والابكار
في جنان معلقات زواه   بصنوف النجوم والانوار
واسودًا يخشى التحفز منها   ويروع السكوت كالتزآر
عابسات الوجوه غير غضاب   باديات الانياب غير ضواري
في عرانينها دخان مثار   وبالحاظها سيول شرار
تلك آياتهم وما برحت في   كل آن روائع الزوّار
ضمها كلها بديع نظام   دق حتى كأنها في انتثار
في مقام للحسن يعبد بعد الـ   ـعقل فيه والعقل بعد الباري
منتهى ما يجاد رسمًا وابهى   ما تحج القلوب في الانظار

***

اهل فينيقيا سلام عليكم   يوم تفنى بقية الادهار
لكم الارض خالدين عليها   بعظيم الاعمال والآثار
خضتم البحر يوم كان عصيا   لم يسخر لقوة من بخار
وركبتم منه جوادًا حرونًا   قلقًا بالممرس المغوار
ان تمادى عدوًا بهم كبحوه   واقالوه ان كبا من عثار
واذا ما طغى بهم اوشكوا ان   يأخذوا لاعبين بالاقمار
غير صعب تخليد ذكر على الار   ض لمن خلدوه فوق البحار
شيدوها للشمس دار صلاة   واتم الرومان حلي الدار
هم دعاة الفلاح في ذلك العصـ   ـر واهل العمران في الامصار
نحتوا الراسيات نحت صخور   وابانوا دقائق الافكار
واجادوا الدمى لجاز عليهم   انها الآمرات في الاقدار
سجدوا للذي هم صنعوه   سجدات الاجلال والاكبار
بعد هذا اغاية فترجى   لتمام ام مطمع في افتخار

نظرت هند حسنهن فغارت — انت ابهى ياهند من ان تغاري
كل هذي الدمى التي عبدوها — لك ياربة الجمال جواري

رواية هملت

رواية هملت من الروايات التمثيلية منسوبة لشكسبير شاعر الانكليز كان نقلها الى العربية نثرًا ونظمًا الشيخ امين الحداد المشهور بشعره ونثره وجرى تمثيلها مرات كثيرة وقد طبعت الآن في ٧٠ صفحة جاء فيها على لسان هملت مانشره نموذجًا من شعر الحداد قوله

نجدٌ والدهر بنا يلعب — لا مانع منه ولا مهربُ
والحب يقتاد الفتى مكرهًا — فكيف ما يكره يستعذب
تحلو الاماني وتحقيقها — وهي اذا ما حققت تعطب
ضاعت حقيقات المنى في الورى — فلم تعد تعرف اذ تنسب
والوحش لو أنصفت ادرى بها — اذ انها عند الظما تشرب
ونحن نستأني بحاجاتنا — والحس لا يهل اذ يطلب
فاترك غدًا ان غدًا مدة — بعيدة فيها الردى الاقرب
واقض الذي تهوى بدنياك لا — يمنعك الجاه ولا المنصب
ولا تبت مدخرًا فالمنى — تراح ما بتَّ بها تتعب
ان انت اعيتك سؤالات مَن — ترى فسل في القرب من غيبوا
وقل لمن بات غدًا ناظرًا — يرقب الموت له يرقب
المس بكفيك تصدق منى — شككت ان الحس لا يكذب
اجدادنا هذي وامالنا — تلك وذا الابن وهذا الاب
لاحلقة مفقودة بينهم — يطرحها في الجمع من يحسب
كانوا دليلاً في سبيل الردى — لنا على آثارهم نذهب
اذا ذوى الاصل غدا فرعه — يفعك منه المطر الصيب
وقل لمن تاه على غيره — بنعمة من غيره تسلب
تحت الثرى المثري غدا واغتدى — في التربة التارب والمترب
هذا هو الحق الذي ماانتفى — تفلسفًا ذا العجب الاعجب
دعني اطلب غايتي جاهدًا — انهبها من قبل ان تنهب
وخذ حياتي واتق لي منه ما — يمنع ضر الناس اذ ارغب
لومنع الضر الحيا في الورى — اذن تساوى الكف والمخلب

يا ايها الرأس الذي في يدي هل كنت رأساً في الورى ترهب
ام كنت جبارًا تذل العدى ام كاتباً ينقل ما تكتب
ام فيلسوفاً نافعاً علمه تغضبه الدنيا ولا يغضب
ام جاهلاً ما اهتم في دهره يخسر فيما عاش ام يكسب
حقيقة الاشياء مجهولة كلٌّ على مذهبه يذهب
حقيقة تاهت عقول الورى في كنهها واستعجم المعرب
جماجم في الترب مزروعة يحصدهن النمل والجندب
بل انفس في الترب مغروسة آثارها موعظة تخطب
لصورة اخرى تحولتم قد كان ما ء في الثرى الطحلب
ثم استحال الكرم حتى اغتدى خمرا لارباب الورى تسلب
دائرة لا ينتهي حدها نمشي عليها الدهر لا نتعب

اعلام الموقعين

للعلامة شمس الدين أبي بكر محمد بن قيم الجوزية المتوفى سنة احدى وخمسين وسبعمائة شهرة فائقة بقوة البيان والميل للاخذ بالحجة والبرهان حتى كثر انتفاع الموافق والمخالف بكتبه وله موءلفات كثيرة في فنون شتى . وكتاب اعلام الموقعين عن رب العالمين من اهمّ كتبه اورد فيه علم الفقه على اسلوب قلّ ان يعهد في كتاب آخر وذلك انه نقل المسائل المشهورة واختلاف العلماء فيها ثم رجح فيه ما قام عليه الدليل بحسب ما ظهر له بدون التزام مذهب معين وقد اكثر من ايراد العلل وكان مولعاً برعاية المصالح . وكتابه هذا اصبح نادر الوجود فسعى في احيائه اناس من اهل الهند قاموا بجمع اجزائه وطبعها غير ان نسخه مع قلة ورودها الى هذه البلاد منسوجة على الاسلوب المعروف في طبع اهل الهند فتصدى الشيخ فرج الله زكي الكردي بمصر لاعادة طبعه فطبعه على ورق جيد مع استحضار نسخ خطية ليتم تصحيح الكتاب على طريقة حسنة نجاء وافياً بالمراد ظاهرة عليه علائم الجد والاجتهاد وقد جعله في ثلاثة اجزاء تقع في زهاء ١٤٠٠ صفحة كبيرة بحرف واضح جلي واضاف اليه كتاب حادي الارواح للموءلف فنثني على الطابع بما تستحقه عنايته وهو يطلب منه بخمسين قرشاً

تاريخ آداب اللغة العربية

هذا الكتاب في موضوع صعب يحتاج فيه الى اطلاع وافر وتضلع من فنون الادب

تصدى لجمعه محمد بك دياب المشهور بالفضل والادب في مصر فاودعه من بدائع الفوائد ماتقرّ به عين المطالع وضمنه مطالب شتى يحتاج اليها طالب الادب . قال المؤلف في بيان سبب تأليفه ان احد اصدقائه اخبره ان مستشرقي الالمان وكذلك فعل مستشرقو (الانكليز والفرنسيس والطليان والروس وغيرهم)عنوا بتاريخ آداب لغتنا فوضعوا فيه كتاباً ذا اسفار مطبوعاً بلغتهم وود لو يؤلف بالعربية مثله فلاح بخاطري ان اشق عباب هذا الموضوع الجليل فسرت في سبيله متجشماً الصعاب بضعة اعوام الى ان اهتديت الى وضع مؤلف جامع لاشتاته المتفرقة في بطون مئين من امهات الكتب ذات الاعتبار وقد شرحت فيه نشأة العلوم الادبية وسيرها في مختلف العصور والكتب التي الفت فيها وازمانها وحياة مؤلفيها وذكرت فصولا من كل فن اقتضاها سير التأليف . والكتاب يقع في نحو ٤٤٠ صفحة جعلت في مجلدين و يطلب من مؤلفه بالقاهرة فنشكر له هديته وهمته

انجيل برنابا

اعترفت الكنيسة باناجيل اربعة وهي انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا وابطلت ما عداها من الاناجيل او عدته مزوراً ومن جملة الاناجيل التي ابطلها البابا في القرن الخامس للمسيح انجيل برنابا . وبرنابا هذا يهودي من ساكني قبرس دان بالنصرانية وكان من اتراب بولس الرسول طاف آسيا الصغرى وسورية وبلاد اليونان وقتل في قبرس نحو سنة ٦٣ للمسيح . وقد وجدت نسخة من انجيل ينسب اليه في مكتبة فينا الامبراطورية كتب كما رجح العارفون في القرن السادس عشر باللغة الايطالية القديمة وعليه حواش بالعربية فقال بعضهم ان لهذا الانجيل اصلا عربياً نقل عنه الا ان العارفين من المستشرقين امثال الاستاذ مرجليوث وغيره نفوا ذلك وقالوا انه ليس في العربية كتاب من هذا القبيل ولا اشارة اليه . وقد ترجم في السنة الماضية باللغة الانكليزية ونقله الى العربية الدكتور خليل بك سعادة ووضع له مقدمة مطولة ونشره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر بمصر وقد احسن المترجم بنقله بالحرف وان خالف الاسلوب العربي احيانا لأن اللغة العربية يجب ان يكون فيها كل شيء ولا سيما مثل هذا السفر الذي رددت الالسن ذكره وتشوقت النفوس الى الوقوف عليه . وقد جاء في ٣٢٥ صفحة مطبوعاً طبعاً حسناً في مطبعة المنار ومنها يطلب بخمسة عشر قرشاً فنشكر للمترجم والناشر همتهما

سير العلم والاجتماع

لغات العالم

أحصي عدد المتكلمين باللغات الرئيسة في العالم فكان المتكلمون بالانكليزية ١٣٦ مليوناً من البشر اي ٢٧ في المئة من مجموع سكان العالم والمتكلمون بالالمانية ٨٢ مليوناً اي ١٦ في المئة ويتكلم بالصينية ١٤ في المئة والمتكلمون بالافرنسية ٢٨ مليوناً (كذا) ثم يجيء عدد المتكلمين باللغات الاخرى فتجيء الروسية والعربية والايطالية والاسبانية والسويدية .

جهنم الحروب

كتب احد اطباء نيويورك مقالاً يصف فيه الامراض الكثيرة التي تسطو على اجسام المتحاربين اكثر من ادوات القتال واسلحة النزال فأثبت انه مات في الحرب الروسية العثمانية ثمانون الفاً بالاوبئة على حين لم يمت سوى عشرين الفاً مجروحين وانه هلك في حرب الرقيق في الولايات المتحدة اربعمائة الف بالامراض على حين هلك مئة الف في القتال واهلك المرض في حرب جنوبي افريقية عشرة اضعاف ما اهلك المدفع وكان معظم الاسباب التي دعت الى كثرة الهالكين في الحرب الاسبانية الاميركية قلة العناية الطبية على العكس في الحرب الروسية اليابانية فان اليابانيين لم يفقد منهم سوى سبعة وعشرين الفاً في المستشفيات لقاء سبعة وخمسين الفاً قضوا في ساحة الوغى .

مصوّر الزمن

اسست المانيا منذ سنة ١٩٠٦ ديواناً خاصاً تُنقل اليه من اطراف الامبراطورية الالمانية اخبار الجو والهواء فيؤلف بينها وينشرها في نشرة توزع في اطراف البلاد كانتشار الانباء البرقية المهمة وتوزع خاصة على الجرائد وبذلك يتيسر للفلاحين ان يعرفوا احوال الجو يوماً فيوماً .

بريد الهند

سيذلل بريد الهند عما قريب من البر ليكون اقصد في الوقت منه عن طريق البحر فتتصل لندرا بكلكوتا بالسكك الحديدية عن طريق فارسوفيا في بولونيا فيسافر هذا الخط من كلكوتا حيث تصل صادرات اوستراليا بالسفن الى مدينة دهلي فقندهار فهرات فكوشكا فسمرقند فمرو فكراسنوفودسك فباكو فكييف ففارسوفيا فبرلين فكولونيا فكالي فلندرا وتنقل ماتصل الركاب والبضائع الى كراسنوفودسك تنقل على سفن سريعة بديعة الى العدوة الثانية من باكو

السخاء الاميركي

بلغ ما جاد به الكرماء من الاميركان سنة ١٩٠٧ على العلم والتربية ٣٥٤ مليون فرنك وما جادوا به على المعاهد الدينية ٤١ مليوناً وما منحوه للمتاحف ودور الكتب ١٠٠ مليون ولا شك ان هذا السخاء متناسب مع تلك الثروة الهائلة .

مبرة مصرية

وقف مصطفى بك الجور بجي عشرة منازل في كفر الزيات في الوجه البحري لمدرستيه اللتين انشأها بماله وبلغ ما انفق على تشييدهما نحو خمسة آلاف جنيه فلهما الآن ايراد سنوي يربي على الف جنيه كما انشأ مدرستين في بريم ووقف عليهما املاكاً تعيشان به

ناد للمعارف

تبرع الامير يوسف كمال بالف ومائتي متر في المنيرة احدى احياء القاهرة لينشأ فيها ناد للمعارف يختلف اليه اهل العلم وطلابه وجاد لانشائها بالفي جنيه وبمكتبة عربية وافرنجية وهذه المنحة لا تقل عن ثمانية آلاف جنيه .

رواج الكتب

معدل ما يباع سنوياً من كتب شكسبير الشاعر الانكليزي ثلاثة ملايين نسخة . ومن غريب مايدل على رواج الكتب في المانيا ان احدى جرائد ليبزك الاسبوعية ستحتفل في اكتوبر المقبل بمرور السنة الخامسة والعشرين على تأسيسها فوضع مدبرها ثلاثين الف مارك جائزة لمن يكتب احسن رواية ومعلوم انه اذا لم يكن موقناً بالرواج ما جاد هذا الجود المحمود على ارباب الاقلام والذين يحكمون في الجائزة بعض كبار النقاد من ادباء الالمان .

السلك البرقي النظار

يجرب احدهم معدن السالانيوم بان يجعله يتأثر بالنور فاذا تمت تجاربه كما يريد اصبح الانسان يخاطب صديقه على لسان البرق وهو يراه ويسمعه .

بسطة العيش

افتتح مؤخراً ناد للنساء في نيويورك ليس له مثيل في اندية الارض بيذخه بل برخاء الحياة فيه فان كل شيء فيه حتى المائدة وما يتبعها تدار بواسطة الكهربائية ففيه غرف باردة لتوضع فيها الفراء وقد جعلت حشوات المواضع التي تناط بها الثياب من خشب تقتل رائحته العث .

ديون الممالك

تزيد ديون الممالك الاوربية يوماً عن يوم فدين فرنسا اكثر من جميع الممالك فهي مدينة بتسعة وعشرين مليارًا من الفرنكات وتجيء بعدها روسيا تبلغ ديونها ٢٣ مليارًا ودين المانيا ٢١ مليارًا ودين بريطانيا ١٩ ودين ايطاليا ١٣ ودين النمسا ١٠ مليارات ودين اسبانيا ٩

مدارس الفلاة

فتحت في مدينة شارتونبرغ في المانيا منذ بضع سنين مدارس في الضواحي اشبه بان تكون مدارس تشتغل في العطلة المدرسية فهي لا تفتح الا سبعة اشهر في السنة فقط وتقبل البنين والبنات وتعلمهم معاً كل ما يلزمهم لقاء قرشين في النهار يأكلون بها ويشربون فيركبون الترامواي الساعة السادسة صباحاً ويعودون بهم في المساء واكثر الاولاد من الفقراء والغالب ان بعض مدن المانيا وغيرها ستنسج على منوال هذه المدرسة .

حركة العالم التجارية

أحصي مجموع الحركة التجارية والبحرية في العالم مدة العشر سنين الاخيرة فكان مجموع صادرات المانيا ووارداتها ١١٦٠٣٠٠٠٠٠٠ فرنك سنة ١٨٩٧ فبلغت سنة ١٩٠٦ ١٨٢٢٢٠٠٠٠٠٠ وانفقت وزارة البحرية لحماية هذه الحركة في سنة ٩٧ — ١٠٩٤٠٠٠٠٠ فرنك وبلغ ما انفقته سنة ١٩٠٦ — ٣٣١٣٠٠٠٠٠ فرنك وكان مجموع حركة الصادرات والواردات معاً في فرنسا سنة ١٨٩٧ — ٠٧٨٢١٥٠٠٠٠٠ فرنك وانفقت بحريتها ٢٦٥٣٥٠٠٠٠ فرنك وبلغ مجموع تلك الحركة فيها سنة ١٩٠٦ — ١٤٤٨٠٠٧٥٠٠٠٠ فرنك وما انفقته البحرية في تلك السنة ٤١٢٣٣٥٠٠٠ فرنك وبلغ مجموع تجارة انكلترا سنة ٩٧ — ٢٥٣٠٤٧٢٥٠٠٠ فرنك وارتقى سنة ١٩٠٦ الى ٤٧٦٥٦٩٠٠٠٠٠ وكان مجموع نفقاتها البحرية سنة ١٨٩٧ ٥٥٦٧٧٥٠٠٠ فاصبحت سنة ١٩٠٦ — ٨٣٩٣٧٥٠٠٠ وبذلك تبين ان التجارة الالمانية تضاعفت في عشر سنين على حين نفقاتها البحرية زادت ثلاثة اضعاف وان انكلترا كانت سنة ١٨٩٧ تنفق على بحريتها خمس مرات ما تنفقه المانيا ولكنها في سنة ١٩٠٦ لم تنفق في هذا السبيل بالنسبة الا ثلاثة اضعاف ما كانت تنفقه فزادت من ثم نفقاتها البحرية خمسين في المئة على حين زادت نفقات المانيا ثلثمائة في المئة ولا يزال النمو في المانيا يتزايد واي زيادة كل سنة .

المقتبس

الجزء السادس من المجلد الثالث

جمادى الثانية سنة ١٣٢٦ موافق يوليو (تموز) سنة ١٩٠٨

صدور المشارقة والمغاربة

عبدالله بن المقفع وعبدالحميد بن يحيى

نشأ للعربية في اوائل القرن الثاني للهجرة كاتبان بليغان يصح ان يدعيا واضعي اساس الانشاء العربي وناهجي طريقة الكتابة المرسلة فكانا منارًا يهتدى به الى يوم الناس هذا ونعني بهما عبدالله بن المقفع وعبدالحميد بن يحيى الكاتب. ظهر هذان الامامان واللغة في نضرتها الاولى فكان لهما من فطرتهما السليمة اعظم مساعد لهما على النبوغ وزادت شهرتهما الاتصالها بالخلفاء والامراء ومرانهما على الكتابة في الاغراض الكثيرة التي كانت تطلب اليهما فيخوضان عبابها مجليين مبرّزين .

نشأ ابن المقفع في العراق على ما ينشأ عليه ابناء اليسار وكان والده ينتحل نحلة مجوس الفرس وَلِي خراج فارس للحجاج بن يوسف الثقفي في الدولة الاموية . ولقب بالمقفع لان الحجاج ضربه فتقفعت يده اي تشنجت لمدها لاخذ الاموال على ما يقال. وربي ابنه عبدالله تربية اسلامية واولع بالعلم وهو مكفي المؤونة فجاء منه في سن العشرين ماينذر ان يكون مثله لابناء الاربعين والخمسين . واتصل بعيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخليفتين الاولين من بني العباس وكتب له واختص به واراد ان يدين بالاسلام فجاء الى عيسى

ابن علي وقال له : قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك . فقال له عيسى : ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر . ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل و يزمزم على عادة المجوس فقال له عيسي : اتزمزم وانت على عزم الاسلام فقال : اكره ان ابيت على غير دين . فلما اصبح اسلم على يده فسمي بعبدالله وكني بابي محمد .

اهم كتب ابن المقفع التي طار ذكرها كتاب كليلة ودمنة الذي نقله عن الفارسية ورسالته المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان . قال القفطي وهو اول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لابي جعفر المنصور وترجم كتب ارسطوطاليس المنطقية الثلاثة وهي كتاب قاطيغورياس وكتاب باري ارمينياس (او بارميناس) وكتاب انالوطيقا وذكر انه ترجم ايساغوجي تأليف فرفوريوس الصوري . والارجح انه نقل هذه الكتب عن الفارسية او نقلها له ناقل عن اليونانية وصاغها هو في قالب عربي فنسبت له اذ لم يثبت انه كان يعرف غير الفارسية من اللغات . وعبارة ابن ابي أصيبعة في تاريخ الاطباء تشبه قول القفطي في تراجم الحكماء والغالب انهما نقلا عن مصدر واحد مع تغيير طفيف في عبارتيهما .

قال ابن النديم واسمه بالفارسية روزبه وهو عبدالله بن المقفع ويكنى قبل اسلامه اباعمرو فلما اسلم اكتنى بابي محمد والمقفع ابن المبارك انما تقفع لان الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة في مال احتجنه من مال السلطان ضرباً مبرحاً فتقفعت يده واصله من خوز مدينة من كوَر فارس وكان يكتب اولاً لداود بن عمر بن هبيرة ثم كتب لعيسى بن علي على كرمان وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة كاتباً شاعراً فصيحاً وهو الذي عمل شرط عبدالله ابن علي على المنصور وتصعب في احتياطه فيه فاحفظ ذلك اباجعفر فلما قتله سفيان بن معاوية حرقاً بالنار وقع ذلك من المنصور بالموقع الحسن فلم يطلب بثاره وُطلّ دمه وكان احد النقلة من اللسان الفارسي الى العربي مضطلعاً باللغتين فصيحاً بهما وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها كتاب خداينامه في السير كتاب آيين نامه في الإصر كتاب كليلة ودمنة كتاب مزدك كتاب التاج في سيرة انوشروان كتاب الآداب الكبير و يعرف بماقراحسيس كتاب الادب الصغير كتاب اليتيمة في الرسائل .

وقال ان اباالجاموس ثور بن يزيد اعرابي كان يفد البصرة على آل سليمان بن علي وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة ولا مصنف له وقال : بلغاء الناس عشرة عبدالله بن المقفع . عمارة بن حمزة . حجر بن محمد . محمد بن حجر . انس بن ابي شيخ . وعليه اعتمد احمد بن يوسف الكاتب . سالم . مسعدة الهريز . عبدالجبار بن عدي . احمد بن يوسف . وذكره

في الشعراء الكتاب فقال انه مقل» وقال وقد كانت الفرس نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسية فنقل ذلك الى العربي عبدالله بن المقفع وغيره وقال في الكتب المصنفة في الاسماء والخرافات ان عبدالله بن المقفع من جملة من كان يعمل الاسمار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم.

والراجح ان الحسد غلت مراجله في صدور بعض معاصريه والمعاصرة كما قيل حرمان فنسبوا اليه ما نسبوا من الزندقة لقصورهم عن بلوغ شأوه او لغرض في انفسهم قال ابن خلكان نقلاً عن الجاحظ: ان ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون في دينهم قال بعضهم: كيف نسي الجاحظ نفسه. قلنا وعبارة الجاحظ في بعض رسائله بشأن ابن المقفع تشير الى قصوره في علم الكلام فقط فانه قال:

فصل» ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع ويكنى ابا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان جوادا فارسا جميلا وكان اذا شاء ان يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لاقليلا ولا كثيرا وكان ضابطاً لحكايات المقالات ولا يعرف من اين غر المغتر ووثق الواثق واذا اردت ان تعتبر ذلك ان كنت من خاص المتكلمين ومن النظار بن فاعتبر ذلك بان تنظر في آخر رسالته الهاشمية فانك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم رديء المدخل في مواضع الطعن عليهم. وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لايحمل عقله على شيء الا بعد به اه

لاجرم ان اطلاق ابن المقفع لسانه في المعتزلة دعا احد ائمتها الى ان يصدر عليه هذا الحكم الغريب ولكن الجاحظ ايضا على ثبوت تدينه لم يسلم من هذا الطعن كما رأيت. وان مسألة التهمة في الدين من الامور التي شاعت في كل عصر ومصر ويكون المتهمون بها في معظم الاحوال ابرياء والا فكيف تسجل الزندقة على ابن المقفع اذا جرينا مع الدليل. وليست الزندقة بحثاً عما يضمره الانسان في نفسه لان مثل هذا لا يطلع عليه الا الله تعالى ويكفي ان يقال هلاً شققت عن قلبه. بل الزندقة التي تذكر في الكتب وتترتب عليها الاحكام ويسوء ان يقال عن فلان انه زنديق امور تقوم عليها بينات ظاهرة من اقوال وافعال وكلام ابن المقفع في الدين يدل على شدة تمسكه وفرط ميله على ما يتجلى لك من رسائله.

ولو كان ثمّ سبيل لما ينسب اليه لاسيما مع غضب المنصور عليه لكان الاقرب ان يتقرب مثل المنصور بمثل ذلك وفيه ما فيه من ارضاء العامة وشفاء الغليل من العدو بحيث ينتقم منه مع اسقاطه ولا يعدم المنصور حينئذ حيلة في قتله جهاراً بهذه التهمة. اما

اتهام ابن المقفع بمعارضة القرآن فتنصرف على القاعدة في اتهامه بالزندقة وما نظن القاضي عياض والباقلاني الا ناقلين عن اناس من اهل السذاجة ومع ذلك فانهما قالا انه تاب .

التهمة بالزندقة امر نشأت منه مضار كثيرة حتى لم يخل منها مثل الامام الغزالي الذي كان اعظم انصار الدين فانظر الى كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذي الفه في الرد على اولئك الذين نسبوا اليه مانسبوا فان فيه الغناء واغرب من ذلك القيام على أبي حاتم (١) ابن حبان البستي امام المحدثين في عصره وصاحب الصحيح المشهور به والكتب الممتعة الكثيرة واستئصال الامر بقتله لو لم ينج من ذلك بعوارض لا تخطر في البال

ومعارضة القرآن اكثر ما تنسب للزنادقة المشهورين بالادب والفضل يشيع ذلك اناس يقصدون اهلاك عدوهم بأي وسيلة كانت او اناس هم اقرب الى الزندقة ممن ينسبونهم اليها حتى ان أبا العلاء المعري على اضطراب الاقوال في نهاية امره مع ما علم به من احواله قد عزي اليه كتاب كان معروفاً في بلاد المغرب يسمى بالفصول والغايات ولا يتوقف من كان قريب العهد من عصره في انه عمله في معارضة السور والآيات وكان كثير ممن يميلون الى أبي العلاء المعري من اهل المغرب يعجبون مما وقع فيه من سخافة القول الذي ينحط عن جميع كلامه المعروف مع انه ليس له يد في الكتابة كما علم من كتاب سر الفصاحة وكلامه في رسالة الغفران ينادي بخلاف ذلك (٢)

وعلى الجملة فان نسبة الزندقة الى ابن المقفع لاتثبت بوجه من الوجوه التي تعقل في اثباتها واذا نظرنا الى ما يتعلق بالغيب فالحكم الشرعي انه هو والناسبون اليه جميعاً في معرفة ما

(١) راجع ترجمته في معجم البلدان لياقوت في مادة بُست

(٢) قال المعري في رسالة الغفران عند كلامه على ابن الراوندي الزنديق الذي صنف في الرد على القرآن : بئس ما نسب الى راوند فهل قدح في دباوند انما هتك قميصه وابان للناظر خميصه واجمع ملحد ومهتد وناكب عن الحجة ومقتد ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب بهر بالاعجاز ولقي عدوه بالارجاز ما حُذي على مثال ولا اشبه غريب الامثال ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ذوي الارب وجاء كالشمس اللائحة نوراً للمسرة والبائحة لو فهمه الهضب الراكد لتصدع او الوعول المعصمة لراق الغادرة والصدع وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في افصح كلم يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق والزهرة البادية في جدوب ذات نسق فتبارك الله احسن الخالقين

ينطوون عليه سواء لانه لم يذهب احد الى ان الايمان يتيسر اثباته بالبرهان الا اذا ورد عن الشارع في شخص معين اثبات الايمان او لوازمه لرجل بعينه .

وتهمة الزندقة الشنعاء كثيراً ما يتهم بها المشتغلون بالفلسفة امثال ابن رشد والفارابي وابن الصائغ وابن سينا ونسب لهذا انه عارض القرآن وقد كتب رسالة في رد افتراء من افترى عليه ذلك . ومن هنا تظهر لك حسن سياسة المأمون لان فتح باب البحث عن الزنادقة قد اوجب من المضار ما لا يحصى كما يعلم من التواريخ بما كان عصر المأمون اقرب الى قلة الزندقة في الحقيقة من العصور التي كثر اتهام معظم المفكرين بها وغيرهم ممن يراد الانتقام منهم .

عرفت بهذا ان كلام القائلين بزندقة ابن المقفع مع ما عرف من كلامه هو من ذلك الباب . قال المرتضى في اماليه روى ابن شبة قال: حدثني من سمع ابن المقفع وقد مرّ ببيت نار للمجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل

يابيت عاتكة الذي اتعزَّل حذَر العدى وبك الفؤاد موكل

اني لامنحك الصدود وانني قسماً اليك مع الصدود لاميل

وقال صاحب الاغاني نقلاً عن الجاحظ : كان والبة بن الحباب ومطيع بن اياس ومنقذ ابن عبد الرحمن الهلالي وحفص بن ابي وردة وابن المقفع و يونس بن ابي فروة وحماد عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن ابي ليلى الراوية وابن الزبرقان وعمارة بن حمزة و يزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ و بشار المرعث وابان اللاحقي ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وعمداً وكلهم متهم في دينه . قلنا واجتماع المتشاكلين قديم في الناس والغالب انهم يتحرجون من ادخال من ليس على شاكلتهم في زمرتهم فيتهمون بما هم منه براء كما اتهم جماعة ابي حيان التوحيدي الذي نقل بعض مجالسهم الفلسفية في مقابساته وكانوا من اهل النحل المختلفة تجمع بينهم جامعة العلم والفلسفة كما جمعت بين ابن المقفع واصحابه جامعة الادب فقالوا انهم كانوا يجتمعون على شراب واتهموهم بالمروق . وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ ذكر اناس كانوا شديدي التصافي والالتحام مع شدة التباين في المذاهب .

اما كيفية مقتل ابن المقفع فقد اجمع مترجموه على انه كان بسبب كتابته اماناً لعبدالله ابن علي قال فيه : ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبدالله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون في حلّ من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جداً وخاصة امر البيعة وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو امير البصرة من قبله . فقتله وكان سفيان هذا شديد الحنق عليه لان ابن المقفع على ما يقال كان ينال منه و يستخف به حتى عزم على ان يغتاله فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله سرّاً في داره و يقال انه عاش ستاً وثلاثين سنة . وسأل

سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها نخاصماه الى المنصور واحضراه اليه مقيداً وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج فاقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور : انا انظر في هذا الامر . ثم قال لهم : ارأيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت واشار الى باب خلفه وخاطبكم ما تروني صانعاً بكم أأقتلكم بسفيان . فرجعوا كلهم عن الشهادة واضرب عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان برضا المنصور

ولابن المقفع شعر قليل ولكنه جيد نقل له صاحب الحماسة ثلاثة ابيات . يقال انه رثى بها يحيى بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه رثى بها ابن ابي العوجا وهي

رزئنا اباعمرو ولا حيّ مثله … فلله ريب الحادثات بمن وقع

فان تك قد فارقتنا وتركتنا … ذوي خلة ما في انسداد لها طمع

لقد جر نفعاً فقدُنا لك اننا … أمنا على كل الرزايا من الجزع

قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير — فتأمل .

ومما يذكر عن ابن المقفع ما رواه صاحب الاغاني وغيره قال حدثني اليزيدي قال حدثني عمي عبيدالله قال حدثني احمد قال سمعت جدي ابا محمد يقول : كنت القى الخليل ابن احمد فيقول لي احب ان يجمع بيني و بين عبدالله بن المقفع فجمعت بينهما فمر لنا احسن مجلس واكثره علماً ثم افترقنا فلقيت الخليل فقلت له : ياأبا عبد الرحمن كيف رأيت صاحبك قال : ما شئت من علم وادب الا اني رأيت علمه اكثر من عقله . ثم لقيت ابن المقفع فقلت له : كيف رأيت صاحبك قال : ماشئت من علم وادب الا ان عقله اكثر من علمه . وقال المرتضى ان من جمعهما كان عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة ايام ولياليهن .

قال الاصمعي : قيل لابن المقفع من ادبك فقال : نفسي اذا رأيت من غيري حسناً اتيته وان رأيت قبيحاً ابيته . ودعاه عيسى بن علي للغداء فقال : اعزّ الله الامير لست يومي للكرام اكيلاً قال : ولم ؟ قال : لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار . ومن كلامه : شربت من الخطب رياً ولم اضبط لها روياً ففاضت ثم فاضت فلا هي نظاماً وليس غيرها كلاماً .

ومما يؤثر عنه وهو ما يدل على رأيه في الانشاء انه قال لبعض الكتاب : اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فان ذلك هو العيّ الاكبر . وقال لآخر : عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة . وقيل له ما البلاغة فقال : التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها .

وفي البيان والتبيين عن اسحق بن حسان بن قوهة انه قال : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة . فمنها ما يكون

في السكوت . ومنها ما يكون في الاستماع . ومنها ما يكون في الاشارة . ومنها ما يكون في الحديث . ومنها ما يكون في الاحتجاج . ومنها ما يكون جواباً . ومنها ما يكون ابتداء . ومنها ما يكون شعراً . ومنها ما يكون سجعاً وخطباً . ومنها ما يكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة .

فاما الخطب بين السماطين وفي اصلاح ذات البين فالاكثار في غير خطل والاطالة في غير إملال . قال: وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير ابيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته . كأنه يقول فرّق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواكب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لاخير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك . والى العمود الذي اليه قصدت والغرض الذي اليه نزعت .

قال فقيل له: فان ملَّ المستمع الاطالة التي ذكرت انها حق ذلك الموقف قال: اذا اعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانهما لا يرضيهما شيء . واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شيء لا تناله وقد كان يقال رضاء الناس شيء لا ينال

وقال عبد العظيم بن ابي الاصبع في تحرير التحبير في البديع في باب التهذيب والتأديب : قد كان المتقدمون لا يحفلون بالسجع جملة ولا يقصدونه بتة الا ما اتت به الفصاحة في اثناء الكلام واتفق من غير قصد ولا اكتساب وان كانت كلماتهم متوازنة والفاظهم متناسبة ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائقة وفصولهم متقابلة وتلك طريقة الامام علي عليه السلام ومن اقتفى اثره من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون وابي عثمان الجاحظ وغير هؤلاء من الفصحاء والبلغاء .

وقال الامين المحبي فيما يعوّل عليه في المضاف والمضاف اليه : يتيمة ابن المقفع — يضرب بها المثل لبلاغتها و براعة منشئها وهي رسالة في نهاية الحسن تشتمل على محاسن من الادب وقد ذكرها ابو تمام واجراها مثلا في قوله للحسن ابن وهب

ولقد شهدتك والكلام لآلئٌ تؤم فبكر في الكلام وثيب
فكأن قساً في عكاظ يخطب وكأن ليلى الأخيلية تندب
وكثير عزة يوم بين ينسب وابن المقفع في اليتيمة يسهب

وقال جلال الدين في المزهر نقلاً عن ابي الطيب عبد الواحد اللغوي في مراتب النحويين قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون لم يكن للعرب بعد الصحابة اذكى من الخليل بن احمد ولا اجمع ولا كان في العجم اذكى من ابن المقفع ولا اجمع

وقال المعري في عبث الوليد : كان المتقدمون من اهل العلم ينكرون ادخال الالف واللام على كل وبعض وروى الاصمعي انه قال كلاماً معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحناً الا في موضع واحد وهو قوله : العلم أكبر من ان يحاط بكله فخذوا البعض

وروي ان بعضهم ذكر ابن المقفع فقال : الفاظه معان ومعانيه حكم فصل خطابه شفاء وخصل بيانه كفاء . وسمع ابو العيناء بعض كلام ابن المقفع فقال : كلامه صريح ولسانه فصيح وطبعه صحيح كأن بيانه لؤلؤ منثور وروض ممطور . وقال جعفر بن يحيى : عبدالحميد اصل وسهل بن هارون فرع وابن المقفع ثمر واحمد بن يوسف زهر .

وعبدالحميد هذا هو الذي يضرب به المثل في البلاغة حتى قيل فُتحت الرسائل بعبدالحميد وختمت بابن العميد . وكان احمد بن يوسف يقول في رسائل عبدالحميد الفاظ محككة وتجارب محنكة . قال صاحب الوفيات وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب اماماً وهو من اهل الشام وكان اولاً معلم صبية يتنقل في البلدان وعنه اخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ومجموع رسائله مقدار الف ورقة

وقال ابن نباتة: انه البالغ الى اعلى المراتب في الكتابة البليغة يقال انه كان في اول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان الجعدي قبل ان يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد اصحابه الا عبدالحميد فقال له مروان : لم لا سجدت فقال : ولم اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة فقال : اذاً تطير معي قال : الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته .

وهو اول من اخذ التحميدات من فصول الكتب واستعمل في بعض كتبه الايجاز البليغ وفي بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال . فمن الايجاز ان بعض عمال مروان اهدى اليه عبداً اسود فأمره بالاجابة ذاماً مختصراً فكتب : « لو وجدت لوناً شراً من السواد وعدداً اقل من الواحد لاهديته » . واما الاسهاب فانه لما ظهر ابومسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتاباً يستميله ويضمنه ما لو قرئ لاوقع الاختلاف بين اصحاب ابي مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على ابي مسلم لم يقرأه وامر بنار فاحرقه وكتب على جزازة منه الى مروان

محا السيف اسطار البلاغة وانتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبدالحميد : القوم محتاجون

اليك لاديك وان اعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم واظهر الغدر بي فلعلك تنفعني في حياتي او بعد مماتي فقال عبدالحميد

أسر وفاء ثم اظهر غدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا امير المؤمنين ان الذي امرتني به انفع الامرين اليك واقبحهما بي ولكني اصبر حتى يفتح الله عليك او اقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبدالحميد فغمز عليه بالجزيرة عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا: ايكما عبدالحميد فقال كل واحد منهما: انا خوفاً على صاحبه. الى ان عُرف عبدالحميد فاخذ وسلمه السفاح الى عبدالجبار صاحب شرطته فكان يحمي له طستاً ويضعه على رأسه الى ان مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل انه قتل مع مروان في مصر قال المسعودي انه رأى له عقباً بفسطاط مصر يعرفون ببني مهاجر وقد كان منهم عدة يكتبون لآل طولون. وكان ابوجعفر المنصور يقول: غلبنا بنوأمية بثلاثة اشياء بالحجاج وعبدالحميد والمؤذن البعلبكي. وقيل لعبدالحميد: ما الذي مكنك من البلاغة قال: حفظ كلام الاصلع يعني امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه. وقيل له ايما احب اليك اخوك ام صديقك قال: انما احب اخي اذا كان صديقي: وقال اكرموا الكتاب فان الله تعالى اجرى الارزاق على ايديهم. وقال: القلم شجرة ثمرتها الالفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة. ومن كلامه خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكراً قال صاحب وفيات الاعيان وكان كثيراً ما ينشد:

اذا خرج الكتاب كانت دُويهم قسياً واقلام الدوي لها نبلا

ومما نقله عنه انه ساير يوماً مروان بن محمد على دابة قد طالت مدتها في ملكه فقال له مروان: قد طالت صحبة هذه الدابة لك فقال: ياامير المؤمنين ان من بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها فقال له: فكيف سيرها فقال: همها امامها وسوطها عنانها وماضربت قط الا ظلماً ولعبدالحميد كصديقه وضريعه عبدالله بن المقفع شعر نادر فمنه

كفى حزناً اني ارى من احبه قريباً ولا غير العيون تترجم
فاقسم لو ابصرتنا حين نلتقي ونحن سكوت خلتنا نتكلم

هذا ما وصلنا من اخبار هذين الامامين ونحن نعلم ان ترجمتهما على ما اثبتناها هنا ليست مستوفاة من عامة وجوهها ولكن تلاوة كلامهما احسن مترجم عنهما اذ كلام المرء قطعة من عقله.

رسالة عبد الحميد الى الكتاب (١)

اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملائكة المكرمين اصنافا (٢) وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم (٣) وابواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروآت (٤) والعلم والرزانة بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلدانهم (٥) لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يبصرون والسنتهم التي بها ينطقون وايديهم التي بها يبطشون فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما اضفاه من النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم . فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليماً في موضع الحلم فهيماً (٦) في موضع الحكم (٧) مقداماً في موضع الاقدام محجاماً (٨) في موضع الاحجام مؤثرًا للعفاف والعدل والانصاف كتوماً للاسرار وفياً عند الشدائد عالماً بما يأتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم (٩) يحكمه اخذ منه بمقدار (١٠) من الحسن واحتال على صرفه (١١) عما يهواه من القبح (١٢) بالطف حيلة واجمل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيرًا بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت جموحاً (١٣) لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوباً اتقاها من بين ايديها (١٤) وان خاف منها شرودًا توقاها من ناحية رأسها وان كانت حروناً قمع برفق هواها في طرقها فان استمرت عطفها يسيرًا فيسلس له قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة دلائل (١٥) لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم (١٦) وداخلهم والكاتب بفضل (١٧) ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره

---

(١) عارضنا هذه الرسالة التي اخذناها عن مقدمة ابن خلدون المطبوعة على نسختين مخطوطتين من المقدمة احداهما في مكتبة احمد زكي بك والثانية في خزانة كتب احمد تيمور بك (٢) نسخة : اضيافا (٣) خ في معايشهم (٤) خ المروءة (٥) خ بلادهم (٦) خ فهماً (٧) خ الفهم (٨) خ محجماً (٩) خ فان لم (١٠) خ مقدار (١١) خ لصرفه (١٢) خ من القبيح (١٣) خ رموحاً (١٤) خ من قبل يديها (١٥) خ دليل (١٦) خ وخدمهم (١٧) خ لفضل

من الناس ويناظره ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم اوده من سائس البهيمة التي لا تُحير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ·

الا فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا فيه ما امكنكم من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيرون منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله تعالى ·

ولا يجاوزنّ الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تُحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يُعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلها ولا سيما الكتاب وارباب الآداب · وللامور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة · واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل (١) عن اكثاره · وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وادبه فانه ان ظن منكم ظانّ او قال قائل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرّض بظنه (٢) او مقالته (٣) الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف · ولا يقول احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لعبء ما يكتفي به يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعدّ لكل امر عُدته وعَتاده ويهيّئ لكل وجه هيئته وعادته · فتنافسوا يامعشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف السنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب

(١) خ للتشاغل (٢) خ بحسن ظنه (٣) خ فعاله

ونزهوا صناعتكم عن الدناءة (١) وار بأوا بانفسكم عن السعاية والنميمة ومافيه اهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو اليق لاهل (٢) الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه امره وان اقعد احدًا (٣) منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احوط منه على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها (٤) الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى القراء وهو لكم افسد منه لها . فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره (٥) ونصيحته وكتمان سره وتدبير امره ما هو جزاء لحقه ويصدق (٦) ذلك تبعًا له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه . فاستشعروا ذلك وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمؤاساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت السمية هذه من (٧) وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة . واذا ولي الرجل منكم او صير اليه من امر خلق الله وعياله امر فليراقب (٨) الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقًا وللمظلوم منصفًا فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله .

ثم ليكن بالعدل حاكمًا وللاشراف مكرمًا وللفيء موفرًا وللبلاد عامرًا وللرعية متألفًا وعن اذاهم متخلفًا وليكن في مجلسه متواضعًا حليمًا وفي سجلات خراجه واستقضاء (٩) حقوقه رفيقًا واذا صحب احدكم رجلًا فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها اعانه على ما يوافقه التدبير من مرافقته في صناعته ومصاحبه في خدمته . فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان صاحبه اعقل منه واجمل (١٠) في طريقته . وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر (١١) على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيره .

وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته . وانا اقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل . وهو جوهر هذا الكتاب

(١) خ الدناءات (٢) خ باهل (٣) خ احدكم الكبر (٤) خ يضفها (٥) خ وصبره (٦) خ ويقصد ذلك بفعاله (٧) خ لمن (٨) خ فليراقب ربه (٩) خ واستقصاء (١٠) خ احمد (١١) خ ولا تكاثر على

وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جملته آخره وتممته به . تولانا الله واياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

العامية من الفصحى

كثر بحث الباحثين هذه الايام في المقارنة بين اللغة الفصحى واللغة العامية وقد ظفرنا بكتاب (١) اسمه القول المقتضب فيما وافق لغة اهل مصر من لغة العرب تأليف الشيخ محمد ابن ابي السرور الصديقي من اهل القرن الحادي عشر قال مؤلفه في مقدمته : وبعد فاني لما طالعت كتاب رفع الاصر عن كلام اهل مصر للعلامة الكامل شيخ اهل الادب الراقي منه الى اعلى الرتب الشيخ يوسف المغربي رأيته اتى فيه بالعجب العجاب غير انه اسهب فيه غاية الاسهاب باستطراده (الى) بعض الالفاظ اللغوية التي ليست من شرط الكتاب مع ذكره اشعاراً وحكايات من قسم الاستطراد لا معنى لها في هذا التصنيف ولا مدخل لذكرها في هذا التأليف نخطر لي ان الخص من محاسنه والتقط درة من مكامنه ولم اذكر فيه من اللغة الا ماله اصل في اللغة العربية الناطق بها اهل الديار المصرية مرتباً ذلك على ترتيب القاموس كاصله وسميته القول المقتضب فيما وافق لغة اهل مصر من لغة العرب . والكتاب مرتب على حروف المعجم وهو في بضعة كراريس وهاك نموذجاً منه نقلناه وبعضه لا يخلو مما ينتقد

يقولون اومى قال في المجرد لايقال اومى وانما يقال اومأ اي اشار اليه (قلنا ويقول العامة في الشام فلان كلم فلاناً بالومى اي بالاشارة) . ويقولون لقاصد القلعة بابا وفي اللغة العربية بابا الرجل اذا اسرع فيمكن ان يكون البابا منه لانه يسرع اقتضاء الحاجه . ويقولون للولد الصغير اذا اراد المشي تاتا قال في القاموس تاتا الطفل مشى والتبختر في الحرب . ويقولون عند سقي القهوة جبا وهي قرية باليمن يصير فيها البن الصبري وهو عجيب في الحسن فكأن الساقي اذا قال جبا اي هذه قهوة بن جبا . ويقولون في سوق الحمار حاحا قال في القاموس حاحا اذا دعي الحمار للشرب واهل مصر تقول ذلك له اذا ارادوا مشيه وتصحيفه جأجأ (؟) قال في القاموس معناه حمار وثاب . ويقولون لا تتكأكاد اي لا تتأخر عن السير . ويقولون هاها بالابل اي زجرها عند ورودها

(١) في خزانة كتب احمد بك تيمور

الماء وهأهاء رجل ضحاك . ويقولون ياماعمل له اصل في اللغة وهو من باب التعجب . ويقولون الاب والاخ مثلاً فيشددون الباء وليس هو خطأً بل له اصل في لغات العرب . ويقولون بيه قال المجدي هو حكاية صوت الصبي والشاب الممتلئ لحماً وصفة الاحمق . ويقولون حوبة قال المجدي ومعناه الضعيف عن الشيء والحوبة البعنت والاخت ورقة فؤاد الام والهم والحاجة والمرأة والسرية كل ذلك يقال له حوبة . ويقولون دُرَابة وهو كناية عن احد الواح الدكان وله اصل في اللغة كذا نقله صاحب كتاب المجرد في اللغة . ويقولون رَجَبَ المرجب اي المعظم وهو صحيح . ويقولون سبب قال بعض ائمة اللغة اي باع واشترى في الشيء . ويقولون شقلبه اي غيره من حال الى آخر . ويقولون طبطب قال في القاموس الطبطبة صوت الماء وصوت تلاطم السيل وطبطب صوت . ويقولون طاب وهو اسم لما يلعبون به واسم الكرة ايضاً ويقولون عرقب في حق الدابة اذا قطع عرقوبها وله اصل في اللغة . ويقولون علب قال في القاموس العلبة بالكسر آنية من الشجر غليظة يتخذ منها وعاء للشيء . فائدة: العلبة بالضم النخلة الطويلة وقدح ضخم من جلود الابل او من خشب يحلب فيها . ويقولون قب جلدي منه اذا اقشعر وله اصل في كتب اللغة . ويقولون قطب له المزين وهو في صحيح كتب اللغة يقال قطب الشيء قطعه ثم جمعه وقطب فلان اي غضب . ويقولون للمنعزل عن الناس قطرب وهو صحيح لانه جنس من الامراض السوداوية وصاحبه يحب الانفراد من الناس وله معان كلها قبيحة وهو بالضم اللص والفأرة والذئب الامعط والجاهل والجبان والسفيه والمصروع وصغار الكلاب وطائر ودويبة لا تستريح نهاراً سعياً . ويقولون فلان اكرب علينا قال في القاموس اي امرنا بالسرعة . ويقولون كركبه قال المجدي معناه الحركة ويقولون تت قال المجدي معناه اقعد وهو صحيح ورد في بعض كتب اللغة . ويقولون ضربته حته معناه حتى اكتفيت فله معنى في كتب اللغة والحت الجواد من الخيل والسريع من الابل وما يلتزق من التمر والميت من الجراد كل ذلك معنى حته . ويقولون الشيت وهو من الاقمشة قال المجدي والشيت نوع من الاقمشة الهندية . ويقولون فلان بشخت مرادهم ينهر من شدة غيظه وهو صحيح . ويقولون غت عليّ بمعنى ادخل عليّ سوءاً وهو صحيح وارد في كتب اللغة . ويقولون للملاح النواتي قال في الزاهر النواتي الملاحون بالبحر الواحد نوتي . ويقولون هتّ عليّ وهو صحيح في كتب اللغة معناه اسرع في الكلام او سرد كلامه . ويقولون فلان هفت من الجوع اي سقط ومنه تهافت الفراش في الفتيلة اي تساقط عليها فكأنه لكثرة جوعه يسقط كذا نقله بعض ائمة اللغة . ويقولون هيّت علينا اي خوفنا وهو

صحيح ورد في بعض كتب اللغة هيت به صاح به ودعاه وهِيْت قرية بالعراق تنسب اليها الخمرة الطيبة ومنه قول ابي نواس

هات اسقني قهوة صفراء صافية　　منسوبة لقرى هيت وعانات

ويقولون على لون من الطعام عجة قال بعض ائمة اللغة العجة بالضم طعام من البيض . ويقولون لآلة الدراس نورج وهو صحيح لغوي ويقال ذلك ايضاً لآلة الحرث والنورجة والنيرجة الاختلاف اقبالاً وادباراً والنيرج النمام . ويقولون اذا أُلقي انسان على وجهه بطحه وهو صحيح لغوي ويُراد منه ايضاً الضرب والغيبوبة عند ذلك . ويقولون طرحة قال في القاموس الطرحة الطيلسان واما لفظ طراحة فليس له اصل في اللغة . ويقولون بربخ للشيء الذي توضع عليه الجرة وهو صحيح لغوي وهو ايضاً اسم لمجرى الماء والبالوعة يقال لها بربخ قال ذلك في القاموس . ويقولون في المريض صار مثل الفخ والفخ المصيدة وهو مثل القوس وهو لين فشبه به المريض اي صار مثل القوس اللينة . ويقولون للاطفال بمعنى الزجر كخ نقل حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاحياء ان الامام الحسين عليه السلام اخذ تمرة من تمر الصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كخ فرمى بها من فيه . ويقول زرّد عليه اذا خنقه وهو صحيح وارد في كتب اللغة . ويقولون زرد اللقمة اذا ابتلعها وزرد كنصر خنقه والزرد الدرع . ويقولون فلان سرد اذا حصل له النعاس قال في الزاهر السرد يطلق على النعاس في بعض الاحيان . ويقولون همر علينا اذا وثب وصاح وهو صحيح لغوي . ويقولون فلان واكر عند فلان اذا كان ملازماً له وهو صحيح لغوي مأخوذ من وكر الطائر اتخذ له وكراً وكذلك هذا الرجل اتخذ صاحبه مثل وكر الطائر في الملازمة . ويقولون راز الشيء ويروزه يعرف قدره ولها اصل في اللغة راز الشيء روزاً جربه ليعرف قدره والراز رئيس البنائين . ويقولون اكلنا عند فلان بسيسة قال في القاموس البسيسة اتخاذ السويق او الدقيق او الأقط بالسمن والزيت . ويقولون فلان دحس قال المجدي الدحس هو الذي يخفي الاشياء مكراً وقال في القاموس الدحس اندساس شيء في التراب . ويقولون فلان عنده عترسة اي شدة قال في القاموس العترسة الاخذ بالشدة والجفاء والعنف والغلظة . ويقولون ناموسية لشيء يعمل من القماش يدخلون فيه في زمن الشتاء وهو صحيح لغوي والناموس عريسة الاسد والناموس جبريل عليه السلام . ويقولون فلان هاس وهو صحيح لغوي ومعناه اذا تكلم كلاماً غير منتظم ويطلق على سلب العقل وعلى الهزال . ويقولون فلان خربشني باظفاره اي آذاني بها وهو صحيح قال في مختصر الصحاح الخربشة والخرفشة والخرمشة كلها بمعنى واحد ويقولون طواشي على الخصي وهو صحيح لغوي وارد في بعض كتب اللغة والذي في القاموس الطوش خفة العقل . ويقولون نفش وهو صحيح لغوي

يقال عفشه يعفشه جمعه ومن الناس من لا خير فيهم · و يقولون نتش وهو صحيح لغوي قال في الزاهر النتش كالضرب استخراج الشوكة ونحوها ونتشت اليوم كذا وكذا اي اكتسبت · و يقولون فلان بصبص لي اي نظر الي نظراً بعد نظر وهو صحيح لغوي ق ل في الزاهر البصاصة العين لانها تبص و بصبص الكلب حرك ذنبه والجرو فتح عينيه · و يقولون فلان ممصوص قال في القاموس الممصوص الرجل المهزول والممصوصة المرأة المهزولة · و يقولون ساباط قال في مختصر الصحاح الساباط سقيفة بين حائطين تحتها طريق والجمع سوابيط وساباطا (وفي لغة الشام الآن سيباط و بلغة مصر سباط) · و يقولون فوط قال في القاموس الفوط شيء يجلب من بلاد السند وهي مآزر مخططة فصار يطلق على غيرها مجازاً · و يقولون فلان فطفاطي قال بعض ائمة اللغة هو الاعوج القليل الثبات او الذي يتكلم بكلام لا يفهم · و يقولون فلان عنده دلاعة قال في القاموس الدلاعة الغاية في الحمق والغفلة والتصاغر وخروج اللسان · و يقولون اخضر مرعرع قال في الزاهر المرعرع الكامل الحسن في الاعتدال والرعرعة اضطراب الماء الصافي على وجه الارض وترعرع تحرك والنشأ ورعرعه الله انبته · و يقولون فلان متعنع اي عنده عدم في قوته قال في القاموس التعنعة ضعف العزم بعد قوة والرتة في اللسان والتعناع نبت معروف · و يقولون وكثيراً ما يقع من الاروام غوغاء ل بعض ائمة اللغة الغوغا الشر والحرب والغوغا الجراد وشيء يشبه البعوض لضعفه و به سمي الغوغاء من الناس · و يقولون فلان ممعمع في كلامه اذا لم يبينه قال في القاموس ممعمع الحم ضعفه ولم يبالغ وكلامه لم يبينه · و يقولون فلان شلاف قال المجدي الشلاف هو الذي يأخذ الشيء من غير حساب · و يقولون شاف الشيء اي نظره قال في القاموس شاف الشيء اي نظره وشفته شوفاً جلوته ودينار مشوف مجلو · و يقولون فلان نتيف واعطاني نتفة وكلاهما صحيح لغوي الا انهم يحرفونها فيكسرون النون والصحيح الضم قال بعض ائمة اللغة نتف ما تنتفه باصبعك من شعر او نبت والنتفة الشيء اليسير · و يقولون شقة قماش قال في القاموس الشقة من الثياب المستطيلة · و يقولون عنقه قال في المجرد عنقه بمعنى امسكه و يقولون عفلق قال في مختصر الصحاح العفلق الرجل الطويل المسترخي والعفلق الضخم المسترخي والمرأة الخرقاء السيئة العمل والمتطق والرجل الاحمق · و يقولون فلان ربى على قلبي دبلة قال في مختصر الصحاح الدبل الطاعون و يطلق على الداهية وعلى الجمل الصغير · و يقولون فلان زول قال في المجرد الزول الهيبة العظيمة والزول العجب والجواد والكلأ والخفيف الظريف الفطن و يقولون حزام قال في المجرد الحزام ما يشد به الوسط · و يقولون طارمة قال في مختصر الصحاح الطارمة بيت من خشب والغالب ان يكون ذلك في المراكب وحارة بمصر يقال لها اصطبل الطارمة اي الاصطبل الذي فيه بيت من الخشب · هذا غيض من فيض اوردناه على سبيل المثال فعسى ان يبادر القائمون بخدمة اللغة العربية الى نشر هذا الكتاب بالطبع ·

الكتاب

اذا بلغت الحضارة أوجها في أمة يتفنن أهل العلم في التأليف المفيد فيضعون المصنفات في الموضوعات التي لا تخطر على بال أحد في مجتمع غير راق . ومن كان يظن ان أبا عمرو بن عمر الجاحظ البصري يؤلف كتاباً في مدح الكتب والحث على جمعها (١) عدا ماوقع له من ذكرها مرات في كتبه قبل زهاء الف سنة ولكن ما كتبه الجاحظ في تلك الازمان يكتبه مؤلف هذه الايام ببيان أشفى ومادة أوسع لارتقاء هذه العصور باختراع الطباعة التي عمت بها المطبوعات وسهل بها التأليف والنشر ولا سيما على من كان مثل مؤلف «الكتاب» الذي صدر هذا الشهر في خمس مجلدات للمسيو البرسيم قيم مكتبة نظارة البريد والبرق في باريز

قسم كتابه الى أقسام فتكلم على حب الكتب والمطالعة والكتب في الازمان السالفة والقرون الوسطى منذ اختراع الطباعة الى عصرنا هذا وتمييز بعض المؤلفين على بعض وما يجب أن يطالع من الكتب وكيف يجب أن يطالع أو يتصفح وتؤخذ مفكرات بالخط على بعض الكتب وهل ينبغي الاستكثار من الكتب أو الاقلال منها وكيف تختار الكتب وهل يجب الاكثار من المطالعة أو الاكثار من اعادة المطالعة . وتكلم على الكتب المزينة والكتب البسيطة . والقديمة والحديثة والاستشفاء بالكتب وتاريخ الكتب وذكر الروايات والصحف وتكلم على المجانين بالكتب (٢) Bibliomanes والهائمين بالكتب Bibliolâtres وممزقي الكتب Biblioclastes وأعداء الكتب Bibliophobes

(١) المقتبس ٣ — ٥٦١ — ٦٠١

(٢) المقتبس ١ — ٨٥

وعدّ النساء من أعداء الكتب واطال في اعارة الكتب وفي ورقها وقطعها وطبعها وتصويرها وتجليدها وابتياعها وترتيبها في قماطرها والعناية بفهرستها وتنسيقها وكيفية استعمالها وحفظها وطبعها واختصارها

هذه أهم ما تدور عليه أبحاث هذه المجلدات الخمسة الممتعة ويرى مؤلفها ان لا يقتصر في الكتاب على الباسه لباس الظرف وحفظه في الزجاج والنظر اليه باعجاب وانعطاف بل انه خلق ليقرأ ويتدبر ما فيه ويتلذذ به قال : فانا أتخذه بمثابة اداة للدرس والتسلية والتعزية وقرة عين بل هو واسطة للكمال العقلي والادبي فانا من ثم لا أفصل بين محبة الكتب ومحبة الآداب بحال وان شئت فقل بين محبة الجمال والخير والعدل والحق فبين هذه الامور تشابه

وقد اعتذر المؤلف عن ان معظم كتابه ليس من قلمه بل هو عبارة عن استشهاد بأقوال أئمة العلم والادب في كل عصر ومصر وذلك لان الاستشهاد بكلام الرجل بعينه يصوّره كما هو وله من الوقع في النفس اكثر من احالة المطالع على الرجوع الى ما كتبه المؤلف كما قال سانت بوف العالم . وقال شاتوبريان الفرنسوي الكاتب : لا يجب الاعتقاد بأن معرفة ايراد الشواهد هو مما يسع كل أحد من أرباب العقول الضعيفة أن يفعله ممن فرغ وطابهم من كل علم فيستقون من موارد غيرهم ما راقهم وما الاستشهاد حيث يجب الا دليل العلم . فالذاكرة التي تدخر الشواهد لحين الحاجة هي في الحقيقة قرينة الذكاء بل هي أم الذكاء وجودة الذهن. وقد غذى كبار كتاب عصر لويس الرابع عشر عقولهم بالشواهد وكان شيشرون الخطيب الروماني الذي لم تكن له الا لهجة واحدة يلهج بها ويتوفر عليها يكثر من الاستشهاد وأنا أيضاً (شاتوبريان) لا اقصر في هذا السبيل

ولذا سار مؤلفنا في مصنفه الجليل على هذه الطريقة شأن معظم الكتاب الذين لا يكتبون الا بتصحيح الاسناد وايراد الشواهد والشوارد فيقرأ القاريء فيه من أسماء الكتب المؤلفة بالافرنجية في هذا المبحث مايدل على ان الغربيين اليوم سابقون في كل محمدة ويسجل بمابذله بنفسه من الدرس والبحث حتى جاء كتابه آخذا من كل شجرة ثمرة ومن كل حديقة زهرة

قال في تاريخ الكتب انه لم يعرف في الحقيقة الا منذ ثلاثة آلاف سنة وان قال أحد علماء الالمان بوجود الكتب قبل الطوفان ووضع لذلك مصنفا. فتاريخ الكتب يرد الى عهد ملك مصر اوسيمانديياس الذي يرى علماء الآثار المصرية اليوم انه هو رعمسيس الثاني أو سزوستريس وكان له خزانة كتب جعلها في قصره في ثيبة كما قال المؤرخ ديودور الصقلي وقد حكم هذا بوجودها من أثر كان مزبورا على الحجر في أعلى باب هذه المكتبة وهو قوله « هنا أدوية النفس » فوصف بذلك الكتب أجمل وصف وأوجزه عرف ولا يتأتى أن يقال أحسن منه . ومضت على هـذا الوصف الازمان حتى جاء الفيلسوف مونتسكيو في القرن الثامن عشر فقال: ماقط حزنت الا وتبدد حزني بساعة من المطالعة أروّح بها عن نفسي ثم جاء بعده القصصي الانكليزي بولور ليتون في القرن التاسع عشر ووصف مطالعة بعض المصنفات لشفاء بعض الامراض فرأى المداواة بالكتب كأنها بعض العقاقير والعناصر . وكل من قال كلمة في هذا الباب لم يخرج في وصفه للاسفار عن حد الحكمة التي علقها ملك مصر على مكتبته أو شرحها أو المبالغة فيها. وأسس الظالم بيزيسترات (٥٦١—٥٢٧ق.م) مكتبة عامة في آثينة وهي أول مكتبة من نوعها جمع فيها أشعار هوميروس ولم تكن تعيها من قبل الا ذاكرة القصاصين والمتشاعرين . ويؤخذ من بيت

للشاعر اريستوفان (قبل المسيح بخمسة قرون) أن الكتب كانت منتشرة جدا في زمنه بمدينة آثينة . وقال كسينوفون في تذكرة سقراط شيئاً عن الكتب والمجاميع وبجارتها

واستعمل السبيادس على نحو ذلك الزمن (٤٥٠ـ ٤٠٤ ق . م) طريقة لاتخلو من قلة ذوق ليحبب أبناء وطنه في الكتب فدخل مدرسة خاصة بدراسة النحو وسأل المعلم أن يأتيه ببعض كتب لهوميروس فاجابه ان ليس عنده ولا واحد منها فصفعه وخرج . وكان الاسكندر الكبير (٣٥٦ ـ ٣٢٥ ق . م) مولعاً من وراء الغاية بدرس اشعار هوميروس وبعد ان هزم دارا ملك الفرس وقع اليه سفط كان بين اسلاب المغلوبين فسأل خاصته ماذا ينبغي ان يجعل فيه من مال أو متاع فاختلفت آراؤهم أما هو فقال لهم : انه يضع فيه الياذة هوميروس لتحفظ فيه حفظا جديرا بها . وكان الاسكندر أثناء رحلته الى آسيا أمر بأن تجلب له تواريخ فيليست وفاجعات اوريبيدس وسوفقلس واشيل وغيرهم ويحب استاذه ارسطو كما يحب اباه لان هذا سبب حياته وذاك سبب سعادته . وأنشأ بطليموس سوتر أحد خلفاء الاسكندر الذي استأثر بملك مصر عندما قسمت المملكة اليونانية مكتبة الاسكندرية وهي شهر واغنى مكتبة في الازمان السالفة وكان ذلك باشارة ديمتريوس دي فالير (٣٤٥ـ٢٨٣ ق .م) النحوي المؤرخ البياني حاكم آثينة الذي غدا اول قيم على هذه المكتبة وجرى خلفاؤه من البطالسة على العناية بهذه المكتبة ولا سيما بطليموس الثاني فيلادلفس (٢٨٥ ـ ٢٤٧) وبطليموس الثالث افرجيتس . وكانوا ينشطون زراعة ورق البردي ليتوفر الورق لديهم ويستخدمون كثيرا من النساخ وربما لم يكونوا يستنكفون من السرقة لزيادة ماعندهم من الكتب كما فعل احدهم فاستعار من

مكتبة آثينة كتباً لشعرائهم وفلاسفتهم فاستنسخها ولم يرجع الاصل بل ارجع نسخاً ثانية منها وبطليموس الثاني فيلادلفس — لعله لقب بذلك استهزاء به لانه قتل أخوته أو لانه تزوج أخته — هو الذي أمر بترجمة كتب العبرانيين المقدسة الى الرومية بمعرفة سبعين من علماء بني اسرائيل وكانت ترجمتهم السبعينية من أهم حوادث التاريخ لانها سهلت السبيل الى انتشار اليهودية ومهدت للنصرانية

ولم تحرق مكتبة الاسكندرية التي قال بعضهم انه كان فيها نحو سبعمائة الف مجلد على يد الامام عمر (١) ولا بأمره كما جاء في بعض التقاليد فان هذه الدعوى من الاغلاط التاريخية العظيمة اذ لم يكن أثر لهذه المكتبة عند ما فتح العرب مدينة الاسكندرية سنة ٦٤٠ وعلى عهد البطالسة اصبح أمر المكتبة الى ضعف فقسمت شطرين جعل كل منهما في مكان مستقل فحرق القسم الاول قضاء وقدرا عند ما استولى يوليوس قيصر على الاسكندرية سنة ٤٧ قبل المسيح وذهب القسم الثاني وكان جعل في معبد سيرابيس على يد الاسقف تيوفيل بعد ذاك التاريخ بأربعمائة سنة عقيب الامر الصادر عن تيودوس بالقضاء على جميع المعابد الوثنية وجعل عاليها سافلها

ومن المكاتب الشهيرة في القديم مكتبة فرغامس « برغامة » في آسيا الصغرى أسسها اومينوس الثاني ابن اتال الاول قبل المسيح بمائتي سنة ويقول بلوتارك انه كان فيها مائتا الف مجلد بسيطة أهداها انطونيوس أحد حكام اليونان الى كلوبطرة ملكة مصر من نسل البطالسة . وقد نقل كثير من الكتب من مكاتب آثينة والشرق الى ايطاليا وكانت المكاتب عند الرومان

(١) المقتبس ١ — ١١٥ و ٢ — ٦٥٣

تبنى بالقرب من معابدهم وأول مكتبة أنشئت في رومية على يد ازينوس بولنيوس. ولطالما تنافس ملوكهم في الاكثار منها وفيهن من جعلوا خزائن الكتب العامة في قصورهم. تساوى في الغلو بحب الكتب عالمهم وجاهلهم وعادلهم وظالمهم

وتحكم على الكتب على عهد البرابرة والهونس والغوط والغوط الغربيين والفنداليين وعلى غلاتهم من الافرنج في القرون المتأخرة (١) وأجاد ماشاء وشاء بيانه في اختيار المصنفات وانتقاء الاجود منها فأتى على ذلك بشيء مما قاله أهل العلم والحكمة منذ الزمن القديم الى عهدنا هذا فقال ان توسيديد حضر مجلساً لهيرودتس المؤرخ اليوناني يتلو فيه على بعض أهل آثينة شيئاً من تاريخه فاهتز وطرب ولم يتمالك ان بكى وكان عمره خمس عشرة سنة وكان ديموستين يغالي في الولوع بتاريخ توسيديد نسخه بخطه الجميل ثماني مرات ليرسخ انشاؤه في ذهنه ويطبع عليه. وكان الاسكندر الكبير مهوّساً بالياذة هوميروس يصحبها معه حيث ذهب ويضعها تحت المخدة مع سلاحه عند ما ينام وكان شيشرون يرى ديموستين أخطب خطيب في كل ضرب من ضروب الخطابة ويعنى بما كتبه ارسطو وأفلاطون وتيوفراست كل العناية

وكان شارلمان (٧٤٢–٨١٤) ملك فرنسا مولعاً بتلاوة كتاب مدينة الله للقديس أوغسطينس كما ان الفريد الكبير ملك انكلترا (٨٤٩–٩٠٠) يؤثر مطالعة قصص ازوب وترجمها شعرا الى اللغة السكسونية وكان يرى تيودوركازا النحوي اليوناني المشهور (١٣٩٨–١٤٧٨) ان كتب القدماء لو ألقيت كلها في النار لاختار ان يخلص منها كتب بلوتارك. وجعل شارلكان (١٥٠٠–١٥٥٨) كتب توسيديد رفيقته في أعماله وكان يقرأ تذكرات كومين المؤرخ بولع شديد.

(١) المقتبس ٢ – ٥٦٩

وكان كاتم السر فرنسيس باكون (١٥٦١ــ١٦٢٦) يقول ليست الكتب الا تكرارا فابحث في كتب اليونان والرومان والعرب وجميع مؤلفي القرون الحديثة فلا ترى فيها كلها شيئا يتعدى ما قاله الفلاسفة ارسطو وأفلاطون واقليدس وبطليموس. وكان ملتون الشاعر الانكليزي (١٦٠٨ــ١٦٧٤) الاعمى يقرأ في الصباح شيئاً من التوراة بالعبرية ثم يدرس شعر هوميروس ويقال انه استظهره كله وعلم بناته الثلاث ثماني لغات يقرأن فيها عليه بدون ان يفهمنها وكان يقول ان البنت تكفيها لغة واحدة ولكنه لم ير بدا من تعليمهن ليقرأن له ما يحب

وكان كورنيل الشاعر الفرنسوي (١٦١٦ــ ١٦٨٤) يؤثر مطالعة تاسيت وتيت ليف المؤرخين اللاتينيين ويعنى عناية خاصة بلوكين الشاعر اللاتيني وسينيك الفيلسوف وسمع لافونتين الشاعر الفرنسوي (١٦٢١ ــ ١٦٩٥) وهو في الثانية والعشرين نشيدا للشاعر ماليرب فاخذه العجب باقوال هذا الشاعر ثم انصرف الى مطالعة هوراس وفرجيل وتيرانس وكنتيلين واختار من مؤلفي الفرنسيس رابلي ومارو ودورفي وفواتور وقرأ من الايطاليين اريوست وبوكاس وماكيافيل وتاس . وشغفت العقيلة دي سيفنية الكاتبة الفرنسوية (١٦٢٦ــ ١٦٩٦) بمطالعة أدب نيكول ثم كورنيل وبوردالو . وكان الاخلاقي لابروبير (١٦٦٩ــ ١٦٩٦) يرى ان موسى وهوميروس وأفلاطون وفرجيل وهوراس لايفوقون غيرهم من الكتاب والشعراء الا بجودة تعابيرهم وتصوراتهم

وكان الشاعر راسين (١٦٣٩ ــ ١٦٩٩) استظهر وهو في السادسة عشرة أو السابعة عشرة اشعار سفوقلس واريبدس وقرأ أفلاطون وبلوتارك على الاصل اليوناني وكان وهو في المدرسة يقرأ رواية تيوجين وشاريكله لهليودور

اليوناني ففاجأه معلمه فتناول الكتاب من يده وألقاه في النار ثم اجتهد راسين ان يحصل على نسخه ثانية من هذه الرواية فعامله استاذه بمثل ذلك ثم استحصل نسخة ثالثة واخذ يحفظها سرا ولما اتى عليها حمل النسخة الى معلمه وقال له: لك ان تحرق هذه كما حرقت اختيها لاني لاحاجة بي اليها

وقال الكاتب الفرنسوي سان أفرموند (١٦١٣ـ١٧٠٣) ان رواية دون كيشوت لسرفانيس هي من المصنفات التي استطيع تلاوتها طول عمري دون أن امل ساعة وكنت أود أن أكون مؤلف دون كيشوت من بين جميع الكتب التي طالعتها ومن رأيي انه ليس من كتاب يساعد كثيرا على تحسين ذوقنا في كل الامور مثله. ويظهر ان كوفيدو من حذاق المؤلفين واني لاعتبره زيادة لانه اراد أني يحرق جميع كتبه عندما قرأ دون كيشوت وكان يؤثر لو لم يؤلفها قال ثم انى رأيت مما يلذني طول حياتي كتب مونتين وأشعار مالريب وفاجعات كورنيل ومصنفات فواتور

سئل الشاعر بوسويه (١٦٢٧ ـ ١٧٠٤) عن المصنفات التي يتمنى لوقدر له أن يؤلف مثلها فقال كتاب «رسائل الولايات لباسكال» وكان يؤثر شعر هوراس وكان بوالو (١٦٣٦ ـ ١٧١١) يجعل لشعر هوراس المقام الاول ثم لتيرانس ويفضل مشاهير القدماء على مشاهير المحدثين ماخلا باسكال فانه عده في مصاف العظماء وكانت مكتبة لايبنز الفيلسوف الالماني (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) عبارة عن مصنفات أفلاطون وارسطو وبلوتارك وسكتوس امبيريكوس واقليدس وارخميدس وبلين وشيشرون وسينيك وقد درس منذ نعومة أظفاره اللغات القديمة وآثر التوفر على الاخذ من الشاعرين تيت ليف وفرجيل حتى انه كان في شيخوخته يسمعك ماقاله فرجيل بالحرف الواحد

وكان مونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥) جعل قراءة كتابات تاسيت هجيراه وقال من نفسه: اني لاعترف ان ذوقي في القدماء وان الزمن القديم يبهجني وانا اقول ابدا ماقاله بلين انكم ياهؤلاء تذهبون الى آثينة فاحترموا الارباب. وكان يحتفل من وراء الغاية بكتاب تلماك كما يأنس بكتب اشيل واربيد وسوفقلس وبلوتارك وارسطو وافلاطون وشيشرون وسويتون وفرجيل ويختار من المحدثين كربيليون ومونتين ولاروشفوكولد ويعتقد ان أعظم الشعراء أفلاطون ومالبرنش وشافتزبوري ومونتين

وكنت ترى على منضدة فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨) رواية اتالي لراسين وكتاب الصوم الصغير لماسيليون وقال الفيلسوف ديدرو الفرنسوي (١٧١٣-١٧٨٤) في كلامه على القصصي الانكليزي ريشارسون ان مطالعة كتبك هي سلوتي في جميع أوقاتي فلو قضت علي الضرورة أن أبيع كتبي لاعلم ثمنها أولادي لاستثنيتك منها وابقيتك لي أنت واسفارموسى وهوميروس واربيدس وسوفقلس واتناوب قراءتك مرات. وكان العالم بوفون (١٧٠٧-١٧٨٨) يوصي بقراءة أعاظم أرباب القرائح والعقول وقد حصرهم في خمسة وهم نيوتن وباكون ولايبنز ومونتسكيو وهو في جملتهم

وكان «كانت» الفيلسوف (١٧٢٤-١٨٠٤) يرى ان الارق اذا استولى على امرئ فليس لصاحبه الا أن يحصر فكره في موضوع واحد أما هو فكان يجلب النعاس الى عينيه بأن يتصور شيشرون وحياته وكتاباته. وكان كيتي (١٧٤٩-١٨٣٤) يرى ان خير ما يقرأ ماخطته انامل موليير وفولتير وقال عن هذا انه صفوة امته كما ان لويس الرابع عشر صفوتها في السياسة وذلك لان الامرة اذا طال عليها العهد يتسلسل منها فرد يجمع جميع صفات اجداده

وكمالاتهم وهكذا كان فولتير أعظم كاتب كانت بينه و بين امته مناسبة وهو أعظم أديب على اختلاف العصور وأعجب مؤلف في الطبيعة

وسنحدث القراء بشيء من فوائد « الكتاب » بعد

مجامع الغرب

اشتقت لفظة المجمع التي هي تعريب «أكاديميا» الافرنجية من اكاديموس بطل آثينة فكانت الاكاديميا هناك عبارة عن بيت خاص أو ملعب محاط بالاشجار حوى عدة محالّ لتقديس الارباب ومنها محراب لربة الشعر أنشأه الفيلسوف أفلاطون فكان يتنزه تحت ظلال أشجاره مع تلاميذه ويذاكرهم في المسائل العلمية ولما هلك دفن في حديقة مجاورة لذاك المكان فتولى سبوزيبين بعده أمر المجمع ثم توسع في معنى الاكاديميا فصار يطلق على فريق رجال الادب والعلم وأرباب الفنون يجتمعون للبحث في موضوعات عامة نافعة

هكذا كان شأن مجمع البطالسة في الاسكندرية ومجمع الاسرائيليين ومجمع الخلفاء العباسيين في بغداد والامويين في الاندلس ومجمع شارلمان والفرد الكبير الفرنسويين . وكانت بعض هذه المجامع أشبه بمدارس منها بمجامع علمية كما ترى المجامع اليوم

نشأت في أوربا خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر مجامع علمية نظرية مثل مجمع فلورنسا احدى مدن ايطاليا (١٢٧٠) ومجمع المناظرات البديعة في طولوز من فرنسا (١٣٢٣) ولم يعن في ذينك المجمعين بغير الشعر لما ان الشعر والادب هما أول ماتعانيه الامة وتحرص عليه ليكون سلماً الى سائر العلوم التي هي قوام المجتمعات البشرية

أما الحركة التي أدت الى احداث المجامع الحالية في الغرب فيجتمع اليها خاصة أهل كل بلد وتنظر في المكتشفات والمخترعات المهمة فتقر سليمها وتنبذ سقيمها فترجع الى عهد النهضة التي نشأت من ايطاليا والنهضة اذا أطلقت في أوربا يراد بها دخول الآداب في طورها الجديد والقيام على الصنائع والعلوم التي نشأت فيها في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر. ومما ساعد على احيائها اكتشاف الطباعة واختراع النقش وهما الاختراعان اللذان عمما الآداب والصنائع

نشأت تلك الحركة من ايطاليا فكثرت فيها المجامع العلمية أيّ كثرة فلم تكن فيها مدينة الا وفيها مجمع واحد على الاقل وربما كان في المدن الكبرى عشرون مجمعاً أو تزيد . ومن المجامع الايطالية التي أشبهت المجمع العلمي الفرنسوي الحالي مجمع كروسكا ولم يكتب البقاء لما عداه من المجامع العلمية الايطالية التي نشأت في القرن السادس عشر والسابع عشر وقلما كانت تلك المجامع تدوم بعد مؤسسيها . وفي القرن السابع عشر حذت فرنسا حذو ايطاليا في مجامعها فكثرت فيها المجامع وحسنت حالها لان الحكومة في فرنسا أخذت بيدها فكانت نشأتها في بلاد عني فيها بأمرها . فأنشأ ريشليو الوزير الفرنسوي المجمع العلمي وأنشأ لويز الرابع عشر مجمع العلوم والآثار وفروعه التي نشأ منها مجمع الفنون الجميلة

اختلف بعضهم في فوائد المجامع العلمية ومما قاله رينان الفيلسوف الفرنسوي «كثيرا ما يضعف صوت العلم النافع ويتضاءل أمام همهمة المهاجمين وفحة الدجالين . والعلم صوت متى سكن ضجيج تلك الظواهر يظل ذاك الصوت يسمع فلا يعود أحد يسمع غيره ومن أجل هذا ترى المجامع العلمية على كثرة

شكوى أهل الافكار المنحطة منها فائزة بفضل الغلبة لانها حارسة حسن الترتيب الحقيقي وهي قليلة ولكنها مفلحة وليس لغير العقل سلطة تبقى » اه

كانت المجامع العلمية الفرنسوية من أعظم المجامع التي نشأت في عواصم أوربا وعليها نسج الناسجون و بمثالها اقتدى المقتدون

نشأ المجمع العلمي الباريزي الذي هو مفخر من مفاخر الفرنسيس سنة ١٦٢٩ على يد بضعة أشخاص من أهل الطبقة الوسطى كانوا يجتمعون مرة أو مرتين في الاسبوع في منزل فالانتين كونرار أمين سر الملك فيتباحثون كأنهم في زيارة عادية في الاخبار والآداب واذا ألف أحدهم كتاباً يعرضه على غيره عن طيب خاطر فيقولون فيه رأيهم بحرية وكانوا ثمانية رجال ومعظمهم من أهل الادب ومن أرباب الذوق وأهل الشعور كما تدل عليه مصنفاتهم فمضى عليهم نحو أربع أو خمس سنين وهم يوالون اجتماعاتهم على هذا النحو والسرور شامل لهم والفائدة يقتطفون من ثمراتها كل جني هني فاتصل خبرهم بريشليو وقد نمّ على جمعيتهم الصغيرة أحد أصحابه ولعلّ هذا الوزير أراد أن يكون مرجعاً في كل شيء شأن كبار المستبدين فعرض عليهم اذا كانوا يحبون أن يجتمعوا اجتماعاً عاماً و يتألفوا جماعة وكان ذلك في أوائل سنة ١٦٣٤ فتردد أولئك المجتمعون أولا ثم أجابوا دعوة ريشليو فدعاهم أولا الى تكثير سوادهم فبعدان كانوا من تسعة الى اثني عشر رجلا أصبحوا ثمانية وعشرين ثم تفاوضوا في الشكل الذي يجري عليه المجمع وفي مواده وعمله وهو عبارة عن تحسين اللغة الفرنسوية وتأليف معجم لها وكتاب نحو وشعر وبيان لتعم اللغة الافرنسية ويكون لها من الشأن ما كان في القديم للغتين اللاتينية واليونانية

مات ريشليو وخلفه في الرئاسة سيكويه من أصحاب السلطان وأخذ المجمع

العلمي صورة من صور ديوان رسمي ثم أخذوا بعد حين ينشرون محضر جلساته واصطلحوا على أن يلقي كل منتخب من زمرة أعضائه خطاباً . وفي سنة ١٧٠٢ قرر المجمع قبول النساء العالمات فيه . وفي رواية ان النساء كن يقبلن في مجمع التصوير والنقش الملوكي في باريز بصفتهن أعضاء منذ عهد بعيد ولكن لا يقبلن في المجمع العلمي الادبي اكثر من غيره. ولطالما كافأ هذا المجمع النساء على ماجادت به قرائحهن من الكتب والرسائل ولم يفكر في ايجاد بعض كراسي لهن يجلسن عليها وكان النساء في مجمع التصوير والنقش ومازلن ممتعات بنفس الحقوق التي يتمتع بها الرجال

وكان العقلاء يشتكون في بعض الاحايين من دخول بعض الاعضاء في المجمع العلمي بالشفاعة والوساطة لعظم اقدارهم ولكن كانت الاكثرية في الغالب لارباب العلم النافعين ممن امتازوا بشيء أو كتبوا آثارا نافعة ولم يحرم من الدخول في هذا المجمع من رجال العلم الا أفراد قلائل امتنعوا هم عن الدخول أو كان المانع من دخولهم سبباً ظاهرا

نفع المجمع العلمي اللغة الفرنسوية بقاموسه فكانت أقواله محترمة معمولا بها من الامة ولطالما أسف الانكليز والالمان أنفسهم على عدم توفقهم لايجاد مثل هذا المجمع فكانت لغتاهم لعدم المسيطرين عليهما مادة رخوة قابلة لكل تغير يتصرف فيها على مايشاء

وعلى ما يشتغل به المجمع من تنقيح اللغة وتهذيبها ينظر في المصنفات التي تعرض عليه ويكافيء عليها المحسنين بالجوائز . وله الآن ثلاث وعشرون جائزة يعطيها كل سنة . منها سبع عشرة جائزة أدبية وما عداها جوائز سموها جوائز الفضيلة

أما مجمع الآثار الفرنسوي فقد انشيء سنة ١٦٦٣ من أربعة أعضاء من

أهل المجمع العلمي السالف ذكره وجعل أعماله النظر في حل الآثار والشعار والايقونات وان تجعل للعاديات القديمة بساطة وذوق تعظم بهما قيمتها الحقيقية وفي سنة ١٧٠١ نظم قانون ذاك المجمع مؤلفاً من أربعين عضوا يقسمون الى اربع طبقات . ويجتمع هذا المجمع مرتين في الاسبوع وأهم عمله البحث في الاثار الفرنسوية والتاريخ الفرنسوي كما يعنى بالآثار الشرقية والغربية كالاشورية والبابلية والسامية والمصرية وغيرها وفيه فحول من الاعضاء المحصين في كل علم من هذه العلوم وهو يعطي جوائز كسائر الاكاديميات الفرنسوية وينتخب رئيسه لسنة كما في سائر المجامع ما عدا العلمي الكبير ويعاونه كاتم أسرار دائم وهو محسوب من جملة الاعضاء الاربعين

أما مجمع العلوم في فرنسا فنشوؤه مجهول ولم يعرف له تاريخ في الحقيقة الا سنة ١٦٦٦ أيام رخص له الوزير كولبر بأن يجتمع في خزانة كتب الملك لما رأى في أعماله من خدمة الامة وفي هذا المجمع الفلكيون وعلماء التشريح والنبات والكيماويون والمهندسون والميكانيكيون والطبيعيون . زاره لويس الرابع عشر فوقعت زيارته له موقعاً حسناً . وقد خصصت له فرنسا منذ اول نشأته اثني عشر الف ليرة افرنسية لابتياع الادوات والآلات اللازمة للتجارب الكيماوية والطبيعية وغيرها وعدد أعضائه اربعون أيضاً كالمجمعين السالفين وهم يقسمون أقساما

اما مجمع العلوم الادبية والسياسية فلم يكن له كيان قبل الثورة الفرنسوية وغاية ما في الامر انه أسس نادي « الانترسول » للبحث في هذه العلوم على يد الراهب دي لونكور في سنة ١٧٢٠ فكان يجتمع أعضاؤه وهم مائة من العلماء كل سبت ثلاث ساعات يقضون الساعة الاولى في تلاوة بعض اوراق مقتطعة من الجرائد ويتباحثون في الساعة الثانية في الشؤون السياسية ويصرفون الساعة الثالثة

في قراءة مفكرات . فظنت الحكومة الفرنسوية فيه سوءا فأمرت بالغائه سنة ١٧٣١ حتى اذا كانت سنة ١٧٩٥ سن قانون لهذا المجمع ينقسم الى أقسام قسم العلوم الطبيعية والرياضية وقسم العلوم الادبية والسياسية وقسم الآداب والفنون الجميلة . وينقسم قسم العلوم الادبية والسياسية الى ستة أقسام لكل منها ستة أعضاء في باريس وستة مشتركين في الولايات يشتغلون في تحليل الافكار والعواطف وهو قسم الفلسفة . والثاني قسم الاخلاق وقسم العلوم الاجتماعية والتشريعية كالتقنين والحقوق العامة والفقه . وقسم الاقتصاد السياسي كالمسائل المالية والاحصائية . وقسم للتاريخ العام والفلسفي وقسم للجغرافيا . ولما قبض نابوليون بونابرت على قياد المملكة الفرنساوية أراد أن يلغي هذا المجمع مخافة أن يثير حركة في القلوب الجامدة الا انه عاد بعد فتجددت حياته ولما تغيرت أنواع الحكومات في فرنسا تغيرت الاحوال على جميع العلوم الادبية والسياسية ثم انحصرت أعمال هذا المجمع بعد اللتيا والتي في الاشتغال بخمسة أقسام وهي الفلسفة والاخلاق والتشريع (الحقوق العامة والفقه) والاقتصاد السياسي والاحصائيات والتاريخ العام والتاريخ الفلسفي . وقد كثر ماجاد اهل الخير له بالاموال ومن رصدوا له الاوقاف فضلا عما وضعته الحكومة الفرنساوية من الاعتمادات من اجله فصار يتأتى له بذلك ان يكافيء المحسنين من المؤلفين . اما مجمع الفنون الجميلة في فرنسا ايضاً فانه قام مقام عدة مجامع قبله انشئت منذ عهد لويز الرابع عشر فاضيف الى مجمع التصوير والنقش مجمع للموسيقى ومجمع للرقص . ومن المجامع الفرنساوية مجمع التصوير والنقش الملوكي انشيء سنة ١٦٤٨ والغي سنة ١٧٩٣

وهناك كثير من المجامع مثل اكاديمية سان دوك المؤسسة سنة ١٦٤٩

والملغاة سنة ١٧٧٧ ثم المجمع الملكي للرسم الذي أسس سنة ١٦٧١ في باريز وألغي سنة ١٧٩٢ ثم مجمع الفنون الجميلة وقد اسس سنة ١٧٩٥ ولا يزال حياً . وفي ولايات فرنسا كثير من المجامع العلمية للتصوير والنقش كما فيها مجمع علي للوسيقى ومجمع للرقص وآخر للجراحة وغيره للطب وهناك جمعيات علية أيضاً

قلنا ان ايطاليا كانت مبعث المجامع الادبية والعلمية على الطراز الحديث وانها كثرت كثرة عظيمة وكانت هذه المجامع لاول أمرها عبارة عن اجتماع أشخاص انصرفوا الى العلوم والآداب والفنون وظهرت بأسماء غريبة دام بعضها وبعضها انفض أعضاؤه والزمن جامع ومفرق . وأهم مجمع قام في ايطاليا المجمع الافلاطوني في مدينة فلورنسا بسعد كوسم دي ميديسي كبير دوقات طوسكانيا في عصره وكان همّ هذا المجمع درس أقوال افلاطون ثم تفرق اعضاؤه أيدي سباعقب حوادث سنة ١٥٢١ ولم يعودوا يجتمعون ثم أسست مجامع في نابولي ورومية عنيت بالآداب والتمثيل والشعر واول جمعية اسست في ايطاليا للبحث في العلوم الطبيعية نشأت في نابولي سنة ١٥٦٠ على يد باتيست بورتا وكانت داره اول مجمع لاجتماع المتحابين في العلم وهم كانوا سداه ولحمته وقد عنيت بالبحث في الطب والفلسفة الطبيعية . ثم اتهم هذا المجمع بالسحر فاضطر مؤسسه ان يذهب الى حضرة البابا لويز الثالث ويبريء نفسه مما عزي اليه وانحل المجمع وخلفه في رومية سنة ١٦٠٣ مجمع لنسي وكان من جملة اعضائه غاليله صاحب الرأي المشهور في دوران الارض الذي ارداه الجهل في عصره . ثم انشأ البابا بيوس التاسع سنة ١٨٤٧ مجمعاً علمياً في رومية سماه المجمع البابوي النيسي الجديد وبعد سنة ١٨٧٠ نظم هذا المجمع واطلق عليه اسمه القديم « المجمع النيسي » وهو الآن تحت حماية الحكومة الايطالية ويتناول نحو عشرين الف جنيه في

السنة من الحكومة وهو قسمان قسم العلوم الادبيــة والسياسية وفرع العلوم الطبيعية والظواهر الجوية

وفي سنة ١٦٥٧ أنشأ الامير ليو بولد دي ميديسي في فلورنسا مجمع سيمنتو للبحث في العلوم الطبيعية ثم انحل وأنشئ في مدينة فلورنسا مجمع كروسكا سنة ١٥٨٢ وهو مجمع أدبي أسسه أشهر شعرائها وعني بتصحيح قاموس اللغة الايطالية وهذا المعجم هو حجة الطليان في لغتهم كمعجم المجمع العلمي الباريزي باللغة الافرنسية. وقد ضعف هذا المجمع بعض الضعف ولكنه مازال موجودا وأعضاوه على قلتهم نشروا الآن الطبعة الخامسة من معجمه وفي كل من بولونيا وتورين وميلان والبندقية مجامع علمية أدبية كما فيها مجامع خاصة في أمهات المدن الايطالية ومنها مايرد تاريخه الى سنة ١٥٠٠

أما مجامع الفنون الجميلة فهي بلا شك وافرة في بلدان ايطاليا وكيف وهي أم الصنائع النفيسة والتفنن والذوق وأهم المجامع من هذا النوع مجمع ميلان أسس سنه ١٤٨٣ ومجمع الفنون الجميلة في ميلان ومجمع بولونيا المعروف بالمجمع الكليمنتي نسبة للبابا كليمان ومجمع جين اللغوي أسس سنة ١٧٥١ ومجمع تورين ومجمع البندقية ومجمع نابولي ومجمع بارم ومجمع مودين ومجمع لوك ومجمع سين وأهم المجامع المجمع الروماني لسان دوك أسس سنة ١٥٨٨ ومجمع الفنون والتصوير أسس سنة ١٨٦٠ في فلورنسا وكان أسس على عهد كوسم الاول امير ميديسي وغيرها من المجامع الصغيرة وفيه بعض أعضاء من الاجانب ولاسيما من الاسبانيين.

أما مجامع اسبانيا فهي مهمة أيضاً . فقد أسس الدوق اسكالونا في مدريد سنة ١٧١٣ مجمعاً علمياً على نسق المجمع العلمي الفرنسوى والايطالي وذلك لنشر اللغة الاسبانية وحفظها فكان اعضاؤه بادئ بدء ثمانية ثم أصبحوا أربعة وعشرين

وله رئيس ينتخب كل سنة وكاتم أسرار دائم وقد نشر معجماً . وهناك المجمع التاريخي أسس سنة ١٧٣٨ وكان لاول أمره جمعية خاصة جعلها الملك تحت حمايته وهو يعنى بالمباحث التاريخية وعاديات البلاد الاسبانية . وكان أسس في مدريد مجمع للطبيعيات وانفض بعد سنين تخلفه مجمع العلوم الذي أسس سنة ١٨٤٧ وقد جروا فيه على مثال مجمع العلوم في باريز وهو ينقسم الى ثلاثة اقسام العلوم الرياضية والطبيعية والظواهر . وفي سنة ١٨٥٨ انشئوا في مدريد مجمعاً على مثال المجمع العلمي الفرنسوي للعلوم الادبية . وفيها مجمع للفنون الجميلة أيضاً

ولحكومة البرتقال في لشبونة عاصمتها مجمع للبحث في التاريخ البرتقالي أسس سنة ١٧٢٠ على يد الملك يوحنا الخامس واضافت اليه الملكة ماري سنة ١٧٧٩ مجمعاً للعلوم الزراعية والفنون والتجارة والاقتصاد العام . وقد نظم المجمع العلمي سنة ١٨٥١ وهو قسمان أحدهما للعلوم الصرفة والثاني للادب والتاريخ والحقوق والعلوم الادبية والسياسية وأخذ منذ سنة ١٨٧٩ ينشر مذكرات أدبية برتقالية ومجاميع تاريخية مخطوطة ومفكرات اقتصادية

وتجد في اميركا الجنوبية مجامع علمية في كل عاصمة من عواصم جمهورياتها وأهمها مجمع الفنون الجميلة في ريودي جانيرو عاصمة البرازيل اسسها الملك يوحنا السادس البرتقالي وكان مديره واساتذته من الفرنسيس اولا

وأسست البلجيك سنة ١٧٧٢ المجمع الملكي البلجيكي في بروكسل على يد الامبراطورة ماري تريز ملكة بلاد القاع وهو يبحث في العلوم والادب ومازال الى اليوم سائراً على قدم النجاح وقد ضم اليه كل مافي بلاد البلجيك من اهل العلم وحملة لواء الادب وفي كل سنة يعين الملك رئيساً للمجمع من أحد اقسامه الثلاثة في الادب والفنون الجميلة والعلوم . وبينا كانت أوربا بأسرها

تزهر بالعلوم والآداب على عهد النهضة والاصلاح كانت البلجيك وهي تدعى اذ ذاك بلاد القاع الاسبانية قد خربت ومني سكانها بالحروب الدينية ونزلت من اوج السعادة الى حضيض الذلة المحزنة . دامت على ذلك طول القرن السابع عشر وفي تلك الحال التي كانت فيها بلاد البلجيك على جانب من ضعف القوى الطبيعية والعقلية سلمت ولاياتها للنمسا بموجب معاهدة اوترخت سنة (١٧١٣) وكانت الاداب والفنون قد اضمحلت فيها ولم يبق فيها أثر للعلم الا في كلية لوفين والتعليم فيها على ضعف . فارق الغنى تلك الامة وان لم يفارقها نشاطها واحتفظت بتقاليدها وبفضل الملكة ماري تريز هبت البلاد من رقدتها وانعكس ذاك السبات الطويل الى يقظة تامة وأعضاء ذاك المجمع ٤٨

وفي البلجيك مجمع طبي أسس سنة ١٨٤١ أعضاؤه أربعون ويقبل أعضاء شرف بقدر ما يستنسبه وأعضاء مراسلين يبلغ معدلهم مائة رجل منهم ٤٠ بلجيكياً و٦٠ أجنبياً . كما ان فيها مجمعاً علمياً للفنون الجميلة في مدينة انفرس وفيها مجامع للصنائع النفيسة في أمهات المدن البلجيكية . ولكن لمجمع انفرس فضل التقدم على سائر المجامع التي من نوعه لان تلك المدينة نفسها امتازت بالصنائع والتفنن فيها منذ خمسة قرون وقد أصبح هذا المجمع بفضل الدروس التي يلقيها في التصوير والنقش والحفر والهندسة كعبة القصاد من مئات من الطلاب في بلاد البلجيك وغيرها . وفي هولاندة مجمعان أحدهما يدعى مجمع بلاد القاع أسسه سنة ١٨٠٨ الملك لويز بونابرت واستحال سنة ١٨٥٢ الى مجمع العلوم والثاني مجمع ليدن أنشىء سنه ١٧٦٦

ومن اعظم المجامع العلمية في المانيا المجمع الذي اسس في فينا سنة ١٦٥٢ على مثال المجامع الايطالية وليس له مدينة معينة يجتمع فيها بل يغير مقره بحسب

ارادة رئيسه ولكن خزانة كتبه لم تزل باقية في درسد عاصمة سكسونيا وقد نشر منذ سنة ١٨٩٥ سلسلة مفكرات تحت اسماء شتى كلها في العلم والطب . ومع انتشار العلم في بلاد الالمان وكثرة الكليات فيها لم يشعر فيها بالحاجة الى المجامع العلمية لاول ارتقائها فلم تؤسس المجامع في قواعد بلادها الا في القرن الثاني عشر على مثال المجامع الفرنساوية وذلك في مدن برلين ومونيخ وليبزيك وغوتنغن .

اسس الفيلسوف الالماني لايبنز في برلين بمساعيه وفضل صوفيا شارلوت حامية الآداب والعلوم في عصرها مجمعاً للعلوم . فصدر الامر بانشائه سنة ١٧٠٠ ولم يرض فريدريك الاول ان يعد هذا المجمع من جملة دواوين الحكومة الا بعد اللتيا والتي واجابة لرغائب زوجته حامية الآداب والعلم فجرى المجمع منذ ذلك العهد على مثال مجمعي لندن وباريز وذلك بجمع المعارف المتفرقة في العالم وتقريبها من الاذهان وتنظيمها وجعل مجموعة لها واضحة سديدة وان تنمى ويزاد عليها وتوضع موضع الاستعمال ويعم امرها وتتشربها النفوس على طريقة امينة مشروعة . قال لايبنز الحكيم في قانون هـذا المجمع وهو من انشائه « ان الاسباب التي تبلغ بنا هـذا الغرض الذي نرمي اليه هي التأمل ومراقبة صنع الله وعجائبه في الكون ووصف الاكتشافات والاختراعات وما صاغته يد الانسان من النفائس والعناية بماعني به الناس واعتقدوه من عقائدهم وعلى الجملة النظر في جميع هـذه الدروس وتطبيقها على العمل فهي كنز العلم والعمران الاجتماعي وهي المادة التي تساعد على الخير العام والتوفر على الفضيلة وبث الحقيقة وتمجيد الخالق » الى أن قال: « ألا وانه يجب تطبيق العلم على العمل وتكميل الصنائع والعلوم بأساليبها والعناية بكل ماينفع البلاد والشعب في الزراعة والصناعة والتجارة بل في الطعام والادام ويعلي شأن المانيا »

وما برحت حال هذا المجمع في ارتقاء وملوك المانيا يعضدونه مدفوعين الى ذلك بدافع طبيعي من حبهم للعلم أو بدافع حب الظهور والتباهي في الكمالات حتى جاء زمن على المجمع في القرن الثامن عشر أبدل فيه اللغة اللاتينية التي كان يكتب بها أعماله باللغة الفرنسوية لان هذه كانت لغة العلم اذ ذاك ولكن استعمال الفرنسية لم يدم غير عشر سنين ثم خلفتها الالمانية وكثرت واردات المجمع كثرة مهمة بما نفحته به الحكومة الا ان كلية برلين قد غطت على شهرته بما قامت به من الاعمال العلمية ومع هذا دام له شأن يذكر بين الخاصة ولاسيما عند علماء الارض الذين يقدرون أعماله العلمية قدرها وهو اليوم أهم مجمع للمباحث اللغوية والتاريخية وله عناية خاصة بالعربية والسنسكريتية.

وفي برلين مجمع للصنائع الجميلة أنشئ سنة ١٧٠٣ وكان مديروه فرنسويين بادئ بدء. وفي بافيرا مجمع للعلوم اسمه المجمع الملكي هو في الدرجة الثانية عن الاكاديميات الا أنه ثقة محترم أسس في مونيخ سنة ١٧٥٩ واشتغل لاول أمره بالمباحث التاريخية وفي سنة ١٨٠٩ نظم شؤونه تنظيما حسناً وعهد برئاسته الى الفيلسوف جاكوبى وقسم أعماله الى ثلاثة أقسام وهي الفلسفة واصل اللغات والعلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية

وفي مونيخ مجمع للفنون الجميلة. وفي امارة ساكس مجمع للعلوم أنشئ في درسد عاصمتها الا أن مدينة ليبزيك مركزه الحقيقي وقد أنشئ سنة ١٨٤٦ وعدد أعضائه سبعون عضوا ينقسمون الى قسمين القسم الرياضي والطبيعي والقسم التاريخي واللغوي. وفي كل من ليبزيك ودرسد مجمع للفنون الجميلة. وأنشئ في غوتنغن مجمع للعلوم انتظم أمره سنة ١٧٧٠ وهو ذو ثلاث شعب: الرياضيات والطبيعيات والتاريخيات وللشعبة الطبيعية فيه أثر مهم في الحركة العلمية الالمانية

ويمكن أن يلحق بمجامع المانيا مجمع فينا عاصمة النمسا اليوم ولغته الالمانية

وفي فينا ماعدا ذلك مجمع علمي امبراطوري وضع مشروعه لايبنز الفيلسوف ولكنه لم يؤسس الا سنة ١٨٤٦ على يد الامبراطور فرديناند الاول وهو شعبتان شعبة للرياضيات والطبيعيات وشعبة للتاريخ واللغة وله ٦٠ عضوا مواطنين و٢٤ عضوا بالشرف و١٢٠ عضوا مراسلين وكان أول رئيس له المستشرق الكبير هامر بورجستال . وأسس في فينا سنة ١٧٠٤ مجمع للفنون الجميلة

وفي بريطانيا العظمى وايرلندا تطلق لفظة مجمع على المحال التي تعنى بالفنون الجميلة وما عداها من الجمعيات التي يشترك فيها كثير من رجال العلم والادب لمقصد يقصدونه وعلم ينمونه وأدب يشدونه يدعى جمعيات .فالجمعية الملكية في لندن لاتقل عن المجمع العلمي في باريز وبرلين ويرد عهد تأسيسها الى سنة ١٦١٦ وقد كان شأن هذه الجمعية على عهد جان الاول وشارل الاول من الضعف على جانب .وكان باكون الفيلسوف اعتاد أن يجتمع هو وأصحابه من أهل العلم والحكمة في اكسفورد على الدوام للبحث في الموضوعات التي لها علاقة بالعلوم العملية ولما ارتقى شارل الاول الى عرش انكلترا أصدر اليهم أمرا يعترف بجمعيتهم وعندها بدأ أمرها بالظهور ومازال شأن هذه الجمعية العلمية زاهرا طول القرن الثامن عشر والتاسع عشر واشترك فيها كثير من نبلاء البلاد الانكليزية وجميع علمائها ولكن بدون ان يعطى النبلاء لقباً علمياً . ومابرحت منذ سنة ١٦٦٥ تنشر كتباً تحت عنوان القضايا الفلسفية وقد بلغت الى الآن زهاء مائتي مجلد . وفي لندن مجمع الفنون الجميلة الامبراطوري أنشئ في خلال القرن الثامن عشر وفي ايكوسيا مجمع للتصوير اسمه مجمع ادمبرغ وفي دوبلين عاصمة ايرلاندا مجمع اسمه المجمع الملكي الارلندي أسس سنة ١٧٨٦ بجانب كليتها وفيها مجمع للفنون الجميلة . وفي بعض

المستعمرات الانكليزية مجامع علمية مثل المجمع العلمي في مدينة فيكتوريا من اوستراليا

وفي بلاد السويد والنروج مجامع علمية كثيرة جروا فيها على قدم المجامع الفرنسوية وهي ناجحة للغاية . وفي استوكهلم ثلاثة مجامع فيها ثلاث شعب كالمجمع العلمي الباريزي وفيها المجمع العلمي التاريخي ومجمع لغوي يبحث في تحسين لغة السويد وفيها مجمع علمي للفنون الجميلة أسس سنة ١٧٣٣ وهو كمعظم المجامع التي من شكله عبارة عن مدرسة للفنون الجميلة مع متحف وأساتذة وتلاميذ معدل عددهم أربعمائة

وفي استوكهلم مجمع علمي على مثال مجمع العلوم في باريز وبرلين أسس سنة ١٧٣٥ على يد العالم تريوالد المشهور في عصره اجابة لدعوة أحد رجال تلك البلاد وعلى نفقاته وكان دعاه الى القاء محاضرات عامة في الطبيعة العملية فحذا حذو تريوالد كثير من أهل الادب حتى اذا كانت سنة ١٧٣٩ أنشأ هؤلاء العلماء في استوكهلم جمعية صغرى غايتها البحث في المباحث العلمية وتعميمها ثم انتظموا في شكل مجمع علمي يجتمع في أوقات معلومة ولا يكتفي بالمحاضرات فنجح في شؤونه ونشر كما تنشر المجامع العلمية خلاصة بأعماله ونمي خبره الى فريدريك الرابع ملك السويد فجعله تحت حمايته ودعاه مجمع العلوم الامبراطوري في السويد واذ لم يغدق الملك على هذا المجمع شيئاً من مال الحكومة بقي حرا في حكم نفسه بنفسه وادارة شؤونه مستقلا عن الحكومة وهو الآن يتناول وارداته من الوصايا وممن يحسنون عليه بالاموال ويمنحونه المنح من أهل الخير . ويتعاقب الاعضاء المقيمون في استوكهلم رئاسة المجمع كل ثلاثة أشهر وأعضاؤه من السويديين وغيرهم من الاجانب . وكان هذا المجتمع ينقسم سنة ١٧٩٩ الى سبعة أقسام وهي الاقتصاد السياسي والزراعي والتجارة والصنائع الميكانيكية والطبيعة والتاريخ

الطبيعي الوطني والطبيعة والتاريخ الطبيعي الاجنبي والعلوم الرياضية والطب والادب والتاريخ واللغات

وفي اوبسال احدى مدن السويد مجمع اسمه مجمع العلوم الامبراطوري أسس سنة ١٧١٠ ولكنه لم يعترف به رسمياً الا سنة ١٧٢٨ وكانت كيفية انشائه غريبة وذلك ان طاعوناً جارفاً انتشر في اوبسال سنة ١٧١٠ فانفض طلاب مدرستها الجامعة وانقطعت ألسن المدرسين عن التدريس وخلت المنابر من أصوات الخطباء وساد الهلع والقلق في ارجاء البلاد فرأى أحد علماء اوبسال المدعو اريك بوزيلوس خازن كتب الكلية وهو مؤرخ وفقيه مشهور في قومه أن يجتمع أساتذة الكلية في المدرسة مرة في الاسبوع في قاعة المكتبة ليقضوا الوقت في المحاورات الودية ويخوضوا في الموضوعات الادبية ويطردوا عنهم كما قالوا شيطان الهموم ويقضوا الوقت بلا ملل فاجتمعوا لاول مرة وسموا مجمعهم مجمع الفضوليين وكان هذا الاجتماع أساس المجمع العلمي الحالي . ثم غير اسمه وأخذ بفضل أعضائه ينشر كسائر المجامع مذكراته وأعماله ورسائله ولكن باللغة اللاتينية أولا ومابرحت تصدر مذكراتهم باللاتينية الى اليوم وان كان معظم الاعضاء يكتبون مقالاتهم بالالمانية أو بالانكليزية أو بالافرنسية

وفي بلاد النروج مجامع علمية وان لم تكن في الغاية بموقعها فهي مفيدة وحرية بأن يشار اليها . ففي كرستيانيا مجمع أسس سنة ١٨٥٧ ومثله في دورنتيم أسس سنة ١٧٦٠ يعنى بالبحث في الصنائع والتجارة لا بالعلم المحض. وفي كوبنهاغ مجمع العلوم الامبراطوري أيضاً أسس سنة ١٧٤٢ على عهد كرستيان السادس وهو شعبتان الفلسفة والتاريخ والعلوم الرياضية الطبيعية وينشر مذكرات من أمتع مايؤلف وينشر . وفيها أيضاً مجمع للفنون الجميلة أسس سنة ١٧٣٨

وفي بطرسبرج عاصمة روسيا مجمع للعلوم كان البادئ بانشائه بطرس الاكبر تأسس سنة ١٧٢٤ من ثلاث شعب وهي الرياضيات والتاريخ الطبيعي والتاريخ والفقه ويقضي على أعضائه ان ينصرفوا للتعليم ويعنوا بتخريج تلاميذ يختارونهم من شبان الصقالبة «السلافيين» الاجانب . وكان جميع أعضائه من غير الروسيين لاول أمره أي من السويسريين والالمان. وقد خدم تاريخ روسيا وعلم آثارها أجلّ خدمة في منتصف القرن الثامن عشر وكان أول عضو روسي فيه الشاعر لومونوروف ورأسته الاميرة داشكوف من سنة ١٨٨٣ الى ١٨٩٤ وهي التي نظمت جلساته وجعلتها باللغة الروسية وشرعت في نشر عدة مجلات بالروسية. وانشئت فيه شعب للعلوم التاريخية والاحصائية والسياسية وقسم للغات الشرقية وقد خدم العلم أعظم خدمة ونشر عدة كتب ولا سيما قاموسه السلافي الروسي وقلّ بعد ذلك عدد الاعضاء الروسيين فيه وقام بعدة بعثات علمية مهمة . وفي بطرسبرج أيضاً مجمع للفنون الجميلة أسس على عهد الامبراطورة اليزابت سنة ١٧٥٧ وكان أساتذته من الاجانب لاول عهده

ولقد أنشأت الامم النازلة في الجنوب الغربي من أوربا في القرن التاسع عشر وهي الامم التي أحرزت الاستقلال أو تحاول نيله مجامع علمية لتدل بها على وطنيتها وتجمع شمل العلماء الذين يخاطبون أوربا في أمرها ومن تلك المجامع المجمع المجري أسس سنة ١٨٣١ وعاقته حوادث سنة ١٨٤٨ فلم يصبح عاماً الا في سنة ١٨٥٨ ثم قام دعاة الوطنية وأخذوا يستوكفون الاكف فاشترك في الجود له رجال تختلف طبقاتهم من البارون سينا الذي تبرع بثمانين ألف فلوريني الى الخدام والخادمات الذين كانوا يجودون بالقروش الصغيرة فأنشئ المجمع من جديد وافتتح بناؤه سنة ١٨٦٥ في بقعة من أجمل بقاع الارض على ضفاف الطونة

بين مدينتي بودوبست . وهو خمسة أقسام قسم في أصل اللغات وآخر في التاريخ الادبي وثالث في التاريخ ورابع في الاقتصاد السياسي وخامس في الرياضيات والتاريخ الطبيعي وعلم الآثار وله دخل وافر يمكنه من السخاء على العلم وهو يعين ثلاث مجلات مجرية بقدر من المال . منها مجلة بودابست وهي أشبه بمجلة المجلات الافرنسية تقوم على نشر العلم بين الطبقات المختلفة وتعطي جوائز كبعض المجامع العلمية لمن يبرّز في الادب والعلوم

وقد أسس سنة ١٧٦٧ في آغرام مجمع دعي المجمع الجنوبي السلافي في آغرام نشر كثيرا من الكتب المهمة لقدماء كتاب الكرواسيين والصقليبين . وفي بلغراد من بلاد الصرب مجمع للعلوم أسس سنة ١٨٤٦ يعنى بالتاريخ والعلم واللغة ولا سيما تاريخ بلاد الصرب وجيولوجيتها وفي كراكوفيا مجمع لهم أنشئ سنة ١٨١٦ وجعل سنة ١٨٧٢ مجمعاً على مثال المجامع العلمية . وأسست في بولونيا عدة مجامع في القرن الثامن عشر ولكنها لم تقم لها قائمة لاسباب سياسية وكانت تنحل بعد اجتماعها بقليل

وفي رومانيا مجمع علمي أنشأه الوطنيون من الرومانيين لبيان الآداب الرومانية ووضع حدود لهذه اللغة وقواعد ثابتة لها ولا سيما بعد ان انضمت امارتا مودلافيا الى الافلاق واشتغل هذا المجمع زمناً بتحسين اللغة الرومانية وتصفيتها من الشوائب والبحث في اللغة القديمة واللغة الحديثة .

وفي الولايات المتحدة عدة مجامع علمية مهمة منها مجمع نيويورك ومجمع الفنون الجميلة ومجمع الموسيقى . وأول مجمع علمي أنشئ فيها كان على يد العالم فرنكلين سنة ١٧٤٣ ارتأى تعميم المعارف الزراعية فأسس المجمع الفلسفي الاميركي وقد انضم اليه مجمع آخر فتقوى به وما زال فرنكلين رئيسه يجدد انتخابه كل

سنة حتى مات والمجمع مكتبة فيها زهاء ثلاثين ألف مجلد · وأسس سنة ١٨١٢ مجمع العلوم الطبيعية في فيلادلفيا · وهو من أهم المجامع الاميركية وقد جمع له متحف ومكتبة لا نظير لهما وفي خزانة كتبه زهاء ثلثمائة ألف مجلد وفيها كثير من الكتب في التاريخ الطبيعي للولايات المتحدة ومتحفه مفرد في بابه . وأسس في بوستون مجمع للفنون والعلوم سنة ١٧٨٠ سموه المجمع الاميركي وغايته تنشيط الدروس الاثرية ودرس التاريخ الطبيعي وتطبيق المواد الطبيعية على صنائع البلاد وعلومها وله مكتبة فيها عشرون ألف مجلد وأقيم في بوستون أيضاً سنة ١٨١٤ مجمع للتاريخ الطبيعي ثم خلفه مجمع آخر سنة ١٨٣٠ وله مكتبة مهمة ومتحف وينشر كتباً ومفكرات · وفي نوهافن مجمع للعلوم والفنون وفي نيويورك مجمع للعلوم

وفي سالم من ولاية ما ساشوست مجمع للعلوم أنشأه الكريم بابودي فمنحه مائة وأربعين ألف دولار · وفي سان لوي مجمع للعلوم وفي شيكاغو كذلك كما في سنيناتي مجمع للتاريخ الطبيعي وفي كليفورنيا كذلك ومجمع هذه يكبر بكثرة ما يمنح من عطايا الاسخياء. وفي ايوفا مجمع للعلوم الطبيعية أسسته عقيلات دافانبور بمساهن. وفي فلادلفيا مجمع لترقية العلوم غرضه أن يطوف أعضاؤه في البلاد ويتباحثوا ويتبادلوا الافكار · وفي أميركا أيضاً مجمع للعلوم اسمه مجمع العلوم الوطني أعضاؤه مائة يجتمع في واشنطون وفي هذه المدينة المجمع السميثوني أسس سنة ١٨٤٦ بما وقفه عليه جايمس سيمثون المتوفى سنة ١٨٢٩ وهو من أهم مجامع الولايات المتحدة وله متحف طبيعي من أعظم متاحف العالم قام بفضل سخاء الاسخياء عليه وهناك عشرات من الجمعيات والمجامع في أمهات المدن الاميركية سواء كان في الكليات أو غيرها تنشر الكتب وتعنى ببث العلم والافراد يمنحونها

المنائح السنية • هذه نبذة في الجامع على اختلاف مقاصدها في العالم المتمدن لخصناها عن دائرة المعارف الفرنسوية الكبرى ور بما زاد عددها الآن اكثر من ذلك فعسى ان يكون فيها للشرق درس نافع

كلمة معتبر

أقوى مصيف القوم والمربع ... فالدار قفر بعدهم بلقع
سارت بنا الارض الى غاية ... لنا وللارض هي المرجع
ونحن كالماء جرى نابعاً ... لكن علينا خفي المنبع
والعلم قد أنكر منها جنا ... ولم يبن أين هو المهيع
خرقت ياعلم رداء لنا ... كنا ارتديناه فهل ترقع
فجعتنا ياعلم في أمرنا ... أمعتب أنت اذا نجزع
لقد طغت حيرة أهل النهى ... هل فيك ياعلم لها مردع
كم نشرب الظنّ فلا نرتوي ... ونأكل الحدس فلا نشبع
والناس ويل الناس في غفلة ... ترتع والموت بهم يرتع
والكون قد لاح بمرآته ... للعيش وجه شاحب أسفع
وان في البدر لحظاً به ... في البدر لاحت بقع أربع
فالعين مايورث حزناً ترى ... والاذن مايزعجها تسمع
والارض في منقلب بالورى ... والشمس من مشرقها تطلع
حتى اذا مابلغت شوطها ... لاحت نجوم في الدجى تلمع
وهكذا الظلمة تتلو الضيا ... والضوء للظلمة يستتبع
ونحن في ذاك وفي هذه ... بالنوم واليقظة نستمتع

مابين مسعود يميت الدجى نوماً ومنكود فلا يهجع
ومسرع يسبقه مبطئ ومبطئ يسبقه مسرع
وشامت يضحك من حادث حلّ بباك قلبه موجع
لو كان للقسوة عين وقد رأته كانت عينها تدمع
والكل في شغب لهم دائم لم يقلعوا عنه ولن يقلعوا
والماء يمسي وشلا تارة وحوضه آونة مترع
والريح تجري وهي ريذانة حيناً وحيناً عاصف زعزع
وبعضهم تمرع ودیانه وبعضهم واديه لايمرع

* * *

قد يحسب الانسان آماله والموت مصغ نحوه يسمع
حتى اذا أكمل حسبانها وافاه ماليس له مدفع
نخرّ للجنب صريعاً به وأي جنب ماله مصرع
وظلّ فوق الارض في حالة يزوّر عنها الحسب الارفع
لاتعمل الاقلام في كفه وكان من قبل بها يصدع
ولم تعد تقطع أسيافه من بعد ما كان بها يقطع
فاستل مثل السيف من مطرف طرائق الوشي به تلمع
ولف في ثوب له واحد ليس له رقم ولا ميدع
واهاً له ثوب البلى انه يبلى مع الجسم ولا ينزع
ودس حيث الارض أمست له ملحودة ضاق بها المضجع
حيث البلى يرميه حتى اذا لم يبق في قوس البلى منزع
خالط ترب الارض جثمانه مطحونة منه بها الاضلع

لله در الموت من خطة فيها استوى ذوالعي والمصقع
يخون فيها القول منطيقه كما تخون البطل الادرع
ما اقدر الموت فمن هوله لم ينج لا كسرى ولا تبع
يارافع البنيان كم للردى من سلم يدرك ماترفع
وياطبيب القوم لاتؤذهم ان دواء الموت لاينجع
لابد للمغرور من مندم بالعض تدمى عنده الاصبع
وماعسى تغني وقدحشرجت ندامة ليست اذاً تنفع
يابرقع الحلقة واهاً لما فيك وآهاً منك يابرقع
قد زاغت الابصار فيما ترى اذ فات عنها سرك المودع
وليس في الامكان عند النهى أبدع مما خلق المبدع

بغداد معروف الرصافي

سير العلم والاجتماع

مستقبل علم الاجتماع

نشرت احدى المجلات الاجتماعية آراء خمسة عشر عالماً من كبار علماء الاجتماع في اوروبا وأميركا سألتهم عن مستقبل هذا العلم الحديث الذي نشأفي الحقيقة منذ ثلاثة ارباع قرن عند مانشر اوغست كونت الفيلسوف الفرنسوي فلسفته الحسية وكان بها واضع أساس علم الاجتماع فكانت أجوبتهم على ان هذا العلم مازال في حداثته الاولى ويرجى أن يكون له بعد أجيال اساس راسخ وان القرن التاسع اورث هذا القرن فيما أورث من تركته الضخمة مشكلة كبيرة فان ترك له ما تم من الارتقاء في العلوم الطبيعية واكتشاف قوانين النشوء التي تشمل

العالم فان أهم مشكلة علمية ترك للقرن العشرين حلها هي تحديد الصلات بين الاسباب وقوانين النشوء السارية على الانسانية وان تقسيم العلوم التي يقوم عليها علم الاجتماع والتوفر على خدمتها سيجعل لهذا العلم شأناً غير شأنه الحاضر ويكون كفيلا بأعظم النتائج وأخص هذه العلوم هي تاريخ الحقوق وعلم الاقتصاد السياسي وعلم الاديان والصنائع والفنون والتاريخ قال أحدهم ان الغاية من علم الاجتماع أن نفهم منه النظامات الاجتماعية الحاضرة بحيث يتجلى لنا ما يكون من أمرها بعد وما نريد ان نحولها اليه ولا بد اولاً لفهم قانون من القوانين من معرفة كيفية تركيبه فالنظام الاجتماعي مركب من اجزاء فيتحتم حل هذه الاجزاء بمفرداتها ليتأتى الحكم على كل منها على حدته ولا يكفي في اظهار ذلك ان ننظر الى القانون من حيث انتهى اليه حاله فانه بذلك لا نعرف العناصر المختلفة المؤلف منها كما انا لا نرى بالعين المجردة الخلايا التي تتألف منها الانسجة في الاحياء او الذرات التي تتألف منها الاجسام فيقتضي اداة للبحث لاظهار ذلك ولا سبيل اليه الا بالتاريخ فبه تعرف تلك القوانين التي تألفت قطعة قطعة وكيف جاء بعضها أثر بعض وللتاريخ مقام في نظام الحقائق الاجتماعية يشبه مقام الميكروسكوب في نظام الحقائق الطبيعية

سم الدخان

انشأ باعة الدخان في فرنسا يبيعون دخاناً خالياً من النيكوتين اي المادة السمية الموجودة فيه وقد جرب احد علمائهم هذا الدخان في اللفافات والغلايين فتبين له انه لا يضر أصلا كالدخان الانكليزي الذي حقن بمنقوعه بعض الحيوانات فاصيبت بعد ٣٨ الى ٥٦ يوماً بالتهاب الشريان (الابهر الشمالي) المزمن أما المحقونة بالدخان الفرنسوي الخالي من النيكوتين فحقنت ستين مرة فلم تزد به الا سمناً ولم يظهر عليها عرض من أعراض الامراض

لغة الاسبرانتو

قبلت مدرسة فرنسا في باريز هذه اللغة التي اخترعها الدكتور زمنهوف الروسي منذ نحو عشرين سنة بصفتها لغة مساعدة عامة وقد اصبح الذين قبلوا هذه اللغة ٣٠٧ جمعيات علمية وغيرها كما تعلمها ١٠١١ عالماً من علماء الارض على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم

حدائق الاطفال

أنشئت في منشستر حدائق من الرمل يلعب فيها صغار الاطفال الضعاف البنية فيحضرون اليها يحملون محافر وسطولا (كرادل) يحفرون ويسقون وتلاحظهم احدى النساء وفي الايام الممطرة ينتقلون الى مكان مسقوف وقد رأى الباحثون ان هذه الطريقة نافعة لتقوية أجسام الضعاف .

التمثيل في آسيا

قال احد علماء الاجتماع ان الامم الكبرى المتمدنة في آسيا ترتاح الى التمثيل ارتياح الامم الاوروبية اليه ومع هذا فان رواياتها التمثيلية منحطة عن روايات الغرب اللهم الا اليابان ففي الهند والصين لا نرى في الروايات التمثيلية اثرا من الآثار التي تشير الى المطامع الكبيرة التي تسوق اصحابها الى الفتن ولا ابطالا يقدمون على المصاعب ويعاندون الاقدار في احكامها بل انهم يكتفون هناك بتمثيل فاجعات عامية تصور اضطرابات الحياة اليومية او عيشة العملة الان الروايات الاوروبية قد اثرت الآن في الهند وان كان بعض أدبائها يريدون حباً بوطنيتهم ان يحيوا ما كاد يندثر من آدابهم القديمة مما يدعو الى الامل بأن التمثيل الهندي سيرجع عما قريب الى صورته السالفة التي كان عليها أما الصين فان الذي يغلب عليها في التشخيص ذكر الحياة اليومية وأحوالها والفقر ومشا كله

المؤثرة وتصوير الصدق والخديعة ويرجى للتمثيل في الصين ارتقاء لاسيما اذا دخلت البلاد بفضل الحركة الثورية التي تهز الآن اعصابها في فتن وطنية كبرى . والتمثيل في سيام يجمع الى تمثيل الحقائق كما تمثلها الصين والافكار الدينية والفنية كما هي في الهند. وكوريا ممتازة بموسيقاها . اما يابان فان التمثيل فيها صورة صحيحة من صور المطامع التي تجول في صدور اليابانيين والاعمال التي تدور عليها حياتهم فتجده مثالاً من تقاتل الافكار وعراك الرجال وتأثيرات الجمال والشرف يظهر كل مرة بمظهر امام المتفرجين . قال ومتى اكثر المترجمون في اوربا من روايات يابان اكثر مما ترجموا تمثل للانظار شعور ذاك العنصر وشعره وتمدنه فترى ذاك العنصر الذي هو اعظم مثال في استقلاله كيف يقترب من تمدننا وشعرنا وشعورنا .

مقاومة الالكحول

قدم احد علماء الالمان الى مؤتمر مقاومة المشروبات الروحية الاخير تقريراً قال فيه ان الناس كانوا على ان قليلاً من المسكرات لا يضر ان لم ينفع اما هو فقد بين ان تناولها حتى باعتدال مضر جداً بالنسل وذلك بتجارب كثيرة اجراها على الارانب والكلاب وكان كل حيوان منها يتعاوره بالاختبار ويحقنه بالالكحول من مائتين الى ثلثمائة يوم فتبين ان نسلها يضعف عقيب ذلك ضعفاً محسوساً .

الجمال في الامم

كتب احد الباحثين رسالة فيما يراه كل عنصر من عناصر الارض من اسباب الجمال فقال ان الجمال يختلف الحكم عليه وان مما اجمع الناس على استحسانه قوة الرجال ومرونتهم فقبائل الهوتنوت يرون ان من كانت وجناتها اكثر نتوءاً من غيرها تعد ربة الجمال عندهم وزنوج افريقية يعتبرون الاثداء المستطيلة الرخوة والزنجيات في شواطيء بحيرة تنغانيكا يحاولن فتح صدورهن ليكن بذلك محل الاعجاب ومن العادة ان تكون شفاه السود مبرطمة ولكي تزيد قبائل الكاسونكي والسيرير شفاهها برطمة يدخلن شوكاً فيها فيحدث فيها التهاب يؤدي الى انبساط القلب المفرط . والفكوك في قبائل الولف في السينغال ناتئة كثيراً ويزيدها نساؤهم نتوءاً بان يكرهوا الثنايا عند ما تطلع ان تكون بارزة الى الامام وذلك بان يضغطن عليها بالسنتهن . ومع ان انوف قبائل المالايو والقرغيز والهوتنوت والبوشمين مفلطحة يزيدها نساؤهم فلطحة وقبائل الاينوس في جزيرة يزو على كثرة شعورهم فان نساءهم يزدن انماء شعور وجوههن بواسطة خضاب لتكون لهن شنبات غزيرة وهنود اميركا

على ان معظمهم جرد قليلو الشعر يتوفرون على نتف شنباتهم وسبلاتهم وهم على ما تفعل الامم المتمدنة من الافرنج . وانف الفارسي اقنى رقيق ومع هذا يزيده من ذلك بالضغط عليه كثيراً وللمصريين القدماء عيون نجل ومع هذا كانوا يزيدون شرطتها بطلاء مخصوص والسياميون ارباب اهداب مقوسة ولا تعد المرأة جميلة عندهم الا اذا كانت اهدابها كهلال القمر .

المعارف في روسيا

عرفت روسيا منذ خمسين سنة انها كلما فتحت مدرسة في بلادها أُغلق سجن من سجونها لان المعارف خير ذريعة الى التقوى واصلاح النفس ثم ادركت ان الغلب الحقيقي في معركة سادوفا بين الالمان والفرنسيس كان بفضل معلم المدرسة الجرماني فالمعلم يكوّن الامة في سياستها واجتماعها ولذلك بدأت في الانفاق على المعارف ولكن سكانها الآن ١٤٤ مليون و بلادها متنائية الاطراف واسعة المعالم والجاهل يصعب اعداد معدات تعليمها في بضع سنين او عشرات ولا بد من ايام تمر واجيال تنقرض حتى يأتي من جمهور الامة اناس متنورون على النحو الذي تريده الحكومة .

كانت روسيا لما بدأت في عدد أُمييها دون اسبانيا وايطاليا وعلى مستوى البلاد العثمانية فكانت مدارسها الابتدائية والثانوية قليلة جداً وان تكن كلياتها ومدارسها العالية غاصة بطلابها . فكانت روسيا في تعليمها اشبه بيت زينت ظاهره وبهرجت ادراجه وحوائطه وموهت سقوفه ولكنها لم تنظر الى اساس الطبقة السفلى منه .

بلغت المبالغ التي خصصتها روسيا للمدارس الابتدائية حتى سنة ١٨٩٧ — ١٤٨٤٦٧٣ روبلا وهو مبلغ زهيد جداً بالنسبة لذاك الملك الضخم فاصبحت سنة ١٩٠٧ — ٨٢٨٥٠٠٠ روبل ماعدا الاعتمادات التي تفتحها في الاحايين لاقامة المدارس وصار عدد مدارسها الابتدائية سنة ١٩٠٤ تسعين الف مدرسة فيها نحو مائتي الف معلم ومعلمة بين كهنة وعامة (علمانيين او عالميين) ومجموع مافيها من التلاميذ خمسة ملايين وثلثمائة وتسعون الفاً . ومع هذا فاذا حسب حساب المتعلمين بالنسبة للسكان كان الواجب ان يكون عددهم نحو ثلاثة عشر مليوناً

وقد طلب ناظر المعارف من مجلس الامة الآن ان يقرر في الميزانية ستة ملايين وتسعمائة الف روبل زيادة على ميزانية الكتاتيب لتكون اساساً في جعل التعليم اجبارياً في روسيا كما ان المجمع المقدس يصرف في السنة عشرة ملايين روبل على مدارسه الدينية ويقول الخبيرون ان روسيا اذا ارادت جعل التعليم اجبارياً في بلادها كالمانيا وفرنسا مثلاً كان عليها ان تصرف كل سنة ١٢٠ مليون روبل وهو ما لا تقوى ميزانيتها على تحمله هذا عدا ما يلزم لها من الاراضي واقامة تلك المعاهد اللازمة والالوف من المعلمين

ممن يقلون في ابنائها · وكيفما دارت الحال فان روسيا تلوب على طرق تجبير الافراد فيها على التعلم قضهم وقضيضهم وذكورهم واناثهم ·

حبوب العالم

اصدرت الغرفة التجارية في لندرا احصاء ذكرت فيه ما يستخرج من الحبوب في العالم فقالت ان محصول الحنطة ٣١٦٠ مليون مكيال تعادل ٨٦٠٠٠٠٠٠ طن (والمكيال عبارة عن ٣٦ لترًا و٣٥ ووزنه في الحنطة ٢٧ كيلوغرامًا وكسر قليل) ونصف هذا القدر تخرجه ثلاث ممالك فتغل الولايات المتحدة ٦٦٠ مليون مكيال وتغل املاك روسيا في اوربا ٥٤١ مليونًا وتغل فرنسا ٣٢٨ مليونًا واهم البلاد التي تغل النصف الآخر هي الهند تغل ٢٨٦ مليونًا وايطاليا تغل ١٥٩ مليونًا والمانيا تغل ١٢٨ مليونًا والمجر تغل ١٢٠ مليونًا واسبانيا ١١٥ مليونًا والجمهورية الفضية ١٠١ مليون والباقي تغله الممالك الاخرى

ويقدر محصول الذرة في العالم بـ ٢٨٩٦ مليون مكيال او ٧٣٥٠٠٠٠٧ طنات تغل الولايات المتحدة ثلاثة ارباعها اي ٢٢٨٦ مليون مكيال ويغل الهرطمان ٣٣٧١ مليون مكيال او ٤٩٠٠٠٠٠٠ طن تخرج الولايات المتحدة منها ٨٧١ مليونًا وروسيا ٨٣٥ والمانيا ٤٩٤ وفرنسا ٢٦٨ وكندا ٢٠٤ والنمسا والمجر ١٩٦ وتغل روسيا نصف الجاودار في العالم فمنها يخرج ٨٩٠ مليون مكيال ومن المانيا ٣٧٢ وتغل روسيا من الشعير ٢٩٧ مليون مكيال والمانيا ١٤٥ والولايات المتحدة ١١٤ واليابان ٨٠ وتغل الصين من الارز ٢٤٥٠٠٠٠٠ طن والهند ١٢٧٠٠٠٠٠ ومحصول الارز في العالم قريب من محصول الحنطة ويخرج من الدخن من بلاد الهند ٥٤٣ مليون مكيال ومن الصين نحو ٥٠٠ مليون ومن بلاد روسيا في اوروبا ٧٨ ومن بلاد روسيا في آسيا ١٥ ومن اليابان ١٣ ومن الولايات المتحدة ٥ وفي هذا الاحصاء لم يجر ذكر لمصر والشام والعراق وآسيا الصغرى ولا لتونس والجزائر لان محصولاتها من بعض هذه الحبوب تعد حقيرة جدًا بالنسبة لتلك المكاييل الفخمة في تلك الممالك الفخمة ·

ثلاثة علماء

فقدت المانيا المستشرق ادوار غلازار المعروف بالآثار الكتابية التي استخرجها من جنوبي جزيرة العرب وفقدت فرنسا الاستاذين باربيه دي مينار وهرتويغ داربنبورغ من علماء المشرقيات المعروفين بخدمة اللغة العربية وآدابها ·

الموسيق والحيوانات

كان ميشله المؤرخ اذا أراد ذكر الحيوانات قال « اخواننا المنحطون » وقد كتب كاتب مقالة في تأثير الموسيقى في الحيوانات قال من توغل في البحث في التاريخ والسير يشهد ان الموسيقى طالما كانت تؤثر آثارها في الحيوانات . ومن فتح سفر أيوب يجد ان جواد الحرب يحفر الارض في حركته واضطرابه ولا يتمالك اذا ضرب البوق . كما يقرأ فيه أيضاً : متى ضرب البوق يصهل الجواد ويشعر بالحرب من بعيد وبقيادة الرؤساء وصوت الادوات . وفي الاساطير اليونانية اخبار عن الحيوانات وتأثراتها بالنغمات والالحان . وقد ثبت غيرما مرة ان العنكبوت تتأثر بالالحان ومن لا يذكر عنكبوتة بيليسون الاديب الفرنسوي الذي سجن في الباستيل فكان يتسلى بضرب الكمنجة فتقترب منه وتتعزى به حتى انها لكثرة طربها ذات يوم أغمي عليها لجفاء السجان وسحقها . ويظهر ان الحشرات وان تكن قليلة التأثر بألحاننا البشرية الا ان لها الحاناً فالجنادب والصراصر والجراد ألحان خاصة بها لا يلذ لنا سماعها لانها متساوقة الالحان لا نظام فيها ولكنها تستجيدها وتستلذ بها وكذلك نسمع للنحل في خلاياها دوياً لطيفاً متصلاً ذا نغمات بدعوه المتوفرون على تربيتها صوت الخلية . اما الاسماك فلم يتحقق امرها فيما اذا كانت تطرب بالموسيقى وادعى احد المؤلفين ان سمك الشبوط يطرب لسماع نغمات الرباب

واثبت المؤلف شاتوبريان في قصة رواها ان الدبابات تطرب لنغمات الموسيقى . وان بعض الامم المتوحشة تستخدم الاغاني لتجلب بها الحيات فتأكلها كما يفعل الهنود في صيد نوع من الزحافات يستطيبون لحمها . والضب يتلذذ كثيراً بصوت الموسيقى ولا سيما الغناء الصغير . وسلحفاة البحر تبتهج للصفير وبه يتأتى صيدها

والطيور تطرب كثيراً للانغام ولا نعني بالطيور تلك التي هي مغنية من طبعها كالشحرور والبلبل والعصفور المعدودة بهجة الغابات والحدائق بل هناك كثير من ضروبها تطرب اذا سمعت انغامنا كالببغاء ومنها اجناس لا تستطيع محاكاة الاصوات البشرية ولكنها مع ذلك تقلد صوت الآلات التي تسمعها . و« الحباشة » الذي يألف البيوت اذا سمع نغماتنا لا يلبث ان يهيج وينفخ صوته ويكرهه كأنه يريد ان يتمكن من الصوت الذي يسمعه وربما امكن تعليمه بعض الالحان . والزرزور سماع للانغام وقد علمه احدهم نشيد المارسيليز فلما نقل الزرزور الى محل آخر علمه لرفاقه الزرازير

وذوات الاربع من البهائم كالبقر مثلاً تطرب للنغمات . والثور يطرب لصوت الحراث عليه فيمشي على نغماته متلطفاً كما ان الجمل يطرب للحداء . ولا يقتصر الطرب فيها على

تموجات صوت الانسان بل ان أي نوع من الاصوات اذا ردد كثيرا يكون سبب السرور وكذلك الحال في الجواد والخيول فانها تقتحم المهالك اذا سمعت الاصوات ثم انها تميز بين اصوات اصحابها وغيرهم · والحصان يتألم من الاصوات الرديئة وهو سريع السمع جدًّا واذا عُود سماع الاصوات الرديئة اعتادها وهو يؤثر نغمات الرباب على نغمات الكمنجة ويطرب جدًّا للبوق

فان خيول الجند تظهر الفراهة والنشاط عند ما ترى ابواق الاجواق الموسيقية والحمار يحسن السماع والاستماع حتى لقد روي ان حمارًا سمع صوت امرأة اطربه فما زال يقترب منه حتى دخل الدار ليسمعها عن أمم · والفيل سماع للانغام

وقال بعضهم ان الجرذان تستهويها الانغام وان الكلب البحري قد يصاد بسماع الموسيقى · والذئب لا يطرب للصوت وربما فزع منه ولعله يهرب اذا سمع نغم الكمنجة او بوق مبوق صوتًا شديدًا · ومن الدببة ما يرقص على نغمات الاوتار ولكن ليست هذه هي التي تطربها بل تخاف السياط التي تنهال عليها ممن يضربها فترفع قوائمها على ضخامتها وقلما تخربط الا عن غير قصد · اما الاسود فيقال انها تطرب للانغام وفي انكلترا اسد جال البلاد وكان من اكثر المخلوقات تأثرًا بنغمات البيانو وكانت تظهر منه اعاجيب حين يشرع صاحبه في الضرب على هذه الآلة فيزمجر وتقذف عيونه شررًا حتى يخاف المتفرجون ويضطر صاحبه الى الكف عن الضرب على آلته

والهر قليل التأثر بالموسيقى وقيل ان بعض الهررة تموء عند ما تسمع الانغام · والكلب كثير التأثر بالالحان الموسيقية · والقرد يطرب للانغام بل هو يتعلم الضرب بالآلات فيطرب بها كالانسان

وقد قال احد من يكرهون الموسيقى ان الموسيقى هي الصناعة الوحيدة التي تتأثر بها الحيوانات والمجانين والبله · وبالجملة فان تأثر الحيوانات بالانغام دليل واضح على ان الموسيقى عامة لجميع من له سمع

مطبوعات ومخطوطات

معجم الادباء

هو كتاب ارشاد الاريب الى معرفة الاديب او طبقات الادباء تأليف ياقوت الرومي من اهل القرن السابع وهو صاحب الكتب الكثيرة في التاريخ والجغرافية واهم كتبه معجم البلدان الذي نشره الاستاذ وستنفيلد الالماني لاول مرة في المانيا وهذا الكتاب معجم الادباء نشره الاستاذ مرجليوث الانكليزي . فبأي لسان نشكر علماء المشرقيات لخدمتهم لغات الشرق عامة واللغة العربية خاصة فانهم بفضل بيض اياديهم على لغتنا نزعوا من اذهان الغربيين ان اللغة العربية قاصرة عن مجاراة غيرها من اللغات الحية وعرَّفوهم بانها لغة فنون وحكمة وتاريخ وادب كما هي لغة دين وفقه وكلام .

لا جرم ان نفوس اهل العلم اليوم تهتز سرورًا لبشرى طبع الجزء الاول من معجم الادباء لما يعلمون من اجادة ياقوت في تآليفه وذوقه الغريب في الحكم على بلاد الاسلام وسكانها وتواريخها والمادة الواسعة التي توفرت له في عصره فاعترف منها اعتراف حكيم لا يسقط الا على الدر ويطرح الخرز والصدف جانبًا .

وهذا الجزء الاول هو من مخطوطات مكتبة بودليان في اكسفورد واصله من كتب المطران بارنس في بومبي كتب بخط اعجمي لا يحسن العربية فجاء محرفًا تحريفًا كثيرًا وصححه الاستاذ مرجليوث على قدر الامكان على الاصول المعروفة من دواوين وكتب ادب ومحاضرات وتاريخ وغيرها فجاء شاهدًا بفضله وعلمه وما هي اول حسنة من حسناته في خدمة اللغة العربية ونشر ما انطوى من اقلام مؤلفيها الغابرين وشعرائها المجيدين .

وما قولنا لمن يرون في مثل هذه المطبوعات التي ينشرها علماء المشرقيات بعض تحريف خفيف من نقط او كلمات قد تدرك بالبداهة انكم اذا توليتم من هذه الكتب ما يتولاه اولئك الاعاجم الغيورون منها لجاءت اكثر تحريفًا وتصحيفًا من مطبوعاتهم واحرِ بمن يبادرون الى النقد ان ينشروا للناس ولو كتابًا واحدًا يكون في صحته على الرسم الذي يرسمونه ليصدقهم اهل العلم .

في هذا الجزء نحو ١٣٠ ترجمة لمن اسمهم ابراهيم او احمد منهم المشاهير الذين ترجموا في الكتب المطبوعة التي بين ايدينا ومنهم من لم نعثر لهم على تراجم الا فيه وقد صورهم المؤلف تصويرًا بديعًا لا يقل عن تصوير ابن خلكان وابن ابي اصيبعة وابن بسام والقفطي والسخاوي لمترجميهم ان لم نقل انه يمتاز على بعضهم .

قال المؤلف « جمعت في هذا الكتاب ما وقع اليَّ من اخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين واصحاب الرسائل المدونة وارباب الخطوط المنسوبة والمعينة وكل من صنف في الادب تصنيفاً او جمع في فنه تأليفاً مع ايثار الاختصار والاعجاز في نهاية الايجاز ولم آل جهداً في اثبات الوفيات وتبيين المواليد والاوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن اخبارهم والاخبار بانسابهم وشيء من اشعارهم فاما من لقيته او لقيت من لقيه فاورد لك من اخباره وحقائق اموره مالا ترى لك بعده تشوقاً الى شيء من خبره واما من تقدم زمانه وبعد اوانه فاورد من خبره ما ادت الاستطاعة اليه ووقفني النقل عليه في ترداديي الى البلاد ومخالطتي للعباد » الى ان قال « ولم اقصد ادباء قطر ولا علماء عصر ولا اقليم معين ولا بلد مبين بل جمعت للبصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وتفاوت الازمان » .

وهذا الجزء في ٤٢٥ صفحة مطبوع بمطبعة هنديه بمصر طبعاً نفيساً وقد طبع باسم جيب Gibb المستشرق وقد كانت العقيلة جيب ام الياس جون ولكنسن جيب وقفت وقفاً بعد موت ابنها هذا وكان مغرماً بدرس علوم الشرق وفلسفته وتاريخه ليطبع بريعه ما يعلي شأن المباحث الفلسفية والتاريخية والادبية سواء كانت تلك المصنفات للترك او للفرس او للعرب وقد طبعت منذ سنة ١٩٠١ ستة كتب ومنها معجم الادباء وهي تعد سبعة عشر كتاباً آخر للطبع

لا جرم ان احياء معجم الادباء مما يقفنا على امور كثيرة كنا نجهلها من قبل وفيه من الشعر والنثر والمحاضرات والنكات ما هو مسرة للقلب وقرة للعين وانك لترى ياقوتاً يأتيك بما قيل في المترجم ذماً ومدحاً ويترك للقارىء الحكم في ذلك . فمعجم الادباء كوفيات الاعيان كلاهما متم لصاحبه فنشكر لأسره جيب هذه المبرة الخالدة كما نشكر للاستاذ مرجليوث عنايته وغيرته .

تقرير مصر والسودان

صدر تقرير السير الدون غورست معتمد انكلترا في هذا القطر عن سنة ١٩٠٧ وهو في المالية والادارة والحالة العامة في مصر وفي السودان وفيه فوائد كثيرة عن القطرين في السنة الماضية لا يظفر بها الانسان الا في المظان البعيدة المنال ويؤخذ منه ان ايرادات الحكومة المصرية زادت في مدة عشرين سنة نحو ستة ملايين جنيه ولكن ثلثي الزيادة حدث في السنوات الخمس الاخيرة والسبب الاكبر في هذا النمو الارتفاع المستمر في اسعار

القطن التي تضاعفت في السنوات العشر الاخيرة وكان متوسط قيمة الصادرات ٣٠٩٢٠٠٠٠ ج م والواردات ٢٥٠٦٦٠٠٠ ج م ومتوسط زيادة الوارد على الصادر من النقود ٥٠٢١٠٠٠ ج ٠ م ودفع اربعة ملايين ونصف جنيه للاجانب من فوائد الدين المصري يدخل فيه خراج الدولة العلية ونفقات الخزان ونفقات جيش الاحتلال وكانت ايرادات الحكومة ١٦٣٦٨٠٠٠ ج ٠ م ومصروفاتها الاعتيادية ١٣٢٣١٠٠٠ والخصوصية ١٠٤٩٠٠٠ ومعظم الايرادات في زيادة كما ان معظم النفقات كذلك

وبلغ مجموع الدين المصري ٩٦ر١٨١٠٠٠ ج ٠ م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٦ ومال الفائدة والاستهلاك ٣٦٩٩٠٠٠ ج ٦ م وسدد من اصل الدين ٣٤٧٠٠٠ ج ٠ م فيكون الدين الباقي على مصر ٩٥٨٣٤٠٠٠ ج ٠ م ومال الفائدة والاستهلاك السنوي ٣٦٤١٠٠٠ ج ٠ م وعند الحكومة وصندوق الدين سندات من اصل هذا الدين بقيمة ٨٣٨٦٠٠٠ فائدتها ٣١٧٠٠٠ فمجموع الدين الذي كان الجمهور يتداول سنداته في آخر السنة بلغ ٨٧٤٤٨٠٠٠ ج ٠ م والفائدة التي يدفعها سكان القطر ٣٣٢٤٠٠٠ ج ٠ م

ومما يدل على ميل الناس الى التعلم والاستنارة ان عدد من زاروا حديقة الحيوانات في القاهرة بلغوا الى آخر نوفمبر سنة ١٩٠٧ — ٢٢٨٩٢٤ اي بزيادة ٢٤٣٢٨ عن مثله في السنة التي قبلها ومعظم الزائرين مصريون وكثيرون منهم من اهل الارياف وبلغ عدد الذين دخلوا غرف القراءة في دار الكتب المصرية ١٨٨٣٠ معظمهم مصريون

وبلغت جملة الواردات التجارية ٢٦١٢٠٧٧٧ ج ٠ م بعثت منها انكلترا الى مصر ٨٤٩٢٨٤٧ وجاء من املاكها في البحر المتوسط ٢١٣٠٧٠ ومن املاكها في الشرق الاقصى ١٠٨٦٨١٨ وجاء من فرنسا ٣١٦٦٨٩٠ ومن البلاد العثمانية ٢٩٧٣١٠٨ ومن النمسا والمجر ٢٠٥٩٤٣٣ ومن المانيا ١٣٩٣٣٨١ ومن ايطاليا ١٣٦١٤٥٧ ومن البلجيك ١٠٢٧٥٩٠

وبلغت جملة الصادرات ٢٨٠١٣١٨٥ اصاب بريطانيا منها نحو ٥٤٫٣ في المئة ويختلف نصيب كل من المانيا واميركا والنمسا والمجر وفرنسا وروسيا من الصادرات بين مليون ومليونين وقد زادت جميعها الا فرنسا فانها نقصت قليلا عن السنة التي قبلها

وفي التقرير فوائد لا يستغني عنها ابن هذا القطر خصوصاً وهو يطلب من ادارة المتطم بعشرة قروش

المقتبس

الجزء السابع من المجلد الثالث

رجب سنة ١٣٢٦ موافق اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨

غرائب القصاص

لعلَّ بعض النفوس تتأذى بقراءة هذا الموضوع لانه يدور على التفنن في ازهاق الارواح على انه لا بأس بشيء من القسوة يقوون بها قلوبهم للنظر في موضوع علمي تاريخي.

كان الافرنج بعد الحروب الصليبية يستعملون من اساليب القتل كل غريب عجيب وخصوصاً في عهد ديوان التفتيش الديني في البلاد اللاتينية التوتونية حتى اذا كانت سنة ١٧٩٢ اخذت بعض البلاد ولا سيما فرنسا عن ايطاليا استعمال آلة سموها المقصلة (Guillotine) تحز رأس المجرم في اقل من ثانية ثم اخذوا يبطلون هذه العادات ولما جاء دور الكهربائية انشأت بعض بلاد الغرب ولا سيما الولايات المتحدة تعمد الى اصعاق المجرمين بها ولكن تبين مؤخراً ان المصعوق باجراء مجرى كهربائي عليه لا يقتل في الحال بل انه يقاسي اشد العذاب عقيب اصعاقه ولا تزهق روحه حقيقة الا بعد ان تشرح جثته.

وقد قامت الدكتورة رويينوفتش وحملت حملة منكرة على القتل بالكهرباء قالت: ان كان ولا بد من استعمال هذه الطريقة الوحشية فلا اقل من ان يكون فيها شيء من روح الانسانية بمضاعفة القوة الكهربائية خمسة اضعاف ما يجري الآن ليتم القتل في اقل من لحظة وقد جربت هذه الطريقة في الارانب فوقع الاستحسان عليها واخذوا يستعملونها ولكن في عقاب المجرمين والاعضاء المؤوفة من الناس لتسلم بلادهم من شرور الاشرار.

وبعد فما برح البشر منذ عرف تاريخهم يقتل كبيرهم صغيرهم ويأكل قويهم ضعيفهم

يعاقب في التنازع على المحمدة والمجد والمال والدين والعروض بعضهم بعضاً وآخر عقوباتهم ونتيجة ارهاقاتهم « الموت » اخترعوا الى الوصول اليه طرقاً قد ترتعش لسماع اخبارها اليوم الاعصاب وتاريخ الشرقيين والغربيين على غرار واحد من هذا القبيل ترى كلما فتحت صفحاته دماء ابرياء تمج من جور الاقوياء على الضعفاء فتبلغ عنان السماء وتتمثل لعينيك الامم في ذلك كاسنان المشط في الاستواء قلما يختلف شرق عن غرب او اسود عن ابيض .

فمن خنق الى حرق الى شنق الى ضرب بالعصي والاكف ورمي بالنبال وهبر بالسيف ودسر بالرمح والحراب والقذائف والبارود والديناميت الى سم واجاعة وحز رؤوس وبقر بطون وسمل عيون واستلال لسان وصلم آذان وشتر شفاه وقضقضة اعضاء وجذم اكف وقطع ايد وارجل والخل الى غير ذلك مما يرجع الى معنى واحد الا وهو الارهاق في العقوبة وبلوغ المرء باخيه الى ما يقال له الموت . فكما ان للموت عشرات من المترادفات في العربية كذلك تجد في كل لغة الفاظاً تدل على تلك المسميات التي تهدم الهيكل الانساني وتطفىء سراج الحياة .

فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التعذيب والتمثيل ومشى بعض اصحابه على هديه زمناً ولكن كان بعض اهل الصدر الاول يرجعون الى التوحش وارضاء الشهوات الغضبية فلا يدخرون وسعاً اذا ظفروا بعداتهم في ان يصبوا عليهم سوط العذاب فكان معاوية بن ابي سفيان اول من فتح هذا الطريق كما ابتدع بدعاً كثيرة اتى بها على غير مثال احتذاه ممن سلفه فقد ذكر الثقات انه كان يقرب ابن اثال الطبيب منه ويفتقده كثيراً لانه كان خبيراً بتركيب الادوية ومنها سموم قواتل حتى مات في ايامه كثير من اكابر الناس والامراء المسلمين بالسم وممن قتل في عهده اتباعه عبدالله بن عمر بعثوا اليه من رماه بسهم مسموم في عقبه . والتاريخ طافح بما قام به من ضروب التنكيل والتمثيل وكذلك فعل بعض ملوك دولته من بعده .

ولقد قابل بنو العباس الأمويين ببعض ما عاملوا به غيرهم وعمل السفاح بقول سديف في وصف بعض بني امية لما ذهب ملكهم .

لا يغرنك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أموياً

قال ابن الاثير ودخل شبل بن عبدالله مولى بني هاشم على عبدالله بن علي وعنده من بني أمية نحو تسعين رجلاً على الطعام فاقبل عليه شبل فقال

اصبح الملك ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارًا واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها اظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي قربهم من نمارق وكراسي
انزلوها بحيث انزلها الله بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلاً بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران اضحى ثاويًا بين غربة وتناسي

فامر بهم عبد الله فضربوا بالعمد وبسط عليهم الانطاع فاكل الطعام عليها وهو يسمع انين بعضهم حتى ماتوا جميعاً ·

وأمر عبد الله بن علي بنبش قبور بني أمية في الشام فنبش قبر معاوية بن ابي سفيان فلم يجدوا فيه الا خيطا مثل الهباء ونبش قبر يزيد بن معاوية بن ابي سفيان فوجدوا فيه حطاماً كأنه الرماد ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا جمجمته وكان لا يوجد في القبر الا العضو بعد العضو غير هشام بن عبد الملك فانه وجد صحيحاً لم يبل منه الا ارنبة انفه فضربه بالسياط وصلبه وحرقه وذراه في الريح وتتبع بني امية من اولاد الخلفاء وغيرهم فأخذهم ولم يفلت منهم الا رضيع او من هرب الى الاندلس · وقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بالبصرة جماعة من بني أمية عليهم الثياب الموشية وامر بهم فجروا بارجلهم والقوا على الطريق فأكلهم الكلاب

وفي مروج الذهب ان الهيثم بن عدي روى عن عمرو بن هاني الطائي قال: خرجت مع عبد الله بن علي وهو عم السفاح والمنصور فانتهينا الى قبر هشام بن عبد الملك فاستخرجناه صحيحاً ما فقد منه الا خرمة انفه فضربه عبد الله ثمانين سوطاً ثم احرقه فاستخرجنا سليمان ابن عبد الملك من ارض دابق فلم نجد منه شيئاً الا صلبه واضلاعه ورأسه فاحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره لاقليلا ولا كثيرًا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤون رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه الا عظماً واحدًا ووجدنا خيطا اسود كأنما خط بالرماد بالطول في لحده ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم · وكان سبب فعل عبد الله ببني أمية هذا الفعل ان زيد بن زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب سمت نفسه الى طلب الخلافة فحاربه يوسف بن عمر الثقفي فانهزم اصحاب زيد وانصرف هذا مثخناً بالجراح ولما مات دفنوه في ساقية ماء

وجعلوا على قبره التراب والحشيش واجروا الماء على ذلك فدل يوسف على موضع قبره فاستخرجه وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا وُبني تحت خشبته عمود ثم كتب هشام الى يوسف يأمره باحراقه وتذريته في الرياح وكان ذلك

وهكذا تجد ضروباً من المنية في تاريخ هذا القسم الصغير من الارض فقد قتل ابو الجيش احمد بن طولون اخاه المسمى بالامين خنقاً بماء مغلي حتى مات . وقتل نصر بن احمد صاحب خراسان اخاه زكريا بعصر خصاه . وقتلت ام خالد بن يزيد بن معاوية زوجها مروان بن الحكم ابو عبد الملك بان امرت خدمها ان يضعن المخاد على فمه حتى مات . وكم من رجل سُم في كمثرى او رمي الزئبق في اذنه او فصد بمبضع مسموم قيل ان احمد بن الموفق ابن اخي المعتمد بن المتوكل قتل عمه في حفرة ملأها له من ريش ورماه فيها فمات بها . وقتل الشهاب السهروردي جوعاً . والقي رفيع الدين الجيلي من اعلى مغارة في بعلبك فتعلق في بعض جوانبه فبقي المباشرون ذلك يسمعون انينه نحو ثلاثة ايام وعذب اعوانه وكان قاضي قضاة دمشق

ولما غضب الراضي على الوزير ابي علي بن مقلة سلمه الى الوزير ابي علي عبد الرحمن بن عيسى فضربه بالمقارع واخذ خطه بالف الف دينار فجرت عليه منه من المكاره والتعليق والضرب والوهق امر عظيم وقطعت يده اليمنى وكان يقول في سجنه يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة خلفاء وكتبت بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص ثم زيد في اخفائه وجعل في محبس وقطع لسانه

ولما خرج المصعب بن الزبير في عهد عبد الملك بن مروان في العراق سنة ٧١ ورأى تحيز الجفرية لعبد الملك ارسل اليهم فسبهم وسبهم قال ابن جرير ثم ضربهم مائة مائة وحلق رؤوسهم ولحاهم وهدم دورهم وصهرهم في الشمس ثلاثاً وحملهم على طلاق نسائهم وجمر اولادهم في البعوث وطاف بهم في اقطار البصرة واحلفهم ان لا ينكحوا الحرائر

ولما دخل مراكش مأمون الموحدين ادريس بن يعقوب امر بتقليد شرفاتها بالرؤوس فعمتها على اتساع الساحة . ولما استولى الغز على نيسابور اخذوا ابا سعد محيي الدين النيسابوري ودسوا في فمه التراب حتى مات . وقبض عز الدولة بن بويه على وزيره ابن بقية وسمل عينيه ولما ملك عضد الدولة طلبه والقاه تحت ارجل الفيلة فلما قتل صلبه . وكان الوزير ابن الزيات قد اتخذ تنوراً من حديد واطراف مساميره المحدودة الى داخل وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ في ايام وزارته وكان يعذب فيه المصادرين وارباب الدواوين المطلوبين

بالاموال فكيفما انقلب واحد منهم او تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه فيجدون لذلك اشد الالم ولم يسبقه احد الى هذه المعاقبة وكان اذا قال له احد منهم ايها الوزير ارحمني فيقول له : الرحمة خورٌ في الطبيعة . فلما اعتقله المتوكل امر بادخاله في التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال ياامير المؤمنين : ارحمني فقال له : الرحمة خور في الطبيعة كما كان يقول للناس قاله ابن خلكان

ولما استولى ابو عبد الله الشيخ على فاس سنة ٩٦١ قتل الفقيهين ابا محمد الزقاق وابا علي حرزوز ويحكى انه لما مثل ابو محمد بين يديه قال له: اختر باي شيء تموت فقال له الفقيه: اختر انت لنفسك فان المرء مقتول بما قتل به فقال لهم السلطان : اقطعوا رأسه بشاقور فكان من حكمة الله وعدله في خلقه ان قتل هذا السلطان به ايضاً قاله في الاستقصا . وقال فيه : لما كان من السلطان ابي عبد الله الشيخ ما كان من غزوه تلمسان مرتين وكان يحدث نفسه بمعاودة غزو تلك البلاد جرت المخابرة بينه وبين حكومة السلطان سليمان ولما لم يلتزم الادب اتفق رأي الوزراء على ان عينوا اثني عشر رجلاً من فتاك الترك وبذلوا لهم اثني عشر الف دينار لاغتيال الشيخ فمازالوا حتى وصلوا اليه وتعلقوا بخدمته ثم اغتالوه وضربوا رأسه بشاقور ووضعوه في مخلاة فاوصلوا الرأس الى الصدر الاعظم وادخله على السلطان فأمر به ان يجعل في شبكة نحاس ويعلقه على باب القلعة فبقي هنالك الى ان شفع في انزاله ودفنه ابنه عبد الملك المعتصم واحمد المنصور

ومما روى لسان الدين بن الخطيب من فظاظة محمد بن محمد بن يوسف ثالث الملوك من بني نصر انه هجم لاول امره على طائفة من مماليك ابيه كان سيء الرأي فيهم فسجنهم في مطبق الاري من حمرائه وامسك مفاتيح قفله عنده وتوعد من يرمقهم بقوت بالقتل فمكثوا اياماً وصارت اصواتهم تعلو بشكوى الجوع حتى خفتت ضعفاً بعد ان اقتات آخرهم موتا بلحم من سبقه وحملت الشفقة حارساً كان برأس المطبق على ان طرح لهم خبزاً يسيرا تنقص اكله مع مباشرة بلواهم ونمي اليه ذلك فامر بذبحه على حافة الجب فسال عليهم دمه . قال ابن الخطيب وقانا الله مصارع السوء وما زالت المقالة عنها شنيعة والله اعلم بجريرتهم لديه .

وقتل يوسف بن عمر الثقفي امير العراقين خالد بن عبد الله القسري على طريقة غريبة قيل انه وضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى انقصفتا ثم رفع الخشبتين الى ساقيه وعصرهما حتى انقصفتا ثم الى وركيه ثم الى صلبه فلما انقصف صلبه مات . وقال المقري

دخل السلطان ابو الحسن سجلماسة عنوة على اخيه السلطان ابي على عمر سنة ٧٣٤ وجاء به في الكبل لفاس ثم قتله بالفصد والخنق

ولقد كان رؤساء الناس وولاة الامر منهم هم الذين لا يبالون بارهاق النفوس وازهاق الارواح وكثيراً ما يكون ذلك لغير سبب سوى الطيش والجهالة وكان بعضهم يلتذ باراقة الدماء مثل المعتضد بالله العبادي احد ملوك الاندلس الذي دانت له الملوك من جميع اقطارها وكان قد اتخذ خشباً في ساحة قصره جللها برؤوس الملوك والرؤساء عوضاً عن الاشجار التي تكون في القصور وكان يقول : في مثل هذا البستان فليتنزه · وهو من الملوك الذين هابهم القريب والبعيد خصوصا بعد ان قتل ابنه واكبر ولده المرشح لولاية عهده صبراً لان ابنه كان يريد الوقيعة به

قال لسان الدين وكان المعتضد بالله ابن عباد ابعد ثوار الاندلس صيتاً واشدهم بأساً وانجحهم اثراً جمع خزانة مملوءة برؤوس الملوك البائدين بسيفه وكانت وفاته سنة احدى وستين وخمسمائة

وفي رواية المقري ان بني الاحمر لما ظفروا باعدائهم من ملوك الافرنج في الاندلس سلخوا دون بطرة وحشوا جلده قطناً وعلق على باب غرناطة وبقي معلقاً سنوات · ذكر ابن سعيد ان التتار قتلوا الملك المظفر قطز وخلعوا عظم كتفه وجعلوه في احد الاعلام على عادتهم في اكتاف الملوك · ولما قتل مروان بن محمد الاموي استخفى عبد الحميد الكاتب بالجزيرة فغمز عليه فاخذ ودفعه ابو العباس السفاح الى عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته فكان يحمي له طشتاً بالنار ويضعه على رأسه حتى مات وقيل ان ابن المقفع قتله عامل البصرة للمنصور بان جعله في تنور

ودخل ابو الحسن الملك العادل سيف الدين وزير الظافر العبيدي قبل وزارته بزمان على الموفق ابي الكرم بن معصوم التنيسي وكان مستوفي الديوان فشكا اليه حاله من غرامة لزمته بسبب تفريطه في شيء من لوازم الولاية بالغربية بمصر فلما اطال عليه الكلام قال له ابو الكرم: والله ان كلامك ما يدخل في أذني فحقد عليه فلما ترقى الى درجة الوزارة طلبه فخاف منه واستتر مرة فنادى عليه في البلد وهدر دم من يخفيه فاخرجه الذي خبأه عنده فخرج في زي امرأة بازار وخف فعرف وأخذ وحمل الى العادل فامر باحضار لوح من خشب ومسمار طويل فالقي على جنبه وطرح اللوح تحت أذنه ثم ضرب المسمار في الاذن الاخرى فصار كلما صرخ يقول له: دخل كلامي في اذنك بعد ام لا ولم يزل كذلك حتى نفذ المسمار من الاذن التي على اللوح ثم عطف المسمار على اللوح ويقال انه شنقه بعد ذلك

وروى التاريخ من اخبار من تاقوا نكباتهم بالصبر العجيب ومن انباء شجعان الزمان مالا يكاد يصدق الا ان اهل الاباء منهم كانوا يؤثرون الموت في الزحف ويتفادون من الوقوع في ايدي عداتهم لئلا يمثلوا بهم فقد جاء عبدالله بن الزبير الى امه اسماء ذات النطاقين لما خذله اصحابه في مكة فقال: ما ترين يا امة فقد خذلني الناس فقالت: لا يلعب بك صبيان بني امية عش كريمًا او مت كريمًا فقال: اخشى ان يمثل بي بعد الموت قالت له: ان الشاه لا تألم بالسلخ بعد الذبح فقبل بين عينيها وودعها وخرج يقاتل الى ان كان من امره ما كان ·

وقلب باسيل الثاني الملقب بقاتل بلغاريا بعد حرب ٣٧ سنة مملكة بلغاريا ومقدونية سنة ١٠١٨ واسر خمسة عشر الف بلغاري وسمل عيونهم · وكان ابو عبدالله احمد بن ابراهيم النديم خصيصًا بالمتوكل ونديمًا له غضب عليه المتوكل فامر بقطع اذنه فقطعت من غضروفها من الخارج ·

واستعمل القتل بوضع من يراد قتله تحت ارجل الفيلة كما امر احد بني بويه بابي اسحق الصابي لما غضب عليه ان يجعل تحت ارجل الفيلة ولكنهم شفعوا به لديه · وكانوا يعلقون من يريدون قتله ايضًا في ذنب الخيل ويجرونها كما فعل ازدشير بضيزن ابنة الساطرون اذ امر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها ·

ومما ذكر في قانون الصين من انواع القتل المعروف بلغتهم بالباشب وهو تقطيع الاعضاء اربًا اربًا وصفته ان يشد الذي يراد به ذلك بين خشبتين قائمتين وتربط يداه ورجلاه ووسطه ربطًا محكمًا ثم تجزأ انامله واصابعه انملة انملة وعقدة عقدة ثم تنفصل يداه من الرسغين ثم من المرفقين ثم من الكتفين ويفعل برجليه مثل ذلك فاذا قطعت الاطراف جدع انفه وصلمت اذناه واخرجت عيناه ثم يرش لحمه وجلده بامشاط من الحديد حتى يفرق بين عظمه ولحمه ويصير كالشاة التي جرد القصاب لحمها ويفعل ذلك به حيًا وقد ابطل الامبراطور هذا العقاب مؤخرًا ·

وبالجملة فان انواع القتل كثيرة وهذا اهمها فيما انتهى الينا معرفته وذكر ياقوت في معجم الادباء ان صولًا جد ابراهيم بن العباس الصولي شهد الحرب مع يزيد بن المهلب وان يزيد اوجد مقتولًا بلا طعنة ولا ضربة انسدت اذناه ومنخراه وامتلأ فمه بغبار العسكر فمات فلا يعرف مثله قتيل غبار · قلنا ومثله قتيل الدخان

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تنوعت الاسباب والموت واحد

المسلمون والذميون والمعاهدون (١)

الاحساس دليل الحياة !

التضامن رائد العمران !

يا ابن امي ! ويا ابن عمي !

نحن صنوان ضمنا عاطف التر ... بِ جميعاً في مصر ضم النطاقِ
فوق هام الأهرام منك ومني ... غرة كوكبية الاشراقِ
فتقدم اخي وصافح اخا يـ ... ـر جو صفا العيش في رضاً واتفاقِ
انما النجح في اتحاد قلوبٍ ... بولاءٍ ونبذ كل شقاقِ

عرفكم الله حلاوة الانضمام بعد طول الانقسام وانعم عليكم ببركة الائتلاف والوئام بقدر ما عرفتموني لذة الكلام في هذا المقام وبقدر ما انعمتم عليّ بالتشجيع والاستحسان !

فلقد رأيت من التفافكم حولي لاستماع قولي ورأيت من قومي حينما ابلغتكم الصحف كلمي ان نغمتي صادفت منكم هوى في الفؤاد وان صداها قد تردد في جوانب هذه البلاد حينما جهرت بدعوة اهل الشرق الى طريق الحق وناديت على رؤوس الاشهاد . بتوثيق علائق الارتباط بين المسلمين والاقباط !

نعم نعم ! فلقد اهتزت الامة دانيها وقاصيها ورددت هذه الكلمة بملء فيها . واصبح شعار كل حي في كل حي : اننا مصريون قبل كل شي

لم اكن وحقكم ! انتظر هذا الاقبال من ابن امي وهذا القبول من ابن عمي ولم يكن يحدثني به وهمي حتى ولا في حلمي اثناء نومي . ولكن كان من حظي ان هذه الكلمة تجسدت وقد تنبهت الامة بعد ان استسلمت للجمود واخلدت للخلود في الخمود بحيث كان الناظر لابنائها وهم في همود يحسبهم ايقاظاً وهم رقود فحيا الله هذا الشعور ! الذي جاء آية على استئناف البعث والنشور . وحبذا هذا اليوم الذي سيبقى غرة في جبين الزمان ! فلقد علمنا فيه ان الاحساس دليل الحياة وان التضامن رائد العمران !

***

(١) هذا تابع لما في الجزء الرابع من خطبة احمد زكي بك في دار التمثيل العربي بالقاهرة

يقول العرب في اشعارهم : ان المهم المقدم (١) ويقول الفرنساويون في امثالهم : الامير اولى بالتصدير (٢)

واي شيء اولى بالتصدير والتقديم من كلام القدير القديم ؟ قال تعالى في كتابه العزيز : « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائماً » فجعل الوفاء بالقنطار والغدر بالدينار اشارة الى ان الوفاء اكثر شيوعاً في اخلاق اهل الكتاب . وحسبهم ذلك مدحاً وفخاراً . وليس لي ان اتوسع في التفسير وانما استشهد على صدق هذه الآية بحادثتين وقعتا في بغداد وفي مصر : فمصداق الشطر الاول : ان ابن الفرات وزير العباسيين المشهور كان يودع امواله عند كثيرين من صنائعه والمخلصين له استعداداً للطوارىء واستظهاراً على غدر الايام . اخبر في احدى نكباته بان له عند يوسف بن فنحاس (اوفنجاس) وهرون بن عمران الجهبذين اليهوديين سبعمائة الف دينار . فاقرا في الحال بالمال ودفعاه . وقدره ٣٠٠ الف جنيه مصري .

ومصداق الشطر الثاني : ان زوجة الاخشيد كانت قد اودعت عند رجل من اليهود جرة من النحاس وضعت فيها ثوباً منسوجاً بالذهب وبدائره من الجوهر شيء كثير . فلما زالت دولة الاخشيديين واستولى الفاطميون على مصر ذهبت المرأة بعد زوال عزها الى ذلك الذي جعلته موضع ثقتها واستأمنته على ذخيرتها فانكر . فقالت : خذ بعض الثوب . فلم يفعل . فالتمست ان ينعم عليها بكم واحد ويأخذ الباقي حلالاً فلم يقبل وكان في الثوب تسع وعشرون درة من الدرر الغوالي . فأتت الى قصر المعز تتعثر في اطمارها وهي اقرب الى اليأس منها الى الرجاء ولسان حالها ينشد بيت بنت ملك العرب التي اخنى عليها الدهر مثلها وهي حرقة بنت النعمان بن المنذر :

فبينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فافٍ لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

حتى اذا اتت قصر المعز وهي ذليلة بعد ذلك العز . عرضت عليه قصتها . فاحضر الرجل فانكر . فبعث الى داره من خرّب بعض حيطانها . فظهرت الجرة في احد الجدران

(١) قال الشاعر :

ابى دهرنا اسعافنا في نفوسنا واسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلنا له نعماك فيهم اتمها وقدمهم ان المهم المقدم

(٢) *A tout seigneur, tout honneur*

ورأى المعز الثوب وتعجب من الجوهر واللؤلؤ الذي فيه . ووجدوا ان اليهودي اخذ من صدره درتين فاعترف انه باعها بالف وستمائة دينار فسلم الخليفة الثوب الى صاحبته فحمدت الله الذي اظهر صدقها واجتهدت في ان يأخذه و يعطيها مهما اراد فلم يفعل . فقالت : ياسيدي هذا الثوب كان يصلح لي وانا زوجة صاحب مصر . فاما الآن فلا حاجة لي به وهو لا يليق بي فابى ان يأخذه واستلمته صاحبته . وبهذا التقدير يكون ثمن ما فيه من اللؤلؤ فقط نحواً من ثلاثين الف جنيه مصري .

ومن المعلوم ان العلم من اجلّ الامانات بين الناس وقد وقف بنا المقال في الجلسة الماضية عند نظرية جديرة بالاعتبار : وهي ان العلم مشاع وانه ليس له وطن ولا دين بل هو مورد سائغ لكل الافراد ولجميع الامم . وقد اطرفتكم بشيء يسير مما وقع في تلك العصور عصور الحكمة والنور اذ كان المسلمون يأخذون عن النصارى وغيرهم من اهل الديانات الاخرى وهؤلاء يأخذون عنهم ويلقون عليهم ما يكسبون به اجراً وفخراً .

رأينا علماء النصارى واليهود يأخذون شرائع دياناتهم عن رجلين من فقهاء المسلمين ورأينا افاضل المسلمين يسعون في طلب الحكمة والفلسفة والطب على نوابغ الذميين . وننتقل الآن الى الفقهاء من الطوائف الثلاث الذين استبدلوا علوم الابدان بعلوم الاديان كما سبق اعشى همدان الى استبدال الشعر بالفقه فمنهم الامام العالم الشيخ موفق الدين عبدالعزيز بن عبدالجبار بن ابي محمد السلمي المتوفى سنة ٦٠٤ فقد كان في اول امره فقيهاً في المدرسة الامينية بدمشق عند الجامع الاموي ثم بدا له الاشتغال بالطب فاعاد نفسه دارساً بعد ان كان مدرساً ورجع تلميذاً بعد ان كان استاذاً . واشتغل على الياس بن المطران بصناعة الطب حتى اتقن معرفتها وحصل علمها وعملها وصار من المتخرجين السابقين بين اربابها والمشايخ الذين يقتدى بهم فيها واصبح هذا الفقيه سابقاً وله بعد تلك المجالس الفقهية مجلس عام للطب يحضره المشتغلون عليه بهذه الصناعة من المسلمين والنصارى واليهود .

وقد اشتهر رجل من فقهاء صقلية (من اعمال ايطاليا الآن) بالطب بقدر ما اشتهر بالفقه حتى كان الناس يفزعون اليه بالفتيا في الطب كما كانوا يفزعون اليه بالفتيا في الفقه . هذا هو الامام ابوعبدالله محمد بن علي التميمي المازري نسبة الى مدينة مازر (بفتح الزاي والراء) من مدن جزيرة صقلية وهي Mazara وقد اشتهر باسم الامام . لانه كان متقنا للعلوم مقدماً في علم المنطوق والمفهوم . وكان آخر المشتغلين بافريقية (تونس) بتحقيق العلم ورتبة الاجتهاد ودقة النظر . توفي سنة ٥٣٦ وقد نيف على الثمانين . يحكى ان سبب اشتغاله بالطب انه مرض فكان يطبه يهودي فقال له : « ياسيدي امثلي يطب مثلك »

فاشتغل الشيخ حينئذ بالطب وبرع فيه براعة لايدانيه فيها احد . فاين الآن هذه الايام؟ وهل لنا بمثل اولئك الرجال الذين يفتخر بهم الاسلام ؟

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فلا ارى بأساً من ان اذكر لكم بمناسبة هذا المسلم المسمى بموفق الدين رجلين يسمى كلاهما ايضاً بالشيخ موفق الدين احدهما اسرائيلي والثاني نصراني

فاما الاول : فهو الشيخ الموفق شمس الرئاسة ابو العشائر هبة الله بن زين بن حسن ابن افرائيم بن جميع الاسرائيلي المصري . نشأ بفسطاط مصر وانقطع لاتقان العلوم وتفرغ لصناعة الطب والف فيها كتباً نفيسة مفيدة . كان جالساً يوماً في دكانه بالفسطاط . وقد مرت عليه جنازة . فلما نظر اليها صاح باهل الميت وذكر لهم ان صاحبهم لم يمت وانهم ان دفنوه فانما يدفنونه حياً . فبهت القوم من قوله وتعجبوا من امره ولم يصدقوه في خبره ثم ان بعضهم قال لبعض : « هذا الذي يقوله ما يضرنا اننا نمتحنه ؟ فان كان حقا فهذا الذي نريده . وان لم يكن حقا فهو الذي يريده الورثة » فامرهم بالمسير الى البيت وحمله الى الحمام بعد نزع الاكفان . ثم سكب عليه الماء الحار وأحمى بدنه ونطله بنطولات (اي رش عليه سوائل وكمده بالمكمدات) فعطس الميت فرأوا فيه ادنى حس وتحرك حركة خفيفة فقال ابن جميع : ابشروا بعافيته . ثم تمم علاجه الى ان افاق وصلح . ثم انه سئل بعد ذلك عن هذه الكرامة : من اين علمت ان الروح لاتزال فيه وهو محمول وعليه الاكفان . فقال اني نظرت الى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الموتى تكون منبسطة فحدست انه حي وكان حدسي صائباً . ومن ذلك الوقت اشتهر بجودة الصناعة والعلم فاقبل عليه الناس لتحصيل فكان له مثل ذلك الموفق المسلم مجلس عام يحضره المشتغلون بهذه الصناعة من المسلمين والنصارى واليهود . وكان في مجلسه هذا لايفارقه كتاب الصحاح فلاتمر كلمة لايعرفها حق المعرفة الا ويكشفها منه ويعتمد على ما أورده الجوهري . فبرع حتى صار من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين والاكابر الذين يشار اليهم بالبنان . واقبلت عليه الدنيا بهذين السببين حتى تقدم في خدمة الملك الناصر صلاح الدين وحظي في ايامه وكان رفيع المنزلة عنده جليل القدر نافذ الامر عالي الهمة . ولما كان الشعراء هم الغاوين فقد دبت عقارب الحسد الى شاعر اسمه ابن المنجم المصري . وكان مشهوراً خبيث اللسان فانبرى يهجوه بكل قبيح . فمن ذلك قوله فيه :

لابن جميع في طبه حمق | يسب طب المسيح من سببه
وليس يدري مافي الزجاجة من | بول المريض ولو تمضمض به
واعجب الامر اخذه ابداً | اجرة قتل المريض من عصبه

دعوا ابن جميع وبهتانه ودعواه في الطب والهندسه
فما هو الا رقيع أتى وان حل في بلد انحسه
وقد جعل الشرب من شأنه ولكن كما تشرب النرجسه

وقال
كذبت وصحفت فيما ادعيت وقلت ابوك جميع اليهودي
وليس جميع اليهودي اباك ولكن ابوك جميع اليهود

ولما كانت العداوة في الاهل وفي ارباب الحرفة الواحدة فقد هجاه يهودي تجمعه وابن جميع رابطة الفضل والعلم والدين وهو موفق الدين ابن سوعة الاسرائيلي المصري قال:

ياايها المدعي طبا وهندسة اوضحت باابن جميع واضح الزور
ان كنت بالطب ذاعلم فلم عجزت قواك عن طب داء فيك مستور

وبقية الابيات لاستطيع ايرادها في هذا المقام ولا في غيره. ولكن هذه الخباثث الشعرية لم تمنع افاضل المسلمين من مدح ابن جميع والاعتراف بحقه والتنويه بذكره حتى انه لما مات رثاه الشيخ يوسف بن هبة الله بن مسلم بقصيدة غراء في ستة وثلاثين بيتاً اولها

أعيني بما تحوي من الدمع فاسجمي وان نفدت منك الدموع فبالدم
لحق بمن تذري على فقد سيد فقد نابه فضل العلا والتكرم

ومنها
وأنجد من يممته لملمة والجد من أملته لتألم
ولو كان يفدى من حمام فديته بنفس متى تقدم على الموت تقدم

ومنها
فقال معلناً للشامتين بموته ذروا الجهل ان الجهل منكم بمأتم

ومنها
أما عجب اذ غاله الحتف رامياً وقد كان ارمى للخطوب بأسهم
فويح المنايا ما درت كنه حادث رمت سيداً يحيا به كل منعم

واما الثاني: فهو الحكيم الامام العلامة الفاضل الشيخ موفق الدين ابو نصر اسعد بن ابي الفتح الياس بن جرجس المطران المتوفى سنة ٥٨٧ فقد كان سيد الحكماء واوحد العلماء سافر الى بلاد الروم لاتقان الاصول التي يعتمد عليها في علم النصارى ومذاهبهم. ثم ذهب الى العرق متشبهاً بموفق الدين المسلم وترك علوم الدين المسيحي واشتغل بعلم الطب على امين الدولة ابن التلميذ (الذي سنورد شيئاً من اخباره فيما بعد). ثم رجع الى دمشق وخدم بصناعة الطب السلطان صلاح الدين يوسف الايوبي فقربه وادناه وكان عنده رفيع المنزلة عظيم الجاه بحيث كان يقضي حوائج الناس ولا يفارق السلطان في سفر ولا في حضر ولذلك كان الطبيب يدل بمكانته لديه ويتكبر حتى على ملوك المسلمين بل على نفس صلاح الدين وكان صلاح الدين قد عرفها عنه ورضيها منه.

ومن اغرب ما تضمنته بطون الدفاتر في هذا الموضوع ان السلطان صلاح الدين بينا كان يحارب الافرنج ويرد غوائلهم عن سواحل الاسلام كان يستعين باهل الذمة في مدافعتهم وبستخدمهم في تطبيب جنوده وتقويتهم على رد اعدائه واعدائهم . وقد فهم اهل الوطن الواحد في عصره المجيد انهم لا بقاء لهم ولا جاه الا بالالتفاف حول راية واحدة هي راية الوطن . ومما يتعلق بعجب موفق الدين وادلاله على صلاح الدين انه كان معه في بعض غزواته وكانت عادة صلاح الدين في وقت حروبه ان ينصب له خيمة حمراء وكذلك دهليزها وشقتها : ليتميز عن سائر العسكر وهذا من ابلغ ما يكون من الشهامة في الحروب فاتفق انه ركب ذات يوم ليتفقد الجيش فاذا بخيمة تشابه خيمته كل الشبه فبقي متأملاً لها وسأل لمن هي . فاخبر انها لابن المطران الطبيب . فقال السلطان : والله لقد عرفت هذا من حماقة ابن المطران . وضحك . ثم قال : فلو جاء رسول من الافرنج ومرّ بهذه الخيمة افلا يخطئ ويظنها لي . بل لو جاء باطني للفتك بي افلا يجوز ان يخطئني الى طبيبي . فاذا كان ولا بد فلا اقل من تغيير مستراحها . ثم امر به فازيل . فلما رأى موفق الدين ذلك صعب عليه الامر وامتنع عن خدمة السلطان اياما حتى استرضاه السلطان ووهب له مالاً . وكان في خدمة السلطان طبيب نصراني آخر يقال له ابو الفرج فاحتاج الى تزويج بناته وتجهيزهن فطلب من صلاح الدين ان يطلق له ما يستعين به على ذلك . ولما كان السلطان فقيرًا لا يملك شيئًا من حطام الدنيا حتى انه عند موته لم يترك في خزائنه (بشهادة المؤرخ ابي الفرج العبري النصراني) غير دينار واحد واربعين درهماً . فلذلك امر ابا الفرج ان يكتب كشفاً ببيان جميع ما يحتاج اليه في تجهيز بناته النصرانيات فكتب من الحليّ والقماش والآلات وغير ذلك ما بلغت قيمته ثلاثين الف درهم . فدفع السلطان هذا الكشف الى الخزنه دار وامره بان يشتري من مال بيت مال المسلمين جميع ما طلبه ابو الفرج ولا يخل بشيء منه فما هو الا ان بلغ صاحبنا موفق الدين حتى اخذته الغيرة من زميله فقصر في ملازمة الخدمة وهجر السلطان هجرًا ثقيلاً . فلم ير صلاح الدين حيلة لاستصلاح موفق الدين سوى ارضائه ايضاً . فامر الخزنه دار بان يصرف له من بيت مال المسلمين مبلغاً يوازي جميع النفقة التي صرفت في تجهيز بنات ابي الفرج مهما بلغت قيمتها . ففعل الخزنه دار ورضي صاحب ذلك الدلال .

ومن عجيب امر موفق الدين هذا ان العجب والتكبر الذي كان يغلب عليه كان يفارقه حينما يذهب لطلب العلم . فكان في هذه الحالة آية في التواضع والخشوع شأن ذوي العقول الصحيحة والاحلام الرجيحة . كان هذا المختال الفخور متى تفرغ من الخدمة في دار السلطان ركب في موكب حافل تحف به جماعة كثيرة من المماليك الترك وغيرهم وذهب بهذه الابهة

الفائقة وهذه العظمة الشائقة الى جامع المسلمين . فاذا اقترب من الجامع ترجل واخذ الكتاب الذي يشتغل به في يده او تحت ابطه ولم يترك احدًا من الغلمان يصحبه . ولا يزال ماشيًا والكتاب معه الى حلقة الشيخ الذي يقرأ عليه النحو والادب واللغة وهو الشيخ الامام تاج الدين ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي . فيقرؤه السلام ويقعد بين الجماعة بادب واحتشام الى ان يفرغ من الدرس والتحصيل فيعود الى ما كان عليه من الابهة والعظمة والشموخ على الكبير قبل الصغير

وقد كان موفق الدين قدوة في هذا الامر للملك الناصر داود ابن الملك المعظم ابن الملك العادل ابن ايوب صاحب الكرك . فقد حكى النجيب الراهب المصري الحاسب بدمشق ان هذا الملك كان يتردد الى شمس الدين الخسروشاهي المتوفى سنة ٦٥٢ يقرأ عليه كتاب عيون الحكمة لابن سينا . وكان اذا وصل الى رأس المحلة التي بها منزل الخسروشاهي اومأ الى من معه من الحشم والمماليك ليقفوا مكانهم . ويترجل ويأخذ كتابه تحت ابطه ملتفا بمنديل ويجيء الى باب الحكيم ويقرعه فيفتح له ويدخل ويقرأ ويسأل عما خطر له ثم يقوم ولم يكن الشيخ من القيام له

***

ولله در بني ايوب برّد الله مضاجعهم وطيب ثراهم . فانهم في هذا الباب خير قدوة لملوك الزمان وخصوصاً ملوك الاسلام . فقد اخذ الحديث برقاب بعضه وجرنا الى ذكر صاحب مصر وعم الملك المعظم المذكور واعني به الملك الكامل بن الملك العادل ابن ايوب المتوفى سنة ٦٣٥ . وفد عليه ابو العباس ابن دحية من اكابر علماء المسلمين بالاندلس فاتخذه الملك استاذاً له في العلم والادب وجعل له من الاكرام والاجلال غاية ليس وراءها مطلب . وبالغ في تعظيمه وتبجيله حتى كان يسوي له بنفسه مداسه حين يقوم . وهو هو الذي خشي بأسه الصليبيون فتقربوا اليه وهادنوه وخطب وده الامبراطور فريدريك بعد ان اسر القديس سان لوي واعاده مكرما معظما . وكان هذا الملك يبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من فضلاء المسلمين والنصارى واليهود ويشاركهم في مباحثهم كأنه واحد منهم . ومما يؤثر عنه انه لما تولى سلطنة مصر خفض من ضرائبها بما يقارب الثلث فافاد بذلك رعيته المسلمين والاقباط على السواء

***

نرجع الى صاحبنا موفق الدين . ونقول انه لما علم بحسن اسلامه وان صلاح الدين زوجه احدى حظايا داره المقربة لدى زوجته خوند خاتون فأعطتها الكثير من حليها

وذخائرها ومؤنتها وخولتها . فرتبت امور موفق الدين وهذبت احواله وحسنت زيه وجملت ظاهره وباطنه . وصار له ذكر سام في الدولة وتنافس الامراء في الانعام عليه وترقت حاله حتى كاد يكون وزيرًا ولكنه ما زال يتعهد زملاءه فكان يقدمهم ويتوسط في ادرار الارزاق عليهم . وكانت له دار بدمشق على غاية من الحسن في العمارة والتجمل وفيها بركة يبرز فيها الماء من انابيب ذهب على غاية ما يكون من حسن الصنعة وفيها مكتبة تحتوي على نحو عشرة آلاف مجلد عدا ما استنسخه . فقد كانت له عناية بالغة باستنساخ الكتب وتحريرها وكان في خدمته ثلاثة يكتبون له ابدًا ولهم منه الجامكية والجراية المتصلة . وقد كتب بخطه كتبًا كثيرة في نهاية حسن الخط والصحة والاعراب . وصحح بنفسه اكثر الكتب التي عنده واتقن تحريرها . وذلك كله غير الكتب التي كان يهبها لتلاميذه فضلا عن الاحسان اليهم والاعتناء بامرهم . وكان اجل تلاميذه الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم ابن علي المسلم ومن اخص اصدقائه الشيخ موفق الدين بن البوري الكاتب النصراني

قال الحكيم اوحد الدين عمران الاسرائيلي انه حضر بيع كتب ابن المطران المذكور فوجدهم قد اخرجوا اجزاء صغيرة من الكتب الصغار او المقالات المتفرقة في الطب مما استنسخه او نسخه ابن المطران بخطه وكان عددها كثيرًا جدًا ابلغ الوفا كثيرة وان القاضي الفاضل بعث يستعرضها فارسلوا له بله خزانة صغيرة منها فنظر فيها ثم ردها . فبلغت في المناداة ثلاثة آلاف درهم واشترى الحكيم عمران اكثرها . وقال انه حصل الاتفاق مع الورثة انهم اطلقوا بيعها كل جزء بدرهم . فاشترى الاطباء هذه الاجزاء الصغار على هذا الثمن بالعدد .

وهذا الحكيم عمران الاسرائيلي توفي بعد ابن المطران بسنتين وقد اخذ الطب عن الشيخ رضي الدين الرحبي استاذ او استاذ اساتذة الاطباء جميعًا بالشام وتلميذ ابن جميع الاسرائيلي المصري . وقد جرى الحكيم عمران على مذهب شيخه في عدم خدمة الملوك والسفر معهم . ولكنهم (وخصوصًا بني ايوب) غمروه بالاحسان السني والعطايا الجزيلة . حتى حاز من الاموال الجسيمة والنعم ما يفوق الوصف . ولقد حرص الملك العادل ابو بكر بن ايوب ان يستخدمه في الصحبة فما فعل . واجتهد الملك الناصر داود الذي ذكرناه قبل هذا بان يجعل له في كل شهر الفًا وخمسمائة درهم وقدم له مرتب سنة ونصف مقدمًا فلم يقبل فوهبه مالا كثيرًا وتركه على حريته . وكان السلطان الملك العادل لم يزل يصله بالانعام الكثير وله منه الجامكية الوافرة والجراية وبقي مرتبه محفوظا له بعد موت الملك العادل في سلطنة المعظم وليس عليه سوى ان يتردد على الدور السلطانية بالقلعة والى البيمارستان الكبير لمقابلة المرضى

وقد بلغ من اكرام الايوبين لاهل الفضل ان الحكيم موفق الدين ابا شاكر النصراني حظي عند الملك العادل حظوة عظيمة وتمكن منه ومن دولته تمكناً كثيراً فانعم عليه بضياع كثيرة وغيرها ولم يزل يتفقده بالهبات الوافرة والصلات المتواترة · وجرى الملك الكامل معه على سنة ابيه وزاد فانه اباح له الدخول راكباً في جميع قلاعه مثل قلعة الكرك وجعبر والرها ودمشق والقاهرة وكان ذلك منتهى التشريف في تلك الايام خصوصاً لمن كان متمتعاً بالصحة والعافية مثل ذلك الموفق · ولقد بلغ من امره ان العادل حينما ترك دار الوزارة التي كانت مقراً لبني ايوب بعد ذهاب دولة الفاطميين واستقر بقصر القاهرة في القلعة انه اسكن موفق الدين هذا معه في قصره · ركب السلطان مرة بغلة النوبة وخرج الى بين القصرين (بالجهة التي بها المشهد الحسيني الآن) فركب فرساً آخر وارسل البغلة التي كان راكباً عليها الى دار الحكيم بالقصر وامر بركوبه عليها وخروجه من القصر راكباً · ولم يزل واقفاً بين القصرين الى ان وصل اليه فاخذ بيده وسايره يتحدث معه وسائر الامراء يمشون بين يدي الملك الكامل · والشيء من معدنه لايستغرب · فقد كان الكامل كاملاً باكمل معاني الكلمة لايفرق بين مسلم وذمي ممن تحلى بالفضيلة والكمال

ذكرت لكم قصة اليهودي الذي أحيا الميت · وبما انني في معرض التوفيق بين العناصر المختلفة التي تجمعها راية واحدة هي راية الوطن فأخشى ان يكون المسلمون والنصارى قد نقموا على هذا العاجز ان لا يذكر منهم رجالا احيوا الموتى · فاسمحوا لي اذن بذكر حادثتين · وابدأ بالمسلم لتقدمه في الزمن ليس الا وأثني بالمثلث وان كان دينه جاء اولا

جلس الرشيد هارون في بعض الايام وقدمت بين يديه الموائد وجبرائيل بن بختيشوع غائب · فامتنع امير المؤمنين عن الاكل حتى يحضر جليسه وسميره · وامر بطلبه ليحضر الاكل مع صحابته على عادته · فبحثوا عنه في جميع منازل الحرم والامراء ولم يقع القوم له على اثر · فتكدر الرشيد وطفق يلمنه و يقذفه واذا بجبرائيل داخل عليه وقد سمع سبه باذنيه فلم يهلع ولم يتروع بل قال : لو اشتغل امير المؤمنين بالبكاء على ابن عمه ابراهيم بن صالح وترك ما هو فيه من تناولي بالسب كان اشبه فاستفهم الخليفة عن الواقع فاعلمه انه خلفه وبه رمق ينقضي آخره وقت صلاة العتمة فاشتد جزع الرشيد وامر برفع الموائد واقبل على البكاء حتى رحمه جميع من حضر · فقال جعفر بن يحيى البرمكي : ياامير المؤمنين ان طب جبرائيل رومي وعندنا صالح بن بهلة وهو في العلم بطريقة اهل الهند مثل جبرائيل في العلم بمقالات الروم · فان رأى امير المؤمنين ان يأمر باحضاره وتوجيهه الى ابراهيم بن صالح لنفهم مايقول مثل ما فهمنا عن جبرائيل · فامر الرشيد ورجع صالح الهندي المسلم بعد هنيهة وسأله جعفر

وشدد في معرفة الخبر فابى صالح بن بهلة واصر على القول بانه لا يكاشف بما رآه غير امير المؤمنين فلما دخل عليه قال : ياامير المؤمنين انت الامام وعاقد ولاية القضاء للحكام ومهما حكمت به لم يجز لحاكم فسخه . وانا اشهدك ياامير المؤمنين واشهد على نفسي من حضرك ان ابراهيم بن صالح ان توفي في هذه الليلة او في هذه العلة ان كل مملوك لصالح بن بهلة حر لوجه الله وكل دابة له فحبس في سبيل الله . وكل مال له فصدقة على المساكين . وكل امرأة فطالق ثلاثاً بتاتاً فقال الرشيد : حلفت ويحك ياصالح على غيب والغيب لا يعلمه الا الله . فقال صالح : كلا ياامير المؤمنين . انما الغيب مالا علم لاحد به ولا عليه دليل له . ولم اقل ما قلت الا بعلم واضح ودلائل بينة . فسري عن الرشيد مايجد واكل وشرب وطرب . ولما كان وقت صلاة العتمة ورد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام يخبر بوفاة ابراهيم بن صالح . فاسترجع الخليفة بالبكاء والعويل واقبل على جعفر باللوم في ارشاده الى صالح بن بهلة واقبل يلعن الهند وطبهم ويقول : واسوأتاه من الله ! ان يكون ابن عمي يتجرع غصص الموت وانا اتحين فرص اللهو والقصف . ثم دعا ببقية فقذف به ما في جوفه من طعام وشراب وبكر الى دار ابراهيم بكور الغراب ولم يرض بالجلوس على النمارق والمساند بل وقف متكئاً على سيفه . وقال للفراشين : لا يحسن الجلوس في المصيبة بالاحبة على اكثر من البسط . وامر برفع الفرش والنمارق وجلس بعد ذلك على البساط . فصارت سنة في المآتم لبني العباس ولا يزال اثرها باقياً الى اليوم في مصر وغيرها من بلاد الشرق خصوصاً في دور الحريم . وبقي القوم في سكوت وسكون كأنما على رؤوسهم الطير حتى اذا سطعت روائح المجامر صاح صالح ورفع عقيرته وهو يقول كالمجنون : « الله الله ياامير المؤمنين ان تحكم بطلاق زوجتي وهي حلال لي وحرام على غيري . الله الله ان تخرجني من نعمتي ولم يلزمني حنث . الله الله ان تدفن ابن عمك حياً . فوالله ياامير المؤمنين ما مات . فاطلق لي الدخول عليه والنظر اليه » وهتف بهذا القول مرات ازعجت الخليفة والحاضرين . فامر بالانعام عليه بما يريد . فدخل وحده . ولبث الحاضرون يسمعون ضرب بدن بكف ثم كف . واذا بتكبيرة ارتجت لها جوانب الدار . وخرج صالح يقول : الله اكبر الله اكبر الله اكبر ثم قال : قم ياامير المؤمنين حتى أُريك العجب الاكبر . فدخل الرشيد وخواصه فاخرج صالح ابرة كانت معه فادخلها بين ظفر ابهام يد الميت ولحمه فجذب الميت يده وردها الى بدنه . فقال صالح : ياامير المؤمنين هل يحس الميت بالوجع ؟ فقال الرشيد : لا . فقال له صالح : لو شئت ان يكلم امير المؤمنين الساعة لكلمه . فقال له الرشيد : فانا اسألك ان تفعل ذلك . فقال : ياامير المؤمنين اخاف ان عالجته وافاق وهو في كفن فيه رائحة الحنوط ان ينصدع

قلبه فيموت · ويكون الموت حقيقياً ولا تكون لي حيلة في احيائه · ولكن يا امير المؤمنين تأمر بتجريده من الكفن ورده الى المغسل واعادة الغسل عليه حتى تزول رائحة الحنوط عنه ثم يلبس مثل ثيابه التي كان يلبسها في حال صحته ويطيب بمثل ذلك الطيب ويحول الى فراش من فرشه التي كان يجلس وينام عليها حتى اعالجه بحضرة امير المؤمنين فانه يكلمه من ساعته فامر الرشيد بامتثال امر الطبيب · ثم دخل على ابن عمه فدعا صالح بكندس (وهو جذر نبات يشبه الخرشوف) ومنفخة ونفخ من الكندس في انفه فمكث الميت مقدار سدس ساعة (١٠ دقائق) ثم اضطرب بدنه وعطس وجلس قدام الخليفة وقبل يده · فسأله الرشيد عن قصته · فذكر انه كان نائماً نوماً لا يذكر انه نام مثله قط طيباً الا انه رأى في منامه كلباً قد اهوى اليه فتوقاه بيده فعض ابهام يده اليسرى عضة لايزال يحس بوجعها · واراه ابهامه التي كان صالح ادخل فيها الابرة · وعاش ابراهيم بعد ذلك دهراً وتزوج العباسة بنت المهدي وولي مصر وفلسطين وتوفي بمصر وقبره بها لانه لم يدفن ببغداد حياً ·

ومن كانت منيته بارضٍ فليس يموت في ارض سواها

اما الحكيم النصراني الذي احيا الموتى فهو رشيد الدين ابو الوحش بن الفارس ابي الخير ابن ابي سليمان داود بن ابي المنى بن أبي فانه الذي اشتهر فيما بعد باسم ابي حليقة · كان ابوه الفارس ابو الخير من رؤساء الجيش العاملين فكان يلبس ولده لباس الجندية مثل لباسه ويرشحه للخدمة في العسكرية مع المسلمين في محاربة الصليبيين كما جرت عادة الآباء في الشرق من جعل ابنائهم على حرفتهم · وذلك مصداق لما قاله الامام النووي في التحفة « وللامام او نائبه الاستعانة باهل الذمة والاستئمان على العدو بشرط ان تؤمن خيانتهم بان يعرف حسن رأيهم فينا · ويشترط في جواز الاستعانة بهم الاحتياج اليهم ولو بنحو خدمة او قتال لقلتنا · وتفعل بالمستعان بهم الاصلح من إفرادهم او تفريقهم في الجيش » وكانت دار الفارس ابي الخير ملاصقة لدار السلطان الملك العادل بمدينة الرُّها (١) فاتفق ان الملك الكامل الايوبي وهو ولي العهد دخل فيها الحمام فاعطى الفارس لولده رشيد الدين فاكهة وماء ورد وامره بحمله الى الملك الكامل · فلما خرج من الحمام وقدم الغلام بين تلك الالطاف اخذه معه وفرغ الاطباق من الفاكهة وملأها شقفاً سنية وسيرها لوالده · ثم اخذ الكامل بيد الغلام النصراني وعمره يومئذ ثماني سنين ودخل به على السلطان الملك العادل ولم يكن رآه من قبل فلما ابصره قال للملك الكامل : يا محمد هذا ابن الفارس لانه اخذه بالشبه فقال: نعم ·

(١) اسمها عند الافرنج Edesse واسمها الآن اورفه

قال : هاته فحمله الملك الكامل ووضعه بين يدي السلطان فلاعبه ولاطفه وتحدث معه حديثاً طويلاً ثم التفت الى والده وقد كان قائماً في خدمته مع جملة القيام وقال له : ولدك هذا ولد ذكي لا تعلمه الجندية فالاجناد عندنا كثير وانتم بيت مبارك وقد استبركنا بطبكم ارسله الى الحكيم ابي سعيد (اي عمه مهذب الدين الذي ذكرناه في غير هذا الموضع) ليقرأ عليه الطب بدمشق فامتثل والده فتخرج بها ثم جاء الى القاهرة وكانت كعبة العلوم فاكمل دروسه بها وبرع حتى صار يشار اليه بالبنان هذا مع مواظبته على العبادة وتفقهه في دينه المسيحي وقرض المرقص المطرب من الشعر الرقيق المعجب ثم تولى السلطنة الملك الكامل واستقر بمصر فقرب رشيد الدين اباالوحش وكان كثير الاحترام له فحظي عنده كثيراً حتى نال منه الاحسان الكثير والانعام المتصل واقطعه على سبيل الجراية نصف بلد عامرة بالشرقية تعرف بالعزيزية والخربة (وتعرف الآن بالعزيزية بمركز مينا القمح وهي منسوبة للعزيز الفاطمي) ولم يزل في خدمة الكامل حتى مات فخدم ولده الملك الصالح ثم ولده الملك المعظم توارنشاه حتى قتل وجاءت دولة المماليك واستولوا على البلاد واحتووا على الممالك الايوبية فاجروه على ما كان باسمه ثم خدم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وبقي في خدمته على عادته المستمرة وقاعدته المستقرة وله منه الاحترام التام وجزيل الانعام والاكرام حتى وافاه الحمام .

كانت له اليد الطولى في الطب فقد امره الملك الكامل بعمل الترياق الفاروقي المشهور فسهر عليه الليالي حتى حقق مفرداته بشهادة ائمة الصناعة ابقراط وجالينوس ولما تعذر عليه حضور ادويته الصحيحة من الآفاق ركب مختصر ترياق توجد ادويته في كل مكان ونوى ان لا يقصد به قرباً من ملك ولا طلب مال ولا جاه في الدنيا ولا يقصد به سوى التقرب من الله بنفع خلقه اجمعين وبذله للمرضى مجاناً فكان يخلص به المفلوجين ويقوم به الايدي المتقوسة ويسكن وجع القولنج ويفتت الحصا ويزيل الم الاسنان لوقته وساعته فشاع امره وتحدث به الخاص والعام حتى سأله السلطان وقال له : ياحكيم ايش هذا الترياق الذي عملته ولم تعلمني به فقال : يامولانا المملوك لا يعمل شيئاً الا لمولانا وما تأخرت عن العرض الا لتجربته اما وقد صح هذا لمولانا فصار على ثقة منه فقد حصل المقصود فامره باحضاره فلم يكن عنده منه الا شيء يسير لان الخلائق كانت قد تهافتت عليه فمضى الى اصدقائه الذين اهداهم منه حتى جمع من هنا ومن هناك احد عشر درهماً وجعله في برنية من الفضة فاحتفظ عليها السلطان وكان يشكو من نزلة في اسنانه فما هو الا ان وضع جزءاً صغيراً منه حتى زال الالم وكأنه لم يكن

اما احياؤه الميت : فقد مرضت دار من بعض الآدر السلطانية (اعني احدى حظايا السلطان فان السر في السكان) وكانت مقيمة بناحية العباسة وكان الملك الكامل لا يشرك مع هذا الطبيب احداً في مداواته وفي مداواة من يعز عليه من دوره واولاده فانقطع للعناية بها اياماً . ثم عرض له ما اوجب عليه الرجوع للقاهرة مدة ثمانية عشر يوماً ثم عاد لعيادة مريضته بالعباسة فوجدها قد تولى علاجها جماعة من الاطباء فاشترك معهم فحكموا بانها تموت وان المصلحة تقضي باعلام السلطان قبل ان يفجأه امرها بغتة فقال: انها ليست عندي في مرض الموت فقال اكبرهم سناً (وكان رشيد الدين شاباً) : انني اكبر منك وقد باشرت من المرضى اكثر منك . فتوافقني على كتابة هذه الرقعة . فابى فقرّ رأي الاطباء على كتابة الرقعة . فقال : لا اضع اسمي في هذه المطالعة . فلما وصل الخبر للسلطان بعث رسولاً ومعه نجار ليعمل لها تابوتاً تحمل فيه جثتها الى القاهرة . فقال له الحكيم ما هذا النجار ؟ قال لعمل التابوت . قال : تضعونها فيه وهي في الحياة ؟ قال : بل بعد موتها . قال : ارجع بهذا النجار وقل للسلطان عني خاصة انها في هذه المرضة لا تموت . فلما كان الليل ارسل اليه السلطان بورقة بخطه يقول فيها : ابن الفارس يحضر الينا (لانه لم يكن بعد سمي بابي حليقة) فلما وصل اليه قال له : انت منعت من عمل التابوت ؟ قال نعم . قال باي دليل ظهر لك من دون الاطباء كلهم . قال : لمعرفتي بمزاجها وباوقات مرضها على التحرير من دونهم وليس عليها بأس في هذه المرضة . فقال : امض وطبها واجعل بالك لها . فذهب وداواها حتى عوفيت ثم اخرجها للسلطان فزوجها وولدت من زوجها اولاداً كثيرين

هؤلاء هم الثلاثة الذين احيوا الموتى على ما وصل اليه علمي . احدهم مصري وهو يهودي وثانيهم هندي استوطن بغداد وهو مسلم وثالثهم شامي استوطن مصر وهو نصراني . ولعلكم يابني امي ويابني عمي ترشدونني الى مسلم وقبطي من مصر فاما بهذه الكرامة او ان يقوم فيكم من يجدد لنا ذكرها والافتخار بها .

***

لعل الشام ترضى ؟ وكأني بها تقول : مني خرج المسيح وهو الذي احيا الموتى ! افلا تذكر لي طبيباً واحداً من هذا القبيل حتى لا اكون بين الفسطاط والزوراء لا في العير ولا في النفير .

كان بها فلاح يرتزق وراء المحراث من قرية ببرود صار اسمه فيما بعد ابا الفرج جرجس اليبرودي . رأى فاصداً قد انوى عليه سد العرق فتوالى الرعاف على المفصود. فقال له : ياهذا اني ارى ابي في وقت سقي الكرم اذا انفتح شق من النهر لا يقدر على امساكه دون

ان يفتح فتحاً آخر ينقص به الماء الاول الواصل الى ذلك الشق ثم يسده بعد ذلك . ففعل الجرائحي بهذه الاشارة وانقطع الرعاف . ثم قال للفلاح : لو انك تشتغل بالطب لجاء منك طبيب حاذق . فوقرت هذه الكلمة في صدره واقبل على التعلم بدمشق وما كفاه ما حصل عليه حتى اخذ سواراً كان لامه وذهب الى بغداد فانفق ثمنه على استكمال العلم وصار من اكبر النوابغ في هذا الفن . رأى يوماً في سوق جيرون بدمشق انساناً راهن على ان يأكل ارطالاً من لحم فرس مسلوق مما يباع في السوق (١) فوقف ورآه قد امعن في الاكل باكثر مما تحتمله قواه ثم شرب بعده فقاعاً كثيراً وماء بثلج فاضطربت احواله وتفرس انه لا بد ان يغمى عليه فيصير الى حالة يكون الموت اقرب اليه ان لم يتلاحق فتبعه الى منزله واستشرف الى ماذا يؤول امره فلم يكن الا ايسر وقت، واهله يصيحون و يضجون بالبكاء، ويزعمون انه قد مات . فاتى اليهم وقال : انا ابرئه وما عليه من بأس ؛ ثم انه اخذه الى حمام قريب من ذلك الموضع وفتح فكيه كرهاً ثم سكب في حلقه ماء مغلياً وقد اضاف اليه ادوية مقيئة لطيفة وقيأه برفق ثم عالجه وتلطف في مداواته حتى افاق وعاد الى صحته .

ولليبرودي هذا كرامة ثانية من هذا القبيل حكاها الطرطوشي في سراج الملوك . مرّ رجل يبيع المشمش على خباز في دمشق فاشترى منه وجعل يأكله بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشياً عليه فنظروا فاذا هو ميت وقضى الاطباء كلهم بموته فغسله اهله و كفنوه وصلوا عليه . ثم خرجوا به الى الجبانة فاستقبلهم اليبرودي صدفة على باب البلد وسمع الناس يلهجون بقضيته . فقال : حطوه . ثم اخذ يقلبه و ينظر في امارات الحياة التي يعرفها . ثم فتح فمه وسقاه او حقنه فاندفع ما هنالك فاذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى حانوته واظنه تاب عن اكل المشمش ولو في المشمش . ولا شك انه يصح لنا ان نقول عن اليبرودي انه فلاح وفلح .

***

وبما اننا طرقنا باب الحياة بعد الموت فاسمحوا ان انتقل بكم بطريق المجاز الى عالم هو خير وابقى . ثم نعود الى هذه الدار بغاية التعجيل . فانما كلامنا من باب المحاضرة والتمثيل ونحن اليوم في دار التمثيل .

كثيراً ما يتعض النصارى اذا قال جهال المسلمين عن احدهم انه هلك او انه هالك وكأني بهم اشبه الناس بعلي بك كشكش . اذ رأى صغار العامة انه يحزن ويحرد اذا قالوا

(١) في هذا اشارة الى ان لحم الخيل كان مألوفاً في بلادنا في القرون الوسطى كما هو الآن في اوربا (المقتبس)

له : كشكش فصاروا كلما رأوه يقولون له : كشكش كشكش كشكش حتى ضرب احدهم بحجر فادماه فاخذه الثؤرور والشاويش على رأي الاستاذ البرقوقي والجلواز والجلاوزة على رأيي والشرطة على رأيكم والبوليس على رأينا جميعاً وساقوه كلهم الى احاكم فاخذ في تقريعه . فقال له : است بلوم باسعادة الباشا . فقال : وكيف ذلك . قال : صلِّ على النبي . قال الحافظ : اللهم صل عليه . قال : زد النبي صلاة . قال : عليه الصلاة والسلام . قال : ثم زده صلاة . قال : صلى الله عليه وسلم . قال : كرر الصلاة فهي عبادة . فانفعل الحافظ وانتهر علي بك . فقال له : ويحك يامولاي انت حرنت من الصلاة على النبي وهي خير ما يتقرب به العبد الى الرب فكيف بي وكلما مشيت خطوة سمعت كشكش كشكش كشكش

تعلمون يابني عمي ان كل حي الى الممات يصير وان هذا الانتقال اما ان يكون بفعل فاعل او بحكم انتهاء الاجل . ففي الحالة الاولى يستعمل اللفظ الموافق لازهاق الروح مثل قتل — صُلب — شنق — خوزق — سُم" الخ . اه في حالة الجهاد والاضطهاد عند المسلمين والنصارى فيقال : استشهد وشُهِّج . وفي الحالة الثانية يقال : مات وقبض وتُوُفي وهلك وحضرته الوفاة وغير ذلك من التعبيرات التي تحلى بانواع الكنايات .

نقطة الخلاف في « هلك » . ولا اكتمكم انني مع هذه اللفظة مثل بعض علماء النحو مع « حتى » : اعني انني اهلك وفي نفسي شيء من هلك بل اللهم شيئان اولهما فلسفي اجتماعي وهو الذي نحن بصدده الآن فانه اوجب انفراج الخلف وسوء التفاهم بين ابناء الوطن الواحد وثانيهما لغوي اذا ازحنا الريب العالق بسببه تبدد الاول وزال .

يقول اهل اللغة في هلك انها بفتح اللام وكسرها في الماضي وفي المضارع فقد امرونا اولاً ان نقول هلك يهلك ويهلك (من باب منع وضرب) ثم تكرموا وسوَّغوا لنا ان نقول في الماضي هلك بكسر اللام بشرط ان يكون المضارع مفتوحاً (يهلك) اي من باب علم . ثم امرونا ان نقول في المصدر هلكاً (بضم الهاء) وهلاكاً (بفتحها) وتُهلوكاً وهُلوكا (بضم اولهما) ومهلكة ومهلكا وتهلكة (بتثليث اللام في الثلاثة) واللغة مثل العلم لا دين لها ولكنها قد تكون ايضاً وسيلة للتنطع والحذلقة والسفسطة .

ما هو معنى « هلك » بهذه التقعرات المتراكمة ؟ قال الفيروزابادي في القاموس . مات . وقال السيد مرتضى في تاج العروس ما نصه : مات تفسير لقوله هلك ولم يقيده بشيء لانه الاكثر في استعمالهم . واختصاصه بميتة السوء عرف طارئ لا يعتد به بدليل ما لا يحصى من الآي والاحاديث اه . هذا هو المقرر في متون اللغة وبطونها . ولا انكر ان اللغة شيء والاستعمال شيء آخر . فلننظر فيه ايضاً .

فهذا كتابنا يشهد علينا بالحق فقد جاء فيه : (١) كل شيء هالك الا وجهه (٢) ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك من بعده حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله رسولاً . والاحاديث كثيرة وليس هذا محل ايرادها .

اما استعمال العرب فاكثر من ان يحصر ولكنني اكتفي بشاهدين فذين أُعززهما بثالث . قال النابغة الجعدي في ملك العرب المنذر بن النعمان المكني بابي قابوس (تعريباً للفظة كيكاوس الفارسية) .

فان يهلك ابوقابوس يهلك جميع الناس والبلد الحرام

وقال شاعر الاسلام في قيس بن عاصم وهو من اكابر الصحابة .

فما كان قيس هلكه هلك واحدٍ ولكنه بنيان قوم تهدّما

والوزن يساعده على قول « موته موت واحد » . وهذا احد المرشحين للخلافة من بني امية يقول عن نفسه والانانية طبيعة في الانسان

فان اهلك انا وولي عهدي فمروان امير المؤمنينا

وكان له مندوحة اذا قال : فان أُقبض . وهذا ابو نواس يقول عن سائر الناس

ألا كل حيّ هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوّ في ثياب صديق

وكان له مندوحة واسعة ان يستعمل : ميت وميت ومائتين . وبعد فهاهي كتب السلف الصالح بين ايدينا جميعاً . نرى المسعودي في مروج الذهب والتنبيه والاشراف يقول هلك (بالهاء واللام والكاف) عن خلفاء المسلمين فضلاً عن كثير من الصحابة والتابعين واكابر الامة الاسلامية ومثله ابن عبدربه صاحب العقد الفريد

وهاهو ابن قتيبة في كتاب المعارف يقول هلك (بالهاء واللام والكاف ايضاً) عن الحارث ابن كلدة طبيب العرب وعن عبدالله بن ابي بكر الصديق وعن بلال مؤذن الرسول وعن عبدالله وسالم وواقد وبلال ابناء عمر بن الخطاب وعن عمرو وعبدالله وعبدالملك ابناء عثمان بن عفان وعن محسن بن علي بن ابي طالب وعن طلحة بن الحسن بن علي بن ابي طالب وعن عروة ومصعب ابني الزبير بن العوام وعن معاذ بن جبل وابنيه وعن حذيفة بن اليمان وكلهم من جلة الصحابة واكابرهم .

وهذا مورخ المحدثين ومحدث المؤرخين ابن عساكر يروي في تاريخه عن عمر بن الخطاب (وحسبي ان اقول عمر بن الخطاب) ما قاله العباس اخو عمر بن الخطاب . « قال سألت الله حولا بعد ما هلك عمر ان يريني عمر بن الخطاب » وقال ابن عساكر في موضعين

اخرين : « فلما كان اليوم الذي هلك فيه عمر بن الخطاب » . و « هلك عمر بن الخطاب » . فهذا اللفظ شائع مستفيض ولكن اصطلاح المتنطعين هو الذي جعل في النفوس حزازات لا اصل لها . فاذا ما رجعنا الى اللغة الصريحة والسنة الصحيحة زال ما في القلوب من غلّ فاصبحنا اخوانًا على سُرُر متقابلين . فما احرانا بابني امي وبابني عمي بعد هذا البيان ان نقول لمن يؤذيه هذا اللفظ من الاقباط وسائر الذميين : كشكش ! وان نقول للمتنطع باستعماله من المسلمين . صل على النبي ! ما يحلو الكلام الا بالصلاة على النبي .

فان الشيخ المكين جرجس بن العميد بن ابي المكارم بن ابي الطيب السرياني النصراني المصري كلما ذكر النبي اعقبه بقوله « صلى الله عليه وسلم » وبقوله «عليه الصلاة والسلام» ولما ذكر وفاته قال « انتقل الى رحمة الله و رضوانه » واذا جاء في سياق الحديث اسم واحد من الصحابة او الائمة او الخلفاء او شيوخ الاسلام دعا لهم « بالرحمة والبركة والرضوان » وذلك في كتابه المشهور عند غيرنا المجهول عندنا فقد طبعه اهل اوربا باللغة العربية مع ترجمته باللاتينية بمدينة ليدن من اعمال هولاندة في سنة ١٦٢٥ ثم نقلوا ترجمته اللاتينية الى اللغة الفرنساوية في سنة ١٦٧٥ ولا يزال العرب والمصريون الى الآن محرومين من ورود مورده الاصلي مع انه مكتوب بلغتهم وقد جاراه في هذا السبيل ابن العبري في كتاب مختصر الدول الذي طبع مع ترجمته اللاتينية في اكسفورد بانكلترا اولاً في سنة ١٦٦٣ ثم ترجموه الى الالمانية في سنة ١٧٨٣ وبقي عزيزًا على العرب حتى تفضل بطبعه اليسوعيون في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٩٠

جرنا الكلام بمناسبة او بغير مناسبة الى ذكر الشيخ المكين والاشارة الى تأليفه المفيد الذي سماه تاريخ المسلمين وهو من سوء الحظ عندنا في مصر من اندر النوادر . صدّر هذا الفاضل كتابه بهذه الديباجة .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي

الحمد لله المقدس بجميع اللغات الممجد في سمو عرشه من سائر المخلوقات المتميز بوجوب الوجود عن جميع الكائنات المنفرد ببديع الاسماء وشريف الصفات المتعالي في عزّ عزه وجلال كبريائه عن الاشباه والنظراء بماله من الجبروت والعظمة والكبرياء احمده حمد شاكر على ما اولى من النعماء واجزل من العطاء » . والمكين انما جاء بكتابه متممًا ومكملاً ومصدقًا لكتاب نظم الجوهر الذي الفه البطريرك القبطي ابن البطريق المتبحر في فنون الطب وفي مقالات النصارى والاختلافات الديانية الكائنة بين فرقهم المتشعبة . وقد رأيت كتابه في دير النطرون اثناء رحلتي الى ذلك الوادي في سنة ١٨٩٤ وتركت عند بعضهم دراهم يسيرة لاستنساخه ثم تولاني وتولى صاحبي

القبطي نسيان الى الآن فلست اذكره ولا هو يذكرني ولن اذكره فانه لم يذكرني . ولا بأس علينا في بقاء هذا الكتاب في تلك الجوالق والاعدال اذ قد سبقنا الافرنج فطبعوه مع ترجمته اللاتينية بمدينة اكسفورد احدى عاصمتي العلم بانكلترا في سنة ١٦٥٩ وان كانت مصر واهلها لا تزال محرومة منه . الف البطريرك هذا الكتاب لاخيه عيسى وصدره بمخاطبته فقال .

باسم الواحد الاحد السرمدي وبه نستعين

الهمك الله يا اخي من الامور البهية احسنها واوفقها وصرف عنك من المحزنات الردية اعظمها واوبقها وجللك من الستر اتمه وادام لك من العز اعظمه وافاء بالدارين سهمك وفي الحالين قسمك وفهمك جميع ما يرضيه ولا افرزك من حوله بما يستقصيه . فهمت ما امرت برسمه لك اسعدك الله بلبوس الفضيلة وطهرك من التردي باطمار الرذيلة ... الى ان قال اول ما نبتديء بحمد ربنا وبارينا وخالقنا ومحيينا جل ثناؤه اذ كان حمده تقدس اسمه مفتاحاً لجميع الكتب والرسائل ونسأله عز وجل العون لنا على ذلك بجميل عاداته والحمد لله اهل الحمد ووليه الراجي به شكراً من عباده مقدر الاشياء من قبل كونها ومدبرها من بعد حدوثها الذي جعل الرحمة والعدل من سنن الحق وامر بهما وجعل الفسق والجور من سبيل الباطل ونهى عنهما . فالحمد لله المتفرد بالوحدانية فهو عز وجل بجوهره الادبي وحكمته القديمة وحياته الازلية مستحق الحمد والثناء ومستوجب المحبة والثنا الذي لم يجعل في ناموسه شبهة تقتضي شكا ولا في شريعته ارتياباً يوجب اختلافاً بل جعله واضحاً بيناً للشعوب على اختلافهم بالاسباب والجهات وعلماً ظاهراً لسائر الامم على تباينهم في الكلام واللغات بما اظهر على يدي انبيائه ورسله وما بعثه اليهم من المعجزات ومهولات الآيات ودعا الى دينه ووعد بجميل النظر لمن آمن به واوعد بسوء المنقلب لمن انحرف عنه وبحمده حمداً يمتري من المزيد لاحسانه ويقتضي الزلفى لديه واياه اسأل واليه ارغب في خلوص نياتنا لقبول ما يرضيه وصرف طوياتنا الى ما يعود الى العمل بطاعته »

أفرأيتم هذا الانشاء البديع وهذا التدبيج الجميل الذي يرتضيه كبرا كابر العلماء والادباء من المسلمين ? بل فما بال اخواننا الاقباط هجروا العناية باللغة وانزلوها الى ما هو متعارف في الدواوين وجرونا وراءهم في التدلي حتى اذا حاولنا اعادة بهجتها في الرسميات لم يتفاهموها ولم تتفاهمها ? افيظنون انها من الدين ? كلا وربكم وقد اتيتكم بشاهد مكين من ابن المكين وعززته بشاهد آخر عن طريق ابن البطريق . ففي الآن لغتهم شاؤوا او لم يشاؤوا وليس لم عنها من محيد بل شأنها في رقبتهم وفي لسانهم شأن ذلك الرجل القادم على القطار من

الصعيد اذ قال لجماعة من الاقباط المتحذلقين : اسقف على قلبكم . وسأسرد لكم شيئاً عن المكين وابن البطريق فيما يتعلق بعلائق الارتباط بين المسلمين والاقباط لتعلموا انهم كانوا سواء في الشدة والرخاء . وسأذكر لكم عنهما اشياء كثيرة في عرض هذه الخطبة الطويلة . وابدأ بالفتح الاسلامي فهو مفتاح كلامي ثم اشرق واغرب واصوب واصعد وانجد واتهم وبعد ذلك اكرّ على مصر حتى اصل الى هذا العصر .

روى ابن البطريق ان اباعبيدة بن الجراح « خرج من القدس الى حمص ومنها الى قنسرين . فكتب اليه بطريقها يطلب الموادعة على نفسه سنة حتى يلحق الناس بهرقل الملك ومن اقام فيها فهو ذمة وصلح . فاجابه ابوعبيدة الى ذلك فسأله البطريق وضع عمود بين الروم والمسلمين بحيث لايجوز لاحد من الفريقين ان يتعداه الى الآخر . وقد صور الروم في ذلك العمود صورة هرقل جالسا في ملكه . فرضي ابوعبيدة . واتفق ان نفرًا من المسلمين كانوا يتمرنون على الفروسية اذ مرّ احدهم وهو ابوجندل سهل بن عمر على العمود . فوضع زج رمحه في عين تلك الصورة غير متعمد لذلك ففقأ عين التمثال . فاقبل البطريق وقال لابي عبيدة : غدرتمونا يامعشر المسلمين ونقضتم الصلح وقطعتم الهدنة التي كانت بيننا وبينكم . فقال ابوعبيدة : فمن نقضه ؟ فقال البطريق : الذي فقأ عين ملكنا : فقال ابوعبيدة : فما تريدون ؟ فقال : لا نرضى حتى نفقأ عين ملككم . فقال ابوعبيدة : صوروا بدل صورتكم هذه صورتي ثم اصنعوا بي ما احببتم وما بدا لكم . فقال لا نرضى الا بصورة ملككم الاكبر . فاجابهم ابوعبيدة الى ذلك . فصورت الروم تمثال عمر بن الخطاب في عمود . واقبل رجل منهم ففقأ عين الصورة برمحه . فقال البطريق : قد انصفتمونا . وبعد سنة اقاموا على الصلح والذمة » . وبهذه المثابة استبقى ابوعبيدة بسياسته اهل البلد فلم ينزحوا عنها .

وقرأت في كتاب الدروس الجغرافية لتلامذة المدارس الابتدائية لسيدي واخي رشاد بك المطبوع في سنة ١٨٨٩ ان مدينة بلبيس هي ثاني موضع قاتل فيه عمرو بن العاص بارض مصر نحوًا من الشهر ولما فتحها ورأى في جملة سباياها ابنة المقوقس ردها في جميع مالها مكرمة الى اهلها .

وروى المكين انه حينما كان عمرو بن العاص محاصرًا للاسكندرية اقتحم حصنًا منها فجاشت الروم عليهم واخرجوا العرب منه وفي اثناء ذلك اسروا عمرو بن العاص ومسلمة ابن مخلد ووردان مولى عمرو ورجلاً آخر . ولم يعرف الروم من هم فقال لهم البطريق : انكم قد صرتم في ايدينا اسارى فعرفونا ما الذي تريدون منا ؟ فقال لهم عمرو : اما ان تدخلوا في ديننا واما ان تعطوا الجزية واما ان نقاتلكم الى ان نفيء لامر الله . فقال واحد من

الروم للبطريق : اتوهم ان هذا الرجل امير القوم فاضرب عنقه . ففطن وردان لكلامه وكان يحسن الرومية وعمرو بن العاص لا يعرف شيئاً منها . فجذب عمراً جذبة شديدة ولكمه . وقال له . مالك ولهذا القول وانت ادنى من في الجماعة واقل فاترك غيرك يتكلم فقال البطريق في نفسه . لو كان هذا امير القوم ما كان يفعل به هكذا . وقال مسلمة ان ميرنا قد كان عزم على ان ينصرف عن قتالكم وبهذا كتب اليه امير المؤمنين عمر بن الخطاب واراد ان يوجه اليكم بعشرة قواد من اكابر القوم من يتفق معكم على شيء تتراضون عليه . فان احببتم ذلك فاطلقونا حتى نذهب الى اميرنا ونعلمه بما صنعتم بنا من الجميل ويتفق الامر بينكم على ما تحب وتحبون وننصرف عنكم . فتوهم البطريق ان هذا الكلام حق فاطلق سبيلهم رجاء ان يأتي العشرة القواد فيقتلهم ويتمكن حينئذ من العرب . فلما خرجوا قال مسلمة لعمرو يا عمرو لقد خلصتك لكمة وردان .

اقول وشبيه بذلك ما رواه ابن العبري من ان حاتماً ملك الارمن خرج عن مدينة سيس قاصداً معسكر المغول ليؤدي الطاعة لملكهم . فخرج متنكراً مع رسول له بزي بعض الغلمان واخذ على يده جنيباً يجذبه خلف الرسول لانه كان خائفاً من السلطان صاحب الروم . وكان الرسول كلما مرَّ ببلد من بلاد الروم (آسيا الصغرى) يقول ان الملك حاتم ارسله الى ملك التتار ليأخذ له الامان فاذا امنه توجه هو بنفسه الى حضرته . قال ابن العبري : حدثني الملك حاتم عند اجتماعي به بمدينة طرسوس بعد سنين من عودته من خدمة مونككاقاآن . قال عبرت بقيسارية وسيواس مع الرسول ولم يعرفني احد من اهلها قط الا لما دخلنا مدينة ارزنكان عرفني رجل من السوقية كان قد سكن عندنا . فقال: ان كانتا هاتان عيني فهذا ملك سيس . فلما سمع الرسول كلامه التفت اليَّ ولطمني على خدي وقال : يانذل صرت تتشبه بالملوك فاحتملت اللطمة لازيل بها ظن من كان ظانه يقيناً .

(للكلام صلة)

تهذيب الكلام

قال زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالواحد المشهور بابن ابي الاصبع المتوفى سنة ٦٥٤ في كتابه تحرير التحبير الذي فرغ من تعليقه بمصر في مستهل سنة اربعين وستمائة وهو من اجمل كتب البديع ومن اهم مخطوطات دار الكتب المصرية في باب التهذيب والتأديب :

التهذيب عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله لينقح ويتنبه منه لما مرّ على الناثر او الشاعر حين يكون مستغرق الفكر في العمل فيغير منه ما يجب تغييره ويحذف ماينبغي حذفه ويصلح ما يتعين اصلاحه ويكشف عما يشكل عليه من غريبه واعرابه ويحرر مالم يتحرر من معانيه والفاظه حتى تتكامل صحته وتروق بهجته . فان رزق من ارباب البلاغة واصحاب الفصاحة جودة ذهن وغوص فكر وكمال عقل واعتدال مزاج وحسن اختيار ووقف على اقوال النقاد في حقيقة البلاغة وكنه الفصاحة وما عُدّ من محاسن الكلام وعيوبه ووفي ثم نفسه بحيث يطرح ما لا يقدر على تغييره من كلامه كان كلامه موصوفاً بالمهذّب منعوتاً بالمنقح وان قلّ ابتكاره للمعاني . وقد كان زهير معروفاً بالتنقيح فانه يروى انه كان يعمل القصيدة في شهر وينقحها في احد عشر شهراً حتى سمي شعره الحوليّ المحلى ولا جرم انه قلما سقط منه شيء ولهذا اشار ابوتمام بقوله .

خذها ابنة الفكر المهذّب في الدجى والليل اسود رقعة الجلباب

فانه انما خص بتهذيب الفكر في الدجى لون الليل لانه تهدأ فيه الاصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعاً والخاطر خالياً ولا سيما في وسط الليل عند ما تأخذ النفس حظها من الراحة وتنال قسطها من النوم ويخف عليها ثقل الغذاء فحينئذ يكون الذهن صحيحاً والصدر منشرحاً والقلب منبسطاً . واختياره وسط الليل دون السحر مع مافيه من رقة الهواء وخفة الغذاء واخذ النفس سهمها من الراحة لما يكون في السحر من انتباه اكثر الحيوان الناطق والبهيم وارتفاع معظم الاصوات وجرس الحركات وتقشع الظلماء بطلائع الاضواء وبعض ذلك ينقسم الفكر ويتذبذب الخاطر ويشتغل القلب ويتفرق مجتمع الهمّ ووسط الليل خال عما ذكرناه ولهذا خص ابوتمام تهذب الفكر بالدجى عادلاً عن الطرفين لما فيهما من الشواغل . . . .

قال وكنت قد اطلعت على وصية وصى بها ابوتمام اباعبادة البحتري في عمل الشعر . كان ابوتمام ارتجلها فجاءت محتاجة الى تحرير بعض معانيها وايضاح ما اشكل منها وزيادات يفتقر اليها فحررت منها ما يجب تحريره واضفت اليها ما يتعين اضافته وذكرتها في كتابي

المنعوت بالميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه · وعلمت ان هذا الباب من هذا الكتاب احوج اليها من ذلك فاثبتها هاهنا بعد ان رأيت تقديم مقدمة يحتاج اليها و يجب الاعتماد عليها وهي ان الذي يجب على كل من كان له ميل الى عمل الشعر وانشاء النثر ان يعتبر اولاً نفسه و يمتحنها بالنظر في المعاني وتدقيق الفكر في استنباط المخترعات اذا وجد لها فطرة سليمة وجبلة موزونة وذكاء وقاداً وخاطراً سمحاً وفكراً ثاقباً وفهماً سريعاً وبصيرة مبصرة وألمعية مهذبة وقوة حافظة وقدرة حاكية وهمة عالية ولهجة فصيحة وفطنة صحيحة

ولو كانت بعض هذه الاوصاف غير لازمة لرب الانشاء ولا يضطر اليها اكثر الشعراء لكنها اذا كملت في الشاعر والكاتب كان موصوفاً في هذه الصناعة بكمال الاوصاف النفسية التي اذا أضيفت لها الصفات الدرسية تكمل وتجمل من حفظ اللغات العربية وتوابعها من العلوم الادبية كالنحو والتصريف والعروض والقوافي وما سومح به الشعراء من الضرورات التي يلجئ اليها ضيق الوزن والتزام التقفية ليعلم ما يجوز له استعماله وما يجب عليه اهماله وليديم النظر في كتب البلاغة ليعرف محاسن اللفظ مفرداً وتركيباً ومعانيه و يحيط بما يتفرع من اصول النقد في البديع الذي هو رقوم الكلام ونتائج مقدمات الافهام ·

وليجعل عمدته على كتاب الله العزيز وليميز اعجازه وادق تمييز فانه البحر الذي لا تفنى عجائبه ولا يظمأ فيه راكبه · منه استخرجت درر المحاسن واستنبطت عيون المعاني وعرف كنه البلاغة وتحقق سر الفصاحة وكذلك سنة الرسول عليه السلام · وليحفظ اشعار العرب وامثالها وانسابها وايامها وسائر اخبارها ومحاسن آثارها ومقاتل فرسانها الانجاد ونوادر سمحائها الاجواد ولا غنىً به عن معرفة النجوم والانواء وعلم هيئة السماء وتعقل الآثار العلوية والحوادث الارضية والمشاركة في الطب والطبائع والحساب وما يحتاج اليه الكتاب من الفقه والحديث ونقل التاريخ الصحيح · ويكون ذلك المكتسب من وراء اشياء لا تكتسب ولا تحصل بالطلب بل هي مما يجبل عليه الانسان من مواهب الرحمن من عقل راجح وذهن صاف ورأي سديد ينتج ذلك مزاج معتدل فيحسن اختياره ويجود انتخابه · فيتخير الالفاظ الرقيقة والمعاني الرشيقة ويتقن تأليف الكلام وتركيب الالفاظ وما بايراد ابيات فلتهن في هذا المعنى من بأس وهي

انتخب القريض لفظاً رقيقاً كنسيم الرياض في الاسحار
فاذا اللفظ رق شفّ عن الا معنى فابداه مثل ضوء النهار
مثل ما شفت الزجاجة جسماً فاختفى لونها بلون العقار

هذا ان اراد ان يُنعت فاضلاً او يسمى اديباً كاملاً فتعلو بين العلماء درجته وتطير

بين الفضلاء بمتمنه ويقل فتوره في انتقاد كل كلام ومعناه . وليحذر من ان يقف خاطره بسبب معاندة الزمان وتواتر ضروب الحدثان وتعذر المكسب وعز المطلب وتقدم الجهال واختصاص الاراذل بالاموال فيكون ذلك داعياً له الى ترك الاشتغال وسبباً في فتور عزمه عن تحصيل العلوم وذريعة تقعوده عن رياضة نفسه واستعمال خاطره فيلحق بالاخسرين اعمالاً والمخطئين افعالاً واقوالاً . بل يكون اجتهاده في ذلك اجتهاد راغب في الاعمال شديد الانفة من مساواة الجهال عاشق في تزكية نفسه مايل للتقدم بنفس العلم على ابناء جنسه وما احسن قول القائل

تعلم فليس المرء يولد عالماً   وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير العلم لا علم عنده   صغير اذا التفت عليه المحافل

ولا بد للمجتهد من يوم يحمد فيه عاقبة اجتهاده ويحصل فيه على مراده وان كان قصير الهمة مهين النفس قد أوتي طبعاً في العمل سليماً وذهناً مستقيماً فظن انه يستغني بذلك عن الاشتغال ويبعد عن مماثلة الجهال ادلالا بطبعه واتكالاً على حذقه كما كثر شعراء زماننا وكتابه والمنتظمين في سلك آدابه حاشا من احتفل بالادب احتفالاً اوجب لذوي الآداب الانتفاع بهذا الكتاب فلا يأنف من عرض ما يسمح به خاطره على من يحسن الظن بمعرفته ويتحقق ان مرتبته في العلم فوق مرتبته ولا يهمل ذلك فان خطره عظيم وفوق كل ذي علم عليم . وان كنت في ذلك كمن يصف الدواء ولا يستعمله ويأمر بالمعروف ولا يمتثله غير اني انهج الطريق واحض على التوفيق لتحصل لي مثوبة الدلالة واكسب اجر الهداية فان الدال على الخير كفاعله والمحرض على العمل كعامله .

وليعتمد الراغب في نظم الشعر وانشاء النثر في وقت العمل على وصية الامام ابي تمام الذي وعدت سالفاً بنشرها وهذا اوان ذكرها وهي ما اخبر به الثقة عن ابي عبادة البحتري الشاعر انه قال : كنت في حداثتي اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبع سليم ولم اكن وقفت على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت ابا تمام وانقطعت اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان اول ما قال لي يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة في الاوقات اذا قصد الانسان تأليف شيء اوحفظه ان يختار وقت السحر . وذلك ان النفس تكون قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء وصفا من اكثر الابخرة والادخنة جسم الهواء وسلبت الغماغم ورقت النسائم وتغنت الحمائم وتغن بالشعر فان الغناء مضماره الذي يجري فيه .

اجتهد في الايضاح فان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه

من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق والتعلل باستنشاق النسائم وغناء الحمائم والبروق اللامعة والنجوم الطالعة والتبرم بالعذال والعواذل والوقوف على الطلل الماحل · واذا اخذت في مدح سيد ذي أياد فأشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقاومه وارهف من عزائمه ورغب في مكارمه ونقاض المعاني واحذر المجهول منها · واياك ان تشوب شعرك بالعبارة الزرية والالفاظ الوحشية وناسب بين الالفاظ والمعاني في تأليف الكلام وكن كأنك خياط تقدّر الثياب على مقادير الاجسام · واذا عارضك الضجر فارح خاطرك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب · واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين · وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من اشعار الماضين فما استحسنه العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى ·

وكنت قد جمعت فصولاً يحتاج اليها العاقل في البلاغتين والراضع في الصناعتين من عدة كتب من كتب البلاغة وصرفت منها ما لا يحتاج اليه ونقحتها وحررتها وهاهي :

ينبغي لك ايها الراغب في العمل السائر فيه من اوضح السبل بان تحصل المعنى عند الشروع في تحبير الشعر وتحرير النثر قبل اللفظ والقوافي قبل الابيات ولا تكره الخاطر على وزن مخصوص وروي مقصود وتوخَّ الكلام الجزل دون الرذل والسهل دون الصعب والعذب دون المستكره والمستحسن دون المستهجن · ولا تعمل نظماً ولا نثراً عند الملل ولا تؤلف كلاماً وقت الضجر فان الكثير معه قليل والنفيس معه خسيس · والخواطر ينابيع اذا رفق بها جمت واذا عُنف عليها نزحت · واكتب كل معنى يسنح وقيد كل فائدة تعرض فان نتائج الافكار تعرض كلمعة البرق ولمعة الطرف ان لم تقيد شردت وندّت وان لم تستعطف بالتكرار عليها صدت والترنم بالشعر مما يعين عليه قال الشاعر

تغنَّ بالشعر اما كنت قائله ان الغناء لقول الشعر مضمار

وقد يكلّ الشاعر حيناً و يستعصي عليه الشعر زماناً كما روي عن الفرزدق انه قال : لقد يمر عليَّ الزمن وان قلع ضرس من اضراسي لاهون عليَّ من ان اقول بيتاً واحداً فاذا كان كذلك فاتركه حتى يجيئك عفواً وينقاد اليك طوعاً · واياك وتعقيد المعاني وتقعير الالفاظ واعمل في احب الاغراض اليك وفيما وافق طبعك والنفوس تعطي على الرغبة ما لا تعطي على الرهبة · واعمل الابيات متفرقة بحسب ما يجود بها الخاطر ثم انظمها في الآخر واحترس عند جمعها من عدم الترتيب · وتوخ حسن النسق عند التهذيب ليكون كلامك آخذاً بعضه باعناق بعض فهو اكمل لحسنه وامتن لرصفه · واجعل المبدأ والمخلص والمقطع فان ذلك اصعب ما في القصيد · واجتهد في تجويد هذه المواضع وتجنب معاريض ارباب

الخواطر فيها وتواردهم عليها وميز في فكرك نمط الرسالة ونصب القصيدة قبل العمل فان ذلك اسهل عليك واستمدها اولاً وتفحها ثانياً وكرر التنقيح وعاود التهذيب ولا تخرجها عنك الا بعد تدقيق النقد وانعام النظر ·

فقد كان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر بن وينقحها في شهر ين اقتداء بزهير فانه كان راويته · وقد كان زهير يعمل القصيدة في شهر واحد وينقحها في حول كامل حتى قيل لشعره المنقح الحولي او الحولي المحلى · واحذر اذا كاتبت من الاسراف في الشكر فانه ابرام يوجب للكلام ثقلاً ولا تطل الدعاء فانه يورث مللاً · ولا تجعل كلامك مبنياً على السجع كله فتظهر عليه الكلفة ويبين فيه اثر المشقة وتكلف لاجل السجع ارتكاب المعنى الساقط واللفظ النازل بل اصرف كل النظر الى تجويد الالفاظ وصحة المعاني واجتهد في تقويم المباني فان جاء الكلام مسجوعاً عفواً من غير قصد وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان وان عسر ذلك فاتركه وان اختلفت اسجاعه وتباينت في التقفية مقاطعه · فقد كان المتقدمون لا يحفلون بالسجع جملة ولا يقصدونه بتة الا ما اتى به الفصاحة في اثناء الكلام واتفق من غير قصد ولا اكتساب وان كانت كلماتهم متوازنة والفاظهم متناسبة ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائقة وفصولهم متقابلة وجمل كلامهم متماثلة · وتلك طريقة الامام علي عليه السلام ومن اقتفى اثره من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هارون وابي عثمان الجاحظ وغيرهم من الفصحاء والبلغاء ·

ولا تجعل كل الكلام عالياً شريفاً ولا وضيعاً نازلاً بل فصله تفصيل العقود فان العقد اذا كان كله نفيساً لا يظهر حسن فرائده ولا يبين كمال واسطته · وانظر الى نظم القرآن العزيز كيف جمع صفات البلاغة الثلاث ليظهر فضل كل طبقة في بابها ويبين محكم اسبابها ويعلم ان ادناها بالنسبة اليها تعلو على اعلى الطبقات من كلام البلغاء وُيربي عليها فان الكلام اذا كان متنوعاً افتنت الاسماع فيه ولم يلحق النفوس ملل من الفاظه ومعانيه

واعلم ان الالفاظ اجساد والمعاني ارواح · فاذا قويت الالفاظ فقوّ المعاني واذا اضعفتها فاضعفها لتتوازن قوى الكلام وتتناسب في الافهام · واقصد القوافي السهلة المستحسنة دون المستصعبة المستهجنة والاوزان المستعملة الحلوة دون المهجورة الكزة فان الشعر كالجواد والقوافي حوافره والالفاظ صورته والمعاني سرعته والاوزان جملته ·

واجعل كلامك كله كالتوقيعات وعليك بالمقطعات فانها في القلوب احلى واكمل وفي المحاسن ارشق واجول وبالاسماع اعلق وبالافواه اعبق · واذا نثرت منظوماً فغير قوافي شعره الى قوافي سجعه واذا اخذت معنى بيت من بيت فتجنب الالفاظ جملتها ما استطعت

او معظمها وغير القافية والوزن وزد في معناه وانقص من لفظه واحترس مما طعن عليه به لتكون املك له من قائله واذا تقاربت الديار تقاربت الافكار . ولهذا قيل الشعر محجة يقع فيها الخاطر على الخاطر .

واعلم ان من الناس من شعره في البديهة ابدع منه في الروية ومن هو مجيد في رويته وليست له بديهة وقلما يتساويان . ومنهم من اذا خاطب ابدع واذا كاتب قصر . ومنهم من بضد ذلك . ومن قوي نظمه ضعف نثره ومن قوي نثره ضعف نظمه وقلما يتساويان . وقد يبرز الشاعر في معنى من معاني مقاصد الشعر دون غيره . ولهذا قيل اشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب وعنترة اذا كلب والاعشى اذا طرب .

واياك وتعقيد المعاني بسوء التركيب واستعمال اللفظ الوحشي فان خير الكلام ما سبق معناه القلب قبل وصول جملته الى السمع . وليكن كلامك سليماً من التكلف بريئاً من التعسف . وليحط لفظك بمعناك وتشتمل عبارتك على مغزاك . واحذر الاطالة الا فيما تحمد فيه فان البلاغة لمحة دالة . وقيل سرعة جواب في صواب . وقيل ان تقول فلا تبطئ وان تصيب فلا تخطئ . والصحيح من حدّها انها ايضاح المعنى باقرب الطرق واسهلها والعي اكثار من مهذار واخطاء بعد ابطاء كما جاء في المثل سكت ألفاً ونطق خلفاً . وقدّر اللفظ على قدر المعنى لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه كما قيل في مدح بعض البلغاء : كانت الفاظه قوالب لمعانيه . وقيل في آخر : كان ان اخذ شبراً كفاه وان اخذ طوماراً املاه . واستعمل التطويل في مكانه والتقصير في مكانه فقد قيل : اذا كان الايجاز كافياً كان التطويل عيّاً واذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . واياك ان تفرّط فان فرّطت قصرت او تفرط فان افرطت كثرت والا فانظر الى قصص الكتاب العزيز كيف انت وجيزة ومرة بسيطة كما قلت في وصفه في القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

به قصص تأتيك طوراً بسيطة ليفهمها من بسطها المتبلد
وطوراً بايجاز تبث لذي حجى له زند فهم ثاقب ليس يصلد

وفي الجملة مهما كان الايجاز كافياً والمعنى به واضحاً فالاحاطة ان لم تكن عيّاً كانت عبثاً ولم يزل اجلاء المتقدمين يحمدون ذلك ويذمون ما سواه ويدلك على اختيار هذا المذهب ما يحكى عن احمد بن يوسف الكاتب فانه قال : دخلت يوماً على المأمون وفي يده كتاب وهو يعاود قراءته تارة بعد اخرى ويصعد فيه نظره ويصوبه قال : فلما مرّت على ذلك مدة التفت اليّ وقال : يا احمد اراك مفكراً فيما تراه مني فقلت : نعم وقى الله امير المؤمنين المكاره واعاذه من المخاوف فقال : انه لا مكروه في الكتاب ولكن قرأت فيه كلاماً وجدته نظير

ما سمعت الرشيد رحمه الله يقوله في البلاغة فاني سمعته يقول : البلاغة التباعد من الاطالة والقرب من البغية والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى . وما كنت اتوهم ان احداً يقدر على هذا المعنى حتى قرأت هذا الكتاب ورمى به اليَّ وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة الينا قال : فقرأته فاذا فيه : « كتابي الى اميرالمؤمنين ومن قِبلي من قواده وسائر اجناده في الانقياد والطاعة على احسن ما يكون عليه طاعة جند 'خزنت ارزاقهم وانقياد كافة تراخت أعطياتهم فاختلت لذلك احوالهم والتاثت معه امورهم » . قال : فلما قرأته قال لي : يااحمد ان استحسان هذا الكلام بعثني على ان امرت للجند قبله بعطياتهم لسبعة اشهر وانا على مجازاة الكاتب بما يستحقه محله من صناعته .

وروي ايضاً عن المأمون انه امر عمرو بن مسعدة الكاتب هذا ان يكتب لرجل 'يعنى به الى بعض العمال بالوصية عليه وان يختصر كتابه ما امكنه حتى يكون ما يكتب به في سطر واحد فكتب اليه عمرو بن مسعدة « كتابي اليك كتاب واثق بمن كتب اليه معني بما كتب به ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله ان شاء الله تعالى »

وقد كان جعفر بن يحيى مع تقدمه في هذه الصناعة يقول لكتابه : ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيعات فافعلوا . واما قول قيس بن خارجة لما قيل له ما عندك في حمالات داحس فقال عندي قِرى كل نازل ورضى كل ساخط وخطبة من له من طلوع الشمس الى ان تغرب آمر فيها بالتواصل وانهى عن التقاطع فان ذلك لم يخرجه مخرج المدح للاطالة المذمومة لان الاطالة المذمومة هي اطالة العبارة عن المعنى الواحد بالالفاظ الكثيرة . وانما اراد قيس الاكثار من المعاني فاذا كثرت المعاني احتاج المتكلم الى كثرة الالفاظ للعبارة عنها ولايضاحها وليوفي بمقصوده فيها . ومتى اطال الكلام لذلك كانت اطالته بلاغة لا عياً فان حقيقة البلاغة ايجاز من غير اخلال واطناب من غير املال لا سيما خطب الإملاكات والسجلات التي تقرأ على رؤوس الجماعات اه

اقسام التاريخ [١]

التاريخ فرع واسع من اهم فروع الادبيات المنثورة ينتهي بوقائعه المتسلسلة الى درجة المشاهدات من حيث التحقيق والبحث . وعليه تكون كلمة «استوريا» التي يقصد بها الروم البحث عن الحقيقة — منطبقة كل الانطباق على هذا العلم وموافقة كل الموافقة لموضوعه .

وبعد فانا نرى ان التاريخ آخذ باسباب البحث والتدقيق لابس كسوة المحاكمة الفكرية منذ اول نشأته . وليس التاريخ تلك الاقاصيص والنقول التي تأتي في عرض الاناشيد الملاحم وعلى السن القصحاء بل لا بد للحوادث التي يرويها التاريخ من الاستناد على ابحاث علمية معروفة وشهادات مزكاة وثيقة فلذ في البحث عن الوقائع وتثبيت الحادثات مقاصد كما ان لاصول ضبطه شرائط عامة كثيرة .

ليس للتاريخ ان يوغل في زوايا هذه الطبيعة الغنية فيضبط من حوادثها ما يتجلى كل يوم في مئات من الوانها وصورها والالوف من اشكالها وهيئاتها بل ان غايته الوحيدة تدوين حياة الافراد المتميزين بقوة ذكائهم وقوة ارادتهم اولئك الذين تقدموا اشواطاً في سبيل النشوء ولو عادت ثانية مضت من الزمان لرأيتهم ارقى مما كانت تمهدهم .

اما الكائنات التي لم تمنحها العوامل والمؤثرات خاصة التدبير والذكاء فتسير وقائعها بسائق طبيعي متأثرة بمؤثر واحد سارية على مجرى واحد وماثلة في صورة واحدة . وان البحث في ماضي هذه لا يجدي التاريخ نفعاً لان هذا القسم من الخليقة متساوي النسق والاسلوب في كل زمان ومكان . فان افاد البحث فيها فالفائدة تعود على العلم وليس للتاريخ منها شيء ولعل بعضهم يسأل هنا قائلاً : اذا كان التاريخ لا يبحث في حوادث الطبيعة المطردة فلماذا دعي ذلك القسم الكبير من علومها — الحيوان والنبات والجماد — بالتاريخ الطبيعي واي علاقة للتاريخ بهذه الحوادث القانونية المطردة ؟ والجواب عن ذلك انه لا محل لهذه التسمية هنا وليس للتاريخ فيها دخل البتة وانما هو اسم اصطلح عليه خطأ في هذا القسم من العلم لحادثات تكوّن الكائنات ونشوئها وتبدل المواسم وفصولها وكل قطعة محدودة من الارض وكل ما عظم او دق مقياسه ومقداره من سيارات السماء وثوابتها الزاهية وصفحات الفضاء ومناظره البهجة كل هذه ليست من التاريخ في شيء ولئن دخل قليل منها في التاريخ فانها تدخل بعض احوالها المتعاقبة ومكتشفاتها المهمة التي لا تزال ادوارها مجهولة عندنا

وعلى هذا فالتاريخ يبدأ من حيث ينتهي العلم وليس في اقسام التاريخ «تاريخ الهي»

(١) معرّباً عن فصل كتبه بالتركية حسين دانش بك

لانه لا منافي للالوهية فيسطر ولا حائل لها فيجرر بل هي هي المتجلية في كل شيء وما اجمل قول لبيد — « ألا كل شيء ما خلا الله باطل »

وبذلك استبان ان مجال التاريخ هو (ساحة التبدل الاختياري) ليس الا ٠ وان للنوع البشري قوة ارادة وان اختلفت قوة وضعفاً لا تكون فيما هو عامل فيه من النواميس العامة بل في غير ذلك من حركاته وسكناته ٠ من اجل ذلك ترى هذا النوع معرّضاً للبحث التاريخي من حيث علم اجناس البشر والبحث العلي من حيث علم النفس

هذا يبحث في الانسان من حيث العوامل الناشئة عن القوانين العامة المنقاد لها وذلك يشتغل بتمحيص ما في حركاته الاختيارية من الاسباب المتحولة من الاسباب المتغيرة ونتائجها ويظهر لنا ما قرب الى التوفيق من هذه الحركات وما لم يقرب وما كان مصيباً منها وما كان مخطئاً وهو يضبط الروابط الموجودة بين هذه الحركات كلها

***

كانت الامم فيما مضى تُجل التاريخ وتعظمه حتى تمحت لتقدمه السبل وازالت من طريق رقيه الموانع قال شيشرون الخطيب الروماني الشهير « التاريخ شاهد الازمنة ونور الحقيقة وحياة الذكرى وحاكم العمر وبريد القرون » وكان هذا الخطيب ينظر الى التاريخ بانه ظهير الفلسفة وانه مدرسة الفضيلة

وكان يعد التاريخ منهجاً من مناهج البيان وقسماً من اقسام الفصاحة لعظمة الدروس التي القاها التاريخ ولفخامة موقعها ولطالما قال : « لا خطيب اكثر عظمة واوفر احتشاماً من التاريخ » ٠

بمثل كلمات شيشرون هذه انتشر بين اهل العلم في العصور الموغلة في القدم ان التاريخ محل البلاغة وادخله تلاميذ ايزوقراط في تعداد العلوم التي يجب على الخطيب ان يعنى بها فكان بذلك ركناً للادب

كان الاقدمون من المؤرخين يتعمدون في التاريخ اجادة البيان من جهة والمحافظة على الواجبات الوطنية والنتائج الاخلاقية من جهة أخرى ٠ اما الحقائق الواقعة في نفس الامر فقلما كان يُبحث عنها فكانت مصنفاتهم اذن تزدان في نظرهم اذا خدمت الفلسفة او ذبت عن شرف القومية والوطنية ليس الا ٠٠٠

هم يسلكون في التاريخ طريقاً توصلهم الى الذروة القصوى من الفصاحة فيفرغون افخم كلمات المجد واكبر الفاظ الفخفخة كما هو الحال في نقلهم حياة الرؤساء والامراء ٠ وانهم لينسبون اليهم جملاً وقطعاً ما قالوها ولن يقدروا على ان يأتوا بمثلها وانك لترى

المؤرخ منهم يفادي بالحقيقة التاريخية سعياً وراء كلمة جميلة تروقه ويلذ له طنينها في اذنيه ناسياً او متناسياً ان ما يسمى بالتاريخ هو علم الكوائن وتصوير الحقائق وانه في حاجة قبل كل شيء الى مظان صحيحة ومستندات موثوق بها واسس راسخة فيجب من ثم على المؤرخ مهما كانت نحلته وشعوره ومقصده ان يبحث في مثل هذه المظان من غير تطرف ولا تعصب. وذلك لان التطرف والتعصب والدلاقة ليست من حاجيات المؤرخ ومذهبه في شيء وانما البلاغة والتأنق في القول من صنعة الادباء والشعراء والمطالبة بالفضيلة من وظائف الاخلاقيين والدفاع عن شرف الوطنية والمكانة القومية من واجبات رجال السياسة فيها وما المؤرخ الا الذي يمحص الحقيقة ويتمحض لاثباتها

وقد التزم فنيلون احد فلاسفة لويس الرابع عشر اسلوب شيشرون الخطابي في كتابه مبحث الوجود الالهي فاتخذ ذلك دليلاً على ان التاريخ كان على عهد فنيلون في دور صباه ولا يكون المؤرخ مؤرخاً حتى يثبت الوقائع التي يناقش في صحتها مناقشة منطقية ويفحصها فحصاً علمياً مدققاً ببيان سلس ونثر مرسل وسليقة معتدلة

قال المسيو بانان المشهور بمباحثه في اصحاب الملاحم من الروم المتوفى سنة ١٨٧٦ «ليس التاريخ عبارة عن سرد بعض القصص وذكر الايام المشهورة والحوادث المأثورة ولا تلفيق ما يسقط عليه الرجل عرضاً من الاقوال عن حياة المشاهير بل التاريخ هو ذلك الميدان الذي تظهر فيه الامم بعاداتها واخلاقها ومزاياها ومعايبها مشروحة تجلى بكل وسائل العلم حتى كأن القارىء من اهل البلد الذي يكتب تاريخه او من معاصري من يدون ماضي حياتهم وكذلك يجب التاريخ ان يكون» . وانك لتعلم ان مدون هذا التاريخ تعوزه المواهب النادرة والنظر البعيد وسبر غور الامور

لا يبحث التاريخ اليوم عن طرز معيشة الامم والبيوت فقط بل يتجاوز ذلك الى تعريف درجة الرقي العام في الاشياء ايضاً فاذا بحث المؤرخ في ماضي شعب يجتهد في ان لا يجمد امام وقائعه المهمة وحوادثه الكبيرة بل ينتقل من ذلك بغتة الى وزن اخلاقه وعاداته ومشاربه والى ذكر روابطه مع سائر الامم الاخرى . وهذه المباحث هي الياف النسيج الحيوي في الامم المتحضرة وغير المتحضرة

ومن هنا يتجلى للقارىء ان هذه المواد المتنوعة في حاجة الى ترتيب حسن وفكرة نافذة دقيقة وحكم عقلي متين قادر على البحث عن الاسباب المتضاربة ووضعها موضع النظر والى قلم بعيد عن الاغراض كأنه جمود اذا كان سبيل لتغلب العواطف عليه ومثل هذه المزايا متوقفة على مقدار قابلية اولئك المؤرخين الذين جمعوها في نفوسهم فاستخرجوا من كتلة

الحوادث المتسلسلة سديماً نقياً وارسلوها نفثة البيان والوضوح النوراني على العالمين . وان للتاريخ من حيث موضوعه واُصوله اقساماً عديدة اهمها انقسامه الى عام وخاص يبحث الاول في ادوار البشر الثلاثة المعلومة ويشمل تاريخ عامة الشعوب والدول . اما الثاني فلا يعنى الا بامة واحدة او بلدة معينة او باسرة معروفة ووقعة مشهورة

ويسمون التاريخ الذي يذكر الحوادث مرتبة حسب زمن حدوثها «كرونولوجيا» واذا بحث في نشوء شعب واحد وانتشاره يقال له «ايتنوكرافيا» واذا افاض في كوائن الامم كلها الحادثة في زمن معين يدعى «سينكروفيا» . واذا قايس بين وقائع مختلفة ظهرت في ازمنة متباينة سمي التاريخ القياسي واذا اظهر الاشياء في صورتها الاصلية فهو التاريخ المصور واذا توخى ارجاع نتائج الوقائع الى اسبابها يقال له «براكاتيك» واذا ربط الاسباب بالنواميس العامة في البشر والطبيعة يسمى التاريخ الفلسفي وهكذا تختلف اسماء المصنفات التاريخية باختلاف موضوعها فسمي تقويماً ومذكرة وترجمة حال وما اشبه

ولا نقصد هنا الى ان نطيل القول فنكتب تاريخ التاريخ . على اننا لو بحثنا في مبدإ التاريخ لوجدناه ممزوجاً بالشعر كما هو الحال في جميع انواع الادبيات المنثورة فابتداء التاريخ اذن هو الملاحم التي هي من انواع الشعر وذلك هو ابتداؤه في الادوار القديمة عند الهنود واللاتين والفرس ولم يتجرد كثيراً من هذه الكسوة القصصية عند بعض امم المشرق الى يوم الناس هذا لان التاريخ لم ينسلخ عن منظومات الملاحم عندهم الا قليلاً وان ذبالة التاريخ الحقيقي لم تكد تضيء عندهم حتى أُطفئت وكذلك هيرودتس وتوسيديدس وكسنوفون كلهم لم ينجوا من دس الاساطير بين طيات الحقائق التاريخية في كتبهم الثمينة وان كانوا كلهم استحقوا لقب المؤرخ . الاول بذكائه النقاب والآخران بتجاربهما ومتانة بيانهما . اما دانيس داليكارناس فلا اثر للتحقيق في مصنفاته وان كان قد تلافى هذا النقص بتتبع بعض الاخبار . وكذلك شأن تيودورس من وجه هذا النقص وما يسده وان دروس بلوتارك في الاخلاق لتستر ايضاً نقائص تاريخية اخرى وقع فيها . ثم جاء بعد هؤلاء ازمان ظهر فيها مؤرخون مدرسيون مثل كيشاردن وماكيافيل فانهما كانا في زمانهما مقلدين خالص التقليد للاسلوب القديم

وعلى هذا بقيت المصنفات التاريخية كتب بلاغة ولكنها عارية عما يؤهلها للدخول في علم التاريخ الى فجر القرن السابع عشر حتى ان المؤرخ المشهور بوسويه نفسه كان على مثل تلك الحال ولو تناولنا احد مصنفاته كخطبته في التاريخ العام لوجدناها نموذجاً للآداب ولكنها بعيدة كل البعد عن التاريخ . ثم جاء فولتر ووضع كتابه كارلوس الثاني عشر

وكتابه لويس الرابع عشر فاظهر لنا نموذج التاريخ الصحيح . وعندها عرف حق المعرفة ان اكثر الذين كانوا يسمون في فرنسا مؤرخين الى القرن الثامن عشر هم براء من هذه النسبة ، وعلى العكس ترى بعض رهبان دبكتن الذين لم يكن يذكر اسمهم بتلك الدبدبة والعظمة قد تحقق اليوم انهم هم الشيوخ الذين طرحوا بين ايدينا اصول التاريخ صامتين ساكتين . ومن هؤلاء الرجال المؤرخ جيبون الانكليزي مشيد القصر التاريخي على الاساس المتين

***

عصرنا الحاضر هو مؤسس التاريخ ومحييه فعلم الآثار وعلم الالسنة والجغرافيا ، كل هذه العلوم اخذت بيد التاريخ وصعدت به درجات عالية وان التحقيقات الصحيحة التي وضعها حكماء هذا العصر وعلماؤه قد نفخت الوقائع الماضية روحاً حية وكستها حلة ثابتة حتى تمثلت الدراري القديمة بعاداتها واخلاقها ومطامعها وافكارها على اسلوب اقلام تيرس وتيبري وميشله وكيزو ومينيه . فعصرنا هذا ولا مراء عصر التاريخ قبل كل شيء

الحديدة (جزيرة العرب) محب الدين الخطيب

اصلاح التعليم في الصين

كتب احد الباحثين من الاوربيين رسالة في معنى نهضة الصين الى اصلاح التعليم القديم عندها فقال ان هذه المملكة كانت لها طريقة تامة في التعليم منذ القرن الرابع والعشرين قبل التاريخ المسيحي على عهد حكم ملوك هيا فكان لكل أسرة قاعة للدرس ولكل كورة كتاب ولكل مقاطعة مدرسة فيمتحن المتعلمون كل سنة و يرتقي الاكفاء الى مناصب الحكومة وفي القرن الثامن قبل المسيح بطلت طريقة اعطاء الوظائف بالاستحقاق العلمي واصبحت وراثية الا ان كنفوشيوس حكيم تلك الامة جاء في القرن التالي واحيا معالم التعليم على الاصول القديمة ونظمها فاحسن تنظيمها حتى اصبحت بعده محترمة في اقطار المملكة وما زالت تعاليمه معمولاً بها وتختلف لضعف انصارها وقوتهم في بعض القرون وبقوة البوذية والتاوستية حتى كانت سنة ١٩٠٤ فاصدر الامبراطور امره بالغاء الاوامر القديمة الصادرة بشأن التعليم التقليدي وبذلك الغى نظاماً اجتماعياً جرت عليه امته منذ خمسة واربعين قرناً .

وقد شعرت الصين منذ حروبها الاولى مع اوربا بقلة التعليم في موظفيها ونبين للبلاط الامبراطوري ان ذلك كان السبب الرئيسي في ضعف المملكة ولذلك عزم الامبراطور منذ

سنة ١٨٩٨ ان لا يمنح الوظائف الا لمن اطلعوا على العلوم الحديثة الاوربية فاصدر امره بانشاء مدارس على الطرز الحديث واقامة كلية في بكين على مثال كليات اوربا وفي سنة ١٩٠٦ الف نظارة معارف عمومية وكان من اثر ذلك ان توفرت العناية بتعليم البنات وكان النساء من قبل مقصورات في بيوتهن معتبرات في نظر الصينيين احط من الرجال واهم ما يعلمنه في المدارس الكثيرة التي انشئت لهن يجهن الاخلاق والمالية واعمال البيوت والرياضات الجسدية و يمنعن من تضييق ارجلهن منعاً قطعياً

وكثرعدد المدارس الخاصة والعامة التي انشئت مؤخراً لتعليم الفنون المختلفة كالفصاحة والملاحة وعمل الخطوط الحديدية والبحرية والشرطة وعلم التربية واللغات الاجنبية . وساعد الادباء والعلماء والصحافيون على خدمة افكار الحكومة في هذا الشأن واخذوا يؤلفون الكتب والمعاجم ويترجمون من لغات اوربا كل مفيد لكيانهم واخذت الحكومة والاهالي يحاولون ايجاد الاموال لهذه المشاريع ومن جملة الذرائع التي عمدوا اليها ضربهم الضرائب على « محال تناول الشاي » لتصرف في سبيل تعليم الامة . وقد حظر على الاساتذة ان يهينوا التعاليم القديمة فجاء في لوائح المدارس بهذا الصدد « ان للنظام الاجتماعي والسياسي في ممالك اوربا واميركا واليابان صيغة خاصة به كما ان ادارة الصين واخلاقها لها صفة خاصة بنا فعلى كل استاذ صيني ان لا يتفوه بكلام يعد مروقاً وكفراً ليدك بما يثبت من افكاره بناء الصين الاجتماعي والسياسي فاذا انتقد الفضائل الاصلية والصلات العامة مع الفلسفة المشهورة (فلسفة علماء الادب وكنفوشيوس) يحقق امره فاذا ثبتت ادانته يحكم عليه بحسب ذنبه » وحظر على التلاميذ ان يشتغلوا بالامور السياسية و يعقدوا اجتماعات و ينشروا جرائد

ولا يخطرن على بال احد ان التعاليم القديمة سقطت في الصين بالمرة بل بالعكس زادت العناية بها على قدر العناية بالعلوم الغربية الجديدة ولا سيما في سنة ١٩٠٠ حتى ينتظم اساس الاصلاح الذي وضعته مملكة ابن السماء وهي تأخذ العلم الآن عن اربع دول اليابان والولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا ولكن اليابان اقدموا على تعليم الصينيين اقداماً غريباً وفتحوا لهم المدارس في عاصمتهم بكين بالذات وغيرها من الحواضر وكل يوم يزداد عدد الطالبين والطالبات من الصينيين الذين يأتون كليات اليابان و يدرسون فيها كما ان المعلمات اليابانيات والمعلمين اليابانيين يفدون بالعشرات على المملكة السماوية ولا سيما على جنوبيها .

الكتاب

حدثنا القراء في النسخة الماضية بشيء مما عربناه من «الكتاب» الذي صدر حديثاً للمسيو البرسيم وهانحن ننقل لهم بعض فوائد جديرة بالنظر والاعتبار فقد قال في تأثيرات المطالعة في المرء ولا سيما ما يطالعه في صغره نقلا عن كتاب عشاق الكتب لالفرد دي مارون العارف بالتآليف والتصانيف: ان المرء في صباه لا يهتم بشكل الكتاب جميلا كان أو بشعاً حسن التجليد أو سيئه بل يضحك ممن يقول له ان طبعة هذا الكتاب أصبحت نادرة وان هذه الفقرة غريبة وان هذه الاسفار نال مؤلفوها الجوائز عليها ولا يحفل الا بالفكر ولا سيما بما فيه شعور وعواطف ولا يعبأ الا بما يرضي فؤاده ويثير عواطفه ويحركها. فأف من الفكر والجمال والتذهيب الجميل. ولذلك لا ترى مولعاً في الكتب وهو في سن العشرين لان المرء في صباه لا يستطيع ان يعاود قراءة كتاب قرأه فلا يكاد يحسن القراءة حتى يأتي على آخر ما يقرأ ولا سبيل الى الحكم جيدا على كتاب الا بمطالعته ثانية وفي أدوار مختلفة من الحياة ومن ثم كان من الكتب ميزان حرارة للعقل أو للقلب.

قال الفرد دي مارون: ان المرء في العشرين من عمره لا يكون من غلاة الكتب واحبابها وما قاله يصح ان يكون قاعدة في هذا الباب لان العواطف في سن العشرين تحكم على العقل بل تحكم على كل شيء فيسرع المرء في تلك السن الى الوقوف على كل شيء ويعرف كل شيء ويقرأ كل شيء وان شئت فقل يقلب صفحات كل كتاب. ويندر في تلك السن السعيدة من يستطيعون ان يعاودوا قراءة كتاب ثانية بدون ان يكرههم مكره فيأتون ذلك اما مدفوعين برغبة منهم أو لقلة ما لديهم من الكتب الجديدة أو كتب لم يقرأوها بعد ولم يتصفحوها

وقال آخر : لايشرع المرء بمعرفة القراءة الا بعد خروجه من المدرسة . وفتيان المطالعين لايحبون من الكتب الا ما حدث وضعه وقلما يرجعون الى الكتب المؤلفة قديماً . وأورد المؤلف أسماء كثيرين أولعوا بالمطالعة منذ عرفوا القراءة بل منذ فطموا عن اثداء أمهاتهم مثل أسقف دافرانش هويه (١٦٣٠—١٧٢١) والفيلسوف جان جاك روسو (١٧١٢— ١٧٧٨) والشاعر يوحنا أنطون بوشه (١٧٤٥—١٧٩٤) وبنيامين فرنكلين (١٧٠٦ — ١٧٩٠) وهنري بيل القصصي النقاد الفرنسوي (١٧٨٣—١٨٤٢) ولامارتين الكاتب الفرنسوي (١٧٩٠—١٨٦٩) وسيلفيو بلليكو الاديب الايطالي (١٧٨٩ — ١٨٥٤) وجورج ساند القصصية الفرنسوية (١٨٠٤— ١٨٧٦) وشارل ديلون وكلهم ما كادوا يفتحون عيونهم الا والكتاب بأيديهم بفضل تربية آبائهم وأمهاتهم الذين كان بعضهم يقرأ لهم ليسمعهم سير العظماء وأقوال الحكماء فانغرست البذور الصالحة في عقول أبنائهم وجاء منهم فلاسفة وكتاب متفردون وتبين مما استشهد به لهم من تذكراتهم ان معظمهم كانوا يعيشون في الخلاء بين الرياض والغياض يطربهم صوت العندليب ويؤرقهم صوت القمري ويستفزهم خرير الماء وعليل الهواء

وقال في فصل المطالعة والتصفح : جعل سلس الطبيب الروماني في القرن الاول قبل المسيح القراءة بصوت عال من جملة الرياضات النافعة للصحة وان المطالعة على هذه الصورة ضرورية للفهم والذوق وذلك لان جرس الصوت يساعد كل المساعدة على تعليق الجمل في الذهن . وقد قال العالم ارنست لوكوفه انه لاشيء ينبر عقلنا مثل القراءة بصوت جهوري ويقفنا على ضعف الانشاء ان كان ضعيفاً وقوته ان كان قوياً وفساد الشعور المصور فيه . ففي الكلام تنشيط وفيه للافكار ايضاح بل تحقيق وكل من يتعاطون عملا شاقاً كالحطابين والخبازين

يتحمسون بما يلقيه بعضهم على بعض من الاصوات ولا يرى دودان ان يقرأ قاري الانسان بل ان يقرأ بنفسه ويرى ان الطريقة الاولى أجدر بالمرضى والعميان لان لكل قارئ نغمة يكون بها التأثير في عقله وله طريقة في الفهم والتمعن لا يقوم بها سواه

ومن العادة في بعض المدارس والاديار ان يقرأ قارئ شيئاً من الادب والقصص والتلاميذ جلوس على المائدة وكان ذلك شأن شارلمان يتلى على مسامعه وهو على الخوان كتاب القديس أوغسطينس وكان الفيلسوف فولتير يؤثر ان يقرأ له وقال: انني أحب هذه الطريقة لانها كانت مألوفة للقدماء وأنا منهم. وكان الكردينال موري « ١٧٤٦ ــ ١٨١٧ » يقول ان المرء اذا خلا بنفسه يجب ان يطالع كتباً تفيده حقيقة واذا كان مع اخوانه فالاجدر ان يتلى عليه ما يحمسه ويهيجه لان الناس في انفرادهم غيرهم في اجتماعهم .

قال مؤلفنا: أما كتب الحكم والآراء فالاحرى بل الافيد بأن تتلى قطعة قطعة لا دفعة واحدة وان ترسخ بكميات قليلة فكما ان المرء لا يبلع اقراص المعاجين الا واحدا واحدا هكذا يجب عليه ان يسير في الاخذ من كتب الحكماء. وقال الاميرابن « ١٧٣٥ ــ ١٨١٤ » ان الطريقة الوحيدة في مطالعة كتاب في الحكم بدون ان يمل هو ان يفتح كلما سنحت الفرصة وبعد ان يسقط فيه على ما يهمه منه يطبقه بعد تصفح صفحة أو صفحتين ويأخذ يفكر فاذا تصفحها كلها يكون أشبه بمن قلب مجموعة صور دفعة واحدة فلا يرتسم في مخيلته واحدة منها.

وتختلف طريقة المطالعة بسرعة أو بتأن بلا فاصلة أو بفاصلة بقلة أو بكثرة وهذا تابع لحالة القارئ وما يقرأ وحالة بصره وقوة انتباهه وأوقاته وخطر

مايتلوه وتأثير الكتاب فيه. وان كتاباً في الفلسفة لايقرأ كما تقرأ قصة. وخير في الكتب المملة ان تتصفح تصفحاً وكل من يعيشون بين الكتب والمطبوعات والمخطوطات ويبحثون كثيراً فيما بين أيديهم لايسعهم الا ان يتصفحوا تصفحاً

وكان لما كليابشي العالم الفلورنسي قيم الكتب «١٦٣٣-١٧١٤» طريقة خاصة في المطالعة فاذا وقع له تأليف جديد ينظر في عنوانه ثم يرجع الى الصفحة الاخيرة منه ويتصفح المقدمات والفهارس والتقدمات ويلقي نظره على كل التفاصيل الرئيسة وكان له من الوقوف على التآليف ما يتمكن معه من معرفة حقيقة المصنف في لحظة بل انه يعرف المصادر التي أخذ منها المؤلف. ومن أرباب الاختبار في معرفة القراءة من يعرفون ماهية الكتاب من تقليب أوراقه ويدركون مافي صفحة منه من الفوائد بمجرد القاء النظر عليها ومنهم من يعرفون كيف يتصفحون الجرائد فلا يقع نظرهم الا على مايهمهم منها ولا يضيعون ثانية من أوقاتهم في النظر فيما لايفيدهم

ورأى بعض أهل العلم ان الذهن مهما بلغ من حدته يخون صاحبه في تذكر الفوائد التي قرأها فالاولى له ان يقيدها ولذلك كانت الفهارس مما يعين كثيرا على الرجوع الى مضامين الكتاب. ومن عشاق المطالعة من لا يكتفون بتقييد الفوائد في تذكراتهم بل هم يكتبون على كل صفحة تهمهم كتابة تعلمهم على الكتاب نفسه ولكن أكثر باعة الكتب يرون هذه الطريقة مما يعوق الكتب عن بيعها الا ان المؤلف ومحبي الاستفادة لايهمهم الا ان ينتفعوا من كتبهم ولو بتمزيقها وتشويهها وما الكتاب الا أداة للتعلم يجب استخدامها على النحو الذي ينتفع به نفعاً حقيقياً بل هو رفيق وصديق تجب معارضته ومناقشته أحياناً وان لا يسلم له كل مايورده

يقول الفيلسوف سينيك والاديب بلين لجون ان الاكثار من الكتب يشتت الفكر وان اعادة القراءة كثيرا تفضل قراءة أشياء كثيرة وقال بعضهم: لانهاية للاستكثار من الكتب. ومعلوم انه في هذا العصر الذي دعي بعصر الورق بل في هذا العصر الذي اشتدت فيه تباريح مرض جديد Stampom anie أي الجنون في الطبع والنشر ان الكتب تنمو وتتضاعف من يوم الى يوم . وما أجمل ماقاله اريستيب الفيلسوف اليوناني (٣٩٠ ق ٠م) أحد تلاميذ سقراط وصاحب المذهب الابيكوري المنسوب لمدينة سيرين: ليس من يأكلون كثيرا هم اسمن من غيرهم واصح منهم أجسادا بل السمان هم اولئك الذين يهضمون. وهنا استشهد المؤلف باحصاء غريب لبعض المشتغلين منذ اختراع الطباعة الى القرن الماضي فقال انه طبع في جميع انحاء الارض من سنة ١٤٣٦ الى سنة ١٥٣٦ ٤٢ الف مجلد وفي سنة ١٥٣٦ الى ١٦٣٦ ــ ٥٧٥ الفاً وفي سنة ١٦٣٦ الى ١٧٣٦ مليون و٢٢٥ الفاً وفي سنة ١٧٣٦ الى سنة ١٨٢٢ مليون و٨٣٩٩٦٠ فيكون مجموع ماطبع زهاء ثلاثة ملايين ونصف مليون مجلد واذا قدر معدل هذه المصنفات بثلاثة مجلدات وان أقل مايطبع من كل كتاب ٣٠٠ نسخة فيكون قد خرج من المطابع كلها في نحو أربعة قرون ٣٣١٣٧٦٤٠٠٠ وقدر ان ثلثيها حرق او استعمل صررا عند البدالين والباعة فلم يبق منها الا ثلثها. وزيف بعضهم قوله بأن التوراة وحدها طبع منها زهاء ٣٦ مليون نسخة وان كتاب الاقتداء بالمسيح طبع منه وحده ستة ملايين وانه اذا كان كتب على تاريخ فرنسا وحده ثمانون الف مجلد فكم تكون كتب الارض. وقدر أحد الاميركان عدد المجلدات في الولايات المتحدة كما يأتي: ٤٢٠ مليوناً في البيوت و١٥٠ مليوناً عند العلماء والكتاب والمخترعين و٦٠ مليوناً عند الكتبية والطابعين و٥٠ مليوناً في خزائن الكتب العامة و١٢ مليوناً في مكاتب المدارس

والجامعات و٨ ملايين عند التلاميذ وان في اوربا الغربية مليارا وثمانمائة مليون مجلد وفي اوربا الشرقية اربعمائة وستين مليون مجلد و٢٤٠ مليونا في سائر أقطار العالم . قال المؤلف: وبينا أهل الاحصاء يحصون ترى المطابع تصدر الكتب بالالوف فيقدر الآن مايصدر كل سنة من الكتب في الشرق والغرب بخمسة وسبعين الف كتاب جديد منها ٢٥ الفاً في المانيا و١٣ الفاً في فرنسا و١٠ آلاف في الولايات المتحدة و٧ آلاف في انكلترا فلو فرضنا ان معدل مايطبع منها الف نسخة تكون كتب العالم قد زادت كل عام ٧٥ مليون مجلد .

قال مؤلفنا في اختيار الكتب وهل تفضل القديمة أم الحديثة فرأى ان الشبان ومن قل علمهم وادبهم يؤثرون الجديد على القديم وان كان الجديد في الغالب غثاً بارداً والقديم سميناً مملوءاً بصحيح الافكار ومتين الانشاء . وفي كتب القدماء كنوز ثمينة لامثيل لها في آثار المحدثين . قال : وعندي أن يختار من الكتب العلمية احدثها التي اخذت بأطراف ارتقاء العلم عامة وآخر ماوصل اليه كله اما في الادب فيختار أحسن كتابه مهما قدم عهدهم فالآداب القديمة كما قيل كلما قدمت تجدد

ولامراء في ان المطالعة تؤثر في عقولنا واضطراباتنا وتورثنا القلق والحزن فمن الفضول أن نزيد على ذلك ماتدخله علينا من السرور والنفع قال جول لبتي في كتابه « علم حب الكتب ومعرفتها » ما اكثر من يبرؤن امراضهم بفضل الكتب التي يطالعونها ولو عرف الناس ذلك حق معرفته لزاد عدد المولعين بالكتب زيادة عظمى . وتكلم المؤلف على الروايات وقال ان بعضهم يراها سموم الهيئة الاجتماعية وذكر كيتي الفيلسوف النقاد الالماني انه من العبث أن يقول القائلون ان من الكتب مايؤثر في افساد الاخلاق وما الفساد الا متوفر كل يوم

في هذا المحيط وعندي انه لايجب التحرس كثيرا من ذكر مالايجدر امام الاولاد من الاحاديث فان الاولاد كالكلاب لهم حاسة قوية في الشم يكتشفون كل شيء ولاسيما ما كان من امور الشر . وللعلماء اراء مختلفة في هذا الشأن والاكثر على ان الروايات خيرها أقل من شرها وقشرها أضعف من لبها أمامطالعة الجرائد فهي لاتعد في باب مطالعة الكتب لانها تكتب بسرعة دون أن ينظر فيها النظر البليغ وما الجريدة كما قال بايل الافاكهة الفكر . وقال سانت بوف: يجب بادئ بدء ان نتزود من الخبز واللحم الطيب قبل أن نضيع في الفاكهة والحلواء. كتب تيوفيل غوتيه الكاتب الصحافي الفرنسوي ان مطالعة الجرائد تحول دون نبوغ علماء وارباب فنون حقيقيين فهي جعبة شطط تصلك كل يوم ضعيفة ضئيلة تعتري القرائح القوية الشكيمة التي لاتريد الا عشاقاً اقوياء في جدة الشباب فالجريدة تقتل الكتاب كما ان الكتاب قتل الهندسة وكما قتلت المدفعية الشجاعة وقوة الاعصاب. وقال جبرائيل هانوتو العالم «ان الجريدة هي المنافس الحقيقي للكتاب وما النجاح الذي حازته الجريدة الا لرخص أثمانها وعندي ان الديمقراطية يجب أن يرخص فيها كل شيء لمداواة أمراض النفوس وان المستقبل لايبقي الا على نوعين من الكتب المزخرف المبهرج الذي تطبع منه كميات قليلة ليقتنيها أرباب القصور والغنى والكتب البسيطة التي تباع بأرخص مايمكن من قيمة ليسوغ للجمهور اقتناؤها من ايسر سبيل وبهذا الضرب من الكتب يحفظ للعلم رونقه وتبقى له حياته فالفلاح والعامل يجب ان يقرآ شيئاً وان يخرج لهما مايقرآن وحاجتهما ماسة الى غير كتب التقاويم » وبهذا تبين انه لايخشى على الكتب من قلة عشاقها في المستقبل بل ان النفوس تظل عليها مقبلة مابقي الدهر

وقال مؤلفنا في الفصل الذي عقده للكلام على ممزقي الكتب واعدائها

ان أعظم ماعرف من المصائب التي أصابت المكاتب «١» على ماذكر بيروز المؤرخ الكلداني من اهل القرن الثالث قبل المسيح «عليه السلام» واسكندر بوليستور الكاتب العالم اليوناني من اهل القرن الاول قبل الميلاد ان ملك بابل بختنصر الذي ارخ به منذ سنة ٧٤٧ ق.م قد امر باحراق جميع تواريخ اسلافه ليسدل بذلك حجاباً كثيفاً على الماضي ويكون عهده مبدأ يجرون على التاريخ به في جميع العالم. واحرق الامبراطور شي هونغ تي الصيني سنة ٢١٣ ق. م جميع الكتب التي في مملكته ولم يستثن منها الا المصنفات التي فيها تاريخ أسرته وعلم النجوم والطب وذلك بغضاً نه للتعلمين المتأدبين

قال المؤلف: وأعظم ماأصاب الكتب من البلايا في التمزيق والتحريق الفتن الدينية وذلك لان الكتاب خير ناطق عن الانسان. له من الصفات ما يخوله المثول في كل مكان ومن القوة والجرأة مالانظير له فاقتضت الحال أن يبدأ باسكاته قبل كل لسان أي ان يحرق لانه الناطق الذي لايسأم كما يسأم المخالفون والمناهضون. فقد احرق الرومان كتب الاسرائيليين والمسيحيين والفلاسفة وأحرق الاسرائيليون كتب المسيحيين والوثنيين وأحرق المسيحيون كتب الوثنيين والاسرائيليين واحرق المسيحيون معظم كتب أوريجين أحد زعماء الكنيسة في القرن الثالث للمسيح وكتب قدماء الملاحدة وأحرق الكردينال كسيمنيس (وزير اسبانيا والمفتش الديني ١٤٣٦—١٥١٧) عند ما استولى الاسبان على غرناطة خمسة آلاف مصحف واحرق أهل المذهب البروتستانتي من البروتانيين في انكلترا على أوائل عهد الاصلاح مالايحصى من الاديار والآثار القديمة واحرق كرومفل مكتبة اكسفورد وكانت من أعجب خزائن الكتب في أوربا

(١) المقتبس ٣ — ٦٣٤

ثم عاد المؤلف الى الكلام على مكتبة الاسكندرية ثانية وبرأ المسلمين من احراقها فقال: تكلمنا على مكتبة الاسكندرية التي شاع بانها احرقت بأمر الخليفة عمر عند استيلائه على الاسكندرية سنة ٦٤٠ وقلنا ان هذه المكتبة لم يكن لها وجود في ذاك العهد البتة وان أحد قسميها حرق قضاء وقدرا سنة ٤٧ قبل المسيح عند هجوم جند يوليوس قيصر وان القسم الآخر حرق بعد هذا التاريخ بنحو أربعة قرون أي سنة ٣٦٠ على يد الاسقف أو البطريرك تيوفيل الذي كان يرمي الى ابادة الوثنية من ابرشيته . ولم يعثر على كلمة واحدة قالها مؤرخو ذاك الزمن من عهد حريقها الى قدوم عمرو بن العاص عامل الامام عمر مايستدل منه ويحمل على الفرض بأنه أنشئت في الاسكندرية مكتبة ولا ينبغي أن يعجب من ذلك اذ من أسبابه ان الآداب والفلسفة الوثنية كانت في تلك الحقبة من الدهر قد حكم عليها بالتبديد في كل مكان حتى ان جوستينيانوس أمر باغلاق مدارس آثينة

ومعلوم ان ماينسبونه لعمر من الجواب الذي اجاب به عمرو بن العاص وقد سأل عما يعمل بمكتبة الاسكندرية فقال له: أنظر فاذا كان مافيها من الكتب يوافق مافي كتاب الله فلا فائدة منها واذا كانت مخالفة له فليس لنا بها حاجة فاحرقها . وعلى الجملة فقد قال من أورد هذه القصة ان عمرو بن العاص وزع هذه المكتبة على حمامات الاسكندرية فاستعانت بها على احماء حماماتها ستة أشهر هذا مع ان الورق دع عنك الرق اذا صلح لاشعال النار فلا يصلح لان تدوم به طويلا

ثم استشهد بقول جان جاك روسو في خطابه في العلوم والفنون : ولو كان غريغوريوس الكبير مكان عمر والانجيل محل القرآن لكانت مكتبة الاسكندرية

بادت أيضاً على ان البابا غريغوريوس المشار اليه «٥٤٠ – ٦٠٤» متهم باحراق كتب القدماء ظلماً كما اتهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١) ولكن التاريخ لايظلم أحداً

وقال في كلامه على مايكتب عليه الكتاب ان الرق هو من اختراع فرغامس (برغامة) في آسيا الصغرى والمظنون انه عرف قبل خمسة عشر قرناً أما الورق فالارجح ان الصينيين هم الذين اخترعوه وان العرب نقلوه الى أوروبا كما قال الدكتور غستاف لبون في كتابه حضارة العرب : ان الكتاب المخطوط العربي الذي عثر عليه القصيري (الطرابلسي) في مكتبة الاسكوريال مكتوب

---

(١) قال المحقق برهان الدين البقاعي في مقدمة نظم الدرر مثبتاً لجواز النقل من الكتب القديمة خلافا لمن انكر عليه ذلك : ونص الشافعي ظاهر في ذلك قال المزني عنه في مختصره في باب جامع السير وما كان من كتبهم فيه طب وما لامكروه فيه يبع وما كان فيه شرك أبطل وانتفع بأوعيته وقال في الأم في سير الواقدي في باب ترجمته كتب الاعاجم قال الشافعي: وما وجد من كتبهم فهو مغنم كله وينبغي للامام ان يدعو من يترجمه فان كان علماً من طب او غيره لامكروه فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغانم وان كان كتاب شرك شقوا الكتاب فانتفعوا بأوعيته واداته فباعها ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل ان يعلم ما هو انتهى .

قلنا وهذه العبارة تدل دلالة واضحة على ان الامام لم يأمر بحرق مكتبة الاسكندرية اذ لو فعل ذلك لبلغ الامام الشافعي فان ادنى من ذلك من اعمالهم قيدوه وبينوه وبنوا عليه فلو كان ذلك معروفا من فعل عمر مع انه لم يذكر ان احداً من الصحابة خالفه في رأيه او انكر عليه كان من قبيل الاجماع والائمة كلهم لاسيما الامام الشافعي لم يكونوا يجرؤون على مخالفة الاجماع اصلا وبما ذكرنا من عبارة الامام الشافعي تعلم انه لاوجه لانكار بعض الذين لم يتضلعوا في العلم على المأمون في ترجمة كتب الاوائل التي ليس فيها شرك ويعنون بما فيه شرك ما يتعلق بدعاء الاصنام وعبادة التماثيل ونحو ذلك . ومراد الشافعي من قوله فان كان علماً من طب او غيره لامكروه فيه باعه فالمراد بالذي فيه مكروه السحر والتنجيم ونحو ذلك فان الشرع منع من تعاطيها (المقتبس)

على ورق من القطن ويرد تاريخه الى سنة ١٠٠٩ هو أقدم مما عرف من المخطوطات المحفوظة في مكاتب أوربا دلّ على ان العرب كانوا أول من استعاضوا عن الرق بالورق وذلك ان الصينيين كانوا يصنعون الورق من الحرير منذ ازمان بعيدة فدخلت صناعته الى سمرقند منذ أوائل الصدر الاول للهجرة حتى اذا جاءت العرب تلك المدينة فاتحة رأت فيها معملا للورق ولكن هذا الاختراع الثمين يصعب الانتفاع به في أوربا لان الحرير كان غير معروف فيها اللهم الا اذا استعيض عن الحرير بمادة أخرى ٠ وقد ظهر من البحث في مخطوطات العرب القديمة أنهم وصلوا في الحال من صنع الورق الى درجة من الكمال لم يتجاوزوها ويظهر أنه من الثابت أيضاً ان صنع الورق من الخرق هو من اختراع العرب على ما في صنعه من التعب وما يحتاج اليه من المهارة وذلك لان ورق الخرق عرف عند العرب قبل أن يعرفه المسيحيون بازمان اه

وبعد فهذا ما ساعد المقام عليه من الاقتباس من فوائد الكتاب وكنا نود لو عربنا عنه اكثر ما عربنا مما يفيدنا في اجتماعنا وتاريخنا ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله وهـذا القدر الذي اوردناه كاف في الدلالة على فضل مؤلفه . والكتاب يطلب من مكتبة ارنست فلاماريون في باريز. وثمنه كله اثنان وعشرون فرنكا ونصف ماعدا اجرة البريد فحول انظار من يعرفون الافرنسية الى اقتنائه

رسالة رشيد الدين الوطواط

فيما جرى بينه وبين الامام الزمخشري من المحاورات

عني بنشرها احمد بك تيمور

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب العلامة رشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري المشهور بالوطواط الى الامام سديد الدين بن نصر الحاتمي: طلبت مني زينك الله تعالى بأنوار المزايا وحماك من كل حادثة ملمة وكل طارقة مهمة ولا اخلاك من فخر تجتلبه وجميل ذكر تكتسبه وجزيل اجر تحتسبه وأثر جهل تجتنبه ان اهدي اليك وأملي عليك ماقال جار الله سقى الله ثراه في كتاب الكشاف في وجه انتصاب شهر رمضان وما قلته من الاعتراض على كلامه واستبعاد مدعاه عن مرامه مما جرى بيني وبين أعز أصحابه أفضل القضاة يعقوب الجندي من السؤال والجواب وهاأنا مطبق فيما أقوله مفصل السداد والصواب وقد ذهب من عندي الى جار الله واخبره بما قلت فانصف وانصت وأبدى خضوعاً لاستماع الصدق واتباع الحق وقال له: ذكرني هذا الامر بعض أيام فراغي حتى أصلح من كتابي هذا الفصل واغير هذا القول فانه غلط شنيع وخطأ فظيع الا أنه مرض في تلك المدة ونزلت به المنية وما حصلت تلك الامنية. وقد علم كل من شاهد أحوالي مع جار الله اني كنت عنده معظم القدر مفخم الامر مقبول الكلمات متبوع الاشارات لم يرمني كلمة في أي علم الا قيدها ببنانه وضبطها في جنانه واثبتها في دفاتره واحكمها في خواطره وعدها غنيمة من غنائم عمره وتميمة من تمائم نحره وقد جرى بيني وبينه في حياته وأوقات راحاته مما يتعلق بفنون الادب وأقسام علوم العرب مسائل أكثر من أن يحصى عددها او يستقصى امدها رجع فيها الى كلامي

ونزل على قضيتي وأحكامي فالسعيد من اذا سمع الحق سكنت شقاشق لجاجه وسكنت صواعق حجاجه فمنها مسألة الظبي التي هي جمع ظبة فانه كتب بخطه انها من ذوات الياء وأصلها ظبية فقلت انا انها من ذوات الواو وأصلها ظبوة فلما امتدت المناظرة واشتدت المذاكرة بعثت اليه كتاب الصحاح يصدق قولي فهجن الكتاب وقال انه محشو بالتحريفات مشحون بالتصحيفات فبعثت اليه سر الصناعة لابن جني فقال هو رجل وأنا رجل فبعثت اليه كتاب العين فوضع لحق عنقه وسلك مناهج الانصاف وطرقه واسترذخطه ومزقه تمزيقا وخرقه تخريقا بمرأى ومسمع من صدر الائمة ضياء الدين أدام الله اجلاله وزاد اقباله

ومنها مسألة كلا الرجلين اذ كتب في حالة الجر والاضافة للظهر بالألف فقلت الصواب ان يكتب بالياء وأيدت قولي بنص ابن درستويه في كتابه الموسوم بكتاب الكتاب وجرى هذا بحضرة الامام الاجل زين المشايخ البقالي أدام الله سعادته وحرس سيادته ومنها مسألة نسر وفرقد في تثنيتهما بغير ألف ولام في شعري فأنكره وقال لا يجوز هذا في الشعر ولا في غيره فأريته ذلك في شعر المعري وأبي تمام فقال أخطآ حتى أراه سلمان بيته وصدى صوته الامام فخر الاسلام المؤذني ذلك في شعر الاعشى فعند ذلك لانت خشونته وسهلت حزونته. ومنها مسألة الجمع بين الضرب المحذوف والضرب الصحيح في شعر واحد من الطويل وقع له في ديوانه في قوله

جوار فريد العصر خير جوار　　ودار فريد الدهر أكرم دار

ثم قال

فلله من جار حمدنا جواره　　ولله من فرد ولله من دار

فضرب الاول محذوف وضرب الثاني صحيح ولا يجوز اجتماعهما في هذا

البحر باتفاق العروضيين فلما نبهته لهذا على لسان تلميذه المحسن الطالقاني طلب ديوانه وغيره هكذا «ولله من نار وموقد نار» فاستقام وزنه ومنها مسألة الحادي عشرة والثانية عشرة ومنها مسألة النحية ومنها مسألة تجريد الامالة ومنها مسألة ادخال الوليد بن الوليد في جملة الكفرة من أولاد الوليد ابن المغيرة وسيأتي ذكره في رسالته الى الحاتمي · ولو نقلت مافي كنانتي من المكنونات ونثرت ماادخرته في خزائن المخزونات طال الكلام وكلت الاقلام وانما ذكرت هذا القدر اليسير ليعلم فتيان هذه الخطة ان هذا الامام كان صبورا على مرارة الحق وحرارة الصدق مع انه رب هذه البضائع وصاحب هذه الوقائع · فصل قوله قرأ ابيّ شهر رمضان بالنصب على تقدير صوموا أو على الابدال من اياماً معدودات او على انه مفعول ان تصوموا واقول قولاه الاولان صحيحان لامطعن فيهما واما الثالث فموضع بحث اذ لا يجوز مثله البتة لانه لو كان كما زعم كان شهر رمضان تتمة لان تصوموا ولكان مجموعها في حكم مبتدأ واحد وصار تقديره صوم رمضان خير لكم وليس بجائز أن تجعل المبتدأ نصفين وتفصل بينهما وتدخل الخبر في وسطها اما أن يكون خبر المبتدأ متأخرا عن المبتدأ وهو الاصل أومقدماً عليه بشرط التعريف وغيره من الشروط وهذا هو الفرع واما ان يكون واقعاً بين شرط من المبتدأ فليس من كلام العرب كقول القائل لمن ينفعه اللحم أن تأكل اللحم خيرلك صحيح وقوله خيرلك ان تأكل اللحم صحيح فاما قوله أن تأكل خيرلك اللحم فغير صحيح وهذا قولي الذي استحسنه جار الله والله اعلم بكتابه واعرف بأسرار خطابه. وقد كتبت هذه الرسالة فعليك بحفظها عن هو لاء الذين لايفهمون الدقائق ولا يعلمون الحقائق فاني حررتها لامثالك من ذوي الفهم والهداية واشكالك من أولي العلم والدراية لالهؤلاء الذين عميت أبصارهم وبصائرهم

وصدئت افكارهم وخواطرهم فان رياض العلم لاتفتق للجانين وحياض الرحمة لاتدفق للشياطين والسلام

وقفة في الروض

ناح الحمام وغرّد الشحرور هذا به شجن وذا مسرور
في روضة يشجي المشوق ترقرق للماء في جنباتها وخرير
ماء قد انعكس الضياء بوجهه وصفا فلاح كأنه بلور
قد كاد يمكن عند ظني أنه بالماس يوشر منه لي موشور
وتسلسلت في الروض منه جداول بين الزهور كأنهن سطور
حيث الغصون مع النسيم موائل فكأنهن معاطف وخصور

* * *

ماذا أقول بروضة عن وصفها يعيا البيان ويعجز التعبير
عني الربيع بوشيها فتنوعت للعين أنوار بها وزهور
مثلت بها الاغصان وهي منابر وتلت بها الخطباء وهي طيور
متعطر فيها النسيم كأنما جيب النسيم على الشذا مزرور
للنرجس المطلول ترنو أعين فيها وتبسم للاقاح ثغور
تخذت خزاماها البنفسج خدنها وغدا يشير لوردها المنثور
وكأن محمر الشقيق وحوله في الروض زهر الياسمين يمور
شمع توقد في زجاج أحمر فغدا حواليه الفراش يدور

* * *

وتروق من بعد بها فوارة في الجو يدفق ماؤها ويفور
يحكي عمود الماء فيها آخذا صعدا عمود الصبح حين ينير
ناديت لما ان رأيت صفاءه والنور فيه مغلغل مكسور
هل ذاك ذوب الماس يجمد صاعدا أم قد تجسم في الهواء النور
تتناثر القطرات في اطرافها فكأنما هي لؤلؤ منثور
ينحل فيها النور حتى قد ترى قوس السحاب لها بها تصوير

* * *

كم قد لبست بها الضحى من روضة فيها علتني نضرة وسرور
فاجلت في الازهار لحظ تعجبي ولفكرتي بصفاتهن مرور
فنظرتهن تحيرا ونظرنني حتى كلانا ناظر منظور
فكأن طرف الزهر ثمة ساحر لما رنا وكأنني مسحور
ان الزهور تكنهن براعم مثل العلوم تجنهن صدور
وتضوع النفحات منها مثله تبيينها للناس والتقرير
وبتلك قلب الجهل مصدوع كما ثوب الهموم بهذه مطرور
والزهر ينبته السحاب بمائه كالعلم ينبت غرسه التفكير
ان كان هذا في الحدائق بهجة يزهو فذلك في النهى تنوير
او كان هذا لا يدوم فان ذا ليدوم ما دامت تكر عصور

بغداد معروف الرصافي

مطبوعات ومخطوطات

سياحة في تركستان او بلاد كشغر

Chinesisch-Turkestan, Geschichte, Verwaltung Geistesleben und Wirtschaft von Prof Dr Martin Hartmann (Halle 1908)

نشر الاستاذ هارتمان من علماء المشرقيات الالمان سياحة له بالالمانية الى بلاد كشغر او تركستان وصف فيها جغرافية تلك البلاد وحكوماتها السالفة وطرقها وعلائقها مع الامم وتاريخها القديم والحديث وادارتها الصينية وما كان له من الصلات مع موظفيها وعلاقة الكشغر بين بالاجانب ولغتهم وآدابهم ودينهم وتعليمهم ودروسهم وارتقاءهم العقلي ، والسائحين والمبشرين الاوربيين من الانكليز والسويديين والالمان وصادرات تلك البلاد وواردانها وتجارتها وما يرجى لها من التقدم وقد جعل كتابه هذا خدمة امته في سياستها وتجارتها فوجه انظار حكومته ومواطنيه لبلاد خاضعة بالاسم للصين ولكنها تخالفها من حيث اصول سكانها ولغتها ودينها . وبلاد تركستان الصينية او كشغر اتى عليها زمن كانت فيه مستقلة منذ بضعة قرون على عهد سلاطين ويغور اما اليوم فان الاسلام قتل فيها على رأيه حياتها العقلية والصناعية فليس فيها ما تستطيع ان تنهض به وحدها وتستعيد سالف استقلالها . فاصبح من اللازم انشاء مملكة حسنة الادارة في تلك البلاد بين آسيا الشرقية وآسيا الغربية اي في طريق الحرير وما من دولة اوربية تحدثها نفسها في الاستيلاء على تلك البلاد لان روسيا ضعيفة وانكلترا لها من المشاغل بغيرها ما يصدها عن اكتساحها والصين ليس في وسعها ان ترمي بقسم من شعبها ثمت وان تجعل لها جيشاً ضخماً من ابنائها يكون على قدم الدفاع عنها وهي عارفة بان مركزها فيها مقلقل . ولذلك احتاجت بلاد كشغر الى التغريب لينهضها من كبوتها .

ولو كان فيها بعض الاهلين من المسيحيين لكان المرسلون المسيحيون ينفعون البلاد كما هو الحال في اوربة ولكن الشعب هناك مسلم كله فليس في الامكان ان يُدعى الى النصرانية لما ان ذلك يهيج تعصبه ولا يأتي بنتيجة . ومن خرج من الاسلام فجزاؤه القتل عند المسلمين . فليس اذاً غير المرسلين البروسيين يعرفون من اين تؤكل الكتف ويتخذون طريقة توصل الى المقصود فلا يدعون الى الدين بل يتوفرون فقط على تقوية التجارة والصناعات .

وستجد المانيا في تلك البلاد مصارف مهمة لتجارتها تنتفع بها كل الانتفاع ولاسيما اذا

كانت اول ذاهبة اليها على شرط ان تؤسس فيها مملكة مستقلة تحت حماية الصين لا يكون الاسلام دين حكومتها الرسمي بل تكون على الحياد تجري فيها الحرية المطلقة على اصولها لجميع النحل والملل وتتعاهد الدول بينها على ضمانة ذلك كله . والترك التاتار هناك قد افسدهم الحشيش والقمار فلا يستطيعون ادارة البلاد بل تكون الادارة بيد القرغيز وهم اكثر عدداً واكثر متانة وقوة وليس عندهم اثر للتعصب ا.ج

الترغيب والترهيب

طبع هذا الكتاب الجيد التأليف في الهند وهو من تأليف الامام الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري المتوفى سنه ٦٥٦ واعادطبعه الآن احمد ناجي افندي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي الكتبي واخوه فجاء في مجلدين من القطع الكبير تبلغ صفحاتهما معاً زهاء ٦٦٠ صفحة وقد قسمه مؤلفه الى ابواب كثيرة تدور على ماورد في الترغيب والترهيب صريحاً بدون ذكر الاسانيد المطولة وميز بين الاحاديث الصحيحة والحسنة او ماقاربها وبين ماكان اسناده ضعيفاً وان كان من تقدم من العلماء اساءوا التساهل في انواع من الترغيب والترهيب حتى ان كثيراً ذكروا الموضوع ولم يبينوا حاله وقد استوعب فيه جميع ماكان متداولاً في كتب الحديث لعهده . وهو يطلب من طابعيه بالحلوجي بمصر .

لامساسية

الاستاذ اغناس غولدسهير المجري من افراد علماء المشرقيات في اوربا اليوم عرف بابحاث كثيرة كتب بعضها بالالمانية وبعضها متعلق بالملل والنحل وامامنا الآن من ابحاثه الاخيرة رسالة في مسألة السامري وعجل الذهب وروايات الكتب السماوية والتاريخية فيها وقد نشرها في المجلة الافريقية باللغة الافرنسية اولا ثم افردها على حدة فجاءت شاهدة بسعة اطلاعه .

دروس القراءة

اهدينا القسم الاول والقسم الثاني من هذه الدروس للشيخ محيي الدين الخياط محرر جريدتي بيروت والاقبال وفي القسم الاول خمسة فصول الفصل الهجائي والاخلاقي والفكاهي والحكمي والديني وفي القسم الثاني الفصل الاخلاقي والحيواني والفكاهي والحكمي والديني وكلها مشكولة بالشكل الكامل مطبوعة على نفقة محمد شاكر افندي ياسين طبعاً متقناً تسهل على الصغار القراءة من ايسر السبل فعساها تلاقي في المدارس اقبالاً

كشف الستار

صنف السيد احمد بك الحسيني الفقيه الاصولي المشهور نبذة في حكم القابض على المستجمر بالاحجار وانه لا تبطل صلاة حامل الصبي الا ان تحقق نجاسة ثوبه واتى على ذلك بنصوص المتقدمين والمتأخرين عراقيين وخراسانيين وما رجحه في هذا الباب فجاءت رسالة مستوفاة في بابها ترفع الحرج عن المصلين وتشهد لمؤلفها بالفضل المبين وهي في نحو ١٨٠ صفحة مطبوعة طبعاً متقناً بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة على ورق جيد ·

الانشاء العصري

طبع محمد عمر افندي نجا من ادباء بيروت كتابه الانشاء العصري طبعة ثانية مضيفاً اليها زيادات لم تكن في الاصل فتوسع في القسم التجاري منه فمثل اكثر قواعد كتاب التجارة في معاملاتهم واتى على جداول الاوزان والقياسات وقيم النقود المتداولة في العالم وذيل ابواب المعاملات في احكامها الشرعية والقانونية فكانت الزيادة في صفحات الكتاب ١٧١ فاصبح اربعمائة صفحة متوسطة الحجم مطبوعاً في المطبعة الاهلية طبعاً متقناً وفي الكتاب رسائل تجارية واخوانية ورسمية وغيرها وانموذجات من المعاملات واكثرها من اصطلاح سورية بالطبع وهذا الكتاب في بابه مستوفي الشروط فنثني على همة مؤلفه وهو يطلب من المكاتب الشهيرة بمصر والشام وثمنه هنا سبعة قروش ·

المقصور والممدود

هذا الكتاب تأليف ابي العباس احمد بن محمد بن الوليد بن ولاد النحوي المتوفى سنة ٣٣٢ طبع للمرة الاولى في اوربا واعاد طبعه الآن محل محمد امين افندي الخانجي وشركائه · ذكر مؤلفه فيه من المقصور والممدود ما كان منه مقيساً وغير مقيس والفه على حروف المعجم مثال ذلك الثرا فانها تكتب على وجهين فالثرى من الندى مقصور يكتب بالياء لانهم يقولون في تثنيته ثريان يقال كأنه مطر التقى منه الثريان يريدون الثرى الظاهر والثرى الباطن وثري الكثيب يثرى فهو ثريان والثراء في كثرة المال ممدود · والكتاب نافع للمشتغلين باللغة لانه يوفر عليهم عناء الرجوع الى المعاجم للتمييز بين المقصور والممدود من الاسماء اذا اشتبهت عليهم ·

فن الرسم

نظم الشيخ حسين محمد الجمل ارجوزة في ١٦٠ بيتاً ضمنها قواعد فن الرسم والاملاء ليسهل حفظها على المبتدئين بالعربية قال انه اقرأها التلاميذ حفظاً رفعاً فلم يقعوا بعد ذلك فيما كانوا يتخبطون فيه من الخطأ فنشكر له همته ·

سير العلم والاجتماع

الجمعية الخيرية الاسلامية

اصدرت هذه الجمعية تقريرها عن سنة ١٩٠٨ جاء فيه ان املاكها بلغت ٥١٨ فدانًا و١٨ قيراطًا و٤ اسهم ودفعت كل ما كان باقيًا عليها من ثمن اطيانها وبقي معها ٧٥٥٥ ج٠م وبلغ ريع اطيانها ٣٥٣٩ ج٠م وايرادها من اوقافها ٥٠٩ ج٠م وخصص لها في السنة الف جنيه من الاوقاف الخيرية اعانة وعدد مدارسها في القطر المصري ثمان فيها ١٣٣٨ تلميذًا منهم ٦٤٨ يتعلمون مجانًا وصرفت على مدارسها ٦٧٤٤ ج٠م وستنشيء مدرسة لتعليم الفقيرات الخدمة المنزلية وتربيهن التربية الادبية للخدمة في بيوت الاغنياء ووزعت في السنة الماضية ٩٤٥ ج٠م اعانات وعدد اعضائها الآن ٥٤٦ عضوًا والمساعدين ١٢٣ وبلغ ايرادها من احتفالها السنوي ٢٤٤٨ وما تبرع به المحسنون ٥٩٧٠

وقف خيري

وقف احمد مظلوم باشا ناظر المالية المصرية وقرينته ١٧٥٠ فدانًا من اجود اطيانهما وقصرهما برمل الاسكندرية على ذوي قرباهما ومن بعدهم الى جمعية العروة الوثقى لتصرف ريعه في شؤون التربية وخصصا للجمعية حصة يقدر ريعها بالف جنيه سنويًا تتناولها بعدهما.

مدرسة الفنون الجميلة

فتحت مدرسة الفنون الجميلة التي انشأها في القاهرة من ماله الامير يوسف كمال لتعليم التصوير والنقش وهي تسع ثلثمائة طالب وطالبة وقد دخل هذا القدر منهم لتعلم هذه الفنون التي هي بنت الحضارة والارتقاء .

ورق من تراب النفط

يصنعون الآن في ضواحي كاباك من اعمال ولاية مشيغان في الولايات المتحدة نوعًا من الورق بحيث لا تمضي ساعتان على وضع المادة المؤلف من هذا الورق حتى يخرج ورقًا للصر ارق من الورق المصنوع من الخشب واقل منه كلفة وهو لا ينفذ ولا يرشح ويصلح لوضع الفراء والاصواف فيقيها العث وغيره من الحشرات وقد اخذوا يصنعون منه علبًا ومقويات يتطلبها باعة الفرو والثياب ولكن لونه ازرق وهم يحاولون ان يجعلوا منه نوعًا ابيض .

معدن جديد

اكتشف احد الفرنسيس معدنًا جديدًا اسمه البلانشيت La planchéite وهو

موكب من حامض الصوان ومادة أخرى نحاسية ازرق اللون وهو موجود في بلاد الكونغو .

اساقفة الكثلكة

يبلغ عدد الكرادلة الكاثوليك الآن ٦١ كردينالاً منهم ٣٦ ايطالياً هذا مع ان ايطاليا ليس فيها سوى ٣٠ مليوناً ممن ينتحلون الكثلكة من مجموع ٢٣٠مليوناً من الكاثوليك في العالم وللكثلكة ٦٠٥ اساقفة من الاوربيين منهم ٢٥٨ في ايطاليا على حين ليس من كاثوليك المانيا وفيها ٢٢ مليوناً منهم سوى ٢٥ اسقفاً .

ثروة روسيا

احصى احد المدققين ما دخل على روسيا من المال وما خرج منها في خلال السنة الماضية فكان مجموع ما دخل عليها من اموال القروض وغيرها من الواردات غير المقررة عشرة مليارات ومائتين واربعة ملايين روبل وصرفت عشرة مليارات واربعمائة وخمسة عشر مليوناً . وتبلغ ديونها تسعة مليارات وثمانمائة مليون روبل اي ٢٦ مليار فرنك انفقتها في ثلاثة فروع منها اربعة مليارات وستمائة مليون في سبيل الحروب الخارجية واصاب الحرب اليابانية منها ملياربن ومنها ثلاثة مليارات على انشاء الخطوط الحديدية وابتياع بعض ما في بلادها منها واسلفت المصارف العقارية للاشراف والفلاحين ١٢٢٥ مليون روبل كما اعطت مليار بن ثمن اراضي في سيبريا الى اصحابها المستعبدين وفي بلاد روسيا ٤٤ الف كيلومتر من السكك الحديدية ريعها السنوي ٦٥ مليون روبل وتعطي ٢٫١٢ في المئة من اصل المبلغ المقترض لانشائها والباقي تدفعه الخزينة وتزيد واردات سككها حيناً عن آخر بزيادة سكانها وكثرة تنقلهم وجودة المستغلات . وتبلغ مساحة اراضيها الزراعية في اوروبا ٤٣٠ مليون هكتار منها ١٦٥ مليوناً للحكومة والمدن والاقطاعات وغيرها والاراضي في روسيا كثيرة والناس لا يشكون من قلتها بل من قلة توفر بعض الفلاحين على حسن الانتفاع بها . والفلاح الروسي اغنى فلاحي العالم بكثرة ما يملك من الاراضي واقلهم ثروة .

تربية الجنسين

مضت الاشهر الاخيرة والنزاع على اشده في الولايات المتحدة بين المعلمين والمعلمات للبحث عما اذا كان الانصاف يقضي بان ينال المعلمات من المشاهرات بقدر ما يقبض المعلمون . ومعلوم ان الولايات المتحدة تصرف القسم الاعظم من واردات بلدياتها على التعليم . فقد كان سكان مدينة نيويورك سنة ١٩٠٠ــ٣٤٣٧٢٠٢ وميزانيتها ١١٨٧٤٠٥٩٦ ريالاً

تنفق منها على المدارس ١٩٧٣١٦٢٩ والباقي على الدين العام والشرطة ورجال المطافيء والمستشفيات والملاجيء الخيرية وغيرها هذا ما عدا الخمسة ملايين ونصف ريال التي انفقتها تلك السنة على انشاء مدارس جديدة وكانت ميزانية فيلادلفيا في تلك السنة ٣٤٦٠٥٩٤٨ وعدد سكانها ٢٩٣٦٩٧ انفقت منها ٤١٨٦٠٠٠ على المدارس وكان سكان بوسطون في تلك السنة ٥٨٠٨٩٢ وميزانيتها عشرين مليون ريال خصصت منها ثلاثة ملايين للمدارس وعلى هذا فتنفق نيويورك التي ثار فيها النزاع بين المعلمين والمعلمات اكثر من جميع الولايات على المعارف فهي تصرف واحداً من ستة من وارداتها و بوسطون واحداً من سبعة وفيلادلفيا واحداً من ثمانية .

ثم ان عدد المعلمات في اميركا اكثر من عدد المعلمين وما زال عددهن آخذاً بالازدياد اكثر فقد كان عدد المعلمين في الولايات المتحدة سنة ١٨٧٠ — ٧٧٥٢٩ معلماً وعدد المعلمات ١٢٢٩٨٦ فاصبح المعلمون سنة ١٩٠٤ — ١١٣٧٤٤ والمعلمات ٣٤١٤٩٨ وعدد المعلمين ان لم يكن في نقص فهو لا ينمو على العكس في عدد المعلمات فقد كان عددهن منذ ثلاث سنين يربي على عدد المعلمين ثلاثة اضعاف

قامت اثنا عشر الف معلمة في نيويورك يطالبن بحقوقهن قائلات « اذا تساوى العمل وجب ان تتساوى اجرته » فليس من العدل ان يعمل النساء في هذا المعنى كالرجال ولا ينلن من الاجور الا ثلث ما ينال الرجل واذا قدر لمن ان بلغت احداهن الدرجة الاولى تقبض ٢٥٠٠ دولار على حين يقبض الرجل ٣٠٠٠ فاضطرت حكومة نيويورك الى ان تجيبهن الى مطالبهن وزادت ثلاثة ملايين دولار على ميزانية معارفها وكانت عشرين مليون دولار في نيويورك وحده كما تقدم وقد تلكأ مجلس الامة اولاً عن الموافقة على هذه الزيادة للمعلمات ورأى رفضه من الحكمة مخافة ان يتدرج ذلك الى الاعمال الاخرى التي تشارك فيها المرأة الرجل في تلك الديار ويقوم النساء يطالبن بزيادة فيختل نظام البلاد الاقتصادي الا انه لم يسعه بعد الاقرار على زيادة ميزانية المعارف الا ان يأخذ الرجال والنساء بحظ منها على السواء .

كتب مفوض الولايات المتحدة في الإشراف على العمل والعمال سنة ١٨٩٦ تقريراً على ١٠٦٩ مركزاً في ثلاثين ولاية من ولايات اميركا جاء فيه ان النساء يربحن في المعامل اقل من ٢٣ في المئة عن الرجال مع انهن يعملن عملاً واحداً وان النساء يقبضن ٣٤ في المئة اقل من الرجال في المطاعم و ٢٨ في معامل الاحذية و ٤٦ في صنع العلب و ٦١ من صنع الفرش والاثاث وفي معامل السكاكين ١١٦ في المئة والورق ١١٧ ومثلها في المخازن

والمكاتب وفي مكاتب الضمان ٢٩ في المائة وفي مكاتب الوكالات عن ادوات الخياطة ٦٦ في المئة . ولئن كانت الولايات المتحدة تزيد ميزانيتها في المعارف سنة عن سنة فان هذه الزيادة تصرف في الغالب في بناء مدارس فخيمة وابتياع ادوات فاخرة فقد بلغ ما صرفته الحكومة هناك على المصارف سنة ١٩٠٣ — ٧١٠٥٩٩٩١٩٠ ريالاً ولم يأخذ المدرسون والمدرسات سوى نحو ٣٦ مليون دولار . وتبين بالاحصاء ان اقبال الرجال على التعليم قلّ بعد حرب اميركا مع اسبانيا ولم يعد يتمحض للتعليم الا من شغفوا به ورغبت النفوس عن عن اتخاذه حرفة للارتزاق بها وذلك لان المتعلم من الطراز الاول كاولئك الاساتذة قد يربح اضعاف ما يتناول من التدريس اذا انصرف للاعمال الحرة . وقلق رجال العلم في اميركا من دوام اقبال النساء على التدريس وانصراف وجوه الرجال عنه وقالوا بانه سيجيء زمن ينحصر التعليم في اميركا بايدي النساء وقال رؤساء الكليات ومديرو المدارس ونظارها ان تدريس الرجال ارقى من تعليم النساء . واثبتوا ان من الضروريات في التعليم البيان والنظام وان صبر المرأة ووجدانها وادراكها ربما كانت ارقى من طبيعة الطفل المتعلم ولكن كل هذه الصفات لا تجبر النقص المحسوس في اسلوبها في التعليم وذلك لان ضعفها المحسوس عن التفصيل يزيد هذا النقص استحكاماً ويجيء ضغثاً على ابالة فيما يتجلى في دروسها من الابهام يقوم المدرسات في المدارس الابتدائية باعمالهن خير قيام لما ان الموضوع واضح في ذاته وما هو الا حروف وارقام ولكن اذا عهد اليهن تدريس النحو يوردن القاعدة وشواذها ويضعفن عن التبيان وتخونهن اساليب التفهيم وبيان الروابط بين الموضوعات وقد ظهر ان الفتيات يفضلن الاخذ عن المعلمين اذا اردن تعلماً سليماً بسيطاً والفتيان لا يؤثرون التخرج بالمعلمات واذا كانت الكتب المدرسية واضحة الاسلوب لا يقتضي لها الا ان تقرأها المعلمة فتقوم قراءتها مقام الشرح والعبارات المنطقية . ولكن كتب التدريس في اميركا اذا قوبل بينها وبين امثالها في المانيا وفرنسا يتبين انها احط بكثير .

ولا يجب ان يؤخذ من هذا بان الواجب ايصاد ابواب التعليم في وجوه النساء فان المرأة يحق لها ان تعيش كالرجل . ولكن ظهر ان النساء في البلاد الانكليزية السكسونية حيث نحت عزائمهن على منافسة الرجل لا يصلن الى المناصب السامية الا نادراً وهذا مما يثبت ما هن عليه من الانحطاط العقلي . وانا نرى المرأة تنجح احياناً اكثر من الرجل في الاعمال التي يكون الدافع اليها الغرام والهوى اكثر من إعمال الفكر والقوى كأن يكون منهن ممثلات ومغنيات يفقن الممثلين والمغنين ومنذ استولين على هذين الفرعين في اميركا وانكلترا انزلن درجة فن الادب فيهما وسبب نجاحهن بل تفردهن بهذين الفرعين ناشيء في الاغلب من

مسألة مالية وذلك لرضاهن بالقليل من المال على ما هو العكس في الرجال · وستلحق المانيا وانكلترا واميركا في هذا الشأن فيكون نساؤها قابضات على ازمة التمثيل والغناء فيها بعد قليل من الزمن · والعلوم التي تبرز فيها النساء حقيقة على صورة مدهشة هي الرياضيات لان موضوعها يعصمهن من الغلط وتدقيقهن فيها ناشيء من نفس الموضوع لا من قوة عقل المرأة ·

وحريٌّ بالرجال في الشؤون العقلية على الاقل ان لا يحرموا من حقوقهم ولا دليل ينهض على هذه القضية اكثر من ان الاميركي فانه لم يأت بشيء خارق للعادة حتى الآن في عالم العلم وذلك لان المرأة تعده للسير في هذا السبيل قبل دخوله الكليات · وليس النساء مسؤولات عن الميل في اهمال التهذيب المنظم للذاكرة ولكنهن لم يخلقن على ما نرى يعلمن الولد طريقة صالحة في تصحيح الافكار اما من حيث الاخلاق فان تعليم النساء للرجال ليس طالع خير فمنذ سنين ذهب بضع مئات من الاساتذة والمعلمين الانكليز الى اميركا على نفقة المستر موسلي احد اغنياء الانكليز للبحث عن طريقة التربية في الولايات المتحدة ومما لاحظوه ملاحظة خاصة في تقريرهم تأثير التربية التي تربيها النساء الرجال واثرها المدهش في المجتمع الاميركي ونعني بهذا التأثير قلة اخلاق الرجولية فيه وما كانت ملاحظة تلك اللجنة هي الاولى من نوعها بل ان غير الاميركيين كثيراً ما كانوا يدهشون مما يبدو لانظارهم من هذا القبيل

رجال الاميركان يعنون من وراء الغاية في المحافظة على الست وثلاثين الف قاعدة في مصطلحات المدنية الاجتماعية فيبالغون في التأنق بلباسهم مبالغة مفرطة ويدققون كل التدقيق في القيام باقل ما تقتضيه سنة الازياء ويرققون الفاظهم ترقيقاً يقربها ابداً من التكلف ولا ينسب ذلك الا لتسليم مقاليد التربية للمرأة · ولو استطاع المرء ان يكون تاماً في هذا المعنى لما كان في ذلك بأس بل قد يحدث كثيرا ان المبالغة في التزيي والمنافسة في الحصول على صفات الظرف الذي لم تجمله الطبيعة من خصائص الرجل تعبث بمروءته ولكن اذا كانت اخلاقه من المتانة بحيث لا تفسد رجوليتها لا تلبث الرجولية ان تزيد فيه مستقلة عن كل تأثير من تأثيرات الحضارة ولا يكون تكلف الظرف واللطف الا ظواهر خادعة وبعد عن درك علاقة التمدن والتجمل في الحياة الاجتماعية بحياة الاعمال · وقد ادرك بعض الاميركان نتيجة هذه التربية النسائية وسجلوا شيئاً من سيئاتها متى جاوزت حد القراءة والكتابة والحساب · ومن سوء اثر هذه التربية في الاميركان ان الرجل يرى نفسه احط من المرأة مهما تصنع لها ويرى من كرمها انها تعطف عليه وهكذا حتى اصبح المجتمع الاميركي انثوياً فيه من ضروب التكلف والغرابة اشكال والوان — انتهى ملخصاً من مقالة لاحد علماء فرنسا

المقتبس

الجزء الثامن من المجلد الثالث

شعبان سنة ١٣٢٦ موافق سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٨

صدور المشارقة والمغاربة

مومسن

حدث في اوربا منذ عام ١٨٢٥ بما تجدد في الحياة الاقتصادية من النواميس انقلاب هائل بفضل تمديد الاسلاك البرقية وتمهيد الطرق الحديدية وتكاثر الآلات الميكانيكية واستخدامها في العمليات اكثر من النظريات فقامت الصناعة والتجارة والطرق البحرية والسكك الحديدية والبواخر والمرافيء والترع والمعامل والمصنوعات والمستودعات بل وكل ما يُدعى بلسان الاقتصاد الصناعات الكبرى واخذت كلها تظهر على الولاء بظهور الافكار والآثار. حدث هذا الانقلاب في المانيا بعد ان تأخر قليلاً اي بعد عام ١٨٤٠ قال هنري تريشك: «كانت الانتخابات في ذاك الزمن والمناقشات في الامور الادارية مطمح انظار الرجال وموضوع تأملهم حتى جفت الحياة العائلية او كادت ... اما النساء فانهن اخذن بالاشرئباب الى الدخول في الاعمال التي كان قبض عليها الرجال الى ذاك الحين ونتطاللن للتنقيب عن السبيل المؤدية بهن الى مضارعتهم ضاربات صفحاً عن دعوى ما يحدث مما اتصفن به من صفات الانوثة وحدها فقط من التأثير في حياة المجتمع الانساني. وقد كانت ايقظت المطبوعات العامة والآداب في الخلق لذة العمل والهمة والثبات حتى ان ميزات ذلك الزمن العظيمة قد تمثلت في الاثاث والرياش»

وقع هذا الانقلاب في حياة الشعب العلمية والفكرية والصناعية ايضاً ايام كانت المانيا

مدينة الفلسفة والاديات والعلوم التاريخية فقط وكان لها بعض الصيت في فروع العلوم الطبيعية الاخرى .

فلم يمض على الالمانيين بعد ان وجهوا نحو هذه العلوم وجهة السعي والتفكير حقبة من الزمن حتى اخذوا منها السهم الاوفر فبزوا بها و برزوا واتيح لفريق منهم بعض ما هو جدير بالدهشة من المخترعات والمكتشفات : فاظهر من مستحضر " Giessn " واعني ذلك المكتشف المهم في تحولات المادة العضوية بدل نواميس الحياة وما وجده « دود » من ناموس سير الرياح في الفلسفة الطبيعية كان أساً لعلم الظواهر الجوية الجديد .

وتبدلت الفلسفة ايضاً تبدلاً كبيراً فقد بدأت اولاً بتعديل نظريات الفيلسوف هيكل بعض التعديل باخراجها من دائرة الفلسفة المحضة على ايدي تلاميذه الافاضل وتطبيقها على الحياة العامة . وعلى اثر هذا اخذ ماشوت ينظر في قوى الدماغ وحركاته حتى وفق الى تحليله تحليلاً كيماوياً وقام العالم كارل فوغت واسس قبل داروين مذهب التحول « ترانسفورميزم » في كتابه اوقيانوس والبحر بينما كان داود استراوس يحدث ثورة هائلة بمصنفه حياة عيسى وتداول نظريات ديدرو وهلوشيوس المادية وانفرد ناظراً في الجزء الفرد والهيولي واثار العالم فورباخ في ذاك الزمن عالم البابوية بمؤلفه المسمى حقيقة النصرانية .

هذه هي نسمات الافكار التي كانت تهب في عامة انحاء المانيا والآداب اول ما استهدفت لمؤثراتها فقد حل محل ذلك الجيل الخيالي جيل مفتتن بالحقائق غير المجردة مولع بالوقائع والحادثات الطبيعية وهو الجيل المادي الذي لا يعرف غير التحقيق مشرباً .

وانك لترى حينئذ الاديات الخيالية اشبه بألهية بسيطة يتلهى بها الفتيات وقد نضبت مياه الشعر المترقرقة وجف نبعه السيال .

***

اعظم ادباء هذا الدور غستاف فريتغ الذي كان نابغة في بث روح الحقيقة على ما هي عليه فيما كان يرويه عن سذاجة حياة الطبقة الوسطى من الناس في قصصه الهزلية ورواياته وكثيراً ما كان يكافح مذهب الخياليين Romantisme

ولقد هم فريتغ بالقضاء على هذا المذهب فقام واسس في ليبسيك بمعونة صديقه جوليان اشميد مجلة تدعى : كرانزتدن وكانت صبغة هذه المجلة سياسية ونزعتها بروسية علناً

دخل غستاف فريتغ عالم الكتابة عام ١٨٤٤ بمؤلفه القصصي المسمى « العلم » وهو عبارة عن سلسلة ابحاث في التربية العامة . وكان رجلاً من اقوياء الفكر وعباد الحقائق غيوراً ليس في نفسه اثر للرحمة في مقاومة ما بطل من الافكار والخيالات وبه اصبحت بلدة

ليبسيك مركزًا ناريًا لاذاعة الدعوة البروسية ونشرها في الانحاد فاجتمع حول مجلته عام ١٨٤٨ شرذمة من اولي الفضل الواسع ممن يحبون بروسيا واوضاعها حبًا جمًا

ومنهم فوَدال وكاتوليك اللذان شهرا على مذهب الخياليين حربًا عوانًا ادارت رحاها الاقلام وازمعا كما قال اشميد ان يبترا تلك القطع الفاسدة من آداب الالمان وينبذاها نبذ النواة فكانا يجدان في ان يكتب القول الفصل للسياسة البروسية في كل صقع آتيين على كل ما فيه اثر التصنع ومسحة التكلف والتعمل وغير ذلك مما كانا يعدانه من الآفات المجتاحة لعواطف الجرمان واخلاقهم ومباينًا لسعادة الامة وحسن نظامها . وعندهما ان لبروسيا فكرًا سيحمل الى ماضيها تاريخ مجد مؤثل بالرغم من مقاطعاتها الناقصة وحدودها المتنائية . ولهذا فان الالمانيين راغبون من اجل سعادتهم عامة وسلامتهم في اعلاء اسم الجرمان باتحادهم تحت لواء تقدم بروسيا نابذين امتيازاتهم وشعورهم الشخصي ظهريًا . ولما اثنى فريتغ لاول مرة في ليبسيك على مهمة بروسيا وموقعها من المانيا حول قسم كبير من منوري الافكار في المانيا انظارهم نحو بروسيا التي كانت جندية الحلية اريستوكراتية المنزع غير مفكرين فيما يتخلل نظرياتهم السياسية ومذاهبهم من التناقض على ان الفرق طفيف جدًا بين عالم الالمان — ذلك الجيل الناشئ على افكار داروين واستراوس الفلسفية و بين جنود بروسيا : فكلاهما مولع في النقاط الحقيقة ومن ذوي القوة والبطش والاقتدار . اما بروسيا فقد كانت هيئة مسيطرة على ضروب المذهب الحقيقي : على السياسيات والادارة والجندية والاقتصاد و بالجملة فقد كانت متشبعة الروح بجميع انواع مذهب الحقيقيين . وامتازت بخصلة هي فوق ذلك كله وهي انها كانت تحس بوجود ميل خارق اسحق الفرنسيس كلما اقتربت منهم .

ذلك هو الفكر الذي جال في خاطر طلاب كلية المانيا الجديدة « بروسيا » منذ عام ١٨٥٠ واول من كان موفقًا لايفاء هذه الوظيفة على غاية ما يمكن ان يكون من الاتقان والكمال المؤرخ « مومسن » :

تيودور مومسن من اغرب الالمانيين خَلقًا وخُلقًا اجتمعت في نفسه الاضداد باجمعها فهو عالم كبير كما هو خيالي كبير ومع هذا فقد كان يوصي الناشئة الجديدة في ان يتلقوا ماله من الخيالات نموذجاليس من ورائها فائدة تذكر . وهو ديمقراطي على حين لم يوفق احد الى خدمة المذهب القيصري « سزاريزم » تماثل ما عمله في مصنفه تاريخ رومية . ولد عام ١٨١٧ (ومات سنة ١٩٠٣) في مقاطعة غاردينغ من اعمال شلزويق حيث كان ابوه راهبًا . ونشأ على هذه القطعة الساحلية الغربية التي كانت ترى براعيها الواسعة وحقولها الشاسعة ذات غضار

ونضارة من الداخل اشبه بلون بحيرة تضطرب بأمواج كالجبال من الخارج واذا عملنا بآراء احد القائلين بمذهب تين من المؤرخين كان من تنفجر عنهم الحياة في محيط كهذا مكتئبين مكدرين في حين كان مومسن من ابدع انموذجات الابداع البشري حياة وابتهاجاً وابتساماً . والصحيح ان هذه النموذجات غير نادرة في المانيا .

يظن الفرنسيس ان اقليم البلاد الشمالية البارد الذي يتخلل سكونه حزن مهيب يلد اناساً قد لعبت بهم الهموم وتقسمتهم الغموم على العكس في اقليم البلاد الجنوبية الزاهر المستنير باشعة الشمس المشرقة فانه يلد عنصراً خفيفاً ارعن . والحال ان عكس هذا في الغالب واقع في المانيا ولا سيما في الجنوب فان في صحاري سواب الخصبة المعشبة وفي الكروم التي تروى بنهري الرين وموزل قد نشأت عقول واسعة رصينة وفي وسعها ان تحيط بالعالم بامره . والشعراء الذين نبغوا ثمة قد تغنوا بماهية حياة الجرمان وحقيقتها باناشيد لطيفة خفيفة غير انها ثقيلة الاوزان . اما في الانحاء الشمالية فان صحاري بوميورانيا وبراندنبورغ المبثورة حدودها قد انشأت قادة عاملين وساسة جسورين وكانت هنا حتى الادبيات تلعب بها اميال الحرب والجدال وسرعان ما كانت تدخل في شكل المعارضة .

مومسن هذا من نابتة ذاك الجنس اذا رأيته رأيت رجلاً مقداماً ان تحرك فكأنما يتهيأ لعمل جديد . وانه بسيمائه العصبي الذي ينم عن كل خبر وعينيه اللتين تبرق منهما اشعة الحيلة والمكر وشفتيه اللتين ترتسم عليهما ابتسامة الاستخفاف والاستهزاء يذكر بفولتير العظيم وهو يعض اطواره المنبعثة منها عوامل القسوة والغدر حتى في حالة السرور والنشاط وبوجهه الذي نال منه المقراض فلم يبق ولم يذر اشبه ببولكه القائد حذو القذة بالقذة . اما سيماؤه الذي يتراءى من خلال مصنفاته فهو عبارة عن شخصية غريبة مؤلفة من طبيعة متسرعة منفعلة متوقدة اي من حدة المزاج ممزوجة بطبيعة اخرى حقيقية ماهرة في استخراج المغالطات المادية العملية وفخ المناطيد التي وسع نطاقها حب التفاخر والغرور

***

في مومسن شخصان لا يجتمعان كل الاجتماع ولا يفترقان : عالم وصانع . ولا شبهة في ان العالم مومسن هو من خوارق القرن التاسع عشر ومن اعظم من هم جديرون بالتجلة والاحترام فان معارفه وسعة اطلاعه منوعة تنوعاً غريباً وانك لترى مجلته التي رأسها خمسين سنة وطابا حفل بما لا يكاد يتناهى من الكتابات في تلك الموضوعات المختلفة كآثار رومية القديمة وعلم الالسنة وعلم المخطوطات وعلم المسكوكات والحقوق وعلم الاساطير هذا عدا
ء به العظيم الذي جمع فاوعى من التدقيق والتحقيق العلمي الواسع وغزارة المادة وجودة

المصادر مما اهله لبلوغ اقصى درجات الارتقاء . ولقد كانت للمترجم به ملكة كبيرة وقدرة باهرة في قراءة الالسنة القديمة الميتة ومؤلفاته برمتها شهادة ناطقة بالبرهان على انه كان موسوعة من موسوعات العلوم .

كان مومسن يرى مع من يرى ان العلم غير منحصر في دائرة محدودة وانه عام مشاع . لهذا كان لا يستحسن تهافت الالمانيين على تعميم فكر الاخصاء ولا يقيم لتهالكهم على انتشاره وزناً . فقد قال في خطاب اورده في مؤتمر برلين العلمي في اللغة اللاتينية : « الاخصاء في فرع من العلوم فقط واجب ولكن ليس من الواجب الاقتصار على ذلك الفرع والضرب دون غيره باسداد بل يجب على الطالب السعي لان تتوفر لديه المعارف في هذا الفرع وان يصيب حظاً من كل شيء ... فما اصغر هذه الكرة الارضية واحقرها في نظر من لا يرون غير كتاب اليونان واللاتين وطبقات الارض والمسائل الرياضية في هذا العالم الفسيح ! ... »

ومن غريب التضاد كون مومسن مفتناً خيالياً مع سعة اطلاعه العلمي المدهش . وانك لتذهل عند ما ترى هذا الرجل في نفس الامر الذي يحمل تلك الجبهة ذات القوة والتؤدة والوقار من الشعراء المتأثرين . غير انه ليس نظير ميشله المؤرخ الفرنسوي الشهير تأخذه المزة والانفعال الكل جميل فهو لا تأخذه رحمة وشفقة لآلام من يفترشون الارض ويلتحفون السماء من بني آدم ولكنه صاحب عقل متأثر لا يتبين الا بمتانته وقوة دهائه فقط في هذا العالم وهو من اجل الاشياء التي تثير ضياء وشررا اشد ما يكون احتداماً وهياماً .

كان من المحتمل بقاء غرائز مومسن في العلم والصناعة طي الخفاء لولا ان قيض الله لها رجلاً في برلين عام ١٨٥٠ يعنى بنشر المؤلفات فرغب اليه كتابة تاريخ لرومية اذ كان يبحث عن كاتب يشغله في كتابة امهات التاريخ . فاصاب ذلك الرجل المرمى في اختياره هذا لان المترجم من المشاهير الباحثين المدققين ارباب الاطلاع على تاريخ رومية . ومن المعلوم ان اساطين العلم لا يقدمون في الغالب على تأليف كتب تتناولها الايدي عامة وتتداولها الطبقات كافة . وقد حصلت له ملكة سامية جداً عند ما كان يعاني من صناعة الصحافة ما يعاني ولهذا ظهر تاريخ رومية مؤلفاً ثميناً . وليس مومسن من تلك الطائفة الشامخة اساتذة الجرمان التي اتخذت العلوم المنتسبة اليها ديدنها وقضت حياتها وقفاً خالصاً عليها بل هو اشد ما يكون تأثراً وانفعالاً للمسائل العامة .

ربي مومسن في كلية كيل بجهيزته بجهاز حب بلاده حباً جماً ولطالما قرّع اولئك الذين يقولون انه يجري في عروقه الدم الدانيماركي بقوله : « ان من يدعون ان مدينتي شلزويق وهولشتاين ليستا من تراب المانيا هم في الحقيقة معتوهون مفتونون . ولم يدخل مومسن في

السياسية خلال سنة ١٨٤٨ وهو وان لم يحضر بصفة عضو رسمي في مؤتمر فرانكفورت فقد كان من ادهش المحامين عن حقوق الافراد في ذلك الحين . فقد دافع اشهراً عن قواعد السياسة الحرة وانقطع هو ورفيقان له في مدينة زوريخ من اعمال سويسرا عند ما نحي عن منصب تدريس حقوق رومية وكان استاذاً له في كلية ليبسيك عام ١٨٥١ ولم يهتم ان أعيد كرسي التعليم ثمة واصبح يشتغل بتدريس ذلك الدرس نفسه زهاء سنتين . وفي عام ١٨٥٤ غادر سويسرا بدعوة من حكومة بروسيا الى كلية برسلو . وكان يرجو دائماً تقدم شبان هذه المملكة ولطالما قال : « ان حياة بروسيا تتوقف كل التوقف على سلوكها سبيل التقدم الذي مهده لها فريدريك الكبير » .

هذا وان بين مومسن و بين ابناء صناعته فرقاً بعيداً وذلك انه ظل صادقاً مستقيماً حتى نهاية زهو شبابه ولم يكن ليحفل مثلهم بفخفخة ما اتاه من امارات النصر ولا عظمة ما ناله من بوارق التوفيق

***

كان بدء احتفاظ مومسن بافكاره على ما شوهد اشد الاحتفاظ بين سنة ١٨٦٦ و ١٨٧٠ والامر الذي كان يتطلبه هو ان تكون المانيا عظيماً سلطانها منيعاً جانبها تفيء باشعتها العلمية العالم المتمدن باسره . ومما حكاه : « ان تلك الشؤون السياسية قد شغلت حتى علماء المملكة سنين كثيرة . وهذا وان كان يستند على اسباب معقولة مشروعة غير انه حان زمن الاقدام والرجوع الى الاعمال بعد ما تبينت نتيجة كل شيء ... » وكان يقول : « من الواجب معالجة ينابيع قوى المانيا بالقوة وتوسيع نطاق علوم الالمان وكشف غطائها بالعمل » ولطالما حقر مومسن اولئك المتعصبين الذين كانوا يناهضون الموسويين بابلغ ما يمكن تصوره من عبارات التحقير عاداً انواع هذه المبارزات الجنسية والدينية من رجوع القهقرى لاظلم ايام القرون الوسطى واشدها اسىً وبؤساً . فمن ثم نددببعض ضعاف الفكر من حسدة حزب الوطنيين مبيناً بطلان دعاوي تلك الفئة الواهية الواهنة ممن ادعوا بان الموسويين عقبة كؤد في سبيل تكوين امة قوية المنعة مصونة الحمى و يبين بمستندات تاريخية جمة انهم مستعدون لكل ضروب التقدم والارتقاء وانهم على العكس مما يظنون . وانتقد سياسة بسمرك انتقاداً شديداً فحاكمه الوزير الى المحاكم فحكمت ببراءة ساحته وكان عضواً في مجلس الامة

ليس بين المؤرخين من يقاس بمومسن في تحبير الصفحات التاريخية العقيمة او تحريرها غير ارنست رنان فقط . فتلك التصورات الواسعة واحدة والنسبة فيما بينهما واحدة كما ان قوتهما في البيان والاداء سواء . اما المهارة في اشراب روح الحياة للاشياء كما كانت

باظهار دقائق التفاصيل والفروع الواسعة التي من شأنها ان تبقى في الحافظة منقوشة فواحدة ايضاً في المؤرخين مومسن ورنان ٠

ولما كان مومسن ايضاً كسائر مؤرخي الالمان المتفرعين عن نيبور يهتم كثيراً بحياة الامم الشخصية وكيفية نشوئها وانتشارها فانه وجد تاريخ رومية مساعداً كثيراً لايفاء هذا المقصد الذي يتوخاه ٠ ولما حل مسألة الوطنية ووضعها رغب في تعليها معاصريه وكان مثل هيبولت تين يستمد من المخترعات العلمية والمكتشفات الفنية بأجمعها لان تقدم العلم ولا سيما ما يتعلق منها بعلم الحياة قد ساعد التاريخ كثيراً ٠ فقد نقب مومسن اولاً عن بعض ما خصت به ولم يقبل ما في مذهب تين من المادية البحتة بل ولا جميع افكار المؤرخين في هذا الباب ومن جملتها امكان استخراج خصوصيات امة من اخلاقها الخاصة بها بل من الامور التي هي من قبيل الاسباب المادية كالتراب والهواء ونمط الغذاء ٠

وكان نظره متجهاً نحو « الحجرة الابتدائية » للامة الرومانية لان بها فقط امكن لرومية ان تحكم ايطاليا فالعالم اجمع ٠ فاجتهد في كشف اسرار الرومانيين وسبب تفوقهم على الامم القديمة متخذاً ذلك له اساساً متيناً فاذا اراد تعليل فوز الرومانيين وغلبتهم بدأ في اظهار ذكاء هذا الجنس البراق وما فطر عليه من حب الاقدام والعمل وما يشعر به من تقديس الواجبات والقيام بها حق القيام وهكذا بعد ان تتبع كما رأيت احوال الامة الروحية في سائر مظاهرها ايام كانت عروق الحياة تنبض في جسمها وهو راغب في ان يجلو تاريخه على هذه الافكار كلها ثم يزفه للناظرين

على هذه الاصول نفسها جرى تين ايضاً في عامة مؤلفاته الانتقادية المهمة ولا سيما تاريخ ادبيات انكلترا ٠ وهذا الاسلوب من جياد الاساليب غير ان له محذوراً واحداً وهو ان الحادثات تلد طبيعية والرابطة التي في خلالها تأخذ شكلاً منطقياً متسلسلاً بحيث يخيل ان هذه كلها قد اعدت من ذي قبل والنصر المتوالي الذي بدأ من ابواب رومية ثم وقف في اقصى تخوم العالم المتمدن يشبه مصوّراً «خارطة» قد رسمت بداءة بدء وعول فيما بعد على ادخالها الى حيز العمل

فالمترجم نظر الى تاريخ رومية من نقطة سياسية تماماً ويشاهد ما بذله من العناية في جماع مظاهر الحياة القومية للنظرة الاولى ٠ وفصول كتابه في الزراعة والتجارة والصناعة والآداب اجمع ما كتب في مثل هاته الموضوعات حتى الآن ٠ ومما كان برئيه ان السياسة هي اهم واسطة لبيان احوال حياة الامم وهي التي تحدث تجديداً وانقلاباً في جميع الشؤون

لتتبع التاريخ السياسي وتدقيقه خطتان الاولى : خطة توكفيل الفلسفية وهي عبارة

اتخاذ اوضاع الامة وقوانينها المادية والفكرية اساساً والعمل على كشف اسرار تولدها ونتائجها اكثر من النظر في حوادثها وكائناتها ويصح ان يقال ان هذه الخطة علمية لأن الكاتب لا يظهر نفوره او ارتياحه لحالة سياسية معينة . ومن ثم كان ذلك المؤلف غيرياً لا انانياً . والثانية تعليل الحوادث التاريخية ببعض افكار تنطبق على آراء سياسية واجتماعية او دينية وبها يختلف التاريخ حسب النظر ووجهته .

ولقد وقى مؤرخو الالمان انفسهم في الربع الاول من القرن التاسع عشر من هذا الاسلوب التاريخي الذي اتخذه كتاب الانكليز والفرنسيس مثالا يحتذونه . وهذا نيبور ورانك المؤرخان الالمانيان يصفان الوقائع التاريخية ويصورانها دون ان تشتم من تضاعيف سطورهما رائحة تحزب او تعصب بتاتاً .

وفي عام ١٨٥٠ نشأ صنف من المؤرخين على غير تلك الطريقة والسبب في ذلك اجتماع طائفة من الاساتذة الافاضل في مؤتمر فرانكفورت واشتغالهم بالسياسة بعض الاشتغال حتى اذا ما نقلوا مشاغلهم الخارجية الى ارائك تدريسهم اخذوا يضعون موضع المذاكرة والبحث هاته الاحوال السياسية الحاضرة التي اورثت المسائل السياسية الغابرة تلك الاطماع وذلك هو نتيجة الثورة السياسية سنة ١٨٤٨

وهاهو ذا مومسن قد حاز الاولية بين فريق هؤلاء المؤرخين هذا الرجل الذى كان يخيل حينما يكتب تاريخه ان تعليلاته تنطق على التجارب الماضية على حين ان القسم الاعظم منها كان ناشئاً في الغالب من شعوره الذاتي وتابعاً لاحوال محيطه وقوته المخيلة

زبدة فلسفة تاريخ مومسن « براز في سبيل الحياة » براز دائم من اجل تكوين جامعة سياسية وضمان عظمة قومية . وعنده ان تاريخ رومية يمكن تلخيصه بعدة فتن وحروب بدأت فيما فرط باعداد الجيوش وسوقها كما بنيت على اساس تجاري ودولة رومية الزراعية التجارية التي تحيط بها قبائل الاعداء من كل ناحية وجهة تحارب اولاً صوناً لتجارتها من ان تبور حتى اذا ما انصبغت السياسة اذ ذاك بصبغة حكومة مطلقة تعمل على التهام ما حولها مما لا يزال فتيا .

وكثيراً ما تجد مومسن يرجع الى هذا ناموس حياة الامم فيعتبره بمثابة ناموس الثقل في موقعه ومساس الحاجة اليه . وكان يقول : « لما كان المقصود الاعظم من التاريخ المدنية والمدنية تعمل على تشذيب ما ليس فيه قابلية للنمو واستعداد للنشوء من الاغصان كما ينبغي كانت الحروب عبارة عن آلة جسيمة من الاصلاح لانشاء الرقي العام وان سعادة مملكة ليتوقف على تبدل مبارزاتها الى حروب ! ... »

الا وان فلسفة تاريخ كهذي تناسب جداً حال امة — بروسيا — تحارب نفسها بنفسها مرات ثلاثاً متتالية وتساعد كثيراً على تعميم الرقي والتقدم في المانيا اولا ثم في اوربا والعالم اجمع . ومع هذا فالمترجم لا يفهم صوته الى صوت الفيلسوف هيكل في قوله : « ان وراء كل حرب فكراً اخلاقياً والقوة والفضيلة « لفظتان مترادفتان » ولا هو ايضاً من ارباب الاشتغال بالاخلاق . وكان يقول بهذا الناموس التاريخي : « الحق مع القوة والتاريخ يكسر في مهب عواصفه العاتية الامم التي لا صلابة فيها ولا مرونة كسر الفولاذ دون ان يشعر بأثر رحمة او شفقة مطلقاً »

هذه هي نظرياته التاريخية التي يظل الانسان حائراً حينما يرى انها وامثالها يدافع عنها ويحامي في وطن رجل مثل ذلك الفيلسوف كانت . لكن مظهر المانيا عام ١٨٥٠ تغير عما كان عليه على عهد الفيلسوفين العظيمين فيختي وكانت . اذ ان فلاسفتها المحدثين اروها ان الاحوال والمواقع في تبدل دائم وان قيمة الحقوق نسبية والقابض على ازمتها هي « القوة » فقط . ذلك هو ناموس الدام الذي ليس في امكاننا مهما احسنا النقد نقضه او تبديله . وناهيك بناموس كانت فلسفة بسمارك بأسرها عبارة عنه .

اول درس رغب مومسن في القائه على مواطنيه وصيته العظيمة : « لا تكونوا ابلهاً اغراراً » ولقد تحققت امنيته تلك . فان الجنس الذي اوجد بسمارك لا يمكن ان ينسب اليه بله او غباوة في حال من الاحوال . وان تقدم امة الجرمان ليصادم النظر في اغلب فصول كتابه فبينا هو يبحث عن الغاليين مثلاً اذ يشرع في وصفهم بقوله : انهم شعراء اذكياء ذوو قلوب صافية سرائرها وليس بهم قوة ولا طاقة غير انهم طائشون يرتاعون من العمل في الحقول والمزارع ويرتاحون للحانات والعربدة ويعتبرون قسيسهم اباً ومنه يرجون النصح في كل شيء . وكان مومسن لا يحب الفرنسويين بتة ومن اجل هذا فانه حيا تلك المعركة التي نشبت سنة ١٨٧٠ على انها للالمانيين تخلصاً لهم يحررهم من داء تقليد فرنسا . وقد بحث في كتاب كتبه لارجاع الايطاليين عن فكر اتفاقهم مع فرنسا في اضمحلال بابل الجديدة « باريز » وسقوط ادبيات فرنسا التي هي اشبه بنهر السين انساخاً ودنساً .

هذا الميل الذي كان يشعر به مومسن نحو بلاده كان يجول في خلال كل سطر من تاريخه وفوق ذلك فانه كان يرى العناصر الاخرى بجانب العنصر الجرماني منحطة جداً . ولم يكن يميل للامة اللاتينية وان كان يتظاهر بذلك احياناً ولم يكن مصدر ذلك حب حقيقي وزد على ذلك فانه كان لا يرتاح الى افكار هذه الامة مع ما اوتيه من المواهب الطبيعية وما فيه من المبادىء السامية وما أتيح له من معرفة العقلاء ومما قاله في ذلك « ان

الايطاليين لا يمكن ان يدخلوا في مصاف الامم التي تلعب في طبائعها الغرائز الشعرية لفقدان تأثر افئدتهم انما لا تقاس أمة بالايطاليين في البلاغة والفاجعات ... »

وانك تجد لسانه الجائل في تلك الابحاث وهو يحكم حكماً باتاً قاطعاً مرتبطاً بفكره وشعوره تمام الارتباط . فهو مثل تبين حذو القذة بالقذة لا ينحرف عن الاسلوب الذي تمسك به قيد شبر . وفيما هو يكتب في التاريخ يبين الآراء ويثبت ما اتى به من نظرياته الخاصة تراه يطرح من الوقائع كل ما يوشك ان يوقع في هذه الآراء والنظريات خللاً ...

فهو يريد ان تكون الامة الرومانية سالكة السبيل الذي اختطه لها لا تحيد عنه ذات اليمين او ذات الشمال . خذ اليك مثلاً ذهابه الى ان الدهاء في غير السياسة لا اثر له في الرومانيين وجزمه بماذهب اليه جزماً باتاً تجده يعزز هذا الحكم باستنتاجات قوية وبراهين جلية متينة . وان الالمان ليتراءون له من جهة الانتظام اتم من الرومانيين الذين هم واولئك في السياسيات والمعارك سواء . وكذلك يشعر المطالع من طرف خفي بمدحه الالمان في خلال حطه من العنصر اللاتيني وانه ليفاخر قائلاً : ان القسم الذي وقف سداً منيعاً بكل ما فيه من قوة ورباطة جأش امام هجمات الغول على رومية كان مؤلفاً من جماعة الوطنيين فقط الذين يجري في عروقهم دم الجرمان .

وهكذا جاء الكتاب من اوله الى آخره على هذا المنوال فهو اشبه بقصيدة نظمت للذب عن المانيا والالمانيين . وبعد فليس بالنزر التافه القليل الذين استفادوا من تلك الدروس التي القاها مومسن في تاريخه وافادوا بما جمعوا من المؤلفات الجمة في احوال عنصر الجرمان الروحية التي دعت اساتذة التاريخ والجغرافيا واهل الاخصاء في علم الانسان الى ان يبينوا افضل عنصر الجرمان على رؤوس الاشهاد فملت الفوضاء حتى في الكتب الجغرافية المدرسية « بان المانيا قلب اوربا حقيقة وان ما في فرنسا من كل شيء جميل انما هو مدين لعنصر الجرمان ! .. »

معربة عن التركية

دمشق ص ...

المسلمون والذميون والمعاهدون

الاحساس دليل الحياة !

التضامن رائد العمران !

(تابع ما قبله)

جاء في عرض كلامي عن الاقباط في الجلسة الماضية انهم يعاقبة واعتمدت على المقريزي وابن خلدون وسائر المؤرخين . فلم ترق هذه الكلمة في عين حضرة صاحب المجلة القبطية فاستدركها وقال انهم ارثوذكس . ولكن رأي المقريزي في ذلك يؤيده العلامة القبطي ابن البطريق وقد اعترف حضرته بذلك . فليكن الاقباط ارثوذكسا او ملكيين او ملكانيين او نساطره او كاثوليك او بروتستانت او يعاقبة او موارنة او مرقولية وليقولوا ما شاؤوا في اللاهوت والناسوت والحلول والاتحاد والمشيئة والاقنوم والطبيعة فانما هم مصريون قبل كل شيء وتلك امور داخلية وعقائد تعبدية ليس لها مساس بموضوعنا الذي نحن فيه اليوم .

ولكنني لا اترك هذه الفرصة دون الوقوف معه ومناقشته في قوله ان عددهم كان عند الفتح الاسلامي ثلاثين مليونا . وغاية ما اقول ان عبارته عليها مسحة من المبالغة الشرقية التي لا مصداق لها سوى الخيال . انا لا احب المناظرة لانني اعتقد ان تولع الشرقيين بها قد اوجب ما نراهم عليه من التقهقر والانحطاط . ولكنني لا يسعني ان امر على هذه الكلمة بدون احتجاج ولو كانت من غيره لكانت مما لا يؤبه له ولا يعتد به اما وقد صدرت من فاضل مشهور بالتدقيق والتحقيق معروف بسعة الاطلاع وكثرة التنقيب فليس له ان يرسل القول جزافا دون ان يعززه بدليل او بشبه دليل .

وقال ابن البطريق القبطي ان المقوقس اجتمع مع عمرو بن العاص على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض على جميع من بمصر من اعلاها الى اسفلها من القبط دينار بن دينارين على كل نفس شريفهم ووضيعهم ممن بلغ الحلم منهم وليس على الشيخ الفاني ولا على الصبي الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا النهى شيء واحصوا عدد القبط يومئذ خاصة ممن بلغ منهم فكان جميع من أحصي ستة آلاف الف انسان فكانت فريضتهم اثني عشر الف الف دينار وفرض عليهم هذين الدينارين ودفع ذلك عن ارقابهم بالايمان المؤكدة

وقد اجمع المؤرخون من المسلمين وغير المسلمين على ان رجال مصر البالغين لم يزيدوا في

ذلك العهد عن ستة ملايين . وليس يصح في الاحلام ان يقال ان النساء والاطفال والشيوخ الفانين كان عددهم اربعة وعشرين مليوناً اي اربعة اضعاف هذا العدد . وانا اقول ان الاقباط اهل ذمة ووفاء فلا يصح ان يقال انهم دلسوا في الحساب وخانوا في الاحصاء فضلاً عن قيام العرب عليهم لان مصلحة الفاتحين كانت تقضي بزيادة عدد الرؤوس لتتضاعف لهم الاموال وتبلغ الجزية ستين مليوناً من الدنانير بدلاً من اثني عشر الف الف دينار .

فنحن اليوم في عصر النور والتحقيق وياحبذا لو انا نربأ بنفوسنا عن تلك المبالغات الشرقية . وسعيد بن البطريق هذا هو قبطي مصري قال المكين انه تولى بطريركية الاقباط فكان في ايامه شقاق كثير وشر متصل بينه وبين شعبه ادى بمحمد بن طغج صاحب مصر الى ارسال قائد من قواده الى تنيس نختم على الكنائس وما بها وكان فيها شيء كثير من الذخائر حتى ان ذهبها وفضتها وزنت بالقبان لكثرتها وعبى القائد جميعها في الاقفاص وتوجه بها الى مصر فمضى اسقف تنيس الى جماعة الكتاب فتوسلوا لدى الامير واستقر الرأي على اعادة كل هذه الذخائر في نظير خمسة آلاف دينار فباعوا من الاوقاف والعقارات التي للكنائس بقيمة المبلغ وحملوه اليه وبلغ الاخشيد ان الاسقف باع الاملاك بدون قيمتها فارسل الى تنيس وطالب المشترين بفرق الثمن . فلما علموا ان شقاقهم اوجب هذا اصطلحوا واجتمعوا في كنيسة واحدة . كان مولده في يوم الاحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٦٣ وسفي اول سنة من خلافة القاهر العباسي صار بطريركا على اسكندرية وسمي اوتوشيوس Eutichius وذلك في ٨ صفر سنة ٣٢١ وبقي في الكرسي والرئاسة سبع سنين ونصفاً ثم اصابه اسهال بمصر فحدث انها علة موته فصار الى كرسيه بالاسكندرية واقام به عدة ايام عليلاً وتنيح في آخر رجب سنة ٣٢٨

والبطريرك تعريب للفظ رومي معناه ابو الأسرة اورب البيت قال المسعودي في كتاب التنبية والاشراف انه بالرومية بطرياركس تفسيره رئيس الآباء ثم خفف وقد سماه المسعودي والاسلاميون بطربرخ ثم بطريرك ثم خفف في الاستعمال فصرنا نقول بطرك ونكتبها بطريرك كما نقول جنبية ونكتب جنباواي وكانوا يكتبون جنبويه وكما نقول ابثيه وابشاي ونكتب ابشواي وكانوا قبلنا يكتبون ابشويه وكما نقول يه ونكتب بك وهكذا . واما البطريق فهو تعريب للفظة رومية هي Patrice لا Patricien كما جاء في دائرة المعارف البستانية . فان لفظة Patricien هي خاصة بفريق الاعيان عند الرومان اهل رومية واما Patrice فهي عنوان على المتقلد بوظيفة كبرى في الادارة او في العسكرية عند الروم اهل القسطنطينية وهم الذين كان لهم بالعرب اشتباك واختلاط وعنهم عربوا هذه الكلمة

بلفظة بطريق . وان كانت اللفظتان مشتقتين من مادة واحدة لكن الاصطلاح لم يكن واحداً عند الامتين . فاذا جمعوا اسم اصحاب الوظيفة الدينية قالوا بطاركة واذا جمعوا اسم اصحاب الوظيفة المدنية او العسكرية قالوا البطارقة . وقد يخلطون بينهما في الجمع كما قال المشتهرون بحقيقة الالفاظ المعربة « اسم اعجمي العب به كيف شئت »

وقد كان ابن البطريق صاحبنا معاصرا للامام المسعودي وصديقاً له وقد اجتمعا معاً بالفسطاط . قال في التنبيه والاشراف مانصه : « واحسن كتاب رأيته للملكية في تاريخ الملوك والانبياء والامم والبلدان وغير ذلك كتاب محبوب بن قسطنطين المنبجي وكتاب سعيد بن البطريق المعروف بابن الفراس المصري بطريرك كرسي مارقس بالاسكندرية وقد شاهدناه بفسطاط مصر انتهى بتصنيفه الى خلافة الراضي » . وقد اشتهر بين المسلمين كثير من النصارى بهذا الاسم فاولهم ابن بطريق النصراني الذي كان امين سر سليمان بن عبدالملك الخليفة الاموي بدمشق . كما كان سرجون بن منصور الرومي النصراني امين سر من قبله الخلائف معاوية بن ابي سفيان و يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم . وكان في ايام ابي الدوانيق المنصور العباسي رجل اسمه البطريق امره بنقل اشياء من الكتب القديمة . واشتهر في ايام المأمون رجل اسمه يحيى بن البطريق كان في جملة الحسن بن سهل وتحت رعايته وكان لايعرف العربية حق معرفتها ولا اليونانية وانما كان عليماً باللغة اللاتينية وهو من جملة الوفد الذي ارسله المأمون الى ملك الروم عندما غلبه واستظهر عليه وتوالت بينهما المراسلات فكتب اليه المأمون يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلاد الروم فاجاب الملك الى ذلك بعد امتناع فاخرج لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وسلمة (سلم) صاحب بيت الحكمة وغيرهم فاخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه اليه امرهم بنقله فنقل وقيل ان صاحبنا يوحنا بن ماسويه الذي وصف احسن دواء لاوجاع المعدة كان من جملة ذلك الوفد . وقد نقل ابن البطريق هذا واسمه يحيى من مؤلفات ارسطوطاليس الى العربي كتاب السماء والعالم وهو في اربع مقالات وكتاب الحيوان وهو تسع عشرة مقالة ولخص جوامع كتابه في النفس واصله في ثلاث مقالات ثم نقل الى العربي ايضاً كتاب البرسام للاسكندروس الطبيب الذي كان قبل جالينوس . وقد ارسله المأمون في مهمة اخرى للبحث على كتاب لارسطو . وعندي نسخة من كتاب بخط اليد عنوانه كتاب السياسة في تدبير الرياسة المعروف بسر الاسرار وهو من الكتب المنسوبة لارسطو وقد ترجمه ابن البطريق هذا الى اللغة العربية واليكم ما قاله في مقدمته مخاطباً للمأمون :

« بسم الله الرحمن الرحيم » رب يسر

اما بعد اصلح الله امير المؤمنين وايده على حماية الدين والرعاية لاحوال المسلمين فان عبده امتثل امره والتزم ما حده عن كتاب السياسة في تدبير الرياسة المعروف بسر الاسرار الذي الفه الفيلسوف الحكيم الفاضل ارسطوطاليس لتلميذه الملك الاعظم الاسكندر المعروف بذي القرنين حين كبر سنه وضعفت قوته عن الغزو معه . وكان الاسكندر قد استوزره واصطفاه لما كان عليه من صحة الرأي واتساع العلم وقوة الفهم وتفرده بالخلال السنية والسياسة المرضية والعلوم الالهية مع التمسك بالورع والتقى والتواضع وحب العدل وايثار الصبر . . . . فلم يدع الترجمان يحيى بن البطريق هيكلاً من الهياكل التي اودعت الحكماء فيها اسرارها الا اتاه ولاعظيماً من عظماء الرهبان الذين لطفوا (انقطعوا) لمعرفتها الا اتاه وقصده وانتحاه حتى وصل هيكل عبدة الشمس الذي كان بناه هرميس الاكبر لنفسه فظفر فيه بناسك مترهب ذي علم بارع وفهم ثاقب فتلطف به واستنزله واعمل الحيلة حتى اباح له المصاحف المودعة فيه فوجد في جملتها الكتاب المطلوب الذي كان امره امير المؤمنين بطلبه مكتوباً في رق مصبوغ بالفرفير بالذهب المحلول منقوطاً بالفضة البيضاء المحلولة . فرجع الى الحضرة المنصورة ظافراً بالمراد . فهي بعون الله وبسعد امير المؤمنين وجد في ترجمته ونقله من اللسان اليوناني الى اللسان العربي .

افرأيتم كيف تطرق بنا الحديث والحديث ذو شجون من ابن البطريق المصري الى سميه البغدادي الى الخليفة المأمون . وهل علمتم ان هذا الخليفة ورد على وادي النيل وكان له في رحلته بها شؤون يالها من شؤون .

ففي سنة ٢١٧ هجرية وقع امران عظيمان اضطرب لهما بال المأمون ولم يرَ في احد من اهله ولا من ذوي عمله الكفاءة لهما فندب نفسه وعزم على الخروج من بغداد . وذلك ان ملك الروم كتب اليه يسأله الموادعة والمهادنة وبدأ في كتابه بنفسه وكانت قد حصلت بمصر فتنة عظيمة واضطرب امرها . فعزم المأمون على الخروج لغزو ملك الروم ولاصلاح ذات البين بمصر . فامر بعقد الالوية السود وهي شعار بني العباس كما تعلمون (ونقول بهذه المناسبة ان بني العباس كان لهم لواآن فالابيض يعقدونه لمن يولونه الاعمال والحكومات واما الاسود فهو خاص يعقدونه لولاية العهد على الخلافة) ثم امر بجمع المسودة وهم جيوش بني العباس وشعارهم السواد .

وقبل ان اسوق اليكم الحديث عما جمعته من شوارد هذه الرحلة العجيبة اخبركم بابني امي وبابني عمي بامر هو من باب تحصيل الحاصل فانتم تعلمون جميعاً ان اهل مصر عموماً

يهيمون بالبصل غراماً تستوي في ذلك الطائفتان الصغرى والكبرى . بل ان بني اسرائيل حينما هاموا في التيه ولم يجدوا عن البصل من بديل ولم يعثروا له على شبيه حردوا على موسى الكليم . وبما اننا سنخفر ركاب المأمون فلا بأس من ذكر نادرة من نوادره الكثيرة في اكرامه للعلماء حتى ولو كانوا ممن يأكلون البصل والثوم ويشربون النبيذ ويقرمون للخنزير الحنيذ .

فقد كان بلغه قبل ذلك ان الشيخ الجليل كلثوم بن عمرو العتابي قد توفي ثم بلغه انه لا يزال على قيد الحياة وهو من اكابر الشعراء المترسلين وافاضل البلغاء المطبوعين فارسل اليه لينادمه قبل سفره حتى لاتفوته مجالسته اذا مات الرجل وهو في الغزاة او في مصر فلما دخل عليه ادناه وقربه حتى قرب منه فقبل العتابي يده ثم امره بالجلوس فجلس وكان اسحاق ابن ابراهيم الموصلي نديم الخلفاء ونادرة الزمان حاضراً فقال له المأمون : بلغتني وفاتك فساءتني ثم بلغتني وفادتك فسرتني . فقال العتابي : ياامير المؤمنين لو قسمت هاتان الكلمتان على اهل الارض لوسعتاها فضلاً وانعاماً وقد خصصتني منها بما لايتسع له امنية ولا يبسط لسواه امل لانه لا دين الا بك ولا دنيا الا معك . فقال له : سلني . فقال : يدك بالعطاء اطلق من لساني بالسؤال . فوصله صلات سنية وبلغ به من التقديم والاكرام اعلى محل . ثم اقبل عليه يسائله عن حاله وهو يجيبه بلسان ذلق طلق فاستظرفه المأمون واقبل عليه بالمداعبة والمزاح فظن العتابي وكان شيخاً جليلاً نبيلاً انه استخف به . فقال : ياامير المؤمنين الايناس قبل الابساس . وهذا مثل مشهور ولكن المأمون اشتبه عليه قول الرجل فنظر الى نديمه اسحاق مستفهماً فاومأ اليه وغمزه على معناه حتى فهم . فقال : ياغلام الف دينار فاتى بالذهب وصبه بين يدي الاديب . ثم اخذوا في المفاوضة والحديث وغمز المأمون اسحاق بن ابراهيم الموصلي عليه فجعل العتابي لا يأخذ في شيء الا عارضه فيه اسحاق وزاد عليه . وبقي العتابي يزداد عجبه من اسحاق حتى لم يطق عليه صبراً . فقال : ياامير المؤمنين اتأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم . فقال : ياشيخ من انت وما اسمك ؟ قال : انا من الناس واسمي «كل بصل» فتبسم العتابي وقال : اما النسبة فمعروفة واما الاسم فمنكر . وما كل بصل من الاسماء ؟ فقال اسحاق : ما اقل انصافك ! اتنكر ان يكون اسمي كل بصل واسمك كل ثوم وكل ثوم من الاسماء ؟ اوليس البصل اطيب من الثوم . فقال كلثوم العتابي : لله درك فما احجك ! ياامير المؤمنين ما رأيت كالشيخ قط . اتأذن لي في صلته بما وصلتني به فقد والله غلبني . فقال المأمون : بل ذلك موفر عليك فنأمر له بمثله . فقال اسحاق : اما اذا قررت بهذه فتوهمني تجدني . قال : ما اظنك الا الشيخ الذي

يتناهى الينا خبره من العراق ويعرف بابن الموصلي . قال : انا حيث ظننت . فاقبل العتابي عليه بالتحية والسلام فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما : اما اذ قد اتفقتما على المودة فانصرفا سالمين .

وخرج المأمون من بغداد بجيوشه وجحافله حتى دخل بلاد الروم غازياً لينتقم من ملكها الذي قدم نفسه عليه في المخاطبة وهنالك تناهت اليه الاخبار باستفحال الثورة في مصر وتعاظم الخطب وتفاقم الامر حتى خرج اهلها من مسلمين واقباط عن طاعة الخليفة لما نابهم على السواء من ظلم عامله عليهم وهو عيسى بن منصور الرافعي . فامتنع المصريون كافة عن وزن الخراج وطردوا العمال . فترك جنوده ببلاد الروم لمحاصرة القلاع وتميم الغزاة . وسأتبعه في طريقه خطوة خطوة واذكر ما فعله ببلادنا لخير الاقباط والمسلمين وما ابقاه فيها من المآثر التي طوي ذكرها وطمس خبرها وتنوسي امرها الى ان يخرج من وادي النيل مرموقاً بالعيون مشيعاً بالقلوب محموداً من جميع الشعوب

ذهب المأمون الى الشام فاشتاق للمنادمة فطلب رجلاً شامياً لمجانسته ومحادثته فادخل له خواصه اديباً منهم وقالوا له : ياشامي انت داخل على امير المؤمنين فلا تسأله عن شيء حتى يبتدئك فاننا اعرف الناس بمسألتكم يااهل الشام . فقال لا اتجاوز امركم . فلما استدناه المأمون وكان على شغله من الشراب فقال له : اني اردتك لمجالستي ومحادثتي فقال الشامي : ياامير المؤمنين ان الجليس اذا كانت ثيابه دون ثياب جليسه دخله لذلك غضاضة فامر له بخلعة . فداخل الذي ادخله غضاضة ورعدة شديدة من هذا التهجم . فلما لبس الشامي الخلعة ورجع الى مجلسه قال ياامير المؤمنين : ان قلبي اذا كان متعلقاً بعيالي لم تنتفع بمحادثتي . قال الخليفة : احملوا الى منزله خمسين الفاً . فقال الشامي ولي عليك ياامير المؤمنين خصلة ثالثة ارجو ان تنعم بها ايضاً . قال : وما هي . قال قد دعوت بشيء يحول بين المرء وعقله فان كانت مني هنة فاغتفرها . قال : حباً وكرامة . فكانت الثالثة برداً وسلاماً على الذين ادخلوه وعجبوا من حلم المأمون وكرمه .

وقد اغتنم الخليفة فرصة وجوده في الشام لتحقيق مقدار السنة الشمسية فرصد ذلك بدار الرصد بدمشق المعروفة بالشماسة وكانت له دار رصد اخرى ببغداد .

فلما كان في دمشق قلَّ المال عنده حتى اضاق فشكا ذلك لاخيه المعتصم الذي تولى الخلافة بعده وكان المعتصم قد ورده الخبر بان ثلاثين الف الف قد حملت اليه من خراج الاعمال التي يتولاها للمأمون فقال له : ياامير المؤمنين كأنك بالمال قد وافاك بعد جمعة . فلما ورد خرج المأمون والقاضي يحيى ووجوه خاصته وسائر الناس لاستشرافه فوردت الصناديق

محمولة على اباعر باحلاس موشاة وجلال مزوقة وعليها شقق الحرير الصيني الاحمر والاخضر والاصفر فكان منظرها يروق العيون ويأخذ بمجامع القلوب فضلاً عن العجب بما عليها من الذهب . فقال المأمون ليحيى : هل يتم ان ينصرف اصحابنا هؤلاء خائبين الى منازلهم وننصرف نحن بهذه الاموال قد تملكناها دونهم انا اذاً للئام . ثم دعا كاتبه فقال : وقّع لآل فلان بالف الف ولآل فلان بمثلها ولآل فلان بخمسمائة الف وما زال كذلك حتى فرق اربعة وعشرين الفاً ورجله في الركاب ثم امر بدفع الباقي للجند . وكان رجل من الكتاب حاضراً وهو العيشي صاحب ابي اسحاق النديم فاخذ ينظر للمأمون ولا يرد طرفه عنه بحيث كان الخليفة لا يحول نظره الى جهة او يلتفت الى شيء الاّ وقعت عينه عليه فقال لكاتبه وقع لهذا بخمسين الف من الستة آلاف الالف لا يختلس ناظري

ثم اتى مصر فكان كلما دخل قرية او مدينة ينزل على دكة قد بنيت لاجله ليكون مقامه مرتفعاً عن رطوبة الارض فتضرب له على الدكة قبة بسرادق عظيم وتقيم العساكر حوله وكان يقيم في القرية يوماً وليلة فجاء عن طريق الفرما وفيها حضره الشعر فقال :

لليلك كان بالميدا ن اقصر منه بالفرما
غريب في قرى مصر يقاسي الهم والسدما

والسدم هو الهم مع الندم والحزن والغيظ والميدان موضع ببغداد واسم لبلد بكورة سابور من اعمال فارس ولا شك انه تذكر اثنا . بجوده بها في فتح قنال السويس الموجود فقد روى ابوعبدالله محمد بن علي بن محمد الشطيبي (كذا) الاندلسي وقبل شهاب الدين احمد المقري الفاسي في كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان المحفوظ منه نسخ متعددة بمكتبة باريس الاهلية انه سعى في توصيل البحر الاحمر (بحر القلزم) بالبحر الابيض المتوسط (بحر الروم) ولكنهم صرفوه عن هذه العزيمة خوفاً من الروم على مكة والمدينة كما خوفوا عمر بن الخطاب من قبله وهو اول من فكر في ذلك في الاسلام . ومر على دمياط ونزل عند قرية صغيرة اسمها بوره (وهي التي تنسب اليها العمائم البورية والسمك البوري وقد انحلت هذه العمائم باندثار القرية ولا يزال السمك باقياً يستطيبه المصريون الى الآن) فدخل عليه بكام القبطي من اهلها وكان ذا ثروة واسعة فخطب من المأمون عمارة بورة فقال له اسلم فتكون مولاي واوليك فقال بكام : لامير المؤمنين عشرة آلاف مولى مسلم افلا يكون له مولى نصراني . فضحك منه المأمون وولاه عمالة بورة وماحولها . فبنى الرجل بها كنائس كثيرة حساناً وكان على باب داره المسجد الجامع فقال لاهل بورة من المسلمين انا ابني لكم مسجداً جامعاً غير هذا واهدموا هذا المسجد من على باب داري فقالوا له اين المسجد ونحن نصلي في هذا

حتى اذا فرغت من بنيان ذاك صلينا فيه وهدمناهذا المسجد . فبنى مسجداً كبيراً حسناً فلما فرغ منه قال لهم : فوا لي بما وعدتموني فقالوا لا يجوز لنا في ديننا ان نهدم مسجداً قد صلينا فيه واذنا وجمعنا فبقي المسجد على حاله وصار في بورة مسجدان تقام فيهما الجمعة فكان المسلمون يصلون جمعة في هذا وجمعة في ذاك ․ وكان ُبكام في يوم الجمعة يلبس السواد شعار بني العباس ويتقلد بالسيف والمنطقة ويركب برذوناً وبين يديه اصحابه فاذا بلغ المسجد وقف ودخل خليفته وكان مسلماً فيصلي بالناس ويخطب باسم الخليفة . ثم استمر الخليفة في سيره حتى جاء الى قرية حقيرة فلم ينزل بها وهي طا النمل من مديرية الدقهلية وقد حرفنا اسمها تبعاً لاهلهافصار المشهور الآن (طنامل) وهما قريتان احداهما شرقية والاخرى غربية وكلتاهما تبعدان عن مدينة المنصورة نحو ثلاث ساعات ولم تكن المنصورة موجودة في عهد المأمون لان بناءها كان بعد ذلك في ايام الملك الكامل الايوبي اثناء هجمات الصليبيين على مصر . فلما مر على القرية لم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت اليه عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح . فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وكان لا يمشي ابداً الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكر له ان القبطية قالت: ياامير المؤمنين نزلت في كل ضيعة وتجاوزت ضيعتي والقبط تعيرني بذلك . وانا اسأل امير المؤمنين ان يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولعقبي ولا تشمت الاعداء بي . وبكت بكاء كثيراً فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه اليهاونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله : كم تحتاج من الغنم والدجاج والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغيرذلك مما جرت به العادة . فاحضر جميع ذلك اليه بزيادة . وكان مع المأمون اخوه المعتصم وابنه العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي احمد بن ابي دؤاد (١) فاحضرت القبطية لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ولم تكل احداً منهم ولا من القواد الى غيره. ثم احضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيئاً كثيراً حتى انه استعظم ذلك . فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر : قد جاءتكم القبطية بهدية الريف : الكامخ والصحناه والصير (٢) فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب . فاستحسن ذلك وامرها باعادته .

(١) كان خصيصاً بالمأمون حتى ضرب الادباء بذلك الامثال قال الفتح بن خاقان في كتاب مطمح الانفس ومسرح التأنس في ادباء اهل الاندلس في ترجمة ابي بكر بن العربي عن ابيه ابي محمد ما نصه : واصطفاه معتمد بني عباد اصطفاء المأمون لابن ابي دؤاد

(٢) الطرشي والقريصة والملوحة ؟

فقالت لا والله لا افعل . فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله . فقال : هذه والله اعجب وربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت ياامير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا فقال : ان في بعض ما صنعت الكفاية ولا نحب التثقيل عليك فردي مالك بارك الله فيك فاخذت قطعة من الارض وقالت ياامير المؤمنين هذا (واشارت للذهب) من هذا (واشارت للطين) ثم من عدالك ياامير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فامر به فاخذ منها واقطعها عدة ضياع واعطاها من قريتها طاالنمل مائتي فدان بغير خراج وانصرف متعجباً من كثرة مروءتها وسعة حالها

ثم سار حتى وصل الفسطاط عن طريق المطرية وعين شمس متبعاً في ذلك خط السير الذي اتبعه الجيش الاسلامي مع عمرو بن العاص في ايام الفتح في سنة ٢٠ هجرية فدخل الفسطاط في يوم الجمعة ٩ المحرم سنة ٢١٧ وكانت قد بنيت له قبة على الجبل المقطم فنزل فيها وكانت تسمى قبة الهواء وكان مع المأمون فراشون من النصارى فبعدت عليهم الكنائس التي في القصر فاستأذنوا المأمون في بناء كنيسة يصلون فيها تكون بالقرب من قبة الهواء فاذن لهم فبنوا من فضلات قبة الهواء كنيسة مرتمريم التي في القنطرة وهي التي عرفت في ما بعد بكنيسة الروم

وفي اثناء اقامته في الفسطاط ارسل ملك النوبة وفداً الى المأمون ذكروا عنه ان ناساً من مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم لمن جاورهم من اهل اسوان وانها ضياعه والقوم عبيده ولا املاك لهم وانما تملكهم على هذه تملك العبيد العاملين فيها فحول المأمون على عامله باسوان تحقيق هذه المسألة وامره بالاستئناس بمعلومات من بها من الشيوخ واهل العلم فوصل الخبر الى اهل اسوان الذين اشتروا تلك الضياع وعلموا ان عدل المأمون سينزعها من ايديهم و يردها على صاحبها فاعملوا الحيلة حتى لا يضيع عليهم الثمن الذي دفعوه وتذهب عليهم الاعيان التي تملكوها فتقدموا الى البائعين من اهل النوبة واتفقوا معهم على انهم اذا احضرهم الحاكم المولى من قبل المأمون يقولون بانهم ليسوا عبيداً لملك النوبة وان يقولوا بحضرته وبحضرة الشيوخ والشهود والعدول : سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم . يجب علينا طاعته وترك المخالفة له فان كنتم انتم عبيداً لملككم واموالكم له فنحن كذلك . فلما جمع حاكم اسوان بين البائعين وبين رسول ملك النوبة والنائب عنه في هذه القضية المهمة اعتمدوا على هذه الحجج ونحوها مما لقنها لهم اصحاب الحظ والمصلحة في ثبوت البيع ونفاذه فصح البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم .

هذا وقد انشأ المأمون اثناء مقامه بمصر جسراً (كوبريا) يصل بين مصر القديمة

وبين جزيرة الروضة وانتقل الى المثيل فاعجبته هذه الجزيرة الجميلة فبنى بها جامعاً ومقياساً كما ذكره عبد الرشيد صالح بن نوري الباكوبي المولود في مدينة باكو من بلاد الروسيا وهو من اعيان القرن التاسع للهجرة في كتابه المسمى بتلخيص الآثار في عجائب الاقطار المحفوظ منه نسختان في مكتبة باريس الاهلية . ولم يتم هذا المقياس في ايام المأمون فاتمه المتوكل العباسي وهو الباقي الى اليوم . وقد كان القبط يتولون مقاييس النيل الى ايام المتوكل في سنة ٢٤٧ فتولاه المسلمون بعد تمام مقياس الروضة واولهم ابوالرداد المعلم الذي كان مؤذناً في جامع عمرو ويعلم الصبيان القرآن واستمرت هذه الوظيفة في ذريته حتى سنة ٩٣٨ . ويقول الموكلون به في ايامنا هذه انهم من عقبه .

ثم عدى المأمون الى بر الجيزة وذهب الى الاهرام . قال شيخ الربوة الصوفي الدمشقي في كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر المطبوع في بطرسبورج ما نصه : ولم تزل همم الملوك قاصرة عن تعرف ما في هذين الهرمين الى ان ولي المأمون الخلافة وورد مصر فامر بفتح واحد ففتح بعد عناء طويل واتفق له لسعده المعين على تحصيل عرضه ان فتح في مكان يسلك منه الى الغرض المطلوب فانتهى بهم الطريق الى موضع مربع في وسطه حوض من رخام مغطى فلما كشف عنه غطاؤه لم يوجد فيه الارمة بالية قد اتت عليها العصور الخالية فامر المأمون بالكف عما سواه . وياليت لوكان امر بفتح هرمين او ثلاثة من الاهرام الصغار المبثوثة غيرها لكي يبين الامر جلياً له وللناس .

وروى المقريزي عن صاحب تحفة الالباب ان المأمون اصعد بعضهم لتعرف ما بداخله وبعضهم لذرعه من الخارج .

فافضى الذين صعدوا الى القبة التي في اعلى الهرم من الداخل الى قبة صغيرة فيها صورة آدمي من حجر اخضر كالدهنج فاخرجت الى المأمون فاذا هي مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد آدمي عليه درع من الذهب مزين بانواع الجواهر وعليه حلة من ذهب قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وكان على هذه المومياء طلاء بمقدار شبر من المر والصبر وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له وعند رأسه حجر ياقوت احمر كبيضة الدجاجة يضيء كلهب النار فاخذه المأمون وقال هذا خير من خراج الذهب . وقال كثير من المؤرخين ان هذا التمثال الاخضر لم يزل معلقاً عند دار الملك بمدينة مصر الى سنة ٦١١ هجرية

واما الذين صعدوا فوقه فقد انتهوا الى قمته بعد ثلاث ساعات فوجدوا رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال . وبناء على امر امير المؤمنين ارسلوا الى اسفله حبلاً فكان طوله الف ذراع بالذراع الملكي وهو ذراع وخمسان

وقد قاس المأمون تربيع الهرم فكان اربعمائة ذراع في مثلها . ولقد اجمع مؤرخو العرب على ان المأمون توصل الى فتح هذا النقب الموجود الى يومنا هذا بعد جهد شديد وعناء طويل فكان بداخله مهاوي ومراقي يهول امرها ويعسر السلوك فيها وان النفقة على ثقبه كانت عظيمة والمؤونة شديدة .

هذه هي الحقيقة التاريخية مجردة من المبالغات الشرقية . ولما كان امر الاهرام قد بقي مكتوماً على الخاص والعام حتى فتحه المأمون فلا غرابة اذا رأينا اهل الشرق وهم مغرمون بالاوهام شطحوا مع تيار الخيال فلفقوا على ذلك اقاصيص واساطير ما انزل الله بها من سلطان ولكنها لعمر الحق فيها عبرة بالغة وحكمة كبيرة لقوم يفقهون . ذلك ان كتاب العرب ارشدوا ارباب الالباب الى ان السعيد بن السعيد هو الذي يتوصل للعثور على ما يوازي نفقته عند تطلبه الكنوز والدفائن ولذلك قالوا بان المأمون وجد وراء الباب حوضاً من حجر مغطى بلوح من رخام وهو مملوء بالذهب وقالوا ان المأمون امر بحسبان ما صرف على النقب فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير زيادة ولا نقص .

ولعل هذا الرمز البديع يكون راجعاً لمن ينفق العمر والمال في تطلب الدفائن والكنوز والمطالب والخبايا فليس لكل الناس سعد كسعد المأمون وقد رأيناهم جميعاً يعودون بصفقة المغبون فلعلهم بعد هذا البيان يفكرون ويتدبرون ويسعون لاكتساب المال من طريقه المشروع وسبيله المأمون .

ثم توجه المأمون الى الصعيد فالح ركابه بتنف حضره الشعر في الحال فقال على سبيل الارتجال:

سألت اطلال مصر عن عين شمس ومنف
فما اجارت جواباً ولا اجابت بحرف
وفي السكوت جواب لذي الفطانة يكفي

ثم استمر في سيره حتى وصل الى مدينة قفط من اعمال الصعيد بمديرية قنا . ومن لفظة قفط اشتق اسم القبط . ومنه اخذ الروم لفظة ايجبتوس للدلالة على مصر والمصريين

اتقاء الشقاء

نشر المسيو نوفيكوف العالم الاجتماعي الروسي هذا الشهر كتاباً سماه « الظواهر الاقتصادية الطبيعية ومسألة شقاء الناس » قال في بعض فصوله ان امر بؤس البائسين وغنى الموسرين قد شغل بال كثيرين وهي من المسائل المعقدة ذات الاطراف والتضاعيف . فيرى بعضهم ان الشقاء من الامور الطبيعية كالفيضانات والزلازل وقلة الامطار وان من يحاول ابطاله من العالم كالذي يتخيل ان يجري انهاراً من اللبن و يغرس اشجاراً تأتي بارغفة من العجين مخبوزة . ومنهم من يقول انه ليس ثمت شقاء على حين تثبت الاحصائيات ان تسعة اعشار الناس لا يأكلون عند ما تطلب معدهم الاكل او هم فقراء مقتر عليهم في ارزاقهم و يرى بعض ارباب الاديان ان الشقاء امر تقضي به المشيئة الربانية ولكنهم لم يستطيعوا ان يدعوا ان الشقاء حسنة من الحسنات لئلا ينسبوا الى المولى تعالى الظلم لعباده بل انهم وقفوا عند حد الجنات التي وعد بها البائسون وان العالم دار محن واكدار وغربة لا دار قرار وراحة وان الحياة الحقيقية السعيدة يتمتع بها المرء بعد وفاته . بيد ان كثيرين من رجال الدين وان قالوا بان الشقاء مما يثاب عليه صاحبه الا انهم ينعمون ويترفهون يأكلون الاطايب و يسكنون القصور ويلبسون الوشي والديباج ولذلك ماقط منع رجال الدين الناس عن السعي في الخلاص من مخالب الشقاء وتحسين معاشهم وتكثير ارزاقهم . وارى ان الانفع ان يقضي المرء حياته في هذه الدنيا في رفاهة لان ذلك لا يمنعه من ممارسة الفضائل ثم اذا كتبت له الجنة يذهب اليها و يتمتع بما وعد فيها من النعيم وهذا خير له من ان يعيش في دنياه شقياً ليتنعم بأنه في الآخرة ولكن من لا يقولون بخلود النفس وعددهم آخذ بالنمو يرون هذه الفلسفة خيالية

ويرى بعضهم ان الشقاء آت من استئثار بعض اشخاص باموال طائلة وحرمان الفقير منها وانه لو كفت ايدي الاغنياء عن احتكار القسم الاعظم من الثروة ولم يحرم منها السواد الاعظم بل قسمت بينه قسمة عادلة لاصبح الناس كلهم في سعة وفارق الشقاء بني آدم آخر الدهر . وليس احتكار اولئك الافراد لثروة المجموع هو الحل الوحيد لهذه المعضلة بل ان الفقر ناشيء على الارض من قلة الارزاق اللازمة للحياة واذا كانت هذه القلة ناشئة من اسباب المحيط والبيئة يصح ان يقال ان البشر في شقاء لانهم لم يحسنوا استخدام الارض وتسخيرها لحاجياتهم .

لا يبطل البؤس بتقسيم الاموال على السوية وذلك لان تلك الاموال غير كافية لرفع

الشقاء كما علم بالاحصاء فقد تبين بأنه اذا حجزت جميع الارباح والمداخيل التي تزيد عن خمسة آلاف ليرة لتوزع على من نقل مداخيلهم عن هذه القيمة لا تزيد مداخيلهم اكثر من ١٢ في المئة عما هي عليه الآن ولذلك اقتضى زيادة الثروة عشرة اضعاف ما هي عليه اليوم لانقاذ البائسين من بؤسهم وتحسهم . ولعمري اي رفاهية ينالها العامل الذي يربح الآن ثمانية قروش في يومه اذا صار يربح تسعة وهل بهذا القرش يكون مرفهاً من اهل الطبقة الوسطى ؟ وبعد فلا سبيل الى حل المسألة الاجتماعية الا بزيادة الارباح الفاً في المئة . والسبب الثاني في سقوط دعوى من يدعون بان في تقسيم ثروة الاغنياء تفريجاً لكربة البائسين ان ثروة الاغنياء ليست بحراً لا ينضب وبراً لا حد له فلو فرضنا ان مورغان المثري الاميركي له دخل سنوي قدره ٨٣ مليون فرنك ووزعه على اهل الولايات المتحدة لما اصاب الفرد سوى فرنك على ان هذا الغني لا يتأتى له ان يوزع على اهل بلاده هذا القدر من الملايين اذا صودرت امواله في السنة السابقة . وهكذا العمل بجميع الثروة فانها اذا حجزت دفعة واحدة ووزعت دفعة واحدة لا يكون منها دواء مسكن لهذا الجرح المؤلم الا موقتاً لما عرف من ان مطالب الحياة غير متناهية وغنى يوم لا يعد غنى لايام .

ويغلط الاشتراكيون في خلطهم بين الثروة والمال وما الثروة الا نتيجة تغيير المحيط بأن يقوم عمل الانسان على قاعدة معقولة . وجمهور الناس يخطئون في تصورهم الثروة انها ليرات وجنيهات موضوعة في صناديق ارباب المال فكما ان هذه النقود لا تحتاج الى التجديد كل سنة وكما انها كمية معروفة لا يمكن زيادتها يتوهم الناس ان الثروة كذلك وانها اذا حصلت في اليد تبقى ابد الدهر . الثروة مؤلفة من بعض الوجوه من مجموع الغلات التي جعلت في الاسواق وينبغي ان تستخرج على الدوام من المحيط الطبيعي . لنفرض ان محصول القطن في سنة بلغ ١٢ مليار كيلو وان هذه الكمية تسد حاجة البشر فليس هذا بشيء بل يقتضي ان تغل السنة التالية مثل هذه الكمية لان محصول السنة السابقة قد استهلك وفي ولنفرض بان في الامكان توزيع الغلات على مساواة غلات السنة السالفة فان مسألة الثروة العامة لا تنحل ايضاً اذ يلزم اعداد كمية مثلها للسنة التالية ولكن اذا لم يجر تقسيم السنة الماضية بحسب ادق قواعد العدل ومن غير اقل شدة تقل غلة السنة التالية ويعود الشقاء فيبدي نواجذه

وما المسألة في الحقيقة متوقفة على توزيع الاموال بين الناس بل ان المسألة آتية من عدم كفاية ما تنتج الارض من الضرورات ولو غلت ما يسد عوز الناس لما عادت الغلات تساوي شيئاً بل تصبح اذ ذاك كالماء في الانهار والحصا في شواطيء البحار . وعلى ذلك

فالواجب ان نحسب ما ينبغي لنا من بُرّ وارز ولحم وقطن وغير ذلك لنضع ميزانية مدققة لموارد البشر وهذا لا يتيسر الآن في دور الفوضى والطفولة الذي نحن فيه . ويؤخذ من احدث الاحصاآت ان غلة الحنطة سنة ١٩٠٧ بلغت ١٠٨٦ مليون هكتولتر موزونها ٨٧ مليار كيلو اذا فرضنا ان في كل هكتولتر ٨٠ غراماً . فلو فرضنا ان كل انسان يحتاج لغذائه الى مائتي كيلو في السنة لاقتضى لنا ثلثمائة مليار كيلو في السنة . وبهذا ترى ان غلة الحنطة اقل مما يلزم بثلاثة اضعاف . ولعلك تقول ان بعض الشعوب تتغذى بالجاودار والذرة والارز والمانيوك (شجيرة في اميركا يستخرج من جذعها دقيق مغذٍ) والموز وغيره ولكن تلك الشعوب لو تيسرت لها الحنطة ما اتخذت عنها بديلاً ولو اعتبرنا شعوب اوربا واميركا وحدها وهم نحو ستمائة مليون نسمة لاقتضى لهم على هذا المعدل ١٢٠ مليار كيلو مع ان محصول الحنطة في العالم ٨٧

وهكذا في سائر لوازم الحياة فالسكر مثلاً لا يحصل منه الا نحو ١٢ مليون كيلو في السنة ويقتضي ٥٠ كيلوغراماً في السنة لكل انسان تمكنه حالته من استعماله اي انه يقتضي للبشر ٧٥ مليار كيلو منها لاوربا وحدها ٣٠ مليارا . فما لدينا من السكر لا يكفي سدس البشر اذا حسبنا مجموعهم واذا حسبنا اهل اوربا فعندهم ثلث ما يلزمهم منه

ثم ان محصول القطن في العالم اربعة مليارات كيلو . فنجد من مليار وخمسمائة مليون نسمة وهم سكان الارض خمسمائة مليون مكتسون كسوة تامة و٧٥٠ مليوناً نصف كسوة و٢٥٠ مليوناً عراة بالمرة . ولكي نكسو البشر عامة يقتضي تسعة مليارات وخمسمائة مليون كيلو من القطن . ومتى تأملنا ان القطن لا يستعمل فقط في الثياب بل انه يدخل في الف صنف من الحاجيات المنزلية والصناعية يسوغ لنا ان نحكم بان محصوله غير كاف وربما لا يبلغ ثلث ما ينبغي لنا منه . وهكذا لو نظرت في جميع المواد اللازمة لجاء الحساب بمثل هذه النتيجة

وتدل الاحصاءآت ان ٤٠١ من كل الف الماني يربح الفرد منهم ٣٤٦ فرنكا في السنة و٥٣٨ يربحون ٣٤٥ فرنكا و٤٨ يربحون ١١٢٠ فرنكا و١٣ يربحون زهاء ٣٤٧٦ و٩٣ في المئة من المتساويين يربحون اقل من ١٢٦٦ فرنكاً في السنة . ويبلغ معدل ميزانية الاسرة الموسّع عليها في رزقها ١١٥٠ فرنكاً في السنة هذا واوربا بالنسبة لسائر الكرة تعد غنية فقد حسبوا دخل الهندي فكان سبعة سنتيمات في اليوم على حين يحتاج الى مائتي فرنك لمعاشه في السنة على اقل تعديل وهو لا يربح فيها الا ٣٣ والحال في الصين اتعس واتحس فلو عدلنا بين ثروة الفرد في البلاد الغنية كالولايات المتحدة مثلاً والبلاد الفقيرة كالصين والهند لا يصيب الاسرة اكثر من الف فرنك وهذا القدر على قلته في عصر مثل هذا العصر

يصعب نيله ولو كان لكل أسرة الف فرنك في السنة وهو بعيد الحصول لماساغ لها ان تأكل ما يغذيها فقط دع عنك بقية لوازم الحياة

وقد انتهت بنا الحال ان صرنا نعد الهواء في هذا العصر اذا كان مباحاً من النعم وكذلك الماء بعد ان اصبح ١٢ مليون كيلومتر مربع من اصل ثلاثة وثمانين مليونا محرومة في اوربا من الهواء واصبحت تباع زجاجة الماء القراح في كولكاردي من اوستراليا الغربية في اول ايام تعدين مناجم الذهب بسبعين سنتيماً واصبح الماء العذب في باكو على ضفاف بحر الخزر مما يفاخر به ويعد من دواعي الرفاهية . وليست الانسانية سعيدة بما كنها ايضاً فالروسي يسكن في كوخ مغطى بالقش اضيق من أخصوص القطا ولو اقتضى له ان يبدل هذا المسكن بمسكن مغطى بالقرميد مصنوعاً بالحديد لوجب على روسيا صرف ستة عشر مليارًا من الفرنكات وهذا لا يتيسر الا بعد ان تمر الاجيال اثر الاجيال

وبعد فليس الشقاء حادثاً من قلة موارد الارض ولو كان كذلك لما تطالت نفوسنا الى الخلاص منه وكان علينا كالموت قدراً مقدوراً ولكن الارض اذا حسن استخدامها تعطينا عشرة اضعاف ما تعطينا الآن ويعيش الناس في بلهنية وسعادة فان موارد هذه الكرة لاحد لها اذا عملنا لها عملها كما قال لي اليزة ركلوس الجغرافي الفرنسوي الكبير . فلو اتقنت الطرق الزراعية باستعمال الاسمدة الكيماوية وتطبيق الزراعة على العلم اي بسقيا الاراضي الجافة المياه وتجفيف الاراضي المغمورة بها لاتت الارض من الغلات والثمرات ما تعدّ معه غلات اليوم وثمراته مضحكة من حيث كميتها . هذا وفي الارض منابع للثروة غير ما ذكرنا ففيها معادن لم تمسسها يد بشر. وانك تجد في جبال الاورال بروسيا من المعادن كميات وافرة لم يقم في فكر احد ان يستخرجها ومثل ذلك في افريقية واميركا بحيث يصح ان نقول ان ما استخرج من ركاز الارض ومناجمها اقل بقليل مما لم يزل مدفوناً في صدرها وبطنها فنحن لسنا في شقاء الا لسوء تصرفنا في استخراج خيرات الارض والانتفاع بنعم السماء لان طريقتنا في اعمالنا ليست موافقة لمصلحتنا ومتى تعلمنا معرفة تطبيق اعمالنا على المصلحة الحقيقية فالشقاء يرحل عن هذه الكرة

واذا نظرنا الى حقيقة الشقاء نراه الآن يرجع الى ثلاثة اصول رئيسة وهي المصائب الطبيعية والفساد والاحوال الاجتماعية فالاولى وهي من الغرق والشرق والحرق والزلزال وانفجار بركان والموت يمكن تلافي خطرها باقتصاد كل فرد عشرة او عشرين في المئة من دخله يدخرها لحين الحاجة وبذلك ان لم يرفع عنه ثقل المصيبة فانه يخففها على الاقل وبأمن تغييرات الفلك وسوء الطالع . والفساد يمكن تلافيه ايضاً كتلافي المصائب الطبيعية بان

يزيد الصالح في عمله قليلاً وينفق ما يفيض منه على اخيه · فرفع المصائب وتخفيف ويلات الفساد هو اذاً مناط بكثرة الانتاج

وما الخطأ الذي يحول دون الانتفاع بثمرات الارض وثروتها الا ناشئ مما يذهب اليه اكثر الناس من انه لا يغتني مغتن بسرعة الا اذا طالت يده لسلب مال اخيه لا بان يعمل هو بنفسه · وهذا الفكر هو الذي جعل السرقة والغش واللصوصية والتعدي والامتياز وبعبارة اوجز جعل الاختلاس نافعاً لمن يأتيه · فاذا قدر للانسانية ان تنجو من هذا الخطإ الفادح فالرفاهية العامة مضمونة للكافة · وما دام البشر ينظرون الى الاختلاس على ضروبه بانه نافع فسوف يبقون في شقاء وعلى العكس يكونون اغنياء سعداء متى اعتبروا الاختلاس ضاراً ومتى زاد التناسب بين المخلوقات والوسط تسعد الحياة ومتى قل تشقى وتضعف واذا بلغ فقدان التناسب حده اورث الحياة ضعفاً تاماً اي موتاً · والتناسب بين المخلوقات والمحيط من حيث علم النفس هو الحقيقة وعدم التناسب هو الخطأ · ومن هنا كانت الحقيقة مولدة للاستمتاع والخطأ آتياً بالتألم فالخطأ هو مثل مرض عقلي ونتيجته بالطبع ضعف التركيب النامي افرادياً كان او اجماعياً قال بوهن « اليس الذكاء الانساني الذي يراه كثيرون حاسة من شأنها الاحاطة بالامور هو الاحرى بان يكون قلة الكفاءة في ادراك الحقائق » وذلك لان الحيوانات تعرف اموراً قليلة ولكنها تسقط في امور اقل منا فهي تفوقنا على ما فينا من ذكاء لا نا معاشر البشر نعرف اموراً كثيرة ولكننا نخترع نظريات كثيرة حشوها الخطأ والخطل · فحالة الانسان من بعض الوجوه اتعس من حال الحيوان لان المصائب الناتجة من سوء تأويل الحوادث اعظم من المصائب التي يكون منشأوها الجهل مباشرة فكما ان الصحة والمرض امران متوازيان متعاقبان في هذه الحياة يسيران كنهرين يمزجان مياههما بعضها ببعض هكذا الحياة الطبيعية تمشي مع الحقيقة والباطل كتفاً الى كتف منذ قرون وسنين وسوف تسير كذلك الى آخر الازمان

والخطأ الاساسي في الاقتصاد ان فكر الاختلاس والنفع المرجو منه هو في الحقيقة روح الشر ويحول دون سعادة البشر فاذا تمكنا من شفاء نفوسنا من هذا المرض العقلي فالمسألة الاجتماعية تحل لساعتها · ودواء الباطل بالدعوة الى الحق · فالباطل يشفى لانا نرى منه جزءاً يضمحل كل يوم بفضل انتشار العلم فلا ينبغي اليأس من القضاء عليه ولا بد من ان يأتي يوم تتغلب فيه الحقائق الاقتصادية على الناس ويرون الاختلاس ضاراً فيجندل الشقاء ابد الدهر ·

المنازل الرخيصة في الغرب (١)

قال اللورد روزبري : ان من يعمل لما فيه انهاض تلك الجماعات من الناس الذين قُضي عليهم ان تصفر وجوههم وتذل نفوسهم وتُحط مداركهم في المساكن القذرة التي ينزلونها هو بلا شك عامل على ما فيه نفع الجنس البشري عامة

ولقد نشأت الفكرة الاولى لانشاء بيوت للعملة حوالى سنة ١٨١٠ وزادت حركتها سنة ١٨٣٥ وذلك على يد شركات المناجم بين الحدود الفرنسوية والبلجيكية واحتذى احد ارباب المعامل الالمانية سنة ١٨٣٥ حذو الشركات الفرنسوية فأنشأ في مولهوس احدى مدن المانيا مسكناً كبيراً في حديقة تشتمل على ٣٦ منزلاً فتم عمله على احسن الاساليب واقتدى به كثير من اهل المقاطعات في الشرق والشمال من فرنسا

وفي سنة ١٨٥١ توسع احد الفرنسيس في هذا الفكر وانشأ شركة عمرت لالف ومائتي اسرة الفاً ومائتي مسكن منفرد بعضها عن بعض ولكل منها حديقة يصبح ساكنها مالكاً لها وللمنزل بعد مدة بدفع ثمنها على نجوم مقررة

وبدأت انكلترا في سنتي ١٨٤١و١٨٤٨ بالاقتداء بالفرنسيس والالمان في هذا السبيل وانشأت احدى شركات فرنسا مساكن طيبة للعملة كل منها مؤلف من حديقة وطبقة ارضية ومطبخ وغرفتين وفي الطبقة الثانية ثلاث غرف وبيت مؤونة وقبو ولم يكلف المسكن اكثر من ٢٩٣ جنيهاً يضاف الى ذلك ثمن الارض التي لم يكلف مترها اكثر من خمسة الى ستة فرنكات وجعلت ايجارها الحقيقي كل سنة ٢٣٠ فرنكاً اي اقل من فرنك كل يوم عن مسكن يؤوي عائلة مؤلفة من خمسة الى ستة اشخاص واذا اراد الساكن ان يملك المسكن في خمس وعشرين سنة يجب عليه ان يؤدي زيادة عن الاجرة ١٦٩ فرنكاً فاذا كان الساكن من العملة الذين يربحون في الساعة من ٦٠ الى ٨٠ سنتيماً اي لا اقل من ستة فرنكات في اليوم يتأتى له ان يسكن في مثل هذه الدار ويملكها بعد ذلك ان اراد بتوفير شيء قليل من نفقاته

وكانت هذه البيوت في ضاحية باريز ولما ارتفعت اسعار الاراضي هناك احبت الشركات ان تبتعد عن العاصمة اكثر فأصبحت تبني بيوتاً لا يكلف الواحد منها اكثر من خمسة آلاف فرنك . كما انشأت ايضاً بيوتاً لم تكلفها اكثر من ٣٢٠٠ فرنك ، وبيوتاً لم تكلفها

(١) ملخصة من كتاب المساكن الرخيصة لجان لاهور من افاضل فرنسا وقد طبع حديثاً

اكثر من ٣٨٠٠ جعلت ايجار الاخيرة منها ١٤٠ فرنكا في السنة وفيها معظم مايحتاج اليه من الغرف والمطبخ والابار وحديقة لطيفة ٠

وانشأ الانكليز بيوتاً رخيصة في جنوبي لندن كما انشؤا منذ سنة ١٨٦٧ في شمالي انكلترا في بعض المدن الصناعية بيوتاً يقل ثمن الواحد منها عن ستة آلاف فرنك جعلوها درجات فالدرجة الاولى لاتجاوز اجرتها في اليوم فرنكين وهكذا الى الدرجة الخامسة ٠ وسكان هذه البيوت او مستأجروها لا يقبضون في يومهم اكثر من عشرة فرنكات ولا اقل من سبعة ٠ واقيم في وسط تلك الحدائق التي انشئت البيوت عليها متنزه عام تكون فيه الاجتماعات وتقام فيه الشعائر الدينية وخصص محل منه للسماع والمراقص والجامع وفي جانب ذلك خزانة كتب عامة وغرفة كبرى للمطالعة وغرفة للعب « البليباردو » ٠ وحذا حذو هذه الشركات كثير غيرها في جميع الاقطار الانكليزية وبعضها يدفع نحو خمسة في المائة فائدة الاموال التي يستخدمها في هذا السبيل ٠قال اللورد بيكنسفيلد سنة ١٨٧٤ عند ما رأى حياً من تلك الاحياء التي انشأتها احدى الشركات ليقيم فيها العملة : « انني لم اشعر في حياتي بدهشة اشد من دهشة عرتني عند ما زرت هذه المدينة الصغرى (شهافتسوبورغ بارك) وقد تجلى لناظري نجاح ساكنيها الذي هو ولا شك ضمان لارتقاء الامة ٠ ولطالما جال في خاطري ان لا شيء يحمي حمى المدنية مثل البيت فهو مدرسة جماع الفضائل الاهلية وبدون مسكن لطيف الباطن يتعذر عليها في الحقيقة الوصول الى هذه الفضائل »

وكان يقتصر في امثال تلك المساكن سابقاً على الضروري من الحجرات ويعنى باسباب الراحة فقط اما الآن فقد ارتقت الحال في تلك الشركات شأن كل حي في الوجود فصارت لا تقتصر في بنائها على الضروري بعض الشيء بل رأت التأنق والزخرف لازم لحياة الساكنين ايضاً ٠

جرت عادة بعض السكك الحديدية او الترامويات في اوربا ان تسقط كثيراً من اجورها لمن يشترك بها من العملة لان الدور الرخيصة التي بنيت لهم تكون في الغالب بعيدة عن المدن الكبرى وحالتهم المالية لا تساعدهم على اداء اجورها كسائر الناس فكان من شركات تلك البيوت ان عقدت مع ادارات السكك الحديدية مقاولات لمراعاة الساكنين في بيوتها مراعاة لا تكاد تصدق

ومن لم تساعدهم حالهم من العملة والفقراء في الغرب للابتعاد عن المدن كثيراً فقد جعلوا لهم مساكن متلاصقة بعضها ببعض ٠ وكل ساكن حرّ في منزله وفيه يجد ما يلزم للبيوت فيتيسر بذلك للساكن ان يجيء نصف النهار الى بيته ليتناول الطعام مع اهله

وفي ذلك من الاقتصاد ما فيه اذ يمتنع رب الاسرة عن الذهاب الى المطاعم او الحانات وكلها مما تضر بصحته وكيسه معاً وبذلك لا يصعب عليه ان يدفع اجرة اغلى من الاجرة التي يدفعها البعيد عن مسكنه . وقد اسست شركات عظمى غنية في لندن منذ سنة ١٨٤٥ وكثرت في المدن البريطانية ورأس مال كل شركة من هذه الشركات لا يقل عن مليوني جنيه وتدعى امثال هذه الدور « دور السكن » (القشلاقات) وهي ابنية عظمى ذات خمس طبقات كل طبقة منفرد بعضها عن بعض يفصل بينها فناء متسع يلعب فيه الاولاد وقد فتحت فرج في الادراج وجعلت في بعضها ممرات ومنافذ يدخل اليها النور والهواء وليس فيها دهاليز مظلمة وهي على غاية النظافة على انواعها مستوفاة شروط الصحة كل الاستيفاء . ومعدل اجرة مسكن ذي ثلاث غرف في مثل هذه المساكن هو ٤٠٠ فرنك . واجرة الغرفة الواحدة نحو ١٣٧ فرنكا ومعدل اجرة من يسكنون في امثال هذه المنازل ستة فرنكات في النهار يدفعون اجورها صباح كل اثنين من كل اسبوع . وتسأل الشركة عن سلوك من يريد السكنى في بيوتها وعن مسلكه وذمته في اداء الحقوق وهي تؤثر الاسرة التي لها اولاد على غيرها على حين ان اكثر المؤجرين لا يرضون ان يكروا بيوتهم لمن كثر اولادهم فكان ذلك في فرنسا من جملة الاسباب في قلة النسل فيها

وقد اوصى المستر بابودي الاميركي سنة ١٨٦٢ باثني عشر مليون فرنك لانشاء دور من هذا النوع في وسط مدينة لندن ينفق ريعها كل سنة لانشاء بيوت جديدة وقال في وصيته انه بعد انقضاء قرن يكون الريع السنوي الناتج من الايجارات قد بلغ مبلغاً عظيماً فلا يكون في لندن عامل فقير واحد لا يحصل على مسكن موافق صحي له ولاسرته باجرة تناسب ما يقبضه

ولو لم ينزل كما قال الخبيرون معدل الفائدة بعد مرور مائة سنة على موت هذا الكريم لجاوز ما جاد به مليارين واسكن ٣٥٠ الف اسرة . وقد ظهر بالاحصاء ان الوفيات ولا سيما وفيات الاطفال تقل في بيوت المحسن بابودي اكثر من غيرها وان المواليد فيها اكثر وان مساكنه كان لها تأثير حسن في الصحة

والغالب ان هذه المساكن ناجحة في انكلترا اكثر من غيرها من البلاد الاخرى وفي مثل هذه البيوت بقليل من الذكاء والعمل يمكن للام التي تقول عن نفسها انها متمدنة وانها تتقي ذاك الجذام الخبيث من المساكن الضيقة التي تموت فيها الصحة وتفنى القوى بما ينبعث من روائحها الخبيثة وما يتزاحم فيها من الاقدام والانفاس وما يتجلى عليها من الوحشة والبشاعة وما تكون سبباً له من الامراض والاختلاط الضار والانحطاط الطبيعي والادبي

ولم تكتف احدى الشركات في لندن بانشاء بيوت رخيصة بل انشأت مطاعم رخيصة للعملة. وانك لتدخل تلك البيوت والمطاعم فلا تشهد فيها اثرًا للفاقة والفقر . وقد نظرت بعض تلك الشركات الى مصلحتها المادية والى مصلحة الساكنين ورأت ان اعمالها لا تدوم الا اذا كان ربحها معتدلاً فكان معظمها يعطي ارباحًا ثلاثة ونصفًا في المائة وبعضها اكثر من ذلك اي بقدر ما يعطي القنصليد الانكليزي او غيره من اوراق بعض الحكومات وفي ذلك من الفائدة للعملة البائسين ما يخفف عنهم شقاء الحياة وفيه خدمة المجتمع باسره واي فائدة له اكثر من ان يرى الشقاء يقل فتقل معه الاحقاد والحسد والثورات ويكون ارباب الاموال آمنين على اموالهم من الضياع وهم يتجرون في غرض شريف . وقد اسفرت مشاريع انشاء هذه الدور عن ربح معتدل لمن قاموا بها ولذلك اقبل عليها هناك من لا يحبون المخاطرة باموالهم في المضاربات وغيرها

وما عدا هذه المنازل والدور الخاصة بالاسرات فان القوم اقاموا غرفًا مفروشة للايجار يسكنها رجل واحد او امرأة واحدة او فتاة او فتى . فقد انشأت جمعية الاحسان في باريز نزلاً او حيًا من مثل هذا واخذت تؤجر الغرفة الكبرى بفرنك في اليوم والغرفة الصغرى بستين سنتيماً وهذا النزل عبارة عن خمس طبقات نظيفة يكثر فيها النور والظرف وغرفة المائدة متصلة باحد المطاعم بشروط عقدتها معه وتُقدم لها الاطعمة الجيدة بثمن بخس ومثل ذلك تجد في شيكاغو باميركا وغلاسكو في انكلترا وغيرها في غيرها

ومما تفننوا بانشائه من المساكن منازل للعزّاب اقامها في لندن اللورد روتون فبلغت اليوم نحو خمسمائة مسكن يسكنها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مستأجر ينزلون فيها ما احبوا ثم يغادرونها . وهذه المساكن اشبه بثكن جميلة آخذة من القوانين الصحية بنصيب وافر وكل مقصورة او غرفة منها اشبه بمربط الحصان يسكنها الفرد وتكون مفتوحة من اعلاها . والمغاسل وغرف الاجتماع والطعام مشتركة بين الساكنين وهي معرضة للهواء النقي والنور الذي ينعكس عليها من القرميد الابيض المعمول بالمينا على السطوح وغرف الاجتماعات فيها مزدانة بالصور ومزخرفة اي زخرف ويباع فيها الطعام والثياب باثمان بخسة واجرة الغرفة في اليوم ستون سنتيماً . ومع كل هذا الرخص لا تخلو الشركة القائمة بأمر هذه المساكن من ربح تجنيه . وبالسكنى في تلك البيوت يتخلص العامل او المستخدم من قسوة المؤجرين وطمعهم الاشعبي وينزل غرفة لا اوساخ فيها ولا اقذار بعيدة عن منهكات الصحة

وامثال هذه الشركات كثيرة في انكلترا وتفوق ما هو من نوعها في فرنسا اوفدانشي، معظمها وادير بيد مشاهير من النبلاء كان لهم البرنس البرت والبرنس دي نال احسن قدوة يقتدون

بها وقد حملتهم على الاستكثار منها اسباب كثيرة منها الخوف من ازدياد البؤس هناك وما احدث في قلوب العقلاء من القلق ولا سيما كثرة السكان في لندن ونمو طبقات العملة

بلغ رأس المال الموضوع في انكلترا لانشاء بيوت رخيصة للعملة ملياري فرنك وفي فرنسا مائة مليون فرنك ومعظم تلك الاموال تدفعها الحكومة كما هو الحال في المانيا وتدفع احياناً من دوائر البلديات كما يجري في المانيا وانكلترا وروسيا . وتقوم بذلك في بعض الاحوال شركات مختلفة النوع والصفة . وما احلى ما تقوم به المانيا وتسلفه لعملتها ومستخدميها المساكين من الاموال لتقيم لهم بيوتاً رخيصة ما امكن . وما عملها هذا لو دققنا النظر الا الاشتراكية العملية على ما تتجلى في العادة الاشتراكية في شمال اوربا اشتراكية ليس سداها ولحمتها كلاماً ولا خصاماً قلما ينتفع بها الا نافخو ضرامها ثم خصومهم ثم العدوّ الغريب

قال جان لاهور واني وان رأيت ان تسير الامور اولاً بمعونة الحكومة وحمايتها ولكني اوثر ان تعمل عزائم الافراد عملها مستقلة فان العزائم اذا جمعت عظمت بالاشتراك وانكلترا اعظم مثال في هذا الباب. نعم ان الاقدام الشخصي والشركات الخاصة انفع للامة في هذا الشان . لان القاء المسئولية على عاتق الحكومة لا يكون منه الا سوء ادارة وقلة اقتصاد وعمل متوسط بأكلاف مفرطة فيما تتولاه . ثم ان الاعتماد ابداً على الحكومة يورث الامة عادات ضارة تنزع منها الشعور بالاستقلال الذي هو احرص ما تحرص عليه نفوس العقلاء ويعبث بالتربية الحرة ولا سيما في بلاد دستورية

ان معنى مطالبة الحكومة ان تعمل كل شيء او مطالبتها بمعظم شؤون الامة هو تعويد الامة على ان لا تعمل لنفسها بنفسها شيئاً او انها تعمل التافه الحقير من الاعمال ولا يجب ان تدخل الحكومة الا حيث يضعف عمل القوة الفردية ويخفق اتحاد الشركات

الحكومة اذا نافست الافراد توشك ان تنزع منهم الهمة وتضعف فيهم الجهاد واذا تولت ادارة مثل هذه الدور تنتهي بأن تعين لها عمالاً كثيرين من لدنها على ان كثرة الموظفين هي اليوم الضربة القاضية على الامم كانتشار المشروبات الروحية وربما كانت من مفاسد عنصرنا وامراضه الوبيلة وفيها الخطر كل الخطر علينا . الالكحول سم الارادة والاحترام الشخصي والتوظف كما هو الآن عندنا لا يقل عنه ضرراً . وما التوظف في الحكومة لقاء رواتب تدفعها لموظفيها الا صورة من صور الرق والعبودية القديمة في مظهر جديد يضطر فيه صاحبه ان يطلق حرية روحه وفكره على حين ترى الخدام متمتعين بها .

ولقد نرى حكومات في الغرب كحكومة المانيا مثلاً قد انتبهت لهذا النقص فما احبت ان تكثر ن جيوش الموظفين كما هو الجاري في فرنسا وان تنهك ميزانيتها بالملايين للادرار عليهم

بل خصصت ملايين في ميزانيتها لاعمال من مثل هذه مصبوغة بصبغة الديمقراطية والاشتراكية العملية . اما انكلترا فلحسن طالعها ان نفوذها في رعاياها قليل والقول الفصل فيها لهمة الافراد

وقد قررت دار الندوة الانكليزية سنة ١٨٩٠ ان تمنح المجالس البلدية حق نزع ملكية البيوت القذرة وان تمديد معونتها للشركات وتسلفها اموالاً في مقابلة رهن لاعادة تلك البيوت الى حالة حسنة تجمع الى النظافة الرخص ويعود الفقراء فيسكنوها فكان في ذلك من المنافع الصحية العامة ما ظهر اثره في وجوه السكان وصحتهم . ولا معنى لـ اهل الحكومة وقلة عنايتها وهي المسيطرة على القانون ان تترك الناس وشأنهم اذا بلغت بهم الحال الى هذه الدرجة من البؤس على ان هذا البحث كان موضوع المناقشة في المؤتمر الدولي سنة ١٩٠٠ وانقسمت الآراء فيما اذا كان يجب صرف اموال الضرائب في اقامة بيوت رخيصة كما يجري في لندن وبرمنغهام من بلاد الانكليز وفي فريبورغ واولم في المانيا وفي غوتمبورغ في السويد على يد المجالس البلدية الا ان الرأي العام كان مناقضاً لهذه الاشتراكية

وانك لتجد للمالك الصغرى في اوربا من العناية بامثال هذه المشاريع ما للممالك الكبرى وزيادة . فاذا كنا نسمع بنور المدنية ينبعث من المانيا وانكلترا وفرنسا في اوربا فان سويسرا والدانيمرك والسويد والبلجيك وهولاندة لا تقل عنها في المشاريع العامة الخيرية ان لم نقل انها تفوقها في اكثر حسنات المدنية لان اللقمة الصغيرة يسهل ازدرادها اكثر من الكبيرة كما يقولون ولان الصغير المدبر يتيسر له ضم اطرافه اكثر من الكبير المتوسع في املاكه . خذ مثالاً لذلك البلجيك فانها بفضل صندوق التوفير العام فيها قد اصبح خمسة عشر الف عامل فيها يملكون بيوتاً يسكنونها وذلك في مدة عشر سنين اسلف هذا الصندوق في خلالها اثنين وثلاثين مليوناً من الفرنكات للعملة والشركات وبواسطتهم عمرت هذه البيوت الرخيصة على ان امثال فرنسا والمانيا وغيرهما من الممالك الكبرى معاً عنين باعانة البائسين وايواء المساكين فلا يبقين الا مقصرات فان شركات المانيا وغيرها من الافراد اسلفت العملة ثمانمائة مليون مارك لمثل هذه الاعمال الاجتماعية وكذلك فعلت انكلترا واقرضت عملتها . فترى بعض شركات كشركة البناء فيها لا تبني بيوتاً بل تقرض مالا للعملة بنون لا تقسهم به فيؤدي العامل كل يوم اثنين عشرة فرنكات مثلاً اي ٥٢٠ فرنكاً في السنة بحيث يجتمع له بعد ثلاث سنين ١٦٠٠ فرنك وبذلك يبرهن بانه يستطيع ان يقتصد وعند ذلك يعمد الى شركة من شركات بناء الدور الرخيصة ويطلب اليها ان تقرضه مالاً لانشاء مسكن فيؤدي اليها اولا ال ١٦٠٠ فرنك التي اقتصدها وثانياً مبلغ ٢٤٠٠ فرنك يدفعها بعد

فتكون كلها اربعة آلاف فرنك ويظل على تأدية عشرة فرنكات كل يوم اثنين من الاستهلاك . وقد كثرت انواع هذه الشركة وكان عددها في انكلترا ٢٢٤٣ شركة لا يقل رأس مالها عن مليار فرنك حتى ان بعضهم رأى ان بعض تلك الشركات تقبض من العملة المشتركين معها كل يوم اثنين مليون فرنك

كل هذه الاعمال لا ترى فيها للحكومة الا اثرًا ضئيلاً وما عدا ذلك فالافراد والشركات يدبرون ما يدبرون وكذلك روءساء المعامل فان منهم من يهتمون هناك بمصالح من يعملون عندهم اهتمامهم بمصالح اولادهم ولا سيما في البلاد الجبلية التي لا ترى فيها الا صخورًا او مضايق واودية .

وقد استعمل بعضهم البيوت النقالة التي اخترعها الاميركان لتكون عونًا على استعمار بعض الاطراف البائرة والاصقاع المتنائية في الولايات المتحدة وهي مصنوعة من خشب الصنوبر وتختلف قيمتها بحسب ما فيها من الغرف من ٢٥٠٠ فرنك الى ٩٥٠٠ فرنك ينقله الانسان حيث اراد وكذلك البيوت الخشبية التي اصطلح عليها في بلاد النروج والسويد والروس وكلها من احسن الانموذجات في البيوت الرخيصة

رأى بعض الاجتماعيين ان تولي روءساء المعامل من امر عملتهم ما يتولون في بعض بلاد الغرب فيقتطعون جزءاً من اجورهم لسداد ما عليهم من اثمان مساكنهم التي تكون ملكاً لهم بعد قليل من السنين — ان هذا العمل يفقد العملة استقلالهم بعض الشيء فيضطرون ان يعملوا في معامل روءسائهم وربما يوفون ما عليهم او يخرجون منها قبل وفاء ما عليهم فيلقون المشاكل وما عدا هذا المحذور فان تولي الرئيس او المعلم امر عملته والنظر في مستقبلهم وانشاء بيوت لهم او حملهم على الاقتصاد هو السداد بعينه

وفي بعض البلاد لا يتأتى الا ان يتداخل روءساء المعامل في احوال مستخدميهم كبلاد روسيا مثلاً . ولذلك كانت مساكن العملة في اكثر ارجائها بديعة مستوفاة شروط الصحة ولا سيما في الاماكن البعيدة عن السكان والعمران مثل معمل (داغوكردل) لصاحبه البارون ادنجرن ستمبرغ فانه انشأ لكل عامل دارًا منفصلة عن دار جاره فبلغ عددها ٣٣٧ دارًا فيها عامة مرافق البيوت وحديقة للثمار واخرى للبقول وغيرها يقتطع من اجرة العامل خمسة وعشرين في المائة فما هو الا كلا ولا حتى يصبح العامل صاحب دار فسيحة وحديقة انيقة ويشرب السكان من آبار ارتوازية طاهرة بحيث تكاد لا تجد للحمى التيفوئيدية بينهم اثرًا مع ان هذه الحمى يكاد يكون انتشارها عامًا في البلاد الروسية واعمار من يعيشون في هذه المساكن اطول من اعمار من يسكنون في غيرها . وكم للعملة من بيوت لا يفقهون

عيونهم عليها بعد حين الا وهي ملك لهم يخلفونها لذراريهم جيلاً بعد آخر . وان افاضل الروس واجدادهم لم يفتهم ان يبسطوا ايديهم بالعطاء لمساكين يبنون لهم به دوراً حسنة تؤويهم فقد اوصى سولو دفنكيوف لمدينته باثني عشر مليون روبل لانشاء بيوت يسكنها البائسون المحاويج

ومن المعامل التي وسعت على عملتها ونظرت في رفاهيتهم معمل كروب الالماني فانه مثال المشاريع العظيمة ونموذج من حماية صاحب المعمل لعملته وعدم احتفاله بالمال في سبيل راحة من يقومون باعمالهم لنفعه ونفعهم . فان هذا المعمل وان شئت فقل المعامل المعروف بمدافعه وعدده الحربية صعب عليه ان يرهق العاملين فيه كما يرهق البشر بمصنوعاته فانشأ لعملته في مدينة اسين الجميلة على نهر الروهن ثماني مدن وخمس مستعمرات وبيوتاً منفردة يسكنها العاملون آمنين مطمئنين . فهناك زهاء خمسة آلاف مسكن يقطنها زهاء ستة وعشرين الف نسمة وقد ازدانت بالنباتات المعرشة والزهور البديعة واستوفت من داخلها وخارجها اسباب الظرف والزينة وكل ما يملأ العين قرة والصدر مسرة واقامت ادارة المعمل بالقرب من تلك البيوت بيوتاً اخرى جميلة فسيحة لعملة العاجزين والايامى من نساء العملة . ويتصل بالمعمل شركة تبيع المأكولات كما تتصل به مستشفيات تامة العدة وبيوت للنقاهة وقاعات للاجتماع والمطالعة وقد صرفت ادارة المعمل على انشاء هذه الدور نحو مليون جنيه .

وتفوق دور معامل كروب دور معامل الصابون في بورت سونلخت وقد عرضت ادارة هذا المعمل انموذجاً من الدور التي تؤجر في الاسبوع من اربعة الى خمسة فرنكات في معرض باريز سنة ١٩٠٠ فكانت محل العجب وربما كانت هي المعول عليها في المستقبل لايواء العملة وراحتهم ففيها جماع مرافق الحياة وفي كل منها حديقة للبقول تؤجر على حدة باجرة طفيفة جداً . وهذه الحدائق يمكن زرعها على ايسر سبيل بما انشأته عقيلة من عقيلات الكرم والعقل من شركة تؤدي لعملة ما يلزمهم من الارض والبذور « التقاوي » والنباتات لغرسها في حدائقهم او لتزيين بيوتهم بها

في انكلترا قرية لا تقل في الغرابة عن معامل كروب ومعامل الصابون المذكورة آنفاً وهي القرية التي انشئت في تورنفيل على يد طائفة الكواكر البروتستانتية اعني بها معامل الشوكولانا فان هذه الشركة رأت ان جمال مناظر المساكن مهما كان نازلوها فقراء مطلوب لذاته فبذل افراد من هذه الطائفة مالهم لانشاء هذه المدينة النادرة في شكلها واقامت لها اندية والعاباً وخزائن كتب ومحال للسباحة وبيوتاً تحف بها الخضرة والنضرة على طريقة جميلة

ليس فيها مظهر من مظاهر الزخرف الكاذب بل فيها جميع ما يلزم الحياة وبعضها مزين مبهرج منقوش ولا يكلف السكنى فيها كل اسبوع اكثر من ٨ الى ١١ فرنكاً

وقد قال مدير المعمل لاحدهم بمناسبة انشاء هذه الدور ان المذاهب السياسية لا تأثير لها ولو كنا كلنا نقوم بالواجب علينا لبطلت الحروب بين طبقات الناس وليت شعري لماذا لا تقوم المجالس البلدية بمثل ما جرأنا نحن على القيام به ؟ وان الشرح ليطول لوعددنا المدن التي انشأها ارباب المعامل في الولايات المتحدة لعملتهم حتى ان حي العملة في شيكاغو يعد من اهم احياء تلك المدينة الصناعية العظيمة واجملها . ولا ننس البيوت التي اقامها بعض ارباب المعامل في فرنسا ولا سيما شركة معادن لانس فانها احدثت اربعة آلاف مسكن مختلفة الاشكال لعملتها ومستخدميها وكذلك انشأت شركة مناجم لينين اربعة آلاف مسكن واجرة الواحد منها ١٥٠ فرنكاً . وبعض المعامل تقرض عملتها دراهم لابتياع ارض وبناء مسكن فيكونون في الحال مالكين لها ويختارون الهندسة التي يريدونها وبعضهم يؤجر كل بيت في الشهر من فرنك وربع الى ثمانية فرنكات وربما اعطوه مجاناً في بعض الاحوال وقد استلف عملة منجم كوري مليوناً وستمائة الف فرنك لانشاء بيوت لهم كما اقترض عملة مونسوليمين زهاء مليون

وفي مدينة سوشار من اعمال نوشاتل في سويسرا في معمل الشوكولاتا حيّ عظيم لعملة المعمل ومستخدميه جاءت بيوته على صور مختلفة منها ما اجرته سبعة عشر فرنكاً ونصف ومنها ما اجرته ثمانية عشر فرنكاً ونصف تدفع الشركة نصف اجرتها من عندها . ومن بيوت العملة التي استحقت الثناء مدينة فيليرون من اعمال البلجيك في معمل الزجاج وفي مدينة ولفت في هولاندة وغيرها . وكلها بيوت ان امعنت النظر فيها تقضي بالثناء الكثير للساعين بها على خدمتهم الحقيقية للانسانية والوطن والاشتراكية العملية

وما عدا دور العملة والعناية بامورهم تجد في اوربا جمعيات احسان اخذت على نفسها انشاء بيوت رخيصة يسكنها كل فقير بدون استثناء . وقد بلغ عددها في فرنسا ٦٧ جمعية واقدمها جمعية باريز انشئت سنة ١٧٨٠ فانشأت بيوتاً مشتركة لا يكلف السكنى فيها كل اسبوع اكثر من ثلاثة فرنكات وربع الى سبعة وربع في مساكن فيها ثلاث غرف ومطبخ وقد استوفت شروط الراحة من هواء طلق ونور كثير ومحال يسرح فيها النظر وماء كثير طاهر يجري لمن يريد وكان للمنافسة القائمة بين تلك الجمعيات اثر مهم في نجاحها وسعيها كل حين لتحسين حالتها . والمنافسة اساس عظيم من اسس النجاح . وقد بلغ رأس مال بعضها زهاء مليون من الجنيهات ومائة الف مشترك وبعضها يبيع طعاماً وثياباً بثمن بخس

وما تربحه الشركة من ذلك تعود فتبني به بيوتاً . وقد ثبت بالاحصاء في بضع سنين ان عدد الوفيات في الالف من سكان هذه البيوت دون عدد الوفيات في غيرها من المساكن غير الصحية .

ومثل هذه البيوت في نظامها وفائدتها كثير في الممالك الصغرى في اوربا فتجد في كوبنهاغ شركة بيوت العملة قد اقامت الوفاً من المساكن للعملة والشركة مؤلفة من العملة انفسهم وهي لهم بمثابة صندوق اقتصاد فيدفع كل عامل في الاسبوع قرشين اي نصف فرنك حتى بلغ ما جمع من ذلك سنة ١٩٠٠ مقدار ٥٧٦٩٩٣٠ كورونا (الكورون فرنك وار بعون سنتيما) فيشغلون هذه الدراهم و يعملون يانصيب فيجمع من ذلك عشرون كورونا في ستة اشهر لكل عامل وبعد عشر سنين يعطى اذا اراد مادفعه مع ارباحه او يأخذ داراً واذا مات يأخذ ورثته هذا المبلغ . ومما هو حري بالنظر في كوبنهاغ بيوت البحارة ومستخدمي البحرية التي انشأها الملك كريستيان الرابع

وشركة تحسين المنازل في سويسرا وميلان ونابولي ونيويورك حرية بالذكر ايضاً وكلها تدور على تحسين مسكن الفقير وبعضها يعنى بالتدفئة ايام الشتاء و باعطاء الماء السخن لمن شاء من الساكنين بلا مقابل والقاء الحرارة المعتدلة في مساكنهم وقدقامت بعض تلك الشركات بيد النساء فنجحت كما تنجح شركات الرجال . مثل شركة الآنسة كولنس في نيويورك التي انشأتها على مثال شركة الآنسة اوكتافيا في لندن لتطهير المساكن القذرة من قذارتها وتطهير نفوس ساكنيها من حمأة الرذائل فنجحت كلتا الشركتين واتتا بارباح حسنة . وقد بدأت حكومة البرازيل منذ سنة ١٨٨٢ تساعد في انشاء البيوت الرخيصة فاصبح عددها في ريوجانيرو وحدها سنة ١٨٩٧ — ٥٠٠٠ مسكن . ومن تلك الشركات جمعيات اخذت على نفسها نشر الدروس الاجتماعية والدعوة الى تعلمها فكانت من انفع ما يكون من الاصلاحات العظيمة التي ادخلت على بيوت الفقراء وجعل بعضها غايته درس الاسباب التي تنشيء الاسرة على اساس طبيعي وهو تمليكها ارضاً تحرثها وداراً تسكنها . تتذرع للوصول الى هذا الغرض بكل وسيلة تمكنها من نشر المطبوعات ودعوة الحكومات او البلديات او ارباب الغنى الى انشاء صناديق لايجار بيوت بثمن بخس وتطالب بسن قانون تعفي الحكومة فيه من الضرائب ما يملكه الفقراء من المساكن والاراضي وتتخذ كل سبب ليتيسر للناس اقتناء مثل هذه البيوت او بقاؤها او انتقالها ومنها ما يعطي المحاويج بيوتاً يسكنونها وتحميهم بدون واسطة الحكومة مما يصيبهم من الفاقة ايام عطلتهم ومن الشقاء وموت رب البيت قبل الاوان وهكذا تجد الحركة قائمة في جميع البلاد الافرنجية لتعميم هذه

المبادئ ، وتحسين حال البائس الفقير وهي كل يوم في انتشار وكثرة بحيث لا ينسلخ هذا القرن العشرون في اوربا الا وقد انحلت فيها المسألة المعروفة بالمسألة الاجتماعية وان شئت فقل اهمها اذ يكون جميع العملة ممتعين ببيوت يسكنونها والشركات والجمعيات تحميهم من الفقر المدقع بعض الحماية وتقل بذلك الامراض كما يرى بعض الباحثين في احوال تلك المجتمعات اذ استدلوا على ذلك بان المساكن الطاهرة الصحية قد قلت فيها الوفيات عن المساكن القذرة والاكواخ الحقيرة التي هي في الحقيقة منبث السل وغيره من الادواء المنهكة لجسم المجتمع . وقد قال الدكتور روم ان المسكن والطعام والعمل هي السبب في كثرة الوفيات بين العملة فالواجب الاسراع في اصلاحها او بغيرها لا اصلاح ولا فلاح وكل ذلك متوقف على الارادة اذا صحت والافراد اذا اقدمت وتكاتفت

لم تكتف الجمعيات في اوربا واميركا بانشاء المساكن للفقراء وتقشها والاستكثار لها من مرافق الراحة واسباب الصحة بل احبت تجميدها وتزيينها والتأنق في داخلها وخارجها لانهم رأوا السكنى في بيوت رخيصة لا تغني الغناء المطلوب وحده .

ارادت من الدور ان تكون معرضة للهواء محببة الى القلب وان لا يكون اثاثها وفرشها كثيباً قذراً بل ان تكون مائلة الى البساطة تجمع اليها حسن الذوق والظرف لان عصر البيوت القذرة الضارة قد انقضى كما ينبغي القضاء على المساكن البشعة من داخلها الكثيبة التي تنزل الساكنين فيها من البائسين وهم لا يشكون كالدود الذي يعيش في القاذورات .

ارادت تلك الشركات ان تستعيض عن الاثاث البشع السيء الصنع باثاث يكون بسعره او اقل ولكن على صورة حسنة وتزيين ضروري وان لا يفرشوا بيوتهم فرشاً رديئاً كما هو الحال في بيوت الفقراء في اكثر بلاد الشرق . وذلك لان النظر الى هذه البشاعة مما تضيق به الصدور ويجرح القلوب كما تتأذى به العيون وتتقزز منه النفوس ولان تحسين الذوق دخلاً كبيراً في نهضة الامة

ترى في البلاد الديمقراطية ان الفقراء من الرجال والنساء يحاولون ان يكونوا في ملابسهم كاهل الطبقة الوسطى على ان الالبسة التي كانوا يألفونها فيما مضى لها من الرونق ما ليس لما يلبسونه اليوم على تكلفهم التقليد . وقد رأت بعض الجمعيات انشاء البسة لاهل الطبقة الدنيا خاصة يشاركها في لبسها اهل الطبقة الوسطى وتكون رخيصة الثمن نافعة في صحة الاجسام وصحة الاكياس وان يكون لمنزل اهل الطبقات النازلة ما لاهل منازل اهل الطبقات الوسطى حتى لا ينكسر خاطر الفقير ولا ينقصه شيء من راحة الاجسام ولذلك كان اول عمل يعملونه ايجاد طريقة لتجميد البيوت الفقيرة وتزيينها كتجميد بيوت الاغنياء وتزين

خذ مثالاً لذلك الجدران فانهم رأوا ان تزين او يوضع عليها ما يزينها من البسط · وقانون الصحة يقضي بان يتيسر غسل الجدران وقد رأوا ان الورق الذي يجعل على الحيطان ويغسل لا ينفع الفقراء لانه غالي الثمن وان الاحسن ان تنقش بالزيت وربما كان هذا النقش غالياً ولكنه اثبت وافرح للنظر ولا يصعب تطهيره كل مدة ويجعل الساكن عليها صوراً ورسوماً ومصورات واسونة للثياب وغيرها مما لا يتعذر في اوربا اقتناؤه لرخصه وهو يزيد المكان رونقاً وبهجة

ورأوا ان النوافذ ينبغي ان تكون ستائرها من قماش يمكن ان ينفض او يغسل بسهولة فيكون من البفتة لا من الحرير والاطلس او الشاش المزين بانواع النقش والزينة اما النوافذ التي في اعلى المنازل فتترك بلا ستائر · والاولى ان تكون الستائر متناسبة مع نقش الغرفة وتعلق بسيخ وحلقة ·

اما سرر النوم فيجب ان تكون بحسب رأي بعض اهل الصحة مكشوفة بدون كلة (ناموسية) من اعلاها لانه ثبت ان هذا القماش الموضوع يحبس نفس النائم ويحفظ الجراثيم الضارة بل يساعدها على النمو والتعشيش وينبغي ان تناط من عند رأس السرير قطعة من القماش تنزل وترفع بحيث تمنع مجرى الهواء عن رأس النائم فقط ولا تكون هذه القطعة طويلة وتكون من ناحيتين بحيث ان النائم حيثما انقلب لا تؤذيه اشعة النور اذا اتجهت نحوه وينبغي التقليل من الفرش ما امكن بحيث يسهل نفضه او غسله · كل هذا ويراعى في الاثاث الاقتصاد والجودة فيكون متناسباً مع نقش المنزل · وتخير الاشياء المنطبقة على الذوق لا يكلف الا بعض عناية وبذلك تعود بعض العادات في بساطة البيوت التي كانت مألوفة · وليس الجمال في الاثاث والرياش المتكلف في صنعه والمزين من وراء الغاية بل الجمال في الفرش البسيط الاقتصادي النافع المناسب · وانا لنرى احسن زينة في البيوت بانكلترا هي ما كان منها من اصل ريفي مألوفاً في القرى والدساكر الا انه يجمع الى البساطة نظافة وحسن ذوق

وقد حسب ما ينبغي لفرش بيت الفقير على هذه الصورة وهو ان تفرش غرفة المائدة وغرفة للاستقبال صغيرة وثلاث غرف للنوم فرشاً بسيطاً كما يكون البناء رخيصاً بالف وخمسمائة فرنك اما ان يدفعها الساكن دفعة واحدة واما ان يستلفها من الجمعيات والشركات التي اخذت على نفسها في اوربا تقديم احسن الفرش للبيوت باثمان متهاودة فيدفع عن هذا المبلغ فائدة طفيفة وهي خمسة في المائة · واذا استأجر العامل او الفقير داراً من مثل هذه فلا تتجاوز اجرتها في اليوم وهي مفروشة احسن فرش مئتي فرنكاً وثلاثين سنتيماً

وبهذا رأيت ان لفرش البيوت في اوربا جمعيات كما ان فيها شركات وجمعيات لتقديم الطعام الرخيص والالبسة الرخيصة والمساكن الرخيصة بحيث آلى بعض ارباب العقول في اكثر الممالك الافرنجية ان لا يتركوا بيتاً قذراً ولا بشعاً وان تكون بيوت الفقراء كبيوت الاغنياء لطيفة الداخل والخارج فمتى يا ترى ينسج الشرق على مثال الغرب في مثل هذه الاعمال النافعة والحضارة الرافعة

مثال الامة الراقية

جرت العادة ان تقتدي الامم بعضها ببعض ولا سيما فيما فيه اعلاء كلمتها وتمام سعادتها فتطرس الامم النازلة على آثار الامم الناهضة . قال هنري ليشتنبرجه احد اساتذة كلية باريز في خاتمة كتابه المانيا الحديثة ونشوئها ما تعريبه :

لم يكن لالمانيا في اوائل القرن التاسع عشر كيان يدل على انها دولة عظمى بل كانت اشبه ببناء يتداعى والناس من حوله لا يعبأون بما يجري له . فلم يكن هناك دولة يصح ان تسمى المانيا بل كان امراء من الالمان منشقين على انفسهم يتحاسدون وقلما يحرصون الا على مطامعهم السافلة في الحكومة وهم اهل لكل تسفل لا يتحامون ارتكاب الخيانات على ضروبها للاحتفاظ بسلطتهم الثمينة وتقوية امرهم وليس لهم من الكفاءة ما يستطيعون معه توجيه وجهة مطامعهم المنبعثة عن انانيتهم المجسمة نحو ما فيه نفع الامة بل كانوا يؤهلون بالغريب ويحالفونه لقضاء مآربهم يعلنون الحرب على ابناء وطنهم اذا سما لهم امل بجلب بعض النفع من غدرهم وخياناتهم . وبين ظهراني مثل هذه الامة المنقسمة الضعيفة لا يرجى ان تقوم قائمة للحياة السياسية وأنى يكون لها ذلك ونظام الحكومة المطلقة فيها ضارب بجرانه وكثيراً ما يستحيل الى استبداد بيد الخفراء والغفراء والناس مع هذا خاضعون خانعون حتى كادوا يقربون من حد الرق والعبودية

ابتعد الفلاحون وسكان المدن وارباب الصنائع واهل الطبقة الوسطى عن الاشتراك في الشؤون العامة واستسلموا لظلم الحكومة وطبقة الاشراف على ما فيه من النكد وهم ضعاف الحول والقوة لا قبل لهم برد عاديتهم عنهم ولم يعودوا يبالون بتة بالحياة الوطنية بل نحوا الى دائرة اشغالهم الخصوصية

كل هذا والحياة الاقتصادية في الامة ضيقة النطاق حقيرة الشان والشعب مشتت

مبعثر والبلاد فقيرة والمال قليل والصناعة تكاد تكون عدماً . فلم يبق للخروج من مأزق هذا الشقاء الا مخرج واحد وهو تنمية العقل والصناعة فنزلت طبقة الخاصة المتعلمة الى هذا الميدان وهبت هبة حماسية صالحة

وفي تلك البلاد الالمانية المشتتة المغلوبة على امرها التي كاد بوم الخراب ينعق فيها بما تواتر عليها من الحروب والغارات ازهر التهذيب الادبي والفلسفي الذي ربما كان اجمل سطور المجد الذي تفاخر به هذه الامة . ودخلت المانيا من ذاك العهد في ميدان العمل وتخلت عن عالم الخيال والاحلام . واذ كانت انكلترا استولت على البحر وفرنسا على البر لم يبق لالمانيا كما جاء في بعض اقوالهم المعروفة الا ان تؤسس لها ملكاً في الهواء فانشأت مملكة لا نظير لجلالها ولا قرين لعظمتها

ولم تلبث هذه الامة المتقهقرة الساقطة من حيث ادراك الحقائق الارضية المولعة على ما يظهر بالخيالات والترهات ان نشأت فيها فكرة الاقدام على الاعمال وظهر للحال بان الشعب الالماني ربما كان الوحيد بين شعوب اوربا في استعداده للتقدم في الجهاد الاقتصادي . فهو لم يقتصر في نهضته الغريبة على اللحاق بالامم اللاتينية التي سبقته زمناً الى طريق الارتقاء المادي بل تقدم عليها حتى جعلها وراءه . وكاد يهدد اليوم انكلترا ايضاً فيما كانت لها المكانة المكينة فيه منذ القديم في الامور الصناعية والتجارية

فبدا هذا الشعب البطيء الثقيل بعض الشيء القوي في ذاته السالم في نفسه انه مستعد لترقية المدنية وان بلاده صالحة لغرس بذورها . بيد ان الالماني لا يعد متفنناً ولا محباً للذات ولا مغلباً للشهوات على مثال الامم اللاتينية . هو لا يعشق مثلها البطالة والفراغ ولا يرغب في العيش في التغزل بالجمال وحسن العشرة بل انه يميل من فطرته الى الجد وهو قوي الشكيمة عامل لا يعرف الملل سليم الطوية

سار منذ القديم على نظام دقيق في الاخلاق . وخضع منذ ازمان لقانون قاس في التدريب على الجندية . وفي مثل من كانت هذه طبيعته خالية من الزهو والظرف ولكن فيها المتانة وطول الاناة كبرت ارادة قوية صبورة منظمة لها من الكفاءة ما تستطيع معه ان تأخذ في السبيل الذي سلكته والغاية التي قصدت اليها من دون ان يلهيها الهوى والشهوة وبغير ان يثنيها ثان من صعوبة او تحول دون امانيها عقبة

تطمح المانيا الى بسطة سلطانها مدفوعة الى ذلك لا بعامل الرغبة في ان تكون في مقدمة الامم وان تظهر شانها وامرها ولا من اجل المنافع المادية التي تحاول نيلها بل انها تريد رفعة الشأن لذاتها لانه مقياس حقيقي لما يساوي به رجل او جماعة او حزب او امة

المانيا مسوقة الى المشاريع التجارية بتابل من ناموسها الاقتصادي تفطرها اليه ضرورة ملازمة لها ملازمة محتمة · الالماني كثير النسل للغاية · فقد زاد سكان المانيا من نحو ٣٥ مليونًا سنة ١٨٤٦ الى زهاء ٣٦ مليونًا سنة ١٨٥٥ الى زهاء ٦٠ مليونًا سنة ١٩٠٥ وانت اعلم بان هذه الزيادة تزيد في عدد الاسر والبيوت

وهذا النمو من الامور التي ساعدت على نماء الثروة بينهم لان الزائد كل سنة من ابناء الامة ينشأ منهم لالمانيا جيش من العاملين الذين تحتاج الصناعة اليهم في ترقية شؤونها وقد انتشر فكر الاقدام على الاعمال في الطبقة الغنية من الامة انتشارًا كثيرًا · وانك لترى رب الاسرة منهم غير طامع ان يترك لابنائه كما هو الحال عند الفرنسيس مقامًا كريمًا يعده لهم ودخلاً مضمونًا يتمتعون به بعده بل انه يربيهم تربية متينة ويجهزهم لجهاد الحياة باقوى جهاز ثم يتركهم وشأنهم يجدون لهم في الارض مرتزقًا

فيروح الشاب يتعب ويفرغ الجهد مخافة ان يسقط عن المكانة التي بلغها اهله · وهكذا كانت كثرة النسل في هذه الامة مهمازًا قويًا يحث المانيا على النهوض الى طلب الثروة والشوكة · وهذا الجهاد في سبيل العظمة يكبر ويضخم في عامة شؤون الحياة الالمانية وفي جميع فروع الجهاد البشري · فتراه متجليًا في الافراد وفي الاحزاب السياسية وفي الطوائف الاجتماعية وفي الحكومات المتحدة وثابتًا بمجموع الامة الالمانية بامرها فيما تظهر فيه من مظاهر بسط السلطة وما حازته من الاشتراك في سياسة العالم · هذا الجهاد يرمي الى رفعة شأن الجندية والبحرية والنفوذ السياسي والقوة الاقتصادية والصناعية والتجارية والتقدم العلمي · لان العلم ايضًا صورة من صور السلطة البشرية ولاشك ان المانيا حازت قسطًا كبيرًا من نجاحها بواسطة علمها

صحت العزائم على التدريج وقويت ارادة السيادة وأشربتها روح الالماني فمال الى التهذيب بكليته · ولم يكن ميل الالمانيين الى الفنون ميلهم الى القوة لان الفنون كالدواء المتمم لدواء افعل منه فهي لا تقصد من ثم لذاتها · على انه مما يجب ان يعرف ان رغبتهم في القوة لم تكن رغبة في القوة الوحشية الظالمة ذات الاهواء والاحكام العرفية التي تظلم عن تعقل وهوى وهي منافية للحق والعدل بل ان رغبتهم كانت مصروفة الى القوة الذكية المفكر فيها التي تقبل لانها مشروعة بفضيلتها الذاتية لا لانها نافعة عاقلة · ومن العادة ان تقوى القوة على الضعف وان تخضع الطبقة النازلة للطبقة العالية · الالمان احترموا القوة التي هي حق ايضًا ولانها تعبر عن تقدم حقيقي يقضي العدل بان يعترف به ويحترم

جهاد الالمانيين لبسط سلطانهم يجري على ترتيب وتنسيق ما امكن فان نظام حرية

المنافسة وهي عبارة عن محاربة الفرد للمجموع وتحريك الانانية الشخصية يحتوي في مطاويه ولا شك مبدأ فوضوياً اقرب الى الانحلال منه الى التماسك . فيتأتى له ان يكون كما كان سابقاً في ايطاليا على عهد النهضة مثاراً للشخصيات الساخطة التي تنازع غيرها للتفوق عليه واليأس آخذ مأخذه يهلك بعضها بعضاً بلا شفقة . بيد انه من الثابت ان ارتقاء مبدإ حرية العمل في المانيا لم يؤدّ الى نتائج من هذا القبيل . فان المنافسة بين الافراد وبين المجموع على اكثر ما تكون من الشدة ولكن لا تستحيل ابداً الى فتن لا نظام فيها

طال جهاد المانيا في سبيل الوحدة السياسية واستعر النزاع بين حكوماتها في امره فانتهت حاله بحرب . ولما اصدر المحكمون من النائبين عن الاهلين حكمهم في هذا الشأن سكنت الكراهية وزالت الاحقاد ورضيت الامة في الحال بما وضع لها من نظام جديد وبدلاً من ان تضيع الوقت في شحناء لا فائدة منها وتنهك قوتها في الانتقاض العبث راحت تجمع قواها لدفع غارة الحروب السياسية والاقتصادية التي تتوقعها من ناحية اوربا والعالم فكان شأنها في نزاعها شأن الاحزاب السياسية التي يشتد بينها الخصام ويدوم ولكنه لا ينتهي في الغالب بفتن شعواء . وربما كان بين الطبقات المختلفة عندهم اشد مما هو عند غيرهم ولكنك لا تجد فيه ما يستشم منه ريح الثورة حتى ان الفكر الاصلاحي يقوى شيئاً فشيئاً بين الحكومات التي ترى التوسع في جمع رؤوس الاموال وبين الاشتراكيين الالمان ممن آلوا على انفسهم الا ان ينافروا الحكومات فتراهم يقضون بدون تقية على كل ما من شأنه ان يدعو الى القسوة ويتحامون الوقوع فيما يؤدي الى اتخاذ سلاح القوة ولو كان فيه تحقيق امانيهم وابلاغهم غاياتهم وهم يصرحون جهاراً بكرههم لمقاومة روح الجندية وللاعتصاب العام

نرى المنافسة الصناعية والتجارية مشتدة كل الاشتداد وهمم الافراد بالغة اقصى الشدة والجرأة ولكن المانيا وهي مهد الشركات العظمى المؤلفة من ارباب المعامل او العملة هي على التحقيق من البلاد التي بذل فيها الجهد لتنظيم اسباب الانتاج ووضع المراقبة على اسواق المقايضات ليكون من ثم للمنافسة حد محدود ويقلل من معاودة الازمات واضعاف شدتها اذا حدثت

وعلى الجملة ان الجهاد الشخصي على اشده في المانيا ولكن لا يؤدي فيها الى فوضى الافراد وربما كان ذلك من الصفات التي اختص بها هذا العنصر .

الالماني يقل شعوره بالنسبة لغيره من الامم الاخرى في الحاجة الى ترقية شخصيته ترقية تامة فيختار برضاه ان يحشر نفسه في بعض اعمال خاصة ينصرف اليها بجملته . ويؤثر عن طيب خاطر ان يفادي بجزء من شخصيته وذاتيته ويكتفي كما يقول التعبير الالماني بان

يكون منه جزءًا من انسان بل ان يكون منه اخصائي يقوم احسن قيام بعمل اختص به كل الاختصاص دون ان يعنى بما يخرج عن الدائرة التي وضع نفسه فيها وآلى ان لا يتعداها . ومن اجل هذا السبب ايضاً يختار ان يشرك غيره معه وان يكون تبعاً له ولا يرى حرجاً في الانضمام الى الجماعات التي تكثر في المانيا

يؤثر الالماني ان يجعل نفسه جزءاً متمماً لبناء متسع تتألف منه آلة تختلف الحاجة اليها والاستغناء عنها . وهو يسعد بأن يفادي بحظ نفسه من اجل منفعة تأتي ببعض الاعمال الكبرى ويخلص في سبيل نجاحها . وبالجملة ان في الالمان غريزة التهذيب بنظام واحد فيحسن الالماني الطاعة كما يحسن الامر و يعرف تنفيذ الاوامر الصادرة اليه على غاية التدقيق كما يعرف بذل الهمة في الدائرة المختصة به

الشعب الالماني يخرج الاعضاء النافعة الرائعة من بنيه ممن هم عمدة ابنية المجتمع الضخمة اللازمة لقيام الاعمال المهمة من جيوش وطنية وادارات كبرى ومشاريع متسعة من مالية وصناعية وتجارية ونقابات .

الالماني لا ينفك عن الانضمام والتآلف حتى في الفنون التي من شأنها الانفراد وانك لتراه حتى في الموسيقى يجري على نغمة واحدة . وهذا الذوق في الاشتراك والخضوع طبيعي فيه فهو لا يكره على الخشوع للنظام صاغراً بل يقوم به والسرور ملء جوانحه . هواخصائي يلذه ما هو فيه ولا يأسف على ما يبقى خارج افقه على الدوام . نعم هو يقتنع بالوقوف دون حدود كفاءته والسرور يبدو عليه ممزوجاً بالزهد وربما ظهر عليه شيء من الاحتقار والاستهزاء بالذي يعرف القشور ويحشر نفسه فيما لا يعلم و يدعي انه يناقش بل يحل المسائل السياسية والدينية والفنون والاخلاق . صاحب الجد في الالمان يحتقر بفطرته المرتجلين والمتقضبين الذين يخبطون ويخلطون ومعلوماتهم ناقصة سطحية ممن يعانون كل موضوع و يتسلقون عليه وليس لهم سلاح ماض من الكفاءة . ومن خلق الالماني ان لا يلقي بنفسه خارج المحيط الذي يعرفه وان شئت فقل انه يقل فيه الفضول و يرى ان غاية العالم هو ما اختص به وتفرد بعلمه

كان من نتائج هذه الغريزة في الالمان من الخضوع للنظام وترتيب طبقات المجتمع عندهم اعظم حافظ للامة . الفكر الشخصي في المانيا ثاقب للغاية لا يتلكأ امام مشكلة مهما كانت و يبحث فيها كلها مستقلاً كل الاستقلال . على انه يكره التطرف في حلها . فليست المانيا من حيث الامور الدينية مثلاً جاحدة ولا كهنوتية ولا تنبذ اكتشافاً من مكتشفات من ينكرون الوحي من طريق العلم بل ترى ابداً ابداء شيء من الاحترام للحكمة الغريزية

الظاهرة من الشعور الديني في الانسانية وهي تحاول ان توفق ما امكن بين العلم والايمان والحقيقة العقلية والحقيقة التقليدية كما انها في الشؤون السياسية تقصد الى ان تتمتع رعاياها بمبدإ السلطة ومبدإ الديمقراطية فلا تقبل اصلاً السلطة الاستبدادية المطلقة بل ترى احترام الحكومة المطلقة لما فيها من ترتيب الطبقات . فالديمقراطية الالمانية لا تطلب ان تكون بيدها وحدها سعادة الامة بل ترى عن رضى ان يشترك في السلطة معها زعيم عالي المقام لا توجده حي بل يكون مما اوجدته التقاليد .

وبعد فانه يتجلى ان المانيا بفضل معنى النظام والترتيب المغروس في ابنائها آخذة في الترقي لادراك معنى التكافل في الحياة الذي هو على التدريج مهذب بل متمم لمذهب حرية المنافسة ومن هذا على ما ارى كان ارتقاؤها موضوع اعجابنا في الاكثر . فان انتشار الاحزاب السياسية والعصابات الاجتماعية ونقابات ارباب الاعمال والمعامل والعملة واتساع دائرة اعمال الضمانات الاجتماعية كلها تدل على ما تم لفكر التكافل من النجاح النامي . تحل بالتدريج الشعور بضرورة الجهاد في التكافل لاحراز القوة محل هيجان المنافسة العامة والحرب التي يثيرها الفرد على المجموع . فالمانيا تتوقع وترجو ان يكون لها بعد دور الانقلابات العظيمة والتقلقل وقلة الامن الناشئين من ارتقاء مذهب حرية العمل ما تدخل معه في دور النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي يكون الى السلامة مرتبًا على قانون ثابت وايمان وخلق اقل ترددًا . فهي تطمح بذلك الجهاد العظيم في سبيل الوحدة السياسية والثروة المادية ان تنهض نهضة الشمير نحو الكمال في التهذيب والتكمل في التفنن . ولا شك ان هذا مما تقرأ في صفحته جمال المستقبل . ويكفي في هذه الآمال على ما يتسرب اليها من الريب انها لاتبدو غير ممكنة التحقيق في عيون الالمان فينظرون الطريق التي قطعوها بما يحق لهم من الاعجاب ويرون المستقبل الذي اليه يسيرون بشيء من حسن الظن فيه

بقي علينا الآن ان نثبت ان الشعور بالتكافل لم يبرح وطنيًا صرفًا عند الالمان فالالماني يشعر بان مسئوليته في التكافل مع ابن جنسه لا تزال في زيادة اما مع سائر الامم فانه لايرى بأسًا من الانطلاق في حريته ومنافستها .

سير العلم والاجتماع

خرائب منفيس

قدم الاستاذ فليندرس بتري تقريره عن اعمال البعثة الانكليزية الاثرية في مصر وقد جاء فيه ان هذه السنة صرفت كلها في البحث في خرائب منفيس القديمة فعنيت البعثة اولاً ان تعين مواقع الابنية المهمة المختلفة التي ذكرها كتاب الروم ولا سيما هيرودتس فوجدت مذبح معبد باتا العظيم وبيت الحياة الذي كان سطحه عبارة عن ستمائة متر طولاً وار بعمائة وخمسة وستين متراً عرضاً . وعثروا على عدة شهادات تدل على ارتقاء التمدن ولا سيما على مصانع ترجع الى الدولة الثامنة عشرة (١٨٠٠ سنة قبل الميلاد) ومن جملة هذه المصانع رفوف لتوضع عليها النذور يُشاهد عليها آذان نقشت عليها هذه العبارة : « يا باتا اسمع لدعوة من يدعونك ممن يعبدونك » واهم اكتشاف في هذه المصانع اكتشاف الحارة التي كان التجار الغرباء مقيمين فيها وموضع معبد الزهرة الآسياوية هاتور . وفي هذه الاماكن ظفروا باوان خزفية والظاهر انها مما صنع في غير مصر ومنها يستدل على ما كان بين سكان منفيس والامم القاصية من الصلات كما عثروا هناك على تماثيل لملوك الفرس وعساكر الفرس وقبائل السيثيين وعلى تمثال لا شك في انه هندي الاصل وهو يمثل رجلاً بوذياً . وعثروا ايضاً على رؤوس يونانية مختلفة الاشكال . وكل هذه الآثار وغيرها تثبت ان سكان منفيس كانوا اخلاطاً من النزلاء والدخلاء واكتشفوا ما لم يكونوا يتوقعونه وهو مصنع جميل انشأه آخر ملك من السلالة التاسعة عشرة المصرية واكتشف بالحفر في ضواحي سوهاج في مكان مدينة اتيبري القديمة بقايا معبد للبطالسة الذي انجزه بعد زمن كلود وهاردين ثم اكتشفوا بقايا كنيسة كاتدرائية انشئت على عهد قسطنطين .

العدوى من الحمى

كان من المقرر عند الاطباء ان من يصاب بالحمى التيفوئيدية ويبرأ منها لا يحمل جراثيمها الى غيره ويبقى جسمه مطعماً بها ولكن ثبت في انكلترا الآن ان من تصيبه هذه الحمى الخبيثة وينجو من اخطارها يبقى مدة ولو عوفي كل المعافاة والاقتراب منه ينقل العدوى الى السليم المستعد لقبول جراثيمها فرأت انكلترا ان تسن قانوناً تمنع به الناقهين من الحمى التيفوئيدية من الاختلاط بغيرهم وقد كانت المانيا سبقت منذ بضع سنين وقضت على من يسلمون من فتكات هذه الحمى ان يخضعوا زمناً لنظام التطهير وتفحص اجسامهم في محطات بكتريولوجية تقام في جميع البلاد المصابة بالحمى

تصليح الساعات

اجرى الاستاذ بيكوردان الفرنسوي في فينا تجارب بالتلغراف اللاسلكي لاجل اصلاح الساعات الدقاقة والكبيرة بحيث يتيسر بعد الآن حتى على من لم يسعدهم الحظ بمعاناة صناعة الساعات ان يصلحوا بانفسهم ساعاتهم

جرذان الماء

هذا الجرذ ويسمونه Lemmings يشبه جرذان الماء وهو في الاصل من جبال نروج وكثير التناسل جدًّا ولذلك يضطر الى الهجرة فينزل من الاعالي اسرابًا اسرابًا يخرب ما في طريقه من الغلات حتى ينتهي الى شاطىء البحر فيقذف بنفسه فيه حتى يغرق احيانًا وكثير منه تسطو عليه اثناء مسيره العقبان والبواشق والنسور والبوم او غيرها من الكواسر ولكن منه ما يصل الى السويد ويتناسل فيها اي تناسل على كثرة محاربة السكان له لابادته ومن المحتمل ان هذا الجرذ ينقرض بعد بضع سنين من تلك البلاد ان لم يهرب الى بلاد اخرى في اوربا وينتشر بين اهلها على غرة منهم

غرفة ساكتة

انشؤا في مدينة اوزرخت غرفة مبنية على صورة تمنع وصول الاصوات من خارج مهما بلغت من الشدة وتؤلف جدرانها من حائطين جعل كل منهما من عدة طبقات من المواد المنفصلة بعضها عن بعض بفراغ والحائط الداخلي منها قد جعل ظاهره وباطنه من القش والطباشير والحائط الخارجي من الخشب والرمل وحجر الكذان والجبس فيكون مجموع الطبقات ستًا ما عدا طبقات الهواء وكذلك يصنعون سقف تلك الغرفة وارضها وطولها متران وربع ويدخل اليها من بابين وهي لاجل التجارب الفسيولوجية

فسيفساء رومية

وُفق المسيو نورنو المهندس في سلانيك الى تنظيف قطع من الفسيفساء البيزنطية في كنيسة سانت صوفي (اياصوفيا) في سلانيك كانت مغطاة بدهان من الزيت وارجعها الى حالتها الاولى وقد تبين له ان صورة العذراء الموضوعة في صدر الكنيسة قد صنعت في القرن الثامن للميلاد . وهذه القطع ثمينة جدًّا لانها من صنع ذاك العصر

رواتب الملوك

يقبض قيصر روسيا اربعين مليون فرنك راتبًا سنويًا ويقبض امبراطور النمسا والمجر

ثلاثة وعشرين مليوناً وامبراطور المانيا عشرين مليوناً وملك انكلترا اثني عشر مليوناً وملك ايطاليا عشرة ملايين اما رئيس جمهورية الولايات المتحدة فيأخذ ربع مليون ورئيس جمهورية فرنسا مليوناً ومائتي الف فرنك

الخادمات الفرنسويات

تشكو فرنسا من قلة خادماتها مع ان فيها سبعمائة الف امرأة تخدم في البيوت الا ان عدد الخادمات كان فيها منذ عشرين سنة ضعفي ماهو الآن ولذلك كثر الخادمات الالمانيات والسويسريات في فرنسا حتى اصبحن عشر الخادمات من ابناء البلاد لان اكثر بنات الفقراء في فرنسا اصبحن يؤثرن الخدمة في المعامل ليكون لهن اوقات يصرفنها في الراحة على النحو الذي يرون بدون تقيد في الخدمة

البرتستانت

احصى احد علماء كونتغن عدد من يدينون بالمذهب البرتستانتي فقال ان في الولايات المتحدة ٦٥ مليوناً من اهلها الذين يبلغ مجموعهم ٧٩ مليوناً وفي انكلترا ٣٧ مليوناً من اصل ٤٢ مليوناً وفي المانيا ٣٥ مليوناً من اصل ٥٦ مليوناً وفي فرنسا سبعمائة الف فقط وعددهم لم ينمُ منذ قرن فمجموع من ينتحلون البرتستانتية في العالم ١٨٠ مليوناً منهم ١١٤ مليوناً يتكلمون بالانكليزية

ارباح الامم

معدل ما يصيب الفرد في انكلترا من الارباح نحو ٢٨ غرشاً في اليوم وفي الولايات المتحدة ٢٤ وفي فرنسا والبلجيك نحو ٢٢ وقد قدر احد علماء الاقتصاد من الالمان مجموع ثروة العالم بالف ومائتين وخمسين مليارا من الفرنكات اي بنحو ثلاثين ضعفاً مما يستخرج كل سنة من مناجم الذهب منذ عرف فن الاحصاء . والحبوب والمواشي من اهم عوامل الثروة

اتقاء الانتحار

انشأ جيش السلام في لندرا منذ سنة مكتباً للانتحار اتى بفوائد جليلة فجاءه ١١٢٥ رجلاً و٩٠ امرأة شكوا اليه امرهم وباحوا اليه بما انطوت عليه نفوسهم من اليأس فخفف عنهم ما نابهم . وهذا المكتب لا يوزع على من تحدثهم انفسهم بالانتحار مالاً بل نصائح وحكماً فقد كان منه ان اعان كثيراً من السوداويين على الخلاص مما نالهم فهو يقوي الامل في القلوب الميتة واعضاؤه يدلون على شعور انساني وفراسة في احوال النفس ولذلك نبه اولئك الاعضاء راقد الشجاعة وتلافوا مصائب كثيرة

اكلة الاعشاب واكلة اللحوم

ظهرت ابحاث احد علماء الصحة في الولايات المتحدة في التفضيل بين اكل الاعشاب واكل اللحوم وايهما انفع للانسان فتبين منها انه ربى اوزّا واوزّا بالحبوب فاثبت الاختلاف الذي نتج من تربيته في تراكيبها التشريحية وان ماغذاه منها باللحوم اصبح اسفل معدها رقيقاً جداً وما غُذي بالحبوب اضحت غليظتها وان الاحشاء تطول بحسب نوع الغذاء الذي يتناوله الحيوان فالاوز الذي غذي باللحم كانت احشاؤه اطول من غيره وقد تناقل العلماء تجارب العالم الاميركي وقالوا انها فتحت لهم باباً جديداً للنظر في ايهما اسلم التغذية بالاعشاب والبقول ام التغذية باللحوم والشحوم

التماسيح والنوام

يهلك بالنوام او مرض النوم كل سنة الوف من البشر في افريقية ولذلك تتخذ الحكومات التي لها املاك في هذه القارة جميع الذرائع لاستئصال هذا المرض وقد استبان من تجارب « لافران » ان هذا المرض ينشأ من دخول جرثومة في الدم يحملها البعوض المسمى « تسي تسي » وان هذه الجراثيم تختار النزول في فك تمساح فتنمو فيه اولا

الصينيون في يابان

اصبحت بلاد اليابان في الشرق مثل برلين وباريز في الغرب مدرسة ترسل النور الى الاقطار فلم يكن في مدارسها منذ ثماني سنين غير ثمانية تلاميذ من ابناء الصين واصبح فيها الآن عشرة آلاف وزاد فيها تلاميذ الهنود ثلاثة اضعاف ما كانوا منذ حرب الروس الاخيرة

مركبة ضخمة

انشأوا في انكلترا مركبة ضخمة تجرها الخيول فتطوف القرى والمدن تبيع المشروبات والمأكولات وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام قاعة كبرى وغرفة للنوم وغرفة تعرض فيها النموذجات والامثلة وهي مفروشة احسن فرش فهناك يكرعون المشروبات ويدخنون ويقصفون على ما يشتهون

ابادة الجرذان

لم تجد نظارة المالية في انكلترا المال اللازم لاعانة الشيوخ المعدمين وقد اقترح عليها ان تجبي رسماً تستخدمه في هذا السبيل من ابادة الجرذان لانها تخرب كل سنة ما يقدر بعشرة ملايين جنيه وقد ثبت ان ميكروب نومان يبيدها فلا يبقي منها ولا يذر فاذا خلصت

انكلترا من جرذها تستطيع حكومتها ان تضرب ضريبة تعادل ما كانت الجرذ تخضمه وتقضمه في العام فتستعمله في اعالة البائسين من المعوزين

فراش موسيقي

اخترع احد العملة في جنوة فراشاً لا يكاد يستلقي عليه الانسان حتى يأخذ بضرب موسيقي متساوقة الالحان تطرب سامعها ولا سيما من كان مؤرقاً فيزور الكرى مقلتيه . وعلى العكس فيمن كان كسلاناً لا يريد فراق فراشه فان ذاك العامل المخترع ابتكر فراشاً آخر ذا ساعة دقاقة توقظه من نومه في الساعة المعينة على نغمات منكرة فلا يسعه الا ان يبادر للنهوض

تعليم الفلاحين

ارتقى التعليم كثيراً في شمالي اوربا ولا سيما في الدانيمرك فانك تجد فيها مدارس خاصة للزارعين فيختلف الرجال والنساء منهم اليها يتعلمون فيها الكيمياء وفن الطبخ وكل ماله علاقة بالزراعة وتربية المواشي ويلقي كل شهر محاضرات عليهم جماعة من المحامين او من الطلبة الدارسين وهكذا بلغ الفلاحون درجة من الارتقاء العقلي تفيدهم في اعمالهم

البيوت في اميركا

تقول احدى المجلات الاوربية ان مساكن اهل الطبقة الوسطى في اميركا احسن حالاً ونظاماً مما هي في اوربا والسبب في ذلك انها مبنية على شكل لا يحتاج معه الى عمل زائد فلا ترى فيه اشياء تعلق على الجدران ولا غرفاً للتزين والتبرج وان سر هذا الانتظام ناشيء من ان كل فرد في البيت يعمل في ترتيبه بحسب حاله وشانه حتى ان رب الاسرة نفسه يتعاطى من اصلاح فرش داره واثاثه ما تتعاطاه زوجته

مدفع سريع

صنع احد مخترعي الانكليز مدفعاً تقطع قذائفه ثلاثين الف قدم في الثانية بحيث انه يتأتى للانكليز ان يحاصروا باريز من لندرا وهم في بلادهم فيرسلون على اعدائهم القذائف فتسير بقوة الكهرباء كالبرق الخاطف

السمك النافع

قالوا ان جزائر بارباد هي السالمة وحدها من بين جزر الارخبيل من حمى الملاريا فليس فيها البعوض ذو الجناحين الذي ينقل عدوى هذه الحمى وقد بحث احد ضباط الانكليز في تلك الجزائر عن سر نجاة بارباد من هذه الحمى فتبين له ان في جميع بطائح تلك الجزائر

اسماكاً كثيرة يسميها السكان لكثرتها « الملايين » وهذا السمك يأكل ديدان البعوض الناقل للحمى . وقد نقلت كمية وافرة من هذه الاسماك الى جزائر الجامايك وكولون وكوبان وغيرها من جزر افريقية فساها تأتي على تلك الديدان فلا تبقي للملاريا اثراً وتوفر الانفس بحسناتها وقدومها الميمون

التنويم والجرائم

اعلن الدكتور هبرت خلاصة ابحاثه في الاستهواء بالتنويم المغناطيسي فاستنتج بانه في عدة احوال في الجرائم يجب البحث عن التأثيرات التي تأثر بها القاتل بارادة اقوى من ارادته والنظر فيما دعاه الى ارتكاب ما ارتكب وفيما اذا كان المجرم في اول امره حسن المنازع ففسد بالقدوة او بقوة الاستهواء المغناطيسي الآتية عليه من غيره ودلت التجارب التي جرت موءخراً في باريز على اناس متهمين بالاشتراك ببعض الحوادث الكبرى بواسطة تنويمهم لتعديل حالتهم النفسية كل التعديل على ان التأثيرات ممكنة كما دلت ايضاً بانه كان كثيراً ما يصعب جداً ارجاع المنوَّمين على هذه الصورة الى حالتهم الطبيعية الاعتيادية . وقد ثبت من بحث الدكتور هبرت بان عصابة من اللصوص او القتلة مثلاً يوءثر فيها زعيمها تأثيراً يخضع ارادات اصحابه لسلطانه فيحركهم كما يحرك نوابض (زنبلكات) ساعة دقاقة فتطيعه وتجري طوع يديه . ثبت ذلك بعدة حوادث في تاريخ الجرائم . واورد الباحث المشار اليه عدة امثلة غريبة جداً في الاستهواء فقال ان فتاة كانت تطرب الناس بالضرب على الكمنجة مع جوق موسيقي ولكنها لم تكد تستطيع ان تبرهن على اقتدارها وذكائها الا اذا انفردت وحدها بدون ان يختلط ضربها بضرب رفيقاتها وعند ما كان يخلولها الجو ولا ينغص عليها عملها منغص ولا تخضع ارادتها لاحد كانت آية في ضربها وكلما كانت تشعر بان رفيقاتها مسلطات عليها كان يستحيل عليها ان تبدي مواهبها فكانت من ثم ضرباً من ضروب الاستهواء ومن اهم ما لاحظه هذا الدكتور بان بين الرجل والمرأة عداوة طبيعية في تنازع البقاء فان احدهما يحاول بدون شعور منه ان ينزع عن صاحبه او يقلل من اقتداره الشخصي والعقلي ومن رأيه ان هذا احد نتائج قانون بقاء الانسب واستدل من ذلك بانه يجب على كل امرىء ان يحذر من الاستسلام الى غيره في مقاصده وعمله على غير روية وسعة نظر

مخدر جديد

جرب في المستشفى الوطني في لندرا مخدر جديد اسمه نوفوكايين La novocaine ويظهر

انه سينافس مادة الكوكايين المخدرة المعروفة وذلك لان تأثيره مثلها ولكنه يدوم التخدير به اكثر والتسمم به اقل وثمنه ارخص وهو ينفع في تخدير الاسنان كما ينفع في غيرها

الذهب الابيض

اكتشف في كولمبيا منجم جديد من البلاتين او الذهب الابيض وكان لا يعدّن في تلك الاقطار حتى الآن غير الذهب المعروف ومعلوم ان كولمبيا غنية بمناجمها المختلفة وان كثيراً منها لم يجر تعدينه بعد وان ندرة هذا النوع من الذهب وكثرة استعماله قد زادت في قيمة هذا الاكتشاف

الالحاد في المانيا

تنادي الصحف المعتدلة في المانيا الآن بالويل والثبور على تسرب الالحاد الى نفوس الطبقة المستنيرة من الامة حتى كاد اهل هذه الطبقة في المانيا يشبهون امثالهم في فرنسا قائلة ان الالحاد يودي بالامم ويجعلها اسفل سافلين وقد نسب احد علمائهم انهيال الزندقة على الالمانيين لمجلة شهرية اسمها «طريقة العالم الجديدة» جعلت ديدنها الاكتفاء بذكر النظريات الجديدة التي اكتسبتها العقول والشبان من ارتقاء العلم ولاسيما علم الباليانتولوجيا (علم المطمورات من نباتات وغيرها) والجيولوجيا (طبقات الارض) ومذهب النشوء وهذه المجلة انتشرت في كليات الالمان ومدارسهم انتشاراً كان منه تأثيرها السيء في الافكار. وشتان بين امة تدخل اليها الزندقة فتسعى الى مداواتها والنظر في اسبابها وبين اخرى تدخل اليها فتعدها من دواعي المدنية والارتقاء .

مكتبة الجيب

يتحدثون في اوربا بطبع كتب على صور مصغرة جداً لا يتمكن من قراءتها الا بالمجهر ولهذه الطريقة في تصغير حجم الكتب فوائد كثيرة اقلها انك تستطيع معها ان تحمل في جيبك مكتبة برمتها . فلله در التفنن .

الجمال عند المالايو

يرى اهل شبه جزيرة مالايو في الهند الهينية ان الجمال بطول العنق على العكس مما يراه بعض امم الشرق واكثر امم الغرب بقدود ممشوقة وعيون دعج وتناسب في الاعضاء . ولذلك يضع اهل المالايو في اعناق بناتهم منذ ولادتهن اغلالاً من الحديد تضطرهن الى ان يجعلن رؤوسهن مستقيمة

اطالة الشباب

يرى الطبيب تراسي الاميركي ان الانسان لا يعاجله الهرم اذا لم يعش هذه العيشة الحديثة التي تخل بتركيب جسمه وأن معظم الهرم العاجل يجيء من الافراط في المأكل واستعمال الالكحول فيمتزج الدم بمواد سامة لانفرز منه وتنفقد الشرايين مرونتها وتتصلب بما يتوالى عليها من الضغط ولا يخفف هذا الضغط عن المجاري الا بالتدقيق في الاكل والشرب واستعمال الكهربائية وبذلك يطول امد الشباب لان هذه المجاري تقلل من ضغط الدم وتقوي الافرازات وتؤثر تأثيراً ميكانيكياً في الانسجة .

رعاية الاطفال

اسفت مجلات انكلترا لفقدها رجلاً كبيراً اسمه بنيامين وغ كان الحركة الدائمة في جمعية رعاية الاطفال في انكلترا فبفضله قويت قوة عظيمة ولها الآن في انكلترا ١١٣٧ مأوى للبنات وترعى مئة الف طفل وطفلة وتحميهم من بوائق الايام وانواع الفظائع والآثام

الخيول

ظهر احصاء بعدد الخيول في العالم المتمدن فتبين منه ان الجمهورية الفضية اكثرها خيولاً ففيها ٤٧٦٢٣٤٠ اي ١١٢ حصاناً لكل مئة ساكن ثم تجيء سيبيريا وفيها يصيب كل مئة ساكن ٨٥ حصاناً ثم الولايات المتحدة وفيها ٦٢ في المئة ثم انكلترا وفيها ١٣ في المئة ثم فرنسا ٧ والمانيا ٥

وادي موسى

عني المسيو الوا موزيل العالم النمساوي بالرحلة الى وادي موسى من بلاد العرب المعروفة عند الافرنج بيترا اي العربية الصخرية وقد اصدر الجزء الثالث من رحلته الآن فجاء فيه ان مجموع سكان تلك البلاد يبلغ سبعين الف نسمة ينقسمون الى ٤٨ بطناً يجمعها جد واحد يحترمون قبره . وكان من انقطاع هؤلاء السكان عن الاختلاط بغيرهم ان حفظت لهم اخلاقهم الاصلية حتى ان كثيراً من الاشياء التي لا نفهم من شعر الجاهلية اذا درس المرء ما كتبه هذا العالم عن اخلاق سكان وادي موسى وآثارهم واصولهم ولغتهم وشعائرهم الدينية تنجلي له كل التجلي فقد بقي في اعمالهم الدينية وفي ذبائحهم وضحاياهم خاصة علامات جوهرية من الاديان السامية القديمة حتى ان تاريخ الخرافات عندهم يرد الى عهد قديم جداً فمنها انهم يعتقدون بأم المطر عند ما يضر الجفاف بمزروعاتهم فيعمد النساء الى اتخاذ

عصاوين يجعلانها على شكل صليب يُنعلن به قبره) و يطفن الارض التي تشكو قلة المطر منشدات اغاني اوردها المؤلف . ولم يقف تأثير عادات الجاهلية فقط عند هذا الحد في عادات سكان وادي موسى ومعتقداتهم بل ان النصرانية اثرت في مسلمي الكرك آثاراً لم تبرح بادية للاعين فمنها انهم يعمدون اولادهم على يد قسيس مسيحي ليضمنوا لهم بذلك صحة جيدة وقد اثنت المجلات العلمية على مؤلف هذا الكتاب وقالت انه مفعم فوائد لم تكن للغربيين معرفة بها من قبل .

اندية العملة

جعلت للعملة في بلاد الانكليز منذ سنة ١٨٦٢ اندية خاصة يأوون اليها آونة فراغهم ولا يكونون فيها عرضة لتعاطي المشروبات الروحية وما برح المشتركون فيها ينمون حتى غدت وارداتها تكفيها . وفي انكلترا ١١٠٠ ناد ينفق الفرد فيها كل اسبوع ثمن مشروبات ودخان ومياه معدنية شليناً واحداً ومنها مئتا ناد لها صفة سياسية وجميع هذه الاندية تمثل عامة الآراء والمذاهب وتنشيء محاضرات ومسامرات وسماعاً ومعارض زهور واعياد احسان ولكل ناد مال خاص ينفق منه على فقراء المقاطعة الذي هو فيها . واهم ما تمتاز به اندية العملة الامتناع عن المشروبات الروحية والاحسان لمن جار الزمان عليه من ابناء بلادهم ولبعضها خزائن كتب سيارة تطوف البلاد ليطالع فيها الناس مجاناً

اخلاق المالغاشيين

المالغاشيون سكان جزيرة مدغسكر لهم اخلاق وعادات غريبة من حيث عفة النساء واليك ما وصفهم به احد علماء الافرنج قال : ان ما يطلب من المرأة المالغاشية هو ان تطبخ في اوقات معينة الارز والمرق الذي يؤكل معه في العادة وعلى ما ينبغي وان ترتب شؤون البيت وترتب الثياب وتدير بحكمة املاك بيتها وهذا في الغالب من خصائصها وان تلد لزوجها اولاداً كثيرين . هذه وظيفة ربة المنزل الاساسية وما عدا ذلك فانها اذا حافظت على عفتها فيها ونعمت ويعد كمالها نوراً على نور مع انه قلما يلتفت اليه او يقلق من اجل فقده . الفتاة المالغاشية حرة باستخدام جسمها على النحو الذي تريده . وليس في اللغة المالغاشية لفظ مرادف للعفة والبكارة حتى ان المرسلين في بعض انحاء تلك البلاد التي دانت حديثاً بالنصرانية اضطروا الى اخذ كلمة بكارة من اللغة الافرنجية يستعملون جملة للدلالة على لفظها فيقولون طهارة السلوك وطهارة القلب للتعبير عن العفة . ولم يستطع اولئك المرسلون

ان يعبروا عن تبتلهم الا بانهم قالوا ان الله بعث بهم ليكونوا آباء للمالغاشيين فلا يجدر بالاب ان يتزوج من بناته ٠

يبلغ الولد سن الحلم هناك في الثامنة او العاشرة من عمره والبنت قبل هذه السن احياناً ٠ ولا سبيل الى تحديد وقت يرتكب فيه الاولاد ما يرتكبون من الخطيئة للمرة الاولى والام تنظر الى ابنتها اذا اتت منكراً نظر المسرورة المغتبطة كما ان الاب ينظر لابنه اذا فعل ذلك نظر تفاخر الا ان بعض الامهات يدفعن عن بناتهن عشرة الصبيان الذين هم اكبر سناً منهن ٠ وانك لتجد هناك في مدارس القرى والمدن البنات والصبيان المتزوجين يتعلمن معاً والزوج في العاشرة والمرأة دون ذلك فاذا جاء المساء تهيء لزوجها طعامه وهو يكدح لها بان يجلب الارز واللحم ويحتطب او يكتسب بعض دريهمات ٠ وعبثاً حاول المرسلون والمعلمون ورجال الحكومة والادارة هناك ان يعدلوا من هذه العادات في المالغاشيين ولكنها لم تزل راسخة

على ان هذا الاقتران قليل البقاء وكلا الزوجين متقلب وكل امر سائغ بدون ان يمس شرف احد الزوجين ٠ وتحسن المرأة سلوكها بعض التحسين عند ما تلد اولاداً وليس من العار ان ترزق اولاداً من آباء مختلفين بل ان زوجها لا يرى من الشنار ان يقبل اولاد غيره مع ايقانه بذلك ويعاملهم كما يعامل من تلدهم زوجته منه من الاولاد

وهذه الحال في اخلاق المالغاشيين وان كانت اقل مما هي في اوربا لكنها غير مموهة وليس فيها رياء كما في اوربا حيث تحتقر الابنة التي تلد من السفاح ويحتقر ابنها ويستنكف الناس من الاقتراب منه اما المالغاشي فيرى ان الوليد غير مسئول عما نقص من عدم مراعاة ابويه لشروط الزوجية وهي التي ينبغي ان تسبق ولادته في العالم المتمدن بيدان كثيرين من الاوربيين على ما فيهم من التقى جديرون بان يأخذوا في هذا المعنى عن المالغاشيين المتوحشين ٠ والداعي الى هذه الحالة في المالغاشيين هواء بلادهم الذي يحرك النفوس منذ الصغر ثم ان الازواج لا يرون بأساً في ان يناموا مع اولادهم ولو كبروا في محل واحد بل على حصير واحد ٠ فيتعلم الطفل ما يتعلم منذ يأخذ في الادراك ٠ والجنود الاوربيون المقيمون هناك لا يسعهم الا ان يتزوجوا من المالغاشيات ويلد لهم منهن ٠ والبنت اذا حملت قبل ان يعرف لها زوج تفرح بما تلد هي واهلها لان الناس في تلك الاصقاع يرون ان الغاية من الزواج تكثير النسل فلا بأس بالاطفال من اي الطرق جاءوا

ثم ان المعيشة هناك سهلة للغاية ٠ فطعام الجميع الارز ملتوتاً بشيء من المرق او اللحم او السمك والبقول المعروفة عندهم والماء الصرف يتساوى في ذلك الفقير والغني ٠ ولماذا يهتم

المالغاشيون اذا كثر اولادهم ما دامت نباتاتهم مملوءة بالشمع والمطاط بحيث لا تنضب معها نقلوا منها و باعوا وبيعها ميسور لهم ثم ان الاولاد لا يلبسون ثياباً الا بعد السنة الثانية من اعمارهم و يظلون كما ولدتهم امهاتهم عراة فاذا جاوز الولد هذه السن يعطى قطعة من الخيش او الجنفيس يلبسها او يُقتطع له قطعة من ثياب امه وابيه . وانشاء البيوت هناك سهل للغاية ففي الغابات متسع ليقتطع منها خشب البناء وفي المروج من جذوع اشجارهم ما يجعلونه حواجز وحيطاناً ومن الخيزور ما يفرشونه حصيراً

ثم ان القوم لا يهتمون بمسألة المواريث وقل ان يهتم الآباء ان يتركوا لاولادهم ارثاً قل او كثر لان هؤلاء لا يعرفون كيف يتصرفون به فالدراهم نادرة جداً عندهم والارض لا قيمة لها واراضيهم تكثر فيها البقاع التي تصلح لزراعة الارز والمراعي . والماشية وحدها هي من العلائم الظاهرة على الثروة ولكنها شائعة بين هل القرية لا يقسمونها ولا يُدعى الاولاد لآبائهم بل على العكس يطلق على الاب ولام اسم والديهم وليس بينهم اثر للاسماء التي تنقل خلفاً عن سلف و يطلق على كل انسان اسم خاص وله ان يغيره على مايشاء متى شاء . و بالجملة فان اخلاقهم وعاداتهم على غرابتها اقرب الى الطبيعة — هكذا قال الكاتب .

مطبوعات ومخطوطات

كتاب تأويل مختلف الحديث

للامام ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ مصنفات كثيرة قيل انها تربي على ثلثمائة مصنف وهذا الكتاب من اجودها . ألفه بعد ان رأى ثلب اهل الكلام لاهل الحديث واسهابهم في ذمهم ورميهم برواية المتناقض حتى كثر الاختلاف بين الامة وقد تعرض في مقدمته لجلّ ما قاله علماء الكلام في حق رواة الحديث من الجمهور ومراده باهل الكلام علماء المعتزلة اذ لم يكن هذا اللقب يطلق قديماً على غيرهم واجاب عن اعتراضاتهم فيها بجواب مجمل وجعل تتمة الكتاب لتأويل الاحاديث التي ادعوا عليها التناقض او المخالفة للكتاب العزيز او المخالفة لصريح العقل الذي دل على اعتباره صحيح النقل . واكثر في ذلك واظهر ما اشتهر عنه من البراعة والاجادة فيما ينحو اليه ولكلامه وقع في النفوس وناهيك بمن قيل فيه انه لاهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة . وهذا الكتاب يجدر بكل من له ميل الى علم الحديث ان يطلع عليه . وهنا نكتة مهمة وهو ان ابن قتيبة

كغيره من العلماء قد كثر الناقدون عليه في اكثر كتبه شأن كل عالم اطلق لقلمه العنان فينبغي لمطالع في كتبه ان يكون ممن له قوة في النظر « نظار » والكتاب وقع في ٤٦٤ صفحة صغيرة مطبوع طبعاً في الغاية من الصحة والاتقان مقابلاً على ثلاث نسخ احداها بغدادية والثانية دمشقية والثالثة مصرية وقد علق عليه مصححه الشيخ اسماعيل الخطيب السلفي الإسعردي شرح بعض الالفاظ اللغوية وطبع على نفقة محمود افندي شابندر من تجار بغداد بمطبعة كردستان العلمية بمصر لصاحبها الشيخ فرج الله زكي الكردي فجاء من انموذجات الكتب المعتنى بها فنشكر للقائمين بالانفاق عليه وتصحيحه وطبعه كل الشكر

المنهج المسلوك في سياسة الملوك

الف علماء العرب عشرات من الكتب والرسائل في السياسة اهدوها ملوكهم وبعضها لم يزل محفوظاً في خزائن الكتب ومن هذه الاسفار التي لم تمثل بعد بالطبع كتاب المنهج المسلوك لمؤلفه عبدالرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس الفه برسم خزانة الملك الناصر صلاح الدين يوسف وقسمه الى عشرين باباً منها بيان افتقار الرعية الى ملك عادل وافتقار الملك اليه ومعرفة قواعد الادب واركان المملكة ومعرفة الاوصاف الكريمة والحث عليها ومعرفة الاوصاف الذميمة والنهي عنها وكيفية رتبة الملك مع اوليائه حال جلوسه وفضل المشورة واوصاف اهلها واصول السياسة والجلوس لكشف المظالم وسياسة الجيش ومصابرة المشركين واستماع المواعظ بعبارة سلسة وامثلة كثيرة . والكتاب في ١٤٠ صفحة متوسطة الحجم مطبوع بمطبعة الظاهر طبعاً نظيفاً متقناً على نفقة احمد زكي افندي ابوشادي ومحمد افندي رشدي وثمنه خمسة قروش يطلب من ادارة هذه المطبعة ومن المكاتب الشهيرة

رسائل البلغاء

جردنا ما نشر في المقتبس من رسائل عبدالله بن المقفع وعبدالحميد بن يحيى الكاتب وحكمها المتفقة وكلماتها المأثورة حباً بان تتناول جميع الايدي من معين بلاغتهما ونطبع الملكات بطابع الكتابة العربية المجددة فجاءت في مائة صفحة من مثل هذه الصفحات وبحرف كحرفها فعساها تنفع طلاب الآداب العربية والباحثين في الاجتماع والتاريخ والاخلاق وهي تطلب من ادارة المقتبس في القاهرة ومن وكلائه في الجهات ومن المكاتب الشهيرة في مصر والشام والعراق وثمنها فرنك واحد يضاف اليه ربع فرنك اجرة البريد

المقتبس

الجزء التاسع من المجلد الثالث

رمضان سنة ١٣٢٦ موافق اكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٠٨

الحسبة في الاسلام

وار بعة مخطوطات فيها

عني المسلمون في القرون الاربعة الاولى خاصة باقامة شعائر الدين على اصوله لتكون مدنيتهم فاضلة كما عنوا بوضع القوانين المدنية استخرجوها من روح الكتاب والسنة ليعملوا بها في معاشهم ومدنيتهم واجتماعهم . وكان يتولى ذلك في الا كثر ولاة الامر بمعونة العلماء العاملين فاذا ما ضعفوا في بلد اوناحية يتولى علية القوم من عامتهم ما يصدهم عن خرق سياج الشريعة واخلال قواعد المدينة الفاضلة حتى لايجور قويهم على ضعيفهم ولا يجاهر احد بمنكر ولا يعتدى على حق ولا يعمل عملاً من شأنه ان يجعل المدينة فاسقة فاجرة لئلا تهلك كاهلاك القوم الفاسقون . وقد سموا هذا العمل الحسبة بالكسر وهو الاجر وهو اسم من الاحتساب اي احتساب الاجر على الله تقول فعلته حسبة واحتسب فيه احتساباً والاحتساب طلب الاجر

وقد وردت في الكتاب العزيز عدة آيات صريحة في وجوب الحسبة وورد عن الشارع الاعظم آثار كثيرة وكذلك عن السلف الصالح والعلماء العاملين من اهل الصدر الاول . والحسبة او الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايضاً قسمت كما قسم الامر بالمعروف الى ثلاثة اقسام احدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى والثاني ما يتعلق بحقوق الآدميين والثالث ما يكون مشتركا بينهما ويمكننا ان نقسمها الى دينية ومدنية فالديني منها بطل من بلاد الاسلام منذ اصبحت حكوماتها لاتحافظ على جوهر الدين بالذات . والمدنية بقي اثر ضئيل

منها في مصر خصوصاً الى نحو اواسط القرن الثالث عشر للهجرة واستعيض عنها في بعض البلاد العثمانية بمجالس البلديات

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (١) ان اصل الحسبة ان تعلم ان جميع الولايات في الاسلام مقصودها ان يكون الدين كله لله وان تكون كلمة الله هي العليا فان الله سبحانه وتعالى انما خلق الخلق لذلك وبه انزل الكتب وبه ارسل الرسل وعليه جاهد الرسول والمؤمنون · وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة الا بالاجتماع والتعاون والتناصر فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم والتناصر لدفع مضارهم ولهذا يقال الانسان مدني بالطبع فاذا جمعوا فلا بد لهم من امور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة وامور يجتنبونها لما فيها من المفسدة ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناهٍ فمن لم يكن من اهل الكتب الالهية ولا من اهل دين فانهم يطيعون ملوكهم فيما يرون انه يعود بمصالح دنياهم مصيبين تارة ومخطئين اخرى واهل الاديان الفاسدة مطيعون فيما يرون انه يعود عليهم بمصالح دينهم ودنياهم وغير اهل الكتاب منهم من يؤمن بالجزاء بعد الموت ومنهم من لا يؤمن واما اهل الكتاب فمتفقون على الجزاء بعد الموت ولكن الجزاء في الدنيا متفق عليه من اهل الارض فان الناس لم يتنازعوا ان عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة ولهذا روي ان الله ينصر الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة

قال والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم قادر وهو فرض على الكفاية ويصير فرض عين على القادر الذي لم يتم به غيره والقدرة هو السلطان والولاية فذوو السلطان اقدر من غيرهم وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم فان مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل انسان بحسب قدرته ان يقول وبنو آدم لا يعيشون الا بالاجتماع بعضهم مع بعض واذا اجتمع اثنان فصاعداً فلا بد ان يكون بينهما ائتمار بامر وتناهٍ عن امر واولو الامر اصحاب الامر وذوو القدرة واهل العلم والكلام فلهذا كان اولو الامر صنفين العلماء والامراء فاذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس كما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه للاحمسية لما سألته ما بقاؤنا على هذا الامر قال : ما استقامت لكم ائمتكم · ويدخل فيهم الملوك والمشايخ واهل الديوان وكل من كان متبوعاً فانه من اولي الامر اه

وقال ابن الاخوة : الحسبة من قواعد الامور الدينية وقد كان ائمة الصدر الاول يباشرونها بانفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها وهي امر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن

(١) في رسالته الحسبة في الاسلام المطبوعة في مصر

المنكر اذا ظهر فعله واصلاح بين الناس والمحتسب من نصبه الامام او نائبه للنظر في احوال الرعية والكشف عن امورهم ومصالحهم وبياعاتهم ومأكولهم ومشروبهم وملبوسهم ومساكنهم وطرقاتهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . وقال الماوردي : الحسبة واسطة بين احكام القضاء واحكام المظالم فاما ما بينها وبين القضاء فهي موافقة لاحكام القضاء من وجهين ومقصورة عنه من وجهين وزائدة عليه من وجهين فاما الوجهان في موافقتها لاحكام القضاء فاحدهما جواز الاستعداء اليه وسماعه دعوى المستعدي على المستعدى عليه في حقوق الآدميين وليس هذا على عموم الدعاوي وانما يختص بثلاثة نواع من الدعوى احدها ان يكون فيما يتعلق ببخس وتطفيف في كيل او وزن والثاني ما يتعلق بغش او تدليس في مبيع او ثمن والثالث فيما يتعلق بمطل وتأخير لدين مستحق مع المكنة والناظر في الحسبة من سلاطة السلطة واستطالة الحماة فيما يتعلق بالمنكرات ما ليس للقضاة لان الحسبة موضوعة على الرهبة فلا يكون خروج المحتسب اليها بالسلاطة والغلظة تجوزاً فيها ولا خرقاً والقضاء موضوع للمناصفة فهو بالاناة والوقار احق وخروجه عنهما الى سلاطة الحسبة تجوز وخرق لان موضوع كل واحد من المنصبين يختلف فالتجاوز فيه خروج عن حده . وقال ابن خلدون ان الحسبة وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلاً له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين في المكاتب وغيرها من الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع او استعداء بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه . وليس له امضاء الحكم في الدعاوي مطلقاً بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وغيرها وفي المكاييل والموازين وله ايضاً حمل المماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكأنها احكام ينزه القاضي عنها لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك ان تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب والامويين بالاندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاماً في امور السياسة اندرجت في وظائف الملك وافردت بالولاية

قلنا ان الناس كانوا يتولون الحسبة بانفسهم عند ما تضعف الحكومات لان مصلحة

اهل كل بلد لا تتم الا بذب الاذى بعضهم عن بعض والتواصي بالحق والجري من العدل على عرق . قال ابن الاثير في حوادث سنة احدى ومائتين ان المتطوعة تجردت للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان سبب ذلك ان فساق بغداد والشطار آذوا الناس اذى شديداً واظهروا الفسق وقطعوا الطريق واخذوا النساء والصبيان علانية وكانوا يأخذون ولد الرجل واهله فلا يقدر ان يمتنع منهم وكانوا يطلبون من الرجل ان يقرضهم او يصلهم فلا يقدر على الامتناع وكانوا ينهبون القرى لا سلطان يمنعهم ولا يقدر عليهم لانه كان يغريهم وهم بطانته وكانوا يمسكون المجتازين في الطريق ولا يعدي عليهم احد وكان الناس معهم في بلاء عظيم وآخر امرهم انهم خرجوا الى قطربل وانتهبوها علانية واخذوا العين والمتاع والدواب فباعوها ببغداد ظاهراً واستعدى اهلها السلطان فلم يعدهم فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ربض ودرب ومشى بعضهم الى بعض وقالوا انما في الدروب الفاسق والفاسقان الى العشرة وانتم اكثر منهم فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق وعجزوا عن الذي يفعلونه فقام رجل فدعا جيرانه واهل محلته على ان يعاونوه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابوه الى ذلك فشدَّ على من يليه من الفساق والشطار فمنعهم وامتنعوا عليه وارادوا قتاله فقاتلهم فهزمهم وضرب من اخذه من الفساق وحبسهم ورفعهم الى السلطان الا انه كان لا يرى ان يغير على السلطان شيئاً ثم قام بعده رجل من الحربية من اهل خراسان فدعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بالكتاب والسنة وعلق مصحفاً في عنقه وامر اهل محلته ونهاهم فقبلوا منه ودعا الناس جميعاً الشريف والوضيع من بني هاشم وغيرهم فاتاه خلق عظيم فبايعوه على ذلك وعلى القتال معه لمن خالفه وطاف ببغداد واسواقها . . .

اليك مثالاً مما حدث في حكومة الشرق الاسلامية عند ما ضعف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعض الشيء ومثله جرى في الغرب في مثل هذه الحالة فقد قال ابن خلدون انه كانت لعهده في القرن التاسع للهجرة بالمغرب نزعة من الدعاة الى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وانما ينزع منهم في بعض الاحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر و يعتني بذلك ويكثر تابعه واكثر ما يعنون باصلاح السابلة لما ان اكثر فساد الاعراب فيها فيأخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا الا ان الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم لما ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون بها الاقصار عن الغارة والنهب لا يعقلون في توبتهم واقبالهم الى مناحي الديانة غير ذلك لانها المعصية التي كانوا عليها قبل المقربة ومنها توبتهم فتجد ذلك المنتحل للدعوة القائم بزعمه بالسنة غير متعمق في فروع

الاقتداء والاتباع وانما دينهم الاعراض عن النهب والبغي وافساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش باقصى جهدهم انتهى ·

***

هذا غاية ما يقال في تعريف الحسبة وشيء من تاريخها ولمعة من حالتها وقد الف علماؤنا ما يربي على عشرين كتاباً في الحسبة المدنية خاصة اظفرنا البحث باربعة(١)منها حتى الآن وهانحن نتكلم على الكتاب الاول منها قال مؤلفه في مقدمته بعد البسملة والحمدلة والصلولة : اما بعد فقد رأيت ان اجمع في هذا الكتاب ما يستند من الاحكام الى الاحاديث النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام مما ينتفع به هذا المتقلد لمنصب الحسبة والنظر في مصالح الرعية وكشف احوال السوقة وغير ذلك على الوجه المشروع ليكون ذلك عماداً لسياسته وقواماً لرياسته فاستخرت الله تعالى في ذلك وضمنته طرفاً من الاخبار وطرزته بالحكايات والآثار ونبهت فيه على غش المبيعات وتدليس ارباب الصناعات مما يستحسنه من تصفحه من ذوي الالباب والمعلوم المشهور ان الكتاب عنوانه عقول الكتاب وجعلته سبعين باباً يشتمل كل منها على فصول شتى

(١) الاول كتاب الحسبة لمحمد بن محمد بن احمد المعروف بابن الاخوة القرشي وهو من مخطوطات مكتبة احمد زكي بك من علماء القاهرة كتب سنة ١٣٠٦ ﻫ عن نسخة كتبت سنة ٧٤٣ وعليها بعض تعليقات بقلم محمود شكري افندي الآلوسي من علماء بغداد وقد وقعت في ١٦٩ صفحة وتحريفها قليل وخطها واضح · والثاني كتاب في الحسبة لعمر بن محمد بن عوض الشامي من مخطوطات مكتبة احمد تيمور بك من علماء القاهرة وقع في ١٣٤ ورقة من الحجم الوسط والصحة تغلب عليه وقد جاء في آخره تم الكتاب والحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات في سنة احدى وسبعين ومائة والف · والكتاب الثالث اسمه نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن بن نصر بن عبدالله بن محمد الشيزري وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية وعدد اوراقه ٣٣ ورقة وهو بخط مقروء لم تكتب عليه سنة كتابته ولا تاريخ تأليفه والصحة تغلب عليه في الجملة · واسم الكتاب الرابع ايضاً نهاية الرتبة في طلب الحسبة استنسخته في دمشق سنة ١٣٣٢ ﻫ عن نسخة جلبت من حلب وهي في ١٥٠ صفحة متوسطة القطع تغلب عليها الصحة وقد كتب الاصل سنة ١١٩٥ بخط جلي وورق صقيل والغالب ان مؤلفه من اهل القرن الثامن وانه مصري كما ان مؤلف الكتاب الاول ان لم يكن مصرياً فمن ساكني مصر · وكتاب احمد زكي بك اوسع هذه الكتب مادة وان كانت كلها تتحد في المقصد والكيفية

التاسع والعشرون في الحسبة على الدلالين
الثلاثون في الحسبة على الحاكة
الحادي والثلاثون في الحسبة على الخياطين والرفائين والقصارين
الثاني والثلاثون في الحسبة على الحريريين
الثالث والثلاثون في الحسبة على الصباغين
الرابع والثلاثون في الحسبة على القطانين
الخامس والثلاثون في الحسبة على الكتانيين
السادس والثلاثون في الحسبة على الصيارف
السابع والثلاثون في الحسبة على الصاغة
الثامن والثلاثون في الحسبة على النحاسين والحدادين
التاسع والثلاثون في الحسبة على الاساكفة
الاربعون في الحسبة على البياطرة
الحادي والاربعون في الحسبة على سماسرة العبيد والجواري والدواب والدور
الثاني والاربعون في الحسبة على الحمامات
الثالث والاربعون في لحسبة على السدارين
الرابع والاربعون في الحسبة على الفصادين والحجامين
الخامس والاربعون في الحسبة على الاطباء والكحالين والمجبرين
السادس والاربعون في الحسبة على مؤدبي الصبيان
السابع والاربعون في الحسبة على القومة والمؤذنين
الثامن والاربعون في الحسبة على الوعاظ
التاسع والاربعون في الحسبة على المنجمين
الخمسون فصول تشتمل على معرفة الحدود والتعزيرات وغير ذلك
الحادي والخمسون في القضاة والشهود
الثاني والخمسون في الولايات والامراء ومايقلدونه من حاكم ومايتعلق بهم من امور العباد
الثالث والخمسون فيما يلزم المحتسب فعله
الرابع والخمسون في الحسبة على اصحاب السفن والمراكب
الخامس والخمسون في الحسبة على باعة قدور الخزف والكيزان
السادس والخمسون في الحسبة على الفاخرانيين والغضاريين

السابع والخمسون في الحسبة على الابارين والمسلاتيين
الثامن والخمسون فى الحسبة على المردانيين
التاسع والخمسون في الحسبة على الحناويين وغيرهم
الستون في الحسبة على الامشاطيين
الحادي والستون في الحسبة على معاصر السيرج والزيت الحار
الثانى والستون في الحسبة على الغرابليين
الثالث في الحسبة على الدباغين والبطيين
الرابع والستون في الحسبة على اللبوديين
الخامس والستون في الحسبة على القرانين
السادس والستون في الحسبة على الحصريين العبدانى والكوكر
السابع والستون في الحسبة على التبانين
الثامن والستون فى الحسبة على الخشابين والقشاشين
التاسع والستون في الحسبة على النجارين والنشارين والبنائين
السبعون يشتمل على تفاصيل من امور الحسبة لم تذكر في غيره

هذه ابواب الكتاب ومنه يفهم ما بني عليه ولا بأس بايراد فصول منه للدلالة على اسلوبه قال في الباب الاربعين في الحسبة على البياطرة : البيطرة علم جليل سطرته الفلاسفة في كتبهم ووضعوا فيها تصانيف وهي اصعب علاجاً من امراض الآدميين لان الدواب ليس لها نطق تعبر به عما تجد من المرض والالم وانما يستدل على عللها بالجس والنظر فيحتاج البيطار الى حسن بصيرة بعلل الدواب وعلاجاتها فلا يتعاطى البيطرة الا من له معرفة وخبرة فاتهجم على الدواب بفصد او قطع او كيّ او ما اشبه ذلك بغير مخبرة يؤدي الى هلاك الدابة او عطبها فيلزمه أرش ما نقص من قيمتها من طريق الشرع ويعزره المحتسب من طريق السياسة ·

فصل وينبغي للبيطار ان يعتبر حافر الدابة قبل تعليمه فان كان احفاً او بلا (كذا) نسف من الجنب الآخر قدراً يحصل به الاعتدال وان كانت الدابة قائمة جعل المسامير المؤخرة صغاراً والمقدمة كباراً وان كانت يدها بالضد من ذلك صغر المقدمة وكبر المؤخرة ولا يبالغ في نسف الحافر فتغمز الدابة ولا يرخي المسامير فيحرك النعل ويدخل تحته الحصا والرمل ولا يشد على الحافر بقوة فتزمن الدابة واعلم أن النعال المطرقة الزم للحافر واللينة اثبت للمسامير الصلبة والمسامير الرفيعة خير من الغليظة واذا احتاجت الدابة الى تسريع او فتح

عرق اخذ المبضع بين اصبعيه وجعل نصابه في راحته واخرج من رأسه مقدار نصف ظفر ثم فتح العرق تعليقاً الى فوق بخفة ورفق ولا يضرب العرق حتى يجسه باصبعه سيما عروق الاوداج فانها خطرة لمجاورتها المري فان اراد فتح شيء من عروق الاوداج خنق الدابة خنقاً شديداً حتى تندر عروق الاوداج فيتمكن حينئذ مما اراد

فصل وينبغي للبيطار ان يكون خبيراً بعلل الدواب ومعرفة ما يحدث فيها من العيوب ويرجع الناس اليه اذا اختلفوا في الدابة وقد ذكر بعض الحكماء في كتاب البيطرة ان علل الدواب ثلثمائة وعشرون علة نذكر ما اشتهر منها فمنها الخناق الرطب والخناق اليابس والجنون وفساد الدماغ والصداع والحمر والتخمة والورم والمرة الهائجة والدبية والخشام ووجع الكبد ووجع القلب والدود في البطن والمغل والمنس وريح السوس والقطاع والصدام والسعال البارد والسعال الحار وانحدار الدم من الدبر والذكر والنحل والحلق وعصار البول ووجع المفاصل والرهصة والرحس والداحس والنفخة والنكب والجلد والثؤلولة والماء الحار في العين والناحر ورخاوة الاذنين والضرس وغير ذلك مما يطول شرحه فيفتقر البيطار الى تحصيل معرفة علاجه وسبب حدوث هذه العلل منها ما اذا حدث في الدابة صار عيباً دائماً ولولا التطويل لشرحت من ذلك جملاً كثيرة وتفاصيل فلا يهمل المحتسب امتحان البيطار بما ذكرناه ومراعاة فعله بدواب الناس والله اعلم .

وقال من فصل في الحسبة على الحمامات وقوّامها وذكر منافعها ومضارها : وقد ذكر عن بعض الحكماء انه قال خير الحمامات ما قدم بناؤه واتسع هواؤه وعذب ماؤه واعلم ان الفعل الطبيعي للحمام التسخين بهوائه والترطيب بمائه فالبيت الاول مبرد مرطب والبيت الثاني مسخن مجفف والحمام يشتمل على منافع ومضار فاما منافعها فتوسيع المسام واستفراغ الفضلات وتحلل الرياح وتحبس الطبع اذا كانت سهولته عن هيضة وتنظيف الوسخ والعرق وتذهب الحكة والجرب والإعياء وترطب البدن وتجود الهضم وتنضج النزلات والزكام وتنفع من حمى يوم ومن حمى الدق والربع بعد نضج خلطها عند طول المقام فيها وتسقط شهوة الطعام وتضعف الباه واعظم مضارها صب الماء الحار على الاعضاء الضعيفة وقد تستعمل على الريق والخلاء فتجفف تجفيفاً شديداً او تهزل وتضعف وقد يستعمل الحمام على قرب عهد بالشبع بعد الهضم الاول فانه يرطب البدن ويسمنه ويحسن بشرته .

فصل وينبغي ان يأمرهم المحتسب بغسل الحمام وكنسها وتنظيفها بالماء الطاهر غير ماء الغسالة يفعلون ذلك مراراً في اليوم ويدلكون البلاط بالاشياء الخشنة لئلا يتعلق ماء السدر او الخطمي فيزلق الناس عليها ويغسلون في كل يوم حوض النوبة من الاوساخ المجتمعة فيه

وكذلك الفساقي والقدور من الاوساخ المجتمعة من المجاري والعكر الراكد في اسفلها في كل شهر مرة لانها ان تركت اكثر من ذلك تغير الماء فيها في الطعم والرائحة ولا يسد الانابيب بشعر المشاطة بل يسدها بالخرق الطاهرة او الليف الطاهر ليخرج من الخلاف ويستعمل فيها البخور في اليوم مرتين بالحصالبان الذكر او المصطكي او اللادن ولا يدع الاساكفة واصحاب اللبد يغسلون شيئاً من اللبد ولا من الاديم في الحمام فان الناس يتضررون برائحته ولا ينبغي ان يدخل الحمام مجذوم ولا ابرص وينبغي ان يكون للحامي ميازر يؤجرها للناس وتكون عريضة حتى تستر ما بين السرة والركبة ويأمر بفتح الحمام في السحر لحاجة الناس اليه للتطهر فيه قبل وقت الصلاة ويلزم الوقاف حفظ اقمشة الناس فان ضاع منها شيء لزمه ضمانه على الصحيح. ويتخذ بالحمام زيراً كبيراً برسم الماء الحلو او عذباً ان كان يشرب برسم شرب الناس لا سيما في زمن الحر فان ذلك من المصالح وكذلك فليكن عنده السدر والدلوك فقد يحتاج الانسان له ولا يمكنه الخروج الى ظاهر الحمام ولو رتب سداراً دائماً على باب الحمام لبيع السدر وآلة الحمام كان ذلك حسناً.

فصل ويلزم صاحب النوبة باستعمال الامواس الجيدة الفولاذ حتى ينتفع الناس بها وينبغي ان يكون المزين خفيفاً رشيقاً بصيراً بالحلاقة ويكون حديده قاطعاً كما ذكرناه ولا يستقبل الرأس ومنابت الشعر استقبالاً ولا يأكل ما يغير نكهته كالبصل والثوم والكراث وغيره في يوم نوبته لئلا يتضرر الناس برائحة فيه عند الحلاقة ولا يحلق شعر صبي الا باذن وليه ولا عبداً الا باذن سيده ولا يحلق عذار امرد ولا لحية مخنث

فصل ويلزم المحتسب ان يتفقد الحمام في كل وقت ويعتبر ما ذكرناه وان رأى احداً قد كشف عورته عزره على كشفها لان كشف العورة حرام وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناظر والمنظور والنساء في هذا المقام اشد تهاتكاً من الرجال ولهن محدثات من المنكر احدثها كثرة الارفاه والاتراف واهمل انكارها حتى سرت في الاوساط والاطراف وقد احدثن الآن من الملابس ما لم يخطر للشيطان في حساب وتلك لباس الشهرة(؟)التي لا يستتر منه اسبال مرط ولا ادنى جلباب ومن جملتها انهن يعتصبن عصائب كامثال الاسنمة ويخرجن من جهارة اشكالها في الصورة المعلمة . . .

وقال في الحسبة على الاطباء الطبائعية والكحالين والجرايحيين والمجبرين : الطب علم نظري وعلم اباحت الشريعة تعلمه لما فيه من حفظ الصحة ودفع العلل والامراض عن هذه البنية الشريفة وقد ورد في ذلك احاديث منها ما ورد عن عطاء بن السائب قال دخلت على ابي عبد الرحمن الاسلمي اعوده فاراد غلام له ان يداو به فنهيته فقال : دعه فاني سمعت

عبدالله بن مسعود يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله داء الا وانزل له دواء وربما قال : سفيان شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله الى ان يقول : والطبيب هو العارف بتركيب البدن ومزاج الاعضاء والامراض الحادثة فيها واسبابها واعراضها وعلاماتها والادوية النافعة فيها والاعتياض عما لم يوجد منها والوجه في استخراجها وطريق مداواتها ليساوي بين الامراض والادوية في كمياتها ويخالف بينها وبين كيفياتها فمن لم يكن كذلك فلا يحل له مداواة المرضى ولا يجوز له الاقدام على علاج يخاطر فيه ولا يتعرض لما لا علم له فيه وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن وينبغي ان يكون لهم مقدّم من اهل صناعتهم . فقد حكي ان ملوك اليونان كانوا يجعلون في كل مدينة حكيماً مشهوراً بالحكمة ثم يعرضون عليه بقية اطباء البلد ليمتحنهم فمن وجده مقصراً في محله امره بالاشتغال وقراءة العلم ونهاه عن المداواة . وينبغي اذا دخل الطبيب على المريض ان يسأله عن سبب مرضه وعما يجد من الالم ثم يرتب له قانوناً من الاشربة وغيرها من العقاقير ثم يكتب نسخة لاولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض فاذا كان من الغد حضر ونظر الى دائه ورفع قارورته وسأل المريض هل تناقص به المرض ام لا ورتب له ما ينبغي على حسب مقتضى الحال وكتب له نسخة وسلمها لاهله وفي الثالث كذلك وفي اليوم الرابع كذلك هكذا الى ان يبرأ المريض او يموت فان برئ من مرضه اخذ الطبيب اجرته وكرامته وان مات حضر اولياؤه عند الحكيم المشهور وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب فان رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير من الطب قال: هذا قضى بفروغ اجله وان رأى الامر بخلاف ذلك قال لهم :خذوا دية صاحبكم من الطبيب فانه هو الذي قتله بسوء صناعته وتفريطه . فكانوا يحتاطون على هذه الصورة الشريفة الى هذا الحد حتى لا يتعاطى الطب من ليس من اهله ولا يتهاون الطبيب في شيء منه . وينبغي للمحتسب ان يأخذ عليهم عهد بقراط الذي اخذه على سائر الاطباء ويحلفهم ان لا يعطوا احداً دواء مضراً ولا يركبوا له سماً ولا يصفوا السموم عند احد من العامة ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الاجنة ولا للرجال الذي يقطع النسل وليغضوا ابصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى ولا يفشوا الاسرار ولا يهتكوا الاستار ولا يتعرضوا لما ينكر عليهم فيه .

فصل واما الكحالون فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين اعني العشر مقالات في العين فمن وجده قيماً فيما امتحنه به عارفاً بتشريح طبقات العين وعدد السبعة وعدد رطوباتها الثلاثة وما يتفرع من ذلك من الامراض وكان خبيراً بتركيب الاكحال وامزجة العقاقير اذن له

المحتسب بالتصدي لمداواة اعين الناس ولا يفرط في شيء من آلات صنعته مثل صنانير الشل والظفر ومباضع الفصد ودرج المكاحل وغير ذلك واما كحالو الطرقات فلا يوثق باكثرهم اذ لا دين لهم يصدهم عن التهجم على اعين الناس بالقطع والكحل بغير علم ومخبرة بالامراض والعلل الحادثة ولا ينبغي لاحد ان يركن اليهم في معالجة عينه ولا يثق باكحالهم واشيافهم فان منهم من يضع اشيافاً اصلها النشا والصمغ ويصبغها الواناً مختلفة فيصبغ احمر بالسيلقون والاخضر بالكركم والنيل والاسود بالقاقيا والاصفر بالزعفران ومنهم من يجعل اشيافاً من ماميثا ويعجنه بالصمغ ومنهم من يعمل كحلاً من نوى الاهليلج المحرق والفلفل وجميع غشوش الكحالم لا يمكن حصرها فيحلفهم المحتسب على ذلك اذ لا يمكنه منعهم من الجلوس .

فصل واما المجبرون فلا يحل لاحد ان يتصدى للجبر الا بعد ان يعرف المقالة السادسة من كتاب قوانين الجبر وان يعلم عدد عظام الآدمي وهي مائتا عظم وثمانية عظام وصورة كل عظم منها وشكله وقدره حتى اذا انكسر منها شيء او انخلع رده الى موضعه على الهيئة التي كان عليها فيمتحنهم المحتسب على ذلك

فصل واما الجرائحيون فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس المعروف بقاطاجانس في الجراحات والمراهم وان يعرفوا التشريح واعضاء الانسان ومافيه من العضل والعروق والشرايين والاعصاب ليتجنب ذلك في وقت فتح المواد وقطع البواسير ويكون معه دست المباضع فيه مباضع مدورات الرأس والموربات والحربات وفاس الجبهة ومنشار القطع ومخرقة الاذن وورد السلع ومرهمدان المراهم ودواء الكندر القاطع للدم ومنهم من يتبهرجون على الناس بعظام تكون معهم فيدفنونها في الجرح ثم يخرجونها منه بمحضر من الناس ويزعمون ان ادويتهم القاطعة اخرجتها . ومنهم من يضع مراهم الكلس المغسول بالزيت ثم يصبغ لونه احمر بالمغرة واخضر بالكركم والنيل والاسود بالفحم المسحوق فيعتبر عليهم ذلك

وقال في الحسبة على الوعاظ : يجب على المحتسب ان ينظر في امر الوعاظ ولا يمكن احداً ممن يتصدى لهذا الفن الا من اشتهر بين الناس بالدين والخير والفضيلة عالماً بالعلوم الشرعية وعلم الادب حافظاً للكتاب العزيز ولاحاديث النبي صلى الله عليه وسلم واخبار الصالحين وحكايات المتقدمين ويمتحن بمسائل يسأل عنها من هذه الفنون فان اجاب والا 'منع كما اختبر الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحسن البصري وهو يتكلم على الناس فقال له : ما عماد الدين قال : الورع قال : فما آفته قال : الطمع قال : تكلم الآن ان شئت . ومن كانت هذه الشرائط فيه 'مكن من الجلوس على المنبر في الجوامع والمساجد وفي اي بقعة احب ومن

لا يدري ذلك كان جاهلاً بذلك 'منع من الكلام فان لم يمتنع ودام على كلامه 'عزر ومن عرف شيئاً يسيراً من كلام الوعاظ وحفظ من الاحاديث واخبار الصالحين مثل ذلك وقصد الكلام يسترزق به و يستعين على وقته فسح له بشرط ان لا يصعد المنبر بل يقف على قدميه فان رتبة صعود المنبر رتبة شريفة لا يليق ان يصعد عليه الا من اشتهر بما وصفناه وكفى به علوّاً وسموّاً ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد عليه والخلفاء الراشدون من بعده والعلماء والائمة وكان العصر الاول لا يصعد فيهم المنبر الا احد رجلين خطيب في جامع يوم جمعة او عيد او رجل عظيم الشأن يصعد المنبر يعظ الناس و يذكرهم الآخرة و ينذرهم و يحذرهم و يخوفهم و يحثهم على العمل الصالح وكان للناس بذلك نفع عظيم ·

وفي زماننا هذا لا 'يطلب الواعظ الا لتمام شهر ميت او لعقد نكاح او لاجتماع هذيان ولا يجتمع الناس عنده لسماع موعظة ولا لفائدة وانما صار ذلك من نوع الفرح واللعب والاجتماع وتجري في المجلس امور لا تليق من اجتماع الرجال والنساء و رؤية بعضهم لبعض واشياء لا يليق ذكرها وهذا من البدع المضلة وكان الاولى حسم الباب في ذلك والمنع منه وان تعذر فلا يمكن (المحتسب) من ذلك الا رجلاً مشهوراً بالدين والخير والفضيلة كما تقدم من شرطه ان يكون عاملاً لله مجتهداً قولاً فعلاً · قال الله تعالى : وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال : يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابداً · والفقهاء والمتكلمون والادباء والنحاة يسمون اهل الذكر والوعظ قصاصاً · قال بعض العلماء: مجالس الوعظ خير المجالس وملابسها اخير الملابس فيها ترق قسوة القلوب وفيها يتاب عن الذنوب و يعترف بالعيوب

وقال في معرفة القنطار والارطال والمثاقيل والدراهم : لما كانت هذه المعاملات و وزنها اعتباراً المبيعات لزم المحتسب معرفتها وحقيقتها لتقع المعاملة بها على الوجه الشرعي وقد اصطلح اهل كل اقليم على ارطال تتفاضل في الزيادة والنقصان ونحن نذكر من ذلك مالا يسع المحتسب جهله ليعلم تفاوت الاسعار اما القنطار الذي ذكره الله العظيم في كتابه الكريم فقد قال : معاذ بن جبل هو الف ومائتا اوقية وهو قول ابن عمر و رواه أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الضحاك الف ومائتا مثقال و رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو نصرة هو ملء مسك ثور ذهباً او فضة وعن انس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم القنطار الف دينار وعن ابن عباس والضحاك اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية الرجل المسلم وعن ابي صالح مائة رطل وهو المتعارف بين الناس · والرطل اثنتا عشرة اوقية والاوقية اثنا عشر درهماً وهذا لا خلاف فيه لكن الرطل فيه اختلاف كثير في الامصار والبلدان فالرطل الحجازي مائة وعشرون درهماً والرطل

المصري مائة واربعة واربعون درهماً والرطل البغدادي مائة وثلثون درهماً والرطل الدمشقي ستمائة درهم والرطل الحلبي سبعمائة وعشرون درهماً والرطل الحموي ستمائة وستون درهماً والرطل الحمصي سبعمائة واربعة وتسعون درهماً والرطل الليثي مائتا درهم والجروي ثلثمائة واثنا عشر درهماً والرطل الحراني سبعمائة وعشرون درهماً والعجلوني والرومي الف ومائتادرهم والرطل الغزاوي سبعمائة وعشرون درهماً والرطل المقدسي والخليلي والنابلسي ثمانمائة درهم والرطل الكركي تسعمائة درهم ٠

وفي المحلات ارطال مختلفة فالمتعامل بها في الاسواق ما يذكر : مدينة قوص ولها احوال رطل اللحم والخبز والخضر ثلثمائة وخمسة وعشرون درهماً وباقي الحوائج مائتادرهم ٠ مدينة اسيوط تختلف الاحوال ٠ فالخبز واللحم الف درهم ويسمى مناً وباقي الحوائج ليثي مائتادرهم ٠ منفلوط اللحم والخبز ليثي مائتا درهم وباقي الحوائج مصري مائة واربعة واربعون درهماً ٠ اخميم مدينة مختلفة الاحوال: الخبز واللحم الف درهم ويسمى منا الباقي ليثي مائتا درهم ٠ منية بني خصيب على رطل مصر مائة واربعة واربعون درهماً ٠ ديروط الصربان على رطل مصر مائة واربعة واربعون درهماً ٠ مدينة المحلة رطلان وثلثا رطل يكون اربعمائة درهم ٠ ثغر الاسكندرية رطلان واوقيتان ثلثمائة واثنا عشر درهماً ٠ ثغر دمياط رطلان وربع ونصف اوقية ثلثمائة وثلثون درهماً ٠ البلبيسي رطل وربع مصري مائة وثمانون درهماً ٠ منية سمنود رطلان وسدس ثلثمائة درهم ٠ مدينة الفيوم مائة وخمسون درهماً ولم اسمع ان بلدة وافق رطلها البلدة الاخرى الا نادراً او قريبة لقريبة لا يؤبه بهما والاوقية من نسبة رطلها جزء من اثني عشر جزءاً ٠

واما المثقال فاتفق على انه درهم ودانقان ونصف وهو اربعة وعشرون قيراطاً والقيراط ثلاث حبات او اربعة اسباع حبة وهو خمسة وثمانون حبة وخمسة اسباع حبة ووزن كل حبة منها مائة حبة من حبوب الخردل البري المعتدل ٠ وقال بعض العلماء: كان المثقال بمكة في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اثنتين وسبعين حبة من حب الشعير الممتلئ غير الخارج من المعهود والدرهم ستة دوانيق وهو ستون حبة ٠ وقال بعض العلماء : الدرهم خمسون حبة وخمسا حبة من حب الشعير كما ذكرنا ووزن كل حبة من الدرهم سبعون حبة من حب الخردل البري المعتدل والدينار مثل الدرهم وثلاثة اسباعه والدرهم من الدينار بنصفه وخمسه وهذا يفيد تقريباً على ما ضبطه الائمة فان عرف الدرهم الاسلامي بطريق غير هذه الطريق وتحقق قدره كان ذلك معتمداً في معرفة المثقال والا فلا ضابط الا بما تقدم ذكره من حب الشعير ٠ واختلف في سبب استقراره على هذا الوزن فذكر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى اختلاف الدراهم وان منها البغلي وهو ثمانية دوانيق ومنها الطبري وهو اربعة

دوانيق ومنها ما هو ثلاثة دوانيق ومنها اليمني وهو دانق قال : انظروا الاغلب مما يتعامل فيه الناس من اعلاها وادناها فكان الدرهم البغلي والطبري فجمع بينهما فكانا اثني عشر دانقاً فاخذ نصفها فكان ستة دوانيق فجعل الدرهم الاسلامي ستة دوانيق . ومتى زدت عليه ثلاثة اسباعه كان مثقالاً ومتى نقصت من المثقال ثلاثة اعشاره كان درهماً وكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل وكل عشرة مثاقيل اربعة عشر درهماً وسبعان والله اعلم

وحكى سعيد بن المسيب ان اول من ضرب الدراهم المنقوشة عبدالملك بن مروان وكانت الدنانير ترد رومية وكانت الدراهم ترد كسروية وحميرية قليلة فامر عبدالملك الحجاج بضرب الدراهم بالعراق فضرب بها سنة اربع وسبعين وقيل خمس وسبعين ثم امر بضربها في النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله احد الله الصمد . وحكى يحيى بن النعمان الغفاري ان اول من ضرب الدراهم مصعب بن الزبير عن امر عبدالله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الاكاسرة وعليها « بركة » من جانب « والله » من جانب ثم غيرها الحجاج بعد سنة وكتب عليها « بسم الله » « الحجاج » وهذه فائدة ذكرت هاهنا لتعلقها بذكر الدراهم فيجب على المحتسب ان لا يهمل امر هذا الباب وينظر فيه كل وقت والله اعلم .

وقال في معرفة الموازين والمكاييل والاذرع : « اصح الموازين ما استوى جانباه واعتدلت كفتاه وكان ثقب علاقته في وسط العمود ويجدد الثقب ويجعل المسمار فولاذاً حتى تكون سريعة الجريان فمتى لم يفعل ذلك كانت تسكن فيضر بالمشتري .

فصل ويأمر اصحاب الموازين بمسحها وتنظيفها من الادهان والاوساخ في كل ساعة فانه ربما يجمد شيء في جرمها فيضر كما ذكرنا وينبغي اذا شرع في الوزن ان يسكن الميزان ويضع فيها البضاعة من يده في الكفة قليلاً قليلاً ولا يهمز الكفة بابهامه فان ذلك كله بخس وتكون موازين الباعة معلقة ولا يمكن احداً من الباعة ان يزن بميزان الارطال في يده ومن البخس الخفي في ميزان الذهب ان يرفعه بيده تلقاء وجهه ثم ينفخ على الكفة التي فيها المتاع نفخاً خفيفاً فيرجح بما فيه وذلك ان المشتري يكون عينه الى الميزان لا الى فم صاحبه . ولهم في الميزان صناعة يحصل بها البخس مثل ان يلصق شمعة تحت احد كفتي الميزان او يشكل رزة الميزان العليا بخيط شعر رقيق لا يدركه المشتري فيحصل له من ذلك تفاوت . ولهم ايضاً العلاقة التي تسمى المورى وهو ان يكون عمود الميزان فولاذاً و يعمل لسانه ارمهان (؟) او يعوج رأس اللسان الى الجانب الذي يريد ان يأخذ به فيحصل له ذلك القدر الحرام فيلزم المحتسب مراعاة ذلك في كل وقت . واعلم انك وليت من الكيل والميزان امراً من اجله هلكت الامم السالفة فباشرهما بيدك مباشرة الاختبار ولا تقل اهلها عثرة فان الاقالة لا تنهى

عن العثار وكل هؤلاء من سواد الناس فمن لم يفقه نفسه وليس همته الا فرجه او ضرسه فحدهم التعزير التي هي نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى

فصل والقبان القبطي فينبغي للمحتسب ان يختبره بعد كل حين فانه يفسد بكثرة استعماله في وزن الحطب والبضائع الثقيلة ويتخذ عنده عيارات من حصى في خرائط ليف هندي او خيش ويضعها في موضع لا تصل اليها النداوة ولا الغبار ويعين لعيار القبانين رجل يوثق بدينه وامانته ولا يشوبه في ذلك رياء ولا محاباة لاحد من ابناء جنسه ويلزم المحتسب ان لا يمكن احداً من الوزن بالقبان الا من ثبتت امانته وعدالته ومعرفته بالعدول من اهل الخبرة في مجلسه فانها صناعة عظيمة والبائع والمشتري واقفان لا يعلمان صحة ذلك من سقمه الا من لفظه فيعتبر فيه ما ذكرناه ٠

فصل وينبغي ان يتخذ الارطال من حديد ويعتبرها المحتسب ويختم عليها بختم من عنده ولا يتخذوها من الحجارة لانها اذا قرع بعضها ببعض فتنقص فاذا دعت الحاجة الى اتخاذها لقصور يده عن اتخاذ الحديد امره المحتسب بتجليدها ثم يختمها بعد العيار ويجدد النظر فيها بعد كل حين لئلا يتخذوا مثلها من الخشب ورؤوس اللفت ولا يكون في الحانوت الواحد دستان من ارطال او صنج من غير حاجة لانها تهمة في حقه ولا يتخذ عنده الا ما جرت العادة باتخاذه مثل ثلث الرطل وثلث اوقية وثلث درهم لمقاربة النصف وربما اشتبه ذلك عليه بالنصف في حال الوزن عند كثرة الزبون والله اعلم ٠

فصل وينبغي للمحتسب ان يتفقد عيار المثاقيل والصنج والارطال والحبات على حين غفلة من اصحابها فان في الصيارف من يأخذ حبات الحنطة فينقعها في الماء ثم يغرز فيها رؤوس الابر الفولاذ ثم تجفف فتعود الى سيرتها الاولى ولا يظهر فيها شيء ويأمرهم ان يجعلوا لون صنج الفضة مخالفاً للون صنج المثاقيل فربما وضعوا صنجة النصف درهم عوض الرباعي وبينهما تفاوت وكذلك صنجة الثمن عوض صنجة القيراطين والله اعلم ٠

فصل في المكاييل قال الله تعالى : ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ٠ الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ٠ وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : المكيال على مكيال المدينة والوزن على وزن مكة ٠ والمكيال الصحيح ما استوى اعلاه واسفله في الفتح والسعة من غير ان يكون محصور الفم ولا يكون بعضه داخلاً وبعضه خارجاً وينبغي ان يشده بالمسامير لئلا يصعد فيزيد او ينزل فينقص واجود ما عيرت به المكاييل الحبوب الصغار التي لا تختلف في العادة مثل الخردل والبرسيم والبزرقطونا والكسفرة وما اشبه ذلك ويكون في كل حانوت من المكاييل

الصحيحة مكيال ونصف مكيال وربع مكيال وثمن مكيال مختوم عليها بختم الحسبة لان الحاجة تدعو الى اتخاذ ذلك .

وينبغي للمحتسب ان يجدد النظر في المكاييل فان من الحصانيين والقوالبن والعلافين من يأخذ قطعة خشب يحفرها مكيالاً فيكون طولها شبراً مثلاً والمحفور من داخلها اربع اصابع فيغتر الناس بسعتها وطولها ولا يعلمون المقدار المحفور وهذا تدليس لا يخفى ويراعي ايضاً ما يلصقونه في اسفل المكيال فان منهم من يلصق في اسفله الجير او الجبس الاسود فيلصقونه لصقاً لا يكاد يعرف ومنهم من يلصق في جوانبه الكسب فلا يعرف ولم في ... لك المكيال . نباتة يحصل بها البخس فلا يدع الكشف عليه في كل وقت واما الكيالون فلا خير فيهم لا سيما في هذا الزمان فان اكثرهم يكتال ما يقبضه زائداً ويسمى عندهم الفرز والطرح وعند الصرف يجعله ناقصاً ويسمى عندهم المدقق وقد ذمهم الله تعالى بما ذكرنا في اول الفصل فينبغي للمحتسب ان ينذرهم ويخوفهم عقوبة الله تعالى وينهاهم عن البخس والتطفيف في ذلك كله ومتى ظهر له من احد منهم خيانة عزره على ذلك ويشهره حتى يرتدع به غيره .

وخرّج ابوداود عن احمد بن حنبل قال صالح بن ابي ذئيب: خمسة ارطال وثلث واسند البخاري الى عبدالله بن احمد بن حنبل ذكر لي ابي انه عير مد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوجده رطلاً وثلثاً وفي كتاب عقد الجوهر ان اهل المدينة لا يختلف اثنان ان مد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي به يؤدي الصدقات ليس اكثر من رطل ونصف ولا اقل من رطل وربع وقال بعضهم: رطل وثلث وهو الذي عليه اكثر العلماء . والويبة ستة عشر قدحاً من ... بة كيل البلد .

فصل والاذرع سبع اقصرها القاضية ثم اليوسفية ثم السوداء ثم الهاشمية الصغرى وهي البلالية ثم الهاشمية الكبرى وهي الزيادية ثم العمرية ثم الميزانية فاما القاضية وهي تسمى ذراع الدور وهي اقل من ذراع السوداء باصبع وثلثي اصبع واول من وضعها ابن ابي ليلى القاضي وبها يتعامل اهل كل وادي واما اليوسفية فهي التي يذرع بها القضاة الدور بمدينة السلام وهي اقل من ذراع السوداء بثلثي اصبع واول من وصفها القاضي ابو يوسف واما الذراع السوداء فهي اطول من ذراع الدور باصبع وثلثي اصبع واول من وصفها الرشيد وقدّرها بذراع خادم اسود كان على رأسه وهي التي يتعامل بها الناس في ذراع البز والتجارة والابنية وقياس نيل مصر .

واما الذراع الهاشمية الصغرى وهي البلالية فهي اطول من الذراع السوداني باصبعين

وثلثي اصبع واول من احدثها بلال ابن ابي بردة وذكر انها ذراع جده ابوموسى الاشعري وهي انقص من الزيادية بثلاثة ارباع عشر وبها يتعامل الناس بالبصرة والكوفة واما الهاشمية الكبرى فهي ذراع الملك واول من نقلها الى الهاشمية المنصور وهي اطول من الذراع السوداء بخمس اصابع وثلثي اصبع ويكون ذراعًا وثمنًا وعشرًا بالسوداء وينقص منها الهاشمية الصغرى بثلاثة ارباع عشر وسميت زيادية لان زيادًا مسح بها ارض السواد وهي التي تذرع بها اهل الاهواز واما الذراع العمرية وهو ذراع عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي مسح بها السواد قال موسى بن طلحة: رأيت ذراع عمر بن الخطاب التي مسح بها ارض السواد وهو ذراع وقبضة وابهام قائمة قال الحكم: ان عمر عمد الى اطولها واقصرها واوسطها فجمع منها ثلاثة واخذ الثلث منها وزاد عليها قبضة وابهامًا قائمًا ثم ختم طرفيه بالرصاص وبعث ذلك الى حذيفة وعثمان بن حنيف حتى مسحا بها ارض السواد وكان اول من مسح به بعده عمر بن هبيرة واما الذراع الميزانية فيكون بالذراع السوداء ذراعًا وثلثي ذراع وثلثي اصبع واول من وضعها المأمون وهي التي يتعامل بها الناس في ذراع البريد والسكور والسوق وكري الانهار والحفائر والذراع المقدر الشرعي الذي ذكره الامام الغزالي وغيره فهو اربعة وعشرون اصبعًا والاصبع ست شعيرات بطن حبة لظهر اخرى والشعيرة ست شعرات بشعر البغل والله اعلم»

وقد وردت اسماء في الابواب المتقدمة في اول هذا البحث تبدلت لطول العهد بها وكثرة دخول الالفاظ الاعجمية بدلها مثل «البواردبين» وهم في الغالب الطهاة الذين يقدمون طعام البقول المطبوخة و«السدارين» الذين يطحنون السدر وهو من المطهرات كالصابون اذا غش يضر ولا ينفع و«الفاخرانيين والغضاريين» وهم الذين يصنعون الزبادي «السلطانيات» من الحصا المطحون والغضارون باعة الكيزان «والمسلاتيين» صناع المسلات و«المرادنيين» الذين يعملون المرادن آلات الغزل القديمة تعمل من خشب الساسم او من السنط الاحمر. وتمثيل المؤلف بالكيل المصري بدل غيره كما رأيت في الحسبة على الموازين والمكاييل وكما جاء في الحسبة على الهراسين فيه دلالة على انه مصري من اهل القرن السابع ومما يستأنس به ان الكتاب ألف لمصر ما ورد ايضا في الحسبة على الكتانيين فقال «ان اجود الكتان المصري الجنوي الغض واجوده الناعم المورق واردأ القصير الخشن الذي ينقصف ولا يخلطون جيده برديئه ولا الكتان البحري بالصعيدي ولا الصعيدي بالكوري» وقال في الحسبة على معاصر السيرج والزيت الحار «وعيارة الجرة بالرطل المصري ستة وعشرون رطلاً وربع رطل» وسكت وكذلك مثل بالرطل المصري في عصر الزيت وفي غيره

للبحث صلة

الرومان

معربة من كتاب تاريخ الحضارة لشارل سنيوبوس

رومية الاصلية

رومية — على تخوم قطر اللاسيوم من ناحية بلاد الايتروسكيين يمتد سهل ذو بطائح تتخلله أكمات وتلعات هنالك على ضفة نهر التيبر أنشئت مدينة رومية مقر الشعب الروماني المتفرق في الخلاء . ولقد كانت الحميات تنتاب تلك البلاد وحالتها من الكآبة والبوس على جانب ولكن كان موقعها جميلاً ونهر التيبر بمثابة هوة قائمة في وجه الايتروسكيين كما كانت تلك الآكام كالحصون وبين تلك المدينة والبحر ستة اميال وهو بعدٌ لا يكاد يحميها من سطوة قرصان البحر ويقربها قليلاً من تناول البضائع الواردة عليها . وكان مرفأ اوستي عند مصب نهر التيبر حياً من احياء رومية كبير مثل بيرة مرفأ آثينة . فموقع رومية كان والحالة هذه مناسباً لحال امة حربية تجارية .

تأسيس رومية — لا نعرف من حال القرون الاولى لرومية غير اساطير . والرومانيون انفسهم لم يعرفوا عنها شيئاً مثلنا . وقد ادعوا ان رومية كانت لاول امرها مدينة صغيرة مربعة المساحة قائمة كلها على رابية « بالاتين » ويدعى مؤسسها روميولوس وهو الذي اختط سورها بمحراث مراعياً في تخطيطها الشعائر الايتروسكية . وكان الرومانيون يحتفلون كل سنة يوم ٢١ ابريل (نيسان) بعيد هذه المدينة فيطوفون حول سورها الاصلي فيدق احد الكهنة مسماراً في بعض المعابد تذكاراً للحفلة . وكان يقدَّر ان الاحتفال بتأسيس تلك المدينة قد وقع في سنة ٧٥٤ قبل المسيح .

أُنشئت على الروابي الاخرى قبالة جبل بالاتين عدة مدن صغرى ونزلت عصابة من سكان الجبال من السابيين في معبد الكابيتول كما حلت عصابة اخرى من متشردي الايتروسكيين في جبل سليوس وربما كان ثمت ايضاً شعوب اخرى . وانتهت الحال بجميع اولئك الجماعات الصغيرة ان يجتمعوا في مدينة رومية الواقعة على رابية بالاتين ثم انشئ سور جديد احاط بالسبع اكمات . اما ساحة المريخ حيث يقف الجيش فكانت ممتدة الى نهر التيبر من الشاطئ الآخر من النهر خارج السور فكان الكابيتول في رومية مثل الاكروبول في آثينة . ولقد قامت على هذا الصخر معابد الارباب الثلاثة حامية المدينة وهي المشتري وجونون ومنيرفا وهنالك القلعة التي حوت خزانة الحكومة وسجلات الامة . وفي اساطيرهم

انهم عثروا عند ما حفروا أُسس المدينة على رأس رجل قطع حديثاً فكان هذا الرأس فألاً حسناً اولوه بان رومية ستغدو رأس العالم ·

تقاليد بشأن الملوك وانشاء الجمهورية — جاء في هذه التقاليد انه حكم رومية ملوك مدة قرنين ونصف ولم تذكر فيها اسماؤهم وتاريخ وفياتهم بل ذكرت تراجمهم وقيل انهم كانوا سبعة ملوك خرج الاول وهو رومولوس من مدينة آلب اللاتينية فانشأ مدينة بالاتين وقتل اخاه الذي ارتكب محرماً بان قفز من فوق خندق سور المدينة ثم حالف احد ملوك السابيين المدعو تاتيوس · وفي تقليد آخر انه انشأ في سفح المدينة حياً محاطاً بسياج حشر اليه جميع المتشردين الذين احبوا الانضمام اليه ·

اما الملك الثاني وهو نوما بومبيليوس فقد كان سابنياً وهو الذي رتب الديانة الرومانية آخذاً برأي احدى الربات « ايجري » التي كانت تسكن في غابة ·وكان الملك الثالث المدعو تولوس مارتيوس حفيد نوما المومأ اليه بنى جسراً من خشب على نهر التيبر وانشأ جسر اوستي وعليهما كانت تمر تجارة رومية منذ ذاك الحين · وكان الملوك الثلاثة الآخرون من الايتروسكيين وحدث من امر تاركين القديم ان وسع المملكة الرومانية وادخل الاحتفالات الدينية الشائعة في بلاد ايترورياأو الايتروسكيين · ونظم سرفيوس توليوس الجيش الروماني بان ادخل فيه جميع اهل البلاد بدون تمييز في موالدهم واعمارهم ووزعهم مئات مئات بحسب ثروتهم · اما الملك الاخير المدعو تاركين الباهر فقد ظلم الاسرات الكبرى في رومية فتآمر عليه بعض الاشراف ووفقوا الى طرده ·

ومنذ ذاك العهد (٥١٠) لم يتولَّ على الرومانيين ملك فكانت البلاد الرومانية او كما يقال الملك العام يحكم عليها حاكمان يختاران كل سنة ويسميان « القناصل » · وليس من الممكن ان نعلم ما في هذا التقليد من الحقيقة لانه نشأ قبل ان يبدأ الرومان في وصف تاريخهم بزمن طويل وفي هذا التقليد من الاساطير ما لا يسعنا قبوله برمته · وقد حاول بعضهم ان يفسر اسماء هؤلاء الملوك ويستدل منها بانها رمز الى جنس او الى طبقة خاصة كما حاول بعضهم ان ينشيء تاريخ رومية في عهده الاول بنوع ضرب من الصور ولكن كلما بذلت العناية للنظر فيه صعب الاتفاق بين المشتغلين في ذلك الى تقرير امر وكثر الخلاف بينهم ·

وصف ترتيبات الرومانيين على سبيل الايجاز — كان في رومية نحو القرن الخامس قبل المسيح طبقتان من الناس وهما الباترسين والبلبين (اي الاشراف والعامة) فكان الباترسيون من نسل قدماء الأسرات المقيمة منذ القدم في البقعة الضيقة في ظاهر مدينة

رومية وكان لهم وحدهم الحق ان يظهروا في مجمع الامة وان يحضروا الحفلات الدينية وان توسد اليهم الوظائف . و يعتقدون ان اجدادهم اسسوا المملكة الرومانية او كما كان يقال المدينة الرومانية واوصوا بها لهم فكانوا هم من ثم الشعب الاصلي في رومية اما البلبين فهم من نسل الغرباء النازلين في المدينة ولا سيما من المغلوبين من سكان المدن المجاورة اذ ان رومية اخضعت بالتدريج جميع المدن اللاتينية وضمت سكانها اليها بالقوة فاصبحوا رعايا لرومية لكنهم ظلوا غرباء عنها يخضعون لحكومة رومية دون ان يشركوها في شيء من الامر فلا يدينون بالدين الروماني ولا يسوغ لهم ان يحضروا الحفلات الدينية ولا ان يتزوجوا من الاسرات الشريفة وكانوا يدعون بالبلب اي الجمهور ولا ينظر اليهم بانهم جزء من الشعب الروماني . وقد وُجدت في الصلوات القديمة هذه العبارة « لخير الشعب وخير البلبين في رومية » .

وكان يجتمع ابناء البلاد وعليهم اسلحتهم كل سنة خارج المدينة في ساحة المناورات (ساحة المريخ) ينتخبون زعيمين يطلقون عليهما لقب القضاة او القناصل . وكان هؤلاء القناصل في خلال السنة التي يتوظفون فيها يحكمون رومية ويقودون جيشها و بيدهم حياة جميع افراد الامة وموتها . يرافقهم اثنا عشر رجلاً من حملة الفؤوس اشارة لمالهم من السلطة فيحمل كل منهم فأساً وحزمة قضبان لجلد المجرمين او ضرب رقابهم . فيجلس القناصل على عادة قدماء الملوك على دكة تشبه العرش وهو كرسي عال من العاج . و يستعاض في اوقات الحروب الخطرة عن القنصلين بحاكم واحد يلقون اليه بزمام السلطة فيصبح الحاكم المتحكم والآمر الناهي وحده و يكون في قبضته الاربعة والعشرون جلاداً ولكن سلطته لا تدوم الا ستة اشهر .

فيجمع القناصل مجلس الشيوخ وهو مؤلف من رؤساء الأسرات وكبار ارباب الاملاك للمفاوضة في المسائل المهمة و يدعى هؤلاء بالآباء ويدعى نسلهم بالاشراف فكان مجلس الشيوخ يصدر رأيه و يطلقون عليه « رأي الشيوخ » ومن العادة ان يلتزم القناصل امتثاله فكانت من ثم رومية محكوماً عليها من القناصل ومجلس الشيوخ في آن واحد .

النزاع بين طبقات الشعب — كان العامة واهل الطبقة الوسطى عبارة عن شعبين متباينين سادة و رعية . ومع هذا كان حال اهل الطبقة الوسطى يشبه كثيراً حال الاشراف فهم يخدمون في الجندية مثلهم و يخدمون في الجيش على نفقتهم و يفادون بارواحهم في خدمة الشعب الروماني وهم مثلهم من اهل الفلح والكرث يعيشون في قراهم واما كنهم وكان كثير من اهل هذه الطبقة المتوسطة اغنياء ومن أسرة قديمة والفرق بين الطبقة المتوسطة و بين

الاشراف ان الاول كانوا من نسل أسرة عظيمة من بعض المدن اللاتينية المغلوبة على حين كان الاشراف من نسل اسرة قديمة من سكان المدينة الغالبة . ولم ترض نفوس اهل الطبقة الوسطى ان تظل ساكتة على ما قضي به عليها من المهانة بل ثار بينهم وبين الاشراف نزاع دام قرنين (من نحو ٤٩٣ الى نحو سنة ٥٠٠) واليك كيف بدأ ذلك على نحو ما ورد في اساطيرهم .

رأى اهل الطبقة المتوسطة ذات يوم انفسهم مهانة فاعتصموا في جبل هناك وعليهم اسلحتهم وعزموا ان يناوئوا الشعب الروماني فهال عزمهم جماعة الاشراف فبعثوا اليهم بالقائد منينوس اغريبا ليقص عليهم قصة الاعضاء والمعدة فرضيت الطبقة الوسطى بالدخول في الطاعة وعقدت محالفة مع الشعب فمنح رؤساء هذه الطبقة الحق في ان يمدوا يد المساعدة لاهل الطبقة الوسطى للاخذ بايديهم من حيف حكام الامة ولاجل ان يحولوا دون قيام امر يخالف رغائبهم . وقد كان يكفي ان يلفظ احدهم قوله « فتو » اي اني اعارض فيتوقف البت في الامر . وقد كان الدين يحظر الانقضاض على المدافع عن حقوق الشعب ومن فعل ذلك استحق العقاب من ارباب الجحيم .

فظل ارباب الطبقة الوسطى آخذين انفسهم بمجاهدة خصومهم من اهل الطبقة العالية واذ كانوا اعز منهم نفراً واكثر غنى وأيداً انتهت بهم الحال ان ظفروا بهم فتوصلوا اولاً الى وضع قوانين عامة للجميع وان يسمح بالزواج بين اهل الطبقة العالية والطبقة الوسطى وكان اصعب ما في هذا التغيير نزع الاستئثار بسلطة الحكم او الذهاب بفضل الشرف وقد كان الدين يأمر انه يجب قبل ان يعين رجل حاكماً ان يطلب من الارباب فيما اذا كانت توافق على انتخابه ام لا . فيسألون الارباب عن رأيها في ذلك بزجر الطيور ويسمونه اخذ الفأل . بيد ان الديانة الرومانية القديمة لم تكن تسمح باخذ الفأل الا على اسم رجل من اهل الطبقة العليا وما كان يخطر في بال القوم بان الارباب يقبلون بحاكم من اهل الطبقة الوسطى . وكان ثمت اسر كبرى من الطبقة الوسطى تحرص على ان تصبح مساوية لاسر الاشراف في تولي المناصب كما كانت تساويها في الغنى والمكانة فاضطر اهل الطبقة الاولى الى ان تفتح لها جميع المناصب شيئاً فشيئاً فبدؤا يدخلون في مجلس القناصل سنة ٣٦٦ وفي مجلس الحكم ٣٥٥ والقضاء سنة ٣٢٧ والمراقبة سنة ٣٣١ وزعامة الدين الكبرى سنة ٣٠٢ ومن ذلك العهد امتزج الاشراف اهل الطبقة العليا باهل الطبقة الوسطى واصبحوا شعباً واحداً .

الديانة

ارباب الرومان — اعتقد الرومان كاعتقاد اليونان بان كل ما يحدث في هذا العالم

هو مما قضت به ارادة خالق ولكنهم لم يعتقدوا باله واحد يدبر العالم بل قالوا بتعدد الارباب بتعدد المظاهر المختلفة التي تجلى فيها اوامرهم ونواهيهم . فهناك رب ينبت البذر وآخر يحمي حدود الحقول وثالث يحرس الثمار . ولكل رب اسمه وجنسه وعمله . واهم الارباب «المشتري» رب السماء و « جانوس » ذو الرأسين و « المريخ » رب الحرب و « عطارد » رب التجارة و « فولكان » رب النار و « نبتون » رب البحر و « سريس » ربة الحصاد والارض والقمر و « جونون » و « منيرفا » .

ثم يجيء الارباب من الدرجة الثانية فكانت تتجسد في بعض تلك الارباب صفة من الصفات كالفناء والاتحاد والراحة والسلام ويشرف بعضها على عمل من اعمال الحياة فعند ما يولد المولود يأتيه رب يعلمه النطق وربة تعلمه الشرب واخرى تقوي عظامه وربان يرافقانه الى المدرسة وآخران يرجعان به وبالجملة فانهم كانوا يعتقدون بوجود جيش من الارباب من الدرجة الثانية . ويعتقدون بان هناك ارباباً تحمي مدينة وحارة وجبلاً وغابة . ولكل نهر ولكل نبع ولكل شجرة رب خاص بها حتى لقد قالت امرأة صالحة في احدى القصص من تأليف بترون الكاتب اللاتيني « ان بلادنا غاصة بالارباب بحيث يسهل عليك ان تلقى فيها رباً من ان تصادف رجلاً » .

ولم يتمثل الرومانيون كاليونان اربابهم على صورة مخصوصة فقد مضى زمن طويل ولم يكن في رومية صنم فكانوا يعبدون « المشتري » في صورة حجر و « مارس » على صورة سيف . ولم يقلدوا الا مؤخراً باتخاذ الاصنام من الخشب على مثال اصنام الايتروسكيين واصنام الرخام على مثال اصنام اليونان ولم يتصوروا على العكس في اليونان ان بين الارباب صهراً ونسباً ولا عزوا اليهم قصصاً كما يفعل اليونان مع اربابهم ولا يعرفون لهم جنة يعقدون فيها مجالسهم . وكان في اللغة اللاتينية لفظة مشهورة للتعبير عن الارباب وهي « التجليات » فكانوا يعتقدون انها تجليات قوة الاهية مجهولة . ولذلك لم يصورهم الرومان في صورة من الصور ولا نسبوا اليهم رحماً ولا صهراً ولا تاريخاً وكل ما كان يعرف عن الارباب الرومانيين هو ان كل واحد منها يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ويستطيع ان يعمل للناس الخير والشر على ما يحب ويهوى .

العبادة — قلما يحب الروماني اولئك الارباب الجهوليين الصفر الباردين . والظاهر انه كان يخاف منهم فيخبأ وجهه عند ما يتوسل اليهم وربما اتى ذلك لئلا يقع بصره عليهم ولكنه يذهب الى ان الارباب قادرون وان من يرضيهم يخدمونه . قال بلوت (الشاعر الهزلي اللاتيني) ان الرجل الذي يرضى عنه الارباب يكسبونه مالاً . ويعتقد الروماني

بان الدين عبارة عن مقايضة المنافع فيقدم المرء للرب نذوره وقرابينه ويمنحه هذا بعض المنافع فاذا قدم المرء ما يجب تقديمه للرب ولم يظفر بمناه يعتبر نفسه قانطاً مخدوعاً . ولقد قدم الشعب للارباب في خلال مرض القائد جرمانيكوس نذوراً تمنّياً عليه بالشفاء ولما ذاع خبر موته سخط العامة وقلبت المذابح والقت في الشوارع بتماثيل الارباب لان هذه لم تعمل ما كان يرجى منها ان تعمله وهكذا فانا نرى الفلاح الايطالي لعهدنا هذا يشتم القديس الذي لم يعطه ما طلبه منه .

فالعبادة اذاً عبارة عن القيام بما يرضى عنه الارباب من الاعمال والشعب يأتيهم بالثمار واللبن والخمر ويضحي لهم الحيوانات . وفي بعض الاوقات يخرجون تماثيل الارباب من معابدهم ويجعلونها على سرر ويولمون لها وليمة ويقومون بما يقوم به الشعب في بلاد اليونان فيبنون لهم دوراً جميلة وهي المعابد ويحتفلون بارباهم .

ولم يكن يكفي في تعظيم ارباب الرومانيين ان ينفق الناس مالاً في سبيل اكرامهم بل كانت تنظر الى الصور التي يقوم بها ذلك الاكرام فتقتضي ارادتها ان تجري جميع اعمال التعبد والنذور والالعاب بما رسمته القواعد القديمة (الطقوس) فمتى أُريد تقديم ضحية للمشتري كان عليهم ان يختاروا حيواناً ابيض وان يذروا على رأسه دقيقاً مملحاً وان يضرب بفأس وان يقف المقدم لهذه الضحية على قدميه ويداه مرفوعتان الى السماء حيث يقيم المشتري وان يلفظوا بجملة تقديساً لاسمه . فاذا غلط المقدم بما يقول فمعنى ذلك ان الضحية لا تساوي شيئاً ويذهب القوم الى ان الرب لا يرضى عما قُدم له . ولقد قام احد الحكام بالعاب اكراماً للارباب الحامية لرومية فقال شيشرون « اذا غيرت عبارة واذا وقف اللاعب بالشباب او انقطع الممثل فتكون الالعاب غير موافقة للشعائر الدينية فيجب اذ ذاك اعادتها » ولذلك كان اهل الرأي من الناس يحضرون كاهنين احدهما يتلو الصلاة والآخر ينابه فيما يقول يجتمع الكهنة وهم يُدعون « اخوة ارفال » كل سنة في معبد بجوار رومية فيرقصون رقصاً مقدساً ويتلون الصلوات وهي مكتوبة بلغة قديمة لا يفهم منها احد شيئاً ويقتضي في اوائل الصلاة ان يدفع الى كل كاهن مجموع قوانين مكتوبة في اول الجلسة . وظل الرومانيون بعد ان نسيت هذه اللغة بقرون يتلونها كل سنة دون ان يغيروا منها حرفاً . ومما يدل على ان الرومانيين كانوا يرمون الى الوقوف عند حد ما رسمه اربابهم هو انهم كانوا يقومون احسن قيام بقواعد الدين . ولذلك يرى الرومانيون انفسهم من اكثر البشر تديناً . قال شيشرون « اننا احط من جميع الامم او مساوون لهم من كل وجه ولكننا نفوقهم من كل وجه في امور الدين اي بعبادة الارباب » .

الصلاة — اذا صلى الروماني فليست صلاته لتزكية نفسه ومناجاة ربه بل ليطلب منه معونة ويسأله حاجة له · فمن ثم تراه يبحث قبل كل شيء عن الرب الذي يستطيع ان ينيله رغبته · قال فارون (الشاعر اللاتيني) : « يلزمنا ان نعرف اي الارباب يتيسر له ان يعيننا في احوال مختلفة كما نعرف اين يقوم النجار والخباز » وهكذا نضت الحال بان يعمد الى سيريس للحصول على زروع جيدة والى عطارد لاكتساب المال والى نبتون للمعونة على ركوب البحار · فيلبس المستغيث البسة نظيفة لما وقر في الاذهان من ان الارباب يرغبون في النظافة · ويقدم بين يدي نجواه ضحية لان الارباب لا يحبون من يجيء وايديه فارغة ويقف المستغيث وقد كشف رأسه فينادي الرب الا انه لا يعرف اسم الرب الذي يناديه ويقول الرومانيون انه ما من احد يعرف اسماء الارباب الحقيقية · بل يكتفي بان يقول له مثلاً : « ايها المشتري الاعظم الرحيم او باي الاسماء تحب ان تدعى بها » ثم يعرض عليه ما يريد عرضه متوقياً استعمال جمل صريحة كل الصراحة حتى لا يخدع الرب فاذا قدم له خمر يقال له : « تقبل طاعة هذا الخمر الذي أهرقه » لانه يسهل على الرب الاعتقاد بانه يقدم له خمر آخر غير الذي قُدم له وان يعاقب به · ولذلك كانت صلواتهم مطولة كثيرة الحشو مملوءة بالمترادفات ·

الفأل — يعتقد الرومان كاليونان بالفأل فيذهبون الى ان الارباب يعرفون المستقبل ويرسلون للناس آيات يدركونها فيستنصح الروماني الارباب قبل ان يشرع في عمل فاذا ما ازمع القائد فيهم ان يهجم على عدوه يبحث في احشاء الموتى والحاكم قبل ان يجمع لديه مجلساً ينظر الى الطيور السائرة (وهذا ما يدعونه اخذ الطالع والفأل) فاذا كان فيها اشارة موافقة يدركون بان الارباب استحسنت المشروع والا فمعناه انهم غير راضين عنه ·

وكثيراً ما يرسل الارباب بالآيات من قبلهم ومن دون ان يسئلوا ارسالها · وكل ظاهرة لم تكن متوقعة تعدُّ فألاً على حادث غير منتظر · فقد ظهرت نجمة مذنبة قبل موت قيصر فذهب القوم الى انها اشارة الى نعيه واذا ارعدت السماء عند ما كانت الامة تجتمع للمفاوضة في امر فمعنى ذلك ان كوكب المشتري لا يحب ان يبتوا امراً ذلك اليوم ولذلك يرفضون كل حادث طفيف ويؤولونه بانه رمز الى امر يقع · فاذا ابرق البرق او سمعت كلمة من متكلم او وقف جرذ في الطريق او شوهد عرّاف فكل ذلك يأخذون منه العبر حتى ان مارسلوس كان اذا عزم على البداءة بعمل امر بان يحمل في محفة مغلقة ليكون على ثقة من انه لا يرى شيئاً يتفاءل به ·

وما كان ذلك مجرد خرافات للعامة بل كان للجمهورية الرومانية سنة طوالع تتنبأ لها

بالمستقبل فكان لها كتاب للنبوآت تبالغ في العناية به دعته كتاب «سيبيلين» وكان لها فراخ مقدسة يقوم على تربيتها الكهنة وما كان يجري عمل عام ولا تلتئم جمعية ولا يشرع بانتخاب ومفاوضة بدون ان يعمدوا الى اخذ الطالع اي انهم ينظرون الى السارح والبارح · وقد شاع سنة ١٩٥ ان الصاعقة انقضت على معبد لمشتري وانه نبتت شعرة على رأس تمثال هركول فكتب احد الولاة بانه ولدت فرخة ذات ثلاث ارجل فاجتمع مجلس الامة للمفاوضة في هذه الفؤول ·

الكهنة — لا يقوم الكاهن في رومية بما يقوم به في بلاد اليونان من الاعمال الروحية بل كان ينقطع فقط لخدمة الرب فيلاحظ معبده ويدير شؤون املاكه ويقوم بالاحتفالات لا كرامه وهكذا كانت جمعية السَاليين (الرقاصين) تحتفظ بترس سقط عليها من السماء كما زعموا وكان يعبد كما يعبد الصنم وكانت تقيم تلك الجمعية كل سنة حفلة رقص بالسيوف وهذا ما كان يتوفر عليه اعضاء تلك الجمعية · والاحبار يراقبون الحفلات الدينية فيضعون تقويماً للسنين ويحددون اوقات الاعياد التي يجب الاحتفال بها في ايام مخصوصة من السنة ورئيسهم هو الحبر الاعظم ·

وما كان الكهنة ولا العرافون ولا الاحبار يؤلفون طبقة خاصة بهم بل يجري اختيارهم من كبار الرجال ويبقون على القيام بجميع وظائف الحكومة فمنهم من يتولى القضاء ومنهم رئاسة الجمعيات ومنهم قيادة الجيوش · ولذلك لم يتألف من الكهنة الرومانيين على قوتهم كما تألف من الكهنة المصريين طبقة كهنوتية فقد كان لحكومة رومية دين خاص بها ولم يكن للكهنة حق الحكم فيها ·

عبادة الموتى — اعتقد الرومانيون كما اعتقد الهنود واليونان بان الروح تبقى بعد موت الجسد فان عُنوا بدفن الجثة بحسب العادات فقد اعتقدوا بان الروح تذهب لتحيا تحت الارض وتصبح ربة والا فالروح ليس في استطاعتها الدخول الى عالم الاموات بل كانت تعود الى الارض تدخل الرعب على قلوب الاحياء وتعذبهم ليدفنوها · حكى بلين لجون قصة شبح كان يختلف الى احد البيوت ويهلك سكانه هلماً فاكتشف احد الفلاسفة ممن كان له قوة قلب تمكنه من اقتفاء اثره الى المكان الذي وقف فيه ذاك الطيف — عظاماً لم تدفن بحسب العادات المتبعة · وهكذا كانت روح الامبراطور كاليجولا تطوف في حدائق القصر فاقتضى اخراج جثته ودفنه ثانية على ما رسمته الشعائر الدينية ·

فمن ثم كان مما يهم الاحياء والاموات على السواء المحافظة على العادات الدينية فكانت أسرة الميت تنصب كومة حطب يحرقون فيها الجسد ويحملون الرماد في صندوق يضعونه

في القبر . وكان لهم معبد صغير خاص بدفن ارواح الارباب اي الارواح التي اصبحت ارباباً فيأتي اهل الميت في اوقات معينة الى زيارة القبر حاملين طعاماً . لا جرم انهم اعتقدوا قديماً ان الروح محتاجة الى الغذاء لان القوم كانوا يهرقون الخمر واللبن على الارض ويحرقون لحم المنكوبين ويتركون في الاواني لبناً وحلويات . وكانت هذه الاحتفالات بالموتى تدوم ما شاء الله ان تدوم وما كان لاهل بيت ان يتخلوا عن ارواح اجدادهم بل يظلون على العناية بقبورهم ويأتونهم بالغذاء لاطعامهم . ثم ان تلك الارواح التي تتأله او تصبح في عداد الارباب تحب ذريتها وتحمي احفادها من البوائق وهكذا كان لكل أسرة ارباب يحمونها يدعونهم آلهة البيت .

عبادة البيت — اعتقد الرومان كاعتقاد الهنود بان اللهيب رب كما ان البيت مذبح فكان لكل اسرة بيت تعبده وتقوم على العناية به ليل نهار تحمل اليه الزيت والشحم والخمر والبخور فيتصاعد اللهب ويسطع كأنه منبث من الضحية . فكان الروماني قبل ان يبدأ بتقديم الطعام للبيت يشكر لرب البيت ويدفع اليه جزءاً من الاطعمة ويصب له قليلاً من الخمر وهذا ما يدعونه بالصب والاحراق حتى ان هوراس نفسه على قلة اعتقاده كان يتعشى امام بيته مع خدمته ويصب الطعام ويصلي الصلاة المعتادة

وكان لكل اسرة رومانية في بيتها قبر جعل فيه ارباب البيت وارواح الاجداد ومذبح البيت . وكان لمدينة رومية نفسها بيت مقدس في قبر الالهة فستا وهي عبارة عن اربع عذارى من اعظم الاسرات الرومانية عهد اليهن حراسته وذلك لانهم يرون ان لا ينطفىء اللهيب المقدس مطلقاً ولا يعهد بالقيام عليه الا لأناس من الاطهار فاذا ابت احدى تلك العذارى ان تقوم بما فرض عليها التوفر عليه من هذه الخدمة يدفنونها حية في قبر لانها ارتكبت عملاً طالحاً واوقعت الشعب الروم في خطر .

الجيش الروماني

الخدمة العسكرية — لم يكن يكفي لقبول الرجل في خدمة الجيش الروماني ان يكون وطنياً رومانياً بل يجب ان يكون له بعض الموارد ليجهز نفسه بالسلاح على نفقته لان الحكومة لم تكن تعطي الجندي سلاحاً حتى انها لم تكن تعطيه جراية بأكلها الى سنة ٤٠٣ وعلى هذا فلم يكن يجند من الوطنيين الا من كانوا يملكون بعض ثروة اما الفقراء فكانوا يعفون من الخدمة العسكرية وبعبارة ثانية ليس لهم الحق في خدمتها ويحق كل وطني له بعض الغنى ان يقبل في الجيش بعدان يكون ابلى بلاء حسناً في عشرين حملة واذا لم يقم بذلك فهو تبع للقائد اي منذ سن السابعة عشرة الى السادسة والاربعين فكل فرد في

رومية كما في المدن اليونانية وطني وجندي في آن واحد والرومان امة موءلفة من صغار ارباب الاملاك المدربين على القتال .

التجنيد — متى احتاجت الحكومة الى جند يصدر القنصل امره الى جميع الوطنيين اللائقين للخدمة بان يجتمعوا في معبد الكابتول وهناك يلتئم ضباط تختارهم الامة وهم يختارون من ينبغي لهم من الجند لتأليف جيش وهذا هو التجنيد عند الرومانيين ويسمونه الاختيار . ثم يجري التحليف العسكري فيبدأ الضباط اولاً يقسمون اليمين المألوفة ثم الجند وكلهم يقسمون على الطاعة للقائد وان يقاتلوا دون اعلامهم حتى يكونوا في حلّ من ايمانهم في نظره . فيتلو رجل عبارة و يتقدم كل فردٍ في نوبته فيقول « وانا ايضاً » فيرتبط الجيش اذ ذاك بالقائد ارتباطاً دينياً .

دُعي الجيش الروماني اولاً الفرقة او التجنيدة ولما نما الشعب اصبح يؤلف بدل الفرقة فرقاً والفرقة الرومانية عبارة عن ٤٢٠٠ او ٥٠٠٠ رجل كلهم من ابناء البلاد . وكان اصغر جيش على الاقل عبارة عن فرقة وكان كل جيش بقيادة قنصل عبارة عن فرقتين على الاقل . ويتألف نحو نصف الجيش من هذه الفرق وكان على جميع شعوب ايطاليا الخاضعة لرومية ان تبعث اليها ببعوثها و يدعى هوءلاء الجنود « المحالفون » وهم تحت قيادة الضباط الرومانيين . وكنت ترى المحالفين في الجيش الروماني اكثر عدداً من كتائب الوطنيين . وجرت العادة ان يبعثوا مع كل اربع فرق (١٦٨٠٠ جندي) عشرين الف راجل من المحالفين وهكذا كان الشعب الروماني في حروبه يستخدم رعاياه اكثر من مواطنيه .

التسليح — اعتاد الرومان كاليونان ان يحاربوا مترجلين متدرعين بالدروع والخوذ والمسامي (الطاقات) قابضين بايديهم اليسرى على ترسة ليدفعوا بها الضربات . مضى عليهم زمن وهم يقاتلون بالرمح والسيف فكانوا اذا تلاقوا بالعدو يجتمعون كتيبة واحدة على نحو ما كانت تجتمع الكتائب الرومية ثم عمدوا الى استعمال ضرب آخر من ضروب الكر والفر . وتقسم الفرقة الى سرايا صغيرة كل سرية موءلفة من ١٢٠ جندياً « مانيبول » اي الفريقة لان عَلَمهم عبارة عن حزمة من الحشيش فتصطف كل فرقة على شكل رقعة الشطرنج على ثلاث خطوط وكل فرقة منفصلة عن جارتها بحيث يكون المجال امامها متسعاً للعمل على حدتها فيضرب جنود فرق الصفوف الاولى بحرابهم و يضعون سيوفهم في ايديهم و يبدوءون بالقتال . فاذا اندحروا يتراجعون الى الفضاء الذي وراءهم فيزحف الصف الثاني من الفرق في نوبته الى القتال فاذا ما دُحر ينكفيء راجعاً نحو الخط الثالث . وهذه الفرق

في خبرة رجال الجيش يحملون الرماح وهم واسطة لقيادة اخوانهم الآخرين لقتال الاعداء بهم ·

وبعد فان الجيش الروماني لا يتألف جملة واحدة للقتال في آن واحد بل ان القائد يعبيء جنده مراعياً حالة الارض التي يتخذها ساحة لقراع الاعداء · ولما التقى كتائب جنود الرومانيين وفرق المكدونيين في جبال سينوسيفال في تساليا للمرة الاولى وهما اشهر ما عهد من الجيوش في العهد القديم كان ميدان القتال عبارة عن أكات وتلعات فلم يكن في امكان الستة عشر الف محارب من المكدونيين ان يظلوا متماسكين متجمعين بل كانت صفوفهم ذات فروج فزحفت الفرق الرومانية ودخلت الفضاء الذي كان يتخلل صفوفهم ومزقت شملهم كل ممزق ·

التمرينات — لم يكن لرومية محال للالعاب الرياضية فكان الجنود يتمرنون في ساحة المناورات اي في ساحة المريخ من الضفة الثانية من نهر التيبر وهناك كان الشاب يسير ويعدو ويقفز وعليه العدة الكاملة من السلاح يلعب بسيفه ويضرب بحربته ويستعمل معوله فاذا ما علاه الغبار والعرق يجتاز نهر التيبر عائماً · وكثيراً ما كان الرجال المدربون بل والقواد يشاركون فتيان الجند في تمريناتهم اذ كان من دأب الروماني ان لا ينقطع عن التمرين حتى كانت القاعدة المتبعة اذ ذاك ان لا يترك الجنود حتى في الحرب بلا عمل فيمرنون مرة في اليوم على الاقل فيشغلونهم بانشاء الطرق والجسور والمجاري اذا لم يكن امامهم عدوّ يقاتلونه ولا متاريس يقيمونها ·

المعسكر — يحمل الجندي الروماني حملاً ثقيلاً مؤلفاً من سلاح واوان واطعمة تكفيه اياماً ووتد ويبلغ وزن مجموعها ستين رطلاً رومانياً واذا تلاقى الجيش بجيش العدوّ يسهل عليه الحرب بسرعة اذ لا يكون له من الاثقال ما يشغله ·

وكل مرة كان يريد الجيش الروماني الوقوف ليعسكر يخط المساح نطاقاً مربعاً ويحفر الجند في محيط ذاك النطاق هوة عميقة ويقون التراب من ناحيتهم في الداخل يكون منحدراً يضربون فيه اوتاداً وهكذا يكون المعسكر محمياً بنطاق من اوتاد وارض ذات وهاد وفي داخل هذه القلعة الموقتة يضرب الجنود خيامهم ويجعلون سرادق القائد في الوسط ويبقى العيون والحراس طول الليل يحرسون المعسكر وهكذا يكون الجيش في مأمن من كل عدوّ مفاجيء ·

تعليم الجند — يعلم الجيش الروماني تعليماً قاسياً فيحق للقائد ان يميت جنده او يبقي عليهم والجندي الذي يترك محله او يركن الى الفرار في الزحف يحكم عليه بالموت

فيربطه حملة الفؤوس بعمود ويضربونه بالعصي ويقطعون رأسه او يقع عليه الجند فيضربونه بالعصي ·

واذا تمردت كتيبة من الجيش يقسم اقائد المجرمين الى عصابات كل عصبة مؤلفة من عشرة اشخاص يقترعون في كل عصابة على واحد يكون نصيبه الاعدام ويسمون هذا التعشير اي اخذ واحد من عشرة اما الباقون فيقضى عليهم بان يعطوا خبز شعير ويزكوهم يعسكرون خارج المعسكر ليكونوا ابدًا على خطر من مفاجاءة العدوّ لهم ·

لا يقبل الرومانيون ان يغلب جندهم ولا ان يؤسروا فقد سلم من القتل ثلاثة آلاف جندي بعد وقعة «كان» وراحوا يهيمون على وجوههم الا ان مجلس الشيوخ ارسلهم يخدمون في صقلية بدون جرايات ولا القاب شرف ريثما يخرج العدو من ايطاليا وبقي ثمانية آلاف جندي في المعسكر فقبض عليهم وقد عرض هانيبال ان يعيدهم الى الحكومة لقاء فدية طفيفة تدفعها عنهم فابى مجلس الشيوخ ان يفتديهم ·

الغلبة — متى كُتب الظفر لاحد القواد يصدر مجلس الشيوخ امره اليه بان يحتفل بما تم له من الغلبة دليلاً على تشريفه فيحتفل بذلك احتفالاً دينيًا في معبد المشتري فيسير في المقدمة الحكام والشيوخ ثم تأتي العجلات مملوءة بالغنائم والاسرى مقيدين من ارجلهم وفي المؤخرة عجلة مذهبة تجرها اربعة جياد يأتي القائد الغازي متوجًا بالغار وجنده يتبعونه مترنمين بادوار دينية يرددون فيها اسم الظفر فيجتاز هذا الموكب المدينة بهذا الاحتفال ويطلع الى معبد الكابتول وهناك يضع الغازي اغصان الغار على ارجل المشتري ويحمده على انه كان سببًا في نصرته وعند انتهاء الحفلة تضرب اعناق الاسرى كما فعلوا مع الزعيم الغالي فرسنجتوركس او ان يلقوا الاسير في مطبق (حبس مظلم) يموت جوعًا كما فعلوا مع جوكورتا ملك نوميديا او انهم يكتفون بان يسجنوا الاسير · وقد دام ظفر بولس اميل الذي تغلب على ملك مكدونية (١٦٧) ثلاثة ايام مرت في اليوم الاول ٢٥٠ مركبة تحمل لوحات وتماثيل وفي الثاني ما غنمه من الاسلحة و٧٥ برميلاً من المال وفي اليوم الثالث ١٢٠ ثورًا من ثيران الضحايا والملك يرمي في المؤخرة لابسًا السواد يحف به خاصته مقيدين وثلاثة اولاد له مدوا ايديهم للامة يضرعون اليها واخذوا يحركون شفقتها ·

فتح ايطاليا — كان في رومية معبد خاص بالرب جانوس تبقى ابوابه مفتحة مادام الشعب الروماني في الحرب · ولم يغلق هذا المعبد الا مرة واحدة دامت بضع سنين في خلال خمسمائة سنة التي طال فيها عمر الجمهورية الرومانية وعليه فان رومية عاشت في حرب دائمة

واذ كان جيشها اقوى جيش في عصره انتهت بها الحال ان تتغلب على جميع الشعوب الاخرى وان تفتح العالم القديم ٠

فبدأت باخضاع جيرانها اولاً فاخضعت اللاتينيين اولاً ثم الشعوب الاخرى النازلة في الجنوب مثل الفولسكيين والايكيين والهريكيين ثم الايتروسكيين والسامنتيين ثم المدن اليونانية ٠ وكان هذا الفتح من اشق الفتوح وابطئه : بدأ على عهد الملوك ولم ينته الا في سنة ٢٦٦ اي بعد اربعة قرون (١) وذلك لانه كان على الرومانيين ان يقاتلوا شعوباً هم واياهم من عنصر واحد وهم على شاكلتهم في القوة والنجدة والشجاعة ٠ ومن هذه الشعوب من ابى اباؤها ان تخضع للرومان فما كان من رومية الا ان ابادتهم فاصبحت سهول فولسكا الغنية قفراً ذا بطائح ومستنقعات ولم تعد بطائح بونتين صالحة للسكنى حتى يوم الناس هذا وقد كانت بلاد السامنتيين تعرف بعد ثلثمائة سنة من الحرب التي وقعت فيها بما بقي فيها من بقايا المدارس اكثر مما تعرف بخلو جوارها من السكان وكان فيها ٤٥ معسكراً للامبراطور دسيوس و٨٦ للقائد فابيوس ٠

الطرق العسكرية — اقام الرومانيون في جميع ايطاليا طرقاً عسكرية ليتسنى لهم ان يبعثوا بالبعوث الى القاصية وكانت هذه الطرق عبارة عن طرق مستقيمة مرصوفة بالحجر والحجر والرمل وبلغ من متانتها انها صبرت على الايام خلال ذاك العهد برمته ٠ وقد اكثر الرومان منها في عامة بلاد ايطاليا فليس فيها بقعة لا ترى فيها الى اليوم اثراً من آثار تلك الطرق الحربية وكانوا يسمونها باسم الوالي الذي امر ببنائها واهم هذه الطرق طريق ابين الممتد الى الجنوب الى البطائح بونتين حتى ترانتا وبرندس ثم طريق فلامنين الذي يجتاز طريق ابنين ويصل الى بحر الادرياتيك وطريق اورلين الذي يقطع اقليم طوسكانيا آخذاً الى الشمال على طول الشاطيء حتى بلاد الغول ثم طريق املين الممتد من بحر الادرياتيك مجتازاً جميع سهل « يو »

(١) لم يكن للرومانيين من اخبار جميع هذه الحروب في ايطاليا سوى اساطير لفق اكثرها ليكون منها دليل على رجولية بعض اجداد احدى الاسر الشريفة

مثنيات شعرية

اشر فعل البرايا فعلُ منتخر   واخش القول منهم قول مفتخر
ان التمدح من عجب ومن أشرٍ   والمرء في العجب ممقوت وفي الاشر

***

ياراجي الامر لم يطلب له سبباً   كيف الرماية عن قوس بلا وتر
ليس التسبب من عجز ولا خورٍ   وانما العجز تفويض الى القدر

***

دع الاناسيَّ وانسبني لغيرهم   ان شئت للشاء او ان شئت للبقر
فان سيف البشر الراقي بخلقته   مَن قد انفت به اني من البشر

***

ألبس حياتك احوال المحيط وكن   كالماء يلبس ما للظرف من جُدُر
وان ابيت فلا تجزع وانت بها   عارٍ من الانس اوكاسٍ من الضجر

***

ان رمت عزّاً على فقر تكابده   فاستغنِ عن مال اهل البذخ والبطر
فانما النفس مالم تنأ عن طمع   فريسةٌ بين ناب الذل والظفر

***

اذا نظرت الى الجزئيِّ تصلحه   فارقبه من مرقب الكلي في النظر
فان نفعك شخصاً واحداً ربما   يكون منه عموم الناس في الضرر

***

قد يقبح الشيء وضعاً وهو من حسن   كالنعش يدهش مرئيّاً وهو من شجر
فالقبح كالحسن في حكم النهى عرض   وليس يثبت الا عند معتبر

***

لا تعجبن لذي عقل يروح به   لينتج الشر خيراً غير منتظر
فانما لمعات الخير كامنة   بين الشرور كمون النار في الحجر

***

سبحان من اوجد الاشياء واحدةً   وانما كثرة الاشياء بالصور
هب منشأ الكون يبقى مبهماً ابداً   فهل ترى فيه عقلاً غير منبهر

الحب والبغض لا تأمن خداعهما فكم هما اخذا قوماً على غرر
فالبغض يبدي كدوراً في الصفاء كما ان المحبة تبدي الصفو في الكدر

***

واشنع الكذب عندي ما يمازجه شيء من الصدق تمويهاً على الفكر
فان ابطال هذا في النهى عسر وليس ابطال محض الكذب بالعسر

***

قالوا عشقت معيب الحسن قلت لهم كفوا الملام فما قلبي بمنزجر
ما العشق الا عمى عن عيب من عشقت هذي القلوب ولا اعني عمى البصر

***

قالوا ابن من انت يا هذا فقلت لهم ابي امرؤ جده الاعلى ابو البشر
قالوا فهل نال مجداً قلت وا عجبي اتسألوني بمجد ليس من ثمري

***

لا درّ درُّ قصيد راح ينظمه من ليس يعرف معنى الدرّ والدرر
يبكي الشعور لشعر ظل ينقده من لا يفرق بين الشعر والشعر

***

قالت نوار وقد انشدتها سحراً ممن تعلمت نفث السحر في السحر
فقلت من سحر عينيك الذي سحرت به المشاعر من سمع ومن بصر

بغداد معروف الرصافي

مآكل العرب

الاطعمة في الامم تابعة لحضارتها تكون بسيطة في الامة البدوية ومركبة منوعة في الامة الحضرية كما هي الى السذاجة في الريف والتنوع في المدن . ولما كانت البداوة اصلاً والحضارة فرعاً وكانت القرى هي المعوّل عليها في حياة المدن كان الناس يطعمون في ايام خشونتهم ورفاهيتهم مما تنبت لهم الارض من بقل وثمر وتنتج مواشيهم من البان ولحوم وتقذف اجواؤهم وسهولهم واجبالهم وبحيراتهم وانهارهم وبحارهم من طيور واسماك وصيود لا يكادون يعدون ذلك بحال .

فاطعمة العرب في جاهليتها على النزر القليل الذي انتهى الينا من اخبارها قبل الاسلام كانت الى السذاجة والفطرة خصوصاً في البلاد التي هي الى الاجداب اقرب منها الى الاخصاب لقلة امطارها وعصيان تربتها على الاستنبات . ونعني بالعرب هنا سكان جزيرة العرب من تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن وكلها قاحلة الا بعض بلاد اليمن التي سميت الخضراء لكثرة اشجارها وثمارها وزروعها وفي بعض كورها ما هو كبلاد الشام باعتدال اهويته وزكاء تربته . قال الاصمعي جزيرة العرب اربعة اقسام اليمن ونجد والحجاز والغور وهي تهامة فمن جزيرة العرب الحجاز وما جمعه وتهامة واليمن وسبأ والاحقاف واليمامة والشحر وهجر وعمان والطائف ونجران والحجر وديار ثمود والبئر المعطلة والقصر المشيد وإرم ذات العماد واصحاب الاخدود وديار كندة وجبال طيء وما بين ذلك .

ومتى اطلقنا العرب هنا فانا نريد بهم سكان الحجاز ونجد وتهامة وهم صميم العرب العاربة ومن بلادهم انبعثت النبوّة وفي الحجاز قريش اشرف القبائل ومن قريش بني هاشم اكثر من كانوا يطعمون الطعام ويقرون الضيفان . وكنا نود ان يتناول بحثنا اهل كل قبيلة واهل كل كورة من كور العرب ولكن ليس في الكتب التي بين ايدينا ما يدعونا الى التوسع في القول .

وغاية ما اتصل بنا علمه ان الاسلام وان اصلح من نفوس العرب فان طبيعة بلادها لم تتغير منذ قرون ولذلك كان بعض العرب يأكل اليربوع والضب والجراد والارنب ويعدها نعمة وبسطة في العيش حتى قال مدني (١) لاعرابي : اي شيء تدعون واي شيء تأكلون . قال : نأكل ما دب ودرج الا ام حبين (٢) فقال المدني : لتهن ام حبين العافية . ولذلك كنت ترى العرب ولا تزال تراهم اذا اصابتهم سنة ومجاعة عالة على جيرانهم من سكان الشام والحيرة واليمن وقد عيرهم بذلك ملك الفرس لما جاؤه فاتحين يوم القادسية وذكر لهم كيف كان يوسع عليهم عند ما كانوا ينزلون بلاده منتجعين مستطعمين .

وقول المدني ان العرب يأكلون ما دب ودرج لا يؤخذ منه انهم كلهم لان منهم من كانوا يتقززون من اكثر الدويبات والصيد قال الجاحظ : ومن الطعام المذموم الخزيرة التي تعاب باكلها مجاشع بن دارم وكنحو السخينة التي تعاب بها قريش والسخينة كانت من طعام قريش ونهجى الانصار وعبد القيس وعذرة وكل من كان يقرب النخل باكل التمر ونهجى اسد

(١) كتاب البخلاء للجاحظ (٢) ام حبين كزبير دويبة وهي معروفة مثل ابن عرس واسامة وابن آوى وسام ابرص وابن قترة الا انه تعريف جنس وهي على خلقة الحرباء عريضة الصدر عظيمة البطن .

بأكل الكلاب وبأكل لحوم الناس والعرب اذا وجدت رجلاً من القبيلة قد اتى قبيحاً الزمت ذلك القبيلة كلها كما تمدح القبيلة بفعل جميل وان لم يكن ذلك الا بواحد منها فتهجو قريشاً بالسخينة وعبد القيس بالتمر وذلك عام في الحيين جميعاً وهما من صالح الاغذية والاقوات كما تهجو بأكل الكلاب والناس وان كان ذلك انما كان رجلاً واحداً فلعلك اذا اردت التحصيل تجده معذوراً وتهجى اسد وهذيل والعنبر وباهلة بأكل لحوم الناس . وقال وقد يصيب القوم في باديتهم ومواضعهم من الجهد ما لم يسمع به في امة من الامم ولا في ناحية من النواحي وان احدهم ليجوع حتى يشد على بطنه الحجارة وحتى يعتصم بشدة معاقد الازار وينزع عمامته من رأسه فيشد بها بطنه وانما عمامته تاجه والاعرابي يجد في رأسه من البرد اذا كان حاسراً مالا يجده احد لطول ملازمته العمامة ولكثرة طيها وتضاعف اثنائها ولربما اعتم بعمامتين ولربما كانت على قلنسوة خدرية

ومعما يكن فان العقل يحكم بان عرب الشام كغسان مثلاً كانوا لمجاورتهم للروم يأخذون عنهم كل « شيء طريف ولقمة كريمة ومضغة شهية » اكثر من عرب الحجاز وانه كان لعرب الحيرة من المطاعم ماليس لاهل نجد لقرب بلاد الاول من بلاد الاكاسرة واخذهم عنهم « رفاغة العيش والناعم من الطعام » . ومطاعم العرب في جملتها لا تتعدى اللحوم والالبان والبر والتمر. والابل افضل عندهم من عامة الذبائح اذا ضاف احدٌ رجلاً من اهل السعة ولم ينحر له عدَّ ذلك اهانة .

نزل عمرو بن معدي كرب برجل من بني المغيرة وهم اكثر قريش طعاماً فاتاه بما حضر وقد كان فيما اتاه به فضل فقال لعمر بن الخطاب وهم اخواله : لئام بني المغيرة يا امير المؤمنين قال : وكيف . قال نزلت بهم فما قروني غير قرنين (؟) وكعب ثور قال عمر : ان ذلك لشبعة وكم قد رأينا من الاعراب نزل بوب صرمة (١) فاتاه بلبن وتمر وحيس (٢) وخبز وسمن سلاء فبات ليلته ثم اصبح يهجوه كيف لم ينحر له وهو لا يعرف بعيراً من ذوده (٣) او من صرمته ولو نحر هذا البائس لكل كاب مرَّ به بعيراً من مخافة لسانه لما دار الاسبوع الا وهو يتعرض للسابلة يتكفف الناس ويسألهم العلق (٤)

(١) الصرمة بكسر الصاد القطعة من الابل قيل هي نحو الثلاثين واوصلها بعضهم الى خمسين (٢) الحيس بالفتح تمر يخلط بالسمن واقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه ثم يسوى كالثريد وهي الوطبة وربما جعل فيه سويقاً (٣) الذود من ثلاثة الى عشرة اباعر (٤) العلاق كالعلقة بالفم وكذلك العلاق والعلاقة كسحاب وسحابة ما تتبلغ به من العيش يقال ما ذقت علاقاً وما في الارض علاق ولا لماق اي ما فيها ما يتبلغ به من عيش

واذا اعتبرت اسماء الاطعمة عندهم (١) تجدها دائرة على تلك المواد الاولية ومتى رأيت تكرر المعنى الواحد بالفاظ كثيرة فمنشأ ذلك والله اعلم من تعدد لغات قبائل العرب لان ما عرفته قبيلة باسم تعرفه اخرى بآخر · فمن اطعمتهم (الوشيقة) وهو لحم يغلى اغلاءة ثم يرفع و (الصفيف) امثاله ويقال هو القديد قال ابن السكيت: اذا شرح اللحم وقدد طوالاً فهو القديد فاذا شرح عراضاً فهو الصفيف والوشيق يجمعهما اذا جفا و (التتمير) ان يقطع صغاراً ثم يجفف و (الوزيم) المجفف و (المغير) لحم يجفف على الرمل في الشمس و (الجيجبة) كرش البعير يغسل بالماء والملح ثم يشرح املاها ثم ينقونها ويحشونها (٢) بالشجر او بعر الابل اليابس ثم تعلق حتى تضربها الريح وتجفف ثم يأخذون اللحم فيقددونه ويجعلونه على حبال حتى يذبل ذلك ويذهب ماؤه وكذلك يفعلون بالشحم ثم يطبخون لحمها بشحمها جميعاً ثم يفرغونه في القصاع حتى يبرد ويصفون الاهالة على حدة فاذا برد كبسوا اللحم والشحم في الجيجبة وصبوا عليه الودك ثم يردوه حتى يجمد ويصير كالحجر ثم يلقى في جوالق (اكياس) ويبتز من الحران يفسد فيأكلون منه جامداً ومن شاء اذاب منه على القرص ·

و (الاذرة) لحم يطبخ في كرش و (الملام) طعام يتخذ من لحم عجلة بجلدها · و (الشبارق) الالوان من اللحم المطبوخة فارسي معرب · و (الخضيمة) طعام يتخذ بالشام · و (القلية) مرقة تتخذ من اكباد الجزور ولحومها · و (الحنيذ) الشواء الذي لم يبالغ في نضجه وقد حنذت احنذ حنذاً قال ابن السكيت: الحنيذ ان يؤخذ اللحم فيقطع اعضاء وينصب له صفيح الحجارة فيقابل يكون ارتفاعه ذراعاً وعرضه اكثر من ذراعين في مثلها ويجعل له باب ثم يوقد في الصفائح بالحطب فاذا حميت واشتد حرها وذهب كل دخان فيها ولهب أدخل فيه اللحم واطبق الباب صفيحتين قد كانت قدرتا للبابين ثم ضربتا بالطين وفرث الشاة وأُدفئت شديداً بالتراب فيترك في النار ساعة ثم يخرج كأنه اليسر قد تبرأ العظم من اللحم من شدة نضجه · والحنذ ايضاً ان يأخذ الرجل الشاة فيقطعها ثم يجعلها في كرشها ويلقي مع كل قطعة في الكرش رضفة وربما جعل في الكرش قدحاً من لبن حامض او ماء ليكون اسلم للكرش من ان تنقد ثم يخلها بخلال وقد حفر لها بؤرة احماها بها فيلقي الكرش في البؤرة ويغطيها ساعة ثم يخرجها وقد اخذت من النضج حاجتها · و (شواء ملعوس) اذا اكل بالسمن وهو العلس و (الصلائق) اللحم المشوي المنضج وقيل الرقاق من الخبز وفي حديث عمر رضي الله عنه لو شئت امرت بصلائق وصناب

---

(١) كتاب الطعام من المخصص لابن سيده الاندلسي (٢) حش النار اوقدها قال الزمخشري حش النار اشبها واطعمها الحطب كما تحش الدابة وهو مجاز

قال ابن سيده في باب ما يعالج من الطعام ويخلط نقلاً عن ابي علي ان اكثر هذا الباب على فعيلة اما بناؤهم لها على هذا البناء فلأنه في معنى مفعول الا ترى ان البسيسة في معنى مبسوسة وكلها مطبوخ ملتوت او ملبون او متمور او مسمون او معسول والجنس الغالب العام له قولنا مخلوط ودخلت الهاء للمبالغة . وذلك مثل (الضبيبة) وهي سمن ورُبٌّ يجعل للصبي في العكة يطعمه يقال ضببوا لصبيكم . (والربيكة) شيء يطبخ من بر وتمر وقد ربكته اربكه ربكاً ومنه المثل غرثان فاربكوا له . قال ابن السكيت الربيكة تمر يعجن بسمن وأقط فيؤكل وربما صب عليه ماء فشرب شرباً . و (البسيسة) كل شيء خلطته بغيره مثل السويق بالاقط ثم تبله بالسمن او الرب و يقول ابن السكيت ان البسيسة الدقيق او السويق يلت بالسمن او الزبد ثم يؤكل ولا يطبخ وهو اشد من اللت بللاً والأقط يدق و يطحن ثم يلبك بالسمن المختلط بالرب و (البكيلة) السويق والتمر يؤكلان في اناء واحد وقد بلا باللبن وقد بكل الدقيق بالسويق خلطه و (الغثيمة والغبيثة) طعام يطبخ ويجعل فيه جراد و (الفريقة) شيء يعمل من البر ويخلط فيه اشياء للنفساء و (الفثرة والفوارة) حلبة وتمر يطبخ للمريض او النفساء و (الرغيدة) اللبن الحليب يغلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلعق لعقاً و (الحريرة) الحساء من الدسم والدقيق و (السربطاء) حساء شبيه بالحريرة او نحوها و (الاصية) طعام كالحساء يصنع بالتمر وقد يقال لها الرغيغة و (العكيس) الدقيق يصب عليه الماء ثم يشرب و (الوجيئة) التمر يدق حتى يخرج نواه ثم يبل بلبن او سمن حتى يتدن و يلزم بعضه بعضاً فيؤكل والوجيئة ايضاً جراد يدق ثم يلت بسمن او بزيت فيؤكل و (الخزيرة او الخزير) الحساء من الدسم او الدقيق والخزيرة مرقة تصفى بلالة النخالة ثم تطبخ تسميه الفرس سيوساب والخزيرة ان تنصب القدر بلحم بقطع صغاراً على ماء كثير فاذا نضج ذرّ عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهي عصيدة ولا تكون الخزيرة الا وفيها لحم و (العصيدة) السمن يطبخ بالتمر و (الوديدة) برّ يدق و يصب عليه الماء و (الوديكة) دقيق يساط بشحم شبه الخزيرة و (العصيدة) السمن يطبخ بالتمر و (الرهيدة) بر يدق و يصب عليه الماء و (الوديكة) دقيق يساط بشحم شبه الخزيرة و (اللهيدة) الرخوة من العصائد ليست بحساء يحسى ولا غليظة فتلقم و (الخطيفة) الدقيق يذر على اللبن ثم يطبخ فيلعقه الناس لعقاً و (اللفيتة) العصيدة المغلظة من لفت الشيء الفته لفتاً اذا لويته و (النخيرة) ماء وطحين يطبخ وقيل هو لبن حليب يجعل عليه سمن و (الحسيلة) حشف النخل اذا لم يكن حلا يسره فيبسونه فاذا ضرب انفت عن نواه و يدفونه باللبن و يمردون له تمراً حتى يحليه فيأكلونه لقماً وربما ودن بالماء و (النهيدة) ان يغلى لباب الهبيد وهو حب

الحنظل فاذا بلغ اناه من النضج والكثافة ذرت عليه قميحة من دقيق ثم تحل و (الفهيرة) محض يلقى فيه الرضف فاذا غلى ذرّ عليه الدقيق وسيط به ثم أكل و (السخينة) التي ارتفعت عن الحساء وثقلت عن ان تحسى وهي دون العصيدة و (النفيتة والحريقة) ان يذرّ الدقيق على ماء او لبن حليب حتى ينفت وتنحس من نفتها وهي اغلظ من السخينة يتوسع فيها صاحب العيال لعياله اذا غلبه الدهر و (الخضيمة) حنطة تؤخذ فتنقى وتطيب ثم تجعل في القدر ويصب عليها الماء فتطبخ حتى تنضج و (الوهية) جراد يطبخ ثم يجفف ثم يدق فيقمح او يؤكل ويخلط بدسم و (الصحيرة) من المحض اذا أسخن يقال اصحروا لنا لبناً وربما جعل فيه دقيق وربما جعل فيه سمن اذا سخن فيه الحليب خاصة حتى يحترق فهو صحيرة وقد صحرته اصحره صحراً و (الغميم) اللبن يسخن حتى يغلظ و (القطيبة) لبن المعزى والضأن و (الاخيخة) دقيق يصب عليه ماء برّ بزيت او سمن ويشرب ولا يكون الا رقيقاً و (الوطيئة) تمر يخرج نواه ويعجن بلبن و (العجة) دقيق يعجن بسمن ثم يشوى و (الوليقة) طعام يتخذ من دقيق وسمن ولبن و (اللوقة) زبد ورطب و (الالوقة) كل ما لين من الطعام وفي الحديث لا آكل الا ما لوّق لي . و (الرهية) بر يطحن بين حجرين ويصب عليه لبن و (الحيس) تمر واقط وسمن و (الغذيرة) دقيق يحلب عليه لبن ويحمى بالرضف و (المجيع) التمر واللبن و (الصقعل) التمر اليابس ينقع في اللبن الحليب و (القشيمة والقميئة) هبيد يحلب عليه لبن و (الوضيعة) حنطة تدق ثم يصب عليها سمن فتؤكل و (القفيخة) طعام من تمر واهالة و (البغيث) الطعام المخلوط بالشعير و (التقدة والقشدة) حشيشة كثيرة الاهالة واللبن يطبخ مع دقيق واشياء تؤكل و (الدئليك) طعام يتخذ من الزبد واللبن شبه اللبن .

اذا أخذ حليب فانقع فيه تمر برني فهو (كديراء) و (الرّض) التمر يدق فينقى عجمه ويلقى في المحض و (الوغيرة) اللبن محضاً يسخن حتى ينضج وربما جعل فيه السمن . وفي لغة الكلبيين الايغار ان تسخن الحجارة ثم تلقى في الماء تسخنه وفي اللبن ايضاً لينعقد ويطيب و (الحليجة) عصارة نحي او لبن انقع فيه تمر و (غنية) هي السمن على المحض و (الدبوس) خلاص التمر يلقى في ملا السمن فيذوب فيه وهو مطيبة للسمن و (الرضيف) اللبن يصب على الرضف وهي حجارة تحمى فيوغر بها اللبن . و (الحميمة) المحض يسخن وقد حممته واحممته . مش الشيء يمشه مشاً اذا دافه في ماء حتى يذوب و (العجال والعجول) تمر يعجن بسويق و (العمص) ضرب من الطعام تقول عمصت العامص وامصت الآمص وهي كلمة تجري على السنة العامة وليست فصيحة يعنون الخاميز وربما قالوا العاميص و (العويثة) قرص

يعالج من البقلة الحمقاء بزيت و (الملهز) وبر مخلوط بدماء الحلم كان يؤكل في الجدب و (المجدوح) دم يخلط بغيره كان يؤكل في الجاهلية واصله من الجدح والتجديح وهو الخوض بالمجدح وهي خشبة في رأسها خشبتان معترضتان و (الخرديق) طعام يعمل شبيه بالحساء والخزيرقو (الوزين) حب الحنظل المطحون يبل باللبن فيؤكل و (القرني) واحدته قرنية وهي خبزة مسلكة مصعنة تسوى ثم تروى سمناً ولبناً وسكراً قال ابن سيده واهل الشام يتخذون الخبزة القرنية على صنعة كير الزجاجين يخبزون فيه القرنية يسمون ذلك المخبز قرناً و (الطعام مبروت) مصنوع بالمبرت وهو السكر الطبرزذ و (البهط) فارسي وهو الارز يطبخ باللبن والسمن خاصة واستعملته العرب تقول بهطة طيبة و (سويق مقنود ومقند) مخلوط بالقند والقنديد وهو عصير قصب السكر و (البريقة) وجمعها برائق وهي التباريق وهو شيء قليل من الدسم لم يسفسفوه اي لم يوسعوه دسماً . و (المشنق) العجين الذي يقطع و يعمل بالزيت واسم كل قطعة منه فرزدقة وجمعه فرزدق (وعامة اهل الشام يقولون الآن جردقة وجرادق) و (الفرفور والفرافر والفرافل) سويق يتخذ من ثمر الينبوت و (الحلواء) من الطعام ما عولج بحلاوة يمد و يقصر ومنها الفالوذ والفالوذق وهو فارسي معرب زعم الفارسي ان معناه حافظ للدماغ بالفارسية وهو الفالوذج والطائفة منه فالوذجة وهو الصفرق . و (القبيطي) الناطف و (الملص) كالنوذ معرب ولا حلاوة له يأكله الصبيان بالبصرة بالدبس و (الكامخ) من الادم منهم من خصصه بالمخللات التي تستعمل لتشهي الطعام و (الصير والصحناة) ضربان من الكامخ وفي القاموس والصحناة والصحناة و يمدان ويكسران ادام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للمعدة قال في التاج الصحناة فارسية تسميها العرب الصير قال ابن الاثير الصير والصحناة فارسيتان و (الصير) السميكات المملوحة تعمل منها الصحناة ومن اطعمتهم (الدرامك) وهي الحوارى اي الدقيق الخالص قال زياد بن نياض

فاطعمها شحماً ولحماً ودرمكاً ولم يثنها عنه النسيم الحنادس

ومن مآكلهم (المضيرة) مريقة تطبخ باللبن المضير اي الحامض وهي مثل اللبنية المعروفة في بلاد الشام عقد لها البديع مقامة ولعنها ابوالفتح الاسكندري عند ما دعاه واصحابه بعض تجار البصرة فرفعوها عن الخوان مجاراة له « فارتفعت لها الافواه وتلمظت لها الشفاه ، واتقدت لها الاكباد ومضى في اثرها الفؤاد » و (السكباج) معربة كما في التاج عن سركة باجه وهو لحم يطبخ بخل مثل (السكرجات) وهي التوابل والسكرجة قصاع يؤكل فيها صغار وليست بعربية وهي كبرى وصغرى وفي حديث انس لا آكل في سكرجة ومعناه ان العرب كانت تستعملها في الكوامخ واشباهها من الجوارش على الموائد حول الاطعمة للتشهي

والهضم فاخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأكل على هذه الصفة . ومنها (الفانيذ) قال في التاج ضرب من الحلواء معرب بانيد و (الهلياثا) وردت في كلام الجاحظ فقال : اذا اطعمتهم اليوم البرني اطعمتهم غداً السكر و بعد غد الهلياثا . والغالب ان الهلياثا طعام ثمين عندهم و (الطفيشل) كسميذع نوع من المرق و (الهريسة والتجلية والكرنبية) الوان ولعل اسماء البقول المطبوخة تسمى بالاسم الذي صنعت منه مثل الباقلاء والقرع والفول والملفوف والسلق وغيرها مما كان معروفاً للعرب و ينبت في بعض بلادهم .

سئل بعضهم عن حظوظ البلدان في الطعام وما قسم لكل قوم منه فقال ذهبت الروم بالجشم (١) والحشو وذهبت فارس بالبارد والحلو وقل عمر لفارس الشبارق والحموض فقال دوسر المديني : لنا الهرائس والقلايا ولاهل البدو اللباء والسلاء والجراد والكمأة والخبزة في الرائب والتمر بالزبد وقد قال الشاعر

ألا ليت خبزاً قد تسربل رائباً وخيلاً من البرني فرسانها الزبد

ولهم البرمة والخلاصة والحيس والوطيئة . وقد علم بهذا ان الحلويات عند العرب ما يعملونه بالدقيق والتمر و يدخل اكثرها الدبس او العسل او السكر وهذا كان نادراً في الجملة عندهم لانه يأتيهم من فارس كما دل عليه اسمه عندهم اذ اخذوا عن جيرانهم الاسم ونقلوا المسمى . ويحكى ان عبدالله بن جدعان احد اشراف قريش ذهب مرة الى كسرى فاطعمه الفالوذج فاستطابه وسأل كيف يصنع فقيل له انه لباب البر يلبك بالعسل فابتاع غلاماً يصنعه له ورجع الى مكة وصنع الفالوذج ودعا اليها اصحابه وممن اكلها أمية بن ابي الصلت فقال يمدحه :

لكل قبيلة رأس وهادي وانت الرأس تقدم كل هادي (٢)

له داع بمكة مشمعل (٣) وآخر فوق دارته ينادي

الى رُدُح من الشيزى ملاء لباب البر يلبك بالشهاد (٤)

قال الجاحظ ومن اشرف ما عرفوه من الطعام ولم يطعم الناس احد منهم ذلك الطعام الا عبدالله بن جدعان وهو الفالوزق

هكذا كانت الاطعمة في الجاهلية واما في الاسلام فكان فيها في اخبار اهل الصدر الاول

(١) في القاموس الجشم كصرد الجوف او الصدر بضلوعه المشتملة عليه (٢) الهادي العنق (٣) المشمعل الرجل الخفيف الظريف او الطويل (٣) الرداح الجفنة العظيمة والجمع ردح بضمتين والشيز خشب اسود للقصاع كالشيزى والشهاد جمع شهد وهو العسل ما دام لم يعصر من شمعه .

وخصوصاً في اخبار ابي بكر وعمر وعلي وعمر بن عبدالعزيز من الزهد والتقشف ما يعجب منه كل من عرف انهم فتحت لهم كنوز الارض فعفوا عنها . وبالاشتدت حاجة عمر بن الخطاب اراد بعض الصحابة ومنهم عثمان وعلي وطلحة والزبير ان يزيدوه في رزقه فعزموا ان يأتوا حفصة ويسألوها ويستكتموها فدخلوا عليها وامروها ان تخبر بالخبر عن نفر ولا تسمي له احداً الا ان يقبل وخرجوا من عندها فلقيت عمر في ذلك فعرفت الغضب في وجهه وقال : من هؤلاء قالت : لا سبيل الى علمهم حتى اعلم رأيك فقال : لو علمت من هم لسوءت وجوههم انت بيني وبينهم . انشدك الله ما افضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ثوبين ممشقين(١) كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما للجمع قال : فاي الطعام ناله عندك ارفع قالت : خبزنا خبزة شعير فصببنا عليها وهي حارة اسفل عكة (٢) لنا فجعلناها هشة دسمة فاكل منها وتطعم منها استطابة لها قال : فاي مبسط كان يبسطه عندك كان اوطأ قالت كساء لنا ثخين كنا نربعه في الصيف فنجعله تحتنا فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال : ياحفصة فابلغيهم عني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية(٣) واني قدرت فوالله لاضعن الفضول مواضعها ولاتبلغن بالترجية وانما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً فمضى الاول وقد تزود زاداً فبلغ ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فافضى اليه ثم اتبعه الثالث فان لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما وكان معهما وان سلك غير طريقهما لم يجامعهما .

ولقد كان عمر بن الخطاب يشدد على عماله حتى لا يسترسلوا في التنعم بالاطايب فتقسو قلوبهم ويكونوا قدوة في الترف للرعية قال (٤) الربيع بن زياد الحارثي : كنت عاملاً لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا جميعاً قال : فلما قدمنا اتيت يرفأ (٥) فقلت يا يرفأ مسترشد وابن سبيل اي الهيئات احب الى امير المؤمنين ان يرى فيها عماله : فأومأ اليّ بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولثت عمامتي على رأسي (٦) فدخلت على عمر فصففنا بين يديه فصعد فينا وصوّب فلم تأخذ عينه احداً غيري فدعاني فقال : من انت . قلت : الربيع بن زياد الحارثي

(١) مصبوغين (٢) العكة بالضم آنية السمن كالشكوة للبن اصغر من القربة تعمل من جلد (٣) الترجي والارتجاء والترجية كلها بمعنى الرجاء (٤) الكامل للمبرد (٥) يرفأ كيمنع مولى عمر بن الخطاب (٦) خفان مطارقان اي مطبقان يقال طارقت نعلي اذا اطبقتها ومن قال طرقت او اطرقت فقد اخطأ . وقوله لثتها على رأسي يقول ادرت بعضها على بعض على غير استواء

قال : وما تتولى من اعمالنا . قلت : البحرين . قال كم ترتزق . قلت : الفا . قال كثير فما تصنع به قلت : اتقوت منه شيئاً واعود به على اقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال : فلا بأس ارجع الى موضعك . فرجعت الى موضعي من الصف فصعد فينا وصوّب فلم تقع عينه الا عليّ فدعاني فقال : كم سنك . قلت : خمس واربعون سنة . قال : الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام واصحابي حديث امرهم بلين العيش وقد تجوعت له فأتي بخبز واكسار بعير (١) فجعل اصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت انظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض فقلت : يا امير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام ألين من هذا فزجرني ثم قال : كيف قلت فقلت : اقول يا امير المؤمنين ان تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز ليناً واللحم غريضاً فسكن من غربه وقال : اههنا غرت . قلت نعم فقال : يا ربيع انا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب (٢) ولكني رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال : اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا . ثم امر ابا موسى باقراري وان يستبدل باصحابي .

نعم لو اراد عمر ان يملأ داره من هذه الطيبات التي عدها وهي افتن شيء في نظره واغلاه لما تعذر عليه بعد ان فتح المسلمون فارس والشام في عهده ولكن نفسه العظيمة ابت الا التقشف ومثله بعض عماله حتى ان ابا عبيدة لما هزم الفرس في كسكر من اعمالهم جمع الغنائم فرأى من الاطعمة شيئاً عظيماً فبعث فيمن يليه من العرب فاقتسموا خزائنها وجعلوا يطعمونه الفلاحين وبعثوا بخمسه لعمر وكتبوا اليه ان الله اطعمنا مطاعم كانت الاكاسرة يحمونها واحببنا ان تروها ولتذكروا إنعام الله وافضاله . ثم ان بعض الفرس حملوا الى ابي عبيد بآنية فيها انواع اطعمة فارس والالوان والاخبصة وغيرها فقالوا هذه كرامة اكرمناك بها وقرى لك قال : أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله قالوا لم يتيسر ونحن فاعلون قالوا فرده وقال: لا حاجة لنا فيه بئس المرء ابو عبيدة ان صحب قوماً من بلادهم اهراقوا دماءهم دونه او لم يهريقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه لا والله لا يأكل مما افاء الله عليهم الا مثل ما يأكل اوساطهم . قال زياد بن حنظلة في فتح عمر بن الخطاب لايلياء من ابيات

(١) الاكسار جمع كسر بكسر الكاف والكسر والجدل والوصل العظم ينفصل بما عليه من اللحم (٢) الصلائق ما عمل بالنار طبخاً وشياً يقال صلقت الجنب اذا شويته وصلقت اللحم اذا طبخته على وجهه . وسبائك ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحوّارى وكانت العرب تسمي الرقاق السبائك . والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب

والقت اليه الشام افلاذ بطنها وعيشاً خصيباً ما تعد مآ كله

وبذلك عرفت ان معظم الاطعمة الشهية فارسية او رومية استعملها العرب في البلاد التي نزلوها ومنها ما عربوه ومنها ما ابقوه على حاله ولكل بلد خصائصه في مآ كله ومن تعمد استقصاءها يضطر بعد البحث الشديد الى وضع مصنف فيها يكون من انفع الدروس الصحية والاجتماعية لامحالة . ومن المجالس الغريبة المجلس الذي عقده المستكفي بالله ليتذاكر مع ندمائه انواع الاطعمة وما قال الناس في ذلك منظوماً وقد اورد المسعودي في مروج الذهب هذه القصائد ومنها قصيدة لابن المعتز يصف سلة سكارج كوامخ واخرى لكشاجم في صفة سلة نوادر وثالثة لابن الرومي في صفة وسط ورابعة لاسحاق الموصلي في صفة سنبوسج واخرى لكشاجم في وصف هليون وغيرها للحافظ الدمشقي في وصف ادريسة وغيرها في وصف المضيرة ولغيره قصيدة في جوزابه (بد؟)

ومن القصائد التي ورد فيها ذكر بعض الاطعمة الدمشقية حوالى القرن الرابع للهجرة قصيدة ابي القاسم الحسين بن الحسين بن واسانه بن محمد المعروف بالواساني الذي كان في زمانه كما قال الثعالبي في اليتيمة كابن الرومي في اوانه وصف ما جرى عليه في الدعوة التي عملها في قرية حمرايا من اعمال دمشق وقد اخذها صاحب اليتيمة برمتها : فقال انه احسن فيها غاية الاحسان وابان فيها عن مغزاه احسن بيان وتصرف فيها واطال وامكنه القول فقال واذا تخلص الشاعر عن الاطالة والوصف هذا التخلص وسلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص فهو الذي لا يدرك غوره ولا يخاض بحره .

جيران الفراعنة

نشر المسيو جبرائيل مدينا في المجلة التونسية فصلاً ضافياً في اصول شعوب الارخبيل في البحر الرومي واحلافهم الليبيين الافريقيين مستنداً فيه الى ما عرف من الآثار المصرية والمصانع المصورة في آسيا الصغرى قال فيه ما تعريبه : عرض المسيو ايفانس في مؤتمر الجمعيات العلمية الدولي الذي التأم في موناكو سنة ١٩٠٧ نتيجة اعمال الحفر التي قام بها في كنوس عاصمة جزيرة كريت القديمة وهي حفريات ظهر بها مواد كثيرة يرجع عهدها الى اقدم الازمنة في تاريخ كريت ويستدل منها على امور كانت غير معروفة عن حال مدينة

قامت في تلك البقاع . وقد اطلق هذا المكتشف على ما عثر عليه من بقايا الآثار اسم الميثوئية وان دلت كلها في الجملة على انها صنعت على مثال الآثار الليبية المصرية دلالة لا يتمارى فيها اثنان .

وقد نشر الآن المسيو هوغو ونكلر استاذ كلية برلين كراسة صغيرة ذكر فيها ما عثر عليه اثناء حفرياته في بوغاز كوي (١) وهي مشهورة بنقوشها البارزة الحيتية وكان من حظ هذا العالم ان يضع يده على السجلات السياسية لملوك الحيتيين (٢) مما يرجع على الاقل الى خمسمائة سنة قبل الميلاد .

(١) اي قرية الخليج وهي بليدة في آسيا العثمانية اي بلاد الاناضول من اعمال ولاية انقرة المعروفة قديماً باقليم غالاسيا وسكانها نحو ستمائة نسمة وتطل عليها اطلال مدينة مادية (فارسية) قديمة اسمها بتريوم وهي التي خربها كريزوس آخر ملوك ليديا واهم شيء في هذه الخرائب سور من الصخور الطبيعية نحتته يد الصناعة وهو مزين بنقوش ورسوم اهم ما فيها صورة مشهد دخول الخاقان الاعظم

(٢) الحيتيون او الحيتيتيون و بالسريانية «خاتي» و باللغة المصرية «خيتي خيتي» هو اسم لشعب لم يعرف عنه شيء الا من رواية التوراة ثم ظهر امره واستبان تاريخه من المصانع المصرية والاشورية وقد كانوا ينزلون منذ الازمان الموغلة في القدم في اعالي اودية نهر قزل ايرمق (هاليس) والفرات وخضعوا للكلدانيين الأول ووضع فراعنة الدولة الثامنة عشرة عليهم بعد نحو الفي سنة الجزية وكان لهم تمدن خشن اقتبسوه في جملته عن الكلدانيين ولما سقطت هذه الدولة الفرعونية في سورية قاد ملك الحيتيين رعيته ففتحوا سورية الشمالية ووادي العاصي باجمعه والبلاد الواقعة بين الفرات والخابور الى تخوم بلاد اشور وبابل ثم وقعت لهم حروب مع فراعنة مصر حتى اضطر رعمسيس الثاني ان يعقد صلحاً مع ملكهم وتزوج ابنته فجاء حموه خاتوزارو فزار وادي النيل ودامت صلات الود بين الحيتيين والمصريين منذ ذلك العهد ثم انحطت مملكتهم واصبحت مستعبدة للاشوريين ثم تبعوا ملوك نينوى ونتوسهم تحدثهم بانهم لا بد لهم من ارجاع استقلالهم ولكنهم فنوا في فاتحيهم واندمجوا فيهم حتى انهم لم يكن لهم اسم ولا جسم على عهد فتح الاسكندر و يقول المؤرخون ان بعضهم اندمجوا مع الآراميين او لجؤا الى مضايق جبال طوروس وانضموا الى القبائل النصف بربرية التي ظلت على استقلالها . ولم تحل حتى الآن خطوطهم وهي اشبه بالخط المصري القديم ويوجد من آثارهم في آسيا الصغرى وسورية وفي جميع البلاد التي احتلوها

عن قاموس لاروس

و بين الالواح التي ظفر بها الاستاذ ونكلر الصور الاصلية من الرسائل التي بعث بها ملك الهيتيين الى الامراء الخاضعين له ونسخة من المعاهدة التي عقدت بينه وبين رعمسيس الثاني بعد موقعة قادش وهي المعاهدة التي عرفناها من الترجمة البديعة التي ترجمها المسيو ماسبرو منقولة عن الاصل المصري الذي وجد في الكرنك . ولقد عثر المسيو ونكلر ايضاً على نحو مائة قطعة من القرميد محفورة من اطرافها فيها بضع مئات من السطور المكتوبة بحروف المسند ولكنها كتبت باللغة الاشورية والهيتية وهي اللغة التي لم تحل حتى الآن .

وقد ظهر من حال بعض الالواح الاشورية ان بليدة بوغاز كوي كانت عاصمة المملكة الهيتية على عهد عظمتها وارتقائها اي من القرن السادس عشر الى القرن الثالث عشر قبل المسيح لا مدينة كاركميش كما كان يظن من قبل . وان تلك العاصمة كانت تسمى خاتي وبهذا استبان مقر تلك الامة وعليه فانا نقول انها كانت في اقليم كابودسيا (١) لا في الوادي الغربي من الفرات الاوسط كما كانوا يزعمون حتى الآن .

وانا اذا اغتبطنا بهذين الاكتشافين فذلك لانهما يقفان بنا على حقيقة تاريخية في منشإ الليبيين واصولهم كما عرف تاريخ مصر عند ما انحلت الكتابة التي كانت كتبت بها مدارج البردي والكتابات المزبورة على مصانعها وعادياتها .

ذكرنا في كتابنا مملكة انجار المصرية على عهد توتميس الثالث كيف كانت حال مصر من حيث جنديتها على عهد الدولة الثامنة عشرة من الارتقاء والعظمة ولا سيما في زمن توتميس هذا . اما في زمن الدولة التاسعة عشرة والدولة العشرين فقد انحطت جندية مصر . وتبعث الكتابات المصرية القديمة التي كتبت على ذاك العهد على التخمين بانه لم يكن للفراعنة اذ ذاك اساطيل في استطاعتها ان تؤيد سلطان مصر على البحر المتوسط فكانت الشعوب تضطرب من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب لتخلع ربقة الحكومة المصرية وتحاول امم الارخبيل (بحر ايجي) في الشمال ان تهاجم مصر من طريق الدلتا . والهيتيون من الشرق والليبيون من الغرب والعنصر القوشي نسيب الليبيين من الجنوب وكلهم يحاولون الغارة على وادي النيل . والظاهر ان هذه الاساطيل وهذه الجيوش وان كانت تعمل كل منها منفصلة عن الاخرى لكنها كانت تعمل باشارة خاتي عاصمة مملكة هيت وهي المدوة الزرقاء لملوك مصر منذ سقوط ملوك الرعاة .

(١) هي مملكة قديمة في اواسط آسيا الصغرى اي الصقع الذي في اعالي « قزل ايرمق » المعروف بنهر هاليس قديماً وقزل ايرمق الان وولاية سيواس اليوم هي تلك المملكة القديمة التي كان يحدها من الشمال البحر الاسود ومن الشرق ارمينية ومن الجنوب سيليسيا تفصلها عنها جبال طوروس ومن الغرب غالاسيا وفرغاتة (فرجيا) وعاصمتها مدينة قيصرية الآن

وقبل درس حال هؤلاء المحالفين او الامراء التابعين لمملكة هيت جماعةً جماعةً يجب ان نبين عناصرهم واصولهم اولاً . فاذا اخذنا شعوب الارخبيل وهذا الجزء من قارة آسيا فانك لا تراهم الا مزيجاً من الشعوب البحارة الذين كان يطلق عليهم في القديم « البلاسج » فكان اصل بعضهم من كريت و بعضهم من الشواطىء الغربية في آسيا الصغرى فهذان الشعبان بحسب رأي الباحث اربوا دي جوبنفيل من اصل واحد بيد ان التاريخ اليوناني اذا طبقناه على الاكتشافات الاثرية الحديثة يداخلنا الشك في صحته وكذلك المكتوبات المصرية المزبورة على المصانع والمعاهد فانها تميز الشعب الاول باسم بلست والثاني باسم تورسها و يظهر ان الاول كان من الفيلستيين (١) الذين هم معدودون في سلسلة النسب بحسب رواية سفر التكوين من اخلاف مصرائيم ومن فرع كسلوحيم . و يظهر لنا انهم ليسوا سوى ليبيين مصر بين الذين قال المؤرخ بلين والجغرافي بومبينوس ميلا انهم نازلون على التخوم الغربية من مصر وسماهم المؤرخ هيرودتس بالادرماشيدبين . وبهذا عرفت ان اصل الكريتيين والفيلستيين ليبيٌّ مصري على ما ثبت من الحفريات الحديثة التي حفرها المسيو ايفانس في جزيرة كريت اثباتاً لا يحتمل الاخذ والرد .

ولكن هل نشأ احتكاك ليبيا يلستا في زمن سبق عهد ام البيلاسج بما كان بين القطرين من الصلات اوهو ناشيء من صلات تجارية ليس الا ؟ اما نحن فلا نسلم بهذا الفرض بل نقول فقط بانه ناشيء من وحدة اصولها واتحادها في المعتقدات وتذكرهما بان لهما اصلاً واحداً بين السكان المتاخمين للآريين في الشاطيء الشمالي من آسيا الصغرى وكريت وليبيا (٢)

فالبيلاسج الكريتيون يمتازون عن البيلاسج التورسانيين باخلاقهم النابية عن الآداب والحشمة مثل مخالفتهم الفطرة في الشهوات وتصويرهم اعضاء التناسل في كل مكان فترى في ليبيا وكريت وآسيا الصغرى ان هذه العادة شائعة في كل مكان وقد ذكر هيرودتس ان في كل مكان انتشرت فيه عبادة الكابيريين الكنعانية . والا كان في كريت وساموتراس ولمنوس كنت ترى ان رمز اعضاء التناسل معروضة على صورة تعبدية . ويقول المؤرخ سترابون ان مثل هذه الصور كانت تنقش على الحجر في ابواب مدينتي لامبساك و بانو بوليس احتراماً لها واكراماً .

---

(١) احد شعوب سورية وهم الذين تغلب عليهم شاول وداود (٢) ليبيا اسم اطلقه اليونان على افريقية منذ عهد الشاعر هوميروس والمؤرخ هيرودتس اما اسم « افريقية » فلم يطلق الا في زمن الرومان على جزء من الساحل الجنوبي المقابل لتونس الحالية . وصحراء ليبيا هو الجزء الشرقي من صحراء افريقية بين جبال تبستي والبحر المتوسط و وادي النيل

وقد ذكر المسيو ستارك فيما جمعه من الاساطير عن سقوط جبل سيبيل ان الملك تانتال الذي كانت عاصمته على خمسة كيلومترات من ازمير تجاسر في خلال احدى الحفلات ان ينازع الرب زيوس في النعم التي اسداها الى الاميرة جانيد فاهلكه المشتري عقوبة له ولامته . وقد زرت بلاد سيبيل منذ بضع سنين وتعهدت خرائب تانتاليس وقبر ملكها تانتال وكلها تدل على قدمها وتدل جميع القبور التي كشفت بالحفر على عبادة آلات التناسل كما ان اديم الارض يدل على حقيقة لا جدال فيها وهي ان تلك البلاد كانت عرضة للحوادث الارضية

وفي التقاليد اليونانية ان اصل تانتال هذا من جزيرة كريت وهو من نسل الرب زيوس وابوه زحل رب ليبيا وهذه القصة اشبه بما ورد في التوراة من قصة قوم لوط في سدوم الذين غضب الله عليهم فاهلكهم . ولم نذكر قصة تانتال الا للدلالة على ان اقدم تقاليد ميونيا (اوليديا) تشعر بان ما اتاه قوم لوط قد انتقل الى سكان هذه البلاد وليس هو من اختراعهم .

اما البلاسج التورسانيون الذين يمتازون كما قلنا عن البلاسج الكريتيين فالظاهر ان العبادة المألوفة عند الكريتيين كانت مألوفة ايضاً عند التورسانيين بدون ان يصوروا الرجال عراة وكانت الصور عندهم على جانب من الوقار والطهر وسلامة الادب على انهم لم يستنكفوا من تعرية النساء وقد اكتشفت في جزائر الارخبيل من مدينة تارس مئات من تماثيل النساء عاريات وقد جعلن ايديهن على صدورهن . وهذه التماثيل ليست من التماثيل الفينيقية فكان على ما يظهر من طبيعة هذا الشعب ان يُعنى كثيراً بجنس النساء ولذلك وجد في بلادهم ويظهر انها سيليسيا عدة بيوت خاصة بالنساء كما وجد في اقليم كبادوسيا مدن مثل زليا وكومانا وبسينوت سكانها كلهم من اهل الفاحشة من الجنسين وكهنتها خصيان والفجور فيها مقدس شائع . واكد الجغرافي سترابون الذي ولد في امازا في وسط بلاد البحر الاسود انه كان في عصره في مدينة فنازا من اعمال موريمينيا معبد كان فيه ثلاثة آلاف فاحشة ومثل هذا القدر في مدينة بسينوت وفي مدينة كومانا ستة آلاف . اما زيليا فانها كانت مأهولة خاصة بالمقدسات من المومسات وهذه المدينة معتبرة بانها مقر هذه العبادة حيث كان يقيم حبرها الاعظم تحيط به خدمة كثيرون ويحكم حكماً مطلقاً على اولئك الفاسقات المعروضات لكل قادم . وكانت هذه المعابد منتشرة في الخمس ممالك الآسياوية يعني في جميع آسيا السالفة ومنها اودية ماوراء سلسلة جبال طوروس وطوروس امازيوس ويظهر ان وجود هذه المعابد في جميع الطرق الآخذة من تارس الى خليج فارس ومنها الى البحر الاسود يدل على وجود هذه الاسواق الكبرى من النساء المستبعدات

الفاسقات اللاتي كن يقربن التجار من جميع الامم الذين يأتون مع القوافل او في البحار وربما نشأ من هنا ما نراه الآن من الاسواق العامة والخانات التي لم يزل لها اثر حتى اليوم في آسيا الصغرى ·

اما البيلاسج التورسانيون فقال هيرودتس في سبب اصلهم انه حدثت مجاعة هائلة خربت اقليم ليديا على عهد الملك اتيس ابن مانيس فاستمرت الامة لها زمناً ولكنها ا فنشت تفتك بهم ولما لم يجدوا سبيلاً الى الخلاص منها اخذ كل واحد يفكر في طريق نجاته وعلى ذلك العهد اخترعوا زهر النرد والكعاب والكرة وسائر الالعاب فكانوا يتراوحون كل يومين بين اللعب والاكل فيقضون اليوم الاول بطوله في اللعب لئلا يفكروا في الطعام وفي اليوم التالي يتوقفون عن اللعب ويأكلون · وبفضل هذه الواسطة دام القحط ثماني عشرة سنة وهي بحالها لا تزداد الا شدة فعندها نادى الملك في قومه فقسمهم شطرين ثم اقترع بينهما فقسم وقعت عليه القرعة بالسفر وقسم بقي في البلاد

اما الملك فبقي مع المقيمين واقام ابنه تورسينوس ملكاً على المهاجرين فذهب هؤلاء الى ازمير وانشئوا سفناً جعلوا فيها كل ما يحتاجون اليه من الزاد في رحلتهم الطويلة واقلعت سفنهم تطلب ارضاً تطعمهم وشطأوا (حاذوا شواطيء) امماً كثيرة حتى بلغت بهم خاتمة مطافهم الى اقليم اومبيريا « من ايطاليا وهي ولاية بروز اليوم » فانشئوا فيها بيوتاً لم يزالوا ساكنين فيها حتى الآن وغيروا اسمهم وتسموا باسم ملكهم فدعوا التورسانيين»

هذه القصة التي اوردها هيرودتس على حقيقتها لا تقبل باجمالها وذلك لان هذه المجاعة التي دامت ثماني عشرة سنة وهذه الحيلة الصبيانية من اختراع الالعاب ليدفعوا عنهم آلام الجوع قد ظهرت للعلماء من العبث وتجلى اصل الاتروسكيين الليدي من اساطير الاقدمين للقدماء والمحدثين · وللوقوف على ذلك لا يرجع الى التقاليد القديمة بل الى ما ظهر من المكتوبات والآثار المحفورة في مصر وآسيا الصغرى وبالمقابلة بينها يستنتج بان اتيس الذي ذكر خبره هيرودتس لم يكن ليدياً بل ان الآثار التي وجدت في مدينة خاتي عاصمة الحيثيين ومدينة عبو Abou والالواح التي اكتشفها ونكلر في بوغاز كوي كلها تدل على ان اتيس لم يكن ملكاً لليوبيا فقط بل ملكاً على مملكة واسعة كانت ليديا باجمعها من جملتها وتدل الكتابات المصرية والرسوم البارزة في آسيا الصغرى على ذلك كل الدلالة · والمصانع الموسومة كتاب" من التاريخ لا يكذب ولا تجد له مثيلاً في الاساطير القديمة والتقاليد المتعارفة عن الامم البائدة · وبواسطة هذا الكتاب تضمحل النظريات والافكار الواهية المبنية على تخمينات لا يمكن الجمع بينها وتجلى الحقيقة كالشمس رأد الضحى

في الطريق الموصلة من ساردس الى ازمير قرية معروفة عند الروم اليوم باسم «نيمفي» ويسميها الاتراك «قره بكلي» وهناك ساعد من سواعد نهر الهرموز يخرج من صخرة ويشرف على مجرى طوله خمسون متراً وترى في داخل تلك الصخرة كوة علوها متران ونصف وفيها صورة تمثل محارباً يلبس على رأسه تاجاً مقرّناً على مثال قبعات ملوك الحيثيين وهو لابس قميصاً قصيراً على مثل ما نراه في المصانع المصورة في ايوك او بوغاز كوي وهذا التمثال يحمل بيده قوساً وفي الاخرى رمحاً ويلبس في رجله حذاء ذا رأس طويل منحن. وقد كتبت من جانب رسم الصورة ستة حروف باللغة الحيثية الا انها لا تقرأ ولم يستطع احد ان يحلها. وقد قال هيرودتس نقلاً عما ذكره له كهنة المصريين من غزوات رعمسيس الثاني الموهومة في آسيا الصغرى ان هذه النقوش البارزة هي رسم سزوستريس ملك مصر اما اليوم فلا يتردد احد من الاعتراف بان هذا الرسم هو رسم مجاهد هيتي وربما كان حتي خاتي بالذات او اتيس الذي ذكره هيرودتس. وليست هذه الصورة وحيدة في بابها بل ان المسيو هومان اكتشف واحدة مثلها في افيس وهاتان الصورتان هما صورتان مزوّرتان لسزوستريس خدع بهما المؤرخ هيرودتس وهما شاهدتان الاعقاب بامتداد سطوة الحيثيين العسكرية في آسيا الصغرى. ويستفاد من تطبيق تاريخيهما ان هذين النقشين البارزين يرد تاريخهما الى القرن الخامس عشر قبل المسيح.

وقد ذكر في الآثار المصرية التي وجدت في مدينة عبو في ذاك التاريخ نفسه خبر ثورة عظمى بين الشعوب في تلك البلاد من قارة آسيا واسم هذه الشعوب الثائرة المنيريون والميونيون والليسيون والموشيون والداردانيون والكاريون والبيدازيون. وقد قيل ان جميع هذه الشعوب كانت من تراسيا او فرغانة على انه لم يجر ذكر للبريج او التراسيين بين تلك الاسماء. وبحق ما لاحظه المسيو جورج برو بقوله: اليس من المحقق ان الفرغانيين لو سكنوا شبه الجزيرة الشرقية (بين الادر يانيك والارخبيل) لكانوا انجذبوا طوعاً او كرهاً بالحركة العظمى بين تلك الامم واكرهوا او اغووا على الانضمام الى النزول الى سورية على انه ليس في قائمة الشعوب التي دعاها الحيثيون الى مساعدتهم ولا في تسمية كهنة الحيتيين لهم فيما بعد بشعوب البحار ذكر لاسم الفرغانيين.

واذا لم نجد في كتابات تلك الاعصر اشارة للحيثيين الا نستنتج من ذلك ان التراسيين لم يجتازوا بوغاز الدردنيل وان احلاف الخاتيين لم يكونوا اوربيين ولا تراسيين؟ واذا تركنا الكتابات المصرية جانباً ونظرنا في كتابات التوراة وهي احدث منها فانا نبدأ بحسب الطريقة التي اختارها كاتب الاصحاح العاشر من سفر التكوين اي بان نتتبع اجيال الناس من الغرب

الى الشرق فيتجلى لنا انه جعل في مقدمة اولاد يافث الشعوب التي هي من بلاد الشمال وفي سكان الجنوب الجافانيين او الروم وقداتى بهم بجانب التيرانيين والموشيين الذين ذكرهم هيرودتس . ولم نر للفرغانيين او الكومريين ذكرًا وهم شعوب وسط بين سكان الارخبيل والآسياويين . ويرى احبار اليهود ان التراسيين هم الاسكيناز يون الاان هذا مجرد فرض منهم لا يفهم من نصوص العهد القديم واذا اطلق هذا على اقليم فرغانة اسم افريقية فهذا ايضًا رأي من الآراء لا حقيقة من الحقائق الثابتة . ثم ان بعض الشراح من الربانيين قالوا ان الترشيشيين هم من التراسيين بدون ان يدركوا ان التوراة قد جعلت ترشيش ابن جافانا واسكناز ابن كومر على ان هذين الفرضين لا يمكن تطبيقهما من الوجهة الجغرافية والشعوبية على نصوص شرح التوراة .

وليس في الكتابات الاشورية شيء بشأن التراسيين او البيرجيين سكان آسيا الصغرى . وجاء في التواريخ الاشورية المحفورة على اسطوانات من الآجر (الطوب) المحفوظة في المتحف البريطاني ذكر ملك مداس اوميتا وورد على صورتين « ميتا » ملك الموسخو وميتا ملك الموسخاي اي ميداس ملك الموشيين او ميداس الموشيني لا ميداس الفرغاني كما يزعم ذلك كتاب اليونان .

وقد طاف المسيو بيرو اقليمي ليديا وكابادوسيا طواف عالم اثري وقابل بين مصانعها المختلفة فرأى ان هذه التناقضات لم تنشأ الا من ضعف ارادة هوميروس في نسبة اصل ابناء وطنه الى فرع اوربي لا الى فرع آسياوي . ومن تأمل فرأى ان ليس من احد بين اليونان كان يود مناقضة هوميروس كما ان الباحثين في اوربا قديمًا عن اصول التاريخ كانوا يعنون قبل كل امر بتوفيق اقوالهم على نصوص التوراة — يدرك في الحال السبب الذي دعا الى ان التفاسير القديمة والحديثة لم يتيسر لها ان تخلص من هذه الوجهة المهمة من سلطة التقاليد .

وكذلك الحال في البيتينيين والتينيين والميز بين الذين ارادوا ان يلصقوهم بالاصل التراسي . وانا نكتفي هنا فقط بان نقول ان في الالواح الاشورية ذكرًا لبلاد في آسيا الصغرى اسمها « يت اني او انو » وهي على التحقيق ليست من اصل تراسي . وقد رسم «انو» هذا في الاساطير الكلدانية على صورة رب سمكة او رب السواحل البحرية . على ان الاثري شلمان اكتشف في اليسيبرليك على بضعة كيلومترات من المكان الذي يزعمون انه مقر الفرغانيين على عمق ستة عشر مترًا في الاساس الذي دعاه قصر بريام على عدد كثير من الاواني والصحاف عليها صورة سواستيكا او الصليب (المقلوب) الذي يرى بريغ مدير

تحت الدو يطاني انه رمز الى انو . وانت ترى ان في مسائل اصول الشعوب صعوبات جمة اختلافات كثيرة في التأويل اما نحن فلا نجزم جزماً فيما نقول بل نقول بانه من نحتمل كل الاحتمال ان الشعوب البائدة كان بينها قرابة ويجب التوفيق في ذلك بينها الا فاذا خانتنا النصوص الموروثة عن عصورهم وظهورهم في التاريخ او اذا رأيناها تسكت عنهم فان الشك يسمح به والتأكيد المطلق غير مقبول .

(الباقي للآتي)

سير العلم والاجتماع

تعليم الشعب

كثرت مدارس الشعب في اوربا كثرة زائدة بفضل المنوّرين من اهلها . ومدارس الشعب هي مدارس تعليم عامة الناس في المدن والارياف ما فاتهم ان يتعلموه في المدارس في صباهم . تنوع فيه التعليم على اساليب كثيرة وقد كانت انتشرت اول الدعوة الى انشاء مدارس الشعب او العامة في الممالك الصغرى سنة ١٨١٠ في الدانيمرك على يد رجل منها اسمه كروندويك وما برحت المدارس فيها تكثر حتى اصبح فيها نحو تسعين مدرسة عالية لتعليم العامة يتخرج فيها كل سنة نحو سبعة آلاف طالب وطالبة وكلهم لا تقل سنهم عن ١٨ ولا تزيد عن ٢٥ ولولم يتعلم ابناء الفلاحين هذا التعليم العالي بعد فوات السن ما تيسر لهم تصدير حاصلات بلادهم ومصنوعاتها الى الخارج والغاية الاولى التي يرمي اليها السائرون على خطة كروندويك ان ينشروا المعارف بين جميع الطبقات وقد انتقلت طريقتهم هذه من الدانيمرك الى نروج الى السويد الى فنلندا وكل بلد من هذه البلاد تحاول صبغ مدارس الشعب بصبغة تلائمها وتلقي فيها من العلوم ماله مساس بقيام عمرانها واجتماعها كان تعلم فنلاندا مثلاً الموسيقى لانها محبوبة من الامة وفيها اربعمائة جمعية لتعليم العامة فن الموسيقى وفي فنلندا واسوجها لا تجاوز الثلاثة ملايين ٣٥ مدرسة عالية لتعليم الكبار من عامة الشعب ما يلزمهم في هذه الحياة مما لم يسعدهم الحظ بتعلمه صغاراً .

الاولاد الفاسدون

استعمل الدكتور بربلون طريقة جميلة في التربية لاصلاح نفوس الاولاد الفاسدين

كالذين اعتادوا السرقة دون ان يستفيدوا مما يسرقون و يسمي الاطباء عملهم «كلبتومانيا» او الذين يألفون بعض العادات الضارة كقضم الاظافر وغيرها فعمد الى تنويم من اراد اصلاحه تنويمًا مغنطيسيًا والقى اليه قطعة من النقود واوعز اليه ان يتناولها فيسرقها ثم يقول له ان يرجعها فيرجعها و يوبخه على عمله و يقول له عليك ان لا تعود الى مثل عملك هذا . وهكذا حتى يتعلم السارق بالاستهواء ان يكف عن عادته قال وهذه الطريقة انجع من جميع الطرق الادبية والطبيعية التي اتخذت في اصلاح مثل هذه النفوس حتى الآن

الزجاج في مصر

كتب احد علماء الآثار في المجلة الاثرية الفرنسوية يقول انه كان من التقاليد الشائعة ان الفينيقيين هم الذين اخترعوا الزجاج ومنذ حلّ الخط المصري القديم تبين ان كثيرًا من الاواني الزجاجية الملونة التي اشتهرت بانها فينيقية قد نقش عليها اسم فراعنة مصر وقد ابان احدهم انه وان ثبت وجود اواني زجاج مصرية او يونانية صنعت قبل الاسكندر فلم يثبت وجود معمل فينيقي في فينيقية و بذلك تبين انه لم تنتشر صناعة الزجاج في سورية الا على عهد السلوقيين خلفاء الاسكندر ولا سيما على عهد الرومانيين وقد ثبت الآن ان سورية و بلاد دجلة والفرات لم تعرف الزجاج قبل العهد اليوناني وان الآنية الاشورية الوحيدة التي نقش عليها تاريخ وحفظت في المتحف البريطاني وكتب عليها اسم سراغون الثاني هي بدون ريب من اصل مصري كما ثبت ذلك من شكلها و وضعها . وكما يؤخذ من علبة مرصعة بالزجاج الاسود والاخضر وجدت في حفريات ابيدوس . وقد اقتنى متحف برلين مؤخرًا عصا قائمة الزوايا طولها بضعة سنتمترات نقش على وجهها بالابيض اسم لامار احد فراعنة الدولة الثانية عشرة ولامار لقب له واسمه الاصلي امنيس الثالث وكان يعبد في الفيوم . وما وجد في هذه المدينة من الزجاج القديم يدعو الى الجزم بانها كانت في القديم مصنع الزجاج وان صنع الزجاج بلغ درجة عالية في مصر على عهد الدولة الثامنة عشرة واقدم ما وجد من الاواني الزجاجية ثلاث قطع حفظت احداها في القاهرة والاخرى في لندرا والثالثة في مونيخ .

وقد استدل الكاتب بان ما لاحظه بتري من انه كان في تل العمارنة وهي عاصمة امينوفيس الرابع معمل للزجاج على ان هذه الصناعة كانت فيها على اتم الرواج في الدولة الثامنة عشرة الفرعونية وان المصريين كانوا يصنعون الاقداح والتعاويذ من الزجاج . ومعمل تل العمارنة دليل واضح على انه كان في مصر معامل كثيرة للزجاج والعقل يقضي بان ما عثر عليه من الزجاج اقدم من هذا التاريخ هو من صنع مصر ايضًا كالزجاج الذي عثر

عليه في قصر امينوفيس الثالث في ثيبة . وقد بيعت مصنوعات مصر الزجاجية في شواطىء البحر الرومي فنسبت للفينيقيين لانهم هم الذين كانوا يحملونها على سفنهم ثم اثبت ان صناعة الزجاج ازهرت في زمن الدولة الساميتية وكانوا ذاك العهد يفضلون التعاويذ الصغيرة والتمويه والتزيين بانواعه على الاواني الملونة يتخذون من ذاك ما يزينون به بيوتهم وفرشهم بل ويتزين به صاحب الدار نفسه . ومن الصعب التمييز بين عصر البطالسة وعصر الرومان . ومن رأيه ان نفخ الزجاج اخترع في معامل فينيقية بعد عهد الاسكندر وهذا السبب في ارجحية معامل فينيقية على غيرها .

وتكلم على الزجاج المعمول بالفسيفساء فقال ان ما وجد منه قد كتبت عليه كتابات مصرية ويونانية وكثير منها من صنع الاسكندرية والفيوم وواحة سيوه ومنها نقلت الى بلاد اليونان وايطاليا وغاليا ولا يبعد ان تكون اوربا نسجت على منوال صناع الزجاج المصريين وهؤلاء علموا الاوربيين على عهد الامبراطورية الرومانية صنع الزجاج وقد كانت مدينة اكيلة القديمة على شاطىء الادرياتيك مركزاً في اوربا لصناع الزجاج ومنها هاجر البنادقة الذين صنعوا الزجاج للشرق الاسلامي واصبحت مصنوعاتهم نموذجاً تقلده جميع معامل اوربا وكانت الصلات مستحكمة بين اكيلة ومصر . وظل الزجاج يصنع في مصر حتى في عهد استيلاء الرومان عليها وفتح العرب وهذه الصناعة رائجة فيها كما ان العرب عنوا بالكاشاني وتغيرت طرق صنعه واشكاله . واشتهرت في القرون الوسطى الاواني الزجاجية والمصابيح العربية الملونة التي انتقلت الى معامل البندقية واصبحت تطرس على آثارها ثم كتب التقدم لمعامل البنادقة وعرفت تقلد النموذجات الشرقية احسن تقليد ومازالت معامل الشرق في انحطاط حتى زالت جملة واحدة واليوم بعد ان كان الشرق يصنع لاوربا منذ عهد الرومان اوانيه الزجاجية اصبح يجلب من ايطاليا والمانيا وفرنسا ما يلزمه من الاواني في حاجاته اليومية .

التربية الحرة

لكل امة ضرب من التربية فالامة الديمقراطية او الجمهورية لا تشبه تربية الامة الدستورية المقيدة اما تربية الامة المطلقة فنمطها يختلف عن تينك التربيتين وقد كتب أحد علماء الفرنسيس مقالة في التربية الديمقراطية فقال ان الديمقراطية وهي كمال الحياة التي سعى اليها الكل لفائدة الكل يجب ان تعتبر التربية أس أساسها ولا تحصل الغاية من التربية في أمة ديمقراطية بكثرة المواد التي يتعلمها أبناؤها فقد اختلف مشاهير علماء الاخلاق في النوع اللازم للديمقراطية من التربية وان كانت مبادئهم بحسب الظاهر تؤدي الى غرض واحد الناس يخلطون بين التربية والتعليم فيرونهما شيئاً واحداً على ان التربية غاية

والتعليم واسطة فالغرض من التربية ان تربي في الطفل شعور مكارم الاخلاق فتكون سلماً يصعد به الى ذرى التعلم فتصرف وكدها في انارة عقله وحكمه عند مايتجليان وتكون أخلاقه رقيقة متينة فيصبح الطفل على ثقة من تنبه الشعور والعقل والعمل عند مايبلغ سن الرجولية ويتعلم عمل الخير والادراك والتأمل كما يتعلم الارادة وصحة العزيمة. فتربية الوجدان تهم كما تهم تربية العقل واكثر المدارس لاتعنى بالتربية الاولى، فتأتي امراً اداً. يجب ان يعلم الاطفال مكارم الاخلاق فان صلاح المرء بان يكون عادلاً وحكيماً ويجب ان تربى في المرء قوة التمييز وتنمى فيه قوة الانتباه وهي القوة التي تنفع اكثر من تحصيل المعارف الجديدة كما يجب تربية دائرة العقل وامداده بالادوات الاولى التي تهيء امامه سبل العمل فالارض الزراعية مهما بلغت من الخصب تحتاج ان تعد لها المعدات والا فلا تنبت فيها البذر الذي يبذر فيها .

ثم ان حسن العشرة والسلوك في المجتمع مناطان باخلاق الفرد وعلى قدر اخلاقه في الغالب تكون اعماله وجهاده . ومتى ظهرت في الطفل علائم ارادته الاولى كان منها توجه نفسه الى العمل فان لين اخلاقه ومضاءها أعمالنه ان يعنى بالضروريات الخارجية بدون أن تؤثر فيها كل التأثير . فحريتنا الادبية هي عبارة عن اعتمادنا على أنفسنا

فان قيل هل يجب ان تكون التربية عامة ام اهلية أي ان تربية الاطفال في المدارس العامة خير أم تربيتهم في بيوت أهليهم فقدذ كرالفيلسوف ديدرو كلمات في هذا الصدد هي جماع الحكمة في التربية وهي على اختصارها أجمل جواب على هذا السؤال قال : «لقد قضيت السنين الاولى من حياتي في المدارس العامة ورأيت اربعة أو خمسة تلاميذ من الطبقة العالية يتناوبون في غضون السنة المكافآت و يتناولون الجوائز فيدخلون بتقدمهم اليأس على نفوس رفاقهم ونأخر هؤلاء عن اللحاق بهم . رأيت عناية الاستاذ مصروفة الى تخريج هذا العدد المختار القليل من الطلبة ويهمل من عداهم ورأيت معظم هؤلاء الاولاد يخرجون من المدرسة بلهاً مغفلين وجاهلين فاسدين فقلت في نفسي : يا لشقاء اب يستطيع ان يربي ابنه في بيته فيرسله الى مدرسة عامة . ليت شعري من أين أخذ البشر المعارف التي تميز بها في الآداب بعض الرجال الذين ربوا في المدارس ومن السبب في وصولها اليهم ؟ لاجرم انها ابنة دروسهم الخاصة . ولطالما أسفوا وهم في حجراتهم للوقت الذين قضوه على دكات المدرسة . فكيف السبيل اذاً ؟ هل تصلح الحال بتغيير طريقة التعليم العام ومتى اغتنى المرء يربي ابنه في منزله . انا لااستحسن تربية الدير للبنات الا اذا كانت أخلاق الامهات فاسدة ولا استحسن المدرسة للبنين الا اذا كان الآباء مسرفين

يعطون الف ريال للحوذي الذي يسوق مركباتهم والفي ريال للطاهي الذي يطبخ طعامهم

هذا ماقاله ديدرو وقال مونتين يجب أن تصرف خمس عشرة أو ست عشرة سنة للدرس والباقي للعمل . وما قطبا الحياة في الحقيقة الا الفكر والعمل فالاول يولد الثاني والثاني متمم للاول . يقول بعضهم ان التربية لاينتهي دورها الا بانقضاء أجل الحياة على انه من اللازم أيضاً ان ينظر بان التجربة التي يحرزها المرء كل يوم يكون لها عمل لتنوب مناب التربية كما نفهمها ولا نربي الا انساناً ناقصاً

أما فيما يتعلق بالمواد التي يجب تعليمها فيجب أن يتوسع فيها ما امكن فمن الميسور تلقين الطفل أموراً كثيرة اذ القوة الحافظة فيه على أتمها وقد أخطأ روسو في كتابه «أميل» في رأيه ان الاستظهار يضعف الذاكرة على ان الذاكرة ليست خزانة يحشر اليها الطفل صنوفاً من المبادىء يرجع اليها الطفل فيما بعد . فبعد أن يلقن الطفل واسطة للحصول على معارف حقيقية بتعليمه القراءة والكتابة يجب أن يعلم لغة بلاده ومبادىء العلوم الطبيعية والظواهر الجوية والرياضيات وذلك اما بدرسها في كتاب أو في نقشها ورسمها والعلم ينزع الخرافات ويودع في النفس فكر الارتقاء الثابت والنشوء البطيء المنظم بنواميس . يصدق هذا على الحالة الاجتماعية والسياسية كما يصدق على الحالة الطبيعية والجيولوجية . ويعلم الطفل الاعمال اليدوية والرياضية . ويعلم التاريخ لاالتاريخ المملوء بالشوائب بل التاريخ الحقيقي . فبالتاريخ يتجلى له بان الكمال ممكن وان الناس آخذون في السير نحوه فيجب المتعلم طريقة الحكم الديمقراطي ويؤثرها على غيرها من أنواع الحكم كما يعلم ان يحب كل من قضوا نحبهم في سبيل ترقية البشر وكل من نقلوا الينا حرية الوجدان . ويجب أن يعلم الطفل مع هذه المواد فن الآداب حتى لايكون غريباً عن مظهر من مظاهر الجمال ويمتزج في روحه الفنية حب الكمال قال بول برت : «من الواجب أن يتعلم الطفل اللغات الاجنبية بل اللغات الميتة حتى لايفوته شيء مما انتجته المدارك البشرية ولا يكون بعيداً عما جرى على أسلة اقلام العظماء في تبيانهم وبيانهم وأرى ان هذه المعارف توسع ذهنه وتفتح اجنحة تصوره فبالآداب وحدها تهتز القلوب وتحيا الوجدانات ولقد كانت مصنفات اليونان واللاتين مؤثرة في جيلنا معاشر الافرنج وفي مصنفاتنا منها مسحة خاصة فنحن واللاتين واليونان من فصيلة عقلية واحدة

ويضاف الى المعلومات التي يعلمها الطفل امور يجب ان تنضجها الحياة والعمل وهناك تعليم وطني أدبي ينبغي أن يشرب الطفل حبه الا وهو معرفة قوانين بلاده السياسية وحالة الطريقة التي تدار بها شؤونها وتراعى في كل تعليم اميال الطفل وقابليته فقد قيل ان في

الانسان وفي أعماله المختلفة فى الحياة الف نوع من التفنن ولكل ذوقه . وامانينا لا ينطبق بعضها على بعض

ويجب العناية بتقوية جسم الطفل و وقاية صحته وان لا يكون حظ البنات في التربية كحظ البنين ويكون التعليم عاميًا (علمانيًا) لا دخل للدين فيه يكون كذلك في المدرسة كما يكون في البيت وان يجد الطفل في بيت أبيه متمًا لدروسه في المدرسة . وخير ما ينفع الطفل ان لا تكون المدرسة والبيت وهما مبعث التربية متناقضتين في المبادي . بل متحدتين فيهاولان تدرس الفنون بحيث يتمكن التلميذ من اظهار عواطفه بواسطتها فتقوى بها شخصيته ومیزته و يعنى بتنمية ملكته في الشعر والتصوير والموسيقى فقد قال شوبنهور الفيلسوف الالماني : ان استماع الانغام الجميلة هو حمام يغسل ادران العقل . نعم ان الموسيقى تغسل كل وسخ وتنبذ مايحط بالنفوس و يشقيها فالموسيقى ترفع مقام الانسان وتجمع بينه وبين الافكار النبيلة التي هو أهل لها فيشعر اذ ذاك كل الشعور بما يتأتى له أن يساويه في هذه الحياة

هذا ماقاله العالم الغربي وفيه درس لكل شرقي وجدير بنا أن نجعل قوام تربيتنا على تقوية الارادة والاحتفاظ بالقديم والاخذ بحظ وافر من المعارف البشرية اللازمة وتربية روح الوطنية والعواطف السامية بالفنون الجميلة فهي وحب الجمال والكمال من العوامل القوية في أسباب الرقي المادي والمعنوي

حماة وحمص

اكتشف المسيو بونيون من علماء الآثار اربعة احجار كانت في عمود كتبت بلغة آرامية ممزوجة بالكنعانية والعبرية وذلك في خلال رحلته الى سورية منذ خمس سنين وهذه الاحجار هي عبارة عن تقدمة قدمها زاكير الملقب بملك حماة ولانش اولاعوش وقالوا انها مدينة حمص الى الرب آلور يضرع اليه فيها ان يكتب له النصر على الملوك الذين اتحدوا وحاصروه في مدينة خزرك (؟) وكان اكبر اعدائه ملك آرام « دمشق » المدعو بارحداد ابن خزائيل وقد تولى هذا الملك منذ سنة ٨٠٥ الى نحو سنة ٧٨٠ ق . م اي على عهد ملك اسرائيل جوهاشاز ابن جيهو وقد كتب المسيو دوسو من علماء الآثار في المجلة الاثرية بحثًا في مملكة حمص وحماة قبل المسيح بثمانية قرون فقال ان مملكة حماة لم تكن تتناول فقط السهول الغنية التي كانت تؤدي الجزية من بلاد نهر العاصي الوسطى بل كانت تتداحيانًا في وادي هذا النهر الى البقاع بحسب ما كانت دمشق وهي الخصيمة القوية تتركها تتنفس الصعداء . وفي القرن الثالث اضافت مملكة حماة اليها بلاد لاعوش او ارض خزرك فاعادت بذلك مملكة امورو « الامهور بين » العظمى التي كان خربها الحيثيون في القرن الرابع عشر

قبل المسيح وقد كتم المكتشف اسم المحل الذي اكتشف فيه تلك الحجارة واكتفى بان قال في كتابه الذي نشره حديثاً في المزبورات السامية في سورية وبين النهرين وكور الموصل انه عثر عليها في سورية على مائتي كيلومتر من البحر الرومي وانه يأمل ان يذهب ذات يوم لاكمال الحفر فيكتشف ما ينقصه من هذه الآثار الا ان كاتب المقالة ادرك من حل الكتابات المزبورة على الاحجار انها آتية من مدينة خزرك فقال ان المكتشف وفق الى كشف محل هذه المدينة القديمة وهذا الاثر التاريخي العظيم وخزرك مدينة شرقي العاصي بين حماة ودمشق وقد كانت مملكة حماة وهي عبارة عن بلاد لاعوش واراضي خزرك وكانت في القرن الثامن قبل الميلاد اقوى مملكة في سورية وقد حاول الملك زاكير واخلافه ان يحصنوا مدينة خزرك لتكون منيعة الحمى حتى اصبحت من بعد سنة ٧٧٢ مدة خمسين سنة والاشوريون لا يغيرون الا عليها اثناء غاراتهم على سورية وقد عزم توغلات بالازار الثالث ملك اشور سنة ٧٣٠ ان يقسم مملكة حماة فجعلها مقاطعات كثيرة تابعة لمملكة آشور مباشرة ثم دثرت هذه المدينة (خزرك) وفقد اسمها من التاريخ ثم انقضت مملكة حماة فامر الملك سراغون الثاني ان ينزع جلد ملكها ايلوبيدي وهو حي وجعل في هذه المدينة حامية اشورية كبرى .

سر الجنسين

قضت مصاعب الحياة ان اصبحت كثير من الاسر في الغرب تتمنى لو ترزق بنين بدل البنات ولكن الخالق تعالى لم يبح سر كثرة البنات وقلة البنين احداً من المشتغلين بعقولهم من خلقه . وكان الرأي الشائع من قبل ان اقوى الابوين هو الذي يولد الولد ذكراً كان ام انثى . وقد كتب الدكتور روم ان من القضايا التي لا تكاد تختل في جميع العالم بان في كل مئة طفل يولد ١٠٥ او ١٠٦ بنات ولا يختل هذا التعديل الا في الحرب فثبت بالاحصاء ان بعد الحروب يولد للمحاربين ذكور اكثر من الاناث فقد زاد عدد البنات في سنة ١٨٦٩ في بروسيا وبعد حرب سنة ١٨٧١ زاد عدد الذكور وفي اثناء حروب الامبراطور نابليون الاول حدث نقص في البنات وزيادة في الاولاد في فرنسا حتى خيف على مستقبل البلاد من ذلك . وقد اثبت جميع ارباب الرحلات والباحثين بان جميع القبائل التي لا تفتأ تحارب غيرها يزيد عدد مواليدها من اولادها اكثر من بناتها فمواليد قبائل الماوري في زيلاندا الجديدة هم في الاكثر ذكور ومعلوم ان قلة النساء هي من اعظم الاسباب في انتشاب الحروب بين القبائل ولذلك كان المخلوقون الذين لا يذهبون الى دار الحرب هم في الغالب اقل قوة وصحة ونشاطاً ممن حملوا السلاح وذهبوا لقتال العدو فيجيء

الاولاد الذين يولدون لهم ذكوراً . وقد شوهد منذ زمن ان سكيبراً طاعناً في السن اذا تزوّج بامرأة شابة يكون اولاده في الاكثر ذكوراً على العكس مما يحدث اذا كانت الزوجة اسن من زوجها . قال سادلير في احصاء له ان مقابل كل الف بنت يوجد ٨٦٥ صبياً يكون ابوه افتى من امه و٩٤٨ صبياً يكون ابواه في سن واحدة و١٠٣٧ صبياً يكون ابوه اسن من امه من سنة الى ست سنين و١٢٦٧ صبياً يكون ابوه اسن من امه من ست الى احدى عشرة سنة و١٤٧٤ صبياً يكون ابوه اسن من امه من ست عشرة سنة فاكثر

اذا ارضعت الام ولدها الاول فتلد بعده بنات وكذلك الامهات اللائي يحبلن في اوقات متقاربة فانهن يلدن البنات لان تكرار الرضاع والحمل هو من اسباب ضعف الام ومتى حبلت تكون في حالتها الطبيعية اضعف من الزوج فتلد بنتاً وتكون شبيهة بصورتها . وقد لوحظ بان المرأة اذا حملت عقيب العادة او في خلالها تلد اناثاً في الغالب وهذا الضعف الموقت فيها لا يرزقها الا بنات . وقد جرت عادة من يربون المواشي ان يفصدوا في اوقات خاصة البقرة اذا ارادوا ان تلد لهم عجلة وان يفصدوا الثور اذا ارادوا ان يلقح عجلاً . ولاحظ احدهم بان المولود الاول يكون طفلاً في الزواج غير الشرعي وعلل ذلك بان الام تكون في تلك الحالة افتى من الاب وتكون منهوكة القوى مضطرة الى اتيان ما اتت باغواء الرجل . وقد ذكر الدكتور بيلون ان احدى قبائل مصر القديمة سبت مئات من النساء تحمل في الطريق معها ٤٨٢ ولما وضعن كان عدد الذكور ٧٩ وعدد الاناث ٤٠٣ وذلك لما كن عليه من الضعف والاعياء مدة الحمل .

قال الكاتب ولو كان ثمت ميزان توزن فيه العناصر التي تتكون منها الصحة والنشاط في كل من الزوجين لتيسر ان يتنبأ المرء تنبوءاً صحيحاً فيما اذا كانت الام تلد ذكراً ام انثى ولكن القوة والصحة وشدة الحب لا توزن بميزان ولا تقاس بقياس . ثم ان العناصر التي تتركب منها تختلط وتتداخل على شكل ملتبس حتى ان ادق بحث في صحة الزوجين وعمرهما ونوع معيشتهما ووراثتهما لا يأتي الا بفرضيات وظنيات لا بحقائق ثابتة ولو عرف المرء حقيقة الاسباب التي بها يستطيع ان يعرف ما يولد له اما كان يخشى ان يقل البنات لان احدنا اذا بشر بها ظل وجهه مسوداً وهو كظيم .

مطبوعات ومخطوطات

تاريخ الامم والملوك

اشتهر هذا التاريخ بانه من اعظم الامهات الصحيحة التي يرجع اليها في دراسة تاريخ الاسلام في القرون الثلاثة الاولى وهو من تأليف ابي جعفر محمد بن جرير الطبري وقد طبع للمرة الاولى في ليدن طبعه المستشرق كوي واعاد طبعه هذه الآونة بالمطبعة الحسينية المصرية محمد افندي عبد اللطيف الخطيب وشركاؤه فجاء متقن الطبع مشكولاً محال الاشكال منه وألحق به كتاب صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين تصنيف ابي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري فتم التاريخ الاصلي في ١١ جزءاً والذيل في جزئين وهو يطلب من طابعه بمئة واربعين قرشاً صحيحاً فنحث اهل العلم والادب على اقتنائه فانه اصبح الآن قريب المنال على كل مطالع لرخص ثمنه بالنسبة لطبعة اوربا . اما وصف الكتاب وفوائده والكلام على مؤلفه فسنعقد له فصلاً ضافياً بحول الله . وهنا نثني الثناء الطيب على الطابع ونرجو ان يوفق لطبع امثاله من امهات كتب العرب فينتفع وينفع .

التصحيف والتحريف

هو من الكتب المنسوبة لابي احمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري شرح فيه الالفاظ والاسماء المشكلة التي تتشابه في صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف مما يعرض في الفاظ اللغة والشعر وفي اسماء الشعراء وايام العرب واسماء فرسانها ووقائعها واماكنها وما يعرض في علم الانساب وغيرها من الاشكال فيصحفها عامة الناس ويغلط فيها بعض الخاصة وقد جعله ابواباً فمنها ما جاء في قبح التصحيف وبشاعته وذم المصحفين ونكد التصحيف ومن ابتلي به ونوادر من التصحيف وما روي من اوهام علماء البصرة ومن اوهام علماء الكوفة وما روي من تصحيفات شتى فجاء في احد واربعين باباً تجمع الى الفائدة العلمية اللذة الفكاهية والادبية . طبعته مطبعة الظاهر طبعاً متقناً وجعلته في ثلاثة اجزاء نجز منها الجزآن الاولان الى الآن . ونعما تفعل ادارة مطبعة الظاهر في احياء الكتب العربية النفيسة فمن اعظم الايادي التي يسديها امرؤ لامته احياء ما كاد يندثر من آثارها ومفاخرها وقيمة اشتراك الكتاب قبل الطبع ١٥ قرشاً وبعد الطبع ٣٠ قرشاً فنتقدم الى كل متأدب في اقتنائه .

سر تقدم الانكليز السكسونيين

اعاد خليل بك صادق صاحب مجلة مسامرات الشعب طبع هذا الكتاب النفيس لمؤلفه ادمون ديمولان من علماء التربية في فرنسا ومترجمه احمد فتحي باشا زغلول من علماء الحقوق بمصر فتأنق ما شاء وشاءت الاجادة في طبعه وتخير له اجود الورق والحروف فجاء بديعاً شكلاً ووضعاً وتعريباً واصلاً . وهذا الكتاب من احسن ما أُخرج للغة العربية من اللغات الاوربية وما قرأه رجل بامعان الا وتغير فكره في الحياة واصلح من اخلاقه وعاداته ما يقدر عليه وفيه من وصف الانكليز والاميركان والالمان في اخلاقهم ومفاخيهم ما هو حريٌّ بان يدرسه كل شرقي المرة بعد المرة . وقد قدم له معربه مقدمة من ابدع ما كتب في حالتنا جاءت والكتاب في النفع سواء فنثني على المعرب والطابع بما هما اهله والكتاب يطلب من مكتبة مسامرات الشعب في باب الخلق بمصر بعشرين قرشاً صحيحاً .

مبادىء الاقتصاد السياسي

الف محمد افندي فهمي حسين هذا الكتاب المفيد — والذي نقل الى العربية من كتب هذا الفن قليل لا يفي بالحاجة — فتوسع في ابوابه مستنداً الى ما كتب باللغات الافرنجية في هذا الفن وقد كتبه بعبارة سهلة واسلوب قربه من الاذهان على من لم يسبق لهم ان قرؤُا فيه كتاباً . ودرس كتب الاقتصاد لاهل هذه البلاد انفع من القاء الف خطبة سياسية خيالية وتلاوة الف رواية غرامية وهو يطلب من مكاتب القاهرة الشهيرة ومن نادي المدارس العليا بعشرة قروش صحيحة فنحث الادباء على اقتنائه والاستفاده منه ونثني على غيرة مؤلفه الاديب ونرجو له التوفيق الى اتمامه

عقود الجوهر

في ترجمة من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فاكثر

وضع هذا الكتاب جميل بك العظم من افاضل ادباء دمشق وموضوعه كما يدل عليه اسمه جليل نافع يبعث الهمة في صدور الناشئة ويطلعهم على ما قضاه اسلافنا من العناء في النفع وفي هذا الجزء اربعون ترجمة لاربعين عظيماً من عظماء الاسلام واليونان والقدماء والمحدثين فمن القدماء الغزالي وابن تيمية والرازي وابن الجوزي وحنين بن اسحق ويعقوب الكندي وثابت بن قرة والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن الهيثم وابن الخطيب والزمخشري والمعري ومن المحدثين السيوطي وابن كمال باشا وابن طولون والمناوي وملا علي القاري ونوح افندي واحمد مدحت افندي والعيدروس . فيترجم المؤلف ترجمة موجزة ثم يسوق كتبه

على حروف المعجم ليسهل الاهتداء اليها في الحال · ويشتمل الجزء الثاني وهو الآن تحت الطبع على فهرس عام في الكتب والرسائل التي ذكرت اسماؤها في الكتاب وما يوجد منها في خزائن الكتب العمومية مما لم يطبع · وهي همة للمؤلف تدل على فضله وغيرته · وقيمة الاشتراك بالجزئين معاً ريال وربع ريال مجيدي يضاف اليها اجرة البريد وقد طبع في المطبعة الاهلية ببيروت طبعاً متقناً نظيفاً كسائر مطبوعاتها وهذا الجزء في ٣٠٤ صفحة صغيرة فنحث المتأدبين على اقتنائه

الاسلام روح المدنية

كتاب في ٢٨٨ صفحة صغيرة الفه الشيخ مصطفى الغلاييني من افاضل ادباء بيروت ردًّا على ما جاء في كتاب «مصر الحديثة» تأليف لورد كرومر معتمد انكلترا في مصر سابقاً من الحمل على مدنية الاسلام اورد فيه اقوال الغربيين انفسهم واتى من الشواهد والحجج الكثيرة ما يناقض ما ذهب اليه مؤلف «مصر الحديثة» ولو عرف لورد كرومر اللغة العربية ودرس تاريخ الاسلام درس المجرد عن النزعات السياسية والاهواء الاستعمارية لما كتب ما كتب ولو اعطي وادياً من ذهب · قال الفاضل البيروتي : «واني اعتقد اعتقاداً جازماً ان جميع الاديان تأمر بالخير والسلام وهي وان اختلفت في بعض الاعراض فهي متفقة في الجواهر اذ الغاية منها تهذيب النفس ورفعها من وهاد الشرور والفساد فمن يسعى بهدم اركان الاديان هو كمن يسعى لتقويض العمران لان في المدنية الحديثة من المفاسد ما لا يحصى ولولا سلطان الاديان القاهر لابيحت الاعراض والدماء والاموال وفي ذلك من الخراب والدمار ما لا يصلحه الدرهم والدينار فبقاء الانسان في جهل بعلوم الدنيا مع التمسك باي دين خير من حياته عالماً طبيعياً مهندساً الخ وهو لا دين له» وقد غلبت الحدة على صاحب الرد فظهرت آثارها على اسلة قلمه احياناً وكنا نود ان تحذف من كتابه بعض الفاظ ليكون ادعى الى القبول وانا نثني على غيرته وفضله ويطلب كتابه من المكاتب الشهيرة بالقاهرة بخمسة قروش ·

ابو العلاء المعري

كراسة في ٧٢ صفحة باللغة التركية التاتارية فيها ترجمة مستوفاة لابي العلاء المعري من قلم رضاء الدين افندي بن فخر الدين من علماء اورنبورغ في روسيا وقد تصفحناه فرأيناه قد نسق كلامه على هذا العظيم ورتبه ترتيباً مقبولاً صوّره للقارىء احسن تصوير · وتطلب من طابعها صاحب مكتبة الشرق في اورنبورغ

اللزوميات

اختار موسى افندي بيكييف من افاضل قازان ابياتاً كثيرة من لزوميات ابي العلاء المعري ونقلها الى التركية كما فعل امين افندي الريحاني فاختار ابياتاً منه ونقلها شعراً الى اللغة الانكليزية . فجاءت في زهاء مائتي صفحة مطبوعة طبعاً متقناً على نفقة مكتبة الشرق في اورنبورغ وترجمة امثال هذه الكتب يساعد ابناء تلك البلاد على تعلم العربية فعسى ان يكثر القائمون بنهضة اهلها من نقل بعض الكتب العربية المفيدة الى لغتهم و ينشروها مع اصلها كما فعل مترجم اللزوميات .

ليالي سطيح

نشر حافظ افندي ابراهيم الشاعر الاجتماعي الكبير قصة نثرية رواها عن لسان سطيح الكاهن فجاء فيه كلام لطيف على العادات المصرية والاحوال الاجتماعية والسياسية في مصر والسودان صورها تصويراً بديعاً واودعها من افكاره ودرر نثاره ما رآه نافعاً وثميناً ومما ننتقده عليه اعتماده على التسجيع في بعض محال من كتابه بحيث كاد يخل باسلوب البلاغة والفصاحة ولم يناسب العبارات المهذبة التي جاءت في عرضه . اما مرامي الكتاب فكانت اعم نفعاً لو خلت من الغلو في مدح اشخاص والايغال في الحط من آخرين وكتاب يكتب لينفع الناس في اجتماعهم لا يصح ان يظهر فيه شيء من هذا القبيل . وانتقدنا عليه من الالفاظ ما يقع مثله لا كثر كتابنا وشعرائنا مثل قوله « التنكيت » وهو لم يرد في اللغة . وقوله « كنتم منذ بضع سنين لا تجاوزون ستة آلاف عداً » وعداً هذه ليست من التراكيب الفصيحة وقد وقعت في كلامه اربع مرات وهي من عبارات الجرائد واستعمل لفظة « منتزه » و « الضمائر » و « القواميس » و « التكتيك » Tactique و « الظروف » و « النقط » و « حصل بها » و « جهاراً نهاراً » و « ضحى مصلحة امة » و « صوالح القوم وصوالحنا » والصواب ان يقول « متنزه » و « القلوب » و « المعاجم » و « علم التعبية والمصافات » و « الاحوال » وكان يمكن الاستعاضة عن « النقط » في قوله نقط تنفيذ الحكم بتركيب آخر ومثلها حصل بها وجهاراً نهاراً . وله ان يقول بدل ضحى فادى بمصلحة امة ومصالح القوم بدل صوالحهم . وهذه الحرزات لا تقدح في فضل هذا العقد النفيس . فالنقد لا يوجه الا الى الثمين والركاكة لا تعاب الا في كلام اهل البيان والتبيين .

النظرات

اصدر مصطفى صادق افندي الرافعي الشاعر الشهير الجزء الاول من ديوان جديد له

سماه « النظرات » اودعه مثالاً مما وعاه ديوانه المعروف بديوان الرافعي الذي كان صدره في ثلاثة اجزاء — من ضروب الشعر في الاجتماع والرقائق والمديح والغزل والوصف وقدم له مقدمة في حقيقة الشعر لم يكرر فيهاما اودعه من معناها كل جزء من اجزاء ديوانه السابق . ومعظم قراء المقتبس يعرفون طبقة شعر الرافعي مما نشر له فيه . ومما انتقدناه عليه تسرعه في اخراج الشعر للناس حتى ان بعض ابياته يظهر فيها شيء من الغموض لا يكاد يهتدي اليه القاريء الا باعمال النظر كما انا لا نستحسن اكثاره من الاستعارات والمجازات على طريقة اكثر الشعراء المحدثين وكتابهم على حين نراها قليلة في شعراء الصدر الاول وكتابه وان جاءت فانما تجيء عرضاً اعتبر ذلك بكلام ابن المقفع والجاحظ وابي تمام والمتنبي وغيرهم . ومن الاستعارات البعيدة قوله « اشبه شيء بالنور الذي يتألق فيه ماء الصورة » وماء الصورة اشبه « بماء الملام » التي انتقدها البيانيون على ابي تمام ومثلها « اجنحة الخواطر » وقوله « فما احسن الوجه وهو روضة مصوَّرة وزجاجة منورة وشهادة على الله مزورة » وينتقد عليه من الالفاظ الوحشية لفظ « مخشب » اي غير منقح ومرسل . واختيار لفظ واحد لمعنى واحد لا يحرص عليه في كل اللغات الا في اسماء الفنون والصناعات ونحوها فلا يصح مثلاً ان نقول « هات الاداة التي يكتب بها » بل نقول هات القلم . ومخشب مثل مخشلب التي وردت في شعر المتنبي وسواء في الثقل والوحشية . ومثله قوله « رجع بمقصر مما كان يحاول » ولنا عن « مقصر » هذه مندوحة في الاستعمال وكذلك تأنيثه البلد وهو مذكر . وجمعه عادة على عوائد والصواب عادات وعاد وقوله ينطقونها والصواب ينطقون بها و « توربق الشجر » والصواب « ايراق الشجر » و « الروضة الشجية » بمعنى مطربة والشجي المحزن والجرائد تغلط في قولها « وكانت الموسيقى تطرب الاسماع بالحانها الشجية » والاولى ان يقال المطربة او ما اليها . وفي الديوان من جيد المنظوم ما يجدر بالادباء الاخذ منه والنظر فيه خصوصاً والرافعي من الشعراء الذين نفاخر بهم العربية .

المسألة الاجتماعية والمدرسية في سورية

Autour de la question sociale et scolaire en Syrie, par M. K. T. Khairallah

كتب خيرالله افندي خيرالله من اساتذة بيروت هذا الكتاب باللغة الافرنسية وصف فيه الحالة الاجتماعية وطرق التدريس في سورية قال فيه واذ كانت الضرورة تقضي بان نخرج في مدارسنا سوريين لا افرنسيين ولا انكليزاً ولا اميركانيين ففي علينا ان نخرج من النساء كذلك والا كانت البيوت جحيماً لا نعيماً . والمدرسة الحسنة التنظيم هي المجتمع المنظم بعينه فاذا لم يكن للمدرسة نظام نافع يجب علينا ان نعمل بدءاً واحدة على تقويضها

من اساسها لخير لنا ان نكون بلا مدارس جملة واحدة من ان تخرج مدارسنا من لا نريدهم من الرجال والنساء . سعت مدارسنا لتقد فينا دائرة التعليم ولم تنفحنا مثل ذلك من التهذيب على ان ذاك التعليم نفسه سطحي غير موافق لحاجاتنا

واجمل الكلام على المعلمين في المدارس والدروس وقال ان المجتمع غير عادل في معاملة المدرسين وكان عليه ان يعطيهم من الاجرا كثر مما يعطيهم ويرفع مقامهم اكثر مما رفعهم . كما تكلم على ادارة المدارس وترتيبها واسولها الصحية وقال ان الواجب ان لا نستسلم للاجانب ونأخذ عنهم قضية مسلمة كل ما يدعون انه لازم لقوام حياتنا العملية واننا يجب ان نضع نظام دروسنا بايدينا والا فان الدروس التي نتلقاها في المدارس لا تخرج رجالا تامة ادواتهم بل كثيرًا ما تضطرهم الى الهجرة ولا يكون منهم خير لبلادهم .

ومن رأيه ان يعقد مؤتمر وطني او عام للنظر في اصلاح التعليم حتى لا يسوغ لكل قادم علينا بحجة تعليمنا ان يعبث بعقول فتياننا على هواه ليجعلهم على مثاله ويقتل في عقولهم الحمية والشجاعة والشعور والوطنية وعزة النفس لتأتي منهم رؤوس فارغة من التعليم والاحساس مملوءة بالعجب والاعجاب ويجب ان يقرن تعلم اللغة العربية بلغة اجنبية على ان لا يعلم من من لغة البلاد الا ما يتمكن معه التلميذ من الكتابة فيها بسهولة على نحو ما يكتب بالافرنجية وان يعلم الاخلاق باصولها على طريقة موجزة متينة تكون الوطنية شعارها حتى اذا خرج التلميذ من المدرسة يكون عارفاً بحقوقه وواجباته وتاريخ بلاده مجسماً وله فكر اجمالي في التاريخ العام منقناً جغرافية بلاده مع اجمال عن الجغرافية العمومية وبعض مبادي العلوم لئلا تستولي عليه الخرفات

ورأى ان تعلم العربية بدراسة كتب المتأخرين لان انشاءهم وشعرهم احسن مما كتبه المتقدمون من العرب . وهذا رأي لا يوافقه عليه احد من اهل العلم لما عرف من ان المتأخرين هم سبب فساد اللغة والرجوع بالمتعلمين الى كتبهم رجوع باللغة القهقرى وعنده ان يعتنى باللغة العامية السورية ويقابل بينها وبين اللغة الفصحى لان في العامية اشياء لا ينبغي الزهد فيها وان الواجب تدريس العلوم باللغة العربية لتقوى ملكتها في المتعلمين . وتكلم على ما ينبغي للسوري ان يتعلمه من اللغات لجعل المقام الاول للافرنسية ثم للانكليزية فالالمانية فالايطالية .

واجاد الكلام على التربية وتلقين العادات النافعة وختم كتابه بقوله ان مجتمعنا متألم مما صارت اليه حاله وحاجته ماسة الى الشفاء مما اصابه والدواء هو الاصلاح واحسن اداة له اصلاح المدرسة . وقد تجلى لنا من تصفح الكتاب ان مؤلفه ذو خبرة بامور المدارس ومواد التدريس وحالة المدرسين فنشكر له حسن ادبه في بيان افكاره وكنا نود ان يكتبه باللغة العربية ليستفيد منه من كتب لهم اولا وبالذات وعساه ينقله اليها قريباً ليعم نفعه لان موضوعه جديد مفيد

المقتبس

الجزء العاشر من المجلد الثالث

شوال سنة ١٣٢٦ موافق نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠٨

الطالع السعيد

من المخطوطات النفيسة التي كادت تعبث بها يد الضياع كتاب الطالع السعيد الجامع لاسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد لكمال الدين ابي الفضل جعفر بن ثعلب الادفوي المولود في نصف شهر شعبان سنة ٦٨٥ والمتوفى في سابع عشر شهر صفر سنة ٧٤٨ الفه باشارة من شيخه اثير الدين ابي حيان النحوي الاندلسي وقصره على تراجم النابغين من اقليم قوص وما يتبعه من البلدان والقرى وهو اول ما ألف من نوعه خاصاً باهل الصعيد . ولم يكن بمصر من نسخ هذا الكتاب غير نسختين بدار الكتب الخديوية كلتاهما ناقصة وما زلت في شوق اليه و بحث عنه حتى ظفرت بنسخة منه كاملة كتبت سنة ٨٨٠ برسم الفقيه مجد الدين ابي عبدالله بن شرف الدين حمزة الخطيب الواعظ وهي كغالب المخطوطات لا تخلو من التحريف والتصحيف خصوصاً في مواضع اهمل الناسخ اعجامها فلا تتيسر قراءتها الا بضرب من العنت وتدقيق النظر .

افتتح المصنف كتابه بمقدمة تشتمل على مسافة هذا الاقليم وتفصيل ما اختص به من المزايا فذكر ان مسافته تبلغ في الطول اثني عشر يوماً بسير الجمال السير المعتاد وتبلغ في العرض ثلاث ساعات واكثر او اقل تبعاً للاماكن العامرة وانه ينقسم الى كورتين يفصل بينهما النيل فالشرقية منهما تتصل شرقاً بالبحر الملح (هو بحر القلزم المسمى الآن بالبحر الاحمر) واولها من الشمال ارض اقنو وآخرها من الجنوب ابهر الشرقية بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وضم الهاء ومن مدنها الشهيرة قنا وقفط وقوص وهي قاعدة الاقليم في عصره وكان

بها اربعون مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب وبها قباب باعالي دورها قيل ان من ملك عشرة آلاف دينار يجعل له قبة في داره وواليها تكاتبه ستة ملوك . ومنها الاقصر واسوان قال واهلها يوصفون بالمحك في المعاملة وشدة المخاصمة وفيها يقول دعبل بن علي الخزاعي وكان اقام بها والياً كما نقل اهل التواريخ .

وان امرأ امست مساقط رأسه باسوان لم يترك له الحزم معلما

حللت محلاً يقصر الطرف دونه ويعجز عنه الطيف ان يتجشما

ولهم لغة يجعلون الطاء تاء فيقولون التريق في الطريق والتاق في الطاق ويبدلون الفاء بالباء والباء بالفاء فيقولون ضربته في هذا يعنون بهذا اه . والكورة الغربية اولها شمالاً برديس وآخرها جنوباً ابهر الغربية ومن مدنها ادفو بلد المصنف وعشه الذي درج منه . ثم افاض في محاسن هذا الاقليم من عذوبة ماء وطيب هواء ووفرة غلة وكثرة فاكهة قال واظن مساحة ارض بساتينه ونخله تقارب عشرين الف فدان ونقل غرائب في حمل اشجاره قد يعد بعضها من المبالغة والغلو ولا غرو فكل فتاة بابيها معجبة . وذكر من معادنه معدن البرام بالقرب من قنا ومعدن الزمرد وحجر البازهر والنفط والنطرون والرخام ومن معاهد العلم ست عشرة مدرسة بقوص وثلاثا باسوان واثنتين باسنا وواحدة بالاقصر واخرى بارمنت واثنتين بقنا وواحدة بهو واخرى بقمولا .

اما ترتيب الكتاب فعلى حروف المعجم ابتداء بابراهيم وختمه بيونس وذيله بباب في الكنى ذكر به من كنيته اسمه وغالب تراجمه مختصرة يقتصر فيها على المولد والوفاة وشيء من اخبار المترجم وروايته ان كان من المحدثين . على انه خالف ذلك في البعض فاطال فيهم كالنويري صاحب نهاية الارب والرشيد بن الزبير واخيه المهذب الشاعر والتاج بن المفضل وعبدالرحمن النخعي وذكر من سعة تبحره في الفقه ان الفتوى كانت ترفع اليه ورجله في الركاب فيكتب عليها بدون توقف وابن الحاجب مؤلف الكافية وقيصر المعروف بتعاسيف العالم الرياضي الذي عمل لسلطان حماة كرة عظيمة صوَّر فيها الكواكب المرصودة وصنع له طاحوناً على العاصي وبنى له ابراجاً وتحيل فيها بحيل هندسية ومجد الدين بن دقيق العيد وابنه تقي الدين الامام المشهور وترجمته اطول ترجمة في الكتاب والقفطي صاحب التاريخ وغيرهم ممن استحقت اعمالهم اطالة الكلام فيهم . ولم يهمل النساء فذكر منهن من اشتهرن بالعلم والفضل كتاج النساء ابنة عيسى القوصية واختها مظفرية وخديجة بنت علي بن وهب ورقية بنت محمد بن علي بن وهب وكلهن من أسرة بني دقيق العيد .

واعجبني منه التزامه الصدق وميله مع الحق فيما كتب فترجم كل انسان بما له وعليه

حتى تقي الدين بن دقيق العيد لم يمنعه ذكره لمناقبه وحسناته وشهادته له ببلوغ رتبة الاجتهاد من ان يقول فيه « لكنه تولى القضاء في آخر عمره وذاق من حلوه ومرّه وحط ذلك عند اهل المعارف والاقدار من قدره وحسن الظن ببعض الناس فدخل عليه الباس وحصل له من الملامة نصيب والمجتهد يخطئ ويصيب ولو حيل بينه وبين القضاء لكان عند الناس احمد عصره ومالك دهره الخ » وترجم عبدالقادر بن المهذب وهو ابن عمه فوصفه بالذكاء النادر وسعة الاطلاع الا انه انحى عليه لسوء عقيدته وقال في آخر ترجمته « ومرض فلم أصِلْ اليه ومات فلم أصلِّ عليه » .

وفي الكتاب رسائل وخطب وقصائد ومقطعات لا تخرج عن الاسلوب المألوف لاهل ذلك العصر منها وصية لجلال الدين الدشناني كتبها لابنه تاج الدين يقول فيها

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشداً . يا بني ارشدك الله وايدك اوصيك بوصايا ان انت حفظتها وحافظت عليها رجوت لك السعادة في دينك ومعاشك بفضل الله ورحمته ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله . أولاها وأَوْلاها مراعاة تقوى الله تعالى تحفظ جوارحك كلها من معاصي الله عز وجل حياء من الله والقيام باوامر الله عبودية لله . ثانيتها لا تستقر على جهل ما تحتاج الى علمه وثالثتها ان لا تعاشر الا من تحتاج اليه في مصلحة دينك ومعاشك . ورابعتها ان تنصف من نفسك ولا تنتصف لها الا لضرورة وخامستها ان لا تعادي مسلماً ولا ذمياً وسادستها ان تقنع من الله بما رزقك من جاه ومال وسابعتها ان تحسن التدبير فيما في يدك استغناء به عن الخلق وثامنتها ان لا تستهين بمن الرجال عليك وتاسعتها ان تقمع نفسك عن الخوض في الفضول بترك استعلام ما لم تعلم والاعراض عما قد علمت وعاشرتها ان تلقى الناس مبتدئاً بالسلام محسناً في الكلام منطلق الوجه متواضعاً باعتدال مساعداً بما تجد اليه السبيل متحبباً الى اهل الخير مداريا لاهل الشر متبعاً في ذلك السنة اللهم أهله لامتثالها » .

وغالب ما ورد فيه من المنظوم اشبه بشعر العلماء منه بشعر الشعراء على انه لا يخلو مما يستجاد كقول الامير مجير الدين بن تميم المطي .

اعيذك اني بين اهلي وجيرتي ... وحيد لديهم عادم ودّ مشفق
اقلب طرفي لا ارى لي مؤنساً ... احمرك فيهم غير طرس منمق
يحدثني عن حسن احوال من مضى ... ويخبرني عن قبح احوال من بقي

وقول تقي الدين بن دقيق العيد

تمنيت ان الشيب عاجل لمتي ... وقرّب مني في صباي مزاره

لآخذ من عصر الشباب نشاطه   وآخذ من عصر المشيب وقاره

وقول فتح الدين القنائي

بعادك علم الطرف السهادا   ونفر عنه في الليل الرقادا
وبات بليل ارمد ليس يرجو   لليل بات يسهره نفادا
كأن الليل فارقه حبيب   فلم ينزع لفرقته الحدادا
فما للدهر لا ينفك يهوى   مخالفة الذي اهوى عنادا
يباعد من اريد له دنوا   ويدني من اريد له بعادا
كأن عليه ميثاقاً ووفى   به ان لا يبلغني المرادا

ومن طريف ما رواه ان ناظم هذه الابيات ادعى انه كان ينظم القصيدة ويجعلها في ديوان ابي تمام ثم يعرضه على الناس فلا يميزون بين الشعرين فقال له احد الادباء انت لا تمدح شعرك وانما تذم الناس . وقول انجب الدين الاسنائي

الحاظكم تجرحنا في الحشا   ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا   فما الذي اوجب جرح الصدود

هكذا نسبهما لانجب الدين نقلاً عن العماد في الخريدة . قلت وقد وهم الشيخان فالبيتان لولادة بنت المستكفي لا يكاد يختلف في ذلك اثنان وقد وقفت على اوهام من هذا القبيل فرطت من بعض الائمة فنسبوا اشياء لغير قائليها اما لاشتباه في الاسماء او لسهو عرض وجلّ من لا يسهو وربما افردت نبذة لذكرها ان شاء الله .

ومن غريب ما رأيته فيه من المنظوم نوع من الزجل تكرر ذكره سماه المصنف (بليقة) وجمعها على بلاليق مما يدل على ان اللام في المفرد مشددة ولا ادري أكانت البليقة تطلق عندهم على كل ما نسميه اليوم زجلاً ام هي خاصة بنوع منه فمنها قول هبة الله الادفوي وقد سئم من قراءة الفصول لابن معط في النحو

ياقوم واش هذا الفضول   نقرا الفصول
الملحة نقرا يافلان   او مختصر شيت والبيان   هذا يجنن بالفمان
لسائر ارباب العقول
من قوله معديكرب   القلب اضحى منكرب   وبيت عقلي قد خرب
وشرح حالي فيه يطول
من صحروات مع حبليات   ومد وشد مع حات بات   من الذي عنده ثبات
يفهم مفاعيل مع فعول

ومنها مطلع بليقة لبعضهم في هجو قاض

قاضي القضاة اعزل نفسه ... لما ظهر للناس نحسه

ولا يستقيم الوزن الا باسكان اواخر الكلم كما تنطق العامة · ومما استفدته من هذا الكتاب عثوري فيه على كلمات عامية مستعملة الى الآن بمصر اودعها المصنف في عبارته مما يدل على انها اقدم في الاستعمال من عصره حتى صارت من المألوف عندهم والا لماجرى بها قلم مثل هذا الامام في مثل هذا التأليف · وبالجملة فمحاسن الكتاب كثيرة وفوائده غزيرة فلعل احد المشتغلين بالطبع من الوراقين يتنبه له فيطبعه ليعم نفعه ·

القاهرة ... احمد تيمور

جالينوس العرب

أو

ابو بكر الرازي

الا لفتة منا الى الزمن الخالي ... فنغبط من اسلافنا كل مفضال
تلونا اناساً في الزمان تقدموا ... وكم عبرة فيمن تقدم للتالي
الا فاذكروا يا قوم اربع مجدكم ... فقد درست الا بقية اطلال
أتطلبتو صفو الحياة وانتمو ... بجهل وهل تصفو الحياة لجهال
وما انتمو الا كسكران طافح ... تحسى من الصهباء عشرة ارطال
مشى بارتعاش في الطريق فتارة ... يقوم واخرى ينهوي فوق اوحال
يمد الى الجدران كف استناده ... فتقذفه الجدران قذفة اذلال
ويقبح للطراق مقلة حانق ... فيغمضها خزيان عن شتم عذال

***

رمى الدهر قومي بالخمول فلمتهم ... واوسعتهم عذلاً فلم يجد تعذالي
فهاج البكا بأسي فلما بكيتهم ... بدمعي حتى بل دمعي سربالي
نظرت الى الماضي وفي العين حمرة ... كأن على آماقها نضح جريال
فشمت بروق الاولين منيرة ... على افق من ذلك الزمن الخالي

«تنوّرتها من أذرعات واهلها ... بيثرب ادنى دارها نظر عال»
وقلبت طرفي في سماء رجالها ... وهم فوق عرش الجلالة محلال
فآنست آثاراً وهم سلك درها ... وابصرت اعمالاً وهم جيدها الحالي
ولما طويت الدهر بيني وبينهم ... على بعد ازمان هناك واجيال
فعدت باوساط القرون فجاءني ... «ابو بكر الرازي» فقمت لاجلال
فتى عاش اعمالاً جساماً وانما ... تقدر اعمار الرجال باعمال
حكيمٌ رياضيٌ طبيبٌ منجمٌ ... اديب وفي الكيمياء حلال اشكال
اتى فيلسوفاً للنفوس مهذباً ... بافضل افعال واحسن اقوال
لقد طبب الارواح من داء جهلها ... كما طبب الاجسام من كل اعلال

مولده

تولد عام الاربعين الذي انقضى ... لثالث قرن ذي مآثر ازوال
الى زكريا ينتمي انه له ... اب تاجر في الري صاحب اموال
على حين كانت بلدة الري غادةً ... الى العلم يعطو جيدها غير معطال
مدارس بالشبان تزهو ودونها ... كتاتيب للتعليم تزهو باطفال
بها جل درس القوم طب وحكمة ... وفلسفة فيها لهم اي ايغال
وكانت نفيسات الصنائع عندهم ... يحاولها ذو الفقر منهم وذو المال
وما كان هذا الحال في الري وحدها ... بل الحال في البلدان طراً كذا الحال
فان هدى الاسلام انهى فتوحه ... واوصلها للمجد احسن ايصال
وبُدل ابطال الحروب من الورى ... بابطال علم للجهالة قتال
فدارت رحى تلك العلوم وقطبها ... ببغداد مركوز بربوة اجلال
وكانت يد المأمون في ذاك اجملت ... لسان العلى في شكره اي اجمال

منشؤه

تدرج في تلك المدارس ناشئاً ... مترجماً يسعى بجد واقبال
تعلم فن الصوت بادي بدئه ... ومارس تفصيلاً به بعد اجمال
فكانت بموسيقى اللحون دروسه ... تغني باهزاج وتشدو بارمال
وقد جاوز العشرين سناً ولم يكن ... لشيء سوى فن الغناء بميال
فرام ابوه منه تحويل عزمه ... بجذب الى شغل التجار وادخال

فقال له دعني مع العلم انني ... اذا ما امتُّ الجهل احييت آمالي
وهل يستطيع المرء شغلاً اذا غدا ... له شاغل بالعلم عن كل اشغال
هناك استقى الرازي من العلم شربة ... فجاد باعلال له بعد انهال
سعى سعيه نحو التعلم بادئاً ... بعلم لدى اهل التفلسف ذي بال
وقد كان مفتاح العلوم تفلسف ... تفك به من جهلهم كل اغلال
فزاول انواع العلوم تنقلاً ... بابين اوضاح لها غير اغفال
نضاهمة في العلم مشحوذة الشبا ... جلت ما لحرب الجهل من ليل قسطال
وقد اكمل الطب المفيد قراءة ... على الطبري الحبر احسن اكمال

سياحته

ومذ جاوز الرازي الثلاثين واغتدى ... مدلاً على اقرانه اي ادلال
رأى من تمام العلم للمرء انه ... يسيح بضرب في البلاد وتجوال
ما العلم الا بالسياحة انها ... لمن علموا في علمهم درس اعمال
فقام وشد الرحل والغرز وامتطى ... لقطع الفيافي متن هوجاء شملال
تجاه بلاد الشام توًّا وجازها ... الى مصر في وخد حثيث وارقال
وخاض عباب البحر للغرب قاصداً ... مواطن للاسلام لم يسلها السالي
ففيها اجتلاه العز مذ لاح طالعاً ... لها كهلال يجتلى عند اهلال
وحل حلول البدر في السعد نائلاً ... بقرطبة آماله ناعم البال
وهب هبوب الريح ثمة ذكره ... يطير على صيت من العلم جوال
وودعها من بعد ذلك راجعاً ... الى مصر لا توديع مستكره قال
ومنها الى بغداد سافر قاطعاً ... اليها الفلا ما بين حل وترحال
فالقى عصا التسيار من عرصاتها ... بغرس عرفان ومنبت افضال
وبغداد كانت وهي اذ ذاك جنة ... بها العلم اجرى منه انهار سلسال
كأن رجال العلم في غرفاتها ... بلابل تشدو غدوة بين ادغال
فكم محفل للكتب فيه خزانة ... وكم مرصد دان وكم مرقب عال
ولما غدا الرازي ببغداد باسطاً ... من العلم ابواعاً له ذات اطوال
أقيم لمارستانها عن كفاءة ... رئيساً بتطبيب وتدبير احوال
فرتب مرضاه واصلح شأنه ... بما كان لم يخطر لسابق اجيال
وظل به يسعى طبيباً ممرضاً ... ويبذل جهداً لم يكن فيه بالآل

وبلقي السريريات وهي مسائل لدى سُرُر المرضى تقرر في الحال
فقد كان يلقيها على القوم ناطقاً باوضح تبيان واحسن املال

مآثره العلمية

لقد اشغل الرازي ببغداد شغله عدا الطب في الكيمياء اعظم اشغال
فقضى بها ايامه في تجارب وواصل ابكاراً لهن بآصال
فلقب فيها بالمجرِّب حرمةً تفرد مخصوصاً بها بين امثال
واصبح مشهوراً باسنى مآثر من العلم لم يُسبق اليها واعمال
فان ابا بكر لاول مفصحٍ الى الناس بالدرس السريري مقوال
واول من ابدى لهم كيف يبتني ويفرش مارستانهم قصد ابلال
وألف في المستشفيات مؤلفاً تقصى به في وصفها دون إغفال
ولا تنس للرازي الكحول فانه يُجدد طول الدهر ذكراه في البال
ومن عمل الرازي انعقادُ لسكر وما كان في محصوله غير سيال

أخلاقه

ارى العلم كالمرآة يصدأ وجهه وليس سوى حسن الخلائق من جال
اخو العلم لا يغلو على سوء خلقه وذو الجهل ان اخلاقه حسنت غال
ولو وازن العلم الجبال ولم يكن له حسن خلق لم يزن وزن مثقال
وان المساوي وهي في خلق عالم لاقبح منها وهي في خلق جهال
ولكنما الرازي قد ازدان علمه باحسن اخلاق واشرف افعال
خلائق غرّ ان اردت بيانها بدأت بحرف الحاء والميم والدال
فتى كان مملوء الجوانح رحمة بكل هزيل الجسم من سقم اقلال
يزور بيوت البائسين بنفسه ويفتقد المرضى بفحص وتسآل
ويأتيهم بالمال والعلم مسعداً لتطبيب اوجاع وتأمين اوجال
وما كان يقنو المال الا لبذله لتعليم علم او لاعطاء سؤال
وكان حليف الجد لم يأل جهده بدحض خصوم العلم من كل هزال
فكم راح مخذولاً به متطبب سعى كاذباً في طبه سعي اضلال
وكان سليماً في العقيدة قلبه بعيداً عن الالحاد ليس بختال
وخل تفاصيل الاولى ينسبونه لزيغ فقد اغناك عنهن اجمالي

عوده الى الري

ولما قضى الرازي ببغداد برهة · مضى قافلاً للري شوقاً الى الآل
فلما اتى تلك البلاد غدا بها · طبيباً لدى المنصور صاحبها الوالي
والف للمنصور اذ ذاك باسمه · كتاباً حوى في الطب احسن اقوال
ولم تصفُ للرازي اواخر عمره · وعاد اخا همّ شديد وبلبال
فقد عميت عيناه من بعد ما اغتدى · يجول من الفقر الشديد باسمال
وان عداء الدهر شنشنة له · يصول بها قهراً على كل مفضال
ولما انتهى نحو الثمانين عمره · قضى نحبه من غير مال وانسال
ولكنه في الناس خلف بعده · من العلم آثاراً قليلة امثال
فكم كتب ابقى بها الذكر في الورى · والفها نسجاً على خير منوال
وما ضرّ من احيا له العلم بعده · على الدهر ذكراً انه ميت بال
واني وان اطنبت في بحر علمه · لمقتصرٌ منه على بعض اوشال
وها أنا أُنهي القول لا لتمامه · ولكن لعجزي عن نهوض باجبال
واجعل هذا الشعر مسكاً ختامه · بما قال في بيتين معناهما حال
« لعمري وما ادري وقد آذن البلى · بعاجل ترحال الى اين ترحالي »
« واين محل الروح بعد خروجها · من الهيكل المنحل والجسد البالي »

بغداد · معروف الرصافي

الحسبة في الاسلام

وأربعة مخطوطات فيها

وصفنا في الجزء السالف المخطوط الاول الذي عثرنا عليه في فن الحسبة وهانحن اولاء نصف المخطوط الثاني قال في مقدمته :

نحمد الله الحسيب الرقيب على نواله ايماناً واحتساباً والصلاة على رسوله محمد الحبيب نسيب وآله ما لا يحصى كتاباً ولا حساباً اما بعد فقد جمع عبده الغريق في بحر فضله الطامي عمر بن محمد بن عوض الشامي الهمه الله تقواه فيما يكتسب ويجعل له مخرجاً ويرزقه

من حيث لا يحتسب في تصنيف هذا الكتاب وهو نصاب الاحتساب مسائل اختصت بالنسبة الي منصب الحسبة من كتب معتبرة بين الفقهاء معول عليها عند العلماء بعدما تحمل في جمعه نصباً وكمل في قيده نصباً وصرف الى تنقيحه وتصحيحه مدة مديدة وتكلف في ترتيبه وتهذيبه شدة شديدة ليكون للمبتلى آية يعرف بها فيما يحتاج اليه غاية وهو مرتب على ابواب الباب الاول في تفسير اللفظين المتداولين في هذا الكتاب احدهما الاحتساب والثاني الحسبة فالاحتساب لغة يطلق على معنيين احدهما من العد والحساب ذكر في المغرب احتسب بالشيء اعتد به وجعله في الحساب ومنه احتسب عند الله خيراً اذا قدمه ومعناه اعتده فيما يدخر عند الله وعليه حديث ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه اني احتسب خطاي هذه اي اعتدها في سبيل الله وقول النبي عليه السلام من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه اي صام وهو يؤمن بالله ورسوله و يعتقد صومه عند الله والثاني الانكار على الشيء ذكر في الصحاح احتسبت عليه كذا اذا انكرته عليه قاله ابن دريد والحسبة لمعنيين ايضاً احدهما بمعنى الحساب مصدر كالعقدة والركمة والثاني التدبير يقال فلان حسن الحسبة في الامر اي حسن التدبير له وفي الشرع هما الامر بالمعروف اذا ظهر تركه والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله ذكره في كتاب احكام السلطان و وجه الاستعارة اما الاحتساب فلانه ان كان من الاحتساب بالمعنى الاول وهو يتعدى بالباء فهو يحتسب بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الله اجراً فكان من قبيل تخصيص العام وان كان من قبيل الانكار فهو من قبيل تسمية المسبب بالسبب لان الانكار على الغير سبب للامر بازالته وهو الاحتساب لان المعروف اذا ترك فالآمر بازالة تركه آمر بالمعروف والمنكر اذا فعل فالامر بازالته هو النهي عن المنكر .

واما الحسبة فلانه ان كان بمعنى الاحتساب فهو نظير الاول من الاحتساب وان كان بالمعنى الثاني فهو كذلك وان كان التدبير عاماً ولكنه اريد به تدبير خاص وهو تدبير اقامة الشرع فيما بين المسلمين وانما سمي به لانه احسن وجوه التدبير فصار كتسمية القود به ثم الحسبة في الشريعة عام يتناول كل مشروع يفعل لله تعالى كالاذان والاقامة واداء الشهادة الى كثرة تعدادها ولهذا قيل القضاء باب من ابواب الحسبة وقيل القضاء جزء من اجزاء الاحتساب وفي العرف اختص بامور احدها اراقة الخمور كلها والثاني كسر المعازف والثالث اصلاح الشوارع وذلك باب كبير فيه مسائل احداها امر الميزاب والثانية امر الاوحال والارداغ والثالثة امر الدكانجة (؟) على الباب والرابعة منع جلوس الباعة عليها والخامسة منع سوق الحمير والبقر للخشابين والآجريين ونحوهم والسادسة منع ربط الناس دوابهم

فيها والسابعة منع عمارة الحيطان في شيء من الشوارع والثامنة منع شغل هواء الشارع بالجناح ويسمى برون داشت والتاسعة منع المبرز في الجدار بحيث يكون ازالة النجاسة منه بالوقوف في الشارع والعاشرة منع الظلة والرابع من التقسيم الاول النظر بين الجيران في التصرفات المضرة كالنظر وسد الضوء الا فيما يرجع الى الملاك كغصب قطعة من الارض والخامس تقويم الموازين والسادس تفحص الصنجات والسابع تنقية دكان الطباخين والخبازين ونحوهم والثامن تفحص نظافة الفقاع ودكانه والتاسع منع اسبال الازار ونحوه على الكعبين والعاشر زجر الناس عن الغناء والنوحة والحادي عشر منع الرجال عن التشبه بالنساء ومنع النساء عن التشبه بالرجال والثاني عشر امر التنبوليين بطهارة مائهم وثيابهم وتنقية نورتهم عن الحصاة والثالث عشر احراق المعازف وكسرها يوم الاضحى في المصلى وغيرها والرابع عشر منع الناس عن تطيير الحمامات والخامس عشر منع البغايا وتعزيرهن ومنع اوليائهن ومواليهن وازواجهن والسادس عشر امر اهل الذمة بتطهير الاواني التي يبيعون فيها المائعات من الدهن واللبن والسابع عشر امر الغسالين باقامة السنة واجتناب البدعة في غسل الموتى وحفر القبور والحمل وزجرهم عن الغلاء في اخذ الاجرة ونصب الصلحاء وذوي الخبرة بهذه الامور في هذه المصلحة والثامن عشر تفحص الجامع يوم الجمعة والمصلى يوم العيدين واخلاؤهما عن البيع والشراء ومنع الفقراء عن التخطي ومنع القصاص عن القصص المفتراة ومنع النساء السائلات عن الدخول فيه ومنع الصبيان والمجانين فيه والتاسع عشر دفع الحيوانات المؤذية عن العمرانات كالكلاب العقور والعشرون النهي عن النجس (والامر بالتنظيف) والحادي والعشرون منع الناس عن الوقوف في مواضع التهم كتحدث الرجال مع النساء في الشوارع والثاني والعشرون منع النقاشين والصباغين والصواغين عن اتخاذ تماثيل ذوات الروح وكسر الصور والثالث والعشرون منع المسلمين عن الاكتسابات الفاجرة كاتخاذ الاصنام والمعازف والصنج وبيع النبيذ والنختج والرابع والعشرون منع الطباخين والخبازين في اول نهار رمضان عن بيع الطعام على مثال غير رمضان والخامس والعشرون منع الناس عن اتخاذ القبور الكاذبة وخروج الناس الى زيارة بعض المتبركين او بعض المساجد على مشابهة الخروج الى الحج والسادس والعشرون منع النساء عن التبرج والتفرج بالخروج الى النظارات وزيارة القبور والسابع والعشرون منع الناس عن التصرفات في المقابر بلا ملك والثامن والعشرون منع المطلسمة والسحار والكهان عن منكراتهم والتاسع والعشرون نهي اصحاب الحمام عن منكراتهم وامرهم بتطهير المياه واخلاء الحمام عن المرد ودخول العراة فيه ونهي الحجام عن حلق العانة واللحية وامرهم باتخاذ الحجاب بين الرجال والنساء الثلاثون منع اهل الذمة عن

الركوب بهيئة المسلمين ولباس الصالحين واتخاذهم معابدهم في بلاد المسلمين الحادي والثلثون منع المسلمين عن الدخول في معابدهم للتبرك والتماس الحوائج من نساكهم والثاني والثلثون منع الناس عن الترسم برسوم الكفار في ولادتهم ومرضهم وصحتهم وصحة صبيانهم وعماراتهم وزراعاتهم وركوبهم في البحر والثالث والثلثون منع الناس عن تعلم علم النجوم مما لا يحتاج اليه في الدين وتصديق الناس للكهنة والمنجمين الرابع والثلثون منع الناس عن بدعة ليلة البراءة والخامس والثلاثون منع اهل الذمة عن اظهار شعائرهم في مواسمهم في بلاد المسلمين والسادس والثلثون منع الناس اللعابين بالنرد والشطرنج وتفريق جمعهم واخذ بساطهم وتماثيلهم السابع والثلاثون منع القوابل عن اسقاط جنين الحوامل والثامن والثلثون منع الجراحين عن الجب والخصاء في الناس والتاسع والثلثون منع الحجامين عن مس الاجنبيات الا لضرورة لا بد منها وعن حجامة الحبالى في اوان مضرتها بالحجامة والاربعون منع الناس من الاقامة في المساجد ووضع الامتعة فيها والحادي والاربعون منع الذي مسه الشيطان باللم عن التكلم بالغيب واجتماع الناس عنده زاعمين انه صادق في اخباره بالمغيب وهو كفر والمتحمل له والمصدق به مرتد والثاني والاربعون منع الخطاط ومعلم القرآن ومعلم النحو باجر عن الجلوس في المساجد الثالث والاربعون منع المعلم ونحوه عن اخذ شيء باسم النيروز والمهرجان والرابع والاربعون تعزير الآبق ورد الآبق على مولاه فانه من باب الحسبة ايضاً الا ان الاجرة انما تجب برد الآبق وان كان من باب الاحتساب لاجماع الصحابة رضي الله عنهم

هذه ابواب الكتاب الثاني وهي كما تراها مخالفة للاول من وجوه وموافقة له من اكثر الوجوه . اما الكتاب الثالث فهو : نهاية «الرتبة في طلب الحسبة تأليف الشيخ عبد الرحمن ابن نصر بن عبدالله بن محمد الشيزري (١) الشافعي قال في اوله بعد البسملة والحمدلة والصلاة : وبعد فقد سألني من استند لمنصب الحسبة وقلد النظر في مصالح الرعية وكشف احوال السوقة وامور المتعيشين ان اجمع له مختصراً كافياً في سلوك نهج الحسبة على الوجه المشروع ليكون عماداً للسياسة وقواماً للرياسة فاجبته الى ملتمسه ذاهباً الى الوجازة لا الى الاطالة وضمنته طرفاً من الاخبار وطرزته بحكايات وآثار ونبهت فيه على غش المبيعات وتدليس ارباب الصناعات وكشف سرهم وهتك سترهم راجياً بذلك ثواب المنعم يوم الحساب واقتصرت فيه على ذكر الحرف المشهورة دون غيرها لمسيس الحاجة اليها وجعلته اربعين باباً يجري المحتسب على مثالها وينسج على منوالها وهي نهاية الرتبة في طلب الحسبة

(١) في النسخة المنقول عنها « الشيرازي » ولكن الظاهر الشيزري كما يفهم من سياق الكتاب

وقد جعل في الاول الكلام فيما يجب على المحتسب من شروط الحسبة ولزوم مستحباتها والثاني النظر في الاسواق والطرقات والثالث معرفة القناطير والارطال والمثاقيل والدراهم قال فيه : لما كانت هذه اصول المعاملات وبها اعتبار المبايعات لزم المحتسب معرفتها وتحقيق كميتها لنفع المعاملة بها من غير غبن على الوجه الشرعي وقد اصطلح اهل كل اقليم وبلد في المعاملة على ارطال تتفاضل في الزيادة والنقصان سيما اهل الشام خاصة وسأذكر من ذلك ما لا يسع المحتسب جهله ليعلم تفاوت الاسعار اما القناطير القنطار الذي ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم فقد قال معاذ بن جبل هو الف ومائتا اوقية وقال ابو سعيد الخدري ذهباً واما القنطار المتعارف فهو مائة رطل والرطل ستمائة واربعة وثلاثون درهماً وهو اثنا عشر اوقية والاوقية سبعة وخمسون درهماً هذا رطل شيراز (شيزر) الذي رسمه فيها بنو منقذ واما رطل حلب فهو سبعمائة واربعة وعشرون درهماً واوقيتها ستون درهماً ورطل دمشق ستمائة درهم واوقيتها خمسون درهماً ورطل حمص سبعمائة درهم واربعة وتسعون درهماً واوقيتها سبعة وستون درهماً وحبة وثلثا حبة ورطل حماة ستمائة وستون درهماً واوقيتها خمسة وخمسون درهماً ورطل المعرة مثل الحمصي ولكن مائتا درهم وستون درهماً والرطل البغدادي نصف المن والله اعلم .

فصل واما المثقال فهو درهم ودانقان ونصف وهو اربعة وعشرون قيراطاً وهو خمسة وثمانون حبة والدرهم الشامي ستون حبة وقد اختلف صنج اهل الشام ايضاً فالمثقال بمحروسة شيزر يزيد على مثقال حلب نصف قيراط ومثقال حماة مثل الشيزري ومثقال دمشق يزيد على الشيزري ومثقال المعرة مثقال الدمشقي .

فصل وقفزان المكيلات ومكاكيكها مختلفة ايضاً فالقفيز بمحروسة شيزر ستة عشر كيلاً وهو مكيال متعارف فيها يسع رطلاً ونصفاً بالشيزري والقفيز الحموي ينقص عن الشيزري شنبلان والقفيز الحمصي مثل الحموي والمكوك الحلبي يزيد على القفيز الشيزري ثلاثة شنابل والمعري مثله وهو اربع موازب من كل موزبان اربعة اكيال بالحلبي والغرارة الدمشقية ثلاثة مكاكي بالحلبي وجميع ما ذكرته غير مستقر في جميع الازمان وانما اصطلح كل قوم على شيء في زمن كل سلطان ثم يغير ذلك بتغير السلطان

وتكلم في الباب الرابع على معرفة الموازين والمكاييل وعيار الارطال والمثاقيل وفي الخامس على الحسبة على الحنوبين والدقاقين والسادس في الحسبة على الخبازين ثم الفرانين فصناع الزلابية فالجزارين والقصابين فالشوايين فالرواسين فقلايي السمك فالطباخين فالهرايسيين فالنقانقيين فالحلوانيين فالصيادلة فالعطارين فالشرابيين فالسمانين فالرزازين فالدلالين والمنادين فالحاكة فالخياطين فالقطانين فالكتانيين فالحريريين فالصباغين

فالاساكفة فالصيارف فالصاغة فالنحاسين فالحدادين فالبياطرة فنخاسي العبيد والدواب فالحسبة على الحمامات وقوامها وذكر منافعها ومضارها ثم الحسبة على الفصادين والحجامين والاطباء والكحالين والجبرين والجرايحيين ومؤدبي الاطفال والحسبة على اهل الذمة

وفي الباب الاربعين جمل وتفاصيل من الحسبة ذكر فيه ما يلزم المحتسب فعله من امور الحسبة في مصالح الرعية غير ما ذكره فمن ذلك السوط والدرة والطرطور « اما السوط فيتخذه سوطاً لا بالغليظ الشديد ولا بالرفيق اللين بل يكون سوطاً بين سوطين حتى لا يؤلم الجسم ولا يخشى منه غائلة واما الدرة فتكون من جلد البقر والجمل محشوة بنوى التمر واما الطرطور فيكون من اللبد منقوشاً بالخرق الملونة مكللاً بالخرز والودع والاجراس واذناب الثعالب والسنانير وتكون هذه الآلة كلها معلقة على دلية ليشاهدها الناس فترتعد منها قلوب المفسدين وينزجر بها اهل التدليس »

وعدد اوراق هذا الكتاب ٣٢ صفحة وهو بخط مقروء لم تكتب سنة كتابته ولا تاريخ تأليفه والصحة تغلب عليه بالجملة

اما الكتاب الرابع فهو المعروف باسم «نهاية الرتبة في طلب الحسبة » ايضاً تأليف محمد بن احمد بن بسام المحتسب قال في مقدمته بعد البسملة والحمدلة والصلاة : قال الله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور فأمر بذلك مع القدرة عليه والتمكن منه ومن الامر بالمعروف ايضاً تصفح احوال السوقة في معاملاتهم واعتبار موازينهم وغشهم ومراعاة ما تجري عليه امورهم وقال تبارك وتعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وقال عز من قائل حكاية عن نبيه شعيب عليه السلام ويا قوم اوفوا المكيال والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين وقد رأيت المؤلفين من المتقدمين سبقوا الى ذكر كثير مما يحتاج اليه وينتفع به ولم اجد احداً منهم ذكر ماينبغي ذكره من الغبن والغش والخيانة بين الناس في المعاملات والمبايعات

وقد قسم كتابه الى مئة واربعة عشر باباً (١) فيما يجب على المحتسب من امور الحسبة (٢) في النظر في الاسواق والطرقات (٣) في الخبازين والخبز (٤) في السقايين والماء (٥) في السوقية وغشهم (٦) في جزاري الضأن والمعز وغيرهم (٧) في الشوائين وتدليسهم (٨) في الهراسيين وغشهم (٩) في الزلبانيين وغشهم (١٠) الرواسين وغشهم (١١) الطباخين وغشهم (١٢) الحلوانيين وغشهم (١٣) هرايسي التمر وغشهم (١٤) الباقلانيين وغشهم (١٥) السماكين وحماليه (١٦) الملح والصير والبوري (١٧) قلائي السمك (١٨) الطيور وصياديها

(١٩) الطحانين وغشهم (٢٠) الفرانين (٢١) الخطابين (٢٢) القصابين (٢٣) الجبانين (٢٤) الجباربن (٢٥) الحمامات (٢٦) الغزالين (٢٧) الكتانيين (٢٨) الحريريين (٢٩) القطانين (٣٠) القلانسيين (٣١) الخياطين (٣٢) سماسرة البز (٣٣) البزازين (٣٤) الغسالين (٣٥) القصارين (٣٦) المطرزين (٣٧) الرفائين (٣٨) الصيادلة والعقاقير (٣٩) الاشربة والمعاجين (٤٠) العطر والعطارين (٤١) الصيارف (٤٢) الصباغة والصياغة (٤٣) الاطباء والفصادين (٤٤) الكحالين والكحل (٤٥) المجبرين (٤٦) الجرائحيين (٤٧) البياطرة (٤٨) صباغي الحرير والغزل (٤٩) الخرازين وصناع الشراك (٥٠) الاساكفة وصناع الخفاف (٥١) عمل الاسقاط وغيره (٥٢) عمل البطط (٥٣) الحناطين والعلافين (٥٤) صنعة السرابات (٥٥) الزنبهار (؟) وغشه (٥٦) الابزار والابزاريين (٥٧) السمامسم وبايعيه (٥٨) الخشب وباعته (٥٩) الزفاتين (٦٠) الحدادين (٦) السامريين وغيرهم (٦٢) النحاسين وسباكي النحاس (٦٣) النجارين والبنائين والفعلة والنشارين (٦٤) نجاري الضبب (٦٥) نجاري المراكب (٦٦) النخاسة باعة العبيد (٦٧) النخاسين باعة الدواب (٦٨) الطوابين وغشهم (٦٩) الدلالين ودلالي العقارات (٧٠) تقديرات المراكب (٧١) باعة الفخار (٧٢) سقائي الجرام (٧٣) الزجاجين وغشهم (٧٤) معلمي الصبيان من الفقهاء ومعلمات البنات (٧٥) الدهانين وغشهم (٧٦) المكارية وغشهم (٧٧) الخاتين والمصولين في التراب (٧٨) كساحي السماد وحمالته (٧٩) الغرابيل ومناخل الشعر (٨٠) حافري القبور (٨١) الوراقين والمبهرجين (٨٢) فيمن يكتب الرسائل على الطرق والرقاع والدروج (٨٣) كتاب الشروط (٨٤) الوكلاء بابواب القضاة وتدليسهم (٨٥) الميازيب ومضرتها (٨٦) اصلاح الجوامع والمساجد (٨٧) قراءة القرآن قدام الموتى (٨٨) غسالي الموتى (٨٩) المراصد والمراقب (٩٠) طباخي الولائم (٩١) معرفة الموازين (٩٢) معرفة المكاييل (٩٣) معرفة مثاقيل الذهب (٩٥) معرفة الارطال والقناطير (٩٥) معرفة الاقساط (٩٦) معاصر الزيت وغشها (٩٧) التبن والتبانين (٩٨) القرط والقراطين (٩٩) الانماط (١٠٠) صناع الاخمرة (١٠١) الحصر العبداني (١٠٢) اللبود واللبادين (١٠٣) الارجوان وصباغه (١٠٤) العصارة (١٠٥) الابارين (١٠٦) الحلفاء (١٠٧) المحامل وصناعها (١٠٨) الزوايا والقرب (١٠٩) الدباغين (١١٠) في اهل الذمة (١١١) التعزير (١١٢) مجالس الحكام (١١٣) مجالس الولاة والامر لهم بالمعروف والنهي عن المنكر .

هذا فهرست كتاب الحسبة وانت ترى فيه كما رأيت في الكتاب الاول بعض اسماء صناعات لاعهد لنا بها اليوم مثل عمل البطط ونجاري الضبب وغيرهما وهناك عشرات من

الفصح والمفردات التي نكاد لا نجد لها مرادفاً في العربية اليوم اذا عربنا او كتبنا في مثل هذه الموضوعات كضروب الا نية والماعون .

قال في الفصل الرابع في السقايين وغشهم : ينبغي ان يعرّف عليهم عريفاً و يعرفه انه لما كانت الامواج تجيب الاوساخ والاقذار الى الشطوط وجب ان تكون يدخل السقاؤن في الماء الى، ان يبعدوا عن الاوساخ وان لا يستقوا من مكان يكون قريباً من سقاية ولا مستحم ولا مجراة حمام ومن اتخذ منهم راوية جديدة فلينقل بها الماء الى الطين اياماً فان ماءها يكون متغير الطعم والرائحة من اثر الدباغ فاذا زال التغير اذن له المحتسب في بيع مائها وينبغي ان يكون في اوساطهم التبابين ليستروا عوراتهم وسقاة الماء بالكيزان اصحاب القرب يؤمرون بنظافة ازيارهم وصيانتها بالاغطية وتغطية قربهم التي يسقون منها في الاسواق بالميازر و يمنعهم ان يسقوا بكيزانهم المجذم والابرص واصحاب العاهات والامراض الظاهرة وجلاء الكيزان النحاس كل ليلة وتطييب شبابيكها بشمع المسك واللادن الطيب العنبري وانتقاد الخوابي بالبخور والغسل كل ثلاثة ايام .

وقال في جزاري الضأن والمعز والابل والقصابين وغشهم : ينبغي أن يعرف عليهم عريفاً ثقة من أهل معيشتهم ثم بعد ذلك يستحب أن يكون الجزار مسلماً بالغاً عاقلاً يذكر اسم الله على كل ذبيحة وأن يستقبل القبلة وان ينحر الابل معقولة من قيام والبقر والغنم مضجعة على الجنب الايسر لان ذلك وردت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويأمرهم أيضاً أن لايجر الشاة برجلها جرّاً عنيفاً وان لايذبحوا بسكين كالّة فان في ذلك تعذيباً للحيوان وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الحيوان ويلزمه في الذبح أن يقطع الودجين والمري والحلقوم ولا يشرع في السلخ بعد الذبح حتى تبرأ الشاة وتخرج منها الروح لان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر منادياً ينادي في المدينة لاتسلخ شاة مذبوحة حتى تبرد وتجوز الزكاة بكل شيء الا السن والظفر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الزكاة بهما ويمنعهم أيضاً ان لايذبحوا جملاً يكون مقرح الجسم الى ان يبرأ جميع مافيه من القروح وقد كان امر امير المؤمنين الحاكم بأمر الله في سجل مجلد في ديوان الانشاء بان لايذبح من البقر الا المخلوع الورك والاعور والاعمى والمقلوع السن والمريش العين والجفون والجرب وكل مشقوق الحافر والمقطوع والمكوي وكل شيء كانت عيوبه ظاهرة والصحيح الرقاد والمعلوفة اذا كان بها شيء من هذه العيوب المذكورة فينهاهم المحتسب عن ذلك جميعه وينهاهم ان لاينفخوا شاة بعد السلخ فان نكهة ابن آدم تغير اللحم وتزفره ومنهم من يشق اللحم من السفاقين وينفخ فيه الماء ولهم أيضاً اماكن يعرفونها في اللحم وينفخون فيها الماء فيجب مراعاتهم

في ذلك ومنهم من يشهر في الاسواق البقر السمان ثم يذبح غيرها وهذا تدليس واما القصابون فيمنعهم من اخراج توالي اللحم عن حد مصاطبه والركبتين فلا يلاصقوا ثياب الناس فيضرون بها ويأمرهم ان يفردوا لحوم المعز من لحوم الضأن وان لا يخلطوا بعضها ببعض وينقطوا لحوم المعز بالزعفران ليتميز عن غيره وتكون اذناب المعز معلقة على لحومها الى آخر البيع ولحم المعز يعرف برقة لحمه وعظمه وبياض شحمه ويأمرهم بان لا يلصقوا على شيء من سائر اللحوم شيئاً من القزدير فان الحكماء قد ذكروا بانه يسمه ولا يخلطوا اللحم السمين بالهزيل بل يباع كل واحد منهما على حدته ويمنعهم أيضاً ان لا يخلطوا شحم المعز بشحم الضأن وعلامة شحم المعز صفو لونه وبياضه وشحم الضأن تعلوه الصفرة وكذلك بطون المعز لا تختلط ببطون الضأن وكذلك الاليات تباع مفردة لا يخالطها جلد ولا لحم واذا فرغ من البيع واراد الانصراف اخذ ملحاً مسحوقاً ونثره على القرمة لئلا تلحسها الكلاب او يدب عليها شيء من الهوام فاذا لم يجد ملحاً والا الاشنان والمصلحة ان لا يشارك بعضهم بعضاً لئلا ينفقوا على واحد ويمنعهم ايضاً من بيع اللحم بالحيوان وهو ان يشتري الشاة بارطال لحم معلومة ويدفع اليه كل يوم ما ينفقان عليه من اللحم فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك

وقال في عمل البطط : ينبغي ان يعرف عليهم عريفاً يمنعهم ان يعملوا من جلود الجمال الميتة ويحلفون بما لا كفارة لهم منه انهم لا يعملونها من الميتة ويفتش دكاكينهم كل وقت وبيان ذلك عليهم انهم اذا عملوها من الميتة كان لونها مائلاً الى السواد ويعتبر عليهم بالرائحة وخشونة اللمس وايضاً انه لا بد ان يبقى عليه اليسير من الشعر لان الصانع لا يقدر على انقاء الشعر من الميتة وما عمل من جلود الميتة يمكن عند جفافه والصواب ان يمنعوا من عمل المصاصات لان كل من يمص بها لا بد ان ينزل شيء من بصاقه في اطعمة الناس من الربوت والعسل وغيرهما وذلك ضرر ووسخ ولا سيما ان كان الفاعل ابخر فالصواب ان يمنعوا من ذلك

وقال في الزنبار وغشه : ينبغي ان يعرف عليهم عريفاً عارفاً بغش صناعاتهم فقد يغش بالسبك بتربة تعرف بالشمعة تكون الى الحمرة مائلة بدقيق الرمل حتى ينقل وقد يغش العصفر بالتراب الاحمر وهو يزيده المثل او قريباً منه فينبغي ان يحلف من يبيعه بما لا لهم منه كفارة انهم لا يخلطون فيه شيئاً مما ذكرنا ولا يخلطوا فيه دقيق الفول وايضاً قد تدق قشور الرمان ويغش به الكركم المصحون ويغش ايضاً بالتربة المصرية وقد يغش بالحناء وبالرمل

وقال في تجاري الضبب ينبغي ان يعرف عليهم عريفاً ثقة عارفاً بمعيشتهم بصيراً بهذه الصناعة وينشر جواسيسها وهو باب جليل يحتاج الى ضبطه لان فيه حفظ اموال الناس وصيانة حريمهم فينبغي ان يراعي حفظ اموال الناس ويحلفوا بحضرة عريفهم بما لا كفارة

لهم منه ان لا يعملوا لرجل ولا لامرأة مفتاحاً الان يكونا شريكين مشهورين و يؤمرون ان لا يثقبوا رأس الايات لطرح الاسنان التي فيها سريعة الرؤوس مدورة الاسافل مبرودة مجلسة وكذلك اسنان المفتاح مبرودة مجلسة حتى لا يخرب ذكر الغلق لا من فوقه ولا من تحته و يؤمروا ان يعموا الاغلاق بالجواسيس المختلفة حتى لا يعمل مفتاح على مفتاح ومن خالف ذلك أدب ·

هذا ما ساعد عليه المقام من البحث في هذه المخطوطات النادرة وفيها فوائد كثيرة غير التي ذكرناها فعسى ان يتصدى بعض من يهمهم احياء آثار السلف الى تمثيلها كلها بالطبع لتستفيد بها اللغة والتاريخ والمدنية والاجتماع والفيض لا يغني عن الفيض والجملة لا تنفع مع التفصيل والله اعلم ·

الرومان

فتح حوض البحر المتوسط

صبغة السياسة الرومانية ــ لم يخطر للرومان ان يفتحوا العالم أولاً حتى انهم تمهلوا بعد ان بسطوا حكمهم على ايطاليا وقرطاجنة مدة مئة سنة قبل ان يخضعوا الشرق الى سلطانهم والظاهر انهم فتحوا فتوحاتهم دون ان يختطوا لها خطة من قبل لان مصلحتهم كلهم كانت بان يفتحوا الفتوح ويدوخوا الممالك ·

فكان يرى الحكام وهم قواد الجيوش من الفتوحات فرصة لنيل علائم التشريف بالظفر الذي يكتب لهم ويكونون على ثقة من الاشتهار بين أمتهم والتأثير فيها · وكان أعظم رجال الحكومة في رومية مثل بابيريوس وفابيوس وسيبيون الاول والثاني وكانوا من القواد الذين فتحوا الفتوح وكتب الظفر لاعلامهم · ويربح الاشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ اذا كثر سواد رعايا رومية فيذهبون كما يذهب الحكام لقبول احتراماتهم وهداياهم · اما الفرسان أي الصيارف والتجار وأرباب المشاريع فان كل فتح حديث كان لهم بمثابة مشروع جديد يستثمرونه

والامة نفسها تنتفع من الغنائم التي تؤخذ من العدو · وقد رفعت الضرائب بصورة دائمية بعد ان دخلت خزانة الدولة الرومانية كنوز ملك مكدونية · اما الجنود فكانوا يقبضون

رواتب عالية من قوادهم وقد أخذوا يحاربون البلاد الغنية دع عنك ما كانوا يمدون اليه ايديهم من مال المغلوبين. وعلى هذا فقد فتح الرومان العالم للفوائد المادية اكثر من المجد

قرطاجنة — لما امتد سلطان رومية الى جزيرة صقلية حملت على قرطاجنة وعندئذ بدأت الحروب الفينيقية فحدثت ثلاث حروب فكانت الحرب الاولى من سنة ٢٦٤—٢٤١ حرباً بحرية ولا نعرف عنها شيئاً الا ما روته الاساطير بعد زمن من حدوثها . فذكروا ان الرومانيين لم يملكوا سفناً حربية قط وانهم جعلوا سفنهم على مثال سفينة قرطاجنة وقامت بالعرض في الشاطئ فأخذوا يمرنون مجذفيهم على استعمال المجاذيف على اليابسة. وهذه القصة لا اساس لها لان بحرية رومية قديمة اما الرومان فقد نقلوا اخبار هذه الحرب كما يلي : غلب القنصل دو يليوس الاسطول القرطاجني في ميلي (٢٦٠) وكان نزل الى افريقية من البحر جيش روماني على عهد اخا كرجولوس فغلب وتمزق شذر مذر (٢٥٥) وأسر رجولوس وأرسل الى رومية ليعقد الصلح وقرر مجلس الشيوخ اباء الصلح فرجع هذا الى قرطاجنة حيث قضى نحبه في العذاب. ثم حمي وطيس الحرب في صقلية فكتبت الغلبة للاسطول القرطاجني اولا (٢٤٩) ثم دمر بالقرب من جزائر ايغات (٢٤١) وبعد ذلك حوصر هاميلكار في جبل اركيس فوقع على الصلح ودخلت صقلية في حوزة رومية

ونشبت الحرب الثانية (من سنة ٢١٨ الى ٢٠١) وكان قائدها هانيبال من نسل الاسرة القرطاجنية صاحبة الحول والسطوة في بادكاس وكان قاد ابوه هاميلكار الى صقلية جيشاً قرطاجنياً في الحرب الفينيقية الاولى ثم عهد اليه ان يفتح اسبانيا وكان هانيبال اذ ذاك طفلا فصحبه ابوه . وكانت العادة ان تقدم الضحايا للارباب عند ما يغادر الجيش البلاد ويقال ان هاميلكار بعد تقديم الضحايا حلف ابنه ان يكون ابداً عدواً ازرق للرومان

ربي هانيبال وسط الجند فأصبح احسن قائد وامهر راجل في حرب . ولم يكن يعرف من الحياة الا انه محارب وكانت عنايته منصرفة الى تعهد حصانه وأسلحته واشتهر أمره كثيراً حتى اذا هلك القائد اسدروبال الذي كان يقود الجيش الاسباني انتخبوه قائداً عليهم دون ان ينتظروا أوامر مجلس الاعيان القرطاجني في ذلك . وهكذا أصبح هانيبال في الحادية والعشرين من عمره قائد جيش لا يطاع أحد سواه فدخل غمار الحرب على الرغم من مجلس الشيوخ في قرطاجنة وراح يحاصر ساغونت حليفة رومية فاستولى عليها وخربها

ومما كتب به المجد لهانيبال انه عوضاً عن ان ينتظر الرومانيين جرأ على ان يقتحمهم في عقر دارهم من بلاد ايطاليا ولم يكن له اسطول يحمله وجيشه اليهم فعزم على اجتياز البلاد اليهم براً فقطع جبال البيرنيه ونهر الرون وجبال الالب وضمن لنفسه محالفة الشعوب الغالية وقطع

جبال البيرنيه دون أن يلقى فيها مقاومة في جيش مؤلف من ستين الف مقاتل من الجنود المستأجرة من الافريقيين والاسبانيين ومعه سبعة وثلاثون فيلاً مدربة على الحرب وقد طمع بعض الشعب الغالي ان يحولوا بينه و بين المسير في نهر الرون فأرسل هو فرقة من جيشه تقطع النهر على مسافة بضعة أميال من اعلاه وتهاجم الغاليين من و رائهم على حين يجتاز معظم جيشه النهر على زوارق وتجر الفيلة على ارماث كبيرة ٠ ثم صعد وادي ايزر وانتهى الى جبال الالب في أواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) فقطعها على ما كانت مغشاة به من الثلوج وعلى الرغم من غارة السكان الجبليين عليه فوقع كثير من الرجال والخيول في الهاويات ٠ وقضى تسعة أيام لبلوغ قمة جبل الالب وصعب عليه النزول لان المضيق الذي كان يجب عليهم السير فيه غطته الثلوج والصقيع فاقتضى لجيشه ان يتخذ له طريقاً يحفره في الصخر ولم يصل الى السهل الا وقد اصبح جيشه نصف ما كان ٠ ثم لقي هانيبال ثلاثة جيوش رومانية في مسافة متدانية على شاطىء نهر تيسين وضفة نهر تريبا و بالقرب من بحيرة ترازيمين في اترو ريا فهزمها كلها وكان كلما تقدم الى الامام يزداد جيشه وينضم المحاربون من الغاليين « ايطاليا الشمالية » تحت لوائه ليخدموه و ينصروه على الرومانيين

فاجتاز هانيبال ايطاليا واتخذ لنزوله اقليم ابوليا في الجهة الثانية لرومية فهاجمه فيها الجيش الروماني ٠ وكان جيشه نصف جيش ولكن كان معه فرسانه الافريقيون يركبون خيولاً سريعة وقد رابط في سهل « كان » بحيث جعل الرومانيين يقابلون بوجوههم الشمس والتراب الذي تثيره الريح فاحاط الفرسان بالجيش الروماني احاطة السوار بالمعصم وذبحوه عن آخره (٢١٦) وكان يظن ان هانيبال سيزحف على رومية الا انه لم يكن على تعبية تامة ٠ وهكذا ظل هانيبال في ايطاليا الجنوبية تسع سنين يحاول ان يفصل عن رومية الشعوب المحالفة لها ولم ينجح الا بالاستيلاء على بضع مدن حاصرها الرومان وخربوها

وبعد ذلك سافر اخوه اسدروبال في جيش اسبانيا للالتحاق به فوصل الى اوساط بلاد ايطاليا فسار الجيشان القرطاجنيان احدهما على الآخر يقابل كلاً منهما جيش روماني بقيادة احد حكام الرومان ٠ وكان نيرون محاذياً لهانيبال نجوا على قطع ايطاليا الوسطى لينضم الى رصيفه مقابل اسدروبال ٠ ولقد سمع اسدروبال في صبيحة ذات يوم الابواق تبوق مرتين في المعسكر الروماني وكان في ذلك اشارة الى انه كان في المعسكر قنصلان او حاكمان فوقع في نفسه ان اخاه غلب وانهزم وان الرومان يطاردونه وانه قتل وذبح جيشه عن بكرة ابيه ثم رجع نيرون الى الجيش الذي غادره امام هانيبال والقى في معسكر قرطاجنة رأس اسدروبال (٢٠٧)

فلم يبقَ لهانيبال غير قوته يعتصم بها واقام خمس سنين في اقليم كالابراوما أكره على الخروج من ايطاليا الا لما علم بان جيشاً رومانياً كان نزل الى افريقية واخذ يهدد قرطاجنة فذبح هانيبال الجند الايطالي الذي ابى الالتحاق به وركب البحر الى افريقية (٢٠٣) وانتهت الحرب بوقعة زاما (٢٠٢) وكان هانيبال اعتمد بحسب عادته ان يسوق الجيش الروماني الى الدخول في صفوفه ولكن القائد الروماني سبيون ثبت مع جيشه وما كانت الا هجمة واختها حتى ركب هذا اكتاف عدوه وهزم جيشه شر هزيمة ·

فاضطرت قرطاجنة الى عقد الصلح وتنازلت عن كل ما تملكه خارج افريقية وتركت اسبانيا للرومانيين · واضطرت زيادة على ذلك الى تسليم سفنها وفيلتها وان تدفع مبلغاً من المال يربو على خمسين مليوناً من الفرنكات وتعهدت بان لا تعلن حرباً قبل الاستئذان من رومية · وكانت عاقبة الحرب الثالثة (من سنة ١٤٩ الى ١٤٦) القضاء على قرطاجنة فطال حصار الرومان كثيراً لها حتى اخذوها عنوة وجعلوا عاليها سافلها وفتحوا اقليمها واعمالها وجعلوها ولاية افريقية خاضعة لسلطانهم ·

مكدونية والشرق — كان ملوك اليونان اخلاف قواد الاسكندر اقتسموا الشرق وحارب اعظمهم سطوة مملكة رومية وغلبوا مثل ملك مكدونية فيليب سنة ١٩٧ وابنه برسي سنة ١٦٨ وملك سورية انطيوشوس سنة ١٩٠ وهكذا خلا الجو للرومانيين فاخذوا يفتحون البلاد التي بروتها تناسبهم واحدة بعد اخرى فافتتحوا مكدونية سنة ١٤٨ ومملكة فرغانة (١٢٩) وبقية آسيا (من سنة ٧٤ الى ٦٤) بعد هزيمة ميتريداتس ومصر (٣٠) وما عدا مكدونية لم ينتدب الشرق لقتالهم غير جنود مستأجرة او برابرة غير منظمين يتفرقون ايدي سبا لاول صدمة يلقونها · ولم يقتل في الغلبة العظمى على انطيوشوس في مانيزيا سوى ٣٥٠ جندياً رومانياً وافتخر سيللا بانه لم يفقد من جيشه في شيرونيا سوى اثني عشر جندياً ·

ودخل الرعب قلوب سائر الملوك فخضعوا لسلطان مجلس الشيوخ من دون مقاومة فان انطيوشوس العظيم ملك سورية بعد ان فتح جزءاً من ديار مصر جاءه بوبيليوس مندوباً من قبل مجلس الشيوخ يأمره بالجلاء عما بسط يده عليه من البلاد فتردد انطيوشوس وكان بيد بوبيليوس محجنة فاختط بها في الارض خطوطاً حول ملك سورية وقال له : اجب مجلس الشيوخ قبل ان تخرج من هذه الدائرة التي رسمها لك · فلم يسع انطيوشوس الا الخضوع والقى حبل مصر على غاربها · وجاء بروزياس ملك بيثنيا وقد حلق رأسه ولبس ثياب العبد المعتق وركع امام مجلس الشيوخ الروماني · وحاول ميترايدتس ملك بون ان يقاوم

وحده فطرد من بلاده بعد حرب خمس وعشرين سنة (٦٣ — ٨٩) واضطر الى ان يتناول السم و يقول بيدي لا بيد عمرو ·

اسبانيا وغاليا الجنوبية — لم يستطع الرومان ان يتغلبوا على الشعوب البربرية والمحاربين في الغرب بادنى سبب كما تغلبوا على غيرهم فقضوا قرناً لاخضاع اسبانيا لسلطانهم · وقد ناوشهم الحرب في جبال البرتقال رجل من الرعاة اسمه فيرياث (١٤٩ — ١٣٩) وهزم خمسة جيوش واكره احد قناصل الرومان على عقد الصلح معه ولم يتخلص مجلس الشيوخ من شره الا بقتله · واهلك الاريفاكيون وهم شعب صغير في الشمال الشرقي عدة جيوش رومانية واقتضى لرومية ان ترسل احد قوادها سبيون للاستيلاء على عاصمة تلك البلاد وهي المدينة الصغرى المسماة نومانس · وكانت الشعوب الصغيرة الخاملة في صيتها المعتصمة في جبال جبن كثيراً ما تناوش الرومانيين القتال · وكان الغاليون اشد الاعداء على رومية وهم منتشرون في جميع سهل بو ويزحفون على ايطاليا الجنوبية وقد استولت احدى عصاباتهم على رومية سنة ٣٩٠ فكان جندهم يدخل الذعر على قلوب الجند الروماني باجسامهم الضخمة البيضاء وسبلاتهم الطويلة الشقراء وعيونهم الزرقاء واصواتهم التي تعج فيبلغ صداها عنان السماء · والخوف يستولي على رومية عند ما يبلغها مجيء العسكر الغالي فيصدر مجلس الشيوخ امره بجمع عامة الجند ·

وكانت هذه الحروب شديدة جداً ولكنها تضع اوزارها في الحال ففي الحرب الاولى استولى الرومان على اقليم غاليا المعروف بسيزالبين اي ايطاليا الشمالية ونشبت الحرب الثانية (١٢٠) للدفاع عن مارسيليا حليفة رومية فدمر الجيش الغالي واخضعت رومية بلاد الرون وشاطيء البحر الرومي (اقليم لانكدوك و بروفانس ودوفينه)

عواقب الفتوح

سريان الاصطلاحات اليونانية — ان الفتوح هي التي دعت الرومان الى رؤية الروم والمشارقة عن أمم فاستوطن رومية الوف من اليونان جاؤوها اسرى او للاتجار وتعاطى بعضهم الطب وآخرون التعليم وغيرهم العرافة وغيرهم التمثيل · وكان القواد والضباط والجنود الرومانيون يعيشون في آسيا وسط الشعوب التي تتكلم اليونانية فتخلقوا باخلاق اليونان وهكذا عرف الرومان عادات حديثة ومعتقدات جديدة لم يكن لهم بها عهد واخذوا يعملون بها على التدريج وقد بدأ هذا التبدل بعد الحرب المكدونية الاولى (٢٠٠) ودام الى اواخر المملكة الرومانية

القائدان كاتون وسبيون — بينا كانت الاخلاق تتغير اشتهر احد رجالهم كاتون باحتفاظه بعادات اسلافه · ولد هذا الرجل سنة ٢٥٢ في بلدة توسكولوم وقضى شبيبته في الحرث

والكرث وفي السابعة عشرة من سنه دخل في الجيش بحسب العادة المتبعة واشترك في عامة الحملات على هانيبال . ولم يكن من الاشراف ولكنه اشتهر بقوته واستقامته و زهده وقد انتخب مرات وزيرًا للمالية وناظرًا للابنية والملاعب وقاضيًا وقنصلاً ووكيلاً للاحصاء وشغل مناصب الشرف عامة وكان في جميع حالاته على قدم قدماء الرومان قاسيًا جافًا محتشمًا وقد وبخ قنصله عند ما كان وزيرًا للمالية وكان القنصل سبيون غالب هانيبال فاجابه لست في حاجة الى ناظر مدقق مثلك الى هذا الحد . ولما عين ناظرًا للابنية والملاعب في سارديتيا ابى ان يمس المال الذي دفعته اليه تلك الولاية للنفقة . ولما صار قنصلاً تكلم بشدة عن قانون اوبيا القاضي بالحظر على النساء الرومانيات بان لا يتزين بالحلي الثمينة فظفر النساء بمطلبهن وألغي ذاك القانون . ولما ذهب لقيادة الجيش الروماني في اسبانيا اتى باموال طائلة دفعها الى خزانة الامبراطورية وباع حصانه عند ما ركب البحر ليقتصد من نفقات نقله ولما عين وكيلاً للاحصاء اسقط من قائمة مجلس الشيوخ عدة من الاعاظم لما عرفوا به من الترف والبذخ واحال جباية الاموال الاميرية بثمن عال وقدر حلي النساء وزينتهن وعرباتهن بعشرة اضعاف ما تساوي وبعد ان خفقت له اعلام النصر لم يستنكف من الخدمة في الجيش الروماني ضابطًا بسيطًا .

صرف كاتون حياته في مناهضة الاشراف والغض من بذخهم وترفهم وتجملهم وحمل خاصة على امثال القائد سبيون متهمًا اياهم بالاختلاس الا انه لم ينج هو ايضًا من الصاق التهم به فاتهم اربعًا واربعين مرة ولكنه كان بريئًا كلما اتهم . وكان يحرث ارضه مع عبيده ويواكلهم ويضربهم بالعصي متى رآهم يحيدون عن جادة الصواب وقد ذكر في رسالته في الزراعة التي كتبها الى ابنه جميع ما كان يأتي الفلاحين الرومانيين من الايرادات ويرى ان من الواجب على المرء ان يغتني وكان يقول : « للارملة ان تصرف من مالها وعلى الرجل ان يزيد وكل من شهدت دفاتر حساباته بعد موته بانه ربح اكثر مما ورث جدير بالشهرة وملهم من الارباب » ولما رأى ان الزراعة لا تأتيه بارباح طائلة اخذ يقرض ماله ليجهز به سفنًا تجارية واتخذ له خمسين شريكًا جهزوا كلهم معًا خمسين سفينة ليتقاسموا بينهم الاخطار التي تنال سفنهم والارباح التي تأتيهم بها . وعلى هذا كان كاتون زارعًا ماهرًا وجنديًا عظيمًا عدوًا للبذخ حريصًا على الكسب فهو مثال الروماني الاصيل وانموذج الفضيلة والثبات

وعلى العكس منه كان القائد سبيون مثالاً للاهتمام بالفنون والافكار الفلسفية اليونانية فكان سبيون الذي استولى على قرطاجنة ونومانس يتكلم باليونانية وهو صديق المؤرخ اليوناني بوليب الذي أمسك في رومية رهينة . ولم يكن يهتم بجمع المال وقد دفع الى شقيقاته

دفعة واحدة مبلغاً من المال كان عليه ان لا يدفعه اليبين الا في اوقات مختلفة وتنازل لاخيه وكان اقل منه مالاً عن حصته في ارث ابيه ولم يخلف بعده سوى كمية قليلة جداً من الاواني الذهبية والفضية ٠

الاخلاق القديمة — مضى زمن طويل على قدماء الرومانيين وهم يتوفرون على زرع حقولهم وقتال عدوهم والقيام بفرائض دينهم حتى كانوا حقاً الريفيين العاملين الجفاة ٠ فكانوا يزرعون جانباً صغيراً من اقليم لاتيوم اولاسابين وهم من نسل اللاتين والايطاليين الذين تغلبت عليهم رومية ٠ وقد صور لنا الشيخ كاتون في كتاب له في الزراعة شيئاً من أخلاقهم بقوله : كان اجدادنا اذا أرادوا الثناء على رجل يصفونه بانه زارع ماهر وحراث مجيد وهذا غاية مايمدح به انسان (١)

فكان هؤلاء الزراع أشداء في اعمالهم واهل طمع في مكاسبهم وتنظيم في شوونهم واقتصاد في نفقاتهم وبذلك كانوا قوة الجيوش الرومانية ٠ ولطالما تألف منهم مجلس الامة أيضاً وكانت لهم القوة العظمى في الانتخابات ٠ فيجيء الاشراف الذين يطمعون في ان ينتخبوا حكاماً الى ساحة السوق ليهزوا أيدي هؤلاء الفلاحين ٠ رأى أحد المرشحين انفسهم للانتخابات يد احد الحراثين وهي شثنة غليظة فسأله : هل تمشي على يديك ؟ وكان السائل من الاشراف ينتسب الى أسرة كبيرة ولكنه لم يُنتخب

سكن الرومان بيوتاً ضيقة ذات طبقة واحدة لانظام في بنائها وكان الاتريوم أهم ناحية من الدار وفيه المكان المقدس وهو مكشوف من أعلاه ينزل منه ماء المطر ٠ والاثاث عبارة عن بضعة صناديق ومقاعد من الخشب ٠ وطعامه بسيط مؤلف خاصة من حساء معمول بالبر ومن خبز و[illegible]ض بقول وما كانوا يتناولون اللحوم الا في الاعياد وما شرب النساء الخمر قط والرجال يتناولون منه على الندرة ٠ ولباسهم عبارة عن قميص يلبسون فوقه رداء من صوف زمن البرد ٠ ويلبس الوطنيون في أيام الاعياد حلة من الصوف مزينة من جهة العنق ويلبسون في ارجلهم نعالاً مناطة بسيور ٠ ويقضون حياتهم في التوفر على اعمالهم فالرجال يصطادون دون ان يحرثوا او النساء يغزلن الصوف وينسجن الاقمشة ويطحن الحبوب ليجعلنها براً ٠ ولم يكن للرومانيين من ضروب التسلية الا ان يذهبوا كل تسعة أيام الى السوق أو يحضروا الاعياد التي تقام اكراماً للارباب

كان يرى قدماء الرومان ان الرجل الشديد هو غاية ماتطمح اليه الآمال ويقال ان

(١) وقد اورد ايضاً شيئاً من امثالهم القديمة منها : « ادنى الزراع من يبتاع شيئاً مماتغله له ارضه » « واحط المقتصدين من يعمل في النهار ما يتأتى له ان يعمله في الليل »

ان سينسيناتوس كان يسوق محراثه بنفسه عند ما اتاه نواب الامة من قبل مجلس الشيوخ يدفعون اليه الامر بتنصيبه . ولم يكن عند فابريسيوس من الاواني غير كأس وتملحة من فضة . وكان كوربوس وانتاتوس وهو غالب السامنتيين جالساً على مقعد يأكل بقولا في قصعة من خشب عند ما أتاه مندوبو السامنتيين ليقدموا اليه المال فقال لهم : اذهبوا وقولوا للسامنتيين ان كوربوس يؤثر ان يقود من عندهم ذهب اكثر مما يؤثر ان يكون هو مالكاً له. هذه هي بعض الاقاصيص التي يروونها عن قواد الازمنة القديمة وسواء كانت حقيقية او ملفقة فانها تدل على ما كان الرومانيون بعد يذهبون اليه بشأن قدماء اجدادهم

الاخلاق الجديدة — اخذ كثير من الرومانيين بعد القرن الثاني ولا سيما طبقة الاشراف يقلدون الاجانب . وكان زعماؤهم قواداً رأوا بلاد اليونان والشرق عن أمم فكتبت الغلبة لسبيون على ملك سورية ولفلامنيوس و بولس اميل على ملوك مكدونية ثم للوكلوس على ملك ارمينية . فعزفت نفوسهم عن الحياة القاسية الصعبة التي كان عليها اجدادهم وأخذوا يسيرون في حياتهم على البذخ والرفاهية وما زال الحال كذلك حتى نسج على منوالهم عامة النبلاء والاغنياء بحيث لم يطلع فجر القرن الاول حتى لم يعد في ايطاليا الاسادة عظام يعيشون المعيشة الشرقية او اليونانية

يرى الشرقيون من دواعي العجب ان يعرضوا للانظار الاقمشة البديعة والاحجار الكريمة واثاث الفضة وأواني الذهب وان يستكثروا في بيوتهم من الخدم على غير طائل وان ينثروا على الشعب المجتمع دراهم ليدهشوهم (١) فكانوا يرغبون في الاعلاق النفيسة النادرة اكثر من رغبتهم في النفائس الجميلة المناسبة

واصبح للرومان على شدة عجبهم وضعف استعدادهم في الصناعات ذوق في هذا الضرب من البذخ فكانوا قلما يحفلون بالجمال أو بالموافق ولم يعرفوا قط الا الأبهة والفخفخة فانشؤا لهم بيوتاً ذات حدائق متسعة وحشروا اليها التماثيل واقاموا فيها المصايف الزاهية التي تمتد الى البحر وسط الحدائق المتسعة واستكثروا من الخدم والحشم وأخذوا هم ونساءهم يعتاضون عن ألبستهم المعمولة من الصوف بالشفوف (برنجك — اكريشة) واكسية الحرير والقصب . ويفرشون في ولائمهم بسطاً مطرزة ودثارات من الارجوان وأواني من ذهب وفضة (وكان عند الحاكم سيللا مئة وخمسون صحفة من الفضة ووزن ما عند ماركوس وروزوس من الاواني الفضية عشرة آلاف ليرة) واذا ظل العامة يأكلون قعوداً بحسب عادة الشعوب

(١) تجد مثالاً من هذا الذوق الشرقي في الابهة الباطلة التي تمثل لك في حكايات الف ليلة وليلة

الايطالية القديمة فالخاصة من الاغنياء اتبعوا العادة الشرقية في الاكل مضطجعين على سررهم ثم سرت عادة التأنق في المآكل على الاسلوب الشرقي والاستكثار في المطاعم من الابازير والصباغ (صلصا) والصيد والسمك الغريب ومخاخ الطواويس والسنة الطيور

واستحكم منهم السرف حتى تقدمات أحد الحكام سنة ١٥٢ وقد ذكر في وصيته قوله «لما لم يكن الاكرام الحقيقي عبارة عن أبهة باطلة بل هو لتذكر اقدار المتوفى وأجداده فانا آمر أولادي ان لا ينفقوا على جنازتي اكثر من مليون آس (مئة الف فرنك)»

العلوم الادبية اليونانية — رأى الرومانيون في بلاد اليونان المصانع والتماثيل والالواح التي كانت منذ قرون تغص بها المدن وعرفوا الادباء والفلاسفة فصار لبعضهم ذوق في الصنائع النفيسة واولع آخرون بالحياة العقلية فجعل امثال القائد سيبيون حولهم اناساً من اليونان المتنورين ولم تطمح نفس بولس اميل من جميع الغنائم التي غنمها جيشه من مكدونية الا الى الاستيلاء على مملكة الملك برسي وعهد بتربية اولاده الى اساتذة يونان وبذلك صارت الكتابة والتكلم باللغة اليونانية من الامور المستحسنة في رومية (١) واراد الاشراف ان يظهروا في مظهر العارفين بالتصوير والنقش فجلبوا بالالوف التماثيل وقلز كورنت المشهور وملأوا بها بيوتهم . ودخل في ملك الحاكم فربس شيء كثير من النفائس والاعلاق جمعها في رواق وكانت مما نهبه من صقلية .

وهكذا اخذ الرومان على التدريج من الفنون ظواهرها ومن الآداب اليونانية قشورها. وسمي هذا التهذيب الجديد فن الادب معارضة للخشونة التي كان عليها اهل الريف من الرومان ومع هذا لم تكن الا قشوراً فقط فلم يعرف الرومان ان الجمال والحقيقة يرغب فيهما لذاتهما بل كانت الصناعات والعلوم عندهم اموراً يقصد بها الزينة والبذخ ليس الا . ولم يكن الرومان على عهد شيشرون يعتبرون من اهل الاعمال غير الجندي والحراث والسياسي والتاجر او المحامي اما الكتابة والتأليف والاشتغال بالعلم والفلسفة والنقد فكل ذلك كان يسمى عندهم بطالة . وما قط اصاب ارباب الفنون والعلماء من الاعتبار في رومية ما يساويهم بتاجر غني . قال لوسين احد كتاب اليونان : « متى صرت مثل فيدياس النقاش اليوناني تصنع الف قطعة بديعة من النقوش لا يرغب احد ان يتقبل مثالك لانك معها بافت من الخدمة لا يطلق عليك الا لقب صانع ولست اذ ذاك غير رجل يعيش بكد يمينه »

(١) ولذلك كان يخاف الشيخ كاتون عادية اليونان وقد كتب لابنه ما يأتي : اقول ان مالاحظته في آثينة ان هذا الجنس من اخبث الاجناس واصعبها مراساً الا فاستمع لما اقول كما تسمع لهاتف رباني الا ان هذه الامة اليونانية كما اتتنا بصناعاتها افسدتنا كلنا

لوكولوس — ولد لوكولوس وهو مثال الروماني الحديث سنة ١٤٥ من أسرة شريفة وغنية جداً ولذا سهل دخوله في سلك ارباب المناصب والشرف واشتهر في غزواته الاولى بانه يعطف على المغلوبين ويعاملهم باللطف ثم عُين قنصلاً وقاد الجيش الذي انتدب لقتال ميتريداتس . وقد رأى سكان آسيا ساخطين من كثرة السرقة وقطاعة العشارين فعني بجعل حد لتلك الأعمال وحظر على جنده ان ينهبوا المدن المغلوبة وبذلك جلب لنفسه حب الآسياويين الباطل وبغض العشارين والجنود الخطر . فدست الدسائس لتستدعيه حكومته وكان قد هزم ميتريداتس واخذ يطارده وهو سائر الى حليفه ملك ارمينية وقد هزم جيشاً من البرابرة بجيشه الصغير المؤلف من عشرين الف مقاتل فسلبت منه القيادة وسلمت الى نديم العشارين وحبيبهم بومبي

واذ ذاك اعتزل لوكولوس الاعمال للاستمتاع بما جمعه في آسيا من الثروة واصبح يملك في احياء رومية حدائق غلبا وله في نابولي مصيف قام في البحر مبنياً بالحجر الصلد . وفي توسكولوم قصر صيفي وفيه متحف للاعلاق والنفائس فكان يقضي الصيف في توسكولوم بين اصحابه وجماعة العلماء واهل الادب يطالع مصنفات اليونان ويبحث في الادب والفلسفة . وتروى عن بذخه حكايات كثيرة . منها انه كان ذات يوم يتغدى وحده فرأى مائدته اكثر بساطة من العادة فوبخ الطاهي فاعتذر بقوله ان عدم وجود الضيوف هو الذي دعاه الى تقليل المآكل فاجابه لوكولوس : « اما علمت ان لوكولوس يتغدى اليوم عند لوكولوس ؟ » ودعا يوماً قيصر وشيشرون فقبلا دعوته على شرط ان لا يغير شيئاً من عادته فاكتفى لوكولوس بان يقول لاحد الخدمة فقط اجعل الطعام في قاعة ابولون وكانت المأدبة على غاية من التأنق بحيث عجب منها المدعوان . ولما سُئل عن اخلاله بشرط الضيافة قال انه لم يأمر بشيء وان نفقات طعامه محددة بحسب القاعة التي تجعل فيها وان بسط الموائد في قاعة ابولون لا يمكن ان يكلف اقل من خمسين الف فرنك

وظلّ لوكولوس في رومية يمثل الاخلاق الجديدة كما كان كاتون يمثل الاخلاق القديمة ويرى قدماء الرومان ان كاتون هو الروماني الصالح وان لوكولوس هو الروماني الفاسد ومع هذا فقد كان لوكلوس يبتعد عن عادة الاجداد ولذلك كان واسع المدارك حسن التربية لطيف المأتى مفطوراً على العطف على الخدم والرعايا .

الانقلاب الديني والعقلي

العبادات الجديدة — لم يكن بين ارباب الرومان وارباب اليونان من شبه حتى في الاسماء ومع هذا اعتقد اليونان بان معظم الارباب المعبودة في رومية كانت اربابهم احبوا

ان يعترفوا بانها كذلك . والى ذاك العهد لم يكن للارباب الرومانية شكل خاص ولا تاريخ معين وهذا مادعا الى الارتباك في حالتها فجرى تمثيل كل رب روماني على صورة رب يوناني واخترعوا له تاريخاً وحكايات .

خلطوا بين المشتري اللاتيني وزيوس اليوناني وجونون مع هيرا ومنيرفا ربة الذاكرة مع بالاس ربة الحكمة وديان زوجة جانوس مع ارتيمس الصيادة البديعة ومزجوا هركول رب السواد بهيرا كليس الغالب على الغيلان . وهكذا دخلت الميثولوجيا اليونانية تحت اسماء لاتينية واستحال ارباب رومية الى ارباب يونان . امتزجت الارباب بعضها ببعض حتى اعتدنا ان نطلق على الارباب اليونانية اسماء لاتينية فلا نزال نقول ارتيمس ديان وبالاس منيرفا . وبالميثولوجيا اليونانية اعتاد الرومان ان يصوروا اربابهم في تماثيل كما اقتبسوا ايضاً بعض الاحتفالات اليونانية وكانت الحكومة الرومانية ادخلت الى بلادها عبادة ابولون وبدأ بعض الافراد يعبدون باخوس رب الكرمة . ويحتفل من يعبدون باخوس بعبادته من الليل سرًا ولا يطلعون احداً على خفايا العبادة الباخوسية واخذ المجلس يحقق فرأى المتعبدين بهذه العبادة سبعمائة شخص بين رجال ونساء اشتركوا معاً في هذه الاسرار فقضى عليهم بالموت .

ثم ان الرومان اخذوا ايضاً يعبدون ما يعبد شعوب الشرق فقد كان سنة ٢٢٠ في رومية معبد للرب سيرابيس المصري فامر مجلس الشيوخ بهدمه فلم يجسر احد الفعلة على ذلك وبقي المعبد لا يمس بسوء حتى جاء القنصل بنفسه فضرب ابوابه بالفأس

وبعد سنين اي في سنة ٢٠٤ خلال حرب هانيبال بعث مجلس الشيوخ الى آسيا الصغرى بوفد للبحث عن المعبودة سيبيل وكانت هذه الام الكبرى كما كانوا يدعونها مصورة على حجر اسود فاتى بها مندوبو مجلس الشيوخ باحتفال حافل وجعلوها في رومية وقد لحق بها كهنتها واخذوا يطوفون الشوارع على اصوات المزامير والصنوج لابسين البسة شرقية لا يتوكفون الا كف على الابواب

ثم غصت بلاد ايطاليا بالسحرة من الكلدان ولم يكن العامة يعتقدون وحدهم بهؤلاء العرافين . ولما هدد برابرة السمبر مدينة رومية سنة ١٠٤ تقدمت عرافة من سورية اسمها مارتا فعرضت على مجلس الشيوخ الروماني بانها تتوسط في غلبة رومية على عدوتها فطردها مجلس الشيوخ ولكن النساء الرومانيات بعثن بها الى المعسكر فابقاها ماريوس القائد العام لديه وما فتيء يأخذ برأيها الى ان وضعت الحرب اوزارها . ورأى سيللا في نومه ربة كابودسيا فعمل بنصيحتها وسار الى ايطاليا .

السفسطائيون — لم يكن يأتي الى رومية كهنة وعرافون فقط بل كان ينزل فيها فلاسفة يحتقرون الدين القديم . ومن اشهرهم كارنياد سفير الآثينيين فانه كان يصرح بافكاره في رومية امام الجمهور فيخف شبان الرومان الى سماع اقواله حتى اراد مجلس الشيوخ على الخروج من المدينة الا ان الفلاسفة ظلوا على بث مبادئهم في رودس وآثينة حتى اصبح من السنن المألوفة ان يبعث الرومان بفتيانهم الى تينك المدينتين يتعلمون فيها الفلسفة

وفي القرن الثالث قبل المسيح ألف ايفهمير اليوناني كتاباً ينفي فيه وجود الارباب وانها ليست الا رجالاً ألهم الناس حتى ان المشتري نفسه كان ملكاً على كريت . فانتشر كتابه اي انتشار ونقله الشاعر انيوس باللاتينية . وعلى هذا النحو اخذ اشراف رومية يسخرون من اربابهم ولم يبقوا من الدين القديم الا على مراسيمه وظواهره (١) وكان اهل الطبقة العالية في المجتمع الروماني مدة زهاء قرن يعتقدون بالخرافات اعتقاد سفسطائيين لا يؤمنون بشيء

الحياة العقلية — كان غاية ما يعلم اليونان الاقدمون اولادهم القراءة فقط في الزمن الذي كان فيه بوليب في رومية (قبل سنة ١٥٠) وبعهد المحدثون من الرومان بتعليم ابنائهم الى مربين من اليونان ولذلك افتتح اناس من اليونان في رومية مدارس لتعليم الشعر والبلاغة والموسيقى . وكانت الاسرات الكبرى تنقسم الى اناس يتعلمون على الطريقة القديمة وآخرين على الحديثة . ولكن بقي في الاذهان شيء من الموسيقى والرقص فكانوا ينظرون اليهما بانهما من الصناعات المهينة بمن يتعاطاها اذا كان كريم المحتد . قال سبيون املين حامي اليونان في كلامه على مدرسة رقص كان يختلف اليها بنون وبنات من الخاصة : ما كنت اتوهم عند ما ذكر لي ذلك ان اناساً من الاشراف يعلمون مثل هذه الامور لاولادهم ولما اخذوا بيدي الى مدرسة الرقص رأيت فيها زهاء خمسمائة صبي وبنت وفي جملتهم ولداً شريفاً في الثانية عشرة من عمره وهو احد المرشحين للانتخابات يرقص على نغمات البوق «كروتال» وقال سالوست في كلامه على عقيلة رومانية قليلة الاعتبار انها كانت تضرب على الطنبور وترقص احسن مما يليق بامرأة محتشمة» .

التربية — استهوى نساء الرومان حب الاديان الشرقية والبذخ الشرقي في اسرع مايكون فكن يذهبن زرافات زرافات الى معابد باخوس ومساجد ايزيس . وقد سنت لهن قوانين ليمنعن بها من لبس الالبسة الثمينة وركوب العجلات واتخاذ الحلي والجواهر ولم تلبث ان ألغيت فصار النساء في حل من ان يلبسن كالرجال ما يشأن واتقطع النساء النبيلات عن العمل والجلوس في بيوتهن وانشأن يخرجن في أبهة و يختلفن الى دور التمثيل والملاعب والحمامات

(١) قال شيشرون : يجب ان نبقي على عادة اخذ الطالع لئلا نمس العامة في معتقداتهم

والمجتمعات . واذ كنّ بلا عمل ومن الجهل على جانب سرى الفساد اليهن في الحال حتى اصبح النساء الطاهرات في طبقة الاشراف من النوادر

سقط النظام القديم في تربية الاسرات وجعل القانون الروماني الزوج سيد زوجته وابتدعوا ضربًا جديدًا من الزواج يجعل المرأة تحت تصرف ابيها ولا يكون للزوج ادنى سلطة عليها وكان الآباء يجهزون بناتهم بجهاز وصداق يجعلوهن اكثر استقلالاً .

وكان من حق الزوج وحده ان يطلق امرأته ومن العادة ان لا يحاد عن هذا الحق الا في احوال استثنائية شديدة فصار للمرأة الحق ان تترك زوجها واصبح مذ ذاك العهد من الهين اللين ان ينفصم الزوجان عرى ارتباطهما ولم يعودا يحتاجان الى حكم حاكم ولا الى سبب مشروع ويكفي احد الزوجين متى استاء من زوجه ان يقول له : « احمل ما يخصك واعد لي ما املكه » وبعد الطلاق يتيسر لكل منهما بل للمرأة ايضًا ان يتزوجا في الحال .

وبلغت الحال في الطبقة الرومانية العالية ان تعتبر الزواج عقدًا موقتًا فقد تزوج سيللا بخمس نساء وقيصر باربع و بومبي بخمس وانطونيوس باربع . وتزوجت ابنة شيشرون من ثلاثة رجال وطلق هورتانسيون زوجته ليزوجها من احد اصدقائه

بيد ان هذا الفساد لم يصب غير اشراف رومية ومن حذا حذوهم من اهل النعمة الحديثة اما في أسر رومية والولايات فقد حفظت قرونًا آداب الدور القديم القاسية الشديدة واخذت تربية الاسرة ترق شيئًا فشيئًا والمرأة تحرر من استبداد الرجل ببطء .

التبدل الاجتماعي

زوال الطبقة الوسطى — كان الشعب الروماني القديم مؤلفًا من صغار ارباب الاملاك وهم يتعاطون زراعة حقولهم بانفسهم ومن هؤلاء الفلاحين الصالحين الاقوياء يتألف الجيش والمجلس . وكان عددهم كثيرًا سنة ٢٢١ خلال الحرب الفينيقية الثانية . وفي سنة ١٣٣ لم يبق منهم احد . لا جرم انه هلك منهم كثيرون في الحروب التي اعلنتها رومية على البلاد القاصية ولكن هلا كهم يحمل في الاكثر على انه كان من المتعذر عليهم البقاء . فقد كانوا يعيشون من زراعة القمح عند ما اخذت ترد على رومية حبوب صقلية وافريقية فسقطت اسعار الحنطة بحيث لم يتيسر للحراثين الايطاليين ان يستخرجوا من غلاتهم ما يغذون به اسراتهم و يتحملوا اعباء الخدمة العسكرية فقضي عليهم من ثم ان يبيعوا حقولهم فيبتاع كل غني من جاره الفقير ارضه فغدت الحقول الصغيرة ملكا عظيما لواحد وصير ارباب الاملاك من تلك الاراضي مروجًا يقيمون فيها مواشيهم واذا عنّ لهم ان يزرعوها فيمشون اليها برعاة وحراثين من العبيد بحيث لم يمض قليل حتى لم يبق على ارض ايطاليا

الا بعض كبار ارباب الاملاك وجماعات من العبيد . وكان بلين القديم يقول ان الاملاك العظيمة قد اخطأت ايطاليا ومع هذا فالدوائر العظمى هي التي قفت في الارياف على احرار الفلاحين . فصاحب الارض القديم الذي اباع حقله لم يستطع ان يبقى اجيراً بل قضي عليه ان يتخلى عن مكانه ليحل محله العبيد وبذا اصبح هائماً على وجهه لا عمل له ولا شغل قال فارون في رسالته في الزراعة ان معظم زعماء الاسرات دخلوا بيوتنا تاركين المنجل والمحراث وآبوا يؤثرون التصفيق بايديهم في الملاعب على العمل في حقولهم وكرومهم .

الطبقات الاجتماعية — ليس الشعب في رومية كما هو في يونان عبارة عن مجموع السكان بل هو مجموع الوطنيين ولا يعد وطنياً كل رجل ينزل أرض البلاد بل الوطني هو الذي له حق التمتع بحقوق الوطنية . وللوطني عدة امتيازات فله الحق وحده ان يكون عضواً في الهيئة السياسية وله الحق وحده ان يقترع في مجالس الشعب الروماني وان يخدم في الجيوش الرومانية ويحضر احتفالات رومية المقدسة وينتخب حاكماً رومانياً وهذا ما يسمونه بالحقوق العامة . وللوطني الحق وحده ان يحميه القانون الروماني ويحق له فقط ان يتزوج على طريقة مشروعة ويكون رب أسرة أي حاكماً مطلقاً على زوجته وأولاده وان يوصي بما يشاء ويبيع ويبتاع ممن يشاء وهذا ما يسمونه بالحقوق الخاصة

ولا يحرم من لم ينالوا حق الوطنية الرومانية من الخدمة في الجيش والمجلس فقط بل لا يسوغ لهم ان يكونوا ازواجاً ولا آباء والا أصحاب أملاك مشروعة ولا ان يتقاضوا الى القانون الروماني ويحاكموا في المحاكم الرومانية ولذا تألفت من الوطنيين طبقة من الاشراف بين سواد الامة من غير طبقتهم وهم لا يتساوون بينهم أيضاً . وبينهم فرق في الطبقات أو كما يقول الرومان في الصفوف .

النبلاء — النبلاء هم في الصف الأول من الامة فكل وطني يعد في النبلاء اذا سبق لاحد أجداده ان تولى شيئاً من امر الامة لان الحكم في رومية من علائم الشرف ينبل به من تولاه كما يكون بضعة شرف لا خلافه من بعده . اذا أنصب احد من الوطنيين ناظراً للملاعب والابنية أو قاضياً أو قنصلاً تخلع عليه خلعة مطرزة بالارجوان ويمنح كرسياً كالعرش ويحق له ان يُرسم ويصور . وهذه الصور عبارة عن تماثيل صغيرة تعمل من الشمع اولاً ثم تطلى بالفضة وتجعل في مزار الدار (اتويوم) بالقرب من الكانون وازاء باب البيت وتجعل في مخادع خاصة بها كما تجعل الاصنام ويعبدها الذرية من اهل البيت . ومتى مات احد في الاسرة يخرجون الصور ويجرونها على مركبة في موكب ويأخذ احد انسباء المتوفى يعدد صفاته ويرثيه . وهذه الصور هي التي تشرف الاسرة كلما احتفظت بها وكلما كثرت الصور في

أسرة تزداد شرفاً فيقولون فلان شريف بصورة او شريف بعدة صور . والاسر الشريفة في رومية قليلة جداً (ولم يكن فيها اكثر من ثلثمائة اسرة) لان المناصب التي تولي صاحبها شرفاً توسد في الغالب الى اناس حازوا الشرف من قبل

الفرسان — تجيء طبقة الفرسان بعد طبقة النبلاء . وهم أغنياء الوطنيين الذين لم يعهد لهم جدود من الحكام فتقيد ثروانهم في سجلات الاحصاء وينبغي ان لا يقل ما يملكه احدهم عن اربعمائة الف سسترس (او مئة الف فرنك) منهم التجار والصيارف والملتزمون وهم لا يحكمون بل يغتنون . ولهم في دور التمثيل اماكن خاصة بهم تقع الى ماوراء مقاعد طبقة الاشراف . وربما ساغ للفارس منهم ان ينتخب حاكماً وعندها يدعونه الرجل الحديث النعمة ويصبح ابنه شريفاً

العامة — العامة هم غير طبقة الاشراف والفرسان فهم جمهور الامة ويكونون من نسل ابناء البلاد في ايطاليا وينتقلون من فلاحين اصحاب املاك الى وطنيين رومانيين . ويعد في طبقتهم العبيد المعتوقون او قدماء العبيد وابناؤهم . ويحافظون على مميزات اصولهم ولا يقبلون في خدمة الجيش الروماني ولا ينتخبون الا بعد غيرهم . ولقد مضت ازمان وصغار ارباب الاملاك يؤلفون السواد الاعظم من الامة وبينا كانت الارياف تصفر من قلة الناس غصت رومية بالواردين عليها فانهال عليها اليونان والسوريون والمصريون والآسياويون والافريقيون والاسبانيون والغاليون ممن أخذوا من بلادهم وبيعوا بيع العبيد ثم اعتقهم مواليهم فاصبحوا وطنيين ضاقت بهم المدينة فهم كانوا شعباً جديداً ليس له من الرومانية غير اسمها

خطب سبيون غازي قرطاجنة ونومانس جمهوراً من الناس في احدى الساحات فقاطعه العامة باصواتهم فقال لهم : « صه ايها الابناء الادعياء المنتسبون لايطاليا زوراً من العبث ماتفعلون لان من جلبتهم الى رومية مقيدين لااهابهم ولو حلت قيودهم » وهذه الطبقة الجديدة من السوقة تعيش بكدحها او يقضى على الحكومة ان تطعمها وقد اخذت الحكومة سنة ١٢٥ تقدم لعامة الوطنيين حنطة بنصف ثمنها المعتاد تأتي بها من صقلية وافريقية . ومنذ سنة ٦٣ اخذت توزع الحنطة مجاناً وتشفعها بزيت . ورأى قيصر سنة ٤٦ ان من كانوا يتناولون هذه الجراية بلغوا ٣٢٠ الفاً

العبيد — جميع الاسرى وسكان البلد المفتوح ملك للفاتح يتصرف فيهم فاذا ابقى عليهم ولم يقتلهم يستعبدهم له . هكذا كان الحق القديم . وقد ظل الرومان يعملون به بالحرف يعاملون الاسرى كأنهم بعض الغنيمة يبيعونهم من النخاسين الذين يتبعون الجيش واذا حملوهم

الى رومية فانما يحملونهم ليبيعوهم في المزاد (١) وهكذا كانوا يبيعون عقيب كل حرب الوفا من الاسرى رجالاً ونساء والاولاد الذين ولدون من اسيرات يكونون اسرى كامهاتهم فالامم المغلوبة للرومانيين هي مادة الرقيق الروماني

العبد ملك صاحبه فهو لا يعتبر اعتبار شخص بل اعتبار متاع فمن ثم ليس له حق من الحقوق فلا يكون وطنياً ولا مالكاً ولا زوجاً ولا اباً . قال احد الابطال في رواية هزلية رومانية : « اي شيء هذا أعرس عبيد ! ما اعجب عبد يتزوج ! ان هذا مخالف لعادة جماع الامم » .

وللمولى جميع الحقوق على عبده يرسله حيث يريد ويشغله على ما يرى بل يشغله اكثر من طاقته ويطعمه اخشن طعام ويضربه ويعذبه ويقتله دون ان يسأله احد عما جنى . وعلى العبد ان يخضع لرغائب سيده كلها . ويقول الرومان ان العبد لا وجدان له وان الواجب عليه ان يطيع مولاه طاعة عمياء فاذا قاوم او ابق من بيته فالحكومة تعاون سيده على قمع جماحه او القبض عليه وكل من يؤوي عبداً آبقاً تجري عليه احكام اللصوص كأنه سرق بقرة او حصاناً لغيره .

والعبيد في المملكة الرومانية اكثر من الاحرار ويملك اغنياء الوطنيين من عشرة الى عشرين الف عبد وعند بعضهم منهم من يكفون لتجنيد جيش كامل . وكان لسيليوس ايزدوروس احد قدماء العبيد زهاء اربعة آلاف عبد وكان عند هوراس سبعة اعبد فكان يشكو من فقره . ومن علائم الفقر في رومية ان لا يملك المرء سوى ثلاثة اعبد .

واذ كان العبيد يعملون اشق الاعمال او يسترسلون في البطالة مكرهين وهم ابداً اعرضة للضرب بالسياط والتعذيب اصبحوا بحسب فطرهم اما متوحشين اغبياء او انذالاً مستعبدين ومن كان منهم على شيء من الشهامة ينتحرون وغيرهم يعيشون كالآلة الصماء . وكان الشيخ كاتون كثيراً ما يقول : على العبد دائماً ان يعمل او ينام . ومعظم العبيد يفقدون الاحساس والشرف ولذلك كانوا يقولون هذا عمل عبيد يريدون به انه دنيء رذل

الحياة السياسية

الحكام — ينتخب الشعب كل سنة رجالاً يتولون امره ويفوض اليهم السلطة المطلقة ويطلق عليهم اسم الحكام « اي ولاة الامر » فيسير امامهم حملة الفؤوس يحملون حزمة

(١) تقام سوق الرقيق في كل مدينة ذات شأن كما تقام سوق للبقر والخيل فيعرض العبد الذي يراد بيعه على دكة وقد نيطت في عنقه بطاقة كتبت فيها سنه وصفاته وعيوبه

من القضبان وفأساً . ومعنى هذا الرمز ان للحاكم ان يضرب ويقتل على ما يراه مناسباً ومن حق الحاكم ايضاً ان يرأس مجلسي الامة والشيوخ وان يكون له محل في المحكمة ويقود الجيوش وهو السيد المسود في كل مكان فيجمع المجلس ويفضه بحسب ما يرى ويصدر الاحكام برأيه وحده .

وفي زمن الحرب يفعل ما يشاء بالجند ويقتلهم دون الرجوع الى رأي ضباطهم . وقد كان مافليوس القائد الروماني في احدى الحروب التي أعلنت على اللاتين حظر على الجنود الخروج من المعسكر فدعا احد المقاتلين من جيش العدو ابنه الى المبارزة فخرج لبرازه وقتله فلم يعتم مافليوس ان قبض على ابنه واعدمه في الحال .

وللحاكم بحسب التعبير الروماني سلطة ملك ولكن هذه السلطة قصيرة موزعة وذلك لانه لا ينتخب الا لسنة واحدة وله رصفاء لهم مثل سلطته في رومية قنصلان او حاكمان يتوليان امر الامة وقيادة الجيش وفيها عدة قضاة يتولون الحكم او القيادة بالنيابة ويصدرون الاحكام وهناك كثير من الحكام ومراقبان واربعة نظار للابنية والملاعب للنظر في الطرق العامة والاسواق وعشرة محامين عن حقوق السوقة وصيارفة يتولون النظر في خزائن المملكة

الاحصاء — ارقى الحكام هما الوكيلان المسيطران وهما مكلفان كل خمس سنين بتنظيم احصاء للشعب الروماني فيمثل امام المكلفين باحصاء جميع ابناء البلاد ليذكروا لهما وهم يقسمون الايمانات اسماءهم وعدد اولادهم وعبيدهم ومقدار ثروتهم يقيد كل ذلك في سجلات خاصة . والقائمان باحصاء الامة هما اللذان يكتبان قائمة باسماء اعضاء مجلس الشيوخ والفرسان والوطنيين ويحددان لكل واحد مقامه في المدينة ثم هما مكلفان ايضاً بان يحتفلا احتفال الثريا وهي حفلة عظمى تقام للتزكية كل خمس سنين فيجتمع ذاك اليوم عامة الوطنيين في ساحة المريخ اجتماعهم في حرب ويطوفون ثلاث مرات حول المجلس يحملون ثلاث ضحايا لتكفر عن السيئات وهي عبارة عن ثور ونعجة وخنزير يخنقونها ويرشون المجلس بدمها وبذلك تصبح المدينة مزكاة مطهرة وسلماً مع الارباب .

وللقائمين بالاحصاء الحق ان يقيدا وان يجعلا كل انسان في المنزلة التي يريانها ولهما ان يجردا احد الشيوخ باسقاطه من قائمة مجلس الشيوخ وان لا يحسبا احد الفرسان في جملة اهل طبقته او يحرمان احد الوطنيين بان يحذفا اسمه من سجلات القبائل . ويسهل عليهما عقاب من يرونهم مجرمين ويتجاوزان عن السيئات التي لا تقدح بمنطوق القانون . ولطالما رأوهما يجردان الوطنيين لانهم لم يحسنوا التوفر على حقولهم ولصرفهم كثيراً على خدمهم ويجنوا احد الشيوخ لانه كان يملك عشر ليبرات من الاواني الفضية وآخر لانه اهمل تعهد قبور

جداده · وغيره لانه طلق زوجته · هذه السلطة المفرطة هي ما يطلق الرومان عليه « حكومة الاخلاق » فوكيلا الاحصاء هما سيدا المدينة على الجملة ·

جلسة مجلس الشيوخ — يتألف مجلس الشيوخ من نحو ثلثمائة رجل يعينهم وكيل الاحصاء الا ان هذا لا ينصبهم كيفما اتفق فلا ينتخب من ابناء البلاد الا الاغنياء اصحاب المكانة وسلالة الاسرات الكبرى ومعظمهم من قدماء الحكام ويختار على الاغلب دائماً اناساً كانوا في المجلس من قبل بحيث ان عضو مجلس الشيوخ يبقى في هذا المنصب طول حياته · فمجلس الشيوخ هو محل اجتماع اهم رجال رومية ولذلك كانت لهم سلطة وسطوة

فاذا حدث امر يجمع احد الحكام اعضاء الشيوخ في احد المعابد ويعرض عليهم المسألة ثم يسألهم رأيهم فيها فيجيبه كل واحد بمفرده مراعين في ذلك مراتبهم في الشرف وهذا ما يدعى اخذ رأي مجلس الشيوخ ويسطر الحاكم بعد ذلك رأي الاكثرية وهذا ما يسمونه موسوم ديوان الاعيان او الشيوخ ويكون قرارهم عبارة عن رأي لان ليس من حق مجلس الشيوخ ان يقنن القوانين · بيد ان رومية تعمل بهذا الرأي عملها بأمر مفروض · وللشعب ثقة بشيوخه لعلمه بانهم اكثر خبرة منه ولا يجرأ الحكام على مقاومة مجلس مؤلف من اكفاء يساوونهم في الشرف · ولذلك كان المجلس يفض جميع المسائل فيقرر الحروب ويعين عدد الجيوش ويقبل السفراء ويعقد السلم ويفرض الدخل والخرج فيصدق الشعب على قراراتهم والحكام ينفذونها · وفي سنة ٢٠٠ قرر مجلس الشيوخ اعلان الحرب على ملك مكدونية فاوجس الشعب خيفة ولم يوافق على ذلك فصدر امر مجلس الشيوخ بجمع المجامع من جديد وان يلقى عليهم خطاب يكون ابلغ في اقناعهم من الخطاب الاول وعندها لم يسع الشعب الا الموافقة · وبذلك رأيت ان الشعب في رومية كان يحكم كما يحكم الملك في انكلترا ولكن كان الحكم لمجلس الشيوخ

المجالس والانتخابات — تسمى حكومة رومية « الجمهورية » اي متاع الشعب وجماعة الوطنيين المدعوين شعباً كأنهم سادة مستقلون في المملكة فمنهم الذين ينتخبون الحكام ويوافقون على الحرب والسلام ويسنون الشرائع ويقول الفقهاء ان القانون هو ما امر به الشعب والشعب في رومية كما في آثينة لا يعين نوابا وعليه ان يوافق على كل شيء بنفسه حتى ان حكومة رومية بعد ان قبلت في المدينة زهاء خمسمائة الف رجل كانوا مشتتين في اطراف ايطاليا كلها اضطر الوطنيون للحصول على حقوقهم ان يحضروا بالذات الى رومية ·

ويجتمع الشعب في الساحة ويسمى المجلس « المجتمعات » يدعوه الحاكم الى الائتمام برئاسته وكثيراً ما يدعى الوطنيون الى الاجتماع بصوت البوق فيذهبون الى ميدان

العمل (ساحة المريخ) يصطفون فرقاً تظلهم اعلامهم وعندها يتألف منهم مجتمعات ذات فرق وكثيراً ما يجتمعون في ساحة السوق «الفوروم» منقسمين الى ٣٥ جماعة يسمونها القبائل فتدخل كل قبيلة في نوبتها الى مكان مسور بسدود لتوافق على ماتقرر به وتسمى المجتمعات بحسب القبائل . والحاكم الذي جمع المجلس يبين له المسألة التي يجب عليه الموافقة عليها ومتى فعل ينفض . فمن ثم كان الشعب حاكماً ولكنه اعتاد الخضوع لزعمائه .

والمجلس ايضاً هو الذي يختار كل سنة الحكام فينتخب بحسب الفرق جميع الحكام الذين كان انتخبهم الشعب قديماً مثل القناصل والقضاة ووكلاء الاحصاء ونظار الابنية والملاعب ومجلس القبائل ينتخب حكام اهل الطبقة المتوسطة ومحامي الشعب ونظار ابنية الشعب . وقد ضاقت ساحة الفوروم منذ القرن الثاني فاخذت تجتمع جميع مجالس الانتخابات في ساحة المريخ تنقسم الرحبة بحواجز ذات مرابض صغيرة تلقب بحدائق الغنم فتنقطع كل قبيلة الى احدى تلك الرحاب وتلاحظ كل قبيلة اكثرية الوطنيين في التصويت اذ ليس لكل قبيلة غير صوت واحد .

سلك المناصب — ليس تولي الحكم او المشيخة عن الامة في رومية صناعة من الصناعات فان الحكام والشيوخ يصرفون وقتهم ومالهم دون ان ينالوا اجراً فمنصب الحكم في رومية يعدُّ من دواعي الشرف فلا يتطالُّ اليه غير الاشراف او الفرسان على الاقل على شرط ان يكونوا اغنياء ثم لا يطمع امرؤ ان يبلغ ارقى مناصب الحكم الا بعد ان يتقلب في المناصب الاخرى

ومن اراد يوماً ان يحكم على رومية يجب عليه اولاً ان تكون له في الجيش عشر وقائع وحملات وبعدها يسوغ له ان ينتخب صرافاً فيعهد اليه النظر في احدى خزائن المملكة . ثم يصير ناظراً للابنية والملاعب فينظر في امور الشرطة والبياعات وبعد ذلك ينتخب قاضياً فيجري احكام العدل وعقيب ذلك يصبح قنصلاً فيقود جيشاً ويرأس المجالس وعندئذ تحدثه نفسه بان يكون وكيل احصاء وهذه هي الدرجة التي دونها في العلو كل درجة لا يبلغها المرء قبل ان يبلغ الخمسين من العمر . فترى بهذا ان رجلاً واحداً يكون مالياً واداريًا وقاضياً وقائداً وحاكماً قبل ان يتولى وظيفة وكيل الاحصاء الغريبة وهي عبارة عن تنظيم المجتمع وتسمى سلسلة هذه الوظائف سلك المناصب ولا تدوم كل وظيفة من هذه الوظائف الا سنة واحدة وللارتقاء للوظيفة التالية يقتضي انتخاب جديد . ويجب على الموظف في خلال السنة التي تتقدم انتخابه ان يظهر في الشوارع بلا انقطاع ويسير كما يقول الرومان او يطمع في امتياز المنصب وان يلتمس اصوات الشعب والعادة في خلال هذه المدة ان يلبس حلة بيضاء وهذا معنى مرشح باللغات الافرنجية اي المكتسي بالبياض .

ادارة الولايات

الشعوب الخاضعة — ما انقضى القرن الاول قبل المسيح الا وقد اخضعت رومية عامة الاقطار الواقعة حول البحر الرومي منذ اسبانيا الى آسيا الصغرى ولم تضف هذه البلاد الى المملكة الرومانية ولم يصبح سكانها وطنيين رومانيين ولم تغدُ ارضهم ارضاً رومانية بل ظلوا غرباء وانضموا فقط الى هذه المملكة اي انهم اصبحوا تحت استيلاء الشعب الروماني كما ان الهنود اليوم ليسوا وطنيين انكليزاً بل هم رعايا انكلترا والهند جزء لا من انكلترا بل من المملكة الانكليزية فقط

فلا يصبح سكان البلاد المغلوبة وطنيين في رومية بل يبقون غرباء اجانب ولكنهم رعايا الشعب الروماني يؤدون اليهم الجزية وعشر غلاتهم واتاوة من المال ورسماً على كل رأس وعليهم ان يخضعوا لجماع ما يأمرونهم به واذ ليس في استطاعة الشعب ان يحكم بالذات ليبعث بحكام ينتدبهم لان يحكموا عنه وكل بلد خاضع لوالٍ كان يسمى ولاية ومعناها «المهمة» كان في اواخر عهد الجمهورية (في سنة ٤٦) ١٧ ولاية منها عشر في اوربا وخمس في آسيا وثنتان في افريقية ومعظمها متنائية الاطراف جداً فلم تكن بلاد الغال كلها سوى اربع ولايات واسبانيا ولايتين . قال شيشرون ان الولايات املاك الشعب الروماني فاذا اخضع هذه الشعوب بأسرها فذلك طمعاً في فائدتها لا لاجل منفعتهم ولذلك لا يتوخى ان يدير تلك الولايات بل يحرص على استثمارها .

الولاة — يتخذ الشعب حاكماً لادارة كل ولاية وهواما ان يكون قنصلاً او قاضياً خرج من الوظيفة فيطيل امد سلطته وليس هذا الموظف الكبير قنصلاً بل هو والٍ ينوب عن القنصل وللوالي كما للقنصل سلطة مطلقة يسير فيها على هواه لانه وحيد في ولايته (١) وليس لديه حكام آخرون ينازعونه السلطة ولا محامون عن الطبقة الوسطى ليصدوه عما يريد ولا مجلس شيوخ يسيطر على اعماله فهو وحده يقود الجيوش ويحملهم على القتال وينزل بهم حيثما يشاء فيتخذ له مقاماً في محكمته حاكماً بالغرامة والسجن والموت ويصدر اوامر تكون قانوناً متبعاً وله وحده السلطة العالية لان فيه يتجسد الشعب الروماني

وكان هذا الحاكم الذي لا يقاومه مقاوم مستبداً حقيقياً فيقبض على من يريد ويحبس ويضرب بالعصي ويعدم من لا تروقه حالتهم واليك مثالاً من ألوف الامثلة التي كان

(١) كانت تبقى رومية في بلاد الشرق بعض اتبال اي ملوك صغار مثل الملك هيرو في بلاد اليهودية ولكنهم يؤدون الجزية ويخضعون لحاكم او الوالي الروماني .

الحكام يجرون فيها مع الهوى كما رواه احد خطباء الرومان قال : « جاء القنصل مؤخراً الى تيانوم تخطر لامرأته ان تتلذذ بالاستحمام في حمامات الرجال فاخرج من الحمام الرجال الذين كانوا يستحمون فيه فشكت المرأة من ابطائهم وقلة استعداد الحمام فنصب القنصل عموداً في الساحة العامة واحضراشهر رجل في المدينة يحمل عليه بجردمن ثيابه وضرب بالعصي

والوالي يأخذ من ولايته ما يستطيع من المال و ينظر اليها كأنها ملك له ولا تعوزه الوسائط لاستثمارها بل يمد يديه الى خزائن المدن و ينزع التماثيل والحلي الموضوعة في المعابد ويجبي من السكان الاغنياء اتاوات من المال او البر . واذ كان له الحق ان ينزل جنوده حيث اراد فالمدن تقدم له المال لتعفى من قبول جنوده واذ كان في حل من ان يعدم كل من يتراءى له فالافراد يعطونه المال ليأمنوا غائلته . واذا طلب شيئاً نفيساً او مبلغاً من المال يجاب في الحال الى ما طلب ولا يجرأ امرؤ ان يأبى عليه طلبه . واتباعه يسيرون على مثاله و ينهبون باسمه بل بحمايته و يسرع الوالي في جمع المال اذ الواجب عليه ان يغتني في سنة وبعدها يعود الى رومية ويخلفه آخر يعود بمثل ما بدأ فيه سلفه .

على ان هناك قانوناً يحظر على كل وال ان يقبل هدية ومحكمة مخصوصة (منذ سنة ١٤٩) تنظر في دعاوي الاختلاس . بيد ان هذه المحكمة تؤلف من طبقة الاشراف والفرسان الرومانيين فلا يرون ان يحكموا على ابن بلدهم والعاقبة المهمة في هذه الطريقة كما قال شيشرون ان يضطر الوالي الى بسط يده في السلب من ولايته ليتسنى له ان يرشي المحلفين في المحكمة ولا ينبغي العجب اذا رأينا اسم الوالي مرادفاً لاسم مستبد ومن اشهر هؤلاء اللصوص فيريس والي صقلية وقاضيها وقد خطب في بيان اعماله الخطيب شيشرون لاسباب سياسية خطباً اشتهر بها ومن المحتمل ان كثيرين مثله قد اتوا ما اتاه .

العشارون — كان للشعب الروماني في كل ولاية مواد مهمة من الجمارك والمناجم والضرائب والحقول الصالحة لزرع الحنطة والمراعي يؤجرونها من شركات متعهدين يسمونهم العشارين فكان هؤلاء مثل المزارعين العموميين في فرنسا قديماً يبتاعون من الحكومة حق جباية الخراج ويجب على سكان الولايات أن يطيعوهم كأنهم وفود الشعب الروماني

وكان في كل ولاية عدة شركات من العشارين ولكل شركة مستخدمون من الكتاب والجباة يظهرون في مظهر السادة ويتناولون اكثر مما يجب لهم اخذه و يسلبون نعمة الاهلين وكثيراً مايبيعونهم كما يباع الرقيق وكانوا يأخذون في آسيا حتى السكان بدون سبب ولما طلب ماريوس من ملك بيثنيا ان يقدم له جنداً أجاب الملك ان العشارين لم يبقوا عنده من الرعايا غير النساء والاطفال والشيوخ وقد عرف الرومان هذه المظالم حق معرفتها وكتب

الخطيب شيشرون الى اخيه وكان هذا حاكماً اذ ذاك : « اذا وفقت الى طريقة ترضي بها العشارين دون ان تهلك سكان الولايات فتكون قد رزقت مهارة رب » بيد ان العشارين كانوا قضاة في محاكمهم حتى ان الولاة انفسهم خاضعون لهم · وقد اراد سكاروس والي آسيا المشهور بالافراط في العفة ان يمنع العشارين من اطالة يد الاذى في ولايته فلما عاد الى رومية رفعوا عليه شكوى وحكموا عليه

ولطالما اثار العشارون سخط سكان الشرق الخاضعين الساكنين فقد ذبحوا بامر ميثريداتس في ليلة واحدة مئة الف روماني وبعد قرون اي على عهد المسيح كان اسم عشار مرادفاً لاسم لص ·

الصيارف — جمع الرومان في بلادهم ثروة الامم المغلوبة ولذلك كانت الدراهم كثيرة جداً في رومية ونادرة جداً في الولايات فكان في رومية يمكن الاقتراض بفائدة اربعة او خمسة في المئة اما في الولايات فلا يجد المستدين مالاً يقترضه باقل من اثني عشر في المئة · وكان الصيارف الرومان يقترضون مالا من رومية ويقرضونه للولايات ولا سيما باسم الملوك او المدن

واذا لم يستطع المستدين ان يوفي رأس المال وربا بعمد الصيارف في تقاضي اموالهم الى الطرق التي يستعملها العشارون فقد اقترضت مدن آسيا سنة ٨٤ على نية ان تدفع مبلغا كبيراً لتستعين به على الحرب فبعد اربع عشرة سنة فقط اي في سنة ٧٠ صار المبلغ بفوائده ستة اضعاف ما كان فاضطر الصيارف مدن آسيا ان تبيع حتى التحف والطرف وقد شوهد ابوان يبيعان ابناءهما وبناتهما · وبعد بضع سنين اقرض بروتوس من حكماء الرواقيين ومن اشهر رجال عصره من الرومان واعلاهم كعباً ومكانة لمدينة سلامينة في قبرص مبلغاً من المال بفائدة ٤٨ في المئة (اي ٤ في المئة كل شهر) فلما طالب وكيله سكابتيوس بالمال مع فائضه تعذر على المدينة ان تؤدي اليه مطلوبه فقصد سكابتيوس الوالي ابيوس فاصحبه هذا بفرقة من الفرسان فجاء الى سلامينة وحاصر مجلس شيوخها وكان اعضاؤه في قاعة الجلسات فمات خمسة منهم جوعاً

رعايا رومية — كان سكان الولايات لا حول لهم ولا طول مع هؤلاء الظالمين بامرهم وذلك لان الولاة كانوا يمالئون العشارين والصيارف على رغائبهم ويأخذون بايديهم في كل مايطلبونه ووراء الوالي الجيش والشعب الروماني يعضدانه فكان يسمح للوطني الروماني ان يشكي السلابين في الولايات ولكن لا يمس الوالي بأذى ولا تتأتى شكايته الا مرة واحدة عند مايخرج من الخدمة فيصبر عليه الرعايا يسلبهم ويعتدي كما يشاء وربما تنقضي مدته

واذا اتهم عند عودته الى رومية فتكون محاكمته امام محكمة مؤلفة من الاشراف والعشار بن ممن تكون مصلحتهم في معاضدته لا في احقاق الحق ورفع ظلامة اهل الولاية التي كان فيها واذا صادف ان حكمت عليه المحكمة يستعيض عن الحكم بالنفي فيذهب الى احدى مدن ايطاليا يتمتع بما نهبه ايام ولايته وهذا القصاص لا يوازي ما اتاه بتة ولا يعد انتقاماً ولذلك كنت ترى سكان الولايات يؤثرون ان يقمعوا ولاتهم بخضوعهم لهم فيعاملونهم كما يعاملون الملوك و ينافقونهم و يهادونهم و يقيمون لهم التماثيل وربما نصبوا للوالي في آسيا هيا كل(١) وبنوا لهم المعابد وعبدوهم كما يعبد الرب .

ولئن عامل الشعب الروماني رعاياه بقسوة فلم يكن يأبى عليهم الانضمام اليه كما كان شأن المدن اليونانية بل ان الغريب يصبح وطنياً رومانياً بارادة الشعب الروماني والشعب يمنح هذه العاطفة احياناً وكثيراً ما يمنحها الى شعب برمته فمنح حق الوطنية الرومانية الى اللاتين اولاً في سنة ٨٩ ومنح هذا الحق للطليان في سنة ٤٦ ومنحه لاهل غاليا فاصبح سكان ايطاليا والرومانيين سواء حتى ان العبد الذي يعتقه سيده يسوغ له ان يكون وطنياً في الحال . وكلما عرضت للشعب الروماني عوارض الضعف ونقص في الانفس يزيد عدده برعايا جدد وعبيد جدد فكان عدد الوطنيين يزيد في كل احصاء ولا ينقص فبلغ عددهم في قرنين من ٣٥٠ الفاً الى ٧٠٠ الف . وهكذا ظلت رومية غاصة بالسكان ولم تخل منهم كما خلت اسبارطة بل كانت تمتلئ بالقادمين اليها من المغلوبين على التدريج .

قانون الاراضي

الاملاك العامة — متى طلب شعب غلبته رومية على امره ان يعقد معها الصلح يجب على نوابه ان يلفظوا بالجملة الآتية : « نتخلى لكم عن الشعب والمدينة والحقول والمياه وتماثيل الارباب الحامية للحدود والاثاث وجميع ما يملكه الارباب والناس قد جعلناه بيد الشعب الروماني » وبهذا التسجيل تصبح الامة الرومانية مالكة لما يملكه المغلوبون لهم باسره بل مالكة حتى لاشخاصهم . وكثيراً ما يبيعون السكان وقد اباع بولس اميل مئة وخمسين الفاً من اهل ابير على هذه الصورة كانوا استسلموا اليه . ومن العادة ان تمنح رومية لمن تتغلب عليهم حريتهم وان تبقي املاكهم ملكاً للشعب الروماني يحملونها ثلاث حصص متساوية . فيعطى للاهالي قسم من اراضيهم على ان يدفعوا شيئاً معلوماً من المال او الحبوب عنها وتحفظ رومية لنفسها

(١) ذكر شيشرون الخطيب الروماني المعابد التي اقامها له سكان سيسليا التي كان والياً عليها .

الحق ان تأخذ منها كما تشاء . وتؤجر الحقول والمراعي الى اناس من الملتزمين وتترك الاراضي البائرة شاغرة يأخذها من يريد ويحق لكل وطني روماني ان يقيم فيها ويزرعها .

قوانين العقارات — شملت قوانين الاراضي التي اختل بها نظام رومية الاملاك العامة وما كان لاحد الرومان ان يخطر في باله نزع الاملاك من اربابها لان حدود تلك الاملاك نفسها كانت اربابًا يدعونها آلهة التخوم والدين يمنع من نزعها . الا ان الشعب كان يستولي بموجب قانون الاراضي على اراض من الاملاك العامة فقط يوزعها بصفة ملك على مواطنيه والشعب من حيث الشرع الحق في ذلك لان الاراضي كلها ملكه الا ان الرومانيين تسامحوا قرونًا بان تركوا اناسا من رعاياهم او ابناء وطنهم يجمعون بغلات تلك الاراضي وقد انتهت بهم الحال ان صاروا ينظرون الى تلك الاراضي كأنها ملكهم يحبسونها ويبيعونها ويبتاعونها ولو أخذت منهم لقضي على جمهور عظيم من الامة بالافلاس في الحال. وقد حدث في ايطاليا خاصة ان ينزع من اهل مدينة باسرها جميع ما يملكون . هكذا نزع اغسطس جميع اراضي مانتو من سكانها وكان الشاعر فرجيل في جملة المنكوبين فتوصل بفضل شعره الى ان تعاد اليه املاكه ولكن سائر الشعب الذي لم يكن شاعرًا كفرجيل بقي مسلوبًا من املاكه . وتوزع هذه الاراضي المأخوذة على تلك الصفة احيانًا على اناس من فقراء الوطنيين في رومية وفي الاغلب على جماعة من قدماء الجند وقد وزع سيلا اراضي اهل ابتر وبالغ ٢٠ الفًا من قدماء الاجناد .

الاخوان الاشتراكيان — كان الشقيقان تيبريوس وكايوس غراشوس من اشرف أسرات رومية ولكن حاول احدهما بعد الآخر وقد تولى زعامة السوقة ان ينزع الحكومة من يد الاشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ .

وكان في ذلك العهد في رومية بل في ايطاليا جمهور كبير من الوطنيين لا صبد لهم ولا لبد يطمحون الى احداث ثورة ومنهم الاغنياء ومعظمهم من طبقة الفرسان الذين يشكون من حرمانهم من الحكومة . فعرض تيبريوس غراشوس نفسه على ان يتولى الدفاع عن العامة وسعى الى توطيد سلطته هذه وكان في قلق مما يراه في بلاد الارياف في ايطاليا من اقامة الرعاة العبيد يخلفون قدماء اصحاب الاملاك الفلاحين ومن رؤية رومية غاصة باناس من الوطنيين لا يملكون فتيلاً ولا نقيرًا .

قال مرة في خطاب له يخاطب به العامة : « للوحوش البرية في ايطاليا مغاور تأوي اليها والرجال الذين يهريقون دماءهم في الدفاع عن بيضة ايطاليا ليس لهم الا النور والهواء الذي يستنشقونه يهيمون على وجوههم مع ازواجهم وابنائهم لا بيوت تؤويهم ولا منازل

يسكنونها · الا وان القواد الذين يحرضونهم على الدفاع عن مدافنهم ومعابدهم ليكذبون في اقوالهم · وليت شعري هل ملك واحد منهم حتى الآن مذبحاً مقدساً في بيته ومدفناً يضم رفات اجداده · يدعونهم سادة الارض وهم لا يملكون مدرة منها»

فاقترح على الشعب سن قانون للاراضي وذلك بان تأخذ الحكومة من الافراد جميع الاراضي التي هي من المنافع العامة فتضع يديها عليها وبترك لكل فرد منهم خمسمائة فدان ويوزع الباقي من الاراضي حصصاً صغيرة على فقراء الوطنيين فوافق المجلس على هذا القانون فحدث بذلك اضطراب عام في نظام الثروات لان معظم اراضي المملكة على التقريب كانت من الاملاك العامة ولكن وضع الواضعون ايديهم عليها واعتادوا ان يعتبروا انفسهم مالكيها · على انه كان كثيراً ما يصعب التمييز بين الملك الخاص والملك العام اذ لم يكن للرومانيين سجلات للاراضي ·

فاقام تيبريوس ثلاثة مفوضين عهد اليهم قسمة الاراضي كما ان الشعب أعطاهم سلطة مطلقة · وكان هؤلاء المفوضون هم تيبريوس نفسه وأخوه وعمه · فقام خصوم تيبريوس يتهمونه بانه سن قانون الاراضي ليتخذ من ذلك حجة لتكون له بها السلطة · فمضت سنة وهو السيد المتحكم في رومية ولكنه لما أراد ان ينتخب محامياً من العامة عن السنة التالية اقام أعداؤه الحجة (وهذا كان منافياً للعادات المتبعة) فنشأت من ذلك فتنة انتهت باستيلاء تيبريوس وأصحابه على معبد الكابتول فنهض أنصار مجلس الشيوخ وعبيدهم مسلحين بالدبابيس وخشب المقاعد وطاردوا تيبريوس واتباعه وضربوهم (١٣٣)

و بعد عشر سنين انتخب كايوس أصغر الاخوين غراشوس محامياً عن الشعب (١٢٥) وجدد التصديق على قانون الاراضي وقرر توزيع حنطة على فقراء الوطنيين وقرر ان يجري انتخاب القضاة من طبقة الفرسان ليتوصل بذلك الى هدم سلطة الاشراف فكانت كلمته هي العليا مدة حولين كاملين ولكنه لما قصد قرطاجنة ليسكن فيها جماعة من الطوارىء (المستعمرين) الوطنيين تخلى الشعب عنه مدة غيابه حتى اذا عاد لم يتيسر له ان يعاد انتخابه اذ كان اعداؤه اغتنموا تلك الفرصة للتخلص منه وعندها أمر الحاكم بتسليح أشياع مجلس الشيوخ وزحف على كايوس وأحبابه وكانوا اعتصموا في جبل افنتين فقتل كايوس بيد احد العبيد وذبح اشياعه أو اعدموا في السجون ونقضوا بيوتهم من أسسها وصادروا املاكهم (١٢١)

ماريوس وسيللا

لم يكن النزاع بين الشقيقين غراشوس ومجلس الشيوخ الا عبارة عن هرج في شوارع

رومية ينتهي بفتنة تنشأ بين العصابات المسلحة على عجل اما الفتن التي حدثت بعد فكانت حروباً حقيقية بين جيوش منظمة وكان رؤساءه الاحزاب من القواد

الحروب المدنية — ليس الشعب الروماني سوى مجموع فقراء لا عمل لهم وما الجيش الا حفنة من المتشردين نزاع الآفاق فلا المجلس ولا الكتائب خاضعة لمجلس الشيوخ لان الاشراف الفاسدين فقدوا كل سلطة أدبية فلم يبق ثمة سوى قوة حقيقية واحدة واعني بها الجيش ولم يبق سطوة الا للقواد وقد أبى القواد ان يخضعوا فتعذر الحكم بواسطة مجلس الشيوخ حتى أصبح بيد القائد · وغدت الثورة لا مناص منها ولكنها لم تنشأ دفعة واحدة بل تخمرت زهاء مئة سنة وكان مجلس الشيوخ يقاوم وقد امسى من الضعف بحيث لا يتيسر له ان يجري الاحكام بذاته على انه مازال على شيء من القوة تحول دون غيره من القبض على قياد الامة والقواد يتنازعون بينهم لمن يكون السيد المتحكم وهكذا قضى الرومانيون قرناً يتخبطون في الفتن والحروب المدنية

ماريوس — كان اصل ماريوس القائد الاول الذي جعل جيشه تحت أمره في رومية من اربينوم وهي مدينة جبلية صغيرة ولم يكن من سلالة شريفة واشتهر انه ضابط وانتخب محامياً عن العامة ثم قاضياً بمساعدة الاشراف له · ثم انقلب عليهم وانتخب قنصلاً وعهد اليه محاربة جوكورتا ملك النوميديين الذي بدد شمل عدة جيوش رومانية

وعندها جند ماريوس جماعة من فقراء الوطنيين ممن اصبحت الخدمة العسكرية صناعتهم فتغلب ماريوس بجيشه على جوكورتا واهلك الشعوب البربرية كالسمبريين والتوتون ممن اغاروا على غاليا وايطاليا الشمالية · واذ لم يكن للشعب ثقة في غيره لقيادة الجيش انتخبه قنصلاً ست مرات متوالية خلافاً للقوانين المتبعة

عاد الى رومية بعد هذه الانتصارات فاصبح مطلق اليد في الحكومة وعندئذ تألف في تلك العاصمة حزبان دعيا انفسهما باسم حزب الشعب (وهو حزب ماريوس) وحزب الاشراف (وهو حزب مجلس الشيوخ)

الحروب الاجتماعية — ارتكب اشياع ماريوس من الفظائع ما انتهى بتلويث شهرته بين الناس فاغتنم أحد الاشراف من أسرة كورنيليوس الكبيرة واسمه سيلا هذه الفرصة لينازعه السلطة وكان هو أيضاً من جملة القواد · وفي خلال ذلك استشاط الطليان غيظاً من قيامهم بمثل ما يقوم به الرومانيون من التكاليف دون ان يكون لهم مثل امتيازاتهم فنزعوا الى مقاومته لينالوا حقوقهم المدنية وهذا ما دعوه بالحروب الاجتماعية أي حرب مقاومة المحالفين فجيشوا جيوشاً كبيرة قدمت احداها على مقربة من رومية وكان سيلا هو

الذي انقذ رومية بقتاله الطليان أشد قتال · وبعد حرب دامت سنتين (٩١ ــ ٨٩) خضع الطليان بيد انهم نالوا ماطلبوه وغدوا وطنيين رومانيين

سيللا ــ طارت شهرة سيللا في هذه الحرب فنصب قنصلا وعهد اليه ان يزحف على ملك بحر الخزر ميتريداتس الذي اغار على آسيا الصغرى وذبح فيها الرومانيين عن بكرة ابيهم (٨٨) فحمل الحسد ماريوس على ان يثير فتنة في رومية فخرج سيللا للالتحاق بجيشه الذي كان ينتظره في ايطاليا الجنوبية وعاد معه وكان الدين الروماني يحظر على الجنود الدخول الى المدينة وعليهم اسلحتهم وعلى الحاكم نفسه قبل ان يجتاز الباب ان يخلع عنه رداء الحرب ويلبس الحلة الرومانية فكان سيللا القائد الاول الذي جسر على خرق سياج هذا المنع ودخل الى رومية فانهزم ماريوس امامه ·

ولما وصل سيللا الى آسيا عاد ماريوس في جيش له من المتشردين ودخل رومية بالقوة (٨٧) وعندئذ بدىء بقتل المعتدين قبل محاكمتهم وجعل خاصة اشياع سيللا تحت الاحكام العرفية بل صدرت اوامر الحكومة ان يقتلوا حيثما وجدوا وصودرت اموالهم ومات ماريوس بعد بضعة اشهر وظل سينا اهم انصاره يجري احكامه في رومية ويقتل كل من لا تروقه حالته وكان سيللا في خلال هذه المدة قد تغلب على ميتريداتس وضمن اخلاص جنده له بان اباح لهم نهب آسيا على ما يشاؤون · وقد عاد (٨٣) في جيشه الى ايطاليا فبعث عليه خصومه بخمسة جيوش فانهزم بعضها وانحاز الآخر اليه ثم دخل سيللا الى رومية وذبح الاسرى وخنق انصار ماريوس ·

الاحكام العرفية — بعد ان مضت بضعة ايام في المذابح شرع سيللا ينفذ الاحكام العسكرية على الاصول وعلق ثلاث قوائم باسماء من يريد اهلاكهم قال : «اعلنت اسماء جميع من ذكرتهم وقد نسيت كثيراً منهم وسأعلن اسماءهم كلما خطروا في بالي» وكل من علق اسمه في قائمة المحكوم عليهم كان معداً للقتل ومن اتى برأسه ينال مكافأة وتصادر اموال القتيل وكان يقتل الواحد بدون محاكمة بل بمجرد هوى القائد وبدون ان ينذر بالقتل · وعلى هذا الوجه لم يكتف سيللا بذبح اعدائه فقط بل قتل الاغنياء الذين كان يطمع في ثروتهم ويروى ان احد الوطنيين البعيدين عن السياسة نظر وهو مار الى قائمة المحكوم عليهم بالقتل فرأى اسمه مسطوراً في اول القائمة فهتف قائلاً : «ما اتعسني فقد قتلني بيتي في آلب» ويقال ان سيللا قتل الفاً وثمانمائة الف فارس ·

قوانين سيللا — بعد ان تخلص سيللا من خصومه حاول ان ينظم حكومة تكون الكلمة فيها لمجلس الشيوخ · فعينوه حاكماً مطلقاً (ديكتاتور) ويطلق هذا اللقب قديماً

على القواد في ايام الشدة والخطر ممن تكون لهم السلطة المطلقة فاستخدم سيللا هذه السلطة ليسن قوانين تغير النظام الدستوري القديم وذلك بان ينتخب القضاة بموجب هذا القانون من مجلس الشيوخ ولا تجري المناقشة في قانون قبل ان يوافق عليه مجلس الشيوخ ولا يحق لمحامي الشعب بتة ان يقترحوا شيئاً وبعد هذه الاصلاحات التي خولت مجلس الشيوخ سلطة مطلقة استقال سيللا من منصبه واخذ نفسه بالانقطاع الى داره والعيش في العزلة (٧٩) وكان يعرف بانه في مأمن اذ كان له مائة الف من جنوده في ايطاليا ·

بومبي

بومبي — عاد مجلس الشيوخ فقبض على السلطة لانه حسن في رأي سيللاان يعيدها اليه ولكنه لم يكن له من القوة ما يستطيع معه المحافظة على تلك السلطة متى قام احد القواد ينازعه اياها · ودامت حكومة مجلس الشيوخ ايضاً في الظاهر اكثر من ثلاثين سنة وذلك لانه كان ثمة عدة قواد وكل منهم يحول دون خصمه ان يستأثر بالحول والطول · ولما هلك سيللا كان في البلاد اربعة جيوش على قدم الاستعداد اثنان منها خاضعان لقائدين من انصار مجلس الشيوخ وهما كراسوس وبومبي والآخران بقيادة قائدين خصيمين لمجلس الشيوخ وهما ليبدوس في ايطاليا وسرتوريوس في اسبانيا · والمأثور انه لم يكن احد في تلك الجيوش على استعداد ونظام وان ليس في اولئك القواد حاكم له الحق بقيادة الجند · وكان القواد الى ذاك العهد ابداً من القناصل اما الآن فاصبحوا من الافراد ينضم اليهم الجند لا ليخدموا الجمهورية الرومانية بل ليغتنوا بسلب الاهلين ·

ولقد انهزمت جيوش خصوم مجلس الشيوخ وبقي القائدان كراسوس وبومبي وحدهما واتفقا بينهما على الزعامة وجرى انتخابهما قنصلين ·

سبارتاكوس — تكرر حدوث عصيان العبيد مرات (حروب العبيد) وكان ذلك في الاغلب في جزيرة صقلية وجنوبي ايطاليا حيث كان العبيد يحملون السلاح لحراسة القطعان · وبعد ان ولي الولاية القائدان كراسوس وبومبي بدأت اشهر تلك الحروب وذلك ان عصابة مؤلفة من ٧٠ مصارعاً هربت من كابو ونهبت عربة تحمل اسلحة وانشأت تحمل على البلاد حملاتها تخف العبيد وانضموا اليها زرافات زرافات فلم تلبث تلك العصابة ان اصبحت جيشاً · وقد هزم هؤلاء العبيد على الولاء ثلاثة جيوش رومانية ارسلت لتأديبهم وكان سبارتاكوس زعيمهم أسر في الحرب وهو من اقليم تراسيا جيء به الى ايطاليا ليستخدم في الصراع فحدثته نفسه ان يجتاز بلاد ايطاليا كلها للعود الى تراسيا بلاده · بيد ان جيش كراسوس قاوم عصابات سبارتاكوس مؤخراً وكانت مختلة النظام فقتلها عن آخرها · وبعدها

حظرت رومية على العبيد ان يحملوا سلاحاً . ويحكى انه أعدم راع من العبيد لانه قتل خنزيراً بريّاً بحربة كانت معه .

حروب في الشرق — عهد مجلس الامة لبومبي ان يتولى قيادة الجيوش في حربين متعاقبتين في الشرق . الاولى (٦٧) كانت مع قرصان البحر في شواطيء آسيا الصغرى وقد غزوا شواطيء ايطاليا ونهبوها والثانية (٦٦) كانت مع ميتربداتس الذي لم يبرح على ما اصابه من الفشل يدافع عن حوزته في اطراف آسيا الصغرى

ولقد عاد بومبي من آسيا في جيش يتفانى في الاخلاص له وكان في بضع سنين السائد المسود في رومية واذ كان ينظر الى الشرف اكثر منه الى السلطة لم يدخل ادنى تعديل في الحكومة . وفي خلال ذلك نال الحظوة من الامة شاب من الاشراف اسمه قيصر فاتفق بومبي وكراسوس وقيصر بينهم على اقتسام السلطة (٦٠) فانتخب قيصر قنصلاً ثم والياً على غاليا وتولى كراسوس قيادة الجيش الذي ارسل الى آسيا لحملة على البارثيين ولقي حتفه سنة ٥٣ وبقي بومبي في رومية .

كاتالينا — بينا كان بومبي يحارب في الشرق حدثت في رومية ازمة كادت تؤدي الى ثورة وذلك ان احد الاشراف من قدماء انصار سيللا واسمه كاتالينا كان فقد ثروته لاسترساله في الشهوات فحاول ان يسترجع ماله بالقبض على ازمة الاحكام وكان رجلاً قوي الشكيمة جريء النفس مقداماً لا يتطرق الى قلبه وسواس وله اصدقاء كثيرون من اشراف الشبان المستهترين الفاسقين اخلصوا في حبه اذ كان يقضي معهم اوقات صفائه ويقرضهم مالاً ويهديهم خيولاً وكلاب صيد . وله من الانصار قدماء اشياع سيللا وقدماء الجنود الذين اسكنهم سيللا في ايطاليا ممن باعوا اراضيهم واخذوا يبحثون عن مورد يعيشون منه .

فاتفق كاتالينا مع جمهور من هؤلاء الساخطين على ان يذبحوا في آن واحد القنصلين يوم يذهبان معاً الى معبد الكابتول فلم يفلحوا فيما دبروه لان الخبر ترامى الى القنصلين الا ان كاتالينا احتفظ بانصاره وظل يدس الدسائس وكان اعداء مجلس الشيوخ وربما قيصر ايضاً يعضدونه سراً فقدم نفسه لينتخب قنصلاً فكان خصمه في هذا الانتخاب شيشرون اشهر محام واعظم خطباء الرومان وكان هذا توصل الى ان ينتخب حاكماً لان الاسرات الشريفة غدت منذ عهد ماريوس لا تسمح الا بانتخاب اناس من الاشراف .

وساعد اشياع مجلس الشيوخ الخطيب شيشرون فجرى انتخابه وسقط كاتالينا الا ان القنصل الآخر رصيف شيشرون وهو انطونيوس كان مالئاً سراً للحانقين . فدبر كاتالينا

مكيدة كبرى على ان يذبح اصحابه شيشرون واعضاء مجلس الشيوخ في رومية ويحرقوها بينا يكون قدماء اجناد سيللا المقيمين في اترووريا زاحفين على رومية . فبلغ الخبر شيشرون فلم يخرج الا في كوكبة من الفرسان محدقة به الا انه لم يكن عنده جيش لقتال قدماء الاجناد الذين شرعوا يجتمعون ويتسلحون والعبيد الذين اخذوا يسلحونهم في كابو فقضى جزءاً من السنة التي تولى فيها القنصلية وهو في قلق مستمر .

واخيراً رجع واليان يقودان جنوداً فشعر شيشرون بقوة تمكنه من الدفاع فاستدعى مجلس الشيوخ ليوافق على قيام القناصل بما فيه سلامة الجمهورية الرومانية وان يعطي القناصل سلطة ليتخذوا عامة الاسباب التي يرونها مناسبة وادخل الجند الى رومية يرابطون في الساحات ودعا مجلس الشيوخ الى الاجتماع ثانية وفي هذه الجلسة القى خطبته الاولى في مقاومة كاتالينا وسأله مشعراً اياه بما دبره من المكيدة التي افتضح امرها وانذره بالانصراف

فغادر كاتالينا رومية وذهب للالتحاق بقدماء الاجناد المتمردين في اترووريا وظل اشياعه في المدينة فاتفقوا سراً مع وفود الالوبروج بان يقدموا لهم فرساناً ثم غيروا آراءهم وافشوا سر المتآمرين . فطلب شيشرون خمسة من رؤوس زعماء المؤامرة واضطرهم الى الاقرار . ثم اخذ رأي مجلس الشيوخ فيما يجب ان يعاملوا به فاجاب بانه يجب اعدامهم ولكن كان احد المجرمين واسمه لانتولوس قاضياً ولا يحق لاحد ان يوقفه الا حاكم له مقام ارقى من مقامه فذهب شيشرون بذاته لتوقيف المجرمين الخمسة واخذهم الى سجن الكابتول وخنقهم وعاد يقول لمجلس الشيوخ : « لقد عاشوا »

فاعلن كاتالينا الحرب ولم يكن سوى جزء من رجاله يحمل سلاحاً ومعظمهم انفضوا من حوله وزحف عليه جيش بقيادة القنصل انطونيوس آتياً من الجنوب وزحف آخر من الشمال ولم يبق لكاتالينا سوى ثلاثة آلاف رجل حاول بهم الفرار نحو الشمال فرأى جبال ابنين في وجهه مسدودة فانقض على جيش انطونيوس وهاجمه وقتل مع اصحابه جملة واحدة (٦٣) فنال اذ ذاك شيشرون من مجلس الشيوخ لقب « ابو الوطن » دلالة على انه انقذ رومية من مخالب العدو ولكن لما انتهت سنة حكمه لم يعهد له بسلطة

فتح بلاد الغال

دخول قيصر الى غاليا — اتفق قيصر مع بومبي وكراسوس ان يتولى كل منهم القيادة في احدى الولايات العظمى على ان يكون له الحق في ان يجيش جيشاً فوضع كراسوس يده على سورية وبومبي على اسبانيا وقيصر على الثلاث ولايات المجاورة لغاليا وذلك لمدة خمس سنين . وقد ذهب قيصر لما انقضت سنة حكمه بصفته والياً الى مقر ولايته لينشيء فيها

جيشاً يكون هو قائده ودخل في الحال في عدة حروب وظل عشر سنين بعيداً عن رومية (ولم يدم حكمه اكثر من خمس سنين الى سنة ٥٣ ولكنه جدده دفعة ثانية الى سنة ٤٨)

وكانت رومية الى ذاك العهد لم تخضع غير جزء من البلاد التي تنزلها الشعوب الغالية بل لم يكن لها سوى ولايتين غاليتين : غاليا سيزالبين وهي مؤلفة من البلاد الواقعة بين جبال ابنين والالب (وهي اليوم ايطاليا الشمالية) . والبروفانسيا وهي عبارة عن شواطىء البحر المتوسط وبلاد الرون من جبال الالب الى جبال البيرنيه · وكانت هذه البلاد مع اقليم ايليريا (الجبال الواقعة في شرقي الادرياتيك) هي الثلاث ولايات التي تولاها قيصر ·

اما باقي بلاد فرنسا الحالية التي دعاها الرومانيون غاليا فكانت مستقلة بعد يسكنها ثلاثة عناصر من الناس · أحدهم الغاليون وهم يشغلون القسم الاعظم من البلاد اي جميع فرنسا الواقعة بين نهر الغارون ونهر السين ويصفهم اليونان والرومان بان هؤلاء السكان من الرجال العظام بيض البشرة شقر الشعور زرق العيون طوال السبلات يأكلون اللحوم ويسكرون بنبيذ السرفواز (ضرب من الجعة) او بشراب الايدرومل وهم أشد شبهاً بالجرمانيين منهم بالفرنسيس اليوم· وكان السواد الاعظم من هذه الامة يعيش شقياً في الاكواخ لاشأن لهم في ادارة شؤون بلادهم يخضعون لكبار ارباب الاملاك الذين يقاتلون راكبين صهوات خيولهم ويدعوهم قيصر بالفرسان ويذكرهم كما يذكر تجاراً بين شجعاناً للغاية ولا يبعد ان يكون هؤلاء الفرسان الغاليون شبيهين بالجرمانيين هم من الفاتحين نزلوا وسط شعب اصغر منهم أجساماً اشقر اصهب يشبه الشعب النازل اليوم في البلاد الغربية أي فرنسا وايرلاندا وبلاد الغال

. والقسم الثاني من تلك العناصر الثلاثة هم البلجيكيون نزلوا البلاد الواقعة في شمالي السين الى نهر الرين وهم يشبهون كما كان يقول الرومان الجرمانيين النازلين في الشاطىء الاخرمن نهر الرين والظاهر انهم كانوا أقل اختلاطاً بالشعب القديم من الغاليين واحسن الفرسان فيهم كانوا يقاتلون راكبين

والقسم الثالث من تلك العناصر هم الآكيتيون نزلوا في جنوبي نهر الغارون وهم ضئال الاجسام شجعان يشبهون الايبريين في اسبانيا ويتكلمون بلغة ايبرية ويعتبرون سائر شعوب غاليا كأنهم غرباء وهؤلاء خضعوا لقيصر اول الامر · وبعد فلم يكن الغاليون والبلجيكيون والاكيتيون أمماً معدودة بل لم يكن ثمة غير شعوب صغيرة يساوي قدرها على نحو ثلاث أو اربع من مقاطعاتنا اليوم وكل مقاطعة تؤلف حكومة مستقلة ودعاها قيصر

سيفيتا أي التي يحكمها كما يشاء وتحارب غيرها . وكان لبعض تلك الحكومات ملك ويحكم معظمها مجلس من الاشراف (الفرسان) وكان للكهنة عند الغاليين سلطة كبرى

لم تبرح تلك الشعوب على حالة من التوحش بعد تعيش بما تنتجه لها ماشيتها وما مدنها الا اسوار صغيرة محصنة يحملون فيها مواشيهم وعيالهم ابان الحرب ولئن كان معظم البلاد غابات وحراجاً فقد بدؤا يزرعون حنطة ليتيسر ان تطعم جيشاً رومانياً بأسره

جاء قيصر ينوي فتح غاليا في جيش اختاره من سكان الولايتين الغاليتين الخاضعتين لرومية خاصة وكان مؤلفاً بحسب العادة الرومانية من مشاة منظمين كتائب وعليهم اسلحتهم وهم مدربون اكثر من جيوش الشعب الغالي واقد عني قيصر بذكر خبر الفتح في مفكراته فاوهم القارىء بان الغاليين ساقوا عليه جيوشاً اكثر عدداً من جيشه ومن المحتمل بانه لم يقل الحقيقة اذ لم يكن في استطاعة غاليا ان تطعم غير عدد قليل من الناس ومعظم سكانها ليسوا محاربين

غارة الهيلفتيين والسويفيين — عند ماوصل قيصر الى بلاد الغال كان الايدوانيون النازلون في جبال مورفان اشد شعوب اواسط غاليا بأساً وعاصمتهم بيبراكت بالقرب من أوتون وبلادهم واقعة بين نهر السون واللوار . ومن أشداء البأس الارفرنيون النازلون في البلاد الجبلية التي أطلق عليها اسمهم (اوفرنيا) وكانوا حاكمين على الام النازلة في البلاد الصخرية الوسطى

تحارب الايدوانيون السكيانيين النازلين في جبال جورا لاختلاف طرأ بينهم على الملاحة في نهر سون فاستدعى السكيانيون من المانيا زعيماً سويفياً وهو الملك (اريوفيست) فأتى بعصابة من خيرة المحاربين مؤلفة من العامة خاصة وهم السويفيون . وبعد ان تغلب الايدوانيين طلب الملك اريوفيست الى السكيانيين جزءاً من ارضهم لينزل فيها جيشه . وكان السكيانيون صالحوا الايدوانيين لقتال اريوفيست الذين نزلوا عليهم وعندها استنجد الايدوانيون برومية ولما قاد قيصر جيشه الى بلاد سون تقدم على انه حليف شعب غالي لمقاومة غارة جرمانية وفي غضون ذلك اخذ الهيلفتيون وهم شعب غالي يسكن سويسرا بالهجرة من بلادهم فانقلبوا منها يحملون أسراتهم ومواشيهم وامتعتهم محمولة على مركبات قائلين انهم يريدون مهاجمة بلاد الغال ليستوطنوا شواطىء المحيط . وربما كان ذلك حيلة منهم ليذهبوا لنصرة الايدوانيين على اريوفيست وتقدموا الى قيصر ان يسمح لهم باجتياز تلك الولاية الرومانية فأبى عليهم ذلك فلم يبق امام الهيلفتيين الا ان يقطعوا وادي سون فداهمهم قيصر بالقرب من نهر سون وحمل اولاً على ساقة جيشهم ثم

هاجم مجموعهم فذبح منهم جزءاً عظيماً واضطر من افلتوا من القتل الى الرجوع الى بلادهم. ثم ارتد على اعقابه لقتال اريوفيست واسرع حتى بلغ في جيشه الى فيرونوسيو (بزانسون) وحاذر جنده من هول هذه الحرب وهم في بلاد جبلية مغشاة بالغابات يهاجمون برابرة اشداء على اهبة تامة فجمع قيصر قواد المئة من جنده (يوزباشية) وقال لهم على من يوجسون خيفة ان يسافروا مع الفرقة العاشرة فاجابه قواد المئة بانهم يتبعونه حيثما ذهب

وقطع الجيش الروماني مجاز جبال الفوسج ونزل الى سهل الالزاس وجاء يعسكر امام العدو. والف اريوفيست معسكره من مركباته وتحصن وراءها وكان قيصر يعرض جيشه في السهل ويعبيه للقتال ثم صحت عزيمة اريوفيست على الخروج من المعسكر فداهم الجيش الروماني في فرسانه فجرح وفر جنده فطارده العدو حتى نهر الرين. وكان المهاجمون الجرمان يطردون الى خارج غاليا ولكن قيصر لم يأت مع جيشه الى ولايته بل رابط معه في وادي سون حيث قضى الشتاء وقد اخذ يعامل بلاد غاليا كالبلاد المغلوبة فاضطرت الشعوب الغالية ان تحالف رومية.

فتح شمال غاليا — ابى البلجيكيون النازلون بين نهري السين والرين وهم اشجع شعوب غاليا كافة ان يدخلوا في محالفة رومية فتعاهدوا بينهم وتحالفوا وجمعوا جميع المحاربين من ابنائهم في بلاد لاون. فجاء قيصر في الربيع في ثماني فرق من الجند وعقد محالفة مع احد هذه الشعوب وهم الريميون ونزل في معسكر حصين على رابية يفصلها عن معسكر البلجيكيين واد ذو بطائح وظل الجيشان زمناً احدهما قبالة الآخر واذ كان الجيش الروماني منظماً كانت تأتيه النجدات من الطعام تباعاً اما البلجيكيون فشق عليهم ان يتغذوا في تلك الادغال والحراج فانفذ قيصر الايدوانيين احلافه يخربون بلاد البيلوفاكيين اهم تلك الشعوب المتحالفة ولما بلغ البلجيكيون ذلك انفضت جموعهم ليذهبوا للدفاع عن بلادهم فتخلص قيصر من جيش العدو بدون قتال وراح يطوف بلاد البلجيكيين ويهاجم مدنهم الواحدة بعد الاخرى مكرهاً كل امة ان تكون حليفة لرومية وان تعطيها على سبيل الرهن رجالاً من الأسر النبيلة في بلادها.

وقد داهم النيرفيون (اهل بلاد السامبر) احد هذه الشعوب الجيش الروماني في غابة على شاطيء نهر السامبر بينا كان يبني معسكره وهزم الفرسان الغاليين احلاف الرومان وعساكر الرجالة الخفيفة الا ان الكتائب حمت المؤخرة وحالت دون الهزيمة فاخذ قيصر يحارب النيرفيين حرباً يريد بها ابادتهم عن آخرهم. ولما اخضع الجيش الروماني الشعوب البلجيكية قضى الشتاء في وسط بلاد غاليا على شاطيء اللوار.

فتح الغرب — قبلت الشعوب النازلة على ضفاف البحر المحيط ان تحالف رومية وتقدم لها رهائن وما جاء الشتاء حتى تحالفوا بينهم وابوا ان يرسلوا حنطة لاطعام الجيش الروماني واسروا عندهم مندوبي الرومان الذي جاؤهم في طلب ذلك ليكرهوا قيصر على ان يعيد اليهم من استبقاهم عنده من رجالهم رهينة · وكان للفنتيين (سكان فان) وهم من الشعوب الخطيرة في ذاك الحلف سفن حربية صنعوها من شجر البلوط وجعلت بحيث تسير على ارادة ربانها ولها مقدم مرتفع يقاوم فعل الامواج وطبقات سفلى منبسطة تستطيع ان تجو على قيعان الشاطيء وفي البحار الصغيرة فانشأ قيصر سفناً ذات قلوع في مصب نهر اللوار هاجم بها اسطول الفنتيين · وصعب عليه ان يحطمه لان سفنه لم يكن لها من العلو ما يكفي للوصول الى سامات تلك السفن الفينيقية وكانت مراكبه داخلة في الماء كثيراً بحيث لا يتسنى لها ان تطارد مراكب عدوه في وسط الصخور والقيعان وبعد اللتيا والتي صنع الرومان مناجل ذات مقابض وعصي طويلة قطعوا بها الحبال التي كانت تمسك قلوع سفن الفنتيين فلما سقطت القلوع من هذه السفن ولم يكن عندها مجاديف تقذف بها وقفت لا تبدي حراكاً فداهمها الجيش الروماني واخذها عنوة فطلب الفنتيون الصلح الا ان قيصر امر باشرافهم فضربت اعناقهم وباع سائر الشعب بيع العبيد · وفي تلك السفن ايضاً كان اقتطع قيصر فرقة صغيرة من جيشه تخضع لسلطان رومية جميع الشعوب النازلة في الاقليم المعروف اليوم باقليم نورمانديا وهناك فرقة اخرى له تحارب شعوب الاكتيين في جنوب نهر الغارون وعلى هذا فقد اخضع قيصر في ثلاث حملات (٥٨ — ٥٦) عامة بلاد غاليا واغتنم فرصة الشتاء للعودة الى ولايته في ايطاليا المعروفة بسيزالبين

وفي العام التالي (٥٦) ضرب موعداً للقائدين الآخرين اللذين كانا يقاسمانه الحكم وهما بومبي وكراسوس فاجتمع ثلاثتهم على تخوم ولايته في ولاية لوكس وقرروا تجديد حكومتهم لخمس سنين اخرى

حملات الى خارج غاليا — حارب قيصر خارج غاليا دلالة على سطوته واشغالا لجيشه وكان شعبان جرمانيان اجتازا نهر الرين وهاجما بلاد البلجيك فسار قيصر في جيشه وفرسان شعوب غاليا على نهر الرين بالقرب من ملتقى نهر الموز وهاجم الجرمان وذبحهم مع نسائهم واولادهم ثم بنى على الرين جسراً من جذوع الاشجار وذهب لتخريب الشاطيء الايمن

ولما عاد الى غاليا ركب البحر مع فرقتين (٥٥) واجتاز بحر المانش ونزل الى بريطانيا (انكلترا) ولما انشأ في السنة التالية سفناً متسعة قليلا لنقل الاثقال والخيول عاد الى

بريطانيا في جيش كبير واجتاز الغابات التي دافع عنها المحاربون البريطانيون حتى بلغ نهر التيمس (٥٤)

قيام الغاليين — كان الاشراف في معظم الشعوب الغالية من اشياع رومية يقاتلون في الجيش الروماني على انهم رديء من الفرسان و يعاشرون الضباط الرومانيين وكان بعضهم من اصحاب قيصر الا ان السواد الاعظم من تلك الامم كانوا يتبرمون باولئك الجنود الغرباء الذين يسيرون سير السادة فانشق بعض الزعماء عن حزب الاشراف واتفقوا بينهم سرًّا على تهييج الشعب. وكان قيصر قد وزع جيشه على شعوب كثيرة لقضاء فصل الشتاء وذلك لان القمح كان نادرًا في تلك السنة. فقرر زعماء الغاليين ان يغتنموا هذه الفرصة لمهاجمة الفرق المتعزلة وقطع مواصلاتهم فانتظروا ريثما يبتعد قيصر الى ولاية سيزالبين حيث ذهب لقضاء الشتاء.

الا ان شعب الكارنوت (شارتر) ابدى تواجذ العصيان قبل ان يتم مادبروه مستشيطًا غضبًا من ملكه الذي نصبه قيصر وحاكمه تحكم عليه بالاعدام وقتل. فبلغ قيصر هذا النبأ فاستعد للحرب ولما ازمعت الفرقة الرابطة في بلاد السامبر الخروج من معسكرها داهمها الايبورون وذبحوها. ورأت فرقة رومانية اخرى ان تبقى في معسكرها فاحاط بها الغاليون فاسرع قيصر وتمكن من انقاذها وعند ذلك استراحت الجنود الرومانية الى آخر الشتاء. ولما طلع الربيع ابى عدة شعوب غالية من الشمال ان يبعثوا بوفودهم الى قيصر فجمع جيشه برمته وسحقهم واحدًا بعد واحد فانتقم من الايبوريون بتخريب زروعهم وحرق قراهم وذبح السكان وطارد المنهزمين الى غابات آردن وما جاء الخريف الا وقد خضعت غاليا الشمالية باسرها.

الفارس فرسنجتوريكس — اجمع شعوب اواسط البلاد في خلال الشتاء امرهم بينهم على العصيان ثانية وبدأ الكارنتيون اولاً فداهموا مدينة سنابوم على نهر اللوار فقتلوا فيها تجار الطليان كافة. وفي هذه المرة تسلح عامة الشعوب النازلين بين نهر السين والغارون لقتال الرومان وبقي الاكتيون على الحياد. وبدأت الشعوب المحالفة لرومية تنزع السلطة من يد الاشراف اشياع قيصر واقاموا زعماء جددًا ودخل هؤلاء في التحالف الغالي

وكان زعيم الثورة شابًّا من اشراف ارفرنا اسمه فرسنجتوريكس وهو فارس يحسن الفروسية خدم في الجيش الروماني وكان صديق قيصر واحدث ثورة في بلاده اولاً وما هاج سكان القرى حتى نزع السلطة من ايدي الاشراف واصبح ملكًا على ارفرنا. ثم بعث يرسل الى الشعوب الاخرى وجمع جيشًا وجعل من نظامه ان يحرق الخائنين ويصلم آذان

الآبقين و يسمل عيونهم · فداهم الغاليون الرومانيين في آن واحد في الجنوب من ولاية بروفنسيا (من اقليم لانكدوك) وفي الشمال من البلاد الواقعة بين نهري السين والسون حيث كانت ترابط الفرق الرومانية واضطر قيصر ان يجتاز جبال سيفين وهي مكللة بالثلوج واكره فرسنجتوريكس من رجاله ان يعود للدفاع عن بلاده فاتسع الوقت لقيصر ان يجمع جيشه بالقرب من سانس و يذهب فيه الى اقليم اللوار فخرب فرسنجتوريكس جميع البلاد وجعل المدن قاعاً صفصفاً لتكون قفرًا لا يجد فيها العدو شيئاً يطعمه بيد ان البيتوريجيين لم يقبلوا بتخريب مدينتهم افاريكوم ودافعوا قيصر عنها زمناً

بعث قيصر في الربيع (٥٢) فيلقاً لمباغتة شعوب السين وذهب بنفسه في معظم جيشه للهجوم على جركوفيا قاعدة الارفرنيين فرد على اعقابه وحرج موقفه اذ لم يكن لديه طعام (لخراب مخازن ذخائره في نرفر) وهو محصور بين شعوب الارفرنيين والايدوانيين الذين ذبحوا التجار الطليان ومع ذلك اصر على عدم اخلاء غاليا وتمكن من الوصول الى سانس · وفي خلال ذلك عين المجلس المؤلف من مندوبي جميع الشعوب الغالية الزعيم فرسنجتوريكس قائداً عاماً على الجيوش الغالية

فاستدعى قيصر من جرمانيا فرساناً اخذهم لحساب رومية وقاد جيشه من ناحية سون ولعله فعل ذلك ليتمكن من مراسلة بروفنسيا فتبعه فرسنجتوريكس في جيشه وحاول ان يقطع عنه مواد الطعام و رمى الجيش الروماني وهو في مسيره بفرسانه الغاليين فهزمهم فرسان الجيش الغالي ورجع فرسنجتوريكس على اعقابه الى مدينة اليزيا الحصينة في بلاد الآكام بين نهر السون ومصب نهر السين فتبعه قيصر وحاصره فيها جاعلاً حول اليزيا سورًا تعلوه دائرة مجنحة ذات ابراج يحميها بخندق ·

وصل جيش من الغاليين لرفع الحصار عن جيش فرسنجتوريكس وداهم الرومانيين ولكن حال دون الوصول اليه ذلك السور الذي اقامه قيصر من ناحية الخلاء · وبعد اشتباك القتال بين الجيشين رُدَّ الجيش الغالي على اعقابه وتفرق شذر مذر فلم يبق عند الجيش المحاصر في اليزيا شيء من الزاد فسلم فرسنجتوريكس (٥٢) فبعث به قيصر الى رومية حيث قضى ست سنين سجيناً ثم شهد حفلة انتصار قيصر وضرب عنقه ·

وهكذا انتهى العصيان العام · وقضى قيصر سنة اخرى في اخضاع الشعوب التي كانت تقاوم واحداً بعد الآخر فابادها · وكان يفاخر بانه ذبح في ثماني سنين مليوناً من السكان وانه اسر منهم مليوناً آخر باعه بيع العبيد وقضى سنة اخرى لتنظيم شؤون حكومة غاليا وبعد ذلك صفا الجو لرومية بهلاك اعدائها · وقد وسد قيصر الحكم الى الاشراف اشياع

الرومان والف فرقة من الغاليين لقبوها بالسنونو وكان جيشه المدرب يحبه فحدثته نفسه ان يستخدمه في الاستيلاء على المملكة الرومانية باسرها . فخضعت غاليا لرومية مباشرة وقسمت ولايات ولكن تنظيمها لم يتم الا على عهد اغسطس .

جيران الفراعنة

« بقية ما في الجزء السالف »

تقدم ان اكتشافات المستر ونكلر في بوغاز كوي كانت ذات شأن سام لعلاقتها بالتاريخ القديم لشعوب البحر المتوسط وها نحن اولاء نشرح نظريتنا من هذه الوجهة المهمة ونبينها على قدر الطاقة .

لما كان من المسلم ان عاصمة مملكة الهيتيين ليست كما ظن حتى الآن جرابيس في شمال الفرات الاوسط بل هي بوغاز كوي من اعمال كابادوسيا لم يبق صعوبة في ان نقول بان ملك الهيتيين امتد سلطانه الى ليديا . وهذا التغلب على الساحل الآسياوي من بحر ايجي ظاهر في نفسه لا يحتاج الى شرح بعد ان عرف ان كابادوسيا كانت متاخمة لاقليم ميونيا او تكاد . واذ ضاق ذرع الهيتيين من اتصال اعتداء الفراعنة على املاكهم الجنوبية اجمعوا امرهم بينهم على اشهار الحرب على مصر وطرد الفراعنة منها واذ لم يتأت كتم استعدادهم للغارة في وسط بلادهم فقد اصبح هجومهم على الفراعنة بحرًا ضربة لازب ليحولوا دون اعتداء الفينيقيين وهم تابعون لمصر لئلا يكونوا السبب في اخفاقهم في غزوتهم . فبدلاً من ان يستخدموا ثغر تارس مرفأهم الحربي العظيم لارسال اسطول ضخم اختاروا ثغر ازمير وهي تقع في وسط خليج مشيعين بانهم رأوا من الضرورة ان يهاجروا لان السكان نموا كثيرًا فضاقت بهم البلاد . ولئن لم يكتب لثغر تارس ان يجتمع المحاربون فيه فان بحارته وربابنته وفيهم وحدهم كان للهيتيين الثقة التامة تولوا امرة الاساطيل وابحارها . ومن هنا جاء اسم تورسها الذي اطلقوه على غارتهم على مصر . ولا شك انهم بعد انكسارهم قصدوا ايطاليا لاستيطانها مع بقائهم مرتبطين ارتباطًا محكمًا ببلادهم الاصلية وذلك لان دخول السادرسيين والسيكوليين بعد قرن في اتحاد شعوب البحر يحمل على هذا الظن .

وليس التناسب الظاهر بين رواية هيرودتس وآثار الكرنك المزبورة هو من فعل الاتفاق . فقد قال هيرودتس ان عهد اتيس او الاتيين قد تقدم عهد ارغون

مؤسس الدولة الميرا كلية وفي ذلك مجال الى القول بان استيلاء الحيثيين سبق استيلاء الاشوريين على آسيا الصغرى واهم نقطة جوهرية في رواية هيرودتس المؤرخ اليوناني هي الصفات المميزة للعمل الذي قام به تورسنوس في تولية زعامة الاسطول الذي اقلع من ازمير فقد ورد في نصوص الآثار المصرية ان التورسهانيين كانوا عقدوا العزم على اخذ اساطيل شعوب البحر المتجمعة تحت حمايتهم .

وهنا ننتقل الى الكلام على شعب آخر جعله بانتاور في شعره في مصاف الحيثيين على عهد رعمسيس الثاني . وهذا الشعب هو الدرداني الذي تنسب اليه كتابات الكرنك التقدم على جيرانه لانه قبض على قياد الجيوش للالتحاق بملكهم الخاضعين له في سورية . والظاهر ان هؤلاء الدردانيين هم الذين ورد ذكرهم في شعر هوميروس . وجاء في تقليد صحيح منذ القدم بانهم سكنوا شاطىء الدردنيل وانهم كانوا من اصل ترامي .

ولا نكتم ما يخالج ضميرنا من التردد اذا اردنا ان نحيد من هذه الوجهة عن تأثيرات التقاليد ولا سيما اذا جاءت متوافقة متناصرة . ومع ذلك فان اعتقادنا بعدم قبول مثل هذا الاصل راسخ ولكن لا نستنكف من جعله قيد النظر والبحث على ضعف فيه .

وبعد فيظهر لنا ان دخول الترامسيين او الفرغانيين في اصل جميع الشعوب الصغيرة التي كانت تسكن اذ ذاك الشاطىء الآسياوي من بروبونتيد ناشىء كما قلناه من رغبة الآسياويين بالاتصال باليونان عند ما اتوا لاستعمار هذا الجزء من آسيا الصغرى بعد حرب تروادة بمئة وار بعين سنة ومن هنا دخل في علم اصول سكان هذه البلاد وامتزاجهم تقليد اصبح له مع الزمن صبغة تاريخية وان تطرق الشك اليه كثيراً .

نحن نرى ان الدردانيين ليسوا ترامسيين ولا كريتيين بيلاسجيين بل كانوا ايرانيين ودليلنا على ذلك ما رواه هيرودتس . وفي الحقيقة ان هذا المؤرخ لا يعرف الا اسم مدينة واحدة باسم الدرداني كانت في عهده على الشاطىء الآسياوي من الدردنيل اما الدردانيون الصرف فقد ذكر انهم في اودية جبال مانين التي يجري فيها نهر جيندس الذي يصب في دجلة الوسطى وهو اهم مصب له . ويسوقنا هذا الموطن الاصلي للدردانيين الى الجزم بانهم فرع من العنصر البروتو الارمني . ويقول ماسبرو ان الماتيين الذين ورد ذكرهم في الكتابات الاكادية او الماتيين الذين ذكرهم هيرودتس كانوا انسباء الدردانيين سكنوا اولاً في جنوبي بحيرة اورومية بين ارمينية قديماً وميديا فحدا الميل الى اقتحام المخاطر بالماتيين وجيرانهم الى مغادرة جبالهم واوديتهم منذ القدم وان يضربوا في شواطىء قزل ايرمق حيث استوطنوا منذ الفي سنة قبل المسيح . وان ما يدعونا الى ان نرتئي بان تاريخ ذلك قديم هو

انه ورد في الكتابة التي ذكرت فيها نصرة توتيمس الثالث احد الفراعنة فانه بعد ان نكل بقبرص والاز ارعد ارض ماتان في مرافئها وانحائها كما ورد في تلك الآثار . اذاً فاي معنى للفظ ماتان ان لم يكن الماتانيون من الذين ذكرهم هيرودتس . اذا صح هذا فيكون الماتيون منذ الزمن الاطول قد اجتازوا نهر قزل ايرمق وضربوا الى البحر المتوسط وذلك قبل ان ينشأ التراسيون حتى في اوربا . وربما جاء من هناك خلط قدماء المؤلفين في دعواهم بوجود قرابة بين الفرغانيين والارمن وهي قرابة ينفيها مؤرخ الارمن موسى دي خوربن لانه يرى ان اصل الارمن من تيراس لا من كومر . ومن المحتمل كثيراً ان تشابه النطق بتراس وتيراس قد اوقع في الخلط بهذا التفسير وبحسب العلم الحاضر تكون تيراس في اقليم طوروس لا في تراسيا .

ولقد انفقنا زمناً في ازمير كانت لنا في خلالها صلات دائمة مع الآباء المخيتاريستين ولذلك ألفنا اللغة الارمنية فلم نتبين في هذه اللغة تناسباً لغوياً بين اللسان الفرغاني الذي كتبت به المكتوبات الآسياوية واللغة الارمنية . واذا كان ثمة بعض الالفاظ مرت فمنشأوه من وحدة البلاد التي سكنوها بعد عهد نزول التراسيين الى آسيا الصغرى بزمن طويل يد ان المصانع الارمنية كثيرة في أيامنا هذه في هذا الجزء من قارة آسيا وقد قيل ايضاً ان اللغة الارمنية المدرسية الحديثة قد نشأت في القرن الخامس للميلاد وبذلك كان من المتعذر معرفة أي لغة كان يتكلم بها البروتو الارمن . وهناك خطأ من آخر وهو ان اللغة الارمنية ليست وحدها معروفة في القرن الخامس ب . م بل ان حروف هجائها واللغة الارمنية متشابهة الاصوات بحيث يعسر ان تكتب بحروف أوربية ولذلك اقتضى لها ايجاد حروف خاصة للاستعمال

ومن المحقق انه لا توجد كتابة مخربة يرد عهدها الى العهد البورتو الارمني وجميع الكتابات التي وجدت في مدينة وان قد رسمت بالخط المسند . ولما اراد مسروب في القرن الخامس ان يؤلف لامته آداباً وطنية لم يجد المواد لتأليفها من أصول حروف الهجاء الاوربية كافة الروم وآسيا الصغرى او ايطاليا بل وجد الاصول لتأليفها في فروع اللغة الآرامية مثل البهلوية والزندية والكرجية واذ كانت هذه اللغات أيضاً غير كافية للتعبير عن الاصوات الارمنية اضطر ان يزيد سبعة حروف صوتية وسبعة حروف ساكنة ليمثل بها الاصوات التي لا توجد في حروف الهجاء المعروفة من اصل آرامي وبذلك تبينت ان لا علاقة للغة الارمنية مع اللغة الفرغانية لان هذه لغة لم يكن لها غير تسعة عشر حرفاً وكانت غير كافية للاعراب عما فيها .

بقي علينا الآن ان نشرح الداعي الى الاستعمار الايراني لترواده وعلاقة هذه مع

الدولة التي حكمت في اليون وهي علاقة كانت السبب في تقدم ذاك الاستعمار على غيره من المستعمرات الكريتيه البيلاسجية في هذا الجزء من آسيا الصغرى

وليس غير الاستدلال نعمد اليه في بحثنا في هذا الماضي الذي لا تاريخ له ولا ندعي باننا نضع نظرية لعرضها كانها حقيقة اساسية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها

ويتيسر لنا الحكم على ذاك الماضي بما تدل عليه بقايا ما عثر عليه من الكتابات التي ورد فيها خبر الانتصارات في الكرنك او في النصوص اليونانية والظاهر ان اهل الطبقة الحاكمة من الحيتيين كانت لا تنظر الى تطبيق المبادىء السياسية بالحرف بل تتوخى تطبيقها مع الاحوال والزمن ولذا كان يسكن جزءاً من بلادهم شعب ضعيف كان في اخلاصه له نظر فادى ذاك الى خلع ربقة دولتهم الحاكمة وتسليم مقاليد الحكومة الى دولة أخرى يتيسر الاعتماد على اخلاصها اكثر . ومن صعب مراسهم من الشعوب يطردونهم من بلادهم . وهذه السياسة تشرح كيف تنقل الشعوب في بلاد الحيتيين من ناحية الى اخرى من انحاء ممالكتهم . وبهذه الحجة دخل اللوكوسيريون الى كابادوسيا لمعاضدة الدولة الميثية الحاكمة التي هي من جنسهم ودخل الميونيون الذين ردهم الميثيون على اعقابهم واستعاضوا عنهم بالعنصر السامي الودي ومثلهم التوكريانيون الذين طردوهم للاستعاضة عنهم بالدردانيين لمحافظة على ممر الدردانيل ومنع اساطيل الاعداء والمزاحمين من الدخول في البحر الاسود وهو مركز تجارة كبرى لمنافسة الفينيقيين . كل ذلك يحمل على الظن بان قبيلة اولية اجتازت خليج الدردنيل على عهد الملك توسر لان المؤرخ هيرودتس يؤكد انه رأى في كولشوس مستعمرة مصرية حبشية كانت هناك منذ الزمن الاطول

واذا توسعنا في البحث في اصول الشعوب التي تبعت الجيش الميتي الى سورية من طريق البر نجد ثمة جماعات اخرى وان كان قدومها آخر الامر من كريت فليست على ما يظهر كالفيلستيين من اصل ليبي مصري . وهؤلاء الجماعات هم الكاريون والليسيون والكوكونيون الذين يظهر ان بينهم قرابة ونسباً . قال هرودتس فيهم ان الكاريين والكوكونيين والليسيين غادروا الجزائر ليستوطنوا القارة الآسياوية وكانوا في القديم رعايا مينوس (ملك كريت) ولم يكونوا يدفعون خراجاً ولهم في ميلاسا معبد قديم لمشتري الكاري وهو بينهم مشترك لما بينهم من القرابة ولذلك كانوا مستأثرين بهذا المعبد وحدهم دون جيرانهم الذين ليسوا واياهم من اصل واحد . وكانت لهم عادة قلما توجد عند غيرهم من الناس وهو انهم يدعون الابناء الى امهاتهم لا الى آبائهم اذا سئل احدهم عن نسبه ذكر والدته وسلسلة نسبها . وعندهم اذا تزوجت امرأة وطنية بعبد يجيء اولادها احراراً اشرافاً واما اذا تزوج وطني

ولو كان سيد قومه من امرأة اجنبية أو من سرية فاولاده ساقطون لاشرف لهم وليسوا احرارا

وقد الف البارون دي كستين كتاباً مستوفى في الكاربين قديماً فبحث في اصل حكم المرأة في الاسرة وفي تأثيرها في المجتمع المدني ونفوذها في المملكة واثبت بان هذه العادة كانت مستحكمة عند الامم الليبية القديمة وعند قسم عظيم من شعوب آسيا الصغرى . وقد جمع بين هاته الشعوب ليرجعها الى اصل واحد هو في رأيه الجنس الاسمر النازل في اوساط آسيا المعروف باسم العنصر الكوشي .

وقد كانت عبادة الكوشيين عبادة ارباب البحار كما كانت عبادة الفوتيين والايبريين ونشأت هذه العبادة على شواطىء المحيط الهندي وانتشرت في عامة انحاء الخليج الفارسي وبلاد العرب الجنوبية ومن هناك انتقلت الى بلاد الحبشة ومنها سرت الى اطراف موريتانيا من المحيط الاطلانطيكي . وانتقل مكار وهو معبود الليبيين والايبريين الى اليونان مع تعديل كثير فيه وكان حيثما انتشرت عبادته تؤوي المعابد المعمورة باسمه من يمر بها من البحارة

ومن الصعب ان نصور كيف عمت عبادة مكار في البلاد ذات الانهار والجزائر الواقعة في البحر المتوسط حتى بلغت جزائر مكار في وسط المحيط الاطلانطيقي . فقد ترك الكاربون اوالمكاربون حيثما نزلوا بنايات متسعة صبرت على الدهر بمتانتها . فاذا سرنا من ليبيا نجتاز اولاً واحة عمون الذي سمي اولاً باسم مكارونيه او جزيرة مكار . وقد كان في برقة نهر اسمه مكار وفي خليج قابس بحيرة مكار وفي زوجيتانيا نهر آخر اسمه مكار . وعلى الشاطىء الاطلانطيقي في موريتانيا (شمالي مراكش وغربي الجزائر) نهر وبحيرة باسم مكار . وقد اكتشف هانون القرطاجني في تلك الاصقاع في القرن السابع قبل المسيح نهر لوكوس وخرائب مدينة اسوارها كارية ولا تزال هذه الاسوار موجودة الى يومنا هذا واذا تركنا وراءنا ليبيا ومررنا باوربا نجد في مدخل الارخبيل اليوناني جزيرة لمكار ونعني بها جزيرة كريت وربما جاء من هنا اسم كانتور او جزيرة سيفين الكبرى على ماقال ذلك ابيرس الاثري الالماني واذا تقدمنا الى الامام نجد نهراً لمكار في اقلم تساليا وآخر في بيوسيا وثالثاً في بروبوتيدا . ويؤخذ من قول هوميروس ان لسبوس (جزيرة مدللي) كانت مقراً لمكار

ولا يقف انتشاء عبادة مكار وراء تخوم بلاد اليونان بل كانت شائعة في اقليم اومبريا بايطاليا وساردينيا وايبريا (الاندلس) ولا شك ان اسوار جزيرة تارتاسوس لم يستطع اهل صيدا ان يدكوها الا باختراع المنجنيق وما تعاصت عليهم الا لانها بنيت معبداً لمكار

واذا سألت عن مكار هذا الذي يكاد يكون اثراً خالداً في كل مكان فهو بحسب الالواح الاشورية المحفوظة في المتحف البريطاني « مكار او انو — كما جاء في احدها — سيد المياه ورب الانهار وسلطان البحار وزعيم الاعماق وربها وحاكمها » وفي الاساطير البابلية انه احد الارباب التي بدت في صورة اسماك · يحرس منازله الرجال الذين خلقوا على هيئة اسماك ويتصل نسب مكار كما في الاساطير الهندية بفرع الكوشيين · اذا عرفت هذا فلا يسوغ لك ان تخلط بين مكار بعد ما ذكرت لك من وصفه وبين بوسيدون وهو ربٌّ ليبي صرف رآه اليونان في جميع البحار واتخذوه وصبغوه بصبغتهم · وكان على الشاعر هوميروس ان يعرف تلك الارباب القديمة التي كانت تعبد في ليبيا لانه كثيراً ما يذكر في الاوذيسية اسم الحبشان الآسياويين والحبشان الافريقيين

ولغة الكاريين هي لغة البربر وهي لغة احد الفروع القديمة للجنس البشري كان يطلق عليها جيرانهم في آسيا وافريقية باربارونيّ · وهذا الاسم القديم (البربري) لم يطلقه على عمومه الا اليونان واللاتين اما هوميروس فانه يعني ببربر ذاك الفرع الليبي من الناس المعروف باسم بربر حتى اليوم · وبين بارباروني كما اطلقه هوميروس وبربر ليبيا تناسب يؤيده ما يذهب اليه علماء اللغات من انه يوجد في لغة هوميروس بعض الفاظ تقرب كل القرب من اللغات السامية حتى لقد قال احد العلماء انه اذا كان النحو اليوناني يدل على تراكيب تشبه النحو السنسكريتي واللاتيني والسلافي فان معجمه وان حوى مفردات كثيرة جداً ولا سيما في المصادر الصوتية وهي آرية بالطبع قد اطلعنا على قليل من المعاني الغريبة عن جميع اللغات الهندية الاوربية والالفاظ السامية · وليست هذه التعابير مقصورة على الالفاظ الدالة على حيوانات ومعادن ونباتات بل ان منها ما يدل على المبادىء الضرورية للحياة المدنية والسياسية وفيها خالف اليونان وحدهم اجماع الامم الاوربية اه

وقد تبين ان بين خط ميونيا وخط ليبيا القديم تناسباً وان هذا الخط ليس له علاقة بالحروف الهيتية او الحروف الفرغانية في آسيا الصغرى بل هو مشتق من الخط الهندي الحميري · والظاهر على ما قاله نورمان ان الخط الهندي الحميري جاء في الاصل من جنوبي بلاد العرب ومن هناك انتقل الى افريقية — حيث كان الخط الحبشي والليبي فرعاً خاصاً برأسه — مع الخط الحميري او هجاء سكان اليمن القدماء

وهذا التعريف الذي عرفه لنورمان من تعيينه سير هذه الحروف الهجائية هو مثل تعريف البارون دي كوستين للخط الكوشي في تنقله الى ان بلغ البحر المتوسط فساغ لنا من ثم ان نقول ان اللغة الحميرية اشتقت منها الغسانية والغزية والليبية والكريتية والامحرية والتيفنغية ·

مطبوعات ومخطوطات

العرب قبل الاسلام

ألف جرجي افندي زيدان منشئ الهلال هذا الكتاب وهو يبحث في اصل العرب وتاريخهم ودولهم وتمدنهم وآدابهم وعاداتهم من اقدم ازمانهم الى ظهور الاسلام ويدخل في هذا الجزء الأول تاريخ دول العمالقة في بابل ومصر وفي بطرا وتدمر وغيرهما وتاريخ العرب القحطانية في اليمن ودولها المعينية والسبأية والحميرية وتمدنهم في مأرب وظفار وحضرموت وفيه اخبار عرب الشمال وعدنان وما كان لهم من الدول في الحجاز ومشارف الشام والعراق وحروبهم وغير ذلك . وقد زينه ببعض الرسوم والخرائط وجعله هدية لمشتركيه عن السنة السادسة عشرة فجاء في زهاء ٣٥٠ صفحة يشهد بطول باع المؤلف وبحثه فنحث على اقتنائه .

فلسفة العمر

قلّ فينا المؤلفون الذين يؤلفون للذة والفائدة فقط وقل فينا من يحبون العلم للعلم ولا سيما من اهل السعة . وصالح بك حمدي حماد من اهل هذه العاصمة هو من الكتاب الذين وقفوا ايامهم ولياليهم على هذا الغرض الشريف نقل حتى الآن عدة كتب من اللغة الفرنسوية الى اللغة العربية ولو كان يعمل عمله كل من تعلموا لغة اجنبية منا فينقلون لنا ما يلزمنا لغنيت لغتنا بآداب الامم الغربية وتاريخها واجتماعها وآخر ما نشره رسالة في فلسفة العمر في ادوار الحياة الاربعة اي الطفولية والشبيبة والكهولة والشيخوخة وما في طيها بحسب الاحوال الاجتماعية الراقية من عبر وحكم اضاف اليها بعض تراجم المشاهير الواردة اسماؤهم في الكتاب وطبعه طبعاً جميلاً في ١٤١ صفحة ويطلب منه .

نور اليقين

في سيرة سيد المرسلين

هو كتاب في السيرة النبوية لمؤلفه الشيخ محمد الخضري من افاضل هذه العاصمة طبعه للمرة الثالثة اجمل طبع حسنين افندي محمد صاحب مكتبة المؤيد في ٣٣٤ صفحة . وهذه السيرة على ايجازها من انفع ما كتب في هذا الموضوع الشريف ولذلك راجت وطبعت ثالثة

عفة الاولاد

عرب سليم افندي خوري هذه الرسالة من الانكليزية فيما يجب على الاولاد معرفته

وهي في صورة مخاطبات ورسائل حوت نصائح كثيرة لطيفة وتطلب من معربها بمصر . وهذا هو الجزء الاول ويليه ثلاثة اجزاء وفقه الله الى تعريبها ونشرها .

رحلة ابن جبير

من اجمل الرحلات وانفعها رحلة ابن جبير الاندلسي من اهل القرن السابع طبعت في اوربا مرتين واعيد طبعها ثالثة الآن وتطلب من طابعها مصطفى افندي فهمي الكتبي بالحلوجي بخمسة قروش اميرية وشهرة ابن جبير تغني عن التنويه بكتابه الذي طار صيته وحلت في الاسماع نغمته .

الدرر السنية

الف حسين افندي فتوح ومحمد علي افندي عبدالرحمن هذه الرسالة في اللغة العامية وما يقابلها من العربية وقد اعتمدا على لغة العامة في مصر وقابلاها بما استحسناه وعرفاه من الفصيح فجاءت في ٦٤ صفحة فنثني على همتهما ونرجو ان يتوسعا في هذا الموضوع الجليل هما وسائر المشتغلين به .

الحمويات

هو ديوان الشيخ محمد الحسن الحموي فيه ضروب من شعره واكثره في المديح وقد صدره بترجمة نفسه وحلاه ببعض الرسوم وهو في زهاء مائتي صفحة صغيرة ويطلب من طابعه بمصر فله الشكر على هديته .

سير العلم والاجتماع

بنات اميركا

ازهر تعليم البنات في الولايات المتحدة ففيها ١٧٩ مدرسة تضم وراء جدرانها ٣٠ الف طالبة يعلمهن ٢٦٠٠ معلم ومعلمة وينسب الفضل في تأسيس معظم هذه المدارس لعقائل واوانس من ربات الخير جدن في هذا السبيل بملايين الريالات دفع الى ذلك بعضهن دافع علمي وبعضهن دافع انساني او ديني او مدني . قال بعض الاجتماعيين ومن عيوب هذه المدارس كثرة البذخ والانفاق فيها حتى انك لاتجد في المتخرجات من مدرسة ولسلي منذ

خمس وعشرين سنة وعددهن اثنا عشر الفاً سوى سبعمائة تعاطين مهنة الصحافة والتدريس والباقيات عانسات ينتظرن ان يتزوجن من رجل غني ·

وفرة الاطباء

تشكو المانيا الآن من كثرة اطبائها ففيها بحسب التقرير الطبي السنوي ٣١٤١٦ طبيباً وفي بروسيا وحدها ١٩ الفاً وفي فرنسا ٢٠ الفاً ومثلها في كل من ايطاليا وروسيا · وعدد الاطباء في اوربا ١٦٢٣٣٤ طبيباً وعددهم في العالم كله ٢٣٠ الفاً قالت المجلة التي ذوي عنها والظاهر ان هذه الصناعة في اكثر البلاد لا تقوم بنفقة صاحبها ·

أوقات الزواج

بحسب احصاء أخير يتزوج الشبان في المانيا وفرنسا نحو السنة التاسعة والعشرين وفي الدانيمرك والسويد نحو الثلاثين ويتزوج الصربيون في الرابعة والعشرين وهم أسرع أهل أوربا للزواج الباكر · أما اهل الشرق فاسرع بكثير الى الزواج

عناصر الولايات المتحدة

في هذه الولايات ١٥ مليون غريب ومعظمهم بقيت بينهم وبين أهلهم في أوربا صلات مستحكمة فيرسلون اليهم بما يقتصدونه من المال ليعيشوا به وقد قدروا على وجه التقريب مايخرج من مال اميركا الى اوربا كل سنة بخمسين مليون جنيه تأخذ ايطاليا القسم الاعظم من المال فيصيبها ٧٠ مليون دولار في السنة ويصيب النمسا ٦٥ ويصيب بريطانيا العظمى ٢٥ وروسيا ٢٥ والمانيا ١٥ مع ان في اميركا مليونين من الطليان واربعة ملايين من الالمان ولعل الطليان يطول عليهم الامد حتى ينسوا اهلهم كما ينسى الغريب اهله وخلانه اذا طال عهده بهم في العادة او ينسونه

المداواة بالجوع

قال الاستاذ كارنجتون من علماء النفس ان عامة الامراض يتيسر شفاؤها بالجوع ومن رأيه ان جميع الاسقام على اختلاف اشكالها ونشوئها متشاكلة من حيث أسبابها وعللها وما عدا بعض الاوجاع الناتجة من جراحات فان أسباب الامراض هي انحباس مواد لم تفرغ في التركيب الانساني لانسداد المصارف الطبيعية امامها · وما المرض نفسه الا عمل يجري في الجسم لعمل هذا الدفع وعلى هذا فاذا ازيل السبب زال المسبب · والاشياء الضارة تدخل الجسم من طريق الرئة باستنشاق هواء فاسد أو من

طريق المعدة بتناول او شرب مايضر وينتج من ذلك بانه ليس ثمة سوى واسطة واحدة لاخراج المواد الضارة الا وهي اسقاط الفضلات

فيقتضي ترك الرئتين والمعدة تتخلص من تلقاء نفسها مما يعوقها أو يلقيها في خطر وليس ما نسميه مرضاً في الحقيقة سوى تنظيف طبيعي نقوم به ولا نرى فعله ومن الخطإ ان نعتقد انه يجب مكافحة المرض بأدوية وعقاقير وغاية مايجب علينا في تلك الحال ان لاندخل على الجسم مواد اخرى تزيد الكثافة فيه من حيث الهواء او من حيث الغذاء

وليس من سبيل الى ذلك الا بان يدفع المرض عن المريض بان لايستنشق هواء فاسداً وان يمتنع عن الاكل بتة . ولم يصف الاستاذ المشار اليه طريقته للاعداء بل وصفها للمرضى فلا يتناول المريض طعاماً أيا كان نوعه فيقل فيه ثقل الرأس الذي يصحبه ثقل المعدة ويصبح بصره حاداً وسماعه احد وذاكرته احد فيشعر المريض بالتدريج بان صحته احسن

أعمال الفلاسفة

سئل بعض الفلاسفة كيف يكتبون فقال تيودور ريبو من فلاسفة فرنسا انه يجمع المواد اللازمة ثم يستخرج منها الموضوع الذي يريده ولكنه بطيء في الانشاء فلا يكاد يكتب اكثر من ساعة في اليوم وعلى العكس لايفتأ يعمل عقله في النزهة والسكة الحديدية

وقال الفرد فوليه الفيلسوف الفرنسوي انه سريع الكتابة فاذا جمع معه الفكر يندفع يكتب ساعات طويلة ولكنه لايحتمل حصر الذهن طويلا فيسرع الى مغادرة مقصورته ويسير في الخلاء ركضاً . ويكتب الفيلسوف هوفدنغ الالماني في أوقات متقطعة فيسهل عليه التأليف في الخريف والشتاء اكثر من الصيف والربيع وفي المدينة اكثر من الريف ولا يستطيع الفيلسوف كوميرز الالماني ان يكتب الا املاء اذ يستطيل المسافة بين التفكر والكتابة

الهند الانكليزية

بلغت مساحة الهند مع عدن وجزائر اندمان ونيكوبار ٤٥٩٢٥٠٥ كيلومترات مربعة وكان عدد سكانها ١٩٠٦ — ٢٩٤٣٦١٠٠٠ اي ان في كل كيلومتر مربع ٦٤٠ ساكناً وقد كان فيها سنة ١٨٨١ — ١٢٩٩٤١٨٩٠ رجلاً و ١٢٣٩٥١٠١٠ امرأة فاصبح فيها سنة ١٩٠١ — ١٤٩٩٠٢٥٩٩ رجلاً و ١٤٤٣٨٩٨٣٤ امرأة ولا يدخل في ذلك سكان عدن وجزائر اندمان ونيكوبار وهم ٦٨٦٨٣ بل تدخل فيها الممالك الوطنية واكثر العناصر هناك العنصر الهندي وهو يبلغ ٢٠٧،٣٥٠٣٧ ثم المسلمون وعددهم ٦٢٤٢٠٢٩١ والبوذيون

والجنيون ١٠٨٠٨٦٥٢ والمسيحيون ٢٩١٨٧٨٦ ومن هذا العدد العظيم ١٩٥٦٦٦٨٤٥ نسمة يتعاطون الزراعة و١٧٩٥٣٢٣٠ من طبقة العملة في الاعمال الزراعية و٤٥٧١٩٦٤٥ يعيشون من الصناعة و٧٧٢٥٧٣٧ من التجارة وفي الهند ٧٨ مدينة يتجاوز سكان كل منها خمسين الفاً منها ٢٧ مدينة فيها زهاء مئة الف وتسع مدن فيها مائتا الف

تحسين الاذواق

في اميركا مئات من ارباب النقد والاساتذة آلوا على انفسهم ان يصرفوا اوقات فراغهم في تحسين اذواق الشعب وغرس الميل فيه الى الفنون فيزورون خاصة المتاحف و يشرحون للزائرين من العامة مايجهلونه و يتعرضون لحل سؤال كل من يسأل عن امر غامض لم يفهمه فيذكرون للسائلين في بضع كلمات تاريخ الفن و يتوسعون في ذكر محاسن الاثر المعروض بحيث يفتح عيون الجاهلين . وفي المدارس ولا سيما الابتدائية منها يعرضون من المصورات وغيرها ما يربي في الاولاد ملكة الميل الى الفنون والطرائف فيشركون غيرهم فيما تعلموه عند الحاجة . كل هذا يقوم به اهل اميركا لتكثير سواد النوابغ في الفنون الجميلة والصناعات النفيسة

تماثيل قرطاجنية

ظفر الباحثون في عرض البحر على سبعة كيلو مترات من قرطاجنة بعدد عظيم من التماثيل المصنوعة من القلز وهذا الاكتشاف مهم لانه يكشف القناع عن اشياء مجهولة في الحضارة القرطاجنية .

معدة غريبة

قدم احد الاطباء لمؤتمر الجراحة الالماني معدة من اعجب المعد . وهي معدة رجل مريض استخرج منها ١٦٧٠ قطعة من حديد مثل مسامير وكلابات واسلاك وغيرها

درس السعادة

قال احد علماء الالمان في بحث له ان من احب الاقتراب من معاهد السعادة يجب عليه ان يحسن كيف يستقي من مصادر الحياة الاربعة وهي السعادة الاخلاقية والسعادة العقلية وسعادة الشعور وسعادة الحواس وان يكون حراً في باطنه اي يعرف كيف يتخلص من الافكار والاوهام الموروثة . والتقوى والصلاح والاخلاص مصدر السعادة الحقيقية وعلى من تطالت نفسه الى بلوغها ان يهذب نفسه بنفسه .

المقتبس

الجزء الحادي عشر من المجلد الثالث

ذي القعده سنة ١٣٢٦ موافق دسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠٨

المجلس العمومي

ياشرق بشراك ابدى شمسك الفلك … وزال عنك وعن آفاقك الحلك
اضحى بك القوم احراراً قد اعتصموا … من النجاة بحبل ليس ينبتك
ماذا اقول وقد فزنا بمؤتمرٍ … في جانبيه ترى الآراء تشتبك
نادٍ به القول من اهليه مستمع … والحق متبع والامر مشترك
نادٍ اذا نفرت عنا الامور به … لمن يمتد من نسج النهى شرك
يصطاد فيه شرود الحق عن كثب … كالماء يصطاد في ضحضاحه السمك
ان السحائب لم تظهر بوارقها … ما لم يكن للقوى فيهن معترك
وللتدابير حرب لا يخيب بها … قوم بمستنقع الآراء قد بركوا
هذا هو المجلس الرحب الذي وسعت … احكامه الناس من عاشوا ومن هلكوا
هو السماء التي تعلو السماء بها … تبدو من العدل في آفاقها حبك
دارت بها شمس عز الملك حيث لها … حرّية العيش برج والنهى فلك
قد اصبح الامر شورى بيننا فبه … على الرعية لا يستأثر الملك
واصبح الناس في قربى وان بعدت … اديانهم ما بهم حقد ولا حسك
هذا الذي جاءنا الدين الحنيف به … وحياً من الله مبعوثاً به الملك
هذا به نهض الاسلام نهضته … من قبل اذ قام يستولي ويمتلك
ياقوم قد حان حين تسخرون به … ممن بكم سخروا من قبل او ضحكوا

مات الزمان الذي من قبلُ كان به ... يحيى امرؤٌ لم يكن في السعي ينهمك
هلاَّ نظرتم لما في الغرب من سنن ... كلٌّ به سائرٌ طلقاً ومنسلك
لم نلق للحق وجهاً فيه محتقراً ... ولم تجد حرمةً للعلم تنتهك
في الغرب اصواتُ علم يبعثون بها ... مَن في القبور فهل في سمعكم سَكك
فشمروا يارجال الشرق عن همم ... حجابها عند اهل الغرب منهتك
ولست اطلب منكم فعل ما فعلوا ... ولا احاول منكم ترك ما تركوا
بل فاذكروا اولئكم كيف قد سلفوا ... ثم اسلكوا في المعالي اية سلكوا
واستخلصوا عسجد المجد الذي بلغوا ... سبكاً على قالب العلم الذي سبكوا
لا عذر للشرق عند الغرب بعدئذٍ ... ان لم يتم له في شأوه الدرك
واستنجدوا العلم ان العلم شكته ... في حومة العيش تبلى دونها الشكك
اما المدارس فلترفع قواعدها ... حتى تقوم وطود الجهل مؤتفك
منابع العلم ان غاضت بمملكةٍ ... فاضت بسيل الدواهي حولها بُرك
من شاد مدرسةً للعلم هدَّ بها ... سجناً لمن افسدوا في الارض او فتكوا
وكم اثارت رياح الجهل من سحب ... تهطالهن دمٌ في الارض منسفك
فالعلم والجهل كل البون بينهما ... هذا الفسوق وذاك الفوز والنسك
ضدان ما استويا يوماً ولا اجتمعا ... وهل تُرى يتساوى النور والحلك
نادوا البدار البدار اليوم انكم ... ياقوم ساهون حيث الامر مرتبك
كم رددت كلمات الناصحين لكم ... حتى لقد ملَّ من مضغ لها الحنك
ياقوم قد طلعت شمس الهدى وبها ... للناس قد وضحت من رشدهم سكك
وانشد الشرق مسروراً يؤرخها ... حرية الملك اهدى شمسها الفلك

بغداد ... معروف الرصافي

منتخب من عهد ازدشير بن بابك الملك

في السياسة

عني بنشره احمد بك تيمور منقولاً عن نسخة كتبت سنة ٧١٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من ملك الملوك ازدشير بن بابك الى من يخلف من الملوك

السلام عليكم ان من اخلاق الملوك الانفة والجراءة والبطر والعبث وكلما دامت سلامة الملك في ملكه قويت هذه الاخلاق عليه حتى يغلب عليه سكر الملك الذي هو اشد من سكر الخمر فيظن انه قد امن من النكبات والعثرات فيبسط يده ولسانه بالقبيح فيفسد باعتماده جميع ما اصلحه الملوك قبله فتعود المملكة خراباً .

وافضل الملوك الذي يتذكر في عزه الذل وفي امنه الخوف وفي قدرته العجز فيجمع بين بهجة الملوك وحذر الرعية ولا خير الا في جمعهما فان رشاد الملك خير من خصب الزمان

الدين اساس الملك . والملك حارس الدين . فلا يقوم احدهما الا بالآخر

اياكم ان تتهاونوا بمن يطلب الرئاسة باظهار الزهد والغضب للدين فما اجتمع الناس على رئيس في الدين الا انتزع ما في يد الملك من ملكه فان الناس الى رئيس الدين اميل .

فتعهدوا طبقات الناس وتفقدوا جماعاتهم فان فيهم من قد حقرتم وجفوتم

واذا آذن الملك للعقلاء من مناصحي دولته في انهاء ما يتجدد عندهم من النصائح التي لا يعلمها خواصه او يعلمونها ويكتمونها انفتحت له ابواب من الاخبار المحجوبة عنه فيحذر وزراؤه وخواصه من الاتفاق على ما يسترونه عنه ولا يقدمون على امر يكرهه خوفاً من ان يطالع به فيأمن مكايدهم وتسلم الرعية من ظلمهم

ومن غلبت عليه خواصه حتى منعوا عنه الناس فلا يصل اليه الا من يحبون اطبقت ظلم الجهالة عليه

ولا ينبغي للملك ان يعتقد ان تعظيم الناس له هو بترك كلامه ولا ان اجلالهم له هو بالتباعد عنه ولا ان محبتهم هي بموافقته على جميع ما يحبه وانما تعظيمهم له بتعظيم عقله وصواب سياسته واجلالهم له اجلال منزلته من الله بما يجريه على يده ولسانه من العدل ومحبتهم له بما يتألفهم بكريم خلقه وصادق المحبة هو الذي يعينه على العدل وحسن التدبير بمحض النصيحة ان في الرعية وحملة السلاح من الاهواء الغالبة والفجور ما لابد للملك معه من ان يقرن

بباب الرأفة باب الغلظة وباب الانعام بباب الانتقام فان القصاص من المفسد بن حياة لبقية الامة . ومن لم يقم حدود الله تعالى في من له فيه هوى لم تثبت هيبته في قلوب الخاصة والعامة ولن يستطيع الملك ان يقوّم العامة حتى يقوم الخاصة

وان من كان من الملوك قبلنا قد رتبوا الناس اربع طبقات فالامراء والجند صنف والعباد والفقهاء صنف والكتاب والحكماء صنف والتجار والفلاحون صنف فلم يمكنوا صنفاً منها ان يدخل في الصنف الآخر لتتفرغ كل طبقة للقيام بما يلزمها

وليس اضر على الملك من رأس صار ذنباً او يد مشغولة وجدت فراغاً من شغلها

وخير الملوك من بعث العيون على نفسه ليعلم عيوبها فيكون اعلم بعيوب نفسه من غيره ثم يجتهد في مداواة عيب بعد عيب حتى لا يجد احد فيه مطعناً فهذا الذي تمت سيادته

وان ابتهاج الملك المسدَّد الرأْي القاهر لهواه بوفور عقله وشرف نفسه بارتفاعها من النقائص اعظم من سروره بملكه

ومن الرعية من يقارب الملك في مأكله وملبسه وشهوته وليس فيهم من يقدر كقدرته على اجتناء المحامد واصلاح الرعية بالعدل عليها وتأمين السبل وصيانة الحريم وكف ايدي الظالمين فاجتهدوا معشر الملوك في بسط العدل الذي لا تقدر عليه الرعية وتنافسوا في اقتناء الذكر الجميل

وليس للملك ان يبخل فانه لا يخاف الفقر واذا عرف بالبخل انقطع الرجاء من خيره فانسلت الايدي من طاعته ولا يجتهد احد في خدمته وانحلت النيات عن مناصحته

ولا ينبغي له ان يغضب لان الغضب مع القدرة يوجب السرف في العقوبة ثم يعقب الندامة مع ما فيه من الطيش والخفة وقبح السمعة

ولا ينبغي له ان يلعب لان اللعب والعبث من اعمال الفراغ والفراغ من عمل السوقة وفي ذلك من ذهاب الوقار واسقاط الهيبة ما ينافي جلال السيادة

وليس له ان يحسد الا ملوك الامم على حسن التدبير واصابة السياسة ومكارم الاخلاق ولا ينبغي له ان يجبن عند وجوب الاقدام فان الشجاعة عز وهي من اهم شروط الملك

زين الملك ان يحفظ نظام اوقاته المقدرة لاشغاله وركوبه وراحة بدنه فتكون معينة لا تختلف فان في اختلافها خفة وليس للملك ان يخف

وينبغي ان يكون حذره لمن بعد عنه اكثر من حذره لمن قرب منه وان يتقي بطانة السوء اشد من اتقائه لعامة السوء . ومن الناس صنف اظهروا الزهد في الجاه ولم يتقربوا

بالخدمة وادعوا التواضع وهم قد اسروا التكبر واستدعوا الى انفسهم الجاه بوعظ الملوك وقد ينفعهم ذلك عند المغفلين فيقربون منهم من حسن ظاهره وتلطف حتى اعتقد خواصهم تعظيمه وان كان ناقصاً في عقله عبداً لشهواته متهافتاً على الرئاسة فان اسكته الملك قيل قد استقل الموعظة وان اطلق لسانه قال بوعظه بين الملاء ما افسد حال الدولة فالرأي ان لا يهمل الملك امر هذه الطائفة فانهم اعداء الدول وآفات قوية على الملوك

اعلموا انه لا بد لكم من مخطة على بعض انصاركم ونصاحكم واعوانكم ولا بد من رضى يحدث لكم عن بعض اعدائكم المعروفين بالغش لكم فاذا فعلتم ذلك فلا تنقبضوا عن المعروف بالنصيحة ولا تسترسلوا الى المعروف بالغش وقد خلفت عليكم رأيي اذ لم اقدر على تخليف بدني فاقضوا حتى بالتمسك بعهدي والسلام على اهل الموافقة ممن يأتي عليه هذا العهد من الامم ·

الرومان

عاقبة الجمهورية

كاتون الاوتيكي — بينا كان القواد يتنازعون بينهم فيمن يستأثر بالسلطان على العالم الروماني اشتهر رجل بتعلقه بالدستور الجمهوري القديم الذي اخذ يمزق ولما رآه آخذاً في التداعي لم يلبث ان انتحر وكان كاتون هذا هو الملقب بعد بكاتون الاوتيكي باسم المدينة التي انتحر فيها ·

كان هذا الرجل من أسرة شريفة من اخلاف كاتون وزير الاحصاء الشهير والمدافع عن الاخلاق الرومانية القديمة كتب له ان يكون صاحب ثروة طائلة وهو شاب بعد · وكان قد تعلم فلسفة الرواقيين وجرى عليها فانشأ يعيش عيش الزهاد يأكل قليلاً و يشرب قليلاً ولا يتطيب وعوّد نفسه احتمال الحر والبرد الشديد يسافر ماشياً في كل فصل من فصول السنة حتى مع اصحابه الراكبين خيولهم ولا يلبس الا ثياباً بسيطة رثة وقد وقع له ان خرج بدون حذاء ·

ولما أرسل قائداً لاحد الجيوش الى احدى الحروب (بموجب امتياز فليان الاشراف)

احبه جنده واحترموه اذ رأوه يعيش مثلهم عيشاً بسيطاً ولما وسدت اليه نظارة المالية عني بالنظر في الحسابات بنفسه على العكس فيمن كان قبله من الاشراف يتولون هذه النظارة فانهم كانوا يتركون للكتاب ينظرون في شؤون المالية وحدهم وبذلك اكتشف نزوير ات الكتبة وحاكم المرتكبين واشتهر بغيرته وكان لا يتأخر عن جلسة من جلسات مجلس الشيوخ او مجلس الامة فصار يضرب المثل بشرفه واصبح القوم يقولون عن الامر المتعذر « لا يمكن تصديق هذا ولو قاله كاتون »

وكان كاتون يقوم بما يعتقد انه واجب عليه دون ان تأخذه رأفة او تناله رهبة . وحاول ان يحكم على موربنا لانه ابتاع اصوات الامة حتى انتخبته قنصلاً فبرأه شيشرون وكان اذ ذاك قنصلاً بخطاب سخر فيه من فلسفة الرواقيين فقال كاتون : « حقاً ان لنا قنصلاً مضحكاً » واقترح قيصر في مسألة المشتركين في قتل كاتالينا ان يتأخر اعدامهم لانهم رفعوا قضية فاشتد كاتون على قيصر واشار الى مجلس الشيوخ ان يأمر باعدام الجناة في الحال فلم يسع المجلس الا ان يقرر قتلهم .

ولما اقترح بومبي سن قانون يسمح له بادخال جيشه الى رومية خلافاً لما رسمه الدستور استشاط كاتون غضباً في جلسة مجلس الشيوخ من المحامي متلوس الذي اقترح وضع القانون وصرح بانه ما دام حياً لا يدخل بومبي الى المدينة مسلحاً ولما جاء متلوس الى الساحة في جيش من العبيد المسلحين للموافقة على القانون اخترق كاتون صفوف الجماعة وقعد بالقرب من متلوس ومنعه من قراءة مشروعه فجاء العبيد اذ ذاك صارخين يرمون بالحجارة و يضربون بالعصي فهرب الشعب وبقي كاتون فانقذه موربنا بان جره الى احد المعابد وعاد الشعب فصعد كاتون على المنبر وخطب في سيئات هذا القانون فابى متلوس ان يعرضه وذهب الى آسيا ليلحق بومبي

ولما اتى قيصر و بومبي وكان قيصر قنصلاً اقترح سن قانون فلم يجرأ غير كاتون على قتاله فانزله قيصر من المنبر بواسطة رجال الشرطة وبعث به الى السجن وظل كاتون يتكلم في الطريق وقد تبعه جمهور من اعضاء مجلس الشيوخ فعزم قيصر ان يخلي سبيله وللخلاص منه ارسلته الحكومة الى قبرص ليطرد منها الملك بطليموس دون ان يعطوه جيشاً واذ كان هذا الملك انتحر لم يبق على كاتون الا ان ينتظم قائمة بما خلف الملك من الكنوز فاتى الى رومية بمبلغ كبير فاستقبله مجلس الشيوخ احسن استقبال وتقدم للانتخاب قاضياً وكانت القبيلة الاولى وافقت على انتخابه واذ كان بومبي رئيس المجلس تظاهر بدا من ان يدعي ان السماء ترعد واعلن بانفضاض الجلسة (والرعد طالع شؤم كما عرفت في بعض الفصول السابقة)

وعند ما اقترحوا ان يعطوا لقيصر جيشاً تقدم كاتون الى بومبي ولطالما شغل الاول بقتال الثاني وحضه على الحذر من قيصر فبقي بومبي عدواً لهذا. وهذا لم يمنع كاتون عند ما رأى المنافسين في الحكومة يقتتلون في المدينة من معاضدة اقتراح المقترحين ان يعينوا بومبي وحده قنصلاً عند ما اقترب احدهما من صاحبه ولما زحف قيصر على رومية بجيشه نصح كاتون لمجلس الشيوخ ان يلقي الى بومبي بمقاليد الحكم باجمعه قائلاً على من عمل الشر ان يتلافاه . وتبع بومبي الى خارج ايطاليا ومنذ ذاك العهد اطلق شعره ولحيته علامة على الحزن واشار باطالة زمن الحرب وكان يخاف من عاقبة قتال يقتل فيه الرومانيون بعضهم

ولما بلغته هزيمة فارسال سافر الى مصر يريد الالتحاق ببومبي ووقف في افريقية حيث كان لاحد اشياع بومبي جيش وتولى الدفاع عن مدينة اوتيكيا

واذ هزم قيصر جيش افريقية اقترح كاتون على الرومانيين النازلين في اوتيكيا ان يحاصروا فابوا فاطلق كاتون جميع اعضاء الشيوخ الذين لجأوا اليه ثم استحم وتعشى مع اصحابه واخذ يخوض في المباحث الفلسفية ولما حان وقت النوم طالع محاورة لافلاطون في خلود النفس والتمس سيفه الذي كان نزعه ابنه عنه مغاضباً فاحضروه اليه فجعله على مقربة منه ونام فاستيقظ عند الفجر ثم طعن نفسه في صدره وكان عمره ٤٨ سنة .

فارسال — لم يبق في البلاد بعد وفاة كراسوس غير بومبي وقيصر وكلاهما يود الاستئثار بالسلطة وكان من تقدم بومبي على صاحبه انه كان في رومية مستولياً على ازمة مجلس الشيوخ وكان مع قيصر جيش غاليا المدرب على الحروب منذ ثماني سنين قضاها في الحملات .

فاتخذ بومبي خطة الهجوم واستصدر من مجلس الشيوخ امراً بان يترك قيصر جيشه ويجيء الى رومية فعقد قيصر اذ ذاك عزمه على اجتياز حدود ولايته (وكان الحد هو نهر روبيكون) وزحف على رومية . ولم يكن عند بومبي جيش في ايطاليا للدفاع فركن الى الفرار مع اكثر الشيوخ من الشاطىء الآخر من بحر الادرياتيك وكان له عدة شيوخ في اسبانيا واليونان وافريقية شتت قيصر شملهم واحداً بعد الآخر فهزم جيش اسبانيا سنة ٤٨ ثم جيش اليونان في فارسال سنة ٤٨ فجيش افريقية سنة ٤٦ ولما غلب بومبي في فارسال لجأ الى مصر فقتله ملكها .

حكم قيصر — ولما رجع قيصر الى رومية عهد اليه بالامر لمدة عشر سنين فصار الحاكم المطلق ثم حارب جيوش اشياع بومبي في افريقية وساد جميع البلاد الخاضعة للرومان واحتفل في رومية بظفره باربعة اعداء الغاليين والمصريين وملك بحرالخزر في آسيا الصغرى

وملك النوميد بن حليف البومبيين في افريقية (لم يكن من اللياقة بان يفاخر لتغلبه على جيش روماني) ·

فقام مجلس الشيوخ لقيصر بالتشريفات الدينية فاعطاه اولاً كرسياً اعلى من مقاعد القناصل ولقبه بالاول ثم خوله الحق ان يحمل تاجاً من الغار (وكان ذلك من حق الارباب) ومنحه لقب « ابوالوطن » وابتدع احتفالات والعاباً اكراماً له واقام له تمثالاً خطوا فيه الفاظ التعظيم وعهدوا الى الكهنة للاحتفال بعبادة رب يوليوس قيصر · ومن الممكن ان يكون قيصر طمع في لقب ملك ومع هذا دعا نفسه بالامبراطور وقبل بان يلبس ثوباً ارجوانياً وان يجلس على عرش من ذهب و يرسم خوذته على النقود ·

واحتفظ قيصر بمجلس الشيوخ وجميع المناصب وهو الذي كان يعين المرشحين الذين يقضي على الشعب انتخابهم وهو الذي وضع نائمة بمجلس الشيوخ وكان هلك كثيرون من الشيوخ فابلغ عدد الاعضاء الى تسعمائة ومعظمهم من انتخابه وكثيرون منهم من الغاليين ولم يقض في رومية غير خمسة عشر شهراً من حيث المجموع فما اتسع له الوقت ان يقوم بالاصلاحات التي كان ينويها (ما عدا تقويم السنين) ثم قتله ندماؤه الذين كانوا يرغبون في اعادة حكومة مجلس الشيوخ (٤٤)

احد الحكام الثلاثة — اضطر الشعب الروماني وكان يحب قيصر زعيمي قتلته وهما بروتوس وكاسيوس ان يهربا فنحيا الى الشرق حيث جيشا جيشاً عظيماً وظل الغرب تحت حكم انطونيوس الذي اعتمد على جيش قيصر فحكم رومية حكماً استبدادياً

وكان قيصر تبنى ابن اخته اوكتاف وعمره ثماني عشرة سنة بوصية اوصى بها فسمي بحسب العادة الرومانية باسم متبنيه ودعا نفسه يوليوس قيصر الاوكتافي · فضم الى حزبه جند قيصر وعهد اليه مجلس الشيوخ ان يحارب انطونيوس وبعد ان تغلب عليه آثر الاشتراك معه لاقتسام السلطة فاتحدا مع ليبدوس ودخلا ثلاثتهم الى رومية واستولوا على الامر استيلاء مطلقاً مدة خمس سنين تحت اسم الحكام الثلاثة المعهود اليهم تنظيم المسائل العامة · وشرعوا في نفي خصومهم واعدائهم الخاصة (فامر انطونيوس بضرب عنق شيشرون) (٤٣) ثم ذهبوا الى الشرق لتشتيت جيوش المخالفين و بعد ذلك اقتسموا المملكة بينهم · ولم يدم الوفاق بينهم طويلاً بل قاتل بعضهم بعضاً في ايطاليا حتى توسط جندهم في الامر واضطروهم الى العودة لما كانوا عليه من الاتفاق ثم جرى تقسيم المملكة من جديد فاصبح انطونيوس ملك الشرق واوكتاف ملك الغرب (٣٩)

حرب الاكتيوم — دام السلم بضع سنين فاخذ انطونيوس يعيش عيش ملك شرقي

مصاحباً لكلوبطرة ملكة مصر وشغل اوكتاف بقتال ابن بومبي الذي كان تحت امره اسطوله يحرب به شواطئ ايطاليا . وانتهت الحال بهذين الملكين بانقطاع علائقهما فنشبت آخر حرب بينهما وكانت حرباً بين الشرق والغرب تمت بحرب اكتيوم البحرية واسلم اسطول كلوباطرة انطونيوس صاحبها فلجأ الى مصر وانتحر وبقي اوكتاف وحده صاحب المملكة المطلق (٣١) وكان قد انتهى امر حكومة مجلس الشيوخ .

تقرير السلطة المطلقة — شكا الناس كلهم من هذه الحروب وكان سكان الولايات يؤخذون فداء ويسيء الجند معاملتهم ويقتلهم تقتيلاً يضطرهم كل فريق من الحكام ان يحازوا اليه ويعاقبهم الغالب على انضمامهم الى المغلوب . وكان القواد يعدون الجند بان يكافئوهم باعطائهم اراضي يستغلونها فيطردون منها عامة سكان مدينة تحل محلهم قدماء الاجناد . وكان اغنياء الرومان يخاطرون بثروتهم وحياتهم ومتى غلب حزبهم يصبحون العوبة في يد الغالب يتصرف فيهم بما يشاء . فقد وضع سيلا مثالاً من المذابح المدبرة (٨١) وبعد اربعين سنة (٤٣) جدد انطونيوس اوكتاف امر القتل بدون محاكمة

ولقد كان شعب رومية نفسه يشكو من سوء هذه الحالة فلا تصل الى رومية الحبوب التي هي مادة غذائه على طريقة مطردة بل كانت تقع في يد قرصان البحر او ينهبها اسطول العدو فبعد ان مضى قرن على طريقة هذا الحكم لم يعد للجميع من الرومان وسكان الولايات والاغنياء والفقراء رغبة في غير السلام وعندها تقدم الى ذاك الشعب المنهوك بالفتن الاهلية وارث قيصر ابن اخته اوكتاف احد الحكام الثلاثة — تقدم اليهم بعد ان تغلب على رصيفيه قال المؤرخ تاسيت وقبض بيده على جميع سلطات الامة ومجلس الشيوخ والحكام . ولم تمض بضع سنين الا وقد اصبح سيداً على رومية وليس بعد هذا من لقب فلم يعد يفكر احد في مقاومته وقد اغلق معبد جانوس ونشر في العالم الوية السلام وهذا كان ما يطلبه العالم باجمعه وذلك لان حكومة الجمهورية بواسطة مجلس الشيوخ لم تكن تمثل غير النهب والحروب المدنية فكانت النفوس تطمع في رجل يكون من القوة بحيث يحول دون الحروب والثورات وعلى هذا الوجه أُسست الامبراطورية الرومانية .

اغسطس

تنظيم الحكومة الملكية — يقضي نظام الحكم الجديد الذي وضعه وريث قيصر ان يكون الحكم المطلق بيد رجل واحد يدعى الامبراطور اي الرجل المدبر الآمر وله الحق ان يتولى السلطات بامرها التي كانت موزعة بين الحكام القدماء فيرأس مجلس الشيوخ ويجمع الجيوش كلها ويقودها ويضع قائمة باسماء اعضاء الشيوخ والفرسان والوثنيين ويجبي الضرائب

وهو القاضي الاكبر والحبر الاعظم وله سلطة القضاة · وليبان ان هذه السلطة قد جعلته رجلاً فوق الرجال من البشر لقبوه بلقب ديني وهو اغسطس او اغست ومعناه المحترم

لم تنتظم شؤون المملكة بثورة اتت على كل اصطلاح قديم ولم يلغ اسم « جمهورية » وانقضت ثلاثة قرون واعلام الجنود لا يزال يكتب عليها اربعة حروف من اول اربع كلمات S. P. Q. R. ومعناها مجلس الشيوخ والشعب الروماني ولكن اجتمعت السلطة التي كان يتقاسمها اشخاص كثيرون في يد واحد وبدلاً من ان يتولاها سنة فقط اصبح يتولاها طول حياته فالامبراطور هو الحاكم الفرد مدى حياته في الجمهورية وفيه يتجسد الشعب الروماني ولذلك كان مطلق التصرف ·

مجلس الشيوخ والشعب — بقي مجلس الشيوخ الروماني على ما كان عليه قديماً مجلس اعيان الاغنياء واكثر الوجوه حرمة في المملكة فكانت عضوية المجلس تعد من الشرف المرغوب فيه فاذا ارادوا ان يقولوا الاسرة الفلانية كبيرة يقولون هي اسرة شيوخ ولكن مجلس الشيوخ على حرمته لم تعد له سلطة لانه لا يتأتى الامبراطور ان يستغني عنه ولم يبرح مع هذا اول قوة حاكمة في الحكومة وان لم يكن المسيطر عليها وكان يتظاهر الامبراطور احياناً بانه يريد اخذ رأيه ولكنه لا يعمل بشوراته ·

فقد الشعب كل سلطة اذ أُلغيت مجالسه منذ عهد تيبر · واصبح جمهور الامة المزدحم في رومية لا يتألف الا من بضعة الوف من كبار السادة مع عبيدهم ومن خليط من الشحاذين وكانت الحكومة قد تعهدت باطعامهم ودام الامبراطرة يوزعون عليهم الحنطة ويرضخون لهم بشيء من النقود فاعطى اغسطس سبعمائة فرنك عن كل رأس تسع مرات واعطى نيرون ٢٥٠ فرنكاً ثلاث مرات عن كل رأس ·

ثم ان الحكومة كانت تقيم مشاهد لتسلية هذا الغوغاء · وكان عدد المشاهد النظامية ٦٦ يوماً في السنة على عهد الجمهورية فبلغت بعد قرن ونصف على عهد مارك اوريل ١٣٥ يوماً وفي القرن الخامس وصلت الى ١٧٥ يوماً دع عنك الايام الاضافية

وتدوم هذه المشاهد منذ شروق الشمس الى غروبها فيتناول المتفرجون طعامهم في الساحات · وهذا ما كان الامبراطرة يتخذون منه طريقة امينة لاشغال العامة · قال احد الممثلين لاغسطس : لفائدتك ياقيصر يعتني الشعب بنا · بل كانت هذه المشاهد واسطة لاستمالة قلوب الامة للامبراطور فكثيراً ما كان اقبح الامبراطرة اكثرهم حظوة من الشعب فكان نيرون (الظالم) يعبد لانه قام بالعاب لطيفة فلم يصدق العامة بانه مات وكان ينتظر قدومه بعد ثلاثين سنة من موته ·

وما كان العامة في رومية يبحثون عن تولي الامور بل غاية ما تطال اليه نفوسهم ان يتسلوا او يأكلوا كما قال جوفينال في عبارة له شديدة : « خبز والعاب الميدان »

التأليه — الامبراطور وحده سيد المملكة ما دام حياً لان الشعب الروماني يتخلى له عن كل سلطة ومتى مات يبحث مجلس الشيوخ فيما اتاه في حياته ويحاكمه باسم الشعب فاذا حكم عليه تبطل جميع اعماله وتحطم تماثيله ويمحى اسمه من المصانع والآثار (١) واذا اقر على اعماله (وهو ما يحدث غالباً) يقرر مجلس الشيوخ بان الامبراطور مات وقد ارتقى الى مصاف الارباب ·

وقد غدا معظم الامبراطرة ارباباً بعد موتهم على هذه الصورة فكانت تقام لهم معابد وعهد الى كاهن ان يقيم لهم الشعائر الدينية وقد كان في جميع اجزاء المملكة معابد رسمت باسم الرب اغسطس والربة رومية واشتهر عن اشخاص انهم قاموا بوظائف كاهن للإلهي كلود وللإلهي فتزباز ين وهذه العادة في تأليه الامبراطور المتوفى كانت تسمى « التأليه » والكلمة يونانية وانتقلت عادتها من يونان الشرق على ما يظهر

ادارة الولايات — كان ثلثمائة او اربعمائة اسرة شريفة في رومية تحكم البلاد وتستثمر باقي المعمور منذ الفتح الروماني فجاء الامبراطور ينزع منهم الحكومة ويخضعهم لسلطان ظله · حتى اصبح كتاب الرومان يشكون من فقد حريتهم المسلوبة ولم يكن لسكان الولايات ما يأسفون عليه بل ظلوا رعايا ولكن بدلاً من ان يرأسهم عدة مئات من الرؤساء يتناوبون الحكومة على الدوام ويجيئونهم نهمين للغنى اصبح لهم رئيس واحد وهو الامبراطور يهتم بالنظر في امرهم · ولقد اوجز تيبر السياسة الامبراطورية بما يأتي « الراعي الصالح يجز صوف غنمه ولا ينتفه » فمضى زهاء قرنين وقد اكتفى الامبراطرة بجز سكان مملكتهم يسلبون منهم كثيراً من الاموال ولكنهم يحمونهم من العدو الخارجي بل من عمالهم انفسهم · وعندما كان سكان الولايات يشكون من القطائع ومن سرقات حكامهم كانوا يستعدون الامبراطور فيعديهم · وكان من المعروف عند القوم ان الامبراطور يقبل الشكوى على ضباطه وهذا كان يكفي لادخال الرعب على قلوب الولاة الفاسدين وادخال الطمأنينة على رعاياهم

الولايات كلها ملك للامبراطور (٢) لانه يمثل الشعب الروماني فهو قائد جميع الجنود وسيد الناس طراً ومالك الاراضي كافة (قال الفقيه كايوس ليس لنا في اراضي الولايات

(١) عثر على كتابات محي منها اسم دومنيسين على هذه الصورة

(٢) ترك اغسطس لمجلس الشيوخ بعض ولايات من اقل ولاياته منزلة ولكن ظل فيها حاكماً متحكماً مثل ولاياته الخاصة كأنه صاحبها

الا التمتع بها والامبراطور وحده مالك لها) واذ كان من المتعذر ان ينصب الامبراطور في كل ولاية عنه الوكلاء الذين يختارهم بنفسه يرسل الى كل ولاية بضابط (يسمونه مندوب اغسطس لتولي وظيفة القضاء) وهذا المندوب يحكم البلاد و يقود الجيش و يطوف في ولايته لينظر المصالح المهمة و بيده الحياة والموت كالامبراطور . و يبعث الامبراطور ايضا بمحافظ لجبي الخراج وادخال المال في صندوق الامبراطور (و يسمونه نائب اغسطس)

فالضابط والمحافظ يمثلان الامبراطور ويحكمان على رعاياه و يقودان جنده ويثبتان ملكيته . ويختارهم الامبراطور ابدًا من الطبقتين الشريفتين في رومية يختار الضباط من مجلس الشيوخ والمحافظين من الفرسان ولهؤلاء العمال مراتب للتشريف على نحو ما كان الحكام في رومية القديمة يتدرجون من ولاية الى اخرى ذاهبين من طرف المملكة الى طرفها (١) ثمن سورية الى اسبانيا ومن انكلترا الى افريقية . واذاك لتقرأ في الكتابات المكتوبة على قبور رجال ذاك العهد جميع المناصب التي شغلوها مبينة احسن بيان . وكتابة قبورهم تكفي لبيان تراجمهم وما تولد من اعمالهم

الحياة البلدية – وكان تحت هؤلاء العمال الكبار الذين يمثلون الامبراطور وهم لا يسألون عما يفعلون اناس من العامة الخاضعين يديرون شؤون انفسهم بانفسهم وللامبراطور الحق في ان يتداخل في شؤونهم الداخلية الا انه لا يسيء في العادة استعمال هذا الحق . فيطلب اليهم فقط ان لا يحاربوا وان يدفعوا على وتيرة واحدة ما يفرض عليهم من الاموال وان يحاكموا امام محكمة الوالي . وكان في كل ولاية كثير من الحكام المحكومين و يسمون اهل المدينة او البلديون ومن هنا جاءت كلمة الحكم البلدي والمجلس البلدي

تجري كل مدينة خاضعة للامبراطورية في ترتيباتها على مثال رومية نفسها فيكون لها مجلس الشعب وتنتخب حكامها لسنة و يقسمون الى فرق في كل فرقة عضوان ومجلس الشيوخ مؤلف من كبار ارباب الاملاك والاغنياء وارباب الاسر القديمة وفي الولايات كما في رومية ليس مجلس الامة الا صورة والحكم لمجلس الشيوخ اي للاشراف

من العادة ان يكون مقر الولاية مدينة اي مثال مدينة رومية مصغرة ولها معابدها واقواس نصرها وحماماتها العامة واحواضها ودور تمثيلها وميادين قتالها والعيشة فيها عيشة مصغرة من عيش رومية فتوزع الحنطة والدراهم على الفقراء وتولم الولائم العامة وتقام

(١) قال الفيلسوف ايكيت لا يقدر كبار الرجال ان يتأصلوا في الارض كالنباتات بل عليهم ان يسيحوا كثيرا لاطاعة اوامر الامبراطور

الحفلات الدينية الكبرى والالعاب الدموية . الا ان رومية تقوم بما يجب لذلك من النفقات تأخذه من مال الولايات اما في الولايات فان الاشراف يقومون بالانفاق على حكومتهم واعيادها . والخراج الذي يجبى لحساب الامبراطور يحمل كله اليه ولذلك يقضى على اغنياء كل مدينة ان يقوموا بما يقتضي من النفقات للاحتفال بالالعاب واحماء الحمامات وتبليط الشوارع وبناء الجسور والمجاري والساحات . قاموا بذلك مدة تزيد عن قرنين واتفقوا عن سعة شهدت بذلك المصانع المتبثة في ارض المملكة وألوف من المكتوبات على الاحجار

المستعمرات — تقيم رومية في البلاد التي تشك في خضوعها لها جيشاً صغيراً تسكنه فيها فيبني مدينة تكون حصنا حصيناوتبعث اليه بأناس من الوطنيين الرومانيين يكونون جندا وفلاحين في آن واحد ويجزيء الجيش الاراضي المجاورة الى حصص متساوية توزعها عليهم وهذا ما يسمونه مستعمرة

ويبقى المستعمرون وطنيين رومانيين ويخضعون لجميع ما تأمر به رومية . وتختلف المستعمرة الرومانية عن المستعمرة اليونانية — التي كانت كثيرا ما تشق عصا الطاعة حتى انها تحارب آثينة نفسها — بان تكون ابدا ابنة خاضعة لامها فليست المستعمرة الا حامية رومانية مرابطة بين الاعداء . وكانت اكثر هذه المحطات العسكرية في ايطاليا ولكن كان منها في مكان آخر مثل مستعمرة فاربون وليون وآرل فانها كانت مستعمرات رومانية .

جيش التخوم — لم يكن في المدن الداخلية جيش روماني لان سكان المملكة لا يرون الانتقاض على الحكومة فلم يكن للمملكة اعداء الا على الحدود وكان الاجانب ابداً على استعداد من مهاجمتها فالجرمان وراء نهري الرين والطونة ورحالة الصحراء وراء رمال افريقية ووراء الفرات جيوش المملكة الفارسية

ولذا كان من اللازم اللازب اقامة جند يكون على قدم الاستعداد على تلك التخوم المعرضة ابداً للتهديد . ادرك اغسطس ذلك فانشأ جيشا دائما فلم يكن جنود الامبراطورية من اصحاب الاراضي يؤخذون من حقولهم ليخدموا في الجندية بعض حملات بل كانوا اناسا من الفقراء جعلوا الحرب صناعة لهم فيدخلون الجندية ليخدموا فيها ست عشرة سنة اوعشرين سنة وربما جددوا هذه المدة

وعلى هذا كان للامبراطور بقي في رومية ثلاثون فرقة من الوطنيين اي ١٨٠٠٠٠ الف وهم

بموجب العادة الرومانية مساعدون فيبلغ مجموعهم نحو ٤٠٠ الف رجل على التقريب وكان هذا الجيش قليلاً بالنسبة لعظم تلك المملكة

ولكل ولاية على الحدود جيش صغير بعيد في معسكر دائم يشبه قلعة يجيء الباعة يترلون بقربها فلا يعتم المعسكر ان يصبح مدينة وهكذا يعسكر الجند بازاء العدو فيحفظون شجاعتهم ودربتهم · مضت ثلاثة قرون والجند الروماني يدخل في كل حرب زبون مع البرابرة المتوحشين ولا سيما على ضفاف الرين والطونة في بلاد ندية قاحلة مغشاة بالغابات والمستنقعات · وربما بذل الجند الروماني في هذه الحروب التي لا نتيجة لها من الشجاعة والشهامة اكثر مما بذل قدماء اليونان في فتح العالم

الآداب — لم يكن الرومان بالطبع امة فنون وقد أصبحوا كذلك فيما بعد مقتفين فيها أثر اليونان · فمن يونان أخذوا نموذجاً من فاجعاتهم وقصصهم الهزلية وملاحمهم واناشيدهم وأشعارهم الفلسفية والعامية والتاريخية · واقتصر بعضهم على ترجمة الاصل اليوناني (كما فعل هوراس في أناشيده) وكلهم اقتبسوا من اليونان افكارهم ومناحيهم ومزجوها عند ما احتذوا مثالها بما عرف فيهم من صفات الصبر والشهامة حتى صارت بعض آثارهم غريبة الغرائب في أسلوبها

واتفق الرومان على ان العهد الذي أزهرت فيه الآداب اللاتينية حقيقة كانت الخمسين سنة التي قضاها اغسطس في الحكومة فهو الوقت الذي نبغ فيه فرجيل وهوراس واوفيد وتيبول وبروبرس وتيت ليف ولكن عصر اغسطس (كما يسمونه) قد سبقه ولحقه قرنان ربما عادلاه في اخراج النوابغ ففي الجيل الاول (القرن الاول قبل المسيح) ظهر الشاعر الغريب المدهش لوكريس وقيصر وانيوفاتر وشيشرون اخطب خطيب وفي الجيل اللاحق كتب سينيك ولوكين وتاسيت وبلين وجوفنال ما كتبوا

وبعض هؤلاء المؤلفين العظماء فقط من أسرة رومانية ومعظمهم ايطاليون وكثيرون من الولايات مثل فرجيل من مانتو وتيت ليف من بادو (في غاليا) وسينيك اسباني · وكانت الفصاحة هي الفن الوطني حقاً في رومية فكان الرومان كالطليان في ايامنا يحبون الكلام عفواً · وكان الخطباء يأتون الى ساحات الاجتماع حيث تلتئم مجالس الامة في أواخر عهد الجمهورية يخطبون ويكثرون من الحركات وسط دوي القوم وشيشرون اعظم أولئك الخطباء وهو الوحيد الذي بقيت بعض قطع من خطبه

ولما سقطت الجمهورية انقضت أيام المجالس ففقدت الفصاحة لقلة المادة

اللغة اللاتينية — انتفعت آداب اللغة اللاتينية بفتوحات رومية فنقلها الرومان مع

لغتهم الى رعاياهم المتوحشين في الغرب فتناسى جميع شعوب ايطاليا وغاليا واسبانيا وافريقية وضفاف الطونة لغاتهم الخاصة وتعلموا اللغة اللاتينية . ولما لم يكن لهم آداب وطنية خاصة اقتبسوا آداب حاكميهم فتكلم اهل الامبراطورية اذ ذاك بلغتي الشعبين الكبيرين القديمين فظل الشرق يتكلم باليونانية واخذ الغرب باجمعه يتكلم باللغة اللاتينية

فلم تكن اللاتينية اللغة الرسمية للوطنيين وكبار الرجال فقط كما هي الانكليزية لعهدنا في الهند بل ان الامة نفسها تتكلم بها ما امكن من الصحة بحيث ان القوم في اوربا اليوم بعد انقضاء ثمانية عشر قرناً مابرحوا يتكلمون الى اليوم بخمس لغات مشتقة من اللاتينية وهي الايطالية والاسبانية والبرتغالية والفرنسوية والرومانية

وانتشرت الآداب اللاتينية مع اللغة اللاتينية في عامة انحاء الغرب مما كانت يدرس في القرن الرابع في مدارس بوردو واوتون غير شعراء اللاتين وخطبائهم وظل الاساقفة والقسيسيون بعد هجوم البرابرة يكتبون باللغة اللاتينية ونقلوا هذه العادة ايضاً الى شعوب انكلترا والمانيا الذين احتفظوا بلغتهم الجرمانية . فباللاتينية كتبت في القرون الوسطى السجلات والعقود والشرائع والتواريخ والكتب العلمية . وفي الاديار والمدارس لاتقرأ ولا تنسخ ولا تعتبر غير الكتب اللاتينية وما عدا كتب العبادة لم يعرف غير مؤلفي اللاتين امثال فرجيل وهوراس وشيشرون وبلين لجون وما كانت النهضة العصرية الاوربية الا عبارة عن احياء مافقد من آثار اقلام كتاب اللاتين واصبح النسج على منوالهم اكثر من ذي قبل . فكما ان الرومان انشأوا لانفسهم آداباً خاصة لتقليدهم اليونان هكذا صار المحدثون من الاوربيين ينسجون على منوال كتاب اللاتين . وليت شعري هل عاد ذلك بخير ام بشر ؟ ومن يجرأ ان يفوه بذلك ؟ فما لاجدال فيه اذاً ان لغاتنا الرومانية الاصل هي بنات اللاتينية وان آدابنا طافحة بالافكار والمنازع الادبية الرومانية وان العالم الغربي باسره مصبوغ بصبغة الآداب اللاتينية .

الصناعات — عثر الباحثون بكثرة على تماثيل وصور بارزة رومانية ابقتها الايام من عهد تلك الحكومة منها مانقل عن الآثار المصرية ويكاد يكون معظمها تقليداً لها ولكنها اقل من الاصل لطفاً وذوقاً . ومن اغرب الانموذجات الباقية النقوش البارزة والصور الذهبية

فالنقوش البارزة كانت تزدان بها المصانع (كالمعابد والعمد واقواس النصر) والقبور والنواويس تمثل بها احسن تمثيل مشاهد حقيقية وحفلات ونذوراً وحروباً ومآتم وكل مايحيطنا علماً بالحياة السالفة . وان النقوش البارزة التي جعلت حول اعمدة تراجان ومارك اوريل تجعلنا كأننا نشاهد مشاهد حروبها المفجعة بتلك الرسوم تمثل لك الجنود تقاتل البرابرة

ويحاصرون قلاعهم ويأتون بالاسرى كما تشاهد النذور العامة والامبراطور يخطب شعبه والصور النصفية هي في الاكثر صور الامبراطرة ونسائهم واولادهم واذ كثرت تماثيلهم في اطراف المملكة باسرها وعثر على كثير منها. حتى ان عند جميع المتاحف اليوم مجموعة من الصور النصفية الامبراطورية وهي صور حقيقية وربما كانت شبيهة باصحابها كل الشبه اذ نرى فيها سيماء كل امبراطور واضحة اي وضوح وكثيرًا ما تكون بشمة مستكرهة بحيث لم يحاول النقاشون ان يزينوها ويخفوا من سحنات المصوَّرين

فعلم البناء هو الفن الروماني الحقيقي لانه يقوم بحاجة عملية وفيه ايضاً قلد الرومان اليونان باتخاذ الاروقة والعمد ولكن كانت لهم طريقة لا يستعملها اليونان وهي العقود (الاقبية) اي فن وضع الاحجار المنحوتة تدعم بعضها بعضاً على شكل قوس مربع . فبالعقود تسنى لهم ان ينشئوا ابنية اوسع واكثر تفنناً من ابنية اليونان

المصانع — اليك اهم انواع المصانع الرومانية منها «المعبد» وهو كثيرًا ما يشبه المعبد اليوناني وله دهليز متسع ويكون احيانا اكثر سعة تعلوه قبة. ومن هذا النوع معبد البانثيون الذي بني في رومية على عهد اغسطس . ومنها «الكنيسة الكبرى» وهي بناء مستطيل طويل يعلوه سقف وتحيط بها اروقة وفيها يتصدر الحاكم يحيط به نوابه وفيها يجتمع التجار ليتجادلوا في ثمن البضائع فالكنيسة هي «بورصة» ومحكمة معاً . وفي الكنائس الكبرى اقيمت بعد ذلك مجالس المسيحيين وظلت الكنائس النصرانية قروناً محتفظة باسماء الكنائس الرومانية واشكالها

ومنها المرازح (المراسح) ذات الدرجات «اتفتياتر» والملعب وهي مؤلفة من عدة طبقات واروقة وضعت بعضها فوق بعض تحيط بالملعب وكل طبقة من هذه الاروقة يعلوه عدة صفوف من الدريجات وذلك مثل الكوليزة في رومية وميادين ارل ونيم . ومنها قوس النصر وهو باب شرف له بعض سعة بحيث يكفي لمرور مركبة منه وهو مزين بعمد ومزخرف بنقوش كثيرة ومن هذا النوع قوس النصر في اورانج . ومنها الجسر وهو يبنى على صف من الحنايا وسط النهر . ومنها المجاري التي تجلب فيها المياه وكثيرا ما تكون على شكل جسر لتمر فوق دار ومن هذا الضرب من المجاري القطعة من الجسر المسماة كارد

وقد كان الامبراطور اغسطس يفاخر انه افتتح في رومية زهاء ثمانين معبداً قال: «لقد وجدت مدينة من القرميد وهاءنذا اترك مدينة من الرخام» وعمل اخلافه كلهم على زخرفة رومية وقد ازدحمت المصانع حوالى الفوروم (الميدان) خاصة واصبح الكابتول مع معبده المعروف بمعبد المشتري اشبه شيء بالاكروبول في آثينة . وفي ذلك الحي

ايضاً انشئوا عدة ساحات ذات مصانع مثل ساحة قيصر وساحة اغسطس وساحة نرفنا وساحة تراجان وهي ازهاهن

استخدم الرومان (١) في ابنيتهم الحجارة التي وقعت تحت ايديهم في البلاد يرصفونها ببلاط متين صنع بالكلس والرمل بحيث اتت عليه الف وثمانمائة سنة وهو لم يتحت بما اصابه من الرطوبة · ولا نقرأ في مصانع الرومان تلك البهجة التي تجلى على المصانع اليونانية بل انها متسعة متينة راسخة القواعد شأن الفتح الروماني · وما زالت ارض البلاد الى يومنا هذا طافحة بانقاض تلك المصانع ولم يبرح الباحثون يعثرون حتى في قفار افريقية والدهشة آخذة منهم على مصانع رومانية محفوظة سالمة · ولما أُريد جلب الماء الى تونس لم يعملوا الاَّ ان اصلحوا مجرى النهر الذي أُنشيء في العهد الروماني ·

التجارة — اصبحت رومية اعظم مدينة في العالم (ويذهبون الى انه جاء عليها زمن كان فيها مليون نسمة) فكانت بالطبع مركز تجارة المملكة · ولقد مضت العصور القديمة والمتاجر تنقل في الماء اي في البحار وفي الانهار اكثر من الطرق التي يقتضي لها عجلات ثقيلة لنقل تلك المتاجر · فكانت المتاجر تنقل الى رومية من طريق البحر خاصة فتنقلها السفن الى مرفإ اوستي عند مصب نهر التيبر ومنها توسق في قوارب تصعد النهر حتى تصل الى سفح جبل افنتين وتنزل شحنها في مرفإ رومية · وكانت البضائع الخاصة ببقية ايطاليا تفرغ في مرفاء بوزول في خليج نابولي ومن هناك يرسلونها في الطرق واذا تيسر لم يرسلونها في قوارب تسير على الشاطيء او تجري صعداً في الانهار تجرها الخيول

وكانت رومية وايطاليا تصرفان اكثر مما تنتجان فتجارتهما خاصة تجارة واردات وكان تجار من الطليان ينزلون في اهم مرافيء العالم يجمعون فيها حاصلات كل بلد ليبعثوا بها الى رومية · وكنت تجد في كل بلد مركزاً للتجارة مثل بلرمة في صقلية وقرطاجنة في افريقية والاسكندرية في مصر ومن هذه البلاد كانت تجلب الى رومية الحبوب والزيت والفاكهة والبقول الناشفة ومن المراكز التجارية افيز في آسيا الصغرى وانطاكية في سورية ومنها كانوا يرسلون الاصواف والاقمشة والحنطة التي تخرجها البلاد الداخلية · ومن هذه المراكز اوليبا على شاطيء البحر الاسود واليها كانت تأتي حنطة روسيا · ومنها قادش في اسبانيا كانت ترسل الى رومية فضة المناجم واوبار بتتكيا (في الاندلس) ومن هذه المراكز

(١) لا ينبغي ان يغرب عن الاذهان ان الصناعات الرومانية هي كالآداب الرومانية لم تنشأ بيد صناع من الرومان بل بيد اناس من سكان الولايات ربما كانوا من العبيد ولم يكن ثمَّ روماني الا الرجل الذي يعملون له اعمالهم

ناربون وارل في غاليا كانا يجلب اليهما في نهر الرون جلود بلاد الغال واخشابها (اما مارسيليا فكانت سقطت منزلتها القديمة وموسى فريجوس اصبح مينا حربية) .

وكان الرومانيون يجلبون ايضاً بضائع من خارج فيبعث اليهم الشرق بادوات الزينة والرفاهية كالعطور والابازير (الفلفل وجوز الطيب والزنجبيل) والنيلة والعاج والاحجار الكريمة واقمشة الصوف والحرير والعبيد السود والحيوانات النادرة (ولاسيما القرود) فكانت تجلب الى الاسكندرية من طريق البحر الاحمر او في النيل وتأتي الى انطاكية من طريق الخليج الفارسي وبادية الشام (مع القوافل) والى اوليبا من طريق بلاد فارس وبحر الخزر وكان الرومان يستخرجون من بلاد الشمال المواد التي لم تهذبها يد الصناعة مثل عنبر البلطيق وقصدير انكلترا وكان يأتي من طريق غاليا الجلود والادم والشمع وشعور النساء والعبيد

أغسطس — مات أغسطس ولم يخلف ورثياً يرثه مباشرة فخلفه ابن زوجته تيبر وهو الذي تبناه ومضى نصف قرن والامبراطور ابداً رجل من أسرة اغسطس وادرك الرومان منذ ذاك فساد هذه الطريقة

فكان للامبراطور مدة حياته سلطة متناهية لاحد لها فهو الحاكم على هواه في الاشخاص والاحوال يحكم بالقتل ويصادر الاموال ويهلك من يريد اهلاكه بدون رقيب لا يقف امام ارادته حاجز من نظام ولا قانون . حتى قال المشرعون الرومان : ان لامر الامبراطور قوة القانون . وبذلك عرفت رومية الاستبداد الذي لانهاية له على نحو الاستبداد الذي كان يجري في المدن اليونانية استبداد لم ينحصر في سور ضيق من مدينة بل كان عظيماً كالمملكة . فكما كان في يونان ظالمون اهل حشمة ووقار كان في رومية اباطرة حكماء محتشمون ولكن قل في هؤلاء من لم يستهوهم دوار السلطة عند ما يرون انهم بلغوا ارقى رتبة يصل اليها انسان . ومن اباطرة رومية من لم يستخدموا سلطتهم التي لم يسمع بمثلها الا نرسل اسماؤهم كالامثال فضرب المثل بنيرون وظلمه وبكلود خليفة تيبر وسخافته وكاليجولا وجنونه المطبق وتقليده حصانه رتبة قنصل وتطاوله الى ان يعبد كالارباب . فكان الاباطرة يضطهدون الاشراف خاصة بحولهم عن كيد المكايد ويضغطون على الاغنياء ليصادروا أموالهم

وكانت هذه السلطة المتناهية سيئة النظام وهي تتمثل كلها في شخص الامبراطور ومتى هلك يبحث فيها تاماً من الاعمال . كان القوم عارفين بان العالم لا يستغني عن سيد ولكن ليس في شريعة ولا عادة ما يستدل به على ماهية ذاك السيد . فكان من حق مجلس الشيوخ وحده ان يعين الامبراطور ولكنه يختار ابداً بالقوة من اختاره الامبراطور السالف أو رضي عنه الجند . ولقد عثر حراس القصر الامبراطوري بيننا كانوا يبحثون فيه عقيب وفاة الامبراطور كاليجولا

على رجل اختبأ وراء الفرش وهو ترتعد فرائصه فرأوا انه من انسباء كاليجولا فعينه الحرس امبراطوراً وكان هو الامبراطور كلود

الحرس الامبراطوري — كان يحظر زمن الجمهورية على القائد ان يأتي في جيشه الى المدينة فاصبح الامبراطور رئيس الجيوش كلها وله في رومية حرس عسكري مؤلف من نحو عشرة آلاف رجل أقاموا منذ عهد تيبر في ثكنة حصينة بالقرب من المدينة . وينتخب هذا الحرس من قدماء الاجناد وتدر عليه الرواتب الكثيرة وتتوالى عليه الاحسانات وبهؤلاء الجنود يعتز الامبراطور فلا يخاف بائقة تصيبه من الناقمين عليه من أهل رومية بيدان الخطر كان يأتي من الحرس نفسه واذ كانت القوة معهم اعتقدوا بانه يحل لهم ان يأتوا كل شيء وكان زعيمهم أوسع سلطة من الامبراطور

الثورات والحروب — امتشاط أشراف الرومان غضباً مما أتاه نيرون من الفظائع وضروب الجنون فغدا تخطئهم يبعض الولاة الى الانتقاض وخلع الطاعة فشعر اذ ذاك مجلس الشيوخ بقوة يستند اليها فأعلن بان نيرون عدو عام فلم يسعه الا الهرب ثم الانتحار .

وبعد موته (٦٨) وقع اختيار مجلس الشيوخ على والي اسبانيا المدعو غالبا فعينوه امبراطوراً ولكن الحرس الامبراطوري لم يره كريماً جواداً فذبحه ونصب مكانه أحد ندماء نيرون واسمه أوتون . ثم ان الجنود المرابطة في تخوم جرمانيا ارادت ان تنصب بنفسها امبراطوراً فدخلت فوق نهر الرين الى ايطاليا فصادفوا الحرس الامبراطوري بالقرب من كريمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة في وقعة شعواء أخذت بعار في الليل ثم نصبوا الامبراطور الذي اختاره مجلس الشيوخ وهذا القائد فيتليوس

وفي ذاك الحين انتخب جيش سورية زعيمه فسباسين الذي قاتل فيتليوس وعين مكانه (٦٩) وهكذا نصبت رومية ثلاثة امبراطرة في سنتين وأنزل الجند ثلاثة امبراطرة عن عروشهم . وفي خلال هذه الحروب نهب جنود جرمانيا مدينة وحرق معبد الكابتول .

الفلافيون — نصب فسباسين امبراطوراً فوطد أركان السلم وكان ايطالياً وهو حفيد أحد الفلاحين حافظ على عادات له في الاقتصاد والسذاجة في عيشه . فرأى القسم الاعظم من مجلس الشيوخ قد تمزق شملهم والاسرات القديمة قد بادت أو هلكت فاستعاض عنها بأسرات ايطالية أو من اهل الولايات ولما تجدد مجلس الشيوخ على هذه الصورة كف عن ابداء العداء للامبراطور تخلف فسباسين أولاً (٧٩) ابنه تيتوس الذي مات للحال ثم ابنه دومسين (٨١) الذي كان قاسيا غداراً مثل ظلمة اليونان

الانطونيون — اشتهر الخمسة الامبراطرة الآتون وهم نرفا وترا جان وادريان وانطونين

ومارك أوريل (٩٦ — ١٨٠) بالحشمة والحكمة و يدعونهم الانطونيين (وهذا الاسم لا يوافق في الحقيقة الا الآخرين منهم) ولم يكونوا من نسل البيوت القديمة في رومية بل كان تراجان وادريان اسبانيين وولد انطونين في نيم ولم يكونوا أمراء من أسرات امبراطورية خلقت لتولي رقاب الناس منذ ولادتها · وقد تولى الحكم اربعة امبراطرة وهم عقيمون فلم يتسنَّ نقل الحكم بالوراثة · وكان الامبراطور يختار كل مرة من قواده وولاته أقدر رجل يخلفه و يتبناه و يعينه باختيار مجلس الشيوخ له وهكذا لم يبلغ عرش الامبراطورية الا اناس محنكون يخلفون آباءهم في مركزهم بدون قال وقيل ·

ولقد كان عصر الانطونيين اهدأ العصور التي عرفها العالم القديم والحروب تنشب بعيدة عن تخوم المملكة ولم يحدث في الداخلية شغب عسكري بتاتاً ولا مظلمة ولا أحكام جائرة · فكبح الانطونيون جماح الجند بتدبيرهم على النظام ونظموا الحاكم ومجلس الامبراطورية وهو مؤلف من الفقهاء والمشترعين واستعاضوا عمن حرروهم من العبيد الذين طالما سخط الرومانيون عليهم على عهد الاثني عشر قيصراً باناس من الموظفين النظاميين اختاروهم من أشراف الطبقة الثانية (يعني الفرسان) وما عاد الامبراطور طالما يخدمه جند بل كان حقاً الحاكم الاول في الجمهورية لا يستعمل سلطته الا لما فيه نفع شعبه

حارب الانطونيون حروباً كثيرة ليدفعوا الشعوب المحاربة التي كانت تحاول مهاجمة الامبراطور من ناحيتين · فحاربوا في أسفل نهر الطونة الداسيين وهم شعب بربري سكن البلاد الجبلية ذات الغابات التي نسميها الآن ترانسلفانيا كما حاربوا على الفرات حكومة البارثيين العسكرية الكبرى التي كانت جعلت المدائن عاصمتها قرب بابل وكانت مملكتهم تمتد على طول بلاد فارس ·

ولقد حمل تراجان على الداسيين عدة حملات واجتاز الطونة وربح في ثلاثة مواقع واستولى على عاصمة ملك الداسيين (١٠١ — ١٠٢) وتفضل عليهم بالصلح ولما عاود الداسيون الحرب عمد تراجان ان يأتي عليهم فانشأ على نهر الطونة جسراً من حجر وهاجم ولايتهم فضمها الى المملكة الرومانية (١٠٦) وأنزل فيها طواري، ومستعمرين أنشأوا فيها مدناً وأصبحت ولاية داسيا بلاداً رومانية تكلم اهلها باللاتينية وتخلقوا بالاخلاق الرومانية ·

ولما انجلت الجيوش الرومانية في اواخر القرن الثالث كانت قد استحكمت اللغة اللاتينية من الداسيين وظلت شائعة في بلادهم خلال القرون الوسطى على الرغم من غارات برابرة الصقالبة · وقد اطلق على الشعب الذي يسكن اليوم السهول في شمالي الدانوب اسم رومية فيدعى الروماني ويتكلم بلغة مشتقة من اللاتينية كالافرنسية والاسبانية

حارب تراجان البارثيين ايضاً فجاز الفرات واستولى على «المدائن» وهي عاصمتهم وتوغل في احشاء البلاد الى فارس ودخل الى سوس واخذ منها عرش ملوك فارس المعمول من الذهب الاصم . وانشأ اسطولاً على دجلة ونزل في النهر حتى مصبه وابحر في خليج فارس واستخلص من البارثيين البلاد الواقعة بين بلاد الفرات ودجلة وجعلها ولايتين رومانيتين بيد ان هاتين الولايتين انتقضتا بعد سفر الجيش الروماني .

اما الانطونيان الاخيران وهما انطونين ومارك اوريل فقد شرفا الامبراطورية بفضائلهما وكان كلاهما يعيش ببساطة كما يعيش الافراد على غناهما دون ان يكون لهما مايشبه قصراً او سراياً وان يشعرا بانه كانت لهما سلطة وسيادة

ولقد لقب مارك اوريل على العرش بالحكيم وكان يحكم البلاد مدفوعاً بعامل الواجب على غير ارادته ومع انه كان يؤثر هذا قضى حياته في الحكم وقيادة الجيوش . وانك لترى فيما خطه في تذكرته البيتية من افكاره صورة الفيلسوف الرواقي الصالح الزاهد العازف عن العالم وهو على جانب من اللطف والحلم قال : «أحسن الاساليب في الانتقام من الاشقياء هو ان لا يعمل المرء عملهم والارباب انفسهم يعطفون على الاشقياء فلك ان تقتدي بالارباب»

ولقد كان مارك اوريل يأخذ برأي مجلس الشيوخ في عامة المسائل ويحضر جلساته بدون انقطاع . ولقد وقف في وجه كثير من الشعوب البربرية الجرمانية يرد غاراتها ويدفع عادياتها تلك القبائل التي اجتازت الطونة على الجليد ودخل الى شمالي ايطاليا واقتضى له ان يؤلف جيشاً فجند عبيداً وبرابرة (١٧٢) فانسحب الجرمانيون ولكن بينا كان مارك اوريل مشغولاً في سورية بقتال أحد القواد المتمردين عادوا على اعقابهم وهاجموا الامبراطورية ومات مارك اوريل على ضفاف الطونة (١٨٠)

ولما وقفت الفتوح (بعد تراجان) كانت الامبراطورية تمتد على طول جنوبي اوربا كلها وعلى طول الشمال من افريقية والغرب من آسيا ولا يقف في سبيلها الا الحدود الطبيعية فمن الغرب البحر المحيط ومن الشمال جبال ايكوسيا ونهر الرين والطونة وقافقاسيا ومن الشرق بوادي الفرات وبلاد العرب ومن الجنوب شلالات النيل والصحراء الكبيرة . فكانت الامبراطورية الرومانية عبارة عن البلاد التي تتألف منها اليوم كل من انكلترا واسبانيا وايطاليا وفرنسا والبلجيك وسويسرا وباقيرا والنمسا والمجر والبلاد العثمانية في أوربا ومراكش والجزائر وتونس ومصر وسورية وفلسطين والاناضول أي انها ضعفا مملكة الاسكندر .

السلم الروماني — ابطل الرومان الحروب في داخلية بلادهم باخضاع جميع الشعوب

لسلطانهم . فتوطد السلم الروماني الذي وصفه احد كتاب اليونان بما يأتي: « لكل فرد ان يذهب حيث شاء فالمرافئ غاصة بالسفن والجبال أمينة على سالكيها أمن المدن لساكنيها ولم يبق داع للخوف وقد طرحت الارض سلاحها الحديدي القديم وتجلت في ثياب الاعياد. وها انتم أولاء قد حققتم قول هوميروس بان الارض ملك للجميع »

فاصبح الناس في الغرب للمرة الاولى في حلّ من انشاء بيوتهم وزرع حقولهم والاستمتاع باموالهم واوقاتهم دون ان يكونوا كل ساعة عرضة لمهدد يتهددهم باستلابها منهم او ان يذبحوا او يقادوا كالاسرى والعبيد . وهذا أمان قلما نقدره قدره اذ قد تمتعنا به كلنا منذ الصغر ولكن الظاهر انه كان يعد من حسنات الامور النادرة عند القدماء

سهلت الرحلة في تلك الامبراطورية المسالمة وأنشأ الرومان طرقاً في كل مكان مع محطات ومواقف وصنعوا مصوّرات (خرائط) لطرق المملكة وكان كثير من ارباب الصناعات والتجار يرحلون من طرف الى طرف آخر من المملكة . ويرحل علماء البيان والفلسفة في بلاد الامبراطورية ذاهبين من مملكة الى أخرى وهم يلقون المحاضرات .

وكان ينزل في كل ولاية أناس من اهل الولايات القاصية فقد دلت الكتابات على الاحجار انه كان في اسبانيا اساتذة ومصورون ونقاشون من اليونان وفي غاليا صياغ وصناع آسياويون

وجميع هؤلاء كانوا ينقلون عاداتهم وصناعاتهم واديانهم ويمزجونها بما يرونه عند الامم التي ينزلون عليها ثم يعتادون بالتدريج على التكلم باللغة الرومانية وما انبلج فجر القرن الثالث عشر حتى غدت اللاتينية لغة بلاد الغرب المشتركة كما صحت اليونانية لغة الشرق منذ قام خلفاء الاسكندر . فنشأت في رومية كما نشأت في الاسكندرية حضارة مشتركة سموها الحضارة الرومانية ولم تكن كذلك الا باسمها ولغتها واجتمعت حضارة العالم القديم في قبضة الامبراطور

الامبراطورية الرومانية في القرن الثالث

السيفيريون — بدأت الفتن الاهلية بعد عهد الاباطرة الانطونيين فذبح الحرس الامبراطوري سنة ١٩٣ الامبراطور برتيناكس ورأوا ان يضعوا المملكة في المزاد فتقدم طالبان يريدان ابتياعها احدهما سولبسين تقدم على ان يعطي كل جندي خمسة آلاف فرنك والثاني ديديوس رفع مايدفعه لكل جندي الى ستة آلاف فرنك فحمله الحرس الى مجلس الشيوخ وعينوه امبراطوراً ثم لم يستطع القيام بما تعهد به فذبحوه

وفي خلال ذلك بويع بالملك ثلاثة قواد ثلاثة جيوش كبيرة وهما قائد بريتانيا وقائد

ايليريا وقائد سورية وسار هؤلاء الثلاثة المتنافسون الى رومية فوصلت فرق ايليريا قبل غيرها فعين مجلس الشيوخ القائد سبتيم سيفير امبراطوراً على رومية فنشبت عندئذحرب بان سالت فيهما الدماء انهاراً احداهما لمدافعة جيش سورية والاخرى لمدافعة جيش برتانيا وظلت لسيفير الكلمة النافذة مدة سنين وهو الذي اوجز سياسته في كلمتين فقال: «ايها الابناء ارضوا الجند واهزؤوا بمن بقي»

الفوضى والغارة — مضى قرن ولم يكن قاعدة في الحكومة غير ارادة الجند وكان في الامبراطورية ماخلا جيش الحرس الصغير في رومية عدة جيوش كبيرة على نهر الرين والطونة والشرق وانكلترا · وكل جيش يود ان يجعل قائده امبراطوراً والمتنافسون يتقاتلون حتى كتبت الغلبة لواحد فحكم بضع سنين ثم قتل(١) واذا اسعده الحظ بنقل السلطة الى ابنه من بعده فالجيش يتمرد على ابنه ذاته وتعود نار الحروب تستعر ·

وفي ذاك الحين نشأ امبرطرة غرائب في اطوارهم فكان ايلاجابال كاهناً سورياً لبس ثياب امرأة وترك امه تؤلف مجلس شيوخ من النساء (مجلس شيخات وعجائز) ومنهم الامبراطور ماكسيمان وهو جندي بالعرض وجبار قاس وسفاك كان يأكل على مايقال ٣٠ لبرة من اللحم ويشرب عشرين لبرة من الخمر · وجاء زمن على هذه المملكة والذين يدعون الامبراطورية ثلاثون امبراطوراً انقطع كل منهم الى ناحية من المملكة (٢٧٨ـ٣٦٠) وسمى نفسه امبرطوراً فدعي هؤلاء الثلاثون بالثلاثين ظالماً ·

وبينا جند البلاد مشغولون بقتال بعضهم بعضاً كان يرى البرابرة ان التخوم خالية من الحامية فيجتازون ارض الامبراطورية ويخربونها · وكان اقليم غاليا خصوصاً هو الذي يقاسي الامرين من هذه الغارات في القرن الثالث فيجتازها عصابات من المحاربين الجرمان كالالمان والفرنك واذ لم يجدوا فيها مدناً حصينة ولا جيوشاً نهبوا المدن وحرقوها واخذوا ماشاؤوا من اهلها اسرى معهم وذبحوا الباقين · وقرصان السكسون يخربون شواطئ بحر المانش

كان هذا القرن الذي انقضى في حروب قرن خرافات فكنت تجد في كل مكان اناساً يعبدون ارباب المشرق مثل الرب ايزيس واوزيريس والربة الكبرى ولكن ميترا وهو رب فارسي رب عام اكثر من الارباب قاطبة في الامبراطورية · وميترا الشمس وهي مصوّرة في المصانع التي انشئت اكراماً لها وهي تصرع ثوراً وقد كتب عليه ما يأتي: «للشمس التي تغلب الرب ميترا» وقد عثر على مثل هذه الوسوم في جميع اجزاء الامبراطورية · وعبادة الشمس ملتبسة مبهمة فهي احياناً اشبه بالشعائر النصرانية فيكون فيها عماد وولائم

(١) قدروا ان عدد الامبراطرة من القرن الاول الى الثالث ٤٥ مات منهم ٢٩ قتلاً

مقدسة ومسحة وتوبة وشموع ولاجل ان يقبل المرء في جملة اهل هذه العبادة يجب القيام باعمال من صوم ومحن مخوفة

وقد كان دين ميترا في اواخر القرن الثالث الدين الرسمي في المملكة. ودان الامبراطرة والجيش بهذا الرب القهار ولهذا الرب في كل مكان معابد على شكل مغاور ذات مذابح ونقوش بارزة وكان في رومية ايضاً معبد فخيم انشأه الامبراطور اورليان . وكان من اشد الحاجات الماسة في ذاك العهد البقاء مع الارباب على صلح ووئام فاخترعوا حفلات لتزكية النفس فيلبس المؤمن ثوباً ابيض مزيناً بالذهب ويقعد في اسفل هوة فيطبقونها على رأسه بلوح من الخشب مثقوب ويأتون بثور يقفونه على هذا اللوح فينحره الكاهن فيجري دمه من الثقوب على اثواب المؤمن ووجهه وشعره . وكانوا يعتقدون ان هذا التعمد بالدم يطهر المرء من السيئات كافة ومن يجري له يكون كيوم ولدته أمه في حياة جديدة ويخرج من الحفرة بشع الصورة ولكنه سعيداً مغبوطاً.

اختلاط الاديان — اخذت الاديان كلها في هذا القرن الذي تقدم فيه فوز النصرانية على غيرها بالاختلاط فتعبد الشمس تحت اسماء متنوعة (وهي التربية وهليوس وبعل وايلكابال وميترا) وجميع هذه العبادات منسوخة بعضها عن بعض وكثيراً ما تجري على مثال العبادات النصرانية ومن اعظم الامثلة في هذا الاختلاط الديني ما كان يتوفر عليه اسكندر سيفير الامبراطور المحتشم الطيب ذو الذمة فقد كان في قصره مصلى يعبد فيه المحسنين للانسانية وهم ابراهيم واورفيه ويسوع وابولونيوس دي تيان .

ديوكلسين — بعد مرور زمن في الحروب الاهلية قام امبراطرة تمكنوا من وضع حد للشغب وكانوا قساة عاملين وجنداً ترقوا في درجات الجندية حتى اصبحوا زعماء وقواداً ثم صاروا امبراطرة . ويكاد يكون منشأ معظم اولئك الامبراطرة من ولايات نصف متوحشة كولايات الطونة وايليريا وبعضهم كانوا في طفولتهم رعاة او مزارعين . وكانوا في سذاجة اخلاقهم على مثال قدماء قواد الرومان ولما طلبت وفود ملك فارس ان يروا الامبراطور بروبوس رأوه شيخاً اصلع يلبس عباءة صوف ويضطجع على الارض ويتناول حمصاً وشحم خنزير وكانت هذه سيرة كوربوس دانتوس قبل خمسة قرون

ولقد كان هؤلاء الامبراطرة اشداء على الجند فاحدثوا في الجيش نظاماً وفي البلاد اماناً ولكنه نشأت بحكم الضرورة ثورة اضرم نيرانها الامبراطور ديوكلسين الذي تدرج من الجندية الى تولي مقام الامبراطورية (٢٨٥) وتنازل عن الملك بعد ان نظم شؤون الامبراطورية .

ولم يعد يكفي رجل واحد لتولي شؤون الحكم في تلك البلاد المتسعة والدفاع عنها فاتخذ كل امبراطور له كما اتخذ ديوكلسين من انسبائه واصحابه اثنين او ثلاثة يؤازرونه وعهد الى كل واحد النظر في جزء من مملكته . وفي العادة ان يدعوا باسم « قيصر » ويحدث احياناً ان يتولى امبراطوران متكافئان يدعى كلاهما باسم اغسطس ومتى هلك احدهما يخلفه احد القياصرة اما الجيوش فلا تستطيع ان تنصب امبراطرة .

واتسعت الولايات اي اتساع حتى ادى ذلك بديوكلسين الى تقسيمها فكان عددها ٤٨ ولاية في القرن الثاني فاصبحت زهاء ٩٠ ولاية (وبلغت غاليا سبع عشرة ولاية بعدان كانت سبعاً) وامسى الحرس الامبراطوري في رومية خطراً على البلاد فاستعاض الامبراطور ديوكلسين عنه بفرقتين سماهما فرقتي القصر .

المدنية الرومانية على عهد الامبراطورية

مدينة بومبي — ذكر بلين الفتى في كتاب له قصة ثوران بركان فزوف (سنة ٧٩) الذي هلك فيه خاله بلين القديم . وكان المعلوم ان هذا البركان اخرب مدينتين صغيرتين نزهتين وهما هركولانوم و بومبي ولكن لم يعرف احد موقعهما . واكتشفت في القرن الثامن عشر بالعرض مدينة هركولانوم مغشاة بطبقة من الحمم ثم كشفت مدينة بومبي مدفونة تحت طبقة من الرماد وحجر الكذان . وبديء بالبحث في هركولانوم فعثر فيها على تماثيل صغيرة جميلة ومدارج مخطوطة محروقة توصل العلماء الى حل بعضها ولكن حالت صعوبة العمل في الحمم فوقف الباحثون عن التوفر على ما كانوا بدؤا به . وآثروا ان يبحثوا في بومبي حيث يسهل نزع الرماد وقد مضى القرن التاسع عشر باجمعه والهمم متوفرة على نزع الرماد عن المدينة حتى كادت تظهر باسرها الآن كما كانت .

ظهرت بومبي للانظار على ما كانت عليه قديماً وقد سقطت السقوف من ثقل الرماد وفرَّ السكان من كثير من البيوت عند وقوع هذا البلاء ثم عادوا يفتشون عن اهم الاعلاق وانفس النفائس . وما برحت الحيطان قائمة ولم تمح منها الاعلانات المكتوبة بالحمرة بل ما زلت ترى فيها الخطوط التي خطها المارة بالفحم وسلمت الشوارع و بلاطها المحفور بسير المركبات والعجلات . وقد وجدوا ايضاً على الرماد ما تركته جثث الذين هلكوا اختناقاً من الرسوم وقد توصلوا بان جعلوا جبساً مائعاً في تلك الرسوم واخرجوها فكانت قوالب لتلك الاجساد الميتة .

العيشة الرومانية — تصور بومبي للفكر كيف كانت العيشة في مدينة رومانية صغيرة فقد كانت هذه المدينة حديثة البناء ذات شوارع مصفوفة مقطوعة الى زوايا قائمة ومبلطة

بلاط محكم الاجزاء ولها ارصفة الا ان الشارع الاعظم كان معوجاً و بلغ من ضيقه ان كان يتعذر على مركبتين ان تلتقيا في وسطه ·

ولم يكن للمساكن غير نوافذ صغيرة وقليلة تطلّ على الشارع بل كانت للغرفة كلها نوافذ من وسط الدور يدخل اليها النور · وبهذا عرفت ان الشوارع كانت محاطة بحيطان ما عدا الشوارع الرئيسة وعلى طولها صفوف من الحوانيت يستأجرها السوقة والباعة ·

وساحة المدينة متوسطة الحجم تحيط بها المباني والمصانع مثل ديوان مجلس شيوخ المدينة ومعابد صغيرة ومحاكم وسوق مسقوف ورواق ذو عمد وفيه كان يجتمع اهل البطالة وفيها داران للتمثيل حفر القسم الاعظم من الكبير فيهما في أكمة وهو يسع خمسة آلاف متفرج والصغير يسع الفاً وخمسمائة وفيها مشهد ذو درجات على شكل نصف دائرة « انفيتياتر » تقام فيه الالعاب ويتصارع فيه المصارعون · وفيها ثلاثة حمامات عامة (على الاقل) لاصغرها وهو الذي حفظ اكثر من غيره مقصورة للاستحمام واخرى للحمام السخن وثالثة للبارد وصوان (محل الثياب) وليس في الدور غير اخونة ومقاعد وصناديق وسرر وشمعدانات وكثير من المصابيح اذ لم يكن القدماء يكثرون من الاثاث · اما الغرف فصغيرة ويجعلون والزينة كلها في قاعة الاستقبال الكبرى الا ان مصايف اغنى اغنياء السكان مبلطه بالفسيفساء والجدران مغشاة بصور جميلة فيها مشاهد اساطير وتزيينات من اكاليل وازهار اما الحوانيت فحالتها تشعر بضعف التجارة والحوانيت باعة المشروبات اشارات مصورة وقد صوّرت في احداها صورة باخوس (رب الكرمة) يعصر عنقوداً · وكتب على حانوت آخر : « هنا فندق يؤجر غرفةً ذات ثلاثة سرر » وقد عثروا في تلك المدينة على مخبز فيه رحيان تداران باليد وعلى معمل لقصر الثياب ودكان حلاق وبيت جراح وادواته من القلز (النحاس الاصفر) ومعمل نقش ودباغة ·

المشاهد — كان للمشاهد في حياة هذا الشعب العطل من الاعمال في رومية شأن يصعب علينا تصوره فكانت المشاهد كما في يونان عبارة عن العاب اي حفلات دينية وتتعاقب المشاهد طول النهار وتعود من الايام التالية مدة اسبوع على الاقل ·

والمشهد عبارة عن موعد تتواعد اليه الامة الحرة باسرها وهناك كانت تقام المظاهرات ففي خلال الحروب المدنية سنة ١٩٦ اخذ المتفرجون بلسان واحد يهتفون : السلم · والمشهد (الفرجة) كان بحسب ما تميل اليه النفوس في ذاك الزمن فقد مثل فيه ثلاثة امبراطرة فمثل كاليجولا في هيئة حوذي ونيرون ممثلاً وكومود مصارعاً · وللمشاهد ثلاثة اضرب وهي المرزح او المسرح (المرسح) والملعب وشكل نصف الدائرة (انفيتياتر)

وكان المزاح على الاسلوب اليوناني والممثلون يمثلون وقد جعلوا اوجهاً مستعارة على وجوههم يشخصون قصصاً اخذوها من اللغة اليونانية · وقلما كان الرومان يقدرون مثل هذه الروايات قدرها لانها تعلو عن عقولهم وكانوا يؤثرون الروايات المضحكة الجافة المعروفة بالميم ولا سيما «البانتوميم» التي يشخصها الشخص دون ان يتكلم و يظهر عواطف الاشخاص الذين يمثلهم بحركاته وسكناته · تمتد بين اكمتين من جبل افانتين و بالاتين ساحة للسباق تحيط بها اروقة عليها مراق وادراج · وهذا المكان هو الملعب الاعظم اصبح يسع منذ وسعه نيرون ٢٥٠ الف متفرج · ثم وسع في القرن الرابع حتى صار صالحاً لاجلاس ٣٨٥ الف شخص وهناك كانوا يمثلون الفرجة التي يحبها الشعب الروماني وهي سباق المركبات ذات الاربعة الخيول فالمركبة الواحدة تطوف الملعب من اقصاه الى اقصاه ثلاث مرات وعليها ان تقطع ٢٥ شوطاً في اليوم الواحد · وسائقو المركبات تبع لشركات تزاحم كل منها الاخرى و يلبسون لوناً من الالبسة خاصاً بشركتهم فكانت الشركات اربعاً بادىء بدء ثم استحالت ثنتين وهما الزرقاء والخضراء ولكليهما شهرة في تاريخ التمرد · ولقد اولع القوم في رومية بسباق المركبات كما يولع الناس اليوم بسباق الخيل حتى كان موضوع حديث النساء والاولاد ايضاً كثيراً ما يتعصب الامبراطور لفريق دون آخر في السباق وتكون من النزاع بين الزرق والخضر مسألة سياسية

انشأ الامبراطور فسبازين على ابواب رومية بناء الكوليزة وهي عمارة ضخمة ذات طبقتين تسع سبعين الف متفرج كانت عبارة عن ملعب مستدير حول ميدان يصطادون فيه و يتقاتلون فاذا ارادوا الصيد يجعلون الميدان غابة يطلقون فيها الوحوش الكاسرة فيجيء رجال مسلحون بحراب يصيدونها · وكانوا ينوعون المشهد بجعل الحيوانات الكثيرة في هذا المكان ولا سيما النادر منها كالاسود والفهود والفيلة والدببة والجواميس والكركدن والزرافة والنمور والتماسيح · وظهر في الالعاب التي احتفل بها الامبراطور بومبي ١٧ فيلاً و ٥٠٠ اسد في الميدان وكانت لبعض الامبراطرة دار لغرائب الوحوش · ثم رأى القوم بدلاً من ان يجعلوا الرجال المسلحين امام الحيوانات ان يطلقوا الحيوانات على الرجال وهم عراة مقيدون · وشاعت العادة في جميع مدن الامبراطورية استخدام المحكوم عليهم بالاعدام في هذه التسلية فافترست الحيوانات الوفاً من الناس من كل جنس وسن ومنهم كثير من شهداء المسيحيين على مرأى من الحضور ·

المصارعون — كان قتال المصارعين (رجال بايديهم السيوف) من اجل المشاهد الوطنية عند الرومانيين فينزل رجال مسلحون الى الميدان يتبارزون حتى يقتل بعضهم بعضاً

وبلغ الحال بالرومانيين على عهد قيصر ان صاروا يقتلون ٣٢٠ زوجاً من المصارعين في آن واحد وقد قتل اغسطس في حياته كلها عشرة آلاف رجل وقتل تراجان مثل ذلك في اربعة اشهر . وكان المغلوب يذبح في الحال الا اذا عفا الشعب عنه

وكثيراً ما يأتون بأناس من المحكوم عليهم في ميدان الصراع ولكن المتصارعين يكونون في الغالب من العبيد واسرى الحرب . وكل انتصار يجاب الى ميدان الصراع عصابات من البرابرة يقتل بعضهم بعضاً ليتلذذ المتفرجون (١) وكان في رومية مصارعون من كل بلد فمنهم الغاليون والجرمان والتراسيون وربما كان منهم الزنوج فيقتتلون بأسلحة مختلفة عن اسلحتهم الوطنية عادة . وكان يحب الرومان ان يروا هذه المقاتلات في صور مصغرة .

وكنت ترى بين هؤلاء المقتتلين في الملعب اناساً من المتطوعة الاحرار حدا بهم حبهم للخطر ان يقدموا انفسهم للصراع وقوانده القاسية وان يقسموا لزعمائهم بانهم يقدمون ليضربوا بالعصي ويحرقوا بالحديد المحمى ويقتلوا تقتيلاً . وقد تجند غير واحد من اعضاء مجلس الشيوخ من هذه العصابات من العبيد والمتشردين بل تجند في زمرتهم الامبراطور كومود ونزل الى الميدان بذاته . ولا تقام هذه الالعاب الخطرة في رومية فقط بل في جميع مدن ايطاليا وغاليا وافريقية (اما اليونان فقد استنكفوا من قبول هذه الالعاب)

واليك صورة كتبت على تمثال اقيم لاحد اعيان بلدة منثورن : « قد اظهر في اربعة ايام احد عشر زوجاً من المصارعين ما برحوا يقتتلون حتى بعد ان سقط نصفهم في الميدان وصاد عشرة دببة هائلة ولا شك انكم تذكرونه ايها الوطنيون الاشراف »

وكان الشعب يهوى اهراق الدماء على نحو ما يجري اليوم باسبانيا في سباق الثيران . وينبغي للامبراطور كما ينبغي لملك اسبانيا ان يحضر هذه المجازر . ولقد فقد الامبراطور مارك اوريل ثقة العامة في رومية لانه اظهر مللاً من مشاهدة تلك الالعاب فكان يقرأ ويتكلم ويقابل الناس بدلاً من ان يتفرج . ولما صحب معه المصارعين ليستخدمهم في قتال البرابرة الذين هاجموا ايطاليا او شكت الغوغاء ان تتمرد وصرخوا قائلين : « انه يريد ان يسلبنا تسليتنا ليضطرنا الى التفلسف »

المدارس — لم يخطر للقدماء قط ان يعلموا الاولاد كلهم فليس العبيد وحدهم بل السواد الاعظم من سكان الامبراطورية لم يتعلموا القراءة . على انه لم يكن في المملكة

---

(١) شكر احد الخطباء الامبراطور قسطنطين في خطاب رسمي القاه لانه قدم جيشاً برمته من البرابرة الاسرى ليتصارع امام الجمهور ولانه استعمل قتل الناس لتسلية الناس . قال وليت شعري اي ظفر اجمل من هذا ؟

غير مدارس الاغنياء وللوطنيين الرومانيين . وقلما نعرف المدارس التي يتعلم فيها ابناء الوطنيين والاجناد القراءة والكتابة . وقد كان راتب معلم المدرسة قليلاً جداً وآباء الاولاد هم الذين يؤدون اليه راتبه . وطريقة التعليم عبارة من ضرب الاولاد بقرعة او بالعصي . وقد مثلوا في صورة وجدت في مدينة بومبي ولداً يمسكه اترابه بينا كان المعلم يضربه بالسوط .

وتعلم الأسرات الغنية اولادها على مؤدب عبد يكون رومياً في الغالب فيعلمهم النحو واللغة اليونانية . والمدارس العامة تقبل الشبان الاغنياء خاصة يرسلهم آباؤهم اليها ليتعلموا فيها الخطابة . والغاء المنابر لم ينزع من الناس ذوقهم في الخطابة ومرانهم عليها. وعلى ذاك العهد بدأ المفوهون او الخطباء يكثرون ويعلمون الناس كيفية الاداء فافتتحوا منذ القرن الاول في رومية مدارس يقبلون فيها الفتيان الاغنياء . وكان بعضهم يمرن تلاميذه على انشاء المرافعات في موضوعات خيالية في الخطابة وقد حفظ لنا الخطيب سنيك عدة من هذه الدروس الخطابية وموضوعها اولاد مخطوفون ولصوص ومتشردون على اساليب مختلفة

أسست على الولاء مدارس من هذا الطراز في جميع اقطار المملكة فكان في غاليا مدرسة قديمة في مدينة مارسيليا اليونانية يقصدها الطلاب من ايطاليا . واصبحت مدرسة اوتون منذ زمن اغسطس عامرة اكثر من غيرها بالطلاب وهي التي بقيت عامرة الى آخر ايام الامبراطورية .

ثم أنشئت مدارس من هذا النوع في الشمال منها مدرسة في ريمس واخرى في تريف . وكانت في الجنوب لعدة مدن مدارس من مثل هذه واشهرها هي التي اصبحت مدرسة بوردو بعد ذلك .

تنفق المدن على هذه المدارس فتعين لها الاساتذة وتدفع لهم اجورهم والمقصد الاول منها تعليم ابناء الأسرات الغنية التكلم باللاتينية واليونانية وان يكتبوا فيهما ليتمكنوا من ان يكونوا موظفين . ويعلم فيها النحو والبيان خاصة . وكان اشهر استاذ في مدرسة اوتون في القرن الرابع الخطيب اومين ارسله الامبراطور قسطنطين وكان مدحه . واعظم رجل في مدرسة بوردو هو اوزون مربي ابن الامبراطور (٣٦٩) ومؤلف عدة مقاطيع شعرية لاتينية متكلفة .

الاشراف — دثرت الأسرات القديمة الغنية في رومية الا قليلاً ولكن قام غيرها من الأسر الحديثة التي اغتنت بالصيرفة والتجارة والتزام الجباية واستثمار الاراضي المفتوحة . وكلما تمكن غني من ارباب الاملاك من ان يعينه الامبراطور حاكماً تشرف أسرته وبذلك شرفت

جميع الأُسرات الغنية في ايطاليا والولايات (حتى لم يبق في اواخر القرن الثالث اناس من الفرسان العاديين) وكان كل عظيم من كبراء هؤلاء الملاك يعيش بين عبيده ملكاً صغيراً لا عمل له الا اتباع الشهوات وداره في رومية اشبه بقصر تغص غرفة التشريفات (الاتريوم) كل صباح باناس من الزبن (الزبونات) وهم اناس من الوطنيين يختلفون اليه لامور طفيفة صباح كل يوم يسلمون عليه بالسيادة ويسايرون موكبه في الشارع . لان الاصطلاح يطلب ان لا يظهر الغني ابداً امام الجمهور الا ويحيط به جماعة . وقد ضحك هوراس من احد القضاة لمروره بشوارع تيبور في خمسة من العبيد فقط . وللكبراء خارج رومية مصايف بهجة على شواطيء البحر او في الجبال ينتقلون فيها لا عمل لهم والضجر آخذ منهم

ولم تكن واجهات لبيوت هؤلاء الاغنياء من الرومانيين على العكس من بيوتنا الحديثة بل كانت كلها دائرة من داخل اما من الخارج فلم تكن سوى حيطان عارية لا شيء فيها والغرف صغيرة وفرشها قليل وهي مظلمة لا يدخلها الضوء الا من قاعة التشريفات وهي في وسط البيت وفيها نصبت تماثيل الاجداد وفيها يستقبل الزوار ويدخل اليها النور من شق في السقف ووراءها البير يستيد وهي حديقة محاطة بصفوف من العمد وعليها تطل غرف الطعام مزينة الخرزينة وفيها سرر لجلوس الضيوف ويتناولون فيها الطعام لان ذلك كان من عادة اغنياء الرومان كما كان من عادة اليونان في آسيا . وكثيراً ما يكون بلاط الدار معمولاً بالفسيفساء .

الاخلاق — وصف سينيك في رسائله وجوفنال في اهاجيه الرجال والنساء في عهدها وصفاً مزعجاً حتى اصبح فساد رومية القياصرة مثلاً سائراً في الغابرين . على ان هذا ناشيء من دوام اضطرابات القرون الاخيرة للجمهورية مثل بذخ الاغنياء الغليظ وقسوة السادة مع عبيدهم وطيش النساء الممزوج بجنون . فلم يأت الشر من طريقة الحكم الامبراطورية بل من الافراط في جمع ثروات العالم اجمع بيد بضعة الوف من الاشراف او ادعياء الشرف وتحتهم بضع مئات من الاحرار يعيشون عيشاً سافلاً وملايين من العبيد يظلمون ظلماً هائلاً

وكانت الاسرة الكبرى تندثر بسرعة حتى هال الامبراطور اغسطس ما رأى من نقص عدد الرجال الاحرار فسن قوانين لحمل الناس على الزواج والعقاب على العزوبة واذ كان تأثير هذه القوانين يحتاج الى زمن لم تنجع اصلاً . ولقد كثر عدد الاعزاب من الاغنياء حتى غدت مداهنتهم من الصناعات الرابحة وذلك ليوصي لهم من يدهنون لهم بشيء من المال يأخذونه بعدهم . ومن حسن التدبير ان لا يرزق الغني ولداً فيكون محاطاً بالمرائين والمتقربين . قال احد القصصيين الروحانيين : « ينقسم الناس في هذه المدينة الى طبقتين

منهم من يصطاد ومنهم من يصاد» وقال سينيك : « ان في حرمان الاولاد زيادة نفوذ المرء» ٠

الطبقات النازلة — فقد التمييز بين الوطنيين الرومانيين والغرباء موقعه ومكانته اذ لم يعد في رومية انتخابات وشمل حق التملك على التدريج سكان الولايات ٠ وجاء زمن على عهد كاراكالا سنة ٢١٢) صدر فيه امر بمنح حق الوطنية لجميع سكان الامبراطورية ولم يشعر بهذا الامر كثيرًا لان العمل كان جاريًا عليه من قبل بالفعل

ويمتاز الرجل امتيازًا خاصًا بثروته التي يملكها ويقسم الناس الى طبقتين : الاغنياء ويدعون اشرف الشرفاء وهم اعضاء مجالس الشيوخ والفرسان واعضاء مجالس الشيوخ في المدن وتتألف منهم طبقة قواد العشرة اما بقية الشعب وهم العامة فيتألف منهم الفقراء المدقعون والسوقة الحقيرون ٠

فاشرف الاشراف وحدهم يحسبون في المجتمع وهم يقومون بعامة الوظائف المدنية وجميع موظفي الامبراطور من طبقة اعضاء الشيوخ او طبقة الفرسان وجميع حكام المدن من قواد العشرة ٠ ولهم كلهم امتيازات رسمية ومحال خاصة بهم في دور التمثيل وحضور الحفلات واذ حكم عليهم بالاعدام لا يصلبون ولا يلقى بهم للوحوش في الملعب لان هذه العقوبات المخزية كانت خاصة بالغوغاء والعامة

ولقد عاش الفقراء في هذا المجتمع الارستوكرامي عيشة ضنكًا فيعيش فقراء رومية من الصدقات العامة او بالاختلاف الى الاغنياء ومداهنتهم وهذه العيشة كانت ضربًا مستورًا من الشحاذة ٠ ويصبح الفقراء في القرى مستعمرين في اراضي كبار ارباب الاملاك الذين يعاملونهم معاملة تقرب من معاملة العبيد وترى الفقراء في المدن صناعًا او مرتزقة ومنزلتهم منزلة المعتقين من العبيد ٠ واذا حسنت حال المدينة يكون لهم نصيب فيما يوزعه الحكام من الصدقات ويدخلون بدون اجرة الى مشاهد التمثيل والالعاب والحمامات العمومية وكنت ترى في جميع المدن حمامات حارة مؤلفة من مقاصير للاستحمام ذات احواض تأتيها الحرارة من موقد جعل تحت الارض ٠ والحمامات في مدينة رومانية كمحال الرياضة في المدينة اليونانية هي مكان اجتماع من لا عمل لهم ٠ بل كانت الحمامات في مدن الرومان اعظم من محال الرياضة عند جيرانهم اليونان مئات من المقاصير على اختلاف اجناسها فمن مقصورة باردة الى فاترة الى حارة الى صوان للثياب ومقصورة لدلك البدن بالزيت ومحل للمحادثة ومقاصير للرياضة وحدائق يحيط بكل ذلك سور عظيم ٠ وقد شغلت خرائب حمامات كاركالا بالقرب من رومية مساحة عظيمة من الارض ٠

العبيد — وتأتي تحت طبقة الاحرار الفقراء الطبقة الاخيرة، هي طبقة العبيد الذين هم في بعض البلاد معظم السكان . والسادة من الرومانيين كالشرقيين لعهدنا كانوا يحبون ان يحيط بهم جمهور من العبيد . ففي البيت الكبير الروماني يعيش مئات من العبيد ينقسمون بحسب الخدم التي يتولونها فمنهم الموكلون بالفرش وتعهد الاواني الفضية والاعلاق والتحف ومنهم حفظة للثياب ومنهم وصائف ووصيفات ومنهم القيمون على المطبخ والحمام ومنهم رئيس المتكإ ومعاونوه ومنهم عبيد الموكب الذي يرافق سيد البيت وسيدته في الشوارع ومنهم حملة المحفة (المحارة) ومنهم الحوذيون والسواس ومنهم أمناء السر والقراء والنساخ والاطباء والمربون والممثلون والموسيقيون وارباب الصناعات من كل صنف لانهم في كل بيت كبير يطحنون الدقيق ويحيكون الصوف وينسجون الثياب . ومن هؤلاء العبيد من حبسوا انفسهم في المعامل يصنعون اشياء يبيعها سادتهم ويكون ربحها لهم ومنهم من يؤجرهم اصحابهم الى الخارج على انهم بناؤون او نجارة فقد كان لكراسوس خمسمائة عبد من المهندسين . وكل هؤلاء يدعون عبيد المدن .

عبيد الريف — كل ملك (تفتيش) كبير يتوفر على زراعته عصابة من العبيد فهم الحراثون والرعاة والكرامون والبستانيون والصيادون يحملون شراذم تؤلف كل شرذمة من عشرة اشخاص . ويلاحظهم وكيل منهم يعين عليهم . ويرى صاحب الملك ان من دواعي اعجابه ان تخرج ارضه كل شيء فهو لا يبتاع شيئاً وكل حاجياته تنبت في ارضه وهذا مما يحملونه من جملة الثناء على الاغنياء فصاحب الارض يؤوي اليه عدداً عظيما من عبيد الريف كما يسمونهم والملك الروماني اشبه بقرية ويسمى مصيفاً (فيلا) وقد بقي اسمها فاطلق عليه اسم مدينة (فيل) منذ القرون الوسطى وهو الملك الروماني القديم مكبراً

معاملة العبيد — يعامل العبيد بحسب اخلاق سيدهم فمن السادة المنورين الذين اشتهروا بالانسانية شيشرون وسينيك وبلين فقد كانوا يطعمون عبيدهم طعاماً جيداً او يحادثونهم وربما اجلسوهم معهم على موائدهم ويسمحون ان يكون لهم اسرة وثروة صغيرة . وهناك سادة على العكس من هؤلاء عاملوا عبيدهم معاملة الحيوانات وعاقبوهم اشد العقوبات بل ربما قتلوهم لهوى في النفس . والامثلة على ذلك كثيرة . فقد كان فويوس بوليون عتيق اغسطس يطعم السلور البحري (سمك مرينة) في بركته فكسر له احد عبيده آنية على غير قصد فما هو الا ان القاه في البركة ليكون طعاماً لسمكه

وصف الفيلسوف سينيك فظائع السادات بهذه العبارة : « اذا سعل أحد العبيد أو عطس خلال المأدبة أو طرد الذباب متهاوناً أو رمى مفتاحاً وسمع له صوت تكاب في

الاقتصاص منه وأي كاتب فاذا اجاب رافعاً صوته قليلاً ودلت تلاميح وجهه على سوء خلق أيحق لنا ان نضربه بالسياط ؟ وكثيراً ما نبالغ في الضرب ونقطع له عضواً ونقلع سناً » وهكذا رأينا الفيلسوف ابكتيت وكان عبداً كسر مولاه ساقه . اما النساء فلم يكنَّ أيضاً على شيء من الشفقة واليك كيف امتدح ادفيد احدى العقائل قال: «مشطوا رأسها امامي مرات ومافط غرزت الابرة في ذراع العبد الذي يشطها »

وما كان الرأي العام يحول دون هذه الفظائع فقد مثل جوفنال عقيلة غضبى على أحد عبيدها وهي تقول أصلبوه — وأي جريمة أتاها العبد حتى استحق هذا العذاب ؟ما اغمه وهل العبد من البشر ؟ وسواء أتى امرًا اداً ام لم يأت فاني أريد عقابه وآمر به وارادتي هي الحجة في هذا الباب

اما الشريعة فلم تكن الطف من الاخلاق فكانت في القرون الاول قبل المسيح توجب بأن صاحب البيت اذا ذبح ان يقتل عبيده كلهم به . ولما أريد الغاء هذا القانون خطب تراز يا أحد معتبري الفلاسفة في مجلس الشيوخ مطالباً ببقاء هذا القانون.

وللعبيد مطبق تحت الارض يدخله النور من نوافذ ضيقة بعيدة بحيث لا يتيسر الوصول اليها فاذا اتوا ما يغضب ساداتهم يسجنونهم فيه بالليل وفي النهار يبعثون بهم ليشتغلوا مقيدين بسلاسل من حديد ثقيلة . وكثير منهم من وسمت وجوههم بحديدة محماة

لم يعرف القدماء المطاحن الميكانيكية بل كانوا يطحنون الحنطة بمطاحن باليد يديرها العبيد وكان ذلك من اشق الاعمال يندبون اليها عقوبة لهم في العادة . وكانت المطحنة قديماً مثل محبس (لومان) وقال بلوت «كان يبكي أشقياء العبيد الذين يطعمون البولانتا (سويق من دقيق الذرة) وهناك يرن دوي الاسواط وقعقعة السلاسل والاغلال » وبعد ثلاثة قرون أي في القرن الثاني بعد المسيح وصف القصصي ابوليه داخل مطحنة بقوله: «ايها الارباب ما انعس هؤلاء المساكين من البشر فقد اسودت جلودهم وتبرقشت من ضرب السياط ولا تستر ابدانهم غير خرق من قميص مدموغة جباههم محلوقة رؤوسهم مقيدة ارجلهم مشوهة ابدانهم من النيران مقروضة جفونهم من الدخان وقد علاهم غبار الدقيق»

ولم يكن العبيد يكتبون ولذلك لا نعرف ما هو رأيهم انفسهم في معاملة ساداتهم لهم . الا ان الموالي انفسهم كانوا يشعرون بحقد عبيدهم عليهم . ولما انتهى الى بلين الجون ما اصاب احد ارباب الاملاك من ذبحه في حمام بيد عبيده قال ملاحظا : « هو ذا الخطر الذي يتهددنا كانا » . وقال كاتب آخر : «اصبح كثير من الرومان عرضة لحقد عبيدهم اكثر من حقد الظالمين»

الشركات — كان في جميع بلاد الامبراطورية في الشرق اليوناني اكثر من الغرب اللاتيني عدد كبير من الشركات مختلفة الضروب والاشكال . فمنها شركات لارباب الصناعة الواحدة وشركات للممثلين والمصارعين وشركات ادبية وشركات لاجتماع الكبير بن على الشراب ولبعض هذه الشركات أعضاء من الرجال الاغنياء مثل جمعيات الجباة وكان اعضاؤها يلتزمون الاموال الاميرية . ومثل جمعيات التجار الذين يتجرون بين ايطاليا وغاليا ولكن معظم تلك الجمعيات كان مؤلفاً من صعاليك القوم .

ولقد طال منع الحكومة الرومانية لهذه الجمعيات والشركات ثم تسامحت بها حتى اذا كان القرن الثالث اخذت تمد اليها يد مساعدتها ولكن الحكومة لم تمنع قط الجمعيات لدفن الموتى وكانت هذه الجمعيات تتألف من اناس مساكين لا يستطيعون ان يقتنوا ارضاً لتكون لهم قبراً فكانوا يشتركون و يدفعون اقساطاً للحصول على سرب يكون مشتركاً بينهم ليدفنوا فيه امواتهم . فالمغارة او السرب المعدّ لدفن الموتى هو عبارة عن بناء مقبب وفيه صفوف كثيرة من المقاصير يجعل في كل واحدة منها رفات ميت و يسمونها برج الحمام بسبب شكلها .

وعلى هذا كان اعضاء جمعية الموتى على ثقة من الحصول على مدفن لائق بعد موتهم وقبر دائم لهم على الدهر وهو ما كان القدماء يحرصون عليه كل الحرص و يسمون هذه الشركات لا بأسماء حزن لئلا تكون شؤماً بل يسمونها باسماء ارباب و يسمونها شركات الصغار وكان يدخل فيها كثير من العبيد وتجعل جميع الشركات الا قليلا تحت حماية احد الارباب يحميها (مثل جمعيات الاطباء التي اطلقوا عليها اسم اسكولاب) وما كان لكثير من هذه الشركات من غاية الا ان يتعبدوا كلهم جماعة . والحكومة لا تدر الارزاق الا على المعابد والكهنة وبعض الشعائر الرسمية . وجميع الاديان الاخرى كانت منظمة على هيئة جمعيات . ولاهلها صندوقهم وكاهنهم ومصلاهم ومذبحهم وحفلاتهم . وكانت الكنائس النصرانية اولاً شركات من هذا النوع .

واهم الشركات شركات ارباب الصناعات فكان منها في عامة المدن حتى ان العواصم كان فيها عدة شركات من نوعها واعضاؤها في العادة من ارباب الصناعة الواحدة وتسمى كل شركة باسماء صناعات اعضائها فقد كان في افيز شركة حلاجي الصوف وفي جنيف شركة الملاحين وفي ليون شركة عملة البناء . ونقبل كل شركة في اعضائها اناساً من اهل صناعة اخرى . ومن العادة ان يكون لكل شركة عبادة فتعبد رباً وتقيم عيداً للاحتفال به يحملون فيه علمه (ودامت هذه العادة في القرون الوسطى في شركات الصناع المسيحيين) وهذه

الشركة تقوم بدفن أعضائها متى ماتوا في مدافن لائقة . ولكل شركة مديران يختاران من المعلمين ويكونان في العادة وكيلا وامين صندوق ينتخبهما الاعضاء كلهم الا انه لم يكن لهما ادنى سلطة على ارباب الصناعة وما كان يكره احد على الدخول معهم

الحقوق الرومانية

دين البيوت — يعبد اعضاء كل امرة باجمعهم اجدادهم ويجتمعون حول مزار واحد فاربابهم واحدة ولهم وحدهم ان ينظروا اليها ولا يحق لاحد ان يعبد اجداد أسرة الا اذا كان من فرع اولئك الجدود . ويقام المزار الذي يجعل فيه ارباب البيت في مكان منفرد من الدار لا يقترب منه غريب . والاسرة الرومانية اشبه بكنيسة صغيرة لها دينها وعبادتها لا يقبل فيهما احد غير اعضائها ولذلك تختلف كثيراً عن الاسرة الحديثة لان نظامها ديني .

الزواج — اخذ الزواج الروماني يصير احتفالاً دينياً فيسلم الاب ابنته المخطوبة الى خارج الدار فتحمل في موكب الى دار زوجها والناس يرددون كلمة مقدسة وهي : «العرس ايتها العروس» حتى اذا جاؤا بها الى دار زوجها يقدمون لها الماء والنار وهناك يقتسم الزوجان بحضور ارباب الاسرة قطعة من الحلواء معمولة من الحوارى وكان يسمى الزواج اذ ذاك شركة الحلواء .

وقد اخترع الرومان منذ الزمن الاطول ضرباً من الزواج يسوغ للطبقة الوسطى فقط وهو اما ان يبيع المخطوبة احد اوليائها واقربائها بحضور شهود من قبل زوجها ويصرح هذا بانه ابتاعها على ان تكون زوجه وهذا زواج البيع واما ان تجيء الزوج فتساكن زوجها ومتى قضيا سنة معاً يعتبران متزوجين وهذا الزواج بالعادة

الرومان كاليونان يرون الزواج فرضاً دينياً والدين يأمر بان لاتندثر الاسر . وعند ما يتزوج الروماني يصرح بانه اتخذ زوجته ليكون له منها اولاد . وقد طلق احد اشراف الاغنياء زوجته وكان يحبها حباً جماً لانه لم يرزق منها اولاداً .

المرأة — ليست المرأة الرومانية حرة اصلاً فهي في شبيبتها ملك ابيها يختار لها زوجاً واذا تزوجت يصير امرها بيد بعلها ويقول الفقهاء انها في يده وانها مثل ابنته . وبالجملة فللمرأة سيد على الدوام بيده موتها وحياتها .

ومع هذا لم يعاملوا المرأة قط معاملة الرقيق بل هي مساوية في المكانة لزوجها ويدعونها أم الاسرة كما يدعون الرجل أبا الاسرة فهي سيدة في البيت كزوجها تسيطر على النساء الرقيقات فتكلفهن بجميع الاعمال الشاقة كطحن الحب وخبز الخبز وعجنه . وتجلس في قاعة التشريفات من الدار تنسج وتحيك وتوزع الاعمال بين الاماء وتلاحظ الاولاد وتدبر

شؤون البيت . وليست المرأة الرومانية كالمرأة اليونانية بعيدة عن الرجال بل تتناول الطعام على المائدة مع زوجها وتستقبل الزائرين وتذهب لتناول الطعام في المدينة وتظهر امام الناس في الحفلات وفي دور التمثيل وامام المحكمة . الا انها في العادة تكون جاهلة امية وذلك لان الرومانيين لا يهتمون بتعليم بناتهم . واهم صفة يعتبرونها في المرأة ان تكون زاهدة فاذا ماتت يكتبون على قبرها اشارة الى مدحها : « انها التزمت بيتها ولم تخرج منه وغزلت الصوف »

الاولاد — الولد الروماني لابيه بمثابة ملك له وللوالد الحق في ان يعرضه في الشارع فاذا اخذه يربيه في بيته اولاً والبنات يبقين في البيت ريثما يتزوجن وهن يغزلن ويحكن تحت ملاحظة امهاتهن والبنون يعملون في الحقول مع آبائهم ويتمرنون على استعمال السلاح

ليس الرومان شعباً مفتناً في الصناعات وغاية امانيهم ان يعرف ابناؤهم القراءة والكتابة والحساب وهم لا يطلبون على ذلك مزيداً فلا يعلمونهم الموسيقى ولا الشعر ويلقنونهم القناعة والصمت والحشمة في ما تيهم والطاعة في منازعهم .

ابو العائلة — ان من يطلق عليه اسم سيد البيت يدعوه الرومان ابا الاسرة . فابو الاسرة مالك للاملاك وكاهن في عبادة الاجداد وسلطان الاسرة فهو الحاكم المتحكم في بيته يحق له ان يطلق زوجته ويطرد ابناءه وان يبيعهم ويزوجهم بدون ان يأخذ رأيهم . ويحق له ان يستأثر بما يملكونه لنفسه بل وكل ما تحمله اليه زوجه وكل ما يكسبه اولاده . اذ لا يسوغ للمرأة ولا لاولادها ان يملكوا شيئاً وبالجملة فبيده حياتهم ومماتهم اي انه قاضيهم الوحيد . ان ارتكبوا جريمة فرب الاسرة يحكم عليهم لا الحاكم .

اصدر مجلس الشيوخ (١٨٦) الروماني امره ذات يوم باعدام جميع من اشتركوا في الاحتفال بعبادة باخوس فنفذ الحكم على الرجال . اما النساء اللاتي اشتركن في الحفلة مع المجرمين فعهد المجلس الى آباء الاسرات في امرهن وهم الذين اعدموا نساءهم وبناتهم . كان الشيخ كاتون يقول « ان الزوج قاضي امرأته له ان يعمل بها ما يشاء فاذا ارتكبت غلطاً يعاقبها واذا تناولت خمراً يحكم عليها بالاعدام واذا خانت يقتلها » ولما كان كاتالينا يكيد المكايد لمجلس الشيوخ لاحظ احدهم ان ابنه اشترك في المكيدة فاوقفه وحاكمه فحكم عليه بالموت . وتدوم سلطة ابي الاسرة بدوام حياته والابن لا يخلص من عبوديته له حتى انه اذا اصبح قنصلاً يظل خاضعاً لسلطة ابيه . ومتى مات الاب يصبح الاولاد اصحاب بيوت اما امرأته فلا تكون حرة اصلاً بل تكون تحت سيطرة وريث زوجها بل تخضع لابنها نفسه

التملك — كانت الثروة في القرون الاولى لرومية عبارة عن ماشية وعبيد خصوصاً واللفظ الذي دلّ بعد على الدراهم معناه قطع ويسمى المالك رب الاسرة . ومن المحتمل

ان الارض لم تكن تنتقل بالارث لان لفظة ارث عندهم تدل على ارض مساحتها فدانان وهو المكان الذي يكفي لانشاء بيت وحديقة · ولم يلبث الرومانيون ان قبلوا عادة اعتبار المالك لحقل صاحباً له وعندئذ وضع حق التملك للماشية والعبيد والاراضي والبيوت وكانوا يعرفونه بانه حق الانتفاع والتخريب (الاستعمال وسوء الاستعمال)

ثم صار لهذا الحق ان يتناول كل شيء من الحاجات والاثاث والدراهم والعقود والديون وحقوق الاستمتاع · ويجب على من اراد ان يملك شيئاً ان يملكه على الصورة التي عينتها العادة · واليك مثلاً كيف تجري صفقة المبيع : يضع البائع امام خمسة من الوطنيين ينوبون عن مجمع ومعهم سادس يمسك الميزان بيده قطعة من النحاس في هذا الميزان تعادل ثمن المبيع · فاذا كان هذا حيواناً او عبداً يمسكه البائع بيده ويقول : هذا لي بموجب القانون الروماني ابتعته بهذا النحاس الموزون وزناً حسناً ·

ثم ابتدعوا طرقاً اسهل لنقل الملك من يد الى يد فصاروا يكتفون بدفع المبيع الى المبتاع · وهذه الطرق لا تملك تمليكاً رسمياً بل يكون المقتني للملك متمتعاً به ولكن هذا التمتع يخوله نفس الحقوق كما لو كان مالكاً رسمياً له ·

ولصاحب الملك الحق في ان يعطي املاكه بعده لمن يشاء واذا لم يوص بشيء من هذا القبيل يقتسم اولاده ثروته واذا اراد ان يغير نظام الوراثة يكتب وصيته · وكان يجري ذلك بحفل امام مجلس الامة زمناً طويلاً ثم اصطلحوا على صورة متكلفة في البيع كأن يبيع المالك ماله لمن يريد ان يجعله وريثاً له وانتهت الحال بان اصبحوا يكتفون بوصية مسطورة وكان يحق لصاحب الملك خلال القرون الاولى ان يوصي لمن يشاء وان لا يترك شيئاً لاولاده ثم اكره القضاة آباء الاسر بالتدريج على ان يوصوا لكل واحد من اولادهم بقسم من ثروتهم فاخذ ينال كل ولد قسماً من الارث ·

الواح الوصايا الاثنتا عشرة — لم يكن عند الرومان في مبدإ امرهم كسائر الشعوب القديمة شرائع مكتوبة بل كانوا يجرون على عادات الاجداد اي ان كل جيل يجري في كل شأن من شؤونه كما جرى الجيل السالف · وقد سنّ حوالى سنة ٤٥٠ عشرة حكام منتخبين شرائع كتبوها في اثني عشرة لوحة من الحجر · وكانت هذه شريعة الاثني عشرة لوحة أنشئت احكاماً موجزة شديدة قطعية وما هي الا تقنين جاف قاس مثل الشعب النصف البربري الذي وضع له · فبموجب هذه الشريعة يعاقب الساحر اذا تلا كلمات سحرية ومر على حقله بغلة جاره · واليك حكم هذا القانون في المدين الذي لم يؤد ما عليه من دين : « اذا لم يدفع يرفع امره الى القضاء واذا عاقه المرض او السن عن الحضور يركب حصاناً او

محفة ويمهل ثلاثين يوماً فاذا لم يوف ما عليه يربطه الدائن بسيور او سلاسل وزنها ١٥ لبرة وبعد ستين يوماً يبيعه فيما وراء نهر التيبر وللدائنين اذا تعددوا ان يقطعوا المدين ارباً ارباً ولا غبن اذا قطعوا منه قليلاً او كثيراً قال شيشرون كانت شريعة الاثني عشرة لوحة منبع التقنين الروماني باسره وكان الاولاد في المدارس يستظهرونها بعد اربعة قرون من وضعها ٠

الاشارات في الدعاوي — لا يكفي بموجب هذا القانون الروماني القديم اتفاق الاشخاص في مسائل البيع والشراء والارث فلا يكفي لاجل اخذ حكم المحكمة الرومانية ان يعرض الانسان قضية بل يجب عليه ان يلفظ عدة كلمات ويقوم ببعض اشارات تقضي بها العادة وكل قضية تقام امام المحكمة يجري تمثيلها بالاشارات ٠ فللمطالبة بشيء يمسكه المدعي بيده وللاحتجاج على جار رفع حائطه على جاره يرمون بحجر على هذا الحائط ٠ وهاك مايجري اذا اختلف اثنان في ملكية حقل ٠ يأخذ الخصمان بايديهما كأنهما يريدان ان يتصارعا ثم يفترقان ويقول كل منهما : « اصرح بان هذا الحقل لي بموجب حقوق الرومانيين فانا ادعوك باسم محكمة القاضي الى مكان الحقل ليفصل فيه بيننا » فيأمرهما القاضي ان يذهبا الى الحقل قائلاً لهما : اذهبا فهذا طريقكما امام الشهود الحاضرين ٠ فيخطو المتخاصمان بضع خطوات كأنهما ذهبا وفي ذلك رمز الى ذهابهما ٠ فيقول لهما احد الشهود : ارجعا ٠ وبذلك اشارة الى انهما ذهبا الى الحقل فيقدم كل من الخصمين مدرة من التراب وهي اشارة للحقل ٠ وهكذا تبدأ الدعوى وعندئذ يستمع القاضي للمتخاصمين ٠ والرومانيون كسائر الشعوب القديمة لايحسنون فهم غير ما يقع تحت انظارهم فبالماديات يتمثلون الحق الذي لا يرى ٠

ولقد كان الرومان يحترمون هذه الاشكال القديمة من الاحكام من وراء الغاية فكانوا في القضاء كما هم في الدين يطيعون نص القانون دون ان يهتموا بالبحث عن معناه وعندهم ان كل دستور مقدس تجب المبالغة في تنفيذه ومن الحكم الجارية في قضاياهم ان كل مايفوه به اللسان يكون حقاً ٠ فاذا غلط صاحب الدعوى في ايراد مدعاه يخسر قضيته واذا اقام رجل قضيته على جاره لانه قطع له كرمه يجب ان تكون الصورة التي يوردها امام المحكمة حاوية لكلمة «شجرة» فاذا استعاض عنها بكلمة «كرم» لايحكم له ٠

واحترام هذه المراسيم على اطلاقها فتح للرومانيين سبيل الوفاق الغريب في أمور كثيرة فالشريعة تقول ان الاب اذا اباع ابنه ثلاث مرات يحرر الولد من سلطة أبيه ومتى اراد روماني تحرير ابنه يبيعه ثلاث مرات متوالية وهذا العمل المضحك في بيعه يكفي لتحريره ٠

وكانت الشريعة تقضي قبل البداءة بحروب ان يرسل مناد ينادي بها على تخوم العدو · ولما أرادت رومية اعلان الحرب على بيروس ملك ابير الذي كانت مملكته في عبرالادرياتيك رأت الحكومة الرومانية للقيام بهذه المصطلحات ان يبتاع احد رعايا بيروس وربما كان من الآبقين من الجندية حقلاً من رومية فاوهموا بان هذا الحقل اصبح ارضاً من بلاد ابير وراح المنادي يلقي فيها حربة ويدعو فيها للحرب علناً · وكان الرومانيون مثل جميع الامم الفتية يعتقدون باطلاً ان للمراسيم المقدسة فضيلة سحرية

الفقه — كانت شريعة الاثنتي عشرة لوحة والشرائع التي وضعت بعد موجزة ناقصة فكانت تعرض مسائل كثيرة لاحل لها في قانون من القوانين الموضوعة · ففي مثل هذه الاحوال الصعبة كانت العادة متبعة ان يعمد الى الاخذ برأي بعض اشخاص اشتهروا بمعرفتهم في مسائل الحقوق · وكانوا من اهل الاعتبار ومنهم قناصل قدماء او احبار فيكتبون آراءهم كتابة وتسمى فتاويهم اجوبة العقلاء · ومن العادة ان يكون لهذه الاجوبة شأن وقيمة لان اصحابها الحكماء على جانب من الاعتبار والحرمة · وقد زاد الامبراطور اغسطس بان عين بعض هؤلاء الحكماء وقرر ان تكون اجوبتهم قانوناً يعمل به · وعلى هذا صار الحقوق علماً وعلماء الحقوق او الفقهاء المشرعون يضعون القواعدالجديدة التي أصبحت سارية فنشأ بذلك علم الفقه

أمر القاضي — دعت الحال في رومية الى نصب حاكم اعلى لينفذقواعدالحقوق المقدسة وللقنصل أو القاضي فقط ان يديرا شؤون محكمة او يحققان الحقوق · واذ كان القناصل يعنون بقيادة الجيوش فهم يعهدون في العادة بالنظر في الحقوق الى القضاة · وكان في رومية قاضيان حاكمان على الاقل يفصل احدهما في المسائل التي تحدث بين الوطنيين ويسمى قاضي المدينة وينظر الآخر في الدعاوي التي تنشأ بين الوطنيين والاجانب ويسمى قاضي الاجانب وهناك محكمتان لان الغريب لايحاكم امام محكمة الوطنيين ·

وهذان القاضيان بالنظر لما لهما من السلطة المطلقة يفصلان القضايا على مايتراءى لهما · بل ان قاضي الاجانب لم يكن مقيداً بقانون لان الشرائع الرومانية لم توضع الا للوطنيين الرومانيين · ولما كان كل قاض يتولى منصبه في القضاء سنة واحدة فهو يكتب عنددخوله أمراً يبين فيه القواعد التي ينوي اتباعها في الاحكام ويسمون هذا الامر امر القاضي · وبعد سنة عند ماتنتهي مدة القاضي يسقط قانونه فيحق لخلفه ان يسن قانوناً مخالفاً لقانون سلفه جملة واحدة ولكن جرت العادة ان يحتفظ كل قاض بما صدر عن اسلافه من الاوامر فيدخل فيها بعض التبديلات ويضيف اليها بعض زيادات · وهكذاتجمعت أوامر القضاة

قروناً . ثم انشأ الامبراطور هاردن في القرن الثاني « براءة القاضي » وجعلها قانوناً مرعي الاجراء .

واذ كان هناك محكمتان منفصلتان احداها عن الاخرى وضعت قاعدتان متباينتان وقانونان مختلفان فتتألف من القواعد المتبعة التي يجري عليها قاضي المدينة في مسائل الوطنيين الحقوق المدنية أي حقوق المدينة ومن القواعد التي يجري عليها قاضي الاجانب تتألف حقوق الناس اي الشعوب (الغريبة عن رومية) فادرك القوم اذ ذاك ان اعدل هذه القواعد في الحقوق وابسطها واعقلها و بالاجمال افضلها الحقوق الاجنبية وان حقوق الوطنيين المأخوذة ضمن قواعد محصورة عن قدماء الرومان كان فيها خشونة وقواعد بربرية . اما حقوق الناس (الاجانب) فكان اساسها على العكس عادات التجار وعادات أناس من بلاد مختلفة نزلوا رومية وهي عادات سالمة من كل شائبة ووهم وحتى أخذت بكرور الايام واقرها الاختبار قروناً كثيرة . ورأى القوم كيف كانت الحقوق القديمة مخالفة للعقل . فقد جاء في بعض الامثال الرومانية «ان الحق الناصع هو الذي تنقضه سلطة عليا ظالمة» وعلى هذا أنشأ قضاة الوطنيين يصححون القانون القديم ويحكمون باحكام العدل حتى بلغوا بالتدريج ان ينفذوا في الوطنيين نفس القواعد التي كان قاضي الاجانب يجري عليها في محكمته .

مثال ذلك ان القانون الروماني يقضي ان يرث الاقارب من الذكور فقط الا ان القاضي دعا الاقارب من النساء ان يشتركن في الارث . ويقضي القانون القديم بان لا يكون المرء صاحب ملك الا اذا قام بالاحتفال في المبيع فاعترف القاضي بانه يكفي المبتاع ان ينقد البائع ثمن ما ابتاعه وان يضع يده على الملك حتى يعد مالكاً — وانت ترى ان حقوق الاجانب تغلبت على الحقوق المدنية وأبطلتها

القانون المسطر — أنشئت الحقوق الرومانية على عهد الامبراطرة خاصة فاصدر الامبراطرة الانطونيون كثيراً من الاوامر واللوائح وكانت هذه رسائل تصدر عن الامبراطور جواباً عن الموظفين الذين يستطلعون طلع آرائهم فيساعدهم على القيام بهذا الاصلاح القضائي اناس من المتشرعين عندهم وظل بعض المشرعين في أوائل القرن الثالث زمن من حسنت سيرتهم او ساءت من الامبراطرة يضعون القوانين الجديدة في الحقوق ويصلحون ماوجدوه منها قديماً . ومن أشهرهم بابنين واولبين ومودستين و بولس فان تآليفهم هي التي كانت أساساً للحقوق الرومانية بعد

وهذه الحقوق التي نظمت في القرن الثالث لا شبهة بينها و بين الحقوق الرومانية القديمة بحال من الاحوال اذ القديمة لم تكن ترحم الضعفاء فاقتبس المتشرعون افكار فلاسفة اليونان

ولا سيما الرواقيين منهم وذهبوا الى ان الحرية حق طبيعي لكل من يولد حرًّا أي ان العبودية مخالفة للطبيعة ولذلك رأوا انه يحق للعبد ان يطلب انصافه حتى من سيده وان هذا اذا قتل عبده يجب ان يعاقب عقاب القاتل وكذلك حموا الولد من ظلم ابيه

وهذا القانون الجديد هوالذي سموه بعد بالقانون المسطور وهو الحقيقة في قانون جروا فيه مع الفلسفة على نحو ما يأمر به العقل الناس كافة ولذا لم يبق فيه اثر للقانون الجائر المعروف بقانون الاثنتي عشرة لوحة . فليس القانون الروماني الذي حكمت به بلاد الامبراطورية باسرها زمناً طويلاً ذاك القانون الذي لم يبرح بعضه داخلاً في قوانيننا بل هو قانون قدماء الرومان وضع بحسب عادات جميع الشعوب القديمة ونسج فيه على مثال الحكم المأثورة عن حكماء اليونان ثم مزج كل ذلك مزيجاً واحداً وكتبه اناس من الحكماء والفقهاء الرومانيين قروناً طويلة

النصرانية

تعليم المسيح (عليه السلام) — كان الاسرائيليون ينتظرون المسيح من نسل داود ملكاً لهم ومخلصاً فظهر عيسى في الناصرة في ولاية صغرى، من الشمال اسمها الجليل لا تكاد تعرف بانها يهودية . ولد من امرة وضيعة تحترف بالتجارة . فسماه اتباعه من الروم المسيح اي الممسوح يعنون الملك الممسوح بالزيت المقدس كما دعي السيد والرب والمخلص . كلنا نعرف الديانة المسيحية . فيكفي اذاً ان نبين ماهي التعاليم الجديدة التي نشرتها في العالم . فقد اوصى المسيح اولاً بالمحبة فقال « انك تحب الرب الهك من كل جوارحك وفكرك وتحب قريبك كما تحب نفسك فجماع الشريعة وتعاليم الانبياء داخلة في هاتين الوصيتين »

فمن الواجب محبة الغير واسعافهم ومتى قضى الله بين عباده يجعل على يمينه من اطعموا الجياع وسقوا العطاش وكسوا العراة . ويقول المسيح لمن يريد اتباعه اولاً : « اذهب فبع مالك وادفعه للفقراء ولقد كان القدماء يعتبرون الشريف والغني والشجاع هو الرجل الصالح الا ان هذا الاسم تغير معناه منذ جاء المسيح فاصبح الرجل الصالح هو الذي يحب غيره . فعمل الخير هو محبة الغير والسعي في نفعهم . والاحسان (وهو باللاتينية مرادف لحب) اساس التقوى . وغدت لفظة محب مرادفة للفظة محسن . وضع المسيح تعليمه في الاحسان بدلاً من التعليم الاسرائيلي القديم في الانتقام فقال « عرفتم بانه قيل العين بالعين والسن بالسن اما الآن فاقول لكم اذا ضربكم احد على خدكم الايمن فقدموا له الايسر . وقيل احبوا قريبكم وابغضوا عدوكم اما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم وافعلوا الخير مع من يبغضونكم وباركوا لمن يضطهدونكم لتكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء الذي ينزل المطر على العادلين والظالمين

حتى ان المسيح وهو على الصليب استغفر لجلاديه فقال « اعف عنهم يارب فانهم لا يعرفون ما هم فاعلون » .

احب المسيح الناس قاطبة . ومات لا من اجل شعب واحد بل من اجل الانسانية كلها . وما قط ميز بين الاشخاص فكلهم سواء امام الله . ولقد كانت الاديان القديمة حتى دين اسرائيل دين شعب يحتفظ به ويكتمه بعناية احتفاظه بكنز ثمين دون ان تحدثه نفسه في تبليغه شعباً آخر فقال المسيح لتلاميذه اذهبوا اذاً وعلموا جميع الامم .

وبعد ذلك قام بولس احد الحواريين وقرر تعليم المساواة النصرانية بقوله : « لم يبق اولون ولا آخرون كما لم يبق روم ولا يهود ولا مطهرون ولا قلف ولا برابرة ولا عبيد ولا احرار فقد اصبح المسيح هو الكل في الكل . »

كان القدماء يذهبون الى ان الثروة تعلي شأن الانسان وينظرون الى ان الكبر عاطفة شريفة فقال المسيح : « طوبى للفقراء فان لهم ملكوت السموات » « من لم يتنازل عما يملكه لا يكون تلميذاً لي » حتى انه هو ايضاً كان ينتقل من مدينة الى مدينة ولا سبد له ولا لبد وعند ما كان تلاميذه يهتمون للمستقبل كان يقول لهم : « لا تقلقوا لما تأكلون ولا لما تلبسون والقوا بانظاركم الى الطيور في السماء فهي لا تزرع ولا تحصد ومع هذا فان اباكم السماوي متكفل برزقها »

فعلى المسيحي ان يحتقر الثروة وان يشتد في الازدراء بالعظمة . كان تلاميذه يتنازعون ذات يوم فيمن يكون له المقام الاول في السماء فقال : « ان اعظمكم هو الذي يخدم غيره لان من يرتفع يسقط ومن يسقط يرتفع » وما زال البابا الى اليوم وهو خليفة القديس بولس يدعى بخادم خدمة المولى . كان المسيح يؤثر ان يجتذب اليه المساكين والمرضى والنساء والاولاد بل والضعاف والحر ومين واختار حوارييه من عامة الناس وكان يكرر على مسامعهم « تلطفوا ولينوا قلوبكم »

ملكوت الله — كان المسيح يقول انه جاء الى الارض ليؤسس ملكوت الله . فظن اعداؤه انه طامع في ملك وعند ما صلب كتبت على صليبه هذه العبارة : « يسوع الناصرة ملك اليهود » وهذا كان خلاف ما يقصده . فقد صرح المسيح نفسه بان ملكوتي ليس في هذا الارض . فلم يجيء ليقلب الحكومات ولا ليصلح المجتمع واجاب من سأله فيما اذا كان يجب اداء الجزية للرومانيين بقوله : « ادفع ما لقيصر لقيصر وأد ما لله لله » . ولذا رضي المسيح بما رآه موجوداً وعمل على تهذيب نفسه وتكميلها لا على اصلاح المجتمع

ولاجل ان يفوز المسيحي برضاة الله ويكون اهلاً لبلوغ ملكوته لا يقتضي له ان يقدم

النذور ويقف عند حد ما رسمته الشريعة كما فعل الفريسيون اليهود او عبدة الارباب القديمة « فان المتعبدين الحقيقيين يعبدون اباهم بالفكر وبالحقيقة » وكلمة المسيح هي جماع آدابهم وهي : « كونوا كاملين مثل ابيكم الذي في السموات فانه كامل »

الحواريون — عهد الى الاثني عشر حواريًا الذين كانوا ملتفين حول المسيح ان يبشروا بتعاليمه في الامم باسرها . فدعوا بالحواريين (المرسلين) سكن معظمهم القدس ودعوا الى دينهم في ارض اليهودية . وكان المتنصرة الاول من الاسرائيليين .

وكان شاول اول من دان بالنصرانية وخف يحمل تعاليم هذا الدين الى امم الشرق فقضى بولس (هو الاسم الذي اتخذه)حياته يطوف المدن اليونانية في آسيا الصغرى وبلاد اليونان ومكدونية داعيًا الى الدين الجديد لا الاسرائيليين فقط بل ابناء الامم الاخرى قائلاً كنتم فيما سبق بدون المسيح بعيدين عن المحالفات والوعود وها قد التأم شملكم بدم المسيح لانه هو لا يميز بين الشعبين وينظر اليهما كأنهما شعب واحد . ولم يعد من حاجة ان يكون المرء اسرائيليًا حتى ينتحل النصرانية فان الامم الاخرى التي نبذتها شريعة موسى قد تقاربت فيما بينها بفضل شريعة المسيح . وهذا الامتزاج هو بصنع القديس بولس ولذا سمي رسول الامم .

كان المتحلون للنصرانية بادي بدء من يونان آسيا الصغرى ثم تنصر كثيرون في جميع المدن الكبرى واتى زمن طويل والطائفة المسيحية في رومية ايضًا مؤلفة من ابناء يونان . فانتشر دين المسيح اولا ببطء على نحو ما بشر بذلك المسيح بقوله : « يشبه ملكوت الله حبة من الخردل فهي اصغر الحبوب ومع هذا ينبت منها نبات اطول من جميع البقول فتؤوي طيور السماء الى ظلها » .

الكنيسة الاصلية — كان المسيحيون في جميع البلاد التي نزلوها يجتمعون للصلاة جماعة وانشاد اماديح المولى وللاحتفال بالعشاء السري وهي اكلة يتناولونها بالاشتراك تذكارًا لآخر اكلة للمسيح وتسمى اجتماعاتهم الكنيسة (المجلس)

ومن العادة ان يعامل المسيحيون في كنيسة واحدة بعضهم بعضًا معاملة الاخوة ويأتون بالعطايا لينفقوها على الارامل والفقراء والمرضى . واكثر رجالهم احترامًا بينهم الرهبان ومعنى ذلك القدماء يديرون شؤون الطائفة ويقومون بالفروض الدينية . ويتولى آخرون النظر في املاك الطائفة وكانوا يدعون الشمامسة (الملاحظون) ثم كثرت اعمال الكنيسة حتى انقسم سواد المسيحيين الى فرقتين احداهما جماعة المكلفين بالنظر في وظائف الطائفة وسموهم رجال الكهنوت (اي خدمة الرب) والباقون هم جمهور المؤمنين سموهم العامة (العلمانيين)

كان لكل مدينة كنيسة مستقلة فيقولون كنيسة انطاكية وكنيسة كورنت وكنيسة رومية وكلها في الحقيقة كنيسة واحدة وهي كنيسة المسيح حيث كان يربط الجميع الاعتقاد بايمان واحد . فالاعتقاد العام او الكاثوليكي كان هو المعول عليه دون سواه اما الآراء الخاصة (الهرطقات والالحاد) فكان يحكم عليها بانها اوهام واغلاط .

وبقي الكتاب المقدس عند اليهود اي العهد القديم مقدساً عند المسيحيين وصار لهؤلاء كتب اخرى جمعتها الكنيسة في مصحف واحد وسمتها العهد الجديد . فالاناجيل الاربعة تقص حياة المسيح والبشارة بما حمله من السلام . واعمال الرسل تذكر كيف انتشرت هذه البشارة في العالم . ورسائل الرسل هي رسائل ارسلها الحواريون الى مسيحيي العهد الاول والابوكاليبسس (رؤيا القديس يوحنا الانجيلي او الجليان) هو ما اوحاه القديس يوحنا الى السبع كنائس في آسيا . كتبت جميع كتابات العهد الجديد باليونانية وهي اللغة التي كانت لغة المسيحيين الى اواخر القرن الثاني وقد انتشر بين المسيحيين كثير من الكتب زعموا انها مقدسة فرفضتها الكنيسة كلها وسموها المزورة

الاضطهادات — اضطهدت الديانة المسيحية منذ ظهورها فكان اليهود اعداءها الأول اضطروا الحاكم الروماني في بلادهم الى صلب المسيح ورجموا القديس اتين (الشهيد الاول) واشتدوا في طلب القديس بولس وكانوا يقتلونه ثم وقع الاضطهاد على النصرانية من الرومان فان هؤلاء كانوا يتسامحون مع جميع اديان الشرق لان عبدة اوزيريس وميترا والربة الصالحة كانوا يعترفون بالاديان الرومانية مع اربابهم الا ان المسيحيين عبدة الله الحي كانوا يزدرون بالمعبودات الصغيرة القديمة بل ان الجريمة الكبرى التي تعد على المسيحيين في نظر الرومانيين انهم كانوا يأبون عبادة الامبراطور كما يعبد رب وان يحرقوا البخور على مذبح ربة رومية

وقد اصدر كثير من الامبراطرة أوامر الى ولاتهم يأمرونهم بالقبض على المسيحيين واعدامهم . وقد كتب بلين وكان والياً في آسيا الى الامبراطور تراجان كتاباً يدل على الطريقة التي كان يعامل بها المسيحيون قال : «جريت الآن مع من اتهموا بانهم نصارى على الطريقة الآتية وهو اني أسألهم عما اذا كانوا مسيحيين فاذا اقروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهدداً اياهم بالقتل فان اصروا أنفذ عقوبة الاعدام عليهم مقتنعاً بان غلطهم الذي يعترفون به مهما كانت فظاعته وان عنادهم الشديد وعدم طاعتهم يستحقان العقوبة . وقد وجهت الشكوى الى كثيرين بكتب لم تذيل باسماء اصحابها فانكروا بانهم نصارى وكرروا الصلاة على الارباب الذين ذكرت اسماءها امامهم وقدموا الخمر والبخور لتمثال

اتيت به عمداً مع تماثيل الارباب بل انهم شتموا المسيح . ويقال ان من الصعب اكراه النصارى الحقيقيين . ومنهم من اعترفوا بانهم نصارى ولكنهم كانوا يثبتون بان جريمتهم وخطأهم محصوران في انهم اجتمعوا بعض ايام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على انه ربٌ وعلى انشاد الاناشيد اكراماً له وتعاهدوا بينهم مقسمين الايمانات لا على ارتكاب جريمة بل على ان لا يسرقوا ولا يقتلوا ولا يزنوا و يوفوا بعهودهم . ورأيت من الضرورة للوقوف على الحقيقة ان أعذب امرأتين أمتين دعوهما خادمتي الكنيسة بيد اني لم اقف على شيء اللهم الا ما كان من خرافة سخيفة مبالغ فيها »

وعلى هذا فقد كانت الحكومة هي المضطهدة (١) الا ان العامة في المدن الكبرى كانوا اكثر اضطهاداً للمسيحيين فلم يكونوا يتسامحون مع هؤلاء الذين يعبدون الهاً آخر غير اربابهم و يحتقرهذه الارباب و يرون ان انكار المسيحيين لما يعبد الرومان يجلب على العالم غضب هذه الارباب . وكنت تسمع القوم اذا وقع قحط ومجاعة ووباء يهتفون هتافهم الذي اشتهر امره «النصارى للاسود» والشعب يكره الحكام على البحث عن المسيحيين ومطاردتهم .

الشهداء — هلك الوف من المسيحيين في خلال قرنين ونصف نالهم فيها الاضطهاد في طول المملكة الرومانية وعرضها وكان الهالكون من كل سن وجنس وطبقة . فالوطنيون الرومانيون تضرب اعناقهم كما جرى للقديس بولس والباقون يصلبون و يحرقون وكثيراً ما يلقون للوحوش الكاسرة تنهشهم . واذا ابقوا عليهم يبعثون بهم الى الاعمال الشاقة في المناجم وكثيراً ما كانوا يبالغون في عقاب النصارى بايجاد وسائل لاهلاكهم من كل نوع . ففي المقتلة العظمى التي وقعت في ليون سنة ١٧٧ اخذ المسيحيون بعد ان عذبوا وسجنوا في مطبق ضيق الى الملعب فاخذت الحيوانات الكاسرة تمزق اوصالهم ولا تقتلهم ثم اجلسوهم على كراسي من حديد محماة بالنار . واذ قاومت فتاة من الاماء اسمها بلاندين ان تعذب على هذه الصورة جعلوها في شبكة ووضعوها امام ثور غضبان .

وكان المسيحيون يتلقون بسرور هذا التعذيب الذي يفتح لهم ابواب السموات و يرون فيه وسيلة الى الاستشهاد علناً في حب المسيح ولذلك كانوا يسمون انفسهم بالشهداء (اي الشهود) لا بالمنكوبين وعقوبتهم شهادة . بل انهم كانوا ينظرون الى تعذيبهم نظرهم الى قتال الالعاب الاولمبية و يرون انهم كالمصارع الظافر ينالون الفخار والتاج . وما برحوا حتى اليوم يحتفلون بعيد الشهداء واعيادهم موافقة للايام التي قتلوا فيها وكثيراً ما كان احد من

(١) تقول الكنيسة ان المسيحيين اضطهدوا مرات الاولى على عهد نيرون (٦٤) والثانية على عهد ديوكلسين (٣٠٣)

يحضرون تعذيب احد الشهداء يكتب قصته وكيفية توقيفه واستنطاقه وتعذيبه وعقوبته وهذه الكتابات على اختصارها طافحة بالعبرة وكانت تسمى اعمال الشهداء وتنتشر حتى بين الطوائف البعيدة من اقصى المملكة الى اقصاها وما هي الا مرددة المجد الذي احرزه المعترفون بالايمان الصحيح وداعية الى الترغيب في الجري على مثالهم

ولقد حدا حب الشهادة بالوف من المسيحيين ان يعلنوا امرهم بانفسهم ويطالبوا بالحكم عليهم وامر احد حكام آسيا ذات يوم بالقاء القبض على بعض المسيحيين فجاء جميع متنصرة المدينة يتقدمون للمحكمة طالبين اليها محاكمتهم . فاستشاط الوالي غضباً فقتل بعضهم وطرد الآخرين قائلاً : «ارجعوا اليها الاسافل ان كنتم تحرصون كثيراً على الموت فهل عندكم قبور تسعكم وحبال تقيدكم » وكان بعض المسيحيين يدخلون المعابد ويقلبون فيها اصنام الارباب ليكونوا على ثقة من انهم يشنقون حتى قضت الحال ان تمنع الكنيسة مرات تعرض النصارى لنيل الشهادة

الدياميس — كان المسيحيون ينكرون العادة القديمة في احراق الموتى فاخذوا يدفنون موتاهم كاليهود في نواويس بعد ان يكفنوهم في اكفان فاحتاجوا الى قبور . واذ كانت الارض غالية الثمن جداً نزل المسيحيون اذ تحت الارض وحفروا في الارض الرخوة التي كانت رومية قائمة عليها دهاليز طويلة وغرفاً ارضية وهناك كان المسيحيون في مقاصير احتفروها على طول الحواجز يدفنون موتاهم واذ اخذ كل جيل يحتفر لنفسه دهاليز جديدة صارت تحت الارض مع الزمن مدينة ارضية سموها الدياميس . ومثل هذه الدياميس كان في نابولي وميلان والاسكندرية الا ان اشهرها دياميس رومية . وقد فتحت في ايامنا فرأوا فيها الوفاً من القبور والكتابات النصرانية وباكتشاف هذا العالم المدفون تحت الارض نشأ فرع جديد من فروع العلوم التاريخية وهو علم الكتابات والآثار النصرانية . وقد شوهد ان قاعات المدافن في الدياميس منقوشة برسوم بسيطة وصور ولكنها تمثل مشاهد واحدة الاقليلاً وهي اما ان تصور المؤمنين من المسيحيين في الصلاة او الراعي الصالح وهو رمز للمسيح . وكانت بعض هذه القاعات اشبه بالمعابد وفيها دفنوا جثث القديسين الشهداء والمؤمنين الذين رغبوا في ان يدفنوا في جوارهم وكانوا يأتون كل سنة لتناول الاسرار . وكثيراً ما التجأ المسيحيون في رومية خلال اضطهادات القرن الثالث الى هذه الكنائس الارضية للقيام بصلواتهم او للفرار من الطلب عليهم .

قسطنطين

تغلب النصرانية — مضى القرنان الاولان للميلاد والمسيحيون ضعاف الشأن في

الامبراطورية الرومانية وجمهورهم من السوقة والعملة والعبيد المعتقين والعبيد ممن يضيعون في غمار الناس بالمدن الكبرى وقد مضى زمن والطبقة العالية تنكر وجودهم حتى ان سويتون في القرن الثاني لما تكلم في تاريخ القياصرة على المسيح قال انه رجل اسمه كريستوس يلقي الاضطراب بين سكان رومية . ولما اخذ الاغنياء والادباء يعنون بامر الدين الجديد لم يكن ذلك منعهم الا ليهزؤا به ولا يذكرونه الا انه دين فقراء وجهلة . واذ جاءت النصرانية لمساكين هذا العالم بان وعدتهم الجزاء عن هذه الحياة في الآخرة كثر اشياعها والقائلون بالتدين بها ولم تحل الاضطهادات دون انتشارها بل قوتها وبعثت كلمتها فقد كان المسيحيون يقولون ان دم الشهداء بذر للمسيحيين ولقد ظل الاهتداء الى النصرانية ينتشر خلال القرن الثالث كله بين رجال الاسرات الكبرى لا بين الفقراء فقط وما جاءت اوائل القرن الرابع الا وقد اصبح الشرق كله اي البلاد التي تتكلم باللغة اليونانية مسيحياً بأسره

وكانت هيلانة ام الامبراطور قسطنطين مسيحية فجعلتها الكنيسة في مصاف القديسات ولما زحف هذا الامبراطور على مزاحمه ملك رومية وضع على علمه شارة الصليب وشعار المديح وكانت الغلبة التي كتبت له غلبة للنصرانية فسمح للنصارى ان يقوموا بشعائر دينهم دون ان يعارضهم احد (بامره الصادر سنة ٣١٣) ثم اخذ يعطف عليهم جهاراً . ومع هذا لم يتخل عن الدين القديم (الوثنية) . فبينا كنت تراه يرأس مجلس اساقفة المسيحيين الاعلى كان يلقب بلقب الحبر الاعظم ويحمل على خوذته مسماراً من الصليب الحقيقي ونقوده منقوش عليها صورة رب الشمس . وقد انشأ في مدينة القسطنطينية كنيسة نصرانية كما أنشأ معبداً تذكاراً لهذه الغلبة . ومضى نصف قرن كان فيه من الصعب معرفة دين المملكة الرسمي في الامبراطورية .

تنظيم الكنيسة — لم يخطر في بال المسيحيين حتى في الازمان التي نالهم فيها الاضطهاد ان يقلبوا كيان الامبراطورية ومنذ بطل اضطهادهم اصبح اساقفتهم حلفاء الامبراطور وعندها انتظمت حالة الكنيسة المسيحية بصورة قطعية على الصورة التي بقيت عليها الى يومنا هذا . فصار لكل مدينة اسقف يقيم في الحاضرة ويحكم على المسيحيين التابعين لها وتسمى الارض الخاضعة لاسقف ابرشية . وكان في اقطار الامبراطورية الرومانية ابرشيات واساقفة على قدر ما فيها من مدن وهذا هو السبب الذي من اجله كان الاساقفة كثيرين والابرشيات صغيرة في الشرق وفي ايطاليا حيث كثر عدد المدن . وعلى العكس في مدن غاليا فانه لم يكن بين الرين والبيرينه سوى ١٢٠ ابرشية ومعظمها ما عدا ابرشيات الجنوب في الجسامة كولاية .

اصبحت كل ولاية مقاطعة كنائسية وسمي اسقف العاصمة واسقف المركز بعد رئيس الاساقفة . وكثيرًا ما ينظر الى اسقف اعظم مدينة في بقعة بانه ارقى الاساقفة في تلك الارجاء وكان اساقفة المدن الرئيسة بالشرق في القدس وانطاكية والاسكندرية والاستانة يدعون بالبطاركة وفوقهم كلهم البابا اسقف رومية وهو الرئيس الاعظم في الكنيسة . وفي هذا القرن انشئت المجامع الدينية الكبرى فكان في آسيا الصغرى اولا مجامع خاصة يجتمع فيها اساقفة ناحية من النواحي وكهنتها . وفي سنة ٣٢٤ دعا قسطنطين للمرة الاولى مجمعًا دينيًا عامًا من اهل الارض الى مدينة نيقية في آسيا الصغرى فحضره ٣١٨ رجلاً من رجال الكنيسة فتناقشوا في المسائل اللاهوتية وانشؤا الاعتراف بايمان الكاثوليك الذي سموه قانون نيقية وما زال المسيحيون ينشدونه الى اليوم في قداس كل احد . ثم كتب الامبراطور الى عامة الكنائس ان تمتثل ارادة المولى التي تجلت فيما اجمع عليه المجمع العام وكان هذا هو المجمع المسكوني الاول . واصبحت القرارات التي تقررها المجامع شريعة يجب على المسيحيين قاطبة ان يعملوا بها وسموها القوانين او القواعد . ويتألف من مجموع هذه القواعد القوانين الكنائسية .

الملاحدة (الهراطقة) — نشأ منذ القرن الثاني بين المسيحيين ملاحدة يخالفون في آرائهم السواد الاعظم من ابناء الكنيسة . وكثيرًا ما اجتمع الاساقفة في بلد ليعلموا المؤمنين بان المذهب الجديد باطل ويكرهوا مبتدعه على الرجوع عنه واذا ابى يخرجونه من الوحدة المسيحية . وقد يتحيش صاحب البدعة اعوانًا يقتنعون بصحة دعوته فلا يرون الرجوع عما وافقوه عليه ويظلون يدينون بما حكم المجمع برده من الآراء . ومن هنا نشأت العداوات والفتن الشديدة بينهم وبين المسيحيين المتعلقين برأي الكنيسة (الارثوذكس) واذ كان المسيحيون ضعافًا ومضطهدين لم يتنازعوا بينهم الا بالكلام والكتابة ولكن لما اصبحت البلاد مسيحية كلها اشتعال النزاع بين المسيحيين والمخالفين منهم في بعض الآراء الى اضطهاد الملاحدة وكثيرًا ما نشب منه حروب اهلية .

وتكاد تنشأ جميع البدع في ذاك العهد بين يونان آسيا ومصر على يد اناس من الاذكياء والسفسطائيين والمجادلين وقد نشأت تلك البدع في العادة من محاولة فهم اسرار التثليث والتجسد . وكانت بدعة آريوس اقوى جميع البدع فمن مذهبه ان الله الآب خلق المسيح وليس هو مثله فحكم المجمع النيقي بتبديعه ولكن مذهبه انتشر في بلاد الشرق عامة . ومنذ ذاك العهد ظل الكاثوليك والآريوسيون يتنازعون بينهم ايهم يستأثر بالسلطة في الكنيسة والحزب الاقوى يعزل وينفي ويحبس واحيانًا يذبح زعماء الحزب المخالف . ومضى زمن

والقوة للآريوسيين وقد تحزب لقولهم عدة من الامبراطرة ثم ان الآريوسية كانت تقوى بكثرة دخول البرابرة في الامبراطورية وتمذهبهم بهذا المذهب ومعاضدتهم لاساقفته · فقضى الكاثوليك زهاء مائتي سنة حتى قضوا على هذا المذهب المبتدع ·

اواخر ايام الامبراطورية

لما ذبح الجنود اخوة قسطنطين وابناء اخته سنة ٣٣٨ افلت منهم طفل في السادسة من عمره اسمه جولين فجعله الامبراطور نسيبه في اقاصي آسيا الصغرى ورباه على يد قسيسين مسيحيين فبعث به هؤلاء الى قبر الشهداء ينشد المزامير ويتلو الكتاب المقدس امام الشعب ولما شب رخص له بالقدوم الى الاستانة فانشأ يدرس كتب بلغاء الروم وفلاسفتهم واولع باحد الفلاسفة الافلاطونيين فانصرفت نفسه عن النصرانية · واتم دروسه في آثينا وتعلم فيها اسرار معبد الوزيس ثم جاهر بانه من اشياع الدين القديم علناً واخذ يحتفل بعبادة الارباب فلقبه المسيحيون بالمرتد ·

كان جولين آخر من بقي حياً من الاسرة الامبراطورية واذ لم يكن للامبراطور قسطنطين وارث يرثه غير هذا اجمع امره على ان يلقبه باسم قيصر وبعث به قائداً على جيش غاليا (٣٥٥) وكانت البرابرة قد هاجمت هذه البلاد وجاءت عصابة من الالمانيين على مقربة من مدينة اوتون · واذ لم يكن لجولين خبرة بالحرب انصرفت همته الى درس الفلسفة فصرف شتاء بطوله في تعلم صناعة الكر والفر وانشأ يروض نفسه ويتمرن ويتلو سيرة مشاهير الغزاة فلما تم له ذلك حمل على الالمان في جيش صغير من المشاة الرومانيين والفرسان البرابرة فكتب له الظفر في الحملة الثانية في سهل بالقرب من مدينة ستراسبورغ وركب اكتاف الالمان ورجعوا يجتازون نهر الرين (٣٥٧) وقضى جولين في غاليا ثلاث سنين اخرى وجعل مشتاه في بلدة لوتيس حاضرة الشعب البارزي وهي مبنية في جزيرة من جزر السين وكان يدعوها « لوتيس المحبوبة » وهو اول من وصفها ·

وفي هذه المدينة اتاه امر الامبراطور ان يبعث اليه بقسم من جيشه الى الشرق ليقاتل البارثيين الذين داهموا بلاد الامبراطورية فلم يرد الجند ان يبتعدوا عن بلادهم الى مثل تلك القاصية وابوا ان يقاتلوا ثم اخذوا جولين ورفعوه على ترس (وكان هذا الاسلوب هو الذي يجري عليه المحاربون الجرمانيون في مبايعة ملوكهم) وحملوه وهم ينادون «جولين اغسطس» (٣٦٠)

فكتب جولين الى الامبراطور يريده على ان يرتضيه رصيفاً له فابى قسطنطين عليه ذلك فزحف جولين في جيشه على القسطنطينية وكان قسطنطين قضى نحبه قبل وصوله (٣٦١) ولما خلا الجو لجولين واصبح امبراطوراً وحده اقام في الشرق وحاول ان يعيد الدين

القديم (الوثنية) فارجع الى الكهنة املاكهم ومناصبهم واعاد تقديم النذور الارباب بل اصدر امره الى المسيحيين بان يرجعوا المعابد التي كانوا حولوها الى كنائس

وانشأ يناهض النصرانية مباشرة وابى ان يعين المسيحيين في الوظائف وطرد المعلمين المسيحيين من المدارس قائلاً انه لا يحق لهم ان يدرسوا كتباً يذكر فيها اسم الارباب وهم لا يعتقدون فيها . وسعى الى اعادة الدين القديم الى حاله بان عهد الى الكهنة ان يقرؤا على العامة مواعظ ودروساً دينية الا ان الزمن خانه فسافر في حملة على البارثيين وغلبهم واصيب بسهم في احدى المعارك . وقيل انه صرخ وهو يجود بنفسه «لقد غلبتَ يا غاليلي !»

القضاء على الوثنية — لم يقض على دين السوقة القديم لاول مرة فقد اهتدى الشرق في الحال اما في الغرب فلم يبق مسيحيون الا في المدن بل ان الامة ظلت هنا أيضاً تعبد الاصنام وذلك لان الامبراطرة الاول المسيحيين لم يريدوا ان يقضوا القضاء الاخير على دين المملكة القديم بل كانوا يحمون القسيسين المسيحيين كما يحمون كهنة الارباب يرأسون المجامع الدينية ويبقون احباراً عظاماً . وكان الامبراطور فراسين سنة ٣٨٤ اول من ابى ان يلقب بالحبر الاعظم واذ عمّ التسامح في ذاك القرن بدىء باضطهاد الدين الروماني منذ غدا غير رسمي . واطفىء الموقد المقدس الذي كان يشتعل في رومية منذ احد عشر قرناً وطردت الكاهنات اللاتي كن في معبد فستا يوقدن النار كلما خمدت . واحتفل آخر مرة بالالعاب الاولمبية في بلاد يونان سنة ٣٩٤ . وعندئذ خرج النساك في مصر من الصحراء لينقضوا مذابح الارباب المزورة ويجعلوا بقاياها في قبور انوبيس وسيرابيس . وقام وارسل الاسقف السوري في مقدمة عصابة من الجند والمشعوذين لخرب معبد المشتري في افامية وانشأ يجوب البلاد ويخرب المزارات فقتله الفلاحون فجعلته الكنيسة من القديسين

فما هو الا قليل حتى لم يبق عبدة اوثان الا في القرى يأوون اليها فراراً من المراقبة وهم فلاحون ممن بقوا يعبدون الاشجار المقدسة والينابيع ويجتمعون في المزارات البعيدة . واخذ المسيحيون يطلقون اسم الوثنيين (الفلاحين) على من كانوا سموهم الى ذاك العهد بالظرفاء وبقي ذاك الاسم يطلق عليهم . وهكذا اشتدت الحال على الوثنية في ايطاليا وغاليا واسبانيا الى اواخر القرن الرابع وطوي بساطها تحت طي السكوت .

التنظيم الجديد في الامبراطورية

رومية والقسطنطينية — خرب الغرب وقلّ سكانه في القرن الثالث بما تواتر عليه من الحروب والغارات فاصبح الشرق اليوناني القسم المهم من الامبراطورية . وكان ديوكلسين قد تخلى عن رومية وجعل عاصمته في نيكوميديا في آسيا الصغرى . اما قسطنطين فتوسع

في الامر اكثر من ذلك فانشأ رومية جديدة في الشرق وكانت القسطنطينية على رأس من البحر في محل لا يفصل اوربا عن آسيا غير خليج البوسفور الضيق في ارض كثيرة الكروم والغلات وتحت سماء صافية الاديم وانشأ طواري من الروم مدينة بيزانس وكان لها من الآكام مايجعلها سهلة على الدفاع ومرفأ وهو المعروف بقرن الذهب من احسن مرافيء العالم يؤوي ١٣٠٠ سفينة ويمكن سده بسلسلة طولها ٢٥٠ متراً لئلا تخطاه اساطيل العدو . فهناك انشأ قسطنطين مدينته الجديدة القسطنطينية (مدينة قسطنطين) وجعل في اطرافه اسواراً عالية وانشأ فيها ساحتين اثريتين تحيط بهما اروقة. وانشؤا فيها قصراً وملعباً ودور تمثيل واقنية وحمامات ومعابد وكنيسة مسيحية

ونزع قسطنطين من المدن الاخرى ما كان فيها من التماثيل والنقوش البارزة المشهورة ليزين بها مدينته ولاجل اسكانها نقل اليها سكان المدن المجاورة بالقوة وقدر مكافآت والقاب تشريف للأسر الكبرى التي تنتقل اليها وقرر كما كان الحال في رومية توزيع الحنطة والخمر والزيت على الناس وتوفير المشاهد والفرج لهم

فكان تأسيس تلك العاصمة من السرعة الغريبة على نحو مايحب القوم في الشرق فبدأ العمل بذلك في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ٣٢٦ واحتفل بافتتاحها في ١١ ايار (مايو) سنه ٣٣٠ ولكن اسست بحيث تبقى على الدهر فقد صبرت القسطنطينية على هجمات المهاجمين عشرة قرون وبقيت بمقام عاصمة ابداً والمملكة الرومانية تمزق ولا تزال الى اليوم اول مدينة في الشرق

ولما ترك الامبراطور رومية لم تعد مقراً لحكومة وظل فيها مجلس اعيانها وان لم تعد له سلطة وبقيت مزاراتها واحتفالاتها كما بقيت الى اواخر القرن الرابع مركز الحزب الديني القديم .

القصر ــ اخذ الامبراطرة الذين نزلوا الشرق في التعود عاداته (١) وانشؤا يلبسون ثياباً ضافية من الحرير والقصب ويجعلون على رؤوسهم تاجاً مرصعاً باللؤلؤ ويحتجبون في قصورهم حيث كانوا يجلسون على عرش من ذهب يحف بهم وزراؤهم ويفصلهم عن الناس جمهور من الحشم والخدم والموظفين والحرس . وعلى من ينال شرف الحظوة من

(١) كثيراً مايتولى الامبراطورية اثنان احدهما في الشرق والآخر في الغرب وان تكن المملكة واحدة. فالامبراطوران وان كان احدهما ينزل الاستانة والآخر ايطاليا كانا يعتبران بان يكونا كشخص واحد. فكان القوم اذا خاطبوا احدهما يخاطبونه بالجمع فيقولون له انتم كأنهم يخاطبون الامبراطورين كليهما وهكذا نشأت عادة الخطاب بالجمع للمفرد لان الناس في القديم كانوا يخاطبون بصيغة المفرد «انت» حتى الملوك والامبراطرة

مواجهتهم ان يسجد امامهم و يمرغ وجهه في الارض علامة العبادة والخضوع و يطلقون عليهم القاب «المولى» و«الجلالة» و يعاملونهم معاملة الارباب وكل ما يمس اشخاصهم مقدس فيقولون القصر المقدس والغرفة المقدسة . ومجلس الامبراطورية المقدس والخزانة المقدسة .

فكان عيش الامبراطور في الامبراطورية الغربية (ايطاليا) من القرن الاول الى الثالث اشبه بحياة حاكم او قائد اما قصر الامبراطور في الامبراطورية الشرقية (القسطنطينية) فهو اشبه بقصر ملك فارس . وقد أطلق على طريقة الحكم في الامبراطورية الشرقية اسم الامبراطورية الواطئة معارضة لطريقة الحكم السالفة في القرون الثلاثة التي لقبوها بالامبراطورية العالية .

الموظفون — اصبح الموظفون اكثر عدداً مما كانوا ويحف بالامبراطور جيش صغير من الخاصة يحرسون قصره وهناك حرس وقرناء وكلاء وخدم ومجلس عال وحجاب وسعاة وامناء سر ينقسمون الى اربعة مكاتب . واصبح الموظفون في الولايات اكثر سواداً ايضاً اذ رأى الامبراطور ديوكلسين الولايات متسعة فقسمها الى عدة قطع ففي غاليا مثلاً قسم ولاية ليون الى اربع واكيتين الى ثلاث . وبعد ان كان في الامبراطورية ٤٦ ولاية اصبح فيها ١١٧ ثم فصلوا الوظائف فجعلوا مع الولاة والوكلاء قواداً عسكريين من دوقات وكنتية في الولايات الواقعة على التخوم .

واصبح جميع الموظفين لا تصلهم اوامر الامبراطور مباشرة فلا يخاطبون الا كبار الموظفين رؤسائهم . فيخضع الولاة لقائدي حرس القيصر والموظفون في الاشغال العمومية لحرس المدينة وجباة الاموال الى الكونت الذي يتولى الاعطيات المقدسة . والوكلاء للكونت المشرف على الاملاك والضباط الى موالي الاجناد وجميع موظفي القصر يرجعون الى مولى التشريفات وخدمة القصر الى رئيس الغرفة المقدسة . وهؤلاء الرؤساء كالوزراء

وهذه الطريقة لا يصعب علينا فهمها فقد اعتدنا ان نرى موظفين وقضاة وقواداً وجباة ومهندسين على اختلاف في اعمالهم التي يتولونها ولكل واحد عمله الخاص ويرجع امرهم الى ناظر هو رئيس ديوانه . بل ان عندنا من النظارات اكثر مما في الاستانة . الا ان هذه الاداة الادارية التي ألفناها لانا نعرفها منذ الطفولة ليس فيها التباس ولا خروج عن حد الطبيعة . فقد كانت الامبراطورية الشرقية انموذجاً في هذا الباب واحتفظت به المملكة البيزنطية ومن ذاك العهد حاولت جميع الحكومات المطلقة ان تنسج على منوالها لان في ذلك من التسهيل في العمل ما ينتفع به من يتولون اعمال الحكم .

المجتمع في الامبراطورية الشرقية — كانت هذه الامبراطورية هي الحد الفاصل

في تاريخ الحضارة اجتمعت فيها سلطة الحاكم الروماني المطلقة مع نخفخة ملوك الشرق يتألف منهما سلطة لم يكن بها عهد الى ذاك العهد . وهذه السلطة التي لم يسمع بمثلها تأتي على كل شيء في يدها فلم يعد سكان الامبراطورية وطنيين رومانيين منذ القرن الرابع بل صاروا يدعون باللاتينية الرعايا (الخاضعون) وبالرومية « العبيد » فكانوا كلهم من ثم عبيد الامبراطورية ولكنهم يختلفون في المقام وهم درجات في الشرف الذي يوليهم اياه مولاهم ويورثونه ابناءهم واليك تلك المناصب بحسب درجاتها .

(١) اشرف الاشراف وهم الاسرة الامبراطورية
(٢) المشاهير وهم وزراء رؤساء الدواوين
(٣) المعتبرون وهم كبار ارباب المناصب
(٤) الممجدون وهم كبار الموظفين (ويدعون الاعيان)
(٥) اهل الكمال

ولكل صاحب شأن مقامه ولقبه ووظائفه . وا كثر الناس احتراماً الندماء والموظفون حتى صح ان يدعى ذاك العهد عهد الالقاب والتشريفات . وما قط شوهد الى حد تبلغ السلطة المطلقة اذا دعمها الجنون في الالقاب والميل الى ترتيب كل امر بالاكثار من القوانين وعليه فقد كانت الامبراطورية الشرقية مثالاً تاماً لمجتمع يدار بالآلة الصماء والحكومة فنيت في ارادة قيصرها فحازت اقصى ما يتطاول اليه حتى اليوم انصار السلطة المطلقة وسيكافح بعد اشياع الحرية زمناً طويلاً تلك التقاليد التي ابقتها امبراطورية الشرق .

حكومة المدينة — لم يعنَ الرومان بجباية اموال الرعايا بانفسهم بل كان الامبراطور يكتفي ببيان الخراج المطلوب من كل ولاية (وذلك كل خمس سنين في الغالب) ويحدده كما يريد . ويعلم الوالي كل مدينة ما يجب عليها اداؤه . فحكومة المدينة هي التي تقدم المبلغ المطلوب . وما دامت المدينة غنية يجبي الوالي خراجها موزعاً له بين السكان فاذا عجزوا عن الدفع يحتم على من تولوا الخراج ان يسدوا العجز لانهم مسئولون عن الخراج وخزانة الامبراطورية لاتتنازل عن حقوقها .

ولقد كان منصب الجباية حتى القرن الثالث مرغوباً فيه كأنه من أسباب الشرف فيعد الجابي في مدينته كعضو الشيوخ في رومية . واذا افتقرت البلاد يعود منصب الجباية من المناصب التي تكسر متوليها فتزهق النفوس في توليتها . فرأى الامبراطرة ان يسنوا قانوناً لعقاب من يأبى جباية الخراج فصار الجابي يتولى ذلك رغم أنفه ويجب على كل من يملك خمسة وعشرين فداناً من الارض ان يكون احد الجباة طوعاً أو

كرهاً . وكثير من الجباة كانوا يؤثرون ان يخرجوا عما يملكون من الاراضي ويهربوا ويدخلوا في سلك الرهبنة والخورنة او الاستخدام والجندية . فأصدر الامبراطرة اوامرهم بالبحث عن هؤلاء الفارين وان يعادوا الى مدنهم بالقوة . وقد جاء في احد القوانين المسنونة انهم عبيد الامبراطورية

فكانت الحكومة تحاول ان تبقي محابس الشيوخ في المدن على هذه الكيفية واذ كانت تخرب بيوتهم بخراجها اصبح عدد الجناة ابداً في قلة . وكان مجلس الشيوخ يتألف على عهد الامبراطورية الغربية من مئة عضو . وفي القرن الرابع نشبت فتن في احدى الولايات فأمر احد الامبراطرة ان يأتوه برؤوس ثلاثة من الجباة من كل مدينة فكتب اليه الوالي « ليسع حلمكم ان يقرر ما الذي يجب ان نعمله في المدينة التي ليس فيها ثلاثة من الجباة »

المستعمرون — وقع في الامبراطورية الرومانية مثل ما وقع في عامة المجتمعات القديمة مثل اسبارطة ويونان وايطاليا وهوان يضمحل الاحرار ويخلفهم العبيد ولم يبق في القرى ما يكفيها من الحراثين . لاجرم ان المدينة الرومانية لم تخرب بل كانت آخذة بالنماء . فقد كان عدد الوطنيين في القرن الاول زهاء مليون نسمة وفي القرن الثالث (٢١٢) صدر أمر الامبراطور بمنح جميع سكان الامبراطورية حق الوطنية فصار الوطنيون الرومانيون يعدون بالملايين (١) وثمون باضمحلال سائر سكان العالم بيد ان الحكم الروماني كان سبباً في اضمحلال شعوب المملكة كما اضمحل به من قبل اهل ايطاليا وكان يقتفي له كثير من الجنود وكثير من العبيد

وبهذا الحكم يفلح الاغنياء ويصعب على صغار ارباب الاملاك ان يقفوا امام الكبراء فيستخدمون في الجندية او يخربون بيوتهم بأيديهم . ويقتني صاحب الاملاك الواسعة اراضيهم حتى أفضى زمن لم يبق في بعض البلاد غير املاك واسعة يحرثها العبيد . وهؤلاء السكان من العبيد لا يتجددون فاذا عرض عارض من العوارض المألوفة اذ ذاك من مثل وباء وحرب وغارة برابرة وهلك جمهور من الحراثين في احدى الاملاك تبقى الارض بورا

تخلت القرى على التدريج ولا سيما ما كان منها على التخوم من الناس ولم يبق سكان الا في المدن بل صار في عدة انحاء من المملكة قفار حقيقية خلت من السكان والعمران

(١) كان سكان المملكة يدعون كلهم بالرومانيين منذ ذاك العهد ولما دخل البرابرة الى غاليا لم يجدوا فيها غاليين بل رومانيين حتى كان الشعب في الشرق حيث كان السكان يتكلمون باليونانية يدعى الى عهد الفتح العثماني بالشعب الروماني وما زالت الى اليوم بلاد الاستانة تدعى روم ايلي

فانشأ الامبراطرة يسكنون فيها عصابات من البربر ممن ضربوهم وأسروهم ليحيوا بهم موات تلك القرى . الا ان هؤلاء البرابرة لايملكون الاراضي بل يستعمرونها فقط مثل الهيلوتيين في اسبارطة ويقضي عليهم ان يبقوا في الارض التي أنزلوا فيها لايفارقونها ولا اولادهم بحال يؤدون الى صاحب الارض مالاً مقررا فمن ثم كانوا مستأجرين الى الابد بالقوة . وليس هذا النظام جديدا بل كان في ايطاليا على عهد الامبراطورية الشرقية أناس من الطواريء من الاحرار الفقراء قيدوا انفسهم في خدمة صاحب ملك عظيم لينالوا منه أرضا يزرعونها . وزاد سواد هؤلاء الطواريء زيادة كبرى لما ضموا اليهم الاسرى من البربر

وهذه الطريقة الشديدة لم تكف في احياء امة لان اولئك الحراثين كانوا يفرون او يهلكون وفي القرن الخامس بعد مرور الجيوش العظمى من المخربين (دا كيز واتيلا) كان في اراضي المملكة فراغ كبير تعذر على الامبراطرة ان يسدوه . وبقي في غاليا واسبانيا وايطاليا وفي الغرب كله جزء من الاراضي بورا لقلة العاملين فيها واقفرت ولايات التخوم وقد اضمحل الشعب الروماني في جميع حوض الطونة من سويسرا الى البلقان منذ القرن السادس فلم يكن في تلك البلاد الا أمم جرمانية او سلافية . حتى ان الفرنك لم يجدوا في البلجيك غير قفر.

البرابرة في الجيش الروماني — هذه الاراضي الخالية تستدعي سكاناً جدداً فكان البرابرة يحاولون على الدوام ان يتخطوها وما دام للحكومة الرومانية بعض جيش لايصعب عليها ان تردهم على اعقابهم . الا ان الامر في التجنيد صار الى الصعوبة كايجاد المال . وألف سكان الامبراطورية حياة السكون ولم يعودوا يهتمون بخدمة الجندية . حتى اضطرت الحكومة ان تطلب جندا من كبار ارباب الاملاك فيأخذ هؤلاء بعض الطواريء الذين يعملون في اراضيهم فكان هؤلاء المساكين المأخوذين بالقوة من وراء محاريثهم جندا غير كفوء للقتال . وغدت الجنود منذ القرن الرابع من الضعف بحيث لاتستطيع حمل الدروع واستعاضت عن الخوذ بالقبعات

واصبح القواد يؤثرون ان يستعملوا المحاربين من البربر لانهم يقاتلون بشدة على الاقل وقد جندت الامبراطورية في خدمتها منذ زمن جنوداً من الجرمانيين يتناولون جرايات ويقاتلون باسلحتهم وكان اكثرهم من الفرسان واخذ امبراطرة الرومان في القرن الرابع يجندون منهم عصابات برمتها ينزلون مع نسائهم واولادهم وخدمتهم في اراض يبيحونهم اياها على سبيل الجراية . ويحتفظ هؤلاء المحاربون النازلون في ارض رومانية بلغتهم وعاداتهم

وبسلاحهم وزعمائهم ويدعون «المحالفين» وبلغ بالامبراطور انه اخذ يقبل منهم في جيشه شعوباً برمتها مثل الوزيغوث والبورغند وكانوا اجتازوا التخوم بالقوة احياناً ثم آثروا ان يكونوا في خدمته على ان يقاتلوه · فأصبحت اذ ذاك جيوش رومانية مؤلفة من شعوب بربرية يقودها قائد بربري · ولقد كان الجيش الروماني الذي رد غارة اتيلا سنة ٤٥١ مؤلفاً من الوزيغوث والفرنك والبورغند وصار كثير من القواد الرومان منذ القرن الرابع (سيلفانوس واربوكاست) ومعظمهم في القرن الخامس (مثل ستيلكون وريسيمير وادوا كر) من اصل بربري ولم تعد الامبراطورية الرومانية محمية الا بأناس من المحاربين من البرابرة فاحتلها بعد ابناء جنسهم

طبقات الاطباء

من الكتب ما لو ظفر به المرء أغناه عن مكتبة وكم من مكتبة لا تغني عن كتاب · والكتب كالناس واحد بألف وألف لا يساوي واحدا · ومن الكتب التي تعد بألف كتاب «عيون الانباء في طبقات الاطباء» لمؤلفه موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ بصرخد من أعمال جبل الدروز في بلاد الشام الفه في دمشق برسم امين الدولة بن غزال بن أبي سعيد وزير الملك الصالح ابن الملك العادل

صاحب هذه الطبقات من الاطباء العلماء منقح الفكر منقح العبارة منظم الاسلوب حسن الطريقة ذكر في كتابه كما قال نكتاً وعيوناً في مراتب المتميزين من الاطباء القدماء والمحدثين ومعرفة طبقاتهم على توالي ازمنتهم وأوقاتهم وأودعه نبذة من اقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم ومحاوراتهم وشيئاً من اسماء كتبهم ليستدل بذلك على ما خصهم الله تعالى به من العلم قال فان كثيرا منهم وان قدمت ازمانهم وتفاوتت اوقاتهم فان لهم علينا من النعم فيما صنفوه والمنن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة ما هو تفضل المعلم على تلميذه والمحسن الى من احسن اليه · وقد اودع كتابه جماعة من الحكماء والفلاسفة ممن لهم نظر وعناية بصناعة الطب وجملا من احوالهم ونوادرهم واسماء كتبهم وجعل ذكر كل واحد منهم في الموضع الاليق به على حسب طبقاتهم ومراتبهم وقسمه الى خمسة عشر بابا

الباب الاول في كيفية وجود صناعة الطب واول حدوثها · الثاني في طبقات الاطباء الذين ظهرت لهم اجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها وهم ثلاثة · الثالث في الاطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقليبيوس وهم ستة · الرابع في الاطباء اليونانيين الذين اذاع ابقراط فيهم صناعة الطب وهم تسعة · الخامس في الاطباء الذين كانوا منذ زمان

جالينوس وقريباً منه . السادس في الاطباء الاسكندرانيين ومن كان في ازمنتهم من الاطباء النصارى وغيرهم . السابع الاطباء الذين كانوا في اول ظهور الاسلام من اطباء العرب وغيرهم وهم عشرة . الثامن في الاطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس وهم اربعة وثلاثون . التاسع الاطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم وهم سبعة وثلاثون . العاشر الاطباء العراقيون واطباء الجزيرة وديار بكر وهم اثنان وثمانون طبيباً . الحادي عشر الاطباء الذين ظهروا في العجم وهم ثلاثة وعشرون . الثاني عشر الاطباء الذين كانوا في الهند وهم ستة . الثالث عشر الاطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب واقاموا بها وهم تسعة وثمانون . الرابع عشر الاطباء المشهورون من اطباء مصر وهم سبعة وخمسون . الخامس عشر الاطباء المشهورون من اطباء الشام وهم تسعة وخمسون . ورتبهم المؤلف على سني وفياتهم

كل من استعملوا عقولهم جادت والاطباء هم ممن يستعملون عقولهم ولذلك كان مما كتبه ابن ابي أصيبعة برهان على صحة العقل وجودة التأليف بحيث انك تقرأ كتابه وهو في ستمائة صفحة فلا تكاد تجد فيه مغمزاً اللهم الا بعض الفاظ واشعار قليلة بذيئة رواها لبعض المترجم بهم ولعل ذلك لم يكن منكراً في عصره او اطالة في ايراد بعض التراجم مثل اطالته في ترجمة ابي الحكم الاندلسي ونقل شعره وسديد الدين ابن رقيقة وشعره وا كثر ما رواه من الشعر لابي القاسم هبة الله بن الفضل وغيرهم ممن جاد شعرهم ولكنه لا يخلو من بعض سخافات وعذره في ذلك انه يريد التنويه بالاطباء كيف كان حالهم ويود لو اتى لهم بكل ما قالوه . قلت مرة لاحد اساطين العلم ما بال ابن ابي أصيبعة استعمل بعض اشعار ونوادر سخيفة نقلها كأنه راض عنها على حين انه غاية في الكمال والعلم الصحيح فقال ان المؤلف اراد ان يجعل كتابه مرجعاً كبيراً وموردًا فائضاً في كل أُطروفة وأُطروبة ولذلك لما اهدى نسخاً لبعض من يغلب عليهم الوقار حذف هذه الزائدات ومن رآهم يحبون الاشياء على اصلها استنسخ لهم من كتابه نسخة تامة وهذا هو السبب في اختلاف النسخ التي ظفر بها طابع الكتاب .

وقصارى القول ان هذه الطبقات هي من الكتب الممتعة فلا تعد كتاباً للطب والاطباء بل هي كتاب في الحكمة والحكماء والمتفننين من العلماء يتمثل فيه المطالع طرفاً من مدنية الاسلام ويقرأ فيه براهين دامغة على ان الناس في تلك القرون السبعة الاولى كانوا سواء على اختلاف مللهم ونحلهم يصف المؤلف المخالف بانه اوحد العلماء فاضل كامل ويذكر له من الصفات ما يتراءى معه لقليل الخبرة باخبار تلك الازمنة ان المؤلف ينقل عن اهل دين

المترجم بهم و يأتي بصفاتهم مجردة دون ان يلحقه شيءٌ من تبعتها على ان ذلك كله من بنات افكار المترجم . ساوى العلم في نظره بين ابن دينه ومخالفه مساواة لم يغمط بها حقاً لمخالف ولم يبالغ بمن يود و يحالف كما ترى في ترجمة جبرئيل بن بختيشوع و يوحنا بن ماسويه وموفق الدين بن المطران وامين الدولة ابن التلميذ وحنين بن اسحق وهناك تجد تراجم كثير من العلماء ممن كان الطب بعض علومهم مثل الرئيس بن سينا وابي نصر الفارابي وابن الهيثم و يعقوب ابن اسحق الكندي وثابت بن قرة وكمال الدين بن يونس وابي بكر الرازي وابي بكر ابن زهر وابي الوليد بن رشد والسهروردي وعبداللطيف البغدادي وغيرهم من الاعلام الذين ترجمهم فاحسن ترجمتهم حتى لم يبق حاجة في النفس من امرهم .

تقرأ في هذا السفر تعريب التراجمة الاول في الاسلام مشفوعاً بنبذة من اخبارهم وتراوح بين تلاوة الحكم المستعذبة والاشعار اللطيفة والنثر البديع بحيث تحكم بان الطبقات هي كتاب ادب ومحاضرة كما هي كتاب حكمة وطب تنتقل بين الاستفادة من هذه وترويح النفس بتلك فمن الحكم ما اوصى به ابقراط الاطباء فقال : ينبغي ان يكون المتعلم للطب في جنسه حراً وفي طبعه جيداً حديث السن معتدل القامة متناسب الاعضاء جيد الفهم حسن الحديث صحيح الرأي عند المشورة عفيفاً شجاعاً غير محب للفضة مالكاً لنفسه عند الغضب ولا يكون تاركاً له في الغاية ولا يكون بليداً و ينبغي ان يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه حافظاً للاسرار لان كثيراً من المرضى يوقفونا على امراض بهم لا يحبون ان يقف عليها غيرهم و ينبغي ان يكون محتملاً للشتيمة لان قوماً من المبرسمين واصحاب الوسواس السوداوي يقابلونا بذلك و ينبغي لنا ان نحتملهم عليه ونعلم انه ليس منهم وان السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة و ينبغي ان يكون حلق رأسه معتدلاً مستوياً لا يحلقه ولا يدعه كالجمة ولا يستقصي قص اظافير يديه ولا يتركها تعلو على اطراف اصابعه و ينبغي ان تكون ثيابه بيضا نقية لينة ولا يكون في مشيه مستعجلاً لان ذلك دليل على الطيش ولا متباطئاً لانه يدل على فتور النفس واذا دعي الى المريض فليقعد متربعاً ويختبر منه حاله بسكون وتأن لا بقلق واضطراب فان هذا الشكل والزي والترتيب عندي افضل من غيره . هذا ما قاله ابو الطب ولو عمل الاطباء طراً بمشورته لما ساءت ظنون العامة والخاصة ببعضهم .

ومن مواعظ افلاطون : اذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاهرب منه . وقال من لا يواسي الاخوان عند دولته خذلوه عند فاقته . وسئل من احق الناس ان يؤتمن على تدبير المدينة فقال من كان في تدبير نفسه حسن المذهب . وقال الملك هو كالنهر الاعظم تستمد منه الانهار الصغار فان كان عذباً عذبت وان كان مالحاً ملحت وقال اذا اردت

ان تدوم لك اللذة فلا تستوف الملتذ ابداً بل دع فيه فضلة تدم لك اللذة . وقال لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس ليس يسألون في كم فرغ من هذا العمل وانما يسألون عن جودة صنعته وقال اذا طابق الكلام نية المتكلم حرك نية السامع وان خالفها لم يحسن موقعه ممن اريد به . وقال رجل جاهل لافلاطون كيف قدرت على كثرة ما تعلمت فقال لاني افنيت من الزيت بمقدار ما افنيته من الشراب . وقال اذا صادقت رجلاً وجب عليك ان تكون صديق صديقه وليس يجب عليك ان تكون عدو عدوه . وقال الافراط في النصيحة يهجم بصاحبها على كثير من الظنة .

ومن حكم ارسطو اعلم ان من علامة تنقل الدنيا وكدر عيشها انه لا يصلح منها جانب الا بفساد جانب آخر ولا سبيل لصاحبها الى عز الا بالاذلال ولا استغناء الا بافتقار واعلم انها ربما اصيبت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين فان اصبت حاجتك منها وانت مخطىء او ادبرت عنك وانت مصيب فلا يستخفنك ذلك الى معاودة الخطأ ومجانبة الصواب . وقال لا تبطل لك عمراً في غير نفع ولا تضع لك مالاً في غير حق ولا تصرف لك قوة في غير غناء ولا تعدل لك رأياً في غير رشد فعليك بالحفظ لما اتيت من ذلك والجد فيه وخاصة في العمر الذي كل شيء مستفاد سواه وان كان لا بد لك من اشغال نفسك بلذة فلتكن في محادثة العلماء ودرس كتب الحكمة . وقال: العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالماً . وقال: اصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك . وقال: من نازع السلطان مات قبل يومه . وقال : اي ملك نازع السوقة هتك شرفه . وقال: اي ملك يدف الى المحقرات فالموت اكرم له . وكتب الى الاسكندر في وصايا له ان الارديا ينقادون بالخوف والاخيار ينقادون بالحياء فميز بين التطبيق واستعمل في اولئك الغلظة والبطش وفي هؤلاء الافضال والاحسان . وكتب اليه ايضاً ان الامور التي يشرف بها الملوك ثلاثة سن السنن الجميلة وفتح الفتوح المذكورة وعمارة البلدان المعطلة .

ومن كلام عبداللطيف البغدادي : اجعل كلامك في الغالب بصفات ان يكون وجيزاً فصيحاً في معنى مهم او مستحسن فيه الغاز ما وايهام كثير او قليل ولا تجعله مهملاً ككلام الجمهور بل رفعه عنهم ولا تباعده عليهم جداً . وقال : واياك والهذر والكلام فيما لا يعني واياك والسكوت في محل الحاجة ورجوع النوبة اليك اما لاستخراج حق او اجتلاب مودة او تنبيه على فضيلة واياك والضحك مع كلامك وكثرة الكلام وتبتير الكلام بل اجعل كلامك سرداً بسكون بحيث يستشعر منك ان وراءه اكثر منه وانه عن خميرة سابقة ونظر متقدم وقال: واياك والغلظة في الخطاب والجفاء في المناظرة فان ذلك يذهب ببهجة الكلام ويسقط

فائدته ويعدم حلاوته ويجلب الضغائن ويمحق المودات ويصير القائل مستثقلا سكوته اشهى الى السامع من كلامه ويثير النفوس الى معاندته ويبسط الالسن بمخاشنته واذهاب حرمته وقال لا تترفع بحيث تستثقل ولا تتنازل بحيث تستخس وتستحقر .

ومن كلام رشيد الدين بن خليفة : احترم المشايخ ولو سكتوا عن جواب سؤالك فلعل ذلك لبعد العهد وكلال القوى او لانك سألت عما لا يعنيك او معرفتهم بعجز فهمك عن الجواب واعلم ان فوائدك منهم اكثر من ذلك وقال : اشتغل بكلام المشهورين الجامعة اولاً فاذا حصلت الصناعة فاشتغل بالكتب الجزئية من كلام كل قائل وقال: خذ كلام كل قائل عارياً عن محبة او بغضة ثم زنه بالقياس وامتحنه ان امكن بالتجربة وحينئذ اقبل الصحيح واذا اشكل فاشرك غيرك فيه فان لكل ذهن خاصية بمعان دون معان

وقال: الامراض لها اعمار والعلاج يحتاج الى مساعدة الاقدار واكثر صناعة الطب حدس وتخمين وقلما يقع فيه اليقين وجزآها القياس والتجربة لا السفسطة وحب الغلبة ونتيجتها حفظ الصحة اذا كانت موجودة وردها اذا كانت مفقودة وفيهما يتبين سلامة الفطر ودقة الفكر ويتميز الفاضل عن الجاهل والجد في الطلب عن المتكاسل والعمال بمقتضى القياس والتجربة عن المحتال على اقتناء المال وعلو المرتبة . وقال : ما اكثر المتلذذين بالآمال من غير الشروع في بلوغها وقال: الآمال احلام اليقظان . وقال: اكثر من مطالعة سير الحكماء واقتد منها بما يمكن الاقتداء به في زمانك . وقال: كتب بعضهم الى شيخه يشكو تعذر اموره فكتب اليه انك لن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب ولن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره اه ومما يكاد يختص به كتاب الطبقات انك قد تأتي على ترجمة الرجل والرجلين ولا تفهم نحلته ومذهبه اذا لم يكن في اسمه او كنيته او لقبه ما يشعر بانه مسلم او غير مسلم وربما اشتبه الاسم ايضاً فان من الصابئة من اسمه حسن ومن المجوس من اسمه عثمان وعلي والعباس والنصراني يكنى بموفق الدين وقطب الدين .

ومن اعجب ما قرأته ان قسطا بن لوقا البعلبكي وكان مسيحي النحلة الف كتاباً له في علة الموت فجأة لابي الحسن محمد بن احمد كاتب بطريق البطارقة والغالب ان اسم هذا ابو غانم العباس بن سنباط . وقد استفدت منه عدة الفاظ لم تكن مألوفة لزمننا مثل الجوارشنات للحبوب المستعملة والاقراباذينات اي تركيب الادوية والساعور وهو مقدم النصارى في الطب وفي التاج ان اصله ساعورا ومعناه متفقد المرضى وقد اشتق منه فعلاً فقال : كانا جميعاً يسعران المرضى اي يتفقدانها الى غير ذلك من الفصح والشوارد مثل قوله عن اسم كتاب لاحد المشاهير « المخمس » اي المحتال بالدين ونحوه على شيء يستره .

والغالب ان المؤلف لم يدخر وسعاً في تنقيح كتابه وتدبيجه الى ان هاك نجاء زبدة في موضوعه فيه كل ما طاب وحلا من منظومه وهو مما نأخذه لنكتة فيه وخير الشعر مازاد معناه على لفظه وقصدت به غاية كما قال يعقوب بن اسحق الكندي

اناف الذنابى على الاروس فغمض جفونك او نكس
وضائل سوادك واقبض يديك وفي قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابغ العلو وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال وان التعزز بالانفس
وكائن ترى من اخي عسرة غني وذي ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت على انه بعد لم يرمس
فان تطعم النفس ما تشتهي تقيك جميع الذي تختشي

وكما وصى يحيى بن عدي ان يكتب على قبره

رب ميت قد صار بالعلم حيا ومبقى قد مات جهلاً وعيا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودا لا تعدوا الحياة في الجهل شيا

وكما قال ابوطاهر بن البرخشي وقد رأى انساناً يكتب كتاباً الى صديق له فكتب في صدره العالم .

لما انمحت سنن المكارم والعلى وغدا الانام بوجه جهل قائم
ورضوا باسماء ولا معنى لها مثل الصديق تكاتبوا بالعالم

وكما قال العنتري

الحق يكره الجهول لانه عدم التصور فيه والتصديقا
فهو العدو لكل ما هو جاهل فاذا تصوره يعود صديقا

او كما قال

كن غنياً ان استطعت والا كن حكيماً فما عدا ذين غفل
انما سودد الفتى المال والعلم وما ساد قط فقر وجهل

وقوله

ومن نكد الدهر الغشوم وصرفه يجوّر رعاع فيلسوف لاحمق

وكقول ابي بكر الرازي

نهاية اقدام العقول عقال واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا في غفلة من جسومنا وحاصل دنيانا اذى ووبال

ولم تستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

وكقول امية بن عبدالعزيز

مارست دهري وجربت الانام فلم احمدهم قط في جد ولا لعب
وكم تمنيت ان القى به احداً يسلي من الهم او يعدي على النوب
فما وجدت سوى قوم اذا صدقوا كانت مواعيدهم كالآل في الكذب
وكان لي سبب قد كنت احسبني احظى به واذا دائي من السبب
فما مقلم اظفاري سوى قلمي ولا كتائب اعدائي سوى كتبي

وكقول عبدالمنعم الجلياني

من لم يسل عنك فلا تسألن عنه ولو كان عزيز الذنو
وكن فتى لم تدعه حاجة الى امتهان النفس الا نفر

وكقوله

قالوا نرى نفراً عند الملوك سموا وما لهم همة تسمو ولا ورع
وانت ذو همة في الفضل عالية فلم ظمئت وهم في الجاه قد كرعوا
فقلت باعوا نفوساً واشتروا ثمناً وصنت نفسي فلم اخضع كما خضعوا
قد يكرم القرد اعجاباً بخسته وقد يهان لفرط النخوة السبع

ومثل قول امين الدولة بن التلميذ

سق النفس بالعلم نحو الكمال توافِ السعادة من بابها
ولا ترج ما لم تسبب له فان الامور باسبابها

وكقوله

لا تحقرن عدواً لان جانبه ولو يكون قليل البطش والجلد
فللذبابة في الجرح الممد يد تنال ما قصرت عنه يد الاسد

وكقوله

وارى عيوب العالمين ولا ارى عيباً لنفسي وهو مني اقرب
كالطرف يجتلي الوجوه ووجهه منه قريب وهو عنه مغيب

وكقول سعيد بن عبدربه وكان جميل المذهب منقبضاً عن الملوك

امن بعد غوصي في علوم الحقائق وطول انبساطي في مواهب خالقي

وفي حين اشرابي في على ملكوته ... أرى طالبًا رزقًا الى غير رازقي
وايام عمر المرء متعة ساعة ... تجيء حثيثًا مثل لمحة بارق
وقد اذنت نفسي بتقويض رحلها ... واسرع في سوقي الى الموت سائقي
واني وان اوغلت اوسرت هاربا ... من الموت في الآفاق فالموت لاحقي

وكقول ابي الفرج بن هندو

قوض خيامك من ارض تضام بها ... وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كانت الاوطان منقصة ... فمندل الهند في اركانه حطب

وكقوله

اطال بين البلاد تجوالي ... قصور مالي وطول آمالي
ان رحت عن بلدة غدوت الى ... اخرى فما تستقر احمالي
كأنني فكرة الموسوس لا ... تبقى مدى لحظة على حال

وكقوله وكتبها على عود

رأيت العود مشتقًا ... من العود باتقان
فهذا طيب آناف ... وهذا طيب آذان

وكقوله

لنا ملك ما فيه للملك آلة ... سوى انه يوم السلاح متوج
اقيم لاصلاح الورى وهو فاسد ... وكيف استواء الظل والعود اعوج

وكقول الرحبي

اذا تقضى شباب المرء في نغص ... فما له في بقايا العمر من ارب

وهناك من المنظومات الطويلة ما هو السحر الحلال . اما المنثور فطر يقته طريقة التسجيع التي غلبت على اهل القرن الخامس فمن بعدهم الا ان فيه المرسل مثل كلام لامين الدولة ابن التلميذ كتبه في ضمن رسالة الى ولده وكان يعرف برضي الدولة ابي نصر قال : والتفت هناك عن هذه الترهات الى تحصيل مفهوم تتميز به وخذ نفسك من الطريقة بما كررت بذهنك عليه وارشادك اليه واغتنم الامكان واعرف قيمته واشتغل بشكر الله تعالى عليه وفز بحظ نفيس من العلم تثق من نفسك بان عقلته وملكته لا قرأته ورويته فان بقية الحظوظ تتبع هذا الحظ المذكور وتلزم صاحبه ومن طلبها من دونه فاما ان لا يجدها واما ان لا يعتمد عليها اذا وجدها ولا يثق بدوامها واعوذ بالله ان ترضى لنفسك الا بما يليق بمثلك ان يتسامى اليه بعلو همته وشدة انفته وغيرته على نفسه ومما قد كررت عليك الوصاة به على ان لا تحرص

على ان تقول شيئاً لايكون مهذباً في معناه ولفظه ويتعين عليك ايراده فاما معظم حرمك فتصرفه الى ان تسمع ماتستفيده لامايلهيك و بلذ للاغمار واهل الجهالة نزهك الله عن طبقتهم فان الامر كما قال افلاطن الفضائل مرة الورد حلوة الصدر والرذائل حلوة الورد مرة الصدر وقد زاد ارسطوطاليس في هذا المعنى فقال : ان الرذائل لاتكون حلوة الورود عند ذي فطرة فائقة بل يؤذيه تصور قبحها اذى يفسد عليه مايستلذه غيره منها وكذلك يكون صاحب الطبع الفائق قادراً بنفسه على معرفة مايتوخى ويجتنب كالتام الصحة يكفيه حسه في تعريفه النافع والضار فلا ترض لنفسك حفظك الله الا بما تعلم انه يناسب طبقة مثالك واغلب خطرات الهوى بعزمات الرجال الراشدين واطمح بنفسك اليها تتركك في طاعة عقلك فانك تسر بنفسك وتراها في كل يوم مع اعتياد ذلك في رتبة علية ومرقاة من سماه

ومن رسالة في السعادة كتبها المؤلف الى رشيد الدين الصوري وقد اهدى اليه تأليفاً له يحتوي على فوائد ووصايا طبية وهي من السجع على خلاف عادته : ادام الله ايام الحكيم الاجل الاوحد الامجد العالم العامل الفاضل الكامل الرئيس رشيد الدنيا والدين معتمد الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين بلغه في الدارين نهاية سؤله وامانيه وكبت حسدته واعاديه ولا زالت الفضائل مخيمة بفنائه والفواضل صادرة منه الى اوليائه والالسن مجتمعة على شكره وثنائه والصحة محفوظة بحسن مراعاته والامراض زائلة بتدبيره ومعالجاته المملوك ينهي مايجده من الاشواق الى خدمته والتأسف على الفائت من مشاهدته ووصلت المشرفة الكريمة التي وجد بها نهاية الامل والارشاد الى المطالب الطبية الجامعة للعلم والعمل وقد جعلها المملوك اصلاً يعتمد عليه ودستوراً يرجع اليه لايخليها من فكره ولا يخل بما تتضمنه في سائر عمره وما للمملوك ما يقابل به احسان مولانا الا الدعاء الصالح والثناء الذي يكتسب من محاسنه النشر العطر الفائح وكيف لااشكر وانشر محاسن من لااجد فضيلة الا به ولا انال راحة الا بسببه والله يتقبل من المملوك صالح ادعيته ويجزي مولانا كل خير على كمال مروءته ان شاء الله

واما فوائد الكتاب الطبية والاجتماعية فما ينبغي ان يفرد بالبحث ولا يسع الطبيب والاديب جهله فمن ذلك ماقاله ثابت به سنان قال ولما كان سنة تسع عشرة وثلثمائة اتصل بالمقتدر ان غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل فامر ابراهيم بن محمد بن بطحا بمنع سائر المتطببين من التصرف الا من امتحنه والدي سنان بن ثابت وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة فصاروا الى والدي وامتحنهم واطلق لكل واحد مايصلح ان يتصرف فيه و بلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيفاً وستين رجلا سوى من

استغنى عن محنته باشتهاره بالتقدم في صناعته وسوى من كان في خدمة السلطان . قلت وهذه الشهادة الطبية نالها من نالها من اطباء بغداد بعد العلم والعمل ولا عجب ان يكون لبغداد هذا العدد الدثر من الاطباء والقاهرة على مابلغت اليه من الحضارة في هذا العهد لا يتجاوز اطباؤها نصف هذا القدر . وقد ذكر ابن أبي أُصيبعة ان سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وما والاها كان اذا اكل الطعام حضر على مائدته اربعة وعشرون طبيباً وكان فيهم من يأخذ رزقين لاجل تعاطي علمين ومن يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم

ونقل المؤلف من كلام لابي نصر الفارابي في معنى اسم الفلسفة قال اسم الفلسفة يوناني وهو دخيل في العربية وهو على مذهب لسانهم فيلسوفيا ومعناه ايثار الحكمة وهو في لسانهم مركب من فيلا ومن سوفيا ففيلا الايثار وسوفيا الحكمة والفيلسوف مشتق من الفلسفة وهو على مذهب لسانهم فيلسوفوس فان هذا التغيير هو تغيير كثير من الاشتقاقات عندهم ومعناه المؤثر للحكمة والمؤثر للحكمة عندهم هو الذي يجعل الوكد من حياته وغرضه من عمره الحكمة . وحكى ابو نصر الفارابي في ظهور الفلسفة ماهذا نصه : قال ان امر الفلسفة اشتهر في ايام ملوك اليونانيين وبعد وفاة ارسطوطاليس بالاسكندرية الى آخر ايام المرأة وانه لما توفي بقي التعليم بحاله فيها الى ان ملك ثلاثة عشر ملكاً وتوالى في مدة ملكهم من معلمي الفلسفة اثنا عشر معلماً احدهم المعروف باندرونيقوس وكان آخر هؤلاء الملوك المرأة فغلبها اوغسطس الملك من اهل رومية وقتلها واستحوذ على الملك فلما استقر له نظر في خزائن الكتب وصنعها فوجد فيها نسخاً لكتب ارسطوطاليس قد نسخت في ايامه وايام ثاوفرسطس ووجد المعلمين والفلاسفة قد عملوا كتباً في المعاني التي عمل فيها ارسطو فامر ان تنسخ تلك الكتب التي كانت نسخت في ايام ارسطو وتلاميذه وان يكون التعليم منها وان ينصرف عن الباقي وحكم اندرونيقوس في تدبير ذلك وامره ان ينسخ نسخاً يحملها معه الى رومية ونسخاً يبقيها في موضع التعليم بالاسكندرية وامره ان يستخلف معلماً يقوم مقامه بالاسكندرية ويسير معه الى رومية فصار التعليم في موضعين وجرى الامر على ذلك الى ان جاءت النصرانية فبطل التعليم من رومية وبقي بالاسكندرية الى ان نظر ملك النصرانية في ذلك واجتمعت الاساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل فرأوا أن يعلم من كتب المنطق الى آخر الاشكال الوجودية ولا يعلم مابعده لانهم رأوا ان في ذلك ضرراً على النصرانية وان فيما اطلقوا تعليمه مايستعان به على نصرة دينهم فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار وماينظر فيه من الباقي مستوراً الى ان كان الاسلام بعده بمدة طويلة فانتقل التعليم من الاسكندرية الى انطاكية وبقي بها زمناً طويلاً الى ان بقي معلم واحد فتعلم منه رجلان

وخرجا ومعهما الكتب فكان احدهما من اهل حران والآخر من اهل مرو فاما الذي من اهل مرو فتعلم منه رجلان احدهما ابراهيم المروزي والآخر يوحنا بن حيلان وتعلم من الحراني اسرائيل الاسقف وقويري وسارا الى بغداد فتشاغل ابراهيم بالدين واخذ قويري في التعليم واما يوحنا بن حيلان فانه تشاغل ايضاً بدينه وانحدر ابراهيم المروزي الى بغداد فاقام بها وتعلم من المروزي متى بن يونان وكان الذي يتعلم في ذلك الوقت الى آخر الاشكال الوجودية ·وقال ابو نصر الفارابي عن نفسه انه تعلم من يوحنا بن حيلان الى آخر كتاب البرهان وكان يسمى ما بعد الاشكال الوجودية الجزء الذي لا يقرأ الى ان قرئ ذلك وصار الرسم بعد ذلك حيث صار الامر الى معلمي المسلمين ان يقرأ من الاشكال الوجودية الى حيث قدر الانسان ان يقرأ فقال ابو نصر انه قرأ الى آخر كتاب البرهان

ومن الفوائد التاريخية في الكتاب ماذكره صاعد بن بشر في مقالته في مرض المراقيا ما عاينه في ذلك الزمان من اهوال وجدها ومخوف شاهدها · هذا نصه وقال وانه عرض لنا من تضايق الزمان علينا والتشاغل بالتماس الامر الضروري ولما قد شملنا من الخوف والحذر والفزع واختلاف السلاطين وما قد بلينا به مع ذلك من التنقل في المواضع وضياع كتبنا وسرقتها ولما قد اظلنا من الامور المذعرة المخوفة التي لا نرجو في كشفها الا الله تقدس اسمه قال ابن ابي أصيبعة هذا ماذكره اي صاعد وما كان في ايامه الا اختلاف ملوك الاسلام بعضهم مع بعض وكان الناس سالمين في انفسهم آمنين من القتل والسبي فكيف لو شاهد ماشاهدناه ونظر ما نظرناه في زماننا من التتار الذين اهلكوا العباد واخربوا البلاد وكونهم اذا اتوا الى مدينة فما لهم هم الا قتل جميع من فيها من الرجال وسبي الاولاد والنساء ونهب الاموال وتخريب القلاع والمدن لكان استصغر ماذكره واستقل ما عاينه وحقره ولكن ماطامة الا فوقها طامة اعظم منها ولا حادثة الا وغيرها تكبر عنها ولله الحمد على السلامة والعافية

ومن فوائده التاريخية أيضاً ماذكره في ترجمة ابن بطلان قال ان مشاهير الاوباء في زماننا وباء سنة ست واربعين واربعمائة فانه دفن في كنيسة لوقا بعد ان امتلأت جميع المدافن التي في القسطنطينية اربعة عشر الف نسمة في الخريف فلما توسط الصيف في سنة سبع واربعين لم يوف النيل فمات في الفسطاط والشام اكثر اهلهما وجميع الغرباء الا من شاء الله وانتقل الوباء من العراق فاتى على اكثر اهله واستولى عليه الخراب بطروق العساكر المتعادية واتصل ذلك بها الى سنة اربع وخمسين واربعمائة وعرض للناس في اكثر البلاد قروح سوداوية واورام الطحال وتغير ترتيب نوائب الحميات واضطرب نظام البحارين قال وتكامل خراب العراق والموصل والجزيرة واختلت ديار بكر وربيعة ومضر وفارس وكرمان

وبلاد المغرب واليمن وانفسطاط والشام واضطربت احوال ملوك الارض وكثرت الحروب والغلاء والوباء

ومن فوائده الاجتماعية ماذكر في ترجمة اسرائيل بن الطيفوري ان الوزير الفتح ابن خاقان كان كثير العناية به فقدمه عند المتوكل ولم يزل حتى انس به المتوكل وجعله في مرتبة بختيشوع وعظم قدره وكان متى ركب الى دار المتوكل يكون موكبه مثل موكب الامراء واجلاء القواد وبين يديه اصحاب المقارع · قلت ولعل اصحاب المقارع مثل الذين يمشون امام عجلات الاعيان والامراء وموكباتهم في هذا القطر وهذه العادة من ابشع العادات التي ابقتها الايام · كما انه كان يحمل بين يدي الكبراء مشاعل في الليل كما ذكره في ترجمة ابي الفرج بن توما ومن فوائده الادبية قوله : ذكروا ان الاصل كان في اسم جالينوس غالينوس ومعناه الساكن او الهادي وقيل ان ترجمة اسم جالينوس معناه بالعربي الفاضل وقال ابو بكر محمد بن زكريا الرازي في كتاب الحاوي انه ينطلق في اللغة اليونانية ان ينطق بالجيم غينا وكافا فيقال مثلا جالينوس وغالينوس وكالينوس وكل ذلك جائز وقد تجعل الالف واللام لاما مشددة فيكون ذلك اصح في اليونانية اقول وهذه فائدة تتعلق بهذا المعنى وهي حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد الكريدي قال حدثني ابنا غاثون المطران بشوبك وكان اعلم اهل زمانه بمعرفة لغة الروم القديمة وهي اليونانية ان في لغة اليونان كل ما كان من الاسماء الموضوعة من اسماء الناس وغيرهم فآخرها سين مثل جالينوس وديسقوريدس وانكساغورس وارسطوطاليس وديوجانس واريباسيوس وغير ذلك وكذلك مثل قولهم قاطيغورياس وباريمنياس ومثل اسطوخودس واناغالس فان السين التي في آخر كل كلمة حكمها في لغة اليونانيين مثل التنوين في لغة العرب الذي هو في آخر الكلمة مثل قولك زيد وعمرو وخالد وبكر وكتاب وشجر فتكون النون التي تبين في آخر التنوين مثل السين في لغة اولئك اقول ويقع لي ان من الالفاظ التي في لغة اليونانيين وهي قلائل ما لا يكون في آخره مثلاً سقراط وافلاطن واغاثاذيمون واغلوقن وثامور وباغات وكذلك من غير اسماء الناس مثل انالوطيقيا ونيقوماخيا والريطوريقا ومثل جند بيدستر وترياق فان هذه الاسماء تكون في لغة اليونانيين لا يجوز عندهم تنوينها فتكون بلا سين وذلك مثل ما عندنا في لغة العرب ان من الاسماء ما لا ينون وهي الاسماء التي لا تنصرف مثل اسماعيل وابراهيم واحمد ومساجد ودنانير فتكون هذه كتلك اه

اما فوائد الكتاب الطبية فكثيرة جداً فمنها ماوراه عن جالينوس ان كل بيت لا تدخله الشمس يكون وبيئاً وهو مثل قول الفرنسيس في امثالهم حيث لا تدخل الشمس

يدخل الطبيب . ومما ذكره ابو بختويه في كتاب المقدمات صفة لتجميد الماء في غير وقته زعم انه اذا اخذ من الشب اليماني الجيد رطل ويسحق جيداً ويجعل في قدر فخار جديدة ويلقى عليه ستة ارطال ماء صاف ويجعل في تنور ويطين عليه حتى يذهب منه الثلثان ويبقى الثلث لا يزيد ولا ينقص فانه يشتد ثم يرفع في قنينة ويسد رأسها جيداً فاذا اردت العمل به اخذت ثلجية جديدة وفيها ماء صاف واجعل في الماء عشرة مثاقيل من الماء المعمول بالشب ويترك ساعة واحدة فانه يصير ثلجاً وكذلك ايضاً زعم بعض المغاربة في صنعة تجميد الماء في الصيف. قال : اعمد الى بزر الكتان فانقعه في خل خمر جيد ثقيف فاذا جمد فيه فالقه في جرة او جب ملء ماء قال فانه يجمد ما كان فيه من الماء ولو انه في حزيران او تموز

بقي في الكتاب كثير من النكات المضحكة ننقل بعضها للاحماض وترويحاً للنفوس فما رواه يوحنا بن ماسويه العالم الطبيب المشهور وكان فكهاً ذا دعابة وظرف قال : شكا اليه رجل جرباً قد اضرَّ به فامره بفصد الاكحل من يده اليمنى فاعلمه انه قد فعل فامره بفصد الاكحل ايضاً من يده اليسرى فذكر انه قد فعل فامره بشرب المطبوخ فقال قد فعلت فامره بشرب الاصطمخيقون فاعلمه انه قد فعل فامره بشرب ماء الجبن اسبوعاً وشرب مخيض البقر اسبوعين فاعلمه انه قد فعل فقال له لم يبق شيء مما امر به المتطببون الا وقد ذكرت انك فعلته وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس وقد رأيناه يعمل على التجربة كثيراً فاستعمله فاني ارجو ان ينجع علاجك ان شاء الله فسأله ما هو فقال ابتع زوجي قراطيس وقطعهما رقاعاً صغاراً واكتب في كل رقعة رحم الله من دعا لمبتلى بالعافية والقِ نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام والنصف الآخر في المسجد الغربي وفرقها في المجالس يوم الجمعة فاني ارجو ان ينفعك الله بالدعاء اذ لم ينفعك بالعلاج

وعلى الجملة فالكتاب مادة واسعة في علوم الحضارة فنشكر لناشره العالم الالماني الذي سمى نفسه امرأ القيس الطحان وهذا الاسم ترجمة اسمه الحقيقي ماكس مولر فقد طبعه في مصر وصححه على عدة نسخ وامهات صحيحة والحقه بفهرس الاعلام بحيث جاء مفيداً يكاد غالطه لا يذكر وبذل وقته وماله فيه حتى نفع العلم والادب وجلا كثيراً من الحقائق التي كانت مستورة وها قد اخذ الالمان اليوم يترجمونه الى لغتهم وسيتم طبعه قريباً واني لاوصي كل طالب علم وعاشق معرفة ان يقتنيه فهو من الكتب التي لا يليق بمنضدة ان تكون خالية من نسخة منه يأخذ كل مطالع منها ما يغلب عليه دع عنك ما هنالك من تاريخ يلقح كل حين فكراً جديداً ولو كان في موضوع هذا المصنف المفيد مئة كتاب من امهات كتبنا جميلة الطبع والوضع لعدت العربية في التاريخ والسير من اغنى لغات العصر.

سير العلم والاجتماع

تربية الحواس

لم يعن علماء التربية حتى الآن بان يجعلوا من جملة موادها تربية الحواس ولا يعلمون الولد في المدارس الابتدائية كيف يبصر ويسمع ويلمس ويشم ويميز الطعوم فيأتي الطفل من ذلك ما يروقه ويكون الجهل من هذا القبيل عاماً . فقد يبصر المبصرون بدون مبصر فيسيئون البصر وليس غير العادة من قاعدة للمشمومات والمطعومات ولا يعرف الناس استعمال اصابعهم لتمييز الاشياء بمجرد لمسها . وقد عني الاستاذ المرغانس من اعضاء المجمع العلمي السميثوني في اميركا منذ بضع سنين بتلافي هذا النقص في تربية الحواس فوضع طريقة جربها في اولاده البنين منهم والبنات تجمع الى تمرين الحواس تهذيب العقل وهو مقر الحواس بل المركز العام لكل باصرة وسامعة ولامسة واخذ يعلم الاطفال على التفكر بسرعة وان يستخدموا كل حاسة بسرعة فربى خلايا الدماغ واول ما كان يعلم الطفل التمييز بين الالوان فانه استعمل لذلك أطراً منوعة الالوان واطراً من الوان واحدة تختلف بعض الشيء ، ويكون من هذه الأطر نحو ثلاثين الف لون على نظر الطفل يعلمه التمييز بين الوانها باعيانها بحيث تتربى فيه ملكة النظر فلا يرتكب خطأ بعد في التمييز بينها .

ويبدأ بتعليم الطفل تمييز الالوان وهو في الثانية او الثالثة عند ما يأخذ يتكلم وينتهي من التعلم في السابعة او الثامنة . وفي الرابعة من عمره تربى فيه ملكة السمع بواسطة آلة الاستماع التي تحقق الاصوات ونقيها الارتجاجات ولتقوية العقل يضعون بين ايدي الطفل العاباً عقلية من نحو خشبة مثقوبة ثقوباً كثيرة يدخل فيها مسامير مختلفة الحجم على اسرع ما يكون فيتربى بصره على التمييز في الحال بين المسمار الصالح للثقب الذي يريده وان تتناوله يده بسرعة وتدخله في محله . وهناك لعبة الخاتم وهي عبارة عن هدف تجعل فيه كلابات فيقضى على الولد ان يرمي بالخواتم بحيث تعلق في الكلابة الخاصة بها . وقد ذكر الاستاذ غرانس بان قوة العضلات يمكن انقاصها وزيادتها بزيادة الحرارة والبرودة في الاعضاء بل بواسطة المنبهات كالشاي والقهوة وذكر ان الصباح خير الاوقات للرياضة العقلية بعد ان يكون الانسان استوفى حظه من نوم الليل وانه لا بد من ان يعقب تلك الرياضة شيء من الراحة . وقد اخذت هذه الطريقة تسري في الولايات المتحدة واخذوا هناك يزمدون في انواع الرياضات القليلة الجدوى ليستعيضوا عنها بتربية الحواس والقوة فكانت النتيجة باهرة

الاستقامة في الخط

تألفت في باريز جمعية من كبار العلماء والاطباء تدعو الناس الى تعليم اولادهم الخط وهم على وضعة مستقيمة في اجسامهم لان اعوجاج الجسم وانحناءه مضران بصحة الكاتبين وهم يرون ان يلاحظ الولد الذي يكتب وهو منحن مستنداً على طرف واحد وذراعه اليسرى بعيدة وذراعه اليمنى قريبة ملصوقة بالجسد ورجله اليسرى موضوعة امام اليمنى . فبدلاً من ان يحمل ثقل الجسد على طرفي الانسان ينزل على الذراع وحق الفخذ الايسر واذ كانت سلسلة الظهر سريعة العطب في الطفل لا تلبث ان تخرج عن اتجاهها الافقي فتلوى وتحني ويصيب الفقرات التواء ويقع اليسار من الصدر على طرف المنضدة فيضغط على الرئتين فيتولد من ذلك تشويه في الاعضاء وقص الصدر . وبهذا الوضع المائل يضطر الرأس الى الانحناء الى اليسار والى الامام وتقترب العينان من الورق فيضعف البصر. فالخط باحناء الجسم يورث انحراف سلسلة الفقار والحسر (ضعف البصر) . اما الخط بجعل الجسم مستقيماً والورق امام الكاتب مستقيماً فتستقيم به بالطبع وضعة الجسم والرأس وسلسلة الفقار ولا ينشأ عن ذلك ضيق ولا انحراف ولا عائق يضر بالصدر. وقد كادهذا الرأي يعم الاساتذة والتجار والصناع ولذلك قامت هذه الجمعية تدعو الى تعليم الكتابة والاجسام مستقيمة . والاستقامة شرط في كل شيء لا في الكتابة فقط

فائدة الدموع

ادعى احد الاطباء ان ارسال العبرات مفيد لصحة الباكي فكتب احد مشاهيرهم مقالة في تأييد رأي صاحبه قال فيها : ان الدموع تجري في حالتين متناقضتين الحزن الشديد والفرح العظيم في الحزن يصحبها صراخ وعويل وفي السرور يشفعها ضحك وقهقهة واذا نظرنا في طبيعة الانسان الضاحك وطبيعة الباكي يتجلى لنا كيف يضحك ويبكي من محل واحد . ليس الضحك الشديد من حيث النظر الفسيولوجي الا تأثيراً وجهداً في حالتي الجهد والضحك تنقبض الاعصاب فتطبق فتحة الحنجرة ثم تخفض الحجاب الحاجز وتقف حركة الاعصاب التي يكون من تحركها تحريك الترقوة ثم يزيد الضحك كثيراً فتستعين بتحريك اعصاب اخرى فتنثني سوقنا وافخاذنا وننكث بارجلنا الارض

ويتخلل التنفس شيء من الوقوف ولكنه لا يزيل حالة الاغماء التي تحدث في الضاحك ويكفيك ان تنظر الى عروق جبهته كيف تنتفخ والى شفتيه كيف تنكمش والى وجهه كيف يحمر لتدرك الانقباض الشديد الذي يصيب دماغه وعند ما تنقبض الاوداج الخارجة

بكثرة الضحك وينقلب الدم من الودج الاصلي الى الودج الداخلي ويتراكم على الدماغ فيطفح هذا بالدم الذي لا يجري بما يحول دونه ودون التنفس وينفجر بما يدفق الدم الشرياني الواصل اليه وبواسطة عصب البصر الواقع بين الودجين يتجه الدم نحو الدماغ من جهة العيون ويحتقن المتحمات والغدد الدمعية وعندها تفيض الدموع بتوتر الدم على تلك الصورة بمعنى ان الغدد الدمعية تحيل الدم الذي ينهال عليها الى دموع لان تركيب الدموع كتركيب الجزء السائل من الدمع . وفي تلك الحال يؤثر جريان الدمع في الدماغ المحتقن على صورة فصد ايض بفصل دماغ الضاحك الذي يوشك ان يغمى عليه بما يتواتر اليه من الدم .

والدموع نافعة في حالة الحزن ولكن عملها في تلك الحالة مخالف عملها في حالة السرور فان كان الدماغ يحتقن في حالة الضحك فانه يقل دمه في حالة الحزن فجريان الدموع على صورة فصد لا يزيد الدم الا فقرًا في المراكز العصبية ولكن هذا الفقر في الدم ينتج ضربًا من ضروب السبات في الدماغ ونوعًا من الكسل الطبيعي وقلة المبالاة والاحساس في الدماغ فيقل بذلك التأثر من المصاب او الالم . وقلة الاحساس هذه في تخفيف ما اصاب المرء اشبه بتخدر صناعي كالكلوروفورم والاثير والالكحول فيضيع الحزن في العبرات كما يضيع في الالكحول . ومن العجيب ان التقطيب الذي نقطبه عند ما نبكي يحدث من انقباض الاعصاب الذي تفعل فعلها في الغدد الدمعية والشرايين البصرية وجميع اعصاب الجفون والاهداب وغيرها اذا انقبضت تؤثر في الغدد الدمعية وهكذا كانت الدموع فرجًا للمحزون كما هي فرج للطفل وسلامة دماغه فهو لها نعم المخدر واحسن مداوٍ من الاضطرابات كما يرى في النساء ايضًا وهن لا يقللن عن الاطفال بتأثراتهن .

مكتبة الاسكندرية

لما ظهر « الكتاب » الذي تكلمنا عليه في فصلين ضافيين ، صفحة ٣٧٦ و ٤٥٧) من مقتبس هذه السنة أعجبنا به وبما ظهر من انصاف مؤلفه في كلامه على حريق مكتبة الاسكندرية الذي نسبه بعضهم زورًا لامير المؤمنين عمر بن الخطاب فبادرنا الى كتابة كلمات للمؤلف العالم نشكر له حسن صنيعه فجاءنا منه الكتاب الآتي ننشره بحرفه تتمة لهذا المبحث الذي خبط فيه بعضهم تقليدًا وبعضهم تعصبًا قال حفظه الله :

Paris, le 14 Août 1908

Monsieur,

J'ai été très touché de votre lettre, des sentiments de sympathie que vous m'exprimez, et des éloges que vous voulez bien donner, dans cette lettre ainsi que dans votre revue, à mon ouvrage le Livre. Soyez bien persuadé que ces éloges sont pour moi la meilleure récompense de mon travail, et le plus précieux encouragement que je pusse recevoir.

L'erreur historique relative à Omar et à la bibliothèque d'Alexandrie, erreur qui a régné si longtemps, tend de plus en plus à disparaître. Je suis heureux, pour ma part, d'avoir eu occasion d'aider à combattre cette erreur, et d'attester, en donnant les preuves que j'ai pu recueillir, ce que je crois être la vérité.

Veuillez etc.

Signé :
Albert Cim

وهذا تعريبه

باريز في ٤، اغسطس (آب) ١٩٠٨

سيدي

كان لما اظهرتموه في كتابكم وابديتموه من عواطف ودكم موقع كبير من نفسي على نحو ما كان لما تفضلتم به عليّ في رسالتكم ومجلتكم من الثناء على تأليفي « الكتاب » فثقوا كل الثقة من اني اعد هذا المديح احسن مكافأة على عملي واغلى باعث على التنشيط الذي انطالُ الى نيله ·

لقد ما استحكم الوهم التاريخي زمناً بشأن عمر ومكتبة الاسكندرية وها هو آخذ بالاضمحلال · اما انا فقد اغتبطت بما سنح لي من الفرصة فكنت من العاملين على مكافحة هذا الوهم واثبت بالبراهين التي وصلت بدي اليها ما اعتقدت انه هو الحقيقة ·

وتفضلوا الخ

التوقيع
البر سيم

المقتبس

الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث

ذي الحجه سنة ١٣٢٦ موافق يناير (كانون ثاني) سنة ١٩٠٩

الحافظة والحفاظ

اي نعمة ينالها المرء اعظم من ان تعي ذاكرته كل ماتريد وعيه وتدخره الى ساعة حاجة للانتفاع به . الحافظة من العوامل المؤثرة في ترقية الافراد والجماعات وبدونها يصعب الوصول الى ادراك الحقائق وتمحيصها لانا اذا لم نستعن في كل مطلب من مطالب الحياة بتجارب من سبقونا ونحفظ المأثور عنهم لننسج على منواله كنا اشبه بمن يريد ان يبني له كل يوم بناء . وظلت العلوم والصناعات والآداب في طفولتها الاولى تجري على نظام مضطرب اذ يكون كل امرئ وما يختار

والذاكرة اوالحافظة حاسة يحفظ بها الذهن على صورة دائمة أموراً مضت وتأثرات وقعت فهي بذلك كما قال مونتين الفيلسوف (١٥٣٣ — ١٥٩٢) وعاء العلم وصوان الحكمة . وقال لاروشفوكولد الكاتب (١٦١٥ — ١٦٨٠) جميع الناس يشكون من حافظتهم وما قط شكا احد من عقله . وقال آخر : ان الذكاء بدون حافظة اشد بغربال لايكاد يمسك ماتضعه فيه . وقال احدهم : الحافظة واسطة من وسائط الكمال وبدونها لايستطيع امرؤ ان يقلد شيئاً وينسج على منواله . وقال كورنيل الشاعر : يجب لمن يتعمد الكذب ان يكون ذا ذاكرة جيدة . وهذا مثل قولهم اذا كنت كذوباً فكن ذكوراً . وقال بيكته الاديب السويسري (١٧٩٩ — ١٨٧٥) : لقد كان للحافظة شأن مهم جداً عند الناس في العصور الاولى اكثر مما صار لها في القرون اللاحقة . كانت الحافظة قبل اختراع الكتابة هي التي تتولى خاصة نقل التقاليد الوطنية والدينية وعامة القوانين والعادات والشعر ولذلك كانت هذه الحاسة التي قلما نحفل الآن بأمرها عند قدماء الآريين مشابهة للفكر نفسه

اختلفت مذاهب الفلاسفة فيما اذا كانت الحافظة حاسة قائمة بذاتها او فيما اذا كان لكل حاسة فينا ذاكرة معينة ومعظم الحكماء وعلماء النفس على ان الحافظة حاسة مستقلة عن بقية حواس الانسان ولا يكاد احد يدرك كيف تعي الحافظة الارقام والاعداد وتحفظ العبارات والمفردات وتحكم اللغات واللهجات وتردد الالحان والاصوات . ويقول علماء النفس ان الشروط النفسية اللازمة لجودة الذهن متوقفة على جودة تركيب انسجة الدماغ وحسن تغذية هذه الانسجة . والتعب والشيخوخة من العوامل المؤثرة في ضعف الحافظة لانهما ملازمان لضعف تغذية الانسجة ولذلك قالوا ان درجة الحافظة لا تختلف بحسب الاشخاص بل تختلف في الشخص الواحد في ادوار مختلفة من حياته واذا صرفنا النظر عن الآفات العضوية التي تضربها فان هناك ايضاً احوالاً اقل منها تزيدها ضعفاً الى ضعفها مثل اضطرابات المعدة وسوء الهضم والشقيقة فان جميع هذه العوارض على الجسم تغيرها تغيراً محسوساً

ولتركيب الدماغ وحالته تأثير ظاهر في الحافظة فقد ذكر بلين الطبيعي الروماني ان رجلا نسي حتى رسائله بعد ان اصيب بشجة في رأسه . وزعم البابا كليمان السادس ان حافظته قويت قوة عجيبة عقب ان اصيب برضة شديدة في دماغه . وكيفما كانت الحال فالتمرين يد طولى في تخصيص الحافظة بشيء معين فالممثلون تقوى فيهم الملكة الحافظة الشفاهية وهي من اللوازم لهم في صناعتهم ورجال الشرطة تقوى فيهم الحافظة في تذكر صور الاشخاص وليس البشر كلهم سواء في الحفظ والاستظهار فنهم من يحفظون الاشكال الهندسية وهم الذين خلقوا رياضيين بالفطرة ومنهم من يرزقون حافظة قوية في الانغام كالموسيقيين . وغيرهم في غير ذلك . ومن الناس من يذكرون الكلمات بسرعة غريبة ومن الاطفال من تقرأ لهم بصوت عال عدة صفحات فيستظهرونها في الحال ويتلونها على مسامعك لاول مرة . وتذكر الالفاظ خاصة يمتاز بها الاولاد في العادة اكثر من الكبار في السن ممن لا تكون قويت فيهم حاسة التفكر فيحفظون الكلمات التي يسمعونها على ايسر وجه بدون ان يفهموها والسبب في سهولة الحفظ عليهم فقدان قوة التفكر فيهم وعند ما يبدأ التفكر في معظم الناس تضعف الحافظة فيهم وقد تزول من بعضهم . والحافظة الشفاهية اذا كانت هي وحدها في الانسان لا تكون له سبيلاً الى التفكر ومن فقد الاولى فلا يأسف لحاله لانه يستطيع بقوة التفكر ان يأتي بالجيد من الافكار ولكن الحافظة وحدها قد تكون من اكبر العوائق عن جودة التصور

وبعد فان للحافظة شأناً عظيماً في ترقية الفكر الانساني وبدونها يكون كل شيء عقيماً لا ثمرة له لانها واسطة لبقاء الافكار التي صدرت واحسن ذريعة لحصول على افكار جديدة

ولم يعرف القانون الذي تسير عليه كما ان جوهرها لم يدرك الباحثون حقيقته وغاية ماعرف من امرها انها تقوى بالانتباه والتمرن كما تقدم وان الكسل ابن الترف والكسل يجرح الحافظة ان لم نقل يقتلها

ذكر التاريخ كثيرين من ارباب الحافظة النادرة فمنهم في القديم ميتريداتس الكبير ملك شمالي غربي آسيا الصغرى (١٢٣ — ٦٣ ق٠م) فقد كان يحكم على اثنين وعشرين امة مختلفة ويخطب امام كل منها بلغتها ويدعو كل واحد من جنده باسمه ٠ وذكروا مثل ذلك عن قورش ملك الفرس وثيموستقلس وسيبيون الآسياوي والامبراطور ادريان ويقال ان مزية الحافظة هيأت لاوتون الروماني تولي الملك ٠ وتعلم ثيموستقلس اللغة الفارسية في سنة وكان ليبس اللغوي الاديب البلجكي (١٥٤٧ — ١٦٠٦) يحفظ تاريخ تاسيت المؤرخ اللاتيني بالفاظه حرفاً بحرف وقد قال انه يرضى ان يقف جلاد وبيده سيف على رأسه وهو يتلو هذا التاريخ فاذا اخل بحرف واحد يضرب عنقه

وكان لربنودي بون حافظة سعيدة يذكر جميع الابيات اللاتينية واليونانية التي قرأها في صباه ويتلو صفحات برمتها من ديوان هوميروس وان كان مضى عليه اربعون سنة ولم ينظر فيه نظرة واحدة ٠ وكان هوج دونو الفقيه المشهور في القرن السادس عشر يستظهر القوانين المعروفة في عصره بالحرف الواحد ٠ وحفظ يوسف سكاليجه الاديب (١٥٤٠ — ١٦٠٩) الالياذة والاوذيسية في احد وعشرين يوماً ٠ ومن الطف ما يروى في باب الحافظة ان احد الفلاحين في فرنسا جاء الى باريز يقصد صاحباً قديماً له كان استلف منه خمسة فرنكات منذ خمس عشرة وطلب اليه ان ينقده ماله قِبله فتركه صاحبه وعاد فدفع اليه ليرة واحدة وخمسة فرنكات وقال له : هذا ياصاح فقد كنت نلت وانا في المدرسة ليرة جائزة عن حافظتي فرأيتك احد مني ذاكرة وانك احق بهذه الجائزة مني

***

ليس في الدنيا خير محض فقد اخترعت الطباعة منذ نحو خمسمائة سنة فعم نفعها اهل الارض كافة ولكن ما عتمت ان نتج عنها بعض شر اذ اصبح الناس يعتمدون على الكتب في جماع علومهم وآدابهم بعد ان كان جل اعتمادهم على محفوظاتهم ومخطوطاتهم ٠ والغالب ان الاعتماد على الحافظة والحفاظ كان في الاسلام على اشده قبل تدوين الكتب وتأليف الرسائل والمصنفات ولما بلغ بعض الائمة تدوين الكتب اسفوا وعدوه من دواعي تقهقر العلم وانقطاع سند الرواية وما زالت الحال ترتقي بعض الشيء في بعض الاعوام ثم يزهد في الحفظ حتى انتشرت الطباعة في بلادنا بانتشار الصناعات الفكرية فامسى الناس يستندون

الى السطور بدل الصدور والقراطيس والاسفار بدل الحفظ والاستظهار . فضعفت بهذا الضعف الحافظة وان قويت المفكرة وقلت الرواية وان لم تقل الدراية .

انقطع سند الحفظ الا في بعض ما لا يسع الامة جهله من القرآن وعلومه فاخذ بعضهم يفتاتون على من عُرفوا قديماً بسعة محفوظهم و يزيفون ولكن بدون برهان ما رواه طائفة الراوين من ابناء الاذكياء الحافظين . ولو صح الاعتماد على القاء الكلام على عواهنه في هذا الباب اذاً لسقط التاريخ وارتفعت الثقة من كل خبر حتى من مجيء الرسل وحروب الملوك ودثور الشعوب والمدن وما اليها . وما اشبه من يكذب بادي، الرأي بلا دليل قاطع بمن يؤثر الهدم على البناء . وشتان بين المخرب والمعمر والمتلف والمخلف والمفسد والمصلح .

ما عُنيت امة بتدوين دينها وحفظه ولغتها وضوابطها عناية المسلمين بدينهم ولغتهم فكان من امر حفظة الكتاب العزيز ما اشتهر في كل مصر وعصر ولا يزال في البلاد اثر من آثار تلك العناية . اما الاحاديث فقد عُنوا بها قديماً وجمعوا اشتاتها و بينوا صالحها من موضوعها وضعيفها من قويها مما يدركه كل من كان له المام بالمراجعة ونظر في كتب القوم . لم يكن العلم في القرون الاولى للاسلام بالارث ولا بالمظاهر ولا بالوساطات والشفاعات بل كان بالاستحقاق وكد القرائح بسير على قوانين بقيود و روابط ولذلك لم يكن ينال لقب حافظ من لم يحفظ ألوفاً من الاحاديث باسانيدها (١) فقد كانوا يطلقون اسم المسند على من يروي الحديث باسناده سواء كان عنده علم به او ليس له الا مجرد رواية و يطلقون اسم المحدث على من كان ارفع منه والعالم على من يعلم المتن والاسناد جميعاً والفقيه على من يعرف المتن ولا يعرف الاسناد والحافظ على من يعرف الاسناد ولا يعرف المتن والراوي على من يعرف المتن ولا يعرف الاسناد . وكان السلف يطلقون المحدث والحافظ بمعنى . والمحدث من عرف الاسانيد والعلل واسماء الرجال والعالي والنازل وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون وسمع الكتب الستة ومسند احمد بن حنبل وسنن البيهقي ومعجم الطبراني وضم الى هذا القدر الف جزء من الاجزاء الحديثة هذا اقل درجاته فاذا سمع ما ذكر وكتب الطباق ودار على الشيوخ وتكلم في العلل والوفيات والمسانيد كان في اول درجات المحدثين . وكان السلف يسمعون فيقرؤن فيرحلون فيفسرون و يحفظون فيعملون قال بعضهم

ان الذي يروي ولكنه   يجهل ما يروي وما يكتب
كصخرة تنبع امواهها   تسقي الاراضي وهي لا تشرب

سأل تقي الدين السبكي الحافظ جمال الدين المزي عن حد الحفظ الذي اذا انتهى اليه

(١) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي

لرجل جاز له ان يطلق عليه الحافظ قال : يرجع الى اهل العرف فقلت واين اهل العرف قليل جداً قال : اقل ما يكون ان يكون الرجال الذين يعرفهم و يعرف تراجمهم واحوالهم و بلدانهم اكثر من الذين لا يعرفهم ليكون الحكم للغالب فقلت له : هذا عزيز في هذا الزمان ادركت انت احداً كذلك فقال : ما رأينا مثل الشيخ شرف الدين الدمياطي ثم قال : وابن دقيق العيد كان له في هذا مشاركة جيدة . قال فتح الدين بن سيد الناس واما المحدث في عصرنا فهو من اشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع رواة واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه فان توسع في ذلك حتى عرف شيوخه وشيخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقته اكثر مما يجهله منها فهذا هو الحافظ واما ما يحكى عن بعض المتقدمين من قولهم كنا لا نعد صاحب حديث من لم يكتب عشرين الف حديث في الاملاء فذلك بحسب ازمنتهم .

وقال ابو زرعة الرازي : كان احمد بن حنبل يحفظ الف الف حديث قيل له وما يدريك قال : ذا كرته فاخذت عليه الابواب . وقال البخاري : احفظ مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح . وقال الحاكم في المدخل : كان الواحد من الحفاظ يحفظ خمسمائة الف حديث سمعت اباجعفر الرازي يقول سمعت اباعبدالله بن وارة يقول كنت عند اسحق ابن ابراهيم بنيسابور فقال رجل من اهل العراق : سمعت احمد بن حنبل يقول صح من الحديث سبعمائة الف وكسر وهذا الفتى يعني ابا زرعة قد حفظ سبعمائة الف حديث . قال البيهقي : اراد ما صح من الاحاديث واقاويل الصحابة والتابعين وقال غيره : سئل ابو زرعة عن رجل حلف بالطلاق ان ابازرعة يحفظ مائتي الف حديث هل يحنث قال لا . ثم قال احفظ مائة الف حديث كما يحفظ الانسان سورة قل هو الله احد وفي المذاكرة ثلثمائة الف حديث وقال ابو بكر محمد بن عمر الرازي الحافظ : كان ابو زرعة يحفظ سبعمائة الف حديث وكان يحفظ مائة واربعين الفاً في التفسير والقرآن . وكان اسحق بن راهويه يملي سبعين الف حديث حفظاً واسند ابن عدي عن ابن شبرمة عن الشعبي قال : ما كتبت سواداً في بيضاء الى يومي هذا ولا حدثني رجل بحديث قط الا حفظته فحدثت بهذا الحديث اسحق بن راهويه فقال : تعجب من هذا قلت : نعم قال : ما كنت لاسمع شيئاً الا حفظته وكأني انظر الى سبعين الف حديث او قال اكثر من سبعين الف حديث في كتبي . واسند عن ابي داود الخفاف قال : سمعت اسحق ابن راهويه يقول : كأني انظر الى مائة الف حديث في كتبي وثلاثين الفاً اسردها . واسند الخطيب عن محمد بن يحيى بن خالد قال : سمعت اسحق بن راهويه يقول : اعرف

مكان مائة الف حديث كأني انظر اليها واحفظ سبعين الف حديث عن ظهر قلبي واحفظ اربعة آلاف حديث ضرورة وقال عبدالله بن احمد بن حنبل قال ابي لداود بن عمرو الضبي وانا اسمع: كان يحدثكم اسماعيل بن عباس هذه الاحاديث بحفظه قال: نعم مارأيت معه كتاباً قط قال له: لقد كان حافظاً كم كان يحفظ قال شيئاً كثيراً قال: اكان يحفظ عشرة آلاف قال عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف فقد كان ابي هذا كان مثل وكيع. وقال يزيد بن هرون احفظ خمسة وعشرين الف حديث وقال الآجري: كان عبدالله بن معاذ العنبري يحفظ عشرة آلاف حديث

قال السبكي لم تر عيناي احفظ من أبي الحجاج المزي وابي عبدالله الذهبي والوالد وغالب ظني ان المزي يفوقهما في العلل والمتون والجرح والتعديل مع مشاركة كل منهم لصاحبه فيما يتميز به عليه المشاركة البالغة سمعت شيخنا الذهبي يقول: مارأيت أحداً في هذا الشأن احفظ من الامام ابي الحجاج المزي وبلغني عنه انه قال مارأيت احفظ من اربعة: ابن دقيق العيد والدمياطي وابن تيمية والمزي فالاول اعرفهم بالعلل وفقه الحديث والثاني بالانساب والثالث بالمتون والرابع باسماء الرجال. وكان الدمياطي يقول: مارأى شيخنا احفظ من زكي الدين عبد العظيم وما رأى الزكي احفظ من ابي الحسن علي بن المفضل ولا رأى ابن المفضل احفظ من الحافظ عبد الغني ولا رأى عبد الغني احفظ من ابي موسى المديني الا ان يكون الحافظ ابا القاسم بن عساكر ولا رأى ابن عساكر والمديني احفظ من ابي القاسم اسماعيل بن محمد التيمي ولا رأى اسماعيل احفظ من ابي الفاضل محمد بن طاهر المقدسي ولا رأى ابن طاهر احفظ من ابي نصر بن ماكولا ولا رأى بن ماكولا احفظ من ابي بكر الخطيب ولا راي الخطيب احفظ من ابي نعيم وابو نعيم ماراًي احفظ من الدارقطني وابي عبدالله بن منده ومعهما الحاكم وكان ابن منده يقول: مارأيت احفظ من ابي اسحاق بن حمزة الاصبهاني وقال ابن حمزة: مارأيت احفظ من ابي جعفر احمد بن يحيى بن زهير القشيري وقال: مارأيت احفظ من ابي زرعة الرازي واما الدارقطني فمارأى احفظ من نفسه واما الحاكم فما رأى احفظ من الدارقطني بل وكان يقول الحاكم مارأيت احفظ من ابي علي النيسابوري ومن ابي بكر ابن الجعابي وما رأى الثلاثة احفظ من ابي العباس بن عقدة ولا رأى ابو علي النيسابوري مثل النسائي ولا رأى النسائي مثل اسحاق بن راهويه ولا رأى ابو زرعة احفظ من ابي بكر بن ابي شيبة وما راى ابو علي النيسابوري مثل ابن خزيمة وما رأى ابن خزيمة مثل ابي عبدالله البخاري ولا رأى البخاري فيما ذكر مثل علي بن المديني ولا رأى ايضاً ابو زرعة والبخاري وابو حاتم وابو داود مثل احمد بن حنبل ولا مثل يحيى بن معين وابن راهويه ولا

رأى احمد ورفاقه مثل يحيى بن سعيد القطان ولا رأى هو مثل سفيان ومالك وشعبة ولا رأوا مثل ايوب السختياني نعم ولا رأى مالك مثل الزهري ولا رأى الزهري مثل ابن المسيب ولا رأى ابن المسيب احفظ من ابي هريرة ولا رأى ايوب مثل ابن سيرين ولا رأى مثل ابي هريرة نعم ولا رأى الثوري مثل منصور ولا رأى منصور مثل ابراهيم ولا رأى ابراهيم مثل علقمة ولا رأى علقمة كابن مسعود

هذا كان مبلغ القوم في حفظ الحديث وروايته على كثرة المتشابه فيه وتوفر الاسانيد والرواة بحيث لو اراد احد لهذا العهد ان يحفظ شيئاً مما كانوا يحفظونه لاختار استظهار اللغة الصينية واستسلها اكثر وذلك لضعف الحافظة من هذا المعنى وانقطاع سند هذه العلوم الجليلة الا قليلا

كان الحافظ ابو عامر محمد بن سعدون من اعيان حفاظ الاسلام قال ابن عساكر انه احفظ شيخ لقيه وشيوخ ابن عساكر زهاء الف ومائتي شيخ وكان الفقيه اعلم الدين التمني يحفظ ما يسمعه من مرة واحدة · وكان الشافعي من احفظ اهل دهره قضى عشرين سنة في تعلم الادب والتاريخ وقال ما اردت بهذا الا الاستعانة على الفقه ويروى انه نظر في كتاب لابي حنيفة فما كان من الغد الا ان غدا راوياً له مستظهراً اياه بجملته · وابن دريد صاحب المقصورة من علماء اللغة كان آية من آيات الله في اتساع صدره للرواية تقرأ عليه دواوين العرب فيسارع الى املائها من محفوظه

وقيل ان احمد بن حنبل امام المحدثين كان يحفظ الف الف حديث · قال سعيد بن جبير من اعلام التابعين قرأت القرآن في ركعة في البيت الحرام وقال اسمعيل بن عبدالملك كان سعيد بن جبير يؤمنا في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبدالله بن مسعود وليلة بقراءة زيد بن ثابت وليلة بقراءة غيره هكذا أبداً ولا عجب وهو الذي قال فيه احمد بن حنبل قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى علمه

وكان علي الرازي يقول من فهم هذا الكتاب (يعني الجامع الصغير لمحمد) فهو من اصحابنا ومن حفظه كان احفظ اصحابنا وان المتقدمين من مشايخنا كانوا لا يقلدون احداً القضاء حتى يمتحنوه فان حفظه قلدوه القضاء والا امروه بالحفظ · وذكر صاحب نفح الطيب انه كان خارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منبر وفقيه مقلس تكون الفتيا في الاحكام والشرائع له وكان لا يجعل القالص منهم على رأسه الا من حفظ الموطأ وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث والمدونة

كان بديع الزمان الهمذاني يحفظ خمسين بيتاً بسماع واحد ويؤديها من اولها الى

آخرها و ينظر في كتاب نظرًا خفيفًا ويحفظ اوراقًا و يؤديها من اولها الى آخرها و ينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه هذًا و يسردها سردًا وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها . وكان ابو رياش احمد بن ابراهيم من رواة الادب يحفظ خمسة آلاف و رقة لغة وعشرين الف بيت شعر الا ان ابامحمد المافروخي برّز عليه لانهما اجتمعا اول ما تشاهدا بالبصرة فتذاكرا اشعار الجاهلية وكان ابومحمد يذكر القصيدة فيأتي ابو رياش على عيونها فيقول ابومحمد الا ان تهذها من اولها الى آخرها فينشد معه و يتناشدان الى آخرها ثم اتى ابومحمد بعدة بقصائد لم يتمكن ابو رياش ان يأتي بها الى آخرها وفعل ذلك في اكثر من مائة قصيدة حدثني بذلك من حضر ذلك المجلس معها — قاله ياقوت في معجم الادباء .

وكان الحفظ في كل فن شائعًا بين اهل الادب وطلاب العلم على اختلاف ضروبه عند العرب على نحو ما يتضح من تصفح سير رجالهم ولو لم يكن استناد المؤلفين في الاغلب الاعلى ما في لوح محفوظهم لما تيسر لهم ان يؤلف احدهم عشرات من المجلدات يعجز العالم اليوم عن نسخها بل عن تصفحها

فقد كان العرب قبل البعثة يروون قصائد شعرائهم وانما في حداثتهم كما يؤخذ من اجتماعاتهم في سوق عكاظ و مِربد البصرة ولم تكن بضاعتهم من ذلك كثيرة لان امراء الكلام لم ينبغوا الا في الاسلام بظهور نور النبوة وفصاحة الكتاب العزيز . ولقد كان الراوية والنسابة ينشد عشرات بل مئات من القصائد كما يحفظ احدنا لهذا العهد الابيات القليلة غير متلعثم ولا متردد . خذ مثالاً لذلك حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ فقد كان على قلة بضاعته من العربية يروي المئات من القصائد الجاهليين والمخضرمين كما يروي فاتحة الكتاب و يذكر اشعار العرب وايامهم وانسابهم ولغاتهم كأنه يروي قصة وكان ملوك بني امية يرجعون اليه في هذا المعنى و يحلونه منزلة عالية من التجلة والاكرام روى الوليد ابن يزيد الاموي قال له يومًا وقد حضر مجلسه : بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية فقال : باني اروي لكل شاعر تعرفه ياأمير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف انك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعرًا قديمًا ولا محدثًا الاميزت القديم من المحدث فقال : ثم فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير ولكني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام قال سامتحنك في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه ان يصدقه عنه و يستوفي عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية وأخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم ونوادره كثيرة

وكان الاصمعي المتوفى سنة ٢١٧ او قبلها صاحب لغة ونحو واماماً في اخبار العرب وملحهم وغرائبهم قال عمر بن شبة : سمعت الاصمعي يقول : احفظ ستة عشر الف أرجوزة وقال اسحق الموصلي : لم ار الاصمعي يدعي شيئاً من العلم فيكون احداً اعلم به منه وحضر يوماً عند الفضل بن الربيع هو وابو عبيدة معمر بن المثنى فقال له : كم كتابك في الخيل فقال الاصمعي مجلد واحد فسأل اباعبيدة عن كتابه فقال: خمسون مجلدة فقال له: قم الى هذا الفرس وامسك عضواً عضواً منه وسمه فقال : لست بيطاراً وانما هذا شيء اخذته عن العرب فقال للاصمعي: قم وافعل انت ذلك فقام الاصمعي وامسك ناصيته وشرع يذكر عضواً عضواً و يضع يديه عليه وانشد ما قالت العرب فيه الى ان فرغ منه قال: ابو حمدون الطيب بن اسماعيل شهدت ابن ابي العتاهية وقد كتب عن ابي محمد اليزيدي قريباً من الف جلد عن ابي عمرو بن العلاء خاصة و يكون ذلك نحو عشرة آلاف ورقة لان تقدير الجلد عشر ورقات ·

قال ابونواس: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهم الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال · قلت ولذلك جاء شعر ابي نواس احسن شعر المولدين كما شهد له بذلك اصحاب الشأن في هذه الصناعة وفي مقدمتهم الجاحظ الذي فضل شعره على شعر العرب العرباء قال اسمعيل بن نوبخت: ما رأيت قط اوسع علماً من ابي نواس ولا احفظ منه مع قلة كتبه ، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له الا قمطراً فيه جزاز مشتمل على غريب ونحو

قال ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب دخل ابو عمرو اسحق بن مراد الشيباني البادية ومعه دستيجتان من حبر فما خرج حتى افناهما بكتب سماعه عن العرب وكان ابو عمرو عالماً بايام العرب جامعاً لاشعارها و يروي عن عمرو بن ابي عمرو قال: لما جمع ابي اشعار العرب كانت نيفاً وثمانين قبيلة وكان كلما عمل منها قبيلة واخرجها الى الناس كتب مصحفاً بخطه ويحكى انه اخذ عن المفضل الضبي ودواوين العرب وسمعها منه ابو حيان وابنه عمرو بن ابي عمرو وحكى ابو العباس قال كان مع ابي عمرو الشيباني من العلم والسماع اضعاف ما كان مع ابي عبيدة ولم يكن من اهل البصرة مثل ابي عبيدة في السماع والعلم قال سلمة: املى الفراء كتبه كلها حفظاً لم يأخذ بيده نسخة الا في كتابين ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة وكان مقدار الكتابين خمسين ورقة · ويقال ان الاصمعي كان يحفظ ثلث اللغة وكان الخليل يحفظ نصف اللغة وكان ابو فيد يحفظ الثلثين وكان ابو مالك يحفظ اللغة كلها وكان الغالب على ابي مالك حفظ الغريب والنوادر · وكان ابن الاعرابي احفظ الناس للغات والايام والانساب وقال ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب : قال لي ابن الاعرابي : امليت قبل ان تجيئني يا احمد حمل جمل وقال ثعلب : انتهى علم اللغة والحفظ الى ابن الاعرابي وقال

ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول في كلمة رواها الاصمعي سمعت من الف اعرابي خلاف ما قاله الاصمعي .

وكان قتادة عالماً نحريرا واجمع الناس في اشعار العرب وانسابهم قال ابو عبيدة : ما كنا نفقد في كل يوم را كبًا من ناحية بني امية ينيخ على باب قتادة فيسأله عن خبر او نسب اوشعر وكان من انسب الناس . وكان ابن الكلبي النسابة واسع الرواية ومن اعلم الناس بالنسب وكان من الحفاظ المشاهير قال : حفظت ما لم يحفظه احد ونسيت مالم ينسه احد كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتاً وحلفت ان لا اخرج منه حتى احفظ القرآن فحفظته في ثلاثة ايام وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين تصنيفاً وتوفي سنة ٢٠٤

وكان ابو عبيدة معمر بن المثنى من اعلم الناس بايام العرب واخبارهم واشعارهم قال الجاحظ : لم يكن في الارض خارجي ولا جماعي اعلم بجميع العلوم منه ومع انه كان يلحن ويخطئ اذا قرأ القرآن واذا انشد بيتاً لايقيم وزنه واذا تحدث او قرأ لحن اعتماداً منه لذلك فقد صنف قرابة مائة مصنف وكان يرى رأي الخوارج ولذلك كثر الطاعنون في نسبه ومشربه ومذهبه وتوفي سنة ٢٠٩

كان ابو المحاسن الرؤياني المتوفى سنة ٥٠٢ من رؤوس الافاضل في ايامه يقول لو احترقت كتب الشافعي لامليتها من خاطري . وقال ابو بكر النحوي : لما قدم الحسن بن سهل العراق قال : احب ان اجمع قوماً من اهل الادب فاحضر اباعبيدة والاصمعي ونصر ابن علي الجهضمي وحضرت معهم وافضنا مرة في ذكر الحفاظ فذكرنا الزهري وقتادة ومررنا فالتفت ابو عبيدة فقال : ما الغرض ايها الامير في ذكر من مضى وبالحضرة ههنا من يقول ما قرأ كتاباً قط فاحتاج الى ان يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه فالتفت الاصمعي وقال : انما يريدني بهذا القول ايها الامير والامر في ذلك على ما حكى وانا اقرب اليك قد نظر الامير فيما نظر فيه من الرقاع — وكان نظر قبل ان يلتفت اليهم في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم فوقع عليها فكانت خمسين رقعة — وانا اعيد مافيها وما وقع به الامير على رقعة رقعة قال فامر واحضرت الرقاع قال : الاصمعي سأل صاحب الرقعة الاولى كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر في نيف واربعين رقعة فالتفت اليه نصر بن علي فقال : ايها الرجل ابق على نفسك من العين فكف الاصمعي .

ومالي وتعداد الاسماء على هذا النحو فكتب القوم طافحة بها وانما يكفي منها التمثيل والقليل يغني . ولقائل ان هذا القدر من الحفظ كان بعضه شائعاً في القرنين الاولين والقرون الثلاثة وقد بالغ فيه الرواة حتى اتصل بنا على هذه الصورة وما حجتي في نقض هذا الاوقوع

امثال امثاله في كتب اهل القرون المتأخرة مما تواطأ الثقات على نقله وتحرزوا في اثباته .
ولقد كان الغرب في هذه المزية كالشرق اذ قد حذا المغاربة في حضارتهم وعلومهم حذو المشارقة . فقد كان ابن عبدون احد فحول شعراء الاندلس وكتابها مستكثرًا من الحفظ قال الوزير ابو بكر بن زهر : بينا انا قاعد في دهليز دارنا وعندي رجل شيخ امرته ان يكتب لي كتاب الاغاني فجاء الناسخ بالكراريس التي كتبها فقلت له : أين الاصل الذي كتبت عنه لاقابل معك به قال : ما اتيت به معي فبينا انا معه في ذلك اذ دخل رجل بذ الهيئة عليه ثياب غليظة اكثرها صوف وعلى رأسه عمامة قد لاثها من غير اتقان وقال لي : يابني استأذن لي على الوزير ابي مروان فقلت له : هو نائم . هذا بعد ان تكلفت جوابه غاية التكلف حملتني على ذلك نزوة الصبا وما رأيت من خشونة هيئة الرجل ثم سكت عني ساعة وقال : ماهذا الكتاب الذي بايديكما فقلت له : ما سؤالك عنه فقال : احب ان اعرف اسمه فاني كنت اعرف اسماء الكتب فقلت : هو كتاب الاغاني فقال : الى اين بلغ الكاتب منه قلت : بلغ موضع كذا وجعلت اتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قالبه فقال : وما لكاتبك لايكتب قلت : طلبت منه الاصل الذي يكتب منه لاعارض به هذه الاوراق فقال : لم اجيء به معي فقال : يابني خذ كراريسك وعارض قلت : بماذا وأين الاصل قال : كنت احفظ هذا الكتاب في مدة صباي قال : فتبسمت من قوله فلما رأى تبسمي قال يابني امسك علي قال : فامسكت عليه وجعل يقرأ فوالله ان اخطأ واوًا ولا فاء قرأ هكذا نحوًا من كراسين ثم اخذت له في وسط السفر وآخره فرأيت حفظه في ذلك كله سواء فاشتد عجبي وقمت مسرعًا حتى دخلت على ابي فاخبرته بالخبر ووصفت له الرجل فقام كما هو من فوره وكان ملتفًا برداء ليس عليه قميص وخرج حاسر الرأس حافي القدمين لايرفق على نفسه وانا بين يديه و يقول : يامولاي اعذرني فوالله ما اعلمني هذا الخلف الا الساعة وجعل يسبني والرجل يخفض عليه و يقول : ماعرفني وابي يقول : هبه ماعرفك فما عذره في حسن الادب . ثم ادخله الدار واكرم مجلسه وخلا به فتحدثا طويلاً ثم خرج الرجل وابي بين يديه حافيًا حتى بلغ الباب وامر بدابته التي يركبها فاسرجت وحلف عليه ابي ليركبنها ثم لا ترجع اليه ابدًا فلما انفصل قلت لابي : من هذا الرجل الذي عظمته هذا التعظيم قال لي : اسكت ويحك هذا اديب الاندلس وامامها وسيدها في علم الآداب هذا ابو محمد عبد المجيد بن عبدون ايسر محفوظاته كتاب الاغاني — رواه المراكشي

وروى أيضًا قصة تشبهها قال انه لزم ابا جعفر الحميري آخر من انتهى اليه علم الآداب بالاندلس المتوفى سنة ٦١٠ نحوًا من سنتين فما رأيت اروى لشعر قديم ولا حديث ولا

اذكر بحكاية تتعلق بادب او مثل سائر او بيت نادر او سجعة مستحسنة منه ادرك جلة من مشايخ الاندلس فاخذ عنهم علم الحديث والقرآن والآداب واعانه على ذلك طول عمره وصدق محبته وافراط شغفه بالعلم قال لي ولده عصام وقد رأيت عنده نسخة من شعر ابي الطيب قرئت علي او اكثرها فالفيتها شديدة الصحة فقلت له: لقد كتبتها من اصل صحيح وتحرزت في نقلها فقال لي: ما يمكن ان يكون في الدنيا اصل اصح من الاصل الذي كتبت منه فقلت له: اين وجدته قال: هو موجود الآن بين ايدينا وعندنا وكنا في المسجد في زاوية فقلت له: اين هو فقال لي: عن يمينك فعلمت انه يريد الشيخ فقلت: ما على يمينى الا الاستاذ فقال لي: هو اصلي وباملائه كتبت كان يملي علي من حفظه فجعلت اتعجب فسمع الاستاذ حديثنا فالتفت الينا وقال: فيم انتما فاخبره ولده الخبر فلما رأى تعجبي قال: بعيداً ان تقطعوا بعجب احدكم من حفظ ديوان المتنبي والله لقد ادركت اقواماً لا يعدون من حفظ كتاب سيبويه حافظاً ولا يرونه مجتهداً

ومن نظر فيما أثر عن الاندلسيين وجدهم من هذا القبيل بكتب اوراقاً كثيرة وكنت قرأت في الاستقصا ان من جملة من غرق مع السلطان ابي الحسن لما قصد المغرب في البحر باسطوله الغريق وكان مؤلفاً من نحو ستمائة قطعة مع من غرق من الفقهاء والعلماء والكتاب والاشراف ابو عبد الله محمد بن الصباغ المكناسي الذي املى في مجلس درسه بمكناسة على حديث يا ابا عمير ما فعل النغير اربعمائة فائدة .

وقيل ان صدر الدين بن الوكيل ويعرف عند المصريين بابن المرجل من ائمة الشافعية حفظ المفصل في مائة يوم ويوم والمقامات الحريرية في خمسين يوماً وديوان المتنبي على ما قيل في جمعة واحدة

وذكر المقريزي عن حكايات اهل الاندلس في الحفظ ان الاديب الاوحد حافظ اشبيلية بل الاندلس في عصره ابا المتوكل الهيثم بن احمد بن ابي غالب كان اعجوبة دهره في الرواية للاشعار والاخبار قال ابن سعيد : اخبرني من اثق به انه حضر معه ليلة عند احد رؤساء اشبيلية فجرى ذكر حفظه وكان ذلك في اول الليل فقال لهم: ان شئتم تخبروني اجبتكم فقالوا له: بسم الله انا نريد ان نحدث عن تحقيق فقال اختاروا اي قافية شئتم لا اخرج عنها حتى تعجبوا فاختاروا القاف فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشد وزن (ارق على ارق ومثلي يأرق) وسماره قد نام بعض وضجع بعض وهو ما فارق قافية القاف

وقال ابو عمران بن سعيد: دخلت عليه يوماً بدار الاشراف باشبيلية وحوله ادباء ينظرون في كتب منها ديوان ذي الرمة فمد الهيثم يده الى الديوان المذكور فمنعه منه احد الادباء

فقال: ياابا عمران اواجب ان يمنعه مني وما يحفظ منه بيتاً وانا احفظه فاكذبته الجماعة فقال اسمعوني . وامسكوه فابتدأ من اوله حتى قارب نصفه فاقسمنا عليه ان يكف وشهدنا له بالحفظ. وكان آية في سرعة البديهة مشهوراً بذلك قال ابو الحسن ابن سعيد: عهدي به في اشبيلية يملي على احد الطلبة شعراً وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالاً .

ل ابن خلكان: كان ابو الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني يحفظ من الشعر والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث المسندة والنسب مالم ارقط من يحفظ مثله ويحفظ دون ذلك من علوم اخرمنها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والاشربة وغيرذلك . وذكر صاحب الصبح المنبي ان العلم الفرد في قوة الحافظة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما . ولقد شرط الملك المعظم عيسى لكل من يحفظ المفصل للزمخشري مائة دينار وخامة فحفظه لهذا السبب جماعة

قال ابو عمر الطلمنكي دخلت مرسية فتشبث بي اهلها يسمعون علي الغريب المصنف فقلت انظروا من يقرأ لكم وامسكت انا كتابي فأتوني برجل اعمى يعرف بابن سيده (وهوصاحب المخصص في اللغة الذي طبع مؤخراً) فقرأه علي من اوله الى آخره فعجبت من حفظه . واقدلازم ثعلب ابن الاعرابي فما رآه نظر في كتاب . واخبار الاصمعي في الحفظ والرواية اشهر من ان تذكر وكذلك خلف الاحمر والكلبي وعبيد ودعبل . وكان ابو تمام لا يلحق في محفوظاته وقيل انه كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع .

قال ابو الحسن محمد بن علي العلوي كان المتنبي يلازم الوراقين فاخبرني وزان كان يجلس اليه: قال مارأيت احفظ من هذا الفتى بن عبدان السقا (المتنبي) قلت له: كيف: قال اليوم كان عندي وقد احضر رجل كتاباً من كتب الاصمعي يكون نحواً من ثلاثين ورقة ليبيعه فاخذه فنظر فيه طويلاً فقال له الرجل اريد بيعه وقدقطعتني عن ذلك فان كنت تريد حفظه فهذا يكون ان شاء الله تعالى بعد شهر. قال فقال له ابن عبدان: فان كنت قد حفظته في هذه المدة فمالي عليك قال: اهب لك الكتاب قال: فاخذته من يده فاقبل يهذه علي الى آخره ثم استلمه فجعله في كمه وقام فتعلق به صاحبه طالبا بماله فقال ما الى ذلك سبيل وقد وهبته لي قال: فمنعناه منه وقلنا: انت شرطت على نفسك هذا للغلام فتركه عليه . والامثلة كثيرة في هذا الباب والله اعلم .

حماسة الخالديين (١)

الخالديان اخوان شقيقان من اهل القرن الثالث كتبا بعض المؤلفات ونسبت اليهما آداب وغرر ولم يكونا يفترقان في حال من الاحوال ولا نعرف في ادباء العرب شقيقين آخرين اتفقا على اخراج بنات افكارهما في مجلد واحد كما اتفقا على الخروج من بطن واحد الا اولئك الادباء الاخوة المشهورون عند الفرنسيس باسم كونكور و بول وفيكتور مارغريت وروسني (٢)

قال الثعالبي في اليتيمة : ابو بكر محمد وابوعثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان : ان هذان لساحران يغربان بما يجلبان و يبدعان فيما يصنفان وكان ما يجمعهما من اخوة الادب مثل ما ينظمهما من اخوة النسب فهما في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ويشتركان في قرض الشعر و ينفردان ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان وكانا في التساوي والتشابك والتشاكل والتشارك كما قال ابوتمام

رضيعي لبان شريكي عنان عتيقي رهان حليفي صفاء

(١) النسخة التي اعتمدنا عليها استنسخها احمد بك تيمور من دار الكتب المصرية عن نسخة كتبها الحسين بن المصطفى الحلبي في رجب ١٠٨٤ و بلغت اوراق نسخة دار الكتب ١٥١ ورقة والورقة الاولى بخط جديد وفي رأينا ان نسخة الكتاب ليست قديمة الخ. هذا الحد

(٢) لكونكور Les Goncourt اخوان اسم الاول ادمون لويز انطوان والثاني جول الفرد هوو . ولد الاول سنة ١٨٢٢ ومات سنة ١٨٩٦ وولد الثاني سنة ١٨٣٠ ومات سنة ١٨٧٠ وقد أولعا بالادب وخدماه اجلّ خدمة واشتركا في تآليف لهما كثيرة منها القصص ومنها النقد ومنها الروايات التمثيلية ومما يؤثر عنهما ان المرء لا يحسن كتابة ما لم يره . ولهما مقام سام في عالم الآداب . وكان يختلف الى ادمون في منزله الذي سماه « الانبار » في نزل اوتيل جماعة من اهل الادب امثاله وفي هذا الانبار نشأ له فكر بتأسيس مجمع علمي حر ينفق عليه من ماله و يكون مؤلفاً من عشرة اعضاء وعين ثمانية منهم وخصص لكل واحد دخلاً سنوياً قدره ستة آلاف فرنك اي ٢٤٠ جنيه في السنة . اما بول وفيكتور مارغريت Paul et Victor Marguerite فهما اخوان من معاصرينا من اهل الادب ولد الاول سنة ١٨٦٠ والثاني سنة ١٨٦٧ ولهما تآليف كثيرة في الادب و يؤازران في جرائد فرنسا المهمة و يوقعان على كتابتهما بتوقيع واحد . وروسني Rosny اسم اخوين ايضاً هما يوسف هنري اونوري وجوستين بويكس من كتاب القصص المعاصرين كذلك

بل كما قال البحتري

كالفرقدين اذا تأمل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد

بل كما قال ابواسحق الصابي فيهما

ارى الشاعرين الخالديين سيرا قصائد يفنى الدهر وهي تخلد
جواهر من ابكار لفظ وعونه يقصر عنها راجز ومقصد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا ومر جدال بينهم يتردد
فطائفة قالت سعيد مقدم وطائفة قالت لهم بل محمد
وصاروا الى حكمي فاصلحت بينهم وما قلت الا بالتي هي ارشد
هما في اجتماع الفضل زوج مؤلف ومعناهما من حيث يثبت مفرد
كذا فرقدا الظلماء لما تشاكلا علاً اشكلا هل ذاك ام ذاك امجد
فزوجهما ما مثله في اتفاقه وفردهما بين الكواكب اوحد
فقاموا على صلح وقال جميعهم رضينا وساوى فرقد الارض فرقد

وما اعدل هذه الحكومة من ابي اسحق فما منهما الا محسن ينظم في سلك الابداع مافاق وراق ويكاثر بمحاسنه وبدائعه الافراد من شعراء الشام والعراق وقد كثرت ما شجر بينهما وبين السري في شأن المصالتة والمسارقة وما اقدم عليه السري من دس احسن اشعارهما في شعر كشاجم وكان افاضل الشام والعراق اذ ذاك فرقتين احداهما وهي في شق الرجحان تتعصب عليه لهما لفضل مارزقاه من قلوب الملوك والاكابر والاخرى تتعصب له عليهما. ثم اورد صاحب اليتيمة من اشعارهما ما هو السحر الحلال وما اتفق لهما من التوارد مع السري او التسارق في زهاء عشرين صفحة. وقد ظفرنا للخالديين بكتابهما الحماسة او الاشباه والنظائر فرأيناه جمع فاوعى من شعر الجاهليين واستشهد عليه بما اخذه عنهم المولدون او زادوه عليهم من المعاني والتصورات قالا في مقدمته:

الحمد لله بلا كيفية تقع بها الاحاطة عليه والازلي بلا وقت تنسب الصفات اليه حمداً يورد من جليل نعمه وجزيل قسمه مشرباً عذباً ومسحباً رحباً وصلى الله على سيدنا محمد ما اورق شجر واينع ثمر وعلى الطاهرين من عترته وسلم تسليماً وبعد فسح الله لنا في مدتك ووفقنا لما نؤثره من خدمتك فانا رأيناك باشعار المحدثين كلفاً وعن القدماء والمخضرمين منحرفاً. وهذان الشريجان هما اللذان فتحا للمحدثين باب المعاني فدخلوه ونهجوا لهم طريق الابداع للمعاني فسلكوه اما سمعت زاد الله قدرك علواً ورفعة وسمواً قول الشاعر

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة اليها شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

ومن امثالهم السائرة ما ترك الاول للآخر شيئاً الا ان ابا تمام لم يرض بهذا المثل حتى قال يصف قصيدة له :

لا زلت من شكري في حلة لابسها ذو سلب فاخر
يقول من تقرع اسماعه كم ترك الاول للآخر

ومن المعنى الاول قول عنترة هل غادر الشعراء من متردم اي ما تركوا كلاماً لمتكلم فاذا كان عنترة وهو في الجاهلية الجهلاء ومالهم من فصاحة الفصحاء يقول مثل هذا القول فما ظنك بهذا العصر وقبله بمائتي سنة فلسنا بقولنا هذا ايدك الله نطعن على المحدثين ولا نبخسهم تجويدهم ولطف تدقيقهم وطريف معانيهم واصابة تشبيهم وصحة استعاراتهم الا انا نعلم ان الاوائل من الشعراء رسموا رسوماً تبعها من بعدهم وعول عليها من قفا اثرهم وقلّ شعر من اشعارهم يخلو من معان صحيحة والفاظ فصيحة وتشبيهات مصيبة واستعارات عجيبة ونحن اطال الله في العز بقاك وكبت بالذل اعداك نضمن رسالتنا هذه مختار ما وقع الينا من اشعار الجاهلية ومن تبعهم من المخضرمين ونجتنب اشعار المشاهير لكثرتها في ايدي الناس ولا نذكر منها الا الشيء اليسير ولا نخليها من غرر ما رويناه للمحدثين ونذكر اشياء من النظائر اذا وردت والاجازات اذا عنت ونتكلم على المعاني المخترعة ولا نجمع نظائر البيت والمتبعة في مكان واحد ولا المعنى المسروق في موضع بل نجمل ذلك في موضع ذكره وان كنا نعلم انك ادام الله تأييدك اعلم بما نحمله اليك ونعرضه منا عليك ومن اين لنا قرائح تنتج مالا تزيناه وتسألنا عنه من دقيق المعاني فطرائف السرقات ولقد اتى لك ايدك الله في بيتي ابي تمام والبحتري على غموض المعنى وبعده في النوعين من دقة النظر ولطيف الفكر ما لا يتوهم انه يعارد لسواك ولا يعن لغيرك وهو انك ايد الله عزك قلت لنا من اين اخذ البحتري قوله

ركبنا القنا من بعد ما حملا القنا في عسكر متحامل في عسكر

فلم يكن عندنا فيه شيء غير الاستحسان والتقريظ فعرفتنا ايدك الله انه مأخوذ من قول ابي تمام

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

ولا نعرف في النظر ادق من هذا ولا الطف الا انا نوفي الخدمة حقها بما نتكلفه من الاختيار والكلام على ما ذكرناه وبالله التوفيق

هذه هي المقدمة ومنها نفهم الغرض وندرك صعوبة ما سلكه المؤلفان وما يحتاج اليه

هذا البحث من بعد النظر وسعة الاطلاع ولقد نتصفح الصفحات الكثيرة من هذا الكتاب فنقرأ فيها اشعاراً لم تكن معهودة لنا لقلة ما طبع من شعر العرب العرباء قالا بعد المقدمة قال المهلهل بن ربيعة

بكره قلوبنا يا آل بكر نغاديكم بمرهفة النصال
لها لون من الهامات جون وان كانت تغادى بالصقال
ونبكي حين نذكركم عليكم ونقتلكم كأنا لا نبالي

ابيات المهلهل هذه هي الاصل في هذا المعنى ومثله قول الحصين بن الحمام المري

نفلق هاماً من رجال اعزة علينا وهم كانوا اعق واظلما

فاخذه بعضهم فقال

قومي هم قتلوا أميم اخي فاذا رميت اصابني سهمي
ولئن عفوت لاعفون جللا ولئن رميت لاوهنن عظمي

واخذه مالك بن مطفوف السعدي فقال:

قتلنا بني الاعمام يوم أوارة وعز علينا ان نكون كذلكا
هم اخرجونا يوم ذاك وجردوا علينا سيوفاً لم يكن بواتكا

واخذه حرب بن مسعر فقال

ولما دعاني لم اجبه لانني خشيت عليه وقعة من مصمم
فلما اعاد الصوت لم اك عاجزاً ولا وكلاً في كل دهياء صيلم
عطفت عليه المهر عطفة محرج صؤول ومن لا يعشم الناس يعشم
واوجرته لدن الكعوب مقوماً وخر صريعاً لليدين وللفم
وغادرته والدمع يجري لقتله واوداجه تجري على النحر بالدم

فاخذ هذا المعنى ديك الجن فقال في جارية كان يحبها فقتلها

قمر انا استخرجته من دجنة لبليتي وجلوته من خدره
فقتلته وله علي كرامة ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائم والحزن ينحر عبرتي في نحره

والى المعنى الاول نظر ابو تمام فقال

قد انثنى بالمنايا في اسنته وقد اقام حيارا كم على اللقم
جذلان من ظفر حران ان رجعت اظفاره منكم مخضوبة بدم

ومن هذا المعنى اخذ البحتري قوله

اذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

وبيت البحتري اظرف وابدع من بيت المهلهل الا انه هو الذي ارشده الى المعنى ودله عليه ومثله للقتال الكلابي

فلما رأيت انه غير منته أملت له كفي بلدن مقوَّم
فلما رأيت انني قد قتلته ندمت عليه اي ساعة مندم

ولبعضهم

اتتني آية من ام عمرو فكدت اغص بالماء القراح
فما انسى رسالتها ولكن ذليل من ينوء بلا جناح

قوله ذليل من ينوء بلا جناح من الامثال الجياد المختارة

وقال جران العود النميري ولا يعرف في نسيب الاعراب وغزلهم احسن الفاظاً من هذه القصيدة ولا املح معاني والمختار منها قوله

ذكرت الصبا فانهلت العين تذرف وراجعك الشوق الذي كنت تعرف
وكان فؤادي قد صحا ثم هاجه حمائم ورقٌ بالمدينة تهتف
فبت كأن العين افنان سدرة عليها سقيط من ندى الطل ينطف
اراقب لوحاً من سهيل كأنه اذا ما بدا من آخر الليل يطرف
فلا وجد الا مثل يوم تلاحقت بنا العيس والحادي يشل ويعطف
وفي الحي ميلاء الخمار كأنها مهاة بهجل من ظباء تعطف
تقول لنا والعيس صعر من السرى فاخفافها بالجندل الصم تقذف
حمدت لنا حتى تمناك بعضنا وقلنا اخو جدٍّ عن الهزل يصدف
وفيك اذا لاقيتنا عجرفية مراراً وما نهوى الذي يتعجرف
فموعدك الوادي الذي بين اهلنا واهلك حتى تسمع الديك يهتف
ويكفيك آثار لنا حين نلتقي ذيول نعفيها بهن ومطرف
فنصبح لم يشعر بنا غير انه على كل حال يحلفون ونحلف
فاقبلن يمشين الهوينا تهاديا قصار الخطا منهن راب ومزحف(؟)
فلما هبطن السهل واحتلن حيلة ومن حيلة الانسان ما يتخوف
حملن جران العود حتى وضعنه بعلياء في ارجائها الجن تعزف
فبتنا قعوداً والقلوب كأنها قطاً شرع الاشراك مما تخوف
علينا الندى طوراً وطوراً يرشنا رذاذ سرى من آخر الليل اوطف

ينازعنا لذًّا رخيما كأنه عوابر من قطر حداهن صيف
رفيق الحواشي لو تسمع راهب بيطنانَ قولاً مثله ظل يرجف
ولما رأين الصبح بادرن ضوءه كمشي قطا البطحاء اوهن اقطف
وما بنَّ حتى قلن بالبيت اننا تراب وان الارض بالناس تخسف
فأصبحن صرعى في الحجال كأنما سقاهن من ماء المدامة قرقف
يبلغهن الحاج كل مكاتب طويل العصا اومقعد يتزحف
رأى ورقاً بيضا فشد حزيمه لها فهو أمضى من سليل والطف
وان يستهيم الخرد البيض كالدمى هدان ولا هلباجة الليل مقرف
ولكن رفيق بالصبا متطوف خفيف لطيف سابغ الذيل اهيف
يلم كالمام القطامي بالقطا واسرع منه لمة حين يخطف
فاصبح في حيث التقينا ندبة سوار وخلخال وبرد مفوف

أما قوله

فبت كأن العين أفنان سدرة عليها سقيط من ندى الليل ينطف

فمن أحسن ما قيل في الدمع وأجوده وشبيه به قول الآخر

لعينك يوم البين أسرع واكفا من الفنن الممطور وهو مروَّح

وقيل هذا البيت قد جوّد أيضاً وزاد على من تقدمه وأتى بعده وذاك انه لم يرض ان يكون دمعه مثل الفنن وهو الغصن الذي يقطر المطر على ورقه فهو يجري حتى قال وهو مروح اراد ان الريح تحركه فهو لايهدأ من القطر وليس بعد هذا نهاية في تحاور الدمع وسرعته وقوله ·

أراقب لوحاً من سهيل كأنه اذا ما بدا من آخر الليل يطرف

مليح التشبيه صحيح لان من تأمله رآه كأنه عين تطرف وقوله يصف قولها له

وفيك اذا لاقيتنا عجرفية مرارًا وما نهوي الذي يتعجرف

يقال ان النساء يملن الى من كان فيه دعابة ولهو ولا يملن الى غير ذلك فذكر جران العود عنهن انهن قلن له انت على ماوصف لنا لان فيك عجرفية وقد وصفت لنا بغيرها حتى تمنيناك وما نحب الذي يتعجرف ويذكر ان كثيرا أنشد بعض نساء الاشراف قوله

وكنت اذا ماجئت اجللن مجلسي وأعرضن عنه هيبة لاتجهما
يحاذرن مني نبوة قد عرفنها قديما فما يضحكن الا تبسما

فقالت له ياابن أبي جمعة أبهذا القول تدعي الغزل والله لانال وصلنا وحظي بودنا الا

من يجري معنا كما نريد ويجمل الغي اذا أردناه رشدا قم لعنك الله فقام منقطعاً والى قولها نظر البحتري فقال :

ولا يؤدي الى الملاح هوى   من لا يري ان غيه رشد

وقوله

ويكفيك آثار لنا حين نلتقي   ذيول نعفيها بهن ومطرف

معنى مليح وقد اشترك فيه جماعة من الشعراء فأول ذلك امرؤ القيس في قوله

فقمت بها امشي تجر وراءنا   على أثرنا أذيال مرط مرجل

وقال ابن المعتز

فقمت افرش خدي في الطريق له   ذلا وأسحب اكمامي على الأثر

ولابن المعتز في هذا المعنى زيادة حسنة على من تقدمه وقوله

فنصبح لم يشعر بنا غير انه   على كل حال يحلفون ونحلف

كلام ظريف ومعنى مليح لانه قال لابد من تهمة تلحقنا فنحلف انا لم نفعل ويحلفون انا قد فعلنا وقوله

فاقبلن يمشين الهوينا تهاديا   قصار الخطا منهن راب ومرجف

من احسن ما يكون في صفة المشي وقد أكثرت الشعراء في هذا الباب فمن مليحه قول بعضهم

يمشين مشي قطا البطاح تأودا   قب البطون رواجح الاكفال

وانما شبهوا مشي المرأة بمشية القطاة لان فيها سرعة وتأيدا قال المنخل :

ودفعتها   وتدافعت   مشي القطاة الى الغدير

وللاعشى في المشي شيء حسن واشياء يفرط فيها فمن الجيد قوله

غراء فرعاء مصقول عوارضها   تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجل

كأن مشيتها من بيت جارتها   مر السحابة لاريث ولا عجل

وقد شبه بشار بن برد خفقان القلب بالكرة في تدورها وهو قوله

كأن فؤاده كرة تنزى   حذار البين ان نفع الحذار

وهذا لعمري تشبيه جيد ومعنى صحيح وقال آخر وهو غير هذا المعنى نجود

كأن فؤادى في مخاليب طائر   اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

هذا ذكر ان فؤاده اذا ذكرت عشيقته قبض عليه ولم يذكر انه شديد الخفقان وهو يدخل في هذا المعنى او يقارب به نجود واحسن وزاد واورد معنى ثانياً وهو قوله

كأن قلبي وشاحاها اذا خطرت وقلبها قلبها في الصمت والخرس

هذا ذكر ان قلبه مثل وشاحي صاحبته قلقاً وتحركاً ثم اتى بزاد في المعنى بقوله اذا خطرت ليكون اشد للحركة ثم اتى بمعنى وهو قوله وقلبها قلبها في الصمت والخرس . وقد ذكر ان قلبها غير خافق ولا قلق والقلب السوار وهم يصفون المرأة بضيق السوار والخلخال وقلة حركتهما فهذا الشاعر ذكر قلبه بالقلق وقلب من يحبها بالسكون فزاد وجوّد واماقوله في ذكر الحديث وحسنه

يتنازعننا لذّا رخيا كأنه عوابر من قطر حداهن صيف

رفيق الحواشي لو تسمع راهب يبطنان قولاً مثله ظل يرجف

فهو حسن نادر الا ان الشعر في الحديث كثير وجيده وحسنه قول القطامي

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

يقتلننا بحديث ليس يفهمه من يتقين ولا مكنونه باد

ومن مليح هذا المعنى قول بشار

وحديث كأنه قطع الرو ض زهته الصفراء والحمراء

ذكر ان حديثها مثل الرياض في ملاحتها وانه يجمع جدا وهزلاً وقال بشار ايضاً

ولها مضحك كنور الاقاحي وحديث الوشي وشي البرود

وله ايضاً

دعتني حين شبت الى المعاصي محاسن زائركالريم غض

كأن كلامه يوم التقينا نأحذن (؟) في طولي وعرضي

وله ايضاً

حوراء ان نظرت اليـ ـك سقتك بالعينين خمرا

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

وقال بعض ولد اسماء بن خارجة الفزاري

وحديث الذه هو مما يونق السامعين يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن احيا نا واحلى الحديث ما كان لحنا

ذكر انها تحدث بحديث يفهم ثم تخشى فتحصر من الوشاة فتلحن لهم بمعنى يعرفه واشارة يقف عليها لا يعرفها غيرها وغيره قال الله تعالى: ولتعرفنهم في لحن القول اي في معنى القول ويقال هذا لحن بني فلان اي لغة بني فلان ومن اجود ما قيل في هذا الحديث قديماً وحديثاً قول ابن الرومي

وحديثها السحر الحلال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي اوجزت ودّ المحدث انها لم توجز
شَرَكُ القلوب ونزهة ما مثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

هذا نهاية ما قيل في هذا الباب وقد تناول ابن الرومي قوله ود المحدث انها لم توجز من بعض المتقدمين وهو قوله

من الخفرات البيض ود جليسها اذا ما قضت أحدوثة لو تعيدها

ومن مليح ما قيل في الحديث ايضاً قول بعض الاعراب:

وحديثها كالقطر يسمعه راعي سنين تواصلت جدبا
فاصاخ يرجو ان يكون حيا ويقول من فرح هيا ربا

وقال آخر:

وانا ليجرى بيننا حين نلتقي حديث كسيح المريضين (؟) مزعج
حديث لو ان اللحم يولا ببعضه غريضاً اتى اصحابه وهو منضج

ومثله قول الراجز:

تقول لي وهي تخف الهودجا قولا جميلا حسناً شملجا
لو طبخ اللحم به لانضجا

والقول في الحديث كثير ولو استقصينا جميع ما فيه لخرج كتابنا عن الغرض الذي قصدناله وقوله :

ولما رأيت الصبح بادر ضوءه كمشي قطا البطحاء او هن اقطف
وما بن حتى قلت ياليت اننا تراب وان الارض بالناس تخسف

هذا القول شبيه بقول بشار :

حتى اذا بعث الصباح فراقنا ورأين من وجه الظلام صدودا
جرت الدموع وقلن فيه جلادة عنا ونكره ان تكون جليدا

ومثله قول عبد الصمد بن المعذل :

فضحكن في وجه الدجى وبكين في وجه الصباح

يريد انهن اشتهين طول الليل ليتمتعن بالحديث وبيت عبد الصمد احسن مما تقدمه واغرب الفاظا وقوله

فأصبحن صرعى في الحجال وبيننا رماح "مدى بالجانب المتخوف

مأخوذ من قول امرىء القيس

فاصبحت معشوقا واصبح بعلها عليه القتام كاسف الظن والبال
وقد يبلغن الحاجَ كلُّ مكاتَب طويلِ العصا او مقعد يتزحف
رأى ورقا بيضا فشد حزيمه لها فهو أمضى من سليل والطف

يذكر انه يرسل الى من يهوى بمن لا يؤبه له وقوله مكاتب ابن ضعيف ويجوز ان يكون قد كاتب هذا الرسول عن نفسه فهو يسأل الناس في مكاتبته فليس ينكر دخول البيوت وكلامه النساء او مقعد يتزحف اراد ايضاً ضعيفاً وهذا مثل قول الفرزدق

فابلغهن وحي القول عني وادخل رأسه تحت القرام
ضعيف ذو خريطة مبين من المتلقطي قرد القمام

وصفه ايضاً بالضعف والمسكنة وانه يلقط القرد وهو ما يقع من الصوف في خريطة معه وقوله:

فاصبح في حيث التقينا غدية سوار وخلخال وبرد مفوف

اراد انا تجاذبنا وتعاركنا فتكسرت الاسورة والخلاخيل وتخرقت الثياب فمن أتى موضع التقائنا وجد فيه ماقلنا وهذا مثل قول عبد بني الحسحاس

فكم قد شققنا من رداء مطرف ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع دواليك حتى كلنا غير لابس

وقال الخالديان في مكان آخر: ومن اجود اشعار اهل الجاهلية بل هي مقدمة في قصائدهم قصيدة سويد بن أبي كاهل واولها

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع
حرة تجلو شتيتاً واضحاً كشعاع البرق في الغيم سطع
صقلته بقضيب ناعم من أراك طيب حتى نصع
تمنح المرآة وجهاً واضحاً مثل قرن الشمس في الصحرا ارتفع
وأبيت الليل ما أرقده وبعينيَّ اذا نجم طلع
فاذا ما قلت ليل قد مضى عطف الاول منه فرجع
رب من انضجت غيظا قلبه قد تمنى لي موتاً لم يطع
ويراني كالشجا في حلقه عسراً مخرجه ما ينتزع
مزبد يخطر ما لم يرني فاذا أسمعته صوتي انقمع
قد كفاني الله ما في نفسه ومتى ما يكف شيئاً لم يضع

لم يضرني غير ان يحسدني فهو يرنو مثلما يرنو الدرع
ويحييني اذا لاقيته واذا يخلو له لحمي رتع
ساء ما ظنوا وقد أبليتهم عند غايات المدى كيف أقع
كيف يرجون سقاطي بعد ما جلل الرأسُ بشيب وصلع
أنفض الغيب برجم صائب ليس بالطيش ولا بالمرتجع
فارغ الصوت فما يجهدني قلب عود لا ولا شخت ضرع
هل سويد غير ليث خادر اجدبت أرض عليه فانتجع
كم مسر لي حقداً قلبه فاذا قابله شخصي دلع
ورث البغضة عن آبائه حافظ العقل لما كان سمع
فسعى مسعاتهم في قومهم ثم لم يظفر ولا عجزاً ودع
زرع الداء ولم يدرك به ترةً فاتت ولا وهياً رقع
مقعياً يرمي صفاة لم ترم في ذرى غيطاء ليست تطلع
لبث عاداً وأردت حميراً وأبت هضبتها ان تقتلع
لا يراها الناس الا فوقهم فهي تأتي كيف شاءت وتدع
فهو يرميها ولا يبلغها وكذا الاحمق يرضى ما صنع
كمهتْ عيناه حتى انفضتا فهو يلحي نفسه لما ندع
اذ رأى ان لم يضرها جهده ورأى خلقاء ما فيها طمع
وعدو جاهد ناضلته في تراخي الدار عنكم والجمع
فتساقينا بمر مقر في مقام ليس يثنيه الفزع
وارتمينا والأعادي حضر بنبال ذات سم قد نقع
بنبال كلها مذروبة لم يطق صنعتها الا صنع
خرجت عن بغضه بينة في ثياب الدهر والدهر خدع
فتخارصنا وقالوا انما ينصر الألسن من كان خرع
ثم ولى وهو لايحمي استه طائر الاتراف (؟) عنه قد وقع
ساجد المنخر لا يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع
فر مني هارباً شيطانه حين لايعطي ولا شيئاً منع
ورأى مني مقاماً ثابتاً صادق الحملة كتام الجزع
ولساناً صيرفياً صارماً كالحسام العضب ما مس قطع

فكفاني الله ما في نفسه ومتى ما يكف شيئًا لم يضع

وقع الاختيار من هذه القصيدة على ما أثبتناه وتركنا منها ما لو أتينا به كان مختارا فاما قوله

مقعيا يرمي صفاة لم ترم في ذرى غيطاء ليست تطلع
غلبت عادًا وأردت حميرًا وأبت هضبتها ان تقتلع
لا يراها الناس الا فوقهم فهي تأتي كيف شاءت وتدع

وما بعد هذه الابيات من هذا المعنى فهو يشبه قول زيد بن احمد البردعي يمدح يوسف ابن أبي الساج ويصف قلعة

وكأنما تلك الشوا مخ حول قلعتها عشائر
وكأنها حسانة غيداء أو في غيد غرائر
شمطاء عن دار توا رثها الاكابر والاكابر
لا الروم رامتها ولا قصرت تطاولها القياصر
وتأبهت عن ذي رعيـ ـن وذي نواس وذي شناتر
عذراء لما تفترع سبلا ولا شعرت لماهر
معقومة ما امفلت لكنها أم الحآكر
بكر قوابلها العوا مل والمذلقة البواتر
في فرع سامقة على خلقاء باسقة العراعر
عنقاء عازبة المسا لك والموارد والمصادر
زعراء حصاء القريـ جرداء زلاء المآخر
صماء ملساء الهوا دي والحناجر والكراكر
روقاء لم تكسر وكم شربت نواجزها الاواشر
مثل الربابة في السماء خلاء انجمها الزواهر
يرتد عن شرفاتها نقد النواظر وهو سادر
منظومة ابراجها مطوية طي القناطر
مثل الهوادج والقوا لج تحتها الهذل المشافر
محجوبة حجابها ما بين مأمور وآمر

هذا الشعر من اجود ماوصفت به قلعة وهو اكثر من هذا الا انا اختصرناه وللشعراء في ذكر القلاع وصفاتها اشعار تكثر وتتسع ونحن نذكر منها ههنا شيئًا مما نختاره فمن جيد ذلك

قول كعب الاشقري او غيره من شعراء خراسان في ايام الفتوح يقول في قلعة افتتحها المسلمون

محلقة دون السماء كأنها   غمامة صيف زال عنها سحابها
فما يلحق الاروى شمار بجها الدنى   ولا الطير الا نسرها وعقابها
وما روعت بالذئب ولدان اهلها   ولا نبحت الا النجوم كلابها

ولنا في صفة القلعة أيضاً قصيدة انفذناها الى الامير سيف الدولة الى الشام

وخرقاء قد تاهت على من يرومها   بمرقبها العالي وجانبها الصعب
يزر عليها الجو جيب غمامة   ويلبسها عقداً بانجمه الشهب
اذا ما سرى برق بدت من خلاله   كما لاحت العذراء من حلل الحجب
فكم ذي جنود قد امانت بغصة   وذي سطوات قد ابانت على عتب
سموت لها بالرأي يشرق في الدجى   ويقطع في الجلى ويفرع في الهضب
فابرزتها مهتوكة الجيب بالقنا   وغادرتها ملصوقة الخد بالترب

ولنا اليه من قصيدة اخرى في هذا المعنى انفذناها اليه الى الشام

وقلعة عانق العيوق سافلها   وجاز منطقة الجوزاء عاليها
لا تعرف القطر اذ كان الغمام لها   ارضاً توطأ قطريه مواشيها
اذا الغمامة راحت خاض ساكبها   حياضها قبل ان تهمي عواليها
يعد من انجم الافلاك مرقبها   لو انه كان يجري في مجاريها
على ذرى شامخ وعر قد امتلأت   كبراً به وهي تملو بها تيها
له عقاب عقاب الجو حائمة   من دونها فهي تخفى في خوافيها
ردت مكائد املاك مكائدها   وقصرت بدواهيهم دواهيها
اوطأت همتك العلياء هامتها   لما جعلت العوالي من مراقيها
ولم يقس بك خلقاً في البرية اذ   رأت قسي الردى في كف باريها

وقال مسكين الدارمي

ونار دعوت المعتفين بضوئها   فباتوا عليها اهديت بهم سفرا
تضرم في ليل التمام وقد بدت   هوادي نجوم الليل تحد بها جمرا
وضيف يخوض الليل خوضاً كأنما   يخوض به حتى تأوبني بحرا
وكم من كريم بوأته رماحنا   فتاة أناس لا يسوق لها مهرا
وما انكحونا طائعين بناتهم   ولكن نكحناها بارماحنا قسرا
وكائن ترى فينا من ابن سبية   اذا لقي الابطال يطعنهم شزرا

فما ردها فينا الدباء وضيعة ... ولا عيرت فينا ولا طبخت قدرا
ولكن جعلناها لخير نسائنا ... فجادت بهم بيضاً غضارفة زهرا
اذا لم تجد بدّاً من الامر فانه ... رحيب الذراع لاتضيق به صدرا
ولا تأمن الخلان الا اقلهم ... عليك اذا كانت صداقتهم مكرا
وفي امرو لا آلف البيت قاعداً ... الى جنب عرسي لاافارقها شبرا
ولا مقسم لاتبرح الدهر بيتها ... لاجعله قبل الممات لها قبرا
اذا هي لم تحصن امام فنائها ... فليس ينجيها بنائي لها قصرا
ولا حامل ظني ولا قيل قائل ... على غيره حتى احيط به خبرا
وهبني امرأ راعيت مادمت شاهدا ... فكيف اذا ماغبت من بيتها شهرا

اماقوله :

وكم من كريم بوأته رماحنا ... فتاة اناس لايسوق لها مهرا

فاليه نظر ابو تمام في قوله:

لم تطلع الشمس منهم يوم ذاك على ... بان باهل ولم تغرب على عزب

الا ان بيت ابي تمام اجود بناء ووصفاً واما ذكره الفتاة بما ذكر فلا نعلم ان احداً ذكرهن بأحسن من ذلك ولا اجود ويقال ان عبد الملك بن مروان سابق بين ابنيه مسلمة والوليد وكانت ام مسلمة ام ولد وام الوليد عبسية فسبق الوليد مسلمة فقال رجل من اخوال الوليد من بني عبس احسن والله امير المؤمنين الذي يقول:

نهيتكم ان تحملوا هجناءكم ... على خيلكم يوم الرهان فيدركوا
وما يستوي المرآن هذا ابن حرة ... وهذا ابن اخرى ظهرها متشرك
فتصعك نخذاه ويرعش كفه ... ويلق على الاعواد لايتحرك
وادركنه جداته نخالجته ... الا ان عرق السوء لا بد مدرك

فاعجب عبد الملك هذا القول لميله الى الوليد فقال مسلمة وسمع الكلام : كذب ياامير المؤمنين بل احسن من هذا واصوب قول مسكين الدارمي وذكر الابيات التي قدمناذكرها قبل هذا فتعجب الناس من ذكاء مسلمة في ذلك الوقت وقلة دهشه واما اباته في ذكر قلة الغيرةفقد ورد مثلها في موضع آخر من شعره

الا أيها الغائر المشتط ... علام تغار اذا لم تغر
فما خير عرس اذا خفتها ... وماخير بيت اذا لم يزر
يغار على الناس ان ينظروا ... وهل يفتن الصالحات النظر

واني ساُخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها او تذر

وما نعلم ان احدًا من الشعراء سهل ترك الغيرة غير هذا وظنه كان يقول بالاباحة والا فأي شيءٍ دعاه الى هذا القول الذي يأنف منه الاحرار · ولقد روي ان بعض العلوية قال في هوى له

ولما بدا لي انها لا تحبني وليس هواها عن فؤادي بمنجلي
تمنيت ان تهوى سواي لعلها اذا عرفت طعم الهوى ان تجود لي

فجاء رجل يسأل عنه فقال ما فعل المتديث في شعره فهذا عيب عليه ما قال في غير زوجته ونسب الى التديث بما قال ولقد عيب على القائل

اهيم بدعد ماحييت فان امت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

فقال له بعض من سمع هذا البيت وما همك بمن ·· بعدك وشتان بين مسكين الدارمي في اغفاله امرأته وتركه الغيرة عليها وبين الذي يقول

اذا كنت ذا عرس تضن بوصلها فلا تخرجنها تبتغي ليلة القدر
فلا تدخل الحمام عرسك انني أخاف من الحمام قاصمة الظهر

والى هذا اشار ابو علي البصير في قوله

دهتك بعلة الحمام خشف ومال بها الطريق الى سعيد
ارى اخبار بيتك عنك تخفى فكيف وليت اعمال البريد

والى هذا نظر عثمان بن سعدان بقوله

سألت زوجها الخروج عن الحـ ـق ويارب باطل في الحقوق
واستقامت على الطريق اليه ساعة ثم عرجت في الطريق
لم تخف فتنة الفتون لما في قلبها من تلهب وحريق
واقامت بمأتم اللهو لأْما ثم شق الجيوب والتخريق

ويروى ان جميل بن معمر كان يقول ما رأيت مصعب بن الزبير يمشي بالبلاط لحقتني الغيرة على بثينة وهي بالجناب وبينهما مسيرة عشر ليال للراكب المجد المسرع ويقال انه لم ير في الدنيا رجل كان اغير من مالك بن طوق تزوج امرأة من بني ثعلب فجاء اخوها يزورها فأقام سنة حتى وصل الى من أدى رسالته اليها

هذه نموذجات من حماسة الخالديين بها تعرف ما هو فضل صاحبيه وما فائدة هذا الكتاب في فن الادب فان بيان كل شعر ونسبته لقائله الاول ومن حذا على منواله ومن كان المنتحل او السارق له مع شرح محال الغموض والدلالة على الرائق من القول كل هذا مما يقنع

الذهن ويمين الكاتب والشاعر وقد اخبرنا احد كبار اهل العلم انه لم يطبع كتاب في جودة هذا الكتاب حتى الآن في علم الادب فحبذا لو تصدى احد ارباب المطابع لطبعه . وقد كنا نود ان نفيض في الاقتباس منه اكثر ولكن خفنا ان نضيق صفحات المقتبس لان كل ما نقله المؤلفان حريٌّ بان ينقل ويؤثر وقد ختما كتابهما وهو في ٢٢٣ ورقة من قطع النصف بهذه الاسطر : قد اخترنا في هذا الكتاب من اشعار العرب وبديع معانيهم وظريف استعاراتهم وتشبيهاتهم ما وقع في جملة من الورق كثيرة وضمنه عدة اجزاء ولو اردنا اضعاف ذلك لما تعذر علينا ولكنا نقوم به الا انا ملنا الى الاختصار وتجنبنا الاكثار وفيما ذكرنا من ذلك مقنع وبلاغ ودلالة على فضل المتقدمين وجميع ما اثبتناه فاختيار من اشعارهم المشهورة والمجهولة وما لنا الا الجمع والتأليف ولعل غيرنا ممن يقرأ هذا الكتاب يرذل شيئاً مما اخترناه ويهجن شعراً نقلناه وهذا غير مشربنا ولا ناقص لنا لان لكل انسان اختياراً ولعل آخر ممن يتصفحه يعرف النظير لشيء مما ذكرناه وهو لا يعرف غيره فيشنع علينا ويقول تركوا نظائر ولم نشرط انا نأتي بجميع النظائر ولعلنا اعرف بما خرجه الزاري علينا منه الا انا تركناه لمعنى ويجوز الا نعرفه لانا لم نحط بجميع العلم . والشعر اكثر مما يحصى . والغرض الذي ذكرناه واردناه من البينة على محاسنهم فقد بلغناه والآن نبدأ بعون الله وحسن توفيقه في اختيار اشعار المحدثين وغريب معانيهم وحسن استعاراتهم بعد هذا الكتاب ليشتمل الكتابان على الفنين من الشعر القديم والمحدث ونرجو ان يقع هذا الكتاب الآخر موقع الكتاب الاول من قلب من صنفناه من اجله ابده الله ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

ابو دلامة والمستقبل (١)

فضت المطامع ان نطيل جدالا ... وابين الا باطلا ومحالا
في كل يوم للمطامع ثورة ... باسم السياسة تستجيش قتالا
ما ضرّ من ساسوا البلاد لو انهم ... كانوا على طلب الوفاق عيالا
امن السياسة ان يقتل بعضنا ... بعضاً ليدرك غيرنا الآمالا
لا درّ درُّ اولي السياسة انهم ... قتلوا الرجال ويتموا الاطفالا

(١) المقتبس — نظم الناظم العالم صاحب هذه القصيدة قبل اعلان الدستور العثماني او اطلاق الحرية بثلاثة اشهر فكأنه ادرك بسمو فكره ما سيكون .

غرسوا المطامع واغتدوا يسقونها   بدم مُهريق على الثرى سيالا
نثروا الدماء على البطاح شقائقاً   وتوهموها الروضة المحلالا
نفنى الجيوش ولا ضغائن بينها   سبقت ولا ترةً ولا اذحالا
قالوا كرهت الحرب قلت لانها   دارت لتغتصب الحقوق الا لا
واجلت فكري في الحروب فلم اجد   ابداً لهن سوى الخمور مثالا
طاشت منافعها الصغار عن الورى   ورست مآثمها الكبار جبالا
ما اجشع الحرب الضروس فانها   تحسو النفوس وتأكل الاموالا
كم سح من رهج الحروب على الربى   وَبلُ الدماء فزادها امحالا
لولا الحروب ومحرقات صواعق   منها لا بقلت الربى ابقالا
فبحت بنا الارض الفضاء وماحوت   في غير ما زمن القحط جمالا

***

ابني السياسة ان سلكتم بالورى   طرق الرشاد فعلموا الجهالا
ان جرت الحرب الكمال لامة   فالعلم احرى ان يجر كمالا
ان الحياة كثيرة اعمالها   فدعوا الانام وحاربوا الاعمالا
وتقحموا حرب الحياة فانها   للحر اضيق مأزقاً ومجالا
واستلئموا زرد الوفاق واشرعوا   فيها تعاونكم قناً ونصالا
واقنوا لكم بيض المساعي شزباً   تجري رِعالاً للمنى فرِعالا
واعلوا على صهواتهن رواكضاً   للمكرمات تسابق الآجالا
ودعوا صيالاً في الملاحم ان في   هذي الحياة ملاحماً وصيالا
اوكلما طمع القوي شراهة   اكل الضعيف تحيفاً واغتالا
لاغرو ان يلد الزمان ببره   كأبي دلامة من بنيه رجالا
اذ راح يقتل بالعواطف قرنه   قتلا ادام حياته واطالا

***

اذ جهز «المنصور» جيشاً قاده   «روح» يريد مع «الشراة» قتالا
فمضى وفيه ابو دلامة مكرهاً   للحرب اخرج كي يصب نكالا
حتى اذا التقت الجيوش وعبئت   صفاً فصفاً يمنة وشمالا
برز الكمي من الشراة مجرداً   للسيف يطلب من يطيق نزالا
فاجال روح في الجنود لحاظه   والقوم ينتظرون منه مقالا

فدعا اليـه ابا دلامة قائلاً | ياليت دونك ذلك الرئبالا
فجرى اليـه ابو دلامـة هازلاً | ثم استقال فلم يكن ليقالا
فشكى لروح جوعه فازاده | بدجاجتين وحثه استعجالا
فانصاع من عجل وسمط زاده | ومضى يخب لقرنه مختالا

***

فاتى وقد شهر الكمي بوجهـه | سيفاً يروع غراره الاغوالا
فدنا اليـه ابو دلامـة قائلاً | مهلاً فاغمـد سيفك القصالا
اني اتيت وما اتيت مقاتلاً | من لست اطلب عنده اذحالا
فاسمع مقـالة من اتاك ولم يكن | فيما يكون مخادعاً محتالا
واعلم بأني لا اخاف منيتي | جبناً ولا اتهيب الابطالا
لكن ارى سفك الدماء محرماً | واعيذ رأيك ان تراه حلالا
امن المروءة ان نريق دماءنا | سفهاً لمطمع طامع وضلالا
هل كنت من قبل اللقاء رأيتني | يوماً وهل مني لقيت نكالا
او هل طرقت خيام قومك جانياً | او هل خربت بجيهم آبالا
ما ذا جرى بيني وبينك قبل ذا | مما يجر خصومة وجدالا
حتى شهرت عليّ سيفك تبتغي | ضرباً يقطع مني الاوصالا
فاربأ بنفسك ان تكون من الاولى | زحفوا جنوناً للوغى وخبالا

***

فرأى الكمي مقاله متعالياً | حقاً وكل حقيقة تتعالى
فعنا واذعن للحقيقة مغمداً | سيفاً اجادته القيون صقالا
ولوى العنان من المطهم قائلاً | رُح بالامان فلا لقيت وبالا
فمشى اليـه ابودلامـة مخرجاً | زاداً تعلق بالسموط مثالا
ودعاه ياابن اولي المكارم راشدا | اكرم اخاك بوقفة اجلالا
اني لارجو ان تكون مواكلي | في ذا الشواء الا تحب اكالا
فتدانيا متخالفين واقبلا | وهما على فرسيهما اقبالا
حتى اذا اكلا شواءً اديرا | بعد الوداع ووليا الا كفالا

***

رجعا فسار ابو دلامة ظافرًا والمهر يجفل تحته اجفالا
حتى اذا وافى الامير وقام عن كثب ترجل دونه اجلالا
وغدا يقول وكان روح ضاحكاً اني كفيتك قرني الرئبالا
وقتلته بالقول لا بمهند والحرب احرى ان تكون مقالا
واخذت في الهيجا عليه مواثقاً ان لا يعود ينازل الابطالا

***

ان الهواتف لا تزال بمسمع مني تقول اذا شكوت الحالا
لا تيئسن فللزمان تنفس فارقبه ان يتبدل الابدالا
والدهر طاه سوف ينضج اهله بالحادثات يزيدها اشعالا
ان الدهور وهن امهر سابك ستَرد اضداد الورى اشكالا
حتى كأني بالطباع تبدلت غير الطباع وزلزلت زلزالا
وكأنني بني الملاحم اصبحوا لابي دلامة كلهم امثالا

بغداد معروف الرصافي

حكومة الشورى في المملكة العثمانية

من أدق المسائل واعضلها مسألة تولية الملك واختيار الاصلح لحكم الناس بالعدل والعقل. مسألة شغل بها البشر في كل دور من ادوارهم فقضت ولا تزال تقضي في تأبيد سلطة الملوك ملايين من الناس . على هذا كان الحال في حكومات الفرس والرومان واليونان وهي ارقى الامم القديمة وعلى هذا صار أمر حكومات العرب بعد الاسلام في القرون الوسطى والحكومات الافرنجية في القرون الحديثة

الناس بخير ما حافظ ملوكهم على النظام في الجملة فاذا استرسلوا في شهواتهم واهوائهم واستهانوا بمن تولوا رقابهم فعاملوهم معاملة الانعام التي يرثها الابن عن ابيه ويتصرف فيها بما يشاء يفسد الامر وتنتشر الفوضى و يتراجع العمران ويذعر السكان . سنة من سنن هذا الكون منذ قامت المجتمعات الاولى وما من شيء يدل الآن على زوالها من العالم كل الزوال .

لا بد للناس من طاعة زعيم يرجعون اليه ببعض أمور دنياهم ولو صورة فاذا استقام

هذا الزعيم وسار بشورة اهل الرأي من قومه استقامت شؤونهم وتسددت مراميهم . وقد كان من الخلافة الاسلامية وهي تجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية اثر عظيم من الجري على هذه الطريقة باشراك الخليفة اصحابه وسروات بلاده في حربه وسلمه وغنمه وغرمه الا ان هذه الصورة من الحكم لم يطل عهدها كثيراً فانقلبت بعد زمن قليل الى ملك عضوض بسعي معاوية بن ابي سفيان وغدا يتقلدها صاحب القوة بل كل ابن يوصي له بها ابوه مهما كانت اخلاقه وكفاءته وسنه

قال ابراهيم الانصاري وهو ابراهيم بن محمد المفلوج من ولد ابي زيد القاري : الخلفاء والائمة وامراء المؤمنين ملوك وليس كل ملك يكون خليفة واماماً قال : ولذلك فصل بينهم ابو بكر رضي الله تعالى عنه في خطبته فانه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : ان اشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك فرفع الناس رؤوسهم فقال : ما لكم ايها الناس انكم لطعانون عجلون ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما عنده ورغبه فيما في يدي غيره وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة الباه لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسي (الرديء) والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحي ظله حاسبه الله فأشد حسابه واقل عفوه الا ان الفقراء هم المرحومون وخير الملوك من آمن بالله وحاكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وانكم اليوم على خلافة النبوة ومفرق المحجة وسترون بعدي ملكا عضوضاً وملكا عنودا وأمة شعاعاً ودما مفاحا فان كانت للباطل نزوة ولاهل الحق جولة يعفو بها الاثر ويموت لها البشر فالزموا المساجد واستشيروا القرآن والزموا الطاعة ولا تفارقوا الجماعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر اي بلاد كم خرسه (؟) ان الله سيفتح عليكم اقصاها كما فتح عليكم ادناها .

وبعد فان معاوية مبدأ شقاء هذه الامة بملوكها افسد امورها كما قال الحسن البصري ليحقق اطماع نفسه ولم يكفه سفك دماء المسلمين في وقعة صفين حتى قام يعهد بالخلافة لابنه يزيد من بعده وفي العرب وقتئذ من رجالات قريش والصحابة بقية صالحة اضطرهم الى مبايعة يزيد والسيوف مصلتة على رقابهم في مسجد المدينة واحتال لذلك بكل حيلة تأبى النفس الشريفة ان تأتيها . فأصبح خلفاء الاسلام بعد ان كانوا مساوين للرعية أرباباً يتحكمون بالاموال والدماء والاعراض تحكم الحر المطلق الذي لا يسأل عما يفعل يقوون بضعف الناس ويغتنون بإفقارهم ويعتزون باذلالهم

جاء خلفاء من بني أمية وبني العباس عقلوا معنى الخلافة وادركوا حقوق الرعية وعرفوا ان الشورى لا تستقر الا اذا كان الخليفة كاملا في ذاته وصفاته فأحبوا ان يجعلوا الملك بانتخاب الاصلح بعدهم كعمر بن عبد العزيز الذي مثل الخلافة الاسلامية على قاعدة الشورى احسن تمثيل ولطالما قال وقد رأى محمد بن ابي بكر: لو كان لي من الامر شيء لقلدته الخلافة بعدي . ولكن بني مروان يشق عليهم ان تخرج الخلافة عن رسمها القيصري الذي رسمه كبيرهم لتكون كالبقرة الحلوب ينتفع بها الاقرب فالاقرب من الخليفة. وكذلك فعل المأمون وقد رأى علي بن موسى الرضا اعقل اهل زمانه واشرفهم فعهد اليه بالامر من بعده فلم يرض عن صنيعه آل بيته ولا الطالبيون ورماه اهل السنة بالتشيع والشيعة بالاعتزال وهو المفرد العلم في عدله وسيرته وايثار مصلحة الامة على مصلحة نفسه وآله .

ومنذ ضعف امر بني العباس واستولى ملوك الطوائف ضعف امر الخلافة بل ذهب رسمها جملة واصبح الملوك بحسب الاتفاق ان صلح واحد من مئة يجيء اخلافه يفسدون ماوضعه . ساعد على ذلك في الاكثر ضعف الآداب والاخلاق وزهد المتأخرين بعلوم الدنيا والدين فصح فينا قول ذي عمرو من امراء اليمن لجرير بن عبدالله (١): «انكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم اذا هلك امير تأمرتم في آخر فاذا كانت بالسيف كانوا ملوكاً يغضبون غضب الملوك ويرضون رضا الملوك» بل صدق علينا ما رواه الحسن البصري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال لا تزال هذه الامة تحت يد الله ما لم يمارِ قراؤها امراءها ولم يزك صلحاؤها فجارها ولم يمار اخيارها اشرارها فاذا فعلوا ذلك رفع عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفاقة وملأ قلوبهم رعباً .

ولقد كتب لبني عثمان ان يتغلبوا على معظم بلاد الاسلام ويبنوا دولتهم على انقاض حكومات كثيرة فدان لهم المغرب الاوسط والمغرب الادنى وبرقة ومصر والشام واليمن والحجاز والعراق والجزيرة وآسيا الصغرى وجزر البحر الرومي ومكدونية وغيرها من بلاد البلقان وكانت كلها تئن من وطأة الحكم المطلق في كل عصر من اعصارها وتحفز لشق عصا الطاعة اذا امكنتها الحال على نحو ما وقع للمغربين ومصر وبلاد اليونان والبلغار ورومانيا والصرب والبوسنة والهرسك والجبل الاسود وكريت وقبرص فانسلخت عن جسم الدولة بمساعدة أوربا لها من الخارج ومساعي سكانها من الداخل

والسبب الاعظم في ذهاب القاصية من بلاد الدولة كونها مابرحت متداول تأسيسها دولة سيف وسنان لا دولة علم وعرفان . وفخامة الملك لا تجدي اذا لم تنتظم شؤونه بنظام الاجتماع

---

(١) صحيح البخاري باب ذهاب جرير الى اليمن ص ١٦٦ ج ٥

والعلم الصحيح . تخربت البلاد بسياسة التفريق بين العناصر والاجناس بيد ان دوام الحال على ذلك محال مادامت أوربا شاخصة ابصارها نحو الشرق تحفز كل ساعة لا كتساحه منذ زهاء مئة سنة وتتطاول الى استعماره القطعة بعد القطعة .

عرف وجاهة العاقبة اهل الرأي في الامة العثمانية فقاموا منذ نحو اربعين سنة ينادون في الدعوة الى لم الشعث ومجاراة الحكومات الاوربية في نظامها فدعا شناسي وكمال ومدحت وفاضل وسعاوي وهم طليعة الاحرار الابرار الى نبذ الحكم المطلق والاستعاضة عنه بالحكم المقيد اي ترك الحكومة الاستبدادية الشخصية والاخذ بسنن الحكومة المدنية الشورية لتشارك الامة سلطانها في ادارة شؤون البلاد وهو يشرف عليها اشرافاً و ينفذ ما تقرره تنفيذاً كما هو حال اعاظم ملوك الارض لهذا العهد امبراطور الالمان وملك الانكليز وميكادو اليابان ورئيس جمهورية اميركا على اختلاف طفيف في كيفية تأليف مجالسهم واشراك ذوي الرأي من اهليهم في سلطانهم

وما فتئ الاحرار ينشرون دعوتهم في جرائد لهم انشأوها وجمعيات الفوها وكتبهم تزيد انتشاراً كلما اشتدت الحكومة في ارهاقهم ولا سيما في المدارس العالية في الاستانة . والمدارس العالية تجمع شمل اذكياء الطلاب من الترك والعرب والجركس والارناؤد واللاز والروم والارمن حتى اذا عادوا الى بلادهم وتفرقوا في الولايات يضيفون الى تذمر الاهلين من فساد الاحكام تذمراً ويكثرون سواد الحانقين على ذلك النظام الرث القديم

ولما اوشكت الدولة العلية ان تسقط سنة ١٢٩٣ باجتماع كلمة أوربا عليها أعلن القانون الاساسي بسعي مدحت باشا واعوانه ولم تتمتع الامة اربعة اشهر بافتتاح مجلس نوابها حتى أقفل فعادت الحكومة ترسف في قيود الحكم الاستبدادي على كيفية اشد من قبل فسدت النيات والتاثت الاحوال وتنكرت الاخلاق وهزلت الفضيلة وبات القول الفصل للرشى والمحاباة والشفاعات وراجت سوق النفاق رواجاً لم تعهده آثينة في آخر ايامها ولا رومية منذ زوال سلطانها بل ولا فروق لما تأذن الله باضمحلال الدولة البيزانطية منها وكثر الغش والخديعة وغلوا في التجسس والوقيعة وكثرت الهجرة من البلاد فهجرها قسم عظيم من العاملين والمفكرين من اهلها وتقهقر عمرانها فوصلت بعض اقطارها الى درجة من الفقر لم يعرف التاريخ انها بلغتها في وقت من الاوقات وامسى العاقل يعجب من بقاء الدولة العثمانية على هذه الحال وما بقي منها الى اليوم هو من اخصب بقاع الارض جمعت اطايب الكور من القارات الثلاث أوربا وآسيا وافريقية وهي الصلة والعائد بين شرق المعمور وغربه واهلها من اقوى العناصر ذات الحضارة القديمة المستفيضة كان لها ايامها الغر

المحتلة وفيهم العرب والفينيقيون والحيثيون والروم والبابليون والاشوريون والمكدونيون والارمن واليهود

زاد ضغط الحكومة على الامة في السنين الاخيرة وضعفت فيها كل ملكة ونال الجند حظ وافر من الشقاء فصار المرابطون منهم والغزاة لا يُطعمون الا ما يحفظ عليهم رمقهم فقط وكثيرًا ما كانوا يهلكون جوعًا كما وقع لهم في اليمن مرات وقد يخدمون السنين ولا يلبسون ثيابًا تقيهم حمارة الحر وصبارة القر . والجند سياج السلطنة اذا استهين به فهناك العطب .

دامت هذه الحال زمنًا واحرار الضباط من الناشئة الجديدة لا يجسرون على بث دعوتهم علنًا فلما زاد بؤس الاجناد اخذوا يبثون فيهم مبادئ الثورة فرأوا نفوسهم مستعدة لقبول ما يلقى عليها فتمرد اولاً بعض الجند في آسيا الصغرى ثم سرت روح التمرد الى جند مكدونية وقد ايقن الجنود بأن الدولة لا تهتم بأرواحهم اهتمامها بالبنادق التي يحملونها . واتفق ان ضاقت صدور الارناؤد في مكدونية من طمع الدول الاوربية فيهم وادركوا ان حكومتهم تسلمهم وتلقي متى عجزت حبلهم على غاربهم كما فعلت مع غيرهم فيهلكون تحت سلطة الحكومات الاجنبية على نحو ما وقع لمسلمي البوسنة والهرسك وبلغاريا ورومانيا والصرب والجبل الاسود . ولما تم كل هذا قام الارناؤد وهم في الشجاعة كعرب البادية يدًا واحدة في مناصرة ذاك الجيش المطالب بالدستور واتحد الفيلقان الاول والثاني في مكدونية وتبعهما الفيلق الرابع في كردستان

وكانت جمعية الاحرار التي جعلت شعارها «الاتحاد والترقي» ودبرت امرها تدبير من طبّ لمن حب تستعين على قضاء حاجتها بالكتمان الشديد فتنقل اسرارها شفاهًا واذ عرف القابضون على ازمة الاستبداد بما تنزع اليه وهالتهم عاقبة شأنها وكانت طغمة الجواسيس قد هوّلت فيه نادى الضابطان البطلان نيازي بك وانور بك الى الدستور او يزحفان بجندهما على الاستانة فلم يسع صاحب البلاد الا ان يعيد العمل بالقانون الاساسي الذي كان اوقفه منذ احدى وثلاثين سنة فصدرت الارادة بوضعه موضع العمل صبيحة يوم الجمعة ٢٥ جمادى الثانية هجرية الموافق ١١ تموز سنة ١٣٢٤ شرقي و ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨ غربي وبوشر بانتخاب نواب الامة وها نحن نكتب بعد مضي شهرين على اعلان الحرية في البلاد وقد انقلب كل شيء ما الا قليلا

فسبحان من قلب بالجيش نظام المملكة العثمانية كما انشأ بأبي مسلم الخراساني دولة الخلافة العباسية . وانقلاب الحكومة المطلقة في السلطنة العثمانية الى حكومة مقيدة لا يقل

في الغرابة عن تأسيس ابي مسلم لدولة بني العباس لما عرفت به الامة في عهدها الاخير من التخاذل والفشل وربّته من الذل والصغار ولما بلغ من سلطان الاستعباد على النفوس الذى طوي الآن بساطه آخر الدهران شاء الله . فساغ ان نطابق على الدولة المستبدة الماضية ما «نقل عن علي بن عيسى بن الجراح قال : سألت اولاد بني أمية ما سبب زوال دولتكم قال: اربع خصال اولها ان وزراءنا كتموا عنا ما يجب اظهاره لنا والثانية ان جباة خراجنا ظلموا الناس فارتحلوا عن اوطانهم فخربت بيوت اموالنا والثالثة انقطعت الارزاق عن الجند فتركوا طاعتنا والرابعة أيس الناس من انصافنا فاستراحوا الى غيرنا فهذا كان سبب زوال دولتنا»

صارت الدولة للاحرار وقبضت بمعونة شيخ الاسلام السيد جمال الدين افندي على قياد السلطنة وطهرت دواوين الحكومة من المخربين والمتجسسين واشقى الامراء كما قال القاضي الفاضل من سمن كيسه واهزل الخلق وابعدهم من الحق من اخذ الباطل من الناس وسماه الحق . فبدأ أولئك المصلحون بالاستانة وثنوا بالولايات ولا يزالون بفضل وزارتهم الحرة ينحون عن الوظائف كل من وصم بالخيانة والاضرار بالناس ويوسدونها الى كل حر عارف وتوشك ان تغدو دولة بني عثمان من ارقى حكومات هذا العصر اذا ظلت سائرة نحو عشر سنين على النهج الذي اختطته من النظر في احوال البلاد والامة باخلاص في القصد وتيقظ لما يقطع طريق الرجعة على المستبد والسعي الى ترقية الدولة والامة في الماديات والمعنويات

نكتب هذا وقد خنس شيطان التفريق بين عناصر الدولة واهل النحل المختلفة فيها بعد ان وسوس القرون بينهم وغدا المسلم وغيره بل والتركي ومواطنه سواء في الحقوق مع مواطنه لا يمتاز عربي عن عجمي الا بالعمل الصالح ولا مسلم عن ذمي الا بما ينفع البلاد . وقد اطلقت حرية الاجتماع وحرية القول وحرية الكتابة بعد ذلك الضغط المميت وألغيت الجاسوسية التي جملت وكدها في كشف عورات الناس بالا يفيد شيئاً في حياة الدولة وبطل الاصطناع والشفاعة والمحاباة والمداجاة واصبح كل فرد يثمن بقيمته وفتحت امام ابناء البلاد ابواب الثروة والرخاء وبات الامل معقوداً بان ينسى الناس او يتناسون ذلك التاريخ المخضب بالدماء مدة ستمائة سنة

ومن الجدير بالتدوين ان الامة نالت هذا الدستور الجديد بدون اهراق دماء على نحو ما جرى للامم الغربية قبلنا ولم تتعد اسباب نيله التهديد والايهام وليس انتقال الامر من يد قادرة الى يد اخرى من الامور الهينة اللينة وكأن الله اراد خيرا بهذه الامة فحفظ لها

دماءها من الاهراق في هذا السبيل ولطالما اهرقتها طائعة اوكارهة فيما لا يجدي نفعاً

هذا والدستور عهد يكتب بين الراعي والرعية او بين الحاكم والمحكوم عليه ولم يكن ما يشبهه في الحكومات القديمة على ما اجمع عليه المحققون وان كان للرومان مجلس اعيان وللجمهورية اليونان نواب ولدولة العرب دار ندوة · والاولى ان يقال ان الدستور آخر ما بلغته الحكومة الراقية في البشر وهو زبدة انواع الحكم واسلمها وانفعها وانه من عمل القرون الحديثة يعلن في الغالب زمن الثورات والازمات ويكون اما بتعديل النظامات القديمة او بالغائها وقد اختارت الحكومة العثمانية تعديل القديم ونعما فعلت فكانت اول حكومة اسلامية سبقت الى الدستور كما كانت انكلترا اول دولة اوربية جاء من مدنها وكلاء عن الامة ودخلوا في الشورى العامة الاهلية سنة ١٢٦٥ م قال روبرتسون: ولولم يكن من الشورى في اوربا الا ابطال الرق لكفى فقد كان اهل الفلح والقرى ارقاء تابعين لملاك الارض التي كانوا يزرعونها فكان للمالك حق التصرف فيهم مع الارض بالبيع لمالك آخر وصار لفظ سيد ولفظ عبد وهما من افظع الالقاب البشرية وابغضها الى النفوس متروكين رأساً وبطل استعمالها جملة واحدة · فعسى ان يكون الدستور العثماني النظري الآن عملياً في البلاد كالدستور الانكليزي الذي ادهش الامم وهو عملي صرف لم يسطر حتى الآن وان يأخذ العثمانيون خلاصة ما تعلمه الحكومات الديمقراطية الدستورية بطول التجارب فتكون دولة بني عثمان كالمانيا في علمها وتربيتها وانكلترا في سياستها وبحريتها وفرنسا في ماليتها وزراعتها واميركا في شركاتها وعظمتها وما ذلك ان صحت العزائم بعزيز ·

بين العرب والفرس

من اشهر القصائد الاجتماعية العربية قصيدة لقيط بن يعمر الايادي ينذر قومه غزو كسرى اياهم وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى فلما رآه مجمعاً على غزو اياد كتب اليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب بيد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا ايادًا · قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق الذي نشره وستنفيلد سنة ١٨٥٤ : ومن رجالهم لقيط بن معبد صاحب القصيدة التي انذر بها ايادًا لما غزتهم الفرس وهي

كتاب في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من اياد

يعني جزيرة العرب وله قصيدة اخرى على العين مشهورة · وقد تيسرت لناعدة مظان

ومنها بعض مخطوطات فعارضنا القصيدة عليها واثبتنا منها هنا اصح الروايات واضفنا اليها بعض زيادات وها هي بنصها العجيب

يادار عمرة من محتلها الجرعا   هاجت لي الهم والاحزان والجذعا (١)
تامت (٢) فؤادي بذات الجزع خرعبة (٣)   مرت تريد بذات العذبة البيعا
بمقلتي خاذل ادماء طاع لها   نبت الرياض تزجي وسطه ذرعا
وواضح اشنب الانياب ذي أشر (٤)   كالأقحوان اذا ما نوره لمعا
جرت لما بيننا حبل الشموس (٥) فلا   يأساً مبيناً نرى منها ولا طمعا
فما ازال على شحط يؤرقني   طيف تعمد رحلي حيث ما وضعا
ارى بعيني اذا أمت حمولتهم (٦)   بطن السلوطح لا ينظرن من تبعا
طوراً اراهم وطوراً لا أبينهم   اذا تواضع خدر ساعة لمعا
يا ايها الراكب المزجي على عجل   نحو الجزيرة مرتاداً ومنتجعا (٧)
ابلغ اياداً وخلل في سراتهم   اني ارى الرأي (٨) ان لم أعص قد نصعا
يالهف نفسي ان كانت اموركم   شتى واحكم امر الناس ما اجتمعا
اني اراكم وارضاً تعجبون بها   مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا (٩)
الا تخافون قوماً لا ابا لكم   امسوا اليكم كامثال الدبا سرعا (١٠)
ابناء قوم تآووكم على حنق   لا يشعرون اضر الله ام نفعا
احرار فارس ابناء الملوك لهم   من الجموع جموع تزدهي القلعا (١١)
فهم سراع اليكم بين ملتقط   شوكاً وآخر يجني الصاب والسلعا (١٢)

(١) الرواية في امالي ابن الشجري : الجرعا بدل الجزعا والجرع والأجرع والجرعاء الرملة لا تنبت . وفي رواية والوجعا بدل الجذعا (٢) تامت تيمت اي عبدت وذللت ومنه تيم الله كأنه عبد الله (٣) الخرعبة الشابة الحسنة القوام (٤) الشنب دقة في الاسنان وعذوبة والأشر حسن الاسنان وحدة اطرافها (٥) الشموس من الدواب الذي لا يكاد يستقر (٦) وفي رواية : ارى بعيني اذا مالت حمولتهم (٧ في النسخة المطبوعة

بل ايها الراكب المزجي مطيته   الى الجزيرة مرتاداً ومنتجعا

وفي رواية السري بدل المزجي (٨) في رواية : ارى الامر بدل الرأي (٩) الطبع الصدأ يكثر على السيف والطبع تدنس العرض وتلطخه واستعاره هنا للغشاء والكدر (١٠) الدبا صغار الجراد والنمل (١١) ازدهيت فلاناً تهاونت به (١٢) الصاب والسلع شجران مران

لو ان جمعهم راموا بهدته (١)   شم الشماريخ (٢) من ثهلان لانصدعا
في كل يوم يسنون الحراب لكم   لا يهجعون (٣) اذا ما غافل هجعا
خزر عيونهم كأن لحظهم   حريق نار ترى منه السنا قطعا (٤)
لا الحرث يشغلهم بل لا يرون لهم   من دون بيضتكم (٥) ريا ولا شبعا
وانتم تحرثون الارض عن سفه   في كل معتمل تبغون مزدرعا (٦)
وتلقحون حيال الشول آونة   وتنتجون بدار القلعة الرُّبعا (٧)
وتلبسون ثياب الامن ضافية   لا تفزعون (٨) وهذا الليث قد جمعا
انتم فريقان هذا لا يقوم له   هصر الليوث وهذا هالك صقعا
وقد اظلكم من شطر ثغركم   هم له ظلل (٩) تغشاكم قطعا
مالي اراكم نياماً في بلهنية (١٠)   وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا
فاشفوا غليلي برأي منكم حسن   يضحي فؤادي (١١) له ريان قد نقعا
ولا تكونوا كمن قد بات مقتنعاً (١٢)   اذا يقال له ادفع غمة كنعا
يسعى ويحسب ان المال مخلده   اذا استفاد طريفاً زاده طمعا
فاقنوا جيادكم واحموا ذماركم   واستشعروا الصبر لا تستشعروا الجزعا (١٣)
واشروا تلادكم في حرز انفسكم   وحرز نسوتكم لا يهلكوا هلعا (١٤)
ولا يدع (١٥) بعضكم بعضاً لنائبة   كما تركتم باعلى بيشة نخعا
اذكوا العيون وراء السرح واحترسوا   حتى ترى الخيل من تعدائها رُجعا
فان غلبتم على ظن (١٦) بداركم   فقد لقيتم بامر حازم (١٧) فزعا

(١) في رواية بشدته (٢) الشماريخ والشناخيب رؤوس الجبال (٣) في رواية لا يغفلون (٤) تخازر قبض جفنه ليحدد النظر . وفي رواية حريق غاب بدل حريق نار (٥) في رواية من دون قتلكم (٦) وفي رواية في كل ناحية تبغون مدرعا (٧) وفي رواية وتلقمون حيال الخ وبدل الرُّبعا الرُّبعا وهي الناقة الصغيرة والبيضة هنا كناية عن مقر الدار ومحلة القوم . ويقال هذا منزل قلعة اذا لم يكن مستوطناً والقوم على قلعة اي رحلة (٨) في رواية لا تجزعون (٩) وفي رواية هول له ظلم (١٠) البلهنية العيش اللين (١١) برأي منكم حصد يصبح فؤادي له (١٢) مكتنعاً

(١٣) صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم   وجددوا للقسي النبل والشرعا

وفي رواية بدل جيادكم خيالكم وبدل سلاحكم سيوفكم (١٤) وفي رواية تلادكم بدل بلادكم واهلكم بدل نسوتكم ولا يهلكوا بدل لا تهلكوا (١٥) ولا يدع (١٦) ضن (١٧) الحازم

هيهات لا مال من زرع ولا ابل ... يرجى لغابركم ان انفكم جدعا
لا يلهكم ابل ليست لكم ابلاً ... ان العدور بحطاب منكم قرعا(١)
لا تثمروا المال للاعداء انهم ... ان يظفروا يحتووكم والبلاد معاً(٢)
والله ما انقلب الاموال منذ بدا(٣) ... لاهلها ان أصيبوا مرة تبعا
ياقوم ان لكم من ارث اولكم ... ان ضاع آخره او ذل واتضعا
ماذا يرد عليكم عزّ اولكم ... مجداً قد اشفقت ان يفنى وينقطعا
فلا تغرنكم دنيا ولا طمع ... ان تنعشوا بزماع ذلك الطمعا
ياقوم لا تأمنوا ان كنتم غيرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا
ياقوم بيضتكم لا تفجعن بها ... اني اخاف عليها الازلم الجذعا (٤)
هو العناة الذي تبقى مذلته ... ان طار طائركم يوماً وان وقعا
هو الجلاء (٥) الذي يجتث اصلكم ... فمن رأى مثل ذا رأياً (٦) ومن سمعا
قوموا قياماً على امشاط (٧) ارجلكم ... ثم افزعوا قد ينال الامن(٨) من فزعا
وقلدوا امركم لله دركم (٩) ... رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفاً ان رخاء (١٠) العيش ساعده ... ولا اذا عض (١١) مكروه به خشعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه ... هم تكاد حشاه تحطم الضلعا (١٢)
مسهد النوم تعنيه اموركم ... يروم منها الى (١٣) الاعداء مطلعا
ما انفك يحلب در (١٤) الدهر اشطره ... يكون متبعاً طوراً ومتبعا
وليس (١٥) يشغله مال يثمره ... عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا

(١) ان العدو بعظم منكم قرعا (٢) وفي نسخة ان يظهروا يحتووكم والتلاد معاً (٣) والله ما انفكت الاموال مذ ابد (٤) الجذع من الابل الذي اتى له خمس ومن الشاء ما تمت له سنة ويقال للمهر في السنة الثانية جذع ويقال للدهر الازلم الجذع لانه جديد ابداً وقوله اخاف عليها الازلم الجذعا اراد الدهر ويقال اراد الاسد (٥) الفناء (٦) بوما (٧) المشط سلاميات ظهر القدم وهي عظام الاصابع واحدتها سلامى (٨) الامر (٩) الدر اللبن ولله دره اي لله عمله ويقولون في الذم لادر دره اي لا كثر خيره (١٠) رخي (١١) حل (١٢) في رواية

لا يطعم النوم الا حيث يحقره ... هم يكاد شباه يقصم الضلعا

(١٣) على (١٤) قوله حلب فلان الدهر اشطره معناه مرت عليه ضروب من خيره وشره واصل ذلك من اخلاف الناقة لها خلفان قادمان وخلفان آخران فكل خلفين شطر
(١٥) فليس

قد استمر على شزر مريرته ... مستحكم السن لا قحماً ولا ضرعا (١)
كمالك بن سنان (٢) او كصاحبه ... زيد القنا (٣) يوم لاقى الحارثين معا
اذ عابه عائب يوماً فقال له ... دمث لجنبك قبل النوم (٤) مضطجعا
فساوروه فألفوه اخا علل ... في الحرب يحتمل الرئبال والسبعا (٥)
مستنجداً يتحدى الناس كلهم ... لو قارع القوم عن احسابهم قرعا (٦)
هـذا كتابي اليكم والنذير لكم ... لمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعا (٧)
فقد (٨) بذلت لكم نصحي بلا دخل ... فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعا

---

(١) في رواية

حتى استمر على شزر مريرته ... مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعا

والحبل المشزور المفتول مما يلي اليسار وامررت الحبل شددت فتله والمرة شدة الفتل والمرير الحبل الشديد فتلاً والقحم الشيخ الهرم والضرع الشيخ الضعيف (٢) خ قنان (٣) عمر الفتى (٤ الليل (٥) وفي رواية

فثاوروه فالفوه اخا علل ... في الحرب لا عاجزاً نكساً ولا ورعا

وفي اخرى بعد هذا البيت

عبل الذراع ابياً ذا مزابنة ... في الحرب يختتل الرئبال والسبعا

(٦) لو صارعوه جميعاً في الوغى صرعا (٧) لمن رأى الرأي بالابرام قد نصعا وفي رواية لمن رأى رأيه منكم (٨) وفي رواية فقد بذلت وفي اخرى لقد محضت لكم ودي بلا دخل والدخل كالدغل والدخل العيب في الحسب و بنو فلان في بني فلان دخل اذا انتسبوا معهم وليسوا منهم · وفي نسخة تقديم البيت الاخير في الاصل على الذي سبقه

الاكتشافات الحديثة في القطب الشمالي

قالت مجلة مستندات الترقي ما مثاله: كانت اول حملة أُرسلت لاكتشاف القطب الشمالي سنة ١٥٥٣ فقام شانسلور ودورفورث وويلوغبي من الانكليز يحاولون الاهتداء من طريق الشمال الى طريق بحري للوصول الى آسيا الشرقية ودعي هذا الطريق بطريق الشمال الشرقي . وما برح حب اكتشاف القطب آخذاً بمجامع العقول حتى ساق كثيرين الى تقحم تلك الصحاري الجامدة في الشمال لكشف ماوراءها من اسرار . ولئن فترت الهمم في سبيل اكتشاف القطب من سنة ١٦٥٠ الى ١٧٥٠ بالنسبة لبقية الادوار الا ان الرغبة في اكتشافه لم تنقطع منذ ذاك العهد . ومهما اعتقد الناس بان ما ورد في أُسطورة قديمة من ان في بحار الشمال جبلاً من المغناطيس كان يدعو السفن والملاحين الى اكتشافه فتهلك فيه—وهي اسطورة من الاساطير الخيالية العارية من كل حقيقة—فان القطب الجغرافي من الارض وان لم يره احد حتى الآن قد اثر في العقول تأثير ذاك الجبل من المغناطيس وكان من قوة تلك الجاذبية ان كانت السبب في هلاك ارواح كثيرة من البشر .

وظلَّ ذاك اللغز القديم بدون حل بعد جهاد لا يوصف مدة ثلاثة قرون ونصف ووقعت مصائب هائلة في القطب والقطب نفسه لم يكتشف . على ان هذه المسألة قد فقدت في العهد الاخير شيئاً كثيراً من شأنها العلمي . ومع هذا فلم يفت الباحثين علم ما يصادفونه في القطب ونزعوا من الافكار ما كان عالق فيها مدة قرون من ان وراء تلك الاسوار الكالحة من الجليد مناخاً معتدلا وعدوه من باطل التقدير وقالوا ليس فيها الا الجليد والثلوج وبحر عميق فيه بعض جزر تختلف كبراً وصغراً ولا تزال مجهولة وهذه ما يرونه في جوار القطب كما رأوا مثله حتى الآن في الاصقاع القطبية

ولا يرجى من اكتشاف القطب الشمالي حل مشكل ينفع العلم وما يتنافس فيه الذاهبون في هذا السبيل لبلوغ القطب ليس سوى عبارة عن ضرب من ضروب الارتياض اللهم الا ما كان من حيث الفائدة الجغرافية الصرفة . ميدان الانسانية لا يقر لها قرار ان لم يكتب لاحد شجعان الزمان ان يدوس ذاك الطرف الآخر من محور الارض . والظاهر ان هذا اليوم وان طال العهد على قدومه غير بعيد الآن . فان ما تم من تقدم اكتشافات القطب في الخمس عشرة سنة الاخيرة قد بلغ حداً لم يكن يظن بلوغه حتى قوي الامل بان ستكافأ تلك الهمم الماضية على جهادها قريباً والزمن حلال كل معضل سيعلم ذلك

بادئ نظر لمن يلقي ببصره على تاريخ القطب والبعثات اليه وما بلغه الباحثون من العرض الشمالي ·

قام المقدام بارنتس الهولاندي فبلغ للمرة الاولى سنة ١٥٩٦ الدرجة الثمانين من العرض ومضى على الناس زهاء مائتي سنة حتى تيسر لهم ان يتقدموا الى الامام ثلاث درجات اخرى وكان الصياد سكورسبي اول من وصل في الحقيقة الى الدرجة الثالثة والثمانين من العرض سنة ١٨٢٢ ولم يصل الرحاله مارخام الاميركي الا في سنة ١٨٧٦ الى شمالي غرانلاندا اي الى الدرجة ٨٣/٢٠ وبعد ست سنين بلغ وطنيه سوكفود الدرجة ٨٣/٢٤ وهكذا مضت ثلاثة قرون ولم يصل البشر الى أكثر من الدرجة ٨٣ في التقدم نحو القطب ولكن لم تمض اقل من خمس عشرة سنة حتى كثر التقدم في اصقاع القطب وزاد شأننا اكثر من القرون الثلاثة الاخيرة فكان الرحاله نانسن اعظم فاتح فتح للمولعين باكتشاف القطب طرقا جديدة فكان بذلك فاتح عهد سعودي ولا شك الى الاهتداء للقطب وافتتاحه افتتاحا اخيرًا فوصل مع رفيقه جوهانسون في ٧ نيسان (ابريل) الى الدرجة ٨٦/١٤ في شمال الارض المعروفة بأرض فرنسيس يوسف ولكنه اضطر الى الرجوع على اعقابه وتقدمت بعثة الدوق دي زابروز الى أبعد من ذلك نحو الشمال فبلغ بعض اعضائها درجة ٨٦/٣٣ الى شمالي ارض فرنسيس يوسف وقليلا نحو الغرب من الجهة التي وصل اليها نانسن · ووصل الاميركي بري في مارس ١٩٠٦ الى الدرجة ٨٦/٦ وكان بلغ سنة ١٩٠٢ الى درجة ٨٧/١٧

وهذا جدول بأسماء البعثات الى القطب وما تم فيها من التقدم منذ بدىء بارسالها الى عهدنا ·

تاريخ البعثة	اسم رئيس البعثة	جنسيته	اقصى ما وصلت اليه من درجات العرض	الجهة
١٥٥٣	شانسلور دورفورث وويلوغبي	انكليز	٧١/٧٠	شمالي اوروبا
١٥٨٧	دافيس	انكليزي	٧٢/٢٠	بحر بافين
١٥٩٤	بارنتس	هولاندي	٧٧/٥٥	زامبل الجديدة
١٥٩٦	»	»	٨٠/١١	سبيتزبرغ
١٦٠٧	هودسون	انكليزي	٨٠/٢٨	شرقي غرانلاندا
١٧٧٣	فيبس	»	٨٠/٤٨	سبيتزبرغ
١٨٠٦	سكورسبي البكر	»	٨١/٣٠	شرقي غرانلاندا
١٨١٧	سكورسبي الفتى	»	نحو ٨٢	»
١٨٢٢	»	»	٨٣	»

١٨٣٤	غراه	دانيمركي	الى ٠١بعد ٨٣	«
١٨٧٦	ماركام	اميركي	٨٣/٢٠	شمالي غرانلاندا
١٨٨٢	سوكود	«	٨٣/٢٤	
١٨٩٥	نانسن	نروجي	٨٦/١٤	ارض فرنسيس يوسف
١٩٠٠	كاني	ايطالي	٨٦/٣٣	« «
١٩٠٦	بري	اميركي	٨٧/٦	شمالي غرانلاندا

ومن الفوائد التي حدثت من السعي في اكتشاف القطب للعلوم ولا سيما للجغرافية اننا عرفنا من بعثة نانسن ان رأس القطب الشمالي — ربما كان مقابلاً من الجهة الثانية للقطب الجنوبي — مغشى من كل مكان ببحر قليل العمق ليس فيه الا بعض جزائر وارض عظيمة ذات اتساع كبير هي غرانلاندا . وقد اثبت سفردروب وهو صديق نانسن الخاص بعد بضع سنين ان الشاطىء الشمالي من غرانلاندا ولم يكن يعرف منه الى ذلك العهد غير قسم صغير — لا يمتد نحو الشمال . وقد قطع الدوق دورليان سنة ١٩٠٥ جزءاً من الشاطىء الشرقي الذي لم يعرف في شمال رأس بسمرك . واحدث الاكتشافات اكتشاف بري الذي ابان انه يوجد في شمالي غرانلاندا بحر عميق وتيار عظيم يذهب الى الشرق . وتبين من البعثات الى ارجاء شمالي القارة الاميركية بان الشاطىء الشمالي الاميركي من الغرب متصل كل الاتصال ببحر القطب الذي يسمى هناك بحر بوفور على حين ان مجموع الجزائر الغربية الموجودة في الشرق تمتد ولا شك الى ابعد من ذلك نحو الشمال نحوا اكثر مما كان يظن حتى الآن . اذ قد شوهدت في شمالي ارض اكسل هيبرغ في المحل الآخذ نحو الشمال جزيرة جديدة سموها ارض كروكر

وبينما كانت الفوائد كثيرة مهمة من السعي في ارتياد الارجاء القطبية خلال السنين الاخيرة في شمالي اميركا كان ما بذل من الجهاد في شمالي آسيا للوقوف على اسرار المحيط المتجمد غير مثمرة ادنى ثمرة وقد هلك سنة ١٩٠٣ البارون تول الروسي الالماني ولم يبق اثرًا وهو يحاول بلوغ ارض سانيكوف والغالب انه هلك واتباعه جوعاً

ولقد حصرت دائرة الارجاء القطبية التي لا تزال غير معروفة في دائرة ضيقة في غضون السنين الاخيرة بفضل الرحالتين نانسن وبري خاصة . وما برح القطب يغر كثيرين من ارباب الرحلات فقد مضت على الرحالة اندره الذي سافر يوم ١١ يوليو ١٨٩٧ من سبيتزبرغ في منطاده احدى عشرة سنة ولم يأت خبر عنه وربما لم يتعد اكثر من الدرجة الثالثة والثمانين من العرض وهو الذي ساق نفسه الى الحتف هذا لم نقل الى ان اقدامه على ما اقدم

عليه كان من الجنون المطبق ان لم يكن الانتحار بعينه . وليس هو وحده الذي حاول ان يقطع ثلوج القطب في منطاد تخلصاً من ركوب البحر والمركبات التي لا عجل لها فقد حاول ذلك غيره كالاميركي ولمان الذي اخفق في المرة الاولى ويحاول في الثانية بلوغ النجاح .

والآمال معقودة الآن بان النجاح يتال بري وامندسون وتكتب اسماؤهم في سجل اعظم العاملين في خدمة العلم باكتشاف القطب وكلاهما الآن يعد بعثة الى تلك الارجاء المتجمدة وسيسافر الاول هذه السفرة للمرة السابعة على باخرته ليبحث عن طريق لبلوغ القطب والناس يؤملون له الخير لانه ابان في رحلاته السابقة عن حذر عظيم وهمة عالية وكانت رحلاته مفيدة فكاد يبلغ الدرجة التي يرمي اليها لولم يداهمه الشتاء وتيارات الثلوج واذا اسعده الحظ وبدونه لا يستطيع اكبر الرجال عقلاً ان يعمل عملاً يذكر — فان سفرته ستكون بعد سنة مسفرة عن افتتاح القطب واذا خانه الحظ ايضاً في رحلته هذه فان رصيفه امندسون النروجي الذي يعمل لهذا القصد منفرداً سيجني ثمار هذا الظفر اول الجانين من الناس . وللاميركان والنروجيين في الثلاثين سنة الاخيرة يد في السعي لاكتشاف القطب . ويرجى ان يكون لامندسون ثمرة النجاح بعد بري اذا اخفق هذا . وبعثتا هذين الرجلين هما اهم البعثات الاخيرة واغناها وانفعها ويؤمل ان تحل بهما هذه المشكلة التي شغلت بال الناس اعواماً وقروناً

التأليف في الملوك

كان لكثير من الملوك رغبة في العلم لاشراف نفوسهم الملكية على علو قدره وجلالة امره فمنهم من كان يرغب فيه ويقرب اهله ويسعى في نشره . ومنهم من اشتغل به وسعى في تحصيله حتى فاز بحظ وافر منه . ومنهم من زاد على ذلك فالف فيما عني به من العلوم غير ان المؤلفين منهم قليلون لمنع شواغل تدبير المملكة والقيام باعباء امورها في اكثر الاوقات من التفرغ للتأليف . ومن الملوك الذين الفوا عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن . وفي كثير من خزائن الكتب شيء من مؤلفاته واغرب مؤلفاته كتاب (١) عثرنا

---

(١) هو من الاسفار التي دخلت حديثاً الى خزانة كتب احمد بك تيمور في القاهرة . وهذه النسخة كانت ملكاً لذاك الملك الجليل

عليه في هذه المدة الفه في صنع الاصطرلاب بعد ان زاول عمله مدة واتقنه وقد اجاد في هذا الكتاب اجادة وافرة بحيث قرب هذه الصناعة على الراغبين فيها ولم يستعمل الابهام الموجب للايهام . فاحببنا ان نورد منه ما ذكره في المقدمة لتقف على اسلوب الكتاب والغرض منه قال :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون والثقة يقول العبد الفقير الى الله تعالى عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول غفر الله له الحمد لله الذي لا يبلغ اداء حمده الحامدون وشكراً له على نعمه فوق ما شكره الشاكرون فهو الواحد الذي لا تحيط به الظنون جعل النجوم دلائل يهتدي بها المهتدون فقال سبحانه وعلامات وبالنجم هم يهتدون . احمده حمد مقصر واستهديه الى طريق الصواب واستنصر وصلواته على محمد النبي الكريم الذي اثنى عليه في كتابه العزيز الحكيم فقال مادحاً له : وانك لعلى خلق عظيم . وعلى آله المنتخبين صلوة وسلاماً دائمين متلازمين الى يوم الدين ورضي الله عن الصحابة اجمعين . وبعد فلما كان الاصطرلاب اشرف آلة وضعت في علم الفلك وطريقه اوضح طريق بين في هذا الفن سلك احببت ان اجمع في عمله رسالة موضحة قريبة المسلك بطريقة مصححة فما زلت أداخل اصحاب هذا الفن واستجلب درهم بالبحث المستحسن لنعرف من منهم يورد من فنونه ويبين ويصور خلاف غيره ويبرهن حتى ادت النفس بما تتلوه وعرفت نقل الاصل الذي اصلوه فتشجعت بان كررت التعلم بالتحرير والتصوير لاشكاله الموضوعة والتقدير الى ان حدثت ما لم يحسنوا من آلته وعرفت ما يختار من عمله وصناعته ولم يذكروا في علمهم بالتحقيق سوى المقنطرات والبروج والكواكب بالتدقيق واستكفوا فيما عداها بحسن الروية من غير تقدير فلم ازل افكر فيما اهملوه حتى وضعت له المقادير تابعاً لما رسمه الاولون من الحساب مكتسباً ما امكنني منه الاكتساب فوضعت على نهاية مابلغ الاجتهاد اليه ووقع عند التخير الاختيار عليه مايغني الصانع في تيسير المعرفة ويكفيه عن كثير من الكتب المصنفة وعليه في وضع المقنطرات والكواكب المعول والعمدة على وضعها وتحريرها على الصنف الاول مع معرفتي بفلك حروفها واعدادها وابعاد مراكزها وانصاف اقطارها ولست بالمدعي في معرفة هذه الصناعة ولا ممن يتخذها حرفة وبضاعة بل اجتهدت فيها والتمست واحتذيت من ضوءسناها واقتبست فالفت هذه الرسالة لتكون للصانع اوضح دلالة وسميتها معين الطلاب على عمل الاصطرلاب فمن وقف عليها فليتسامح عما فرط وليكن اول من لعذر بسط فان الحليم اذا رأى حسناً مخفياً اظهره واذا رأى قبيحاً مشهوراً ستره ونسأل الله الهداية في الصلاح والبلوغ الى افضل المقاصد والنجاح انه العظيم الحنان والكريم المنان .

اعلم ان الاصطرلاب يعمل بحالات فمنها ما يكون تاماً وعدد مقنطراته تسعون ومنها ما يكون ثنائيا وعدد مقنطراته خمسة واربعون ومنها ما يكون ثلثاً وعدد مقنطراته ثلثون ومنها ما يكون خمساً وعدد مقنطراته ثمانية عشر ومنها ما يكون سدساً وعدد مقنطراته خمسة عشر ومنها ما يعمل عشرًا لصغره وضيق مداراته وعدد مقنطراته عشرة فالتام هو الذي يكون درج بروجه ومقنطراته مقسومة على درجة درجة والنصف ما كان بروجه ومقنطراته مقسومة على درجتين درجتين والثلث ما كان درج بروجه ومقنطراته مقسومة على ثلاثة ثلاثة والخمس ما كان درج مقنطراته و بروجه مقسومة على خمسة خمسة والسدس ما كان درجه ومقنطراته مقسومة على ستة ستة والعشر ما كان درج بروجه ومقنطراته مقسومة على عشرة عشرة واما الرسوم التي لا يقع فيها اختلاف في جميع الاصطرلابات فهي دوائر المدارات أعني مدار السرطان والحمل والجدي وخط نصف النهار وخط الاستواء فان هذه الخطوط كلها في جميع الاصطرلابات لا يقع فيها خلاف البتة وانما تختلف دوائر المقنطرات وهذا الذي اتصل الى علمنا من اعمال الاسطرلابات واعمال التارجهار فانه لا يمتنع ان يكون قد زيد على هذه الاقسام التي ذكرناها ولم نطلع عليه فليس لنا ان نقطع بان هذه الاقسام التي ذكرناها هي التي تعمل فقط فعلى هذا ما كان صغيرًا وقسم على درجة او درجتين او ثلاث تزاحمت خطوط المقنطرات لا سيما عند المركز فلاجل ذلك جعل ما صغر منها على عشر عشر واصحها ما كانت مقنطراته مقسومة على درجة درجة ليتحقق منها الصحة لان ما كبر منها وكان فتحه ذراعاً بالحديد خلص نصف درجة اي تقسم درجته الواحدة بنصفين لسعة ما بينها وبين المقنطرة الثانية وما كان فتح ذراعين جديد خلص عشر دقائق اي تقسم درجته الواحدة بستة اقسام كل قسم منها عشر دقائق وما كان منه اربعة اذرع او خمسة بالحديد خلص دقيقة اي تقسم الدرجة الواحدة بستين قسماً كل قسم منها دقيقة لان كل ما اتسعت الآلة صح تقسيمها ويؤدي الى الصواب لاحاطة النظر واحاطة الصانع بالصنعة والتمكن من قسمة الدقائق بين الدرجات لكبر الآلة فيؤدي ذلك الى الضبط والى الصحة فقد قيل ان الحاكم من خلفاء المصريين عمل ذوات الحلق وهي تسع حلقات الحلقة يدخل فيها الفارس راكبا برمحه فيكون وزن الحلقة الواحدة نفسها الي رطل وكانت جوانبها معز وزة مربعة على زوايا قائمة حتى اذا ركب بعضها في بعض كانت كصفيحة واحدة فيرصد بها وبها حققوا طول مصر وعرضها ثم ان التتر لما طلبوا الرصد صنعوا دائرة بناء طول حلقة سعتها عشرون ذراعاً فاستخرجوا ربع دائرة من محيطها ثم بنوا جداراً طوله مائة ذراع ونصبه مائة ذراع مربع وضعوا عليه ربع دائرة طول قائمها على زوايا قائمة ستون ذراعاً وطول القطر

الآخر الممتد على الارض مثل ذلك والقوس تسعون درجة كل درجة ذراع قوسية اي قطعة من قوس هذا الربع ودرجوه درجاً كدرج القطر من اسفله الى اعلاه ليعملوا اشغالهم لاخذ الارتفاع واتفقوا على ذلك اموالاً طائلةوقيل ان هلاوون اخذ آلة الحمالين وجعلها على رأسه ليرد عنه الم الحجر وحمل حجراً كبيراً فلم يبق احد الا وحمل وبهذه الآلة الارتفاعية حصل الارتفاع بدقائقه وربما بثوانيه فقوس كل درجة هي ذراع فتمكنوا بهذه الآلة واستخرجوا بها اعمال الرصد وطوله وما ارادوا من باقي الاعمال. واوردنا هذه الحكاية ليعلم منها فائدة كل ما كبر من الاصطرلابات وزيادتها فائدة في التحقيق ومع ذلك اذا كان الاصطرلاب سعته كما قلنا في فتح ذراعين وما فوقه الى خمسة فلا يمسك باليد وقت اخذ الارتفاع لكبره وعظمه بل يرفعه شخص بيديه وآخر يأخذ به الارتفاع فان عظم عُلق على سيبا بقدر ما يتمكن منه الناظر وهو معلق بالسيبا فعند اخذ الارتفاع يرفع الناظر العضادة ويخفضها حتى يصح له اخذ ارتفاعه من الشمس او الكواكب واول ما يبتدىء به الراسم من العمل يخط خطاً باي قدر شاء ثم يقسمه بتسعين قسماً اجزاء صحيحة محكمة بقدر الجهد والطاقة فان صحة العمل موقوفة على قسمة الخط المذكور فمتى كان في القسمة خلل لم تصح بها الاعمال والخط هو المسطرة المقسومة وهذا مثالها (وهنا اورد صورتها) وان كانت هذه المسطرة بخلاف المسطرة السيتينية التي ذكرها الفرغاني في كتابه فان تلك مقسومة بستين قسماً فاذا اردت عمل هذه المسطرة الستينية التي يقاس منها اعمال الاصطرلاب فانك تبدأ اولا بعمل مسطرة صحيحة من خشب صلب

الى ان قال : فاذا اردت عمل الاصطرلاب كبيراً كان او صغيراً على أي قدر شئت عمله من الاقدار فانما يكون كبره وصغره من حساب هذه المسطرة لانه متى أراد الاصطرلاب كبيراً كبر في طول المسطرة ليتباعد مابين أقسامها ومتى اراد الاصطرلاب صغيراً صغر المسطرة ليتقارب مابين أقسامها لان فتح نصف قطر دائرة الاصطرلاب بقدر الثلث من طول المسطرة المقسومة بتسعين جزءاً ويكون قسمة هذه المسطرة اما في مسطرة من خشب صلب كالابنوس والعاج او ما كان في صلابتهما من الخشب والعاج وماشاكله في الصلابة واللون والعاج أجود من الابنوس لكونه اسود لاتبين فيه اجزاء المسطرة وان كانت من نحاس كانت اجود من الجميع اذ المراد بالصلابة ان لاينزل شيء من رأس البيكار في الخشب فيخل العمل فاذا اراد قسمة الصفائح فانه يبدأ اولاً بفتح البيكار بقدر مايغلب على ظنه انه نصف قطر الصفيحة اه وفي آخر الكتاب شهادتان من اهل هذه الصناعة تشهدان له باتقانها والبراعة فيها وهذه صورة الاولى منهما :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي قدر مقادير الكواكب واظهر من مكنونات الغيب اسرار العجائب وسير النيرين كتهادي الكواعب واجرى التحيرات تجري القواضب وقدر بروجها بين السابق واللاحق والطالع والغارب وجعل النجوم السبعة معتبرة بالقواعد والمراتب فنسبة الشمس كالسلطان والقمر كولي العهد والصاحب وزحل كالقهرمان والمشتري كالحاكم والمريخ كصاحب الجيوش والكتائب والزهرة كالخادم والمطرب وعطارد كالوزير والكاتب فسبحان خالق هذه المحاسن والغرائب ووصفها في كتابه المنزل على سيد الانبياء والشهداء والاباعد والاقارب فقال عز وجل: انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله الكرام واصحابه الاطايب وبعد فأقول وانا اقل عباد الله واصغرهم ابراهيم بن ممدود الحاسب الملكي المظفري الاشرفي: اني لما شاهدت الاصطرلابين قسمة السدس من عمل مولانا الملك الاشرف عمر بن مولانا ومالك رقنا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول خلد الله ملكهما وطول عمرهما من سنة ٦٨٩ وصحة جميع ما عمله بهما من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز واصاف الاقطار والكواكب والحجرة والصفائح سبكاً وضرباً وقسمة ووضعاً وصحة قسمة دائرة البروج وصحة العضايد وعيار المجموع فيهما ولم اجد فيهما مأخذاً الا ان كان اليسير من جهة الصانع الخراط ومولانا خلد الله ملكه عارف به وباصلاحه فشهدت له بالفضيلة وبتجويده في صناعة الاصطرلاب ووضعت له خطي هذا شاهداً على صحة ذلك واجزت له ان يعمل ماشاء من ذلك اي من الاصطرلابات بما استقريته من اتقانه ومعرفته وذكائه وخبرته واختباري له في ذلك وامتحاني اياه وكذلك في اصطرلابين عملهما في سنة ٦٨٩ احدهما اصغر من الآخر قسمة السدس والاكبر فيهما قسمة الثلث اجزته وشهدت له بالصحة في الاربع اصطرلابات المذكورة وكذلك اجزته في عمله لساعات مستوية يستخرجها بترجهار يعمله علماً وعملاً وان يعمل منها ماشاء لوثوقي بعلمه وعمله فيما استقريته من اعماله في جميع ماذكرته عنه نفعه الله بما استفاده ونفعنا بما افدناه وكتب اقل العبيد المظفري الاشرفي ابراهيم بن ممدود الجلاد الموصلي الحاسب في شهور سنة ٦٩٠ هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه اجمعين وشرف وعظم ثم اقول وانا اقل عباد الله ابراهيم الحاسب الملكي المظفري الاشرفي ان مولانا الملك الاشرف بن مولانا السلطان الاعظم الملك المظفر خلد الله ملكهما جدد اصطرلاباً قسمة السدس سنة ٦٩١ هجرية صحيحة وتحرير بالغ اعظم مما قبله مما استدللت به على زيادة فضائله فالله تعالى يزيده من فضله وينور باطنه بعلمه بمنه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم

واقول ايضاً ان مولانا الملك خلد الله ملكه اوقفني على سموت باصطرلاب قسمة الثلث سنة ٦٩٢ والسموت لعشرات فاستقريت الكثير منها اعني من السموت التي عملها بالآلات الصحيحة وبالحساب فوجدتها في غاية الصحة والتناسب مما استدللت بصحة يده وجودة ذهنه وتمكنه في العمل فحكمت بصحة ما يعمله من السموت واجزت له ان يعمل بعد ذلك ما شاء من الاصطرلابات المسمتة وكذلك مما يعمله من الساعات الزمانية والمستوية وخطي الفجر والشفق باي اصطرلاب شاء وذلك من جمادى الآخرة سنة ٦٩٢ والحمد لله حق حمده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه كتب ذلك اقل العبيد المظفري الاشرفي ابراهيم الحاسب في التاريخ المذكور

وهذه صورة الشهادة الثانية منهما : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وكذلك يقول العبد الفقير الى الله تعالى حسن بن علي الفهري المظفري اني شاهدت الاصطرلابات التي اتقن احكامها ووضعها مولانا ومالكنا السيد الاجل العالم الانبل الملك الاشرف ممهد الدنيا والدين عمر بن مولانا ومالكنا السلطان الاجل السيد الاوحد العالم العادل الملك المظفر شمس الدنيا والدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول خلد الله مملكتهما فمنها اثنان قسمة السدس عملا في سنة تسعين وستمائة واثنان احدهما قسمة السدس والآخر اكبر منه قسمة الثلث عملا في سنة تسع وثمانين وستمائة واصطرلابان قسمة السدس ايضاً عملا في سنة احدى وتسعين وستمائة وشاهدت جميع ما عمل بها من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وانصاف الاقطار والقطرين المتقاطعين على ظهورها وامتحنت حروف العضائد المستعملة وقيام الشظايا على العضائد ومقابلة ثقوب الشظايا بعضها لبعض على موازاة حروف العضائد المستعملة واعتبرت كل واحد من ربعي الارتفاع فيها وادراجها من الواحد الى التسعين ومربعات الظل واصابعها الاثني عشر واقدام الظل واعتبرت ارباع الحجرة في جميعها وادراجها الثلاث مائة وستين وخط وسط السماء مع وتد الارض وخط المشرق والمغرب وانتهاء اطراف كل واحد من هذين القطرين الى محاذاة ارباع الحجرة ودوائر المقنطرات ودائرتي مداري المنقلبين ودائرة مدار اول الحمل واول الميزان وخط العصر وخط الفجر ومغيب الشفق والساعات الزمانية وفي الاصطرلاب السداسي الصغير المعمول في سنة تسع وثمانين وستمائة خطوط للساعات المستوية متقاطعة مع خطوط الزمانية ثم بعد ايام قريبة شاهدت الاصطرلاب قسمة الثلث المعمول في سنة تسع وثمانين وستمائة وقد سمت صفائحه الثلث لست عروض وهي عرض يج ٠٠ وعرض يجه وعرض يد ه وعرض يد ل وعرض ٠٠ وعرض كا ه فوجدت سموتها متقنة العمل صحيحة محققة قسمتها بعشر قسي

عشر قسي من قسي السموت ووجدت الجميع من الاصطرلابات المذكورة بقسيتها وتاريخها كاملة الجودة والتحقيق والصحة واجزت له صناعة الاصطرلاب ووضعها سبكا وضربا ورسما لما استقربته من اتقانه ومعرفته وذكائه وفطنته واختباري لاعماله التي احكمها وامتحاني اياها ثم اجزت له ان يعمل ماشاء من الساعات المستوية يستخرجها بطرجهار بحكمه علماً وتحقيقاً وشاهدت طرجهارين من احكامه وعمله احدهما فضة والثاني نحاس فوجدتهما في غاية التحقيق فليعمل ماشاء منها فقد وثقت بما استقربته منه في جميع ماذكرته في خطي هذا ووثقت بقوب معرفته وفطنته نفعه الله بالعلم والعمل آمين وذلك بتاريخ اليوم الثاني من رجب الاصب سنة اثنتين وتسعين وستمائة احسن الله خاتمتها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله اه

وفي الكتاب تساهل في كثير من المواضع في اللغة والاعراب وهو مما يغض عنه في مثل هذه الكتب لاسيما ان كان من طبقة الملوك الذين لا يساعدهم الوقت على التنقيح والمهم في مثل هذا هو تعليم الصناعة بأي عبارة كانت

القاهرة ناظر في الكتاب

مطبوعات ومخطوطات

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

طبع احمد افندي ناجي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي واخوه هذا الكتاب للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ وجلال الدين هذا من المكثرين من التأليف وبعضها جيد ممتع . اما هذا الكتاب فهو ظاهر من اسمه جمع فيه تراجم مختصرة للنحاة في كل عصر مستنداً فيه على ما انتهى اليه من كتب طبقاتهم على اختلاف العصور وقد تبين من الكتب التي سردها في المقدمة ان معظم كتب التاريخ المفقودة الآن كانت في عصره موجودة بكثرة ما استدللنا على ان الزهد في هذا الفن كثر بعد التسعمائة . والاربعة القرون الاخيرة هي عصور الظلمات لا محالة . وقد بدأه بالمحمدين ثم ذكر الاحمدين ثم ساق اسماء الرجال على حروف المعجم ووقع في ٤٦١ صفحة بالقطع الكبير وهو يطلب من مكتبة محمد امين افندي الخانجي الكتبي الشهير في الحلوجي باثني عشر قرشاً ورقاً وخمسة عشر قرشاً مجلداً وهو من الكتب التي يجدر بكل طالب نحو ان يقتنيه ليعرف رجال فنه ويطلع على احوالهم ونكاتهم وآدابهم . وقد اعتمد الطابعون في طبع هذا الكتاب على نسخة في دار الكتب

المصرية وصححوها بقدر الامكان على ما ظفروا به من النسخ واجادوا انتقاء حروف طبعها فشكرًا لهم ·

نهضة الامة وحياتها

هي مقالات كانت دبجتها براعة الشيخ طنطاوي جوهري المشهور بكتبه العصرية ونشرها تباعًا في جريدة اللواء الغراء فحازت استحسان القراء وهي في موضوعات شتى اجتماعية وعلمية · وقد قدم له صالح بك حمدي حماد من ارباب الاقلام في هذه العاصمة مقدمة ذكر فيها ما حواه الكتاب فقال انه ضم ثلاثًا وخمسين رسالة او بحثًا جمعت فاوعت مما يهدي معاشر المسلمين في جميع اقطار المعمور معرفته والاطلاع عليه فصور رجال الامة اجمل تصوير وارشد احكام ايما ارشاد ووصف الامم المظلومة احسن وصف وقال في المدنية وعلومها ما شاء ان يصوغ قلمه البليغ وجال جولة في علوم الاسلام والازهر ورجال الدين وافاض في شرح المجالس النيابية ببيان لم ينسج على منواله وذكر تأليف الكتب وتصنيف الاسفار وبيان التأليف عند الامم وكيف يؤلف التاريخ ثم الشعر ودرجاته وذكر نظام الجندية والقرعة العسكرية الى غير ذلك من الافكار العالية التي تدل على علو كعبه في البيان والتبيين وقد وقع هذا السفر في ٢٨٤ صفحة ويطلب من ادارة اللواء والمكاتب الشهيرة فنثني على مؤلفه وناشره وطابعه بما هم اهله ونشكرهم على هذه الهدية النفيسة ·

تاريخ الحضارة

لمسيو شارل - سنيوبوس احد اساتذة كلية السوربون في باريز كتاب في ثلاث مجلدات سلسل فيه تاريخ الحضارة فالاول في الحضارة عند الامم القديمة والثاني في الحضارة في القرون الوسطى والعصور الحديثة والثالث في الحضارة العصرية · وقد عرب صاحب هذه المجلة الجزء الاول منه الآن وبعد ان نشر في المقتبس تباعًا افرده في كتاب على حدة وهذا المجلد فيه ذكر الحضارة عند امم الشرق القديمة من المصريين والكلدانيين والاشوريين والبابليين واليهود والفينيقيين والفرس وامم الغرب القديمة وهم اليونان والرومان وقد توسع المؤلف كثيرًا في الكلام على هاتين الامتين حتى لم يبق في النفس شيء من امرهما كل ذلك على اسلوب لطيف وتنسيق في الغاية من الجودة وقد التزمنا فيه التعريب بالحرف مخافة ان يضيع شيء من معانيه وان كان هذا النوع من الترجمة لا يحمد في الاغلب · وهو في زهاء ٢٢٠ صفحة من صفحات المقتبس ويطلب في القاهرة بستة قروش اميرية من مكتبة

المؤيد بشارع محمد علي بالقاهرة ومكتبة هندية بالموسكي ومكتبة البابي الحلبي · ومن دمشق من مكتبة محمد افندي هاشم الكتبي ·

الدين الاسلامي والتمدن

كراسة الفها باللغة الافرنسية السيد ابو بكر عبد السلام بن شعيب من تلمسان اتى فيها بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تثبت ان الاسلام موافق كل الموافقة لروح التمدن الحديث فضلاً عن منافاته للمدنية كما يدعي بعضهم في اوربا وقد اورد بما اورده خلاصة الشرع الاسلامي رداً على من يصورونه في صورة تغاير حقيقته وقال ان فرنسا اذا احبت ان لا يعود المسلمون من اهل الجزائر الى ما كان عليهم اجدادهم العرب من الهمجية قبل الاسلام وجب عليها ان تضاعف عدد المدارس، وتسهل على ابنائهم دخولها وتعلمهم بحيث يكونون على استعداد لادراك مبادىء دينهم والتسامح رائدهم · وقد نشرت هذه الرسالة في المجلة الوطنية بباريز اولاً فنشكر لغيرة كاتبها واديبه الغض وهي تطلب منه في تلمسان احدى ولايات الجزائر

سير العلم والاجتماع

آثار خوزستان

اقليم خوزستان في فارس من الاقاليم التي رخصت حكومتها لفرنسا ان تأخذ منها جميع ما تعثر عليه من الآثار كما عقدت معها عقداً سنة ١٩٠٠ يكون بموجبه لفرنسا حق استخراج العاديات من فارس كلها دون غيرها وقد حفر المسيو مورغان العالم الاثري في سوس عاصمة ذاك الاقليم فظفر فيها بآثار مهمة حملها في ثمانين صندوقاً وراح يعرضها في متحف اللوفر بباريز وقد كتب عنها بعضهم في جريدة «الآتال» فصلاً ضافياً قائلاً ان المقر ما زال في سوس قائماً على ساق وقدم منذ بضع سنين برياسة هذا العالم الاثري وسوس هي المدينة الغربية التي خربت مرات واعيد بناؤها فانشأ بالآجر المستخرج من انقاض الاسوار في تلك المدينة قصراً حصيناً اشبه بقلعة ليكون في مأمن للقيام بمهمته وقد نجز بناء هذا الحصن وكانت هذه البعثة الاثرية من قبل عرضة لنهب الاعراب من سكان البوادي · واكتشف في الحفريات الحديثة بقايا المدينة الاولى التي كانت قبل المسيح بخمسة آلاف سنة واكتشفوا

كمية من الخزف والاواني المنقوشة التي رسمت على مثال الصناعة اليونانية مما استدل منه على ان الصناعة الكلدانية اساس الصناعة اليونانية فان ملوك خوزستان بعد ان خربوا بلاد الكلدان اخذوا الى عاصمتهم سوس كل ما كان عند المغلوبين من الاعلاق والنفائس وزينوا به قصورهم . وانك تجد هذه الاعلاق المذكرة بتلك الحضارة في سوس اكثر مما تجد منها في بابل نفسها . وقد جمعت تلك البعثة ما طالت اليه يدها من الخزف المنقوش الذي كانت جعلت منه جدران قصر ملوك الاخمانيين ومتى جمعت كلها يكون منها صورة تامة يتأتى الوقوف بها على واجهات ذاك القصر وكيف كانت . قال ولقد دهشنا بما شاهدناه من تلك الاواني والاكواب والصحاف المنقوشة بالمشجر اللطيف وبصور الحيوانات التي جعلت على نسق دلَّ على ذوق اكيد وذكاء حقيقي وتحققنا ان هذا الخزف صنع بحذق يوازي حذق صناعنا في صنع الصيني وقد جعلوا منه اشكالاً كثيرة فمنه تماثيل دينية او العاب للاولاد او عجلات صغيرة او غير ذلك من التحف والطرائف . وفي هذه المجموعة النفيسة تماثيل لمشاهير منها بعض رجال معروفين مثل تمثال الملك مونيشتوزو الذي اتى المسيو مورغان بقانونه الذي كتبه منذ اربعين قرناً قبل المسيح وقد كتبت على التمثال كتابة تؤكد انه ملك سوس بعينه

الانتحار

اثبت الاستاذ قيصر لومبروزو الفيلسوف الطلياني ان الحب هو اول باعث على الانتحار واذ ان الرجال في العادة اكثر اقداماً على الانتحار من النساء في الغالب فقد بلغ عدد المنتحرين في ايطاليا في سنة ١٨٧٥ و٧٧ و٧٨ — ٢٥١٦ مقابل ٥٦٩ منتحرة وان عدد المنتحرات بعوامل الحب هو من ٧٠ الى ٧٥ في المئة . وعدد الرجال من ٣٠ الى ٤٠ في المئة وكذلك الحال في فرنسا فان عدد المنتحرين ١٧٠٠٠ مقابل ٦٠٠٠ من النساء فينتحر بدواعي الغرام ٣٨ في المئة من النساء وسبعة في المئة من الرجال فقط وبهذا صدق المثل الافرنجي القائل « فتش عن المرأة » اشارة الى انها سبب كل بلية

مساوىء الملح

ثبت بالتجارب الكيماوية والفسيولوجية مؤخراً ان الملح المستعمل في المطابخ لاجل تحضير الاطعمة يأتي في بعض الاحوال باضرار شبيهة بالتسمم . ويكفي ان الكلى لا تفرز الفضلات من كلورور الصوديوم بكمية كافية وتبقى في الجسم فتحدث فيه اضطرابات . وكان الاطباء يصفون لمن يصاب بهذا التسمم الاقتصار على اللبن لان فيه راحة للكلى ولا ينشأ من تناوله

اقل تأثير في اخراج الفضلات . فيقل بالتدريج معدل الالبومين الذي يخرج في البول بواسطة استعمال اللبن و يزول التورم والاستسقاء . الا ان الناس لا يروقهم تناول اللبن و يريدون ابدال غيره به و يسوغ لهم استعمال اللحوم والخبز والسكر والارز والمعجنات على شرط ان لا يكون فيها ملح قبل الطبخ ولا بعده . وقد قال الدكتور فندال القائل بحذف الملح من الطعام ان احدهم اصيب بانتفاخ في كعبه ثم سرى الى ساقه فكان يألم كثيرًا فوصف له استعمال الخبز واللحم والبطاطا والزبدة ولكن بدون ملح فأسرع شفاؤه اكثر من اللبن ولكن لما اضافوا الى الطعام شيئًا من الملح عاود المرض المريض . فمن ثم يرى الطبيب المشار اليه ان يمتنع تمامًا عن اخذ الملح في بعض الامراض .

الكنس

رأت بعض المجلات العلمية ان خير واسطة لدفع مضار الغبار من الدخول عند كنس الشوارع من النوافذ والابواب بل من السريان الى انوف المارة وافواههم هو ان لا يكنس الكناسون الا بعد ان يرش الرشاشون وكذلك الحال في نفض البسط والاثاث فان على من اراد ان لا يضر بصحة الناس ان لا ينفضها قبل ان يرشها بماء لتصبح ندية وان من الواجب على البلديات ان لا تغفل هذا الامر الصحي .

اللبن الحليب

منذ تبين ان في بعض البقر جراثيم السل تنقل عدواها بواسطة لبنها اخذ الغربيون وهم ائمة في الوقاية يحترزون من اخذ الحليب من بقرة مريضة و يبالغون في التوقي الاان النفوس ما زالت على كثرة النظافة التي اصبحت طبيعية في الفلاحين واهل المدن في الغرب غير مطمئنة في هذا السبيل فانشأت مدينة روبيه في فرنسا محلا لتربية البقر يعنى فيه بصحتها ونظافتها عناية لا يكاد يصدقها العقل كما يعنى بصحة من يحلبونها ونظافة اجسامهم واطرافهم

اجور الكتاب

فرنسا من اكبر بلاد الحضارة كتابًا ولذلك قلت فيها اجورهم حتى لا تكاد تقوم بنفقات الطبقة الوسطى منهم اما في انكلترا فان الكتاب قلائل وهم يعيشون في سعادة اكثر فقد زادت اجورهم خمسين في المئة منذ خمس عشرة سنة . ونسب بعضهم ذلك لوجود نقابات للكتاب تنظر في مصلحتهم كما تنظر في مصلحة ارباب المطابع . و يقال ان تسعين في المئة من المسائل الادبية في لندرا تفض بواسطة ست نقابات تمحضت لهذا الغرض فتدفع المجلات ثمن القصة في الغالب من ثلاثة جنيهات الى خمسة في كل الف كلمة ومن

يربحون كثيراً من كتاباتهم كبلتنغ الكاتب فانه يأخذ شلناً عن كل كلمة تخطها يده و يأخذ كونان دويل ثلاثة فرنكات عن كل كلمة من سلسلة رواياته شارلوك هولمز . اما في هذا الشرق الادنى فقد ارتقت اجور الكتاب في السنتين الاخيرتين فابتدأت مصر تدفع للطبقة العالية من كتاب الجرائد رواتب متناسبة مع ثروة الصحف وحالة البلاد وتبعها الاستانة الآن التي تنسج على منوال الصحف الاوربية في محرريها وموازريها ومكاتبيها .

غلاء المنازل

ارتفعت اجور المنازل في جميع عواصم الارض في هذا القرن قرن الازدحام والاجتماع وقد نشرت نظارة الاشغال في باريز احصاء جاء فيه ان المنزل الذي كان يوجر بثمانين فرنكاً سنة ١٨١٠ اصبح يوجر بمئة وعشرين سنة ١٨٥٠ و بمائتين وعشرين سنة ١٨٧٠ و بثلثمائة وعشرين سنة ١٩٠٠ و بثلثمائة وخمسين سنة ١٩٠٣ ومثلها قواعد الولايات وان تكن النسبة اقل

النساء والاطفال

قررت فرنسا ان يمنع العاملات اذا كانت سنهن اقل من ١٤ من حمل رزم وزنها اكثر من خمسة كيلوغرامات والاولاد ان لا تجاوز حمولتهم اكثر من عشرة كيلوغرامات . كما حظرت على الفتيان والفتيات ان لا يستعملن الدراجات الحمالة التي تسير بالبترول الا اذا تجاوزن سن الثامنة عشرة

المواليد

يولد في كل الف امرأة تختلف اعمارهن من ٣٥ الى ٥٠ في برلين ٤٧ مولوداً من عائلة غنية و١٥٧ من عائلة فقيرة وفي باريز يولد في طبقة الاغنياء ٣٧ مولوداً و١٠٨ اولاد في الطبقة الفقيرة و يولد في فينا ٧١ مولوداً في كل بيت غني و٢٠٠ في الالف في البيوت الفقيرة وفي لندرا ٦٣ مولوداً غنياً في الالف و١٤٧ مولوداً فقيراً

الهواء

حملت بعض الصحف الباريزية حملة صالحة على قلة الهواء الذي يتخلل الاحياء والشوارع وقالت ان الفراغ آخذ بالقلة مع الزمن وان قلة الساحات العامة والحدائق هو الذي يكثر من الامراض ولا سيما السل وانه ثبت ان الاحياء القليلة الساحات والفسحات كانت اكثر تعرضاً لهذا الداء الوبيل . وللندرا ١١٦٨ هكتاراً من الارض البراح ما عدا احدى عشرة حديقة في وسطها وفي باريز ٢١٤ هكتاراً من الفراغ ما عدا غابة بولونيا التي تحسب ضاحية فالواجب الاكثار من الحدائق لان الهواء هو الصحة

التمثيل للاولاد

رأى مارك توين الكاتب الاميركي المشهور ان تقام دار للتمثيل خاصة بالاطفال والشبان فلبي طلبه وانشئوا دار تمثيل سموها « مسرح تربية البنين والناشئة » ولا يمثل فيها الا المولعون بفن التمثيل ويقتدرون في تمثيلهم على الروايات المدرسية وبذلك يمتنع كثير من الشبان عن غشيان دور التمثيل التي لا تمثل فيها الا الخلاعة والرقاعة

جيش المتمردات

قال احد كتاب الانكليز لا يزال عدد المتمردات من العاملات الانكليزيات في ازدياد ففي انكلترا زهاء خمسة ملايين ونصف من النساء العاملات وهو جيش اضخم من جيش كسركس ملك الفرس بل اكثر من سكان لندرا . فمنهن ٨٦٧٠٠٠ عاملة في معامل القطن و٩٠٣٠٠٠ في المصنوعات اليدوية و٨٠٥٠٠٠ في التجارة ونحو مئة الف في الزراعة و٥٥٧٨٤ حاسبة و٢٠٠٠٠٠ معلمة و٤٤٠٠٠ موسيقية وممثلة و٧٩٠٠٠ مرضعة و٢٩٣ طبيبة . ومن هؤلاء النساء ثلاثة ملايين لم يتزوجن وان كن جاوزن العشرين من العمر ومنهن مليون رضين ان يبقين عانسات بعد بلوغهن الخامسة والثلاثين وعدد الايامى منهن ٧ ١٣٤٦٤ ايامى

العامل العظيم

تبين ان اديسون مخترع الكهربائية اشتغل مدة اربعين سنة كل يوم ست عشرة ساعة اي انه عمل ما يوازي عمل العامل المهم في مئة سنة بدان المرء لا يعجب من عظمة اعمال كبار الرجال بقدر ما يعجب من مقدرتهم على معاناة العمل .

مطاعم الشعب

أي امرىء فيه ذرة من الانسانية يمر بجماعة من العملة وقت الظهر وهم يتغذون ولا تأخذه الشفقة عليهم ويتأثر لجور هذه المجتمعات في قوانينها . تعطي الغني حتى تتخمه وتمنع الفقير حتى تميته . ولكن ابن هذه البلاد جبل على القناعة من طبعه اذا حاز الخبز القفار عده نعمة وان تيسر له ان يلته بشيء من مرق الخلل او يجمع معه الزيتون او البصل او الفجل اغتبط وعد ذلك سعادة . واليوم الذي يتناول فيه اللحم والارز والبقول والفول هو يوم عيده وهنائه .

بيد ان ابن الغرب ليس كابن الشرق في هذه الحال وذلك لان مناخ الغرب يقتضي من جيد الاطعمة ما يقدر معه العامل ان يقاوم هواء بلاده ويتحمل مشاقها

ولا سيما عملة المعامل . وهناك جمعيات وافراد كثيرون ممن اسبغ الله عليهم نعمه يفكرون للبائس الفقير اكثر مما يفكر لنفسه ويأسفون لحرمانه فيسعون التسعيه حتى يساوي اهل السعة في بعض ما يجب لقوام جسمه من المطعم والمسكن لتستفيد بلاده منه اذا جادت صحته وسلمت آدابه

هناك يتأثر المحسن اذا رأى اولاداً يأكلون قليلاً لفقرهم ويطعمون أردأ الاطعمة ويشفق الفسيولوجي على الفتيات العاملات لقلة ما يدخل معدهن من الطعام المغذي ويهتم الاخلاقي اذا رأى ابنة تهيم في الشوارع على وجهها تملأ بطنها . ولذلك قام فيهم امثال الاميرة دي غال (الملكة فيكتوريا) في لندره ومرغريتا مورجانستين في برلين وروتشيلد في باريز وغيرهم او غيرهن في عواصم الغرب وقواعده حيث تصعب المعيشة لازدحام اقدام السكان .

ولم ير القوم هناك احسن من انشاء مطاعم للشعب على النحو الذي اسسه جماعة من محسني اليونان في الاسكندرية يأكل فيها العامل او العاملة هنيئاً مريئاً لقاء دريهمات تمكنه حالته من ادائها كل يوم . وكانت سويسرا هي السابقة الى انشاء امثال هذه المطاعم والاستكثار منها وبعضها مما انشأه النساء . وكم للنساء في الغرب من يد في الخيرات كما لهن ايد في غيرها .

رأى اصحاب المعامل هناك ان مصلحتهم تقضي عليهم بان يتغذى عملتهم تغذية جيدة فانشؤا لهم مطاعم يبيعونهم فيها جيد الطعام بثمن بخس وذلك لان هذه المطاعم لا يقصد منها اربابها ربحاً كثيراً بل يطلبون ان تقوم بنفقاتها فقط وتسر عملتهم وتقتصد لهم من اوقاتهم ومالهم وتنفعهم في صحتهم وتدفع عادية الامراض عنهم . وقد اسست في باريز مدرسة عالية اشبه بكلية للشعب وفي جوارها مطاعم للتلاميذ يتناولون طعاماً جيداً بثمن بخس كما يتعلمون مجاناً

وزاد عدد هذه المطاعم في اوربا في العهد الاخير ولا سيما في انكلترا والسويد والنروج وسويسرا والمانيا وفرنسا بسبب كثرة المدارس التي يتعلم فيها الفتيات فن الطبخ وتدبير المنزل فيعالجن صنع الوان الطعام ليتعلمن بالعمل وكل ما زاد منه ترسله ادارات المدارس الى مطاعم انشأتها في الجوار لتبتاعها العملة والعاملات ولا سيما العاملات بثمن قليل

ولا تتوخى معظم تلك الشركات والجمعيات الربح من تأسيس مطاعم الشعب وقد رأت بعضها ان تحدد القدر المقتضي لرأس المال من الارباح وما زاد عنه وهو قليل ايضاً يستعين به على انشاء مطاعم أخرى في احياء أخرى او مدن أخرى . وكانت انكلترا بدأت تانشاء هذه المطاعم على عهد كانت الملكة فيكتوريا اميرة دي غال قبل توليها عرش

اجدادها ففتحت هي وزوجها المطعم بيدها واكلت منه وجبة كلفتها اربعة بني ونصفاً (٤٥ سنتيماً) ثم كثرت المطاعم على هذا النحو في انكلترا واكثرها لايكلف زيادة عن نصف فرنك كل وجبة تحتوي على بقول ولحوم وجزء من لبن

وفي المانيا جمعيات كثيرة من النساء انشأت في أمهات مدن الالمان ولا سيما الصناعية مطاعم كثيرة تكلف الوجبة فيها اربعين سنتيما والطاهيات والخادمات هناك من النساء. وقد انشيء فيها محال لبيع اللبن والشاي والزبدة والقهوة باثمان رخيصة تقاوم أعمال المحال التي تبيع المسكرات . وتفردت المانيا وحدها بانشاء مطاعم للمرضى الناقهين تقدم اطيب الاطعمة بحسب وصية الطبيب بأثمان لاتزيد الوجبة منها عن ستين سنتيما . والفضل في ابتكارها أولاً لمعمل كروب المشهور ثم عمت هذه الطريقة معظم اقطار المانيا

وللنساء السويسريات يد طولى في انشاء مطاعم للشعب . ومن جملة الفنادق التي انشأتها فنادق ينام فيها المرء ويأكل ويشرب ولا يدفع اكثر من ثلاثة فرنكات ونصف وترى فيها النظافة على أتم مايمكن ان يكون والمواد جيدة ولا تجد في معظم هذه المطاعم أثراً للمشروبات الروحية وفي بعضها محال للمطالعة والتسلية المشروعة . وقد نجحت مطاعم الشعب في ولايات فرنسا اكثر من نجاحها في باريز لغلاء الاجور فيها وارتفاع اسعار مواد الاجور وثبت بالاستقراء للباحثين انه لايتأتى اطعام شاب في مطعم طعاماً كافياً بأقل من فرنك و١٥ سنتيما الى فرنك وربع

ويرى بعض الاجتماعيين ان مطاعم الشعب يجب ان لاتحصر عملها في اطعام الطعام الجيد للفقراء ممن ينتابونها بل ان تعلمهم وتربيهم وأن لايكتفى فيهافقط بحظر بيع المشروبات الروحية بل ان يستعاض عنها بالاشربة والحلواء المحللة الصحية مايتسى معها الذين اعتادوا تناول الالكحول ان لايعاودوا احتساءها . والسكر احسن مولد للحرارة في الجسم ومعين على الهضم ولذلك رأت المانيا ان تدفع كل يوم ستين غراماً من السكر لكل جندي يتناوله مع الماء والقهوة والشاي . وان البلاد التي لا يطيب ماؤها حريٌّ بها ان تغلي الماء على النار في الاوقات التي لاتنتفع بها وتمزجه بقشر البرتقال أو الاقحوان فاذا جاء المستطعمون يتناولون منه فيجعلون فيه سكراً او يكرعونه صرفاً وهو يغنيهم عن كل شراب وينشط اجسامهم . وظهر من فوائد مطاعم الشعب ان الامراض كانت تقل بين من يطعمون فيها لانهم يكرهون على غسل ايديهم قبل الجلوس الى الموائد . ومعلوم ان دار يق الفم هو الواسطة العظمى في العدوى من الامراض ولا سيما الهواء الاصفر فكان من هذه المطاعم ان علمت المختلفين اليها ان يطهروا ايديهم سوءاً او كرهاً .

هكذا يعمل الغربيون وعلى هذه السنة جرى بعض النزالة اليونانية في الاسكندرية منذ اشهر ففتحوا مطاعم لامتهم يصرف فيها القليل وينتفع فيها بالجزيل . فهل لافراد في امتنا ان ينهضوا بدافع الشفقة على مثال الامم الناهضة فيؤسسون مطاعم للبائسين ولا سيما في العواصم ومدن الاقاليم الكبرى حيث الغلاء ضارب بجرانه بما يعد معه غلاء اكبر مدينة في اوربا رخصاً وسعة

آداب الجرائد

كتب الدكتور رنيول في مجلة مستندات الترقي مقالة في الجرائد السياسية وآدابها قال فيها وهو يقصد في الاكثر صحف فرنسا : ان المرء يقع اختياره في الغالب على مطالعة جريدة من الجرائد تطلعه على الشؤون السياسية والحوادث المنوعة والعلوم والآداب بل على كل مطلب من المطالب اللازمة ولذلك كانت الجرائد هي المهذبة العظمى للامة الا انها تستعمل ما لها من التأثير في الشر احياناً فمن جرائدنا من جعلت همها الوحيد لفت الانظار الى مطالعتها فهي تبذل في هذا السبيل كل شيء فتدعو من اجل ذلك اشرف العواطف وتقلبها الى شهوات ضارة فتجعل الوطني مهوساً والمؤمن متطرفاً والمتسامح مبتدعاً والمنتخب المتعقل سياسياً ناقصاً وتوقد نيران التباغض بين الاجناس والطبقات والاديان والآراء وبفضل الجرائد تنقسم الامة الى شطرين متعاديين يوشك ان يحمل احدهما على الآخر في المسائل العادية كاعادة النظر في احدى القضايا

هذه الجرائد تعظم الحوادث الساذجة لتستكثر من القراء . ان دعت الى الاجتماع لسباق الخيل تقلب علم الفروسية ظهراً الى بطن وان احبت عقد مؤتمر من التجار تضاعف ثروة الامة عشرة اضعاف ماهي عليه وان اقترحت الاحتفال بسباق السيارات تزعم انها احيت هذه الصناعة . نعم هي تدعي أيضاً انها تظهر المحكوم عليهم من الابرياء وتشهر الصناعات السامة وتشرف على المطاعم المغشوشة .

للاستكثار من القراء تقيم الجرائد مسابقات سخيفة فهي تقترح عدّ حبات الدخن الموجودة في زجاجة وان تحزر الكلمات المحذوفة من رفرف (قصة في اسفل الجريدة) تافه وان يعثر على كنز مخبوء في احدى المتنزهات العامة وذلك بان تعلن بانها تدفع جوائز تقدرها بمئات الالوف من الفرنكات . هي تعمل ذلك ولا حرج عليها لانه لا يكلفها غير الوعد فاذا ما انحل الاشكال المطلوب حله فلا يكون الا على يد شريك لها تقاسمه الربح او لا تعطيه منه شيئاً

لاجل ان تحبب الجرائد الى الناس قراءتها تغرس فيهم الميل الى قلة الرصانة وسماع

اللهو والعبث فتقص عليك كيف ان احدى الممثلات تلبس قفازيها (كفوفها) وتركب في المركبة وتذكر كل تفصيل عن غانية اشتهرت وتورد لك اسماء اشأم الاشرار موربة انهم من الابطال تستجلب عليهم الرحمة وتفاوضهم بعناية . لا كثار هذه الجرائد قراءها تستخدم رقة القلب الكاذبة في العامة بان تأتيهم بحوادث غريبة منوعة ومدهشة تقيم وتقعد . محررو الجرائد يجتمعون كل مساء في القهوة فاذا لم تحدث في المدينة حوادث خصام ولا توقيف احد بالقوة ولا انتحار ولا فجائع عشق ولا غيرها مما يقضي عليهم ان ينشروه في جرائدهم يخترعون شيئاً منها بالاتفاق بينهم اتفاقا لايخرج احد عنه

هذه الجرائد تدعو الناس الى قراءتها بنشر انباء الاكتشافات الكاذبة والمبالغة في رفع اقدار ادعياء العلم الى السماكين وتتملق للمتأدبين المنحطين والموسيقيين الساقطين . نعم هي تساعد على نمو الفضائح مدعية انها مولعة بالحق ولكنها تحترز من افشائها اذا كان فيه مس احساس بعض الشركات الكبرى . وحدث ما شئت ان تحدث عن تلاعبها في ذكر نقابات باعة الخمر فهي تتوقى من ذكر اسم سكير وتستعيض عنه عند ما يأتي في باب الاخبار المنوعة بلفظ المغضوب او فاقد الصواب

ومتى الحت تلك الجرائد بكثرة سواد قرائها لا تستنكف من بيع اعمدتها للاعلان عن ارباب المومسات وبائعي السميات واللصوص . لاتراعي فيها تنشر إلاً ولا ذمة ما دام المعلنون يدفعون لها اجور الاعلانات . وليس احسن من الجرائد للرقيق الابيض يطلب على لسانها احدهم على صفة انه رجل في بلد بعيد يريد فتاة لتكون في بيته وصيفة او معلمة او مؤنسة فاذا حملت اليه لاتجد المسكينة غير بيوت الريبة تنتظرها وكذلك الحال في المتجرات بالاعراض من النساء فانهن يعمدن الى الصحف فيجعلنها وسيطة بينهن وبين زبنهن مقترحة بانهن يعطين دروساً في اللغة او يعرضن تحفاً ونفائس .

ولقد يجعل باعة الترياق والادوية الشافية من الصحف واسطة لممارسة طبهم ولا ينالهم عقوبة فيوصون باستعمال العقاقير الضارة مثل خلاصة التيرويد والمسهلات السريعة وغيرها . وكذلك يفعل المالیون فيها للاعلان عن مسائل لم تجر في مطاويها الغش والخديعة وتخرب بيوت السذج من الناس .

وكثيراً ما تبلغ الحال بتلك الجرائد ان تهدد بعض الناس او يرضونها بما تريد ولتنشر خبر فضيحة وتعد واعدة ان تأتي من الغد بشرح واف على ما جرى والله اعلم متى يجيء هذا الغد اذا خف اليهم المفضوح فرشاهم ليسكتوا

ايها القارىء انك اذا ابتعت الجريدة الفلانية تعتقد بانها لا تكلفك غير فلس واحد فانزع

هذا الوهم من نفسك فكثيراً ما يكون منها اضرار بصحتك وثروتك وشرفك فما تدفعه من ثمنها يجعلك شريكاً لها في جرائمها ٠

واقد سرى فساد هذه الجرائد ولصوصيتها في الاخلاق حتى ان القوم لم يعودوا يفكرون في لومها ٠ ولما اتهم في قضية برزخ باناما اناس من مشاهير كبار رجال السياسة طالب الصحافيون منهم باجرة المقالات المنشورة كأنهم يطالبون بحق ولكن تلك المبالغ التي قبضوها تجاوزت الاجرة المعتادة بما لا يقال ٠

هذا والحكومة تعين الجرائد على ما هي في سبيله فهي لا تكتفي باعطائها مبالغ من المال سراً بل توافقها على جميع مطالبها فتساعدها حين الحاجة بجندها لتستخدمها اعلاناً عن نفسها وتضع قسماً من اسطولها تحت امر ارباب الجرائد ليجعلوا سفنه رسمية لسباق القوارب الذي يقومون به وتسحب الحكومة يانصيب باسمها اكراماً للصحف ٠قال لي احد مديري الجرائد ذات يوم : انا لا ادعو الى الفنون ولا الى الآداب ولا الى العلم انني تاجر واريد ان انظر في مصلحتي وما جريدتي الا حائط يعلق اعلانه عليه كل من يؤدي اجرته٠ قال هذا ولكن فاته ان هذا الحائط متحرك يدخل في كل مكان ويزيد عدده الى مالا نهاية له ويبيعه من القارىء ٠ فانت ايها الصحافي مسمم لعقول العامة لا تقل في ضررك عن ذاك (البدال) الذي يغش المأكولات ٠

سأل احد كبار اغنياء الاميركان ذات يوم عن احسن الطرق التي يتيسر له ان يصرف فيها جزءاً من ثروته في عمل خيري ولو سمع مني لرأى حاجتنا ماسة كل المساس الى تأسيس جريدة سياسية ذات وقار وحشمة واعني بها جريدة تقول الحقيقة ابداً او ما تعتقد انه الحقيقة ولا تنشر الا الاعلانات التي تعترف بصحة ما فيها اه

صدور المقتبس

نحمد الله على ان وفقنا الى الجري على سنة النمو الطبيعي في هذه المجلة وهدانا الى سبيل التسهيل في اقتباس الفوائد واقباسها جهد الطاقة على صورة مقبولة في الجملة ولم يزين لنا الحوض الا فيما درسناه واعتقدناه فيه الغناء . ونشكر لموآزرينا من اهل العلم وحملة الاقلام الذين جعلوا من المقتبس مباءة لبنات افكارهم وخزانة لخلاصة ابحاثهم كما نثني على من نشطونا على اطراد الخطة التي سلكناها ونوهوا بها ولا سيما تلك الفئة الفاضلة العاقلة من علماء المشرقيات من الغربيين سواء كان بما نشروه في مجلاتهم او بتفضلهم بمكاتبتنا بما يشف عن حسن ظن بضعفنا وفضل ادب فطرت عليه نفوسهم . ولقد لقينا في عامنا هذا من اقبال القراء في كل قطر تقام فيه للعربية سوق ما اغتبطنا به فزاد الطلب على السنتين السالفتين حتى اضطررنا الى اعادة طبع عدة اجزاء كانت نفدت من عندنا فاستقام بذلك حسابنا ووازى الدخل الخرج في نفقات الطبع والنشر

ونرجو من المشتركين ان يعذرونا على اسراعنا في اصدار الاربعة الاجزاء الاخيرة من السنة الثالثة دفعة واحدة . . فقد اضطررنا بسبب ارتفاع الضغط عن العقول وانتشار حرية المطبوعات في البلاد العثمانية الى مغادرة هذا القطر السعيد وسيصدر المقتبس ان شاء الله في غرة المحرم القادم من مدينة دمشق قاعدة بلاد الشام بعد ان صدر في عاصمة القطر المصري ثلاث سنين آخذين على النفس ان لا نحيد قيد شبر عن الخطة المرسومة فنصرف العناية في تمحيص المسائل بقدر ما تسمح به الحال وتخير الموضوعات التي تفيد وتلذ . وفي الختام نودع وادي النيل ونهدي سلامنا لاهله علمهم الله علماً يحفظون به كيانهم ويعلي بين المتحضرين شانهم . ونستغفره عز سلطانه مما طغى به القلم وزلت به القدم انه اكرم مسؤول

فهرس المجلد الثالث من المقتبس

« تمت »

هدية لخزانة كتب الكلية الصلاحية في القدس
من منشئ المقتبس
محمد كرد علي
٢٠ شعبان ١٣٣٤

المقتبس

مجلة أدبية علمية اجتماعية

تصدر في كل شهر عربي بدمشق

لمنشئها

محمد كرد علي

المجلد الرابع

١٣٢٧ — ١٩٠٩

قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف
وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً

طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

سنتنا الرابعة

يفتتح المقتبس عامه الرابع بحمد الله جل ثناؤه والشكر على ما وفق اليه من نشر الحقائق التي يهدي اليها البحث والدرس لاهجاً بالدعوة التي طالما دعا اليها مجملاً ومفصلاً من ان مقصده نبث دفائن المدنية العربية وبث خزائن الحضارة الغربية مع ما يقتضي لذلك من النظر في تاريخنا وتاريخ الغربيين وادابنا وآدابهم وفي مناحينا ومناحيهم وافعالنا واعمالهم ناعياً على الجامدين على القديم اذ الاقتصار عليه وحده هو العقم بعينه داعياً الى تناول الضروري من الحديث لان القديم وحده يبلى ولا حديث لمن لا قديم له ومن لم يحرص على جديده فهو اقرب الى الزهد كل حين بقديمه

ندعو الى الاخذ بمعارف الغربيين لان ما اصاب هذا الشرق من ضعف العقول والملكات نشأ عن انصراف القلوب عن الاهتداء بهديهم ونهج سبيلهم في مادياتهم ومعنوياتهم والوقوف عند حد ما رسمهُ المخرفون والمخرقون فصدونا عن سبيل الانتفاع بالماضي وبالحاضر وحرموا بالتعصب الممقوت ما لم يحرمهُ عقل ولا نقل وسدوا الآذان عن سماع داعي المدنية وغضوا الابصار عن النظر في بدائع العلم والصناعة

وان المقتبس ليغتبط اليوم بصدوره من ضفاف بردى بعد ان انتشر على ضفاف النيل ثلاث سنين ولئن كان بردى بعض جداول النيل وترعه فان المسك بعض دم الغزال ولئن قدر لمصر اليوم ان تسبق الشام في قوتها الادبية والعلمية فليس ذلك من الجديد لما عرف به قديمها وان كان وادي النيل افسح والخصب فوادي جلق الفيحاء اثمر واعشب والسر في السكان لا في المكان . فعسى ان لا تكون ارض الشام اقل استعداداً لقطف ثمرات العلوم والمعارف وان يظل مؤازرونا على اتحاف هذه المجلة بنتائج عقولهم فلا تعظم فائدة العمل اذا استقل به الفكر الواحد ولا تتنوع بفرد افانين الفنون والآداب ونسأله تعالى تسديدنا وهدايتنا

الشام والحرية [1]

سادتي الفضلاء

احمد اليكم الله الذي آخى بينكم فجمعكم في صعيد واحد بعد ان كانت كلمتكم متفرقة واشكره تعالى اذ جعل لي لسانًا ناطقًا في هذه الدار الكريمة المشرقة بانواركم المتألقة واقدم اليكم بالثناء الصادر من صميم الفؤاد على تنازلكم باجماعكم على طلب مقولة مني في هذا المقام وقد سئمت الكلام فهربت من مصر الى الشام ولكنني اظن ان الله كتب عليّ الكلام حتى يوم الحمام فليس لي من مفر والسلام

بيد اني اسألكم الصفح يا نجوم الفيحاء عما تجدونه في محاورتي لكم من التقصير فعذري ظاهر وانتم انتم الكرام

لعل هذه تكون اول محاضرة في ربوع هذه الحاضرة بعد ان هبت عليها نسمات الحرية العاطرة وقد طال عليها الاستعباد. والحرية خلق شريف يجاهر بسلطانها الانسان بما يريد ما دام داخلاً في حدوده المرسومة له ولا يتعدى دائرة غيره فلذلك اردت ان اتكلم عن شيء من حضارات الاسلام التي توطدت دعائمها في دمشق الشام وفي دار السلام وفي القاهرة الفاطمية وفي قرطبة الاموية. فلاجدادكم في هذه الحضارة الباهرة فضلان بدمشق وبقرطبة وانتم البقية الصالحة لهؤلاء الاسلاف الاشراف والامل معقود بكم ان تقتدوا بهم وتزيدوا عليهم كما هي سنة الترقي وكما هو شعار الاتحاد.

---

(1) هذه محاضرة القاها احمد زكي بك من علماء القاهرة في دار صاحب المقتبس بدمشق ليل ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٦ بحضور جمهور كبير من اهل العلم والادب والقضاء والوجاهة

فلم يبق لكم عذر بعد اليوم في وضع دعائم النهضة الحديثة بدياركم الشجراء الزهراء وقد كنت فيكم تلك البذرة الصالحة على ما شاهدته بعيني وخبرته بنفسي

الا ترون من الفضول ايها الفضلاء ان يقوم فيكم نزيل من النزلاء ويناجيكم بما انتم اهله بلا مراء · لعمري هذا منتهى الفضول من الواقف بينكم وهو ضعيف وصوته اضعف لانه يتكلم امام مائة الف اذ يعتقد ان كل واحد منكم بالف · فانتم ان لم يكن لكم عذر بعد اليوم في النهوض بامتكم وبلادكم فلي الف عذر في هذا المقام وانتم انتم الكرام · خصوصاً اذا اعترفت لكم بانني من الطائفة الثالثة التي اشار اليها الخليل بن احمد في قوله ان الرجال اربعة : رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك غافل فنبهوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك جاهل فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك مائق فاحذروه · لا اريد الافتخار بقولي لا ادري لانني لا ارضى بذلك المذهب الذي يزعم اصحابه ان من قال لا ادري فقد درى نصف العلم وانما ارتضي مذهب ابراهيم بن طهمان الخراساني فانه ولد بهراة ونشأ بنيسابور ورحل في طلب العلم ونال منه قسطاً وافراً حتى كان له ببغداد جراية فاخرة من بيت المال فسئل يوماً في مجلس الخليفة فقال لا ادري فقالوا تأخذ في كل يوم كذا وكذا ولا تحسن مسألة فقال انما اخذت على ما احسن ولو اخذت على ما لا احسن لفني بيت المال ولا يفنى ما لا ادري · فاعجب امير المؤمنين جوابه وامر له بجائزة فاخرة وزاد في جرايته

فلذلك ارى في اجماعكم عليّ الزامي بمحاضرتكم على ما انا فيه من تشتت

البال بالاسفار والحنين الى الديار انكم انما قصدتم ان تشجعوا القائمين بالعمل على احياء حضارة الاسلام وشد أزر الطالبين للعلم فلذلك امتثلت امركم لئلا اخرق الاجماع ولئلا اكون شاذاً عن رأي الجماعة وتمثلت بما قاله الخليل ايضاً فقد قال ثلاثة تيسر المصائب: مر الليالي والمرأة الحسناء ومحادثة الرجال. فقد جئت لاحادثكم واستفيد منكم فاردتموني على الخطابة بينكم فكان مثلي معكم كمن يحمل الصدف الى عمان ولا اقول الدرر او كمن يحمل العرض من علوم الشرق الى اهل دمشق ولا اقول الجوهر

سادتي الكرام

مصر والشام توأمان ربطتهما الطبيعة والاخلاق قبل الاسلام وبعد الاسلام بعروة وثقى ليس لها انفصام فلا عجب اذا كانت كل منهما تحن للاخرى وتشاركها بعاطفة الود والقربى فيما يحل بها من سعد ورخاء او ما ينزل عليها من نحس وشقاء لهذا تروني يا ابناء الاكرمين لا استغرب منكم هذا الحنين لرجل من ابناء النيل اتاحت له الايام ان يحل بركابه في ارض الشام وقد كان آلى على نفسه ان لا يضع قدماً في ارض سورية ولا في غيرها من ارجاء السلطنة لما لاقاه من صنوف الحيف حينما غرر بنفسه في احد فصول الصيف فولى وجهه شطر قبة الاسلام منذ بضعة اعوام

اما الآن وقد تفككت قيود الاستعباد ودالت دولة الاستبداد وزالت سلطة الفرد وقامت شورى الامة على اساس ثابت كالجبال الرواسي واعني به القانون الاساسي فاشرق نور الدستور على الجمهور فقد انفك عنه قسمه وصار في حل من العهد الذي اخذه على نفسه فلم يتمالك من الشخوص في اول فرصة الى تلك الربوع التي خفقت عليها رايات الحرية في صدر الاسلام فرحت

تحت ظلالها ونالت بها اقصى آمالها ونثرت ثمراتها في الشرق ثم ارسلت فروع هذه الشجرة الزاكية النامية الى ما وراء البر فصادفت خير مغرس في رياض الاندلس فان الحرية الاسلامية اينعت لاول مرة في الفيحاء فتأرجت باريجها الارجاء وانبتت حضارة الاسلام في ارض جلق فازدهى بها المغرب كما اختال بها المشرق

امتازت دولة العرب القائمة في دمشق عَلَى عهد معاوية ومن تلقى صولجانه بنعمة الحرية التامة حتى كانت هذه البقعة المباركة عروس الدنيا وقرارة المجد وكهف الشرف واشرق سناها عَلَى الدنيا من ادناها الى اقصاها

غير ان الانسان جبل عَلَى الاندفاع مع التيار وعدم الوقوف عند الحدود فلم تلبث هذه الحرية ان انقلبت الى الاباحة فصار الناس فوضى وكان رؤوس الدولة اول من اسرف في الاساءة الى الحرية فتابعتهم الامة والناس عَلَى دين ملوكهم فانهار هذا الملك العظيم وغاضت عيون الحضارة في دمشق التي تزدان عَلَى الدهر بعيونها الفياضة ·

لذلك اناشدكم الله ان تتعهدوا الحرية التي عادت الى ربوعكم في هذا العهد السعيد فتحافظوا عليها ولا تفرطوا في العناية بها حتى لا تعود الى الذبول فيكفاكم ما حاق بكم من الخمول بسبب الانحراف عن صراطها المستقيم وهذه نصيحة خالصة امحضكم اياها ياوجوه العرب لئلا تضيع منكم الحرية بتجاوز الحدود الذي يجعلها اباحة فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين · وكفاكم كفاكم موعظة ما قاله مروان آخر الامويين حينما ضاع ملكه في الشام وفر الى وادي النيل فالتجأ هو واهله وشيعته الى كنيسة في قرية بوصير من صعيد مصر فلحقه المسودة اي جنود بني العباس وشارهم

السواد وكانوا في نفر قليل جداً بحيث كان من اسهل الامور عَلَى مروان ومن معه ان يبيدهم عن آخرهم لو لا ان دولتهُ كانت في ادبار ودولتهم في اقبال فلم يمهلوه حتى يطلع النهار فلجأُوا الى شجر ونخل ثم ناوشوه القتال فخرج اليهم وهو يقول : كانت لله علينا حقوق فضيعناها ولم نقم بما يلزمنا فخلم عنا ثم انتقم منا · ثم فكر في كثرة جيوشه بالشام فقال : اذا انقضت المدة لم تنفع العدة · وذلك انه كان عند ما استفحل امر بني العباس استعرض جيوشه بالرقة فمر به من العرب وحدهم ثمانون الف فارس عَلَى ثمانين الف فرس عربي · ثم احتزوا رأسه واخرجوا اكبر بناته من الكنيسة وهي ترعد فقيل لها لا بأس عليك فقالت اي بأس اعظم من اخراجي حاسرة من حيث لم ار رجلا قط · ثم اجلسوها ووضعوا الرأس في حجرها · فصرخت واضطربت · فقيل لهم ما حملكم عَلَى هذا · قالوا كفعلهم بيزيد بن علي حين قتلوه فانهم جعلوا رأسه في حجر زينب بنت علي (صاحبة المقام المشهور في القاهرة) ثم ارسلوا الرأس الى مدينتكم هذه فنصب عَلَى باب المسجد الاموي ثم بعثوا به الى الكوفة فخر السفاح ساجداً لله وتصدق بعشرة آلاف دينار

هذا الذي قاله مروان شبيه بمقولة هرقل حينما جاء اهل الاسلام واجلوا الاروام عن بلاد الشام · ركب البحر وهو ينظر الى الشام ويقول الوداع يا سوريا سلام عليك يا سوريا · ويشبه ايضاً قول ام ابي عبد الله آخر سلاطين بني الاحمر بغرناطة حينما اجلاه الاسبنيول عن تلك البقية الباقية للعرب في ديار الاندلس · فانه بعد ان سلم البلاد الى فرديناند وايزابلا وخرج في حاشيته واهل بيته · اعاد نظرات كلها حسرات وارسل رائد الطرف بزيد الاسف وهو يتلهف عَلَى الحمراء فتهاطلت دموعه عَلَى خديه فقالت له امه :

أبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال

ان الذكرى تنفع المؤمنين لذلك اردت ان اسرد عليكم هذا النبأ الذي كان فيه ضياع الملك من دمشق ونزولها عن درجتها السامية التي لم تعد لها الى الآن لئلا يتجاوز الناس حدود الحرية وقد اشرقت عليهم وعلينا في هذا العهد النوراني المجيد فيقعوا في شر اعمالهم كما وقع الاولون و العاقل من اذا مرت به العبرة ازدجر او قيلت له الموعظة ادكر ·

فلقد بلغ ملك بني امية ما بين قرني الشمس ثم زال لانهم اساؤا الى الحرية التي نشروا اعلامها ورفعوا منارها حتى بلغت دولتهم من المجد اعلا ذراه فتقرب اليهم ملك الروم بارسال مائة عامل من مهرة الصناع وارسل اليه مائة الف مثقال من الذهب الاحمر وباربعين حملاً من الآلات حينما اراد الوليد تجديد الروضة الشريفة والزيادة فيها فبعث بهم الى واليه عمر بن عبد العزيز فاستخدمهم وانتم تعلمون ورع عمر بن عبد العزيز الذي لا يشبهه ورع مع ما تعلمون من شدة الخلف بين العرب والروم على امتلاك آسيا الصغرى التي كانت بين الفريقين حاجزاً حصيناً يرد العرب عن امتلاك فروق وهي كانت ولا تزال مطمح الانظار ·

ومما يدل على بلوغ الحرية في دمشق نهاياتها دون ان تجاوز حدودها ان معاوية كان يمد الاسمطة للعامة ويؤاكلهم وان الوليد بن عبد الملك بنى في مدينتكم دار الضيافة العامة وهو اول من فعل ذلك في الاسلام وذلك للتحبب الى الرعية بمخالطتها وتعرف احوالها وكان الخلفاء يسائلونهم في العلم والسياسة بهذه الوسيلة وها هو التاريخ وها هي كتب الادب تخبرنا بكثير من الاصلاحات التي حدثت بهذه الواسطة الشريفة التي كانت تربط الامة

بالخليفة وسرت من الامويين الى العباسيين فكان الرشيد يجالس الناس عَلَى المائدة فكانت حكومة المسلمين في الصدر الاول وفي ايام السلف الصالح اشبه شيء بالحكومة الديموقراطية اسيے حكومة الامة بالامة كما هو الحاصل الآن في دولتنا العثمانية فلم يكن فيها من القاب الشرف ولا رتب النخار بل كان الناس كلهم سواء فلا ترى ولا تعرف الا فلاناً ابن فلان ولا يكون التعظيم الا بالكنية وهي من المفاخر التي استأثر بها العرب دون سائر الامم الى هذا الزمان فكانوا يقولون ابو فلان فان لم يكن له ولد قيل ابو فلان باسم ابيه هكذا كان الناس في ايام بني امية مهما بلغت درجاتهم وعلت مناصبهم كما هو الشأن الآن في بلاد الاميركان التي هي بلاد الحرية الحقيقية باكمل معانيها فليس منهم الا مستر فلان حتى رئيس الجمهورية فنازلاً من الوزراء الى كل ارباب الوظائف الى عامة الناس وكذلك الحال في بلاد سويسرة التي تتفجر منها ينابيع الحرية الصحيحة في اوربا فلا يمتاز فيها ولا في اميركا رجل باي لقب اللهم الا باللقب الذي يطابق رتبته في العسكرية فقط . فاما اول من تلقب من الخلفاء فهو عبد الله ابو جعفر وقد غلب لقبه حتى انني لو اكتفيت بهذه الاشارة عنه لما عرف من هو الا الاقلون واما اذ ذكرت لكم اللقب الذي اشتهر لعرفتموه لانه اصبح له علماً في التاريخ وهو المنصور ثاني الخلائف من بني العباس ثم تغلغلت الدول الاسلامية في الالقاب فكثرت وتنوعت وتعددت حتى صرنا الى ما ترونه الآن فصار الجوهر تغشاه اعراض براقة خلابة ضغطت عليه وطمست معالمه حتى كاد يضيع ان لم نقل ضاع فصرنا ولنا الالقاب نتهافت عليها ونتطلبها من سبيل الحرام اكثر مما نتطلبها من سبيل الحلال بل اصبحنا وعدم الالقاب

هو اللقب فيا حبذا الرجل منا الذي يشابه الحرف عند النحاة فيكون عدم العلامة له هو العلامة ·

اما وقد تنبهنا من رقدتنا واخذنا باسباب الرجوع الى الحياة فقد اشار الى محو الرتب والغائها كاتب مجيد في جريدة « شوراي امت » التي تطبع بالتركية في عاصمة الامبراطورية العثمانية فاستميحكم ان اقول كلمة في هذا الموضوع ·

فقد جاء الوقت الذي نجاهر فيه بضمائرنا واميالنا ونقول الحق ونصدع به فقد كان هذا العاجز يقول لكثير من اصدقائه في مصر انني والله احب ان اتخلى عن هذا اللقب الذي نلته بجدي واجتهادي ولطالما جاهدت بالتأفف منه لا استنكافاً منه لانني اراه فوق قدري ولكن استنكافاً لكثيرين ممن حازوه او حازوا العلامةُ وهم انما شروه بفضل الدراهم او ببعض المساعي الممقوتة · كثيرون من اصدقائي وهم احياء يرزقون يشهدون لي بانني طالما تمنيت عَلَى الله ان يزول عني هذا اللقب لا بالتجريد فانه مشين ولكن بالتسليم فانه شريف بحيث ارجع الى اسمي احمد افندي او احمد بن ابراهيم او ابو ابراهيم احمد زكي فاتكنى باسم والدي اذ قد جعلني الله في نعمة وافية من عدم الحصول عَلَى خلف لي ولكن الآن يجب ان نشير في محو الالقاب بطريقة معقولة مقبولة فلا نلغيها مرة واحدة من الحاصلين عليها لانهم ربما لا يرضيهم ذلك وهم ان لم يعبروا عن عدم رضاهم جهراً فربما يكون فيهم كثيرون لا يرضون به سراً ونحن في عصر الحرية ينبغي ان نحترم ارادة كل انسان وان لا يفتات البعض عَلَى البعض ولو في الالقاب · واحسن وسيلة هي ان لا نسلك في هذا الموضوع شططاً بل نسير فيه سيراً

وسطاً وذلك في رأيي هو تخيير اصحاب الالقاب في التنازل عنها فمن رضي فيها ونعمت ولا ريب ان الاكثرين يرضون التجرد من هذه الالقاب التي قد ترهقهم عسراً اما الذين يريدون حفظها فامرهم اليهم · ولكن الدولة تقرر انها من الآن فصاعداً تلغي الرتب فلا القاب عندها منذ اليوم بحيث لا يأتي زمن طويل حتى تنقرض الالقاب ويبقى الناس كلهم افندي او سيد او خواجه او شيخ او ابو فلان وتصبح الامة كلها سواء تحت هلال الدستور لا يتميز بعضهم عَلَى بعض الا بالعمل النافع للمجموع فتكون الامة كلها راقية لان كل فرد يتطلب النبوغ ويسعى الى التفوق بكده وجده وحسبنا ذلك فخارا ·

بهذه الوسيلة يزداد سواد اهل الفضل في هذه البلاد فيكون لاهل العلم والعمل دلال عَلَى ارباب الدولة كما كان لامثالهم في ايام عز الاسلام فان الخليل بن احمد الذي ذكرته في صدر هذه المحاضرة كتب اليه سليمان بن علي الهاشمي يستدعيه لتعليم ولده بالنهار ومنادمته بالليل وبعث اليه بالف دينار ليستعين بها عَلَى حاله فاخرج للرسول زنبيلاً فيه كسر بالية وقال : اني مادمت اجد هذه الكسر غني عنه وعن غيره ورد الالف دينار عَلَى الرسول وقال اقرأ عَلَى الامين السلام وقل له اني قد الفت قوماً والفوني اجالسهم طول نهاري وبعض ليلي وقبيح بمثلي ان يقطع عادة عودها اخوانه واني غنيٌّ عنه وعن غيره وكتب اليه بهذه الابيات ·

ابلغ سليمان اني عنه في سعة وفي غنى غير اني لست ذا مال
وان بين الغنى والفقر منزلةً معروفة بجديد ليس بالبال
سما بنفسي اني لا ارى احداً يموت هزلاً ولا يبقى عَلَى حال

والفقر بالنفس لا بالمـال تعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال

والخليل هذا كان يقسم الايام الى ثلاثة : معهود ومشهود وموعود وكان دائماً يتمثل بقوله :

يكفيك من دهرك هذا القوت مـا اكثر القوت لمن يموت

ولم ينفرد الخليل بهذه المزية الفاخرة في التكبر والدلال على اهل الدولة وارباب المال فامثاله كثيرون اذكر منهم من يحضرني ذكره في هذا المقام فمنهم حماد بن ابي سلمة دخل عليه مقاتل بن صالح الخراساني فاذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه وبيده مصحف يقرأ فيه وبجانبه حرازفيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها · قال مقاتل فبينا انا عنده جالساً دق داق الباب فقال : يا صبية اخرجي فانظري من هذا قالت : رسول محمد بن سليمان قال قولي له يدخل وحده فدخل فناوله كتاباً فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن سليمان الى حماد بن ابي سلمة اما بعد فصبحك الله بما صبح به اولياءه واهل طاعته وقعت مسألة فانا نسألك عنها والسلام ·

فقال ياصبية : هلمي بالدواة · ثم قال لي اقلب الكتاب واكتب : اما بعد وانت صبحك الله بما صبح به اولياءه واهل طاعته · انا ادركنا العلماء وهم لا يأتون احداً فان كانت وقعت مسـألة فأتنا وسلنا عما بدا لك وان اتيتني فلا تأتني الا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا انصحـك ولا انصح نفسي والسـلام ·

فبينا انا عنده اذ دق داق الباب فقال : يا صبية اخرجي انظري من

هذا قالت : محمد بن سليمان قال : قولي له ليدخل وحده فدخل فسلم ثم جلس بين يديه . فقال مالي اذا نظرت اليك امتلأت رهباً قال : سمعت عن ثابت النسائي عن مالك ان رسول الله قال : ان العالم اذا اراد وجه الله هابه كل شيء فاذا اراد ان يكنز الكنوز هاب كل شيء . فقال اربعون الف درهم تأخذها تستعين بها على ما انت عليه قال اردها على من ظلمته قال : والله ما اعطيك الا ماورثته قال : لا حاجة لي فيها ازوها عني زوى الله عنك اوزارك قال فتقسمها قال فلعلي ان عدلت ان يقول بعض من لم يرزق منها لم يعدل ازوها عني زوى الله عنك اوزارك .

هذه السنة الصالحة انتشرت بين علماء المشرق فارتقت بهم الامة وكان لها شأن كبير لانهم كانوا يطلبون العلم للعلم وقد انتشرت هذه السنة الحميدة في عامة امصار الشرق وشماعت ايضاً في بلاد الاندلس حتى في ايام تقهقرها . فقد الف احد العلماء الاندلسيين كتاباً في اللغة فبلغ ذلك مجاهداً العامري صاحب الجزائر جزائر ميورقة ومنورقة المعروفة الآن بجزائر الباليار فوجه للعالم بالف دينار وبكسوة وخلعة وتحف كثيرة وطلب منه ان يتكرم بوضع اسمه في صدر الكتاب وانه الفه برسمه . فرد المال وهو في حاجة الى اقله وقال : كتاب صنفته لله ولنفع الناس لا افرده لواحد منهم . ويقرب من هذا مالك بن دينار فانه ترفع عن الملوك ونصح اللصوص : دخل اللصوص داره فلم يجدوا شيئاً يسرقونه . ولما هموا بالخروج قال لهم ماذا عليكم لو صليتم ركعتين فتابوا وانابوا وقد كان لهذه السجية في مصر شأن كبير فلا احدثكم الا بحادثة واحدة من هذا القبيل . فانتم تعلمون من هو شيخ الاسلام زكريا الانصاري فقد كان اهل الدولة يتسابقون اليه

ويقبلون عليه وهو عنهم معرض ايما اعراض . مع انه كان يقتات بقشور البطيخ الملقاة في الطريق ولا يكفيه النهار للدرس وليس لديه شيء من الدنيا يقتني به مصباحاً لنفسه فكان يأخذ الكراريس ويدرس على ضوء القناديل المعلقة على ابواب البيوت .

وامثال شيخ الاسلام كثيرون في مصر وغير مصر يطول بذكرهم المقام وربما كان في ايرادها ما يدعو الى الملل والسأم غير اني استميحكم الآن في ذكر نادرتين واقول نادرتين لانه بعد ذلك السلف قد خلف من بعدهم خلف فصار شمم العلماء وترفعهم بعلمهم في هذا الزمان الاخير كالكبريت الاحمر بل هو اندر .

فالاولى تقضي علي صلة الرحم ان اغتنم هذه الفرصة لاذاعتها ولست اخشى تكذيباً لها لان الذين رأوها او علموا بها علم اليقين لا يزالون احياء يرزقون وهم في مصر كثيرون . وذلك ان جدي لامي الشيخ ابراهيم سويدان حضر اليه برشيد والي مصر عباس الاول وقد انتهى اليه علمهُ وصلاحه وزهده وانعطافهُ على المساكين فاعطاه مالاً كثيراً فلم يرض فالح عليه وقال له اهل البطانة خذ هذا المال فانهُ حلال وهو يساعدك على نفع المساكين فامتثل بشرط ان يضع الامير المال في كمه فرضي الوالي واخذ جدي المال فطاف به في الاسواق يفرقه بواسطة غلامه على هذا وذاك حتى فرغ المال كله ثم ذهب الى النيل فغسل هذا الكم الذي لامستهُ دراهم الوالي .

واما الثانية فهي معلومة لكم جميعاً وهي واقعة بينكم هنا وبيننا في مصر . ذلك استاذ الشام على الاطلاق العلامة الشيخ طاهر الجزائري فهو يضم بين طمريه العلم الجم والخلق الاشم . انا لا ادري كيف يعيش هذا الرجل في

بلد مثل مصر قد اشتد فيه الغلاء حتى شكا منهُ الاغنياء وقد بذلت ما في وسعي كما يعلم الاستاذ كرد علي صاحب المقتبسين وامام المقتبسين ورب هذا البيت الكريم في ان يناله شيء من الاوقاف الخيرية عَلَى ان يكتب عريضة لذوي الحل والعقد وقد تلطفت معهُ كثيراً بواسطة رب هذه الدار فلم يرض الى الآن . فماذا اقول عن هذه البقية الصالحة . لااقول سوى كلمة واحدة تخرج من صميم الفؤاد بحب واخلاص فليعش الشيخ طاهر الجزائري

هذه الحرية وهذا الشمم هما جرثومة من ذلك الماضي المجيد وقد صادفت في عصر الدستور المنير ارضاً خصيبة فلعلها تتأصل في نفوسنا ونفوس الناشئين ليكون لقومنا ما كان للاسلاف من العز الذي ضرب رواقه في المشرقين وفي المغربين .

هذه الحرية هي التي جعلت الاخلاف من بني امية يحتملون الكلم الشديد والقول المر من العلويين ومن سائر الناس . لو فرضنا ان احتمالهم للعلويين كان من قبيل المداراة ومن باب المحافظة عَلَى الملك فما ذا نقول عما سجله التاريخ من معاملتهم للعامة . افليس ابو صخر الشاعر الخزاعي المشهور بكثير عزة هو الذي كان يجاهر بالتشيع لعلي وبنيه وقد كانوا يسبونه عَلَى المنابر بامر الخلفاء الامويين . افليس هو الذي قام في يوم من الايام فصعد المنبر في بيت الله الحرام واخذ باستار الكعبة وقال :

لعن الله من يسب علياً وبنيه من سوقة وامام
أيسب المطهرون اصولاً والكرام الاخوال والاعمام
يأمن الطير والحمام ولا يأ من آل الرسول عند المقام

فانزلوه من المنبر واثخنوه ضرباً بالنعال وغيرها فقال :

ان امرأً كانت مساوئه حب النبي لغير ذي عتب
وبني ابي حسن ووالدهم من طاب في الارحام والصلب
اترون ذنباً ان احبهم بل حبهم كفارة الذنب

ومع انه سب الامام جهاراً وفي الكعبة وضربه القوم خوفاً من الخلافة فقد دعاه عبد الملك ليستوزره ثم ازدراه لدمامته وقال تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقال كثير : مهلاً يا امير المؤمنين فانما الرجل باصغريه قلبه ولسانه فان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان ثم انشد :

وجربت الامور وجربتني فقد ابدت عريكتي الامور
وما تخفى الرجال عليّ إني بهم لاخو مثابته خبير
ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه اسد مزير
ويعجبك الطرير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطرير
وما عظم الرجال لهم بزين ولكن زينها كرم وخير
بغاث الطير اكثرها فراخاً وام الصقر مقلاة نزور
لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
فيركب ثم يضرب بالهراوى فلا عرف لديه ولا نكير

فناشده عبد الملك الاشعار في الاخوان ثم قال : ان كنا اسأنا اللقاء فلسنا نسيء الثواء . حاجتك . قال : تزوجني عزة فاراد اهلها على ذلك فقالوا : هي بالغ واحق بنفسها فقيل لها فقالت : ابعد ما شبب بي وشهرني في العرب ما لي الى ذلك سبيل ولعلها احسنت في التنصل والاعتذار وتلطف فلم تذكر ان سبب امتناعها هو دمامة خلقه .

وبقي كثير مع تشيعه للطالبين مرعي المقام نافذ الكلمة على خلفاء بني امية

مع انه سبهم ولعنهم في البيت الحرام فان يزيد بن عبدالملك حينما جاؤا اليه باسارى بني المهلب امر بضرب اعناقهم وكان من حسن حظهم ان الامر صدر بحضرة كثير فقام وانشأ يقول :

فعفواً امير المؤمنين وحسبة فما تحتسب من صالح لك يكتب
اساؤا فان تعفو فانك قادر وافضل حلم حسبة حلم مغضب

هذه الحرية التي اشتهرت بها الدولة الاموية في دمشق هي التي جعلت الناس احراراً في اعمالهم وفي اعتقاداتهم فقد كان كثير هذا يقول بالرجعة على مذهب الهنود ويخالف الملة الاسلامية كلها في ذلك كما كان يخالف سنة الدولة ويتشيع لعلي ولكن الخلفاء عرفوا فضل الحرية فتركوا الناس يعتقدون كما يشاؤون ويكتفون منهم بتوحيد الكلمة من جهة السياسة ٠ انني ايها السادة ارى الدين لم يخلق الا ليقرب المخلوق من الخالق فلا يمكن ولا يجوز ان يكون الدين سبباً في ابتعاد المخلوق من المخلوق فالدين لله وللامة الوطن فعلينا ان نتمسك بعروة الوطن ليعود لامتنا فخارها السابق وتكون لنا منزلة سامية بين الخلائق ٠ وقد بدت علينا علائم هذه النعمة المباركة فالواجب يقضي بتعهدها وانمائها ليكون المسلم والمسيحي والاسرائيلي اخوة في الوطن فانهم اخوة في الانسانية ابوهم آدم والام حواء افنكون في هذا العصر الزاهر اقل احتمالاً وتسامحاً من اجدادنا الكرام في صدر الاسلام فقد وسعت صدورهم اهل الملل والنحل ووضعوا ايديهم في ايدي بعضهم بعضاً فكان منهم سور منيع لحفظ الدولة ورفع راية الوطن ٠

هذا صدر الدولة العربية قد وسع كثيراً من امثال كثير وقد كان يقول بالتناسخ والرجعة ومع التشيعه كان يخالف جمهور اهل الشيعة فكان

مخالفاً لاهل السنة ولاهل الشيعة ومع ذلك كان له في الدولة العربية ذلك المقام الكريم . كان يقول بامامة محمد بن الحنفية وانه احق من الحسن ومن الحسين ومن سائر الناس وانه حي مقيم بجبل رضوى لايموت . وكان يقول عن نفسه انهُ يونس بن متى بمعنى ان روح هذا الذي التقمه النون نسخت فيه فصار هو هو . ولقد سأل يوماً ماذا تقول الناس عنه فقيل يقولون انك الدجال فقال اني لاجد في عينيَّ ضعفاً منذ ايام (اشارة الى ان الدجال اعور كما يقال) وحينما حضرته الوفاة كان يقول لاتبكوا عليَّ لاني بعد اربعين يوماً ارجع اليكم .

كل هذه الاقاويل لم تمنع الناس عن القول حينما مات هو وعكرمة في يوم واحد بعد الظهر : لقد مات افقه الناس واشعر الناس .

لم يكن كثير وحيداً في القول بالرجعة والتمتع بالحرية في الرأي فقد تمسك بمذهبه بعده كثيرون منهم السيد الحميري الشاعر المجيد وهو ابو هاشم اسمعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة كان يقول ايضاً بامامة محمد بن الحنفية وانه لم يمت بل هو مقيم بجبل رضوى وقال في ذلك

الا قل للوصي فدتك نفسي ... أطلت بذلك الجبل المقاما
اضر بمعشر والوك منا ... وسموك الخليفة والاماما
فعادوا فيك اهل الارض طرا ... مقامك فيهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ... ولا ذاقت له ارض عظاما
لقد امسى بمورق شعب رضوى ... تراجعه الملائكة الكراما
هدانا الله اذ حزتم لامر ... به ولديه نلتمس التماما
تمام امامة المهدي حتى ... يروا آياتنا تترى نظاما

وكان الحميري يشرب الخمر جهاراً ويقول بالرجعة ليلاً ونهاراً · قال لرجل تعطيني ديناراً بمائة دينار الى الرجعة قال ان وثقت لي بمن يضمن لي انك ترجع انساناً انما اخشى ان ترجع كلباً اوخنزيراً فيذهب مالي·

هذه الحرية في الفكر والاعتقاد كانت لذلك السيد الحميري في ايام الامويين فلما دالت الدولة وتغيرت الايام وانتقل الملك الى بني العباس بقي الرجل علَى حريته في نحلته ولم يعارضه احد من اهل الدولة الجديدة لان الحرية كانت شعار الدولة العربية فان انتقل السلطان من بيت الى بيت فالحرية ثابتة الدعائم هنا وهناك والناس بفضلهم لا بمذهبهم ورأيهم· انظروا الى السيد الحميري ودلاله علَى اهل الدولة الناشئة كما كان لامثاله في الدولة البائدة ذلك لما استقام الامر لابي العباس السفاح خطب يوماً فاحسن في خطبتهِ · فلما نزل عن المنبر قام اليهِ السيد الحميري فانشد

دونكموها يا بني هاشم ... فجددوا من آيها الطامسا
دونكموها فالبسوا تاجها ... لا تعدموا منكم لها لابسا
دونكموها الاعلا كعب من ... امسى عليكم ملكها نافسا
خلافة الله وسلطانه ... وعنصراً كان لكم دارسا
لو خير المنبر فرسانه ... ما اختار الا منكم فارسا
والملك لو شور في ساسة ... ما اختار الا منكم سائسا

فقال لهُ السفاح: سل حاجتك فقال ترضى عن سليمان بن حبيب بن المهلب وتوليه الاهواز فكتب له منشوراً بالولاية ودفعهُ اليهِ فأخذه وقدم بهِ على سليمان بالبصرة فلما وقعت عينهُ عليهِ انشده

اتيناك يا قرم اهل العراق ... بخير كتاب من القائم

اتيناك من عند خير الانام وذاك ابن عم ابي القاسم
اتينا بعهدك من عنده على من يليك من العالم
يوليك فيهِ جسام الامور فانت صنيع بني هاشم

فقال لهُ سليمان شريف وشافع ووافد وشاعر ونسيب سل حاجتك فقال :

سأحكم اذ حكمتني غير مسرف ولا مقصر يا ابن الكماة الاكارم

في ابيات طلب بها جارية فارهة جميلة ومن يخدمها وبدرة ومن يحملها وفرساً رابعاً وسايسة وتختاً من صنوف الثياب وحامله قال قد امرت لك بجميع ما سألت ولك عندي في كل سنة مثله ·

هذه هي الحرية التي جعلت هشاماً الخليفة الاموي يعطي الكميت وقد انشده مائة الف درهم وقد كان الكميت مجاهراً بحب العلويين وبذم الامويين ·

هذه هي الحرية التي اشرقت اليوم شموسها على دولة آل عثمان وهي التي نرجو بها ارتفاع الدولة ومجد الوطن لا نفرق بين دين ودين ولا نعرف شيئاً آخر سوى اننا نستظل كلنا براية الهلال ·

فحذار حذار من التهاون بها او الاستهتار في سبيلها حتى لا تعود تلك الايام السود وما فيها من ظلم وظلام ·

ان الامة العثمانية قد اثقلتها المظالم واخنت عليها يد الاستبداد حتى كادت تقضي عليها ولكن العناية الربانية تداركتها بنفحة من نفحات الحرية فعادت اليها الروح ودب في جسمها الانتعاش فظهرت بهذا المظهر البديع الذي يعجب به من في الارض ومن في السموات · فاحرصوا يا رعاكم الله على الحرية فانها ملاك السعادة ·

ايا كم ثم ايا كم ان تنقلب هذه الحرية اباحة فتتدهور الامة في هاوية ليس لها قرار ·

يقولون ان هذا الانقلاب سلمي لم تسفك فيه قطرة من الدماء · نعم ولكن المقدمات التي اوصلت الامة العثمانية الى هذه الغاية المجيدة كانت محفوفة بالحبس والكبس · بالتشريد والتجريد · بالاحراق والاغراق بالتيتيم والتلطيم ·

افلم يكن في هذه الشناعات وفي تلك الدماء الزاكيات وفي ذلك الصراخ الذي بلغ عنان السماوات ما يكفي اشتراء هذه الحرية الثمينة باغلى الاثمان يا آل عثمان ·

وفي هذا المقام اتقدم الى اهل الادب منكم وكلكم اهل الادب في تدوين تلك الحوادث التي هي اشبه بالخرافات لانها لا تكاد تدخل في دائرة المعقولات دونوها ولكن بالصدق والاخلاص ليعرف المعاصرون لكم والناشئون بعدكم انكم اشتريتم هذه الحرية باغلى الاثمان ودونوا هذه النكت وتلك النوادر مع الامانة والصدق حتى لا تنعكس النتيجة فكل شيء جاوز الحد انتهى الى الضد · لا تكتفوا بروايتها فان الذاكرة اصبحت في هذه العصور ضعيفة والمطالب كثيرة وانما هو التدوين عرفنا به مفاخر الاولين وان كان لم يصل الينا منه الا القليل · اصبحنا في عصر تشعبت فيه المعارف وكثرت امامنا الحاجيات فلا مناص لنا من التدوين الذي يحفظ الحوادث للدهور الآتية والاجيال المستقبلة ·

نعم نحن في حاجة الى تدوين كل شيء اذ قد صار من المستحيل علينا ان نضارع الحفاظ الذين اشتهرت بهم حضارة الاسلام · بل اين لنا ان

نكون مثل عامر بن شراحيل او ابن ادريس الشافعي او ابن حزم الظاهري وامثالهم ممن يعدون بالالوف هذا عامر بن شراحيل كان يقول : ما كتبت سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديث قط الا حفظته وما احببت ان يعيده عليّ . وما ادري شيئاً اقل من الشعر ولو شئت لانشدتكم شهراً ولا اعيد ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان عالماً . وهذا الشافعي يقول

علمي معي حيثما يممت ينفعني　　صدري وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي　　او كنت في السوق كان العلم في السوق

وهذا ابن حزم الظاهري الاندلسي احرق القوم تواليفه فقال

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي
وينزل ان انزل ويدفن في قبري

ومع ذلك فقد دون الناس من اجدادنا في كل فن وفي كل شيء حتى اننا بفضل القليل الذي خلص الينا من مدونات الاقدمين عرفنا اموراً خصوصية لا يمكننا ان نبدي شيئاً مما يماثلها في عصرنا هذا مثال ذلك اننا عرفنا ان السيدة سكينة المدفونة بمصر القاهرة كان مهرها الف الف درهم (خمسين الف ليرة فرنساوية تقريباً) وعلمنا انها ولدت الرباب فكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول ما البسها اياه الا لتفضحهُ . وكان مجلسها بالمدينة كعبة للادباء والشعراء واخبارها معهم اشهر من نار عَلَى علم وخصوصاً مع الفرزدق .

هذا من الامور الخصوصية الداخلية واما الامور العمومية فقد علمنا منها

مثلاً ان الخليفة الاموي هشام كان اذا صلى الغداة بجامع دمشق فاول من يدخل عليه صاحب حرسهِ فيخبره بما حدث في الليل ثم يدخل عليه موليان له مع كل واحد منهما مصحف فيقعد احدهما عن يمينه والآخر عن شماله حتى يقرأ عليهما جزأه ثم يقومان فيدخل الحاجب فيقول فلان بالباب وفلان فيقول ائذن فلا يزال الناس يدخلون عليه حتى اذا انتصف النهار وضع الطعام ورفعت الستور ودخل الناس واصحاب الحوائج وكاتبه قاعد خلف ظهره فيقوم اصحاب الحوائج فيسألون حوائجهم فيقول لا ونعم والكاتب خلفه يوقع ما يقول حتى اذا فرغ من الطعام وانصرف الناس صار الى قائلته فاذا صلى العصر دعا بكتابه فناظرهم فيما ورد من امور الناس فاذا كانت العشاء الآخرة اقام الصلاة ثم اختلى بسماره من رجال العلم والادب ·

واتفق انهُ بعد ان صلى العشاء الآخرة واقبل سماره كعادتهم جاءه الخبر بان خاقان ملك الترك خرج بارمينية فنهض في الحال وحلف لا يؤْويه سقف حتى يفتح الله عليه ·

بمثل هذا التدوين عرفنا ايضاً كيف كان الخليفة العباسي يجلس للناس ويشتغل بامور الدولة فقد كان المنصور العباسي مثلاً يشتغل صدر نهاره بالامر والنهي والولايات وشحن الثغور والاطراف والنظر في الخراج والنفقات ومصالح الرعية فاذا صلى العشاء نظر فيما ورد عليهِ من كتب الثغور والاطراف وشاور سماره وكان ولاة البريد يكتبون اليهِ كل يوم بسعر القمح والحبوب والادام وسائر المأكولات · ويحيطونهُ علماً بكل مايقضي بهِ القاضي في نواحيهم وبما يرد الى بيت المال وعلى العموم بمايتجدد

من الحوادث في دائرة ادارتهم · فينظر في كتبهم بعد صلاة المغرب فان رأى تغيراً في الاسعار كتب الى العامل يسألهُ عن العلة ومتى ورد الجواب تلطف حتى يعود سعر ذلك البلد الى حالهِ · وان شك في شيء مما قضى بهِ القاضي كتب اليهِ في ذلك فان انكر شيئاً كتب اليهِ يوبخهُ ويلومهُ فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره فاذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه فتوضأ وتبوأ المحراب حتى يطلع الفجر فيعود الى عمله في الامس ·

ومشى العباسيون عَلَى هذه السنة حتى ان المعتصم عند ما جلس مع سماره في اواخر الثلث الاول من الليل ومعهُ كأس يشرب بها قال له احد سماره : انهُ سمع من رجل قادم من الثغور ثغور الروم ان في عمورية امرأة مسلمة في الاسر قالت وامعتصماه فختم عَلَى الكأس وقام من فوره واخذ الجند حتى استولى عَلَى عمورية وخلص الاسيرة ثم شرب كأسه ·

ومثلهما المنصور بن ابي عامر في الاندلس فقد بلغه ان بارض الجلالقة اسيراً يستنجد بهِ فقام من مجلس سمره لا يلوي عَلَى شيء حتى فتح تلك الحصون وخلص الاسير ·

بهذه العناية من العلماء عَلَى طلب العلم ومن الرؤساء عَلَى حفظ بيضة الدولة كان للامة الاسلامية مقام كبير حتى اذا ما تولاها التراخي فاهملت شؤونها سقطت الى الحضيض · اما وقد رأيناها وهي تتأهب بفضل الدستور وفي ظل الهلال المنير لاسترجاع مجدها فقد وجب علينا ان نتعاون قلباً وقالباً عَلَى العمل فيما يرفع شأنها فباعمال الافراد يرتقي المجموع وترتفع منزلة الدولة ·

وكيف لا نصل الى هذه الغاية من ايسر طريق وفي اقرب وقت وقد رجعت دولتنا الى السنة القديمة الجيدة تلك السنة التي قامت بفضلها الدولة العربية في ابهى المظاهر وابهر المناظر — تلك السنة ياسادتي هي سنة الشورى التي امر الله بها المسلمين وقامت بها دولتهم فعنت لها المشارق والمغارب

فان الدين الاسلامي يأمر بالشورى فاذا نظرنا الى التاريخ نجد ان دولة الاسلام بعد ان ذهب صاحب هذا الدين الى الرفيق الاعلى قد قامت بالشورى وبالمبايعة من الجماعة فقد اتفقوا كلهم على ابي بكر ثم تسلسلت الحوادث وصارت الخلافة ملكاً عضوضاً يتوارثها الابناء او الاعمام او ابناء الاعمام في الشرق والغرب في دمشق وفي بغداد وفي القاهرة وقرطبة في المغرب الاقصى وفي القسطنطينية يتوارثونها بالبيعة ولكنها بيعة مزدوجة تكون اولاً من الخاصة الذين يتفقون على الخليفة ثم من العامة الذين يقرون على ما اقره الخاصة ولا نجد لذلك استثناء الا في دمشق فان عمر بن عبد العزيز بعد ان جاءته الخلافة عفواً تنازل عنها وقصة ذلك ان سليمان بن عبد الملك لما مرض كتب كتاب العهد لابنه ايوب ولم يكن بالغاً فرده عن ذلك رجاء ابن حياة فقال له ما ترى في ابني داود فقال له بقسطنطينية وانت لا تدري احي هو ام ميت فقال فمن قال رأيك يا امير المؤمنين قال ما ترى في عمر فقال اعلمه والله صالحاً فاضلاً خيرا فقال ان وليته ولم اول احداً من ولد عبد الملك لتكونن فتنة ولا يتركونه فكتب له وجعل من بعده يزيداً اخاه وختم الكتاب وامر بجمع اهل بيته فقال لهم هذا عهدي فاسمعوا له واطيعوا وبايعوا على من فيه ففعلوا . فجاء عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حياة فقال يارجاء قد كان لي عند سليمان حرمة وانا اخشى ان يكون قد اسند الي من هذا

الامر شيئاً فان كان فاعلمني استعف فقال رجاء والله لااخبرك بحرف واحد فمضى . ثم جاءه هشام فقال لي حرمة وعندي شكر فاعلمني فقال لاوالله لا اخبرك بحرف فانصرف هشام وهو يضرب بيد على يد ويقول : فالى من . ثم جددت البيعة ومات سليمان . فقرأ رجاء بن حياة الكتاب فلما ذكر عمر بن عبدالعزيز قال هشام والله لانبايعهُ . فقال له رجاء والله اذن اضرب عنقك . فقم فبايع . فقام يجرر رجليه ويسترجع اذ خرج عنهُ هذا الامر وعمر يسترجع اذ وقع فيه . ثم جيء بمراكب سليمان بن عبد الملك مراكب الخلافة فقال عمر قربوا اليَّ بغلتي ثم خطب فقال : ايها الناس قد ابتليت بهذا الامر من غير رأي كان مني ولا مشورة واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعتي فاختاروا لانفسكم فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك يا امير المؤمنين تلي امرنا باليمن والبركة . فقال اوصيكم بتقوى الله خلف من كل شيء ليس من تقوى الله خلف وبعد ان اتم خطبته نزل فدخل داره فامر بالستور فهتكت وبالثياب التي كانت قسطاً للخلفاء فحملت وامر ببيعها وادخال ثمنها في بيت المال . ولما بلغ الخوارج سيرته وما رد من المظالم قالوا ما ينبغي لنا ان نقاتل هذا الرجل .

وقد حدثنا التاريخ بان عمر بن عبدالعزيز اشترى ملطية من الروم بمائة الف اسير فارضاهم وجعل لدولته سداً منيعاً دونهم فكانت ايامه كلها سلاماً في سلام فانظروا الى ماجرى في هذه الايام فقد قامت النمسا بالتهام البوسنة والهرسك غنيمة باردة وبغير ثمن فهل عندها مائة الف اسير او الف او اسير واحد فقط .

ولعمري ما كان اغناها عن الدخول في هذه الورطة التي اوقعت نفسها

فيها بلا طائل ولا فائدة معجلة او مؤجلة ظاهرة او باطنة لانها تحتل هاتين الولايتين بمقتضى معاهدة برلين فاي فائدة لها في هذا التملك الذي لا يرضى به حر عاقل او ذو ضمير حي ولذلك قابلتها الامة العثمانية بحرب سلمية ولكنها كانت على النمسا شراً من امتشاق الحسام تلك هي المقاطعة التجارية التي نرى آثارها في طول البلاد وعرضها هذه المقاطعة ليست من مستحدثات هذا الزمان فان اول من سنها هو نبي الاسلام عليه السلام · فقد غضب على رجل من اهل المدينة فامر الناس بمجافاته فما كان احد يتعامل معه على الاطلاق ولا كان احد يقرؤه السلام حتى تاب واهتدى فعسى ان تكون النتيجة في هذه الايام الاخيرة مثل ما كانت في تلك الايام الاولى ·

وليست المقاطعة هي السنة الشريفة الوحيدة التي احياها بنو عثمان في هذا الزمان ·

فاننا اذا تصفحنا التاريخ وجدنا ان الدول تقوم على ربوات من الجثث والهامات واذا اقتصرنا على ذكر دول الاسلام نرى ان دولة الامويين قامت بالسيف والنار فحروب صفين وغيرها معلومة للخاص والعام وكل الناس يعلمون ان الحجاج قتل ١٢٠ الف نفس في توطيد دعائم الدولة المروانية · كذلك دولة العباسيين قامت على قتل الامويين وقد سفك ابو مسلم الخراساني دم ٦٠ الف انسان · وكذلك دولة الامويين في الاندلس قامت على اطلال الحرب واشلاء القتلى · ومثل هذا وقع بمصر حينما دالت دولة الفاطميين فان صلاح الدين رحمه الله واكرم مثواه اضطر بحكم السياسة لارتكاب هذا الامر ولكنه تلطف فلم يدع للوم سبيلاً وذلك انه حبس الفاطميين والفاطميات في قصر كبير ومنع الرجال عن

النساء وصبر عليهم حتى قضوا نحبهم حتف انفهم · وكذلك حدث في القاهرة حينما تبوأ محمد علي سريرها فانه اخذ في مداراة المماليك واكتساب ثقتهم فلما اعيته الحيل اضطر لابادتهم في وقعة القلعة المشهورة · هذه الامثال وقد ذكرت منها القليل تدلنا على صحة قولهم ان الملك عقيم وان تأسيس الدول لا يقوم الا على الدماء · حتى جاءت هذه الايام فرأينا دولة الشورى قد قامت بسلام على سلام في سلام فعليها الف تحية وسلام ·

لعمري انها معجزة غريبة في بابها · نعم رأينا معجزة المعجزات فكيف لا نصدق بما رواه لنا التاريخ من المعجزات ·

بلاد الشام هي موطن المعجزات ففيها قام الانبياء · بلاد العرب كانت لها اكبر معجزة بظهور احمد · بلاد اوربا واميركا جاءتنا بمعجزات العلوم والصناعات والفنون · بلاد اليابان في اقصى الشرق كانت لها في هذه الايام نهضة تفوق المعجزات · فلم يبق الا آل عثمان وكأنهم عجزوا عن المعجزات حتى اتونا بالامس بمعجزة هي نهاية ما يصل اليه اهل الارض فقيامهم باقامة دولة الشورى هو معجزة المعجزات ·

لذلك حضرت اليكم لاهنئكم ايها السادات بمعجزة المعجزات · باعجوبة الاعاجيب وانني ارجو لدولتنا بقاء ليس له انتهاء والسلام عليكم ورحمة الله ·

القديم والحديث

لم يأت على هذه الامة دور مثل هذا اشتد فيه النزاع بين القديم والحديث وانهزم القديم بضعف القائمين به وقوة انصار الحديث . عنينا بذلك ارباب التقليد ممن يرون السعادة في الاكتفاء بما تعلموه من آبائهم وورثوه عن اجدادهم من العلوم والآداب و يعدون ما عداها ضرراً يجب البعد عنه ومحاربته بكل وسيلة كما عنينا ارباب التجديد الذين يزعمون ان الاكتفاء بعلوم اهل الحضارة الحديثة وحدها كافية في رفع شأننا .

نشأت للامة ناشئة بعد ان كثر احتكاكنا باوربا في اواسط القرن الماضي عادت القديم معاداة خرجت فيها عن طور التعقل وذلك نكاية بما رأته من دعاة ذاك القديم واكثرهم مثال الجمود والبلاهة وانموذج الفساد وسوء التربية فقامت تزهد فيهم وفيما يدعون اليه تحمل عليهم حملاتها و تتحامل عليهم بتمحلاتها وكذلك كان شأن انصار القديم مع دعاة الحديث يرمونهم بكل كبيرة و يسلبونهم كل فضيلة ويطعنون بعلومهم الا قليلاً و يعدون النافع منها مما لا يضر ولا ينفع

لاخلاف في ان ملكة الدين والآداب ضعفت في البلاد الاسلامية لضعف حكوماتها والعامل الرئيسي في كل البلاد هو السياسة اذا ضعفت يتبعها كل شيء فجهل الحكام والملوك منذ نحو الف سنة هو الذي رفع شأن المنافقين من العلماء الرسميين فصار العلم الديني يتعلمه المرء لالينال السعادتين ويكون عضواً مهماً في جسم المدينة الفاضلة بل ليخدم به اغراض امراء السوء و يستولي على عقول العامة و تقبيل يداه ويكرم بالباطل وهذا ماحدا بحجة الاسلام الغزالي واضرابه في عصره و بعده ان ينحوا على فقهاء السوء انحاءهم على امراء السوء لانهم يتعلمون علوم الفقه والفتيا ليتقربوا بها فقط من السلاطين ويجعلوا من الدين سلاحاً يقاتلون به من يناصبهم في شهواتهم واهوائهم . ولقد فضل الغزالي في الاحياء وتهافت الفلاسفة من يتعلمون الطب على الفقهاء وقال ان من يقولون ان علوم الدنيا تنافي الدين يجني على الدين .

شغلت الامة زمناً بنفسها فضعفت ملكاتها وكانت الحروب الصليبية وغارات التاتار من العوامل المنهكة لقواها ثم قام ملوك الطوائف وفرقوا الشمل بعد اجتماعه الى ان جاءت الدولة العثمانية وهي تاتارية لا تقيم للمدنية وزناً ولاتعرف لعلوم العمران لفظاً

ولا معنى قوتها بجندها وعلمها في ارهاف حدها وعظمتها ببطشها ومجدها باكتساح البلاد واخضاع النفوس لسطوتها فحاول محمد الفاتح احد ملوكها ان يجعل من القسطنطينية دار علم كما هي دار ملك مجاراة لدولة الجراكسة في مصر والشام وأعظم لذلك الأعطيات والهبات وانشأ المدارس وحبس الاوقاف ولكن ذلك لم يدم الا بدوامه حتى اذا مضى لسبيله عادت الحكومة الى زهدها في العلوم وقد صارت رسمية على عهد المفتي أبي السعود الذي سعى لجعل العلم وراثيا وصار ابن العالم يرث اباه ووظائفه ورواتبه وان كان اجهل من قاضي جبل · وعالم هذه حاله هو هو الجناية الكبرى على الدين والدنيا والبلاء العمم على البلاد·

ومع ان الفرس والترك سواء في العجمة فالفرس اقدر من الترك على تلقف اللغة العربية منذ القديم · والعربية لغة الدين لا يبرز في علومه من لم يتعلمها ولا يفهم الكتاب والسنة من لم يحكم بيانها · وما تراه من حالب علماء فارس اليوم واتقانهم العربية وارتقاء علومهم الشرعية وانحطاط العربية في بلاد الترك وضعف ملكة العلوم الدينية فيها لا يرجع الا الى ان ميل ابناء فارس الى احكام العربية قديم فيهم وان الترك بامرائهم المتبربرين جمدوا على فروع قليلة من الفقه والكلام وزهدوا فيما عداها فجنوا على البلاد جناية كبرى

ولما ارادت الدولة ان تنهض وتتشبه باوربا واخذت على عهد سليم الثالث تتعلم فنون الحرب والبحر والسياسة وما ينبغي لها من الطبيعة والرياضة والاجتماع اخذت روح التفلسف تسري الى الاستانة ومنها سرت الى الولايات ومصر فلم يعبأ انصار القديم بما رأوه اولا واحتقروا ذاك السيل الجارف الآتي عليهم من اوربا وارتأى بعضهم ان خير مايقابل به المتزندقون ان يكفروا او يحرموا او يضربوا او يحبسوا او يهددوا بالقتل او يقتلوا ولم يعدوا لذلك من العدد اللازمة لبث دعوتهم وحفظ ملكة الدين في القلوب لتسير مع علوم الدنيا كتفاً الى كتف وجاءت ادوار اصبح الوزراء وولاة الامر الا قليلا من الطائفة التي نزعت ربقة القديم فلم يبق عليها الاسمه بل كان بعض المتطرفين في انحلالهم يدعون سراً وجهراً الى عدم التأدب بآداب الدين محتجين بما هو ماثل للعيان من فساد القائمين عليه وانحطاط المنتسبين اليه

وها قد اصبحنا بعد هذا النزاع بين علوم الدين والدنيا والامة شطرين شطر هو الى

البلاهة والغباوة وشطر الى الحمق والنفرة وبعبارة اخرى نسينا القديم ولم نتعلم الجديد . ومن الغريب ان معظم المستنيرين بقبس العلوم الاوربية منا لا يرجعون الى آداب دينهم و يميلون في الظاهر والباطن الى ان يكون الدين فقط جامعة تجمع الامة على مثال الجامعات السياسة والجنسية واذا سألتهم عن الحلال والحرام وعما شرعته الاديان صعروا اليك خدودهم وقالوا لك ان الامة تعيش بحديثها دون قديمها وان ذاك القديم ان لم يضرنا الاخذ به فهو لا ينفعنا والعاقل لا يقبل الا على ما ينفعه ويعلي قدره

تلك هي شنشنة انصار الحديث او الملاحدة والزنادقة الطبيعيون كما يطلق عليهم المتدينون وهذه حالة هؤلاء مع اولئك وستكون الغلبة لانصار الحديث اذا لم يقم خصومهم بلم شعثهم على صورة معقولة مقبولة وبين هذين الفريقين فريق ثالث اختار التوسط بينهما فلم يطرح القديم كله ولا الاخذ بالحديث بجملته بل آثر ان يأخذ النافع من كل شيء ويضم شتاته وهذا الفريق المعتدل على قلته لا يناوئه العقلاء من اهل الفريقين الآخرين مقاومة فعلية وعامتها غير راضين عنهم بالطبع لان اكثر الناس يحبون ان تكون معهم او عليهم ولا وسط بين ذلك .

ولقد كتب الينا احد علماء الشرقيات في برلين وهو ممن طافوا بلاد الشرق وسكنوا فيه زمناً وانقطعوا لدرس احواله الاجتماعية وعلومه الارثية كتاباً بالعربية نخف فيه المقتبس وما يجب للمسلمين ان يقوموا به اقيام امرهم بعد ذاك السبات الطويل قال فيه :

اما الرسائل التي هي لبها (المجلة) فرأيتها تدور ابداً على حث الناس على درس العلوم المدنية التي تركت في العالم الشرقي منذ نحو خمسمائة سنة واقتباس الآثار الافرنجية الحديثة فيها واحياء الاديات العربية وهذا مطابق بحسب اختباري الطريقة الصحيحة لسعادة الامم اذ لا فائدة من تقليد الاجانب وحده ولا فائدة من التناغي فقط بالآثار الشعبية (الوطنية) وحده بل الخير كل الخير في الاخذ من هنا وهناك وتعميم الدرس والبحث مع اضرام تلك الشعلة العظيمة التي هي ذات نور وذات حرارة وذات ثبات واعني بها المبدأ الشعبي ولنا ان نسميه الشعوبية على شرط ان نجرده من الرائحة غير المقبولة

اجتهد الاسلام والنصرانية ان ينشأ آ جمعية تقوم بالدين وحده ليكون اصل

الشهادة بذلك الدين ظاهرين على الدين كله الا انهما فشلا . ولقد تنبأ بعض المسلمين بان الجامعة الاسلامية التي ستكون في اواخر هذه السنة لن تأتي بما يرجوه اكثرهم من تقوية عروة الدين بل ستقوي الاحزاب الشعبية وربما يتسع الخرق بين الجماعات من جهة المذهب الديني . اما انا فاقول ان تقوية روابط المسلمين مع من حولهم من غير المسلمين المبنية على وحدة التربية والاخلاق والعادات وعلى وحدة اللسان لا تخلو حقيقة من تقوية الدين نفسه لان هذا الاجتماع من شأنه ان يدعو الى نمو عامة القوى فيزيد من له ميل الى الحياة الدينية اعتقاداً وعملاً كما يزيد من له ميل الى غير الدين قوة فيما اختاره وعلى هذا فمن مصلحة كل دين ان يكون نصف منتحليه مجتهدين مخلصين اكثر من ان يكون الجميع فاترين غير مكترثين بشيء اه

هذا ما كتب لنا به العالم الغربي الشرقي منذ اشهر نشرناه ليطلع عليه انصار القديم والحديث فيعلم الجامدون على مسطور القديم ان لاقيام لامرنا بغير الاخذ من مدنية اوربا ويدرك انصار الحديث بان هذه المدنية الجديدة التي بهرتهم بزخارفها وسفاسفها لا تنفعهم وتنفع بني قومهم الا اذا راقها ما يحملها من علوم الاسلاف وآدابهم والامة التي تنزع ربقة قديمها جملة واحدة وتنتقل الى طور آخر دفعة قد ينعكس عليها الامر ويلتوي عليها القصد ولم تنجح اليابان الا لكونها اقتبست المدنية الغربية ومزجتها باجزاء مدنيتها وهذا سر قول العالم المشار اليه « لا فائدة من تقليد الاجانب وحده ولا فائدة من التناغي فقط بالآثار الشعبية » اي ماورثناه عن اجدادنا من التشبث باهداب الوطنية وذكر القديم والحرص عليه

ولنا في الغرب دولتان كبريان هما مثال في اقتباس الجديد والحرص على القديم . فقد شهدنا المانيا الى اليوم تجري في مدارسها وكلياتها على آداب النصرانية المتحجة فلا توسد التدريس فيها الا لرجل عرفت ترجمته وحياته مخافة ان يفسد عليها تربية ابنائها فتكون مدنية دينية اما فرنسا فناهضت الدين منذ زهاء مئة سنة وزادت مناهضتها له في السنين الاخيرة حتى نزعت لفظ الجلالة من المعاهد العامة واخذت تضيق الخناق على اهل التدين من حملة العلم والاقلام حتى صار المتدين سراً يتجاهر بالانحلال جهراً ليأمن على معاشه ورزقه وسموا هذا حرية ولكن الله يحصي على الامم ذنوبها كما لا يغفل عن الافراد وها قد اخذت المدنية الافرنسية التي بهرت العيون في الزمن الماضي ترجع

القهقرى وعلماء الاخلاق فيها يبكون دماً عَلَى انبتات شملهم وتراجع عمرانهم حتى روى بعض الاحصائيين ان عدد الفرنسيس سينزل في اواخر القرن العشرين الى ثلاثة ملايين لان المواليد اخذت تنقص عن الوفيات اما في المانيا فبفضل التربية الدينية والحرص عَلَى الاخلاق قبل الحرص عَلَى تلقين العلوم فان النفوس تتزايد سنة عن سنة بحيث خيف من تكاثر نسلهم عَلَى البلاد المجاورة لهم مع ما هم عليهِ من المدنية الصحيحة والعلم بالصناعات والفنون ولا غرو فان من خلق الالماني ان يترك من القديم كل ما ينفع منه اما الفرنسوي فيجرف منه النافع مع الضار وشتان بين الخلقين والمدنيتين وها هي النتيجة قد ظهرت للعيان منذ الآن

وبعد فان كل عاقل عرف تاريخ هذه الامة يرى الخير كل الخير في احتفاظها بقديمها وضم كل ما ينفع من هذا الجديد عَلَى ان تكون للدين والعلم حريتهما فتكون المعتقدات بمأمن من طعن الطاعنين بها كما تجري المدنية عَلَى الشوط الذي تستنسبه واذا رأى بعضهم في بعض المعتقدات ما لا ينطبق عَلَى روح الحضارة والعلوم العصرية فالاولى ان يطبقوا العقل عَلَى النقل كما هو رأي كبار علماء الاسلام منذ القديم . واذا عجزت عقولهم عن ذلك فالاجدر بهم ان يأخذوا بعض القضايا بالتسليم ويتركوا العالم حراً يسير وحده دون ان يعوقه عائق وما نخال وكل عاقل الا ويعتقد ان صحيح النقل لا يخالف صريح العقل والله اعلم

التربية والامهات

هي الاخلاق تنبت كالنبات ... اذا سقيت بماء المكرمات
تقوم اذا تعهدها المربي ... عَلَى ساق الفضيلة مثمرات
وتسمو للمكارم باتساق ... كما اتسقت انابيب القناة
وتنعش من صميم المجد روحا ... بازهار لها متضوعات
ولم أر للخلائق من محل ... يهذبها كحضن الامهات
فحضن الام مدرسة تسامت ... بتربية البنين او البنات

واخلاق الوليد تقاس حسناً باخلاق النساء الوالدات
وليس ربيب عالية المزايا كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان كمثل النبت ينبت في الفلاة

***

فيا صدر الفتاة رحبت صدراً فانت مقرّ اسنى العاطفات
نراك اذا ضممت الطفل لوحا يفوق جميع الواح الحياة
اذا استند الوليد عليك لاحت تصاوير الحنان مصورات
لاخلاق الصبيّ بك انعكاس كما انعكس الخيال علَى المراة
وما ضربان قلبك غير درس لتلقين الخصال الفاضلات
فاوّل درس تهذيب السجايا يكون عليك ياصدر الفتاة
فكيف نظن بالابناء خيراً اذا نشأوا بحضن الجاهلات
وهل يرجى لاطفال كمالٌ اذا ارتضعوا ثديّ الناقصات
فما للامهات جهلن حتى أتين بكل طياش الحصاة
حنون علَى الرضيع بغير علم فضاع حنوّ تلك المرضعات

***

أأم المؤمنين اليك نشكو مصيبتنا بجهل المؤمنات
فتلك مصيبة ياأمّ منها « نكاد نغص بالماء الفرات »
تخذنا بعدك العادات ديناً فاشقى المسلمون المسلمات
فقد سلكوا بهن سبيل خسرٍ وصدوهن عن سبل الحياة
بحيث لزمن قعر البيت حتى نزلن به بمنزلة الاداة
وعدّوهن اضعف من ذباب بلا جنح واهون من شذاة
وقالوا شرعة الاسلام تقضي بتفضيل الذين علَى اللواتي
وقالوا ان معنى العلم شيء تضيق به صدور الغانيات
وقالوا الجاهلات اعف نفسا عن الفحشا من المتعلمات
لقد كذبوا علَى الاسلام كذباً تزول الشم منه مزلزلات
اليس العلم في الاسلام فرضاً علَى ابنائه وعلَى البنات

وكانت امنا في العلم بحراً ... تحل لسائليها المشكلات
وعلمها النبي اجل علم ... فكانت من اجل العالمات
لذا قال ارجعوا ابداً اليها ... بثلثي دينكم ذي البينات
وكان العلم تلقيناً فامسى ... يحصل بانتياب المدرسات
وبالتقرير من كتب ضخام ... وبالقلم الممد من الدواة
ألم تر في الحسان الغيد قبلا ... اوانس كاتبات شاعرات
وقد كانت نساء القوم قدماً ... يرحن الى الحروب مع الغزاة
يكنّ لهم على الاعداء عوناً ... ويضمدن الجروح الداميات
وكم منهن من أُسرت وذاقت ... عذاب الهون في اسر العداة

***

فماذا اليوم ضرّ لو التفتنا ... الى اسلافنا بعض التفات
فهم ساروا بنهج هدى وسرنا ... بمنهاج التفرق والشتات
نرى جهل الفتاة لها عفافاً ... كأنّ الجهل حصن للفتاة
ونحتقر الحلائل لا لجرم ... فنوذيهن انواع الاذاة
ونلزمهن قعر البيت قهراً ... ونحسبهن فيه من الهنات
لئن وأدوا البنات فقد قبرنا ... جميع نسائنا قبل الممات
حجبناهن عن طلب المعالي ... فعشن بجهلهن مهتكات
ولو عدمت طباع القوم لؤماً ... لما غدت النساء محجبات
وتهذيب الرجال اجل شرط ... لجعل نسائهم متهذبات
وما ضر العفيفة كشف وجه ... بدا بين الاعفاء الاباة
فدى لخلائق الاعراب نفسي ... وان وصفوا لدينا بالجفاة
فكم برزت بحيهم الغواني ... حواسر غير ما متريبات
وكم خشف بمربعهم وظبي ... يمرّ مع الجداية والمهاة
ولولا الجهل ثمّ لقلت مرحى ... لمن ألفوا البداوة في الفلاة

بغداد

معروف الرصافي

الشعوبية

يقوى تفاخر اهل كل عنصر بعنصرهم واهل كل جنس بجنسهم كما كانوا اقرب الى الهمجية والعصبية الجاهلية . جاء الاسلام فكان من اعظم اصلاحه اسقاط دعوى الجنسيات والقضاء على التفاخر بالآباء والاجداد فساوى بين العربي والفارسي والاحمر والاصفر والابيض والاسود وكانت قاعدته العامة لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى

والظاهر ان دعوى الشعوبية اي عدم الاعتداد بالعرب وتفضيل العجم عليهم دخلت بدخول اجيال كثيرة من الفرس والترك والنبط في خدمة الدولة الاسلامية فنشأت منها العداوات بين العرب اهل الدولة وبين العجم كما كانت تنشأ في هذه البلاد بين تركي وعربي كلما اشتد الاول في ارهاق الثاني

سألنا استاذنا الشيخ طاهر الجزائري عن الشعوبية فكتب الينا ما يأتي :

« اما الزمن الذي ظهرت فيه الشعوبية فلا يحضرني فيه شيء . والوقوف على اوائل الاشياء من اصعب المسائل وادقها الا ان الذي ظهر لي ان ذلك حدث بعيد عصر الخلفاء الراشدين لوجود الداعي الى ذلك وهو التفاخر بالجنس الذي هو من عادات الجاهلية التي اتى الدين بابطالها . ومن نظر لمنزلة سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي في اوائل الامة زال عنه الشك في هذه المسألة ولا يدخل في هذا الامر بحث المؤرخ عن خصائص الاجناس مما يقصد به الوقوف على الحقائق فان هذا نوع آخر الا ان من بحث عن احوال الامم ووفى النظر حقه تبين له ان العرب في الجملة لا تساميهم امة البتة

« واظن انه لا بد ان تؤلف بعد حين كتب في خصائص الامم وكتب في خصائص البلاد كما ألفت كتب في خصائص اللغات وتجعل من الفنون التي يعنى بها وتميز عن غيرها ولا نذكر بطريق العرض الا ان فن خصائص الامم تتيسر المشاغبة فيه والمغالطة اكثر من غيره الا ان كل فن وضعت مقدماته ونقحت مسائله يبدو بسرعة عوار المغالط فيه . هذا وكما حدث بعد عصر الخلفاء امر المفاضلة بين العرب والعجم حدث امر المفاضلة بين العدنانية والقحطانية وهما الفريقان اللذان يجمعهما اسم العرب ونشأ بسبب ذلك من الفتن ما يعرفه المولع بالاخبار ولم يزل اثر ذلك باقياً

في بعض الجهات الى ما قبيل عصرنا وقد رأيت في بعض البلاد اناساً يقولون الى الآن نحن قيسية وآخرين يقولون نحن يمانية . »

هذا ما قاله استاذنا وفيه من كشف الغامض ما لم نظفر به في كتاب . والشعوبي بالضم محتقر امر العرب قال ابن منظور وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر امر العرب شعوبي اضافوا الى الجمع لغلبته على الجيل الواحد كقولهم انصاري وهم الشعوبية وهم فرقة لا تفضل العرب عَلَى العجم ولا ترى لهم فضلا على غيرهم واما الذي في حديث مسروق ان رجلا من الشعوب اسلم فكانت تؤخذ منه الجزية فامر عمر ان لا تؤخذ منه قال ابن الاثير الشعوب ههنا العجم ووجهه ان الشعب ما تشعب من قبائل العرب او العجم فخص باحدهما ويجوز ان يكون جمع الشعوبي كقولهم اليهود والمجوس في جمع اليهودي والمجوسي

قال شارح المفصل في شرح قول الزمخشري « الله احمد عَلَى ان جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعرب وللعصبية وابى لي ان انفرد عن صميم انصارهم وامتاز وانضوي الى لفيف الشعوبية وانحاز » والشعوبية مصدر الشعوبي بضم الشين وهو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم عَلَى العجم فضلا اذ الفضل بالتقوى وهو منسوب الى قوله تعالى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم . وقال ابن الحاجب في شرح المفصل ايضاً (١) والشعوبية بضم الشين قوم متعصبون عَلَى العرب مفضلون عليهم العجم وان كان الشعوب جيل العجم الا انه غلبت النسبة اليه لهذا القبيل ويقال ان منهم معمر بن المثنى وله كتاب في مثالب العرب وقد انشد بعض الشعوبية للصاحب بن عباد يمدحه

غنينا بالطبول عن الطلول وعن عنس عذافرة ذمول
فلست بتارك ايوان كسرى لتوضح او لحومل فالدخول
وضب بالفلا ساع وذئب بها يعوي وليث وسط غيل
اذا نحروا فذلك يوم عيد وان ذبحوا ففي عرس جليل
يسلان السيوف لرأس ضب هراشاً بالغداة وبالاصيل
بأية رتبة قدمتموها على ذي الاصل والشرف الاصيل

(١) هو من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق .

اما لو لم يكن للفرس الا | نجار الصاحب العدل الجليل
لكان لهم بذلك خير عز | وجيلهم بذلك خير جيل

فقال له الصاحب قدك ثم قال لبديع الزمان اجبه فاجابه مرتجلا

اراك على شفا خطر مهول | بما اودعت رأسك من فضول
طلبت على مكارمنا دليلا | متى احتاج النهار الى دليل
النسا الضاربين جزى عليكم | فان الجزى اقعد بالذليل
متى قرع المنابر فارسي | متى عرف الاغر من الحجول
متى علقت وانت بها زعيم | اكف الفرس اعراف الخيول
فخرت بمل‌ء ماضغتيك فخراً | على قحطان والبيت الاصيل
فخرت بان مأكولا ولبساً | وذلك فخر ربات الحجول
تفاخرهن في خد اسيل | وفرع من مفارقة رسيل

فقال الصاحب للشعوبي: كيف ترى فقال: لو سمعت ما صدقت ثم قال له: جائزتك جوازك ان وجدتك بعدها في مملكتي ضربت عنقك

وفد النعمان بن المنذر على كسرى (١) فوجد عنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثني فارساً ولا غيرهم فقال كسرى واخذته عزة الملك يا نعمان لقد فكرت في امر العرب وغيرهم من الامم فرأيت الروم كذا ووصف من حالهم وجعل يثني عليهم ورأيت الهند التي لها كذا وكذا ثم قال مثل ذلك في الترك والخزر والصين متى ذكر قبيلة اثنى عليها ووصف ما يفتخرون به ثم قال ولم ار للعرب شيئاً من خصال الخير وجعل يصف شأنهم وهو يحتقرهم ويصغرهم فقال النعمان: اصلح الله الملك وجعل يثني عليه ثم قال: الا ان عندي جواباً في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فان آمنني من غضبه نطقت به قال كسرى فانت آمن فقال النعمان اما امتك ايها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به في عقولها واحلامها وبسطة محلها وبحبوحة عزها وما اكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك واما الامم التي ذكرت فاي امة تقرنها بالعرب الا فضلتها قال كسرى: بما ذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها

(١) كتاب الف با لابي الحجاج يوسف بن محمد البلوي.

ودينها وبأسها وسخائها وحكمة السنها وشدة عقولها وانفتها ووفائها فاما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجنود لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيولهم مهادهم الارض وسقفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرها من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور

واما حسن وجوهها والوانها فقد تعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المتحرقة والصين المختتمة والترك المشوهة والروم المقشوة واما احسابها وانسابها فليست امة من الامم الا وقد جهلت آباءها واصولها وكثيراً من اولها وآخرها حتى ان احدهم يسأل عما وراء ابيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه وليس احد من العرب الا يسمي آباءه اباً اباً حفظوا بذلك احسابهم وضبطوا به انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير ابيه واما سخاؤها فان ادناهم رجلا الذي يكون عنده البكرة او الناب عليها بلاغة في حمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزي بالشربة فيعقرها له ويرضى ان يخرج له من دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الثناء

واما حكمة السنتها فان الله اعطاهم في اشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشارة وضرب الامثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من السنة الاجناس ثم خيلهم افضل الخيول ونساؤهم اعف النساء ولباسهم افضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة والحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر

واما دينها وشريعتها فانهم متمسكون بها حتى يبلغ احدهم من تمسكه بدينه ان لهم اشهراً حرماً وبلداً حراماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل ابيه او اخيه وهو قادر على اخذ ثاره وادراك دمه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بالاذى واما وفاؤها فان احدهم يلحظ اللحظة ويومئ الايماء فهي الب وعقد لا يحلها الا خروج نفسه وان احدهم ليرفع عدداً من الارض فيكون رهناً بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته وان احدهم ليبلغه ان رجلا استجار به وعسى ان يكون نائياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى تفنى تلك القبيلة التي اصابته او تفنى

قبيلته لما اخفر من جواره وانه ليلجأ اليهم المجرم المحروب من غير معرفة ولا قرابة فتكون انفسهم دون نفسه واموالهم دون ماله واما قولك ايها الملك انهم يئدون اولادهم من الحاجة فانما يفعله من يفعله منهم الاناث انفة من العار وغيرة من الازواج واما تحاربهم واكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا آنست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه انما يكون في المملكة العظيمة اهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائرهم فيلقون اليهم امورهم وينقادون اليهم بازمتهم

فاما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكاً اجمعين مع انفتهم من اداء الخراج والوطء والعسف فعجب كسرى مما اجابه النعمان به وقال : انك لاهل لموضعك من الرياسة في اقليمك ولما هو افضل ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقيص العرب وتهجين امرهم بعث الى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة وجماعة من رؤوس العرب سماهم فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم : قد عرفتم حال هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منهم وقد سمعت من كسرى مقالة اتخوف ان يكون لها غدر واقتص عليهم مقالة كسرى وما رد عليه فقالوا : وفقك الله ايها الملك ما احسن ما رددت عليه وابلغ ما حجته به فمرنا بامرك وادعنا الى ما شئت قال: النعمان انما انا رجل منكم وانما ملكت وعززت بمكانكم وبما يتخوف من ناحيتكم وليس شيء احب الي مما سدد الله به امركم واصلح به شأنكم والرأي ان تسيروا بجماعتكم ايها الرهط وتنطلقوا بكتابي هذا الى باب كسرى فاذا دخلتم عليه نطق كل واحد منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما ظن او حدثته به نفسه ووصاهم بوصايا فذهبوا اليه وقد ساق القصة صاحب العقد واوردها ابو الحجاج يوسف بن محمد البلوي في كتاب الف با

ومن حجة (١) الشعوبية على العرب ان قالت انا ذهبنا الى العدل والتسوية وان الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد واحتججنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : المؤمنون اخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم . وقوله في حجة الوداع وهي خطبته التي ودع فيها امته وختم نبوته : ايها الناس

(١) العقد الفريد الجزء الثاني ص ٧٠

ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على عجمي فضلٌ الا بالتقوى . وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقول الله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فابيتم الا فخراً وقلتم لا تساوينا وان تقدمتنا الى الاسلام ثم صليت حتى تصير كالحني وصمت حتى تصير كالاوتار ونحن نسامحكم ونجيبكم الى الفخر بالآباء الذي نهاكم عنه نبيكم صلى الله عليه وسلم اذ ابيتم الا خلافه وانما نجيبكم الى ذلك لاتباع حديثه وما امر به صلى الله عليه وسلم فنرد عليكم حجتكم في المفاخرة ونقول : اخبرونا ان قالت لكم العجم هل تعدون الفخر كله ان يكون ملكاً او نبوة فان زعمتم انه ملك قالت لكم : وان لنا ملوك الارض كلها من الفراعنة والنماردة والعمالقة والاكاسرة والقياصرة وهل ينبغي لاحد ان يكون له مثل ملك سليمان الذي سخرت له الانس والجن والطير والريح وانما هو رجل منا ام هل كان لاحد مثل ملك الاسكندر الذي ملك الارض كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها وبنى ردماً من حديد ساوى به بين الصدفين وسجن وراءه خلقاً من الناس تربي على خلق الارض كلها كثرة لقول الله عز وجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) فليس شيءٌ ادل على كثرة عددهم من هذا او ليس لاحد من ولد آدم مثل آثاره في الارض ولو لم يكن له الا منارة الاسكندرية التي اسسها في قعر البحر وجعل في رأسها مرآة يظهر البحر كله في زجاجتها وكيف ومنا ملوك الهند الذين كتب احدهم الى عمر بن عبد العزيز : من ملك الاملاك الذي هو ابن الف ملك والذي تحته بنت الف ملك والذي في مربطه الف فيل والذي له نهران ينبتان العود والفوة والجوز والكافور والذي يوجد ريحه على اثني عشر ميلاً الى ملك العرب الذي لايشرك بالله شيئاً اما بعد فاني اردت ان تبعث اليّ رجلا يعلمني الاسلام و يوقفني على حدوده والسلام . وان زعمتم انه لا يكون الفخر الا بنبوة فان منا الانبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم ما خلا اربعة هوداً وصالحاً واسماعيل ومحمداً ومنا المصطفون من العالمين آدم ونوح وهما العنصران اللذان تفرع منهما البشر فنحن الاصل وانتم الفرع وانما انتم غصن من اغصاننا فقولوا بعد هذا ما شئتم وادعوا

ولم تزل الامم كلها من الاعاجم في كل شق من الارض ملوك تجمعها ومدائن تضمها واحكام تدين بها وفلسفة تنتجها وبدائع تفتقها في الادوات والصناعات مثل صنعة

الديباج وهي ابدع صنعة ولعب الشطرنج وهي اشرف لعبة ورمانة القبان التي يوزن بها رطل واحد ومائة رطل ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق والقانون والاسطرلاب الذي يعدل به النجوم ويدرك به علم الابعاد ودوران الافلاك وعلم الكسوف لم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ويضم قواصيها ويقمع ظالمها وينهى سفيهها ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ولا اثر في فلسفة الا ما كان من الشعر وقد شاركتها فيه العجم وذلك ان للروم اشعاراً عجيبة قائمة الوزن والعروض فما الذي تفخر به العرب على العجم فانما هي كالذئاب العادية والوحوش النافرة يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض فرجالها موثوقون في حلق الاسر ونساؤها سبايا مردفات على حقائب الابل فاذا ادركهن الصريخ استنقذن بالعشي • قال بجير يعير العرب باختلافها في النسب واستلحاقها للادعياء

زعمتم بان الهند اولاد خندف ... وبينكم قربى وبين البرابر
وديلم من نسل ابن ضبة ناسل ... وبرجان من اولاد عمرو بن عامر
فقد صار كل الناس اولاد واحد ... وصاروا سواء في اصول العناصر
بنو الاصفر الاملاك اكرم منكم ... واولى بقربانا ملوك الاكاسر
انطمع في صهري دعيا مجاهراً ... ولم تر ستراً من دعي مجاهر
وتشتم لؤماً رهطه وقبيله ... وتمدح جهلا طاهراً وابن طاهر

وقال الحسن بن هانئ على مذهب الشعوبية :

وجاورت قوماً ليس بيني وبينهم ... اواصر الا دعوة وبطون
اذا ما دعا باسمي العريف اجبته ... الى دعوة مما عليَّ يهون
لازد عمان بن المهلب نزوة ... اذا افتخر الاقوام ثم تلين
وبكر يرى ان النبوة انزلت ... على مسمع في البطن وهو جنين
وقالت تميم لا نرى ان واحداً ... كاحنفنا حتى الممات يكون
فلا لمت قيساً بعدها في قتيبة ... اذا افتخروا ان الحديث شجون

قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب : واما اهل التسوية فان منهم قوماً اخذوا ظاهر بعض الكتاب والحديث فقضوا به ولم يفتشوا عن معناه فذهبوا الى قوله عز وجل : ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله : انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم •

والى قول النبي عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ليس لعربي على عجمي فخر الا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب . وقوله المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وانما المعنى في هذا ان الناس كلهم من المؤمنين سواء في طريق الاحكام والمنزلة عند الله عز وجل والدار الآخرة لو كان الناس كلهم سواء في امور الدنيا ليس لاحد فضل الا بامر الآخرة لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم كريم قوم فأكرموه وقوله صلى الله عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم وقوله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم هذا سيد الوبر . وكانت العرب تقول لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا . تقول لا يزالون بخير ما كان فيهم اشراف واخيار فاذا حملوا كلهم جملة واحدة هلكوا او اذا ذمت العرب قوماً قالوا : سواسية كاسنان الحمار وكيف يستوي الناس في فضائلهم والرجل الواحد لا تستوي في نفسه اعضاؤه ولا تتكافأ مفاصله ولكن لبعضها الفضل على بعض وللرأس الفضل على جميع البدن بالعقل والحواس الخمس وقالوا القلب امير الجسد ومن الاعضاء خادمة ومنها مخدومة

قال ابن قتيبة : ومن اعظم ما ادعت الشعوبية فخرهم على العرب بآدم عليه السلام وبقول النبي عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني عليه فانما انا حسنة من حسناته ثم فخرهم بالانبياء اجمعين وانهم من العجم غير اربعة هود وصالح واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام واحتجوا بقول الله عز وجل ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ثم فخروا باسحق بن ابراهيم وانه لسارة وان اسماعيل لامة تسمى هاجر قال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكل بها طنباً ولا خباء ولا عك وهمدان
ولا لجرم ولا نهد بها وطن لكنها لبني الاحرار اوطان
ارض تبنى بها كسرى مساكنه فما بها من بني اللخناء انسان

فبنو الاحرار عندهم العجم وبنو اللخناء عندهم العرب لانهم من ولد هاجر وهي امة وقد غلطوا في هذا التأويل وليس كل امة يقال لها اللخناء من الاماء الممتهنة في رعي الابل وسقيها وجمع الحطب وانما اخذ من اللخن وهو نتن الريح يقال لخن السقاء اذا

تغير ريحه فاما مثل هاجر التي طهرها الله من كل دنس وارتضاها للخليل فراشاً وللطيبين اسماعيل ومحمد اماً وجعلهما سلالة فهل يجوز للحد نضلا عن مسلم ان يسميها الخناء

قال بعض من يرى رأي الشعوبية فيما يرد به على ابن قتيبة في تباين الناس وتفاضلهم والسيد منهم والمسود انا نحن لا ننكر تباين الناس ولا تفاضلهم ولا السيد منهم والمسود والشريف والمشروف ولكنا نزعم ان تفاضل الناس فيما بينهم ليس بآبائهم ولا باحسابهم ولكنه بافعالهم واخلاقهم وشرف انفسهم وبعد هممهم الا ترى انه من كان دنيء الهمة ساقط المروءة لم يشرف وان كان من بني هاشم في ذوابتها ومن امية في أرومتها ومن قيس في اشرف بطن منها انما الكريم من كرمت افعاله والشريف من شرفت همته وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وقوله في قيس بن عاصم هذا سيد اهل الوبر انما قال فيه لسؤدده في قومه بالذب عن حريمهم وبذله رفده لهم الا ترى ان عامر بن الطفيل كان في اشرف بطن في قيس يقول :

وانى وان كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل مركب
فما سودتني عامر عن وراثة ابى الله ان اسمو بام ولا أب
ولكنني احمي حماها واتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكب

وقال آخر :

انا وان كرمت اوائلنا لسنا على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة لاقضين بين العرب بقضية لم يقض بها احد قبلي ولا يردها احد بعدي ايما رجل رمى رجلاً بملامة دونها كرم فلا لوم عليه وايما رجل ادعى كرماً دونه لؤم فلا كرم له . ومثله قول عائشة ام المؤمنين كل كرم دونه لؤم فاللؤم اولى به وكل لؤم دونه كرم فالكرم اولى به . تعني بقولها ان اولى الاشياء بالانسان طبائع نفسه وخصالها فاذا كرمت فلا يضره لؤم اوليته وان لؤمت فلا ينفعه كرم اوليته قال الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما ٭ وعلمته الكر والاقداما ٭ وجعلته ملكاً هماما

وقال آخر :

مالي عقلي وهمتي حسبي ما انا مولى ولا انا عربي
ان انتمى منتم الى احد فانني منتم الى ادبي

روى ابو العيناء الهاشمي عن القحذمي عن شبيب بن شبة قال كنا وقوفاً بالمربد موضع بالبصرة وكان المربد مألف الاشراف اذ اقبل ابن المقفع فبششنا به وبدأناه بالسلام فرد علينا السلام ثم قال : لو ملتم الى دار نيروز وظلها الظليل وسورها المديد ونسيمها العجيب فعودتم ابدانكم تمهيد الارض واوحتم دوابكم من جهد الثقل فان الذي تطلبونه لم تفلتوه ومهما قضى الله لكم من شيء تنالوه . فقبلنا وملنا فلما استقر بنا المكان قال لنا : اي الامم اعقل فنظر بعضنا الى بعض فقلنا : لعله اراد اصله من فارس فقلنا : فارس فقال : ليسوا بذلك انهم ملكوا كثيراً من الارض ووجدوا عظيماً من الملك وغلبوا على كثير من الحق ولبث فيهم عقد الامر فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ولا ابتدعوا باقي حكم في نفوسهم قلنا : فالروم قال : أصحاب صنعة قلنا : فالصين قال اصحاب طرفة قلنا فالهند قال اصحاب فلسفة قلنا السودان قال : شر خلق الله قلنا : الخزر قال : بقر سائمة قلنا : فقل قال : العرب قال : فضحكنا قال : اما اني ما اردت موافقتكم ولكن اذ فاتني حظي من النسبة فلا يفوتني حظي من المعرفة ان العرب حكمت على غير مثال مثل لها ولا آثار اثرت اصحاب ابل وغنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ويشارك في ميسوره ومعسوره ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ويفعله فيصير حجة ويحسن ما شاء فيحسن ويقبح ما شاء فيقبح ادبتهم انفسهم ورفعتهم هممهم واعلتهم قلوبهم والسنتهم فلم يزل حباء الله فيهم وحباؤهم في انفسهم حتى رفع لهم الفخر وبلغ بهم اشرف الذكر وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر وافتتح دينه وخلافته بهم الى الحشر على الخير فيهم ولهم فقال سبحانه ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فمن وضع حقهم خسر ومن انكر فضلهم خصم ودفع الحق باللسان اكبت للجنان اه

اما عناية الاسلام باسقاط الجنسية فتراه ماثلاً من حسن معاملتهم للموالي فقد (١) ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مؤتة زيد بن حارثة مولاه وقال ان قتل فاميركم

---

(١) الكامل للمبرد

جعفر وامر رسول الله أسامة بن زيد فبلغه ان قوماً قد طعنوا في امارته وكان امره على جيش فيه جلة المهاجرين والانصار فقال عليه السلام ان طعنتم في امارته لقد طعنتم في امارة ابيه قبله ولقد كان لها اهلاً وان أسامة لها لاهل . وقالت عائشة لو كان زيد حيًّا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه : لم فضلت أسامة عليَّ وانا وهو سيان فقال : كان ابوه احب الى رسول الله من ابيك وكان احب الى رسول الله منك اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ازواجه ان تميط عن أسامة اذى من مخاط او لعاب فكأنها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال له يوماً ولم يكن أسامة من اجمل الناس لو كنت جارية لحليناك وحليناك حتى يرغب الرجال فيك وفي بعض الحديث انه قال أسامة من احب الناس اليَّ . وكان صلى الله عليه وسلم ادى الى بني قريظة مكاتبه سلمان فكان سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي بن ابي طالب عليه السلام سلمان منا اهل البيت ويروى ان المهدي نظر اليه وبيد عمارة بن حمزة في يده فقال له رجل: من هذا يا امير المؤمنين فقال : اخي وابن عمي عمارة بن حمزة فلما ولى الرجل ذكر ذلك المهدي كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت انه يقول : ومولاي فانفض والله يدك من يدي فتبسم امير المؤمنين المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب

زعم الليثي انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدي مسمع مولى له له بهاء ورواء ولسن فوجه جعفر الى مسمع مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان انصفني والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجه اليَّ مولى مثل هذا واومأ الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضاً لمايكره وجهت اليه واومأ الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الموضع الذي تباهي بمثله العرب وقد قيل الرجل لابيه والمولى من مواليه . وفي بعض الاحاديث ان المعتق من فضل طينة المعتق . ويروى ان سلمان اخذ من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة من تمر الصدقة فوضعها في فيه فانتزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابا عبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا . ويروى ان رجلا من موالي بني مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هداب المازني وهو في ذلك الوقت سيد بني تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى اذن له في هدم

داره فادخل النعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه ساقاً كف عنه ثم قال يا عمرو قد أريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان في قريش من فيه جفوة ونبوة

كان نافع بن جبير احد بني نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قرشي قال واقوماه وان قيل عربي قال وابلداه وان قيل مولى او عجمي قال اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت ٠ و يروى ان ناسكاً من بني الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول في قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة فاما العجم فهم عبيدك والامر اليك

ومثل ذلك ما كان بعضهم يقولونه لا يقطع الصلاة الا ثلاثة حمار او كلب او مولى، وكانوا لا يكنونهم بالكنى ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون في الصف معهم ولا يتقدمونهم في الموكب وان حضروا طعاماً قاموا على رؤوسهم وان اطعموا المولى لسنه وفضله وعلمه اجلسوه في طريق الخباز لئلا يخفى على الناظر انه ليس من العرب ولا يدعونهم يصلون على الجنائز اذا حضر احد من العرب وان كان الذي يحضر عزيزاً وكان الخاطب لا يخطب المرأة منهم الى ابيها ولا الى اخيها وانما يخطبها الى مواليها فان رضي زوج والا رد فان زوج الاب والاخ بغير رأي مواليه فسخ النكاح وان كان قد دخل بها كان سفاحاً غير نكاح

وذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الموالي والعرب ان الحجاج لما خرج عليه ابن الاشعث وعبدالله بن الجارود ولقي ما لقي من قراء اهل العراق وكان اكثر من قاتله وخلعه وخرج عليه الفقهاء والمقاتلة والموالي من اهل البصرة فلما علم انهم الجمهور الاكبر والسواد الاعظم احب ان يسقط دواوينهم و يفرق جماعتهم حتى لا يتألفوا ولا يتعاقدوا فاقبل على الموالي وقال انتم علوج وعجم وقراكم اولى بكم ففرقهم وفض جمعهم كيف احب وصيرهم كيف شاء ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجهه اليها وكان الذي تولى ذلك منهم رجل من بني سعد بن عجل بن لجيم يقال له حراش وقال شاعرهم

وانت من نقش العجلي راحته وفر شيخك حتى عاد بالحكم

يريد الحكم بن ايوب التميمي عامل الحجاج على البصرة

ولقد اورد ابن بسام في الذخيرة في ترجمة الاديب ابي جعفر احمد الدودين

البلنسي رسالة ابن غرسية يخاطب بها ابا جعفر بن الجزار في فضل الشعوبية وذم العرب ابتدأها بقوله

يا ابن الاعارب ماعلينا باس لم نخك الا ما حكاه الناس

وقال :

ولم اشتم لكم حسباً ولكن حدوت بحيث يستمع الحداء

وقال فيها في وصف العجم

هم ملكوا شرق البلاد وغربها وهم منحوكم بعد ذلك سؤددا

حلم وعلم ذوو الآراء الفلسفية الارضية والعلوم المنطقية الرياضية حملة الاسترلوميقا والجومطريقا والعملة بالارتماطيقا والانولوطيقا والقومة بالموسيقى والطوبيقا والنهضة بعلوم الشرائع والطبائع والتفرة في علوم الاديان والابدان ما شئت من تحقيق وترفيق حبسوا انفسهم على العلوم الدينية والبدنية لا على وصف الناقة العدنية فعلهم ليس بالسفاف كفعل نائلة وإساف اصغر بشأنكم اذ بزق خمر باع الكعبة ابو غسانكم واذ ابو رغالكم قاد فيل الحبشة الى حرم الله لاستئصالكم

والرسالة كلها على هذا النسق استغرقت مع الردود عليها سبع عشرة ورقة من الذخيرة ولولا غلبة التحريف الكثير عليها لاوردناها برمتها وقد رد عليها كثيرون من ادباء الاندلس في عصر كاتبها ومن جملتهم المخاطب بها ابو جعفر وردودهم كلها الى السفاهة والبذاءة اقرب وكتابة ابن غرسية امتن وحججه اوضح .

وكنا نود ان نشبع الكلام على الشعوبية اكثر مما اشبعناه واكتفينا الآن بما لدينا من النقول الصحيحة ولعل احد مؤازرينا يكتب في هذا الموضوع ليجلوه اكثر مما جلوناه وفوق كل ذي علم عليم

اللسان

كلُّ حرفٍ تعطي عليهِ جوابا … خطأً كان لفظهُ او صوابا
فتمعن قبل الاجابة تسلم … من جواب يجني عليك عذابا
بين فكيك ليث غابٍ اذا ما … فهت جهلاً في القلب انشب نابا
من بفيهِ عن روية يقضب الغيـ … ـظ فتغدو اعداؤُه اصحابا
مقول المرء مثل حانوت عطا … ر حوى ما قدمرَّ طعماً وطابا
فاذا ما اراد يقطر أريا … واذا ما اراد يقطر صابا
رب سهم ان اوترته اناة … فلج القصد واستقاد الرغابا (١)
واذا ما رماه طائش فكر … يتعدى المنى فقاد الصعابا
كم قتيل للفظةٍ لو عداها … ما عداه برد الصفا جلبابا
غادرتهُ تحت التراب اذا لم … تلفها غادرت بفيهِ الترابا
كان قبلاً يسقى من المسك كأساً … صار يروى من الصديد شرابا
ايها اللين الذي هو ذو اللـ … ـذة قد حل داخل الفم غابا
قل لنا ما صنعتَ بالناس قدماً … فلقد قيل قد صنعت عجابا

***

لفظ الكيسُ اللطيف انا من … ساد اهل العروش والاربابا
اوضح القلب كاشفاً ما حواه … معطفاً فيه ثائراً لهابا
بكلام مثل الندى فاق في جا … ب الاماني هاطلاً سكابا
سقطه في السماع خير ونعمى … مرجعٌ للشيخ العني الشبابا
تجد الملك والممالك في قبـ … ـضة كفي وما رجوت استجابا
افتن الكلَّ بافتناني ومن تا … فيه مثلي محبباً خلابا
بي يصبي الملك الرعايا فتبدي … آي حب اذا دنا او غابا
ويسوس الشعب الوزير بحجا … ز المرجى ويبلغ الآرابا

(١) لم ترد الرغاب في المعاجم ولكنها وردت في الشعر قال ابو العتاهية
واسأل الله اذا سئت فقراً … فهو يعطيك العطايا الرغابا

واخو المتجر الوسيع بي اسنـ ... ـنى الاماني فامطرته سحابا
كم دعوت ابن خيشة في نعيم ... يكتسي فاخر الدمقس ثيابا
كم منى دونها الثريا دنت بي ... فجنت قطفها الاكف اقتضابا

***

واذا ما اطلقت من حكماتي ... ضيقت شرتي المغاني الرحابا
ودعوت الصبح المنير ظلاماً ... واعتبرت الحق المبين كذابا
واطرحت الخل الصفي قصيا ... بعد ما كان يستزيد اقترابا
واتخذت الرأي الضلال دليلا ... وتركت الراضين عني غضابى
واجتلبت الالوف تلقى الوفا ... مرويات مناصلاً وحرابا
ناطقات الكرات متقدات ... حاصدات كهولها والشبابا
كم صباح تكسى النهار كستها ... شرتي بردة الظلام إهابا
و بنوها الفراخ أمسوا بيتم ... يتلوون حيرة واكتئابا
اتراك المعلم الاغن وقد با ... ت بمسعاي شر مسعى يبابا
فانا من أدير خمراً وغسليـ ... ـنا واجني الزقوم والعنابا
وانا من عجيب شأني أني ... انشر الميت او ابين الرقابا
وقصارى امري مبين ببيت ... لذوي النبل مشرع أبوابا
من تخطى بي الروية أخطا ... من حدا بي نهج الصواب اصابا

دمشق ... امين ظاهر خير الله

الحاكي او الفنغراف

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف

(نظم هذه الابيات ونقشها على اسطوانة بصوته تلبية لاقتراح صديق له)

صوت السلام اميركا حياكِ   وبكشفهِ كولمبسُ أحياكِ
ان الصحائف والمطابع والمدا   رس والمعامل زينت مغناكِ
وكذا الزراعة والصناعة والتجا   رة عززت في نجمها مبداكِ
سميت نصف الارض عن ثقة وقد   فاخرت كل الارض في ابناكِ
فعلى أديسن ألف ألف تحية   وبهِ اجتنيت من الفنون مناكِ
يكفيهِ ايجاد الفنغراف الذي   قد شاع بين العرب والاتراكِ
ألفى بنفخ البوق بعثة ميتنا   فاقامهُ من قبره الفتاكِ
وتصيد الاصوات من بحر الهوا   بشباكهِ كتصيد الاسماكِ
فيعي باذنٍ مايقال كسامع   ويعيده بلسانهِ كالحاكي
هو صادق في نقل اخبار وفي   حفظ الكلام وليس بالافاكِ
بتقلد الاصوات كيف تلونت   بفصاحة وهو الضحوك الباكي
وتراه ينطق باللغات كأنهُ   متلقن بالروح وحي ملاكِ
ويدور كالدولاب وقت تكلمٍ   فكأنهُ سيارة الافلاكِ
ومحل حفظ الصوت شبه دماغنا   في شدة الاحساس والادراكِ
ولسانه بعد الفكر ناطق   بعواطف القلب الشكور الشاكي
هذا تحية عمرنا واديسن   مبدي العجائب فيه كل رجاكِ
لازال بالعمر الطويل ممتعاً   ماشنف الآذان صوتُ (الحاكي)

سير العلم والاجتماع

حياة النبات

يرى اوسونسكي احد كبار علماء روسيا ان حياة النبات تشبه بجملتها حياة الانسان فلها مزاج وشهوات وميل وكراهة كالآدميين وكان علم الزراعة من قبل يرى ان النباتات عارية من هذه القوى فيكتفي الزارعون بزرعها وسقيها او بتغذيتها وذلك بوقايتها من اخطار رداءة الهواء وتحسين مايلائم طبيعتها من الاجواء. ولكن هذا العالم رأى الآن ان لا سبيل الى الانتفاع من النباتات واستنبات الجيد منها الا بمعاملتها معاملة من يعقل ويحس وقد مثل لذلك بنبات البطارس (الخنشار) والفطر والطحلب وقال انها تنقبض اذا اخذت ووضعت على قطعة من خشب مغشاة بالجلاتين واستدل من تأثر هذه النباتات على انها حساسة كالحيوان ومن رأيه ان النباتات تتأثر بالنور والهواء اكثر من جميع الحيوانات فمنها ما يتجه نحو الشمس ومنها ما يوجه وجهه قبل المشرق ومنها ما يغلق نفسه عند الغروب ومنها ما يسهر في الليل وينام في النهار نوماً اشبه بالموت. ومن انواع البقول ماينام على سوقه ومنها ما يقي نفسه من حرارة اشعة الشمس بان تجعل اوراقها على صورة لا تتعرض بها للنور مباشرة وانا لنرى الازاهير في الاصاصي (اواني الزهور) توجه وجهها نحو النوافذ كما نرى الهندباء تتنبأ بسقوط المطر ولا تتفتح ونبات المستحية تخاف من الفجة بل قد يغشى عليها متى اطلق امامها مدفع. ومعظم النباتات تتأثر بالاثير والمورفين والكوكايين. وعلى هذا فقد استنتج العالم بان ارسطو كان على صواب في قوله ان للنباتات روحاً فقال ان معرفة ذلك من حال النبات يدعو الى احسان تربيته وتعهده فاذا فعل المزارعون الفلاحون وارباب الحدائق ذلك فهناك الغلات الجيدة في الكمية والكيفية.

المجموع العصبي

بحثوا في المؤتمر الطبي في جنيف مؤخراً في ضعف المجموع العصبي (نوراستينيا) والخمر فقال بعضهم ان المكثرين من تناول الماء اكثر عرضة لهذا الضعف من غيرهم ومعلوم ان هذا الضعف لا يتناول القوى الطبيعية فقط بل يتناول القوى العقلية والحماسة الادبية ويشعر المصابون باضطراب في الوظائف العضوية وجميع هذه الاسباب تؤثر تأثيراً مضعفاً في الجسم والعقل. وجرى البحث فيما اذا كان الاعتماد على المنعشات

في مثل هذه الحال لا يفيد المصاب بهذا الداء اذا شفعها بتحسين اصول غذائه . لا شك ان المصاب بضعف الاعصاب يشكو من سوء الهضم في الغالب فمن الاحتياط ان لا يعطى من الاطعمة المائعة والسائلة ما يهيج معدته وليس معنى هذا انه ينبغي حذف جميع المنعشات من طعامه وقد تبين ان الخمور على انواعها تضر بالمصاب بهذا الضعف كما ثبت ان المكثرين من تناول الماء مصابون بالسوداء وسريعو الانفعال والسخط .

الماء المقدس

لفت راهب ايطالي من المشتغلين بعلم الجراثيم والطب الانظار للاخطار التي تحدث من اجران الماء المقدس في الكنائس فثبت لديه ان في كل مئة سنتيمتر من الماء المقدس في كنيسة القديس كروس في تورين مئة وخمسين الف جرثومة اذا اخذ الماء من سطح الجرن واذا اغترف من داخله يحتوي على ستة ملايين جرثومة. وقد حقن بهذا الماء حيوانات فكان سبباً في قتلها بالسل او الخناق او غيرهما من الامراض العضالة وقد بين الطرق الواقية من تناول الماء على الصورة المألوفة واخذ رجال الدين هناك يبحثون في واسطة تدفع الجراثيم عن الماء لا بغسل الاجران بالسليماني فقط بل بالنظر في كيفية تناول الماء .

طهارة برلين

اصبحت مدينة برلين بالنظر للارتقاء الذي ما زال متواصلاً فيها وبفضل العناية في تطهيرها ووقايتها من اطهر مدن العالم ان لم نقل انها اطهر مدينة في العالم فاصاب الصحة من هذه الطهارة حظ وافر فقد كان معدل الموت فيها سنة ١٨٧٦ — ٢٩ فاصبح سنة ١٩٠٠ — ٣٥ وصار هذه السنة ٣٨

الحكم بالاعدام

نسمع الكثيرين من اصحاب الرأي يقولون حينما يبلغهم ان الاشقياء كمنوا لفلان فسلبوه متاعه وقتلوه شر قتلة لو انفذ الحكم بالاعدام لوقف الاشقياء عند حدهم ولما تجرأوا تلك الجرأة على قتل النفوس التي حرم الله قتلها قال احد نواب الفرنسيس ما جعل الاسافل يقتلون الكرام الا عدم الشدة في العقوبات وما نحن اولاء نفوه به بالحرف الواحد: كل جمعية لها الحق ان تتخذ جميع الوسائل الضرورية لحفظ كيانها

واني لا اظن انه يمكن ان تعاقب المجرمين كافة لانه يوجد منهم من يستحيل وجود عقاب يناسب فظاعة جرمهم وانني لست من الذين يقولون ان السبب في كل الجرائم البوس فلا محل لتلك الاعذار التي ينتحلها لهم بعضهم قبل ان نلغي حكم الاعدام يجب ان نتحقق من امر العقاب الذي يحل محله · قد لطف قانون السجون ولكن الجرائم لم تخفف بل لا تزال فى ازدياد وزاد على ذلك ان الجرائم التي ترتكب اليوم افظع من التي كانت ترتكب امس نعم ان البشر ليسوا بمعصومين وقد يغلطون ولكن طرق التحقيق المتبعة اليوم بفرنسا والمرافعات القضائية تجعلنا نقول ان الخطأ اقل من القليل ·

وارجو من زملائي ان يشملوا بنظرهم القوم الصالحين اكثر من ان يشملوا به المجرمين · فالجاني الذي يدخل تحت جنح الليل الى بيت فيه أسرة آمنة مطمئنة شاهراً بيده مسدساً لا شك انه يستحق عقاباً عَلَى هذه الجريمة الفظيعة بالاشغال الشاقة المؤبدة فاذا لم يجرِ عليه الحكم بالاعدام فلا شك ان هذا الاثيم يقتل كل من يقع تحت يديه كي لا يكون شاهداً عليه · الحكم بالاعدام وحده كفيل بغل ايدي سفاكي الدماء فارجو من زملائي ان يزنوا هذه الفكرة بميزان النصفة ولا يسلبوا الهيئة الاجتماعية سلاحها ·

مزرعة المستقبل

جربوا الكهربائية عَلَى شواطئ البحر المحيط الهادي باميركا في تعهد المزارع وحرثها وزرعها وحصادها فاستعملوا لذلك ادوات دافعة ورافعة تتحرك بشلالات مجاورة فتحدث منها القوة المطلوبة فاتى ذلك بنتائج مهمة · ولئن كانت النفقة على هذا العمل تستدعي صرف مئات من الريالات الا انه يتوفر بها ثلاثة ارباع ما ينفق في العادة عَلَى مثل هذه المزارع لاستثمارها واستنباتها فضلا عما في ذلك من الاقتصاد في الوقت والذين يتبرمون من المزارعين من كثرة النفقات والايدي العاملة في مزارعهم يعلقون الآمال الكبيرة على ان تكون الكهربائية اعظم عاملة في مزارع المستقبل ·

الصحة في السويد

اتفقت المجتمعات كلها عَلَى ان الرياضة البدنية من اسلم الرياضات النافعة حتى ان بلاد السويد تعتبر هذه الرياضة اعتبارها للفروض الدينية وتقضي على السكان عامة ان يعمدوا اليها فالرياضة البدنية اجبارية في المدارس عَلَى كل طفل منذ صغره

فتبعث الحكومة باساتذة من قبلها الى كل مدرسة ليشرفوا فيها عَلَى تعاطي هذه الرياضة كما انها تقضي عَلَى كل تلميذ ان يسبح سواء خاف من الماء ام لم يخف كمدرسة تكره عَلَى العوم · والحكومة هناك تدفع للاطباء المنتشرين في الاقاليم المختلفة من البلاد رواتب من خزانتها لان ما يتناوله الطبيب في القرى من زبنه لا يكفيه في معاشه · ومن العادة في البلدان المأهولة بالسكان ان لا يتناول الطبيب اجرة عيادته بل يترك معاشه لذمة زبنه فيدفع له كل زبون بقدر طاقته بحيث يسمن كيسه بدون طلب ولا ابرام ويعيش كالاغنياء او احسن ·

اللبن الحليب

استبان لارباب الاحصاء ان الغرام باللبن الحليب في العالم يزيد ولا ينقص فقد بلغ ما يصرف كل يوم منه في العالم كله مليوناً وثلاثمائة وثمانين الفاً وخمسمائة طن منها خمسمائة الف طن في الولايات المتحدة · واللبن هو الغذاء الطبيعي المغذي والشافي واللذيذ والبسيط ·

احترام الآراء

خطب ارنست لافيس في احدى المدارس الفرنسوية في معنى احترام الآراء والمذاهب فقال ان القضاء والشرطة لم يجعلا الا لدفع الناس بعضهم عن بعض وان الاسباب التي تدعو كبار الرجال الى ان يتباغضوا بغضة شديدة جداً ترجع الى امر واحد الا وهو الاختلاف في الآراء السياسية والدينية وينشأ عن هذا الاختلاف احياناً بغض وكراهية · فالناس يختلفون في العقائد فمنهم الملحد بعد طول التأمل ومنهم المؤمن الذي احب ان يموت عَلَى دين اجداده ومنهم المحافظ الذي يرى بقاء القديم على قدمه في السياسة وان الاحتفاظ بالتقاليد من الضروريات في الحياة العامة ومن دافع عنها فيقوم بالواجب عليه وكأنه يدافع عن مصلحة الوطن نفسه ومنهم الثوري الذي لا يرى السعادة في غير اهراق الدماء وان الخير معقود بنواصي الفتن ولا تستقيم الامور بدونها اما انا فاقول انه من الممكن ان يتخالف الناس بدون ان تسوء حالهم وانه قد يتأتى للخصوم ان يحب بعضهم بعضاً ويحترم بعضهم بعضاً فاذا قدروا على ذلك فانه يجب عليهم ولا سبيل الى ان يعيش الناس بعضهم مع بعض في سلام الا اذا جعلوا التسامح رائدهم واذا قضي على احد الرجلين ان يحكم عليه فمن يفصل بينهما ؟ لاشك ان

القوة هي الحكم ولكن استعمال القوة في مصادرة الافكار هو من الاغلاط التي نلوم المستقبل عليها ولكم حكموا باسقاط بعض الآراء في القدم فمازالت عَلَى انتشارها الى اليوم ولكم حكم القضاة في الامور الدهنية فعدنا نحن اليوم نحكم عليهم بل ننقم عليهم سوء حكومتهم ولكم اقيمت التماثيل اليوم لرجال ذهبوا بيد الغدر والقهر ورموا في النار فاضحت الساحات التي اعدموا فيها مزدانة اليوم بتماثيلهم التي نصبت تمجيدهم .

يقول قوم ليس اشق من ارادة المرء ان لا يعمل مع غيره ما لا يريد ان يعملوه معه وان انصار الحرية اذا قبضوا عَلَى القياد يمنعونها غيرهم فيخالفون بذلك قاعدة الحرية كما يقولون ان الحكم بين المتناقضات ليس له الا حاكم واحد يخضع له العالم باسرهم صاغرين ونعني به « العالم » ولكن من يدعون الى العلم يجهلون ماهيته فان الفضيلة الكبرى في العالم هو انه يبحث عَلَى الدوام وربما ضلَّ في ابحاثه ضلالا بعيداً ولكن من فضيلة العالم هو انه يجد بنفسه الاغلاط التي ارتكبها وانه يرجع عن الاوهام التي جاء عليه زمن فاعجبته واخذت بمجامع قلبه ثم يعود الى البحث وما موضوع بحثه الا الحوادث ففي الحوادث التي اكتشفها يتخذها الناس حججاً وبراهين فهم ينظرون مثلا في حوادث تاريخ الارض والانسان التي ابرزها العلماء الى عالم الوجود خلال القرنين الاخيرين ويتناقشون بما تجدد لهم من هذه الحوادث في معتقداتهم الموروثة ويعزمون اما على رفضها او على قبولها ولكن العلم لا يكتب الغلبة لدين على آخر بل يأخذ في سبيله باحثاً مستقصياً ولا يعرف احد الى اي طريق ينتهي به البحث وما عظمته وجماله وانسانيته الا بما يبدو عَلَى معاطفه من الشك والريبة . ولا ارى مخلصاً للناس من تعليل الاختلاف بين الناس الا بالحرية والتسامح والاكثار من المدارس التي لا تسمع فيها للمباحث الدينية صوتاً وان الحرية اذا لم تكن متأصلة في الاخلاق لا تجدي بنيها نفعاً .

النوم

كتب احد الباحثين في المجلة الباريزية بحثاً في النوم وما ينبغي للانسان منه حتى تجود صحته فقال ان النوم هو احد نواميس الكون وجميع البشر على اختلاف في اعمارهم خاضعون له وان الرجل العادي يموت من قلة الهواء في خمس دقائق ومن قلة الماء في اسبوع ومن قلة النوم في عشرة ايام اما الاكثار من النوم فيجعل في الرأس ثقلاً

وفي الجسم كللاً . قالت لعقيلة مريم ماناسين في كتاب لها نشرته حديثاً انه لا ينام نوماً طويلاً الا من فرغ ذهنه وقلّ فكره وان اناساً يسترسلون الى النوم عندما يتفرغون من مشاغلهم لان طبائعهم مفتقرة بحيث يتعذر عليهم ان يجدوا من افكارهم الخاصة مادة يهتمون بها وقد اكد سارس من علماء الاخلاق ان ارباب السخافة ينامون طويلا .

وقد سأل صاحب المبحث جلة من كبار ارباب العلم والفنون في فرنسا في معنى ما يلزم للرجل المفكر من النوم فكانت اجوبتهم متفقة في الجوهر وان اختلفت في العرض فقال احدهم : اني متى تعبت يستحيل عليَّ ان اتعاطى اي عمل كان فاراني مفتقراً الى الراحة . وعليه فالواجب ان ينام المرء ليعيش لا ان يعيش لينام وقال آخر: انني في حاجة لان انام ثماني ساعات على الاقل ولكن كيفية النوم تهم اكثر من كميته ومن رأيي ان لا يعمد طالب النوم الى استعمال المنومات والمخدرات وقال جول كلارسي احد اعضاء المجمع العلمي : اني في حاجة الى النوم كثيراً ويقلّ تعبي عندما انام وانام سبع ساعات عَلَى الاقل عَلَى اني اعمل بلذة ان نمت قليلاً او كثيراً وانا لا اشكو الا من الارق فان التفكر في اشغال الغد هي التي تؤرقني حتى السحر . وقال كورمون من مجمع العلوم : انام من ثماني الى تسع ساعات وانأثر لاقل حركة تحدث امامي وكثيراً ما اقضي الليل ساهراً كأني ملسوع فان نمت ليلتي اتعاطى عملي من الغد واذا افرطت في نومي لا احسن العمل ايضاً ومتى نمت لي ثماني ساعات تكون صحتي الى الاعتدال وقال الاستاذ ديبولافوا : ان النوم كالغذاء فبعض الناس يحتاجون لطعام كثير وبعضهم يتبلغون بالقليل كما ان بعضهم ينامون طويلاً وبعضهم يكتفون بقليل من السهاد ومن القواعد العامة ان قلة النوم والارق يجلبان التعب ويقللان الميل للاشغال العقلية وعَلَى العكس في النوم الكافي والسهاد المصلح المعوض فانهما من شروط العمل اما انا فانام سبع ساعات . وذكر آخر انه اذا نام يتضاعف عمله ويجود عشر مرات عما اذا لم ينم وتسهل اموره وانه عَلَى ثقة من ان بلزاك الشاعر لو كان نام القدر اللازم له لجاد شعره اكثر وخلدت آثاره فقد ظن انه بسهره يقتصد وقتاً وفي الحقيقة انه اضاعه ويقال ان نابوليون لما انهك السهر قواه نام في معركة واترلو وهو واقف .

وذكر الكاتب اسباب الارق فقال انها قد تكون ادبية مثل الاهتمام بالاشغال والقلق للمستقبل واتعب العقلي وتعب الوجدان والحزن وتبكيت القلب وقد ينشأ

الارق من امراض طبيعية صرفة وفي الغالب ان المرء يحرم النوم بتساهله لانه يحسن الاضطجاع عَلَى فراشه ولا يتخذ الاسباب اللازمة فلقد اهتدينا الى افضل الطرق في الاكل وافضلها في الشرب ولم نهتد الى الطريقة المثلى في النوم فان اردت ياهذا ان تنام فعليك ان تتخذ لك غرفة بعيدة عن الضجة خالية من الانوار الصناعية والحيوانات والزهور والاثاث والبسط وان تكون معرضة كل التعرض للتهوية حتى في الشتاء وان يكون الفراش منحنياً قليلاً من الرأس الى الاقدام بحيث ترتاح فيها الاعضاء جيداً وان يتخذ الفراش من الصوف وتكون المخدة لا رخوة ولا يابسة وان يختار من الغطاء الخفيف ومن الوسائد القليلة التضاعيف والنعومة وعليك ان تنام بعد الاكل بساعتين او ثلاث فالاولى ان لا تغفي الجفون الا بعد ان يتم الهضم عَلَى ان الاستاذ هالوبو ينصح للمشتغلين بالاشغال العقلية ان يناموا بعد الاكل ومن رأيه ان الواجب ترك الدماغ يستريح خلال الهضم . وخير طريقة يعمد اليها الفيلسوف والشاعر في نومهما هو ان يقطعا الليل شطرين وذلك بان يناما بعد العشاء حتى الساعة الواحدة صباحاً (بعد نصف الليل) ثم يأخذان في الاشتغال ثلاث ساعات قبل ان يعاودا النوم وينبغي لهما ان لا يتخليا عن القيلولة في خلال ايام القيظ ويفضل النوم منفرداً وعَلَى النائم ان يختار وسط الفراش لينام هنيئاً وترتاح اعصابه وتنبسط وان لا ينهض وذراعاه فوق رأسه كما يفعل بعض النساء تدللا لان ذلك مما يخالف نواميس الفيسيولوجيا فاذا صدر النائم صفحة وجهه كثيراً يتعب اعصاب ذراعيه واعصاب صدره وينقبض عنقه ويبهر نفسه فلا يمتد طويلا وعليه فالواجب ان يكون الرأس واطئاً ما امكن حتى يتسرب الدم الى الدماغ عَلَى صورة منتظمة وان يتمدد الجسم كل التمدد وان لا ينثني الساقان وان لا يشبك احدهما مع الآخر وان لا ترفع الركبتان ولا ينفع النوم مستلقياً عَلَى الظهر ويؤكد بعض الاطباء ان هذا الضرب من النوم ينشأ عنه مرض النخاع الشوكي وربما كانوا مبالغين في تصورهم عَلَى ان النوم بالاستلقاء يحدث ارقاً مضنياً او كابوساً او اضغاث احلام والنوم عَلَى الشق الايسر اصعب حالا من الاستلقاء ايضاً لانه يوقف الهضم ويؤدي الى ضيق التنفس والاختناق والى حدوث حركات في القلب تضغط عليه وتؤذيه . وعَلَى النائم ان لا ينام وبطنه منبسط فالافضل ان ينام المرء عَلَى جانبه الايمن لما في ذلك من النفع للحواس وعَلَى هذه الطريقة ينبغي لنا تعويد اولادنا وان نقتصر نحن ايضاً ان ننام مثلهم .

واذا حدث لنا ارق فالواجب علينا ان نعمد الى الطرق البسيطة لجلب الكرى الى العيون وذلك بالمشي والاستحمام قبل النوم ولا ينبغي اخذ شيء من العقاقير والمخدرات لانها ضارة وتأثيرها موقت لا يلبث ان يزول هذا وعلى كل انسان ان لا يغفل امر النوم فقد قال ليبسول ان في النوم لصحيحي الجسم قوة وفرحاً وللمريض شفاء وهناء ٠

البنون والبنات

خطب المسيو ارنست لافيس احد اعضاء المجمع العلمي الباريزي في معنى وجوب المساواة بين البنين والبنات في احدى مدارس البنات في فرنسا قال ما محصله : علمت المدرسة انكن ايتها الفتيات لم تخلقن لتعشن عيشة اصحاب القناطير المقنطرة من المال بل هي تعلمكن استعمال ادوات العمل واعني بها المقراض والابرة وتعلمكن مبادي الاقتصاد المنزلي اي تدبير المنزل وليس من منزل مهما كان صغيراً الا هو محتاج الى ربة تدبر امره وتصلح شأنه وتقوم على تعهده ٠ فالنظام والنظافة والذوق والراحة كلها تدعو المرء لان يزيد المكث في داره ويحل منزله محلاً رفيعاً من سويداء قلبه ومن حسنت ادارة بيته وكان فيه اللطف والظرف يحسن هندام نفسه

وحسن تدبير المنزل هو من اكبر الدواعي لادخال النظام على ثروة البيت وان قلت ومعنى القيام على تدبير المنزل التفكر للغد والنظر في المستقبل ابداً وحسن استعمال الوسائط التي تدفع اليوم عنا عوادي الحياة وتصرف عنا السوء ٠ وهذه الذرائع هي التي تعلمكن اياها المدرسة ٠ الا فاستمعن لقولي والحظ تملكن بانه من مايت وان صغر الا وفي المكنة ان يكون كبيراً ٠ فالام المتوسطة الحال اذا قامت بالواجب عليها وراعت قواعد الاقتصاد في دخلها وخرجها ونظرت ابداً في لوح المستقبل يتأتى لها في البلاد الديمقراطية ان ترفع ابناءها مكاناً علياً وتنيلهم من الرغائب ما كان قصياً وعندها لا يلبث ذاك البيت الصغير ان يكبر بفضل السعي والانكماش

لا تكتفي المدرسة اليوم كما كانت امس بان تعلمكن القراءة والكتابة والحساب فان معرفة الاشارات وتقليدها وتبيان وضع الارقام هو من الامور التافهة البسيطة تود المدرسة ان تفهمن ما تقرأن وان تعلقن فيما تكتبن وان تتلقن في حساباتكن حتى تفهمن في حياتكن بعد حين ما يقال لكن وما تقلن وما تعلمن

فالمدرسة تعلمكن واجباتكن وهي تعتقد كما تعتقد الانسانية منذ زمن طويل ان هناك شراً وخيراً فالخير هو نتيجة عمل العامل وهذا العمل شريف في ذاته والمدرسة تعلمكن الجمال فهي تدرسكن تاريخ بلادكن وتملي عليكن بالتعليم الوطني ما هي معاهدنا وتقاليدنا وقوانيننا . ولقد رأى بعضهم ان تعليم البنات هذا القدر من التعليم ليس فيه لهن غناء ولكننا لو تابعناهم على آرائهم لظللنا بدل التقدم الى الامام متأخرين الى الوراء. واي بلاهة اعظم من ان نترك نصف الشعب الفرنسوي جاهلاً بلاده ونقضي بهذا الجهل على النساء والامهات ان يخرجن من عداد ابناء الوطن .

المدرسة توسع دائرة ابصاركن بتعليمكن الجغرافيا تدرسكن المبادئ اللازمة في تصور العالم والنواميس الكبرى في الطبيعة وهي تريد ان تعرفن مسكن الجنس البشري والتخوم الفاصلة بين اقطاره وعرضه وطوله وقرب البلاد من الحرارة والبرودة . تتوخى المدرسة بل تجعل من اهم واجباتها الضرورية ان ترفع الغشاوة عن ذكاء الفتيات وتشركهن ما امكن بتسهيل طرق التعليم في معرفة الاعمال العظيمة التي يقوم بها الفكر في جميع ضروب المعرفة وان تنبه فيهن الشعور بالآداب السامية وتعدهن الى الاطلاع على حقائق الحياة كما هي الآن .

المدرسة هنا لا تميز بين البنات والبنين فقد رأيت في كلية السوربون في احدى ايام الآحاد في هذا الربيع مشهداً اخذ بمجامع قلبي . شهدت مئات من العذارى الاوانس وقد تزين واخذن ينشدن الاناشيد وكن عبارة عن تلميذات المدارس العالية في باريز اقمن حفلة لاسراتهن ولعمري من كان يظن منذ خمسين سنة ان يكون لفرنسا مدارس عالية للبنات . كنت في سنة ١٨٦٩ امين سر المسيو دروي ناظر المعارف العمومية فحاول هذا الاستاذ الشهير العظيم وكانت آراؤه كلها صائبة سديدة ان يؤسس مدارس ثانوية للبنات فوافقه بعضهم على ما ارتأى ولكن ما لبثت الفكرة ان انتشرت بين الناس بان الاخوات لسن كالاخوة في التساوي وان المذكر افضل من المؤنث كما جاء في كتب النحو التي الفها الرجال . فكان القوم يظنون انه يكفي الابنة قليل من التعليم وان هذا التعليم من خصائص الكنيسة فقط ان تعلمه ولذلك قاوم رجال الدين في انفاذ مشروع الناظر المشار اليه .

اتت ايام وازمان فاصبح عدد المدارس العالية للبنات ٤٢ مدرسة جامعة و٥٠

مدرسة داخلية و٦٩ مدرسة ثانوية وبلغ عدد المتعلمات فيها ٣٠٨٣١ بعد ان كان اقل من النصف قبل عشر سنين وهم يؤسسون هذه السنة اربع جامعات اخرى وربما خمساً وتسع مدارس داخلية وربما عشراً ولم يكن في اول سنة ١٩٠٣ غير ٣٠ مدرسة داخلية فزادت الى هذه السنة ثلاثة اضعاف ٠

النساء فقط هن المعلمات في هذه المدارس يستعددن لهذا العمل الشريف بالدرس والتربية الكثيرة فيعلمن ناصحات باخلاص ونشاة وانك لتجد مفتش المعارف والرؤساء ونظار المجامع العلمية يمتدحون بلسان واحد المعلمات والمتعلمات لانهن يتوفرن على تعليم البنات احسن تعليم بل اقول ولا اخشى من الحق انهن يعلمن احسن من تعليم المعلمين من الرجال وقد كان الناس يقولون من قبل ان النساء لا يستطعن ان يفهمن العلوم ولا ان يعلمنها وها هن اليوم يتبحرن في هذه العلوم ويعلمنها كأحسن معلم ٠

الا وان في منافسة البنات للرجال في مضمار العلم لاكبر دليل على صحة ما اقول فقد رأيناهن ينصرفن الى الدراسة اكثر من الشبان فاصبحن بفضل السهر والدرس رصيفات في الكليات للاساتذة من الرجال وقد خلفت العقيلة كوري زوجها في كلية العلوم الباريزية وكانت شريكته في اختراع الراديوم ٠ كل هذا يدل دلالة صريحة ان النساء مستعدات كل الاستعداد للتعلم وان من حقهن ان يتعلمن ٠ اعتقد صغار الفتيان منذ خلق العالم بان البنات من جنس غير جنسهم وان الرجال اسمى مقاماً واكبر عقلاً واقوى جناناً اذا قيسوا بالجنس اللطيف ٠ وما قول الناس هذا من الجنس اللطيف اي النساء وهذا من الجنس القوي اي الرجال الا من الاوهام في المرأة نشأت من التوحش وما كتب للرجال من قوة العضلات وكانت الانانية والمصلحة هما المساعدتين على انتشار هذا الفكر ٠

وها قد ضعف اليوم هذا الوهم وانتشرت الحقيقة كالشمس الساطعة وما اسهلها وابسطها ولكن الحقائق البسيطة هي التي يطول عهد اكتشافها ٠ الحقيقة التي اعنيها هو ان للبنت كما للصبي ذكاء وان كانت الكفاآت واميال الذكاء في الذكور والاناث متفاوتة الدرجات فليس معنى ذلك ان الذكاء الانثوي اضعف من الذكاء الرجلي بل ان معنى ذلك ان كلاً من ذكاء الفريقين متمم لصاحبه ليتألف من مجموعه ذكاء الانسانية ٠ والحقيقة بان للابنة كما للصبي قلباً يحب ويفرح ويحزن بل ان حظ البنات

من الاحزان في هذه الحياة اعظم واشد وفي قلوب الزوجات والامهات من بنات المستقبل مادة عظيمة من الدموع سيفرغونها في حياتهن المستقبلة . الحقيقة بان معظم البنات كمعظم البنين مضطرات الى الكدح لمعاشهن وانهن يصعب عليهن السير في هذا السبيل ومغزى ذلك ان الواجب يقضي على البنات والبنين ان يجتمعن ذات يوم ليؤسسن معاً أسرة جديدة ويحدث من هذه الحقيقة البسيطة ان البنات كالبنين متساويان في حقوق الانسانية فلا مسوغ والحالة هذه الى ان يعاملن معاملة مختلفة في سبيل اعداد الجنسين لجهاد الحياة .

وبعد فان النساء لا يصبحن كلهن عالمات كما لا يكون المتمجرفات فيهن بقدر المتمجرفين من الرجال والعجرفة من الامور البشعة والنساء لا يحببن ان يكن بشعات كما انهن لا يتولين الاعمال كلها لما يقوم في وجوههن من منافسة الرجال منافسة شديدة ولان الطبيعة تقضي بان تكون للنساء صناعات خاصة بهن وللرجال كذلك فاذا جاء فيهن النساء المخرفات تضطرهن الحال الى الاعتدال بيد ان الحقوق المخولة للنساء اليوم لا تكفي لتغيير حالتهن الاجتماعية .

ولقد عنيت دائماً في حياتي الطويلة ان اشوق افكار الشبان بل الاطفال الى الحياة وان اطلعهم عَلَى ما عساهم يطلعون عليه في حياتهم وارى الآن انه من الواجب ان القنهم محبة حب الوقت اذا كان للوقت ثمن عندهم . انا مقتنع بان الناشئة متى عرفوا بعد حين الوقت الذي عشنا فيه يعترفون له بالفضيلة الجميلة من انه عمل عَلَى تقويةِ كل نوع من انواع الضعف كضعف الولد وضعف المرأة وضعف الشيخ وضعف الفقير وضعف العاجز والزمن .

وهذا العمل الشريف الذي تممته الازمان لانلحظه كما ان المتحاربين لا يلحظون في معمعان الحرب كل ما يجري بينهم بل يرون من خلال التراب والدخان حركات لا يميزونها وهجمات واناساً يفرون وآخرين يركضون وغيرهم يسقطون وهذا الاضطراب العظيم يبعدهم عن تصور ما تم ومع هذا يتم في ساحة الوغى ما انصرف اليه المقاتلة وتخفق اعلام النصر على من كتب لهم .

ولكن قوماً يقولون ان انهاض الضعيف من كبوته يضعف من قوة الحاكم وسطوته ويرى ولاة الامر ان هذه السطوة ضرورية مشروعة وانها اذا فقدت فهناك القضاء

على المجتمع وعلى العالم . ولكن الناس لم يسمعوا هذه النبوآت الا عندما تمس آراءهم او عاداتهم القديمة اما انا فاعتقد بان هذا المجتمع في تبدل ولن يزول فاذا ذهبت صورته يبرز في صورة اخرى .

لغة البلاد

كانت اللغة البلجيكية الشائعة هي الافرنسية مع ان اكثر من نصف اهلها يتكلمون باللغة الفلامندية وقد علم من احصاء اخير ان ٢٧٤٤٠٠٠ من اهل البلجيك يتكلمون باللغة الفلامندية و٢١٤٥٠٠٠ يتكلمون بالافرنسية و٧٠٠٠٠٠ يتكلمون بكلتيهما والسواد الاعظم من السكان يطلبون فقط ان تكون اللغة الفلامندية اللغة الرسمية للنصف الشمالي من البلجيك وقد صرح النائب الحر المسيو جورج لوراند بانه يحق لكل فرد ان تدار شؤونه بلغته، وان الموظفين وهم خدمة الناس يجب عليهم ان يكلموا الامة بلغتها. قالت المجلة التي نقلنا عنها هذا الخبر وهذا من المعقول بمكان وهو الذي سيكون عليه القرار .

الجامعة المصرية

افتتحت المدرسة الجامعة يوم ١٥ كانون الاول الماضي حساباً غربياً وهي المدرسة التي انشأها بعض رجال النهضة المصرية وجمعوا لها الاعانات الطائلة من ارباب الخير لتعليم الناشئة تعليماً اوربياً عربياً وطنياً . والدروس التي تلقى فيها الآن محاضرات على الحضارة الاسلامية يلقيها الاستاذ احمد زكي بك ومحاضرات على الحضارة القديمة في مصر والشرق الى ظهور الاسلام يلقيها الاستاذ احمد كمال بك ومحاضرات على آداب اللغتين الانكليزية والافرنسية يلقيها الاستاذان مللر و بوفيليه ومحاضرات على ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب وعلاقتها باوربا يلقيها الاستاذ دي كوبه .

غرف القراءة

افتتح مساء ٢٤ ذي القعدة الماضي بضعة عشر اديباً من شبان دمشق واعضاء جمعية النهضة السورية غرفاً للقراءة مجانية ووضعوا فيها ما يلزم للمراجعة والمطالعة من الكتب والمجلات والجرائد . وهذه الغرف من احسن المشاريع الادبية في هذه الحاضرة بعد اعلان الحرية .

هجرة الاسبانيين

شغلت مسألة هجرة الاسبانيين رجال البحث فيها اذ رأوا ان عدد المهاجرين تضاعف في خمس سنين فكان الراحلون عنها سنة ١٩٠٠ حسب الاحصاء الرسمي ٦٢٤٨٣ فغدوا سنة ١٩٠٦ — ١٢٧٠٠٠ وهذا القدر فيه نظر لان كثيرين يفرون بدون ان يأخذوا جوازاً من الحكومة فيسافرون سراً فراراً من وجه رجال الشرطة والذين يعودون من المهاجرين كل سنة هم نصف هذا القدر ومعظمهم من الجزائر وهم يعملون في الفلاحة اما المهاجرون الى اميركا فقلما يرجعون الى بلادهم وترى الآن ٢٤ مليون هكتار من الارض الاسبانية بوراً لا زرع فيها ولا ضرع لقاء ٣٣ مليوناً قابلة للزراعة ·

جرائد الهند

تصدر في اقطار الهند ٧٧٤ جريدة يومية بتسع عشرة لغة مختلفة واكثرها انتشاراً جريدة كورالدري تصدر في بومباي ويطبع منها كل يوم خمسة آلاف نسخة وفي كلكتا جريدة بازوموتي وهي اسبوعية يطبع منها خمسة عشر الف نسخة ·

الجنون في اميركا

يزداد فقد العقل في الولايات المتحدة بصورة مخيفة · ففي ولاية نيويورك ستة وعشرون الف وثلاثمائة وسبعة وخمسون مجنوناً وذلك واحد في الثلاثمائة واغلبهم من المهاجرين ·

بيان وايضاح

نبهت في كلامي على الطالع السعيد (١) على نوع من الزجل سماه المؤلف بالبليقة ولم ادر ان كان يراد به مطلق الزجل في ذلك العصر او نوعاً مخصوصاً منه ثم وقفت اخيراً على بيان وافٍ لهذا النوع في كتاب الاقصى القريب لابي عبد الله محمد التنوخي وهو من مقتنياتي الحديثة احببت ان اتحف به المقتبس الاغر · قال عند كلامه على الموشحات والازجال ما ملخصه ومنها قرقيات المصريين وبليقاتهم والفرق بينهما وبين الزجل ان الزجل متى جاء فيه الكلام المعرب كان معيباً والبليقة ليست كذلك فيجيء فيها المعرب وغير المعرب ولذلك سميت بليقة من البلق وهو اختلاف الالوان وتفارق

(١) المقتبس م ٣ ص ٦٠١

البليقة القرقية في ان البليقة لا تزيد على خمس حشوات غالباً وقد تنتهي الى السبع قليلا والقرقية تزيد كثيراً على حكم الزجل في ذلك وسميت القرقية قرقية من القرقة وهي لعبة يلعب بها صبيان الاعراب انتهى · قلت وهذه اللعبة ذكرها صاحب القاموس ورسم صورتها الا انه سماها قِرْقًا لا قِرْقة والخطب سهل · احمد تيمور

قصيدة للمعري

نشر المقتبس (١) قصيدة لامية لابي العلاء المعري لا توجد بديوانه عثر عليها احد علماء المشرقيات في كتاب الوافي للصفدي وقد عثرت له على ابيات لامية ايضاً لا توجد بالديوان في كتاب التذكرة لابن العديم وهو من كتب دار الكتب الخديوية وهذه النسخة بخط ابن العديم نفسه ونصها :

قرأت بخط الشيخ ابي الفضل عبد الواحد بن محمد بن العطار الربعي الحلبي على ظهر كتاب انشد ابو العلاء المعري في من قتل وصلب ·

أبدْرَ دُجًى غالته احدى الغوائل فاصبح مفقوداً وليس بآفل
اتته المنايا وهو اعزل حاسر خفيّ غرار السيف بادي المقاتل
غلام اذا عاينت عاتق ثوبه رأيت عليه شاهداً للحمائل
يمسّح بالمسك الزكيّ مرجلاً يرف على المتنين مثل السلاسل
سواء عليه في السوابغ جرأة ثنى عطفه او في رقاق الغلائل
وشق على العلياء ان حيل بينه وبين ظبي اسيافه والعوامل
وعريّ من برديه والسيف لم يكن ليخضب الا من دماء الافاضل
أحلوك من اعلى الفضاء محلة نأت بك عن ضنك الثرى والجنادل
وليس بعار ما عراك وانما حمال اتساع الصدر ضيق المنازل

انتهى

الا ان قول ابن العديم انشد ابو العلاء يحتمل انه انشدها لغيره وليست له ويحتمل عكسه على اني ارجح كونها له لما عليها من المسحة المعرية وقدعرضتها على الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري فصوب رأيي فيها وزاد انه لم يعهد في الغالب ان ابا العلاء ينشد لغير العرب فالراجح انها من كلامه وقدعجب بها كثيراً · القاهرة : احمد تيمور

(١) مجلد ٢ ص ٩٧

مطبوعات ومخطوطات

التربية الاستقلالية

او اميل القرن التاسع عشر

لالفونس اسكيروس ترجمه عبد العزيز افندي محمد

وطبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٦ : ص ٤٦٦

هذا السفر من اجل كتب التربية عند الفرنسيس جرى فيه مؤلفه على اسلوب اميل القرن الثامن عشر لجان جاك روسو وصاغه في قالب رسائل ملذة حوت خزانة افكار ترقي في المرء ادب النفس وادب الدرس . وقد قدم له رصيفنا صاحب المنار مقدمة ذكر فيها غرض المؤلف وفائدة كتابه وكذلك فعل مترجمه الاديب . وكان نشر هذا الكتاب تباعاً في اجزاء كثيرة من مجلة المنار فافرد الآن ليعم نفعه فهو من افضل ما يقتنيه ارباب البيوت ويتلونه على صبيانهم وبناتهم ونسائهم لتنطبع في القارئ والسامع ملكة التربية العملية وصورة من صور الآداب العالية في المدنية الغربية فعسى ان ينتفع بالفرع كما انتفع بالاصل وان يلهم العارفون لغات الاجانب منا الى تعريب مثل هذه الاسفار النافعة .

دلائل التوحيد

تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي

طبع بمطبعة الفيحاء بدمشق (ص ٢٠٧)

عرف مؤلف هذا الكتاب بالهمة العالية في التأليف والنشر والنظر في الفنون الاسلامية واللسانية . وكتابه هذا حوى من ادلة الكلاميين والفلاسفة الالهيين ما تدحض به حجج المبطلين والسفسطائيين وتحل به شبهات الجامدين من الماديين وقد التزم في حجاجهم جانب الادب والحكمة فلا يدفع الشبهة الا بالحجة ولا يدفع الباطل الا بسلطان الحق عازياً بعض الشواهد لاربابها مغفلاً الآخر على حسب الحال .

دواني القطوف

في تاريخ بني المعلوف

تأليف عيسى افندي اسكندر المعلوف . طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٧ — ١٩٠٨ (ص ٧٤٩)

هذا المؤلف من كتاب العربية وشعرائها المجيدين ترجم وكتب كثيراً فعد من

جملة من خدموا الآداب العربية وقد اختص هذا التأليف بوصف أُسرته الكبرى خاصة وبعض الأُسر السورية ولا سيما المسيحية عامة والمّ بتاريخ معظم اصقاع سورية قديمها وحديثها ومناشئ سكانها واصولهم وعاداتهم وحكوماتهم آخذاً عن الشيوخ مشافهة ومن بطون الدفاتر والكتب المطبوعة والمخطوطة مما يصعب وصول كل باحث اليه، فجمع شتيتاً من الحوادث والكوائن خدم بها تاريخ البلاد خدمة يشكر عليها وتاريخ الافراد هو تاريخ السياسة ٠

تقرير جمعية العروة الوثقى

سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٧

في القطر المصري جمعيتان اسلاميتان قامتا باجل الاعمال النافعة من تربية البنين والبنات احداهما الجمعية الخيرية الاسلامية في القاهرة والثانية جمعية العروة الوثقى الخيرية الاسلامية بالاسكندرية ٠ وامامنا الآن تقرير الثانية الاخير وفيه ان عدد مدارس الذكور التي اسستها كان في السنة الماضية ١١ مدرسة فيها ١٩١٠ اولاد ومدارس البنات ٦ عدد تلميذاتها ٥٥٧ بنتاً وقد تبرع لها المحسنون في خلال السنة الماضية بالف جنيه بعضها من محسني اليونان وغيرهم كما تبرع المسيو موربوندو وحده بالف ليرة افرنسية، واعطى ورثة المسيو نقولا آبيت الى الجمعية الف جنيه وهي مما خصها من توزيع الخمسة آلاف جنيه التي كان اوصى بها لتصرف على الاعمال الخيرية في الاسكندرية وذلك عدا الاوقاف التي وقفت عليها وهي تساوي بضعة الوف من الجنيهات ٠ وكان المرصد لنفقات التعليم ٥٦٤٦ فبلغت النفقات الحقيقية ٥٧٣٠ ج و٨١٦ م ٠

رحلة الحبشة

لصادق باشا المؤيد وتعريب رفيق بك العظم وحقي بك العظم ٠ طبعت بمطبعة الجريدة بمصر سنة ١٣٢٦ — ١٩٠٨ (ص ٣٣٥)

المؤلف والمعربان ممن اشتهروا بالآداب وخدمة الاقلام ٠ والمؤلف هو احد افراد أُسرة تعلم معظمهم التعليم العصري وبرزوا في الفنون التي احكموها ٠ وقد كانت الحكومة العثمانية انتدبته في مهمات سياسية فرحل الى جغبوب مقر الشيخ السنوسي كما رحل الى كفرة وآسيا الصغرى والحجاز وآخر رحلاته رحلته الى بلاد الحبشة

في مهمة من السلطان العثماني الى الامبراطور منليك الحبشي فلم يشأ ان يضيع رحلاته في الطعام والمنام والسلام والكلام بل قيدها بالورق ونشر بعضها بالتركية فعز على نسيبه، ان لا ينتفع برحلته، الى الحبشة عند العرب فعرباها تعريباً متقناً وفيها وصف بلاد النجاشي وصورة مصغرة من تاريخها الحاضر والغابر واجتماعها واصول سكانها وعاداتهم وادارتها وصلاتها ببلاد الاسلام ومشاهيرها امس واليوم بحيث جاء الكتاب مرجعاً لابناء هذه اللغة وسوف ننتفع به الاجيال المقبلة كما ننتفع نحن الآن برحلة ابن جبير وابن بطوطة وغيرهما من رحالة العرب والعجم . وكتب الرحلات من انفع كتب العمران والحضارة وفي هذا الكتاب صور بعض المشاهير من الاحباش وغيرهم وبعض الرسوم والمصورات على نحو الرحلات الافرنجية .

تركيا الجديدة

لجميل افندي معلوف طبع بمطبعة المناظر في سان باولو من بلاد برازيل

(ص ١٥٤)

كتاب اجاد مؤلفه في وضعه اتى فيه على اسباب الانقلاب العثماني وتاريخه وقسمه الى ستة كتب الكتاب الاول في اسباب الانحطاط في الشرق والثاني في تفرنج الشرقيين والثالث في التعليم والرابع في القانون الاساسي والخامس في الديانة السياسية والسادس أبقاء ام فناء . كل ذلك مكتوب بقلم يدل على ان للمؤلف جولة في المسائل السياسية والاجتماعية وذوقاً في التأليف والتأثير في الافكار ومن رأيه ان الثورة الاخيرة في السلطنة كانت لقلب مبدإ لا للانتقام من شخص ولو كانت شخصية لفشلت لان كثيراً من ملوك بني عثمان قتلوا ولم ينتج من قتلهم فائدة للبلاد بخلاف هذه الثورة التي اشبهت ثورتي فرنسا واميركا اللتين أريد بها قلب المبادىء لا نقل السلطة من مستبد الى يد مستبد آخر

قال « ولا بد ان يعقب هذا الانقلاب السياسي الصغير ثورة ادبية عظيمة ضد المبادىء القديمة كلها فيثور الابن على ابيه والمرأة على زوجها والخادم على سيده والرعية على كاهنها وشيخها ورجال الدين على كتبهم وابناء اليوم جميعاً سيثورون على خرافات اجدادهم ويبرزون امام العالم امة جديدة مجردة عن كل علاقة مع الاجيال الماضية »

الفتاوى النظم

تأليف محمود افندي الحمزاوي طبع بمطبعة « روضة جلق » بدمشق

سنة ١٣٢٦ هـ (ص ٨٦)

هي رسالة منظومة في قسم المعاملات من الفقه الحنفي فيها فوائد كثيرة لا يستغني عنها مستفت . ونظم المؤلف وسط ولعله ارق من كثير من منظوم الفقهاء والمحدثين والمؤلف احد مفاتي دمشق الذين نفاخر بهم لم يشتهر بالنظم اشتهاره بالفقه والحديث وله رسائل وكتب طبع بعضها وبعضها لم يطبع .

نخبة عقد الاجياد

في الصافنات الجياد

تأليف الامير محمد باشا الحسني الجزائري طبع على نفقة المطبعة الاهلية في بيروت

سنة ١٣٢٢ (ص ٣٠٤)

هو كتاب موجز من سفر مطول بهذا الاسم ذكر فيه المؤلف نشأة الخيل واصلها وتكريمها والقول في لحومها وانواعها والوانها واعضائها وصفاتها وتقفيزها واطوارها وخدمتها والانفاق عليها وتأديبها وكيفية تضميرها والسباق وما يتعلق به الى غير ذلك من الفوائد المهمة التي لا يستغنى عنها في هذا الباب فنشكر للامير المؤلف هديته ونرجو ان ينسج على منواله معظم الاعيان والامراء فيصرفون شيئاً من اوقاتهم في خدمة الآداب والمعارف .

ابحاث باحث

نشر المسيو لوسين بوفا من المتضلعين من العلوم المشرقية والعارفين بالعربية والفارسية والتركية كراسة اشار فيها الى ابحاثه ومقالاته في المجلات الافرنجية مثل مجلة العالم الاسلامي والمجلة الآسياوية ومجلة السجلات المراكشية والمجلة الاسبانية ومعظم هذه الابحاث مما اشتهر بين اهل الادب والعلم وقدره الباحثون حق قدره فنثني على نشاط صديقنا المشار اليه .

مجلات وجرائد

لم يكد الكمام الذي وضع على الافواه والالسن منذ زهاء عشرين سنة في السلطنة

يرتفع عن الناس بفضل القانون الاساسي حتى ظهرت جرائد ومجلات كثيرة بلغات مختلفة في قواعد البلاد بل في كورها الصغيرة • ومن الجرائد اليومية التي ظهرت في بيروت جريدة « الاتحاد العثماني » لمنشئها احمد افندي حسن طبارة من قدماء الصحافيين وجريدة « الثبات » لصاحبها اسكندر افندي الخوري ورئيس تحريرها خليل افندي زينيه من قدماء الكتاب وجريدة « الوطن » لمنشئيها شبلي افندي ملاط ونجيب افندي شوشاني من الادباء الشعراء و « وحديقة الاخبار » وهي اقدم جريده سورية صدرت يومية ايضاً لمنشئيها وديع افندي الخورى وحنا افندي الخوري و « بيروت » لصاحبها عبد القادر افندي الدنا وامين افندي الدنا صدرت يومية ايضاً و « الحقيقة » للشيخ احمد عباس الازهري ومديرها حسن افندي الناطور و « المفيد » لعبد الغني افندي العريسي من الادباء الكاتبين ومدير سياستها حسن افندي بيهم من قدماء الكتاب • وبهذه الجريدة اصبحت جرائد بيروت ولبنان اثني عشرة جريدة • وصدرت في حلب جريدة يومية لصاحبها حكمت ناظم بك اسمها « صدى الشهباء » نصفها بالعربية والنصف الآخر بالتركية • واصدر صاحب هذه المجلة جريدة يومية باسم « المقتبس » ايضاً في مدينة دمشق •

ومن المجلات الحديثة مجلة « المباحث » في طرابلس الشام لصاحبها جرجي افندي يني وصموئيل افندي يني من قدماء الكتاب المشتغلين بالآداب وهي مجلة ادبية سياسية فكاهية تصدر مرتين في الشهر وصدرت في بيروت مجلة « النبراس » وهي شهرية تبحث في الاجتماع والعمران والعلم والادب والتاريخ والانتقاد والسياسة لمنشئها الشيخ مصطفى الغلاييني من الكتاب الادباء • وصدرت في بيروت مجلة « المنتقد » وهي عمرانية اجتماعية انتقادية فكاهية تصدر مرتين في الشهر لمنشئها محمد افندي باقر ومديرها كامل افندي بكداش • وصدرت فيها ايضاً مجلة « روضة المعارف » لصاحبها محمد علي بك القباني ورئيس تحريرها الشيخ عبد الرحمن سلام الشاعر الاديب وهي تصدر مرتين مجلة ادبية فكاهية • وصدرت في مصر عدة جرائد ومجلات ايضاً منها مجلة « الجامعة المصرية » وهي نصف شهرية لاصحابها محمود افندي شاهين ومحمد كامل افندي نيمي وعبد الله افندي امين وهما من ادباء القاهرة وهذه المجلة تنشر دروس الجامعة المصرية •

والذي يلاحظ عَلَى معظم هذه الصحف انها تكاد تكون متشابهة في موضوعاتها فلو تفننت كل واحدة وخاضت عباب موضوع يخالف اختها لنفعت البلاد نفعاً اكثر وصادفت من الرواج والاقبال ما تستحق ·

المنجد

للاب لويس معلوف اليسوعي طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت

(ص ٧٣٧)

هو معجم عربي مدرسي موجز مرتب عَلَى الاسلوب الحديث مزين بصور بعض الحيوانات والنباتات والادوات والاعضاء قدم له المؤلف الاصطلاحات التي اختارها وفيها فوائد كثيرة وكنا نود لو كان هذا المعجم اوسع مما هو عليه لئلا تفوته بعض الفصح وان تكون بعض الفائه معززة بالشواهد الخفيفة لتكون اعلق في الذهن · وقد تحرى المؤلف كما قال المحافظة عَلَى عبارات الاقدمين ما امكن واغفل ذكر ما يمس حرمة الآداب من الكلمات المبذوءة التي لا يضر جهلها وقلما افاد علمها · قال واذا شئت البحث عن كلمة فان كانت مجردة اطلبها في باب اول حرف منها وان كانت مزيدة اوفيها حرف مقلوب عن آخر جردها او ردها الى الاصل ثم اطلبها في باب الحرف الاول من حروفها الاصلية وقد جعل اول كل مادة في صدر السطر بين هلالين وعد اليمين نقطة مربعة الشكل وان كانت الكلمة من الدخيل فنقطة مستديرة · والكتاب من اجود طبع عهد باللغة العربية واصغر حرف واوسط حجم حتى يسهل على الطالب نقله كما ينقل المعاجم الصغيرة الافرنجية فنشكر للمؤلف عنايته بخدمة اللغة والآداب ونرجو ان يكون مصنفه نافعاً للمدارس والطلاب ·

المقتبس

صفر سنة ١٣٢٧

ايقاظ الرقود (١)

الى كم انت تهتف بالنشيد وقد اعياك ايقاظ الرقود
فلست وان شددت عرى القصيد بمجد في نشيدك او مفيد
لان القوم في غي بعيد

اذا ايقظتهم زادوا رقادا وان انهضتهم قعدوا وئآدا
فسبحان الذي خلق العبادا كأن القوم قد خلقوا جمادا
وهل يخلو الجماد عن الجمود

اطلت وكاد يعييني الكلام ملاماً دون وقعته الحسام
فما انتبهوا ولا نفع الملام كأن القوم اطفال نيام
تهز من الجهالة في مهود

اليك اليك يا بغداد عني فاني لست منك ولست مني
ولكني وان كبر التجني يعز علي يابغداد أني
اراك على شفا هول شديد

تتابعت الخطوب عليك تترى وبدل منك حلو العيش مرا
فهلاً تنجبين فتى اغرا اراك عقمت لا تلدين حرا
وكنت لمثله ازكى ولود

(١) قصيدة لمعروف افندي الرصافي العالم الاجتماعي الشهير نظمها لما ارسلت الدولة حملة على القصيم من بلاد نجد واصابها ما اصابها منذ بضع سنين

اقام الجهل فيك له شهودا وسامك بالهوان له السجودا
متى تبدين منك له جحودا فهلا عدت ذاكرةً عهودا
بهن رشدت ايام الرشيد

زمان نفوذ حكمك مستمر زمان سحاب فيضك مستدرّ
زمان العلم انت له مقر زمان بناء عزك مشمخر
وبدر علاك في سعد السعود

برحت الاوج ميلاً للحضيض وضقت وكنت ذات نُهىً عريض
وقد اصبحت في جسم مريض وكنت باوجه للعز بيض
فصرت باوجه للذل سود

ترقى العالمون وقد هبطنا وفي درك الهوان قد انحططنا
وعن سنن الحضارة قد شحطنا فقطنا يا بني بغداد قطنا
الى كم نحن في عيش القرود

ألم تك قبلنا الاجداد تبني بناء للعلوم بكل فن
لماذا نحن يا اسرى التأني أخذنا بالتقهقر والتدني
وصرنا عاجزين عن الصعود

كأن زحل يشاهد ما لدينا لذاك احمر من حنق علينا
فقال موجهاً لوماً الينا لو اني مثلكم امسيت هينا
اذاً لنضوت جلباب الوجود

ركدتم في الجهالة وهي تعشي وعشتم كالوحوش اخس عيش
أما فيكم فتى للعز يمشي تبارك من ادار بنات نعش
وصفدكم باصفاد الركود

حكيتم في توقفكم جديا فصرتم كالسها شعباً خفيا
ألا تجرون في مجرى الثريا تروم بدورها فلكاً قصيا
فتبرز منه في وضع جديد

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبد بما اشارت
فلا احداً دعته ولا استشارت وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتمزيق الحدود

حكومتنا تميل لباخسيها مجانبةً طريق مؤسسيها
فلا يغررك لين ملابسيها فهم كالنار تحرق لامسيها
وتحسن للنواظر من بعيد

لقد غص القصيم بكل نذل وامسى من تخاصمهم بشغل
فريقا خطتي غيٍّ وجهل كلا الخصمين ليس له باهل
ولكن من لتنكيل المريد

اليهم ارسلت بغداد جندا ليهلك ثم عن عبث ويفدى
لقصد ابن الرشيد اضاع قصدا فلا يا ابن الرشيد بلغت رشدا
ولا بلغ السعود ابن السعود

مشوا يتحركون بعزم ساكن وريثة حالهم تبكي الاماكن
وقد تركوا الحلائل في المساكن جنود ارسلت للموت لكن
بفتك الجوع لا فتك الحديد

قد التفوا باسمال بوال مشاةً في السهول وفي الجبال
يجدون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حال
وزيٍّ غير ما زي الجنود

مشوا في منهج جهلوه نهجا يجوبون الفلا فجا ففجاً
الى حيث السلامة لا ترجى فيالهفي عَلَى الشبان تزجى
عَلَى عبث الى الموت المبيد

وكلٌ مذ غدوا للبيت أما نودع اهله زوجاً وأما
وضم وليده يدا وشما بكى الولد الوحيد عليه لما
غدا يبكي عَلَى الولد الوحيد

تقول له الحليلة وهو ماش رويدك لابرحت اخا انتعاش
ة مدك من يحصل لي معاشي فقال ودمعه بادي الاشاش
وكلتكمو الى الرب الودود

عساكر قد قضوا عرياً وجوعاً بحيث الارض تبتلع الجموعا
الى ان صار اغنامهم ربوعا لفرط الجوع مرتضيا قنوعا
بقدلو اصاب من الجلود

هناك قضوا وما فتحوا بلادا هناك باسرهم نفدوا نفادا
هناك لحيرة عدموا الرشادا هناك لروعهم فقدوا الرقادا
هناك عروا هناك من البرود

اناديهم ولي شجن مهيج واذكرهم فينبعث النشيج
ودمع محاجر بدم مزيج الا ياهالكين لكم اجيج
ذكا بحشاي محتدم الوقود

سكنا من جهالتنا بقاعا يجور بها المؤمر ما استطاعا
فكدنا ان نموت بها ارتياعا وهبنا امة هلكت ضياعا
تولى امرها .....

ايا حرية الضعف ارحمينا فانا لم نزل لك عاشقينا
متى تصلين كيما تطلقينا عدينا في وصالك وامطلي
فانا منك نقنع بالوعود

فانت الروح تشفين الجروحا بجرح فقدك البلد الفسيحا
وليس لبلدة لم تحو روحا وان حوت القصور اوالصروحا
حياة تستفاد لمستفيد

اقول وليس بعض القول جدا لسلطان تجبر واستبدا
تعدى في الامور وما استعدا الا يا ايها الملك المفدى
ومن لولاه لم نك في الوجود

انم عن ان تسوس الملك طرفا أقم ما تشتهي زمراً وعزفا
اطل نكر الرعية خل عرفا سم البلدان مهما شئت خسفا
وارسل من تشاء الى اللحود

فدتك الناس من ملك مطاع ابن ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخش الاله ولا تراع فهل هذي البلاد سوى ضياع
ملكت او العباد سوى عبيد

تنعم في قصورك غير دار أعاش الناس ام هم في بوار
فانك لم تطالب باعتذار وهب ان الممالك في دمار
اليس بناء قصرك بالمشيد

جميع ملوك هذي الارض فلك   وانت البحر فيك ندى وهلك
فاين لهم علاك وذاك افك   لئن وهبوا النقود فانت ملك
وهوب للبلاد وللنقود

التجارة والاسلام(١)

يا كرام الشام اراني كمن هو في المنام يتنقل من امر غريب الى امر اغرب وكل ماأراه من هذه المظاهر يزيدني في كل آونة سروراً على سرور حتى لا يكاد يوجد موضع لزيادة السرور · رأيت في هذه الليلة مشهداً حافلا ومثالاً يدل على الوطنية الحقيقية في هذه المعاهد فلذلك لم اتمالك ان ابتدأ كلامي بالاشارة الى حكمة من رجل قديم وهي انه جمع احد الرجال اولاده واوصاهم بالرمز لانه وجد الاشارة افضل من كل عبارة فقدم لهم اعواداً من اغصان الشجر واعطى لكل واحد منهم عوداً وقال له إقصم هذا فكان ماسهل عليه من كسره · ثم ضم الاعواد بعضها الى بعض واعطاها للقوي من اولاده فالثاني فالثالث فالرابع فكانت النتيجة سلبية فقال بهذا الاتحاد يكون نيل المراد · لذلك احييكم بوجود هذه العاطفة عاطفة الود والاتحاد التي تربطكم بعضكم ببعض وماافترق عضو الا وكان مشلولاً والاتحاد ممدوح ويد الله مع الجماعة ·

من دواعي السرور التي رأيتها في هذا البلد الامين انني اجتمعت بنفر من الخاصة ثم بالعامة امس واليوم اجتمعت بالوسط وهم التجار وخير الامور الوسط اجتمعت بهؤلاء في نادي التجارة وهي اساس الملك وركن العمران

(١) وهي محاضرة ارتجلها ليلة الاربعاء في ٢١ ذي الحجة في المنتدى التجاري بدمشق احمد زكي بك واستملاها منه صالح افندي قنباز

ولا اطيل الكلام في فوائدها فكلكم ادرى بها مني وتعرفون مزاياها · على التجارة قامت الامم وارتقت الممالك حتى قيل في الامثال : اذا كان مجد العالم بكراريسه فمجد التاجر بكيسه ولكن مجد العالم لايكون له شأن في ترقية الوطن الا اذا امده التاجر بكيسه · العلماء قوم يشتغلون بالعلم ولواشتغل الناس كلهم بالعلم لكانوا في غير هذه الدنيا اومن غير هذا العالم اذ ما الفائدة من الورق المكتوب ان لم ينضمّ له الورق المضروب وما الفائدة في الطامير ان لم تؤيدها الدنانير · ألم تروا ان سيد الخلق كان تاجراً وان كثيراً من علماء الاسلام اشتغلوا بالتجارة والعلم لما في التجارة من سعادة الدنيا وحياة الامم وما في العلم من سعادة الآخرة · اذا نظرنا الى المسلمين رأينا الخلفاء وارباب الدولة منهم يتجرون بامتعة الدنيا ليكسبوا قوتهم من الحلال لان التجارة هي المكتسب الحلال الصافي من كل قذر ·

تعلمون ان علوم العرب قد اخنى عليها الزمان ولكن بقي لنا شيء قليل من ذلك البحر الزخار · كان ابن جبير الاندلسي وابن حوقل البغدادي والمسعودي يطوفون البلاد للتجارة والمكسب ويدونون كل مايشاهدونه من المعارف ليفيدوا ابناء جنسهم بكل مااستفادوه من التجارة · بهذه الوسيلة تملك العرب في ايام مجدهم اطراف الدنيا وارتقى لديهم العلم ولذلك كان الاسلام ذلك المظهر البديع في الدين والسياسة الذي ضمن له كل درجة في ارتقاء العالم

ماهي الاسس التي قامت عليها الحياة ؟ هي الزراعة والصناعة والتجارة · فالزراعة اول مصدر حقيقي لمعيشة الانسان حتى اخذ في التحضر والتمصر ولكنها كانت قاصرة فجاءتها الصناعة فاشتغلت بما تنتجه الارض من الخيرات

واستحصلت منها خيرات اخرى صناعية · بقيت هذه الحالة في دور الطفولية في ادوارها الاولى فجاءت التجارة وصلةً بين الزارع والصانع سبباً في تقدم العلوم وارتقاء المدارك وحسب التجارة فضلاً ان سيد البشر ونبي العرب والعجم قد اشتغل بها كما ذكرنا

ليست كل البلاد زراعية بل منها ما هو جبل او واقع في سفح البحر فلا يمكن ان تنبت لها الارض شيئاً وترى الانسان في مكان كهذا ليس للزراعة فيه اثر ومع ذلك يعيش بفضل التجارة ولهذا يمكن للانسان ان يستغني عن الزراعة والصناعة ولا يمكنه الاستغناء عن التجارة لانها تنقل له المحصولات الزراعية والصناعية من البلاد التي تمتاز بهما ولكن اذا بارت التجارة عدمت الزراعة والصناعة فالتجارة والامر على ما ذكر سيدة المعايش ·

كان تجار الشام ملوك التجارة وأعني بالشام تلك البلاد التي يحدها من الشرق العراق ونهر الفرات ومن الغرب البحر الابيض المتوسط (بحر الروم) ومن الشمال بلاد آسيا الصغرى المعروفة عند العرب بارض الروم ومن الجنوب بادية الشام او بادية السماوة او بادية النفود ولا ادري معنى النفود فأغتنم الفرصة لفهم معنى هذه الكلمة :

رأيت في كتب الافرنج وخرائطهم تسمية هذه البادية ببادية النفود قائلين ان النفود معناه الرمل ولكني بحثت في هذه الكلمة وحورتها وقلبتها فلم اعثر في كتب اللغة على اسم يوازي هذا الاسم الذي هو شبيه بالعربي ونقله جغرافيو الالمان والانكليز

وكلامي يسمعه بالطبع كثير من التجار الذين تمر قوافلهم بتلك البادية

فعسى ان يحققوا (١) معنى هذه الكلمة حتى لا يقال ان الافرنج يأتوننا بكلمة عربية ولا نعرف معناها

وبهذه المناسبة اقول انا نجد لبلادنا مصورات باللغة الافرنجية واللغة العربية واذا نظرنا للعربية نجدها كلها مترجمة عن الافرنجية وربما كان المترجم يتحرج في بعض الاسماء فيتركها ·

في احد دروسي اردت ان اشرح للتلاميذ حالة بلاد العرب عند ظهور الاسلام فرأيت خرائط مصر ودار السعادة كلها خلواً من اسماء البلاد والاماكن لذلك دعوت تلامذتي لان يتلافوا هذا النقص ويستعينوا بالذي ابقاه لنا مثل ابن خرداذبه والاصطخري والمسعودي لنسد هذا النقص حتى اذا قرأنا شيئاً عن اخبار العرب عرفنا مواطن القبائل والشعوب وقلت لهم ان الذي يساعدنا على العمل الاكبر لهذا المقصد ان نسأل التجار وتلاميذ الجامعة الاسلامية الكبرى وهي الازهر الذين يأتوننا من سائر البلاد الاسلامية فانهم اذا سألوا اهل العلم والتجار الوافدين الى مصر يمكننا ان نرسم خريطة وافية لبلاد العرب كافة احسن من التي عملها الافرنج واضاعوا في سبيلها كثيراً من الاموال والارواح ثم نعمل خريطة لبلاد العراق والشام واتمنى من الذين يهمهم ذلك ان يستعينوا باهل البلاد سواء كانوا من اهل العلم

(١) «المقتبس» سئل الشيخ عبد الله الاحمد الرواف النجدي نزيل دمشق في هذه الايام: هل لكلمة النفود استعمال بين العرب؟ فاجاب: نعم: النفود في لغة اهل نجد ومن يخالطهم من القبائل هو كل رمل متراكم ويسمونه ايضاً بالاحقاف · يقال فلان في النفود وبيته او جماله في النفود يعني الرمال المتراكمة الكبيرة قال هكذا يستعملونها منذ القدم الى الآن ويتكلمون بها · وكثيراً ما رأينا السياح الاجانب مثل هوبرت الفرنسي وغيره يطوفون البلاد ومعهم كتب واوراق وخرائط يثبتون فيها ما يتلقونه عمن كان معهم من العرب ·

او التجار لانا بمجرد انقطاعنا عن طلب العلم والكسب قد نزلنا الى الحضيض ووقفنا في طريق الجمود بينا كان الافرنج يكدون

انا اذا اردت ان اعرف مواقع دمشق لا اقدر عَلَى ذلك الا بالخرائط الافرنجية واما خرائط مصر ودار السعادة فكلها خلو من ذلك . هذا نقص يجب ان نتعاون عَلَى سده حتى لانكون عالةً عَلَى الافرنج لا في العلوم فقط بل في مواقع بلادنا

اول خريطة رسمت في العالم رسمها نفر قليل من اهل الشام وهم الفينيقيون وبلادهم جزر صغيرة متواصل بعضها ببعض ولم يكن لديهم قوة غير التجارة فملكوا بها العالم كله ووصلوا في ذلك الزمان المظلم الى مضيق جبل طارق ومنه الى بلاد الانكليز وهم اول من عرف تلك البلاد وقد ملكوا منها كثيراً كما اسسوا كثيراً من البلاد في اسبانيا وكانت لهم المستعمرات في صقلية وغيرها . ثم نزحوا الى تونس واقاموا في قرطاجنة تلك المدينة الكبيرة ولقد كانت هذه المدينة تاج ملك الفينيقيين والدهر تارة لها وتارة عليها . اولئك هم آباء الشام حتى دار الدور وغار منهم الروم واليونان فاتوا ايضاً بطريق التجارة والملاحة وصاروا يأخذون املاك القرطاجنيين وحينئذٍ تقدمت رومية وازالت اثرهم من الوجود لكنا لاننسى ان انيبال بفضل التجارة مر من الجزائر ومراكش الى اسبانيا ومنها الى فرنسا فايطاليا ووقف حتى صاح الرومانيون بعضهم : مالكم قاعدون والعدو عَلَى الابواب وحينئذٍ لم يتمكن انيبال من اتمام مقصده ولو كانت عنده السفن الحربية لكان محق رومية ولكنه ابعدعنها كثيراً ولم يأته المدد فذهب فريسة اقدامه الهائل ولاشك انه فخر لاهل الشام لانه فينيقي والفينيقيون من الشام

دار الزمان دورته وجاء المجد للعرب فابتدأت تجارتهم بالصعود وكانوا يقصدون الفتوح والتوسع في الملك بواسطة التجارة ولذلك كان الخليفة العباسي يهدد اهل الهند اذا اقفلوا باب التجارة امام تجار بغداد والشام ·

ذهب فريق من اهل الكوفة الى الهند بقصد التجارة واقاموا فيها لكن الهنديين حرفوا اسم الكوفيين وسموهم (كوكل) وكذلك اتاها جماعة هربوا من الحجاج ايام تجبره على الذين يرغبون في مناوأة السلطة المروانية وذلك انه اجلى نفراً من قريش وكان فخر قريش قبل النبوة بالتجارة كما قال تعالى (لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) فلما اجلاهم ذهبوا عن طريق البحر الى الهند فسماهم اهلها بالنوائت (النوتية) وبقوا فيها زمناً طويلاً حتى انتشروا انتشاراً هائلاً وهم الذين اسسوا الاسلام هناك· فللتجارة اذن فضل كبير في انتشار الدين الاسلامي ايضاً · كان التجار يذهبون الى شطوط افريقية فيرى اهلها من حسن معاملتهم وعظم اخلاقهم ما يزهدهم في دينهم رغبة في انتحال الاسلام ولذلك لم ينجح كثير من النصارى كما نجح تجار الاسلام · فالتجارة هي اساس العمران والتاجر اساس نجاحه الامانة والصدق في الاخذ والعطاء

لما دالت الدولة في دمشق وانتقلت الى بغداد اختار المنصور الموقع التجاري لبناء العاصمة الكبرى وهي بغداد التي قال عنها علماء العرب : ان العراق سرة الدنيا وبغداد سرة العراق فبغداد سرة الدنيا

كان كرسي الدولة العباسية عند اول قيامها في الكوفة ثم صار في الهاشمية ثم في الانبار لكن الخليفة رأى عاصمة بلاده في موقع غير تجاري فاراد ان يجعلها في اهم مركز تجاري لتكون مضمونة البقاء على الدوام ولذلك ارسل

الرسل ليقفوا على الجهة المطلوبة فاختاروا البقعة التي اقيمت فيها بغداد قائلين للخليفة : « هنا تجيئك الميرة من المغرب وطرائف مصر والشام عن طريق الفرات وتجيئك في السفن من الصين والهند عن طريق دجلة · وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة وتجيئك الميرة من ارمينية فما فوقها عن طريق الزاب وانت بين انهار لا يصل عدو اليك الا على جسر اوقنطرة فاذا قطعت الجسر واخربت القناطر لا يصل اليك عدوك وهو محتاج لعبور دجلة والفرات وهما خندقان طبيعيان لبلدة امير المؤمنين · » فامر بحشر الصناع والفعلة من الشام والموصل وفارس والكوفة وواسط والبصرة واختار قوماً من اهل الدين والعدالة والمعرفة والهندسة فوكل اليهم امر العمال وكان فيهم الحجاج بن ارطاة المهندس وابو حنيفة ابن ثابت الفقيه (وانما اختار ابا حنيفة لان المنصور اراد ان يولي ابا حنيفة القضاء فامتنع فضربه فامتنع فحلف انه لا بد ان يوليه عملاً ولذلك امره بان يتولى الطوب واللبن ليبرّ بقسمه) وامر بتخطيط المدينة كلها فلما تم تخطيطها بالرماد اقبل يدخل من كل باب ويمر في طرقاتها ورحابها فرآها وافية بما تميل اليه النفس فوضع اول حجر بيده قائلاً : بسم الله وبالله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال للعمال : ابنوا على بركة الله · وعند البناء امر بطبخ الطوب الاحمر (الآجر) وكان يعد على يد ابي حنيفة بالملايين فاستدعى لذلك وزيره جعفر البرمكي وقال له ما رأيك في هدم ايوان كسرى لجلب انقاضه واستعمالها في البناء فاجابه الوزير : انه رأي غير صائب لان الايوان من آثار الفرس وهذا البناء الذي نقيمه الآن من آثار الاسلام ينبغي ان لا يدخل فيه اثر لغيرهم · فقال له الخليفة : اخذتك

النعرة لقومك وحننت الى العجم فاردت ان تمنعني عن ذلك . ولم يعبأ بقول وزيره وارسل فعلة فنقضوا بعضه واتوا به الى بغداد فحسبوا النفقة فوجدوها تزيد بكثير عَلَى استحضار ادوات جديدة . ولذلك رأى الخليفة ان الاولى جلب الطوب الاحمر الجديد وحينئذٍ استدعى جعفر ثانياً وسأله في ذلك قائلاً : اريد ان اجلب الاحجار من الجبال لا من انقاض الايوان فاجابه الوزير « لا تفعل ذلك يا امير المؤمنين بل ثابر عَلَى ما باشرت به لئلا يقال ان ملك الاسلام عجز عن نقض ما بناه ملوك الاكاسرة » رأى المنصور ان الكلام صواب ولكن لا يمكنه العمل به لان المدينة تجارية اقتصادية فلم يسمع قول وزيره .

استمرت دولة العرب عَلَى هذه الحال من الترقي في العلم والتجارة في آن واحد والتجارة من فرنسا وروسيا وبريطانيا الى الهند وغيرها كانا عن طريق بغداد حتى دالت الدولة منها وانتقلت الى الاندلس فكان للتجارة فيها رقي عظيم لكن اهلها اصبحوا بعد مدة مثل الاعواد التي ذكرتها لكم فدالت دولتهم بسبب التفرق والانقسام

قامت عَلَى انقاضهم دولة اسبانيا وسعت حتى رقيت بما اكتسبته من علوم الشرقيين وكذلك اخذت في الترقي دولة البورتغال وليس في وسعها التوسع في الملك فهجم ارباب الاقدام فيها عَلَى المخاطر ولما كانت الهند اعظم محل تجاري بما ترسل من البهارات والابازير والفلفل والافاوية الى بغداد واوربا أرادوا ان يذهبوا اليها ليستعمروها وتولدت عندهم رغبة جديدة في ان يصلوا الى الهند عن طريق آخر لان الاسلام في المغرب الاقصى ومصر واقفون لهم بالمرصاد لذلك استغنوا عن طريق البر وسلكوا طريق

البحر فاكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح وتملكوا بلاد موزامبيك وزنجبار ووصلوا الى الهند وعاملوا تجارهم قائلين لهم لا نريد سوى الفلفل بهذه الوسيلة صار لهم مع اهل الهند معاملة قوية لكن تفرق تجار الهند جعل لهم عليهم كلمة فاستغاثوا بملوك مصر وآل عثمان فلم يجيبوهم لان العداوة كانت متأصلة بين السلطان سليم والغوري ملك مصر

وذلك ان الغوري ارسل طائفة من الجند الى الهند على سفن (ويسمونها اغربة) صنعها في السويس فلما وصل قائده الى اليمن حدثت بينه وبين اهلها مناوشات اضطرته لان ينسى الوظيفة التي ارسل اليها وهي انقاذ البلاد من البورتغال فبقي في اليمن وفي اثناء ذلك كانت القاهرة في اضطراب شديد انساها الهند ايضاً لمحاربتها مع السلطان سليم وانتصاره في واقعة (مرج دابق) التي قتل فيها الغوري واستولى هو على حلب ومصر والشام ثم اشتغلت الدولة العثمانية بمحاربة السلطان اسماعيل الصوفي ونسيت الهند فكان هذا التفرق والاضطراب اعظم وسيلة لامتلاك البورتغال تلك البلاد الغنية بتربتها ومحصولاتها

رأينا بلاد الهند فتحت على يد التجار كما امتلكها الانكليز اليوم بواسطة التجارة ايضاً لما اصبحت انكلترا مالكة البحار واهلها ملوك التجار ٠

في ذلك الوقت قامت اسبانيا لتوسع دائرة ملكها فرأت انها لا يمكنها طلب الهند من طريق البورتغال والمنافسة التجارية اساس الاستعمار فقام خريستوف كولمب وجرى في البحر من جهة الغرب ليملك بلاد الهند ٠ بهذه الوسيلة اكتشف اميركا وسماها الهند الغربية ٠ وارتقت اسبانيا حتى كانت كلمتها هي العليا خصوصاً في ايام شارلكان فانها اغتنت وتدفقت اليها الاموال

من جهات الدنيا ولكنها تضعضعت اخيراً باخراج المسلمين وبالتراخي فألهاها التكاثر حتى دخلت في عداد اهل المقابر· في هذه الآونة كانت اوروبا جارية نحو التمدن والشرق قد أخلد الى النوم والسكون الى الموت والجمود· وهنا اذكر لكم كلمةً عن تمدن الاوربيين :

كانت اوروبا في منتهى التوحش حين كانت بغداد في اوج الحضارة حتى ان تجار العرب لما ذهبوا لاستحضار العنبر من شلسويج وصفوا اهلها بانهم وحوش عراة لايسترون عوراتهم الا بقطع من الجلود (ذكره القزويني في آثار العباد واخبار البلاد) هذا وصف احد سياح العرب لتلك الدولة التي هي اليوم في ارقى درجات الحضارة ·

تنبهت اوروبا من رقدتها باختلاطها مع العرب شرقاً في الشام وغرباً في الاندلس فجمعت الزبدة والخلاصة النافعة من مدنية اليونان والرومان وضمت الى ذلك ما اخذته من احتكاكها بالشرق ايام الحروب الصليبية فتولدت لديها الحضارة· دخل احد امرائها في زمن الحرب الصليبية احد الحمامات في فلسطين (صور او صيدا) فاستعمل معه الحمامي النورة فاستعجب الامير من ذلك وخرج في الحال فأتى بامرأته وقال له افعل معها كما فعلت معي· في تلك الايام كان تعليمهم مبنياً على اسس العرب مثل كتب ابن سينا والفارابي وابن رشد وغيرها مما ترجموه الى لغاتهم ·

كانت هذه الحركة اول مبدأ لترقيهم بعد ان كانوا عبيداً لقليل من السادة وكانت اوروبا ملكاً لافراد من الملوك · كان السكان عبيداً لهؤلاء السادة فاذا بيعت الارض بيعت رجالها وحيواناتها وكل شيء معها حتى كان للسادات حق التفخيذ اي ان لا تزف العروس حتى يأخذها الرئيس

فباختلاطهم باهل الشرق دفعوا هذه الوصمة عنهم وقامت لديهم شبه حكومات ابتدائية في تلك البلاد ثم عثروا على مصنفات اليونان فصاروا يأخذون عنها مباشرة بعد ما كانوا يأخذون عن العرب واستمروا على هذه الحالة لكن هبت عليهم نفحة من الافكار الصائبة التي اكتسبوها من المسلمين فاخذوا بالتجارة مع القوم ودرس علومهم باتقان غير ان ضغط الملوك وخصوصاً الباباوات باسم الدين كان سبباً لتفرقهم على بعضهم اذ كان التعصب آخذاً منهم مبلغاً عظيماً . ومع ذلك فقد اوجدت شدة الضغط افراداً نوابغ كسروا قيود الاستعباد وفكوا الاغلال الجمود مجاهرين بالحرية فكان من اجل ذلك ما كان من امر ديوان التحري القسيسي وواقعة القديس برثلماوس بين البروتستانت والكاثوليك وواقعة صلاة العصر في صقلية حيث قام الناس بعضهم على بعض . ولذلك اضطر ارباب الافكار الحرة وهم البروتستانت الى المهاجرة من المانيا وفرنسا الى انكلترا وهولاندة حيث نشروا العلوم ووسعوا دائرة الافكار فترقت بهم البلاد وافاضت المعارف منها على باقي بلاد اوروبا . سعى القوم وراء العلم والمعارف كثيراً فكان ذلك اسهل طريق لتأصيل دعائم التمدن بينهم حتى ان غاليله لماقال بدوران الارض وانكرواقوله وحكموا عليه بالاعدام قدم الى النطع والسيف وهو يقول : ومع ذلك تدور . وكذلك قام في ايطاليا (جوردانو برونو) فاحرقوه بالنار لانه نشر افكاراً حرّة واما اليوم فكم له في بلاداوروبا من تماثيل لانه كان من الذين سعوا في تفكيك الرقاب من ربقة الجهل والعبودية

ثم قام ميرابو بنشر الافكار الحرة بين الشعب حتى ان الملك ارسل من قبله الى هذا الحزب رجلاً يقول لهم (اخرجوا من هذه الدار) فاجابوه

نحن هنا نواب الشعب بارادته فلا نخرج الا بأطراف الحراب وكذلك قام (دانتون) وكان يخطب بالقوم ويقول : من اراد الظفر فعليه بالجرأة والاقدام ثم بالجرأة والاقدام وليكن شعاره على الدوام الجرأة والاقدام — جاء فولتير وروسو فاقاموا هذا الصرح العظيم فوق ذلك الاساس المتين وكانت احدى الجمعيات العلمية حينئذٍ اقترحت وضع كتاب في الاجتماع والعمران جاعلة مكافأة كبيرة لمن يسبق في هذا المضمار ويجيد في التأليف فألف عندها جان جاك روسو كتابه (عقد الاجتماع) الا انه لم ينل الجائزة المعينة وانما اخذها رجل آخر لاغراض في النفوس لكن الافكار لم تستنر الا بهذا الكتاب ولذلك اسبل الدهر ستره على ماسواه ·

انتشرت بهذه الوسيلة روح الحرية في فرنسا فكانت سبباً لتقويض اركان الاستبداد ورفع منار الحرية على تلك البلاد وصار كل واحدٍ يقول مايريد لان الافراد اصبحوا احراراً في اقوالهم وافكارهم وبذلك بلغت اوربا مانراه اليوم من التقدم المدهش وخوارق الاعمال ·

انتشرت الحرية من فرنسا الى امم اوربا فترتب على ذلك وجود المجالس النيابية وهي حكومة الشعب بالشعب التي كانت السبب لرقي دول اوربا كلها · وهم اليوم على هذه الدعامة الاسلامية فالحمد لله الذي اعادلنا الشورى في هذه الايام · في تلك الآونة انفسح المجال امام التجار وبات لهم طريقان طريق من الشرق وهو طريق رأس الرجاء الصالح وطريق من الغرب وهو طريق اميركا لكن بعد الشقة وطول المدة التي تزيد عن سبعة عشر يوماً الجأتهم الى فتح ترعة السويس فكانت اكبر ممهدٍ للتجارة وترقيها على مانشاهده اليوم بالعيان ·

ولكن لدينا طريق اعم واكثر فائدة وهو طريق بغداد فمتى تمت السكة الحديدية في هذا الطريق تعود لنا التجارة · والسكك الحديدية في الارض كالشرايين في الجسم فاذا لم يجرِ شريان في البلد كان ذلك سبباً لهدم الحياة فيه وكلما انتشرت السكك في البلاد كان فيها زيادة الخير · من اجل هذا ارجو من اهل الشام وخصوصاً التجار ان يسعوا في هذه البلاد التي هي من اغنى اقطار الدنيا على الاطلاق ولكن تنقصها السكك الحديدية واناشدهم ان يهبوا للتعاون على تأليف الشركات الوطنية حتى تبقى ثروة البلاد في البلاد ولا يتمتع بها الاجنبي وانتم منها محرومون · اؤمل من اهل الشام ان يضعوا الميامين بعضها في بعض لنقل خيرات البلاد الى البلاد وبذلك ترقى دور التجارة والصناعة وتنال كثيراً من الفوائد دون ان يشترك فيها الاجنبي الا بما لا مندوحة عنه

رأيت القسم الاعظم من التجارة هنا بيد الاهلين فحذار حذار ايها الكرام من ان تذهب من ايديكم وعليكم بالسعي في اصلاح طرق المواصلات كيلا تكون بيد الشركات الاجنبية ·

نحن نسمع في مصر ان التفاح في الشام يعطى بصورة علف للدواب لما في سبيل نقله من الصعوبة ، نسمع ذلك ونأسف كل الاسف لاننا نستجلبه من البلاد الاخرى بقيمة غالية · فاذا اصلحت طرق المواصلات تجدون مورداً للرزق واسعاً وبه تنالون الفوائد الجسام وتعيدون للشرق مجده ان شاء الله

الجباية في الاسلام(١)

العشر

العشر : لغة جزوء من عشرة وجمعه اعشار وعشور وفي اصطلاح الفقه ما اخذ عن ارض العشر واما ارض العشر « فكل (٢) ارض اسلم اهلها عليها وهي من ارض العرب او ارض العجم فهي لهم وهي ارض عشر بمنزلة المدينة حين اسلم اهلها وبمنزلة اليمن وكذلك كل من لا تقبل منه الجزية ولا يقبل منه الا الاسلام او القتل من عبدة الاوثان من العرب فارضهم ارض عشر وان ظهر عليها الامام لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر عَلَى ارضين من اراضي العرب وتركها فهي ارض عشر حتى الساعة : وايما دار من دور الاعاجم ظهر عليها الامام وتركها في ايدي اهلها فهي ارض خراج وان قسمها بين الذين غنموها فهي ارض عشر وكل ارض من اراضي الاعاجم صالح عليها اهلها وصاروا ذمة فهي ارض خراج » « واما ارض الحجاز ومكة والمدينة وارض اليمن وارض العرب التي افتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزاد عليها ولا ينقص منها لانه شيء قد جرى عليه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وختمه فلا يحل للامام ان يحوله الى غير ذلك » كذا فسواد العراق وارض الشام وارض مصر وغيرها مما فتحه الاسلام عَلَى عهد اوذمة فهي اراض خراجية يجب عليها الخراج غير ان ابا يوسف رحمه الله جوز للامام « الخليفة » ان يصير الارض الخراجية عشرية فقال « فكل ارض اقطعها الامام مما فتحت عنوة ففيها الخراج الا ان يصيرها الامام عشرية ... الخ » ومن ثم يتضح ان الخليفة يحق له ان يحول ارض العراق وارض الشام وارض مصر وكل ارض خراجية الى اراض عشرية .

واما مقدار العشر الشرعي فهو واحد من عشرة من محصول الاراضي العشرية التي تسقى بماء المطر او بماء الانهر سحاً « سقياً » او نصف واحد من عشرة عن محصول الاراضي العشرية التي تسقى بالدلو اوالدولاب « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء او سقي سحاً العشر وفيما سقي بالغرب او السواني والنضوح نصف عشر » .

واما العشر النظامي فقد جاء في المادة الاولى من نظام الاعشار الصادر في ٩ حزيران

---

(١) راجع ما نشرته في الجزء الرابع من المجلد الثاني من مجلة المقتبس (٢) الخراج لابي يوسف

سنة ٣٢١ ما تعريبه بالحرف « يؤخذ العشر عن المحصولات الارضية » ولم يعرف بغير هذا التعريف لان ماكان يؤخذ من العشر حينئذ اثني عشر وثلاثة وستين سانتيما من المائة عن المحصول وهذا لا يعبر عنه بالعشر وكانت الدولة عقيب التنظيمات الخيرية تجبي العشر واحداً من عشرة باسم الخزينة ثم اضافت عليه واحداً من المائة باسم المنافع — من اجل الاشغال العمومية — ونصفاً من المائة باسم المعارف فصار العشر يومئذ ١١٫٥ من المائة وفي سنة ٣١٣ مالية ضمت الدولة نصفاً آخر باسم الخزينة فبلغ العشر اثني عشر :

١٠٫٥	للخزينة
١	باسم المنافع
٠٫٥	باسم المعارف
١٢	

فكانت هذه الزيادة من اجل سد العجز المالي يوم اخذت الجواسيس تتكاثر والاستبداد تشتد وطأته وفي سنة ٣١٦ صدرت الارادة السنية قاضية باخذ ستة في المائة عن بدل العشر يعني ان تؤخذ الستة عن الاثني عشر من المائة فبلغ العشر يومئذ ١٢٫٠٦٣ اثني عشر وثلاثة وستين سانتيما فصار هذا الكسر سبباً لشدة ظلم ملتزمي الاعشار اذ اصبحوا يأخذون ثلاثة عشر في المائة تفادياً من تشويش الحساب على زعمهم و بعد سنتين اصدرت نظارة المالية امراً عاماً مبنياً على ارادة سلطانية قاضياً باسقاط ١٣ سانتيما من العشر تخفيفاً عن الاهالي ودفعاً لتشويش الحساب فاصبح العشر اثني عشر ونصفاً عن المائة وهذا عبارة عن الثمن ولذلك لو اردنا ان نعرف العشر نظاماً لقلنا ان العشر النظامي ثمن اي واحد من ثمانية من عامة المحصول و بعد اسقاط الثلاثة عشر سانتيما حارت الدوائر الرسمية في توزيع هذا النقص على حصص الاعشار ولذلك وضعت دائرة الديون العمومية « دستوراً » قاعدة من اجل حساب الحصص فعممته نظارة المالية في جميع دوائرها كي يطبق العمل عليها وهذه صورتها :

ميليم	سانتيم	عدد تام	
٦٠	١٧	٧٩	حصة العشر القديم
٠٠	٩٦	٣	القسم الجديد الذي وضع سنة ٣١٣
٦٠	١٣	٨٣	حصة العشر القديم والجديد معاً ١٠٫٥—١٠٠

٤٠	٩٨	٤	حصة التجهيزات العسكرية (المعدات الحربية)
٠٠	٨٨	١١	حصة المنافع والمعارف
٠٠	٠٠	١٠٠	

وبذلك صارت بدلات الاعشار تحال دفعة وتوزع على هذه القاعدة مثلاً لو احيلت قرية ببدل قدره اربعون الفاً يوزع على نسبة الحصص المذكورة اعلاه وهذه اقسام من المائة فلذلك يجب ضرب القسم ببدل القرية وتفريق عددين من حاصل الضرب من اجل المائة فيظهر مقدار الحصة وهذا مثاله :

العشر القديم	الضم الجديد	التجهيزات العسكرية	المنافع والمعارف
٧٩،١٧٦	٣،٩٦	٤،٩٨٤	١١،٨٨
٤٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٤٠٠٠٠
٣١٦٧٠،٤٠،٠٠٠	١٥٨٤،٠٠،٠٠	١٩٩٣،٦٠،٠٠٠	٤٧٥٢،٠٠،٠٠

المجموع

٣١٦٧٠،٤	العشر القديم
١٥٨٤	الضم الجديد
١٩٩٣،٦	التجهيزات العسكرية
٤٧٥٢	المنافع والمعارف
٤٠٠٠٠،٠	بدل عشر القرية

وهذه الاربعون الفاً هي اثنا عشر ونصف عن محصول القرية اي ثمن محصولها فما اغنى نظارة المالية عن هذا الدستور او هذه القاعدة لو جعلت هذه الاثني عشر ونصفاً لى هذا الترتيب

١٠	العشر القديم
٠،٥	العشر المضموم
١،٥	المعارف والمنافع
٠،٥	التجهيزات
١٢،٥	

فكرت ملياً فلم تنجل لي الحكمة في المحافظة علي ذلك التشويش وعلى ما اظن ان هذا التشويش اما حفظاً لاحكام الارادة السنية او لمقصد خفي يراد به حفظ زيادة واردات احدى الحصص والله اعلم ٠

عرفنا العشر فيما سلف تعريفاً لغوياً وشرعياً ونظامياً واليك العشر وحالة تلزيمه والزامه وجبايته وضرره الذي تئن منه الامة العثمانية ٠

يؤخذ العشر عن عامة المحصول بموجب القانون الا من الحطب والفحم وما فسد بعد زوال الطراوة من الخضر والبقول كالخبازة والباقلاء والخس والكراث والسبانخ واما ما حفظ بالملح او الكبيس بماء الملح من الخضر فيؤخذ عنه العشر (اي الثمن)

اختلف الائمة الفقهاء في جواز اخذ العشر عن الخضر فيجوزه ابو حنيفة رضي الله عنه (١) « على انه عند ابي حنيفة يجب العشر في الخضروات ويخرج حقها يوم الحصاد اي القطع — ابن عابدين »

وقد خالف ذلك الامام ابو يوسف فقال حدثنا الوليد بن عيسى قال : سمعت موسى بن طلحة يقول لا صدقة في الخضر الرطبة والبطيخ والقثاء والخيار ٠ وعن علي رضي الله عنه انه قال ليس في الخضر زكاة البقل والقثاء والخيار والبطيخ وكل شيء ليس له اصل ٠ وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال ليس في البقول زكاة اه وفي الخانية « لا يجب العشر فيما كان من الادوية كالموز والهليلج »

ومن هذه العبارة يظهر ان واضع النظام راعى القولين ولكنه لم يترك ما وجد منه ربما مهماً للخزينة ولو كان فيه رحمة للامة ٠

وقد يجب العشر في كل ما اخرجته الارض فالعشر الشرعي الحقيقي هو كما ذكر في الكتب الفقهية قال وحدثنا ابان بن ابي عياش عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فيما سقت السماء اوسقى سيحاً العشر وفيما سقي بالقرب (دلو) اوالسواني او النضوح نصف العشر اه كتاب الخراج

وفسره بقوله انما جعل العشر في السيح ونصف العشر في الدالية لمؤنة الدابة والسانية :

« يجب العشر في الاول ونصفه في الثاني بلا رفع اجرة العمال ونفقة البقر وكري الانهار واجرة الحافظ ونحو ذلك (درر) ٠ قال في الفتح لا يقال بعدم وجوب العشر في قدر الخارج الذي بمقابلة المؤنة بل يجب العشر في الكل لانه عليه الصلاة والسلام حكم بتفاوت الواجب بتفاوت المؤنة ولو رفعت المؤنة كان الواجب واحداً وهو العشر دائماً في الباقي لانه لم ينزل العشر الى نصفه الا للمؤنة والباقي بعد رفع المؤنة لا مؤنة

(١) حاشية ابن عابدين

فيه فكان الواجب دائماً العشر لكن الواجب قد تفاوت شرعاً فعلمنا انه لم يعتبر شرعاً عدم عشر بعض الخارج وهو القدر المساوي للمؤنة اصلاً اه » حاشية ابن عابدين .

فقد فهم مما تقدم ان صاحب الشرع عليه السلام نظر الى حالة الزراع وفرض عليهم العشر بالنسبة لريعهم الحقيقي ولا يخفى ان الارض التي تشرب بالدلو والدولاب ليست كالارض التي تشرب من الانهار سيحاً (يعني سقياً) او من ماء المطر فالاولى تحتاج الى عمل ودراهم اكثر من الثانية ولذلك عد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم نصف عشر الاولى بمثابة عشر الثانية اه

وقد اعتبروا الضم على العشرة امراً لازماً مشروعاً لاحتياج الحكومة من اجل المعدات الحربية ولتعمير الطرق وانشائها وتعميم المعارف عَلَى انهم خصصوا نظارة ومستخدمين من اجل المعدات الحربية ليموهوا على الامة زاعمين انهم بعملهم هذا يدخرون هذا الضم للمعدات الحربية ويدفعون عنه سوء الاستعمال فهيهات هيهات !

اتدري ما ذا كانت النتيجة ؟ لم تكن الا تزييد الضريبة عَلَى الامة وايجاد وظائف للمتقربين والملتمسين وصرف الواردات في غير ما وضعت له ومن اغرب تصوراتهم ظنهم ان حصة التجهيزات اذا دخلت الخزينة تبعت قانون الفوضى في نظارة المالية فكأن الحكومة ارادت ان تعترف بعجزها عن تنظيم امور ماليتها وحفظ ايرادها من سوء الاستعمال .

واما حصة المنافع فلم نر ولم نسمع بانها صرفت في تعمير الطرق او الجسور واما ما صرف عَلَى الطرق والجسور فهو من بدلات العملة المكلفة التي كانت مأكلاً للولاة والمتصرفين والقائمقامين والمهندسين .

واما حصة المعارف فكان القسم الاعظم منها يصرف لاولئك الجواسيس الذين تصدروا على كراسي العلم ليمنعوا الجرائد والكتب المفيدة ويلقبوها بذلك التعبير الذي ترتعش لذكره الفرائص وهو (مضرة) كأنهم كانوا نافعين ! ويصرفون هذه المبالغ عَلَى السفاهة والبذخ . ويحتجون بجواز هذه الضمائم بما يوجد في الضرائب من الضمائم في بلاد الغرب وقد فاتهم ان تحميل اعظم الضرائب عَلَى عاتق الفلاح ظلم وضرره في عمران البلاد واضح . اشرت الى ان الشرط في وضع الضرائب حفظ النسبة بين ايراد الاشخاص الحقيقي فان حسبنا ريع الفلاح السالم الفينا ريعه اقل من ثلث ما تأخذه الحكومة باسم العشر وزد عليه ان بذاره وبقره ولباسه ومؤنته قد استدانها بفائض يتجاوز

الخمسة والعشرين اذا ماقلت الخمسين في المائة فاي ارض تضمن لفلاحنا التعس هذا العشر الفاحش وهذا الفائض المدهش ؟

تلزيم العشر

يعلم العثمانيون كافة ان العشر يؤخذ بطريق البدل الا في بعض الانحاء كحوران تدفعه الحكومة عيناً وبدل الاعشار يباع مزايدةً وللمزايدة والاحالة اوقات محدودة تحددها مجالس الادارة وعندما تطرح بدلات الاعشار للزايدة تستدعي الحكومة شيوخ القرى وتكلفهم بوضع بدل عشر قريتهم بزيادة عن بدلها السابق فان اجابوا تخلصوا ورجعوا الى قريتهم وان ابوا او اعتذروا لقلة المحصول عندهم ضربوا واهينوا وادخلوا السجن وهذا العمل مغفور في نظر اولي الامر لان به تزيد واردات العشر ·

ولا ينكر ان بعض الاهالي ايضاً يسعون في تخفيف بدل الاعشار فيهضمون حقوق الخزينة فان كان في قريتهم ربح تهاجم عليها الملتزمون وان كان فيها خسارة أُحيلت على اهلها بالكفالة المتسلسلة بالرغم من انوفهم في كل قضاء وفي كل مركز متصرفية اومركز ولاية · في جميع انحاء المملكة العثمانية اعيان من ارباب النفوذ يلتزمون ضيعهم ويختصون بقرى عدوها من مستعمراتهم وعندما يضع هؤلاء اختامهم في قائمة المزايدة لا يستطيع احد من الملتزمين ان يزيد عليهم فان زاد حل به البلاء لان ذلك الوجيه يستطيع بسيطرته ان يسجنه او يتهمه بجناية فيتوب عن الالتزام هذا اذا صادف من يرحمه ويخلصه من ذلك الافتراء ·

وارباب النفوذ لا يتعدى بعضهم على بعض لانهم تقاسموا الغنيمة وكل منهم رضي بما اختص به واعتاد الملتزمون ايضاً ان يتقاسموا القرى او يتشاركوا في بدلات القرى التي تربح ربحاً عظيماً ومنهم من جعل السفه مسلكه فتراه يهدد الذين لا نفوذ لهم ولا سيطرة عندهم في التزام ضيعهم ويأخذ منهم دراهم معدودات تحت اسم حق السكوت لئلا يزيد على بدلها وخوفاً من ان يصير البدل قانوناً يطلب الزيادة عليه في السنة الآتية وقد يلتزم ملتزم بدل اعشار قرية من اجل دين له على اهاليها على امل استيفاء ديونه حتى ولو كان محصولها لا يعادل بدلها ·

والمهارة والشطارة التي تطلب من القائمقام والمتصرف او الوالي الغيرة على تزييد بدلات الاعشار ولو كان فيه ظلم الاهالي وخرابهم وقد تبلغ قرى الاهالي فوق بدلها الحقيقي وربما يدفعون ٢٠ في المائة ويرضون بهذه الخسارة لما صادفوه اثناء الاحالة

من الضغط والتضييق والضرب واما المتوسطون فيكون بدل بلادهم معتدلاً ولكن قرى ارباب النفوذ تحال بابخس الاثمان فقرية يبلغ بدلها مائة الف قرش مثلاً تحال عليه بخمسة اوعشرة آلاف قرش فالفقراء يظلمون والاغنياء والوجوه وار باب النفوذ يظلمون الخزينة و يأكلون حقوقها فان نظرنا الى انحاء المملكة باسرها نجدها منقسمة بين اولئك المستبدين ولذلك نجد ما خسرته الخزينة بسببهم اعظم مما تستوفيه بالضرب والحبس من اولئك الفقراء المدقعين ٠

جباية العشر

فبعد احالة الاعشار يتهاجم الملتزمون عَلَى اختلاف طبقاتهم الى القرى ويستخدمون الاشقياء والمحكومين والفارين من وجه الحكومة ويتخذونهم آلة لجباية حقهم من العشر ولما يصل الملتزم في جنوده الى القرية يجمع المختار والشيوخ و يعدهم بان يترك لهم قسماً مما يترتب عليهم من العشر على شرط ان يقدروا البساتين والصحاري والكروم والخضر باضعاف اضعاف اثمانها الحقيقية ولذلك ترى الفلاح يدفع عن بساتينه وكرومه وخضره نصف ما اخذه من الثمن اذا لم نقل كله ويعطون الملتزم مقداراً بما رفع قبل الاحالة ويتفقون معه عَلَى اعطائه ١٤ من المائة بدل ١٢،٥ وهو العشر النظامي والباقي عوضاً عما اكله الدواب ويسمونه الطعامية وتلفية وهذا المقدار يختلف بحسب رضا الشيوخ ومن البلاء المبرم اذا صاروا شركاء فترى الملتزم يتحكم في الاهالي تحكم النمرود ولذلك تدخل المملكة في حرب داخلية ايام الاعشار فيفتح باب الرزق للحاكم فيعذبون الزراع حينئذ انواع العذاب وان احيلت القرية على الاهالي فالبلاء الاعظم يأتيهم من شيوخهم ووجوههم والمطلع عَلَى احوال الفلاحين ايام الاعشار وما يقاسونه يعلم منه وما فصلناه ان احالة بدلات الاعشار عَلَى هذه الصورة مضرة بالاهالي والخزينة ايضاً ٠

مضرات الالتزام

صاحب المال اي الفلاح يصبح كالمحكوم عليه ريثما تحال القرية ويأتي الملتزم فلا يستطيع الاكل من ماله ولا اطعام دابته فبينما هو يعرف انه مكلف بدفع العشر للحكومة التي قامت بحفظه وحفظ ماله وعرضه يرى نفسه محكوماً عليه لرجل مثله من افراد الرعية وهذا ما يصعب على الطبع والاحساس ولما كان اخراج الغلة متوقفاً عَلَى الاحالة والمساعدة من الملتزم وقد تمضي شهور ريثما تجرى الاحالة فيضيع على الزراع

السعر وربما يخسرون الوفاً وقد تنقص البيادر في هذه البرهة بسبب اكل الدواب والعصافير والطيور وهذه لاتأكل سوى الحبوب ولا ترجح على القمح والشعير شيئاً ومن غرائب الالتزام ان الفلاحين يجبرون عَلَى نقل الغلة من مسافة ساعة بحسب المادة ٩ من نظام الاعشار وهناك اناس من اصحاب النفوذ اهل البطالة ينتظرون موسم الاعشار ليلتزموا قرية او قرى باعتبار قيم اراضي آبائهم وهؤلاء قلما تجد في قلوبهم رحمة فيستبدون بالاهالي ويظلمونهم ظلماً لا مزيد عليه والاهالي لا يستطيعون الشكوى فلو تجاسر احدهم واشتكى من تعدى عليه وغصب ماله الذي احرزه بعرق جبينه بين شدة الحر وزمهرير البرد كان البلاء عليه من الحكومة ومن ذلك الملتزم .

وان ارادت الحكومة ان تجبي الاعشار بنفسها (امانةً) تحتاج الى استخدام مأمورين ويصعب عليها ان تجد مستخدمين صادقين يحفظون حقوقها وتكون قد سلطت عَلَى الامة اناساً يظلمونها ويسومونها سوء العذاب ويخونونها معاً فتكون حينئذ ظلمت الاهالي واضاعت ايرادها .

وقد يستحسن بعضهم تلزيم الاعشار لما فيه من الزيادة من سنة اخرى وفاته ان كان ثمة زيادة فذلك من شدة الضغط او من نتائج الترقيات التي اخذت تنتشر رويداً رويداً وان حالة الفلاح احسن من قبل ولا تنسى ان الزيادة بجانب النقص والخسارة بجانب الربح وخلاصة الكلام ان تلزيم بدلات الاعشار واحالته عَلَى ما ذكرنا وجبايته مضر بالاهالي وبيت المال ايضاً .

ماذا تفعل الحكومة ؟

تجعل العشر ضريبة على الاراضي (لا تخميناً كما يظن الناس) واليك التفصيل :

اما اراضي الحجاز والمدينة ومكة واليمن وارض العرب فكلها عشرية لا يجوز تحويلها الى غير ذلك ولا يزاد عليها ولا ينقص منها لانه امر جرى عليه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمه فاصبح امراً دينياً « لانه ثبت ذلك بالكتاب والسنة والاجماع والمعقول اي بفترض لقوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده فان عامة المفسرين قالوا انه العشر او نصفه وهو مجمل بينه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سقت السماء ففيه العشر وما سقي بقرب او دالية ففيه نصف العشر .. الخ حاشية ابن عابدين ص ٥٣ » وعد العشر من العبادة « قال ابن عابدين في حاشيته اذا ادى بنفسه فله

ثواب العبادة واذا اخذه الامام يكون له ثواب ذهاب ماله في وجه الله تعالى – بدائع » « وفي البزازية لا يحل الاكل من الغلة قبل اداء الخراج وكذا قبل اداء العشر الا اذا كان المالك عازماً على اداء العشر اه » وقد عد العشر زكاة او صدقة اه . فاهل تلك البلاد المباركة الذين عرفوا بالتدين والمحافظة على العهود والاقوال لا يتأخرون عن اداء العشر الشرعي بل انما يأتون به الى بيت المال ليحل لهم الاكل من المحصول فيجب استيفاء العشر فيها كما وضعه صاحب الشرع عليه السلام ولا يجوز تحويله او تزييده او تنقيصه وتجب العناية بتفهيم اهاليها ان العشر فرض ديني لايجوز اكله والحيلة فيه . واما ما كان في الاهالي من الخيانة فهو من سوء تأثير الاستبداد وظلم المأمورين وفساد اخلاقهم .

واما ارض الشام وارض مصر وسواد (١) العراق وغيرها فارض خراج يحق للامام ان يحولها الى ارض عشرية ويضع عليها العشر كما يشاء وقد سبق ذكره غير ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما مسح سواد العراق سأل عماله على الخراج حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف « فقال لعلكما حملتما الارض ما لا تطيق فقال عثمان حملت الارض امراً هي له مطيقة ولوشئت لاضعفت وقال حذيفة وضعت عليها امراً له هي محتملة فقال: انظرا الا تكونا حملتما الارض ما لا تطيق اما لئن بقيت لارامل اهل العراق لادعهن لا يحتجن الى احد بعدي » فتأمل ومن هذا يتضح ان الامام لا يجوز له ان يحمل الارض فوق طاقتها من العشر او الخراج .

هل يجوز جعل العشر الجاري الآن ضريبة على اراضي الخراج ؟

جاء في كتاب الخراج ان عمر رضي الله عنه مسح سواد العراق فبلغ ستة وثلاثين الف جريب وانه وضع على جريب (٢) الزرع درهماً وقفيزاً وعلى الكرم عشرة دراهم وعلى الرطبة خمسة دراهم وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وعلى جريب القصب ستة دراهم وعلى جريب الحنطة اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين وعلى جريب السمسم خمسة دراهم وعلى الخضر من غلة الصيف على كل جريب ثلاثة دراهم ومن جريب القطن خمسة دراهم وجاء في كتاب الخراج ايضاً ان عبد الملك بن مروان

---

(١) لخضرة اشجاره وكثرة زروعه – حاشية ابن عابدين (٢) الجريب مكيال مقداره اربعة اقفزة والقفيز ١٤٤ ذراعاً فالجريب ٥٧٦ ذراعاً اه

احد خلفاء بني امية حمل الاموال عَلَى قدر قربها وبعدها فجعل عَلَى كل مائة جريب زوع مما قرب ديناراً وعلى كل مائتي جريب مما بعد ديناراً وعَلَى كل الف اصل كرم مما قرب ديناراً وعَلَى كل الفي اصل مما بعد ديناراً وعلى الزيتون عَلَى كل مائة شجرة مما قرب ديناراً وعَلَى كل مائتي شجرة مما بعد ديناراً وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم او اليومين واكثر من ذلك وما دون اليوم فهو في القرب وحملت الشام عَلَى مثل ذلك وحملت الموصل عَلَى مثل ذلك » نتبين مما تقدم ذكره ان الخراج كان عبارة عن ضريبة مقطوعة عَلَى الارض تنوعت بالنسبة للايراد الصافي وقد سبق ان ارض الشام والعراق ومصر وغيرها كالاناضول والروم ايلي وطرابلس الغرب مما افتتحه المسلمون عنوة كانت اراضي خراجية وقد جوز الامام ابو يوسف تحويلها لاراضي عشرية وجوز تزييد مقدار العشر وتنقيصه فيها فيتضح لك مما تقدم ومما تقتضيه المصلحة العامة ان تحويل العشر الجاري حتى الآن الى ضريبة عادلة تطرح عَلَى الاراضي الخراجية على شرط ان تطيق حملها وتكون متناسبة مع الريع الحقيقي جائز بل واجب .

ماهي القاعدة في تحويل العشر الى ضريبة ؟

تتألف لجنة قوامها رجال ممن لهم خبرة بفن الزراعة واقتدار بتخمين القيم ويصحبهم مهندس ويرأسهم رجل ذو خبرة واطلاع على احوال البلاد والفلاحين دارس في المدارس العالية ويشترط في الجميع ان يكون ممن تحلى بشرف النزاهة والصدق والاستقامة فيتجولون في انحاء الولاية ويفحصون قوة انبات الاراضي ويقسمونها الى ثلاثة او اربعة اقسام اعلا واوسط وادنى وضعيفة (يعني قلما تعطي ريعاً) ثم ينظرون في بدلات اعشار عشر سنين او خمس عشرة سنة عن قرية ما عَلَى شرط ان ينظروا الى حقيقة البدلات السابقة فان كانت للاهالي فلا شك بانهم يجدون بدلاتها فاحشة فيجب عليهم التخفيف وان كانت لارباب النفوذ فلا شك بانهم يجدون بدلاتها ناقصة فيجب عليهم التزييد وربما وجدوا قرية من قرى الاهالي محفوظة من الغدر الفاحش لاتفاقهم وتيقظهم كما انهم يجدون بعض قرى الاعيان مظلومة لتجاوز بعض ارباب النفوذ او لغضب اولي الامر عليهم ثم يقسمون مجموع البدلات على عشر سنين او خمس عشرة سنة وبعد ذلك يوزعون خارج القسمة عَلَى حسب درجات الاراضي من حيث قوة الانبات وهكذا يفعلون في الولايات التي هي من الاراضي الخراجية ولا بد من

النظر الى نوع الاراضي ان كانت مشجرة او غير مشجرة ويجب تفريق الاراضي التي تسقى بماء المطر او بماء النهر سيحاً من الاراضي التي تسقى بالدلو او الدولاب وتفريق الاراضي القريبة من المدن والمرافئ «الاساكل» عن الاراضي البعيدة . وخلاصة الكلام يجب على اللجنة ان تحمل الارض ضريبة تطيقها ولا تتجاوز عشر محصولها فان فعلوا اراحوا الامة وتزايدت واردات الخزينة ودخلت تحت قاعدة الانتظام وخف الظلم وصار ايراد الدولة معلوماً فلا تخطئ في تنظيم ميزانيتها وان ظلم رجل بضريبة فله ان يراجع ويدفع ظلمه والآن قد فتح باب العدل فلا يبقى مظلوم على غدره ان شاء الله .

منافع الضريبة على الاراضي

يعرف الانسان ماعليه من الضرائب فيحسب مصروفه على اراضيه وريعه الحقيقي فيسعى في عمارة اراضيه ليخفف عنه الم الضرائب ويضمن ربحاً عظيماً فان وصل الى مرغوبه عمر الارض فتعمر البلاد وان خسر ترك الزراعة وانصرف الى التجارة وعلى ما اظن ان الحكومة الدستورية ستسعى في تخفيف الضرائب عن عاتق الامة واخص منها ضرائب الزراع واذا خفت عنهم اغنتهم وجعلتهم يتزوجون ويعملون الولائم ويكتسون ويصرفون المبالغ في اللبس والفرش فيزيد ربح التجار وارباب الصناعة فتروج التجارة والصناعة وتكثر ثروة الامة فتزيد واردات البلاد مع واردات الخزينة واكرر قولي ان الحكومة لا تغنى الا بغنى الامة والامة لا تغنى الا بتخفيف الضرائب . وحينئذ ترى فلاحنا قد اصبح حراً وتخلص من استبداد الملتزمين ومن اسرع في اخراج محصوله وادرك الاسعار في غلائها ربح الارباح وصار في رغد من العيش وهذه النعم لا نجدها في تلزيم بدلات الاعشار وكفى بذلك عبرة .

شكري العسلي

عبث الوليد

ابو تمام حبيب الطائي وابو الطيب احمد بن الحسين المتنبي وابو عبادة البحتري هم الشعراء المعول عَلَى شعرهم في المولدين جمعوا الى جزالة الالفاظ وحسن السبك معاني الحضارة واساليب الحكمة ولذلك كانت دواوينهم من جملة ما يتقضى على طالب الادب ان يتدارسها ويستظهرها وكانت مما اوصى بتعلمه ضياء الدين بن الاثير صاحب المثل السائر كل مشتغل بالمنظوم والمنثور لانها حوت عامة المزايا اللغوية والادبية · ومن اجل هذا ترى هذه الدواوين قد خدمت اجلّ خدمة منذ القديم ولا سيما ديوان ابي تمام وديوان ابي الطيب فنظر فيهما مشاهير اللغويين والعلماء وتعاورتهما الاقلام بالشرح والنقد الا ان ديوان ابي عبادة البحتري لم نسمع بان احداً من العلماء تصدى لنقده غير ابي العلاء المعري ·

فان هذا العلامة الحكيم اللغوي ابى ان يغفل كلام البحتري من وضعه عَلَى محك انتقاده بعد ان الف في ديواني الطائي والمتنبي كتابين مستقلين دعا الاول ذكرى حبيب والثاني معجز احمد · فالف في الثالث كتاباً سماه عبث الوليد (١) قال في مقدمته : اثبت مافي ديوان البحتري ماأُصلحُ من الغلط الذي وجد في النسخة المكتوب في آخرها انها بخط طغر بن عبد الله العجلي وانما اثبت ذلك ليكون مولاي الشيخ الجليل ادام الله عزه كأنه حاضر للقراءة ولم يمكن اثبات جميع الاغلاط لان اكثرها غير محيل وقد وُصل بذكر شيء مما جرى اليه ابو عبادة من الضرورات وما يجتنبه امثاله وبالله التوفيق ·

قال ابو العلاء في الكلام عَلَى قول ابي عبادة :

اذا تشاكلت الاخلاق واقتربت دنت مسافة بين العجم والعرب

اذا وقعت بين في هذا الموقع فالاختيار خفضها وكذلك ترفع اذا وقعت في موقع رفع كما جاء في الكتاب العزيز لقد تقطع بينكم · اكثر القراء عَلَى الرفع ويجوز النصب فقال قوم يكون الاسم مضمراً كأنه قال لقد تقطع الوصل بينكم وقال قوم بضمر ما كأنه

(١) ان النسخة التي نعتمد عليها هنا هي نسخة استنسخها احمد بك تيمور لخزانة كتبه عن نسخة دار الكتب المصرية

قال لقد نُقطع ما بينكم وحسن حذف ما ههنا كما حسن حذف لا اذا قيل والله افعل اي والله لا افعل قال امرؤ القيس :

كلاّ يمين الاله يجمعنا شيءٌ واخوالنا بني جُشما

اي لا يجمعنا . وهذا البيت يُنشد بخفض بين ونصبها

يدبرونني عن سالم وادبرهم وجلدة بين العين والانف سالم

فالخفض على الاضافة والنصب على تقدير ما

وقال المعري في مكان آخر : وكان في النسخة هذه الابيات التي اولها

يا أُمتا ابصرني راكب يسير في مسحنفر لاحب

والابيات الثلاثة منها مذكورة في امالي قوم من العلماء المتقدمة و يجوز ان يكون غلط بها على ابي عبادة فنسبت اليه اوظنها بعض الناس من شعر العرب فالحقها بما يحكى عنهم والبيت الثالث الثابت في هذه النسخة لا يوجد في الحكاية المتقدمة وقد اختلف في اشياء من هذا الجنس وربما حسد بعض فنسب شعره الى المتقدمين ليُكاد بذلك و ينقص من قدره . وحكى بعض الكتاب انه رأى كتاباً قديماً قد كتب على ظهره انشدنا احمد بن يحيى ثعلب من الجآذر في زي الاعاريب . وذكر خمسة ابيات من اول هذه القصيدة وهذا كذب قبيح وافتراء بين . وانما فعله مفرط الحسد قليل الخبرة بمظان الصواب غرضه ان يلبس على الجهال . وقد رُويت ابيات ابي عبادة التي في صفة الذئب لبعض العرب ويجب ان يكون ذلك كذباً مثل ماتقدم في حديث البائية التي لابي الطيب . وقد نسبوا الابيات التي في صفة الذئب الى عبد الله بن انيس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بني الترك راشد بن وبرة ولا ريب ان ذلك باطل والرواية التي يرويها اصحاب اللغة يجيئون بالبيتين الاولين فيجعلونهما من قول الجارية ثم يقول فاجابتها امها :

الحصن ادنى لو تأبيته

على ان هذه الابيات بعيدة من نمط ابي عبادة وان كان الشاعر المغزر يجوز ان يأتي بكل فن من القول .

وقال المعري في الكلام على بيت البحتري الذي هو

والخدود الحسان يبهى عليها جلنار الربيع طلقا وورده

جلنار من اطراف كلام العامة وليس هو اسماً موجوداً في الكلام القديم و يجب

ان يكون المراد به جل نار اي ماعظم من الجمر ثم كثر في كلام العامة حتى جعلوه كالاسم الواحد وأجروه مجرى الاسماء العربية غير المركبة · والشعراء المولدون يعربون الراء فيقولون كأنه جلنار ورأيت جلنارًا ولو اضافوه وقالوا جلُّ نارٍ لكان اقيس ولو انهم جعلوه بمنزلة حضرموت لوجب ان يقول هذا جلنار ورأيت جلنار ومررت بجلنار فلا يصرفون ولم يأخذوا به في هذا المنهاج بل ادخلوا عليه الالف واللام فقالوا الجلنار واجتزؤا على توحيده فقالوا جلنارة فأجروه مجرى تمر وتمرة وقال بعض المحدثين :

غدت في لباس لها اخضر كما تلبس الورق الجلنارا

ولا اعلم هذا الاسم جاء في شعر فصيح وانما هو لفظ محدث وكأنه في الاصل جاء على معنى التشبيه شبهوا حمرته بحمرة الجمر وهو جل النار ثم تصرفوا في نقله وتغييره (١) وقالوا في تسمية الطعام الفارسي نيرباج وزعموا ان نير بالفارسية رمان وفارس تنطق بالياء كأنها الف والالف كأنها الياء فيجوز ان يكون نار في جل نار من هذا النحو فكأنهم ارادوا جل الرمان ويجوز ان يكون جل بلسانهم في غير هذا المعنى على ان لغتهم اختلطت بالعربية وصارت فيها حروف كثيرة من كلام العرب وهم يسمون الفارسية الخالصة الفهلوية والذين يتكلمون بها اليوم قليل تفتقر اليهم الملوك في تفسير سير المتقدمين ·

وقال في كلامه على بيت :

اسند صدور اليعملات بوقفة في الماثلات كأنهن المسند

اشبه ما يجعل المسند ههنا ان يكون في معنى خط حمير لان مذهب الشعراء في ذلك معروف واياه قصد ابو عبادة كما قال ذؤيب :

عرفت الديار كرقم الدوا ة يزبرها الكاتب الحميري

وكانوا يسمون خطهم المسند وسموا هذا الخط العربي الجزم لانه جزم من ذلك الفن اي قطع وقد يحتمل ان يعني بالمسند الحديث المسند اي هذه المنازل قد صار حديثًا يذكر ·

وقال في الكلام على بيت :

يغضون دون الاشتيام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر

(١) كتبت على الحاشية هذه العبارة : هذا تطويل بغير طائل فانه معرب كلنار ومعناه بالفارسية زهر الرمان اه ·

الاشتيام كلمة لم يذكرها المتقدمون من اهل اللغة فاذا سئل من ركب البحر عنها قال البحريون الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام فان كانت هذه الكلمة عربية فهي الافتعال من شام البرق لان رئيس المركب يكون عالماً يشؤون البروق والرياح ويعرف من ذلك مالايعرفه سواه فكأنه سمي بالمصدر من اشتام كما قيل رجل زور وهو مصدر زار ودنف وهو مصدر دنف وفي البحر سمكة تعرف بالاشتيام وهي عظيمة ويجوز ان يكون سميت برئيس المركب كأنها رئيسة السمك واذا اخذ بهذا القول فهمزة الاشتيام همزة وصل وان قطعت فقد جرت عادة ابي عبادة بقطعها في المصادر كثيراً فهو ضرورة وان وصلها صار في البيت زحاف فقدجرت عادته باستعمال مثله وان كان الاشتيام كلمة اعجمية فالفه الف قطع كالف ابريسم وابرهيم ونحو ذلك . وقال في قوله :

ان اتبع الشوق ازراءً عليه فقد جافى من النوم عن عيني ماجافا

قوله ازراءً عليه رديء وانما المعروف ازريت به وزريت عليه وقد عابوا على ابن دريد قوله في رسالة الجمهرة الى الازراء على علمائنا وقد حكى بعض اهل اللغة ازريت عليه وليس بمعروف وانما الفصيح ازرى به كما قال الاعشى :

فان تعهدي لامرىءٍ لمةً فان الحوادث ازرى بها

ومثل هذا ما صححه للبحتري في قوله : اذا استقلته جرد الخيل فقال انها غير مستعملة وانما المعروف اذا استقلت به ويقولون استقل القوم اذا ساروا غير متعد وانما اراد بقوله استقلته اقلته ولو قال اقلته لاستقام الوزن ولعل ابي عبادة كذلك قال : كما انكر عليه لفظة البرطيل الذي تستعمله العامة في معنى الرشوة وقال انه لا يعرف في الكلام القديم وكذلك وردت لفظة الاطروش في شعر البحتري فانكرها المعري وقال انه لا اصل لها في العربية وقال في :

اخواله للرستمين بفارس وجدوده للتبعين بموكل

يروى للرستمين على الجمع وكذلك التبعين ويروى بالتثنية والجمع اشبه لانهُ قال اخواله فجمع وكذلك قال جدوده فان تكون الاخوال والجدود لملوك كثيرة اشبه من ان تكون لملكين وموكل اسم موضع باليمن ويقال انها دار مملكة حمير وهو مفتوح الميم والكاف وكذلك نقل اهل اللغة وكان ابو عمرو الزاهد يقول الموكل قبة الملك فان كان ذلك شيئاً قديماً سمعهُ فقد يجوز ان يكون حمل على ان هذا الموضع يقال له موكل وهو

مقر مملكة القوم والذي يتهم به ابو عمرو يتخرج كثير منه على هذا النحو وكأن قبة الملك تسمى موكلا لانه يقعد فيها ويكل اموره الى الخدم والحشم وقدم هذه البلاد رجل من اهل نجران ممن يسكن البادية فصيح ينتمي الى زبيد من مذحج فسمع فتى في المكتب ينشد هذه القصيدة فلما انتهى الى قوله بموكل كسر الكاف فقال النجراني موكل وكذلك حكاه اهل العلم ·

وقال في كلامه على :

وكنا نرى بعض الندى بعد بعضه فلما انتجعناه دفعنا الى الكل

كان المتقدمون من اهل العلم ينكرون ادخال الالف واللام على كل وبعض وروى الاصمعي انه قال كلاما معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم ار فيها لحنا الا في موضع واحد وهو قوله : العلم اكبر من ان يحاط بكله فخذوا البعض وكان ابو علي الفارسي يزعم ان سيبويه يجيز ادخال الالف واللام على كل لا انه لفظ بذلك ولكنه يستدل عليه بغيره والقياس يوجب دخول الالف واللام على كل وبعض وقد انشد بعض الناس قول سحيم عبد بني الحسحاس :

رأيت الغني والفقير كليهما الى الموت يأتي الموت للكل معمدا

هذه نموذجات من كتاب عبث الوليد وقد وقع في ٩٤ ورقة وحوى فوائد لغوية وادبية قلما يعثر عليها في الكتب المتداولة وقد جاء في آخره تم الاملاء المعروف بعبث الوليد وهذه السمة موقوفة بين امرين احدهما ان يراد عبث الوليد الذي هو البحتري والآخر ان يعني الوليد الذي هو الصبي وكون الرجل مسمى بالوليد يحتمل هذه التسمية ·

وصف الاسطول

كلما زهت طبيعة قطر وحف بضروب النعيم الصناعي والطبيعي تتفتق السن ابنائه في وصفه والميل الى رباعه ولذلك تجد للشاميين في وصف اقليمهم من الامادبح مالا تجده العراقيين وما تجده للاندلسيين لاتراه لادباء المصريين · والاندلس هي من البلاد التي زهت بنضرتها وتاهت بفطرتها ولذلك ترى شعراءها وكتابها اشبه بالاوربيين في مناحيهم الادبية لهذا العهد ينطقون بوصف مانقع عليه ابصارهم وما كانت تقع الاعلى اثر في الحضارة وشيء من العمران واذ قد اضطرتهم الحال ان يخوضوا غمرات البحار كالفينيقيين ايام عزهم والبريطانيين في ايامنا كان لهم من اساطيلهم ما وصفه شعراؤهم فيما يلي -

قال ابن هانئ يصف الاسطول :

معطفة الاعناق نحو متونها كما نبهت ايدي الحواة الافاعيا
اذا ما وردنا الماء شوقاً لبرده صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
اذا اعملوا فيها المجاذيف سرحة ترى عقرباً منها على الماء ماشيا

وقال ابو عمرو يزيد بن عبد الله اللخمي الاشبيلي الكاتب

وبا لجواري المنشآت وحسنها طوائر بين الماء والجو عوّما
اذا نشرت في الجو اجنحة لها رأيت به روضاً ونوّراً مكمما
وان لم تهجه الريح جاء مصافقاً فدت له كفا خضيباً ومعصما
مجاذف كالحيات مدت رؤوسها على وجل في الماء كي تروي الظمأ
كما اسرعت عداً انامل حاسب بقبض وبسط يسبق العين و همأ
هي الهدب في اجفان اكحل اوطف فهل صنعت من عندم اوبكت دما

قال ابن الابار وقد اجاد ما اراد في هذا الوصف وان نظر الى قول ابي عبد الله ابن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح

هام صرف الردى بهام الاعادي ان سمت نحوهم لها اجياد
وترامت بشرعها كعيون أبها مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حاك هدب باك لدمعه اسعاد
حمم فوقها من البيض نار كل من ارسلت عليه رماد
ومن الخط في يدي كل زاد الف خطها على البحر صاد

قال وما احسن قول شيخنا ابي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيد انشدنيه

وكأنما شكن الاراقم جوفها من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت من كل خرق حية بلسان

قال ولم يسبقهم الى الاحسان وانما سبقهم بالزمان علي بن محمد الايادي التونسي في قوله

شرعوا جوانبها مجاذف اتعبت شادي الرياح لها ولما تتعب
تنصاع من كثب كما نفر القطا طوراً وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكأنه ليل يقرب عقرباً من عقرب
وعلى جوانبها اسود خلافة تختال في عدد السلاح المذهب
وكأنما البحر استعار بزيهم ثوب الجمال من الربيع المنجب

ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع

ولها جناح يستعار يطيرها طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطارة في كل لج زاخر مغلولب
يسمو بآخر ذي الهواء منصب عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة لو رام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رام استراقة مقعد للسمع الا انه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم ركبوا جوانبها باعنف مركب
سجروا جواحم بينهم فتقاذفوا منها بالسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق اذا انبرى من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كأنه صبح يكر على ظلام غيهب

ومن اولها: اعجب باسطول الامام محمد وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست بها الامواج احسن منظر يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة على ما قابلت اشراف صدر الاجدل المتنصب
ومنها جوفاء تحمل موكباً في جوفها يوم الرهان وتستقل بموكب

وقال ابو عمر القسطلي

وحال الموج بين بني سبيل يطير بهم الى الصوب ابن ماء
اغر له جناح من صباح يرفرف فوق جنح من سماء

واخذه اسحق بن خفاجة فقال

وجارية ركبت بها ظلاماً بطير من الصباح بها جناح
اذا الماء اطمأن ورق خصراً علا من موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه واتلع جيده الاجل المتاح

قال المقري ولا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة وقال ابن الابار وقد قلت انا في ذلك

ياحبذا من بنات الماء سابحة تطفو لما شب اهل النار تطفئه
تطيرها الريح غرباناً باجنحة الحمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كل ادهم لا يلفى به جرب فما لراكبه بالقار يهنئوه
يدعى غراباً وللفتخاء سرعته وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول

ياحسنها يوماً شهدت زفافها بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت ايكة فتصورت لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الاعيان ان شواهناً اسماؤها فتحت في المنطق
من كل ناشرة قوادم اجنح وعلى معاطفها وهادق سودق
زأرت زئير الاسد وهي صوامت وزحفن زحف مواكب في مأزق
ومجاذف تحكي اراقم ربوة نزلت لتكرع من غدير متأق

وقال القسطلي في اسطول انشأه المنصور بن ابي عامر من قصيدة

تحمل منه البحر بحراً من القنا يروع بها امواجه ويهول
بكل محالات الشراع كأنها وقد حملت اسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح تخيلت خيولا مدى فرسانهن خيول
سحائب تزجيها الرياح فان وفت اطافت باجياد النعام فيول
ظباء فلاة ما لهن مفاحص وورق حمام ما لهن هديل
سواكن في اوطانهن كأن سما بها الموج خيش الراسيات نزول
كما رفع الآل الهوادج بالضحى غداة استقلت بالخليط حمول
اراقم تحوي ناقع السم مالها بما حملت دون العداة مقيل

العربية والتركية

أصيبت الامة بعد سقوط دولة بني العباس بفتور غريب في العلم والآراء لما عاينته من اهاويل الحروب والفتن . ولما قامت الدولة العثمانية تجمعت تحت لوائها الاقطار المختلفة نظرت الى الاقطار العربية من الوجهة السياسية ولم تعن بها ولا بغيرها من الوجهة العلمية الاجتماعية شأنها في عامة ادوارها واقطارها ولم يشذ عن ذلك الا مصر فكانت اشبه بمملكة مستقلة حتى بعد استيلاء العثمانيين عليها . وبعيد ان قامت الدولة تؤسس لها مدارس في العاصمة والولايات لتعلم العلوم الحديثة وتستبدل النور بالظلمة والعلم بالجهل قام محمد علي والي مصر فنزع القطر المصري من المماليك في الظاهر ومن الدولة في الباطن وانشأ فيه مدارس عربية وتوفر بدلالة جماعة من مستشرقي الفرنسيس النبهاء على ترجمة الكتب العلمية من اللغات الاوربية فانتعشت اللغة العربية في مصر فقط وظلت كهف العرب عنها يأخذون علومهم وموطن الطباعة والكتب والصحف وبانوارها يستضيئون وذلك لغنلها العظيم وتاريخها المجيد القديم .

بقي الامل في نهوض العربية محصوراً في مصر لان الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن ونجد وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش امست في فتور . وقد أنشئت في تونس وسورية بعض المدارس والمطابع تدرس بالعربية وتطبع اللازم من الكتب العربية لكنها لم يمض على تأسيسها بضع سنين حتى أطفئت شعلتها بما اصاب سورية من بلاء المراقبة وما اصاب تونس من الاحتلال الفرنسوي . والمراقبة واحتلال الغريب مما يقتل روح العلم وينزع حياة النهضة القومية . وقد اوشكت مصر ان تصاب بضعف لغتها لما احتلها الانكليز لولا ان قامت الامة وطلبت جعل العربية لغة المدارس الابتدائية والثانوية فلم تر الحكومة بدًّا من اجابة طلبها .

اما هذه الديار فكان اول ما انصرفت اليه الوجوه بعد اعادة القانون الاساسي العثماني مسائل التعليم فالتركية لسان الدولة الرسمي تريد ان تعلمه جميع العناصر العثمانية ليجيء منهم في المستقبل مزيج واحد وتقوى وحدتهم السياسية . وقد نشرت نظارة المعارف برنامجها ولم نشهد فيه ذكراً للعربية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية بل قالت ان تعليم العلوم بالتركية للذكور والاناث وللصغار والكبار وللعرب والترك

والروم والارمن والبلغار والارناؤد حتى ان المبادي البسيطة التي سمحت بتعلمها من العربية تدرس في كتب الفها اتراك باللغة التركية . فادرك بعض الباحثين في احوال البلاد والعناصر ان غرض الحكومة من هذه الخطة (تتريك) العرب وغيرهم . وهو عمل اذا كان نافعاً من حيث السياسة فلا نفع فيه من حيث الاجتماع والعلم خصوصاً بعد ان رأينا اصغر الشعوب الاوربية تحافظ عَلَى لغتها الاصلية محافظتها عَلَى اعراضها واموالها وارواحها .

لا بد للحكومة ان تجعل التعليم اجبارياً في المملكة فاذا جعلته باللغة التركية ولم تراع حالة كل قطر ولغة اهله تسوء العاقبة ولا تأتي الشجرة التي تريد غرسها الآن بثمرة جنية بل يكون شأن البلاد العقم في العلم والفكر ومن لم يتعلم العلوم بلغته هيهات ان يأتي منه عضو يفيد أمته وبلاده . واذا فعلت الدولة ذلك الآن فتكون في عهدها الدستوري اظلم منها في عهدها الاستبدادي وتكون حكومة مصر ارفق باهل مصر من حكومتنا بنا لانها منا فينتظر عن يدها الكثير وتلك ليست منهم وكل شيء تأتي به يعد كبيراً .

وبعد فان كانت الحكومة العثمانية لم تنشط اللغة العربية في الماضي مع انها لغة الدين والآداب والحضارة فهي لم تضع العقاب في سبيلها مباشرة ولكن الغلطة الفظيعة التي ارتكبتها ولا يغفرها لها التاريخ هو ان القائمين باعبائها منذ البدء جعلوا اللغة التركية لغة الدولة الرسمية خلافاً لما جرت عليه دول الاسلام السالفة كدولة المصامدة البربر في الغرب الاقصى والادنى ودولة الجراكسة في مصر والشام ودولة آل سلجوق التركية في العراق والجزيرة ودولة بني بويه الفارسية ودولة آل ايوب الكردية في مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها من الدول التي طرحت لغاتها وعمدت الى اتخاذ اللغة العربية لغة الحكومة والدولة فكان الجراكسة والبربر والفرس والاكراد والاتراك يتخلون عن لغاتهم مختارين ولا يستعملون في الرسميات غير العربية لغة البيان والعلوم اما الترك فجروا عَلَى غير سنة الدول السالفة فلم يروا من المصلحة تعلم لغة عامة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها واكتفوا بلغة ملفقة بدوية ما برحوا يتوفرون منذ قرون عَلَى اصلاحها وهيهات ان تكون كما يحبون .

ولما جاء السلطان سليم فاتح مصر والشام وكان عَلَى شيء من المعرفة بحسن

العربية كما يحسن الفارسية والتركية احب ان يتلافى الغلط الذي سارت عليه دولته وان يجعل اللغة العربية لغتها الرسمية أُسوة الدول الاسلامية البائدة فقام عليه بعض ضعاف العقول من اهل دولته وارادوه عَلَى العدول عن رأيه مخافة ان تندثر لغتهم بل تخلصاً من ان يتعلموا لغة غيرها فكان عملهم هذا من جملة السدود التي حالت دون آل عثمان وبسط ايديهم عَلَى الممالك الاسلامية المجاورة لهم واللغة العربية اعظم رابطة بين المسلمين ·

ولقد كانت الدولة ولا تزال تعلم في مدارسها الرسمية العربية كما تعلم الفارسية وذلك لان التركية مزيج من هاتين اللغتين وبدون معرفة قليل من اللغتين لا يتأتى لتركي ان يكتب كتابة صحيحة في لغته فكان شأنها من بعض الوجوه شأن المدارس في اوربا لا تزال الى اليوم تعلم اللاتينية واليونانية لانهما اصل لغات اوربا وان كانتا بادتا او كادتا · ولكن مدارس اوربا اخرجت كتاباً بهذين اللغتين ولم نعهد من مدارس الحكومة العثمانية كاتباً بالعربية او الفارسية · هذا والتركية ليست لغة دين ولا لغة علم ولا لغة حضارة قديمة ولا مدنية معروفة كالعربية التي شهد اهل الارض بامجاد اهلها وحضاراتهم · ومن الغريب انه لم ينبغ في الدولة العثمانية كاتب عربي من اصل تركي على حين نبغ وينبغ من الفرس والاكراد وغيرهم اناس يؤلفون بالعربية فتحسبهم عرباً خلصاً · وانك لتقرأ العجمة في كلام ابن كمال باشا وكاتب جلبي وطاشكوبريلي وغيرهم من الاتراك الذين عانوا القلم العربي وعدوا في المصنفين ما لا تقرأوه في كلام الراغب الاصفهاني وابي بكر الخوارزمي وحجة الاسلام الغزالي بل ان هؤلاء عَلَى منشأهم الفارسي كانوا ائمة الانشاء العربي ·

اذا تعلم ابناؤنا اليوم عَلَى الطريقة التركية لا يلبثون ان يجيئوا اتراكاً و يتقنوا التركية كارقى ابنائها وبذلك لا يخدمون ابناء لغتهم ادنى خدمة وقد رأينا معظم الذين تعلموا من ابناء سورية والعراق في المدارس الرسمية لا يحسنون التكلم بالعربية العامية فضلاً عن ان يكتبوا سطرين صحيحين بلغتهم بل ربما رأيتهم يمزجون المصطلحات التركية وبعض الالفاظ التركية بيناهم يكلمونك بالعربية فكان شأنهم في هذا شأن اكثر التوانسة والجزائريين من سكان المدن يتكلمون بعربية تكاد تكون اقرب الى الافرنجية لما خالطها من الالفاظ الافرنسية والاسبانيولية والطليانية ·

وقد رأى بعض العقلاء ان احسن حل لمسألة اللغة العربية في المدارس الرسمية واسلمه عاقبة على اجيال الدولة المختلفة هو ان يجعل تدريس العلوم المادية كلها باللغة العربية كالطبيعيات والرياضيات والفلك والكيمياء والطب وان تجعل العلوم السياسية كلها باللغة التركية كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والحقوق والاجتماع وبذلك لا يقع حيف على العرب وهم نصف الدولة او يزيدون ولغتهم افضل لغات سائر العناصر العثمانية · والمستقبل كفيل بحل هذه المعضلة العلمية ·

ضراء العلماء

يلد الاصلاح بادئ بدء غريباً لا يأنس به الا ذوو الاستعداد الفطري للمبادئ العالية وابناء العلم والتهذيب من رجال الامة والبقية الباقية منهم يناهضونه اما بدافع جهلهم وتعصبهم او لعدم انطباقه مع ما ينزعون اليه من التقاليد التي وجدوا عليها آباءهم ولهذا تعترضه قبل ان يدرج من عشه قوتان متناقضتان : الواحدة تسعى لانمائه والاخرى تعمل على تلاشيه ويساعد الثانية في الغالب مال وخول في ملك ضخم البنيان وجاه منبسط الظلال ···

بين هاتين القوتين تشهر حرب شعواء يضطرب لها فلك الاصلاح ولا بد ان تنجلي وقد ازهق الحق الباطل لان القوة الحقيقية بجانبه · ولقوة الحق حركة كبرى في ميدان تنازع البقاء

الا وان انصار الباطل كانوا وما زالوا في كل عصر ومصر يوقظون الفتنة ويضرمون جذوة الثورة فيقومون بدعوى الغيرة على الدين مرة وخدمة النفع العام تارة اخرى وما يريدون بذلك كما يشهد الحق الا منافعهم الشخصية فهي قبلة آمالهم التي يولون شطرها وكعبة اميالهم التي يسوقون نحوها مطايا هممهم وهممهم ·

وليس اضر شيئاً على العلم والدين من هؤلاء فمثلهم كسد سوق العلم وراجت بضاعة الجهل المزجاة وهم بما يختلقونه من الاوهام مثلوا الدين باقبح صورة مشوهة يفر منها الناظر فرار السليم من الاجرب وقصروا للدين مجالا واسعاً امام الاغيار فاتخذوا يسلقونه بالسنة حداد وينزلونه في غير المنزلة التي وضعها السلف الصالح أيام كانوا على بيضاء نقية لا يضرهم من خالفهم اذا كانوا هم المهتدين ·

منيت الامم الاسلامية جمعاء بمثل هولاء منذ ثلاثة عشر قرناً او يزيد · بيد انه مع وجود هذه الطغمة بين ظهرانيهم وارتفاع جلبتهم وضوضائهم وعملهم عَلَى اطفاء شعاع الاماني الذهبية في مهب تلك العواصف لم تعدم رجالا توفرت عَلَى الاخذ بناصر الحق وسلبت قرارها رغبة في شد ازره ممن تمحضوا للعلم الخالص واعترفوا من معينه وشلا فكانت القوة بجنبهم يلقفون بها اعداء العلم الالداء ويكافحونهم والغلبة لهم وان تألبت عليهم الجموع الكثيفة وتحلقت امامهم الصفوف كالبنيان المرصوص ممن تجمعهم جامعة الجهل تحت لواء الحسد الذميم ·

***

شهد شيخنا التاريخ منذ نشأ الفكر البشري هذه الاعمال البربرية ولم تزل صفحاته ندية بعد فلم يجف ما اريق من الدماء في سبيل نصرة الحق ولم ينجز ما اذرف من الدموع الصافية المصدر والمورد عَلَى تلك العقول الرصينة التي بينا ترصد فضاء السماء الفسيح اذا بها تفحص اعماق هذه الارض وتجتهد في استكناه اسرار الحياة المطوية طي كتل تلك الطبقات الصماء · وها هو قد حشد في صدره الوفا موءلفة ممن ذهبوا ضحية الجهل والحسد ما لو جمع وأفرد بموءلفات خاصة لاخرجت للناس مجلدات ضخمة في « محكمة التفتيش الاسلامية الكبرى »

وليس بالنزر القليل ما نال الائمة المصلحين من النكبات التي يسود لها وجه الانسانية فكم كفر من هو اشد تمسكا بدين الله واتوا عَلَى من هو اعظم اعتصاماً بحبله المتين وحكم بالزندقة عَلَى من كان يحارب الدهريين وضلل من كان يجاهد في سبيل الشرك واضطهد من كان يعمل فكرته للاجتهاد والعمل في كتاب الله وسنة رسوله ·

وباليتهم وقفوا عندهذا الحد فلم يتخطوا دائرة الانسانية بتمثيلهم عباد الله الصالحين افجع تمثيل وضربهم بالاسواط حتى تشل الاطراف او تعتل احدى الاعضاء فيفقد وظيفتها وسلخهم جلودهم وهم احياء مما لم يعهد نظيره الا بين ظهراني الامم العريقة في التوحش والهمجية ·

وامامي الآن كثير من امثال تلك الحوادث في بطون عدة من التواريخ التي تضم تراجم مشاهير المشارقة والمغاربة آتي عَلَى شيء منها مقتصراً عَلَى رجال الفريق الاول ممن ذاقوا الارئم ولقوا من معاصريهم الالاقي لقاء بث فكرة اصلاحية او القيام بمشروع جديد

ليعلم ان التاريخ هو المحشر الذي ينسل اليه الناس من كل حدب وانه لايفلت احداً دون ان يناقشه الحساب :

هذا مالك بن انس (١) سعي به الى جعفر بن علي بن عم ابي جعفر المنصور فدعا به وجرده وضربه سبعين سوطاً ومدت يداه حتى انخلع كتفاه وذلك جزاء قوله الحق حين سئل عن مبايعة محمد بن عبدالله بن حسن وقولهم له :«ان في اعناقنا مبايعة ابي جعفر» فقال : « انما بايعتم مكرهين وليس عَلَى مكره يمين » فاسرع الناس الى محمد فسعي به فضرب لذلك ·

قال صاحب الفلاكة : « ثم لم يزل بعد في علو ورفعة كأنما كانت تلك السياط حلياً تحلى بها » · وهذا ابو حنيفة النعمان الفقيه الكوفي ضربه يزيد بن عمر بن هبيرة الفرازي وكان امير العراقين مائة سوط وعشره اسواط وكل يوم عشرة اسواط ايضاً وذلك لما اراده لقضاء الكوفة ايام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فابى وبقي عَلَى الامتناع وسجنه فتوفي في السجن في احد القولين · وقيل : ان سبب سجنه الابدي ما ذكره الزمخشري وهو من كبار الحنفية في تفسير آية « لاينال عهدي الظالمين » ان ابا حنيفة رحمه الله كان يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما وحمل المال اليه والخروج معه عَلَى اللص المتغلب المسمى بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه · وقالت له امرأة : اشرت عَلَى ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال : « ليتني مكان ابنك » وكان يقول في المنصور واشياعه : « لو ارادوا بناء مسجد وارادوني عَلَى بناء آجره لما فعلت » اه · وحينئذ يعلم الباحث المدقق ان سبب سجنه امر سياسي ·

ومثله احمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي امر المعتصم بضربه فأخذ وجيء بالعقابين والسياط وضربه ضربا مبرحاً حتى اغمي عليه وغاب عقله ثم امر بالحلاقه الى أهله فنقل وهو لا يشعر وذلك انه أبى ان يقول خلاف ما يعلم او يعتقد حين اجلسه المعتصم ودعاه الى القول بخلق القرآن فامتنع وقال للمعتصم « ما قال ذلك ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم · فقد دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وان القرآن علم الله ومن علم ان علم الله مخلوق فقد كفر » · فناظره احمد بن ابي دؤاد وغيره وانكروا عليه الآثار التي اوردها وقالوا للمعتصم :

(١) اعتمدنا في هذه النقول عَلَى كتاب (الفلاكة والمفلوكون)

« هذا كفرك واكفرنا » وقال له اسحق بن ابراهيم نائب بغداد : « يا امير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة ان تخلي سبيله ويغلب خليفتين » فعند ذلك حمي واشتد غضبه وكان ما كان .

وكذلك يوسف بن يحيى البويطي صاحب الامام الشافعي كان الشافعي يسأل عن الشيء فيحيل عليه فاذا اجاب قال : « هو كما اجاب » وقال عنه الشافعي : « هو لساني » حمل الى بغداد في ايام الواثق بالله من مصر وفي عنقه غل وفي رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوق وزنه اربعون رطلاً وارادوه على القول بخلق القرآن فامتنع ومات بالسجن في قيوده .

وضم الى هؤلاء الائمة من اساطين العلم والعمل من لم يرفعوا لاعمال المفسدين رأساً ولم يقيموا لها وزناً وليس ما اصابهم من المصائب باقل مما نال هؤلاء كابن تيمية والغزالي والنسائي وابن رشد وابن حزم فقد حمل حسد الجهلة الاغمار من معاصري الاخير ان تألبوا عليه وكادوه واستظهروا عليه بالامراء فاحرقوا كتبه الثمينة ومصنفاته وفي ذلك قال :

فان تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل ان انزل ويدفن في قبري الخ . .

وانك لترى العجب العجاب حينما تأتي على تراجم المشاهير وما تجد في غضونها من المحن والاحن التي قصد من ايقاعها بهم غمط فضلهم والحط من كرامتهم ووضعهم امام سيل شهرتهم الجارف سوراً من الجحود اركانه التعصب الاعمى ودعائمه الجهل المطبق .

ولقد افضت ضراء العلماء والوقيعة بهم الى الطعن بالمذاهب وقيام طائفة على اخرى كلما لاح لها من الفرصة بارق . ومن ذلك قيام الاكابر على محمد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (١) الملقب بلقب ابيه جمال الاسلام وحسدهم له فانهم خاصموه واستظهروا بالسلطان عليه وعلى اصحابه وصارت الاشعرية مقصودين بالاهانة والمنع عن الوعظ والتدريس وعزلوا من خطابة الجامع وتبع من الحنفية طائفة أشربوا في قلوبهم الاعتزال والتشيع فخيلوا الى ولي الامر الازراء بمذهب الشافعي عموماً وبالاشعرية خصوصاً قال السبكي : « وهذه هي الفتنة التي طار شررها وطال ضررها وعظم خطبها

(١) طبقات الشافعية ج : ٣ ص ٨٦

وقام في اهل السنة خطيبها فان هذا الامر ادى الى التصريح بلعن اهل السنة في الجمع وتوظيف سبهم على المنابر وصار لابي الحسن الاشعري بها اسوة بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه واستعلى اولئك في الجامع فقام ابوسهل في نصر السنة قياماً مؤزراً الخ ٠٠ »

ومما يجدر ذكره في هذا الباب من المتأخر بن الشيخ عبد الغني النابلسي فان اهل الشام تألبوا عليه ووصموه بوصمات لم تكن من الشيخ رحمه الله في شيء ٠ وما دعا اولئك الرعاع الا حسدهم لمنزلة الشيخ حتى اضطروه الى مغادرة دمشق والسكنى بالصالحية حيث دفن ثمة ٠ وفي ذلك يقول من قصيدة مطلعها :

يا من تكلم فينا بالذي فيه ... وقعت في كف ضرغام وفي فيه

الى ان قال :

فقد جحدت الغيور الحق ملته ... هيهات انك تنجو من اياديه
وان جهلت فما بالكفر يعذر ذو ... جهل لذي الشرع والشيطان يطغيه
دم في ظنونك مفتوناً فسوف ترى ... من الذي منه قبح الفعل يرديه
ولا تقل اي جاه للضعيف يرى ... فان للبيت رباً سوف يحميه
يا مستبيحين اعراضاً محرمة ... بسوء ظن وتلبيس وتمويه
أهكذا ملة الاسلام تأمركم ؟ ... أم قد سلكتم عن الاسلام في تيه ؟
تباً لكم ولمن قد عاد يتبعكم ... والعبد مولاه في الاعداء يكفيه

و بعد فان التاريخ يعيد نفسه والحوادث لا تفتأ تتعاقب على مر الايام وان الحال صورة من الماضي وان طرأ عليه من مؤثرات التجديد ما ادخله في طور جديد ولا يخلو كل عصر من شرذمة نفاق واختلاق حتى في هذا العصر يعترضون كل عمل نافع يقوم به المصلحون في مصر وسورية والعراق و يعينهم فيما يطلبون تلكم الرعاع الذين هم اتباع كل ناعق ٠

الا فليعلم اولئك الاغرار ان موت المصلحين في سبيل نصرة الحق بعث ونشور وان رمي الآخرين بالكفر والزندقة هو حياة لهم وذكرى ٠ ولقد كانت لاولئكم الجهلة الاغمار حياة مادية ولكن كانوا يتجرعون منها الحنظل ويموتون في كل يوم مراراً ٠ وكانت لهؤلاء العلماء المصلحين شعلة حياة مادية اطفأها الحسدة فحلت محلها حياة ادبية مملوءة ضياء ونوراً ! ٠٠

دمشق : صلاح الدين القاسمي

شرف الموسيقى

كل شيء يشرف ويضع بشرف القائمين به ووضاعتهم وكل علم يشرف ويوضع على نسبة اعتبارية من فائدة تتوقع منه وغاية تكون وراءه وصناعة الموسيقى هي من إمارات الظرف تعدُّ عند الامم الحديثة المتحضرة من الفنون الجميلة كما كان يعهدها العرب إبان حضارتهم من الكماليات ٠

قال ابن خلدون والغناء يحدث في العمران اذا توفر وتجاوز حد الضروري الى الحاجي ثم الى الكمالي وتفننوا فتحدث هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من فرغ من جميع حاجياته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها الا الفارغون عن سائر احوالهم تفننا في مذاهب الملذوذات وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر زاخر في امصارهم ومدنهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان لملوك الفرس اهتمام باهل هذه الصناعة ولهم مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدهم ومجامعهم ويغنون فيها ٠

قال واما العرب فكان لهم اولاً فن الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية لم يزل هذا شأنهم في بداوتهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدته في ترك احوال الفراغ وما ليس بنافع في دين ولا معاش فهجروا ذلك كثيراً ما ولم يكن الملذوذ عندهم الا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي هو ديدنهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الامم صاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالي للعرب وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير وسمع العرب تلحينهم للاصوات فلحنوا عليها اشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحنوه وجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم اخذ عنهم معبد وطبقته وابن سريج وانظاره وما زالت صناعة الغناء تتدرج الى ان كملت ايام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي وابراهيم وابنه اسحق وابنه حماد ٠

قال وكثر ذلك ببغداد وامصار العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموصليين

غلام اسمه زرياب اخذ عنهم الغناء فاجاد فصرفوه الى المغرب غيرة منه فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس فبالغ في تكرمته وركب للقائه واثنى له الجوائز والاقطاعات والجرايات واحله من دولته وندمائه بمكان فاورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى ازمان الطوائف ‧ وطما منها باشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقية والمغرب وانقسم على امصارها وبها الآن منها صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها ‧ وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كالية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهو ايضاً اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه ‧

وقال ابن خلدون ايضاً : ولقد عذلت يوماً بعض الامراء من ابناء الملوك في كلفه بتعلم الغناء وولوعه بالاوتار وقلت له ليس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلا ترى الى ابراهيم بن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المغنين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا تأسيت بابيه واخيه او ما رأيت كيف قعد ذلك بابراهيم عن مناصبهم فصم عن عذلي واعرض ‧

هذه زبدة تاريخ الغناء او الموسيقى في العرب وطرف مما كان من عناية ملوك الاسلام بها ايام الحضارة ولقد انتشرت بعد حتى صار يتعلمها بعض اهل العلم من غير نكير وشرفت باقبال الكبراء عليها بحيث لم تكن في شرفها دون غيرها من العلوم ‧ فقد ذكر ابن ابي اصيبعة ان الفارابي المعلم الثاني وصل في علم صناعة الموسيقى وعملها الى غاياتها واتقنها اتقاناً لا مزيد عليه ويذكر انه صنع آلة غريبة يسمع منها الحاناً بديعة يحرك بها الانفعالات وله كتاب الموسيقى الكبير الفه للوزير ابي جعفر محمد بن القاسم الكرخي وكتاب في احصاء الايقاع وكلام له في النقلة مضافاً الى الايقاع كلام في الموسيقى ‧

ويحكى ان القانون الذي يضرب عليه للطرب هو من وضعه وانه كان اول من ركب هذه الآلة تركيبها المعهود اليوم ‧

والف يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب في الموسيقى فكتب رسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الاشخاص العالية وتشابه التأليف ورسالة في المدخل الى صناعة الموسيقى ورسالة في الايقاع ورسالة في الاخبار عن صناعة الموسيقى ومختصر الموسيقى في تأليف النغم وصنعة العود الفه لاحمد بن المعتصم ورسالة في اجزاء

جبرية الموسيقى · والف احمد بن الطيب السرخسي العالم الحكيم كتاب الموسيقى الكبير ولم يعمل مثله كما الف كتاب نزهة النفوس ولم يخرج باسمه وكتاب اللهو والملاهي ونزهة المفكر الساهي في الغناء والمغنين والمنادمة والمجالسة وانواع الاخبار والملح صنفه للخليفة ·

والف ثابت بن قرة كتاباً في الموسيقى ورسالة الى علي بن يحيى المنجم فيما امر باثباته من ابواب علم الموسيقى ورسالة الى بعض اخوانه في جواب ما سأله عنه من امور الموسيقى · وكان ابو بكر محمد بن طفيل من فلاسفة المسلمين في الاندلس يأخذ رواتب كثيرة مع الاطباء والمهندسين والكتاب والشعراء والرماة والاجناد وغيرهم ويقول لو نفق عليهم علم الموسيقى لانفقته عندهم ·

وكان ابن باجة الفيلسوف الاندلسي على جلالة قدره متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود قال ابن سعيد ان ابن باجة في الموسيقى بالمغرب بمنزلة ابي نصر الفارابي بالمشرق واليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد · وكان ابن يونس المنجم المشهور يضرب بالعود على جهة التأدب · وكان ابو المجد بن ابي الحكم من الحكماء المشهورين يعرف الموسيقى ويلعب بالعود ويجيد الغناء والايقاع والزمر وسائر الآلات وعمل ارغناً وبالغ في اتقانه · وكان ابو زكريا يحيى البياسي من افاضل العلماء جيد اللعب بالعود وعمل الارغن ايضاً وحاول اللعب به وكان يقرأ عليه علم الموسيقى · وكان ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي العالم الرياضي الطبيب متقناً لعلم الموسيقى وعمله جيد اللعب بالعود · وكان ابو الحكم الاندلسي الطبيب الشاعر يعرف الموسيقى ويلعب بالعود · وكان الحرث بن كلدة الثقفي احد اطباء العرب يضرب بالعود تعلم ذلك بفارس واليمن · وكان قسطا بن لوقا البعلبكي العالم الفيلسوف بارعاً في علم الموسيقى · وكان امين الدولة بن التلميذ يحب صناعة الموسيقى وله ميل الى اهلها · وكان صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر العالم المفنن عالماً بالموسيقى ·

وكان نجم الدين بن المنفاخ المعروف بابن العالمة لان امه كانت عالمة بدمشق وتعرف بنت دهين اللوز فاضلاً في الادب والطب وله معرفة بالضرب بالعود استوزره الملك مسعود صاحب آمد وحظي عنده · وكان فخر الدين بن الساعاتي الفلكي الفيلسوف الطبيب خدم بني ايوب وتوزر للملك العادل والملك المعظم وكان ينادم هذا ويلعب بالعود · وكان رشيد الدين بن خليفة الطبيب العالم اعرف اهل

زمانه بالموسيقى واللعب بالعود واماييهم صوتاً ونغمة حتى انه شوهد من تأثر الانفس عند سماعه مثل ما يحكى عن ابي نصر الفارابي فكثر اعجاب الملك المعظم به جداً وبعد ذلك اخذه اليه واستمر في خدمته ·

وذكر ابن خلكان ان ابا بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور كان في شبيبته يضرب بالعود ويغني فلما التحى وجهه قال كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف فنزع عن ذلك واقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة ·

وكان ابو الحسين علي بن الحمارة آخر فلاسفة الاندلس آخر من برع في الالحان وعلمها وهو من اهل غرناطة قال في نفح الطيب واشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعراء فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عوداً للغناء وينظم الشعر ويلحنه ويغني به فيطرب سامعيه · وكان الفاضل ابو الحسين بن الوزير ابي جعفر الوقشي آية في الظرف والموسيقى والتهذيب وشيخه في هذا الفن ابو الحسين بن الحسن بن الحاسب كان ذا ذوق فيها مع صوت بديع اشهى من الكأس للخليع قال ابو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافي :

ومطارح مما تجس بنانه لحناً افاض عليه ماء وقاره
يثني الحمام فلا يروح لوكره طرباً ورزق بنيه في منقاره

وكان محمد بن احمد بن ابي بكر القرموطي المرسي من اعرف اهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقي والطب فيلسوفاً طبيباً ماهراً يقرئ الامم بالسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلمها ولما تغلب الافرنج على مرسية عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود قاله في النفح ·

وعلى الجملة لم تكن صناعة الموسيقى بالمنزلة التي يصورها اهل جيلنا من النضاضة والضعة بل عرف بها اناس من اهل الصيانة والعلم وما كان كل من تعاطي صناعة الغناء عارياً من سائر العلوم فقد كان اسحق بن ابراهيم الموصلي نديم الخلفاء وشيخ الغناء ومع هذا كان من العلماء باللغة والشعر واخبار الناس وله يد طولى في الحديث والفقه والكلام وكان المأمون يقول لولا ما سبق لاسحق على السنة الناس واشتهر بالغناء لوليته القضاء فانه اولى واعف واصدق واكثر ديناً وامانة من هؤلاء القضاة ولكنه اشتهر بالغناء وغلب على جميع علومه مع انه اصغرها عنده ·

ومثل هذا ما وقع لقاضي اشبيلية ابي بكر بن القاضي ابي الحسن الزهري فانه

كان كثير اللعب بالشطرنج لم يكن من يلعب به مثله في بلده قال فكانوا يقولون ابو بكر الزهري الشطرنجي فكان اذا بلغني ذلك اغتاظ و يصعب عليَّ فقلت في نفسي لا بد ان اشتغل عن هذا بشيء غيره من العلم لانعت به و يزول عني وصف الشطرنج وعلمت ان الفقه وسائر الادب ولو اشتغلت به عمري كله لم يخصني منه وصف انعت به فعدلت الى ابي مروان عبد الملك بن زهر واشتغلت عليه بصناعة الطب وكنت اجلس عنده واكتب لمن جاء مستوصفاً من المرضى الرقاع واشتهرت بعد ذلك بالطب وزال عني ما كنت اكره الوصف به وهذا هو السبب والله اعلم في اخفاء كثير من اهل الوقار والعلم انهم تملّي جانب من علم الموسيقى والضرب على العود وغيره من انواع الملذوذ ولولا التقية لانتهى الينا اسماء كثير ممن لم تبلغنا عنهم سوى اخبار العلوم المتعارفة على ان الشرف كله اعتباري ولا مانع من الغناء والتلحين اذا لم يتبعهما التلطخ بحمأة السفاهة والرذيلة ·

اما الملوك والامراء الذين عنوا بالموسيقى قديماً فاكثر من ان يحصوا منهم يزيد ابن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك وابو عيسى بن الرشيد وعبدالله بن موسى الهادي وابراهيم بن عيسى بن جعفر المنصور ومحمد بن جعفر المقتدر والمتوكل والمهدي والمؤيد وطلحة الموفق والطائع والمقتدر وابن المعتز وغيرهم من الملوك المتأخرين والله اعلم ·

قوى النساء

كتب باولولومبروز العالم الايطالي مقالة في المجلة الباريزية قال فيها ما تعريبه : حكم الناس منذ قرون بان الرجل من الجنس القوي والمرأة من الجنس الضعيف · فجميع مظاهر النشاط والمتانة والقوة الطبيعية من امتيازات الرجل · عضلاته كالفولاذ ويحمل السيف ويحارب ويتسلق الجبال الخطرة ويتجشم البحار وهي في اشد انوائها ويرى الموت وجهاً الى وجه ·

اما المرأة اللطيفة المزاج فانها ترى ان قصم ساق زنبقة يعد منها قوة فهي التي يغمى عليها وهي جالسة على الكرسي وتصرخ مذعورة اذا رأت عنكبوتاً او فأرة · فلذا يسأل السائل من اين تنبعث قوتها اي جوهر شجاعتها ومقاومتها ورباطة جأشها

عَلَى ان المرأة في الغالب تظهر بمظهر الغيرية والاخلاص وسلامة العقل وانكار النفس والمفاداة وكل ما يعرف به الانسان الخارق للعادة .

القوة والمتانة الطبيعية هما اساس القوة الادبية وشرط لازم لهما وقد ابان التاريخ والاحصاء والبحث بان المرأة ليست دون الرجل في المقاومة الطبيعية للامراض والاوجاع والاتعاب فانا نرى النساء المتوحشات البربريات يقمن بأشق الاعمال فيحرثن الارض ويطحن الحب و يحملن الاثقال بيناهن مرضعات او حاملات .

ومن الغريب انا نرى الضعف في النساء والقوة في الرجال عند بعض الشعوب المتوحشة على صورة معكوسة فترى المرأة عندهم تضع ولداً فلا تلبث ان تنهض وتتولى في الحال اعمالها عَلَى حين يبقى زوجها في الفراش كالنفساء وهذا ما دلَّ عَلَى مضائها الغريب .

وانا لنرى النساء في بلاد الهرسك يقرنَّ بالسكة بدل البقر كما نراهن في بلاد الالب ينقلن احمال العلف عوضاً عن البغال .

وليس من رياضة مهما صعبت واقتضت صاحبها من الجرأة والثبات والشجاعة الا قامت به المرأة بنشاط و برزت في مضاميره اي تبريز . فنراها تركب الخيل وتسبح وتلعب بالسيف وتركب الدراجة وترتاض في الجبال وكل ذلك مما يقتضي له عدا اعصاب من حديد ومقاومة فائقة حضور ذهن وحذر واحتقار للموت اي مالا يمكن القيام به الا اذا اتفقت القوة الطبيعية مع القوة الادبية .

وهناك احوال كثيرة لا ندعوها رياضة لما يقتضي لها من النشاط والشجاعة والثبات في المرأة ونعني بذلك اكتشاف البلاد الجديدة لما فيها من المخاطر وما ينبغي لدخولها من الجرأة . ومن الناس من يظن ان مجد الاكتشاف لا يحرزه الا الرجال عَلَى حين هناك عدد كبير من النساء المكتشفات والسائحات اللائي لم يهبن الاخطار واستهن بكل ما ينبغي للنجاح .

فقد رأينا العقيلة كودرو طافت مع زوجها اقطار غويانا الموبوءة واجتازت نهر البراز يل المأهول بالهنود ومات زوجها سنة ١٨٩٩ فلم تكن اقل منه مثابرة عَلَى السياحة وحدها . وليفنكستون وهو اعظم سائح افريقي في عصرنا كانت ترافقه زوجته في اكثر رحلاته وهي التي انقذته من الهلاك في شوبانكا وقفت كالابطال وهي لا تريد ان تغادره في الزامبيز . وقد اكتشف بكير سنة ١٨٦٤ نهر البرت نيانزا وكانت زوجته اكبر

مساعدة له بجرأتها وثباتها . وصحبت جوزفين بري زوجها سنة ١٩٠٢ الى القطب الشمالي وهي على قلة ما لقيته من الرفاهية في تلك الرحلة استطاعت ان تربي لها ولدًا. ورافق كود واموسين اخواته في رحلته الى غروانلاندا . وطاف بوتانين الرومي واجفالي المجري مع زوجتيهما في آسيا الوسطى وكانت زوجة الثاني باريزية الاصل والتربية فكتبت لها بعد ان تعود الى اوربا فوضعت لها كتابًا بديعًا في رحلتها اما زوجة الاول فبقيت الى الآخر وقضت وهي لا تخاف دركًا ولا تخشى .

وان ماحدث لرينهارد زوجة السائح المبشر كان من المدهشات حقيقة فقد كانت ترافق زوجها مع ولد لها في بلاد التبت وكانت سياحتهما خطرة وشاقة من وراء الغاية . ولقد داهمهما لصوص من اهل التبت بالقرب من لاهاسا فهرب جميع من كانوا معهما . وبعد ان بقي المبشر كامنًا مع زوجته في السياج خرج قاصدًا احد الساكن القريبة يطلب معونة من فيه وظلت زوجته في انتظاره فلما نفد صبرها عرفت ان اللصوص قتلوه وعندئذ قامت تسير وحدها عائدة من حيث اتت مع زوجها وهي تتوقع الموت في كل دقيقة وبعد اربعة اسابيع قضتها ماشية في صعوبات وآلام لا تصدق بلغت مدينة «قانسين لو» ناجية هي وطفلها .

هذا ولا تشارك المرأة الرجل في مخاطر الرحلات والوحدة والحميات المؤذية والجليد والحر والمخاوف بل ان لها في الدفاع عن حياض البلاد يدًا طويلة يدعوها الى ذلك حبها لوطنها او لاولادها . فقد عرفت جان دارك المحاربة الفرنسوية المشهورة بايامها الغر المحجلة كما عرفت كاترين سفورزا في القرن الخامس عشر في ايطاليا فانها بعد ان رأت زوجها يذبح تحصنت في قلعة فورلي وقاومت حصار قيصر بورجيا ثلاثة اسابيع وبقيت في مقدمة رجالها ليل نهار راجلة وراكبة وهي لم تترك سلاحها ولما اعيتها الحيل ارادت ان تقتل نفسها بنسف الحصن ولكنها بقيت حية مع زمرة من اصحابها وعادت تقاتل بين اشلاء القتلى الى ان أُسرت وعندها صاحت اني أُسلم نفسي لملك فرنسا .

والتاريخ لا ينسى نساء مدينة سين وقد ضيق الحصار عليها الملك شارلكان فهببن يؤلفن ثلاثة توابير مؤلفة من بنات جنسهن خاصة لا يقل عددهن عن ثلاثة آلاف فلبست قائدة التابور الاول لباسًا بنفسجيًا وقائدة الثاني لباس حرير احمر والثالثة اكتست بالبياض . وبمثل هذا قامت حنة هاشيت بصحبها نساء بوفي للدفاع عن

مدينتهن وجاكلين روبنس عرضت حياتها للخطر لتخبأ في قاربها الذخائر اللازمة سان اومار خلال حرب انتقال الملك الاسباني ٠

ولكم من امرأة اشتهرت باقدامها وشجاعتها بحيث يكاد ينكر عليها المرء ما يصدر عنها وهي التي عرفت بالضعف ووصفت بكثرة التأثر وكان الذي يحملهن في الغالب على تحم المهالك تعصب ديني او كراهة للظلم او حب للحرية بقيمهن ويقعدهن ٠ وعلى هذا رأينا شارلوت كورداي فادت بنفسها وقتلت مارات الظالم وحدها ولما سئلت عما انت اجابت « ان حب الحرية علمني اسباب الوصول الى الظالم لاقتله ٠ » وقالت : « ما اتعس بلاد كفرنسا يعجب فيها من امرأة تفادي بحياتها دفاعاً عن بلادها ٠ »

ومن النساء صاحبات القوة الادبية يخرج اولئك الروسيات بالمئات متخليات عن ثروتهن وراحتهن ورفاهيتهن في قصورهن الآمنة الوادعة منذرات على انفسهن الدعوة الى الثورة ٠ يعرف الناس اسم صوفيا بوروفيسكايا التي مشت الى المشنقة هادئة دون ان يبدو عليها الضعف ساعة ٠ ويذكرون فيراساسولتش التي نتلت القائد تريبوف جلاد العدميين في روسيا وبرأتها محكمة المحلفين فاقرت بانها كانت تؤثر ان يحكم عليها لانها تكون اذ ذاك آمنة من انها عملت ما تقدر عليه للدفاع عن حقيقتها ٠ وقضت الفتاة فيرافنير البديعة الطلعة المحببة الى النفوس ست سنين وهي روح جميع المكائد التي حدثت في روسيا فتجتاز البلاد من اقصاها الى اقصاها وهي تحمل قذائف في مشدها وتختبئ متوارية عن انظار رجال الشرطة ولانقاذ اوراق ومستندات محظورة ٠ وقد سجنت هذه الفتاة الفتانة التي خلقت للحركة والاضطراب والشجاعة والثورة عشرين سنة في سجن شلوسبورج وخرجت منه بحماستها الاولى ومراميها التي طالما سعت لها سعيها ٠

ويرى العدميون (نيهيلست) ان من الاخلاق التي فطر عليها النساء فكانت من قاواهن الادبية انهن اذا سجن والرجال في الحبوس او نفين الى سيبيريا يعشن اكثر من الرجال ولا ييأسن كالرجال على حين يموت الرجال او ينتحرون او يجنون لا قليلا ويغضبن من وحدتهم ومن يعدهم الى الابد عن عالم الاحياء ٠

ولعل احدهم يقول ان امثال هؤلاء النساء هن من النادرات يرزقن عاطفة الحب والمفاداة والمقاومة وانه قد ينشأ مثلهن وكم ترى في النساء من النابغات في الادب كجورج ساند والبصابات بروفنيك وجورج اليوت وبشير ستاف ومدام هومفري وارد

كلهن من الاديبات اللاتي يقل امثالهن في الرجال على ان النساء والرجال ايضاً الذين اشتهروا بقواهم الادبية وافكارهم السياسية لا ينبغن الا في مجتمع او في دور يكون فيه مستوى المكارم والآداب راقياً جداً .

وقد اظهر البحث ان نصف النساء من الشجاعة على جانب عظيم اذا نميت فيهن هذه القوة اتين بالاعاجيب ولكن من ينظر الى النساء نظراً مجرداً من التدقيق يراهن الى الوناء والضعف والجبن والتعلق باهداب الامور التافهة والالاعيب الصبيانية .

والفرق عظيم بين القوة الادبية في الرجل وبينها في المرأة فالرجل ينشأ على ذلك بالفطرة او بالتربية ويبقى كذلك مهما شقيت حياته او سعدت بيد ان الرجال الاقوياء من حيث الطبيعة بل من حيث الادب هم اندر مما نتصورهم . والمرأة لا تعنى بقوتها الادبية عندما تكون حياتها سعيدة او عادية الا ان الحاجة اذا مست واصابها شقاء وبؤس ومرض في أسرتها ينقلب كيانها في الحال ويصبح المتوسطات والرخوات منهن قويات شديدات يقاومن المصاعب اي مقاومة ويطعن صدور العوائق بسلاح قد يكون غير ماض ولكن له من نار الحمية الموقدة ما يشحذ غراره ولا يطفأ اواره .

ولكم شهدنا النساء يأتين من ضروب الشجاعة حين الحاجة ما لم يخطر ببال نكم رأينا عقائل كان ازواجهن على جانب عظيم من سوء الاخلاق والعشرة معهن وكن صابرات على الاذى حتى اذا فقد بعولتهن ثرواتهن وسيقوا الى السجون والمطابق يعطفن عليهم ويأخذن في الانفاق عليهم من كدهن وعملهن .

ورأيت امرأة اخرى كانت شرسة الطباع تناكد زوجها وتسيء عشرته فلما اضاع ماله راحت وهي في سن الاربعين تراجع دروسها التي تعلمتها في صباها وتقدمت لنيل شهادة التعليم واخذت منذ ذاك الحين تصرف على زوجها واولادها من كسبها القليل وتعمل اعمال المطبخ والبيت بيدها وتشتغل من الصبح الى المساء وكانت من قبل لم تنتزل لتبل يدها بالماء ولا لترفع ثيابها بنفسها اما زوجها فبقي سنين يعيش من كدح زوجته يلعن الزمان ويدخن الدخان ولا يفارق داره الا للنزهة .

ورأيت امرأة اخرى كان زوجها احد رجال الادارة وكانت مرفهة تعيش عيش الاميرات فأصيب زوجها بالروماتيزم فاخذت تمرضه وتعنى به بنفسها ثماني عشرة سنة ليل نهار حتى انها لم تنزع عنها لباسها خلال العشر سنين الاخيرة لتكون على مقربة من سرير زوجها وتقوم بخدمته حق القيام بل انها قضت

بعض السنين الاخيرة ولم تخرج الى الشوارع حتى صار منظر المركبات والقطارات في عينها غريباً . كلمتها ذات يوم وانا اعجب بها فقالت لي انها لم تسأم قط لانها ادركت انها تقوم بواجب وكانت كل ساعة من ساعاتها ولها ما يشغلها فيها وانها لم تمرض منذ اخذت في تمريض زوجها وكانت تغتبط عندما ترى زوجها يشكر لها بعينيه عنايتها به قالت وكنت سعيدة ان اتوفر على اطالة حياته فلما قضى نحبه لم يبق لي مطمع في الحياة واسفت عليه كثيراً وان ادركت ان آلامه انتهت بالموت .

وغريب امر النساء في مفاداتهن بكل عزيز عليهن في سبيل ما يوطدن النفس عَلَى القيام بهفاذا انصرفت اذهانهن الى عمل من مثل ما تقدم يزهدن في الملاذ والبنين والبنات وينسين ان جمالهن ظل زائل وانهن يفنين حياتهن بمفاداتهن ولكن ما يلذهن هو ان ينتبن فيما صرفن وكدهن له وليس الرجال كذلك ولعلهم يؤثرون الانصراف الى عمل عام اكثر من الميل الى عمل خاص .

اعرف أُسرة غنية كان لها ابن كف بصره فارادت ان تصحبه برفيق فاختارت له ابن بستانيها وجعلته له ترباً يغدوان ويروحان معاً فدرسا الحقوق معاً وصرفا على هذه الحال منذ كان الاعمى ابن عشر سنين الى ان صار ابن اربع وعشرين سنة ولما اتما دراسة الحقوق افتتحا لهما مكتب محاماة وقضيا فيه سنتين ولكن ابن البستاني ضاق ذرعه من تحمل صاحبه وانفصل عنه وان كان طيب السريرة ولم ينس ايادي أُسرته عليه قائلاً ان السأم اصابه فلا يتحمل عشرة صاحبه .

كما اعرف رجلاً غنياً فقد زوجته وهي تضع له ابنة فلم تحدثه نفسه يوماً ان يعنى بتربية هذه مع انه كان يحبها حباً جماً وما ذلك الا لان الرجل بما فيه من قوة ادبية يأتي من الاعمال ما يزيد بنتائجه الاجتماعية اكثر مما تقوم به المرأة مع شخص . وعَلَى ذلك فالواجب عَلَى الرجال ان يشفقوا عَلَى النساء اذا رأوهن يعشن في الاحايين عيشاً طيباً . المرأة لا تنزع بها نفسها الا ان تكون خادمة خاضعة تقوم بوظائفها اليومية المحدودة ولكنها حين الحاجة يكون شأنها ان تنقل فتكون ملكة وليس غير المصائب تحملها على تغيير كيانها فعلى الرجل ان يحترمها في حال بؤسها وسعادتها .

سير العلم والاجتماع

الحروب الاسلامية

قال احمد زكي بك استاذ الحضارة في الجامعة المصرية ان الحروب الاسلامية كانت استعمارية اكثر منها دينية : ان الحرب الشرعية هي التي تقام لاعلاء كلمة الله وليس المراد من اعلاء كلمة الله الدعوة الى الاسلام بالسيف فان هذا مما لا يكون ابداً وانما المراد منها ما عرف في تاريخ صاحب الشريعة الاسلامية وبعض خلفائه وذلك ان الدين بني على الدعوة اليه بالحسنى ولكن زعماء المشركين وسائر الممالك وتنئذ كبر عليهم ان يدينوا لدين جاء به يتيم عربي ويسوي بين الملوك والسوقة ويسيغ للخليفة الثاني ان يأمر مثل جبلة ابن الايهم ان يرفع رأسه لجلف من اجلاف العرب ليثأر لنفسه فيلطمه كما لطمه . كبر عليهم الاذعان فقاوموا القائمين بنشره وشنوا عليهم الغارات يريدون صدهم عن سبيل الله واطفاء نوره ويأبى الله الا ان يتم نوره فجاز للمسلمين وتنئذ بل وجب عليهم ان يذودوا عن حياضهم ويذبوا عن اعراضهم والا لكانوا اخساء جبناء فاعد المسلمون لاعدائهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل وصدوا هجماتهم وانتقموا لانفسهم من آذاهم وكذلك الله يفعل بالمعتدين : فكانت تلك الحروب لدفع من يقف في سبيل المسلمين فيمنعهم من نشر دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة لذلك سميت حروباً شرعية وحق لها ان تسمى كذلك .

ولا يفهم من قول المسلمين للمحاربين : الاسلام او الجزية او الحرب : ان حربهم اياهم كان لحملهم على الاسلام فان الذي اضطر المسلمين الى الحرب انما هم المحاربون انفسهم فلما كانت تشتد الازمة بالمحاربين كانوا يحقنون دماءهم من المسلمين الذين نصرهم الله بقوة حقهم وبعدم استبدادهم الا على من اعتدى عليهم وكان حقن الدماء باحد امرين اما الاسلام ليصيروا اخوانهم واما الجزية التي لا بد منها لاية امة مغلوبة في كل عصر من العصور والا لو كانت هذه العبارة « الاسلام او الجزية او الحرب » لحمل الناس على الاسلام لما خيروهم بين الجزية والاسلام ولم يرضوا منهم دون الاسلام شيئاً .

ان الذي يتأمل في مثير الحروب الاسلامية بادئ الامر يعلم علماً ليس بالظن ان المسلمين لم يحاربوا الا من اراد صدهم عن سبيل الله فحاربهم وآذاهم فمن ذلك ان

اول الغزوات كانت مع قريش فنتركها ونترك سائر غزواتهم كذلك لما هو معروف من امر قريش وايذائها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واخراجهم من ديارهم . ونذكر من بعد ذلك غزوة بني قينقاع من يهود المدينة . فقد حاربهم المسلمون لنقضهم العهد بعد غزوة بدر الكبرى وهتكهم حرمة سيدة من نساء الانصار ثم غزوة بني غطفان ولم يخرج المسلمون لقتالهم الا بعد ان علموا ان بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة دعثور المحاربي للاغارة عَلَى المدينة ثم سرية عاصم بن ثابت الانصاري وكانوا مع رهط عضل والقارة الذين خانوهم ودلوا عليهم هذيلا قوم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبدالله بن انيس . ثم سرية المنذر بن عمرو وهم سبعون رجلاً يسمون القراء اخذهم عامر بن مالك ملاعب الاسنة لطمعه في هداية قومه وايمانهم فلم يرع قومه جواره وقتلوا القراء ثم غزوة بني النضير من يهود المدينة وذلك لنقضهم العهد والقائهم صخرة على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه لما كان في ديارهم . ثم غزوة دومة الجندل ولم يخرج المسلمون لقتالهم الا لما علموا ان في ذلك المكان اعراباً يقطعون الطريق عَلَى المارة ويريدون الاغارة عَلَى المدينة . ثم غزوة بني المصطلق وهؤلاء ممن ساعدوا المشركين في احد ولم يكتفوا بذلك بل ارادوا جمع الجموع للاغارة على المدينة . ثم غزوة الخندق وكانت مع الاحزاب الذين حاصروا المدينة . ثم غزوة بني قريظة من يهود المدينة لنقضهم العهد واجتماعهم مع الاحزاب ثم غزوة بني لحيان لقتلهم عاصم بن ثابت واخوانه الذين حزن عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم غزوة الغابة لاغارة عيينة بن حصن في اربعين راكباً على لقاح للنبي صلى الله عليه وسلم كانت ترعى الغابة . ثم سرية محمد بن مسلمة الى القصة (موضع) لما بلغ المسلمين ان بذلك الموضع ناساً يريدون الاغارة عَلَى نعم المسلمين التي ترعى بالهيفاء (موضع) ثم سرية زيد بن حارثة لمعاكسة بني سليم الذين كانوا من الاحزاب يوم الخندق . ثم سرية زيد كذلك للاغارة على بني ثعلبة الذين قتلوا اصحاب محمد بن مسلمة . ثم سرية زيد كذلك للاغارة عَلَى بني فزارة الذين تعرضوا له . ثم سرية عمر بن الخطاب لما بلغ المسلمين من ان جمعاً من هوازن يظهرون العداوة للمسلمين . ثم سرية بشير بن سعد لما بلغهم من ان عيينة بن حصن واعد جماعة من غطفان مقيمين بقرب خيبر للاغارة عَلَى المدينة . ثم سرية غالب الليثي ليقتص من بني مرة بفدك لانهم اصابوا سرية بشير بن سعد . ثم غزوة مؤتة وكانت لتعرض شرحبيل بن عمرو الغساني للحرث بن عمير الازدي رسول للنبي صلى الله عليه وسلم الى امير بصرى يحمل كتاباً وقتله اياه ولم يقتل رسول

للنبي صلى الله عليه وسلم غيره حتى وجد على ذلك وجداً شديداً · ثم سرية عمرو بن العاص لما بلغهم من ان جماعة من قضاعة يتجمعون في ديارهم وراء وادي القرى للاغارة على المدينة · ثم سرية علي بن ابي طالب لما بلغهم من ان بني سعد بن بكر يجمعون الجموع لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين · ثم غزوة خيبر لان اهلها كانوا اعظم محرض للاحزاب · ثم سرية عبد الله بن رواحة لما بلغهم من ان ابن رزام رئيس اليهود يسعى في تحريض العرب على قتال المسلمين · ثم سرية عمرو بن امية الضمري لقتل ابي سفيان جزاء ارساله من يقتل النبي صلى الله عليه وسلم غدراً · ثم حرب العراق لما ارتكبه كسرى عندما ارسل اليه كتاب عرض فيه عليه الاسلام فانه مزق الكتاب وكتب الى باذان اميره باليمن يقول له بلغني ان رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الي برأسه بكتب الي هذا الكتاب (اي الذي بدأ فيه بنفسه فقال من محمد الخ) وهو عبدي فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم مع فارسيين وبعث بهما يأمره ان ينصرف معهما الى كسرى فقدما عليه وقالا له شاهنشاه بعث الى الملك باذان يأمره ان يبعث اليك من يأتي بك وقد بعثنا اليك فان ابيت هلكت واهلكت قومك وخربت بلادك فليس بعد ذلك عذر للمسلمين في امتناعهم عن حرب الفرس · وخصوصاً وقد كان للعرب ثارات كثيرة في ذمة العجم ثم غزوة تبوك لما بلغ المسلمين من ان الروم جمعت الجموع تريد غزوهم في بلادهم · وقد اعقبها فتوح الشام والقسم الاعظم من دولة الروم ·

هذه بعض الغزوات الاسلامية بادي الامر سردناها غير مرتبة ومنها يرى القارئ ما قصدناه من ذكرها وهو ان الحروب الاسلامية لم تقم لحمل الناس على الاسلام وانما أقيمت لاسباب اخرى تجلت فيها باجلى بيان · غير ان ناساً ممن يحطون من قدر الاسلام ويقعون فيه يقولون ان الاسلام لم ينتشر هذا الانتشار في مثل هذا الزمن الوجيز الا بالسيف فهو دين توحش وهمجية وحجتهم في ذلك غزوات النبي صلى الله عليه وسلم والحروب الاسلامية ورأى ناس من المسلمين آيات في القرآن تحض المسلمين على قتال المشركين والكفار والمنافقين وامثال هذا كقوله تعالى (يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير · وقاتلوا المشركين كافة واعلموا ان الله مع المتقين · قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين · فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون · وقاتلوهم حتى لا تكون

فتنة ويكون الدين كله لله . واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم .)
ولم يفكروا في سياق الكلام ومواضعه واسباب نزوله فظنوا ان القتال شرع في الاسلام لحمل الناس عَلَى الاعتقاد به فكان ذلك الظن اكبر جرم عَلَى ذلك الدين الحنيف الذي تنزه عن مثل هذه الخشونة وتلك القسوة وذلك ان الامور الاعتقادية لا تقبلها الناس الا بالبرهان لا بالقوة والسلطان فمن قبلها منهم مكرهاً مرغماً لا يطمئن لها قلبه واذن لا فائدة من قبوله اياها . وانما كان يتعرض المسلمون لمن آذاهم بسبب الامور الدنيوية المدنية او بسبب ظهورهم بدين جديد كانوا يدعون الناس اليه بالحسنى والموعظة الحسنة وليس عليهم هدى الناس وانما الله يهدي من يشاء فمن آمن بالله فله ايمانه ومن كفر فعليه كفره وليس لهم عَلَى احد من سلطان . هذه حال المسلمين مع من يدعونهم الى الاسلام ولكن رؤساء بعض المدعوين ضنوا برياستهم عَلَى الزوال وابوا الا ان يصدوا المسلمين عن سبيل الله التي تسهل على مرؤسيهم وعبادهم الفرار من مظالمهم الى فضاء العدل والاحسان .

غير ان هذه الحروب قد افادت الامة العربية الاسلامية فوائد جمة من اجلها الغنائم التي اغنت المهاجرين عما فقدوه بالهجرة والانصار عما ذهب في اكرامهم اخوانهم المهاجرين فشغل بذلك العرب عن غزو بعضهم بعضاً وعن اثارة الفتن الداخلية فلما قدروا عن الحرب هنيهة اثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم امتنع كثير منهم عن دفع الزكاة فاستباح ابو بكر رضي الله تعالى عنه قتالهم فردهم الى الاسلام عنوة ورأى ان يتم بعده ذلك ما اراده النبي صلى الله عليه وسلم من غزو الفرس والشام ليشغل العرب عن التفرق والخصومات والنزاع الداخلي والرجوع الى التفرق ديناً ودنيا فانفذ جيش أسامة ليضرب الاعداء بالعرب فان ذلك خير من ان يضرب بعض العرب ببعض اذا لم يشغلهم بحرب غيرهم وكذلك رأى عمر رضي الله تعالى عنه من بعده فدوخ بجيوشه وابطالهم خالد والمثنى وابي عبيدة وعمرو الاعداء وفتح البلاد لتكون موارد خير للامة العربية وليرفع عن تلك البلاد التي فتحها الاسلام ظلم الرومان والفرس الذي بلغ اذ ذاك اشده كما كانت حاله في فتح مصر وامرها معروف واباح له ولابي بكر حرب الروم وفتح بلدانهم ما اباح للنبي صلى الله عليه وسلم من قبلهما وهي الترات التي للمسلمين عند الروم ومعلوم ان المسلمين لما فتحوا مصر وغيرها لم يحاربوا الا اهل الدولة وهم الروم وذلك لامرين اولهما اخراجهم من تلك البلاد وذلك كان خيراً للمحكومين وقد كان اهل

مصر والشام يساعدون العرب على الروم وكذلك اهل العراق على الفرس · وثانيهما انتفاع العرب بالبلدان التي فتحوها انتفاعهم في الحضارة والمعايش والعلوم وغيرها ·

لاجل ذلك يمكننا ان نقول ان حروبهم كانت استعمارية ويتضح ذلك باجلى وضوح في حروب من بعد عمر من الخلفاء والامراء · يظهر ذلك لمن ينظر نظراً سطحياً الى اسباب هذه الحروب وما جرته من الفتوح التي اوجبت نشر الدين وتعميمه بالمخالطة ومظاهر الفضيلة والكمالات التي امتاز بها المسلمون في ايام السلف الصالح والصدر الاول وقد دوّن المسلمون في تلك الايام الخوالي كل دقيقة وكبيرة مما يتعلق بهذا الموضوع ولا نرى فيها امراً واحداً يدعونا الى القول بخلاف مذهبنا وهو ان الحروب كانت حروب مسلمين لا حروب اسلام وانها كانت حروب توسع في الملك واستعمار للبلدان ·

الشمس وطول الحياة

للشمس دخل كبير في اطالة العمر فقد ثبت ان الاعمار تطول في الاصقاع المشمسة اكثر من غيرها كما هو الحال في بعض قرى سويسرا واشتهرت مقاطعة لوكارنو على بحيرة ماجور ومقاطعة لوكانو ومقاطعة ماجليازو على نهر تيسين في سويسرا بانها البلاد المشمسة وقد تطلع الشمس في بعضها ٣٣١ يوماً في السنة ولذلك ترى اهلها والنازلين فيها اطول الناس اعماراً واختارها المترفون لقضاء فصل الشتاء وريعها من اعظم المساعدات على طول حبل الحياة في الشيوخ وكثير في اهل مقاطعة تيسين يبلغون المئة سنة من العمر اما ابناء التسعين والثمانين فهم من الحوادث العادية والاستشفاء بالشمس من افضل انواع الوقاية للصحة ·

تعليم الزنوج

اقام احد اساتذة كلية هوفارد باميركا الحجة على من يقول ان الزنجي غير قابل للتربية فقال ان الهمة التي بذلت في سبيل تعليمه منذ اربعين سنة قد اتت باحسن النتائج حتى جاء من الزنوج اطباء واساتذة وقضاة ومحامون وطابعون وغيرهم ممن يسعون السعي الحثيث لانهاض بني جلدتهم بحيث قلّ فيهم عدد الاميين الى النصف ·

اعمال المرسلين

تمتد اعمال المرسلين من دعاة الدين المسيحي كل يوم امتداداً غريباً ولا سيما دعاة

البرتستانتية منهم فقد كانت انكلترا مبعث المرسلين بما يدره عليهم اهل الخير وانصار الدين من الاموال الطائلة واليوم اخذت الولايات المتحدة تنافسها في هذا السبيل فترسل بمبشريها الى الهند الانكليزية خاصة فالاميركان ينفقون على ١٣٥٠ مبشراً في الهند وحدها · وبحسب الاحصاآت الاخيرة بلغ عدد المبشرين للولايات المتحدة ٦٥٠٠ ولانكلترا ٨٠٠٠ ولاوربا كلها ٣٠٠٠ اما الرهبان والراهبات فقد كانوا في اوربا على عهد فولتير ستمائة الف فقط وما ندري عددهم الآن ·

دار الصناعة في انكلترا

ثبت ان دار الصناعة في بورتموت هي اقدم واعظم دارصناعة في العالم كلفت ٤٠٠ مليون فرنك فقد صرف لارتفاع بنائها زهاء الف الف آجرة و يبلغ علوها ٦٠٠ قدم انكليزي واعظم عمارة حربية لا تبلغ ثلث ارتفاعها · فيها من الادوات والآلات الكهربائية ما لا يوجد في غيرها كما ان فيها ١٨ الف عامل يشتغلون ٤٨ ساعة في الاسبوع اي ٧ ساعات في النهار و ينفكون عن العمل ظهر كل سبت الى الاثنين · والعامل الذي يغيب ١٤ يوماً في السنة يطرد · وقد دفع للعملة سنة ١٩٠٧ ثمانية عشر مليون فرنك وليس للعملة ناظر او مفتش يراقبهم اثناء العمل الاملاحظ خفيف يأتي من حين الى آخر فمن رأى احسانه في عمله اعطاه جائزة ثمينة · ومع مكانة هذه الدار تضطر ادارتها ان تصرف بعض عملتها احياناً وقد اضطرت مرة انكلترا الى نزع سلاح مئة بارجة فصرف المعمل اربعة آلاف عامل دفعة واحدة حتى لايعطيهم رواتبهم بدون عمل ولما طالبوا بحقوقهم قيل لهم ان البحرية الانكليزية شركة مساهمة فلا سبيل الى اجابة طلبكم الا اذا رضي كل انكليزي بان تقعدوا وتأخذوامشاهراتكم بدون عمل · ولكل فرد في هذا المعمل عمله الخاص ومديره نائب اميرال دارالصناعة ببورتموت وهو في معمله كالملك في قصره · وتقدر انكلترا ان تستصنع البارجة الحربية في هذا المعمل في سنتين على ان المانيا لاتقدر على ايجاد مثلها في اقل من ثلاث وفرنسا في اقل من خمس ·

كهربائية الانسان

كل قوة في حاسة من حواس الجسم البشري فيها شيء من الكهربائية لا تدرك حق الادراك الا بآلتين حساستين جداً وهما الالكتروسكوب والالكترومتر وقد اخترع احد علماء الالمان آلة جديدة تفوق تينك الآلتين بتأثرها وتعريفها المجاري

الكهربائية في عمل القلب البشري خاصة وبهذه الآلة يتأتى تشخيص طبيعة مرض القلب ·

آلة الكذب

اخترع عالمان من علماء النفس احدهما الماني والثاني اميركي آلة سموها البسيكومتر الكهربائي اذا وضعت عَلَى الانسان يتبين بها كلام المرء صدقه من كذبه · وتتركب هذه من كالفانومتر وآلة خاصة تفيد اختلاف الافكار والاحساس والكالفانومتر مناط بمصباح يرتفع لهيبه وينخفض على حسب قوة المجرى الكهربائي ويقاس ارتفاع هذا اللهيب بواسطة مرآة تعكس اللهيب · فاذا أُريد اختبار درجة صدق الرجل توضع احدى يديه عَلَى عمود من الزنك والاخرى على عمود من الفحم فينشأ من ذلك مجرى كهربائي يختلف تأثيره باختلاف قوة الاحوال النفسية التي تحدث في الشخص المفحوص بهذه الآلة فاذا كان يكذب اي اذا فرط منه تناقض بين الفكر المفكر فيه وبين الارادة التي تغير ذاك الفكر يقوى المجرى ويدل ارتفاع اللهيب على شدته ·

بندقية جديدة

لبنادق مكسيم الجديدة خاصة نافعة وهي انه يكاد لايسمع لها صوت عند اطلاقها ومهما سمع فلا يسمع الى مسافة اكثر من ١٥٠ قدماً وقد اظهرت التجارب ان هذا الاختراع يعدل في حالة الحركات العسكرية اكثر من البارود بلا دخان فيصعب به معرفة مواقع نزول الاعداء كما انه يخدم قطاع الطريق واللصوص فيتمكن القاتل بهذه البندقية التي يمكن ان يكون منها مسدس ان يطلق النار في شارع ولا يحس به رجال الشرطة عَلَى ان الصياد ينتفع من هذه البندقية اذ انه يقتل برصاصة قنيصة واحدة بدون ان يفزع اخواتها فتنفر · وبهذا صح ان نقول ان فن اطلاق الرصاص آخذ بالانقلاب وهذا الانقلاب له عوائق وله منافع ويصعب في الدنيا ايجاد خير محض ·

عمران كريت

نشرت مجلة العالم الاسلامي الباريزية مقالة في هذا المعنى قالت فيها ما تعريبه : يبلغ سكان جزيرة كريت ٣٠٣٥٤٣ ساكناً منهم ٣٣٤٩٦ من المسلمين وكان من نتائج ثورة سنة ١٨٩٦ — ٩٧ ان هاجر المسلمون زرافات من الجزيرة فتضررت كريت من حيث الامور الاقتصادية كثيراً فقد كان عدد المسلمين فيها بحسب احصاء سنة ١٨٨١ — ٧٣٢٣٤ فنزل عددهم بحسب الاحصاء الاخير الى ٣٣٤٩٦ ولا يزال

المسلمون يهاجرون منها ومعظمهم من الزراع اذا غادروا الجزيرة يبيعون املاكهم او يتخلون عن اراضيهم تاركيها بوراً حاملين معهم رؤوس اموالهم وقد بلغ ما اباعه المسلمون من المسيحيين من الاملاك منذ سنة ١٨٩٨ الى ١٩٠٢ — ٩٤٤٢٤٣٦ فرنكاً على حين بلغت الدراهم التي اقترضها المسيحيون لابتياع هذه الاراضي زهاء ستة عشر مليون فرنك . وكان نزول الجيش العثماني والاسطول العثماني ايام ارتفاع علم الهلال عليها يوسع على الجزيرة فينفق فيها نحو ٩٥ الف ليرة عثمانية مسانهة فتغيير حكومتها اخر بتجارتها كثيراً وكان مداخيل الجزيرة قبل الاستقلال تصرف فيها على حكم العهد العثماني وربما صرفت فيها مداخيل غيرها من الولايات ايضاً ثم ان الجزيرة لم تبرح تدفع ما عليها للديون العمومية وشركات الفنارات في المملكة العثمانية . وترى المسيحيين الكريتيين ناقمين من الحكم الاستقلالي لانه اضر بهم اضراراً مالية واقتصادية والمسلمين ناقمين لما لحقهم من الاضطهاد في عهد الحكم الحالي ومنذ اصبحت الجزيرة مستقلة لم ترتق خطوة الى الامام حتى ان حظ ولاية بعيدة من ولايات الاناضول العثمانية ارقى من حظ كريت من حيث الزراعة والصناعة والتجارة والادارة .

الهند الشرقية الهولاندية

يقدرون عدد المسلمين في جزائر جاوه بـ ٢٧٧٨١٦٧١ وفي صومطرا بـ ٣٢٧٥٠٠٠ وفي بورنيو بـ ٩٨٥٤٤٠ وفي سيليب بـ ١١٤٠٠٠٠ وفي بانكا واعمالها بـ ٨٦٥٤٠ وفي ربو واعمالها بـ ٩٣٤٣٤ وفي بيليتسون بـ ٣٤٢٠٠ وفي اصبهان واعمالها بـ ٧١٢٠٤ وفي ترنات وغانة الجديدة واعمالها بـ ١٠٨٢٤٠ وفي تيمور واعمالها بـ ٣٤٦٥٠ وفي بالي وكومبوك بـ ٣٦٨٤١٨ منهم كلهم ٣٣٩٣١٦٠١ من الوطنيين و ٣٣٨٦٠ من العرب و ٧٥٣١ من الصينيين و ٥٠٦١ من الهنود وغيرهم و ٧٧٤ من الاتراك والسوريين وهكذا فقد بلغ عدد سكان جزائر الارخبيل الهندي التي يخفق عليها العلم الهولاندي اربعين مليون نسمة وبلادهم كنز ثمين لاهل بلاد القاع (هولاندة) وسيكون مستقبلها زاهراً عندما يتم تنظيم شؤونها فتأمل كيف يستولي عدد قليل متعلم كالامة الهولاندية على عدد كبير متوحش كسكان جزائر ذاك الارخبيل .

مطبوعات ومخطوطات

الاجوبة المرضية

تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي طبع بمطبعة روضة الشام بدمشق ص ٣٧

هذه الرسالة وضعها المؤلف جواباً عما اورده كمال الدين ابن الهمام على المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية ولما بعض المعاصرين ينكرون على بعضهم اذا ناقشوا بعض المتقدمين على عصرهم على حين ان ذلك مألوف معهود منذ القديم فقد ناظر — كما قال مؤلفنا المنوه بقدره — الامام الشافعي الامام محمد بن الحسن وحاور الكتاني بشر المريسي وغيرهم وحاور البيهقي الطحاوي وابن حزم الاشاعرة وغيرهم والمازري امام الحرمين والطبري الطحاوي والنووي الرافعي والاسنوي النووي وشمس الائمة الكردري الغزالي وابن عبد الهادي السبكي وابن حجر العيني والسيد السعد والفيروزابادي الجوهري وابن الاثير الصابي وابن عباد وابن ابي الحديد ابن الاثير وابو حيان ابن مالك والعز ابن عبد السلام ابن الصلاح وسعد الجاربردي وافضل الله الرومي ابن الملك والناصر ابن المنير الزمخشري وزين العرب الشيرازي والسيوطي السخاوي وابن الجوزي والمؤلفات في هذا الموضوع لاتحصى

اسباب الانقلاب العثماني

لمؤلفه محمد روحي بك الخالدي ومصححه السيد حسين وصفي رضا طبع بمطبعة المنار في القاهرة سنة ١٣٢٦ ص ١٨٣

مؤلف هذا الكتاب من افاضل سورية عاف صناعة القلم والسياسة ورسالته هذه تدل على علو كعبه في تاريخ الدولة الاخير وحسن مراقبته لحركة الاصلاحية التي قام بها احرار العثمانيين ووصفها اوجز وصف يرسخ في الاذهان

تحفة الانام

للشيخ عبد الباسط الفاخوري طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت ص٢٨٦

هو مختصر في تاريخ الاسلام فيه مقدمة في اصل العرب واحوالها قبل الاسلام وبعده وسير الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين والملوك العثمانيين وغيرهم بعبارة مختصرة

وكلام المؤلف في الغلو بالملوك الآخرين من بني عثمان يرفع الثقة من كلامه كله فعسى ان يرفع الطابع تلك المبالغات من آخر التاريخ في طبعة ثانية

اعلام تذكار للعثمانيين الاحرار او الحرية والمساواة والمبعوثان

لمؤلفه الشيخ عبد الله العلي

طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٦ ص ١٩٠

كتاب وضعه مؤلفه لما رأى كثيراً من العامة يسألون عن مجلس النواب «المبعوثان» الشوري هل هو شرعي ام لا وعن الحرية هل هي موافقة للشرع الشريف ولتزييف من قال بان الاسلام وجد ويجاريه سلطة مطلقة مستدلاً على كل نوع منها بآيات كثيرة من الكتاب . ومما جاء فيه — وهو مما ننقله نموذجاً على اسلوبه — في باب المساواة وبين المسلم واليهودي والنصراني في انهم يشروان التمسك من كل منهم بالارومات غلط جاء في الكتاب الكريم خطاباً للعرب (ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب) الموسويين والمسيحيين انما (من يعمل) من الطوائف الثلاث (سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى) من الطوائف الثلاث وهو مؤمن بالله ورسله (فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) واورد آيات كثيرة استنبط منها اموراً من هذا القبيل . وقال في حرية المساواة بين المسلم واليهودي والنصراني في الحكم عليه او له بالحكم الشرعي : المساواة في الاحكام الشرعية المحكوم بها على الناس على اختلاف عناصرها هي شريعة الله تعالى في كتابه وهي سنته في خلقه جاء في سورة النساء (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) جميعاً المسلم وغيره (بما اراك الله ولا تكن للخائنين الخائنين لك (خصيما) بل انهج منهج المساواة في الحكم الشرعي بالصدق والعدل . وهكذا الم المؤلف بانواع الحرية والمساواة والشورى على اسلوب عصري لا يستند فيه الا الى الكتاب واستنتاجه من الآيات الكريمة دل على بعد غوره وحسن الامعان بمعانيها وتطبيقها على حالة الزمن فنثني على المؤلف لفضله وغيرته ونحث كل من يخامرهم الشك في الحكم الدستوري ومخالفته لروح الاسلام ان يقتنوا كتابه وينصفوه و ينصفوا الشريعة المدنية والشريعة الدينية

الجزء الثالث المجلد الرابع

المقتبس

ربيع الاول سنة ١٣٢٧

وداع وعتاب

للسلطان السابق عبد الحميد

الله اكبر فالظلاَّم قد علموا | لايّ منقلب يفضي الالى ظلموا
لقد هوى اليوم صرح الظلم وانتقضت | اركانه وتولت اهلهُ النقمُ
وحصحص الحق في عزّ وفي ظفرٍ | يحفه خادماه السيف والقلمُ
ثارت له عصبةٌ كانت مشردةً | وقد تهددها الارهاق والعدمُ
من كل اروع في حيزومه حنق | في نفسه عزة في انفه شممُ
عبد الحميد استمع منهم مناقشةً | فطالما صبروا بل طالما كظموا
غادرت امتك المنكود طالعها | تغض مقلتها ان عدّت الاممُ
اطاقت فيها سيوف الغادرين وقد | كانت بجبلك بعد الله تعتصمُ
الله الله يا راعي القطيع فقد | لاقت مصارعها في رعيك الغنمُ
حماتنا ما تنوء الراسيات به | كيف الصنيع وانت الخصم والحكم
فكم شكونا ولم تسمع شكايتنا | وكم دعونا وحظ الدعوة الصممُ

وليّ نعمتنا قل لي امـا بطلت … تلك الولاية لما ضاعت النعمُ
فلو رفقت امير المؤمنين بنا … ما كان أُنفث مصدور وسال دمُ
محافظ الحرمين اعدل فهل امنت … في ظلك الكعبة الزهراء والحرمُ
ام حج حجاج بيت الله في دعةٍ … بدون ان يرهقوا فيه ويهتضموا
وليته فاسقاً (١) لم يرعَ حرمة من … في ذمة الله ضاعت عنده الذممُ
كم استجاروا عليه فازدريت بهم … ان لم تكن ناقماً فالله منتقمُ
رب الهلال اجب هل كنت تمنحه … ما اعتاد من نصرات ذلك العلم
ماذا فعلت باحرار البلاد وما … جنوا علىَ الدين والدنيا وما اجترموا
حتى قسمتهم شطرين فازدحمت … علَى جسومهم النينان والرخم
مزقت شملهم في كل ناحية … فارغموك بحول الله والتأموا
ويا سلالة عثمان اما اتصلت … منه اليك الصفات الغر والهمم
اين الغطاريف ارباب العزائم من … اسلافك الصيد من بالعدل قد عظموا
شادوا لك العزة القعساء من قدم … فجئت تهدم ما شادوا وما رسموا
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة … وفي زمانك لا سيف ولا قلم
حصدت ما زرعوا وافرقت ما جمعوا … هدمت ما رفعوا بعثرت ما نظموا
ملكتنا فرأينا منك طاغية … لم يدر نداً له المشهود والقدم
نيرون عندك اوفرعون قد غفرت … زلاته واستحبت شاهها العجم
حجاج عصرك بل تولي العقاب بلا … ذنب ومزّاك عنه الجمع والنهم
قد اخترعت ضروباً للمظالم والتنكيل ما فطنوا فيها ولا حلموا
خليفة الله قد خالفت ما امرت … به الشريعة والتنزيل والكلم

(١) راتب باشا

وسيرة الخلفاء الراشدين بها   خير المواعظ للظلام لو فهموا
ركبت مركب جورٍ ليس يقبله   من يخلفه في قومه الصنم
دمرت بيتك يا هذا فانت اذن   عدو نفسك او قد مسك اللمم
حشدت زمرة غدارين كم سفكوا   واستنزفوا ثم لا قيدوا ولا غرموا
المخلصون تولوا منك وانهزموا   والخائنون على ابوابك ازدحموا
اسرفت في نهب بيت المال فاستلبت   منه الجواسيس ما شاؤوا وما غنموا
عصابة ثقلت في الناس وطأتهم   صبوا عن الحق في اغراضهم وعموا
اخترتهم واختيار المرء شاهده   يا ليتهم رفقوا بالخلق او رحموا
خانوك لما رأوا منك الخيانة في   بنيك والمرء موسوم كما يسم
حبست آلك حتى بعضهم هلكوا   كأنما لم تكن قربى ولا رحم
حاولت اطفاء نور الحق وهو لئلى   تثور افواهه ان سُدّ منه فم
طال الزمان على جور تعالجه   وعيل صبر الورى واستحوذ السأم
ضيقت دارتهم في الارض فاتسعت   والمرء مستبسلٌ ان عضه الالم
قد جمع الظلم منهم كل مفترق   وشد ما استتروا في الامر واكتتموا
وكلما نام عنهم رهطك انبثوا   يدبرون وان لاحظتهم جثموا
وعند ما اكتملت للوثب عدتهم   توكلوا واستخاروا بالذي عزموا
سلوا عليك سيوف العدل مرهفة   كأنها شهب في الافق او رجم
شقوا بها في جلابيب الدجى شفقاً   بشت له الارض وانجابت به الظلم
وطالبوك بحق كنت هاضمه   وحاكموك الى البتار واختصموا
فادوا بارواحهم حباً بامتهم   فلتحي تلك السجايا الغر والشيم
قد كان ما كان والرحمان ناصرنا   فالعدل منتصرٌ والجور منهزم

دبرت فتنة سوء تستعيد بها … من مجدك الباطل الغرار ماهدموا
مجد كبير طوته ظلمة كثفت … ثم انجلت فاذا ما تحتها ورم
كروا بعزمة حر جاء منتصراً … لنفسه واستباحوا منك ماالحترموا
فانزلوك عن العرش الرفيع وما … كانوا يريدونها لكنهم رغموا
تأبى الشريعة ان تبقيك حافظها … وانت بالغدر والاغواء متهم
فاليوم تعلم عقبى من يخون ومن … يطغى وتندم اذ لا ينفع الندم
هبطت من قمة الامجاد منحدراً … كصخرةٍ حطها من شاهق عرم
ففي هبوطك عاد الملك مرتفعاً … وفي هلاكك كل الخلق قد سلموا
كانت باقبالك الاقدار عابسة … فاصبحت بعد ما ادبرت تبتسم

دمشق : ف

السلطان عبد الحميد المخلوع

قلما جاء في الملوك من ترضيك اخلاقه واعماله لضعف التربية الدينية والمدنية ولان الملك يسكر فيقتضي له عقل كبير يحسن به صاحبه التصرف ويراعي فيه حقوق الخالق والخلائق . ولذا ندر في ملوك بني عثمان والملك متسلسل فيهم منذ زهاء ستة قرون من تأهل بالفعل للجلوس عَلَى عرش السلطنة فقد رأيناهم وفيهم الاخرق والاحمق والمتهتك والمسرف عَلَى نفسه والسفاك ولكن لم يأت فيهم عَلَى التحقيق مثل السلطان الخامس والثلاثين عبد الحميد الثاني

نقول فيهم وما خلقنا ان نقول في غيرهم من ملوك الاسلام بل وفي الامم

الاخرى فقد تدبرنا تراجم الوف من الملوك والعظماء ولم نشهد لعبد الحميد مثيلاً في اخلاقه واعماله . بلى رأيناه يشبه الناصر لدين الله العباسي بتجسسه وحرصه والحاكم بامر الله الفاطمي بهذيانه وتلونه والحجاج بن يوسف الثقفي ببطشه وسفكه والسلطان ابراهيم العثماني بسفاهته واسرافه . ومن جمع في شخصه هذه الصفات مجسمة كان جديراً بان يدعى طاغية الملوك والسلاطين .

تولى عبد الحميد زمام السلطنة وكيلاً عن اخيه مراد الخامس لمرض طرأ عَلَى عقله وكتب عَلَى نفسه عهداً دفعه لمدحت باشا ناشر اعلام الحرية في المملكة العثمانية ثم ارسل عَلَى مايقال من احرق دار مدحت باشا وحرق العهد في جملة ماحرق واخذ يستجلب قلوب اكثر اهالي الاستانة مدة وكالته حتى اجتمع الصدر محمد رشدي باشا ومدحت باشا فقررا دعوة رجال الدولة الى الباب العالي للنظر في توسيد السلطنة الى عبد الحميد اصالةً فاجتمع نحو الف شخص من الكبراء وقرروا ان جنون السلطان مراد مطبق لايرجى ان يفيق منه فافتى شيخ الاسلام بحل امامته وبويع لعبد الحميد الذي اظهر اولاً بانه يميل الى الحكم الدستوري ومنح القانون الاساسي ثم سلبه واقفل مجلس الامة واتعب مدحت باشا في معاناة اخلاقه وكان اول عهد نكثه معه انه اخذ عَلَى نفسه ان يعين لرئاسة كتاب المابين نامق كمال بك الكاتب الشاعر الشهير وضيا بك رئيس المابينية فعين غيرهما ثم اخذ يدس الدسائس ونفى مدحت باشا ثم ارسل به الى الطائف فسجن في حبسها مدة ثم امر بخنقه

واخذ السلطان يكثر من التضييق عَلَى اخيه السلطان مراد وعَلَى سائر افراد الأسرة السلطانية ولا سيما ولي عهد السلطنة السلطان الجديد محمد خان الخامس الحالي ويشرد كل من عرف بالانكار عليه من الوزراء والعظماء

فالقى بذلك الرهبة في نفوس قواد المملكة ورجال سياستها فاصبحوا يسيرون على رغباته وكل من خالفها ولو في سره اقصاه وسجنه وعذبه وكلما مضت سنة على ملكه يزداد مراناً على هذه الفعال ويبالغ في الاحتياط لنفسه وغدا يتولى كل امر بذاته ويبعد ارباب الوجدان من رجال الدولة ويستعيض عنهم باناس ممن يصطنعهم وما يصطنع الا الاسافل من كل جنس من اجناس الدولة لعلمه بانهم يفادون بكل مبدإٍ في سبيل نصرته على الباطل حتى آلت ازمة الدولة في العهد الاخير الى ايدي السفلة من اعوانه الجهلاء الطغاة الا قليلاً .

واذ كان مفطوراً على الطمع ويحسب ان المال يعمل كل شيء اخذ يملك الاملاك باسمه على خلاف عادة الملوك والسلاطين فكان كلما سمع بان في اقليم كذا اراضي من املاك الدولة يحتال لاخذها بلا ثمن ان كانت من الاملاك الاميرية او بثمن طفيف ان كانت للافراد ثم الف الشركة الخيرية لتسيير السفن في مواني الاستانة وشركة اخرى لحسابه بين البصرة وبغداد وفتح في العاصمة مخازن لبيع البضائع ومعامل لصنع السجاد وغيره وضارب بالاوراق المالية وهكذا اصبح عبد الحميد تاجراً مزارعاً مضارباً لايهتم بشيء من امر الملك الا اذا كان تقريراً من جواسيسه الذين كثروا في العاصمة والولايات كثرة ضاقت بها خزينة الامة وكلهم امناؤه ان اخطأوا افلهم الاجر وان احسنوا فحدث ماشئت ان تحدث عما ينهال عليهم من انعامه واحسانه . حتى لقد قلَّ جداً في عماله من لم يتجسس له لاسيما بعد ان رأى الناس ان الترقي في الوظائف لايتأتى في الاغلب الا من طريق الجاسوسية

وبهذا استنزل غضب عقلاء الامة واحرارها وكان كلما بالغ في الضغط

عليهم واشتد في ارهاقهم واعناتهم بنمو عددهم بنمو الميل الى التعلم · فكانت مدارس الدولة ولا سيما العالية منها على شدة المراقبة عليها شدة لا يتصور العقل اكثر منها وعلى اصدار اراداته تترى لجعل المعارف صورية لا حقيقية — منبعث تلك الشعلة التي قضت على استبداده الذي لم يكد يعهد له مثيل في تاريخ الامم فزحزح المتخرجون فيها اسس الحكومة المطلقة المدمرة واقاموا مكانها على التقوى اساس الحكومة المقيدة المعمرة

عرف عبد الحميد ان بالمدارس والمطبوعات تستنير العقول فيقل الراضون عن حكمه فانشأ يضيق الخناق على المدارس حتى حظر ان يعلم فيها التاريخ وعلوم السياسة والاجتماع لانها ترقي العقل وتلقح الاذهان وتدعو الامة الى سبل الرقي والامان

ورأت المطبوعات منه ومن اعوانه الجهلاء خصوماً يكفي في نعتهم انهم اعداء كل فكر وارتقاء وتجديد حتى اصبح ما يطبع تحت السماء العثمانية في الثلثين الاخيرين من حكمه عبارة عن كتب خرافات وزهد وتلفيق او اماديح كاذبة له ولارباب المظاهر او اموراً عادية لا ترقي عقلاً ولا تزيل جهلاً · ووصلت المراقبة على المطبوعات في ايامه الى درجة من الهزل لم تصل اليها في امة مغلوبة على امرها فرفعت من المعاجم كثير من الالفاظ كالعدل والمساواة والقانون الاساسي والجمهورية ومجلس النواب والخلع والديناميت والقنابل واصبحت الجرائد ابواقاً تضرب بتقديسه وتأليهه والعياذ بالله او تكتب في التافه من الاخبار والافكار · جرى كل هذا برأيه ورضاه لا كما يزعم بعض من يريدون ان يتمحلوا له الاعذار الباردة من انها كانت من عماله ووزرائه وهو لا علم له بما يأتون ·

كثرت في الايام الحميدية انواع المناصب والمواصبح كلما طال عهده يشتد في اعنات من يخالف له فكراً او يعرض له في الاصلاح امراً حتى صار بعض العقلاء من عماله يتظاهرون بالبله او ينقطعون عن الخدمة لان سلطانهم لا يرضيه الا ان يكونوا عَلَى قدمه في الظلم وارتكاب المنكرات. ولقد نصح له بعض سفراء الدول منذ بضع سنين ان يكف من شرور بعض العمال لان استرسالهم فيما يسقط شأن المملكة ويضر بمستقبلها فقال لهم وماذا اعمل مع من ذكرتم وهم يحبونني ويتفانون في خدمتي اي انهم في حلّ من عمل ما ارادوا من العسف في الامة ما داموا يظهرون له الحب ويخدمون اغراضه

اشتهر عبد الحميد بالحقد الشديد والحرص الاكيد والحدة المتناهية والاحتيال الذي ينطلي على ضعاف العقول فيقولون انه الدهاء والحكمة. وكانت هذه الاخلاق بادية عليه قبل ان يلي امر الامة حتى قال نابوليون الثالث فيه يوم رآه مع عمه السلطان عبد العزيز في باريز ان هذا الفتى سيجيء منه داهية باقعة فما هو الا ان قبض الله له الجلوس عَلَى سرير آل عثمان حتى صحت فراسة نابوليون فيه بل برز في هذا المضمار

كان السلطان عبد المجيد يحب ابنه مراداً اكثر من عبد الحميد لان هذا كان يبدو عليه الخبث منذ الصغر ولما ترعرع شرع يتجسس لعمه السلطان عبد العزيز على اخوته وذوي بيته لينال منه الاحسان ويغلو في كشف عورات اخيه مراد خاصة وكانت تقاريره للسلطان عبد العزيز متصلة كتقارير جواسيسه في عهد سلطنته ولطالما كدره السلطان عبد العزيز على تشاغله بالسفاسف ويكفي في بيان الفرق بين اخلاق السلطان مراد واخلاق السلطان عبد الحميد ان الاول كان يعنى في صباه بالشعر والموسيقى ودرس

مدنية اوربا وتاريخها على حين كان اخوه لا هم له الا درس السحر والطاسمات وضرب المندل واخذ الفال ويتقرب لذلك من المشايخ والبله والدجالين

مضى ثلث قرن على الامة العثمانية وهي تفنى في سلطانها فداء جنون لافناء عقل وكنت اذا خلوت حتى بخاصته وصنائعه يحدثونك من تلاعبه واخلاقه ما تسأل الله معه السلامة وتسجل على فساد اخلاقنا اكثر من فساد احكامنا واعمالنا وكل منهم يورد لك من اسباب اضطراره الى الصبر على هذه الخدمة ما هو العجب العجاب

فبالاسراف في مال الامة استمال عبد الحميد قلوب الاغمار ومن تزيوا بزي العلماء وهم جاهلون فكانوا يكذبون على الله والناس ويذكرون لهم من صفات سلطانهم ما هو الزور البحت واذا فتح المنصفون افواههم بانتقاد اسكتوهم وحرموا انكار المنكر عليهم · وبالجواسيس اطلع على الدقيق والجليل من نيات الامة وما كان يهتم الا للامور الصغيرة ولا سيما ما كان منها متعلقاً بشخصه اما عمران البلاد وترقية معارفها وصناعاتها وزراعتها وتجارتها فلم يكن لها قيد في سجل اعماله ·

وكفى في عدم احتفاله بامور الرعية واصلاح البلاد انه انسلخت عن جسم الدولة في ايامه المشؤومة بلغاريا والروم ايلي الشرقية ودوبروجه في رومانيا والجبل الاسود والبوسنة والهرسك وانضمت بعض الالوية للصرب ولليونان تساليا وابيروفارتا ولفرنسا تونس ولروسيا القوقاس وباطوم واردهان وقارص ونال الجبل الاسود استقلاله وانفصلت قبرص وكريت او كادتا واحتل الانكليز مصر وهكذا انفصل من جسم الدولة نحو ثلثيها بعدد النفوس والعمران

ماذا تعدد هذه الامة من سيئات الدور الحميدي ونزع سلطة الحكم من الباب العالي وكانت من قبل فيه علَى شيء من العقل والقانون وانتقالها الى المابين يعبث بمصالح الامة الخصيان والجواري والجواسيس والدجالون والمرتشون والمنافقون والمنطبعون بطابع السياسة الحميدية .

فقد كانت الوظائف والرتب والاوسمة ومظاهر التكريم تباع بالمزاد كما يباع العقار والدار ويقتنيها في الاغلب من لا يهمهم الا حظوظ انفسهم واملاء جيوبهم وبطونهم حتى هلكت البلاد ليغتني عبد الحميد والمتقفون لرغائبه وافتقر الفلاح والصانع وهما مادة حياة الوطن واغتنت تلك الطائفة الفاسدة من الموظفين الذين سماهم غلادستون كبير وزراء انكلترا جماعة من اللصوص تألفوا في صورة حكومة .

ولكم كان عمال عبد الحميد سبباً في اهراق دماء الابرياء ونزع روح الحياة الوطنية من الناس وما ننس لا ننس سياسة المابين في المذابح الارمنية والحروب اليمانية والكريتية وغيرها من الوقائع الاهلية التي القى بها السلطان الشقاق بين ابناء هذا البيت الواحد وفرق مجتمع القلوب عملاً بالقاعدة الباردة « فرق تسد » ولو عقل لجرى علَى قاعدة « اعدل تسد » .

نعم كانت المدارس منبعث تلك القوة التي قضت علَى السلطة الحميدية بل على السلطة الاستبدادية في السلطنة العثمانية . وناشئة الامة الذين كان يحتقرهم السلطان المخلوع ويغويهم بالمال ويطمعهم بالمراتب والرواتب هم الذين دبروا بسلطان العقل اسباب الانقلاب الاخير في المملكة وغلبوا سلطان الجهل فكان يوم ١٠ تموز الماضي مبدأ سعادة العثمانيين وتاج الايام وغرة الشهور والاعوام .

كان الصدر محمود نديم باشا يقول للسلطان عبد العزيز ان بعض الوزراء يخوفونك بالامة وما الامة الا كمن تراهم يمشون هناك (واشار الى جماعة من فلاحي الاناضول) ومثلهم لا يميز ولا يعقل فاصنع ما بدا لك فانتهى الامر بخلع ذاك السلطان وقتله · وكان احمد عزت باشا العابد يحقر للسلطان عبد الحميد امر الامة ويزين له البطش ويقول له ان المسلمين لا يعرفون غيرك خليفة وسلطاناً ورباً صغيراً فاحكم فيهم بحكمك فهم عبيدك لا ينازعك في التصرف فيهم منازع الاحرار افراد طائشون · صم اذنك عن سماع خيالاتهم ودعهم يعوون ولا يضر عواء الكلاب بالسحاب · اما حكومات اوربا فامرها الى التفاشل ان اتحدت كلمتهن لا قبل لنا بدفعها وما دمن متخاذلات فنحن في مأمن · وهكذا جرى السلطان المخلوع في دوره الاخير على هذه السياسة الخرقاء فكانت سبباً في نزع السلطة الاستبدادية من يده يوم ١٠ تموز الماضي وانزاله عن العرش يوم ١٤ نيسان

يئس الناس من الخلاص من جور هذا السلطان الا بموته ولكن تلك النفوس الكبيرة من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي التي احتك معظم اعضائها بالاوربيين وبلادهم قطعة من اوربا ابت ان تضيع ملك بني عثمان بالاهمال والتواكل فاضطرت عبد الحميد الى اعلان القانون الاساسي في الصيف الماضي مرغماً ولما لم تطب نفسه لما جرى وانشأت تحدثه باعادة الدور السالف لتكون الاحكام طوع امره ونهيه وهو الحاكم المتحكم في الاموال والاعراض والارواح يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل اخذ يوقد نيران الفتن بين الامة ليقول لها وللاجانب ان العثمانيين لا يليق لحكمهم الا الحكم الاستبدادي

ثم احتال للتفريق بين عناصر الدولة اولاً واغواء بعض الخونة من رجاله

بالمال ليبثوا دعوته فتألفت جمعيات عناصر بعد اعلان الحرية ولكل منها نزعة خاصة . يريد الارمن توسيع الاختصاص « المأذونية » او الاستقلال النوعي بعبارة اخرى والعرب ينادون بان الترك غمطوهم حقوقهم وهم يريدون ان يشاطروهم الوظائف او ينفصلون عن الدولة وبعض الارناؤود يدعون الى مثل دعوة الارمن . ولما رأى السلطان ان الامة انتبهت لرد هذه الترهات وقام العقلاء يحاربونها شرع يسلك سبيلاً آخر ويحرك عامة المسلمين باسم الدين بواسطة جمعية الفها في الاستانة دعت نفسها بالجمعية المحمدية تطالب بالشريعة الاسلامية ولا تريد القانون الاساسي لانه بزعمها مخالف للاسلام ومن قواعده الحرية والحرية ليست من شأن الدين المحمدي . وهكذا ألفت لهذه الجمعية فروع في الولايات تهيج العامة باسم الدين وتربطهم بالسلطان وذلك على يد زعانف كان للمال الذي بذله تأثير عظيم في نفوسهم ونفوس الغوغاء

كاد عبد الحميد لامته بتدبير الفتنة المحمدية بل بالفتنة العسكرية فعصت جنود الاستانة الا قليلاً بما بذله لهم من الذهب الوهاج ولم يراعوا الذين اثاروا الجند واسطة لاضاعة رويتهم احسن من اسكارهم فاسكروهم ليلة الفتنة وفرقوا عليهم الذهب الكثير الذي جمعه من دماء الفقير ليقوموا بالمطالبة باعادة الشرع المحمدي او يوقدون نيران مذبحة عامة يقتل فيها احرار الامة اولاً ثم الاقرب فالاقرب من رجال الاصلاح والتجديد ولو وفق عبد الحميد لاستعادة سلطته الاستبدادية وتمت له مكيدته الشيطانية لما هلك في هذه الفتنة الاهلية في انحاء السلطنة اقل من مليوني رجل كما وقع في ثورة فرنسا الاولى

ولكن الله اراد لهذه الامة الخير وقيض لها من رجال الدستور المتفانين في الاحتفاظ به من كان اخلاصهم الداعي الاكبر في نجاحهم فقامت بعض ولايات الروم ايلي على ساق وقدم تطلب التطوع في الجندية للدفاع عن الدستور وهب جند الفياق الثاني والثالث اي ادرنة وسلانيك — ومنهما انبعثت جذوة الحرية اول مرة — وزحفا في جموع المتطوعة على الاستانة بقيادة البطل المغوار محمود شوكت باشا الفاروقي البغدادي فاستوليا على المواقع الحربية في العاصمة في اسبوع وقبضوا على المنتقضين والعصاة من الجند المشاغب وخلعوا السلطان عبد الحميد مدبر تلك المكايد بفتوى من شيخ الاسلام اثبت عليه فيها قتل الانفس البريئة ومخالفة الشرع وحرق كتب الاسلام والاسراف في مال الامة وبايعوا باتفاق مجلس النواب والاعيان لولي عهده السلطان محمد الخامس وساقوا ذاك الذي عبث بمصلحة العثمانيين الى قصر الاتيني في ضاحية سلانيك ليجري عليه ما جرى على كل سلطان مخلوع خان امته ودولته بدون ان يلحقوا به اهانة . فحق للدولة والامة ان تدعو بدوام نصر الجيش العثماني المظفر لانه كان سبب حياتنا اليوم ولطالما كان هذا الجيش سبب رفع هذه الدولة الملية كما كان في بعض الادوار سبب خفضها

اعلن جيش الدستور الاحكام العرفية اي عطلت القوانين الموضوعة وجعلت العاصمة تحت الاحكام العسكرية ريثما يستتب الامر لجيش الفاتح محمود شوكت باشا ويفتك بمن اضاعوا دينهم ودنياهم بممالأة السلطان المخلوع على رغائبه فشنق كثيرون ممن كان لهم ضلع في تشويش نظام الامة واهاجة العامة باسم الشريعة وحكم على بعضهم بالاشغال الشاقة وعلى البعض

الآخر بالنفي وهكذا تمت الغلبة لكلمة الحق على الباطل وكتب البقاء للحكم النيابي في السلطنة آخر الدهران شاء الله

فكرنا ملياً في امر عبد الحميد واردنا ان ننصفه في الترجمة فما رأينا له مزية يذكر بها ويرحم . بلى وجدناه حسوداً يحسد حتى خصيانه واشق خبر يترامى اليه ان يعلم بان في احدى اطراف مملكته عالماً ينفع الناس بعلمه فيحتال عليه ليأتي بـه الى الاستانة ليدفنه حياً فان لم يقدر فلا ايسر عليه من التقول عليه وتزوير حيلة للانتقام منه والحط من كرامته . وكان اذا عزّ لايلحق غباره نمرود وفرعون واذا ذل فذلة يكون للادنياء غالباً ينسى منزلته ومقامه . وكان يلذه جداً ان يشهد الشقاق مستحكماً بين حاشيته ويلقي بينهم العداوة والبغضاء . وفي ايامه كثر اختلاف النساء الى قصره حاسرات متبرجات بدعوى انه خليفة وللخليفة ان ينظر الى المحارم ولا حرج عليه وعليهن ولهذا اخترع لهن وسام الشفقة . ولعل بعض من درسوا الاخلاق الحميدية عن أمم يكتبون كتاباً مفصلا فيها ليقرأ الاخلاف عن الاسلاف مافعلته في ذاك المخلوع قلة التربية والعلم وفساد الفطرة والله اعلم

في سلانيك

لقد سمعوا من الوطن الانينا فضجوا بالبكاء له حنينا
وناداهم لنصرته فقاموا جميعاً للدفاع مسلحينا
وثاروا من مرابضهم اسوداً بصوت الاتحاد مزمجرينا
شباب كالصوارم في مضاء يرون وكالشموس منورينا

سلانيك الفتاة حوت ثراة ... بهم فقضت عن الوطن الديونا
لقد جمعوا الجموع ثمن نصارى ... ومن هود هناك ومسلمينا
فكانوا الجيش ألف من جنود ... مجندة ومن متطوعينا
تراهم فيه متحدين عزما ... وماهم فيه متحدين دينا
هي الاوطان تجعل في بنيها ... اخاءً في محبتها رصينا
وتتركهم اولي انف كبار ... يرون حياة ذي ذل جنونا
وان الموت خير من حياة ... يظل المرء فيها مستكينا

***

مشوا والوالدات مشيعات ... خرجن وراءهم والوالدونا
يقلن وهن من فرح بواكٍ ... وهم من حزنهم متبسمونا
علَى الباغين منتصرين سيروا ... وعودوا للديار مظفرينا
ولا تبقوا الذين قد استبدوا ... وراموا كيدنا وتخونونا
فان لم تنقذوا الاوطان منهم ... فلستم يابنين لنا بنينا
فقد هاجوا علَى الدستور شراً ... بدار الملك كي يستعبدونا
هم الاشرار باسم الدين قاموا ... فعاثوا في المواطن مفسدينا
فما تركوا من الدستور (شورى) ... ولا ابقوا لنغمته (طنينا)

***

وكم قد قلن من قول مُهيجٍ ... لهم فتركنهم متهيجينا
ومذ حان الوداع دنون منهم ... فقبلنا الصوارم والجفونا
وما انسى التي برزت وقالت ... وقد لفتوا لرؤيتها العيونا
الا يا راحلين لحرب قوم ... لئام ضيعوا الوطن الثمينا

خذوني ان وغى معكم خذوني ممرضة لجرحاكم حنونا
وان لم تفعلوا فخذوا ردائي به شدوا الجروح اذا دمينا

***

ولما جد جدهم استقلوا على ظهر القطار مسافرينا
فطاروا في مراكبه سراعاً باجنحة البخار مرفرفينا
وظل الجيش صبحاً او مساء تسير جموعه متتابعينا
فلم يتصرم الاسبوع الا وهم بربى فروق مخيمونا
هنالك تمت مرتحلا اليهم لابصر ما اؤمل ان يكونا

***

وباخرة علت في البحر حتى حكت بعبابه الحصن الحصينا
يؤثر جريها في البحر إثراً تكاد به تظن الماء طينا
فتترك خلفها خطاً مديداً بوجه البحر يمكث مستبينا
ركبت بها على اسم الله بحراً غدا بسكون لجته رهينا
فرحنا منه ننظر في جمال يعز على الطبيعة ان يهونا
ومرأى البحر احسن كل شيء اذا لبست غواربه السكونا
كأنك منه تنظر في سماء وقد طلعت كواكبها سفينا

***

أتينا دار قسطنطين صبحاً وقد فتحت لهم فتحاً مبينا
وظل الجيش جيش الله يشفي بحد سيوفه الداء الدفينا
فارهق انفس الطاغين حتى سقاهم من عدالته المنونا
ورد الخائنين الى جزاء احلهم المقابر والسجونا

وحطوا قصر يلدز عن سماء ... له فانحط اسفل سافلينا
واصبح خاشع البنيان يغضي ... عيوناً عن تطاوله عمينا
خلا من ساكنيه وحارسيه ... فلم تر فيه من احد قطينا
هوى عبد الحميد به هوياً ... الى درك الملوك الظالمينا
ونزل عن سرير الملك خلعاً ... وافرد لا نديم ولا قرينا
فسيق الى سلانيك احتباساً ... له كي يستريح بها مصونا
ولكن كيف راحة مستبد ... غدا بديار احرار سجينا
يرائم حول مسكنه سياجا ... ويعجز ان ينيم لهم عيونا
وموت المرء خير من مقام ... له بين الذين سقوه هونا

***

لقد نقض اليمين وخان فيها ... فذاق جزاء من نقض اليمينا
وقد كانت به البلدان تشقى ... شقاء من تجبره مهينا
فكم اذكى بها نيران ظلم ... وكم من اهلها قتل المئينا
وكان يدير من سفه رحاها ... بجعجعة ولم يرها طحينا
وقد كانت به الايام تمضي ... شهوراً والشهور مضت سنينا
ولما ضاق صدر الملك يأسا ... وصار يردد الوطن الانينا
اتى الجيش الجليل له مغيثاً ... فصدق من بني الوطن الظنونا
واضحى سيف قائده المفدى ... على الدستور محتفظاً امينا
حماه من العداة فكان منه ... مكان الليث اذ يحمي العرينا

واسقط ذلك الجبار قهراً وانباه بصارمه اليقينا
فقرت اعين الدستور امناً وشاهت اوجه المتمردينا

معروف الرصافي

الجباية في الاسلام

الصدقات ورسم التعداد

لما كانت الحكومة متعهدة بحفظ راحة الامة وحياتها ومالها وعرضها حق لها ان تأخذ من الامة اجرة خدمتها وقيامها بما تعهدت به نحوها باسم ضرائب وتكاليف اميرية غير ان الحكومة المطلقة لحكومتنا قبل ارجاع الدستور الى احكامه اعتبرت الضرائب من حقوقها الاستعبادية وعلى ذلك بنت قواعدها واستحلت اي ضريبة كانت واذا ازالت ضريبة من ضرائبها تأخرت واعتبرت عملها كرماً منها على الرعية وكانت الاراضي يومئذ تعد من جملة الغنائم التي غنمها السلاطين والامراء ولذلك ادعت الحكومة العثمانية ان جميع الاراضي ملك لبيت المال الا ما كان ملكاً صريحاً تقسمت الاراضي على خمسة انواع وهي اراضٍ مملوكة واراضٍ موقوفة واراضٍ اميرية واراضٍ متروكة واراضٍ موات ·

فاما الاراضي المملوكة فهي التي يتصرف بها مالكها كيفما شاء فيبيعها ويقفها ويرهنها ويوصي بها ويحولها الى بناء ورياض وكروم من غير ان يستأذن فيها احداً وتجري عليها احكام الشفعة وغيرها من احكام الملك وهي على اربعة انواع : النوع الاول العرصات في القرى والاراضي التي عدت من تتمة السكنى · النوع الثاني الاراضي التي افرزت من الاراضي الاميرية وجعلت ملكاً صحيحاً على انواع وجوه الملكية الصرفة وبني تمليكها على المساغ الشرعي · النوع الثالث الاراضي العشرية · النوع الرابع الاراضي الخراجية فرقبة هذه الاراضي الاربعة بملك مالكها وهي كالاموال والعروض يرثها الورثة الشرعيون وتوقف وترهن وتجري عليها الهبة والشفعة وسائر احكام الملك كما هو مصرح في مجلة الاحكام الشرعية والكتب الفقهية ·

واما الاراضي الاميرية فهي التي أحيلت وفوضت للاشخاص على شروط ان تبقى رقبتها لبيت المال كالاراضي والمروج والمحال التي يقال لها «يايلاق» منزل صيفي و«قيشلاق» منزل شتوي والحراج التي تركت للاحتطاب والمراعي اما المنازل الصيفية والمنازل الشتوية والغابات والمراعي والبيادر التي تركت لقرية او قرى متعددة اوقصبة فهي من الاراضي المتروكة .

واما الاراضي الموقوفة فهي قسمان القسم الاول الاراضي المملوكة التي وقفت على الوجه الشرعي ويقال لها اوقاف صحيحة فجميع احكامها تابعة لشرط الواقف والقسم الثاني الاراضي المفرزة من الاراضي الاميرية التي وقفها السلاطين العظام او وقفت باذن سلطاني فهذه كالاراضي الاميرية في جميع احكامها ولم يمش الوقف الا على اعشارها وعائدها الاميرية .

واما الاراضي المتروكة فهي قسمان القسم الاول : الاراضي التي تركت للناس كافة كالطريق العام والاسواق والمراقي، والمساجد والمتنزهات والميادين العامة . والقسم الثاني الاراضي التي تركت لاهالي قرية او قصبة او لعامة الاهلين في القرى او القصبات المتعددة كالمراعي والمنازل الصيفية والمنازل الشتوية والحراج للاحتطاب .

واما الاراضي الموات فهي الاراضي الخربة التي لم تحرث ولم تزرع وبعيدة عن اقصى العمران .

ولو نظرنا قانون الاراضي ومعاملات الطابو وما تجري عليه المعاملات لوجدنا الحكومة العثمانية تدعي ان جميع الاراضي الخراجية والعشرية والاميرية والوقفية (ما عدا الاوقاف الصحيحة والاراضي المملوكة) والمتروكة والموات كلها ملك بيت المال وليس لمتصرفيها الا التصرف بها والانتفاع منها غير انها سمحت بتناقلها على حسب قانون الانتقال ولم تحدد مدة التصرف والانتفاع بها ما دامت على عمرانها ولهذه الاسباب عدت الاعشار وضرائب الاملاك اجرة اراضيها واملاكها لا اجرة خدمتها للشعب وعلى هذا النظر انشأت القواعد والقوانين على ان اكثر البلاد واخص بالذكر منها سورية لم تفتحها الحكومة العثمانية عنوةً بل ان اهلها استقبلوا السلطان سليماً بالترحاب واقروا له بالملك لما كانوا يرونه من ظلم ملوكها حينئذٍ .

وانا اثبت في المقدمة ان مؤسسي الدولة الاسلامية لما فتحوا البلاد وصالحوا اهلها تركوا الاراضي بايديهم واقتصروا على الخراج اجرة القيام على ذمتهم ومن هنا يتضح ان

الاراضي السورية والعراقية اراض خرابية اي من الاراضي المملوكة الا ما ملكه غزاة المسلمين في صدر الاسلام وتقاسموه ايام الفتوحات الاسلامية وبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان السبب في جعلها اراضي اميرية لان اصحابها ماتوا بلا وارث واصبحت محلولة تمتلكها بيت المال وجعلها اراضي اميرية على ان العاقل يستبعد موت اهالي العراق قاطبة واهالي سورية طراً وما شاكلها عن غير وارث يرثهم فتغدو الاراضي محلولة باجمعها ولم يكتب لنا المؤرخون عن ذلك شيئاً ولذلك اعتقد ان اراضي سورية والعراق وما شاكلها من الاراضي الخراجية اراض مملوكة يجب ان تكون ملك صاحبها ولا يعنى التفصيل هنا لئلا ابعد عن الموضوع وسبب ذكر انواع الاراضي تمهيداً لجرح ما قيل من جواز اخذ الضريبة عن المواشي

وذلك ان الحكومة العثمانية لما كانت مالكة لرقبة الاراضي والغنم والدواب ترعى في بقعة من تلك الاراضي التي تنبت عشباً وان محصول الاراضي الاميرية تدفع العشر من محصولها بدل الايجار وجب على من رعى الارض ان يدفع عشر العشب والكلاء بدلاً من ايجارها غير ان العشب تأكله الدواب وان الدواب ثمر ولها ريع وثمرها وريعها يتوقفان على الرعي فقد لزم اخذ عشر العشب ضريبة على المواشي وعليه رفع العشر ومنعت الضرائب عن المراعي على ان المراعي والبيادر والحراج المتروكة للاحتطاب ومحال الاسواق والطرق العامة عدت من الاراضي العمومية المتروكة للرعية التي لا يجب اخذ ضريبة عنها الا ما كان مقيداً بالدفتر الخاقاني بان يدفع ضريبة وما كان من الاماكن التي تعد « يايلاقاً » او « قيشلاقاً » وخصص لقرية او قرى متعددة فتؤخذ على ذلك ضريبة يقال لها يايلاقية وقيشلاقية بحسب قانون الاراضي

بيد ان المواشي التي ترعى في المراعي العمومية والتي لم تكن عليها ضريبة والتي ترعى في المنازل الصيفية والمنازل الشتوية وما شابهها بل حتى التي ترعى في اراضي صاحبها تدفع ضريبة التعداد وقيل ايضاً لما كان تعيين عشر العشب صعباً اوان يؤخذ العشر ممن رعى الارض بصورة ضريبة على المواشي فجعلوا في بادىء الامر رسم التعداد عشر الدواب اي نعجة عن كل عشر نعاج او شاة عن كل عشر شياه فلو اوردنا ان نعرف ضريبة المواشي على حسب هذه التفصيلات لقلنا انها عشر العشب غير ان السبب الحقيقي في اخذ هذه الضريبة غير ما ذكرناه لان الاصل في دعوى ملك الارض فاسد وعلى ذلك يكون الفرع فاسداً

ولما كانت الحكومات تحمل الامة ما تحتاج اليه من نفقة وتأدية ديون وارادت ان توزع تلك النفقات والديون على ضرائب متنوعة ليخف حملها على الامة جعلت على المواشي قسماً بدعوى ان المواشي واصحابها تستفيد من خدمة الحكومة في حفظها من الغارة والنهب واليك التفصيل :

لو كان لرجل ارض لا تعادل قيمتها اكثر من الف قرش وليس عنده سوى عشرين رأساً من الماعز وحسبنا ما يدفعه للحكومة سنوياً حسب الجدول الآتي لبلغ مجموع ما يدفعه ستمائة وثمانية وثلاثين قرشاً صحيحاً

الجدول

غروش		
٠١٠	خراج اراض	اذا كان متساهلا معه
٠١٣	خراج الدار	
٢١٣	عشر الاراضي اذا كانت مقبلة	
١٠٨	رسم تعداد الماعز مع ورق طوابع	
٠٥٠	رسم كمرك ملابسه وملابس عائلته	
٠١٦	بدل طريق	
٠١٠	رسم باج بقر او خيل	
١٠٠	اعانة غير مقسطة على الاقل	
٠٥٠	مخابرة للمخاتر	
٠٥٠	رسم دخان اذا كان يدخن دخاناً مهرباً	
٠١٠	ورق طوابع	
٦٣٨	المجموع	

فلو اضفنا مقدار الربا والفوائض الفاحشة التي يدفعها صاحبنا هذا لعلمنا السر في بقائه مديناً ابد الدهر وان ارادت الحكومة ان تأخذ من كل فرد من الرعية ما اصابه فالو طلبت من صاحبنا هذا مثلاً (٦٣٨) قرشاً دفعة واحدة لطار عقله وصرف ذهنه الى الامتناع واستعد للعصيان واذا استعدت النفوس لذلك قامت في وجه الحكومة وشقت عصا الطاعة ولكن لما كانت هذه الضرائب موزعة بين ان تؤخذ من الافراد مباشرة تحت

سماه متنوعة وبين ان تؤخذ بالواسطة كرسم المكوس «كمرك» والدخان والملح فلا يشعر بثقلها احد وهذه الحكمة في اخذ ضريبة المواشي ولهذا تؤخذ هذه الضريبة تحت اسم خدمة الحكومة لحفظها من التعدي والنهب والسلب وهذا ما اصاب المواشي من نفقات الحكومة وديونها وبعد ذلك ارى ان الراعي والاراضي الامة لا للحكومة لان الحكومة هي الامة فلا نرق بين الامة والحكومة والخزينة هي خزينة الامة ويظهر مما تقدم ان للحكومة ان تطرح ضريبة على الماشية

بقي علينا ان نبحث في كيفية تلك الضريبة لتكون عادلة :

سمى الامام ابو يوسف رضي الله عنه الضريبة المذكورة بالصدقات اي الصدقة في المواشي فقال « سمعنا حديثاً عن الزهري عن سالم بن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً في الصدقة فقرنه بسيفه او قال بوصيته فلم يخرجه حتى قبض صلى الله عليه وسلم فعمل به ابو بكر حتى هلك ثم عمل به عمر قال فكان فيه في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة (٤٠ — ١٢٠) فاذا زادت فشاتان الى مائتين فاذا زادت فثلاثة شياه الى ثلاثمائة فاذا زادت ففي كل مائة شاة شاة وليس فيها شيء حتى تبلغ المائة وفي خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياة وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين فان زادت ففيها حقة الى ستين فان زادت ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت ففيها بنتا لبون الى تسعين فان زادت ففيها حقتان الى عشرين ومائة فان زادت على عشرين ومائة ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع » اه

وعن علي رضي الله عنه وابراهيم النخعي وابي حنيفة انه اذا كثرت الابل ففي كل خمسين حقة وكذلك الغنم اذا كثرت ففي كل مائة شاة شاة وليس في اقل من ثلاثين بقرة من البقر السائمة شيء فاذا كانت ثلاثين ففيها تبيع جذع الى تسع وثلاثين فاذا كانت اربعين ففيها مسنة فاذا كثرت ففي كل ثلاثين تبيع جذع وفي كل اربعين مسنة وفعل معاذ في اليمن مثله واما الخيل فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد عفوت لأمتي عن الخيل والرقيق » وقال ابو يوسف قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقله الينا رجال معروفون انه « قال تجاوزت لأمتي عن الخيل والرقيق » وقال عن سفيان بن عيينة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « تجاوزت لكم عن صدقة الخيل والرقيق » وقال

ابو يوسف "اما الابل العوامل والبقر العوامل فليس فيها صدقة" وشرط ابو يوسف في اخذ الصدقة شروطاً فقال « واما ما يؤخذ في الصدقة من الغنم فلا يؤخذ الا الثني فصاعداً ولا تؤخذ في الصدقة هرمة ولا عمياء ولا عوراء ولا ذات عوار فاحش ولا فحل الغنم ولا الماخض ولا الحوامل ولا الربي وهي التي معها ولد تربيه ولا الاكيلة وهي التي يسمنها صاحب الغنم ليأكلها ولا جذعة فما دونها فان كانت فوق الجذع وما دون هذه الاربع اخذها المصدق وليس لصاحب الصدقة ان يخير الغنم فيأخذ من خيارها ولا يأخذ من شرارها ولا من دونها ولكن يأخذ الوسط من ذلك على السنة وما جاء فيها ولا تؤخذ الصدقة من الابل والبقر والغنم حتى يحول عليها الحول والمعز والضأن في الصدقة سواء ».

فتبين مما تقدم ان الشارع عليه الصلاة والسلام نظر في قيم المواشي الحقيقية وايرادها الحقيقي لتكون الصدقة متناسبة مع الايراد الحقيقي ثم ان الصدقة (او رسم التعداد) هي شرعاً واحد من اربعين اي اثنان ونصف من مائة فلو نظرنا الى ربع الغنم وربع البقر وربع الابل وحسبنا الصدقات لم نجد تفاوتاً بين قيم الصدقات مثلا فقد جعل عليه السلام شاة على الاربعين شاة وشاة على الخمسة من الابل فاذا حسبنا قيمة الاربعين شاة وجدناها نحو اربعين ليرة بسكة زماننا ووجدنا قيمة الخمسة من الابل المتوسطة بحسب السوق نحو الاربعين ليرة فتكون الصدقة في الابل والضأن ليرة من اربعين على ان الشارع لم يأخذ الصدقة من دون الاربعين شاة والخمس من الابل رحمة بالفقراء اه

واما رسم التعداد النظامي الذي قام مقام الصدقات الشرعية فقد كان من قبل واحداً من عشرة ثم انقلب الى الرسم فصار اربعة قروش صحيحة عن كل دابة من معز وضأن فان كان عند رجل مائة وعشرون رأساً من الضأن وجب عليه دفع اربعمائة وثمانين قرشاً صحيحاً رسم تعداد وتسعة وعشرين قرشاً صحيحاً ونصفاً للتجهيزات العسكرية وقرشاً صحيحاً ثمن ورقة سكة حجاز ونصف قرش ثمن طوابع فتبلغ الصدقة عن المائة والعشرين رأساً (٥١١) قرشاً صحيحاً اي نحو خمس ليرات ونصف ريال مجيدي واما الصدقة الشرعية في هذه المائة والعشرين فهي شاة متوسطة لا تعادل قيمتها ليرة فصار رسم التعداد ستة اضعاف الصدقة الشرعية في الضأن واما الماعز فعلى المائة وعشرين رأساً منها كذلك (٥١١) قرشاً صحيحاً وهذا بمقام شاة من الماعز المتوسط وثمن الماعز المتوسط لا يتجاوز الثلاثة ريالات اي ٥٧ قرشاً صحيحاً فيكون رسم التعداد عشرة اضعاف الصدقة في الماعز وهذا منتهى الظلم فقد اتضح لنا ان الفرق بين الصدقة الشرعية والضريبة الرسمية

عظيم جداً وكنا ذكرنا في المقدمة انه يجب على الحكومة ان تستوفي رسم التعداد عندما يكبر نسلها و يبيعه صاحبها ليدفع الرسم من ريع ماله غير ان القانون الجاري حتى الآن يجبر اصحاب المواشي على دفع الضريبة في آذار او نيسان اوقبل آذار حينما تكون الخراف والحملان صغيرة لا تباع فيضطر صاحب المواشي الى الاستدانة بارباح فاحشة فيكون تحمل الضريبة مضاعفة ضريبة التعداد وفائضها فيصبح رسم التعداد عشرين ضعفاً من الصدقة الشرعية وهذه الضريبة الفادحة دفعت الاهالي الى الاحتيال وتهريب الغنم والمعز لانهم استكثروا الرسوم واعتقدوا انها ظلم صراح لا صدقة شرعية فاثار هذا التهريب طمع القائمقامين والمتصرفين ومأموري المال فصاروا يبيعون مأموريات التعداد بدراهم معدودات ولا يخفى على اولي البصيرة ان مأمور التعداد الذي لا تزيد اجرته على اربعمائة قرش لا يدفع خمسين ليرة من اجل ان ينال تلك الوظيفة الا اذا كان يعتقد تحصيل مائة ليرة والمائة لا تؤخذ الا من افراد متعددين فيضيع على الخزينة اكثر من مائتي ليرة وعلى ذلك نقس المملكة باجمعها تجد الحكومة قد اضاعت مبالغ تعادل ما اخذته فوق الصدقة الشرعية ولم تربح الا شيئاً قليلا غير انها حملت الامة اثقال الضرائب والظلم هذا اذا صرفنا النظر عما يذبحه الموظفون من الخراف فتخسر الامة مبالغ غير مشروعة بسبب انحراف الحكومة عن احكام الشريعة انحرافاً كلياً

ولما كانت القاعدة المشئومة تزيد واردات الخزينة باي صورة كانت من اجل ان تصرف على بذخ الظالمين في الاستانة وكان بعض القائمقامين والمتصرفين يخشون نقص عن البدل السابق انشأوا يضيقون على مستخدمي التعداد ليأتوا بزيادة الواردات يحملون الفقراء العاجزين ما ينقصونه عن الاغنياء فتبلغ ضريبة اغنام الفقراء اضعاف اضعاف ضريبة اغنام الاغنياء وارباب السطوة والصولة ولهذا نجد نقص رسم تعداد الاغنام على توالي الايام نحو اربعمائة الف ليرة في المملكة كما انه قل الخير وهجر الغنم اصحابها وقل اعتناؤهم وقلت المواشي فارتفعت اثمان اللحم والسمن وضاق امر المعاش

ولو نزلت الضريبة الى حد الصدقات وفرقت الحكومة بين الضأن والمعز وعدلت في رسم تعداد البقر والابل المسومة لتنفس الاهالي وهانت عليهم الضريبة واعتقدوا انها فرض ديني فلا يخفون ولا يهربون مواشيهم بسبب قلة الضريبة واداء الفريضة فحينئذ يرغب الناس في تكثير الغنم والمعز واصلاحها لكثرة ربحها ووفرة ارباحها فيكثر السمن والصوف والشعر فتسهل المواد الصناعية الابتدائية ويخرج ذلك الى الممالك

الاجنبية فتستفيد الخزينة من تمتع التجار والصناع ورسم الكمرك (المكوس) ويرخص السمن واللحم فتتسع على الناس معايشهم وتقوى على العمل اجسامهم وقد وقفت عند هذا القدر ريثما يتم النظام الجديد وسأعود الى البحث اذا دعت الحاجة والله الموفق

شكري العسلي

ضراء العلماء

٢

بين هذا الجيل الناشيء نفر لم يكتب لم الوقوف على حضارة المشرق وآدابه بل غاية ما وصلت اليه افهامهم من البحث والتدقيق أخذهم بغثاء العلوم الغربية الحديثة فقط فراحوا وهم ثملون بحثالة تلك الثمالة يهرفون بما لا يعرفون زاعمين ان المشرق وحده منبعث الاعمال البربرية كما ان البعض حتى من علماء المغاربة يصورون الشرقي ذلك «الغر المجرد» والعربي ذلك الذي يخوض بحاراً من رمال محرقة واشعة الشمس المذابة قطراتها تنصب عليه فتصهر رأسه في فضاء صحاري جرداء تكاد لا تتناهى...

ولو تهيأ لذلك العربي ما تهيأ للغربي من التربية والبيئة (المحيط) وتكاثر الوسائل والوسائط ما كان مدعاة للتأثير في اخلاقه وافكاره وخيالاته وقوته العقلية وطبيعته الحيوية الخ ... لاستعاض عن ظلال الخيام التي كان يتحضر في زواياها [1] بدور الكيمياء ذات البنيان الفخم والمعامل الكبيرة ولكانت له ضفاف الانهار مباءة يتفيؤ ظلالها الخضراء .

ولقد رأينا العرب لما اختلفت عليهم مؤثرات التربية والبيئة وأنشأوا يدوخون الممالك ويمصرون الامصار أمة ناهضة بلغت في التحضر والتمصر شأواً بعيداً وضربت في المدنية والعمران بسهم وافر . ونبغ بين ظهرانيهم من الدهاة من الفوا في العلم والاجتماع والادبيات على اختلاف ضروبها فبرز الكندي وجابر الكوفي والطوسي وابن رشد وابن

(١) جابر الكوفي الكيماوي العربي المشهور

سينا والفارابي وابن ابي اصيبعة والسمرقندي في الرياضيات والطب والفلسفة والغزالي والرازي وابن حزم وابن باجة وابن خلدون والمتنبي والمعري في الاجتماع والتاريخ والاخلاق والشعر وأخذ العظماء من الامراء يسرفون في انشاء معاهد العلم في بغداد وسمرقند والشام والاقطار الاخرى وعهدوا وظيفة التعليم الى من تألقت شهرتهم في العلم في ذلك العصر مما يدل عَلَى نهضة علمية كبرى نشأت في المشرق بقي من آثار القائمين بها الطلال بالية ومن نتائج قرائحهم بقايا ملئت بها مكتبات المشرق والمغرب عَلَى كثرة ما عداها من عوادي الايام

ألا وإن الامم تسير في تقدمها وتأخرها عَلَى نواميس عامة قد لا تختلف في الغالب إلا بقدر الاستعداد الفطري وتأثير الاقليم . وما يصح ان يقال عن تلك الامم من الاعمال البربرية ان هو الا امر طبيعي لا بد من وقوعه بين اي شعب أسف للانحطاط في العلم واخلد للجمود في الدين

***

مر عَلَى أوربا من ادوار الظلم والظلمات ما سجل لنا التاريخ من آثارها في الأمم الغربية ما يصح ان يكون عبرة هجية وذكرى سوء . وذلك في الغالب يرجع الى عوامل ثلاثة كانت علة العلل لما نجم عنها من سقوط وصعود : الملوك ورجال الكنيسة والنبلاء . أما النبلاء : فلم يؤثر عنهم في الأعم الاغلب من حالهم سوى انهم كانوا يسعون وراء تأييد نفوذهم ونيل مشتهياتهم وملذوذاتهم بأية طريقة كانت سواء دعا سعيهم هذا الى اهراق دماء الشعب وابتزاز امواله واكتساح الاراضي الشاسعة من مستعمراته او الى مقاومة الملوك اذا آنسوا منهم ما لا ينطبق عَلَى ماينزعون اليه من حب السلطة والجاه الذي كان دينهم وديدنهم حتى انهم لم نفوذ قوي كان لهم عوناً في عامة ما تذرعوا به من الذرائع لحفظ سلطتهم واحرازهم ميزة عَلَى غيرهم من بني البشر حتى في المحاكم ومسائل القضاء .

واما الملوك: فان استئثارهم في الملك واغراقهم في البذخ والترف حملهم عَلَى مبالغتهم في الارهاق والعسف واتيانهم كل امر منكر لمطاردة قادة الافكار من رجال الامة فكان الملك يذيب ايامه ولياليه التي كان يجب ان يقضيها فيما يعود عَلَى الامة والوطن بالمصلحة العامة في اختراع صنوف الحيل والدسائس تارة وفي احلام الموبقات مرة اخرى فمن طنطنة اقداح الى إراقة ابتسامات بين وصيف وبغا وكثيراً ما كانت «الحرب بالباب والسلطان في لعب»

وما ساعدهم على عملهم هذا غفلة الشعب واتخاذهم من اعتقاده بالملوك والقياصرة والاقيال والاكاسرة انهم آلهة الارض والآمرون الناهون في العالمين آلة صماء لتنفيذ آمالهم وأعمالهم . فكان الشعب مغلول اليد والفكر واللسان ليس له من الأمر شيء الا الطاعة العمياء . وفوق هذا كله فانه كان يرى في هذه الطاعة خيراً يصيبه او ثواباً يناله . ولم يكن من الشعب الغافل الا ان وسمهم بالألقاب السماوية ووصفهم بعامة صفات الربوبية

واما رجال الكنيسة : فكانوا يبالغون ايضاً حفظاً لسلطتهم واستبقاء لعزيز جبروتهم في اضطهاد العلم والعلماء . وتم لهم ذلك بما اسدلوه على الابصار من السجف المبرقشة التي هي ليست سوى خيالات خداع وختل ونفاق وتلاعب قالوا عنها انها الدين وليست منه في شيء حتى كان منهم ان كانوا يقسمون الممالك و يوزعونها و يخلعون من الملوك من يشاؤن و يدنوا كما قال احمد شعيب بك حكام اوربا المطلقين (ديكتاتور)

غضب مرة الاب (هيلدي بران) على هنري الرابع واصحابه فحرمهم جميعاً حتى اضطر الامبراطور هو وزوجته الى ان يقصدوه ليغفر لهم سيئاتهم فقطع جبال الالب في ايام الشتاء . وقد ارتدى قميصاً ابيض أعد للمجرمين ووقف أمام القصر الذي كان جالساً في صدره ذلك الاب ثلاثة ايام وهو يرتجف من صبارة القر واخيراً أذن له بالحضور فتمثل بين يديه وقبل قدميه وهكذا استطاع ان يظهر بمظهر العفو (١)

وان اعمال رجال الكنيسة في محكمة التفتيش لا تكاد تمحى آثارها من صفحات الوجود فقد كان الغرض من انشاء هذه المحكمة مقاومة العلم والفلسفة عندما خيف ظهورهما بين تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وايطاليا . وفي مدة ثماني عشرة سنة من سنة ١٤٨١ — ١٤٩٩ حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصاً بان يحرقوا وهم احياء فاحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين الفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة فنفذت ثم احرقت كل توراة بالعربية (٢)

وقد قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يلعن كل من ينظر في فلسفة ابن رشد وطفق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة . قال الاستاذ الشيخ محمد عبده : « لكن ذلك لم يمنع الامراء وطلاب العلوم من

(١) عن « الحرية الدينية » في التركية — لاحمد شعيب (٢) الاسلام والنصرانية — ص — ٣٨

كل طبقة من تلس الوسائل للوصول الى شيء من كتبه وتحلية العقول بعض افكاره» ثم قال: «واوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب اهل اوربا ما خيل لكل من يلج في ذهنه شيء من نور الفكر اذا نظر حوله والتفت وراءه ان رسول الشؤم يتبعه وان السلاسل والاغلال اسبق الى عنقه و يديه من ورود الفكرة العلمية اليه»

هذا ولا تنس ما كان للحروب والثورات بادي بدء من التأثير السيء في الحركة العلمية في المدارس فالثورة الفرنساوية دعت الى الغاء دار الفنون الذي ظل يختلف اليها الطلبة منذ زمن مديد . والغيت بالقرار المورخ في ١٠ آذار عام ١٧٩٤ كلية باريس وثلاث وعشرون جامعة في الولايات الاخرى وصودرت اوقافها واملاكها وان حروب التتار الشعواء اغارت عَلَى الجامعات التي أنشئت في مدينة (نوفوغوردو) و(كرسون) و(موسقو) من بلاد روسيا لما فتحها التتار بحد سيوفهم .

ولما دب في بولونيا دبيب الحياة وقامت تطالب باسترداد حريتها انشأت الحكومة الروسية تتذرع بكل جليل وتافه لصد هجماتهم وأول ما بدأت به إغلاق الجامعات والمدارس ومن ذلك جامعة (فارسوفيا) الشهيرة التي اغلقت عام ١٨٣٢ وظلت كذلك موصدة سنين واعواماً . وانه وان أذن للجامعات بعدئذ ان تفتح ابوابها بيد انه لم يعد يراعى فيها اصول الحرية في التربية والتعليم في حال من الاحوال

وانك لترى الجامعات والمدارس بعد ماتوالى عَلَى اوربا من الازمات العلمية والفكرية في حالة النزع والاحتضار إدارة وتعليماً . فاما ما كان من امر التعليم فأنها كانت تسلك الخطة التي كانت متبعة في القرون الوسطى وكان المتطفلون عَلَى موائد العلم يتصافقون الرتب العلمية عَلَى رؤوس الاشهاد ولم يكن من المعلمين الحقيقيين من يستطيع ان يدرب التلاميذ عَلَى اصول التربية الحديثة وان كان يوجد فانهم كانوا يتقاضون مرتباً نزراً يسيراً .

***

في ذلك الزمن الذي اشتدت فيه الازمة كانت اوربا تتمخض بالثورات السياسية والدينية . بيد انها لم تستطع ان تضع حملها الابعد ان نبغ فيها فريق من اهل العلم والادب فبدأوا يجدون بما في طوقهم وطاقتهم وراء مكافحة اولئك الخونة المارقين ومناختهم في القلم واللسان ليستردوا لبني البشر حقوقهم المغصوبة فكان فيهم العلماء والحكماء والادباء والقصصيون والشعراء امثال نيوتن وباكون وديكارت وهيكو وفولتر

ولامارتين وتولستوي ولوك وفيختي وكانت وميرابو وموليير وغيرهم من رجال الاصلاح وكذلك كان بين هؤلاء من رجال الاصلاح الديني كثيرون ومن اشدهم جهاداً وجلاداً « لوثيروس » زعيم المذهب البروتستانتي في البلاد الاوربية والاميركية جمعاء .

فـد هؤلاء العظماء العجز في تربية الشعب وتعليمه واغتذت النفوس بما تجدد في البلاد من الاوضاع وما ذاع في عالم المطبوعات من المصنفات العلمية والادبية واكتسبت بما اكتسته من الحلل القشيبة ميلاً خاصاً من القلوب فتهافت الناس عليها وهم في اشد الحاجة الى ما يمحو ما تلطخ على صفحات الافكار من الشوائب المبهمة . وكان اول انقلاب وقع في نظام الأسرة (العائلة) والمعتقدات . وتمثل هذا الانقلاب بأكمل مظاهره في المبادي، والافكار وعلم الشعب حق العلم انه مهضوم الجانب مهيض الجناح وان الملوك والامراء باجمعها ليست سوى اجراء له وانتفض نزع الى استرداد حقوقه بما مازج روحه من قوة الحرية في القول والعمل

***

شعر الملوك ورجال الكنيسة لما آنسوا من الشعب ميلاً الى الاصلاح ورجاله بالخطر الذي يتهدد سلطتهم المطلقة فأخذوا يضيفون على مظالمهم الاولى ضروباً من الجنايات والخيانات . ألا وان قصر الباستيل والآلة المدعوة المقصلة (كيلوتين) ومحكمة التفتيش وفيافي سيبريا وسراي التويلري [1] اعظم شاهد على ما اتوا به من الفظائع والفجائع لمناهضة العلماء والحكماء ورجال الاصلاح :

هذا « لافوازيه » العالم الكيماوي المشهور الذي عني بهـذا الفرع من العلم عناية خاصة واكتشف عناصر جديدة لم تكن معروفة من قبل ووضع نواميس عامة ابان فيها ما خفي تعليله على المتقدمين حتى دعي بـ (واضع الكيمياء الجديدة) — هذا الرجل على فضله وعلو كعبه في العلم وخدمته الانسانية جمعاء حكم عليه بالاعدام وسيق الى ساحة القتل حيث ذهب ضحية الجهل والغدر والخيانة

وهذا « غاليله » العالم الايطالي الفلكي المشهور عقدت من اجله جلسات متوالية في ايطاليا ضمت اهم رجال الكنيسة وغيرهم واجمعوا بخروجه عن اوامر الدين في قوله

(١) هي اشبه بقصر يلدز في عهد السلطان عبد الحميد المخلوع كانت مقراً لملوك فرنسا في باريس واحرق في مايو عام ١٨٧١

بحركة الارض ثم حكموا عليه بالاعدام فالتفت الى الجمهور وهو جذل فرح وقال : « هي تدور وفوق ذلك هي كروية »

وكذلك « دانتي » حكيم ايطاليا وشاعرها امر الكردينال « بورجينو » عام ١٣٢٩ باحراق بعض مؤلفاته في بولونيا جهاراً وطلب اخراج جثته من القبر واحراق عظامها انتقاماً منه عَلَى الحاده ثم لم تمض عَلَى هذه الاحكام عشر سنين حتى شعر الشعب الايطالي بمنزلة هذا الرجل ففي سنة ١٣٥٠ قررت جمهورية فلورنسا ان تدفع مبلغاً من النقود الى ابنة له راهبة تدعى « بتريس » وفي عام ١٣٩٦ قررت ان يبنى له ضريح ويقام له تذكار في فلورنسا عَلَى انهم ما زالوا يحاولون بذلك الى اوائل هذا القرن فابتنوا له ضريحاً وقد احتفلوا بافتتاحه في ١٤ تموز عام ١٨٦٥ وهو تذكار مضي ستمائة سنة من يوم ولادته

ومثله « فولتير » حكيم الادباء في فرنسا نظم قصيدة هجا بها لويس الرابع عشر ملك فرنسا فحكم عليه بالسجن فسجن في الباستيل سنة نظم اثناءها قصيدة سماها التعاهد (لبج) ورواية دعاها (اوديبوس) قالوا انها احسن ما كتبه من حيث شرح العواطف الحقيقية وذلك عام ١٧١٨ ثم اطلق سراحه بدعوى انه مريض يحتاج الى تبديل الهواء في (بلومبيار) فسار وقد عول عَلَى ان لا يعود الى فرنسا ولكن قلمه ثنى عزمه فعاد الى مثل ذلك فأعيد الى السجن مهاناً بالضرب واللكم عام ١٧٢٦ فلبث هناك ستة اشهر ثم اطلق سراحه والتجأ الى انكلترا لعله يتخلص من دسائس الفرنسويين

ولقد كتب مقالات فلسفية قيل انه تعرض فيها للدين والسياسة فاحرقت بامر مجلس الامة (البرلمان) واضطر إلى مغادرة باريس خوفاً عَلَى حياته وقد ذهب بعضهم الى انه ملحد لان الكهنة لم تأذن بدفنه عَلَى العادة المألوفة وان احد ابناء اخيه كان رئيساً لدير فأخذ الجثة سراً الى ديره ودفنها في الكنيسة وفي سنة ١٧٩١ نقلت الجثة الى البانتيون مدفن الملوك والعظماء والكبراء

وكذلك « روسو » فانه نال من نبال الطعن والاحتقار ما لا يكاد يخطر عَلَى بال وما ذنب هذا الرجل الكبير — كما قال احد حكماء فرنسا — سوى انه خالف سنة اهل النظر في عصره وهي اعتمادهم في اصلاح المجتمع الانساني عَلَى الرجال ومخاطبتهم اياهم فيه بان وجه خطابه الى الوالدات والاطفال وهو امر هداه اليه ما فطر عليه من جودة الطبع وذكاء القريحة » ثم قال : «وان اردت ان ابين لك كيف خدم روسو الاطفال خاصة بما نشره في كتبه من الانتصار لهم قلت ان ذلك انما كان بما القته تلك الكتب

في نفوس الفرنسيس من بذور الثورة وهيأتها به لها ».

ومثله « لوتيروس » المصلح الديني الالماني فانه قام بالدعوة الى ما صح عن المسيح طبق ما ورد في الانجيل ضاربا بتلك الاوهام التي تعلقوا تعلقوا بها عرض الحائط . واول ما ناهضه هو مسألة الغفران ولم ير داعياً للابوة فالغى الرتب الروحانية وشركات الدنيا والقاعدة التي تحول الرهبان عدم الزواج ظهريا .

وحملته طبيعة الحال على ان يدعي و يثبت مدعاه بان كنائس الكاثوليك جمعاء تناقض احكام الدين المسيحي على خط مستقيم وقد دعا الامبراطور « شارلكان » المجلس العام في المانيا الى الائتام فالتئم وطلب المجلس باكثرية الاصوات احراق « لوثيروس » وقد كاد يقع ذلك لولا انه اقام سنة كاملة في دارنبورج مختفيا عن اعين الرقباء واتم خلال هذه المدة ترجمة الانجيل الذي كان شرع بترجمته بادي، بدء واحدث انقلابا كبيراً في الادبيات الانكليزية والافكار

وبلغ بالقسيسين التعصب في اسبانيا على عهد سكيمون الثالث مبلغاً هذا حده ولم يكن منهم الا ان ابعدوا عامة من كانت تهزهم اريحية الوطنية ايام كان القسم الاعظم من واردات الحكومة مخصصاً لصندوق الكنيسة . وان شعور التعصب قد بلغ في اوربا اشده حتى كان الوباء اذا فشا نسب الى الموسوبين ومن ثم ترى هؤلاء المساكين يستهدفون لضروب الايذاء والجفاء ما الله به عليم (١)

وبعد فان سلطة العلم لا تقاوم ومن قاومها كان خليقاً بكل أذى يلحقه ان لم يكن عاجلاً فآجلاً . وصوت العلم النافع — كما قال رنان — كثيراً ما يتضاءل امام همهمة المهاجمين وقحة الدجالين وللعلم صوت متى سكن ضجيج تلك الظواهر يظل ذاك الصوت يسمع فلا يعود احد يسمع غيره » قال : « ومن اجل هذا ترى المجامع العلمية على كثرة شكوى اهل الافكار المنحطة منها فائزة بفضل الغلبة لانها حارسة حسن الترتيب الحقيقي وهي قليلة ولكنها مفلحة وليس لغير العقل سلطة تبقى »

وان رجال الاصلاح كلما اغرقوا في الدعوة اليه صموا آذانهم عن جلبة الوشاة والشانئين ولم يحفلوا بما ينزل بساحاتهم من الكوارث وانهم ليعدون ما يصيبهم من اهانة واحتقار شرفاً لهم وفخراً كما قال ذلك الكاتب الفرنسوي : « كل قبضة من الوحل تلقى في جبهة

(١) الحرية الدينية — احمد شعيب

صاحب صناعة فهي اكليل من الفخار » وقد سيق من سيق من هؤلاء المصلحين الى القتل وعَلَى شفاههم تلوح ابتسامة السرور ولسان حالهم يقول كما قال لازوروس : « نحن نموت الآن لان الشعب نائم وتموتون انتم غداً متى استيقظ الشعب »

***

هذه آثار الادوار السوداء ونتائجها ولقد كان للامم الشرقية من آثار مثل هذه الادوار حظ وافر ولو لم يزل فيهم من القوة بقية ومن الذكاء القماء لأودت بحياتهم الادبية منها والمادية . ومما يقوي آمال رجال الاصلاح ويشد عزائمهم ما رأوه من نهضة المشارقة في هذه القرون الاخيرة فقد تناولت الحركة الاصلاحية الشمس المشرقة (اليابان) ففارس فالامة العثمانية مما يدل عَلَى ان الاستعداد كامن في نفوس البشر التربية تظهره والاهمال يخفيه

ولا بدع اذا قامت تلك الاقوام بنهضة حديثة اهتزت لها الارض من اقصاها الى اقصاها وهم الذين كانت لهم فيما مضى حضارة ضخمة فخمة قضت عليها النواميس الطبيعية بالاندثار والعفاء وقيضت من رجال الغرب من عني بامرها فبرزوا بها وبرزوا . وما عَلَى الأمم الشرقية اليوم الا ان تطرس عَلَى آثار الغربيين في العلم والاجتماع وتأخذ بالامور المعقولة من حضارتهم ومدنيتهم ليكتب لها عمر مديد وتاريخ مجيد ! . .

دمشق : صلاح الدين القاسمي

الرتب والاوسمة

كانت الرتب والاوسمة العامل الاقوى في افساد الاخلاق على عهد الحكومة الاستبدادية الماضية فاستعملها الظالم ذريعة لرفع من شاء ولو كان وضيعاً وتصغير من اراد ولو كان كبيراً وفي تقلد الاوسمة ونيل علائم الرتب كم خربت بيوت وشتت شمل أسرات وكانت اقل الوسائط اليها واقربها تناولا ان يعمد من يرغب في التشرف بها الى التجسس على الاحرار وايجاد السبل لارهاق من يطالب الحكومة السالفة باصلاح المختل ومداواة المعتل ٠

ومن نظر في التاريخ يجد الالقاب عند العرب والافرنج من بقايا القرون الوسطى قرون الهمجية والانحلال ٠ فمنشأوها عند العرب كما قال ابن الحاج في المدخل الترك فانهم لما تغلبوا على الخلافة تسموا هذا شمس الدولة وهذا ناصر الدولة وهذا نجم الدولة الى غير ذلك فتشوقت نفوس بعض العوام ممن ليس له علم بتلك الاسماء لما فيها من التعظيم والفخر فلم يجدوا سبيلا اليها لعدم دخولهم في الدولة فرجعوا الى امر الدين فكانوا اول ما حدثت عندهم هذه الاسماء اذا ولد لاحدهم مولود لا يقدر ان يكنيه بفلان الدين الا بأمر يخرج من السلطنة فكانوا يعظمون على ذلك الاموال حتى يسمى ولد احدهم بفلان الدين فلما ان طال المدى وصار الامر الى الترك لم يبق لهم بالتسمية بالدولة معنى اذ انها قد حصلت لهم فانتقلوا الى الدين ثم فشا الامر وزاد حتى رجعوا يسمون اولادهم بغير ما يعطوه على ذلك ثم انتقل اليه بعض من لا علم عنده ثم صار الامر متعارفاً متعاهداً حتى أنس به العلماء فتواطأوا عليه ٠ قال ابو بكر الخوارزمي

مالي رأيت بني العباس قد فتحوا   من الكنى ومن الالقاب ابوابا
ولقبوا رجلا لو عاش اولهم   ما كان يرضى به للحش بوابا
قل الدراهم في كفي خليفتنا   هذا فانفق في الاقوام القابا

اما في الغرب فكانت الرتب العلمية والجندية في القرون الوسطى تباع بيع العروض والعقار يمنحها الملك لمن يريد من حاشيته او لمن يرى هو ورجاله انه قام بخدمة لبلاده

وربما ورثها عنه ابناؤه واحفاده من بعده على نحو ما اصبح اولاد العالم في العهد الاخير في هذه الديار يرثون وثائقه ومقامه كما يرثون ارضه ومتاعه وتطلق عليهم الالقاب هي العجب العجاب واسماء ما انزل الله بها من سلطان كأن يقال لاجهل الجاهلين اعلم العلماء المحققين وللخالع المارق ناصر السنة والدين.

الرتب على النحو الذي يعهد في الشرق والغرب اليوم لم يكن لها ما يماثلها في الدولة اليونانية ولا الرومانية وغاية ما في الامر ان الظافر في الالعاب الاولمبية في آثينة كان يذكر بالمحمدة ذكراً يورثه الشرف هو واهل بلاده وينال جائزة سنية وكذلك من كتب له النصر على اعداء رومية ولكن لا يرث ابناؤه واهله ما كان هو ابا عذرته وداعية مفخرته

ولما انتظمت حكومات الغرب الغيت الرتب من معظم الممالك الاوربية ولا يزال لها اثر في بعضها ولكنه ضئيل لا ينمّ عن شرف ولا ينبئ عن فضيلة ورجع الناس هناك او كادوا الى عادة السذاجة التي كانت عليها دولة العرب ثلاثة قرون واكثر فكان يدعى الكبير باسمه او بكنيته ولم يكن للالقاب سوق معروفة

كان يراد بالرتب والاوسمة وعلائم التشريف في الاصل تحريك نفوس الناس الى مباراة بعضهم بعضاً في طلب الكمال والمجد الحقيقي لان من واجبات الحكومة ان تنشط العامل وتأخذ بيد صاحب الكفاءة ليكون مثالاً صالحاً لغيره والرتب والاوسمة من الامور التي قد تساعد على هذا الشأن ولكن المتأخرين من اهل الغرب شاهدوا كما شاهد المتأخرون في الشرق ايضاً رداءة تلك الطريقة فاسقطوا بعض تلك الرتب والاوسمة وبقي غيرها عضواً اثرياً من حكومات القرون الوسطى يدل باصرح بيان على ان من الصعب جداً على حكومة لها بعض التقاليد وان كانت غير معقولة ان تنسفها جملة واحدة اللهم الا اذا كانت كحكومة الولايات المتحدة لم تبن اصول حكومتها على انقاض غيرها بل جعلت فيها العلم قائداً والعقل مرشداً ورائداً ولذلك تساوى بها العامل الصعلوك مع رئيس الجمهورية في الالقاب والتشريف

قال احد علماء الفرنسيس: ومن الواجب الاقتصاد في منح الاوسمة والالقاب وان يتوخى المنعم بها ان لا يهبها الا لمن يستحقها ممن لا ينكر عليهم استئهالهم لها ابعد الناس عن معرفة الحقيقة ومن الخطإ الفادح ان يذهب بعضهم الى ان عدد الراضين يزيد بمضاعفة علائم الشرف اذ الامر بخلاف ذلك وكلما خففت المطالب والقيود درجة زادت الدعاوي الطويلة العريضة وما الت بصاحبها في هذا المطلب الا كأنه يتقاضى

حقاً او امراً مشروعاً وكما زاد اعطاء الاوسمة وقعت الحكومات في شر اعمالها فتصبح في ذلك بين امرين اما ان تعطيها لاناس لاخلاق لهم او لمن لهم علم واقتدار ولكنهم معروفون بالاخلاق السافلة وكلا الحالين قبيح وافبح . وما حال الشعب اذ ذاك الا حال الاطفال في المدرسة يطمحون الى المكافآت المدرسية ويحرصون عليها اكثر من طموحهم الى التقدم الحقيقي

قلنا ان الظافر في الالعاب الاولمبية بآتينة كانت تنظم له الجوائز وكذلك الظافر في البر او البحر يجازى احسن الجزاء في رومية ويقلد اوسمة اشبه باوسمة هذه الايام علاوة على المكافآت المالية ومنها تيجان للجنود واكاليل من ورق الزيتون واكاليل من اغصان البلوط واسورة وقلائد من الذهب والفضة تناط في الصدور او في قرون صغيرة تجعل في اطراف الخوذ

***

ولم تكد ترفع عن الافواه والاقلام في البلاد العثمانية كمائم الاستبداد والحجر هذه السنة حتى قام عقلاء العثمانيين يكتبون في اسقاط الرتب والاوسمة لان في اسقاطها رفع شأن ارباب الكفاءآت ونوعوا لذلك الاساليب وفي مقدمة الكاتبين المتخرجون من المدرسة الملكية العالية في الاستانة وهي من ارقي مدارس الدولة فقام من تعلموا فيها وفيهم الولاة وكبار العمال وتجردوا عن رتبهم مختارين قائلين ان الرتب من قبيل الامتيازات(١) الشخصية المخلة بقاعدة المساواة وان البلاد الشوروية لا يجوز ان يكون فيها فريق من الناس محكوماً لفريق آخر من اجل هذه الامتيازات الوهمية التافهة

وبعد فانه لا اثر لهذه الرتب الشخصية في البلاد المتمدنة ولا وجود لها الا في بلادنا وفي بلاد ايران على اننا نعد هذه المسألة قد حلت حلاً نهائياً لان مجلس الامة مصمم على الغائها بتاتاً وبما ان آخر الشيء يدعو الى اوائله احببنا ان نبحث في نبذة من تاريخها ليبقى حسرة في قلوب عشاقها المولعين بوضع النصب على الصدور وفوق العمائم

كان الرومانيون واليونانيون يوجهون المناصب لغير طبقة العسكرية ولكن لا يوجهون لديهم رتباً شخصية . اما العرب فكانت الرتبة عندهم هي الفضيلة والمزية الشخصية وكانوا يوجهون الرتب العسكرية عند الحاجة موقتاً

(١) من مقالة في مجلة الملكية التركية بقلم علي سيدي بك وتعريب شاكر افندي الحنبلي

وانا اذا تصفحنا التاريخ نرى النبي صلى الله عليه وسلم عين وزيره ورفيقه في الغار ابا بكر الصديق رضي الله عنه جندياً في الجيش الذي عقد لواءه لاسامة بن زيد وكان هذا ابن أمة ولكن خبرته في امور الحرب وشجاعته اهلته لقيادة جيش فيه مثل ابي بكر الصديق ونرى عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد وجعله تحت قيادة ابي عبيدة الجراح وكان جندياً في جيش خالد بن الوليد لما عهده عمر في ابي عبيدة من التأني والاحتياط في امور الحرب

واخذت الحكومات في القرون الوسطى باوربا على عهد الاقطاعات توجه الرتب والالقاب على المأمورين الملكيين قياساً على رتب الرهبان فرتبة فارس (شفالية) كانت شخصية ولها درجات معينة وليس عند الاوربيين اليوم رتب شخصية توجه بالانتهاء بها .

كانت الدولة العثمانية في اول امرها توجه لقب « باشا » بمعنى الاخ الاكبر على من يخدم الدولة والدين خدماً فائقة ولقب «جاويش» و «اغا» على من يخدم خدماً صغيرة ولما اصلحت الامور العسكرية والملكية والعلمية في زمن السلطان اورخان ومن يليه من السلاطين احدثت بعض رتب خاصة بالمناصب لا يتجاوز عددها الاربعة وهي (خوجكانلق) و (قبوجي باشيلق) و (ميرميرانلق) و (الوزارة) ولا يتجاوز اصحاب هذه الرتب السبعين او الثمانين في الغالب فرتبة الوزارة كانت توجه على الصدر الاعظم وعلى (توقيعي ديوان همايون) وعلى (دفتر دار الشق الاول) يعني ناظر المالية وتوجه نادراً على عامل الولايات الكبرى المهمة وتعلو اقدار رجال الدولة (خواجكان) و(قبوجي باش) وتوجه رتبة (الروم ايلي بكلربكي) التي كانت لها صبغة رتبة عسكرية على المتخرجين من اصحاب رتبة (ميرميران)

كان لقب (سعادتلو) خاصاً بالسلطان الى عهد سليمان القانوني ويخاطب الصدر رجال الدولة بلقب (عزتلو) ومع هذا كله كانت الرتبة توجه وتمنح في مقابل خدمة مهمة . وفي سنة ١٢٤٨ أدخل بعض التغيير في الرتب والالقاب فتوجه رتبة (اولى) مع لقب (سعادتـلو) على (كتخدابكي) ناظر الداخلية او مستشار الصدارة اليوم وعلى (رئيس الكتاب) وهو ناظر الخارجية وعلى ناظر (الضربخانة) وتوجه الرتبة الثانية مع لقب (عزتلو) على (امين الترسانة) و (امين دار المدافع) وعلى (الباش جاويش) يعني ناظر العدلية والضبطية وامثالهم . والرتبة الثالثة مع لقب (رفعتلو) على مكتوبي الصدارة والبكلكجي والآمدجي . والرتبة الرابعة مع لقب (فتوتلو) على امناء المكوس وبقية

رؤساء المأمورين . والرتبة الخامسة مع لقب (حميتلو) على مديري الاقلام ومميزيها

وقسمت بعد ذلك الرتبة الثانية والثالثة الى قسمين وجه اول منها على رجال الباب العالي والثاني على ارباب اللياقة من مأموري الولايات وقد أُهملت منذ ربع قرن فروع الرتبة الثالثة كما أُهملت في زماننا رتبة (خواجكان) و (قبوجي باشي)و(الخامسة)

وفي سنة ١٢٥٥ سمي القسم الاول من الثانية متمايزاً وقسمت الرتبة الاولى الى قسمين وسمي القسم الاول (اولى اولي) بالاضافة مع زيادة (حضرتلري) على الالقاب و(المشار اليه) بين العبارات وسمي القسم الثاني (اولى ثانيسي) و بالنظر لتكاثر سواد اصحاب الرتب الاولى وتجاوز عددهم الاربعين شخصاً احدثت في سنة ١٢٦١ رتبة (بالا) مع لقب (عطوفتلو) ليكون خاصة بالرجال المجلين والممتازين على شرط ان لا يزيد عدد اصحابها على السبعة اه

اسبانيا والعمران العربي

نشر المسيو كاباتون من علماء المشرقيات بحثاً ضافياً في مجلة العالم الاسلامي البار يزية جاء فيه ما تعريبه : كتب لاسبانيا من دون سائر بلاد اوربا ان تكون مبعث اشعة التمدن الاسلامي وكهف اللغة العربية على حين ليست هذه الشبه الجزيرة متصلة من حيث موقعها الجغرافي بالشرق الاسلامي مباشرة كما هي حال الممالك البلقانية واليونان مثلاً . واقرب البلاد بها مساساً واقربها منها حمى بلاد افريقية التي كانت منذ قرون ثانوية في النشوء الاسلامي نشغلت اسبانيا مكانة عظمى في تاريخ الاسلام اكثر مما جاور آسيا الصغرى من بلاد الطونة واليونان التي لم تشهد من الاسلام الا العهد الموغل في التوحش الكثير الفتن القليل المنافع ونعني به عهد الاتراك على حين ذاقت اسبانيا اجمل عهود الاسلام واخصبها واعني به عهد العرب فتأصلت مدنيتهم في اسبانيا وازهرت فيها اي ازهار

فتح طارق بن زياد وموسى بن نصير اسبانيا من سنة ٧١١ م الى ٧١٤ وكانت مستعدة لهذا الفتح لان الفوضى كانت رافعة عليها اعلامها فاستولى العرب على عرش تلك البلاد

من ملكها رودر يك الذي هلك في المركة واظهر الاشراف ورجال الدين من الاسبانيين من الجبن والنذالة شيئاً كثيراً فهربوا من اشبيلية وقرطبة عندما سقطتا في ايدي العرب ولم يفكروا في الدفاع عنها وبلغ بهم الخوف في طليطلة ان بعضهم هرب الى غاليسيا ومن رجال الدين من لم يقفوا الا في رومية لانهم كانوا يخشون عَلَى حياتهم واموالهم عَلَى ان حكومة اسبانيا اذ ذاك كانت مكروهة من العبيد واليهود لان هؤلاء كانوا مضطهدين . خدم العبيد بادئ بدء الدولة الاسبانية قبل دخول العرب ثم قل اخلاصهم لها حتى ان قرطبة سلمها للعرب راهب من العبيد وتمت عَلَى ايديهم خيانات اخرى . وكان اليهود اكثر ضرراً عَلَى حكومة اسبانيا القوطية ولا يتأتى تقدير عددهم بالتدقيق بل هم فيما يظهر عنصر مهم للغاية انتشروا في قرطبة واشبيلية والبيرة وغرناطة وطليطلة وغيرها من المدن ولا سيما لوسنا

وكان اليهود في الاندلس عَلَى جانب عظيم من الغنى وحسن معرفة بالتجارة وارقى علماً من جيرانهم واستحكمت بينهم الصلات حتى اصبحوا حكومة وسط حكومة تخاف الملك ورجال الدين الكاثوليكي من امتداد سلطانهم واخذوا يضطهدونهم بتعامل شديد فربى الخوف والاضطهاد في نفوسهم البغضاء وحب الانتقام . وفي سنة ٦٩٤ قبل مجيء طارق والعرب بسبع عشرة سنة دبر الاسرائيليون مكيدة بمعاونة قبائل البربر اليهود من اهل افريقية وكادوا يستولون عَلَى زمام المملكة الاسبانية . فاكتشفت المكيدة التي دبروها واخذ المسيحيون يعاملون الاسرائيليين معاملة العبيد الارقاء وكاد يقضى عَلَى العنصر اليهودي عندما بدت طلائع الفاتحين من العرب . اعتبر اليهود العرب مخلصين لهم فاطمأن المسلمون اليهم وأخذوا يعاملونهم معاملة حلفاء لهم وكلما كان يفتح العرب مدينة يجعلون نصف حاميتها من اليهود والنصف الآخر من المسلمين ولم يستثن من ذلك الا مدينة مالقة حيث قصر اليهود فلم يتداخلوا في امرها

وكان لليهود شأن واي شأن مع العرب فكان من يناله اضطهاد المسيحيين على اوائل الفتح العربي يدخل في الاسلام ويتحرر من قيود العبودية فمن ثم اصبح اليهود حلفاء المسلمين يتمتعون باراضيهم واموالهم وحريتهم في عبادتهم وغدت لهم مكانة في تنظيم شؤون اسبانيا ولا سيما في غرناطة التي ازهرت بمساعيهم وغدت تسمى في اواخر القرن العاشر مدينة اليهود ثم حدثت مذبحة سنة ١٠٦٦ نقتل فيها من الاسرائيليين اربعة آلاف رجل في غرناطة وحدها

ولم يكن المسيحيون الاحرار في الاندلس مثل العبيد واليهود من اعوان الفتح العربي بل كانوا خصومه ومع هذا كنت تراهم عَلَى حالة حسنة مع الفاتحين ممتعين بحريتهم المذهبية ومحتفظين بالقسم الاعظم من كنائسهم وكثير منهم دانوا بالاسلام سياسة او اعتقاداً لا سيما وقد رأوا المسلمين نالوا النصر المؤزر الباهر . والسبب في تسامح العرب مع نصارى اسبانيا ان مركز العرب كان الى التقلقل وكلمتهم مختلفة وذلك لان العرب والبربر يكره بعضهم بعضاً . ثم ان العرب بطبيعتهم مفطورون عَلَى التسامح الديني وكان النصارى وحدهم يدفعون الجزية حتى اذا اخذوا يدينون بالاسلام فرغت خزائن الحكومة العربية لقلة الجزية الواردة اليها. ثم ان المسلمين اخذوا يتزوجون من الاسبانيات اللائي كن بجمالهن اعظم صلة للامتزاج بين الفاتحين وخصومهم

وكانت تجري عَلَى سادات الاسبانيول احكام الاسلام فيختلطون باشراف العرب ومن ظل محتفظاً بدينه منهم نمي مبادئه فصار يحجب نساءه كالمسلمين ويقتدي باز يائهم والبستهم وعاداتهم في مآدبهم ورفاهيتهم وخلاعتهم و يزهد في اللغة اللاتينية ويجتهد في تعلم اللغة العربية وآدابها و يسعى في نيل وظيفة في الجيش الاسلامي او التعلق بخدمة الخليفة او احد رجاله .

ولقد كان القشتاليون والليونيون والنافاريون من سكان شمالي اسبانيا المسيحيين يأتون بكثرة للانخراط في خدمة الخليفة المنصور وكان هذا موقناً بان حب الكسب هو الذي يحمل هؤلاء عَلَى الاخلاص له اكثر من اشراف العرب الطائشين فيجري عليهم لذلك الارزاق والجرايات الوافرة ويشملهم برعايته . واذا شجر اختلاف بين مسيحي ومسلم من جنده يعطي الحق غالباً للمسيحي . وكانت ايام الآحاد ايام العطلة بدل الجمع . ولما انقسمت بلاد الاندلس بين الطوائف امسى ملوك المسيحيين يتزوجون من بنات الامراء المسلمين فقد تزوج الفونس السادس بزايدة ابنة امير اشبيلية . وان اسبانيا عَلَى ما كان بين العنصرين المسيحي والاسلامي في الاندلس من الاختلاف الذي لا مناص منه قد اصبحت مدة قرنين ونصف اي منذ الفتح العربي الى زوال الخلافة الاموية (٧٧٤—١٠٣١) تحت السلطة العربية والمدنية العربية برضاها لا بالرغم منها وقد مزجت تلك المدنية بالمدنية الاسبانية اللاتينية واليهودية التي كانت هناك قبل الفتح الاسلامي وكان ذلك بفضل العقل العربي

من الظلم ان يقال ان اسبانيا كانت قبل اغارة العرب عليها في حالة الهمجية فقد

كانت المدنية اللاتينية زاهرة فيها بفضل رجال الدين فاصبحت اشبيلية بواسطة أسقفها القديس ايزيدورس مركزاً علمياً قوي الدعائم لم يقو الفتح العربي عَلَى زعزعته وانقذت مدرسة اشبيلية التقاليد اللاتينية من الحركة الشرقية فاصبحت البيع والاديار محال الاعتقادات والمعارف ولا سيما طليطلة وقرطبة واشبيلية فكان يدرس فيها علم العروض والآداب اللاتينية مع علم اللاهوت · وعَلَى الرغم من سعي الاساقفة انتشرت المدنية العربية بسرعة وكادت تقضي عَلَى الوطنية الاسبانية وانحلت تلك المدنية الاصلية حتى ظلت معاهدها من القرن العاشر الى القرن الثاني عشر مباءة الانحلال والتذبذب

دان كثير من الاسبانيين بالاسلام فاخذوا يتناسون اصولهم و يستعربون بحضارتهم واخلاقهم وانشؤا يتكلمون بالعربية بفصاحة لا غبار عليها وتمكنوا من آداب العرب حتى صار الخلفاء يختارونهم فيما بعد عمالاً لاداراتهم وامناء لمشورتهم واسرارهم اي في جميع الوظائف التي تقتضي ان يكون لصاحبها معرفة واسعة باللغة العربية ومتى قبل احدهم مدنية الفاتحين لا يلبث ان يعترف بانها ارقى من غيرها

كانت مدنية العرب في اسبانيا محسوسة في الامور المادية وذلك بما استعملوه من الوسائط الزراعية لاخصاب الاراضي البور في اسبانيا بالاساليب العملية التي اتخذوها لريها وهي اساليب ان لم تكن اختراع العرب فهم الذين اكملوها وانقصوها واحسنوا استخدامها كما انهم اسسوا معامل للحرير والجلود والبلور وغزل الصوف والقطن والكتان والقصب واقاموا ما لا يحصى من البنايات العمومية من مثل الجوامع والحمامات ومنها ما يستدعي اعجاب الامم باسرها حتى بعد ثمانية قرون من تأسيسه مثل جامع قرطبة وقصر الحمراء في غرناطة · ثم خدموا العمران بتخطيط المدن الآهلة بالسكان الغنية الرباع التي لم تسترجع بعد العرب ما كان لها في ايامهم من الحضارة وما برحت انقاضها وما فيها من جمال رائع وصناعة محكمة ولا سيما في قرطبة وغرناطة شاهدة ابد الدهر بتلك المدنية باعثة عَلَى التأسف لزوالها

نعم ان العرب فاقوا من تقدمهم في شبه جزيرة الاندلس بعلوم الطب والنبات والفلك والطبيعيات سواء كان بالعمليات او بالنظريات فكيف لا يبرزون في علم البلاغة والفلسفة والشعر وهي العلوم التي كان لهم القدح المعلى فيها · وقد اجتذب حب هذه الحضارة حتى المسيحيين ومنهم من تناسى الاحقاد والمبادي وما انقضت ثلاثون سنة على الفتح حتى اصبح الناس ينسخون الكتب اللاتينية بحروف عربية كما كان يفعل

اليهود بمخطوطاتهم العبرية وما مضى نصف قرن الا وقد دعت الحال الى ترجمة التوراة والقوانين الكنائسية الى اللغة العربية ليتمكن رجال الدين القسس من فهمها

ولقد اتخذ المسيحيون اللغة العربية ترجماناً لعواطفهم وقلوبهم حتى شكا الفارو القرطبي صديق الشهيد الوج كما قال دوزي في كتابه تاريخ المسلمين في اسبانيا من ان المسيحيين في الاندلس قد افرطوا في حبهم للعربية حتى صاروا يحبون تلاوة قصائد العرب وقصصهم ويدرسون كتب علماء الاسلام وفلاسفتهم لا ليردوا عليها بل ليحلوا بها منطقهم . قال وكيف السبيل الى ايجاد رجل من العامة يقرأ التفاسير اللاتينية على الكتب المقدسة ومن منهم يتدارس الاناجيل والانبياء والرسل ومن الاسف ان جميع صغار المسيحيين الذين اشتهروا بقرائحهم لا يعرفون غير العربية وآدابها فهم يقرون الاسفار العربية ويتدارسونها بنشاط لا مزيد عليه ويقتنونها بالاثمان الغالية يؤلفون بها خزائن نفيسة ويذكرون في كل مكان ان آداب العربية مما يعجب به واذا حدثتهم بالكتب المسيحية يجيبونك بازدراء ان هذه الكتب غير حرية بالتفاتهم . واي الم اعظم من ان ينسى المسيحيون حتى لغتهم ولا تجد في الف واحد منهم من يستطيع ان يكتب كتاباً مناسباً باللغة اللاتينية الى صديق له وانت اذا كلفت احدهم ان يكتب بالعربية تجد جمهوراً يعبرون عن افكارهم بهذه اللغة على صورة بديعة وقد ينظمون من الشعر العربي ما يفوق بما فيه من الصناعة شعر العرب انفسهم

واللوم في قصور الاسبانيين عن شأو العرب ان الحضارة الاسبانية اللاتينية قد نضب معينها وذهبت نضارتها على حين كانت الحضارة العربية على اشد نضرتها على عهد خلفاء بني أمية في الاندلس ولا سيما زمن عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم الثاني وفي ايامهما كان الامويون في إبان عزهم .

فكان في قرطبة وسكانها نصف مليون نسمة ثلثمائة مسجد جامع واحواض ماء وحدائق وفيها الآكام المزروعة المغروسة والحدائق الانيقة وعلى نحو فرسخ من قرطبة قصر الملك الزهراء ودائرة الحريم منها تسع ثمانية آلاف امرأة فكانت قرطبة تنازع بغداد الاولية ببهجتها ونضارتها

وقد عرف عبد الرحمن الثالث اذكى ملوك عهده جناناً واكثرهم استنارة واغناهم

ـ وكان في خزائنه عشرون مليون ذهب (كذا) ـ بسخائه المتناهي في اجلال الشعراء وارباب الموسيقى ومشاهير العلماء يقتدي في ذلك باسلافه عامة . وان المتوسطين من هؤلاء الخلفاء ليدرون النفقات الطائلة عَلَى اناس لهم في الاسكندرية والقاهرة ودمشق وبغداد وكل اليهم ان يوقفوه عَلَى الحركة العقلية فيبعثون اليه باهم المصنفات واجمل الآثار . مثال ذلك ان امبراطور القسطنطينية لم يرَ احسن من ان يهدي مصنفاً بديعاً من ديوز كوريد مكتوباً بالذهب وقد حمله مع راهب عهد اليه بتعريبه للملك استجلاباً لرضاه

فاق الحكم الثاني اباه بولعه بالآداب والكتب النادرة فكان يغص قصره بالنساخ والمجلدين والنقاشين وبلغت فهرست كتبه بحسب رواية معاصريه اربعة واربعين جزءاً وكل جزء عشرون صفحة وقال آخرون ان في كل جزء خمسين صفحة . ولم يكن فيها غير اسم الكتاب ووصفه . وقد قرأ الحكم هذه المصنفات وشرحها وحشاها وعلق عليها تعليقات تدل عَلَى طول باعه في تاريخ الادب العربي . وبذل لابي الفرج الاصفهاني من علماء العراق خمسة آلاف دينار ليخص الاندلس بتأليفه وهو عبارة عن دائرة معارف حوت اخبار الشعراء والمغنين . وكان العلماء من اسبانيا وغيرها ينهالون عَلَى قصره فيحسن لقاءهم ويغدق عليهم الاحسان واشتهرت كلية قرطبة في العالم باسره وان لم تكن معروفة بانها معهد رسمي للخلفاء اكثر من جميع الكليات العربية . وكان عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني يحميان العلماء فيها من تعصب المتنطعين في العبادة . فيأتي الجامع الاعظم الوف من الاندلسيين والاجانب من كل البلاد لاشتهاره بانه معهد علمي وذلك من مدينة الاستانة الى جرمانيا حيث كان هروفستا يعجب بقرطبة وهو في ديره . وفي ذلك الجامع كان ابو بكر بن معاوية القرشي يقرئ الحديث النبوي وابو علي القالي البغدادي يملي اماليه المشهورة الغنية بالنكات اللغوية والشعرية المأثورة عن العرب القدماء وابن قوطية اعلم نحوي في عصره يدرس النحو

ورأى الحكم قبيل وفاته ان من الصعب عَلَى من بعده نشر المعارف بين الفقراء فانشأ في قرطبة سبعة وعشرين مدرسة ينفق عَلَى مدرسيها من ماله . ولئن كانت هذه المدارس الصغرى كالكليات لا تنطبق عَلَى ما نريده منها اليوم فكانت المدارس الابتدائية لتعليم القراءة وتفسير بعض آيات من القرآن ومع هذا كانت تشهد بما فطر عليه رعاياه من حب المعارف والتعلم

وان ذهاب الخلافة من الاندلس سنة ١٠٣١ م وتقاسمها بين ملوك الطوائف سواء

كانوا من اشراف الأسر العربية او حذاق البربر لم يقف عثرة في سبيل هذه الحمية بل كان شأن عامة ملوك الطوائف شأن اولئك الامراء في ايطاليا على زمن النهضة يحاولون ان يبرروا مظالمهم بمحاباتهم للعلماء ولاسيما للشعراء الذين كانت اماديحهم واهاجيهم عند العرب ذات شأن كبير حتى كان اعظم الخلفاء في بغداد ودمشق يحاول ان يسالمهم ليسالموه ويحسن اليهم ليمدحوه .

ونقدت اشبيلية في تلك القصور الخالعة المتحضرة فكان المعتضد ابن عباد ابن القاضي ابي القاسم محمد مؤسس الدولة العبادية من الامراء الظالمين المتهتكين يزرع الورد في جماجم اعدائه الكثار ويسرح طرفه بالنظر الى هذه الحديقة ويدمن الخمر ولكنه ينظم الغزل الرقيق ويمنح الادباء وظل ابنه المعتمد المحبوب الذي هلك في غارة المرابطين احد المشاهير بنظم الاغاني في الادب الاسباني العربي وقد اعطى من اجل بيتين فذين لعبد الجلال الف دينار . وكان ابن عمار رفيق صباه وحاجبه زمناً شاعراً ايضاً ويساوي مولاه برقة الشعر ورشاقته وكانت رومايكا السلطانة المحبوبة التي استولت طول حياتها على عقل المعتمد وقلبه مشهورة ببديهتها وهكذا كانت غاية هولاء المفتونين الظرفاء من الحياة ان ينعموا ويترفهوا ولو لم يضيفوا اليها محبة الآداب والصنائع الفكرية لكانت حقيرة ومريرة .

ولقد نافست مملكة المرية على صغرها مملكة اشبيلية وكان ابن عباس الوزير الجبار لزهير (١٠٢٨ — ١٠٣٨) يفاخر ببيانه المبرأ من العيوب وما اقتناه في خزانة كتبه التي تبلغ اربعمائة الف مجلد اكثر من مفاخرته بغناه العظيم بالنسبة لعصره . ذكر المعتصم الذي طرده المرابطون كما طردوا المعتمد بانه احسن الملوك العلماء واعدلهم في بلاد الاندلس فكان سخاؤه على الشعراء متناهياً حتى وهب ابن شرف قرية برمتها لبيت من الشعر قاله . وكانت قطعة من الشعر او قصيدة من المدح الرقيق تمطر على ناظمها العطايا . وهو يرغب في سماع الاهاجي ولاسيما اذا دلت على صناعة وخلت من رميه بالبخل ولذا كان الادباء يهرعون الى قصره يخدعونه ويبرمونه بمطالبهم التي لاتطاق تخف اليه في المرية طائفة من الشعراء يتبعهم اناس هاجروا اليه من البلاد الاخرى ومن جملتهم ابو الوليد النحلي الذي اغدق عليه المعتصم عطاياه فضحك منه ولكن المعتصم عفا عنه لا بالحط من قدره بل انه اتبع العفو بالاحسان والانعام . ومثله ابن شرف وابن اخت غانم من مالقة وهو ابن اخت اللغوي المشهور غانم غرناطة وابن الحداد من قادش الذي اشتهر بانه اعظم شاعر اندلسي

وكان في الاندلس مثل ابي عبيد البكري ابن احد ملوك الطوائف وهو اعظم جغرافي عربي في اسبانيا وكان له ايضاً حظ وافر من الشعر وله صداقة أكيدة مع المعتصم وكان هذا او جميع أسرته يتعاطون الشعر ولا سيما ما كان منه في الغزليات والخمريات وما زال غزل ابنيه وابنته ام الكرام معروفاً الى اليوم عند كل من اطلعوا عَلَى الآداب العربية ·

رسخت قواعد الحضارة العربية منذ القرن الحادي عشر الى القرن الثالث عشر وبهرت العقول عَلَى ما كان من الفوضى السياسية في جميع اسبانيا الجنوبية بحيث تؤثر تأثيراً شديداً حتى عَلَى اعدائها الالداء اي الامراء النصارى في شمالي اسبانيا · فانتشر هنا استعمال اللغة العربية بكثرة حركة فرسان ليون واراغون الذين كانوا يذهبون للغزو مع المسلمين · وما كان يراه ملوك نافار وغاليسيا وليون واراغون من ضرورة الاتحاد مع جيرانهم في الجنوب (العرب) فكانوا يؤدون اليهم الجزية عَلَى عهد خلفاء الاندلس وغدا العرب عَلَى عهد الفونس السادس ملك غاليسيا رقشتالة وليون ونافار بعض اقطاعاته

فكان في قصر الفونس السادس ملك اهل الدينين كما كانوا يسمونه اناس من المدققين في اللغة المطلعين كل الاطلاع عَلَى دقائق اللسان العربي بحيث تسهل عليهم مكاتبة امراء الطوائف من المسلمين فقد كان السيد كمبادور يجيد التكلم بالعربية لا فرق بينه في العقل والاخلاق وبين مسلمي بلنسية · ولما دخل الفونس السادس الى طليطلة سنة ١٠٨٥ وكانت هذه المدينة عاصمة الوزغوت القديمة قوي نفوذه من وراء الغاية باستيلائه عليها ولم يأت عملاً يضر بشهرتها بالعلوم الاسلامية وفاء بعهد تعهده في هذا الشأن وكان نقض العهد من المألوفات في عصره لان المسيحيين في الشمال ما زالوا متوحشين ينتفعون من الاحتكاك بالعنصر العربي المنحط في اخلاقه الراقي بعقله وسار خلفاؤه عَلَى قدمه · ناول مدرسة أنشئت في طليطلة اوائل القرن الحادي عشر هي عربية اشتهر امرها عَلَى عهد ملوك قشتالة اي زمن ابي عبدالله محمد بن عيسى المغامي واحمد بن عبد الرحمن بن المطهر الانصاري وغيرهما من الاساتذة ومن هذه المدرسة نشأت تربية الاسبانيين عَلَى مناحي العرب · وفي سنة ١١٣٠ انشأ ريمون رئيس اساقفة طليطلة في هذه المدينة مدرسة للتراجمة وبها رسخت اللغة العربية والافكار العربية في اسبانيا المسيحية (للبحث صلة)

تاريخ الامم والملوك

هو اوسع تاريخ عربي ابقته الايام لصاحبه ابي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة عشر وثلاثمائة قال ابن خلكان في ترجمته هو صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان اماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله وكان من الائمة المجتهدين لم يقلد احداً ... وكان ثقة في نقله وتاريخه اصح التواريخ واثبتها

هذه خلاصة حال هذا العلامة الكبير وقد اصابه ما اصاب كبار العلماء في الاسلام من الحط من شأنه وايذائه قال ابن الاثير وفي هذه السنة (٣١٠) توفي محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ببغداد ومولده سنة اربع وعشرين ومائتين ودفن ليلاً بداره لان العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً وادعوا عليه الرفض ثم ادعوا عليه الالحاد وكان علي بن عيسى يقول والله لو سئل هؤلاء عن معنى الرفض والالحاد ما عرفوه ولا فهموه هكذا ذكره ابن مسكويه صاحب تجارب الامم وحاشا ذلك الامام عن مثل هذه الاشياء واما ما ذكره من تعصب العامة فليس الامر كذلك وانما بعض الحنابلة تعصبوا عليه ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم ولذلك سبب وهو ان الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنف مثله ولم يذكر فيه احمد بن حنبل فقيل له في ذلك فقال لم يكن فقيهاً وانما كان محدثاً فاشتد ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد فشغبوا عليه وقالوا ما ارادوا

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالناس اعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً انه لدميم

وقال الامام ابو بكر الخطيب كان الطبري احد ائمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه احد من اهل عصره فكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراآت بصيراً بالمعاني فقيهاً في احكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفاً باقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الاحكام ومسائل الحلال والحرام خبيراً بايام الناس واخبارهم وله الكتاب المشهور في تاريخ

الامم والملوك والكتاب الذي في التفسير لم يصنف مثله وله في اصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واخبار من اقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه

وقال ابن خزيمة حين طالع كتاب التفسير للطبري ما اعلم عَلَى اديم الارض اعلم من ابي جعفر ولقد ظلمته الحنابله وقال ابو محمد عبد الله بن احمد الفرغاني بعد ان ذكر تصانيفه وكان ابو جعفر ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يعدل في علمه وتبيانه عن حق يلزمه لربه وللمسلمين الى باطل لرغبة ولا رهبة مع عظيم ما كان يلحقه من الاذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد واما اهل الدين والورع فغير منكرين علمه وفضله وزهده وتركه الدنيا مع اقبالها عليه وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها له ابوه بطبرستان يسيرة

يعدهذا التاريخ من المطولات بل هو اطول واجمع تاريخ للقرون الاولى الثلاثة وقد كان مؤلفه يريد ان يتوسع فيه اكثر مما توسع حتى عرض عَلَى تلاميذه قبل الشروع في تأليفه انه يريد ان يملي عليهم تاريخاً فقالوا له كم يكون حجمه فقال ثلاثون الف ورقة فقالوا تفنى الاعمار ولا يستوفى مطالعة فقال رحمني الله ماتت الهمم واملاه في ثلاثة آلاف ورقة كما انتهى الينا

فجاء تاريخ ابن جرير مأخذاً للمؤرخين وطالبي التوسع في الوقوف عَلَى اخبار القرون الراقية في الامم وقد كبر حجمه بالاسانيد والروايات عَلَى طريقة المحدثين الا ان الحوادث بادية من خلال سطوره تنال بادنى نظر · مثال ذلك ما رواه في الجزء الاول من الكلام عَلَى خلق العالم نقلاً عن الاسرائيليات فانه بعد ان نقل الموضوعات كلها قال ان صح ما روي عن رسول الله (ص) بحيث يتوهم المطالع قبل ان يصل الى هذا الكلام ان ما اورده وعني به هو الحقيقة التي لا شائبة فيها

وتاريخ ابن جرير مرتب على السنين مثل تاريخ الكامل لابن الاثير وتاريخ ابي الفداء والمسعودي وغيرهم ومن تطويله في سرد الكوائن يستفيد المطالع اشياء كثيرة فينتفع الكاتب من حسن العبارة وجودة سبكها ويقف عَلَى تعابير فصيحة قد لا يعرفها وليست مألونة لهذا العهد والشاعر يتعلم ضروباً من الشعر والمقاطيع عَلَى اختلاف العصور خصوصاً والشعر كله مشكول كما شكلت الآيات القرانية والكلمات التي ربما تلتبس بل يستفيد الجندي كيفية تعبئة الجيوش في تلك الاعصر ويتعلم المكايد والباحث في الاجتماع يقع عَلَى فوائد مهمة

وفي هذا الكتاب قصائد نظمت عَلَى البديهة لشعراء مشهورين وغيرهم ومقاطيع قيلت في المناسبة وانشدت بدواع خاصة وفيه رسائل الخلفاء لعمالهم ورسائل العمال لخلفائهم ومعظمها في الغاية ايجازاً وبياناً ينسج منعلم البيان والخطابة والشعر عَلَى منوالها وفيه من الحوادث كمقتل الحسين وشيعته مثلاً ما لو جرد لكان قصصاً تاريخية حماسية فمن ذلك كلام لحيان بن ظبيان احد زعماء الخوارج قاله لاصحابه : انه والله ما يبقى عَلَى الدهر باق وما تلبث الليالي والايام والسنون والشهور عَلَى ابن آدم حتى تذيقه الموت فيفارق الاخوان الصالحين ويدع الدنيا التي لا يبكي عليها الا العجزة ولم تزل ضارة لمن كانت له هماً وشجناً فانصرفوا بنا رحمكم الله الى مصرنا فلنأت اخواننا فلندعهم الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والى جهاد الاحزاب فانه لا عذر لنا في القعود وولاتنا ظلمة وسنة الهدى متروكة وثأرنا الذين قتلوا اخواننا في المجالس آمنون فان يظفرنا الله بهم نعمد بعد الى التي هي اهدى وارضى واقوم ويشفي الله بذلك صدور قوم مؤمنين وان نقتل فان في مفارقة الظالمين راحة لنا ولنا باسلافنا أسوة

وقال زياد لما استعمله معاوية عَلَى البصرة وخراسان وسجستان والهند والبحرين وعمان فقدم البصرة سنة ٦٥ والفسق بالبصرة ظاهر فاش فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها وقيل بل حمد الله فقال: الحمد لله عَلَى افضاله واحسانه ونسأله المزيد من نعمه اللهم كما رزقتنا نعماً فالهمنا شكراً عَلَى نعمتك علينا اما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموقد لاهله النار الباقي عليهم سعيرها ما يأتي سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى منها الكبير كأن لم تسمعوا بآي الله ولم تقرؤا كتاب الله ولم تسمعوا ما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول اتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية عَلَى الباقية ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا به من تركتكم هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل الم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر وتغطون عَلَى المختلس . كل امريء منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً ما انتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء ولم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم اطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الريب حرم عليّ الطعام والشراب أسويها بارض هدماً واحراقاً اني

رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح اوله لين في غير ضعف وشدة في غير جبرية وعنف واني اقسم بالله لآخذن الولي بالولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم اخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد او تستقيم لي قناتكم ان كذبة المنبر تبقى مشهورة فاذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من بيت منكم فانا ضامن لما ذهب له اياي ودلج الليل فاني لا أوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد اجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليّ واياي ودعوى الجاهلية فاني لا اجد احداً دعا بها الا قطعت لسانه وقد احدثتم احداثاً لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوماً غرقته ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه ومن نبش قبراً دفنته حياً فكفوا عني ايديكم والسنتكم اكفف يدي واذاي لا يظهر من احد منكم خلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين اقوام احن فجعلت ذلك دبر اذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسناً فليزدد احساناً ومن كان مسيئاً فلينزع عن اساءته اني لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضي لم اكشف له قناعاً ولم اهتك له ستراً حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل لم اناظره فاستأنفوا اموركم واعينوا على انفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس . ايها الناس انا اصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم واعلموا اني مهما قصرت عنه فاني لا اقصر عن ثلث لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو اتاني طارق بليل ولا حابساً رزقاً ولا عطاء عن ابانه ولا مجمراً لكم بعثاً فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى تصلحوا يصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم معانه لو استجيب لكم كان شراً لكم اسأل الله ان يعين كلاً على كل واذا رأيتموني أنفذ فيكم الامر فانفذوه على أذلاله وأيم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امريء منكم ان يكون من صرعاي اه

نقلت هذه الخطبة على طولها لانها مرآة لذاك الزمان وعلامة على استحكام ازمة الاحكام في رقاب الامة ولأن فيها من الشدة واللين والتفنن في اساليب التأثير ما لا يتسنى قول مثله اليوم الا لاناس من رجال الغرب ممن مرنوا على الخطابة ودربوا عليها فكانت ملكة البيان فيهم طبيعية هذا فضلاً عما حوت من البلاغة والفصاحة . وزياد هو

الذي وطد الملك لمعاوية ويزيد وقتل الحسين واشتد في استئصال شأفته وكان يقول لو ضاع حبل بيني وبين خراسان علمت من اخذه وكتب خمسمائة من مشيخة اهل البصرة في صحابته فرزقهم ما بين الثلثمائة الى الخمسمائة فقال فيه حارثة بن بدر الغداني

ألا من مبلغٌ عني زياداً ... فنعم اخو الخليفة والاميرُ
فانت امام معدلة وقصد ... وحزم حين يحضرك الامور
اخوك خليفة الله ابن حربٍ ... وانت وزيره نعم الوزير
تصيب على الهوى منه وياْتي ... محبك ما يجن لنا الضمير
بامر الله منصورٌ معانٌ ... اذا جار الرعية لا تجور
يدرُّ على يديك لما ارادوا ... من الدنيا لهم حلب غزيرُ
وتقسم بالسواء فلا غنيٌّ ... لضيم يشتكيك ولا فقير
وكنت حيا وجئت على زمان ... خبيث ظاهر فيه شرور
تقاسمت الرجال به هواها ... فما تخفي ضغائنها الصدور
وخاف الحاضرون وكل بادٍ ... يقيم على المخافة او يسير
فلما قام سيفُ الله فيهم ... زياد قام ابلج مستنير
قويٌّ لامن الحدثان غرٌّ ... ولا جزع ولا فانٍ كبير

ومما ورد فيه من الشعر وهو ما نورده مثالاً ما قالته هند ابنة زيد بن مخرمة الانصارية وكانت تشيع ترثي حجر بن عدي من زعماء الشيعة وقد قتله معاوية بواسطة عامله زياد

ترفع ايها القمر المنير ... تبصر هل ترى حجراً يسير
يسير الى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الامير
تجبرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير
واصبحت البلاد لها محولاً ... كأن لم يحيها مزنٌ مطير
الا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور
اخاف عليك ما اردى عدياً ... وشيخاً في دمشق له زئير
يرى قتل الخيار عليه حقاً ... له من شر امته وزير
الا يا ليت حجراً مات موتاً ... ولم ينحر كما نحر البعير

فان يهلك فكل زعيم قوم من الدنيا الى هلك يصير

ومن خطب الحسين خطبة خطبها اصحابه لما احيط به وقام اصحابه يدعونه للطالبة بحقه قال: ايها الناس ان رسول الله (ص) قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يعير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان واظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرموا حلاله وانا احق من غير وقد اتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم انكم لا تسلموني ولا تخذلوني فان تممتم عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم فانا الحسين ابن علي وابن فاطمة بنت رسول الله (ص) نفسي مع انفسكم واهلي مع اهلكم فلكم فيّ اسوة وان لم تفعلوا او نقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من اعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بابي واخي وابن عمي مسلم والمغرور من اغتر بكم فحظكم اخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ومن جملة فوائده ما ذكره في حوادث سنة ٧١ ان عبد الملك بن مروان لما قتل مصعبا ودخل الكوفة امر بطعام كثير فصنع وامر به الى الخورنق واذن إذناً عاماً فدخل الناس فاخذوا مجالسهم فدخل عمرو ابن حريث المخزومي فقال اليّ وعلى سريري فاجلسه معه ثم قال ايُّ الطعام اكلت احبُّ اليك واشهى عندك قال عناق حمراء قد أجيد تمليحها وأحكم نضجها قال: ما صنعت شيئاً فأين انت من عمروس راضع قد أجيد سمطه وأحكم نضجه اختلجت اليك رجله فاتبعتها يده تغذي بشر يجبن من لبن وسمن ثم جاءت الموائد فاكلوا فقال عبد الملك بن مروان ما الذ عيشنا لو ان شيئاً يدوم ولكنا كما قال الاول

وكل جديد يا أميم الى بلى وكل امرىء يوماً يصير الى كان

فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمرو بن حريث لمن هذا البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبد الملك

وكل جديد يا اميم الى بلى وكل امرىءٍ يوماً يصير الى كان

ثم اتى مجلسه فاستلقى وقال

إعمل على مهل فانك ميتٌ واكدح لنفسك ايها الانسان

فكأن ما قد كان لم يك اذمضى وكأن ما هو كائنٌ قد كان

ومن فوائده سأل المهدي يوماً كاتبه ابا عبيد الله بن زياد بن ابي ليلى عن اشعار العرب فصنفها له فقال احكمها قول طرفة بن العبد

ارى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد
ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح معمد
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد
ارى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة وما تنقص الايام والدهر ينفد
لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

وقوله

وقد ارانا كلانا هم صاحبه لو ان شيئاً اذا ما فاتنا رجعا
وكان شيء الى شيء نفرقه دهر يكر على تفريق ما جمعا

وقول لبيد

الا تسألان المرء ماذا يحاول انحب فيقضي ام ضلال وباطل
الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم بلى كل ذي رأي الى الله واصل

وكقول النابغة الجعدي

وقد طال عهدي بالشباب واهله ولاقيت روعات تشيب النواصيا
فلم اجد الاخوان الا صحابة ولم اجد الاهلين الا مثاويا
الم تعلمي ان قد رزئت محاربا فما لك منه اليوم شيئاً ولا ليا

وكقول هدبة بن خشرم

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا ابتغي الشر والشر تاركي ولكن متى احمل على الشر اركب
وما يعرف الاقوام للدهر حقه وما الدهر مما يكرهون بمعتب
وللدهر في اهل الفتى وتلاده نصيب كحز الجازر المتشعب

وكقول زيادة بن زيد وتمثل به عبد الملك بن مروان

تذكر عن شحط امية فارعوى لها بعد اكثار وطول نحيب
وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف تقلب عصريه لغير لبيب
هل الدهر والايام الا كما ترى رزيئة مال او فراق حبيب

وكلُّ الذي يأتي فأنت نسيبه ولست لشيء ذاهب بنسيب
وليس ببيدٍ ما يجيء كمقبلٍ ولا ما مضى من مفرح بقريب

وكقول ابن مقبل

لما رأت بدل الشباب بكت له والشيب ارذلُ هذه الأبدال
والناس همهم الحياة ولا ارى طول الحيوة يزيد غير خبال
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الاعمال

كتب سفيان بن ابي العالية احد قواد الحجاج وكان بعث به لقتال بعض اعدائه : اما بعد فاني اخبر الامير اصلحه الله اني اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بخانقين فقتلتهم فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم فبينا نحن كذلك اذ اتاهم قوم كانوا غيباً عنهم فحملوا عَلَى الناس فهزموهم فنزلت في رجال من اهل الدين والصبر فقاتلتهم حتى ضربت بين القتلى فحملت مرتثاً فأُتي بي بابل مهروذ فها انا بها والجند الذين وجههم اليَّ الامير وافوا الا سورة بن أبجر فانه لم يأتني ولم يشهد معي حتى اذا ما نزلت بابل مهروذ اتاني يقول ما لا اعرف ويعتذر بغير العذر والسلام . فلما قرأ الحجاج الكتاب قال من صنع كما صنع هذا وابلى كما ابلى فقد احسن ثم كتب اليه : اما بعد فقد احسنت البلاد وقضيت الذي عليك فاذا خف عنك الوجع فأقبل مأجوراً الى اهلك والسلام . وكتب الى سورة بن ابجر : اما بعد فيا ابن ام سورة ما كنت خليقاً ان تجترئ عَلَى ترك عهدي وخذلان جندي فاذا اتاك كتابي فابعث رجلاً ممن معك صليبا الى الخيل التي بالمدائن فلينتخب منهم خمس مائة رجل ثم يقدم بهم عليك ثم سر بهم حتى تلقى هذه المارقة واحزم في امرك وكد عدوك فان افضل امر الحرب حسن المكيدة والسلام

ومع ان الحجاج معروف بالشدة فاقرأ ما يلي تعرف انه للشدة تارة وللين اخرى :

كتب اليه شبيب احد قواده : اما بعد فاني اخبر الامير اصلحه الله اني خرجت فيمن قبلي من الجند الذي وجهني به الى عدوه وقد كنت حفظت عهد الامير اليَّ ورأيه فيهم فكنت اخرج اليهم اذا رأيت الفرصة واحبس الناس عنهم اذا خشيت الورطة فلم ازل كذلك ولقد ارادني العدو بكل ارادة فلم يصب مني غرة حتى قدم عليَّ سعيد بن مجالد رحمة الله عليه ولقد امرته بالتؤدة ونهيته عن العجلة وامرته ان لا يقاتلهم الا في جماعة الناس عامة فعصاني وتعجل اليهم في الخيل فاشهدت عليه اهل المصرين اني بريء من رأيه الذي رأى واني لا اهوى ما صنع فمضى فاصيب تجاوز الله عنه ودفع الناس اليَّ فنزلت

ودعوتهم اليَّ ورفعت لهم رايتي وقاتلت حتى صرعت فحملني اصحابي من بين القتلى فما افقت الا وانا عَلَى ايديهم عَلَى راس ميل من المعركة فانا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت الرجل من دونها ويعافى من مثلها فليسئل الامير اصلحه الله عن نصيحتي له ولجنده وعن مكايدتي عدوه وعن موقفي يوم البأس فانه يستبين له عن ذلك اني قد صدقته ونصحت له والسلام . فكتب اليه الحجاج اما بعد فقد اتاني كتابك وقرأته وفهمت كل ما ذكرت فيه من امر سعيد وعجلته الى عدوه فقد رضيت عجلته وتؤدتك فاما عجلته فانها نقصت به الى الجنة واما تؤدتك فانهما لم تدع الفرصة اذ امكنت وترك الفرصة اذا لم تمكن حزمٌ وقد اصبت واحسنت البلاء وأجرت وانت عندي من اهل السمع والطاعة والنصيحة وقد اشخصت اليك حيان (١) بن ابجر ليداويك ويعالج جراحتك وبعثت اليك بالفي درهم فانفقها في حاجتك وما ينوبك والسلام

هذه نموذجات من فوائد الكتاب الممتع ولو اتسع المقام لافضنا فيه اكثر مما افضنا فان استيعاب الكلام عَلَى اثني عشر مجلداً لا يتأتى في بضع صفحات

مطبوعات ومخطوطات

الاشتقاق والتعريب

تأليف عبد القادر افندي المغربي

طبع بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٠٩ ص ١٤٦

صاحب هذه الرسالة من بلغاء الكتاب ومصنفه هذا يبحث فيما يعرض للغة العربية من تكاثر كلماتها بواسطتي الاشتقاق والتعريب وان هذا الاخير طبيعي في لغتنا وفي غيرها من اللغات وان استعمال المعرب لايحط من قدر فصاحة الكلام . وقد افاض في الاشتقاق والقلب والابدال والنحت وشروط التعريب ومعربات السنة والكلام المولد والمحدث افاضة اتى فيها ببعض الشواهد عَلَى مقصده . فنثني عليه الثناء الطيب لعنايته بهذا الموضوع وبالبته رجع الى ما قاله الباحثون في هذا الفن واستشهد

(١) حيان بن ابجر الكناني من بني فراس وهم يعالجون الكي وغيره

تأييداً لقوله بكلام البلاذين ولاسيما المشرقيات الذين يحثوا احسن بحث في اصول اللغات لا سيما السامية فيها

تاريخ النصيرية

للمسيو رنى دوسو

هو المستشرق الفرنسوي العالم صاحب كتاب لغة الصفا وغيره من المصنفات المفيدة وله جلد على التأليف واكثر ما يكتب يتعلق ببلاد الشام وسكانها قدمائهم ومحدثيهم . وقد كتب كتاباً في تاريخ النصيرية وديانتهم نظهر له بعد التحقيق انهم شيعة اسلامية فساء قوله بعضهم فرد عليه بان اصلهم مسيحيون وهذه كانت بين الفريقين نقطة الخلاف

وصف دوسو بلاد النصيرية وهي جبلية يحيط بها من الجنوب نهر الكبير ومن الشرق والشمال نهر العاصي ومن الغرب الساحل وجبل النصيرية يمتد من نهر الكبير الى حوالى صهيون والزاوية التي تهبط بين نهر الكبير من الشمال والعاصي يطلق عليها اسم جبل الاكراد والنصيرية ضاربون ايضاً في انطاكية حيث اشتهروا بصناعاتهم وسعة عيشهم . وبين سكان الجبال والسهل من التناقض ما يدهش . ذلك ان قلة فائدة العمل في المقاطعات الجبلية اورثت النصيري الكسل والجهل فعاش من ذلة وفتية ومن السلب والنهب على حين غدا في انطاكية ملاكا وتاجراً مستعداً لانواع الصنائع وتلى شيء من الغنى وفتح له في مرسين وطرسوس واذنة اعمالاً رابحة ناجحة . وفي بلاد النصيرية بعض قرى للارمن حوالى القدموس وفي جبل النصيرية ايضاً بقايا الاسماعيلية القدماء النازلين اليوم في مصيات وقدموس وماوالاهما

وهم يكتمون نفوسهم فراراً من الجندية ولذلك لا ثقة بالاحصاء نعددهم مائة وثلاثون الفاً في سورية ويبلغ عددهم اذا اضيف اليه النازلون في تلك المدن مائة وخمسين الفاً وهم قلائل اذا نسبوا الى البلاد التي يشغلونها وهي اوسع مجالاً من سائر ما يشغله الشيع والشعوب الراحلة في سورية . وفي رأي المؤلف ان عددهم ايام ارتقائهم كان عشرة اضعافه اليوم . قال وهم بادية قائمون على الفلح والحرث وقلما يسكنون المدن دع عنك انطاكية وجسر الشغور واللاذقية

قال وخبط الناس في اصل النصيرية حتى ادعى بعضهم انهم اخلاط من الوطنيين اختلطوا مع الفرنجة في القرن الثاني عشر والثالث عشر فزعموا ان نصيري اصله من

نصراني وهو اسم تصغير. وهذا رأي رنان وقد رده المسيو دوسو بالبرهان القاطع قائلاً ان الرأي الشائع اليوم في الاندية العلمية ان اسم النصيرية اتى من محمد بن نصير ويقول ستانيسلاس كوياردالمؤلف المشهور ان الديانة النصيرية نشأت كالاسماعيلية في اواخر القرن التاسع على يد الامام الحادي عشر من الشيعة حسن العسكري وكان مقيماً في سامرا بالقرب من بغداد . فالديانة النصيرية كان لها اذاً اصل مشابه لديانة الاسماعيلية فدعا وجه الشبه بين الفرقتين الى ان اخطأ اهل التأليف المسلمين بجزمهم ان الديانتين متحدتان جوهراً وعرضاً مع ان بينهما احناً ومشاكسات

وقصارى القول فقد فصل المؤلف احوال هذه الطائفة تفصيلاً شافياًمشفوعاًباقوال العلماء من مسلمين وافرنج فذكر فيه اسم مائة وخمسة عشر مؤلفاًومصدراًذكرت النصيرية فاستقى المؤلف من مواردها ثم اتبعه بفصل في مسكنهم واصلهم ومنشأهم منذ العهد الروماني الى ايامنا ثم اشبع الكلام على عاداتهم واخلاقهم . هكذا علماء الغرب يبحثون في بلادنا فاين هم منا واين علماؤنامن علمائهم فشكراً لفضلهم وبيض اياديهم

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب

المعروف بمعجم الادباء او طبقات الادباء لياقوت الرومي

عني بنسخه وتصحيحه الاستاذ د . س . مرجليوث

طبع بمطبعة هندية بالموسكي بمصر سنة ١٩٠٩ ص ٤٣٨

لناشر هذا الكتاب ومعلق حواشيه الاستاذ مرجليوث من علماء المشرقيات الانكليز فضل على الآداب باحياء هذا الكتاب النفيس بعد ان كاد يأتي عليه العفاء كما ثبت له الفضل باحياء غيره من آثار العرب وقد توسع ياقوت الرومي صاحب معجم البلدان في ترجمة بعض من خدموا الادب العربي الى عهده وذكر من نكاتهم واخبارهم ومنثورهم ونظامهم ما هو مرآة الحياة الاجتماعية والادبية والعلمية في الاعصارالستة الاولى للاسلام واختصر في تراجم بعضهم على القدر الذي عرفه منهم واشتهروا به بين الناس وفي هذا الجزء بقية من اول اسمائهم الف الى من اول اسمائهم جيم وعدد المترجمين فيه ١٦١ ومنهم على شهرتهم وخدمتهم للآداب من لم نظفر لهم بترجمة فيما بين ايدينا من كتب الطبقات والتراجم مثل احمد بن يوسف بن صبيح كاتب المأمون . وبطبع هذا الكتاب ونشره بين الناس تتم سلسلة مهمة من سلاسل التاريخ العربي وسيكون كله في ستة

اجزاء نشر منهما الآن اثنان . وفق الله القائم بنشرهما واعانه على خدمة الفروع التي اخذنفسه بها لخدمة العلم والآداب

ديوان رستم

طبع بالمطبعة الادبية في بيروت

ص ٤٠٠

اسعد افندي رستم ممن ولعوا بنظم الشعر الفكاهي العصري وقد أفرد منظوماته في ديوان خاص فجآء مجموعة أدب وظرف وفكاهة . والظاهر ان الناظم توخى في منظوماته الالفاظ العامية ليحكم ايراد النكات والفكاهات ولئلا يستعصي فهمه حتى على الطبقة المنحطة من ابناء الامة على حين ان في صميم اللغة العربية كما علم الناظم من الالفاظ الجزلة المستملحة ما فيه الغناء دون كبير عناء

رحلة الى اليمن سنة ١٨٦١

نشرها بالافرنسية الاب انستاس ماري الكرملي

طبعت اولاً في مجلة الانتروبوس (الانسان) في النمسا

هي رحلة رحلها الخواجه ميخا يوسف النجار البغدادي الى اليمن ولقي فيها ما يلاقيه ارباب الرحلات في البلاد الشرقية عادة وهي لا تخلو من فوائد اجتماعية وغيرها في خصائص البلاد والشعوب

الحرية في الاسلام

تأليف السيد محمد الخضر بن الحسين التونسي

طبعت بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط بتونس سنة ١٣٢٧ — ١٩٠٩

وعدد صفحاتها ٦٤ ص

هذا الموضوع من اجل الموضوعات المثقفة للعقول ذكر مؤلفه حقيقة الحرية والشورى والمساواة والحرية في الاموال وفي الاعراض وفي الدماء وفي الدين وفي خطاب الامراء واجاد في كيفية الاستخراج من الكتاب والسنة وتاريخ السلف والتطبيق على حالة العصر مما دل على عراقته في احوال العصر وتمكنه من احكام الشريعة وهو من المدرسين بجامع الزيتونة الاعظم له حظ وافر من الانشاء والتاريخ

محاضرات

ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

باعتبار علاقتها باوربا وخصوصاً بايطاليا للسنيور جويدي

طبعت في مجلة الجامعة المصرية اولاً ص ١٠٩

هذه الرسالة في موضوع جليل يكاد يكون بكراً بالنسبة الينا القاه الاستاذ الشيخ المؤلف على طلبة الجامعة المصرية بلغة العرب وهو ايطالي الجنس والمنشأ معدود من اهل الطبقة الاولى بين المستشرقين الاوربيين . وهذه الدروس هي اربعون درساً كلها جمعة فوائد تستدل منها على خدمة العرب لهذه الفنون الجميلة فنشكر له ولاصحاب مجلة الجامعة المصرية التي تنقل الينا زبدة دروس العلماء في كلية هي اول مفخر من مفاخر مصر .

بلاغة الغرب

نحن اليوم في دور مثل صفحة البحر يريد ان لا يترك فروقاً بين اجزاء الناس ولا مميزات في منازعهم وان لا يدع سموا في الشعوب ولا انخفاضاً . فهو معمل عظيم الأدوات منوع الآلات يعمل ليل نهار ليبرهن للادوار الغابرة انه هو اول ما تقلب بالفعل على إشاعة المساواة والاخاء والتعارف واطراح التباين والتباعد والانقسام .

فالبخار والكهرباء قد قضيا على استئثار القطر الواحد زرعه وضرعه وصنعه ، واشركا أطراف الارض كلها بالانتفاع مما يخرجه لبنيه كما خول بنيه التمتع بثمرات الطبيعة والناس في الاقطار الاخرى لسد حاجتهم

والطباعة والصحافة كالبخار والكهرباء تنقلان ثمار العقول ونتائج التفكير من ارض الى ارض وتشيعانه من شعب الى شعب كما يتوصل زمننا الى ما أربه من القضاء على التخالف .

على هذه الطريقة تجري روح العصر في حضارتها ولكن كثيراً ما يكون امام الباخرة فيما بين البحر والبحر برزخ وفي وجه القطار والقاطرة فيما بين البر والبر جبل ودون الطباعة والصحافة في نقل التفكير من دماغ الى آخر عجمة فرأى القائمون بامر هذا

المعمل في القديم والحديث ان لا مندوحة لهم من حفر ترعة في البرزخ بين البحرين ونقب نفق في الجبل بين البرين وفتح منفذ الترجمة بين اللغتين

وان الانسان ليذهل لكثرة ما يراه من تفكيرهم وموازناتهم وحسابهم ومقاياساتهم عند اختيار البرزخ ليحفروه ترعة والجبل لينقبوه نفقاً والمصنف او القطعة لينقلوها من لغة الى لغة . وعدة اصحاب الالباب الاختيار دليلاً على اللبيب وميزاناً له

امامي الآن كتاب (بلاغة الغرب) وهو مجموع ما اختاره محمد افندي كامل حجاج المصري من منثور الافرنسية ومنظومها ونقله الى العربية مصدراً القطع بشيء من تاريخ حياة اصحابها وقد جاء فيه نموذج مما كتبه هيكو ولامارتين والفرد دي موسي واندري شينيه ودو فيني وكوبه وروستان ودوده وتيوفيل غوتيه وكورنيل وراسين . واني اشكر لمحمد افندي كامل ، واكل من يصرف وقتاً في نقل شيء من العلم والادب الى لغتنا وفتح منفذ بينها وبين جاراتها من الامم ولكني انتقد عليه تسميته الكتاب ببلاغة الغرب في حين انه لم يرفع لنا فيه الستار الا عن بعض ادباء الفرنسيس واديبات هو لاء غير ادبيات الالمان والروس والانكليز . كما اني اعجب كثيراً من اغفاله بالزاك وفلوبر وزولا والأخوان غونكور وغيرهم من زعماء مذهب الحقيقيين (ريالزم) وصرفه صفحات الكتاب جزافاً للادباء الخياليين (رومانتيست) مع اننا في زمان احوج فيه الى الهبوط من ثريا الخيال المزوق الى ثرى الحقيقة المريرة وان يتعلم القصصيون عندنا من زولا والشعراء من كوبه والمؤلفون من فلوبر كيف يصرفون الاشهر الطويلة والليالي الليلاء الباردة في اعماق المناجم وزوايا القصور واطراف المعابد وابواب الحانات ليقفوا على سرائر طبقات الهيئة الاجتماعية ويطلعوا الامة على ويلاتها وادوائها وجروحها كما هي لا سيما وهم يريدون ان تكون وهم خلف منضداتهم مرتاحون يتلاعبون بالعقول كما تشاء السياسة طوراً ويغشون القراء بما توحيه اهواؤهم تارة

وفي الكتاب غير اقتضاب تراجم المشاهير واغفال البحث في مذاهبهم الادبية تساهل لغوي في المفردات والتراكيب مثل استعمال مرمع والصحيح مسرح وصحية والصواب صيحة ومواضيع بدل موضوعات واثباته اسم الفردموسى كما يستعمله الفرنج دوموسيه وقوله مذهب المحققين واحسن ان نقول مذهب الحقيقيين وقوله قبل قطعة الدرس الاخير لالفونس دوده وقد دعاني لكتابة هذا وكان الاولى ان يقول الى تعريب هذا وقوله المؤلف الرئيسي وهذا التعبير لا تعرفه العرب وتأنيثه الرأس بقوله رأسه الصلعاء

وقوله حارب ضد لويس بونابارت حيث كان يقال ناضل عنه وتكريره كلمة هذا في قوله يتلألأ في كبدها بـ ر (هذا) المولود الذي اختاره القادر ليقبض على صولجان (هذا) الملك الفخم فما كان (لهذا) الشعب الصارخ الا ان صمت واستكان لظهور (هذا) المولود

والكتاب جيد الطبع يقع في مائتي صفحة . محب الدين الخطيب

كتاب خصائص اللغة العربية

في اصول العربية للامام ابي الفتح عثمان بن جني . هذا الامام ممن اشتهر بالاجادة بالتأليف واشهر مؤلفاته هذا الكتاب وهو كتاب تعرض فيه لاصول العربية على نحو اصول الكلام والفقه ابان فيه ما اودعته هذه اللغة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائم الاتقان والصنعة وقد قال في اثنائه : ان هذا الكتاب ليس مبنياً على حديث وجوب الاعراب وانما هو مقام القول على اوائل اصول هذا الكلام وكيف بدئ واليم نمي . وهو كتاب يتسام ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكتاب والمتأدبين تأملاً له والبحث عن مستودعه فقد وجب ان يخاطب كل انسان منهم بما يعتاده ويأنس به ليكون لهم سهم منه

وقد الفه بعد ان اناف عمره على الستين كما اشار اليه عند قوله : ومن ظريف حديث هذا الخاطر اني كنت منذ زمان طويل رأيت رأياً جمعت فيه بين معنى آية ومعنى قول الشاعر

وكنت امشي على رجلين معتدلاً فصرت امشي على اخرى من الشجر

ولم اثبت حينئذ شرح حال الجمع بينهما ثقة بحضوره متى استحضرته ثم اني الى الآن وقد مضى لي ستون اعاني الخاطر واستمده واعانيه واتورده على ان يسمح لي بما كان رأيته من الجمع بين معنى الآية والبيت به وهو معتاص متأب وضنين به غير معط

والكتاب مشتمل على ابواب شتى يصعب ايرادها لكثرتها وهاك شيئاً مما اشتملت عليه بعض الابواب مما له علاقة باهل الآداب . ذكر في باب القول على اجماع اهل العربية حتى يكون حجة : اعلم ان اجماع اهل البلدين انما يكون حجة اذا اعطاك خصمك يده ان لا تخالف المنصوص والمقيس على المنصوص فاما ان لم يعط يده بذلك فلا يكون اجماعهم حجة عليه ثم قال الا ترى ان الناس مع هذا الذي رأيناه وسوغنا مرتكبه لا نسمح له بالاقدام على

مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها وتقدم نظرها وتتالت اواخر على اوائل واعجازاً على كلاكل ... الا بد ان يناهضه اقتاناً ويباينه عرناناً ولا يخلو الى سانح خاطره ولا الى نزوة من نزوات تفكره فاذا هو حذاها على هذا المثال وباشر بانعام تصفحها احكام الحال امضى الرأي فيما يريه الله منه غير معاز به ولا غاض من السلف رحمهم الله في شيء منه فانه اذا فعل ذلك سدد رأيه وشيع خاطره وكان الصواب مئنة ومن التوفيق مظنة وقد قال ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ما على الناس شيء اضر من قولهم ما ترك الاول للآخر شيئاً وقال ابو عثمان واذا قال العالم قولاً متقدماً فللمتعلم الاقتداء به والانتصار له والاحتجاج لخلافه، اذا وجد الى ذلك سبيلاً وقال الطائي الكبير

يقول من تطرق اسماعه كم ترك الاول للآخر

وقال في باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ واغفالها المعاني: اعلم ان هذا الباب من اشرف فصول العربية واكرمها واعلاها وانزهها واذا تأملته عرفت منه وبه ما يونقك وتذهب في الاستحسان كل مذهب بك وذلك ان العرب كما تعنى بالفاظها وتصلحها وتهذبها وتداعيها وتلاحظ احكامها بالشعر تارة وبالخطب اخرى وبالاسجاع التي تلزمها وتتكلف استمرارها فان المعاني اقوى عندها واكرم عليها وافخم قدراً في نفوسها فاول ذلك عنايتها بالفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقاً الى اظهار اغراضها ومراميها اصلحوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك اوقع لها في السمع واذهب بها في الدلالة على القصد الا ترى ان المثل اذا كان مسجوعاً لذ لسامعه فحفظه فاذا هو حفظ كان جديراً باستعماله ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس به ولا انقت لمستعمله واذا لم يكن كذلك لم تحفظه واذا لم تحفظه لم تطالب انفسها باستعمال ما وضع له وجيء به من اجله . وقال لنا ابو علي يوماً قال لنا ابو بكر اذا لم تفهموا كلامي فاحفظوه فانكم اذا حفظتموه (؟) وكذلك الشعر النفس احفظ واليه اسرع الا ترى ان الشاعر قد يكون راعياً جلفاً او عبداً عسيفاً تنبو صورته وتمج جملته فيقول ما يقول من الشعر فلاجل قوله وما يورده عليه من طلاوته وعذوبة مستمعه وما تصير قوله كما يرجع اليه ويقاس به الا ترى الى قول العبد الاسود

ان كنت عبداً فنفسي حرة كرماً او اسود اللون اني ابيض الخلق

وقول نصيب

سودت ولم املك سوادي وتحته قميص من القوهي بيض بنائقه

وقول الآخر

اني وان كنت صغيراً سني وكان في العين نبو عني

فان شيطاني امير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

حتى يزيل عني التظني

فاذا رأيت العرب قد اصلحوا الفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وارهفوها فلا ترين ان العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه بها وتشريف منها ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحصينه وتكوينه وتقديسه وانما المبغي بذلك منه الاحتياط للموعى وتليه وجوازه بما يعطر نشره فلا يعترجوهره كما قد عد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويغض منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه فان قلت لانا نجد من الفاظهم ما قد نمقوه وزخرفوه ووشوه ودبجوه ولسنا نجد مع ذلك تحته معنى شريفا بل لا نجده قصداً ولا مقاربا الا ترى الى قوله رحمه الله

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان ما هو ماسح

اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح

وقد ترى الى علو هذا اللفظ ومائه وصقاله وتلامح انحائه ومعناه مع هذا ما تحته وتراه انما هو لما فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الابل ولهذا نظائر كثيرة شريفة الالفاظ رفيعتها مشروفة المعاني خفيضتها قيل هذا الموضوع قد سبق الى التعلق به من لم ينعم النظر فيه ولا رأى ما رآه القوم منه وانما ذلك لجفاء طبع الناظر وخفاء غرض الناطق ثم افاض في بيان معاني البيتين

وقال في باب ارادة العرب للاغراض التي تنسبها اليهم حدثني المتنبي شاعرنا وما عرفته الا صادقاً قال كنت عند منصرفي من مصر في جماعة من العرب واحدهم يتحدث فذكر في كلامه فلاة واسعة فقال يحير فيها الطرف قال آخر منهم بلغته سراً من الجماعة بينه وبينه فيقول يحار يحار افلا ترى الى هداية بعضهم الى بعض وتنبيهه اياه على الصواب

سير العلم والاجتماع

ادب السعادة

كتب رئيس تحرير المجلة البارزية مقالة في هذا الموضوع قال فيها ان السعادة مادة حياتنا وقائد لها وهي تتزيا باشكال متنوعة وانا اذا رأينا مايذله اهل الارواح الشريفة من الهمم يتراءى لنا ان رغبتهم في ان يعيشوا في شقاء ولكن اذا امعنا في استقراء ما لم نراهم يرمون الى نيل سعادة ارقى . الغاية العامة من العلم الادب والغاية الخاصة تخليص الحقيقة من الحوادث والعواطف . المرء مدين بكل ماله للاجيال الغابرة وهذا دين علينا يجب علينا اداؤه لمن يأتي بعده وعلى المرء فروض يجب عليه القيام بها نحو الاموات ونحو الاحياء وهذا واجب يتحتم عليه في اعماله وافكاره فقد شاء الاختبار ان سعادته ليست الا نتيجة سعادة مشتركة فهو مخلوق على مثال الاجيال السالفة وهو تابع للانسانية التي تحيط به . اذا عاد المجتمع الى عهد اللصوصية واختل نظامه فان سعادة المرء الخاصة تضمحل في السعادة الاجتماعية وكل احتياط صحي يأتيه المرء يفيد المجموع كما ان صحته منوطة بما يقوم به المجموع من اساليب الصحة العامة . والامثلة كثيرة على ان التكافل مشترك والعلاقة مؤكدة بين مصالحنا الخاصة ومصالح المجموع فليس لامرىء حق ان يستمتع بالخيرات التي هي ثمرة عمل الآخرين دون ان يساعد بنفسه وعلى قدر طاقته على رفع منار السعادة وعلم الامن والسلام .

ليس الادب او الاخلاق الا بعض فكرنا نستطيع ان نصوره او نقلبه على الصورة المؤلفة منها عناصره . يقول بعضهم ان الاخلاق غريزية في المرء وليست كسبية ولو صح قولهم لكانت الاديان والتربية لغواً لا فائدة منها ولكان على الناس ان يغلقوا المعابد والمدارس ايضاً . نعم ان السعادة منوطة بشعورنا الادبي والذكاء والسعادة يسيران معاً على خط متواز يتجليان انهما متشابهان وهما متخالفان جوهراً وعرضاً فالذكاء لا يؤثر في السعادة الا بالواسطة وذلك بتجهيز حياتنا بسلاح ماض وبالتأثير في اخلاقنا وميولنا

قال اغوست كونت مؤسس الفلسفة الحسية ان كمالنا الادبي يعيننا على سعادتنا الحقيقية مباشرة من دون ادنى ريب اكثر مما يعيننا غيره . وقال الفيلسوف ديكارت

صاحب الفلسفة الحديثة: كل من عاش عيشة لا يوبخه عليها وجدانه ولم يقصر في القيام بكل مايراه احسن (من الفضائل) ينال عن سعيه جزاء وفاقاً وتواتيه السعادة

قال الكاتب ومتى ادركت الانسانية ان سعادتنا منا واننا انما سعداء لان لنا ارادة في السعادة تنهار حوالينا الوف من الاوهام التي تعوقنا عن كمالنا الادبي وتقف عثرة في سبيل سعادتنا . وماشقاوتنا الا ثمرة اساءتنا فهم معنى الحياة فنضر غيرنا دون ان يخطر لنا ببال ان شقاء غيرنا ضار بنا . فالحسد مثلا مصدر النقائص الاجتماعية وهو ضار بنا انفسنا . والخير والحب وهما منبع سعادة الغير بنفعنا من يأتيهما قبل كل الناس . حياة العائلة المؤسسة عَلَى الحب والاحترام المتبادل تنفع اعضاءها واي نفع . وانا حيثما التفتنا نرى العبر قائلة بلسان حالها ومقالها بانه من المتعذر ان نتمتع بسعادة شريفة دائمة دون ان يتمتع بها القريبون منا وكلما امتد ميدان حياتنا وشرفت مبادئها وخواتيمها يزداد التكافل بالسعادة فقد قال افلاطون ان السعادة علم فن عمل الشر هو ممن لا يعرف الخير وهكذا الحال في السعادة فان الشقي هو الذي يجهل كيف يقدر ان يكون سعيداً

التسمم بالتدخين

جرب الدكتور سرج جبرو وسكي تجارب كثيرة ليبين ان التدخين يحدث في جسم الانسان آثاراً تسممية وذلك بان حقن الحيوانات تحت الجلد وفي الدم بالنيكوتين وقد استعمل لذلك جهازاً تمكن بواسطته من ان يضع الارانب ست او ثماني ساعات في اليوم في مكان محكم السد يدخل اليه بنفخة دخان اللفافة (سيكاره) فكانت تظهر في غضون الاسبوع الاول عَلَى الحيوان آثار القلق ويزيد فيه افراز الدمع والبصاق وبعد امتصاص الدخان كان يستولي عَلَى الحيوان الضعف والبلادة وتثاقل مشيته وفي الاسابيع التالية تزول هذه الامارات وتحل محلها قلة القابلية للطعام . وقد مات عند انتهاء الشهرين ارنبان ودل الفحص المجهري (الميكروسكوبي) لقلبهما عَلَى تلف الجسم من فعل الدخان . عَلَى ان الاخرى قاومت خمسة اشهر وظهر فيها فساد الدم ونزل وزنها الى النصف وبهذا اثبتت تجارب الطبيب المومأ اليه ان الحيوانات تعتاد التدخين ولكن فساد نسيج قلب الحيوان معادل لما يحصل في الانسان

الاستحمام

قال احد الباحثين في مجلة الحياة البيتية ما تعريبه : يتطلب التبرج والزينة ان تصرف العناية في الطهارة خاصة وتكون متناسبة مع السن والمزاج والجنس على حين ان حفظ الصحة يتطلب ان تختلف هذه العناية باختلاف الامكنة والازمنة والحرارة . والحمام الطف جميع ما تقتضيه الزينة من انواع العناية واكثرها بساطة وطبيعة فهو الذي يؤثر تأثيراً سريعاً في الصحة . فالحمام رفاهية لا تنكر مزاياها وذلك لان المسام اذا فتحت بالحمام تسرع حركة الدم وتعمل في الحال في الجلد بان تنزع عنه القشور التي تغطي بشرة جسمنا .

وتختلف تأثيرات الحمام بحسب درجة الحرارة او البرودة في الجو كما تختلف الاحتياطات عند الخروج باختلاف المناخ وذلك لان الحرارة تشد الجسم والبرودة على العكس تضيقه

الحمامات الباردة مقوية ويجب ان يغطس الجسم كله بسرعة وقد يحدث من الدخول في حمام بارد بعض الضرر وذلك عند ما ينغمس المرء في الماء بالتدريج لتدفع البرودة بالحرارة نحو الاطراف فتصل الى الدماغ مثلاً . ويقال بوجه عام ان الحمام البارد اذا نفع الاحداث وقوى بنيتهم فلا يليق بالشيوخ ولا بارباب الصدور النحيفة لان رد الفعل لا يتم فلا يتأتى ان تعود الحرارة الا بصعوبة

اذا أريد الاستحمام بالماء البارد يجب على كل حال ان يكون الجسم مستريحاً والهضم تاماً كل التمام ورشح البدن لا يكون كثيراً من المشي . واذا بلغت الحرارة درجة لطيفة يمكن ان يبقى فيها المرء نصف ساعة او ثلاثة ارباع ساعة ولا يجب ان يتجاوز المستحم هذا القدر من الوقت . وعلى المستحم عند ما يخرج من الحمام ان يحتاط بتنشيف بدنه ودلك جسمه كله لينزع منه الرطوبة ويرفع عن الجلد الاجزاء الصغيرة التي تستخرج منه بفعل الماء . واذا شعر بانه برد ينبغي له في الحال ان يدلك جسمه بماء الليمون او بعض الارواح الاخرى وعليه لاعادة الرشح تماماً ان يمرن عضلاته تمريناً خفيفاً .

ومن الحكمة ان يمتنع المستحم عن تناول الطعام حال خروجه من الحمام لان الحرارة تنتقل من وسط الجسم الى الاطراف فتترك الحواس الهاضمة خالية من جزء من القوة اللازمة للقيام بوظائفها

واذا ناسبت الحمامات الباردة الدمويين او السمان من الاشخاص فقد تضر المستعدين للهزال . وعلى الجملة فانها قلما تنفع من عودوا الرخاء والجلوس . ومن الاحتياط ان لا يستحم واكذلك الا باشارة الطبيب

الحمامات الحارة تزيد العرق واذا قل تعيده كما كان وتلين الالياف . والواجب ان يستعمل الحمام بحسب الحالة الصحية واذا اكثر منه يضعف الجسم ويتعب ويعد للنزلات

اما الحمامات الفاترة او الحارة فلا يقتضي لها الاحتياط بقدر الاحتياط للحمامات الباردة والاحتياط فيها مطلوب عند الخروج منها ويحسن بعد الحمام السخن ان يقعد المرء في فراشه بعد ان يكون قد نشف جسمه بمناشف غير ندية وحارة وذلك لان ما يحدث امراضاً كثيرة هو التعرض لفعل الهواء الخارجي

ومن القواعد التي تجب مراعاتها ان يستريح المستحم قبل الحمام البارد وبعد الحمام السخن والواجب ان يعنى بدلك الجسم عند الخروج من الحمام حتى لا يتضرر الجلد ويتخلص من الذرات القشرية التي ابقاها الاستحمام على الجسم . واذا لم يسع المرء ان ينام بعد الحمام فلا اقل من ان يمرن جسمه قليلاً فيشعر في الحال بتأثيرات هذا الاحتياط وينتفع الجسم من ذلك احسن نفع

تنفع الحمامات البخارية في البلاد التي يشتد بردها في اهاجة الرشح البطيء النادر وضروري في الاقاليم المعتدلة الاستحمام بالماء الفاتر لينزع من البشرة القدرات التي تنبعث من الجسم . وفي الاوقات الرطبة يحسن الدلك الناشف . ولما كان الرشح في البلاد الحارة يكاد يكون متواصلاً فمن الضروري ان تكون الحمامات على درجة اقل من درجة حرارة الجو ليحدث بذلك التوازن في الاخلاط ويسكن هيجانها العادي

واذا لم يساعد الحال والمكان على استيفاء شروط الاستحمام فالواجب ان يستعاض عنه بغسل بعض البدن بماء حار او بارد بحسب الموسم وقد لا تستوفى من هذا الاغتسال الشروط الصحيحة الناشئة من الحمامات ولكنها تكفي في صيانة الجسم

والاشخاص الذين يتعبون احيانًا بما ينهال من الدم على رؤوسهم يجب عليهم ان يستحموا استحمامًا تامًا ويغسلوا ارجلهم ويتأتى لهم الاستعاضة عن الاول والثاني بغسل

ايديهم بالماء المغلي · وهذا الدواء على سهولته نافع في امراض الاسنان لا للطاعنين في السن بل لصغار الاولاد

المحظورات

يحظر عليك ان تضع اصبعك او طرف مظلتك في عين جارك

كما يحظر عليك ان تضع اصبعك في انفك حتى ولو كان يحك

لا تنظف امام الناس انفك ولا اذنك ولا اسنانك ولا اظافرك

لا تدعس عَلَى رجل جارك ولا عَلَى ثوب جارتك

لا تجلس عَلَى طرف كرسيك ولا تهتز عليه

لا تعبث بهدب ثوبك ولا بازرارك

اذا صافحت فلا تصافح باصبع واحد بل بمجامع راحتك مفتوحة

لا تدخل الى قاعة الاستقبال ومعك مظلتك ولا معطفك ولا مشمعك

غلظ الشعر

تختلف ثخانة الشعرة من واحد من عشرة من المليمتر الى اربعين · وقطر خيط الحرير كما تخرجه الدودة هو نحو خمسة مليم من المليمتر وخيط العنكبوت هو ادق من هذا بخمس او ست مرات وليس هو عشرين من المليمتر ويمكن ان تحاط الكرة الارضية بليبرة من خيط العنكبوت · كما ان قمحة واحدة من المسك تعطر غرفة مدة عشرين سنة · وفي جسمنا ٢،٣٠٤،٠٠٠ من المسام ·

اثقل تمثال

اثقل تمثال من البرونز تجده في بطرسبرج وهو تمثال بطرس الاكبر ثقله زهاء الف طن ·

الطول البشري

تبين من التجارب التي صنعت لاختبار طول قامات الرجال والنساء ان من يولد في الربيع او في الشتاء اكبر قامة ممن يولد في الفصلين الآخرين والبنات الطويلات القامة يلدن في آب اما البنون فاطولهم قامة من ولدوا في تموز واصغرهم من ولدوا في تشرين الثاني

التفنن في التعليم

ورد في قصة لديكنس ان احدى المعلمات كانت تكرر على تلميذاتها كلمات « برون » « بريسم » « بوتانويس » ليمددن شفاههن المنضمات بعضها على بعض ويبدو الظرف على افواههن . وقد توسعت الآن احدى العقائل في هذه الطريقة وقامت تدعي انها تستطيع ان تعيد القبيحة من النساء مليحة وان تصير الملاح أعجوبة الاعاجيب فاسست لهذه الغاية في انكلترا مدرسة اخذ الطالبات ينهلن عليها انهيالاً وقد قسمتها صفوفاً فجعلت صفاً لتعليم البنات كيف يلقين نظراتهن الفتانة ويسحرن بها الالباب وصفاً لتعليم البنات تحريك انوفهن تحريكاً جذاباً خلاباً وصفاً لتعليم الشفاه على الحركة ومتى اتم الفتيات التعليم في هذه الصفوف ينتقلن الى صف ارقى حيث يعدن نظرة اجمالية على كل ما تعلمن فيأتين فاتنات ساحرات

النوم الضروري

كلما امكن ترك الاولاد ينامون كثيراً كان انفع لصحتهم . ويؤخذ من البحث الذي تم في بلاد السويد انا لاولاد الذين لا ينامون القدر الكافي من النوم تزيد امراضهم جزئين من خمسة اجزاء . فمعدل ما ينبغي من النوم للطفل الذي يذهب الى المدرسة اثنتاعشرة ساعة لمن كان في الرابعة من سنه واحدى عشرة لمن كان في السابعة وتسع ساعات لمن كان بين الرابعة عشرة الى العشرين

ارجل الصينيات

كنا نسمع بان من جمال الفتاة الصينية ان تكون صغيرة الرجلين وان القوم هناك يستعملون لتصغيرهما قوالب مخصوصة وقد ذكرت الصحف ان حكام ولايات كينغ سو وكينغ سي وكينغ هوي وناكان هوي من الولايات الصينية قد اصدروا بياناً يحظرون فيه على النساء ان يعصبن ارجلهن قائلين ان ذلك مما يمس حنان قلب الام والفتيات يضعن الحياء اذا تكلفن الجمال ويصبحن ضعيفات غير قادرات على العمل ويحسبن فقيرات . وقد وعد اولئك الحكام بمكافآت للصينيات اللاتي يعدلن عن تصغير ارجلهن

اسماء الاقمشة

سميت كثير من الاقمشة في بلاد الافرنج باسماء المدن التي حاكتها اول مرة فعندهم

نوع من القماش اسمها دماس نسبة لدمشق حيث كان ينسج الحرير منقوشاً بنقوش بارزة · وعندهم قماش اسمه كاز نسبة لغزة في فلسطين وآخر اسمه اندر ينوبل نسبة لادرنه في الروم ايلي والموسلين وهو الشاش الرفيع صنع لاول مرة ايضاً في مدينة الموصل فنسب اليها والكاليكو قماش صنع لاول الامر في مدينة كاليكوت من بلاد الهند فنسب اليها

انقضاء العالم

نشر احد علماء الطبيعة مقالة في مدة بقاء الارض او انقضاء العالم ومتى صلحت الارض لسكنى الحيوانات والنباتات فقال ان من السهل ابداً السوال عن هذه الاسئلة ولكن الصعوبة في الاجابة عنها فقد كان النظام الشمسي في البدء عبارة عن كتلة عظيمة من الابخرة المتأججة او منطاداً ضخماً من الغاز حامياً يدور بمحركاً فوق نفسه · فجمد البرد في انقضاء الغيوم الاصلية وانفصلت السيارات من الاجرام الموجودة في الوسط واخذت السيارات تبرد على الولاء بقدر اجرامها فيبرد الاصغر ثم الاكبر · وقد طال امد كل سيارة ونمت على توالي الازمان فجمدت الارض وتماسك سطحها السائل وعلى هذه الصورة نشأت القشرة الارضية

ويهمنا هنا ان نعرف عمر الارض او عدد السنين التي مضت على تكونها والاعوام التي تفصل العصر الحالي من العصر الذي ظهرت فيه على سطحها الاحياء الاولى ولا سبيل الى ذلك الا على وجه التقريب · واذ كان عمر الارض مرتبطاً بعمر الشمس كان من الواجب ان نعلم اولاً الحدود التي يجب ان نحصر فيها وجود الشمس فقد حسب علماء الهندسة كمية الحرارة التي ادخرها تقلص السديم الاول في السيارة الوسطى وحققوا قوة الحرارة الحالية وما يفقد منها كل سنة واستنتجوا من ذلك مقدار الزمن الذي وجدت الشمس فيه · وبحسب ما حسبوا تبين ان الشمس موجودة منذ خمسة وعشرين مليون سنة على الاقل او منذ اربعين مليون سنة على الاكثر · ورأى الطبيعي نوكمب بحسب النور الحاضر ان الكوكب يصغر الى نحو النصف من قطره في خمسة ملايين من السنين على اكثر التقدير وانه بعد عشرة ملايين سنة يكاد يكون له قشرة فيحتمل اذ ذاك ان تصلح الارض للاحياء على الوجه الذي نعرفها به

واذا كان جرم كرتنا الارضية اصغر من جرم الشمس بـ ٣٥٥٠٠٠ مرة فظاهر ان الارض بردت قبل غيرها وثبت لعالم آخر اسمه وليام طومسون بالتحليل الرياضي

ان الارض جمد سطحها منذ عشرة ملايين من السنين او منذ خمسة عشر مليوناً على التقدير الاكثر فيرد تاريخ اصل الاحياء على الارض الى اثني عشر مليون سنة

وبالجملة فان لنا ان نستنتج من هذا ان الارض موجودة منذ خمسة وعشرين مليون سنة على الاقل وان الاحياء الاولى التي عاشت على سطحها قد ظهرت منذ اثني عشر مليون سنة والغالب ان الكائنات الحية الحاضرة تنقضي ايامها بعد عشرة او اثني عشر مليوناً من السنين — وعلى هذا فآخر ايام الدنيا بعيدة بعد وبحسب ما تقدم تكون الارض الآن قد قضت نصف حياتها مضى اثنا عشر مليوناً من السنين وبقي ما يقرب منها بعد وبذلك نطمئن على مستقبل الجنس البشري

جمال النساء

معيار الجمال في الامم اذواقها ومصطلحاتها فمن الجمال في اوربا ان تكون اسنان النساء بيضاء وفي اليابان يؤثرون من اصفرت اسنانهن وفي الهند يصبغنها بالحمرة وفي بوكارات بالسواد والنساء في غروانلاندا يدهن وجوهن بمادة زرقاء صفراء والتاتاريات مهما بلغن من الجمال الطبيعي يرين انفسهن بشعات ان لم يبيضن وجوهن على مرأى من الناس على حين ترى الاوربيات اذا وضعن الحمرة كي وجوهن يخفين امره ولا يكدن يظهرنه . وفي فرنسا يفضل من النساء الممشوقات القدود وفي البلاد العثمانية يؤثرون السمينات المكتنزات كما يفضلون من استدار وجهها . اما الفرنسيس فيفضلون الوجوه المستطيلة المتناسبة . ويفضل اليونان من النساء من صغرت جباهن اما الفرنسيس فيطلبون ان تكون جبهات النساء عالية مكشوفة . الناس في اوربا يفضلون الشعر الاسود او الاشقر او الاسفع ولكن سكان جزائر ماريانا يفضلون من ابيض شعرها من ربات الجمال . وعلى هذا فلا يتيسر لامرأة ان تتفق الامم على جمالها لان ما يراه قوم حسنة قد يراه غيرهم سيئة فسبحان مقسم العقول والارزاق

الآثار العربية

اهدى المسيو دكورد مانش لمكتبة الامة في باريز مجموعة مؤلفة من ١٥٨ كتاباً من المخطوطات العربية والفارسية والتركية وكان اهدى مثلها من المخطوطات والمسكوكات العربية الى تلك المكتبة نفسها فكتبت مجلة العالم الاسلامي مقالة في هذه المناسبة قالت فيها ان هذه المخطوطات لا تروق المشتغلين بالعربية من المستشرقين ممن يرون ان المصنفات

التاريخية الشائعة هي وحدها تحتوي عَلَى بعض الفوائد مدفوعين الى ذلك بعامل فهمهم لها من دون سائر ماخط بايدي مؤلفي العرب وزاعمين ان مابقي من الادبيات الاسلامية عبارة عن احاديث ملفقة وهذيان ليست حرية بنظر رجل تمكن من الطريقة القويمة في المعارف وان مثل هذه الكتب لايقبل عليها و يصرف اوقاته فيها الا من تبلد ذهنه او اختل شعوره فاذا كان التاريخ الاسلامي هو من الفروع المهمة جداً في الآداب الشرقية فان سائر فروع العلوم كالفقه والنحو(واكثر مجموعة المسيو دكوردمانش منها) ربما لاتقل عنها شأناً لانها ليست وحدها التي تصور حالة العقل في الرجال الذين اتوا قبل ثلاثة عشر قرناً من الهجرة النبوية و كيف كانوا يفكرون و يذهبون في مذاهب الامور الذهنية والروحية

لاجرم ان المشاغل السياسية منذ بضع سنين ولاسيما منذ قتال موكدن قد قلبت الافكار الاسلامية ظهراً لبطن واخذ رجال الاسلام يزينون لابناء دينهم الرجوع الى الدروس التي انغمس فيها اجدادهم بحيث كادوا يغرقون وتعزوا عن الخيبة التي نالتهم بما قرأوا فيها من الافكار عَلَى ان النظر الصحيح يقضي بان المهندسين الذين مدوا في بادية بلاد العرب خطوط السكة الحديدية من دمشق الى المدينة قد اتوا بعمل انفع مما اتى الزمخشري وجميع شراح الكافية لابن الحاجب . الا ان الافكار الحديثة توشك ان تؤدي بالاسلام الى طرق مخالفة للطرق التي سار عليها الى اوائل القرن الرابع عشر من الهجرة ويمكن ان يكون المجتمع الاسلامي بعد مائة وخمسين سنة واعني به الجيل المفكر المهذب من المسلمين مخالفاً للمجتمع الذي عاش عَلَى عهد عبد الحميد خان الغازي وناصر الدين شاه قاجار كما نختلف نحن معاشر الفرنسيس اليوم عن اجدادنا زمن لويس الخامس عشر وربما كان اختلاف المسلمين اكثر

كان المسلمون الذين عاشوا في بلاد ماوراء النهر الى اواخر القرون الوسطى عَلَى عهد اخلاف تيمورلنك قد ورثوا التمدن اليوناني و بلغوا بالعلوم الى درجة عجيبة من الكمال ثم لم يلبثوا ان ضعف امرهم وتخلوا عن هذا التراث العلمي وانصرفوا جملة الى الفقه والنحو فكان ذلك مبدأ سقوط الامم الاسلامية

ومهما كانت الطرق التي سيجري عليها اهل الاسلام في ظل العلم والدستور اليوم فانهم ولا جرم يخالفون المسلمين الذين عاشوا في ظل الاستبداد كل المخالفة ولا يتأتى الآن الوقوف عَلَى فكر العالم الاسلامي قبل مضي زمن وتصفح الكتب التي يستخدمونها في تعليم ناشئتهم وطريقة الرجال الذين عاشوا عَلَى عهد الخلافة الدينية او خلافة السلاطين الذين حلوا محل خلفاء بغداد

وهكذا فان هذه الكتب التي تشهد بفضل مؤلفيها وبعنايتهم الفائقة التي بذلوها في وضعها وهي تساوي باسلوبها وتعليمها اقل مما تساوي بدلالتها على الحركة العقلية في مدنية كانت الحاكمة المتحكمة على العالم زمناً ونعني بها مدنية الاسلام. ومكانة هذه الكتب لا تسقط ابد الدهر حتى ولو ادى الارتقاء العلمي الاسلامي الى طرحها والاستعاضة عنها بمصنفات تؤلف على غير نسقها وعلى اسلوب يغاير اسلوبها ولا سيما متى انصرفت النفوس عن دراسة علوم اللسان والفقه الى علوم يكون نفعها عملياً ظاهراً.

لا جرم ان علوم المسلمين ودرسها تشبه ما كان لنا منها في عهد الحكومات البائدة وان من عانوها والفوها اذا تعلموا جميع دقائق النحو العربي وتبحروا في فقه السنة والشيعة لا يتأتى لهم بذلك ان يقفوا على مطالب الحياة الاجتماعية والعالم الخارجي

وبعد فان كتب النحو العربي التي هي مصنفات تامة في بابها يجب الرجوع اليها اذا اريد التعمق في هذه العلوم وفهم فكر العربي وهي تشبه كتبنا التي كانت مستعملة في المدارس قبل اصلاح بور رويال[1]. وربما زهد المسلمون في الاعتماد على الطريقة القديمة والكتب القديمة في هذه الفنون لان بعضهم يرى ان الالفية والاجرومية قبلاً تستدعي انتباه ذهن الطلبة وذاكرة فائقة لاختيار طريقة تشبه طريقة الكتب التي نعول عليها في دراسة اللاتينية وغيرها من اللغات وربما لا يمضي وقت طويل الا وتحسن طريقة دراسة الآداب العربية كما تحسنت عندنا في الغرب. على انه لا يبعد ان تقل الرغبة في هذه الدروس اللسانية كان درس الفقهية التي كانت الدروس المعول عليها فقط في العهد الماضي ولا سيما في البلاد العثمانية والفارسية ويعتبر القوم علوم الدين واللغة التي كانت موضوع اهتمام المتفقهة والمتصوفة من علوم الرجعة لان القائمين عليها اناس كانوا في الجملة مراعاة لمصالحهم اصدق انصار عروش السلاطين الذين يدعون الخلافة عن الله في الارض.

وكيفما كان الحال فانه لا يتأتى الوقوف على الفكر الاسلامي في كتب ألفت على النسق الاوربي وسارت في اسلوبها على نسق الخطط الغربية كما انك لا تستطيع على الفكر الياباني قديماً من مراجعة الترجمات الانكليزية والفرنسوية التي تعين رعايا ميكادو اليابان من اجتياز ابواب المدارس الحربية في مملكة الشمس المشرقة.

(١) هو دير للنساء البرناديات بالقرب من شفروز في مقاطعة سان ايواز الفرنسوية نزل فيه سنة ١٦٣٥ علماء اعتزلوا العالم وانقطعوا الى تأليف المصنفات البديعة وقد خرب هذا المعهد العلمي لويس الرابع عشر سنة ١٧٠٩

ولا يتيسر درس الحضارة الاسلامية القديمة بغير الرجوع الى هذه الكتب في الفقه، معاملاته وعباداته، والنحو ومتعلقاته . تلك الكتب التي يهملها علماء المشرقيات لانها على غير اسلوبهم ولانها من بقايا القرون الوسطى على حين ان نشوء الدروس الذي وقع في الغرب منذ عهد النهضة قد صير الكتب المكتوبة باللاتينية باقلام اساتذة علم الكلام معقدة غير مفهومة ان لم يصرف فيها المرء وقتاً طويلاً

وفي المجموعة التي اهداها المستشرق المشار اليه عدة كتب مشهورة منها قطع من القرآن ربما كانت بخط ياقوت المستعصي الخطاط الشهير وقطعة من كشاف الزمخشري وقطعة من تفسير القرآن للبيضاوي من اوائل القرن الرابع عشر وقطعة من الحديث من القرن الثالث عشر ونسخة قديمة جداً من مقامات الحريري وكتاب في القراآت فارسي وشرح كافية ابن الحاجب بالفارسي

وقد ظفروا بهذه المجموعة في سمرقند وهي تمثل صورة من صور علم الفقه والكلام عند السارتيين والتاجكيين في بخارى وسمرقند وكشغر وبعبارة اخرى صورة من صور علوم المسلمين في التركستان الروسي والتركستان الصيني وبها يتمثل الناظر حالة المعارف عند من كانوا يعيشون في تلك الانحاء من المسلمين لان جزءاً كبيراً من الكتب التي تألف منها هذه المجموعة قد نسخت هناك

وليس في هذه المجموعة الا كتب خاصة بطائفة مهذبة من طوائف المسلمين الى حد معلوم والنسخ الحديثة من كتب الفقه والنحو تدل على ان معرفة اللغة العربية التي هي اساس الدروس الاسلامية هي في اقصى دركات الانحطاط في تركستان . على ان هذا الانحطاط يرد الى ابعد من ذاك العهد لانه وجد في عهد التيموريين في الكتب والمكتوبات على الاحجار من الاغلاط الفادحة ما يستدل منه ان معرفة اللغة العربية هو احط من ذاك العهد مما هي عليه اليوم في فارس حيث اصبح طلاب الفقه دع عنك المجتهدين ولا سيما في النجف وكربلا اساتذة في اسرار علوم الصرف والنحو

وهذه النسخ بالاجمال استنسخها اناس لم يعنوا بها حق العناية وليس لهم فيها ذوق حتى ان بعضها لم يكتبوا عليه اسمه واسم مصنفه لجهلهم في الغالب . وهذا الجهل وهذا الاهمال يكفيان لبيان السقوط المريع الذي صب في ذلك الشعب الذي يسكن تلك الاقطار التي كانت فيما غبر مهد العلوم والآداب اه

المقتبس

ربيع ثاني سنة ١٣٢٧

المقيم المقعد

للشيخ الامام ابي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي
عليه الرحمة

هو كتاب جليل نادر الوجود توجد منه نسخة عند بعض طلبة العلم في بغداد · اوله لما كانت العربية تنقسم قسمين احدهما الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ولا يحتمل غير ظاهره · والثاني المشتمل على الكنايات والاشارات والتجوز · وكان هذا القسم هو المستحلى عند العرب نزل القرآن بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله · فكأنه قال عارضوه باي القسمين شئتم ولو نزل كله واضحاً لقالوا هلا نزل بالقسم المستحلى عندنا · ومتى وقع في الكلام اشارة او كناية او استعارة او تعريض او تشبيه كان احلى واحسن · قال امرؤ القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربي   بسهميك في اعشار قلب مقتل

فشبه النظر بالسهم فحلا هذا عند السامع · وقال ايضاً

فقلت له لما تمطى بصلبه   واردف اعجازاً وناء بكلكل

فجعل لليل صلباً وصدراً على جهة التشبيه · واستشهد ايضاً بشعر آخرين من شعراء الجاهلية واطال في الكلام واطنب · ثم عقد فصولاً في مطالب شتى

منها فصل في بيان عادة العرب في تكرير الكلام واستشهد عَلَى ذلك بمنثور ومنظوم من كلام فصحائهم وخطبائهم

ثم قال فصل وقد تأتي العرب بكلمة الى جانب كلمة كأنها معها وهي غير متصلة بها وفي القرآن (يريدان يخرجكم من ارضكم) هذا قول الملاء فقال فرعون (فماذا تأمرون) واورد شواهد أُخر من القرآن ومن كلام الفصحاء واطنب في الكلام

ثم قال فصل وقد تجمع العرب شيئين في كلام فترد كل واحد منهما الى ما يليق به وفي القرآن (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) فيقول الرسول (الا ان نصر الله قريب)٠ وهو فصل طويل

ثم قال فصل وقد يحتاج بعض الكلام الى بيان فيبينونه متصلاً بالكلام ومنفصلاً وجاء القرآن عَلَى ذلك فمن المتصل (يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات)٠ واما المنفصل الخ وذكر له عدة شواهد من القرآن وغيره

ثم قال فصل وقد تذكر العرب جواب الكلام مقارناً له وقد تذكره بعيداً عنه وعَلَى هذا ورد القرآن فان المقارن من الجواب فكقوله تعالى (و يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) واما البعيد فتارة يكون في السورة كقوله تعالى (ما لهذا الرسول الآية جوابه بعده باثنتي عشرة آية وهو قوله تعالى (وما ارسلنا قبلك من المرسلين) الآية

ثم قال فصل في ذكر اقسام الخطاب في القرآن ٠ الخطاب في القرآن عَلَى خمسة عشر وجهاً خطاب عام ٠ الله الذي خلقكم ٠ وخطاب خاص (اكفرتم) ٠ وخطاب الجنس (يا ايها الناس) ٠ وخطاب النوع (يا بني آدم) ٠ وخطاب العين (يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) ٠ وخطاب المدح (يا ايها الذين آمنوا) ٠ وخطاب الذم (يا ايها الذين كفروا) ٠ وخطاب الكرامة (يا ايها النبي) ٠ وخطاب الاهانة (فانك رجيم) ٠ وخطاب الجمع بلفظ الواحد (يا ايها الانسان ما غرك بربك) ٠ وخطاب الواحد بلفظ الجمع (وان عاقبتم فعاقبوا) ٠ وخطاب الواحد بلفظ الاثنين (القيا في جهنم) ٠ وخطاب الاثنين بلفظ الواحد (فمن ربكما ياموسى) ٠ وخطاب العين والمراد به الغير (فان كنت في شك) ٠ وخطاب التلون وهو عَلَى ثلاثة اوجه احدها ان يخاطب ثم يخبر (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ٠ وما اتيتم من زكوة يريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون) ٠ والثاني ان يخبر ثم يخاطب (فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم ٠ وسقاهم ربهم

شراباً طهوراً ان هذا كان لكم جزاء) والثالث ان يخاطب عيناً ثم يصرف الخطاب الى الغير . (انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله) على قراءة

ثم قال فصل في ذكر امثال القرآن وذكر اثنين واربعين مثلاً منها وبين ما اشتملت عليه من البلاغة والفصاحة والحكم بما لا مزيد عليه

ثم قال فصل في الحروف الزوائد والنواقص وذكر هنا مسائل لغوية مفيدة تمس اليها حاجة اللغوي وطلاب علم العربية

ثم قال فصل في المقدم والمؤخر وذكر ما يجب تقديمه في الكلام وما يجب تأخيره في النظم والنظر وهو بحث لم تظفر به يد غيره من المحققين

ثم قال فصل واعلم ان لغة العرب واسعة ولهم التصرف الكثير فتراهم يتصرفون في اللفظة الواحدة بالحركات فيجعلون لكل حركة معنى كالحَمل والحِمل والرَوح والرُوح وتارة بالاعجام كالنضح والنضخ والقبضة والقبصة والمضمضة والمصمصة وتارة يقلبون حرفاً من كلمة لا يتغير عندهم معناها كقولهم صاعقة وصاعقة وجذب وجبذ وما اطيبه وايطبه وربض ورضب وانبض في القوس وانضب . ولعمري ورعملي . واضمحل وامضحل . وعميق ومعيق . وسبسب وبسبس . وابكت الشيء وبلكته . واسير مكبل ومكلب . وسحاب مكفهر ومكرهف . وناقة ضمرز وضمرز اذا كانت مسنة . وطريق طامس وطامم . وقفا الاثر وقاف الاثر . وقاع البعير الناقة وتعاها . وقوس عطل واعاطل لا وتر عليها . وجارية قتين وقنيت قليلة الرزأ (كذا) . وشرخ الشباب وشخره اوله . ولحم خنز وخزن . وعاث يعيث وعثى يعثى اذا افسد . وتنح عن لقم الطريق ولمق الطريق . وبطيخ وطبيخ . وماء سلسال وسلسال وسلسل ومسلسل وملسلس اذا كان صافيا . ودمّ فاه بالحجر ودمقه . وفثأت القدر وثفأتها اذا سكن غليانها . وكبكبت الشيء وبكبكته اذا طرحت بعضه على بعض .

ثم قال فصل ومن سعة اللغة وحسن تصرفها ان العرب تضع للشيء الواحد اسماء من غير تغير يعتريه فيقولون السيف والمهند والصارم ويغيرون الاسم بتغيير يعتري فيقولون لمن نزل في الركي فملأ الدلو ماتح وللمستقي من اعلاها ماتح فالتاء المعجمة من فوق والياء المعجمة من تحت لمن تحت وتضع العرب للشيء الواحد اسماء تختلف باختلاف محاله فيقولون لمن انحسر الشعر عن جانبي جبهته انزع فاذا زاد قليلاً قالوا اجلح فاذا بلغ الانحسار نصف رأسه قالوا اجلى واجله فاذا زاد قالوا اصلع فاذا ذهب الشعر كله قالوا

احص والصلع عندهم ذهاب الشعر والقرع ذهاب البشرة و يقولون شفة الرجل و يسمونها من ذوات الخف المشفر · ومن ذوات الظلف المقمة ومن ذوات الحافر الجحفلة ومن السباع الخطم · ومن ذوات الجناح غير الصائد المنقار ومن الصائد المنسر ومن الخنزير الفنطيسة ·

و يقولون صدر الانسان و يسمونه من البعير الكركرة ومن الاسد الزور ومن الشاة القص ومن الطائر الجؤجؤ ومن الجرادة الجوشن وللمرأة الثدي وللرجل ثندوة وهو من ذوات الخف الخلف ومن ذوات الظلف الضرع ومن ذوات الحافر والسباع الطبي وللانسان الظفر ومن ذوات الخف المنسم ومن ذوات الظلف الظلف ومن ذوات الحافر الحافر ومن السباع والصائد من الطير المخلب ومن الطائر غير الصائد والكلاب ونحوها البرثن ويجوز البرثن في السباع كلها والمعدة للانسان بمنزلة الكرش للدابة والحوصلة للطائر

ثم قال فصل المراهق من الغلمان بمنزلة المعصر من الجواري والكاعب منهن بمنزلة الحزور منهم والكهل من الرجال بمنزلة النصف من النساء · والقارح من الخيل بمنزلة البازل من الابل · والعجل من البقر والشادن من الظباء كالناهض من الفراخ · والبكر من الابل بمنزلة الفتي من النساء · والقلوص بمنزلة الجارية · والجمل بمنزلة الرجل · والناقة بمنزلة المرأة والبعير بمنزلة الانسان · والغرز للجمل كالركاب للفرس · والغدة للبعير كالطاعون للانسان · والهالة للقمر كالدارة للشمس · والبصيرة في القلب كالبصر في العين ·

ثم قال فصل وتفرق العرب في الشهوات فيقولون جائع الى الخبز قرم الى اللحم عطشان الى الماء عيمان الى اللبن قرد الى التمر خصم الى الفاكهة شبق الى النكاح ويفرقون في اسماء الاولاد فيقولون لولد كل سبع جرو ولولد كل ذي ريش فرخ ولولد كل وحشية طفل ولولد الفرس مهر وفلو ولولد الحمار جحش وعنو ولولد البقرة عجل ولولد الاسد شبل ولولد الظبية خشف ولولد الفيل دغفل ولولد الناقة حوار ولولد الثعلب الجرس ولولد الضب حسل ولولد الارنب خرنق ولولد النعام رال ولولد الدب ديسم ولولد الخنزير خنوص ولولد اليربوع والفارة درص ولولد الحية حربش و يقولون البيض للطائر والمكن للضباب والمازن للنمل والسر للجراد والصواب للقمل و يفرقون في المنازل فيقولون بيت من مدر و بجاد من وبر وخباء من صوف وفسطاط من شعر وخيمة من غزل وقشع من جلود · و يفرقون في الاوطان فيقولون وطن الانسان وعطن البعير وعرين الاسد ووجار

الاسد والضبع وكناس الوحش وعش الطائر وقرية النمل وكور الزنابير ونافقاء اليربوع ويقولون لما يصنعه الطائر عَلَى الشجر وكر فان كان عَلَى جبل او جدار فهو وكن فاذا كان في كن فهو عش فان كان عَلَى وجه الارض فهو أُفحوص والاوحي للنعام خاصة ويقولون عدا الانسان واحضر الفرس وارقل البعير وعسل الذئب ومزع الظبي وخف النعام ويقولون طفر الانسان وصبر الفرس ووثب البعير ونفر العصفور وطمر البرغوث ويفرقون في الضرب فيقولون للضرب بالراح عَلَى مقدم الرأس صقع وعَلَى القفا صفع وعَلَى الوجه صك وعَلَى الخد بسط الكف لطم وبقبضها لكم وبكلتا اليدين لدم وعَلَى الذقن والحنك وهز وعَلَى الجنب وخز وعَلَى الصدر والبطن بالكف وكز وبالركبة زبن وبالرجل ركل وعلى كل ضارب بمؤخره من الحشرات كالعقارب بلسع وكل ضارب منها بفيه بلدغ ويفرقون في الجماعات فيقولون كوكبة من الفرسان وكبكبة من الرجال وجوقة من الغلمان ولمة من النساء ورعيل من الخيل وصرمة من الابل وقطيع من الغنم وسرب من الظباء وعرجلة من السباع وعصابة من الطير ورجل من الجراد وخرشم من النحل ويفرقون في الامتلاء فيقولون بحر طام ونهر طافح وعين ثرة واناء مفعم ومجلس غاص باهله ويفرقون في اسم الشيء اللين فيقولون ثوب لين ورمح لدن ولحم رخص وريح رخاء وفراش وثير وارض رشة ويفرقون في تغير الطعام وغيره فيقولون اروح اللحم وأسن الماء وخنز الطعام وسنخ السمن وزنخ الدهن وقنم الجوز ودخن الشراب وصدأ الحديد ونغل الاديم ويقولون يدي من اللحم غمرة ومن الشحم زهمة · ومن البيض زهكة · ومن الحديد سهكة · ومن السمك ضمرة · ومن اللبن والزبد شثرة · ومن الثريد مردة · ومن الزيت قنمة · ومن الدهن زنخة · ومن الخل خمطة · ومن العسل لزقة · ومن الفاكهة لزجة · ومن الزعفران ردغة · ومن العجين ورخة · ومن الطيب عبقة · ومن الدم ضرجة وسلطة وسطلة · ومن الوحل لثقة · ومن الماء بللة · ومن الحمأة زفطة · ومن البرد صردة · ومن الاشنان قفضة · ومن المداد وحدة · ومن دهن البزر والنفط نمسة ونسمة · ومن البول قنمة · ومن العذرة طفسة · ومن الوسخ ورنة · ومن النمل محلة ·

ويفرقون في الوسخ فاذا كان في العين قالوا ارمص فاذا اجف فهو عمش · فاذا كان في الاسنان فهو حفر · فاذا كان في الاذن فهو اف · فاذا كان في الاظافر فهو تف · فاذا كان في الرأس فهو حزاز · وهو في باقي البدن درن ·

ويفرقون في الكشف عن الشيء من البدن فيقولون حسر عن رأسه وسفر عن

وجهه واقتر عن نابه . وكشر عن اسنانه . وابدى عن ذراعيه . وكشف عن ساقه وهتك عن عورته .

و يفرقون في الرياح فاذا وقعت الريح بين ريحين فهي نكباء . فاذا وقعت بين الجنوب والصبا فهي الجربياء . فاذا اهبت من جهات مختلفة فهي المناوحة . فاذا جاءت بنفس ضعيف فهي النسيم . فاذا كانت شديدة فهي العاصف . فاذا قويت حتى قلعت الخيام فهي الهجوم . فاذا حركت الاشجار تحريكاً شديداً وقلعتها فهي الزعزع . فاذا جاءت بالهبا. فهي الحاصب . فاذا هبت من الارض كالعمود نحو السماء فهي الاعصار . فاذا جاءت بالغبرة فهي الهبوة . واذا كانت باردة فهي الجرجف والصرصر . فاذا كانت مع بردها ندى فهو البليل فاذا كانت حارة فهي السموم . فاذا لم تلقح ولم تحمل مطراً فهي العقيم .

و يفرقون في المطر فاوله رش ثم طش ثم طل ورذاذ ثم نضح ثم نضخ ثم هطل ثم تهتان ثم وابل وجود فاذا احيا الارض بعد موتها فهو الحيا . فاذا جاء عقب المحل او عند الحاجة اليه فهو الغيث . فاذا كان صغار القطر فهو القطقط . فاذا دام مع سكون فهي الديمة . فاذا كان عاماً فهو الجداء . فاذا روى كل شيء فهو الجود . فاذا كان كثير القطر فهو الهطل والتهتان . فاذا كان ضخم القطر شديد الوقع فهو الوابل

و يقولون هجهجت السبع وشايعت الابل ونعقت بالغنم وساسأت بالحمار وهاهأت بالابل اذا دعوتها للعلف وجأجأت بها اذا دعوتها للشرب واشليت الكلب دعوته اسدته ارسلته

و يفرقون في الاصوات فيقولون رغا البعير وجرجر وهدر وقبقب واطت الناقة وصهل الفرس وحمحم ونهم الفيل وشهق الحمار وسحل وسحج البغل وجأرت البقرة وخارت وثاجت النعجة . وثغت الشاة و يعرت . ونعم الظبي ونزب . ووعوع الذئب . وضبح الثعلب وضنغب الارنب . وعوى الكلب ونبح ومأت السنور وصأت الفارة . ونحت الافعى . ونعق الغراب ونغب . وزقا الديك وصقع . وصفع النسر . وهدر الحمام وهدل . وغرد المكاء وقبع الخنزير ونقت العقرب . وانقضت الضفادع ونقت ايضاً وعزفت الجن .

ثم قال فصل وللعرب خاص وعام فالبغض عام والفرك خاص . النظر الى الاشياء عام والشيم للبرق خاص الصراخ عام والواعية على الميت خاص الذنب للحيوان البهيم عام

والتنابي للفرس خاص السير عام والسرى لليل خاص الحرب عام والاباق للعبيد خاص الرائحة عام والقتار للشواء خاص

ثم قال فصل ومن جملة المسلم للعرب انهم لا يقولون مائدة الا اذا كان عليها الطعام والا فهي خوان ولا للعظم عرق الا ما دام عليه لحم ولا كأس الا اذا كان فيها شراب والا فهي زجاجة ولا كوز الا اذا كانت له عروة والا فهي كوب ولا رضاب الا اذا كان في الفم والا فهو بصاق ولا اريكة الا لسرير عليه قبة فان لم يكن عليه قبة فهو سرير ولا ربطة الا اذا كانت لفقين والا فهي ملاءة ولا خدر الا اذا كانت فيه امرأة والا فهو ستر ولا للمرأة ظعينة الا اذا كانت في الهودج ولا قلم الا اذا كان مبريا والا فهو انبوبة ولا عهن الا اذا كان مصبوغا والا فهو صوف ولا وقود الا اذا اتقدت فيه النار والا فهو حطب ولا ركية الا اذا كان فيها ماء والا فهي بئر ولا للابل راوية الا ما دام عليها الماء ولا للدلو سجل الا ما دام فيها ماء ولا ذنوب الا ما دامت ملأى ولا نفق الا اذا كان له منفذ والا فهو سرب ولا للسرير نعش الا ما دام عليه الميت ولا للخاتم خاتم الا اذا كان عليه فص ولا رمح الا اذا كان عليه زج وسنان والا فهو قناة ولا لطيمة الا للابل التي تحمل الطيب والبز خاصة ولا حمولة الا للتي تحمل الامتعة خاصة ولا بدنة الا للتي تجعل للنحر ولا ركب الا لركبان الابل والا هضبة الا اذا كانت حمراء ولا يقال غيث الا اذا جاء في ابانه والا فهو مطر ولا يقال عش حتى يكون عيدانا مجموعة واذا كان نقب في جبل او حائط فهو وكن ووكر

ثم قال فصل وتقول العرب في الامر وهن وفي الثوب وهى وفي الحساب غلت وفي غيره غلط وفي الطعام بشم وفي الماء ثغر وحلا الشيء في فمي وحلي في عيني الخ

وهكذا جميع فصول الكتاب كلها غرر بل قلائد درر وهو نحو اربعمائة صفحة والصفحة على ربع الورق تغمد الله تعالى مؤلفه برحمته ورضوانه

بغداد محمود شكري الالوسي

بعد البين

لقد طوحتني في البلاد مضاعا طوائح جاءت بالخطوب تباعا
فبارحت ارضاً ماملأت حقائبي سوى حبها عند البراح متاعا
عتبت عَلَى بغداد عتب مودّع امضته فيها الحادثات قراعا
اضاعتني الايام فيها ولو درت لعز عليها ان اكون مضاعا
لقد ارضعتني كل خسف وانني لاشكرها ان لم تتمّ رضاعا
وما انا بالجاني عليها وانما نهضت خصاماً دونها ودفاعا
واعملت اقلامي بها عربيةً فلم تبد اصغاء لها وسماعا
ولو كنت ادري انها اعجمية تخذت بها السيف الجراز يراعا
ولو شئت كايلت الذين انطووا بها عَلَى الحقد صاعاً بالعداء فصاعا
ولكن هي النفس التي قد ابت لها طباع المعالي ان تسوء طباعا
أبيت عليهم ان اكون بذلة وتأبى الضواري ان تكون ضباعا
عَلَى انني داريت ما شاء حقدهم فلم يجد نفعاً ما أتيت وضاعا
واشقى الورى نفساً واضيعهم نهىً لبيب يداري في نهاه رعاعا
تركت من الشعر المديح لاهله ونزهت شعري ان يكون قذاعا
وانشدته يجلو الحقيقة بالنهى ويكشف عن وجه الصواب قناعا
وارسلته عفواً فجاء كما ترى قوافي تجتاب البلاد سراعا

***

وقفت غداة البين في الكرخ وقفةً لها كربت نفسي تطير شعاعا
اودع اصحابي وهم محدقون بي وقد ضقت بالبين المشت ذراعا
اودعهم في الكرخ والطرف مرسل الى الجانب الشرقي منه شعاعا
وادعم رأسي بالاصابع مطرقاً كأن برأسي يا اميم صداعا
وكنت اخال البين سهلاً فذاقني شرى البين مني ماأراد وباعا
واني جبان في فراق احبتي وان كنت في غير الفراق شجاعا

كأني وقد جدّ الفراق سفينة ... اشالت على الريح الهجوم شراعا
فمالت بها الارواح والبحر مائج ... وقد اوشكت الواحها ان تداعى
فتحسبني من هزة فيّ اندعا ... ترقى هضابا زلزلت وتلاعا
فما انا الا قومة وانحناءة ... وسرّ اذاعته الدموع فذاعا
أبيت وما اقوى الهموم بمضجع ... تصارعني فيه الهموم صراعا
والهو بذكراهم على السير كلما ... هبطت وهاداً او علوت يفاعا
هم القوم اما الصبر عنهم فقد عصى ... واما اشتياقي نحوهم فاطاعا
لقد حكموني في الامور فلم اكن ... لانطق الا آمراً ومطاعا
فلست ابالي بعد ان جدّ بينهم ... زجرت كلاباً ام قحمت سباعا
سلامٌ على وادي السلام وانني ... لاجعل تسليمي عليه وداعا
له الله من واد تكامل اهله ... فباتوا عطاشا حوله وجياعا
رآهم عبيداً فاستبد بمائه ... ولم يجر بين المجدبات مشاعا
جرى شاكراً صنع الطبيعة انها ... ابانت يداً في جانبيه صناعا
وما انس لا انس المياه بدجلة ... وان هي تجري في العراق ضياعا
ولو انها تسقي العراق لما رمت ... به الشمس الا في الجنان شعاعا
وما وجدت ريح وان قد تناوحت ... مهبا به الا قرى وضياعا
سأجري عليها الدمع غير مضيع ... واندب قاعاً من هناك فقاعا
واذكر هاتيك الرباع بحسنها ... فهمت على شحط المزار رباعا

الآستانة ... معروف الرصافي

النقل والناقلون

للتأليف طريقتان طريقة الاعتماد على من سبق المؤلف ونقل كلامهم ليدعم به قوله ويؤيد رأيه وطريقة ابداء رأي المؤلف مباشرة دون الاستشهاد باقوال غيره مهما بلغت من المكانة . والطريقة الاولى هي الطريقة الجلية المقنعة التي تبقى على الدهر ويصعب ان يتطرق اليها الخلل الا اذا ظهرت نصوص كثيرة صحيحة تخالف ما استشهد به الكاتب .

فقد رأى ديكارت الفيلسوف الفرنسوي ان ليس في درس مذاهب الغير ولا سيما في الفلسفة كبير امر وان الاجدر ولو ببعض ارباب العقول ان يبحثوا عن الحقيقة بما فيها من الاسرار الخاصة دون الاحتفال بالمذاهب الاخرى التي ذهب اليها غيره في هذه المسألة بيد ان بعض اشياع فلسفة ديكارت انفسهم يرون ان هذا البحث على خلوه من فائدة ضار لانه يسلب من العقل حريته في تقدير الاشياء قدرها

ويرى الفيلسوف كوزين الفرنسوي غير رأي ديكارت بل انه غالى في ضرورة درس المذاهب الفلسفية السالفة حتى تدرج الى ان مزج الفلسفة بتاريخ الفلسفة ومن رأيه ان الطريقة الفلسفية الوحيدة الجديرة بهذا العصر ان يدرس المؤلف المذاهب كلها ويقابل بين المذاهب التي ظهرت الى اليوم على مشهد العقل البشري من المذاهب المتناقضة .

ثم عاد ديكارت ايضاً فقال ان المصنفات التي يصنفها جماعة قد تكون في كمالها دون التي يصنفها فرد واحد وتدرج من ذلك الى ان قال ان العلوم التي تألفت على التوالي من آراء كثيرين قد يكون حظها من الاخذ بطرف من الحق اقل من العلوم التي هي ثمرة فكر واحد .

ومن العادة عند مؤلفي الغربيين اذا ارادوا الكتابة ان يطالعوا جميع ما يمكنهم مطالعته في الموضوع الذي يريدون الخوض فيه فيطالع الالماني ما كتبه الافرنسي والايطالي والروسي والانكليزي والاميركي وغيره غيرهم لتكون كتابته مؤيدة بالشواهد الصحيحة ولذا قرأ سبنسر فيلسوف الانكليز في القرن التاسع عشر ١٧٣ كتاباً قبل ان يكتب كتابه العدل . وهكذا كل مؤلف في الغرب اليوم

وبعد فما كل قول ينقل ويستشهد به حجة لتأييد الكلام وانما ينقل قول يكون قائله قدوة والا فما من قول الا وقد قيل كما قال كثير من الحكماء . وقد نشأ من نقل اقوال كيفما اتفق اختلاف كثير حتى ان الباحث اذا دقق النظر يرى ان تلك الاقوال ترجع الى قول او قولين ممن يعتد بهم ولو امكن لكل مؤلف ان يسلك طريقة الجاحظ في قوله : « انما احكي لك من كل نحلة قول حذاقهم وذوي احلامهم لان فيه دلالة على غيره وغنى عما سواه » لكان نهج السبيل الاقوم

ومن نقل كل ما يقال ترى في كتب التاريخ والملل والنحل اقوالا اذا بحثت عنها لم تجدها الا عند بعض ادنى العوام فكراً ولو عين المنقول اليه لسقط موقع القول من النفوس لكن بعض الناقلين لقصورهم في النظر ينقلون كل ما يقال بدون تعيين المنقول عنه ولو عينوا المنقول لسقط الاشكال . وكثيراً ما يقصد الحذاق منهم المغالطة ليوهموا الناظر ان في المسألة اختلافا وهو محل دقيق جداً يغلط فيه النحرير العالم على ان بعضهم يرى ان لا ينقل من قول الحذاق الا قول له موقع في النفس ومن ثم يقول القائل

وليس كل خلاف جاء معتبراً الاخلاف له حظ من النظر

وان ارباب النقد ليبحثون في كل قول عمن قاله ليعلموا درجة القائل في نفسه ودرجته في اقتداء الناس به وبذلك تظهر له الحقيقة في اجلى مظاهرها وقد قال حجة الاسلام الغزالي قولاً قاله كثير ممن قبله « لو سكت من لا يعلم قل الخلاف في العالم »

سألنا ذات يوم احد العلماء العارفين عن السر في اختلاف المذاهب والمشاعب المنقولة فقال: وربما نجد في كتب الملل والنحل اسماء فرق لها اقوال غريبة يصعب عليك بعد التتبع الشديد ان تعرف في اي عصر وجدت واين وجدت وكيف وجدت وفي اي قطر يوجد منهم اناس وان زعم الزاعم انقراضها يعسر عليه اثبات زمان انقراضها واغرب من ذلك صعوبة معرفة ترجمة رجل من حذاقها فذكر فرقة من هذا النوع يعد مخافة من الناقل . والذين لم كتب في هذا المقام منهم الناقل غير الناقد ومنهم المموه لغلبة الهوى عليه ومنهم من لم تنتشر كتبه عندنا ولو وجدت كتب الجاحظ ومن نحا نحوه كابن ابي الحديد في هذا الباب مثلاً لكفينا المؤنة في ذلك نعم يقال ان الجاحظ قد يسلك طرق التمويه كما سجل عليه ذلك بعض معاصريه من ابناء نحلته كابي جعفر الاسكافي لكن تمويه الجاحظ تمويه عاقل ذي بصيرة اذا موه يكاد يظهر الحق من خلال تمويهه وقد يصرح بغير ذلك في موضع آخر فالعاقل ذو البصيرة ينتفع بكلامه كيف كان

قال ومن يخلط في نقله كالطبيب الذي ينقل كل قول لا يعود احد يعتدُّ بنقوله وكذلك النحوي وغيره وهذه القاعدة تكاد تكون عامة لا تُخلف في كل فن فقد نقل ابن ابي الحديد ان الجاحظ الف كتاباً سماه كتاب العثمانية انتصر فيه للخلفاء الراشدين الا انه اظهر فيه ما يشعر بالنصب لما اقتضته طينة البصرة عَلَى زعم بعضهم فتصدى له من ابناء نحلته الامام ابو جعفر الاسكافي فنقض كتابه واطلق لسانه في الجاحظ اطلاقاً لم يقع نظيره من المضادين للجاحظ في النحلة فمن ذلك قوله:القول ممكن والدعوى سهلة سيما عَلَى مثل الجاحظ ... قوله لغو ومطلبه سجع وكلامه لعب ولهو يقول الشيء وخلافه ويحسن القول وضده

قال قاضي القضاة عبد الجبار في كتاب طبقات المعتزلة نقض الاسكافي كتاب الجاحظ في العثمانية في حياته فدخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال: من هذا الغلام السوادي الذي بلغني انه تعرض لنقد كتابي وابو جعفر جالس فاختفى منه حتى لم يره وكان ابو جعفر علوي الرأي محققاً منصفاً قليل العصبية الف سبعين كتاباً في علم الكلام .

وقصارى القول انه لا ينقل الا كلام الثقات والعظماء للاستئناس به وتقوية اواصر الكلام به وقد ينقل كلام بعض الضعفاء لنكتة فيه او لعبرة تراد منه . والكتابة بدون استشهاد باقوال الائمة والعظماء مهما بلغت درجة صاحبها لا يلتفت اليها عند المحققين ولو حوت من اللآلىء كل عقد ثمين

التمييز في الالبسة

ليس اغرب من هذا الشرق ترى فيه الاختلاف في الافكار كما تراه في الاديان بل تراه في اختلاف الهواء والماء . وقد وفق الغرب الى توحيد البسة اهله في القرون الاخيرة اما الشرق فلم يزل في تخالفه في ذلك عَلَى نحو ما كان عليه في القرون الوسطى قرون الظلام والهمجية

اختلاف المشارقة في البستهم قديم فقد كان للقضاة وللاجناد وللعلماء والعامة البسة خاصة بهم بل كان اللباس تابعاً للاقاليم فابن الحجاز يلبس ما لا يلبسه ابن الشام وهكذا تجد لو طفت الاقاليم ودرست المدنيات .

وكان لاهل الذمة في الاسلام لباس خاص بهم وهو من التحكمات السياسية التي دعا اليها العرف لا الدين وليس في الدين ما يدل عَلَى تمييز المسلمين بلباس خاص فقد اشترط الخليفة الثاني في كتاب الجزية الذي كتبه لاهل الذمة ان يؤخذوا بلبس الغيار وهو علامة لهم كالزنار ونحوه ولما تبسط الفاتحون في مناحي السلطان كان من جملة واجبات المحتسب كما في كتاب نهاية الرتبة في الحسبة ان يأخذ الذميين بلبسه فان كان يهودياً عمل عَلَى كتفه خيطاً احمر او اصفر وان كان نصرانياً عمل في وسطه زناراً او علق في حلقه صليباً وان كانت امرأة لبست خفين احدهما ابيض والآخر اسود واذا عبر الذمي الى الحمام ينبغي ان يكون في حلقه صليب او طوق من حديد او نحاس او رصاص يختبر عن غيره .

وفي كتاب الخراج لابي يوسف ان لا يترك احد منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه ولا في مركبه ولا في هيئته ويؤخذوا بان يجعلوا في اوساطهم الزنارات مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه كل واحد منهم وبان تكون قلانسهم مضربة قال وان عمر بن الخطاب امر عماله ان يأخذوا اهل الذمة بهذا الزي اي ان تكون قلانسهم طوالاً مضربة وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كتب الى عامل له فلا يلبس نصراني قباء ولا ثوب خز ولا عصب وقد ذكر لي ان كثيراً من قبلك من النصارى قد راجعوا لبس العمائم وتركوا المناطق عَلَى اوساطهم واتخذوا الجمام والوفر وتركوا التقصيص ولعمري لئن كان يصنع ذلك فيما قبلك ان ذلك بك لضعف وعجز ومصانعة

وفيما اطلعنا عليه من الكتب اشارات طفيفة لاختلاف ازياء الذميين في العصور الاسلامية وما هذا الاختلاف في الحقيقة ناتج الا من التحكم البارد غالباً . قال ابن الاثير في حوادث سنة ٢٣٥ ان المتوكل امر اهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين في مؤخر السروج وعمل رقعتين عَلَى لباس مماليكهم مخالفين لون الثوب كل واحد منهما قدر اربع اصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم تلبس ازاراً عسلياً ومنعهم من لبس المناطق وامر بهدم بيعهم المحدثة وبأخذ العشر من منازلهم وان يجعل عَلَى ابواب دورهم صور شياطين من خشب ونهى ان يستعان بهم في اعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم وان يظهروا في شعانينهم صليباً وان يستعملوا في الطريق وامر بتسوية قبورهم مع الارض وكتب في ذلك الى الآفاق .

وقال الذهبي في حوادث ٣٩٨ وفيها هدم الحاكم كنيسة القيامة بالقدس وكانت فيها اموال وجواهر ما لا يوصف والزم النصارى بتعليق صلبان كبار عَلَى صدورهم واليهود بتعليق مثل رأس العجل عَلَى صدورهم وكان الصليب رطلاً بالدمشقي من خشب ومثال رأس العجل كالمدقة وزنها رطل ونصف وان يشدوا الاجراس في رقابهم عند دخول الحمامات قال والزم الحاكم صاحب المغرب والحجاز ومصر والشام اهل الذمة بالصلبان في اعناقهم والبس اليهود العمائم السود نكاية واهنة لبني العباس قال ابن خلكان وفي سنة اثنتين واربعمائة امر الحاكم النصارى واليهود الا الخيابرة بلبس العمائم السود وان تحمل النصارى في اعناقهم الصلبان ما يكون طوله ذراعاً ووزنه خمسة ارطال وان تحمل اليهود في اعناقهم قرامي الخشب عَلَى وزن صلبان النصارى وان يكون في اعناق النصارى اذا دخلوا الحمام الصلبان وفي اعناق اليهود الجلاجل ليتميزوا عن المسلمين

قلنا وكان في الحاكم لوثة وجنة يأمر اليوم بأمر فينهي عنه في الغد

وذكر الذهبي في حوادث سنة سبعمائة ان النصارى واليهود البست بمصر والشام العمائم الزرق والصفر واستمر ذلك . وسنة ٧٣٤ الزمت النصارى واليهود ببغداد بالغيار ثم نقضت كنائسهم ودياراتهم واسلم منهم ومن اعيانهم خلق كثير منهم سديد الدولة وكان ركناً لليهود .

وروى لسان الدين بن الخطيب ان اسمعيل بن فرج الخزرجي من ملوك الاندلس اشتهر في اقامة الحدود واراقة المسكرات وحظر تجلي القينات للرجال في الولائم وقصر

طربهن عَلَى ابنائهن من الناس واخذ لليهود الذمة بالتزام سمة تميزهم واشارة تشهرهم وليوفى حقهم من المعاملة التي امر بها الشرع في الخطاب والطرق وهو شواش (جمع شاشية) اصفر . وذكر صاحب المعجب في سيرة ابي يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن انه امر في آخر ايامه ان يتميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم وذلك ثياب كحلية واكمام مفرطة السعة تصل الى قريب من اقدامهم وبدلاً من العمائم كلوتات عَلَى اشنع صورة كأنها البراذع تبلغ الى تحت آذانهم فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب ولم يزالوا كذلك بقية ايامه وصدراً من ايام ابنه ابي عبدالله الى ان غيره ابو عبدالله بعد ان توسلوا اليه بكل وسيلة واستشفعوا بكل من يظنون ان شفاعته تنفعهم فامرهم ابو عبدالله بلبسان ثياب صفر وعمائم صفر فهم عَلَى هذا الزي الى وقتنا هذا وهو سنه ٦٢١ وانما حمل ابا يوسف عَلَى ما صنعه من افرادهم بهذا الزي وتمييزه اياهم به شكه في اسلامهم وكان يقول لو صح عندي اسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين في انكحتهم وسائر امورهم ولو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت اموالهم فيئاً للمسلمين ولكني متردد في امرهم ولم تنعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قام امر المصامدة ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعةولا كنيسة انما اليهود عندنا يظهرون الاسلام ويصلون في المساجد ويقرؤون اولادهم القرآن جارين عَلَى ملتنا وسنتنا والله اعلم بما تكنه صدورهم وتحويه بيوتهم اه

وقال ابن ابي اصيبعة: حدثني الشيخ موفق الدين بن البوري الكاتب النصراني قال لما فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الكرك اتى الى دمشق الحكيم موفق الدين يعقوب بن سقلاب النصراني وهو شاب عَلَى رأسه كوفية وتخفيفة صغيرة وهو لابس جوخة ملوطة زرقاء زي اطباء الفرنج وقصد الحكيم موفق الدين بن المطران وصار يخدمه ويتردد اليه لعله ينفعه فقال له هذا الزي الذي انت عليه ما يمشي لك به حال في الطب في هذه الدولة بين المسلمين وانما المصلحة ان تغير زيك وتلبس عادة الاطباء في بلادنا ثم اخرج له جبة واسعة عنابية وبقياراً مكحلاً وامره ان يلبسهما

قال ياقوت في معجم الادباء في ترجمة اسعد بن المهذب ما يأتي: كان المهذب ابوه المعروف بالخطير مرتباً عَلَى ديوان الاقطاعات وهو عَلَى دين النصرانية فلما علم اسد الدين شيركوه في بدء امره بنصرانية نصراني واته يتصرف في (عمله) بلا غيار نهاه وامره بغيار النصارى ورفع الذؤابة وشد الزنار وصرفه عن الديوان فبادر هو واولاده فاسلموا عَلَى

يده فاقره على ديوانه مدة ثم صرفه عنه فقال فيه ابن الذروي

لم يسلم الشيخ الخطير لرغبة في دين احمد
بل ظن ان محاله يبقي له الديوان سرمد
والآن قد صرفوه عنه فدينه فالعود احمد

ولما امر شيركوه النصارى بلبس الغيار وان يعمموا بغير عذبة قال عمارة اليمني

يا اسد الدين ومن عدله يحفظ فينا سنة المصطفى
كفى غياراً شد اوساطهم فما الذي يوجب كشف القفا

هذا ما كان عليه الاختلاف في الازياء بين اهل الوطن الواحد واكثره كما ترى ناشيء من ملوك او فقهاء متعصبين تعصب ظاهراً مثل المتوكل والحاكم بامر الله ولم يسمع بان رجال الجد في الاسلام مثل الرشيد والمأمون وصلاح الدين ونور الدين تحكموا هذه التحكمات والله اعلم

الجغرافيا والعرب

لم يترك العرب ايام حضارتهم فرعاً من فروع العلوم النافعة في قيام مجتمعهم الاوتوفر افراد منهم عليه . وعلم الجغرافيا هو احد تلك العلوم ولم يكن لهم به عهد في الجاهلية كالشعر والرواية والادب والخطب واذا ذكروا بعض اسماء البلدان المجاورة لهم فانما يذكرونها بالعرض لا تشعر بمعرفة ولا تنمُّ عن اشتغال

وكان من اول الكتب التي نقلوها الى لسانهم كتاب بطليوس اليوناني في الجغرافيا ومن اول الاعمال الجغرافية العلمية التي تمت على يد علمائهم هو ان المأمون امر محمد بن موسى بن شاكر واخويه احمد والحسن بتحقيق طول خط نصف النهار لمعرفة محيط الكرة الارضية بالضبط فقاسوا احد خطوط الطول في سهل سنجار ثم اعادوا المقاس ثانياً في وطآت الكوفة فثبتت لديهم كروية الارض وعرفوا محيطها

قال ابن خلكان في ترجمة بني شاكر : وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل واتعبوا انفسهم في شأنها وانفذوا الى بلاد الروم من اخرجها لهم

واحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاماكن البعيدة بالبذل السني فاظهروا عجائب الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقل ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ولقد وقفت عليه فوجدته من احسن الكتب وامتعها وهو مجلد واحد . ومما اختصوا به في ملة الاسلام واخرجوه من القوة الى الفعل وان كان ارباب الارصاد المتقدمون على الاسلام قد فعلوه ولكنه لم ينقل ان احداً من اهل هذه الملة تصدى له وفعله الاهم وهو ان المأمون كان مغرى بعلوم الاوائل وتحقيقها ورأى فيها ان دور كرة الارض اربعة وعشرون الف ميل كل ثلاثة اميال فرسخ فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع طرف حبل على اي نقطة كانت من الارض وادرنا الحبل على كرة الارض حتى انتهينا بالطرف الآخر الى ذلك الموضع من الارض والتقى طرفا الحبل فاذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله اربعة وعشرين الف ميل فاراد المأمون ان يقف على حقيقة ذلك فسأل بني موسى المذكورين عنه فقالوا : نعم هذا قطعي وقال : اريد منكم ان تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك ام لا فسألوا عن الاراضي المتساوية في اي البلاد هي فقيل لهم صحراء سنجار في غاية الاستواء وكذلك وطآت الكوفة فاخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون الى اقوالهم ويركن الى معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا الى سنجار وجاؤوا الى الصحراء المذكورة فوقفوا في موضع منها فاخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات وضربوا في ذلك الموضع وتداً وربطوا فيه حبلاً طويلاً ثم مشوا الى الجهة الشمالية على استواء الارض من غير انحراف الى اليمين واليسار حسب الامكان فلما فرغ الحبل نصبوا في الارض وتداً آخر وربطوا فيه حبلاً طويلاً ومشوا الى جهة الشمال ايضاً كفعلهم الاول ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا الى موضع اخذوا منه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الارتفاع الاول درجة فمسحوا ذلك القدر الذي قدروه من الارض بالحبال فبلغ ستة وستين ميلاً وثلثي ميل فعلموا ان كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون ميلاً وثلثان ثم عادوا الى الموضع الذي ضربوا فيه الوتد الاول وشدوا فيه حبلاً وتوجهوا الى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة وعملوا كما عملوا في جهة الشمال من نصب الاوتاد وشد الحبال حتى فرغت الحبال التي استعملوها في جهة الشمال ثم اخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالي قد نقص عن ارتفاعه الاول درجة فصح حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك

وهذا اذا وقف عليه من لهيد في علم الهيئة ظهر لهم حقيقة ذلك ومن المعلوم ان عدد درج الفلك ثلثمائة وستون درجة لان الفلك مقسوم باثني عشر برجاً وكل برج ثلاثون درجة فتكون الجملة ثلثمائة وستين درجة فضربوا عدد درج الفلك في ستة وستين ميلاً اي التي هي حصة كل درجة فكانت الجملة اربعة وعشرين الف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ وهذا محقق لا شك فيه فلما عاد بنو موسى الى المأمون واخبروه بما صنعوا وكان موافقاً لما رآه في الكتب القديمة من استخراج الاوائل طلب تحقيق ذلك في موضع آخر فسيرهم الى ارض الكوفة وفعلوا كما فعلوا في سنجار فتوافق الحسابان فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء في ذلك .

هذا ما قاله صاحب وفيات الاعيان بنصه وليس العمل لاثبات كروية الارض هو العمل الوحيد الذي قام به المأمون فقد قال المسعودي صاحب مروج الذهب في كتابه التنبيه والاشراف وهو مما الفه بفسطاط مصر سنة ٣٤٥ للهجرة : ورأيت هذه الاقاليم مصورة في غير كتاب بانواع الاصباغ واحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافيا لمارينوس وتفسير جغرافيا قطع الارض وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون اجتمع على صنعتها عدة من حكماء اهل عصره صور فيها العالم بافلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الامم والمدن وغير ذلك وهي احسن مما تقدمها من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرهما اه

قال السنيور جويدي الايطالي (١) وليس حكماء العرب هم الذين عنوا دون غيرهم من الامة العربية برسم صورة الارض بل ان امراءهم كذلك ومنهم امير المؤمنين المأمون الخليفة العباسي فانه اغرم برسم الارض وبذل قصارى جهده في ابرازها فجمع من بالعراق من حكماء دولته زهاء سبعين حكيماً على ما قيل فاجتمعوا على تكوينها واحكامها حتى فضلت بذلك ما تقدمها من الصور اه ولقد عرف المسلمون ان من جملة اسباب الفتح معرفة طرق البلدان والامصار فقد ذكر المؤرخون انه قام الملاحون المدعوون بالمغرورين في القرن الاول للهجرة واقلعوا من اشبونة عاصمة البرتغال اليوم بغية الوصول الى ما وراء بحر الظلمات من الاقطار الغربية او لاكتشاف الجزائر الاميركية قبل ان يكتشفها كولمبس . وفي البعثات التي سيرها الخلفاء الى الناحية كبعثة الواثق العباسي لاكتشاف سواحل

(١) محاضرات ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها باوروبا وبخصوصاً بايطاليا

بحر الخزر وبعثة المقتدر بالله عام ٣٠٩ الى البلغار للدعوة الاسلامية فيها. واخذ احد اعضاء البعثة احمد بن فضلان معلومات مفيدة عن تلك البلاد وفي الحملة التي وصلت الى بكين بعد فتح كاشغر سنة ست وتسعين للهجرة لدعوة الصين الى الاسلام في كل ذلك اكبر دليل على تقدير العرب علم رسم الارض او الجغرافيا او علم تقويم البلدان

ولقد كان علماء الحديث من اشد الناس عناية بالجغرافيا لتمييز النسب الى البلدان والفرق بين الرجال ومساقط رؤوسهم وهذا هو السبب الذي دعا ارباب المعاجم ان يذكروا اسماء الامصار والقرى . ومن راجع باب العشر والخراج في مطولات الفقه علم ما بين الفقه والجغرافيا من التعلق.

كتب احد الخلفاء الى حكيم من حكماء عصره حين فتح الله البلاد على العرب من العراق والشام ومصر وغيرها يقول : انا اناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوأ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لي المدن واهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والاهوية في سكانها فكتب اليه ذلك الحكيم بجغرافيتها الطبيعية . وكتب عمر ابن عبد العزيز الى احد عماله ان يصف له جزيرة الاندلس لانه علم ان المسلمين نزلوا فيها في بلاد يحيط بهم الافرنج من اكثر الجهات ولا بقاء لهم في تلك البلاد

ولما اجتمع ابن خلدون بتيمورلنك سنة ٨٠٢ ﻫ في دمشق سأله هذا عن بلده والمغرب الاقصى فذكر له ابن خلدون ما حضره وطلب منه ان يؤلف له مختصراً وجيزاً يصف له بلاد المغرب كلها اقاصيها وادانيها وجبالها وانهارها وقراها وامصارها فكتب له في غربته اثنتي عشرة كراساً في وصف المغرب

واجمع تعريف للجغرافيا يستدل منه على موقعها من نفوس العرب واتصالها بعدة علوم لم ما قاله ياقوت في مقدمة معجم البلدان: ومن ذا الذي يستغني من اولي البصائر عن معرفة اسماء الاماكن وتصحيحها وضبط اصقاعها وتنقيحها والناس في الافتقار الى ذلك سواسية وسرد ورانها على الالسن في المحافل علانية لان من هذه الاماكن ما هي مواقيت للحجاج والزائرين ومعالم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين ومشاهد للاولياء الصالحين ومواطن غزوات سرايا سيد المرسلين وفتوح الائمة من الخلفاء الراشدين وقد فتحت هذه الاماكن صلحاً وعنوة واماناً وقوة ولكل من ذلك حكم في الشريعة في قسمة الفيء واخذ الجزية وتناول الخراج واجتناء المقاطعات والمصالحات وانالة التسويغات والاقطاعات لا يسع الفقهاء جهلها ولا يعذر الائمة والامراء اذا فاتهم

في طريق العلم حزنها وسهلها لانها من لوازم فتيا الدين وضوابط قواعد الاسلام والمسلمين فاما اهل السير والاخبار والحديث والتواريخ والآثار فحاجتهم الى معرفتها امس من حاجة الرياض الى القطار غب اخلاف الانواء والمشفي الى العافية بعد بأس من الشفاء لانه معتمد علمهم الذي قل ان تخلو منه صفحة بل وجهة بل سطر من كتبهم واما اهل الحكمة والتفهيم والتطبب والتنجيم فلا تقصر حاجتهم الى معرفته عمن قدمنا فالاطباء لمعرفة امزجة البلدان واهوائها والمنجم للاطلاع على مطالع النجوم وانوائها اذ كانوا لا يحكمون على البلاد الا بطوالعها ولا يقضون لها وعليها بدون معرفة اقاليمها ومواضعها ومن كمال المتطبب ان يتطلع الى معرفة مزاجها وهوائها وصحة او سقم منبتها ومائها فصارت حاجتهم الى ضبطها ضرورية وكشفهم عن حقائقها فلسفية ولذلك صنف كثير من القدماء كتباً سموها جغرافيا ومعناها صورة الارض والف آخرون كتباً في امزجة البلدان واهوائها نحو جالينوس وقبله بقراط وغيرهما واما اهل الادب فناهيك بحاجتهم اليها لانها من ضوابط اللغوي ولوازمه وشواهد النحوي ودعائمه ومعتمد الشاعر في تحلية جيد شعره بذكرها وتزيين عقود لآلي نظمه بشذرها فان الشعر لا يروق ونفس السامع لا تشوق حتى يذكر حاجر وزرود والدهناء وهبود ويحن الى رمال رضوى فيلزمه تصحيح الاسم واين صقعه وما اشتقاقه ونزهته وقفره وحزنه وسهولته فانه ان زعم انه واد وكان جبلاً او جبل وكان صحراء او صحراء وكان نهراً او نهر وكان قرية او قرية وكان شعباً او شعب وكان حزناً او حزن وكان روضة او روضة وكان صفصفاً او صفصف وكان مستنقعاً او مستنقع وكان جاداً او جلد وكان سبخة او سبخة وكان حرة او حرة وكان سهلاً او سهل وكان وعراً او يجعله شرقياً وكان غربياً او جنوبياً وكان شمالياً سفل قدره ونزر كثره وآض ضحكة ويرى انه ضحكة ويجعل هزأة ويرى انه هزأة واستخف وزنه واسترذل واستقل فضله واستجهل اه .

وبعد فقد نبغ في علماء العرب بفن الجغرافيا اناس لم يزالوا يذكرون كما يذكر الافراد فمن قدمائهم ابو موسى الخوارزمي وعبد الله بن خرداذبة وابن واضح اليعقوبي وابن الفقيه الهمذاني وعمر بن رستة وقدامة بن جعفر والجيهاني وعلي بن فضلان وابو دلف مسعر وابو زيد البلخي وابو اسحق الاصطخري وشمس الدين المقدسي وعلي بن الحسين المسعودي وابو الريحان البيروني وابو عبيد البكري وابو سعيد الاصمعي وابو عبيد والسيرافي والزمخشري ومحمد بن احمد الهمداني ومحمد بن ابي بكر الزهري والشريف

الادريسي وابن فضل الله العمري ومحمد المازني ومحمد بن علي الموصلي وابو عبد الله بن شداد وابو محمد العبدوي وابو عبد الله ياقوت الحموي وزكريا بن محمد القزويني وابن سعيد المغربي وشمس الدين الانصاري الدمشقي والملك ابو الفداء صاحب حماة وابن بطوطة وابن الوردي وابن اياس وهذا كان آخرهم ممن يعتد باقوالهم فقد جاء في القرن العاشر للهجرة وبعد ذلك انقطع سند العلوم الجغرافية من المسلمين بزهدهم في كل علم ولغلبة الجهل وان صادف ان جاء من اشتغل بالجغرافيا بعد ذلك العهد فيكون نقلاً عن مصنفات اولئك الاعلام او مختصراً لبعضها شأن العرب في القرون الثلاثة الاخيرة في جميع ما كتبوا فقد فقدت منهم ملكة التأليف والاختراع وصاروا نقلة عاديين والله اعلم

ديوان خالد الكاتب

في جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية في دمشق ديوان خالد الكاتب ابن يزيد كتب سنة ١١١٠ هـ بقلم محي الدين الدمشقي السلطي وهو في ٨٨ ورقة تغلب عليه الصحة ومرتب على حروف الهجاء رتب لناسخه ولم يرتبه بنفسه فيما يظهر . قال على قافية الباء :

يا ايها المعرض يا ذا الذي (١) … هب للهوى ديني بطول التعب
اما تراني دنفاً هائماً … وجداً بمن صارمني واحتجب
يا واحداً في الحسن طال الهوى … والشوق اذ طال اليك الطلب
بدمت للعبد على ان لي … قلباً قريحاً بك نافي الذنب

وقال ايضاً

القلب مني على شوق وتعذيب … وزفرة قرحت في قلب مكروب
لا والذي ذهبت بالنفس لحظته … وما بري (؟) من حسن ومن طيب
ماطول شوقي ولا حزني ولا كمدي … الا على مهجتي من بعد تعذيبي
كم كمن الدهر من سهم يفوّقه … مسدد بدم العشاق مخضوب

(١) خ : ماذا الغضب

وقال ايضاً

ليست باولى ليلة طالت على دنف غريب
متأوه حب الغليل بزفرة الصب الكئيب
يصل التذكر بالانين من الحنين الى حبيب
لم يلق بعد فراقه ثمراً وغصناً في كثيب

وقال ايضاً

فلو ان خداً كان من فيض عبرة يرى معشباً لاخضر خدي فاعشبا
كأن ربيع الزهر بين مدامعي بما اخضل فيه مزهراً وتعببا(؟)
على انني لم ابك الا مودعاً بقية نفس ودعتني لتذهبا
وقد قلت لما لم اجد لي راحة سوى الدمع لما حل اهلاً ومرحبا

ومعظم الديوان في الغزل قال في قافية الدال

البسه السقم حتى مل عائده يا سالم القلب من شوق يكابده
ثم لا أرقت فان الهم اقلقه فبات يسهد ليلاً انت راقده
وباح بالسر لما ذاب اكثره شوقاً اليك ولما بان واحده
رثى العذول له حتى بكى معه حزناً واسعده بالدمع حاسده

وقال ايضاً

القلب يحسد عيني لذة النظر والعين تحسد قلبي لذة الفكر
يقول قلبي لعيني كلما نظرت كم تنظرين رماك الله بالسهر
العين تورثه هماً فتشغله والقلب بالدمع ينهاه عن النظر
هذان خصمان لا ارضى بحكمهما فاحكم فديتك بين العين والبصر

وقال ايضاً

ولما رأيت الدمع غاص الى الحشا وان فؤادي من دموعي في بحر
نظرت الى عيني لا ماء فيهما فايقنت ان الدمع تحتهما يجري
فلولا استبان الدمع في مضمر الحشا تفجر انهار الدموع من الصدر
على ان قلبي ينشف الدمع حره واين بقايا الدمع في وهج الجمر

قلنا ان معظم شعره في الغزل والنسيب واكثره من اربعة ابيات ومن شعره في المدح
قوله يمدح الحسن بن وهب الكاتب

يا وجه احسن من يمشي على قدم   بحرمة الحسن قل لي كيف حل دمي
اما وخدين يسقي الورد ماءهما   في نسبة تمنع الدنيا من الظلم
ومقلة كلما دارت رأيت بها   من جوهر اللحظ اسقاماً بلا الم

الى ان قال في المديح

مهذب في لباب الملك أسرته   اهل الكتابة والالباب والحلم
من بيت دهقنة الاشراف في شرف   أوفى على مطلع العيوق في الشمم
في ذروة من بناء العز باذخة   علياء طالت عن الاوعال والعصم
امضى البرية في خطب واصوبها   عزماً واكتب من املى على قلم

قال جامع الديوان وهذا آخر ما وجد في ذيله عن نسخة اخرى نذ قافية الباء قوله

يا تارك الجسم بلا قلب   ان كنت اهواك فما ذنبي
يا مفرداً بالحسن افردتني   منك بطول الشوق والحب
ان تك عيني ابصرت فتنة   فهل على قلبي من عتب
حسيبك الله لما بي كما   انك في املاك لي حسبي

وشعر خالد الكاتب كما تراه منسجم هو الى شعر المولدين اقرب منه الى شعر العرب الذي يحوي فخامة اللفظ وجزالة التركيب وقد استفدنا من ترجمة خالد الكاتب انه كان مغرماً بالصبابة وبينه وبين معاصره ابي تمام الطائي ملاحاة وشؤون وخلاصة حياته كما في فوات الوفيات للكتبي انه خالد بن يزيد ابو الهيثم الكاتب البغدادي اصله من خراسان وكان احد كتاب الجيش ولاه ابن الزيات الاعطاء ببعض الثغور فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد

من كان ذا شجن بالشام يطلبه   ففي سوى الشام امسى الاهل والوطن

فبكى حتى سقط مغشياً عليه ثم افاق واختلط عقله واتصل به ذلك الى الوسواس وبطل . قال ومن شعره

عش فحبيك سريعاً قاتلي   والهوى ان لم تصلني واصلي
ظفر الشوق بقلبي دنف   فيك والسقم بجسم ناحل
فهما ما بين وجد وضنى   تركاني كالقضيب الناحل
وبكى العاذل لي من رحمة   فبكائي لبكاء العاذل

ومن شعره ايضاً

عشية حياني بورد كأنه خدود أضيفت بعضهن الى بعض

وراح وتمل الراح في حركاته كفعل النسيم الرطب في الغصن الغض

وتوفي خالد في حدود الاربعين والمائتين

مصالح الابدان والانفس

قد يظن بعض من لا عهد لهم بحالة العرب ايام حضارتهم انهم كانوا كعرب البادية اليوم لا يكادون يعرفون الامور الصحية ولا تدبير البدن وانهم كانوا يسيرون متشبعين بفكر القضاء والقدر ان هلكوا قالوا قضاء وان عاشوا قالوا قدر . والحقيقة ان القوم كانوا على عناية أكيدة بامور الصحة ومابقي من كتبهم القليلة المحفوظ بعضها في دور الكتب في المشرق والغرب والمطبوع بعضها يدل دلالة كبيرة على ذلك واقرب سبيل للاشراف على عناية العرب بتدبير الصحة ان يرجع القارئ الى كشف الظنون فيرى الكتب التي الفت في هذا الفن بل الى تراجم الاطباء في القرون الستة الاولى للاسلام و يقرأ في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة اسماء الكتب التي صنفوها في تدبير الصحة فقط

وقد ظفرنا في خزانة كتب السيد ابي الخير عابدين من جلة فقهاء دمشق بكتاب مصالح الابدان والانفس لابي زيد البلخي ولعله الجغرافي المؤرخ المشهور في القرن الثالث . والقطعة مقتطعة من كتاب لمؤلف تغلب عليها الصحة فاحببنا نقلها للمقتبس لان معظم ما تكلم فيه من المصالح كأنه كتب في هذه الايام قال المؤلف:

تذكرة مقتضبة على سبيل الايجاز والاختصار من كتاب ابي زيد البلخي رحمه الله تعالى المسمى مصالح الابدان والانفس تجنبنا فيه بسط ابي زيد وتطويله وان كان ملذاً غير مملول ومعسول اللفظ غير معذول الا انا ملنا الى ما يدركه الحفظ ونقصر في الاحاطة به مسافة اللحظ و بالله التوفيق والاعانة . . .

باب الحاجة الى تعهد الاجسام وما في ذلك من استدامة الصحة

ان الجسد يحتاج في تعاضد اركانه وتماسك اجزائه الى تعهد شديد وتفقد بليغ والنفع في ذلك بين اثره عند من دق نظره · ومثاله ما نراه من حال النمو في الاطفال وانه يتدرج عَلَى ترتيب يخفى عن الحس الى ان يبلغ غاية التمام والشباب ثم يولى تولية تلطف عن الادراك حتى يجتمع فيه من احوال الانتقاض والانتقاص ما تكون جملته محسوسة وان لم يحسن تفصيله فذلك منفعة التعهد ومضرة الاهمال في خفائهما اولاً ثم ظهورهما اخيراً ·

باب في تدبير الاهوية والبلدان

كما يسافر الناس لطلب المعاش فلذلك يجب ان يسافروا لطلب المنازل المحمودة والبعد من الاهوية الفاسدة المعلة فان بعض الحيوان قد يفعل شبيهاً بذلك مثل اجناس الطير القاطعة واصناف السمك المتنقلة والهواء كالمركب أبداً من طبيعة الماء والتراب اللذين يمر عليهما واختلاف احوال سكان البلاد في صورهم واخلاقهم يتولد عن اختلاف هذه الاصول التي هي التراب والماء والهواء ، وعَلَى حسب ذلك يجب ان يرغب الحكيم في اصلاح ما يخصه منها · وافضل المساكن ما كانت تربته عذبة طيبة غير مشوبة ولم تبعد الشمس عن سمت رؤوس اهلها وكان عالياً في انجاد الارض وذرى الجبال ليتموج هواؤه ولا تختتن فيه بخارات المياه وانفاس الحيوان · ويكون ماؤه سيحاً من منافيع طيبة حرة التراب ، وتكون مجاريه بارزة للشمس وحركته شديدة ومسافته من مبدإه الى منتهاه بعيدة ولا يكون بقرب المنزل تربة فاسدة او مياه أجنة من بطائح ونقائع ، وقد يوجد في المواضع الخربة من الارض تفاوت شديد يجب معه الحرص عَلَى طلب الاصلح واذا دفعت الضرورة الى نزول بلد هواؤه فاسد أصلح بالبخورات الموصوفة · وجلب الماء للشرب من المواضع السليمة والانتقال عنه اصلح ، فأما السلطان فتنقله في بلاد ملكه يجمع فنوناً من المصلحة منها سرور التنزه ، ومنها تخير الاصوب في تدبير الاجسام ومنها توزيع مراعاته عَلَى كل حد من حدود ملكه ، والهواء اقوى اجسام هذا العالم تصرفاً وتصريفاً لما يلاقيه وهو الذي يؤدي القوى من الاجسام السماوية الى الارضية ويوصل

قوى ما يمر عليه الى ما يصل اليه كأ يصاله الاصوات والروائح التي لو سكن لعدمت، ويجب ان يكون المبيت في الصيف بازاء مهب الشمال ، والجلوس في الشتاء بازاء مهب الجنوب وفي الفصلين بازاء مهب الصبا فهي موصوفة بطيب النسيم ولا سيما في السحر ويجتنب مع ذلك ملاقاة كل ريح عاصفة ، وانما خصت الصبا بالحركة في السحر لاقبال الشمس من ناحيتها فترقق اجزاء الهواء بحرها فيتبدد ويطلب مكانا اوسع فيحدث النسيم المستلذ، ولان الشمس تعطي كل ما تلاقيه في اول النهار قوة عجيبة . واما الدبور فيجب اجتنابها في جميع الاوقات والاحوال . ويجب ان يجعل الجلوس عالياً عن مهب الهواء الجاري عَلَى وجه الارض المشوب بالابخرة فانها تكدر الهواء المتنسم فيختر البدن ويفتره ويضعف قوة الحفظ وينقصه ، وتستوطن العلالي والمناظر الا ان يمنعه منها صميم الحر والبرد فيتعوض عنها الأسرة والفرش المنضدة قياساً عَلَى ما قد تقرر من أن المواضع الجبلية أصح مزاجاً وانقى هواء من السهلية . . .

باب تدبير الاكنان والملابس

واجب عَلَى الانسان توقية جسمه الحر والبرد من غير مبالغة في ذلك تكسب الترفه وتجلب الضرر عند ايسر تغيير من العادة وترق اديم الجسم والحرارة اوحى اهلاكاً (؟). والبرودة اشد مضادة وبذلك يهلك الشتاء النبات ويحوج الحيوان الصامت الى الاستتار بدل الانتشار ويجب ان تكون مساكن الشتاء منحرفة عن سنن الرياح ** محصفة الحيطان لتكون احصن . . . تخال الهواء واسعة رفيعة السمك ليكون للبخار والانفاس ودخان الوقود والمصابيح مجال فيها فانها ان تكاثفت انعكست الى المسام فكانت لها بئس الغذاء وهذه الصفة في التوسعة وتعلية السمك تلزم في الصيف والشتاء ، ويجعل مساكنه مضيئة ما امكن فان النفس تنزوي من الظلمة وتستوحش قياساً عَلَى الليل والنهار وربما احتيج الى قراءة كتاب في الظلمة فلم يكن الا باكراه البصر واكراهه يكله ويضعفه والظلمة مضرة بالبصر فان قوام النظر بالهواء المعتدل . وشدة الضوء يضره كشعاع الشمس واتصال الظلمة يبطله كما اصاب من طالت مدته في الحبس . ويجب ادفاء بيوت الشتاء بالنار التي يستوي في احمائها جميع اجزاء البيت لتستوفي لذة الدفاء من جميع الجهات كفعل الحمام فان اختلفت مقادير السخونة اضرت بحسب خروجها عن الانتظام والاعتدال ، الا ان يحتاج ان يسخن بعض اعضائه فيجري ذلك مجرى العلاج ويبتدي فيدخل في

اول البرد الى الاروقة ثم الى المواضع التي تليها ثم يتدرج الى المواضع الغائصة بحسب زيادة البرد كحال الداخل الى الحمام في التنقل بين بيوته فان لزوم التدريج بين الاضداد واجب ، ويتقي برد الخريف اكثر من اتقائه برد الربيع لان ذلك مقبل وهذا مول ، واعدل الثياب القطن ولذلك لا يصيبها السوس ولا تسرع اليها الآفة وهي ملابس الشتاء والكتان للصيف لبرده ولتنشيفه العرق بيبسه ، والصوف قوي الحرارة مضر بالابدان التي تكثر حرارتها و يجب ان يختار من الملابس ما كان ناعماً لتلتذه حاسة اللمس ، ويكون في الشتاء خفيفاً ليمنع البخار الخارج من الابدان من النفوذ فينعكس اليها فيكون به الدفاء وهذا حقيقة الدفاء ، وبه تدفأ الأوبار اكثر لان الكثافة فيها اوفر ، واحتقان الابخرة في اثنائها اعظم ، وثوب الصيف متخلخل شفاف بضد ذلك الا ان يكون ضاحياً بارزاً في الصيف فيحتاج الى لباس كثيف ليوقي جسمه الحر ، ومن كان محروراً واضطر الى الوبر فليجتنب الثقيل الطويل الشعر كالثعلب ، وليجتنب ما كان ضاماً للبدن كله كالاقبية ونحوها ، وليقتصر على ما يدفيء الظهر فهو اشد ما في البدن برداً الا ان الاعضاء التي فيها الحرارة كالكبد والقلب في البطن دون الظهر ولذلك يكون ابتداء الامراض عنه اعني الظهر فان الاخلاط لجة هناك فتبتدي ، الطبيعة بها ولا يغم رأس المعدة فانه موضع حساس ، وللصفراء هناك تسلط ربما آذاه لصوق الوبرية بل يجتهد ان يصل الى هذا الموضع روح الهواء ما لم يضره ، او يخالف عادته ويتوقى ملاقاة الريح فان التحرز من البرد فيها لا يمكن في الهواء الساكن فان اضطر الى ذلك استكثر من الدثار وتلثم وسد منخريه ولم يستنشق من الهواء البارد بل يتنفس من كمه اوما يستره ، وان كان ممن يمشي مشى فسخن جوفه وان لم يكن ممن يمشي ركب دابة كثيرة الحركة محوجاً له الى الرياضة ودلك بدنه وقتاً بعد وقت فان الحركة تقاوم البرد ودليل ذلك ما تشاهده من جمود الماء الواقف قبل الجاري ولا يباشر السفر في هذه الحال ، الا بعد ان يغتذي غذاءً خفيفاً غير تام ويجعل فيه كالثوم والخردل ، وانفع من ذلك كله الشراب الموصوف فانه يسخن الدم في عروقه . ويختار للصيف المساكن الفسيحة الكثيفة الحيطان التي للرياح الهابة فيها مخرق وترش وينضح الجسد بماء الورد ويروح عنه فاما السراديب والمواضع العميقة فتجتنب البتة فان اهويتها غليظة تكسل وتفتر واذا جلس في الخيش استعلى عن سطح الارض بالاسرة وما يجري مجراها واحتال لوصول الهواء من اعالي البيت ليخفف عنه ثقل الهواء الثقيل المنحصر فيه ويكون الاستكنان في

الخيش في وقت الظهيرة لا قبله ولا بعده ويستعمل الاطعمة الحارة في الشتاء فعلاً ومزاجاً والاطعمة الباردة في الصيف

باب تدبير المطعم

من اخذ من الغذاء قدر حاجته من غير زيادة عليه ولا تقصير عنه دامت له الصحة، وكان مثله كالمصباح يمد من الدهن بما لا ينقطع عنه فيطفئه ولا يغمره فيغرقه، واقوى الاغذية غذاء اللحم، ولذلك صارت السباع التي تغتذي به اقوى من غيرها والامم التي تنفرد باستعماله اشد بطشاً واكثر غناء في المصاولة ممن سواها كالاتراك ومن اشبههم وافضله المعتدل الذي لا تغلب عليه كيفية من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة كلحم الضأن ولذلك صار الانسان لا يمله وصار يطيب بكل صنعة وبكل طعم يضاف اليه وخص بهذه الفضيلة لاعتدال مزاجه، وخيره لحم الفتي منه وان يجتنب ما صغر كالاجنة وما قرب عهده بالنتاج فانه يكون لزجاً مواداً للكيموس الفاسد. ويجتنب الضاني الفحل اليابس ويقصد السمان دون المهازيل والخصيان دون النعاج، فان الولد يمص جوهرها ودون الفحول فان السفاد يوبس لحمها وكلا المعنيين يأخذ صفو اجساد الحيوان ويختار للاكل الرقبة ولحم الاضلاع والكتف والمواضع المتوسطة للجسد. ويجتنب الرأس وكل ما فيه والافخاذ وما يليها فان لحومها غليظة ثقيلة بطيئة الانهضام والاعضاء ذوات الاسماء والهيئات ولا خير فيها كالقلب والكبد والطحال والامعاء والكروش انها ليست لحماناً خالصة ولحم الطيور بالحكم الاعم اخف من لحوم المواشي وربما ثقل بعضها بالحكم الاخص وينبغي ان يقصد منها الاسرع انهضاماً، والحيوان المائي كالبط والغرانيق غليظة زهمة بطيئة الانهضام ولا خير في السمك لاصحاب الابدان الباردة الرطبة وقد ينتفع الطري منه المحرورين ويقصد منه المتوسط بين الصغير والكبير ولما كان في المياه العذبة دون البحار والآجام والمملوح منه كالقديد من اللحم ولا خير فيهما فانهما كالشيء الذي ذهب صفوه ولبابه وبقي اثقل واغلظ ما فيه، واما الالبان فمناسبة للحم في جوهرها لان اصلها الدم وتعمها اللطافة وسرعة الاستحالة فللطفها صارت غذاء للصغار الذين تضعف قواهم عن الهضم ولاستحالتها صارت اجزاؤها تتميز سريعاً كالزبد والسمن وامكن ان تتخذ اصنافاً كثيرة من الاغذية والاقتصاد عليها ليس بمحمود الا لمن جرت عادته بها وان جعلت اداماً او في الطبيخ فان طبيعتها عند ذلك تمتزج بطبيعة ما يكون مخلوطاً بها والحموضة

فساد عارض في اللبن كما يعرض مثله في الشراب فليجتنب الصادق الحموضة منه ما امكن وبياض البيض غذاء ثقيل وخيم وصفرته غذاء شريف كثير التغذية، وافضله النيمبرشت والذي ينهضم من الحبوب ويستحيل منها الى الدم اقلها والباقي الفاضل عن الهضم اكثرها وهي في ذلك مخالفة للحم لانه مناسب للدم بجوهره سريع الاستحالة اليه ، وينبغي ان يجتنب منها ما طبيعته توليد الرياح فكل ما يتولد الرياح عنه رديء بطيء الانهضام ، واجود الحبوب للاغتذاء السمين وما تناهى ادراكه ولم يكن نجا ولا عتيقا عفنا كالفتي من الحيوان بين الاطفال والمسان ويعتمد لبابها ، ويجتنب قشورها ، فان القشور تولد كيموسا غير محمود ، والفواكه قليلة الغذاء ومن افضلها التين والعنب ، وهما مع ذلك اذا لم ينهضما ولدا امراضا رديئة والاكثار من جميع الفواكه ومن هذين النوعين رديء لاسراع العفونة اليها في المعدة واستحالتها الى الكيفيات الرديئة ويجتنب قشورها فربما لصق القشر بالمعدة والامعاء فضر ويهجر كل ما كان نجا وقديما عفنا من جميع اصنافها والبقول لا يكاد ينهضم منها الا ما كان مطبوخا لانها عادمة النضج في جميع احوالها الا انها في اول منبتها الطف ويجب ان يجتنب اكلها بالجملة كل معني بحفظ الصحة فان دعت شهوة او ضرورة فالفرذيخ (؟) لانه يقوي المعدة والهندباء لانه يصفي الدم ، والخس فانه يرطب ويقمع الصفراء ويهجر ما له حرافة وحدة الا ان يطبخ في جملة الطعام

صنعة الطعام

احكام صنعة الطعام احد قوانين حفظ الصحة لان الطبيعة تشتهيه فتستمريه وقوام الطعام مبنيان نوع الغذاء وصنعه وفوت الصنعة اضر من رداءة النوع ، لان الرديء النوع قد ينقله احكام الصنعة الى ان يلتذ ويشتهى . والجيد النوع قد يجري امره بالضد فيقل ميل الطبيعة اليه ونيلها منه وما فاته جودة الصنعة حل من الطبيعة محل الدواء المستكره لا الغذاء المشتهى وربما ولد امراضا لنفار الطبيعة منه وقلة احتوائها عليه ويبلغ من الانتفاع بقوة الشهوة ان الضار قد يصير بها نافعا بجودة الاستمراء له واستيلاء القوة عليه حتى ان المرضى ربما اشتهوا شيئا رديئا فاصلحت قوة الشهوة فساد مزاجه فقل لذلك الاستضرار به ، واحوج الناس الى هذا الباب من اعتاده ومرنت حاسة الشم منه عليه وارتاضت مذاقته به والجفاة الطبع اقل حاجة الى التدقيق في هذا الباب اولا لجفاء التركيب ، وثانيا لفقد العادة في الارتياض لمعرفة الطيب وغيره فقليل

الصنعة كثير عندهم ، وثالثاً ان كثرة حركاتهم تجود هضم معدهم حتى يستمروا من الخبز الفطير ومن اللحم ما ناله الاشمام ولا يستضرون بشيء منه بل يناسبون الحيوانات الصامتة في اكثره واولى الاشياء بالتقية فيه الخبز لانه اصل الغذاء والراتب منه واصوب ما يستعمل فيه المبالغة في انضاجه فان القليل النضج منه يولد في البدن اخلاطاً غليظة وادواء خبيثة ، والخبز الخشكار اكثر حرارة واسرع هضماً لحرارة نخالته

والحوارى ابطأ انهضاماً واذا انهضم كان اكثر غذاء وافضل جوهراً وبالجملة فكل ما فاته النضج فالآفة فيه على البدن عظيمة جداً ولا يتناول منه الحار لوقته فانه بمثابة ما لم يدرك ولا اليابس فانه بمثابة القديد وكلاهما اذا اصابه الماء في المعدة انتفخ وربما كما يصيبهما اذا صب عليهما الماء خارجاً عنه ، بل ما كان مخبوزاً ليومه او غده ثم اللحم ومن التدبير فيه انضاجه ويتجاوز ذلك فيمن ضعفت معدته الا ان يهرا له تهرية ، فاما من قوي هضمه كرجال الحرب فالصواب ان يتناولوا من الخبز الفطير ومن اللحم المشوي ما لم ينته نضجه ليتولد لهم اللحم الصلب الكثير المحتمل للألم فان اختار العجين وتهرية اللحم يقلل قوتهما ، وما كان من الحيوان رطباً كالسمك والحملان الرضع شوي ليقلل رطوبته وما كان مسناً طبخ ليقلل رطوبة الطبخ بيوسته ، والشواء يوبس الطبع والطبخ يحله ، وما عمل بالكانون اخف مما عمل بالتنور ، لان التنور يغمه فيرجع اليه البخار فيكسبه ثقلاً ووخامة واغباب شواء التنور اصلح ويستعمل بعد شوق اليه ، وشهوة له تعين على هضمه ، ويطيب الطبيخ بلباب البصل والحمص ومائهما دون قشورهما وجملة جرمهما وبالجملة فاللب من كل شيء اكثر نفعاً واقل ضرراً من القشور ، ويجتنب الاشياء الحريفة كالخردل والثوم فربما لذعت آلات الغذاء وقرحتها كما تفعل في ظاهر البدن قلت وهذا الحنين فيه قول يدل على انها تقرح الظاهر وتعفن الباطن واذا انهضمت الاشياء اللذاعة احدثت في الكيموسات كيفية حادة حريفة مضرة جداً لان الذي تفعله استحالة كيفية الدم اضر مما تفعله كميته ، ويجب ان يجتنب التي منها حتماً واصلح الاطعمة ما لم يغلب عليه طعم فان الطعم الغالب يدل على الكيفية الغالبة واشد الطعوم مشاكلة للدم الحلاوة ، ولذلك تشتد شهوة الصبيان لها لانهم في سلطان الدم والحلو الاصلي كالتمر والعسل اشد تسخيناً للدم واحراقاً له من الحلو الدسم كالفالوذج ونحوه وهذه المركبة اقل غائلة في تثوير الحرارة لان الدسومة تقاوم تلك السورة الا انها اثقل على المعدة لمكان الدسومة وشرب الماء على الحلو الاصلي انفع من شربه على المركب لان الماء يمازج الاصلي فيكثر حلاوته ويعدله

ولا يمازج الدسم فيعقب لذلك تخماً ، والاصلح في تناول الحلو استعماله غبّاً وبعد الشوق الشديد ثم الاقلال وقصد اللطيف كالمعمول من السكر الطبرزد واللوز والحامض يفتق الشهوة الا انه اقل غذاء من الحلو وهو مضر بالعصب ، ويعقب الهزال والنحافة ، واصلح الحموضات الخل فان فيه تحليلاً وتلطيفاً ، والمالح معين عَلَى الهضم ويعتبر ذلك من تأثيره في الاشياء التي يطيب بها فيدفع العفونة والفساد عنها وهو ينوب عن الافاويه الحارة مع سلامة وقلة غائلته ، ويجتنب اكل الطبيخ الحار الذي في بقية غليانه ولم تفارقه الاجزاء النارية فانه كالشيء الذي لم يدرك ، والغاب والفاسد رديء لا خير فيه . . . .

اوقات الاكل

اصلح اوقاته وقت الحاجة اليه وتجتنب استعماله بالعادة في وقت يعينه في كل يوم او بالمساعدة او بالشهوة الكاذبة فانه يحدث حينئذ امراضاً خبيثة والغداء والعشاء للحان للعامة ويجب ان يخفف الغداء لئلا يثقل البدن عن التصرف في المعاش ويستوفوا العشاء لان النوم يتبعه فيعين عَلَى هضمه فلليل خاصية في تجويد الهضم ليست لنوم النهار الا ان العشاء ربما اضر بالرأس والعين لان قوة الهضم تحدث ابخرة كثيرة ، فاما الملوك فصدر نهارهم مشغول بمهماتهم وهم يستكثرون مع ذلك من الالوان فلا يبقى فيهم فضلة لاكلة اخرى ، بل الواجب ان يستقبلوا الليل بعد النوم الذي يعين عَلَى هضم الغذاء ، وهم في نهاية الجمام والنشاط للسهر والمؤانسة وان دعت احدهم نفسه الى اكلة ثانية وليس ذلك بصواب له فليحذر اللحم والدسم ويقتصر عَلَى الخبز فان الخبز لا يكاد يعرض منه تخمة ولا يثقل الا ان يفرط في الاكثار منه ، ويجعل ادمه في هذه الحال من الحموضات والملوحات وليحذر كل الحذر ويتوقى كل التوقي اكله بين شرابين فانه مجرب الضرر ولا يكاد مستعمله يسلم منه

تدبير الطعام

الحمية اصل الطب . وقلة الاكل افضل العلاج ، وحد ذلك ان يمسك عن الاكل وقد بقيت من الشهوة بقية تدعوه الى الازدياد ، فان الطعام يربو وينتفخ في المعدة بعد اكله فاذا امليت به ولم يترك فيها فضاء لربوه احدث الكظة واوجب التخمة وتولدت عنه الامراض الرديئة ، ومن ضعف هضمه ، جعل اكله دفعات وخففه واقتدى به

عَلَى الاكل في الشتاء اكثر لانهزام الحرارة الى غور البدن ويستعمل في الصيف ضد ذلك ويقصد في زمان الصيف اللطيف من الاغذية كالبوارد

ترتيب الوان الطعام

يجعل الاخف قبل الاثقل ولا يبتدئ بالدسومة فتفتر الشهوة وتلطخ المعدة بل يتقدم الحامض بالخل فانه يحلل اجزاء ما لاقاه فيفتق الشهوة ويمكن لما سواه ولا يقدم الشيء الحلو فان الطبيعة لميلها اليه تستولي عليه فتنقطع به عما سواه ولا يبتدئ بالشواء فان القوة الهاضمة اذا تعلقت به قبرها فاقتصرت عليه فلم يمكن الاستكثار من شيء بعده ومن كانت معدته باردة فيجب ان يستعمل الفاكهة بعد الطعام بساعة جيدة ليلحق خفته الثقيل المنهضم قبله

صفات الاكل

يجتنب تعظيم اللقم وسرعة الاكل . وان لا يخلط في الاطعمة فان في هذا الادب فوائد اولها انه ابلغ في الاستيفاء من الطعام واهون عَلَى الهضم الجيد وابعد من الكظة لان الذي يصل الى معدته الشيء بعد الشيء من الطعام تستولي عليه القوة الهاضمة وتتمكن في الهضم ، واللقم المتتابعة تقهر هذه القوة وتغص المعدة فيتولد عنها الفواق والجشاء المؤذي المستقبح وكذلك حال الماء في امتصاصه والعدول عن عبه وتأني الاكل ابعد من مشابهة الحيوانات التي تتناول اغذيتها بالنهم والشره واحرى ان لا يستقذر الانسان وتعاف الانفس مؤاكلته ثم ان كانت عنده دعوة او جماعة كان تأنيه امكن لهم في تناول حاجتهم فمن رزق هذه العادة والا فليرض نفسه عليها ، ويجتنب الاكل عَلَى حال انزعاج من النفس بغم او حزن فان الطبيعة لا تقبل حينئذٍ غذاء بل يجب التشاغل عما يعرض النفس وما ينسيه ثم يتناول الغذاء بعده ويسر نفسه بمحادثة المواصلين ، ومؤانسة المنادمين فان ذلك معين عَلَى نجوع الغذاء ولذلك كانت الملوك لا تنام ولا تشرب ولا تأكل الا عَلَى سماع ملذ او حديث ممتع وان لم يتمكن من النوم بعد الاكل فلا بد من اضطجاعة او تكأة فان الانتصاب والقعود تعب والتعب يمنع من تمام الهضم

الباقي للآتي

اسبانيا والعمران العربي

«تتمة ما في الجزء الماضي»

دثرت المدنية الاسلامية الباهرة لا بايدي المسيحيين الذين كانت تخشى بأسهم بل بصنع اناس من المسلمين انفسهم نسفوها نسفًا واعني بهم المرابطين · ولم يلتجيء امراء العرب في الاندلس الى هؤلاء الافريقيين القساة المتبربرين الذين حملوا الى الاسلام روح تعصبهم المنبعث من ضيق عقولهم الجاهلة الا بعد ان اوجسوا خيفة عَلَى حياتهم وزاد سوء ظنهم في العواقب · هلك المعتضد ونفسه تحدثه بالشر الذي يجره عَلَى بلاده واخلافه · وبينا كان الفونس السادس ملك طليطلة اذا هو قد اصبح مدكاً عَلَى اشبيلية وقرطبة وغرناطة وغدا الاندلسيون مهددين من جهتين فرأوا ان يستملوا لابناء دينهم من المرابطين ليدفعوا غارة المسيحي عنهم وهو عدوهم القديم ·

وفي سنة ١٠٨٦ هزم يوسف (بن تاشفين) وعصاباته الافريقية الفونس السادس في وقعة الزلاقة شر هزيمة وفي سنة ١١٠٠ كتب لهذه العصابات ان تطرد عامة ملوك الطوائف او تقتلهم وفي عام ١٠٢٧ استرجعوا مدينة سرقسطة وخضعت اسبانيا كلها لملك مراكش ·

وان الثلاثة الملوك من المرابطين الذين استولوا عَلَى الاندلس منذ سنة ١١٠٠ الى ١٤٤٥ وهم يوسف وعلي وتاشفين كانوا عَلَى شجاعة فيهم ضعاف المدارك موسومين بالتعصب لا وقوف لهم عَلَى اللغة بل ولا عَلَى آداب العرب فاخذوا بتحريض الفقهاء يضطهدون الشعراء والعلماء والفلاسفة باسم الدين حتى اضطر هؤلاء ان يصمتوا او ان يفروا بانفسهم الى بلاد اعدائهم القدماء ملوك قشتالة ونزلوا مدينة طليطلة حيث توفروا عَلَى تخريج النصارى يعلمونهم من احكام الترقي ما كان ينقصهم للحاق بالمسلمين

ومن الغريب انه لم ينشأ عَلَى عهد عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني لى كثرة حرصهم عَلَى المعارف علماء متبحرون وفلاسفة عظام في البلاد الاندلسية المستعربة · وعَلَى العكس كنت ترى الفلاسفة يكثرون في عهد الشدة ايام اخذ المتعصبون من اهل الدين يطاردون كل من يجرأ في ارض الاندلس عَلَى مخالفة مذهب مالك · نعم كانوا ينبغون عَلَى

حين غرة من اولئك المتنطعين و يتيلون اسبانيا العربية مجداً لم يبلغه المسلمون ايام كانوا مشارقة صرفًا • نجباء الاندلس امثال ابن باجة وابن الطفيل وابن زهر ولا سيما ابوالوليد ابن رشد الذي تخرج بابن باجة وانتمي الى ابن الطفيل وصحب ابن زهر

هذه الفلسفة التي انتقد عليها فيما بعد خلوها من الابداع قد كان لها شأن عظيم في حضارة القرون الوسطى بان كانت واسطة النقل الى الغربيين الذين اضاعوا حتى الاسم من معارف اليونان عَلَى ما تلقتها عنهم مدرسة الاسكندرية و بفضل هذه المدرسة تسنى لملم الفلسفة واللاهوت (علم الكلام) في القرون الوسطى في الغرب ان تتصل التقاليد المدرسية بآداب النهضة

كان للشعراء مقام كريم بين الناس بما فطروا عليه من التصورات فكانوا عَلَى طبيعتهم الشرقية لا يأتون ما يخالف روح الاسلام وكان الملوك بما فيهم من الاستبداد الطبيعي والاغراض السياسية يمقتون الفلاسفة • هذا الى ما هنالك من حقد المتنطعين والمتفقهين وما جبل عليه الشعب الاسباني من اخلاق التعصب وكان الاسبانيون بانحالهم الاسلام يزيدون المسلمين تعصباً الى تعصبهم

وكان عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني من التسامح عَلَى جانب مع العلماء ولقد اتهم المنصور حاجب هشام الثاني بافكاره الفلسفية فلم يدفع عنه هذه التهمة الا بتكبير مسجد قرطبة ونسخ القرآن بيده وادرار الهدايا والعطايا عَلَى العلماء والفقهاء وتخريب خزانة كتب الحكم الثاني لانها كانت عبارة عن كتب فلك وفلسفة وجغرافيا وطب فاحرقت و باحراقها بادت الى الابد كنوز لا تقدر بثمن ونال لقاء ذلك رضا المتنطعين فخلا له الجو في قصره واخذ يشتغل بالدروس التي يحظرها عَلَى الناس و يشتد في الانكار عليها • وما اتاه من هذا القبيل سياسة قام به المرابطون مدفوعين اليه بعامل من الاعتقاد و نابل من امزجتهم

فكما احرقت سنة ١١٥٠ كتب ابن سينا في بغداد بامر الخليفة رأينا ابن باجة يسجن بدعوى المروق من الدين و يضطر ابن واهب من اشبيلية ان يتخلى عن دروسه الفلسفية ابقاء عَلَى حياته و يقتل ابن حبيب من اهل تلك المدينة لاتهامه بالفلسفة • و يضطهد ابن الطفيل حتى يضطر الى الاعتراف جهاراً بايمانه الصحيح ومعتقداته الخالية من الشوائب • وهكذا انقضى زهاء قرن والكتب تحرق في اطراف اسبانيا الاسلامية وبها يبيد ان ذخر من الآداب العربية

حاول السلطانان الاولان من الموحدين وهما عبد المؤمن و يوسف وكانا يميلان الى

الحربية ان يخففا من تعصب عصاباتهما ومن تشدد المتنطعين من المتصوفة حتى حظر عبد المؤمن احراق الكتب على نحو ما كان يفعل المرابطون لابادتها واحسن معاملة ابن الطفيل وابن زهر وابن باجة · واغدق يوسف وكان اعلم امراء عصره على ابن الطفيل من انعامه الشيء الكثير وقرأ عليه فلسفة ابن رشد وفوض اليه ارقى المناصب ومنها منصب القضاء في اشبيلية ثم اقامه طبيباً اول في قصره (١١٨٢) ووسد اليه منصب قاضي القضاة في قرطبة على نحو ما كان ابوه وجده · وافاض عليه يعقوب المنصور بالله ما كان له من اسلافه وزاد عليه ولكن ارادة شخص ولو كان ملكاً لا تقوى على صد هجمات تيار الرأي العام ولا سيما في عصر كان فيه سلاطين الموحدين مضطرين الى اضرام جذوة التعصب في نفوس رعاياهم المسلمين من الاندلسيين لمحاربة ملوك قشتالة وارغون الذين كانوا على الدوام يتقدمون الى الامام

وفي سنة ١١٩٦ بعد وقعة الاركوس التي كتب فيها النصر للمنصور على الفونس التاسع صاحب قشتالة قويت شوكة الحزب الديني في القصر السلطاني ونكب ابن رشد على شيخوخته نكبة هائلة تناولت كثيرين من العلماء والاطباء والشعراء بل والفقهاء متهمين بحرية الفكر والخروج عن مقصد الجماعة · وطرد العامة ابن رشد على ابشع صورة من الجامع الاعظم في قرطبة وكان ذهب اليه لاداء الصلاة مع ابنه عبدالله الذي كان من اعظم عمال تلك المدينة ونفي الى مدينة لوسنا اليهودية · وفي غضون ذلك صدر امر من المنصور يحظر فيه على مراكش واسبانيا درس الفلسفة المضرة والعلوم وما يتعلق بها ولم يستثن من هذا الحظر الا الطب والحساب ومبادئ الفلك · وعهد بتنفيذ امره الى ابن اخت ابن زهر وكان فيلسوفاً كخاله فصدع بالامر والخوف رائده · ثم ان ابن رشد نال الرضا من سلطانه قبل موته باربع سنين وعاد المنصور يتوفر على دراسة ما كان يحظره على أمته من العلوم ولكن بعد ان ضربت الفلسفة الاسبانية العربية ضربة لا يجبر كسرها

واذ طردت العلوم الاسلامية من بغداد ومراكش واسبانيا لم يبق لها غير مصدر واحد تلجأ اليه في طليطلة حيث طلبت حماية الدول المسيحية التي هي الد اعدائها وكان سبقها الى تلك العاصمة كثير من المسيحيين والاسرائيليين من اهل الاندلس فزعوا اليها لتحمي حياتهم ومعتقداتهم · واذ كان المرابطون والموحدون متعصبين بالفطرة اضطروا ان يتظاهروا بالتعصب سياسة ايضاً فكانوا يعيشون في جهاد دائم لمقاتلة المسيحيين من

سكان الشمال الذين لم يكونوا دونهم في الانغماس بحمأة التعصب ايضاً للدفاع عن كيانهم في بلادهم ولم ير اولئك المرابطون والموحدون وسيلة الى بث دعوتهم في نفوس ابناء دينهم احسن من اثارة روح التعصب في جمهور العامة المتعصب وليس من سبيل الى اقناعهم الا بتحسين دينهم لهم واضطهاد غيره من الاديان . فلا عجب من ثم اذا عومل نصارى الاندلس باقصى الشدة وخربت كنائسهم وصودرت اموالهم وغدوا على الدوام مهددين في حياتهم . ولما عيل صبرهم استصرخوا الفونس السابع المعروف بحبه للحرب والضرب فاقتصر من نجدتهم على غزو المسلمين في عقر دارهم ولكن بدون طائل اذ قاسى مسيحيو الاندلس من تلك الغزوات ضروب النكبات فقتل بعضهم او نفي الى افريقية (١١٢٥) على صورة متوحشة بحيث هلكوا بأسرهم قبل ان يبلغوا منفاهم

وجرى استئصال شأفة النصارى سنة ١١٣٦ على اقسى وجه حتى لم يبق منهم باقية في الاندلس ومن نجوا من الموت والتشريد لجؤا الى قشتالة . وهكذا اسدى المرابطون والموحدون لنصارى الشمال معروفاً عظيماً غير متوقع بما توفروا على القيام به من العسف حتى نقضوا العهد الذي كان عقد بين اسبانيا الجنوبية والمسلمين العرب وقووا الشعور الوطني والتحمس الديني في الاندلسيين وجمعوا بين الاسبانيين من سكان الشمال ومن سكان الجنوب بما بينهم من اواصر الجنس والدين فقاموا قومة رجل واحد في وجوه المسلمين مسوقين الى ذلك بحب الانتقام المتأصل بين الاسلام ومن يخالفه . وما كان الاضطهاد الذي نال اهل الصناعات الوديعين من المغاربة بعد خمسة قرون الاجواباً طال التفكر فيه ودعت اليه قسوة المرابطين والموحدين وكان نتيجة تعصب مماثل لذاك التعصب ورأي سياسي مشابه لتلك الآراء وان كان الى الصراحة اقرب

ولم يلبث امتزاج الشعوب الاسبانية على اختلاف العناصر والدين ان اثمر الثمرة المطلوبة فانهارت قوة الموحدين في وقعة لاس نافاس دي تولوزا (١٢١٢) وسقطت قرطبة (١٢٣٨) واشبيلية (١٢٥٤) وبلنسية ومرسية في ايدي الاسبانيول وغدا هذا الاسم بعد حين جامعة دينية اكثر مما هو جامعة جنسية لان جميع من لم يرتدوا عن الاسلام دخلوا في سواد العرب البربر وامتزجوا فيهم اي امتزاج . وان المغاربة الذين رضوا بان يعيشوا في الاندلس عيش التثبت الى القرن السابع عشر ليصعب عليهم ان يبرهنوا على انهم من دم افريقي ثم انه يتعذر على الاسبانيول ايضاً ان يذكروا انسابهم لان بعضهم مخضرمون خلاسيون فيهم الدم العربي وقليل منهم سرى اليهم دم البربر

إبان الفتح وآخرون اصبحوا افريقيين صرفاً عند زوال ذاك السلطان وخفوق راية الاخفاق عَلَى ربوع الاندلس الاسلامية

ومما قوى امل المسلمين في المستقبل وزادهم نشاطاً كثرة عديدهم فقد طردمنهم فرديناند الثالث بعد دخوله اشبيلية زهاء ثلثمائة الف مسلم من اهل هذه المدينة فلجؤوا من اشبيلية الى قرطبة وجيان وبلنسية وغرناطة حيث بقيت دولة بني نصر مائتين وخمسين سنة ايضاً وعَلَى هذا كانت غرناطة آخر ملجإ للعمران العربي ازهر اي ازهار عندما اوشك بالانقراض فرأت حدائق الحمراء البهجة كبار الشعراء والمؤرخين من العرب امثال محمد بن الخطيب وابن خلدون يجتازانها هما وابن بطوطة الجغرافي العظيم

كان من نتائج وقعة لاس نافاس دي تولوزا ان حررت اسبانيا من رق العبودية للمسلمين وادرك ملوك قشتالة ان ليس من العقل مقاطعة الماضي القديم وانهم في حاجة بعد الى ان يتعلموا من معلميهم القدماء ومنافسيهم الالداء (المسلمين) فحاول الفونس العاشر خليفة القديس فرديناند الثالث وكان اوسع ملوك عصره مدارك ان يعمل لاسبانيا المسيحية ما عمله العرب لاعلاء شأن الاسلام وذلك بالاخذ باحسن ما في الحضارتين ومزجهما بالحضارة الاسبانية

فاسس سنة ١٢٥٤ في اشبيلية مدرسة عامة لاتينية عربية وحفظ لمدينة مرسية رونقها العربي الصرف واستدعى الى عاصمته العلماء من جميع الملل والاجناس ليؤسس مدرسة طليطلة الثانية وقوامها اختيار احسن المعارف النافعة وهي اقرب الى التسامح من المدرسة الاولى اذ كانت تجمع الى التقاليد اللاتينية الحضارة العربية والعلم العبراني . وذلك لان الاسرائيليين عَلَى سعة آمالهم في احكام صلات التآلف بينهم وبين مسلمي الاندلس وما عرفوا فيه من مرونة الاخلاق قد عوملوا اسوأ معاملة وأوذوا في انفسهم كما آذى المرابطون والموحدون نصارى تلك البلاد . فقتل الاسرائيليون ونفوا ومن سعدهم ان لجؤوا الى ارض ملوك قشتالة واراغون الذين احسنوا استقبالهم وكان لهم في بلاطهم شأن مهم اواخر القرن الخامس عشر فكان منهم امناء الخزائن ومستشارون واطباء للملوك . وبلغ عددهم في طليطلة ايضاً زهاء اثني عشر الف شخص . وظل اليهود الى ذاك الحين اقدر التراجمة عَلَى نقل الحضارة العربية وبما ترجم منها الى لغتهم نجت اثمن آثار تلك الحضارة لان الموحدين والمرابطين اخذوا يبددون كتبها عامة . وكان زان بن زاكت ويهوذا هاكوهن والربان زاك هم الذين نقلوا لالفونس العالم معظم كتب

التاريخ والفلسفة والفلك عند العرب مع الشروح التي علقها عليها الشراح ٠ واتى دهر ظن فيه ان الفونس العاشر سيجي اسبانيا بعد موتها

ظهرت الكنيسة انها تطمع في تنصير المسلمين بالبرهان فوضع احد الرهبان الدومينيكيين واسمه رامون مارتي اول معجم عربي باللغة الاسبانية سنة ١٢٣٠ وفي سنة ١٢—١٣١١ امتدح البابا كليمان الخامس في احدى المجامع الدينية من انشاء كرسي لتعليم العربية في مدرسة سالامنكة ٠ وفي اواسط القرن الثالث عشر كان الدومينيكيون مثالاً لغيرهم بانشاء مدارس لتعليم اللغات الشرقية ليقف رهبان من اهل الغيرة عَلَى لغات غير ابناء دينهم ومعتقداتهم ويباحثوهم ويجادلوهم ٠ وقد انشأ يعقوب الاول صاحب اراغون مدرسة مثل هذه في ميرامار اكراماً لثلاثة عشر راهباً فرنسيسكانياً واخذ المجمع الديني في طليطلة ينفق عَلَى طغمة من الرهبان مؤلفة من ثمانية اشخاص ينقطعون الى دراسة اللغة العربية ليقاوموا الفقهاء والمشايخ بسلاحهم ٠ وعَلَى هذا التقليد ظلت الجمعيات الدينية ولا سيما الفرنسيسكان الى القرن الثامن عشر في اسبانيا هي القائمة بدعوة الاستشراق اي درس آداب الشرق ولغاته وتاريخه

كانت وطنية الاسبانيين متشبعة بروح السخط وحميتهم قائمة عَلَى التعصب وعدم التسامح وسيادة ملوكهم الى الشدة ولذلك نالوا ما طمحت اليه نفوسهم من استتباع المسلمين بدراسة علومهم وقد نشأت من هذا الاحتكاك حضارة ذات قلب وابدال مركبة من حضارتين مهمتين بغناهما ثم استقل الاسبانيون بعقولهم المرنة الشديدة المروضة واصبحوا مصدر حضارتهم ومقرري مدنيتهم

اعترفت اسبانيا بما هي مدينة به للحضارة العربية بما حفظته لها في مدارسها من الشأن حتى بعد ان تحررت من قيودها ٠ كان في سالامنكة التي استحقت ان تجعل في مصاف باريز واكسفورد وبولونيا احدى المراكز العلمية الاربعة في الغرب سبعون حلقة للتدريس وربما بلغ عدد طلبتها سبعة آلاف في القرن السادس عشر ولم تنل هذه الشهرة الطائرة اولاً الا لكونها بتأثير العلم العربي اقامت عَلَى اساس معقول تعليم العلوم الطبيعية والطب التي كانت الى ذاك العهد مغشاة بتجارب تافهة وعمليات مضحكة من نحو السحر والطلسمات ٠ ولم يكن في سالامنكة في اواخر القرن الثالث عشر عَلَى عهد البابا بونيفاس الثامن غير خمسة وعشرين حلقة للتدريس منها حلقة لليونانية واخرى للعبرانية وثالثة للعربية

ولقد اصيبت هذه الحركة المثمرة المباركة بضربة شديدة عندما عاد ملوك الكاثوليك فاستولوا على غرناطة سنة ١٤٩٢ واستصفوا ارض اسبانيا وابادوا آخر مملكة اسلامية من شبه جزيرة الاندلس . ومنذ ذاك العهد أعلنت حرب لا على دين اصحاب تلك البلاد ونعني بهم المسلمين بل على جنسيتهم ومدنيتهم . وقد جرت العادة بان تلقى تبعة هذا العمل على رجال الدين من الاسبانيين ممن كانوا في الحقيقة متفانين في تنفيذ هذا العمل وذاهبين بفضل الربح فيما قاموا به من الذرائع على ان هذا الحكم لا يخلو من غلو ووضع المسؤلية في غير موضعها وذلك لان ملوك الكثلكة مثل شارلكان وفيليب الثاني وفيليب الثالث الذين نسب اليهم الفخار بهذه الاعمال هم اليوم يبوؤن بالقسم الاعظم من العار . فكانت الشدة فيهم منبعثة عن رأي سياسي كاذب اكثر مما هي عن تعصب ديني يراد بها التوسع في الملك على وجه سخيف . فطمع الاسبانيون بعد الوحدة السياسية والملكية التى نالوها بالصبر عليها قروناً ان يضموا اليها الوحدة الادبية المتناهية في الخيال وهي التي كان يتصورها لويس الرابع عشر بفكره القاصر وانتهت بفسخ الامر الصادر في نانت . وكان الفكر السائد منذ عهد فرديناند الكاثوليكي الى فيليب الخامس بين جميع حكومات اسبانيا ان يعملن كلهن على تطبيقه على ضعاف المغاربة بالشدة التي جرين عليها في الازمان السالفة فكن يقاومن امراء المسلمين في الاندلس مقاومة ليس بعدها مقاومة . ومثل ذلك كان يجري على الاسرائيليين بصورة اكثر شدة ولكن لا تكاد يشعر بها لان اليهود كانوا عبارة عن طائفة اقل من المسلمين وكان الغضب والاحقاد الشخصية تصب عليهم في الفترات متقطعة ثم زاد التعصب الاسباني وعجل بالقضاء على كل مخالف . واكد فرديناند وايزابيلا للمغاربة في غرناطة والاندلس بانهم في حل من البقاء في ارض اسبانيا وان يكونوا احراراً في دينهم على شرط ان لا يدعوا اليه وان تجعل جميع مساجدهم كنائس كاثوليكية . ولما قضى نحبه الكردينال بدرو كونزالز دي مادوزا سنة ١٤٩٥ قام الكردينال كسيمنس دي سيسنروس رئيس اساقفة طليطلة ومن قدماء الاساتذة ومن الشاهدين على ما قالته ايزابيلا وحاكم اقليم قشتالة بنقض العهد الذي تم مع المسلمين رثاء ونفاقاً . وكان هذا الرجل معروفاً بسعة نظره وقوة عارضته في العمل بكل رأي يراه صواباً فيدعو على العمياء لتأييد الحكم المطلق للمقام البابوي او الحكومة الملكية

وانشأ القوم بعد ذلك لا يكتفون بدعوة المسلمين الى النصرانية بل يتطلبون الى

تعميدهم او طردهم فجرى تعميد الوف في اشبيلية وطليطلة وقرطبة وغرناطة من اولئك الباقين من المسلمين ممن اضطرتهم المصلحة والخوف واحترام المتغلب وحب الارض التي ولدوا فيها ان يرضوا بتغيير معتقدهم وقلوبهم منكرة عليهم اعمالهم ثم تكفل ديوان التفتيش الديني بمراقبتهم لتتبين له طهارة اعتقادهم . ومنذ سنة ١٥٠١ — ٢ طرد من قشتالة ومملكة غرناطة كل من ظلوا محافظين على الاسلام ولم يعد للدومينيكيين والفرنسيسكانيين من حاجة لتعلم العربية ليتمكنوا بها من مجادلة الفقهاء وتخلوا عن علومهم لانها افسدت افكارهم وزهد المسيحيون في علوم المسلمين اذ قام في اذهانهم انها خطرة عليهم . ولذلك رأينا الكردينال كسيمنس عندما اسس اواخيا سنة ١٤٩٩ كلية الكالادي هنارس استنكف ان يضيف الى دروسها حلقة لتعليم العربية مع انه نسج في تأسيسها على منوال مدرسة سالامنكة وجعل فيها حلقتين لتدريس العبرية واليونانية فرأى ان تكون هذه المدرسة الجامعة لتلقي علوم اللاهوت وان تبث الدين الذي يريد الملوك والبابا ان يروه عاماً موطداً الدعائم من اقصى اسبانيا الى اقصاها . وكان اعظم استاذ في سالامنكة في القرن السادس عشر فري لويس دي ليون شاعراً لاهوتياً وفيلسوفاً مستشرقاً يحسن اللغة العبرية كل الاحسان ولكنه يجهل العربية .

صدر امر الكردينال كسيمنس سنة ١٥١١ بعد ان احرق في ساحات غرناطة كمية من الكتب العربية ولا سيما من المصاحف المخطوطة ان تباد كتب العرب من بلاد اسبانيا عامة فتم ذلك بغيرة عمياء مدة نصف قرن ولولا تلك المترجمات الى العبرية واللاتينية لقضي على الحضارة العربية بجملتها التي امتد رواقها على اسبانيا مدة ثمانية قرون ولم يبق لعينها من اثر . وكاد ديوان التفتيش الديني على ما اخذ به نفسه من ابادة كل اثر للعرب ان يجعل طعاماً للنار تلك المخطوطات العربية التي حفظت في خزانة كتب الاسكوريال لولا ان تلطف الماركيز فيلادا وحال دون احراقها . اما متنصرة المغاربة الذين دانوا بالنصرانية مكرهين فلم يكونوا يستطيعون ابداء أسفهم الا سراً وفي الكتب العربية المكتوبة بالعجمية اي الاسبانية المكتوبة بحروف عربية دليل على تعلق اولئك المتنصرة بقديمهم

ولم يحظر فيليب الثاني سنة ١٥٥٦ على متنصرة المسلمين حمل السلاح فقط بل منعهم من استعمال اللغة العربية واراد على ان تنزع من اسمائهم التراكيب العربية ومن اجسامهم الالبسة الشرقية ليدل بذلك على انه يريد مزجهم في سواد ابناء المذهب

الكاثوليكي . ثم ان قدماء المسيحيين من الاسبان كانوا كل حين يحتقرون اولئك المتنصرة على نحو ما كان العرب قديماً ايام عزهم يزدرون بالمولدين ولما ضاقت صدور المغاربة انتقضوا على الحكومة فشتت شملهم في اودية البوجاراس [1] وبعد مقاومة شديدة نفي اولئك المتنصرة او سجنوا في اواسط بلاد اسبانيا واصبحوا امراء (١٥٥٨)

سيم المسلمون في اسبانيا سوء العذاب فحاولوا ثانية ان يشقوا عصا الطاعة على عهد فيليب الثالث وعندها نفوا آخر مرة وعددهم نحو مليون نسمة على صورة قاسية مخيفة . ولم يبق اذ ذاك من الحضارة العربية واللغة العربية غير ذكراهما البعيد واصبحتا مزدرى بهما . وهنا لا يسعنا الا الاعتراف بان الاسبانيول عاملوا الكتب والناس على نحو ما جرى المرابطون والموحدون وكانوا يمقتون اكثر لو لم يستعيضوا عن المدنية التي قضوا عليها بمدنيتهم التي كانت اذ ذاك في اوائل انبلاج فجرها فان تخالفت النتيجة فالطرق اليها سواء في اللوم والتقريع

ومما لا يقبله العقل لولا انه حقيقة ان اسبانيا التي كان للمدنية العربية عليها ايادي بيضاء قد بلغت بها الحال الى ان تناستها بالكلية . فكان يزهد خلال القرن السابع عشر والثامن عشر بالمرة في تعليم اللغة العربية في ارض اسبانيا ولم يكن له اثر الا اذا كان على طريقة سرية افرادية وغدا الاطلاع على العربية نقصاً وربما اتهم من يتعلمها بالالحاد ولم تبق مدرسة تريانك لرهبنة الفرنسيسكان في اشبيلية من اساليب تعلم العربية الا اثراً ضئيلاً فكان يكفي الطالب منها ان يلفظ الاسماء المستعملة ليذهب بعد الى افريقية وآسيا داعية للنصرانية ومن كان يحب التقدم منهم في معرفتها مجذوباً بما حوت من الآداب الغنية لم يبلغ شوطاً كبيراً في معرفتها اذ لم يكن يراها احد عنوان مجد لاسبانيا الكاثوليكية في عصره

ومن العدل ان يقال ان اسبانيا كانت منذ عهد فيليب الرابع الى شارل الثالث تتخبط في المسائل الشاقة سواء كان في شؤونها الداخلية او الخارجية فلم يترك لها انحطاطها السياسي والعلمي وقتاً ولا قوة لدرس العربية والتفرغ للبحث في تاريخ الحضارة الاسلامية وقد اوشكت على عهد شارل الثالث ملك الفلاسفة ان تعود العربية وآدابها الى ما كانت

(١) هي اودية سيرانيفادا لايزال فيها الى اليوم آثار قرى المغاربة في بوبيون وكابيلرا وباميانيرا

عليه من الحياة في اسبانيا وان كان بعض الاسبانيين الى اليوم ينكرون عَلَى هذا الملك افكاره عَلَى انه كان له في اسبانيا الحديثة شأن اقل من فيليب الثاني وان كان مثله في مكانته وسلامته ففيليب الثاني وشارل الثالث هما الملكان الكاثوليكيان اللذان بلغا بمملكة اسبانيا اوج الفخار اما شارلكان فهو اوربي اكثر منه اسباني وان كانت اسبانيا بلد أمه . و بآثار ذينك الملكين يعثر في كل خطوة من يزور شبه جزيرة اسبانيا . فقد بلغ من جرأة شارل الثالث ان ضرب الماضي ضربة ادخلت اسبانيا في الحياة الجديدة التي اخذ شعوب الغرب يستمتعون بها فاراد وهو مشغول القلب بماضي مملكته شغله بمستقبلها ان يعيد الى اسبانيا عهد الآداب العربية فاستدعى لذلك رهباناً موارنة من سورية وانفق عليهم النفقات الطائلة ليعلموا الاسبانيين لغتهم الاصلية الثانية . وكان هذا العمل من الصعوبة بحيث لم يكف عصر شارل الثالث (١٧٥٩ — ١٧٨٨) لاتمامه هذا مع ما وقف في سبيله من الاوهام والعثرات حتى اذا مضى لسبيله انقطع العمل الذي قصد اليه . بيد انه يحق للنصف الثاني من القرن الثامن عشر ان يباهي باساتذة متمكنين من اسرار العربية امثال التصيري وكامبومان والاب بلانكري وكوندو وفري باتريسيو دولانور وغيرهم

جرّت حروب نابوليون الويلات والاضطرابات عَلَى شبه جزيرة الاندلس وانقطع عَلَى عهد فردينانْد السابع كل عمل يراد به احياء العلم عَلَى نحو ما بدأ به شارل الثالث . ولما تولت الملك ايزابيلا الثانية قويت النهضة وخلصت النيات للتجديد ودخل الاصلاح الى تلك الكليات القديمة التي كانت تتسكع في ديجور الباطل والعاطل الا ان مسألة تعلم اللغة العربية كانت في الدرجة الثانية بالنسبة لما شرع فيه من اصلاح التعليم سنة ١٨٤٥ عَلَى يد المسيو جيل دي زارات و بفضل هذا عادت العربية تدرس في الكليات رسمياً .

ولما استلمت الحكومة الاسبانية سنة ١٨٥٧ زمام اصلاح التعليم من دون رجال الدين او الملك او الاشراف ربحت اللغة العربية حتى كادت تعود اليها حياتها التي كانت لها في شبه جزيرة الاندلس منذ القرن الثامن الى القرن الخامس عشر ثم ان فقد اسبانيا المستعمراتها في اميركا وآسيا ضاعف حركتها العلمية وطمحت بها آمالها السياسية نحو استعمار افريقية اي مراكش

فاخذت معرفة اللغات والآداب العبرية والعربية من تلقاء نفسها تدخل في قائمة دروس التعليم العالي واصبحت المجموعة النفيسة من المخطوطات العربية الموجودة في

مكتبة الاسكوريال ومكتبة الامة ومكتبة المجمع العلمي التاريخي ميدانًا للمستعربين من الاسبانيين يبحثون فيه ما شاؤوا ويضاف الى تلك الاسفار الثمينة المجموعة النادرة جداً من المخطوطات العربية المكتوبة بحروف عبرية التي احتفظت بها رهبنة الكنيسة الكاتدرائية في طليطلة ·دع عنك تلك النفائس التي اقتنتها بعدمكتبة العالم كاپانكوس وما اقتناه الاستاذ كودرا في رحلاته الى مراكش وتونس

وعندنا ان للمستشرق كاپانكوس الفضل في انه خط للمشتغلين بالعربية في اسبانيا طريقًا مهيعًا فقام على اثره زمرة من العلماء وفي مقدمتهم المحترم الدكتور فرنيسكو كودرا الذي احتفل بيوبيله احتفالاً دل على عواطف اهل العلم الاوربي· وقد اصبحت مدينتان من مدن اسبانيا كهف اللغة العربية ونعني بهما مجريط (مدريد) وغرناطة فنبغ في مجريط الدكتور كودرا استاذ الكلية الوسطى والدكتور فرناند ايكونزالز والاب لازكانو الذي اخذ يبحث في اللهجة السورية في دير الاسكوريال وهو العمل الذي بدأ به في بيروت ·وغير هؤلاء العلماء بالمشرقيات وقدانضم الى هاته الزمرة الغيورة اناس من الفتيان اخذوا على انفسهم الجري على آثارهم لاتمام العمل الذي بدأوا به وتقوية روابطه مثل الكاهن المسيو ميكل اسين استاذ اللغة العربية في الكلية الوسطى والاستاذ ريبرا استاذ كلية سرقسطة الذي يدرس في مجريط حضارة المغاربة والعبرانيين والمسيو آلكاني مدرس اليونانية والعالم المشهور بالعربية والمسيو فيف عضو المجمع العلمي التاريخي والمؤرخ الاثري المحقق والمسيو كونزالفو خازن كتب السجلات الوطنية والمسيو فيلالتا الذي قضى شطراً مهماً من حياته في مزغان والدار البيضاء وطنجة

وقد كانت غرناطة فيما مضى مثل مجريط اليوم عاصمة الاندلس فحق لها ان تكون مركز الدروس العربية وكان الدكتور فرنسيسكو جافيه سيمونه هو الذي رفع مقام هذه اللغة وعد تحصيلها فرضاً رسمياً على الطلاب في غرناطة · مات مؤخراً وهو مشهور بابحاثه العديدة في الجغرافيا والتاريخ واصول اللغة والآداب الاسبانية الاسلامية واخصى في حل الخطوط العربية ومثله الدكتور ليوبولد اكويلاز والدكتور ماريانو كاسبار ريميرو وامتازت اشبيلية بابحاثها الكتابية المتعلقة بغرناطة وهو الفرع الذي برز فيه الاستاذ الماكرو كاردناس ولكل من مدينتي برشلونة وسالامنكة صفان لتدريس اللغة العربية وآدابها كما ان لبرشلونة وبلنسية منذ سنة ١٩٠٨ صفين لتدريس العربية العامية وتجد مثل هذين الصفين في مالقة وقادش وبالمادي ولورقة وتنيريف في قناريا

ولا يسعنا ان ننسى ما اصدره كل من الدكتور كودرا والدكتور ريبرا تاراغو من الاثر النفيس باسم المكتبة العربية الاسبانية فانهما لم ينشرا منذ سنة ١٨٨٢ الى ١٨٩٢ اقل من عشرة مجلدات في اصول اللغة والتاريخ والجغرافيا والآداب والنقود العربية في اسبانيا ٠ ومما لا يصح السكوت عليه ما نشر باسم مجموعة الدروس العربية بمساعي الدكتور ماريانو دي بانو والدكتور ميكل اسين والدكتور بوفس والدكتور ماريانو كاسبار والنشيط الغيور الدكتور كودرا وقد بلغ ما نشروه حتى الآن سبعة مجلدات

وانك لتجد في اسبانيا ميدانًا عجيبًا للدرس وذلك لان المخطوطات والكتابات كثيرة فيها عَلَى الرغم مما اصابها من التلف منذ القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر كما تقرأ ذكرى الحكومة العربية في كل حجر يقع نظرك عليه بل في كل وجه يتمتع طرفك بمرآه وتجد العاملين المدربين عَلَى العمل كثارًا فلا يعوزك الا ان تدعوهم فيستخرجون معك الدفائن والكنوز ٠ ولولا الصفات الشخصية التي فطر عليها المشتغلون بالعربية من الاسبانيين بالنظر لانفرادهم وقلة معونة الحكومة لهم وجهل الامة قيمة ما يشتغلون به لما كان للعربية في اسبانيا ذاك المقام المحمود فقد رأينا الحكومة تتشدد في توسيد تدريس العربية في الكليات اذا خلت من مدرسيها فتقتصد بذلك رواتب المدرسين او تعهد بالتدريس الى اناس غير متمكنين منها حق التمكن كما فعلت في سالامنكة وبرشلونة ووحدت التعليم فيهما الى مدرس اللغة العبرية ٠ والمعلوم ان العلم كلما ارتقى احتاج الى اناس متبحرين واخصائيين ٠ والاخصاء في فن يفتح لصاحبه السبيل فيبذل جهده في نقطة واحدة وبذلك يبرع ويبرز

حالة المسلمين الاجتماعية (١)

ايها السادة

ان من يلقي نظرة على التاريخ الاسلامي ويرى ما كان عليه المسلمون في القرون الاولى من عزة الجانب وقوة السلطان وحرية الافكار واتحاد الكلمة وما هم عليه اليوم من وهن العقيدة وضعف العزيمة وانحلال الرابطة قد نالت منهم الاهواء وفتك فيهم داء الشقاء تذوب نفسه حسرة وأسى ويتشوق الى الوقوف على ما اصاب المسلمين فبدل من حالهم ونزل بهم من مستوى العظمة الى حضيض الضعة والمهانة وهم اليوم اعز من سلفهم نفراً واكثر مالاً وارق عيشاً وهذا كتاب الله وسنة رسوله وهما الاساس المتين الذي قامت عليه قوة الاسلام ومنهما قد انبثق نوره واضاءت محجته يتليان بين ظهرانيهم بكرة وعشياً . وهذه معاهدهم العلمية تخرج في كل عام من رجال الدين وحملة الشريعة وارباب الاقلام ما يربو عدده اضعافاً مضاعفة على ما تخرجه قرون كثيرة في اول الاسلام

ليت شعري كيف لا يذهل قارئ التاريخ مما وصلت اليه حالة المسلمين وهو يرى ان الاسلام قد ظهر بتعاليمه السامية ومبادئه العالية فاشرق نورها على افئدة قوم لم يسبق لهم عهد بالمدنية ولم يعرفوا بين الامم الا بجفاء التربية وعبادة الاوثان وشن الغارات وشظف العيش وخشونة الطباع اللهم الا بعض اخلاق كريمة كالكرم والوفاء ونحوهما مما لا يعد ركناً ركيناً تستند عليه الامم في نهضتها فما لبث ان حرر الافكار من عقالها وبعث الهمم من مراقدها وانشأ منهم نشأ جديداً فلم تكن عشية او ضحاها حتى تجلت عروس تلك المدنية العربية في ثوبها القشيب جامعة بين قوة السلطان وصولة العلم بين التسامح والشدة فعمروا الارض واحيوا فيها موات الفضيلة وبلغوا شأواً عظيماً من رقة الشعور وصفاء العقل فمكنهم ذلك من التلطف بالامم حتى وقفوا على خفيات اخلاقها وعاداتها وكشفوا ما كان مستوراً عندها واستخرجوا من كنوز معارفها ودقائق حكمها ما ظهر فضله على الاوربيين بعد عدة قرون من البعثة النبوية

(١) محاضرة القاها محمد افندي المهدي في النادي الاسكندري في مصر مساء الجمعة ٢ حزيران

نعم لم يمض جيل حتى اخذت دوله العلم تعانق دولة الاسلام في جزيرة العرب وما فتحه المسلمون من الامصار فينبغ فيهم الحكيم والطبيب والفيلسوف والمهندس والمخترع والفقيه والمحدث والسياسي المحنك والاصولي البارع والامام العادل فأخذهو لاء يجوبون الآفاق يقودون طلائع تينك الدولتين اينما حلوا حل معهم ما استفادوه من صنائع الفرس والآريين وعلوم المصريين والرومانيين بعد ان هذبوه وغسلوا عنه ما تراكم عليه من الاوضار بايدي الرؤساء في الام حتى غدا بفضلهم ابلج ناصعاً يختال في حلة عربية تدهش الناظرين وتزري بكل شيء في العالمين

وان ديناً هذا شأنه في ترقية الشعوب وتهذيب النفوس لجدير بان لا يقف باهله تيار الرقي والتي كلما توالت الايام وحرصوا على التمسك بمبادئه ونهجوا منهجه القويم . فما هو هذا الداء العضال الذي مني به المسلمون فتقاعسوا عن اللحاق باسلافهم وتقطعت بهم السبل وبرح بهم داء الفشل

ارجع البصر معي ايها السامع الكريم وانظر الى ما وصلت اليه حال المسلمين . انك لا تجد اقليمين متجاورين اوناحيتين في اقليم او قريتين في ناحية او بيتين في قرية واهل احدهما مسلمون والآخر غير مسلمين الا وتجد المسلمين اقل من جيرانهم نشاطاً وانتظاماً في جميع شؤونهم الحيوية والعمومية واقل من نظرائهم في كل فن وصنعة واعظم اهمالاً واكثر خمولاً واكبر شقاقاً واحقر نفوساً واتعس حالاً حتى توهم كثير من حكماء الام الحية لينصفوا التاريخ ان الاسلام والنظام ضدان لا يجتمعان وعدوان لا يأتلفان

ايها السادة

ان علينا لواجباً كبيراً وفرضاً محتماً امام الله ورسوله والناس امام الشرف والتاريخ لا نخرج من عهدته ولا نبرأ من تبعته الا اذا وجهنا جل عنايتنا وصرفنا اوقاتنا وقللنا شباة يراعتنا بحثاً وتنقيباً حتى نصل الى تشخيص هذا الدواء ومعرفة جراثيمه واعراضه وما يستأصلها من الدواء الناجع وهذا انضل جهاد نثاب علية من الله والتاريخ وانم الجهاد هذا الجهاد لذلك رغبت في ان يكون هذا المبحث الجليل موضوع محاضرتي اليوم طرقته مستعيناً بالله وبما اوتيته من العلم فاقول:

اختلف الباحثون من العلماء في منشإ هذا الفتور فذكروا اسباباً كثيرة كلها فروع ترجع الى اصل واحد الا وهو الانحراف عن جادة الكتاب والسنة وتلمس الهدى من

غيرهما لخفت علينا كلمة القرآن « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » . « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » . « ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » . وقد ذكرنا في المقدمة ما كان عليه العرب قبل الاسلام من الاعراق في البداوة لم يتبلغوا بشيء من التعليم والترف ولم يشموا رائحة العلم والصناعة فما كادوا ينفضون عنهم غبار الوثنية حتى ظهر من امرهم ما قصصناه عليك . وذلك ان الدين الاسلامي كما انه يدعو الناس الى توحيد الله والايمان بما بعد الموت من عالم الغيب يدعوهم ايضاً الى الايمان بعالم الشهادة والسير عَلَى سنن الكون قد اطلق لهم عنان الحرية وطالبهم بالتفكر فيما خلق الله من عالم السموات والارض قد وضع لهم قانوناً جامعاً لضروب الهداية متكفلاً لهم ان هم اتبعوه ونصروه باصلاح شؤونهم في هذه الحياة الدنيا قد احكمت اصوله عَلَى قاعدة جلب المنافع ودرء المفاسد والارشاد الى انه الدين القيم الفطري الملائم لاصلاح النفوس بالاخلاق الفاضلة واصلاح شؤون البشر الاجتماعية باقامة العدل واتباع الطريقة المثلى في كل شيء « سنة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله »

فهم السلف الصالح هذا الاصل من القرآن فاهتدوا بهديه ولم يحيدوا عنه قيد شبر عالمين (ان من اقام هذه الاركان كلها كان هو المسلم الكامل ومن هدمها كلها كان ملحداً في دينه ومن كان اقرب اليها كان حظه من السعادة بمقدار سهمه منها) وان ليس بعد القرآن والسنة الا الضلال والعمى كما قال تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »

تفرع ايها السادة عن هذا الاصل الوبيل امراض هشمت من عظمة الاسلام وشوهت من محاسنه فاول جرثومة سرت منه الى المسلمين رجحان كفة السياسة الكاذبة عَلَى كفة الدين الصحيح لحاجة في نفس بعض الامراء المستبدين كانت الحكومة الاسلامية في احكامها نيابية اشتراكية (ديموقراطية) كما نطق بذلك القرآن الكريم وارشدت اليه السنة وظلت كذلك زمن الخلفاء الراشدين الى ان وقع التنازع بين علي ومعاوية فاتخذ بنو أمية ذلك ذريعة حولوا مجراها وقيدوا معالمها وجعلوها ملكاً عضوضاً بملكه فرد يستبد به كيف شاء فبدأ يتطرق الى الامة داء الذل ووجد الضعف منفذاً الى قلوبهم ووجد الابرياء من بعدهم مع توالي الايام مجالاً فسيحاً من صدور اولئك الذين نصبوا انفسهم قادة للدين

وسموا انفسهم حماة الشريعة فوضعوا لذلك اصولهم في التشيع والاختلافات في اصول الدين وفروعه فاشتغل بها الناس وصدفوا عن الكتاب والسنة وولوا وجوههم شطر البدعة وذهبوا شيعاً متباينة مذهباً متباعدة سياسة ومشرباً كل طائفة تجادل عن نفسها وتدعو الى كتابها ولو ادى ذلك الى تكفير الاخرى فخرج الدين عن حضارة اهله وتحول عن بساطته واتسع الخرق وانحلت الرابطة الاسلامية بل والقومية وفشت المنكرات وانطمست معالم السنن وتحكم التقليد لانه اثر من آثار التشيع بل ركن من اركانه

(التقليد)

التقليد وما ادراك ما التقليد التقليد هو قيد الاحرار وسجن العقول وهادم الافكار وعدو الشرائع ومبيد الامم وجيش الاستعباد

كان الاسلام ملة سمحاء ليلها كنهارها واضحة المسالك معروفة الواجبات سهلة المأخذ يتفقها الاعرابي الجافي من فم الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يبرح من مجلسه الا وقد خالطته بشاشة الاسلام وأُشرب في قلبه التوحيد كما قال تعالى «ما جعل عليكم في الدين من حرج شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر عَلَى المشركين ما تدعوهم اليه»

عجباً كيف يرضى المسلم العاقل ان يغل اعز شيء وهبه الله وهو العقل بغل التقليد والاستسلام ويلقي بنفسه في براثن الجمود والله قد امره بان يكون عَلَى بصيرة في دينه فقال تعالى «قل هذه سبيلي ادعو الى الله عَلَى بصيرة انا ومن اتبعني» انما ضل من اخلد الى التقليد بعد ان تبين له الحق كمثل رجل اراد ان يسلك طريقاً مستقيماً واضح المسالك لا عوج فيه فوسوس اليه الشيطان قال: هل ادلك عَلَى طريق آخر هو اقرب الى غايتك فانصاع له فأخذ يقوده كالاعمى في طريق مظلم كله تعاريج وعقبات فلما ان توسطاه قال اني بريء منك وتركه يتخبط في ديجور حالك لا يدري اين يذهب «كلما اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»

انحى الله باللائمة والتقريع عَلَى اهل الجمود من المقلدين في كثير من آي القرآن قال تعالى بعد ان احتج عَلَى المشركين وبين ان لا حجة لديهم في عبادة الاوثان (بل قالوا انا وجدنا آباءنا عَلَى امة وانا عَلَى آثارهم مهتدون . وما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا عَلَى آثارهم مقتدون) فقد احتج عَلَى المقلدين

بانه يجب عليهم اتباع النظر وما هو اهدى ولم يعذرهم بالتقليد فدل على انه عذر غير مقبول عنده ولو كان التقليد عذراً لاحد لكان جميع المشركين معذورين عنده

كان الصحابة والتابعون يأخذون اصول الدين وفروعه من القرآن وما يثبت من السنة يحكمون العقل واللغة في تفهمها واستنباط ما لا يجدون فيه نصاً صريحاً وان اختلفوا في شيء رجعوا فيه الى ذينك الاصلين كما قال تعالى (فان تنازعتم في شيء الآية) فهناك يرتفع الخلاف ويرجع المخطيء عن خطئه ويظهر الحق كما وقع لامير المؤمنين عمر بن الخطاب مع ابي بكر رضي الله عنه في قتال اهل الردة وهذا هو الاجتهاد الذي كان سائغاً في السلف الصالح من الائمة وكان هؤلاء نظروا الى المستقبل من طرف خفي فانكروا اشد الانكار على من يأخذ بآرائهم في الدين قبل ان يعرف مصدرها من الكتاب والسنة فقد روي عن ابي حنيفة انه قال لا يحل لاحد ان يأخذ بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا وقال الشافعي اذا صح الحديث فهو مذهبي ولكن خلف من بعدهم خلف وقف بهم جمود الفطنة وقصور الهمم عن اتباعهم وتقليدهم تقليداً اعمى فجعلوا مذاهبهم اصولاً يرجع اليها واخذوا يتفننون في فرض المسائل واستنباط الاحكام من تلك الاصول فتشعبت الآراء وكثرت الاختلافات واتسعت التآليف في الفقه واصول الدين على غير اسلوب فصيح من اللغة العربية لا يخالها القارىء الا رموزاً او احاجي يتعاصى فهمها على العربي الصميم . يفني الطالب وأسفاه زهرة العمر في تحصيلها فلا يخرج من تلك المضايق الا وقد حشر في مخيلته ضروباً من الاصطلاحات والمسائل متشاكسة متنافرة لا تروي من ظما ولا تشفي من علة وان فهم القرآن والسنة لاسهل بكثير من هذه الشروح والحواشي لان كلامها عربي مبين لم يتلوث بالعجمة ولم يتدنس بسقم التركيب والآراء فمن تعلم العربية تعلماً صحيحاً تيسر له الفهم منهما فلا يعاني عشر معشار ما يعانيه في تلك المعجمات (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

ثم لم يكفهم ذلك حتى حجروا على الله واسعاً فاوصدوا باب الاجتهاد واسدلوا بين الامة وبين كتابها ستراً من الاوهام وحرموها لذة النظر والتدبر في معجزاته فاصبح لا يتلى الا في المآتم وعلى المقابر (تبركا) يتأكل به اناس من الكسالى يتغنون به على قارعات الطرق وابواب المساجد يحرفون الكلم عن مواضعه ويشترون به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون

من هنا ايها السادة اقتسم هذا الدين فريقان فريق اطمأنت نفسه الى القديم فهو يريد ان يرجع بالناس القهقرى يحمل اهل القرن الرابع عشر على ان يتخلقوا باخلاق اهل

القرون الوسطى ويحذوا حذوهم في احكامهم وآرائهم ومدنيتهم فلا يتخطوها قيد شبر يكابرك في المحسوسات ويجادلك في الحق وينكر سنة الله في خلقه من ان لكل عصر طوراً من اطوار الحياة يأخذ قسطه من النمو والارتقاء بحسب استعداد اهل ذلك العصر ولذلك كانت نصوص القرآن خصوصاً ما يتعلق منها بالآلاء والاخلاق التي هي اكبر معجزاته مجملة يتناولها اهل كل زمان بقدر ما وصلوا اليه من الرقي

وفريق رأى من وعورة المسلك وصعوبة الفهم في كتب القوم ما يقطع نياط القلب دون الوصول الى الغاية وان كثيراً منها على تشتته وتشويشه لا ينطبق على مقتضيات العصر الحاضر ولا يأتلف مع مدنيته فرطوا في امر الدين واهملوا مجد آبائهم وذهبوا يتلمسون الاصلاح من غيرهما فعبدوا بهرج المدنية الاوربية وصبت اليها نفوسهم حتى اصبح التدين ضرباً من التهوس وسمة من سمات التأخر وساعدهم على ذلك ما رأوا من نظام الغربيين طفرة منهم قد خرجوا من ورطة التقليد الاولى ووقعوا في شر منها فلم يكن من جراء ذلك الا انهم قلبوا اوضاع مبانيهم وغيروا من ازيائهم وبدلوا من هيئات مآكلهم وملابسهم وآنيتهم وتنافسوا في ايهم يسبق الآخر في احكام نظامه الى اجود ما يكون في البلاد الاوربية وتوغلوا في الاسراف والبذخ وانسابت ميازيب الثروة من ايدي الشرقيين الى جيوب الغربيين لجلب ما تستدعيه تلك المدنية من الضروريات والزخارف فكسدت بذلك اسواق الصناعات الوطنية وماتت اربابها لانها اصبحت رثة بالية لاتروق في اذواقهم ولم تجد معضداً من موسريهم وسراتهم لتنهض من خمولها وتضارع اختها في الغرب كما فعل اهله ابان رقيهم فنخاص من شر ما بضمره لنا المستقبل من الفقر المدقع ان دام هذا السبات لان ما قربناه من المدنية الكاذبة لم يتم على اساس متين . نعم انا لا انكر ان في الامة الاسلامية كثيراً ممن تعلموا في اوربا فوقفوا على اسباب حياتها وحملوا الينا شيئاً مما تعلموه ولكن قل ان ترين من هولاء مهندساً مخترعاً او طبيباً مكتشفاً او عالماً اخلاقياً او اصولياً مشرعاً وهناك اناس لايسعون وراء الثروة ويتكلون على الوظائف ومن كان هذا شأنه فمحال ان يعمل لخير بلاده

قرر علماء الاخلاق والباحثين في اطوار الامم ان المتدين في كل امة المتحللين اطوار غيرها يكونون سلما تتطرق الاعداء اليه ويكونون بما وقر في قلوبهم من تمجيد الدين قادوهم واحتقار من لم يكن على مبادئهم ولو كانوا من ابناء جلدتهم او اخوانهم او عشيرتهم فيستهينون بجميع اعمالهم ويحتقرون امرهم ويسخرون منهم وبهذا وامثاله وهنت الرابطة

القومية وانحلت عقدتها وفقد التضامن الذي عبر عنه عليه الصلاة والسلام بقوله «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. مثل المؤمنين في تعاضدهم وتآزرهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وكفى بذلك مدعاة للتقهقر والانحطاط ولكن يلوح من بين هذه الناشئة الذين تهذبوا بنور العلم وعركتهم يد الحوادث بصيص من الامل يجعل الامة تتطلع الى مستقبل باهر كما قال فيهم بعض الفضلاء: أرى في شجرة الاسلام التي جفت اوراقاً خضراء فلا ادري اهي بقية مما مضى او باكورة للمستقبل

(البدعة في الدين)

ايها السادة

أرأيتم لو ان طبيباً وصف لاحد المرضى علاجاً رأى فيه شفاءه فحدد للصيدلي ما يحتاجه ذلك الدواء من العقاقير وبالتالي مقاديرها وكيفية تركيبها فخالف الصيدلي امر الطبيب واخذ يزيد وينقص في المقادير كيف شاء حتى جعلها سماً زعافاً لا دواء نافعاً الكم ولا شك تحكمون على هذا الكيماوي اما بالجهل في صناعته واما بالغش والخيانة وانه من اكبر العاملين على تفشي الامراض وازهاق الارواح بسبب ما يرتكبه من الخطل في تلك المهنة الشريفة

ولكم مثل الذي يبتدع في الدين ويفتري على الله الكذب لان القرآن والسنة والله هما شفاء لما في الصدور قال الله تعالى «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة. ونزلنا الكتاب تبياناً لكل شيء» فالذي يبتدع في الدين انما يحارب الله ورسوله ويصيب كبد الاسلام بسهم مسموم

يا حسرة على الاسلام ظهرت بوادر هذه البدع في ابان الاسلام فكان قادة الاسلام يحاربونها بسلاح القرآن يدحضون الحجة بالحجة ويقرعون البدعة بالسنة الى ان تمكن حب التقليد من النفوس وقل الاشتغال بالتفسير والحديث واهمل التاريخ فاختلط الحابل بالنابل وراجت سوق الاحاديث الموضوعة وازدحمت بها بطون التآليف لا سيما ما يتعلق منها بالزهد والرغائب والحث على القناعة باليسير والكفاف من الرزق واماتة المطالب النفيسة كحب المجد والرئاسة والاقدام على عظائم الامور ودب الى الامة داء التواكل واسترسلت وراء الاوهام وعلق بالقلوب كثير من ادران الشرك وظهرت المعجزة في حديث «لتتبعن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» اليس ما نراه اليوم من تعليق الآمال بقبور الصالحين وتشييد الاضرحة وبناء القباب.

والمساجد عليها والتغالي في زخرفتها ونذر النذور لها وشد الرحال لزيارتها مما يعتقد كثير من الناس انه من اعظم القربات كان في صدر الاسلام ضرباً من الشرك بل هو الشرك الذي جاء الدين بمحوه

ان القرآن والسنة لم يتركا باباً من ابواب الشرك الا واوصداه بالف حجة وبرهان وخليا بين العبد ورب يناجيه و يرفع اليه حوائجه كيف شاء ومتى شاء لا يحتاج في ذلك الى وسيط او وسيلة اللهم الا ما شرع لنا من وسائل الاعمال الصالحة كما فسر الرسول بذلك الوسيلة في قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة

نرى كثيراً ممن يهتدى بهم يتهافتون عَلَى هذه المهلكات تهافت الذباب عَلَى الطعام و يقتسمون ما يلقى في الاضرحة من النذور كأنه ميراث ورثوه عن الاجداد والآباء و يؤولون ما ورد في ذلك من النصوص القطعية كحديث : لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها السرج · لا تتخذوا قبري من بعدي وثناً يعبد · لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى

ايها السادة هذه هي امهات البدع التي الصقت بالاسلام ولولا انه دين قويم قام عَلَى اساس متين لانمحى اثره من الوجود لكثرة ما رزيء به من امثال هذه الامراض القتالة

(الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

لم ار ديناً كدين الاسلام خول لكل فرد من افراد الامة الاشراف عَلَى الشؤون العامة والقيام بامر الارشاد والنصيحة واطلق لهم عنان الحرية في مباشرة هذين الاصلين بحسب ما تستدعيه حالة الامة · قال الله تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلوة · فقد نعت الله المؤمنين بانهم يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر فالذي لم يقم بهما لا شك انه خارج من هيئة المؤمنين

كان خطباء المساجد هم من القائمين بهذه الوظيفة يمزجون مصالح الامة بالمواعظ والارشادات فكانت خطبهم تفعل بالنفوس ما لا تفعله السيوف · هذه كتب الادب فطالعها ان شئت تجدها مشحونة بخطب السلف من الامراء وغيرهم عَلَى نحو ما تسمعه اليوم عن الغربيين في دور نوابهم ومجالس اعيانهم كم نبهت شعوراً واحيت اعماً واماتت جبناً واصلحت معوجاً وهذبت نفوساً وسنت نظاماً انعكست القضية فاصبح خطباء المساجد

الا قليلاً من اجهل الناس يقولون ما لا يفعلون ويتكلمون بما لا يفهمون من سقط القول فلا تسمع الا سجعاً كسجع الكهان واني يوءثر الوعظ اذا كان لا يتجاوز اللسان

(احتياجنا الى العلم)

ايها السادة: ما اشبهنا في حياتنا الاجتماعية بالحيوانات الاليفة او الطيور الداجنة التي يحبسها اربابها في الاقفاص تنتظر منه فضالة من طعام او رشفة من ماء فان هو منعها ذلك هلكت جوعاً وظمأً اذ ليس لها من الحول والقوة ما تفك به قيود الاسر فتخرج الى الفضاء آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان

واأسفاه · سبقتنا الامم شوطاً بعيداً فاصبحنا في موءخر الرحل كقدح الراكب عالة عليها في كل حاجاتنا الادبية والمادية حتى فيما يتوقف عليه فهم كتابنا الكريم من الحكمة العرفية والعلوم الكونية · بربك هل تجد فيما بدرأ عنك طوارئ العاديات وتدفع به غوائل الحر والبرد مما تذود به من سلاح ولباس وما تسكنه من قصور شامخة ومبان شاهقة واكواخ حقيرة وما تحتاجه من آنية طعام وشراب وموائد واخشاب وحرائر واطالس وفرش ومقاعد ومصابيح ومطابخ وحلي وجواهر ونقود ومعادن وما يحتاجه الزارع في زراعته والكاتب في كتابته والكيماوي في حانوته · هل تجد في كل ذلك يداً لصانع شرقي اللهم الا اذا كان مكارياً او سمساراً او عاملاً بسيطاً او تاجراً لا يربح من تجارته الا اليسير لا يدري اين صنعت ولا كيف صنعت

جهلنا حقائق الاشياء فلا نعلمها الا اماني واقتصرنا عَلَى ما يتعلق بعلاقة الانسان مع ربه وحكمنا عَلَى ما عدا ذلك بالاعدام وحاربنا اهله وازهقنا روح التقدم واطفأنا مصابيح العرفان في الاذهان

اين منا الموءرخ والنباتي؟ اين منا الطبيب والكيماوي اين منا المهندس والطبيعي واللغوي والاديب والمنطقي اين منا عالم الاخلاق والحكيم والفلكي وعالم الزراعة نعم ان لدينا منهم نفراً ولكن هم دون الحاجة وقليل منهم العاملون

دعانا داعي الاصلاح فارشدنا الى مواقع الضعف منا وان لا نجاة الا بمجاراة الامم الغربية وان نقلع جذور هذه التربية العقيمة علنا نعمل فنسترجع مجد آبائنا الاولين اساتذة الغرب فنعق به دعاة السوء من كل جانب ان قد خالفت الدين افتراء منهم عَلَى الله وما كانوا مهتدين

يا قومنا هذا القرآن حجة عَلَى الشعوب الاسلامية بما فرطوا من امر الدين والدنيا

تتلى عليكم وفيها من اسرار الكون وعجائب المخلوقات ما لا سبيل لنا الى فهمه الا اذا اخذنا نصيباً من هذه العلوم

قال الله تعالى «ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء لآيات لقوم يعقلون» «وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون» ٠هذه الآيات وامثالها تسجل علينا العار وانّنا لسنا من العقلاء في شيء اذ العقلاء هم الذين تتغذى ارواحهم بمعرفة ما ابدع الله في الكائنات وما ذرأ في الذرات من مباهج الآلاء والحكمة٠ العاقل من تدعوه لذة النظر الى الشوق والولوع في حوز المعارف والعلوم

يا قومنا هذه هي ازمتنا وهذه جراثيمها التي لا تزال تنخر في جسومنا وتفسد من اعضائنا وتميت من مشاعرنا فهل لنا ان نكشف الغطاء عن ابصارنا وبصائرنا فنخرج الى عالم النور فنحيا حياة طيبة

يا قومنا لا دواء لنا من هذه الادواء الا بالعلم ولا علم الا بالتربية والتربية مفقودة عندنا نسمع ضجة للعلم وجلبة للمدارس ونبغ فلان واخذ فلان الشهادة فاذا سرنا في الشوارع او بين دور الوطنيين نرى ما تذوب له الاكباد نرى فلذاتنا امة الغد من ذكور واناث كقطعان الغنم يتلاكمون ويتلاطمون ويتنابزون بكلمات الفحش والفجور قد صبغتهم الاوساخ وشوهت من محاسنهم الامراض اليس هذا بدليل عَلَى ان الامة لا تزال في اقصى درجات الانحطاط مسخنا نصوص الشريعة الغراء فاذا دعانا داعي الاصلاح ان لا سبيل للرقي الا بتعليم المرأة صوبنا اليه سهام الطعن وقلنا كذباً وافتراء ان ذلك مخالف للدين

افلا تنبهنا الحوادث وتوقظنا العظات وها نحن قد شخصنا امراضنا وعرفنا اسباب تأخرنا فلم لا نعمل عَلَى ازالة هذه الاسباب فنفيق من رقودنا وننهب من سباتنا ونتخلص من هذه القيود ونسبح في فضاء الحرية نستبدل بهذا الخور عزيمة وبالذل عزاً وبالاستكانة شهامة وبالتفرق وئاماً وبالجهل علما

يا قومنا ان العلم كنز مفاتيحه الاخلاق وحاجتنا الى هذا الكنز شديدة فهلموا نهذب من اخلاقنا ونمحو آثار الرذيلة من بيننا ونحافظ عَلَى عاداتنا علنا ان نفتح هذا الكنز المغلق فنكون خير امة اخرجت للناس

مطبوعات ومخطوطات

شرح ديوان طرفة بن العبد

للشيخ احمد بن الامين الشنقيطي طبع بمطبعة اورنه‌ك في قزان (روسيا) سنة ١٩٠٩
(ص ٨٠)

طرفة بن العبد احد فحول شعراء الجاهلية الاقدمين الذين يستشهد بصحة عربيتهم وديوانه هذا قليل الجرم جم النفع وهو مرتب عَلَى رواية يعقوب بن السكيت واشار الشارح الى ما اخذه من تعليقه بقاف بين قوسين ونبه عَلَى ما لم يروه الشنتمري في شرح الستة ومن شعر طرفة:

واعلم علماً ليس بالظن انه ... اذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وان لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة عَلَى عوراته لدليل
اذا قلت فاعلم ما تقول ولا تقل ... وانت عمٍ لم تدر كيف تقول
وان امرأ لم يعف يوماً فكاهة ... لمن لم يرد سوأ بها لجهول
تعارف ارواح الرجال اذا التقوا ... فمنهم عدو يتقى وخليل

ومنه:

قد يبعث الامر العظيم صغيره ... حتى تظل له الدماء تصبب
والظلم فرق بين حيي وائل ... بكر تساقيها المنايا تغلب
قد يورد الظلم المبين آجنا ... ملحاً يخالط بالذعاف ويقشب
وقراف من لا يستفيق دعارة ... يعدي كما يعدي الصحيح الاجرب
والاثم داء ليس يرجى برؤه ... والبر برء ليس فيه معطب
والصدق يألفه اللبيب المرتجى ... والكذب يألفه الدني الاخيب

اللمع في اصول الفقه

لابي اسحق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦
عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني
طبع بمطبعة السعادة بمصر (ص ٩٥)

الشيرازي هو مدرس النظامية ببغداد رحل اليه الناس من الامصار كما قال الحافظ السمعاني وكان يضرب به المثل بالفصاحة وكان عامة المدرسين بالعراق والجبال تلامذه واصحابه صنف في الاصول والفروع والخلاف والجدل وقد اشتهر كتابه هذا اللمع في معظم البلاد حتى قال فيه الرئيس ابو الخطاب بن الجراح :

اضحت بفضل ابي اسحق ناطقة صحائف شهدت بالعلم والورع
بها المعالي كسلك العقد كامنة واللفظ كالدر سهل جل ممتنع
رأى العلوم وكانت قبل شاردة فحازها الالمعي الندب في اللمع

وقد طبع الكتاب بمراجعة نسختين جيدتين منه في المكتبة الظاهرية بدمشق تاريخ احداهما ٥٧٤ والاخرى في العام نفسه وقد علق عليه الاستاذ جمال الدين القاسمي تعليقات نافعة تدل على فضل اطلاع منها ما علقه في صنعة المفتي والمستفتي قال : قال برهان الدين التقصير في علم اللغة اخلال باول فروض الاجتهاد وقد احسن الشيخ ابو المعالي فيما علق عنه من الاصول حين بين مواد العلوم ومقاصدها وحقائقها وجعل مادة الفقه الاصول القطعية وهي الكتاب والسنة والاجماع وجعل اللغة مادة لهذه المادة قال لان الشريعة عربية فلا بد من القيام بها ليفهم عن الله مراده. فاللغة اصل الاصول ومادة المواد فكيف يكمل فقه من اخل بها

ثلاث رسائل

الاولى المنظومة الموسومة بمواهب المشاهد في واجبات العقائد لمؤلفها هبة الدين السيد محمد علي وهي ٣١ ص والثانية روائح الفيوض في علم العروض للفاضل المومأ اليه وهي قريبة المأخذ جمة الفوائد في ٤٢ ص والثالثة متن اعتقادات الامامية لبهاء الدين العاملي صاحب الكشكول وهي موجزة وافية بالغرض وقد جاء فيها بشأن الخلافة عند الشيعة ما نصه : « نعتقد ان خليفته من بعده على امته بالنص الجلي في يوم الغدير وغيره امير المؤمنين وسيد الوصيين علي ابن ابي طالب عليه السلام وبعده ولده الحسن ثم الحسين ثم علي زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم علي الرضا ثم محمد التقي ثم علي النقي ثم الحسن العسكري ثم محمد المهدي صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين بنص كل سابق على لاحقه وان جميع الانبياء واوصيائهم معصومون من جميع الذنوب والسهو والنسيان وسائر النقائص وان محمد المهدي عليه

السلام هو مستور عن الناس لخفير والياس الى ان يؤذن له في الظهور فيملأ الارض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً اه » قلنا ومن الشيعة مرت الى السنة عقيدت المهدي المنتظر راجع ما قاله ابن خلدون في احاديث المهدي في المقدمة

خلع السلطان عبد الحميد

لخليل افندي الخوري طبع في مطبعة الاصلاح بدمشق
سنة ١٩٠٩ (ص ٨٠)

ذكر كاتب هذه الرسالة السبب الذي حمل الاحرار على خلع السلطان العثماني السابق وطرفاً من سيرته وسياسته وقد رأينا فيها بعض امور كنا نود لو عزاها ناقلها الى مظانها مثل قوله (ص ١٥) انه منذ عشرة اعوام نوت بريطانيا الجلاء عن القطر المصري واحضر سفيرها في الاستانة الاوراق الرسمية وعرضها على الصدر الاعظم فابى المخلوع كل الاباء وقام رجال المابين المنافقون مدعين ان الانكليز يدسون الدسائس للدولة العثمانية وان الانكليز الى الآن لا يتأخرون البتة عن اخلاء مصر اذا رضيت الدولة ان ترسل جنودها الى هناك للاستيلاء على القطر . ولو صح مثل هذا الخبر لكتبت فيه المجلدات فضلاً عن المقالات . الكتاب شاهد بادب كاتبه حري بالمطالعة

مجلات جديدة

النعمة — مجلة دينية علمية اخبارية تصدرها البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق مرتين في الشهر ومعظم القسم التاريخي والادبي بقلم عيسى افندي اسكندر معلوف احد المنشئين المشهورين . وقيمة اشتراكها في دمشق ريال ونصف وريالان في الممالك العثمانية وخمسة عشر فرنكاً في الخارج .

الكوثر — مجلة علمية فنية سياسية لصاحبها ومحررها بشير افندي رمضان من فضلاء الكتاب تصدر في بيروت في غرة كل شهر وفي الجزء الاول منها مقالات نافعة منها التأثر الفطري بالانسان والاقتصاد والترامواي الكهربائي واختراعه والحفريات في بابل وغير ذلك من الموضوعات الملذة المفيدة . وقيمة اشتراكها ريالان في بيروت وريالان ونصف في سائر الولايات وخمسة عشر فرنكاً خارج البلاد العثمانية

الحسناء — مجلة نسائية علمية ادبية تاريخية اخلاقية اجتماعية لمنشئها جرجي افندي نقولا باز ويساعد في تحريرها نخبة من الكاتبين والكاتبات وهي تصدر مرة في الشهر

وفي الجزئين اللذين طالعناهما منها عدة ابحاث نسائية مفيدة منها ترجمة مدام دي ستال ومدام رولان وهما العقيلتان اللتان اعدتا الافكار للنهوض قبيل الثورة الفرنسوية الاولى ومقالة في المرأة والدين الى غير ذلك من الفوائد المنزلية والبيتية وصاحب هذه المجلة معروف عند معظم قراء العربية بمقالاته ورسائله في الاخلاق والاجتماع · وقيمة الاشتراك بالحسناء عشرة فرنكات في بيروت واثنا عشر فرنكاً في الخارج

فنرجو لرصيفاتنا الجديدات نجاحاً يكثر من سواد اعوانها وانصارها ويدفع بسطورها ومنشورها وفق اربابها الى انارة العقول وبث روح المدنية الصحيحة

سير العلم والاجتماع

الغاء الرتب

صدر امر نظارة الداخلية العثمانية ان تكون التشريفات يوم ١٠ تموز شرقي اي يوم ذكرى مرور حول كامل عَلَى اعلان القانون الاساسي في المملكة العثمانية بالالبسة السوداء عَلَى عادة الامم الديمقراطية وقد صدعت اكثر الولايات بهذا الامر وبذلك اقرت الدولة بانها الغت الرتب التي طالما كانت السبب في افساد اخلاق الامة ايام كانت الدولة العثمانية دولة استبدادية

قانون المتشردين

وضعت الدولة العلية نظاماً للمتشردين واخذت تطبقه في العاصمة والولايات وبموجبه يضرب المضرون في المجتمع الانساني بالعصي وذلك لان طبيعة البلاد تقتضي الضرب الآن ولولا هذه العقوبة المحسوسة لا يؤثر القانون اثره المطلوب في بعض طبقات الناس

شاه ايران

قويت شوكت الاحرار وظفروا بشاههم الظالم المستبد محمد علي شاه بعد ان خضبوا ارض فارس بدمائهم فانزلوه هذا الشهر عن عرش الاكاسرة وجعلوا مكانه بكره الشاه

احمد وهو في الثالثة عشرة من عمره وبخلع الشاه محمد علي قاجار والسلطان عبد الحميد العثماني منذ ثلاثة اشهر ابان الفرس والعثمانيون بانهم اقوياء في العقل اشداء في العمل ينكرون على الظالمين في سرهم وجهرهم وان الاخلاق اليوم ارق منها بالامس اذ لا عمل بلا خلق واعداد عامة المعدات في الوصول اليه

استعمال السكر

ثبت ان الاكثار من السكر يزيد في القوة العضلية من ٢٦ الى ٣٣ في المئة وقد اكد بعض اطباء الجند من الالمان ان السكر يسكن الظمأ والجوع ويؤخر التعب ويمكن استعماله للجنود السيارة ولراكبي الدراجات والانتفاع به . كما اثبت بعضهم ان اعطاء خيول الحوافل والعجلات الصغيرة سكراً يقتصد به كثير من طعامها . وهناك اناس من الباحثين في صحة البطون اثبتوا ايضاً ان ليس من خواص السكر في الاشربة والمربيات والمعجونات انه في الطعم فقط بل هو مادة من المواد التي يحتاج اليها في التغذية . وقد قال الدكتور لاندوزي ان خمس قطع من السكر تورث الجسم من الكالوري ثلاث مرات ما تورثه قطعة من ضلع غنم ثمنه قرشان . وكان معدل ما يتناوله الفرد في البلاد الراقية ١٣ كيلو غراماً في السنة على حين اثبت الاختبار انه يمكن للفرد ان يتناول في اليوم من خمسمائة غرام الى كيلو غرام وبالجملة فان الاكثار من السكر انفع في الصحة من الاقلال منه

صحة الاسنان

اثبت الاخصائيون في علم الاسنان ان الناس الذين تتناسب ثناياهم مع نابايتهم واضراسهم يقل عددهم شيئاً فشيئاً حتى في الملوك انفسهم وهم الغلاة في القيام على الصحة ومنهم الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا وادوارد السابع ملك انكلترا فان اسنانهما غير متناسقة في وضعها . وهذا الاختلال في وضع الاسنان لا يغير صورة الوجه ويجعلها بشعة فقط بل يحدث ارتباكات معدية تنشأ من قلة مضغ الطعام ويجب التوقي من ذلك ولكن الوقاية لا تفيد في الاكثر الا في زمن الصبا . وقد وضعت الفطرة الاسنان على نظام خاص لينطبق بعضها على بعض فاذا جاءت ناتئة او متداخلة تشوه منظر الفم واضرت بصحة الجسد . ومن الابوين من يتساهل في أخذ الولد الى طبيب الاسنان فيزيد ألمه ومنهم من لا يعنون بصحة الفم فينخر السوس الاسنان ويضر بها اي ضرر

وقد ارتأى الدكتور جاردنه وبت من بوستون ان من انجع الطرق في حفظ صحة الفم ان يزور الطبيب اولاد المدرسة ليبحث عن اسنانهم وابان في محاضرة له في هذا الباب ان الفم مستنبت الجراثيم الباثولوجية وغير الباثولوجية يفعل فيه الاعتدال المناسب والرطوبة ونثرات الطعام وقال ان التساهل بصحة الاسنان ادى الى ان كان في المئة من اولاد الالمان ٨٤ الى ٩٥ لهم اسنان عاطلة وعمت البلوى في الاسنان الرديئة في اميركا حتى لا تكاد تجد اميركيا في الستين من عمره ممتعاً باسنانه كلها او لا يشكو منها . ومن الناس من يعمدون الى قلع اسنانهم عند اقل عارض يعرض لها و يستعيضون عنها باسنان صناعية حتى في السادسة عشرة او الثامنة عشرة من اعمارهم بحيث كان طب الاسنان صناعة رابحة في اميركا وغيرها واغتنى اربابها فاصبح عددهم يزيد كل يوم . قال الدكتور المشار اليه وان التساهل بالاسنان مرض اشد فتكاً من الاوبئة والامم لا تتهلك الا من اسنانها

المطبوعات الالمانية

نشر في المانيا من تموز ١٩٠٧ الى تموز ١٩٠٨ نحو ثلاثين الف تأليف الماني طبع القسم الاعظم منها في برلين و يليها ليبسيك على ان هذه المدينة كادت تكون فيها اعظم سوق للكتب في العالم اما ادنبورغ التي كان يسميها الانكليز مدينة الكتب مفاخرين فقد كادت تسقط من مكانتها

تبادل الاولاد

قامت فئة منورة في بعض بلاد اوربا تتفنن في تعليم ناشئتها فرأت ان من خير ما يقوي ذهن التلميذ و يزيد في اختباره وعلمه ان يرسل به الى مملكة اخرى فالانكليزي يبادل ابنه مع الفرنسوي والفرنسوي يرسل بابنه الى صاحبه الالماني وقد أخذ هذا المبدأ بنمو حتى بلغ عدد من ارسلتهم فرنسا من شبانها هذه السنة الى خارج بلادها بواسطة جمعية مقايضة الاولاد الدولية ١٧٥ طالباً ارسلت ثلثهم الى المانيا

فلسفة تولستوي

كتب المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق ومحرر مجلة اوتلوك يصف فلسفة الكونت تولستوي الروسي فقال انه رجل نابغة وقصصي كبير كما تشهد به رواياته المختلفة التي اثرت تأثيراً حسناً في اهل عصره ولكنني اشك فيما اذا كان تأثيره

كبيراً بين رجال العمل من الوجهة الفلسفية والادبية . ولست انكر ان فلسفته تؤثر بعض التأثير في الناس الذين يلزمون مخادعهم ولا يتخطون دائرة مكتبتهم . وان كانت قد اثرت شيئاً في اهل العمل فانما كان ذلك للشر لا للخير على انني لا اظن ان فلسفته تجد محلاً رحباً في صدور رجال العمل بل الذي اراه انها استولت على اذهان ضعاف العقول وصغار الاحلام . والاقوياء العقول قد يستفيدون شيئاً من تعاليم تولستوي الادبية ولكن بشرط ان يكونوا على درجة من قوة العقل والارادة تمكنهم من نبذ تعاليمه السخيفة او المضادة للادب . ثم ضرب الامثال على خطأ فلسفة تولستوي فقال :

ان تأثير فلسفة تولستوي في الذى يندفعون معها ويسيرون في تيارها من رجالنا انما هو تأثير مضحك في الغالب فان بعضهم كتب منذ زمن وجيز كتاباً في مسائل اميركا البلدية قال فيه ان عيوبنا الادبية والاجتماعية ناشئة بعض الشيء عن خطيئة المذهب الحربي . ولما كتب الكاتب هذه العبارة لم يكن تحت تأثير ما يقع امام عينيه وما يخبره بنفسه وانما كان متأثراً باقوال تولستوي ومذاهبه التي لا تنطبق البتة على المعيشة الاميركية فان المذهب الحربي عامل من عوامل الخير او الشر في معظم البلاد الاوربية ولكنه في اميركا كمية عاطلة لا يتعدى تنظيم البوليس الوطني لتأييد الامن والنظام . ان اكل لحم الخيل امر يختص بالذوق فقط ولكن المبشرين الاولين في شمالي اوربا رأوا ان اكله مجلبة لضرر عظيم لان القوم كانوا يأكلونه مذبوحاً للوثن فحرموا اكله . والحق يقال ان عيوبنا الاجتماعية ليست اكثر علاقة بالمذهب الحربي منها باكل لحم الخيل المذبوح للصنم !!

وكان آخر عندنا ينظم القصائد الطوال في الدفاع عن المهدوية وحجته في ذلك الدفاع انه احتجاج على الحرب ومبدئها طبقاً لتعاليم تولستوي . والمهدوية كما تعلم شر ما رأى الناس من اسباب اراقة الدماء والظلم والفساد والتعصب وكانت عاقبتها المباشرة بقتل نصف السكان في البلاد التي نكبت بها وترك النصف الآخر في حضيض البؤس والمهانة . فدفاع تولستوي وتلاميذه عنها اعظم دليل على سوء مذهبه الادبي وما في حسبانه مرشداً ادبياً من الخطر على العقول والآداب انتهى ملخصاً عن الجريدة

الساعات في ايطاليا

بلغ عدد الساعات التي دخلت ايطاليا ثمانية ملايين ونصف مليون ساعة اتى معظمها من سويسرا · فاستجلبت ايطاليا سنة ١٩٠٧ ٢!٥٩٧ ساعة ذهب منها ٢٠٢٠٠ من سويسرا وبلغ الوارد اليها في السنة الماضية ٥٩٥٦٩٢ منها ٥٦٦٩٩٢ من سويسرا

تجارة البيض

يبلغ ما تخرجه الولايات المتحدة كل سنة من البيض ٨٦٢،٥٤٦ طناً تستخرجها من ٢٣٣ مليون دجاجة وماتخرجه المانيا ٢٧٠ الف طن تستخرجه من ٥٥ مليون دجاجة وما تخرجه فرنسا ٣٠٠،٠٠٠ طن تستخرجه من ٥٠ الف دجاجة وماتخرجه انكلترا ٢٥٠٠٠١ طن تستخرجه من ٢٥ مليون دجاجة ويجمع الكيلو من البيض من عشرين بيضة عَلَى ان ايراد الدجاجة الواحدة يختلف بحسب الاقاليم·

وثبت في الاحصاء ان البلاد العثمانية تبعث الى الغرب كثيراً بآح البيض ومحقق ان ما تستورده فرنسا وحدها من بلادنا يبلغ مسانهة اربعة آلاف طن

حكم صغيرة

يقول اوجين ماربو : الحرية احترام حقوق كل فرد والنظام احترام حقوق المجموع قالت العقيلة رولاند : من يعمل ولا يرجع الى مبدإ كمن ينظر الى ساعته وقد وضع ابرتها كيفما اتفق · وقال لابروبير : من الحقائق ما يكتب له الظفر وتكتب له المبالغة ايضاً حتى تصبح كاذبة · وقال : من الامور ما لا يطاق فيه الاعتدال الشعر والموسيقى والخطاب العام · وقال مونتسكيو : من يتكلم بدون تفكر اشبه بصياد يصيد بدون ان يتوجه جيداً للغرض · وقال بلين : العفو جزء من اجزاء العدل

اصل الفواكه

يعرف كل نبات في بلد بانه اصيل فيها لا دخيل عليها اذا رأيت منه اصنافاً برية نبتت من تلقاء نفسها ولم تنقلها يد بشرية · فالتوتوت الافرنجي (فريز) دخيل عَلَى جميع البلاد التي ينبت فيها الآن والجيد منه في انكلترا أتي به من فرجينيا سنة ٦٢٩ والتوت الشوكي (فرامبواز) هو من ثمار البلاد المعتدلة في اوربا ودخيل عَلَى قارة آسيا والمشمش لم يأت من ارمينية كما توهم بعض علماء النبات بل جاء من الصين ولكنه كان

برياً حامضاً وقد عرف من تاريخ الشمش انه كان معروفاً لليونان والرومان منذ الفي سنة. والخوخ عرفه الرومان واليونان ايضاً ولكن توهم بعضهم بان اصله فارسي والحقيقة انه صيني ولاهل الصين فيه اساطير . والكرز هو من فصيلة الكرز العام (كريوتيه) نبت على ضفاف بحر الخزر . والدراق وتبلغ اجناسه ثلثمائة جنس والجنس الاول منه خاص بارض الاناضول والقافقاس والروم ايلي . والاجاص واجناسه كثيرة ايضاً روئي منه صنف بري في الاقاليم المعتدلة من اوربا وفي آسيا الغربية . والسفرجل منشأوه في جنوبي شرقي اوربا وبلاد القافقاس واقليم بحر الخزر . والتفاح على انواعه ينبت في اوربا والقافقاس وما وراء النهر وفارس والتفاح هو احد الفواكه القديمة المعروفة اذ كانت الشعوب قبل التاريخ تستعمله بكميات وافرة . واللوز انتقل الى اوربا من سلاسل جبال لبنان (جبل الشيخ وجبل قلمون وجبل اللكام) وما وراء بلاد القافقاس وبين النهرين وفارس وتركستان . والتين لم يهتد علماء النبات الى معرفة بلاده الاصلية والغالب انه من اقاليم البحر المتوسط ولا سيما سورية وكذلك العنب لا يعرف منشأوه لانه ثبت انه قديم الاستعمال جداً بين البشر وهو حديث العهد في جنوبي اوربا وشمالي افريقية وغربي آسيا واصل الجوز من اقاليم القافقاس والعجم وشمالي الهند . والبرتقال اتى على غالب الظن من جنوبي الصين وكوشنشين وانتقل الى اوربا في القرن السادس عشر والليمون جاء من الهند ودخل الى ايطاليا حوالى القرن الثالث او الرابع للمسيح

تموز الحرية

اذا انقضى مارت فاكسر خلفه الكوزا
واحفل بتموز ان ادركت تموزا

اكرم بتموز شهراً ان عاشره
قد كان للشرق تكريماً وتعزيزا

شهر به الناس قد اضحت محررة
من رق من كان يقفو اثر جنكيزا

سل اهل باريز عن تموز تلق لهم
يوماً به كان مشهوداً لباريزا

كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم
بسالة هدت البستيل مبزوزا

وان تموز شهر قام فيه لنا
على اليفاع لواء العز مركوزا

في شهر تموز صافانا لما وعدت
بيض الصوارم بالدستور تنجيزا

هي المساواة عمتنا فما تركت ... فضلاً لبعض على بعض وتمييزا
امست لنا قسمة بالملك عادلة ... حكماً وكانت على علاتها ضيزى
كنا من الجور عمياناً وليس لنا ... من قائدين ولم نملك عكاكيزا
حتى نهضنا الى العلياء تقدمنا ... عصابة برزت في المجد تبريزا
ان تلقهم تلق منهم في الوغى جبلاً ... اوهجتهم للمنايا هجت راموزا
قوم اذا طمعوا في حومة تخذوا ... قصاعهم من قحوف القوم لا الشيزى
قمنا على الملك الجبار نقرعه ... بالسيف منصلتا والرمح مهزوزا
حتى تركناه في هيجاء معضلة ... القت ضراماً على الطاغين مأزوزا
انا لنأبى على الطاغي تهضمنا ... حتى نهوز في الهيجاء تهويزا
ونأكل الموت دون العز نمضغه ... كمضغنا التمر برنياً وسهريزا
لا عاش من لا يخوض الموت مرتضياً ... بتاه بعصي الذل موكوزا
راعت سلانيك دار الملك فانتبهت ... من ذاك طهران تخشى امر تبريزا
حتى غدت وهي في تموز ناكسة ... رايات شاه رماه الخلع مجنوزا
فالشاه في شهر تموز هوي وكذا ... عبد الحميد هوى في شهر تموزا
يا شهر تموز لا راعتك رائعة ... ولا لقيت من الاحداث ارزيزا
يا شهر تموز قد زينت رايتنا ... بالعدل توشية فيها وتطريزا
من لي بانجم هذا الافق انظمها ... قصائداً فيك مدحاً او اراجيزا
او انحت الماس اقلاماً معرضة ... امدها ذهباً في الطرس ابريزا
واجعل الجو في تموز امدحه ... طرساً اجادته كف النور ترزيزا

الاستانة في ١٠ تموز ٣٢٥

معروف الرصافي

المقتبس

جمادى الاولى وجمادى الثانية ١٣٢٧

اكبر الاشياء في العالم [١]

أعلى جسر طبيعي في العالم هو جسر صخري في ولاية فرجينيا (الولايات المتحدة) علوه مائتا قدم

أكبر مبلغ من الاوراق المالية المستعملة في العالم هو في الولايات المتحدة . فسكان هذه الجمهورية العظمى يستعملون ٧٠٠٠٠٠٠٠٠ من تلك الاوراق في حين ان مملكة روسيا العظيمة تستعمل منها ٦٧٠٠٠٠٠٠٠

أكبر شركة لضمانة الحياة في العالم هي شركة (موتشال) في مدينة نيويورك (الولايات المتحدة) . رأس مال تلك الشركة يبلغ ١٠٨٠٠٠٠٠٠ دولار

أشهر صدى في العالم هو في قلعة (سيمونا) على مسافة ميلين من ميلان فاذا اطلق فيه عيار ناري تراجع صداه ستين مرة

أكبر بركان في العالم هو بركان (اتنا) . دائرة قاعدته ٩٠ ميلاً وعلوه ١١٠٠٠ قدم وقد انفجر لاول مرة في سنة ٤٧٤ للمسيح

أكبر شجرة في العالم هي في ايالة (تزكر) في (كليفرنيا) علوها ٢٧٥ قدماً ودائرة محيطها ١٠٦ اقدام

(١) هذا الفصل وما يتبعه تحت هذا العنوان عربته عن الانكليزية وهو فصل من مئات فصول كتاب ضخم يقع في ثماني مئة صفحة سيظهر بالعربية في المستقبل

أكبر صحراء في العالم هي (شارا) في شمالي افريقية · طولها ثلاثة آلاف ميل وعرضها ٩٠٠ ميل ومساحتها مليونا ميل مربع

أكبر ماسة في العالم هي (براغانزا) في بلاد البرتغال تزن ١٨٨٠ قيراطاً وقد وجدت في برازيل سنة ١٧٤١

اطول رجل في العالم هو يوحنا هال من انكلترا · طوله تسعة اقدام وستة قراريط · وطول كلٍّ من يديه سبعة عشر قيراطاً وعرض كل منهما ثمانية قراريط ونصف القيراط

أعلى عمود تذكاري اقيم في العالم حتى اليوم هو في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة علوه ٥٥٥ قدماً

أعلى بناء اقيم[2] في العالم هو برج ايفل في باريس عاصمة فرنسا علوه ٩٨٩٥ قدماً وتمَّ بناؤه سنة ١٨٨٩

يعمر كلٌّ من الغراب والاوزة مئة سنة · والحدأة او طير الرخم ٥٩ سنة والببغاء ٦٠ وابو حوصل ٥٠ والقنبرة ٣٠ والعصفور الدوري والباشق ٤٠ والطاووس والكناري والغرنوق ٢٤ سنة

أعظم جنادل في العالم هي شلالات (نيغاغارا) في الولايات المتحدة علوها ١٦٥ قدماً · اما اعلى جنادل في العالم فهي في كليفرنيا فمياهها تسقط على علو ٢٥٠٠ قدم

أقدم مدافن في العالم هي مدافن ملوك مصر القدماء التي يرد تاريخها الى الفي سنة قبل المسيح · اما مدافن رومية القديمة ففيها نحو ستة ملايين من رفات الاموات · واما مدافن باريس القديمة ففيها ثلاثة ملايين من تلك الرفات

أكبر عدد من الماشية جيء به الى مدينة واحدة في العالم في سنة واحدة هو ما استاقوه الى مدينة شيكاغو في سنة ١٨٨٤ وقد بلغ عدد الابقار التي جلبت الى تلك المدينة في تلك السنة ١٠٨٧٤٠٩٨٤ وعدد العجول ٣٠٠٢٢٣ وعدد الخنازير ٥٠٦٤٠٠٦٢٥ وعدد الاغنام ٧٤٩٠٩١٧ وعدد الخيول ١٥٠٦٢٥ وقد شغلت تلك الماشية تسعة آلاف قطار كلٌّ منه مؤلف من احدى وثلاثين مركبة · فاذا قطرت كل تلك القطر والمركبات يبلغ طولها ٢١٤٦ من الاميال

(٢) المعرّب · في نيورك اليوم بناية عدد طبقاتها ثلاث واربعون طبقة يقال انها اعلى بناية في العالم

اكبر مزرعة في العالم للغلات هي في الجنوب الغربي من ولاية لوزيانا . مساحتها شمالاً وجنوباً مائة ميل . وقد كلف تسييجها ٥٠٠٠٠٠ دولار

اكبر عقد في العالم هو (اكودكت) في واشنطن . فهو يزيد عن عقد (شاستر) في انكلترا بعشرين قدماً واطول من عقد (نولي) باثنين وتسعين قدماً ومن جسر واترلو في لندن بمئة قدم . اما علو عقد واشنطن فمئة قدم

أوسع معادن العالم هي المسماة (فيبرغ) (ساكسوني) عرفت في القرن الثاني عشر للميلاد . وقد امتدت دهاليزها الغربية في سنة ١٨٣٥ الى مئة واثنين وثلاثين ميلاً واعمق عمود قائم في معدن في العالم هو في (بريزلرام) وهو معدن رصاص عمقه ٣٢٨٠ واعمق معدن لفحم حجري في العالم هو علَى مقربة من (ثورني) في (بلجيكا) عمقه ٣٥٤٢ قدماً . على ان ليس له اسطوانة كاسطوانة معدن الرصاص المقدم الذكر . واعمق نقب او ثقب او فتحة في الارض هي بئر في (بوتسدام) في انكلترا . عمقها ٥٥٠٠ قدم . واعمق اسطوانة معدن لفحم حجري في الولايات المتحدة هي في «بوتسفيل» (بنسلفانيا) عمقها ١٨٠٠ قدم ومن هذا العمق العظيم يستخرج يومياً ما يملأ اربعمائة (كار)[٣] يسع كل منها (اربعة طنات)[٤] من الفحم الحجري واعمق معدن فضي في الولايات المتحدة هو المدعو (بلوجاكت) في (فرجيناستي) في ولاية نيفادا . واوطأ مسطحاتها ٢٧٠٠ قدم

اكبر جسر حجري علَى وجه البسيطة أُنجز في ايار سنة ١٨٨٥ في (لفانغ) في الصين بناه مهندسو الصين وهو يقطع جون البحر الصيني طوله نحو ستة اميال وله ٣٠٠ عقد طول كل منهما سبعون قدماً وهو اعظم بنيان شيده الانسان (ومع ذلك ترانا نزدري بتلك الامة الوثنية العظيمة)

اكبر جسر حديدي في العالم هو ذلك الجسر الذي يقطع(فرث تاي)في(سكوتلاندا) طوله ١٨٩١٢ قدماً . واكبر جسر خشبي في العالم هو ذلك الجسر الذي يقطع بحيرة (بونشارتين) علَى مقربة من نيواورلين . طوله ٢١ ميلاً واعلَى جسر في الولايات المتحدة هو المبني فوق نهر (كينزينا) علَى مقربة من (برادفورد) بنسلفانيا بني سنة ١٨٨٢

(٣) مركبة سكة حديدية (٤) ١٦ قنطاراً

اكبر ثور في العالم هو في (فيلادلفيا) (الولايات المتحدة) بلغ وزنه ٤٩٠٠ (بوند)(٥) واكبر بقرة بلغ وزنها ٣٢٩٦ بونداً

اشهر واكبر واجمل بناية للعبادة في العالم هي كنيسة القديس بطرس في رومية . موقعها في شمالي غربي رومية وقد بنيت على هيئة الصليب اللاتيني . طولها ٦١٢ قدماً ونصف قدم وعلوها ٤٤٨ قدماً وعلو قبتها ١٥٢ قدماً ونصف وقطرها ١٦٣ قدماً اما وزن جرسها ما عدا المطرق او المطرقة فنحو ٣٧ قنطاراً وقد أسست في سنة ١٤٥٠ للميلاد وعاش ومات فيها ٤٣ بابا

اكبر بنيان شيدته يد الانسان على الغبراء هو هرم مصر مساحة قاعدته ٧٦٢ قدماً وعلوه ٤٨٦ قدماً وهو يشغل ستة افدنة من الارض وقد قدر العارفون من المهندسين نفقاته بثلاثين مليون ليرة انكليزية وانه بني نحو سنة ٢١٧٠ قبل المسيح او في عهد ابرهيم الخليل وانه تقاضى نحو عشرين مليون قنطار من الاحجار النحيتة وان تلك الاحجار قد جلبت من مقلع عظيم من البلاد العربية على مسافة نحو سبع مئة ميل

اكبر وانفس قصر في العالم قصر اللورد (بيوث) في انكلترا يشغل فسحة من الارض قدرها ثلاثة افدنة . وقد بني على نسق بناء قدماء الغوطيين ويبلغ علوه مئة وعشرين قدماً وتقدر نفقاته بثمانية ملايين دولار

اكبر جسم مائي بارد في العالم هو بحيرة (سوبيرور) طولها ٤٠٠ ميل وعرضها ١٨٠ ميلاً ومساحتها ٣٢٠٠٠ الف ميل مربع وعمقها ١٢٠٠ قدم ومساحتها اكبر من مساحة (نيو انكلترا) وهي تعلو عن سطح البحر ٦٣٦ قدماً

اكبر آلة لنقل الآلات في العالم هي آلة شركة المركبات الكهربائية في (بولمان) على مقربة من شيكاغو (الولايات المتحدة) وقد اجتهد امبراطور برازيل ان يشتريها فلم يفلح . اما علوها فاربعون قدماً وقوتها توازي قوة ١٤٠٠ حصان ولها اسطوانتان طول كل منهما اربعون قيراطاً

اكبر قارب في العالم هو قارب (سولانا) المستخدم اليوم بين (بينيسيا) ومرفإ (كوستا) طوله ٤٦٠ قدماً وعرضه ١٦٦ قدماً وعمقه عشرون قدماً وله ثمانية مراجل من بولاد وثلاث دفات

---

(٥) عبارة عن ١٥٠ درهماً فيكون وزن الثور ٧٣٥٠٠٠ درهم او ١٠٢٠ رطلاً وكسور

أعلى بناية في العالم بعد برج (ايفل) وبناية مرصدواشنطن ودار البلدية في (فيلادلفيا) الولايات المتحدة هي بناية كنيسة (كولوغن) علوها ٥١١ قدماً وطولها كذلك وعرضها ٢٣١ قدماً . أسست في ١٥ آب سنة ١٢٤٨ وكمل بناؤها في ١٤ آب سنة ١٨٨٠ اي بعد اكثر من ٦٠٠ سنة من عهد وضع حجر زاويتها

كان الباحثون يظنون ان اعلى جبل على وجه البسيطة هو جبل (ايفرست) اما اليوم فقد بدا فساد ذلك الظن . فجبل (هيركولس) أعلى منه فهواي هيركولس يعلو عن سطح البحر ٣٢٧٦٣ قدماً ويعلو ايفرست عن سطح الاوقيانوس الهندي ٢٩٠٠٢ من الاقدام وقد اكتشفه القبطان (لاوسون) في سنة ١٨٨١ في جزيرة (بابوا نيوجونيا) .

اكبر ولاية في الولايات المتحدة هي تكساس وهي تحتوي على ٢٧٤٣٥٦ ميلاً من الارض الخصيبة وتسع عشر بن مليوناً من الناس ولا يحتشدون فيها بهذا العدد اكثر من احتشاد سكان اسكوتلاندا في الزمان الحاضر وقد قدر انها تسع كل سكان الكرة الارضية وانه يصيب الواحد منهم اربعة اقدام من الارض

اطول انهار العالم هو نهر (ميسوري) في الولايات المتحدة . طوله ٤٣٠٠ ميل ويجري مساحة ١٧٢٦٠٠٠ من الاميال المربعة . واوسع نهر في العالم هو نهر (امازون) في برازيل طوله ٤٠٠٠ ميل ويجري ٢٣٣٠٠٠٠ من الاميال المربعة

اكبر ديوان للجمارك في العالم هو في (نيواورلينس) له ١١١ غرفة وعلوه من قاعدته الى قمة اطار عموده ثمانون قدماً ومن قاعدته الى رأس قبته ١٨٧ قدماً ومساحة هذه وحدها ٤٩ قدماً مربعاً وعلوها ٦١ قدماً وذلك الديوان مبني من الرخام والاخشاب النفيسة ويقدرون اكلافه باربعة ملايين وثمانمائة دولار

اكبر نزل في الولايات المتحدة وربما في العالم هو نزل (بالاس) في سانفرنسيسكو كلفيرنيا وهو مؤلف من تسع طبقات وقد كلف ثلاثة ملايين دولار ونصف مليون دولار (واحترق في جملة ما احترق من القصور والدور الشاهقة في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٥ وسبق ذكر ذلك في مقالة للمعرب في حريق وزلزال سانفرنسيسكو نشرت في الجزء السابع من سنة المقتبس الاولى)

أجمل ملعب في العالم هو في باريس عاصمة الفرنسيس . وهو مبني من الحجر الناعم الصلد الجميل وارضه مرصوفة بالرخام وهو يشغل ستة افدنة من الارض . اما (لاسكالا)

من ميلان ففيها اكبر محل للجلوس . واما دار الخطابة في شيكاغو التي تم بناؤها في سنة ١٨٨٩ ففيها سبعة آلاف مقعد للجلوس

اكبر مجلد عرفه الانسان منذ الخليقة حتى اليوم هو كتاب الملكة فيكتوريا المنتقلة الى رحمة ربها في سنة ١٩٠١ وهو يتضمن التهاني التي وردت عليها بيوبيلها ويبلغ سمكه ١٨ قيراطاً و يزن اكثر من عشرة ارطال

اكبر كاس للفحم الحجري في العالم هو في (ادوارد شفيل كولبربن) في بنسلفانيا الولايات المتحدة وهو يحضر من الفحم الحجري ما يملأ اربعمائة كاراً (مركبة) في كل عشر ساعات

أعظم علو بلغه انطاد هو ٣٧٠٠٠ قدم او نحو سبعة اميال وكان ذلك في ٥ تشرين سنة ١٨٦٢ في «ولفرها فبتنس» في انكلترا

اطول سلك برقي مفرد في العالم استخدم لاجل رسالة برقية فقط هو في الهند . فقد مد فوق نهر كيستنا بين «بزورا» «وسيكتوكروم» اما طوله فاكثر من ستة آلاف قدم وهو يمتد من قمة جبل الى قمة جبل آخر وعلو ذينك الجبلين نحو الفي قدم

اكبر تمثالين في العالم هما في يابان احدهما في «نارا» وعلوه ثلاثة وخمسون قدماً وتسعة قراريط وكان اول نصب أُقيم في القرن الثامن عَلَى انه تهدم فيما بعد وجدد في سنة ١٢٢٣ واما الآخر فهو نصب «كامار كورا» وعلوه ٤٧ قدماً

«المعرب» اقول ومن هذا يظهر ان المغاربة الذين ما زال صغار العقول منهم وكثيرو الدعوى الفارغة بينهم يشمخون بانوفهم عَلَى المشارقة ويقولون في انحطاطهم وجهلهم كل كلمة عوراء ان الشرق سبقهم في نصب التماثيل بمئات السنين كما سبقهم بكثير مما يفاخروننا به في هذا العصر

اكبر منارة في العالم هي في «سدني» استراليا . فقوة نورها توازي قوة نور مئة وثمانين الف شمعة . وتشاهد تلك المنارة عَلَى مسافة خمسين ميلاً في البحر . وثاني منارة في العالم بكبرها وقوة نورها هي في باليس «اندوستراي» وقوة نورها توازي قوة نور مئة وخمسين الف شمعة . اما منارة «سان جوزف» كلفرينا فقوة نورها توازي قوة اربعة وعشرين الف شمعة . واول منارة أُنشئت في العالم كانت في جزيرة «فاروس» القائمة عَلَى ثغر الاسكندرية

اكبر بلاطة رصفت في دار للسكن هي في دار وليم فاندربلت المثري الشهير في

مدينة نيويورك . وقد جلبت من قضاء « بايك » في بنسلفانيا (الولايات المتحدة) وكان نقلها الى نيويورك تسعة آلاف ومئتي دولار اما اكلافها كلها فبلغت سبعة واربعين الف دولار .

اعظم ملاك الاراضي في العالم هو « ولسن ودنهام » فله من الاراضي في المكسيك وغير المكسيك مليون ونصف مليون فدان « آكر » وكلها صالحة للزراعة

أعظم وزر « قلعة او حصن او معقل » للفنون الحربية هو وزر « غبرلتر » فهو يشغل صخراً ناتئاً خارج البحر طوله نحو ثلاثة اميال وعرضه ثلاثة ارباع ميل ويعلو عن سطح البحر ١٤٣٥ قدماً وجهته الشمالية عمودية في حين ان جهته الشرقية ملأى بالاحادير المرعبة . ويحده من الجنوب المكان المعروف برأس « يوربا » وتحدره في غربيه اقل منه في شرقيه ويفصل بينه وبين البحر مضيق وتلك القلعة من القلاع التي هزأت وتهزأ بحملات الجنود البواسل وقنابل مدافعهم الهائلة ويبلغ عدد الجنود فيها في زمن السلم سبعة آلاف جندي

اكبر كهف بحري في العالم هو في مقاطعة « ادمونسن كنتكي » في الولايات المتحدة وهو على مقربة من النهر الاخضر ونحو ستة اميال من مدينة « قاف » وثمانية وعشرين ميلاً من « بولن كرين »

اكبر جرس في العالم هو دير بودهست على مقربة من « فانتن » في الصين . علوه ثمانية عشر قدماً ومحيط دائرته خمسة واربعون قدماً وهو واحد من الثمانية الاجراس النحاسية العظيمة التي سكبت بامر الامبراطور « يانغ لو » في سنة ١٤٠٠ للمسيح وقد كلفت ثمانية نفوس في اثناء صبها وحفر على ذلك الجرس العظيم ثمانية واربعون حرفاً صينياً تؤلف قصة صينية شهيرة

اكبر آلة لرفع المياه في العالم هي تلك المضخة « الطلمبة » المشهورة في « فردسفل بنسلفانيا » الولايات المتحدة . فهي ترفع في الدقيقة سبعة عشر الف وخمسمائة « غالون » « مكيال انكليزي يسع عشر ليبرات او ١٤٤٠ درهماً من الماء » اما قطر دواليبها ذات الدفع فهو خمسة وثلاثين قدماً ويزن كل منها مئة وستين قنطاراً وطول قضيب محذافها اربعون قدماً وقطر اسطواناتها مئة وعشرة قراريط وقطر قبضتها ثمانية عشر قيراطاً

اكبر مدفع في الولايات المتحدة هو في معقل « هملتن » في مرفإ نيويورك العظمى . طوله ٣٤٣ قيراطاً . وقطره الاعلى ٦٤ قيراطاً وقطره الادنى ٣٤ قيراطاً وقطر ثقبه ١١

قيراطاً و يبلغ ما يحشى من البارود مئتي « برند » وتزن قنبلته الفي « بوند »

اكبر مطرق بخاري في العالم هو لشركة المعمل الحديدي في بيت لحم (الولايات المتحدة) . فقوة ضربته او صدمته توازي ثقل خمسمائة قنطار وهذه المطرقة لاجل صنع السبائك الذهبية التي تزن الواحدة منها من اربعمائة الى ستمائة قنطار

اعظم مدينة شاهدها الانسان منذ عهد الخليقة حتى يوم الناس هذا هي مدينة لندن او عاصمة بريطانيا العظمى . فهي تشغل سبعمائة ميل من الارض وعدد سكانها نحو ستة ملايين نفس . منهم اكثر من مليونين من الاجانب من كل ناحية من نواحي الكرة الارضية المعمورة . وفيها من الكاثوليك الرومانيين اكثر من كاثوليك رومية ومن اليهود اكثر من يهود فلسطين ومن الايرلنديين اكثر من سكان « دوبلن في ايرلندا » ومن الاسكوتلنديين اكثر من سكان ايدنبرغ ومن اهالي ويلس اكثر من سكان « كاردف » ومن المزارعين اكثر من سكان اقضية ديفون وواروكشير ودورهام

وتلد فيها نفس كل خمس دقائق وتموت نفس في كل ثماني دقائق ويحدث يومياً سبع حوادث في شوارعها التي تبلغ ثمانية آلاف ميل ومعدل كل من تلك الشوارع اربعون ميلاً ويبنى فيها خمسة عشر الف بيت سنوياً

والمعدل السنوي لزيادة السكان في لندن من طريق الولادة فقط هو ٤٠٩٠٠٠ نفس تجد في مرفإها يومياً ما يزيد على الف سفينة وعشرة آلاف ملاح . وفي لندن حوانيت للمشروبات الروحية يبلغ طولها اذا بني كل منها الى جنب الآخر ثمانية وسبعين ميلاً . ويقف كل سنة امام دكة القضاء من سكيريها ثمانية وثلاثون الف سكير وتفتح ابواب الحوانيت فيها نهار الاحد على مسافة سبعين ميلاً

وللندن نفوذ بين في كل صقع من اصقاع العالم . ويوافيها من الرسائل سنوياً ٢٩٨٠٠٠٠٠٠ رسالة ويمر يومياً على منعطف «شاقام» فيها خمسون قطاراً . ويسير في نفقها تحت الارض ١٢١١ قطاراً كل يوم . ويركب في مركبات شركة الحوافل « اومنيبوس » فيها كل سنة ستة وخمسون مليون راكب

والغريب ان الخطر في السير في شوارع لندن اكثر منه في السفر في القصر او السفائن البحرية بين نيويورك وليفربول — ففي سنة ١٨٨٦ قتلت المنقلات او المركبات ١٣٠ نفساً وتضرر ٣٠٠٠ في شوارع تلك العاصمة

اما عدد كل فرقة من رجال المحافظة في لندن وساقة المنقلات والعملة في ادارة

البريد فهو ١٥٠٠٠

وتنفق لندن سنوياً عَلَى النور « الكاز » ثلاثة ملايين دولار · وعدد جرائدها اليومية والاسبوعية ٤٠٠

اما تاريخ تأسيس لندن فيرجع الى سنة ٢٨٣٢ للعالم اي انه انقضى عَلَى اول بناية بنيت في لندن ٣٠١٥ عاماً ومياه لندن نظيفة وصالحه للشرب ومعدل الموتى فيها قليل جداً

« لنكلن نبراسكا » الولايات المتحدة يوسف جرجس زخم

حقوق البشر

من المحال ان نأمن غوائل المستقبل ودواهي الزمان وتغلب الاشرار وتلاعب الفجار اذا لم نغرس في قلوب ابناء الامة محبة الوطن الحقيقية ونعرفهم حقوقهم وواجباتهم للهيئة الاجتماعية ونرقي شعورهم وعواطفهم بحيث ينطبعون عَلَى عزة النفس واباء الضيم وحرمة الفضيلة واحتقار الرذيلة · فيهبون بذلك عَلَى اهبة الدفاع عن مصلحة الامة والوطن دفاع البطل المستميت الذي يرى لثم شفار السيوف وشرب كأس الحتوف خيراً من الصبر عَلَى الذل والرضى بالعار واهتضام الحقوق ولا سبيل للوصول الى هذه الغاية الشريفة الا بالعلم والتربية · اريد بالعلم جماع العلوم الصحيحة التي بنيت قواعدها عَلَى البراهين القاطعة واريد بالتربية تهذيب الناشئة عَلَى مقتضى الحكمة والعقل تهذيباً ينسف بروج الخرافات والاباطيل نسفاً و يقذفها في اليم قذفاً · واول شيء ينبغي ان يجعل نصب اعين المصلحين تعليم الامة حقوقها المقدسة واخص بالذكر حقوقها الاجتماعية التي كانت مداسة بالاقدام منذ الوف من الاعوام ··

شعار الانسان الحرية · وهي التخلص من قيود الاسر المادي والادبي · ولا يجوز ان يطلق انسان عَلَى من عدم هذه الحرية وكان في امكانه نيلها

الاسر الادبي اشد تأثيراً وامر فعلاً من الاسر المادي · وهو ان يكون الانسان تابعاً لآراء غيره مقلداً له في افكاره وحركاته تقليداً اعمى لا يميز الصحيح من الفاسد ولا يعرف الخبيث من الطيب ·· وما ابعد الحرية عن اناس اذا سمعوا منادياً ينادي في الاسواق تجمعوا حوله ونظروا اليه واذا تبع ذلك المنادي واحد منهم تبعوه جميعاً

وهم لا يدرون الى اين يذهب بهم ذلك المنادي أإلى ذرى جنات النعيم ام الى اسفل دركات الجحيم ...

وفي قصة (اعطه جمله) عبرة وذكرى تبين لنا معنى الاسر الادبي بياناً لا يدع مجالاً للشك والريب !

مالنا ولهذا البس الجهل رقاً موبداً واسراً محلداً .. واعظم مراتب الجهل جهل الانسان حقوقه الاجتماعية ومن كان في غفلة عنها فهو حيوان مسخر يستخدمه الآخرون بابخس الاثمان ... في عنقه حبل الاسر مشدود الوثاق وفي رجله قيد الذل والهوان

ثم ان من عرف حقوقه ولم يكن في جسمه دم حار يدفعه للذود عن حياضها عندما تمسها ايدي الظلمة الغشمة فهو دون مرتبة الحيوان ! .

ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له احد

ما هي الحقوق المقدسة التي يجب على كل فرد معرفتها ؟

اليك سبعة عشر بنداً تتضمن حقوق البشر وابناء الوطن نظمها خمسة اعضاء من مجلس التأسيس الذي انعقد إبان الثورة الكبرى في فرنسا سنة ١٧٨٩ وقد تلاها امام المجلس الخطيب الطائر الصيت « ميرابو » في اليوم الثاني عشر من شهر آب وفوبلت بالقبول والاستحسان في اليوم السادس والعشرين من ذلك الشهر وهي الآن فاتحة دستور الحكومة الجمهورية في فرنسا . ومن تأملها يجدها وقد جمعت فاوعت من حقوق البشر وواجباتهم وما اجدر ابناء وطننا ان يحفظوها بالحرف ليعرفوا مكانهم من هذه الهيئة المجللة وها هي :

«١» يلد الانسان حراً و يظل حراً . والناس متساوون في الحقوق لا امتياز لاحد على الآخر الا بالاعمال التي تعود على المجتمع بالنفع الشامل والخير العام ..

«٢» الغاية من كل اجتماع سياسي صيانة حقوق الانسان الطبيعية التي لا تسقط بمرور الايام وكرور الاعوام . وهذه الحقوق هي :

الحرية .

الملك .

الامان على النفس .

الدفاع عن النفس .

«٣» الامة اصل كل سلطة وسيادة .. فليس لفرد من الافراد او هيئة من الهيآت

استعمال سلطة لم تخوله اياها الامة

«٤» الحرية هي القدرة على اي عمل لا يضر بالغير ويسوغ لكل فرد من ابناء المجتمع التمتع التام بحقوقه الطبيعية التي تنتهي حدودها عندما تبتدئ حدود حقوق الآخرين وحدود الحقوق لا تتعين الا بنص القانون

«٥» ليس للقانون ان يحظر الا الافعال التي تضر بالهيئة الاجتماعية . كذلك لا يجوز لاحد من البشر مطلقاً ان يمنع امراً لم يحظره القانون كما انه لا ينبغي ان يجبر احد على عمل شيء لم يأمر به القانون

«٦» القانون مجموع ارادة الامة . ولكل فرد من ابناء الهيئة الاجتماعية الحق الصريح بالمشاركة في وضعه اما بالاصالة واما بارسال نائب عنه . ومن الواجب المتحتم ان يكون حكم القانون عاماً شاملاً سواء في القصاص والعقاب او الحفظ والحماية . وبما ان جميع الناس متساوون في نظر القانون فمن البديهي ان تفتح ابواب المناصب والمراتب وخدم الدولة العامة لابناء الوطن كافة على السواء كل بحسب استعداده وكفاءته لا يمتاز بعضهم على بعض الا بالفضيلة والدراية والمعرفة

«٧» لا يجوز بتاتاً تهمة احد او حبسه او توقيفه الا في الاحوال المعينة في القانون وعلى الطرق المصرح بها فيه

والذين ينفذون اوامر عرفية او يتوسطون في تنفيذها ينالون قسطهم من العقاب . . غير انه يجب على كل من يدعى باسم القانون تلبية الدعاء في الحال ومن يمتنع عن الاجابة يعد من المجرمين .

«٨» لا ينبغي ان يوضع في القانون الا العقوبات الضرورية التي لا بد منها . ولا يجوز ان يعاقب احد الا بنص قانون قد سن ونشر وطبقت احكامه على الاصول قبل حدوث الجرم .

«٩» الاصل براءة الذمة . فكل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية يعد بريء الذمة الى ان يثبت جرمه . فاذا دعت الحاجة لالقاء القبض على احد قبل المحاكمة وثبوت الجرم فعلى القانون ان يمنع كل شدة وقسوة لا تفيدان في معرفة ذلك الرجل

«١٠» لا يؤاخذ احد اصلاً عن آرائه وافكاره ولو كانت فيما يتعلق بالامور المذهبية والمسائل الدينية . الا اذا كان التظاهر بمثل هذه الآراء والافكار يخل بالراحة العامة التي تكفل بها القانون

«١١» حرية بث الافكار والآراء من اجل حقوق الانسان واثمنها. فلكل فرد من افراد المجتمع الحرية الكاملة بان يكتب ما يشاء وينشر مايشاء ويتكلم بما يشاء

غير ان سوء استعمال هذه الحرية داعٍ للسؤال والمؤاخذة عَلَى مقتضى الشروط المصرح بها في القانون

«١٢» لا بد من قوة عامة (يريد بها الجند) لصيانة حقوق الناس وابناء الوطن وهـذه القوة معدة لحفظ منافع الامة جمعاء لا لحفظ منافع الذين انيطت بهم ادارة هذه القوة ! ..

«١٣» لا غنى عن تكاليف عامة لادارة تلك القوة وتدبير شؤون الملك . ومن الواجب ان توزع هذه التكاليف عَلَى جميع ابناء الوطن كل بحسب قدرته واستطاعته

«١٤» يحق لابناء الوطن البحث في لزوم هذه التكاليف وتحقيقها اما بالاصالة او بالنيابة . ومن حقوقهم الاقرار عليها ومراقبة صرفها في وجوها وتحديد مقاديرها ومدة دوامها وتعيين طرق جبايتها ..

«١٥» من حقوق الهيئة الاجتماعية مراقبة العمال ومناقشتهم الحساب فيما يأتونه من جميع الاعمال

«١٦» اي هيئة اجتماعية لا تصان فيها حقوق الانسان ولم توزع فيها القوى العامة « التشريعية والعدلية والاجرائية » فليس لها دستور

«١٧» الملك حق جليل لا يقبل الغصب لذلك لا ينزع من احد ماله بتاتاً . واذا مست المصلحة العامة لاستملاك بعض الاملاك فمن الواجب ان تكون ضرورية ويعطى ثمنها لصاحبها

مروج عبد الوهاب

مصالح الابدان والانفس

تابع ما في الجزء الماضي

القول في الشراب

الطعام عامته جسم ارضي يحتاج الى ما يرقق اجزاءه ويهيئه للقوة الهاضمة وحقيقة الشراب هو الشيء الذي اذا طبخ صار جميعه بخاراً بلا ثقل كالماء فاما ما يبقى له ثقل او ينعقد منه شيء اذا طبخ فهو بالطعام اشبه واوفق الاشربة التي يكثر استعمالها السكنجبين العسلي لان فيه قوى العسل والخل ، ولهما الجلاء والتحليل ، وعلى هذين المعنيين مدار افضل المعالجات فان الاشياء التي تحفظ الاجسام وتمنع من العفونة والفساد هي الخل والعسل والملح والصبر فقد اجتمع في السكنجبين شيئان من هذه الاربعة

القول في المشمومات

كما ان الماء ليس يغذو بنفسه ، وانما هو مركب للغذاء كذلك الهواء لا يغذو الا بما يستصحبه من الرائحة الطيبة وكذلك وقع المشموم في باب حفظ الصحة ويجب للحكيم ان لا يترك الانتفاع بالروائح الأرجة وان يجعل استعمالها غبا لان للمشمومات قوى مفرطة في الحرارة والبرودة فربما ضرت مداومتها فلأن حاسة الشم اذا انغمست في الروائح الطيبة كلت عنها وفترت لذتها منها كالعطارين والدباغين في القيدين ولا يدني المشمومات الى انفه ادناء كثيراً لغلبة الكيفيات بل يبخر له المجلس وثيابه ويجمع من المشمومات رطبة كانت او يابسة طبائع مختلفة لتكون اقرب الى الاعتدال واعون على الاستكثار فان التركيب الذما استعمل في الاطعمة وانفع ما استعمل في الادوية كالأيارجات ونحوها

القول في النوم

من كان ارطب بدناً كان النوم عليه اغلب والمشايخ اكثر نوماً الا ان رطوبتهم ليست اصلية فضعف لذلك نومهم واضطرب وهو من الاقوات الطبيعية الا ان الاكثار منه يرخي البدن ويهيج الوجه ويكل الحواس ويملأ الاعضاء فضولاً ويفتر الحركات وربما كان سبباً لعفونة الاخلاط واضعاف الحفظ والفهم والذكاء ، والحاجة اليه في الصيف

اكثر لغلبة الحرارة واليبس فيه ولطول نهاره وكثرة التعب بحركات اليقظة فيه وهو في الربيع مستلذ وفي الصيف علاج ويجب ان لا يلحق المرء نصف الليل الا وهو نائم فهو حقيقة الليل واستحكام الظلام وان امتد به السهر فلينم في السحر وقبل طلوع الفجر فان اتصال اليقظة ليلاً ونهاراً ليس بصالح والنوم في اول النهار خطأ لانه وقت الانتشار وحركة الحيوان فالنوم فيه تنكيس للامور الطبيعية عن جهاتها وكذلك آخر النهار ، لانه ينقص نوم الليل ويفسده والليل افضل الاوقات للنوم ويحمد النوم عند الغم والخوف لانه يقلل الحرارة التي يهيجانها ، وتقدير زمان نوم الحكيم ، الثلث من جميع ساعات الليل والنهار ولا يلزم شكلاً واحداً في النوم فربما اضطر الى غيره ولا يوقظ الانسان بازعاج فان نفسه تموج واعضاءه تسترخي عند نومه ، فكل شيء من الافعال الطبيعية فيجب ان يكون الانتقال منه الى ضده بتدريج وترتيب وليكن النوم بالليل عَلَى فراش وثير والجلوس بالنهار عَلَى مقعد وطيء

فصل في الباه

ينبغي تجنبه في حالي الخواء والامتلاء وحال الامتلاء اسلم ، وفي حال الغم والحزن وان تكون التي تواقع محركة النفس بنشاط او غضب فان ذلك يوجب ذكاء المولود وليجتنب مجامعة العليلة والفاترة النفس والمسترخية البدن والمغلوبة بالنوم فان ذلك يوجب بلادة المولود ..

القول في الحمام

وهو من اشرف مرافق الابدان ومعاون الصحة لانه يجمع الماء الحار ، والهواء الحار فيفتح المسام ويخرج الرطوبة النجة المتولدة عن فضول الاغذية التي مقامها في البدن مؤد الى العلل والاسقام وهو يجمع الى نقاء البدن من داخل نقاءه من خارج وتنظيفه من الادران وفيه لذة نفسانية لان النفس مجبولة عَلَى حب الزينة والنظافة وكلما كانت الطف كان هذا الطبع عليها أغلب ، ففيه لذتان للنفس والجسم ، واكثر نفعه لاصحاب الابدان المتخلخلة ، وربما ضر اصحاب الابدان المستحصفة لانه يثير الابخرة ثم يمنع الاستحصاف من خروجها الا باطالة مكث في الحمام يحل القوة ويكرب ويضعف ويجب اجتنابه في الصيف او تقليل اللبث فيه جداً واصلح الاوقات له الغداة لانه بعد ثقل النوم وبرده ورطوبته ، وليجتنب عَلَى الامتلاء فانه يثور ما في المعدة والجسم محتاج الى التسكين في

ذلك الوقت ليتم هضمه وربما احدث ضرراً عظيماً ، ويهجر بعقب الجماع والتعب والاستفراغ وهيجان الاعراض النفسانية ولا يستعمل الغذاء بعد الخروج منه ولا الركوب والتعب الا بعد راحة او نومة لانه يثور الاخلاط . فتحريك البدن قبل ان تستقر طبيعته قرارها ضار مخوف العاقبة ، ويجب استعماله غباً فانه ادوم للذمة واعدل لنفعه

القول في الحركات الرياضية

الرياضة من اشرف العلاجات وقد نرى اصناف الحيوان تستعملها وتختلف في الطيران والمشي غير طالبة لشيء من مأكل او مشرب غير الحركة فقط . وقد نرى الماء الجاري بعيداً من الفساد . والراكد كثير العفونة ولذلك صار المترفون يدفعون الى امراض مزمنة كالنقرس وغيره ، والانسان خلق خلقاً متحركاً مشاء بالطبع فاذا عطل نفسه مما خلق له اداه ذلك الى المرض ولا يسرف في الحركة فان افراطها اسرع في توليد الامراض ، والملوك احوج الى الرياضة من العوام لكثرة تودعهم ولاختلاف الاطعمة والاشربة عليهم ، فاما العوام والسوقة فهم في رياضة دائمة ، وافضل الحركات حركة المشي وحركة الركوب دونها ويجب ان يحرك البدن على الدابة ، ومن الحكمة ان ينزع الانسان في القوس الشديدة نزعات كل غدوة ونعم الرياضة لاهلها اللعب بالصوالجة ويجب ان يبدأ الانسان بالرياضة ثم الاستحمام ثم السكون ثم الاكل ثم النوم ثم الشرب ، ومن لم يتهيأ له المشي والركوب ، فالكلام والمحاوثة فقد قيل ان الكلام الكثير يهزل البدن ومن اجل ذلك يؤمر صاحب المرض الحاد بالاقلال منه ، وتجتنب الحركة بعد الغذاء وفي وقت اشتداد الحر لان غلبة الحر تحلل القوة الغريزية

القول في التغميز

هذا احد المعاون في حفظ الصحة ولا سيما بعد التعب والحركة والخروج من الحمام ومن الدليل على الانتفاع بالتغميز واخراجه الابخرة وتفتيحه المسام استدعاء الطبيعة الحل لابراز البخار الذي يحتقن داخل المسام واستعمالها التمطي والتثاؤب لذلك ولا سيما عند حركة الحمى وامتلاء البدن من الفضول والتمرخ لمثل ذلك لا يكون التغميز بخرق بل برفق ولا في حال امتلاء

القول في السماع

يجب ان يميل الملك من السماع الى ما يوقر ويرزن دون ما يخفف لئلا تقع الابصار منه على ما ينقص الهيبة وان مالت نفسه الى ذلك كان في حال خلوة

القول في الادوية

الادوية كلها مضادة للطباع والقوة تجاهدها فلذلك يجد البدن بعد الاستفراغ ما يجده المستريح من التعب ، وفعلها في الابدان اذا كثرت كفعل الصابون ينقي ويخلق وهي ان وافقت فضلة اخرجتها والا اخرجت الرطوبة الغريزية فكان ضررها بذلك عظيماً والابدان المتخصفة التي لا يسهل خروج الابخرة منها احوج الابدان الى المداواة ....

فصل في الحرارة

لا تجوز المداواة في صميم الحر لان الغريزية تضعف في عمق البدن وتبرز الى ظاهره فلا يجوز ان يجمع عليه الضعف من هذا الوجه ، والضعف بالاسهال والحرارة اذا ثبتت في ظاهر البدن جذبت الاخلاط الى خارج ، والدواء يجذبها الى داخل فتجري بينهما ممانعة وتتعب الطبيعة ولا يؤمن معها مضرة شديدة ولا في صميم البرد لان الاخلاط جامدة عسرة الحركة فربما كان في مجاذبة الادوية لها سحج واضرار بالآلات الغذاء

فصل في العلاج

يجب ان يكون العلاج بما يدخل في باب الغذاء اكثر منه بما يدخل في باب الدواء لان الغذاء شكل ، والدواء ضد . وان يختار الاسلم منهما وان كان نفعه اقل ، فتدارك التقصير اهون من تدارك الافراط وتدارك الحمية قبل الدواء بيومين او ثلاثة ويجتنب اللحم لانه يملأ الاوعية وغيره مما يولد السدد والحامض لانه يخشن . فربما احدث الدواء بعده سحجاً بل تستعمل قبله الاغذية الخفيفة الدسمة الخفيفة لتجلو المجاري وتسلسلها ويتبع الدواء بحمية ايام لتثوب الى البدن قوته ويجتنب بعده التخليط فان الشيء الضار على النقاء .... نقاء اشد ضرراً

فصل في اخراج الدم

يحسب الانتفاع باخراج ما له كيفية رديئة من الدم يكون الاستضرار باخراج النقي الجوهر منه ، واذا بتبيع في جوف العروق لم يشف الا اخراجه بالفصد واذا كان في خارج العروق نفعت منه الحجامة والصبي والشيخ يضعفان عن الفصد والاكحل عام النفع لجميع البدن والقيفال لاعلاه والباسليق لاسفله ويجب اخراج الدم على ثلاثة وجوه اما

غلبة الكمية بغير كيفية فاسدة وعلامته ثقل البدن وحكة ليس لها لذع شديد او لفساد الكيفية بغير كمية فيكون مثل الماء الذي يغلي عَلَى النار ، وعلامته حرقة الجسد و يثور لذاعه او تغلب فيه الكيفية والكمية فتمكن منه العفونة والاستحالة وعلامته مجاوزة الاعراض التي ذكرناها الى توليد الامراض . والحمايات والاورام ، والصنف الثاني يخرج منه القليل وربما اغنى فيه التسكين والاول اكثر والثالث يخرج منه كل ما تحله القوة ويقدم الفصد قبل الدواء لان الاخلاط الاخر متشبثة بالدم فربما اغنى اخراجه عن المسهل وليكن الاقدام عليه وقت استحكام قوة البدن ويمتنع بعد الفصد من الاغذية التي تولد السدد والكيموس الردي كالبقول والفواكه ويجتنب عَلَى حال خواء اوامتلاء او خمار او جماع او تحرك بعض الاعراض النفسانية

القول في حفظ صحة الانفس

ينبغي للعاقل ان يشعر نفسه ان الدنيا مبنية عَلَى الشوائب والتكدير فلا يطلب منها ما ليس في طبيعتها و يستعمل التغافل وترك الاستقصاء و يروض نفسه عَلَى احتمال صغير ما يضجر فانه تمرين عَلَى احتمال الكثير ومن التدبير البليغ ان يعرف الانسان وزن نفسه ومبلغ استقلاله وقوة قلبه فيكون ما يخاطر في طلبه و يغرر له من مآربه بحسب احتماله فان راحة القلب وطمانينته مع الاقلال خير من ضده مع ضده والانسان يقبل من غيره اكثر مما يقبل من نفسه ولذلك يجب ان يكون مع الملك طبيب لاخلاقه كطبيب الجسم يذكره و يعظه في اوقات الخوف والغضب

فصل آخر في الخوف

الخوف هو ابعد واسهل والفزع لما هواقرب او اشد فلذلك كان الخوف مقدمة للفزع والجزع اشد الحزن فهو من الحزن كالفزع من الخوف

فصل في الغضب

ينبغي للعاقل ان لا يفارقه من قد اطلق له وعظه وتذكيره في اول اهتياج الغضب عليه وان يتصور ان الغضب كالنار اولها سريع الاطفاء وآخرها كثير الضرر فليقصد لقمع غضبه من اوله كما يكبح الفرس في اول جماحه وليتذكر فضيلة الحكم وشرف الكظم وما حازه الحلماء من حسن الذكر و يفكر في ان شدة الانتقام وسرعة المؤاخذة تنفر قلوب الخدم وتكسب الاحقاد والضغائن وتفسد طاعة المحبة وتنقلها الى طاعة الرهبة والذين

يطيعون الرئيس بالمحبة حراسه من حيث يعلم (ولا يعلم) والذين يطيعونه بالرهبة يحتاج الى الاحتراس منهم وما احسن قول بعض الملوك (ما غضبي عَلَى من املك ولاغضبي عَلَى من لا املك) ويجب ان يفكر في انه لا يكاد يعاقب الا عَلَى ما فيه جنس منه ومن عاقب عَلَى ما يأتي مثله او بعضه فليس بمنصف و يذكر نفسه حرمات المغضوب عليه ووسائله او ما يرجو من مستأنف خدمته وما يستخلصه الحلم من طاعته ومناصحته ويجب ان لا يقع بصره عَلَى من اغضبه الى ان يسكن غضبه

فصل في الخوف والفزع

ليس شيء يخاف منه الانسان كخوفه عَلَى نفسه من التلف والالم ومنه شيء يكون عَلَى البديهة لرقة الطبع وسرعة استحالة النفس وهذا لا حيلة في دوائه ويجب ان يفكر الخائف في قولهم اكثر الروع باطله فان الحكماء شبهت الامور المخوفة بالضباب الذي يتولد عَلَى وجه الارض فيتخيل الانسان من بعد انه جسم كثيف ليس فيه متنفس ولا مخلص للبصر فاذا افضى اليه وجده شبيهاً للهواء الذي فارقه وشدة الخوف ربما اذهل عن الحيلة للخلاص مما يخاف فيكون الخوف داعية ما يخافه الانسان والعاقل لا يستجيز مثل هذه الحال ويجب ان يفكر في ان الخوف والجزع من خور النفس وانهما خاصة للصبيان والنساء فيغضب عَلَى نفسه من ان لا يكون فيها من الجلادة والصرامة ما ينفي هذا العار عنه فليس شيء ابلغ في التشجيع من قوة الانفة . ويفكر في ان الخوف فعل الغر الذي لا يعرف حقائق الاشياء ولذلك خوف الصبي اكثر وخوف من لم يشاهد الحروب والقتلى اوفر ولو قد تحقق الصبي من حال الاشخاص التي يفزع بها ما تحققه البالغ العالم لما خافها وقل اكتراثه لما وخوف الصبي والجاهل كخوف الطير من الشبح الذي ينصب لها عَلَى الزرع ولو تحققت كيفيته لاقدمت عليه وكنفار الخيل من الاشخاص التي لم تألفها حتى تؤنس بها فابلغ الادوية في ازالة الخوف الاستكثار من العلم والمعرفة بحقائق الاشياء وتعويد حاسة السمع والبصر ملابسة ما يهول ويجب ان يخرج اولاد الملوك الى معارك الحروب لتهون عليهم الاهوال فان الاطباء الذين يباشرون الكي والبط والملاحين الذين قد تمرنوا عَلَى الرياح العواصف والامواج المظائم يقل ارتياعهم لما يشاهدون من ذلك ولذلك يرتاع الانسان للمرض اول ما يناله ثم ينوبه دفعات فيألفه فيقل استيحاشه منه والجاهل تروعه الكسوفات والعالم العارف باسبابها واحسابها قليل الارتياع منها وهذا مثل لغيره

فصل في الحزن والجزع

الجزع اشد الحزن وهو كالنار الملتهبة والحزن كالجمر الباقي بعد سكون اللهب وكأن نفس الانسان التي هي نور بدنه وضياء جسده في حال الغم والحزن . شمس كسفت وهو يفعل ضد المسرة فان وجه المسرور مستبشر بهي مشرق والحزن لفوت محبوب كما ان الخوف توقع مكروه والحزن ابداً لما مضى والخوف لما يستقبل والحزن المجهول السبب يرجع الى الاعراض البدنية وتولده عن كدر الدم او برده ومن ادويته النفسانية احداث السرور بالمحادثة والمؤانسة وينبغي للمحزون ان يتذكر ما بقي له من قنيته (؟) فان ذلك يسليه عن المفقود ويتصور كثرة الاسى له ففي ذلك سلوة ويتصور ان الحزن يبل كل يوم وينقص فان التفكر في ارتفاع المكروه وتقصانه يعقب سروراً عاجلاً .

القول في الوسواس

هذا منه جنس من قبل الطبع وما يقع في المولد وهو الزم واسلم من الغريب الطاري والوسواس على نوعين نوع فيما يرجى ونوع فيما يخشى فالذي يرجى كالمستهتر بمعشوقه فلا يعرف غير صياغة الاماني فيه والاشتغال عن اكثر اعماله به . والذي يكون فيما يخشى فانه يوهم الانسان الشيء يخافه وهو بعيد عنه مقام القريب منه . فلا يزال نصب وهمه فكأنه يلاحظه ومتى اراد الاشتغال بغيره طفرت نفسه اليه . ومن شأن من هذه حاله انه اذا عرض له امر من الامور يمكن ان يتصرف على وجهين لم يذهب وهمه الا الى ما هو اصعب واخوف دون ما هو اسهل وارجى ومن الاعوان على ازالة هذه الافكار ترك الانفراد فان الوحدة تهيج الفكر لا سيما اذا كانت النفس ذكية رقيقة الطبع . وانما تحمد الوحدة لذي سلطان يخلو بالفكر في تدبيره او لعالم يخلو باستنباط حكمة او لناسك يتفرد بمناجاة ربه وما خلا هذه الوجوه من ابواب التفرد مذموم . وعلى ان الله عز وجل خلق الانسان يحب الأنس والاجتماع مع اهل جنسه فليس يسد ذلك عن هذا الطبع الا من عرض له نقص في طباع الانسانية ومناسبة السباع وهو خلق موجود في الحيوان الذي طبعه افضل واسكن كبهائم الانعام والطير وضده موجود في السباع من الصنفين ولذلك قيل ان الواحد شيطان ويجتنب الفراغ كتجنبه الوحدة ويصرف الفاضل من اوقات زمانه عن شغله الى قضاء اوطاره من اللذات والسماع المحرك لقوى النفس والنظر الى

الصور الجميلة والاستجداد منها ليكون اشغل لقلبة واغلب على فكره والآن من طباع صاحب هذا العرض ان يكون ملولاً ومما يستعان به على صرف هذا الفكر الجليس الذي يثق به ليعرفه بطلان ما يتخيل له من الفكر الرديئة واذا علم من نفسه ان هذا خلق وقع له بالطبع الاقدم والمزاج الاول كان اخف لغائلته واقل الاشتغال بسره بهومما يزيل كثيراً من الاستشعار التعويل على صناعة النجوم وما تشهد به من السلامة فانها صناعة شريفة قد استعملتها الامم المتباعدة البلاد واتفقوا مع اختلاف ديارهم على صحة اصولها وتجربة فروعها فلا يجوز ان يكون اتفاقهم عليها باطلاً بل عن وحي لا يكذب اوالهام لا يبطل ويجب ان يفكر في ان الله عز وجل لما اراد عمارة الدنيا جعل اسباب العطب ودواعي البقاء والنجاة اقوى من دواعي الانحلال والبوار وهذا امر موجود بالمشاهدة فانا نرى ذوي السلامة اكثر من ذوي العاهات والزمانة . فيكون هذا الفكر اميل به عن الخوف الى الرجاء وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اه

نكارتر (١)

الماسة المفقودة

كان نكارتر البوليس السري المشهور عند وقوع هذه الحادثة في مدينة دانفر من مقاطعة كولورادو · وقد دعاه اليها عمل مهم انجزه فملأت الجرائد المحلية اعمدتها بذكر نكارتر واعماله الغريبة ودار اسمه على الالسنة وتناقلته الافواه

وحين انهى طعام الغداء في احد الايام جلس في الغرفة مع معاونه باتسي واذا بخادم الفندق اقبل عليه وسلمه رقعة زيارة قال له ان صاحبها يود ان يكلمه في الحال فأخذها البوليس وقرأ عليها اسم فيليب دلمار بصوت منخفض ثم التفت الى معاونه باتسي وسأله هل سمعت بهذا الاسم قبلاً · فابدى باتسي اشارة النفي · فتبسم نكارتر وقال اذن فلنغتنم هذه الفرصة للتعرف الى هذا الرجل وقال للخادم ادخله لنرى

وبعد هنيهة اقبل الزائر وهو ربعة في الرجال قد لوحت وجهه اشعة الشمس وكانت حركاته العنيفة تدل على انه عرضة لاضطراب وانفعال شديد حتى انه لم يفكر بتحية البوليس عند الوصول بل صرخ قائلاً : يجب ان استعيد ماستي المفقودة المدعوة (عين الشيطان)

فاجابه نكارتر · — ذلك مما لا ريب فيه

فقال باتسي متمتماً — حسناً يفعل هذا الرجل إذا تكلم عن الشيطان ذاته

ولكن الغريب استتبع الكلام وقال يا للغرابة أليس من العجب ان افقد عين الشيطان ماستي الثمينة · فقال البوليس بأن حسناً ولكن اسمح لي اولاً ان اقدم لك نفسي فانا نقولا كارتر من نيو يورك

فعض الزائر على شفته ثم قال :

وانا فيليب دلمار · واذا كنت لم اقم بالواجبات فأرجوك مغفرة لانني اضعت صوابي حين فقدت ماستي العزيزة التي لا يقع غليها ثمن ·

---

(١) معربة عن الافرنسية بقلم جرجي افندي حداد

فقاطعه نكارتر قائلاً : تفضل واجلس ثم قص علينا قصتك بالسكينة التامة فاذا وجدت فيها ما يستحق العناية فانا رهين امرك

فجلس دلمار على المقعد الذي اشار اليه نكارتر ثم القى على باتسي نظر مستفهم وقال اظن ان هذا الشاب مساعدك

— نعم ومن اشد مساعديّ ذكاء ثم بعد ان تعارف الرجلان وتصافحا قال دلمار فلنعد الآن الى حديث الماسة واظن انه يهمك ان تعرف تاريخها قبل ان تدخل في ملكي

— لا حاجة لي بذلك فيكفيني ان اعرف منك كيف ومتى انتقلت هذه الماسة اليك

— انها دخلت في حوزتي منذ سنة تقريباً وكنت في تلك الاونة تاجراً في كلكتا فاتفق لي مرة انني انقذت حياة رجل برهمي له شرف أثيل وثروة جزيلة ودفعت عنه غائلة لصوص داهموه — والست افتخر بشجاعتي — ولكنني اقول اني لحسن الحظ كنت حاملاً مسدسي وانتم تعلمون ان السلاح الجيد يفعل ما لا تفعله البسالة

— ذلك مشهور ولكنه يتوقف على الساعد الذي يدير السلاح

اني اجيب على هذا — وانا بريء من التبجح — انني استعملته بمهارة فائقة . فان اثني عشر لصاً هاجموا البرهمي في ضواحي المدينة ولم يكن هناك سواي فبادرت الى نجدته مع اني لم اكن اعرفه قبلاً ولم احتج في انقاذه الى شجاعة فائقة بل كفى لذلك ان اطلق النار ذات اليمين وذات اليسار وان اعيد حشو مسدسي باسرع ما يمكن فصرعت رجلاً بكل طلق ولا استحق الاعجاب بهذا فان اللصوص كانوا قريبين مني حتى لم يمكني ان اخطئهم فقتلت خمسة منهم ومات السادس اثناء نقله الى المستشفى وفر الباقون هاربين

فابتسم نكارتر وقال له إذن فانا لا اوثر ان انازعك ما دام مسدسك في يدك لانك تبلغ به ما تريد

— دعنا من هذا فلو كان لي جرأة ان استخدم مسدسي منذ ثمانية ايام ما رأيتني اليوم آتياً لازعجك لانني كنت اوقفت كقاتل . ولنرجع الآن الى تتمة الحديث ففي اليوم الذي تلا الواقعة اتاني البرهمي الى مخزني وكان يريد ان يقدم لي هدية دليلاً على شكره فاعطاني علبة صغيرة وقال لي ان ضمنها الماسة المعروفة في الهند بعين الشيطان ثم قال لي ان هذه الماسة ذات قيمة لا تقدر يا صاحبي واشير عليك ان تبارح الهند بعد الآن فحياة الذي يملك هذه الماسة في خطر شديد لان جميع الطبقات في الهند تعرفها

وكثيراً ما اثارت المعارك الدموية في سبيل امتلاكها . ثم ذهب البرهمي وتركني ذاهلاً والصندوق في يدي وعندما فتحته وجدت فيه ماسة كبيرة الحجم جداً لم نقطع بعدو نكاد لا نعرف لها لوناً لشدة صفائها . وعندها لم ادرِ ماذا افعل ولما استشرت كبار الجوهريين في كلكتا واخبروني عن قيمتها الحقيقية بهت عجباً ولم تعد حياة تاجر في الهند تطيب لي فبعت مقتنياتي وعدت الى الولايات المتحدة آملاً بان اقطع الحجر وابيعه باغلى ما يتيسر لي

فسأله نكارتر وهل تقطن في كولورادو

— لا . انني لم اقطن في مدينة بعد لانني لم اترك الهند منذ اكثر من شهر وقد جئت من بوسطون الى كولورادو

قبل ان انزح الى الهند اقمت عدة سنوات في هذه البلدة عساني اوفق الى حشد ثروة فاتخذت اصدقاء كثيرين وفي هذه الاونة لم يسمح لي قلبي ان امر في مقاطعة كولورادو دون ان اذهب لزيارة اصدقائي القدماء

وحين نمي اليَّ ان اثنين منهما يقطنان هذه المدينة القيت فيها عصا التسيار وقد مضى عليَّ هذا اسبوع وفي اليوم التالي من وصولي دعوت صديقيَّ الى العشاء في الفندق فلبيا دعوتي وخصصت غرفة لنا فقط و . . . . إن هذه لصدفة عجيبة اننا كنا جالسين في هذه الغرفة عينها ذلك اليوم المشؤوم

فقال البوليس ان الامر ذو شأن خطير . انك ولا ريب اريت الحجر الكريم الى اصدقائك

— نعم وآسفاه

— اذن فاخبرني بالتدقيق عن المدعوين الذين حضروا العشاء

— حباً وكرامة . كانت المنضدة « الطاولة » موضوعة في الزاوية حيث يجلس المسيو بانسي الآن . وكان الخادم قد وضعها اولاً في وسط الغرفة كما ترونها الساعة ولكنني نقلتها من موضعها لانه كان يمكن القاطنين في الجوار ان يروا كل مانفعله لو بقيت المنضدة في محلها فغيرت وضعها وجلست قرب هذين الزرين اللذين تراهما في الحائط وانت تعلم ان احدهما لاستدعاء الخادم والآخر لانارة المصابيح الكهربائية واطفائها . هذا هو السبب الذي دعاني الى وضع المنضدة هنا قصصته عليك لانك تود ان تعرف كل ما جرى بالتفصيل وعندما وصل اصدقائي الثلاثة نهضنا الى المنضدة

فقاطعه نيكارتر وقال له هل كانوا ثلاثة انك لم تذكر لي حتى الان سوى اثنين منهما

— هذه هي الحقيقة ولكن واحداً منهما احضر معه شريكه الاعمى فجلست قرب الحائط حتى يسهل عليَّ استدعاء الخادم بتحريك اللولب وجلس امامي كراب الرجل الاعمى وكان عن يميني شريكه ماتيو وعن يساري صديقي المدعو دونلسون

— ارجوك ان تعرفني باسماء اصدقائك الاولية

— فرانك ماتيو وجورج دونلسون اما كراب فاظن انه يدعى يوحنا

— فردد البوليس لفظة جورج دونلسون وهو يلتفت الى معاونه باتسي الذي كان الى جانبه ثم سأل دلمار ما هي صنعة هذا الرجل

— يقوم بمشاريع كثيرة يؤمل منها ان يكتشف مناجم غاز

— حسناً كنت ظننت انه هو هو وتراني مسروراً جداً لانني اسمع عنه شيئاً

فتعجب دلمار وسأل نكارتر قائلاً وهل كنت تعرفه قبلاً

كلا ولكنني اود كثيراً ان اتعرف اليه وسنتكلم عنه فيما بعد ٠٠٠٠ ارجوك الان ان تتمم حديثك

والذي دفع نكارتر الى السؤال عن دونلسون هو ان هذا الاخير كان له ضلع في كثير من الجرائم الفظيعة من قتل وسرقة بالتحريض والاغراء دون ان يعلم بها البوليس وكان هذا الداهية المحتال ينسل من وسمانها ولو علم بها البوليس لقادته الى السجن او الى الكرسي الكهربائي (آلة الاعدام)

وكان نكارتر وباتسي هما الوحيدان اللذان قدرا ان يكتشفا اسرار فعلته ٠ ولكنهما لم يكشفا امراً آملين ان يقبضا يوماً على الشرير ويدعماشكواهما عليه بالبراهين الجلية

ثم عاد دلمار واستأنف حديثه فقال : وانتهى العشاء كما تنتهي الولائم في الفنادق عادة وبعد ان رفع الخدم المائدة وقدموا القهوه واللفائف « السكاير » وخرجوا اخرجت الماسة من جيبي ٠ فتناولتها الايدي والكل يعجبون بها وسمع كراب الاعمى ذلك واذ لم يكن قادراً ان يبصرها اراد ان يمسها عَلَى الاقل ٠ وبعد ان جسها وضعها بقربي عَلَى المنضدة ام اني اذكر كل حركة جرت عندئذ فقد نظرت كراب المسكين يقلب وعاء السكر عند ما مد يده ليناولني الحجر الكريم وسمعت تنهده حين وضعه امامي ٠ وبقي عَلَى المنضدة هنيهة يسيرة سألني في اثنائها اصدقائي الف سؤال عن تاريخ هذا الحجر فلم اجد مانعاً من اخبارهم بكل ما جرى فقصصت عليهم كل ما اعرفه من تاريخ الماسة وكيف

اتصلت بي٠٠ قصصت عليهم كل هذا باخلاص و بساطة شأن الاصدقاء

واخيراً فرغت الاقداح فضغطت عَلَى زر الجرس الكهربائي لاستدعي الخادم وكان في نيتي ان اقدم الى المدعوين قدحاً من الكونياك الفاخر ٠ ومع هذا فلم اول اصدقائي ظهري تماماً لانني لم اشا ان أحول نظري عن الماسة ولكن لنكد طالعي ضغطت عَلَى زر الكهربائية وللحال استولى عَلَى الغرفة ظلام دامس لم يستمر بضع ثوان اعدت في خلالها المجرى الكهربائي ولو قدر لي ان اعيش مئة سنة لم انس اليأس الذي اخذ بخناقي عندما القيت نظري عَلَى المنضدة فوجدت الماسة قد اختفت

وحين وصل دلمار الى هذا الحد من حديثه امر يده عَلَى جبهته وانقطع عن الكلام

فقال نكارتر لو لم تأت اليَّ اليوم وتقص عليَّ هذا الخبر لكنت اقول ان احد اصدقائك سرق الحجر

فقال دلمار هذا هو فكري بتمامه

فاجاب نكارتر نعم ولكنك إذ لم تفتشهم حالاً صار الواجب علينا ان نسلم ان اختفاء الماسة سر غامض

فسأل دلمار وكيف هذا انني لا افهم شيئاً

فقال نكارتر ان المسألة واضحة كل الوضوح وهو ان رجلاً يجيد استعمال المسدس مثلك كان من الواجب عليه انَ لا يدع شيئاً ثميناً كهذا يفقد من دون ان يطلق طلقاً او ينبس ببنت شفة بل كان يفتش حالاً في الموضع الذي وضع فيه الحجر فان الحجارة الكريمة لا تسرق نفسها عَلَى ما اعلم

فقال دلمار انني اخبرتك انني حزين لانني لم اعمد الى المسدس فقد اخرجته من جيبي ولكنني لم اطلق النار ٠ عَلَى ان الماسة اختفت كما قلت بطريقة غامضة خفية للغاية فانها لا تسرق نفسها كما قلت وبالتالي فلم اجد طريقة اوضح فيها هذا الابهام

— فاخبرني بالتفصيل والتدقيق عما اجريته عندما فقدت الماسة

— إذن فاسمع اول ما وقعت الحاظي عَلَى ماتيو وكانت يده عَلَى شفتيه تنتزع السيكار الذي كان يدخنه دون انقطاع ٠ وكانت مظاهر الدهش تعلوه فعزوت هذه المظاهر الى ما ناله من سرعة فقد الماسة وكانت يده اليمنى عَلَى المنضدة

وكان دونلدون يرسل اليَّ لحظاً لم يسرني فاشتبهت به للحال ويعسر عليَّ ان اصف هيئته وصفاً مدققاً ولكنني اذكر ما يلي : كانت عيناه موجهتين الى موضع الماسة تواً

وكانت يده اليسرى قابضة عَلَى المنشفة ومضطربة بفعل عصبي ويده اليمنى موضوعة عَلَى زجاجة خمر فارغة وكان جالساً عَلَى كرسيه في المؤخرة بعيداً جداً عن الطاولة . اما كراب الاعمى فكان عَلَى شفتيه كأس ماء وكانت عيناه متجهتين الى القدح ونظرت رماد سيكارته تتساقط عَلَى المنشفة بينما كان يشرب الماء . وكل هذا اذكره تماماً . ثم وضع القدح عَلَى المنضدة وكان فيه بقية ماء اضطربت ثواني قليلة ثم سكنت

— ان وصفك تام مدقق فلننظر الآن في شأن دونلسون وقد قلت لي انه كان بعيداً جداً عن المنضدة

— نعم وكانت نظراته تشف عما في صدره

— يظهر انه اغتنم فرصة الظلام فسرق الماسة البس كذلك

كان ذلك كما تقول . وكان له هيئة تشبه هيئة الثعلب الذي سقط في فخ

— وهل كان جالساً على مقعده بدون اهتمام عندما اظلمت الغرفة

— اظن ذلك

ففكر البوليس لحظة ثم قال

يمكنني ان اتصور الآن كيف جرت الحوادث فان دونلسون نظر اختفاء الماسة

— لا لا قال دلمار وكان يتزايد اضطراب العصبي انا لا اعتقد بهذا ولكنني اظن ان دنلسون هو السارق وهذا الشك يتزايد في خاطري فقال له نكارتر املك روعك فانك قد قصصت عليَّ الاخبار بدقة وتفصيل نادر فلا تشوش حديثك بالاضطراب . فلنفكر بكل هذه الشؤون ولنمعن النظر فيها بهدو وسكينة

فتضجر دلمار وقال سابذل جهدي لاتباع نصيحتك فماذا تريد ان اخبرك الآن

— اريد ان تخبرني ماذا قال اصدقاؤك عندما القيت الشبهة عَلَى احدهم وماذا صنعوا ليعينوك عَلَى اكتشاف السارق

— فقال دلمار انني نظرت الى دونلسون فوجدت الوانه متغيرة لانه لحظ انني اتهمه بالسرقه

فقال لي لا توجه اليَّ هذه النظرات يا دلمار

— انني لا احب هذا النوع من اللهو . قلت هذا بصوت اجش والقيت عليه نظرات لا تسر

ونظرت ايضاً الى مانيو ثم قلت

فلنعاد الي ماستي ان المسألة خطيرة اكثر من ان تجعل موضوعاً للهو والمزاح فالذي اخذ الماسة عليه ان يعيدها حالاً الى موضعها وفي هذه اللحظة دخل كراب في الحادثة وقال والدهشة بادية على وجهه ما هذا وماذا جرى

فاوضحت له بكلمات قليلة ان ماستي فقدت في اللحظات القليلة التي استحوذ فيها الظلام عَلَى الغرفة وان احد اصدقائي قد سلبها وكان هذا الرجل لم يعلم الى تلك الساعة شيئاً من القضية حتى انه ربما لم يشعر بانطفاء النور فكان من الواجب عليَّ ان اوضح الامر وعندئذ اخذ الثلاثة يتكلمون سوية

فقال كل من دونلسون وماتيو انني لم آخذها يا ديلمار بينا كان كراب يقول ان هذا النوع من المزاح مسيء جداً وانه شعر بما لحق بي من الكدر الشديد

و يمكنكم ان تتصوروا ما الم بقلبي من الاشجان . فلم يكن من الممكن ان تتصاعد الماسة في دخان السيكارات . كنا اربعة في الغرفة وإذ لا يحتمل ان اسرق نفسي كان من الضروري ان يكون السارق احد الثلاثة . ان فقدان الماسة اثر بي تأثيراً شديداً ولكن شعوري بان هذا العمل المعيب صدر من احد اصدقائي كان اشد ايلاماً لي .

ولما لم استفد شيئاً من ذلك نهضت ووضعت يدي عَلَى طرف المنضدة وقلت لاصحابي اصغوا اليَّ واسمعوا جيداً انني افادي بكل شيء في سبيل استبقاء اصدقائي القدماء ولكنني مضطر ان اوضح لكم انه إذا لم تعد الماسة في عشر ثوان الى موضعها من المنضدة فانني عندئذ اعتبركم اعداء لي واعاملكم معاملة الاعداء

فلم يتحرك احد منهم

عشر ثوان لا تحسب شيئاً أليس كذلك يا مسيو كارتر ولكنني استطلتها كالدهر وحبست نفسي حتى انقضت المهلة المعينة وكنت قد وضعت ساعتي امامي ولاحظت عقربها وانا ارتعش بنوبة من الحمى

فقال ماتيو انا لا ادخل في دائرة هذا الوعيد ثم رمى لفافته ووضع يديه عَلَى صدره وقال ان هذا العمل الذي جرى لهو مكدر للغاية ولكنني أومل انك لا تعتقد انني قادر ان . . . . .

فصرخ دونلسون وانا ايضاً بريء كل البراءة

وفي هذه الحالة بدأت بالكلام . فقاطعني كراب الذي اثر بي اضطرابه وارتعاشه وقال: انني لست صديقاً قديماً لدلمار فإذا كان فقد ماسته كما يدعي فالاولى ان تقع التهمة عليَّ

فقال ماتيو إذن يكون مجنوناً فكيف يمكنك ايها المسكين ان تسرق شيئاً وانت عَلَى ما انت عليه من العاهات والضعف

فقال الاعمى بلطف من الموكد انني لم اسرق الحجر الكريم ولكن دعوني مع هذا اتكلم انا عارف ان الشبهات يجب ان تقع عليَّ بالاكثر . كما كنت افعل لو كنت موضع دلمار ولهذا فانا ارجوه ان يفتشني

ثم نهض واقترب مني وهو يتلمس طرف المنضدة في مسيره

وكنت اراقب الاثنين الآخرين فلما وجدت انهما لم يتأثرا تلاشت صداقتي لهما ومرت لحظة وزاد في نفسي الريب فقلت لهما : انا اعقل من ان اشك في هذا الاعمى او يخيل لي انه السارق ولكنني اذ رأيتكما لم تتأثرا ولم تتحركا فانا عازم ان اتبع مقالته بالحرف

فارتجف دنلسون وظهر الغضب عَلَى وجهه وصرخ هل تريد ان تشك بي

فقلت له بلهجة الآمر اجلس في محلك وللحال سحبت مسدسي ووجهته اليه وانت تعلم يا مسيو كارتر انني بالمسدس ذاته قد هزمت لصوص كلكتا ولم انس طريقة استعماله بعد ثم ناديت دونلسون اياك والحراك والا فانت هالك لا محالة فسقط على كرسيه وتناول لفافة شعلها ولم يقل شيئاً ثم عرفت بعد ذلك انه لم يكن ناقلاً سلاحاً ناريا وكان ماتيو اعزل ايضاً ولكن كراب كان مسلحاً

فصاح نكارتر آه واي سلاح كان مع الاعمى ان هذا لغريب

— مسدساً من اشهر المعامل

فظهرت على محيا البوليس امارات البغتة

— هذا غريب اليس كذلك وقد فكرت ملياً في معنى وجود المسدس في جيب هذا الاعمى فقال لي وهو يتبسم انه يصحب السلاح ليدافع عن نفسه اذا تعرض له احد وانه كثيراً ما يهزم عدوه باطلاق النار في الهواء . ثم وضع مسدسه على المنضدة وطلب مني ان افتش جيوبه كلها فاتممت ما طلبه بعد ان وضعت مسدسي على مقربة مني ليسهل عليَّ استعماله اذا هم احد الاثنين بنأمة ولكننا لم نصل الى هذا الحد

ولما لم اجد ماستي في جيوب الاعمى اعدت اليه بعض ثيابه التي كنت اخذتها ثم عاد الى موضعه وهو يستعين بالارتكاء على طرف المنضدة والتفت الى دونيلسون وقلت له قد جاءت نوبتك فنهض وهو مصفر كالميت . حتى خيل لي انه لم يبق نقطة دم في عروقه وصرخ ان هذا لا يليق بي انني لم آخذ ماستك وانا لا اسمح لك ان تفتشني

فلم اجبه ولكنني رفعت مسدسي نحوه فتناول زجاجة فارغة من المائدة واراد أن يرميني بها . وكنت اسرع منه فاطلقت النار . فاصابت رصاصتي عنق الزجاجة ومرت بين اصابعه وهو الرمي الذي وجهت اليه الكرة فانكسرت الزجاجة وسقطت كسرها على المنضدة وقد اتممت بهذا الخطة التي رسمتها لنفسي فانني كنت ابغي ان ابين له انني قادر عَلَى قتله فاستمر دونلسون واقفاً عاجزاً ان ينزل ذراعيه وظل قابضاً على عنق الزجاجة باصابعه المتشنجة لان ضربتي كانت قد ارعبته وكان ماتيو قد نهض في هذه الاثناء فصحت به مكانك فلبث صاغراً وعاد الى محله اما كراب فكان يدخن وهو رابط الجاش ساكن كانه لم يسمع شيئاً ثم قلت لدينلسون يجب عليك ان تذعن للتفتيش . وانصحك اذا كنت حريصاً على حياتك ان تنزع ثيابك دون تذمر ولا ممانعة فقد فرغ صبري وضاق صدري

وفي هذه اللحظة قرع الباب ففتحت واذا بخادم الفندق جاء عَلَى صوت اطلاق الرصاص فقلت له ان مسدسي انطلق عرضاً ولم يسبب ادنى ضرر فعاد من حيث اتى واغلق الباب . فقلت لدينلسون بلهجة التهديد اما اذا انطلق عرضاً مرة ثانية فسيردي رجلا منكم

وكان من شأن النظرات التي ارسلتها الى دنلسون ان اقنعته بعزمي فاطاع الامر وبدأ بخلع ثيابه . وبالاختصار فانني جردته من ثيابه ولمست مجاسده بيدي وفتشت جيوبه بدقة ولكنني كدت اجن لما لم اجد شيئاً . وكان دينلسون يخشى ان تأخذني الحدة فتنطلق من يدي رصاصة تكون القاضية عليه

يقولون في المثل ان النتائج الجيدة تحصل في المرة الثالثة ولهذا اوعزت الى مانيوان جاء دورك فجرد ثيابك

وكان يشبه دونلسون بشدة تأثره ولكنه لم يجد مفراً من ذلك فتقدم الى وسط الغرفة وبدأ بنزع ثيابه

فوجدت جيوبه اخلى من جيوب دو نيلسون وعندئذ أخذني دوار شديد شعرت معه ان كل ما في الغرفة يتحرك ويضطرب واستلقيت عَلَى المقعد وقد خارت قواي ولحسن الحظ لم يشعر اصدقائي بما آلت اليه حالتي من الضعف والوهن . وقبل ان يبدأ دونلسون بالكلام كنت شفيت من هذا الدوار

فقال لي دونيلسون بصوت أبح ضع حداً لهذه الوقاحة . ها هنا مدعو لم تهنه بعد

لانك لم تبلغ درجة من القحة تأمره فيها بنزع ثيابه

وعندما اتم دونيلسون جملته نهض كراب وكان حتى الساعة جالساً على كرسيه بسكينة تامة يدخن سيكارته فيتصاعد منها الدخان كما يتصاعد من مدخنة المعمل

فوضع لفافته . . . وانني لا ازال اذكر كيف كان يمر يده على المنضدة ليجد المنفضة ولم يبد عليه اقل انزعاج ثم قال بصوت منخفض انا عالم ماذا يراد مني ولحسن الحظ ان ذلك سهل جداً علي لانني اعمى

وحين قال هذه الكلمات بدأ بنزع ثيابه فآلمني هذا المنظر واخذتني الشفقة على ذلك المسكين وكنت مزمعاً ان امنعه من ذلك ولكن امارات الاستهزاء التي بدت على وجه دونيلسون وماتيو وافتكاري بالسرقة هيجا غضبي فغلى الدم في عروقي وعوضاً ان امانع كراب اوعزت اليه بالاسراع

وفي بضع دقائق كنت قد فتشت جميع اثوابه . ولكن جميع التنقيب الذي أجريته لم يجدني شيئاً وظلت الماسة مفقودة ويصعب علي ان اقول انني كنت آمل ان اجدها مع كراب ولكنني انخذلت ثانية

وفي هذه المرة سمعت صوت دونيلسون وهو يقول بلهجة كئيب :

والآن فانك قد اكتفيت من اهانتنا ففتش تحت المنضدة عساك ترى شيئاً

ولم يكن هذا الفكر قد خطر لي قبلاً . فشعرت بحمرة الخجل تعلو جبهتي واومض لي في ظلمات اليأس برق من الرجاء

وحين ارجعت المنضدة قليلاً كي لا تعيقني في عملي وانحنيت على البساط محدقاً فيه كنت افكر باي طريقة اعتذر لاصدقائي اذ كان من المحتمل ان اكون انا ذاتي قلبت الماسة على الارض حين التفت لاضغط الزر . ولكن يا للأسف انني لم اكد ارسل نظرة الى ذلك البساط حتى تلاشى آخر رجاء ولم اقف للماسة على اثر

وعندها استفزني غضب شديد فاندفعت بحدة شديدة أبحث في جيوب هولاء الرجال الذين اعتبرتهم اصدقائي ودعوتهم ليقاسموني المسرة والصفاء . فذهب كل مابذلته من الجهد ادراج الرياح ولم اظفر بضالتي

وهكذا فان ماستي الثمينة . الماسة التي كنت افتخر بها فقدت ولست ادري ماذا جرى بها

وحين بلغ هذا الحد من خطابه سكت قليلاً واخذ يمسح العرق البارد المتصبب على جبهته ثم سقط على مقعده ذاهلاً وكان قد وقف حين استفزه الحدة اثناء الحديث

— فقال نكارتر انها لقصة عجيبة وانا اود ان اعلم كيف تنتهي فاشار دلمار برأسه وبعد ان تنهد تنهداً عميقاً عاد الى حديثه فقال : ولما وجدت ان بحثي ذاهب سدى استلقيت عَلَى مقعدي خلف المنضدة واذنت لهم بلبس ثيابهم

ولما ابصرت النظرات المخيفة التي كان يرشقني بها كل من دونالسون وماتيو احتطت لنفسي فجلست وراء المنضدة والمسدس في يدي اليمنى

وكنت الاحظ هولاء الرجال وهم يتشحون بأثوابهم ٠ولم يلفظوا كلمة واحدة لانهم عَلَى ما اظن لم يجدوا كلاماً يعبر عما في انفسهم من شدة الانفعال لاهانتي اياهم اذا كانوا حقيقة ابرياء

وانتهى بي اعمال الروية الى الافتكار ان واحداً منهما سلب الماسة باسلوب خفي غامض ومهارة تامة حتى خفيت فعلته عن صديقه الآخر وعَلَى كل فقد وجدت من المناسب ان اسعى لاعادة الصلات الحبية التي كانت تضمنا حتى تلك الساعة فقلت لهم :

يا اصدقائي الاعزاء ان الحادثة التي جرت قد أدمت قلبي ولو علمتم عظم الخسارة التي حلت بي لصفحتم لي عن المعاملة القاسية التي حزنت لاجلها و٠٠٠

فصرخ دونيلسون بغضب خفف عن نفسك مؤونة الاعتذار فلو جثوت امامي مئة سنة لم يكف ذلك لمحو الاهانة التي الحقتها بي ٠كل علاقة بيننا قد توترت منذ الآن وانقلب الحب بغضاً فاذا صادفتني في الشارع ومسدسي في جيبي فخذ الحذر

فالتفت عندئذ الى ماتيو وكان لونه متغيراً ولكنه كان هادئاً فقال لي «اما انا فلا اتهدد»

لم يقل غير ذلك ولكنني فهمت فكره تماماً وعرفت انه حقود لا يصفح لي عن الاهانة وانه اصبح عدواً هائلاً يخيفني اكثر من دنلسون فما زلت منذ تلك الساعة احاذر ان اوجد في طريقه

اما الاعمى المسكين الذي لم اعرفه قبلاً فكنت لا اعلم باي عبارة اعتذر اليه فجلست عَلَى المقعد ولم اهم بحركة حتى اكمل الثلاثة لباسهم وهموا بالخروج فقال دونيلسون وصوته يتهدج من الغضب : أتأذن لي الآن بالانصراف

اما ماتيو فلم يقل شيئاً بل كان ينتظر كراب الذي تأخر في الاكتساء لضعفه كي يقوده الى خارج الغرفة ٠ ولما استعد تقدم اليَّ ببطء وبخطوات متثاقلة فاراد ماتيو ان يقوده خارجاً ولكنه دفع الذراع التي مدها اليه صديقه وقال له :

انتظرني دقيقة ايضاً يا فرانك

ثم خاطبني قائلاً :

ان هذه الحادثة قد ازعجتنا جميعاً ولكنني لا احقد عليك لانني اقدر ان اتمثل حالة نفسك فانا مغتم غير انني ارجوك ان لا تظن بي سوءا

وهذه الكلمات التي لفظها ذلك المسكين اذابتني خجلاً لانني لم اكن مستحقاً هذا التلطف بعد ان عاملته بخشونة كما عاملة رفيقيه فاجبته

تأكد يا مسيو كراب انني كنت راغباً ان لا افتشك لولا اصرار دونلسون

فقال الاعمى لا شك عندي بذلك ومهما يكن من الامر فاني لا اطوي لك ضغينة في صدري

ثم مددنا يدينا وتصافحنا مصافحة الاخاء وبعد ان حييته واجاب تحيتي قال :

لي اليك كلمة ايضاً وبعدها اذهب : ان الحادثة التي جرت في هذه الليلة قد ضيقت صدري فادركني بقدح من الماء فلم استغرب هذا الطلب لان حلقي كان يلتهب من الظمأ فقلت له ان آنية الماء قد انكسرت فهل لك في قدح خمر او غيره من المشروبات

فقال شكراً لك اذ لا حاجة لي بذلك . ولكنك تجد بقية ماء في قدحي

فاخذت القدح وناولته اياه

فشكرني وهو يأخذ القدح وبعد ان شرب السؤر وضعه على المائدة وتأبط ذراع ماتيو وخرجا سوية من الفندق وكان ينوي ان يكلمني فوقف الكلام على شفتيه

ثم سقطت على مقعدي خائر القوى واحاقت بي ظلمات متراكبة من اليأس

وان الفكر الذي كان يدور في خلدي من ان السارق احدهؤلاء الثلاثة لم يبارحني لحظة . وكانت شبهاتي تقع على دونلسون ومع هذا فلم ار بداً من التسليم انه من المحتمل ان يكون الثلاثة شركاء في السرقة قد اتفقوا من قبل ان يلعبوا بي هذه اللعبة المشومة فقلت اذا كان الامر هكذا فانهم لا يلبثون بعد خروجهم من الفندق ان ينشقوا او يتنازعوا وللحال نهضت ومشيت على اطراف اصابعي دون ان احدث اقل صوت ومشيت في الرواق فادركت ماتيو وكراب في منتصف السلم وظلا صامتين لم يلفظا كلمة حتى بلغا الباب الخارجي . فعندئذ قال ماتيو لكراب

ها هنا عربة وساعينك على الصعود اليها واعين للسائق المحل الذي تروم ان تبلغه . واما انا فلا اود ان ادخل البيت حالاً لانني ما زلت متهيجاً جداً

فاجاب الاعمى حسناً انني اعرف ذلك ولكن اياك ان تأخذك الحدة والطيش بسبب هذه الحادثة اسمعت يا فرانك

فلم يجبه ماتيو

ثم نظرت كراب يصعد الى العربة وصديقه يري السائق الجهة التي يجب ان ينحوها فسارت العجلة من الوجهة المعينة وسار ماتيو في الجهة المعارضة حيث كان دونيلسون ينتظره على كثب

وبقي الرجلان اللذان لم يربانى صامتين بضع دقائق وأحدهما بجانب الآخر ثم شرعا بالكلام معاً وكانت جملهما واحدة تقريباً

— هل انت أخذت الماسة يا جورج (سأل ماتيو)

— هل انت اخذت الماسة يا ماتيو (سأل جورج)

ان صدور السؤالين في وقت واحد وبتركيب واحد تقريباً لم يغير شيئاً من جد الرجلين · وكان دونلسون اقل صبراً من رفيقه فاجاب قائلاً

أوكد لك انني لم آخذ الماسة

فقال ماتيو ولا انا ايضاً · وليس في وسعنا ان نقول ان كراب هو السارق لاننا اذا فرضنا انه هم بذلك فان عاهته تمنعه ذلك

فاجاب دونلسون وانا اسلم بذلك ولكن ما هي هذه اليد الخفية التي سرقت تلك الماسة الشيطانية

فقال ماتيو يظهر ان دلمار خولط في عقله فلا يبعد ان يكون وضع الماسة في جيبه واظن انه سيجدها بعد ان يملك روعه

فصرخ دونيلسون انني ادفع مئة ريال عن طيب خاطر اذا صح افتراضك ووجد هذا التعيس ماسته في جيبه

فسأله ماتيو أيسرك ذلك ولماذا

فاجابه دونيلسون الست تعرف لماذا ؟ قالها بلهجة تهديد مخيفة حتى انني ارتعشت رغم ارادتي

ثم تمم حديثه قائلاً : لانني بعد ان حدث ما حدث الليلة اريد ان اعرف موضع الماسة حتى احول ظنه الى حقيقة

فقال ماتيو هذا ما اقصده لاني اذا قدرت ان اغرمه جزاء العار الذي الصقه

بنا فانا لا اتاخر عن ذلك · فاتبعني الان يا جورج لتروي ظمأنا الشديد

وعندئذ سار صديقاي القديمان وذراعهما متلفتان احداهما على الاخرى

وانك ترى الآن يا مسيو كارتر انني قصصت عليك الحادثة بتفصيلها ولم اسقط حرفاً واحداً · وبذلت الجهد حتى لا ادع شيئاً دون ان اقصه عليك ولم اهمل امراً لم انبئك به ولو كان طفيفاً في الظاهر لانني اخشى ان يكون ذلك الامر مفتاح السر

وهنا سكت دلمار كمن انهى حديثه

فسأله نيكارتر قد مر على هذه الحوادث اسبوع اليس كذلك ؟

= نعم

= وانا اظن انك لم تفتر عن السعي في خلال هذه المدة لاستجلاء الغامض

= انا ·· كنت جننت لو لم ادأب في السعي

= إذن فقل لي ماذا صنعت

= انني ساشرح لك ذلك بجرية تامة فقد تدرجت في الشوارع بحالة تشبه الجنون وقد ظهر لي انه من الممكن ان اكون انا نفسي قد وضعت الماسة في جيب من جيوبي فعدت مسرعاً الى حيث تناولنا طعام العشاء · وابتدأت افتش نفسي بدقة لا مزيد عليها فقلبت جيوبي جميعها ومزقت بطانة اثوابي وعريت من كل لبسي حتى صرت في حالة جدينا الاولين · وان خجلي من قص ذلك عليك لا يوازي خجلي من إخفاق مساعيَّ · فقد اختفت الماسة ولم اقف لها على اثر

ولم اكد اتمم لبس ثيابي حتى قرع الباب ففتحته وإذا بخدام الفندق قادمين ليرتبوا الغرفة وبينا كانوا يدأبون في عملهم كنت اراقبهم بمزيد الانتباه واقول من المحال ان لا يجدوا الماسة

ولما انجز الخدام عملهم ولم يجدوا شيئاً خرجت اتجول في الشوارع وظللت نحواً من ساعتين · وكان الوقت الساعة التاسعة ليلاً · ثم وقفت بغتة لارى الجهة التي اسلك فيها وتطلعت فاذا انا امام مركز البوليس فهممت بالدخول لاقص عليه الواقعة · وبعد ان فكرت بهذا علمت ان لا رجاء لي بمساعدة البوليس العادي في هذه المسألة الغامضة · اذ ليس في يدي برهان يؤكد حدوث السرقة · ان الماسة فقدت دون شك ولكن بعد المبحث المدقق الذي اجريته لم اجد مجالاً لاتهام ضيوفي ·

فاتممت نزهتي منفرداً وكان يأسي يزداد من حين الى آخر وكنت اعزي نفسي بان

فقدان الماسة لم يجعلني مملقاً فما زالت ثروتي في كلكتا ولكن هذه التعزية كانت تزول حين كنت افتكر اني خسرت بضياع الماسة نحواً من نصف مليون دولار . ولا سيما عندما افتكر ان هذه الثروة الواسعة فقدت في بضع ثوان

فسأله نيكارتر وهل اخبرك الجوهريون في كلكتا انها تساوي هذا الثمن الفاحش

= نصف مليون ؟ هذا موكد وهو ليس بثمنها الفاحش بل المعتدل . وقد اخبروني ان الماسة اذا قطعت قطعاً لا يشوبه خطأ فان ثمنها يرتقي الى ثلاثة اضعاف هذه القيمة

= اذن فانت تعتقد ان عين الشيطان تستحق العناء الذي ستصرفه في البحث عنها

= آه يا موسيو كارتر وهل تريد ان تتولى امر البحث عنها

= عَلَى الارجح ... ولكنك لم تقل لي بعد ماذا فعلت ولعلك قد عثرت عَلَى اثر يدلك عَلَى مكانها

= قد حزرت يا مسيو كارتر قد عثرت عَلَى ادلة عديدة ولكنك تعرف مبلغها من الصواب اكثر مني

بعد ان ادرت ظهري لمركز البوليس اتممت المسير فاجتزت المدينة وقبل الساعة الحادية عشرة وجدت نفسي امام محطة السكة الحديدية وابصرت عربة مقبلة تقل مسافراً . ولما وصلت قفز السائق الى الارض وساعد الراكب عَلَى النزول ولم يكن هذا الراكب سوى كراب الرجل الاعمى

فصرخ نيكارتر يا للعجب

فتبسم دلمار عندما سمع ذلك وقال

ربما افتكرت انه اراد ان ينجو بالسرقة وانا اعتقد انه ربما كان هذا ممكناً وربما كان من الواجب عليَّ ان استعمل المسدس ولكن إصغَ : انني رأيت السائق يأخذ خريطة كراب من العربة ثم امسكه بذراعه وقاده الى غرفة الانتظار . فكنت لها الزم من ظلهما

ثم اخذه الى حيث قطع جوازاً الى بوبلو وكنت خلفه فسمعته يسأل المأمور عن ميعاد سفر القطار فأجابه سيقوم القطار الاول الى بوبلو بعد عشر دقائق

وفي هذه الاثناء كان السائق واقفاً وراء كراب ليقوده الى القطار وعندما اجتازا غرفة الانتظار أعوزتني السكينة ولم اتمالك نفسي فعارضتهما في الطريق

وقلت له وانا اشتعل من الغيظ

أسعدت صباحاً يا مسيو كراب

فحدق بي الاعمى وادار نحوي عينيه وظهر عليه انه عرف صوتي فقال — وهو يتردد في القول :

يظهر لي اني اعرف صوتك · الست المسيو دلمار · فهل خدعني سمعي

فقلت له انا هو

— إذن فقل لي بالله هل وجدت اثراً لماستك تهديك لمخبأها

— فقلت لا وكنت اراقب ماذا يكون تأثير جوابي فيه

— ان هذا مكدر جداً · ان هذه الضربة هائلة

— نعم ولكن ليس في وسعي الا ان اتلقى مصيبتي بالصبر · والآن فاني اراك عَلَى وشك السفر

نعم وآسفاه فانني وجدت في منزلي عند رجوعي اليه هذا النبأ البرقي الذي اجبرني ان اسافر مع القطار الاول

ودفع اليَّ النبأ حين طلبته منه وانا اعترف لك انني لم اتردد بل قرأته بمزيد السرعة وكان من بو يبلو وهذا نصه حرفياً :

« اختك عَلَى فراش الموت عجل بالحضور · — الطبيب ا · م · غوردون »

فعزيته بكل ما حضرني من عبارات التعزية

فقال لي : منذ مدة كنت اتوقع ورود هذا النبأ · فوردني اليوم · و بما انني راحل فانا اشكر جميلك إذا انبأتني بالدلائل التي تبدو لك والآثار التي تهتدي اليها وانت تعرف السبب الذي يهيج هذه الرغبة في نفسي

فاجبته متململاً نعم اعرفه جيداً

ثم قال بعد ان اواري اختي المسكينة في التراب اعود الى هنا ولديك عنوان اقامتي فارجوك ان تواصلني بما يجد معك في هذا الشأن

فوعدته ان انبئه بكل ما يحدث

فاستتبع حديثه قائلاً ان اقامتي في بو يبلو ستكون في بيت اختي · فاذا اتضح لك كيف اختفت ماستك او إذا وجدتها كما اتمنى لك — فستكون لك عليَّ يد بيضاء اذا انبأتني عَلَى لسان البرق لانك تعلم انه ما زالت ستور الخفاء مسدولة عَلَى هذه المعضلة

تظل العلائق بيني وبين صديقي ماتيو متوترة وان هذا ليحزنني لانني كنت واياه دائماً صديقين حميمين ·

فهممت ان اخبره بما قاله عنه ماتيو ودونيلسون بعد خروجهما من الفندق ولكنني آثرت الرصانة والسكوت واقتصرت عَلَى نسخ العنوان الذي اعطانيه كراب

وبعد ذلك صافحني وقاده السائق الى الرصيف حيث كان القطار مزمعاً ان يقف· وعدت الى الفندق وفي اثناء عودتي عولت ان اراقب دونلسون وماتيو وعبثاً كنت احاول ان اطرد هذا الفكر عن خاطري وهو ان احدهما كان السارق

وبينما انا اسير صادفتهما في الطريق ولكنهما لم يبصراني فتبعتهما عَلَى بضع خطوات وانا احذر كل ما من شأنه ان ينبههما الى وجودي

وكانا آتيين من النادي دون شك ووجهاهما مقطبان فتبعتهما وما زالا سائرين حتى وصلا الى المنزل الذي يقطنه كراب وكان لماتيو غرفة هنالك ايضاً ففتح ماتيو الباب بمفتاح اخرجه من جيبه ودخل الرجلان

فلم يمكثا اكثر من خمس دقائق

وكنت لحظت ان النور قد اضيء واطفي بسرعة في ثلاث من الغرف او اربع فدل ذلك عَلَى انهما كانا يفتشان عن ماتيو الذي لم يبلغهما بعد خبر سفره الفجائي

فقال ماتيو وهما ينزلان الى الشارع ان القطار قد نحا بوبيلو من ربع ساعة تقريباً فاجابه دونلسون نعم ان هذا الفاجر قد بعد مسافة طويلة فقال ماتيو ولكن لحسن الحظ ان اللحاق به سهل

وهذا كل ما قدرت ان اسمعه من المحادثة وكان من الموكد عندي انهما يتكلمان عن كراب ولكنني لم اعرف هل كانا ينظران ماستي وهما يتكلمان هذا ما اترك حله لك يا مسيو كارتر

ثم دخلا مسرعين الى بيت آخر وقد فهمت بعد ذلك انه مسكن كليبور شريك دونيلسون فلم احفل بهذا الاخير لانني لم اعلم كيف يكون له دخل في سرقة الماسة

فقاطعه نيكارتر قائلاً حسناً حسناً انك انت لا تعرف كليبور ولكننا نحن نعرفه فهو متهم بالتحريض والاغراء على كثير من حوادث القتل والسرقة وهو الآن في السجن ينتظر جزاءه وان علائقه مع صديقك دونيلسون كانت تداني عَلَى ان في حياة هذا الاخير اموراً خفية غامضة ولكن ارجوك ان تتمم حديثك الآن

فاستأنف دلمار الكلام وقال انني انتظرت ساعة قرب بيت كليمور خرج بعدها الاثنان ولكنهما انفصلا في اول عطفة من الشارع فتبعت دونلسون الذي عاد الى منزله . اما ماتيو فلا اعلم اين انتهى به السير ولم انظره بعد ذلك ولكنني ارجح انه ذهب في اليوم التالي الى بويلو ليلاقي كراب هناك

اما دونيلسون فقد اقام عامة اليوم التالي في مكتب المحل الذي يديره هو وشريكه كليمور وفي اليوم التالي نظرت صدفة ان دونلسون أخذ رسالة برقية وبعد ان قرأها ظهرت عَلَى وجهه علائم الاهتمام والتأمل ولم اقدر ان اعرف مصدر الرسالة ولا محتواها ولكنني اعرف انني لم ار دونلسون في اليوم التالي ولما ذهبت في اليوم الثالث اطلبه في محله اخبروني انه سافر الى بويلو . وبالطبع ركبت انا ايضاً القطار الاول وتبعته

فقال نيكارتر انه لفكر في غاية السداد فماذا اكتشفت هناك

— لا شيء في لا شيء اجاب دلمار انني رمت ان اذهب الى المحل الذي اعطاني كراب نمرته ولكنني فهمت انه لا يوجد بيت في المدينة بهذا العنوان . وكان الشارع موجوداً فقط ولكن النمرة التي معي كانت عنوان ارض ما زالت خالية من البناء ولم يكن هناك بيت الى بعد مئة خطوة من جميع الجهات

فقلت لعلني اخطأت في نسخ النمرة فسألت عن اخته التي كانت عَلَى فراش الموت فلم اسمع احد يتكلم عن امرأة ماتت او اشرفت عَلَى الموت فسألت عن الطبيب ا . م . كوردون فلم يكن حظ هذا من الوجود اكثر من حظ الاخت الموهومة

فلم يبق لي الا ان اسأل عنه فسألت مأموري المحطة هل شاهدوا رجلاً اعمى نزل في الليل من القطار قادماً من نيو يورك ووصفت لهم ملامحه

فلم يذكر احد في المحطة انه شاهد رجلاً اعمى بهذه الملامح وبالاختصار فانني قد اضعت يومين في بويلو وانا افتش دون طائل

فعزمت عَلَى ان اقصد مركز البوليس واشرح له خبر السرقة وكل ما يتعلق بها . وحين قرأت في الجرائد اعمدة باسرها ملؤها اطراؤك والثناء عليك ووصف العمل العظيم الذي قمت به قبل الليلة السابقة وعلمت انك حضرت الى هنا عاد لي بعض الرجاء واتيت اليك لاعرض عليك القصة بجميع تفاصيلها

فقال البوليس لدلمار انني اقدم لك تحياتي وتهاني لانني قلما نظرت رجلاً قادراً مثلك عَلَى الاحاطة باطراف الموضوع واستقصاء شوارده وايضاح دقائقه ووصف ذلك بطريقة

مهلة واضحة · وسنقتفي بعد الآن اثر « عين الشيطان » وإذا ساعدنا الحظ فاننا نرجو ان نهتدي اليها

— انني اقدم لك شواعر الشكر التي تختلج في صميم الفؤاد · وارجوك ان تخبرني هل عزمت عَلَى السفر الى بويبلو

— على الارجح

— وهل تريد ان ارافقك

— لا ولكن اترك لي عنوانك واذا اضطررت الى الانتقال فابلغني ذلك · حتى تصلك جميع الرسائل والانباء البرقية التي يمكن ان ارسلها اليك · ولا اطلب منك غير هذا سوى ان تثق بي

وتم تحادث الثلاثة سوية بشأن الامور المادية التي يقتضيها البحث والتنقيب · وبعد ذلك استأذن المالك الشرعي للماسة من البوليس الشهير ومعاونه وانصرف

وبعد ان خرج دلمار التفت كارتر الى معاونه الشاب الايرلندي وقال له:

— ما رأيك في هذه القضية يا باتسي

يظهر لي انها اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة فهل صدقتها يا استاذي

— صدقتها كما اصدق بالحياة الابدية التي لا اشك فيها لحظة

— اذا قرنا هذا فكيف امكن الثلاثة ان يخفوا الماسة

فضحك كارتر طويلاً ثم قال :

يظهر لي انك تظنهم شركاء في الجريمة قد تعاقدوا عليها سابقاً

— إذن فماذا تريد ان اعتقد في شأن هذه الماسة التي اختفت وغابت آثارها

اسمع يا باتسي اريد ان احدثك بشأنها ولكنني لا اتكلم عن لصوص

— عمن تتكلم اعن لص واحد

— نعم فانا اعتقد ان كراب هو السارق الوحيد

— ايمكن هذا · ايمكن هذا الاعمى ان يسلب الماسة وامامه ثلاثة رجال يبصرون

فقال نكارتر ان كراب هو الذي اخذ الماسة قال هذا وهو يتظاهر بانه لم يسمع اعتراض المعاون ومع هذا فاظن انه لم يفكر ان سرقتها بامكانه لما قبل الدعوة ولا اصدق باتفاق سابق وأؤكد لك ان دونلسون وماتيو بريثان من وصمة السرقة وهما يعتقدان كما اعتقد ان كراب هو السارق · وقد هاجهما ما صادفاه من الاهانة فعزما عَلَى اتباع كراب واجباره

عَلَى رد المسروق او ان يقاسمهما عَلَى الاقل ولما علما بسفره الى بو بيلو عرفا انه قد خدعهما

فاقتنع باتسي بتأكيدات استاذه وقال حسناً يمكننا الان ان نستنتج النتائج من هذه المقدمة وقد فهمت الآن معنى الحادثة التي دارت بين الرجلين امام الفندق

— وجلي ان سفر كراب الى بو بيلو هو اعتراف ضمني بذنبه

ولهذا تبعه ماتيو الى بو بيلو حيث علم ان السبب الذي انتحله الاعمى للسفر كان مختلقاً وهذا الذي عرفه دلمار بعد بضعة ايام

— من الراجح ان يكون ماتيو مرسل النبأ الذي اهتم له دونيلسون كثيراً . فسافر لينضم الى رفيقه في الحنق بالاعمى

— احسنت يا باتسي هذا ما حدث برمته

— ولكن كيف قدر هذا الشيطان كراب ان يسرق الماسة عَلَى هذا الشكل الخفي الغامض حتى لم يقدر دلمار ان يجدها في ثيابه حين فتشها

وبعد ان توقف لحظة عن الكلام ضرب بيده عَلَى جبهته ثم قال :

يخيل لي ان هذا الخبيث المحتال ليس اعمى

— حسناً واي فرق في ذلك

فقال باتسي لا فرق وضاع سروره باكتشافه حقاً ان الحالين سيان فهل تظن انه اعمى يا استاذ

ثم ساد سكون قطعته قهقهة باتسي الذي قال وهو يضحك

— آه . آه . ان تفتيشاً كالذي اجراه دلمار لا يتفق حدوثه دائماً . ثلاثة رجال عارين كجدهم آدم قبل ان يخطئ حقاً انه منظر مضحك

فاجابه نكارتر ضاحكاً

لا اظن المشابهة تامة اذ ينقص الاخيرة قليل من الصحة

فعاد باتسي بعدها الى الجد وقال

انا ارى يا استاذ انك فكرت لتبلغ نتيجة فبأي اسلوب تظن كراب سرق الماسة وتمكن من اخفائها

ولكنه اندهل عندما وجد ان كارتر اقتصر عَلَى الضحك وهو يرفع كتفيه ثم خاطبه قائلاً

يا عزيزي باتسي لم اعلم عن ذلك شيئاً

— افهذا ممكن

— نعم ممكن للغاية . فقد ارى في الامر سراً لم اقدر على فهمه حتى الساعة وانا احتاج في حله الى تأمل طويل سابا شره اثناء سفري ولذلك ارجوك ان تستفهم لي عن مواعيد سفر القطر

فنزل باتسي مسرعاً الى مكتب الفندق وهناك تقويم لهذه الشؤون فامعن فيه البوليسان هنيهة وبعد ما اختار نكارتر القطار الذي سيقله قال لمعاونه :

ارى ان واحداً منا يكفي لمطاردة هذا الاعمى لما انت فاقم هنا في دنفر واخبرني اذا عاد احد الرجلين واعلم انه يحتمل ان يحدث هذا باسرع مما تفكر فتيقظ

فقال باتسي كن اميناً من هذه الوجهة

ولم يكن يتعذر على رجل ماهر كنكارتر ان يقفو اثر اعمى ففهم وهو في الطريق ان كراب قبل ان يصل الى بو يبلو طلب من السائق جوازاً عاماً

فمع اكتفاء البوليس بهذا التصريح توصل الى علم ما يأتي وهو انه في يومين مختلفين من الاسبوع الماضي كان في القطار مسافران القيا الى المفتش هذا السؤال بعينه فتحقق عند ذلك ان ماثيو ودونيلسون قد اجتمعا في بو يبلو ومن هناك سارا للبحث عن الاعمى

و بعد برهة اكتشف على آثار الاعمى وكان صوتاداخلياً يناجيه ان كراب هو السارق الوحيد . وعرف انه اشترى نعالاً محددة واكترى جواداً من قرية صغيرة من قرى مقاطعة الاريزونا الشمالية . وسافر من هناك مصحوباً بدليل توصل البوليس الى معرفته وطلب منه ايضاحاو بسط مايعرفه عن المسافر الذي كان يصحبه

فقال الدليل :

لم ارافقه مدة طويلة إذ انه قال لي بعد خمسة ايام من بدء السفر « يمكنك ان تعود الآن » فترددت في الرجوع وتركه منفرداً لاننا كنا عندئذ في اوحش قسم من الاريزونا ولكنه اصر علي فتركته وعدت

ففكر نكارتر ملياً في ما قاله الدليل ولم يفهم كيف ان رجلاً اعمى ضعيف القوة يود ان ينفرد في تلك البقعة الكثيرة الاخطار . فسأل الدليل

— هل تعتقد ان الرجل كان اعمى حقيقة

فقال الدليل كل الاعتقاد ودعم حديثه بسرد بعض الحوادث التي جرت على الطريق والتي تؤيد قوله

ثم استتبع البوليس السير في طريقه

ولم يكن الذي يلقاه على الطريق قادراً ان يعرف هذا الرجل ذو الشهرة الواسعة في العالم والذي يختلف الى الاندية العليا في نيويورك وله المنزلة الرفيعة بين الارستوقراطيين لان كارتر تزيا بزي سكان الغابات فاتخذ هيئة متوحش يؤثر استعمال السلاح وخشونة العيش على رفاهية الحضارة

وكان جواده كريماً فاعمل في خاصرته المهماز ليبلغ ذلك المحل الذي يكاد يكون في آخر الدنيا حيث فارق الدليل كراب

وبينا كان يجد السير صادف فارساً مقبلاً عليه من الجهة المقابلة ناداه وهو يوقف مطيته قائلاً

ايها الغريب

فاوقف كارتر جواده وقال له

ماذا

— اعندك تبغ

— مؤكد . عندي قطع كبيرة

وكان نكارتر يعلم ان رجل الغابات يجب ان تكون معه مؤونة من التبغ تحمل معه كمية منه مع انه لم يكن يستعمله

ثم اخذ علبة من جيبه وقال للرجل هوذا التبغ تخذ حاجتك

فقال الرجل اشكرك ومد يده وحاول ان يمضغ قطعة منه

فقال له نكارتر اقطعها الى قسمين لانك لا تزال بعيداً جداً عن العمران وعلى ما اظن ان التبغ لا ينمو على الاشجار كما قيل لي منذ هنيهة

— انت محق . فانني طالما وجدت في هذه البقعة التي هجرها الله والناس وكان قد أخذ نصف قطعة التبغ ورد بقيتها الى نكارتر

فسأله البوليس : اذن انت تعرف المقاطعة

— نعم تقريباً الا تعرفها انت

— لا هذه هي المرة الاولى من مجيئي اليها

— في طلب الذهب

— ليس تماماً فانني الاحق رجلاً اعمى

— ماذا؟ ان هذا لغريب جداً

— نعم ان قدوم اعمى ليختبيء في هذه المواضع الموحشة لهو غريب جداً ولكنه حدث

— ليس هذا الذي اريد ان اقوله ولكنني افكر بشخصين استأجراني لخدمتهما كدليل وطباخ وهم ايضاً مثلك يفتشون عن اعمى

— يا للشيطان . هذا ما نسميه صدفة قال ذلك نكارتر وهو يلفظ سلسلة من الاق. ام تليق بسكان الغاب ثم سأل الرجل وما هي المسافة بيني وبينهما

— اظنهم اصدقاءك

— تقريباً فانهم من معارفي

— حسناً فانتم الثلاثة في هذه الحالة تطاردون شخصاً واحداً وهذا كل شيء

— أصبت ايها الشجاع . وعلينا ان نتابع هذا الاعمى حتى نظفر به ولو اضطرنا الامر ان نذهب الى نهاية العالم

— لتسترجعوا منه الماسة اليس كذلك

— بسم الـ . . . وكيف عرفت ذلك

— اخبرني به صديقاك

— حسناً ان هذه الماسة لا تخص الاعمى

فاغمض الرجل عينيه وبدأ يقهقه وقد بدت على وجهه امارات المكر ثم قال: اصدق قولك ان الماسة لا تخص الاعمى . فاذن هي ملك الذي يظفر بها . ولكن هذا لا يهمني فحاول ان تجتمع باصدقائك

— يدهشني وقوفك على هذا السر

— لا غرابة في ذلك فالمسافرون اياماً عديدة في القفار تنشأ بينهم روابط شديدة . وقد كانا يتكلمان بادئ الامر سراً فكنت اصغي الى حديثهما ثم أخذت بسوءالهما ولما وجداني وقفت على شيء من القصة شرحاها لي واخبراني منها بما كنت لم اعلمه بعد

— قصا عليك كيف سرق الاعمى ماستهما اليس كذلك

— نعم او بالاحرى ماسة احد اصدقائهما

فتعجب كارتر من ثرثرتهما وقال للرجل ان اذنيك لم تخدعاك

— آه آه . انت هو الصديق صاحب الماسة

— هذا ممكن فانا لا انفيه

— حسناً فاسمع إذن ان كنت لا تريد ان تصادف رصاصة توردك حتفك فالاولى

بك ان لا تحاول الاجتماع بصديقيك · لان مصاحبتهما خطرة وقد شعرت بذلك ولهذا فارقتهما هذه الليلة

— يظهر لي انهما اخبراك بكل شيء وانا ارجوك ان تخبرني عن واسطة اتجنب فيها ملاقاة هذه الرصاصة وان تخبرني عن الطريق الذي سلكاه

فرفع الرجل كتفيه وقال ان فكر ملاحقتهما هو فكر جنوني · ولست اعلم ماذا تفعل اذا وجدت امام اثنين هذا اذا لم تعد الاعمى · انني تركت صديقيك اول البارح فاذا اسرعت في السير نحو الشرق تصل الى مخاضة نزل فيها صديقاك وركبا النهر وسافرا

— اشكرك على هذه التعليمات

ثم حرك كارتر جواده ولما رآه الرجل سأله هل انت مصمم على التقدم

— بلا ريب

— حسناً فهل يلزم ان اعلن خبر موتك

— لا تتعجل استودعك الله

— سر بالسلامة ايها الغريب واشكرك على تبغك · لاحظ انك واحد ضد اثنين ما عدا الاعمى ولكنني اشتهي لك الفوز من قلبي

فارخى نكارتر لجواده العنان وبعد ان قطع ربع ميل التفت وهو على سرجه ونظر الرجل الذي كان يراقبه وهو ثابت في محله فقال البوليس في نفسه ان هذا الرجل ليس ابله كما اظهر لي وقلبي يحدثني انه سيكون لي وله شأن قبل ختام القصة · آه لله ما اشد حمق ماتيو ودونلسون اللذان يكشفان اسرارهما لكل سائل · واستمر البوليس في سيره حتى احلولك الليل فاستراح قليلاً ثم ركب جواده وعاد الى السير حتى وصل الى ضاحية كولورادو التي اهداه اليها الرجل ثم ربط جواده في جذع شجرة ثم اوقد قليلاً من الحطب واعد لنفسه عشاء من المؤن التي اشتراها ثم التحف بغطاء ونام على الارض ليريح نفسه بضع ساعات من عناء النهار

وفي الثلاثة الايام الاخيرة من اقامته هناك نظر عن بعد ثلاثة بيوت في ذلك القفر ولم يعلم البعد بينها وبين اقرب عمران وعلم ان المخبأ الذي يختاره الاعمى ليكون فيه لا يتسنى لصحيحي النظر ان يقيموا فيه · ثم قال لماذا لم يسافر كراب الى مدن الشرق الكبيرة حيث يصادف فرصة اوفق لبيع الماسة · وردد هذا السؤال في خاطره دون ان يهتدي الى حل مرضي واخيراً اغمض عينيه ونام حتى الفجر نوماً عميقاً هادئاً وعندما استيقظ تناول

قليلاً من الطعام ثم علا ظهر جواده وسار فعرف بفراسته ان فرساناً آخرين قد تقدموه منزهين في نفس الطريق . فسر بهذا وعلم ايضاً ان الفارس اهداه الى الصراط المستقيم وكان كلما تقدم يزداد منظر البلاد وحشة وانفراداً . وكان النهر يجري بسرعة شديدة بين مضايق صخرية ثم تصب مياهه المزبدة في مصب بعيد الغور فيسمع لها ضجة شديدة

وبعد الظهر بقليل وصل نكارتر الى سفح رابية صخرية فهم ان يتسلقها وهو راكب وقد ظهرت له آثار على الارض عرفته ان فرساناً آخرين مروا من هنالك حديثاً . وكانت قمة الرابية جرداء تطل على ما جاورها الى امد بعيد فوقف كارتر فجأة لانه نظر على بعد ثلاثة اميال تقريباً خطاً رفيعاً من الدخان يتصاعد الى الافق فقال لعل هنالك مفتشاً عن الذهب او لعل الطريدة التي الاحقها قد عادت . وكان كل ما حوله يظهر له واضحاً فابصر نقطاً متحركة تشبه النمل السائر فظنها هنوداً ولكن هذا لم يكن راجحاً لان البوليس منذ دخوله الى تلك البلاد المتوحشة لم يشاهد اكثر من ستة من ذوي الجلود الحمراء . فتفرس في هذه النقطة بالعين المجردة لحظة من الزمان ثم تناول منظاره ووضعه على عينيه فوجدانهم اربعة فرسان يسرعون في المسير جنوباً واذ لم تكن جهة سيرهم هي الجهة التي ينحوها البوليس تأكد انهم لا يقتفون آثاره وفضلاً عن ذلك فليس لهم من اللحاق فائدة

وعندما فكر بهذا عاودته الهواجس فتناول منظاره وبدأ بالتفرس فوجد الاربعة يتدرجون الى اليمين وينحون في سبيلهم مخاضة على بعد عدة اميال ثم وضع منظاره في جيبه وقد ظهرت على وجهه علائم الاهتمام والتأمل العميق لانه نظر بين الاربعة وعلى زعامتهم الفارس الذي طلب منه تبغاً وقص عليه ما عرفه عن دونلسون وماتيو

وكان الجو قد طبق بالغيوم مما دل على قرب هبوب العاصفة فتساءل في نفسه عما يجب عليه ان يفعله وهل كان يسير في النهج القويم فاذا كان ذلك فهو يدرك جماعته قبل ان يبلغهم الفرسان الاربعة ولكنه اذا كان يعتسف في طريقه فماذا يحدث ؟ وبعد ان فكر قليلاً قال — لا . لا . انني اتبع الآثار ذاتها ثم لكز جواده واخرج من كيس معلق بسرج الجواد بعض الامتعة الصغيرة . ثم ساق مطيته الى سفح الرابية حيثما ربطها في مرجة صغيرة محاطة بالعلايق حيث يجد الجواد حوله شيئاً من الكلاء فيمكن لنكارتر ان يتركه هناك برهة طويلة دون ان يخشى عليه شراً ثم اطرد سيره ماشياً

وقد تبع في مسيره ضفة النهر وما زال يسير حتى وصل الى مضيق عميق تندفع اليه مياه النهر بسرعة وتنصب فيه فيسمع لها دوي شديد . وكان ممتداً على المضيق جذعا

شجرتين كبيرتين قصفهما النهر فاشبها جسراً ورأى نكارتر آثاراً دلت عَلى ان خيولاً عبرت ذلك الجسر حديثاً فتتبع الآثار فقاده تتبعه الآثار الى غابة كثيفة نظر من خلال اشجارها خطاً من الدخان رآه وهو عَلى الصخرة غبراء، كان الآن قريباً منه وهو يتصاعد من بناية خشبية عاث السوس في عوارضها

وكانت تجري امام هذا الكوخ ساقية جميلة مملوءة بالسمك وامامها ما يشبه الاصطبل قد ربط فيه ثلاث جياد

ولم يكن غير هذا الكوخ معموراً في الجوار . فاقترب نكارتر بهدوء واصغى لما يجري داخل الكوخ الذي ظهر له انه كوخ رجل يفتش عن مناجم الذهب فسمع من الداخل جلبة وضجة . فتقدم بدون احتراس الى ان دخل الباب فسمع صوتاً يقول:

قد اكتفينا يجب ان نضع حداً لهذا الانكار . فاسمع يا كراب الحقيقة اننا نريد ان نقاسمك فاذا اصررت عَلى الانكار لا نسلبك ماسنك فقط بل حياتك ايضاً

ثم ارتفع صوت آخر يقول

اننا لم نأت الى هنا لنسمع ثرثرتك

فاجاب شخص ثالث

— افعلا ما بدا لكما . اذا لم تخجلا ان تهاجما اعمى مسكيناً وتقتلاه فلا تترددا . ولكنني اعيد عليكم انني لا اعرف ماذا حدث للماسة واود ان ابذل جهدي لابرهن لكم صحة قولي فانني خلعت ثيابي عند امرني دلمار فهل تودون ان اعيد ذلك الآن

فصرخ المتكلم الاول

ما هذه الترهات عندما نسدد حسابك نعلم ماذا تصنع بثيابك واما الآن فما عليك الا ان تجيبنا الى ما طلبنا وتيقن اننا بعد ذلك نكون كرماء جداً حتى اننا نهبك حياتك . اعطنا الماسة او اهدنا الى موضعها وانت اذا رفضت مائت لا محالة

فقال الاعمى وهو يتنهد واي معنى للرفض هنا هل يقدر الانسان ان يعطي الا ما يملكه

— آه

ثم عاد الاعمى الى الكلام فقال

افكروا فيما تقدمون عليه، وتذكروا ان الدم المهراق ينتقم له دائماً

— هوذا الرسول الصالح! اننا نعلم ما يجب ان نعمله

ثم خيم السكوت لحظة عَلَى تلك الغرفة

فقال نكارتر لنفسه يظهر لي انني وصلت في الوقت المناسب لامنع هذين الشريرين من ارتكاب جريمة جديدة

ففتح الباب بلطف ليرى ما يجري داخل الكوخ · فوجد كراب جالساً قرب منضدة في وسط المحل وعيناه الكبيرتان تحدقان بالحائط امامه · ولا شك ان الاخيرين باغتاه وهو عَلَى المائدة إذ كان عليها قطع من الخبز واللحم البارد وقدح ماء ووعاء للقهوة والملح · وكان ماتيو ودونيلسون واقفين امامه وعَلَى وجهيهما امارات التهديد فكان واحد منهما رافعاً هراوة ضخمة فوق رأس الاعمى والآخر مستعداً ان يضربه بخشب البندقية

فقال لا يوجد في القضية ما يقال ان كراب اعمى اذ ليس بيدي اقل ممانعة لهذا الخطر الموشك الحدوث

فتخطى عتبة الباب واسرع الى الداخل والقى نفسه بين الاعمى وبين الشقيين وصرخ بهما

— اخجلا ايها الشقيان اتضربا اعمى لا طاقة له عَلَى الدفاع ان هذا منتهى الجبن والنذالة

ونزع الهراوة من يد ماتيو برشاقة وقبض عَلَى بندقية دونيلسون وحمى الاعمى الذي لم يعلم ماذا جرى والذي لم يكن يشك انه اشرف عَلَى الهلاك

فجمد الشريران لمفاجأة هذا الرجل الذي لم يعرفا من اين اتى فخيل لهما انه هبط من السماء · واستولى الذهول عليهما بضع ثوان · اما كراب فانه تنهد جزعاً واختبأ تحت المائدة

واخيراً تمتم دونيلسون قائلاً

اي شيطان هذا · من انت ايها الرجل · من انت

وكان لنكارتر مزية عليهم هي انه يعرفهم لانه نظر صورهم واما هم فلا يعرفونه البتة

— من انا · لا أرى اخباركم بهذا ضروريًا ولكن الذي يهمكم هو انني لا اقدر ان اسكت عندما ارى شريرين قويين مثلكما يفتكان باعمى ضعيف ليس له نصير ولا قدرة عَلَى الدفاع · انني لست عظيماً من عظماء الارض ولكنني لست نذلاً لادعكما وشأنكما

فقال ماتيو : انه لم يكن هذا سوى ضجيج فقط واننا رمنا ان نخيفه

— ان تخيفاه · حسناً · ولكنني لم افهم كيف يمكنكما ان تروعا اعمى بمثل ما عملتما

وكان الرجلان شاخصين بابصارهما اليه فقال نكارتر

— أصغيت قليلاً قرب الباب فسمعتكما تتكلمان عن ماسة وإذا كنتم تودون ان تتقاسموهـا وذلك يتعبكم فانا ارضى ان اكون حكما واذا كنت اقدر ان افيدكما فانا خادمكم

فقال دونيلسون بحدة

لا تزعج نفسك فهل يهمك امرنا وهل لك زمن طويل هنا هلم اهرب باسرع ما يمكنك

— شكراً لك عَلَى هذه الدعوة للهرب · ولكنني اروم ان أمكث قليلاً

ثم أخذ البوليس كرسياً وجلس بسكون ثم قال : اصغوا لكلامي كل الاصغاء يا رفاقي :

إذا حدث خصام في هذا الكوخ بعد الآن فهو سيحدث بيننا · انكم سأتموني عن اسمي فانا اجيبكم عَلَى ذلك انني (جاك الاحمر) من مقاطعة مونتانا المدعو ايضاً (بالدموي الهائل) · وقد تعودت ان التهم اثنين اقوى منكما واضخم غذاء لي

وفي اثناء الحديث اسند البندقية الى المائدة وسحب مسدسه من جيبه

— انتظران جيداً هذا الكلب الصغير انه ينبح دون ان يتحرش به أحد · وصوت واحد منه كاف

ثم ضحك البوليس ضحكاً مرعباً وجلس الى المنضدة بينما كان ماتيو ودونيلسون يتبادلان النظرات · فقال ماتيو

فلنسافر فلنسافر · اذ ليس لنا مقام هنا بعد

فاقترب الاثنان من الباب

فقال نكارتر وهو يعبث بسلاحه

ارجوكما ان تبقيا خمس دقائق هنا ايضاً · فهذا المحل اوفق لكم وانا اقول لكما السبب فان عندي شيئاً لاقوله لكما وهو يهمكما جداً

فنظر الاثنان بارتياب الى جاك الاحمر الدعي · وهما يرغبان ان يفتكا به · ولكن سلاحه كان يوحي لهما ان يحترماه

واستتبع نكارتر الحديث فقال :

عودا الى محليكما فما دمتما في هذا الكوخ فانتما في مأمن من خطر الموت انني اريد ان اقدم لكما اقتراحاً فاذا اردتما ان تساعداني ساعدتكما ايضاً

وكان انفعال الشقيين يشتد وهما يحدجانه بابصارهما دون ان يلفظا كلمة

فقال نكارتر بلهجة تدعو الى الثقة

اذا كان احدكم امهر من رفيقيه فسلب الماسة دونهما فلا تتخاصموا الآن لاجلها . كونوا اصدقاء . لان خطراً مهولاً يتهددكم جميعاً

فقال دونيلسون :

اي خطر هذا . عماذا تتكلم يا رفيقي . اوضح

فقال كراب الذي نهض من مخبأه تحت المنضدة

نعم . اوضح ماذا تريد ان تقول . ليس عندنا ماسة قط فقال البوليس وهو يرفع كتفيه

— هذا ممكن ولكن يوجد في هذه النواحي رجال مقتنعون بعكس ما تقرره . ايكفي هذا ؟ هل فهمتم معنى كلامي

— كلا اننا لم نفهم فهل تريد بتلميحاتك افهامنا ان بوليساً يقتفي آثارنا

فقال نكارتر وهو يرفع كتفيه ثانية

— ربما ولكنني لا اعرف شيئاً من ذلك . ولكن الذي اعلمه ان رجالاً آخرين يطاردونكم وهم اشد خطراً بما لا يقدر من افراد البوليس

اجلسوا مواضعكم يا رفاقي واسمعوا كيف عرفت ذلك . انني لا اريد ان ارهقكم فنزاعنا وسلامتنا يتوقفان عليكم

وبعد ان تبادل ماتيو ودونيلسون النظرات وجدا الاوفق لهما ان يتجها ويجلسا فجلس الاول على كرسي مخلعة والثاني على صندوق فارغ فاخرج كارتر من جيبه ورقة مربعة يعلوها الغبار مكتوبة بحروف حمراء ومد هذه الورقة لدونيلسون دون ان يقول كلمة

وكان فيه تصريح من احد اشراف مقاطعة مونتانا يعد فيه بمكافأة كبيرة = خمسمائة ريال = لمن يقبض على جاك الاحمر الشهير حياً او ميتاً

وكان نكارتر يتلاعب هذا التلاعب وهو امين ان يتفضح سره فانه عرف ان جاك الاحمر كان في سجن هيلينا من مقاطعة مونتانا فليس في وسعه ان يفسد هذه الوحدة

ثم قهقه نكارتر وقال — لم مما قرأتم في هذه الورقة يمكنكم ان تثقوا بي واسمعوا قصتي الغريبة : فانني اضطررت ان اقتل رجلاً كما اقتل ذبابة . وكان هذا الرجل قد صب ماء في قدح خمري أسمعتم ؟ ماء مع الويسكي ! ماء . ماء .

فقلت لهذا الشقي الذي تجاسر على مزج الويسكي بالماء : ان قايين ليس شيئاً بالنسبة اليك . ان ما فعلته هو اعظم من قتل الاب او الأخ واريد ان اريك ايها الشقي كيف

تجاسر ان تسمم رجلا شربقاً بالويسكي الممزوج بالماء . ولم ادعه ينتظر كثيراً بل اطلقت عليه رصاصة كانت القاضية

انتم ترون اني كنت محقاً فيما فعلت ولكن الشريف واعضاء محكمة حكموا بغيرهذا وبالاختصار فانني لو لم اقتل اثنين من الحرس لكنت علقت الآن في مشنقة جميلة . وكان موتي خسارة عَلَى الوطن اليس كذلك

ثم بدأ بطي الورقة وقال :

اما الآن فبما انني بزي بربري او وحشي كما يقولون فقد نجوت من الشرور ولم يعد من معارض لي في نزهتي . ولكنني قد صادفت منذ يومين فارساً قص عليَّ خبراً غريباً

قال لي انه كان في خدمتكما واكد لي ان في حوزتكما ماسة لا نظيرلها في العالم بأسره وحاول ان يقنعني بالاتفاق معه لتسلبكما اياها

فنظر دونيلسون وماتيو احدهما الى الآخر وهما متعجبان . ثم قال دونيلسون :

إصغ . انا نعرف حق المعرفة هذا الرجل الذي تتكلم عنه فقد كان معنا وقد وقف عَلَى شيء من سرنا فلم يعد لنا مندوحة عن افشائه لنجو من تعرضه . ولكن هذا ليس بالامر الخطير

فقال نكارتر حسناً دعني اتكلم

عَلَى مسافة قليلة من هنا تجد راية صخرية تتذكرانها دون شك لانكما وطئتماها بجوادبكما . وقد وقفت عندها لاروح النفس قليلاً فنظرت في السهل اربعة فوارس سائرين بجد ولم تكن هذه الناحية وجهتهم التي يقصدونها رأساً ولكنهم القوم الذين يفتشون عليهم وإذا نكبوا عن الطريق قليلاً فذلك حتى يجتمعوا برفاقهم

أما متابعتهم لكم فهذا واضح وضوح الشمس واذا كنت اشك في ذلك فانا اقسم لكم بالرعد انني اغتسل غداً وليحرسني الله — وقائد هذه الفرسان هو الرجل الذي كان في خدمتكم . وهنا انتهى كلام البوليس سامعيه الذين لم يشكوا في وشك الهلاك فاقترح دونيلسون سرعة الهرب

فقال جاك الاحمر الدعي لا تفكر بهذا البتة فهولاء القوم يعرفون المقاطعة كما يعرفون جيوبهم فهم يمسكونكم حالاً . لا . لا . فاحسن مانفعله هو ان نتربص هنا وندافعهم اذا هاجمونا

— ماذا تقول ؟ نتربص . إذن فات من جملتنا

— مؤكد . فهل تظنون انني احتمل ان اراهم يشجون رؤوسكم بالرصاص ويقتلون

هذا الاعمى المسكين . انكم إذا ظننتم هذا فانتم لا تعرفون جاك الاحمر حق المعرفة . إذا حميتم ظهري قليلاً فلا اتردد عن ان اقف وحدي امام اثني عشر فارساً

فقال كراب

آه يا الهي لماذا باشرت هذا السفر

فقال ماثيو

هل انت متأكد يا مسيو جاك ان هولاء الرجال يعرفون طريق رجوعنا

قال هذا وهو يتبادل النظرات مع دونيلسون

فقال جاك الدعي

اني احذركم فان هولاء الرجال اقدر على اقتفاء الآثار منكم لانها حرفتهم ! الا تعتقدون انهم يعرفون بوجود هذا الكوخ

— هذا مرجح

هل يخص هذا الكوخ احداً منكم ؟

فقال دونيلسون لا

فصرخ كراب :

— انه يخصني اكثر مما يخص غيري . لانني انا الذي بنيته حين قدمت منذ بضع سنين الى هذه الانحاء طلباً لمناجم الذهب وكنت لم افقد البصر بعد

فقال له كارتر شكراً لك على هذه التعليمات فهل يوجد اكواخ في الجوار

فاجاب كراب : لا يوجد اكواخ الى مسافة بعيدة اما اذا كانوا قد بنوا في هذه السنوات الاخيرة فهذا ما لا اعلمه

فقال البوليس : لا اظن ان احداً يستعمر هذه البقعة التي هجرها الله فهنا الذئاب تقاطع الأدبية حتى انها لا تحييها تحية السلام . واذا اتفق ان مسافراً أعوزه الوسيكي في هذه القفار فما عليه الا ان يصلي صلاة الموت

وكان دونيلسون وماثيو منزويان يتكلمان بصوت منخفض واخيراً خاطر دونيلسون جاك الدعي بقوله

— نعم اننا موشكون ان نقع في خطر عظيم وانا نشكرك يا صاح لانك انذرتنا بالخطر قبل وقوعه فاذا رضي كراب ان يدفع الينا الماسة فمن الممكن ان ننجو جميعاً . قبل ان ...

فقاطعه نكارتر قائلاً

— من الجنون ان تفكروا بمثل هذا الآن . ان هولاء الاشقياء يتبعوننا الى مئات من الاميال

فقال كراب

— كيف يمكنني ان اعطي ما لا املكه وما لم املكه البتة

فخاف ماتو من اصرار شريكه ففتح فاه ليجيب ، ولكن نكارتر اسكته وقال :

سواء وجدت الماسة او لم توجد فانها على ما يظهر ستذهب بحياتنا جميعاً ... إصغوا

فعلت وجوه الثلاثة صفرة واصغوا وقد حبسوا تنفسهم فسمعوا وقع حوافر جياد فأظهر جاك الدعي الضجر وقال

إذا لم يكن هولاء هم الفرسان الذين اخبرتكم عنهم فاني آلو على نفسي ان لا اشرب الا الماء الصرف بقية ايام حياتي . ولكي اريكم قدر الذي حالفتموه يا اصدقائي وسعادتكم بهذه المحالفة ارجوكم ان تتركوني افتتح القتال بنفسي

ولم ينتظر البوليس جواب الثلاثة بل ترك الكوخ وبعد عنه اربعين متراً في طريق ضيق وراء الكوخ

ثم وقف فرأى الفرسان يقتربون وكانوا اثني عشر وعلى قيادتهم الرجل الذي طلب تبغاً من كارتر . فابدى كارتر لهم اشارة بيده ادهشت الرجال فاوقفوا خيولهم كأنهم يخضعون لأمر

فصرخ القائد

— هل وجدت معارفك

— نعم . أجاب الوحشي الكاذب . صحتهم حسنة وقد كلفوني ان احمل لك تحياتهم فاين تذهب الآن

فبهم القائد ثم قال

انني قدمت الى هنا مع صديقين لتساعدك

— اوكد لكم ان مساعدتكم لا تفيدني

— لماذا

— لانني لست في حاجة اليكم وهذا كل شيء

ثم ابدى البوليس اشارة من يده في طيها معان كثيرة

فاقترب الفرسان وتشاوروا بصوت منخفض جداً حتى ان كارتر لم يسمع من محادثتهم كلمة واحدة

ثم عاد القائد الى الكلام فقال

— يقولون انك تقصد ان تتحرش بنا وتغضبنا

— نعم فتكونون لي خبزاً اجوهر ياً قال ذلك وهو يضحك . انني منذ يومين لم اقتل احداً لاقتات به ومعدتي فارغة ومع هذا فليس لكم بقلبي بغض ولا حقد ولا اريكم اسناني الا اذا قصدتم الشر

فقاطعه القائد قائلاً

اقصر عنك وكف عن هذا الكلام اقول لك مرة . مرتين . ثلاث هل تريد ان تخلي عن طريقنا

— انك تقرأ افكاري ايها الخبيث

— بالنتيجة فماذا تريد منا اذا لم نلحق بك أذى

— حتى الساعة لا . اما فيما بعد فانتم موشكون

— اذا مست شعرة من رأس احد اصدقائي جعلت لحمك طعمة للعقبان

فاجابه البوليس ضاحكاً

— اذن فابداً

فصاح رجل كان واقفاً بجنب القائد

يجب ان نرسل رصاصة لدماغ هذا الخشن

ثم دفع جواده الى الامام قبل ان تبين نكارتر

فعندئذ اطلق البوليس مسدسه فسمع للرصاصة دوي واختلج الرجل فوق سرجه ثم سقط الى الارض لان الرصاصة سحقت كتفه

ثم قال نكارتر

عندي من هذه الرصاصة قدر ما تشاؤون لا اتأخر عن بذلها في سبيل خدمتكم . ان الممر ضيق جداً حتى لا يمكن لاكثر من اثنين منكم ان يتقدما سوية . وعندي لكم مؤونة كافية واصدقائي عندهم ايضاً كثير منها فاذا اصررتم على غيكم فاننا سنرديكم واحداً بعد الآخر حتى لا يبقى منكم احد . وسامسر جداً اذا قدرت ان اخدمكم بان اجمعكم مع اجدادكم السالفين

فظهر الرعب على وجوه الفرسان عندما شاهدوا مصرع صديقهم وزاد في رعبهم صهيل الخيول واضطرابها . ثم صاح اثنان من مؤخرتهم اننا لا نقدر ان نحتمل اكثر وحاولا ان يتقدما الى الامام ولكن جواد القائد اجفل وسد الممر فجعل هذه المحاولة مستحيلة ولم يمكن لاحد من الصف المتأخر ان يطلق النار على البوليس خشية ان يصرع احد رفاقه. فلم يجدوا افضل من العود فلووا اعنة الجياد وانفتلوا راجعين

ونزل القائد واحد رفاقه فساعدا الجريح على الركوب وبينا كانا يجدان لينضما الى الفرقة التفت القائد الى نكارتر وقال له

ايها الغريب انك قد بدأت القتال فاحذر من انتقامنا قبل ان يطلع النهار .

فقال نكارتر بحدة

جربوا فان عندنا من (الملبس) ما يكفيكم

وعندما توارى الفارسان عن نظره عاد الى الكوخ . فوجد دونيلسون ومانيو وفي يد كل منهما مسدسه وهما واقفان امام الباب

اما كراب فلم يتحرك من موضعه وكان وجهه مصفراً وامامه على المنضدة مسدسه

فقال مانيو للبوليس

يا للشيطان . انك عراف شهير دون شك فانك لو لم تنبئنا بالخطر لقبضوا علينا ونحن في الكوخ كما يقبضون على الثعالب

فقال نكارتر

لم تنته المعركة بعد فانهم سيعيدونها

فسأله كراب وهو يضطرب

اتظن ان هذه العصبة ستعاود الهجوم قبل الليل

— لا . لا . اننا الآن آمنون الى اجل قصير ويحسن بنا ان نغتنم هذه الفرصة لنقتات بشيء وبعدها نعد الوسائل لمصادمتهم . قال البوليس هذا ثم دخل الى الكوخ

فقال له دونيلدون

كل قدر ما تشاء اذا كنت جائعاً . اما انا فانني لا اقدر ان اتناول لقمة واحدة وافضل ان اقوم على حراستكم خارجاً . واظن انه من الضروري ان يقوم واحد منا على هذه الحراسة

فقال له جاك الاحمر الدعي — كما تشاء

وكان يظن ان دوبلسون يحاول الهرب فلم يهمه ذلك ولم يحاول ان يصده لان شكه كانت تقع على كراب في الغالب وترك ايضاً ماتيو يرافق صديقه

فقال كراب للبوليس

— هنا في هذا الوعاء قهوة وعلى المائدة تجد لحماً مقدداً فتقدم كارتر بانطلاق ·وقد حاول ماتيو ان يأكل ولكنه لم يقدر ان يبلع

ومع هذا فان دوبلسون لم يحاول الفرار بل عاد الى الكوخ بعد ان اتم كارتر عشاءه فسأل البوليس وفمه ملآن

— ماذا يوجد

فقال دوبلسون : انهم سيهاجموننا قبل الليل — وكانت هيئته مضطربة — فاذا شاء كراب ان يعطينا الآمة فمن الممكن ان ننجو جميعاً

— كيف ذلك

— يمكننا ان نمر على هذا الجسر المؤلف من جذعي الشجرتين ثم نطلق فيه النار فلا يمكن الآخرين العبور

فقال جاك الكاذب : انت تعتقد بذلك يا صديقي ؟ يظهر انك لا تعرف هؤلاء الرجال معرفة يقين · انهم قادرون ان يمسكونا اذا جازوا من محل آخر

— ولكن يمكننا ان نختبىء بين الصخور وندعهم يدهموننا

— كان يمكننا هذا لولا ان هؤلاء الرجال يعرفون هذه الصخور — منذ ولادتها — فهم يحاصروننا حتى نهلك جوعاً · واقول لكم ان احسن ما نفعله هو ان نبقى هنا ونصادمهم كالابالسة · اننا اربعة على اثني عشر فنحن في غاية الضعف لاننا في هذا الكوخ كأننا في معقل

— ولكن لا يمكننا ان نعد كراب بين المدافعين

— هذا حق اني نسيت انه اعمى ·ولكن اذا كنتما من الرماة الماهرين مثلي اذن · · · ·

فقاطعه دوبلسون قائلاً

انت هذا كلام في كلام · · نهلك جميعنا اذا بقينا هنا

— اجب سؤالي اولاً ايها الجبان هل تعرف ان تطلق النار جيداً

— ذلك مما لا ريب فيه

— وانت يا ماتيو

— يا الهي : انني عند الحاجة اعرف كيف استعمل المسدس

— حسناً فليس علينا الا ان ندافع عن نفوسنا فماذا تقول يا كراب وقبل ان يجيب كراب افرغ قدح الماء في فيه ثم قال

— ليس لي ما اقوله سوى انني كنت اود من صميم الفؤاد ان لا ابلغ هذه الانحاء المقفرة . انني انصحكما يا رفيقي ان تتبعا نصائح هذا الرجل فتتناسب هذه المتاعب . انكما تريدان ان تجهلاني سارق الماسة واخبرتما غريباً بما تقصدان فكانت نتيجة ثرثرتكما عصبة من الاشقياء تتعقبنا الآن وهذر كما سيأتي على حياتنا

وكان كراب يتكلم بلهجة ملؤها الاخلاص حتى اوشك ان ينخدع بها نكارتر نفسه لولا ان براهين دامغة كانت تقنعه ان كراب بالرغم عن انكاره الشديد هو سارق الماسة فلمعت شرارات الحقد في نظري دونيلسون وماتيو الموجهين الى كراب ثم التفت نكارتر الى دونيلسون وسأله قائلاً : هل تظن انهم يهاجموننا هذه الليلة

— انني نظرت هولاء الاشقياء حين صعدت الى ذروة الرابية فوجدتهم في الوادي مشتغلين بتناول الطعام والعناية بالجريح وسيصلون الينا في الليل فقال ماتيو لم يبق للظلام الا ساعة واحدة

فتنهد كراب تنهداً كثيراً وسأل قائلاً . — هل يوجد مظاهر تدل على قرب وقوع المطر

— نحن معرضون من حين الى آخر لغيث ساكب

وكان نكارتر قد انهى العشا فدخن لفافة بهدو . وكان من مظاهر السكينة التامة التي تلوح على وجهه انها أثرت تأثيراً حسناً في نفس البقية . وبعد قليل اقبل الظلام وكان نكارتر جالساً قرب الباب فالتفت الى الداخل وقال : اظن ان العصبة لا تتأخر طويلاً فاستعدوا للمصادمة

فقال ماتيو والحيرة لا تفارقه

— ماذا نقدر ان نصنع

— انهم يعتقدون دون شك اننا سنتحصن هنا فاذا اغلقنا باب الكوخ احبطنا ما يرومونه من حصارنا ولا اظنهم يعودون الينا راكبين ولكنهم يترجلون في الوادي ويتسلقون الصخر الينا

فقال دونيلسون:

— اننا نقابلهم سوية وهم يقابلوننا واحداً واحداً حقاً ان هذا موافق

— هل تنظرون ذلك الصخر عَلَى بعد خمسين متراً

وكان الليل حالكاً فلم يتبينوه ولكنهم عرفوا عماذا يريد ان يكلمهم

— اثنان منا يلوذان بذلك الصخر فيصيران كأنهما في معقل · فانتما يا دونيلسون وماتيو تذهبان الى هناك وانا والاعمى نتوارى وراء هذا الصخر المقابل وان يكن اقل مناعة من ذاك الا انه كاف · فاذا انحدر المهاجمون من الرابية شوبناهم بنار بنادقنا

فقال ماتيو : فكر في غاية الاصابة فتعال يا جورج

— نعم ان هذا التدبير حسن — قال البوليس — ان رصاصي تسوى اثنتين اما الاعمى فيحشو لي السلاح · اليس كذلك يا كراب

فاجاب التعس بلهجة اليائس · افعل كل ما تأمرني به · ثم افرغ قدح الماء في فمه وسار وهو يتلمس الحائط الى زاوية من الغرفة · ثم عاد وفي يده حقيبة ملأى بالخرطوش ·

فسأله نكارتر : اهذه لي

— نعم · فقدني الآن الى الزاوية التي عينتها

فسار دونيلسون وماتيو الى الصخر الذي دلهما عليه البوليس وسار كراب ونكارتر الى الصخر المقابل عَلَى بعد خمسين خطوة من الصخر الاول

— لا يوجد في هذا الصخر سوى محل لرجل واحد فتمدد انت عَلَى الارض

فسأله الاعمى : وانت ماذا تفعل يا صديقي

— انا اجد ملجأ يقيني المهاجمة من بعض النواحي

فتنهد كراب وقال كل هذا من اجل ماسة مشؤومة

فقال البوليس ضاحكاً

— نعم · انني بعد كل ما سمعته لا ارى اشأم منها · ولكن كفى الآن! فاما ان يكون سمعي قد خدعني او ان المهاجمين اقتربوا ! اصغ

واصغيا فسمعا دوياً من غابة مجاورة وكان خفيفاً جداً في بادي الامر ثم أخذ بالاشتداد شيئاً فشيئاً

واطلق بغتة طلقان ناريان من وراء الصخر الذي لاذ به دونيلسون وماتيو

فتململ البوليس وقال ما اشد حمقهما انهما اهديا الاعداء الى مكمنهما عوضاً عن ان يجهلاهم البادئين · فهذه الغباوة والرعونة ستكلفهما كثيراً

وفي الواقع انه لم يكد الطلقان يلمعان حتى دوت ست طلقات من المهاجمين وكلها موجهة الى حيث خرجت النار

فايقن نكارتر ان الوقت قد حان فاطلق النار وللحال تصاعد في سكون الليل صراخ الم شديد . فقال البوليس قد اجدى الطلق عَلَى ما اظن . ثم افرغ من مسدسه الخمس الطلقات الباقية بسرعة مدهشة . ثم امر كراب ان يحشو السلاح

وكان يسمع حركة الاعمى وهو يحشو المسدسات . وسمع ايضاً من قمة الرابية صراخاً وتجديفاً فقال قائد العصابة

يا للداهية . انهم اكثر مما ظننتهم

فسأله آخر قائلاً

هل جرحت يا وان

— نعم

— وانا ايضاً مصاب بجرح بليغ

فظن نكارتر ان الاعداء سيقاتلون وهم متقهقرون فاذا كان ذلك فما عليه الآن يطلق طلقاً واحداً . او انه يفرغ سلاحه في الهواء

وفي هذه اللحظة دوى طلق من صخر الصديقين أجابه الاعداء بطلقات شديدة قوية ونظر نكارتر شبحاً يتسلل بين الاشجار فصوب عليه المسدس واطلقه فاضطرب الشبح وتوارى في الغاب دون ان يهم بصيحة الم

-- هذه خسارة = قال البوليس = كنت افضل لو صرخ . لانه كان يلقي الرعب في قلوب المهاجمين

وهذا الطلق بدل الوجهة التي كان يقصدها المهاجمون فانهم عرفوا ان الخطر يهددهم من الجهة الاخرى . وللحال لمعت رصاصة وسقطت عَلَى الصخر وراء نكارتر والاعمى . فتمدد نكارتر عَلَى بطنه اما كراب فانه حشا الاسلحة واعطاها لرفيقه الشجاع وهو يتململ وسأله :

هل تظن انهم يحاصروننا هنا

-- هذا ممكن

ولمعت طلقات جديدة بالقرب منهما

فقال البوليس وهو يحاول ان يتبين المهاجمين — عمل حسن

ثم سمعوا طلقاً من وراء صخر الصديقين • فلم يقابله الاعداء بالمثل

ثم ابتدأ الحصار الذي تنبأ عنه كراب ونكارتر

وقد سبقه سكون لم يفرغ في اثنائه نكارتر رصاصة من مسدسه ثم نظر بغتة دوران الفتيان المتسرعين

فنهض قليلاً وهو يحمل في كل يد مسدساً فافرغهما بالتتابع على المهاجمين بسرعة فائقة • وقد اصاب في الجميع تقريباً فكنت ترى هنا هيكلاً بشرياً يتقلب على الارض او يضطرب او يتوارى في الظلام

ولم يسكن الاعداء مدة طويلة بل عادوا الى المهاجمة فانطلقت رصاصة رفعت قبعة نكارتر وطرحتها على الارض • ولكن في ذات اللحظة سقط الرامي على الارض وهو يصرخ صراخ الالم

وكان نكارتر قد ابقى رصاصتين في كل مسدس

ولكن طلقاً بالقرب منه أتمت انتظاره فوجد كراب قد اطلق النار فسأله

ماذا صنعت هل انت مجنون • دعني لهذا العمل فعلينا ان نقتصد في الذخيرة

انت محق • ولكنني فكرت ان رصاصة تطلق صدفة ربما كان لها بعض النفع وقد تهيجت حتى لم امتلك نفسي

وظهر انه قد اصاب المرمى لان البوليس نظر شبحاً يميل ذات اليمين وذات اليسار ثم سقط وقد كان مؤكداً انه لم يطلق النار على هذا الرجل فتمتم قائلاً في نفسه

آه • آه • اني بدأت ان افهم

ولكن الوقت لم يكن وقت تفكير

فان ثلاثة اشباح اندفعت نحوه وهي تطلق النار بدون انقطاع حتى كادت تصم اذنا البوليس وكانت الرصاصات تمر بجانبه ولها صوت كفحيح الافاعي ثم شعر برصاصة قد خرقت قميصه ولامست كتفه • وللحال غير نمط المهاجمة فعوضاً ان يبقى في مكمنه انقض على مهاجميه وهو يثب وثب النمر وافرغ من مسدسه رصاصة صرعت اقربهم منه

وكان الثاني قريباً جداً من نكارتر فاستعمل نكارتر مسدسه كهراوة وضربه على رأسه ضربة كانت القاضية عليه فسقط المسكين على الارض

اما الثالث فركن الى الفرار لا يلوي على شيء كأن الموت يقفوه ثم توارى في الوادي فتركه نكارتر يفر

وهذه البسالة الفائقة من رجل واحد قررت النصر والظفر

ثم التفت نكارتر الى صديقه الاعمى وقال له اما الآن فنعود الى الكوخ اذ لم يعد من خطر

فنهض كراب واستند بيديه على ذراع البوليس . فلاحظ هذا ان الاعمى قام بهذه الحركة بسكون ولم يخامرها شيء من الاضطراب والتردد الذي كان يرافق اقل حركاته .

كان الاعمى يشكي منذ مدة يسيرة انه عصبي المزاج سريع التأثر ولكنه في هذه اللحظة كان يظهر انه ليس اقل جلداً من نكارتر نفسه . فقاده البوليس الى الكوخ . ولما وصل الاثنان الى الباب وضع نكارتر يده على فمه ليستجمع قوة صوته ونادى الرفيقين الباقيين ان اخرجا من مخبإكما فكل شيء قد انتهى وللحال ابصر رجلاً يعجل السير نحوه وكان هذا الرجل ماتيو . فسأله نكارتر : اين صديقك ؟ فاجابه ماتيو بصوت متلجلج . قد مات . أصابته رصاصة عند الطلق الاول نفذت الى دماغه

— آه ما اتعسه ! ولكن لماذا عرض نفسه للخطر بتصديه لاطلاق النار اولاً

— لماذا . لانه ظل متهوراً الى الساعة الاخيرة . فانني توسلت اليه ان يتربص قليلاً ولكنه ابى الا ان يكون البادي . وحالما اطلق النار رفع رأسه ليرى اذا كان اصاب المرمى وفي الدقيقة عينها صاح صيحة مرعبة وسقط بين ذراعي ميتاً

— انني سمعت تلك الصيحة ولكنني ظننتها نشأت عن الاعداء . ماذا تريدون ؟ ان الذي لا يصغي الى النصائح تكون العاقبة وبالاً عليه والآن فلننظر خسائرنا فهل انت جريح يا رفيقي

— كلا . وانت

— انني خمشت في ذراعي فهل عندكم مصباح

وكان مع نكارتر مصباحه الكهربائي ولكنه فضل ان لا يستعمله لئلا يثير الشكوك في نفس الرفيقين وكان يشعر بحاجة الى الحذر والاحتراس كلما تقدم خطوة . وفوق ذلك فانه لم يتمم وظيفته بعد فبالرغم عن كل ما قام به فالماسة ما زالت مفقودة

فقال كراب هناك مصباح في الزاوية

وبعد ان أوقدوا عدداً كبيراً من الثقاب (عيدان الكبريت) وجده ماتيو فاضاءه في اثناء ذلك كان نكارتر قد خلع ملابسه ورفع كم قيصه فظهر على ذراعه جرح خفيف فقال البوليس ان الرصاصة كانت مسددة . ولنخرج الآن لنرى ساحة

القتال ثم تناول المصباح واقترب من الباب

فصرخ ماتيو

هل انت مجنون · فإذا كان احد الاعداء مطروحاً على الارض وله مكنة على اطلاق النار افلا يتخذ منك هدفاً مناسباً

— هذا صحيح · ولكنني اشك في بقاء احدهم حياً واذا وجد احد فهو لا يؤثر النزاع · وعند اقترابه من الاشجار ابصر شبحين يقتربان ببطء فصاح به احدهما

لا تطلق النار ايها الغريب فاننا قد نلنا فوق الكفاية

— كما تريدون ايها الاصدقاء انا قوم مسالمون ولا نود ان نؤذي احداً ولكن اذا كان جلد احد كما يأكله فما عليه الا ان يعود · فما زال لدينا ذخيرة معدة لخدمته ونستأنف الدور · فلم يجيباه وعندها تقدم البوليس فرأى على نور المصباح ان احدهما كان جريحاً جرحاً بليغاً واما الجريح الثاني فكان خطبه ايسر فسألهما هل خرج احدكم سالماً من المعركة

— نعم · ثلاثة

— واين هم

— انهم نجوا كالارانب واختبأوا في الكهف

— كذلك يفعل النبهاء · انني اراكم قادرين على المسير فاذهبا وادعوا اصدقاءكما · نوبا عني تحيتهم ونادياهم ليرجعوا او يعنوا برفاقهم وليطمئنوا من جهتنا فاننا سنساعدهم في مهمتهم · ولكن اسمعوا : اذا كنتم عازمين ان تعيدوا المشهد فاننا سنجعل اجسادكم قوتاً لذئاب هذه الغابة

فتمتم احد الرجلين

يا اله السماء · اننا نلنا اكثر من حسابنا · فكن مطمئناً · فنحن لا نريد الا المسالمة على شرط ان تقابلنا بالمثل

ثم ودعا البوليس — وداعاً بسيطاً — وانحدرا مسرعين الى منحنى الكهف ثم عادا ومعهما الاصحاب الفارون

وفي خلال غيابهم جال نكارتر في ساحة القتال ليرى اذا كان في وسعه ان يساعد احداً من الجرحى · فوجد اثنين منهم ضمد جراحهما بمناديل احضرها ماتيو من الكوخ خمسة من المهاجمين في جملتهم القائد سقطوا في المعركة

فقال البوليس وهو يفكر

يحزنني ان اضطر الى الفتك بهؤلاء . ولكننا كنا ندافع الدفاع الذي يجيزه الشرع . فلو لم ندافع لكانا قتلانا الواحد بعد الآخر وظل الثلاثة الاصحاء نحواً من ساعتين حتى واروا قتلاهم في الثرى واعانوا الجرحى الى بلوغ مرابط الخيل . ثم توارى هولاء الفرسان عن العيان وكانوا منكسي رؤوسهم حزناً لاخفاق سعيهم فعوضاً ان يلاقوا الماسة لاقوا الضرب والرصاص

وعندما بعد الاعداء قال جاك الكاذب اول فرض يجب علينا القيام به هو ان ندفن دونيلسون . فاستحسن ماتيو هذا الفكر واشتغل الاثنان بحفر ضريح لجسد رفيقهما فصرفا في هذا السبيل ساعة من الزمان

وفي اثناء ذلك كان المطر يتساقط غزيراً

وكان كراب جالساً داخل الكوخ ووجهه بين يديه وكان مضى الهزيع الثاني من الليل حين عاد كارتر وماتيو الى الكوخ

فقال نكارتر لا اعلم يا صديقي اذا كنتما قادرين على السهر اما انا فسأنام قال ذلك وهو يتثاءب

فقال ماتيو

لو اعطوني ذهباً لانام ما امكنني ذلك . .

ولكنه بالرغم من هذا الكلام اضطجع في زاوية من الغرفة وبعد بضع دقائق علا غطيطه واستغرق في النوم . ولكن البوليس لم يغمض له جفن

وكان الهواء يزداد رداءة . وقبل الفجر بقليل هبت عاصفة شديدة يصحبها برق ورعد . ولكن ماتيو لم ينتبه البتة بل ظل مستغرقاً في النوم

وكان الظلام لم يزل سائداً عند ما لحظ البوليس ان الاعمى نهض بتأن ومشى على رؤوس اصابعه نحو الباب . وكان يتقدم ببطء ولكن حركاته ليست حركات من فقد بصره

وهنا تلاشى الشك الاخير من نفس نكارتر . لقد شك به اثناء المعركة ولكنه تأكد الآن ان كراب كان من النوع المسمى (نكتالوب) والنكتالوبيا هي خاصة في العين تمنعها من النظر الا في النور الضعيف او الظلام الحالك وهي واضحة في الهررة الداجنة التي تبصر ليلاً كما تبصر نهاراً

وهذه الحالة نادرة جداً بين بني الانسان ولكن نكارتر نظر مشهدها فكان كراب في النهار اعمى ولكنه يبصر جيداً في الليل

وقد قدر ان يخدع جميع من شاهده حتى اصدقاءه الاخصاء فانهم كانوا يعتقدون انه فقد بصره تماماً ٠ ولكن لما اطلق النار رغم ارادته فصرع الرجل الذي استهدفه كابرع صياد كشف سره لنكارتر

وهذا الاكتشاف زاد شبهة كارتر فجزم بان كراب هو سارق الماسة دون غيره ٠ وكان عليه ان يعرف مخبأها ٠ ولم يفكر بايقافه بل حاذر كل ما من شأنه ان يلقي الريب في نفس الاعمى قبل ان يعرف مخبأ الماسة

ان هذا النكتالوب اظهر مهارة فائقة لا في سرقة الماسة فقط بل بتغييبها على شكل غامض حتى لم يجدوها معه ولا في ثيابه ٠ فكان البوليس متكلاً على الصدفة وان يدع السارق امينًا

ولهذا لم يعارضه حين خرج تحت المطر المتساقط كافراه القرب بل نهض بتأن ليتبعه

إن الثبات الذي كان يسير به كراب في تلك الارض الوعرة والمغطاة بالعوسج وليس فيها طريق مطروق اذهل البوليس اذ انه على الرغم من نظره الثاقب ومن اعتياده المسير في الليل والنهار بين الوعور والآكام كان يبذل جهداً شديداً كي لا تزل به القدم

وكان كراب يتقدم دون تردد ولا تأخر وبدأ بالنزول على الصخر الى مصب النهر

فضاق صدر نكارتر لانه لم يعلم كيف يتبع النكتالوب في هذه الليلة الحالكة فوقف لحظة ليفكر فسمع بغتة وقع خطوات وراءه ٠ فالتفت واذا ماتيو قد انقطعت انفاسه من سرعة الجري وكان قد وصل الى حيث كان البوليس فقال له بصوت منخفض

انني نهضت فجأة ونظرت نور البرق فوجدتك قد خرجت من الكوخ فهل تقدمك

— بدون شك — اجاب نكارتر وهو شديد العجب من تصرف ماتيو انه قد خبأها في الكهف على ما يظهر

فالقى ماتيو على نفسه ان يلحق به وكاد يندفع في سبيله فامسكه نكارتر بيد شديدة فاثبته في محله وقال له ببرودة

انتظر دقيقة بعد يا عزيزي فعندي شيء اريد ان اوضحه لك فارتعش ماتيو ٠ فانه رأى ان سلوك جاك الدعي لم يعد هو ذاته حتى ان لهجة صوته تغيرت ثم قال :

— ماذا تريد ان تقول

— انني بوليس ليس الا وانا مكلف ان اعيد الماسة الى صاحبها الشرعي الذي سلبت منه . فحين تصل الماسة ليدي اعيدها الى دلمار . اما انت يا مسيو ماتيو فانا لا اريد منك شيئاً ولكن اذا حاولت ان تقاومني او تحبط ما احاوله فستندم على ذلك . فوقف ماتيو دقيقة دون حراك كأن الصاعقة قد انقضت عليه وحاول عبثاً ان يتكلم

— بو . . . . ليس . . . . بوله . . . . بس — تمتم اخيراً . وانت انت . . . ت . . . تر . . . قبنا .

— انا لا اقتفي آثارك ولكنني الاحق كراب . كنت افعل مثلكم

قال نكارتر ببشاشة — فانني كنت اعلم منذ زمن بعيد انك لا انت السارق ولا دونيلسون ولكنكم صممتم ان تستردوا الماسة ولكن لا لتعيدوها الى صاحبها بل لتبقوها لانفسكم .

— لكن . . . لكن . . . لا اعرف . . . اريد ان اسألك . . . ماذا تدعي

— ادعى كارتر من نيويورك وعادة يدعونني نكارتر

— يا الهي

فارتجفت جميع اعضاء ماتيو واستلقى على صخر وهو يحاول ان يستعيد نفسه

— صمم الآن — قال البوليس انني قدمت لك نصيحة حسنة وانا آمل ان تقابلني بالمثل وهذا كل ما اطلبه منك

— اعتمد عليّ يا مسيو كارتر . فلتحرسني السماء من عداوتك

— لا احقد عليك — قال البوليس — وقد اخذته الرأفة على ضعف ماتيو ورعبه . فلنسمع .

— كل ما تريد

— هل انت شريك كراب

— نعم ولكن لا في سرقة الماسة

— اعرف هذا . ولكنك تعرفه منذ زمن طويل . هل تعرف انه كان نكتالوب « يعني اعمى في النهار » ويرى في الليل

فنظر ماتيو الى مخاطبه بعجب

— حقاً انك لاحظت ذلك . انني اشتبهت به منذ زمن طويل وكدت اتأكد

— واخيراً تبدل شكك باليقين

— لا ولكن بالعكس بل كثيراً ما كنت اغالط نفسي · فان كراب اذا لم يكن سوى نيكتالوب فانه امهر ممثل عرفته في حياتي

— انا عَلَى رأيك في هذا الامر · انه نكتالوب واقدر ان اؤكد ذلك

— هل تعرف اين خبأ عين الشيطان

— لم الاحظ اقل شيء من ذلك · ولا اقدر ان اجزم فيما اذا كانت الماسة في حوزته فليس عندي اقل برهان سوى الاستدلال والاستنتاج

— وانا من رأيك

— ارجوك — اذا كنت تريد الخير لنفسك — ان لا تكتم عني شيئاً علمته واقدر ان استفيد منه شيئاً

— اقول لك الحقيقة يا مسيو كارتر كما لو كنت اتكلم بعد القسم وأؤكد لك انني افادي بكل شيء حتى لا اعاديك

— حسناً — وانا اسمع — عند ما اجتمعت بصديقك دونيلسون وصادفتما الاعمى هل كان في الكوخ

— لا . كان الكوخ خالياً · ولكننا وجدنا آثاره فجزمنا برجوعه

— ومتى رجع

— امس مساء

— اول الليل

— نعم

— اذن فهو في الليل يرى بجلاء · اذ كيف يمكن الاعمى ان يجول وحيداً في هذه المقاطعات المنفردة · او لم ينبهك ذلك الى انه نكتالوب

— نعم ان هذا الفكر داخلني · ولكنني لم افه لدونيلسون بكلمة

— هل عرفت شيئاً عن المحل الذي كان فيه كراب

— لا اعرف ... ولكنه اتى من هذه الجهة · ثم اشار الى جهة الكهف

— هل نظرته ينزل الى هذا الكهف

— اننا راقبناه طول الليل · فلم ينكشف لنا من الامر شيء حتى وصلت الينا · وقد تفننا في سؤاله واخيراً فرغ صبرنا نعولنا عَلَى ارغامه ليعطينا الماسة طوعاً او كرهاً

— انكما تصرفتما بكل خرق في التذرع بالوسائل ولو لم اباغتكما لكنت الآن قاتلاً شقياً امام الله والناس

فارتجف ماتيو وغطى وجهه بيديه ثم قال وهو يتململ

— كنت اود لو لم اتداخل في هذه القضية · مع انني انا · أنا الذي زينت لدونيلسون اتباع الاعمى واغتصاب الماسة

— انني قلت لك واكرر ما قلت · ليس في صدري شيء عليك لا شخصياً ولا بداعي الوظيفة ويمكنك ان تنسحب الآن دون ان تخشى شيئاً · ولكن كن حكيماً في المستقبل · وانصح لك الآن بالرجوع الى الكوخ مسرعاً كما تفر من الموت . اما انا فسأتبع الاعمى الى الكهف

— دعني اصاحبك يا مسيو كارتر · انني فكرت ملياً في ذلك · فقد كانت هذه الماسة مشؤومة فالقتني في هذه الوهدة · واريد الآن ان ابذل الجهد المستطاع لاردها الى صديقي التديم دلمار

فقال البوليس وهو يرفع كتفيه

— كما تشاء اذ لا اجد مانعاً من اجابتك الى ما تطلب · ولكنني اود ان الفت انظارك الى الخطر الذي تسعى اليه فان كراب ينقل مسدسه وهو يرى في الظلمة كما يرى الهر ·

— اذا لم اكن مخدوعاً اقول انه خبأ ايضاً بندقية في الكهف ولكن هذا لا يثني عزمي عما اروم

— حسناً جداً · ولكننا نحتاج نوراً لئلا نعثر في انحدارنا لاننا لسنا من فصيلة (نكتالوب) كما تعلم

— ساذهب الى الكوخ وافتش عن المصباح

قال ذلك وهم بالذهاب فامسكه نكارتر بذراعه وقال له

لا حاجة لذلك فان معي ما يغنينا · واخذ من جيبه المصباح الكهربائي واناره بضغطه على الزر ·

فأبصرا امامهما ممراً ضيقاً منحدراً كثير المزالق يؤدي بعد معاناة الاخطار الى قاع الكهف · فتدرج الاثنان في هذا الطريق وهما منحدران · ولكنهما أسرعا في المسير على قدر الاستطاعة

فوصلا ايضاً الى ارض جرداء ولم يكن فيها سوى طريق صغير متعرج ضيق مملوء بالحجارة المحددة الرؤوس التي كانت تمزق الاحذية وكان على يمينها صخر ينهض الى الاعالي حتى تغيب قمته في السحاب وعلى يسارها النهر بامواجه المزبدة فسأل البوليس اي طريق يسلكه كراب عند مروره من هنا

ولم ينتظر طويلاً حتى يسمع جواباً على ذلك فان شهاباً لمع للحال قرب النهر وسمع دوي طلق نارعب نكارتر رعباً شديداً

وصرخ ماتيو صراخاً هائلاً وأن انة جزع لا تترجم بالكلام ثم رفع ذراعيه الى السماء وحركهما هنيهة وبعد ان خطا بضع خطوات الى الوراء سقط الى الارض لان الرصاصة كانت قد اخترقت قلبه

ولكن نكارتر لم يفقد صوابه فادار نور المصباح الى الجهة التي اتى منها الطلق ولكن النور لم يبلغ المسافة المطلوبة حتى يرى من هو الذي اطلق النار • فعزم البوليس ان يتبع مجرى الحوادث •

وبعد لحظة دوى طلق آخر أصاب المصباح الكهربائي الذي كان في يد البوليس ولحسن الحظ كان نكارتر مادّاً يده بالمصباح لتطول المسافة التي يبلغها نوره فرضت يده الصدمة الشديدة • وحين فقد النور عرف شدة الخطر الذي وقع فيه • اذ كان لخصمه عليه مزية كبرى في انه يرى بجلاء على رغم الظلام المتكاثف او بالاحرى بواسطته

ولكن البوليس لم يكن يرى شيئاً فراح يعدو الى جهة الصخر ليتحصن به

فوفق الالتجاء الى تجويف ضيق في الصخر انسل اليه بصعوبة وهناك ربض ينتظر النتيجة بفارغ الصبر

فدوى طلق جديد وقع على الصخر الذي كان البوليس على وشك مغادرته فقال: اذن ينبغي ان اقيم هنا دون حراك فانني اذا خاطرت في التقدم خطوة الى الامام اصابتني رصاصة شدخت رأسي • لان هذا الحيوان يصيب المرمى احسن اصابة • ومع هذا فان مقامي ليس اقل خطراً من التقدم فقد يمكن ان يبلغه كراب دون ان اشعر به

وفي هذه اللحظة دوى الرعد فرددت صدى دويه الاودية بما يصم الآذان ولمع البرق فاضاء تجويف الصخر وتلك الارجاء كلها حتى سهل النظر على البوليس

فغنم نكارتر هذه النهزة وحاول ان يستفيد منها عالماً ان كراب لا يستطيع فيها شيئاً بسبب ضعفه • فخاطر حينئذ ورفع رأسه قليلاً ليرى خصمه فوجده على بعد خمسين

خطوة واقفاً امام ضفة النهر وهو يحمل باليد الواحدة بندقية ويستر عينيه بالاخرى حتى لا يبهره النور

فعمد نكارتر الى الاحتيال الذي خلصه من مواقف اشد خطراً من هذا الموقف فأخذ قبعته وعلقها على رأس صخرة ثم نزل مسرعاً الى ضفة النهر حيثما لا يرى

ثم اختفى نور البرق وساد الظلام ولم يعد البوليس قادراً ان يرى كراب فلم تمر لحظة حتى سمع دوي شديد وسمع كارتر صوت قبعته المتدحرجة على الارض

— لم يخدعني فكري فقد ظننت انه سيلمح قبعتي . وأومل ان يسقط الآن في الفخ وكان يسمع خطوات تقرب من المحل الذي كان جاثماً فيه كأنها تقتفي آثار قبعته لان كراب كان آتياً ليرى خصمه قتيلاً

ولم يكن كارتر قادراً ان يميز شيئاً في الظلمة ففضل ان يستمر على سكونه ولم يشأ ان يخاطر بطلق ناري يجعله هدفاً لنار (نكتالوب)

ولكن يجب ان نؤمن بآلاء خاص للبوليس السري فان لمعة برق اشد من التي سلفتها انارت الكهف حتى ظهرت اشجاره وعوسجه ورؤوس صخوره

فوقف كراب فجأة ووضع يديه على عينيه متألماً لان النور بهرهما وسكن بدون حراك كأن نار السماء قد احرقته

وللحال وثب البوليس وارتمى عليه . فشعر كراب بدنو خصمه فصاح صياح الغضب وقد ارتجف غيظاً لان نور البرق لم يكن قد اختفى بعد فحاول ان يقابل البوليس . ولكن هذا كان اسرع منه فقبض على فم البارودة قبل ان يطلقها كراب فضاع الطلق في الهواء وسمع له دوي اضطربت له تلك الصخور من اسسها

واسوء الحظ عادت الظلمة ثانية

وقام بين الرجلين صراع شديد . وكان اليأس يضاعف قوى كراب وفضلاً عن ذلك فانه يرى في الظلام بينما كان نكارتر يصادف مشقة شديدة ليقبض على خصمه وقد قاتل كراب بخفة النمر فكان يثب ويضرب ويزمجر ولكنه تعب اخيراً فقبض نكارتر على رقبته بذراعيه الشديدتين . وانهارت التربة التي تحت اقدام الرجلين فجأة لما تخللها من المطر . ففقد كراب الموازنة ولكن البوليس نجا بوثبة وثبها الى الوراء من خطر التدحرج من رفيقه الى اعماق النهر

ولمع البرق فأنار تلك الارجاء . فابصر نكارتر خصمه متدهوراً في ذلك المنحدر

وهو يحاول ان يتمسك بالعوسج فخاب ما حاوله . وسقط المسكين في النهر وقد صرخ هذا التعس وهو على وشك الهلاك :

فلتكن ملعوناً . فلتكن ملعوناً . انك لن تظفر بالماسة البتة . البتة . البتة . وطغت عليه مياه النهر فصاح صيحة هائلة جمد لها الدم في عروق نكارتر ثم غاص في الماء

***

وبعد بضعة ايام وصل البوليس — وهو الوحيد الذي بقي حياً من العصبة الى مقاطعة في الاريزونا فيها مكتب للتلغراف . فراسل باتدي الذي كان باقياً في دانفر كما امره وعلم منه ان دلمار سافر الى سان فرنسيسكو فاجابه نكارتر تلغرافيا بما يأتي

سأقابله في سان فرنسيسكو واطلعه على تفصيل الحوادث اما انت فيمكنك ان تذهب الى نيويورك .

وكان نكارتر بعد الواقعة قد جاس الاراضي وسترى نتيجة فعله . ثم عاد يلتمس الجواد فوجده حيث عقله اما سائر المطايا فقد هلكت برصاص المتقاتلين . واستمر البوليس مسافراً على ظهر الجواد حتى وصل اول موقف لسكة الحديد فركبها الى فرنسيسكو وهو يتنهد تنهد الراحة لانه وجد اخيراً في غرفة متقنة فيها جميع معدات الراحة والرفاهية

وفي فرنسيسكو قابل دلمار التاجر الهندي القديم ووضع في يده الماسة الثمينة التي كان يعتقد انه فقدها الى الابد . فكان تأثر التاجر شديداً حتى تعذر عليه النطق بضع دقائق ثم دعا البوليس الى تناول الطعام وسأله ان يقص عليه الحوادث التي جرت

فقال نكارتر

ليست مهمة جداً — قال ذلك لانه كان يكره ان يذكر الاعمال الفائقة التي قام بها — ولكنني اقول انه كان من المستحيل عليَّ ان الاقي الماسة لو لم اعرف كيف سرقت

فقال دلمار

اؤكد لك اني لا اعرف ايهما يسرني اكثر ان تعود الماسة الى حوزتي ام ان اعرف الاسلوب الخارق الذي سرقت به

— ان اللغز الذي حير الباب كان بسيطاً للغاية . فكانت مظاهر الصعوبة التي تجلله اشبه بالمظاهر التي جللت اركاز بيضة خريستوف كولومب

يجب عليَّ ان اقول لك ان كراب كان نكتالوب اي انه لم يكن يرى في النهار واكثر في الليل يرى بجلاء . وعلى هذا فكان يستحيل عليه ان يرى على النور الكهربائي .

ولكنك لما التفت وضغطت الزر فأظلمت الغرفة نظر الماسة تلمع في ذلك الظلام فخطفها ورماها في قدح الماء الذي كان امامه

ولما شعر انك ستعيد النور حالاً وضع القدح على فمه واذ لم يكن للماسة لون استحال عليك ان تراها في القدح

فصادق دلمار على كلامه وقال

والاغرب من ذلك ان الماسة كانت تحت يدك عندما كنت تفتش جيوب اصحابك وثيابهم

وعندما طلب كراب منك ان تناوله قدح الماء قبل ان يبارح الغرفة قدمت له الكأس والماسة معاً وقلبك منسحق للاهانة التي وجهتها لهذا الضعيف اليس كذلك يا موسيو دلمار ان هذا يميت من الضحك

وانك تذكر جيداً انه بعد ان تناول الماء كله فاقتصر على الانحناء امامك وقد عزوت هذا لانفعاله الشديد من الاهانة حتى ونفث الكلمات على شفتيه آه . آه . آه .

وعندما خرج من الغرفة تناول الماسة من فمه ووضعها في جيبه وقد اتى مثل ذلك مراراً في الكوخ حينما اجتمع عليه صديقاه واني اؤكد ان الماسة كانت امامه في الكاس حين شرعنا بالقتال مع البرابرة . واذكر ايضاً انه افرغ القدح في فمه قبل ان يجلب لي حقيبة الرصاص ولا شك ان الماسة كانت عندئذ في فمه ثم خبأها في الكهف

ولكي اختصر القصة اقول لك انني خفت خوفاً شديداً لما سقط كراب في النهر من ان تكون الماسة معه فلا يعود في اليد حيلة كما تعلم واخيراً عزمت ان لا ابارح الكهف بل انتظر طلوع النهار واخيراً بدأت بالتنقيب بين الصخور

ولم يكن لي مطمع ان اجد جثة كراب فانني لم اقف لها على اثر وبعد ان فحصت الحاجز الصخري وجدت تجويفاً فيه يؤدي الى مغارة وكان في المغارة قوت وغطاء من الصوف وبندقية ومسدسان وعدة حوائج أخر

ولا يقتضي فطنة كبيرة حتى يعرف الانسان ان هذه المغارة هي مخبأ حصين وقد انتقاها كراب عند مبارحة الكوخ وأجاد في انتقائها لان رجلاً فيها يمكنه ان يحارب جيشاً على شرط ان يكون عنده الذخائر الكافية

واخذت انقب في زوايا الكوخ ومكانه ولكن آمالي خابت في ان اجد الماسة فيه إذ لم يلح لي اقل أثر منها وكدت ايأس لولا انني لحظت في جنب الكهف صخراً على شكل

مائدة وفي وسطه تجويف طبيعي صغير ملآن ماء

اقول تجويف طبيعي ولكن الامر كان بالعكس لانه كان من المستحيل ان يتسرب الماء من نفسه الى ذلك التجويف فكان من الواجب ان تكون يد انسان قد صبتها فيه فوضعت يدي في هذه الماء فوقعت على جسم صلب لا اراه ولكنه كان موجوداً لانه كان يقاوم اصابعي ولله ذلك السرور الذي شعرت به فانني عندما جذبت ذلك الجسم من الماء كانت الماسة بعينها التي طالما بكيت عليها وحننت الى استرجاعها . هذا هو حل اللغز

ثم استلقى نكارتر على مقعده واغرب في الضحك

فاستحوذ العجب والدهشة على دلمار وكان يتنازعه عامل السرور باستعادة الماسة وعامل الاحترام لذلك الشجاع النبيل المهذب فنهض وطوق عنق البوليس بذراعيه وجد في تقبيله قبلات شديدة اما نكارتر فلم يمانعه في ذلك البتة

ثم قال دلمار

ان كراب هذا هو ادهى اص انيته في حياتي اليس كذلك يا مسيو كارتر ؟ انني لا اعرف كيف اعبر عن شكري العظيم

فتبسم البوليس . ثم استأنف دلمار الكلام فقال :

ان الماسة صارت اعز علي الآن بعد ان تعرضت لخطر الضياع . ولكنني كنت اود ان اعلم ماذا جرى بكراب

فقال البوليس وهو يرفع كتفيه — انني لم آل جهداً في التفتيش عنه فذهبت مساعي ادراج الرياح واعتقد الآن انه يرقد بسلام في اعماق نهر كولورادو ....

وقفة عند يلدز

لمن القصر لايجيب سؤآلي آهلات ربوعه أم خوال
مشمخر البناء حيث ترآى باليآ مجده بلى الاطلال
لم تصبه زلازل الارض لكن قد رمته السماء بالزلزال
وكسته الايام بالصمت لما نطقت فيه حادثات الليالي
فترآءت ابكاره شاحبات باكيات باعين الآصال

***

ايها القصر ايه بعض جواب لاتكن ساكتآ على تسآلي
ليت شعري والصمت فيك عميق ذاكرٌ انت عهدهم ام سال
ماتداعى منك البناء ولكن قد تداعى بناء تلك المعالي
كنت كل البلاد في الطول والعر ض وكل العباد في الاعمال
كنت مأوى العلى مثار الدنايا مهبط العز مصدر الاذلال
كنت جبآ واي جب عميق بالدمآ للنفوس والاموال
مورد الخائنين كنت وكانت منك تدلى مطامع العمال
قصر عبد الحميد انت ولكن اين ياقصر اين عرش الجلال
اين خاقانك الذي كان يدعى قاسم الرزق باعث الآجال
ما أرى اليوم ذلك المجد الا كخيال يمر بعد خيال
هل وقوفي على مبانيك الا كوقوفي على الطلول البوالي

***

قد تخوننا ثلاثين عاماً … جئت فيها لنا بكل محال
تلك اعوام رفعة للاداني … تلك اعوام حطة للاعالي
تلك فيما جرت به نقطة سو … ء تبقى بجبهة الاجيال
ملأت خطة الزمان شناراً … فأبتها كل العصور الخوالي
يثب العدل طافراً كلما مـ … ـرّ عليها مشمر الاذيال
وكأني ارى اضطراب نفوس … كنت تغتالها واي اغتيال
اسمع الآن فيك ما كان يعلو … من أنين لها ومن اعوال
حائمات على الذي فيك ابقيـ … ـن دفيناً من الرفات البوالي
تلك يا قصر انفس انفت منك … فطارت الى سماء المعالي
وترقت الى ذؤابة اعلى … كوكب في سمائه جوال
وهي اليوم أحرقتك بشهب … قذفتها عليك ذات اشتعال
لم يضع مجدها وان هي امست … ضائعات الاشلاء والاوصال

***

كيف ننسى تلك الخطوب اللواتي … لقحت منك حربها عن حيال
يوم كنا وكان للجهل حكم … خاذل كل عالم مفضال
آمر من عتوه كل امر … يغرس البغض في قلوب الرجال
افاصبحت نادماً ايها القـ … ـصر تبالي بالقوم ام لاتبالي
لم تفدك الندامة اليوم شيئاً … قضي الامر فاصطبر باحتمال
وعزاء فلست اول قصر … نكس الدهر من ذراه العوالي
قد تداعى من قبل ايوان كسرى … بعد ان طال شاهقات الجبال

وكاين من قصر ملك ترامى ـ اقطاً بالملوك والاقيال
فابق ياقصر عابس الوجه كيما يصبح الملك بائس الآمال
وتعثر فلا لعالك حتى ينهض العدل ناشطاً من عقال
انما نحن امة تدرأ الضيـ ـم وتأبى ان تستكين لوال
امة سادت الانام وطابت عنصراً من اواخر واوالي
فاذا ماعلا الغشوم نهضنا فقذفناه سافلاً من عال
نملأ الارض ان مشينا لحرب بزئير الغضنفر الرئبال
واذا ما غلّ المليك رددنا ه ذليلاً يقاد بالاغلال
نحن من شعلة الجحيم خلقنا لاولي الجور لامن الصلصال
ياملوك الانام هلا اعتبرتم بملوك تجور في الافعال
ليس عبد الحميد فرداً ولكن كم لعبد الحميد من امثال
فاتركوا الناس مطلقين والا عشتم موثقين بالاوجال
هل جنيتم من التجبر الا كل اثم عليكم ووبال

الاستانة — معروف الرصافي

تدبير الصحة

اتفق انا ونحن نعجب بالنبذة التي ننشرها لابي زيد البلخي من اهل القرن الثالث في تدبير الصحة ان عثرنا في « المجلة » الباريزية على بحث للدكتور هيريكور الفرنسوي في هذا المعنى نفسه فرأينا تعريبه ليقابل القراء بين القديم والحديث قال : الصحة اعظم النعم ولا شيء يوازيها من سلطة وثروة في جلب الراحة بل ليس من سعادة اعظم مما توليه الصحة . ففي الصحة شعور بطول بقاء المرء مما يقوي الساعد عَلَى العمل والانتاج الى ما وراء التصور فيزيد في حسن الخلق الذي ينشر السعادة في اطراف صاحبه . والصحة الطبيعية شرط في الصحة الادبية لان من سلمت حواسه من العيوب واطرافه من الفساد يسلم عقله . والصحة الادبية عبارة عن قواعد من شأنها ضمان صحة الافراد والمجموع . ولا يظن ظان ان هذه القواعد تزيد في الانانية بل هي ولامراء مدرسة مدهشة بث روح الغيرية لان خلق التضامن يتجلى في ابهى مظاهره في مسائل التدابير الصحية . والتضامن هو المحور الذي تدور عليه حياة المجتمعات البشرية في المستقبل .

وانا اشعر بالمسؤلية الادبية التي تصيبنا في المسائل الصحية العامة . مثال ذلك ان امرأ اذا كتم مرضاً ساريا ينشأ منه وباء يهلك فيه الوف من الناس افليس خليقاً به ان يدرك بانه اذا باح بالمرض يقاتله هو ومن حوله عَلَى حين لو كتمه لاودى به وبغيره فليس تدبير الصحة والحالة هذه هو تدبير الجسم فقط بل هو تدبير الاخلاق بمجموعها

يعلمنا علم منافع الاعضاء ان الجسم آلة لا تبقى على حالة حسنة كما هو الحال في جميع الآلات الا بالعمل . وعلم الصحة بما فيه من القواعد التي من شأنها حفظ حياة الفرد وحياة الجماعة يعلمنا ايضاً الطرق التي تضمن لتلك الاداة البشرية احسن نتائجها واطول ايامها وكيف يتمكن الآباء من ايلاد الاولاد الاقوياء الناقهين . فاذا عرفنا من علم الفسيولوجيا كيف ان الفرد هو ابن محيطه فان العلم يشير الى تلك النقطة التي يجب عَلَى المقننين ان يوجهوا عنايتهم اليها اذا احبوا تحقيق اسباب حسن تربية الفرد التي لها اتصال بطبيعة الارض اكثر من اتصالها بنوع البذار اي بصحة الاجسام اكثر من صحة التعاليم

وعلى الجملة فان علم الصحة (الهيجيين) يأمر المرء بالعناية بصحته وصحة الناس ويشير اليه بالعمل ويدله على اسباب العمل الجيد ويبصره بعواقب الغرور ومخاطر الشهوات التي يطلب المرء فيها سعادته عبثاً وما هي في الحقيقة الا سيئة الاثر منهكة للقوى . نعم ان علم حفظ الصحة يمثل الصحة بانها السعادة الوحيدة الحقيقية ويبرهن بان غلط الفرد يلحق المجموع وان التكافل لا بد منه

وانا بما نورده من النصائح نوجز المبادئ الجوهرية في حفظ الصحة في الفرد والمجموع وناقن ما يجب العلم به واعمل له من القواعد الاساسية التي نوجهها خاصة لمن كانوا في مقتبل العمر من الشبان والشابات

القاعدة الاولى — « يجب عليك ان تعنى بصحتك » لان صحة الفرد ليست له وحده بل هي للمجتمع ونجاح هذا وقوته متعلقان بصحة مجموع من يتألف منهم . فالواجب على المرء ان يعمل بحيث يقدم للمجتمع ما يصيبه من الحصة من العمل والانتاج ومن يهتم بصحته كان كمن يسعى لابقاء تلك الآلة التي يملكها كل انسان للقيام بما يفرض عليه من العمل ويؤدي ما عليه للمجتمع الانساني . وتختلف عناية المرء بصحته بحسب حاله وشأنه فقد تضطره الحال في بعض الاحيان ان يفادي بصحته حباً بابقاء صحة المجموع ولذلك كان من الواجب على كل امرئ ان يقوي صحته حتى لا يقف ساعة امام ما يتحتم عليه بذله عند الاقتضاء

القاعدة الثانية = « اعلم ان العقل القويم بالجسم السليم » ان في مجموع تركيب الجسم كما في المجتمع جميع الحواس متكافلة بعضها مع بعض فالدماغ وهو حاسة الفكر والارادة معرض لعامة الامراض التي تصيب سائر الحواس كما هو عرضة لجميع النقائص ولذلك قضت الحكمة ان تبذل العناية بذاك المجموع النامي على اختلاف مناحيه ولا سيما اذا كان في ابان نموه . ومتى عني باحدى الحواس بنوع خاص يستأثرون سائر الحواس بالعناصر المغذية ويبطل عمل سائر الاعضاء ويقل تغذيتها فتنقطع الموازنة العادية في الصحة ولا تلبث تلك الحاسة الممرنة كثيراً ان تصير الى حال من الاضطراب وتفقد غناها بما يصيبها من البوائق التي تسمها وتضيق عليها وتفلجها وعليه فاقتضى ان يعمل لكل حاسة ما تحتاجه من العناية سواء كان من حيث الفكر او الحركة

لا يضر البالغ اذا لم تعط كل حاسة فيه حقها بقدر ما يضر الطفل واليافع لان اعضاء هذا تكون في بدء امرها لم تستوف قسطها من الاستحصاف من اجل هذا وجب ان تجدد

بتدقيق صلات العمل الطبيعي والعمل العقلي ويقتضي للحواس قبل انتاجها ان تستعد لذلك واذا تعجل المرء في الالحاح عليها تفسد وتعطل . فتربية الطفل يجب ان تكون باعثة لمجموع الجسم على التقوية لا ان يعجل في استخدامها قبل اوان بلوغها ودماغ الولد لا يكمل الا بعد حين ولذلك اقتضى ان لا يطالب منه انتاج شيء قبل العمل ويكتفي بتلقين الولد العادات والاساليب التي تدربه بعد على العمل . وعلى العكس في العضلات فانها تقوى بسرعة وكذلك هيكل الجسم فانه يستحكم في السنين الاولى من الحياة ويقاوم احسن مقاومة فنرى ان يمرن الطفل من سن الخامسة الى العاشرة ساعة في الاشغال العقلية ومثلها في الاشغال الطبيعية ومن العاشرة الى الخامسة عشرة ساعتين في الامور الذهنية وثلاث ساعات في الاعمال العضلية ومن الخامسة عشرة الى العشرين ثلاث ساعات في الاعمال العقلية وساعتين في الاعمال العضلية . والاخير خاص بالشبان الذين يختصون بالاعمال العقلية والادبية والعلمية والفنية . ولا بأس في تلك السن بتعليم الاحداث صناعة يدوية اذ ان جمهور الفسيولوجيين على ان مهارة اليد تعمل عملاً تاماً في جلاء الفكر وتؤثر احسن تأثير في قوة الارادة . بيد ان العمل اليدوي يعدل من العمل العقلي بل يكون له عوناً على تربية الفتى تربية عملية نافعة ويتمكن من تحصيل معاشه على كل حال فيكون مثال الرجل الحر المستقل

القاعدة الثالثة — « ليكن جسمك طاهراً نظيفاً على الدوام » — للجلد وظائف مهمة للصحة كالرئتين فانهما للتنفس والكليتين لافراز السموم التي تنبعث من حياة الخلايا المؤلفة منها حواسنا وانسجتنا فالجلد كالرئة يتنفس ويرشح فبالعرق يفرز الجلد كما تفرز الكليتان مع البول مواد سامة وتنفع الكلى وبالرشح يتعدل مزاج الجسم لان الرشح هو العامل الوحيد في تركيبنا لمقاومة الحرارة شأن آنية يبرد ما فيها بتبخر السائل الذي يرشح الى سطح الطين ذي المسام . واذ كان الجلد سطحاً واقياً من الوسط الخارجي والعوامل الطبيعية والجراثيم يجب ان يترك نظيفاً ليحفظ نموه التي بها يقاوم المؤثرات الخارجية فالجلد الذي لا يعنى به يتخرق ولا يقاوم فعل البرد وتدخل فيه الجراثيم التي تعلق فوق سطحه . وتحسن حالة الجلد بالدلك والغسل وصب الماء الحار او البارد على الجسم بحسب مزاج الانسان والمواسم . وربما لا تطيق بعض الاجسام صب الماء عليها ففي هذه الحالة يجب الاعتياد على الدلك والغسل يومياً لان ذلك شرط في تدبير صحة الجسم

القاعدة الرابعة — « اقلل من طعامك » ان خطر الافراط في الاكل يضر بنا في

الاغلب اكثر من التغذية القليلة فالطعام اذا كثر عَلَى المعدة وساء هضمه يوشك ان لا يستحيل بالهضم بدرجة كافية فتهيج به الاحشاء كما لو دخلت عليها مادة غريبة وتحدث ألمًا في الامعاء. واذا بلعت لا ينتفع بها الا قليلاً اي لا تحترق الا بعض الشيء في داخل الجسم وهذا مثل الموقدة التي يختل تصريفها للدخان تمتلئ بجميع الفضلات الناشئة من اختلال الوقود. فالحامض البولي وهو اخص هذه الفضلات يسمم الدم او يهيج الانسجة التي تحويه فيصبح الأكول اذ ذاك عرضة لوجع المفاصل وغيره من الامراض. وتكون هذه العوارض عَلَى طول الزمن دائمية وقد كان يمكن زوالها وتبدو في شكل تكوين الحصاة او وجع المفاصل والبول السكري

فالافراط في التغذية وعنه يحدث الاضطراب في الهضم يتبعه في الغالب تخمر خارق للعادة في الاحشاء وتنبعث منه سموم متنوعة في قناتها ولا يأتي عَلَى هذه السموم المبتلعة الا الكبد ولكن اذا كثرت عليه وظيفته ينتهي به الامر ان يتعب ويصبح غير كاف عمله وعندها تحدث سلسلة من الاضطرابات التي تغير ميزانية الصحة والكفاءة للعمل .

القاعدة الخامسة « اجعل الماء شرابك العادي » الماء هو الشراب الطبيعي ينفع في الهضم وتنقية الدم . ولا شك ان الماء يحوي جراثيم مضرة وهذه الجراثيم لا تبيد كما يزعم بعضهم باضافة شيء من الخمر اليها . فاذا اشتبه في الماء او كان ثمة خطر من وباء ينتقل في الماء كالحمى التيفوئيدية والهواء الاصفر يجب غلي ماء الشفة وماء الاغتسال ولا يصح الاعتماد ابداً عَلَى راووق (مصفاة الماء اوفيلتر) البيت لانه يستلزم عناية كبرى لا تنهض بها الا المعامل الكيماوية ويحتاج الى التطهير والتعقيم مرة في الاسبوع عَلَى الاقل . والماء المغلي لا يسوء هضمه فلكي يجعل قابلاً للشرب يحتم تبريده وتهويته ويكفي ترويقه بالتفوير . وان الاشربة التي تؤخذ على الريق لا تبقى في المعدة بل تنساب في الحال الى الحشا الذي يبتلعه حالاً فلاحسن اذاً ان يشرب الماء في اول الطعام لا في اواخره وتبقى الاشربة التي لا تهضم في المعدة مع الغذاء ويحل العصارة المعدية ويبطيء عمل الهضم في المعدة

القاعدة السادسة — « امتنع من تناول الالكحول بتاتًا » ليست الالكحول غذاء بل هي سم قتال للخلايا العصبية ومروره على الكبد والكليتين يفسد عناصرها عَلَى صورة يتعذر الشفاء مما نالها وان جسماً يقوى بالالكحول لقليل البقاء اذ يفقد ادوات دفاع الجراثيم الضارة عنه ويكون عرضة لعامة الامراض الالتهابية التي تشتد عليه اكثر ممن

يمتنع عن تناول المسكرات ثم ان اهم الاحشاء تصاب بذبال يؤدي بها الى العقر او يصاب نسل اولئك السكيرين بتشويه في اجسامهم لا يبرؤن منه . فكما قالوا ان الالكحول هي مقدمة لداء السل في شاربيها كذلك هي مدرجة للامراض العضالة في الكليتين والكبد واذا ورث ابن السكير نقصاً في جسمه تبلغ به الحال ان يكون جانيا او مجنونا . وجميع ما يصاب به اولئك البائسون من تشويه الخلقة والهستيريا وضعف المجموع العصبي والصرع مما يقضون به حياة شقية ناشئ ولا جرم من تسميم دم ابيهم لهم وتور بثهم هذه الاوصاب

اما سائر الاشربة المقوية كالقهوة والشاي فليس فيها من ضرر من هذا القبيل وعلى كل فلا بد من الاعتدال فيها والا فلا تلبث ان تضر بالاعضاء الهاضمة . ومن الآراء الخرافية ما هو شائع عَلَى الالسن من ان القهوة تساعد على الهضم

القاعدة السابعة — « اذا كنت تعمل بعضلاتك اعتمد في طعامك عَلَى البقول واكثر من تناول السكر واذا كنت تعمل بعقلك فاعتمد في تغذيتك عَلَى اللحوم » يستلزم العمل بالعضلات طعاماً بكثير فيه الكربون اذ ان العضلات هي ادوات لانتاج الحركة والقوة تسخن بالفحم فالبقول تحتوي عَلَى اطعمة كربونية والسكر هو فحم العضلات التي توقد منه وعَلَى العكس في الاعمال العقلية فانها تصرف عناصر ازوتية لا يمكن التعويض عليها الا بتناول مواد البومينية من اللحم . واللحم النيء يصلح ما يفقده مجموع الجسم من الازوت اكثر مما يصلح اللحم المطبوخ

القاعدة الثامنة — « للوقاية من البرد اذكر ان قطعة من الورق تعادل معطفاً او حراماً » قد يحدث ان البرد يداهم المرأ عَلَى حين يكون بلا معطف ولا دثار ومعلوم ان ما يدفئ الجسم هو ان تجعل حوله طبقة من الهواء سخنة وهذا الغطاء يجب مضاعفته او تقليله لان الهواء لجميع الاغذية هو اسوأ موصل للحرارة ولذلك ليس من المهم ان تكون البسة المرء غليظة بل ان تكون كثيرة منضدة بعضها فوق بعض وفي هذه الحال ينتفع بقطعة من الورق كما ينتفع بثوب جيد بالنظر لقلة ثخانته اذ يجعل طبقة واقية من الهواء واذا وضعت جريدة تحت الصدرة او تحت الدثار تعادل بما تورث الجسم من الحرارة المعطف او دثاراً ثانياً

القاعدة التاسعة — « احذر البرودة (الرطوبة) اكثر مما تحذر البرد » لاشك ان اخص وظيفة للثوب ان يقي من البرد ولكن الامراض الناشئة من البرد نادرة جداً على حين ان الامراض المنبعثة من البرودة شديدة وكثيرة فاقتضى ان تكون الثياب مانعة

من التنقل الفجائي بين البرودة والحرارة اي من البرودة · والثوب الذي يقوم بهذه الغاية هو الصدرة من الفلانلا · ومعلوم ان الجسم المتصبب عرقاً معرض للبرودة بالترشح السريع من العرق · والفلانلا تمتص افراز العرق عند حدوثه وتقف حاجزاً دون برودة الجلد ونتائجه المضرة ويكون ذلك في الصيف والشتاء عَلَى حد سواء · ثم ان الفلانلا في الحقيقة انفع في الصيف منها في الشتاء بالنظر لكثرة الرشح من البدن للحرارة الكثيرة وعَلَى من يلبس الفلانلا ان يعلم بانه اذا اراد ان يحفظ لها تأثيرها اي خاصيتها في الامتصاص يجب عليه ان ينزع في الليل مالبسه في النهار و يستعيض عنه قميصاً اخف منه · والمراوحة عَلَى هذا الوجه بين قميص الليل وقميص النهار ضرورية لابقاء صفات القماش عليه

القاعدة العاشرة — « اعمل بنشاط فالعمل من شروط الصحة » — وذلك لان الجسم الحيواني هو في الواقع آلة تخرج النشاط من طريق الحركة او من طريق الفكر · ولذلك كانت الآلة التي لا تأتي بالعمل الذي خلقت له لا يتيسر بقاؤها والآلة التي لا تستعمل تصدأ والصدأ يسرع في تخريبها اكثر من الابتذال وهكذا فان جسم الانسان لا يستقيم شأنه الا اذا استخدم فيما يراد منه · و يعرف الناس امثلة كثيرة من اولئك الذين ينقطعون عن العمل قبل الاوان و يتقاعدون في بيوتهم فلا تلبث البطالة ان تودي بهم الى الهرم فالموت · ومن قضي عليهم من الناس ان يمتازوا بما لهم من ثروة ان يعيشوا بدون ان يعملوا يشعرون مع هذا بالحاجة الى العمل فيعمدون الى الرياضات من ركوب الخيل والدراجات وغيرها مما هو في الحقيقة من الصنائع اليدوية يقوم بها اولئك الموهون بها ·

القاعدة الحادية عشرة — « اذا كنت تعمل بعقلك استرح بان تعمل بيديك واذا كنت تعمل بيديك استرح بالعمل بعقلك » — لموازنة الصحة علاقة بتوازن القوة عَلَى العمل في التركيب الانساني عَلَى اختلاف اعماله · فعلى المشتغل بعقله ان يجعل له من وقته حصة للاشتغال بالامور الطبيعية وذلك بان يخصص كل يوم ساعة او ساعتين للمشي وعَلَى من يعمل الاعمال اليدوية ان ينقطع قليلا للنظر في الامور الذهنية فيجب عليه ان يخصص لها مثل هذا الوقت ايضاً · وهذا من الضروريات التي تضمن لمتعاطيها سهولة هذه التربية لمساس الحاجة اليها في نفع الصحة الطبيعية والاخلاقية

القاعدة الثانية عشرة — « اصرف الراحة الاسبوعية في الخلاء » — تقضي دواعي

المدنية عَلَى العاملين من كل طبقة سواء كانوا عاملين بعقولهم او بايديهم . ان يعودوا من حين الى آخر الى الحالة الطبيعية التي يمثلها العيش في الخلاء . فالراحة الاسبوعية التي يمكن ان يقال عنها انها قانون السلام تمكن صاحبها من الرجوع الى الحالة الطبيعية عَلَى شرط ان لا يصرف المرء وقته في دور التمثيل ولا في الحانات بل يصرفه في تهوية الرئتين وتليين المفاصل وذلك بان يعمد الى الرياضات البدنية عَلَى انواعها ايضاً كالمشي والركض والقفز والتزحلق عَلَى الجليد بحسب سنه وذوقه والفصل الذي يكون فيه من فصول السنة . ويستفيد النساء والفتيات ويلتذون بالالعاب في الهواء الطلق مثل لعبة التنيس وركب الزوارق والدراجات .

القاعدة الثالثة عشرة — « ونم ثماني ساعات » — كان من قواعد تدبير الصحة في القديم ان لا يسمح للمرء بان ينام اكثر من ست ساعات الى سبع عَلَى انه لا وجه للشبه بين ما يعمله احد سكان مدينة آثينة في زمن افلاطون او احد سكان رومية في عهد هوراس وبين ما يعمله رجل بيده او بعقله في القرن العشرين . اما اليوم فان العامل بذهنه او بدنه يقتضى له راحة اطول تعوض ما يتوفر عليه من شاق الاعمال ولا سيما في الاطفال والفتيان ممن لا يتم نموهم في الحقيقة الى نحو الخامسة والعشرين من اعمارهم . ولا يتوهمن متوهم ان اطالة الليل في النوم يستلزم تقصير النهار فليس السر في عدد ساعات العمل بل في الصورة التي تستعمل فيها قيتها الفكر بعد الراحة المعوضة الى العمل والحركات تكون دقيقة ومربعة والآراء سليمة والصحة والعمل يتم عَلَى وجه اسرع واحسن . وماذا يفيد طول مقام المرء في مكتبه او معمله اذا كان يقضيها وهو ساهٍ او كالحيوان المخدَّر .

القاعدة الرابعة عشرة — « لا تدخن ولا تمضغ التبغ » — التبغ من النباتات المخدرة للشعور المادي وتسلي اكدار الحياة تسلية موقتة وبذلك يتوهم بعض المشتغلين بالاعمال العقلية انه ينشطهم ويبعثهم عَلَى العمل عَلَى انه يأتي عَلَى شعور المصاعب ويتغلب عليها ويلقي حجاباً عَلَى الحقيقة ولا يقف تأثيره في الدماغ فقط بل يتناول الاعصاب لان التبغ سم الاعصاب وهناك عصب يتأثر اكثر من غيره ونعني به القلب وما هو الاعصب من الاعصاب

وان المولعين بالرياضيات والعدو والصراع وركوب الدراجات والقوارب يحسنون صنعاً اذا طرحوا عادة التبغ لانه يفعل فيا يعانون من انواع الرياضيات . فيساق المرء بتابل من العادة وقد يتعودها بصعوبة بادئ بدء بحيث يحتاج معها الى ارادة قوية

تتغلب عَلَى كراهة طعم التدخين حتى اذا ألفهُ يضر بالذهن ولا سيما في الخلق ·

لا شك ان التبغ يثلم الشعور الطبيعي والاحساس الادبي فيتملل من الضجر والوسواس ويمنع الوجدان الادبي من الانبعاث · ومن الصعب ان يحكم عَلَى مستعمل التبغ بان له وجداناً طاهراً سليماً وقوة ارادة ·

القاعدة الخامسة عشرة — «يجب الرفق بالأُم وهي حامل» — تراعى المرأة الحاملة انوع المراعاة فمنذ تحمل تتجه اعضاؤُها كلها الى تكوين طفلها وكل ما يضر بصحتها يلحق منه ضرر عَلَى الرحم ويصده عن نموه العادي وقد تكون الهموم والاحزان والافراط في التعب اصل المشوهات الطبيعية والعقلية التي تنال الطفل منذ ولادته وتعذبه طول حياته · فالواجب اذاً ان يمنع عن المرأة في خلال حملها كل ما يضر بخلقها ويغير صحتها الأُم شخص مقدس تحمل في احشائها مستقبل الانسانية ورقيها ومتى كان حملها عادياً يتيسر لها ان تعمل بعض الاعمال الغير المتعبة الى آخر الايام التي تسبق الوضع · وان ما ينبغي التوقي منه كثيراً معاودتها العمل بعد الوضع حالاً فقلة الراحة بعد الولادة تضر بحواسها الباطنة فينشأ عنها اضطرابات تضعفها مدة حياتها وتضرُّ بها في حملها بعد ذلك فيلزم للنفساء راحة تامة لا تقل مدتها عن خمسة عشر يوماً ثم تعاود العمل بالتدريج

القاعدة السادسة عشرة — «لبن الام خاص بابنها» — اذا كانت الام ممتعة بصحتها يجب عليها ان ترضع ابنها فلا شيء انفع له من لبنها كما ان اعضاء المرضع تضمن صحة الام لان الرضاع طبيعي لها ولذلك كانت كل امرأة لا ترضع طفلها نصف أُم لا اماً كاملة · فاذا عهدت بابنها الى مرضع تجهل او تتساهل اموراً كثيرة تجب العناية بها لحفظ صحة طفلها ولا ينتبه له ويهتم له اهتمامها غيرها ثم انها تكون في تلك الحال سبباً لاهمال طفل آخر وهو ابن المرضع · وان طفلاً ترضعه ربيبة لهو طفل آخر ربي عَلَى الابريق ذي زمولة (مصاصة) والطفل الذي ترضعه غير امه تكون امه قد ارضعت الاثنين رضاعاً غير طبيعي والطفل الذي يرضع من غير ثدي امه بعيداً عنها يوشك في الغالب ان يموت في سنته الاولى فالام التي يتيسر لها ارضاع ابنها بذاتها وتدفعه الى مرضع تكفله لها تحت نظرها هي مسؤولة عن هذا الاهمال جملة · والام التي تبعث بابنها الى المرضع بدون ضرورة تجرم جرمين اثنين وقد تهلك ابنها بصنعها

القاعدة السابعة عشرة — «عليك ان تزن اولادك» — ينمو الطفل كثيراً فاذا كانت صحته جيدة يزيد وزنه على الدوام فوزنه المرة بعد المرة احسن واسطة لاثبات

جودة صحته . فالميزان هو ميزان حرارة الصحة ومعدل زيادة الطفل الجيد الصحة والتغذية هو ان يزيد في الشهر الاول ٢٥ غراماً وفي الثاني ٢٣ وفي الثالث ٢٢ وفي الرابع ٢٠ وفي الخامس ١٨ وفي السادس ١٧ وفي السابع ١٥ وفي الثامن ١٣ وفي التاسع ١٢ وفي العاشر ١٠ وفي الحادي عشر ٨ وفي الثاني عشر ٧ . ويجب ان لا تمضي ثلاثة اشهر الا ويوزن الاولاد والفتيان على اختلاف اعمارهم لان من الامراض ما يتهددهم في المدن الكبرى مثل السل وكثيراً ما يكتفي لحسم الداء ان يعطى المريض راحة وتغذية مناسبة .

القاعدة الثامنة عشرة — « يجب لك ان تجعل اولادك المرضى بمعزل عن الاصحاء حتى لا ينقلوا اليهم المرض » — تكاد تكون جميع امراض الاولاد امراضاً معدية كالحميراء والحمى الحصبية والجدري وانتفاخ لوزتي الاذنين والخناق وتكاد تبدأ كلها باضطرابات يظن انها زكام خفيف وهي نزلة او التهاب في الحلق والحنجرة ومجاري الاذن . فاذا ظهر بعض هذا فعلى الابوين في الحال ان يعزلوا اولادهم وان لا يبعثوا بهم الى المدرسة او الى اي اجتماع كان وان يفردوهم وحدهم في الدار . وكم من اناس عدوا باولادهم المرضى اولاد غيرهم فكانوا بأخذهم المرض من اولادهم قبل ان ينتبهوا سبباً لسريان الامراض التي تصبح اوبئة عامة بعد ان كانت مقصورة على بعض الافراد

القاعدة التاسعة عشرة — « لا تسمح بان يتعانق الاولاد » — ليس للاولاد ميل طبيعي لان يتعانقوا والابوان هما اللذان يربدانهم على العناق ويسوقانهم الى هذه العادة فتقبيل الاولاد بعضهم بعضاً يجري مضرات كثيرة بان ينقل الامراض السارية وتكون تلك لقاحاً واي لقاح لسريانها . وقد تقدم ان اكثر الامراض في الغالب نزلات ووجع في الحنجرة والانف والاذن كالحمراء والحمى الحصبية والسعال والحمى ذات البثور وان الخناق (الدفتيريا) ينتقل بواسطة اللعاب عادة وعليه فان التقبيل من العادات الضارة وكم من الاطفال هلكوا فيه .

القاعدة العشرون — « كل مسكن سليم نافع للصحة اذا استطاعت الشمس ان تدخل اليه والهواء ان يخرج منه » — كما ان البيوت تحصر الناس في بقعة من سطح الارض فهي تقيهم تبدلات الجو والبرد والهواء والمطر والحرارة فالواجب ان يدخل اليها الهواء والنور فان الهواء البليل الصافي الذي لم يتنشق ولم تمازجه غازات الوقود من المواقد والمصابيح ولم تشبه شائبة هو من انفع الاشياء للكبد والتنفس بل هو غذاء الحياة .

فغرف العمل او النوم على حجمها اذا لم يتخللها الهواء على الدوام تفسد بانفاس السكان وغازات الوقيد والاستصباح فمن الالزم اللازب ان يتخلل الهواء اي يتجدد على الدوام ويكفي في الصيف فتح الابواب والنوافذ وفي الشتاء يخشى بعض الناس من البرد فلا يتركون الهواء يتخلل الامكنة فينشأ من ذلك اختناق بطيء ولكنه خطر ان لم يقرب الموت العاجل يهيء السبيل الى عدة امراض ولا سيما السل ٠

وبعد فيجب استنشاق الهواء ليلاً او باردا ولذلك كانت الآلة ناقلة الحرارة التي تدفئ الهواء من ابشع وسائط التدفئة على حين ان الموقدة التي تدفئ ببروز الاشعة وتجلب هواء من الخارج من احسن الوسائط المنطبقة على حفظ الصحة والمواقد ذات الحرارة البطيئة خطرة فيجب الامتناع من استعمالها ٠ وليست الشمس اقل لزوماً للصحة من دخول الهواء النقي وما شعاع الشمس الا باعثة للقوة في الجلد وتغذية الانسجة والنباتات التي لا تصيبها الشمس تذبل وتفقد الوانها وتهيج بشعة المنظر ولا تلبث ان تموت وكذلك الحال في الحيوان والانسان وكما تفيد اشعة الشمس النباتات والحيوانات تضر بالنباتات الطفيلية والعفن والجراثيم التي هي واسطة جميع الامراض وذريعة الى سريان العدوى وبفضل الشمس نجو من الجراثيم الضارة العائثة بجسومنا وحيث تدخل الشمس لا يدخل المرض والتعرض للهواء وللشمس هما من المقويات في الحياة

القاعدة الحادية والعشرون — «يجب التوقي من الغبار بالرش لا بالكنس بالقمة (المقشة) من ريش» — الغبار مضر جداً وذلك لاحتوائه على ذرات كثيرة كلسية وآلية وصوانية تهيج الغشاء التنفسي وتؤذيه وتدعو الى عدة امراض كالنزلات والدفثيريا وجزء من الغبار مؤلف من براز المصابين بالامراض فتسطو هذه الذرات على الاغشية المخاطية وتلتهبها وتجرحها ٠ فمن اهم قواعد الصحة في البيوت ان يمنع عنها الغبار لا بكنسه بمكنسة او مقمة فان ذلك مما يثيرها على الكانس او المكنس وعلى اهل المنزل او المارة في الشارع والاوانى في تلك الحال ترك الغبار متراكماً في الدار دون ان يمس لان ضرره يكون واقفاً ولو موقتاً من اثارته على تلك الصورة ٠ ولذا اقتضى ان لا يكنس وينفض بدون ماء وان يزال الغبار بناشف ندية او فرشايات ومكانس ندية ٠ ويجب جمع الغبار لابادته لا اثارته لينتقل الى الجيران

القاعدة الثانية والعشرون — «لا تستعمل الستور والبسط والاثاث المزين بالرفارف» — وذلك لانها مانعة من نفوذ الهواء والنور مستنبت للغبار وقد لا تتمكن ربة البيت من

نفضها وتهويتها وكذلك الورق الملون الذي يجعل على الجدران فانه عش الجراثيم الضارة واحسن المساكن التي يصفها رجال الصحة ما كان منها مصقولاً مدهوناً قابلاً للغسل واحسن الغرف ما كانت مدفقة او مبلطة وان يكون اثاثها عبارة عن خشب وجلد لا من قطيفة ومخمل وبسط وربَّ سجادة حوت من الجراثيم بالغبار الذي عليها ما لا يوجد اضر منه في الشارع نفسه ·

القاعدة الثالثة والعشرون — « لا تتسامح بدخول الحشرات الى منزلك » — الهوام وسائط لنقل الامراض السارية وتلقيحها فالذباب يقع على القاذورات فاذا كانت قاذورات حميات تيفوئيدية او وباء (كوليرا) او سل تنقل اجزاءها في ارجلها الى الطعام والثياب والاغشية من تقع عليهم بعد · والبعوض ينقل في البلاد ذات المستنقعات حيث تشتد الحميات جراثيم من تقرصهم ممن يكونون مصابين بالحمى وتلقح بها غيرهم من الاصحاء · والبق والبراغيث تفعل بقرصها فعل البعوض بقرصه فبالبق تنتقل جراثيم حمى التيفوس والتيفوئيد ويخشى ان يكون ناقلاً للسرطان والجذام ومن المحقق ان البراغيث هي التي تلقح جراثيم الطاعون وتنقلها من الجرذان الى الانسان · ولا تخلو من ان تنقل جراثيم الحمى التيفوئيدية والسل ·

واقرب الطرق الى النجاة من هذه الهوام ان يجعل شيء من روح الصمغ على سطح القاذورات في المراحيض وان تصب كمية من البترول على المياه الراكدة فتموت الهوام الناقلة كالبعوض وغيره وان تستر النوافذ في الليل بستائر من السلك الرفيع لتمنع البعوض من الدخول وقرص الساكنين وهم نيام وصب شيء من البترول على المحال التي يعيش فيها البق انفع واسطة للخلاص منه كما ان الماء انفع ذريعة للنجاة من البراغيث وغسل الحيوانات الاهلية على الدوام حتى لا تنقل البراغيث الى القائمين على تربيتها ·

القاعدة الرابعة والعشرون — « اجعل الحيوانات الاهلية في اصطبل » — ليست الدار نادي الحيوانات الاهلية كالقطط والكلاب والطيور فان ايواءها في الدور مضر وناقل للامراض ولا سيما للسل والسرطان فالكلب مصاب بالسل غالباً والهر بالسرطان والببغاء ذكورها واناثها بالتهاب ذات الرئة بل ان الكلب والهر واسطتان لنقل الحميات ذات البثور كالجدري والقرمزية والحميراء والدفتيريا واورام الجلد وغيرها من الامراض المعدية ثم ان الكلب يلعق كل ما يقع امام عينيه وقد يده لصاحبه وما ادراك يدري ينقل الكلب ان لم تنقل مرضاً آخر دع عنك ريشه فانه مستويل الجراثيم ينقلها من السقيم الى السليم

وعليه فالقطط والكلاب الاهلية هي خطر دائم عَلَى الصحة العامة ·

القاعدة الخامسة والعشرون — « اعن بنظافة الشارع كما تعنى بنظافة مسكنك » — نقضي شطراً من حياتنا في الشوارع ولذلك وجب علينا ان نطهرها من الادناس والارجاس على اننا نطرح فيها بدون مبالاة الغبار والاوساخ وننفض فيها البسط ومماسح الارجل وما الكناس الا واسطة لنقل باسيل الامرض وهناك قاذورات الكلاب والخيل وهي سبب لعدة نزلات اذنية وحلقية وكل ذلك مما يبتلع منه ساكن المدن كمية غير قليلة فلو جمع غبار المساكن بوسائط ندية او احرقت في النار او وضعت في ماء مغلي واذا امتنع المرضى عن البصاق في الشارع ولم يكنس الكناسون الا بعد الرش كما في بعض البلاد المتمدنة لما اصبح الشارع كما هو الآن مستوبل الامراض ومحلاً اضر من غرفة في مستشفى

القاعدة السادسة والعشرون — « اذا بصقت على الارض فكأنك تبصق عَلَى جارك » — يجب الامتناع عن البصاق في الشارع والمحال العامة والدار وذلك لان بصاق الرجل السليم من العادات المخالفة للقواعد الفسيولوجية فالواجب نزع هذه العادة اما المسلول فانه ببصاقه ينقل عدواه في الحال الى غيره وذلك اذا بصق في الشارع لا تلبث بصقته ان تجف فتطاير في الهواء ميكروباتها فعليه ان لا يبصق حتى في منديل لانه كلما اخرجه من جيبه يقذف جراثيمه عَلَى من امامه بل عليه ان يستعمل مبصقة يضعها في جيبه هذا هو من الفروض الاجتماعية ومن اوائل قواعد التضامن فمن كان به مرض ولم يستعمل هذه الطريقة فهو مرتكب جناية لا محالة ·

القاعدة السابعة والعشرون — « اذا كان بك مرض خذ الاحتياطات بذاتك او بالواسطة لئلا تنقل العدوى الى من حولك » تكاد تكون جميع الامراض الحادة وكثير من الامراض المزمنة من الامراض السارية فاذا رأى كل مريض من واجبه وقاية جاره من نقل جراثيم مرضه اليه لا تلبث معظم الامراض السارية ان تضمحل · وما من قانون صحي عام ينفع في هذا السبيل بقدر ما تنفع عناية كل فرد عَلَى حدته بصحة من حوله وكل ما تقوم به البلديات من اسباب التطهير قليل جداً في جانب الوقاية التي يجب عَلَى المرء نفسه ان يتخذها وكثير من ارباب الاسرات يصابون بمرض سار فيعدون به اولادهم وازواجهم ومن حولهم بتساهلهم وعدم اتخاذهم الاحتياطات الصحية فيقتلونهم بايديهم جهلاً وغباوة ومن نظر في تاريخ البيوت يدرك ان الاولاد لا يصابون بالتهاب ام الدماغ الا بتساهل آبائهم فالواجب عَلَى المريض ان يسأل الطبيب عن اسباب الوقاية

التي يحتم عليه اتخاذها و يطبقها على نفسه بالفعل

وانت يا هذا اذا أُصبت ذات يوم بمرض فلا تحمل اللوم على قواعد حفظ الصحة وقلة غنائها ولا على ضعف العلم بل ان الذنب في ذلك على اجدادك ومواطنيك

رحلة الى جبل قلمون

يعد جبل قلمون بين جبال سورية من اسماها ماء وهواء وانباتاً ومع هذا لم يشتهر اشتهار جبال لبنان وحرمون والكلبية والدكام على قربه من دمشق قاعدة بلاد الشام. وكان يقال له في القديم جبل سنير وبذلك عرفه الجغرافيون والمؤرخون والشعراء. قال ابن خرداذبة في المسالك والممالك وهو مما أُلف منذ نحو الف سنة ان كورة دمشق واقاليمها سهل الغوطة اقليم سنير مدينة بعلبك البقاع اقليم لبنان كورة جدنية كورة طرابلس كورة جبيل بيروت صيدا البثينة كورة حوران كورة الجولان وظاهر البلقا وحوالى الغور وكورة ناب وكورة جبال وكورة الشرا و بصرى وعمان والجابية. فاقليم سنير هو من اقرب الاعمال الى دمشق ولم نظفر له بتحديد اجمع من تحديد ياقوت في معجم البلدان. قال ان سنير بفتح اوله وكسر ثانيه ثم ياء معجمة باثنتين من تحت جبل بين حمص و بعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير وهو الجبل الذي فيه المناخ يمتد غرباً الى بعلبك ويمتد مشرقاً الى القريتين وسلمية وهو في شرقي حماة وجبل الجليل مقابله من جهة الساحل وبينهما الفضاء الواسع الذي فيه حمص وحماة وبلاد كثيرة. وهذا جبل كورة قصبتها حوارين وهي القريتين و يتصل بلبنان متيامناً حتى يلتحق ببلاد الخزر (؟) ويمتد متياسراً الى المدينة وسنير الذي ذكرناه بين حمص وبعلبك شعبة منه الا انه انفرد بهذا الاسم وقد ذكره عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي فقال من قصيدة

أسيم ركابي في بلاد غريبة … من العيس لم يسرح بهمه بعير
فقد جهلت حتى اراد خبيرها … بوادي القطين ان يلوح سنير
وكم طلبت ماء الاحص بآمد … وذلك ظلم للرجال كبير

وقال البحتري

وتعمدت ان تظل ركابي ‏ بين لبنان طالعاً والسنير

انتهى كلام ياقوت جاء في ابي الفداء ان الجبل الشرقي الممتد شمالي الشام كان يدعى سنير في عهده وقد ورد سنير في التوراة فقال الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس: سنير (درع او شلالة) اسم قسم من جبل الشيخ (حرمون) (١ اي ٥ : ٢٣ — و حز ٢٧ : ٥) وقال ياقوت في القلمون اذ بفتح اوله وثانيه بوزن قربوس وهو فعلول قال الفراء وهو اسم وانشد

بنفسي حاضر بجنوب حوضى ‏ وابيات على القلمون جون

ومن القلمون الذي بدمشق بحتري بن عبيد الله بن سلمان الطابخي الكلبي من اهل القلمون من قرية الافاعي وقال في القاموس قلمون محركة موضع بدمشق . التاج ان القلمون رومية وحروفها اصلية . وكلمة قالا بالرومية طيب ولعله الجبل الطيب او نحو ذلك وحوارين التي قال عنها ياقوت انها القريتين هي قصبة جبل سنير وهي كما قال في مكان آخر حصن من ناحية حمص قال بعضهم

يا ليلة بحوارين ساهرة ‏ حتى تكلم في الصبح العصافير

وقال احمد بن جابر مر خالد بن الوليد في مسيره من العراق الى الشام بتدمر والقريتين ثم اتى حوارين من سنير فاغار على مواشي اهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد من اهل بعلبك ثم اتى مرج راهط وفي كتاب الفتوح لابي حذيفة اسحاق بن بشير وسار خالد بن الوليد من تدمر حتى مر بالقريتين وهي التي تدعى حوارين وهي من تدمر على مرحلتين وبها مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ قال الراعي

انخن بحوارين في مشمخرة ‏ يبيت ضباب من فوقها وثلوج

وقال ايضاً والقريتان قرية كبيرة من اعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سخنة وأرك اهلها كلهم نصارى وقال ابو حذيفة في فتوح الشام وسار خالد بن الوليد رضي الله عنه من تدمر الى القريتين وهي التي تدعى حوارين وبينها وبين تدمر مرحلتان واياها عنى ابن قيس الرقيات بقوله

وسرت بغلتي اليك من الشا ‏ م وحوران دونها والعوير

وسواء وقريتان وعين الـ ‏ تمر حزن بكل فيه البعير

فاستقت من سجاله بسجال ‏ ليس فيه من ولا تكدير

وقد سألنا العارفين فأكدوا لنا ان حوارين بعيدة عن القريتين بنحو ثلاث ساعات وآثارها بادية الى الآن وما نظن انها كانت قصبة جبل سنير فيما مضى الا في امورها الادارية كما نرى اليوم قسماً من جبل قلمون تابع لقضاء دومة الشام والقسم الآخر وهو الاعظم تابع لقضاء النبك وقسم منه تابع لحمص ويقول الخبيرون من اهل هذا الجبل اليوم ان جبل قلمون يمتد من الدريج الى البريج وهو تحديد معقول جداً لانك ترى في الدريج وهي مزرعة في رأس جبل قرب عين الصاحب بين معربا وحلبون سلسلة جبال جديدة تكاد تكون منفصلة بعضها عن بعض وفي البريج وهي على نحو ثلاث ساعات من قارة القاصد الى حمص ويمتد شمالاً الى الجرود على بضع ساعات من بعلبك وجنوباً الى البرية وتجتاز المسافة من الجنوب الى الشمال لراكب المطايا في يوم كما يقطع طول الجبل من غربه الى شرقه في يومين . واوصل بعضهم طول الجبل الى وادي القرن قرب البقاع . ويدل على ان آخر حدود الجبل هو في البريج من ناحية حمص ما قاله الاصطخري من ان الطريق من حمص الى دمشق هو عشر فراسخ من حمص الى جوسية ثم الى قارا ثلثون ميلاً ثم الى النبك اثناعشر ميلاً ثم الى القطيفة عشرون ميلاً ثم الى دمشق اربعة وعشرون ميلاً . وجوسية كما في المعجم قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير فيها عيون تسقي اكثر ضياعها سيما وهي كورة من كور حمص .

ونقل الاكتور فاندبك في المرآة الوضية نقلاً عن ابي الفداء انه قال ان سنير هو جبل الشيخ او قسم منه ولذلك رأينا فاندبك في جغرافيته يذكر بعض امهات قرى جبل قلمون او سنير بحسب المقاطعات التي كان معروفاً بها عند الحكومة على عهد تأليفه ولم يذكر انها من اعمال جبل مشهور فقال : والى الشمال من دمشق مقاطعة يقال لها جبة عسال نسبة الى مكان يقال له عسال الورد لكثرة الورد الذي فيه ومن اشهر قراها صيدنايا وفيها دير لراهبات طائفة الروم والى الشمال الشرقي مقاطعة معلولا نسبة الى قرية فيها حصينة مبنية على قمة هناك لا يسلك اليها الا من مضيق مستوعر وفيها دير عظيم لطائفة الروم وقد حدث في سنة ١٨٥٠ للمسيح ان امراء بني الحرفوش اصحاب بعلبك تحصنوا بها بعد وقعة جرت لهم مع اجناد دمشق فهجم عليهم عسكر الدولة الى معلولا بوسيلة من بعض اهلها فقتلوا بعضهم واسروا بعضاً ونهبوا القرية والدير وحول معلولا عدة من القرى كعين التينة وبخعة وغيرهما ولم يزل اهل تلك النواحي يتكلمون باللغة السريانية لكنها محرفة كثيراً عن اصلها كعربية العامة في هذه الايام والى الشمال الشرقي

من معلولا مقاطعة يبرود نسبة الى قرية كبيرة فيها بعض آثار قديمة وفي جوارها رأس العين ومعرة باش كردي وفليطا وسحل والقسطل والى الشمال الشرقي من القسطل النبك وما بين النبك والغوطة يسمى الارض التحتية وفي هذه الارض يمر الطريق من دمشق الى بغداد وفي جوار النبك قارة وهما اعدل مكانين في تلك الديار حتى يضرب المثل بجودة هوائهما ومائهما وقد لهجت بهما الشعراء كثيراً قال بعضهم

اذا هاجت الرمضاء ذكراك بردت   حشاي كأني بين قارة والنبك

والى الشمال الشرقي من النبك دير عطية وقال الحافظ ابو القاسم ومعلولا اقليم من نواحي دمشق له قرى وقال ياقوت في منين : قرية في جبل سنير من اعمال الشام وقيل من اعمال دمشق منها الشيخ صالح ابو بكر محمد بن رزق الله بن عبيد الله قال ياقوت وكان من ثقات المسلمين ولم يكن بالشام من يكنى بابي بكر غيره خوفاً من المصريين (الشيعة) توفي سنة ٤٢٦

فاهم بلاد الجبل يبرود وكانت هي والنبك من امهات بلاد مملكة صوبه اوصوبا القديمة وهذه المملكة كانت في شمالي سورية تمتد من شمالي لبنان الشرقي نحو حمص وحماه وحلب وهي قاعدة الجبل ولا يقل سكانها عن عشرة آلاف ثلثهم مسيحيون والثلثان مسلمون وتكاد تكون اشبه بالمدن منها بالقرى لتوفر مرافق الحياة فيها وكثرة سكانها وصلاتهم التجارية مع دمشق وبيروت وحمص وحماة وبعلبك ولوفرة المهاجر بين منها الى اميركا ويبلغ عددهم نحو الف رجل ومنهم الذين اغتنوا وفي يبرود عدة مدارس للمسيحيين على اختلاف مذاهبهم منها مدرسة للروم الكاثوليك انشأها احد احبارهم منذ زهاء عشر سنين فوهبها ثلثمائة ليرة من ماله وفرض على ابناء طائفته ان يشتغلوا فيها بايديهم ايام الآحاد والاعياد فجاءت مدرسة كلفت زهاء الف وخمسمائة ليرة وقد اشتغل بعضهم بنقل التراب وآخر بجلب الحجر وغيره بالبناء . وبامثال هذه المدارس اصبح المسيحيون ارقى من جيرانهم المسلمين لان الاول يتعاونون والآخرين مهملون وكانت الحكومة البائدة تزيدهم خبالاً الى خبالهم وليس لهم من اهل الرأي والعلم من يشفق عليهم ويسعى الى ترقيتهم ترقية حقيقية كما هو حال مواطنيهم

اقول هذا ولا نكران للحق ان ارتقاء المسيحيين عن المسلمين ماثل على اشد صوره في هذا الجبل وكيف لا يكون كذلك والارساليات الدينية من الروس والانكليز والفرنسيس لم تكد تترك قرية الا واقامت فيها مدرسة لتثقيف عقول ابنائها على مناحيها بل ان جمعية

دينية اقامت لما مستشفى في دير عطية البلد الثاني في الجبل بكثرة سكانه واستبحار عمرانه ودير عطية هذه هي والنبك (مركز حكومة القضاء) في واد كان يعرف قديماً بذات الذخائر او وادي الذخائر قال ياقوت والنبك قرية مليحة بذات الذخائر بين حمص ودمشق فيها عين باردة في الصيف طيبة عذبة يقولون مخرجها من يبرود وقال الزاجر

اني بك اليوم واني منك   ركباً اناخوا موهناً بالنبك

واطلعت في دير عطية على حجة وقف نقلت حوالى الالف عن حجة كتبت سنة ثمان وسبعمائة للهجرة محفوظة عند كفيف من اهلها اسمه الشيخ عبد القادر الناظر جاء فيها ان « الست الجليلة صالحة خاتون ابنة الامير الكبير صلاح الدين بن بهلوان ابن الامير الكبير شمس الدين الاكري الآمدي وقفت وحبست وأبدت في صحة منها وسلامة وجواز امرها جميع الضياع الخمس المتلاصقات المعروفات بوادي الذخائر عمل دمشق المحروسة وتعرف احداهن بالبويضا والثانية باربيضا والثالثة بايبرا والرابعة بدير عطية والخامسة بالحمرا » وقد صدقت على هذه الوقفية محكمة نارة ولا يعرف اليوم من هذه القرى غير دير عطية والحميرة وفي دير عطية مدرسة للعلوم الدينية والدنيوية انشأها الشيخ عبد القادر القصاب الازهري الديرعطاني فنجت منها فوائد جليلة وفيها الآن نحو ٥٠ طالباً وقد تعلم بعض الطلبة فابانوا عن كفاءة فيما اخذوا انفسهم بتعلمه

ومن اهم قرى قلمون الرحيبة وجيرود وعلى مقربة من هذا البلد مملحة دائرة محيطها ثلاثة عشر ميلاً وهي في سهل منبسط ينحدر اليه ماء المطر من التلال ويجتمع على علو يختلف بين ٣٠ و ١٠٠ سنتيمتر وفي اوائل شهر ايار يتحول ذاك الماء ملحاً ابيض نقياً مراً وهذان البلدان من قلمون التحتاني وفيه ايضاً الضمير وفيها عين كبريتية ينفع الاستحمام بها المصابين بالامراض الجلدية وارض هذه القرية او البلد حارة تبلغ غلاتها قبل سائر قرى الجبل حتى ان الشعير ليحصد فيها في شهر نيسان ويحمل الى عسال في جرود الجبل الباردة ويزرع في الحال فيحصد في تموز وهذا من اعجب ما يكون في اقليم واحد والمسافة بين الضمير والجرد نحو عشر ساعات

قال في المعجم ضمير بالتصغير موضع قرب دمشق قيل هو قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السماوة قال عبيد الله بن قيس الرقيات

اقفرت منهم الفراديس فالغو   طة ذات القرى وذات الظلال
فضمير فالماطرون فحورا   ن قفار بسابس الاطلال

نصب الماطرون على ان نونه للجمع وهذه المواضع كلها بدمشق . وقال المتنبي

لئن تركنا ضميراً عن میامننا ليحدثن لمن ودعتهم ندم

وقال الفرزدق يرثي عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وكان قد مات بضمير من دمشق

يا معشر الناس لاتبكوا على احد بعد الذي بضمير وافق القدرا
ما مات مثل ابي حفص لمحمدة ولا لطالب معروف اذا افتقرا
منهن ايام صدق قد منيت لها ايام فارس فالايام من هجرا

يعني قتاله لابي فديك الحروري

ومن اهم قرى قلمون الشرقي القطيفة وهي مركز مدير ناحية تابعة للنبك جاء في المعجم انها قرية دون ثنية العقاب للقاصد الى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص وثنية العقاب هي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد دمشق الى حمص قال اهل السير ان خالد بن الوليد سار من العراق حتى اتى مرج راهط فاغار على غسان في يوم فصحهم ثم سار الى الثنية التي تعرف بثنية العقاب المطلة على دمشق فوقف عليها ساعة ناشراً رايته وهي راية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تسمى العقاب فلما

ومن قرى الجبل البديعة قرية معلولا يدخل اليها من الشمال من فج طبيعي في الجبل وهي حصينة منيعة ويؤكد بعض العارفين انها هي مدينة سلفكيا بعينها احدى امهات مملكة سلوقس احد خلفاء الاسكندر الاربعة الذين اقتسموا مملكته بينهم بعد وفاته فانتشبت الحرب عام ٣٠١ ق٠م ودارت الدائرة على الملك انتيوغونس وابنه ديمتريوس ناقتسم اذ ذاك قواد الاسكندر مملكته الى اربع ممالك الاولى مصر اخذها بطليموس سوتير مع بر العرب وجزء من بر الشام اي فلسطين والثانية مكدونية وبلاد اليونان اخذها كاساندر والثالثة ثراقيا وبيثينيا وبعض اطراف آسيا الصغرى اخذها ليسيماخوس والرابعة بقية الممالك من البحر الاسود الى نهر لاندوس في الهند اخذها سلوقس وسميت مملكة سورية ومن اشهر مدنها انطاكية وسلوسية وافامية واللاذقية ٠ ولا يزال الى اليوم يعثر في بيادرها على آثار تدل على عمرانها القديم الفخيم ٠ واهلها وهم نحو ثلاثة آلاف يتكلمون بالسريانية المحرفة كما تقدم وفي جوار معلولا نجعا وجبعدين واهلها ايضاً يتكلمون بهذه اللغة كما ان اهل قلدون يتكلمون بالتركية المحرفة قليلاً ويقال ان اصلهم من التركمان نزلوا هذه القرية منذ سنين واختلطوا باهل الجبل ٠ وكان بالقرب من قلدون ثلاث مزارع يتكلم اهلها بالتركية ايضاً وهي دنحا وخربوشة والكنيسة الا انها دثرت ٠ وعلى مقربة من معلولا قرية عين التينة وكان اهلها كما يقول جيرانهم المسيحيون نصارى يعاقبة

دانوا كلهم بالاسلام منذ زهاء قرنين وقلبوا الاوضاع المسيحية باوضاع اسلامية حتى انهم يطلقون على بيت الخوري بيت الحوري بالاشمال وفي هذه القرية شجر الفستق القديم ولا يزال ينقرض لان اهلها لا يجددون غرسه وهذه القرية هي الوحيدة في قرى ولاية سورية التي تخرج الفستق وهو من احسن الانواع لا يكاد يضاهيه بجودته فستق روم قلعة من اعمال حلب

***

طفت هذا الشهر أمهات قرى قلمون وكنت زرتها منذ عشر سنين فرأيت عليها مسحة من الارتقاء اتتها في الغالب من المال الذي جناه من اميركا المهاجرون من القلمونيين ففي قرية معرة صيدنايا وصيدنايا ويبرود ودير عطية مثلاً بيوت جميلة أُقيمت بالحجر الصلد النحيت على مثل بيوت لبنان الجديدة ومن البيوت ما كلفت الفي ليرة وربما اكثر اما سائر معالم الجبل فظلت على حالها او ارتقت بعض الشيء بطبيعة الزمن . وقد اشترك في الهجرة الى اميركا سكان الجبل من المسلمين والمسيحيين الا ان عدد هؤلاء اكثر والناجحين منهم اوفر ويقدرون عدد المهاجرين من الجبل بنحو اربعة آلاف رجل نجح منهم في الاكثر من اعتادوا شظف العيش مثل مهاجري دير عطية والنبك وصيدنايا والمعرة ومعلولا وقارة اما المترفون او الذين اعتادوا الترف قليلاً فاخفق سعيهم وانقطعوا او كادوا لقلة ذات ايديهم . ولا يعلم على وجه الصحة ما يبعث به المهاجرون القلمونيون من النقود كل سنة اذ ليس ثمة احصاء مدقق وغاية ما يقال ومنه يستنتج ما يقرب من الحقيقة ان معدل عدد الرسائل التي ترد من المهاجرين كل سنة الى اهلهم في الجبل يبلغ ثمانمائة رسالة . هذا في القرى التابعة لقضاء النبك وهي مركز الجبل ومزدحم الاقدام وفيه من القرى ٣٨ قرية و١٢ مزرعة . وباقي قرى الجبل وهي ١٣ قرية تابعة لقضاء دوما فاذا فرضنا انه يأتي من المهاجرين في السنة الف رسالة وهو اقل تعديل ولا يكتب لاهله الا الناجح منهم في العادة ويرسل كل واحد ثلاثين ليرة فيكون معدل ما يصل من النقود الى قلمون ثلاثين الف ليرة . وهو مبلغ لا يستخف به بالنسبة لفقر الجبل ولو كان هذا المال يأتيه مع توفر العناية بالزراعة وتربية المواشي وغرس الاشجار والغابات لكان الجبل من اعمر جبال العالم .

ويبلغ عدد نفوس الجبل باحصاء الحكومة ٥٨١٢٧ نسمة بين ذكور واناث منهم ٤٥٥٧٤ في القرى التابعة لقضاء النبك اليوم و١٢٥٥٣ في القرى التابعة لدومة وعدد المسلمين في قضاء النبك ٤٠٦٦٠ وعدد الروم الارثوذكس ١٥١٥ وعدد الروم الكاثوليك ٢٩٢٠

وعدد السريان الكاثوليك ٣٩٩ وعدد البروتستانت ٩٠ وربما بلغ عدد المسيحيين في الثلاث عشرة قرية التابعة لقضاء دومة ٢٥٠٠ نسمة

وبلغت اعشار القرى التابعة للنبك هذه السنة ١٠٤٤٣١١٧٥ غرشاً واعشار القرى التابعة لقضاء دومة ٤٣٩٠٣٥٠ غرشاً واهم قرى الاولى الغنية يبرود والرحيبة وجيرود والضمير وقارة والنبك ودير عطية ومعلولا واهم قرى القضاء الثاني التل ومنين وحلبون وتلفيتا وصيدنايا ومعرة صيدنايا وباقيها مزارع او اشبه بها ·

ويقسمون قلمون بحسب موقعه الطبيعي الى قسمين فوقي وتحتي فمن قرى الفوقي او الفوقاني رنكوس وحوش عرب وهي تعلو عن سطح البحر ١٧٧٠ متراً وعسال وحافيل والجبة ومعرة باش وفليطا والسحل وقارة وعرسال ودير عطية والنبك وبخعا ورأس العين ويبرود وجبعدين ومن التحتية التحتاني وعكوبر وبدا وحفير الفوقا وحفير التحتا وحلة ومعلولا والقسطل وعين التينة والقطيفة والمعظمية وجيرود والرحيبة والضمير ومعرونة وتلفيتا وصيدنايا ومعرة صيدنايا والتل ومنين وحزنة ومطارة والدريج ومعربا وحلبون وهي التي تخزن الثلج في الربيع في جردها وتأتي به كل ما يلي دمشق وتشاركها في بيع الثلج قريتا اوفرة او فقرة وقرية منين

وتعد زراعة قلمون من الدرجة الثالثة ولو توطدت دعائم الامن فيه لاستطاع اهل القرى القريبة من البرية للشرق ان يزرعوا تلك السهول الفسيحة وينتفعوا بالمراعي البعيدة عن القرى ساعات · واكد لي العارفون بان الامن اذا استقر في نصابه وأمن القضاء من غارة اشقياء العرب والدروز على المواشي والزروع تكثر مواشيه كثرة زائدة ويغتني الفلاح والحكومة فقد نهب العرب والدروز منذ نحو سبع سنين زهاء مئة وخمسين الف رأس من الغنم والماعز لو سلمت لاربابها لكانت بلغت الآن على اقل تعديل مليون رأس ومعدل ربح الرأس مئة قرش هذا عدا ما هو موجود اليوم من مواشي الجبل

وليس مثل جرود قلمون في الصيف لرعي المواشي ومثل سهولها الشرقية في الشتاء والبان قطعانها من ادسم ما ذاق الذائقون · ولو تمت امنية الفلاح القلموني بانتشار الامن في شعابه وهضابه في الفصول الاربعة لربح الفلاح كل سنة القرش قرشين من ماشيته فقط ومن كانت عنده المئة يجني المئتين ومن ملك الالف جاءته الفان · ويرى الخبيرون بانه لا سبيل الى تقرير الامن في قلمون الا بوضع اربع مخافر الاول في الضمير والثانية في الناصرية والثالثة في الجميرة والرابعة في القريتين وان يجعل في كل واحدة منها — وفي

بعضها قلاع لايواء الجند — خمسة وعشرون جندياً نظامياً فارساً (مفرزة) وبذلك يرهب اشقياء عرب البادية بأس الحكومة ويكفون عن السطو على ضعاف الاهلين كما اعتادوا الغزو ·

ولا تجد في قلمون غابات كاكثر جبال العالم بل هو جبل اجرد اقرع ولو صحت عزيمة سكانه لاكثروا من زرع التين والكرم واللوز والجوز في الاراضي القريبة من القرى ومن السنديان والبلوط في النجاد والشعاب · والظاهر ان فأس الحطاب واسنان الماشية اتفقت زمناً طويلاً على تجريد الجبل من اشجاره وغاباته فلا تجد اشجاراً الا قرب القرى وقد تمشي الساعات ولا تجد اثراً للزرع ولا للشجر

قال احد الاجانب ممن زاروا هذا الجبل مؤخراً كنت اتمنى في سياقي ان اشاهد جبلاً اجرد من الكلاء والشجر فها قد قرت عيني في قلمون بمشاهدة ما كنت اريده من الجبال الجرداء اما ابن سورية فيتمنى لو قرت عينه برؤية جباله شجراء ذات غابات غبياء

وليست مياه قلمون شحيحة عزيزة بل هي عذبة غزيرة كاحسن البلاد الجبلية ولكن منها ما يحتاج للارتياض والتعهد والعناية واذا توفر الاهلون وساعدتهم الحكومة قليلاً على توفير مياههم تزيد كميتها بحفر العيون والاقنية والانتفاع بالمياه والسيول حتى لا تضيع منها نقطة بلا فائدة · ومن هذه العيون ما يشفي الاوصاب ويقوي الاجسام ويساعد على هضم الطعام واشهرها ما قرب من حرود الجبل حيث يكثر نزول الثلوج وتبقى كل سنة ستة اشهر متراكمة في النجاد والوهاد واشهر مياه الجبل طعماً في معرونة وهي جمع من ماء الشتاء ولكن طعمها اشبه بالملح الانكليزي بيد انها اذا ثقلت في الطعم لا تثقل على المعدة

وقد بحثنا في بعض قرى الجبل عن آثار حجرية مكتوبة او كتب مخطوطة تنافع فيها الى مواد تاريخية ينتفع بها فخاب سعينا اذ شاهدنا معظم اديار الجبل لا يعرف اهلها من التاريخ الا تقاليد يتناقلونها بالافواه وهي لا تساوي شيئاً اذا وضعت على محك النقد واذا كانت الاديار خالية من مثل هذا فاحر بان تكون سائر المعاهد اخلى · فدير صيدنايا لراهبات الروم هو بحسب ما شاهدنا من اقدم اديار الجبل وليس فيه تاريخ الدير نفسه وقيل لنا ان اهل الدير حرقوا باختيارهم منذ نحو قرن كتباً سريانية كثيرة ولو ابقوا عليها لما خلت من فوائد كان القائمون عليها يجهلونها او يتناسونه ما اذ ذاك وهي انفع ما يكون للتاريخ اليوم وغاية ما فيه الآن كتاب نسخته احدى راهبات الدير سنة ١٨٨٧ م واسمها تقلا غزال ولم تذكر شيئاً عن الاصل الذي نقلت عنه وهو حديث ايضاً ويفهم من مقدمته

وفيه شرح تقاليد كثيرة متعلقة بدير صيدنايا ان هذا الدير بني عَلَى يد يوستنيانوس الكبير ملك الروم في السنة الخامسة والعشرين من ملكه سنة ٥٥٣ لليلاد وذلك عند مروره في تلك البقعة فاختارها لاقامة هذا الدير يجعل محطة ا اصدي بيت المقدس من اهل القسطنطينية وغيرهم وفي هذا الكتاب امور تتعلق بتجلي السيدة العذراء عليها السلام ليوستيانوس حتى بنى ديره وهو مثل ما يقوله المسلمون عن بعض معاهدهم . وهذه التقاليد لا يثق فيها التاريخ ولا تنطبق عَلَى العقل ويأخذها المتقدمون بالتسليم دون اعمال النظر فيها عَلَى ان الاحساس الديني تجب مراعاته مهما كان وحقائق العلوم العصرية هي التي تمحو وتثبت .

وفي الجبل اديار غير العامرة الآن في قارة ويبرود ومعلولا قد اصبحت مأوى للبوم مثل دير مار شربين ودير مار توما بالقرب من صيدنايا كما تجد كثيراً من النواويس (مقبور) محفورة في الجبال . ومنها ما رأيته في منين وعين الصاحب ومعلولا

والجبل الا قليلاً متشابه بعمرانه ولكنه مختلف بهيئات سكانه ولهجاتهم فلكل قرية لهجة خاصة بها وسحنة يعرف بها اهلها فاهل معلولا لا يشبهون اهل عين التينة واهل يبرود لا شيء بينهم وبين اهل الرحيبة . والظاهر من سحنات القلمونيين ان منهم اليعاقبة والسريان ومنهم الروم والتركمان ومنهم العرب فاختلفت لهجاتهم باختلاف اصولهم وان كان تركيب بعض اسماء قراهم متشابهاً مثل يبرود وجيرود ومعرة ومعرونة وعسال وعرسال وجبة وجبعدين وفليطا وتلفيتا . وتلفيتا هذه هي التي قال فيها صاحب المعجم انها كانت بلد قسام الحارثي من بني الحارث بن كعب باليمن المتغلب عَلَى دمشق في ايام الطائع وكان في اول عمره ينقل التراب عَلَى الدواب ثم اتصل برجل يعرف باحمد الحطار من احداث دمشق وكان من حزبه ثم غلب عَلَى دمشق مدة فلم يكن للولاة معه امر واستبد بملكها الى ان قام من مصر يلكين التركي فغلب قساماً ودخل دمشق لثلاث عشرة ليلة بقيت من محرم سنة ٣٧٦ فاستتر اياماً ثم استأمن الى يلتكين فقيده وحمله الى مصر فعفا عنه واطلقه .

ومن صنائع جبل قلمون وبعبارة ثانية بعض قراه مثل التل وحلبون ويبرود ومعلولا الدبغ فانه تعمل فيها بسط غليظة ولكنها متينة يستعملها اهل الجبل والمجاورون لهم من سكان القرى كما يحيكون الخام الجيد في هذه القرى . ولا جمال عَلَى صنائعها ولكنها متينة جداً ورخيصة وقد لا يربح العامل قرشين في نهاره ومع هذا يجد نفسه سعيداً

بهذا المقدار الطفيف ·

وهواء الجبل معتدل جداً وهو انفع لأكثر الاجسام من هواء لبنان البليل لقرب ذلك من البحر يورث النفوس نشاطاً ومضاء وان الذكاء الفطري يغلب على سكانه وتساوى في ذلك سكان جروده وسهوله وقراه ومزارعه واسلامه ونصاراه ولو سعت الحكومة بجد لاصلاح طرقه ومواصلاته والخطب فيها سهل جداً لكثر اختلاف المصطافين اليه وخصوصاً سكان دمشق لان قلمون منها بمنزلة لبنان من بيروت والطرق فيه عامرة بطبيعتها مثل طريق صيدنايا الى معلولا وطوله خمس ساعات ونصف وطريق معلولا الى يبرود وطوله ثلاث ساعات وطريق يبرود فالنبك تدير عطية فقارة وهذا الطريق على طوله لو صرف عليه بضع مئات من الليرات لسارت عليه المركبات كما تسير على احسن الطرق المعبدة ولكن الحكومة في الدور الاستبدادي كانت لا تحسن من الادارة الا ان تسلب نعمة الفلاحين بطرقها المعروفة من تكثير الضرائب والعشور والرسوم وارهاق الفقير بالاعانات الكثيرة ولعل دولة الدستور تقوى في اقرب وقت فتجعل من مالها ووقتها نصيباً تصرفه في ترقية البلاد فتستعيده بعد سنين اضعافاً مضاعفة من اهلها وقد كانت حكومة الاستبداد ترى ان غناها بافقار الاهالي فالواجب على حكومة الدستور ان تعتقد ان غناها من غناهم وسعادتها بسعادتهم

وان جبلاً كقلمون وهو جزء صغير من ولاية سورية وجزء اصغر من هذه المملكة العثمانية اذا حسنت ادارته ونظرت حكومته في عمرانه ليخرج من الخيرات ما لا يخرج مثله الجبل الاسود ذو الجند والعلم وصاحب الملك والوزراء · وكيف يعمر مثل قلمون اذا كان ولاة دمشق يقضون بها السنين الطويلة ولا يزورون معاهده ويتفقدون حالة اهله بل ان القائمقامين الذين طالما تناوبوا الحكم عليه لا يهمهم الا قبض رواتبهم واخذ ما يريدون اخذه من الاهالي واذا طافوا بعض قراه فللنزهة والتماس الصحة والراحة لا لرفع ظلامة واقامة عدل وتحسين حال ويعتمدون في امورها على مشايخ معظمهم على غير علم كانوا ولم يزالوا عون كل ظالم والسعيد منهم من كان الجهل اغلب على قريته ليسوغ له ان يحكم فيهم حكماً قرهقوشياً ولا اغالي اذا قلت اليوم ان اهل قلمون لم يلفحهم حتى الآن رشاشة من نعمة الدستور على قربهم من الحواضر ولولا بصيص نور يتلألأ في عقول بعض اهل القرى التي يكثر فيها المسيحيون والمدارس والهجرة لكان قلمون كما كان منذ مئات من السنين ·

وهنا رأينا ان نختم هذا الفصل بقصيدة للامير عبد القادر الحسني الجزائري قالها وقد سأله بعض الفرنسيس اي العيش اطيب عيش الخلاء والبداوة ام عيش المدن والحضارة وقد كنا نردد اكثر ابياتها في رحلتنا واكثرها مما يصدق عليها لمناسبتها مع الحالة التي كنا عليها في الجبل من الصحة وفراغ البال قال رحمه الله :

يا عاذراً لامرىءٍ قد هام في الحضر — وعاذلاً لمحب البدو والقفر
لا تذممن بيوتاً خف محملها — وتمدحن بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني — لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
لو كنت اصبحت في الصحرا تمر علّى (١) — بساط رمل به الحصباء كالدرر
او جلت في روضة قد راق منظرها — بكل لون جميل طيب عطر
تستنشقن نسيماً طاب منتشقاً — يزيد في الروح لم يمرر على قذر
او كنت في صبح ليل هاج هاتنه — علوت في مرقب او جلت بالنظر
رأيت في كل وجه من بسائطها — سرباً من الوحش يرعى اطيب الشجر
فيالها وقفة لم تبق من حزن — في قلب مضنى ولا كداً لذي ضجر
نباكر الصيد عند الفجر نبغته — فالصيد منا مدى الاوقات في ذعر
فكم ظلمنا ظليماً مع نعامته — وان يكن طائراً في الجو كالصقر
يوم الرحيل اذ شدت هوادجنا — شقائق عمها مزن من المطر
فيها المذارى وفيها قد جعلن كوى — مرقعات باحداق من الحور
تمشي الحداة لها من خلفها زجل — اشهى من الناي والسنطير والوتر
ونحن فوق جياد الخيل نركضها — شليلها زينة الاكفال والخصر
نطارد الوحش والغزلان نلحقها — على البعاد وما تنجو من الضمر
نروح للحي ليلاً بعد ما نزلوا — منازلاً ما بها لطخ من الوضر
ترابها المسك بل انقى وجاديها — صوب الغمائم بالآصال والبكر
نلقى الخيام وقد صفت بها فغدت — مثل السماء زهت بالانجم الزهر
قال الاولى قد مضوا قولاً وصدقه — نقل وعقل وما للحق من غير
«الحسن يظهر في شيئين رونقه — بيت من الشعر او بيت من الشعر»

(١) في رواية : «لو كنت اصبحت في الصحراء مرتقياً» الى آخر البيت

انعامنا ان اتت عند العشي تخل[1] اصواتها كدوي الرعد بالسحر
سفائن البر بل انجى لراكبها سفائن البحر كم فيها من الخطر
لنا المهارى وما للريم سرعتها بها وبالخيل نلنا كل مفتخر
نخيلنا دائماً للحرب مسرجة من استغاث بنا بشره بالظفر
نحن الملوك فلا تعدل بنا احداً واي عيش لمن قد بات في خفر
لا نحمل الضيم من جار فنتركه وارضه وجميع العز في السفر
وان اساء علينا الجار عشرته نبين عنه بلا ضر ولا ضرر
تبيت نار القرى تبدو لطارقنا فيها المداواة من جوع ومن خصر
عدونا ماله ملجا ولا وزر وعندنا عاديات السبق والظفر
شرابنا من حليب لا يخالطه ماء وليس حليب النوق كالبقر
اموال اعدائنا في كل آونة نقضي بقسمتها بالعدل والقدر
ما في البداوة من عيب تذم به الا المروءة والاحسان بالبدر
وصحة الجسم فيها غير خافية والعيب والداء مقصور على الحضر
من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى فنحن اطول خلق الله في العمر

(١) في رواية : « اموالنا إذ تروح بالعشي علت » الى آخر البيت

سير العلم والاجتماع

العاملات في الافرنج

يزيد عدد العاملات من النساء في بلاد الغرب كلما صعب استحصال القوت وكثرت مطالب الحياة فقد بلغ عددهن في اميركا ٥٠٠٠٧٠٦٩ امرأة ذات صنعة منهن ٩٧٠٨٠٠ مزوجة ومن تلك العاملات ١٨٥ بيطارة و٤٥ وقادة في القاطرات وقد زاد عدد المحاميات من ٢٠٨ الى ١٠١٠ وعدد المستمليات (ستينوغراف) ٣٠٥ في المئة وعدد المهندسات ٢١٧ في المئة وعدد المبشرات ١٩٧ في المائة وعدد خازنات الكتب ١١٦ في المئة

وبلغ عدد النساء العاملات في فرنسا ٦٠٠٢٩٠٧٠٧ منهن الطبيبات والاديبات وفيهن ٤٣٢٠ مصورة ونقاشة و٤٤١٥ موسيقية و٤٥٠٠ قابلة و٤٠٠٠٠ يصنعن ازياء و١٠٠٠٠٠ معلمة و١٢٠٠٠٠ مستخدمة في الادارات و٢٦٠٠٠٠ مستخدمات في المحال التجارية و٧٠٠٠٠ عاملة في المعامل و٨٢٠٠٠٠ خادمة و٩٠٠٠٠٠ تعمل باشغال الابرة وزهاء ثلاثة ملايين يعملن في الحقول . وتنتخب النساء في المجالس النيابية في فنلندا وسويسرا ويحاولن الآن في اكثر الاصقاع الاوربية ان يشاركن الرجل في هذه المهام . وللنساء حق الانتخاب في زيلندا الجديدة واوستراليا .

صناديق التوفير

سبقت انكلترا غيرها من ممالك اوربا في ايجاد صناديق للتوفير في ادارات البريد فانتفع بها الفقراء اي انتفاع في اقتصاد دريهمات لتكون لهم بعد رؤوس اموال و حذت حذوها في ذلك فرنسا والنمسا وايطاليا والبجيك وهولاندا والسويد وفنلندا وبلغاريا وروسيا وسويسرا . وهذه المعاهد لا تسهل على الناس الاقتصاد فقط بل هي مصارف حقيقية للامة تدير شؤونها الحكومة فيتأتى لكل فرد في انكلترا ان يدفع في السنة لاحد فروع صندوق التوفير من فرنك الى ١٢٠٠ فرنك وان يتناول منه ما يريده على ان لا يتجاوز ما يأخذه ٢٥ فرنكاً . ولم طريقة في التسهيل على من يريد الاقتصاد ولا تكاد تخلو قرية من فرع لهذه الادارة فقد بلغ مادخل صناديق التوفير في برد انكلترا سنة ١٩٠٥

٣٠٧٤١٠٩٣٤٠٠٠٠ فرنك وماخرج منها ٩٠٩٦٣٠٠٤٩ فرنكاً وبلغ ماوضعه المقتصدون من الفرنسيس في صناديق هذه الادارة في تلك السنة نفسها ١٢٧٨٢٥٧٦٤٧ فرنكاً وضعت في ٧٨٨٤ فرعاً وبلغ عدد اربابها ٤٠٥٧٧٠٣٩٠ شخصاً وبلغ عدد مثل هذه الصناديق في ايطاليا ٥٩٣١ دفع لها ٥٠٢٨٣٠٠٠٣ اشخاص ٩٨٣ مليون ليرة وعدد المقتصدين على تلك الصورة في هولاندا ١٠١٨٤٠٣١٦ شخصاً دفعوا ١٢٩٠٩٢٩٠٥٧٤ فلورينياً وعدد الصناديق في النمسا ٦٤٧٩ اشترك فيها ٢٠٠٠٤٠٤٨٧ شخصاً دفعوا ٢١٨ مليون كورون . وقد بلغ مجموع المودع في صناديق البريد بمصر في تلك السنة ذاتها ٢٣٦٠٠٠٠ ج .م وصار في السنة التي تليها ٣٢٥٠٠٠٠ وعدد المودعين ٤٣٠٤٢٤ نفساً فزاد حتى بلغ ٥٩٠٠٨٤ . وليس في المملكة العثمانية صناديق وفر كهذه .

سكة حديدية بالبترول

ادخلت شركة شمالي اميركا طريقة استعمال زيت البترول لتسيير القطارات بدلاً من الفحم الحجري واتخذت لذلك مركبات وقاطرات خاصة بحيث لا يتجاوز محمولها ٢٥ طناً اما المحرك فهو أفقي الشكل وقوته ٢٠٠ حصان ويقطع ٣٣ كيلومتراً بدون اهتزاز ويمكن ايقافه باسرع ما يمكن وهو من خير القطارات في الصعود الى النجاد العالية وربما قطع بعد مدة ٤٠ كيلومتراً في الساعة .

شركات التلفون

بعد مدة تمد في مدينة الاستانة وكثير من قواعد البلاد العثمانية خطوط تلفونية كسائر البلاد الراقية وقد احصى العارفون انه يشترك كل ١٦ ساكناً في الولايات المتحدة بالتلفون وفي السويد لكل ٤٥ ساكناً اشتراك بالتلفون ولكل ٥٠ شخصاً في الدانيمرك ولكل ٥٤ في سويسرا ولكل ١٠٠ في المانيا ولكل ١٤٣ في انكلترا ولكل ٣٦٤ في فرنسا .

فمتى تكون المملكة العثمانية بخطوطها التلفونية كأدنى ممالك اوربا فيها وقيمة الاشتراك السنوي بالتلفون هو خمس ليرات في سويسرا وتنزل الى ٤٠ فرنكاً في السنة الرابعة للاشتراك وفي ايطاليا ٧٥٠ فرنكاً وفي المانيا ٨٥٠ ماركاً وفي النمسا ٣٠٠ فرنك وفي بروكسل ٢٥٠ فرنكاً ومثلها في مصر

التعاويذ

نشر المسيو انطوان كاباتون من علماء المشرقيات في مجلة العالم الاسلامي مقالة في التعاويذ عند الشعوب ولا سيما التي دانت بالاسلام جاء فيها من البحث التاريخي ما تعريبه:
الظاهر ان التعاويذ قديمة كالضعف والخوف المستحكمين في الانسان امام قوى الطبيعة. فتراه يضعف عن ان يجاهد بنفسه في تحمل الآلام المعنوية والطبيعية على اختلاف مظاهرها كالمرض والحزن والخراب يتدرع بما يبعدها عنه او يقيه شرها بواسطة كلمات او اشارات او اشياء يعزو اليها قدرة راقية فوق الطبيعة ومن هذه الغريزة المنبعثة من سرعة التصديق وحب الدفاع عن النفس نشأ في الغالب استعمال التعاويذ في كل مصر وعصر منذ زمن الطاوبين على عهد قدماء الفرس والايارجيين في كاليدونيا الجديدة الى الكربكربين من زنوج افريقية الوسطى. ولا تنس التعاويذ المستعملة عند المحدثين من اهل الغرب التي يحلون بها اذرعهم

واغلب الآراء على ان جميع انواع الحلي والزينة كانت بادئ بدء عبارة عن تعويذة فتتخذ تارة من عصائب او من اوراق مربعة او من جلد كتبت عليه كلمات او رسمت عليه اشكال ورسوم او اعداد لها في نظرهم فضيلة خاصة او سور من كتب مقدسة كما تتخذ طوراً من الاحجار الكريمة او الاحجار الغريبة الشكل والاصل او من النباتات والجذوع والشعر والوبر والعظم والاظافر والاسنان او تصنع من مواد كلسية علامة على حيوانات معينة او من اقراط واسورة وتماثيل من المعدن او الحجر او الخشب او من الحلي والجزار او كرات الذهب او الفضة او الرخام او صفائح المعدن او من خرق الاقمشة او من جلود الحيوانات يزعمون ان انقشها ورقشها خاصية الوقاية.

ويدعون ان تأثير التعويذة ناشئ من كيفية حملها وانها تنفع الحيوان كما تنفع الانسان وهي وقاية للقطيع كما هي وقاية الراعي وتساعد في النوم كما تساعد في اليقظة وفي عقد البيوع كما في الامراض الطارئة

ولئن عم استعمال التعاويذ بما في فطرة الناس كلهم من السذاجة والجبن فالظاهر انها نشأت من الشرق اوانها على الاقل كثر استعمالها فيه لان الانسان كان يشعر تحت السماوات الصافية بحاجة الى ما يدفع عنه الاسواء.

وقد عهد في الحضارة المصرية استعمال الاسورة والتماثيل والاحجار الكريمة التي كانوا

يزعمون انها تجلب السعادة . وان الكتابات على ورق البردي التي كانت تلف وتخاط في الثوب ليحملها الانسان وكان تتزين الرجل والنساء بعقود الصفر المخفي ومن حرذون محفور على الحجر او على المعدن كما كانت تعويذ للوقاية لااشياء للزينة والتبرج يراد منها طرد الارواح الشريرة والامراض ودفع الخراب والموت

واعتاد الاشوريون والبابليون ان يكتبوا بعض كلمات سحرية وتراكيب للشفاء على عصابتين احداهما من قماش ابيض والثانية من قماش اسود وتقوم هاتان العصابتان مقام التعويذة بان كانوا يضعونها على الايدي اوعلى الجبهة . وقد نقلوا هذه الطريقة الى الاسرائيليين مع شيء من التعديل فيها ولكنها لاتكاد تختلف عنها كثيراً ومع ان الشعب الاسرائيلي كبير الاعتقاد بالمولى فهو يعتقد بتأثير التعاويذ

وتأثير التوراة الى هذه العقيدة فقد وردت فيها عدة آيات في التعاويذ والاحراز . ومعظم التعاويذ اليهودية عبارة عن صفائح معدنية او حلق او جذور او عصائب من الرق كتب عليها اسم المولى اوآية من التوراة وبعضها مؤلف من جذع بعض الاشجاراومن حبات قمح وضعت في كيس جلد تناط في عنق الاطفال او الحيوانات على حدسواء . ويلبس البالغون من الاسرائيليين تعاويذ على صفة خواتم .

وقد شاع استعمال التعاويذ بين اليهود منذ القرن الاول الى القرن السابع للميلاد وكان الرومان واليونان يعتقدون كابناءاسرائيل بتأثير التعاويذ ولما ظهرت النصرانية لم يكن من تأثيراتها الا انها حولت مجرى الخرافات وحلتها بالاسم والاعمال فاخذ الناس يعتقدون بالايقونات والصور والتماثيل وبعض المعابد كما كان البشر يعتقدون من قبل بتأثير بعض الينابيع او بعض المغاور الآهلة بالجن

اما الشرق الاقصى فقد فاق الشرق القريب والغرب باعتقاد اهله بالتعاويذ . فالصينيون والهنود اعتقدوا ولا يزالون يعتقدون بنفعها واقتبسها البراهمة والطاوسيون والبوذيون واقتبسوها غيرهم من النحل والملل . ولشعوب الهند الصينية كالخمريين والشميين والاناميين ممن امتزجوا ببعض الامم الراقية اساليب كثيرة من التعاويذ وللهنود نوع من الحرز يزعمون انه يقي حامله من كل سوء وينيله كل خير وللاناميين والصينيين نوع من البطاقات يكتبون عليها كلمات او الغازاً ويجعلونها في الاعناق عوذة كما انهم يستعملون الانواط والاقراط الذهبية والفضية واظفر النمر وغيرها لدفع الارواح الشريرة

جاء الاسلام وهو آخر الاديان وفيه امور من اليهودية والنصرانية ولم يتيسر له مثل

غيره ان يتخلص من عدوى سرعة الاعتقاد فاستمال العامة بان اقرهم على بعض معتقداتهم على نحو ما فعلت النصرانية . وربما كان الاسلام على سذاجته المماوءة بالتقوى والنفع اكثر الاديان تسامحاً في معنى التعاويذ وذلك لانه انتشر بين شعوب شرقيين تأصلت فيهم الخرافات منذ القدم . ولم يأت الاسلام غير توحيد صورة التعاويذ الظاهرة بعض الشيء عند جميع الشعوب الاسلامية

فتعاويذ المسلمين في الشرق الاقصى تكاد تكون كلها عبارة عن سور من القرآن او حكم او كلمات لايفهم لها معنى تكتب على الورق او القماش او على نصل او صفيحة من معدن ويستعملون في كتابة هذه الاحراز ماء الزعفران او الكركم او ماء الورد او ماء الزهر وتساع المالايو والجاويون فاخذوا يستعملون الحبر الافرنجي

ومن التعاويذ ما ينفع في جميع حالات الحياة فمنها للوباء وللمرض وللحريق وللسحر ومنها مايلبسه الغزاة في حروبهم والنساء لحبلهن او لحفظ مالهن من ولد ومنها ماينزل المطر ويفتح الكنوز ويحرس الحيوانات ومنها مايقي من قرص الذباب ونقيق الضفادع . اما عدد ما يحمل منها فراجع الى ذوق الشخص وكذلك يضعها في جميع اطراف بدنه موقتاً او دائماً ومعظم التآليف الموضوعة في فن الرقية والتعاويذ من تاليف اناس من مسلمي افريقية واكثر مايعول عليه بين المغاربة والمشارقة كتاب شمس المعارف ولطائف العوارف ولهذا الكتاب عندهم حرمة تكاد تقرب من احترامهم الكتاب العزيز منهم لايمسونه الا مطهرين .

وشاع استعمال التعاويذ بين العرب والترك ومسلمي افريقية الشمالية والشرقية والفرس وهم مكثرون منها وشعوب المالايو والبولينيزيين وسكان مدغسكر . والمالايو وهم من شيعة اكثر الشعوب الاسلامية اغراقاً في استعمال التعاويذ . وكذلك الحال عند البوكويين والماكاساريين في سيليب والاتشيئيين والباتاقيين في سومطرا والدايا كيين في بورنو والتاكالين والبيزيين في جزائر فيلبين

المقتبس

رجب سنة ١٣٢٧ﻫ

نخب الذخائر

في احوال الجواهر

اشتهر ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد السنجاري المصري بن الاكفاني بتآليفه الجيدة وهو من اهل القرن الثامن توفي بالطاعون سنة تسع واربعين وسبعمائة وكان طبيباً بمصر ومن مؤلفاته كتاب كشف الغين في احوال العين وشرحها وقاية العين لنور الدين علي المناوي وغنية اللبيب في غيبة الطبيب ونهاية القصد في صناعة الفصد والنظر والتحقيق في تقليب الرقيق ونخب الذخائر في احوال الجواهر وارشاد القاصد الى اسنى المقاصد وبعضهم زاد عليها وسماها الدر النظيم في احوال العلوم والتعليم . وكتاب ارشاد القاصد طبع مرتين في القاهرة وبيروت وهو من كتب التعليم الممتعة على صغر حجمه ولكن المصنفات بفوائدها لا بحجمها .

وكتابه نخب الذخائر واحرى به ان يسمى رسالة تفضل باهدائه للمقتبس محمود شكري افندي الآلوسي عالم العراق الآن فاحببنا ان نضمه الى صدر المجلة لينتفع به القراء . اما هذا الموضوع فقد الف فيه عدة كتب كما يفهم من عبارات المصنف ومن الكتب المؤلفة فيه كتاب الجماهر في معرفة الجواهر لابي الريحان البيروني الفيلسوف المشهور الفه للملك المعظم ابي الفتح ومنه نسخة في مادر يد ومنها ازهار الافكار في جواهر الاحجار لشهاب الدين ابي العباس احمد بن يوسف التيفاشي المتوفي سنة ٦٥١ﻫ . واليك نخب الذخائر :

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير الى الواحد الباري · محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري · الحمد لله كفء افضاله · والصلاة على سيدنا محمد وآله · (وبعد) فهذا كتاب لخصت فيه خلاصة كلام الاقدمين والمتأخرين · من الحكماء المعتبرين · في ذكر الجواهر النفيسة باصنافها وصفاتها ومعادنها المعروفة · وقيمتها المشهورة المألوفة · وخواصها ومنافعها باوضح لفظ واصح معنى · ووسمته بنخب الذخائر في احوال الجواهر · وجانبت فيه الاطناب · وميزت فيه القشر عن اللباب · والله اسأل ان ينفع به بمحمد وآله ·

القول على الياقوت

اصنافه اربعة الاحمر وهو اعلاها رتبة واغلاها قيمة والاصفر والازرق والابيض وللاحمر سبع مراتب اعلاها الرماني ثم البهرماني ثم الارجواني ثم اللحمي ثم البنفسجي ثم الجلناري ثم الوردي · فالرماني وهو الشبيه بحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء ويوجد لونه بان يقطر على صفحة فضة مجلاة قطرة دم قرمز اعني من عرق ضارب فلون تلك القطرة على تلك الصفيحة هو الرماني والبهرماني يشبه بلون البهرماني وهو الصبغ الخالص الحاصل عن العصفر دون زردج ومن الجوهريين من يفضل البهرماني على الرماني والتفضيل انما هو بشدة الصبغ وكثرة المائية والشعاع ومنهم من يقول هما شيء واحد وانما اهل العراق يقولون بهرماني واهل خراسان يقولون رماني فالخلاف لفظي والارجواني ايضاً شديد الحمرة · وقيل كان الارجواني لباس قياصرة الروم وكان محظوراً عن السوقة الى زمن الاسكندر فانه انتفى رأيه ان لا يختص الملك بلباس يعرف به فيقصد · ومنهم من يسمي الارجواني الجمري بالجيم تشبيهاً بالجمر المتقد وصحفه بعضهم بالخمري وكان الحميري هو البنفسجي · واما اللحمي فهو دون الارجواني في الحمرة يشبه ماء اللحم الطري الذي لم يشبه ملح والبنفسجي يشوبه كهبة تخرجه عن خالص الحمرة وهو لون البنفش المعروف بالماذبني · واما الجلناري فيشوبه بعض صفرة والوردي يشوبه بياض وهو انزل طبقات الاحمر ·

واجود هذه الالوان كلها ما توفر صبغه وماؤه وشعاعه وخلا عن النمش وعن الحرمليات وهي حجارة مختلطة به وعن الرثم وهو وسخ فيه شبه الطين · وعن

النفث وهو كالصدع في الزجاجة اذا صدمت يمنع نفوذ الضياء والاشفاف · وهذا قد يكون اصليًا وقد يكون عارضًا · ومن عيوبه ايضًا اختلاف الصبغة فيشبه البلقة ومنها غمامة بيضاء صدفية تتصل ببعض سطوحه فان لم تكن غائرة ذهبت بالحك واذا خالط الحمرة لون غيرها يزول بالحمي بالنار بتدريج وتبقى الحمرة خالصة ولا يثبت على النار غيرها ومتى زالت الحمرة بالحمي فليس بياقوت ·

ومعدن الياقوت بجبل يسمى الراهون في جزيرة سرنديب · وفي سيلان ومكران معدن الياقوت الاصفر والازرق وتحت جبل البرق معدن الياقوت الاحمر والياقوت اصلب الجواهر · ولا يخدشه منها الا الماس ولا يجلى بخشب العشر الرطب وانما يسوى بالسنباذج ويجلى على صفيحة نحاس بالجزع المكلس والماء وهو اشد الجواهر صقا لا واكثرها ماء · وشعاعه في الليل في ضوء الشمع احمر وشعاع البلخش ونحوه ابيض ·

وذكر القدماء ان قيمة المثقال الفائق من الياقوت الاحمر ثلاثة آلاف دينار · واما في الدولة العباسية فان الغالب من قيمته ان الجيد منه اذا كان وزن طسوج يساوي خمسة دنانير واضعفه عشرين دينارًا وسدس مثقال ثلاثون دينارًا وثلث مثقال مائة وعشرين دينارًا ونصف مثقال اربعمائة دينار والمثقال بالف دينار والمثقال ونصف بالفي دينار هذا ما تقرر في ايام المأمون مع كثرة الجواهر في ذلك الزمان · والمثقال من البهرماني بثمانمائة دينار ومن الارجواني بخمسمائة دينار ومن الجلناري بمائتي دينار ومن الخمري بمائة دينار والبنفسجي يقاربه والوردي دون ذلك وكان في خزانة يمين الدولة ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالاً قومت بعشرين الف دينار وكان للمقتدر فصًا يسمى ورقة آلاس لانه كان على شكلها وزنه مثقالان الا شعيرتان اشتراه بستين الف درهم · واما في هذا الزمان فان قيمة الياقوت وسائر الجواهر زادت كثيرًا ·

واما الياقوت الاصفر فاعلاه ما قارب الجلناري وبعده المشمشي وبعده الاترجي وبعده التبني وبلغت قيمة الاصفر الجيد المثقال مائة دينار · واما الازرق ويسمى الاكهب فاعلاه الكحلي ثم النيلي ثم اللازوردي ثم السمائي · وكان في القديم قيمة الجيد من الازرق عشرة دنانير المثقال وما زاد فتزداد قيمته باضعاف ذلك · واما الابيض فانه يحمل من سرنديب ويكون رزينًا باردًا في الفم واجوده البلوري الكثير الماء وهو اقل قيمة من سائرها ·

قال ارسطوطاليس ان مزاج سائر اليواقيت حار يابس واذا علق شيء من اي اصنافه كان على انسان اكسبه مهابة في اعين الناس وسهل عليه قضاء حوائجه ودفع عنه شر الطاعون ۰ وقال ابن سينا ان خاصيته في التفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم عظيمة ۰ وشهد جمع من القدماء انه اذا امسك في الفم فرح القلب ۰ وقال التافقي وغيره انه ينفع نفث الدم ويمنع جموده تعليقاً ۰ وقال ابن زهر ان شرب سحيقه ينفع الجذام وان التختم به ينفع حدوث الصرع وقال ابن وحشية من علق عليه الياقوت الاحمر اتسع رزقه وتصرفه في المعاش ۰ وفي زماننا هذا حجر نفيس يعرف بعين الهر لشبهه اياها كان فيه زئبق يتحرك يتغالى فيه الملوك والامراء ويقال انه من اصناف اليواقيت ويظهر من معادنها ۰ وقيمته اذا كان فائقاً وزنته نحو نصف مثقال الف درهم فما فوقها ويقال انه وقاية لعين المجدور ۰

القول على البلخش

ويسمى اللعل بالفارسية وهوجوهر احمر شفاف مسفر صافي يناهي فائق الياقوت في اللون والرونق ۰ ويتخلف عنه في الصلابة حتى انه يحتك بالمصادمات فيحتاج الى الجلاء بالمرقشيثا الذهبية وهو انفس ما حلي به هذا الجوهر ومنه ما يشبه الياقوت البهرماني ويعرف بالبازكي وهو اعلاها واغلاها ۰ وكان يباع في ايام بني بويه بقيمة الياقوت حتي عرفوه فنزل عن تلك القيمة وقرر ان يباع بالدرهم دون المثقال تفرقة بينه وبين الياقوت ۰ ومنه ما يميل الى البياض ومنه ما يميل الى البنفسجية وهما دون الاول ومعدنه بالمشرق على مسير ثلاثة ايام من بذخشان ۰ وهي له كالباب ومنه ما يوجد في غلف شفافة ومنه ما يوجد بغير غلاف وشوهد منه ما يزيد وزنه على المائة درهم وكانت قيمته في القديم عن كل درهم عشرين دينارًا وربما زاد عن ذلك وليس لهذا الجوهر منفعة كالياقوت بل يشترى لحسنه ۰

القول على البجادي

ويعرف بالبنفش وهو حجر يشبه الياقوت بعض الشبه الا انه لا يفي غالبًا حتى يلعق من تحته بالحفر ليشف عن البطائن وشبه ارسطوطاليس لونه بنار يشوبها دخان ومنه ما يجلب من سرنديب وهو ارفع طبقاته ويعرف بالماذيني ۰ ومنه ما يجلب من بذخشان ومنه ما يجلب من بلاد المغرب ويعرف بالقروي ۰ ومنه ما يجلب من بلاد

الافرنجة ومنهُ صنف يشوبهُ صفرة خلوقية ويعرف بالاسبادشت و يوجد في الخراساني منهُ ما يكون وزنهُ نصف منٍ ·

اما الـه تدبي فانه لا يتجاوز مقدار الياقوت بكثير وزنٍ · وقيل ان الجيد منه يلتقط زغب الريش المنتوف و يبلغ قيمة الدرهم منه دينارًا واحدًا · قال ارسطوطاليس ان من تختم بوزن عشرين شعيرة منه لم يرَ في منامه احلامًا ردية ومن ادمن النظر اليه نقص نور عينيه وقال ابن ابي الاشعث لبسه يورث الخيلاء ويحرك الشبق · واما الاسبادشت فانه يقطع الرعاف ونزف الدم تعليقًا اذا كان وزنه نصف مثقال فما فوقه ·

القول على الماس

هو جوهر يشبه الياقوت في الرزانة والصلابة وعدم الانفصال عن الحديد وقهره لغيره من الاحجار وهو شفاف فيه ادنى بريق و يوجد فيه الابيض والزيتي والاصفر والاحمر والاخضر والازرق والاسود والفضي والحديدي واشكال الماس كلها مضرسة مخروطية ومثلثات من غير صنعة والهند تفضل منه الابيض والاصفر بسبب ما يظهر منهما من الشعاع الاحمر بقوس قزح اذا اقيما في مقابلة عين الشمس · واما اهل العراق وخراسان فلا يفرقون بين الوانه لانهم انما يستعملونه في ثقب الجواهر خاصة ومعدنه بقرب معدن الياقوت · وله معدن بقرب غزنه ومعدن بمقدونية من بلاد الروم ولونه كلون النوشاذر · ومعدن باليمن وهو حديدي اللون ومعدن بقبرس وهو فضي اللون رخو · ومن غريب حال الماس انه اذا طرق بمطرقة على سندان نكأ فيهما ولا ينكسر واذا لف في صفحة اسرب وضرب انكسر · وغالب ما يوجد منه قطع صغيرة بقدر الفلفل ونحوه · وكان قيمة هذا قديمًا المثقال بمائتي دينار وما كان بقدر البندقة او قاربه فيكون قيمته من ثلاثمائة الى خمسمائة دينار ·

وحكى نصر الجوهري ان معز الدولة بن بويه الديلمي اهدى الى اخيه ركن الدولة من الماس فصًا وزنه ثلاثة مثاقيل ولم يسمع باعظم منه · واخبرني السيد الشريف ناصر الدين الترمذي انه رأى عند السلطان قطب الدين ملك الهند من الماس الجيد الجليل القدر شيئًا كثيرًا جدًا ولعلهم لا يسمحون بخروج جيده من ارضهم لانهم يتيامنون به · قال ارسطوطاليس الماس بارد يابس في الرابعة يثقب به الياقوت وسائر الاحجار الصلبة ومتى كان في مجرى البول حصاة فتلصق حبة من هذا الحجر

في حديدة كالقاثاطير ثم يدخل في القضيب لتماس الحصاة فتفتتها ولا ينبغي ان يدخل الفم فانه يكسر الاسنان وان ابتلع منه شيئاً فربما قتل ·

القول على الدر واللؤلؤ

الحيوان الذي يتولد فيه اللؤلؤ هو بعض الاصداف وهو دقيق القوائم لزج ينفتح بارادة منه وينضم كذلك ويمشي اسراباً ويزدحم على المرعى واختلفوا في تولده في هذا الصدف فمنهم من قال انه يتكون فيه كما يتكون البيض في الحيوان البياض ذكر ذلك جمع من المحققين · وقيل بل يطلع الى سطح البحر في شهر نيسان وينفتح الصدف ويتلقى المطر فينعقد حباً ذكره نصر الجوهري وكثير من الناس واقول عند التدقيق لاتضاد بين القولين لجواز ان يكون تكون اللؤلؤ في صدفه كتكون البيض ويكون قطر نيسان له بمثابة النطفة ·

وقال الكندي ان موضع اللؤلؤ من هذا الحيوان داخل الصدف وما كان منه مما يلي الفم والاذن فهو الجيد منه وقالوا ان الحب الكبير انما يتكون في حلقومه ويزداد بالتفاف القشور عليه والدليل على ذلك انه يوجد طبقات والداخلة منها شبيه بالخارجة وكلها تشابه باطن الصدف وله مغاصات مشهورة في البحر الاخضر ويوجد في مجازات بين تلك المغائص وبين تلك السواحل · ومن المغاصات المشهورة مغاص اول بالبحرين ومغاص دهلك والسرين ومغاص الشرجه باليمن ومغاص القلزم بجوار جبل الطور ومغاص غب سرنديب ومغاص سفالة الزنج ومغاص اسقطرة وقد يتفق في بعض المغاصات مانع من الغوص كالحيوانات المؤذية التي في مغاص القلزم · ولهذا يدهن الغواصون عند الغوص ابدانهم بالميعة السائلة لان الهوام البحرية لا تقربها ·

ويختلف اللؤلؤ باختلاف المغاصات من جهة تربة المكان وغذاء الحيوان كما تغلب الرصاصة على اللآلئ القلزمية والدهلكية والوقت الذي يغاص فيه هو من اول نيسان الرومي الى آخر شهر ايلول وفي ما عدا هذه المدة يسافر هذا الحيوان من السواحل ويلجج ويختلف اللؤلؤ بالمقدار فمنه الكبار والصغار وما بين ذلك واعظم ما وجد منه اليتيمة التي كانت عند عبد الملك بن مروان ذكر انها كان وزنها ثلاثة مثاقيل وكانت مع ذلك حائزة لجميع صفات الحسن ،مدحرجة نقية رطبة رائقة ولذلك سميت اليتيمة. ولم يذكر عنها قيمة لكن ذكر الاخواني الرازيان انهما شاهدا في خزانة الامير يمين الدولة حبة ذات قاعدة وزنها مثقالان وثلث وانها قومت بثلاثين الف

دينار · ويختلف اللؤلؤ ايضاً من شكله فمنه المدحرج و يعرف بالعيون واذا كثرت استدارته وماؤه سمي نجماً · ومنه المستطيل الزيتوني ومنه الغلامي وهو المستدير القاعدة المحدد الرأس كأنه مخروط ومنه الفلكي المفرطح ومنه الفوفلي واللوزي والشعيري · ومنه المضرس وهو دونها شكلاً · و يختلف اللؤلؤ ايضاً من لونه فمنه للنقي البياض ومنه الرصاصي ومنه العاجي وصفرته غالباً في حساب المرض له واذا فاز وطال زمانه اسود· واللؤلؤ سريع التغير لانه حيواني بخلاف الجواهر المعدنية اذ ان اعمارنا لا تفي بتغير اكثرها · و يثقب هذا الحب لانه يزداد بحسن التأليف في الا حسناً ورونقاً وقيمة وانما يثقب بالماس فلذلك لم يستعمل الاطباء في الادوية النظم البكر غير المثقوب ·

والقيمة عن الدر في القديم النجم اذا كان وزنه مثقالاً كانت قيمته الف دينار واذا كان وزنه ثلثي مثقال كان قيمته خمس مائة دينار واذا كان وزنه نصف مثقال كانت قيمته مائتي دينار واذا كان وزنه ثلث مثقال كانت قيمته خمسين ديناراً واذا كان وزنه ربع مثقال كانت قيمته عشرين ديناراً واذا كان وزنه سدس مثقال كانت قيمته خمسة دنانير وثمن مثقال قيمته ثلاثة دنانير ونصف سدس مثقال قيمته دينار واحد · والغلامي بالنصف من قيمة النجم وما عداهما بالنصف من قيمة الغلامي · واما ما زاد على وزن مثقال فيزاد لكل قيراط في الوزن مائة دينار في الثمن الى ان يبلغ مثقالاً ونصفاً ثم يزاد لكل دانق في الوزن خمس مائة دينار في الثمن الى ان يبلغ مثقالين وما زاد عليه تتضاعف قيمته· واما الآن فالقيمة على قياس الجواهر متضاعفة لكثرة الرغبات من ملوك العصر في اقتناء الجواهر النفيسة · واما صغاره فبالدرهم يقوم· وخاصية اللؤلؤ المنفعة من خفقان القلب وتوحشه ويجلو العين و يزيد في الباه ويقطع نزف الدم وشربته درهم والمحلول منه يذهب البهق والبرص والكلف والنمش طلاء ويبرئ الصداع والشقيقة سعوطاً · وصفة حله ان يسحق و يعجن بماء حماض الاترج ويعلق في دن فيه خل بحيث يرتقي اليه بخار الخل فانه ينحل في ثلاثة اسابيع وهو يابس في الدرجة الثانية بارد في الاولى وقيل حار فيها لطيف جداً ·

قال نصر الجوهري : اذا ذهب ماء اللؤلؤ وكمد فينبغي ان يودع اليه مشروحه وتاب الالية في عجين مختمر ويجعل في كوز ويحمى عليه فاذا خرج دهن بالكافور · وقال ابو الريحان البيروني انما كان تغيره من قبل الطيب فيجعل في قدح مطين فيه

صابون ونورة غير مطفية جزآن متساويان ويصب عليه ماء عذب وخل خمر ويغلى في نار لينة ولا يزال ترفع رغوة الصابون وترمى بها الى ان تنقطع ويصفو الماء في القدح وبعد ذلك يخرج اللؤلؤ ويغسل . وان كان التغير في اديمه الى السواد فينقع في لبن التين اربعين يوماً ثم ينقل الى قدح فيه محلب وكافور وخروع اجزاء سواء ويوضع على نار فحم مقدار ساعتين بدون نفخ عليها ثم ينحى . وان كان السواد في باطنه طلي بشمع وجعل في قدح مع حماض الاترج ويبدل عليه كل ثلاثة ايام وتدام خضخضته حتى يبيض . وان كان في اديمه صفرة نقع في لبن التين اربعين يوماً ثم نقل الى قدح فيه قلي وصابون وبورق بالسوية ويفعل فيه كما يفعل بالاسود . وان كانت الصفرة في داخله جعل في محلب وسمسم وكافور متساوية الاجزاء مدقوقة ثم تلف فوقها عجين وتوضع في مغرفة حديد وتغمر بدهن الاكارع وتغلى غليتين ثم تخرج . وان كان احمر غلي في لبن حليب ثم طلي باشنان فارسي وشب يماني وكافور اجزاء متساوية تدق ناعماً وتعجن بلبن حليب ويطلى به طلياً ثخيناً وتودع جوف عجين قد عجن بلبن حليب ويخبز في التنور . وان كان رصاصياً نقع في حماض الاترج ثلاثة ايام ثم يغسل بماء البيض ويحفظ من الريح بالقطن . وذكر غيرهما في تبييض الفاسد ان يلقى في خل ثقيف مع حبتين تنكار وقيراط نوشادر وحبة بورق وثلاث حبات قلي مسحوقة وتغلى في مغرفة حديد ثم ترفع المغرفة عن النار وتوضع في ماء بارد ويدلك فيه بملح اندراني مسحوق ناعم ثم يغسل بماء عذب ولا يبعد ان هذا العمل ينزع عنه قشره الاعلى او بعضه والتجربة خطر .

القول في الزمرد

الخضرة تعم اصنافه كلها وافضله ما كان مشبع الخضرة ذا رونق وشعاع لا يشوبه اسود ولا صفرة ولا نمش ولا حرمليات ولا عروق بيض ولا نفوت . وليس يكاد يخاص عنها ودونه الريحاني الشبيهُ بورق الآس الرطب ودونهُ السلقي الشبيهُ بورق السلق الطري واهل الهند والصين تفضل الريحاني منهُ وترغب فيه . واهل المغرب يرغبون لما كان مشبع الخضرة وان كان قليل الماء ويزداد رونقاً اذا دهن بزيت بذر الكتان . واذا ترك بدون دهن يذهب ماؤُه ويمتحن بالعقيق المحدد فان خدشهُ فهو من اشباه الزمرد ومعدنهُ بسفح جبل قرشندة من ارض البجاة بصعيد مصر الاعلى واكثر ما يظهر منهُ خرز مستطيلة ذات خمسة اسطحة ويسمى اقصاباً وثقبهُ يشينهُ

بعكس اللؤلؤ وظهر في زماننا هذا من هذا المعدن قطع لم يسمع بمثلها في العظم مايقارب زنة منٍ ونحو ذلك · والمشهور ان الدهنج يكدر الزمرد اذا ماسه فيذهب رونقه وهو الآن بدون القيمة التي كانت في القديم بخلاف سائر الجواهر وما ذلك الا لكثرته · فان ابا الريحان البيروني حكى ان زنة نصف مثقال من الجيد منه يساوي الف دينار وقيل ان منه صنفاً يعرف بالذبابي لانه يشبه الذباب الطاووسية التي تكون في المروج وان من خاصية هذا الصنف ان الافاعي اذا نظرته تسيل اعينها وانا الى الآن لم ار هذا الصنف ولكنني امتحنت الريحاني والسلقي في هذا الامر فلم يصح ولاتغيرت اعين الافاعي وخاصية الزمرد النفع من السموم المشروبة ونهش الافاعي ولدغ العقارب يؤخذ من سحيقه تسع شعيرات ويجد شاربه في بدنه وجعاً عظيماً وانحلالاً في قوته ثم يفيق وقد انتفع ويوقف الجذام في ابتدائه ويقطع الاسهال المزمن ونفث الدم شرباً وتعليقاً ويقوي المعدة ويقع اسرع تعليقاً وامساكه في الفم يقوي الاسنان والمعدة وان علق على فخذ المطلقة اسرعت الولادة وادمان النظر اليه يجلو البصر ويحده وطبعه بارد يابس ·

القول في الزبرجد

هو صنف واحد فستقي اللون شفاف لكنه سريع الانطفاء لرخاوته وقيل ان معدنه بالقرب من معدن الزمرد ولكنه مجهول في زماننا هذا ومع ذلك فقيمته نحو قيمة البنفش وطبعه حار يابس وتقرب منافعه من منافع الزمرد ويدفع شر العين ·

القول على الفيروزج

معنى اسمه بالفارسية النصر ولذلك يسمى حجر الغلبة ويسمى ايضاً حجر العين لان حامله يدفع عنه شرها والمشهور عنهُ انهُ يدفع الصواعق وهو حجر ازرق اصلب من اللازورد يجلب من اعمال نيسابور · وكلما كان ارطب فهو اجود والمختار منهُ ما كان من المعدن الازهري والبوسحاقي لانهُ مشبع اللون صقيل مشرق · ثم اللبني المعروف بشيرقام · ثم الاسمانجوني الغميق · قال ابو الريحان اعظم ما وجد من الفيروزج وزن مئة درهم ولم يوجد من الخالص منهُ غير المختلط بشيءٍ غيره الا وزن خمسة دراهم · وبلغت قيمته مائة دينار قال الكندي وقد كرهه قوم بسبب تغيره بالصحو والغيم والرياح وتصفير الروائح الطيبة له واذهاب الحمام لمائه وامانته بالزيت وكما انه يموت بالزيت كذلك يحيى بالشحم والالية بعالج بان يجعل في ايدي القصابين · قال بن زهر

أن الملوك تعظم هذا الحجر لانه يدفع القتل عن صاحبه ولم يرَ في يد قتيل قط ولا في يد غريق وإذا شرب منه نفع لدغة العقرب . وقال الغافقي انه بارد يابس . وقال ديسقوريدس انه يقبض نتو الحدقة وينفع بثرها ويجمع حجب العين المخرقة ويجلو الغشاوة . وقال ارسطوطاليس انه ينقص من هيبة حامله . وذكر هرمس انه اذا نقش عليه صورة طائر في فمه سمكة وجعل في خاتم وتحته شيءٌ من خصي الثعلب ويكون القمر وعطارد في الثور فان حامله يقوى على الجماع وتزداد شهوته له . وقال ابن ابي الاشعث انه يقوي القلب الا انه دون الياقوت . ووجدت نقلاً عن بعض الاطباء انه اقوى في تقوية النفس من سائر الاحجار .

القول على البلور

يجلب من خزائن الزنج ومن كشمير ومن نواحي بذخشان وله معدن ببدليس ومعدن بارمينية ويجلب ايضاً من سرنديب ومن بلاد افرنجة ومن المغرب الاقصى ومنه ما يلتقط من البوادي . وقيمته بحسب ما يعمل منه من الاواني وحسن صنعتها ووجد منه قطعة زنتها مائة رطل بالعراقي وافضله المستنبط من بطن الارض ويكون ساطع البياض كثير المائية رزيناً صلباً بحيث يقدح منه النار ويخدش كثيراً من الجواهر بخلاف الملتقط من ظاهر الارض ومن خاصيته انه من علقه عليه لم يرَ مناماً يفزعه ورأى احلاماً حسنة ويسقى منه مثقال بلبن الاتن لاصحاب السل فينفعهم وينفع الرعشة تعليقاً .

القول على الجمز

ويقال جمست هو حجر يشبه الياقوت البنفسجي واعلاه ما غلبت عليه الوردية ومعدنه بقرية الصفراء بالحجاز . ويوجد مغشى ببياض كالثلج على وجهه حمرة ووجد منه قدر الرطل واكثر ينفع وجع المعدة تعليقاً والشرب بآنيته يبطي بالسكر وقيمته رخيصة .

القول على الدهنج

هو حجر رخو شديد الخضرة تلوح فيه زنجارية وفيه خطوط سود دقاق جداً . وربما شابه حمرة خفيه ومنه طاوسي ومنه موشى وقيل انه يصفو بصفاء الجو ويكدر بكدورته ومنه افرندي وهو افضل اصنافه ومنه هندي ومنه كرماني وخراساني ومنه كركي ومنه معزل والهند ترى انه ضرب من التوتيا ويكون رخواً وقت اخراجه من

معدنه ثم يزداد صلابة · وقال ارسطوطاليس ان شرب منه شارب السم نفعه وان شرب منه من غير سم كان سماً · وقد وثق عامة الناس من الفرندي انه يجلو بياض العين جلاءً حسناً ·

القول عَلَى اليشب

ويقال يشم منه مجلوب من بلاد الترك والوانه ابيض واصفر وزيتي وهو افضلها · ومنه مستخرج من ناحية ختن من واديين يسمى احدهما فاش ويستخرج منه ابيض فائق ويسمى الآخر واقاش والمستخرج منه كدر · وربما خرج منه شيء اسود ولا يوصل الى معدنه وانما السيل يخرجه والقطع الكبار للملك والصغار للرعية والترك واهل الصين تتخذ منه مناطق وحلية للسيوف والسروج حرصاً على الغلبة وزعموا انه يدفع الصواعق وجرب من الاصفر والزيتي انه ينفع وجع المعدة تعليقات عليها وينفع اوجاع الاحشاء ·

القول على الفازدهر

ويقال بازهر ومنه معدني ومنه حيواني والمعدني منه ابيض واصفر واخضر واغبر ومكت وهو افضلها ومعادنه بالهند والصين والخالص منه اذا القي من سحالته شيء في لبن حليب جمده ويعرق في الشمس وهو نافع من جميع السموم ومقدار ما يشرب منه اثنا عشر شعيرة فيخرج السم بالعرق من الجسد · واذا وضع عَلَى لسع العقرب او الزنبور نفع نفعاً بيناً واذا اثرت سحالته عَلَى موضع اللسع اجتذبت السم منه وجرب انه اذا نقش في فص منه صورة عقرب والقمر في العقرب في احد اوتاد الطالع وركب على خاتم ذهب وطبع به والقمر في العقرب عَلَى درهمين كندر ممضوغ فانه يشفي من لسعة العقرب شرباً · واما الحيواني من البازهر فانه يتولد في مرابر بعض الابابيل بارض شنكاره من جبال شيراز كما يتولد حجر البقر في مرارها واكثره بلوطي الشكل لونه بين الخضرة والغبرة ويتراكم طبقات بعضها فوق بعض في المسن من هذا الحيوان حتى يبلغ زنة البلوط منه عشرة مثاقيل مع خفته وهو جوهر شريف يقاوم سائر السموم شرباً اذا شرب منه من دانق الى نصف درهم يحل على المسن بالماء القراح وسحالة الخالص بيضاء وربما تميل الى حمرة خفية والمغشوش منه سحالته تميل الى خضرة او صفرة واذا تقدم انسان باستعماله عَلَى سبيل الاحتياط · وشرب منه في اربعين يوماً متوالية كل يوم وزن دانق لم يضره ما يرد عَلَى بدنه من السموم وينفع المجزومين نفعاً

بليغاً ويجلو بياض العين والكلف والنمش جلاء · وحيا ويحل مغل الدواب واسر بولها سريعاً ·

القول عَلَى الخرتوت

ويقال ختو قال ابو الريحان البيروني هو حيواني يقال انه يؤخذ من جبهة ثور يكون في نواحي بلاد الترك بارض خرخيز · وقيل بل من جبهة طائر عظيم يسقط في بعض تلك الجزائر وهو مرغوب فيه عند الترك واهل الصين يزعمون انه يعرق اذا قرب من طعام مسموم · قال الاخوان الرازيان خيره المعقرب الضارب من الصفرة الى الحمرة · ثم المشمشي · ثم الضارب الى الكهوبة وكان في القديم ما كان وزنه مائة درهم فقيمته من مائة دينار الى مائة وخمسين ديناراً · وجرب من دخان بخوره انه ينفع البواسير نفعاً بليغاً · وليكن هذا آخر هذا الكلام في هذا الكتاب واقتصرت عَلَى ذكر هذه الجواهر لانها النفيسة التي تدخرها الملوك والاكابر وتحلى بها الغواني · ومنافعها جليلة ولم اطل فيه القول بكيفية تولدها لعدم الفائدة في ذلك ولا ذكرت ما يلتحق بها مثل المرجان والسبج ونحوهما لنزول رتبتها عن هذه الجواهر النفيسة · وقد آن ختم الكتاب بحمد الله تعالى والصلوة عَلَى نبيه محمدٍ سيد المرسلين وآله وصحبه الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

المطبوعات العربية

كان اول كتاب عربي مثل بالطبع في القرن الخامس عشر للميلاد في رومية العظمى كرسي البابوية فطبعت على ذاك العهد امهات من الكتب النافعة كاسفار ابن سينا وغيره وعني الطابعون بتصحيحها ومعارضتها عَلَى اصول وقعت اليهم فدلوا بذلك عَلَى ان حب الاتقان واختيار الاجود تكاد تكون غريزة في الغرب ثم انصرفت الرغبة في اوربا الى تعلم لغات الشرق ولا سيما العربية فطبع المستشرقون من الفرنسيس والالمان والهولانديين وغيرهم كتباً جليلة لنا وبذلوا مجهودهم في تصحيحها ووضع الفهارس والمعاجم لها والدلالة عَلَى ما فيها من فوائد واوابد وشوارد · وكل هذه المطبوعات عَلَى سقم الحروف التي كانوا يستعملونها في مطابعهم كانت على غاية من جودة الورق

ومتانته وجمال الوضع والشكل ٠

ولما دخل الطبع الى البلاد العثمانية سنة ١١٣٥ هـ تأسست في اسكدار احدى احياء الاستانة اول دار للطباعة كان في جملة المطبوع من الكتب العربية بعض كتب دينية وبينها بعض الكتب العلمية والتاريخية الا ان الطباعة لم تكن على الاتقان المطلوب والعناية بالتصحيح كانت دون عناية الاوربيين بكثير اما الفهارس والتبويب فلم يحفلوا بهما لما يحتاج وضعها اليه من طول النفس وسعة الصدر وكثرة العلم ٠

ولما قام محمد علي الكبير في القطر المصري واليًا عليها واراد ان يجعل لها شأنًا في الحضارة لتدخل في عداد البلاد الراقية كان مما قام به تأسيس المطبعة الاميرية الكبرى فشرعت تطبع الكتب المعتنى بها متخيرة لها اجود الحروف واجود الورق وخيرة المصححين والناظرين ٠ وان بعض الكتب التي نشرتها تلك المطبعة عَلَى اوائل عهدها لا تزال الى اليوم مثال الاجادة ومنها كتاب كلستان الفارسي للحافظ الشيرازي والقاموس المحيط للفيروز آبادي ٠

وما برحت احوال المطبعة الاميرية عرضة للقلب والابدال عَلَى ما يكون حال الادارات والمشاريع في الشرق غالبًا تختلف سقوطًا وارتقاعًا بحسب ارادة القائم عليها وهي تطبع مع تلك الكتب القديمة التأليف الاسفار التي عني الشيخ رفاعة الطهطاوي وجماعته بتعريبها من اللغات الافرنجية ولا سيما الافرنسية فجاءت الا قليلاً انموذج الجودة شكلاً ووضعاً ٠

ثم اخذ بعض التجار في اواسط القرن الماضي بمصر يفتحون المطابع ويطبعون الكتب للتكسب منها فقط فوضعت لهم بعض امهات الحروف ولكنها سقيمة بالقياس الى حروف المطبعة الاميرية وزادها سقماً ان اولئك الطابعين طفقوا يتخيرون من الورق ارداه ويقتصدون في التصحيح حتى لقد يعهدون به وا كثرهم أميون لا يقرأون الكتاب الى أناس يماثلونهم في ضعف المدارك والعلم فكانوا اذا احسنوا واجادوا يطبقون المطبوع بالحرف عَلَى ما عندهم من الاصل وربما كان في البلد على قيد غلوة منهم خمس نسخ او عشر من ذاك الكتاب كتبت في اوقات مختلفة وهم لا تحدثهم انفسهم بان يعارضوا عليها نسختهم التي يطبعون عليها وان يذيلوها كما جرت عادة الاوربيين بوضع اختلاف النسخ في اسفل الصفحات ٠ اما التبويب والفهارس المتقنة فليس لها اثر فيها

طبعه اولئك المتجرون ببضاعة العلم ·

وعلى ذاك العهد فتحت بعض المطابع في بيروت على يد بعض الجمعيات الدينية المسيحية وكان سبق لبعض الاديار في لبنان ان كان لها مطابع حجرية · طبعت بعض الكتب الدينية واللغوية ومن جملتها شرح الزوزني على المعلقات وهو طبع حجري لا حرفي · فتخيرت مطابع تلك الجمعيات الكتب الدينية اولاً واجادت بعض الشيء في طبعها ثم ارتقت الطباعة الى ان أُصيبت بآفة المراقبة فانقطعت الرغبات عن الطبع بل زهد الناس في تعلم العربية ورأوا ربحهم المادي من اللغات الاعجمية اكثر وانشأ دير الفرنسيسكان في القدس مطبعة طبعت بعض كتب واكثرها في الدين ومثلها دير الدومينيكين في الموصل طبع مع كتب الدين كتباً علمية قديمة وحديثة ومنها تآليف المطران يوسف داوود العالم المشهور · وأُنشئت اذ ذاك في دمشق مطبعتان الا انهما لم تطل ايامهما حتى تزيد العناية باتقان مطبوعاتهما على ما ينبغي ·

وهكذا اتت فترة نحو ربع قرن على مصر والشام والطبع الا قليلاً يكاد يكون العوبة في ايدي اناس من العامة يرون الربح من مطبوعاتهم بالاقتصاد من التصحيح والعناية والورق والشكل ورص السطور والكلمات بعضها فوق بعض بدون فواصل ولا تقطيع وكانت اكثر مطبوعاتهم في فروع الفقه والنحو والكلام والزهد والخلاعة مما الفه المتأخرون وفيه من الحشو واللغو والموضوع والمصنوع ما كثر ضرره في عقول الطالبين والمتأدبين ·

ومنذ عادت الى العربية بعض نضرتها الاولى ايام هب منذ بضع سنين أُناس استناروا بقبس الغرب اصبحت المطابع تستحي من طبع التآليف الساقطة وتستشير اهل الرأي في تخير المصنفات للطبع ولو عملوا بنصائح العلماء كل حين لما اخرجوا كتاباً للناس قبل بذل الجهد في تنقيحه وتصحيحه واتقان طبعه ووضعه ولكن ما الحيلة وهم يعتقدون كما قلنا ان الربح لا يتيسر لهم الا بمثل هذا الاقتصاد البارد · وما اعجب الا من طابع يطبع كتاباً يكلفه الالف والالفي ليرة ثم يبخل بعشرات من الليرات او بعض النسخ جائزة لمن يتقن النظر فيه ·

اما سائر المطابع المصرية كمطابع الصحف فلم تطبع شيئاً يذكر من الكتب المهمة وان كانت اكثر سخاء من اولئك التجار في اتقان الطبع وجودة الورق وحسن التنسيق · ولم نر في المطبوعات التي انتشرت في العهد الحديث اتقن واجمل واصح من

كتاب المخصص لابن سيده تعاورته بالتصحيح ايدي بعض العلماء الاخصائيين المحققين فجاء مزيداً في بابه لا تخجل منه اذا نظر فيه عالم اوربي كسائر مطبوعاتنا الاخيرة ·

نقول هذا ونحن على مثل اليقين في ان ما طبع من الكتب العربية في بلادنا ما عدا بعض كتب طبعت في المطبعة الاميرية في مصر وبعض كتب لغوية ادبية طبعت في المطبعة اليسوعية في بيروت لا ثقة للمستشرقين به · وقد اكد لنا احدهم ان كل نقل ينقلة احد مؤلفيهم من كتاب عربي طبع في الشرق تسقط مكانتهُ وان جمهورهم لا يعترف بالصحة الا لكتاب عربي طبعه اوربي ولكن هذا لا يخلو من غلو ايضاً ·

اليس من العار ان تكون سيرة ابن هشام التي طبعت في المانيا اصح من الطبعة التي طبعت في المطبعة الاميرية نفسها وهي التي كنا نقرظها الآن بجودة الطبع واختيار المصححين وقد نبغ منهم فيها امثال الشيخ نصر الهوريني وامثاله ·

اليس من العار ان يطبع امرؤ القيس الطحان او (ماكس مولر) الالماني طبقات الاطباء لابن ابي أُصيبعة في مصر فيخرج بجودة تصحيحه وفهارسه على ما تراه وتطبع مصر كتاباً لاحد كبار فقهائها الذين تفاخر بهم وهو كتاب طبقات الشافعية للسبكي فيأتي مشعثاً سقيماً كما تشهد · نعم ان نفس تأليف ابن أُصيبعة ارقى وامتع من مصنف السبكي في بابه ولكن اتقان الطبع والتصحيح والفهارس هو الذي نبكي على فقده بين اظهرنا وهو موضوع بحثنا الآن ·

اي فرق بين كتاب لنا طبع مرة في اوربا واخرى في الشرق · بالله كم تساوي نسخة معجم البلدان لياقوت طبع اوربا اذا قيست بالنسخة التي نقلت عنها وطبعت في مصر او كتاب الكامل للمبرد المطبوع في اوربا اذا قيس بالطبعة الثانية المصرية التي نقلت عنه فكانت الصحة تغلب عليها اكثر من الكتب التي نطبعها ابتداء ·

ومن غريب امر الطابعين في مصر انهم يستحلون طبع الكتب التي تعب علماء المشرقيات من الاوربيين في احيائها فيعيدون طبعها بالسقم المعهود في مطابعنا فتجيء والعين تنبو عن النظر اليها دون الطبعة الاوربية بمراحل ومع هذا يستنكف اولئك الامناء ان يشيروا الى النسخة المنقول عليها تمويهاً بانهم هم ناقلوها عن اصل مخطوط ظفروا به وتكلفوا في البحث عنه ضروب المشقة والنفقة كأن اولئك الفضلاء الذين لهم الفضل الاكبر في احياء مآثر اجدادنا غير احرياء ان يذكروا بكلمة شكر لمعاونتهم لنا ·

وانا لنرى حتى الآن خزائن الكتب في بلادنا طافحة بالمخطوطات من الامهات التي تجب المبادرة الى تمثيلها بالطبع عَلَى مناحي الغربيين ونرى طابعينا وكتبيينا يكررون طبع تلك الكتب المألوفة والمستنير الفكر منهم يمد يده الى كتاب طبعه اوربي فعاني عرق القربة في سبيل نيله فيعيد طبعه مدعيه لنفسه وانه هو الذي احياه . وخزائن كتب الاستانة (١) وخزانة دار الكتب المصرية وحدهما مملوءة بالنوادر التي لو أُحييت عَلَى الطريقة التي تجب من العناية لكان فيها الربح الجزيل والشرف الاثيل لطابعيها وناشريها .

لو بذل ارباب المطابع في مصر والشام والاستانة وبغداد وتونس وفاس بعض عناية الاوربيين بكتبنا قبل ان يمثلوها بالطبع لكان عندنا اليوم من المطبوعات العربية ما تفاخر الامم بكميته واتقانه . نحن لا نقول لطابعينا ان يتأنقوا ويبالغوا في التصحيح كما يبالغ اكثر المستشرقين في الطبع بان يرسلوا احياناً الملازم المصفوفة حروفها من مملكة الى اخرى لتعارض عَلَى الاصل الآخر الذي هناك او لتدفع لعالم متمكن من الفن الذي جعل الكتاب في موضوعه يمر عليها نظره وانما نريدهم عَلَى السخاء المعتدل في التصحيح وجعله من اوليات المسائل في الطبع لا مناص من توسيده الا للعالمين به كما لا مهرب من اعطاء اجرة المنضد والمرتب والطابع والمجلد لكل من اراد ان ينشر كتاباً .

طبعت بعض مطابع الهند وفارس كتباً عربية كثيرة ومعظمها بالحجر في موضوعات دينية من حديث وفقه وكلام ولكن بعضها عَلَى العجمة المستحكمة من السن اهل تلك البلاد تكاد تكون اقرب الى الصحة والضبط من بعض ما طبعه العرب من ارباب الطباعة في هذا الشرق الادنى .

اما الآن وقد رفع الحجر عن العلم في البلاد العثمانية واصبحت كالديار المصرية في حريتها فالفرض العيني عَلَى المتجرين بالكتب والمتمحضين لخدمة الآداب والعلم ان يسارعوا الى استنساخ ماحوته خزائننا العامة والخاصة من الاسفار الممتعة ويحذوا حذو الاوربيين في التصحيح والشكل والفواصل والتقطيع والفهارس المنوعة حتى ينتفع المراجع بفوائد الكتاب لاول وهلة ويسقط على ما يريد معرفته منه بادنى نظر دون انهاك القوى في تصفحه كله على غير جدوى من اجل العثور عَلَى مسألة او اقتباس جملة .

(١) راجع « المخطوطات النادرة » المقتبس ٢ ص ٥٩٩

وبذلك يرفعون العار عن العربية الذي يشيعه عنها الجاهلون فضلها فيرمون كتبنا عنها بانها معقدة غير متسعة وان المطالعة في كتب جعلت جملة واحدة ضرب من العنت واضاعة الوقت على غير طائل . وافناء العمر في باطل وعاطل .

رسائل بليغة (١)

وقع الينا كتاب مخطوط وقد كتب على جلده بخط حديث « لاتحزن ان الله معنا » حكمة بالغة لبعض الحكماء : لا مجد كمجد من يخدم وطنه . وقال اسكندر دوماس الفرنسوي المشهور : ان الاشرار يتحاملون على النفوس الشريفة بيد انهم لا يستطيعون لها اذى فهي (اي النفوس الشريفة) كالصخور الصوانية تعلو عليها امواج البحر عند هبوب العواصف فتظن انها قد اغرقتها وهي قد غسلتها فتعود في نور الشمس اكثر جلاء .

وليس لهذا المجموع اسم ولا عرفنا اسم جامعه ولا سنة نقله وانما الظاهر من خطه المشرقي انه مما كتب قبل الالف للهجرة وهو في ستة واربعين ورقة من قطع الربع . وفي الورقة الاولى منه صورة سؤال كتبه الشيخ الفقيه المفتي ابو محمد عبد الحميد بن ابي الدنيا الى الفقيه الامام العلامة الشيخ عز الدين ابي محمد عبد العزيز بن عبد السلام رضي الله عنهما فيمن تصدى للفتيا والجواب عليها وقد استغرق السؤال والجواب ورقتين .

اما المجموع فهو رسائل لبعض البلغاء فالرسالة الاولى كتاب الفقيه المشاور ابو محمد عبد القوي في زواج ابنته الى احد الفقهاء وكتاب لابي بكر بن صاحب الصلاة الى بعض اخوانه يوصيه بالتحفظ بكتبه من الفار وكتاب له الى بعض اخوانه يصف جامع قرطبة جاء فيه :

« والجامع قدس الله بقعته ومكانه . وثبت اساسه واركانه . قد كسي بردة الازدهاء . وجلي في معرض البهاء . كأن شرفاته فلول في سنان . او اشر في اسنان . وكأنما ضربت على سمائه كلل . وخلعت على ارجائه حلل . وكأن الشمس

(١) من مكتبة وجيه افندي الكيلاني احد ادباء دمشق ووجوهها .

قد خلقت فيه ضياءها · ونسجت على اقطاره اضياءها · فترى نهاراً قد احدق به ليل · كما احدق بربوة سيل · ليل دامس · ونهار شامس · وللذبال تألق كنضنضة الحيات · او اشارة السبابات بالتحيات · قد انزعت من السليط (شيرج) كؤوسها · ووصلت بمحاجز الحديد رؤوسها · ونيطت بسلاسل كالجذوع القائمة · او كالثعابين العائمة · عصبت بها تفاح من الصفر · كالتفاح الصفر · بولغ في صقلها وجلائها · حتى بهرت بحسنها ولألائها · كأنما جليت باللهب · او أشربت ماء الذهب · ان ساميتها طولاً رأيت منها سبائك عسجد · او قلائد زبرجد · وان جئتها عرضاً رأيت منها افلاكاً ولكنها غير دائرة · ونجوماً ولكنها غير سائرة · تتعلق تعلق القرط من الذفرى · وينبسط شعاعها بسط الاديم حين يفرى · والشمع قد رفعت على النار رفع البنود · وعرضت عليها عرض الجنود · يجتلي طلاقة روائها القريب والبعيد · ويستوي في هداية ضيائها الشقي والسعيد · »

وهنا انتهت الصفحة واختلط الكلام بغيره والغالب ان ورقة سقطت من الوسط · وكان فيها تكملة ذلك الوصف المسجع المستملح · وهناك رسائل كتب بها الوزير الكاتب ابو مروان بن زكريا ورسائل كتب بها ذو الوزارتين ابو بكر بن عبد العزيز منها كتاب كتبه عن اهل قرطبة الى علي بن يوسف بن تاشفين ونصه : « ايد الله امير المسلمين بالتقوى وعمر به ربع الاسلام فلولا رجاؤه لكان قد خرف في هذه الجزيرة واقوى واتم به وعليه النعمى وجعل ذراه الامنع الاحمى وامده بالقوة والرحمى وانار به طريق الهدى وصدع بنظره الجميل جميع العدى وجعله ممن اشتمل بالتوفيق وارتدى وجرى في غايات البر فسيح المدى واتبع آثار الذين هداهم الله واقتدى · كتبناه ادام الله تأييده وطاعته لم تخلق برودها ولم تنقض عهودها ولم يتغير معهودها ونحن لحقه مقدمون ولما اوجب الله من فرض امامته معظمون ولما قضاه مسلمون ولما امضاه مستسلمون وبين يدي اشفاقه باكون خاشعون والى جنابه وارتماضه (انفعاله) شاكون ضارعون وللحق فيما ينهيه حاكون وبه صادعون وقد ضاقت بالنفوس الحناجر واسلمت الدموع المحاجر وسمعنا صراخ الاسرى المضطهدين يمنة ويسرة فما ملكنا الا عبرة او حسرة ووددنا يوم انتقل الامير الاجل ولي العهد عن انظارنا وارتحل من ديارنا انا لقينا الموت المعجل فاراحنا من الاوجال ولم ترنق الخطوب الينا حالاً بعد حال وهذا العدو المجاور لنا قصمه الله قد احرقنا بشررة من ناره واغرقنا في قطرة من غماره

فكيف نكون بعد وقد اشجانا بشؤبوب برد ورمانا بضرم متقد ونحن نستقبل به جمعاً ولا نطيق له بغير الله دفعاً ونترقب آزفة تترك انوار الاسلام « والله الكافي » كاشفة ولا تجد لها من دون الله كاشفة بل هو القادر على ان يصرف الينا نظر امير المسلمين فيسهل انا مقاصدها ومسالكها ويرد عنا محاذيرها ومهالكها .

ثم بتفسير هذه المقدمة الشديدة الوقوع الكريهة المسموع الاميرة قلعة رباح ومورة نفدت في شهر كذا واوعب العسكر مع والينا ابي محمد وفقه الله في نقلها ونهضوا بما تحملوا من ثقلها فلما اعنقوا في مضارهم وبعد عنا ما كنا نتطلع من اخبارهم جاء الصريخ ان عسكر الروم دخل على فج المساجد الى بلاد الاسلام رد الله عنه كيد عبدة الاصنام وهناك مقاصد شتى شعوبها وغنائم لا يتعذر مطلوبها فاخذ بنا الروع في كل طريق وخفنا على كل جانب من جوانب المسلمين وفريق وتوجه من بقي في البلد من اهل الفلاحة وغيرهم الانذار وتقليع الاقطار واعلام اهل البوادي بنباء هذا العسكر الجرار ورفعهم عن مواضع سكناهم عسير ولا يرد قدر الله عمن هو قتيل او اسير واستصرخنا الامير الاجل ابا زكريا يحيى بن اسحق وفقه الله لهذا الخطب النازل والعدو المغير المنازل فتوانى فيما كان يروم وسبقه الينا الروم فاغاروا من الوادي الكبير الى القليمة الى لورة الى فرنجولس واجتاز الوادي الى يله وبعض نواحي استجة وكان ذلك في اليوم الثالث من وصول خبرهم الينا وورود علينا واكثر اهل هذه الناحية لم يطيعوا النذير ولا صدقوا التحذير بل غلبهم ضعف المقدرة عن الانتقال وكثرة العيال والاطفال فامتلأت بالسبي الجبال واسلمت من فيها السهول ولا تعصمهم الجبال واخذوا من النهاب والامتاع والحافر والكراع ما لا يدركه الاحصاء ولا يملكه الاستقصاء وبقوا في ذلك يومين لا يجدون من يرد امتدادهم ولا من يرمي سوادهم حتى غلب اكفهم الانتهاب وضامه بهم المشي والذهاب ووصل كتاب والينا ابي محمد من كركي بعد اخذه في الصدر والقفول من ذلك السفر يذكر ما اتصل به من الخبر ووعدنا بالتشمير في اتباعهم واخذ الاهبة لقراعهم وتلوه اذن الله في ذلك لاعبين بكثرة الجند واجتماعهم وجاء ايضاً عن والي اشبيلية انه وصل لورة وسيره حثيث وهو للمسلمين ناصر ومغيث والنصارى قد اثقلتهم الاسرى والغنائم فلا يمشون الا رويداً ولا ينتقلون الا صار الامن لهم قيداً واجتمع الواليان وفقهم الله والعدو لم يبعد طلبه ولا تعذر مطلبه ونفر المسلمون من كل مكان خفافاً وثقالاً فرساناً ورجالاً وقد رأوا اسباب

النجح بينة ولوازم الجهاد متعينة ولما تراءت الفئتان قصرت الأقدام وقلّ الاقدام وطفئت الحفائظ وكان لما توقد واحتدام ونسي فرض الاسلام واستخف ثقل الملام ورأى الكافر ما عليه من عساكر تترادف امدادها وتزيد ضعفاً على من عنده اعدادها فلجأ العدو الى جبيل لا يعصم الهارب ولا يمنع الطالب وسدل به الرجالة المطوعون فارهقوه عسراً وحالوا بينه وبين المواشي قسراً وخالطوا الكفار في صعيد وسائر العساكر غير بعيد ورزق الله المطوعين الصبر في محاربتهم والاجتهاد في مطاعنتهم ومضاربتهم فما ذعر الكفار لهم سربا ولا فلوا لهم غربا فاستمدوا الولاة وعندهم الكماة وبين ايديهم الرماة فما امدوهم بحام ولا اعانوهم برام بيد ان الكفار يئسوا من الحياة ولم يطمعوا في النجاة واعتنقوا اعتناق وداع ولا يثقوا بقوة ولا خداع وفي عمر اليوم والكتائب لم تتحرك وقد اذن الله بالاملاء لمن اشرك وترك الليل فقوض الكافر بجمعه على اعين الناس واسرى ومعه الدواب والاسرى وقد اهملهم اهل الاسلام ولم ترع فيهم ذمة محمد عليه افضل الصلاة والسلام وتركت الغنم والبقر سدى واغتالتها يد الردى وانتهبتها اهل الحصون كما تنتهب المغنم المباح واخذوها كما تؤخذ الفوائد والارباح ولم يرجع منها الى اهلها الا النذر اليسير والتافه الحقير وكان للاسرى عند رحيلهم عجة في الاصفاد وضجة في الاغلال والاقياد تصرع الجماد وتفجر الاحجار الصلاد فما رقت لذلك قلوب اقستها الذنوب وبعد عنها نصر الله وهو قريب ومنعها من حسن اليقين شك مريب . ومعظم الشكوى باهل اشبيلية فانهم اظهروا المباعدة واقلوا المساعدة وعادهم في ذلك الخميس عيد من ذكر يوم الخميس فاستقبلوا العجز استقبالاً وخرجوا للنصر فما زادوا الا خبالاً فيالله ويالامير المسلمين من دماء سفكت وحرمات هتكت وانفة في دين الله وضعت وتركت وجماعة من المسلمين غلبت يد الباطل وملكت . وقدامهم من اخوانهم من يزيد على عددهم اضعافاً يغلب فيها النساء الرجال ويسبق ذوي الغرر والحجول ربات الحجال ولو كانوا نصفهم الكان ذلك النصف يحسبهم وكتاب الله تعالى قد اوجب انه يغلبهم وقد روى ثقات الاخبار خطبة علي رضي الله عنه بالانبار وامير المسلمين اولى من اهتدى بهديه ورأى في الاسلام مثل رأيه وقد علم الروم ان حمى الاسلام غير ممنوع وغاربه غير مدفوع وعندهم في هذه السنة احتفال واحتشاد وتأهب واستعداد وما منا احد الا وهو يجتاز للجلاء اقرب طرقه ويرى موضع الفداء والسيف من عنقه وقد دعونا امير المسلمين بما اسلف الينا

من نعمه واعلقنا من ذممه وقرب الينا من مسافة مطالعه واقتضاء الواجب في مناصحته ومشايعته والرب سائله عما استرعاه ومجازيه بعمله المبرور ومسعاه ولعل الله يجعل لنا في قلبه رأفة تعطفه الى هذه الشكوى وترفه ما نزل بنا من البلوى وانا لننتظر من نظره الجميل وجوابه الواضح السبيل ما يقر النفوس في قرارها ويعيد الآمال في النجاة بعد فرارها وهو ايده الله بذكر ما اخذه علينا من العهد المسؤول في النصح المبذول والصدق المقبول فرأينا ان لا نكتم ما يجب ابداؤه ولا نمسك ما يلزم اداؤه وهو المسؤول جلت قدرته ان يرفع بالتقوى قدره ويشرح لهذه الشكوى صدره ويجزيه عن جوانب الانها العدل وبسيطها (؟) ومذاهب زانها الرفق واقسطها افضل ما جزي به اماماً تواضع لله تحببه الى خلقه واعانه على حقه لا رب غيره والسلام »

فراجعهم علي بن يوسف بن تاشفين :

« كتابنا كتب الله لكم يقيناً تطمئن بصدقه القلوب وتهون بعدو الخطوب وايدكم بايمان تنبعث به البصائر ويثوب ويذهب بسببه الروع الذي يخوف به الشيطان اولياءه فلا يعقب ولا يؤوب من حضرة مراكش حرسها الله في الثاني عشر من جمادي الاخرة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ونحن نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو حمداً نتخذه الى المزيد من نعمته سبيلاً ونجعله الى رحمته دليلاً وننزله بعصمته كفيلاً ونصلي على محمد نبيه الكريم صلاة عامة تامة تتعاقب اليه مع التسليم الاصفى وعلى آله الطيبين وصحبه الاكرمين بكرةً واصيلا . اما بعد تجاوز الله عن ذنوبنا وذنوبكم وفزع بامنه عن قلوبنا وقلوبكم وصفح عما يعلمه من عيوبنا وعيوبكم فان كتابكم الاثير وافانا مضمناً من سوء اثر العدو قصمه الله في المسلمين عصمهم الله ما اغص واشرق وامضى وارق وجمع علينا من همومكم وغمومكم ما انتشر وافترق وذلك ما احصاه قبل خلق الخلائق كتاب من الله سبق قال الله سبحانه وبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم وصدق (ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) وما نهون مصاباً ادرك المسلمين والمسلمات فيه من النكال الموجع ما ادرك وظهر على المؤمنين في مواطنهم من كفر بالله واشرك وفتك في حوزته بدين الله من فتك ولوددنا والله شاهد ان نجعل دون نفس المسلمين نفساً لا ندخرها ستطعنا من فدائهم ولا نكره ان نبذلها جهدنا في جهاد اعدائهم وان نكون جنة

واقية من أمامهم وورائهم ولكن نقول ما قال سبحانه وتسليماً وتراه كما هو عند الله عظيماً (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خواناً أثيما) وقد علمتم امتع الله بالحسنى امتاعكم واقر بعوائد البشرى ابصاركم واسماعكم وكشف عنكم وعافيكم ما وقذكم وراعكم انا قد تقدمنا الى جميع العمال ومن تحت ايديهم من الرجال ان يتظافروا على العدو قصمه الله ويأتلفوا ويتطاوعوا ولا يختلفوا ويتقدموا في حسن الدفاع ويزدلفوا ولو ان جميع المسلمين من قلة أتي وباضعاف كثيرة رمي لقانا في الحاجزة نعما هي ولكن فت في اعضاد الله تبريحهم وتنازعوا ففشلوا وذهب ريحهم ولم يحظ عندنا بقبول تعريضهم في العدو وتصريحهم فاستحقوا مقت الله ومقت الامة ولومها واعطوا شيعة الكفر على الرغم منهم حكمها وشومها وفضحوا المسلمين كما فضحت عامل (عاد ؟) قومها ولى الله تعالى ثم علينا تقويم الزيغ بعينه والاود والتقدم لكل خاصة وللمسلمين عامة على توفيق الله تعالى بالنظر الاحد واعينونا رحمكم الله بالادعية الصالحة التي هي امضى السلاح واوثق العدد واما ما سرى اليكم من عداد العدو قصمه الله لخروج يستقبله وفساد في البلاد يؤمله فالله تعالى بقدرته يشغله عن ذلك ويذهله ويرميه بحوادث لا تنظره ولا تمهله وحق علينا وقد استصرختم بنا ان نأتي بمشيئة الله نداءكم ونجيب على الصعبة والذلول دعاءكم ونلقي دونكم الاموال والانفس اعداءكم وما كنا لو لم تعلنوا في الكتب المجردة نجواكم وان يبلغنا على الالسنة الاقلام شكواكم لندعكم لعدو يستبيح حماكم ويجيح فيه لمسرتكم واذاكم ولا نشتيم اصلحكم الله بما نيتنالكم عن اذكراكم وانتصاماجيه بالله هو مولانا ومولاكم واعلموا وفقكم الله ان حماكم حمانا ومن رماكم قد رمانا ومن ارادكم بسوء والله بكيه لوجهه فما تخطانا ولا تعدانا وظلام الاسلام بحمد الله ممتدة وتلك النصب التي تقدمنا بها في العام الاول معتدة والاهبة بحمد الله متى حزب حازب مستجدة والذي من نصرتكم نستدعيه ونستمنحه في الله ونستهديه دعاة نتعرف بنعمة الله بركة اخلاصكم فيه على الذين شغلوا خيل الله قبلنا عن ثنايا في غزو الكفر نطلعها واودية في مواطئ بغيظ حزب الشيطان نطويها ونقطعها والله يأخذ هذه الفئة ولا يدعها ويكبتها سريعاً ببطشته الكبرى ويصدعها فخذوا رحمكم الله في ادعية يقبلها ويرفعها ويد الله مع الجماعة ولن يرجع الا بالاجابة السريعة ان شاء الله مجتمعها واما ما انتهبه اهل الحصون وسواهم من اغنام المسلمين فلا فرق بينهم في ذلك وبين المشركين ولو كان لذلك

الشر جامع يضم تفاريقه وحائط المسلمين يرى الحرج ويخشى ضيقه او آمر بمعروف ادناه عن منكر يؤثر الحق ويسلك طريقه لحفظ تلك البقية على اربابها وحال بين المسلمين وبين انتهابها لكنهم أمنوا من سعتها وطلابها ومامنعه قوم لم يحضرهم من اهل الرضى حاضر ولم يشهده منهم ناصر والله على نصر المتضمين قادر نوكل الله للمسلمين بناصر ناجز ولا وكلهم الى مضيع ولا عاجز وجعل بينهم وبين الاعداء كل حجر مانع وحاجز بمنه والسلام »

ومن الكتب ايضاً اربعة كتب من ابي الحسن علي بن سيده الى استاذه . وفي المجموع عدة كتب لذي الوزارتين ابي عبد الله بن ابي الخصال منهم رسالة الى عسكر انهزم فوبخه وثانية كتبها عن تاشفين بن علي الى صاحب فاس في امر محمد بن تميم حين استراب منه وثالثة ايضاً مراجعاً للوزير الكاتب ابي مروان بن زكريا جواباً عن رسالة خاطبه بها وغير ذلك ومما يؤثر ما كتبه عن علي بن يوسف الى يحيى بن علي بولاية بلنسية وها هو :

« كتابنا اعزك الله بتقواه ورفع قدرك واسماه وايد عزمك في ذاته وقواه ولا زلت تتقلب في عوارفه المقيمة ونعماه من حضرة مراكش حرسها الله لاربع خلون لجمادي الاولى سنة اربع وعشرين وخمسمائة وانا بما نعرفه من صفو ولائك وصدق غنائك وظاهر استقلالك واكتفائك نرى ان نرفعك بمقتضى حقك في الاحوال ونوسع لك في الاعمال ونعقد بطوقك منها ما نعلم انك به ناهض مضطلع ونضيف اليك من جسيمها ما انت بشروطه والقيام بحقوقه رحب الصدر متسع ولضبط جوانبه ومراعاة لوازمه منتظم الامر مجتمع فقلدناك بعد استخارة الله تعالى والابتهال اليه في اطلاعنا على مواقع السداد وامدادنا بحسن التوفيق والارشاد ولاية بلنسية واعمالها حماها الله تقليداً جمعنا لك به بين الولايتين وملكناك به امر كريمتين وزمام جحفلين فتقلد ما قلدناك على الطائر السعيد وتظاهر التأييد وتوله معرفاً فيه يمن التقليد وتوالي الصنع الحميد وانفذ الى عمالك وتسلمه من المصروف بك واستقبل الامر باقوى عزيمة وجد وانفذ مضاء وامضى حد وكن به جد ناهض مستبد وتلك حال خطيرة قد جذبنا اليك زمام قيادها وتوخينا بك اقامة منآدها وثغور قد رميناها منك بسدادها وامور صارت بتصييرها اليك عند عالم باصدارها وايرادها وقد اغنانا علمك بالسياسات في جميع الطبقات عن ان نفصلها تفصيلاً او نأتيك بها قبيلاً وانما اعطيناكها جملة

لا يؤودك تدبيرها ولا يذهب عنك تفسيرها لانك انما تقدم على بلد صاقبته كثيرا وجاورته دهراً طويلاً فشؤونه في صدرك مجتمعة والى فكرك منحصرة مع تكررك على المكان واطلاعك عليه تارة بالخبر وتارة بالعيان وقديماً تمنى ان يلقى اليك قياده وصب سادته ورعاياه واجناده فاجزهم الآن بودادهم وحطهم في انفسهم واموالهم وبلادهم وعم جميع الاحوال بتصفحك ومتع الجميع بتأملك واعط كلاً حقه من نصفتك وحسن رعايتك وأذقهم حلاوة الامن والعدل في ولايتك ان شاء الله . وموضع اقامتك هناك انت تختاره حيث تهوى لنفسك فتبوأ مكاناً يصلح لامرك ولا تبعد به كل البعد عن قاصية ثغرك فترجح ما بين شاطبة وبلنسية او منزلة بينهما ذلك مصروف الى اختيارك والشاهد يرى مالا يرى الغائب ونحن بعيد وانت قريب وانك كما علمنا موفق الرأي مصيب والله تعالى مؤيدك ومرشدك ومعينك ومنجدك بجوده ومجده لا رب غيره فان احتجت ان تستعين بابي عبد الله محمد بن علي اخيك اعزه الله فاستعرفه بقدم عليك واستدعه يسرع اليك واستنب مكانه بميورقة محمود المناب نافذاً في ذلك الباب ان شاء الله عرفك الله يمن ما وليت واعانك على حفظ ما استرعيت بفضله وجميل صنعه لا اله غيره والسلام . »

وكتب عنه ايضاً الى اهل بلنسية في ذلك :

« كتابنا كتب الله لكم تمهيد الاحوال والجهات وامدكم بسوابغ الاجمال والهبات ويسركم للاعمال الصالحات والمساعي المرضيات من حضرة مراكش حرسها الله لاربع خلون لجمادى الاولى سنة اربع وعشرين وخمسمائة وقد رأينا بعد استخارة الله التي يتوصل الى المراشد من بابها وتدرك المناجح من اسبابها ان نولي عليكم ابا زكريا يحيى ابن علي اعزه الله بتقواه فقد قلدناه اعمالكم ووصلنا به حبالكم نظراً منا لكم بمكانه والقاء بازمتكم الى حازم وقته واوانه فانه والله ينجده ويسعده بحيث علمتم حسن سيرة وعدل ومتانة دين وفضل وتمسكاً من التقوى باقوى حبل مع صالح مشهد وبلاء وصادق حفاظ وغناء ونفاذ عزيمة ومضاء فآثرناكم منه بحافظ لنظامكم ومصرف لزمامكم وساد لثغوركم وقوام بامور كم فهو يقلبها على الحزم ويديرها ويمضي على ما يراه ويحكم تدبيرها وحسبنا في تمهيد اكنافكم وحراسة اطرافكم ان نجعلها واياكم في كفالته ونختار لها ولكم حسن انابته وقد فزعنا اليكم به من شؤونكم وقضينا لكم به ممطول ديونكم فما ترجعون بعده بتباعة ولا تخشون معه ان شاء الله من حوزة مضاعة فعليكم رحمكم

الله ان تطلقوا امره بأتم سمع وطاعة وتتوخوا نصحه بكل جهد واستطاعة ثم انه لا ينبغي ان تكونوا ظهراً في الخاتم (؟) التي يتوخى بها جبر احوالكم ورم مارث من حبالكم فليجدكم عندها امام كل ارادة ولتنجذبوا في يده باسمح مقادة فانه لا يحملكم الا على الذي فيه عن حوزتكم دفاع ولمصالحكم انتظام واجتماع وانتم عنده على منازلكم يقدر كلاً قدره ويقضي اليه امره فما في بره ولا في سياسته تقصير ولا عنده في غير كنهه جانب عسير وعلى ذلكم فقد وصيناه بجانبكم من غير ان نخاف منه عن القصد انحرافاً او نحذر من جهته نكوباً عن الواجب او خلافاً وانما قصدنا معه الذكرى فانها توقظ ذا الحجى وتنبه وتزين لذي الحلم والنهى ما يشتبه عرفنا الله واياكم ميامين هذا التقليد وجعله كافلاً بالامر السعيد والصنع الحميد انه الكريم والسلام ٠ »

وكتب الى العسكرية بها في الغرض المذكور !

« كتابنا ابقاكم الله وعصمكم بتقواه واجزل حظوظكم من حسناه وجعلكم سابقين الى طاعته ورضاه متقلبين في عوارفه ونعماه من حضرة مراكش حرسها الله في تاريخ كذا من سنة كذا وقد ولينا امركم ابازكريا يحيى بن علي اعزه الله بتقواه وقلدناه تصريف اعنتكم وارمينا اليه بازمتكم ومكانه حيث لم تجهلوه خيراً وضياً ونصاباً كريماً وهدياً قويماً واقداماً وتصميماً ومضاء كان به اذا رفع اللواء على الخميس زعيماً والآن بولائه اياكم فقد آن ان تتضاعف نجداتكم وتصدق عزماتكم فانه يقود بكم من يرسل امام اعنتكم عنانه ويروي قبل اسنتكم سنانه وانتم مع ذلك بحكمه مصرفون وبالتزام طاعته مكلفون والى رايته مجتمعون وتحتها متألفون فاذا امر فأتمروا واذا رمى بكم جانباً فابتدروا واذا اوردكم فردوا واذا اصدركم فاصدروا فان حسن الطاعة بركة وجمال ويمن واقبال كما ان الاستعصاء عليكم مبني على الاخلاق اللئيمة ومخبثة للنفوس الكريمة فأطيعوه كما فرض عليكم في المكروه والمحبوب وانضموا عليه راشدين مشفقين انضمام الجوانح على القلوب فان لكم حسن الايثار جزاكم الحسنى والحياء الاتم الاسنى جعلكم الله ممن اصحب في القياد واجاب داعي الرشاد وآثر التقوى واعتقدها خير زاد بمنه والسلام ٠ »

وفي هذا المجموع ايضاً بعض مقامات منها المقامة القرطبية وتنسب الى ابي عبدالله بن ابي الخصال وقد تبرأ منها وهي في وصف اعيان قرطبة ورؤسائها ثم رد على صاحب المقامة ايضاً اسمها الانتصار كتب بها ابو جعفر بن احمد والمقامة الشلبية وتعزي

لابي الوليد بن سيد امير · ورسالة لابي محمد بن القاسم في الترجيح بين الصابي والبديع وقد فضل البديع على الصابي ويتبعها رد من ابى عبد الله بن ابي الخصال في الانتصار للصابي · هذه نموذجات جزئية من الكتاب نشرناها على علاتها وربما سمح لنا الوقت بالرجوع الى نقل بعض جمل من كتب ابن سيده والموازنة بين الصابي والبديع ·

روح الاجتماع

قلت الكتب التي تنشر هذه الايام باللغة العربية ويراد منها بث علم نافع او تصحيح فكر سقيم وذلك لقلة المؤلفين والمترجمين ولقلة القارئين والعارفين · وكتاب روح الاجتماع الذي عربه عن الافرنسية احمد فتحي زغلول باشا هو من الاسفار التي يقصد بها مؤلفها نفع امته وتصحيح بعض اغلاطها والمؤلف هو الدكتور كوغستاف لوبون العلامة صاحب التآليف الممتعة ومنها كتاب « مدنية العرب » فقصد المعرب ان ينقل كتابه لامته لينتفعوا منه انتفاع الفرنسيين او بعضه · والمعرب النابغة قديم في صناعة التعريب صحت عزيمته حتى الآن على نشر بعض الكتب المفيدة ومنها « اصول الشرائع » لبنتام و « سر التقدم الانكليز السكسونيين » لديمولانس و « الاسلام » لهنري دي كاستري وهي من الكتب النافعة التي احدثت تأثيراً في وقتها واستفاد منها المستنيرون من قراء العربية ولا سيما من لم يسعدهم الحظ بتعلم لغة اجنبية لتناول مثل هذه الافكار من مصدرها الاصلي ·

ولو تصدق كل من حذق لغة اوربية واحكم اللسان العربي فنقل لامته كتاباً او كتابين لكان عندنا اليوم من المترجمات العصرية في العلوم والاجتماع لا في القصص والاساطير ما يملأ خزانة كبرى تصبح معها لغتنا كاحدى اللغات الغربية بغناها بافكارها وكتبها الجديدة · وليست طلاوة الجديد كطلاوة القديم وما قط كان العلم الخيالي كالعلم العملي · لو تصدق كل واحد من ارباب الاقلام ودارسي اللغات والفنون كما يتصدق المرة بعد المرة امثال حضرات احمد فتحي زغلول · محمد فريد · عبد العزيز جاويش · عبد العزيز محمد · احمد زكي · صالح حمدي حماد وامثالهم من المعاصرين لاغنونا بعلوم الغرب وقلبوا في مدة كيان الافكار من طريق العلم ·

كتاب روح الاجتماع هو « في بيان احوال الجماعات وما يعرض للفرد مجتمعاً من

تغير المشاعر واختلاف النظر وتبدل حكمه فيما يحيط به » حلل فيه المؤلف روح المجتمعات الحديثة ولا سيما في فرنسا تحليلاً نفسياً فلسفياً غير ناظر الى اكثر مايتعلق به بعض ضعاف المؤرخين من الحوادث بل نظر الى الدواعي النفسية والمعتقدات والعادات نظر المستبصر الناقد علماً منه بان « الحوادث الظاهرة مثل الامواج المتلاطمة التي تدرجم فوق سطح البحر عما هو واقع في جوفه من الاضطرابات التي خفيت عنا ونحن اذا نظرنا الى الجماعات نراها تأتي من الاعمال بما يدل على انحطاط مداركها انحطاطاً كلياً غير ان لها اعمالاً اخرى يظهر انها منقادة فيها بقوة خفية سماها الاقدمون قدراً او طبيعة او يداً صمدانية وسماها اهل هذا الزمان صوت من في القبور »

« واحرج الازمان في تطور الفكر الانساني زماننا هذا ولهذا التطور عاملان اصليان : الاول تهدم المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تتكون منها عناصر المدنية الحاضرة والثاني قيام احوال جديدة ونشوء افكار جديدة في الحياة تولدت كلها من الاكتشافات العصرية العلمية والصناعية . ولما كان تهدم الافكار القديمة لم يتم فلم تزل قوتها وكانت الافكار التي ستحل محلها في دور تكونها كان الزمن الحاضر زمن تحول وفوضى ....

« ولكن الذي نراه منذ الساعة انه سيكون امام تلك الامم قوة عظيمة لا بد لها من الاعتداد بها لانها اكبر قوة وجدت اريد بها قوة الجماعات تلك القوة التي قامت حتى الآن وحدها على اطلال الافكار البالية التي كان الناس يعتقدونها حقائق وماتت وعاشت بعد ان حطمت الثورات المختلفة كل سلطة كانت تحكم في الناس وهي القوة التي يظهر لنا ان مصيرها ابتلاع ما عداها في القريب العاجل الا ترى ان معتقداتنا القديمة اخذت تهتز من وهن اساسها وان اساطين المجتمعات القديمة تتداعى وتتحطم وان سلطة الجماعات هي وحدها التي لا يهددها طارئ بل هي تعظم وتنمو وعليه فالدور الذي نحن قادمون عليه هو دور الجماعات لا محالة ...

« الجماعات اقدر على العمل منها على التفكير وقد اصبحت بنظامها الحاضر ذات قوة كبرى وعما قريب يكون للمذاهب التي نراها اليوم في دور التكون من السلطان العظيم على الافكار ما للمذاهب التي رسخت اصولها في الاعتقادات اعني سلطاناً مستبداً لا تأثير فوق تأثيره فلا تعود تحتمل البحث او الجدل وحينئذ يقوم حق الجماعات المقدس

مقام حق الملوك الاقدسين ·

ينحصر الاثر الواضح لعمل الجماعات حتى الآن في هدم صروح المدنية فالتاريخ يدلنا على انه كلما وهنت القوى الادبية التي يقوم عليها بناء تقدم امة من الامم كانت خاتمة الانحلال على يد تلك الجماعات الوحشية اللاشعورية التي سميت بحق متبربرة اما الذين اقاموا صروح المدنية وشيدوا اركان الحضارة فهم نفر امتازوا بسمو المدارك وبعد النظر ولكنا لم نر حتى الآن للجماعات اثراً مثل هذا فهي انما تقدر على الهدم والتحطيم وزمان حكمها زمان بربرية على الدوام لان المدنية لا تقوم الا على مبادئ مقررة ونظام ثابت وانتقال من العمل بمقتضى الغريزة الى الاهتداء بنور العقل والبصر بالمستقبل ومرتبة راقية من العلم والتهذيب وتلك وسائل برهنت الجماعات على انها غير اهل لتحقيقها اذا تركت وشأنها — ومثل الجماعات في قوتها الهادمة مثل المكروبات التي تعجل بانحلال الاجسام الضعيفة وتساعد على تحلل الاجساد الميتة فاذا نخرت عظام مدنية تولت الجماعات نقض بنائها هنالك يظهر شأنها الاول ويخيل لنا بادئ بدء ان العامل في حوادث التاريخ هو كثرة العدد · انا نخشى ان يكون هذا ايضاً مصير مدنيتنا لكن ذلك الذي لا نعرف منه شيئاً حتى الآن ···

«معرفة روح الجماعات اصبحت اليوم آخر ملجأ يأوي اليه السياسي العظيم لا لاجل ان يحكمها فقد صار ذلك الآن صعباً كثيراً بل ليخفف عنه شدة تأثيرها · واذا اردنا ان نعرف ضعف تأثير القوانين والنظامات في الجماعات فانما السبيل الى ذلك تدقيق البحث لمعرفة روحها والوقوف على احوالها النفسية وبذلك نفقه ايضاً انه لا قدرة لها على تكوين رأي او التفكير في شيء خارج عن الدائرة التي رسمت لها وانها لا تنقاد بقواعد العدل النظرية بل بالبحث عما من شأنه التأثير فيها او اختلابها ·

« ان الجماعات لا تعرف من المشاعر الا ما كان متطرفاً بسيطاً وهي لذلك لا تقبل ما يلقى اليها من الآراء والافكار والمعتقدات بجملتها او ترفضها كذلك فتأخذها حقائق مطلقة او ترغب عنها اباطيل مطلقة على ان هذا هو الشأن في المعتقدات التي تحصل من طريق التلقي لا التي تتصل بالانسان من طريق النظر والتعقل وكل يعرف ما للمعتقدات الدينية من التأثير في عدم احتمال المخالف ومن السلطان على النفوس ·

« ولما كان باب الشك غير مفتوح امام الجماعة في كل ما اعتقدت انه حق او باطل وكانت تشعر شعوراً تاماً بقوتها كانت امرتها متساوية لعدم احتمالها · يطيق الفرد

المناظرة والخلاف اما الجماعة فلا تطيق ذلك ابداً واقل خلف يأتي به الخطيب الذي يتكلم في المجتمعات العمومية يتلقاه السامعون باصوات الغضب والسباب الشديد فان اصر نصيبه الاهانة والطرد بلا امهال ولولا الرهبة من رجال الشرطة الحاضرين لقتلوه احياناً ٠٠٠٠٠»

والمؤلف يكرر بعض الافكار وانه عن قصد لترسخ في النفوس وربما حذا كما قال في كتابه حذو دعاة الاشتراكية العصرية ممن يستعملون التوكيد والتكرار وسائل في التأثير وقد عقد لذلك فصلاً من ذلك قوله ان المدنيات هي صنع اناس من ارباب الافكار العالية وسائر الناس معهم تبع ومثل قوله «ان التعصب وعدم الاحتمال يصاحبان على الدوام كل شعور ديني و يلازمان كل من اعتقد انه ملك ناصية السعادة في الحياة او في الآخرة وهاتان الصفتان توجدان في كل جماعة تحركت باحد المعتقدات فقد كان اليعاقبة (اليعقوبيون) زمن الهول متدينين كما كان اهل الاضطهاد متدينين ومنبع حماسة الفريقين في القسوة واحد ٠

«كذلك تظهر معتقدات الجماعات بالخضوع الاعمى والتعصب الوحشي والاكراه في الدعوة وكلها صفات من لوازم الشعور الديني وما البطل الذي تهلل الجماعة له الا اله في نظرها ٠ هكذا كان نابليون مدى خمسة عشر عاماً ولم يكن لمعبود سواه عباد اشد اخلاصاً من الذين عبدوه ولم يسهل على معبود قيادة النفوس الى حتفها اكثر منه وما كان لآلهة الوثنية والنصرانية سلطان على القلوب اعز من سلطانه ٠

«ان جميع موجدي الديانات وموسسي المذاهب السياسية لم يقيموها الا لانهم تمكنوا من احداث التعصب الذي يجعل الانسان يرى سعادته في العبادة والطاعة ويهيئه لان يهب حياته لمعبوده ٠٠٠ ليس لفاتحي النفوس في هذا الزمان معابد وهيا كل لكن لهم صور وتماثيل والعبادة التي يعبدون بها لا تخالف كثيراً ما كانوا به يعبدون ومعرفة فلسفة التاريخ تتوقف على اجادة معرفة هذا البحث في علم روح الاجتماع ٠٠٠»

وقال: لا يقوم سلطان الفاتحين وتبنى قوة اعماله على تخيل الامم ولا تجر الجماعات الا بالتأثير في ذلك التخيل وكل حوادث التاريخ العظيمة كايجاد البوذية وتشييد اركان المسيحية والاسلام وقيام البرتستانية والثورة فيما مضى وكاثارة الافكار الاشتراكية المزعجة في هذه الايام انما هي نتائج قريبة او بعيدة لتأثرات شديدة في تخيل الجماعات ٠ ذلك هو العلة في ان جميع اقطاب السياسة في كل عصر وفي كل امة

حتى اشدهم استبداداً · اعتبروا تخيل اممهم اساساً تقوم عليه قوتهم وما فكروا يوماً في ان يحكموا الناس بدونه ·

قال نابليون في مجلس شورى الحكومة (اني اتممت حرب الفنديئيين لما تكثلكت واستوليت عَلَى مصر اذ أسلمت وتوجت بالظفر في حرب ايطاليا لاني قلت بعصمة البابا ولو كنت احكم شعباً يهودياً لاعدت معبدسليمان) ويظهر لي انه لم يقم منذ الاسكندر الاكبر وقيصر بين عظماء الرجال من عرف كيف يكون التأثير في تخيل الجماعات مثل نابليون فقد كان ذلك التأثير همه الدائم ما نسيه في انتصاراته وخطبه واحاديثه ولا في عمل من اعماله وكان يفكر فيه وهو عَلَى سرير موته ·

وقد اجاد المؤلف في كلامه عَلَى افكار الجماعات ومعتقداتها ولا سيما في فصل التربية والتعليم واثباته بالاحصاء ان الميل الى الجرائم يزداد بانتشار التعليم اوهو يزداد بانتشاره على طريقة مخصوصة وان الامم اللاتينية اسست تعليمها عَلَى قواعد غير صحيحة تنمي الكفاآت الفنية ولا تؤثر في رقي الاخلاق وان طريقة الانكليز السكونيين غير طريقتهم فليس لهؤلاء مدارس خصوصية بقدر ما لفرنسا والتعليم عندهم لا يتلقى من الكتاب بل من الشيء نفسه فالمهندس مثلاً يتكون في المصنع لا في المدرسة وهو ما يسمح لكل واحد ان يصل في حرفته الى الحد الذي تصل قدرته العقلية فيكون عاملاً اورئيس عمال اذاقعدبه الذكاء عند هذاالقدر وهو مهندس اذا قاده استعداده الى هذا الدرج ·

واحسن ما شاء الاحسان في الكلام عَلَى الصور والالفاظ والجمل وما لها من السلطان على النفوس فقال ان الالفاظ والمعاني قد تختلف معانيها في قرن عن قرن وفي امة عن امة فمعنى الديمقراطية عند الجنس اللاتيني انزواء ارادة الفرد واقدامه على العمل من نفسه امام ارادة المجموع وهمته والمجموع تشخصه الحكومة فالحكومة هي المكلفة لادارة كل شيء وحصر كل شيء واحتكار كل شيء وصنع كل شيء وهي التي تلجأ اليه دائماً الاحزاب بلا استثناء من احرار الى اشتراكيين الى ملكيين وعلى الضد من ذلك يفهم الانكليزي السكسوني وبالاخص الاميركي من كلمة ديمقراطية نمو ارادة الفرد واقدامه الذاتي الى الحد الاقصى وانزواء الحكومة بقدر ما امكن فلا تكلف بعد الشرطة والجيش والعلاقات السياسية بشيء حتى التعليم وعليه فاللفظ الواحد يفيد في بلد جمود ارادة الفرد وسكون اقدامه الذاتي واستعلاء كلمة الحكومة

ويفيد في بلد آخر ازدواه هذه وارتفاع صوت الاول .

وهكذا زاد الموضوع جلاء في الفصول التي عقدها المؤلف بعد هذا الفصل واصبح لا يتعذر فهمه على الطبقات المتوسطة في المعرفة وجوّد الكلام على المجالس النيابية اي اجادة وابان مواقع الضعف والقوة من اعمالها وهو فصل كنا نتمنى نقله برمته او تلخيصه على الاقل لا سيما والامة اليوم في مصر تطالب بدستورها وفي البلاد العثمانية نالته ولكنه ما زال منقولاً عن اوروبا نقلاً لم يطبق على العمل فنوصي القارئ بالرجوع اليه .

وبعد فهذا مضمون الكتاب وموضوعه مصغراً وقد بان منه اسلوب معربه من الجمل التي نقلناها بحرفها آنفاً ومن قابل بين سلامة العبارة هنا وضعفها في كتاب اصول الشرائع يدرك سر التوفر على العمل وان مدرسة الزمن هي اعظم مخرج لابنائها العاملين . وما برحت بعض هفوات لغوية تعلق على اسلة قلم المؤلف ومنها ما سرى اليه من لغة الجرائد ونص عليه اهل اللغة مثل الحريري وعبد اللطيف البغدادي والسيوطي وغيرهم . وذلك مثل قوله : « لا نراها الا رؤيا ناقصة » والصواب رؤية لان الرؤيا تكون في النوم والرؤية في اليقظة . واستعماله (الظروف) بدلاً من الاحوال والظروف لا تعطي هذا المعنى واستعماله (حيث) في غير مكانها واستعماله (تمام) كثيراً مثل (واضحة تمام الوضوح . تخالف تمام المخالفة . ويفقه فيها ذاته الشاعر تماماً) والفصيح ان يقال واضحة كل الوضوح ومنها قوله (رجل تمام) والاجدر ان يقال كامل او تام الادوات او نحو ذلك واستعمل (تر تكز على) وهذه الصيغة لم تسمع الا في لغة الجرائد المصرية .

ومثل ذلك (بمجرد انضمامهم الى بعضهم) والاحسن ان يقال بعضهم الى بعض ومثله (رغماً عما ذهب اليه) والاولى ان يقال على الرغم مما . ومثله (يضحي مصلحته الذاتية) وهذا التعبير فيما احسب هو من ركاكات الجرائد الشامية القديمة سرى الى مصر فاستعملة حتى افاضل الكتاب على غير روية وهو تعبير افرنجي والاجدر ان تقول فادى بدلاً من ضحى . ومثله (كان فرداً متنوراً) والصواب ان تقول منوراً او مستنيراً ومثله (منقادة عادة الى) وهو تعريب حرفي مثل بالسهولة وبالصعوبة وجلياً وبانتظام وبلا عناء ويمكن الاستعاضة عن هذه الكلمات بالفاظ او تراكيب اقرب الى الاسلوب العربي .

ومثله (مندهش) والاحسن مدهوش و (منجر) والاحسن مجرور ومثله استعمال (الاجيال) للتعبير عن القرون والعصور . وما الاجيال الا اصناف من الناس على ما اذكر . واستعمال (مراسح اللهو) والاولى ان يقال مسارح ومثله عنيف كثورة عنيفة وغير ذلك وهي من المبذوء ولنا من الفاظ اللغة التي تدل على معانيها مندوحة عن استعمالها . ومثله العموم للتعبير عن الناس وهي من الالفاظ العامية . والاهمية وهي غير عربية بل تركية مثل محظوظية وممنونية . والرضوخ لحكمها وليس في اللغة رضوخ بمعنى الخضوع او الائتمار وانما الرضوخ العطاء القليل وفي مقامات الحريري بدر بهمات رضخ بها له . وقد عدى يؤثر بعلى والصواب تعديتها بفي ومثله فطاحل العلماء ولفظة فطاحل وان كانت شائعة على هذه الصورة للتعبير عن كبار العلماء لكنه لم يسبق للبلغاء استعمالها ولا للغويين بهذا المعنى تدوينها ومثله (الحفظ عن ظهر القلب) والاحسن ان يقال الاستظهار وهي اخصر واجمل .

وجمع مشروعاً على مشروعات والاحسن جمعه على مشاريع . ومثله (اعداء الداء اشداء ضد الحكومة) والذوق العربي يقضي بان يقال لى الحكومة ومثله جمل ينطقها المتكلم والصواب ينطق بها ومثله معاني ما كانت لها ابداً . وابداً بمعنى دائماً والاولى استعمال قط . ومثل جمعه عادة على عوائد كالاستعمال الشائع والاحسن جمعها لى عادات وعاد ومثلها جمعه لواء على لوائات والصواب الوية .

واستعمل من التراكيب الشائعة فلولا هي ما خرج من بريوته الاولى ولولا هي لراح مسرعا والصواب فلولاها . ولولا هي من تراكيب عامة المصريين ومثلها لولا هو ما شاء الآلهة والصواب لولاه ومثل النصب على التاجر وما ادري اذا كانت لفظة النصب معروفة باللغة بهذا المعنى ومثله من رجاله الخصوصيين ولو قال من خاصته لاحسن ومثله يربق قطرة دم لواحد من اهلها والاولى قطرة دم واحد ومثلها جاز الاعتراف من السامعين والاسلوب الفصيح ان يقال جاز اعتراف السامعين ومثله شكلوا محكمة وهي مما سرى الينا من التركية والصواب الفوا محكمة وللتشكيل معنى آخر غير هذا ومنها استعمال المصالح للدواوين والمصالح لفظة عامية مصرية .

وهناك بعض التراكيب التي يقع نظرك عليها في الكتاب وهي تنبئك عن نفسها بانها افرنجية لم تذق طعم العربية مثل تحت تأثير احد هذه الافكار وهم تحت ذلك التأثير وقتل الوقت ولكان تمنيا كثيراً من الثورات . واما الحكومة التي تصنع من حملة

الشهادات والذين اضطربت قواهم العقلية الى النصف ولا تلبث المياه ان تعود الى مجاريها وغير ذلك ·

ومنها بعض التراكيب التي فيها شيء من ركاكة وسقم مثل غرق ٨٥٠ مركب شراعي و٢٠٣ مركب تجاري والصواب ٨٥٠ مركباً شراعياً و٢٠٣ مراكب تجارية · ومن عرف كيف يؤثر في تخيل الجماعات عرف كيف يقودها · لا دخل لتلك النظامات لا في سعادة ولا في شقاء · فانه كان رجلاً هجوماً لا ذكاء فيه لكن ذا عزم ومضاء · أنحى على العمال بالعطش ·

وخالف مألوف المعربين في ترجمته السنديكات بالجمعيات وقد اصطلحوا على تعريبها بالنقابات وهي اولى وترجم البورصات بغرف التجارة وغرف التجارة كما لا يخفى هي غير البورصات وعرب الفيلوتيين التي كانت تقط الرؤوس في فرنسا بالمنجلة ووضع لها بعضهم المقصلة ونظنها احسن · ووضع بعض الالفاظ بلفظها مثل (ماندران) وهو الحاكم الصيني و(الازدواز) وهو لوح الحجر ·

ولكن هذه الالفاظ والتراكيب القليلة لا تقدح في فضل الترجمة خصوصاً وا كثرها مما عمت البلوى باستعماله ولكن كنا نود ان يكون ذاك الثوب النفيس خالياً من الشوائب ليجيء كتاب اليوم مستوفي الشروط من حيث اصله وفرعه ولغته ورشاقته وطبعه ووضعه وعسى ان تكون مترجمات المعرب المشار اليه في الايام المقبلة اتم واكمل لتزيد منها فائدة المطالعين والمتعلمين والله لا يضيع اجر المحسنين ·

الصحافة العثمانية

الصحافة او فن الجرائد والمجلات هي عنوان ارتقاء الامة المحسوس وكل امة كانت صحافتها اوسع وامتع يسوغ لك ان تحكم عليها بانها ارفع وامنع . فالجرائد الانكليزية مثلاً اوسع مادة وابعد نظراً واصدق اقوالاً من الافرنسية والايطالية لان الانكليز رجال الاتجار والاستعمار اعلى كعباً من الفرنسيس والطليان ودولتهم ارقى الدول . وهكذا الحال في صحافة الامة العثمانية المختلفة العناصر والاجناس وتاريخها يرد الى سنة ١٢٧٦ هـ . ولعلنا لا نخطئ اذا قلنا ان الصحافة التركية ارقى من الصحافة العربية والرومية والارمنية والبلغارية وبعبارة اخرى ان الصحف التركية ارقى من العربية اذ لا يجوز لنا ان نحكم على الصحافة الرومية والارمنية والبلغارية ونحن لا نعرف لغاتها لنقرأها بها والحكم على الشيء فرع عن تصوره . اما التركية فلمعرفتنا بها يتيسر لنا الحكم على جرائدها وجرائدنا معاً كما نحكم على الصحف الافرنسية التي تصدر في بلادنا ايضاً .

كانت الجرائد العربية قبل الانقلاب الاخير عبارة عن الاعيب وروايات عن السياسيات الخارجية محرفة وكان يحظر عليها خصوصاً في العشر السنين الاخيرة ان تبحث في موضوع اجتماعي اداري او سياسي وطني فكانت موضوعاتها من ثم مسخاً او سلخاً من جرائد اوربا والاستانة في شؤون تافهة لا ترقي عقلاً ولا تلقن فضلاً .

ولما انقذ الله البلاد من ظلم الاستبداد كانت صحافتها اول ما تحرر من اوضاعها مع صحافة العناصر الاخرى فداهمتها الحرية على حين غرة واصبحت في حل من الخوض في كل موضوع وعندها ظهرت كفاءتها وصح لمن يريد التنظير بينها وبين الصحافة التركية ان يصدر حكمه عليهما .

لم يكن في سورية والعراق والجزيرة والحجاز واليمن وطرابلس الغرب غير بضع جرائد ومجلات في مدينة بيروت ولبنان وواحدة في دمشق واخرى في طرابلس الشام اما حلب والبصرة وبغداد واليمن والحجاز فكان يصدر في كل واحدة منها جريدة رسمية باسم ولايتها نصفها بالتركية والنصف الآخر بالعربية السقيمة وسائر قواعد البلاد خالية من الجرائد الرسمية وغير الرسمية لان الجرائد كانت العدوة الكبرى للسلطان المخلوع فلم يكن يسمح باصدارها الا مضطراً او بالاحتيال العظيم والبذل الكثير .

ولم تمض سنة على نشر القانون الاساسي حتى ظهرت بضع جرائد يومية جديدة في بيروت ودمشق وحلب وصدرت في الموصل وبغداد والبصرة ومكة وجدة وطرابلس الشام وطرابلس الغرب والقدس وحيفاء ويافا ومرج عيون واللاذقية جرائد اسبوعية متناسبة مع حال البلاد التي تصدر فيها وان كانت جرائد سورية من حيث التركيب البياني واللغوي ارقى من جرائد غيرها من الاقطار لان الملكة العربية مستحكمة من القائمين بها في بلاد الشام اكثر من غيرها ولكن تلك الجرائد الصادرة في الاقطار الاخرى نافعة على كل حال بما تأتي به من الافكار والاخبار وسيكون منها بحول الله النفع العام لمن تنشر بين اظهرهم ·

اما الجرائد التركية قبل الدستور فكانت عبارة عن مقتطفات من الصحف الاوربية في السياسة الخارجية وتبليغات اوامر الحكومة الاستبدادية وابواق خصصت لتأليه عبد الحميد الثاني واطرائه اطراء لم يعهد في لغة من اللغات ولا في امة من الامم وكانت تلك الجرائد مخزومة بانعامات السلطان السابق ورشى بعض الشركات لتساعدها على ابتزاز خيرات السلطنة · ومع كل هذه المساوي كان الارتقاء باديا على الصحافة التركية اكثر من غيرها لان التركية لغة الحكومة وجرائدها مقروءة في بلاد الترك من آسيا واوربا كما تطالع في غيرها من البلاد لكثرة الموظفين وغيرهم ممن يعرفون التركية ويهمون ان يطلعوا على قرارات حكومة العاصمة ومنشوراتها وانبائها·

ثم ان الاتراك بمجموعهم ارقى بتربيتهم وتعليمهم من مجموع العرب ونظام الأسرة عندهم امثل منه عند اكثر العرب والمرأة التركية والحق يقال اكثر تعلماً وتهذيباً من المرأة العربية · فقد تطوف البلد الكبير في هذه الديار ولا تجد الا بضع بنات متعلمات ولو استقريت قواعد البلاد التي يغلب فيها العنصر التركي لرأيت المتعلمات من التركيات يبلغن المئات والالوف ولا سيما في العاصمة · وهذا هو احد اسرار انتشار الجرائد في الاتراك اكثر من انتشارها هنا لكثرة سواد القارئين والقارئات عندهم وقلته عندنا ·

واذا اردنا المقارنة بين الصحف التركية وخصوصاً صحف العاصمة وبين الصحافة العربية في الولايات تكون للعربية الدرجة الاخيرة بين الصحافة العثمانية فيما نحسب ولذلك وجب ان تقابل الصحافة العربية كلها بالصحافة التركية كلها اي الصحف التركية التي تصدر في الاستانة وازمير وسلانيك وادرنة ومناستر وغيرها من البلاد العثمانية

والصحف التركية التي تصدر في القريم والقافقاس مع الصحف العربية التي تصدر في الولايات العثمانية ومصر وتونس والجزائر والمغرب الاقصى وجرائد المهاجرين من السوريين في اميركا الشمالية والجنوبية. وهذه الصحف على اختلاف مصادرها مستمتعة بحريتها الفكرية ما خلا بعض صحف تونس والجزائر والقريم والقافقاس واذ كانت درجة ارتقاء الشعوب التي تتلى عليها متفاوتة جاءت هي كذلك.

ولذا كان من اللائق اذاً ان نقيس صحف بلد معين بآخر معين لان قوة الجرائد بقوة من تصدر بينهم كما قلنا واذ كان اهل الاستانة ارقى من حيث المجموع من اهل سائر الولايات ومدينتهم عاصمة سلطنة عظمى من اعمالها ثلاثون ولاية عدا الايالات المستقلة وهي مهوى افئدة الامم الاسلامية كافة كانت صحافة الاستانة ارقى من صحافة القاهرة وهي عاصمة مملكة فيها نحو ثلث سكان الولايات العثمانية ولها السبق علينا بالاستمتاع بنعمة الحرية. ومركز القاهرة السياسي مهم ايضاً واهلها عريقون في الحضارة منذ عشرات من السنين وهي في غناها الطبيعي اغنى من الاستانة في الحقيقة. فلا عجب اذا امتازت فروق من هذه الوجهة عن مصر.

تأملنا كثيراً في صحافة مصر والاستانة في العهد الاخير فرأينا امهات الجرائد التركية ارقى من امهات الجرائد المصرية مادة واسلوباً وشكلاً ووضعاً وطبعاً. ولا أغالي اذا قلت ان جريدة طنين و يكي تصوير افكار و يكي غزته وصباح واقدام لا تفوقها الطان والديبا والفيغارو والماتين والجورنال الا بحوادثها الخارجية وما عدا ذلك من البحث في ادارة البلاد وسياستها الداخلية واخبارها وافكارها وآدابها واجتماعها فالجرائد التركية شقيقة الجرائد الفرنسوية بقيمتها الا قليلاً هذا مع بعد عهد الفرنسيس بالحضارة وقدم جرائدهم وقرب عهد الترك بها وحداثة جرائدهم. وتفوق جرائد القاهرة كاللواء والمؤيد والجريدة والاهرام والمقطم مثلاً بانها امهر في الضرب على الوتر الحساس في الامة اكثر من جرائد الاستانة.

اما المجلات الافرنسية فهي ارقى بلا جدال من المجلات التركية وتصدر تحت سماء الاستانة بضع مجلات مثل «علوم اقتصاديه واجتماعيه مجموعه سى» و «ملكيه» و «شهبال» و «ثروت فنون» لا تقل في ابحاثها وتدقيقها في موضوعاتها عن المجلات العربية الكبرى في مصر والشام وهي ارقى منها من حيث الوضع والطبع واشبه بالمجلات الاوربية في ان ابحاثها تكتبها الايدي المتنوعة من اهل الاخصاء. ومن العجيب ان

مصر على كثرة علمائها الاخصائيين لم يصدر فيها حتى الآن مجلات يكتبها المصريون انفسهم ولولا « مجلة الجامعة المصرية » و « صحيفة نادي دار العلوم » وهما ابتنا هذه السنة لقلنا ان مصر لا تميل للعمليات ميلها الى السياسيات واهل العلم والادب فيها لاصبر لهم على المشاريع العلمية حتى تنضج كما صبر ارباب «المشرق» و«المقتطف» و«المنار» و«الهلال» و «المقتبس» و «الجامعة» وغيرهم من ارباب المجلات السورية الحديثة « كالباحث » و«النبراس» و«المنتقد» و«الحسناء» و«الكوثر» و«الأمة» و«العرفان» وغيرهم ممن لا تحضرنا اسماؤهم في مصر والشام ·

اما جرائد سورية اليومية فهي اشبه من كثير من الوجوه بالصحافة التونسية من حيث المواد وقلة البحث في حالة البلاد وان كانت جرائد الشاميين اكثر حرية واسلم عبارة بل انضج اسلوباً من جرائد التونسيين والفضل في ذلك للمدارس التي تعلم آداب العربية في الشام اكثر من تونس على ان المملكة التونسية وان كانت اصغر من الجزائر ومن مملكة مراكش فهي في هذا العهد اوفى لهجة وعربية منهما بل هي بالنسبة للجزائر كنسبة سويسرا الى اسبانيا او المانيا الى روسيا ولعل كثيراً من فقهاء الجزائر بين يحرمون حتى اليوم كبعض فقهاء المراكشيين ما يقال له الجرائد والمجلات وكم للجامدين من جنايات جنوها على الدنيا والدين ·

وقصارى القول ان الصحافة التركية ارقى بمجموعها من الصحافة العربية ولاسيما في السياسيات والاداريات والعسكريات · والترك منذ قرون هم اهل السياسة والادارة والجندية وادبياتهم ايضاً اقرب الى الادبيات الغربية من ادبيات العرب · وعسى ان يكون الترقي الذي يتناول كل امة فينيلها حظها منه في ظل القانون الاساسي يجري التعادل بين البلاد فيعم الارتقاء انحاءها كافة بعد جيل او جيلين من الناس ويجد رجال صحافتنا في الولايات العربية في ترقية جرائدهم ومجلاتهم ويسهرون على ابداعها كل مفيد من الابحاث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والادارية والعلمية والادبية بحيث يزول عن العقول صدأوها فتتحلى من حلى المدنية الحقيقية بما ينيلها السعادتين ويغبطها عليه اهل الخافقين ·

غنى العثمانيين

لا يعقل ان تكون المملكة العثمانية على هذه السعة والاعتدال وفيها من الانهار والحراج والمعادن ما فيها ومن ذكاء سكانها وزكاء تربتها العجب العجاب وتصبح في هذه الدركة من الفقر والانحطاط .

لا يعقل ان تكون بلاد هذه السلطنة التي ضمت الى صدرها كثيراً من ممالك الاقدمين كالفينيقيين والغسانيين واللخميين والحثيين والحميريين والصفويين والنبطيين والبابليين والاشوريين والمقدونيين واليونانيين والفراعنة وتكون مساحة ولاياتها الثلاثين خمسة اضعاف المانيا ولا يكون فيها من السكان سوى نحو ثلاثين مليوناً على حين يبلغ سكان المانيا زهاء خمس وستين .

لا يعقل ان بلاداً فيها من الانهار العظيمة مثل سيحان وجيحان ودجلة والفرات وقزل ايرمق واردار وغيرها من الانهار ان تمحل ولا تخصب مع ان الخالق خصها بتربة ممرعة فيعطي مد الحنطة في بعض جهاتها مئة مد ثم نقرأ الفقر المدقع في وجوه اهلها .

لا يعقل ان بلاداً لها عشرات من الموانئ على شواطئ البحر الابيض والبحر الاسود والبحر الاحمر وبحر الادرياتيك والمحيط الهندي وهي متاخمة لممالك البلقان واوربا من جهة ولبلاد السودان وصحراء افريقية وشماليها من جهة وروسيا وايران من اخرى ثم لا تستطيع ان تبعث بغلاتها الى البلاد الخارجية لتتناول منها ثمنها نقداً لسد العجز المحسوس بين وارداتها وصادراتها .

ولكن من نظر في الامر نظر متدبر وعرف ان حكومة الاستبداد تحرق الاخضر واليابس وتخرب العامر والغامر وان الجهل مبيد الامم برمتها دع عنك عمرانها لا يستغرب ما قدر لهذه السلطنة بل يعجب كيف ابقى الاستبداد فيها عقولاً تفكر وايدي تعمل ونفوساً تشعر بالتأخر .

كان هم الحكومة المطلقة في هذه السلطنة ان تحتال لسلب النعمة الباقية من بد الاهين فكانت تشاركهم في اموالهم على غير رضاهم وهي لا تحميهم في انفسهم واموالهم ولا في مرافقهم وصحتهم وكيف تهتم لاسعادهم وهم عبيدها اذا طلبوا ان تخفف عنهم العذاب قاتلتهم وان ارادوها ان تحاسنهم خاشنتهم . وكيف يطلب

من الجاهل ما يطلب من العالم وهل ينفق امرؤ الا مما عنده وهل الحكومات الا افراد مجتمعون ·

لسنا في صدد بيان مساوىء الدور البائد بل نريد الالمام بغنانا وذكر شيء من مستقبلنا · وغنانا في دور هذه الحكومة النيابية السعيدة مناط بهمتنا وهمتها ان عملت وعملنا حسبت بلادنا في عشر سنين في جدول البلاد الراقية والا فنبقى دستوريين بالاسم لا نستثمر من قوانيننا الجديدة وخيرات بلادنا العتيدة فائدة يعم نفعها ·

نحن نطالب الدولة اليوم ان تؤسس لنا من المرافق العامة ما لا طاقة للافراد ان يقوموا به من مثل انشاء السكك الحديدية حتى تربط الاستانة مع اقصى بلاد العرب وتتصل وان باشقودرة وطرابزون بالقدس وبغداد بالقاهرة ودمشق بطرابلس الغرب فتصبح ولايات الروم ايلي والاناضول وبلاد العرب متصلة كالحلقة الواحدة بشرايين من حديد ويتيسر للفلاح ملاطية وحكاري في الديار الكردية ان يبيع غلاته وثمراته من ابن طنطا والاسكندرية في الديار المصرية فلا تباع اقة الخبز الجيد بعشرين بارة كما في بعض بلاد الاناضول وتباع في دمشق بثمانين وتباع بمئة وستين في القاهرة ·

نطالب الدولة ان تنشئ السدود وتجفف المستنقعات حتى ينتفع بكل شبر من الارض يمكن زرعه وتشجيره ولا تهلك البلاد المجاورة لتلك المياه لقلة ريها كمن يصبح عطشاناً وفي الماء فمه وان تصلح سقياها فلا يذهب ماء الفرات ودجلة بل مياه كثير من الانهار والخلجان بلا فائدة وترى حواليها البلاد قاحلة تنتظر ماء الامطار لتروى وما هي بمضمونة معظم السنين · وبذلك تجود صحة السكان النازلين بالقرب من تلك الاراضي وتقل الحميات والامراض الوافدة فيهم فينمون ويتناسلون فتزيد البلاد بهم قوة ·

كانت الاوبئة والطواعين تنتاب البلاد العثمانية قبل ان يعرف الاهالي والحكومة معنى التوقي المشروع فتهلك من سكانها مئات الالوف ولو ذكرت تواريخ المتأخرين ما انتاب البلاد كلها من الموتان فقط في المائتي سنة الاخيرة لزال العجب من قلة النفوس في بعض الولايات قلة لا تكاد تصدق · ولكن الزلازل والاوبئة والحريق والغارات معها بلغ من تدميرها السكان والمكان يتأتى جبر ما اوهته ورتق ما فتقته وتعويض ما خسرته لو كان في البلاد شيء يقال له عدل وعلم ·

مثال ذلك مدينتا بيروت ودمشق فانهما منذ جلب اليهما ماء نهر الكلب وعين

النيجة في انابيب تقي الماء من الجراثيم الضارة قلت الامراض قلة محسوسة حتى ان الهواء الاصفر انتاب سورية مرتين في العهد الاخير ولم يعرج على بيروت مع انتشاره كثيراً في صيدا وطرابلس المجاورتين لها وكذلك في دمشق منذ اخذ بعض اهلها يشربون من ماء الفيجة الطاهر فلو تيسر لسائر مدن سورية مثلاً ما تيسر لنا من الماء النقي كالقدس وعكا ونابلس وطرابلس وصيدا واللاذقية وحمص وحماة وحلب وغيرها من الامصار لما جاء على سورية ربع قرن الا وسكانها ضعف ما هم الآن ·

هذا في ابسط الاشياء واقربها تناولاً فما الحال لو تشعبت خطوطها الحديدية عريضة كانت او ضيقة بحيث لا تخلو قرية فيها خمسة آلاف نسمة من الارتباط مباشرة مع امهات المدن كحاصبيا وراشيا وقطنا وذومة والنبك والقنيطرة وصلخد وعاهرة والسويداء والعمرانية وسلمية وبصر الحرير وعجلون والسلط والكرك كل هذه القصبات مراكز اقضية مهمة لا اتصال لا كثرها مع حاضرة الولاية الا على ظهور الدواب والبغال والجمال فلو اتصلت بدمشق مثلاً كما اتصلت الزبداني والبقاع وبعلبك وحمص وحماة ومعان وشمسكين ودرعا اذاً لتوفر عمرانها وغزر سكانها واغتنت ارضها بغلاتها وثمراتها وسهل على البعيد ان يقتني اراضي لا يصل اليها على المطايا الا في ايام طويلة فيبلغها مع القطار في ساعات ·

ومثل ذلك قل عن ولايتي حلب وبيروت ومتصرفيتي القدس وجبل لبنان بل قله عن ولايات طرابلس الغرب واليمن والحجاز والبصرة وبغداد والموصل وديار بكر ومعمورة العزيز وبتليس وقسطموني ووان وارضروم وطرابزون وسيواس وقونية وانقره واطنه وجزائر البحر الابيض وآيدين وخداوندكار والاستانة وادرنة وسلانيك ومناستر ويانيا وقوصوة واشقودرة ومتصرفيات بنغازي والزور وبيغا وجانيجه وازميد ·

ليس عند الدولة اليوم من الخطوط الحديدية ما يكفي لخمس ولايات فقط وقدروا عدد ما لديها منها بنحو سبعة آلاف كيلومتر تدفع على اكثرها ضمانات كيلومترية كل سنة لا تقل عن ستمائة الف ليرة ولو كان رجالها في العهد الماضي على شيء من الذمة والعقل لما فادوا بمصلحة امتهم لقاء منفعة ذاتية تافهة الى هذا الحد ولكانوا انشئوا معظم تلك الخطوط بايدي شركات عثمانية تستلف من اوربا ما يقتضي لها من المال بمقابل معتدل تسدده من مداخيل الخطوط التي تمدها فكما لم يعسر على الحكومة

العثمانية انشاء خط حديدي من دمشق الى المدينة وهو لا يقل عن الف ومئتي كيلومتر في واد غير ذي زرع لا يصعب عليها او على الامة ان تنشئ خطاً حديدياً مثلاً من دمشق الى بغداد والمسافة بينهما ثمانمائة كيلومتر او من دمشق الى الاستانة والمسافة الف ومئة كيلومتر تمر باقاليم كلها عامرة بطبيعتها مشهورة بخصبها وجودة تربتها ·

ولكن البلاد حتى اليوم لم تبرح كمن خرج من تحت الردم لا يكاد يفيق لكثرة ما لقيه من مصائب الادوار السالفة والحكومة على سعي القائمين بشؤونها في العاصمة لم تستطع حتى الساعة ان تدير ميزانيتها على ما ينبغي والعجز لم يزل يربو على اربعة ملايين ليرة كل سنة فقد بلغت نفقات الحكومة هذا العام ٢٩٤٩٣٩٤٥٢١ ليرة عثمانية وواردانها ٢٤٤٥٨٧٤٣١٧ ليرة على ما ادخل عليها من تعديل رواتب الموظفين وغير ذلك من انواع الاقتصاد وكان يرجى ان تزيد الاعشار هذه السنة زيادة محمودة لان معظم ارباب النفوذ والغنى لم يعتادوا ان يؤدوا للخزانة في السنين الغابرة اكثر من خمس وارداتهم في الاغلب بل بعضهم ما كانوا يدفعون عشر العشر دع عنك سائر التكاليف ·

وآخر احصاء رأيناه في زيادة اعشار هذه السنة انها زادت في السلطنة عن السنة الماضية مائة وخمسين الف ليرة مع ان اعشار ولاية سورية وحدها زادت ثلاثة واربعين الف ليرة ولو عنيت حكومة هذه الولاية بتلزيمها حق العناية لما قلت الزيادة عن مئة الف ليرة من الاقضية والالوية التي تدفع الاعشار بدلاً فضلاً عن لواء حوران الذي يدفع عشراً مقطوعاً بلغ هذه السنة تسعين الف كيلة من الحنطة ولو استوفت من اهله الاعشار بحسب ما يجب عليهم اداؤه لاخذت هذا القدر المأخوذ من قضاء واحد فما بالك بسائر الاقضية على ان بعض الولايات كحلب مثلاً اصيبت هذه السنة بنقص غلاتها وثمراتها بالجراد الذي انتشر في ارجائها ولكن حال سائر الولايات ليس كذلك ·

ولا علة لهذا الا ان موظفي المالية والادارة ضعاف في معظم الولايات والاهلون اكثر منهم جربذة واحتيالا فتمكنوا كما كانوا في العهد السالف من التزام الاعشار بالاثمان البخسة ويفكر ناظر ماليتنا اليوم في تخفيض العشر من اثني عشر ونصف في المئة الى عشرة فقط لتبقى للفلاح بقية صالحة من وارداته يعمر بها ارضه ويكسو اهله ويرم اصطبله وداره ويستكثر من الماشية لان الحكومة تستوفي الآن من الفلاح جميع ما يملك كل سبع سنين · كما يفكر في زيادة رسوم الكمارك اربعة في المئة

فتصبح خمسة عشر في المئة بدلاً من احد عشر فاذا حسبنا قيمة ما تتقاضاه الدولة من الكمارك سنوياً ٣،٨٦٨،٨٦٦ ليرة عثمانية كما هو المقدر في الميزانية الاخيرة والكمرك بعد عشرة في المئة لا تقل الزيادة عن مليون ونصف ليرة يسد بها جانب مهم من عجز الميزانية من قابل . ولا شك ان ضرائب الاملاك ستزيد ايضاً لانها قليلة بالنسبة ولا سيما على ارباب السعة الذين كانت الحكومة السالفة تتسامح معهم باكل حقوقها عن قصد والمأمول ان يزيد كل شيء على تلك النسبة من مثل بدلات العسكرية التي ستتقاضاها الحكومة من غير المسلمين في السلطنة .

قلنا ومن امثل الاعمال تخفيف الاعشار في السلطنة او الغاؤها ان امكن والاستعاضة عنها بضرائب على الاراضي بحسب موقعها وخصبها والزيادة في الكمارك وربما لا يخلو هذا الصنيع من زيادة قليلة في ثروة البلاد ويرغب السكان بعض الشيء عن البضائع الاجنبية ويستعملون ما امكن من مصنوعات بلادهم فاذا لم يقل الوارد من السلع الاجنبية فلا اقل من وقوفه عند هذا الحد . ويقدرون قيمة صادراتنا بنحو اثنين وعشرين مليون ليرة عثمانية ووارداتنا بنحو ثلاثة وثلاثين مليوناً اي ان البلاد الاجنبية واوربا خاصة تاخذ منا كل سنة عشرة ملايين نخسرها من مجموع ثروتنا واذا اضفنا اليها قيمة ما تدفعه الحكومة العثمانية ربا ديونها وهو لا يقل عن تسعة ملايين ليرة لان ما عليها من الديون يبلغ نحو مئة مليون من الليرات فتكون السلطنة العثمانية قد خسرت نحو عشرين مليون ليرة كل سنة على اقل تعديل .

والطريقة الاقتصادية لسد هذا العجز في الميزانية هو الوقوف في النفقات عند حد معين والسعي في استثمار الاسهل فالاسهل من خيرات البلاد بحيث لا تتكلف الدولة الانفاق على مشروع الا اذا كانت الارباح فيه تربو على الخسارة متناول سنة كاصلاح ري العراق مثلاً الذي يحتاج الى عشرة ملايين ليرة مثلاً تأتي الدولة والاهالي بمليوني ليرة على الاقل تأخذ منها الحكومة لا اقل من مليون ليرة فاصلاح ري العراق بالاستدانة من اوربا ربح ظاهر لا محالة ولا سيا اذا تقدمه انشاء خط حديدي من بغداد الى دمشق كما هو رأي السير ويلكوكس المهندس الانكليزي المشهور .

واذا عنيت نظارة الغابات باستثمار غابات السلطنة على الاصول المتبعة في اوربا وصانتها من فأس الاهلين وانياب مواشيهم تزيد ثروة المملكة زيادة محمودة تؤثر في المجموع فلا نتناول ما يلزمنا من الاخشاب من النمسا او رومانيا مثلاً بل نبتاعه من

حراج قونية وقسطموني وآيدين وتكفي سائر حراج الروم ايلي والاناضول وسورية للوقود فتكفينا مؤونة الفحم الحجري او البترول او غيره من الوقود الذي نجلبه من الخارج

الاوائل

ذكرني ما طالعته في العددين الخامس والسادس من مجلة المقتبس الغراء (٤:٢٧٣) بما كنت قد عنيت بجمعه منذ سنوات من الاوائل (اي اول من عمل شيئاً) عند القدماء من يونان ورومان وفرس وعرب ثم عند من جاء بعدهم من الامم الى عهدنا من اعارب واعاجم ولا يخفى ما في هذه الابحاث من المحاضرات التاريخية والادبية والعلمية واللغوية الخ فرأيت الآن ان الخص مقدمة هذه الرسالة وبعض مباحثها لعل القراء الكرام يرون فيها تفكهة وجماماً وهاك نبذة منها :

لم يفت العرب جمع (الاوائل) شأنهم في كثير من الموضوعات التي طرقوها والفوا فيها على حين لم يطرق مثلها كاتب اعجمي وعلم الاوائل هو كما عرفه الحاج خليفة في كتابه كشف الظنون الشهير (طبعة مصر ١ : ١٣٢) : ما يتعرف منه اوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب وموضوعه وغايته ظاهرة وهو من فروع علم التواريخ والمحاضرات لكنه ليس بمذكور في كتب الموضوعات وقد الحق بعض المتأخرين مباحث (الاواخر) فيه والفوا فيه كتباً عددها ملخصة وهاك تفصيلها من مظانها الاخرى .

(١) اول من صنف في (الاوائل) ابو هلال حسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٤ م) وسمى رسالته (الاوائل) وهي مختصرة

(٢) ومن المؤلفات فيها (محاسن الوسائل في علم الاوائل) للقاضي بدر الدين محمد ابن عبد الله السبكي المتوفى سنة ٧٦٩ هـ — ١٣٦٧ م

(٣) (اقامة الدلائل على معرفة الاوائل) للحافظ شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ — ١٤٤٨ م

(٤) (الوسائل الى معرفة الاوائل) لجلال الدين السيوطي الشهير المتوفى سنة

٩١١ هـ — ١٥٠٥ م لخص فيه اوائل العسكري (١) المذكور آنفاً وزاد اضعافه ورتبه ترتيب الفقه وختمه بالعلم والامثال وفيه منظومة بالرجز اسمها الوسائل و يرجح انها ارجوزة وسائل السائل الى معرفة الاوائل التي ذكرها كشف الظنون — ٢: ٤١٥

(٥) محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر وهو مختصر للشيخ علي دده المتوفى سنة ٩٩٨ هـ — ١٥٨٩ م ووضعه على قسمين الاول في فصول الاوائل مرتبة على ٣٧ فصلاً والثاني في فصول الاواخر وفيه ٤ فصول

(٦) ازهار الخمائل (٢) في وصف الاوائل للمولى عثمان بن محمد المعروف بدوقه كين زاده الرومي المتوفى سنة ١٠١٣ هـ — ١٦٠٤ م وقد رتب الاوائل على الحروف بالتركية واهداها الى السلطان مراد خان الثالث

(٧و٨و٩) الاوائل للطبراني (٣) ولمحمد بن ابي القاسم الراشدي ولابن خطيب داريا — وهذه اهم المؤلفات بهذه المحاضرات · على اننا لم نقف على مخطوط منها حتى الآن واليك الآن مثالاً مما جمعته من الاوائل :

اول انسان هو ابونا آدم واول امرأة هي امنا حواء

اول قتيل ومحسود وزاع ولدها هابيل واول قاتل وحاسد وحراث ولدها قايين

اول ضارب بالمطرقة حفيدها توبال قايين

اول عازف بآلة طرب لامك

اول مشترع ومؤرخ وقائد موسى النبي

اول من كتب في السل انه داء معدٍ سقراط الفيلسوف اليوناني الشهير

اول من قال من الروم ان الارواح غير فانية بل هي ازلية ابدية طاليس الفيلسوف اليوناني

اول من عرف علم الطبيعة والهيئة عند اليونانيين طاليس هذا

وهو اول من قال الكلمة المشهورة « ايها الانسان اعرف نفسك »

وهو اول من انبأ بكسوف الشمس وخسوف القمر قبل وقوعها

وهو اول من بحث عن اسباب الاهوية والزوابع والصواعق والبرق والرعد

---

(١) وفي الكشف ٢: ٤١٥ العكبري وهو خطأ (٢) غلط الكشف في هذه التسمية بموضعين اولاً قال ازهار الجمال (١: ١٣٢) ثم ازهار الجمائل (١: ٧٠) — (٣) كرر الكشف هذا الكتاب مرتين في محل واحد (١: ١٣٢)

وهو اول من قاس ارتفاع القلاع والاهرام من ظلها الجنوبي لما تكون **الشمس في** الاعتدال

واول من قرب القربان للهياكل وطهر الارض والمدائن والمنازل **الفيلسوف** انبيديس اليوناني

اول من اخترع عمل الفخار بالدولاب انخرسيس الفيلسوف اليوناني

اول من امتنع لتواضعه ان يلقب حكيماً فيثاغورس الفيلسوف اليوناني

اول من شهر علم الفلسفة بطريقة جلية في جميع اليونان دون غيره **انكساغوراس** الفيلسوف اليوناني

اول من ادخل فلسفة اليونان الى رومية شيشرون الخطيب الروماني الشهير قبل الميلاد بقرن

اول من قال في الجاهلية اما بعد قس بن ساعدة اسقف نجران النصراني

وهو اول من اتكأ على عصا عند خطبته واطال الكلام

واول من وصف الخيل واجاد بتشبيهاته امرؤ القيس من اصحاب المعلقات

واول من لعب بالصقور الحارث بن معاوية بن ثور الكندي ملك كندة

واول طبيب عند العرب الحارث بن كلدة الثقفي ثم ولده النضر

اول من سكن نجران يزيد بن عبد المدان من بني كهلان نزلها نحو سنة ٤٥٠ م

واول من سمى اليوم السادس من الاسبوع الجمعة وكان يقال له العروبة كعب ابن لؤي

اول من قال مرحباً واهلاً سيف بن ذي يزن الحميري قالها لعبد المطلب بن هاشم لما وفد اليه مع قريش لتهنئته برجوع الملك اليه

اول من خطب في الاسلام النبي (عليه الصلاة والسلام)

وهو اول من قال (مات فلان حتف انفه)

واول من اسلم خديجة زوجته

اول كتاب كتب في اللغة العربية بصدر الاسلام المصحف في خلافة ابي بكر لانه اول من اعتنى بجمعه

اول من كتب في الاسلام علي بن ابي طالب

وهو اول من قال جعلت فداك

اول من قال ابدك الله واطال بقاءك عمر بن الخطاب

واول والٍ فرض له رعيته نفقته ابو بكر الصديق

وهو اول من سمي خليفة

وهو اول خليفة مسلم ولي غيره وهو حي

وهو اول من سمى القرآن مصحفاً

واول من قال اجعل هذا الشيء بأجا (طريقا) واحداً عثمان بن عفان

واول من قال فاض الميت شريح قال هذا حين فوضه

واول من جمع الدجال مالك بن انس فقيه المدينة بقوله : هؤلاء الدجاجلة

واول خليفة بايع لولده في الاسلام هو معاوية بن ابي سفيان بايع لولده يزيد

وهو اول من وضع البريد . واول من خطب جالساً على الارجح

وهو اول من سمى الطيب غالية واول من عمل المقصورة في المساجد

واول من ضرب الدراهم والدنانير في الاسلام عبد الملك بن مروان

واول من بنى المارستان في الاسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك وعين له اطباء برواتب وحبس المجذومين واجرى عليهم وعلى العميان الرزق

واول من ضبط الحروف العربية بالنقط والحركات نصر بن عاصم بخلافة عبد الملك ابن مروان

واول من اتخذ اللغة العربية في الدواوين بنو امية

اول لحن سمع بالبادية هذه عصاتي واول لحن سمع بالعراق حيّ على الفلاح

اول من سمي وزيراً في الاسلام ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني استوزره السفاح في القرن الثالث للهجرة

اول من لقب امير الامراء في الاسلام ابن رائق امير البصرة وواسط في القرن الرابع للهجرة وكان صاحب هذا اللقب يتولى رئاسة الوزارة والجند

اول من لقب بالصاحب من الوزراء اسماعيل بن عباد وزير مؤيد الدولة في القرن الخامس للهجرة

اول من التزم الصحيح من اللغة مقتصراً عليه الامام ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح

اول من وضع كتاب الاجناس في اللغة الاصمعي لان التجنيس مولد وليس من كلام العرب

اول من ذكر ابنية الاسماء والافعال فاورد للاسماء ثلاثمائة مثال وثمانية امثلة سيبويه في كتابه المشهور

اول من نقل الخط من القلم الكوفي الى الصورة المتعارفة ابن مقلة وزير المقتدر بالله

اول من وضع المثلث في اللغة قطرب من اهل القرن الثاني للهجرة

اول من تعمق بدرس كتب ارسطو الفيلسوف اليوناني وفسرها ونشرها بين العرب الفارابي

اول من تكلم باصول الفقه واستنبطه الامام الشافعي

اول من دعي بقاضي القضاة ابو يوسف القاضي من اهل القرن الثاني للهجرة وقيل ابن جنبة الانصاري

واول من غير لباس العلماء الى زيه المعلوم عندنا اليوم ابو يوسف المذكور

اول خليفة لعب بالصولجان والكرة عند العرب هو هرون الرشيد العباسي

اول من عمل اسطرلاباً في الاسلام الفزاري زمن المنصور العباسي

اول من اشتغل بنقل العلوم الى العربية خالد بن يزيد الاموي حفيد معاوية الاكبر في القرن الاول للهجرة

اول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة المشهورة والقسي الموتورة موسى الهادي العباسي في القرن الثاني للهجرة

اول رصد وضع في الاسلام بدمشق زمن المأمون العباسي

اول من كتب من العرب في السياسة المدنية او الاقتصاد السياسي الفارابي ثم ابن خلدون في مقدمته

اول جمعية علمية فلسفية عند العرب جمعية «اخوان الصفاء» في بغداد في اواسط القرن الرابع للهجرة

اول من استخدم المرقد «البنج» في الطب العرب واستخدموا له الزوان او الشيلم

اول من استخدم الكاويات في الجراحة العرب على نحو ما هي عليه اليوم

اول من كتب في الجذام اطباء العرب واول كتاب فيه ليوحنا بن ماسويه

اول من وصف الحصبة والجدري بكتاب هو ابو بكر الرازي

اول من انشأ حوانيت الصيدلية واشتغل في تحضير الادوية العرب

اول من استخدم الجيوب والاوتار في قياس المثلثات والزوايا البتاني الرياضي العربي

اول من استنبط الكرة البيروني الجغرافي العربي الشهير

اول من تناول الارقام عن الهنود الخوارزمي فنسبت اليهم

اول من حسب فلك نجم المذنب عَلَى موجب قواعد تعليمية اسحق نيوتون الانكليزي في القرن السابع عشر

اول من استعمل الشاري « قضيب الصاعقة » فرنكلين سنة ١٧٥٩ م

اول من اكتشف الكينا رجل اسمه بليتيه سنة ١٨٢٠ م

اول من اكتشف التلقيح بالجدري ادورد جنر الطبيب الانكليزي سنة ١٧٩٦م

اول من استعمل طوابع البريد الانكليز في لندن سنة ١٨٤٠ م

اول طابعة « تيب ريتر » صنعت في اميركا سنة ١٨٧٣ م

اول من اكتشف النيتروجين الدكتور روثر فورد سنة ١٧٧٢ م

اول من اخترع تذاكر البريد الدكتور هرمن الالماني سنة ١٨٦٩ م

اول جريدة عربية انشئت في مصر « تقويم الوقائع » سنة ١٨٢٨ م

اول جريدة عربية انشئت في الاستانة العلية « مرآة الاحوال » لرزق الله حسون الحلبي سنة ١٨٥٤ م

اول جريدة عربية انشئت في سورية · حديقة الاخبار · لخليل الخوري اللبناني سنة ١٨٥٨ م

اول مطبعة عربية انشئت في سورية مطبعة حلب الارثوذكسية منذ مائتي سنة أي في اول القرن الثامن عشر للميلاد

زحلة · لبنان · : عيسى اسكندر المعلوف

سير العلم والاجتماع

اللغة العثمانية

معلوم ان اللغة التركية العثمانية اليوم مؤلفة من ثلاث لغات التركية الاصلية والعربية والفارسية وان الالفاظ العربية في العهد الاخير كثرت فيها جداً حتى تكاد تجد في الصفحة الواحدة ثلاثة ارباعها من الالفاظ العربية وربما اكثر وقد شق هذا الامر على « اقدام » احدى جرائد الاستانة فقامت تطلب تصفية اللغة العثمانية من الالفاظ العربية وقد ردت الجرائد الاخرى على هذا الرأي وزيفته وفي مقدمتها جريدة « تصوير افكار » بقلم صاحبها ابي الضيا توفيق بك الكاتب المشهور فنال من مقالة له ما تعريبه : زعمتم ان يوسف الثاني ملك النمسا كان اخذ على نفسه نشر اللغة الالمانية بين المجر فانتبه المجريون لما يراد بلغتهم واخذوا يطرحون منها الكلمات الزائدة من اللاتينية والالمانية فتم لهم ان يكونوا اليوم امة وان البلغار وان كانوا في الاصل اتراكاً ابدلوا لما نزل قسم منهم اوربا مذهبهم ولسانهم بالنصرانية والسلافية فغدوا ينظرون الينا نظر الخصومة كأنما لسنا منهم وليسوا منا في شيء . ولكننا لو نظرنا الى تاريخنا وكيف تألفت جنسيتنا لا نحتج بمثل هذه الحجج .

فانا لقوم (الترك) قد دفعتنا ايدي بكواتنا وامرائنا وكنا عبارة عن الف او الفين من الرجال اضطرتنا غارات جنكيز الى الرحيل عن اوطاننا فجئنا الى القرب من هذه العاصمة ونزلنا قصبة سكود ومنذ ذاك العهد حتى اواخر سلطنة سليمان القانوني ايام بلغنا غاية الغايات في فتوحاتنا ووصلت قوتنا الى ارقى مراقيها اخذنا ننتشر في قارات الدنيا الثلاث الكبرى فجمعنا تحت لواء حكومتنا نحو عشرين الى ثلاثين جنساً ومثل هذا العدد من الاديان والمذاهب حتى لقد استولينا ايضاً على جزء من بلاد المجر المبحوث عنها آنفاً .

واذ تعذر في العهد الاخير ان نتقدم سياسة التغلب الى الامام التي لم تكن مبنية على مقصد خاص على نحو ما كانت سياسة بطرس الاكبر امبراطور روسيا مثلاً ولما لم تكن سياستنا نتيجة فطنة وتأمل قائمة على اساس متين انحلت عرى هذه الاجناس المتخالفة التي لم يدرك بادئ بدء ان الضرورة تدعو الى توحيدها لادنى خلل عرض لقوة الدولة .

ثم ان الرابطة التي تربطنا والشعوب الاسلامية ومن هم قوام روابطنا كالعرب والاكراد وبعض العشائر المغولية التي سقطت الى هذه الارجاء وتوطنت فيها ومن تركناهم من اولاد الفاتحين ومن تفرقوا من المجاهدين اتباع بكوات الروملي فانتشروا في تلك الديار ان تلك الرابطة قد دعت الى ان يمتزج هؤلاء باهالي البلاد الاصليين اي بالبلغاريين والصربيين والارناؤد والبوشناق فاخذ هؤلاء يدينون بالاسلام حتى اصبح نحو نصف سكان تلك الاقطار الواسعة من المسلمين . واضطر اولئك المسلمون الى تعلم امور دينهم وبهذه الواسطة انتشر اللسان العثماني وتغلب الفكر الديني عَلَى الجنسي وانشأ اولئك الشعوب يعتقدون بان السلطنة العثمانية حامية الدين وسلامتها سلامة لهم في الدارين وبفضل هذا الاعتقاد غدا اهالي البوسنة المسلمون خاضعين للحكومة الثماوية وهم لا يقلون عن ٥٠٠٠٠٠ نسمة ينظرون الى التمسو بين نظر الاعداء مع انهم من عرق واحد . ومثل ذلك قل في البوماقيين والجتاقيين وغيرهم من سكان بلغاريا ممن يرون السلافيين اعداءهم عَلَى حين هم واياهم من اصل واحد ولا يستثنى من ذلك الا الارناؤد فانهم في بلادهم يفضلون الجامعة الجنسية عَلَى كل جامعة فيدين المرء فيها بما يريد ولا من يسأله عن معتقده دان بالاسلام او بالنصرانية لان مسائل الاعتقاد من الامور الوجدانية النفسانية ولكن يبقى للجنسية القول الفصل بينهم فاذا استباح حماهم اجنبي يقوم المسيحيون والمسلمون يذودون عن حياض بلادهم قومة رجل واحد بمعنى انه لم تنشب قط ولا تنشب فتنة باسم الدين في بلاد الارناؤد فاللسان التركي الذي نستعمله منذ ستمائة سنة مؤلف من ثلاث لغات وقواعد صرفه ونحوه هي من الاصول المتحصلة من القواعد التي اقتبسها العجم عن العرب ولذلك اصبح لغة قائمة برأسها ولهجة خاصة بالعثمانيين فقط . وبقدر مابين التركية الشائعة فيما وراء النهر والتركية المستعملة في آذربيجان والتركية التي يتكلم بها بعض الشعوب الاتراك في قافقاسيا والتركية المستعملة بين التاتار بين في القريم من الفروق فالفرق كذلك بين لغتنا ولغتهم .

وبالجملة فان ما فقدته الدولة العثمانية من املاكها بعددور الفتح من البلاد وما خسرته بعد عهد السلطان سليمان من النفوس مما لا يقل عن ثلاثة ارباع السكان وما نحن مضطرون ومفتقرون اليه من تعلم اللغة العربية التي هي لسان شريعتنا وعقيدتنا مع كل هذا هل جذب العربي التابع لنا التركي اليه وصبغه بصبغته ام نحن

صبغتنا العربي بصبغتنا . وما ادري كيف نشأ خيال الخوف من فقدنا وطنيتنا اذا لم نتدارك بتصفية لساننا فقد رأينا جميع ابناء العرب النازلين في المدن والبلاد الواقعة بين الاسكندرونة وبغداد يتكلمون بالتركية ولقد انسنا بشرف اللقاء في مجلس النواب باناس من مبعوثي العرب يطلق عليهم لقب « آغا » ولكنهم يفوقون بفضائلهم وكالم كثيراً من وزرائنا فكان الحلبيون والرهاويون والعينيون (اهل اورفه وعنتاب) والمواصلة والكركوكيون والسليمانيون والبغداديون يتكلمون ويكتبون بهذه اللغة العثمانية الممزوجة من التركية والعربية والفارسية بلسان يشف عن فضل بيان واحسان لا يضاهيهم فيهما الا قلائل منا وما ذلك الا اثر من آثار انتشار آداب التركية الجديدة بينهم لا التركية القديمة .

وعاد الكاتب المشار اليه في عدد آخر يقول في الرد على مناقشيه : ان اللسان العثماني هو لسان الامة التي انشأت هذه الدولة العثمانية من الاتراك وغيرهم من الشعوب الذين اتحدوا معهم افترق كل الافتراق عن تركية الجغتاي لمقصد سياسي بل من الواجب عليه ان ينفصل عنها وذلك لاشتراك الشعوب الكثيرة التي دخلت دائرة اتحادنا فانشئت هذه الهيئة الاجتماعية ولذا لا تجد حاجة لما ان نخاطب ونتكاتب بالف باء اويغور وتركية ما وراء النهر .

فما دامت الف بائنا اليوم هي آلة الكتابة المشتركة التي اتخذها العرب واضاف اليها الفرس اربعة حروف فعبروا بها عن لغتهم وما دمنا نرى من الواجب علينا ان نقلد العرب بسائق الدين ونقلد الفرس بسائق الادب ونحن في حاجة ماسة الى الاخذ من مؤلفات العرب والفرس والانتفاع بما خلفوه من علومهم منذ الف وثلاثمائة سنة وما دامت مصنفاتنا العثمانية منذ ستمائة وخمسين سنة قد دونت من هذه اللغات الثلاث فنشأت عنها اللهجة العثمانية ما دام الامر كذلك فنحن نأخذ في كل عصر من خزائن معارف هذه اللغات الثلاث ولا نتخذ عنها بديلاً . ولعمري ماذا نجني من الفوائد اذا قلدنا اليوم البخاريين والخوقنديين والكشغريين بلهجاتهم وكتابتهم ولكن هذه الشعوب اذا قلدتنا في لهجتنا نقترب من منهاج معارفنا فتستفيد من ذلك فوائد حسنة .

مقاومة الكحول

يشتد حملة الاقلام وامراء البيان في الممالك الافرنجية يوماً بعد يوم في مقاومة المسكرات وذلك بواسطه جمعيات نذر اعضاؤها على انفسهم ان يقعدوا للمسكرات كل

مرصود وقد كانت سويسرا من اول الامم التي قاومت انتشار الابسنت منذ ثلاثين سنة فصدعت الحكومة هناك بامر الشعب وارادة الشعب حكم وعملت عَلَى ما اقتضاه منه المقاومون للمسكرات عَلَى كثرة خصومهم باديء ذي بدء، والموافقون عَلَى المنع رجال الصحة والادب والجمعيات الطبية والسياسية والكنائس والاحزاب السياسية المتطرفة من كاثوليك وبرتستانت ولم يقف عَلَى الحياد في هذا الباب سوى الحزب الراديكالي ·

وقد سبقت فنلندا سويسرا في مقاومة المسكرات فاصدرت حكومتها امراً منذ سنة ١٨٨٢ بمنع بيع المسكرات بالمفرق للناس والاتجار بها وجعلت بيعها بيد جمعيات تنفق ريعها عَلَى ما من ورائه فائدة عامة · وهذه الجمعيات تقاوم السكر بكل ما فيها من طاقة وتصد العامة من غشيان الفنادق وتدفعهم الى الاختلاف الى المطاعم الصحية التي لا تبيع المسكرات واخذت تلك الجمعيات تدخل في دروس المدارس مضار المسكرات وتنفر الدارسين من تعاطيها · وحذت النمسا حذو الامم العاملة عَلَى تقليل المشروبات فانشأت جمعيات تصد العملة عن الشرب وافلحت في تكثير سواد افرادها وانصارها وقد جعلت جمعية نقابات العملة شعارها : ان المشروبات الروحية منبع الاضرار العظيمة عَلَى طبقة العملة تسلبهم قواهم الطبيعية والعقلية اللازمة لهم في جهاد الحياة ·

وهكذا ترى الحال في معظم الامم الاوربية ولا سيما في الممالك الصغرى مثل السويد ونرويج والدانيمرك وهولانده والبلجيك وبلغاريا · وهذه الامارة الأخيرة اخذت منذ أُسست سنة ١٨٧٨ تقلد الاوروبيين في مناحيهم واجتبت مخالفة القواعد التي كانت مرعية فيها عَلَى عهد حكم العثمانيين عليها من وضع العقبات في سبيل المسكرات ولكنها عادت ففكرت في العاقبة حتى قل فيها تعاطي المشروبات كثيراً في البلاد التي تكثر فيها الكروم واخذ البلغاريون يرددون المثل البلغاري السائر بينهم وهو ان الماء لا يقلق الرأس ولذلك جعلوا شربهم الماء الصرف وقد لا يتناولون المسكرات في بعض اعيادهم وهي لا تجاوز الخمسة او الستة ايام في السنة كلها ·

وانتبهت بعض ولايات اميركا الشمالية الى مضار المسكرات فسنت منذ سنة ١٨٤٦ قانوناً لحظر بيعها بالمفرق ومن هذه الولايات كنساس وميسيسيبي والاسكا وغيرها وقد عادت بعض الولايات ايضاً بعد ان رأت فائدة المنع مثل ولايتي الاباما وجيورجيا فسنت قانون الحظر لتنقذ سكانها السود من الموبقات وسكانها البيض ولا سيما النساء من اعتداء الزنوج عليهن وبذلك اخذ يقل توقيف المعربدين والجناة شهراً عن شهر

في تينك الولايتين قلة محسوسة

اما المملكة العثمانية فمع ان دين حكومتها هو الاسلام والاسلام اشد الاديان في حظر المسكرات فتراها امس واليوم تشدد على المسكرات ظاهراً ويهمها في الباطن ولا سيما قبل ان تكون دستورية ترك الامور لطبائعها حتى تستفيد الديون العمومية من رسوم المسكرات . ويا حبذا لو فكر مجلس الامة في سن قانون شديد للمشروبات الروحية والاكثار من الرسوم عليها اكثاراً لا يستطيع معه حتى الاغنياء تناولها وبذلك تنتفع البلاد نفعاً تقدره قدره بعد سنتين عندما يصبح معظم ابنائها متعلمين مهذبين بفضل التعليم الاجباري . وبعد تجريب ما تقدم منعت الدولة المالية دخول الالكحول التي تعمل من غير العنب الى بلادها وان لا يدخل اليها من الالكحول (اسبرتو) الا ما كان ممزوجاً ببعض الاجزاء فيستعمل في بعض الصناعات فحبذا يوم تمنعه على اختلاف ضروبه .

الاعلانات

يؤكدون ان الولايات المتحدة تنفق في السنة ٢٥٠ مليون ليرة على نشر الاعلانات حتى ان بعض اصحاب معامل الصابون ينفقون كل يوم على اعلاناتهم ٢٥٠ ليرة وقد ارسل احد المخازن مؤخراً الى زبنه قوائم ببضائعه عدد صفحات كل قائمة الف صفحة ووزنها ثلاث ليبرات فكان ما كلفه ذلك اجرة نقلها في البريد فقط ٦٤٠ الف دولار او ١٢٨ الف ليرة انكليزية . وقد انفق احد اصحاب معامل الامواس هذه السنة خمسين الف فرنك زيادة عن السنين السالفة لنشر اعلاناته فباع ستة ملايين موسى زيادة عن القدر الذي كان يبيعه في الاعوام الماضية .

الصحة في اسوج ونروج

اهل الممالك الصغرى في اوروبا من اسعد الناس حالاً وانعمهم بالاً . فترى نروج منقسمة الى مناطق طبية ولكل مقاطعة طبيب تعينه الحكومة وتدفع اليه راتبه وفي كل مديرية مجلس صحة يرأسه مفتش صحة وطبيب له سلطة تامة على المديريات والافراد ويلقنون الطفل في المدرسة مبادي حفظ الصحة فيجد فيها التلميذ حمامات ورشاشات (دوش) . وجميع الامة تعتقد بتأثير المكتشفات العلمية والطبية وكلها تقوم بالواجب

في اي مكان كان والناس يقومون احسن قيام بالتدابير الصحية دون ان يتأففوا او يحاولوا التملص منها . وقد كان معدل الوفيات في اسوج ٧ و١٧ في الالف سنة ١٨٨١ فنزل سنة ١٩٠٦ الى ٣ و ١٤ ومعدل وفيات الاطفال ٧ و١١٢ في الالف فنزل الى ٨٣ وكان عدد سكان اسوج سنة ١٨٨١ — ٤٥٧٢٢٤٥ فاصبح سنة ١٩٠٦ ٥٣٢٧٠٥٥ . وكان معدل الوفيات في نروج ١٦ في الالف سنة ١٨٨٠ ووفيات الاطفال ٩ و٩٥ فنزل سنة ١٩٠٦ الى ٥ و١٣ في الالف و٤ و٦٩ في الاطفال وبعد ان كان عدد سكانها سنة ١٨٨٠ — ١٩٠٨٥١٢ اصبحوا سنة ١٩٠٦ — ٢٢٩٦٣٠٠ كل ذلك بالمحافظة عَلَى الصحة عَلَى ما يوجبه الشرع والعقل .

العطورات والاخلاق

جاء في احدى المجلات الافرنجية : الظاهر انه تمكن معرفة اخلاق الناس من الطيوب التي يستعملونها حتى اصبح الآن من القواعد النفسية الجديدة قولهم : قل لي كيف تتطيب حتى اقول لك من انت كما قالوا قل لي من تعاشر لاقول لك من انت كلما قوي الشعور في الاعصاب الشامة كانت طبيعة المرء مهمة وعقله حصيفاً واطيافاً فروائح الطيب المندي والرائحة المعروفة برائحة قبرص وجلد اسبانيا وكلها مما لا يحمد امره لان مستعمليها يكونون من ارباب التأثر والهذر والرفاهية يصابون بكسل مزمن في عقولهم ويميلون الى الاسراف ويستعدون للسمن . اما المولعون بعطر المسك فهم من فطرة احط من اولئك ايضاً ويعرفون بالبلادة والتوحش عَلَى ان استعمال عطر المسك مع عطر آخر يدل عَلَى عقل راق . وفي العادة ان المولعين بعطر البنفسج من المستنيرين الذين يحبون الجمال عَلَى اختلاف مظاهره ولكن من يستعملون ماء الكولونيا يفوقون غيرهم بحكمتهم ووفرة فضائلهم . ويصعب اعطاء صفة لمستعملي عطر الكوريلبسيس الياباني لان طبائعهم غريبة يجمعون الى حب الغرائب فطرة خبيثة قد تكون نائمة في نفوسهم فلا تلبث ان تنبعث في حالة غير منتظرة وتظهر متجلية كالشمس في رابعة النهار .

هبات الاميركيين

بلغ ما جادت به نفوس المحسنين واغنياء الاميركان منذ الحرب الاهلية حتى الساعة بليون ريال عَلَى اقل تعديل جادوا بها عَلَى اقامة المدارس والمكاتب والمستشفيات وغيرها من الاعمال العلمية والخيرية العامة . ومن اوائل المحسنين المستر سلاتير وهب

مليون ريال لتهذيب الزنوج والمستر بيبادي وهب كثيراً من ماله فمنح دفعة واحدة خمسة ملايين ريال لتصرف في سبيل التعليم · ومن محسنيهم المستر ليلاندستانفورد انشأ جامعة كبيرة فمنحها دفعة واحدة عشرين مليون ريال · ومن محسنيهم او محسناتهم مسز اليصابات اندرسون ومسز رسل ساج ومنهم مورغان وكارنجي وروكفلر فهبات الاول مكتومة وان كان يعرف منها الشيء الكثير وبلغت هبات الثاني مئة مليون ريال وهو عاقد العزم ان يوزع ثروته البالغة ثلاثمائة مليون في الاعمال التي يعود نفعها على مجموع امته وجاوزت هبات الثالث مائتي مليون ريال · يجودون باموالهم التي اكتسبوها في الغالب من التجارة والاقتصاد من الامة التي كان بعض افرادها خداماً لهم واعواناً على اثرائهم وذلك على طريقة لا تدخل الكسل على الناس بل على العكس تدعوهم الى اقتفاء آثارهم والائتمام بهديهم ولطالما سمعنا ان فلاناً يجود بمبلغ كذا اذا جاد الناس بمثله فلا يلبث المبلغ المطلوب ان يجمع فيدفع الكريم ماله راضياً · ولو جمع ما جاد به هؤلاء الاغنياء وامثالهم على المعاهد العلمية والصحية فقط خلال الاربعين سنة الاخيرة لابتيع به ممالك كبرى من ممالك الشرق ولاحتقر الشرقي نفسه وامته ونعى فقرها المدقع وجهلها المطبق ·

كليات ايطاليا

نشرت مجلة التعليم الدولية احصاء بكليات ايطاليا السبع عشرة وما فيها من الطلبة فكان مجموع من في كلية نابلي ٥٨٥٦ طالباً منهم من يدرسون العلوم ومنهم الطب وبعضهم الصيدلة وفي كلية رومية ٣٠٦٩ وفي تورين ٢٠٨٣ وفي بولونيا ١٦٩٥ وفي بافيا ١٣٦٠ وفي بادو ١٢٩٩ وفي بيز ١١٨٦ وفي بالرمة ١٣١١ وفي جبن ١٠٩٥ وفي كاتان ٨٤٢ وفي بارم ٥٣٢ وفي مودين ٤٣١ وفي ماسراتا ٣٥٦ وفي كاكلياري ٢٤٥ وفي سين ٢٤٠ وفي ساساري ١٩٨ واذا اضفنا الى هؤلاء التلامذة مجموع ما في الكليات الحرة وهي كامارينو وفرار وبروز واوربن يبلغ مجموع الطلبة في الكليات الايطالية ٢٤٦٤٤ منهم ٤٣٥٦ في الطب و٣٣٢٢ في العلوم و٢٢٧١ في الصيدلة ·

الامويون والعباسيون

القى رفيق بك العظم خطبة في نادي دار العلوم في القاهرة في اسباب سقوط الدولة الاموية والعباسية قال فيها : كان الامويون شديدي الحذر من آل علي كما

ذكرنا وكان هؤلاء بعد نكبتهم في خلافة يزيد قليلي الجرأة عَلَى الظهور لشدة العمال عليهم ومراقبتهم لحركاتهم وسكناتهم ولان الخلفاء من بني امية كانوا مع شدة حذرهم منهم يراعون مكانتهم ويحسنون اليهم فلم ينزع احد منهم الى الخروج عليهم لضعفهم إلا زيد بن علي فقد خرج في خلافة هشام فقتل في الكوفة وقتل ابنه يحيى في خراسان اما تسميم ابي هاشم فقد كان بامر سليمان بن عبد الملك لانه خاف جانبه لما رأى فيه من النجابة والذكاء .

وربما كان هناك سبب آخر لضعف آل علي من بني فاطمة وهو أن الذين بقوا منهم احياء بعد نكبتهم في كربلاء كانوا اطفالاً لا يصلحون لقيادة الناس فالتف الشيعة حول محمد بن عَلَي المعروف بابن الحنفية من غير ولد فاطمة وهكذا ساقوا الامامة في بنيه من بعده كما ساقها غيرهم الى بني فاطمة ايضاً وانتقلت من ثم الى ابي هاشم الى بني العباس .

لاجرم ان سليمان بن عبد الملك جنى عَلَى دولته بقتل ابي هاشم لان آل علي كانوا لشدة ما عانوا من المراقبة والاضطهاد شديدي الحذر بطيئي الخطى في الوثوب عَلَى الخلافة الاموية والظهور لمنازعة الامويين عليها فتلقى العهد بها آل العباس وهم بعيدون عن سوء الظن والمراقبة لم يعانوا مشاق الدعوة ولم يذوقوا طعم الاضطهاد فيخافون الوقوع فيه : ولذا ما لبث ان عهد الى محمد بن علي بالامر حتى نهضوا باعباء الدعوة بجرأة عظيمة وكان لابراهيم بعد موت اخيه محمد ما كان مع ابي مسلم بتفويض امر الزعامة اليه وقيام هذا ببث الدعوة احسن قيام حتى استفحل امرها وظهرت عَلَى خصومها .

احس الامويون بهذا الخطر السريع فبادروا ابراهيم الامام بالقتل فنهض ابو العباس السفاح بعد قتل اخيه ابراهيم وعاجل الامويين بالوثوب عليهم قبل ان يدب الفشل في اهله وشيعته منتهزاً فرصة وقوع الشقاق بين الاخوة وابناء الاعمام من آل مروان وتلظي المملكة الاموية بنار الفتن وظفر بما اراد وقضى عَلَى دولة الامويين في المشرق فذهبت كأن لم تكن بالامس .

عَلَى ان ظفر العباسيين عَلَى هذا الوجه وبهذه السرعة له بواعث واسباب اخرى كاختلال نظام الدولة وغيره ارى ان الم بها عَلَى قدر ما يمكنني من الاختصار .

تعلمون ان الدولة تموت برجل وتحيا بآخر وان الرجال في الدول قليل والدولة

الاموية لما فقدت رجالها فقدت جانباً عظيماً من قوتها واعني باولئك الرجال الرجال المخلصين الذين يخدمون الدولة بمنتهى الصداقة بقطع النظر عما ينسب الى افراد منهم من القسوة فيتهمونهم من اجل ذلك بالظلم اذ الرجال يصطبغون بصبغة الدولة و يتشكلون بشكلها والدولة الاموية لما كانت دولة مطلقة لزم ان يسير عمالها على سننها ٠

من رجال الدولة الاموية المخلصين ٠ موسى بن نصير ٠ والحجاج بن يوسف ٠ وخالد ابن عبدالله القسري ٠ و يزيد بن المهلب ٠ وقتيبة بن مسلم واضرابهم ومن خطاء الخلفاء الامويين انهم لم ينصفوا امثال هؤلاء الرجال فاخرجوا من اخرجوه منهم حتى اخرجوه فقتلوه كخالد بن عبدالله وقتيبة بن مسلم و يزيد بن المهلب الذين ذهبوا ضحايا سوء التفاهم ٠ وموسى بن نصير الذي زج به في السجن في نظير فتحه الاندلس ومات اتبع ميتة ففقدت الدولة بفقد هؤلاء الرجال وامثالهم جانباً لا يقدر من قوتها واخذت تنحط من ثم هيبتها اما الحجاج فموته في الحقيقة مبدأ افول نجم الدولة الاموية لانه كان يدها التي بها تضرب وعينها التي بها تبصر فانه بعد ان اخمد لهم فتنة ابن الزبير كان والياً على الكوفة واليه ولاية خراسان وكلا المكانين عش الفتنة ومنبع الدعوة الامامية ومع هذا فقد ضبط البلاد وارهب ببطشه المنازعين للدولة والنازعين الى الشغب ٠ واحسن في انتقاء العمال والقواد فامتد ملك الامويين على عهده الى كابل من بلاد الافغان شرقاً والتركستان الصينية شمالا ولو وجد بعده من يخلص من الولاة للدولة اخلاصه و يكون في مثل حزمه وعزمه لطال عمر الدولة الاموية بلا ريب ٠

ولعل نوابغ الرجال يكثرون في مبدإ نشوء الدولة وان كانت هذه النظرية تحتاج الى تمحيص ٠

ومما ساعد ايضاً على اختلال نظام الدولة الاموية تباعد اطراف المملكة بانصار اليهم من الفتح الى عهد هشام بن عبد الملك اذ اتسعت دائرة ملكهم الى ما لم تبلغه قبلهم غير دولة الرومان ٠

فما بين النهرين المعروف بالجزيرة وايران وقسم من الافغان والتركستان والتبت والقوقاس وارمينيا وشبه جزيرة العرب وسورية ومصر والمغرب والاندلس كل هذه الممالك دخلت في حوزتهم واصبحت خاضعة لسلطانهم ٠ وضبط مثل هذا الملك المترامي الاطراف مع صعوبة المسالك والمواصلات لذلك العهد متعذر جداً ولاسيما على امة حديثة عهد في سياسة الامم ٠ ولذا فقد كانت الفتنة في طرف من اطراف

المملكة بين الجنود والامراء المتنازعين على الولاية وتنتهي بقتل وال وقيام غيره وربما انتهت بغلبة المشاغب او المتنازع وضم البلاد الى حوزته واستقلاله بالولاية عليها دونه وفصلها عن جسم الدولة والخليفة لا يعلم ذلك اولا تصل قدرته الى اخماد نار الفتنة في تلك البلاد النائية.

مثاله ما وقع في المغرب في خلافة الوليد بن يزيد سنة سبع وعشرين ومائة اذ تنازع عبد الرحمن بن حبيب من ولد عقبة بن نافع الفهري فاتح افريقيا مع حنظلة بن صفوان والي افريقيا فكانت الغلبة للاول واستأثر بالسلطة على البلاد وبقيت افريقيا مستقلة عن الخلافة الاموية حتى قيام الدولة العباسية.

ومثل هذا وقع في الاندلس وفي بعض الاطراف السحيقة ولا يخفى ما في هذا من الوهن والخطر على المملكة.

ثم ان من الامور الثابتة في الاجتماع ان الدول الحربية الفاتحة لا تزال في افق مجدها ما دامت على جانب الخشونة وما دام الراعي والرعية مترفعين عن الانغماس في الترف والاستغراق في ملاذ الحضارة. وقد عرفنا هذا في كثير من الدول البائدة كدولة اليونان وخلفاء دارا والاسكندر (اي البطالسة) والرومان حتى لقد قال مونتسكيو في تاريخه اسباب صعود الرومان وهبوطهم: ان دخول الروومانيين الى الشام كان مبدأ ضعفهم بسبب ما كان متسلطاً على اهلها وملوكها من الرخاوة والترف.

والدولة الاموية انما هلكت في نفس تلك البيئة التي هلك بها الرومان من قبل وبعد ان حافظت على خشونتها الاولى الى خلافة هشام بدأت في خلافة الوليد بن يزيد المعروف بالتهتك تنحط عن خشونتها التي عرفت بها واخذ الخلفاء من ثم يميلون الى الترف والراحة والاستغراق في الملاذ تبعاً لاحوال البيئة التي نشأوا فيها وهذا بالضرورة كان من الاسباب التي عجلت على دولتهم يضاف اليه انقسام العرب في خراسان التي هي منبع الدعوة العلوية والعباسية الى مضرية ويمانية وتنازع رؤسائهم على الولاية في ابان استفحال الدعوة.

مثاله ما وقع بين الحارث بن سريج والكرماني وبين هذا وقحطبة وبينهما وبين نصر ابن سيار حتى ملت نفوس العرب هذه الحال وسئمت ممارسة الحرب ورأوا انفسهم اتباع ضحايا لقحطان وعدنان تزهق في سبيل المتنازعين على الخلافة من قريش حتى قال قائلهم:

تولت قريش لذة العيش واتقت ... بنا كل فج من خراسان اغبرا

فليت قريشاً اصبحوا ذات ليلة يعومون في لج من البحر اخضرا

لاجرم ان الذي بث روح الشقاق بين العرب في خراسان انما هم اهل الدعوة الهاشمية
٣من علويين وعباسيين والذي انجح قصد ابي مسلم في نشر الدعوة العباسية وقلب الدولة الاموية تواطوءُ سكان البلاد الاصليين عَلَى قهر الامويين وفل عصبيتهم العربية وقد عرف ابراهيم الامام منازع الفرس وعلم ان دولته تقوم بغير العرب من الناقمين منهم وان العرب شديدو العصبة للامويين لاصطباغهم بالصبغة العربية الخالصة فكتب فيما كتب الى ابي مسلم ان لا يبقي عَلَى عربي في خراسان ان استطاع فجعل رجال الدعوة يضربون العرب بعضهم ببعض لان قسماً كبيراً منهم ممن نقم من الامويين قبل الدعوة وصار من القائمين بها العاملين عَلَى تشييد دعائمها تعبداً واعتقاداً ·

هكذا اثمر الغرس الديني الذي غرسه قبل ذلك بقرن ابن سبا واضرابه من الموالي الناقمين من الدولة السائدة واستحال عَلَى العرب في المشرق استبقاء السلطة خالصة لهم دون الامم الاخرى المحكومة منهم وقد جرت سنة الوجود هذا المجرى في كثير من الامم من قبل ·

قال مونتسكيو : اقتضت الحكمة الالهية ان يكون للممالك حدود طبيعية تمسك باعنة الملوك عن تجاوز هذه الحدود وتعدي بعضهم عَلَى بعض ولما تجاوز هذه الحدود الرومانيون اهلكهم البرث اي قدماء الفرس وبددوا شملهم ولما تجاوزها البرث انفسهم اضطروا لاول امرهم للرجوع الى اراضيهم ·

واقول ان العرب اصيبوا بما اصيب به الرومان والبرث وطبائع الاجتماع تعذر اولئك الاقوام عَلَى ما فعلوه مع العرب وحسب العرب ان نشروا بينهم دين الاسلام فلا موءاخذة ولا ملام ولا سيما ان الاسلام يرمي بطبيعته الى محو الحدود السياسية والجنسية بين الشعوب كما ترمي الى مثل هذا مبادئ جماعات السوسيالست او الاشتراكيين او الاجتماعيين لهذا العهد ·

ورب قائل يقول ان هذا الانقلاب اي انقلاب الدولة الاموية الى عباسية لم تكن نتيجته كلها كما يريد اولئك الاقوام المغلوبون للعرب اذ دولة الامويين عربية قرشية ودولة العباسيين ليست كذلك ·

الجواب عَلَى هذا يأتي من وجهين · الوجه الاول · ان امم المشرق لذلك العهد قلما كانت تقدر قيمة الحرية الكاملة لفنائها في وجود زعماء الاجتماع الشرقي او كما قال

مونتسكيو ان أمم آسيا لم يكن ميلهم الى الحرية كميل امم اوربا اليها اليوم اي لعهده؛ ليحملهم عَلَى الخروج من الاسر والاستعباد وانما كان ميلهم الى تغيير الملك ولاصبر لهم عَلَى بقائه طويلاً

وسواء صحت هذه النظرية او لم تصح فانه يجوز لنا تطبيقها عَلَى الامم التي دخلت تحت حكم العرب لذلك العهد باعتبار ان الاسلام جمع بينهم جميعاً فلا فرق عند الفرس وغيرهم ان يكون الخليفة او الملك عربياً او غير عربي ما دام الملك آئلاً الى غير الدولة التي نقموا منها وما دام مصير اكثر السلطة اليهم بعد فل حد العصبية العربية التي كانت قائمة في دولة الامويين متسلطة بقوتها عَلَى كل شيء

وقد كان ما ارادوه بقيام الدولة العباسية التي لم يكن لها من العربية الا الاسم وهي مصطبغة بالصبغة الاعجمية مشتبكة مع العناصر الاخرى بالنسب والصهر مشاركة لهم بمصالح الدولة

هذا الوجه الاول اما الوجه الثاني فانتظار النتيجة الطبيعية لمثل هذا الانقلاب ولو في المستقبل البعيد وتلك النتيجة هي ان اصطباغ الدولة او الامة السائدة بصبغة اهل البلاد يحيلها مع الزمن الى عنصر هذه الصبغة والعكس بالعكس اذ من الشعوب من اصطبغوا بصبغة العرب بعد الفتح فاندمجوا فيهم ومن الشعوب من اصطبغ العرب بصبغتهم فاندمج هؤلاء فيهم وهذا ما وقع لسكان آسيا الوسطى بعد قيام الدولة العباسية ثم سقوطها وقيام غيرها من الحكومات الوطنية عَلَى انقاضها وهكذا رأينا دولة الفرس وغيرها من الدول الاسلامية ديناً المختلفة جنساً قد عادت الى اصلها وهي قائمة الى الآن وستبقى قائمة عزيزة الجانب منيعة الجناب الى الابد ان شاء الله

وهكذا نرى الخلافة الاسلامية التي سالت من اجلها او باسمها تلك الدماء الغزيرة صارت الى غير العرب اليوم وفي دولة هي اعز دول الاسلام مكاناً واجدرها بحفظ بيضة الخلافة ولم يمنع الدين ان تكون اليها الخلافة كما لم يمنع ان تكون فيمن يقع عليه اختيار الامة ورضاها في عهد الصحابة الكرام ولو من غير بني هاشم والتاريخ يعيد نفسه

اما ما يقوله بعض المؤرخين من ظلم الدولة الاموية ويعزى اليه دمارها فمبالغ فيه وما كان منه صحيحاً فهو في نظري ثانوي بالنسبة للاسباب التي ذكرتها وتكاد تكون نتائجها طبيعية وليس من دولة في الارض قائمة بالعدل المحض حتى الدول المقيدة ناهيك بالمطلقة

ومن قال ان دولة الامويين كانت ظالمة وان ظلمها هو الذي جر عليها الدمار فجاهل باحوال الاجتماع او متعصب لدولة اخرى ولو طولب بالدليل على ان الدول التي قامت دولة الامويين على انقاضها كالفرس والروم والغوط وغيرهم كانت اعدل منها لما استطاع اليه سبيلاً

والحقيقة ان الخلفاء الامويين كانوا اشداء على خصومهم دون سائر الناس وكانوا في منزلة من العناية بالرعية والاهتمام بالعدل بين الناس فوق منزلة كثير من الحكومات المطلقة وحسبك ان اشدهم قسوة وهو عبد الملك بن مروان استهل وصيته لابنه الوليد حين الاحتضار بقوله : يا وليد اتق الله فيمن اخلفك فيهم · والشواهد على مثل هذا كثيرة لا يسعها المقام وحسب تلك الدولة فضلاً فتوحها العظيمة التي سودت دين العرب ولسانهم على احسن اجزاء المعمور الى اليوم وتلك الايام نداولها بين الناس اه·

التماسيح المقدسة

اعتاد بعض الآسياويين ان يعبدوا بعض الحيوانات المفترسة معتقدين انها تحفظ في جسمها ارواح من افترست · وما زال هذا المعتقد شائعاً في الهند وفي شبه جزيرة مالقة · والزحافات في الاكثر هي التي تعبد من دون سائر الحيوانات ولا سيما اذا كانت طويلة كالتماسيح المقدسة التي تعيش في الاقاليم ذات البطائح ولكثرة اختلاف الناس الى زيارتها تأنس بهم وتعتاد الخروج من الماء اذا ناداها الكاهن بدون ان تذعر فيناولها قطعة من اللحم وتبدي الدلال والتجني والناس مجتمعون عليها وربما رسموا عليها صوراً ورسوماً · وعند قيل راجبوتانا في الهند عدة تماسيح مقدسة يربيها في قصره وقد انشأ لها غديراً كبيراً تشرب منه وتتمدد فيه ومئات من الهنود يأتون الى زيارتها كل يوم ويتبركون بها ·

تراجع الكثلكة

وضع يوسف كاب الفرنسيسكاني تقريراً في حالة المؤمنين بالمذهب الكاثوليكي وغير المؤمنين به فقال انه يقل القائلون بمذهب كنيسة رومية منذ سبعين سنة وان جماعتها لا يخرجون من دينهم علناً بل لا يعتمون لاوامره ونواهيه فكأنهم بذلك خرجوا ضمناً وان لم يخرجوا علناً · واكد ان من ضعف ايمانهم هم خمسة ملايين نسمة في المانيا واربعة في النمسا والمجر وخمسمائة وخمسون الفاً في اوستراليا ومليونان ونصف في البلجيك وسبعمائة الف في كندا واربعة ملايين ونصف في اسبانيا والبرتغال

واربعة عشر مليوناً في الولايات المتحدة وثمانية ملايين في اميركا الجنوبية وثلاثة وعشرون مليوناً في فرنسا ومليونان وربع في بريطانيا العظمى وستة ملايين في ايطاليا وثلثمائة الف في بلاد القاع · هولاندة · وستة ملايين ونصف في روسيا ونصف مليون في سويسرا اي ان المتخلين من الكثلكة بلغوا ثمانين مليوناً من اصل مائتي مليون ·

المضغ

سأل احدهم الوزير غلادستون وهو في الثامنة والثمانين من عمره ما هو سر طول حياتك فقال له : « انني امضغ مضغاً جيداً كل ما اتناوله من الطعام » وجودة المضغ في الحقيقة من الشروط الجوهرية في المضم وبدونها يختل نظام الصحة · وليس المصابون بسوء المضم في العادة الا اكولين اعتادوا ان يقطعوا الاطعمة ويبلعوها بدون سحقها باضراسهم سحقاً كافياً وما خلقت اضراسهم الا لتمضغ الطعام فيتعبون معدهم ويوسدون لها عملاً ليس من شأنها فيعرضونها للتمرد والامساك والتهاب الاحشاء وهي اسباب الالم فينبغي لهم من ثم ان لا يلوموا فيه الا انفسهم · فتعلم اجادة المضغ من الضروريات للعالم اجمع ومن لا يمضغ يسيء المضم ومن يسوء هضمه يعرض نفسه للمخاطر · وللمضغ قواعد اولاً الثاني فبدلاً من ان يتقضم الطعام قضماً ويخضمه فيجعل لقمة واحدة بحسب الاقلال منه وتجزئته اجزاء صغرى ما امكن وتخميره وتليينه باللعاب واحالته كتلة تجول على اللسان بحيث يسوغ بلعه بدون جهد · وهذا من العادات التي يجب اتباعها وهي لا تتوقف الا على قليل من العناء بادئ بدء وشيء من الانتباه حتى لا ينسى الآكل ما هو آخذ بسبيله ·

وقد قال غلادستون ايضاً : « تكلم قليلاً خلال الطعام او حافظ على السكوت كل المحافظة وعدّ بروية عدد المضغات وهي تختلف باختلاف الاطعمة ولا تبلع الا بعد هرس الطعام هرساً شديداً بحيث لا تحرك ماضغيك فقط بل شفتيك وخديك واذا بدأت تحدق النظر في ساعتك وامعن نظرك في الابرة التي تدل على الثواني · وبعد بضعة ايام تعتاد هذه الطريقة التي يجب عليك المحافظة عليها كل المحافظة »

وقصارى القول ان الواجب احالة الطعام الى حساء اذا مزج باللعاب تتحد اجزاؤه وهذه افضل طريقة لمعرفة ما يتناوله المرء ويذوقه · ومن المعلوم انه يجب بذل العناية اعادة المضغ بتناول ما يوافق المعدة من الاطعمة فلا يؤخذ منها الصلب وما يصعب

خضمه وقضمه والاحسن اختيار اللحوم والبقول الطرية . وما المعدة الا خادمة امينة اذا لم تكلف شططاً وما يكون منافياً للصحة وكم من اناس يعيشون بمعدهم باكراهها واضرارها . وقد اصدر الحكام المسيطرون على مراقبة المدارس الاميركية امراً يوعزون به للمعلمين والمعلمات في المدارس ان يعلموا الاولاد كيفية الاكل ولا يغفلوا عنهم خلال المائدة وان لا يسمحوا لهم بالحياد عن قوانين الصحة وان يضطروهم الى اجادة المضغ وهذه من افضل الطرق التي يجب على المدارس والبيوت ان تحافظ عليها .

كتب التبت المقدسة

اوسع الكتب المقدسة هي على التحقيق كتاب اهل التبت فانه بلغ ٣٢٥ مجلداً والتبت دانت بالبوذية التي اتتها من شمالي الهند نحو القرن السابع للميلاد فترجم علماء التبت في مئة مجلد كتاب ماهايانا المقدس ثم اضيفت اليه الشروح والحواشي على العادة في خدمة الكتب المقدسة حتى بلغ ٣٢٥ مجلداً وفي كل من مكتبة الامة بباريز ومكتبة بطرسبرج ومكتبة لندرا نسخة من هذا الكتاب .

الاسلام في المانيا

انشأت البعثة الشرقية الالمانية في بوتسدام مدرسة دينية لدرس دين الاسلام خاصة وسيكون موضوع المحاضرات التي ستلقى هذه السنة في المدرسة على اللغة العربية والفارسية والتركية وفي القرآن والفقه واصول الشعوب الاسلامية في السياسة وفي الاسلام والشرق القديم وقد اختارت المدرسة ثلاثة من المشايخ لتدريس هؤلاء المستشرقين ما يلزمهم من اصول اللغة والدين .

نقود الورق

بلغت نقود الورق التي يتعامل بها في الولايات المتحدة ٢٤٤٢٠٤٣٤١ دولاراً منها ما قيمته عشرة ريالات ومنها خمسة ومنها عشرون ومنها الف ريال ومنها عشرة آلاف ريال وهي اكبر ورقة وقد ضاع او تمزق من هذه الاوراق النقدية ما قيمته مليون دولار .

صحة الاطفال

قالت مجلة الكورسبوندان : رأت نيويورك منذ عشر سنين ان معدل وفيات الاطفال فيها ٢١٤ في الالف فوفرت العناية بالصحة حتى نزل معدلهم اليوم الى ١٤٤ اي الى نحو الثلث وقد عمدوا الى طرق ثلاثة في هذا الشأن اولها اختيار اللبن الجيد

الطاهر وتنزيه المرضعات في الهواء الطلق والخلاء ومراقبة الحبالى من النساء فكانوا يأخذون المرضعات من البيوت الضيقة القذرة في تلك العاصمة حيث تزدحم اقدام السكان من الفقراء وتضيق بها انفاسهم ويبعثون بهن الى الضواحي ولا سيما الى ضفاف نهر الهودسون والنهر الشرقي والى مستشفيات الساحل ومراكب المستشفيات التي تطوف البحار وتنزه المرضعات والامهات ويعلمنهن مدة تجوالهن دروساً في صحة الاولاد ومتى شعرت ادارة الصحة بان امرأة حامل تحملهن على العناية بصحتهن وعلى الاهتمام بها وذلك قبل ان يضعن حملهن بستة اشهر ·

المنتحرون

بلغ عدد المنتحرين في المانيا منذ تأسيس الامبراطورية الالمانية الى اليوم ٣٨٠ الفاً وقد كثر عدد المنتحرين سنة ١٩٠٧ فكانوا ٩٧٥٣ رجلاً و ٣٠٢٤ امرأة · وفي كل مئة الف من اهل فرنسا ينتحر ٢٣،٨ وفي المئة الف في سويسرا ينتحر ٢٢،٨ ثم تجيء الدانيمرك ٢٢ والمانيا ٢٠،٢ ثم تأتي بريطانيا العظمى وسائر ممالك اوربا بقلة المنتحرين فيها وفي اليابان ينتحر ١٧،٩ في كل مئة الف اما بلاد النروج فمعدل المنتحرين فيها ٥،٥ في المئة الف وهي اكثر البلاد ميلاً الى الدعة وقلة القنوط ·

التربية والدين

تساءلت احدى المجلات العلمية عن كيفية تربية الولد على مبادئ الدين او تركه غفلاً منها واستشهدت على ذلك باقوال المفكرين وعلماء الاخلاق والتربية فقد فضل الفيلسوف تولستوي ان ينشأ الولد على الجهل بتلقينه الدين كما هو الحالة الآن على ان يعلم ديناً مملوءاً بالاكاذيب قال اننا لا نلاحظ هذا الغلط بل ان الاولاد يشعرون به وهذا التعليم يشوش الفكر وقال الين كي بحذف الدين من المدرسة ولكن يجب على الوالدين العقلاء ان يشرحوا لاولادهم التوراة والانجيل وذهب كارل رونجر مذهب روسو في ان الواجب عدم ذكر الله للاولاد حتى اذا شب يصبح مسيحياً حقيقياً واوصى كوبو بان يلتزم الآباء الامتناع عن الاسئلة الدينية ويعلمون ان كل مايحبون الاطلاع عليه من مختلف المعتقدات وينبغي للآباء ان لا يحاذروا اذا سألهم ابناؤهم اسئلة لا يعرفون جوابها ان يقولوا لا ندري لان نصف العلم لا ادري ·

التربية العقلية

اتفقت الآراء على ان الواجب تلقين الطفل مبادئ التربية الطبيعية بتقوية عضلاته والسهر على صحته ونشاطه وتهذيب اخلاقه وتربية عقله وانارته . ووقع الاختلاف بين علماء التربية ففريق يقول ان تربية العقل عبارة عن انارة الفكر وتحسين الذوق وتلقين الادب وحب الجمال والتكمل . وآخر يقول بان الواجب تهيئته لعلم واسع ومعرفة صحيحة . ويقول بعضهم ان الواجب تنمية ذكائه . على ان الذكاء ليس مما ينال بالتعمد وتنشأ قواه بالاسباب بل يتكوَّن من دون ان يبحث عنه ويقصد بالذات مباشرة فينشأ من اسباب عديدة ومن الانتخاب الطبيعي الذي يحيا به الاشخاص المستعدون ومن عمل كل فرد لما يضمن له بقاءه ويحسن عيشه ومن بواعث الحياة الاجتماعية التي تتزايد اليوم بعد اليوم وتتنوع اساليبها . فالولد يبحث من نفسه عما يحصله من المقدمات لعقله فيعرف الاشياء بدون ان تحتاج الى تعريفها له ويفكر ويتأمل من تلقاء نفسه بدون ان نضطر الى ان نحثه على ذلك ويشرع بنفسه في توخي الطرق الى التخلص من مآزق الحياة فتراه اذا فرغ من درسه في المدرسة يعقد له صلات عديدة مع غيره ويبحث في الشؤون بذاته ويهتم بما يجري حواليه وينصت لاحاديث المسنين اكثر منه ويشاركهم في موضوعاتهم ويغتنم كل فرصة ليمد عقله وفكره . واحاديث الأسرات على المائدة وما يتبادل فيها من الافكار بين اهل البيت ويطرق فيها من مختلف الموضوعات في ساعات الفراغ اكثر فائدة لعقل الطفل من كل مايتمرن عليه في المدرسة . فيا سعادة من يكبر في بيئة ذكية وينمو عقله فيها بذاته بمجرد اشتراكه بالحياة العامة وبهذا ثبت معنا ان لاتربية تقوم مقام التربية التي يراها الطفل خارج المدرسة مما يفتح ذهنه ويعوده النظر والبحث والنشاط ويبني ذهنه بما يتوفر عليه من تمرينه المتواصل فيما يحتاج اليه في حياته، ونعني به الذهن العملي .

لاجرم ان تربية الاولاد في المدارس الداخلية لاتخلو من عيوب تتعذر ملافاتها فهي نافعة في تنظيم العمل ومعودة للطفل على الصبر في مضمار الدرس ولكنها لاتفيد الا فيما ينتج جمع المعارف اما اذا كان يطلب منها اعداد ذكاء الاطفال ليحسن به الانتفاع فطلب باطل لما عرف من الفروق بين وجوه الاولاد الداخليين والاولاد الخارجيين

في المدارس فسحة الولد الخارجي اكثر انتباهاً ونظره ابعد مرمى واذا قلّ عمله ودرسه بالنسبة للتلميذ الداخلي فهو انجح في التمارين التي تطلب ذهناً صافياً وعقلاً حاضراً حتى اذا انجز دروسه زمان الدراسة ودخل معترك الحياة يجد نفسه اكثر ملاءمة معها فلا يثقل عليه الجهاد فيها لانه كان اقرب اليها ولم ينفصل عنها كما انفصل تربه الداخلي الذي يكون قضى وقته في حياة صناعية او مصنعة منعزلاً عن الناس بعيداً عن المجتمع اللهم الا اجتماعه مع اولاد من سنه فكيف بعد هذا يهتم بحوادث الحياة الخارجية وبحركة الافكار وبالوقائع العظيمة التي تجري في العالم وتضطر العقول مهما بلغ من اهمالها ان تفكر وتدبر ٠

لا يكاد يصل الى التلميذ الداخلي من حوادث الكون الا المبهم الغامض وما من يحدثه بما يجري في القرب والبعد واني لاعرف تلميذاً داخلياً أُخبر ذات يوم ان روسيا تحارب اليابان منذ اشهر فلم يدهش لهذا الخبر وبذلك تبين لعلماء التربية ان حياة المدارس الداخلية بما فيها من عزلة العقل تخدر قواه واذا قدر لها ان تتمرن ففي ميدان ضيق جداً واعني بها دروس المدرسة فقط ومن اجل هذا نقرأ في وجهه ضرباً من البلاهة ومثال الملل الذي لا يعلل والاهمال وقلة الاهتمام الذي يدخل في حياته نقصاً ومن الاسف ان ذلك اكثر فشواً في الطلبة العاملين منه في الطلبة الخاملين وفي المأخوذين بدروسهم منه في المتساهلين بها فهم الذين يبوءون بسيئات المدارس الداخلية ٠ اما المضار الادبية الناشئة من تربية الاولاد في المدارس الداخلية فمقررة عند علماء التربية فتربية الطفل في المدارس الخارجية هي التي يأخذ منها رأس ماله العقلي وذكاءه العملي الذي لا يتكون الا بدروس الحياة نفسها وما عدا ذلك فباطل ومضر اذا لم يلاحظ ذلك اولاً فالنظر لا يفيد كالعمل بحال ٠

يحتاج الطفل الى معارف حسية لا ليطبقها وينتفع بتطبيقها بل ليتهذب بها فالجهل المطلق في الامور يؤدي الى البلاهة لان الذهن لا يشتغل في باطل لا طائل تحته فالواجب تغذيته اذا أُريد تشغيله والذهن لا يتحرك الا بحوادث تعرض له ومبادئ يتلقاها ولا يتيسر له اتساع العقل اذا لم يكن لديه شيء من المعارف يستعمله وكلما اتسع امامه ما يتراءى الى سمعه تنمو قوى عقله ٠ فالمعرفة حسنة في ذاتها وهي لا تنمو الا على هذه الصورة ٠ نعم ان من الحوادث ما لا خطر له وهو من العقم على جانب ولا غناء فيها لسامعيها ولذلك ليس فيها كبير امر لاعمال الفكر والحوادث الغريبة ذات المعنى المهمة

في ذاتها والوقائع التي تبعث العقل على التفكر هي التي يستفيد منها العقل وتقع على التصور وتهز الفكر الى الحركة . وبديهي ان درس الحوادث التاريخية العظيمة هي اكثر اشغالاً للفكر من الحوادث الصغيرة في التاريخ الادبي ولا شبه بين المادة العقلية التي تستخرج من معرفة قاعدة نحوية وبين المادة التي تؤخذ بدراسة قانون الجاذبية . ولقد لاحظ كويو ان من المعارف ماهو باطل متعب للذهن اذا دخلت اليه تحدث فيه فراغاً ولا تملأه بشيء

فالواجب في مثل هذه الحال ان يترك الطفل منذ نعومة اظفاره يتمتع بشيء من ارادته ليمكن نموها بالتدريج ويجب ان لا يلاحظ الدرس على الدوام ويفرض على الدارسين حتماً . فقد قيل ان لاشيء يعادل البحث الشخصي للوقوف على الاشياء . فالمرء يحفظ ماوقع نظره عليه اكثر من غيره وما نظر اليه بمثابة لان ما اكتشفه بذاته يستغرب به غالباً فالتمرين على الملاحظة الشخصية هو من الاسف مما يصعب في المدارس . يجب ان تترك للتلميذ بعض حرية في اختيار ما تتجه اليه رغبته من الدروس وان يزاد من شرح الموضوعات التي تهمه اكثر من غيرها وان يصرف من وقته كمية اكثر في الدروس التي يتذوقها اكثر من غيرها فقد جرت عادة المدارس ان تترك دراسة بعض المواد لاختيار التلميذ وهذا من شأنه ان ينوع العاملين ويجعل حرية للطالب ولا بأس بان تجعل للتلميذ حصة من اللعب في كل درس يراد منه العناية به فان التربية العقلية لا تنتج النتائج الحسنة الا اذا حثت نشاط العقل وجعلت منه له دافعاً وحيثما فقدت الارادة يفقد الفكر لا محالة .

وترك التلميذ وما يختار من انواع المطالعة من اعظم ما يثقف عقله فهو اذا أغرم بالمطالعة يتلقف بدون عناء معارف غريبة في تنوعها فاذا كلم غيره كلمة يدهش سامعه من الامور التي يعرفها ويتساءل كيف تعلمها ولم يتعلم ذلك الا في كتاب وقع اليه عرضاً فتصفحه مأخوذاً بما حواه واعياً ما اهمه من موضوعاته والقارئ في قراءته لا يتلقف حوادث بل افكاراً فتكون له صلة فكرية مع ارباب العقول السامية و يسير على مناحيهم ماوسعته الحال بحيث يحاول ادراك كل ما يمر به فان كل ما يمكن ان يعمل لتربية ذوق الطفل وتعويده المطالعة يساعد كل المساعدة على تقدمه العقلي ومن اقتصر على كتب الدراسة افقر عقله وافتقر ذهنه .

وكما ان تحصيل المعارف ضروري فمن اللازم ان يكون للمرء ذاكرة جيدة فمن يتعلم

سريعاً وجيداً بعد ولا جرم من اهل السعادة وان الرأي الشائع بان جودة الذاكرة وجودة الذكاء لا يتفقان لاحد هو من الآراء التي لاسند لها يرجع فيه الى البحث الاكيد لان معظم نبغاء البشر كانت ذاكرتهم نادرة فاذا كان في المكنة تحسين الذاكرة بتمرينها فالواجب ان لا يقصر فيه على ان في الذاكرة شيئاً لا يتيسر ترقيته بالتمرين واعني به قابلية الاستظهار واذا صح بان من الممكن تنميتها فلا مانع من اعطائهم دروساً يستظهرونها ويسمعونها على اننا لا نرى التلامذة بعد دراسة سنين يستسهلون التعلم اكثر من يوم بداءتهم فان حاسة التذكر بالاشياء هي من الاستعدادات الفطرية تولد مع المرء وتنمو بسرعة فائقة وتبلغ غايتها في سن الثانية عشرة ثم تنحط كلما تقدم المرء في السن فما النفع ياترى من تمرين الذاكرة ؟ ان بتمرينها يحمل الى عقل الطفل معلومات مقررة وتذكارات بنصها يحتاج اليها ثم تنمي فيه حاسة الانتباه وهو جماع الربح الذي يستخرج منه فتمرين الذاكرة هو اول جهاد عقلي واول عمل ذهني يطلب من الطفل فهو يحثه ويحمله على ان يحصر افكاره في موضوع معين وهذا يشبه كل الشبه ماينبغي له بعدُ من إعمال الفكر متى طلب منه ان يفكر وحده مختاراً ولقد يتعذر عليه الافتكار اختياراً بدون تمرين عقلي حازه بتمرين ذاكرته . فتسميع التلميذ ماحفظ في صفه هو في محله فبالتمرين تقوى الذاكرة . والغاية ان نجعل من الولد انساناً يفكر لا ببغاء تتكلم . والمعرفة لا تغذي العقل الا على شرط ان تتجانس اي ان تتحول ويتخذها العقل في اساليب جديدة عقلية وان من خواص تذكر النصوص ان تنقل الينا الافكار متوسعاً فيها في صورة مقررة ومتى تأملنا من جديد في الامور التي استظهرناها لا يسعنا الا ان نكرر كلمة كلمة العبارة التي حفظناها فتدخل في تضاعيف فكرنا من تلقاء ذاتها كأنها استشهاد بسيط ليست ذات قيمة عقلية ومتى امتلأ رأسنا من هذه الصور والعبارات التامة الصياغة هل نصوغ نحن اكثر منها ؟ فان مايقتضي لنا لتأليف بعض الافكار الخاصة هو ان نحيط علماً بالمسائل في ذاتها وان نقتبس مافيها من الفكر بقطع النظر عن حرفيتها . ولا يتأتى الا نقل النص ولكن اذا كان للمرء امور يعرفها يزيد عليها اموراً حديثة فانا اذا حفظنا فكراً ونسينا العبارة التي عبرت عنه نبدأ من تلك الحال في الابداع بالفكر .

فالفكر مَرِنٌ للغاية وهو العقل الفعال له في ذاته قوة التمدد تهيء له سبيل التوسع الى ماوراء الغاية وفي صور مختلفة فاذا انتقل من عقل الى آخر يصبح كأنه فكر آخر جديد ويكون كأنه ملك قائله وهو ابو عذره ولا يعبر عنه باسلوب واحد . اما العبارة التي

تستظهر فهي زهرة من مجموع اعشاب يابسة جافة متمددة والفكر الذي يبرز من الذهن كالبذرة التي تنمو و يكون منها زهرات حية فالواجب اذاً تقوية الطفل على حفظ الاشياء التي يكلمونه عنها اكثر من الاسلوب الذي تعبر به . يعلمونه المعاني اكثر من الالفاظ وهذا مايجرون عليه في بعض الدروس مثل درس التاريخ مثلا فانه مطلب من مطالب الذاكرة ولكنه يتطلب ذكرى الحوادث لا الصور التي عبر بها عنها . وفي هذا المعنى يليق توجيه الذاكرة وتربيتها ومن اجمل التمارين ان يقرأ الطفل العبارة طويلة كانت او قصيرة بحسب تقدمه العقلي وان يسأل بعد ذلك عما تعلمه وبهذا يتأكد فيما اذا قد فهم المعنى لاول نظر وانه انتبه الى الافكار الرئيسة وانه حفظها متسلسلة ويبين له على هذا الوجه ماهو التعلم بفهم وذلك بدرسه مفكرات عقلية في موضوع يتلوه الانسان وبهذا ترقى في التلميذ جودة الذاكرة التي لاتكتفي بجمع المسائل بل تميز بين مايمكن ان ينفعها وتختار اجودها وتطرح العرض منها وتبقي على الجوهر . يجب ان يصل الفتى الى ان يطالع كتاباً برمته ، و يستظهر منه الضروري مما يحوي .

ومما يحسن ايضاً تمرين الطفل بالاسئلة المتوالية على ان يغترف في الحال من ذهنه ماهو في حاجة ماسة الى ذكره . ولا يكفي ان يكون العلم مكنوناً في ذهنه كالكتب المركومة في صندوق بل ينبغي ان يكون كل حين تحت الطلب و ينتفع بها و يعثر عليها في الوقت المطلوب على ايسر وجه . فالتلميذ الذي لم ترب ذاكرته في هذا المعنى بتمارين خاصة لايكون ماوعاه من الافكار الا هاجعاً نائماً صعباً على الانبعاث لاتجيبه عند الدعوة وتستعصي عليه ابان الحاجة . ضع للتلميذ سؤالاً في المسائل التي تغلب عليه معرفتها يرئيك ولا يذكر الجواب وليس هو في متسع من الوقت يستخرج فيه من اعماق قلبه ماسبق له وعيه . سله ان يورد لك بعض الامثلة من اكثر المسائل تداولا فلا تكاد تأخذ جواب مسألة او اثنتين الا بعد اللتيا والتي فعلمه غير حاضر معه . وهذا من العيوب المؤسفة جداً ولا سيما في الحياة العملية التي يجب للمرء حضور ذهن ليتخلص من المآزق وينجو من المضايق . فذاكرة الذكي والحالة هذه هي التي تورد في الوقت المطلوب مايطلب اليها ايراده . لاجرم ان هذه الخاصة من الخواص التي تولد مع المرء ولكن يتيسر تنميتها بالترويض والتمرين .

ليست المخيلة من القوى التي تطلب لجمالها بل لها منفعة خصوصية على اننا يجب ان نكون على مثل اليقين بانها لاتقوى بدون ذلك فبالمخيلة يتيسر لنا ان نسبق تفكرنا اعمالنا

وبها نطلع عَلَى الاحتمالات المختلفة في المستقبل فهي ضرورية لانسان ذكي . تجد المخيلة عند معظم الاولاد حادة للغاية فهم يحبون ان يتمثلوا الاشياء في اذهانهم ويجعلوها مسلاة لهم بل لهواً ولعباً فيخترعون من انفسهم صوراً ليتلذذوا بالنظر اليها في باطنهم وكل فرصة تمكنهم من استخدام هذه القوة وترويضها يفرحون بها ويسعون للقيام. وهذا التبسم من التربية العقلية يسهل عليهم لانها مستميلة لقلوبهم جامعة لاهواء نفوسهم وبهذه الطريقة يتق المؤدب من حسن الارادة من يؤدبه . لابد للتصور بادئ بدء من مواد يقتنيها ومن المعلوم انه مهما بلغت حاسة الاختراع فينا لانتمكن من الابداع العقلي الا بصور ننتزعها من الحقيقة فكل مافينا من ارادة يكتفي بتحويله قليلاً وترتيبه عَلَى صور متنوعة فنحن لانستطيع ان نتصور امراً اذا لم يسبق لنا رؤية مثال منه . والاقوال مهما بلغ من سلطانها عَلَى نفوسنا لانكون الا الى العجز في ادراكنا امراً اياً كانت منزلته اذا لم تذكرنا بشؤون من عالم الحقيقة يتأتى ادراكها مباشرة

فالواجب اذاً تزويد الطفل بتصورات عقلية واسعة المادة . أره كثيراً من الاشياء تجلب بها دهشته وربما لاتجد منه ارتياحاً الى ما انت ملقنه اياه ولا اطمئناناً الى ما تحسنه له فهو يختار بذاته مايهتم به . ضع امام عينيه صوراً ورسوماً ولوحات واعمل عَلَى ان تكون كتب درسه طافحة بالرسوم وهكذا اذا تزود بصور شتى مصنوعة وتصورات وتذكارات يستطيع ان يعمل بذاته ويؤلف من عنده . اما نحن فلا يعنينا امر خياله اذ هو حر فيها وهي من خصوصاته فانا نراه اذا ترك وشأنه ينسى العالم الحقيقي فيجعل له من ذاته عالماً يجول فيه خياله ويرى مدهوشاً في مضيق الصور الباطنية . فتصوراته مهما بلغت درجة غرابتها ومهما كانت طفلية فهذا ليس من شأننا معه .

بيد انه لايكفي المخيلة ان تعمل بل الواجب ايضاً ان تنعلم عَلَى العمل وهنا تبدأ مهمة المربي اذ يقضي عليه ان يحول هذه الحركة في الفكر الى انحاء تزيد في ذكائها وبعد ذلك تدعو الضرورة الى تمرين الذهن عَلَى اسلوب حسن فهو جزء من التربية التامة ومن الخطر ان لايفكر فيه . وقد رأى بعض ارباب الافكار القائلين بتلقين المحسات (المحسوسات) بان الانسب تدريج عقل الطفل عَلَى النظر في الحوادث المقررة المقيسة الحقيقية اي تربيته تربية علمية صرفة والا تتضعف قواه المفكرة لقلة المران ويتكون عقله ناقصاً او ان يعمل بنفسه ويضيع في الخيالات الغريبة لقلة الملاحظة . فالاحرى اشغال الذهن اكثر من كل شيء . ولا سبيل الى التأثير في الذهن الا بالكلام والمطالعة

ومتى قرئت للطفل مثلاً قصة جميلة تأخذ في الحقيقة بمجامع قلبه وتستهويه وتضطره الى تأليف بعض الصور .

وينبغي للمربي ان يلاحظ فيما اذا كان الطفل الذي يعلمه خاضعاً لما يجيبه الى نفسه ولا يعنى بما يلقيه عليه . ينبغي ان يحقق نظره منه المشهد الذي تقصه عليه فانت لا تعطيه في الحقيقة الا بعض الدلائل وبها يقضى عليه ان يكمل الصورة باجمعها وبهذا يتهيأ امامنا التمرين الاول الذي نركبه او يعدنا الى التركيب وهو يتطلب من الفكر شيئاً من البديهة والارادة . اذا كانت المطالعة في موضوع يستدعي التصور والتفكر فيكون فيه تنشيط الخيال وتوجيهه نحو وجهة معينة حرة وبفضل الاتجاه الذي يوليه للعقل يدرك صوراً اجمل واكثر تنظيماً مما يستطيع ان يخترعه بذاته وبفضل الحرية التي يطلقها له تكون مهمته محببة الى النفس خفيفة عَلَى الطبع .

هذا هو الربح الذي تستخرجه المخيلة من التعليم الادبي ومما لا يخلو من الفائدة ان نبين كيف يتأتى الانتفاع في هذا المعنى بالتعاليم العلمية التي ترمي الى تحصيل المعارف اكثر مما تقصد الى تهذيب العقل وهذه التعاليم تشغل المخيلة ولكن لا مباشرة . فكل تعليم وصفي او نقلي فيه بحث عن المجردات يضطر المرء الى ان يتمثله . هكذا الحال في العلوم الطبيعية والجغرافية الوصفية والتاريخ . فقد ادرك العالمون ان هذه التعاليم يجب ان تعرض اولاً في صورة مجردة بان ترسم ما امكن امام عيون الطفل الامور التي يتكلمون عنها او يصورونها له للوصول بعدُ الى المجردات والعموميات . فان قصة تاريخية يمكن ان تؤثر في المخيلة نفس التأثير الذي تؤثره رواية فاجعة اوقصة عادية اذا كانت مؤلفة بخيال واسع .

وبعد ذلك تأتي التمارين المؤلفة تأليفاً خاصاً اي التي يحاول التلميذ الاختراع فيها . انا نريد اعداد مخيلات عاملة مستعدة للتوليد لا ان نكتفي بان نعيش ابداً من رأس مال الغير فالواجب اذاً تمرين الطفل عَلَى التأليف بنفسه . ويجب ان يعنى بان تكون هذه التمرينات بالطبع متدرجة في الصعوبات مبتدئة بشرح مادة تعطى له الى ان تبلغ حرية الاختراع . ومما ينفع بيان مزية هذه التمرينات في التأليف من حيث التربية فقد اغرق من قالوا بابطال الطريقة القديمة في التأليف واليوم انتصروا من التمرين عَلَى التأليف عَلَى التقدر الجزئي وقد ظهر من مناقشات حديثة ان بعض المربين شرعوا يدهشون من هذا القصور فقد كان من معايب الطريقة القديمة انها تقود التلميذ خاصة

الى التوليد الادبي ومن حسنها انها تترك مجالاً واسعاً للتمرينات التي يستطيع بها المرء ان يبرهن على مقدرته العقلية فهي من ثم محرض قوي نافع العمل و بها يجب علينا ان نفكر فما احرانا ان نغير وجهة الدروس لنجعل التلامذة اقل عناية بالادبيات منهم بالعلميات على ان لانضيق نطاق التمرين العقلي والتأليف والاختراع

تجب العناية بالرسم لما فيه من المزايا في التربية فالرسم اذا ادركت حقيقته ووجهت وجهته نحو التربية العقلية يساعد كل المساعدة على ترقية المخيلة فهو يعلمنا النظر الى الاشياء بذكاء و يقوي فينا حاسة التمثل والذاكرة المصورة والمخيلة المبدعة . واذا أريد استخراج المنفعة الحقيقية المنتظرة من هذا التعليم فالواجب التمرين عليها . ولقد ضل من علماء التربية من جرد تعليم الرسم من كل نظر للطبيعة ومن التطابع على الاختراع فما كانوا يرمون الا الى اعداد ناسخين جيدين واي فائدة لتعليم الرسم اذا لم تتحرك المخيلة

لتعليم اللغات مقام رفيع في طريقة تدريسنا وليس هذا بعجيب فان فهم الانسان للغته واجادة الكتابة والتكلم بها هو من اثمن المساعدات للذهن . ومعرفة اللغات الميتة يفتح امامنا ميدان الفكر القديم كما ان معرفة اللغات الحديثة ضرورية لتتبع حركة الفكر الحديث . فباللسان يجد الفكر ما يعبر عنه فهو اداة من الالفاظ تتقدم وتتأخر على الدوام منها الى الفكر ومنه الى الالفاظ وتتطلب فكراً عاملا ابداً . ولا عجب من ثم اذا صرف وقت طويل في التعليم المدرسي من حيث تنمية القوة الشفهية فان هذا الاهتمام في محله والواجب ان يعنى فقط بان تكون هذه الدروس بحيث يستخرج منها الشبان اعظم المنافع العقلية

وهنا نبدأ اولاً بالكلام على التمرين الذي يذهب العقل فيها من الالفاظ الى الفكر فمن اول الدلائل وادلها على بيان ذكاء الطفل ان يفهم ما نكلمه به واذا كان لا يفهم معنى الكلمات وكان من الصعب علينا الا قليلا ان نشرحها له فيجب عليه ان يحرزها وهو استدلال يستلزم منه ان يكون ذا ذكاء مدهش و بعد ان يتقدم فيه تعليم اللغات يصبح معنى الكلمات المستعملة مألوفاً له ولا يتعب فهمها ذهنه بل تكون له مفهومة بذاتها بدون ادنى تعمل ويبقى عليه دائماً الفاظ جيدة وتراكيب جمل غير عادية ليدرك معانيها وكلما نظر درساً جديداً يجد امامه مادة خاصة من الفاظ تقف امامه بعض الشيء . فنحن في مطالعاتنا نعثر كل ساعة على جمل لا تفهم لاول وهلة وبعض الافكار لا يتأتى ان يعبر عنها بصورة

واضحة وتعابير مستعملة . ومهما بلغ من استعمالنا اللغة والذكاء فلابد في شرح صورها الشفاهية من درجة خفيفة لا يرقى اليها المرء الا بمحاولة الفهم . وهذا الجهد نافع للعقل ولذلك كانت اللغة التي نريد اقتباسها زمان الدراسة غير مألوفة لنا كل الألفة وكان درسها عبارة عن تمرين عقلي حقيقي .

وبهذا النظر لانرى بدأ من التوصية باستعمال الترجمة فانها في الحقيقية احدى الرياضات المدرسية الدالة على فرط الذكاء فيضطر الولد فيها ان يفرض عدة وجوه للمعاني الكثيرة التي يحتملها النص وتمييز اوجه الشبه بينها ويستخرج من مجموع معنى الجملة المعنى الخاص بها الذي يجب اعطاؤه لكل كلمة فيتمرن على هذه الصورة ذكاؤه وعقله . ولافرق بين ان يكون هذا التمرين بلغة حية اوميتة ويجب ان يلاحظ فقط ان الطريقة المتبعة في تعليم اللغات الحية مباشرة ترمي الى ترك التمرين على الشرح والترجمة . وهذه الطريقة سامية من حيث العمل ومهيأة التلميذ باسرع مايمكن لاستعمال اللغة ولكنها قلما تمرن العقل فيجب ان يفكر المربي في التعليم بهذا التمرين الحسن او بما يعادله على الاقل

وان استعمال الترجمة والشرح ليمكن حتى من لغة المرء الاصلية فان معنى شرح عبارة هو حل معناها الحقيقي وترجمتها الى لغة شائعة وبذلك يتعود المرء على ماهو لازم له من جودة النظر في الكلمات فلكم رأينا مناقشات قامت خاصة على ما احدثه سوء التفاهم في اللغة فانا ندخل في براهيننا تعابير مبهمة اومدرسية تكذب فكرنا اوتمنعنا من ايضاحها كل الايضاح

وهناك تمارين اخرى تقودنا من الفكر الى الالفاظ فاننا نحاول ان نوجه للتعبير عن فكرنا لفظاً مستعملاً واطالما دهشت من الالفاظ الكثيرة التي يقتدر التلميذ الصغير على الافصاح بها عن افكاره بدورات تدل على حذق وبتقليل من الالفاظ . حتى ان محاولتنا التعبير عن افكارنا مما يفيدهم . ومن النادر ولا سيما عند مانفكر في مسائل قليلة الصعوبة ان نكون على استعداد مما نقوله قبل ان نبدأ في الكلام فالفكر يبقى منتشراً مشوشاً وهو على سهولته في حيز القوة لايخلو من ابهام اذا اريد اخراجه الى العمل ومن المحتمل كثيراً انه يبقى في هذه الحالة المختصرة اذا لم نبحث عن طريقة ابانه وتكميله بالتعبير عنه فالفكر لايتم الا بالجملة

فالواجب والحالة هذه تمرين طلبتنا على التكلم وسؤالهم على الدوام وتمرينهم على الافصاح عما يجول في خواطرهم ببيان رائق وهذا احسن واسطة لتنبيه عقولهم حتى في

خلال الدرس فانهم اذا لم يكونوا الا سامعين لما يلقى عليهم لا يلبثون ان يكونوا خاملين غير معتنين بالدرس . ويتيسر للمعلم اذا تكلموا ان يستدل على انهم في حالة يعملون معها اذهانهم ويستعملون قواهم العقلية فانت ترى تلامذتنا الذين اعتادوا ان لا يفكروا الا والقلم بايديهم مرتبكين في الاحايين التي يحتاج فيها الى حضور ذهن . وليس معنى هذا ان يجعلوا خطباء بل ان يمرنوا على التعبير عن افكارهم حتى امام الجمهور بدون ارتباك ولا غموض . فالتمرين اللفظي يضطر الى التفكر بسرعة وايجاد تعبير للفكر الذي يعرض في الحال فهو يقوي الصفات العقلية التي تجعل المرء عاملاً .

التمارين المكتوبة ترقي الانتباه لتأليف الكلام في اوقات الفراغ وتمكن صاحبها ان يعمل بعقله عملاً متتابعاً ومن التفكر طويلاً وتضطره الى ايجاد بعض الافكار في موضوع معين وتنظيمها والابانة عنها احسن ابانة في حين ان التمرين اللفظي يعلم استخدام الذكاء . فالتمرين الكتابي هو العمدة لترقية العقل في الاكثر والمرء يتعلم التفكر اذا اخذ يكتب . فالصور والحقائق تسير دائماً جنباً الى جنب في الاشغال العقلية . انشاء الكاتب وفكره متلازمان حتى انك تشك في التآليف الرديء الانشاء فيما اذا كان فيه خطأ في الفكر فاذا كانت الجملة رديئة التركيب مشوشة الاساليب يستحيل ان يكون الفكر واضحاً على نسق متتابع . فاعمل اذاً بكل مافينا من قوة الى تحسين انشاء تلامذتنا فاننا بذلك نربي عقولهم . ومن اعظم الخدم التي نخدمهم بها ان نعلمهم لغة فصيحة ثابتة صريحة لان صحة عملهم العقلي موقوف عليها . يقولون ان للغة الفرنسية هذه الصفات الى درجة امتازت بها وحقيق مايقولون . ان الاداة حسنة فعلينا ان نعلم الفتيان كيف يحسنون استعمالها . منذ بضع سنين اتى لى اللغة الفرنسوية بحران غريب اوشك ان يفسد اللغة واعني به كثرة الكنايات والاستعارات والظاهر الآن ان هذا الوباء قد كاد يضمحل لولا اننا لم نبرح نعثر على بقايا من هذا المرض في لغة بعض معاصرينا من الكتاب لا يستقل بعددهم . اما نحن فندعو الى الوضوح في العبارة وانت ترى اي معنى يجب ان توجه اليه وجهة التمرين على الانشاء للانتفاع منه انتفاعاً عقلياً ولا ينبغي النظر الى الصور الجميلة بل الى الصفات العقلية . فنحن في مبحثنا هذا لا نرمي الى ان نخرج ادباء بل الى تربية ذهن الطفل بتمرينه عَلَى الافصاح عن افكاره بذكاء .

وها قد وصلنا الى التمرين الذي يقصد به تربية الفكر فانه لا يكفي حث الدماغ عَلَى العمل بكل الاسباب الممكنة فيمكن ان يفكر المرء كثيراً وتكون مادته فائضة ابداً

ولا يكون الا متوسط الذكاء وكل هذا العمل في الدماغ يجب ان يكون منظماً منسقاً متجهاً الى وجهة واحدة ولكل جهاد فكري غاية والمطلوب ابداً ايجاد شيء من تقرير حقيقة او البحث عن احسن واسطة لتحقيق غاية فالواجب من ثم ان نمرن عقلنا على العمل بصورة نافعة ٠

يميل الطفل الى التفكر لهوى في نفسه يلتذ به فيفرض كيفما اتفق قضايا لا يتعب نفسه في مراقبتها ولا يهتم في الحقيقة لدلالتها وبهذا يبقى كثير من الناس طول حياتهم في حكم الاطفال ٠ وان المرء ليعجب ان يرى اموراً تثبت باقل نظر بمجرد المناقشة فيها والخوض في الاحاديث خوضاً عادياً فالواجب العمل على ما يخالف هذا الميل منذ الصغر بالجري على نظام عقلي حسن

وان حكم الطفل على الاشياء ليصحح خلال الحديث كما خالف الواقع فمن خصائص عقله ان لا يميز الوقائع والحقيقة فالواجب ارجاعه اليها فكل فكر ناقص هو حكم متهور اذا وضع على محك النظر لا يلبث ان يكذب بالبحث والنقد فالواجب اذاً الرجوع ابداً الى الحقائق ويجب ان لا يفوتنا الاحتراس من ان الاوهام في الاحكام تصدر في العادة من نقص في الاخلاق لا من ضعف القوة المنطقية فيحكمون على الامور التي لا يحق لهم ان يبتوا فيها حكماً لا لان العمل العقلي الذي يصدر به الحكم سيء الترتيب بل لقلة اهتمامهم وخفة احلامهم ونقص في استقامة عقولهم ٠ وعلاج ذلك ان يشعر الطفل بما في كل قضية مهما كانت من الامور الجدية ابداً وهناك تدخل التربية العقلية كما ينتظر في التربية الاخلاقية

والواجب ايضاً تربية قوة التعقل فان بعض قضايانا ليست مستخرجة من التجربة مباشرة بل هي مستندة الى آراء أخذت من قضايا سابقة ففكر يولد لنا فكراً آخر ونتوسع في تأكيده واثباته وما جودة الاحكام الا ان يكون المرء تسلسل في افكاره لا يناقض احدها الآخر بل ان يعضد اولها آخرها فيتألف منها مجموع متماسك الاجزاء ٠ انا نستطيع ان نعود اولادنا على صحة الحكم وذلك باشراكهم معنا في الحوار والمناقشة معلنين لهم نقص تصورهم بان نعيد افكارهم الى الطريق السوي متى حادت عنه ولذلك ألف مناسبة للاشراف على عقل الطفل في الحياة اليومية او اثناء الدرس والتعليم

وانا اذا سما بنا النظر الى ترقية التربية العقلية اكثر مما هي الآن في اسقاعنا ليجب علينا ان نجعل في المدارس تمرينات خاصة لتربية القوة العاقلة ودروساً في المنطق العملي ٠ وليس في طريقة تعليمنا اليوم شيء مما يشبه هذا فانا لا نعلم التلاميذ المنطق

الا في اواخر مني الطلب وبعض القواعد المنطقية الصحيحة التي يدرسونها على هذه الصورة هي سطحية مبتذلة قليلة التطبيق في العمل ويكاد يكون نفعها في التربية القملية قليلاً جداً .

لاجرم ان المربين يستندون على تلقين العلوم المجردة للطفل لترقية القوة المنطقية في عقله ولكن في الرياضيات والهندسة صورة قاسية من تقوية العقل وهذه القسوة فيها تجعل هذه الدروس قليلة النفع ولذا لا يسهل كثيراً الفرق بين تقوية العقل على طريقة جيدة او رديئة فلاتقاء السفسطات والامور المخالفة للمنطق نحتاج الى دقة وحذاقة اكثر من احتياجنا الى ذهن يعي الهندسة . وكل منا يعرف ان المرء قد يكون مهندساً بارعاً ويكون حكمه بعيداً عن الصواب في جميع المواد الاخرى . وهل معنى هذا اننا ننسب لدرس العلوم المجردة قلة غذاء في التربية على حين نتوقع نحن منها نفعاً عقلياً كبيراً يخالف مايراه بعضهم كل المخالفة .

فكل تمرين للطفل نافع لما يتطلب النظر فيه من الجهد والتعمل . فاي مقاومة خاصة يقضي على دارس العلوم المجردة ان يتغلب عليها واي حاسة تمرن بها ؟ فان هذه العلوم متى فهمها المتعلم وادركها يقوم له البرهان عليها والصعوبة الاولى في الاهتداء اليها وفهمها وللنجاح فيها يجب ان يكون صاحبها اهلاً لان يجعل لافكار المجردة كل التجرد قريبة من العقل ما امكن وبيان الصلات بينها بمعنى انه يتوصل الى ان يلاحظ عليها ملاحظة حقيقية . يجب ادراك مابين المسائل الكثيرة من الارتباط في النظريات التي قد تحدث ولا تتسلسل وفي مثل هذه المآزق يستدل على فلسفة العقل وقوتها . وانت ترى ان الصعوبة في بلاغ الذهن الى تلك المجردات لتحقيق هذه الاعمال العقلية ومن هنا نشأ الجهاد والتعب وفي هذا التمرين الحقيقي فائدة العلوم المجردة هو تمرين العقل على المجردات

ان التعلم على سهولة مأتاه في المجردات والترقي بالتمرين المتصل الى مجردات اعلى منها هو ارقى انواع التهذيب العقلي وبدون افكار مجردة لانجاوز معدل الذكاء الحيواني ولا نفكر الا بصور خاصة كنحو مايلزمنا في حياتنا اليومية . في حين ان جميع الاعمال العقلية ذات الشأن والتشابيه المركبة والعموميات والتصورات الصعبة كلها بنت المجردات وربيبة النظر فمعنى ادراك الافكار المجردة الاستعاضة عن الفكر الحقيقي المرتقي في تصوير الاشياء بفكر هو في حيز القوة يستعمل كما لو كان راقياً . والعقل الممرن الصريح المعتاد على التفكر

في الامور المجردة يشعر من نفسه بهذه القوة ويقودها ويكتفي برسم الاعمال العقلية بدون ان يقوم بها بالفعل فينشأ من ذلك تخفيف عن الفكر يشبه ماحدث من نوعه عندما استعاض تصورنا عن الاشياء الحقيقية بصورة بسيطة من هذه الامور . وبذلك تنمو قوة ادراكنا ونظرنا في العواقب نمواً مدهشاً ونعمل اعمالاً مختصرة بدون جهد اعمالاً يتجاوز ارتقاؤها طوقنا وذكاءنا . وعلى هذه الصورة يرتقي العلم بان يدخل افكاراً مجردة في افكار مجردة اعلى منها ويوجد طرقاً اقرب الى الجادة لحل المشاكل تتطلب حلاً ماهراً وبذلك يسمو المرء الى نظر الى في مجموع مايعيه والى المدركات الواسعة فذكاء المرء يمكن ان يقاس بما فيه من قوة على اقتباس المجردات فانا نرى الطريقة التي يفرض اتباعها واضحة امامنا فيجب ان يسري تعليمنا من الاعيان الى المجردات لا لان للعقل ميلاً الى الجري على هذه الصورة بل لان هذا هو الطريق الوحيد لبلوغ الارتقاء العقلي . نعم اننا بذلك نكثر على العقول الفتية من الجهد وربما خيف من ان تتجاوز مثل هذه التمرينات القوة التي خصصت لها ولذا نرى من اللازم ان يجرى على سنة التدريج في ايراد الصعوبات

فان ذهن الطفل لا يتأتى ارتقاؤه الا بالتأني من سنة الى اخرى باجتياز محطات تناسب تغيرات نموه الطبيعي ولا بتقاضي زيادة عما تحتمله سنه . ولا يعدم احد منا امثلة على هذه التربية الخرقاء من تحميل الطفل الذكي فوق طاقته بجهل والديه او مربيه فيدفعونه الى مايجب ان يحموه عنه ويعودونه الشدة في التربية حتى تنهك قواه فيقوى عقله قبل الاوان لكثرة مايحملون اليه من المحركات ولكنه قد يضل ثم يقف هذا الارتقاء عن جريه ويظل الطفل وسطاً في حياته . الا فلتمتنع من كل طريقة في التربية تكون الى الشدة وتظهر منها نتائج خارقة للعادة لقاء عياء اكيد يصيب الطفل ولنعمل على العكس مايضمن للطفل استمتاعه بقواه كما نريد على النحو المستقيم وان نطلق سراحها خلال الدرس حرة في موازنتها الطبيعية والادبية .

وبعد فان الواجب تقوية الذكاء على صورة معتدلة ويمكن تقويته بالارث لان رقي الدماغ الذي يتمتع المرء بصحته الطبيعية من شأنه الانتقال بالوراثة . الذكاء امر نافع وكل من يرى الارتقاء العقلي الذي بلغه البشر بالعمل فكان اثمن هبة حصل عليها وتحدثه نفسه ان يبذل كل مرتخص وغال لترقية الذكاء البشري درجة اخرى وما اقلنا نفس اذا رأينا الجيل المقبل ارقى منا في منازعه بما نعنى به من تلقينه تربية ارقى من تربيتنا

نحن لانغالي في آمالنا ونعرف مايتطلبه النشوء الاجتماعي لادخال التكامل على عنصر من السذج البله وان المرء بذاته لايتحول على ايسر وجه وان الارتقاء العقلي الذي يتأتى لنا ان نرجوه من التربية الحسنة هو محدود بالطبيعة . فالطفل يولد على شيء من الذكاء قل او كثر بمعنى انه يكون ذا مزاج معتاد في رقيه فترتفع منزلته الى قياس عقلي معتدل ومهما بولغ في تلقيه فلا يتيسر ان يتجاوز به هذا القياس . ولقد رأينا كثيراً من الفتيان والفتيات لم يربوا التربية الكافية فوقفوا في درجة عقلية يتأتى لهم تجاوزها وكان لهم استعداد طبيعي لم يحسن القائمون على تربيتهم استخدامه فاست تربيتهم مقيدة بقيود تزيدهم بلاهة بدلاً من ان تزيدهم ذكاء . فالذكاء كالصحة والقوة الطبيعية في الانسان لايكون من الاكثار من اسبابه سوى اهلا كها لا نماؤها والاخذ بيد كل انسان الى حيث تصل قواه هو الحسن والاحسان بعينه وان مانقصد اليه في هذا المبحث الاقتصار على التربية الضرورية حتى يرتقي العقل حراً ممتعاً بما فيه من كفاءة ارثية . نعم ان العقول مختلفة في مداركها فالكسلان الغليظ الذهن يظل ابداً كذلك والذكي بالفطرة يزداد ذكاؤه مضاء بالعمل والتدريب والمتوسط متوسط والمستعد الى التقدم تزيد قواه العقلية نماء والتربية لاتزيل الفروق الارثية بل تزيدها فالنفوس المستعدة تستفيد اكثر من غيرها من اسباب الترقي وتتقدم تقدماً محسوساً . والتمرين الشديد الذي تتطلبه التربية العقلية العالية لايتأتى قبوله الا لمن كانت عقولهم عاملة بطبيعتها اما غيرهم فلا استعداد لهم اليها . لئن كان تعديل اساليبنا في التعليم على النحو الذي اوردناه نافعاً للجميع فهو نافع خاصة لبعض الناس وذلك لانه يزيد تنشيط بعض الاذكياء المستعدين للنبوغ ولا ينبغي ان نستاء من هذه النتيجة ونقلق منها فان ذكاء الطبقة المختارة من الخاصة هو مولد النجاح الذي يستفيد منه المجموع (انتهى معرباً عن مبحث طويل في مجلة التربية الباريزية)

مكة الحجاز

قالت مجلة الطبيعة الفرنسوية : كان الحجاج يسلكون الى مكة طريق القوافل من جهات الساحل او من الداخلية ويجيء الفرس والهنود من الشرق ناهجين ايضاً طريق القوافل باجتياز صحاري بلاد العرب ويسير غيرهم وعددهم ليس بقليل عن طريق جدة على البحر الاحمر على مسافة ٧٥ كيلومتراً من مكة ويسير حجاج افريقية من طريق البر مجتازين شبه جزيرة سينا في حين ان غيرهم يأتون من البحر الى جدة . ولهذا كان هذا

الثغر من البلاد المهمة لانابة يجتمع فيه كل سنة عدد عظيم من الحجاج قادمين من مصر وافريقية الشمالية وبلاد الهند والعثمانية وروسيا الجنوبية . اما حجاج سورية فهم ايضاً كثار العدد يقصدون الى مكة من طريق القوافل فيجتازون بلاد العرب من الشمال الى الجنوب من الخط الذي يربط دمشق بالمدينة ومكة . وبعد ان يجتمع هؤلاء الحجاج بالقرب من دمشق يؤلفون ركباً تخفره من غارات البدو كتيبة من المشاة ومدافع جبلية وذلك على طول الطريق البالغ ١٨٠٠ كيلومتر ويقطعه الحجاج في اربعين يوماً . واذا اضفت الى هذا الحرس المؤلف من نحو مئة بدوي يعهد اليهم العناية بالمتعبين من الحجاج او بالمرضى منهم والوف من الجمال والبغال التي تستعمل لحمل الاثقال والذخيرة اللازمة لطعام الحرس والحجاج تمثل لك تلك الصعوبات التي يجلبها اعداد مثل هذه القافلة وسيرها ويجب ان لا يغرب بالبال من المتعذر الامتيار طول الطريق واذا استثنينا بعض الانحاء في الطريق نجد الحال في هذه الدرجة من الصعوبة في استقاء الماء القابل للشرب . فكل شيء يجب والحالة هذه نقله على ظهور المطايا .

ونرى من جهة ثانية ان القيمة التي يكلفها هذا الحج فاحشة وان اختلفت باختلاف الحجاج في غناهم ورفاهيتهم ومتى كان مع الحاج جمال اقل اثقاله وحمله قد تبلغ كلفة الحاج من دمشق الى مكة الف فرنك ولكن كثيراً من الحجاج يذهبون مشاة وبعضهم يستخدمون عكامة او خدمة لتقليل النفقة

ولقد فكر القوم منذ زمن طويل في واسطة لتقليل هذه الصعوبات الى اقل ما يمكن واختصار المسافة بانشاء طريق حديدي من دمشق الى مكة وبقيت الحال على هذا المنوال الى يوم ١ ايار ١٩٠٠ وقد اصدر السلطان السابق عبد الحميد باشارة امين سره عزت باشا الدمشقي ارادته بانشاء السكة الحديدية ودعا السلطان العالم الاسلامي للاعانة لتمديد الخط فتقاطر المسلمون يدفعونها عن رضى حتى بلغ ما جمع في برهة قليلة ما يكفي للمباشرة بالعمل ماعدا بعض التخصيصات التي اعطتها الحكومة او الافراد

واذ كان من المتعذر الحصول على عملة من سكان البلاد يكفون للقيام بهذا العمل وكان الواجب الاقتصاد من النفقات على القدر الضروري عمدت الحكومة الى استخدام الجنود في تمديد الخط فعهد الى جنود من المشاة بالاعمال الترابية والى كتائب السكك الحديدية بنقل الاحجار واعمال البناء امسرايا الاستحكام فاستعملوا في الاعمال الميكانيكية في الورشات ووضع الاسلاك البرقية . وبالجملة فان انشاء سكة حديد الحجاز تمت

بأيدي العاملين من المسلمين ماخلا مهندس الماني واحد اسمه المسيو مايسنر .

يسير هذا الخط من دمشق الى المدينة متجهاً من الشمال الى الجنوب وجهته متوازية مع طريق القوافل الذي لا يبعد عنه الا في بعض المحال وذلك تفادياً من الصعوبات في تمديده ويمتد على القسم الاعظم من الطريق على سطح يرتفع بالتدريج من الشاطئ ٨٩٨ متراً فوق سطح البحر الى دمشق حتى اذا كان في الكيلومتر ٨٨٨ فما بعده ينزل حتى يبلغ المدينة فيصير على ٧٠٠ متر من سطح البحر بعد ان يكون بلغ في محطة الهدية اي في الكيلومتر ١١٢٦ — ٣٤٥ متراً من سطح البحر

وقد أريد بادئ بدء تمديد الخط من درعا والاكتفاء من دمشق اليها بالخط الذي كانت مدته شركة فرنسوية ولها الحق بالشعبة التي تصل بين درعا ومرفإ حيفا على البحر المتوسط . وهي شعبة مهمة للغاية لسكة حديد الحجاز لانها تصله مباشرة بالبحر وبعد اخذ ورد طويل ترك تمديد الخط من درعا الى حيفا لسكة حديد الحجاز ولكن لم يتيسر الاتفاق على اعطاء الحق الاصلي من دمشق الى درعا لادارة سكة الحجاز فمن ثم اضطرت هذه الادارة ان تجعل دمشق مركز سيرها وتبني خطاً جديداً موازياً للخط الاول بين دمشق ودرعا . ويجتاز الخط بين هذين البلدين بلاد حوران وهي اقليم غني بالجملة وكان قديماً انبار رومية ويزيد غناه بفضل خصب التربة فيه ويرتقي كما هو المأمول ارتقاء حسناً اذا تيسر له الخلاص من عصابات قطاع الطرق التي تعيث فساداً في ارجائه. ويجتاز الخط بعد درعا وجهة متوازية مع جبال مؤاب التي تمتد على شواطئ بحيرة لوط ويقطع صقعاً متموجاً بالزروع ومغطى بالمراعي يسرح فيه البدو ومعهم قطارات من الجمال . وفي ذلك الاقليم تجد مدينة عمان القديمة التي لا تزال آثارها ماثلة للعيان

وبعد ذلك يصل الخط الى بادية العربية الصخرية او السعيدة ومن تلك النقطة تبدأ الصعوبة في الحصول على الماء الضروري لتسيير القطارات وشرب الركاب . وعند الكيلومتر ٤٥٨ اي من محطة معان تدخل الى واحة ذات حدائق ونخيل تسقيها عينان نضاختان مياهها باردة صافية وفي جوار هذه المحطة خرائب مدينة بترا القديمة

ومن بعد معان الى العلا والمدينة تتبدل هيئة البلاد كل التبدل فتشتبك بجبال عالية قد تبلغ قمم بعضها ٣٠٠٠ متر عن سطح البحر ممتدة على طول البحر الاحمر وتنتهي على خط عمودي من البحر بارصفة متتابعة وهناك اسناد تشقها اودية لاماء فيها تطيل مسافة هذه الارصفة والاودية فبعد ان تتجه تارة اتجاهاً عمودياً نحو الصخور الجبلية تكون طوراً

متآزية ثم ينقطع اثرها في البادية . وتختلف سعة هذه الاودية اختلافاً كثيراً فتكون واطئة احياناً بحيث يبلغ علوها في بعض الاماكن زهاء مئة متر .

وفي سفح هذه الاسناد يسير الخط الحديدي الى المدينة مجتازاً ما امكن الاودية المختلفة التي تكاد تكون وجهتها متآزية . وبذلك تيسر الاقتصاد في نفقات بناء الخط الى اقصى ما يمكن

ولقد قلنا آنفاً انه ماعدا محطات معان وذات الحج وتبوك والاخضر والعلا فليس من ماء في تلك الاصقاع بل انك ترى الاودية الا في بعض احوال نادرة جافة حتى في موسم المطر . وموسم نزول الامطار في تلك الاصقاع يكون في شهر تشرين الثاني وشباط وآذار ومن النادر ان تهطل في شهري كانون الاول وكانون الثاني والمطر يبقى في المكان الذي يهطل فيه حتى في اشهر المطر فبعض الانحاء لا يبلغها الماء الى حين يصل منه الى غيرها كميات كبيرة تجري في الاودية فتغرقها ولطالما كانت سبب انقطاع المجاري في خلال انشاء السكة الحديدية

ومناخ هذه الاصقاع العالية جيد جداً ولجفاف الهواء تبلغ درجة الحرارة ٥٥ في اشهر القيظ الا انه مما يحتمل لما يعدله من الريح البليل الذي يهب في تلك الارجاء طول السنة ولا يصعب احتمال هذا الهواء الا في الاودية المحصورة جداً مثل التي في جوار العلا حيث تكون سبباً لانتشار الحميات وتنزل درجة الحرارة في الشتاء الى ٤ او ٥ ومن النادر ان تنزل الى الصفر . واهم الاحتياطات التي يجب اتخاذها التوقي من اختلاف درجة الحرارة بين النهار والليل

و بعد ان يخرج الخط الحديدي من معان يعود فيدخل في اقليم قفر يشبه الذي اجتازه في الشمال فتتخلله اودية كثيرة قليلة العمق . وقد اقتضى لقطعها انشاء مجار من الحجر اما تربتها فقاسية جداً وهي قاحلة ومملوءة بالحجارة

و بعد ان يقطع الخط الحديدي في بطن الغول على ستين كيلو متراً من معان قمة جبل يبلغ ارتفاعها ١١٦٨ متراً عن سطح البحر يعود فيهبط نحو ذات الحج سائراً في وادي رتم الذي تختلف سعته و يعظم كلما اقترب من ذات الحج وهي واحة فيها نحو مئة نخلة محيطة بقلعة قديمة لرد هجمات البدو الرحل وما من منزل حول هذه الواحة الحقيرة . وهذه الاراضي القاحلة المنبسطة تقطعها من مكان الى آخر اودية تكون الى تبوك البعيدة ٦٩٢ كيلو متراً من دمشق وهي واحة مهمة فيها زهاء الف نخلة ولها معقل حصين وسكانها نحو ثلثمائة نسمة

وفي تلك الاصقاع المقفرة حيث تشتد حرارة الهواء الجاف بما تبعثه فيه الشمس من اشعتها تجد النور بهيجاً وتصبح وتبدو الاصقاع البعيدة غريبة في انوارها فتتقطع الآكام المنفردة في شرق السكة الحديدية والجبال التي تحاذي البحر الاحمر بما فيها من نقوش النبات والاوراق المحبوبة التي ترى عن بعدٍ من الجهة الغربية تحت سماء مدهشة بصفائها وتكسو الشمس هذه الجبال عند الشروق والغروب بالوان منقطعة الشبه والنظير ٠

وكلما توغل الخط في قطع المساوف نحو الجنوب يصل الى اصقاع منبسطة قاحلة ولكن تجري الى الاودية ثم كمية وافرة من ماء المطر اثناء الشتاء ولذلك قضت الحال باجتياز هذه الاودية لانشاء مجارٍ عظيمة القناطر ولا سيما في وادي اثيل وقد اقيم عليه جسر من الحجر طوله ١٤٣ متراً وله ٢٠ قنطرة فتحة كل منها ستة امتار ٠ وهذا هو اهم عمل في الخط ٠

ثم يقترب الخط من الصخور البركانية الجبلية فيتجاوز في حارات العمارة الاسناد الاولى بواسطة نفق طوله ١٦٠ متراً وذلك بالقرب من محطة الاخضر فيدخل ثمت في اودية مختلفة محاذياً لها الى العلا على مسافة تسعمائة كيلو متر من دمشق بعد ان يكون قد قطع عدة محطات واهمها المعظم والمطلع ومدائن صالح

وتتألف واحة العلا المهمة التي يبلغ سكانها ٣٦٠٠ نسمة من غابة نخيل وليمون وطولها من ٥ الى ٦ كيلو مترات وعرضها خمسمائة متر ٠ وانتهى الخط الآن بالمدينة وهي على مسافة ١٣٠٠ كيلو متر من دمشق وسيشرع باكمال الخط بين المدينة ومكة ٠ وقد بحث في عدة طرق لتمديد هذه الشعبة الاخيرة بين البلدين الطاهرين احداهما تسير تواً من المدينة الى مكة والاخرى اطول مسافة تقترب من البحر وهذا الفرع الاخير الذي يبلغ طوله ٤٤٢ كيلو متراً هو الذي شرع ببنائه اليوم وبه يصبح طول السكة الحديدية من دمشق الى مكة ١٧٥٤ كيلو متراً

ان عرض خط الحجاز ١٫٠٥ متر وهو غير متساو في رسمه فترى فيه في بعض المحال انحداراً طوله ٢٠ مليمتراً في كل متر ودورة تبعد عن التخطيط الاصلي مئة متر اما تمديده فلم يستدع سوى فرش التراب ووضع الخطوط ما خلا جسرين من الحجر احدهما بين محطتي عمان والقصر والآخر على وادي اثيل وهناك جسور لا شأن لها وهي كثيرة لان الحاجة مست في عدة اماكن الى انشاء جسور في ممر الاودية التي تجف في

الصيف وتطفح في الشتاء بالسيول الغزيرة

وما عدا جسر طوله ١٥ متراً له مآند من حديد فان جميع اعمال البناء من الحجر وذلك لكثرة العملة من الجند ولسهولة جلب الحجر من المحال القريبة · وقد أنشئت بعض الانفاق القصيرة لاجتياز القمة التي تفصل بين مصاب بعض الاودية وجعلت هذه السكة من خطوط حديدية وزن المتر منها ٢١ كيلو غراماً تستند الى خشب او حديد ولكن الادارة اضطرت بعد قليل الى الاستعاضة عن الخشب بالحديد لكثرة فعل الشمس فيها فمجموع وزن المتر من هذا الخط و يدخل فيه قضبان الحديد الذي يسير عليه القطار والذي استند عليه وغيره هو ١٠٣ كيلو غرامات اما فرش الخط فمن حجارة مكسرة من الاحجار البركانية

وعدد المحطات المهمة قليل وهي تتألف من بناية لمكاتب الاستثمار و يقيم فيها المستخدمون ومن محطة للقاطرات واحواض ماء وآلات رافعة للماء اللازم للقاطرات ثم طرق لتخزين المركبات ·وابعض هذه المحطات ورشات لاصلاح ادوات الخط وآلاته الثابت منها والمتحرك · وتجد بين هذه المحطات الرئيسة على مسافة عشرين الى ثلاثين كيلو متراً محطات اخرى اقل شأناً من تلك وليس فيها سوى بناء هو عبارة عن مسكن للمستخدمين ويضاف في كل ٧٠ الى ٨٠ كيلو متراً الى هذه المحطات مايلزم للقاطرات من اسباب حمل الماء اللازم ففي بعضها آبار وللبعض الآخر برك وهذه البرك قديمة ابنية انشئت لسد حاجات القوافل تمتلئ ماء في الشتاء فيستعمله الحجاج والبدو الذين يقصدونها للاستقاء منها مع إبلهم · وسعة بعض هذه البرك ٣٦ الف متر و بعضها ٧٠ الفاً واذ كانت غير مغطاة ممتدة السطح وقليلة العمق يصبح الماء بعد مدة قليلة كريهاً ويتبخر سريعاً من حرارة الشمس · اما المحطات ذات الآبار واكثرها قليلة العمق غالباً فان مياهها تنضب بسرعة · فلا سبيل من ثم الى ايجاد الماء الكافي للقاطرات والاستثمار الا في بعض المحطات البعيد بعضها عن الآخر في الغالب وهذه الصعوبة في قلة الماء تزيد كلما توغل الخط متقدماً نحو المدينة · وللتغلب على هذه الصعوبات اضافوا اولاً الى كل قاطرة مركبة حجمها ١٢ متراً مكعباً ثم استخدموا احواضاً بمركبات تنقل الماء الى المحطات التي يضطر فيها القطار الى الاستقاء ولكن هذه الوسائط لم تخل من عوائق تجمل الخلل دائماً · فعقدوا العزم من ثم على حفر آبار عميقة جداً في كل ٧٠ الى ٨٠ كيلو متراً ليتاح منها الماء الى البرك المغطاة · وقد جعلوا في الاماكن التي لم يتيسر فيها الحصول من الآبار على نتائج

مرضية احواضاً عظيمة مغطاة عمقها من ٦ الى ٧ امتار لتجمع فيها مياه المطر وتستعمل للشرب وجعلوا لها ادوات لتصفيتها من الاوساخ . ويحمل ماء الآبار والبرك الى المحال اللازمة بواسطة مضخات بالبخار والاغلب بواسطة طواحين هواء

وقد حاولت الادارة ان تفتح آباراً اوتوازية وحفرت بعضها الى عمق ١١٠ امتار فلم تظفر بماء ينبض وعللوا ذلك بان السبب فيه ان ذاك السطح من الارض يعلو من ٨٠٠ الى ١٠٠٠ متر عن مساواة نهر الاردن فتسيل مياه الامطار التي تتساقط هناك في الاحافير الكثيرة في الارض نحو ذاك النهر . وربما كانت النتائج من ذلك احسن كلما اقترب الخط من المدينة حيث تجري المياه الى وجهة مخالفة

ومعلوم ان سورية وبلاد العرب فقيرة جداً بغاباتها وليس فيها مناجم فحم اما الاصقاع التي يجتازها الخط الحجازي فهي خالية من كل ذلك بالمرة . فوقود القاطرات والوقود اللازم لتدفئة المستخدمين وطبخ طعامهم والاستصباح كل ذلك يجلب من الخارج الى دمشق اوحيفا ومنها يحمل الى المحطات الكثيرة حتى المدينة اي الى مسافة زهاء ١٤٠٠ كيلومتر وبهذا يرتفع سعر طن الفحم ارتفاعاً فاحشاً ولذا تبحث الادارة في الاستعاضة عن هذا الوقود بزيت ثقيل يجلب من روسيا اومن الموصل عَلَى مقربة من بغداد .

كما ان الادارة تفكر في طريقة تحفظ بعض التسويات الترابية فان الخط في كثير من الاماكن ولاسيما في جهات العلا يجتاز اصقاعاً تتألف تربتها من رمال تسفيها الرياح الشديدة التي تثور في بعض فصول السنة فترتفع تلك الرمال تغشي الطريق وتسده وتحمل تلك التسويات التي اقيمت بهذا الرمل ولتقوية هذه التسويات غطوا الحدور والسطوح بطبقة من تراب صلصالي مزجوها بالحصا من حجم مناسب وهو يوجد عَلَى ايسر وجه في جوار الخط .

اما ادوات الخط فتتألف من ٤٣ قاطرة و ٥١٢ مركبة للبضائع و ٣١ مركبة للركاب . هذا وقد بدئ بانشاء الخط الحجازي في اوائل سنة ١٩٠٠ وتم موءخراً الى المدينة عَلَى مسافة ١٣٠٠ كيلومتر بمعنى انهم مدوا ١٤٠ كيلومتراً في السنة وقد كلف كل كيلومتر بما فيه المحطات والادوات المتحركة من ٣٥ الى ٤٠ الف فرنك وهو قدر زهيد بالنسبة اذا اعتبرنا الاحوال التي تخلل العمل هناك من الصعوبات عَلَى ان ايدي العملة من الجند هي التي ينسب اليها الفضل في تقليل النفقة

نرى للخط الحجازي من حيث المنافع العثمانية مكانة عسكرية وسياسية كبرى لانه

سيصل عما قريب بخط حديدي لا ينقطع بين الاستانة وبين قطار بعيد كثيراً عنها ويسكنه قوم صعب قيادهم . اما من حيث التجارة فاي فائدة له ؟ وليت شعري هل يكفي نقل البضائع والركاب لوفاء رأس المال الذي صرف عَلَى الخط والنفقات اللازمة لاستثماره وهي ليست قليلة . وهل يختار الحجاج الذين يقصدون مكة الركوب في هذا القطار على السير في طرق القوافل يا ترى ؟ هذه مسائل يحلها المستقبل ثم الا يخشى من انتشار الهواء الاصفر بهذا الخط بين البلاد عَلَى الرغم من المحجر الصحي في تبوك الواقعة على سبعمائة كيلومتر من دمشق اه .

هذا مانشرته مجلة الطبيعة الثقة في العلوم الطبيعية والرياضية بشأن سكة الحجاز وقد ختمها الكاتب بما لا تكاد تخلو منه كتابات الافرنج عن الشرق وضعف الامل في مستقبله واعماله ونعني بذلك ان الخط الحجازي لاشأن له من حيث التجارة لان الحجاج قد يؤثرون طريق القوافل عَلَى الركوب فيه وانه يكون واسطة لنقل الوباء من القطر الحجازي الى القطر الشامي . وكل هذا هو الخطأ بعينه لانا نرى الحجاج يؤثرون الركوب في الخط الحجازي عَلَى مافيه الآن من خلل في ادارته واستثماره وقلة وسائط الراحة ولو وفرت العناية به لظهرت الفوائد التجارية المادية ظهور الشمس في رابعة النهار ويكفي الآن ان الخط بين دمشق والمدينة قد حسن تجارة البلدين كثيراً بل ان من بعض الاراضي عَلَى طول الخط ماعمر او كاد الآن بفضل المواصلات . والافرنج يقولون : مدو الخط الحديدي في قفر ونحن نضمن له العمران فما بالهم يحللون لانفسهم مايحرمونه علينا ثم ان دعوى ان الخط الحجازي ينقل جراثيم الوباء مسألة فيها نظر بعد ان تحجر الحكومة على الحجاج في تبوك اياماً على انه قد تمر السنين ولا ينتشر الوباء في الحجاز .

العهر والزواج

القى المسيو مالابر احد اساتذة الفلسفة في باريز محاضرة في مدرسة الدروس الاجتماعية العالية قال فيها : ان من يذهبون الى ان التصريح بشرح المحظورات والرذائل امام الطلبة مما يضر بآدابهم ويعرفهم ما كان يجب السكوت عنه معهم هم في ضلال من آرائهم . وان مايرونه من جهل الاطفال في هذه الامور مما يحفظ عليهم طهارتهم وعفتهم هو الخطر والخطل وذلك لان الجهل لا يعد فضيلة ولا يقوم مقامها لان للجهل حداً وزمناً يقف عندهما وعندئذ يسرع العطب الى الفضيلة . ثم ان من يتوهم بان الشاب يبقى الى السادسة

عشرة من عمره غير عارف بأسرار الرجولية هو من العماية بمكان . لان الشاب لا يلبث ان يتعلم من بعض اقرانه الذين هم اعرف منه بهذه الامور ان لم يتعلم ذلك من والديه او معلمه فالوالدة خصوصاً هي اعرف بالزمن الذي يجب ان تنصح به لابنها بما ينبغي له اتقاؤه من المفاسد وهي اقدر من غيرها على نصحه النصح اللازم بدون ان تمس اصلاً من اصول الحياء . ولكن معظم الوالدين يتسامحون باعطاء هذه النصائح و يتخذون من جهل ابنائهم بما يترتب عليها من المفاسد حجة على سكوتهم . ومن المعلمين من تضيق صدورهم بشرح ما ينبغي ذكره للشبان مجتمعين و يؤثرون ان يذكروها لبعضهم منفردين ومنهم من يرون ان يعهد بث هذه النصائح لطبيب الأسرة وآخر للرئيس الديني والاحسن ان يكون امرها بيد المعلمين

يجب ان يقال للاولاد انكم اذا احببتم ان تكونوا في حياتكم اهل شرف وحشمة ان تعرفوا ان الامم يضمحل امرها متى فقدت آدابها واته لا سبيل الى شخص ان يكون في مبدإ امره فاسقاً ثم يكون في دور آخر صاحب فضيلة محترم المقام . فمن فصول الاخلاق فصل اعتادوا و يا للاسف ان لا يشرحوه لكم على حين هو جدير بالشرح واعني به علاقة الرجل بالمرأة لما في ذلك من المخاطر والاهواء والشرور والمفاسد التي تعبث بمعنى الفضيلة والشرف والعدل . ان من ابشع ضروب السفسطة ما يزعمه بعضهم من ان خيانة المرأة من اعظم الجنايات و ينتفرون خيانة الرجل ور بما عدوها من انواع الظرف واللباقة على حين هما مشتركان في الجريمة وارتكاب المآثم والرياء . ولعلهم يرون ان المرأة مخلوق بلغ مبلغاً عظيماً من الطهر والعفاف وهما لها من الامور الطبيعية السهلة وان الرجل هو من هذه الوجهة محتقر مرذول لا سبيل الى مطالبته بان يسير على غير ما يسير عليه الخنازير او العصافير . او لعل بعضهم يقول بان خيانة المرأة وهي تأتي الى البيت الابوي بولد ليس منه يشارك اهله في العطف والارث و يسيء استعمال الحقوق الطبيعية التي هي لاهله الاصليين من دون الدخلاء لا تعد شيئاً ولكن الرجل الذي يضع ابنه في غير بيته هل هو اقل ظلماً لأسرته والمجتمع من تلك المرأة وهذه تحمل الطفل في احشائها تسعة اشهر وترضعه وتربيه وتتعب به اما الوالد فيقضي حظه في ساعته و يذهب مختالاً . ولكن هذا الظلم في الحكم على الجنسين ليس الا اعتقاداً عاطلاً قديماً ورثناه عن الاجداد الذين كانوا ينظرون الى المرأة نظرهم الى حيوان مفترس اودابة ركوب وانها خادمة الرجل وملكه ومتاعه نهبها في الحرب اوابتاعها من السوق وبذلك كانت سرقتها خرقاً لحقه وجنايتها اهانة

لعظمته، وتمكينها من نفسها ضرباً من ضروب الاعتداء على حق غيرها وهي لاحق لها بعرف بتة ·

نعم ليس ثمت ادبان فمن سار سيرة سيئة دنيئة مع امرأة لا يستطيع ان يكون عفيفاً مخلصاً عادلاً بقية حياته ومن اسخف مايقولونه حتى كاد يسري مسرى المثل ان الشبيبة طور من اطوار الحياة ولابد من قضائه اي انه يتسامح مع الشاب ان يأتي ما يأتي · وكم من رجال أفسدوا بهذه الحكمة السخيفة ومن وجدانات يعبث بها كل يوم من تأثيراتها · فمن افظع الامراض التي يصاب بها الشباب مرض الزهري فقد اثبت الاحصاء ان واحداً من كل سبعة رجال يصاب به في فرنسا وواحداً من كل اربعة يصاب به من طلبة باريز فهذا الطاعون الجديد كما يسمونه يحمل معه امراضاً كثيرة منها العقم والفالج العام والموت فكما انه مرض عقام فهو معدي حتى من بعد خمسين سنة فان من أصيب به يحمله الى غيره حتى بعد هذه المدة فقد ثبت ان الاصابات على هذه الصورة ليست نادرة بل ان ١٩ في المئة من النساء يصبن به من رجالهن وينقلنه الى اولادهن وان عشرين الف طفل في سنة يولدون ميتين او يموتون في الشهور الاولى من ولادتهم بسبب هذا الطاعون ومن يعيش منهم يدتمون في عاهات وسقوط نفسي وجسدي كاحديداب ظهورهم ووقر في آذانهم وعقلة في ألسنتهم وضعف في قواهم العقلية وبلاهة وحمق · فاي شاب عاقل يعرض اولاده لهذا المرض بصنعه ويورثه هذه المصائب ولا تؤاخذه نفسه على ما اتى قائلاً انه يكفر عن سيئات ارتكبها ويؤخذ بجنايات اتاها دع عنك ماينال الشخص نفسه من ضعف القوى العقلية وضعف النشاط والفتاء مما قد يجعل فيه استعداداً للسل وللامراض العصبية والعقلية فمن يسرف في حبه على صورة دنيئة جنونية يوشك ان يهينه ولا يهين المرء حبه الا اذا اهان نفسه فقد قيل ما من امرىء يأتي مايخجل منه بدون ان يصدر عنه بعض المقت والقذارة · وبهذا رأيتم ان العفة تطالبكم بالاحتفاظ بها لا لمحيطة على النفس فقط بل حرصاً عليها من التدنس والعار ·

واني لاعجب لمن يعمد الى اغواء فتاة ثم لا يعلم انه كما تدين تدان ويسناه اذا بلغه ان اخته او احدى اقاربه قد اتخذت لها خليلاً حتى يكاد يموت خجلاً وربما ادى به ذلك الى ارتكاب الجنايات · واني لارثي لحال تلك الفتاة التي أغويت وتركها مغويها بما فيه من دناءة · ومن قال بان جريمته تغتفر اذا استفاد من فتاة اغواها قبله انسان فهو شريكه

في الجرم لامحالة ومن امثال هؤلاء الشبان كثر العهر والفجور احد الادواء الاجتماعية في هذا المجتمع . فمن دناءة الطبع ان يبيع المرء جسمه من كل طالب فهل ترون اقل دناءة من يبتاع جسم غيره ؟ فقد قال فيكتور هوغو كلاماً حرياً بالامعان : يقولون ان الرق زال من الحضارة وهذا وهم لانه مازال بحاله ولكنه رق لاتنوء تحت عبئه الا المرأة وهو مايسمى بالعهر . لايثقل الا على المرأة اي على اللطف والضعف والجمال والأمومة وذلك من موجبات الخجل للرجل

وان من يقول ان الشاب بما يأتي يقوم بواجب طبيعي لانجيبه الا بان مايعمله هو من نتائج التفكر . و يتأتى له ان يفلت من مخالب هذه المفاسد اذا صحت عزيمته وسلمت ارادته فالارادة وحدها هي الباعثة على الشهوات واذا قيل ان مقاومة الطبيعة صعبة فانا نقول بان مايصرف من القوى في جهاد النفس والهوى اقل مما يسرف منها اذا سار المرء بما تمليه فطرته الرديئة . ومن خلص نفسه من هذه المآزق كان خليقاً بان يعد مالك نفسه ثبت الارادة متين الاخلاق كريم العواطف وكل ذلك من صفات الرجولية

فعليك ياهذا ان تعلي قدر « الحب » وان لاتبتذله لانه اجمل ماني الارض واقدسه وان تعلي قدر المرأة بحيث لاتهان لانها في البيت والمجتمع حارسة الكمال وهي في ذاتها جزء بل اشرف جزء من الكمال في الحياة وعليك ان تمثل ابداً المرأة في ذهنك صورة حية كما تمثل اختك وامك صورة الطهر واللطف واعتقد بما قاله توربة : « ان من يتزوج شاباً وهو سليم البنية و يختار فتاة شريفة سالمة من العاهات و يمازج حبها شغاف قلبه و يبذل كل نفسه وقواه و يجعلها رفيقة امينة له واماً ولوداً و يميل لتربية اولاده و يكون لهم خير مثال بمدوفاته هذا هو الحقيقة وما عدا ذلك خطأ وجناية وجنون » . ولااسهل عليك من التوقي من ضروب الاغواء والغواية اذا ازمعت ان تتزوج شاباً وفكرت فيمن تكون اليفة حياتك ممن ربما تكون عرفت صورتها من قبل واحببتها وكتمت حبها في صدرك فتشاطرك في الحياة آلامها وافراحها وهي تكون لك عوناً كما انت لها عون بما تشعر به من حبك لها حباً دائماً جميلاً وتخذ من جسدك وروحها احسن مادة تؤلف منها جسد ولدك وروحه .

المقتبس

شعبان سنة ١٣٢٧

غرائب الغرب

الرحيل من دمشق الى لبنان

١

كان من اعظم اماني النفس منذ بضع سنين ان ارحل الى اوربا رحلة علمية اقضي فيها ردحاً من الدهر للتوفر على دراسة حضارة الغرب في منبعثها واستطلاع طلع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المتزهون والعلماء العاملون والساسة المستعمرون والقادة الغازون والتجار والصناع والزراع والماليون وهم على التحقيق مادة تلك المدنية وهيولاها

وكانت الاحوال تعوق هذا القصد عن اتمامه وتحول دون البغية المنشودة الى ان قدر الله فاقام والي سورية السابق تلك القضية الملفقة على جريدة المقتبس واحتال انتقاماً لنفسه لاقفال المطبعة وتوقيف الجريدة والمجلة قبل صدور حكم المحكمة عليّ فقلت الآن حان وقت الرحلة في طلب العلم لتفرغ لتحقيق ما في الخاطر ريثما يتبين الحق من الباطل والحالي من العاطل وعسى

ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ·

في المربع الاخير من ليل الثلاثين من رمضان (١٣٣٧) ركبت من دمشق عربة مع صديقين عزيزين قاصدين قرية القابون وفي ظاهرها وقفنا لحظات الى ان وصلت فرسي ووصل صديق لي آخر راكباً فرسه فركبنا وعاد ذانك الحبيبان الى المدينة · وكان بدأ في تلك الساعة الاشراق في الافق والسكون لم يبرح مستحوذاً على الارباض والرياض ولم نكن نسمع من بعيد غير قعقعة اجراس الطحانين والمكارين وصياح الديكة او عواء الكلاب وما كدت اعلو متن مطيتي حتى ترامي الى مسمعي صوت مؤذن القابون ينادي « هلموا الى طاعة الله يرحمنا ويرحمكم الله » فقلت كلمة حق لو جرى العمل بالطاعة وما يلزم لها لرحموا ولكنها جمل جميلة تقال ومعان شريفة لا يعمل بها وعادات ألفت بمعزل عما فيها من الاسرار النافعة في صلاح المعاش والمعاد ·

التفت الى الغوطة الدمشقية الفتانة اخيراً وهي احب بقعة الى قلبي في الارض وقد كثر في افقها شفق الفجر فذكرت طرفاً من ايامها البيض والسود · ذكرت الغوطة المحبوبة وذكرت مطامع البشر وانحطاط اخلاقهم وعقولهم فقادني ذلك الى التفكر في شقاء الانسان بالانسان وموت بعض لحياة كل وافتقار مئات لاغناء افراد وشقاء ربوات لسعادة عشرات وتعب فريق لراحة امة فتمثل لي عجيب صنع المولى في خلقه سبحانه لا يبقي العالم على حال هو المعز المذل القابض الباسط المغني المفقر يقلب الارض ومن عليها ولا يرثها الا عباده الصالحون ·

سارت بنا مطيتانا فاجتزنا قرية برزة ومعربا ولم تشرق الشمس الا وقد

قطعنا اراضي معربا واشرفنا على اكامها فالتفتنا الى ماوراءها وقد تجلت لنا بعض بقاع الغوطة والمرج من خلف الجبال فالقينا عليها نظرة الوداع واغذذنا السير الى بسيمة ومنها الى دير مقرن فكفير الزيت فدير قانون فكفير العواميد وفي هذه القرية بتنا ليلة عيد الفطر .

ولم اشهد هذا الوادي وكنت مررت به راكباً منذ بضعة عشر عاماً شيئاً من التغيير والارتقاء المحسوس فالفلاح فيه لا يزال ينتظر موسم الفاكهة ان سلمت اشجاره من لفحات الجليد يرتاش تلك السنة ويعتاش برمانه وجوزه وتفاحه وكمثراه وتينه وعنبه والا فيضطر في الاكثر الى الاستدانة على الموسم المقبل وان كان على شيء من القوة والجلد يرحل الى بعض الكور المجاورة كقرى وادي العجم او الغوطة يعمل فيها اشهر الصيف ليأتي في الشتاء بمؤونة تكفيه من الحنطة في كنه وكانونه

وذلك لان هذا الوادي منذ قرية دمر حتى سوق وادي بردى لا يغل من الحبوب ما يسد عوز سكانه بعض السنة لغلبة اليبوسة على جروده وجباله ولان اكثر تربته صخرية تحتاج للعمل الكثير على الطرق الزراعية الحديثة لتأتي اكلها : اما الاشجار وبعض الخضر والبقول التي ينتفع بها الفلاح هنا فالفضل لنهر بردى في ارواتها يأخذ من مائه في مجاري يعليها بقدر حاجته او اكثر

ولقد اخذت اثمان الفواكه تأتي اصحابها بارباح اكثر من السنين السابقة خصوصاً منذ تم استثمار السكك الحديدية في سورية كسكة بيروت — دمشق — حوران وسكة دمشق — حيفا — المدينة وسكة دمشق — حلب — بيرهجك (البيرة) فاصبحت ثمارهم تصدر الى الجهات القاصية

وكانوا يقدمون اكثرها في سني الخير علفاً للدواب او يلقونها في الطريق لان المعطلة في نقلها من محلها الى دمشق او بيروت مثلاً على الدواب لاتقوم باجرة المكار ودابته ·

نعم لم ار ارتقاء محسوساً في حالة فلاح وادي بردى وانى يتم له ارتقاء وليس له طريق يسلك غير ما حفرته اقدام المارة وحوافر الدواب والماشية وجرفته السيول والرياح منذ قرون · فالطرق المعبَّدة المطروقة لا اثر لها في هذا الوادي ولعل ذلك ناشيء من كونه حديث عهد بالحكومة المنظمة فقد كانت معظم قراه من قبل تابعة لاقضية بعيدة اما الآن بعد ان غدا من مركز قضاء الزبداني على بضع ساعات فقد بات يرجى بفضل قائمقامه الغيور ان تنظم لاهل قضاء الزبداني طرق غير طريق السكة الحديدية تصل بين قراهم وبين دمشق حاضرة الولاية ليتيسر للناس الغدو والرواح من ايسر السبل · وما اخال ذلك متعذراً على الحاكم اذا حث اهل كل قرية ان يقوموا بانفسهم لتمهيد طريقهم ايام انقطاعهم عن العمل كفصل الشتاء مثلاً لما يعرفون من الفوائد التي تجم لهم عنها او يعلمونها بواسطة الموظفين الامناء وان كانت هذه الطريقة لاتخلو من محظور لأنها تؤدي الى السخرة والسخرة ممنوعة بنص القانون الاساسي · وتمهيد الطرق وبث الامن من جملة الفروض العينية على كل حكومة ·

وبعد فانه لاوجود في وادي بردى لسائر المرافق التي يتمتع بها الفلاح في البلاد المتمدنة وذلك لان الحكومة الاستبدادية الماضية لم يهمها من الفلاح الا ان تأخذ منه لاان تهيء له سبيل الاخذ · فكان قصاراها تكثير الجباية وتوفير الضرائب واخذ من تريده للخدمة العسكرية اما امتاع الاهلين

بالوسائل الصحية وتعليمهم الطرق الزراعية القريبة المأخذ وفتح سبل المواصلات ورفع علم الامن وتعليمهم الضروري من القراءة والكتابة فكانت امور الاتعرفها لا في وادي بردى فقط بل في جميع اودية البلاد العثمانية وسهولها وجبالها ·

ومن اغرب ما رأيناه في وادي بردى ان بعض قراها تحفر القبور لموتاها امام الدور فترى حي الاحياء مع حي الاموات وما ادري هل يأتون ذلك بالقصد حرصاً على رفات موتاهم من ان تسطو عليها الوحوش الكاسرة في مدافنها اذا لحدوها بعيدة عن العمران ولو ببضع خطوات او انهم يؤثرون دفن الموتى امام اعينهم ليذكروا كل شارقة وبارقة مصير الانسان الى دار البقاء ويزهدوا في دار الفناء فلا يهتمون باسباب الهناء والصفاء

ومما عمت به البلوى في الفلاحين انك ترى القاذورات ايضاً تعمي العيون وتخنق الانفاس فترى روث البهائم وغائط الآدميين وسط الدور وخلفها وقدامها وعن ايمانها وشمائلها · ولولا بقية من عادة النظافة والتطهر ورثها المسلمون بالتسلسل عن آبائهم وشيء من جودة الهواء في الجملة في القرى لما بقيت باقية لسكان هذا الاقليم ومن حوله ·

ركبت صبيحة العيد ورفيقي قاصدين سوق وادي بردى ولعلها سميت كذلك لسوق كانت تقام فيها فيما مضى للبيع والشراء على العادة في اسواقنا الباقية حتى الآن فيقال مثلاً سوق الأحد وسوق الجمعة وسوق الخيل وسوق الحمير · ولهذه الاسواق امثال في اوربا · وبالقرب من السوق تضيق فوهة الوادي وبينه وبين العمران ليخرج منه الى منفسح وادي الزبداني · وجبال السوق لا تخلو من نواويس قديمة على نحو ما تجد منها في جبال الشام محفورة في الغالب في القمم والآكام

ومن السوق انتهى بنا نفس السير الى قرية عيتا الفخار من اعمال البقاع العزيز وهي القرية التي اشتهرت منذ عهد بعيد بفخارها الذي تطبخه اكثر بيوتها في تنانير خاصة وتبيعه في المدن الداخلية من اعمال دمشق ·

وقد شعرنا بتغير المشاهد منذ اطللنا على عيتا ورأينا بيوت القرميد التي بنيت بالحجر النحيت على المثال الذي نشاهده في اكثر بيوت سورية · وعلمنا ان سبب ماشاهدناه من جمال المساكن في عيتا تلك الاموال التي جلبها بعض سكانها من هجرتهم الى اميركا واحبوا حتى من لاتحدثهم انفسهم بالسكنى ثانية في عيتا ان يظهروا غناهم بانشاء الدور المنتظمة ليصح عليهم المثل العربي « ابت الدراهم الا ان تخرج اعناقها » « ان الغني طويل الذيل مياس » او الاثر المشهور « ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده » وليس كالبيوت تنم عن يسار وتدل على سعة · وبعد عيتا مررنا بكامد اللوز فجب جنين فلالا فملول من وادي البقاع وفي هذه القرية بتنا عند رجل من اهلها انزلنا عنده واكرمنا ولم يعرفنا ومع حرصه على معرفتنا اكتفينا من التعريف بالتعريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب ·

وقد سرت الى هذه القرية والى جميع قرى البقاع عدوى الهجرة وتناول الاغتراب السكان على اختلاف نحلهم ومن حديث كثير من البقاعيين تبين ان اهل كل قرية في الغالب يوثرون في بلاد المهجر اقليما خاصا لهم ينزلونه او مملكة يوجهون وجهتهم اليها فيقصد ·ثلا اهل قرية كذا ولاية كذا من شمالي اميركا واهل القرية الفلانية يقصدون جمهوريات الجنوب وآخرون ينزلون كندا وغيرهم اوستراليا وفريق السنيغال وبعض الترنسفال فكان عدوى الانتقال تسري اليهم بالعشرة فلا يحب المواطن الا ان يقلد مواطنه

في مآتيه ومنازعه بل في شقائه وسعادته · وقد اذكرناهذا بمجال العرب في الفتح وبعده فكان القيسيون ينزلون بلد كذا واليمانيون اقليم كذا ثم لما امتدت الفتوحات وفتحوا الاندلس كان جند الشام يختار بقعة غير التي اختارها جند حمص ولذلك كان الجند يدعون كل بلد ينزلونه باسم بلدهم الاول كما يحاول بعض مهاجرة السوريين الآن مثل ذلك في الولايات المتحدة ·

وفي اليوم الثالث قصدنا مشغرة فمررنا بجسرها المخرب الممتد على نهر الليطاني وانجدنا قاصدين جزين اول حدود لبنان الى الجنوب · ومشغرة اقصى بلد عامر بالزراعة والصناعة في البقاع الغربي وهي مشهورة الى الآن بدبغ الجلود للاحذية اشتهار مدينة زحلة او اكثر والمسافة بين مشغرة من اعمال ولاية سورية وجزين من متصرفية لبنان ثلاث ساعات تعلو قمة عالية ثم تنحدر في واد عميق ·

ومع ان قضاء البقاع من اعمر اقضية ولاية سورية بزراعته لخصب تربته وتوفر المياه الدافقة عليه من سفوح لبنان الغربي ولبنان الشرقي ومتاخمته لجبل لبنان الذي يحتاج لكل ماتنبته ارض البقاع من الحبوب والثمار ومع كثرة الاعيان الذين يملكون فيه المزارع والاراضي الواسعة ومنهم من انشأ فيه حقولا انموذجية حقيقية و ... رفوا عليها الاموال الطائلة واستخدموا لها احدث الطرق الزراعية كالاراضي التي عمرها نجيب بك سرسق في عميق ودير طحنيش واقامها الآباء اليسوعيون في تعنايل — مع كل هذا العمران المستبحر وما تأخذه النافعة من اموال الاهلين كل سنة باسم الطرق والمعابر لاترى في القضاء طريقاً مسلوكاً اللهم الا طريق الشام القديم الذي تركته شركة الدليجانس لما انشىء خط بيروت الحديدي · وقيل لنا ان الحكومة

صح عزمها موخراً على انشاء طريق عجلات بين المعلقة مركز القضاء وبين مشغرة في غربه وان هذا الطريق وصل او كاد الى قرية عيتنيت ولعله جسماً لا اسماً كاكثر الطرق التي انشأتها النافعة في الولايات فكانت لفظاً بلا معنى واسماً بلا مسمى لم ينشأ عنها الا التعجيل في سلب نعمة الفلاح وخراب بيته باسم العمران وخدمة الاوطان ·

وصف لبنان الطبيعي

٣

كنت في لبنان اشبه بابي زيد السروجي او ابي الفتح الاسكندري احتاج الى راوية مثل الحارث بن همام او عيسى بن هشام يروي كلٌ منهما لمثل الحريري او بديع الزمان تلك المظاهر التي اضطررت الى الظهور فيها لانجو من مخالب عدو ممازق او جاسوس مخادع وليتيسر لي درس حالة البلاد بدون حجاب ·

فقد قيل اكتم ذهابك ومذهبك وذهبك ولكن هذه القاعدة لا يرضاها منك اللبنانيون الاذكياء فتجدهم يحرصون كل الحرص عَلى استطلاع طلع كل مصطاف بينهم او سائح في جبالهم والوقوف عَلى مقصده ومبلغ ثروته والدين الذي يدين به · وربما كان سوءالهم عن الاخير قبل كل شيء لان عامتهم متدينون جداً فهم يسرون اذا شعروا انهم يتعارفون الى رجل يشاكلهم في المعتقد · واني لمن قضى عليه شدة اخلاصه في خدمة وطنه ودولته ان يصرح لهم بهويته وهو مشرّد طريد محكوم عليه بالجناية حكماً قرهقوشياً !

ودعني رفيقي غداة وصلنا الى جزين وعاد الى الفيحاء وبقيت وحدي لارفيق لي الا كتابي وفرسي · فانقلبت لساعتي من جزين قاصداً دير القمر فاجتزت اليها تاتر وعماطور والمختارة وغيرها والطريق بين هذه القرى القديمة عامرة من وراء الغاية تمشي فيه وسط اشجار الزيتون وهي غابات غبياء في الشوف كما ان شجار الصنوبر كذلك في قضاء المتن · ودير القمر هو مركز الجبل القديم وصلت اليه قبيل الغروب وقد بدت القصبة بابنيتها الشاهقة كالعروس في حليها وعكست شمس الاصيل على زجاج نوافذها وسطوحها فاختلطت الحمرة بالصفرة بالخضرة بالزرقة فكان اجمل منظر تقع عليه عين انسان · واهل الدير كمعظم سكان الجبل موصوفون بالرقة وحسن العشرة يتحببون الى الغريب كيف كانت حاله · وفي هذه القصبة الى اليوم جامع قديم من القرن العاشر بناه احد امراء لبنان ولا يزال الديريون يحرصون على سلامته فيتعهدونه بالعمارة وان لم يكن له من يقيم فيه الصلاة ·

وقصبة الدير بكثرة سكانها وتوفر مرافق الحياة فيها اشبه بالمدن منها بالقرى وهي مشهورة بتجارة الحنطة تحمل اليها من حوران فتوزع في الاطراف · وليس دير القمر وحيداً في نوعه باكتظاظ الاقدام فيه فمدينة زحلة لايقل سكانها عن خمسة وعشرين الف نسمة واوصل بعضهم نفوسها الى خمسة وثلاثين · وتكثر النفوس في حمانا ورأس المتن وبرمانا وبيت مري وبعبدات وبيت شباب وبكفيا وبسكنتا وبعبدا والشوير وحصرون والشويفات وحدث الجبة وبعقلين ومجد المعوش وعالية ومعلقة الدامور وجزين وجبيل واهمج وتورين وعمشيت وغزير وجونية وكفر ذبيان

والبترون واهدن والهرمل وأميون وزغرتا وكوسبا وفي غير ذلك من القصبات التي يعد فيها النفوس بالالوف والمئات

والقرى والمزارع متصلة خصوصاً في الهال التي ترتفع كثيراً عن سطح البحر ولا يتعذر العيش فيها في الشتاء لكثرة ثلجها وبردها وجليدها واعاصيرها وما اشبه لبنان وقراه ومزارعه لاتقل عن تسعمائة وستة وخمسين قرية (١) الا بقصر فخيم جميل واسع الارجاء محفوف من اطرافه بالرياحين والازاهير العطرية وغرفه الكثيرة تلك الدساكر والضياع لايكاد المتجول يمل من مقصورة حتى ينتقل الى أخرى وما اسرع وصوله اليها من تلك الطرق المعبّدة وهذا القصر مزدانة افنيته واروقته باقصى ماتخص به يد الصانع من بدائع الزينة ويد المخلوق لم تقصر كثيراً في تعهده ·

معنى لبنان الابيض وهو اسم عبراني سمي به لتعمم قممه بالثلج في الشتاء والربيع وبعض الصيف · وقد ورد ذكره في الشعر القديم فقال النابغة الذبياني :

حتى غدا مثل نصل السيف منصلتاً يقرو الاماعز من لبنان والأكما

وقال احمد بن الحسين بن حيدرة المعروف بابن الخراساني الطرابلسي من المحدثين :

دعوني لقاً في الحرب اطفو وارسب ولا تنسبوني فالقواضب تنسب
وان جهلت جهال قومي فضائلي فقد عرفت فضلي معدٌ ويعرب
ولا تعتبوني اذ خرجت مغاضباً فمن بعض مابي ساحل الشام يغضب
وكيف التذاذي ماء دجلة معرقاً وامواه لبنان الذ واعذب

(١) دليل لبنان لابراهيم الاسود

فمالي وللأيام لا درَّ درُّها تشرّق بي طوراً وطوراً تغرّب

وانشد المتنبي في مدح ابي هرون بن عبدالعزيز الاوارجي في قصيدة :

بيني وبين ابي علي مثله شمُّ الجبال ومثلهن رجاء
وعقاب لبنان وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهن شتاء

وقال البحتري :

وتعمدت ان تقلّ ركابي بين لبنان طلّعاً والسنير
مشرفات عَلَى دمشق وقد اعـ ـرض منها بياض تلك القصور

وقال الجغرافي اليزه ركلو من المتأخرين يصف (١) لبنان : اذا ماالقيت ببصرك من البحر الى سلسلة لبنان المستطيلة رأيت من هذا الجبل منظراً مهيباً فيلوح لك ازرق او وردياً في الصيف ومشتملاً في الشتاء والربيع بجلباب ثلجه الفضي واذا تصاعدت الابخرة في الجو البست قممه الشامخة ثوباً شفافاً هوائياً غاية في اللطف بيد ان جمال هذا المنظر لايخلو من سطوة الشدة فترى ذاك الجبار يتمطى بضلوعه الشديدة وينطح برأسه الشامخ لايقوم في وجهه قائم عَلَى ان النظر الى محاسن هذاالجبل عن كثب هي دون جماله عن بعد فترى ظهره عَلَى طول ١٥٠ كيلو متراً اقهب اجرد لاتكسوه الخضرة . اوديته متشابهة ومشارفه كأنها قدت عَلَى قالب واحد .

وقال الاب لامنس : ان لبنان اشبه بجدار عظيم من الصخور وجهته من الجنوب الغربي الى الشمالي الشرقي وفي الجهة الشرقية تراه ينقطع بغتة اما من جهة الغرب فهو يتفرع فروعاً متعددة عَلَى هيئات شتى من آكام وبطون وسهول وربى متسلسلة يدخل بعضها في بعض واذا استثنيت هذه

(١) تسريح الابصار للاب لامنس

التفرعات الثانوية والتجعدات الغير المتسقة تحققت ان سلسلة لبنان العظمى قد وضعها الخالق على صورة نظامية وجانب كبير من البساطة ولذلك قلما ترى في لبنان تلك المناظر المتباينة التي تقر بها العين وانما يقع البصر على حاجز كبير في حدود الافق يتواصل على خط مستقيم لا تكاد قمة العليا تمتاز عن بقية اقسامه ٠

ووصف شكله ايضاً فقال : ومن تفرع الجبل من الجنوب الى الشمال وجده يتزايد علواً و كذلك يتسع عرضاً ولو تأمل الناظر من علو الجو عرض لبنان بين صيدا ومشغرة لوجده يزيد عن ٢٩ كيلومتراً وهو يبلغ بين بيروت وقب الياس ٣١ كيلومتراً ومعظم اتساعه بين طرابلس والهرمل ٤٦ كيلومتراً فيكون لبنان على كل ذا شكل مربع منفرج عن زاويتيه العلويتين أه ٠

ولقد قدروا مساحة لبنان بثلاثة آلاف وخمسمائة كيلو متر يحده جنوباً صيداء واعمالها وشمالاً طرابلس و كورتها وشرقاً ولاية سورية وغرباً البحر المتوسط ومدينة بيروت ٠ هذا هو حده الجديد وهو المعروف بلبنان الغربي والاصل في التسمية ٠ ويطلقون اسم لبنان الشرقي على وادي التيم وجبل الشيخ (حرمون) اي على قضاءي حاصبيا وراشيا وما اليهما والبقاع فاصل بين اللبنانين ٠ وحده القدماء فقالوا : (١) انه جبل مطل على حمص يجيء من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل وما كان بالاردن فهو جبل الجليل وبدمشق سنير وبحلب وحماة وحمص لبنان ويتصل بانطاكية والمصيصة فيسمى هناك اللكام ثم يمتد الى ملطية وسميساط وقاليقلا الى بحر الخزر فيسمى هناك القبق قال وفي

(١) الازهري في معجم البلدان لياقوت الحموي

لبنان سبعون لساناً لا يعرف كل قوم لسان الآخرين الا بترجمان (؟) وفيه من جميع الفواكه والزروع من غير ان يزرعها احد وفيه يكون الابدال من الصالحين . وقال القلقشندي ثم يمتد لبنان الى الشمال ويجاور دمشق واذا صار في شماليها سمي جبل سنير .

وعلى ذكر الصالحين نقول ان لبنان مشهور منذ القديم بانقطاع الناس الى العبادة فيه قال ابن جبير في كلامه على العلم والمتعلمين في الشام في القرن السادس للهجرة ما نصه : وكل من وفقه الله بهذه الجهات من الغرباء للانفراد يلتزم ان احب ضيعة من الضياع فيكون فيها طيب العيش ناعم البال وينهال الخبز عليه من اهل الضيعة ويلتزم الامامة او التعليم او ما شاء ومتى سئم المقام خرج الى ضيعة أخرى او يصعد الى جبل لبنان او الى جبل الجودي فيلقى بها المريدين المنقطعين الى الله عز وجل فيقيم معهم ماشاء وينصرف الى حيث شاء . ومن العجب ان النصارى المجاورين لجبل لبنان اذا رأوا به احد المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت واحسنوا اليهم ويقولون هؤلاء ممن انقطع الى الله عز وجل فيجب مشاركتهم وهذا الجبل من اخصب جبال الدنيا فيه انواع الفواكه وفيه المياه المطردة والظلال الوارفة وقل مايخلو من التبتل والعبادة . وقال ابن بطوطة في القرن الثامن : ان جبل لبنان من اخصب جبال الدنيا فيه اصناف الفواكه ولا يخلو من المنقطعين الى الله تعالى والزهاد والصالحين وهو شهير بذلك ورأيت فيه جماعة من الصالحين قد انقطعوا الى الله تعالى ممن لم يشتهر اسمه .

قلنا ولذلك نرى المعروف اليوم بالاحصاء ان في لبنان نحو الفي راهب وراهبة لهم ١١٨ ديراً ماعدا الكنائس والبيع والصوامع التي لاتخلو قرية عن

واحدة او عدة منها ولا يقلّ دخل الرهبنات والاديار فيه عن مئة وخمسين الف ليرة في السنة كما أكد بعض العارفين · وهو نحو ثلث ايراد لبنان باسره · وفيه المحابس التي ينقطع فيها الى النسك بعض الرهبان فيقيمون في مغارة او مكان منفرد يتعبدون في الخلاء · زرت احدهم في مديرية القاطع فرأيته متوفراً على كرم له هناك حتى جاد واخصب يعمل فيه بيده ولا يكاد يأكل منه متى نضج ويصرف شطراً من وقته في النسك والصلاة · ولو قام كل امرىء بالواجب عليه فسعى للمعاش سعي هذا الحبيس وعبد الله وخافه لارتفعت الشرور من البشر وقلّ احتياجنا للحكومات وقوانينها · وهذه المحابس (١) قديمة في لبنان ترد الى عهد هيلاريون الناسك او قبله وفي عدلون بين صيداء وصور على مقربة من صرفند عند الجسر صخر عال حفر فيه نحو مائتي كهف اتخذها الرهبان مساكن لهم ·

وبالنظر لتوسط لبنان من سورية كان نافعاً بعمرانه لها بطبيعته فكان علو قممه — واعلاها ظهر القضيب علوه ٣٠٦٣ متراً ثم في الوسط جبل صنين وعلوه ٢٨٠٦ متراً واعلى نقطة في جبل الشيخ ٢٨٦٠ متراً —وتكاثر ضبابه وكثرة اشجاره وقربه من البحر كلها داعية الى كثرة الثلوج والامطار فيه فيتكون من عصاراتها ومسايلها انهار ذات شأن عظيم في عمران الشام · فمن سفوح لبنان تنبجس اعظم انهار سورية فنهر العاصي الذي يروي اراضي وادي حمص وحماة وانطاكية ينبجس من المرمل في شمالي لبنان ونهر الليطاني الذي يروي بلاد صيداء وصور وتنتفع به بعض بلاد البقاع ينبع من لبنان ونهر طرابلس المسمى بنهر ابي علي ويعرف قديماً بقاديشا يخرج من

(١) تسريح الابصار

سفح لبنان ونهرا الكلب وبيروت اللذان يسقيان مدينة بيروت وضاحيتها ينبجسان من السفح الغربي من لبنان ونهر البردوني الذي يسقي زحلة وبعض البقاع هو لبناني المنبع ايضاً · ومن لبنان الشرقي ينبجس الاردن « الشريعة » كما ينبجس من غرب لبنان الغربي نهر ابراهيم

فلبنان في فائدته لسورية اشبه بجبال الالب في سويسرا او بنيل مصر من حيث امتداد المنافع · وللالب والنيل المثل الاعلى · وفي لبنان عدة ينابيع منها نبع الاربعين ونبع صنين وبقايع واللبن والعسل والباروك وعين زحلتا وقد زرت هاتين الاخيرتين

وصلنا الى الباروك في زهاء ساعتين من دير القمر مارين بيت الدين مركز متصرفية لبنان الصيفي وكفرنبرخ وبعض المزارع وقرية الباروك في واد منفرج قليلاً تنبع عينها على قيد غلوة منها اما المصطافون فيها فيختارون في الغالب النزول باقرب من رأس العين في نزل هناك او خيام لهم يضربونها وسط الحراج المبثوثة على آكام الباروك وجبالها فيوفر لهم بذلك الى جودة الماء التي مابعدها جودة فيما اظن — طيب الهواء ونسيم الارز والصنوبر العليل البليل · ومن الباروك الى عين زحلتا ساعة على الراكب وفي هذه القرية فنادق حسنة لكثرة ورود المصطافين اليها للتمتع بنبع الصفا وقاع الريم اللذين ينبعان في ظاهرها ولتسريح عيونهم بجمال موقعها وخصب واديها وحراجه الغيناء · وعين الباروك وعين زحلتا على مساماة واحدة في العلو وماؤهما يكاد يكون متشابهاً والطريق من عين زحلتا الى عين صوفر ماراً بطريق السكة الحديدية نحو ساعتين ونصف في العربة او على الراكب وهذه العيون ينتفع بها كلها في سقي الحدائق في القرى البعيدة والقريبة

ومن صوفر قصدت حمانا وقرنايل فصليما فعبدات فبحنس فبكفيا فبيت شباب فالشاوية فالفريكة . وهنا قضيت مع صديقي الابر امين افندي ريحاني الكاتب الشاعر المفكر الشهير اياماً رائقة ريثما ركبت البحر من بيروت قاصداً القطر المصري فاوربا . هذا وقد كان سبق لي منذ سنين ان زرت بعض قرى كسروان والبترون وزحلة فاكون هذه المرة بما خبرته من حال هذه الاقضية الثلاثة الاخرى وهي جزين والشوف والمتن خليقاً بان اتكلم على الجبل خصوصاً ولم ينقصني منه الا قضاء الكورة فقط .

نبذة في تاريخ لبنان

٣

لم يخرج لبنان في دور من ادواره عن كونه معقلاً حصيناً كل من ساده يكون في الاعم من حالاته الى الشدة والمضاء يتعب من يسودهم وقد يتعب به جيرانه من اهل البلدان الاخرى . ولقد كان تاريخه السياسي كتاريخ معظم المقاطعات السورية استقلالاً وخضوعاً للغريب ولكن ايام الاستقلال اكثر من غيرها في غيره من اقاليم الشام

والغالب ان قاصيته خضعت للفينيقيين كما خضعت سواحله واستولت عليه حكومة الايتوريين العربية في عهد الروم . والايتوريون شعب شديد الشكيمة مولع بالحروب انكفأ من حوران واللجاه بلاده ونزل البقاع فانشأ له مدينة شالسيس او عين جر جعلها عاصمة واخذ يشن الغارات على لبنان ويتقدم الى الامام حتى تيسر له ان تسورقمه واخضعه لسلطانه ثم انحدر الى سواحل الشام وجعل مدينة طرابلس مركزاً ثانياً (١) واكثر من كانوا

---

(١) تسريح الابصار

يتأذون من بأس الايتوريين سكان جبيل وبيروت فلم يكونوا يملكون معهم لانفسهم طولاً ولا حولا

ثم خضع هذا الجبل للفاتحين واستولى على زمامه المردة وهم قوم من نصارى الفرس اتى بهم الروم ليدفعوا عن لبنان غزوات الايتوريين فنزل المردة (٢) في الشمال اوائل القرن الاول للهجرة ثم جاء التنوخيون ونزلوا جنوبيه وتوالى عليه الامراء المعنيون فآل عساف التركمان ومن سلالة المعنيين الامير فخر الدين الذي عهد اليه السلطان سليم فاتح سورية ومصر بولاية الشام ثم الشهابيون ومن امرائهم الامير بشير المالطي الثاني ومن امراء لبنان جان بولاد (جنبلاط) الذي حكم الشام سنتين في القرن العاشر فيما ذكر .

وروى التاريخ ان سكان كسروان اخذوا في القرن السادس واوائل القرن السابع للهجرة يطيلون ايدي اعتدائهم على ابناء الجبيل يخطفون المسلمين ويبيعونهم من الاعداء فكان عساكر المسلمين معهم بين عدوين هم في جبال صنين او الظنينين كما سماهم ابو الفداء وجيوش التتار التي انهالت على هذه البلاد كالسيل العرم ان نجا المسلم من التتري لا ينجو من الكسرواني (سنة ٦٩٩) ولذا سار شيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٠٤ لنصح اولئك العصاة فلما لم ينجع النصح فيهم قاتلتهم الجيوش الشامية قتالاً هائلاً بزعامة جمال الدين اقوش الافرم نائب دمشق . والغالب ان سكان كسروان كانوا اذ ذاك خليطاً من النصيرية والموارنة وغيرهم كما كان سكان ساحل كسروان من اليعاقبة .

(٢) هذه اللفظة فارسية ومعنى مرد الرجل

وما زال نواب الشام (١) الاشرف بن خليل قلاوون والناصر محمد بن قلاوون يحاربون النصيرية في كسروان حتى اخرجوهم وجعلوا بدلهم قوماً من التركمان في بعض النواحي وبقي كثير من المتاولة معهم كما فعل صلاح الدين يوسف لما استخلص ساحل لبنان ولاسيما جبيل واعمالها من ايدي الافرنج سنة ٥٨٣ فرتب (٢) في جبيل قوماً من الاكراد لحفظها فبقيت على ذلك الى سنة ٥٩٣ فباعها الاكراد الذين كانوا بها ورحلوا عنها ثم عادت تلك السواحل فاستولى عليها الافرنج بعد صلاح الدين لان الكسروانيين كانوا نصراء الصليبيين يمدونهم بالذخائر والرجال

ولذلك امر حسام الدين لاجين نائب دمشق بان تخرب بلادهم فخربت على عهده وعهد غيره من حكامها ولا سيما على عهد الافرم كما تقدم اذ قضى بقطع كرومهم وتخريب بيوتهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وتفرقوا في البلاد ايدي سبا ·

ولما انتشر التركمان بكسروان سنة ٦٠٦ تدار كوهم (٣) بثمانمائة فارس وجعلوا دركهم من حدود انطلياس الى مغارة الاسد على حدود معاملة طرابلس فكانوا يمنعون من يستنكرونه ان يتعدى دربند نهر الكلب الا بورقة طريق من المتولي او من امراء الغرب كما كانوا يفعلون بقطية (٤) على درب مصر وجعلوا التركمان ثلاثة ابدال كل بدل يقيم في الدرك شهراً لحفظ المواني والدروب · وفي سنة ٦٨٦ صدر منشور من ملك الامراء

(١) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى

(٢) معجم البلدان لياقوت

(٣) تاريخ بيروت

(٤) قرية في طريق مصر وسط الرمل كانت المجاز بين مصر والشام

لاجين نائب الشام عن الملك المنصور قلاوون الى جمال الدين وزين الدين ابن علي انه اذا بلغهما توجه المقر الشمسي سنقر المنصوري بالعساكر الى جهة كسروان والجرد ان يتوجها اليه بجموعهما وأسرتيهما وان من سبى امرأة منهم كانت له جارية او صبياً كان له مملوكاً ومن احضر منهم رأساً فله دينار وان سنقر توجه لاستئصال شأفتهم ونهب اموالهم وسبي ذراريهم · وهذه الفقرات على شدتها لم تصدر عن امراء الشام الا بعد ان طفح كأس صبرهم من تمرد الكسروانيين

واختلف العلماء في اصول سكان لبنان والارجح انهم خليط من الفينيقيين والآراميين والروم والعرب مزجتهم بودقة واحدة فغدوا مزيجاً واحداً كما هو حال معظم البلاد فانك ترى كثيرين من اسرات لبنان المشهورة نزحت من بلاد حلب وحماة وحمص وحوران في الداخلية ولاسيما في القرون الخمسة الاخيرة · ذكر المؤرخون ان معاوية نقل الى طرابلس وجبيل وبيروت وصيداء قوماً من الفرس يسكنونها · وذكروا ايضاً ان ابا جعفر المنصور العباسي لما قدم دمشق من بغداد قدم عليه من بلاد المعرة الامير ارسلان واخوه الامير منذر بجماعة من عشيرتهما فطابت نفس الخليفة بهما فامرهما ان يسكنا في جبال بيروت الخالية من السكان وانعم عليهما بمقاطعات معلومة فسكنوا وبعضهم في كسروان واخذوا يشنون الغارات على مجاوريهم وفي بعضها احرقت قرى من كسروان السفلى ونقوى الامراء الارسلانيون بعشائرهم وعمروا العمائر في الشويفات وجوارها ·

اما الموارنة فكان اول منشأهم في شمالي سورية في الاغلب ينتسبون الى قديس لهم اسمه مارون وهم طائفة كاثوليكية لا يكادون يختلفون عن الكثلكة

في امر جوهري في المعتقدات جاؤوا شمالي لبنان اولاً وما زالوا يمتدون ويطردون سكان الجبال الاصليين او ينصرونهم ويدمجونهم في جملتهم حتى بلغوا الجنوب واحتفظ الدروز ببلادهم بما فيهم من الشدة والاباء ·

وزعم بعضهم ان الموارنة لم يسكنوا كسروان قبل القرن السادس عشر للميلاد لانه لا يوجد بين اديار كسروان اليوم دير واحد يسبق عهده القرن الرابع عشر وان جبيل والبترون كانتا على الحياد مع الصليبيين فلم تنحازا اليهم ولا للمسلمين اصحاب البلاد الا ان هذا لم يمنع من الرواية الثانية من ممالأة الموارنة للصليبيين ودلالتهم على الطرق ونجدتهم (١) لهم وثباتهم معهم على العهد الى النهاية حتى خرجوا من سورية سنة ١٣٠٢م ومن اجل هذا اضطر حكام البلاد ان يحرقوا ويقتلوا ويسبوا بعض القرى القريبة من طرابلس مثل اهدن وبقوفا وحصرون وكفرسارون والحدث

وما برح لبنان ينقسم بين امراء المقاطعات يحكمونه على النحو الذي كانت عليه صورة الحكم في البلاد العثمانية قبل تنظيم الولايات· يقوى اليمانيون تارة والقيسيون اخرى والناس معهم في امر مريج ومن التحزبات القيسية واليمانية ماوقع في الربع الاول من القرن السادس عشر للميلاد بين الامير فخر الدين المعني القيسي وجمال الدين الارسلاني اليمني · قال المقريزي وعشير الشام فرقتان قيس ويمن لا يتفقان قط وفي كل قابل يثور بعضهم على بعض ·

ونشأ حزب آخر وهو الحزب اليزبكي نسبة الى يزبك جد الشيخ عبد السلام العماد زعيمه والجنبلاطي نسبة الى الشيخ علي جنبلاط زعيمه الآخر

(١) تاريخ البطريرك الدويهي وتاريخ المقاطعة الكسروانية للخوري منصور طنوس الحتوني

وذلك سنة ١٧٢٩ — ١٧٥٤ وامتد في لبنان ولم يزل له اثر كما نشأت احزاب اخرى كالملوفي والمكارمي ومثل هذه الاحزاب قد لاتخلو من حدوث فتن تهرق فيها الدماء وتكثر الأيامي والاماء كما فعل الحماديون واحرقوا بلاد جبيل والبترون فخربت جميعها ونزح سكانها الى بلاد ابن معن وكانت المداوة بين بني سيفا وبني معن سبباً في تخريب الجبل ايضاً ·

ومن الوقائع التي يتمت فيها الاطفال تلك الوقعة التي جرت في القرن العاشر عقيب ان نهب بعض امراء لبنان الصرة السلطانية من جون عكا بينا كانت محمولة الى الاستانة فجمع ابراهيم باشا صهر السلطان مراد بن السلطان سليم العساكر من مصر وقبرص ودمشق وحلب وقدم بها الى مرج عرجموش قرب زحلة وامسك طريق البحر والبقاع على الدروز فقتل نحو ستمائة منهم واسر بعض الامراء ·

وما زالت حال الجبل في اقبال وادبار تقع اليوم فتنة العاقورة وغداً وقعة مرحلاتا وبعده وقعة ارض خلدة ثم فتنة برج الفلول وبعد ذلك وقعة عين دارة حتى اقامت له الدولة سنة ١٨٤٢ عمر باشا النمسوي والياً فلم تطل مدته حتى منحت الدولة للجبل امتيازات وقسمته في السنة التالية الى مقاطعات · وتعرف الاولى (١) بقائمقامية النصارى وهي الشمالية تمتد من نهر البارد في عكا الى طريق دمشق مع بعض قرى ساحل بيروت تولاها الامير حيدر اسماعيل اللمعي وتعرف الثانية بقائمقامية الدروز وهي الجنوبية تمتد من طريق الشام الى منتهى جبل الريحان في الشمال مع قرى اقليم التفاح وبعض قرى ساحل بيروت وتولى شؤونها الامير احمد عباس الارسلاني

(١) دواني القطوف لعيسى افندي اسكندر المعلوف

اما قصبة دير القمر فكان يتولى شؤونها رجل من قبل والي ايالة صيداء وكانت قائمقامية النصارى مؤلفة من المتن وكسروان والبترون والكورة وزحلة وقائمقامية الدروز تشمل قضاءي الشوف وجزين وقسماً من غربي البقاع وبعض قرى مديرية الساحل الداخلة اليوم في قضاء المتن وفرض عَلَى لبنان في كل سنة ثلاثة آلاف وخمسمائة كيس ٠

ودام الحال عَلَى ذلك الى سنة ١٨٦٠ وقد اشتعلت جذوة تلك الفتنة المشؤومة بين الدروز والنصارى في لبنان فمنحت الدولة هذا الجبل استقلالاً اداريّاً بان جعلته متصرفية يتولى شؤونها حاكم مسيحي تبعث به الدولة كل خمس سنين او تجدد انتخابه بمصادقة الدول ٠ وجعل مال لبنان سبعة آلاف او ثلاثة ملايين ونصف مليون قرش وضعت عَلَى الاعناق

ولحكومة لبنان موارد اخرى سنوية منها نحو اربعة ملايين قرش من بدلات حاصلات الاراضي الاميرية ورسوم المحاكم والمقاولات والعربات والعجلات وتعدل بثلاثة عشر الف ليرة ولا تتناول الدولة الآن شيئاً من مال الجبل ولا تعطيه وكانت منذ سنين تدفع اليه العجز في ميزانيته ٠ وفي لبنان الف جندي لبناني بادارة امير الاي لبناني وفي بيت الدين فرقة من الجند العثماني المحافظ وعليها امير الاي بادارة حكومة لبنان ٠

وتحاول حكومة الجبل الآن ان تزيد الضرائب قليلاً ليتيسر لها القيام ببعض الاصلاحات والتوسعة عَلَى موظفيها كما وسع عليهم في سائر البلاد العثمانية بعد الدستور الا ان معظم الاهلين يقاومونها وفاتهم ان الليرة منذ خمسين سنة لا تعادلها اليوم الا الثلاث ليرات او اكثر لوفرة الذهب وغلاء الاسعار ٠ وهم يعتبرون ان هذا العمل اخلال بشروط امتيازاتهم ويخافون

ان يتدرج الامر الى العبث بقانونهم فيختل نظامه مع الزمن من اجل هذا ابى اللبنانيون ان يبعثوا الى مجلس الامة العثمانية بنواب منهم يمثلونهم وما نظن وطنيتهم تحول بينهم في الانتخاب القادم وبين ارسال نواب عنهم حتى يشتركوا وسائر اخوانهم العثمانيين في الغنم والغرم فليس من الانصاف ان يبقى جبلهم بدعوى قلة خصبه على الحياد وهو في وسط البلاد ويحسب جزءاً متمماً من اجزاء السلطنة العثمانية كيف تقلبت الحال وتعددت المظاهر والاشكال

غابات لبنان

٤

ليس في لبنان ارض تبلغ مساحتها مائة كيلومتر مربع بل غاية مافيه من الاراضي منحدرات ومنعرجات واودية ضيقة ومسايل صغيرة وفيها جعل القدماء زروعهم واشجارهم واكثر الاراضي مما يصلح للشجر اكثر مما يصلح للبقول والغلات شأن جبال الارض في الاكثر . وليس في الأيدي نص قديم يشير الى اصناف زراعة لبنان منذ عرف التاريخ غير مانقلناه في نبذة سالفة عن مؤلفي العرب من ان فيه اصناف الفواكه والزروع واكثرها مما ينبت بنفسه وهو كلام مجمل لايشبع ولا يقنع . واذ كانت طبيعة ارض لبنان لم تتغير منذ عشرات من القرون كانت الزروع التي لاتناسبها ارضه ضعيفة فيه او تكاد تكون معدومة .

ولكن لم تخل ارض لبنان في زمان من ازمانها من الزيتون والتين والكرم والخروب والجوز واللوز والتفاح والصنوبر والتوت من الاشجار المثمرة والزان والسنديان والسرو والارز من الاشجار الغير المثمرة . وقد اكثر

القدماء والمحدثون من الكلام خاصة على تاريخ الارز لورود ذكره في الكتاب المقدس مرات ولان من خشبه بني قصر داود وهيكل سليمان والهيكل الثاني الذي جدد في ايام زربابل وسقف الهيكل المجدد في عهد هيرودوس وقبة القبر المقدس وسقف الكنيسة في بيت لحم . وقالوا انه ثبت ان ملوك الاشوريين والبابليين استعملوا في قصورهم خشب الارز وان المصريين ادخلوا من خشبه في بناء هياكلهم وقصورهم كما فعل الفرس وان الاسكندر المقدوني وضع من خشب الارز في السد الذي اقامه بين الجزيرة والشاطي حيث كانت مدينة صور وكذلك ملوك السلوقيين في سورية ادخلوا خشب الارز في بناء دورهم .

وكل هذه الاخشاب قطعت من لبنان او من الجبال المجاورة له وكانت تحمل في الغالب الى طرابلس وصيداء وصور حيث كانت دور الصناعات وقد انشأ بعض ملوك الاسلام اساطيل من خشب الارز وقالوا ان بيروت (١) كانت دار صناعة دمشق (ترسانتها او ورشتها) وبها عمر معاوية المراكب وجهز فيها الجيش الى قبرص ومعهم ام حرام واسمها الغميصاء وقيل انه عمر من الارز الفا وتسعمائة سفينة وبعد سنين جهز اسطولاً اضخم من الارز نفسه وتبعه غيره من ملوك الاسلام في اختيار الاخشاب للسفن من غابات لبنان وما برح كثيرون من المتدينين بالنصرانية يتبركون بشجر الارز ويحملون من غصونه قطعاً ينقلونها من قارة الى قارة ومن مملكة الى اخرى وهو عطر الرائحة اذا وضع في النار ويحسن في المشم اذا مسته يدك ولونه صفر فاقع مشرب بخطوط حمراء لاتبيث به الارضة ولا يفعل فيه السوس

(١) تاريخ بيروت

ولذلك كاد ينقرض لكثرة حرص السوريين وغيرهم على استعماله في ابنيتهم وقصورهم وبيعهم وهياكلهم وتماثيلهم ونصبهم ٠

والغالب ان الحكومة السالفة (١) القديمة في لبنان كانت تحتكر اربعة اشكال من الشجر تستثمرها لخزينتها وهي السرو والعرعر والارز والصنوبر وتسمح بقطع غيرها واحتطابه او غرس غيره محله ٠ وقد بدأ النقص في هذه الاشجار ولا سيما الارز منها منذ خمسة قرون لان اللبنانيين احتاجوا الى الاحتطاب واخذوا يكثرون من زراعة التوت والكرم خصوصاً وقد جرت عادة بعض حكام لبنان اذا غضبوا على احد ان يقطعوا اشجاره ويخربوا داره والى اليوم لايزال من الامثال العامة السائرة في الجبل « الله يقطع رزقه » اي مايملك من شجر و « الله يخرب زوقه » اي بيته

مثال ذلك ان الامير احمد المعني طرد المشائخ الحماديين المتاولة لما كثر بغيهم في كسروان ففروا الى بلاد بعلبك فاحرق قراهم في القرن الحادي عشر وقطع اشجارهم وقد رسم مرة بيدمر (٢) نائب الشام لشهاب الدين ابن زين الدين صالح من امراء الغرب في لبنان وكان في دمشق ان يركب على خيل البريد ويتوجه الى قرية عين زحلتا من شوف صيداء ليكشف عما فيها من اشجار التوت النافع لعمل النشاب فلم يجده موافقاً وربما احب عدم تصديع اهل البلاد بقطعه ونقله ومنذ ذاك العهد اجتهد اهل الشوف في قطع شجر التوت وتعطيل نشوئه واستئصاله لئلا تصدعهم الدولة من جهته ٠ قلنا ومثل ذلك مانشاهده في ايامنا من ان بعض اهل القرى البعيدة

(١) دواني القطوف

(٢) تاريخ بيروت

عن مراكز الحكومة في الولايات العثمانية قد يسخون بقطع اشجارهم فراراً من ظلم ملتزمي الاعشار واشتطاطهم في تقاضي العشور عليها اضعافاً مضاعفة

ولم يبرح شجر الارز موجوداً في عدة اماكن من لبنان على كثرة ماانتابه من البوائق فبالقرب من معاصر الفخار على مقربة من بيت الدين غابة منه فيها نحو ٢٥٠ شجرة يسمونها الابهل واخرى فوق قرية الباروك غير ملتفة وضعيفة النمو لكثرة الامطار والثلوج والعواصف في تلك الارجاء وثالثة فوق قرية عين زحلتا وكان احرق اكثرها لاستخراج القطران منه وقطع بعضها ايام حادثة سنة ستين لتجدد بخشبه بعض بيوت المنكوبين ورابعة بين افقا والعاقورة في جرد جبيل من بلاد كسروان وخامسة بين قرية تنورين وبشري صغيرة الشجر وعدد شجيراتها نحو عشرة آلاف وسادسة بالقرب من بشري على علو ١٩٢٥ متراً عن سطح البحر وهي مقصد السياح وفيها اضخم اشجار الارز ويبلغ عددها ٣٩٧ وقيل ٦٨٠ شجرة منها ١٢ كبرى واكبرها شجرتان دائرة جذع كل منهما نحو خمسة عشر متراً وارتفاع اطولها خمسة وعشرون متراً وقدروا عمرهما بثلاثة آلاف سنة . ولا اثر الآن في سورية لشجر الارز الا في اعالي سير بلاد الضنية (١) في وادي النجاص ففيه كثير من شجر الارز على ارتفاع ١٩٠٠ متر عن سطح البحر وبين سير ونبع السكر وفي الغابة الواقعة خلف وادي جهنم ويسمى عند اهله تنوب .

ولو توفرت همة ابن الجبل اليوم على غرس شجر الارز او اي كان من شجر الاحتطاب في الاماكن الخالية ولا سيما في القمم والقنن لما انت عشرات من السنين الا وقد زادت ثروة الجبل زيادة محمودة وكان مع طول الزمن

(١) تسريح الابصار

لابن لبنان من اشجارة مورد آخر غير التوت والزيتون مثلاً لان شجر الارز لايجود في الغالب الا في مثل هذا العلو من الجبل بل من جبال سورية التي تشبه لبنان بطبيعتها وموقعها

واذا زاد عدد الغابات في سورية زيادة كبري وتوفرت عناية ولايات بيروت وسورية وحلب ومتصرفيتي القدس والزور بتكثير الغابات في الاماكن الخالية ولا سيما في المحال التي يعرف انها كانت غابات غبياء نافعة بتحول مناخ سورية وتكثر فيها الامطار بعد سنين ولا تعود تخشى اليبوسة وهلاك الزرع والضرع كما يحدث بعض السنين فيتأذى بذلك العرب الرحالة في باديتهم كما يتضرر ابن المعمورة بهم ويصبح منهم بين نكبتين سماوية بقلة الامطار وارضية بسطو ابن البادية على مابقي لابن القرى من رزق

وليت حكومة لبنان تبدأ فتفرض على كل لبناني ان يغرس عشر شجرات من اصناف الشجر علة تقتدي بها سائر حكومات بلاد الشام بعد ذلك فلا يأتي علينا جيل الا وتصبح سورية غنية بغاباتها كغنى سويسرا او اكثر والاشجار في بلادنا اكثر نمواً مما هي في اوربا لما عرف من اعتدال الفصول ولطف الجو ولقد جربت حكومة الجزائر فرست الغابات منذ زهاء خمسين سنة فكانت النتيجة ان كثر اليوم تهطال الامطار فيها على طريقة منظمة وسيكثر خيرها كلمازادت اشجارها وعسانا نقتدي في سورية بهذا المثال

الهجرة من لبنان

٥

منذ أمن السكان في لبنان على ارزاقهم وانقطعت شأفة ارباب المقاطعات الذين طالما اشتطوا في مطالبهم وبطلت او كادت السلطة الافرادية الذوقية وقلت الاوبئة والزلازل التي كانت تحصد العمران والسكان حصداً كالزلزال الذي عاود لبنان مرات سنة ١٧٥٩ م وخرب القرى واهلك الناس والطاعون الذي حدث سنة ١٧٨٩ وعم لبنان كله واستمر الموتان ثلاثين سنة (١) — منذ خفت العوارض الطبيعية والارضية اخذ كل فرد يحسن من حاله فتمت النفوس باستتباب اسباب الراحة واخذ المرسلون وغيرهم من رجال الدين منذ زهاء مئة سنة ينشئون ابناء الجبل على المنازع الدينية ويلقنونهم شيئاً من اللغات الافرنجية والعلوم العصرية كما ان الموارنة مازالت لهم علائق مع الكرسي البابوي في رومية يختلف اليه احبارهم منذ قرون وربما انتفع الجبل من هذه الصلة والعائد

ثم ان طبيعة الجبل تقتضي التحسين والتنظيم والمسيحيون على الجملة يميلون الى الرفاهية ويقدرون طعم الحياة قدرها ولم يكد يدخل القرن الثالث عشر للهجرة في دور العدم ويطلع القرن الرابع عشر حتى دخل جبل لبنان في طور جديد فكثرت طرق عجلاته حتى اصبح لديه منها الآن نحو الف كيلومتر تجمع بين قراه ومزارعه كالشبكة المحكمة وتهيء سبل التنقل على المصطافين في ربوعه واكثر هذه الطرق في قضاء المتن لانه ظهر لبنان ونقطته الوسطى ومقصد المصطافين من البيروتيين والشاميين والمصريين وغيرهم . وفيه الآن سبعون كيلومتراً من الخطوط الحديدية منها خمسون

(١) تاريخ المقاطعة الكسروانية

من طريق بيروت ودمشق وعشرون من تراموأي شمالي لبنان ·

وفي هذا الجبل ٢٥ (١) مدرسة داخلية كبرى وصغرى و ١٤ مدرسة اكليركية و ٨ مستشفيات و ٢٠٦ من الحراج والغابات و ١٤٧ من معامل الحرير و ٨١٩٧ من الدواليب وبلغت حاصلاته من الفيالج (الشرانق) سنة ١٩٠٦ — ٢٠٢٧٠٣٠ اوقة ومن الزيت ٢٥٤٨٨ اقة وثمن الحرير الذي يخرج منه نحو ثمانية ملايين فرنك في السنة وكثر سكانه حتى عدلوا ان في كل كيلومتر مربع ٦١ نفساً ولا يفوق الجبل في ذلك غير ولاية الاستانة وجزيرة سيسام (ساموس) · وسكانه الآن زهاء اربعمائة وثلاثون الف نسمة منهم ٢٥٠ الفاً من الموارنة و ١٦٠ الفاً من الروم و ٣٦ الفاً من الكاثوليك و ٥٥ الفاً من الدروز و ٣٣ الفاً من المسلمين (سنة وشيعة) و ١٥٠٠ من البرتستانت والباقون ارمن واسرائيليون وكلدان ولاتين وفيه خمسمائة من اهل الوبر يعيشون في مضاربهم خارج القرى واكثرهم فقراء يتكففون الاكف وقد احصى غليلموس الصوري في تاريخ الصليبيين عدد الموارنة في عصره فكانوا اربعين الفاً وما زال عددهم يربو عَلَى عدد وفياتهم وان هاجر كثيرون بعد ذلك الى قبرص ورودس والقدس ومالطة ولا يبعد ان تكون اللغة الغربية انتشرت في جزيرة مالطة بواسطتهم ·

ولا يسعنا وقد وصلنا من بحثنا في شؤون الجبل الى هذا الحد الا ان نرسل جملة في شغف اللبنانيين بالهجرة الى اميركا وغيرها من البلاد التي توهم ابن سورية ان المال فيها ملقى عَلَى الشوارع لايحتاج الا الى من يمد يده ليتناوله مع ان اولئك المهاجرين لو صرفوا في بلادهم نصف مايصرفون من

(١) دليل لبنان

الوقت والقوة في بلاد المهجر على طول السنة وحسبوا ماصرفوه في ذهابهم وايابهم وقدروا عدد من هلكوا منهم لرأوا ان المعدل واحد والفرق قليل لايشاوي هذا النصب ·

والذي ظهر من قرائن الاحوال ان ابن لبنان كان اول فلاح سوري هاجر الى اميركا او جرأ سائر السوريين على الهجرة مجذوباً بما اشتهر عن القارة الاميركية من الغنى ولكثرة علائق لبنان مع الغرب قبل حادثة سنة ١٨٦٠ وبعدها ولان ابن لبنان اكثر اهل جبال سورية تعلماً ونوراً واوفرهم نشاطاً ومضاء وشمماً وادلالاً بل ان مجموع القارئين والكاتبين فيه اوفر من مجموع القارئين والكاتبين في مجموع مدن الشام

واول من دخل اميركا (١) من السوريين الخوري الياس بن القسيس حنا الموصلي الكلداني من سنة ١٦٦٨ — ١٦٨٣ واول من دخل اميركا الشمالية في القرن الماضي الخوري فلاينانوس الكفوري سافر اليها سنة ١٨٤٨ واخذ معه ناصيف الشدودي واول من دخل الجنوبية المطران باسيليوس حجار سنة ١٨٧٤ وكانت غايتهم جمع الاحسان واول من دخل اميركا الشمالية للتجارة تجار من بيت لحم حملوا مصنوعاتهم الخشبية المرصعة بالصدف الى معرض فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ ثم عادوا الى بلادهم بثروة وافرة فاقتفى اثرهم غيرهم واتصل ذلك بشمالي لبنان وامتد في كل سورية ثم كثرت الجالية السورية في العالم الجديد واوستراليا وجزر البحر المحيط بل وفي افريقية شرقها وغربها وشمالها وجنوبها

وقدر بعضهم ان ثلث المهاجرين يسكن اميركا وثلثهم يرجع الى وطنه

(١) دواني القطوف لعيسى افندي اسكندر المعلوف

والثلث الآخر يموت . ونظن ان الثلث الأخير مبالغ فيه وان كان عدد الهالكين في المهجر غير قليل . واحصي (١) عدد السوريين المهاجرين الى سنة ١٩٠٦ فكانوا مائتين وخمسين الفاً منهم ستون الفاً في الولايات المتحدة وخمسون الفاً في جمهوريات اميركا الجنوبية وخمسة وعشرون الفاً في اميركا الوسطى وعشرة آلاف في اوستراليا وبعض الجزائر والباقون في افريقية والهند والفيلبين وكوبا ومصر وعدد اللبنانيين منهم ستون الفاً نصفهم ذكور ونصفهم اناث وربما كان الذكور اكثر

كثرت الهجرة منذ نحو عشرين سنة وذهب بعض سكان لبنان باقدامهم وذكائهم المعهود فنزلوا في دار الهجرة بلاداً تحتاج الى ايدٍ عاملة ونفوس لاتعرف التعب فانشأوا يعملون ويدخرون ويقترون علَى انفسهم في النفقة علَى خلاف عادة معظم المهاجرين الى اميركا من اهل اوربا مثلاً فآب من قدرت له السلامة منهم ولم يكن له رأس مال في هجرته غير صحته بمئات من الليرات فكان اول همه ان يعمر له داراً فوراء بالحجر النحيت والقرميد علَى المثال الذي رآه في بيوت المهجر

وكثر تقليد الناس بعضهم لبعض ومنهم من اشترى له ارضاً في بلده وطفق الآخر يتجر بما جناه من ذاك الرأس المال القليل اما الافراد الذين اغتنوا فعدت ثروتهم بالالوف فقد استوطنوا البلاد التي هاجروها جرياً على المثل العامي « في المطرح الذي فيه ترزق الصق » وهم ان كانت تحدثهم انفسهم بالرجوع لايهنأ لهم بال متى عادوا اذ يتجلى لهم الفرق الكبير بين نيويورك وشيكاغو وسان فرنسيسكو وبونس ايرس وسان باولو مثلاً وبين

(١) دواني القطوف

عشقوت وبسكنتا وعمشيت وعرنة ومعرونة امااولادهم فينطبعون بطابع البلاد التي ولدوا فيها واكثرهم لايتعلمون اللغة العربية ولذلك لايرجى البتة ان يعودوا الى موطن آبائهم وهذا القسم ممن خسرتهم البلاد حقيقة والذي يزيد في الحسرة عليهم ان بعضهم ذهب برأس مال من بلاده ولو طفيف وبعضهم على جانب من الاخلاق والمعرفة لم يعمدوا الى الطرق السافلة في تحصيل الثروة ·

نفعت الهجرة لبنان واضرته وعندي ان المضار اكثر من المنافع اذ لايظهر الى العيان في الغالب الا الحسن · فقد يذهب الف مهاجر مثلاً الى بلد كذا ولا ينجح منهم الا واحد او اثنان فيأخذ الناس يتحدثون في امرهما وينسون اولئك المئات الذين يعملون اربع عشرة ساعة كل يوم في اشق الاعمال ولا يكادون بعدمرورسنين يوفون اجرة الطريق التي استلفوها من احد المرابين في بلدهم او باعوا في الحصول عليها ارضاً لهم ورثوها من آبائهم خل عنك من هلكوا بالامراض وغيرها وهكذا الحال في مجموع حالة لبنان من حيث منافع الهجرة ومضارها ·

فان من نظر في الامور نظراً سطحياً وشاهد تلك البيوت البديعة في قراه ومزارعه التي عمرت بمال اتى به المهاجرون من غير ارض لبنان وسمع بان فلاناً اصبح يملك كذا وكذا من الليرات وان بلد كذا يدخل اليه كل شهر من تحاويل امير كا مايقدر بكذامن الذهب — من شاهد ذلك وسمعه لايعتم ان تعروه هزة الفرح لبلاده وربما اعتقد ان الحال اذا دام على هذا المنوال واموال امير كاتتسرب الى بلادنا تصبح بعد بضع سنين اغنى من الاميركان وتنقل شطراً عظيماً مما عندهم من الذهب الوهاج وهذا منتهى السعادة البشرية

ليست السعادة بكثرة المال · السعادة شيء غير ما يتوهمه من همهم انشاء البيوت وتزيينها من الظاهر وفي باطنها الشقاء والحسرة · قالت لي عجوز في صلما وقد سألتها ابن رجالكم : « ذهبوا الى اميركا وتركونا هنا نحرس لهم البيوت التي عمروها تسرح فيها الفيران عادوا ليجمعوا كمية اكبر من المال لان ما جمعوه لم يكفهم لاتمام هذه الدور على ما يحبون وفرشها ونقشها ثم ان حالة البلاد لم تعجبهم بعد ان شاهدوا مشاهد اميركا · » وقول هذه العجوز الذي احزنني مغزاه ولا تزال الاذن تردد صداه قد سمعت مثله من كثيرين من اهل لبنان رجال ونساء ·

اي حسرة أعظم من ان تتوقع امٌّ في كل اسبوع قدوم ابنها وقد تمضي الشهور ولا تتناول كتاباً منه او زوجة تنتظر بعلها منذ سنين هي واولادها وهو لا يكاد يبعث لهم بنفقتهم فتضطر تلك المرأة المسكينة ان تعمل ليلها ونهارها لتطعم اولادها من كدها وما هي بمفلحة · واي بلوى اكبر من ان تدخل القرية وتجد فيها عشرات من البنات عوانس ينتظرن عروساً لان شبان الضيعة هاجروا واكثرهم لا يريد ان يتزوج وبعضهم تزوج من امرأة اميركية وزهد في أسرته وقريته لانه تمدن بزعمه ولا يليق به ان يتزوج الا من متمدنة · ومن شاهد البنات العوانس في لبنان يدرك سر تعدد الزوجات في مثل هذه الحال ويسجل بان اقل سيئة من سيئات الهجرة انقطاع الاهلين عن التناسل ولولا ذلك لكثرت نفوس لبنان كثرة تذكر لطيب هوائه ومائه وتوفر اسباب الراحة فيه ·

وان دعوى من يدعون ان لبنان لولا الهجرة لاصبح خراباً مردودة من وجوه احدها انهم يعتقدون ان تلك الاموال التي دخلت لبنان وهي

تستخدم فيه الآن بفوائد طفيفة هي غنى لبنان وما الثروة في الحقيقة الا العمل ليس الا . فقد رأينا اسبانيا على عهد شارلكان يتسرب المال الى صناديقها بالبدر والسبائك من اقطار المعمور لان هذا الملك كان يعتقد ان كثرة النقود والذهب في بلاد كاف وحده في غناها ولكن لم تكن بضعة عقود من السنين حتى امست اسبانيا افقر بلاد اوربا لان اهلها انقطعوا عن تعهد تربتها والاخذ بحظ من الصناعات اللازمة لهم والعلوم الرافعة من شأنهم

ان انصراف وجهة اللبنانيين وغيرهم من السوريين الى نزول اميركا وافريقية للاغتناء من خيراتها بسرعة على امل العودة الى مساقط رؤوسهم متى امتلأت اكياسهم وجيوبهم وعباءهم قد حال دون تعهد ارضهم واستثمار صناعاتهم . ففي لبنان من الخيرات الطبيعية مايكفي اهله اذا زادوا ضعف ماهم الآن ومهما بلغت العناية اليوم بزراعته لايزال فيه فضل للعمل وميدان واسع للجد . ولا يشعر بذلك الا ارباب الاملاك . مثال ذلك ان « كدنة » الفلاحة كانت تساوي منذ سنوات قليلة خمسة وعشرين قرشاً فاصبحت اليوم تساوي ستين على حين ان غلات التوت مثلاً لم تزد على تلك النسبة وذلك لقلة ايدي العاملين وارتفاع اسعار الحبوب وغيره من مقومات المعاش في البلاد ولان المهاجر اللبناني الذي كان فلاحاً حراثاً الى عشرين او ثلاثين جداً من اجداده اذا هاجر وقضى في هجرته ثلاث سنين ثم آب الى بلاده تكبر نفسه فلا يعود يتنازل الى معاناة الزراعة بل يفضل ان يعيش كما يعيش تجار اميركا وارباب الاملاك في بلادنا وهو لايملك رأس مال يكفيه سنة واحدة اذا ظل عطلاً من العمل .

في امثال العامة « انا امير وانت امير فمن يسوق الحمير » حكمة لطيفة

فعة تصدق على لبناني المهاجر فاذا احب كل فرد من المهاجرين ان يقلد الاعيان في عيشه ورفاهيته فمن يبقى لتعهد التوث والزيتون وغرس الصنوبر والارز والسنديان والزان وحفر الاقنية والاحواض وتمهيد الطرق ومعالجة الصناعات من حل الحرير وصنع الاقمشة المزركشة البسيطة وعمل الفرش والستور وانواع الزينة ٠

ولقد قال الاقتصاديون ان من جملة ماساعد المانيا على عظمتها التجارية الصناعية العلمية انك تجد في رجالها انواع العاملين ولايستنكف كل عامل من عمله بل ولا يريد ان يعرف الا به فالالمان اشبه بجيش منظم فيهم الجندي كما فيهم الضابط الصغير والكبير والقائد العظيم وكل واحد منصرف الى عمله لاتحدثه نفسه ان يقلد رفيقه او يعتدي عليه بل يعمل في دائرته بما يستطيعه ويحسنه ماامكنه الحال ولو جرى اهل بلادنا على هذا المثال لاصبحنا بعد جيل امة راقية حقيقة ولما رأينا الصغير يشكو لانه يريد تقليد الكبير واسبابه لاتساعده ٠

نحن لانجاري اولئك الذين يدعون ان لبنان كان خرابًا لولا الهجرة لامورا قلها ان البلاد السورية واسعة واهل لبنان اليوم وقبل اليوم يستطيعون ان ينزلوا الاقاليم القليلة السكان المحتاجة الى العناية ويستعمروها فان فتشوا ذات اليمين وذات الشمال ورأوا طرابلس وعكا وحمص وبعلبك والبقاع ومرجعيون وصيداء تتاخم جبلهم وتحصرهم فيه فان لهم من بلاد الكرك وحوران وبادية الشام وبلاد حلب مثلاً مايكفي لاغناء مئات الالوف من الناس فلو نزلوا تلك البلاد الخاوية وعمروها بكدهم لاصبحت بعد سنين جنات زاهرة واقل مافي ذلك من المنافع ان هذه البلاد منهم على ايام قليلة

يستطيعون في استعمارها ان يقضوا معظم ايام السنة في جبالهم ٠

وقد كتب قائممقام سروج من اعمال حلب منذمدة في جريدة المقتبس يقول ان خمسين قرية في قضائه وحده محلولة وتباع كل واحدة منها بثلاثة آلاف قرش فلو اشتراها بعض ارباب الاموال من اللبنانيين وانفقوا عليها النفقات التي ترقي زراعتها وغرسوا فيها الاشجار واقاموا البيوت لما اتت ثلاثون سنة الا وهذا القضاء وحده من اعمر البقاع السورية فما بالك بما في غيره من الاقضية والالوية والولايات العثمانية من الخيرات

لا نوافق القائلين بالاغتناء بسرعة فان ما يأتي بدون عناء كبير قد يذهب في الاكثر كما جاء ٠ وانا نؤثر ان يوجه اللبنانيون ولا سيما في عهد الدستور السعيد وجوههم قبل البلاد الداخلية من سورية والعراق والاناضول ففيها متسع لهم وفيها لهم مغانم كثيرة لو صبروا على جنيها لكان لهم ولابنائهم واحفادهم منها مال خالد وملك لا يكاد يبلى

وفي لبنان من الصناعات القديمة ما يرتقي لو سعوا الى تحسينه كعمل الاقمشة والنجارة والحدادة (١) وغيرها وله مورد آخر للربح ينتفع منه الآن اكثر من سائر جبال سورية ونعني به موسم المصطافين فان لبنان من سورية ومصر وقبرس من اوربا واميركا يقصده الكثيرون كل سنة التماساً للصحة والراحة فلو عني اللبنانيون اكثر مما يعنون براحة من ينزلون عليهم لاتاهم الصيف في كل سنة بما لا يقل عن مليون ليرة فقد حسب بعضهم عدد

(١) في قرية بيت شباب من مديرية القاطع تصنع اجراس الكنائس وهذه الصناعة لا تعرف في بلاد العرب ولا في مصر وقد دخلت اليها في الغالب على عهد الصليبيين وكان المسيحيون من قبل في بلادنا يستعملون النواقيس من الخشب وما زالت هذه الصناعة محصورة في عائلة واحدة من عمال تلك القرية ٠

المصطافين في لبنان سنة ١٩٠٦ فكان خمسة عشر الف نسمة اكثرهم من المصريين فلو فرضنا ان الواحد ينفق عشر ليرات لكان بذلك مبلغ لا يقل عن مئة وخمسين الف ليرة فما الحال لو زاد هذا العدد ونحن نرى ان سويسرا وايطاليا تربح كل منهما من موسم السياح كل سنة مالا يقل عن خمسة عشر مليون ليرة واذا زادت عناية حكومة لبنان واهله بالمصطافين في قمم لبنان لا يعتم ان يجلب اليه اناساً من المصطافين من اهل اوربا نفسها خصوصاً اذا رأى السياح ان النفقة في الجبل اقل مما في جبال الالب وانها لا تبلغ مع اجور النقل في البحر والبر المبلغ الذي يصرفونه في بلاد الاصطياف·

وبعد فانا لا نفتأ نكرر القول بان من الانفع لابن لبنان ان يوجه بعد الآن وجهته الى الداخلية ليعتاش ويرتاش وانه اذا استفاد المهاجرون منا الى اميركا من حيث ارتقاؤهم في اقتباس بعض اصول التمدن في الملبس والمأكل والمسكن فان الانفع له اليوم ان يستعمر بلاده نفسها وهي تحتاج الى اضعاف اضعافهم · وسوف يعلمون ان هذه النصيحة صادرة عن اخلاص لا يراد منها الا نفع لبنان خاصة وسورية عامة فان مايقاسيه اللبناني من الم الغربة والمهانة في الاحايين واحتقار الغربي له مهما بلغ من مكانته جدير بان لا ينسيه بلاده والعيش بين اهله وجيرته· وقدر احد العارفين منذ ثلاث سنين ان ما حمله اللبنانيون المهاجرون الى لبنان يبلغ خمسمائة الف ليرة اي على معدل خمس ليرات لكل مهاجر فلو فرضنا ان هذا القدر قليل وعدلناه نحن بمليون ليرة هل كان هذا المبلغ يعادل ما فقد من الرجال وخسرته البلاد من قواها المعنوية والادبية

نهضة العربية الاخيرة

(١)

سادتي الاخوان

سألتموني سعدت بكم اوطانكم ان احدثكم بطرف من تاريخ نهضة اللغة العربية في المئة سنة الاخيرة وما منكم الامن استفيد منه واتشرف بالاخذ عنه · انتم من اهل الفئة الفاضلة في وطنكم يتوقع منكم ان تنيروا آفاق جهله بانوار معارفكم وان تعمروا اكناف معالمه ومجاهله بما تقتبسوه في هذه العاصمة السعيدة من تجارب نافعة وتلقفتموه من علم صحيح وآداب راقية · فاني لي وانا نازل بينكم متعلماً لا معلماً ان افوه في حضرتكم بكلام وقد اعتادت آذانكم سماع مصاقع الخطباء وتقرير جهابذة الباحثين والعلماء وما حالي وحالكم لو انصفتكم وانصفت نفسي الا حال من يحمل التمر الى هجر او المسك الى ارض الترك استغفر الله بل ان حال من يلقي محاضرة على جمعية الاخاء المصرية في باريز اعجب واغرب ·

اخواني : تعلمون قرت بكم عيون مصر انه اتت على اللغة العربية ادوار واطوار وعرض لها مايعرض لكل كائن في الوجود من ضعف وقوة وعزة وذلة وان انس ايام ضعفها كانت في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر للهجرة : وهو عهد الفتور في جسم الامة الاسلامية عامة والامة العربية خاصة · ثلاثة قرون بل اكثر مضت في مرض مستحكم كانت تكون لموت هذه اللغة الشريفة التي تعقد اليوم على امثالكم خناصرها وترجو بمساعيكم ان يكون مستقبلها خيراً من حاضرها وغابرها بيد ان لغة يفرض على زهاء مائتي مليون من المسلمين ان يتعلموها ليفهموا بها كتابهم العزيز يستحيل عليها الاضمحلال مادام في الارض مسلم يوحد الله ·

لابد لكل حركة من سبب · وسبب ماعرا العربية من الضعف في تلك القرون انقطاع الملوك عن الاخذ بيدها فاصبحت الامور العلمية صورية ينظر فيها الى الأشكال لا الى الحقائق واقتصر الناس على فروع الفقه والكلام والتوحيد وعدوا ما عداها من العلوم فضولاً لاغناء فيه وساعد على انتشار هذا الرأي السخيف ماأصاب البلاد من ضعف الاحكام وفساد النظام ولا علم حيث يفقد الامن وفي النادر ان يهتم جاهل بتعليم او يربي من لم يترب ·

وكأن قدرة المولى تعلقت بان هذه اللغة التي تشأ لها الضعف من ابنائها ان تأتيها

---

(١) من محاضرة القيناها على جمعية الاخاء المصرية بباريز

الصحة عَلَى ايدي غيرهم · وربما يعجب بعضهم الآن اذا قلنا له ان مبدأ نهوض اللغة العربية كان في مصر ايام محمد علي وقد صحت عزيمته عَلَى خدمتها مسوقاً بتابل من سلامة فطرته ودلالة بعض مستشاريه من اهل العلم من الفرنسيس فكان من اعماله الجليلة ماخلد له الفخر عَلَى الدهر وجعله من حيث خدمته للغة والعلم لامن حيث منازعه السياسية من اعاجيب الحكام في الشرق · والشرق ابو المعجزات والكرامات ·

ليس من يجهل ان محمد علي كان امياً او يقرب من درجة الأمية · مات ولم يحسن التكلم بالعربية العامية لانه كان ارناؤدياً ولم يخط سطراً واحداً لانه تعلم في الكهولة مبادئ طفيفة من حسن الخط والقراءة فقط · ومع هذا فقد عني بما لم يعن به احد من ملوك المتأخرين وشرع منذ استتب له امر مصر يختار الاذكياء من ابنائها ممن قرؤا الدروس الوسطى فيبعث بهم عَلَى نفقة الحكومة الى اوربا ليخصوا في العلوم التي اولعوا بها حتى اذا عاد احدهم واتم تحصيله يحبسه عنده في قلعة الجبل ويخرج له كتاباً بالافرنجية في الفن الذي اتقنه ويوعز اليه بان لا يخرج من القلعة قبل ان يترجمه بالعربية ويأمر له باسباب الراحة والمعينات عَلَى الترجمة والتأليف · فاذا ما انتهى الطالب من عمله يعرضه على امير البلاد وهذا يدفعه بالطبع للعارفين من الناس او الى لجنة كانت معروفة اذ ذاك بلجنة الامتحان فبعد ان تنظر فيه ترخص بطبعه في المطبعة الاميرية ويغدق الامير عَلَى المترجم انواع الهبات ويشرع في ترقيته في المراتب ان كان ممن استعدوا للادارة او الجندية او البحرية واذا كان من الاساتذة يوسد اليه التدريس في بيوت العلم موسعاً عليه في الرزق ليتخرج به ابناء مصر · وهو عمل يذكرنا بما كان يأتيه المأمون العباسي من الانعام عَلَى المترجمين ولكن مايصدر عن المأمون وهو اعلم خليفة في الاسلام لايستكثر منه وعصره عصر شباب هذه الامة بقدر مايستكثر ماتم عَلَى يد محمد علي الامي الالباني وعصره عصر شيخوخة الاسلام والمسلمين ·

قال لي صديقي الدكتور عثمان بك غالب احد حسنات مصر الذين نبغوا بفضل الطريقة التي اختطها محمد علي لمن يجيء بعده وشاهد تلك الحركة العلمية في ابانها ثم شاهدها في انحطاطها وهو يشهدها الآن في تجددها : لقد ظلت نهضتنا العلمية سائرة احسن سير الى سنة ١٨٨٢ فما بعدها وبدأ انقطاعها سنة ١٨٨٧ وقد قام بعدها رجل من ابناء مصر نفسها وهو علي باشا مبارك ناظر المعارف فسعى وربما كان بدون قصد سيء منه لاحلال اللغة الانكليزية محل اللغة العربية في المدارس الاميرية زاعماً بان الواجب عَلَى

المصريين مخاطبة المحتلين بلغتهم وهذا لايتأتى الا اذا اتقن المصريون لغه البريطانيين فبدأت نظارة المعارف في ايامه وبعدها تسلب وظائف التدريس من المصريين وتعطيها لابناء انكلترا وقطعت الارساليات العلمية الى اوربا حتى لم يكد يبقى اليوم من اولئك المدرسين المصريين غير شيوخ قلائل اذا عادوا الى منابر التعليم لايسدون حاجة مصر واخذت المعارف في عهد المبارك تطهر المدارس بامثال دنلوب وارثين من كل ماينفع اللغة او كان من آثار النهضة الاولى حتى لقد كانت تطرح الكتب المترجمة اكداساً من مستودعاتها كما يطرح القذى والنوى لتسجل العار على من عقوا لغتهم وامهم كما عق اخوة يوسف ابن ابيهم على حين كان علي مبارك من جهة ثانية يؤسس دار العلوم ويؤلف التآليف التي تخدم العربية مثل الخطط وعلم الدين وغيرها من مصنفاته

قال غالب بك كان اكثر اساتذة المدارس التي أنشئت في مصر على عهد نهضتها الاولى من الفرنسو وبين المستعربين بكتب الاستاذ درسه بالفرنسوية والمترجم معه ينقله الى العربية فيلقي على الطلبة بلغتهم دام ذلك منذ سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٥٤ وقد كتب فيها الاستاذ بروجر بك الفرنسوي رئيس مدرسة الطب والولادة والصيدلية والمستشفيات المصرية الى خديوي مصر في عهده يقول له في تقريره السنوي ان الوقت قد حان لان تكون وظائف التدريس كلها بيد المصريين اذ قد اصبح فيهم الاكفاء الآن وان مهمة فرنسا في تربية ابناء مصر في هذه الفروع العلمية قد انتهت او كادت .

ثم في ذاك العهد تم للعربية ماتريد من تعريب المصنفات العلمية والادبية على اختلاف انواعها وعادت فاضحت لغة علم بعد ان انقطع سند العلوم منها قرونا واحيا اولئك المصريون امثال الطهطاوي والرشيدي والشباسي والهيهاوي والنحراوي وحماد وبهجت والفلكي وندى والنبراوي والبقلي الفاظاً من لغتنا كانت في حكم الدارس مهجورة منذ كان العرب يترجمون وينقلون على عهد الدولة العباسية في بغداد والاموية في قرطبة والفاطمية في مصر واضافوا الى تلك الالفاظ ماحدث بعد عهد الحضارة العربية من المستحدثات العصرية والمصطلحات الفنية وعربوها على الطريقة التي سلك عليها اجدادنا المعربون غالباً حتى ان الاتراك والفرس لما شرعوا يعلمون العلوم في البلاد العثمانية والايرانية باللغتين التركية والفارسية لم يجدوا امامهم كنزاً حاضراً ينتفع به في الحال مثل تلك المعربات المصرية الحديثة في الهندسة والطب والعلوم والاجتماع والفلسفة والتاريخ والجغرافية وغيرها فنقلوا المصطلحات العربية برمتها وادمجوها في تضاعيف لغتهم

كان الطلبة الذين ارسلهم محمد علي الى التخرج في اوربا وتلامذتهم وتلامذة تلامذتهم مدة نصف قرن حملة لواء العلم لا في القطر المصري فقط بل في البلاد العربية كافة واصبحت مصر بيض اياديهم من هذه البلاد بمثابة باريز من الممالك اللاتينية تفيض عليها النور وتهز اعصابها للارتقاء حتى بلغت الكتب التي ترجمت في فنون مختلفة من الافرنجية زهاء الفي مجلد . والاثر الاكبر فيها للشيخ رفاعة الطهطاوي شيخ من ألف وترجم في عهده بما خلفه من قبله او عرب في قلم الترجمة برئاسته وابان من المبادي في مدرسة اللغات ومجلته روضة المدارس . وكلها اعمال مهمة تدل على نفس طويل وفضل جزيل . خل عنك تلك الجرائد والمجلات التي صدرت في تلك الاثناء ومنها جريدة وادي النيل لابي السعود ومجلة يعسوب الطب لكلوت بك .

ورب معترض يقول اي علاقة لنعلم العلوم الجديدة ونقلها الى العربية بحياة اللغة التي يراد منها آدابها المنثورة والمنظومة ليس الا . والجواب انه لا ادب لمن خلت لغته من امثال هذه المعارف . فكما ان للعلوم ارتباطاً كلياً بعضها ببعض هكذا للغة دخل عظيم في سلاسة آدابها بما تأخذه عن غيرها بل ان لغة مهما حوت من انواع البديع والمعاني والبيان لا تعد من اللغات الحية ان لم تكن لغة علم قبل كل شيء .

وهنا مسألة مهمة لا احب ان امر بها وانا منطلق لان لها علاقة كبرى بموضوع النهضة الادبية وهي انا اذا تدبرنا تاريخ محمد علي وحسناته على العلوم والمعارف لا نلبث ان نشبهه من ملوك الافرنج بالامبراطور شارلمان ملك فرنسا وجرمانيا الغربية . وشارلمان كما لا يعزب عن علمكم كان من اعظم ملوك دهره وله صلة بملوك المسلمين وهو الذي انفذ اليه الرشيد العباسي رسولاً من قبله سنة ٨٠١ م يحمل اليه هدايا فاخرة ومفاتيح القبر المقدس وهذا الذي كان يحمي الملتجئين اليه من امراء المسلمين الهاربين من الخلفاء في قرطبة . كان شارلمان لاول امره أمياً تعلم الكتابة البسيطة على كبر مثل محمد علي الان تنشيط التجارة والصناعة والآداب كان مغروساً فيه بالفطرة فجعل قصره معهد المستنيرين والمتعلمين الذين كان يستعين بهم على نشر المعارف بما انشأه من المدارس باشارة الكوين المشهور استاذه وامين سره وباذر الجراثيم الاولى من المعارف في هذه الارض الفرنسوية وبمساعيه أنشئت المدارس في اكس لاشبل عاصمة البلاد اذ ذاك وتور واورليان وليون واستنسخت الكتب الوافرة لينتفع بها الطلاب

ومن العجيب انه حدث لنهضة شارلمان ماحدث لنهضة محمد علي حذو القذة بالقذة وذلك

انه لما مضى لسبيله عادت تلك الحركة العقلية فركدت ريحها جملة واحدة لان من خلفوه عَلَى سرير الامبراطورية لم يكونوا عَلَى قدمه ولا رزقوا سعة عقله وصفاء طبعه ولان الاعمال العظيمة في البلاد المنحطة قد تقوم بالفرد اكثر من قيامها بالافراد وعَلَى العكس منها في البلاد الراقية . اتت خمسون سنة عَلَى فرنسا بعد وفاة شارلمان مات في خلالها التعليم اوكاد ولم تدب روح التجديد فيها الا بانتباه عقول الامة وعَلَى يد اناس من ابنائها كما قامت مصر منذ نحو عشرين سنة تجدد حياة ادآبها بيدها بعد محمد علي بنحو خمسين سنة متكلة في مهمتها عَلَى نفسها لا عَلَى الحكومة وبذلك جازلنا الاستنباط بان كل اصلاح يقوم بالامة في هذا الوجود يكون الامل في بقائه اكثر مما يقوم بيد الحكومة ولا سيما في الدول الاستبدادية التي تجد فيها تمييزاً بين الامة والحكومة . والحكومات قد تعرض لها عوارض تنسى معها الترغيب في العلم ومنها الى اليوم من يفضل الجهل عَلَى العلم . ولهذه المسألة نظائر كثيرة في تاريخ الامة العربية فقد رأيناها تسعد وترقى في برهة قليلة عَلَى يد فرد عظيم عاقل من ملوكها وشاهدناها تشقى وتنحط بفرد آخر لا يرجع الى عقل ولا الى نقل .

كان الادب العربي قبل دور النهضة الاخيرة عبارة عن سجع كسجع الكهان طول بلا طول ولا طائل وجمل باردة سمجة وشعر ركيك اكثره في الاماديح والاهاجي وان ارتقى الشاعر افتنّ لسانه في وصف الخد والخال وذات النطاق والخلخال من ربات الحجال او الذكران من الرجال . وما اظنكم اعز الله بكم دولة الادب الا قد وقع لكم شيء كثير من امثال هذه الركاكات والسخافات فضربتم بها عرض الحائط وحمدتم الله على ان خلقكم في زمن قام فيه من الكتاب امثال محمد عبده واحمد فارس وابراهيم المويلحي وابراهيم اليازجي وابراهيم الحوراني وطاهر الجزائري وعبدالله فكري ومحمود شكري الالوسي وجمال الدين القاسمي وحفني ناصف و يعقوب صروف وابراهيم مصور وسليمان البستاني وعبد الرحمن الكواكبي وشبلي شميل وقاسم امين واحمد فتحي زغلول ورشيد رضا ورفيق العظم وعبد الحميد الزهراوي وعبد العزيز جاويش وصالح حمدي حماد ولبيب البتنوني وفريد وجدي ومحمد فريد وعلي يوسف واحمد تيمور وزكي مغامز وشاكر شقير وسامي قصيري وشحادة شحادة وسعيد الشرتوني ورشيد الشرتوني وفرح انطون وجرجي يني وابراهيم النجار واديب اسحق ونعوم لبكي ونعوم مكرزل واحمد فؤاد وسعيد ابو جمرة ومصطفى الغلاييني وعبد الباسط فتح الله ومحمد بيرم وخير الدين

التونسي ومحمد المهدي وشكري العسلي وشاكر الحنبلي وعبد الوهاب الانكليزي ونجيب شاهين واسكندر شاهين وسعيد الباني ومحمد محمود وحافظ عوض وحسن حسني الطويراني واحمد سمير وعبد الغني العريسي ورزق الله حسون ويوسف البستاني وانطون جميل وعادل ارسلان ونسيب ارسلان وجرجي حداد ورشيد عطية ونجيب طراد ويوسف زخم وعبد الوهاب النجار وميشيل بيطار وخليل زينية ومحمد مصطفى واحمد زكي ومصطفى لطفي المنفلوطي وامين ظاهر خير الله وعيسى اسكندر المعلوف وديمتري قندلفت ويوسف الخازن وروحي الخالدي ومحي الدين الخياط ومحمد المويلحي وخليل سعادة وداود بركات وبشارة زلزل وبولس زوين وعبد القادر المغربي وبدر الدين النعساني ومرسي محمود ومحمد صادق عنبر وعبد الرحمن البرقوقي وعبد القادر المؤيد وعبد الكريم سلمان واحمد الصابوني وعشرات غيرهم لا تحضرني الآن اسماؤهم من شيوخنا وكهولنا وشباننا . وقام من الشعراء محمود سامي وعبد المحسن الكاظمي واسماعيل صبري وحافظ ابراهيم واحمد شوقي ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي وشكيب ارسلان وفارس الخوري وخليل مطران وعبد الله البستاني ومصطفى صادق الرافعي وبطرس كرامة وناصيف اليازجي وعبد الباقي العمري ونجيب الحداد وامين الحداد وولي الدين يكن ونقولا رزق الله وشبلي ملاط وداود عمون وفضل القصار ورزق حداد وغيرهم ومن الخطباء جمال الدين الافغاني وعبد الله نديم وابراهيم الملباوي وسعد زغلول واحمد الحسيني ونقولا توما ومصطفى كامل وعبد الرحمن شهبندر وانيس سلوم واسكندر العازار وفارس نمر ومحمد ابو شادي وامين ريحاني ومحمد لطفي جمعة واحمد لطفي السيد واحمد عبد اللطيف وعمر لطفي واحمد لطفي وابراهيم اللقاني واحمد محمود وعبد العزيز الثعالبي وغيرهم ممن هم عمدة العربية في نهضتها الاخيرة عملوا لخيرها في مصر والشام والعراق وتونس اعمالاً وخلف اكثرهم من مآثر فضله ما يطرس المتأدبون عليه وينسجون على منواله .

وبينا كانت اللغة العربية تزهر في مصر في الامارة العلوية عزّ على الشام ان تكون دون شقيقتها في هذه الخدمة الشريفة فنشأت لهذه اللغة حياة جديدة في سورية لا بواسطة الحكومة كما في مصر بل بواسطة الافراد والجمعيات وذلك في اواسط القرن الماضي وكانت بيروت مدينة وهي ثغر لبنان وسورية موطن تلك الشعلة وقد جاءها اناس من مرسلي الفرنسيس والاميركان وانشؤا فيها مدارس جعلوا لغتها الاولى اللغة العربية واتقنها كثيرون من اهل لبنان لخدمة مساعيهم وكانت اليد الطولى في تنشيط لغة قريش للدكتورين كرنيليوس فانديك ويوحنا ورتبات وهما من اعاظم مؤسسي

الكلية الاميركية الانجلية في بيروت تعلما العربية والاول اميركي والثاني ارمني ودرسا بها مع اقرانهما العلوم الطبيعية والرياضية والطبية ومن غيرتهما عليها ان عمدة المدرسة لما عمدت ان تجعل لغة التعليم في الكلية اللغة الانكليزية بدل العربية قاوما ماوسعتهما المقاومة ولما اخفقا استقالا من وظيفتيهما لانهما ابت مروءتهما الا ان يمحضا النصح للبلاد ولغتها . والدكتور كرنيليوس فانديك الاميركاني في سورية بفضله على اللغة العربية وما عرب لها من كتب العلم اشبه بالشيخ رفاعة الطهطاوي في مصر ووجه العجب في فانديك اعظم لانه اميركي الجنس والمنشأ غار على لغة العرب اكثر من اهلها ومن الغضاضة على مصر والشام انهما لم تعرفا لها حقهما على ما يجب وكان على القطرين ان يرفعا لها تمثالين كما رفعت باريز لهوغو وروسو او كما رفعت مصر لمحمد علي وابراهيم . والعلماء ان لم يكونوا احق بالرعاية من رجال السياسة في بلادنا فلا اقل من ان يكونوا على مستواهم .

ولقد كان من اعظم من خدموا الآداب العربية في بيروت على ذاك الدور ايضاً بطرس البستاني وأسرته بما نشره من دائرة المعارف العربية وغيرها من الكتب والجرائد وبثه في مدرسته الوطنية من اصول العلم وفروعه وكذلك يوسف الاسير وابراهيم الاحدب وناصيف اليازجي وأسرته وغيرهم . فهؤلاء كلهم توفروا على التعليم وتخرج بهم مئات من الطلبة الذين انتشروا بعد في اقطار الشام ومصر واميركا وكان منهم الكتاب والصحافيون والمحامون والخطباء . ولم تحرم الاستانة — والعواصم مرزوقة منذ خلقها الله — من نزول عالم بالعربية فيها اتخذها مباءة علمه ومثابة درسه وبحثه واعني به احمد فارس الشدياق الذي اقترح عليَّ صديقي سيد افندي كامل من رجال الجامعة المصرية ان اتوسع في الكلام عليه .

اصل هذا الرجل من لبنان من أسرة مسيحية خرج من بلاده مغاضباً فقضى زمناً طويلاً في مصر وتونس ومالطة وفرنسا وانكلترا وتعلم في خلال ذلك الانكليزية والافرنسية ثم دان بالاسلام والف بعض الكتب ومنها التأليف في كل معنى طريف طبع في مالطة سنة ١٨٣٩ ومن كتبه في اوربا كتاب الساق على الساق في ماهو الفارياق او ايام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجام طبعه في هذه العاصمة سنة ١٢٧٠ هـ . وضمنه ترجمة حياته وشؤونا وشجوناً على اسلوب يجمع بين الجد والفكاهة تقدر ان تعده من الانشاء المعروف عند الافرنج بالامورستيك (الجد في الهزل) او الريالست

(الحقيقي) الذي حدث في عهد فلوبر او الناتوراليست (الطبيعي) الذي تم عَلَى يد زولا وانك لتدهش من قدرته فيه عَلَى التعبير ورشاقته في التصوير ومتانته في التحرير والتحبير فكأن اللغة التي كان من جملة محفوظات احمد فارس فيها قاموس الفيروزابادي الذي الف كتاباً مهماً في نقده سماه الجاسوس عَلَى القاموس — كانت نصب عينه يأخذ منها كل ساعة مايشاه ويستحضر في دقيقة مايصعب الاتيان به في ساعة ويتقن ماشاء بيانه وتبيانه . ولفظ الفارياق مقتطع من اول اسمه « فارس » وآخر اسم أسرته « الشدياق » . وقد حمل في كتابه عَلَى رؤساء الدين حملة منكرة لان بعضهم قتلوا اخاه ظلماً وتعصباً جعلوه في بناء لهم وبنوا فوقه لانه دان بالمذهب البرتستانتي (١)

هبط احمد فارس مدينة الاستانة بعد ان خبر حال اوربا بخبرة زائدة وانشأ جريدة الجوائب التي طارصيتها في الآفاق ورزق الحظوة بعمله فكان ملوك الاطراف يهادونه ويمنحونه المنائح وممن كان يساعده خديوي مصر وباي تونس وملك باهوبال في الهند حسن صديق خان الذي طبعت له مطبعة الجوائب معظم تآليفه العربية وكان هذا الملك اعلم الملوك المتأخرين بل اشبه بابي الفداء صاحب حماة في جمعه حكم الناس الى معالجة التأليف وهو بلا نزاع نابغة العجم والعرب في فهم اسرار الكتاب والسنة

ولقد كانت جريدة الجوائب مثال الانشاء العربي البحت سارت جميع صحفنا التي أسست بعدها عَلَى نسقها وقلَّ ان نشأت لنا جريدة في صحتها وديباجتها العربية اللهم الا ان تكون جريدة العروة الوثقى للشيخين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومصباح الشرق لابراهيم بك المويلحي والبرهان للشيخ حمزة فتح الله وذلك لان جريدته كانت كهاته اسبوعية وله فيها مساعدون في الاقطار كان يهاديهم ويهادي علماء عصره حتى كثر احبابه من العلماء في شمالي افريقية وغربي آسيا ووسطها وهو الذي يتولى النظر في كل ماينشر فينمقه ويزوقه وناهيك بكلام تصقله الانامل الفارسية . فاحمد فارس هذا لو انصفنا هو واضع اساس الصحافة العربية وباعث روح الحياة في آدابنا بما خلفه من آثاره . ومن اراد ان يطلع عَلَى شيء من كتاباته في جوائبه فعليه بالرجوع الى كنز الرغائب في منتخبات الجوائب وهو مطبوع متداول وان احب الاطلاع عَلَى الجوائب برمتها في جمعها ووضعها فليرجع اليها في خزائن الكتب في اوربا ومصر والاستانة .

ولم يقف عمل احمد فارس عند حد نشر جوائبه وكتبه ومنها كتاب سر الليال ورحلة

(١) وهنا قرئت نموذجات من شعر احمد فارس ونثره من كتابه الفارياق

له الى اوربا جدية محضة وكتاب نحو اللغة الانكليزية وديوان شعره وغيرها بل نشر طائفة من كتب الادب واللغة والشعر ككتب الثعالبي والتوحيدي والطغرائي والبديع وغيرهم من ائمة الادب نشرها على احسن اسلوب راق في طول البلاد وعرضها باثمان بخسة فعمت بها الفائدة وانشأ طلاب الآداب يحدونها في اسلوبها . ومابرحت مطبوعات الجوائب الى اليوم يتنافس فيها المتنافسون ويدخرها غلاة الكتب لينتفع بها الاحفاد والبنون على ممر الدهور والقرون .

ابتلي احمد فارس باناس حسدوه واي عالم خلا من حساد وطفقوا يشنعون عليه ويزيفون شعره ونثره وينقدون جريدته وكتبه ولكن تلك المناقشات اللغوية الادبية بينه وبينهم بل بين حزبه وحزبهم لم تزد فارسنا الا جرأة على الجري في مضماره وقبولا بين العالمين بمصنفاته وآثاره فكان بنقده بعض كتاب العربية اشبه بسانت بوف في نقده كتاب عصره من الفرنسويين فاستفاد ارباب الاقلام من تلك المحاورات كما استفادوا بعد مما دار بين التقدم والمقتطف والبيان والضياء والمشرق وبذلك اخذ من يعانون صناعة القلم يتأنون قليلاً فيما يكتبونه واخذت تخف اغلاط الكاتبين والشاعرين وتسلم عبارة التأليف كما نقل الناقلون عن اللغات الافرنجية ونحا المؤلفون مناحي قدماء الكتاب في ترك التكلف والتعسف حتى صح لنا ان نقول اليوم ان اسلوب الكتابة العربية لا ينقص عن اللغات الافرنجية الراقية بايجازه واندماجه وتقطيعه وفيه بلاغة قدماء المنشئين وسلاسة المعاصرين وافكارهم .

نعم عادت للغة العربية ولاسيما في الثلاثين سنة الاخيرة نضرتها الاولى في القرن الرابع والخامس والسادس للهجرة وخلصنا من ذاك السجع المتكلف الذي اتانا به العماد الكاتب الاصفهاني من فارس — وفارس مورد بدع كثيرة في الاسلام منها الزندقة والزنادقة ثم الباطنية ومنها الموسيقى والعود المطرب — ونقله الى العربية فاجاد في اكثره الا ان من جاؤوا بعده قد افسدوا به علينا لغتنا لانهم لم يتقنوه

واني لا ازال اذكر ما كنت اكثر من مطالعته واستظهاره ايام ولوعي بالادب من مقامات الحريري ورسائل الخوارزمي ورسائل الصابي وتاريخ اليميني للعتبي ومقامات الزمخشري ومقامات الاصفهاني وقلائد العقيان وذيله مطمح الانفس للفتح بن خاقان وخطب ابن نباتة وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه وخزانة الادب لابن حجة والريحانة للخفاجي وغيرها من الكتب التي كنت اطرب لتلاوتها ولا اكاد افارقها في خلوتي

وجلوتي . ولما كتب لي الاطلاع عَلَى الآداب الفرنسوية والتركية وانشأت ابحث عن كتب كتبت بلا تكلف وتعمل ككتابات الجاحظ وابن المقفع وعبدالحميد الكاتب وسهل بن هرون وابي حيان التوحيدي وابن مسكويه والراغب الاصفهاني والغزالي والماوردي والطبري والمسعودي والصاحب وابن العميد وابن خلدون وابن الخطيب وغيرهم من جهابذة المنشئين غدوت اعجب من نفسي كيف اضاعت وقتها في تلقف تلك الاسفار المسجعة وفي اللغة مثل نهج البلاغة والبيان والتبيين والذريعة والاحياء وغيرها مما لا يتسع المجال لتعداده وهو في الحقيقة ونفس الامر مادة ادب كما هو مادة علم لا تبلى على الدهر جدتها ولا تخلق ديباجتها كما كنت اعجب من اقبالي ايام الطلب عَلَى تلاوة شعر ابن النبيه وابن معتوق والصفي الحلي وابن منجك وابن مليك والجندي من شعراء المتأخرين وعند العرب من اهل هذا الشأن امثال ابي تمام وابي الطيب وابي عبادة وابي نواس والشريف الرضي وابن حمديس الصقلي وابي فراس الحمداني .

يرجع الفضل الاكبر في انتشار دواوين الادب والتاريخ واللغة من كتبنا لعلماء المشارقة من الغربيين امثال دوزي ودساسي وومستنفيلد وعشرات غيرهم من اهل اوربا ولبعض ما نشره اليسوعيون في مطبعتهم المتقنة في بيروت وما نشرته الجمعيات الكثيرة التي ألفت في اوقات مختلفة في مصر لاحياء الكتب العربية وآخرها تلك الجمعية التي طبعت لنا المخصص لابن سيده احسن كتاب عني بطبعه في شرقنا ولما طبعته المطبعة الاميرية ومطبعة الجوائب ومطابع الجرائد في مصر والشام وتونس . كل هذه الاعمال اعانت العربية عَلَى تحسين آدابها وترقيتها . ولا ننسى غيرة اولئك الذين نسجوا في منظومهم ومنثورهم عَلَى مناحي الاوربيين من حيث قلة الكلفة ومجاراة الطبع ومحاكاة الطبيعة ووصف عواطف النفس بايجاز واعجاز واولئك الذين وقفوا انفسهم منذ عشرات من السنين يعربون لنا كل يوم في جرائدهم ومجلاتهم افكار الغربيين في سياستهم وعلومهم واجتماعهم فكونوا مجتمعنا الادبي عَلَى ما ترونه وجددوا للغة شبابها بحيث أمنا بفضلهم عليها من العفاء واصبحنا نرجو لها دوام النماء والارتقاء .

انا لا اقدم لكم مثالاً من امثلة ارتقاء لغتنا اكثر من ان احيلكم عَلَى مراجعة مجموعة من جرائدنا العربية قبل ثلاثين سنة مثل الجنان والجنة في سورية والفلاح والمحروسة في مصر وان ترجعوا الى كتابة الدواوين في مصر في منتصف القرن الماضي مثلاً وترجعوا اليها اليوم وان كانت الى الآن عشيقة الركاكة بعض الشيء . قابلوا المنشورات

التي تصدر اليوم في الوقائع الرسمية في مصر وما كان يصدر من امثالها منذ مئة سنة مما اورد الجبرتي في تاريخه نموذجاً صالحاً منه بنصه وفصه . عارضوا بين لغة القضاء اليوم وما تفيض به السن المحامين واقلامهم في مصر من التفنن في اساليب الدفاع والتأثير الخطابي وبين ما كان للغة من نوعها مما ذكر صاحب كتاب الحاماة طرفاً صالحاً منه يتجلى لكم كيف ارتقت لغة القضاء . استمعوا لخطباء اليوم ممن درسوا الدروس النظامية وتشبعوا بالعلوم العصرية وقابلوها باكثر ما يحفظه خطباء الجوامع او يقرأونه من السجعات في دواوين الخطب القديمة . تدبروا لغة التمثيل اليوم وان كنا فيه دون سائر فروع الآداب تأخراً واسألوا كيف كانت منذ البدء حليفة الضعف والسماجة . اقرأوا المحاضرات التي تتلى اليوم في نادي المدارس العليا ونادي دار العلوم في مصر الخالية من التعقيد والغلط الحالية بالرشاقة والبيان وقابلوها بالخطب التي كانت تتلى زمن الثورة العرابية وبعدها مثلا تدركون كيف وفقنا الله الى قيام بناء آدابنا على هذا الاسلوب الرائق والابداع في الاداء والالقاء

اليس مما يعد من نهوض اللغة ما نراه من احكام ملكتها في طلبة دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي فقد رأينا طلبة احداثاً تخرجوا من دار العلوم فكانوا والله اعرف بالعربية وفنونها من اكثر من اشتهروا في قرون الانحطاط الاخير على غير حق اما من تمحض منهم للتدريس والنفع فهم مفخر من مفاخر العربية في هذا العصر استحكمت فيهم ملكة البيان استحكامها من العرب العرباء واحاطوا بعلوم الوقت احاطة نبهاء الغربيين .

واليكم ايضاً مثالاً صغيراً اذكره لكم على ما اتت به بعض مدارس مصر في حياة اللغة فقد شاهدت في وادي النيل بعض الاحداث ممن لم يدرسوا غير الدروس الثانوية يكتبون كتابة صحيحة في الجملة تسقط فيها على روح البيان والتلطف في التعبير مما لا تتلوه في عسلطات المحشين والمهمشين والشارحين من الفقهاء والنحويين المتأخرين وما ذلك الا بفضل المدارس المنظمة وما تلقيه الجرائد على مسامع الناس وانظارهم كل يوم من فصح العربية وشواردها وتتفنن فيه من اساليب التعليم . نعم ان مطالعة الجرائد والمجلات اعانت على انتشار الآداب وادخلت الغيرة على التعلم في نفوس ارباب الاستعداد

ولذا رأينا البلاد العربية التي لم تنشأ فيها مدارس لتعليم العربية على الاصول الحديثة ولم يولع اهلها بمطالعة الجرائد لقلة انتشارها بينهم ما زال اهلها الى اليوم يكتبون لغة سقيمة ويتكلمون بلغة سقيمة ومن هذه البلاد مراكش فان مدينة فاس منذ القديم

ماخلت من افراد يعانون الآداب على الاصول القديمة ولكنهم في الجملة خير من اهل الجزائر الذين لاتكاد تجد فيهم فرداً يعد في الطبقة الثانية في كتابنا فيما علمت وما ذلك الا لان اللغة العربية لم تقم لها في بلاد الجزائر في دور من الادوار سوق نافقة ولان حكومتها تحاول منذ القديم ان تجعل اهلها فرنسيساً في لغتهم وافكارهم ومنازعهم

ولئن ضعفت في تونس تلك الروح الشريفة التي بثها فيها خير الدين باشا التونسي واشياعه فان الآمال قويت الآن بارتقاء ملكة العربية لانتباه التوانسة الاذكياء من الخلدونيين وغيرهم . اما طرابلس الغرب وبرقة والصحراء والسودان فهي من اخوات الجزائر في ضعف ملكة البيان وقلة الجرائد فيها بل عدمها ولكن هناك في صحراء مراكش بلد غريب في تلقف ملكة العربية واعني به شنقيط بلد الشيخ محمد محمود الشنقيطي الحافظ المشهور في عصرنا . وطريقة اهلها طريقة الاقدمين في التلقي والاستظهار وقد شوهدت في شنقيط بعض البنات الشنقيطيات الى اليوم يحفظن كامل المبرد مع الفهم واظن من يحسن فهم هذا الكتاب قلائل حتى في شيوخ الازهر .

اما سورية فتكاد ينحصر الفضل في احياء ملكة العربية الجديدة ببعض المدن وبقيت الاخرى غريبة عن تلك الحركة مثل فلسطين وبلاد حلب وداخلية ولاية سورية ومثلها الحجاز واليمن ونجد وحضرموت ومسقط وعمان وزنجبار والجزيرة والعراق الا ان ذلك لم يحل دون نبوغ بعض افراد شاركوا اتم المشاركة في حياة العربية وعني بهم بعض اولئك العراقيين النوابغ الذين الفوا وكتبوا ولم يعقهم الحجز على الافكار الذي دام في البلاد العثمانية الى يوم ٢٣ تموز ١٩٠٨ ولذلك لانغالي اذا قلنا ان ثلاثة ارباع ماتم للعربية من الارتقاء في القرن الاخير يرجع الفضل فيه لمصر والربع الآخر يوزع على سورية والعراق وتونس . ومن الاسف اننا لانزال نرى بعض الجرائد في الولايات العربية تصدر باللغتين التركية والعربية ولكن القسم العربي منها يكاد يكون اشبه بالمالطية والكرشونية منه بالعربية الحجازية فتسقط فيها من الاغلاط في التركيب والتأليف والالفاظ والوضع مانسأل الله معه السلامة واقل من ذلك غلطاً تلك الجرائد التي صدرت مؤخراً في طرابلس الغرب وبعض مدن سورية الصغرى وبغداد والبصرة والموصل واحسن منها جرائد مهاجري سورية في اميركا الشمالية والجنوبية وهي لاتقل عن ثلاثين جريدة وفيها الجيد الرشيق . ومع هذا فان الآمال قويت بان لاينتصف

هذا القرن الرابع عشر للهجرة الا وتكون ملكة الآداب عمت البلاد التي ينطق فيهـا بالضاد بل بالصاد والحاء والخاء والعين والغين والثاء والذال والظاء ورقيت لغتنا بمساعي المنورين من ابنائها امثالكم درجة عالية خصوصاً في البلاد التي كانت كعبة هذه اللغة ومنبعث انوارها وار يد بها الحجاز واليمن ونجـداً فان فيها بقايا من ارباب الذكاء النادر الى الآن من لو تمرنوا على العمل اذا تهيأت لهم الاسباب لاتى على ايديهم خير كثير للامة ولا يرجى ذلك الا متى انقطعت شأفة الفتن من تلك الاقطار وأمن الناس على اموالهم وارواحهم ليتفرغوا اوافرادمنهم للدرس والاستنارة

هذا ما احضرني في موضوع نهضة العربية الاخيرة النيرة في هذه المحاضرة وربمـا خرجت عن البحث بعض الشيء وسماحة عفوكم تسعني وانتم تعلمون اني على اوفاز استودعكم الله والسلام عليكم

طريقة التعليم

كان من اول الاصلاح في اوربا أواخر القرون الوسطى وأوائل القرون الحديثة لمـا شرعت الامم الراقية فيها تدرس العلوم المادية والادبية ان انت على طريقة التعليم تصلحهـا بمـا يقتضيه حال الزمن والتجـارب فتم لهـا في أوائل القرن المـاضي تنظيم مدارسها على النحو الذي نراها عليه اليوم واصبحت يدخلها الطالب فيتعلم في بضع سنين لغة اولغتين او ثلاثا معهـا الى ماينحتم عليه معرفتـه من العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية والادبية والاقتصادية فيخرج الطالب بعد هذه الدروس النظامية الاولية ملماً بفروع كثيرة بل بامهات العلوم واصولهـا المقررة لاعداد العقول للتفكير والانامل للكتابة والالسن للنطق والاجسام للحركة وهذه الدروس التي يدعونها دروس الموسوعات (الانسكلوبيذية) يمر فيها الطالب على كثير من المطالب تمهيداً اذا اراد الاقتصار عليها والانصراف الى اكثر الاعمال التجارية والصناعية والزراعية والعلمية . واذا سمت به همته الى الاخصاء في علم واحد من العلوم التي ذاقها في الجملة يتمحض لهـا ويدخل مدارسها الخاصة كمدارس الزراعة والتجارة والمعادن والميكانيكيات والادب والطب

والهندسة والقضاء والجندية واللغات والفلسفة واللاهوت والاجتماع وغير ذلك من اصناف العلوم التي جعل لكل فرع منها مدرسة خاصة اوصف خاص يدرس فيها من تصح عزيمته على الامتياز في احد فروعها ليكون فيها مرجعاً ويبرز على اقرانه فينفع وينتفع

ولولا اصلاح طريقة التعليم والالقاء لم يتيسر للشاب ان يدرس في سنين قليلة مثل هذه الدروس الكلية ولكن اصول الكتب التي أُلفت بحسب سني الطلب ومن الطالب وطريقة الالقاء الشفاهي والاملاء الكتابي هي التي تفتح ذهن الطالب وتحبب اليه الدرس والبحث منذ الصغر فلا يتناول من العلم الا بقدر معلوم ولكنه يتناول اللباب ويطرح القشور ويقرأ المختصرات ابان دراسته كليات العلوم فاذا شب يتناول المطولات فتكون منه على طرف الثمام

فبمثل هذا التنظيم في التعليم ثم الاخصاء في فرع او فرعين نبغ في الغرب رجال في علوم البشر لاشبه بينهم وبين رجالنا في سعة المدارك وبعد الهمم والعلم الواسع وبتربية بنيه على هذا الاسلوب المتقن نبغ في القرون الاخيرة افراد ليس في رجالنا من يضاهيهم او يبلغ علمه ربع علومهم امثال ديكارت وكونت وكانت وباكون وسبينوزا وينفتزلا وامرسون ونيوتن وهاكسلي وسبنسر وكيتي وشيلر وروسو وفولتير ومئات يتعذر الآن احصاؤهم

هذه المدارس وطرق تدريسها هي التي حرم منها الشرق الا قليلا ولا يرجى تأسيسها على ما يجب في البلاد المصرية والعثمانية الا بعد ان تكون المائة والخمسون طالباً الذين بعثت بهم نظارات الحكومة العثمانية الى كليات أوربا قد انجزوا الفروع التي يتمحضون لها ويعود اولئك الذين ارسلتهم الجامعة المصرية للاخصاء في فروع متنوعة من العلم يدرسون في الجامعة بالعربية فيتخرج بهم ارباب الرغبات في العلم كما يتخرج الآن في السلطنة العثمانية اناس كثيرون بالرجال الذين درسوا الفنون العسكرية والطبية في المانيا او يتخرج المصريون بالاساتذة القلائل الذين تعلموا في كليات انكلترا وفرنسا والمانيا على نفقة نظارة المعارف المصرية

متى كثر عدد المتعلمين على الطريقة الحديثة واصبح الاستاذ لايجلس في حلقة تدريسه وعلى منبر القائه الا اذا كان افنى شطراً من حياته بالقعود على دكات تلك المدارس الراقية وأسهر الجفن في الليالي وراء المناضد وتخرج باعاظم اساتذتها الاعلام

هنالك قل للعثمانيين والمصريين انكم بلغتم درجات الامم الحية لجديرون وانتم ما انتم ان يهابكم العدو ويحترمكم الصديق . واي سلاح امضى من العلم الصحيح والآداب الرائعة واي عاقل يبجل غير الحري بالتجلة والاكرام ممن امتاز بصفات الرجولية الحقيقية

لاجرم ان اصلاح التعليم على الاسلوب الجديد وتدريس علوم الدنيا به ينفع اذ ذاك في احياء العلوم الدينية ايضاً لان الارتقاء سلسلة لا يتيسر ان يكون بعضها عاطلا وبعضها حاليا بل هو كالبناء لا يكون صحيحاً اذا تداعى منه جانب

متى حسنت طريقة التعليم لا يقتضي طالب العلم الديني بضع سنين مثلا في تعلم بعض العلوم الآلية ليحسن مطالعة عبارة معربة بنفوس كما هو الحال في الروم ايلي والاناضول والشام سنين كثيرة في بحر البناء والمقصود والعزي والمراح والعوامل والاظهار والكافية والشافية والسمرقندية والمختصر والسنوسية والايساغوجي وغيرها من كتب النحو والصرف والبيان والمنطق ثم لا يتلو شيئاً من العلوم التي يقصد تعلمها كالتفسير والحديث والفقه والكلام والحكمة .

وذلك كما يغوص طالب العلم في الازهر في قراءة الاجرومية والكفراوي والازهرية وابن عقيل والخضري والصبان وغيره من كتب النحو المطولة والمختصرة ينتقل من واحد الى آخر حتى يفرغ صبره ولو قرأ احد هذه الكتب المطولة قليلاً كابن عقيل وشرحه مثلا لاغنته عن هذا التطويل الذي يضيع به وقته ويتبلد ذهنه وتفوته الغاية المقصودة من الطلب واللغة آلة لا غاية . ولكن عقم طريقة التعليم قضى ان لا يتعلم طلبة الجوامع والمدارس سواء كان في الديار المصرية والبلاد العثمانية الا هذه القوانين والقواعد ويحرموا من تطبيق النظر على العمل

وليت شعري أليس من فساد طريقة تعليم المشايخ ان لا يعلم الطالب منهم كتاباً اوشذرة من علم الادب واللغة ليتفهم اثناء دراسته النحو والصرف والبيان معاني الكلام الفصيح ويطبق النحو والصرف والبيان والمنطق على العمل ثم يتأتى له تأليف جملة صحيحة عربية وكيف يتأتى للمرء اتقان لغة دون ان يطلع على كلام اهلها وكيف يؤلف الكلام من لا يفهمه وهل اللغة الا السماع من اصحابها والجري على مناحي بلغائها وما نظن الغزالي وابن رشد وابن سينا وابن الطفيل وابن زهر وابا حيان وابن جرير الطبري والماوردي ومئات غيرهم في الاسلام كانوا يعرفون فروع النحو ودقائقه مثل ابن الحاجب وابن عقيل والبركوي والصبان واضرابهم من أئمته ومع هذا انتفعت الامة بكتب

أولئك الفلاسفة والعلماء انتفاعا يبقى أثره على الدهر ولم تعهد لهم غلطة شائنة ولا اسلوب ركيك

لا يتيسر اتقان لغة من لغات العالم كلها الا بالسماع من افواه اهلها وسلوك الطريقة العملية في اقتباسها فلو اتقن الطالب جميع قواعد النحو والصرف والبيان والمنطق كما هو الحال الآن في هذا الصنف من المتعلمين ولم ينظر في تحليل الكلام العربي واستظهار القدر اللازم من منثوره ومنظومه ولم يتدبر معاني الكتاب ولا اخذ بقسط من الحديث وغيره ما استطاع الطالب أن يفهم روح اللغة العربية على اصولها ومن لم يفهم اللغة كان حريا بأن لا يفهم اسرار الشريعة على ما يجب

ان المدارس الغير النظامية كالازهر والقائم صدت الناس عن الطلب لما اعترضهم دونه من العقبات بالطريقة العقيمة المتبعة معهم واي طريقة أفسد من ان يظل الشيخ يشرح للطالب المبتدىء في اول يوم يشرع فيه بتعلم النحو كيفية اعراب البسملة ووجوه قراءتها على حين يكون الطالب غفلا لا يعرف الجار من المجرور ولا المرفوع من المنصوب ولا الصفة من الموصوف وهكذا يبقى الشيخ يضيع وقته ووقت الطالب على غير جدوى وقد رأيت من المشايخ من قرأوا العوامل في سنة والعوامل مثل فهرس لابواب النحو لا يبلغ ثلاث ورقات الا ان المدرس أوسعها شرحا وتحشية وتهميشا حتى صارت كتاب نحو مطول هيهات أن يستوعبه عقل طالب

ولما كان من خير ما تم من الاصلاح في الازهر على عهده الاخير الاستغناء ما أمكن عن الشروح والحواشي . ولعل المشيخة الاسلامية تنظر لطريقة تعليم طلبة الجوامع بما يقوم أودها فتقضي على طلبة العلوم الدينية ان يمتحنوا امتحانا عمليا لا نظريا ممزوجا بشيء من العلوم العصرية كما هو حال مدرستي دار العلوم والقضاء الشرعي . وتسير على هذا المنهج ادارة الازهر الشريف فيعود الى سالف مجده ويخرج في السنين القليلة طلابا درسوا علوما كثيرة تنفعهم في جهاد الحياة

سير العلم والاجتماع

الارض وما تخرجه

تبلغ مساحة الحقول المزروعة بايدي البشر ٥٣٧ مليون هكتولترا اي واحد من خمسة وعشرين جزءاً من اراضي القارات الخمس وثلث اراضي اوربا مزروع وواحد في كل ١٢١ هكتاراً من كندا ويبلغ ما في الارض من الحيوانات ذوات القرون ٢٨٠ مليون رأس و٤١٣ مليون خروف و١٢٧ مليون خنزير و٧٠ مليون حصان . ومملكة هولاندة اخصب بلاد العالم يعطي كل هكتار من ارضها ١٢٣٥ لتراً من الحنطة في حين يعطي الهكتار في فرنسا ٧٢٠ وهي معدودة ارقى بلاد اوربا بزراعتها ويخرج من الولايات المتحدة ٢٣٤ مليون دجاجة

الدواب والاثقال

افضل ما اهتدى اليه الانسان استعمال الخيل كانت العول عليها في التنقل قبل الدراجات والسيارات والمناطيد . ومن اقطار العالم ما لا تستعمل فيه الخيول لانها غالية الثمن او لا تحتمل مناخ الاقليم الموجودة فيه او لان الطرق غير معبدة او لان الاحمال التي يراد نقلها عليها غير متناسبة مع قواها فاستعاض سكانها بغيرها من الحيوانات ففي الهند وبعض بلاد الشرق الاقصى يعمدون الى استعمال الفيلة لا لقلع الاشجار بل لحملها الى الاماكن البعيدة وان مخالب الفيلة في برمانيا وسيام على صغرها وقوتها لتكفي لقلع اضخم الاشجار من جذوعها ولما كانت مخالب الفيلة في سيلان وسومطرا ضعيفة اكتفوا منها بان استخدموها بدل البنائين فعهدوا اليها بنقل الاحجار الضخمة ووضع بعضها فوق بعض كما توضع سائر مواد البناء

وفي الرنسفال تجر ثماني او عشر اوثنتا عشرة بقرة مركبة بسرعة مهمة وفي جزائر الارخبيل يربطون البقر توصلهم واثقالهم الى الحقول حتى اذا بلغوها استعملوها فيما تستعمل فيه الخيول . وفي برمانيا جنس من الجاموس معد للسباق وهو مطلوب بقدر ما تطلب خيول السباق في اميركا . ويستعملون في جهات القطب الشمالي الوعل والكلب بدل الخيول والوعل هو خيل بلاد لابون يقطع ١٥٠ كيلومتراً في اليوم وهو مربوط الى مركبة متسعة والكلب فيما وراء ذاك الاقليم اي في اصقاع القطب بمثابة الدواب التي تجر

الاثقال وهو مستعمل في شركة نهر المدسون باميركا كما يستعمل القرد المعروف بالاسكيمو . والكلاب هنا قد تقطع ١٥٠٠ كيلومتر بدون ان تستريح اويلاً ومن الغريب انهم لا يطعمونها بل هي التي تمتان انفسها اذ يصعب حمل مؤونتها في جملة ما يراد حمله في المركبات التي تجرها ولذلك كثيراً ما يحدث ان تفترس الكلاب بعضها بعضاً لقلة الغذاء فلا تصل المركبة الى المكان المقصود الا بزوجين او باربعة ازواج من الكلاب في الاكثر . والجمل كما هو المعلوم في افريقية وآسيا هو الذي يحمل الاثقال

وفي كثير من البلاد يستعمل الانسان بدل الحيوان لنقل الاثقال ولا تزال الحارات والمراجات التي تسير من نفسها في بلاد انام وقد انتقلت اليها من اليابان وهي عندهم دخيلة ادخلها منذ اربعين سنة احد المرسلين الاميركان لينتفع بجرها مجاويح الاهلين ولكنها شاعت عندهم شيوعاً هائلاً حتى انك تجد اليوم في طوكيو وحدها عشرة آلاف عربة من هذا النوع تقطع عشرة كيلومترات في الساعة ولا تزال هذه المركبات التي يجرها البشر شائعة في انام وسيلان والهند وجنوبي افريقية على الرغم من انتشار السكك الحديدية والتراموايات والمراجات والسيارات . والمركبات المستعملة في المكسيك هي من نوع ما كان يستعمل من الحارات لنقل الملوك في اوربا وثمن البغل في الحبشة ضعفا او ثلاثة اضعاف ثمن الحصان ولذلك يؤثرون استعماله للاكرام ومن يريدون اكرامه ، يحظى بحضور نجاشي الحبشان يركبونه على بغل ويركبون الخدم على الخيول . واشتهرت حمير القاهرة حتى احرزت قصب السبق في بعض المعارض . وفي بعض المدن الكبرى من فرنسا يستعملون مركبات يقطرونها الى العنز يستخدمونها لتنزيه الاولاد في الحدائق العمومية كما يقطر النعام في افريقية الجنوبية وكليفورنيا الى المركبات لجرها . والبقر شائع في جر المركبات في كثير من الاصقاع الاوربية والآسياوية . وفي هولاندة والبلجيك وبعض الاقطار الشمالية من فرنسا يقطرون الكلاب بالمركبات وتجر عربات بائعي الحليب

مدة النوم

كان الطب القديم يقضي بان ينام الاطفال والشبان والشيوخ ست ساعات في الاربع والعشرين ساعة ويعد من ينام كثيراً من الكسالى ولكن علم الصحة الحديث قضى بان تكون كمية النوم متناسبة مع ما يصرفه الانسان من قواه فالشيخ الذي توجب عليه سنه ان لا يصرف كثيراً من قواه ينبغي له ان لا ينام كثيراً ايضاً ويقول المثل الافرنجي ان ارق الشباب ونوم الشيوخ دليل الموت لا الحياة وكثيراً ما يصدق هذا القول .

فسبع ساعات تكفي لان يتعاطى الاعمال الصعبة منها ساعة في النهار و ينتاب داء المفاصل والحميات المتقطعة العامل الذي ينام على الارض معرضاً للهواء ولو كان في الشمس كما ان علة الصرع قد تعتري الشيوخ الذين ينامون بالقرب من النار بعد الطعام

عدد البقر

في انكلترا ٠٠٠ ٤٥٥ ١١ رأس بقر وفي المانيا ٠٠ ١٠٠ ١٩ وفي فرنسا ٠٠٠ ٥٥١ ١٣ وفي روسيا ٠٠٠ ٤١٣ ٣٧ وفي النمسا والمجر ٠٠٠ ٢٣٧ ١٤ وفي ايطاليا ٠٠٠ ٠٠٠ ٥ وفي اسبانيا ٠٠٠ ٤٥٢ ٢ اما بلادنا فليس فيها احصاء مدقق للبشر فضلاً عن البقر

طحين الشوندر

هو محصول جديد يستخرج من الشوندر الذي اصبح منذ مدة يستخرج منه للصناعة سكر والكحول وكان هذا الطحين يستعمل في المانيا ولكن لعلف الماشية فتوصل احد الزراع البلجيكيين الى الانتفاع به في المعجنات . وطحين الشوندر يحتوي على ٦٥ في المئة من السكر .

الكليات الفرنساوية

كان عدد اساتذة العلم في الخمس عشرة كلية في فرنسا سنة ١٩٠٩ ٣٦٦ و ١٠٢ ناظر ومحاضر و ١٤٨ ناظراً عاماً على الاعمال العلمية و ٣٣٦ معيداً للدروس وطلب من الحكومة لرواتب الاساتذة ومن يتبعهم سنة ١٩١٠ مبلغ ٥٥٣ ٦٧٩ ١١ فرنكاً و ٨٢٧ ٢٢٩ ٢ فرنكاً لابتياع الادوات وقد زادت ميزانية تلك الكليات زهاء ربع مليون فرنك

عطايا كليات اميركا

كانت عطايا المحسنين لكليات اميركا في السنة الماضية كثيرة على العادة واهمها للكلية يال ٤٧٥ الف دولار ليؤسس فيها معمل طبيعي و ٧٣ الف ريال لتصرفها على تعليم بعض نوابغ المعوزين و ٢٣٦ الفاً لجامعة دورهام و ٥٠ الفاً لكلية ماك جيل في مونتريال و ١٠٠ الف لكلية برنستون و ٥٠٠ لكلية اوهيو و ٢٣٠ الفاً لكلية هارفرد واعطت عقيلة ريد مبلغ مليوني دولار فقط لتأسيس مدرسة جامعة للفنون والعلم في بورتلاند من اقاليم اورغون

عظمة بريطانيا

نشرت المجلة الوردية احصاء في بلاد الانكليز ومستعمراتهم وتجارتهم في العام الماضي

جاء فيها ان مساحة بريطانيا العظمى ١٢١٬٣٩٠ ميلاً مربعاً وسكانها ٤٤٬٥٣٨٬٧١٨ ومساحة الهند الانكليزية ١٬٧٦٦٬٥١٧ ميلاً يسكنها ٢٩٤٬٣١٧٬٠٨٢ ومساحة مستعمراتها الاخرى في آسيا ١٤١٬١٥٠ ميلاً يسكنها ٦٬٢١٨٬٠٠٦ ومساحة مستعمرات المحيط الكبير ٣٬١٩٠٬٣٦٠ ميلاً سكانها ٥٬٨٤٨٬٤١٣ ومساحة مستعمرات افريقية ٢٬٠٩٩٬٤٨٣ ميلاً سكانها ٣٤٬٦٠٥٬٣ ٥ ومساحة كندا ٣٬٧٤٥٬٥٧٤ ميلاً سكانها ٦٬١٥٣٬٧٨٩ ومساحة المستعمرات الاميركية الاخرى ٢٧٩٬١٢٣ ميلاً فيها ٢٬٣٣٦٬٩٥١ ومساحة املاكها في اوربا ١١٧ سكانها ٢٢٨٬٦١٨ فيكون مجموع مساحة ما يحقق عليه العلم البريطاني في القارات الخمس ١١٬٣٤٣٬٧٠٦ اميال مربعة و٣٩٤٬٢٤٦٬٨٨٢ ساكناً او نحو خمس العالم وواردات بلادها ١٬٠٥٣٬٢٦٥٬٩٩٥ ليرة انكليزية وصادراتها ٩٦٨٬٣٤٤٬٥٦٢ ليرة اي بزيادة ثلاثين مليون ليرة في قسم الواردات وعشرة ملايين في قسم الصادرات بالنسبة للسنة السابقة وزادت خطوطها الحديدية حتى اصبحت في السنة الماضية ٢٣٬١٠٨ اميال في بريطانيا و٢٩٬٩٣٦ في الهند و٥٣٬١٩٩ في سائر المستعمرات

الطب الصيني

قال احد اطباء الغرب في يونان من بلاد الصين ان ما يقال في شهرة طب الصين مبالغ فيه على ان الصيني لا يعادي الطب الاوربي ومعلوم ان احد امبراطرة الصين درس سنة ٢٧٣٧ ق٠م زهاء مئة نبات شاف ونظمها تنظيماً حسناً وان علم تركيب الادوية الصينية يربو على خمسمائة نوع من النباتات الطبية والتراكيب المختلفة مثل قرن الوعل وذرور الاظافر وشوارب النمور واذ كانت تستعمل بالافراط احياناً فقد تودي بحياة المريض وعند الصينيين من النباتات ما يستعملونه من الخارج مثل نبات يقي من الاسهال يجعلونه على البطن في لزقة وعندهم ادوية تقي من السكر ومن الخوف او تجلب الخوف وادوية لمداواة العشق وادوية للنزعة ٠ وذكر الطبيب المشار اليه حالة اهل الصين مع حفظ الصحة فقال ان البيت الصيني قذر مظلم كئيب لا نوافذ له في الاغلب وفراش الصيني وهو من الخشب مغشى بالحصير واغطية ومخدة لا تنظف بل تكون سنوات يأكل فيه صاحبه ودكة يقعد عليها ومحلاً يرتاح فيه ويجعل تحته في الشتاء موقدة ترمي روائح او كيد الفحم لترسل الحرارة في المكان ٠ وليس عند الصينيين عناية بتنظيف

الجسم فيكاد الصيني لا يستحم مدة عمره ولا ينزع ثيابه عن بدنه الا اذا نزعته وليس في البيوت محال للاغتسال ومراحيض والمستنقعات مملوءة بالاقذار ولذلك كانت الحمى التيفوئيدية والزحير من الامراض الوافدة في الصين وكثرت وفيات الاطفال كثرة هائلة ولكن التناسل كثير جداً

الاضواء في فرنسا

تكون الاضواء في المدن والقصبات الفرنسوية بالكهرباء والغاز والاسيتيلين ففيها ٣٧٦٩ مدينة ومديرية لها معمل للغاز او محطة للكهربائية والاسيتيلين وفي فرنسا ٢٧٠٠ حاضرة مقاطعة و ٧٧٢٠ مديرية يربو سكان كل واحدة منها على الف نسمة لم يزل بعضها محروماً من الكهربائية ولا تكثر الكهربائية الا بالقرب من شلالات المياه وتمتد على مسافة طويلة فتضيء الارجاء

اكتشاف العالم الجديد

عثر الباحثون في مينوستا في الشمال الشرقي من الولايات المتحدة على اثر تاريخي يستدل منه على ان اميركا دخلها اناس من العالم القديم قبل ان يصل اليها خريستوف كولمبوس بمئة وثلاثين سنة. وقد زعموا كثيراً ان جماعة من السكانداو بين نزلوا الشاطئ الشرقي من غروانلانده ولابرادور نحو سنة الف للميلاد ولكن ذلك من روايات بعض القصصين الذين جاؤا قبل القرن الخامس عشر ويظهر ان الاثر الذي عثر عليه الآن اقرب الى الصحة وقد عثر عليه جماعة من العملة بينا كانوا يعالجون اخراج جذع من الارض وهو عبارة عن حجر بين جذعين وقد عرف من البحث في الجذعين انهما اصل لشجرتين قديمتين غرستا بعد وضع ذاك الحجر المكتوب عليه من وجهيه بحروف رونية كتبت في القرن الرابع عشر والحروف الرونية هي حروف السكانداويين في القرون الوسطى لا يعلم حلها الا افراد قلائل وما كان منها من القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر يمكن تقليده ولذلك تبين لهارلاند العالم الاثري ان هذا الحجر صحيح والكتابة به واضحة ومعناها ان ثمانية من الغوطيين واثنين وعشرين من النور بين بينا كانوا يطوفون البحار سافروا من فنلاندا في ايكوسيا الجديدة ونزلوا على مقربة من ليانين بالقرب من هذا الحجر وذهبوا الى صيد وشهدوا عند عودتهم عشرة من رجالهم ميتين: رحماك ايتها السيدة البتول فان عشرة من رجالنا نازلون على الشاطئ بالقرب من سفننا على اربعين يوماً ويوم من هذا الحجر كتب سنة ١٣٦٢

الروائح والهضم

كل الناس يعلمون ان الروائح التي تنبعث من الطعام اللذيذ تفتح شهوة الطعام والروائح المنبعثة من الطعام الكريه تصد النفس وتمنع القابلية . وقد استدل احد اطباء الولايات المتحدة بالبحث والتجارب ان الروائح والعطور تؤثر كل التأثير في بعض الحواس وذلك ان بعض الاشخاص لا يتأتى لهم ان يقعدوا في غرفة فيها باقة من البجلة (ليلاك) او الياسمين وان اناساً يصابون بالصداع او المقس (القيء) اذا استنشقوا الياسمين البري او وردة وان اكثرهم يصابون باضطرابات معدية اذا دخلوا بيت تربية النبات وكان فيه التنوم (دوار الشمس) وذكر ان امرأة متوسطة العمر كانت تصاب بوجع في القلب كلما كانت تشم رائحة لحم الخروف والسمك وكانت تتناول منه مسرورة على شرط ان تسد انفها حتى لا تشم رائحته ومن ذلك ان كثيرين يصابون بالقرف اذا قدمت لهم صحفة من لحم كريه عندما يشمونه وقال ان له زبوناً كان ضابطاً في حرب الانفصال كلما رأى البصل يصاب باضطراب في المعدة لانه كان يقدم له في تلك الحرب بصل محضر تحضيراً رديئاً فيتناول منه متكارهاً مضى على ذلك خمس واربعون سنة وهو لا يزيد للبصل الا كراهة . وافضل دواء لمن يصاب بذلك ان يعمد الى اخذ المقبلات ولكن يجب ما امكن التوقي من الروائح الدافعة فالجيد منها نافع والكريه ضار حتى ان بعض الشرقيين يعمدون قبل الطعام الى استنشاق الطيوب والعطور علماً منهم بانهم بذلك يحسنون اعصابهم وهضمهم

الطلاق

انتشر الطلاق في الولايات المتحدة وسويسرا انتشاراً هائلاً بحيث اصبح المطلقون والمطلقات كثيرين جداً ويقال ان السر في ذلك فساد قوانين الزواج حتى اختل نظام الزوجية وانتشار العيشة الفردية وقلة التدين ويؤكد من يعللون هذا الحال بقلة الدين ان بعض المقاطعات في الولايات المتحدة يقل فيها الطلاق جداً لان اهلها متدينون ولا تزال تغلب عليهم التقاليد والاوهام .

غنى اشراف الانكليز

في المجلة الباريزية بحث في حال الاشراف والفقراء في انكلترا جاء فيه ان فيها ٢٧ دوقاً ما عدا الدوقات الذين هم من دم ملكي يملكون نحو ٢٥٠٠ مزرعة كبرى اي اراضي نصف المملكة على التقريب . ويقدرون مساحة اراضي الدوق دي سوترلاند بـ ١٫٣٥٨٫٥٤٥

فداناً او نصف مليون هكتولتر بلغت وارداتها منذ عشرين سنة ٦٦٧ر١٤١ ليرة انكليزية ويجيء بعده الدوق دي بوكلوش واراضيه تبلغ نصف مليون فدان ولكن وارداتها اكثر اي انها تبلغ خمسة ملايين ونصف من الفرنكات ويجيء بعدهما دوقات ريشموند وديفونشير وهاملتون واتول وارجيل وبورتلاند ونورتومبراند ومونتروز وهم يملكون مئة الف فدان تأتيهم بنحو مليون فرنك من الواردات ثم يجيء بعدهم الدوقات الصغار ولا يقل ما يملكه الواحد عن عشرة آلاف فدان

ويتألف من هؤلاء الدوقات والنابهم وغيرهم امتن اساس في بنيان المجتمع الانكليزي الحاضر وهم المحور الذي تدور عليه الحياة الاجتماعية والسياسية في البلاد ولطالما كان هؤلاء الاشراف منذ القديم موضوع احترام انكلترا ولكنهم بما يملكون من هذه الاراضي الواسعة اصبحوا لا يعرفونها ولا يخدمونها فصحت فيهم آية التوراة ان الذين يضيفون من بنيكم حقلاً الى آخر تنتهي بهم الحال ان يكونوا نساكاً متزهدين . نعم تركت حقولهم وغاباتهم بدون ان تتعهدها الايدي تركوها لتكون متنزهاً ومجالاً للارتياض والصيد في حين ان الوفاً من الايدي تنقطع عن العمل لقلة الاراضي لديها ويتحكم الاشراف في مزارعيهم ومزارعهم تحكماً غريباً فان الدوق ديفونشير لا يسمح لمزارعيه ان يعلقوا في اراضيهم اعلانات يتناولون اجرتها بضعة قروش من المعلنين والدوق دي فيف لا يرضى ان يبقى احد في الفندق القريب من مقره عندما يجيء اليه

فغنى انكلترا المشهور هو في ايدي الاسرات الممتازة المختارة من طبقة الاشراف واغنياء الطبقة الوسطى والرفاهية وقف عليهم وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من اهل الطبقات الاخرى كما هو الحال في فرنسا . وقد بلغ عدد المعوزين في انكلترا ٨٤٨ر٩٥٩ اي ان شخصاً واحداً من كل سبعة وثلاثين شخصاً محتاج ان تعوله الحكومة او جمعيات الاحسان وفي لندرا وحدها من البائسين ٥٤٥ر١٢٣ ولا يزال عددهم في ازدياد في الولايات والعاصمة فقد كان منذ سنين معدل الفقراء في بريطانيا العظمى ٥٧ر٩ في الالف فاصبح في اواخر العام الماضي ٥٨٦ في الالف

ويستدل من هذه الارقام ان الامة الانكليزية تعيش منذ سنين برأس مالها واذا ظلت على هذا الحال تفلس افلاساً اقتصادياً واجتماعياً وان الحكومة من حيث السياسة دلت بذلك على انها لم تستطع ان تحكم لتوسع على الامة راحتها وسعادتها بل تركتها بلا اصلاح في معترك الحياة تغنى لنفسها وتفقر كذلك . والسبب الوحيد في هذا الفقر اضطرار

الناس الى الانقطاع عن العمل بداعي حرية التجارة · ويقول آخرون ان السبب في هذا الشقاء هو مسألة تقسيم الاراضي فاملاك الاشراف مهملة لا يستفاد منها وتلك الايدي العاملة تنقطع اضطراراً عن عملها لانها لا تجد ما تعمل في الصناعة والتجارة وكانت تعمل في تلك الاراضي الواسعة لو وزعت عليها توزيعاً معقولاً فاشراف انكلترا هم العائق الكبير في كل اصلاح وارتقاء واملاكهم هي الحاجز الاقتصادي الحائل دون نماء الراحة العامة فعليهم التبعة العظمى في غلاء المعيشة وقلة الاعمال والشقاء الاجتماعي الذي يزيد يوماً عن يوم

ومنذ عشرين سنة فتحت طريقة جديدة لادخال لوردات جدد علاوة على القديم منهم وهم من كبار ارباب المعامل والماليين مثل الدوق دي نورفولك وواردانه السنوية ٣٧ مليون فرنك ما عدا الاربعمائة فدان التي يملكها في حي وستمنستر في لندرا وريعها مليون جنيه والدوق دي بدفور وريع اراضيه البالغة ٢٥٠ فداناً في لندرا هو مليونا جنيه واللورد نورثامبتون وريع املاكه مليونا ليرة افرنسية وغيرهم كثيرون

وهكذا اصبح دوقات انكلترا ارباب الاحتكار للثروة وهم سبب شقاء الطبقات ومنهم ضرر البلاد

ري العراق

خطب السر وليم ويلكوكس في اجتماع الجمعية الجغرافية الملكية في لندرا : في العراق ماضيه وحاضره ومستقبله خطاباً حضره كثير من سراة الانكليز وعلمائهم فقال انه لما انتدبته الحكومة العثمانية الجديدة لري العراق واصلاح اقنية دجلة والفرات وبيان الطرق اللازمة لعمران تلك البلاد بدأ بدرس طرق الري القديمة وما يلزمها من الاصلاح فاستفاد من ذلك فائدتين اساسيتين الاولى كثرة نفع الماء الخالي مما يحمله عادة من الوحل والحكاكات والثانية لزوم اتخاذ الاحتياطات لمنع الفيضانات وان الاثني عشر مهندساً الذين ساعدوه في بغداد كانوا بينوا له انهم قادرون على القيام بهذين العملين فعرضوا على الحكومة قبل ذلك طريقة للتخلص من فيضان ماء الفرات حتى مهابط نهر بيزون القديم وقدر المال اللازم لذلك بثلاثمائة وخمسين الف ليرة والوقت بثلاث سنين وبذلك تصبح الارض القابلة للزرع مضاعفة ومحصولات الحنطة تبلغ ثلاثة اضعاف اما المزارعون اليوم فانهم لا يجرأون على زرع الاراضي بالبذور اللازمة وكذلك هم يحسبون انهم يخسرون كل شيء في السنة السالفة

ومشروع اليوم هو القناة الوسطى الكبرى في ارض الدلتا اللازمة لري ٣٠٠٠٠٠٠ فدان من احسن اراضي العراق لريها بماء نقي ففي الشمال الغربي من بغداد بين دجلة والفرات انخفاض في الارض يسمى بحيرة عكاركف ومساحتها اذا كان ماؤها على اقل درجاته اربعون ميلاً مربعاً واذا كانت مملوءة ثلاثمائة ميل مربع وانخفاض سطحها عن الفرات خمسة وثلاثون قدماً وعن دجلة عشرة اقدام والى هذا المنخفض من الارض يأتي نهر الصقلاوية وهو فرع من الفرات عرض قناته ٢٤٠ قدماً وعمقها ٢٥ قدماً وينقسم عند وصوله اليها من الغرب الى نحو عشرين فرعاً ·

وعند اتصاله بالفرات يلزم ان يوضع له معياران قويان يعينان الماء المار فيه وكذلك يوضع للفرات سد بعد مفرق فرع الصقلاوية لتنظيم مجرى ماء الفرات نفسه · ان ما تقدم من الاعمال يؤمن وصول الماء من الفرات واما من جهة دجلة فان المهندسين ارتأوا وضع سكر في البلد عند حاجز النمرود وهذا السكر يوضع في مرتفع من نهر دجلة يعلو ستين قدماً عن سطح بحيرة عكاركف وبهذه الواسطة يمكن ان يحفر فرع لري الارض المخصبة الواقعة شمال بغداد ويصنع لهذا الفرع منفذ الى البحيرة المذكورة فيحفظ قناته من الوحل ويصل دجلة بالبحيرة وهكذا يحصل الزارعون على ما يلزمهم من الماء من النهرين المنصبين في تلك البحيرة من غربها وشمالها واما من جهتها الجنوبية والشرقية القريبة من بغداد فيحفر قناة توازي ضفة دجلة اليمنى وتنتهي في الحي وهذه القناة تكفي لري ستة ملايين فدان ·

اما الوحل الشديد المضر ومدته لا تتجاوز خمسة عشر يوماً في السنة فانه يرسب في البحيرة · وو يلكوكس يقترح ان تسمى الضفة اليسرى من هذه القناة باسم اول حاكم دستوري في البلاد العثمانية وهي تكون حاجزاً يحمي البلاد من فيضانات دجلة وعليها تمر سكة حديدية تنقل محصولات البلاد وهكذا تعود مدن صيارة وكوثا ونيل ونفور وأرخ وتل سكرخ وتل لو الى عمرانها

وبعد ان بين الطرق التي تحمي البلاد من الفيضانات وكيف ان المباشرة تكون بري ثلاثة ملايين فدان من الارض تغل سنوياً مليون طن من القمح ومليوني بالة قطن ذكر طريقة ايصالها لاسواق التجارة مع ملايين من الاغنام ومئات الالوف من الماشية التي يمكن ان تعيش في الدلتا وقد فاوض تجار بغداد فوجدهم متفقين على ان تأخر البلاد ناشئ في الاكثر عن انقطاع المواصلة مع الغرب وان محصولات العراق اليوم وهي الغنم

والبقر والجاموس والصوف وعرق السوس والحنطة والشعير مطلوبة على الشاطيء الشرقي للبحر المتوسط وفي اوربا وكل ما تحتاج اليه البلاد يمكن ان يأتيها من الغرب لذلك لا ينقصها الا احداث سكة حديدية تصل بغداد بالبحر المتوسط من اقرب الطرق وارخصها ومثل هذا الخط يكون مخرجه قرب صور او صيداء وطوله من بغداد الى دمشق خمسمائة وخمسون ميلاً تكلف مليونين ومائتي الف ليرة · اه (معرباً عن جريدة التيمس بقلم احد اصدقائنا)

ثقل الايام

يقال ان فلاناً اثقله كر الغداة والعشي وقد اثبت احد العلماء ان المرء كلما تقدم في السن زاد جسمه خفة فالكبد ووزنه العادي في البالغ ١١٦٥ غراماً لا يبلغ وزنه في الرجل الشيخ اكثر من ٨٠٠ الى ٩٠٠ غرام ووزن الكلية في البالغ ١٨٠ غراماً ولا تكون كلية الشيخ اكثر من ١٠٠ غرام · اما القلب فلا يزال ينمو بنمو السن فيبلغ زهاء الف غرام في الشيخ اكثر من الفتى وكلما شاخ المرء كبر قلبه وربما كان ذلك ناشئاً من اسفه على السنين تمر به فتقربه من اجله

دارسو العلوم

بلغ عدد الطلبة الذين قيدوا اسماءهم سنة ١٩٠٨—١٩٠٩ في جامعة العلوم الباريزية ٢١٥١ طالباً منهم ١٥٧٧ فرنسوياً و٤٢٧ روسياً و٢٧ رومانياً و١٥ من جمهوريات اميركا و١٣ نمساوياً مجرياً و٣ اعثمانياً و١٠ المان و١٠ يونان و٨ من الولايات المتحدة و٨ بلجيكيين و٦ سويسريين و٥ سويديين و نروجيين و٤ صربيين بلغاريين و٤ مصريين و٤ ايطاليين و٣ من كل من الجزائر البريطانية وهولاندة وشيلي و٢ من كل اسبانيا والبرتقال والصين وواحد من كل من الدانيمرك وايران وسورية والراس والهند الانكليزية و٨٠ طالباً اجنبياً في سائر الجامعات منهم ٥١ في الطب و٢١ في الصيدلية و٥ في الادب و٣ في الحقوق

معمل الفولاذ

انشأوا على ٤٠ كيلو متراً من شيكاغو على شاطيء بحيرة مشيغان في مدينة اسمها طاري اعظم معمل للفولاذ في العالم وهو يحوي من التنانير ما يخرج في اليوم اربعة آلاف طن وتقدر اكلاف هذا العمل بعشرين مليون ليرة وحجم الغاز الذي يخرج في الساعة من كل تنور عال يبلغ ثمانين الف متر مكعب وفيه ١٧ محركاً بالغاز تبلغ قوتها ٢٥٠٠

حصان ومجموع ما يصدر من هذا المعمل في السنة ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ طن

مخترع المكرونة

قالت احدى الكاتبات الايطاليات ان تاريخ اختراع المكرونة يرد الى سنة ١٢٢٠ يوم خميس الجسد وهو اليوم الذي تاب فيه في بلرمة ونابولي الملك الصالح فريدريك الثاني ففي ذاك اليوم اخترع احد علماء الكيمياء من الطليان واسمه سيشو هذه المكرونة فسرقت منه سر هذه الصناعة امرأة اسمها لاجوفانالادي كانزيو فاستعملتها من مواد كثيرة واجادت صنعها وتناولها الملك فاستطابها ثم الاسرة المالكة واهل البلاط والاشراف والنبلاء والفرسان وبعد ان عمت ايطاليا انتقلت الى اوربا باسرها بل الى العالم كله

الفراسة بالاظافر

يقول احد اطباء الايدي في باريز ان الاظافر العريضة والقصيرة هي دليل كاف على الشدة في الخلق او القسوة والغضب ويكون صاحبها متناقضاً في افكاره وعنيداً للغاية . واذا كانت الاظافر طويلة ومنبسطة تدل على كبر العقل والتصور وعلى الحكمة وتوازن الدماغ . واذا كانت مستطيلة ومنفسخة تدل على ميل صاحبها الى الشعر والفنون على اختلاف انواعها وعلى كسل غريزي فيه . واذا كانت محنية كالمخالب فهي دليل نفاق خبث شديد قاس كما تدل على القسوة والميل الى القتل ومن كانت اظافره رخوة فدليل ضعف جسمه وعقله في حين ان من يأكلون اظافرهم كثيراً ما يكونون من المائلين الى الخلاعة . ومن كانت اظافره متلونة تدل على صحة وفضيلة وسعادة وميل عظيم للكرم

معادن العالم

احصى احد العارفين ما استخرج من معادن الرصاص والنحاس والتوتيا «الزنك» سنة ١٩٠٧ فكانت ٩٩٢ الف طن من الرصاص و٧١٣ الف طن من النحاس و٧٣٣ الف طن من التوتيا ومعدل سعر الطن من المعدن الاول ٤٨٢ فرنكاً وربع ومعدل سعر الطن من الثاني ٢١٧٧ فرنك و٥٥ سنتيماً ومعدل سعر التوتيا ٣٣٧ فرنكاً ويوزع المستخرج من الرصاص على ست ممالك فيصيب الولايات المتحدة ٣٤١ الف طن واسبانيا ١٨٦ الفاً والمانيا ١٤٠ الفاً واستراليا ٩٧ الفاً والمكسيك ٧٢ الفاً وانكلترا ٢٠ الفاً ويصيب الولايات المتحدة من النحاس ٤٢١ الف طن واوربا كلها ١٤٣ الفاً وانكلترا ٧٢ الفاً والمانيا ٣٢ الفاً واليابان ٤٥ الفاً واوستراليا ٣٢ الفاً ويصيب الولايات المتحدة من التوتيا ٢٢٧ الف طن والبلجيك ١٤٥ الفاً الخ

المقتبس

رمضان سنة ١٣٢٧

غرائب الغرب

حالة مصر (٦)

هبطت مصر وعهدي بها ليس ببعيد غبت عنها اربعة عشر شهراً وكنت صرفت فيها اربع سنين ايام الحكم الاستبدادي في المملكة العثمانية فلم ارَ اليوم وانا عابر سبيل ان امكث فيها اقل من اربعة عشر يوماً قضيتها في مشاهدة من خلفتهم فيها من الاصدقاء الكثيرين · والقاهرة من البلاد العربية كباريز من البلاد الافرنجية حوت مافي العواصم من ضروب الرقي والانحطاط مما تنفقه على غيرها طوعاً او كرهاً ويأتي الناس من القاصية فيأخذونه عنها ويهتمون بتقليده وتأييده

ان من ينظر الى مصر نظراً سطحياً يأسف لها كثيراً ويعدها كنزاً ضائعاً ودماً ضيعه اهله · ومن يمعن النظر في مواردها ومصادرها ويدرس مساعيها ومقاصدها ويقيس النتائج بالمقدمات والماضي بما هو آت يدرك ان المستقبل المخبوء لمصر في حياتها الاجتماعية والسياسية لايقل عما احرزته في حاضرها من المنافع المادية والادبية اذاظلت عناية اهلهامتوفرة على التعليم والتربية وهم يتفننون سنة عن اخرى في تلقف ماينفعهم من انواع المعارف

لقيام بناء مجدهم الجديد على احسن نظام

ليس في اقطار الشرق ولا في اقطار الغرب بلد عرف تاريخه كما عرف تاريخ مصر ولا بلد مثله ابقى على آثاره الخالدة واحتفظ بتراثه القديم فنفع العلم والعالم بما ادخره ·

فقد قال لنا التاريخ ان عهد بعض سلائل فراعنتها كان عهد ارتقاء ومدنية وان مدنيتهم لاتقل من وجوه عن المدنية الرومانية واليونانية والفارسية فكانت دولة فاتحة غازية مستعمرة كما كانت دولة فاضلة متحضرة وانه جاء زمن طويل علَى مدينة الاسكندرية ايام الروم كانت تفيض العلم النافع على العالم اجمع بمدرستها كما كانت تفيض العلم مدرسة بغداد ومدرسة قرطبة ايام الخلفاء وكما تفيض كليات اوربا واميركا على آسيا وافريقية اليوم

اتى علَى مصر دور انحطاط بعد دولة الفاطميين اشتغلت فيه بنفسها وكان حظها من المعارف حظ سائر بلاد الاسلام وان كانت لها الميزة ابداً في هذا الباب على الاقطار المجاورة فقد كانت على عهد الايوبيين والجراكسة والمماليك علَى انحطاطها مورداً تستقي منه البلاد الاخرى وكانت العلوم الاسلامية والادبية خاصة مما يحمل من ازهرها الى شمالي افريقية وداخليتها وبلاد العرب والترك وسورية وغيرها · ولما جاء نابوليون الاول ثم محمد علي الكبير دخلت فيها بواسطة علماء من الفرنسيس روح الحضارة الغربية واسلوب التعاليم الاوربية واخذت حكومتها ترسل بالبعثات العلمية بل بالبعوث السلمية الى اوربا ليدرس النشء في كلياتها ثم يعودوا الى مصرهم فينفعوها بما علمهم الله والبشر الراقي

وما برحت هذه الارساليات تكثر ومصر الحديثة تتكون علَى المناحي

الغربية حتى جاء الخديوي اسماعيل واسرف في مالها اسراف جنون وجهل فاضطرت الى الاستدانة من الماليين الاوربيين واكثرهم انكليز وفرنسيس ولما حدثت الفتنة العرابية وجدت انكلترا مدخلاً لها بحجة ان ارباب الاموال يوجسون خيفة على اموالهم ورأت من فرنسا غفلة او تغافلاً فعملت وحدها على اطفاء الفتنة فصدقت عليها كلمة نابوليون في قوله وقد اخرجته انكلترا من مصر بعد احتلاله لها بضع سنين في القرن الماضي انها لم تخرجنا منها الا لتأخذها لنفسها في المستقبل ·

دخلت انكلترا مصر لاطفاء الفتنة اولاً ثم للمحافظة على ترعة السويس التي اصبحت اكثر اسهمها لجماعة من ابنائها · والترعة كما هو المعلوم طريق الهند الاقرب ومادة حياة دولة البحار · ومن حافظ على سلامته ومادة حياته يعذر

ولقد كان ميدان الاصلاح فسيحاً امام المحتلين لتوفر الاسباب الطبيعية لمصر وان بلاداً لا ينقطع ماؤها ولا تغيب شمسها ولا تتعب تربتها ولا تتعاصى على الانسان طبيعتها لأقرب البلاد الى معالجة الاصلاح في مجاهلها ومعالمها ·

ولما استتب الامن في انحاء القطر اقبل ارباب الاموال من الغربيين وغيرهم يتجرون ويزارعون ويؤسسون المشاريع العمرانية فكانت تلك الحركة نافعة في نهضة القطر الاخيرة نهضة اقتصادية كبرى حسدتها عليها بلاد كثيرة ·

تهيأ لمصر والحق يقال من رجال الاحتلال اناس عملوا باخلاص لتحسين زراعتها وريها وتنظيمها لينتفع من ذلك البريطانيون والمصريون معاً · وكان

عميدهم الاكبر لورد كرومر الذي ادار دفة السياسة المصرية اربعاً وعشرين سنة ارخى في خلالها عنان الحرية الفكرية والاجتماعية فهاجر الى مصر كثيرون من المشارقة · عمل هذا وغيره من الاعمال النافعة ولكنه كان يحاول ان يقف بالمصريين عند حد الاشتغال بالزراعة ثم بالوظائف القليلة التي لا تسمح الحال الا باعطائها للمصريين وماعدا ذلك من الارتقاء العقلي والسياسي فقد كان اللورد يقول لهم كل سنة تصريحاً وتلويحاً في تقاريره السنوية انكم لا استعداد لكم معاشر المصريين لغير ذلك من الاعمال فهل نسيتم ماضيكم ايام كنتم تساقون الى السخرة سوقاً وتستعبدون استعباد العبيد والارقاء ايام الحكومات الماضية المدمرة فاحمدوا الله على ان انجاكم مما كنتم فيه فحالكم الآن احسن من ماضيكم مئة مرة فعليكم ان تقنعوا بما حزتموه ·

ولكن نبهاء مصر لم يفتهم معنى هذه السياسة وكان الفضل الاكبر للجرائد في تنبيه شعور الامة المصرية الى ان وراء ماهم متمتعون به الآن مطلباً اسمى وانفع فقاموا يسعون اليه سعيهم وهم على اختلاف في الطرق الموصلة اليه لا يختلفون في كون بلوغه لا يتأتى الا من طريق التعليم والتربية فبذل اهل الاقتدار المالي ماسمحت به نفوسهم من انشاء الكتاتيب في الارياف والمدن حتى اسفرت النتيجة بعد بضع سنين عن تكثير سواد القارئين والكاتبين ثم رأوا ان الامة لا ترقى الا اذا كان فيها افراد يحسنون تعليم الامة بلغتها مايلزمها من المعارف المادية والاقتصادية والاجتماعية فسعوا الى اقناع الحكومة بجعل التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية باللغة العربية وكان اكثره بالانكليزية من قبل ثم رأوا انه اذا لم يكن لهم من ابنائهم

من يعلم العلم العالي سبب ارتقاء الامم لايكون العلم الا عقيماً ناقصاً فانشأوا لذلك المدرسة الجامعة المصرية وهم اليوم يتعاهدونها لتكون بعد سنين على مثال الجامعات الاوربية تدرس علوم الجامعات الافرنجية باللغة العربية وهي اول جامعة من هذا النوع لأمة لايقل الناطقون بها عن ستين مليوناً من البشر

نعم ان الجامعة المصرية اليوم وما دخل من الاصلاح على الازهر ومدرسة القضاء الشرعي ومدرسة دار العلوم ومدرسة الحقوق ومدرسة الطب ومدرسة الهندسة والزراعة وسائر المدارس الاميرية والخصوصية هي التي تتألف منها اليوم طبقات رجال مصر الحديثة ولا بد لهذا الامر من آخر ولمساعيهم الحسنة من نتيجة اذا سلك القوم سبيل التودد وطبقوا اعمالهم على قانون العقل الصحيح واستفادوا بتجارب الامم السالفة وانصاع العامة للخاصة وحدهم ولم يبق المجال للغوغاء وبذلك تصبح اسباب القوة المادية والمعنوية في بلادهم على مستوى ماهي عليه عند الامم الحية حقيقة لامجازاً

لاجرم ان المصريين بما فيهم من الذكاء وماورثوه من حضارتهم القديمة وتيسر لهم من الرقي المادي هم بمجموعهم ارقى من مجموع الشرقيين خل عنك اليابانيين وفيهم اليوم من العقلاء المفكرين العالمين والباحثين من ليسوا دون ابناء طبقتهم في الغرب وربما فاق الاتراك المصريين في الامور السياسية والحربية ·

ولا يعاب على مصر الا فتور همة ابنائها في منتصف الطريق في الاغلب وهذا الخلق يكاد يكون عاماً في القطر لايقوى في التغلب عليه الا التربية العملية · وحبذا يوم نرى فيه مصر تقبل على تعلم العلوم الطبيعية والكيمياء والميكانيك والمعادن مثلاً اقبالها على تعلم الحقوق مثلاً فقد نرى من ناشئتهم

زهاء خمسمائة طالب في كليات اوربا واميركا والقسم الاعظم منهم يدرسون الحقوق ليترشحوا منها الى الوظائف لانه وقر في النفوس ان فن المحاماة اكثر عائدة علَى صاحبه من غيره من الفنون خصوصاً وهو متوقف بعد العلم النظري على طلاقة لسان وفضل بيان والمصريون اكثر العرب حظاً من تينك المزيتين ·

اصبحت مصر بمجموعها اليوم قطعة من اوربا كما قال الخديوي اسماعيل ولكن احبابها يريدون لها ان تكون كاوربا في صفاتها العالية وحضارتها الراقية حتى لاتخرج املاكها بطيش الطائشين من ابنائها الى ايدي الغريب فيعود المصري بعد بضع سنين والعياذ بالله كالغريب في بلده وما اصعبها من حالة

ان مسألة الراية التي تخفق علَى امة لاتهم بقدرما تهم في الحقيقة مسألة الاملاك اذ انه مهما بلغ من حيف امة فاتحة او مستعمرة لاتحدثها نفسها ان تنزع من المالك ملكه الا برضاه · ومصر التي تتأذى اليوم بوطأة الرومي والطلياني والانكليزي وغيره لاتنتقل بعض املاكها منها الا برضى اولئك الوارثين والمسرفين الذين لايعرفون دخلهم من خرجهم ولا دينهم من دنياهم هذه هي الفئة الضالة المضلة في هذا القطر المحبوب ومنها يخشى علَى مستقبله · فبقلة عقول المستهترين اصبحت نحو تسعة اعشار الاطيان والاملاك في مصر للغرباء وعليها مائتان وخمسون مليون جنيه من الديون منها نحو مئة مليون دين الحكومة ولا نعرف متى توفيه والباقي علَى عنق الفلاح الصغير والمزارع الكبير ·

ان مانخشاه علَى مصر هو الاسراف الزائد وتقليد الغربي على العمياء ولو كان لاهل وادي النيل شيء من الامساك المحمود والاقتصاد المعقول

اذاً لكانت حال مصر السعيدة ارقى مما هي اليوم · ومن حاز الثروة وقانون الحكمة يدبرها والحنكة قائدها ورائدها وانتظر الفرص التي لايزال الدهر يخبأوها للافراد كما لايبخل بها على الامم لابد ان يتمتع يوماً بالسعادة السياسية والاجتماعية التي هي منتهى آمال كل امة حية في هذا الوجود

٧

مرسيليا

في الساعة الرابعة بعد الظهر اقلعت بنا من الاسكندرية الباخرة ايكواتور (خط الاستواء) احدى بواخر شركة الميساجري ماريتيم الفرنسوية فبلغنا ثغر مرسيليا اكبر موانئ فرنسا على البحر المتوسط والمحيط والمانش في اليوم السادس الساعة الخامسة بعد الظهر ولم نر في طريقنا شيئاً يستحق الذكر سوى بعض سواحل ايطاليا وفرنسا وقد تجلت عن بعد وكان نظرنا يختلف اليها بقدر بعدنا او قربنا منها ودام البحر رهواً حتى اذا خرجنا من مضيق مسينا اصبحنا واصبحت سفينتنا على كبرها وطولها وعرضها العوبة العواصف والتيار يتقاذفنا من كل مكان حتى لم يبق راكب في درجات السفينة الاربع الا وقد اخذه الدوار او كاد ولم نملك حواسنا الا عند بلوغنا ساحل السلامة

وقوة هذه الباخرة ٢٩٨٧ حصاناً ومحمولها ٣٨٤٨ طناً وتقطع في الساعة اثني عشر ميلاً وهي احدى بواخر الشركة التي تغدو وتروح بين موانئ البحر الابيض والبحر الاسود والبحر الاحمر وبحر الادرياتيك ولهذه الشركة التي جعلت رأس مالها خمسة واربعين مليون فرنك تسع عشرة باخرة من مثل هذه خصت سيرها بالبحرين الاولين في الاغلب · ومن موانئنا التي تقف

عليها بواخر الميساجري ماريتيم خانيا وسلانيك والاستانة وجناق قلعة وازمير ومدانيا وفاتي ولارنكا ومرسين والاسكندرونة واللاذقية وطرابلس الشام وبيروت ويافا وحيفا ورودس والاسكندرية وطرابلس الغرب وصمصون وطربزون وبورسعيد والسويس ولولا امثال هذه البواخر الفرنسوية والنمسوية والروسية والايطالية والانكليزية والالمانية والرومانية لما بقيت لنا تجارة تصدر من بلادنا وترد اليها ولتعذر التنقل الا في السواحل علَى ظهور الجمال والبغال والحمير او في المركبات وبعض القطارات القليلة التي تربط اجزاء مملكتنا بعضها ببعض

ولشركة الميساجري ايضاً اثنتان وعشرون باخرة تمخر العباب الى الهند الصينية وتوابعها وخمس بواخر لخط الكوشنشين وست بواخر لخط اوستراليا وخلكيدونيا الجديدة وخمس بواخر في المحيط الاطلانطيكي (الظلمات) وسبع اختصت بالبحر المحيط الهندي وذلك ماعدا السفن الصغرى التي جعلتها في بعض الموانى الكبرى · واشغال الشركة متوسطة مع ان حكومة فرنسا تدفع اليها اعانة مالية كل سنة لقاء نقلها البريد بين الشرق والغرب وخدمة الجمهورية فيما يلزمها ·

ويقول الذين سافروا مرات بين بلادنا وبلاد الغرب ان البواخر الالمانية والانكليزية والطليانية تفوق بانتظامها وحسن خدمتها البواخر الفرنسوية وان الراكب يجد راحته في تلك اكثر من هذه مع ان الاجور واحدة ولذلك اضطرت هذه الشركة وغيرها الى تخفيض الاجور في الصيف الى نحو النصف لركاب الدرجة الاولى والثانية والثالثة واخذت تحسم خمسين في المئة لكل شخص ثالث كان مع شخصين يدفعان القيمة المقررة فاذا كانوا

اربعة فاكثر تحسم للرابع فما بعده خمسة وسبعين في المئة ولذلك يسهل السفر في الصيف لاعتدال اجوره ·

ومن التسهيلات التي قامت بها هذه الشركة ان اتفقت مع شركات البواخر الانكليزية والاميركية وشركات السكك الحديدية على ان تنقل الركاب الى الموانئ التي تختلف اليها بواخرها وتلك الشركات تنقلهم على بواخرها بحيث يطوفون العالم ويجتازون من نصف الكرة الغربية الى النصف الشرقي والاجرة في ذلك معتدلة فيسلك الراكب ان احب احد الطرق التي يختارها في قطع البحور والبرور فالطريق الاولى عن موانئ الصين واليابان وكندا ماراً بفانكوفر وهو يكلف في الدرجة الاولى ٣٢٨٨ فرنكاً والطريق الثانية اوستراليا وفانكوفر ويكلف في الدرجة الاولى ايضاً ٣٥٧٥ والطريق الثالثة الى اوستراليا فمضيق توريس فاليابان ففانكوفر واجرتها ٤٢٥٧ في الدرجة الاولى والطريق الرابعة عن طريق الصين واليابان وسان فرنسيسكو وتكلف ٣٢٨٨ فرنكاً والطريق الخامسة الى اوستراليا ومضيق توريس واليابان وسان فرنسيسكو وتكلف ٤٢٥٧ فرنكاً في الاولى فيركب الراكب من مرسيليا الى هونغ كونغ على بواخر شركة الميساجري عن طريق السويس وجيبوتي اوعدن و كولومبو وسنغافور وسايغون ومن هونغ كونغ الى شنغاي الى كوبي فيو كوهاما على بواخر الشركة او على بواخر شركة الباسيفيك الكنادية بحسب مايختار الراكب ومن يو كوهاما الى فانكوفر على بواخر الشركة الكنادية ومن هنا يركب القطار الى كيبك ومونتريال وهاليفاكس وسان جون او نيويورك ومن نيويورك الى ليفربول او سومتون على احدى البواخر الانكليزية او الاميركية او النمسوية او من نيويورك الى الهافر على

بواخر الترانسلانتيك ومن الهافر بالسكة الحديدية الى باريز ·

هذه هي المسافات التي يقطعها من يريد الطواف حول الارض ولو قال قائل هذا لاحد اجدادنا الاقدمين وقال له انني اريد السير للتنزهة عَلَى هذه الخطة لنسب اليه الجنون وقال ان ذلك لن يكون ولكن اذا عرف سر الاسفار في هذه الاعصار يقول سبحان من سخر لنا قطع البحار بالبخار يفعل مايشاء ويختار ·

وبعد فلم يتسع لي الوقت لادرس جميع معالم المدنية في مرسيليا لانني لم اصرف فيها الا ثلاثة ايام قضيت اكثرها في الراحة من وعثاء السفر الذي طال علينا احدى عشرة ساعة زيادة عَلَى المعتاد لمصادفته الباخرة في طريقها من الانواء ولطارىء طرأ عَلَى آلتها في عرض البحر فاصلحتها ولولا ذلك لقطعت باخرتنا المسافة بين الاسكندرية ومرسيليا في خمسة ايام بلياليها لاتقف قرب اليابسة · ومن البواخر الانكليزية مايقطع المسافة بين بور سعيد ومرسيليا في اربعة ايام وهذه البواخر خاصة بالبريد الانكليزي تنقله من اوستراليا والهند الى الجزائر البريطانية في خمسة وثلاثين يوماً لاتكاد تستريح في طريقها الا بقدر ماتحمل زاداً ووقوداً وركاباً والمسافة المعتادة بين اوستراليا وانكلترا لاتجتازها الشركات المعتادة في اقل من سبعين يوماً ·

قامت مرسيليا في منقطع وادي الرون الجميل فكانت جملة الجمال الفرنسوي بما فيها من الجبال والسهول وما احرزته من مجد قديم وغنى حديث وان محيطها الذي لاتقل مساحته عن مئة كيلومتر مربع لاحلى من العافية في بدن السقيم او النضارة في خدود الجواري — كما يقول بديع الزمان — استغفر الله بل كاد يكون اجمل من الحور الذي تقرأوه في عيون

المرسيليات الدعج . ولعل جمال العيون في النساء هنا التي فاقت عيون البدويات الرعابيب انتقلت اليهن من اجدادهن العرب فقد قال ميشله المؤرخ ان اصل سكان مضايق الرون مختلط كثيراً ففيه العنصر السلتي واليوناني والعربي وخليط من الطليان والغالب ان سكان جنوبي اوربا يوصف نساؤهم بدعج العيون وسواد الشعور كما يوصف الشماليات بزرقة العيون وشقرة الشعور .

والى اليوم يكثر في مرسيليا الغرباء ولا سيما الطليان ففيها ٥٥٠ الفاً من السكان خمسهم من الطليان وبيدهم كثير من الصناعات والمعامل وهم عشر الاجانب في فرنسا وكان في مقاطعة مرسيليا سنة ١٩٠٦ : ٧٦٦٥٠٠ ساكن منهم ١٢٣٥٠٠ اجانب وفيها ٧١٨ مدرسة وفي مقاطعتها ٧١٧ كيلومتراً من الخطوط الحديدية و ١٦٣ كيلومتراً من الترام و ٢٨٤ من الطرق الاهلية و ٣٦٨٣ كيلومتراً من طرق العجلات الموصلة بين اقاليمها

واهم صناعاتها عمل الاقمشة وتحضير الاطعمة والمأكولات وصنع القرميد خل عنك تجارتها الهائلة وزراعتها التي لاتختلف في الرقي عن زراعة عامة البلاد الفرنسوية وفيها دور صناعة للاساطيل والبواخر التجارية ولاسيما دار صناعة الميساجري ماريتيم

قال من كتبوا عن مرسيليا من المؤرخين ان تاريخها من اقدم التواريخ وهي اول ميناء بحرية لفرنسا يرد عهد انشائها الى القرن السادس قبل المسيح وفي مقاطعتها اليوم ٤٩ الف منزل منقسمة بين الفي شارع وطريق ومعظم آثارها ومصانعها حديثة النشأة من عهد السلالة الملكية الثانية ومن احسن متنزهاتها الكورنيش الذي انتهى سنة ١٨٦٣ وكان عدد السفن التي دخلت

مرفأها البالغ سطحه ٣٠٠ هكتار سنة ١٩٠٧ — ١٦٣٣٠ وعدد الركاب ٥٥٠ الفاً وقدروا مايدخل اليها ويخرج منها في اليوم بسبعة واربعين باخرة وبارجة وناهيك به من عدد ٠

ويطبع فيها وينشر ١٤٦ جريدة ومجلة ٠ وجريدة البتي مارسيليه (المرسيلي الصغير) اوسعها انتشاراً تطبع ١٨٠ الفاً كل يوم وهو في حجم الماتين والايكودي باري كما يطبع البتي باريزيان (الباريزي الصغير) الذي يصدر في باريز مليوناً ومائتي الف نسخة في اليوم والثاني اكثر جرائد فرنسا انتشاراً ٠ فكأن لهذه الاسماء الصغيرة من حسن التوفيق ما لايحالف الاعمال التي تبدأ بالالقاب الضخمة والاسماء الفخيمة ٠

زرت ادارة البتي مارسيليه فرأيت النظام مستحكماً في كل مايتعلق بها وهي اليوم في السنة الثالثة والاربعين من عمرها واقدم منها بل اقدم جرائد مرسيليا « السيمافوردي مارسيل » انشئت سنة ١٨٢٧ وهي من الجرائد الجدية المعتبرة الا انها اقل انتشاراً ٠ وهذه الجريدة تباع في مقاطعة الرون وما اليها مثلاً فلو فرضنا ان مايطبع من جرائد مرسيليا ومجلاتها يبلغ كل يوم مليوني نسخة لاصاب كل فرد في مقاطعتها جريدتان ونصف على اقل تعديل هذا عدا الجرائد البارزية وغيرها التي ترد على مرسيليا وتباع في شوارعها بالالوف ايضاً ٠

ومن الاسف العظيم اننا لو احصينا عدد مايصدر من جميع الجرائد والمجلات العربية والتركية والفارسية في البلاد المصرية والعثمانية والايرانية لايبلغ بكميته قدر ماتطبع كل يوم جريدة البتي مارسيليه احدى جرائد ولايات فرنسا ٠ وعلى هذه النسبة قس ولا تخف درجة ارتقائنا وارتقاء الفرنسيس وسجل علينا بالفقر المدقع في كل شيء، ولا سيما في الامور العقلية

ليون
٨

ماذا يصف القلم من مدينة الفرنسيس وكل فرع من فروعها المدهشة لو تعاورته الاقلام الكثيرة وتوفرت على البحث فيه العقول الكبيرة لما كانت الا الى جانب القصور · نعم لو جاء في عصرنا الرحالة ابن حوقل وشاهد مدينة فرنسا فقط لحوقل واسترجع وقال هذه حضارة ليس لنا في وصفها مطمع ولو اتى المسعودي بقامه وعلمه لعجز عن الوصف والتسطير ولو جيء بابن بطوطة لآب من رحلته الطويلة لايحسن املاء ماراًى وسمع ولوقام ابن جبير لاعترف بقصور ذرعه وعدم نفاذ طبعه وقال ان هذا الا حلم وخيال ونحن لانسجل في رحلتنا الا ماتقع علينا ابصارنا ويترامى الي آذاننا وتمسه ايدينا ·

وبعد فما ذا يصف القلم في ليون أجمالها الطبيعي ام الصناعي · معاملها الحريرية ام مدارسها وكليتها ام انتظام شوارعها ودورها وقصورها وحدائقها ام غناها ومتاحفها وعادياتها وكنائسها ومصانعها ومعارفها ومكاتبها ومخازنها وحوانيتها وتماثيلها وانصابها وخطوطها الحديدية والكهربائية وجسورها الحديدية والحجرية وارصفتها البديعة وساحاتها وحدائقها ونهريها العظيمين الرون والسون اللذين يقطعانها شطرين ويزيدان في بهجتها ما تقر به العين

ماذا نذكر من ليون ثاني مدينة في فرنسا وقد شبهوها بموسكو الروسية في كونها عاصمة دين كما هي عاصمة صناعة وعمل · وعلى جسر ليون مر الصليبيون في القرون الوسطى ذاهبين الى المشرق لانقاذ البيت المقدس من ايدي المسلمين · نعم ماذا نعدد من ليون وبدائع صنع الانسان فيها وماضمت

من معاهد قديمة وحديثة ومشاهد بهيجة و يالله ماعجب معرض نموذج الانسجة الذي حوى اربعمائة الف نموذج ليس لها نظير في العالم وعرضت على انظار اهل البلاد والسائحين ينتفعون بالنظر اليها ويستدلون بها على تفنن يد الانسان في كسوة الابدان ٠

لئن حرمت ليون من ميناء بحرية لتصريف مصنوعاتها بسرعة فان البخار البري عوض عليها هذا الحرمان فزاد في عظمتها التجارية ففي كل يوم يمر في محطات سككها الحديدية ١٤٠ قطاراً جائية ذاهبة من انحاء شتى ولاسيما من الشمال الى الجنوب ٠ والمسافة بين باريز ومرسيليا ٨٥٠ كيلومتراً ليس فيها شبر واحد لا اثر للعمران فيه يقطعها القطار بالسير السريع في ١٤ ساعة ٠ وليون على مقربة من نصف الطريق بين باريز عاصمة البلاد ومرسيليا ثغرها والحكومة اليوم شارعة بمد خط حديدي ثالث لتسيير القطارات لان الخطين الموجودين لا يتأتى ان يجري عليهما في كل بضع دقائق اكثر من قطار واحد مخافة ان يحدث اصطدام بين القطارات وسيكلف الخط الجديد بين باريز ومرسيليا مئات الملايين من الفرنكات وكل ذلك حتى لا يتأخر راكب ولا بضاعة وتأخذ كل جهة حظها من العمران ٠

لم تقف ليون عند حد الاعمال الصناعية والتجارية والمالية بان كانت هي التي أسست مصرف الكريدي ليونيه مثلاً من اعظم مصارف العالم ٠ بل لها حظ كبير من النهضة العلمية واثر راسخ في الحضارة الفرنسوية وناهيك بكليتها التي تحوي فروع العلم ولاسيما الطبيعي والحقوق والطب والتجارة يختلف اليها ٢٥٠٠ طالب منهم الاجانب وفيهم نحو خمسين مصرياً اكثرهم يدرسون الحقوق وقليل منهم الطب واقل في التجارة والمصريون حديث

عهدهم بنزول ليون للتخرج في كليتها وقد كثر ورودهم عليها بعد ان ترك المسيو لامبر احد اساتذة مدرسة الحقوق في القاهرة منصبه فعينته حكومته في كلية ليون استاذاً فكان من اثر محبته للمصريين ومحبة المصريين له ان جذب عشرات منهم للتعلم في كليتها وهو يشرف عليهم اشراف الاب على اولاده . وكانت مصر تعتمد في تنشئة اولادها من قبل على كليات الولايات الفرنسوية ولاسيما كلية مونبليه وذلك على عهد الخديوي اسماعيل لانه كان يعتقد ان اهل مونبليه اقل معاداة للملوك وابعد الفرنسويين عن التطرف .

قضيت في ليون يومين لزيارة معالمها ومشاهدة صديقي محمد لطفي افندي جمعة الكاتب الخطيب الغيور فرأيت فيها غاية الرقي الاجتماعي والتكافل الانساني والذوق الفرنسوي وفي مثل مدينة ليون من قواعد البلاد تعرف حقيقة الفرنسيس لما يشهده السائح فيها من السكون والانقطاع الى الاعمال الشريفة فلا يسعون كاكثر سكان العواصم في الاغلب للمكاسب الدنيئة او يرضون بان يكونوا عالة على الحكومة يأخذون رزقهم من خزانتها بالتوظف والاستخدام

ويا ما ابهج ساحة بللكور (الفناء الجميل) يوم الاحد والرجال والنساء والاولاد غادون رائحون فيها لا تقرأ في وجوههم غير الادب ولا في حركاتهم الا التربية البيتية العالية والتشبع بالنظام المدني المعقول حتى اذا جن الليل يختلف القوم الى دور التمثيل واماكن اللهو والطرب وسماع الخطب والمحاضرات وهكذا ليلهم كنهارهم عمل وراحة واستفادة وافادة اخذوا بحظ وافر من دنياهم ولم ينسوا تعهد آدابهم . فليون بلد طيب امين يسكنه المهذبون العاملون .

ولقد كنت كلما وقع نظري في ليون على شارع عظيم او بناء جسيم تحدثني النفس بسورية فاقول متى ياترى يكون فيها مثل ما في ليون على الاقل ولو ان عمران ليون وحدها وهي احدى مدن فرنسا وما فيها من قوة مادية وادبية وزعت على سورية من عريش مصر الى الفرات ومن البحر المتوسط الى اقصى بادية الشام وحدود نجد والحجاز لغدت سورية وهي في مساحتها نحو مساحة فرنسا كلها من حيث عمرانها ارقى مدن المعمور ولكن الرزق لا يأتي بالتمني والوجود لا ينتفع به الا من يحسنون استخدام ما فيه من القوى والعناصر ·

تحية باريز

٩

سلام عليك مرضعة الحكمة · وربيبة الرخاء والنعمة · وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسية · ومحيية المدنية الاصلية في الاقطار الغربية والشرقية · ومعلمة العالم كيف يكون الخلاص من الظالمين · والضرب على ايدي الرؤساء والنبلاء والمالكين · انت هذبت طبائع البشر حتى غدوا يشعرون باللطف والذوق وفائدة العلم والعمل · انت كنت في مقدمة العواصم التي انبعث منها تمجيد العقل بل تأليهه فقضيت بالتقدم له على كل شيء في الوجود · وبالغت في اكرام رجال العقول من ابنائك ·

سلام عليك ياشيقة الابداع والاختراع · وسابقة الاقران في مضمار الانتفاع بما حوت الرباع والبقاع · استخدمت القوى المادية فاحدت استخدامها · واستثمرت القوى العقلية فابدعت في استثمارها · واحييت حضارات الامم

السالفة · وانشأت لك حضارات لا يزال يحسدك عليها اسبق الشعوب الى الترقي مهما تقلبت بك الحال · ويجدون في اوضاعك ماليس يجدونه في اوضاعهم من المرونة والجمال ·

سلام عليك ياواضعة حقوق الانسان وملقحة الاذهان بالتناغي بحب الاوطان والداعية الى ثل عروش الجبارين والمخربين · انت لم ترهبك تقاليد ابطال القرون الوسطى · ولا بطش الباطشين من المحافظين عليها · ولم تعلقي مسائلك على القضاء والقدر بل اخذت بالاسباب والمسببات فقتلت من اراد قتلك · ووضعت من لم يهمه رفعك · وكنت للناهضين من الناس خير مثال ·

سلام عليك يامعهد المعارف والصناعات بما انشأتيه من مجامعك العلمية ومدارسك الجامعة والكلية · ومجالسك العامية والخاصية · وجمعياتك ونقاباتك لخدمة المدنية والانسانية · ودور تمثيلك ومعاهدانسك وسماعك · ومتاحفك وحدائقك ومكاتبك ومعارضك · وكل ماابدعته افكار ابنائك وايديهم ودل على مجد طريف وتالد وتاريخ نمّ على جبين الدهر خالد

سلام عليك ياملقنة الخلق معنى الاخاء والحرية والمساواة ليتعاشروا بالمعروف ويقوم نظام اجتماعهم على تبادل المنافع حتى لايبقى تمييز في الحقوق والواجبات بين المختلفين في الموالد والديانات وقطعت التفاضل الا بالاعمال الصالحة والاحلام الراجحة ·

سلام عليك يامتشبعة بافكار الحكماء ارتضيتيها منهم قانونًا تجرين عليه لسعادتك ولئن حادبعض ابنائك بعض الشيء عنها فذلك لان سياسة المنافع والمصالح قد تخالف ناموس الحق والعمل الصالح ولان نظام بقاء

الانسب لا قلب له والتنازع في جهاد الحياة كثيراً مايدعو الانسان الى ركوب ماتحظره الشرائع الوضعية والسماوية ولا سيما في هذه العصور التي يفصل فيها كل عمل على قالب الماديات وما ذلك الا ليقر البشر بعجزهم ويعلموا ان الكمال الآن محال ولعله لايفوتهم في مستقبل القرون والاجيال ·

السلام على هذه العاصمة التي احسنت الى الشرق فيما مضى فعلمته حتى استمد منها النور فان قلنا معاشر الشرقيين ولا سيما سكان الشرق الاقرب انا نأخذ عن المدنية الغربية فانما نعني المدنية الفرنسوية وبعبارة اصح المدنية التي تنبعث اشعتها من باريز ومن طريقها وبلغتها واسلوبها تيسر لنا ان نستطلع طلع سائر مدنيات الارض ·

سلام عليك علمت وعلت فما احسن العلم والعمل اذا اجتمعا · وما احلى الاخلاص والشعور بالواجب ·

سلام عليك سننت للغرب سنة التضامن والتكافل · والعطف على البائسين والمساكين · والرفق بالضعفاء والعاجزين · والاخذ بايدي المقهورين والعاثرين · والانتصار للمظلومين من الآدميين خصوصاً اذا كانوا من طينة اوربية

سلام عليك انت العاصمة التي تركت القصور الفخيمة التي عمرت بدماء الامة مباحة للناس يدخلونها وكانت بؤرة المظالم والمغارم · ومنبعث الشهوات والاهواء · ولطالما جأرت جوانبها بالدعاء الى السماء من حيف الكبراء ايام كان يوقع احد ملوكها وهو على سرير نومه توقيعاً واحداً يترك من الغد مئة الف اسرة في هذه البلاد تبيت جائعة عريانة ليعمر بما يجمع قصراً له او يدفعه لمحبوبته صبرة واحدة فمنا اضنانك الظلم والعنت فما تجعلين من تلك القصور الفاسقة متاحف عامة ومن دور الظلم والظلمات مجالس

عدل وعلم ونور ·

سلام عليك خلدت اعمال من خلفوا لك هذه المدنية واقمت تماثيلهم ونصبهم موقع الاحترام والاعظام وتوفرت على تكرير اسمائهم عَلَى المسامع كل يوم الوف الالوف من نارات تجعليهم مهمازاً ان يأتي بعدهم من الابناء والاحفاد ·

سلام عليك يابلد ديكارت و كونت وروسووفولتير وديدرو وسيمون ومونتسكيو وهوغو وباسكال ورنان ومئات اضرابهم ممن بذلوا حياتهم في حسن خدمتك فلم تنس افضالهم عليك بعد مماتهم ·

انت ان خجلت من ذكرى الحروب الصليبية وديوان التفتيش الديني ومذبحة القديس برتلماوس ومقتل الفيلسوف فيفاني وجنون نابوليون وغير ذلك من الاعمال البربرية في عصور الظالمة فان سكانك يفاخرون وحق لهم الفخر بانهم احفاد ثورة سنة ١٧٨٩ قاموا من الاعمال المشكورة في عصور النور مايذني الماضي الاقله · ان الحسنات يذهبن السيئات ·

السلام عليك باريز اجمل عواصم العالم واغنى البلاد ببدائعها الطبيعية والصناعية واجمعها لمرافق الراحة والرفاهية · لست انت اليوم عاصمة مئة مليون من البشر اربعون في ارضك وستون في المستعمرات بل انت بما فيك من المزايا عاصمة معظم الخافقين لاسباب هنائك وصفائك ونعيمك ونعمائك وتفردك من بين العواصم بسلامة الذوق وسلامة الابداع ·ووفرة العلماء والباحثين والكاتبين والشاعرين والقصصيين · فكل شيء في باريز مبذول حتى لتعافه النفوس من اقصى مايتصور الفكر من الفضيلة الى آخر مايجول في خاطر او يحوم حوله خيال

فباريز ولا مراء جنة ارضية جمع فيها موجدوها — استغفر الله — ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر علَى قلب بشر

باريز بعد الغروب

١٠

ان فاخرت باريز بمعارضها التي اقامتها في اوقات مختلفة لتلفت اليها الانظار وتستفيد الفخار والنضار فان لها كل ليلة معارض لاتختلف عن السابقة الا في كون البقعة التي تقوم عليها هذه اوسع مجالاً واكثر جمالا ٠

يصرف الباريزيون او معظمهم نهارهم في الاستعداد لليلهم وكثيرون لايعملون الا في الليل ويصرفون النهار في جمع قواهم وادخار احسن ماعندهم لما بعد الشفق فهم لايجعلون الليل لباساً والنهار معاشا كما هي عـادة معظم الامم بل ان الحركة عندهم تبدأ قبيل الظهر بطيئة ولا تزال تنمو حتى تغيب الشمس وتطلع بدلها شموس واقمار ٠

ترى المدينة في النهار عابسة مظلمة علَى كثرة جاداتها الكبرى وشوارعها المغروسة علَى جانبيها بالاشجار غالباً وطرقها وازقتها وساحاتها العامة وفي هذه الاماكن تشهد مجالي الحسن والاحسان وماتفننت في ابداعه العوامل وتاطفت في روائه الافكار والانامل ٠

علَى تلك الارصفة تناجي النفس رب النجوى قائلة اللهم هل خلقت باريز من معدن اللطف والظرف لتكون مثالاً من جنة ارضية فخصصت اهلها بالاستمتاع بنعمة الجمال حتى لكأنك شطرته شطرين شطر وقفته علَى الباريزيات وشطر وزعته علَى سائر بنات حواء ٠

ان امتاز الفرنسيس بالابداع في الصناعات فقد امتازوا ايضاً بنضرة الوجوه · والى باريز تحمل هذه الامة ولا سيما في فصل الشتاء افضل ماعندها من مجالي الكمال والجمال ايام تكون ام هذه القرى مقصد السائحين والمتجرين والطالبين والعالمين والسياسيين والخاطبين وتغص دواوينها واداراتها وتلتئم مجالسها العلمية والسياسية والاجتماعية ·

ويزيد الوجوه بهجة في باريز تفنن القوم في الازياء وتغاليهم في التبرج والزينة تغالياً مهما تقدم عند غيرهم لا يزالون مصدره ومورده واساتذته وسدنته · ومظاهر الازياء تجلى في باريز بعد الغروب على الجادات والشوارع والطرق والساحات وفي المركبات والسيارات وحوافل الخيل والكهرباء والسكك الحديدية فوق الارض وتحتها وفي دور التمثيل ومسارح اللهو والطرب ومحال الفرج والحانات والقهوات والمطاعم والفنادق ويزيدها فتنة للناظرين ما اعتاده الباريزيات الا من عصم ربي من ابداء زينتهن لغير المحارم اكثر من ابدائها لبعولتهن وذوي قرباهن ورنين اصواتهن في الكلام رنيناً تحسبه من مزامير داود وتستطيبه اكثر من تغريد العندليب وهناك الفتنة بعينها والفتنة اشد من القتل ونعوذ به تعالى من فتنة القلب وفتنة العين

ولعل هذه المجالي في الحرية المفرطة حملت الكثير من الغرباء على نزول باريز ليشهدوا فيها مالا يشهدونه في غيرها وتربح منهم الليرات بالملايين والكرات عملاً بما قاله احد ملوك بروسيا وقد قيل له ليس من اللائق ان تضرب ضريبة على محال الاطمئنان في الشوارع فقال «الربح لا رائحة له» وارسلها مثلاً ولذلك يقول الافرنج ايضاً «الغاية تبرر الواسطة» فما دامت الغاية الكسب فلا بأس من الاحتيال لنيله ومن اجل هذا تظهر باريز بعد

الغروب اقصى الفضيلة واقصى الرذيلة والناس معهما وما يختارون

بعد الغروب تعمر في باريز اندية الخطابة والمحاضرة والعلم وتلقى فيها من الفوائد مايبلغ الاذهان عفواً صفواً ويفيض معين البيان ويبدو حذق يد الانسان ويسعى العالم الى تعليم الجاهل في ساعة ماتعب في احضاره الايام والاعوام فمائدة الخطب والمحاضرات معروضة . ودروس الفضائل عامة موردة .

بعد الغروب يعمل معظم الكاتبين كتبهم والشاعرين اشعارهم والمؤلفين مؤلفاتهم والمخترعين اختراعاتهم والصانعين صناعاتهم كأن الافكار لاتنطلق من عقالها والايدي لاتحذق اعمالها الا عند ماترقد عيون البشر او كأن الزهرة ربة الجمال لاتحب ان تملي على من هم احوج الناس الى طلعتها الا من الليل ككوكب الزهرة لايبدو في مطلع الافلاك الا مع الدجى . ولذا يحرص اهل باريز ان يجعلوها بعد غروب الشمس مجمع الانس وريحانة النفس

وكأن الباريزيين وهم العارفون بتقسيم الاعمال عزَّ عليهم ان تمضي ساعة في بلدهم ينقطع فيها العاملون عن اعمالهم فخصوا النهار ببعض الصناع والتجار والعملة والعاملات والليل بالمفكرين والمفكرات والمؤنسين والمؤنسات والمغنين والمغنيات والممثلين والممثلات ... حتى لاتنقطع حركة ولا يقف دولاب عمل وكان بذلك الحظ الاوفر للغرباء فلا يدخل على الغريب ملل من تغير المشاهد ولايفتأ من الفجر الى الفجر ان احب يستمتع بالمشاهد العجيبة ويتعلم ويأنس ويتنزه

يقول الباريزيون ان بلدهم مبارك على الغريب اكثر منه عليهم وانهم مضطرون ان يواصلوا السير بالسرى ويكدحوا الليل والنهار ولكن هذا قول

من ملك شيئاً فزهد فيه والروح ترتاح الى التنقل اما الشرقي الذي يري اهل باريز ويغبطهم على اكثر مادبروه لراحتهم ورفاهيتهم فانه يعجب لمن يساكنهم زمناً كيف ترضى نفسه ان يختار عن باريز بلداً كما يعجب لاهلها كيف لا يأسفون على مفارقة الحياة اضعاف اضعاف ما يأسف غيرهم عليها ومن قال بان دواعي الراحة تطيل حبال الآجال يستعظم على اهل باريز لم لم يعمروا اكثر من عامة الخلق وعندهم النعيم المقيم والخير العميم

الرسالة العذراء (١)

في موازين البلاغة وادوات الكتابة كتب بها ابو اليسر ابراهيم بن محمد بن المدبر

بسم الله الرحمن الرحيم

فتق الله بالحكمة ذهنك ، وشرح بها صدرك وانطق بالحق لسانك ، وشرف به بيانك ، وصل اليَّ كتابك العجيب الذي استفهمتني فيه بجوامع كلك جوامع اسباب البلاغة ، واستكشفتني عن غوامض آداب ادوات الكتابة ، سألتني ان اقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته ، وحدود فخامة المعنى وجزالته ، ورشاقة نظم الكتاب ومشاكلة سرده ، وحسن افتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله ، واعتدال وصوله ، وسلامتهما من الزلل ، وبعدهما من الخطل ، ومتى يكون الكاتب مستحقاً اسم الكتابة ، والبليغ مسلماً له معاني البلاغة ، في اشارته ، واستعارته ، والى اي ادواته هو احوج ، وبأي آلاته هو اعمل اذا محص الحق ودعي الى السبق ، وفهمته وانا رام لك ايدك الله من ذلك مايجمع اكثر شرائطك ، ويعبر عن جملة سؤالك ، وان طولت في الكتاب وعرضت واطنبت في الوصف واسهبت ، ومستقص على نفسي في الجواب على

(١) منقولة من مجموع قديم من كتب الشيخ طاهر الجزائري وهي مما كتب فيما نحسب في القرن الرابع او الخامس

قدر استقصائك في السؤال ، وان اخل به التياث الحال ، وسكون الحركة ، وفتور النشاط ، وانتشار الروية ،وتقسم الفكر ، واشتراك القلب ، والله المستعان

اعلم ايدك الله ان ادوات ديوان جميع المحاسن وآلات المكارم طاعة منقادة لهذه الصناعة التي خطبتها وتالية تابعة لها وغير خارجة الى جحد احكامها ولا دافعة لما يلزمها الاقرار به لما اضطراراً منها اليها وعجزاً عنها فاذا نقاضتك نفسك علمها ونازعتك همتك الى طلبها فاتخذ البرهان دليلاً شاهداً والحق اماماً قائداً بقرب مسافة ارتيادك ويسهل عليك سبل مطالبها واستوهب الله توفيقاً تستنجح به مطالبك ، واستمنحه رشداً يقبل اليك بوجه مذاهبك . فاقصد في ارتيادك . وتأمل الصواب في قولك وفعلك . ولا تسكن الى جحود قصد السابق باللجاج ولا تخرج الى اهمال حق المصيب بالمعاندة والانكار ولا تستخف بالحكمة ولا تصغرها حيث وجدتها فترحل نافرة عن مواطنها من قلبك وتظعن شاردة عن مكانها من بالك . وتتعفى بعد العمارة من قلبك آثارها وتنطمس بعد الوضوح اعلامها واعلم ان الاكتساب بالتعلم والتكلف وطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء فان اردت خوض بحار البلاغة وطلبت ادوات الفصاحة فتصفح من رسائل المتقدمين ماتعتمد عليه ومن رسائل المتأخرين ما ترجع اليه في تلقيح ذهنك . واستنجاح بلاغتك . ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ومن الاشعار والاخبار والسير والاسمار ما يتسع به منطقك . ويعذب به لسانك ويطول به قلمك . وانظر في كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب ومعاني العجم وحدود المنطق وامثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم وسيرهم ومكايدهم في حروبهم بعد ان تتوسط في علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والشروط وكتب السجلات والامانات فانه اول ما يحتاج اليه الكاتب وتمهر في نزع آي القرآن في مواضعها واجتلاب الامثال في اماكنها واختراع الالفاظ الجزلة وقرض الشعر الجيد وعلم العروض . فان تضمين المثل السائر والبيت الغابر مما يزين كتابتك ما لم تخاطب خليفة او ملكاً جليل القدر فان اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء والجلة الرؤساء عيب واستهجان للكتب الا ان يكون الكاتب هو القارض للشعر والصانع له فان ذلك مما يزيد في أبهته ويدل على براعته . وان شدوت من هذه العلوم ما لا يشغلك محله . وتنقبت من هذه الفنون ما تستعين به على ايطالة قلمك وتقويم اود بيانك

بعد ان يكون الكاتب صحيح القريحة . حلو الشمائل . عذب الالفاظ . دقيق

الفهم حسن القامة . بعيداً من الفدامة خفيف الروح . حاذق الحس . محنكاً بالتجربة . عالماً بحلال الكتاب والسنة وحرامهما . وبالملوك وسيرها وايامها . وبالدهور في تقلبها وتداولها . مع براعة الادب . وتأليف الاوصاف . ومشاكلة الاستعارة . وحسن الاشارة وشرح المعنى بمثله من القول حتى تنصب صوراً . نطقية تعرب عن انفسها . وتدل على أعيانها . لان الحكماء قد شرطوا في صفات الكتاب طول القامة . وصغر الهامة . وخفة اللهازم . وكثافة اللحية . وصدق الحس . ولطف المذهب . وحلاوة الشمائل وملاحة الزي حتى قال بعض المهالبة لولده : تزيوا بزي الكتاب فان فيهم ادب الملوك وتواضع السوقة .

وخاطب كلاً على قدر ابهته . وجلالته . وعلوه وارتفاعه . وتفطنه وانتباهه . واجعل طبقات الكلام على ثمانية اقسام فاربعة منها للطبقة العلوية واربعة دونها ولكل طبقة منها درجة ولكل قسمة حظ لا يقسع للكاتب البليغ ان يقصر باهلها عنها . ويقلب معناها الى غيرها فالطبقة العليا الخلافة التي اعلى الله شأنها عن مساواتها باحد من ابناء الدنيا في التعظيم والتوقير والمخاطبة والترسل . والطبقة الثانية الوزراء والكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم والسنتهم . ويرتقون الفتوق بآرائهم ويتجملون بآدابهم الثالثة امراء ثغورهم . وقواد جيوشهم . يخاطب كل امرىء منهم على قدره وبما حمل من اعباء امورهم . وجلائل اعمالهم . الطبقة الرابعة القضاة فانهم وان كان لهم تواضع العلماء وحلية الفضلاء فمعهم أبهة السلطنة وهيبة الامراء .

اما الطبقات الاربع الاخر فالملوك الذين اوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب وافضالهم تفضيلهم فيها . والثانية وزراؤهم وكتابهم واتباعهم الذين بهم تقرع ابوابهم وبعنايتهم تستماح اموالهم والثالثة هم العلماء الذين يجب توقيرهم في الكتب لشرف العلم وعلو درجة أهله . الرابعة لأهل القدر والجلالة والظرف والحلاوة والعلم والادب فانهم يضطرونك بحدة اذهانهم وشدة تمييزهم وانتقادهم الى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم . واستغنينا عن الترتيب للتجار والسوقة والعوام رتبة لاستغنائهم بتجاراتهم عن هذه الآلات واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الادوات ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك اليهم في كتبك وتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه وتعطيه قسمه وتوفيه نصيبه فانك متى اضعت ذلك لم آمن بك ان تعدل بهم غير طريقهم وتجري شعاع بلاغتك في غير مجراه وتنظم جوهر كلامك

في غير سلكه فلا يفيد المعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً جزلاً لائقاً بمن كاتبته ومشابهاً لمن راسلته . وان الباسك المعنى وان شرف وصلح لفظاً مختلفاً عن قدر المكتوب اليه لم تجر به عادتهم تهجين للمعنى واخلال بقدره وظلم لحق المكتوب اليه ونقص مما يجب له كما ان في امتناع تعارفهم وما انتشرت به عاداتهم وجرت به سنتهم وضعاً لقدرهم وخروجاً من حقوقهم . وبلوغاً الى غير غاية مرادهم وا سقاطاً لحجة أدبهم ضمن الالفاظ المرغوب عنها والصدور المستوحش منها في كتب السادات والامراء والملوك على اتفاق المعاني مثل ابقاك الله طويلاً وعمرك ملياً وان كنا نعلم انه لافرقان بين قولهم أطال الله بقاءك وبين قولهم ابقاك الله طويلاً ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً وانبه قدراً في مخاطبة الملوك كما انهم جعلوا اكرمك الله وابقاك احسن منزلة في كتب الظرفاء والادباء من جعلت فداك على اشتراك معناه واحتماله ان يكون فداء من الخير كما يكون فداء له من الشر ولولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن ابي وقاص فداك ابي وامي لكرهت ان يكتب بها احد على ان كتاب العسكر وعوامهم قد اولعوا بهذه اللفظة حتى استعملوها في جميع محاوراتهم وجعلوها هجيراهم في مخاطبة الشريف والوضيع والصغير والكبير ولذلك قال محمود الوراق

كل من حل سر من را من النا س وممن يصاحب الاملاكا
لو رأى الكلب ماثلاً في طريق قال للكلب ياجعلت فداكا

وكذلك لم يجيزوا ان يكتبوا بمثل ابقاك الله وامتع بك الا الى الحرمة والاهل والتابع والمنقطع اليك واما في كتب الاخوان فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه ولذلك كتب عبدالله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات

أحلت عما عهدت من أدبك ام نلت ملكاً فتهت في كتبك
ام هل ترى ان في التواضع للاخ وان نقصاً عليك في حسبك
اتعبت كفك في مكاتبتي حسبك مما يزيد في تعبك
ان جفاء كتاب ذي أدب يكتب في صدره وامتع بك

فكتب اليه محمد بن عبد الملك

انكرت شيئاً فلست فاعله فان تراه يخط في كتبك
فاعف فدتك النفوس عن رجل يعيش حتى الممات في ادبك
كيف اخون الاخاء يا املي وكل شيء انال من سببك

ان يك جهلاً اتاك من قبلي فعد بفضل عليّ في أدبك

واما صدور السلف فانما كانت من فلان بن فلان الى فلان كذلك جرت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العلاء بن الحضرمي والى اقيال اليمن والى كسرى وقيصر وكتب اصحابه والتابعين كذلك حتى استخص الكتاب هذه المحدثات من بدائع الصدور واستنبطوا لطائف الكلام ورتبوا لكل رتبة وجروا على تلك السنة الماضية الى عصرنا هذا في كتب الخلفاء والامراء رتبوا على ذلك المنهاج في كتب الفتوحات والامانات والسجلات ولكل مكتوب اليه قدر ووزن ينبغي للكاتب ان لا يتجاوز به عنه ولا يقصر به دونه . وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك بمخاطبة العوام في قوله

واراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل

فهذا معنى صحيح في المدح ولكنهم أجلوا اقدار الملوك ان يمدحوا بما يمدح به العوام لان صدق الحديث وانجاز الوعد وان كان مدحاً فهو واجب على كل والملوك لا يمدحون بالفروض الواجبة وانما يحسن مدحهم بالنوافل لان المادح لو قال لبعض الملوك انك لا تزني بحليلة جارك وانك لا تخون ما استودعت وانك تصدق في وعدك وتفي بعهدك كان قد اثنى بما يجب ولكنه لم يصل بثنائه الى مقصده وقال ما لا يستحسن مثله في الملوك

ونحن نعلم ان كل امير تولى من امور المؤمنين شيئاً فهو امير المؤمنين غير انهم لم يطلقوا هذه اللفظة الا للخلفاء خاصة ونعلم ان الكيس هو العقل اذا عنوا به ضد الحمق ولكنك لو وصفت رجلاً فقلت : ان فلاناً لعاقل كنت قد مدحته عند الناس ولو قلت انه كيس كنت قد قصرت في وصفه وقصرت به عن قدره الا عند اهل العلم باللغة لأن العامة لا تلتفت الى معنى الكلمة الا الى حيث جرت بها العادة في استعمالها في الظاهر مع الحداثة والعزة وخساسة القدر وصغر السن فقد روينا عن علي رضي الله عنه انه تبجح بالكيس حين بنى الكوفة وقال :

اما تراني كيسا مكيساً بنيت بعد نافع مخيساً
حصناً حصيناً واميراً كيساً

وقال آخر : ما يصنع الاحمق المرزوق بالكيس ونعلم ان الصلوة وحي غيرانهم قد حرموها الا على الانبياء كذلك روي عن ابن عباس (رضه) وسمع سعد بن ابي وقاص أخاً له يلبي ويقول : ياذا المعارج فقال نحن نعلم انه ذو المعارج ولكن ليس كذلك كنا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كنا نقول : لبيك اللهم لبيك وكان ابو ابراهيم

المزني قال في بعض ما طالبه به داود بن علي خاف الاصبهاني فقال : وان قال كذا فقد خرج من الملة والحمد لله فانتقد عليه ذلك داود وقال : تحمد الله على ان يخرج مسلماً من الاسلام هذا موضع استرجاع والحمد مكان يليق به ونحن نقول على المصيبة انا لله وانا اليه راجعون ·

فامتثل هذه الرسوم والمذاهب واجر على آدابهم فلكل رسوم امتثلوها وتحفظ في صدور كتبك وفصولها وافتتاحها وخاتمتها وضع كل معنى في موضع يليق به وتخير لكل لفظة معنى يشاكلها وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر الشكوى بمثل والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل · وفي موضع ذكر البلوى نسأل الله دفع المحذور ونسأل الله صرف السوء · وفي موضع ذكر المصيبة بمثل انا لله وانا اليه راجعون · وفي موضع ذكر النعم بمثل والحمد لله خالصاً والشكر لله واجباً · فانها مواضع ينبغي للكاتب تفقدها فانما يكون كاتباً اذا وضع كل معنى في موضعه وعلق كل لفظة على طبقتها من المعنى فلا يجعل أول ما ينبغي له ان يكتب في آخر كتابه في اوله ولا اوله في آخره فاني سمعت جعفر بن محمد الكاتب يقول: لا ينبغي للكاتب ان يكون كاتباً حتى لا يستطيع احد ان يؤخر اول كتابه ولا يقدم آخره ·

واعلم انه لا يجوز في الرسائل ما أتى في آي القرآن من الايصال والحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص لان الله سبحانه وتعالى انما خاطب بالقرآن اقواماً فصحاء فهموا عنه جل ثناؤه امره ونهيه ومراده والرسائل انما يخاطب بها قوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب وكذلك ينبغي للكاتب ان يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس فانه ان ذهب على مثل قوله تعالى واسأل القرية واسأل العير بل مكر الليل والنهار احتاج ان يبين بل مكركم بالليل والنهار ومثله في القرآن كثير

ولا يجوز في الرسائل ما يجوز في الشعر لان الشعر موضع اضطرار فاغتفروا فيه الاغراب وسوء النظم والتقديم والتأخير والاضمار في موضع الاظهار فمن الحذف قول الحطيئة « من صنع سلاّم » يريد سليمن بن داود وكقول الآخر · « والشيخ عثمان ابوعفان » وكقول الآخر

وسائلة بثعلبة بن سير وقد علقت بثعلبة العلوق

اراد ابن سيار وكقول النابغة « ونسج سليم كل قضاء زائل » يريد سليمن وكذلك ينبغي في الرسائل ان لا يصغر الاسم موضع التعظيم وان كان ذلك جائزاً على مثل قولهم دويهية وجذيل وعزيق · ومما لا يجوز في الرسائل كلمت اباك واعني اباك واساءة النظم ·

في التأليف في الشعر كثير وتكون الكلمة بشعة حتى اذا وضعت موضعها وقرنت مع اخواتها حسن حالها وراقت كقول الحسن بن هاني

« ذو حضرافات من كد القبل » والكد كلمة نلقة لاسيما في الرقيق والغزل والتشبيب غير انها لما وقعت في موضعها حسنت كما ان اللفظة العذبة اذا لم توضع موضعها نفرت قال :

رأت عارضاً جوناً فقامت غريرة بمسحاتها قبل الظلام تبادره

فاوقع الجاف الجافي هذه اللفظة غير موقعها وظلمها اذ جعلها في غير مكانها لان المساحي لا تكون ولا تصلح للغرائر واين كان عن قول الشاعر

غرائر ما حدثن يهدين انسة فما فوقه منهن غير غرائر

حديث لو ان العصم تدعى به اتت ودون يد الفحشاء حد البواتر

فتخير من الالفاظ ارجحها وزناً ، واجزلها معنى ، والبقها في مكانها ، وليكن في صدر كتابك دليل واضح على مرادك وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك حيثما جريت فيه من فنون العلم ونزعت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات فان ذلك اجزل لمعناك واحسن لاتساق كلامك ولا تطيلن صدر كلامك اطالة تخرجه من حده ولا تقصر به عن حقه . ولو صور اللفظ وكان له حد لوقفنك عليه غير انهم في الجملة كرهوا ان يزيدوا سطور كتب الملوك على سطرين وهذه اشارة لا تعبر الا عن الجملة من المقصود اليه لان الاسطر غير محدودة

واعلم ان اول ما ينبغي لك ان تصلح آلتك التي لا بد لك منها وادواتك التي لا تتم صناعتك الا بها وهي دواتك فابدأ بعمارتها واصلاحها وتخير لها ليقة نقية من الشعر والوضح لئلا يخرج على حرف قلمك ما يفسد كتابك و يشغلك بتنقيته وخذ من المداد الفارسي خمسة دراهم ومن الصمغ العربي درهماً وعفصاً مسحوقاً نصف درهم ورماد القرطاس المحرق درهمين ثم تسحقها وتغربلها وتعجنها ببياض البيض ثم بندقها واجعلها في الظل فاذا احتجت اليها اخذت منها مقدار حاجتك فكسرته وحشوت به دواتك واذا نقعته في ماء السلق حتى ينحل ويذوب ويختمر ثم امددت من مائه دواتك كان اجود وانق ثم اختر بعد ذلك من انابيب القلم الذي يصلح لكتابة القراطيس أقله عقدة واكثفه لحماً واجلبه قشراً واعدله استواء وتجنب الاقلام الفارسية ما استطعت فانها ما تصلح الا للكواغد والرقوق

واجعل لقلمك براية حادة فان تعثر يد الكاتب وقت قطع القرطاس ناقص مروءته وتخل بظرفه وان قدرت ان لا تقطع القرطاس اذا فرغت من كتابك الا بخرطوم قلمك فافعل فان ذلك اكمل لمروءتك وابدع لظرفك وقطعك

واستعمل لبري القلم سكيناً طواو يسيا مذلق الحدوميض الطرف فيكون ذلك عوناً لك على بري اقلامك فان محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس ولئن قيل كأنه الرمح الرديني فقد قال الكاتب كأنه القلم البحري . وتفقد الانبوبة قبل بريكها لئلا تجعلها منكوسة وابرها من ناحية نبات القصبة وأرهف ما قدرت جانبي قلمك ليرد ما انتشر من المداد ولا تطل شقه فان القلم لا يمج المداد من شقه الا مقدار ما احتملت شرتاه فارفع شرتيه ليجمعا لك حواشي تحضيره واما قط القلم فعلى قدر القلم الذي يتعاطاه الكاتب من الخط غير ان المسلسل لا يكاد يتسلسل الا بالقلم المربع القط كما ان كتب الملوك والسجلات لا تحسن الا بالقلم المحرف الكوفي واما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه والمقصود اليه في النوائب والمهات

ورأيت كثيراً من الكتاب يختارون قلم النرجس لتجمده وتجانسه ومن اللازورد ابسط منه واقوم حروفاً واما الموشع والمولع والمدبج والمتمم والمسهم فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه واما حسن الخط فلا حد له قال علي بن زيز النصراني الكاتب اعلمك الخط في كلمة واحدة لا تكتبن حرفاً حتى تفرغ مجهودك في كتابة الحرف المبدوء به وتجمل في نفسك انك لا تكتب غيره حتى لا تعجل عنه الى غيره . واياك والنقط والشكل في كتابك الا ان تمر بالحرف المعضل الذي تعلم ان المكتوب اليه يعجز عن استخراجه فلأن يشكل عليّ الحرف احب الي من ان يعاب بالنقط والاعجام . وقال المأمون لكتابه اياي والشونيز في كتبكم يعني النقط ولذلك قال ابن هاني

لم ترض بالاعجام حين كتبته حتى كتبت السب بالاعراب

ولا تغفل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فقد قال ابو العيناء ان بني أمية هم الذين كانوا امروا كتابهم فطرحوا ذلك من كتبهم فجرت عادة الكتاب الى يومنا هذا على ما سنوه . وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تجعلوني كقدح الراكب ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره صلى الله عليه وعلى آله وسلم اولاواوسطاوآخراً

واحب ان تجعل بدل الاشارة التراب فان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتربوا كتبكم فانه انجح للحاجة ولا تدع التاريخ فانه يدل على تحقيق الاخبار وقربها وبعدها

وانظر الى مامضى من الشهر وما بقي منه فان كان الماضي اقل من نصف الشهر قلت لكذا ليلة مضت من شهر كذا وان كان الباقي اقل من النصف قلت لكذا ايضاً بقيت وقد قال بعض الكتاب ان الماضي من الشهر ان تحصيه والباقي لا تحصيه لانك لا تدري ايتم الشهر او ينقص وليس هذا بشيء لان تاريخ الكتاب ليس من الاحكام في شيء وما عَلَى الكاتب ان يكتب الا بما ظهر وتبين لا بما بطن

ولا تجعل سحاة كتبك غليظة الا في العهود والسجلات التي تحتاج الى خواتمها وطوابعها فان محمد بن عيسى الكاتب كاتب آل طاهر اخبر عنهم ان عبدالله بن طاهر كتب الى العراق في اشخاص كاتب كان كتب اليه فكتب وغلظ سحاة كتابه فرد الكتاب اليه فقدم عليه راجياً ابره وجائزته فقال عبدالله بن طاهر ان كان معك سحاة فاقطع خزم كتابك وانه رف وراءك وكذلك لاتعظم الطينة في المثل من عظم الطينة فانه مظلوم ولا تطبعها الا بعد عنوانانها فان ذلك مرذيهم وقد يجب عليك علم الصاق القراطيس ومحوها ولم ار شيئاً في الصاقها الطف من ان ينقع الصمغ العربي في الماء ساعة حتى يذوب ثم يلصق به وكذلك ماء الكثيرا والنشاستج ثم تطويه طياً رقيقاً وتجعله في منديل نظيف ويرفع تحت وسادة حتى يجف واما محوها فعلى قدر لطف الكاتب وتأنيه غير أنه ينبغي له ان لا يلقط السواد من القرطاس الا بشر الشمع المسخن واللبان الممضوغ وما اشبهها ثم يكون لقطه رويداً رويداً كلما لقط جانباً حوله الى الجانب الآخر

واما قراءة الكتب المختومة والتلطف لنقض خواتيمها فمما لا نذكره خوفاً من سفيه

واما تضمين الاسرار حتى لا يقرأها غير المكتوب اليه ففيه أدب وقد تعلقت العامة بالقمي والاصبهاني فيجب ان يبدل الحروف تبديلاً يخفى والطف من ذلك ان تأخذ لبناً طيباً فتكتب به في قرطاس فيذر المكتوب اليه عليه رماداً حاراً من رماد القراطيس فانه يظهر وأن كتب بماء الزاج وذُرَّ عليه العفص المدقوق بحاز او بماء العفص وذر عليه شيئاً من الزاج او ينقع شيئاً من وشق ثم تكتب به ثم تذرت عليه الرماد فانه يظهر وان احببته لا يقرأ بالنهار و يقرأ بالليل فاكتبه ببرارة السلحفاة وان حاولت صنعة رسالة او انشاء كتاب فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت والكلمة بعباره اذا سنحت فربما مرَّ بك موضع يكون مخرج الكلام اذا حسب انا فاعل احسن من أنا افعل واستفعلت أحلى من فعلت

وأدر الالفاظ في اماكنها واعرضها عَلَى معانيها وقلبها عَلَى جميع وجوهها حتى تقع

موقعها ولا تجملها قلقة نافرة فمتى صارت كذلك هجنت الموضع الذي اردت تحسينه واعلم ان الالفاظ في اماكنها كترقيع الثوب الذي اذا لم تتشابه رقاعه تغير حسنه قال الشاعر:

ان الجديد اذا ما زيد في خلق تبين الناس ان الثوب مرقوع

وارتصد لكتابك فراغ قلبك وساعة نشاطك فتجد ما يمتنع عليك بالكد والتكلف لان سماحة النفس بمكنونها وجود الاذهان بمخزونها انما هو مع الشهوة المفرطة في الشر والمحبة الغالبة فيه اوالغضب الباعث منه ذلك . قيل لبعضهم لِمَ لا تقول الشعر قال: كيف اقوله وانا لا اغضب ولا اطرب . وهذا كله ان جريت من البلاغة عَلَى عرق وظهرت منها عَلَى حظ فاما ان كانت غير مناسبة لطبعك ولا واقعة شهوتك عليها فلا تنضي مطيتك في التماسها ولا تتعب بدنك في ابتغائها واصرف عنانك عنها ولا تطمع فيها باستعارتك الفاظ الناس وكلامهم فان ذلك غير مثمر لك ولا مجد عليك ومن كان مرجعه فيها الى اغتصاب الفاظ من تقدم والاستضاءة بكوكب من سبقه وسحب ذيل حلة غيره ولم يكن معه أداة تولد له من بنات قلبه ونتائج ذهنه الكلام الحر والمعنى الجزل فلم يكن من الصناعة في عير ولا نفير

عَلَى ان كلام العظماء المطبوعين ودرس رسائل المتقدمين عَلَى كل حالٍ مما يفتق اللسان ويوسع المنطق ويشحذ الطبع ويستثير كوامنه ان كانت فيه سجية قال العتابي: ما رأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم وجرينا فيه من صنوف الآداب شيئاً اصعب مراماً ولا اوعر مسلكاً ولا ادل على نقص الرجال ورجاحتهم وأصالة الرأي وحسن التمييز منه واختياره من الصناعة التي خطبتها والمعنى الذي طلبته وليس شيءٌ اصعب من اختيار الالفاظ وقصدك بها الى موضعها لأن اللفظة تكون اخت اللفظة وقسيمتها في الفصاحة والحسن ولا يحسن في مكان غيرها وبتمييز هذه المعاني ومناسبة طبائع جها بذتها ومشاكلة ارواحهم جعلوا الكتابة نسباً وقرابة واوجبوا على اهلها حفظها

سهل بن وهب: الكتابة نفس واحدة تجزأت في ابدان مفترقة ومن لم يعرف فضلها وجهل اهلها وتعدى بهم رتبتهم التي وصفهم الله بها فانه ليس من الانسانية في شيء . قالت البرامكة: رسائل المرء في كتبه دليل عَلَى عقله وشاهد على غيبه قال الشاعر:

وتنكرو دا لمرء في لحظ عينه وتعرف عقل المرء حين تكاتبه

آخر:

وشعر الفتى يبدي غريزة طبعه وبالكتب يبدو عقله و بلاغته

الشعبي : يعرف عقل الرجل اذا كتب وأجاب . العتبي : عقول الناس مدونة في كتبهم . ابن المقفع : كلام الرجل وافد عقله . وشبهت الحكماء المعاني بالغواني والالفاظ بالمعارض فاذا كسا الكاتب البليغ المعنى الجزل لفظاً رائقاً واعاره مخرجاً سهلاً كان للقلب احلى وللصدر املى ولكنه يتي عليه ان ينظمه في سلكه مع شقائقه كاللؤلؤ المنثور الذي يتولى نظمها الحاذق والجوهري العالم يظهر باحكام الصنعة له حسناً هو فيه ومنحة بهجة هي له . كما ان الجاهل اذا وضع بين الجوهرتين خرزة هجن نظمه واطفأ نوره . كان حبيب بن أوس ربما وقع على جوهرة فجعلها بين بعرتين قال الشاعر :

ولو قرنت بدر فاخر خرزاً ... من الزجاج لقالوا بئسما نظما

والياقوت حسن وهو في جيد الحسناء احسن وكذلك الشعر الجيد مونق ولكنه من افواه العظماء آنق والتاج الشريف بهي المنظر وهو على الملك أبهى كما قال ابن الرقيات « يعتدل التاج فوق مفرقه » قال ابو العتاهية لابن مناذر : بلغني انك تقول الشعر في الدهر والقصيدة في الشهر فقال نعم لو رضيت لنفسي ان اؤلف تأليفك واقول ياعتب يادرة الغواص لقلت في اليوم والليلة الف قصيدة وقال عمر بن لجأ لشاعر : انا اشعر منك قال : ولم قال : لانك تقول البيت وابن عمه وانا اقول البيت واخاه

فان منيت بحب الكتابة وصناعتها والبلاغة وتأليفها وجاش صدرك بشعر معقود او وعتك نفسك الى تأليف الكلام المنثور وتهيأ لك نظم هو عندك معتدل وكلام لديك متسق فلا تدعونك الثقة بنفسك والعجب بتأليفك ان تهجم به على اهل الصناعة فانك تنظر الى تأليفك بعين الوالد لولده والعاشق الى عشيقه كما قال حبيب :

ويسيء بالاحسان ظناً لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفتون

ولكن اعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء ممزوجاً بغيره فان اصغوا اليه واذنوا له وشخصوا بالابصار واستعادوه وطلبوه منك وامتزج فاكشف من تلك الرسالة والخطبة والشعر اسمه وانسبه الى نفسك وان رأيت عنه العيون منصرفة والقلوب عنه واهية فاستدل به على تخلفك عن الصناعة وتقاصرك عنها واستغرب رأيك عند رأي غيرك من اهل الادب والبلاغة فقد بلغني ان بعض الملوك دعا انساناً الى مؤانسته حتى ارتفعت الحشمة بينهما فاخرج له كتاباً قد غشاه بالجلود وجمع اطرافه بالابريسم وسوى ورقه وزخرف كتابته وجعل يقرأ عليه كلاماً قد حبره فيه وغثه عند نفسه وجعل يستحسن مالا يحسن ويقف على ما يستثقل قراءته حتى اتى على الكتاب فقال له كيف رأيت ما قرأت عليك

فقال ـ ارى عقل صانع هذا الكلام اكثر من كلامه ففطن له ولم يعاوده الى ان وقف به عَلَى تنور مسجور ثم قذف بالكتاب في النار وهذا رجل في عقله فضلة وفيه تمييز

وانما البلية فيمن اذا بينت له سوء نظمه واختياره ووقفته عَلَى سخافة لفظه هجرك وعاداك فاجعل هذا الاصل ميزاناً تزن به مذهبك في رسائلك وبلاغتك ولا تخاطبن خاصاً بكلام عام ولا عاماً بكلام خاص فمتى خاطبت احداً بغير ما يشاكله فقد اجريت الكلام غير مجراه وكشفته وقصدك بالكلام الشريف للرجل الشريف تنبيه لقدر كلامك ورفع لدرجته قال :

فلم امدحه تفخيماً لشعري ولكني مدحت بك المديحا

فلا تخرجن كلمة حتى تزنها بميزانها فتعرف تمامها ونظامها ومواردها ومصادرها وتجنب ما قدرت الالفاظ الوحشية وارتفع عن الالفاظ السخيفة واقتضب كلاماً بين الكلامين

الجاحظ : ما رأيت قوماً امثل طريقة في البلاغة من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاسوقياً : وقال خالد بن صفوان : ابلغ الكلام ما لا يحتاج الى كلام واحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المخدج الذي صحت مبانيه وحسنت معانيه ودار عَلَى السن القائلين وخف عَلَى آذان السامعين ويزداد حسناً عَلَى ممر السنين بتحلية الرواة وتقنيه السراة والكاتب المستحق اسم الكتابه والبليغ المحكوم له بالبلاغة من اذا حاول صنعة كتاب سالت عَلَى قلمه عيون الكلام من ينابيعها وظهرت من معادنها وتدرب من مواطنها عن غير استكراه ولا اغتصاب

حدثنا صديق للعتابي قال له: اعمل لي رسالة واستمده مرة بعد اخرى فقال له : ما ارى بلاغتك الا شاردة فقال له العتابي . لما تناولت القلم تداعت علي المعاني من كل جهة فاحببت ان اترك كل معنى يرجع الى موضعه ثم اجتني لك احسنها . املى يزيد بن عبد الله اخو دينار عَلَى كاتب له واعجل عليه الاملال فتعثر قلم الكاتب عن تقييد املاله فقال متحرشاً : اكتب يا حمار فقال الكاتب : اصلح الله الأمير انه لما هطلت شآبيب الكلام وتدافقت سيوله عَلَى حرف القلم كلَّ القلم عن ادراك ما وجب عليه تقييده فليذكر الامير عذري فكان جوابه ابلغ من بلاغة يزيد . وكلما احلولى الكلام وعذب ورق وسهلت مخارجه كان اسهل ولوجاً في الاسماع واشد اتصالاً بالقلوب وأخف على الافواه ولا سيما اذا كان المعنى البديع مترجماً للفظ مونق شريف ومعبراً بكلام مؤلف رشيق لم يشنه التكلف بيسمه ولم يفسده التعقد باستهلاكه كقول ابن ابي كريمة

قفاه وجه حسن والذي قفاه وجه يشبه الشمسا

فهجن المعنى بتوعر مخارج الحروف واخذه الحسن بن هاني فسهله وقال « بذ حسن الوجوه حسن قفاكا » وكلاهما من حسان حيث يقول:

قفاؤك احسن من وجهه وأمك خير من المنذر

وانظر الى سلاسة الحسن بن سهل حيث قال:

شرست بل لنت بل قابلت ذاك بذا فانت لا شك فيك السهل والجبل

وكتب عيسى بن لهيعة كتاباً الى بعضهم فعقد كلامه وجاز المقدار في التقطع فوقع له

اني يكون بليغاً من اسمه كان عيا

وثلث الحروف منه اذا كتبت ميتا

ودخل كاتب على مريض فوجده يئن فخرج من عنده فوجد طائراً يقال له الشفانين بباب الطاق فاشتراه وبعث به اليه وكتب كتاباً يتقطع فيه ويذكر انه يقال له الشفانين شفاء من الانين فاجابه لو عطست ضباً لم تكن عندي الا نبطيا فاقصر عن بغضك وسهل كلامك ومثله بمخلد الموصلي يهجو حبيب بن أوس الطائي

انت عندي عربي والسلام

شعر ساقيك ونخ ذيك خزامى وثمام

وقفاً تحاف ما ان اعرفت فيه الكرام

أنا ما ذنبي ان الله ني فيك الاثام

وسألني بعض اهل العلم ان اكتب له قصة الى جعفر بن عبد الواحد القاضي وقال: اكتب لي قصة سهلة بليغة الالفاظ فقلت له: دعني اكتب لك ما يصلح للقضاة فغضب وقال ما أسأل ان تعطيني شيئاً انما اسألك هذا المعنى الرخيص فاحتملت عتبه لتمام وكتبت له قصة لا تصلح ان تدفع الا لرؤبة بن العجاج يقرؤها اوالطرماح فلما حصلت بيد القاضي اراد قراءتها فاذا هي مغلقة عليه فقال له: انت كتبت هذه القصة قال: نعم قال: اذاً فاقرأها فذهب ليقرأها فاذا هي بالسودانية استعجاماً عليه فقال له: اصلح الله القاضي انما اقرؤها في بيتي فقال له: فاطلب حاجتك اذاً في بيتك فرجع الي غضبان آسفاً يشتم ويؤذي وسألني ان اكتب له قصة على ما ارى فكتبت له كتاباً يشبه ان يكون من مثله الى القضاة فقرأها وقضى حاجته وعلم انه لم يكتب واحدة منهما والكتاب

اذا لم يكن شبيهاً بحاجة صاحبه كان احد الاسباب المانعة والمعاني كلها ممثلة والكلام مبعاً ولكن سياسته صعبة وتأليفه شديد الا على جهابذته وفرسانه امراء الكلام يصرفونه كيف شاؤا ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ويكون اللفظ الاسبق الى الاسماع من معناه الى القلوب

الجاحظ : كان لفظه في وزن اشارته وطبعه في معناه في مطابقة معناه · ذكر الحسن ابن وهب احمد بن يوسف فقال ما كنت أدري الفظه آنق ام معناه او معناه اجزل ام لفظه · والمعاني وان كانت كامنة في الصدور فانها مصورة فيها ومتصلة بها وهي كاللآلىء المنظومة في اصدافها والنار المخبوءة في احجارها فان اظهرته من اكنانه واصدافه تبين حسنه وان قدحت النار من مكانها واحجارها انتفعت بها والا بقيت محجوبة مستورة وربما يستثار الكامن منها او يستخرج المستسر من جواهرها بقدر حذق المستنبط وصواب حركات المستخرج وقصد اشارته ولطف مذاهبه وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ولا يصيب اشارته وكلما كان الكلام افصح والبيان اوضح كان ادل على حسن وجه المعنى الخفي بالروح الخفي واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر واذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقاً والدال على المعنى اربعة اصناف لفظ واشارة وعقد وخط

وذكر ارسطاطاليس خامساً وهي التي تسمى النصبة وهي الحالة الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف الاربعة الناطقة بغير لفظ والمشيرة اليه بغير يد وذلك ظاهر في خلق السموات والارض وفي كل صامت وناطق وهي داخلة في جملة هذه المعاني الاربعة وخارجة منها بالحلية

ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبتها وحلية غير مشاكلة لحلية اختها غير انها في الجملة كاشفة عن اعيان المعاني واوضح هذه الدلائل صنفان منها وهما اللسان والقلم وكلاهما يترجمان ويدلان على الثاني ويستمليان منه ويؤديان عنه ما لا تؤدي هذه الاصناف الباقية

واما اللسان فهي الآلة التي يخرج الانسان بها من حد الاستبهام الى حد الانسانية ولذلك قال صاحب المنطق : حد الانسان الحي الناطق وانما يبين عن الانسان اللسان وعن المودة العينان والله سبحانه رفع درجة اللسان فانطقه من بين الجوارح بتوحيده وما جعل الله من عبر عن شيء مثل من لم يعبر عنه

الاعور التيمي :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وقال آخر

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

الطائي

ومما كانت الحكماء قالت لسان المرء من خدم الفؤاد

للخط صورة معروفة . وحلية موصوفة وفضيلة بارعة . ليست لهذه الاوصاف لانه ينوب عنها في الايضاح عند المشهد ويفضلها في المغيب وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله عز وجل الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم واقسم به كما اقسم بغيره ثم اقسم بما يكتبه القلم افصاحاً عن حاله واعظاماً لشأنه وتنبيهاً لذكره فقال: وما يسطرون . ومن فضيلة الخط انه لسان اليد ورسول الضمير ودليل الارادة . والناطق عن الخواطر . وسفير العقول ووحي الفكر . وسلاح المعرفة . ومحادثة الاخلاء على التنائي . وأنس الاخوان عند الفرقة . ومستودع الاسرار . وديوان الامور . وترجمان القلوب . والمعبر عن النفوس . والمخبر عن الخواطر . ومورث الآخر مكارم الاول والناقل اليه مآثر الماضي والمخلد له حكمته وعلمه . والمسامر للعين بسر القلب . والمخاطب عن الناصت . والمجادل عن الساكت . والمفصح عن الابكم والمتكلم عن الاخرس الذي تشهد له آثاره بفضائله واخباره بمناقبه وقد وقعت البلاغة من العلم علو القدر وباذخ العز كابي مسلم صاحب الدولة فرقت شمله وبددت جمعه ونقضت برمه وافسدت صلاحه وضعضعت بنيانه مع ذكائه وفطنته ومكايده ودهائه واصالة رأيه وشدة شكيمته وامتناعه على ابي جعفر ونفاره عنه كيف استفزه ابن المقفع وصالح بن عبد القدوس وجبل بن يزيد واستمالوه بسحر الفاظهم وبلاغة اقلامهم حتى نزل من باذخ عزه وجاءه بادراً حتى وقع في الشرك المنصوب له فتفرق جمعه وانطفأ نوره وصار خبراً سائراً ورسماً واثراً ورفع القلم خاشع الطرف صغير الخطر لئيم الجنس درج من عش التجار ونشأ بين المكيال والميزان كيف أشالت البلاغة بضبعيه ورفعت من ناظريه حتى شافهت به عنان السماء ورفعت بناءه فوق البناء حتى طلبه الراكب وقصده الطالب وخشعت له الرجال . ولحظته العيون بالوقار . وتمكن من الصنائع ومدت نحوه الاصابع . فشكرت منه اللفظة . ورجيت منه اللحظة . كمحمد بن عبد الملك بن الزيات وفيه يقول علي بن الجهم

احسن من عشرين بيتاً سدا | جمعك معناهم في بيت
ما احوج الملك الى مطرة | تغسل عنه وضر الزيت

فاجابه محمد بن عبد الملك :

رقيت في القول الى خطة | قدرك فيها قد تعديت
فبرتم الملك فلم ننقه | حتى غسلنا القار بالزيت

ومدحه حبيب بن اوس بمدحه ويصف قلمه :

لك القلم الاعلى الذي بشباته | تصاب من الامر الكلى والمفاصل

وكان محمد من الطف الناس ذهناً وأرقهم طبعاً واصدقهم حساً وارشقهم قلماً واملحهم اشارة اذا قال أصاب واذا كتب ابلغ واذا اشعر احسن واذا اختصرا غنى عن الايطالة امره الواثق ان يتالطف بعبدالله بن طاهر ويعلمه انه صرفه عن امر الجزائر والعواصم وفوض ذلك لابن عمه اسحاق بن ابراهيم فكتب اما بعد فان امير المؤمنين رأى ان يخلع مافي يمينك من امر الجزائر والعواصم فيجعله في شمالك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

سهل بن بركة يهجو أبا نوح النصراني الكاتب فقال :

بابي وامي ضاعت الاحلام | ام ضاعت الاذهان والافهام
من صد عن دين النبي محمد | اله بأمر المسلمين قيام
إلا تكن اسيافهم مشهورة | فينا فتلك سيوفهم أقلام

قال عبد الرحمن بن كيسان استعمال الكلام اجدر باحضار الذهن عند تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام ولم يختلف في شرف القلم وانما اختلف في كيفية البلاغة وماهيتها وقد مدحها كل قوم باوضح عبارتهم واحسن بيانهم فقال صاحب اليونانيين البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام · الرومي : البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة · الفارسي : هي معرفة الفصل من الوصل · الهندي : هي البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ثم ان يدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذ كان الافصاح اوعر طريقاً وربما كان الاطراق عنها ابلغ في الدرك واحق بالظفر · غيره : جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الحذق بما التبس من المعاني وغمض وبماشرد عليك من اللفظ وتعذر ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته ان تكون الشمائل معتدلة والالفاظ موزونة واللهجة نقية فان جامع ذلك السن والسمت

والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام . وقيل لهندي ما البلاغة فاخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها اول البلاغة احتمال آلة البلاغة . وذلك ان يكون البليغ رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخيّراً للفظ لايكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ويصعبها كل التصعبة ويهذبها غاية التهذيب ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفاً حكيماً عليماً ومن قد تعود حذف فضل الكلام واسقط مشترك اللفظ

انوشروان لبزرجمهر : متى يكون العيي بليغاً فقال اذا وصف بليغاً

ارسطاطاليس : البلاغة حسن الاستعارة

بشر بن خالد : البلاغة التقرب من المعنى البعيد والتباعد عن حشو الكلام والدلالة بالقليل على الكثير

خالد بن صفوان : ليس البلاغة بخفة اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنها اصابة المعنى والقرع بالحجة .

عمر بن عبد العزيز : البليغ من اذا وجد كثيراً ملأه واذا وجد قليلاً كفاه .

ابن عتبة : البلاغة دنو المأخذ وقرع الحجة والاستغناء بالقليل عن الكثير . بعضهم : اني لاكره للانسان ان يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقدار عقله كما اكره ان يكون مقدار عقله فاضلاً عن مقدار لسانه وعلمه . يكفي من حظ البلاغة ان لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع

عمرو بن عبيد : ما البلاغة فقال ما بلغك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك بمواقع رشدك وعواقب غيك فقال السائل ليس هذا أريد . فقال من لم يحسن ان يسكت لم يحسن ان يسمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول قال ليس هذا اريد . قال النبي عليه الصلاة والسلام : انا معاشر الانبياء بكاؤون وكانوا يكرهون ان يزيد منطق الرجل على عقله فقال له السائل ليس هذا اريد قال كانوا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت فقال ليس هذا اريد فقال فكأنك انما تريد تخير اللفظ في حسن افهام انك اردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤنة عن المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالالفاظ المستحسنة في الآذان المقبولة عند الاذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد اوتيت فصل

الخطاب واستوجبت من الله سبحانه جزيل الثواب · الخليل بن احمد : كل ما أدى الى قضاء الحاجة فهو بلاغة فان استطعت ان يكون لفظك لمعناك طبقاً ولتلك الحال وفقاً وآخر كلامك لاوله مشابها وموارده لمصادره موازناً فافعل واحرص ان تكون لكلامك متهماً وان ظرف ولنظامك مستويباً وان لطف بمواتاة آلتك لك وتصرف ارادتك معك فافعل أن شاء الله

وهذه الرسالة عذراء لانها بكر معانٍ لم تفترعها بلاغة الناطقين ولا لمستها اكف المفوهين ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ولا سبق الى الفاظها اذهان الناطقين فاجعلها مثالاً بين عينيك ومصورة بين يديك ومسامرة لك في ليلك ونهارك تهطل عليك شآبيب منافعها ويظلك منها بركاتها وتوردك مناهل بلاغاتها وتدل عَلَى مهيع رشدها وتصدرك وقد نقع ظموءك ينابيع بحر احسانها ان شاء الله عز وجل والحمد لله وحده وصلى الله عَلَى سيدنا محمد وعَلَى آله وصحبه وسلم ·

جابلق وجابلص او جابلقا وجابلصا

كان الافرنج قبل ان يعنوا بدرس اللغات الشرقية ينسبون اشياء جمة الى العرب ويقولون عنها انها خرافات خيالية لا نصيب لها من الحقيقة بل ولا اثر لها في عالم الوجود · ولما اخذوا بالبحث عن تلك الامور والايغال فيه ناموا يرجعون شيئاً فشيئاً عما عزوه اليهم تحكماً أو تهكماً وبدأوا ينضمون اليهم منتصفين بين اقوالهم · الا انه مما يمكن ان يقال في هذا الصدد ان الناطقين بالضاد بالغوا في ذكر بعض الامور العرضية حتى كاد الجوهر يخرج عن طوقه بما حملوه من الامور الوهمية نقلاً عمن ليسوا من فرسان الميدان · ومن هذا القبيل هاتان المدينتان اللتان نريد ان نبحث عنهما في نبذتنا هذه ·

(اختلاف اللغات فيها)

قال في اللسان في مادة جبلق: التهذيب : جابلق وجابلص (اي بفتح الباء الموحدة التحتية وفتح اللام في كليهما عَلَى ما ضبطناه كتابة) واما في القاموس فقد ضبطها ايضاً بالفتح في جابلق وبالفتح أو بالسكون في جابلص · وذكرها ياقوت في معجمه : جابرس وجابلق اي براء مهملة ساكنة بعد الباء الموصلة التحتية · وبلام ساكنة بعد الباء في الثانية

ورواها صاحب البرهان القاطع روايات مختلفة فذكر في ٢ : ٧٩ جَبلسان في جابلق . ورواها ايضاً جابرسان وجابرُسا في جابلص . وحكى في شفآء الغليل ان المتكلمين يقولون جابلقآء وجبلصآء بالمد . وخطأهم . واوردها الطبري في تاريخه بصور مختلفة اي جابرت وجابرس وهو يريد جابلص وجابلق وجابلقا وهو يرمي الى جابلق . فهذه اللغات والروايات وان اختلفت فهي واحدة في المرجع والاصل ثم اختلفت تبعاً لسنة المعرب او الاعجمي على ماهو مشهور في ما أفرغ في قالب عربي . وتعاور اللام والراء في العربي الفصيح امر مشهور كالطلمسآء والطرمساء وداهية لبسآء وربساء ونافة عبير وعبهل فكيف في الدخيل . ومثله يقال في تبادل التاء والسين في لغة معروفة في اليمن وهي الوتم . ولا حاجة في التصريح بان السين والصاد تترادفان في العربية والامثلة تفوت الحصر (المزهر ١ : ٢٢٦ و٢٢٧)

اقوال العرب فيها

قال في التهذيب : « جابلق وجابلص : مدينتان احدهما بالمشرق والاخرى بالمغرب لس وراءهما إنسيٌّ روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه ذكر حديثاً ذكر فيه هاتين المدينتين . » اه .

وقال الامام السهيلي في كتاب المبهم : اظنها مجاورتي ياجوج وماجوج . وقد آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم اذ مرَّ بهم في ليلة الاسراء فدعاهم فآمنوا » . اه

وقال الخليل : بلغنا ان معاوية امر الحسن بن علي ان يخطب الناس . وهو يظن ان الحسن سيحصر لحداثته فيسقط من اعين الناس فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابلص رجلاً جدُّه نبيٌّ ما وجدتموه غيري وغير اخي وان ادري لعلهُ فتنةٌ لكم ومتاع الى حين واشار بيده الى معاوية . اه

وقد جاء حرف جابلق في شعر ابي الاسود الدؤلي على انه اسم موضع معروف قد شاهده فقد قال :

تلبس لي يوم التقينا عويمر بجابلق في جلد أحنس باسل

فهذا كلام يشعر بانهما التقيا بجابلق . وهي غير جابلق الواردة في حديث الحسن وهي التي ذكرها احمد بن يعقوب الهمداني في كتاب الاكليل اذ يقول : في جابلق وجابلص بقايا عاد وثمود الذين آمنوا بهود وصالح

وقال ياقوت في معجمه في مادة جابرس . مدينة بأقصى المشرق . يقول اليهود .

ان اولاد موسى عم هربوا اما في حرب طالوت (= شاول) اوفي حرب بخت نصر فسيرهم الله وانزلهم بهذا الموضع فلا يصل اليهم احد وانهم بقايا المسلمين · وان الارض طويت لهم وجعل الليل والنهار عليهم سوآء حتى انتهوا الى جابرس فهم سكانها ولا يحصي عددهم الا الله فاذا قصدهم احد من اليهود قتلوه وقالوا : لم تصل الينا حتى افسدت سنتك فيستحلون دمه بذلك · وذكر غير اليهود انهم بقايا المؤمنين من ثمود وبجابلق بقايا المؤمنين من ولد عاد ·اه·وذكر في جابلق : جابلق بالباء الموحدة المفتوحة وسكون اللام ·روى ابو روح عن الضحاك عن ابن عباس ان جابلق مدينة باقصى المغرب واهلها من ولد عاد واهل جابرس من ولد ثمود ففي كل واحدة منها بقايا ولد موسى عليه السلام كل واحدة من الامتين · اه · المقصود من ايراده

وقال صاحب التاج في مادة ج ب ر س« جابرسا » آخر بلاد الدنيا (من جهة المغرب) وقال في جبلق : جابلق قد اوضح المولى سعد الدين البلدين وعرّف بهما وذكر معناهما على الوجه الاكمل في بحث المثال في شرح المقاصد · ذكر ذلك الشهاب في شفاء الغليل ... اه · قلتُ انا : لم ارَ شيئًا في شفاء الغليل المطبوع في مصر مما ذكره صاحب التاج · نعم انه تكلم عن البلدين الا انه لم ينطق بكلمة بخصوص المولى سعد الدين · فاحققناه · واما شرح المقاصد لسعد الدين فهو وان كان بيدي الا انه لما كان خاليًا من فهرس مرتب يهديني وحيًا الى مطلبي لم اتمكن من العثور على البحث المذكور فرجعت عنه بما رجع به حنين

وكفانا تتبعًا لاقوال الكتبة اذ بما اجتزأنا بذكره وفاء بالمقصود لا سيما ان الجميع يكررون اقوال بعضهم عن بعض والنتيجة واحدة · والذي يستخلص مما تقدّم بعد طرح الزوائد الدخيلة التي جاء بها الاسرائيليون ما يأتي :

جابلص آخر البلاد المعمورة من جهة المغرب على ما كان يظنه ابناء ذلك الزمان · وجابلق آخر البلاد من جهة المشرق وجابلق تجاور بلاد ياجوج وماجوج · وجابلص في اقصى المغرب واقصى المغرب كان ينتهي في عرف الاقدمين عند بحر الظلمات في نحو الجزائر الخالدات او في ما يسامتها · وعليه فيجب علينا ان نبحث عن جابلق او جابلقا في ما يجاور بلاد ياجوج وماجوج ونبحث عن جابلص في ما ينتهي عند بحر الظلمات · واول كل شيء نحتاج اليه في البحث عن ضالتنا ان ننظر الى الكلمة ونتفحصها لنعرف مأتاها · والحال ان العلماء قد اتفقت على ان اللفظة ليست بعربية ورجحوا كونها فارسية · لانهم

يقولون ان الجيم والقاف او الجيم والصاد لا يجتمعان في لفظة عربية واذا وجدتا فيهما يدلان على ان الكلمة اعجمية او فارسية • فاذا تقرر انها فارسية يتضح لك ان وجود «جا» في صدر كلا الحرفين يدل على ان اللفظة مركبة وان «جا» تعين معنى يصح ان يقع على الكلمتين • وهو امر لا ريب فيه فان «جا» حرف فارسي معناه المحل والمكان والمقام • او كما يقول العرب «الدار» التي وردت بمعناها الاصلي الحقيقي وبمعنى البلد والمدينة • لان اول ما تنشأ عليه المدينة تكون داراً ثم تبتنى دور اخرى بجانبها حتى يتقوم منها البلد او المدينة • فقد قالوا دار السلام ودار الاسلام ودار السعادة ودار الحرب الى آخر ما هنالك • واما بالقا او بلقا فيجب ان تكون اسم مدينة في آخر البلاد المعمورة من جهة الشرق مما يجاور بلاد يأجوج ومأجوج وهذا ما يصدق على بلدة «بلقا» وبالافرنجية Volga وهو اسم نهر عرفه العرب ايضاً باسمه القديم «الاتل» وهو يروي بلاد الروس وباسمه تسمى جيل البلغار او البلقار لخروجهم من سقي ذلك النهر • ويشهد على صحة ذلك وجود مدينة هنالك تسمى الى اليوم بلقاري او بلغاري Bolgary وهم يكتبونها بحرف y تمييزاً لها عن Bolgarie او bulgarie للبلاد المشهورة • وie اللاحقتان باخر الكلم تدل على البلاد كما في Arabie, Turquie, Assyrie كما ان «جا» في رأس الالفاظ تفيد هذا المعنى عند الفرس ومنها جابروان وجابلق وجاجرم وجاجن وجاسك وجاكرديزه وجالقان وجاورسان الى غير هذه

واما جابلص او جابرسا أو جابلسا او جابلصا فهي • بلص او برسا او بلصا او بلسا بعد تجريد «جا» عنها • واذا فتشنا عن مدينة بهذا الاسم في منتهى المغرب المعروف في ذلك العهد وجدناها باسم «بلسا أو بلصا» في بلاد لوسيتانية اي هي البلدة المعروفة اليوم باسم تافيرة Tavira في بلاد البرتقال •

واذا علمت ذلك ظهر لك ان لا حق للاجانب ان ينسبوا العرب الى الجهل والقول بالخرافات والله الهادي الى كل صواب

بغداد ساتسنا

نظرة في نخب الذخائر في احوال الجواهر

وقفت على نسخة مضبوطة قديمة العهد من نخب الذخائر وعلقت عليها بعض حواش وملاحظات لانشرها في احدى المجلات . فسبقتني الى ذلك مجلة المشرق البيروتية في سنتها الحادية عشرة صفحة ٧٥١ وبالمقابلة وجدت ان نسخة المشرق ليست بمضبوطة كل الضبط وقد وقع فيها اغلاط وسقط منها عبارات وكلمات فترقبت فرصة أخرى انشر نسختي مع حواشيها وملاحظاتي على مجلة المشرق . ولما زرت حلب في الصيف الماضي زدت النسخة تحقيقاً بمعارضتها بنسخ كثيرة فزدت ثقة بما اجتمع لدي منها ثم انتهى اليّ منذ اسبوعين الجزء السابع من مجلتكم المقتبس الغراء . لسنتها الرابعة فاذا بكم نشرتموها ايضاً فعارضت ذلك بنسختي فوجدت اختلافات افردت لها هذه المقالة الآن وقبل ان ادخل في الاشارة الى اختلافات نسخة المشرق والمقتبس عن نسختي اقدم الكلام في احوال الجواهر والمعادن وما عرفه العرب عنها مع اعتقاداتهم واعتقادات الافرنج بالحجارة الكريمة

ان مؤلف نخب الذخائر في احوال الجواهر هو شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابرهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المصري المعروف بابن الاكفاني (١) نسب الى سنجار حيث ولد ونشأ وطب بمصر وتوفي بالطاعون سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م وترك مؤلفات ذكر بعضها الحاج خليفة في فهرسه كشف الظنون منها كشف الرين (٢) في امراض العين وغنية (٣) اللبيب في غيبة الطبيب ونهاية القصد في صناعة الفصد وارشاد القاصد الى اسنى المقاصد وهذا طبع مؤخراً في بيروت سنة ١٩٠٤ م في ١٤٨ صفحة وبعضها لم يذكرها مثل النظر والتحقيق في تقليب الرقيق وغيرها مما هو في بعض مكاتب اوربا والشرق واخبار المؤلف قليلة

ولقد ألف كثير من القدماء في الجواهر منها كتاب (الاحجار) لارسطو صنفه واستخرج بنظره والارشاد الالهي خواصها ومنافعها وذكر فيها خاصية سبعمائة حجر ونيف . وقد عربه لوقا بن سرابيون وعليه اعتمد العرب في ما كتبوه عن الجواهر . فألف في

---

(١) وفي المشرق الاكفاني وهو غلط (٢) وفي المشرق كشف الرين في احوال العين والاول ذكره الحاج خليفة في كشف الظنون ٢ : ١٧٩ (٣) وفي المقتبس ثمينة وهو خطأ

هذا الفن ابو الريحان محمد بن احمد البيروني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) واسم كتابه الجماهر في الجواهر ٠ وابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي القاهري المتوفى في سنة ٦٥١ هـ (١٢٥٣ م) واسم كتابه (ازهار الافكار في جواهر الاحجار) وصف فيه ما في خزائن الملوك هـ ٠ وقد رأيت نسخة منه في حلب وطبعه انطونيو رانادي الايطالي في فرنسا سنة ١٨١٨ م ونقله الى الافرنسية كليمان موله ٠ وممن الف في المعدنيات والاحجار الشيخ تقي الدين احمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ١٤٤١ م واسم كتابه (المقاصد السنية في معرفة الاجسام المعدنية) ٠ وموفق الدين البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ (١٢٣١ م) له رسالة في المعادن وابطال الكيمياء

ومن اشهر من كتب في هذا زكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٤ م) في عجائب المخلوقات معدداً الحجارة والمعادن ٠ والابشيهي المتوفى في اوائل القرن التاسع ينتهي في المستطرف الباب السابع والستون ٠ وابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٦ م) في رحلته ذكر مغاص الجوهر بين سيراف والبحرين ٠ ومعدن الياقوت في جزيرة سيلان وعدد بعض اللآلي في خزائن الملوك والعظماء ٠ وابو الحسن المسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) عدد في كتابه مروج الذهب بعض المغاوص ووصف بعض الجواهر مما لا يخرج عن اعتقاد العرب وتتمة للفائدة اذكر اسماء المعادن والحجارة الكريمة التي اوردها القزويني في كتابه (عجائب المخلوقات) قال : المعدنيات تنقسم الى الفلزات وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والاسرب والخارصيني والى الاحجار وهي الاثمد وحجر ارسون وحجر اسفيداج وحجر افرنجس وقليميا الذهب وقليميا الفضة وباهت وبسد وبلور والبورق وتنجادق وتدمر وتنكار وتوتيا وجالب النوم وجزع وحامي وبليناس واسانجوني وحجر ابيض واحمر واخضر واسود واصفر واغبر وحجر الباه والبحر والحباري والحصاة بالحية والخطاف والدجاج والرحى والسلحور والسم والشياطين والصدف والصنونو (السنونو) والعاج والعقاب والغار والقمر والقبر والقيء والكلب والمطر وحجر تمرغ فيه الناقة وحجر يتولد في الانسان وحجر يتولد في الماء الراكد وحرض وموساي وخبث الحديد وخصية الاص وحجر در ودهنج وحجر دمياطي ورخام ورقوس واحجار زاجات وحجر زبد البحر والزجاج والزرنيخ والزنجار والزنجفر وحجر سبج وسنبليس وسباج وشاذنج وشب وصدف وطارد النوم وحجر طالقون وطلق وطرسوطوس وحجر عقيق وعنبري وعطاس وحجر فادزهر

وفرسلوس وفرطاسيا وفرفوس وفيروزج وفيلقوس وفيهار وقرياطيون وفروم وقلقديس وقلطار وقلقند وقلي وقيسور وقبراطير وحجر كرساد وكرسيان وكرك وكرمان وكهرباء وحجر لازورد ولاقط الذهب وحجر لاقط الرصاص وحجر لاقط الشعر وحجر لاقط الصوف وحجر لاقط العظم وحجر لاقط الفضة وحجر لاقط القطن وحجر كاغيطوس والماس ومغناطيس وماهاني ومراد ومرجان ومرداسنج ومرقشتا ومسن ومسهل الولادة وحجر مغناطيس وملح وحجر نطرون وحجر نوبي ونورة والنوشادر وحجر هادي وحجر ياقوت وحجر يشب وحجر يقظان · اه

وذكر الابشيهي في المستطرف ان المعادن تقسم الى ما يذوب وما لا يذوب وقال ان المشهور منها سبعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصيني · ثم عدَّ من الاحجار الجوهرية · الياقوت والبلخش والبنفش وعين الهرّ والالماس والزمرّد والزبرجد والفيروزج والعقيق والجزع والبلور والمرجان وحجر الماطليس والحجر الماهاني وحجر مراد والدهنج والسبج والمغناطيس وحجر الخطاف وحجر الزاج وحجر الزنجفر وحجر الملح وحجر النطرون وحجر اللازورد اه

وقد ذكر كل من القزويني والابشيهي خرافات كثيرة بشأن خواص الجواهر واتخاذ الناس لها مما كان اقدم من ذكر مثله من الاعتقادات ارسطو وديوسقوريدس اليونانيان وبلينوس الروماني وغيره فجاراهم العرب بهذه الافكار

وربما يظن بعضهم ان العرب ومن تقدمهم من الامم اعتقدوا بهذه التخرصات فقط مع ان لمتمدني الافرنج حتى يومنا اعتقادات ليست باقل من تلك اوهاماً فالانكليزيون يعتقدون ان الياقوت يشفي من الرثية (الروماتزم) ويقي حامله من برد الاطراف · والفيروز يحمي حامله من السقوط من شاهق والياقوت الازرق يحمي حامله من الافاعي ويزعمون ان حجراً كريماً يظهر في رأس الهرّ مرة كل الف سنة فمن يجعله تحت لسانه تنبأ واخبر بالغيب · واهل نا ولي في ايطاليا يلبسون احجبة المرجان تعويذاً من عيون الحساد · ويزعمون ان الزبرجد يزيل حدة الطبع ويشفي من البرص · ويستعملون حجر اليشم لمنع العطش واتقاء الزوابع والصواعق والفيروز للوقاية من السقوط · والعقيق لقطع نزيف الدم والاستشفاء من لدغ الثعبان · ومن اعتقاد الافرنج عموماً ان حجر الكهرباء يقي من مرض الحمرة ووجع الحلق · وكان القدماء من الفرنجة يطردون السحر بالياقوت الاصفر ويعالجون الجنون به ويرمزون بالماس الى العدل والعفة

والثبات الى غير ذلك

وهاك الآن النظرة في مقالة النخب المنشورة في مجلتي المشرق والمقتبس معتمدين على مجلة المقتبس ثم على ما في نسخة المشرق واخيراً نسختنا المخطوطة

صفحة ٣٧٨ سطر ٣ كف، افضاله وفي نسخة المشرق ونسختنا كفاء وهو الاظهر • وسطر ٥ الجواهر النفيسة باصنافها وفي نسختنا واصنانها • وسطر ١٣ صفحة فضة مجلاة وفي نسختنا صفيحة فضة مجلوة وهي اصح وسطر ١٥ بلون البهرماني ـ البهرمان (١)• وسطر ٢١ تشبيهاً بالجمر — تشبيهاً له بالجمر — وكأن الحميري — الخمري • وسطر ٢٣ بالماذبني — بالماذبني ولعل الاولى أولى

صفحة ٣٧٩ سطر ١ وعن النفت — النفث (٢) وسطر ٣ عازة — غائرة • وسطر ١٣ واضعفه — وضعفه = ثلاثون ديناراً — ثلاثين • وسطر ١٨ وكان في خزانة يمين الدولة — الامير يمين الدولة محمود وسطر ١٩ وكان لقة دوفصاً — فص

صفحة ٣٨٠ سطر ٥ الفافقي — الغافقي وسطر ٦ ينفع حدوث الصرع — يدفع وسطر ٧ الياقوت الاحمر • وكذا في المشرق — وفي نسختي الياقوت الابيض وسطر ٨ كان فيه زئبق — زئبقاً • وسطر ١٠ وتقال انه وقاية لعين المجدور — ويقال انه اصح وقاية • وسطر ١٢ مفرص في وكذا في المشرق — صافٍ • وسطر ١٤ بالمرقشيثا الذهبية — بالمرقشيثا الذهبية = ما حلي به — ماجلي • وسطر ٢٢ البجادي — البجادي (٣)• وسطر ٢٥ بالماذبني — بالماذبني • وسطر ٢٦ بذخشان — بدخشان

(١) كل ما وقع بعد هذا الخط — يكون من نسختنا المخطوطة

(٢) النفث وآخرها الثاء الوسخ ونحوه (٣) نسبة الى البجاد وهو الكساء المخطط

البقية تاتي

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

سير العلم والاجتماع

كيف نحسن الأكل

كثيراً ما ينشأ سوء المضم من هيئة الجسم ووضعه فاذا اردت ان تنقيه فعليك بجعل قامتك منتصبة ما امكن واقفاً كنت او جالساً تلقي كتفيك الى الوراء وصدرك الى الامام وهذا من اهم القواعد في حفظ الصحة · ومن انفع الرياضات لتقوية اعصاب الظهر والبطن ان يستلقي المرء عَلَى قفاه ويجعل يديه تحت نقرته ويجلس رويداً رويداً ويداه قابضتان عَلَى قفاه ويكرر هذا العمل مرات بتنويه فينحني الى الامام وهو جالس ويمد يديه ليمس طرفي رجليه باطراف انامله · وهناك رياضة اخرى نافعة كثيراً وهو ان يقف المرء منتصب القامة وينحني الى الوراء ثم يرجع الى الامام ويميل ذات اليمين ثم ذات الشمال وينتقل الى الاطراف الاربعة بدون ان ينقل رجليه من مكانهما ثم يقف رافعاً يديه ومفرقاً بين رجليه كهذا الحرف ٨ ويمد بعد ذلك حقنتيه بحيث تماسان وهو واقف مباعداً بين ساقيه ومنحنياً يمد يديه ما امكن · هذه الحركات من شأنها تمرين عضلات البطن فاذا قام بها الانسان قبل الاكل تنبعث شهوته للطعام واذا اتاها بعده تسهل عليه المضم ومما ينصح به لمن يريد حفظ صحته ان يبدل قبل الجلوس الى المائدة ثيابه في النهار او ثياب عمله ويضم المائدة وضعاً محكماً لان لرداءة وضع الخوان تأثيراً في شهوة الاكل والنظر اليه وحده باعث عَلَى سوء المضم والاحسن ان يستريح الانسان قليلاً قبل الطعام وعليه ان لا يجلس عَلَى كرسي وذراعاه عَلَى ركبتيه وظهره منحن لان هذه الجلسة تعوق المضم

النوراستينيا

النوراستينيا اوضعف المجموع العصبي اسم لمرض عرف منذ ثلاثين سنة وهو يزداد مع الحضارة والافراط في مقتضياتها وهو عبارة عن تغلب الحالة العصبية عَلَى باقي المجموع العصبي والعصبي اعظم امراض هذا العصر فالتعب عَلَى اختلاف انواعه والاضطراب الدائم واشتغال الفكر في المعاش ولا سيما في المدن الكبرى والهموم ومعاكسة الدهر والخيبة في العشق وتعب الاسراف عَلَى النفس كلها من الاسباب الصحية المعتادة في انحلال الاعصاب وضعف مجموعها · وربما كان هذا المرض وراثياً فيحدث عنه اذ ذاك ضعف

منوع في الاعصاب يؤدي الى داء المفاصل وداء الملوك وهما من الامراض العصبية كما هو المعلوم وكثيراً ما يؤدي ذلك الى الامراض العفنية واضطراب الآلة الهاضمة والتناسل البولي · واعراض النوراستينيا واحدة في الاكثر اهمها وجع الرأس ووجع الظهر والارق والاضطرابات المعدية خاصة والضعف الذي يعم الجسم · وكثيراً ما تقل الوظائف العقلية والذاكرة والانتباه والارادة ويصبح التأثر قريباً من المرض ويصحب كل ذلك قلق دائم وافكار مرتبكة رديئة ويبدو التعب العام في الصباح عند الانتباه من النوم فيشعر المريض احياناً بتكسر في جسمه وارتخاء في قواه ·

ويشعر باهم الاضطرابات المعدية بسوء الهضم وثقل في جوف المعدة واحياناً في قرصها فهذا المرض هو سوء هضم عصبي وكثيراً ما تقل شهوة الطعام وينتفخ البطن وترى في الوجه طفحة حمراء

والنوراستينيا كالهستريا (اختناق الرحم) لا تهلك صاحبها بل تسمم جسمه وتصعب عليه الحياة ويتأتى للمصاب به كل حين ان يشفى منه وليس المعول فيه على الدواء والدواء ثانوي فالمهم في شفائه ان يزال السبب الذي نشأ منه كالاهتمام بالاشغال والاعمال العقلية المفرطة والافراط في كل شيء · وتغيير البيئة والمقام في الفلاة مما ينفع في شفائه نفعاً كبيراً · اما مداواته فالاحسن بالكهربائية والاستحمام بالماء الفاتر او الحار والابتعاد عن الماء البارد واستعمال المضخة (الدوش) بالماء الفاتر · والاستحمام بالكهربائية يؤثر في التغذية والاعصاب فالاضطرابات المعدية والشقيقة والارق والاحلام الرديئة تنقطع بمجرد توجيه الكهربائية الى الرأس · ونحاف الاجسام ينتفعون بالاحتقال بالزرنيخ ويفيد فيه التغميز (التمسيد) ولا بأس من استعمال بعض المشروبات التي تزيد القابلية للطعام واخذ خلاصة القنب الهندي من عيار خمسة في المئة سانتغرام يزيل وجع الشقيقة لا محالة

عمر الجراثيم

ثبت لاحد علماء الالمان ان الجراثيم اطول اعماراً ومقاومة للاحتفاظ بحياتها مما نتوهمه لعلمنا انها احياء صغيرة لا ترى الا بالمجهر فقد اخذ خراطيش حشاها رصاصاً وجعل عليها الوفاً من الجراثيم الصغيرة ثم ملأ بندقية واطلق الرصاص على علبة من التنك وكان فيها نوع من الهلام السائل الذي يصلح لان تعيش فيه الميكروبات ولما فحص العلبة شاهد ان الجراثيم التي اطلق عليها الرصاص قد نمت وتكاثرت بدلاً من ان تهلك باطلاق

النار عليها والاغرب انه رأى الرصاصة قد اخذت من الهواء جراثيم أخرى في طريقها اكثر حياة ترتع في الجسم الذي تحل فيه ولا تبقي ولا تذر

تنظيف الرأس والشعر

يستعمل لتنظيف الشعر والرأس صفار بيضة تحل بقليل من ماء الكولونيا وبدلكان به ثم يغسل المكان بماء فاتر وينشف الشعر ويدوم مكشوفاً ريثما يجف ولا يبقى فيه اثر للنداوة

رجال الشرطة

من زار باريز يعجب برجال الشرطة وهو يراهم في الشوارع والجادات والمنعطفات واقفين لتأييد النظام يدلون الغرباء على الشوارع وهم منتبهون لكل مايخل بالراحة ولكن الباريزيين يحسدون الانكليز على شرطتهم ويقولون انها اكثر نظاماً وانتباهاً وآداباً قائلين ان ثمانية آلاف لاتكفي للضرب على ايدي ثلاثين الفاً من الاوباش والاوغاد في عاصمة الفرنسيس · ويقولون ان الشرطة في يابان يتولون حفظ النظام في شوارع أمهات المدن ويلبسون لباساً اوربياً ويتقلدون سيفاً دلالة على سلطتهم والحكومة تختارهم من قدماء الجند ولا سيما من طبقة اسمها الساموراية عرفت بشدتها وجلادتها في الحروب والغارات ولذلك كان لهم في الشعب تأثير قوي ويزيدهم قوة عناية الحكومة بتربيتهم وعزة نفوسهم التي ضربت بها الامثال · وترى رجال الشرطة في المانيا يلبسون لباس رجال المدفعية ويضعون على رؤوسهم خوذة وطنية سوداء لصغارهم كتب عليها بحروف من نحاس اوائل الحروف من اسم الامبراطور وبيضاء للضباط عليها صورة نسر باجنحة مفردة واسم الامبراطور بحروف مذهب · واذ كان الالمان من اهل الطاعة العمياء اصبحت وظيفة الشرطة سهلة سواء ارادوا القيام بها مع الفرد او مع الغوغاء والجماهير ويعين الشرطة الرجالة رجال من الشرطة الفرسان في مدينة برلين كما هو الحال في مدينة باريز · ويكتسي رجال الشرطة الايطالية بجوخ ازرق وسراويل رمادية فاتحة وخوذات ملونة ويلبس ضباطهم البسة من الحرير الازرق واذ كان الطليان اصعب مراساً من الالمان فكثيراً ما يشاهد رجال الشرطة في بلادهم يتماسكون مع من يريدون القبض عليه او دعوته الى التزام النظام وينتهي ذلك بما لا تحمد عقباه من اجل هذا جعل لرجال الشرطة الطليانية حبل من سيور الجلد ليقيدوا به السجناء

اما شرطة فينا فودعاء لطفاء يمشون في وجوه الناس · وشرطي بروكسل رقيق الجانب يخاطبك بلا كلفة · وشرطي هولاندة يحمل كل ما يلزم لاغاثة جريح يراه من

الادوية الاولية

وسادة رجال الشرطة في الارض هم بلاامراء شرطة الانكليز وينقسمون الى قسمين في لندرا قسم في الحي القديم وهو حي الحركة والتجارة وقسم لعامة ارجاء المدينة وعدد الاول الف رجل وهو قليل المكانة بالنسبة للثاني المؤلف من ٣٠ وكيلاً و٥٣٩ مفتشاً و٢١٤٨ جاويشاً و١٤١٢٩ ضابط بوليس ولهم كلهم ديوان كبير فخيم وتخيرهم الحكومة من ارباب قامات تكون اطول من الوسطى والصحة الجيدة بالطبع وعليهم ملاحظة الحراس والعسس في الليل وستون في المئة منهم يلاحظون امن المدينة ليلاً ولذلك قلما يحدث ما يكدر وراتب الشرطي من الدرجة الثالثة ثلاثة جنيهات في الاسبوع ويدفع اليه علاوة عن كل ساعة تزيد على العشر ساعات المقررة للخدمة كل يوم وليلة . ومخافر الشرطة في لندن هي عنوان الرفاهية يعيش فيها الشرطة الغير المتزوجين حائزين على كل ما يلزمهم اما المتزوجون فلهم مخافر خاصة بهم فيها قاعات استقبال وحمامات والمضحكات وقاعات لعب وخزائن كتب وغيرها فيعيش الشرطة فيها مع امرائهم عيشة اشتراكية عسكرية . وفي لندرا ثلاثمائة شرطي راكب لربط محطات الشرطة يستخدمون خاصة في اوقات المظاهرات والاحتفالات العامة ومثل هذا العدد لحفظ الامن في نهر التايمس ويقوم بنجدة من تصيبهم بائقة ولهم مئة قارب وثلاث سفن معدة للجري كل حين وهكذا كانت شرطة لندرا اجمل زينة لانكلترا وضامن لحفظها وبقائها فعسى ان لا تقل شرطتنا العثمانية عن امثالهم في البلاد الانكليزية بعد حقبة من الزمن

علاج الشهقة

وجدوا ان خير علاج للشهقة ان يمسك لسان من يشهق بين اصبعين يمسك بهما فوطة لئلا يفلت اللسان وان يمد ما امكن بحيث يبقى هنيهة خارج الفم فاذا لم تنجع هذه الحركة في المرة الاولى تعاد ثانية وفي ذلك الشفاء . وقد اهتدوا الى هذه الطريقة من الدكتور لابورد الذي ما زالت تنقذ الوف من الغرقى والمصلوبين وغيرهم بسبب السنتهم

علاج الزكام

افضل علاج الزكام ان يدهن المزكوم منخريه بزيت الزيتون ويستنشق زهر الكبريت وان يلف صدغيه من الليل بمنديل ويمكن التوقي من الزكام في اوله بل المنخرين بصبغة الارنيكا فاذا طالت مدته فليس غير هذه الصبغة يستعملها المزكوم وان احرقته ولكن فائدتها مضمونة

صوت الرعد

رأى بعض الاخصائيين بعلم الحوادث الجوية ان معرفة صوت الرعد عن بعد تتوقف على ملاحظة اول العاصفة او آخرها لا وسطها والاحسن ان يلاحظ البرق الافقي المنبعث من بين الغيم والارض فان صوته الجاف يعرف على ايسر وجه من الصوت الناشيء من البرق الذي يجول بين الغيوم · قال اراغو العالم انه لا يسمع صوت الرعد الى ابعد من خمسة وعشرين كيلو متراً وسبقه الامبراطور كانغ هي الصيني فقال انه يسمع من مسافة اربعين كيلو متراً وان صوت المدافع يسمع الى ٣٠ فرسخاً (١٢٠ كيلو متراً) وقال اراغو ان صداها قد يتردد الى بعد مائتي كيلو متر وانه سمعت المدافع التي اطلقت من ثغر بورتسموث يوم جنازة الملكة فيكتوريا الى بعد ١٣٤ كيلو متراً وقد قام الباحث المشار اليه بتجارب عديدة منذ بضع سنين فلم يستطع ان يسمع صوت الرعد الى ابعد من ٤٥ كيلو متراً هذا اذا لم يحل دونه جبال ولا آكام وكان الهواء ساكناً · وان عاصفة تحدث عن بعد خمسة عشر كيلو متراً فقط قد لا يسمع صداها حتى ان بعضهم قال انه لما اذا ارعدت السماء في لاهاي لا تسمع في ليدن وهي منها على اربعة فراسخ

عداوة الزهور

يظهر ان بعض الزهور تعادى اشد عداوة كالورد فانه لا يطيق الاصليخ (ريزيدا) ولك ان تربط واحدة من كل منهما في باقة وتضعها في الماء فبعد ساعة تذبل الوردة واختها على حين تزيد تلك الزهور الاخرى نضارة والسوسن قاس ايضاً على سائر الزهور يقتلها بدون رحمة على العكس في القرنفل وعباد الشمس فيحب احدها صاحبه فوآسفاه حتى الزهور التي تعطر الارجاء لا يحتمل احدها الآخر

مضار التدخين

في احدى المجلات الافرنجية ان مضار التدخين لا تحصر في النيكوتين اي سمه فقط بل ان للدخان سموماً اخرى تصيب شاربيه وهي موجودة في تركيب مادة الدخان وهي البيريدين والكريزول وحامض الكربون وغيره وكلها ضارة لمن يدخنون اللفائف الكبيرة واللفائف المصنوعة من التبغ وهي اسوأ اثراً في الاكثر في من يبلعون الدخان فيصل الى الرئتين فينشأ منه قيء واضطراب في القلب وعرق بارد · ولا يتوقف تبطيل التدخين الا على قوة ارادة ولاجل ان تعزف النفس عن التدخين يجب ان يتمضمض المدخن بجزء ٢٥ و · في المئة من نترات الفضة فاذا احب بعدها التدخين يصاب بقرف

شديد يدوم معه زمناً على ان هذه المضمضة لا تخلو من خطر ثم ان نترات الفضة تسود الاسنان في برهة قليلة ورأى احد اطباء الروس ان يدهن غشاء الفم بنترات على معدل خمسة في المئة والافضل من هذين الطريقتين ان يدهن سقف الحلق بمحلول نترات الصودا بكمية ١٠ في المئة

لون الجوارب

من الجوارب ما يزول لونه في الحال فعليك اذا احببت حفظ الوانها عليها ان تجعلها في ماء فاتر وتغسلها باثني عشر لتراً من الماء البارد تجعل فيه حفنة من الملح وقدحاً من الخل الجيد

ازالة البقع

لتنظيف البقع من الثياب (كالاقمصة والقفاطين وغيرها) وازالة آثار الرطوبة منها اوركها بالمحلول الآتي: ملعقة من الملح ممزوجة بملعقة من ذرور النشادر تحلها في ربع قدح ماء وتضع من هذا المحلول على البقع مرات متوالية ثم تترك الثياب منشورة في الهواء نهاراً ثم تغسلها على العادة فلا يبقى فيها اثر حتى ولا البقع القديمة

البورصة

كتب خليل افندي سعد في المهذب رسالة في البورصة جاء فيها ان البورصة نادٍ يجتمع فيه التجار والمضاربون فيشترون فيه ويبيعون إما نقداً وهو قليل وإما الى ميعاد وهو اهم اعمال البورصة لما يجد فيه المشتري من السهولة والامل بارتفاع الاسعار فيحمله ذلك على مشترى كميات اثمانها اكثر مما يقدر على ادائه نقداً

واعمال البورصة على نوعين احدهما مختص بالاتجار بحواصل الارض كالقطن والحبوب والسكر والمعادن وغيرها والآخر مختص بشراء وبيع القراطيس المالية من مثل اسهم المصارف وسندات الحكومات المالية واسهم السكك الحديدية وما شاكل ذلك

ولكي يعلم القارىء ما معنى هذه الاسهم وكيف توجد بطريقة رسمية تصير صالحة للتعامل بها نقدم له مثالاً وهو كيفية تأسيس المصارف ذات الاسهم وهاك البيان:

اذا عزم احد على انشاء مصرف وكان غير قادر على تقديم رأس المال من جيبه الخاص فانه يدعو جماعة من المتمولين للاشتراك معه في هذا العمل فيؤلف لجنة تدعى لجنة التأسيس او المؤسسين. فهؤلاء إما ان يؤدوا كل ما يطلب لرأس المال، واما ان يقدموا جزءاً منه مقابل اسهم معلومة يأخذونها ويطرحون الاسهم الباقية برسم البيع

بالاشتراك فيشترك من يريد من الناس بعدد منها كل على قدر ارادته

فاذا اعلن المؤسسون عن وجود مئة الف سهم مثلاً كل سهم بثمانمئة قرش فقد ترد لهم اشتراكات بخمس مئة الف سهم فيقال حينئذٍ ان اسهم هذا المصرف غطيت خمس مرات ولذلك فلا ينال من كان طالباً خمس مئة سهم مثلاً الا مئة سهم فقط لوجوب توزيع هذه الاسهم بالتساوي على طالبي الاشتراك فيها

ثم ان المؤسسين يخصون انفسهم بأسهم يأخذونها مجاناً او بثمن قليل جداً «اي السهم بخمسة قروش مثلاً» مقابل اتعابهم في انشاء المصرف ، وتدعى هذه اسهم التأسيس فيعطى لحامليها شيء معلوم مما يبقى من الارباح بعد توزيع خمسة في المئة مثلاً على حاملي الاسهم العادية

قلنا ان ثمن السهم من اسهم هذا المصرف الاعتيادية مئة قرش فاذا عمل المصرف بعد تأسيسه اعمالاً كثيرة الربح ارتفعت قيمة اسهمه جميعاً من مئة قرش الى مئة وخمسين مثلاً او اكثر او اقل تبعاً لمقدار الارباح والعكس بالعكس . اما اسهم التأسيس فيبيعها اصحابها بالاثمان التي تساعدهم عليها حالة السوق وقد يبلغ ثمن السهم الواحد بين عشرة الى خمسين ليرة تبعاً لشروط المصرف وموافقتها في توزيع ارباح طائلة على الاسهم التأسيسية ذات الامتياز

وهذه الاسهم جميعاً عبارة عن ورقة مطبوع عليها نمرة السهم و قيمته الاصلية و بذيلها عدد من الكوبونات وهي مربعات محاطة بخروق تمكن من قطعها على حدة فيقطع فيها كل سنة واحد من هذه الكوبونات أو القطيعات يسلم الى المصرف و ينقد حامل السهم قيمة القطيعة وهذه القيمة تكون اما خمسة بالمئة او اكثر او اقل تبعاً لمقدار ارباح المصرف اوما يعينه في اعلان سابق يدرجه في الجرائد المحلية مبيناً ميعاد قبول الكوبونات وانما با

هذه اخص الطرق لاصدار اسهم المصارف فيمكن يقاس عليها كيفية اصدار اسهم باقي الشركات التجارية وسندات الحكومة التي تقترض بموجبها ما يسد به دينها والآن نأتي الى كيفية المعاملة بالبضائع والاسهم وهي ما يأتي

تفتح البورصة عند الساعة التاسعة صباحاً فيجتمع التجار والمضاربون في ردهتها ولا يسمح بالدخول الى حلقة المناداة بالبيع «اي عرض البضاعة او الاسهم» الا لاناس مخصوصين هم السماسرة ، ووكلاؤهم

فهؤلاء يكونون قبل ان يدخلوا حلقة المناداة قد تلقوا اوامر مختلفة من عملائهم

بعضها بالمشتري وبعضها بالبيع باثمان يعينونها لهم . فيدخلون ويد كل منهم مذكرة بشكل دفتر صغير فينادون ويعرضون ما لديهم من البضائع او الاسهم مبينين اثمانها وذلك كأن ينادي احدهم قائلاً : عندي خمس مئة قنطار قطناً من الصنف الوسط والقنطار بعشرين ريالاً تسليم آذار . او اني اشتري مئة سهم من اسهم البنك العقاري بثلاث مئة فرنك السهم لميعاد شهرين فيجيبه آخر اني اشتريت ما تعرضه وآخر اني بعتك ما تطلبه فيدون ما بيع وما اشتري في مفكرات يوقعها البائع والشاري

فاذا كان البيع نقداً والبضاعة حاضرة يدفع الشاري الثمن ويستلم ما اشتراه . اما اذا كانت المعاملة الى ميعاد فلا يطلب من الشاري الا جزء من الثمن (بين ٥ و٢٠ في المئة تبعاً لحالته من المالية

كثيراً ما سمعت الناس يسألون عن معنى التغطية . وعندما اشتغلت النساء في مشترى اسهم المعادن منذ زمن في بيروت سمعت احداهن تقول ان فلانة غطت بابزارها اوما ماثل ذلك

ولكي تعلم حقيقة معنى التغطية البورصية لا الوجهية نفرض انك اشتريت مئتين وخمسين قنطار قطن مصري وهي اقل كمية يتعامل بها من صنف القطن في البورصة . فان كان عميلك على ثقة منك فانه قلما يطلب منك ان تدفع مقدماً اكثر من عشرة قروش على كل قنطار بصفة تأمين يأخذه لنفسه اذا هبطت الاسعار . وبما ان شراء القطن يكون لمواعيد مختلفة فانك تعين الميعاد الذي تستلم فيه ما اشتريته فتوصي عميلك بان يشتري لك هذه الكمية تسليم شباط او ايار او غير ذلك . فلفظة تسليم هنا وهمية لانك لست تاجر قطن لتستلم وانما المقصود انك تبيع ما اشتريته في ميعاد التسليم وتقبض او تدفع فرق الثمن الذي يكون قد صعد حينئذٍ او هبط . فاذا استمر السعر في صعود فلك ان تبيع وقتما تريد وتربح فرق الثمن . اما اذا هبط السعر فخسرت اكثر من العشرة قروش التي دفعتها تأميناً فيطلب منك العميل اما ان تغطي الخسارة فتدفع عشرة قروش أخرى واما انه يضطر الى تصفية ما اشتراه لك فيبيعه لئلا تلحقه الخسارة شخصياً لانه هو المسؤول لا انت بالخسارة امام من اشترى هو منه لحسابك

في البورصة حزبان احدهما يضارب على الصعود فيكثر من المشترى ليدفع الاثمان الى الاعلى والآخر يضارب على النزول فيكثر من عرض البضائع والاسهم للبيع لتكثر على طالبيها وتكسد فتهبط الاسعار ولكل من هذين الحزبين حيل وطرق للوصول الى

الغاية لا يمكن استيفاوُها هنا. غير اننا ننصح للمتعاملين بالبورصة ان لا يغترّوا بالتلغرافات التي تأتي من الخارج عن اقبال المواسم او محلها لان بعض المضاربين قد يشيع نشوب الحرب بين دولتين لتهبط الاسعار ويخرج من مركزه رابحاً

وفي كثير من الاوقات يحتكر حزب الصعود صنفاً من البضاعة ولا سيما اذا صار قليلاً قرب انتهاء موسمه فيرفع اسعاره بقدر ما يتمكن من ذلك . وهذا هو السبب في بقاء اثمان بعض الاصناف مرتفعة على الرغم من قلة الطلب و وفرة وجود البضاعة . وبعلم ذلك من اثمان الماس الآن فانها فاحشة بالنسبة الى ما يجب ان تكون عليه وما سبب ارتفاع ثمن القيراط من ١٥ ليرة الى ٣٠ ليرة موخراً الاّ تمكن جماعة من احتكاره وخصوصاً بعد حرب البوير وتعطل معادن الماس زمناً

فيرى من ذلك ان المضاربات كثيرة الاخطار ولو كانت مبنية على الحكمة والتعقل والدرس واليقظة . فقد يكون المضارب على علم بزيادة المقطوعية لصنف من الاصناف مع عدم اقبال موسمه فيهجم على المشترى ظناً منه ان الربح محتم ولكنه لا يلبث ان يرى الحالة بالعكس في كثير من الاوقات ، إما لأسباب محلية توجب اهمال هذا الصنف او تقليله وإما لعارض وقتي من مثل اشهار الحرب بين دولتين او اعتصاب العمال او لا تفاق حزب النزول على تنزيل قيمته او لقيام صنف آخر مقامه وهلمّ جرّاً

فاذا كان لا بد لشخص من المضاربة بالبورصة فأفضل نصيحة نقدمها له ان يتروّى كثيراً قبل المشترى او البيع فيدرس حالة السوق على خبيرين ثم اذا اسعده الحظ وكسب عليه ان يكتفي بالربح القليل حالاً لانه يكون قد وثق منه ثم يعود الى الاتجار رابحاً بعزم جديد ومكسب يمكنه من تحمل الخسارة لو وقعت . فيمكنه اذ ذاك ان يخرج من مركزه مردداً قول القائل :

على انني راضٍ بان احمل الهوى واخرج منه لا عليَّ ولا ليا

وقد دل الاختبار على ان البورصة لا يمكنها ان تبلغ جراحها الا في من يتهورون لطمعهم بالغنى العاجل مع ان الغنى العاجل من البورصة لا يكون الا بنسبة ٥ الى ١٠٠ من حوادث الخراب وذلك لذهاب معظم ارباح المضاربين الى جيوب السماسرة الذين ينشبون المنشار فيأكلون الارباح صاعداً ونازلاً سواء ربح المضارب على ايديهم او خسر ، لان نصيبهم (وهو في الغالب عمولة قدرها ٥ في المئة) ثابت لا ريب فيه مالم يغتروا هم فيجازفون بمالهم الخاص ارضاء لعملائهم

في البورصة طريقة لتأمين المضاربين على اموالهم بتحديد خسائرهم وهي ان يدفع المضارب مبلغاً معلوماً بصفة سوكرتاه ضد صعود الاسعار او هبوطها تبعاً لارادته

فاذا شاء المضاربة بالقطن مثلاً واختار طريق الصعود اي ان يكون شارياً لا بائعاً فانه يدفع نحو ربع ريال على كل قنطار لمدة شهرين فيأمن الخسارة مهما هبط السعر ولكنه لا يربح الا اذا ارتفع الثمن اثناء الشهرين فوق الربع ريال الذي دفعه بصفة تأمين له ضد الخسارة

وهناك طرق وعمليات أخرى من مثل العملية المسماة «ستلاّج» وهي الربح سواء صعد الثمن او هبط مقابل دفع مبلغ اكثر من المبلغ المتقدم ذكره مما لا فائدة من الاسهاب في شرحه هنا لمماثلته لما تقدمه في الجوهر

وخلاصة ما ننصح به للقارىء ان يبتعد عن البورصة لانها كثيرة الاخطار والتفقات والهموم · وقد يوافق الاشتغال بها لمن كان عضواً في داخلها يقف كل يوم على بواطنها فيتمكن من التصفية حالاً · اما من كان بعيداً عنها فخسارته له ومغانم ارباحه لغيره

هذا فضلاً عما يحف بالبورصة من الدواعي والاسرار التي تغل الايدي عن السعي وتقيد الهمة عن الظهور بمظهرها الحقيقي خلافاً لحقل التجارة الواسع فان فيه لذوي الذكاء والهمة والاستقامة مضرباً نائي الاطراف يمكّن من كان مستعداً من الاصلاح والفوز بالفلاح

سر السعادة

كتبت احدى العقائل في مجلة «طالعات البيوت» ما تعريبه : قال الفيلسوف فون كنبيل: «سكن رغائبك الشديدة واجلس الى مائدة الحياة كما يجلس الضيف المحتشم ولا تطلب صنفاً من الطعام لا تراه مكتوباً في قائمة الالوان» وهي كلمات فيها سر السعادة فان حياة المرء تنقضي في البحث عن السعادة وكم من افراد قلائل يتيسر لهم الحصول عليها · يدخل المرء في سن العشرين مضمار الحياة فيريد ان يؤسس له مقاماً بالرضى او الغصب ويحاول ان يحرز او يأخذ الثمر الرابحة في يانصيب الحياة وكل يظن نفسه على ثقة من ربح الشطر الاعظم لان الاهواء في السعادة تختلف باختلاف الاشخاص حتى اذا بلغ الاربعين يتعب ويشكو ويقول اني اضعت سعيي هباء ولم احظ بما اتطال اليه من السعادة ولو بحث المرء في حياته بحثاً مجرداً عن الهوى لاعترف في الغالب انه بتعلقه بالوهم قد تخلى عن الوقوف من الحقائق الحسنة في الحياة السعيدة

السعادة تنشأ اليوم بعد اليوم من لذات مختلفة موقتة وافراح طفيفة رائقة تكون بنت ساعتها فالواجب ايجادها بهمة وعناية على نحو ما تعمل النحلة العسل الجيد من عصارة الزهور المتباينة في الجودة فلقد كتب كارنو الكبير الى ماكدبورغ في ساعة يأس بالابيات الآتية :

(١) ايتها السعادة انت التي يتحرك بك كل شيء على الارض
اينزل ندماؤك على الكبراء ام في القرى ؟
في اسبارطة ام في سباريس ؟ في المعسكر ام في المقبرة ؟
ام انك تؤثرين الغابات ام حفظ القطعان ؟
أأنت في البذخ ام في المجد ام في الوهم ؟
في الرغبة الحاصلة ؟ وفي الخلاص من الامراض ؟
في الصداقة او الحب او في البغض ؟
في السلام والمعرفة والفضيلة او بين القبور ؟
السعادة ايها الفاني الجزوع هي بنت الامل
هي في فؤادنا وهي تتوج الطهر والعفاف
تقام نذورنا وتأتي غير منتظرة
هذه الهدية من الخالق هذه الجذوة السماوية
لا يتأتى تعريفها فهي خبز الروح
لا تعرف قيمتها الا بفقدها

والحق مع كارنو الكبير في جعله السعادة ابنة الوجدان المستريح وانها خاصة بالامل ومن لم يقع له ان تحقيق رغبة طلبت زمناً لا تنشأ عنها المسرة التي كانت تتوقع من اقبل الحصول عليها فاجمل القصور وازهاها للسكنى القصور التي يبنيها صاحبها في اسبانيا (اي الاشتغال بعالم الخيال) وان ما يبعد السعادة من طريقنا عدم قناعتنا بما يحصل في اليد ونغتبط به فمعرفة السعادة هي حسن استعمال ما في الحياة من صالح وعدم مطالبتها بما لا تستطيع ان تمنحه

ولربما رأينا زوجين تكدر عيشهما بعد اقترانهما بقليل لان الزوجة نظرت الى ارفع منها مقاماً فحسدتهن وارادت بال زوجها تنافسهن فما هي الا عشية او ضحاها حتى تحمل بعلها

(١) عربناها بالحرف نثراً على بعض شعرائنا يعربونها شعراً

عَلَى الاحتيال للعاشر ليأتيها بما تريد لبذخها واسرافها فيترك سنن الاقتصاد والبساطة ويحاول ان يسعد امرأته اكثر من اسعاد الفطرة لها فما هو الا ان تسود الدنيا في عينيه وعينيها ويضطر الى الابتعاد عنها في طلب مظاهر الرفاهية واذا رزقا اولاداً لا يكون منهم غير تنغيص العيش والشكوى عَلَى حين هم شمامة الانس وريحانة النفس ·

ليس لك من الحياة الا ما اعددته وكثيراً ما نكون نحن العاملين على شقائنا بانفسنا فبقليل من العقل والخبرة كان في وسع هذه المرأة التي جعلت حياتها بيدها لمجاهدة البؤس ان تكون بزواجها اسعد مما هي وكان لزوجها بشيء من المضاء والعمل وحسن السلوك بدلاً من ان يعيش في البؤس ان يصبح ذا مقام متناسب مع ذوقه واصله وامانيه ولو صحت عزيمة تلك الام عَلَى ان يكون لها حنان حقيقي لاستطاعت ان تحسن تربية ابنائها الذين هم علة شقائها وربما نجلها ·

الحياة دار ممر لا دار مقر لا يقف فيه السائر فالواجب التقدم عَلَى الدوام والاكتفاء بجني الزهور التي تصل يدنا اليها بسرعة عَلَى الطريق ونحن سعداء اذا لم نكن ممن اصابت ايديهم شوك وعوسج واذا كنا ممن خانتنا السعادة فعلينا ان نجعل سرور غيرنا علة لسرورنا انفسنا وعلينا ان نعمد الى صالح الاعمال بدون جزاء وان لا نبتعد قط عن خطة الواجب تنظر في مرآة ماضينا بدون الم لوجداننا وعلينا حتى نسعد ان ننظر الى تحتنا الا الى من فوقنا ولا نكدر عيشنا بخوف ما يحدث وربما لا يحدث فكم عذاب يارباه يحدث لنا من الشرور التي لا تلحقنا تبعتها ·

فالعاقل يستمتع بما ملكت يداه وينظر الى المستقبل باسماً ويقول ان الحياة زائلة والايام معدودة فلماذا لا اغتنم السعادة الحاضرة · فاذا طرق البؤس بابي ذات يوم انلقاه باحتشام رجل عرف الاستمتاع بالايام الرائقة · وقليل في الناس اليوم من يرضون بما قسم لهم بل يطلبون ارقى منزلة مما هم فيها ويطمحون الى اسباب ليست لهم ومن موجبات الاسف ما تسمعه من شكاوي الناس الذين يشكون مما لا يشتكى منه وليس لبؤسهم اثر الا في مخيلتهم او في اطماعهم التي لا تشبع وهم ابداً في خيبة مهما أعطوا ولو عقلوا لكانوا سبب سعادة للبائسين في الامور التي يشكون منها ويتجنبون · قال فوستل دي كولانج المؤرخ « ان الواسطة الوحيدة لسعادة الانسان هو ان لايفكر في نفسه بل يعمل لغيره وان ينصرف بكليته الى عمل يعتقد نفعه فالبشر لم يجدوا حتى الآن اسباباً توليهم السعادة والملاذ تعزف عنها النفس بسرعة والمطامع لاحد لها فالاخلاص هو الذي فيه الهناء

والجزاء في ذاته»

اذا نقص شيء مما تريد ففكر فيمن لايملكون شيئاً في هذه الدنيا . ذهب احد الفقراء لزيارة احدى الاماكن المقدسة ولم يكن له حذاء فمشى على الادغال والشوك يدمي رجليه والحصا يضرسهما وكان طول طريقه يشكو سوء طالعه وقلة ذات يده قال انه لما وصل الى المكان المقصود رأى زواراً اتعس حالاً منه رأى اعمى لاساق له فقال بعد ان رأيت ما رأيت لم اعد اشكو من فقدي حذاء البسه في رجلي

عمر الحيوانات

قليل في الناس من يعلمون كم تعمر الحيوانات فالحصان يعيش خمساً وثلاثين سنة والبقر ثلاثين في الاكثر ويبلغ البغل سن الستين والكلب لا يصل الا الى الخامسة والعشرين والهر الخامسة عشرة ومثله العنز والغنم وقد شوهد خنزير عمره عشرون سنة ولكن من النادر ان يبقوا عليه بل يذبحونه والارنب قد يعيش من ثماني الى عشر سنين ويعيش الديك الهندي والدجاج البري (الغرغر) اثنتي عشرة سنة وذكر البط قد يبلغ الثلاثين وصغار الطير كالحباشة والعصفور وحسون لاتتجاوز الخامسة والعشرين اما الغراب فانه كما يقول علماء الحيوان يعمر عمراً طويلاً

الجبن السريع

اذا اردت ان تعمل من اللبن الحليب جبناً في الحال بدون ان تستعمل الروبة التي يطول امرها متى مزجت باللبن فعليك باستعمال السعتر البري تمسح به الاناء النظيف الذي تضع فيه الحليب ثم تصب على الاثر اللبن الذي يجمد في الحال

تدوير الساعات

افضل وقت ليدور الانسان ساعته ان يوقت لها وقتاً يربطها فيه كل يوم في الميعاد المعين ومن الناس من يختارون المساء ومنهم من يختارون الصباح لربطها والصباح افضل اذ تكون الساعة في النهار معرضة للحركة اكثر من الليل فاذا كان عهدها بالارتباط قريباً تظل بقوتها الى آخر النهار ثم لاتزال تضعف في الليل الى صباح اليوم التالي وبذلك تستقيم جريتها وحركتها

طرد الجرذ والفيران

عليك بدهن ثقوب الجرذ والفيران بزيت النعنع فانها تكره رائحته كثيراً وذلك اسهل من استعمال السم لقتلها

تدخين الحيوانات

يقولون ان الجمل والهجين يحبان دخان التبغ ومتى أغويا به يسهل ان يحملا الاثقال ويطلب منهما كل صعب المنال وفي افريقية الشمالية يعمد من يقودون ذينك الحيوانين الى استهوائهما بالتدخين فيخضعان لكل ما يراد منهما ومتى صح العزم على قطع الابعاد الشاسعة بهما يعطونهما لفائف يدخنونها فيسيران احسن سير ويكون مع قوادهما في الغالب قطعة من الخشب مثلثة الشكل يجعل في طرفها المثقوب لفافة والخشبة في فم الحيوان فاذا شعلت اللفافة يمص دخانها ويرسله من منخريه حتى ينتهي منه ويطبق الجمل والهجين عيونهما في خلال شرب الدخان شاعرين بلذة فائقة وانس غريب

بيوت الرمل

وقر في الاذهان ان البيوت التي تبنى على الرمل لا بقاء لها حتى اصبح ذلك من امثالهم . نشأ ذلك مما ورد في بعض الكتب المقدسة من المقارنة بين من يبني بيته على الرمل ومن يبنيه على الصخر على ان آخر الآية ان الامواج علت على ذاك البناء فانهار ولو بنيت البيوت في رمل جاف متين لما استطاعت صروف الايام ان تقوضها وأهرام مصر اصدق دليل على ذلك لانها بنيت على الرمل وهي لم تتزعزع منذ الوف من السنين

الهر في يابان

كتب احد الباحثين ان الهر نقل من الهند الى الصين ومن هذه الى اليابان وهو في الصين معدود من الحيوانات الاهلية منذ زمن طويل .وفي كتب الصين القديمة وصف مطول لاخلاقه وهو هناك يتوفر على ابادة الفيران من الحقول التي تسطو على الزرع وفي سنة ١٣١٢ من التاريخ الياباني الموافقة لسنة ٥٥٢ للتاريخ المسيحي اخذوا في يابان يقدمون ضحايا للقطط وقد تبين له ان القط دخل يابان يوم دخل المذهب البوذي وذلك لوقاية المخطوطات الصينية التي تبحث في الاخلاق من سطوات الفيران وكانت العادة قديماً ان تجعل القطط في المعابد وكثيراً ما كانوا يرسمون صورها في المحال التي تألفها الفيران

حمل الاحمال

يحمل الناس احمالهم في البلاد الجبلية على الجزء الاسفل من ظهورهم او على اصلابهم وذلك بواسطة سير من جلد يحملونه من امام الصدر او بقد يربطونه على الجبين بحيث يندفع بعمل اعصاب النقرة ومن النساء الفلاحات من يحملن جرار الماء على رؤوسهن

وعلى العكس في سكان الجبال فانهم يحملون الاحمال الثقيلة على رؤوسهم حتى تنزل قدة الحمل على الجسم ولكن اذا حمل هكذا في الصعود الشديد يعرض للسقوط الى الامام . اما الاشياء الخفيفة او المتوسطة فيتأتى حملها بالذراع وعلى الورك والكتف مباشرة او بواسطة ميزان كما هو الحال في الشرق الاقصى . ومن النادر ان يحمل الحمالون في البلاد السهلية على ظهورهم واذا فعلوا فانهم يحملون الحمل على الجزء العالي من الظهر ولا يقربونه من الصلب كما يفعل الجبليون . وهذا كله ناشئ من تركيب الارض التي يعيش فيها المرء فترى ابن الجبال ربعة مجموعاً قصيراً ولذلك يحمل حمله على صلبه حتى لا يتعرض للسقوط وترى ابن السهل طويل القامة نحيف الجسم اهيف فيحمل الاثقال على جنبه او يرفعه كثيراً غير متخوف عليها السقوط

البوسنة والهرسك

كان في البوسنة والهرسك الى سنة ١٩٠٦ نحو ثمانين الف مزرعة وارض زراعية لا يملكها العاملون فيها من الفلاحين بل هي ملك للسادة والاغوات يعطيهم الفلاح ثلث غلاتها وقد اخذت حكومة النمسا تبتاع تلك الاراضي من اربابها ولكن على طريقة بطيئة والغت اكراه الاولاد على العمل بالطرق الاهلية وكان يقضى من قبل على كل ولد من سن السادسة عشرة الى العشرين ان يسخر في الطرق واستعاضت عن ذلك بتكاليف وضعتها عليهم ومنحت الولايتين مجلساً نيابياً مصغراً .

اخلاق الكوريين

عادات اهل كوريا من اغرب العادات فهم لا يعرفون الخياطة وبدلاً من ان يخيطوا البستهم وثيابهم يصمغونها بصمغ السمك وهم لا يعرفون الفرش بل يستعملون بدلاً منها الواحاً من الورق المزيت لطيفة الملمس واكلهم بسيط للغاية ومادته الاصلية عبارة عن الارز ولحم الخنزير ولحم الكلب وهم على قرب بلادهم من بلاد الصين لا يعرفون الشاي بتة واهم صناعات كوريا الورق وهو اهم الصادرات الى يابان ثم القيشاني والفخار يصنعونه بذوق غريب . اما وسائط النقل فهي على الفطرة الاصلية فترى المركبات فيها قليلة جداً والكراسي التي تحمل هي خاصة بالاغنياء والمتمولين ولقلة الخيل والحمير استعاضوا عنها في حمل الاثقال بالثيران . والمرأة في كوريا محترمة للغاية ولكنه ينظر اليها كما ينظر للطفل وهي لا تسأل عن الجرائم التي تقترفها .

بكور الطيور

جاء في احدى المجلات الافرنجية ما مثاله معرباً : الطيور اكثر منا بكوراً في العادة فهي التي تتولى ايقاظنا في ساعات لاتكاد تختلف ولا بأس بالوثوق بها فطير البرقش (الشرشور) يستيقظ في شهر حزيران ويأخذ بالتغريد نحو الساعة الثانية بعد نصف الليل وابو زريق في الساعة الثانية ونصف والسلوى (سمانات) في الساعة الثالثة والبلبل في الثالثة ونصف والشحرور يغرد منذ الساعة الثالثة ونصف الى الساعة الرابعة والعندليب يبدأ في الرابعة ونصف وابو زريق المستنقعات ربما تأخر تغريده الى الخامسة بسبب برودة المكان الذي هو فيه والضباب المتكاثف عليه · والعصفور الدوري هو اكسل الطيور ينتبه من وكنته في الخامسة ونصف ولكنه يملأ الفضاء بتغريده · هذه ساعة الطيور ومن اراد الاعتماد عليها في اوقاته فعليه ان يسكن الغابات ويتمتع باصوات هذه المخلوقات لايخاف دركاً ولا يخشى والاجدر ان لايجعل الطائر الذي يروق السمع بتغريده في قفص بل ان يبقى كما يريد من البيت واكثر الطيور انيسة للغاية وتحب مجتمع الناس اذا وقع في نفسها انه لاتمس حريتها · واحسن الطرق لجعل صغار الطيور ويبوضها في مأمن من مخالب الهررة وغيرها من الحيوانات الغاصبة ان تضع حزمة من الشوك والعوسج في جذع الاشجار التي تناط بها الاعشاش والطيور المغردة تطربنا بنغماتها وهي من اعظم الاعوان على نجاح الزراعة

الاعمار والعقليات

في مجلة المطالعات البيتية ما تعريبه: ان علاقة الاعمار بالاعمال الذهنية وتأثيرها هي من المسائل التي جرت المناقشة فيها كثيراً ولم تنجل عن نتيجة حتى اليوم . فمن المفيد من ثم ان نأتي على هذا الاحصاء الذي اورده احد العلماء وقابل فيه بين اعمار زمرة من الرياضيين والشعراء والمصور بن فاورد في المتقدمين لايبنز الذي عمره ٧٠ سنة واوليير ٧٦ سنة ولاكرانج ٧٧ ولابلاس ٧٨ وكوس ٧٨ وافلاطون ٨٢ ونيوتن ٨٥ وارخميدس ٧٥ وفيثاغورس ٩٠ واورد من الشعراء والمصورين بندار الذي عاش ٨٠ سنة وسوفقلس ٩٠ واريبدس ٧٥ وسيمونيدس ٨٩ وشوبير ٧١ وميشل آنج ٩٠ والتيتين ٩٩ ونوردورت ٨٠ ولاندور ٨٩ فمعدل الحياة بموجب هذه الارقام ٧٩ سنة لرجال العلم و٨٥ سنة لغيرهم ·

فهذا الاحصاء يرضي القائلين بان الاشغال العقلية لاتختصر حبل الاجل اما القائلون بعكسه فيقولون لك بالاحصاء ايضاً ان رفاييل مات في سن الا ٣٧ سنة وموس،

في ١٧٤١ وهيجزيب مورو في ١٨٢٨ وشكسبير وبرون في سن الشباب وغيرهم ماتوا في زهرة العمر . وعليه فان احسن شرح لما تقدم ان يقال ان الارتقاء في الامور العقلية في الاكثر نتيجة الصحة الجيدة وان القوة الطبيعية هي التي تطيل الاجل في حين ان هذه الاشغال العقلية نفسها تقصر اعمار ضعاف الاجسام وتقودهم في الاغلب الى اشد حالات الاضطرابات الدماغية

ابادة الجراد

لم ير الباحثون حتى الآن في طبائع الجراد واضراره بالمزروعات والاشجار بحيث يقضم الاخضر واليابس الا ان تتوفر العناية على جمع بذوره قبل ان تفرخ وتبيض كما يفعل المستعمرون في بلاد مراكش والجزائر حيث يكثر الجراد فيجرد كل خيرات البلاد معظم السنين .

دواء التهزيل

كثير من النساء من يريدن التخلص من السمن الذي يعاجلهن قبل الاوان فتضيق به انفاسهن وتتأذى به نفوسهن ليصبحن رشيقات ممشوقات . والذريعة الى ذلك ان يعمدن الى تمرين عضلي بسيط للغاية فاذا احبت المرأة ان تصغر وركيها فعليها ان تضطجع على الارض مستطيلة ووجهها على الارض وترفس برجليها مرات ثم تنهض وترفع ساقيها ثانيةً لها بحيث تكون ساقها على صورة زاوية قائمة مع قامتها وتظلُّ تعمل هذه الحركة بساقيها خمس دقائق كل مرة . وفي الاسبوع التالي تقف منتصبة وتضع ذراعيها وراء ظهرها وتحمل شيئين ثقيلين تربطهما بطرفي حبل وفي الاسبوع الثالث تعمد الى حني ركبتيها وتمدُّ الساق الثانية مداً مستطيلاً وتضع يدها مفتحة على الارض وذراعها الآخر وراءها وفي الاسابيع التالية تمشي بدون ان تثني ركبتيها بحيث تمس اطراف اصابعها اطراف رجليها ولا بأس من الاعتماد على كرسي في بداءة هذه الرياضة فقط ويستغنى عنه فيما بعد . ثم تقفز بعد ذلك مستندة الى اطار (طارة) واسع وهو احسن من الحبل الذي يقفز به . حتى اذا اكتست المرأة ثياب الزينة تنتصب مستقيمة وتمد ذراعيها ثم تستنشق الهواء بكل ما فيها من قوة ثلاث مرات وبهذه الواسطة يهزل جسمها بحول الله وقوته وتغدو رشيقة القوام — انتهى معرباً عن مجلة البيوت

المقتبس

القضاة والنواب

١

صحيفة من تاريخ القضاء

ترى الناس على اختلاف مذاهبهم ونحلهم واجناسهم مجمعين على انتقاد اعمال القضاة والنواب شاكين كل حين من ظلمهم وغدرهم على ان العدل والامن والراحة العامة وتأمين الحقوق في ايديهم وحياة الامة وعمران الوطن وسعادته تتوقف على اصلاحهم فهم على ما هم عليه من المكان من حيث الدين والدنيا نرى اكثرهم كانوا من اكبر المخربين في هذا المجتمع الانساني وقد تيسر لي اختبار اعمالهم وافعالهم فرأيت ان اكتب شيئاً عنهم غير اني لم اقدم عليه قبل الرجوع الى امهات الكتب الدينية والوقوف على حقائق هذا المنصب العظيم ·

وقد انشأت هذه المقالات بعد ان طالعت مقدمة ابن خلدون وحاشية ابن عابدين وتكملته والاشباه والنظائر والاحكام السلطانية وتاريخ الطبري وتاريخ الكامل لابن الاثير ورحمة الامة في اختلاف الائمة والميزان للشعراني وسراج الملوك وغيرها ولذلك ارجو من وجد غرابة في بعض اقوالي ان يرجع الى هذه الكتب المهمة ·

القضاء

القضاء لغة : الحكم ويجيء بمعنى الفراغ والاداء واما القضاء شرعاً فهو فصل الخصومات وقطع المنازعات غير انه مظهر للامر الشرعي لا مثبت ·

كان النبي صلى الله عليه وسلم وحياً يوحى لا ينطق عن الهوى ولذلك لم يكن قضاء في زمانه وفي مقر نبوته لانه كان يأتي بالحكم او بحكم مثلما يوحى اليه غير انه عليه السلام لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن ارسله اليها عاملاً وقاضياً و بعث علياً الى جهة اليمن عاملاً وقاضياً فكان امر القضاء ممتزجاً مع الامارة في زمان النبوة ولما صار ابو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة قال له ابو عبيدة انا اكفيك المال يعني الجزاء وقال عمر انا اكفيك القضاء فمكث عمر سنة ولم يخاصم اليه احد فكان عمر اول قاض في المسلمين .

ولما تولى الخلافة ادرك ان توسع امر الفتح وكثرة الاشتغال بالسياسة يؤخره عن القيام بالقضاء ولى ابا الدرداء معه في المدينة وولى شريحاً في البصرة وولى ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له كتابه المشهور الذي تدور عليه احكام القضاة وهي مستوفاة وفيه يقول :

« اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له واس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً احل حراماً او حرم حلالاً ولا يمنعك قضاء قضيته امس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها واجعل لمن ادعى حقاً غائباً او بينة امداً ينتهي اليه فان احضر بينة اخذت له بحقه والا استحللت القضية عليه فان ذلك انفى للشك واجلى للعماء . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً في حد او مجرباً عليه شهادة زور او ظنيناً في نسب او ولاء فان الله سبحانه عفى عن الايمان ودرأ بالبينات واياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذكر والسلام »

وكان الخلفاء الراشدون يباشرون امر القضاء بانفسهم ويقلدون القضاء عمالهم مع الامارة ولما ازداد الفتح واتسعت الممالك وتوفرت الامور السياسية وكثر الاشتغال بها وصارت مدافعة الاوطان ذات بال وعظم امر الجهاد ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظم العناية به اخذوا يولون القضاء غيرهم تخفيفاً على انفسهم غير انهم كانوا يقلدونه

اهل عصبيتهم بالنسب ومواليهم ولا يقلدونه من بعد عنهم ·

وكانت وظيفة القاضي في صدر الاسلام محصورة في الفصل بين الخصوم فقط ثم اتسعت وحينما تفرد الخلفاء بالسياسة صار لهم مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في اموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين واهل السفه وفي وصايا المسلمين واوقافهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء على رأي من رآه والنظر في مصالح الطرقات والابنية وتصفح الشهود والامناء والنواب والتحقيق عن احوالهم ليحصل له الوثوق بهم وقد كان الخلفاء من قبل يحولون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدين منها ·

وقد بلغ منصب القضاء مقاماً عالياً وكان في مقر الخلافة قاض يقال له قاضي القضاة وكانت ولايته عامة وكان في كل مدينة وحتى في كل جهة من بغداد وقاض لكل مذهب قاض في المدن الكبرى وكان قضاة ينظرون في مخاصمات الحريم فقط ·

كان الخلفاء الامويون والخلفاء العباسيون في اول امرهم لا يولون القضاء الا لاهله وكانوا يرغبون في علم القاضي وعقله وفضله وكالاته و يولون القضاء للمعتزلي والظاهري والشافعي والحنفي والحنبلي والمالكي وكان بين القضاة من مزج المذهبين في خطته ولما تسلط المماليك على خلفاء بني العباس وصار لهم الامر والنهي واصبحوا سلاطين مطلقين في مقر الخلافة اخذوا يتداخلون في القضاء مع انه من حقوق الخلافة الصريحة وصاروا يولون من يشاؤون فاضاعوا حقوق الله وحقوق عباده وهتكوا حرمة الدين ·

ثم ولى معز الدولة بن بويه ابا العباس عبد الله بن الحسن بن ابي شوارب القضاء بالالتزام فضمنه هذا الخبيث على ان يؤدي كل سنة مائة الف درهم وكان اول من ضمن القضاء فغضب الخليفة المطيع لله ولم يقدر على عزله غير انه اكتفى بمنعه عن الدخول عليه وامر بان لا يحضر الموكب ثم عزل بعد عامين وتقلد القضاء مكانه ابو بشر عمرو بن اكثم وعفا عما كان يحمله ابن ابي الشوارب من الضمان عن القضاء وامر بابطال احكامه وسجلاته غير ان ابا الشوارب فتح هذا الباب وصار امر القضاء بالضمان في بعض الاحيان وصار مثالاً سيئاً فاصبحت الحسبة والشرطة تولى بالضمان وهذا من اسوإ ما ارتكبه السلاطين في ايام بني العباس · وكان من اهم اسباب انقراض امرهم ومن اعمالهم ان بهاء الدولة قلد النقيب ابا احمد والد الشريف الرضي نقابة العلويين

بالعراق وقضاء القضاة والحج والمظالم وكتب عهده بذلك من شيران فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة والتقى بما سواه . وهكذا فسد امر القضاء وقل من تولاه من ارباب العفة والاستقامة .

وكان بعض الزهاد المتقين من الفقهاء يمتنعون عن قبول القضاء لما يشاهدونه من الفساد في تلك الايام ويشغل بعض ارباب الفضل هذا المنصب حفظاً لاحكام العدل والدين فمنهم ابو بكر محمد بن المظفر الشامي تولى قضاء القضاة في بغداد ولم يأخذ على القضاء اجراً واقر الحق مقره ولم يحاب احداً ورد شهادة احد الفقهاء لانه لبس الحرير وكان السلاطين يومئذ يعظمون القضاة رئاء الناس لمنصبهم الشرعي ولكنهم كانوا يرغبون في تولية الجهال والفاسدين حتى يسيطروا عليهم ويتيسر لهم بذلك اخراج القضاة من مجالسهم فاستقلوا بآرائهم واستبدوا باحكامهم فهذا هو البلاء المبرم والقضاء الحكم فلا حول ولا قوة الا بالله .

ولاية المظالم

٣

ولاية المظالم او نظر المظالم . وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء فهذه الوظيفة تحتاج الى علو يد وعظيم رهبة لتقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي من المتنازعين ولذلك كان شروط الناظر فيها ان يكون جليل القدر نافذ الامر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع وتكون هذه الصفات في ولي العهد او وزير مفوض او امير الاقاليم وقد تكون الولاية عامة وتكون مقيدة بما عجز عن انفاذه القضاة .

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم المظالم في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام ورجل من الانصار ولم ينتدب للمظالم من الخلفاء الاربعة احداً لانهم في الصدر الاول مع ظهور الدين كان الناس يرتدعون بالوعظ فلم يكن بينهم اعتداء ولا خلف الا على امر اشتبه به غير ان علياً رضي الله عنه لما تأخرت عنه الامامة واختلف الناس فيها سلك هذه الطريق واستقل بها وبعد حين اخذ الناس يجاهرون بالظلم والتغالب ولا يصغون الى الوعظ واحكام القضاء .

فبدأ خلفاء بني امية ينظرون في المظالم واول من خصص لها يوماً عبد الملك بن مروان وكان يرجع في الاحكام الى قاضيه ابي ادريس الاوري فكان ابو ادريس المباشر وعبد الملك الآمر ثم زاد جور الولاة وظلم العتاة زيادة لم يكفهم عنها الا اقوى

الا يدي وانفذ الاوامر ·

وكان عمر بن عبد العزيز اول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها وراعى السنن العادلة ورد مظالم بني امية على اهلها حتى قيل له وقد شدد عليهم فيها واغلظ انا نخاف عليك من ردها العواقب فقال : « كل يوم اتقيه واخافه دون يوم القيامة لاوقيته »

واول من جلس للمظالم في بني العباس المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم المأمون خصصوا لها يوماً يقال له يوم المظالم ودام نظر الخلفاء فيها الى عهد المهتدي ·

كان الخلفاء يباشرون النظر في المظالم بانفسهم ورفعها بعضهم احياناً الى قضاتهم فعمر بن عبد العزيز كان يوكل قاضيه ابا ادريس الخولاني والمأمون يوكل يحيى بن اكثم والمعتصم يوكل احمد بن ابي دؤاد ·

وكان الخليفة يشكل بوم المظالم مجلساً حافلاً من خمسة اصناف لا يستغني عنهم ولا ينتظم النظر الا بهم احدهم الحماة والاعوان لجذب القوى وايقاع الهيبة وثانيهم القضاة والحكام لاستعلام مايثبت عندهم من الحقوق ومعرفة مايجري في مجالسهم بين الخصوم والثالث الفقهاء ليرجع اليهم فيما اشكل ويسألهم عما اشتبه واعضل والصنف الرابع الكتاب ليثبتوا ماجرى بين الخصوم وما توجه لهم او عليهم من الحقوق والصنف الخامس الشهود ليشهدهم على ما اوجبه من حق وامضاه من حكم ·

واما وظائف ولاية المظالم فهي عَلَى عشرة اقسام القسم الاول النظر في تعدي الولاة عَلَى الرعية وظلمهم فينظر فيهم ان وجدهم منصفين قواهم وان وجدهم ظالمين كف اذاهم واستبدلهم القسم الثاني النظر في جور عمال المال وجباته فيرجع فيه الى القوانين العادلة في دواوين الائمة فيحمل الناس ويأخذ العمال بها ويرد الزيادة ولو دخلت بيت المال القسم الثالث النظر في احوال كتاب الدواوين والمستخدمين لانهم امناء المسلمين وابقائهم عَلَى حدودهم ·

القسم الرابع النظر في تظلم المرتزقة من نقص ارزاقهم وتأخرها فيرجع الى ديوانه في فرض العطاء العادل ويدفع الحقوق الى اهلها ويعزل من ابطأ واخطأ ·

القسم الخامس النظر في الغصوب فيرجعها الى اصحابها سواء كان الغاصب السلطان او الحكام او من آحاد الناس فيكتفي بالقيود الرسمية والسجلات السلطانية في غصب هؤلاء واما اذا كان الغاصب من ذوي النفوذ والايدي القوية فيرجع اليه باعتراف الغاصب واقراره او بعلم والي المظالم او بينة او بتظاهر الاخبار الدافعة للشكوك ·

القسم السادس النظر في الوقوف (الاوقاف) ·

القسم السابع تنفيذ ما وقف القضاة من احكامها لضعفهم عن انفاذها وعجزهم عن المحكوم عليه لتعززه وقوة يده او لعلو قدره وعظم خطره ·

القسم الثامن النظر فيما عجز عنه الناظر في الحسبة في المصالح العامة ·

القسم التاسع النظر في مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والاعياد والحج والجهاد من تقصير فيها او اخلال بشروطها فان حقوق الله اولى ان تستوفى وفروضه احق ان تؤدى ·

القسم العاشر النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين فلا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه ولا يسوغ ان يحكم بينهم الا بما حكم به الحكام والقضاة ·

واما الفرق بين نظر المظالم وبين نظر القضاة فهو على عشرة اوجه احدها ان لناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة اليد ما ليس للقضاة في كف الخصوم عن التجاحد ومنع الظلمة من التعدي ·

الثاني ان نظر المظالم يخرج من ضيق الوجوب الى سعة الجواز فيكون الناظر فيه افسح مجالاً واوسع مقالاً ·

الثالث انه يستعمل فصل الارهاب وكشف الاسباب بالامارات الدالة وشواهد الاحوال اللائحة ما يضيق على الحكام فيصل به الى ظهور الحق ومعرفة المبطل من المحق ·

الرابع ان يقابل من ظهر ظلمه بالتأديب و يأخذ من بان عدوانه بالتقويم والتهذيب ·

الخامس ان له من التأني من ترداد الخصوم عند اشتباه امورهم واستبهام حقوقهم ليمعن في الكشف عن اسبابهم واحوالهم ما ليس للحكام ·

السادس له ان يصالح الخصوم بواسطة الامناء وليس للقاضي ذلك الا عن رضى الخصمين بالرد ·

السابع ان يفسح في ملازمة الخصمين اذا اوضحت امارات التجاحد ويأذن في الزام الكفالة فيما يسوغ فيه التكفل لينقاد الخصوم الى التناصف ·

الثامن انه يسمع من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاة في شهادة المعدلين ·

التاسع يجوز له تحليف الشهود عند اتيانه بهم ويستكثر على عددهم وليزول الشك عنه وليس ذلك للحاكم ·

العاشر يجوز له ان يبدأ باستدعاء الشهود ويسألهم عما عندهم في تنازع الخصوم وعادة القضاء تكليف المدعي احضار بينة ولا يسمعونها الا بعد مسألة ·

فقد اتضح لك مما تقدم ان احكام ولاية المظالم تكون في البينات والتقرير واعتماد الامارات والقرائن على خلاف القضاء ·

كان في الاسلام وظيفة دينية اخرى من الوظائف الشرعية وهي النظر في الجرائم واقامة الحدود كانت هذه الوظيفة في الدولة العباسية والاموية كما بالاندلس ودولة العبيديين بمصر والمغرب راجعة الى صاحب الشرطة فهذا له ان يوسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلاً فيجعل للتهمة في الحكم مجالاً ويفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة ·

وكانت ولاية المظالم والجرائم للخلفاء او لمن يجعلون ذلك له من وزير مفوض او سلطان متغلب ثم تنوسي شأن هاتين الوظيفتين في بعض الدول وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين وكان في زمان الدول المذكورة حاكم يحكم فيها بما تقتضيه السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم والٍ وطوراً باسم الشرطة والقسم الثاني التعازير واقامة الحدود في الجرائم الثابتة شرعاً بجميع ذلك مع ما تقدم ذكره في المقالة الاولى للقاضي وهكذا استقرت وظائف القاضي وكانت كما نراها مع بعض تحولات ·

كما انه انقسمت ولاية المظالم والجرائم في زماننا بين محاكم الادارة والمحاكم الجزائية ·

القضاء في الدولة العثمانية

٣

كان السلطان عثمان الغازي مؤسس هذه الدولة ورعاً ديناً يستخدم قضاةً وحكاماً للنظر في الامور الشرعية والقيام باحكامها ولما تولى الملك ابنه اورخان الغازي طلب من الشيخ علاء الدين الاسودي رجلاً يقوم بمصالح الناس الشرعية في اسفاره فاوصاه بقره خليل افندي جندره لي فاتخذه قاضياً لبروسة عاصمة ملكه ثم جعله قاضياً على العسكر وخصه بامورهم ولما آنس منه اختباراً في السياسة استوزره وسماه خير الدين

باشا ونصب رستم افندي مكانه قاضياً للعسكر ٠

وفي زمان السلطان بايزيد الاول تولى العالم محمد شمس الدين افندي منصب الفتيا في قاعدة السلطنة للنظر في الامور الشرعية وجمعها في مركز واحد فاصبح المفتي ناظراً عاماً عَلَى جميع العلماء والقضاة والمدرسين وقد بدأ تنظيم مراتب العلماء الحالية ونظامهم في زمان محمد الفاتح على انه لم يكن حتى في آخر زمانه سوى قاضٍ واحد للعسكر ولما كثرت الاعمال قسم القضاء عَلَى قسمين فصار قاضي عسكر للروم ايلي وقاضي عسكر للاناضول وجعل الفاتح جلال زاده خضر بك قاضياً عَلَى استانبول ومفتياً في مركز السلطنة وذلك عقيب فتح الاستانة ٠

وبعد حين تولى العالمان الشهيران ابن كمال باشا وابو السعود افندي منصب الفتيا بعدما كانا قاضيين للعسكر ثم اخذ يطلق عَلَى منصب الافتاء مقام المشيخة الاسلامية واصبح منصب الافتاء فوق منصب قاضي عسكر الروم ايلي وقاضي عسكر الاناضول وجعلت له رئاسة الطرق العلمية ونظارة المحاكم الشرعية واصبح مقام شيخ الاسلام معادلاً لمقام الصدارة العظمى وصار يقال لشيخ الاسلام (ولي النعم) وعدامر المعارف والعدل من حقوق مقام المشيخة واخذ طلبة العلوم عندما يجزون دروسهم عَلَى الطريقة القديمة يقيدون اسماءهم في جريدة الدولة فيغدون قضاة ٠

ولم تكن مناصب قاضي عسكر وقضاء استانبول وقضاء ادرنه توجه الا عَلَى اكبر المدرسين ومنتهى رتب التدريس رتبة المولوية بيد ان هذه الوظائف كانت مقرونة بالعمل والقاعدة ان ينالها المرء بحسب قدمه ولكن قوة الوساطة والشفاعة والرشى صارت تؤهل الجاهل لبلوغ تلك المناصب فدخل الفساد فيها حتى اصبح القضاء العوبة بايدي البحارة وصعاليك الناس وانشأ من ينال شهادة الملازمة بوسائط غير مشروعة يصل بها الى القضاء ٠ وكان قاضي استانبول اكبر مأمور شرعي بعد قضاء العسكر وله النظر في امور البلدية وشؤون ارباب التجارة والحرف ٠

قلنا ان احكام العدل كانت من وظائف مقام المشيخة وان الدعاوي تنظر في المحاكم الصغرى واما الدعاوي الكبرى فينظر فيها امام قاضي عسكر وكان الديوان الهمايوني بمنزلة محكمة كبرى فوق المحاكم ينظر في امور الدولة والامور الشرعية معاً ثم تغيرت صورة هذا الديوان وانفردت امور الدولة عن مصالح الرعية فاخذ القاضيان يجتمعان في غرفة العرض مرتين من كل اسبوع وينظران في الدعوى التي تعذر حلها في

المحاكم الصغيرة وكان يقال لهذا المجلس « حضور مرافعه‌سی »

واصبح هذا المجلس في سنة ١٢٥٤ يلتئم بحضور شيخ الاسلام وفي عهد المرحوم عبد المجيد لما كان عارف افندي شيخ الاسلام غدا انتخاب الحكام تحت نظام وفتح مكتب النواب عام ١٢٧٢ وشرط ان يكون النائب من متخرجي هذه المدرسة وفي سنة ١٢٧٤ تألف مجلس التدقيقات الشرعية واصلح في سنة ١٣٨٩ واصبح تدقيق الصكوك والاعلامات من وظائف باب الفتوى ·

وبعد ذلك انقسم مستخدمو الشريعة الى قسمين الاول للفتوى والثاني للقضاء وصار في مركز كل ولاية ولواء وقضاء مفت وغدا المفتي مرجعاً لحل الامور الشرعية وعد شيخ الاسلام المفتي الحقيقي وشرط في الافتاء ان لا تعطى الفتوى لارباب المصالح قبل تصديق شيخ الاسلام عليها واما امر القضاء فامره لشيخ الاسلام بتولاه من السلطنة اومقام الخلافة غير ان مجلس انتخاب الحكام ينتخب الحكام وشيخ الاسلام يصادق عليه عند تقبيلهم ذيله ثم تكتب المراسلة و يختمها قاضي عسكر من ظهرها فوق التوقيع وبي هذا فقد حصر امر القضاء في قاضي عسكر الروم ايلي وقاضي عسكر الاناضول وقاضي الاستانة وقاضي غلطة وقاضي الخواص الرفيعة وقاضي مكة وقاضي المدينة وغدا قاضي عسكر الاناضول قاضياً على آسيا وافريقية وقاضي عسكر الروم ايلي قاضياً على الروم ايلي واما بقية البلاد فيحكمها نواب هؤلاء القضاة فلكل مركز ولاية نائب ولكل مركز لواء نائب ولكل مركز قضاء نائب ولبعض النواحي نواب فنواب آسيا وافريقية نواب قاضي عسكر الاناضول واما نواب الروم ايلي فهم نواب قاضي عسكر الروم ايلي ولمنصب النيابة رتب منها خامسة ورابعة وثالثة ومسبوق ومستخدم الخ ·

وترك الخيار في مراجعة المحاكم لارباب الدعاوي وتقرر استئناف الاحكام في مجلس التدقيقات الشرعية وتمييزها في مقر الفتوى والتمييز قبل الاستئناف خلافاً للاحكام النظامية فالحجج والاعلامات ينظر فيها بعد تدقيق توقيعها وختم خاتمها فان وافقت الاصول الشرعية ترسل الى مجلس التدقيقات الشرعية ·

ثم جعلت محكمة (التفتيش) في نظارة الاوقاف للنظر في دعاوي الاوقاف ومحكمة « القسمة العسكرية » للنظر في دعاوي الارث وتحرير الشركة وتقسيمها وعين مفتش الاوقاف حاكماً في محكمة التفتيش ومدته سنة والقسام العسكري حاكماً لمحكمة القسمة العسكرية واختصت محكمة التفتيش بدعاوي توجيه الجهات والتولية والمحلولات

واستئنافها بمجلس التدقيقات الشرعية واما القسام العسكري وقسام بيت المال فملحقان بقاضي عسكر الروم ايلي وليس لقاضي الاستانة سوى النظر في دعاوي الطلاق والنكاح والنفقة والمنازعات المتعلقة بالكدكات . واما سائر المحاكم الشرعية فلها ان تنظر في دعاوي النكاح والطلاق والنفقة والحضانة والحرية والرق والقصاص والدية والارش والوصية والارث والافراض بالدور الشرعي والدعاوي الوقفية المتعلقة برقبة المسقفات والمستغلات والكدكات من الاوقاف الصحيحة ودعاوي الايتام والدعاوي المتعلقة برقبة الاوقاف الصحيحة التي هي من ذات الاجارة الواحدة او ذات الاجارتين هذه الدعاوي في الامور الشرعية مشوشة من حيث المرجع تحتاج الى اصلاح حقيقي ·

اوصاف القضاة الشرعية ٢

القضاء فرض كفاية وسنة متبعة لا يجوز ان يقلد الا من تكاملت فيه شروطه وذلك بان يكون رجلاً بالغاً عاقلاً صحيح التمييز جيد الفطنة بعيداً عن السهو والغفلة حرّاً مسلماً عادلاً صادق اللهجة ظاهر الامانة عفيفاً عن المحارم متوقياً المآثم بعيداً عن الريب مأموناً في الرضى والغضب صاحب مروءة في دينه ودنياه سالم السمع والبصر ليصح بهما اثبات الحقوق وان يكون عالماً بالاحكام الشرعية وعلمه بها يشمل علم اصولها والارتياض بفروعها ·

واما اصول الاحكام الشرعية فهي اربعة احدها علمه بكتاب الله عز وجل حق معرفته والثانية علمه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة من اقواله وافعاله وطرق مجيئها والثالثة علمه بتأويل السلف فيما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه ليتبع الاجماع ويجتهد برأيه في الاختلاف والرابعة علمه بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها الى الاصول المنطوق بها والمجمع عليها حتى يجد طريقها الى العلم باحكام النوازل ويميز الحق من الباطل ·

فاذا احاط علمه بهذه الاصول الاربعة الاحكام الشرعية عد فيهما من اهل الاجتهاد في الدين وجاز له ان يفتي ويقضي وان اخل بها او بشيء منها خرج من ان يكون من اهل الاجتهاد فلم يجز ان يقضي ويفتي وجوز ابو حنيفة تقليد القضاء من ليس من اهل الاجتهاد ليستفتي في احكامه وقضاياه واختلف اصحابه فمنهم من وافقه ومنهم من خالفه والذي عليه جمهور الفقهاء ان ولايته باطلة واحكامه مردودة ·

ويقول ابن هبيرة في الايضاح « انما عني بالاجتهاد لما كان عليه الناس في الحال الاولى قبل استقرار مذاهب الائمة الاربعة فالقاضي الآن وان لم يكن من اهل الاجتهاد ولا تعب في طلب الاحاديث وانتقاد طريقها لكن عرف من لغة الناطق بالشريعة عليه الصلاة والسلام مالا يحتاج معه الى شروط الاجتهاد وانما عَلَى القاضي ان يقضي بما يأخذه من الائمة او عن واحد منهم فانه في معنى من كان اداه اجتهاده الى قول قاله وعَلَى ذلك فانه اذا خرج من خلافهم متوخياً مواطن الاتفاق ما امكنه كان آخذاً بالحزم عاملاً بالاولى ويجب عليه الاخذ بالاكثر والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد فانه يأخذ بالحزم مع جواز عمله بقول الواحد الا انني اكره له ان يكون مقتصراً في حكمه عَلَى اتباع مذهب ابيه او شيخه فلو عدل عما اجتمع عليه الائمة الثلاثة الى ما ذهب اليه ابو حنيفة بمفرده من غير ان يثبت عنده بالدليل ما قال ولا اداه اليه اجتهاده فاني اخاف عليه من الله عز وجل ان يكون اتبع في ذلك هواه ولم يكن من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه .

ثم قال : لو اهملت هذا القول ولم اذكره ومشيت عَلَى ما عليه الفقهاء من انه لا يصلح ان يكون قاضياً الا من كان من اهل الاجتهاد لحصل بذلك ضيق وحرج عَلَى الناس فان غالب شروط الاجتهاد الآن قد فقدت في اكثر القضاة ولذلك ان ولاية الحكام جائزة وان حكوماتهم صحيحة نافذة وان لم يكونوا مجتهدين والله اعلم اه »

وبهذا علمت ان قد جوز ابن هبيرة قضاء من لم يكن من اهل الاجتهاد وذلك في زمانه ولكنه لم يجوز قضاء الجهال ولو نظرنا الى قوله لادركنا ان القاضي اذا لم يكن من اهل الاجتهاد يجب عليه ان يكون قريباً من درجته ليتمكن من ترجيح القول الراجح والقول الموافق ولو عَلَى غير مذهبه فان ائمة الدين والفقهاء المحققين اوصوا باختيار القول الراجح ولو كان عَلَى غير مذهبه « لان التقليد الاعمى في احكام الشرع محظور والاجتهاد فيها مستحق » .

نهى الشارع عن طلب القضاء وقد ضرب السلف الصالح وحبسوا ليتولوا القضاء فلم يقبلوا وجوز بعضهم طلب القضاء في حالتين احداهما ان يكون القضاء في غير مستحقه اما لنقص علمه واما لظهور جوره والحالة الثانية ان لا يكون في القضاء ناظر وهو خال من وال . وطلبه لاحتياجه مباح وان كان لاقامة الحق فهو مستحب وان كان طلباً للجاه فهو مكروه .

واتفق الائمة الاربعة والفقهاء المتقدمون والمتأخرون عَلَى ان القاضي اذا اخذ القضاء بالرشوة لا يصح قضاؤه واذا حكم لا ينفذ حكمه و يجب نقضه واجمع الفقهاء عَلَى ان القاضي اذا ارتشى لا ينفذ قضاؤه فيما ارتشى فيه ٠ وقال السرخسي لا ينفذ كلها ٠

ولا يجوز للقضاة اخذ العائدات والمحصول ولو احتجوا باذن موليه لان ابن عابدين انكرها كل الانكار وذكر في الخيرية ان من التزم القضاء عَلَى مبلغ معلوم فهو كافر والعياذ بالله ولا يصح الاحتيال لحصول القضاء ٠ واما القضاء بظلم او رشوة فيوجب العزل والتعزير وقد منع القاضي من قبول الهدية والاستعارة والاستقراض وسائر ما يتبرع به ويمنح و يجب رد الهدية الى صاحبها او لبيت المال اذا لم يعلم صاحبها وعدم القبول هو المقبول ٠ واذا فسق القاضي عزل ولا يكون القاضي فظاً غليظاً جباراً عنيداً وكره تحريماً اخذ القضاء لمن خاف الظلم والعجز عن اقامة الحق والعدل ٠

وولاية القاضي مقيدة بالزمان والمكان والحوادث وتكون ولايته عامة او خاصة في بعض المسائل او عَلَى احد المذاهب وله ان يستخلف نواباً اذا فوض اليه صريحاً كول من شئت او دلالة كجعلتك قاضي القضاة ولا يصح للقاضي او النائب ان يحكم بما خالف الدليل لانه لا ينفذ ولو حكم به الف قاضٍ واما قضايا القضاة فهي عَلَى ثلاثة اقسام الاول حكمه بخلاف النص والاجماع فهو باطل ينقض والثاني حكمه فيما اختلف فيه فهذا ينفذ وليس لاحد نقضه والثالث حكمه بشيء يتعين فيه الخلاف بعد الحكم فيه اي يكون الخلاف في نفس الحكم فقيل نفذ وقيل توقف عَلَى امضاء قاض آخر فلو ابطله الثاني بطل وان امضاه فليس لقاض آخر نقضه ٠

واما منزلة القضاة من حيث الآخرة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق فلم يقض وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس عَلَى جهل فهو في النار فانظر الى ما كانت عليه احوال القضاة واحكامهم تعلم منازلهم ٠

ويسرنا ان نرى الحكومة الدستورية اخذت تعنى بانتخاب من توفرت فيهم الشروط الشرعية وفقها الله ٠

احوالهم الاخيرة

٥

في المقالة الثالثة ان مدرسة النواب أسست لتخريج نواب قادرين عَلَى القيام بما

يعهد اليهم من الوظائف عارفين باحكام الشريعة غير انني حتى الآن لم اصادف بين من اجتمعت بهم من المتخرجين في المدرسة المذكورة عالمًا بوظائفه واحكام الشريعة كما يجب الا القليل منهم وهذا مما يدل عَلَى ان ذلك المعهد العلمي غير كاف وفي حاجة عظيمة الى الاصلاح ومع ذلك فاننا نرى كثيرين من النواب تخرجوا بكتابة المحاكم الشرعية وربما يتعلم هؤلاء الكتابة وتنظيم الاعلامات والصكوك والحجج الشرعية وضبط الدعوى وتصير معهم ملكة المعاملات غير انهم يخبطون في احكامهم خبط عشواء و يجمعون من مجلة الاحكام العدلية وكتب الفتاوى مايجدون كحاطب ليل واغرب من ذلك ما صادفته في بر الاناضول وذلك ان النواب هناك يستخدمون نوابًا لانفسهم جوالين (سيار نائب) ثم يأخذونهم الى باب المشيخة و يجعلونهم نوابًا بالوسائط التي بلغوا المناصب بها وقد شاهدنا بام العين نوابًا لم يكونوا ممن انتسب الى العلم ·

فالنواب حينما يذهبون الى الاستانة في طلب التعيين ينتظرون زمانًا طويلاً و يتكبدون نفقات طائلة و يقاسون انواع العذاب ولا يحصلون عَلَى نيابة الا بعد ان يصرفوا ما جنوه من اموال العباد في خلال نيابتهم الاولى فيخسرون ما جمعوه وتبقى عليهم حقوق العباد وعذاب الواحد الديان واغلبهم يصل الى النيابة اما بطرق غير مشروعة واما بشفاعة غير جائزة وندر من غدا نائبًا بطرق سهلة ·

واما رواتبهم فهي قليلة في اكثر انحاء المملكة وقلما تقوم بنفقاتهم ولذلك تراهم منصرفين الى ادخار الاموال ليصرفوها في طرقهم واقامتهم بالاستانة واخذ النيابة ولهذا السبب ايضًا ترى همهم تزييد العائدات التي انكرها الفقهاء عَلَى ان المشيخة الاسلامية تركت تلك العائدات للكتبة فالنواب يشاطرونهم اياها حتى عَلَى تزكية الشهود ونفقات الطريق واجرة القيد وما يسمونه الدلالية والقرطاسية ولا يسع الكتاب الا السكوت والرضى لانهم اذا امتنعوا عن اعطاء القسم الاعظم من العائدات تهددوهم بالعزل وعدم اصدار الاعلامات وحل المخاصمات بلا ضبط فحينئذ اما ان ينعزل الكاتب واما ان يحرم من العائدات وقد تزيد هذه العائدات عَلَى رواتب النواب في اغلب الاحيان وتشغلهم كثيرًا وتدعوهم الى احالة الدعاوي الحقوقية الى المحكمة الشرعية ·

فهذه العائدات عَلَى قسمين قسم مقيد في دفتر الخزينة فما تجاوز الخمسمائة من هذا القسم يكون مشتركًا بين النواب والخزينة وما كان دون الخمسمائة يكون حق النائب والكاتب لذلك لو دققت دفاتر الخزينة في كل الجهات ترى هذه العائدات قلما

تجاوزت الخمسمائة واما القسم الثاني فذلك مادخل كيس النائب والكاتب من غير ان يقيد بصندوق الخزينة وهذه الاجور والعائدات مصرح بمقاديرها في نظام اموال الايتام غير ان الشريعة المطهرة لم تأمر بها على اننا لو نظرنا الى حقائق الشريعة وما يقتضيه الدين والصلاح نرى ان امر القضاء فرض كفاية كحفظ القرآن لا يستحق الاجرة كما فعل ابو بكر بن المظفر الشامي وغيره ولقد افتى الفقهاء المتقدمون بتخصيص رواتب معلومة من بيت المال لتفرغهم عن المكاسب واشتغالهم بمصالح الناس وانكروا تناول العائدات وقالوا ان الراتب يجب ان يكون كافياً ·

لو نظر المرء الى « المراسلة » التي تنبيء بنيابتهم وتصرح بوظائفهم تحت توقيع القاضي عسكر وجد ان عمل النواب محصور بانفاذ الاحكام الشرعية عامة وبشدة الاعتناء في تحرير التركة ·

واما التركة التي يجب تحريرها فهي تركة رجل مات عن صغير او غائب اومات عن غير وارث او اذا كان الميت مستغرقاً بالديون او اذا طلب احد الورثة تحرير تركة ابيه والغرض من ذلك حفظ حقوق الورثة واخص بالذكر منهم الايتام وقد رأينا النواب مسارعين الى تحرير التركات غير ان السبب الحقيقي الذي يدفعهم الى هذه السرعة هي العائدات والنفقات التي يأخذونها فنواب الاناضول تستخدم النواب الجوالين في تحرير التركات فيطوف هؤلاء القرى و يفتشون القبور والمدافن و يستخبرون عن الاموات فعند ما يعلمون بوفاة احد يجب تحرير تركته يحررونها فيتألم الورثة واهل القرية و تستولي عليهم الكآبة والاحزان فوق حزنهم غير انهم لا ينطقون ببنت شفة لان النائب المجهول جاء باسم الدين والحكومة ولم اشهد هذه الحالة في البلاد السورية لان تحرير التركة هنا يتولاه النائب بنفسه او يرسل رئيس كتابه ·

واما تحرير التركات في مراكز الولايات فذلك من شأن نائب النائب وكتبة المحاكم فهؤلاء يستخدمون جواسيس واعواناً يطوفون في البلدة و يستخبرون عن الاموات من المغسلين والحفارين ولما يعلمون بتركة تستحق التحرير يذهبون اليها مهرولين فهنالك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى على الايتام فتؤخذ الاشياء الثمينة والنادرة بثمن بخس واسم مستعار وترسل الى بيوت النواب والكتبة ثم يحسبون اجرة الدلالة والقيد واجرة اعلامات الديون واعلامات الصلح واجرة دفتر القسام واجرة اقدامهم لانهم كلفوا انفسهم وتعبوا في حفظ حقوق الايتام والورثة · وبعد ذلك يضمون

الطوابع والاوراق الحجازية ويأخذون كل هذه النفقات من ثمن التركة فيصبحون بذلك شركاء الورثة وربما اخذوا اكثر من الورثة وهذا الامر يكاد يكون عاماً واما سوء الاستعمال في الادانة والاستدانة وثبوت الرشد فحدث عنه ولاحرج وندر النواب الصالحون الذين لا يمسون اموال الايتام ·

ولا يخفى ان الله سبحانه وتعالى منع مس اموال الايتام بتاتاً وصرح بمنعه في آيات عديدة واتفق الفقهاء والعلماء عَلَى تحريم اخذ اموال الايتام حتى حرموا الجلوس عَلَى كراسيهم واثاثهم واستعمال اوانيهم ولست ادري عَلَى اي كتاب واي قول واي نص يأخذون هذه العائدات والاجور فان قيل ان في ذلك فتوى اقول ولا ابالي ان لا مساغ للاجتهاد في مورد النص واجماع الأمة والفقهاء وعَلَى ما اظن ان تلك العائدات وضعها وجوزها القضاة والنواب الذين كانوا يأخذون مناصبهم بطريق المزايدة والالتزام ·

وزد عَلَى ذلك كله ان النواب اعضاء في مجالس الادارة ومجلس القرعة العسكرية ولجنة الفراغ ورؤساء للمحاكم البدائية الجزائية ومحاكم الحقوق ودائرة الاجراء ولهذا لا يفترون عن الاستفادة الغير المشروعة من كل مسألة لهم فيها علاقة فالناس والمستخدمون يتألمون مما يشاهدونه من سوء استعمالهم في قسم الجزاء فيحكمون عَلَى بريء ويبرؤن الجاني ويتركون الاشقياء اوالمجرمين ويحبسون المساكين وتسهيلاً لمقاصدهم يجعلون غرفة الاستقبال في بيوتهم محكمة شرعية عَلَى ان الفقهاء صرحوا بان القضاء يقام في اكبر الجوامع او في محل خاص في منتصف البلدة فلو نظرنا الى التاريخ لعلمنا ان اهم المدارس بدمشق كانت مقراً للقضاة وان المدرسة العادلية كانت مقرّ القاضي المذهب الشافعي

نظرة في اصلاحهم

٦

ذكرنا ان المشيخة الاسلامية عبارة عن الفتيا وان الفتيا والقضاء من حقوق الخلافة والامامة الكبرى وان المفتي يخبر عن الحكم الشرعي والقاضي يلزم به عَلَى ان كل عالم يستطيع ان يفتي بما يفتي به المفتي لان الفتوى لا تتضمن الحكم والالزام ولا يجوز لعالم ولا لمفت ان يحكم بما حكم به القاضي مع ان للقاضي ان يفتي ويستخلف امناء ونواباً ولم ار حتى الآن عبارة او قولاً لفقيه يشار به الى استخلاف المفتي نواباً او الى تداخله في تعيين النواب لانهم نواب القاضي لا نواب المفتي وامر الاستخلاف يتوقف عَلَى

اذن الخليفة ·

ذكرنا ان مجلس انتخاب الحكام ينتخب النواب وشيخ الاسلام او مفتي الانام يأمر بتوظيفهم وقضاة العسكر يوقعون على مراسلاتهم ليكونوا نواباً لهم توفيقاً للاحكام الشرعية ومن ذلك يظهر ان القاضي هو الذي يستخلف النواب وقد عجبت لحصر القضاء في قضاة العسكر وابقاء هذا التعبير لان هؤلاء القضاة هم في الحقيقة قضاة عامة المسلمين والامة ليست بامة مسلحة على اننا لو نظرنا الى التواريخ علمنا انه كان في كل مركز ولاية قاضٍ وفي اعظم مراكز الالوية قضاة وانه كان في المدن الاسلامية الكبرى قضاة لكل مذهب ولذلك ارى ان يكون في مركز كل ولاية وفي مركز بعض الالوية المهمة قاضٍ وان يكون شيخ الاسلام قاضي القضاة يرجع اليه جميع القضاة وان يكون للقضاة حق استخلاف النواب باذن من الخليفة فيصبح امر تعيين النواب بيد قضاة الولايات فيتخلص هؤلاء من العناء والذهاب الى الاستانة ولا مانع من جعل مدة النواب اربع سنوات لان ذلك امر اجتهادي ثم يجب ان يؤلف مجلس من فحول علماء المسلمين تحت رئاسة قاضي القضاة ينتخبون القضاة من بينهم فيصدق على انتخابهم قاضي القضاة ويعرضهم على الخليفة لتصدر ارادته بتعيينهم وينتخب لمنصب قاضي القضاة ثلاثة علماء من هذا المجلس او من غيرهم باكثرية الآراء والخليفة يختار واحداً منهم يجعله قاضي القضاة ·

واهم ما يجب اصلاحه مكتب النواب والرأي توحيده مع شعبة العلوم الدينية في دار الفنون العثمانية واصلاح الدروس وتعيين افاضل المعلمين ليخرج فيه نواب افاضل ومفتون ومدرسون عالمون ويكون هذا المكتب اعلى قسم لمكتب استعدادي ينشأ في دمشق ويكون هذا مخرجاً لتلاميذ القسم العالي والغرض من الاستعدادي تعليم النواب اللغة العربية التي لا غنى للنواب عنها اذا كانوا يرغبون في تطبيق اعمالهم على احكام الشريعة ثم تسهيل التحصيل على الفقراء لكثرة المدارس والاوقاف بدمشق وعندما يتم التلميذ التحصيل في المدرسة الاستعدادية يذهب الى الاستانة ليدخل مدرسة النواب ويجوز قبول المتخرجين في المدارس الرسمية الاستعدادية وطلاب العلم بالامتحان وعندما ينال التلميذ شهادة القسم العالي يستخدم على حسب استعداده وعلمه ويكون له حق الترفيع ·

ويجب ان يكون مقر الحكم في دائرة رسمية لا في بيوت النواب ولا يجوز انفراد

النواب في الحكم لانه غير معقول ولا يوافق مقتضيات زماننا وناهيك بما نشاهده من سوء احوال النواب . وورد في الكتب الفقهية ان للقاضي امناء يعينونه في الحكم فهؤلاء هم في الحقيقة اعضاء ولا فرق في المعنى كما انه لا اعتبار للالفاظ فان شئت سميهم امناء وان شئت سميهم اعضاء ومن ثم يجب ان يكون مع كل نائب في القضاء امينان عالمان ومع كل نائب في الولاية واللواء اربعة امناء اكفاء ويسأل هؤلاء الامناء عن الحكم ويجعل النائب رئيساً لهم فاذا رأوا حكم الرئيس مخالفاً للاحكام الشرعية يكونون في حل ان يعترضوا ويصرحوا باسباب الاعتراض تحت توقيعهم فالمفتي والمدرس الذين تقرر تعيينهم اخيراً يكونان امناء نائب القضاء والمفتي والمدرس وعالمان في مركز اللواء ومركز الولاية يكونون امناء قاضي او نائب اللواء وقاضي الولاية .

واذا نظرنا الى انواع قضايا القضاة الثلاثة التي سبق ذكرها واخص بالذكر منها القسم الثالث الذي يتوقف حكمه على امضاء قاض آخر فان بطله بطل وان صدق عليه نفذ ندرك ان حكم القاضي من اي قسم كان من هذه الاقسام الثلاثة يحتاج الى تدقيق ولذلك يجب تمييز اعلام محكمة القضاء في محاكم اللواء او الولاية بحسب البعد والقرب واعلام الولاية يميز في مركز السلطنة اذا كانت الولاية قريبة من العاصمة ويدقق الحكم فاما ان ينقض لمخالفته احكام الشريعة واما ان يصدق عليه اذا كان موافقاً فيصير حكماً مقضياً .

ولا بأس بتوحيد المحاكم الشرعية والمحاكم الحقوقية وجعل الامناء اعضاء في كلا المحكمتين .

ويجب حينئذ اصلاح احكام المجلة بحسب الاحوال والزمان والمكان والحكم الذي لا يوجد في المذهب الحنفي قد يوجد في مذهب المالكي وقد سبق الذكر بان القاضي لا يحصر حكمه في مذهبه واتباع هواه فحينئذ تتألف لجنة من افاضل علماء المذاهب الاربعة فينقحون المجلة ويصححون اقوالها المرجوحة ويجعلونها جامعة للاحكام الدينية الصريحة ولا شك بانهم يجدون الاحكام الموافقة للعقل والنقل والزمان .

ويكون الامناء مسلمين بيد انه اذا حدثت قضية بين مسلم وغير مسلم او بين غير المسلمين تجوز استنابة اعضاء المحاكم الجزائية والتجارية من غير المسلمين اثناء المحاكمة لان الامام الاعظم وغيره من الفقهاء صرحوا بجواز حكم الذميين بين اصحاب مذاهبهم (١)

(١) الاحكام السلطانية ٦٣ وحاشية ابن عابدين ٣١١ و ٣١٢

ومن لا يرضى بالحكم فله ان يميز دعواه في محكمة اخرى واذا عرف الحكام بالعدل والانصاف لا يمتنع احد عن قبول احكامهم لان العدل يرضي كل انسان اما المسائل المذهبية فتترك لرؤسائهم الروحية بحسب القواعد الصلحية .

هذه نظرات اساسية لقواعد يجب وضعها في اصلاح النواب والقضاة فيجب بادئ بدء تأليف مجلس العلماء الذي اشرنا اليه ليبحثوا في الاحوال والزمان والمكان ثم ينظرون في احكام القرآن والحديث وفي الكتب الفقهية والمدونات فيقررون قواعد تحفظ بيضة الدين وقواعد الاسلام وترفع شأن المسلمين .

شكري العسلي

قضاء الفرد وقضاء الجماعة

« من خطبة لرفيق بك العظم القاها في مدرسة القضاء الشرعي في القاهرة »

ليس المراد بقضاء الجماعة هو قضاء هيئة مؤلفة من اكثر من واحد فقط كما قد يتبادر الى الذهن بل هي بالمعنى المشترك ايضاً جعل قوة التشريع القضائي مصونة عن رأي الافراد وتفردهم بالتشريع منوطة بالجماعة تثبتاً من الحكم واطمئناناً للدليل واعتماداً على ما هو الاصلح عند الجماعة اذا تعذر وجود النص .

ان مراعاة الاصلح قاعدة من اهم قواعد الشرع الاسلامي التي يدفع بها الحرج وتدرأ المفاسد عن المجتمع حتى لقد كان كبار الصحابة يراعون قاعدة الاصلح عند الضرورة مع وجود النص ويتنازعون على المسألة الواحدة يجيء بها النص من عدة روايات او يحتاج الى التفهم الدقيق تثبتاً من الحكم ورغبة بمحض الخير للامة والعدل بين المتقاضين وبذلاً للجهد في بيان الحقيقة للمستفتين وقد قال ابن القيم تنازع الصحابة في كثير من الاحكام ولكن لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال . اي المسائل التي تتعلق بالايمان .

قلنا ان المراد بقضاء الجماعة جعل قوة التشريع القضائي في حيازة جماعة لا فرد لان ذلك اسلم وابعد عن الخطأ واضمن للعدل وسببه ان الاحكام التي يرجع فيها الى الرأي والاجتهاد او القياس عند تعذر وجود النص او عند لزوم ترجيح رواية من

الروايات تحتاج الى شروط قلما تتوفر في الفرد الواحد وان توفرت له فربما لا يتيسر له تحري المصلحة وتطبيق الحكم عليها من كل وجه بحيث لا يخالفه فيه غيره ممن هو في طبقته من اهل العلم ·

اعتبروا ذلك في ائمة المذاهب المجتهدين فانه مع بذل كل واحد منهم في تقرير فروع المذهب واصوله منتهى الجهد في تحري صحيح الآثار والاخبار وتتبع اصول الشريعة فقد اختلفوا في كثير من المسائل واختلف اتباعهم بعد ذلك اختلافهم ايضاً فكان من ذلك انقسام القضاء الاسلامي عَلَى نفسه حتى وجد في بعض العصور اربعة قضاة لاربعة مذاهب في مصر واحد من الامصار الاسلامية هذا فضلاً عن اختلاف فقهاء كل مذهب ايضاً في المسألة الواحدة حتى اصيب الافتاء بما أصيب به القضاء من التشتت والانقسام واضطرب امر العدالة ايما اضطراب مع ان الاصل لهذه المذاهب واحد وهو الدين الاسلامي المبين ·

لهذه العلة الخطرة كان الصحابة الكرام لا يستنكفون عند الاستفتاء من احدهم ان يحيل بعضهم عَلَى بعض او يستشير بعضهم بعضاً في تقرير الحكم كما ثبت ذلك في كتب السنة خوف الوقوع في خطأ يجر الى مظلمة او اثم ولا سيما فيما يحتاج فيه الى العمل بالاجتهاد والرأي ·

لما كانت الشرائع مبنية عَلَى درء المفاسد وجلب المصالح والشريعة الاسلامية احرى الشرائع برعاية هذين الامرين فقد سن الشارع ايقاف العمل بالنص مراعاة للمصلحة ولكن عند الضرورة القصوى وثبوت المصلحة ولزومها عَلَى وجه لا يقبل الشك في ان المصلحة تترتب عَلَى العدول عن النص اكبر من المصلحة التي تترتب عَلَى العمل به واستن بسنته صحابته والخلفاء الراشدون من بعده فكان ذلك شرعاً ايضاً فيه تيسير عظيم على المسلمين واليكم الدليل ·

في حديث لابي داوود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان تقطع الايدي في الغزو · وانتم تعلمون ان القطع حد من حدود الله لم يستثن النص القرآني منه الغزاة لكن النبي نهى عن اقامته في حال مخصوصة خشية ان ينشأ عنه مضرة وهي لحاق صاحبه بالعدو وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم عدة اخبار اخرى من هذا القبيل لا محل لذكرها هنا وهي مبسوطة في كتب الحديث ·

وقد استن الصحابة بسنته واوقفوا الحدود في احوال مخصوصة تدعو اليها الضرورة

جاء في كثير من كتب الاخبار ان عمر كتب الى الناس الا لا يجلدن امير جيش ولا سرية ولا رجل من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب لئلا تلحقه حمية الكفار ·

وروى ابن القيم في اعلام الموقعين عن ابن حاطب بن ابي بلتعة ان غلمة لابيه سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأُتي بهم عمر فأقروا فأرسل الى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له ان غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة واقروا على انفسهم فقال عمر يا كثير بن الصلت اذهب فاقطع ايديهم فلما ولى بهم ردهم عمر ثم قال اما والله لولا اني اعلم انكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى ان احدهم لو اكل ماحرم الله عليه حل له لقطعت ايديهم وايم الله ان لم افعل لاغرمنك غرامة توجعك ثم قال يامزني بكم أُريدت منك ناقتك قال باربعمائة قال عمر (اي لعبد الرحمن) اذهب فاعطه ثمانمائة ·

وغير هذا فقد اسقط عمر الحد في عام المجاعة للضرورة وتجاوز ابو بكر عن خالد بن الوليد في حادثة مالك بن نويرة اذ قتله دون تثبت من اسلامه كما تجاوز عنه رسول الله (صلعم) قبل ذلك بما صنعه ببني جزيمة لما ارسله داعياً لا محارباً فذهب اليهم وحاربهم وقتل وسبى منهم فبرئ رسول الله من عمله الى الله ولم يؤاخذه به وما ذلك الالحسن بلاء خالد في الحروب وخدمته العظيمة في الاسلام وكذلك اسقط سعد بن ابي وقاص الحد عن ابي محجن في حرب القادسية وقال والله لا اضرب اليوم رجلاً ابلى للمسلمين ما ابلاهم ·

والشواهد على هذا من اعمال النبي واصحابه كثيرة لا يتسع لها مقام الخطابة ولعل هذه القاعدة سوغت بعد لبعض الحكومات الاسلامية التجاوز عن الحدود والعقوبات المدنية كالسن بالسن والعين بالعين وابدلت بها العقوبات الادبية كالحبس والتغريم مثلاً لضرورة تغير الزمان اولفشو المنكرات فشواً لم ينجع في تأديب مرتكبيها الاحبس حريتهم في السجون او غير ذلك من الدواعي والاسباب الزمانية ·

ليس فيما ذكر غض من مقام الشريعة او مس لاصولها المقدسة مادام من اصولها وقواعدها ايضاً العدول عن النص عند ثبوت المصلحة او درء المفسدة باقل ضرر منها والشريعة كما تعلمون مبنية على المصلحة وقد سبق الله تعالى رسوله والائمة من بعده الى تقرير قاعدة مراعاة الاصلح وهو ما يسمونه النسخ وما هو بنسخ وانما هو تقرير حكم اقتضته مصلحة زمان وحال غير حكم آخر في زمان تقدمه واحوال اقتضته كحكم جهاد

المشركين من العرب في مبدإ امر الدعوة لحمايتها وحماية المسلمين من اعدائهم واعدائها وفيه الاذن بقتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله ثم تقرير حكم آخر بعده اي بعد ان انتشرت الدعوة وقوي جماعة المسلمين وصاروا في مأمن من غائلة الضعف وهو حكم الدعوة بالتي هي احسن ·

وبالجملة فان ملخص ما تلوته عليكم ينحصر كله في المقدمات الآتية :

(اولاً) ان القضاء في العصر الاول كان مرجعه نصوص الشريعة اي اصولها التي قررها الشارع واجتهاد الصحابة والتابعين فيما لم يرد به نص ·

(ثانياً) ان الاحكام التي جاءت عن الشارع لم يكن في استطاعة فرد واحد حفظها او يتعذر عَلَى الواحد الاحاطة بها فاحتيج في القضاء الى استشارة حفاظها ·

(ثالثاً) ان الصحابة كانوا قد يختلفون في المسألة الواحدة اما في تطبيق النص اوفي مسوغ الحكم اذا كان اجتهادياً تثبتاً من وضع الشيء في محله جهد الامكان ·

(رابعاً) انهم كانوا يعدلون عن النص عند الضرورة الداعية وفي احوال مخصوصة تدعو اليها المصلحة التي بني عليها الشرع اقتداء بالشارع ·

(خامساً) ان ورعهم وتقواهم وخوفهم من الوقوع فى الاثم كل هذا كان يدعوهم الى عدم الانفراد بالحكم ومشاركة خيار المسلمين وعلمائهم في تطبيق الاحكام اذا كانت اجتهادية على القياس الصحيح او الرأي السالم من خطأ الفرد ·

هذه المقدمات تنتج نتيجتين مهمتين احداها ان القضاء في الاسلام كان قضاء الجماعة لا قضاء الفرد والثانية ان الشريعة الاسلامية بما تقرر فيها من قاعدتي الاجتهاد ورعاية الاصلح كانت من الشرائع التي توافق كل زمان ومكان وتجيز لكل ضرورة حكماً يوافق مقتضى المصلحة والحال وان خالف النص مع اعتبار هذه القاعدة شرعاً ايضاً خلافاً لما يتقوله عليها المتقولون من انها شريعة ضيقة توافق زماناً غير زماننا هذا ومكاناً غير مكان الامم الراقية لهذا العهد فهي اذا صلحت لاهل هذا العصر لا تصلح لعصر تسير شرائعه مع مقتضيات المدنية الحديثة وحاجاتها سيراً تدريجياً في كل ما يقتضيه ترقي الجمعيات · ومنشأ تقولهم هذا الجهل بحقيقة الشريعة الاسلامية وعدم الوقوف عَلَى اصولها وقواعدها وكلياتها يساعدهم على ذلك ما يرونه من تعصب بعض علماء الشريعة المقلدين لما جاء في كتب الفروع دون الاصول وردهم لكل مالم يرد فيها من اسباب التيسير وان ورد فى اصول الشريعة وكلياتها مع ان في كتب الفروع من

الاحكام التي لا تستند الى دليل قطعي ، الا يعدو مبناها الاجتهاد او الرأي والقياس ومع هذا فانهم يفضلون العمل بهذه الاحكام عَلَى الرجوع الى اصل الشريعة معما كان فيها من التقيد والتضييق عَلَى انفسهم والامة ومعما ترتب عَلَى ذلك من التهم الباطلة التي يرمينا بها الباحثون في طبائع الاجتماع ·

وحجة هؤلاء العلماء في هذا سد الذريعة او خوف انتشار دعوى الاجتهاد اذا فتح بابه وتطرق الفساد الى الشريعة وهي حجة معقولة ومسلمة لا يخالفهم فيها عاقل لكن فيما لو صارت قوة التشريع او الاجتهاد الى الافراد واطلق العنان لكل قائل ان يقول هذا حكم الله ورسوله ولكل حاكم ان يحكم بما يرى و يقول ·

ومعاذ الله ان يريد هذه الفوضى للشريعة الاسلامية عاقل قط وانما المراد ان ينظر في المسائل التي يقتضيها تغير الزمان وتجدد المصالح والحاجات عَلَى شرط عدم الوقوع في ذلك المحذور الذي يخشاه العلماء وذلك بان تناط قوة التشريع او الاجتهاد في المسائل الطارئة في كل عصر بجماعة من اهل العلم الواقفين عَلَى دقائق الكتاب والسنة والعارفين بحاجات الامة ليقرروا لها الاحكام الموافقة لمقتضى الحال ثم تنال هذه الاحكام تصديق اهل الحل والعقد فتصبح قانوناً رسمياً يتحتم العمل به في الحكومة الاسلامية التي هي في حاجة اليه لا يعدل عنه الى غيره من اقوال الفقهاء والعلماء وان مجتهدين فتضبط بهذا قوانين الشريعة و يؤمن عليها من تطرق الفساد ثم يكون من ذلك ان تحدد هذه القوانين تحديداً يغني عن الرجوع الى كتب الفقه التي تختلف في المسألة الواحدة اختلافاً كثيراً يؤدي في كثير من الاحيان الى التشويش عَلَى القضاء و يكفي ان تكون تلك الكتب شروحاً لقوانين الشريعة المعمول بها يومئذ يرجع اليها عند الضرورة والحاجة الى تفسير نصوص ذلك القانون كما هو الشأن في مجلة الاحكام العدلية المعول عليها في محاكم الدولة العثمانية دون غيرها ·

***

للقضاء في الاسلام دوران دور العمل بالاصول ودور العمل بالفروع وانما اخترت هذا التقسيم لاختصار الطريق او اختصار البحث خوفاً من تعب القارىء والسامع مع ان ادواره بعد دور التشريع الاول كثيرة جداً اذا اعتبرنا تقسيمه الى طبقات المفتين والمحدثين من الصحابة والتابعين ثم الائمة المجتهدين ومن بعدهم من طبقات الفقهاء والمقلدين من اتباع كل مذهب نعتبر ذلك بما قسموا اليه طبقات الحنفية مثلاً فقد

قالوا انهم ينقسمون الى ست طبقات : الطبقة الاولى طبقة المجتهدين في المذهب كأبي يوسف ومحمد وغيرهما من اصحاب ابي حنيفة القادرين عَلَى استخراج الاحكام من القواعد التي قررها الامام ·

والثانية طبقة المجتهدين في المسائل التي لارواية فيها عن صاحب المذهب كالخصاف والطحاوي والسرخسي والحلواني والبزدوي وغيرهم وهم لا يقدرون على مخالفة امامهم في الفروع والاصول لكنهم يستنبطون الاحكام التي لارواية فيها عَلَى حسب الاصول ·

والثالثة طبقة اصحاب التخريج القادرين عَلَى تفصيل قول مجمل وتكميل قول محتمل من دون قدرة على الاجتهاد ·

والرابعة طبقات اصحاب الترجيح كالقدوري وصاحب الهداية القادرين على تفضيل بعض الروايات عَلَى بعض بحسن الدراية ·

والخامسة طبقات المقلدين القادرين على التمييز بين القوي والضعيف والمرجح والسخيف كاصحاب المتون الاربعة المعتبرة ·

والسادسة من دونهم الذين لا يفرقون بين الغث والسمين والشمال واليمين ·

***

لما اتسعت دائرة الفتح وانتشر الاسلام في الممالك القاصية وتفرق حفاظ الشريعة ورواتها في الانحاء مع اتساع دائرة القضاء بازدياد وسائل الحضارة واستبحار العمران وتجدد الحوادث التي يقتضيها تشعب المعاملات وحال الامم الداخلة في الاسلام من غير العرب ولهذا خيف من تشتت احكام الشريعة ودخول الفوضى في القضاء والافتاء احتيج بالضرورة الى امرين مهمين : الاول تدوين الشريعة في الكتب · والثاني وضع قواعد للتفريع عن اصول الشريعة لتطبيق الحوادث التي تحدث في احكام المعاملات عَلَى قوانين الشرع · واول من تنبه لحاجة الى هذين الامرين عَلَى ما اظن عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل الاموي وسداً للحاجة الاولى امر الزهري من جلة التابعين وحفاظهم بتدوين الحديث في دفاتر وتوزيعها عَلَى الامصار في اواخر القرن الاول ففعل كما هو مشهور معروف ·

اما الحاجة الثانية فقد شعر بها ولكن سدها بعده الائمة المجتهدون بدليل ما روي عن الامام مالك بن انس انه قال قال عمر بن عبد العزيز : يحدث للناس من الاقضية بقدر ما يحدث لهم من الفجور ·

ادرك هذا عمر بن عبد العزيز وادركه الائمة المجتهدون من بعده مالك والشافعي وابو حنيفة واحمد بن حنبل وغيرهم من ائمة المذاهب التي لم يبق لها اتباع لهذا العهد كداوود الظاهري وغيره وكأئمة الشيعة الذين يعمل بمذاهبهم الى اليوم زيد بن علي وجعفر الصادق وغيرهم فلم يكتفوا بتدوين السنة في الدفاتر والكتب بل رأوا الحاجة تدعو الى البيان والتفصيل والتفريع والترتيب فعمدوا الى النظر في اصول الشريعة من الكتاب والسنة فاستخرجوا منها الاحكام ووسعوها ورتبوها ودونوها كل على اصول مذهبه وقواعده واصول الاجتهاد المعروفة في كتب الاصول فضبطوا بذلك قوانين الشرع بما بلغه اجتهادهم وادى اليه جهدهم فكانت كتب كل مذهب شرعاً يعمل به اتباعه الى اليوم ·

ولسنا بصدد اطراء هذا العمل الجليل الذي قام به اولئك الائمة الكبار وحسب هذا العمل او هذه الخدمة التي خدموا بها الامة والشرع انها تصون منزلة الافتاء والقضاء عن متناول كل من ادعى ان عنده مسكة من العلم بالدين والوقوف على السنة هذا لو احسن العلماء بعد العمل بقوانين الفقه ·

وبعد فقد ارتكب الفقهاء من التضييق والتوسع حتى احرجوا الامة والجأوا بعض الحكومات الاسلامية الى العمل ببعض القوانين المقررة عند الامم الاوربية خصوصاً الجنائية والتجارية نعم ان اختلاف الاقوال في المسألة الواحدة وكثرة الحواشي والشروح عَلَى القوانين والشرائع موجودة عند كل امة فالقانون الفرنساوي مثلاً له شراح من المتشرعين واشهرهم دالوز وكاربانتيه وسيريه وغيرهم كثيرون الا ان القضاء عند تلك الامم لما كان بيد الجماعة وقوة التشريع ليست من حق فرد من الافراد بل من حق الامة ونوابها فدستور العمل عندهم ما اجمعت عَلَى وضعه قوة التشريع وصادقت على قبوله الحكومة فصار قانوناً للقضاء لا يعدل عنه الى تلك الحواشي والشروح وآراء المتشرعين و يصار اليها الا لتفسير مبهم او تطبيق الحوادث بعضها عَلَى بعض ·

لشريعة المسلمين اصول وكليات تعتبر اساساً للتشريع ومع ان احكامها مسلمة فقد كان العمل بها في عهد الصحابة بالشورى بين المتفقهين منهم هذا فيما نص منها على ما يرد عليهم من النوازل فما بالكم فيما احتاج الى الاجتهاد والتشريع بالقياس على تلك الاصول او الاستنباط منها وقد كانوا لا يحكمون حكماً الا بعد استشارة خيار الامة وعلمائها واقرارهم جميعاً عَلَى ذلك الحكم حتى اعتبر بعض الائمة المجتهدين بعد

احكام الصحابة لقوتها شرعاً او اصلاً من الاصول التي يبنى عليها التفريع سموه عمل الصحابة او اجماعهم كما سبقت الاشارة اليه وكما ترون ذلك في كتب الاصول ٠

اذا كان اجماع الصحابة عَلَى مسألة شرط في صحتها واعتبارها شرعاً يلزمنا العمل به فقد لزم من هذا امران :

الاول — ان اجماع الجماعة على تقرير حكم في مسألة شرط في صحة ذلك الحكم واعتباره شرعاً لزمنا العمل به وهو ما تفعله الامم الاوربية في تقنين قوانينها لهذا العهد وقد وجد له اصل في الشرع الاسلامي فتركناه واصبحنا نغبط الامم الاوربية وقوانينها او قضاء الجماعة عندها لهذا اليوم ٠

والامر الثاني ان كل اقوال الفقهاء واختلافاتهم الواردة في كتب الفروع ليست بشرع الا من حيث اشتمالها عَلَى احكام يرد بعضها الى اصول الشريعة الا انه غير متوفر فيها شرط التشريع الذي مر ٠ واناطة ترجيح قول دون آخر من حيث قربه من الاصل بشخص واحد لا يكسب هذا القول او الحكم قوة التشريع ليسمى شرعاً او قانوناً وجب العمل به الا اذا اتفق عليه وقرره جمهور من المتشرعين او المرجحين وهذا ما اردته من وجوب بقاء الاجتهاد لكي لا يتناوله من شاء فيما شاء ٠ كلا بل ليناط بجماعة من علماء المسلمين تقرير الاحكام التي تدعو اليها المصلحة وتتجدد بتجدد الزمان ٠

ولذا فان اجتهاد الجماعة كما انه لازم في الاصول فهو لازم في الفروع ايضاً وذلك لجمع اقوال الفقهاء عَلَى اختلاف مذاهبهم ما اصاب من تلك الاقوال محجة الصواب والمصلحة ووافق اصول الشريعة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح في كتاب بعينه يعتبر قانوناً في المعاملات مجمعاً عليه من العلماء ليعرف منه كل مسلم ما له من الحقوق وما عليه لا تتقاذفه اقوال الفقهاء من خلاف لآخر ومن قول لنقيضه فتصير به الى اهواء القضاة والمفتين يحكمون بما ترجح لديهم وبما يشتهون ٠

وليس اختلاف المذاهب بمانع من ان يحكم للشافعي او عليه بقول للحنفية او المالكي بقول للشافعية مثلاً اذ كل اتباع المذاهب ابناء دين واحد وكل اقوال كتب الفقهاء مأخذها واحد وهو الشرع والواقع يثبت ان احكام المعاملات كانت في اكثر الممالك الاسلامية ولم تزل الى اليوم جارية في القضاء على مذهب الدولة الحاكمة وربما كان اكثر الرعية من اتباع مذهب غير مذهبها ٠

ومع هذا فليس ثمة نكير من العلماء على اهل الدولة فلا سبيل لهم الى النكير على القائلين بلزوم جمع الاقوال الموافقة لمقتضى المصلحة والعصر من كتب المذاهب وجعلها قانونًا جامعًا في المعاملات للمسلمين بل هذا خير وسيلة لاصلاح القضاء ربما اغتفرت للفقهاء ماضي تفريقهم وحدة الامة باسم التعصب للمذهب وكانت خاتمة اضطرابات نظام القضاء في الاسلام ·

ليس اضطراب حبل القضاء في الاسلام بجديد وليس الظلم والعسف الذي لاقاه المسلمون من حكامهم الظالمين وحكوماتهم الجائرة الا نتيجة توكئهم على ضعف القضاء خصوصًا ما يتعلق منه بولاية المظالم لا لنقص في الدين او الشريعة بل لنقص في طرق التقنين والتنفيذ ·

ان الدين الذي ينزل على الظالمين صواعق الانذار ويقرن الظلم بالشرك بالله تعالى ويأمر باقامة ميزان العدل ويريد سعادة المجتمع الذي يدين به ما كان ظالمًا ولن يكون وانما المسلمون انفسهم يظلمون ·

تعلمون ان احفل العصور الاسلامية بالعلماء والمفتين والفقهاء المتشرعين وارقاها في سلم المدنية الاسلامية عصر هارون الرشيد العباسي اذ الشريعة في ابان زهوها والتفريع في مبدإ مجده والائمة المجتهدون هم القائمون بالتشريع والى كتبهم ترجع الفتوى ·

في ذلك العصر الزاهر بمجد الاسلام وامجاده النظام يرى ابو يوسف صاحب ابي حنيفة من ضعف القضاء وتسلط عمال الجور واضطراب نظام ولاية المظالم ما يلجئه الى وضع كتاب الخراج لامير المؤمنين هارون الرشيد وليس فيه الا آية او حديث او مثال من قضاء الصحابة اي كله من اصول تلك الشريعة الطاهرة يذكره فيه بالرجوع الى قضاء الله ورسوله واصحابه او قضاء الجماعة المتين قائلا : ارجع يا امير المؤمنين الى هذه الاصول في سياسة الرعية وجباية الخراج وتوزيع الفيء ، اقعد يا امير المؤمنين بنفسك للظالم وانصاف المحكوم من الحاكم ، ادرك الزراع فقد كاد يهلكهم الظلم فقد بلغني عن عمالك انهم يقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد وانهم يفعلون بهم ويفعلون مما لا يحل لهم بوجه من الوجوه ·

هكذا كان الحال في عصر الرشيد وائمة الشريعة احياء يرزقون فما بالكم بما جاء بعده من العصور التي صار فيها التشريع الى عدد لا يحصى من المخرجين والمرجحين والفقهاء والمفتين وكلهم يقولون قولي اوقول فلان هو شريعة الله المفتى بها والمعول عليها

وما هو الا تفكك نظام القضاء وتشتت قوة الجماعة فلا حول ولا قوة الا بالله ٠

والنتيجة ان ضمان العدالة الوحيد انما هو قضاء الجماعة لا قضاء الفرد واعني ان التشريع وحده غير كفيل بالعدل في القضاء الا اذا أنيط كلاهما بالجماعة بالوضع والتنفيذ ٠ ولا تظنوا ان هذا المطربش الواقف امامكم يريد شيئاً جديداً في الدين او قلباً لكيان الاحكام مع انه ليس من علماء الدين ولا الائمة المجتهدين ٠

كلا فليس قضاء الجماعة بجديد في الاسلام بل هو من عصر الصحابة وهم واضعو اساسه المتين في الدور الاول للقضاء في الاسلام ٠

اما الدور الثاني فالذي اذكره ان دولتين من دول الاسلام تنبهتا اليه وعولتا عليه اولاهما دولة الامويين في الاندلس التي جعلت في القرن الثالث داراً في قرطبة لشورى القضاء اعضاؤها من جلة العلماء يرجع اليهم في تقرير الاحكام ٠

والحق اقول اني لم اظفر بكثير بيان عن هذه الشورى لكن ما رأيته عنها في ثنايا الكتب التاريخية يكفي للدلالة عليها فقد ورد ذكرها في نفح الطيب في ترجمة بعض العلماء كقوله كان فلان مشاوراً وطلب فلان الى الشورى فأبى ونقل اليّ ثقة عن كتاب من الاسف انه غير موجود بين يدي بل هو في مكتبة دمشق وهو كتاب الاحكام للقرطبي وورد فيه ذكر هذه الشورى بقوله ان الشورى خالفت الامام مالكاً في عدة احكام اخذت فيها بقول ابي القاسم ٠ وفي هذا دليل كاف عَلَى انه كان لهيهم سلطة في التشريع وان الدولة الاموية ثمة كانت مسددة الاعمال حتى قبيل وهنها وسقوطها حريصة على اجراء قوانين العدل بين رعيتها ٠

اما الدولة الثانية التي تنبهت الى مثل ما تنبه اليه الامويون فهي الدولة العثمانية لهذا العهد فانها جمعت من علماء الامة وفقهائها الموثوق بفضلهم وعلمهم جماعة سمتهم جمعية المجلة وذلك من بضع وثلاثين سنة انتخبوا من كتب المذهب قانوناً جامعاً لاحكام المدنية وهو المعروف بمجلة الاحكام العدلية واقر عَلَى العمل به اهل الحل والعقد فصار مرجع القضاء في المحاكم الى اليوم ٠

ديوان الرصافي

طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٨ (ص ٢٣٠)

يعرف قراء هذه المجلة شعر معروف افندي الرصافي بما قرأوه له في مجلدات المقتبس الاربع من الشعر الاجتماعي العذب المتين الذي كان فيه الفرد المقدم في العراق والشام ايام كان الكلام يحظر على كل انسان وقد اشتهر بذلك حتى وصفه بعضهم بانه شاعر المقتبس ولا عجب فهذه المجلة تفاخر بهذه النسبة . وقد طبع هذه المرة ديوانه واكثر من ثلاثة ارباعه مما نشر في هذه المجلة عني بتبويبه الشيخ محي الدين الخياط من افاضل بيروت وقدم له مقدمة رائقة وجعله في اربعة ابواب الكونيات والاجتماعيات والتاريخيات والوصفيات ومن شعر الرصافي الاخير من قصيدة في جرائد الاستانة .

ولم يكفها هذا الخلاف وانما اطافت بنقص للحقيقة زائد
فما بين مكذوب عليه وكاذب وما بين مجحود عليه وجاحد
ترى في فروق اليوم قراء صحفها فريقين من ذي حجة ومعاند
جدال على مر الجديدين دائم بتفنيد رأي او بتنقيد ناقد

وقال فيها :

ولم ار شيئاً كالجرائد عندهم مبادئه منقوضة بالمقاصد
يقولون نحن المصلحون ولم اجد لهم في مجال القول غير المفاسد
وكيف يبين الحق من نفثاتهم وكل له في الحق نفثة مارد

وقال من قصيدة في وصف لبنان :

لبنان تفعل بالحياة جنانه فعل الزلال بغلة الظمآن
وترد غصن العيش بعد ذبوله غضاً يميد بفرعه الفينان
فكأن لبنانا عروس اذ غدا يزهو بنشر غدائر الاغصان
وكأنما البحر الخضم سجنجل يبدي خيال جمالها الفتان
جبل سمت منه الفروع واصله تحت البسيطة راسخ الاركان
تهفو الغصون به النهار وفي الدجى تهفو عليه ذوائب النيران
وترى النجوم على ذراه كأنها من فوقه درر على تيجان

الى ان قال :

لبست ربى لبنان ثوباً اخضراً … وزهت بحيث الحسن احمرقان
نثر الربيع بهن زهراً مونقاً … يزري بنظم قلائد العقيان
فبرزن من وشي الطبيعة بالحلى … فكأنهن بحسنهن غوان
وكأن صنيناً اطل مراقباً … يرنو لهن بمقلة الغيران
تلك الربى اما الجمال فواحد … فيها واما اهلها فاثنان
رجل يسير الى النجاح وآخر … يسعى وغايته الى الخسران
متخاذلين بها وهم اعوانها … ومن البلاء تخاذل الاعوان
ضعفت مباني كل امر عندهم … ما بين هادمها وبين الباني
وتفرقوا دنيا كأن لم يكفهم … في النائبات تفرق الاديان
وسعوا فرادى للنجاح وفاتهم … ان التضامن رائد العمران

وقال من قصيدة حول البوسفور :

سفوح جبال بعضها فوق بعضها … مكللة حافاتهن باشجار
يروق بجنبيها خرير مياهها … ويشجي بقطريها ترنم اطيار
ويجري النسيم الرطب فيها كأنه … تبختر بيضاء الترائب معطار
معاهد زرها في الهواجر تلقها … موشحة فيها برقة اسحار
نزلنا بها والشمس من فوق ارسلت … على منحنى الوادي ذوائب انوار
وقد ظل من بين الغصون شعاعها … بوقع ديناراً لنا جنب دينار
كأن التفاف الدوح والنور بينها … جيوب من الانوار زرت بازرار
تميل اذا هب النسيم غصونها … فتأتي بظل في الجوانب موار
ترانا اذا ما الطير في الدوح غردت … تميل باسماع اليها وابصار

وقال من قصيدة في التربية بعد ان شاهد مسرح الحيوانات في بيروت :

كأنما الليث لم يخلق اخا ظفر … محدد الناب قذافاً الى العطب
شاهدته مشهداً بدعاً علمت به … ان الغرائز لم تطبع على شغب
وان خبث البرايا في طبائعها … لابد فيه سوى الاطباع من سبب
وان ليث الشرى ماصيغ مفترساً … لكن احالته فراساً يد السغب
وكم من الناس من قد راح مندفعاً … بدافع الجوع نحو القتل والسلب

وان تربية الانسان يرجعه أكسيرها وهو من ترب الى الذهب
هذا اذا حسنت اما اذا قبحت كالمندلي بها يمسي من الحطب
فكل ماهو في الانسان مكتسب فلا تقل فيه شيء غير مكتسب
اني ارى اسوأ الآباء تربية للابن احرى بان يدعى اعق اب
والمرء كالنبت ينمو حسب تربته وليس ينبت نبع منبت الغرب
من عاش في الوسط الزاكي زكا خلقاً حتى علا في المعالي ارفع الرتب
فاحرص على ادب تحيا النفوس به فانما قيمة الانسان بالادب

وقد عني بتفسير الفاظه اللغوية الشيخ مصطفى الغلاييني منشيء مجلة النبراس الشهير فجاء الديوان موفور الخيرات من كل الجهات حرياً بكل من ذاق لماظة من الادب ان يقتنيه ويتدارسه فشعر الرصافي هو النموذج الراقي من شعر هذا العصر .

حكم افرنجية

من الناس من فيهم الكفاءة ولا يرتقون لكن ليس منهم من يرتقون دون ان يكونوا على شيء من الكفاءة (لاروشفوكولد) .

الادب يظهر المرء في مظهره الخارجي كما يجب ان يكون عليه في مظهره الداخلي (لابروبير) .

على من يريد ان يعمل الخير ان يعرف كيف يفكر بان الحياة قصيرة لا ينبغي ان تضاع هنيهة منها عبثاً (فولتير)

علينا ان نعلم من نريد تعليمهم بالمثال الحسن اكثر من ان نسن لهم الطرق ونختط لهم الخطط فالمثال هو الذي يعلم الرجال (شاتوبريان) .

انا نشعر بالالم الكثير من الملل من ايام السعود اكثر مما نشعر بسرور الاستمتاع في ايام النحوس (بالزاك) .

عاش من عرت نفسه من الاوهام .

لا يكفي المرء ان يكون له عقل حتى يخلص من البهيمية بل يجب ان يعرف كيف يستخدم عقله .

السعادة كالطير الاخضر الذي يقترب منك ثم يقفز قفزة صغيرة فلا نقدر ان نمسكه .

انتظار المدعو الى دعوة اذا تأخر عن الميعاد قلة احترام لسائر المدعوين الحاضرين ·
التغافي عن الواجبات الصغيرة مدرجة الى ارتكاب الاغلاط الكبيرة ·
يمتص النحل والزنبور من زهور واحدة ولكن كلاً منهما لا يعرف ايجاد العسل نفسه ·
مما يدل عَلَى المروءة التامة تعرض المرء لانظار ارباب المروءة ·
يؤثر النساء ان يعتبن في فضيلتهن عَلَى ان يطعن في فكرهن وجمالهن (دوماس)
الشهوة العظمى هي زهرة عاصفة لا تنبت الا عَلَى حجر ضربته الاعاصير ·
لسنا الا ثمرة نشوئنا ·
الافكار الحسنة كمسامير من نحاس تنغرز في الروح ولا تستخرج منها قط ·
في الاعتبار عزاء عن كل شيء ·
من القهقهات ما يخرج كصوت القنابل لا يفيق منها صاحبها
الفكر الجديد هو مثل زاوية لا يمكن ادخالها الا من الانشوطة الكبرى ·
سلسلة الزواج ثقيلة جداً لا سبيل الى حملها الا اذا استعد لها المرء واقفاً عَلَى قدميه
الاسنان كالكلاب كما اعطوا قضموا ·
اننا نجور حتى في شفقتنا وذلك لاننا نتأثر لمصاب عرضي بعرض للسعداء اكثر من تأثرنا لمصاب دائم يلازم البائسين ·
كثير من الناس يرون السياسة علم الربح بدون رأس مال ·
من الصعب عَلَى الاغنياء ان يحرزوا الحكمة اكثر مما يصعب على الحكماء ان يحصلوا الثروة ·
اذا لم يستطع ارباب العقول ان يجنوا الانتفاع من الاغنياء فما الفائدة من عقولهم (رنان) ·
التأمل يكمل الاخلاق بدون ان يغيرها كما ان القواعد تخدم القرائح ولا تساعدها على الابتداع ·
نتألف الحياة التي نستطيلها من كثير من الايام التي نستطيلها ايضاً ·
جسم جميل في روح خبيثة كسفينة حسنة وفيها ملاح رديء ·
لا تكن محتاجاً الى الامل لتشرع في عمل ولا الى النجاح حتى تظل مداوماً عَلَى ما انت آخذ في سبيله ·

تشحذ الحياة الرجال في باريز كما تشحذ السكين على المسن ولكنها تثلمها ·

في المجتمع الرديء النظام تشبه القوانين بيوت العناكب تعثر فيه الهوام الصغيرة اما الكبيرة فتفلت من اطرافه ·

ثلاثة امور صعبة الاحتفاظ بسر وتحمل الاذى واستعمال اوقات البطالة (فولتير)

لا تكن ساذجا ولا خبيثاً ·

اذهب متثاقلاً الى ضيافةِ اصدقائك وسارع اليهم كثيراً في ايام بؤسهم ·

اكثر الرياء خطراً ما احاط بنا من انحطاط المحيطين بنا ·

كثيراً ما يخفق رجل العقل في مشاريعه لانه يخاطر كثيراً (مونتسكيو)

حب المجد في القلوب الكبيرة يشغل المكان الذي يملأه العجب في النفوس الصغيرة ·

لا تكرر كلمة جافة شائنة واذا سمعت كلمة في قريبك فاكتمها في صدرك فانك لا تضيق بها ذرعاً ·

ثلاثة امور تعلي قيمة الهدايا الاحساس والمناسبة واسلوب الهدية ·

اني استحسن الرياضات التي تعلمنا احتقار الحياة على شرط ان لا تدخل فيها حياة الغير ·

الناس يستمعون النميمة عَلَى ما يكرهون اكثر من استماعهم مديح ما يحبون ·

كثيراً ما ترى للناس ميلاً طبيعياً للمبادرة لمؤونة الرجل الاقوى فيهم ·

من سيئات المساواة هو اننا لا نريدها الا مع الاعلى منا مقاماً ·

التسليم بالقضاء والقدر هو سعادة من ليس لهم سعادة ·

الآلام خير من تعذيب الوجدان ·

المناكدة شقاء الصالحين ·

قام كل عمل عظيم في العالم ببركة اجابة نداء الواجب وكل اثر سيء في العالم قام باسم المصلحة ·

لا تبهر الفضائل الصغرى الانظار بل تعطر صاحبها فهي بنفسج الروح ·

ان المنجم الذي لا ينضب تعدينه عَلَى كثرة تعاور الايدي عليه منذ ازمان هو منجم الحمق البشري ·

من الناس من يتكلمون قبل ان يفكروا بهنيهة اي يسبق كلامهم تفكرهم ·

لا تشاور في موضوع القيام بالواجب ·

غرائب الغرب

تاريخ عمران باريز

١١

لعل باريز كانت في الاصل احدى تلك الضياع التي كان الغاليون ينشؤنها في جزر الانهار الكبرى ايام كان يسهل عليهم ان ينشؤا جسوراً يتخذونها مجازاً الى طرق مهمة واول ذكر ورد لها ولسكانها في التاريخ كان ٥٣ ق. م فدعا القيصر ساكنيها باريزيا كما دعا المدينة لوتيتيا وضم اليها سنة ٥٣ نواب الامم الخاضعة .

مضى زمن لم يمتد فيه عمران المدينة خارج الجزيرة الاصلية ثم استفاض عمرانها على الشاطئ الشمالي على عهد الامبراطور كونستانس كلود الذي انشأ فيها قصراً تسمى بقاياه اليوم بقصر الترم وسكن فيه جولين لما نادى به جنده قيصراً وكانت الجزيرة محاطة بمتاريس وفيها قصر تفصل فيه الامور البلدية ومذبح على اسم جوبيتر اقامه الملاحون الذين كانوا يغدون ويروحون في تجارة نهر السين وفي سنة ٢٥٠ غدت لوتيس مركز اسقفية وعلى ذلك العهد اطلق عليها اسم باريزي وهو اسم الشعب الذي يسكنها وكانت عاصمة بلاده

فتحت باريز ابوابها للفرنك سنة ٤٩٧ فدخل قصر الترم كلوفيس ثم ماتت القديسة جنفياف حامية باريز ووقف العمران على عهد الكارولنجيين بل تراجع فنقل الامبراطور شارلمان عاصمة ملكه الى اكس لاشبل وما كان يقيم في باريز الا نادراً وكان عهد خلفائه عهد شقاء

وكانت القرى في شمالي المدينة وجنوبها تؤسس تحت حماية الاديار

وكثيراً ما كانت تخرب بايدي اشقياء من السكان او بغارات النورماندين وفي سنتي ٨٨٥ — ٨٨٦ جاء النورمانديون وعددهم ثلاثون الفاً وعسكروا امام جزيرة المدينة وحاصروها ثلاثة عشر شهراً وبهذا الحصار افتتحت باريز ايام سعادتها واصبحت كما قالوا رأس فرنسا وقلبها ·

وفي القرن الحادي عشر والثاني عشر امتد عمران هذه القاعدة وانشئت فيها اديار وبيع ومستشفيات ومدارس واقيم لها في ايام لويس السادس عمدة ينظر في شؤونها وامور ضبطها وربطها وبدأ فيها العمران المادي · وعلى عهد فيليب اغسطس وهو اهم دور من ادوار عمران هذه العاصمة كثرت الكنائس الكبرى وأسست الاديار والمدارس ودور المرضى والاسواق والمجاري واحواض المياه والفساقي والمراقي وفي سنة ١١٨٥ اخذوا يبلطون شوارع المدينة للمرة الاولى وفي سنة ١٢٠٤ انشيء قصر اللوفر وبعد ذلك جمعت مدارس باريز وكان عدد طلبتها عشرين الفاً وجعلت منها مدرسة جامعة اطلق عليه اسم الابنة الكبرى للملوك (السوربون) واخذ سكان المدينة ينمون حتى بلغ عددهم سنة ١٣٢٣ — ٢٧٥ الفاً وصرفت العناية منذ زمن شارل الخامس الى لويس الثالث عشر في تزيين مدينة باريز وتطهيرها وانشئت فيها فنادق جميلة

ولقد كانت القرون الوسطى على باريز كما كانت على فرنسا قرون مصائب واضطراب فاستباح الانكليز سنة ١٤٢٠ حمى باريز وحاولت الفتاة جان دارك على غير طائل ان تطردهم عنها فذهب سعيها عبثاً ومنذ سنة ١٤٠٨ الى ١٤٢٠ اكثر الارمنياكيون والبوركنيون من ذبح سكان باريز التي احتلها الانكليز من سنة ١٤٢٠ الى ١٤٣٦ وجاء طاعون جارف على

الاثر اهلك الكثير من سكانها ومع هذا لا تزداد عروس الغرب الا عمرانا ٠

وفي سنة ١٥٣٣ وضع الحجر الاول في اساس دائرة المجلس البلدي الذي هو مفخر من مفاخر البناء في هذه العاصمة كما أسس قصر التويلري المشهور عَلَى ايام شارل التاسع وعادت باريز فاه بحث ميداناً لقتل من دانوا بالمذهب البرتستانتي من اهلها وانتشرت الفتن الدينية زمناً واصبح القول الفصل فيها للمتعصبين والجامدين

وفي خلال ذلك اشتد فيها القحط فاهلك من سكانها ثلاثة عشر الفاً وكثرت الفتن عَلَى الملك وقتل بعض ملوكها وبدأ عهد لويس الثالث عشر بالارتقاء المادي والعقلي فجعلت باريز سنة ١٦٢٢ مقر رئيس اساقفة وكانت اسقفية صغرى وفي سنة ١٦٢٠ انشئت مطبعة الامة وسنة ١٦٢٦ انشئت حديقة النباتات وسنة ١٦٣٥ أُسس المجمع العلمي وانشئت بعض الشوارع والساحات وغرست بالاشجار وكثرت الحارات والاحياء الجديدة واتصل العمران بالقرى المجاورة حتى تضاعفت مساحة المدينة وعَلَى عهد لويس الرابع عشر اخذوا يضيئون الشوارع بمصابيح يجعلون فيها شموعاً وذلك في الليالي الغير القمراء

ولقد نشط هذا الملك البحث في التاريخ والصناعات والعلوم بانشاء المجامع الاثرية والصناعات النفيسة والعلوم وبترخيصه للناس ان يختلفوا الى المكتبة وكانت من قبل خاصة بالملوك فقط ٠ وكان عهد الوزير كولبر المشهور عهد عمران هذه العاصمة الذي لم يسبق له نظير وزاد سكانها حتى بلغوا نحو ٥٦٠ الفاً وعلىٰ عهد لويس الخامس عشر طبعوا اسماء الشوارع على صفائح من توتيا وجعلوها في رأس كل شارع واستعاضوا عن مصابيح

الشموع القديمة بمصابيح الزيوت

ولما جاءت ثورة سنة ١٧٨٩ كثر عمران باريز اذ اعقبت تخليص الاراضي من الكنائس والبيع لتنشأ فيها الشوارع والجادات وكثرت الابنية العامة والخاصة والمعاهد العلمية والصناعية والحدائق العامة والمدارس الكبرى ولئن كان من الثورات التي حدثت بعد ولا سيما فتنة سنة ١٨٤٨ ما نشأ عنه بعض الاضرار على العمران الا ان اهمها كانت اعظم للتعمير منها للتخريب وقد جاء عشرون الفاً من الالمان واحتلوا سنة ١٨٧١ بعض احياء المدينة عقيب الحرب التي فشل فيها الفرنسيس في موقعة سدان وعاد الالمان من حيث اتوا بعد ثلاثة ايام

وكان عهد عصابات الكومون بعد ذلك من اشأم ايام الخراب على عمران باريز فتقوض بها ٢٣٨ داراً خاصة وعامة وقتل سبعة آلاف جندي وقتل وجرح خمسمائة ضابط وقدرت الخسائر بثمانمائة وستين مليوناً من الفرنكات وكثر بعد ذلك العمران باستتباب اسباب الراحة وكان من المعارض الثلاثة التي اقامتها باريز سنة ١٨٧٨ و ١٨٨٩ و ١٩٠٠ ولا سيما المعرض الثاني الذي اقيم تذكاراً لمرور مئة سنة على الثورة الفرنسوية الاولى اعظم مظهر من مظاهر الصناعة عند الفرنسيس واول دليل على ارتقائهم التدريجي الذي لم يقف قط عن الجري

اجماليات في عمران باريز

١٢

باريز واقعة في الدرجة ٤٩،٥٠٤٨ من العرض يشقها نهر السين الى قسمين غير متساويين من الشرق والجنوب الشرقي وبتخللها في وسطها عدة آكام وجبال مهدتها حتى غدت كأنها بعض اجزائها منها مايبلغ ارتفاعه ١٠١ متر ومنها ١٢٨ ومنها ١٣٦ ومنها اقل من ذلك وتبلغ مساحتها ٧٨٠٢ هكتار ومحيطها ٣٦ كيلومتراً

وطولها من الشرق الى الغرب نحو ١٢ كيلومتراً. عرضها من الشمال الى الجنوب نحو تسعة كيلومترات وطول طرقها العامة ٨٨٨٠٠٠ متر فيكون مجموع مساحتها السطحية ١٥٣٢ هكتاراً ولها ٧٠ باباً او منفذاً منها ٥٧ باباً و ٩ طرق للسكة الحديدية وطريقان لمجرى السين وطريقان لترعة سان ديني واورك وعدد سكانها بحسب الاحصاء الاخير ٢٧٦٣٣٩٣ وباريز بالنسبة لحجمها اكثر المدن ازدحاماً اذا قيست بالمدن الاوربية ومعدل الزواج فيها كل سنة ٢٥ الفاً والولادات ٦٥٠٠٠ والوفيات ٥٠٠٠٠

وتقسم من حيث امورها الادارية الى عشرين قسماً لكل واحد منها عمدة وثلاثة او خمسة مساعدون ولباريز ٢٣٤٥ زقاقاً و ٨٢ جادة كبرى و ١١٥ شارعاً و ١٦٦ ساحة و ٤٠٦ طرق غير نافذة و ٤٦٨ ممشى و ١٥٤ قرية و ٤٩ مصيفاً و ٧١ مجرى عاماً و ٤٢ رصيفاً و ٣١ جسراً و ٤٨٠٠٠ بيت وتمتد الطرق المغروسة بالاشجار وفيها ٨٧٠٠٠ شجرة على طول ٢٧٠٣٦٣ متراً وفيها ٨١٠٣ مقاعد لجلوس الناس في الطرق والشوارع والساحات والحدائق

تضاء باريز في الليل بنحو ٥٢٣١٣ ضوء غاز و١٥٧٥ مصباحاً كهربائياً وقوة القوى الكهربائية فيها للشركات الخاصة والعامة في باريز ٢٠٣٠٠٠٠٠ مصباح كل واحد ذو عشر شمعات · ويجري ماء الشفة الى مدينة باريز في قساطل من عدة ينابيع صافية نافعة خلافاً لما يدعيه بعض المتجرين بالخمور من ان ماءها مضر بالصحة حتى ينفقوا خمورهم ومعدل مايجري منه اليها ٣١٠٠٠٠ متر مكعب يأتي الى ٨٤ الف محل من البيوت الخاصة و٧٤٣٣ مضخة للحريق و١١١٠٦٩٥ محلاً لشرب المارة ويجري اليها ماء للاستعمال غير صالح للشرب وهو للصناعات وغيرها يجري في ٦٤٦٠٠ آلة عامة

في باريز ١٦٠٠٠ عربة بالخيل واكثرها بحصان واحد والمركبة ذات الحصانين هي في الاكثر عربات خاصة بالاعيان وارباب الفنادق وفيها ١٣٠٠٠ اوتوموبيل كبير تنقل زهاء ٣٠ مليوناً من الناس في السنة و ١١٩ خطاً من خطوط الحوافل (اومنيبوس) والتراموای وفيها ٢٥٠ عجلة اومنيبوس و١٩٠٠ مركبة كهربائية تنقل في السنة مالا يقل عن ٣٠٠ مليون راكب وعشرة آلاف مركبة خاصة و ١٢٠٠٠ سيارة (اوتوموبيل) وقد كان في فرنسا في السنة الماضية ٤٤٧٦٧ اوتوموبيلاً و ٤٠٠٠٠ مركبة نقل ولا تدخل فيها الكميونات وفي باريز ١٦٠ الفاً من الدراجات و ١٠٦ مراكب نهرية تحمل نحو ٢٣ مليون راكب في السنة وسككها الحديدية المحدقة بها تحمل ٣١ مليوناً ويركب من الست محطات الكبرى فيها زهاء ٧٧ مليون راكب ومثلهم يأتون اليها

ويلزم لباريز في السنة ٢٩٢ مليون كيلو من الخبز و١٥٩ مليون كيلو من اللحم و٣٦ مليون كيلو من السمك و٦٦٩ مليون بيضة و٣١ مليون كيلو

من الطير والصيد و ٦ ملايين هكتولتر من الخمور و ٦٩٢٠٠٠ من الجعة و ١٢٠٠٠٠ هكتولتر من سائر المشروبات الروحية

وفيها ٣٠ الف فندق وحانة وقهوة ومطعم يعيش منها مئة الف نسمة ولتجارة الاطعمة ٢٤٥٠٠ محل يعيش منها ٩٠ الف شخص ولتجارة الفرش والاثاث ٣٢٠٠ محل وعدد البيوت والمخازن التي تبيع الامتعة والثياب والازياء ٩٥٠٠ محل فيها ٧٢ الف عامل وعاملة وعدد محال الاطعمة ومعاملها ٧٥ الفاً فيها ٤٣ الف مستخدم وخمسمائة الف عامل وعاملة فيكون مجموع من يعيشون من هذه المحال نحو مليون نسمة

واكبر وسائط النقل واسرعها في مدينة باريز السكة الحديدية الكهربائية تحت الارض التي يسمونها المتروبوليتين وهي تدل على عظمة العقل وآخر ماوصل اليه الانسان من التفنن وليس لهذا الخط نظير في سعته وجدته في برلين ولا في لندرا افتتح الخط الاول منه سنة ١٩٠٠ وله الآن ستة خطوط منها ماطوله عشرة كيلومترات ومنها اكثر واقل الى السبعة عشر كيلومتراً تربط اجزاء المدينة بعضها ببعض وينتقل الراكب ان احب من فرع الى فرع آخر بدون زيادة اجرة وقد تم الخط الرابع منه هذه الآونة وهو يسير تحت نهر السين ويكلف كل كيلومتر من هذا الخط ثلاثة ملايين فرنك وهو سريع نظيف رخيص يدفع الراكب في الدرجة الاولى ٢٥ سنتيما وفي الدرجة الثانية ١٥ وقد نقلت هذه السكة الحديدية سنة ١٩٠٩ : ٢٥٤٤٥٩٩٢٠ راكباً وكان عدد من اقلتهم في السنة التي قبلها ٢٢٩٠٧٠٠٥١٩ وكانت ارباحها سنة ١٩٠٨ نحو اربعين مليار فرنك فاصبحت في السنة التالية زهاء اربعة واربعين ملياراً وهم يعملون ابداً على تهويته على طريقة لاتخليه من

الهواء النقي ويذرون فيه المواد المضادة للتعفن وقد يتأذى بالركوب فيه بعض ضعاف المزاج ولكن ذلك من كثرة الازدحام فيه لا من شي آخر

علم المشرقيات

١٣

لا يتأتى لغريب عن امة ان يعرفها حق المعرفة الا اذا درس لغتها وتاريخها وآدابها. واللغة مفتاح باب كل معرفة ومقدمة بين يدي كل عمل. ولذلك كان من الراغبين في درس احوال الشرق من اهل اوربا ان يدرسوا لغاته ليحيطوا خبراً باهله وكان للغة العربية المقام الاول بين تلك اللغات لانها لغة امة ذات حضارة باهرة ودين دان به اهل الاقطار المعتدلة من صميم الشرق. فتوفروا على احكام العربية وتنافسوا في تعليمها حتى نبغ منهم اناس لم يقلوا في فهم اسرارها عن خلص ابنائها الذين نشؤا في حجرها واحكموا ملكة نظمها ونثرها وكان لفرنسا من بين ممالك الغرب يد طولى في هذا المضمار. وكل مملكة من ممالك اوربا واميركا لا تخلو من افراد من اهلها انفسهم يعانون حل معضلات لغة العرب وينسلون الى تاقفها من كل حدب

ولقد دعوا تعلم هذه اللغات وما ينبني لها علم المشرقيات او الاستشراق والمشتغلين بها علماء المشرقيات او المستشرقين وقديماً كان العارفون من اهل هذا الشأن من الفرنسيس اكثر من غيرهم وقد اصبحوا اليوم واكثرهم من الالمان. والالمان امهر الغربيين في النطق باللسان العربي واكثرهم نبوغاً فيه وعند الالمان من علماء المشرقيات بقدر ما عند الفرنسيس والنمسويين والمجريين والايطاليين والهولانديين والانكليز والروس والاسبانيين والبرتقاليين

والاميركيين والبلجيكيين كثرة عدد وحسن معرفة ولا عجب فالالمان نبغوا في كل شأن من شؤون الحياة والعلم والصناعة ودرس العربية كان له النصيب الاوفر من عنايتهم ·

وقد اشتهرت في فرنسا الجمعية الآسياوية ومدرسة اللغات الشرقية الحية وقد درست احوالها وزرتهما غير مامرة وهاءنذا الخص للقاريء ماعرفته عن الجمعية الآسياوية بواسطة صديقي المسيو لوسين بوفا احد الاعضاء العاملين العالمين في الجمعية المشار اليها فقد كتب اليّ ماتعريبه : ان فكر تأسيس جمعية علمية تعنى بدراسة الشرق قد جرى البحث فيه منذ اواسط القرن الثامن عشر ولكنه لم يتم الا بعد زمن طويل · فقد انشئت الجمعيات الاولى للباحثين في المشرقيات خارج اوربا مثل جمعية العلوم والفنون في باتافيا (١٧٧٨) والجمعية الآسياوية في البنغال (١٧٨٤) والجمعية الآسياوية في بومباي (١٨٠٥) ومنذ ذاك العهد أنشئت في اوربا واميركا عدة جمعيات للمستشرقين ولكن اقدمها عهداً الجمعية الآسياوية في باريز أسست سنة ١٨٢٢

وعلى ذلك العهد رأى جماعة من مستشرقي الفرنسيس ان الحاجة ماسة الى ان يجتمعوا او يجمعوا مواد الدروس المختلفة الضرورية لهم وان يصدروا مجلة تكون لسان حالهم وقائمة اعمالهم · وكان المسيو دي لاستي انشط هؤلاء العلماء وبفضله أسست الجمعية الآسياوية التي ناب في رئاستها اقرب من ثلاثين سنة وكان الرئيس اذ ذاك سلفستردي ساسي احد اعضاء المجمع العلمي واستاذ مدرسة فرنسا ومدرسة اللغات الشرقية وهو اعظم من خدم الامة العربية في فرنسا وربما كان اعظم مستشرق نبغ ونفع من الفرنسيس وكان من

مؤسسي الجمعية ايضاً كوسان دي برسفال وكارسين دي فاسي ورموسا

فبدأت الجمعية اعمالها لاول تأسيسها بنشر المجلة الآسياوية التي اختصت بالبحث في لغات الشرق وتاريخه وعلومه وآثاره ولا تزال الى اليوم نموذج العلم الراقي وسيدة المجلات الاخصائية في فرنسا

وانشأت الجمعية خزانة كتب جمعت فيها كل ماوصلت يدها اليه من الكتب والمخطوطات والرسوم وغيرها مما يفيد العلماء من اعضائها وجمعت ايضاً مجموعات من النقود القديمة والتحف البديعة · ونشرت مصنفات في تاريخ الشرق واصول لغاته وفلسفته واديانه وطبعت على نفقتها عدة مصنفات وساعدت كثيرين مساعدات ادبية ومادية على نشر الكتب النافعة وكان نشر المخطوطات وترجمتها من اهم الاعمال التي تعنى بها · وخصت جلساتها في سماع المراسلات والمناقشات العلمية النافعة كما عنيت بمراسلة العلماء الاجانب على الدوام والانتفاع بآرائهم واعمالهم ·

واذ قد ظهرت منافع الجمعية الآسياوية سنة ١٨٢٨ عادت بعد ان ضعف امرها بضع سنين الى مكانتها الاولى ولم تلبث ان قويت عن ذي قبل وانتشرت كلمتها فرأسها امثال سلفستر دي ساسي ثم جوبر ورينو وموهل وكارسان دي تاسي ورنيه ورنان وباربيه دي مينار وسينار · ومن جملة رؤسائها الثانويين كوسين دي برسفال وبارتلي سان هيلير ودفرني وبوربه دي كورتيل وماسبرو وربنس دوفال وبين امناء سرها ابيل ريموزا وجايمس ودار مستتير وشافان

تنقلت الجمعية منذ تأسيسها في عدة اماكن ومنذ سنة ١٨٨٣ اتخذت لها مقراً في بناء ملاصق للمجمع العلمي وذلك بفضل رئيسها اذ ذاك رنان

الفيلسوف المعروف ونالت من الحكومة الفرنسوية عدة معونات رسمية ومنحت الجمعية مكتبة الامة الكبرى عدة كتب ومخطوطات وغيرها من النفائس ولا سيما المخطوطات التي اتت بها من الهند والمجموعة التبتية وكتب الديانة البوذية ٠

وما عدا المجلة الآسياوية التي تصدرها الجمعية في نحو مائتي صفحة كل شهرين ويتألف منها مجلدان كل سنة فقد نشرت على نفقتها ٢١ مصنفاً تتألف من نحو ٤٠ مجلداً وبعض هذه المصنفات طويلة الذيل مثل مروج الذهب للمسعودي نشرته بنصه العربي وترجمته الى الفرنسوية وهو في تسع مجلدات ونشرت رحلة ابن بطوطة في اربع مجلدات وكتاب الماهافاستو في ثلاث مجلدات

وهذه الجمعية تمنح كل سنة معونات لبعض المؤلفين في الموضوعات العلمية ٠ واعضاؤها اليوم ٢٥٠ عضواً منهم ٢٦ من الاجانب وهي تبعث بمجلتها الى نحو مئة جمعية علمية ومدرسة جامعة او مجلة دورية والى ثمانين مكتبة من مكاتب العالم على يد نظارة المعارف الفرنسوية وللمجلة ١٣٠ مشتركاً ليسوا من الداخلين في الجمعية ٠ وقد بلغت وارداتها سنة ١٩٠٨ : ٢٥٦٣١ فرنكاً و ٦٦ سنتيماً وفي مكتبتها نحو اثني عشر الف مجلد من الكتب و ١٥٠٠ صفيحة و ٢٠٠ كتاب مخطوط وفيها مجموعة من النقود القديمة اه

هذا اجمال حال الجمعية الآسياوية وفيها من الاعضاء من لا فائدة منهم ولا رابطة بينهم وبين الغرض الذي ترمي اليه الا انهم يؤدون الراتب السنوي المضروب عليهم ويتناولون المجلة لقاء ذلك وكثير منهم لا يعرفون من احوال الشرق ولغاته واصول سكانه اكثر مما نعرف نحن عن الصين وتبت

اما مدرسة اللغات الشرقية الحية وهي التي تقرئ مبادىء اللغات الشرقية وهي مخرج لاعضاء هذه الجمعية وغيرهم ممن يتولون القنصليات والترجمة والسفارة عن حكومتهم في بلاد الشرق فاسمها فيما ارى اكثر من نفعها وما دامت فرنسا تراعي الخواطر في توسيد وظائف التدريس لغير الاكفاء فان تعليم اللغات الشرقية يبقى صورياً لا حقيقياً . وهيهات ان ينشأ لفرنسا وهي على هذه الحال امثال المستشرقين الاول من ابنائها الذين باهت بهم الامم مادامت سوق الشفاعات رائجة عندها .

درس من سلانيك

١٤

بينا كنت مأخوذاً بما اشاهده من مظاهر عظمة الامة الفرنسوية واقرأ مثالاً مجسماً من الارتقاء الغربي ولا افرغ ليلي ولا نهاري من زيارة المعاهد العلمية وحضور الدروس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية واغوص في مكاتب باريز ولا سيما مكتبة الامة ومكتبة السوربون وبينا تكاثرت عليّ المواد وانا لا اعرف باي لسان اعبر ولا باي قلم احبر وبينا انا افكر في بلادي وما يجب عليّ ان اكتب لها مما تأثرت به عواطفي واخذ بمجامع قلبي حمل اليّ البريد من سلانيك كراسة باللغة الافرنسية من قلم صموئيل سام افندي ليفي رئيس تحرير جريدة سلانيك الفرنسوية وهي محاضرة القاها في نادي الاتحاد الرياضي في ذاك الثغر اواخر الشهر الماضي عقيب عودته مع جماعة العثمانيين الذين ذهبوا لزيارة بلاد النمسا والمجر منذ مدة فرأيت ان الخصها للقراء ليعلموا ان تأثر العثمانيين واحد عند زيارتهم الديار الاوربية وان ابن سورية

اذا اقامه ماشاهده في غربي اوربا واقعده بما فيها من آثار العمل والجد فان ابن مكدونية لاينقص عنه تأثراً في ماشاهده من اواسط اوربا وشعور ابناء الوطن واحد . قال الكاتب السلانيكي :

في سنة وعشرين يوماً ساح مائتان وخمسون رجلاً من اهالي الاستانة وسلانيك وازمير وغيرها من مدن الداخلية سياحة كبرى قطعوا فيها ٤٥٠٠ كيلومتر في السكك الحديدية و ١٥٠٠ في البواخر والعجلات والسيارات وعلى الارجل فوقفنا في خمس وعشرين مدينة كبرى وصغرى وزرنا نحو ١٥٠ داراً صناعية ومعهداً علمياً او مدرسياً وفنياً واداريا ومتحفاً وغيره وحضرنا مئة دعوة وغيرها اقامتها لنا ١٥ جمعية و ٢٥ غرفة تجارة وحكومة النمسا والمجر فلم يبق من تلك الرحلة التي تذكرنا السائحين جول فرن ومااين ريد الا ان نذكر شيئاً من ذلك الحلم الذي مر علينا في رحلتنا ونثبت من تلك الاشباح لنحسن الانتفاع بها في مادياتنا وتكون لنا علماً ودرساً نافعاً ولقد كانت غايتنا من رحلتنا اقتصادية ندرس دور الصناعات والاوضاع التجارية والمدرسية والادارية عن أمم ولكن المسائل الاقتصادية والاجتماعية كما قال البارون هلوموتسكي فيما خطبنا به لها مساس كلي بالمسائل السياسية وبينها روابط ولوازم ولا سبيل الى البحث في الاولى مع اغفال الثانية .

ولقد كنا نقضي العجب من كل مايقع نظارنا عليه حتى كنا نتساءل عما اذا كان ماتقع عليه انظارنا من مدهش الاعمال هو من صنع ايدي البشر وهم الذين قاموا بهذه العجائب وبحق ماقاله النائب الدكتور رضا توفيق رئيس جماعتنا السائحين عندما غادر النمسا ان اغنى اللغات عاجزة عن بيان الشعور الذي نتأثر به كلنا كما ينبغي لما لقيناه من الحفاوة الخارقة للعادة مدة مقامنا في

بلد بلغ هذه الدرجة من الرقي · نعم لقد تجلت لنا بلاد النمسا والمجر ممالكة دخل اليها التجديد من كل اطرافها وتناول كل فرع من فروع اعمالها الخاصة والعامة ·

وكثيراً ما اتفق لنا ان زرنا معهدين او ثلاثة في فرع من فروع الصناعة وفي اقاليم مختلفة فكنا نجد في كل منها ماعدا اساليب العمل التي يقضي بوجودها العلم اعمالاً كمالية تابعة وتحسينات خاصة ومحلية تدل على الاقدام الذاتي وقوة ارادة شخصية وحب في البحث وكلها ظواهر محسوسة لعمل عام ونشوء متواصل · كنا نشهد ذلك في كل الفروع الصناعية والفنية والمدرسية والانسانية · ولكثرة عنايتنا بالسؤال عن معاهد الاحسان ومعونة العملة ترآى لنا ان النمسا في مقدمة الامم في هذا الباب ومن ذلك ان ٤٢٠٠ من العملة العاجزين يعيشون في لاينز بالقرب من فينا لا على قدر الكفاية فقط بل يعيشون كما يعيش الملوك · وما ننس لا ننس ملجأ المرضى العصبيين في شنهوف وفيه ٣٦٠٠ عامل يعاملون كما لو كانوا في قصور ملكية وهم موزعون على ٦٤ بناية في مسافة من الارض تتجاوز مساحة مدينة سلانيك وقد صرفت عليها حكومة النمسا السفلى ستين مليون كورون فقط لا غير

وبينا كان رفقائي في رحلتي يدهشون من زيارة المعامل والمصانع ودور الصناعات على اختلاف انواعها في بلاد المجر والنمسا ومورافيا وبوهيميا وستيريا وغيرها كان يلفت نظري خاصة منظر اتفقوا على تسميته باسم مملكة هابسبورغ · فان هذه المملكة هي في الحقيقة رقعة شطرنج فيها غرائب الفسيفساء من العناصر المختلفة والوطنيات الغير المتجانسة ولكن هذه الجماعات على اختلاف اصولها قد اجتمعت ليكون مجموعها مثال جمال ولطف وتنوع

وما كانت وحدة هذا المزيج الا نتيجة نظام الحكومة المركزية وحسن مأتاها وبعد نظرها فرأت ان تترك لكل قوم استقلالا اداريًا كان غاية الغايات في ابداعه وبذلك توقت الصدمات الهائلة ولم يحدث حتى الآن مايكدر صفو الراحة · وهذا الرأي في توسيع سلطة الاقاليم لم يكن منه الوحدة الجوهرية فقط لما فيه من احترام القوميات بل نتج منه ارتقاء خارق للعادة في جميع فروع العمل وذلك ان كل قطر له من نفسه غنى طبيعي غزير ورجال نوابغ اذكياء هم خيرة رجاله فاستطاعوا الانتفاع بها حوت بقاعهم وكان من ذلك ان استمتع كل جماعة بما لهم من الحقوق فنشأت المنافسة بين العناصر المختلفة واخذت كل واحدة منها تضاعف عنايتها وتكثر من جهادها فاوجدوا بذلك مجموعة من بدائع الاعمال منوعة الاساليب تمت في عامة فروع الجهاد الانساني وكان ذلك من اهم المشاهد واجملها التي وقع نظرنا عليها في رحلتنا واحسن معلم لنا معاشر العثمانيين

تألفت مملكة هابسبورغ من زواج امراء بعضهم من بعض علَى حين كانت الانقسامات الداخلية سببًا لضعف تلك المملكة ولطالما طمحتها مطامع جيرانها واعتداؤهم ولكن لما عزمت الحكومة ان تمنح العناصر المختلفة التي يتكون منها جسم المملكة دستورًا قائمًا علَى المبادئ الحرة في مراعاة الحق العام الحديث بدأ نهوضها وارتقاؤها الى الامام

فعلى نواب العثمانيين في مجلسنا النيابي ان ينظروا في أمر العناصر العثمانية ويحلوها كما حلتها النمسا والمجر التي كانت في حالة اشبه بحالتنا اليوم منذ نصف قرن فاحسنت حلها علَى مايجب فهي سابقتنا في هذا الباب وما علينا الا ان نأخذ عنها وبذلك نأمن العثرات ولا نسير على غير هدى

وهنا التفت الى رفاقي في الرحلة الذين دخل عليهم اليأس من ارتقائنا مما شاهدوه من الشوط البعيد الذى قطعه جيراننا

فاقول لهم ان ماشاهدناه عندهم ليس الا ثمرة عمل عظيم وجهاد منظم وارادة قوية واساس راسخ واذا احببنا ان نبلغ بامتنا مبلغهم فما علينا الا ان نمد نحن يد مساعدتنا للدستور ونستخدم جميع القوى الحية في الامة وان تعمل الحكومة عملا فعالا لما فيه انهاض الشعب كما علَى الشعب ان يعمل لمعاضدة الحكومة الصالحة وبالجملة ان يعمل كلاهما بل يعمل الكل للواحد والواحد للكل ويعرف كل الواجب عليه ونكران النفس والمفاداة

وهنا خاض الكاتب في مسألة نهوض العثمانيين وانها موقوفة علَى التعليم واننا لانفلح الا اذا حذونا علَى الاقل حذو البلاد التي كانت تابعة لنا بالامس كممالك البلقان مثلا وارسلنا من شباننا من يتعلمون العلوم الكاملة في كليات الغرب فمن اعظم نجاح تلك الامارات انها مازالت منذ زهاء ربع قرن ترسل بشبانها الى كليات العلم حتى لاتكاد تدخل كلية في اوربا الا وتجد منهم كثيرين وهؤلاء هم الذين استلموا زمام الاعمال في بلادهم ونفخوا فيها من ارواحهم ولسنا نضطر الى الاجانب لتعليم اولادنا في بلادهم بل يجب ان نجلب رجال الصناعات والعلم منهم يؤسسون في بلادنا مدارس ودور صناعات كما نحن في حاجة الى رؤوس اموال الاجانب لاستخدامها في اعمالنا ومشاريعنا وان نكون في سياستنا الاقتصادية كما قال ارنست لافيس المؤرخ الفرنسوي في تعريف السياسة انها علم خديعة غيرك وانت تظهر بانك تحملهم علَى الاعتقاد باننا لا ندرك بانهم خدعونا او انهم يحاولون خداعنا

نظرة في نخب الذخائر في احوال الجواهر

« تابع »

صفحة ٣٨١ سطرا الافرنجة — افرنجة . وسطر ١٠ هو جوهر — حجر = وعدم الانفصال — الانفعال . وسطر ١٤ الاحمر بقوس قزح — الاحمر الشبيه بقوس قزح . وسطر ١٩ اصفحة اسرب — صفيحة اسرب وسطر ٢٠ قيمة هذا — قيمة هذه . وسطر ٢٤ ناصر الدين الترمذي — الزمردي

صفحة ٣٨٢ سطر ٢ وان ابتلع منه شيئاً — وان ابتلع منه شيء وسطر ٨ عند التدقيق — عند التدقيق في النظر . وسطر ٩ لجواز أن يكون — وفي المشرق والجواز أن يكون والأولى أولى . وسطر ١٤ تلك المغائص وهكذا في المشرق — المغاوص . وسطر ١٥ مغاص اول — مغاص أوال . وسطر ٢١ تغلب الرصاصة — الرصاصية . وسطر ٢٦ الاخواني الرازيان — الاخوان الرازيان .

صفحة ٣٨٣ سطر ٤ وهو دونها شكلاً — وهو أدونها شكلاً . وسطر ٥ للنقي البياض — النقي البياض = واذا فاز — زاد . وسطر ٦ اذان — فان . وسطر ٧ و٨ سقطت كلمة النظم من آخر السطر السابع الى آخر الثامن وابدلت بكلمة الا في السطر الثامن . وسطر ١٧ يبلغ مثقالاً ونصفاً وفي المشرق مثقال ونصف وهو غلط . وس ١٨ تضاعف قيمته وفي المشرق يتضاعف قيمته والأولى أولى = قياس الجواهر في نسختي المقتبس والمشرق — وفي نسختي قياس سائر الجواهر . وس ٢٥ يودع إليه مشروحة وكذا في المشرق — يودع أليه مشروحة وهو المراد .

صفحة ٣٨٤ سطر ٧ ثم نقل الى قدح — ثم ينقل الى قدح وس ٩ ثم تلف فوقها عجين — ثم يلف فوقها عجين وس ١١ غلي — أغلي . وس ١٢ سقطت هذه العبارة برمتها من نسخة المشرق وهي (ويطلى به طلياً ثخيناً وتودع جوف عجين قد عجن بلبن حليب) وسطر ١٣ و يخبز في التنور — ويخبز . وس ١٥ مع حبتين تنكار وهكذا في نسخة المشرق — مع حبتي تنكار . وس ٢١ اسود ولا صفرة — سواد ولا صفرة = ولا تفوت — ولا تفوث (١) . وس ٢٤ يرغبون لما وكذا في المشرق — يرغبون بما

صفحة ٣٨٥ سطر ٢ اذا مادة — اذا مسه وس ٣ القيحة — القيمة . وس ٥ — الطاووسية التي تكون في المروج وكذا في المشرق — الطاووسية اللون التي تكون في

(١) التفوث جمع تفث بمعنى شعث او اغبرار

المروج الخضر ٠وس ٨ الافاعي وخاصية وكذا في المشرق — الافاعي بوجه وخاصية = ولدغ العقارب وفي المشرق لدغ والاولى أصح ٠ وس ١٢ المطلقة — المطلوقة وهو المراد ٠ وس ٢٧ كذلك يحيى بالشحم والالية ٠ وفي المشرق فانه يحيى بالشحم أولألية (٢) — كذلك يحيا بالشحم والألية وهو المراد

صفحة ٣٨٦ سطر ٢ لدغة العقرب وفي المشرق لدعة والأولى المرادة هنا ٠ وس ٣ العين المحرقة — العين المخروقة ٠وس ٨ أبن ابي الاشث ٠وفي المشرق ابن ابي الاشعب٠ وس ١٠ من خزائن الزنج وكذا في المشرق — من جزائر الزنج = ومن نواحي بذخشان وكذا في المشرق — ومن نواحي بدخشان ٠وس ١٣ زنتها مائة رطل وفي المشرق زنتها مائتا رطل — زنة مائتي رطل ٠ وس ١٩ ما غلبت عليه الوردية وفي المشرق ماغات عليه الوردية والاولى اصح ٠ وس ٢٦ افرندي — فرندي ٠ وس ٢٧ ومنه معزل — ومنه مغربي

صفحة ٣٨٧ سطر ٥ « ويقال يشم منه مجلوب ٠٠٠ الى قوله والمستخرج منه كدر » وفي المشرق اختلاف عن النسختين وهذا ما جاء فيه (مشرق ١١ : ٧٦٣) « اليشب ويقال يشم منه مجلوب من بلاد الترك من ناحية ختن والوانه ابيض وأصفر وزيتي وهو افضلها ومن مستخرج من وادبين يسمى احدهما قاش ويستخرج منه ابيض فائق ويسمى الآخر واقاش والمستخرج منه كدر » وفي المقتبس بدل قاش فاش والاولى في نسختنا ٠وس ١٠ تعليقات عليها — تعليقاً عليها ٠ وس ١٢ الغازدهر وفي المشرق الفاذزهر — الفادزهر ٠ وس ١٧ واذ انثرت — واذا نثرت ٠ وس ١٩ عَلَى درهمين كندر وكذا في المشرق — عَلَى درهمي كندر ٠ وس ٢٠ الاباپيل — الايائل ٠ وس ٢١ في مر يرها في — مرائرها٠ وس ٢٢ لونهُ بين الخضرة والغبرة وفي المشرق لونهُ من الخضرة والغبرة ٠ والأولى اولى ٠ وس ٢٣ البلوط منه — البلوطة منه ٠ وس ٢٤ وسحالة الخالص بيضاء ٠وفي المشرق وسحالة الخالص — وسحالة الخالص منه بيضاء وس ٢٥ عَلَى سبيل الاحتياط وفي المشرق عَلَى الاحتياط ٠ وس ٢٦ المجزومين — المجذوبين

صفحة ٣٨٨ سطر ١ جلاء ٠ وحيا — جلاء وحياً اي مربعاً ٠ وس ٨ و ٩ ما كان وزنه مائة درهم فقيمته من مائة دينار الى مائة وخمسين ديناراً وفي المشرق (١١ : ٧٦٥ سطر ٢) ما كان وزنه مائة دينار الى مائة وخمسين ديناراً وهو خطأ ظاهر — ما كان

(٢) هكذا وردت حروفها مرتبة ومحركة

وزنة درهم نقيته من ٠٠٠٠ وسطر ٩ وجرب من دخان وفي المشرق وجرب مع دخان

هذا ما تمثل للذهن القاصر من معارضة النسخ الثلاث استجلاء للحقيقة ومحافظة على عبارات المؤلف الاصلية وثبتاً في النقل خشية ان ينقل شيء من هذا الكلام ويشوبه اقل تغير فيبعد عن أصله وتفوت الفائدة وما على الناقل والناسخ الا أن يبقي الاصل على علاته ولعل القراء يرشدوننا الى نسخة صحيحة والله الهادي الى الصواب والملهم السداد بمنه وكرمه

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

سير العلم والاجتماع

ضخام الاجسام

قالوا ان الاصحاء من ضخام الاجسام هم اسعد حالاً من النحاف وان السمين يسعد أسرته وزوجته اكثر من المهزيل فلا يهتم بالجزئيات كالنحيف ويساعد زوجه في الامور البيتية اما المهزيل فانه في الاغلب يعتقد ان اعباء الامة عليه وانها تهلك اذا لم يساعدها ويفكر لها. وقد نصحت المجلة التي نعرب عنها لكل فتاة تريد ان تحيا حياة طيبة مع زوجها ان تختاره من السمان حتى يكون لها خير كفوء ولا ينغص عليها عيشها كما يخشى ان ينغصه النحيف .

اصل المظلات

كانت المظلات مستعملة عند الفرس والاشوريين والمصريين والرومانيين وبقيت زمناً دليل القوة والعظمة في كل قطر ولم ينتشر استعمال المظلات في اوربا الاسنة ١٦٨٠ وفيها انتشر استعمال المظلات للمطر فكانوا يؤجرونها للمارة من الساحات والجسور ثم كثر استعمال المظلات وابتذلت ولكنها لم تتغير عن حالتها بل كان ينظر فيها الى اللطافة وجمال قماشها وحسن قبضتها

اقدم شجرة

في جزيرة كوس من شاطيء آسيا الصغرى قامت الى اليوم اقدم شجرة في العالم وهي دلبة اقرأ في ظلها ابقراط مؤسس الطب تلامذته. واذ كانت قديمة حتى في ذاك الزمن فلا يتيسر ان يقال ان عمرها الآن اقل من الفين وخمسمائة سنة ومحيط جذعها عشرة امتار ولا تزال اغصانها كل ربيع تغطى بالورق وقد انشئت لها دعائم من القرميد ليجعل

عليها اكبر اغصانها

ممثلو الفرنسيس

من اعظم دور التمثيل في فرنسا الاوبرا والاوبرا كوميك في باريز فالاولى تأخذ من الحكومة ثمانمائة الف فرنك اعانة سنوية والثانية ثلثمائة الف ومع ذلك لاتكاد تجد في ميزانيتها زيادة كبرى في الدخل من الخرج لانهما يدفعان رواتب باهظة للممثلين والممثلات . فتدفع الاوبرا للمسيو الفارز ٢٢٠٠ فرنك كل ليلة اي ١٢٨ الفاً عن ٦٤ ليلة في السنة وتدفع لغيره من الممثلين رواتب تختلف في السنة بين ٨٥ الفاً الى ٣٠ الفاً وعن كل ليلة يغني فيها كاروزو عشرة آلاف فرنك وتتناول كل من العقيلة مارغريت كاري والآنسة ... تنال اربعة آلاف فرنك في الشهر وهكذا لايقل راتب الممثلة او الممثل في الاوبرا كوميك عن الف فرنك في الشهر .

التدخين

قالت مجلة الحياة البيتية بمناسبة الضريبة التي وضعتها المانيا على انواع الدخان ان فرنسا ايضاً تفكر في وضع ضريبة ولكن على الدخان الجيد تبيع بما قيمته ٩٠٠ و ٩٨٨ و ٥٠٥ فرنك في السنة وان عادة التدخين تضر بالاحداث كثيراً كما ان التدخين لايضر الضرر البليغ الذي يتصوره بعضهم فان ملايين من البشر يدخنون ولا شيء يصيبهم سوى انفاق دراهمهم وان كثيراً من الفلاسفة والعلماء والشعراء لايدخنون ومنهم من يدخنون وان فرنسا تحسن صنعاً لو اعلنت الحق الكل وطني ان يقبض على كل صبي يراه يدخن لما في ذلك من الضرر على جسمه كما ان في انكلترا يحق لكل انكليزي ان يأخذ بتلابيب كل صبي يسير على هواه و يعمد الى الكسل ولا يستعمل في العمل الصالح قواه

سقوط الشعر

اخترعوا في المانيا دواء بسيطاً لمنع الشعر من السقوط وذلك بان تأخذ مائتا غرام من جذع القراص (قريص) وتسحقه سحقاً جيداً وتغلى في لتر ماء ونحو نصف لتر من الخل الجيد و يصفق هذا المحلول فيفرك كل يوم محل الشعر

الصحافة

قالت مجلة النجاح ما مثاله معرباً : عرّف لاروس في معجمه ان الصحافي هو الذي يشتغل لتحرير جريدة وهذا التعريف لا يخلو من ابهام وغموض وذلك ان الواجب على الصحافي ان ينظر في جملة ما يتحتم عليه النظر فيه من الرسائل الواردة على ادارته و ينظمها

بحسب الاحوال الداخلية وان يسارع في عمله ويكون مستعداً ابداً لاملاء الفراغ الذي يقضى عليه احياناً ان يملأه لان الجريدة وقتاً معيناً تصدر فيه ولا مناص من تأخيره · فالمطلوب منه شيء كثير اكثر مما يطلب من غيره من ارباب الصناعات ما عدا الطاهي فان صناعة الطابخ اشبه بصناعة الجرائد من عدة وجوه فيطلب الى الطابخ اشياء كثيرة كما يطلب من الصحافي ووجه الشبه بينهما لايخلو من فروق فان الاول يغذي الاجسام والثاني يغذي العقول والفرق بينهما ان عدد من يقضى على الطاهي اطعامهم محدود اما عدد من يغذيهم الصحافي فكثير جداً قد يبلغ مئات الالوف ·

ثم ان للصحافي جمهوراً كبيراً من الحانقين ممن لا يعرفون للشفقة معنى ولا يقيمون للرأفة وزناً واعني بهم من يعتقدون انهم يحسنون معرفة كل شيء اكثر من غيرهم فالصحافي يقاسي الامرَّين من اهل هذه الفئة

يأتي الصحافي في الصباح الى مكتبه فيجد امامه بريده يغطي منضدة التحرير وفيها ادلة على قلة حظوته من الناس فمنهم من يكتب اليه ليتك تعنى عناية كبرى باحوال المجلس البلدي وآخر يقول له : كفَّ عن مراقبة كل ما يحدث في البلدية وثالث يقول له ان السياسة لاتهمني فاذا انت لم تعن كثيراً بالحوادث المحلية اضطر الى الاشتراك بجريدة غير جريدتك ورابع يقول له العكس ويريده على ان يكثر من مؤازرته في المسائل السياسية والابتعاد عن سفساف اخبار المدينة · ومنهم من يقول لماذا لا تكثر من نشر الشعر فمتى عزمت على النشر فانا اقدم لك قطعاً من شعري ومنهم من ينتقد نشر الجريدة للنمر الرابحة في اليانصيب ويوعز الى صاحبها ان يستعيض عنها يوم لا شيء له يملأ به فراغه بقطعة من رواية يجعلها رفرفاً للجريدة ومنهم من يأمر محرر الجريدة ان يحذف بالمرة صفحة من تلك القصص الغرامية التي لافائدة منها

وهكذا يدرس الصحافي رأي قرائه من احكامهم على مقالاته واخباره والانكى من ذلك ان بعضهم يوجهون هذا النقد الى مديري الجرائد واصحابها وهؤلاء يعتقدون ان اقل نقد يوجه الى جريدتهم يوقف رواجها وربما يقصر حبل اجلها ويقضي على الصحافي اذ ذاك ان يفهم صاحب الجريدة وهناك المصيبة لانه يكون في الاكثر من رجال المال فقط ولا يهمه سواه ·

ولا تنتهي آلام الصحافي بخروجه من غرفة التحرير بل انه اذا دخل محلاً قهوة ليستريح لا يلبث ان يراه بعض من يعرفونه فيحومون حوله معتقدين ان الفرصة قد حانت

لنصحه ويأخذون في نقد العدد الصادر ذاك النهار فاذا لم يسلم لهم بانتقادهم يزيد الى اعدائه اعداء

وبعد فان الارض لا يحرثها الا الفلاح والجنود لا يقودها الا ضابط والشعور لا يقصها ويزينها الا الحلاق ولكن الجريدة يعرف كل الناس ان تكتبها وتنتقدها . نعم الجريدة يحسن تحريرها كل طالب في مدرسة وكل فتىً شاب وكل قاعد في قهوة وكل معجب برأيه سخيف في عقله الا الصحافي فكأن كل القراء يخلقون والقلم وراء آذانهم

وهناك شؤون من مؤلمات الصحافي تعوق القرائح عن جريها واعني بذلك اذا اخطأ ذات يوم وحمل على احدهم فعندها تقام عليه القضية حتى اذا عاد يغضب الله عليه ويسجن فلا يرثي له احد . وللصحافة حسنات ولكنها قليلة جداً وذلك ان اعتقاد الصحافي يكون في الاكثر ان يخدم الحضارة ويعد العقول ولكنه كثيراً ما يضطر ان يكتب غير ما يعتقد بحسب الحال ومع ان راتبه قليل ولا تجد في الجرائد الا عدداً قليلاً تدفع رواتب حسنة للصحافي فالقسم الاعظم منها يدفع في السنة لرئيس التحرير من ٢٤٠٠ فرنك الى ٦٠٠٠ فرنك ومن الجرائد ما يستغني عن المحررين ومع كل هذا فان الصحافة مرغوب فيها كثيراً بما حوت من الظواهر والمظاهر ولان كل من خانهم الحظ فلم يقدروا ان يعتاشوا في صناعة اخرى يرون من انفسهم الكفاءة لانشاء الجرائد اه .

الحصاد في العالم

في شهر كانون الثاني يبدأ الحصاد في معظم مقاطعات اوستراليا ويشرع بنقل الغلات الجديدة في البحار كما يبدأ بالحصاد في هذا الشهر في كل من زيلاندا الجديدة وشيلي وبعض اقطار اميركا الجنوبية . ويبدأ الحصاد في شهر شباط في مصر والهند ويبقى الى اواخر آذار وفي نيسان يبتدأ بالحصاد في سورية وقبرص وعلى شواطئ مصر وكوبا والمكسيك وايران وآسيا الصغرى وفي ايار تحصد الغلات في آسيا الوسطى وايران وآسيا الصغرى والجزائر وسورية ومراكش وتكساس وفلوريدا والصين واليابان وفي حزيران تحصد الغلات في كليفورنيا واريغون والولايات الجنوبية من اميركا الشمالية واسبانيا والبرتقال وايطاليا والمجر والروم ايلي وروسيا الجنوبية وممالك الطونة وجنوبي فرنسا واليونان وصقلية وكانتوكي كانساس وكولورادو وغيرها . وفي شهر تموز يشرع في العادة بالحصاد في ولايات الجنوب الشرقي والوسطى من انكلترا ويدوم في اوريغون ونبراسكا ومينوستا وايوا وايلينوا واندبانا ومشيغان واوهيو وانكلترا الجديدة ونيويورك وفرجينيا

وكذا العليا وفرنسا والمانيا والنمسا وايطاليا وسويسرا والمجر وبولونيا ويدوم الحصاد في شهر آب في بريطانيا وفرنسا والمانيا والبلجيك وهولاندة ومانيتوبا وكندا السفلى والمانيا وبولونيا . وفي ايلول يشرع بالحصاد في ايكوسيا من بلاد الانكليز واميركا والسويد وشمالي روسيا وبعض فرنسا ايضاً وفي تشرين الاول يحصدون الحنطة والقرطمان في ايكوسيا والذرة في اميركا وفي تشرين الثاني يشرعون بالحصاد في جنوبي افريقية (بلاد الراس وغيرها) وبيرو وشمالي اوستراليا وفي كانون الاول يشرع بالحصاد في ولايات لابلاتا وشيلي واوستراليا الجنوبية

تقويم الهواء

اذا رأيت الكواكب في الصيف تتلألأ وهي كثيرة فهي اشارة الى صفاء الجو وفي الشتاء علامة على البرد . فاذا فقدت لمعانها بدون ان تظهر السماء غائمة فذلك اشارة الى المطر . ولمعان ضوء القمر دليل على الصحو واذا احاطت به الهالة البيضاء فدليل المطر . متى سطعت الشمس عند الشروق طاردة امامها الابخرة البيضاء التي تبدو عند الفجر فذلك اشارة على ان اليوم مصح ومتى اشرقت الشمس وبدا معها في الافق ضوء اصفر محاط بالضباب فذلك علامة المطر ومتى غابت وبدا معها لون ذهبي قليل الحمرة والسماء صافية الاديم فذلك اشارة الى جودة الهواء واذا اخترقت اشعتها السحاب عند الغروب وبدت في باقات مستطيلة تماس بعضها مع بعض فذلك اشارة المطر . والسحاب الذي يقرب من الارض بعد المطر يدل على الصحو والسحاب الذي يشبه كبب الثلج علامة الهواء في الصيف والثلج في الشتاء والسحاب الغليظ الاسود الذي يبدو في صورة منحدرات وجبال اشارة الى العواصف والضباب الذي يحدث خلال الصحو ويرتفع تاركاً وراءه سحباً دليل رداءة الهواء ويشعر الهواء الشمالي والشمال الشرقي والشرقي والجنوب الشرقي بصفاء الجو وهواء الشمال الغربي والغربي ولا سيما الجنوب الغربي والجنوبي يؤذن بالمطر . وضباب الصيف الذي يبدو صباحاً يبشر بصحو النهار والضباب الذي يرتفع بدلاً من ان يتساقط ندى يدل ابداً على المطر والضباب الذي يبدو في الوقت الرديء يدل على ان الصحو قريب وضباب الخريف مقدمة للجليد الاول ومتى اخذ البط يقفز ذات اليمين وذات الشمال في الصحو صائحاً وغائصاً في الماء وتمرغ الدجاج في التراب وطار السنونو محوماً على سطح الماء فلك ان تحكم بان المطر لا يلبث ان يهطل .

البقول والاخلاق

يعرف الناس التأثير المضر الذي ينشأ من الاكثار من القثاء . والبصل ما زال منذ بدء العالم يبعث متناوله على الشفقة ومن يأكلونه نجاً تجد دمعتهم قريبة من مآقيهم والجزر يقوي في الطفل غريزة السلب . والكراث يدمث الخلق ويكثر في متناوله الصبر ويجعله كفؤاً للعمل في الزراعة والفجل الاسود يولد السوبداء وعلى نحاف الاجسام ان يتوقوا تناول البطاطا لانها سل المزالى . ومن اراد تقوية عقله فعليه ان يتناول الثوم . ومن احب السبانخ يتطال الى المناصب العالية . ومن اكثر من العدس قوي فيه الميل الى البحث الجهري والارز يكثر منه البحارة والجرجير يمنع القرعة اما اللوبيا البيضاء فقد قال زولا انها نافعة لمن يطيرون في المناطيد

جمال الاصقاع

جمال كل صقع اليوم مورد ثروة لاهله . عرف السويسريون هذه الحقيقة وقدروا ما خصت يد الصانع بلادهم به من بهيج المناظر وجيد الماء والهواء فتوفروا على تهيئة اسباب الراحة في جبالهم واوديتهم وسهولهم وبحيراتهم وانهارهم فقد كان سكان سويسرا سنة ١٨٨٩ ٣٠٠ ٩٣٣ ٢ وكان مايلحق الفرد منهم من الثروة ٧٢ فرنكاً ونصف وما برح عدد السائحين الذين يأتونهم يزيد حتى بلغ عدد من زاروها سنة ١٨٩٩ مليونين ونصفاً وعدل ما تركه كل واحد منهم من الربح ب ٨٩ فرنكاً فارتفعت ثروة كل فرد اواخر سنة ١٨٩٩ الى ١٥٢ فرنكاً ونصف . وهكذا بعد ان كانت هذه البلاد من افقر بلاد العالم اصبحت من اغناها لانها من اجملها . ثم ان لسويسرا من معاملها مورد ثروة آخر فقد بان بالاحصاء انها تخرج كل سنة ٩١٧ مليون فرنك من مصنوعاتها على ان جمال اقاليمها هو اهم مورد لغناها . ولذلك تراها تنشيء كل يوم العمارات الجديدة التي تستوفي فيها شروط الراحة والرفاهية فلا يلبث المال الذي يدخل تلك الفنادق ان يتسرب الى جيوب الفلاحين في اصغر قرية . وفي الفنادق السويسرية من انواع البذخ ومعدات الحضارة مالا تكاد تجد مثله في نيس ومونتكارلو وقد كان عدد اعضاء جمعية ارباب الفنادق السويسرية سنة ١٩٠٠ ٨٢٨ عضواً ولها ٢٣٠ ٦٥ سريراً للسياح وتصدر باسمها جرائد وتنشر صور بلاد سويسرا الجميلة على جدران العالم المتمدن وتفرق بالالوف كتباً تدل السائح على ما في سويسرا من مظاهر الراحة والظرف والصحة . ولو احذت سورية هذا المثال لما اتت بضع سنين الا وهي من اغنى اقطار الارض .

تقويم العيد

السنة عند الصينيين ٣٦٠ يوماً تنقسم الى اثني عشر شهراً وينقسم اليوم الى ٩٦ جزءاً والاعياد كثيرة عندهم واكثرها اعياد الطبيعة والدين ففي شهر كانون الثاني عيد العذراء الصينية وفي ايار عيد حامية العميان . والعمى من اعظم امراض مملكة ابن السماء وفي شهر ايلول عيد الحصاد وعيد الزراعة وعيد الرعد وفي كانون الاول عيد ولادة فيلسوفهم كونفوشيوس وعيد الههم بوذا

عمر الانسان

يقول احد علماء الالمان انك اذا فرضت مالك في الحياة فجعلته ٨٦ سنة وقسمت الباقي على اثنين يكون الحاصل ما بقي لك من سني الحياة . ويقول عالم بلجيكي ان خمسة في كل واحد يعيشون وفي سن الخامسة ١١٩ من الالف وفي العاشرة يبلغون ٥١٢ وفي الخامسة عشرة ٣٤٧ وفي العشرين ٢٠٧ وفي الخامسة والعشرين ١٥٦ وفي الثلاثين ١٢٩ وفي الخامسة والثلاثين ٩٧ وفي الاربعين ٧٨ ويقول ان في كل الف رجل عمر الواحد منهم ستون ٥٥٩ يعمرون السبعين و١٢٠ يبلغون الثمانين و١٧ الى التسعين واربعة فقط يبلغون سن المئة من كل الف شخص عمر الواحد منهم تسعون

مدارس الصناع

لكل صناعة في الغرب مدرسة خاصة بها فعدد تلامذة المدارس الصناعية في فرنسا ٢٢ الفاً ومثل هذا القدر عدد تلامذة المدارس الصناعية ايضاً في الدانيمرك واهلها مليونان ونصف في حين ان اهل فرنسا نحو اربعين مليوناً وفي الدانيمرك ١٢١ مدرسة صناعية و٥٧ مدرسة تجارية وعدد تلامذة مدارس الصناعات والتجارة في المانيا ٦٥٦ ر ٣٢٩ تلميذاً تصرف عليهم في السنة ثلاثين مليون فرنك ما عدا الاعانات الادبية والمادية التي لا تزال تنهال عليها وكان عدد تلامذة المدارس التجارية في بروسيا فقط سنة ١٩٠٣ ثلاثين الفاً وهذه المدارس اجبارية . وفي سويسرا مدارس كثيرة للصناعات المختلفة ومدارس زوريخ وجنيف يضرب بها المثل بكثرتها واتقانها ولليابان ٣٨ مدرسة للصناعة فيها اربعة آلاف طالب وفي مدارسها الزراعية ٦٢ الف طالب وفي مدارسها التجارية ١٣ الف طالب ومدارس المعامل خاصة بصنع الزهور الصناعية والتطريز وليس من تلميذ في المدارس الصناعية في السابعة من عمره الا وهو يعرف يصور زهرة او حشرة او غصناً ولا عجب من ثم اذا زادت تجارة يابان زيادة كبرى فكانت تجارتها

الخارجية سنة ١٨٩٧ ٩٨٢ مليون فرنك فاصبحت سنة ١٩٠٦ مليارين و١٥٩ مليون فرنك ·

التكاليف او الضرائب

قالت مجلة الاقتصاديين الفرنسوية ما ملخصه : من القواعد الاقتصادية المعروفة ان يكون ابناء الوطن الواحد سواء في تحمل الضرائب شركاء في الغرم كما هم شركاء في الغنم وان الضرائب يجب ان تفرض بحيث لاتقف حاجزاً دون حرية التجارة والضرائب مخصصة للخدم العامة في الامة · كانت البضائع ولا سيما الغلات اذا اريد نقلها في اوربا منذ قرن وربع من اقليم الى اقليم تراقب انواع المراقبة وتؤخذ من اصحابها عدة رسوم ولكن رجال الاقتصاد تغلبوا على رجال السياسة وابطلوا بالتدريج في اوقات مختلفة هذه العراقيل في التجارة علماً منهم بان التجارة ليست سرقة كما يقول بعضهم بل هي مقايضة عن تراض بين البائع والشاري ولان التضامن الذي كان اول من قال به آدم سميث شيخ الاقتصاديين هو صورة من صور تقسيم الاعمال يستلزم الاخصاء في الكفاءآت والتنويع في الحاجات فاذا ساءت مثلا زراعة القطن في الولايات المتحدة تقف في الحال معامل لانكشير في انكلترا

ابان الاقتصاديون منزلة قاعدة العرض والطلب من عالم المعاملات لانها ميزان المقايضات بين الامم وهي من الضروريات التي لا تستغني عنها دولة · قال كثير من الاقتصاديين ان تجار غيرنا من الامم هم كتجارنا ابناء وطننا فدل بهذا القول على فائدة المنافسة التجارية واشار الى التشبث بها ما امكن والمنافسة اليوم من اعظم العوامل الادبية في المدنية الغربية · وان الخطر العظيم الذي يتهددها هو الاستعاضة عن المنافسة الاقتصادية بالمنافسة السياسية · لاجرم ان الاقتصاديين ترددوا بشأن اجرة العامل ولكنهم توصلوا الى ان فرض الاجور هو عبارة عن وفاق للمقايضة وان الاجرة لا تؤدي عن العمل بل في مقابل ما تنتجه وينشأ من اثرها وان صاحب العمل يؤدي للعامل سلفة من اجرته وان المتبايعين هم الذين يؤدون اجور العملة كما يؤدون الضرائب والمكوس والمبتاعون هم الناس اجمعون · اما الاختلاف بين رأس المال والعمل فليس في الحقيقة الا اختلافاً بين المنفق الذي يهمه ان يرى اسعار الاسواق متدنية ما امكن وبين العامل الذي يقبض اجرته ويرمي برفع الاجور وتنقيص ساعات العمل الى زيادة قيمة ما يعود عليه ·

ولم يفتأ الاقتصاديون يحاربون كل من يقصدون احداث قيم مصنعة بما يدبرونه من الوسائط السياسية والادارية والشرعية او يعمدون الى استعمال الشدة والقسوة في انفاذ ما يريدون سواء اكان بوضع الضرائب او الاعتصابات او برفع سعر الفائدة في الاقتراض او برفع سعر السلعة الفلانية او قيمة الشيء الفلاني ثم زيادة سعر الحنطة بوضع رسوم الجمارك عليها وخفض قيمة الخبز الى اقل من سعر الحنطة مادته الاولية بوضع رسوم البلدية عليه

ان الاحسان والرفق بالضعفاء يزيدان في شقاء البائسين ويكثران من عدد المحاويج والمعوزين . فالاقتصاديون يوجدون الاسباب للقضاء على الشقاء من اصله بدلاً من ان يعمدوا الى صوغ جمل محزنة مبكية كما يفعل من يجمعون الصدقات ليستدروا باعمالهم اموال المحسنين ولذلك يوصف الاقتصاديون بكزازة الايدي واولئك المحسنون بسباطتها .

حارب الاقتصاديون الامتيازات في كل مكان واثبتوا ما يحق لكل عامل ان يتناوله من عمله ورسموا له جزاء يساوي اتعابه ولقد ابان آدم سميث كيف ان من يبحثون عن منفعتهم الخاصة يضمنون النجاح العام . ولا يستطيع مالك رأس المال ان ينتفع به الا باحد وجهين اما ان يستعمله في امور تأتي بربح او ان يقرضه لاناس يستخرجون منه ارباحاً يعطون لقاءها فائدة . ولا يأتي رأس المال بربح الا على شرط ان يلقى به للاستثمار او ان يصرف في سد حاجة ويدفع عنها ما يقابلها واجرة رأس المال هي في الحقيقة مقياس الانتفاع من استخدامه

قال الاقتصاديون : ان على المرء تبعة عمله فلا تعتبر الحكومات اداة بسيطة وآلة صماء فالرق والعبودية ممنوعة وحرية العمل اشرف من الاستعباد فيه وان العامل اذا عمل مدفوعاً بعامل الربح يعمل اكثر مما اذا عمل مكرهاً واثبتوا ان لا شيء بلا مقابل ولكل عمل ثمن واجرة . وان المسائل الاقتصادية تحلى بالربح والخسارة وهناك الغلو الذي فلا يختلف عما ليس لغيرها من المسائل .

فالافراد يعملون ويقتصدون لان الحكومات لا تخضع لناموس الربح والخسارة بل تنفق جزافاً وتسرف اسرافاً . ورجال الحكومات والبلديات في العالم يقدرون فائدة اعمالهم ببعض الآراء الوطنية والسياسية والدينية والصحية والادارية والشخصية فقد كان الناس في القديم عندما كانوا يشكون بوضع الضرائب يعزون بان ما يؤخذ منهم

يعود عليه . حتى قال فولتير في القاموس الفلسفي ان ملك انكلترا يأخذ كل سنة مليون ليرة انكليزية وهذا المليون يعود برمته باتفاقه له على امته(١) ولكن الاقتصاديين ردوا هذه الاوهام وقالوا ان الخراج يستولي على كل شيء من الدخل والخرج والوفر ولرؤوس اموال ارباب الاملاك والمباشرين للاعمال الكبرى والعامل وان هاته الطبقات لو توفر لها مانقاضته منهم الدولة لتنفقه على الموظفين والجند لكانوا هم ايضاً انفقوه وليتيسر لهم ان يقتصدوا منه جانباً ينفقونه في تحسين اراضيهم واعمالهم وربما كان للعامل من هذا الوفر رأس مال له ولا يزال الى اليوم اناس ممن يزعمون انهم على شيء من العلم والتجارب يقولون في الاعمال الغير المثمرة وماذا يضر ذلك مادام المال ينتقل من يد الى اخرى . يقولون هذا وهم لايدركون ان الاموال التي تصرف في اعمال عامة لافائدة منها مثل بعض الطرق الحربية بل هي ملقاة في المياه وضائعة ضياعاً لا يرجى معه رجعة وان الاسراف في هذا المال يقلل من رؤوس الاموال الموجودة كما يقللها الحريق والغريق

يقتصد الاقتصاديون من مال الحكومة لان مالها هو مال المكلفين . قالوا ان الخراج والجباية الباهظة تقضي على نشاط العاملين . فالعثماني لايعمل متى علم ان الباشا سيسلبه ما ظهر من ارباحه . الخراج لم يغن قط امة وان احسن الكرم الذي تعطف به حكومة على محكومين ان تتناول من المكلفين اقل ما يمكنها من الجباية والوزائع . والمكلفون هم العالم اجمع . ولذلك قال كبار الاقتصاديين ان الحكومة في اسبانيا هي الجرح النغار في جسم البلاد

قال الاقتصادي شارل دونويه ان الحكومة هي المغنية في الحقيقة ونفس الامر . وليس معنى هذا انها هي التي تصنع المصنوعات بل لانها تحمي الصانع في صناعته وتزيد في تأمينه وراحته فاذا حصلت ارباحه وقدرتها على ما يجب من الاعتدال يقوم غيره من ارباب الاقتدار ويجمعون رؤوس اموال ويحسنون الزراعة . فاغناء الحكومة هو توزيعها الثروة في الناس على نصاب العدل وذلك لان الحكومة كما قال المشار اليه اذا ارتفعت حمايتها ولم تمد جناح امنها على ما يجب تفقد الثروات قيمها الحقيقية وتنقطع القوى المنتجة عن الانتاج وتصاب بالانحلال والخمول وعلى العكس اذا نشرت الامن فانها تزيد قيم

(١) لابن خلدون في المقدمة في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية كلام يشبه كلام فولتير فراجعه

جميع الخيرات وتزيد جماع القوى نشاطاً ومضاء واخصاباً وكلما ارتقى الامن والثقة يزيد النجاح وكلما زاد النجاح يزيد الناس رغبة في رفع اعلام الامن ويرون الحاجة اكثر ما تكون مساساً اليه ·

فالحاجة الى الراحة اعظم من الحاجة الى نشر كلمة المدنية ورفع شأنها والناس يتناضون عند الأمر بعاً خالصاً تراعى فيه الحرية مع التشدد في المحافظة على النظام والراحة حتى لا ينغص احد في استعمال قواه وما تملك يداه والواجب ان تكون هذه الراحة باقية عامة وان لا يكدر من يصرفون قواهم ورؤوس اموالهم في المشاريع في مقايضاتهم واعمالهم مثال ذلك ان المانيا تضرب الضرائب على القمح واللحم لتغرب بذلك كبار ارباب الاملاك وتوطد اقدام الفلاحين في قراهم

فتأخذ منهم جنداً قوياً تقابل به الجند الذي تدعوه الى حمل السلاح من فستفاليا وولاية رين وهم اهل صناعة يدفعون لها الضرائب التي تعدل بها القوى في الانتخابات · والحكومة المجرية تريد ان تنشيء صناعات لتهيء عملاً لمن لا عمل له من الفلاحين الذين يتكاثر عددهم اليوم بعد اليوم ولتحول بذلك دونهم ودون الهجرة · والاقتصاديون يبحثون عن عامة الوسائط التي يراد بها معاونة العلم على نجاحه والصناعة على الترقي والزيادة في تنقل الناس والبضائع والاموال قائلين ان صاحب رأس المال يحتاج الى امرين الحرية ليستخدم رأس ماله فيما يعود عليه بفائدة اكثر والامن لينال ثمرة رأس ماله فاذا اخطأته الحرية يضطر في الغالب ان يضع رأس ماله في اعمال قليلة الربح وربما يؤدي به ذلك الى الخراب واذا اعوزه الامن يبحث لا عن الموارد النافعة له اي عن انفعها له ولغيره بل ينقل رأس ماله الى مكان آخر او لا يستعمله الا في امور محدودة

علائم الموت

فقدان العقل والشعور والاحساس في الجلد ووقوف التنفس والدم وغؤور العينين هي العلائم التي تثبت الموت ولكن هذه الاشارات قد تخطيء · وقد ابان احدهم مؤخراً طريقة لمعرفة الميت ممن لم يزل فيه نسيس من الحياة لا ينتظر معها تفسخ الجثة حتى يتحقق ذهاب الروح منها وهي ان يجعل المائت في هواء غير متحرك ويوجه احد اعضائه الى الارض ويرسل عليه نار تمس طرف الجلد مساً خفيفاً فينتفخ الجلد بعد بضع ثوان انتفاخاً يسمع صوته ويكشط هذا الانتفاخ مكاناً من الجلد كالقرش وتنقبض بقايا البشرة المكشوطة حوالى المكان المحروق ولكن بدون سائل · واذا جرب ذلك في

شخص حي تحدث في بشرته بثرة ذات مادة مائية لا بثرة غازية كما في شخص ميت وعليه فان البثرة الغازية لا تنشأ الا بعد وقوف مجرى الدم وبذلك يتحقق موت الشخص

افضل الغذاء

من المسائل الصعبة اختيار افضل الغذاء. فقد قال علماء الفرنجة ان لحم الخنزير اذا اكثر منه الانسان تسود الدنيا في عينيه وعلى العكس في مستعمل لحم البقر فانه يورثه قوة ونشاطاً. والظاهر على ماقالوا ان لحم الخروف اشبه بلحم الخنزير اما لحم العجل فمن خواصه ان يسلبك القليل من النشاط الذي فيك. والزبدة واللبن الحليب تجود بتناولهما صحة النساء. ومتى اكثرنا من تناول الزبدة تورثنا كسلاً وعلى رجال الادب وارباب الاقلام والصناعات النفيسة وكل من يصرفون من دقائق الدماغ كثيراً ان يكثروا من تناول التفاح وان يجتنبوا البطاطا فانها كالزبدة تورثهم الكسل. ومن الغريب ان لحم الحمام هو اتعب اللحوم للمعدة والجسم حتى ان احد الانكليز تراهن مع احدهم على ان يتناول لحم الحمام ثلاثين يوماً فلم تمض عشرة ايام حتى عراه العياء وطلب ان يطعم شيئاً من المرق

النوام

تقول مجلة المطالعات البيتية ان مرض النوم او النوام الذي اكتشفه العلماء عند بعض الشعوب في اواسط افريقية ليس من الامراض الحديثة اذا نظرنا الى الحوادث المشابهة له التي اوردها قدماء المؤلفين فقد قص علينا بلنيوس القديم ان الفتى ابمنيدس نام ذات يوم في كهف سبعاً وخمسين سنة بدون ان يستيقظ وانه بعد ان انتبه من نومه عاش الى سن المئة والخامسة والسبعين. وليس بلينوس هو الوحيد في بابه فهناك السبعة نيام في افسس (اصحاب الكهف) الذين لم ينجوا من الموت خلال الاضطهادات التي وقعت على المسيحيين بامر دسيوس الا باغتصابهم في مغاور ناموا فيها ١٩٦ سنة على ما يؤكدون. وهذا النوم اشبه بداء النقطة ولكنه لا يشبه النوام الذي تكلم عنه سوانيدوس من فيرون في كتابه وصف بلاد المسكوب قال انه يوجد شعب يسكن لوكومور يكو وهي ناحية واقعة فيما وراء بلاد السارماتيين فيظهرون انهم ماتوا منذ اليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الاول كالضفادع لشدة البرد القارس في بلادهم وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر نيسان يستيقظون وتعود اليهم حياتهم ولسكان هذه البلاد صلات مع الامم المجاورة وهم يدخرون عندما يقرب نومهم السنوي موامونتهم

من الطعام فيأتي جيرانهم عند ذاك يبحثون عنهم تاركين بضائع وميرة على سبيل المقايضة بثمن متساو ومتى عادت الى اللوكوموز يكيين حياتهم يطالبون بحقوقهم اذا لم يجدوا المقايضة متناسبة وتثور بينهم خصومات ربما ادت الى حروب بين هاته الشعوب المسكوية . وما ندري اذا كان هذا الشعب لم يوجد له اثر الا في مخيلة الكاتب الايطالي او انه اختلطوا عليه مع اليرابيع التي ترقد في الشتاء

رماد الانسان

يقول الاميركان ان المرء يبلغ غاية الصحة في سن الاربعين ويقدرون ثمن الرجل الشجاع الذكي العامل بالفي ليرة اما الكيماويون فيقدرون ان ثلثي جسم الانسان مؤلف من ماء ممزوج بسموم فنطفتنا تساوي الوفاً من بيض الدجاج والهيدروجين الذي فينا يكفي لنفخ منطاد غير قليل فاذا اضيف اليه الكربون يتأتى ان يضاء به شارع طوله خمسمائة متر طوال الليل ففي احشائنا ما يساوي ١٩ فرنكاً من غاز الاستصباح وفي هذا الكربون مادة كبيرة للتصوير يستخرج منها ٧٨٠ دزينة من جيد اقلام الرصاص فاذا قطعت رجل انسان يستطيع ان يستخرج منها مادة قلم الرصاص تكفيه لكتابته مادام حياً . وفي الانسان مادة فوسفورية تكفي لبل ٨٢٠ الف من الثقاب اي عود الكبريت وفيه من المواد الدهنية ما يكفي لعمل عشر دزينات من الشمع الجيد اللهم اذا استخدمناها لعمل الحساء وهذا يتأتى لنا تمليحه بالملح الذي تحويه انسجتنا وهو نحو عشرين ملعقة

ضمان الاغلاط

في الغرب شركات لضمان العقارات من الحريق وضمان الاسرات من موت ابيها وضمان الغلات من البرد وضمان السفن من الانواء وضمان الاجسام من العوارض وها قد اسس الالمان اليوم شركة لضمان الانسان من غلط يرتكبه موظفو البرق في كلمة او كلمات تؤدي الى تحريف الرسائل البرقية تضرر بذلك صاحبها او لم يتضرر

الاجراس

اعظم اجراس الكنائس في العالم جرس كنيسة الثالوث في موسكو وزنه ٦٧٠٨٣ كيلو غراماً وجرس بلدة موسكو ٦٥ الف كيلوغرام والجرس الامبراطوري في كولونيا زنته ٢٨ الفاً وجرس السفوايارد في باريز وزنه ١٦٨٨٨ وجرس عمانويل في كنيسة نوتردام في باريز ١٢٠٠٠ وجرس سيدة الحماية في مرسيليا ٨٠٤٤ وجرس كليمان في جنيف وهو من الفضة وزنه ٢٠٧٠ كيلوغراماً

العدد المشؤوم

يتشاءم عامة الافرنج من العدد ١٣ وهذا التشاؤم كان قبل الميلاد عنوان الموت فكان العدد ١٣ في ورق اللعب الذي يستعمله اهل بوهيميا للتنبوء عن المستقبل عبارة عن هيكل عظام مسلح بمنجل ولهذا الرمز اثر عند بعض اليهود فلا يلفظ به عامتهم ويسمح لكبار حاخاميهم ان يذكروه مرة في السنة . والعدد ١٣ هو العدد المقدس عند اهل المكسيك وقبائل بوكاتان اذ كان في بلادهم ثلاث عشرة حية تعبد وتمجد . وللعدد المذكور شأن في الاساطير النروجية وغيرها .

نبات يضيء

كل يوم يكتشف علماء النبات خواص لم تكن معروفة لبعض النباتات فبالامس اكتشفوا نباتاً يغتذي باللحوم ونباتاً يطير كالنطاد والطيارة الهوائية واليوم اكتشفوا في برازيل في مقاطعة سان جواكيم من اعمال ولاية سان باولو نباتاً يضيء كالكهرباء او كمصابيح الغاز والبترول والشموع ويسميه اهل تلك البلاد نبات الاوروبيه ويتنافسون فيه فيجعلونه في اصامي واواني ويزينون به القصور فيظل ابداً يبعث نوراً يكفي لان يطالع المطالع به جريدة وكتاباً . قالوا انه من فصيلة النباتات التي لازهر لها وان كان لا يشبه الفطر .

غابة عظيمة

في شاطئ العاج احدى مستعمرات فرنسا في افريقية غابة مساحتها ١٢٠ الف كيلومتر مربع لم تمسها يد بشر وفيها من انواع الحراج والنبات من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ نوع منها خمسون نوعاً يبلغ علو شجرها خمسين متراً وجذعها من متر الى مترين ونصف وعدد الاشجار التي يبلغ طولها من ٢٥ الى ٤٠ متراً من ١٥٠ الى ٢٠٠ وهناك من انواع الاشجار اغربها وفي ظلالها من النباتات ادهشها ومن جملتها المطاط والنخيل الذي يستخرج منه الزيت .

المقتبس

كتاب العرب

او الرد على الشعوبية

لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة من اهل القرن الخامس (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما (قال) ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة جعلنا الله واياك على النعم شاكرين. وعند المحن والبلوى صابرين · وبالقسم من عطائه راضين · واعاذنا من فتنة العصبية وحمية الجاهلية وتحامل الشعوبية فانها بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة وتلحق بها كل رذيلة وتغلو في القول وتسرف في الذم وتبهت بالكذب وتكابر العيان وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف وتغض

(١) وجده الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق في مكتبة المرحوم شاكر افندي الحمزاوي الدمشقي في مجموعة كانت موقوفة وتجز وقفها معنونا عليه بكتاب ذم الحسد تأليف العلامة ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى بخط مسند الشام في عصره الشيخ ابراهيم الجينيني الحنفي جامع الفتاوى الخيرية — من رجال القرن الثاني عشر — وقد نسخها رحمه الله على اصل مخروم الآخر حتى كتب في آخر نسخته ما مثاله : هذا آخر ما وجدته الخ ·

من النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر بالشجا · وتطرف منه على القذى · وتبعد من الله بقدر بعدها ممن قرب واصطفى · وفي الافراط الملكة وفي الغلو البوار والحسد هو الداء العياء · اول ذنب عصي الله به في الارض والسماء · ومن تبين امر الحسد بعدل النظر اوجب سخطه عَلَى واهب النعمة وعداوته لمؤتي الفضيلة لان الله تعالى يقول «نحن قسمنا بينهم معيشتهم ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا» فهو تبارك وتعالى باسط الرزق وقاسم الحظوظ والمبتدي بالعطا والمحسود آخذ ما أُعطي وجار الى غاية ما أُجري ·

وقال ابن مسعود: لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادي نعم الله قال: حاسد الناس وفي بعض الكتب يقول الله: الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راضٍ بقسمي ·

وقال ابن المقفع : الحاسد لا يبرح زارياً على نعمة الله لا يجد لها مزالا ويكدر عَلَى نفسه ما به فلا يجد لها طعماً ولا يزال ساخطاً عَلَى من لا يترضاه ومتسخطاً لما لا ينال فوقه فهو مكظوم هلع جزوع ظالم اشبه شيء بمظلوم محروم الطلبة منغص المعيشة دائم السخطة لا بما قسم له يقنع ولا على ما لم يقسم له يغلب والمحسود يتقلب في فضل الله مباشراً للسرور ممهلاً فيه الى مدة لا يقدر الناس لها عَلَى قطع وانتقاض ولو صبر المحسود عَلَى ما به وضمر لجرته كان خيراً له لانه كما هو خساه الله وكلما نبح قذف بحجره وكلما اراد ان يطفئ نور الله اعلاه الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون · ولله در القائل :

واذا اراد الله نشر فضيلة يوماً اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

ولم ار في هذه الشعوبية ارسخ عداوة ولا اشد نصباً للعرب من السفلة والحشوة واوباش النبط وابناء اكرة القرى فاما اشراف العجم وذوو الاخطار منهم واهل الديانة فيعرفون مالهم وما عليهم و يرون الشرف نسباً ثابتاً ·

وقال رجل منهم لرجل من العرب : ان الشرف نسب والشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم : وانما لهجت السفلة منهم بذم العرب لان منهم قوماً تحلوا بحلية الادب فجالسوا الاشراف وقوم اتسموا بميسم الكتابة فقربوا من السلطان فدخلتهم الانفة لآدابهم والغضاضة لاقدارهم من لؤم مغارسهم وخبث عناصرهم فمنهم من الحق نفسه باشراف العجم واعتزى الى ملوكهم واساورتهم ودخل في باب فسيح

لا حجاب عليه ونسب واسع لا مدافع عنه ومنهم من اقام على خساسة يناضح عن لؤمه ويدعي الشرف للعجم كلها ليكون من ذوي الشرف ويظهر بغض العرب يتنقصها ويستفرغ مجهوده في مشاتمها واظهار مثالبها وتحريف الكلم في مناقبها وبلسانها نطق وبهممها انف وبآدابها تسلح عليها فان هو عرف خيراً ستره وان ظهر حقره وان احتمل التأويلات صرفه الى اقبحها وان سمع سوءاً نشره وان لم يسمعه نقر عنه وان لم يجده تخرصه فهو كما قال القائل :

ان يعلموا الخير يخفوه وان علموا شراً اذيع وان لم يعلموا بهتوا

ومن ذا رحمك الله صفا فلم يكن له عيب وخلص فلم يكن فيه شوب .

وقيل لبعض الحكماء هل من احد ليس فيه عيب فقال — لا لان الذي ليس فيه عيب هو الذي لا يموت وعائب الناس يعيبهم بفضل عيبه وينتقصهم بحسب نقصه ويذيع عوراتهم ليكونوا شركاءه في عورته ولا شيء احب للفاسق من زلة العالم ولا الى الخامل من عثرة الشريف قال الشاعر :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه مراد لعمري ان اردت قريب

وقال آخر :

واجرأ من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال ذوو العيوب

وقد كان زياد بن ابي سفيان حين كثر طعن الناس عليه وعلى معاوية في استلحاقه عمل كتاباً في المثالب لولده وقال من عهركم فقرعوه بمنقصته ومن ندد عليكم فابدهوه بمثلبته فان الشر بالشر يتقى والحديد بالحديد يفلح .

وكان ابو عبيدة معمر بن المثنى اغرى الناس بمشاتم الناس والمجمع بمثالب العرب وحاله في نسبه وابيه الاقرب اليه حال نكره ان نذكرها فنكون كمن امر ولم يأتمر وزجر عن القبيح ولم يزدجر وهي مشهورة ولكن كرهنا ان تدوَّن في الكتب وتخلد على الدهر ولا سيما وهو رجل يحمل عنه العلم ويحتج بقوله في القرآن . ومن اتعب قلباً وانصب فكراً ممن اراد ان يجعل الحسنة سيئة والمنقبة مثلبه ويحتال لاخراج الباطل في صورة الحق فيقصد من المناقب لمثل قوس حاجب يضحك منها ويزرى بها ويذهب في ذلك الى خساسة العود وقلة ثمنه وهذا لو كان على مذاهب التجار والسوق في الرهون والمعاملات لرجع بالعيب على الآخذ لا على الدافع لان الدافع لا يألو ان يدفع احقر ما يجد في اكثر ما يأخذ والمغبون من غرَّ بالصغير عن الكبير وانما رهن عن

العرب بما ضمنه عنها من كف الاذى عن مملكته حتى يحيوا وتنكشف عنهم السنة ولو كان مكان القوس مائة الف رأس من الغنم عن هذا السبب ما كان القوس الا احسن بالدافع والقابل لان سلاح الرجل هي عزه وشرفه واسلام المال احسن من اسلام العز والشرف . وقد يدفع الرجل خاتمه وبرده او رداءه عن الامر العظيم فلا يسلمه خوفاً من السبة وانفة من العار .

قال ابو عبيدة لما قتل وكيع بن ابي سود التميمي قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان بلغ ذلك سليمان وهو بمكة وهو حاج خطب الناس بمسجد عرفات وذكر غدر بني تميم واسراعهم في الفتن وتوثبهم عَلَى السلطان وخلافهم له فقام الفرزدق ففتح رداءه وقال يا امير المؤمنين هذا ردائي رهناً بوفاء تميم ومقامها على طاعتك فلما جاءت بيعة وكيع قال الفرزدق :

فدى لسيوف من تميم وفى بها ردائي وجلت عن وجوه الاهاتم

يريد الاهتم بن سمي التميمي ورهطه وهذا سيار بن عمرو بن جابر الفزاري ضمن لبعض الملوك الف بعير دية ابيه ورهنه قوسه فقبلها منه عَلَى ذلك وساقها اليه وفيه يقول القائل :

ونحن رهنا القوس ثم تخلصت بالف عَلَى ظهر الفزاري اقرعا

وسيار هذا هو جد هرم الذي تنافر اليه عامر وعلقمة . ومن هذا الباب قول جران وذكر اجتماعه مع نساء كان يألفهن :

ذهبن بمسواكي وقد قلت انه سيوجد هذا عندكن فيعرف

يظن من لا يعرف هذا الخبر انهن سلبنه المسواك فاعتد عليهن واخبرهن انه سيوجد عندهن ويعرف لقدر المسواك عندهن وعنده ولان الاعراب انظر قوم في التافه الحقير الذي لا خطر له وكيف يظن به وبهن هذا وبلد نجد مستحلس بضروب من شجر المساويك لا تحصى فكيف يبخل عَلَى نساء يهواهن بعود هو يصطلي به ويختبز ويطبخ بشجره ومتى احتاج الى مسواك منه لم يتكلفه بثمن ولم يبعد في طلبه والمعنى ان نجداً تختلف منابته فمنه ما ينبت الاسحل ومنه ما ينبت الاراك ومنه ما ينبت البشام فاهل كل ناحية منهم يستاكون بشجر بلادهم وكان جران العود معروفاً بهوى لاء النساء يزورهن عَلَى حذر من مزار بعيد وهو يستن من الشجر ما ينبت في بلده ولا ينبت في بلدهن فلما اخذن سواكه ليتذكرنه ويسترحن اليه كما يفعل المتحابون قال ان هذا

شيوجد عند كن واذا وجد علم انه مما ينبته البلد الذي اسكنه فاستدل به عَلَى زيارتي اياكن و يقصد لقول القائل :

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الوردا

فيتضاحك بالشعر و يستهزئ بالبردين والفرس الورد و يعارض ذلك بملوك فارس واسرتها وتيجانها و بان ابرويز ارتبط تسعمائة وخمسين فيلاً على مرابطه وبلغت مخدته(؟) التي كان يشرف بها على الداخل عليه الف اناء من الذهب وخدمته الف جارية وقد جهل هذا معنى الشعر واخطأ في المعارضة وفخر بما ليس له فيه حظ ولا نصيب .

اما معنى الشعر فان ابا عبيدة ذكر ان وفود العرب اجتمعت عند النعمان بن المنذر فاخرج بردي محرّق وهو عمرو بن هند وقال ليقم اعز العرب قبيلة فيأخذهما فقام عامر بن احيمر بن بهدلة فاخذهما فاتزر بواحد وارتدى بآخر فقال له بماانت اعز العرب فقال العز والعدد من العرب في معد ثم في نزار ثم في مضر في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهدلة فمن انكر هذا من العرب فلينافرني فسكت الناس فقال النعمان هذه عشيرتك كما تزعم فكيف انت في اهل بيتك وفي بدنك فقال انا ابو عشرة وعم عشرة وخال عشرة يغنيني الا كابر عن الاصاغر والاصاغر عن الاكابر فاما انا في بدني فهذا شاهدي ثم وضع قدمه عَلَى الارض وقال من ازالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه احد من الناس فذهب بالبردين فسمي ذا البردين قال الفرزدق :

فما تم في سعد ولا آل مالك غلام اذا ما قيل لم يتبهدل

لهم وهب النعمان ثوبي محرّق بمجد معدالعديد و المحصل

واما الفرس الورد فان الخيل حصون العرب ومنبت العز وسلم المجد وثمال العيال و بها تدرك الثار وعليها تصيد الوحش وكانوا يؤثرونها على الاولاد باللبن و يشدونها بالافنية للطلب والهرب وقد كنى الله عنها في كتابه بالخير لما فيها من الخير فقال حكاية عن نبيه سليمان صلى الله عليه وسلم « اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب » يعني الخيل و بها كان شغل سليمان عن الصلاة حتى غربت الشمس وقال طفيل :

وللخيل ايام فمن يصطبر لها ويعرف لها ايامها الخير يعقب

وقال آخر :

ولقد علمت على توقي الردى ان الحصون الخيل لامدر القرى
اني وجدت الخيل عزاً ظاهراً تنجي من الغمى ويكشفن الدجى
ويبتن بالثغر المخوف طلائعاً وتبين للصعلوك جمة ذي الغنا
باتوا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأى

والبصيرة الدم يريد انهم لم يدركوا الثار فثقل الدماء على اكتافهم وانه قد ادرك ثاره على فرسه وحدثني محمد بن عبيد قال حدثني سفيان بن عيينة عن شبيب بن غرقدة عن عروة البارقي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة)

قال ابو محمد وليس لاحد مثل عتاق العرب ولا عند احد من الناس من العلم بها ما عندهم وسأذكر من ذلك شيئاً فيما بعد ان شاء الله . واذا كان للرجل منها جواد مبرّ كريم شهر به وعرف فقيل المسجدي ولاحق وداحس والورد . وليس العجب من سرير كسرى ونخر العجم به وتصويرهم اياه في الصخور الصم وفي رعان الجبال . واذا رأيت العرب تنسب الى شيء خسيس في نفسه فليس ذلك الا لمعنى شريف فيه كقولهم لهنيدة بنت صعصعة عمة الفرزدق ذات الخمار فمن لم يعرف سبب الخمار هاهنا يظن انها كانت تختمر دون نساء قومها فنسبت الى الخمار لذلك قال ابو عبيدة كانت هنيدة بنت صعصعة تقول من جاء من نساء العرب باربعة مثل اربعتي يحل لها ان تضع عندهم خمارها فصرمتي لها ابي صعصعة واخي غالب وخالي الاقرع بن حابس وزوجي الزبرقان بن بدر فسميت ذات الخمار لذلك .

وقال كان هند بن ابي هالة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم يقول : انا اكرم الناس اربعة ابي رسول الله وامي خديجة واختي فاطمة واخي القاسم فهؤلاء الاربعة لا اربعتها واما خطاء في المعارضة فان صاحب البردين لم يكن ملك العرب فيعارضنا عنه بملك العجم ولم يدع احد انه كان للعرب في دولة العجم مثل ملكها واموالها وعددها وسلاحها وحريرها وديباجها فيحتاج ان يذكر فيلة ابرويز وجواريه وفرشه وقد كان هذا لاولئك كما ذكرتم جعله الله لهؤلاء فابتزوه واستلبوه واتخوهم كما بانتحي القضيب والناسخ افضل من المنسوخ . واما نخره بما ليس له فيه حظ ولا نصيب فانما يفخر بملك فارس ابناء ملوكها وابناء عمالهم وكتابهم وحجابهم واساورتهم . فاما رجل من عرض العجم وعوامهم لا يعرف له نسب ولا يشهر له اب فما حظه في سرير كسرى وتاجه

وحريره وديباجه وليس هو من ذلك في مراح ولا مغدى ولا مظل ولا مأوى . فان قال لاني من العجم وكسرى من العجم فمرحباً بالمثل المبتذل ابن جار النجار ولو قال ايضاً لاني من الناس وكسرى من الناس كان وهذا سواء وما هو باولى بهذا السبب من العرب لان العرب ايضاً من الناس .

قال ابو عبيدة: اجريت الخيل فطلع منها فرس سابق فجعل رجل من النظارة يكبر ويثب من الفرح فقال له رجل الى جانبه يافتى اهذا السابق فرسك فقال لا ولكن اللجام لي:

وقال المسعودي : قدم علينا اعراب وكانوا يأتون ببضائعهم فأبيعها واقوم بحوائجهم وكانوا يقولون رحم الله اباك ديناراً فكنت لا آلوهم عناية فقلت لهم اخبروني عن السبب بينكم و بين ابي قالوا كان يساومنا مرة باتان فقلت لهم هل كان اشتراها منكم قالوا لا قلت الله اكبر قالوا وما ذاك قلت لو اشتراها صارت رحماً ونسباً .

وقد كانت العجم رحمك الله في ذلك الزمان طبق الارض شرقاً وغرباً وبراً وبحراً الا محال معد واليمن افكل هؤلاء اشراف فاين الوضعاء والادنياء والكساحون والحجامون والدباغون والحمارون والرعاع والمهان وهل كان ذوو الشرف في جملة الناس الا كاللمعة في جلد البعير واين ذراريهم واعقابهم ادرجوا جميعاً فلم يبق منهم احد وبقي ابناء الملوك والاشراف .

واعجب من هذا ادعاؤهم الى اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم وتحرمهم على العرب بانه لسارة الحرة وان اسماعيل ابا العرب لهاجر وهي امة وقال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكل بها طنبا ولا خباء ولا عك وهمدان
ولا لجرم ولا بهراء من وطن لكنها لبني الاحرار اوطان
ارض تبنى بها كسرى مناسكه فما بها من بني اللخناء انسان

فبنو الاحرار عندهم العجم من ولد اسحق واسحق لسارة وهي حرة وبنو اللخناء عندهم العرب لانهم من ولد اسماعيل واسماعيل لهاجر وهي امة قالوا واللخناء عند العرب الامة فالويل الطويل لهؤلاء والبعد والثبور من هذه العداوة لاولياء الله والانباز القبيحة لصفوة الله وقد غلطوا في التأويل على اللغة وليس كل امة عند العرب لخناء انما اللخناء من الاماء الممتهنة في رعي الابل وسقيها وجمع الحطب وحمله واستقاء الماء والحلب واشباه ذلك من الخدمة كما يقال الامة الوكعاء وليس كل امة وكعاء وانما قيل لها لخناء لنتن ريحها و يقال لخن السقاء يلخن لخناً اذا تغير ريحه وانتن .

واما مثل هاجر التي طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل دفر وارتضاها للخليل فراشاً وللطيبين اسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام اماً وجعلها لها سلالة فهل يجوز لملحد فضلاً عن مسلم ان يطلق عليها اللخن ولو لم يكن الا ان ملك القبط متع بها سارة وكانت انفس امائه عندهم واحظاهن لديه لقد كان في ذلك دليل علَى انها لم تكن من الاماء اللخن ولو جاز ان يطلق على كل امة لخناً لجاز ان يقال لكل شريف ولدته امة هذا ابن اللخناء كما يقال هذا ابن الامة وقد ولدت الاماء الخلفاء والخيار والابرار مثل عليّ بن الحسين بن علي بن ابي طالب والقاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وسالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب ٠

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الاصمعي قال كان اهل المدينة يكرهون اتخاذ امهات الاولاد حتى نشأ فيهم هؤلاء الثلاثة ففاتوا اهل المدينة فقهاً وورعاً فرغب الناس في السراري والنساب لا يعرفون لاهل فارس ولا للنبيط في اسحق بن ابراهيم حظاً لان اسحق تزوج رفقا بنت ناحور بن تارح وتارح هو آزر ورفقا بنت عمه فولدت له عيصو و يعقوب توأمين في بطن واحد فيعقوب هو اسرائيل الذي ولد الاسباط كلهم وكانوا اثني عشر رجلاً واولادهم جميعاً يدعون بنو اسرائيل وهم اهل الكتاب ليس لهؤلاء فيهم سبب ولا نسب وعيصو هو ابو الروم وكان الروم رجلاً اصفر شديد الصفرة في بياض ومن اجل ذلك سميت الروم بني الاصفر ٠ قالوا وكانت ام الروم بنت اسماعيل ابن ابراهيم وولد من الروم خمسة نفر فكل من بارض الروم من نسل هؤلاء الرهط قالوا ولماسبقه يعقوب الى دعوة اسحق فصارت النبوة في ولده دعا لعيصو بالنماء والكثرة فالروم كلهامن ولده و بعض الناس يزعم ايضاً ان الاشبان من ولده وقالوا النبط بن ساروح بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح و يقال انه ابن ماش بن سام ابن نوح قالوا واهل فارس من ولد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وكان كثير الولد فنزل ارض فارس فاجناس الفرس كلهم من ولده فليس بين هؤلاء وبين اسحق بن ابراهيم على ما ذكر النسابون نسب يجمعهم الا سام بن نوح والناس يجتمعون في ولادة شيث بن آدم ثم في ولادة نوح ثم يتشعبون فولد نوح اربعة نفر سام وحام و يافث ويام فاما يام فهلك بالطوفان فلا عقب له وهو الذي قال له ابوه (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) واما حام فان اباه لعنه ودعا عليه بان يكون عبداً لاخويه فحملت ذريته وسقطت فيه فهم النوبة وفزان والزغاوة واجناس السودان والسند والقبط واما يافث

فان اباه دعا له بالنماء والكثرة فولد الصقالب والترك و يأجوج ومأجوج واممًا عدد الرمل والحصا في مشارق الارض . فاما سام فبارك عليه فاشراف الناس من ولده منهم العماليق ومنهم الجبابرة وفراعنة مصر وملوك فارس ومن ولد سام الانبياء جميعاً بعد نوح وهود وصالح وشعيب وابراهيم ومن بعده الى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . فالعرب وفارس يتساوون في هذه الجملة و تفضلها العرب بعدها بانها من ولد اسماعيل ابن ابراهيم فهي ادنى من خليل الله دناوةً وامس به رحما .

ثم تتساوى العرب وفارس في ان الفريقين ملكوا وتفضلها العرب بان قواعد ملكها نبوة وقواعد ملك فارس استلاب وغلبة . وتفضلها العرب بان ملكها ناسخ وملك فارس منسوخ وتفضلها بان ملكها متصل بالساعة وملك فارس محدود وتفضلها العرب بان ملكها واغل في اقاصي البلاد داخل في آفاق الارض وملك فارس شظية منه ليس فيه الشام ولا الجزيرة ولا خراسان في اكثر مددهم ولا اليمن الا في ايام وهرز وسيف ابن ذي يزن .

ومن عجب امرهم ايضاً فخرهم عَلَى العرب بآدم بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني عليه فانما انا حسنة من حسناته ثم بالانبياء وانهم من العجم الا اربعة نفر هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم وفي هذا القول وضع الفخر عَلَى غير اساس ومن اسس بنيانه عَلَى الباطل والغرور اوشك ان يتداعى وان يخر وظلم للعرب فاحش ومنه ادعاؤهم آدم كأن العرب ليسوا من ولده ومنه انتحالهم موسى وعيسى وزكريا ويحيى واشباههم من بني اسرائيل وليس بين فارس وبين بني اسرائيل نسب عَلَى ما بينت لك ومنه دفعهم العرب عن قربهم بهؤلاء الانبياء وهم بنو عمومهم وعصبتهم لان العرب بنو اسماعيل بن ابراهيم باجماع الناس فهم بنو اخي اسحق بن ابراهيم واولى به واحق بشرفه واولى بموسى وعيسى وداوود وسليمان وجميع الانبياء من ولده وقال الله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران عَلَى العالمين) فآل ابراهيم هم ولد اسحق وولد اسماعيل ثم قال (ذرية بعضها من بعض) فاعلمنا ان العرب وبني اسرائيل شيء واحد في النسب وفيما اوحى الله الى موسى : اني ساقيم لبني اسرائيل من اخوتهم مثلك اجعل كلامي على فيه : يريد انه يقيم لهم من العرب نبياً مثل موسى يعني نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا علم من اعلامه وحجة من حججنا على اهل الكتاب من كتبهم فان قالوا في ذلك انه يقيم لهم من بني اسرائيل نبياً

مثل موسى وقالوا ان بني اسرائيل بعضهم اخوة بعض اكذبهم النظر لانه لو اراد ذلك لقال لهم من انفسهم ومنهم كما ان رجلاً لو اراد ان يبعث رسولاً من خندف لم يقل سأبعث رسولاً من اخوة خندف فان كان دفعهم ولد اسماعيل عن تشابك نسبهم بولد اسحق لنزول اسماعيل الحرم ونكاحه في جرهم فان الديار قد تتناءى والحال قد تتباين والرجل قد ينكح في البعيد وقد يولد له من الاماء ولا تنقطع الارحام والانساب وان كان اسماعيل نطق بالعربية فليس اختلاف الناس في الالسنة يخرجهم عن نسب آبائهم واخوانهم وعشائرهم فهؤلاء اهل السريانية قد خالفوا في اللسان اهل العبرانية وهذه الروم كفرت بالله ولا شيء اقطع للعصمة من الكفر وتكلمت بالرومية ورغبت عن لسان آبائها وليس ذلك بمخرجها عن ولادة اسحق بن ابراهيم على ان اسماعيل لم يكن اول من نطق بالعربية وانما تعلمها وانما اصل العربية لليمن لانهم من ولد يعرب بن قحطان وكان يعرب اول من تكلم بالعربية حين تبلبلت الالسن ببابل وسار حتى نزل اليمن في ولده ومن اتبعه من اهل بيته ثم نطق بعده ثمود بلسانه وشخص حتى نزل الحجر ·

حدثني ابو حاتم قال حدثني الاصمعي قال اخبرنا ابو عمرو بن العلاء قال تسع قبائل قديمة طسم وجديس وعهينة وضجم (بالجيم وبالحاء) وجعم والعماليق وقحطان وجرهم وثمود ·

وحدثني ابو حاتم قال حدثنا الاصمعي قال حدثنا ابن ابي الزناد عن رجل من جرهم قال : نحن بدء من الخلق لا يشاركنا احد في انسابنا بقول من قدمنا فهؤلاء قدماء العرب الذين فتق الله السنتهم بهذا اللسان وكانت انبياؤهم عرباً هود وصالح وشعيب ·

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن ابيه عن وهب بن منبه انه سأل عن هود أكان ابا اليمن الذي ولدهم قال لا ولكنه اخو اليمن في التوراة فلما وقعت العصبية بين العرب وفخرت مضر بابيها اسماعيل ادعت اليمن هوداً ليكون لهم والد من الانبياء· (قال) واما شعيب من ولد رهط من المؤمنين تبعوا ابراهيم لما هاجر الى الشام ولم يكن يثبت لهم نسب في بني اسرائيل ولم تكن مدين قبيلة ولكنها امة بعث اليها فلما بوأ الله اسماعيل الحرم وهو طفل وانبط له زمزم مرت به من جرهم رفقة فرأوا ما لم يكونوا يعهدونه واخبرتهم هاجر بنسب الصبي وحاله وما امر الله اباه فيه وفيها فتبركوا بالمكان ونزلوه وضموا اليهم اسماعيل فنشأ معهم ومع ولدانهم ثم انكحوه فتكلم بلسانهم فقيل

نطق باليعربية الا ان الياء زيدت في الاسم لحذفت في النسب كما تحذف اشياء من الزوائد وغير كما تغير اشياء عن اصولها والدليل على ان اصل اللسان لليمن انهم يقال لهم (العرب العاربة) و يقال لغيرهم (العرب المتعربة) يراد الداخلة في العرب المتعلمة منهم وكذلك معنى التفعل في اللغة يقال تنزر الرجل اذا دخل في نزار و تمضر اذا دخل في مضر وتقيس اذا دخل في قيس وقال الشاعر :

وقيس عيلان ومن تقيسا

ولو كان كل من تعلم لسانا غير لسان قومه ونطق به خارجاً من نسبهم لوجب ان يكون كل من نطق بالعربية من العجم عربياً (وسأقول في الشرف باعدل القول وابين اسبابه ولا ابخس احداً حقه ولا اتجاوز به حده) فلا يمنعني نسبي في العجم ان ادفعها عما تدعيه لها جهلتها واثني اعتنها عما تقدم اليها سفلتها واختصر القول واقتصر على العيون والنكت ولا اعرض للاحاديث الطوال في خطب العرب و تعداد ايامها ووفدات اشرافها على ملوك العجم ومقاماتها فان هذا وما اشبهه قد كثر في كتب الناس حتى اخلق ودرس حتى مل لا سيما واكثر هذه الاخبار لاطريق لها ولا نقلت من الثقات والمعروفين ايضاً تخبر عن التكلف وتدل على الصنعة وارجو ان لا يطلع ذوو العقول واهل النظر مني على ايثار هوى ولا تعمد لتمويه وما اتبرأ بعده من العثرة والزلة الا ان يوفقني الله وما التوفيق الا به .

وعدل القول في الشرف ان الناس لاب وام خلقوا من تراب واعيدوا الى التراب وجروا في مجرى البول وطووا على الاقذار فهذا نسبهم الاعلى الذي يردع اهل العقول عن التعظيم والكبرياء ثم الى الله مرجعهم فتنقطع الانساب وتبطل الاحساب الا من كان حسبه تقوى الله وكانت مانته طاعة الله .

واما النسب الادنى الذي يقع فيه التفاضل بين الناس في حكم الدنيا فان الله خلق آدم من قبضة جميع الارض وفي الارض السهل والحزن والاحمر والاسود والخبيث والطيب يقول الله عز وجل (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا) فجرت طبائع الارض في ولده فكان ذلك لاختلاف غرائزهم فمنهم الشجاع والجبان والبخيل والجواد والحيي والوقاح والحليم والعجول والدمث والعبوس والشكور والكفور وسبباً لاختلاف الوانهم وهيآتهم فمنهم الابيض والاسود والاسمر والاحمر والاقشر والوسيم والخفيف على القلوب والثقيل والمحبب الى الناس

من غير احسان والمبغض اليهم من غير ذنوب وسبباً لاختلاف الشهوات والايرادات فمنهم من يميل به الطبع الى العلم ومن يميل به الى المال ومن يميل به الى اللهو ومن يميل به الى النساء ومن يميل به الى الفروسية . ثم يختلفون ايضاً في ذلك فمنهم من يسرع الى فهمه الفقه و يبطئ عنه الحساب ومنهم من يعلق بفهمه الطب و ينبو عنه النجوم ومنهم من يتيسر له الدقيق الخفي و يعتاص عليه الواضح الجلي ومنهم من يتعلم فنا من العلم فيرسخ في قلبه رسوخ النقر في الحجر و يتعلم ما هو اخف منه فيدرس دروس الرقم على الماء ومن طلبة المال من يطلبه بالتجارة ومن يطلبه بالجراية ومن يطلبه بالسلطان ومن يطلبه بالكيمياء فيتلف بالطمع الكاذب والتماس المحال اثلة المال ومن طلبة النساء من يريد المهفهفة ومن يريد الضناك ومن يريد الغرة الصغيرة ومن يريد النصف الوثيرة واعجب من هذا من ربما حبب اليه العجوز قال الشاعر :

عجوز عليها كبرة وملاحة ... اقاتلتي بالرجال عجوز
عجوز لو ان الماء ملك يمينها ... لما تركتنا بالمياه نجوز

ومن لؤم الغرائز ان من الناس من يحب الذم كما يحب غيره المدح و يرتاح للهجاء كما يرتاح غيره للثناء ومنهم من يغري بذم قومه وسب نفسه وآبائه وشتم عشيرته منهم عميرة بن جعيل التغلبي وهو القائل :

كسا الله حي تغلب ابنة وائل ... من اللؤم اصفاراً بطيئاً نصولها

ومنهم الحرمازي (١) وهو القائل :

ان بني الحرماز قوم فيهم ... عجز وتسليط على اخيهم
فابعث عليهم شاعراً يخزيهم ... يعلم منهم مثل علمي فيهم

ومنهم القحيف وهو القائل في امه :

باليتما امنا شالت نعامتها ... ايما الى جنة ايما الى نار
ليست بشبعى ولو اسكنتها هجراً ... ولا بريا ولو حلت بذي قار
تلهم الوسق مشدوداً اشظته ... كأنما وجهها قد طلي بالقار
خرقاء في الخير لا تهدى لوجهته ... وهي صناع الاذى في الاهل والجار

(لها بقية)

(١) يقال له الكذاب الحرمازي واسمه عبدالله بن الاعور وقيل له الكذاب لكذبه اه من طبقات الشعراء للمؤلف

شذرة ذهب

من فن الادب

من كلمات اللغة العربية مايدل عَلَى اصل المعنى . ومنها مايدل على المعنى نفسه مع زيادة قيد او شرط او وصف حالة . مثال الأول ان تقول (افتخر) زيد فانه يفيد اصل معنى الافتخار . ومثال الثاني ان تقول (أنفج) زيد فان معناه الافتخار وشيء آخر زائد : وهو ان يفتخر الانسان بما ليس عنده او بصفة ليست فيه . او يفتخر احياناً باكثر مما عنده . فيكون كريماً بالجملة مثلاً ثم يصف من كرمه وجوده اكثر من الواقع ومما يعلمه الناس فيه . فحينئذ يقال عنه انه أنفج . وقريب من معنى المتنفج (الفنجة)— بضم الفاء وفتح التاء . وقالوا في معناه انه الرجل الذي يتفنج في المجالس ويكثر من ذكر ما أوتيه من ملك وأدب يتطاول بذلك عَلَى الحاضرين

ومثل (تعلم) فانه يفيد اصل التعلم . اما اذا قلت (أخصى) فانه يفيدنا زيادة معنى في التعلم . هو انه تعلم علماً واحداً كأن يتعلم فن الطب وحده او الكيمياء وحدها ولا يلقي باله الى غيرها من العلوم

مثل هذه الاوصاف او الافعال التي تدل على معنى مركب يجب ان نعنى بها ونجمع منها طائفة للقارئ والكاتب

قد تريد ايها الكاتب ان تصف انساناً بكونه متقلباً لا يثبت عَلَى رأي واحد فتارةً يتبع رأي هذا . وطوراً رأي ذاك . فتفكر كثيراً في كلمة تدل عَلَى هذا المعنى المركب . ولكنك اذا حفظت كلمة (إمعة)— بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة — فانك تستعملها وتقول . فلان لا بأس به لكنه إمعة تريد انه لا رأي له وانما يتابع كل انسان عَلَى رأيه

وقد تريد ان تصف صاحبك بانه لا يثبت عَلَى صداقة احد فهو يؤاخي هذا يوماً ويملّه . و ينتقل الى مؤاخاة الآخر وهكذا . تريد وصفه بذلك فيعييك الأمر وربما سردت لبيان هذ المعنى جملا طويلة عريضة ولكن العرب يقولون لا تثق بفلان فانه « مقطاع » اي لا يثبت عَلَى مؤاخاة احد

وقد تحاول وصف بعض معارفك بانه كسول لا ينشط الى الكسب ولا يسعى في طلب معاشه فيضيق عليك الوصف اما اذا تعلمت كلمة (لبد) عَلَى وزان (كتف)

فانك تصفه به وتـقول ان صاحبي فلان لبد لا يبرح منزله ولا يطلب معاشاً لنفسه

وقريب من كلمة (تَنفج) التي معناها افتخر بما ليس فيه كلمة (ابتهر) هو ان يقول المرء فعلت كذا وأفعل كذا وهو لم يفعل شيئاً مما ادعى . وكثيرون يدعون فعل مالم يفعلوا فيضيق المرء ذرعاً بالواحد من هؤلاء ويريد ان يوجز في وصفه وفي الاخبار عنه بكلمة واحدة فأرى له ان يقول : دعونا من فلان فانه يبتهر في كل مايقول .

اما اذا كان المرء يقول فعلت الشيء ويكون قد فعله صدقاً . فهل من كلمة تدل على هذا المعنى ؟

تدل عليه كلمة (الابتيار) : فاذا قلنا فلان يبتار كان معناه يقول و يفعل لا كصاحبنا الأول الذي يبتهر ابتهاراً . وقد جمع الاعشى الشاعر الكلمتين في قوله :

(قبيحٌ بمثلي نعت الفتا ة إما ابتهاراً واما ابتيارا)

يقول انه لايليق بادبه ان يعرّض بالفتيات و يأخذ في سرد حوادثه مع اوانس الحي : فيقول كان من امري مع فلانة كذا وخبري مع فلانة كذا : فهو لايبتهر ولا يبتار ولا يقول عن الفتيات شيئاً صادقاً او كاذباً .

فليتق الله ازبار النسا . وليأتسوا بالاعشى فانه موضوع للأسى .

و يعرض لك احياناً ان تقول : ان القاضي كان يكلم المدعى عليه اثناء المحاكمة بغيظ وغضب . فبدل ان تأتي بكلمتين تقول كان (يدمدم عليه) اي يكلمه بغضب واراك تتهيب استعمالها لأول الأمر ثم لاتلبث ان تأنس بها وتألفها سمعك فتشيع وتروج بين الكتاب .

واذا مات امرؤ في ميعة الشباب وصحة الجسم واردت ان تخبر بذلك فقل مات فلان عبطة . اي شاباً صحيحاً . واعتبطه الموت . وقد نعيب آخر بكونه يشبهُ النساء في شدة تزينه وتنعمه فتأتي في وصفه بكلام كثير . والاجدى لك ان تقول لايعجبني فلان فانه يتزلق . قالوا ومعناه ان يتزين ويتنعم حتى يكون للونه وبيض « أي لمعان » ولبشرته بريق

واذا اردت ان تثني على صديقك بانه ينفق على ذوي رحمه الفقراء ويكفيهم ذل السؤال تقول انه (يعولهم) ولكن هناك كلمة اخرى لاأرى بأساً في استعمالها وهي ان تقول انه (يقعدهم) — بتشديد العين — اي يقوم بامرهم ويكفيهم مؤونة الكسب

واحسبك تفضل (يعول) على (يقعد) وتقول انها اخف منها على السمع . نعم ولكن الاستعمال كفيل بصقلها وادنائها من الذوق

والمرأة التي تبغض زوجها ماذا يقال لها ؟

يقال لها (فارك) اما اذا كانت تحبه فتسمى (العلوق) وقالوا انها التي لا تحب غير زوجها

واذا مر موكب في الشارع ورأيت امرأة تنظر اليه من نافذة بيتها وتمد عنقها مبالغة في المد فقل انها (تتلع) اي تمد عنقها متطاولة . واذا رأيت صاحبك يمشي الهوينا ويسحب انسحابا واردت ان تحكي عنه تقول في رأيته (انخزل) اي يمشي وهو متثاقل في مشيته . واذا كان صاحبك المذكور مولعا بمعاشرة النساء والجلوس اليهن فقل عنه انه (علّ) . وقالوا في تفسيره انه الذي يكثر زيارة النساء . والراهب لا تعرف له اسما غير اسمه هذا ولكنني اذكرك باسم آخر ربما فاقه رشاقة وحسنا . وهو (الابيل) وقالوا في معناه انه الراهب المنقطع عن النساء . ومن كلامهم فلانة لو ابصرها الابيل لضاق به السبيل وما احلى ماقاله محي الدين بن العربي في هذا المعنى:

لو أنها برزت لأشمط راهب فاق العباد عبادة لو أنها
وانت لتطلب منه ماخلقت له متذكراً نهي المسيح لما انتهى

لم يدع ابن العربي وجها من اوجه الحسن اللفظي والمعنوي الا اودعه بيتيه هذين : وقوله لو أنها في آخر البيت لافادة استبعاد ان تبرز تلك الفتاة من خدرها وهذا يستلزم ان تكون حصانا عفيفة . وقوله لتطلب منهُ ماخلقت له غاية في نزاهة التعبير ولطف الاشارة . وقوله متذكراً نهي المسيح مما يؤكد حسن تلك الفتاة فضل تأكيد . وان جمالها يملك النفس ويخدر الحس .

ويوجد اناس يتركون اللحم فلا يأكلونهُ . فاذا اردت ان تخبر ان فلانا من هؤلاء القوم . وبحثت عن كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى المركب دللتك على قولهم فلان (يتنحس) بالحاء المهملة على وزن يتكلم اي انه ترك اكل اللحم

واذا ترك التلميذ المذاكرة ومطالعة دروسه ومال الى البطالة والكسل . ماذا تسمي عمله هذا؟

تسميه « تناوة » وقالوا في تفسيرها انها ترك المذاكرة وهجران المدارسة

واذا كان هذا التلميذ نفسه قد اعتاد عادة قبيحة وهي ان يغمض عينيه ويفتحها

دواليك واردت ان تنهاه عن ذلك فقل له دع هذه العادة يابني ولا ترضك عينيك ابي لاتغمضها وتفتحها · وهو رباعي وماضيه أرضك على وزن اكرم ·

واذا لامك لائم على شيء لم تفعله فقل انه «يتذقح» لي اي ينسب اليّ ذنبا لم افعله · ومثله « يتجرّم » وكلاهما على وزن يتكلم ومثلها يتجني فلان على فلان

واذا وقح الرجل وقل حياؤه فلم يعد يبالي بذمة الناس او مدحهم · رضواعنه اوسخطوا عليه · فذهب في ارتكاب المآثم واجتراح السيئات كل مذهب ماذا تسميه ؟

يسمونه «مستولغ» وفسروها بانه الرجل لايبالي ذماً ولا عاراً · وهناك تعبير آخر يفيد هذا المعنى · وهو قولهم ان فلانا « يلحم الناس عرضه »اي يمكنهم من عرضه بما يفعله من المقاذر والمخازي فيقعون فيه ويطعنون عليه · فكأنه بذلك جعل عرضة لحما أطعمهم اياه · وأكل لحم الغير كناية عن اغتيابه والنيل من عرضه · ومنه قوله تعالى « ايحب أحدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً » · واذا مهدت لك اسبابا حملتك بها على سب فلان وشتمه كنت قد ألحمتك عرضه · وورد « ان الله يبغض البيت اللحم » بكسر الحاء على وزن كتف · وفسروه بالبيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس بغيبتهم والاستطالة في اعراضهم · وكان للوليد بن عبد الملك ولد يقال له العباس · ولم يكن في اطواره واخلاقه كشبان بني مروان بل كان امرأ صدق يتشبه بعمر بن عبد العزيز فقال يخاطب قومه ويحثهم على الاتحاد والاقلاع عن الفجور ومخالفة الدين

ان البرية قد ملت سياستكم   فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لاتلحمن ذئاب الناس عرضكمو   ان الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا

فقوله (لا تلحمن)بضم التاء وكسر الحاء وتشديد الميم المضمومة خطاب للجمع وقد حذفت واوه لاتصالها بنون التوكيد · اي ان الناس كالذئاب فاذا مكنتموهم من الوقيعة فيكم لايقصرون كما ان الذئاب اذا رأوا فريسة أغروا بها ونهشوا منها

ومن الناس من يقابل الآخرين بذكر مايؤلمهم ذكره · ويصف من احوالهم مايحملهم به على كره الحياة بل كراهة انفسهم · فهذا الرجل الذي يفعل بالناس كذلك يسمى « أجوم » على وزن جسور ويقال انه يؤجم الناس — بتشديد الجيم — اى يكره اليهم انفسهم · وهو مشتق من اجم الطعام وغيره اذا كرهه وملّه

وقد قام في زماننا قوم يتقصون العرب · ويصغرون من شأنهم

وآخرون يفعلون كذلك بالمسلمين فماذا تسمي الاولين؟ وماذا تسمي الآخرين؟

الأولون يسمون (شعوبية) والواحد منهم (شعوبي) وقالوا في تفسير الشعوبية انهم الذين يحتقرون العرب ٠

والآخرون يسمون (دققة) — بفتح القافين — وقالوا انهم الذين يظهرون عيوب المسلمين ٠

اما (دققة) فظاهر انه مشتق من دقق نظره في الشيء اذا تأمل فيه ٠ وبحث في ماخفي عليه من امره ٠ ومن يكره المسلمين يفعل ذلك وينقب عن مساويهم ليشهر بها ويشنع عليها ٠

واما الاولون مبغضو العرب فلماذا سموا (شعوبية)؟

سموا بذلك نسبة الى الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو الجماعة الكبيرة من الناس غير العرب ٠ اما الجماعة الكبيرة من العرب فتسمى قبيلة كما ان الجماعة الكبيرة من بني اسرائيل تسمى سبط ٠ فالقبائل للعرب ٠ والاسباط لليهود ٠ والشعوب لغير هؤلاء واولئك ٠ ومنه قوله تعالى في صدد الامتنان على البشر (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ٠ وكتب المعتمد بن عباد احد ملوك الاندلس الى يوسف بن تاشفين ملك المغرب يستنجده على الاسبانيول — «فانا نحن العرب في هذه الاندلس قد تلفت قبائلنا ٠ وتفرق جمعنا ٠ وتغيرت انسابنا ٠ فصرنا فيها شعوباً لاقبائل ٠ واشتاتا لاقرابة ولا عشائر» الخ ٠ فانظر كيف قال انهم تلفت قبائلهم فلم يعودوا قبائل وانما اصبحوا شعوباً اي جماعات اعجمية ٠ وذلك بسبب فقدهم مزايا العرب وكريم خصالهم التي منها النجدة والنعرة في حماية الذمار ٠ والدفاع عن الجار ٠

اما الكتاب اليوم فقلما يفرقون بين (الشعوب) و (القبائل) وانما يستعملونها في مطلق الجماعات من اي جنس كانوا ٠

ولما كانت شعوب الاعاجم تحط من قدر قبائل العرب عادة سمي كل من يحتقر امر العرب (شعوبي)

اسكلة طرابلس الشام المغربي

استعمار الهند

معربة عن المجلة الزرقاء الفرنسوية

احدث مايقوم به الهنود في العهد الاخير من مقاومة حكومتهم قلقاً وهلعاً وذلك ان الثورة تضطرب لهزتها اعصاب امبراطورية الهند والقوم هناك يدعون الى الاستقلال جهاراً حاملين العلم الاحمر ويقوم الدعاة من كل مكان يوقدون جذوة التعصب والتحزب ولا يستنكفون من اتيان كل منكر من قتل النفوس واهراق الدماء

قويت هذه الحركة وامتدت دون ان يعوقها عائق لانه لم يهتم بها احد في مبدإها لغرابة امرها ولانها ظهرت غير متناسبة مع حال العقول في الهند ٠ ولئن كان جمهور موظفي الحكومة الانكليزية هناك على جانب من طهارة الوجدان والعلم والتهذيب والتجارب الا انهم لم يحسبوا لهذه الحركة حسابها ووهموا في نتائجها وفاتهم على ماعرفوا به من الذكاء ان مادعا الى ذلك غلطات لم ارتكبوها فنشأ عنها مانشأ ٠ والوقوف على الصلات المتبادلة بين الحكام الانكليز والمحكومين الوطنيين من الهنود يجب ان نبين الأسس التي قامت عليها الادارة البريطانية في شبه جزيرة الهند فنقول :

ان الهند اوسع من اوربا فمساحتها ٤٨٩٤٠٠٠ كيلومتر مربع وسكانها ٢٦٦ مليوناً (١) واهلها خليط من الناس ما كانوا ولن يكونوا امة برأسها ٠ قال الفرد ليل : كل من اراد ان يحكم على امرىء بالحكومة التي تحكمه والبلاد التي ينزلها لايكون حكمه الا ناقصاً اذ يجهل بذلك حالته الطبيعية والادبية وجنسه وحالته الاجتماعية واخلاقه وعاداته فدرس طبيعة الحكومة التي تحكمه لايفيد شيئاً في معرفته نفسه لان الحكومة نتيجة احوال عارضة وتدبير موقت اه ٠

لما استولى الانكليز على الهند عقيب ان دالت دولة المغول ورفع عن بعض ارجائها علم الفرنسيس لم يجدوا أمامهم حكومة وطنية في البلاد ولا جماعة اجتمعوا لتدبير شؤونهم تربطهم المصلحة المشتركة بها بل رأوا هنا وهناك عصابات غير طبيعية نشأت بالاتفاق بطبيعة الفتح وظلت بطبيعة الحال عبارة عن مجتمعات منفصمة العرى تجمع تحت لوائها ملايين من الناس في اماكن متباينة وكان لهذه الاقوام بحسب مكانتها زعماء

(١) ان مساحة اقليم برمانيا وحده ٧٥٠ الف كيلومتر مربع وليس فيه من السكان سوى ثمانية ملايين

يقودونها سموا انفسهم امراء وراجات ونوابًا وسلاطين وامبراطرة ولم تتغير هذه الصورة من الحكومة منذ الاعصر التي استولى فيها الفرس والمقدونيون والبارثيون والتتار والمغول وغيرهم على تلك القارة

ومع ما نراه من حال ذاك الشعب المهزع المنتشر الاطراف الخالي من كل جامعة قد انشأ له مدنية باهرة دامت قرونًا تنير العالم بروائعها وظلت الى يوم الناس هذا لم تمسسها يد بسوء · فارتبط الهنود من الشمال الى الجنوب من جبال حملايا الى رأس كومور برباط واحد وعملوا بقلب واحد وبعواطف وروح واحدة تدفعهم الثبات الذي لا يوصف والغاية المشتركة التي وجهوا كلهم وجهتهم اليها وذلك انهم لم يرموا الى غرض سياسي ولا الى غرض اقتصادي بل لان المجتمع الذي الفوه ورتبوا درجاته (١) لم تكن غايته زمنية دنيوية بل كانت دينية فاستتم الامر للمستعمرين لان القوم لا تهمهم السياسة ولان النواب والراجات المغلوبين كى امرهم ليست لهم اصول راسخة في البلاد ولا منزلة في قلوب الامة فكان الدين هو الذي يحرص القوم على بقائه والانكليز احرص الناس على احترامه ولا سيما بين طبقات البراهمة التي كان لها تأثير شديد في العامة

أدرك الانكليز في الحال صراحة بانهم في حل من ان يؤسسوا في الهند الحكومة التي تروقهم من حيث الادارة والنظام السياسي والتشريعي على ان لا يمسوا المعتقدات ولا رجال الدين بسوء فانشأوا حكومة جديدة سموها حكومة الاستقلال ولم يراعوا في تأسيس هذه الحكومة اصول الشعوب اذ كان هنا البنغاليون الجياع وهناك المهراتيون الشجعان وفي مكان ابعد سكان ميزور وفي المقاطعات الاخرى السيخيون النشيطون فتجد الفلسفة العالية والتصوف البديع الى جنب الخرافات المستحكمة والتعصب الشديد بل راعوا اختلاف طبائع الاقاليم من حيث وضعها الطبيعي عملاً بما قاله احد رجالهم من ان الاختلاف في اصقاع الهند اشد مما نراه في ظاهر ارضنا وسياراتنا من المشاهد · ولم ير المستعمرون من مصلحتهم ان يؤلفوا وطنية هندية فيكون لسكان بنجاب وبنغال وطنية خاصة بل عزموا على توسيع الاختصاص وتقسيم البلاد في ادارتها على خلاف ما جرت عليه فرنسا في ربط البلاد كلها بالعاصمة مباشرة لانها ترمي الى تجنيس اهل البلاد المستعمرة بالجنسية الفرنسوية · وبعد تجارب طويلة تمت لانكلترا سنة ١٨٦١ صورة ادارة الهند وكانت هذه الصورة معدلة منظوراً فيها وهي الصورة

(١) في الهند ١٩٢٠ قبيلة مختلفة Caste وقال آخرانها ٠ ١٤٠

التي جرت عليها شركة الهند الشرقية سنة ١٧٧٣ واستصدرت بها قانوناً من مجلس النواب فقسمت الهند اولاً الى ثلاث ولايات بنغال ومدراس وبومباي دعوها رئاسات présidence لان ادارتها كانت بيد مجلس ينشر القوانين وينفذ القرارات وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو دور الحروب والمنازعات الهائلة رأت انكلترا من الضرورة ان توحد الادارة السياسية مع الادارة الحربية لتقوية كل منهما فعهدت سنة ١٧٧٣ بولاية الهند لحاكم بنغال بحيث يكون له التقدم على حاكمي مدراس وبومباي ولكن ولايته اسمية لافعلية فاخذت الولايات الثلاث تضيع الوقت في الاخذ والرد والادارة مختلة الاساليب لاترجع الي يد تامة شملها حتى اذا كانت ثورة السيباي سنة ١٨٥٧ وهي التي كادت تخرج انكلترا من الهند وضعت الحكومة صورة ادارة كانت اساساً للامبراطورية الهندية وهو عمل اداري لم توفق اليه امة ولم يخطر في خاطر حاكم .

فقسمت اراضي الهند الى طبقتين جوهريتين اراضي السلطنة البريطانية اي البلاد التي تحكمها انكلترا مباشرة وهي عبارة عن ولايتي مدراس وبومباي اللتين بقيتا على ما كانتا عليه في حدودهما وولاية بنغال وقاعدتها كلكوتا جعلت عاصمة المملكة وقسمت الى ثماني مقاطعات لها حق الانتخاب . والطبقة الثانية امارات الوطنيين التي تركت تحت سلطة الراجات الاسمية او الفعلية فقسمت الى قسمين في وضع الحماية الانكليزية عليها وبذلك صار الحكم للوالي العام والرئاسات وحكومات الولايات والامارات الوطنية

والحاكم الهند او نائب ملكها مجلس مؤلف من ستة وزراء لهم معاونون وفي بعض الاحيان ولا سيما عند سن القوانين يضطر الى اخذ آراء المجلس وله الحرية ان يعمل بها او يرفضها وهؤلاء الوزراء يشبهون من وجوه كثيرة وزراء لويس الرابع عشر لاوزراء ادوارد السابع وهم وزير الداخلية والخارجية والمالية والمعارف والتجارة والحربية والعدلية والاشغال العمومية ويحق لوالي مدراس وبومباي ان يحضرا في المجلس عضوين فوق العادة وهذا المجلس الوزاري يجتمع في المكان الذي ينتخبه الحاكم العام تحيثما التأم فهناك العاصمة . ويضاف الى هذا المجلس بعض الاعضاء فيصبح برلماناً اي مجلس نواب فيكون نصف هؤلاء الاعضاء الاضافيين من الاعيان اوربيين كانوا او وطنيين على ان لايكونوا من موظفي الحكومة يعينهم الحاكم العام فبذلك يصبح العنصر الرسمي في هذا المجلس اكثر

من العنصر الاهلي وهذا العنصر قليل العدد ولذلك لاحكم له ومعاونته اسمية في الاغلب

اما المجلس التشريعي فله سلطة واسعة لا يقف امامها الا امتيازات البرلمان البريطاني وحقوق السلطة الانكليزية وتنفذ قراراته عند ما يصدق عليها حاكم الهند . وهذه الطريقة التي تسهل احالة السلطة الاجرائية الى السلطة التشريعية تحل مسألة تقسيم الادارة على ايسر وجه في حين تمنحها وحدة الآراء والاميال

وفي مجلس النواب كما في مجلس الوزراء يعمل كل عضو بما فيه المنفعة العامة وينظر في المسائل التي يحسن معرفتها بخلو غرض و يعطي رأيه حراً وللموظفين ضمانات لاتضر بالنظام ولكنها تقي اشخاصهم كل الوقاية

و بعد فان الحكومة العامة تنظر خاصة في المسائل الملكية كالديون العمومية والكمارك والرسوم الاميرية والمقايضات والبريد والبرق ونفقات الحربية والاديان وقانون الجزاء والباتنتا والعلائق الخارجية والحقوق الادبية وغيرها فتوجه دفة السياسة الى الوجهة التي تختارها وتوحد بين المصالح العامة والخدم العامة فهي المنظمة والمدبرة وحافظة العهد الدستوري اما ولاة الاقاليم فلكل منهم مجلس خاص ومجلس تشريعي لاتسري احكامه على احكام الحاكم العام كما ان هذا لايعتدي على امتيازات الامبراطورية وما عدا ذلك فالحكومة مالكة حريتها برمتها ولها مطلق التصرف ان تقرر ماتشاء . ويخاطب واليا مدراس وبومباي اندرا مباشرة و يتناولان التعليمات بانفسهما اما سائر الولايات فادارتها ترجع الى ولاة و بعضها الى متصرفين يعينهم الحاكم العام ويتناولون رواتبهم من الامبراطور ويختارهم من الموظفين الذين قضوا عشر سنين في الهند على الاقل وهم يتخابرون كلكوتا في شؤونهم ولكن في الامور الادارية ولهم سلطة كسلطة والبي مدراس و بومباي ولهم الميزة عليهم بانهم اكثر خبرة ونفوذاً

اما الجيش فيؤلف من جيش عامل من الاوروبين والهنود و يقدر بمائتين وسبعين الفاً منهم ثلاثة وسبعون الفاً من الانكليز ومن جيش مساعد تقدمه الامارات الوطنية المستقلة عدده ٣٨٠ الفاً ولكن على الورق فقط وعنده اربعة آلاف مدفع واذا استثني من الجيش العسكر الانكليزي وبعض الالايات كالسيخيين والپاتام والغوركا فالجيش الهندي لايساوي شيئاً . واذا استثني من الجيش المساعد فيلق مملكة الكواليور لايساوي شيئاً ايضاً . قال احد كبارهم ان هذا الجيش عبارة عن خليط من الاوباش لاعلم

له بالتدريب الحربي وليس لديه سلاح منظم وان الابين او ثلاثة من جيشنا مع بطارية خيالة تمزق شمل خمسين الفاً من مثل هؤلاء المحاربين فمجموع هذا الجيش العامل وقدره سبعمائة الف مع الجيش الاحتياطي هو عبارة عن تضليل يزول كالسراب او كالدخان عند مداهمة الخطر

وتقسم كل ولاية وارداتها مع الولايات العامة على نسبة محددة وتقوم بنفقات القضاء والمعارف والاشغال العمومية واعانة البائسين ولكل ولاية الحق في ان تستلف نقوداً على واردات خمس سنين تصرفها في الطرق التي تراها نافعة لعمران ولايتها وتقتصد ماتشاء وفي الهند اربع محاكم عالية في بومباي وبنغال والشمال الغربي ومدراس تميز اليها اهم الدعاوي المدنية والجزائية وينتخب اعضاؤها من قبل السلطة الانكليزية ويقبض كل عضو من مئة الف الى مائتي الف فرنك راتباً سنوياً وفي كل حاضرة ولاية محكمة استئناف ومحكمة جزاء نقالة ثم محاكم المقاطعات ويعمدون تارة الى استعمال قانون لندرا واذا وقع اختلاف بين اوربيين من رعايا انكلترا يطبقون عليهم القانون الهندي واحياناً قانون الجزاء الانكليزي الهندي

ومأمورو الادارة الملكية عبارة عن ٧٦٥ موظفاً فيكون بذلك موظف واحد لكل ربع مليون ساكن وتحت ايديهم صغار الموظفين من الوطنيين «١» ومن مبدإ انكلترا في الهند ان تبقي جميع الوظائف الكبرى في ايدي الاوربيين وتعطي جزءاً مهماً منها للوطنيين ولا ترى الحكومة ان تقبل احداً من رعاياها الهنود وتجعلهم انكليزاً في جنسيتهم وهم يهزأون من فرنسا التي جنست رعاياها في بوندشيري بجنسيتها واعطتهم حق الانتخاب لارسال نواب واعيان .

اما الامارات الهندية المستقلة فهي منقسمة الى طبقتين نقل في الاولى السلطة الانكليزية عليها ومنها الامارات الاسلامية التي تركت وشأنها لان ذلك اقصد في النفقة عليها ولكن حالتها الى الزوال لادنى اشارة تصدر من الحاكم العام ثم ان امراء تلك الامارات الاسلامية هم غرباء ويدينون بدين يكرهه السواد الاعظم من

«١» في الهند ٢٥٠٠ موظف وطني يقبضون مسانهة من ١٢ الفاً الى ٢٥ الف فرنك فيكون عدد الموظفين الوطنيين الذين يقبضون من ٣٠٠ فرنك الى ١٠٠٠٠ فرنك بنسبة ٩٠ في المئة

رعاياهم فهكذا نجد في مملكة النظام مملكة حيدر آباد الدكن «١» تسعة ملايين من البراهمة لقاء مليون من المسلمين وفي سائر الممالك المستقلة (٢) خمسون مليون برهمي اما ممالك كوالبور واندور وبارودا فليس لها من المهراتية الا الاسم لان امراءها هم دخلاء عليها . اما ممالك الطبقة الثانية من الوطنيين فتختلف عن هذه كثيراً ومن هذه الممالك ميزور وراجبوتانا وترافانكور وجيبور وجوبور وملوكها هم من البراهمة ولئن اعتادوا العبودية فذلك لانهم كانوا الى عهد قريب خاضعين للمهراتيين والمغوليين ولذلك ترى الحكومة من الحكمة ان تضيق خناقهم وهي لاتخافهم ولكنها لاتركن اليهم الا قليلا قال جايس ستيفن : ان الانكليز في الهند هم نواب تمدن محارب وسلام تدعمه القوة وما من بلاد نظمت شؤونها وحالفتها الدعة والراحة مثل الهند البريطانية ومتى خفت شدة الحكومة يكر نظام الهند كاً « مأخوذ بسيل جارف اه . وتقسم درجات التعليم في الهند الى ابتدائي ووسط وعالٍ وهو النقطة الضعيفة من ذاك البناء الانكليزي الهندي البديع

ان من يسكنون البلاد الواقعة بين نهر الاندوس وشاطئ كورومانديل ويطلقون عليهم اسم الهنود يجب ان يجعلوا من الشعوب التي تشمئز من الغريب وتعادبه شأن كل الشعوب التي لها تاريخ قديم وفلسفة معروفة وتمدن خاص بها وهذا يصدق عَلَى الاكثرية من البراهمة كما يصدق عَلَى الاقلية من المسلمين فالبراهمة يرون من واجباتهم ان لايحيدوا قيد شبر عن تعليم اولادهم الصنعة التي يعلمها آباؤهم بالارث وتلقينهم الفروض الاجتماعية والعالية والدينية التي تصدر عن زعمائهم وان جزءاً من هذا الشعور ليتعلمه الطفل بالفطرة والتقليد وباقيه يحصله في مدرسة قريته او يأخذه عن رئيسه الديني مع ما يأخذ من آداب امته ودينها فيملأ ذهنه بالتراكيب المبهمة والصلوات ولا سيما صلاة الغداة ومعناها : « لنعبد النور السامي من هذه الشمس ربة كل موجود في الوجود التي تقود فكرنا كما تقود عين معلقة بقبة السماوات »

اما التعليم الحديث فان رب الأسرة يدفعه عن اسرته مشمئزاً بقدر ما كان يشمئز لاو كون من هدايا اليونان ويرفضها ولذلك يعز عَلَى البراهمة ان يخونوا مبادئهم

«١» مؤسس هذه الدولة هو من نسل احد قواد اورنك زيب المشهور الذي خلص سنة ١٧٢٤ من سلطة المغول وعاصمة مملكته حيدر آباد وهي انكليزية محضة جميلة البقعة جميلة بين المدائن (٢) عدد هذه الامارات عشرون امارة وهي ماعدا مملكة باهوبال وباهاوال لاشأن لها من حيث السياسة ودخلها ١٢٥ مليون فرنك

المقدسة وأكثر مايحذرونه من الامور التي يحملها اليهم الغرب المدرسة فان شيئاً خفياً في فطرتهم يدعوهم في السر : اياكم والمدرسة الانكليزية فهي عدوتكم

وعلى هذا حارت انكلترا في سياسة التعليم التي تجري عليها بين البراهمة لانها لاتستطيع ان تعلمهم التعليم الاوربي الا اذا اضرت بمعتقداتهم الدينية ومعتقدهم هو وطنيتهم وهي لاتريد ان يخرجوا عنها حتى ان انكلترا اضطرت سنة ١٨٤٠ ان تجيب مطالب ثلثمائة الف رجل اجتمعوا في سهل بنارس يقيمون الحجة على الرسوم التي تريد وضعها على البيوت وعزموا ان يهلكوا جوعاً او تجيبهم الحكومة الى الغاء هذه الرسوم فاجابتهم مكرهة مخافة ان يحدث وباء فاذا عادت روح الاعتصاب وسرت في اعصاب مائتي مليون رجل لمقاومة سياسة التعليم ،اذا تعمل بريطانيا ؟

ولم تر انكلترا اسلم لها من تلقين الهنود مبادئها بالتدريج على ان تعلمهم ماتمليه ابناءها في عاصمة الجزائر البريطانية وتشربهم حب الانكليزية على شرط ان لايحيدوا عن جادة الاخلاص لها ولا يسيئوا استعمال المفتاح الذي تسلمهم اياه ويستخدمونه لفتح الباب في ايذائها

والمسألة لاتخلو من اشكال ايضاً فيما يتعلق باهل الطبقة العالية من المسلمين فقد جاء في احد التقارير عن الهند مانصه : « انا اذا صرفنا النظر عن الاسباب الاجتماعية والتاريخية في الشعب الاسلامي في الهند نرى لانحطاطهم اسباباً ذات شأن لها علاقة بتربيتهم التي تؤثر في حياتهم . » فتعليم الجامع يجب عندهم ان يكون سابقاً دروس المدرسة ولا يتيسر اخذ الطفل من المسلمين الا بعد ان يقضي بضع سنين في مدرسة يتعلم فيها اللغة العربية والفقه الاسلامي ولكن تعليم المدرسة الدينية يقوده الى ان يختار الخدم الدينية مؤثراً لها على اربح المسالك والاعمال . وقد ابدت التجارب هذه الملاحظة اذ حدث ان حب الوظائف العامة قد اثر قليلاً في المسلمين في الهند وظلوا يقاومون التعليم الانكليزي كل المقاومة ولحسن طالعهم لم تعن الحكومة الانكليزية بان تجعل المسلمين اوربيين كما حرصت على جعل الهنود كذلك ورأت انكلترا ان تنقذ الطبقة العالية من الهنود من الاوهام القديمة لتستخدم منهم اناساً في الادارة والقضاء والمالية وقد رأى اللورد ماكولي سنة ١٨٣٥ على مافيه من العقل الذي اثر تأثيراً سيئاً في الهند ان من الواجب تعليم اللغة الانكليزية في مدرسة شبان الهنود من ارباب الطبقات المختلفة لترشح التربية الانكليزية من الاعلى الى الادنى وكان يقصد من ذلك ان يأخذ مايلزم للبلاد من الموظفين من اهل البلاد انفسهم

وفي سنة ١٨٥٤ انشأت انكلترا ديوان المعارف العمومية فعنيت بادخال اللغة (الانكليزية) الى مدارس بنغال وبنارس ونظمت مدارس الوطنيين مع محافظتها لها عَلَى صفاتها الخاصة وفي سنة ١٨٥٧ اثمرت البذرة التي وضعها لورد ماكولي في تربة الهند فأسست ثلاث كليات في كلكوتا وبومباي ومدراس عَلَى مثال الكليات الانكليزية فيها انواع الراحة والرفاهية وتدرس فيها الدروس التقليدية وانشئت في حاضرة كل مقاطعة مدرسة عالية وفي المدن الصغرى مدارس وسطى ثم أنشئت كليات لاهور لاقليم بنجاب والله آباد لاقليم الشمال الغربي وساغ للمتخرجين من تلك الكليات ان يتدرجوا في المراتب مثل من تخرجوا من كليتي اكسفورد وكمبردج

فتخرج من تلك الكليات اناس من ارباب الذوق والادباء والمشرعون وقل في المتخرجين العلماء اذ لاحظ السير هنري مين ان عقل الهندي المستعد لقبول ما حلا وطاب من المعارف هو محروم مما يتصور من قياس مدقق للحقيقة فالهندي يجيد التكلم والكتابة والتفكر الدقيق ولكنه متوسط الاستعداد للحساب والارقام واصبحت الحكومة تبعث الى لندرا بارقى طبقة من متخرجي كليات الهند ليكونوا نموذجاً عَلَى اشتغالها ورموزاً لمن طبعتهم بطابعها فكانت تكرم وفادتهم في لندرا ولم تعقهم الوانهم السمراء وتناسب اعضائهم وعيونهم التي تقدح شرراً وقاماتهم القصيرة وحركاتهم المتناسقة وامزجتهم الشديدة عن ان يستميلوا قلوب الناس اليهم ونالوا من الكرم البريطاني انواع الرعاية والعناية وفتح الانكليز لهم ابواب دورهم الانيقة الشريفة كأن كل فرد منهم كان اميراً خطيراً وراجا كبيراً فأخذوا بما شاهدوا وتكلنزوا عَلَى اجمل اسلوب وعاشوا عيش الوطنيين الانكليز وقدروا حق قدره كل ما في الوطنية من الاحترام والامن والشرف والاستقلال العالي٠

فكانوا يتعاشرون ويتسامرون ويتعارفون في المجالس الى من يخطبهن من الآنسات الفتانات الشقر البيض ويلعبون معهن انواع الالعاب المألوفة والرياضات الانكليزية النافعة وكانوا في جميع احوالهم مثال الظرف في البستهم والترتيب في قبعاتهم حتى اذا اتموا دور التمرين التي كان كل يوم منها ابتسامة للمستقبل وتشبعوا بهواء الغرب وتبطنوا اسرار فلسفة هربرت سبنسر وشوبنهور ونيتش وخفقت افئدتهم بما علمت وتلبس شعورهم بالبدائع وحشيت عقولهم بخطب مجلس النواب الانكليزي — يركبون البحر عائدين الى بلادهم بلاد الشمس والحرية يحملون اجمل ذكرى مما رأوه وفي صناديقهم

واصونتهم الاوراق المطيبة والزهرات الذابلة وقطع من الشريط و بعض الفساطين يو بون والكبير آخذ منهم و يعود محيطهم البرهمي يخيفهم ويرجعون الى سابق اوهامهم واحقادهم على الادارة الانكليزية التي لم تؤثر فيها كثرة تغذيهم بمبادئ اصحابها

ولقد شاعت اللغة الانكليزية بين امراء الهند حتى صارت لهم بمثابة لغة الاسبرانتو في الغرب يتكلم بها الهنود وهم من اجناس مختلفة واصحاب لهجات متباينة فالمتكلمون باللغة السنسكريتية والبراكريتية والبالية والتيلكا والبنغالية والهندستانية والمالاكالية والتامولية وغيرها من لهجات الهند يحسنون الانكليزية كاهلها رهذا ماحدا انكلترا ان تضاعف مدارسها وكتاتيبها وكلياتها ثم رأت من الحكمة ان تعتمد على العنصر الاسلامي فاعظمت له مكانته واقلت من مكانة العنصر البرهمي فزاد ذلك البراهمة نفوراً واخذوا ينادون في سرهم وجهرهم « الهند للهنديين » وارادوا محاربة الانكليز حرباً اقتصادية فلم يكن من ابناء جنسهم اناس يكتفون للظفر في هذه المعارك فلم يسعهم الا ان يلجؤا للاجانب فكان الالمان وهم الشعب الذي يحاول ان يخلف الانكليز في كل مكان هم الذين مدوا ايديهم للهنود واصبح ماتخرجه هندهم من بالات القطن وصناديق الشاي واكياس القهوة يسافر الى ميناء همبورغ بدل منشستر

ثم حدثت مشاغبات وفتن وقتل رجال الثورة بعض اعضاء الحكومة فلم يسع انكلترا الا ان تعطي الهند نظاماً جديداً مصبوغاً بالصبغة الديمقراطية اكثر من ذي قبل واشركت الهنود في سياسة بلادهم واستعملت انكلترا الرفق فيمن دعوا الى الثورة من رجال الصحافة والمحاماة وكان من تقربها من روسيا وتحالفها مع اليابان اكبر مفتر لهمم الهنود عن نزع ايديهم من يد حكومتهم اما المسلمون الذين رأت بريطانيا بعد حين ان تعتمد عليهم فقد تحركت نفوسهم وادركوا قصورهم خصوصاً عندما رأوا اخوانهم شبان العثمانيين الاحرار الذين حرروا المملكة العثمانية من السلطة الاستبدادية كل هذا ليصدق على سكان الهند ماقاله احد المفكرين من رجال السياسة الانكليزية «سيبقى الشعب الهندي على الدوام شاهداً ناطقاً بالماضي غير ممسوس بيد الغرب الا مساً خفيفاً » ومحاولة تجديد شبابه هو من الغلط وقلة الخبرة.

الالبان

امتلأت الجرائد في هذه الايام باسم هذا القوم المحارب ويجدر بنا ان نذكر شيئاً من تاريخه ولو مختصراً لنعرف ما كان عليه في الايام الخالية وما صار اليه الآن · وقد اتخذت قاموس الاعلام ، لشمس الدين سامي بك اماماً وكتاب التاريخ لمؤلفه دورووي معاوناً

ان اسم هذا القوم فيما بينهم « اربانيا » في قبيلة كيغه و « اربريا » في قبيلة طوسقه لأن هذه كثيراً ما تبدل النون راء وكلاهما مشتق من اللغة الآرية القديمة من كلمة «آر» الحقل و «بان» من يعمل فيه او يحرثه او يزرعه فكأنه قيل لهذا القوم « الحارث» او « الزارع » لأنه هو اول من ادخل هذه الصنعة من آسيا الى اوربا ولما كان اليونانيون يبدلون الباء بالواو لفقدان الاولى عندهم دعوا هذا القوم «اروانيتيس » بزيادة «يتيس» وهي اداة النسبة عندهم اي منسوب الى اربان (ظنا منهم ان اربان اسم للأرض التي يسكنونها) والسين زائدة تظهر في اكثر كلماتهم حالة الرفع وتسقط في حالة النصب والجر وفي التثنية والجمع ولما دخلت الاتراك الى تلك البلاد اخذوا الأسم اليوناني فدعوهم ارناويت بحذف السين الزائدة وتقديم النون على الواو تحريفاً (كما حرفنا نحن كلمة عربون وقدمنا الراء فقلنا رعبون) وثقل اول الكلمة اقتضى ان يكون آخرها كذلك فبدلت التاء طاء وكسرت الواو ضمة لغير سبب فصارت ارناؤط واوربا اليوم تدعوهم « الباني » بتبديل الراء لاما وهما قريبا المخرج وكثيراً ما يتبادلان وفي العربية البرت والبت بمعنى واحد وهو القطع

تبين لدى علماء الالسنة المحققين ان لسان الالبان يشابهُ اليوناني القديم واللاتيني والصقلبي والغوطي والفارسي والسنسكريتي وان هذا اللسان من اقدم شعب اللسان الآري · ومن يقدر ان يحكم ان الكلمات المشتركة بين هذا اللسان وبين اليوناني القديم هي يونانية اخذها الألبان او البانية اخذها اليونان ؟

لا يقدر على ذلك الا العالم بكلتا اللغتين المتوغل فيهما · وقد ادعى شمس الدين سامي بك بأن كثيراً من الكلمات تدل صورتها الالبانية على انها اصل وصورتها اليونانية او اللاتينية على انها فرع · (كما نعلم نحن العرب مثلا ان يبس وجذب اصل وان ايس وجبذ فرع) ومن هنا يتبين ان هذا اللسان اقدم من اليوناني واللاتيني

ثم ان مشابهته للسان الفارسي والزند والسنسكريتي اكثر من غيره من الالسنة الآرية الاوربية تدل على انه لم يتشعب من هذه الالسنة التي هي شعبة من غيرها بل انه جاء رأساً من آسيا الوسطى ابان الهجرة العمومية

وقد انتخب هذا القوم انفسه شرق اوربا وطناً له كما ان انسباءه السلتيين اختاروا غرب اوربا . ثم تفرق فرقاً فمنهم من اقام في ايليريا وهي بلاد الالبان الآن وبوسنه وهرسك ودالماسيا ومنهم من سكن في مكدونيا القديمة وهي عبارة عن سيروز وولاية سلانيك ومناستر واسكوب ومنهم من انتشر في ثراكيا وهي اليوم ولاية ادرنة وقسم من بلغاريا ومنهم من بقي في آسيا ولم يدخل اوروبا وهم الفريجيون ومسكنهم من سواحل الاناضول في البحر الابيض الى سيواس وانقرة

وقد ثبت بالأدلة التاريخية ان هذه الفرق الاربع من اصل واحد الا ان اهل ايليريا اقرب الى اهل مكدونيا واهل ثراكيا اقرب الى اهل فريجيا لغة وخلقا . وكان يجمعهم اسم (بلاسج او بلاسغ) في قديم الزمان ويظن بعض علماء اللغة ان كلمة بلاسج مأخوذة من كلمة «بلاق» الالبانية ومعناها الشيخ سموا باسم حكمهم اي مجلس الشيوخ حتى ان اهل الجبل منهم الآن يحكمون مجلس الشيوخ فيما يختلفون فيه ويسمونه «بلاقونيا» . ومن هنا يعلم ان هذا القوم العظيم انتشر قبل الفي سنة من توبنا في بلاد الجر الى سيواس في الاناضول . اما من كان في الاناضول فقد استولى عليهم الفرس ثم اليونان ثم الرومان فاختلطوا بهم فضاعوا وانقرضوا . واما من كان في مكدونيا وايليريا فقد زاحمهم البلغار والصقالبة حتى اجتمعوا كلهم واكتفوا بالقسم الجنوبي من ايليريا . وكان هؤلاء لايختلطون بغيرهم من الأمم ولا يؤلفون جامعة لهم ولا يخطر ذلك في بالهم بل كانوا يعيشون متفرقين كما هو حال اهل الجبل منهم الآن في جوار دبره واشقودرة ولذلك حافظوا على لسانهم وعاداتهم واخلاقهم . ولكن لم يحصلوا من الادبيات القومية على شيء لفقدان الجامعة بينهم .

اتى عليهم زمن اسس فيه بعضهم دولة فكان منهم حكومة في اشقودرة واخرى في بانية وثالثة في مكدونيا ومركز هذه بلدة «بلا» على نهر «قره آزمق» قرب بلدة «يكيجه واردار» من توابع سلانيك ومن ملوكها اسكندر المشهور ابن فيليب وهو الباني الاصل والنسب تعلم اليونانية لآدابها في ذلك الوقت فظنه الناس انه يوناني واكبر دليل على انه ليس بيوناني خطب ذلك الخطيب اليوناني الشهير «ذيموستن» وتحريضه لأهل

آثينة وتسميته له في تلك الخطب باسم «بارباروس» (*) اي اعجمي وكانوا يسمون كل من لم يكن يونانياً (بارباروساً) كما ان العرب تسمي كل من لم يكن عربياً (اعجمياً) ومن اشهر ملوك يانيه (بيروس) فقد غلب الرومان مرتين واستولى على كثير من البلاد حتى توسع ملكه الى اليونان ومصر ولم يكن همه الا الظفر فقط ولذلك لم يترك لبنيه الذين ورثوه الا ماورثه عن ابيه ·

ان الالبان الذين استولوا على العالم باسره في عهد اسكندر ابوا ان يكونوا في أسر الرومانيين ولقد كانت لهم وقائع عظيمة معهم دلت على شجاعتهم وبسالتهم الى ان اتى «بول اميل» (١٦٨ ق · م) بعسكر جرار فغلبهم وخرب لهم سبعين قصبة (قرية واكبر منها) وأسر منهم مائة وخمسين الفاً وساقهم الى رومية وباعهم هناك عبيداً ·

اتظنون انهم بعد هذا اطاعوا الرومانيين كلا فأنهم التجأوا الى الجبال وتحصنوا فيها وتركوا الاراضي الخصبة وآثروا الفقر مع الحرية على الثروة مع الأسر ·

وهكذا كانت حالهم لما دخل ملوك بني عثمان الى الروم ايلي وفي سنة ١٤٢٠ من الميلاد ظهر من بين رؤسائهم امير يقال له اسكندر بك وكان رجلاً شجاعاً مدبراً لجمع القبائل كلها تحت رياسته وقاوم العساكر العثمانية اربعين سنة ولما هلك استولت الدولة العثمانية على جميع تلك البلاد فمنهم من رأى الغربة فهاجر الى قلابريا وصقلية ومنهم من ذهب الى البندقية وجنوه ومرسيليا ومنهم من اداه السير الى اسبانيا · ومنهم من اختار الاقامة وهداه الله فاسلم ثم انتشر الاسلام بينهم ولم يبق على دينه القديم الا مقدار الثلث ومذهب النصف منه اورثوذكس والنصف الآخر كاثوليك · وقد ظهر منهم رجال نبغوا في هذه الدولة حتى احرز الصدارة منهم عشرون وزيراً ومن اشهر قوادهم في الجيش العثماني سنان باشا وآثاره تدل عليه وهو اول من ادخل اليمن وعمان في حوزة الدولة واوصل علمها الى الاراضي المجهولة في ذلك الوقت مثل آجينة وصوماطره وكذلك الوزير المعروف بكوبريلي محمد باشا فانه وصل الى اسوار فينا مظفرا ·

يمتاز الالباني بانه طويل القامة غليظ العظام عصبي المزاج كبير الدماغ واسع الناصية (وهذا مما يدل على ذكائه) · يرعى العهد ولو كان فيه الموت الاحمر · يفدي

(*) عربنا الواو اليونانية بالباء لأن العرب جميعهم اصطلحوا على ذلك وتبعهم الفرنساويون اليوم ايضاً فقلنا الباسليق وقال الفرنساويون كذلك والاصل واسيليقوس نبهنا على هذا لئلا يظن انه يوجد باء في اللغة اليونانية

روحه في حفظ قبيلته وعائلته بل لانفاذ كلمة خرجت من فمه . يتبختر تبختر الابطال في مشيته خفيف الحركة سريع الخطو . يغلب على نسائهم الجمال الا انهن غليظات الابدان عليهن ملامح الرجال ، لا يبالين بالحجاب ولكن الرجال يغارون اشد الغيرة عليهن فاذا احسوا بان فتاة او امرأة خرجت ولو قليلا عن دائرة العفة قولاً او فعلاً فتكوا بها فتك ظالم غدار (لله درهم ودر العرب الذين لم تفسد اخلاقهم ودر هذه الغيرة التي نعدها نحن المدنيون توحشاً) نساؤهم صناع اليد كثيرات الجد والكد ، هن ربات البيوت والرجال عندهن كأنهم ضيوف . لا يتزوجون الا الاكفاء ولو بعدت المسافة بينهم . يحرمون بناتهم من الارث (عادة ورثوها عن آبائهم) ولا يعطونهن شيئاً حتى ان ثياب العرس يشتريها الزوج . صلابتهم في دينهم شديدة الا انهم يتهاملون في العبادات ولهم بعض عادات انتقلت لهم من النصرانية او من دين اجدادهم يحافظون عليها الى الآن . يرون الاتفاق فيما بينهم فرضاً ولو اختلفت دياناتهم . فهذه ميزة الالبان باختصار .

واما لسانهم فقد ذكرنا انه شعبة مستقلة من اللسان الآري لكنه لم يحذو حذو اخواته كاليونانية واللاتينية فيرقى الى اوج الفصاحة والبلاغة الا انه اقدم منهما لما يرى من اسماء الآلهة في اساطير اليونان واللاتين فانها منه اخذت .

وقد اكتشف الذين ينقبون عن الآثار القديمة في «طوسقانه» من اعمال ايطاليا خطوطاً قديمة لم يمكن حلها باللسان اللاتيني واكتشفوا في فريجيا ايضاً خطوطاً تشبهها فجربوا فيها اللسان الالباني فوجدوها تشبهه غاية المشابهة ومن هنا يظهر ان لهذا اللسان خطوطاً تختص به . وعندهم بعض كتب تتعلق بمذهب الكاثوليك ألفت منذ خمسمائة سنة ولا اظنها مكتوبة الا بالحروف اللاتينية وفيها المنظوم والمنثور . ويحفظون بعض اغاني وطنية يرجع انشاؤها الى ثمانية او تسعة اعصار . ولا فرق بينها وبين لسان اهل هذا العصر الا في التعبيرات الدينية لان النصارى اتخذوها من اليونانية والمسلمين اتخذوها من العربية وكلاهما ترك اصطلاحات الدين القديم .

واما حروفهم التي يتنازعون لاجلها الآن فلست اظن انها تلك الحروف المكتشفة في طوسقانة وفي فريجيا على انه لا يبعد ان تكون تلك الا انها اصلحت كالحروف العربية في بادئ الامر وشكلها الآن . ولما زادت المجادلات بينهم واخبرتنا الجرائد بذلك احببت ان ارى هذه الحروف فاخذت كتاب الف با وفيه دروس القراءة

الالبانية · فوجدت كلمات هذا اللسان تتركب من احد وثلاثين حرفاً وسبع حركات جعلوا لها (اي لهذه الثمانية والثلاثين) ستاً وثلاثين علامة «*» اما الحركات فتلفظ همزة في اول الكلمات فقط ولذلك عدوها من الحروف · واما الحروف فانها تنقص عن العربية في اشياء وتزيد في اشياء · ينقص هذه اللغة من الحروف الحاء والصاد والضاد والطاء والعين وتزيد عن العربية بهذه الحروف :

١ تس : حرف تمتزج فيه التاء بالسين فيحصل صوتاً مثل ج من فم ولد صغير اي بين « س » و « ج »

٢ ج : كما في التركية والفارسية

٣ دز : صوت يحصل من امتزاجهما ولا سبيل لفهمه الا بعد سماعه

٤ ر : راء مفخمة جعلوها مستقلة عن الراء المرققة

٥ ز : كما في التركية والفارسية

٦ ك : حرف بين الغين والياء فلا هو غين ولا هو ياء لكنه اقرب الى الياء منه الى الغين

٧ ل : لام مفخمة كالتي في لفظة الجلالة تقدمها فتح او ضم

٨ نی : نون ساكنة بعدها ياء وهي اشبه شيء بـ gn الفرنساوية

واما العلامات فقد اخذوها من اللسان الفرنساوي عينًا الا ان الفرنساوية وضعوها لحرف « تس » و ç وضعوها لحرف ج و x وضعوها لحرف « دز » وما زاد عن الفرنساوية فقد اتخذوا له علامات لا تخرج عن وضع العلامات الفرنساوية الا بزيادة خط معوج في رأسه او اسفله · سلانيك ر · ب

«*» يطلق الحرف ويراد به ما تتركب منه الكلمات بقطع النظر عن شكله فيسمع ولا يرى ويطلق ايضاً ويراد به الشكل المكتوب على لوح او ورق فيرى ولا يسمع وللفرق بينهما عبرت عن الاول بالحرف وعن الثاني بالعلامة · جعلوا للذال والظاء علامة واحدة وللحاء والهاء علامة واحدة ولذلك كانت ٣٦ علامة مقابل ٣٨ حرفاً

حكم افرنجية

مااحسن حال من يعتقدون انفسهم بائسين وهم ليسوا الا فارغين ملولين (الفرد دي موسيه)

مزج الباري تعالى الصداقة بالحياة لينشر في اطرافها السرور والسلوى والظرف (بلوتارك)

حيثما استطاع الانسان ان يرزق فهناك يعيش عيشاً حسناً (مارك اوريل)

اعظم غلط يرتكب في التربية ان يعجل المرء في تلقينها (جان جاك روسو)

ليست معرفة الطاعة من الضعف بل هي قوة عظمى (جانت)

التربية بوضع القواعد طويلة الاذيال واقصر منها التربية بالمثال الحسن (سنيك)

من فطرة الطامع انه مغاضب لكل مايملك (مين دي بيران)

في وسعنا ان نبدو عظماء في وظيفة هي دون اقدارنا ولكننا كثيراً ماتبدو صغاراً في وظيفة هي اكبر منا (لاروشفوكولد)

الناس كالمداخن فالمدخنة التي يخرج دخانها كثيراً ليست ذات هندام حسن .

كثرة البطالة تخالف الفضائل فمن لم يعمل عملاً لايعد ان يعمل سيئاً

في العادة ان المرء لايستنصح الا ليبتعد عن العمل بما نصح به او ليلوم من نصح له

من الناس وكثير ماهم من لايندمون حقيقة الا من اعمالهم الصالحة .

قلما يكون المختال جسوراً فالمرء كلما اعتبر نفسه تعرض للهلكة .

الجائع لايكون حراً

كثيراً مايكون علم التغلب على المصاعب عبارة عن تقديرها بقيمتها الحقيقية .

يعتقد الطحان عن طيبة قلب ان الحنطة لاتنبت ألا لتحرك طاحونه

كثيراً مايكون الاسراع في اصدار الحكم خالياً من روح العدل .

لاتأكل حتى يثقل جسمك ولا تشرب حتى يطيش عقلك .

الندم انفع الشعور الصالح

الرحمة تجعل المساواة حتى في التعذيب

الحياة حساب فالسعيد من كان حسابه مستقيماً

غرائب الغرب

دار معونة العلماء

١٥

هي الدار التي انشأتها الآنسة دوسن شقيقة العقيلة تير امرأة تير . وهو العالم المؤرخ اول رئيس للجمهورية الثالثة نفع هذا الرجل فرنسا بحياته فاحبت امرأته ان تخلد ذكره بعد مماته فاوصت بمال يصرف على تأسيس دار تؤوي خمسة عشر رجلاً من شبان العلماء يكفون فيها مؤونة الحياة المادية ويتفرغون للبحث والدرس ليكونوا صلة بين الكليات التي تخرجوا فيها والمجامع العلمية التي يراد اجلاسهم في قاعاتها . ماتت العقيلة تير على حين فجأة فنفذت وصيتها شقيقتها ووقفت مالاً بلغ ريعه مئة وخمسين الف فرنك

ان من يزور هذه الدار المباركة ويطلع على اعمالها ورجالها يوقن كل الايقان بالمثل الافرنجي القائل بان « فرنسا تخترع والمانيا تعمل » . الفرنسيس يبتكرون في كل شيء وهذه الدار هي من مبتكراتهم وما اظن لها مثيلاً عند الالمان والانكليز والاميركان سادة العالم في العلم وقادة الابداع والاختراع .

زرت هذه الدار مرتين وتشرفت بالتعرف بمديرها احد كبار فلاسفة فرنسا وعلمائهم المعاصرين المسيو اميل بوترو — ومشاهير الفلاسفة المعاصرين من الفرنسيس اليوم هم بوترو وفوليه وريبو وبرجسون

ولم اتمن في حياتي ان اكون فرنسوي الاصل والجنس الا لما رأيت هذه الدار وعلمت انها لاتقبل في حجرها الا الفرنسويين . تمنيت ان اعيش فيها

المدة المحددة لكل طالب اتفرغ لدرس ابحاث تجول في الصدر ويعوق الزمان والمكان الآن عن اتمامها ·

هذه الدار سميت باسم تير La Fondation Thiers والاولى ان تسمى دار معونة العلماء لانها ليست مدرسة كالمدارس ولا كلية كالكليات ولا مدرسة دينية كالمدارس الدينية بل هي دار يقبل فيها كل سنة خمسة (١) من شبان العلماء من نابني الكليات يحملون شهادة «الليسانس» او «الدكتورا» في الآداب او العلوم او ممن نالوا جائزة من جوائز المجمع العلمي في الابحاث التي تجري فيها المسابقة بين ارباب الافكار والاقلام تحت نظارة المجامع العلمية الخمسة في باريز فيقضون ثلاث سنين في هذا المعهد ينصرفون فيها الى الفن الذي يريدون الاخصاء فيه فيبحثون بانفسهم لانفسهم تحت رعاية مدير المعهد فيلسوف فرنسا المسيو اميل بوترو الذي يعيش واياهم في المعهد كما يعيش الاب مع بنيه ويمدهم بآرائه ويهديهم الى اقرب الطرق للانتفاع بمعارفهم ووضع مؤلف او مؤلفات نافعة في الفنون التي هي احب من غيرها الى قلوبهم ولا ينشرونها الا اذا نظر هو فيها واقرهم عليها · واي عالم لايحب ان ينتفع في عمله برأي عالم كالمسيو بوترو بلغ السبعين او كاد من عمره وهو يفني لياليه واياءه في العلم والفلسفة

يشترط فيمن يدخل دار معونة العلماء ان يكون ممتازاً بعقله واخلاقه ويفضل من يرتضي اساتذته اخلاقه ونبوغه ويشهدون فيه شهادة حسنة

(١) اعتمدنا في هذه المقالة على ما كتبه المسيو اميل بوترو بشأن معهد تير العلمي في مجلة الافكار الحديثة ومجلة وشنشريفت Wochenschrift الدولية الالمانية وغيرهما من الفهارس والقوائم .

وان يكون دون السادسة والعشرين من عمره غير متزوج وقدقضى الخدمة العسكرية ويعطيه المعهد ستين ليرة في السنة لنفقته الخاصة وثلاثين ليرة ليسيح بها سياحة علمية وتعطيه غرفتين فسيحتين فيهما اسباب الراحة والرفاهية احداهما لنومه والثانية لعمله بحيث يكون الشبان العلماء الخمسة العشر وهو عدد الموجود منهم في المعهد ابداً موسعاً عليهم لايطلب منهم الا ان يؤلفوا ويبحثوا ابحاثاً علمية تنفعهم وتنفع امتهم وبلادهم ويقسم عدد من كانوا فيها سنة ١٩٠٨ — ١٩٠٩ من شبان العلماء الى رياضيين ومؤرخين ومتشرع في السياسة والاجتماع وعالم في اليونانيات وحقوقيين وفيلسوفين ومؤرخ وموسيقار وعالمين في الجرمانيات ومؤرخ في الآداب الفرنسوية وجغرافي وقد انشي هذا المعهد سنة ١٨٩٣ فيكون عدد من اعانهم على الاخصاء في العلم حتى الآن ٨٠ عالماً وكلهم وضعوا المؤلفات الممتعة النافعة للعلم عامة ولبلادهم خاصة وقد بلغت واردات هذا المعهد مئة وخمسين الف فرنك في السنة يتناول منها المدير عشرة آلاف فرنك ·

قام معهد تير العلمي في اجمل حي من احياء باريز في حي الاشراف والنبلاء بالقرب من غابة بولونيا الغناء غربي مدينة باريز في الحي الذي تؤجر الدار فيه اليوم بثلثمائة الف فرنك مسانهة وسط حديقة انيقة تحيط بها الحدائق في مكان يجمع الى السكون المطلوب للعلماء والمؤلفين ولا يبعد عن سائر احياء العاصمة وما يلزم لهم من المواد المفرقة في مكاتب باريز المختلفة ودور العلم والمستودعات والمجامع والمتاحف وغيرها بحيث هم بعيدون قريبون عن الحركة العلمية والسياسية والاجتماعية وليس في المعهد مكتبة كبرى لانها على اتساع مساحتها لايتسع صدرها لكل مايلزم المؤلفين فيها من المواد بل

فيها فقط كتب الفهارس والمعاجم والمراجعة والامهات التي لاغنية لكل عالم عنها وما عدا ذلك فمكاتب باريز وعلماؤها ودور سجلاتها ومتاحفها على قيد غلوة من سكان هذه الرحبة الشريفة يأخذون منها ماراقهم كل ساعة ٠

وليست هذه الوسائط هي كل مافي معهد تير من المعونات لعلمائها بل ان لهم بفضل الشيخ الرئيس مديرهم الحكيم الكبير اهم الاسباب التي تربطهم بعلماء العالم ومجامعه وكلياته فهم كسكان الجنان توفرت لهم كل الوسائط فلم يبق عليهم الا ان يقطفوا من ثمار يجبونها كل قريب ودان

يعيش هؤلاء العلماء عيشة مشتركة فيتناولون طعامهم معاً و يلعبون و يتنزهون معاً ويبحثون عن العلوم التي يمتون بها معاً و يتألمون هكذا يعيشون عيشة الاتراب العاملين على ماتعلموا في طفوليتهم في المدارس والكليات ويستفيد بعضهم من بعض في العلوم المختلفة ويعاون بعضهم بعضاً معاونة الاخوان ويترفهون رفاهية لايتمتع بها الا الاعقلاء الاغنياء

قام هذا المعهد المفيد تحت رعاية العلماء من اهل المجمع العلمي وحققت فيه مؤسستاه العقلية تير وشقيقتهاما رسمه النظار على ذلك المعهد امثال جول سيمون ومنيه وبارتلمي سان هيلير فكان تير الذي عد من نوابغ القرن التاسع عشر الذين خدموا بلادهم خدمة تذكر على الدهر فتشكر نافعاً لامته في حياته بعقله وفي مماته بماله ٠ فمتى يصل الشرق ياترى الى هذه الدرجة في العقل والاحسان ومتى يكون علماؤه من اهل السعة واليسار الى هذا الحد ليحسنوا الانتفاع باموالهم كما احسنوها بعلومهم

ان شبان العلماء في هذه الدار بعد ان تعلموا ورأوا العلماء كيف يعملون محتاجون لهضم ماتعلموه ان يعانوا لينشأ منهم افراد متفردون في العلم فيتحولون

بهذه الواسطة من تلامذة الى اساتذة اكفاء ان يكفوا انفسهم وان يوجدوا ويخترعوا وهذا موقوف على ان يستجمعوا قوائم ويتمتعوا بحريتهم واوقاتهم على مايشاوءن فالعمل كما قال اميل بوترو هو السرور على شرط ان لايكون صاحبه مستعبداً فيه لاحد ولا لمؤثر بل يقوم به مدفوعاً فقط بعامل نتائجه الطبيعية وهي الايجاد والابداع · وما التربية الا ان تخرج كل انسان على ماينفع فيه ويتيسر له النبوغ في فروعه · التربية هي تخريج المرء اولاً في مجموع المبادىء العامة التي هي وقف خلفه لنا اسلافنا بتجاربهم وسموا ذلك العقل ثم تخريجه ثانياً في ان يكون مخصياً متفرداً في علم واحد يكون فيه على بصيرة على نحو مايتطلب ذلك العلم الحاضر والمجتمع الحديث ثم ينشأ ثالثاً ممن دخل في هذين الطورين في التربية فيلسوف يدرك قيم الامور ويعرف الصلات المتبادلة فيما ينصرف اليه العاملون على اختلاف معارفهم ويحث في ان يوفق توفيقاً حسناً بين الحياة الخاصة والحياة العامة · وكل هذا لايفهم مغزاه شرقنا التعس الآن ·

تآخي الغربيين

١٦

كل فكر ومذهب في الوجود نتيجة الدعوة اليه وتحبيبه الى النفوس · عرف الغربيون هذه القاعدة فجروا عليها في كثير من اعمالهم وكان من ثمرات الدعوات السياسية والدينية تأليف الوحدة السويسرية والالمانية والاميركية وتوحيد كلمة الجزائر البريطانية وانتشار المذاهب الاجتماعية والاشتراكية والفوضوية وكثرة من يدينون بالمذاهب البرتستانتية والفلسفية

وقد قام هذا الشهر في فرنسا جماعة ممن يفكرون لخيرها رأوا ان بلادهم تنتفع كثيراً من تحسين صلاتها مع اميركا فألفوا جمعية دعوها « جمعية فرنسا اميركا » مؤلفة من علماء وسياسيين وقواد واجتماعيين ومعلمين وفي رأسها المسيو جبرائيل هانوتو احد اعضاء المجمع العلمي وصاحب التآليف الكثيرة في التاريخ والسياسة ووزير خارجية فرنسا الاسبق وقد انشأوا لبث هذه الدعوة مجلة شهرية باسم جمعيتهم تدعو الى هذا الغرض استفتحها رئيس الجمعية بمقالة في الغرض الذي يرمون اليه وكتب في المجلة الاسبوعيه مقالة طويلة الذيل في هذا الشأن فرأيت ان الخص للمشارقة لباب هاتين المقالتين دلالة علَى ما يأتيه المغاربة من الاعمال النافعة لمستقبلهم لننعي علَى انفسنا نومنا عن النظر في مستقبلنا

قال هانوتو : ان النجاح معقود بناصية من يعمل في الوقت اللازم ولو وجهنا وجهتنا منذ سنة ١٨٦٠ الى اميركا الشمالية والجنوبية لما احتجنا اليوم الى دعوة امتنا لتعريفها بما نعرفها به · هبت علينا الزعازع السياسية والاقتصادية منذ ذاك الحين واذ قد سكتت الآن وجب علينا ان نعمل عملاً يحمل في مطاويه احسن الفوائد

تبدلت الارض غير الارض في خمسين سنة حتى صح ان نقول ان قارتي آسيا وافريقية كأنهما اكتشفتا حديثاً فكثرت مواصلاتهما وحملت اليهما المدنية والحضارة وجرى تعليمهما واستعمارهما وكان لفرنسا من هذا التحول الغريب حصة موفورة · فقد غير دلسبس بفتحه ترعة السويس شكل الارض كما ان جول فري بموافقته علَى السياسة الاستعمارية قد حاز لنا قسماً كافيا من قسمة الاراضي الجديدة ·

وبينا كان الشرق يستدعينا غدا الغرب ينكرنا ويستغني عنا . فان مسألة باناما المشؤومة التي جاءت بعد مسألة المكسيك قد اثرت في علاقاتنا مع اميركا الشمالية والجنوبية واستغرقت التدابير الاوربية الكبرى التي اضطررنا الى مجاراتها فكرنا وقوتنا المادية . وانحطت بحريتنا التجارية فضعفت بضعفها اسبابنا في العمل واحتفظنا باساليبنا القديمة التجارية فسبقتنا شعوب اكثر منا فتاء واكثر مضاء واقل مطالب ومشاعب

نعم تقدمنا وتأثلنا ولكننا لم نبرح كما كنا في قوتنا على عهد نابوليون على حين كانت اميركا بثروتها وقوتها وعظمتها تتقدم تقدماً لا يوصف فقد كان سكان الولايات المتحدة سنة ١٨٧٠ — ٣٦ مليونا اي ما يقرب من سكان فرنسا على التقريب فاصبحوا سنة ١٨٩٠ — ٦٣ مليوناً وهاهم يتجاوزون اليوم الثمانين مليوناً . وفي كندا اليوم زهاء ٦ ملايين من السكان وفي الجمهوريات الوسطى والمكسيك ٢٢ مليوناً واصبحت اميركا الجنوبية ٤٥ مليوناً وكان فيها سنة ١٨٩٠ — ٣٥ مليوناً

وكان مجموع تجارة الولايات المتحدة سنة ١٨٧٠ خمسة مليارات ونصف فرنك فاصبحت اليوم زهاء ١٦ ملياراً وكان مجموع تجارة كندا سنة ١٨٧٨ — ٧٩ ٠ ٧٥٠ مليوناً فاصبحت سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٦ مليارين ونصفاً . ومجموع تجارة اميركا الوسطى والمكسيك مليارين ونصف وجمهوريات الجنوب اكثر من اربعة مليارات منها ملياران ونصف للبرازيل ومليار للجمهورية الفضية .

وعلى الجملة فقد بلغ مجموع ما هناك من نفوس ١٦٠ مليوناً من البشر ومجموع التجارة اكثر من ٢٥ مليار فرنك واحدثت اميركا حركة كبرى في العالم

بدخولها مضمار الاتجار فاثرت في فرنسا تأثيراً غير قليل وكانت هذه الى ذاك التاريخ قريبة بتجارتها من انكلترا اي لها المقام الثاني في التجارة فاصبحت اليوم في الدرجة الرابعة بعد انكلترا والولايات المتحدة والمانيا · اي اننا فقدنا ما كان لنا من المكانة قديماً فنحن اليوم نريد ان نستعيد منزلتنا الاولى او ان نغتنم الوقت الضائع فالمسألة ليست متعذرة ولكن تقتضي لها الارادة والتفكر والعمل على طريقة منظمة والعودة الى تقاليدنا والانتفاع من اسبابنا

اما الولايات المتحدة بما لها من المركز الذي احاط بطرفي البحرين المحيطين فهي المهيمنة على اعمال العالم فان عدات الحالة بين اليابان وروسيا فلا يبعد ان يجيء زمن تتداخل فيه في السياسة الاوروبية وان الفرنسويين في كندا ليبلغون مليونين ونصفاً ومثل هذا العدد من الفرنسيس منتشر في جمهورية الولايات المتحدة ولا سيما في الجنوب واللغة الفرنسوية في هايتي هي اللغة الرسمية فاذا حسبنا المستعمرات الفرنسوية في كويان وجزائر الانتيل يصبح عدد الفرنسيس ومن يتكلمون باللغة الفرنسية من الاميركان ليس بقليل

وان مالنا من الايادي في اميركا ولا سيما وقد قرن فيها اسم لافاييت الفرنسوي باسم واشنطون الاميركي اللذين ساعدا على استقلال الولايات المتحدة وما وضعناه فيها من اموالنا وقمنا به في جمهوريات الجنوب من البعثات العلمية والعسكرية والمشاريع الاقتصادية والمالية كل ذلك يدعونا بلسان الحال الى ان نصل الحاضر بالغابر وان لم تكن سلسلة الصلات قد قطعت كل القطع

والناس مهما تقلبت بهم الحال لايزالون يذكرون لفرنسا بيض اياديها على المدنية واذا نسوها فانهم لاينسون باريز التي تنشر انوارها على العالم واليها يحج الالوف من الاميركيين كل سنة للتنزه والارتياض والاستفادة وكلما كثرت الرفاهية في ديارهم تدعوهم الدواعي الى نزول باريز وما في اراضي فرنسا من المصايف والضواحي كالشاطئ اللازوردي (كوت دازور) فان مجموع الاميركيين الذين يختلفون كل سنة الى ديارنا لايقلون عن مليون سائح · فعقد الصلات بين فرنسا واميركا فيها كل ما نحتاجه من الاسباب القوية فان كانت اميركا الشمالية تدعونا اليها بما فيها من القوة والعظمة فاميركا الجنوبية تنادينا اليها القرابة لان عناصرها لاتينية وتربتها لاتينية فمن كندا الى مضيق ماجلان مارين بالمكسيك والجمهوريات الوسطى ترى الدم اللاتيني ممزوجاً في شرايين العناصر الجديدة وعلى اميركا الجنوبية يصح اطلاق المثل القائل «هذا دم لاماء»

ومثل هذه الجمعيات نفعتنا في القارات والاقطار الاخرى فقد كانت جمعية «افريقية الفرنسوية» اعظم معاون للحكومة في اعمالها الاستعمارية وجمعيه «آسيا الفرنسوية» اخذت على عاتقها مثل هذه المهمة و«جمعية مراكش» تعمل على نشر الافكار الفرنسوية في الغرب الاقصى فنحن بجمعيتنا هذه لاناخذ الى اميركا من معارفنا بقدر ماناخذ عنها · فلا نرمي الى الدخول فيها ونشر كلمتنا بين ابنائها بل نود ان نعاونها ونحالفها نريد ان نتعلم عليها ونحن ابناء المدنية القديمة درساً في النشاط والمضاء فان كان لمدننا القديمة كنائسها وبيعها فللمدن الحديثة معاملها ومصانعها فنحن نقنع بامتصاص التاريخ اما هم فينشقون ارج المستقبل

قام في واشنطون مثل عملنا هذا يرمي الى التقرب بين جميع العناصر في العالم الجديد سموه مكتب الجمهوريات الاميركية انشأته الولايات المتحدة بمعونة الحكومات الاخرى، ومنحه المستر كارنجي مبلغاً جسيماً من المال وهو يفتح قاعات لالقاء المحاضرات والاجتماع ومكاتب لاخذ المواد والتعليمات وخزانة كتب ومجلات كبرى وينشر مجلة للدعوة الى هذا الغرض وذلك على صورة رسمية كما ان اسبانيا انشأت مثل ذلك للتوفيق بين اسبانيا واميركا وبمثل ذلك قامت البرتغال للتوفيق بينها وبين البرازيل. وفي المانيا اتحدت الكليات واعمال الرجال على جلب ابناء الاميركان وتلقينهم التربية الجرمانية اما شعار جمعيتنا فهو ان نحبب فرنسا الى نفوس اميركا ونعرفهم بها ونحبب اميركا الى نفوس الفرنسويين ونعرفهم بها

ولا بأس هنا بذكر شيء من تلك العظمة الاميركية التي ادهشت العالمين المدني والوحشي فان مدائن نيويورك وشيكاغو و ان لوي وسان فرنسيسكو قد امتازت بغناها في زراعتها ومعادنها وصناعتها واعمالها التجارية الخارقة للعادة فقد كان في الثماني والاربعين ولاية ومقاطعة كولومبيا والارض الهندية والاسكا وجزائر هافاي ومنها تتألف الولايات المتحدة ٥٧٣٩٦٨٧ مزرعة سنة ١٩٠٠ ومعدل سعة كل واحدة منها ١٤٦ فداناً (آكر) وثمنها ٢٠ ملياراً ونصف مليار دولار اي ١٠٦ مليارات من الفرنكات وكان مجموع محاصيل هذه المزارع سنة ١٩٠٨ ٨ مليارات دولار منها ٢٦٦٨ مليون مكيال من الذرة و٦٦٤ من الحنطة و ٨٠٧ من القرطمان و ٣١ من الجاودار و١٦٦ مليونا من الشعير و١٣ مليون بالة قطن و٧٠ مليون طن من العلف و٧١٨ مليون لبرة من التبغ و ٢٧٨ مليون مكيال من البطاطا

و١٣٥ مليون لبرة من الصوف النقي

وكانت مساحة الغابات الاهلية ١٦٨ مليون فدان تغل كل سنة ٦٦٦ مليون دولار دع عنك الصيد في بحار اميركا وانهارها وهو يباع بعشرات الملايين من الدولارات ٠

وبلغ سنة ١٩٠٥ مجموع ما في الولايات المتحدة من المعامل ٢١٦ الف معمل رأس مالها ١٢٦٨٦ مليون دولار يعمل فيها ٥٤٧٠٠٠٠ يتقاضون اجوراً يبلغ مقدارها ٢٦١١ مليون ريال وتبتاع بثمانية مليارات ونصف من المواد الاولية وتبيع بما قيمته خمسة عشر ملياراً ٠ وفي سنة ١٩٠٨ اعطت الحكومة ١٦٣ الف رخصة لانشاء محال واماكن قيمتها ٥٤٦ مليون ريال

وبلغ طول الخطوط الحديدية في هذه الولايات سنة ١٩٠٧=٢٣٧ الف ميل اي ٣٨١ الف كيلو مترلها ٥٥٠٣٨٨ قاطرة و٢٠١٢٦٠٠ مركبة فيها من المستخدمين ١٦٧٢٠٠٠ يقبضون ١٠٧٢ مليون دولار مشاهرات وبلغ عدد من نقلتهم تلك الخطوط من الركاب ٨٧٤ مليوناً وثقل البضائع ١٧٩٦ مليون طن وثقل الطنات الالفية (الالف ١٦٠٨ امتار) ٢٣٦ ملياراً ورأس مال شركات السكك الحديدية ١٦ مليار دولار وصافي ربعها اربعة في المئة ٠ وفيها ماعدا هذه السكك الحديدية ٣٨٨١٢ ميلاً من الخطوط الكهربائية ٠

وبلغت صادرات الولايات المتحدة سنة ١٩٠٨ ١١٩٤ مليون دولار والواردات ١٨٦٠ ومجموع تجارة اميركا الخارجية ٣٣١٥ مليوناً

وكل هذه القوة الاقتصادية ليست بشيء لو لم تكن الاخلاق اساس عظمتها الاقتصادية وقد اخذ مقام المفكرين والعالمين يعظم في اميركا كما عظمت منزلة رجال المال والاعمال والصناعة والتجارة . وكثير من سكان المدن يعنون بالموضوعات الادبية والفنية والعلمية واصبحت بعض المدن مثل بوسطون التي هي مقر الحركة العقلية منذ زمن طويل ميدان الآداب والعلوم . وان كثيراً من الاسر ليتركون مدينة واشنطون عاصمة الولايات المتحدة في سياستها و يعيشون فيها بعيدين عن اضطرابات نيويورك وسان لوي وشيكاغو . وليس للاميركان مثل فرنسا بلاداً يغترفون منها مادة علم ولا يجدون بلداً مثل فرنسا تتلقاهم بقبول حسن وتوفر الارادات على حبهم . وفرنسا تتعلم كذلك من نشاط رجالهم فكما ان طلابهم يجدون في بلادنا مايتعلمونه كذلك اولادنا يستفيدون من تعلمهم في كليات اميركا فينشأون بين شبان يشعرون منذ صغرهم باستقلال الفكر وانهم حاملون تبعة اعمالهم ان خيراً فخير وان شراً فشر .

لما وصل النقل الى هذا الحد وقف القلم فذكرت شيئاً من حال الشرق . ذكرت حال العثمانيين والايرانيين وانهم وان كانوا من امم مختلفة فجامعتهم الكبرى وهي الاسلام لاتقول بجنس ولا عنصر فلو كنا وكانوا على شيء من العلم الحقيقي اما كنا ندعو الى انشاء جمعية عثمانية ايرانية كما ينشيء هانوتو اليوم جمعية فرنسوية اميركية

ولكن ضعف عقول رجالنا ورجالهم وتعصبنا وتعصبهم وجهلنا وجهلهم لاتلبث ان تنفجر براكينها اذ ذاك ويتذرع بعضهم بالسياسة يتوكأون على عكازها ليتنافروا بين القلوب ويفرقوا بين ابناء الاب الواحد وهناك تدخل

الدول ذوات الشأن والغايات في البلادين وينفخن في ابواق الشقاق مستعينات بعضنا على البعض الآخر · وان العاقل ليربط على قلبه بيده عند ما يفكر في عاقبة سعي الجهلاء لابقاء سوء التفاهم بين العثماني والعثماني فكيف نتمنى هذه الامنية البعيدة اليوم من ربط العثماني بالايراني · فاللهم علمنا علماً نحسن به التفاهم حتى يتآخى الشرقيون كما يتآخى الغربيون

سير العلم والاجتماع

عادات الكتاب

لكل كاتب عادة في كتابته هي الزم له من شعرات قصه لايستطيع بدونها ان تفتح قريحته فان تريستان برنارد يخلع اكمام قميصه وقت الكتابة وقبته ثم يكتب بدون ان يحذف حرفاً فاذا ماتشتت ذهنه يمسح قمله بلحيته الجميلة الطويلة واديمون روستان الشاعر يخلع نظارته عن عينه الواحدة · وراول بونشون لاينفتح عليه في محل القهوة كما يقال بل يأخذ شراباً منبهاً ويكتفي احياناً بنسخ الاشعار التي يعميها (يخربشها) بقلم رصاص في دفتر له صغير · ويكتب موريس باريس بالحبر البنفسجي على ورق ازرق ذي حواشي من الوسط على عادة رجال السياسة وترى رسوم نسور من الذهب على منضدته التي يبلغ طولها ثلاثة امتار · وهو مخطئ في استعمال الحبر البنفسجي لان ايبل بونارد قد عدل عن استعماله من تلقاء نفسه لانه يتغير كلما قدم عهده وتزول كتابته التي خطتها انامله في اسرع وقت · ولا يكتب جول كلارسي مقدمات الكتب التي تعرض عليه الا اذا لبس طاقيته واكتسى بصدرته · ولا يخط جان ريشبن كلمة قبل ان يتزيا بمشلح صنع من جوخ احمر وكذلك الكونت مونتسكيو يلبس قميصه الروماني وهو مستطيل ابيض ومطرز بالزرقة والحمرة · ويكثر هانري باتايل من صرف الاقلام والاوراق وتشمئز نفسه من صرير القلم ويود لو تيسر له ورق من الجلد الرقيق · اما بول بورجيه فلا يكتب ولكنه يملي على امناء سره فيكتبون بسرعة وقد املى روايته البار يكاد الاخيرة على رجل بندبكي هو امهر في الاستملاء من خطاطي القرن الخامس عشر ويستعمل فيليه كريفن الغليون للتدخين اثناء الكتابة على انه لايدخن الا اللفائف ·

ويحس بول هرفيو نفسه عند مايريد معالجة القلم وارنست لاجونس لانسيل قريحته الا امام الناس ومارسل برفوست يشرب الشاي ويشرب كابوس شراب الكينا وهانري لافدان الماء المعدني · هذه عادات بعض كتاب الفرنسيس المشاهير

قاطرة كبيرة

صنعوا في اميركا قاطرة ثقلها ثلثمائة طن لها ١٦ دولاباً و١٠ محركات وطولها ٣٢ متراً ويمكنها ان تحمل ١٨١٥٠ لتراً من البترول و٥٤٠ هكتو لتراً من الماء بحيث يتأتى لها ان تسير بدون وقوف وهي خاصة لنقل الركاب وقطر عجلاتها متر و٨٣ سانتيماً وهذه القاطرة تسير بالبترول لا بالفحم الحجري

الفراعنة والفينيقيون

نشرت المجلة الآسياوية الفرنسوية بحثاً في علاقة المصريين بسورية في القديم جاء فيه انه كتب في ورقة البردي المحفوظة في متحف برلين المعروفة باسم وقائع سنوحيت ان رجلاً من سادات مصر غادرها سراً من نحو الفي سنة قبل المسيح على عهد امناحيت الاول ولجأ الى الحدود الآسياوية الى اقليم اسمه « كدم » وهو جزء من تونو الاعلى وقد اكرم امير تونووفادة سنوحيت واسم الامير امويانا سحي الذي قال له انك ستكون عندنا على خير حال لانك تسمع بيننا اناساً يتكلمون باللغة المصرية وقد وصف هذا المصري مقامه في ذاك الصقع ووصف خيراته ونعمه وبعض عاداتهم التي لاتخرج عن عادات البدو هذه الايام في غزواتهم وغدواتهم وروحاتهم · و يقول بعض علماء الآثار ان بلاد تونو التي وصفها المصري محففة من لوتانو وهي الارض الواقعة بين البحر الميت وصحراء جبل سينا و يؤيد ذلك ماورد على احدى المسلات الرسمية المؤرخة من زمن امناحيت الثالث ان اهل سينا كانت لهم صلات مع اخي زعيم لوتانو ·

وجاء في اكتشاف حديث من اوراق البردي اسم مدينة « كبني » وجبلى وجبيل وهي كما قال ماسبرو مدينة بيبلوس على شاطئ سورية و بيبلوس هي مدينة جبيل في جبل لبنان وانه في ضواحي هذه المدينة يجب ان تكون مشاهد المدينة الرعائية التي وصفها سنوحيت فاذا صح هذا فتكون فلسطين على عهد السلالة الثانية عشرة المصرية متأخرة العمران اذ لم يكن في داخل البلاد مدن واهلها يعيشون عيش الرعاة والرحالة وهذا الرأي لايخلو من صعوبة على من يحتجون بورقة البردي المحفوظة في برلين ومنها يفهم انه لم يكن بين السلالة الثانية عشرة المصرية وبين السلالة الثامنة عشرة سوى

قرنين اذ ظهر من الرسائل التي عثر عليها في تل العمارنة مؤخراً ان فلسطين كانت خاضعة لحياة البلدية ولوصولها الى هذه الحياة والنظام يقتضي لها اكثر من قرنين من الزمن · على ان بيبلوس كانت في الزمن المذكور آنفاً معروفة عند المصريين اذ قد اكتشف مؤخراً على ذكر حملة مصرية الى بيبلوس على عهد السلالة المصرية القديمة اي قبل بضعة قرون من رحلة سنوحيت

وذلك ان المصريين لما بدأوا على عهد توتميس الاول اي نحو سنة ١٥٥٠ قبل المسيح بغزواتهم التي ادت بهم من سواحل سورية الى وادي الاردن فشواطىء الفرات قد استولوا قروناً على اقليمي لوتانو وخارو والتوطدت اقدامهم فيهما حملهم حب الاكتشاف الى التقدم الى الامام فقصدوا نهر الفرات الذي وصفه توتميس الاول في مسلة تومبوس بان الماء يتراجع فيه ثم ينزل وهو صاعد ثم قصدوا غابات لبنان حيث وضع التعريف سنوفري احد جلساء توتميس الثالث شيئه في علو شاهق فوق السحاب ثم تقدموا الى الغابات وكانوا يأتون الى بيبلوس باحسن الاخشاب التي بلغ طولها ٦٠ باعاً مصرياً (نحو ٣١ متراً) وكان ساقها غليظاً حتى نهايته وكانوا يحملون خشب الارز من جبيل الى مصر · فكانت هذه البلاد مسرحاً للصيد والغزو وقد كتب قدماء المصريين وقائعهم واساطيرهم في هذا الشأن ولم يبق الينا الا القليل منها و يقل فيها وصف البلاد التي كانت تجري الغزوات فيها ومما وصلنا قصة قائد المشاة على عهد توتميس الثالث وكيف استولى باعمال الحيلة على الزعيم الثائر في ثغر يافا وكيف ضربه بعصا فرعون الاكبر ولكنه لم يرد في هذه القصة وصف يافا واقليمها

ويفهم من مجموع الاساطير والرحلات الباقية ان فرعون مصر كان يبعث باعوانه يطوفون البلاد بلداً بلداً في آسيا ليطبعوا النفوس على احترامه وذكروا فيها مالقوه من النصب في اسفارهم ولاسيما في اجتياز الغابات والشواطئ الجبلية او القفار التي تفصل بين المدن المذكورة وبينهم مثل جبيل مدينة الآلهة ومدينة صور حيث كان السمك اكثر عدداً من الرمل والماء يحمل اليها في قوارب من اليابسة

وقصارى القول ان ابناء الرحلات التي رحلها المصريون على عهد الرعامسة اي اخلاف رعمسيس قد وصفوا آسيا وصفاً خيالياً تكاد لاتكون له صبغة خاصة ليس فيها الا حروب ورحلات وحب وعشق · وفي اوراق البردي التي قرئت من مجموعة كولانيشف وصف رحلة مصري الى آسيا في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وهي عبارة عن

رحلة تاجر . وذلك ان رجلاً اسمه اونامونو عميد قاعة الكرنك في السنة الخامسة من حكم رعمسيس الثاني عشر وفي الزمن الذي كان فيه الكاهن الاعظم للرب عمون واسمه هريهور يحكم في طيبة وكان سمندس اول ملوك التانيتيين يحكم الدلتا وعاصمة مدينة تنيس ركب اونامونو البحر الى سورية ليبحث عن الخشب اللازم لانشاء قارب للرب عمون را فوقف اولاً على دور احدى مدن زقالا في شمالي يافا ثم بلغ مدينة صور ثم جبيل ثم بلاد الازيا وهي ليست محققة فبعضهم يقول انها قبرص والآخر يقول انها في مضيق نهر العاصي . وذكر هذا السائح ان احد الملاحين سرق له اواني وسبائك ذهبية ولم يستطع ان يأخذها منه في دور ولا في صور حتى اذا بلغ جبيل وقابل اميرها ذكر له هذا ما كان فراعنة مصر يبعثون به لآبائه من الهدايا وانه لا يتيسر له ان يقبله بدون هدية مصرية تذكر واراه جريدة الهدايا التي كانوا يبعثون بها ولما وعده بمثلها على ان يرسل اناساً من قبله الى ملك تنيس امر له بثلثمائة رجل من رجاله وثلثمائة ثور وبعض ضباط لقطع الخشب من الغابات ليحمل من قابل على القوارب الى مصر ثم استعمل امير جبيل الجفاء في مخاطبته رسول مصر واخافه لما أراه ما حل بمن جاء قبله من قبل الفراعنة بدوس ارض بلاده واجداده وكل هذا مما يستأنس به في العلائق التي كانت منذ القديم بين المصريين والفينيقيين وان فراعنة مصر على قوتهم وغناهم واربابهم وكهنتهم وسحرتهم لم يكونوا يرهبون سكان صور ودور وجبيل بل كان المصريون لا يقطعون الخشب من غابات لبنان الا بما يقابلها من الهدايا والتحف المصرية ويؤخذ من كل هذه الروايات ان قدماء المصريين لم تكن لهم معرفة اكيدة الا عن سورية او الاصقاع القريبة منها ولم يكن لهم معرفة فيما وراء لبنان معرفة ينتفع بها في التاريخ الصحيح .

مكتبة الاسكندرية

كتب عبد الوهاب افندي سليم التنير في مجلة النبراس بحثاً في موضوع حريق مكتبة الاسكندرية جاء فيه نقلاً عن كتاب ارتكابات الاوروبيين لصاحبيه جورج فوت وجمس اهلويلر ما نعربه بالحرف

لقد قام الافرنج بحرب طاحنة على الوثنيين وسفكوا الدماء وقدام الامبراطور تيودوسيس بتحطيم اصنام الوثنيين وغيرها مما هو للوثنيين فقام بطريرك الاسكندر يتوقاد أمته وذهب بها الى هيكل سيرايس فدمروه ولما انتهى من خراب هيا كلهم ذهب الى المكتبة

واحرق مافيها من الكتب حتى اصبحت رفارفها فارغة فلم يرها احد بعد ذلك الا تأسف عليها غاية التأسف . فالذي احرق مكتبة الاسكندرية هو البطريرك ثيوفيلوس بامر الامبراطور ثيودوس قبل دخول المسلمين الى اسكندرية بسنين كثيرة ومعلوم ان الدين الاسلامي يمنع احراق الكتب اه

وقال دوان في كتابه المسمى (خرافات الاوربيين) ماترجمته ملخصة : ان المكتبتين اللتين اسسها البطالسة في الاسكندرية كان احراقها عن يد جيوش قيصر المحاصر الاسكندرية والتعويض عن هذا الخطاء أهديت المكتبة التي جمعها يوميتس ملك برغامة الى الملكة كليوبطرا عن يد الملك انطوني لكن حكم الدهر او الجهل ان لاتبقى هذه المكتبة العظيمة اجيالاً فقد احرقها البطريرك فيوفيلوس واقام على انقاضها كنيسة سماها كنيسة الشهداء

وجاء في دائرة المعارف طبع تشيمبرس وشركائه في المجلد الاول عند كلمة الاسكندرية ومكتبتها : ولما حاصر يوليوس قيصر مدينة الاسكندرية احترق قسم عظيم من هذه المكتبة غير انها أعيدت الى ما كانت عليه بسبب الكتب التي جمعها ملك برغامه واهداها الى الملكة كليوبطرا وقد بقيت الى زمن سيوديسيس الكبير ولما امر هذا الامبراطور بهدم معابد الوثنيين في انحاء المملكة كافة هدموا هيكل سيرابس حيث المكتبة موجودة فهدموا الهيكل واحرقوا المكتبة في سنة ٣٩١ بعد المسيح وليست العرب هي التي احرقتها كما ينسب اليهم زوراً وبهتانا . وقال جون مبرك في كتابه المسمى الادعاآت الكاذبة : « ان الافرنج هم الذين احرقوا المكتبة الاسكندرية والمسلمون هم الذين ادخلوا العلم الى اوربا » وقال المستر هلي استيفونس في كتابه المسمى التفكر والاديان : (لقد أحرقت مكتبة الاسكندرية ايدي الجاهلين وهي مكتبة مهمة وبفقدانها فقد العلم وبقيت اوربا تتخبط في ظلمات الجهل الى ان انارها المسلمون بعلومهم) وقال بتس في دائرة معارفه: (ولما افتتح يوليوس قيصر مدينة الاسكندرية احترقت المكتبة الاولى وبقيت المكتبة الثانية التي أسست بعدها وقد زادت كتبها بالمجلدات التي أهديت للملكة كليوبطرا عن يد مارك انطوني وصارت اعظم من التي احترقت وبقيت الى سنة ٣٩٠ بعد المسيح حين قام الافرنج على الوثنيين وهدموا معابدهم التي كان في جملتها هيكل سيرابس واحرقوا المكتبة) وقال جورج مرنين في كتابه درباق الخرافات ماترجمته بالحرف : ياترى ماذا صار بمكتبة الاسكندرية قل لقد احرقها المتوحشون من الافرنج بامر

ثيودوسيوس سنة ٣٩٠ بعد المسيح · وهذه الكتب الصامتة التي أحرقت تشهد على الكذب الذي اختلقوه في رومية وقالوا انها أُحرقت بامر الخليفة عمر بن الخطاب ولقد نسبوا هذه النسبة الكاذبة الخاطئة اليه زوراً وبهتاناً

وقال فوت واهو بلر في كتابيهما ارتكابات الافرنج: قضى ثيودوسيوس على ما كتبه بوفيري كافة من كتب العلم بواسطة الاحراق وامر ايضاً باحراق كل الكتب التي تشتمل على شيء يخالف معتقدهم وقال ايضاً: والذي احرق مكتبة الاسكندرية هوثيوفيلوس لا المسلمون لان الدين الاسلامي لا يبيح احراق الكتب وعدا هذافان المؤرخين الأول كافة الذين كانوا في عصر بدء الاسلام لم يذكروا مكتبة الاسكندرية قط مع انهم ذكروا اموراً وشؤوناً طفيفة لا يؤبه لها

وقال المطران يوسف الدبس في كتابه تاريخ سورية بعد ان ذكر ماذكره لبعضهم من كيفية احراق مكتبة الاسكندرية ونسبتها للمسلمين: روى هذه القصة كثير من المؤرخين النصارى وبعض المسلمين ايضاً على ان المدققين لم يقطعوا بصحتها

وقال رنان في خطاب له في العلم والاسلام: لقد قيل ان عمرو بن العاص احرق مكتبة الاسكندرية وهذا كذب محض والمكتبة المذكورة قد أُحرقت قبل زمانه بسنين عديدة

وقد اورد الباحث نقولاً عن علماء الافرنج يزيفون اقوال بعض ارباب الاهواء في نسبة الحريق للمسلمين ويبينون ما أخذ عبد اللطيف البغدادي وابن القفطي وابن العبري والحاج خليفة وليس لمكتبة الاسكندرية ذكر في عبارة ابي الفرج بن العبري الاصلية السريانية والنسخة العربية منقولة عنها كما ان بعض المخطوطات من تاريخه العربي لا اثر لهذه الرواية فيها والحاج خليفة لا ذكر للاسكندرية ومكتبتها في كتابه والبغدادي والقفطي نقلا عن رواية دسها عليهم بعض المتعصبين اودسوها في عباراتهما · والمبحث مهم في ذاته يبين تعصب الافرنج على الاسلام وبه يتم هذا المبحث الذي نشر المقتبس فيه عدة ابحاث ايضاً في سنيه الثلاث الاولى

حياة الرسول

ينشر المسيو فيكتور شوفين من المستشرقين البلجيكيين منذ مدة كتاباً في اجزاء كثيرة يأتي فيه على اسماء الكتب العربية التي نشرت في اوروبا المسيحية منذ سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ والجزء الحادي عشر منه هو في الكتب والرسائل التي نشرت بشأن الرسول

(عليه الصلاة والسلام) وعددها ثمانمائة كتاب ورسالة وربما نشر بعض الجمل المهمة منها · نشر الآراء على اختلافها ولم ير بأساً من الاشارة الى الكتب التي كتبت في القرون الوسطى على خاتم النبيين ايام كانت علوم اوربا وكلياتها وجامعاتها بيد رجال الدين فقط ·

انكلترا والشرق

شعرت انكلترا بتخلفها عن امم الغرب الراقية في معرفة علوم الشرق ولغاته فرأت ان خير ذريعة لذلك انشاء مدرسة للغات الشرقية الحية حتى لاتنازع نفوذها دولة في الشرق ولا سيما في الهند فعهدت الى لجنة النظر في ذلك فقررت انشاء مدرسة لهذا الغرض تضاف الى كلية لندن على ان تكون مستقلة باعمالها يتخرج فيها الموظفون والضباط الذين ترسلهم الى الشرق بعد ان يتمكنوا من اللغة التي يريدون الخدمة بين اهلها لا ان يكتفوا كما كانوا باستظهار بعض الكلمات والجمل المحرفة · قال الاستاذ هدلم ان الواجب يقضي ان يكون الرجل الذي يذهب الى الخارج مقتدراً على التكلم كما يتعلم الرجل المنوّر الفاضل ويكون شعوره وفكره كذلك لا ان يذهب فقط يتكلم التركية كما يتكلم بها جمال · وقد سئلت الحكومة في مجلس النبلاء عن الغرض من هذا العمل فابانت فوائده وعضده لورد مورلي حاكم الهندولورد كرزون حاكمها السابق ولورد كرومر حاكم مصر وابانوا النتائج الحسنة منه وقد استقلت بعض الجرائد المبالغ التي خصصت لذلك ولكن التيمس قالت ان هذه النبتة ستكبر من نفسها فان المملكة البريطانية التي يتكلم باللغات الاجنبية ثلاثة من كل اربعة من سكانها سيتيسر لها ذات يوم ان تنفق في سبيل تعلم اللغات مثل ماتصرف المانيا وفرنسا ··

العلوم والتربية الوطنية

كتب المسيو ايل في مجلة الافكار الحديثة مقالة تحت هذا العنوان قال فيها : لكل امة في كل عصر من عصورها نمط من التربية تختارها متناسبة مع حالتها الفكرية وحاجاتها وضرورات بقائها والدفاع عن حوزتها وتأييد كلمتها وبيد الحكومة تحقيق هذا النموذج وتعيينه · نحن امة ديمقراطية فيجب ان تكون غاية تعليمنا الوطني ان يهيئ للامة بأسرها اسباب حكم نفسها بنفسها وان تعمل اصلح الاعمال باقل جهد ويضمن لكل واحد ان يكون ماامكن ممتعاً بشخصيته مطبوعاً بطابع الواجب الاجتماعي والواجب

الوطني فيوجه الى وجهة واحدة العنصرين اللذين بهما تتعلق حياة البلاد واعني بهما نشاط الافراد وهو موجد القوة وفكر الاشتراك الذي يدعو ابناء النبعة الواحدة الى التكافل والتضامن في اعمالهم ويكون رائدهم الوئام لئلا يدخل فيهم الخصام والانقسام يكون تعليمهم حقيقياً كما يقول الالمان ونافعاً في مجموعه وتجعل وجهته بحيث ينبه في كل مكان روح التفكر والاعتماد عَلَى النفس والاقدام على العظائم

ابان البحث في المدنيات القديمة التي كان اساسها حتى الآن من الفلسفة او من الدين ان الالحاد والاعتقاد لم يستطيعا ان يوءلفا وحدة باقية بين فكر الاشتراك وعمل الفرد وان تربية هذا اساسها توءدي عاجلا او آجلاً الى الضعف والاختلال ولا سيا في العصر الحاضر فانها توءدي اليهما اكثر من الحرية الغير المحددة في التفكر والكتابة ونشر الآراء عَلَى اختلاف انواعها بواسطة الصحافة الرخيصة ٠ وليس كالعلم دواء انجع من هذا الداء فالعلم منبع التفكر والعمل والاخلاص الذي لا يطلب به صاحبه غرضاً وبالعمل النافع وبطريقة العلم تنتظم الافكار العامة بنظام حسن وبها تضمن له وحدة الارتقاء مع ترك الحرية المطلقة لفكر الفرد ٠ وبطريقة التعليم ينتفع من المتوسطين في ذكائهم المواظبين على اعمالهم فيخدمون خدماً حقيقية في الاعمال الصناعية والزراعية ٠ ان صاحب الذكاء المحدود اذا جمع اليه عامة صفات العمل المتصوَّر لا يكون منه في الادب ولا في الفلسفة الا امور تافهة ٠ وعندما يجيء زمن تزول فيه كل سلطة قائمة عَلَى العهود الاجتماعية يوءسس العلم سلطة لاراد لحكمها ولا اسطع من نورها تنشأ عَلَى اصول راسخة عَلَى الاكفاء العاملين ٠ وبتنظيم طريقة التعليم يجتنب الاسراف في الوقت والقوة بتلقين عادات التوءدة والنظر والتدقيق والبساطة في الاذواق منبهة شعور الظلام والجهل مع الرغبة في امحائهما داعية المرء بما فيه من الصفات الاخلاقية والعقلية لا بما فيه من القوى الطبيعية ووجدانه في العمل وصدقه في الحكم وطريقة التعليم تورث العقل نظاماً وتعود الفكر عَلَى البحث والقلب عَلَى الصبر والجسم عَلَى النشطة وهي الكفيلة بتربية ابناء المدنية الفاضلة ٠

ولقد اضطر المربون الاول في فرنسا ان يقبلوا ارث اليونان والرومان في العلم عَلَى ما فيه من الجاذبية والمخاطر وكانت دراسة اللاتينية اولاً فرضاً ثم ضارعتها اللغة اليونانية وحذفت من الدروس تعلم اللهجة الفرنسوية وظلت المناقشات السفسطائية والجدالات المذهبية زهاء الف سنة مستولية عَلَى القوى العقلية في الامة فاصبحت الواسطة غاية وكان النقد الادبي اول ما يعنى به فلم يكن للعلوم مقام في تعليم محدود بهذا القدر بل انها اصبحت

مجهولة في الاديار مهملة في الكليات وتابعة للفلسفة السكولاستيكية ولما غدا النظر في الطبيعة لا يعد سحراً امسى المعمل يوصم بوصمة الكفر ولكن النقد الادبي ظل هو العلم ولم يقدر هذا الا في اواخر القرن الثامن عشر ان يكون له كيان امام ما كان يعتقد انه علم وليس هو منه في شيء ·

وتكلم عَلَى التعليم في فرنسا وقسمه الى ابتدائي ووسط وعالٍ وقال ان تتعليم اللغة الفرنسية المقام العالي لانه من البين ان اصل كل تهذيب يجب ان توضع معرفة لغة الانسان في المقدمة معرفة حقيقية وقال ان العلوم الادبية في درجات التعليم الثلاث هي موضوع الاهتمام والعناية ودارسوها اكثر من دارسي العلوم مع ان حضارة هذا القرن تقضي بان تكون العلوم قبل كل شيء هي المعول على دراستها · فالادب عند الفرنسيس هو الملجأ المضمون لكل فرنسوي هو ملجأ الاطباء الذين لازُبن لهم والمصورين الذين يئسوا من الكسب والضباط الذين عزفت نفوسهم من خدمة الجيش بل وكل من خانتهم قواهم ولم يجدوا لهم عملاً ·

الاخلاق الحربية

قوة كل امة بقوة افرادها وجنديتها مناطة بقوة عضلات من تتألف منهم اكثر من كثرة عددهم فالجيش الالماني غلب الجيش الفرنسوي في حرب سنة السبعين بقوة افراده وتنظيم كتائبه واسباب راحته مع ان فرنسا كانت اذ ذاك تخرج من الجند عدداً اكبر والسر في تغلب الجيش الياباني عَلَى الجيش الروسي هو انه مؤلف من جند مختارين فيابان وهي اربعون مليوناً لم تخرج سوى ثلاث عشرة فرقة من ابنائها لحمل السلاح في حين ان تسعاً وثلاثين مليوناً من الفرنسويين يختارون لحمل السلاح من ٤٢ الى ٤٥ فرقة اي ثلاثة اضعاف ماتخرج اليابان هذا مع ان الصناعات تكثر في يابان كثرة زائدة ومعلوم انحطاط قوى الصناع عن الزراع فيما يتعلق بالشؤون الحربية · وقد انحطت قوى الجند الفرنسوي اليوم عن مثلها منذ خمسين سنة كما يرى ذلك الضباط عياناً عند مايقضى عَلَى الجند ان يعلوهم ويشغلوا اذهانهم كما يشغلوا عضلاتهم فليس الاستعداد العسكري هو الذي يرغب فيه بل تربية الجنس تربية طبيعية ·

اما الانكليز فقد امتاز جندهم بطول القامات وصباحة الوجوه وحمرة الخدود ومن جال في انكلترا بل في البلاد التي استعمرتها هذه الدولة يتجلى له انها توصلت بالمحافظة المعقولة عَلَى صحة ابنائها وبكثرة تمرينهم عَلَى الالعاب الرياضية حتى اصبح لديها جند مختار ·

دربوا البشر كما تدرب الخيول المطهمة وهل الانسان الا حيوان ناطق ولقد قال روسكين فيلسوف الانكليز المشهور ان نتيجة كل ثروة اخراج خلق كثير من تكون صدورهم متسعة وعيونهم حادة براقة وقلوبهم فرحة .

فاليابان هم اكثر الامم عناية بالامور الصحية وليست عنايتهم بها دون عنايتهم بتلقين العلم حتى ان بعض الدساكر والقرى من اواسط بلادهم قد حملت كلها السلاح للدفاع عن الوطن عندما نادى نذير الحرب . وكم من امة جادت صحتها وقويت عضلات ابنائها ونشأت فيها الاخلاق الحربية بفضل الرياضة المعقولة ومن تلك الامم السويد فانها كانت منهوكة القوى بالالكحول فابطلتها وما هو الا جيل وآخر حتى اصبحت امة قوية العضلات آية في الكر والفر ومثل ذلك رومانيا التي انبعثت فيها الحياة بعد ان كانت خمسة عشر قرناً ميداناً للغارات الكثيرة ولحكم الغرباء عليها فجعلت منذ ثلاث سنين التعليم العسكري الاستعدادي اجبارياً في جميع المدارس الابتدائية الثانوية والصناعية والعامة والخاصة يتولى ذلك معلمون يعينون خاصة لهذا الغرض وكثيراً مايعضدهم الضباط .

وجرى الطليان منذ سنتين على نشر مبادي الرماية والتعليم الطبيعي لتعد الشبان للخدمة العسكرية وتحافظ على ماتعلمه من التدريب الحربي من ليسوا تحت السلاح من ابناء ايطاليا ويكون التعليم اجبارياً في المدارس الابتدائية والوسطى بل في الكليات يعنى فيها عناية خاصة بمن يترشحون ليصبحوا اساتذة فيزيدون لهم درساً في حفظ الصحة والتعليم الطبيعي حتى لقد اصبحت مدارس المعلمين الثلاث في تورين وروميه ونابلي عبارة عن مجامع عملية لتخريج اساتذة . وعنيت البلجيك منذ سنة ١٩٠٨ بان اضافت الى مدرسة الطب في كلية غاند مجمعاً علمياً عالياً للتربية الطبيعية واخترعت شهادات للمتخرجين في التربية الطبيعية

ولم تعمل بلد من بلاد الارض ماعملته سويسرا في مسألة التربية الطبيعية للشبان وتدريبهم على الفنون العسكرية فقضت على كل طفل منذ سن العاشرة الى خروجه من المدرسة الابتدائية ان يحضر درساً في الرياضة الاستعدادية للخدمة العسكرية ويقوم بهذه الدروس اساتذة يتعلمون التعليم الكافي في دور المعلمين من كل اقليم وفي مدارس الجند . ويبلغ عدد المجندين كل سنة من ١٦ الف الى ١٨ الف جندي تعلم نحو نصفهم الرماية من قبل

وأنشئت في فرنسا جمعيات لاعداد الشبان للخدمة العسكرية والجيش حتى قال احد القواد لاحد رجال سياسة فرنسا «هيأوا لنا رجالا لنجعل منهم جنداً» ومن هذه الجمعيات جمعيات الرياضة البدنية والتعليم والاستعداد العسكري والرماية والسيف والترس والبوكس والصراع وركب الدراجات والعوم الخ · بلغ عدد اعضائها كلها ٩٠٠ الف رجل وامرأة من اعمال مختلفة ومظاهر وطبقات متباينة والحكومة تساعدها فتعطيها مليونا وسبعمائة الف فرنك كل سنة فضلاً عن وارداتها التي هي خمسة ملايين فرنك عدا مايرد عليها من اعانات الاقاليم ·

المجالس النيابية

مضت العشر السنين الاولى او العقد الاول من القرن العشرين وقد كثرت المجالس النيابية او امتدت سلطة الموجود منها ففي ١٠ ايار ١٩٠٠ افتتح اول مجلس نيابي لجمهورية اوستراليا وفي ٢١ آذار ١٩٠٧ افتتح مجلس جمهورية الترنسفال واجتمع في جتينة عاصمة الجبل الاسود منذ شهر تشرين الثاني ١٩٠٦ الى شهر نيسان ١٩٠٧ اول مجلس نيابي فيها ولم تطل مدة الدوما الاولى الروسية سنة ١٩٠٦ سوى مئة يوم وحدثت بعدها الثورة ثم خلفتها الثانية والثالثة وأصيب القانون الاساسي في فنلندا سنة ١٩٠٨ بما كاد يقضي عليه ثم عادت اليه حياته في الحال وبعد ان كان الدستور في الصرب والبلغار ساقطاً غير معمول به زمناً مثل دستور البرتغال عادت اليهما حياتهما بموت الملك اسكندر وكارلوس وافتتح الشاه المجلس النيابي الفارسي ثم اطلقت عليه القنابل وقتل احرار الامة الفارسية بيد المعطلين منها وسرت روح التجديد الى البلاد العثمانية فاعيد قانونها الاساسي الى العمل به يوم ٢٣ تموز ١٩٠٨ وفي هذه السنة اعلن القانون الاساسي في الصين

وما برحت المجالس النيابية معرضاً للتبديل والتغيير فتوسعت السويد بدستورها الذي نشرته سنة ١٨٦٦ وقبلت بالانتخاب العام كما قبلت النمسا والدانيمرك (١٩٠٧—١٩٠٨) واصلح مجلس الرشستاغ في برلين بعض خصائصه مثل مجلس همبورغ والالزاس لورين والمجر واصبحت فنلندا تنتخب الى مجلسها النيابي اثنتي عشرة امرأة منذ سنة ١٩٠٧ وكذلك تريد ان تطرس على آثارها النروج والدانيمرك والولايات المتحدة والبلجيك وايطاليا واسبانيا ليشارك النساء الرجال في التشريع لبلادهن ·

ثم ان اول مجلس نيابي اي مجلس لندرا لم يخل من ادخال بعض اصلاحات عليه مثل

مطالبته باعطاء ايرلندا استقلالاً اداريًا وربما منح مصر مجلسها النيابي لولا شؤون وشجون كما ان مجلس النبلاء يوشك ان يدخله اصلاح ديمقراطي ثم ان النيابة الاسمية في الآراء قد اخذت مسألتها في نوشاتل وجنيف وتسين والبلجيك واسبانيا والبرتقال والدانيمرك والسويد وايلينوا وكليفورنيا وبرازيل ومملكة بونس ايرس ومملكة الرأس كما ادخلت الى فرنسا وايطاليا وبعض الاقاليم السويسرية بعض التعديل في النيابة ونالت البوسنة والهرسك من دولة النمسا والمجر بعد انسلاخها رسميًا عن المملكة العثمانية مجلسًا نيابيًا ايضًا .

غلاء الحاجيات

تصاعدت اثمان الحاجيات في الغرب واكثر بلاد الشرق منذ عشر سنين الى الآن فارتفعت اسعار البقول ثلاثين في المئة واثمار الحبوب عشرين والزيت خمسة عشر والسمك البحري عشرة والسمك المقدد خمسة وثلاثين والقهوة والشوكولاتا خمسة وعشرين والشحوم اربعة وثلاثين . وقد قسم بعض الباحثين بلاد العالم في غلائها الى ست مناطق تجمل في المنطقة الاولى بلاد البلجيك واسبانيا وايطاليا ولوكسمبورغ والبرتقال وسويسرا وفرنسا . وفي الثانية المانيا وبافيرا والدانيمرك والجبل الاسود ونروج واسوج وفي الثالثة النمسا وبريطانيا العظمى واليونان والمغرب الاقصى وهولاندة ورومانيا والصرب والعثمانية . وفي الرابعة مصر وايران وروسيا . وفي الخامسة اوستراليا والصين وكوريا والهند الانكليزية والهند الهولاندية واليابان وسيام . وفي السادسة افريقية الشمالية والغربية واميركا الشمالية وكندا وجزائر الانتيل واميركا الجنوبية . وبلاد الترنسفال اكثر بلاد الارض غلاء لان الذهب فيها مبذول لكثرة مناجمه فيها ويليها في تفاحش الاسعار بلاد الهند بل جميع المستعمرات الانكليزية وفي استوكهلم عاصمة السويد غلت الحاجيات واجور المساكن الى درجة غير معقولة فاجرة الغرفة فيها كل شهر في حي الاغنياء خمسون ليرة وبيوت هذه العاصمة للبلدية او لنقابات وشركات حتى كاد العامل الفقير يهلك فيها والحكومة هناك تفكر في طريقة لتنفس خناق السكان من غلاء المأكل والمسكن .

الماء الغالي

لا يخفى ان ثلاثة ارباع الجسم الانساني مركب من الماء والربع فقط من المواد الآزوتية والكربونية وغيرها . وهكذا الحال في غذائنا وكثرة السوائل المائية فيه

فان في الكيلو من لحم البقر او الغنم ٢٥٠ غراماً من المواد اللحمية و٧٥٠ غراماً من الماء ولحم السمك وهو كثير التغذية جداً يحتوي ايضاً على كمية اكثر من الماء ففيه منه من ٧٧٠ الى ٧٨٠ غراماً في كل كيلو اما اللبن الحليب فيكاد لايحتوي على اكثر من ١٣٠ غراماً من المواد المغذية والبقول اكثر مائية من غيرها فان عشرة كيلو من البطاطا تحتوي على نحو ٨ كيلو من الماء وفي عشرة كيلو من الملفوف او الشوندر ٩ كيلو من الماء

معدل القهوة

لايخفى ان القهوة من الاشربة المهيجة للاعصاب وان كثيراً من الناس الذين يحبون طعمها ورائحتها الذكية تضطرهم الحال ان يحرموا منها لانها تورثهم ارقاً واضطرابات عصبية . وفي سنة ١٨٢٠ اكتشف « رونج » المادة المعروفة في القهوة واسمها الكافيين وانها هي اهم العوامل المؤثرة في هذه البزرة ولكن رو بروهاس قد بانا ان في القهوة ما خلا الكافيين عدة مواد اكثر سمية منها وهي غير معروفة . فان كان استعمال القهوة بكثرة او بقلة يحدث لبعض متناوليها شيئاً من الاضطراب احياناً فان الدكتور كوفيه حقن ارنباً في اعصابه الوداجية بنقيع القهوة فاضطرب جسمه اولاً ثم اهتز ثم عرته تشنجات ثم الموت على ان القهوة اذا عريت من مادتها السامة ايضاً وهي الكافيين تظل على ضررها . وعلى هذا رأى علماء الصحة ان دعوة الناس الى الاقلاع عن شراب القهوة من العبث مادام استعمالها شائعاً في الارض على ماهو معلوم واثبتوا انه يتأتى تناولها بدون ان تؤثر في الاعصاب اذا كانت محضرة جيداً . ولئن خلطوا القهوة بالهندباء الناشفة المحمصة او البلوط المحمص وبذر الجاودار والتين المحروق والشبل (عرق الانجيل) والشعير والذرة والارز والدخن والفاصوليا والحمص والعدس والفول والبطاطا والمليون ونوى التمر والكستانة ليخدعوا بها الناس ولكن احد الفرنسيس عثر على نبات اسمه « المقري » باسم وزير الحربية المراكشية اذا مزج بالقهوة لايغير من طعمها ورائحتها الذكية بل يقلل من تأثيرها في الاعصاب وثمن هذا النبات معتدل مثل الهندباء واستعمال هذا النبات معدل اقتصادي وصحي فحبذا يوم يأتينا بكثرة الى هذه الديار .

الذهب والفضة

قالت مجلة الطبيعة الفرنسوية : بلغت قيمة مااستخرج من الذهب سنة ١٩٠٩ ٢٣٠٠ مليون فرنك اكثر من ثلثها من افريقية الجنوبية فزاد المستخرج منه من بلاد

الترنسفال وحدها ثلاثين مليونًا كما زادت كل من كندا والولايات المتحدة والمكسيك من ٦ الى عشرة ملايين اما اوستراليا فقد نزل محصولها عَلَى هذه النسبة وزاد المستخرج منه في روسيا خمسة عشر مليونًا · وقد كان المستخرج من الترنسفال ٧٦٥ مليون فرنك ومن رودوسيا ٦٤ ومن غربي افريقية ٢٣ ومن كندا ٥٣ ومن الولايات المتحدة ٤٩٠ ومن اوستراليا ٣٦٣ ومن المكسيك ١٣٠ ومن الهند ٥٢ ومن روسيا ١٧١ ومن الصين واليابان وكوريا ٥٥ ومن سائر الممالك ١٣٧

اما الفضة فان استعمالها يكثر في الصناعات ويقلّ في النقود واثمانها في انخفاض وربما انخفضت اكثر وان كان المستخرج منها منذ عشرين سنة اقل من المستخرج من الذهب بالنسبة فيكاد وزن الفضة المستخرج اليوم يعادل ثمانية اضعاف مايستخرج من الذهب عَلَى حين كان منذ ١٧ سنة اكثر من ذلك باثنين وعشرين مرة وبلغ المستخرج سنة ١٩٠٩ من الفضة ٦٦٠٠ طن او ٢١٤ مليون اونس او نصف الاوقية وقد كانت الولايات المتحدة الاولى في كثرة مايستخرج منها فاصبحت منذ ثلاث سنين الثانية وزاد المحصول في المكسيك ضعفين كما كثر في كندا ولم تكن مناجم الفضة معروفة فيها قبل سبع سنين وتستخرج الفضة من مقاطعة كوبات في ولاية اونتاريو كما يستخرج من بروكن هيل في شالي اوستراليا الجنوبية وغاليا الجديدة في الجنوب · والطلب قلَّ عَلَى الفضة لان الممالك الكبرى لاتبتاع منه الا مانصوغ منها نقوداً ونصفه يصرف في بلاد الصين والهند فان بلاد الهند وحدها تبتاع ٢٨٧٠ طنًا للحلي حتى ان حكومتها اضطرت ان تضرب رسمًا فاحشًا عَلَى الوارد منها اي ١٧ في المئة لسد العجز الذي يبدو من الدين في مقاومة الافيون ·

اثر روماني

قطعت الصخور الموجودة في طريق سوق وادي بردى من اعمال دمشق وكان في زمن الرومانيين من المراكز المهمة ويدعى هايلا ليزانيا او هايلا نوزيوم وقد عثر فيه عَلَى كتابات منقوشة في الصخور باسم ماركوس اورليوس امبراطور الرومانيين

اثر فينيقي

عثر في ضواحي بيروت في قرية برج عمود من اعمال الساحل عَلى مغارة قديمة وجدوا فيها سلماً ينزل منه الى مغارة مربعة ووجدوا في الجهات الاربع منها اضرحة محفورة في صخور منحوتة نحتاً جميلاً ووجدت فيها بعض العظام ويقال ان هذه المغارة يرد

عهدها الى الرومانيين

اعمق بئر

اعمق بئر في العالم ذاك الذي حفر في كزوشز من اعمال بولونيا فهو تلي ٢١٠٠ متر من سطح الارض . ثم يجي بئر باروشوفيز في سليزيا العليا وعمقه ٢٠٠٣ امتار ثم بئر شالوباش في بلاد ساكس البروسيانية وعمقه ١٧٤٨ متراً . وسيزيد في نقب البئر الاول لان طبيعة الارض تساعد على ذلك اما عرضه فهو ٦٧ ميلمتراً فقط

مملكة بردمي

قليل من الناس من يعرفون ان لملك انكلترا زميلاً وجاراً ونعني به ملك جزيرة بردمي الواقعة على نحو ثلاثة كيلومترات من شبه جزيرة لوين من اعمال كارنافون في بلاد الغال . وهذه المملكة الصغرى مستقلة كل الاستقلال ولا تعترف بسلطة ملك بريطانيا العظمى عليها . وليس في هذه المملكة سوى ٧٧ ساكناً يدخل فيهم الملك والملكة اللذان حكم اجدادهما هذه الجزيرة الصغرى منذ عهد عريق في القدم . اما لسانهم فهو لهجة تخالف اللهجة الانكليزية كل المخالفة . ولهذا القيل او الملك الصغير عدا ادارة ملكه اعمال منها انه معلم المدرسة وضابط في الاركان حرب ولا يخضع للقوانين الانكليزية ولا يدفع السكان خراجاً ما ويعيشون مرفهين بتناول خبز الشعير والحليب والزبدة . ولهم من الصخور المحيطة بهم مادة للسرطان البحري يتناولون منها ما شاؤوا ويبيعونها من الاجانب عنهم بسعر بخس ولا يهتمون بتاتاً بما يحدث خارج بلادهم ولا تدخل جريدة الى هذه الجزيرة التي لا مثيل لها ولا يخرج ملاح منهم عندما تشتد انواء البحر بسبب الصخور المحدقة بالجزيرة .

رجل القطعان

رجل القطعان من الغنم والخرفان في العالم هو روسي اسمه غستاف كوفانونيش يملك في . . ول سيبيريا الوفاً من الافدنة ترعى فيها قطعانه البالغ عدد . نمها مليوناً وسبعمائة الف يحرسها زهاء ثلاثين الف كلب من هجمات الذئاب والحيوانات المفترسة

معدل الاعمار

تؤكد بعض صحف المانيا ان معدل الحياة آخذ بالازدياد فقد زاد في المانيا من سنة ١٨٩١ الى ١٩٠٠ زيادة تذكر بالنسبة للعشر سنوات التي مضت بين سنة

١٨٧١ او ١٨٨١ فصار متوسط حياة الرجال ٤٨ سنة و٨٥ يوماً وكان ٣٨ سنة ويوماً واحداً ومتوسط حياة النساء ٥٤ سنة و ٩ ايام وكان ٤٢ سنة و٥ ايام وذلك بفضل الوسائط الصحية في البيوت والشوارع والمحال العامة

صحة العين

كتب الدكتور تروسو ان ٤٣ في المئة من العمي يمكن انقاذهم مما نالهم وكتب الدكتور موفي الفرنسوي ان ثلاثة ملايين من العملة والمستخدمين والطلبة يتعرضون كل يوم لما يجلب الاخطار على عيونهم وقد رأى الدكتور بولي ان الواجب على كل ولد واطئ النظر او لايميز الاشياء جيداً ان يعرض عينيه على طبيب العيون ويضع نظارات على عينيه ومن كان احسر قصير البصر فاستعماله النظارات احسن واقي لعينيه والواجب ملاحظة الولد بعناية دائمة خلال القراءة والكتابة واعماله الجزئية والعابه واذا أصيب بالحميراء او القرمزية او الجدري او غيره من الامراض المعدية تجب العناية بعينيه من وراء الغاية وان اقل التهاب في الملتحمة يعدي ويكون فيه حبيبات ينبغي ان تتخذ لها انواع الوقاية والعزلة ويجبر العملة اثناء العمل ان يقفوا منتوبة قاماتهم وان يكون النور في النهار عن شمال المرء ومن ورائه قليلا ونور الليل عن الشمال وقليلا الى الامام والكوى (آباجور) نافعة على ان لاتكون شفافة وتخبئ وراءها الوجوه واذا كان ضوء الكهرباء مضراً للعيون كثيراً بما فيه من الاشعة البنفسجية الكثيرة فالواجب استعمال زجاجات ملونة بالصفرة لاترسل النور الا خالياً من اشعته . والواجب في جميع الصناعات التي يلحظ انها تحمل اشياء ضارة للعيون ان يضع المرء على عينيه نظارات تقيه منها واذا لوحظ ضعف في بصر الولد فالواجب استشارة الطبيب لاتخاذ الصنعة التي يختارها

الماء السائغ

القى المستر هوبارد محاضرة امام جمعية الفنون الانكليزية فقال انه يتأتى في الاقاليم التي بقيت قفراء لقلة مائها ان يجمع فيها الماء الذي يجمع من الندى على مثال الطريقة التي جروا عليها في قلعة جبل طارق وذلك بان يحفر في الارض على سطح كاف وان يغطى المحل المحفور بقش ناشف تمد عليه طبقة من الخزف او تراب الفخار فيكون القش عبارة عن مولد للحرارة يفصل بين الخزف والارض وبعد غياب الشمس يبرد هذا الخزف على اسرع مايكون وذلك ببروز الاشعة وتنزل حرارته في الحال عن درجة

تبخر الهواء المحيط بذاك المكان فيترا كم البخار المائي و يتجمع في الحفرة . ويحسن ان يوضع على الارض طبقة من الاسفلت حتى لا يضيع القش بنداوته خاصية نقله للحرارة . وفي جبل طارق يستعيضون عن القش او التبن بخشب وعن طبقة الخزف بصفائح حديد

التفنن في الاحسان

اخترعوا في المانيا طريقة حسنة للانفاق منها على المعوزين والبائسين فوضعوا في كل حانة علبة من المعدن جعلوها في زاوية منها فاذا دخل الانسان لفافته يقوم فيطرح عقبها في العلبة . وهذه الطريقة من اختراع احدى جمعيات الاحسان فتستخرج هذه الاطراف وتبتاع بها البسة لكسوة الاولاد المحاويج وبهذه الواسطة كست الجمعية في العام الماضي ١٧٣٦ ولداً

اثمن النصائح الصحية

هذه هي العشر النصائح في حفظ الصحة التي علقتها السويد في جميع مدارسها وهي حرية بان يجعلها نصب عينه كل من تهمه صحته من الكبار والصغار

١ً الهواء الجديد في الليل والنهار من الشروط اللازمة للصحة فهو احسن واق من مرض الكلى

٢ً في الحركة الحياة . فالواجب كل يوم الارتياض في الهواء الطلق بتحريك الاعضاء والنزهة وهذا مما يعدل مزاج العاملين وهم قعود

٣ً الزم التقصد والسذاجة في طعامك وشرابك فمن يفضل الماء والحليب والثمار على تعاطي الالكحول يقوي صحته و يزيد في كفاءته على العمل وسعادته .

٤ً اليك ما تجب العناية به لتقوية بشرتك: الجلد لا يقوى على البرد الا بغسله بماء بارد كل يوم والاستحمام بالماء الحار كل اسبوع على مدار السنة ، وبذلك يتيسر لك حفظ صحتك ووقي جسمك من البرد

٥ً يجب ان لا تكون الثياب سميكة كثيراً ولا محكمة كثيراً .

٦ً ينبغي ان يكون المسكن معرضاً للشمس جافاً واسعاً نظيفاً نيراً لطيفاً صحياً

٧ً عليك بالتشدد بالنظافة في كل امر كالهواء والغذاء والماء والخبز والثوب والفراش والدار فاذا توخيت الطهارة في كل امر وفي الاخلاق ايضاً تصبح بأمن من الهواء الاصفر والحمى التيفوس وعامة الامراض السارية

٨ً العمل المنظم الشديد من احسن الواقيات من امراض العقل وامراض الجسم

فهو العزاء في الشقاء والسعادة في الحياة

٩ً لا يرى المرء الراحة والتسلية بعد العمل الا في الاعياد العظيمة ٠ فالليل للنوم وساعات الفراغ والاعياد يجب صرفها مع الأسرة وفي الملاذ الروحية

١٠ً من اول شروط الصحة الجيدة : حياة تصرف في العمل وتشرف بالاعمال الصالحة والافراح الخالصة ٠ ورغبة المرء في ان يكون خير عضو في بيته وعاملاً صالحاً في دائرته ووطنياً مستقيما في وطنه وذلك مما يورث الحياة قيمة لا تقدر

مخطوطات نادرة (١)

من كتب اللغة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك

في المدينة المنورة

شرح كفاية المتحفظ لابي الطيب الفاسي

شرح فصيح ثعلب لابن درستويه نسخ سنة ٥٦١

كتاب الضاد والظاء لابن سهل النحوي نسخ سنة ٥٩٥ نحو ثلاث كراريس

كتاب الاجناس من كلام العرب وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى لابي عبيد القاسم بن سلام

تهذيب اللغة للازهري

بصائر ذوي التمييز عَلَى لطائف التنزيل العزيز للفيروزبادي

كتاب غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام احد عشر كراساً نسخ سنة ٥٤٦

الغريب المصنف له اثنان وعشرون كراسا

مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن مدرس الحنابلة بالبشرية سنة ٧٤٢

من فن الكلام

شرح اشتقاق الاسماء الحسنى وصفاته المذكورة في الاثر لابي القاسم الزجاجي نسخ سنة ٤٣٤

سراج العقول في منهاج الاصول للقزويني ومعه شجون المسجون وفنون المفتون للصفدي

---

(١) اختارها من مكاتب المدينة المنورة الشيخ جمال الدين القاسمي

موضحات المتشابهات في الانجيل لدرويش علي مجلد واحد مذهب

كتاب ايثار الحق على الخلق لابي عبد الله محمد بن ابراهيم الشهير بابن الوزير اليمني نسخ سنة ١١١٤ وفي اوله ترجمة المؤلف تأليف ابنه في نحو نصف كراس

رسالة في التوحيد لابن فورك

من المجاميع

رسالة وقصائد شتى للجاحظ

رسالة ارسلها ابن زيدون الى استاذه

مجموع فيه عدة كتب من مصنفات البيهقي

منها كلام الشافعي في احكام القرآن وخطأ من اخطأ الشافعي والانتقادات التي انتقد بها على الشافعي

مصارع المصارع لنصير الدين الطوسي

كتاب في اسماء الصحابة لابي حاتم محمد بن حيان

رسالة من نسب الى امه من الشعراء لابن جني

الابانة لابي الحسن الاشعري

رسالة في مكارم الاخلاق للثعالبي

اوصاف الاشراف لنصير الطوسي

كتاب النبات للاصمعي

مختلف الاسماء والانساب والكنى والالقاب للذهبي

رسالة في عدم جواز الجمعة في موضعين للشيخ جلال الدين التباني

رسالة في اختلاف علماء الحنفية في الديار المصرية للبقاعي

ارجوزة تسمى الاتقان في علم الالحان

منظومة في علم القلم والحبر والكتابة والورق تصنيف الشيخ ابي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي المعروف بابن البواب وعليها شرح مستمد من شرح ابن بصيص ومن شرح ابن وحيد

من المكتبة المحمودية في المدينة المنورة

جوار المسجد الشريف

شرح المقنع لشمس الدين بن قدامة المقدسي

اختيارات شيخ الاسلام ابن تيمية
مختصر فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية المصرية
جزء من فتاوية الكبرى
كتاب القواعد لابن رجب
كشف المسائل له ايضاً
تقرير القواعد له ايضاً
كتاب المحلى لابن حزم مجلد ٨
سنن البيهقي الكبرى مجلد ١٠
كتاب اقضية الرسول لابن فرح الاشبيلي

وقد بلغ مجموع مافي المكتبة المحمودية من الكتب (٤٥٦٩) وما في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك (٥٤٠٤)

و يوجد مكتبات اخر كمكتبة بشير اغا عند باب السلام ومجموعها (٢٠٦٣) ومكتبة شيخ الاسلام فيض الله افندي ومجموعها (١٣٤٦) ومكتبة عمر افندي قرهباش احد كبار العلماء ومجموعها (١٢٦٩) ومكتبات اخر معروفة يتراوح عددها مابين المائة والالف

اصلاح غلط

وقعت لنا اغلاط مطبعية كثيرة في بعض الاجزاء الماضية ولاسيا في الجزء الخامس والسادس الذي ظهر خلال تغيبنا عن هذه البلاد فتركنا اصلاحها لفطانة القارئ وقد كتب لنا احد اصدقائنا في بغداد يقول :

... الا ان الطبع لا يشبه ماطبع من المقتبس في السابق . وكثيراً مايقع اغلاط طبع في الاسماء العلمية الاعجمية . وكذلك في الاسماء العربية . من ذلك ماوجدته في نبذة « ري العراق » ص ٥٢٥ — ٥٢٦ بحيرة عكاركوف . والاصح : هور عقرقوف . والاسم مشهور في كتب العرب القديمة كياقوت والبلاذري والبكري وغيرهم . وصبارة والاصح ابوجبة (وهو الاسم الحالي) او سبارة (وهو الاسم القديم) ونفور . والاصح نفر . وارخ والاصح : وركاء . وتل سكرخ . والاصح سنكرة . وتل لو والاصح تلو اه

فنشكر للناقد الكريم عنايته ونرجو ان يتفضل وسائر من اوتوا العلم ان يصححوا لنا مايبدر منا ومن مؤازرينا من الهفوات فالعلم لايحيا الا بالنقد الصحيح

المقتبس

كتاب العرب

او الرد علي الشعوبية

لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة من اهل القرن الخامس

تتمة مافي الجزء الماضي

ومنهم الحطيئة هجا اباه وامه ونفسه فقال في امه :

تنحي فاقعدي مني بعيدا ... اراح الله منك العالمينا
الم اوضح لك البغضاء مني ... ولكن لا اخالك تعقلينا
اغربالا اذا استودعت سرا ... وكانوناً علی المتحدثينا

وقال لابيه :

لحاك الله ثم لحاك حقا ... ابا ولحاك من عم وخال
فبئس الشيخ انت علی المخازي ... وبئس الشيخ انت لدی المعالي
جمعت اللؤم لاحياك ربي ... وابواب السفاهة والضلال

وقال لنفسه

ابت شفتاي اليوم الا تكلما ... بشر فما ادري لمن انا قائله
اری لي وجها شوه الله خلقه ... فقبح من وجه وقبح حامله

واتی عيينة بن النهاس العجلي مادحا فقال عيينة لوكيله اذهب معه الی السوق فلا يشيرن الی شيء ولا يسومن به الا اشتريته له فلما انصرف عنه قال

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا ... فسيان لاذم عليك ولا حمد

ومن لؤم الغرائز ايضا في الناس ان منهم من يؤثر ريح الكرابيس على ريح البنفسج وريح الحشوش على نفحات الورد ، ويهتاج من النساء لذات القبح والدفر ، ويكسل عن الحسناء ذات العطر ، ومنها ان الرجل يكون في رخاء بعد بؤس وسعة بعد ضيق فيسأم ماهو فيه ويرغب عنه الى ما كان عليه ، وقال اعرابي قدم المصر فحسنت حاله :

اقول بالمصر لما ساءني شبعي الا سبيل الى ارض بها جوع

الا سبيل الى ارض بها غرث جوع يصدع منه الراس برقوع

وهذا واشباهه من لئيم الغرائز كثير في الامم وهذه الطبائع هي اسباب الشرف واسباب الخمول فذو الهمة تسمو به نفسه الى معالي الامور وترغب به عن الشائنات فيخاطر في طلب العظيم بعظيمته ، ويستخف في ابتغاء المكارم بكريمته ، ويركب الهول ويدرع الليل ، ويحط الى الحضيض ، وتأبى نفسه الا علواً حتى يسعد بهمته ، ويظفر ببغيته ، ويحوز الشرف لنفسه وذريته ، ومن لاهمة له جثامة لبد يغتنم الاكلة ويرضى بالدون ويستطيب الدعة وان اعدم لم يأنف من ذل السؤال والجبان يفر عن امه وابيه وصاحبته وبنيه والشجاع يحمي من لايناسبه بسيفه ويقي الجار والرفيق بمجته والبخيل يبخل على نفسه بالقليل والجواد يجود لمن لايعرفه بالجزيل وقال الله عز وجل (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) يريد قد افلح من انمى نفسه بالمعروف واعلاها وقد خاب من اسقطها بلئيم الاخلاق واخفاها وقد يكون الرجل مخالفاً لابيه في الاخلاق وفي الشمائل او في الهمم او في جميع ذلك لعرق نزعه من قبل اجداده لابيه وامه وقال الشاعر :

واشبهت جدك شر الجدود والعرق يسري الى النائم

ومن الناس الشريف الحسيب وذلك الذي جمع الى محاسن آبائه محاسن نفسه ومنهم الشريف ولا حسب له وذلك اذا كان لئيم النفس ومنهم من لاشرف له ولا حسب وذلك اذا كان لئيم النفس لئيم السلف

وقال قيس بن ساعدة لاقضين بين العرب قضية ماقضى بها احد قبلي ولا يردها احد بعدي (ايما رجل رمى رجلا بملامة دونها كرم فلا لؤم عليه وايما رجل ادعى كرماً دونه لؤم فلا كرم له) يعني ان اولى الامور بالمرء خصاله في نفسه فان كان شريفاً في نفسه وآباؤه لئام لم يضره ذلك وكان الشرف اولى به وان كان لئيماً في نفسه وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك

ومثله قول عائشة : كل شرف دونه لؤم فاللؤم اولى به وكل لؤم دونه شرف فالشرف اولى به : وقال الشاعر في مثله

ومن يك ذا لؤم ومجد يعده ... فاولى به من ذاك ما كان اقربا

فلا لؤم عوداً بعد مجد يهده ... ولا مجد معدوداً اذا اللؤم عقبا

والحسب مأخوذ من قولك حسبت الشيء احسبه حسباً اذا عددته وكان الرجل الشريف يحسب مآثر آبائه و يعدهم رجلاً رجلاً فيقال لفلان حسب اي آباء يعدون وفضائل تحسب فالمصدر مسكن والاسم مفتوح كما تقول هدمت الحائط هدما فتسكن المصدر وتقول لما سقط الى الارض هدم فتفتح الدال من الاسم وكذلك الامم فيها امة كرم بلبانها كالعرب فانها لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء والتذمم وتتعاير بالبخل والغدر والسفه وتتنزه من الدناءة والمذمة وتتدرب بالنجدة والصبر والبسالة وتوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ماتوجبه للحميم والشفيق فربما بذل احدهم نفسه دون جاره ووقى ماله بماله وقتل حميمه . منهم كعب بن مامة وكان اذا جاوره جار فمات بعض لحمته وداه واذا مات له بعير او شاة اعطاه مكان ذلك مثله . ومنهم عمير بن سلمى الحنفي احد أوفياء العرب وكان له جار فخالفه اخوه قرين الى امرأته فاشتد الرجل في حفظ امرأته فقتله وكان عمير غائباً فلما قدم وخبر بذلك دفع قريناً الى ولي المقتول فقتله واعتذر الى امه وعظم جرمه فقالت :

تعد معاذراً لاعذر فيها ... ومن يقتل اخاه فقد الاما

ومن اعجب امر في الجوار قصة ابي حنبل حارثة بن مرة وكان الجراد سقط بقرب بيته فقصد الحي لصيده فلما رآهم قال اين تريدون قالوا نريد جارك هذا فقال اي جيراني قالوا الجراد فقال اما اذ جعلتموه لي جاراً فوالله لاتصلون اليه ثم منع منه حتى انصرفوا ففخر بعضهم فقال

لنا هضبة ولنا معقل ... صعدنا اليه بصم الصعاد

ملكناه في اوليات الزمان ... من بعد نوح ومن بعد عاد

ومنا ابن مرة ابو حنبل ... اجار من الناس رجل الجراد

وزيد لنا ولنا حاتم ... غياث الورى في السنين الشداد

وقال قيس بن عاصم يذكر قومه :

لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جواره فطن

وقال مسكين الدارمي

ناري ونار الجار واحدة　　واليه قبلي تنزل القدر
ماضر جاراً لي يجاورني　　ان لايكون لبابه ستر

وقال الحطيئة بعد محاسن قومه

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا　　وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جروا بها　　وان انعموا لاكدروها ولا كدوا
يسوسون احلاما بعيداً اناتها　　وان غضبوا جاء الحفيظة والجد
اقلوا عليهم لا اباً لابيكم　　من اللوم اوسدوا المكان الذي سدوا

ولهم الضيافة عامة شاملة في جميع البادين منهم والايثار عَلَى النفس والجود بالموجود وافضل العطا جهد المقل

وقال عثمان بن ابي العاص : لدرهم يخرجه احدكم من جهد فيضعه في حق خير من عشرة آلاف درهم يخرجها احدنا غيضاً من فيض : ولولا ماتواصوا به من الضيافة وتحاضوا عليه من الايثار لمات الخير وابدع به دون غايته

وقال ارطاة بن سهية

وما دون ضيفي من تلاد تحوزه　　الى النفس الا ان تصان الحلائل

وقال ابن ابي الزناد قال عبد الملك بن مروان مايسرني ان احد من العرب ولدني الا عروة بن الورد لقوله

واني أمرؤ عافى انائي شركة　　وانت امرؤ عافى اناؤك واحد
اتهزأ مني ان سمنت وان ترى　　بجسمي مس الحق والحق جاهد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة　　واحسو قراح الماء والماء بارد

يريد انه يقسم قوته على اضيافه فكأنه قسم جسمه لان اللحم الذي ينبت ذلك الطعام يصير لغيره ويحسو قراح الماء في الشتاء ووقت الجدب والضيق لانه يؤثر باللبن فتوقف عَلَى هذا الشعر وعَلَى مافيه من شريف المعاني

وقال آخر

اذا ماعملت الزاد فالتمس له　　اكيلا فاني غير آكله وحدي
بعيداً قصياً او قريباً فانني　　اخاف مذمات الاحاديث من بعدي
فكيف يسيغ المرء زاداً وجاره　　خفيف المعى بادي الخصاصة والجهد

ولعل الطاعن ان يقول في هذا الموضوع فاين هو من ذكر مزرد وحميد الارقط وهجائهما للاضياف واين هو من مطاعمهما الخبيثة من الحيات والضباب واليرابيع والعلهز وشربهم الفظ والمجدوح واكل مياسرهم لحوم الابل حنيذاً غير نضيج ونيا والعروق والعلابي وسقط المائدة لايعافون شيئاً ولا يتقذرون اكل السباع ونهش الكلاب ويفخر عليهم باطعمة العجم وحلوائها وآدابها على الطعام وكلها باليارجين والسكين فاما هذان الشاعران اللذان يهجوان الاضياف ويصفانهم بكثرة الاكل وجودة اللقم فان احدهما كان فقيرا ضعيف الحال فاذا نزل به الضيف لم يجد بداً من ايثاره بقليل ماعنده اومشاركته فيه فيبيت طاويا ويصبح جائعا ويجيش صدره بما حل به والشاعر بمنزلة المصدور لابد له من ان ينفث فيه تتريح الى ذكر لقم الضيف ووصف اكله وحديثه قال هو او غيره يذكر الضيف :

تجهز كفاه ويحدر حلقه — الى الزور ماضمت اليه الاناامل
يقول وقد القى المراسي للقرى — اين لي ما الحجاج بالناس فاعل
فقلت له ما ان لهذا طرقتنا — فكل ودع الاخبار ماانت آكل
اتانا ولم يعدله سحبان وائل — بياناً وعلماً بالذي هو قائل

وقال ايضاً يذكر الاضياف :

باتوا وجلتنا الشهرين بينهم — كأن اظفارهم فيها السكاكين
فاصبحوا والنوى عالي معرسهم — وليس كل النوى يلقي المساكين

اراد من الاضياف من يأكل التمر بالنوى وهذا يدل على شدة فقره . واما مزرد فكان شرهاً منهوماً والشره رفيق البخل وهو القائل :

لبكت بصاعي صاع عجوة — الى صاع سمن فوقه يتربع
فقلت لبطني ابشر اليوم انه — حوى امنا مما تحوز وترفع
فان يك مصبوراً فهذا دواؤه — وان يك غرثاناً فذا يوم يشبع

وقال الحطيئة :

اعددت للضيفان كلباً ضاريا — عندي وفضل هراوة من ارزن
ومعاذراً كذباً ووجهاً باسراً — وتشكياً عض الزمان الالزن

وهذا شر القوم وليس من الناس صنف الا وفيه الخير والشر على ذلك أسست الدنيا وعليه درج الناس ولولا احدهما ماعرف الآخر وانما يقضى باغلب الامور ويحكمون

باشهر الاخلاق . وليس في ثلاثة من الشعراء او اربعة ما هدر مكارم الاخلاق آلاف من الناس وبدد صنائعهم . وهذا كعب بن مامة آثر بنصيبه من الماء رفيقه النمري حتى مات عطشاً . وهذا حاتم الطائي قسم ماله بضع عشرة مرة ومر في سفره على عنزة وفيهم اسير فاستغاث به ولم يحضره شيء فاشتراه من العنزيين فخلاه واقام مكانه في القد حتى ادى فداءه . وكل فخر في طي فهو راجع الى نزار ولهم الجبلان وهما بنجد واخذهم بآدابهم وتخلقهم باخلاقهم . وهذا عدي شاطر ابن دارة الشاعر ماله . وهذا معن في الاسلام كان يقول فيه حدث عن البحر ولا حرج وعن معن ولا حرج . واتاه رجل يستحمله فقال يا غلام اعطه فرساً وبرذوناً وبغلاً وعيراً وبعيراً وجارية ولو عرفت مركوباً غير هذا لاعطيتكه . وهذا نهيك بن مالك بن معوية باع ابله وانطلق باثمانها الى منى فانهبها والناس يقولون مجنون فقال :

لست بمجنون ولكني سمح انهبكم مالي اذا عز القدح

وهذا شيء يكثر جداً ويتسع القول فيه ويخرج الكتاب من فنه باستقصائه وكان غرضنا في هذا الكتاب ان ننبه بالقليل من كل شيء في عيون الاخبار . واما تعييرهم اياهم بخبيث المطعم كالعلهز والحيات وخبيث المشرب كالفظ والمجدوح فان هذا واشباهه طعام المجاوع والضرورات وطعام نازلة الفقر والفلوات وقال الشاعر

اذا السنة الشهباء حل حرامها

يريد انهم يأكلون فيها الميتة وقال الراعي

الى ضوء نار يشتوي القد اهلها وقد يكرم الاضياف والقد يشتوي

وانما كان يكون هذا عيباً لو كانت العرب مختارة له في حالة اليسر كما تختار بعض العجم الذباب وبهم عنه غنى والسراطين والدجاج لهم معرضة فاما حال الضرورة فالناس كلهم يعسرون فمن لم يجد اللحم اكل اليربوع والضب ومن لم يجد الماء شرب المجدوح والفظ

قال الاصمعي اغير على ابل حريثة فذهب فركب بحيرة فقيل اتركب الحرام فقال يركب الحرام من لا حلال له : وقال الشاعر

ياليت لي نعلين من جلد الضبع كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع

ومما يدلك على ان اهل الثروة منهم على خلاف ماعليه الصعاليك والغثر قول الشاعر

فما لحم الغراب لنا بزاد ولا سرطان انهار البريص

فانتفى من اكل لحوم الثربان وعير بها قوما

وقال آخر لامرأته

اكلت دماً ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرططية القشر

فلو كان شرب المجدوح عنده محموداً لم يجعل يمينه شرب الدم كما يقول القائل شركت بالله ان لم افعل كذا وكذا

وقال آخر

نعاف وان كانت خماصاً بطوننا لباب النقي والعجاب المجردا

يريد انه يرغب وان كان جائعاً عن اكل الخبز بالتمر الى اكله بالشحم ونزل رجل من العرب فقدم اليه جراداً فعافها وانشأ يقول

لحى الله بيتاً ضمني بعد هجمة اليه دجوجي من الليل المظلم

فابصرت شيخاً قاعداً بفنائه هو العير الا انه يتكلم

اتاني ببيرقان الدبا في انائه ولم يك في برق الدبا لي مطعم

فقلت له غيب اناءك واعتزل ¦ هل ذاق هذا الا ابا لك مسلم

واما اكلهم العلابي والعروق واللحم النيء وتركهم طيبة الاطعمة والاطبخة وحسن الادب عند الاكل فهذا لعمري هو الاغلب على من الاغلب عليه الفقر فاما ذوو النعمة واليسار والاقدار فقد كانوا يعرفون اطايب الطعام ويأكلونها ويأخذون باحسن الادب عليها

فالمضيرة لحم واسمها يدلك على ذلك تطبخ باللبن الماضر وهو الحامض فاشتق اسمها منه

والهريسة لحم سميت بذلك لانها تهرس اي تدق ويقال للمدق المهراس

والوشيقة لحم والعامة تسميها العشيقة سميت بذلك لانها توشق اي تقطع صغاراً

والعصيدة لحم سميت بذلك لانها تعصد اذا عملت اي تلوى وكل شيء لويته فقد عصدته ومنه قيل للمائل عنقه عاصد وقال مرود

لبكت بصاعي حنطة صاع عجوة الى صاع سمن فوقه يتريع

وهذا هو العصيدة وقال امية ابن ابي الصلت في عبدالله بن جدعان

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادي

الى ردح من الشيزى ملاء لباب البر يلبك بالشهاد

وهذا هو الفالوذ وهم اوصف الناس للطعام والطفهم في ذكره · حدثني ابو حاتم قال حدثني الاصمعي قال حدثنا ابو طفيلة قال حدثنا شيخ من اهل البادية قال ضفنا فلاناً بحنطة كأنها مناقير النغران وتمر كأنها اعناق الورلان يوحل فيها الضرس.

وحدثنا الاصمعي ايضاً عن اعرابي انه قال تمرنا خرس فطس يغيب فيه الضرس كأن نواهن السن الطير تضع التمرة في فيك فتجد حلاوتها في كعبك

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال قال شيخ من اهل المدينة فاتاني برقة كأن فيها مشقاً فلم ار الا كبداً طافية فغمست يدي فوجدت مضغة فمددتها فامتدت حتى كأني ازمر في ناي ولهم اطبخة كثيرة ومن اطبختهم الغسانية وهي لاتعرفها عامتنا كالجيبة والربيكة والخزيرة واللقيمة تركت ذكرها واقتصرت على ماتعرف وكانوا يقولون : اطيب اللحم عوذه : يريدون اطيبه ماولي العظم كأنه عاذ به · وكانوا يقولون اذا اكلتم فسموا وادنوا يريدون بادنوا كلوا مما بين ايديكم وكانوا يكرهون اكل الدماغ ويرون استخراجه رغبا وحرصاً وقال قائلهم

ولا يتقي المخ الذي في الجماجم

ومن قبائل العرب من يعاف الية الشاة ويقولون هي طبق الاست وقال قائلهم

وللموت خير من زيارة باخل يلاحظ اطراف الأكيل على عمد

وكانوا يمدحون بقلة الاكل وقال اعشى باهلة

تكفيه حزة فلذان الم بها من الشواء ويروى شربة الغمر

ويعيبون بالشره والنهم والكسل ويقول للبخيل الأكول ايرماً قروناً يريد انه لايخرج مع اصحابه شيئاً ويأكل تمرتين واصل البرم الذي لايسير مع القوم وقال بعض الرجاز

تسألنا عن بعلها اي فتى خب جبان واذا جاع بكى
لاحطب القوم ولا القوم سقى ولا ركاب القوم ان ضلت بغى
ويأكل التمر ولا يلقي النوى ولا يواري فرجه اذا اصطلى
كأنه غرارة ملأى حثا

وقال الاحنف جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام فاني ابغض ان يكون الرجل وصافاً لبطنه وفرجه

وان من المروءة ان يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه وقال قائلهم : اقلل طعاماً ، تحمد مناماً ، وقال ايضا : غلبت بطنتي فطنتي

وقال عمرو بن العاص لمعوية يوم حكم الحكمان : اكثروا الطعام فوالله مابطن قوم الا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عزمة رجل بات بطيناً

ومثل هذا كثير لمن تنبه ، فكيف تكون المعرفة بالطعام والادب عليه الا كما وصفنا فاما تركهم انضاج اللحم فلا اعلمه الا في موضع واحد وهو اذا سافروا وغزوا فانهم يتمدحون بترك الانضاج لعجلة الزماع وقال الشماخ

واشعث قد قدَّ السفار قميصه يجز الشواء بالعصا غير منضج

وقال الكميت

ومرضوفة لم تون في الطبخ طاهياً تجلت الى محورها حين غرغرا

ولم يزل الشرب اذا اجتمعوا والاحداث من اولاد الملوك وغيرهم يبادرون بالشيل قبل النضج

قال اعرابي نحر بعيره وشرب

عللاني انما الدنيا علل ودعاني من ملام وعذل

وانشلا ما اغبر من قدريكما واسقياني ابعد الله الجمل

واما اكلهم سقط المائدة فانه اكرام للطعام واعظام للنعمة وجنس من الشكر لواهبها ونبذه في المزابل استخفاف به وتصغير له وبخس بموئتيه حق عطيته ، ومن وهب لك شيئاً صنته وعظمته سمحت لك نفسه بالزيادة منه ، وان احتقرته وازدريته كان حرياً ان يقطعه والطعام اعظم نعم الله عَلَى خلقه بعد معرفته لانه مثبت الروح وممسك الرمق فمن صانه فقد عظم نعمة الله واستوجب زيادة الله ومن امتهنه في غير ماخلق له فقد صغرها واستوجب سخط الله

حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا ايوب بن سليمان عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال ولا اعلمه الا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكرموا الخبز فان الله سخر له السموات والارض وقد امرنا صلى الله عليه وسلم باكل سقط المائدة ورغبنا فيه

والعجب عندي من قوم نحلتهم الاسلام ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت الاخبار عنه بشيء امر به او نهى عنه فيعارضون ذلك بالعيب وبالطعن من غير ان يعرفوا

العلة ولا ان يكون لهم في الانكار له نفع او عليهم في الاقرار به ضرر

واما اكلهم باليارحين والسكين فمفسد للطعام ناقص للذته والناس يعلمون الامن عائد منهم وقال بخلاف ماتعرفه نفسه ان اطيب المأكل ماباشرته كف آكله ولذلك خلقت الكف للبطش والتناول والتقذر من اليد المطهرة ضعف وعجب واولى بالتقذر من اليد الريق والبلغم والنخاع الذي لايسوغ الطعام الا به وكف الطباخ والخباز تباشره والانسان ربما كان منه اقل تقذراً واشد انساً

واما الشجاعة فان العرب في الجاهلية اعز الامم انفساً واعزها حريماً واحماها انوفاً واخشنها جانباً وكانت تغير في جنبات فارس وتطرقها حتى تحتاج الملوك الى مداراتها واخذ الرهن منها والعجم تفخر باساورة فارس ومرازبتها وقد كان لعمري لهم البأس والنجدة غير ان بين العرب وبينها في ذلك فرقاً منه ان العجم كانت اكثر اموالاً واجود سلاحاً واحصن بيتاً واشد اجتماعاً وكانت تحارب برياسة ملك وسياسة سلطان وهذه امور تقوي المنة وتشد الاركان وتؤيد القلوب وتثبت الاقدام والعرب يومئذ منقطعة ليس لها نظام ومتفرقة ليس لها التئام واكثرها يحارب راجلا بالسيف الكليل والرمح الذليل والفارس منها يحارب عَلَى الفرس العربي الذي لامرج له وعَلَى السرج الرث الذي لاركاب له والاغلب عَلَى قتال العجم الرمي والاغلب عَلَى قتال العرب السيف والرمح وهما ادخل في الجدوابعد من الفرار وادل على الصبر

وشجعاؤهم في الجاهلية مثل عتيبة بن الحارث بن شهاب صياد الفوارس وبسطام بن قيس وبجير وعفاف ابني ابي مليل وعامر بن الطفيل وعمرو بن ود واشباههم وفي الاسلام مثل الزبير وعلي وطلحة ورجال من الانصار وعبد الله بن حازم السلمي وعباد بن الحصين وقال ماظننت ان احداً يعدل بالف فارس حتى رأيت عباداً ليلة كابل وقطري ابن الفجاءة وشبيب الحروري وامثال هؤلاء عدد الرمل والحصا ليس منهم احد اذا انت توقفت عَلَى اخباره وحاله في شجاعته الا وجدته فوق كل اسوار والرجليون للعرب خاصة

قال ابو عبيدة رجليو العرب المشهورون المنتشر بن وهب الباهلي وسليك ابن عمير السعدي واوفى بن مطر المازني وكان الرجل منهم يلحق بالظبي حتى يأخذ بقرنيه واذا كان زمان الربيع جعلوا الماء في بيض نعام مثقوب ثم دفنوه فاذا كان الصيف وانقطع الغزو غزوا وهم اهدى من القطا فيأتون عَلَى ذلك البيض ويستثيرونه ويشربونه

وحدثني ابو حاتم قال : حدثني الاصمعي ان السليك كان يعدو فتقع سهامه من كنانته بالارض فترتز وكان يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من الخيبة واما الهيبة فلا هيبة

وقرأت في كتب العجم ان بهرام جور كان في حجر ملك العرب بالبادية فلما بلغه هلاك ابيه وان الفرس عزموا على ان يملكوا غيره سار بالعرب حتى نزل السواد وطالبهم بالملك وجادلهم عنه حتى اعترفوا له بالحق وملكوه

وقد كان كسرى اغزى بني شيبان جيشاً فاقتتلوا بذي قار فهزمت بنو شيبان اساورة كسرى فهو يوم ذي قار ثم كان من امر العرب وامر فارس حين جمعهم الله لقتالهم بالامام وساسهم بالتدبير مالاحاجة بنا الى الاطالة بذكره لشهرته

ومما يدلك على تعزز القوم في جاهليتهم وانفتهم وشدة حميتهم ان ابرويز ملك فارس واشدها سطوة واتخانا في البلاد خطب الى النعمان بن المنذر احدى بناته فرده رغبة بها عنه ولم يزل هاربا منه حتى ظفر به فقتله

وكان لقريش بيت الله الحرام العتيق من الجبابرة المنصور بالطير الابابيل لم يزالوا ولاته وسدنته والقائمين لاموره والمعظمين لشعاره وكان يقال لهم اهل الله وجيران الله لنزولهم الحرم وجوارهم البيت وكان فيهم بقايا من الحنيفية يتوارثونها عن اسمعيل صلى الله عليه وسلم منها حج البيت الحرام وزيارته والختان والغسل والطلاق والعتق وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والرضاع والصهر

وقد كان حاجب بن زرارة وفد على كسرى فرأى العجم ينكحون الاخوات والبنات فسولت له نفسه التأسي بهم والدخول في ملتهم فنكح ابنته ثم ندم على ذلك فقال

لحا الله دينك من اغلف يحل الخوات لنا والبنات
احشت على اسرتي سوءة وطوقت جيدي بالمخزيات
وابقيت في عنقي سبة مشاتم يجنين بعد الممات
فتاة تجللها شيخها فبئس الشيخ ونعم الفتاة

ومما كان بقي فيهم من الحنيفية ايمانهم بالملكين الكاتبين حدثني بعض اصحابنا عن عبد الرحمن بن خالد الناقد قال كان الحسن بن جهور مولى المنصور خرج الى بعض ولد سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كتابا كان ابد المطلب بن

هاشم كتبه بخطه فاذا هو مثل خط النساء واذا هو باسمك اللهم ذكر حق عبد المطلب ابن هاشم من اهل مكة عَلَى فلان بن فلان الحميري من اهل زول صنعآء عليه الف درهم فضة طيبة كيلا بالحديدة ومتى دعاه بها اجابه شهد الله بذلك والملكان : وقال الاعشى

ولا تحسبني كافراً لك نعمة عَلَى شاهدي ياشاهد الله فاشهد

قوله عَلَى شاهدي اي عَلَى لساني شاهدالله يعني الملك

ومن ذلك احكام كانت في الجاهلية اقرها الله في الاسلام لايبعد ان تكون من بقايادين اسمعيل صلى الله عليه وسلم منها دية النفس مائة من الابل ومنها اتباع حكم المبال في الخنثى ومنها البينونة بطلاق الثلاثة وللزوج عَلَى المرأة في الواحدة والاثنتين فهذه حالها في الجاهلية مع احوال كثيرة في العلم والمعرفة . نذكرها بتمامها بعد ان شاء الله ثم اتى الله بالاسلام فابتعث منها النبي صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء وخاتم الرسل وناسخ كل شرعة وحائز كل فضيلة ونشر عددها وجمع كلمتها وامدها بملائكته وايدها بقوته ومكن لها في البلاد واوطأها رقاب الامم وجعل فيها خلافة النبوة ثم الامامة خالدة تالدة حتى يأتي المسيح صلى الله عليه وسلم فيصلي خلف الامام منها فاردة لا يستطيع احد ان يأتي بمثلها وخاطبها وهي يومئذ لاعجم فيها فقال « كنتم خير امة اخرجت للناس » فلما فصل هذا الخطاب والامم طراً داخلة عليها فيه واما قوله لبني اسرائيل «وفضلتكم عَلَى العالمين » فانه من باب العام الذي اريد به الخاص كقوله حكاية عن ابراهيم « وانا اول المسلمين » وحكاية عن موسى « وانا اول المؤمنين » وقد كانت الانبياء قبلهما مؤمنين ومسلمين فانما اراد موسى زمانه وكذلك قوله « وفضلتكم عَلَى العالمين » يريد عالمي زمانهم وقوله لقريش « اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم » ليس فيه دليل عَلَى ان اهل اليمن خير من قريش في الحسب ولا انهم مثلهم وهم من ولد ابراهيم صلى الله عليه وسلم ومن القربة التي اصطفى الله عَلَى العالمين وليس لليمن والد من الانبياء دون نوح وانما خاطب الله بها مشركي قريش ووعظهم بمن قبلهم من الامم الهالكة لمعصيته وحذرهم ان ينزل بهم مثل مااصابهم فقال « اهم خير » من اولئك الذين كانت فيهم التبابعة والملوك ذوي الجنود والعدد فاهلكناهم بالذنوب والخير قد يقع في اسباب كثيرة يقال هذا خير الفارسين يريد اجلدهما وهذا خير العودين يريد اصلبهما وكانت قريش كما قال الله قليلا فكثرهم ومستضعفين فأيدهم بنصره وخائفين ان تخطفهم الملوك فآمنهم بحرمة بارهصه لهم واراد من تمكينهم واعلاء كلمتهم واظهار نوره لهم وتغيير

بمالك الامم لهم ومن ذا من المسلمين يصح اسلامه ويصح عقده يقدم على قريش او يعادل بها وقد قضى الله لها بالفضل على جميع الخليقة اذ جعل الائمة منها والامامة فيها مقصورة عليها ان لاتكون لغيرها والامامة هي التقدم وهذا نص ليس فيه حيلة لمتأول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الائمة من قريش» وروى وكيع عن الاعمش عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش في الخير والشر وروى وكيع عن سفيان عن ابن خشيم عن اسمعيل عن عبدالله عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قريشاً اهل صبر وامانة فمن بغاهم الغوائل كبه الله لوجهه يوم القيمة وروى عن عبدالاعلى عن معمر عن الزهري عن سهل بن ابي حثمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعلموا من قريش ولاتعلموها وقدموا قريشاً ولا تؤخروها وروى يزيد بن هرون عن ابن ابي ذئب عن الزهري عن طلحة بن عبد الله بن عوف عن عبد الرحمن عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لقرشي قوة رجلين من غير قريش قيل للزهري ماعنى بذلك قال فضل الرأي قال وكان يقال قريش الكتبة الحسبة ملح هذه الامة علم عالمها طباق الارض

وحدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن يوسف عن ابيه عن ابراهيم عن مكحول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايقومن احد الا لهاشمي

وحدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا نصر بن خلف الضبي قال حدثنا علي بن عبدالله ابن وثاب المدني عن مطرف بن خويلد الهذلي قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل وهو يقول

انى امرؤ حميري حين تنسبني لامن ربيعة آبائي ولا مضر

فقال ذاك اضرع لخدك وابعد لك من الله ورسوله

وحدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا ابو زيد شجاع بن الوليد قال حدثنا ابو قابوس ابن ابي ظبيان عن ابيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسلمان لاتبغضني فتفارق دينك قال قلت يارسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله قال لاتبغض العرب فتبغضني

وروى محمد بن بشر العبدي قال حدثنا ابو عبد الرحمن عن حصن بن عمير عن مخارق بن عبد الله بن جابر عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي

وروى حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن المؤمل عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الناس فالحق في مضر

وروى ابو نعيم عن الثوري عن يزيد بن ابي زياد عن عبد الله بن الحرث عن المطلب بن ابي وداعة والمطلب بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقاً فجعلني في خيرهم فرقة وخلق قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً

ثم يتلو العرب في شرف الطرفين اهل خراسان اهل الدعوة وانصار الدولة فانهم لم يزالوا في اكثر ملك العجم لقاحا لا يؤدون الى احد اتاوة ولا خراجا وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ . ثم نزلوا بابل ثم نزل ازدشير بابك فارس فصارت دار ملكهم وصار بخراسان ملوك الهياطلة وهم الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس وكان غزاهم فكادوه في طريقه بمكيدة حتى سلك سبيلا معطشة مهلكة ثم خرجوا اليه فاسروه واكثر اصحابه فسألهم ان يمنوا عليه وعلى من اسر معه واعطاهم موثقا من الله ان لا يغزوهم ولا يجوز حدودهم ونصب حجرا بينه وبين بلادهم جعله الحد الذي حلف عليه واطلقوه فلما عاد الى مملكته اخذته الانفة والحمية بما اصابه فعاد لغزوهم ناكثا لايمانه غادراً بذمته وحمل الحجر الذي كان نصب امامه في مسيره يتأول انه ما تقدم الحجر فانه لم يجزه فلما سار اليهم ناشدوه الله واذكروه ما جعل على نفسه من عهده وذمته فابى الا لجاجا ونكثا فواقعوه فقتلوه وقتلوا حماته وكماته واستباحوا عسكره واسروا ضعفته ولبثوا في ايديهم اسرى ثم اعتقوهم واطلقوهم وغبروا بعد ذلك زمانا طويلا وقتلوا كسرى ابن فيروز وهذا شيء يخبر به عن فارس فيما دونوا في سير ملوكهم من اخبارهم ومن اقر بهذا على نفسه لعدوه واباحه لخصمه فما ظنك بما استتر وزين من امره

وكان فيما حكوا من الكلام الدائر بين ملك الهياطلة وبين فيروز كلام احببت ان اذكره في هذا الموضع لادل به على حكمة القوم وحزمهم في الامور وعلمهم بمكايد الحروب قالوا لما التقى الفريقان ثم تصافوا للقتال ارسل اخشنوار ملك الهياطلة الى فيروز ان يسأله ان يبرز فيما بين الصفين ليكلمه فخرج اليه فقال اخشنوار قد ظننت انه لم يدعك الى مقامك هذا الا الانف مما اصابك ولعمري لئن كنا احتلنا لك بما رأيت لقد

كنت التمست منا اعظم منه وما ابتدأناك ببغي ولا ظلم ولا اردنا الا دفعك عن انفسنا وحريمنا ولقد كنت جديرا ان تكون من سوء مكافأتنا عليك وعلى من معك ونقض العهد والميثاق الذي اكدت على نفسك اعظم انفا واشد امتعاضا مما نالك منا فاننا اطلقناكم وانتم اسارى ومننا عليكم وانتم مشرفون على الهلكة وحقنا دماءكم وبنا على سفكها قدرة واننا لم نجبرك على ماشرطت لنا بل كنت الراغب الينا فيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك ومثل بين هذين الامرين فانظر ايهما اشد عاراً واقبح سماعا ان طلب رجل امرا فلم يتح له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغية واستمكن منه عدوه على حال جهد منه وضيقة ممن معه فمن عليهم واطلقهم على شرط شرطوه وامر اصطلحوا عليه فاصطبر لمكروه القضاء واستحيا من الغدر والنكث ام ان يقال نقض العهد وختر بالميثاق مع اني قد ظننت انه يزيدك لجاجة ماتثق به من كثرة جنودك وما تراه من حسن عدتهم وما اجدني اشك في انهم واكثرهم كارهون لما كان من شخوصك بهم عارفون بانك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم الى مايسخط الله فهم في حربنا غير مستبصرين ونياتهم اليوم في مناصحتك مدخولة فانظر ماغناء من يقاتل على هذه الحالة وما عسى ان تبلغ نكايته في عدوه اذا كان عارفا انه ان ظفر فمع عار وان قتل فالى النار فأنا اذكرك الله الذي جعلته على نفسك كفيلا ونعمتي عليك وعلى من معك بعد يأسكم من الحياة واشرافكم على الممات وادعو الى مافيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك الذين مضوا على ذلك في كل ما احبوا او كرهوا فاحمدوا عواقبه وحسن عليهم اثره ومع ذلك انك لست على ثقة من الظفر بنا والبلوغ لبغيتك فينا وانما تلتمس منا امرا نلتمس منك مثله وتبادي عدواً لعله يمنح النصر عليك فدونك هذه النصيحة فبالله ما كان احد من اصحابك يبالغ لك اكثر منها ولا زائد لك عليها ولا يحرمنك منفعتها مخرجها مني فانه لا يزري بالمنافع عند ذوي الرأي ان تكون من الاعداء كما لا يحبب المضار اليهم ان تكون على ايدي الاولياء ونحن نستظهر بالله الذي اعتذرنا اليه ووثقنا بما جعلت لنا من عهده اذ استظهرت بكثرة جنودك وازدهتك عدة اصحابك واعلم انه ليس يدعوني الى ماتسمع من مقالتي ضعف احسه من نفسي ولا قلة من جنودي ولكني احببت ان ازداد بك حجة واستظهارا وازداد به للنصر اه

المرأة

(علمها علماً صحيحاً او دعها على سذاجتها)

لان تبقى المرأة جاهلة خير من ان تتعلم تعلماً ناقصاً . او تتربى تربية تافهة

المرأة التي تظل محافظة على سذاجتها الاولى : فلم تتلق شيئاً من مبادىء العلوم والفنون . ولم تمارس القراءة والكتابة قد يتيسر لنا ان نقنعها بانها جاهلة . ثم نوصيها بلزوم الرجوع في تربية طفلها الى رأي من هو اعرف منها بشؤون التربية

ومثل تربية طفلها تدبير منزلها وادارة احوالها ورؤية مصالحها : نحسن لها في جميع ذلك ان تعتمد على مشورة زوجها والخبيرين من ذوي قرابتها . اما تلك التي تعلمت تعلماً ناقصاً ورأى اولياؤها ان لا يعطوها من مبادىء العلم سوى قراءة القرآن . وكتابة « ابجد هوز » و « جناب الاكرم » حاسبين ان ذلك القدر اليق بها واحوط في سلامة دينها وآدابها — هذه المرأة تصبح بهذا التعلم الخداج ذات عجب وعناد ولجاج . فلا تعود تصغي لمشورة من هو اعلم منها . ولا تقف في افساد تربية ابنها وتدبير منزلها عند حد !

تسيء الظن بزوجها فتغل يده عن استثمار مالها والانفاق على اطيانها لتحسينها وتنميتها . تدير شؤون المنزل على غير ما تقتضيه قواعد الاقتصاد واصول الصحة ووسائل التطهير والنظافة . تحاول تربية اولادها فتخل بقوانين التربية وتفتات على المربي الخبير اعتداداً بكفاءتها وان معرفتها لقراءة القرآن جعلتها اهلاً لكل شيء ، وعالمة بكل شيء ، وخبيرة بكل شيء ايضاً .

تريد ان تلقن ابنها المراهق شيئاً من مبادىء الاخلاق والآداب فتحكي له قصص العفاريت والاساطير المكذوبة او تملي عليه ابيات عشق وغرام كانت سمعتها من بعض اترابها في كتاب سخيف ركيك وضعه واضعه لتعليم الاحداث صناعة الترسل والانشاء

هاهي واقفة في رأس السلم تقول لابنها وهو ذاهب الى المدرسة . حرطتك بكلمات الله التامة . سلمتك الى واحد احد . امسك يابني بالدرابزين جيداً لئلا تزلق رجلك

خرج الولد من باب الدار فاذا امه تهتف به من النافذة وتوصيه بالابتعاد عن شاطىء البحر لئلا يغرق . وعن الكلاب لئلا تزعجه او تعضه . وعن الحفر لئلا يقع فيها . ثم تلح عليه ان يشد المنديل على عنقه خوف لذع البرد وان يطبق المظلة على رأسه خشية اذى الحر

رجعت الام بعد هذه الوصاية امتكررة الى غرفتها · ارادت الادلال عَلَى زوجها والتباهي عَلَى جارتها فرفعت صوتها بتلاوة القرآن تارة ودلائل الخيرات تارة اخرى

اواني المطبخ لم تزل من دون تنظيف · ارض الدواليب لم تزل من دون مسح · طعام الغداء لم يزل الزوج يجهل امره · و يتساءل ماذا عساه يكون ؟ وضيوفه كرام يجب ان يتجمل امامهم و يكافئهم عَلَى اياد لهم عليه · الطفل الصغير غلبه النوم في احدى زوايا تلك الدار والذباب يتطاير من فوقه · والروائح الخبيثة تنبعث من تحته

رأى الرجل الحالة عَلَى ماوصفنا فنادى امرأته ورغب اليها ان تنهض لمراقبة امور البيت بتهيئة الطعام

تغافلت المرأة عن زوجها · او ان دوي صوتها بقراءة دلائل الخيرات حال بينهما وبين سماع النداء !

هتف بها ثانية فردت عليه بخشونة · وجعلت تؤنبه عَلَى اساءته الادب مع مؤلف دلائل الخيرات وانها تخشى عليه ان يبطش به ! !

ضاق صدر الرجل فكاد يتفوه بما لايليق في حق اهل الله ثم سكت عَلَى مضض

ولا نعلم ماذا جرى بين الرجل وامرأته · ولا كيف كان امر الغداء · ولكن نذهب مع القارىء الى تلك المرأة التي عرف اولياؤها كيف يعلمونها وكيف يجعلونها تستفيد من الذي تلقته

تزوجت فياسعد زوجها بها · رزقت اولاداً فيالسعادة اولادها من اجلها

تعلمت القراءة والكتابة ولكن لم تتعلمها لذاتها وانما تتعلمها لكي تتوصل بهما الى درس حقائق اعلى وتحصيل فوائد اغلى

قرأت القرآن بامعان وتفهم : فكانت تتناول بعض الآيات وتشرح معناها لاولادها شرحاً مفيداً غاية في السهولة والتقريب · غرست في نفوس اولادها عظمة الله تعالى ووجوب خشيته واستمداد المعونة والتوفيق منه

وكثيراً ماأسمعتهم الآيات التي تحض عَلَى ممارسة الخير والفضيلة · وتطلب منهم أن يستظهروا ألفاظها و يتفطنوا لمعانيها

ولم تكتف من العلم بهذا القدر فقط بل رأت (من الواجبات) عليها باعتبارها ربة منزل أن يكون لها إلمام ومشاركة بفن الهيجين (حفظ الصحة) ثم لاحظت أنها لاتقدر عَلَى تربية اولادها تربية صحيحة مالم تدرس فن الاخلاق وعلم النفس ومعرفة

أسرار قواها المختلفة

قالت : انما أكون سعيدة اذا كان زوجي وأولادي أصحاء الاجسام ولا تدوم الصحة لهم مالم أكن عارفة بالأصول والقوانين التي قررها العلماء في حفظ الصحة

ثم ماذا تكون فائدة الصحة اذا لم يقترن بها أخلاق حسنة وتربية فاضلة ؟ فمن ثم كان الواجب عليّ ان اجمع بين درس الفنين فن الصحة وفن التربية

كانت تختلس فرصاً من وقتها ثم تقبل عَلَى مطالعة الكتب التي وضعت في هذين الفنين الجليلين . وكثيراً ما كان يستعصي عليها فهم بعض المسائل فتستأذن زوجها أن تكتب لبعض الاخصائيين في هذين الفنين . فكان يأذن لها منشرح الصدر هادئ البال

قالت اذا كان الحجاب يحول بيني وبين التردد على أفاضل العلماء في منازلهم فها أنا ذا بحمد الله أستطيع الكتابة اليهم بعبارة فصيحة فلا أدع الحجاب يحجبني عن القيام بالفريضة الدينية وهي (طلب العلم)

وقد كتبت مرة الى بعض نطس الاطباء تسأله رأيه في مهد طفلها هل تتخذه مما يهز باليد هزاً أو يكون ثابتاً يتحرك فكتب اليها يقول : « الأفضل أن يكون المهد ثابتا لأن الولد إذا اعتاد الترجح في الارجوحة اضطرب نومه . وغلب عليه القلق والارق او تبقى يد الأم قابضة عَلَى دفة السرير طول الليل وهذا مما يذهب براحتها ويحرمها طيب المنام . واذا ارادت الأم ان تستزيد من الراحة لها ولطفلها فلا تستعمل عادة التقميط فتشد لي اعضاء الطفل وتجعله كطرد « البوسطة » او كالمومياء المصرية . وشد الطفل عَلى هذه الصورة يضايقه ويضطره الى البكاء ومتابعة الشكوى من هذا الظلم الفادح . ولكن الأم الجاهلة لا تنتبه لسبب بكائه فتحسبه انما يبكي فجوراً منه أو نكاية بها فتأخذ في هز المهد والتسخط عليه ولي القدر طول الليل » اه

ومما رأت هذه الأم الفاضلة انها في حاجة الى تعلمه — مبادئ الكيمياء ودرس طباع المعادن وخواص الاجسام فتعرف الضار منها من غير الضار والسام من غير السام

وبعد خمس عشرة سنة من زواجها صار لها بضعة اولاد فكانت بعد رجوعهم من المدرسة تكثر من مفاكهتهم ومداعبتهم ثم في غضون ذلك تودع نفوسهم مسائل العلم واحدة فواحدة

ولا أنسى اذ كانوا مرة في صحن الدار وكانت الحاجة (طباختهم) قد ذهبت الى بيت الجيران في بعض شأنها

فنادت الأم اولادها قائلة ذهبت « الحاجة » وسوف تمكث عند الجيران اكثر من ساعة اذ اننا نعرفها تكثر الحديث وتحسن الاقاصيص فلنغتنم فرصة غيابها ايها الاولاد ولننزل الى المطبخ ونشاهد مافيه من الأواني والادوات المختلفة . افانتم ايها الصغار لاتعرفون انواع المعادن . وان في المطبخ من المعادن مجموعة نفيسة : هلموا معي اليها —

فتراكض الاولاد وراء امهم مسرعين

آه ما احسن تصفيف هذه الأواني وما اشد ما اعتنت الحاجة بتنظيفها . شكراً لك ايتها العجوز

انظروا هذه المقالي والقدور الصغيرة فهي من النحاس . والنحاس معدن نافع جداً يستخرج من جوف الارض والذي يصنع منه الأواني يسمى نحاساً . وهذا النحاس يتوصل الى صنع القدور النحاسية بوضعها على السندان وضربها بالمطرقة الضخمة

ثم التفتت الى ابنها الصغير (وهبي) وقالت هل تعرف ياوهبي ماهو السندان وما هي المطرقة ؟ قال نعم ياماماه كنت اريتنيها في حانوت الحداد القريب من دارنا

انظروا هذه القدر التي وضعتها (الحاجة) في ناحية بعيدة عن سائر القدور

اتعرف السبب في ترك استعمالها ؟

كلا ياماماه !

الستم ترونها كامدة اللون

بلى ياماماه

احترزوا ايها الاولاد من ان تضعوا شيئاً من هذه المادة الخضراء في افواهكم : هذه البقع يسمونها (الزنجار) وهو احد السموم القتالة لننظر الآن في القدور الأخرى النظيفة التي نطبخ فيها

داخلها لامع نظيف . وهو مغطى بطبقة رقيقة من معدن ابيض وهذا المعدن يسمى (قصديراً) وليس القصدير كالنحاس في تولد سم الزنجار عليه ولذلك يطلون به النحاس اذا طلينا النحاس بطبقة رقيقة من القصدير قيل انه (مبيض) اما اذا مزجنا النحاس والقصدير معاً بعد صهرهما كان لنا منهما معدن يسمى (برنزا) . والتفتت الى ابنها (حسني) وسألته هل تعرف معنى الصهر ؟ قال لا . قالت الصهر تذويب المعادن وجعلها بحالة

السيلان . ثم قالت لهم هوذا شمعدان من معدن البرنز . والجرس الصغير المعلق على باب الدار يعلن مجيء القادمين من وقت الى آخر هو من البرنز واجراس الكنائس التي تسمعون أصواتها متخذة من البرنز ايضاً . وكانوا قديماً يصنعون المدافع من البرنز وبقوا على ذلك زمناً

وكان البشر في اول امرهم يستخدمون شظايا الاحجار (اي قطعها) في ضروب مرافقهم فكانوا يتخذون منها سكاكين وفؤوساً ويسمى ذلك العصر بالعصر الحجري . ثم اهتدوا الى النحاس ومزجوه بالقصدير فحصلوا على معدن البرنز ومن هذا البرنز كانوا يصطنعون اسلحتهم وادواتهم وما زالوا على استعماله حتى عرفوا الحديد في العصور الثالثة ويسمى هذا الطور الثالث للبشر (العصر الحديدي)

والحديد انفع المعادن قال تعالى (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) . فاعترض (حسني) والدته وكان اكبر اخوته قائلاً : ياماه وهل نزل الحديد من السماء ؟ قالت كلا وانما خرج من الارض قال فكيف يقول الله تعالى (وانزلنا) قالت ان معنى (انزلنا) هنا وهبنا ومنحنا

ثم قالت لهم : ليس الحديد جميل المنظر ولا هو بذي لمان وبريق كغيره من المعادن ولكن مع هذا لا ينبغي لكم ان تحكموا على الشيء بمجرد النظر الى هيئته الظاهرة . فان للحديد مزايا لا توجد في سواه . اعظم تلك المزايا صلابته ومقاومته للضغط الشديد الذي يقع عليه . وهذا الموقد من الحديد . ويستخرج الحديد من الارض ممزوجاً بشوائب اخر فيصهرونه بواسطة موقد كبير حتى يمحصوه من تلك الشوائب . ويسمى الحديد بعد هذا التمحيص (حديد الصلب) وهذه القدر الصغيرة من ذلك الحديد . واذا طلينا الحديد بالقصدير خرج لنا معدن هو (الصفيح) وهذه الآنية الصغيرة التي نسوي فيها القهوة من الصفيح . واذا اضيف الى الحديد مقدار قليل من الكربون ازداد صلابة وسمي حينئذ (فولاذاً) وهذه السكين التي ترونها على (الترابيزة) متخذة من الفولاذ

افتح الآن درج « الترابيزة » . هذه ملاعق من القصدير الممزوج بمعدن آخر لين ثقيل هو « الرصاص »

ثم قالت لهم مشيرة الى الجدار : انظروا الى المرآة . المرآة نديم المرأة ومن عجيب اخلاق النساء انهن يحرصن على اصطحاب هذه الاداة حتى في المطبخ !

هذه الطبقة اللامعة التي تغطي سطح زجاج المرآة من وراء والتي بسببها تنعكس صوركم الى عيونكم — هي مزيج من القصدير والزئبق

والزئبق معدن ابيض لونه كلون الفضة واذا كانت حرارة الهواء اعتيادية كان الزئبق في حالة ميوعة . حتى اذا اردت القبض عليه بيديك فر وتفلت من بين اصابعك . ومن اجل ذلك كنى عنه غواة الكيمياء القديمة بالعبد الفرار . وانشدوا في بعض منظوماتهم

خذ الفرار والطلقا وشيئاً يشبه البرقا
فان احكمته سحقا ملكت الغرب والشرقا

ومعدن الزئبق يذكرنا بالفضة . انظروا ادوات الفضة . ها هي منضودة بعضها فوق بعض في الخزانة . انظروا الملاعق والشوك ما اشد لمعانها وما اكثر بريقها . والفضة من المعادن الثمينة . وهو قلما يتغير لونه مهما تعرض للهواء وهناك معدن آخر اثبت منه واقل تغيراً . هو معدن الذهب . انظروا الى خاتمي هذا : فهو من الذهب . ولست في حاجة الى جلائه او تنظيفه . فاذا اضفتم الى هذه المزية مزية لمعانه الجميل ومزية ندرة وجوده عرفتم اذ ذاك مبلغ نفاسته وفضله على سائر المعادن . والنقود ذات القيمة العالية تتخذ من الذهب لكنهم يضيفون اليها قليلا من معدن النحاس ليكسبها فضل صلابة . هلموا بنا ايها الاولاد نضع كل شيء في محله ونرتب الادوات الفضية كما كانت اولاً ولنعد النظام الى هذه المملكة الصغيرة فان المطبخ هو مملكة (الحاجبة) التي لها فيها مطلق التصرف .

كيف ايها الاولاد اما جعتم ? ان هذه الروائح الطيبة المنتشرة فوق القدور تبشرنا بغذاء شهي لذيذ . ها هو اللحم ينضج . واني اقول لو كانت طباختنا (الحاجة) هي وقدورها في بلاد (الاسكيمو) لكان لها شأن يذكر .

قالوا ولماذا يا اماه !

قالت الاسكيمو سكان الشمال حيث الجليد الدائم وليس لديهم معدن يتخذون منه قدوراً ولا تراب يصنعون منه اواني خزفية . فان التراب اذا استحكم جفافه اصبح صلداً صبوراً على احتمال النار . ومن لم يقدر على اقتناء قدر من نحاس اقتناها خزفاً . واذا فقد النحاس والخزف فكيف يمكنه طبخ طعامه ! والاسكيمو كيف يصنعون ?

يتخذ الاسكيمو مكان القدور جراباً من جلد وفي هذا الجراب يطبخون مايقتاتون به من اللحم . فصرخ احد الاولاد : كيف ذلك ياماه : انهم اذا ادنوا الجراب من النار

احترق واذا ابعدوه عنها لايغلي الماء ولا ينضج اللحم .

قالت امهم نعم . ولكن الاسكيمو اهتدوا الى طريقة وافية بالغرض . ذلك انهم يبحثون في شواطئ البحار عن مقادير من الحصى الصغيرة ثم يطرحونها في النار فتحمى حتى تصل الى درجة الحمرة فيتناولونها اذ ذاك ويضعونها في جراب الجلد حيث يكون اللحم والماء . فلا تلبث الحصى ان تنطفئ وتحدث حرارة قليلة في الماء . ثم يكررون العمل ويزاولونه المرة بعد المرة وبهذه الصورة تشتد حرارة الماء ثم ينضج اللحم .

ولم تصل ام الاولاد في حديثها الى هذا المكان حتى سمعت صوت الجرس (البرنز) يرن على باب الدار يعلن رجوع (الحاجة) فصرخت لاولادها هلموا بنا قبل ان ترانا فتزعم اننا افسدنا مملكتها وشوشنا عليها نظامها . فتراكضوا جميعهم من باب المطبخ مسرورين ضاحكين ولابيهم المقبل مصافحين ومعانقين

المغربي

الاسلام والمدنية

اذا كان المرء ساعياً في اصلاح داره يجب في الاكثر ان يسترشد بآراء من سبقوه الى اصلاح دورهم ليضم اختباره الى اختبارهم و يقتصر عليه مسافة عمله وربما اتى بعضهم وارام ما هو آخذ بسبيله فان قدر ان يعمل بآرائهم كلها ان كانت صائبة والا فلا اقل من ان ينتفع ببعضها

اولع الغربيون منذ حدث انقلابنا العثماني الاخير بالبحث في شؤوننا بعد ان كانوا يئسوا من اصلاحنا فصار بعض خاصتهم يزورون العاصمة وبعض الولايات ويكتبون تصوراتهم عن السلطنة العثمانية و يقيسون الحاضر بالغابر فبعضهم يستهزئ بتاويلاتنا وهم في الاكثر ارباب الاغراض السياسية وفريق يتوسط فيمزج استحسان مايستحسنه باستهجان مايستهجنه، ومن هذا الفريق المسيو مارتين هرتمن احد علماء المشرقيات في برلين . وهو من الذين قضوا سنين طويلة في سورية وعرف طبائع المملكة العثمانية واشتهر بمعرفة العربية من تآليفه التي نشرها وهو يجيد الكتابة والفهم بلغتنا كأحد فضلاء كتابنا وله نظر في احوال المسلمين ولاسيما في البلاد العثمانية والتركستان الصينية .

زار هذا المستشرق عاصمة السلطنة وبعض قواعد بلاد الروم ايلي فكتب كتاباً

بالالمانية وصف فيه ماشاهده في رحلته وقد اطلعنا عَلَى زبدة من كتابه في مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية فآثرنا الاشارة اليها ثم نعلق عليها ماآخذناه به من حكمه عَلَى المسلمين والاسلام ليرى اهل هذه الديار مايتصح لنا به جيراننا لاصلاح بيتنا قالت المجلة :

اراد بكتابه ان يعرّف ماراّه وماسمع به مدة مقامه في البلاد العثمانية فاورد ما انتهى اليه من المواد عَلَى علاته ولم ينظر فيه نظرة اخيرة ومهما يكن فان كتابه يتلى بامعان وفائدة لانه من افيد ماظهر من الاسفار عَلَى البلاد العثمانية حديثاً وربما ظهرت على كلام المؤلف رشاشة من سوء النظر في العواقب ولكن مما لا مرية فيه انه كفوء في الموضوع الذي خاض غماره لاغرض له بل هو نظار جدير ان يحل كلامه موقع الاعتبار

ربما قيل للمؤلف ان مقامك قليل في تلك البلاد فكيف ساغ لك ان تحكم بهذه السرعة فقد رأينا من يطيلون مقامهم في بلد يبالغون بمنزلة المسائل الرسمية والحياة الادارية متسرعين و يطرحون النظر في حياة السواد الاعظم من العامة فيفوتهم كثير من المسائل الاجتماعية ذات الشأن العظيم على ان السائح قد يلاحظ هذه المسائل احسن من المقيم

وهناك اعتراض آخر وهو ان المؤلف قال ان كتابه عبارة عن سلسلة رسائل غير سياسية والناظر فيها تتجلى له السياسة من اعطافها واطرافها لاول وهلة · ويرد هذا الاعتراض بما هو معروف عن المسيو هرتمن من عدم التحزب لفئة وانه يحاول ان ينصف الكل فهو لايبغض احداً ويرمي الى ان تعمل كل امة وكل جماعة وكل شخص في خدمة المدنية والحضارة ماساعدتها اسبابها · فقد رأيناه بأسف عند مايرى العنصر الاسلامي وهو ممن يحبه لايسير الى هذا الغرض لان الجمع بين الشريعة وبين مطالب الحياة الحديثة لايخلو من تناقض · هو يرى ان فكر الارتجاع في الاستانة والمدن الكبرى في الولايات غير موجود ولكن اذا انقضت ايام السياسة الحميدية فان نتائجها ما انقضت

قالت المجلة ولو قلنا في العام الماضي ان عَلَى الحكومة العثمانية اذا ارادت الاستمتاع بالبذور التي يحويها القانون الاساسي في مطاويه ان تربي الامة تربية دستورية ديمقراطية فهذا مما تشتد حاجتها اليه · أيد المسيو هرتمن هذا الرأي فقال ان الانقلاب العثماني لايشبه الانقلاب الفرنسوي فقد كانت الامة في فرنسا تتبع القائمين بالثورة متحمسة

وتشاركهم في آرائهم اما الشعب العثماني فلا يزال على آرائه القديمة ولذلك اراده المؤلف ان يرجع عنها واقسم عليه ان ينظر للامور نظراً صحيحاً لان ارتفاع كلمة العثمانية معلق على اعتدالهم ويمكن ان يكون للنساء العثمانيات عمل عظيم في النهضة الوطنية

وقد درس المسيو هرتمن حالة الاتحاديين السياسية في سلانيك ولا سيما تأثيرات طائفة الدنمة وفيها وهم شعب اسرائيلي دان بالاسلام ٠ وجاء الاستانة يبحث عن كل شيء من سياسة ودين وادب وصحافة وحياة اجتماعية وعقلية واقتصادية ٠ وانتقد الاسلام انتقاداً شديداً فقال انه يراه عقبة في سبيل الاصلاح فلا رجاء معه لتنظيم الادارة ٠ والطرق الدينية في الاسلام تختلف عن الطرق الدينية في النصرانية لان لها تأثيراً سيئاً وان مايظهر من امرها يفسد الدين ويقلل من اعتباره ٠ فاهل الطرق البكداشية والملامية والمولوية والنقشبندية والقادرية على اختلاف اسمائهم هم خطر على الامة مهما كانت مكانتهم وان اتفقوا مع اهل التربية الحديثة من العثمانيين وهؤلاء ملاحدة يعرفون كيف يتظاهرون بالدين واحترام الشريعة ٠ ورجال الدين على الجملة هم قوة عاملة محترمة وان قل التسامح فيهم

يقول المؤلف ان تسعة اعشار رعايا المملكة العثمانية متعصبون فالاكراد اكثر تعصباً من غيرهم ويقل تمسك العرب بالدين في باطنهم فهم اقل تعصباً وليس المسلمون من الالبانيين من التسامح على جانب عظيم واهالي البوسنة الذين انفصلوا حديثاً عن المملكة العثمانية موغلون في التعصب وادعياء للغاية ٠ ومن الاسباب التي تساعد على بقاء الحمية الدينية مظاهر شهر رمضان المتنوعة فالدين تسيطر عليه الحكومة ويصعب الآن ان يكون من الاعمال الخاصة بالنفس

تدخل الافكار الغربية البلاد العثمانية ببطء فالاشتراكية التي ينشرها البلغاريون خاصة في البلاد ومنهم رئيس منتدى سلانيك حيث تقرأ المطبوعات الفرنسوية والالمانية في هذا الموضوع ولهم اشياع من الروم وتصدر في ازمير جريدة اشتراكية رومية كما تصدر جريدة اسلامية اشتراكية واذ كان قراؤها على ما هو معلوم من حالتهم صعب ان يكون ارتقاؤها سريعاً بين المسلمين ٠ فليس في البلاد العثمانية طبقة وسطى كما في سائر ممالك اوروبا

ويتيسر للمرأة العثمانية ان تكون ذات نفوذ فقد رأيناها في سلانيك ترقى بسرعة

خارقة للعادة . ولكن ارتقاءها في البلاد الاخرى بطيء جداً . ويمكن ان يقال ان حالة المرأة العثمانية احط من المرأة المسلمة في روسيا التي تستمتع بحرية عظيمة فتيسر لها ان تدرس في المدارس الثانوية والعالية وتستخدم في الوظائف على اختلاف مراتبها . والمسلمون في روسيا محبوبون الى النفوس مثل اخوانهم العثمانيين وهم يهتمون بما يجري في آسيا الوسطى والشرق اكثر من كل بلد سواه وربما كان المسلمون في روسيا غالباً انشب اذهاناً وعقولاً من حكامهم الصقالبة اه

هذا ملخص كتاب الباحث الالماني وفيه الجيد ولكن فيه مغامز كثيرة لانحب ان يفوتنا النظر فيها تعرضها على المؤلف وعلى القائلين بمذهبه واولها وهو ما كنا نرجو ان لايقع فيه امثال الاستاذ هرتمن قوله ان الجمع بين الشريعة وبين مطالب الحياة الحديثة لايخلو من تناقض وان الاسلام عقبة في سبيل الاصلاح ولعل المؤلف يقصد من ذلك الشريعة النافذة في بلاد المسلمين اليوم وبعضها مما يخالف الاصول الصحيحة وهدي الشارع واصحابه وتابعيه والائمة المهديين والعلماء العاملين

لاجرم انه دخلت بدع وخرافات وموضوعات على الاسلام عبثت بجماله وكادت تضيع به اصوله لو لم يقيض له في كل زمن مجددون ومصلحون يدعون الامة الى الوقوف عند حد الكتاب والسنة وطرح الزوائد التي تضر ولاتنفع واكثرها مما تسرب الى الدين من الوثنية الاصلية وسرى الى الاسلام كما سرى الى اليهودية والنصرانية من قبل .

فالاسلام دين التوحيد وهو اكثر الاديان تشديداً فيه وحرصاً عليه ومع هذا نرى بدعاً دخلت عليه تكاد تقربه من الوثنية لولا سلامة الاصول المحررة المعتبرة وقيام الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر في كل مصر وعصر .

لم يعهد المسلمون ايام كانوا يدينون بالاسلام الحقيقي ان دينهم كان مانعاً لهم من الرقي الاجتماعي والادبي والعلمي والسياسي فالدين الذي جعل من اموال الاغنياء صدقة للبائسين والمعوزين قد فرض على تحليه مايسمونه اليوم بالتضامن والتكافل فلم تنشأ فيه الاشتراكية المتطرفة التي تهتز لها اعصاب المفكرين في الغرب اليوم . والدين الذي يأمر كتابيه في الزواج بقوله فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة الى ان قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قد قلل من العهر والفجور وحفظ نظام البيوت احسن حفظ وراعى حقوق المرأة ومن سنة الطلاق لزوجين لم يتأت ان يتعاشرا بالمعروف ليس فيه مايؤخر المدنية ويحول دون

سعادة اهله ولكن خلف بعد السلف خلف اضاعوا الاصل والفرع وانتهكوا حرمات الله وجهلت الامة فاغلظت حجاب المرأة بعد ان كان رقيقاً معقولاً حتى منع الرجال من الاختلاط ببنات حواء. فنشأت عن ذلك مضار ومنافع والمضار اكثر ولو وقف الحجاب عند حد مارسمته الشريعة من ان لا يبدي النساء زينتهن الا لبعولتهن ويضربن بخمرهن على جيوبهن لكان نظام البيوت في المسلمين اليوم ارقى مما هو وخلصوا من معاكسة الطبيعة في رغائب النفس ولتفاهم الجنسان اكثر من الآن ولما اصبحت حياة رجالنا وحياة نسائنا لا تخلو من نغص وغصص

والدين الذي يأمر صاحبه اصحابه ان يتعلموا لغة اليهود والحبشة ويحث على تفهم اسرار الكون من طرقها حتى لم يأت على الاسلام قرنان ونصف الا وقد تناول اهله بمعونة الخلفاء وما عرف من علوم البشر وتداولوه بينهم وصبغوه بصبغتهم حتى انشأوا لهم مدنية لو لم يكتب لها القيام لانقطعت من العالم سلسلة علوم المصريين واليونانيين والرومانيين والفرس والهنود ولاضطر اهل المدنية الحديثة ان يرجعوا مبتدئين بالعلوم بحيث لا يتيسر لهم تأسيس المدنية التي اسسوها في ثلاثة قرون الا ان تؤسس في عشرين او ثلاثين قرناً — ان ديناً هذا شأنه وهو لم يمنع ايضاً من تعلم العلم والفلسفة ليس من الاديان التي لا تنطبق مع روح هذا العصر

والدين الذي انتشرت كلمته في الآفاق وسلاحه الهداية والرفق بالمستضعفين وحماية العاجزين وجهاد المنافقين والخائنين حتى دانت به امم كثيرة عن رضى هو دين لم يخرج عن المعقول من استتباع الناس وارشادهم ومعظم الفتوح التي ينتقدها عليه الناقدون هي للاستعمار ومع هذا لم يحدث فيها من الويلات ما يحدث لاكثر دول التمدن الحديث عندما تهم ان تستعمر قطراً من اقطار الشرق

وانا لنرى الغربيين في احكامهم على الشرق يخالفون ما يجرون عليه في بلادهم فترى الدول الراقية منهم في آدابها هي التي تحافظ على دينها فقد رأينا المانيا قد احتفظت بالنصرانية المشذبة اي البرتستانتية ولم تعقها عن سيرها في مدارج الكمال العلمي والصناعي والاجتماعي وكذلك نرى انكلترا تحرص كالمانيا على تقاليدها القديمة حتى عد الاجتماعيون من جملة ارتقائهما انهما لم ينبذا الدين كما نبذه رجال فرنسا فكان منه الويلات على حاضرها ومستقبلها . وما نظن النصرانية لو انصفنا اكثر انطباقاً على قوانين العلم من الاسلام

ولو قال الاستاذ هرتمن ان حالة المسلمين اليوم لاتنطبق على الاسلام امس ولذلك يصعب قيام الاصلاح بينهم لاصاب الغرض بعض الشيء. فقد ذكر الطرق الدينية التي تفسد الدين وتقلل من اعتباره في الانظار ولو انصفنا ونظرنا الى من اسسوا تلك الطرق لرأيناهم على جانب من الاخلاق الفاضلة والتدين الحقيقي واكثرهم كانوا من جملة علماء الاسلام العاملين لا المعطلين الجامدين

وهذا الجمود لم يحدث الا في القرون المتأخرة بصنع اناس لاخلاق لهم من الملوك املوا لرؤساء المذاهب والطرق ليتخذوهم ذريعة الى السياسة كما اتخذ الشاه عباس الصفوي من مذهب الشيعة مستنداً له في سياسته فاستعمل العلماء واسطة للتفريق بين اجزاء الامة ونشط كل ما املاه التعصب الذميم وسكت عن كل قصور وكذلك فعل السلطان سليم العثماني وقتل من الشيعة اربعين الفاً في وقت واحد في الاناضول بحجة دينية والحقيقة انه لايقصد غير السياسة

فالملوك المتأخرون استعملوا الدين ذريعة الى الدنيا وعبثوا سراً بحرم الله وادخلوا في الدين ماليس منه وجعلوا العامة مسيطرين على الخاصة ففسد النظام وعاق ذلك سير الاصلاح في القرون الجامدة والافاء مانع اليوم يمنع العثمانيين ولا سيما المسلمين منهم من الرقي وقد ارتفعت اكثر الحواجز والقيود بفضل القانون الاساسي الذي لايناقض اصلاً من اصول الشريعة واذا رأينا بعض تناقض وجب علينا ان نفسر الشريعة لنطابقها على العلم كما يأمر بذلك العلماء الراسخون ٠

اما اغتباط الاستاذ هرتمن بحال المسلمات في روسيا من انه يباح لهن الدرس في المدارس الثانوية والعالية مع الفتيان فهذا على اطلاقه لايصح ان يكون حجة على المسلمات العثمانيات والاختلاط الا الى حد محدود لايخلو من مفاسد يعرفها علماء الاخلاق في الغرب وهم منها اكثر شكاية منا ويرجى بفضل الافكار التربية التي تدخل يبطء الى بلادنا كما قال المؤلف ان تكون بعد اليوم حال المرأة المسلمة اكثر انطباقاً مع المدنية والعقل والشرع فليس كل ماتراه هو ماكان عليه السلف الصالح كما قلنا

وان معظم مانشكو منه من امراضنا الاجتماعية ليس الدين منشأوه بل الجهل بامور الدنيا فينبغي لنا تهذيب نسائنا وتعليمهن على الاصول الدينية والمدنية ورجالنا كذلك وعندئذ لايرمي مثل المسيو هرتمن اهل هذا الدين كله بما رماهم به ونحن نرى اليابان وهي الدولة الوثنية من ارقى دول الحضارة الحديثة ولم تعقها وثنيتها عن ذلك

ونظن المؤرخ يوافقنا على ان الاسلام بما دخله من خرافات المتأخرين اكثر اتفاقاً مع المدنية من وثنية يابان.

فحياة الامم بالدين الذي لا يمازجه تعصب اكثر منها بالانحلال من كل دين وامة لا قديم لها يصعب عليها الانتفاع بحديثها كما فعلت فرنسا فارادت نبذ كل قديم واحلال الحديث مكانه فخسرت الصفقتين او كادت ولو ربي شعبها تربية دينية خالصة مع مايلقنه من التربية العصرية لما شكت فرنسا من زيادة العهر فيها وقلة نفوس سكانها سنة عن سنة

وانا لنعتقد ان قلة التسامح الذي نراه في الجامدين من اهل الطرق وادعياء الدين يقل جداً من السلطنة يوم تعلمهم او تعلم ابناءهم التعليم الوسط المنتظم دع عنك العالي وحياتنا منالة بامتناز بنا ولا جمود الامع الجهل . وطريقة دينية على اصولها يدخلها النشوء والاصلاح بحسب سنة النمو والتدريج انفع من طريقة دنيوية لا تشربها نفوس من نعرضها عليهم ولا تناسب تقاليدهم واوضاعهم

الشعرى

اذا غابت الشمس بساعة في هذه الايام سرح طائر نظرك على منفسح الافق ترَ كوكباً متوقداً يرتفع شيئاً فشيئاً بابهة وجلال وهو يزيد تألقاً كلما زادت الظلمات حلكة ويرتفع في القبة الزرقاء في جهة الجنوب الشرقي . فهذا الكوكب هو الشعرى العبور وهي التي ترصع جبهة الافق بهذا الفص البديع بحيث يصدق ماقال فيها عبد العزيز بن عبدالله بن طاهر وهو من ظريف ماقيل فيها :

واعترضت وسط السماء الشعرى كأنها ياقوتة في مدرى

وقال فيها ابن المعتز :

شربتها والديك لم ينتبه سكران من نومه طافح
ولاحت الشعرى وجوزاؤها كمثل زج جره رامح

وشبه ابو نواس الدرهم بها فانشد :

انعت صقراً يغلب الصقورا مظفراً ابيض مستديرا
تخاله في قده العبورا

فهذا الكوكب لحسنه عبده قوم من العرب في الجاهلية واليه الاشارة في سورة النجم

« وانه هو رب الشعرى » وكان العرب قد اتخذوا هذه العبادة عن جيرانهم المصريين الذين كانوا قد ألهوها لانهم كانوا ينسبون اليها فيضان النيل · وقد زادت شهرتها لهيام شعراء الامم كلها بحسنها وتقاضيأتها الازهر · وانبت لهم الخيال اجنحة طاروا بها في عالم المحال · لارادع لهم يردعهم ولا وازع لهم يزعهم فكم من شاعر ذهب اليها بالوهم فسكن فيها ونظر منها الى الارض بل وكم منهم من تعود هذه الفعال بدون ان يتروى في مايقوله من المحال · فهذا فلتير قد وضع احدوثة اسمها الصغير الكبير (مكروميغاس) جعل المروي عنه واحداً من سكان الشعرى · ثم بنى على هذا الوهم مابنى ومثله فعل رنان فانه قال : اذا اراد الانسان ان يرى محاسن الارض فليرق الى الشعرى فانه يجد فيها احسن مرقب يرقب منه هذه المية الخضراء المعروفة عندنا باسم الغبراء · ولا يخفى مافي ذلك من الوهم المستحيل لان شدة حرارة الشعرى تمنع ايًّا من كان من ان يدخلها اذا مابلغها · بل تميت ايًّا من كان قبل البلوغ اليها ·

فلندع اذاً اهل الخيال في جوهم يدبحون واهل المحال في ميدان تصوراتهم يمرحون ولنأت الى مجالسة اهل العلم من العصريين ولنسألهم عما كشفوا لنا من الانباء ولنطلب اليهم ان يحكوا لنا شيئاً من اسرار مظاهر الخفاء ولنسمع مايرويه لنا احد اكابر الفلكيين وهو العلامة شارل نوردمان من جلة علماء باريز اذ يقول :

اننا نرصد كل مساء الشعرى العبور ونشتت بواسطة المرقب نورها فنحلله تحليلاً ينبئنا عما هنالك من الغرائب والاسرار الغامضة وتروي لنا هذه الرسول الصغيرة في اعيننا احقائق ودقائق تأخذ من قلوبنا اي مأخذ حتى انها ترفعنا الى امال لم يرق اليها الخيال باجنحته الذهبية ·

والشعرى تبعد عنا نحواً من خمسمائة مرة من بعد الشمس عنا · ونورها الينا لا يصل الا في مدة تسع سنوات · اي انك اذا رأيت نورها اليوم فهو لم يشرق عليك الا قبل تسع سنوات والذي تراه اليوم كان قبل تسعة اعوام · واذا احدث فيها حادث جديد في يومنا هذا فلا يمكنك ان تراه الا بعد انقضاء هذه المدة المذكورة لان النور يقطع في الثانية ثلثمائة الف كيلومتر · فالظاهر اذاً ان الشعرى اليمانية بعيدة عنا بعداً عجيباً ومع ذلك فهي قريبة منا بالنسبة الى سائر الكواكب التي قد ذر قرنها منذ الوف من السنين ونورها الى اليوم لم يبلغنا · ونحن نعلم اليوم ان الشمس والشعرى ليستا الا كقطرتين من بحر عجاج متلاطم بامواج الانوار ذلك البحر الذي نسميه « المجرة » والحال ان النور لا يقطع عرض المجرة الا في مدة خمسة وعشرين الف سنة · والشعرى مع هذا هي الينا اقرب هذه الكواكب المنتشرة لي

بساط المجرة بين سواها وثايه فرصد الارض من علو الشعرى لمن التخيلات المتوغلة في المحال ·

وقد انيح للفلكي المذكور ان يقيس بوسائط مذكورة في علم البصريات ليعرف درجة حرارة جو الشعرى فوجده لا يقل عن ١٢٠٠٠ درجة · ولا يستطيع ان يتصور علو هذه الدرجة البعيدة في الحر الا اذا قابلنا حالتنا في ايام الصيف عندما يشتد اعظم الاشتداد فلا نستطيع ان نتنفس ولا نتحرك ومع ذلك لم يبلغ الحر الا ٤٠—٥٠ درجة · ثم ما الحال لو قابلنا تلك الحرارة بدرجة غليان الماء وهو لا يكون الا في مائة درجة · وما عسى تكون تلك المقابلة لو علمنا ان اعظم حرارة بلغ الانسان الى الحصول عليها على الارض هي ٣٥٠٠ درجة وذلك في القوس الكهربائية · وان حرارة الشمس نفسها لا تزيد على ٥٣٠٠ درجة في جوها المعتدل · وعليه فتكون حرارة الشعرى اقوى من حرارة الشمس ثلاثة اضعاف تقريباً · ومع ذلك فيوجد كواكب اخر احر جواً من الشعرى وذلك في صورتي الثور وحامل رأس الغول المعروف ايضاً باسم سياوش · فكيف بعد ذلك يمكننا ان نسمع ظلامات شعرائنا الذين يقولون ببرودة الكواكب والنجوم · نعم انهم مصيبون اذا ارادوا بذلك ان الكواكب لا تجيبهم بكلمة اذا ماشكوا لها ضيمهم والا فلا · والاولى بشعرائنا العصريين ان يستعيروا لهم برودة غير برودة الكواكب ·

هذا وقد ادت الحسابات اليوم لا بل وأبسط الحسابات ان الشمس لو كان لها جو مثل جو الشعرى لما كانت الحياة ممكنة على الارض لتحول الى البخار جميع العضويات الحية الموجودة على الارض · ولما اثر ذلك شيئاً في سير سائر النجوم والكواكب

وضياء الشعرى يضاهي حالة جوها غرابة وعجباً · فان فلكينا الباريسي نوردمان قد اثبت بانها تنير الكون بنور اقوى من نور الشمس خمسة وعشرين ضعفاً فيكون نور الشمس بالنسبة الى نور الشعرى نسبة شمعة الى مصباح زاهر او بعبارة اخرى اخصر واصح: يجب وضع خمس وعشرين شمساً من شمسنا لتحصل على ضياء يشابه ضياء الشعرى · وان شئت تعبيراً علمياً فقل: ان كل سنتيمتر مربع من وجهها يبرز نوراً ما يوازي تقريباً ستة ملايين من الشموع العشرية

كل هذه الحقائق المقررة قد اثبتت بوسائط علمية حديثة في منتهى السذاجة لا محل لذكرها هنا لان العين لا تستطيب نظر بناية فخمة جديدة اذا كنت تراها مدعمة باخشابها فالاجدر والاحسن ان تنزع قبل ان ترمقها الاعين لتبدو بهجة منظرها ·

ثم ان منظر طيف الشعرى كشف لنا ايضاً اموراً ماكان ليكشفها لنا غيره وهي في

منتهى الغرابة ايضاً . فان المنظار المذكور اظهر لنا ان في الشمس اغلب معادننا الارضية واما في الشعرى فانه كشف لنا عن جو مركب كله تقريباً من كتلة عظيمة من الهدروجين وهو من اخف الغازات المعروفة . افيجب ان نستنتج من ذلك ان سائر العناصر الكيماوية التي هي اثقل قد تفككت وتحولت الى هدروجين بقوة الحرارة الشديدة حرارة الشعرى . فاذا كان الامر كذلك فحينئذ عند مرور الاعصار وكرور الادهار لما يبرد الكوكب وينتقل من حالة الشعرى الى حالة الشمس كما تحقق هذا الامر عند جمهور العلماء يجب علينا ان نسلم ان الهدروجين في برودته يسير سيراً معاكساً اي انه يتخثر رويداً رويداً فتتكون منه سائر المعادن . ومن ثم فان الكواكب تكشف لنا عن سر طالما كان غامضاً على اهل العصور الوسطى الا وهو سر علم الصنعة الذي ترمي غايته الى تحويل المعادن بعضها الى بعض وعلمه فوق كل علم بغداد ساتسنا

امالي تاريخية

الضريبة

روى المحبي في خلاصة الأثر: ان العوارض مظلمة سلطانية تؤخذ من البيوت في الشام في كل سنة ويقال انها من محدثات الملك الظاهر بيبرس اشار اليها الصفوري بقوله معتذراً:

يا من فضله والجود سارا مسير النيرين بلا معارض
وعدتك سيدي والوعد دين ولكن ماسلمت من العوارض

والاكرمي بقوله ايضاً وقد اجاد:

لحا الله ايام العوارض انها هموم لرؤياها تشيب العوارض
يضيق لها صدري واني لشاعر خليع وبيتي ماعليه عوارض

القشلق

وروى المحبي ايضاً ان القشلق من عسكر السلطان مراد بن احمد كانوا قد عينوا لمحاربة شاه عباس فدهمهم الشتاء دون الوصول الى خطة العجم فأمروا أن يشتوا في دمشق وأطرافها من القرى وضيقوا على الناس أمر المعيشة وبالغوا في التعدي والتجاوز ونهب أموال الناس وكان قاضي القضاة بدمشق احمد بن عوض العينتابي تولى هذا المنصب سنة ١٠٤١ هـ فسعى بقمعهم وكف شرهم فقال ابراهيم الاكرمي في ذلك:

انظر الى القشلق في ذلة العكس من حالهم الحائل
كم رجل منهم بسموره على جواد صائل صاهل
تحف بالجندب غلمانه وقد اتى يسأل عن سائل

ووصفهم ابو بكر العمري بقصيدة بليغة مشيراً الى عيثهم ومعاونة القاضي في دفع اذاهم مطلعها :

اواه مما حل في جلق من العنا في زمن القشلق
رامي البلى مد على اهلها قوساً له قال القضا فوّقي
حتى تنادى الناس مما دهى باليتنا من قبل لم نخلق

ومنها : كانت دمشق الشام محسودة لكونها بالأعين لم تطرق
آمنة من كل مايختشى مأمنة للخائف المشفق
مائسة تزهو بسكانها مائدة للبائس المملق
لايعرف الدخل لها مدخلاً ولا الى عليائها يرتقي
وهي على ماتم من نعمة تتيه بالحسن وبالرونق

ومنها في وصف قشلق :

في رقعة الشام غدت خيلهم وذات الارخاخ للبيدق
اواه من خمدة نيرانها يانار كيف اليوم لم تحرق

الى ان قال :

ياويح قوم دعسوا ارضنا وأوقفونا في ردى موبق
وقد اغاروا وبنا احدقوا ياغيرة الله الينا اسبقي
اجلوا اهالي الدور عن دورهم بالسيف والدبوس والبندق
واتخذوها سكناً دونهم بالفرش من خز ومن استبرق
واستوعبوا اكثر اموالهم ظلماً بلا عهد ولا موثق
واقتنع الناس بأعراضهم فانها بالثلب لم ترشق

وارخ ذلك بقوله :

لقد غزينا دون وعد بلا لام فارخ سنة القشلق

واشار الى وجوب اسقاط اللام من التاريخ فتبقى سنة ١٠٤١ هـ ١٦٣١ م

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

غرائب الغرب

كلية باريز

١٧

كلية باريز من اقدم كليات العالم في التاريخ ان لم تكن اول كلية أُنشئت وقد كانت في القرون الوسطى بلا مراء اشهر كلية واكثرها ايواء للطلبة فكان علماء الوقت كما قال احد الفضلاء ينظرون اليها بانها صاحبة الحق في استخراج كنوز العلوم ملكت ارثاً شرعياً صحيحاً وكانت اول كلية أنشئت في العالم كلية بابل أسسها نينوس مؤسس نينوي والمماكة الاشورية الاولى وخلفتها كلية منفيس المصرية وخلفت كلية منفيس كلية آثينا وبعد هذه أنشئت كلية رومية وبعدها قامت كلية باريز واشتهرت كلية بولونيا في تعليم الحقوق كما سبقت كلية باريز غيرها في الآداب المقدسة والعالمية وكان في جوارها عشر مدارس تحيط بها كأنها ام القرى وتلك من اعمالها مثل مدرسة الانكليز ومدرسة الايكوسيين والالمانيين واللومبارديين واليونانيين ولطالما بعث الملوك اليها باولادهم ليتخرجوا في المنطق ويتعلموا رقة الجانب وحسن الادب والعشرة ·

ظلت هذه الكلية منذ القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر تربي معظم الرجال الذين يختلفون الى التعلم فيها وفيهم الشعراء والعلماء والفلاسفة ومن مشاهير من تخرجوا فيها غليوم اوكام ورايمون لول وتوما داكين وبنوا دانانيي وبونيفاس الثامن وبرونوتو لاتيني ودانت وتوما موروس وايراسم وغيرهم وجميع طلابها على اختلاف اصقاعهم كانوا يرتاحون في حماها وكان مطمح انظارهم حب الحقيقة وهي القاعدة الاصلية فيها وكل منهم يتمتع بحقوقه · ولقد جاء

زمن كانت الحياة العقلية محصورة في جدران المدارس الا ان كلية باريز اعظم منبعث لبث الدعوة الى الافكار الفرنسوية وكانت وحدها تكفي لانارة العالم الا قليلاً وكان رجال تلك الازمان ينسبون العلوم الى مواطنها ويرجعون الامور الى مصادرها فيقولون ان رومية مقر البابوية والمانيا مقر السلطة وباريز مهد العلم

وكانت الافكار الفرنسوية — كما قال احدهم في المجلة الباريزية — خير اكبر معين في القرون الوسطى عضد الى النهاية الصليبيين في نشاطهم وهيأ اسباب الحماسة الدينية وفتح لامم المغرب ونشاطهم طرقاً جديدة في العمل ومن الافكار الفرنسوية نشأت بعد نزاع قديم فكرة الوطنية متجلية في صورة مؤثرة ذات بأس ومضاء بحيث خضعت السياسة لسلطانها ووضعت أسس الوحدة الوطنية . والافكار الفرنسوية هي التي طهرت رياح الاصلاح والنهضة وقادت الافكار القديمة الى التجديد وانارت العالم بقبس انوارها . والافكار الفرنسوية هي التي حملت الى العالم في عهد فولتير ومونتسكيو افكار التسامح الديني والعدل الاجتماعي والحق والانسانية . والفكر الفرنسوي هو الذى سنّ المبادئ الخالدة في دساتير الامم المتمدنة باسرها . فمن فرنسا نشأت حرية البلجيك وحرية اليونان وحرية ايطاليا وحرية العثمانية . وفرنسا مهد الادب تنشر انواره فتتناوله الاجانب وتتقبله بقبول حسن وهي البلاد التي اشتهرت بعلمائها وصناعها

ومن كلية باريز اخترع امبير اختراعاته التي لولاها لما اخترع التلغراف اللاسلكي والسلكي والتلفون ولم تتم عجائب الكهربائية الصناعية . وفي كلية باريز احدث باستور انقلابه العظيم في علم الحياة الذي جعله المحسن الى

الانسانية في العالم اجمع · وفي كلية باريز حقق برتلو الطريقة الصناعية في المواد العضوية فنشأت منها الكيمياء الحديثة · وفي كلية باريز اخترع كوري وقرينته الراديوم واهتزت في ايديهما ذرانه · وفي معامل كلية باريز اوقد مواسان للمرة الاولى التنور الكهربائي كما اخترع غيره التصوير الشمسي بالالوان

كانت هذه الكلية كما قلنا اعظم كليات القرون الوسطى فجعلوها سنة ١٨٩٦ كلية تليق بعظمتها الماضية بحيث لم تفقد مكانتها العامية وفيها اليوم زهاء ثلاثمائة استاذ يفيضون كما افاض اسلافهم على العالم من علومهم ولاسيما على اميركا الجنوبية وبوهيميا والبلاد المصرية والعثمانية وكانت هذه الدار رسول السلام بين الانام ومعلمة الناس كيف يكون التجانس الروحي والاخاء العام · ولكم كان اساتذتها يسيحون في بث ما علمهم الله في البلاد التي يقل فيها العالمون ولكم أنشئت في حجر هذه الدار جمعيات تريد التقريب بين الشعوب وتعليم الجاهل منهم ولكم رنت في غرفها وقاعاتها اصوات الخطباء من علماء الارض اتوها يحملون اليها نتائج ابحاثهم ودروسهم · فان كانت كلية باريز امّ كليات براغ والاستانة ومصر وغيرها من كليات البلاد اللاتينية واميركا اللاتينية فهي تفاخر بانها ام كليات انكلترا وايكوسيا ·

ويؤخذ من احصاء سنة ١٩٠٧ — ١٩٠٨ انه كان في هذه الكلية ١٧٣٠٣ طلاب منهم ٣٣٦١ من الاجانب فتيان وفتيات ومن هؤلاء ٩٢٦ يدرسون الحقوق و ٥٢٠ يدرسون الطب و ٧٧٣ العلوم و ١٠٦٢ الآداب

ولم تقصر كليات الولايات وعددها اثنان وعشرون كلية في بث روح التكافل الاخلاقي والعقلي فانشأت كلية تولوز جمعية اجتماع الطلاب الفرنسويين في اسبانيا وانشأت كلية بوردو مدرسة الدروس الاسبانية

العالية في مدريد وانشأت كلية كرنوبل المجمع العلمي في فلورنسة وكلية نانسي وهي على الحدود الالمانية تعلم قاصديها احترام فرنسا وخدمتها للعلم · وهكذا الحال في كلية مونبليه وليل وليون فكليات فرنسا تعلم في السنة سبعة آلاف طالب وهو عدد ليس بقليل يدل على تفردها في هذا الشأن من بين اكثر الممالك الراقية

هذه شذرة صغيرة في وصف كلية باريز التي مازالت الحكومة الفرنسوية تنفق عليها النفقات الطائلة والمحسنون لا ينفكون عن اعطائها المنائح الكبيرة فقد وهبها كارنجي المحسن الاميركي كثيراً كما ان بعض الروسيين منحوها مالاً جزيلاً والفرنسيس يعطونها عن سعة · فحيا الله يوماً تقام لكل قطر من اقطار البلاد العربية كلية مثل هذه تدرس ابناءها علوم البشر بلغتهم وتكوّن مجتمعنا بالوطنية الصحيحة كما تكونها كليات الممالك الصغرى في الغرب كالبلجيك وهولاندة والدانيمرك والسويد ونروج وسويسرا والمجر وبولونيا وفنلندا والبرتقال

حدائق باريز ومتاحفها

١٨

يطول بنا نفس الكلام اذا اردنا الافاضة في كل فرع من فروع العمران بباريز وكلها مما يحتاج الى صفحات كبيرة وربما ملّ القارىء قبل ان يمل الكاتب · ولقد عنيت مدة مقامي في هذه العاصمة ان لا اضيع ساعة من وقتي الا في البحث عن جمعية او انسان وزيارة معهد فيه نموذج من ارتقاء العقول ووفرة العلم وحذق الايدي وبسطة العيش وفضل الرفاهية ومما جعلته لاوقات الفراغ غشيان الحدائق والمتاحف ودور التمثيل والسماع

في باريز حدائق كثيرة عامة ومنها الصغير الخاص بحي او شارع صغير ويسمونها « سكوار » وهي كلمة انكليزية معناها ساحة مربعة او حديقة يحيط بها حاجز من قضبان حديد وتكون في ميدان عام وعددها ٣٦ حديقة نتمنى كل حاضرة من حواضر البلاد العثمانية ان يكون لها من نوعها واحدة فقط بانتظامها وحسن تعهدها . اما الحدائق الكبرى فعددها تسع تصرف في كل واحدة الساعات وانت تسرح طرفك فيما خصتها به يد الصانع وايدي البشر من مجالي الظرف والجمال .

زرت منها حديقة الحيوانات وحديقة النباتات وحديقة كلوني وحديقة لوكسمبورغ وعجبت لمن يزور هذه الحدائق مرات لم لا يكون عارفاً بالنبات والحيوان وتاريخ مشاهير فرنسا احسن معرفة فمثل هذه الحدائق التي يتنزه فيها المتنزهون هي في الحقيقة مدارس عملية يدرس فيها المتنزه كبيراً كان او صغيراً ماينبغي له من هذه العلوم درساً عملياً لايحتاج فيه الا الى انتباه فكر قليل حتى اذا اسعده الحظ ونظر في المدرسة او خارجها في كتب هذه العلوم يصبح وهو مطبق العلم على العمل .

ولقد رأيت في حديقتي الحيوان والنبات اسماء كنت اقرأها ولا اعرف اعيانها فلما وقع النظر عليها تبينت فضل عرضها وان العلم النظري اذا لم يشفعه علم عملي يبقى كالسيف في غمده او البندقية في معملها او الكهربائية قبل توليدها . وليس في البلاد العثمانية او المصرية مايشبه هذه الحدائق اللهم الا ان تكون حديقة الجيزة والجزيرة والقناطر الخيرية في مصر وحديقة الامة وغيرها في الاستانة ولكن اين الثريا من يد المتناول وما ينظمه الباريزيون لانفسهم وينظمه الانكليز او الطليان والنمسويون لنا . وما حك جسمك مثل ظفرك .

وانك لترى في بعض الحدائق العامة تماثيل مشاهير رجال فرنسا في السياسة والعلم مجسمة من رخام مجزع او حديد مصنع كأن ساحات باريز وشوارعها العظمى لم تستوعب وحدها كبار رجالهم حتى هرعوا الى الحدائق يضعون فيها التماثيل والنصب لمن احسنوا للامة او سادوها زمناً واصبح لهم في تاريخها ذكر يردد . ففي ساحات باريز وشوارعها ٦٨ مشهداً (Monument) لمشاهير علمائهم ورجال سياستهم ومنهم اوغست كونت والفرد دي موسه وشاركو و كورنيل ودانتون وغامبتا وكي دي موباسان وجول سيمون ولافييت وواشنطون ولافوازيه وباستور وفيكتور هوغو وغيرهم وفيها ٦٨ تمثالاً اثنان منها لاسكندر دوماس الابن والاب . وواحد لبالزاك و بوفون و برانجيه وشارلمان وكلودبرنار و كوندورسه ودانت وديدرو وغاريبالدي وجورج ساند وجان جاك روسو وجان دارك ولامارتين ومارات وموليير و باسكال وشاكسبر وفولتير وتمثال الحرية والقانون والجمهورية

هذا داخل العاصمة اما خارجها فلها من غابتي فنسين وبولونيا اعظم فسحة ونزهة وغابة فنسين في شرقي باريز على بضعة كيلومترات من نقطة دائرتها ومساحتها ٩٢٧ هكتاراً وفيها من انواع الراحة وتنويع المناظر المفيدة ماهو العجب العجاب واعجب منها غابة بولونيا في غربي باريز ومساحتها ٨٧٣ هكتاراً زرتها ثلاث مرات وان كانت في الشتاء ليست مثلها في الصيف على انها ماخلت من الانيس والجليس وكان احد تلك الايام يوم عيد رأس السنة والسماء مصحية والشمس طالعة مريضة صحيحة والعيون المراض الصحاح خرجت من كناسها تستنشق الهواء النقي . وهناك منظر من بحيرات بولونيا وطرقها لاادري كيف يصوره الشاعر اذا كان الوقت ربيعاً او صيفاً اوخريفاً

ولو كنت شاعراً لحبرت في وصفه القصيد وان زرتها في الفصل الميت كما يقول الفرنسيس .

***

اما المتاحف الباريزية فهي ايضاً قصور نزهة وحدائق صفاء وعددها ٣١ متحفاً يحتوي كل منها على اقصى مايتصوره العقل من ارتقاء البشر في الصناعات والفنون على اختلاف الاعصار زرت بعضها وقضيت اوقاتاً طويلة في متحف اللوفر العظيم بالقرب من نهر السين ومتحف فرسال على ثلاثة ارباع الساعة من باريز . اما متحف اللوفر فهو من اجمل قصور العالم واوسعها عرف سنة ١٢٠٤ على عهد فيليب اوغسطس ومازالت ايدي الملوك تتعاوره بالاصلاح او التدمير حتى اذا كان عهد فرنسيس الاول اصبح اللوفر متحفاً يقسم اليوم الى سبعة متاحف في متحف بحسب اصول آثارها وزمنها وطبيعتها وهي متحف التصوير ومتحف الرسوم ومتحف النقش ومتحف النحت القديم ومتحف النحت في القرون الوسطى وعلى عهد النهضة ومتحف النحت الحديث ومتحف العاديات الآسياوية ومتحف العاديات المصرية ومتحف العاديات الافريقية ومتحف العاديات النصرانية ومتحف الفخار والاواني الخزفية القديمة ومتحف القلز والحلي والرخام القديم ومتحف عاديات القرون الوسطى والنهضة والقرون الحديثة ومتحف تير ومتحف البحرية ومتحف الشرق الاقصى .

وكل متحف تصرف فيه الساعات الطويلة ولا تستوفي النظر فتأخذك الدهشة من رؤية المكان ورؤية المكين وتقضي بالعجب من كل مايقع عليه بصرك اذ تتمثل لك عظمة الانسان وتفننه فيما تصنعه يده وعينه وذوقه

اما متحف فرسال فهو في مدينة فرسال وكانت في القرن الحادي عشر

للميلاد قرية فاصبحت بعناية لويز الثالث عشر مدينة صغرى لانه اقام فيها قصراً للراحة اثناء الصيد واراد لويز الرابع عشر ان يجعل فرسال مركز حكومة فرنسا فانشأ فيها ابنية ومصانع عظيمة وكذلك فعل لويز الخامس عشر حتي اصبح عدد سكانها ثمانين الفاً على عهد الثورة · وهكذا اذا اراد الملوك ان يعمروا بلداً احيوه واذا شاؤا ان يخربوه اماتوه · واشتغل في اقامة قصر فرسال الذي جعل المتحف فيه اليوم ثلاثون الف رجل وستة آلاف دابة في اليوم مدة سنين طويلة وقد فتحت ابواب المتحف سنة ١٨٣٧ وفيه اليوم ٥٦٠٠ اثر تاريخي

اما مجموعة الصور البديعة التي فيه فعددها ٢٤٠٠ صورة ليس لها نظير في العالم ومن يمعن النظر فيها كثيراً يخرج من المتحف وقد درس تاريخ فرنسا ووقائعها الحربية بالعمل والنظر

ومن جملة ماحواه اسلحة ببيوت الشرف التي اشترك فرد او افراد منها في الحروب الصليبية · ومنها ابواب مستشفى فرسان رودس الذي اهداه السلطان محمود العثماني سنة ١٨٣٦ الى لويز فيليب صاحب فرنسا · وفيه صور كثير من مشاهير الشرق كأنك تراهم عياناً وفيه صورة تمثل القائد كلبر الفرنسوي وسليمان الحلبي يقتله في حديقته في القاهرة زمن الاحتلال الفرنسوي في مصر ·

اطلت الروية في كل هذا وانعمت النظر في النفقات الطائلة التي انفقت على هذه القصور المزخرفة والمصانع العظيمة فاعطيت بعدها الحق لمن قاموا بالثورات الفرنسوية يريدون انزال الملوك عن عروشهم وفصم عرى السلطة الفردية لتنقل الى ايدي الامة · نعم ان اقل نظرة الى هذه القصور

يستغرب معها المرء كيف لم تحدث تلك الثورات قبل حدوثها بزمن طويل ولكن الحوادث كالحبالى لا تلد الا بعد اتمام مدة الحمل او كالثمر لا ينضج قبل اباّنه ·

ولم اتمكن يوم زيارتي لفرسال من روءية كل حدائقها ومرافقها لنزول الثلج بكثرة ولكني عَلَى الجملة اخذت منها صورة اجمالية كافية · شأني في كل ما زرته من المعاهد ورأيته من المشاهد فلم يتيسر لي ان ألقي عليه سوى نظرة واحدة لضيق الوقت و كثرة ما يجب ان يدرس من آثار هذه الحضارة الغربية الغريبة

وبعد كل هذا صرت أرى الاشتراكيين عَلَى حق فيما يطالبون به المجتمعات الحديثة في الغرب وهم يرون مئات الفدادين من الارض تجعل حدائق قد لا يختلف اليها الا افراد في حين يهلك مئات الالوف من المحاويج والفقراء ولا من يرحم ضعفهم المادي والصحي او يرثي لبكائهم وتسبل عَلَى النظر هذه التحف والعاديات التي لا تقدر بثمن وحكومة الجمهورية تقترض مئات الملايين من الفرنكات لسد العجز في ميزانيتها · وهكذا نظام المجتمع الغربي ولعلَّ عقول اهله المفكرة تحرر في الاجيال المقبلة الفقير من فقره او تقوى عَلَى الاقل عَلَى تعديل هذا النظام الجائر الذي يسلب من كثيرين السبد واللبد ليعمر به قصر البلد ويلعب في حدائقه وساحاته الوالد والوالدة والولد

مكاتب باريز ومكتباتها

١٩

لو لم يكن في باريز الا مكتبة الامة التي حوت في قصرها الفخيم زهاء ثلاثة ملايين كتاب مطبوع ومئة الف كتاب مخطوط ومليونين ونصف

صورة مختومة والوفاً من الايقونات والانواط القديمة وغير ذلك من التحف والآثار ومجاميع الصحف والمجلات لكفاها جالباً للسائحين ولافتاً لانظار اهل العالمين من العالمين ·

مكتبة أسست منذ نحو ستة قرون وملوك فرنسا وعلماؤها واشرافها يتبارون في ان يحملوا في كل فرع من فروع العلم واللغات صنوف المخطوطات والمطبوعات حتى اذا جاء القرن العشرون اصبحت مكتبة الامة اكبر مكاتب العالم واهمها بندرة كتبها ومخطوطاتها ففيها من نوادر المخطوطات والمطبوعات العربية الوف

اختلفت اليها غير ما مرة ولم اتمكن من مطالعة كل ما اريد لضيق الوقت وضخامة الفهارس وكثرة المؤلفين والناقلين في قاعات المطالعة · وبلغني ان الكتب التي اهديت الى مكتبة الامة في العهد الاخير لم يتيسر ادخالها في قوائم الكتب على كثرة موظفي المكتبة وكادت مطبعة الامة الاميرية تعجز عن طبع فهارس هذه الخزائن ولا غروفان ما رأيته منها مطبوعاً الى عهد ليس ببعيد يبلغ وحده مكتبة برأسه ويقضي فيه المرء الساعات ولا يستطيع ان يستوفي النظر الاجمالي

ولو صرف طالب العلم عمره كله يبحث في مخطوطات مكتبة الامة ويستعين بمطبوعاتها لما تيسر له ان يأتي الا على قسم ضئيل جداً مما حوته في بطنها من معارف البشر ولا تعد المكتبة الخديوية في مصر ومكاتب الاستانة التي تتجاوز الاربعين مكتبة ومكتبة المجلس البلدي في الاسكندرية ومكاتب دمشق وبيروت وحلب وبغداد والمدينة ومكة وغيرها من بلاد الشرق الادني اذا جمعت كلها في صعيد واحد وجعلت لها فهارس وقوائم

منظمة الاجزاء صغيراً من ذاك الجسم الكبير . وعلى تلك النسبة قس المطالعين والمراجعين في مكتبة الامة بالنسبة لامثالهم في البلاد العثمانية والمصرية فتراهم عند الساعة الرابعة بعد الظهر يخرجون رجالاً ونساء شيوخاً وعجائز شباناً وشابات كالقطيع الكبير لا يقل عددهم عن خمسمائة وربما جاوز الالف احياناً وتجد فيهم الغرباء من امم اوربا وآسيا واميركا وافريقية ممن تجمع بينهم كلمة العلم الجامعة وكلهم يتنافسون في البحث والدرس ويستخرجون من ركاز تلك الكنوز ما يصوغونه عقوداً ثمينة وتماويذ محلاة تقي البشر شر الجهل والخرافة

ولعله يخطر ببال بعضهم ان هذه المكتبة هي كل ما في فرنسا من خزائن كتب صرف الفرنسيس فيها قوائم وجمعوا لها من اقطار الارض كل غال ونفيس على عادة الافرنج في التغالي بفخامة مصانعهم وضم شتيت متفرقهم وحرصهم على الاجتماع للانتفاع ولكن في باريز وحدها من المكاتب العامة ما لو جمع ايضاً لكان منه مكتبة كمكتبة الامة بكثرة اسفارها الا ان هذه تفوقها بالنوادر من المخطوطات

ولباريز عشر مكاتب اخرى في كل واحدة منها عشرات الالوف من المخطوطات والمطبوعات دع عنك خزائن كتب الجمعيات والمدارس والكليات والمجامع فان لكل واحدة منها ما يقتضي للمطالع من اسفار المراجعة وغيرها . اما خزائن كتب الافراد فهذه لا يحيط بها الا علام الغيوب او من يدعي انه يعرف ما حوت باريز من علم وادب وذهب ونشب

ويقول العارفون ان قواعد بلاد الانكليز السكسونيين كالمانيا وانكلترا والولايات المتحدة تحسن استخدام اسفارها اكثر من الجنس التوتوني اللاتيني كالفرنسيس والطليان والاسبان وغيرهم اذ ثبت ان تلك الامم العناصر الراقية

اكثر احساناً للانتفاع من قواها الطبيعية والصناعية على اسلوب حديث لم يخطر ببال الفرنسويين الذين جروا في اوضاعهم وترتيب مصانعهم وتنظيم شؤونهم على تقاليد لهم قديمة وان عرف عنهم انهم اسبق الامم الى التجديد ولكن تجديدهم في امور دون اخرى ·

والانتفاع من الكتب ايضاً لم يخرج عن هذا النظام حتى قالوا ان نفائس المخطوطات والمطبوعات الموجودة في مكتبة الامة في عاصمة الفرنسيس لو نقلت الى ليبسيك او مونيخ او برلين او فينا او اكسفورد او مانشستر او لندرا او نيويورك او شيكاغو لانتفع بها وتيسر سبيل الوصول اليها لانها تكون هناك مفهرسة مبوبة على طريقة فيها روح القرون الوسطى وقد جعلت هنا على اسلوب قريب المأخذ سهل التناول خال من القيود التي تقيد المطالع والمراجع · فان كانت فرنسا في مقدمة شعوب الارض من وجوه كثيرة ولا سيما في الامور الذوقية وبدائع الصناعات والاصلاحات الدستورية والانسانية فقد فاقها غيرها من الممالك المجاورة من حيث الفنون والاقتصاد والاجتماع فعرفوا كيف يطبقون انفسهم على الذوق العصري

مثال ذلك صناعة الوراقة او بيع الكتب فانا نجد المانيا ارقى من فرنسا فيها مع كثرة تفنن الفرنسيس فيما يدل على سلامة الذوق حتى ان ليبسيك في المانيا تبيع وحدها من الكتب قدر ما تصدر فرنسا كلها ومن الغريب ان الكتبية الالمان في نفس باريز تجدهم امهر في تصريف كتبهم فيبيعون كمية اوفر من كتبية الباريزيين ·

جاء في كتاب « المانيا الحديثة » ان المانيا اعظم البلاد اصداراً للكتب فقد كانت اوائل القرن الماضي لاتخرج في السنة سوى ٣٩٠٠ كتاب

فاصدرت سنة ١٩٠٥ ٢٨٨٨٦ كتاباً في حين ان فرنسا التي هي في الدرجة الثانية بكتبها لم تصدر سنة ١٩٠٤ سوى ١٢١٣٩ كتاباً فاذا قدّر انه يطبع من كل كتاب في المانيا الف نسخة فيصيب كل شخص فيها على اقل تعديل مجلد واحد فصناعة الكتب في المانيا رابحة جداً ٠ وقد كان عدد المحال التي تتعاطى تجارتها سنة ١٩٠٥ ٧١٥٢ محلاً تصدر الى الخارج فقط ماقيمته ٢٩٠ مليون مارك

زرت في جملة الكتبية الذين زرتهم او ابتعت منهم بعض الكتب مكتبة هاشيت المشهورة في جادة سان جرمان وهي ثلاثة طوابق وفيها نحو الف وخمسمائة موظف ومستخدم وتطبع فيها بضع جرائد ومجلات كما تطبع الكتب المدرسية والادبية والتقاويم السنوية المشهورة في العالم وهي مؤسسة منذ نحو ثلاثة ارباع قرن ويعد هاشيت من اعظم كتبية العالم ان لم يكن اعظمهم ومع هذا يقول العارفون ان مكتبته على حالتها الحاضرة لو كانت لجماعة من الالمان او الاميركان لادهشوا العالم بنظامهم وارباحهم ٠ فكأن دم الفرنسيس الذي غلى زمناً قد برد اليوم واصبح الدم الجديد غيره الآن يغلي فيدهش بحرارته ٠ ومن مكتبات باريز المشهورة مكتبة فلاماريون ولمكتبته فروع كثيرة في مدينة باريز وبلاد فرنسا وهذه المكتبة فيما رأيت اقرب الى التجديد منها الى الجمود على القديم

مجامع باريز العلمية

٣٠

على الشاطئ الايسر من نهر السين مقابل قصر اللوفر الفخيم قام قصر عظيم عمر في النصف الثاني من القرن السابع عشر بمال اوصى به السيامي

مازارين الذي جمع بطمعه وجشعه ثروة لا تقل عن خمسين مليون فرنك على عادة عظماء القرون الوسطى · واراد ان تنفق بعده في الخيرات وحسن الاثر ومن جملة خيراته هذا القصر الذي اوصى له بمليوني فرنك فضة وخمسة واربعين الف ليرة دخلاً سنوياً ليكون منه مدرسة عالية يتعلم فيها ستون طالباً من ابناء الولايات الاربع التي اضيفت الى فرنسا بموجب معاهدة البيرنيه وروسيللون

وهذا القصر هو الذي نقل اليه مجمع فرنسا العلمي سنة ١٨٠٦ ذاك المجمع الذي أسس سنة ١٧٩٥ فكان مفخراً من مفاخر الفرنسيس وحق لهم ان يفاخروا به · وهو مجلس او ديوان مؤلف من خمسة مجامع فالاول المجمع العلمي الفرنسوي المعروف بالاكاديمي أسسه ريشليو سنة ١٦٣٥ وهو يشتغل خاصة بتأليف معجم اللغة الفرنسوية وادخال المفردات الجديدة ونبذ القديمة او اصلاحها واعضاؤه اربعون رجلاً ويقال لهم المخلدون على سبيل الدعابة لانهم اذا خلا موضع واحد بالموت ينتخب سائر الاعضاء في الحال من يخلفه والمجمع الثاني مجمع الصناعات النفيسة أسسه مازارين سنة ١٦٤٨ باسم مجمع التصوير والنقش والمجمع الثالث مجمع الخطوط والآداب انشأه الوزير كولبر سنة ١٦٦٤ ومجمع العلوم أسسه كولبر ايضاً سنة ١٦٦٦ ومجمع العلوم الاخلاقية والسياسية أنشئ سنة ١٨٣٢ وجميع هذه المجامع ينتخب اعضاؤها بعضهم بعضاً مدى العمر وينظرون في العلوم الآنف بيانها ويعطون جوائز للمحسنين من المؤلفين والعاملين وبعضها لا يستهان به · وفي باريز مجامع علمية كثيرة غير هذه منها مجمع باستور العلمي مكتشف الميكروب والمجمع الكيماوي ومجمع فتيان العميان ومجمع الزراعة ومجمع البحار ومجمع العيون ومجمع

الصم البكم ولكل منها انظمة وقوانين واعمال يطول شرحها واكتفي فقط بوصف جلسة عامة حضرتها (١) من جلسات مجمع العلوم الاخلاقية والسياسية

في اليوم الرابع من كانون الاول سنة ١٩٠٩ عقد هذا المجمع جلسته السنوية تحت قبة المجمع وهي القبة التي تجتمع فيها المجامع الخمسة المعددة فيما تقدم اجتماعها السنوي وقدر الجمع باربعمائة نسمة رجال ونساء · جلسوا على مقاعد من المخمل على ترتيب بديع بحيث يسمع كل واحد منهم ويرى وكان اكثر اعضاء هذا المجمع بلباسهم الرسمي فجلس على كرسي الرئاسة المسيو رني ستورم وتلا كما هي عادة هذا المجمع منذ القديم او منذ انشائه قائمة باعمال المجمع منذ اثني عشر شهراً وصفق الحضور لمن نالوا جوائز على كتب ألفوها واعمال قاموا بها لخدمة الانسانية وتعليم البائسات واطعام الجائعات واليتامى والعمي وبين من نالوا الجوائز اربع عقائل عدا من اثنى الرئيس على ايادبهن البيضاء كالأم ارنستين التي انشأت معملاً وملجأً في مدينة روان والعقيلة بيكوبن التي انشأت في باريز ملجأً سمته معمل الجهاز والآنسة دي رشمون التي انشأت في مدينة كرنيل منذ اربع وعشرين سنة ملجأً للبنات تأوي اليه اربعمائة ابنة من بنات العملة وانفقت عليه ثروتها · ومن

(١) هنا ارى من الواجب عليَّ ان اشكر لصديقي العالم المسيو الفرد لشاتليه استاذ علم الاجتماع الاسلامي في كوليج دي فرانس ومدير مجلة العالم الاسلامي ومجلة السجلات المراكشية ومجلة الافكار الحديثة لتفضله بتعريفي الى كثير من اصدقائه من رجال العلم والادب والسياسة في باريز وبهم تيسر لي ان اطلع من مدنية هذه الامة في شهرين مايتعذر عَلَى غيري ان يراه الا في شهور واشكر خاصة امين سره الكاتب المسيو لوسين موري الناقد الادبي في المجلة الزرقاء واحد كتاب هذه العاصمة المجيدين الذي تفضل واضاع من وقته كثيراً ليقدمني الى معارفه ومعارف المسيو لشاتليه المشار اليه

المعاهد التي اخذ هذا المجمع النظر فيه معهد كارنو وهو الذي منحته العقيلة كارنو امرأة احد رؤساء الجمهورية رأس مال يأتي بثمانية عشر الف فرنك دخلاً سنويا وقضت بان تقسم الى ٩٠ اعانة كل واحدة بمائتي فرنك توزع كل سنة بيوم ٢٤ حزيران وهو يوم مقتل كارنو على تسعين امرأة من نساء العملة ممن لهن اولاد · ومن جملة الجوائز التي منحها المجمع للمؤلفين جائزة الاجادة لمن ألف كتاب « افريقية للاوربيين » وكتاب « اوربا والمملكة العثمانية » ·

ثم قرأ المسيو دي نوفيل امين سر المجمع الجديد ترجمة حياة صديقه وسلفه في هذه الوظيفة جورج بيكو فاثر في السامعين وابكاهم وتفنن ماشاء وشاء البيان في وصف حسنات المتوفى واقتداره · وكانت الخطاب يتلوها اولئك الشيوخ في الورق بنغمة تأخذ بمجامع القلوب ويطرب لها العالمون العاملون طربهم بنغمات الاوتار وتغريد الاطيار في الاسحار

وهكذا انصرف القوم ونصفهم من النساء يرددون محامد اعضاء المجمع اما انا فتمثلت لي ارواح اولئك العلماء العاملين الذين سنوا لمعاصرينا اخلافهم سنن الارتقاء وخدمة العلم والحق والفضيلة والآداب والفنون وحدثتني النفس ببلادنا الشرقية وقلت هل يكتب لها في المستقبل تأليف مثل هذه المجامع فنعمل فرادى ومجتمعين كالغربيين او نظل كما نحن لانعمل فرادى ولا مجتمعين ونكتفي بالتفاخر باجدادنا نجعله عدتنا في شدتنا ومثالنا في نهضتنا ونحن عن اقتصاص آثارهم غافلون

كنائس باريز ومعابدها

٣١

من المعاهد التي يقضى على من يزور باريز ان يختلف اليها ولو مرة بيعها

و كنائسها فانها من الاماكن التي يقرأ فيها انموذجاً من انموذجات البناء في القرون الوسطى و يطلع فيها على فلسفة الفرنسيس الروحية خصوصاً والمأثور عنهم في الشرق انهم امة لاتقيم لغير العقل وزناً تجردت من العواطف الدينية حتى لم يبق فيها سوى العجائز من النساء يختلفن الى المعابد للانابة الى الله وتقديس يسوع وامه عليهما السلام ·

بيد ان من تعمق في البحث عن حال الفرنسويين الروحية يتجلى له ان جمهوراً عظيماً لم يبرح متشبثاً بدينه متشبعاً بصحة يقينه ولاسيما في القرى والبلدان الصغرى فاغلب الخاصة والطبقة العليا عندهم نزعوا كل نحلة حتى لم يعودوا يعرفون غير المادة ديناً واغلب الطبقة الوسطى يغلب عليها التدين اما العامة في المدن فكالسائمة لاتعرف غير الأكل والشرب واللهو واللذائذ واكثر اهل طبقتهم في القرى متعصبون لدينهم والسواد الاعظم من النساء متدينات · وتساوى متدينهم والمنحل من كل دين منهم او الخاصة والعامة بالتظاهر في مراعاة الشعائر الدينية ولا تختل هذه القاعدة قليلاً الا في المدن والحواضر ولااثر للتعليم الديني في المدارس الاميرية وهو على اشده في مدارس الرهبنات وغيرها من المدارس الخاصة على ان نزعة التعصب التي عرفت بها فرنسا منذ صبأت عن الوثنية لتنتحل النصرانية في القرن الثالث للمسيح مابرحت لها في نفوس ابنائها حتى في هذا القرن العشرين آثار راسخة وان عبثت حكومتهم بقانون الحرية الشخصية غير مامرة ودمرت بيوت الرهبان والنسك وجردت الكنائس والبيع والمدارس الاكليركية من كل ما يدخل في حوزتها ·

يحتفل الفرنسيس يوم ١٤ تموز بعيد الجمهورية احتفالاً يقدسونه ويعبدونه

وفي ذاك اليوم تشهد في كل ارض فيها بضعة منهم او رفع لهم فيها علم نموذجاً من وطنيتهم وكيف يرى جمهورهم بالجمهورية حياته ولكن احتفال هذه الامة باعيادها الدينية لا يقل عن احتفالها ذاك اليوم واعيادها كثيرة هي صورة من صورتها في القرون الوسطى بل في القرون الحديثة قبل ان تنادي فرنسا بتأليه العقل وتعلن الحكومة علناً نزعها ربقة الدين ٠

نعم ان زائر كنائس باريز تتجلى له فلسفة القوم النفسية ٠ ومما زرته من كنائس باريز كنيسة نوتردام والمادلين وعدد الكنائس الباريزية سبعون كنيسة اسقفية للكاثوليك ماعدا بيع الروم والبرتستانت ومعابد اليهود الاربعة وماعدا المصليات والبيع الصغرى ونوتردام هي من اعظم الكنائس وهي اجمل انموذجات البنايات القديمة تجيء بمكانتها بعد كنيسة مدن شارتر وريمس وامين وبورج وتفوقها بآثارها التاريخية وكفى بانها أُنشئت في اوائل النصف الثاني من القرن الثاني عشر ولم تزل تتعاورها الايدي بالنقش والتزيين والترخيم والتعريق حتى يوم الناس هذا وفيها من بدائع ماصنعت الايدي وتفننت فيه العقول مايدهش ويبهر

زرتها قبيل صلاة المساء مع صديقي عثمان غالب بك ووقفنا نستمع لوعظ الواعظ على جمهور المصلين واكثرهم من النساء ٠ يعظهن واصفاً لهن غرور الحياة الدنيا بالقياس مع الآخرة ومنهن من تغرورق عيناها بالدموع او تجهش بالبكاء خصوصاً عندما يذم بلسان بليغ غرور اهل باريز ٠ فهو داخل الكنيسة يقوم بالواجب ليدعو الناس الى الزهادة ويحبب اليهم العبادة ووراء سور الكنيسة تجري كل ساعة شؤون واعمال دنيوية هائلة كلها ماكانت تقوم لو عمل الناس بمثل هذه المواعظ وآثروا الباقية على الفانية

ان ما رأيته من انتظام البيع البارزية وتفنن البانين في ابداعها وتفانيهم في توفير قسطها من الجمال دلني بلسان حاله على ان مدنية القرون الوسطى قامت باسم الدين ولذلك جاءت المعابد اجمل مصانع تلك القرون وكان اكثرها الى الزوال لولم تتداركه في القرون الحديثة بلسم من انارة العقول بالفلسفة والعلم المادي اما مدنية هذا العصر فلا ادلّ عليها الا بما ينفع الناس في دنياهم كالسكك الحديدية والبوارج والبواخر والمرافىء والمعامل والثكن والمستشفيات والمدارس والكليات ودور البائسين والحقول الانموذجية والمتاحف وحير الوحوش والمكاتب ودور التمثيل . فهل يأتي على البشر عصر ياترى يكون فيه ماينمّ عن مدنيتهم غير ماذكرنا قديماً في الدين واليوم في الدنيا ويخف تكالبهم على مظاهر هذا العالم وينسون بتاتاً تعظيم ماخلفته عصور التدين من المصانع والعبادات التي انتقلت الى اكثرهم بالعادة او يمزجون القديم بالحديث فيكون شأنهم غير شأنهم الآن في تصور ماضيهم وحاضرهم . هذه اسئلة ليس غير الزمان كفيلاً بالاجابة عنها والله اعلم بمصير عباده

قصور باريز وسراياتها

٢٢

من القصور العامة واملاك الحكومة في هذه الحاضرة : مصرف فرنسا وقصر الاليزه حيث يقيم رئيس الجمهورية وقصر الانفاليد والتويلري وقصر المدلية وقصر ساحة المريخ وقصر التروكاديرو والقصر الملكي وفيه دائرة شورى الدولة ومحكمة التجارة والبانتيون مدفن العظماء وقصر مجلس النواب وقصر مجلس الشيوخ وقصر المجلس البلدي .

ونتكلم هنا على القصور الثلاثة الاخيرة فقد كتبت لي زيارة مجلس نواب

الامة الفرنسوية ومجلس اعيانها خلال انعقاد المجلسين فلم أسر بمشهد اجمل ولا افخم وقلما تمثل لي معنى النيابة عن الامة الا ذاك اليوم · ومجلسا النواب والاعيان هما مفخر من مفاخر هذه الامة ونموذج تقدمها ودليل اخلاقها السياسية ففي مجلس الامة الحركة والمضاء وفي مجلس الشيوخ التؤدة والروية فالاول يقيم في قصر البوربون والثاني في قصر اللوكسمبورغ وكلا القصرين من اجمل قصور الحكومة في هذه العاصمة العظيمة وعدد النواب خمسمائة تغلب عليهم همة الشباب وعدد الاعيان ثلثمائة تقرأ في وجوههم المغضنة وشعورهم البيضاء سعة العقل والتجارب الكثيرة

وما انس لا انس يوم كانت المناقشة في مجلس النواب في وضع ضريبة على العملة وقد تدفقت اقوال بلابل المجلس على المنبر وما فيهم الا الاجتماعي والاقتصادي والاخلاقي والسياسي والاداري

وان ماتلي في تلك الجلسة فقط من الخطب وجرى الحوار فيه بين الاعضاء لو جمع في كتاب برأسه لجاء منه احسن كتاب اجتماعي اقتصادي عن فرنسا ومن اراد ان يعرف ماهو البيان الحقيقي والعلم الذي تشربته اجزاء النفس فليزر مجلس النواب الفرنسوي في فصل اجتماعه يشهد ارتقاء الغرب ويدرك سر الشورى ·

اما المجلس البلدي فهو معيار العمران وبيده اسعاد باريز واشقاؤها · يزار كما تزار اكثر المعاهد الكبرى في باريز بطلب من الزائر يقدمه الى امين سر المعهد فيرسل هذا اليه ورقة يعين له فيها الميعاد الذي يأتي فيه ·

يدخل الزائر هذا القصر المدهش فيتجسم في نظره الذوق الفرنسوي وعظمة هذه الامة لكثرة مايقع عليه نظره من الردهات والقاعات والغرف

وكلها مزدانة بنقوش وصور ورسوم من اجمل ماخطته انامل النقاشين والمصورين وتدل كلها على الذوق والمعاني اللطيفة والاشارات الحسنة.

فمن رسم يمثل الغناء والعشرة وآخر يمثل الزهور والثمار وغيره يصور اغاني شواطي السين وآخر يمثل التجارة والصناعة فالاشهر الجمهورية ومناظر كثيرة لاجمل قصور باريز ومعاهدها واصقاعها وهناك صور رسمت على الحيطان والسقوف في القاعات التي تستقبل بها مدينة باريز في العادة من يزورها من ملوك الارض وامرائها ومنها مايمثل افراح الحياة وآخر يمثل العمل ومغيب الشمس والرقاد والحلم وغيرها يريك الطبيعة الملهمة المربية فالرياضات الطبيعية فالرياضات العقلية وآخر يمثل الطبيعة والكيمياء والفلسفة والنجوم وفيها مايمثل المساء في باريز والخيال والولادة فيها والجهاد والنهضة والشعر والفلسفة والتاريخ والعلم والفنون والسلام واليقظة وذكرى عيد وطني وعيد الخلاء في ضاحية باريز . وبعضها يمثل ابولون وعرائس الشعر والتصوير والادب والموسيقى والنقش والهندسة ومنها رمز القصائد الغنائية والانغام والكدر والتأمل ومن التماثيل مايرسم التمثيل بالايماء والقصص الهزلية والموسيقى والرقص والالعاب ومنها مايصور الحصاد وقطف العنب والغناء والصيد وتعاطي الشراب . ومنها الموسيقى على اختلاف العصور والطيوب والعطور ومدينة باريز تدعو العالم الى افراحها والزهور والرقص في كل عصر من اعصار التاريخ وصور تمثل اهم اقاليم فرنسا مثل الفلاندر وبيكارديا والجزائر وليون ولانكدوك وغاسكونيا والبروفانس وكوسين وبري وشامبانيا وبرتانيا وبورغونيا واوفرن واللورين ونورمانديا وكونتية نيس . ومن صورها مايمثل الصيف ومنها الشتاء ومنها مايمثل آسيا واوربا واميركا وافريقية ومنها مايصور تأليه

العلوم وهو رمز لعلم الاحداث الجوية والكهربائية وتعليم العلم وتمجيد العلم واربع أيقونات تمثل علم الطبيعة والنبات في شخص اراغو وامبر و كوفيه ولافوازيه · ومنها رمز الى ساعات الليل والنهار ومشاهد الافراح والاعياد

وفي ردهة الآداب صور ترسم لك عرائس الشعر والالهام والتفكر وتاريخ الكتابة واعظم الاعمال الادبية واربع ايقونات لاربعة ادباء وهم موليير وديكارت وفيكتورهوغو وميشله ثم صور الفلسفة والشعر والفصاحة والتاريخ وهناك رمز بديع يشير الى ان التاريخ يجمع دروس الماضي والفلسفة تحرر الافكار من قيودها وعلى مقربة من ذلك رسمان اثنان نائمان وهما يمثلان الادب

وفي سقف ردهة الفنون صور كثيرة منها ما يمثل تغلب الفنون وخيال الكمال والحقيقة والرقص والفنون والنقش والموسيقى والهندسة والرسم وغير ذلك من رسوم الوقائع الكبرى التاريخية والصور والتماثيل التي تشير كل واحدة منها الى معنى من المعاني وفائدة من الفوائد وكلها من حفر او رسم او نقش اعظم رجال هذا الشأن في العالم ولاسيما من اهل فرنسا جعلت هناك نموذجاً مما خصوا به من المزايا وسعة العلم وبعد النظر وحسن الذوق

وعلى الجملة فان الشرقي الذي يزور قصر المجلس البلدي في باريز تصغر بلاده في عينه ويكاد ييأس من ارتقائها ونهضة ابنائها

اما اعمال هذا المجلس الذي تبلغ ميزانيته مئات الملايين فلا اقول فيها الا انها عظيمة جداً ويكفي ان المجلس طلب من الحكومة هذه الايام ان تسمح له بعقد قرض قدره تسعمائة مليون فرنك ليطهر بعض احياء باريز فاذنت لانه ثبت ان بعض الامراض تكثر في حي دون آخر فالواجب العناية بها حتى لا تسطو يد الفناء عليها اما انا فلم ار على كثرة تجوالي راكباً وماشياً

في شوارع باريز واحيائها موضعاً تحدثك النفس انه محتاج للاصلاح بعد لكثرة ماترى كل شيء في مكانه وان مدينة باريز لتنفق على اضواء الكهرباء والغاز الذي تنير بهشوارع هذهالمدينة السعيدة كل ليلة مايبلغ مقدارميزانية بلدية دمشق طول السنة فتأمل

تاريخ الحضارة الفرنسوية

٢٣

بسطنا القول في الفصول السالفة في كل مايهم عن معرفة باريز وهانحن اولاء نتوخى في هذا الفصل ان نلم بطرف من عمران فرنسا بأسرها واثرها في الحضارة منذ قامت للعلم والعمل سوق رائجة معتمدين فيما ننقل على معجم لاروس الجديد وما هذه النبذة الا احتذاء لما ورد في الفصل الفرنسوي بتصرف كثير وزيادات

فرنسا مملكة عظمى في اوربا الغربية يحدها المحيط الاطلانطيقي وبحر الشمال او المانش من الغرب ومن الجنوب جبال البيرنيه والبحر المتوسط ومن الشرق جبال الالب والجورا والفوسج ويفصل بينها وبين البلجيك والمانيا خط اتفق عليه من الشمال الشرقي والشمال ومجموع مساحتها ٥٣٦٤٠٨ كيلومترات مربعة وسكانها نحو اربعين مليوناً اي نحو اربعة اضعاف ونصف مساحة سورية ومساحة سورية ١١٥٠٠٠ كيلومترمربع والفرنسيس كجميع سكان اوربا اخلاط من العناصر مزجتهم بودقة واحدة فجاء منهم شعب ذي قوة عقلية حقيقية واختلفت صفاتهم وميولهم لمذاهب المعاش . وان فرنسا لغنية بزراعتها اكثر من غناها بمناجمها ومع هذا فهي تعد من اغنى البلاد وزراعتها ارق زراعة في الارض ويندر في ارضها الذهب والفضة والزئبق

والنحاس والزنك والرصاص والقصدير والزرنيخ والنيكل والانتيموان والكبريت ولكن عندها مايلزمها من الحديد والفحم الحجري ·

وانك لتدهش اذا عرفت ان جزئين من ثلاثة عشر جزءاً من ارضها تزرع وتشجر وفيها نحو عشرة ملايين هكتار من الغابات والموسج ولها في تربية المواشي والحيوانات يد طولى وتجد المعامل الكبرى قائمة في الضواحى الغنية بالفحم الحجري والحديد والمحاصيل الزراعية القابلة للتحول وقد امتاز كل اقليم بصناعة وباريز هي ملكة المدن الصناعية في فرنسا لانها محط الخطوط الحديدية ومنتهى المواصلات

امتازت الجنوب بصناعاتها لكثرة الفحم الحجري وكثرة السكان وفيها صناعات اشتهرت شهرة الشمس والقمر كما امتاز اقليم الآردن بالجوخ واعمال الحديد والألواح الحجرية وامتاز اقليم شامبانيا ونورمانديا بالجوخ واعمال الحياكة والنسيج واقليم فرانش كونتيه بعمل الساعات وليون وسانت اتين بالمنسوجات الحريرية وامتازت المقاطعات المجاورة لها بتربية الحرير والغزل وامتازت البلاد الوسطى بالفخار والخزف والصيني والكاشاني وفي ضواحي انكولم علَى الينابيع ذات المياه الشفافة معامل الورق ولمرسيليا الميزة بصابونها ولاقليم البروفانس بزهوره العطرة التي تستعمل في الطيب وعلَى الجملة فان صناعات فرنسا من انفس ماتصنع صنع الايدي في العالم ولا سيما في منسوجاتها الحريرية وصناعة الجوهرية والبلور والاواني الصينية الدقيقة وكلها مما جعل فرنسا في مقدمة ممالك اوربا ·

تقسم فرنسا من حيث امورها الادارية الى ٨٧ ايالة وهذه تقسم الى ٣٦٢ ولاية و ٢٨٩٩ كورة و ٣٦١٧٠ مديرية ولها مجلس نواب ومجلس

شيوخ ينتخب اعضاء الاول كل اربع سنين واعضاء الثاني كل تسع وهذان المجلسان هما اللذان ينتخبان رئيس الجمهورية لسبع سنين والقوة الاجرائية بيد الوزارة وهي المسؤلة امام القوة التشريعية وتقسم هذه البلاد من حيث المعارف والاديان والبحرية والبرية الى مناطق كثيرة تخالف ترتيب الايالات وكلها لسان واحد وتربية تكاد تكون واحدة ونظامها واحد

ومن نظر الى تاريخ فرنسا السياسي والاجتماعي يتجلى له انها هي بلاد غاليا المستقلة وهي عبارة عن ولاية رومانية عَلَى عهد مملكة الرومان افتتح الرومانيون منذ سنة ١٢٥ قبل المسيح البلاد الواقعة عَلَى شواطيء البحر المتوسط ثم افتتح قيصر البقية سنة ٥٨ — ٥١ ق . م ولم تكن اذ ذاك الا خليطاً من العناصر والقبائل لاوحدة بينها ولاجامعة تجمعها ففي الشمال قبائل جرمانية وفي الوسط سلتية وفي الجنوب الغربي ايبرية وفي الجنوب الشرقي ليكورية وفي الولايات الرومانية مدن يونانية ومستعمرات ايطالية يتكلمون بنحو عشر لغات مختلفة ولم تكن لهم وحدة سياسية ولا رئيس اعلى بل كانوا عبارة عن نحو مئة من الشعوب لهم اوضاع مختلفة ويحكم عَلَى معظمهم مجلس شيوخ ومن هذه الشعوب من يعيش عَلَى حال انفراد ومنها متحدة بينها عَلَى التساوي ومنها من يشترك مع غيره ويترك الزعامة لمن يراه احق بها

وكانت المدن قليلة جداً في بلاد غاليا وغاية ماكان فيها ملاجيء لاوقات الغارات وهي مراكز الاسواق والزيارات فبلاد غاليا كانت بلاداً زراعية وسكانها ثلاث طبقات الاشراف والمحاربون ومنهم ينتخب اعضاء مجالس الشيوخ والملوك والفرسان وعامة الشعب كانوا فدادين تقرب حالهم من العبودية ولم يكن يملك الاراضي احد ثم اصبحت ملكاً للاسرات الشريفة

اما الحراثون فهم من توابع الارض ويجيء بعدهم العبيد ويعدل من حال الاشراف طبقة الدرويد وهم الكهنة والاطباء والمنجمون والقضاة ولاسيما في اواسط البلاد

ولما استقام امير الرومانيين اقاموا زعيماً عاماً على البلاد متمتعاً بالسلطة المطلقة متصرفاً بالقوة الحربية والمدنية والدينية ونعني به الامبراطور وهو زعيم الحرب والمشرع المطلق والقانون الحي والرئيس الروحي والرب ثم امتزجت البلاد بالعادات الرومانية واللغة الرومانية بما اتاها من جيوش الرومان وتحرفت لغة الفاتحين فاصبحت اللغة اللاتينية الحقلية وغدت كل امة غالية مقاطعة برأسها يرأسها زعيم واخذت التجارة والصناعة ترتقي ولولا انه كان من حق المالك ان يبيع الارض بفلاحيها وهو الحاكم المتحكم في حياتهم ومماتهم لركن الفلاحون الى الفرار

ولما اخذت النصرانية بالانتشار كانت قاصرة على المدن ولم تتعداها الى الارياف الا بعد زمن وكان من فوائد انتشارها انها اعلنت بان الاحرار والعبيد سواء امام الله هذه هي الفائدة الاخلاقية اما الفائدة السياسية والاجتماعية فقد نشأ منها تأليف طبقة رجال الدين بنظامهم الذي اخذوه عن نظام الحكومة ولم يمض الا زمن قليل حتى اصبحت الكنيسة حكومة وسط حكومة تجبي اموالاً من الناس ويغدق المؤمنون واحياناً الامبراطرة عليها من المال ماتكونت منه ثروة طائلة وتعفي املاكهم من الخراج كما يعفى خدمتها من المحاكمة مع الشعب بل كثيراً مايحاكم الشعب نفسه في الكنيسة ولطالما كان الاسقف في ابرشيته خصماً للحاكم السياسي ورقيباً عتيداً عليه .

ولما سقطت المملكة الرومانية تجزأت غاليا الى عدة ممالك بربرية كالفرنك

والبورغوند والفيزغوت وعادت كلمة البلاد الى الانتشار بعد الاجتماع ولم يكن ملوك الفرنك يدركون معنى الوحدة كسائر الملوك البرابرة ولا يقيمون للحكومة وزناً ولئن كانوا يلبسون الثياب الارجوانية ويضعون التيجان على رؤوسهم كامبراطور الرومان الا انهم لم يكن لهم جيش دائم وليست لهم طريقة منظمة في الجباية كما ان اللغات في البلاد تعددت وكلها لهجات من اصل روماني تمازجها لهجات بربرية وعادت سلطة الاشراف وسلطة رجال الدين تقوى حتى لم يعد يعترف السواد الاعظم من الناس بالزعامة عليه الا لهم ومنهم يطلبون الانصاف ولهم يدفعون الجزية والخراج وخربت المدن وهاجر رؤساء الجيش والاديار الى الحقول وضعفت الصناعة والتجارة باختلال الامن في البلاد وكاد الفلاح يكون عبداً لسيده كما في سابق الاعصار وفي اليمين الذي أقسم سنة ٨٤٢ في ستراسبورغ ظهرت لاول مرة لغة اشتقت من اللاتينية المستعملة عند الفلاحين ومنها نشأت اللغة الافرنسية وفي معاهدة فردون سنة ٨٤٣ اعترف بوجود مملكة فرنسا وعاصمتها باريز

ومازالت الملوك تتوالى عليها وتختلف في المبادىء والاطوار حتى قبيل نهاية القرن الثامن وقد حسنت فيه حال الفلاح الفرنسوي وزاد عدد المالكين من ابناء القرى زيادة مهمة وارتقت الصناعة والتجارة على ما كان يقف في سبيلها من القيود الكثيرة والانظمة الموضوعة وارتقت الادبيات وتحررت من قيودها القديمة واخذت الفلسفة تبحث في التسامح الديني والحرية السياسية واصلاح القوانين الجنائية وتمايز الطبقات الاجتماعية وعارض مونتسكيو نظرية ان الملك ملهم من الله وحقه الهي على سكان الارض بنظرية الحكم الملكي النيابي ووضع روسو نظرية العهد الاجتماعي

نبهت البارلمانات في مكافحتها سلطة الملوك (سنة ١٧٨٨) افكار وكلاء الشعب فبدأت الامة ترفع صوتها وكان الملوك يخفتونه ولا يرون لها حقاً في مطالبتها بحق واتفق ان وقعت البلاد في عسر مالي فاجتمع وكلاء الامة ينظرون في حل ما اصابهم فنشأت بعد حين الثورة الاولى (١٧٨٩) واعلن لويز الرابع عشر ان الامة كلها للملك ولكن جاء في قانون حقوق الانسان والوطني ان مبدأ كل سلطة ينبعث من الامة بجوهره فما من جماعة ولا من شخص يستطيع ان يحكم حكماً لا يكون صادراً عنها بالفعل وهكذا مات حق الملوك الالهي المزعوم واتت الثورة على اعشار رجال الدين والاقطاعات والحجرات والاحكام التي يحكمها ارباب الاقطاع وساوت بين الناس في الواجبات والضرائب وقضت على قليل الكفاءة من ارباب الغنى ان توسد اليه الوظائف الكنائسية والحربية بدون استحقاق وحمت الحرية الشخصية وحرية الضمير وحرية التكلم والكتابة وحرية المسكن وتساوى كل وطني من اكبر كبير الى اصغر صغير في الخدمة العسكرية ودفع الضرائب كل بحسب طاقته وثروته

هذا موجز الاساس الذي قام عليه بناء النظام الجمهوري ثم عراه قليل من التعديل بتقلب انواع الحكومات وقيام بعض الادعياء بالملك الى عهد الجمهورية الثالثة بعد حرب السبعين مع المانيا وعندها استقرت الحال على ما تراها الى اليوم

اما نشأة الآداب والعلوم فلكل منها تاريخ ويقال على الجملة ان اللغة الفرنسوية هي بنت اللغة اللاتينية تكوّنت على صورة غريبة الى ان وصلت في عشرين قرناً الى حالتها الحاضرة وكانت ادبياتهم دينية لاول امرها وبعضها

شعري ونثري وا كثرها خرافي ولم تخلص اللغة من القيود العائقة الا في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر · وتاريخ العلم ونشوئه فيها طويل كتاريخ الادب ويقال على الجملة فيه ان مرسيليا كانت مدة قرون منبعث العلم الوحيد في بلاد غاليا واشتهرت مدرستها كما اشتهرت كليات آثينـا وكلية الاسكندرية وكان بيتياس احد ابنائها الذي ولد نحو سنة ٨٣٠ قبل المسيح لا يقل عن اعاظم الفلكيين في القديم وكانت بيوت العلم تفتح على العهد الروماني في البلاد المهمة والتعليم فيها عبارة عن مبادئ عملية من الحساب والمساحة والبناء ثم جاء دور الانحطاط التام فأصيب الغرب بغارات البربر ولم تخرج فرنسا من ظلماتها الفكرية الا بعد ثمانية قرون بفضل العرب وبينا كان التمدن الاسلامي بالغاً اوجه كانت العلوم منحطة كل الانحطاط في ارض فرنسا · ولم ينتشر الطب والصيدلة في فرنسا الا بمساعي اطباء اليهود الذين طردهم المسلمون من آسيا الصغرى في القرن الحادي عشر فاعتصموا باسبانيا اولاً ثم باقليم لانكدوك حيث أسسوا عدة مدارس ومن جملتها مدرسة مونبليه · وهذا كان مبدأ انتشار العلم في هذه الارض · فمن العرب اخذ الفرنسيس فيما مضى حضارتهم ونحن العرب اليوم نأخذ عنهم وندهش بحضارتهم فسبحان المعز المذل القابض الباسط

الصحافة الباريزية

٢٥

نشأت الصحافة هنا في مبدإ امرها بنشر اخبار الملوك والوزارات والموظفين والحروب والدول ثم ارتقت بارتقاء المدارك الى ان صارت تلم بمعظم الموضوعات

التي تهم القراء وتعلمهم وعلى عهد الثورة اشتد ولوع الناس بالاطلاع على الحوادث والآراء السياسية والى هذا العهد ظل الصحافي وراء منضدته يكتب ليفيد مثل الاستاذ على منبره والواعظ في معبده لايقصد الا تثقيف عقل وتربية نفس

ولما تكالبت النفوس على المال واتسع للصحافة المجال بكثرة المواصلات والبرقيات واخذت التجارة ترقى دخلت الصحافة في طور جديد فبعد ان كانت هي خادمة لتجارة اصبحت هي بنفسها تجارة لايقصد منها الا الربح واول من انزل اجور اشتراكاتها اميل جيراردين مؤسس جريدة لابريس سنة ١٨٣٦ من ٨٠ او ٦٦ فرنكاً قيمة الاشتراك بالجرائد الكبرى الى ٤٠ فرنكاً وهي قيمة زهيدة لاتعادل النفقات انزلها ليكثر قراؤها واذا كثر قراء جريدة اقبل الناس عليها باعلاناتهم ومنشوراتهم فاستطاعت بعض الصحف ان تعيش مستقلة عن معونة الافراد والحكومة والاحزاب

ولكن هذا الاستقلال وان لم يكتب لها كلها الا ان سعيها وراء الاعلانات وخدمة الشركات والبيوت المالية قيدها اكثر من قبل بل اخرجها عن المقصد منها حتى صارت العشرون الجريدة الكبرى الباريزية اليوم عبارة عن سمسار لايهمه الا ان يقبض العمالة من البائع والشاري وغدت الجريدة من مقالتها الافتتاحية الى انبائها البرقية فرفرف قصصها وتقاريظ الكتب والحوادث الداخلية والخارجية والانباء المنوعة والمقالات الادبية والاقتصادية والسياسية والاعلانات والمنشورات وغير ذلك مما تخوض الصحف عبابه مثل اخبار دور التمثيل والرياضات البدنية والسباق لاينشر منها اسم ولا سطر الا قبل ان يذهب صاحبه الذي يهمه وينقد امين صندوق الجريدة مبلغاً معلوماً عنه

وعند ذلك ينشر له من الافكار والمحامد مايشاء وتشاء الاهواء

فان كتبياً او طابعاً لايقدر ان ينشر كتاباً طبعه الا اذا انتقده كاتب او عالم كبير وهذا اذا فرض انه رضي بان يخدمه بالمجان يسأله مدير الجريدة ثمن ربح الادارة من ذلك . فمقالة في تقريظ كتاب قد تكلف الطابع الفي فرنك يأخذ نصفها كاتبها الموقعة باسمه والنصف الآخر مدير الجريدة ومثل ذلك يتناولون من المصور بن (١) والموسيقيين والممثلين والراقصات والعقيلات والآنسات والاعاظم والاصاغر لاتدون اسماؤهم بالطبع قبل ان يرشوا ادارة الجريدة بمال ترتضيه وكل ماتراه من اخبار الدعوات والرياضات والمآدب ووصف الازياء مع بائعات الزهور والجوهريين والخياطات والخياطين يدفعه ارباب المأدبة وتجار هذه الاصناف بل ان اخبار الاعراس والافراح واخبار المناعي والاموات لاتكتب الا لمن تؤخذ منه اجرتها والاعمال الادبية مهما بلغ من مكانتها لاتذكر بكلمة قبل ان يدفع صاحبها جعالة لقاء ذكر اسمه

وهناك الماليون وارباب التجارة يريدون ان يعبثوا بحوالة الاسواق ويعرفون ان السياسة تؤثر كثيراً في اعمالهم فيعمدون الى ابتياع الجرائد لتكتب في السياسة على هواهم فيرفعون الاسعار يوم يريدون الرفع ويخفضونها كذلك بمالهم بواسطة هذه الجريدة من التأثير في الافكار العامة ومنهم من يبتاع من الجرائد كلامها كما يبتاع منها سكوتها فدار اللعب في ادارة مونا كو تدفع مشاهرات الى جميع الصحف الكبرى لتسكت عما يحدث فيها من ضروب الانتحار والخراب والفجائع التي تنشا من المقامرة كما تدفع مبالغ جسيمة ايضاً

(١) اعتمدنا في معظم هذه المقالة على ماجاء في كتاب «كيف تقرأ الجرائد» الذي صدر حديثاً في باريز لمؤلفه جورج فونسكريف

في اوقات معينة لتأخذ الصحف في حمد مرافق مونتكارلو ونزلها ودور تمثيلها وسواحلها وصفاء العيش فيها ٠

وان اعظم علماء الاقتصاد لاتنشر له مقالة في موضوع مالي قبل ان يوافق عليها المصرف الذي ابتاع من تلك الجريدة روحها المالية ليصرفها كما يشاء وبعد حادثة بناما التي ظهرت فيها رشاوي الصحف الافرنسية لم يعد يقدر الانسان ان يقرأ سطراً في شأن مالي في جرائدهم الا ويشك فيه ٠

وهكذا اصبحت الصحافة الباريزية مقيدة في صورة حرة مطلقة ففي وسعها ان تضرب في كل ماتريد وتنزع كل أساس وتهاجم كل موضوع وتغتاب كل امرئ وتنم عن كل عمل وتفتات علَى كل فرد ولا يحظر عليها الا شيء واحد وهو ان تكشف الغطاء عن الاسرار المالية فاذا فعلت يحكم علَى الكاتب والناشر والجريدة باشد عقوبات العطل والضرر وكذلك اذا دلت علَى الطرق الاحتيالية التي يعيش بها المحل الفلاني منذ سنين

وعلَى ذلك فالجرائد هنا يجب ان لاتقرأ الا بحذر شديد حتى مقالات لها في الكيمياء او التاريخ فانها لاتنشرها الا ولها منها مآرب يظهر بعد اعمدة من نفس العدد او في عدد تال ٠ وخف كل الخوف من الصحف التي تخدم الاحزاب جهاراً فان هذه تقلب الحقائق الناصعة وتجسم الحوادث او تضعفها بحسب هواها وتستعمل من السفسطة مايضحك ويبكي

فكأن الصحافة الباريزية جعلت لقلب الحقائق لاتقدر ان تسقط فيها علَى حقيقة خالصة من الشوائب فهي تزيد الى ضعف البشر الطبيعي وغلطهم وخطأهم اموراً تأتيها بذاتها بالقصد لتحريف الحق وتشويهه فمنها مايخضع للحكومة في كل مايكتب ومنها مايخضع للاحزاب وكلهم خاضعون لزبنهم

وكثير منهم يقولون كل ما يريدون على شرط ان يحسن المرء دفع المطلوب منه . فقد قيل ان الرياء تكريم الرذيلة للفضيلة والصحف الفرنسوية تكرم الحقيقة من هذا النوع اي انها هي الرذيلة .

هذا ما اقتبسته من فكر الكاتب الفرنسوي في هذا الباب وصاحب الدار ادرى بالذي فيه وقد اجمع العقلاء الذين لقيتهم من اهل العلم والمطبوعات وغيرهم على ان الصحافة الفرنسوية كلها ترتشي وتلفق في احاديثها وتكذب في رواياتها ما عدا جريدة « الاومانيته » اي الانسانية وهي لجوريس احد زعماء الاشتراكيين تعيش من وارداتها الشرعية ولا تسف لتناول رشوة من احد وان الصحافة الانكليزية اشرف غاية وانبل قصداً واكثر مادة واوسع مصادر اما انا فملات هذا التصريح من اصدقائي الفرنسويين بان انكلترا هي ارقى الامم باخلاقها والاخلاق هي معيار الامم والجرائد مرآتها

ومن الصحف الباريزية ما يصدر صباحاً واكثرها جرائد لا تهتم بالمسائل السياسية بل بالامور المالية والحركة الادبية كدور التمثيل والخطب وغيرها اما جرائد المساء فاكثرها يهتم بالسياسة فالطان والديبا من الجرائد المسائية والجورنال والماتين والبتي باريزين والبتي جورنال من الجرائد الصباحية والجرائد طبقتان قسم لعامة القراء وهي التي ينادي عليها المنادون في الشوارع باعلى اصواتهم وتباع في كل مكان فيقرأها البواب والحوذي والمساح والكساح وسائق الاتوموبيل والشرطي والمرتزق وبعض التجار وذلك كاكثر الجرائد الصباحية وقسم للطبقة العالية وابحاثها لهم بالطبع مثل الطان والديبا والغولوا والفيغارو وهذه لا ينادى عليها وتباع بثمن اغلى فالطان يبتاع عددها بثلاثة فلوس او خمسة عشر سنتيماً في حين تباع تلك الجرائد العامية بفلس واحد

وهي اكبر حجماً واوسع مادة من هذه ولكن شتان بين مادة ومادة وحجم وحجم ·

وجريدة الطان هي الجريدة الوحيدة التي تعنى كثيراً باخبار هذا الشرق الادنى خاصة والسياسة الشرقية عامة وهي جريدة وزارية تقدس كل وزارة تأتي وهذه بالطبع تعطيها اخباراً وربما امدتها بمعونة مالية وهي لاتذيل المقالات السياسية والاخبارية باسماء كتابها على عادة معظم الجرائد السياسية وبذلك قد يقع لها ان تؤيد اليوم في مقالتها الاولى فكراً مخصوصاً ثم يجيء كاتب آخر من الغد في نفس ذاك المكان من الجريدة فيضعف ذاك الرأي بعينه وينتقده · واعرف الجرائد بالشرق على التحقيق هي هذه وربما كانت جريدة الايكو دي باري من جرائد الصباح اكثر منها مادة برقية اخبارية عنه بدون تعليق على الحوادث · ومقالات الطان عن السياسة الشرقية تتناقل لانها اقرب الى الثقة والتعقل من غيرها ومع هذا تؤخذ بكل حذر شأننا مع عامة الصحف الافرنجية التي تقول الحق ولكن اذا صادف هوى لها وهيهات ان تقوله بدون عوض · ولقد كنت اظن جريدة الديبا وحدها ترتشي من السلطان عبد الحميد المخلوع ولكن علمت هنا ان الطان ايضاً على ماقيها من الغمز واللمز بالدولة كانت لاتستنكف من قبض الخمسة آلاف ليرة من اعوان ذاك السلطان لتكتب على هواه يوماً لعلم المخلوع بمكانة اقوالها في الاندية السياسية

وانواع الجرائد هنا كثيرة ومنها اليومي الذي لايكتب الا في موضوع واحد مثل جريدة « كوميديا » وهي تبحث في دور التمثيل والقصص التمثيلية والفاجعات وغيرها ومنها جرائد للسباق مثل جريدة « الاوتو » وهي لنشر

اخبار سباق الحوافل « الاتومو بيل » وغيرها من انواع السباق ومن جرائدهم ماهو خاص بتأجير الاملاك والعقارات ومنها الخاص بطلاب الزواج وطالباته ومنها للازياء واخرى للعطور والطيوب ومنها للاخبار الخلاعية ولكنها مقصورة على طبقة خاصة تطبع سراً وتوزع كذلك واذا رآها الشرطة صادروها وانزلوا العقوبة الشديدة بكاتبها وبائعها ومشتريها

اما تنظيم ادارات الجرائد الكبرى فهو الغاية ولا سيما الامهات منها مثل « الماتين » وهي في اعظم جادة و بنايتها اجمل بناية وآلاتها الطابعة احسن الآلات فيها اثنتا عشرة واحدة تطبع الواحدة مئة الف نسخة في الساعة زرتها مع زهاء سبعين رجلاً وامرأة رأيتهم سبقوني الى زيارتها فما رأيت نظاماً اتم ولا استعداداً استوفى من الكمال اوفى القسم ومن احسن ماقرأته مما كتب فوق غرف المحررين « خلق المحرر ليكتب فلا تشغله فيما لا يعنيه » وزرت ايضاً ادارة البتي باريزين وهي دونها في الاستعداد وان لم تكن دونها في الانتشار والنفاد

تربية البنات

لحافظ افندي ابراهيم

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي — في حب مصر كثيرة العشاق

اني لاحمل في هواك صبابة — يامصر قد خرجت عن الاطواق

لهفي عليك متى اراك طليقة — يحمي كريم حماك شعب راق

كلف بمحمود الخلال متيم — بالبذل بين يديك والانفاق

اني لتطربني الخلال كريمة — طرب الغريب باوبة وتلاق

ويهزني ذكر المروءة والندى — بين الشمائل هزة المشتاق

ماالبابلية في صفاء مزاجها   والشرب بين تنافس وسباق
والشمس تبدو في الكؤوس وتختفي   والبدر يشرق من جبين الساقي
بالله من خلق كريم طاهر   قد مازجته سلامة الاذواق
فاذا رزقت خليقة محمودة   فقد اصطفاك مقسم الارزاق
فالناس هذا حظه مال . وذا   علم . وذاك مكارم الاخلاق
والمال ان لم تدخره محصناً   بالعلم كان نهاية الاملاق
والعلم ان لم تكتنفه شمائل   تعليه كان مطية الاخفاق
لاتحسبن العلم ينفع وحده   مالم يتوج ربه بخلاق
كم عالم مد العلوم حبائلاً   لوقيعة وقطيعة وفراق
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه   لمكيدة او مستحل طلاق
يمشي وقد نصبت عليه عمامة   كالبرج لكن فوق تل نفاق
يدعونه عند الشقاق وما دروا   ان الذي يدعون حلف شقاق
وطبيب قوم قد احل لطبه   ما لا تحل شريعة الخلاق
قتل الاجنة في البطون وتارة   جمع الدوانق من دم مهراق
اغلى واثمن من تجارب علمه   يوم الفخار تجارب الحلاق
ومهندس للنيل بات بكفه   مفتاح رزق العامل المطراق
متعنت تندى وتيبس كفه   بالماء طوع الاصفر البراق
لاشيء يلوي من هواه فحده   في السلب حد الخائن السراق
واديب قوم تستحق يمينه   قطع الانامل او لظى الاحراق
يلهو ويلعب بالعقول بيانه   فكأنه في السحر رقية راق
في كفه قلم يمج لعابه   سماً وينفثه على الاوراق
يرد الحقائق وهي بيض نصع   قدسية علوية الاشراق
فيردها سوداً عَلَى جنباتها   من ظلمة التمويه الف نطاق
عريت عن الخلق المطهر نفسه   فحياته ثقل عَلَى الاعناق
لو كان ذا خلق لاسعد قومه   ببيانه ويراعه السباق
من لي بتربية النساء فانها   في الشرق علة ذلك الاخفاق
الام مدرسة اذا اعددتها   اعددت شعباً طيب الاعراق

الام روض ان تعهده الحيا بالري اورق ايما ايراق
الام استاذ الاساتذة الاولى شغلت مآثرهم مدى الآفاق
انا لااقول دعوا النساء سوافراً بين الرجال يجلن في الاسواق
يدرجن حيث اردن لامن وازع يحذرن رقبته ولا من واق
يفعلن افعال الرجال لواهياً عن واجبات نواعس الاحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة كشؤون رب السيف والمزراق
كلا ولا ادعوكم ان تسرفوا في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلاً وجواهراً خوف الضياع تصان في الاحقاق
ليست نساؤكم اثاثاً يقتنى في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الازمان في ادوارها دولاً وهن على الجمود بواق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها في الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم ان تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي

مطبوعات ومخطوطات

(معذرة الى المؤلفين والطابعين الذين اهدونا مؤلفاتهم لنتكلم عليها في هذه المجلة فعاقت الاحوال التي طرأت علينا دون القيام بما اعتدناه في السنين السالفة من التوسع في نقد الكتب وتقريظها والمبادرة الى النشر في حينه ولذا نرجوهم ان يعذرونا على ايجاز القول ونعدهم بان كلامنا يكون من قابل اطول نفساً واوسع مادة • وها نحن اولاء نبدأ بجملة مما كتب في الغرب على الشرق او نشر في ديار الغرب من علوم الشرق ثم نتبعه بما صدر من المصنفات الجديدة بالنظر في هذا الشرق الاقرب ونستميح عذراً ممن تفضلوا باهدائنا ما عربوه من القصص ونشروه من الروايات على اغفال ما نشروه لان المجلة لا تشير الا الى المصنفات التي توافق موضوعاتها في الادب والاجتماع والعلم وتعنى بما يصنف رأساً في الادب اكثر من عنايتها بما يعرّب فيه كما انها تعنى بالكلام على ما يكتب او يعرب في الاجتماع والعلم على حد سواء)

الشرق الاسلامي

كتاب بالالمانية نشره المسيو مارتين هرتمن من علماء المشرقيات وهو ممن يهتمون بمستقبل العرب وكتابه قسمان قسم في تاريخ العرب وينقسم الى ثلاثة اقسام العربية القديمة والعربية الوسطى والعربية الحديثة واعتمد في سرد التاريخ على الآثار اكثر من النقول التي لا ينهض دليل تطمئن النفس اليه ومتى فقدت المادة التاريخية فليس من تاريخ وخص كلامه عَلَى اليمن لان ما اكتشف من آثارها الحجرية يسهل البحث في تاريخها وقال ان اليمانيين كانوا شعباً رحالاً ولم يكونوا عرباً كما يفهم من معنى هذا اللفظ في القديم اذ كان معناها البدو او سكان البادية وما قط كان العرب الرحالة كثار العدد ومن الغلط ان يقال ان القفر كان مادة حياة المدن القريبة منه في سكانه . وقد كان الاشراف في اليمن وهم الاذواء اي ذو يزن وذو رعين وغيرهما هم المحتكرون للتجارة والسواد الاعظم من الاهلين ينقسمون الى قبائل يخضعون للاشراف و يعيشون بالزراعة وانتشرت الديانة اليهودية في اليمن الا انها كانت قليلة البقاء كما انها لم تطل ايامها في جزيرة العرب وقد اسقط الحبشة دولة ذي نواس وتكلم المؤلف عَلَى الاسرة والزواج والقبائل وشرح حالة جنوبي الجزيرة العربية من حيث زراعتها وتجارتها وآثارها ودياناتها وقال ان افكار البابليين قد انتشرت في العالم الشرقي كله وان نهضة البلاد العربية لا تتم الا بمد الخطوط الحديدية وانشاء الكليات الاسلامية .

تاريخ الاسلام

نشر المسيو ليون كايتاني من اشراف ايطاليا والمشتغلين بالعلم فيها الجزء الثاني من هذا التاريخ الضخم بالايطالية وهو يحتوي عَلَى تاريخ ١٢ سنة من الهجرة اي في اوائل الفتوحات الاسلامية ويقول من درسوا هذا التاريخ انه من اكمل ما ألف في تاريخ الاسلام حتى الآن .

الخطاطون والمصورون في الشرق الاسلامي

نشر المسيو كليمان هوار من علماء المشرقيات باللغة الافرنسية كتاباً في هذا الموضوع ذكر فيه الخطوط العربية ومنشأها ونشوءها وجعل الخطوط طبقات بحسب ترتيب سني الخطاطين فقال ان الاصل في الخط العربي الكوفي المأخوذ من الخط السرياني والنبطي ثم قام ابن مقلة فأسس الخط الاول وجاء بعده ابن البواب وياقوت المستعصمي ثم قام الاساتذة السبعة في الخط في آسيا الصغرى سنة ١٥٢٠ ورأسهم الشيخ حمدالله بن

مصطفى البخاري نديم السلطان بايزيد الثاني . اما تذهيب الكتب فغير معروف فان قصر الامويين المعروف بقصر عمرة الذي اكتشف حديثاً قد وجد فيه صور من اصل بزنطي مثل التي تزدان بها المخطوطات العربية القديمة .

كتاب بغداد

نشر الدكتور كللر من علماء المشرقيات السويسريين الجزء السادس من تاريخ بغداد لمؤلفه احمد بن ابي طاهر طيفور من اهل القرن الثالث للهجرة وهو في سيرة المأمون بدأه بحوادث سنة ٢٠٤ وختمه بحوادث سنة ٢١٨ ففيه ذكر الوقائع الاخيرة من عهد هذا الخليفة الكبير وليس فيه شيء زائد عما عرف من حال ذاك الدور السعيد على نحو ماذكر في مطولات التاريخ ولكن فيه فوائد غيرها مثل ترجمة بعض رجال المأمون ككاتبه احمد بن يوسف ويقول ناشره — الذي استنسخه وطبعه على الحجر وقدم له مقدمة باللغة العربية تبين الغرض من نشره — ان ابن جرير اخذ عن ابن ابي طاهر مايتعلق بتاريخ المأمون وفي ذلك نظر .

تاريخ حكام مصر

نشر المستر كونيج من علماء المشرقيات الاميركيين تاريخ ابي عمر محمد بن يوسف الكندي وهو تاريخ القرون الثلاثة الاولى للهجرة ومرجع من احسن المراجع في تاريخ الصدر الاول في وادي النيل لقرب مؤلفه من الوقائع .

تاريخ قضاة مصر

نشر المستر كوتهيل استاذ اللغة العربية في جامعة كولمبيا الاميركية تاريخ قضاة مصر للكندي الذي اعتمد فيه على كتاب عبدالرحمن بن عبدالحكيم في كتابه فتوح مصر واتمه ابو الحسن احمد بن عبدالرحمن بن برد الى سنة ٣٦٦ ﻫ واوصله مؤلف مجهول الى سنة ٤٢٦ .

ولاية بغداد

هو كتاب في ٣٣٨ صفحة طبعه بالعربية حبيب افندي شيحة وفيه وصف هذه الولاية وماضيها وتاريخها ووصف سكة بغداد الحديدية وبحث في القبائل البادية بين النهرين .

ديوان السموأل

نشره الاب لويس شيخو اليسوعي في بيروت وقد عثر على النسخة الاصلية منه الاب انستاس الكرملي الحافي البغدادي عند احد كتبية دمشق

الفرَق بين الفرَق

هو كتاب لابي منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي من اهل القرن الخامس طبعه وعلق حواشيه محمد بك بدر في مصر وفيه ذكر الفرق الثلاثة والسبعين الواردة في الحديث ٠

طبقات الصحابة

نشر الجزء السادس من كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المتوفى سنة ٣٢٠ هـ تحت نظارة المسيو شاشو وعناية الاستاذ زترستين من كلية ابسال وفي هذا الجزء تراجم دعاة الاسلام في الكوفة ومنهم اناس من الصحابة مثل ترجمة علي بن ابي طالب وسعد بن ابي وقاص وابي موسى الاشعري وسلمان الفارسي ٠

مفيد النعم ومبيد النقم

نشر الاستاذ داود مهرمان هذا الكتاب لتاج الدين السبكي من اهل القرن الثامن وصاحب جمع الجوامع وفي هذا الكتاب وصف المؤلف الحياة الاجتماعية في عصره فذكر الولاة والقضاة والقواد والمحتسبين والمربين والاساتذة والتجار والدراويش والصناع والاطباء والكحالين والحلاقين وغيرهم وهو في ٢٤٠ صفحة ٠

تجارب الامم

هو تاريخ لابن مسكويه المتوفى سنة ١٠٣٠ م وهو التاريخ النفيس المتقح الذي فضله بعضهم على تاريخ الطبري بما فيه من صحة الاسانيد والنقد التاريخي نشر في لندن على نفقة أسرة جيب الانكليزية وقدم له الكنت ليون كايتاني المستشرق الايطالي مقدمة ٠

تاريخ السلاجقة

هو تاريخ بالفارسية للوزير محمد الحسيني اليزدي من اهل القرن الثالث عشر للميلاد طبعه في مصر الدكتور كارل سوسهيم الالماني في ١٩٢ صفحة ٠

اغاثة اللهفان

هي رسالة في حكم طلاق الغضبان تأليف شيخ الاسلام ابن قيم الجوزية عني بتصحيحه الشيخ جمال الدين القاسمي ووقف على تصحيح طبعه حسين وصفي افندي رضا طبع بمطبعة المنار بالقاهرة وهو في ٤٨ صفحة ٠

حياة اللغة العربية

هي مسامرة او محاضرة للشيخ محمد الخضر بن الحسن في تونس اتى فيها على اطوار

هذه اللغة واساليبها ومطابقتها مع المدنية واتحاد العامية بالفصحى طبعها في تونس في ٦٠ صفحة

الشهاب في الحكم والآداب

تأليف ابي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن حكمون القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ وهو حكم نبوية مختصرة طبع في بغداد

وشاح الكتائب

وزينة الجيش الغالب

هي رسالة في ملخص القوانين التي سنها الامير عبد القادر الحسني الجزائري في ٣٣ صفحة طبعت بدمشق

مرشد العائلات

الى تربية البنين والبنات

وهو مختصر في التربية الجسمية منذ الحمل الى سن الولادة تأليف المرحوم حسن افندي توفيق طبع في بيروت لاعانة دار العلوم

تدبير صحة الاطفال

هو كتاب في صحة الاولاد وما يعرض لهم وما ينبغي وقايتهم منه للدكتور امين دمر طبع في الاسكندرية

حالة اليمن

هي رسالة مطولة اسمها «يمن استجلاب نظر دقت» كتبها بالتركية جمال الدين افندي الخطيب ذكر فيها ما صارت اليه حالة اليمن من الانحطاط الاداري وطبعها في الآستانة

عبرة وذكرى

او كلمة حول الشورى للدكتور ايوب ثابت ذكر فيها المذاهب السياسية وانه لا دخل للاديان في ترقي نوع الانسان طبعت في بيروت

مجلات جديدة

المورد الصافي — كتاب لجرجس افندي الخوري المقدسي يصدر في بيروت كل اربعة اشهر جزء منه في ١٠٤ صفحات يتضمن مختارات من الخطب والمقالات والاشعار والآراء العصرية في التربية والتهذيب ·

الهداية — مجلة دينية علمية ادبية اجتماعية لمنشئها الشيخ عبد العزيز جاويش تصدر في مصر كل شهر في ٧٢ صفحة

الزهور — مجلة ادبية فنية علمية لصاحبها انطون افندي الجميل تصدر في القاهرة في اول كل شهر في ٤٠ صفحة

الحقوق — مجلة حقوقية نصف شهرية لمنشئيها المحاميين سليم بك المعوشي وملحم بك خلف في لبنان وهي في ٣٢ صفحة

الانسانية — مجلة علمية اخلاقية اجتماعية انتقادية عمرانية لمنشئها الشيخ حسن الرزق تصدر نصف شهرية في حماة في ٣٢ صفحة

كتب متفرقة

نشر المسيو كومب باللغة الافرنسية تاريخ ديانة السين في بابل واشور ذكر فيه الانساب والاساطير واللاهوت والآثار والمعابد والعبادات والمعابد وتأثير الاديان البيلامية والعربية والسورية وغير ذلك من الفوائد .

وكتب ايضاً كل من الكولونيل الوت ولانوي وجنوبلاك كتابين عن الصومريين وهم سكان اسفل بلاد بين النهرين وكانوا في رأي احدهما قبل المسيح بثلاثة آلاف وخمسمائة سنة مستنداً في ذلك الى ماعثر عليه من المواد الاثرية ولا سيما في التلول التي ملأت آثارها متاحف العالم . ونشر اوجين اوبين كتاباً بالافرنسية في فارس اليوم وما وراء النهرين ولا سيما الاماكن المقدسة في العراق وبحيرة اورومية وبغداد وطريقها الى همدان

ونشر رايموند ويل كتاباً في جغرافية شبه جزيرة سينا وتاريخها . والمسيو ايل كتاباً في وصف الشعب الاسلامي في تلمسان من اعمال الجزائر . ونشر ايبوليت دريفوس كتاباً في تاريخ البهائية وحالتهم الاجتماعية . ونشر رينه بنون كتاباً بالفرنسية في اوربا والمملكة العثمانية وفيه مستندات تاريخية وسياسية كثيرة

سير العلم والاجتماع

مدارس الفرص

من جملة التعليم الذي كثر بين الامم الغربية بكثرة المواصلات ان بعض المدارس او الجمعيات لاتحب ان تصرف التلامذة الى بيوت ذويهم في الصيف وتحرص على تعليمهم

وتنزيههم والسياحة بهم في هذا الفصل فابن انكلترا يطوف به اساتذته بعض بلاده او يأخذونه الى فرنسا وايطاليا والمانيا واسبانيا وسويسرا وابن المانيا كذلك والسكك الحديدية في هذه الممالك تسقط من اجورها قسماً عظيماً لتلك المدارس والجمعيات حتى ان التلميذ لايدفع عن ستة اسابيع سوى ليرتين انكليزيتين وعن اربعة اشهر اربع ليرات فرنسوية

تطهير ماء الشرب

رأى طبيبان ايطاليان ان افضل الطرق لتطهير ماء الشرب من الجراثيم الضارة ان يجعل فيه محلول فلورور الفضة فلا تمضي نصف ساعة الا وتهلك الجراثيم كلها ويمكن ان يعرض الماء بعد ذلك زمناً للهواء الطلق بدون ان يكون فيه ادنى خطر من جراثيم جديدة

اللغات الحية

عقد في باريز هذه السنة المؤتمر الدولي للغات الحية فتباحث اساتذة البلاد المتمدنة في الطرق التي تمكن التلامذة من الاستعداد اللازم لهم في جهاد القرن العشرين فكانت النتيجة ان الواجب تعليم اساتذة المستقبل اللغات الحية تعليماً عالياً لترسخ فيهم رسوخ لغاتهم الاصلية فلا يكتفى بتلقينهم من اللغة الاجنبية نحوها وصرفها وشيء من لهجتها والتكلم بها بل يعلمونها ارقى تعلم عام ادبي فلسفي · واتفقت الآراء على ان اللغات الحية اذا اريد انزالها منازل التربية تعادل تربية اللغات القديمة فالواجب ان يكون بلغ اساتذتها الذين يعهد اليهم تعليمها درجة عالية توازي درجة علماء اللغات القديمة واجمعوا على ان التعليم الثانوي يجب اصلاحه بحيث يتخرج منه اناس لاملمون باللغات الاجنبية الحديثة فقط بل ممتازون بها امتيازاً يناسب روح العصر الحاضر ورأوا ان احكام اللغة وحده لاينشأ منه مايقال له قيمة مربية ودرجة راقية في المدنية والآداب بل ان يشفعه درس اخلاق تلك الامة التي يتعلم الطالب لغتها ويتشرب روح آدابها وتاريخها فان الاطلاع على لغة حديثة ليس من الغايات بل من الوسائط فهوآلة من اثمن الآلات في جهاد الحياة فلا يكفي ان يتعلم المرء كلمات وجملاً وقواعد نحوية وصرفية بل ان يدخل في حياة الشعب الغريب عنه فبعد ان يدرس الطالب قوانين لغة امة يحيط علماً باخلاقها وتاريخها وآدابها وكيفية تصورها معنى الحياة وخير الذرائع لبلوغ هذا القصد الرحلة الى البلاد التي يتعلم المرء لغتها والاقامة فيها زمناً وهذا مايجب

ان يكون من دعائم التربية اليوم كما كان فتيان المتعلمين في رومية يسيحون في بلاد يونان في سالف الازمان . واستحسن المتآمرون الاكثار من الانفاق على المتعلمين مايقوم برحلاتهم ودعوا البلديات والاسرات والجمعيات والحكومات والمحسنين الى التنافس في هذا المضمار لان مثل هذه الرحلات توسع الفكر وتشحذ النشاط وتنبه الشعور بالانتقاد وتقوي الانتباه وحاسة النظر وتقوي الوطنية بالمقابلة بين البلاد ومن اهم نتائج هذه التربية الحديثة تقريب مابين قلوب الامم المتمدنة

وانعقدت في اكسفورد ببلاد الانكليز جمعية اللغات الحديثة فقال الرئيس في خطاب له ان اغنية رولاند ونيلنجن ليد لاتقومان مقام اغاني هوميروس ولا دانتي يخلف فيرجيل مرشده واستاذه ولا بسكال يضطرنا الى نسيان افلاطون ولا بوسويه ينسينا شيشرون ومعنى هذا ان من رأيه ان التربية الادبية الكاملة تتطلب دراسة كتب القدماء كما تتطلب درس آثار المحدثين وافاض في هذا النحو متناولاً الموضوع الذي اجمع عليه مؤتمر باريز ورأى ان تعليم اللغات كما هو شائع الآن في انكلترا تعليماً سطحياً ويراد منه التفهم مع الاجانب للاتجار هو ناقص الجهاز والاولى التعمق في الدراسة

التربية في الهواء

اخذ علماء التربية منذ سنين في المانيا وفرنسا يبحثون عن الطرق التي يعلمون بها التلامذة في الهواء الطلق ويخلصوهم من ازدحام الانفاس في صفوف المدارس لما فيها من اضعاف اجسامهم وانهاك صحتهم وذلك بدون ادنى نقص في تعليمهم وممن عني بهذا الموضوع الاستاذ فلات احد مديري المدارس العالية في المانيا فكتب بعد التجارب العديدة في ابناء مدرسته ان تعليم التلامذة في الهواء الطلق لايناسب الا الاولاد الذين تقدموا قليلاً في السن وفي هذه الحال يعلم التلامذة اصول الرياضة البدنية ولا يصعب تعليمهم خارج الصفوف دروس العلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا واللغات الحية والرياضيات وقد ألف في هذا الموضوع كتاباً تداولته الالسن بالثناء

التلامذة والاساتذة

كتب احد علماء الافرنج بحثاً ضافياً اخذ فيه رأي ٨٧ استاذاً مع تلاميذهم عن المواد التي يختار التلامذة تعليمها فكانت النتيجة ان المواد التي يحبها التلامذة اكثر من غيرها ليست هي المواد التي يرتاح الاساتذة الى تعليمها فالتلامذة يحبون الرياضات البدنية والاعمال اليدوية ثم التصوير والتاريخ ويتأففون من التعليم الديني والاملاء

والتاريخ الطبيعي · اما الاساتذة فاحب الدروس الى قلوبهم التاريخ وليست للرياضة البدنية منزلة من قلوبهم

تعليم التاريخ

كتب احد الالمان العارفين مبحثاً في مجلة علمية قال فيها نشأ من تعليم التاريخ ان كثيراً من المعلومات التاريخية ينساها المرء والضروري منها استظهاره موقتاً يساعد على تربية القلب والذكاء والاحساس الانساني والوطني فيجب على معلم التاريخ ان ينقل من درسه ما لا يضر جهله ويتوسع في المسائل المهمة فيعنى بما ينطبق على الحال الحاضر من مسائله وعن تعليل اسبابها وتكوينها وينظر نظراً بليغاً فيما تمس حاجتنا اليه في حياتنا ولا يكتفي بالمعرفة البسيطة الغير المعقولة من الماضي ويجب تنبيه الذهن واعداده لادراك العالم الحاضر السياسي والاجتماعي والديني واحوال الرجال المعاصرين وان تقوى الوطنية بدون ان تكون الى العصبية الجاهلية ويقصد بالتاريخ تخريج رجال ووطنيين باطلاعهم على ما وقع لمن قبلنا وما هو دائر الآن حوالينا · وهذا ما يقصد من روح التاريخ

المدارس الالمانية في العالم

نشر احد علماء الالمان كتاباً سماه المدارس الالمانية في الخارج جاء فيه ان لالمانيا في روسيا ٦٠ مدرسة فيها ١١٠٠ تلميذ وفي رومانيا ٣٠ مدرسة فيها ٤٢٠٠ وفي البلجيك ١٠ مدارس و١٩٠٠ تلميذ و٦ مدارس في البلاد العثمانية في اوربا فيها ١٨٥٠ تلميذاً و١٤ في ايطاليا تحتوي على ٨٨٠ تلميذاً ومدرسة واحدة في فرنسا (باريز) فيها ١٥٠ تلميذاً و٢١ مدرسة في آسيا فيها ١٢٥٠ منها ٩ في ازمير وفلسطين فيها خمسمائة تلميذ و٤٦ مدرسة في افريقية الجنوبية منها ١٥ في حكومة الرأس فيها ١١٠٠ تلميذ و١٦ في الناتال فيها ٤٠٠ و٣ في الترنسفال ولها ٣٠٠ تلميذ و٨٠ في اوستراليا تضم في حجرها ٢٥٠٠ و٨٠٠ في برازيل تجمع ٢٦٠٠٠ تلميذ و٥٠٠ في ريو الكبرى لها ١٥٠٠٠ تلميذ و٦٠ في الجمهورية الفضية لها ٣٥٠٠ تلميذ و٣٦ في شيلي فيها ٢٨٠٠ تلميذ · اي ١٧٠٠ مدرسة فيها الا يقل عن سبعين الف تلميذ وتمنح الحكومة الالمانية لهذه المدارس ٨٥٠ الف مارك في السنة هذا عدا الاساتذة والمعلمين الذين يدرسون في الولايات المتحدة وبذلك تتبين انتشار نفوذ المانيا على بلاد العالم ولا سيما على الممالك المحتاجة حتى الآن الى التعلم

جراثيم التعب

قام منذ زهاء مائة سنة فئة من اطباء الالمان والطليان والاميركان يقولون بوجود جراثيم في احشاء الانسان تأتيه من ملامسة الارض التي يعمل فيها فتحدث فيه الكسل والتعب ثم تنتهي بالموت . وآخر ما قرره احد اطباء اميركا ان ظاهر انثى هذه الجراثيم كظاهر الخيط . تعيش بالوحل وهي تبيض حيثما نزلت الوفاً من البيوض والاجنة التي تخرج منها تنتشر في الخلايا . وطول الذكر من هذه الجراثيم سانتمتران يعلق بالاحشاء فيتناول اجزاء صغيرة من الغشاء المخاطي وذلك بثقبها ثقوباً يمتص منها الدم وقد رأى طبيب انكليزي بمعاينة شخص مصاب بجراثيم التعب ان فيه ٢٥٠ جرثومة و٥٧٥ عضة ورأى في آخر ٨٦٣ جرثومة و٢١٧ عضة ومعظم هذه الاصابات تكون من باطن القدم اولاً لانه معرض للاحتكاك بالارض التي تسكنها الجراثيم ويقدرون المصابين بهذا المرض بمليوني نسمة اكثرها في جنوبي اميركا

درجات التغذية

ما من شيء مهم في التغذية اكثر من التدقيق في معرفة ما يتركب منه طعامنا حيوانياً كان او نباتياً او معدنياً جامداً كان او سائلاً فالاصل في طول حبل العمر متوقف على الاحاطة بذلك فقد قال احد الاطباء ان الواجب على المرء قبل المباشرة في الاكل ان يعرف درجة التغذية فيما يتناوله والمقدار اللازم له منها . وقال غيره ان من اوائل قواعد حفظ الصحة ان يعرف المرء النسبة بين التغذية والانفاق عليها . ولكن هذه القواعد قلما يعمل بها بالفعل وكثير من الناس يجهلون كل الجهل ما يدخل في الطعام من درجات التغذية وقد نصح الدكتور فيشر من كلية يال في اميركا ان تعلق القائمة الآتية في المدارس وغرف الموائد لمعرفة درجات التغذية في كل طعام وها هي مرتبة بحسب مكانتها من التغذية :

الثمار والجوز والحبوب والعسل والزبدة .

البطاطا وغيرها من البقول التي تقشر .

السمن والملح القليل والقشطة واللبن والحليب والبيض وسكر القصب وشوكولاتو اللوز المندي .

الجبن المطبوخ واللبن الرائب .

البقول التي تؤكل بقشورها .

المعجنات
الجبن المخمر وجبن روكفور وغيره
الثريد
الحساء باللحم وخلاصة اللحم
الشاي والقهوة
اللحم والسمك والطيور
الكبد
التوابل ماعدا الملح ·
الالكحول

توراة الشيطان

قالت مجلة مطالعات في البيوت ماتعريبه: من جملة التحف المحفوظة في خزانة الكتب الملكية في استوكهلم كتاب مخطوط اطلقوا عليه اسم توراة الشيطان كما يسمونه مارد الكتب لضخامة حجمه المتناهي ويبلغ طوله ٩٠ سنتمتراً وعرضه خمسون ولا يستطيع نقله سوى ثلاثة رجال وهو ذو ٣٠٩ صفحات ضاع منه سبع وقد كتبت كل صفحة على عمودين · وحسبوا ماوضع لهذا الكتاب من الورق فكان ١٦٠ حماراً وحروفه من نوع الكوتيك الصغير واوائل الحروف الكبرى جملت بالذهب الملون وزينت بالصور وجلده من البلوط المغلظ ثخانته اربعة سنتمترات ونصف واقفاله من المعدن · وللحرق القصر الملكي في استوكهلم سنة ١٦٩٧ أصيبت هذه التوراة برضوض فطرحوها من النافذة الى الشارع فتعطلت اقفالها ثم أصلحت

خاتمة السنة الرابعة

نحمد الله على ان وفقنا الى النجاة من مآزق السنة الماضية واقلها مما يعوق عن التأليف والطبع والنشر في بلاد اعمتها الجهالة الجهلاء وافسدتها السياسة الخرقاء قروناً وازماناً · فقد اضطررنا بعد نقل المقتبس من القاهرة الى دمشق ان نعاني السياسة فاصدرنا جريدة يومية باسم المقتبس لتخدم الاصلاح الاداري الاقتصادي كل يوم كما يعالج شقيقها الاكبر الاصلاح العلمي والاجتماعي كل شهر وما اعظم ماقاسيناه من

بمارسة أعداء الدولة والامة فتربصوا بنا الدوائر وفي مقدمتهم صنيعة عبد الحميد المخلوع وموجد الجاسوسية في الاستانة ناظم باشا والي سورية السابق فقد شق عليه مطالبتنا بالاصلاح فقام ينصب لنا شراكاً يريد بها اهلاكنا فانجانا الله منه ولكن بعد ان تحملنا في هذا السبيل وقتاً ومالاً واضطرت هذه المجلة الى الاحتجاب عن قرائها زمناً ولذلك فانا نحسب السنة الماضية من اشق ايام العمر اذ لم نقم فيها بالواجب نحو المشتركين باصدار المجلة في اوقاتها على الصورة المقبولة التي كانت تظهر بها في سنيها الثلاث الاولى واضطررنا بادئ بدء الى رفض الورق الذي اوصينا عليه من معامل النمسا بداعي مقاطعة البضائع بين البلاد العثمانية والنمساوية ولما لم نجد الورق اللازم للمجلة في بيروت ولا في دمشق اضطررنا الى الطبع على ورق الكتابة على نحو ما تراه في الاجزاء الثلاثة الاولى من هذه السنة ثم توقعنا انتظام المطبعة التي استناها فما كاد يعلو عملها و يستعد القائمون بها حتى أغلقت ظلماً نحو اربعة اشهر . وها نحن اليوم نصدر آخر جزء من سنة ١٣٢٧ اي جزء شهر ذي الحجة في جمادى الثانية من سنة ١٣٢٨ والمأمول ان نوفق بعد ثلاثة اشهر الى اصدار كل جزء في شهره خصوصاً وقد تفرغنا اكثر من قبل للتأليف والترجمة في الموضوعات التي نتابع البحث فيها

واننا توفرت لنا المواد خلال رحلتنا الى اوربا وصارت للمقتبس علائق واسعة مع الاندية العلمية في ديار الغرب يتناول مدة الشهر من مطبوعاتها اشياء كثيرة وسيتوفر بحول الله على نقل كل ما يهم هذا الشرق العربي منها ومن المجلات الفرنسوية التي ننقل عنها بعد الآن مجلة العالمين والمجلة الآسياوية ومجلة العالم الاسلامي ومجلة الاقتصاديين ومجلة الطبيعة والمجلة الزرقاء والمجلة الوردية ومجلة التربية ومجلة المجلات ومجلة العلم الاجتماعي ومجلة مطالعاتنا في البيوت والمجلة التونسية الى غير ذلك من المجلات التي قد نطلع عليها ولكن على طريقة غير منظمة دع عنك المجلات التركية والعربية . وسيكون في السنة المقبلة حظ واسع لتلخيص المؤلفات الافرنجية الحديثة في هذه المجلة والتوسع في الابحاث التي تؤول الى ترقية اللغة العربية وآدابها واجتماع العرب وعلومهم مع تطبيقها على حالة الغرب اليوم فمزج المدنية العربية بالمدنية الغربية لتكون لنا منها مدنية تأخذ من كل شيء احسنه ونسأله تعالى ان يسددنا ويلهمنا رشدنا و يثبت اقدامنا في خطتنا و يقلل خطأنا وخطيئاتنا انه اكرم مسؤول

فهرس المجلد الرابع

هدية لخزانة كتب الكلية الصلاحية في القدس
من منشئ المقتبس محمد كرد علي
دمشق [illegible] شعبان [illegible]

المقتبس

مجلة علمية اجتماعية
تصدر في كل شهر عربي بدمشق

لمنشئها
محمد كرد علي

المجلد الخامس
١٣٢٨ — ١٩١٠

قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف
وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً

طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

سعة التأليف

في الاسلام

من جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتابان عظيمان تعددت مجلداتهما فدلا على اتساع نطاق التأليف في الاسلام ايام كان علماؤه منصرفين الى العلم والعمل يصرفون اثمن اوقاتهم في خدمة الامة وهما كتاب الكواكب الدراري في تبويب مسند الامام احمد على ابواب البخاري لجامعه الامام ابي الحسن علي بن عروة الحنبلي من اهل القرن التاسع وكتاب تاريخ دمشق الكبير لواضعه الحافظ ابي القاسم ابن عساكر من اهل القرن السادس ·

هذان السفران الجليلان آيتان ناطقتان على طول نفس اجدادنا وشدة وناك...ا وجهالتنا فقد وجد من الاول مجلدات كثيرة ضخمة لاتقل عن ثمانين مجلداً متفرقة ومما وجد منها المجلد الثاني والعشرون بعد المئة بحيث لايظن ان الكتاب بلغ اقل من مئة وخمسين مجلداً في التفسير والحديث والاصول والفقه الحنبلي وتراجم الحنابلة ومباحث في الفلسفة والكلام والتاريخ والادب فهو دائرة معارف اسلامية حقيقية ضمت بين جوانحها اشهر كتابات علماء الحنابلة وكبار مجتهدي الامة مثل شيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن رجب وغيرهم من الاعلام

واما تاريخ دمشق فمنه الآن نسختان نسخة في عشرين مجلداً ونسخة وقعت في عشرة مجلدات ضخمة وهي تامة وكان كتب في ثمانين مجلداً · ولقد جرى ذكره بين حافظ[1] مصر في عهده زكي الدين المنذري وطال الحديث في امره واستعظامه فقال حافظ مصر : ما اظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يقصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبه · قال ابن خلكان : ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات مايكاد ينضبط حصرها وله غيره تواليف حسنة

(١) وفيات الاعيان

وبعد فان الخالق تعالى وضع في افراد من كل امة خاصيات وملكات قلما يشاركهم فيها كثيرون وآتاهم هبات يستخدمونها في نفع البشر ونفوساً لاتعرف الملل لدرك مقاصدهم الشريفة . وكلما ارتقت الحضارة في شعب ينبغ فيه رجال يصرفون على الافادة والاستفادة نقد اعمارهم ويتمحضون لاحسان الخدمة حتى لايكادون يرون السعادة والملاذ والخير وكل مانطمح اليه نفوس بني الانسان من المعالي الا فيما هم بسبيله

ومن انعم النظر في تراجم نوابغ العلماء ودرس حياتهم حق دراستها لايلبث ان يزول عجبه اذا شاهد كيف كانوا يستغرقون في اعمالهم ويتفانون فيما اخذوا به نفوسهم فيزهدون في المال والبنين ويفطمون انفسهم عن حب المناصب والمراتب والزخارف والسفاسف

كنا ذات يوم نذكر لاحد اصدقائنا من الاطباء الذين صرفوا شطراً من حياتهم في الغرب اتساع التأليف في هذه الامة قديماً فقال اما مايبلغكم عن اكثر المؤلفين في الغرب اليوم من كثرة المصنفات فليس لاكثرهم منه الا النظر القليل يكتبه لهم اذكياء المتخرجين بهم بعد ان يكونوا ثقفوا عنهم بعض ماله علاقة في الموضوع الذي ألفوا فيه حتى اذا انتهوا على آخره يدفعونه الى اساتذتهم فيجيلون فيه انظارهم ويمثلونه للطبع مفتتحاً باسمائهم والمنصف منهم من يذكر ان تلميذه فلان اعانه في التأليف وبعضهم يضنون بمثل هذه الاشارة

ولما اوردنا لصاحبنا اسماء كثير ممن اشتهروا في الاسلام وألفوا التواليف الممتعة الضخمة وعنوا وحدهم في الاكثر بجمعها وتنسيقها وتصنيفها وتبييضها وتسويدها وان ماأثر عنهم كان مردوداً لو لم يرد على لسان اهل العدل والصدق من المؤرخين وعلماء التراجم وبعضهم قد يكونون من اضدادهم وحاسديهم — عند ذلك اقتنع صاحبنا بصحة رأينا وقال ان حال الافرنج اليوم يخالف حال سلفنا فان الافرنجي مهما بلغ من حبه الحكمة وتفانيه في خدمة المعارف يقتطع له اوقاتاً لراحته وادخال الفرح على قلبه لينشط الى متابعة السير في عمله اما الشرقي فانه يفرط فيما تمحض له فحاله اما تعب ليس وراءه غاية او راحة ما بعد ورائها وراء

افتح اي كتاب من كتب التراجم ولاسيما تراجم اهل القرون الستة الاولى للاسلام تسقط على مبلغ عناية رجالنا بالتأليف وتوفرهم على النفع وقد يظن ان معظم ماخلفوه من كتبهم هو

ديني محض ولا اثر لهم في العلوم الدنيوية ولكن هذا الظن لا يغني من الحق شيئاً لان جماهير المؤلفين المجيدين لم يكونوا متمكنين من علوم الدين باغفال علوم الدنيا بل انهم كانوا يعتقدون بان العلوم باسرها نافعة في الدارين وما نفع في هذه الاولى كان خليقاً بان ينفع في الاخرى

هذا ابو محمد بن حزم الظاهري راس اهل الظاهر نفاة القياس والتعليل وهو معدود في الطبقة الاولى بين علماء الدين ومع هذا تجد له تآليف ممتعة فيما تعتبره من علوم الدنيا فقد ذكر غير واحد من علماء الاندلس [1] ان تصانيفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الادب والرد على المخالفين نحو من ار بعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة . وهذا شيء ما علمناه لاحد ممن كان في مدة الاسلام قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير الطبري فانه اكثر اهل الاسلام تصنيفاً فقد ذكر ابو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلة وهو الذي وصل به تاريخ ابي جعفر الطبري الكبير ان قوماً من تلاميذ ابي جعفر لخصوا ايام حياته منذ بلغ الحلم الى ان توفي في سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها اوراق مصنفاته فصار اكل يوم اربع عشرة ورقة ومن جملة تآليفه التفسير الكبير والتاريخ الذي هو اصح التواريخ واثبتها وكلاهما مطبوع متداول وهو الذي قال لتلاميذه : هل لكم ان املي عليكم كتاباً في التاريخ قالوا وكم يكون حجمه فقال ثلاثون الف ورقة فاستعظموا ذلك وارادوه على الاختصار حتى املاه عليهم في ثلاثة آلاف ورقة فجاء كما رأيناه اليوم احد عشر مجلداً ضخماً الا به هذا القدر وهو يحرقل و يقول ماتت الهمم لان تلاميذه لم يوافقوه على جعل تاريخه في ثلاثين الف ورقة فما ذا كان يقول لوجاء في هذا العصر ورأى انحطاط علوم الدين وعلوم الدنيا بين قومه

وابن جرير في اجادته في التأليف واكثاره منه مشهور كثير من تقدمه ومن تأخر عليه من المصنفين مثل ابن تيمية من اهل القرن الثامن فقد قال فيه احد واصفيه [2] ان له من المؤلفات والقواعد والفتاوى والاجوبة والرسائل والتعاليق ما لا ينحصر ولا ينضبط ولا اعلم احداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك مع ان تصانيفه كان يكتبها من حفظه وكتب كثيراً

(١) المعجب (٢) فوات الوفيات

منها في الحبس وليس عنده مايحتاج اليه ويراجعه من الكتب · وقال غيره كان الامام يكتب في اليوم والليلة من التفسير او من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة الاوائل نحواً من اربعة كراريس او ازيد وما يبعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد وجمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى فجاءت نحو ثلاثين مجلداً وقيل ان تآليفه تبلغ ثلثمائة مجلد ·

ومثله ابو الفرج ابن الجوزي الواعظ من علماء القرن السادس صنف في فنون⁽¹⁾ عديدة وكتبه اكثر من ان تعد وكتب بخطه شيئاً كثيراً والناس يغالون في ذلك حتى يقولون انه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ماخص كل يوم تسع كراريس وهذا شيء عظيم لايكاد يقبله العقل ويقال انه جمعت براية اقلامه التي كتب بها حديث الرسول فحصل منها شيء كثير واوصى ان يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها

ومن المكثرين من التأليف ابن الهيثم الرياضي الطبيعي فقد عدد ابن ابي أصيبعة⁽²⁾ مصنفاته في زهاء اربع صفحات هذا عدا ماضاعت دساتيره منه لما فارق البصرة والاهواز وانتقل الى مصر قال : وما اظنها تنقص عن مئة مجلد · ومثله الفارابي احد فلاسفة الاسلام كان مكثراً من التأليف وقد اضاع اكثرها لانه كان يكتب في رقاع كيفما اتفق ويختار الفلاة ومجاري الانهار للتأليف فتطير الاوراق التي يكتبها

ومثلهما ابو الريحان البيروني قال ياقوت : كان لغوياً اديباً له في الرياضيات والنجوم اليد الطولى ولما صنف القانون المسعودي اجازه السلطان بحمل فيل فضة فرده للاستغناء عنه وكان مكباً على تحصيل العلوم منصباً على التصنيف لايكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر دخل عليه بعض اصحابه وهو يجود بنفسه فقال له في تلك الحال كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة فقال : أفي هذه الحال قال : ياهذا أودع الدنيا وانا عالم بها أليس خيراً من ان اخليها وانا جاهل بها قال : فذكرتها له وخرجت فسمعت الصريخ عليه وانا في الطريق · قال ياقوت : واما تصانيفه في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوت الحصر ورأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في ستين ورقة · وقال بعض مترجميه : ان كتبه زادت على حمل بعير

(١) وفيات الاعيان (٢) طبقات الاطباء

والبيروني احد كبار فلاسفة العرب يجيء في طبقة ابن سينا وابن رشد وابن زهر والفارابي ومثلهم الكندي فيلسوف العرب (١) وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والارثماطيقي والموسيقى والنجوم وغير ذلك وقد عدد اسماءها ابن النديم في ست صفحات . ومثله ابو بكر بن زكريا الرازي صاحب المصنفات الممتعة في الطب والعلوم العقلية والادب وهو الذي استنار الغربيون لاول نهضتهم بمؤلفاته واول ماطبع عندهم من تآليف العرب كتبه ذكر اسماءها ابن ابي أصيبعة في نحو سبع صفحات وابن النديم في ثلاث . ومن المكثرين من التأليف في عهد الحضارة الاسلامية حنين بن اسحق وثابت بن قرة ويعقوب بن اسحق الكندي وقد ساق ابن ابي أصيبعة تآليف آخرهم في خمس صفحات وكلها كتآليف حنين وثابت فلسفية علمية وهم ائمة النقل من اليونانية الى العربية

ومن المكثرين من التأليف المجودين فيها حجة الاسلام الغزالي والماوردي وعمرو بن بحر الجاحظ وجار الله الزمخشري وهذان الاخيران من ائمة المعتزلة قيل في الاول ان تآليفه تعلم العقل وفي الثاني ان تآليفه يكتفى بها في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان والادب . ومن المكثرين المجودين من ائمة المعتزلة القاضي عبد الجبار قيل ان تآليفه التي وضعها في كل فن اربعمائة الف ورقة ومن ائمة المعتزلة كثيرون من جاوزت مؤلفاتهم المئة والخمسين الف ورقة

ومن المؤلفين الاول المكثرين من التأليف هشام الكلبي العالم بالنسب واخبار العرب وايامها ومثالبها ووقائعها المتوفى سنة ٢٠٦ ذكر كتبه ابن النديم في نحو ثلاث صفحات وهي تزيد على مئة وخمسين ومنهم المدائني المتوفى سنة ٢١٥ في نحو اربع صفحات ومنهم المرزباني من اهل القرن الرابع قال ان تآليفه بلغت الوفا من الاوراق ومن الفقهاء والحفاظ المكثرين من التأليف محمد بن ادريس الشافعي وداود بن خلف الاصفهاني وابو العباس بن سريج المعروف بالباز الاشهب من ائمة الشافعية كانت فهرست كتبه تشتمل على اربعمائة مصنف وقيل ان تصانيف الحافظ ابي بكر ابن البيهقي تبلغ الف جزء ولابي بكر ابن الخطيب صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣ قريب من مئة مصنف وتنسي من كتب الاصول والفقه والحديث والادب والتاريخ ما يقرب من مئة مصنف . وكان ابن سبعين ممن صنف تصانيف كثيرة وللاشعري خمسة وخمسون تصنيفاً .

(١) الفهرست

وكان ابو حاتم البستي من اوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ قال ياقوت (١) وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته وروى عن ابن ثابت ان من الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها واصفها مصنفات ابي حاتم محمد بن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السجزي ووقفني عَلَى تذكرة باسمائها ولم يقدر لي الوصول الى النظر فيها لانها غير موجودة بيننا ولا معروفة عندنا وانا اذكر منها ما استحسنت سوى ما عدلت عنه واطرحته وهنا عدها فجاءت زهاء مائتين وخمسين جزءاً و بلغت مصنفات ابي بكر بن فورك المتكلم الاصولي الاديب النحوي الواعظ قريباً من مائة مصنف ، ولفظة المتكلم (٢) تطلق على من يعرف علم الكلام وهو اصول الدين وانما قيل له علم الكلام لان اول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله عزوجل أمخلوق هو ام غير مخلوق فتكلم الناس فيه فسمي هذا النوع من العلم كلاماً اختص به وان كانت العلوم جميعها تنشر بالكلام اهـ ولابي الحسين الراوندي صاحب المقالة المشهورة في علم الكلام وهو الذي ينسب اليه اليوم مثلاً كل كلام فيه سفسطة ومغالطة وكفر من التآليف نحو مائة واربعة عشر كتاباً مع انه لم يتجاوز الاربعين من عمره

ولرأس المتصوفة محيي الدين بن عربي تآليف كثيرة ومنها الممتع ذكر في اجازة كتبها للملك المعظم انه اجازه ان يروي عنه مصنفاته ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفاً واربعمائة مصنف والف رسالة عدد فيها كتبه كما جرت عادة بعض المؤلفين ان يترجموا انفسهم ويذكروا مؤلفاتهم في رسائل خاصة مخافة ان يدس عليهم بعضهم مالا يروقهم ويقول فيهم ما ليس فيهم .

وابن سعيد الاندلسي المؤرخ من المكثرين من التآليف منها المرقصات والمطربات والمنتطف من ازاهر الطرف والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد والموضوعان الغريبان المتعددا الاسفار وهما المغرب في حلي المغرب والمشرق في حلي المشرق وغير ذلك قال لسان الدين (٣) حدثني الوزير ابو بكر بن الحكيم انه خلف كتاباً يسمى المرزمة يشتمل عَلَى وقر بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى

ومن المكثرين من التآليف لسان الدين بن الخطيب وابو العلاء المعري ولهذا كتاب (٤) سماه الايك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب المئة جزء في

(١) معجم البلدان (٢) ابن خلكان (٣) الاحاطة في اخبار غرناطة (٤) وفيات الاعيان

الادب قال ابن خلكان : وحكى لي من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف وقال لا اعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد . ومن المكثرين القاضي الفاضل قال ابن خلكان : اخبرني احد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة امره ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ماتقصر عن مائة مجلد وكان الحاجب المنصور ابو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المدعو بالافطس اديباً جليلاً ومن تآليفه [1] الكتاب المظفري المسمى بالتذكرة في خمسين مجلداً . وكتب عبداللطيف البغدادي الفيلسوف نحو مئة وخمسين كتاباً وذلك في سياحات له طويلة دامت نحو اربعين سنة ساحها بين العراق والشام ومصر والروم

ومن المكثرين من التأليف والمتوسعين فيه احمد بن ابان بن السيد اللغوي الاندلسي يعرف بصاحب الشرطة وهو مصنف كتاب العالم في اللغة نحو مئة مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة وله في العربية واللغة كتب اخرى . ومثله ابن سيدة الضرير صاحب المخصص والمحكم وغيره وهو من المكثرين من التأليف والحفظ ومن المكثرين ابو اسحق ابراهيم بن الاعلم البطليوسي له نحو خمسين تأليفاً . وبلغت تآليف محمد ابي طالب القرطبي المتوفى سنة ٤٣٧ — ٧٧ تأليفاً وان عيسى بن عمر النحوي نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو قال سيبويه جمعها بعض اهل اليسار واتت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق في الوجود سوى كتابين ولو تنافس اهل العلم وغلاة الكتب بمثل هذه الكتب لتعاورتها الايدي بالنسخ ولما فقدت .

ومن المكثرين من التأليف عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة ٢٣٨ قال المقري [2] رأيت في بعض النواريخ ان تواليفه بلغت الفاً ومن اشهرها كتاب الواضحة في مذهب مالك . ولابي عمرو الداني القرطبي من علماء القرآن مئة وعشرون مصنفاً وكان يقول مارأيت شيئاً قط الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته وآخر من له التآليف الكثيرة من ائمة الاندلس ابو الحسن القلصادي المتوفى سنة ٨٩١ واكثر تصانيفه في الحساب والفرائض

وممن عرفوا بسعة التأليف احمد بن ابي عبد الله على مذهب الامامية فان ما كتبه بلغ مائة تصنيف عددها ياقوت في معجم الادباء . ومن فقهاء الامامية ابو النصر العياشي ذكر ابن النديم اسماء كتبه في نحو صفحتين .

---

(١) نظم الدول للسان الدين (٢) نفح الطيب

ويقال ان تواليف ابي جعفر بن النحاس تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب وذكروا [1] ان محمد بن جماعة من اهل القرن الثامن كان اعجوبة زمانه في العلم وليس له في التأليف حظ مع كثرة مؤلفاته التي جاوزت الالف فان له على كل كتاب اقرأه التأليف والتأليفين والثلاثة واكثرها من شرح مطول ومتوسط ومختصر وحواش ونكت الى غير ذلك وكان يعرف علوماً عديدة منها الفقه والتفسير والحديث والاصلان والجدل والخلاف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والهيئة والحكمة والزيج والطب والفروسية والرمح والنشاب والدبوس والثقاف والرمل وصناعة النفط والكيمياء وفنون اخر وعنه انه قال : اعرف ثلاثين علماً لا يعرف اهل عصري اسماءها .

ومن الذين اكثروا من التأليف احمد بن مكتوم من اهل القرن الثامن وعبد الرحمن الانباري من اهل القرن السادس وعيسى اللخمي الاسكندراني من اهل القرن السادس وتقي الدين السبكي من اهل القرن الثامن وله مئة وخمسون تصنيفاً والجلال السيوطي من اهل القرن العاشر اطلعنا على فهرست كتبه في سبع ورقات وربما لا تقل عن اربعمائة مجلد وفيها الجيد

واعجوبة المؤلفين ابو موسى جابر بن حيان [2] قال : الفت ثلثمائة كتاب في الفلسفة والفا وثلثمائة كتاب في الحيل على مثال كتاب تقاطر (؟) والفا وثلثمائة رسالة في صنائع مجموعة وآلات الحرب ثم الفت في الطب كتاباً عظيماً والفت كتباً صغاراً وكباراً والفت في الطب نحو خمسمائة كتاب الى ان قال : ثم الفت كتباً في الزهد والمواعظ والفت كتباً في العزائم كثيرة حسنة والفت كتباً في النيرنجيات والفت في الاشياء التي يعمل بخواصها كتباً كثيرة ثم الفت بعد ذلك خمسمائة كتاب نقداً على الفلاسفة ثم الفت كتاباً في الصنعة (الكيمياء) يعرف بكتاب الملك وكتاباً يعرف بالرياض

وماذا عسانا ان ندون هنا ونقتبس من كلام المؤرخين في المكثرين من المؤلفين العارفين ولو اردنا ان نذكر فقط من لهم منهم الى عشرة كتب لاستغرق الكلام مجلد هذه السنة برأسه . وانا ليحزننا يوم نذكر ان كل واحد ممن ذكرنا خلف للامة خزانة كتب من مصنفاته ونلتفت الآن عن ايماننا وعن شمائلنا فلا نرى المؤلفين في الاقطار العربية يعدون على الاصابع والمكثر منهم من لا تتجاوز مصنفاته العشرة

(١) بغية الوعاة للسيوطي (٢) الفهرست

نشوء اللغات الاسلامية[1]

ففي على اللغات في كل عصر ومصر ان تقتبس بعضها من بعض ما يعوزها من الالفاظ لتعبر بها عن الافكار الحديثة والعربية والفارسية والتركية لم تخلص من هذا القانون . فاقتبست اولاً من اللغات السامية ومن اليونانية ثم من اهم لغات اوربا الحديثة ولا سيما من الفرنسوية كما اقتبست كمية وافرة من الالفاظ للافصاح عن الافكار التي ليس في معجمها ما يدل عليها ثم هجمت تلك الالفاظ الاعجمية هجوماً كثيراً كادت تأتي معه على مفردات تلك اللغات نفسها فقامت تريد الرجوع الى اصولها وهب القوم يبذون من اللغات الاسلامية الثلاث تعابير رأوها وحشية ويستعيضون عنها بالفاظ يشتقونها من المادة الاصلية في العربية والفارسية والتركية او بالفاظ كانت موجودة ولكنها أطلقت على معاني جديدة

ومن الضروري ان لا يفوتنا النظر بان اصحاب هذه اللغات اليوم يريدون الرجوع بلغاتهم الى اصولها الصحيحة ويطرحون الالفاظ التي ليست لهم مدفوعين الى ذلك بتأثيرات الدعوة الى الوطنية في البلاد الاسلامية . وهذه الحركة في الرجوع بهذه اللغات الى اصولها لا ترمي الى نبذ الالفاظ الافرنجية فقط بل ان القوم في فارس يطمحون الى حذف التعابير العربية وفي البلاد العثمانية كما هو في سائر البلاد التركية يحاولون طرح الالفاظ العربية والفارسية . ويبحث الادباء من اهل هاتين اللغتين فيما لديهم من الالفاظ الايرانية والتترية عن الالفاظ التي كان من تأثيرات الفاتحين او من رغبة المغلوبين في اظهار معرفتهم بلغة غالبيهم ان زهد فيها واستعملت الفاظ اقل منها انطباقاً مع الروح التركية والفارسية وان كثر استعمالها وعدت او كادت من مادة اللغة الاصلية .

جرت اللغات الاسلامية كاللغات الاجنبية في اقتباسها الالفاظ على طريقتين علمية وعامية فالعامة يقتبسون على ايسر وجه من الالفاظ ما يتكرر على مسامعهم دائماً او ما يفصح عن افكار لا مقابل لها في لغتهم الاصلية ولقد عرفت منذ القديم القوانين التي تجري عليها في الاقتباس فالاسماء تنتقل من لغة الى اخرى باعظم ما يكون من السرعة

[1] للمسيو لوسين بوفا احد علماء المشرقيات نشرها في مجلة العالم الاسلامي البارزية وقد التزمنا في نقلها الترجمة الحرفية

واقل من ذلك انتقال الصفات وفي النادر اقتباس الظروف وبشذ او لايكاد يكون اثر لاقتباس الافعال . ومن اللغات ما اذا نظر فيه الى المفردات يمكن وصفه باللغات المختلطة وهي تتألف في البلاد التي عُرفت بتجارة المقايضة ولاسيما في الموانئ البحرية مثل لغة البيجين في الشرق الأقصى وهي مزيج من اللغة الانكليزية والصينية ولغة السابير مؤلفة من العربية والافرنسية والاسبانية والايطالية او اللغة الافرنجية وهي مجموعة من كلمات مقتبسة من جميع لهجات البحر المتوسط من البلاد التي تمتد من سورية الى مراكش ولا بأس باعتبار اللغة المالطية من هذا الضرب من اللغات وان اصبح لها صحافة وآداب منذ عهد ليس ببعيد ولكنها لم تعد تحسب لهجة عربية تكون صلة بين لغة مصر والمغرب جامعة الى نحوها الذي هو كنحو اللغات السامية مفردات ايطالية وبعبارة اصح صقلية في الاكثر وكتابتها لاتينية [1]

وما عدا هذه اللغات المشتركة البحرية التجارية خصوصاً فقد تألفت في البلاد الاسلامية التي استولى عليها الاوربيون لهجة عامية دخلتها الفاظ من لغات الفاتحين واصطلاحات دواوين الحكومة وارباب الصناعات وهكذا نجد قرارات الحكومة الفرنسوية في الجزائر كانت تكتب زمناً بلهجة محرفة ممزوجة بكلمات فرنسوية نقلها المترجمون بجهل منهم او كسل فيهم على حالها ولم يعنوا بترجمتها ونرى جند الرماة والمشاة هناك يستعملون لغة هي احرى بها ان تكون مما تواطأوا عليه بينهم وهي خليط من التعابير الفرنسوية المحرفة كثيراً بحيث يصعب الاهتداء الى معرفتها غالباً

ولكن هذا لايصح على الطلاق ، الا على اللغة المحكية وكتابات من لم يتعلموا . اما اللغة الادبية التي مست حاجتها كذلك الى ايجاد تعابير جديدة فقد عمدت الى طرق

---

١ توجد امثلة اخرى للغات اسلامية يتكلم بها اناس من غير المسلمين مثل اللغة الاسرائيلية الفارسية وهي لغة فارسية ممزوجة قليلا بالفاظ عبرانية ومكتوبة بحروف عبرية وهي لهجة يهود فارس . ويستعمل اليهود القراءون في القديم هذه الحروف ايضاً في الكتابة التركية وهي اللغة الدارجة بينهم . وفي البلاد العثمانية اناس من الارمن والروم يتكلمون بالتركية ولكنهم يكتبونها بحروفهم القديمة ولهم ادبيات ارمنية تركية وادبيات يونانية تركية ذات صحافة خاصة بها . وهناك اللغة الكرشونية وهي تطبيق المسيحيين للحروف السريانية على اللغة العربية والعبرانية العربية او العربية التي يكتبها اليهود بالحروف العبرانية .

عديدة في الاقتباس فبدأت بنقل الفاظ اوربية كما هي او بتعديلها قليلاً حتى توافق التلفظ المحلي وهذه هي الطريقة التي كانت تعمد اليها اللغة العامية ومضى زمن كانت هي المعول عليها اما فكر الرجوع بتلك اللغات الى اصولها فلم يبدأ الا في السنين الاخيرة فاللغة العربية الغنية بمفرداتها ولها من الاشتقاق موارد كثيرة قد عمدت الى ما في متنها من المفردات فاشتقت منها وكذلك كان من الفارسية ولو كانت لا تستغني بعض الاحيان عن الالفاظ العربية . اما التركية التي انتشرت بتأثير اللغات الاجنبية فيها فقد اخذت بادئ بدء من العربية والفارسية وهي تحاول منذ مدة الاكتفاء بما عندها باستعمال التعابير التترية القديمة التي كادت تتلاشى.

ماهي المؤثرات التي عرضت للغات الاسلامية من اللغات الاجنبية ؟ ان اقدم النصوص العربية التي انتهت الينا هي الاشعار التي قيلت قبل الاسلام والقرآن نفسه لا يخلو من بعض الفاظ اصلها فارسي . وذلك لان الصلات بين الفرس والعرب كانت قديمة مستحكمة فاخذت العربية عن اللغة المجاورة لها بعض الالفاظ . فمن الفاظ القرآن الغير العربية في الاصل: ابريق وسجيل . واقتبست اللغة الآرامية اللغة العربية بعض الفاظها ايضاً فان اتحاد اصول هاتين اللغتين والمناسبة القوية في تركيبهما قد جعلت الاخذ منها سهلاً للغاية . وكذلك الحال في اللغة العبرانية فقد اقتبست العربية بعض الالفاظ واكثرها ديني فمنها « جهنم » و « ملاك » واقتبست اللغة الرومية منذ عهد بعيد بعض الالفاظ للغتين العربية والفارسية مثل سجل وسندس وانتقلت هذه الى العربية ووردت في القرآن عن طريق الفارسية

ولقد نشأت في فارس لغة صناعية واعني بها البهلوية واستعملت الخط السامي واستعاضت عن المفردات الايرانية بما يقوم مقامها من المفردات الآرامية وتصريفها يجمع بين تصريف اللغتين ولكن اللهجة الشائعة من هذه اللغة بقيت غير متأثرة كثيراً بالنفوذ الغريب الى زمن الفتح العربي . ولا حاجة الى ذكر ما اصاب اللغة الايرانية من التبدل بالفتح فقد سرت الى لغة الجمهور الفاظ كثيرة دينية وعلمية . واعتمدت فارس في كتابتها على الخط العربي .

اما الاتراك فالظاهر انهم لم يقتبسوا الفاظاً كثيرة من جيرانهم قبل ان يدينوا بالاسلام هذا اذا استثنينا منهم المغول . وربما اخذوا قديماً بعض الالفاظ من الصين وفارس حتى اذا انتحلوا الاسلام كثرت في لغتهم الكلمات العربية والفارسية . وترى العربية الى عهد

ظهور الاسلام تقتبس من الفارسية والسامية والآرامية خصوصاً واليونانية ودام هذا الاقتباس وارتقى ارتقاء ظاهراً على عهد خلفاء الأمويين والعباسيين · وظلت اللغات الفارسية والسريانية والرومية بحسب الاقطار لغات الادارة في المملكة العربية ولا عجب من ثم ان ادخلت الى لغات الفاتحين عدداً كبيراً من الالفاظ العلمية · وكان من درس فلاسفة يونان ورياضييهم وكيماوييهم وطبيعييهم ان سرت الى العربية من اليونانية اصطلاحات علمية

وفي الحروب الصليبية دخلت الى اللغة العربية الفاظ مختلفة اقتبستها من لغات الشعوب التي اختلط بهم المسلمون ولكن ما اخذته هو من الاقاصيص محدود معدود ولم تدخل على اللغة العربية الالفاظ الغربية الا في القرون الحديثة الموافقة لارتقاء العثمانيين في آسيا واوربا · اما تأثير اللغات الاوربية في العربية فلم يكد يشعر به الى الدور الاخير وهو اقل من ذلك في الفارسية بالنظر لبعدها الجغرافي ·

ومن اراد الآن ان يبحث في تأثير كل لغة اوربية في اللغات الاسلامية منذ زمن النهضة فليقرر ما يأتي : ان اثر اللغة الافرنسية كبير جداً وقد فاق غيره في جميع العالم الاسلامي في البحر المتوسط وآسيا السالفة ولكن اثرها بالنسبة لغيره حديث العهد وكانت البواعث اليها ١ً الاصلاحات التي جرت في البلاد العثمانية على عهد السلطان محمود ٢ً تنظيم محمد علي لمصر على نحو ذلك العهد ايضاً وما تركه الفرنسيس من الفائهم فيها بعد حملتهم على مصر سنة ١٧٩٩ ٣ً فتح الجزائر ٤ً الصلات التي نشأت بين فرنسا وفارس وقد بدئ بها في اوائل القرن التاسع عشر على ايدي بعثة جوبر والماك غاردان ثم اعيدت بعيد حين ٥ً شدة ميل المسلمين في البلاد العثمانية ولا سيما في فارس لتعلم الآداب الفرنسوية والانطباع بالافكار الفرنسوية

وانت ترى بهذا ان نفوذ فرنسا في الشرق غير بعيد العهد لا يتجاوز القرن الواحد وهو قوي للغاية على الرغم من تقلص ظل سياستنا من البلاد العثمانية مدة من الزمن وعلى تداخل انكلترا في مصر وقلة علائقنا مع فارس نتأيد نفوذنا ابداً في تلك البلاد التي لم يبق فيها اولئك الشعوب الذين هم اكثر منا مضاء في الامور السياسية والاقتصادية شيئاً من لغاتهم الا القليل الذي لا يؤبه له ولا نشو. ان تأثير اللغة الفرنسوية قد استحكم في اللغات التترية في روسيا ولكن لا مباشرة بل دخلتها الفاظ من الافرنسية بواسطة اللغة الروسية او اللغة التركية العثمانية

اما تأثير اللغة الانكليزية فضعيف وهو مقصور على الصحافة العربية في مصر والصحافة الفارسية في الهند (بقطع النظر عن اللغة الهندستانية وسائر لغات الهند الوطنية) التي تعمد كل حين الى استعمال كمية من الالفاظ الفرنسوية وليس للانكليزية في فارس غير اثر ضئيل جداً ولا اثر لها في التركية الا ما كان من بعض التعابير العلمية والبحرية واكثرها في السباق وانواع الارتياض ٠

وبعد ذلك فان تأثير اللغة الايطالية قديم ثابت باق فهو يرد الى الزمن الذي كانت فيه البندقية دولة بحرية قوية في البحر المتوسط وما زالت اللغة التركية العثمانية منذ ذاك العهد تأخذ عن اللغة الايطالية جملة من الالفاظ لا العلمي منها فقط (مثل الفاظ الملاحة والتجارة والصناعة وغيرها) بل الفاظاً شائعة في الاستعمال وكان للغة العثمانية ان تكتفي بما عندها من مقابل لها مثل لفظة « فامليا » التي تتجلى فيها اللهجة البندقية كل التجلي وكذلك كان من اللغة الصقلية ان شغلت مكاناً مهماً على نحو ما رأيناه آنفاً في ان جزءاً من المفردات المالطية مأخوذ منها ٠ ودخل على اللغة في تونس كثير من الالفاظ الايطالية وقد لاحظ احد العارفين ان هذه الالفاظ لا تستعمل الا في الكلام الدارج اما اللغة المكتوبة فمنقحة للغاية ولذلك لا تستعملها ٠ وفي مصر ترى بعض الالفاظ الايطالية والظاهر ان بعضها سرت اليها بواسطة اللغة التركية مثل كلمة سيغورتا (الضمان او التأمين)

واللغة اليونانية الحديثة ادخلت كالايطالية على اللغة التركية العثمانية الفاظاً كثيرة فان ما وصل الينا من النصوص القديمة يبين ان تاريخ الصلة بينهما يرد الى ما قبل القرن الخامس عشر ولفظة « افندي » الغريبة التي ذكر المسيو جان بسيشاري تاريخها وما تقلب عليها من التبدل الغريب في الصورة والمعنى هي من جملة تلك الالفاظ

وفي لغة عرب المغرب جملة من الالفاظ ومنها ما هو من اصل اسباني وهي مألوفة الاستعمال في مراكش فقد كان للبرتغاليين اثر كبير في هذه البلاد فكيف يتأتى ان لا يتركوا فيها شيئاً من لغتهم واذ كانت المناسبة قوية بين الاسبانية والبرتغالية وكان سكان مراكش يحرفون ما يقتبسونه عن الاوربيين من الالفاظ فمن الصعب ان يميز في هذه الاقتباسات ما سرى الى تلك اللغة من اللغة البرتغالية خاصة

ولقد كانت الالفاظ الالمانية التي سرت الى الشرق قليلة جداً وقال بعضهم ان لفظة غروش التركية مأخوذة من غروش الالمانية ولكن بعد البحث الدقيق في المعجم

العثماني تبين انه لم يسر الى التركية الا الفاظ جزئية من التعابير الجرمانية

وهنا ننتقل الى اللغات الصقلبية (السلافية) فنرى لغات البلقان قد نقلت الى التركية عدداً جزئياً من التعابير ومنها بعض الالفاظ العسكرية وهي من جملة الالفاظ القديمة في تنظيم الجيش العثماني . واللغة الروسية اكثر سرياناً ولكنها متصورة على اللغات التترية في القريم وقازان وقافقاسيا وآسيا الوسطى فهي لم تعد تلك التخوم فالالفاظ الروسية في البلاد العثمانية الايرانية نادرة للغاية . ويجب ان لايفوتنا ان ماتقتبسه اللغات التترية او الروسية هي في الاغلب من اصل فرنسوي او الماني او ايطالي . وما ذكرناه فيما تقدم عن اللغات الصقلبية البلقانية ينطبق ايضاً على اللغة المجرية ولكن اللغة الارناؤدية والارمنية وغيرهما من اللهجات الحكية في البلاد التي يتكلم فيها بالتركية لم تؤثر الا قليلاً جداً بهذه اللغة

وهنا نأتي على تأثير اللغة التركية في فارس حيث تحكم اليوم أسرة قاجار فنجد كثيراً من التعابير والمعاني المختلفة مأخوذة من التركية مثل الاعداد والقاب الشرف واسماء المناصب والمراتب . ومثل ذلك يقال عن اللغة العربية في مصر فانها اخذت اسماء الرتب العسكرية التي دخلت الى البلاد العثمانية بعد الانكليزية ولم يدخل على اسماء الرتب من التعديل الا ما لا غنية عنه للتلفظ العربي . وترى في طرابلس الغرب الخاضعة للحكم العثماني جميع هذه الالفاظ شائعة بالاستعمال وتجد الفاظاً اخرى تركية مستعملة في تونس بل وفي الجزائر حيث ابقت الحكومة الفرنسوية رسمياً على بعض الالقاب التي اخترعها العثمانيون مثل اغا وباش عدل وخوجه وجاويش وغيرها وما عدا لغة البربر التي سرت بعض الفاظها الى اللغة المغربية

اما اللغة الهندستانية فلم يدخل منها الا بعض الالفاظ النادرة الى الفارسية اما اللغات الشرقية الاخرى فلا تعثر عليها بين الالفاظ العربية والفارسية والتركية الا نادراً جداً

وها نحن نبدأ الآن بالكلام على كل واحدة من اللغات الاسلامية الثلاث فنستفتح بالعربية . فقد رأينا هذه اللغة قبل ولا سيما بعد ظهور الاسلام قد اخذت عن اللغات السامية كالعبرانية ولا سيما الارامية والفارسية واليونانية . وحمل الصليبيون الى العربية بعض الالفاظ الجديدة خلافاً لما يعتقده بعضهم ويظفر بهذه الالفاظ في كلام المؤرخين ولكنها لم تسر الى اللغة الحكية ولا الى اللغة المكتوبة فمن الامثلة الغربية

استعمالهم لفظة « ترم » بمعنى المدفوع وجمعهم له عَلَى تروم كما في تاريخ ابي شامة ولكنه من الصعب ان ترى هذه اللفظة في كلام آخر . واخذت العربية من الافرنج بعض الالقاب النصرانية،مدنية كانت اودينية،مثل قومس(كونت) وكاغيكوس اوكاتوغيكوس (بطريرك) وبعض التعابير الحربية واللغة المالطية التي هي لسان شعب خاضع للحكم المسيحي ومتدين بدينه قد اقتبست بالطبع من اللغات الغربية اموراً كثيرة

ولم يبدأ دخول الالفاظ الاجنبية ولاسيما الافرنسية عَلَى العربية الا في اوائل القرن التاسع عشر دخلت بكثرة حتى ان القائلين بتطهير اللغة من الدخيل قد دهشوا لها . ثم ان دخول تعابير افرنسية كثيرة الى اللغة الرسمية اي التركية في سورية ومصر قد نشأ منه اثر في اللغة الوطنية وازدياد صلات الشرق مع ام الغرب ودخول الافكار الفرنسوية وتأييد الحكم الفرنسوي عَلَى الجزائر وتونس ولا سيما انشاء صحافة عربية حذا فيها اهلها حذو الصحافة الاوربية كل ذلك مما دعا الى تحول اللغة

وذلك ان الصحافة هي التي احدثت اللغة العربية الحديثة في الجملة وهي تختلف عن لغة القرآن كما تختلف لغة الرومايبك عن اللغة الرومية القديمة هكذا قال الميسيو واشنطون سرويس الملحق بقنصلاتو البلجيك في بيروت منذ ثلاث عشرة سنة في مقدمة كتاب مهم للغاية وضعه في وصف هذه اللغة الحديثة وعَلَى ما فيه من الاغلاط والنقص القليل فان هذا الكتاب الذي لم يؤلف عَلَى مثاله قد نفع وينفع كثيراً وهو عبارة عن مقدمة عرض فيها المؤلف هذه المسألة عَلَى وجه جلي مفصل مشفوعاً بقائمة للصحف التي كانت تنشر اذ ذاك مع تاريخ انشائها وهي قائمة ثمينة وان كانت فهارس الرجوع اليها مختصرة وبعض الانموذجات من كلامها تأليفاً كانت اوترجمة فأتى فيه اولاً عَلَى الجرائد ثم عَلَى المواد الرسمية ثم عَلَى معجم لغوي مفيد وهو وحده يفسر الكلمات المولدة

ومن رأي المؤلف ان اللغة الحديثة قد نمت في غضون خمسين سنة بسرعة هائلة وهذا النشوء يظهر خاصة من نشوء العربية المحكية اوالمكتوبة قبل ظهور الجرائد فقد كانوا يكتفون بان يأخذوا عن اللغات الاجنبية بعض المفردات الدخيلة اللازمة لهم من دون ان يعدلوا صورتها التعديل اللازم لها في الظاهر . (للبحث صلة)

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

ليعلم ان من المسائل الجديرة بالعناية وبذل الجهد للوقوف على القيل فيها وكتب عنها (مسألة الجن) فقد تنوعت في شأنها المشارب وتعددت في مباحثها المذاهب وكان للاعراب معها في الجاهلية مخايل ولها في كل عصر نغمات جديدة وعجائب ولاغرو فهي من اقدم المسائل وارسخها في الاذهان اذ دار اسمها على كل لسان وورد ذكرها في جماع النحل والاديان

ان مسألة كمسألة الجن ليست مما تدرك بلفتة او يشار اليها بلحظة حتى لايرفع لها الحشوي رأسا ولا يقيم لها الجامد وزنا فلوضممت شواردها وقيدت اوابدها ونظمت فرائدها لتأثر على الجم من اللطائف الفائقة والنوادر الرائقة مما يملك السمع والبصر العجاب ويرتفع عن القلب للاصغاء حجابه

كل مسألة لايتناولها الفهم في بداية النظر ولا يصل اليها الا باستعانة من درس امرها وسبره فلا بد من بحث عنها وتنقيب واستقراء وتنقير لاسيما ان تلك ذات شعوب واطراف وفروع واوصاف لاجرم ينبغي استقراؤها وتعرفها واستجلاؤها اكتشافا لما خبأته كنوز الحقيقة ووقوفا على كل جليلة في دررها ودقيقة

اكثر من ألف في العلم الالهي اوماوراء المادة تكلم في (الجن) فموجز ومسهب ومقارب ومغرب والواقف على ماكتبه فلاسفة الاسلام يراه قريبا مما نحاه علماء اهل الكتاب في شأنها اللهم الا في خيالات شط بها البحث فبعدت عن القصد شأن كل شيء جاوز حده

من استقرأ ماكتب وبذل جهده في التنقيب يمر به من علوم الاوائل مايفتق عن زهر الرياض حسنه وعن فتيق المسك نشره فمن تأمله ازداد حرصا على تأمله وتفهمه مستعيداً مابالتحليه من فوائده

الطريقة المثلى والخطة الوسطى هي اخذ المهم وايثار الاجود من كل شيء وهذا ما انوخياه في هذه المسألة مما طالعناه والا فلمة علم السلف مما يدهش الحكمات فليس لنا الا المختار من آرائهم والمنتقى من انبائهم ولله ابن المقفع اذ يقول «فمنتهى عالمنا علم في هذا الزمان — زمانه رحمه الله — ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محسننا ان يقتدي بسيرتهم واحسن مايصيب من الحديث محدثنا ان ينظر في كتبهم»

ان استقصاء ماللقدماء في (مسألة الجن) واستقراءه كله يعوزالى عدة مجلدات وسعة اوقات والحاجيات كثيرة والمطالب وفيرة لقا آثرنا جمع شذرات تكشف عن وجهها نقابها وتجلي عويصاتها لطلابها

ينحصر ماأثره في هذه المسأله في مقدمة ومقصدين وخاتمة

اما (المقدمة) فنحكي فيها ماقاله فلاسفة اللغة في شرح المراد من الجن واشتقاقه وعمومه وخصوصه وحقيقته ومجازه

واما (المقصد الاول) ففي مذاهب الاعراب ومزاعمهم في الجن وقد حوى احد وعشرين مبحثا (ا) من ادعى من الاعراب والشعراء انهم يسمعون عزيف الجان ويرون الغيلان وما يشبهونه بالجن والشياطين و باعضائهم واعمالهم

(ب) اضافتهم مباني تدمر وامثالها الى الجن

(ج) تفرقتهم بين مواضع الجن

(د) تنزيلهم الجن في مراتب

(ه) زعمهم ان الغول من انثى الجن وكذلك السعلاة

(و) زعمهم انهم يظهرون لهم ويكلمونهم ويناكحونهم

(ز) مزاعمهم في الهاتف والناقل والرئي

(ح) ماروى من هتوفهم بالبعثة المحمدية

(ط) مزاعمهم في اوصافهم ومن قتلوه

(ى) من استهووه ومنهم خرافة

(يا) توصيفهم رجل الغول وعين الشيطان

(يب) مزاعمهم في ارض وبار و بلاد الحوش

(يج) مزاعمهم في الصرع

(يد) مزاعمهم في الطاعون

(يه) مايزعمونه في تمثلهم وتصورهم

(يو) رأيهم في قرناء الشعراء الفحول

(يز) خيالهم في جن الشام والهند

(يح) توهمهم ملامح الجن في الانس

(يط) قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان

(ك) مايحكونه من نيران السعالى والجن

(كا) فلسفة ماتزعمه الاعراب من عزيف الجان وتغول الغيلان

(واما المقصد الثاني) في آراء فلاسفة الاسلام في الجن (ا) ابن سينا (ب) ابو طالب المكي (ج) الغزالي (د) ابن حزم (ه) الفخر الرازي (و) القاشاني (ز) الماوردي (ح) القاضي ابو يعلى ابن الفراء (ط) ابن تيمية (ى) ابن القيم (يا) الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده انما تأثرت مذاهب الاعراب بما أثر عن الائمة في هذه المسألة انتقالا الى الجد في مباحثها اذ المقصد الاول اشبه بالجمام والمشراح لما شاب جده من مخاريق ومخايل وختمت البحث بمتفرقات من شوارد هذه المسألة تتميما لفوائده وتأييداً لمقاصده

ليس لنا من مزية فيما أثرناه الا انتقاء المهم مما طالعناه وترتيبه على هذا الاسلوب . نسأله تعالى ان يمن علينا بتنوير القلوب و يدخلنا في عباده الذين يؤمنون بالغيوب

المقدمة

فيما قاله فلاسفة اللغة في الجن

قال الراغب الاصبهاني في مفرداته في مادة جن : اصل الجن ستر الشيء عن الحاسة يقال جنه الليل واجنه والجنان القلب لكونه مستوراً عن الحاسة والجنة كل بستان يستر باشجاره الارض (ثم قال) : والجن يقال على الروحانيين المستترة عن الحواس كلها بازاء الانس وسيأتي تتمة كلامه

وقال الزمخشري في اساس البلاغة : جنه ستره فاجتن واستجن بجنة استتر بها واجتن الولد في البطن واجنته الحامل ووراء جنان الليل اي ظلمته وفلان ضعيف الجنان وهو القلب وجنت الارض بالنبات ولاجن بكذا اي لاخفاء به. قال سويد :

« ولاجن بالبغضاء والنظر الشزر »

ونقل الامام ابن جرير في سورة البقرة في تفسير آية « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس » ان استثناءه من الملائكة يدل على انه منهم وعن ابن اسحق ان العرب يقولون : ما الجن الا كل من اجتن فلم يروا ان آية « الا ابليس كان من الجن » اي كان من الملائكة وذلك ان الملائكة اجتنوا فلم يروا وان آية « وجعلوا بينه و بين الجنة نسباً » اشارة لقول قريش ان الملائكة بنات الله (قال) وقد قال الاعشى — اعشى

بني قيس بن ثعلبة البكري وهو يذكر سليمان بن داود وما اعطاه الله

ولو كان شيء خالداً ومعمرا لكان سليمان البري من الدهر
براه الهي فاصطفاه عباده وملكه مابين ثريا الى مصر
وسخر من جن الملائك تسعة قياماً لديه يعملون بلا أجر

(قال) فابت العرب في لغتها الا ان الجن كل مااجتن يقول : ما سمى الله الجن الا انهم اجتنوا فلم يروا وما سمى بني آدم انساً الا انهم ظهروا فلم يجتنوا فما ظهر فهو انس وما اجتن فلم يرفهو جن

ثم قال ابن جرير : واما خبر الله عنه انه من الجن فغير مدفوع ان يسمى مااجتن من الاشياء عن الابصار كلها جناً كما قدذكرنا قبل في شعر الاعشى فيكون ابليس والملائكة منهم لاجتنانهم عن ابصار بني آدم :

وقال الراغب الاصبهاني في مفرداته : الجن يقال عَلَى وجهين (احداهما) للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بازاء الانس فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة وعَلَى هذا قال ابو صالح : الملائكة كلها جن وقيل بل الجن بعض الروحانيين وذلك ان الروحانيين ثلاثة (اخيار) وهم الملائكة (واشرار) وهم الشياطين (واوساط) فيهم اخيار واشرار وهم الجن ويدل عَلَى ذلك قوله تعالى « قل اوحي اليّ » الى قوله عز وجل « وانا منا المسلمون ومنا القاسطون »

✻ من ادعى من الاعراب والشعراء انهم يرون الغيلان [1] ويسمعون عزيف الجان وما يشبهونه بالجن والشياطين وباعضائهم واعمالهم ✻

انشد أعرابي :

كأنه لما تدانى مقربه [2] وانقطعت اوذامه [3] وكربه [4]
وجاءت الخيل جميعا تذنبه [5] شيطان جن في هواء يرقبه
اذنب فانقض عليه كوكبه

«١» جمع غول وهو شيطان يأكل الناس — بزعمهم — او دابة رأتها العرب (قاموس) «٢» مصدر ميمي أي قربه «٣» جمع وذم كسبب واسباب وهو سير يشد في العنق «٤» بفختين حبل يشد في الوسط «٥» ذنبه يذنبه و يذنبه تلاه فلم يفارق اثره كاستذنبه

وأنشد:

ان العقيلي لاتلقى له شبها ولو صبرت لتلقاه على العيس[١]
بينا تراه عليه الخز متكئا اذمر يهدج[٢] في حش[٣] الكرابيس[٤]
وقد تكنفه عرامه[٥] زمنا اشباه جن عكوف حول ابليس
اذ الفاليس يوما حاربوا ملكا ترى العقيلي منهم في كراديس[٦]

وقال ابو الخطفي[٧]

يرفعن بالليل اذا ما اسدفا اعناق جنان[٨] وهاما رجفا
وعنقا[٩] بعد الرسيم[١٠] خيطفا[١١]

وانشد ابن الاعرابي

غناء كلبي يرى الجن يبتغي صداه اذا ما آب للجن آيب

وقال الاعشى :

فاني وما كلفتموني انباعه ليعلم ربي من اعق واحوبا[١٢]
لكالثور والجني يضرب ظهره وما ذنبه ان عافت الماء مشربا

وقال الرقياني :

بين اللهى منه اذا ما هدا مثل عزيف الجن[١٣] هدهد هدا

وقال ذو الرمة :

قد اعسف[١٤] النازح المجهول معسفه في ظل اخضر يدعو هامه[١٥] البوم
للجن بالليل في ارجائها زجل[١٦] كما تناوح بين الريح عيشوم[١٧]

«١» العيس بالكسر الابل البيض «٢» اي يمشي مشية الشيخ «٣» الحش مثلثة موضع قضاء الحاجة «٤» جمع كرباس وهو ثوب قطن والكربسة مشي المقيد «٥» جمع عارم وهو الشرس الشديد المؤذي «٦» اي جموع عظيمة «٧» بفتحات لقب حذيفة جد جرير الشاعر «٨» جمع جن «٩» بفتحتين نوع من السير «١٠» الرسيم حسن المشي «١١» كهيكل سريع المشي «١٢» صار الى الحوب بالفتح وهو الاثم (١٣) العزيف صوت الجن وهو جرس يسمع في المفاوز بالليل والهدهدة الصوت الغليظ (١٤) اعسف عن الطريق مال وعدل وتخبط على غير هداية (١٥) الهام جمع هامة وهو طائر من طير الليل وهو الصدى (١٦) الزجل بفتحتين رفع الصوت (١٧) جمع عيشومة وهي شجر وما هاج من نبت

دوية [1] ودجى ليل كأنهما يم [2] تراطن [3] في حافاته الروم

وقال :

وكم عرست بعد السرى من معرس [4] بها من عنداء الجن اصوات سامر

وقال :

كم جبت دونك من بهماء مظلمة تيه [5] اذا ما مغنى جنه سمرا

وقال :

ورمل لعزف الجن في عقداته هرير كتضراب المغنين بالطبل

وقال :

وتيه خبطنا غولها وارتمى [6] بنا ابو البعد من ارجائه المتطاوح [7]
فلاة لصوت الجن في منكراتها هرير وللابوام فيها نوائح
واول اغتمامي في الدجى كلما رعت من الليل اصداء المثاني الصوائح

ويقولون لمن به لقوة [8] اوشتر [9] اذا شب بالطيم الشيطان ويقولون للرجل المفرط الطول ياظل النعامة وللمتكبر الضخم يا ذال الشيطان

وكان عمر بن عبد العزيز اول من نهى الناس عن حمل الصبيان على ظهور الخيل يوم الحلبة وقال : تحملون الصبيان على الجنان وانشد في تشبيه الانس بالجن لابي الجويرية العبدي :

انس اذا أمنوا جن اذا فزعوا [10] مرزؤون بهاليل اذا حشدوا

وانشدوا :

وقات والله لنرحلنا قلائصا تحسبهن جنا

وقال ابن الزوائد :

بحور خفض لمن المّ بهم جن بارماحهم اذا خطروا

وانشدوا :

اني امرؤ تابعني شيطانيه آخيته عمري وقد آخانيه

---

(١) الدوية الفلاة (٢) اليم البحر (٣) تكلم بالاعجمية (٤) اعرس القوم نزلوا آخر الليل للاستراحة كعرسوا والموضع معرس ومعرّس والسرى كهدى سير عامة الليل (٥) ارض تيه مضلة (٦) ارتمى به القاء (٧) تطاوحت به النوى ترامت (٨) داء في الوجه (٩) الشتر انقلاب الجفن من الى واسفل وانشقاقه (١٠) هذا كقول الآخر من المولدين في الترك

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

يشرب في قعبي [١] وقد سقانيه فالحمد لله الذي اعطانيه

وقال عبيد بن اوس الطائي :

هل جاء اوساً ليلتي ونعيها ومقام اوس في الخباء المشرج [٢]

مازلت اطوي الجن اسمع حسهم حتى دفعت الى راق المروج

وانشد آخر :

ذهبتم وعدتم بالامير وقلتم تركنا احاديثا ولحما موضعا

فما زادني الا سناء ورفعة ولا زادكم في القوم الا تخشعا

فما نفرت جني ولا فل مبردي [٣] ولا اصبحت طيري من الخوف وقعا [٤]

واشعارهم في هذا المعنى تفوت الحصر

﴿ اضافتهم مباني تدمر وامثالها الى الجن ﴾

قال النابغة الذبياني :

الا سليمان اذ قال الآله له قم في البرية فاحددها [٥] عن الفند [٦]

وخيس الجن [٧] اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح [٨] والعمد

قال الجاحظ : واهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء قبل زمن سليمان عليه السلام باكثر مما بيننا اليوم و بين سليمان بن داود عليهما السلام « قالوا » ولكنكم اذا رأيتم بنيانا عجيبا وجهلتم موضع الحيلة فيه اضفتموه الى الجن ولم تعانوه بالفكر . وقال العرجي :

سدت مسامعها لقرع مراحل من نسج جن مثله لا ينسج

وقال الاصمعي السيوف المأثورة هي التي يقال انها من عمل الجن لسليمان بن داود عليهما السلام فاما القوارير والحمامات فذلك مالا شك فيه . وقال البعيث :

بني زياد لذكر الله مصنعة من الحجارة لم تعمل من الطين

كأنها غير ان الانس ترفعها مما بنت لسليمان الشياطين

وقال الاعشى في بناء الشياطين لسليمان :

---

(١) اي قدحي (٢) اي المشدود بالشرج وهو العري (٣) الفل الثلم (٤) الطير اذا كانت على شجر اوارض يقال لها وقوع ووقع (٥) اي امنعها (٦) اي الكذب (٧) اي ذللها (٨) كرمان حجارة عراض رقاق والعمد جمع عماد

اری عادیا لم یمنع الموت ربه ووِرد بتیماء الیهودي ابلق (١)
بناه سلیمان بن داود حقبة (٢) له جندل (٣) صم وطي موثق (٤)

﴿ تفرقتهم بين مواضع الجن ﴾

قال الجاحظ : كما يقولون قنفذ برقة (٥) وضب سحا (٦) وارنب الخلة (٧) وذئب خمر (٨) فيفرقون بينها وبين ماينسب لذلك اما في السمن واما في الخبث واما في القوة كذلك ايضا يفرقون بين مواضع الجن فاذا نسبوا الشكل منها الى موضع معروف فقد خصوه من الخبث والقوة والعرامة (٩) بما ليس لجملتهم وجمهورهم قال لبيد :

غلب (١٠) تشذر (١١) بالدحول كأنها جن البدي (١٢) رواسيا اقدامها

وقال النابغة :

سهكين (١٣) من صدإ الحديد كأنهم تحت السنور (١٤) جنة البقار (١٥)

وقال زهير :

عليهن فتيان كجنة عبقر (١٦) جديرون يوما ان ينيفوا فيستعلوا

وقال حاتم :

عليهن فتيان كجنة عبقر يهزون بالايدي الوشيج المقوما (١٧)

---

(١) الابلق الفرد حصن للسموأل بن عاديا بناه ابوه او سليمان بارض تيماء وقصدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت : تمرد مارد وعز الابلق وتيماء قرية معروفة على نحو عشر ساعات من منزلة المعظم — احدى منازل ومواقف السكة الحجازية — تابعة لحكومة نجد (٢) الحقبة بالكسر مدة من الدهر لاوقت لها والسنة (٣) كجعفر مايقله الرجل من الحجارة (٤) اي محكم (٥) بضم فسكون احدى ديارات العرب (٦) بفتح اوله مقصور الآخر منونا جمع سحاة وهي ناحية وشجرة شاكة (٧) الخلة بالفتح الثقبة الصغيرة والرملة المنفردة (٨) الخمر بفتحتين ماواراك من شجر وغيره وجبل بالقدس كما في القاموس (٩) اي الشراسة والاذى «١٠» جمع اغلب «١١» تشذر تهيأ للقتال وتوعد وتهدد «١٢» بضم فكسر يقال قوم بدي و بدا بادون «١٣» السهك صدأ الحديد «١٤» بفتح اوله وثانيه وتشديد ثالثه مفتوحاً لبوس كالدرع «١٥» واد وموضع بومل عالج كثير الجن «قاموس» «١٦» موضع كثير الجن «قاموس» «١٧» اي الرمح واصل الوشيج شجر الرماح

﴿ تنزيلهم الجن في مراتب ﴾

قال الجاحظ : ثم ينزلون الجن في مراتب فاذا ذكروا الجني سالما قالوا جني · فاذا ارادوا انه ممن سكن مع الناس قالوا عامر والجميع عمار · وان كان ممن يعرض للصبيان فهم ارواح فان خبث احدهم وتعرم فهو شيطان · فان زاد على ذلك في القوة فهو عفريت والجمع عفاريت · وهم في الجملة جن وخوافي قال الشاعر

ولا يحس سوى الخافي بها أثر

فاذا ظهر الجني ونطق ونقي وصار خيراً كله فهو ملك في قول من تأول قوله « كان من الجن ففسق عن امر ربه » على ان الجن في هذا الموضع الملائكة وقال آخرون : كان منهم على الاضافة الى الدار والديانة لا على انه كان من جنسهم وانما ذلك على قولهم : سليمان بن يزيد العدوي وسليمان بن طوحان التيمي وابو علي العبدري وعمرو بن قائد الاسواري : اضافوهم الى المحال وتركوا أنسابهم في الحقيقة :

وقال آخرون : كل مستجن فهو جني وجان وجنين وكذلك الولد في البطن قيل له جنين لكونه في البطن واستجنانه وقيل للميت الذي في القبر جنين وقال عمرو بن كلثوم

ولا شمطاء (١) لم تدع المنايا لها من تسعة الا جنينا

يخبر انها قد دفنتهم كلهم « قالوا » وكذلك الملائكة من الحفظة والحملة والكروبيين (٢) فلا بد من طبقات ، وربما فرق بينهم بالاعمال واشتق لهم الاسماء من السبب كما قالوا لواحد من الانبياء خليل الله وقالوا لآخر كليم الله وقالوا لآخر روح الله · والعرب تنزل الشجعان في المراتب والاسم العام شجاع ثم بهمة (٣) اليس هذا قول ابي عبيدة

فاما قولهم : شيطان الحماطة (٤) فانهم يعنون الحية وانشد الاصمعي

تلاعب مثنى حضرمي كأنه تعمج شيطان بذوي خروع (٥) قفر

وقد يسمون الكبر والطغيان والخنزوانية (٦) والغضب الشديد شيطانا على التشبيه · قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : والله لانزعن نعرته (٧) ولاضربنه حتى انزع

«١» الشمط بياض الرأس يخالط سواده «٢» بتخفيف الراء في القاموس هم سادة الملائكة «٣» بضم فسكون قال في القاموس هو الشجاع الذي لايهتدى من اين يؤتى «٤» بفتح الحاء شجر شبيه بالتين احب شجر الى الحيات «٥» كدرهم نبت لايرعى «٦» بضم الخاء هو الكبير «٧» بالنم اي خيشومه

شيطانه من نحرته [1] وقال حسان بن ثابت في معنى قوله والله لاضربنه حتى انزع من رأسه شيطانه فقال

وداوية [2] سبسب سملق ... من البيد تعزف جنانها
قطعت بعيرانة [3] كالفنيق ... يمرح في الآل شيطانها

وابين منه قول منظور بن رواحة

اتاني واهلي بالرماح وغمرة ... سبب [4] عريف اللؤم حتى بني بدر
فلما اتاني ما تقول تقلصت ... شياطين رأسي وانتشين من الخمر

والاعراب تجعل الخوافي والمستجنات من قبل ان ترتب المراتب جنين تقول حن وجن بالجيم والحاء وانشدوا

ابيت اهوى في شياطين ترن ... مختلف نجارها حن وجن

ويجعلون الحن فوق الجن وقال اعشى سليم

فما انا من جن اذا كنت خافيا ... ولست من النسناس في عنصر البشر

ذهب الى قول من قال البشر ناس ونسناس والخوافي حن وجن ويقول انا من اكرم الحيين حيث ماكانت

وضعفة النساك واغبياء العباد يزعمون ان لهم خاصة شيطانا قد وكل بهم يقال له المذهب يسرج لهم النيران ويضيء لهم الظلمة ليفتنهم واير يهم العجب اذا ظنوا ان ذلك من قبل الله تعالى

(قال) واما الخابل والخبل فانما ذلك اسم للجن الذين يخبلون ويتعرضون ممن ليس عنده الا العزيف والنوح وفصل ايضاً لبيد بينهم فقال

اعاذل لو كان البداد [5] لقوتلوا ... ولكن اتانا كل جن وخابل

﴿ زعمهم ان الغول من انثى الجن وكذلك السعلاة ﴾

قال الجاحظ: «قالوا» اذا تعرضت الجنية وتلونت وعبثت فهي شيطانة ثم غول. وربما جعلوا الغول اسماً لكل شيء من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والثياب

«١» اي اعلى صدره «٢» الداوية الفلاة والسبسب الارض البعيدة المستوية والسملق القاع الصفصف «٣» العيرانة بالفتح من الابل الناجية في نشاط . والفنيق الفحل المكرم . والآل السراب «٤» بكسر ففتح كثير السباب «٥» اي البراز اي لو بارزناهم رجل رجل لغلبوا بفتح الباء

ذكراً كان او انثى الا ان الاكثر على انه انثى وقد قال ابو المقراب عبيد بن ايوب العنبري

وحالفت الوحوش وحالفتني بقرب عهودهن وبالبعاد
وامسى الذئب يرصدني مخشا⁽¹⁾ لخفة ضربتي ولضعف آدي
وغولاً قفرة ذكر وانثى كأن عليهما قطع البجاد

فجعل في الغيلان الذكر والانثى وقد قال الشاعر في تلونها

وما تزال على حال تكون بها كما تلون في اثوابها الغول

فالغول ما كان كذلك . (والسعلاة) اسم لواحدة من نساء الجن تتغول لتفتن السفار « قالوا » وانما هذا منها على العبث او لعلها ان تفزع انساناً فيتغير عقله من اجله عند ذلك لانهم لم يسلطوا على الصحيح العقل ولو كان ذلك لبدوا بعلي بن ابي طالب وحمزة ابن عبد المطلب وابي بكر وعمر في زمانهما وبغيلان والحسن في دهرهما وبواصل وعمرو في ايامهما وقد فرق بين الغول والسعلاة عبيد بن ايوب حيث يقول

وساخرة مني ولو ان عينها رأت ما ألاقيه من الهول جنت
ازل وسعلاة وغول بقفرة اذ الليل وارى الجن فيه ارنت⁽٢⁾

وهم اذا رأوا الفتاة حديدة الطرف والذهن سريعة الحركة ممشوقة محفة قالوا سعلاة وقال الاعشى :

ورجال قتلى بجنبي اريك⁽٣⁾ ونساء كأنهن السعالى

ويقولون تزوج عمرو بن يربوع السعلاة وقال الراجز :

ياقاتل الله بني السعلاة

وفي تلون السعلاة يقول عباس بن مرادس السلمي :

اصابت القوم غول جل قومهم وسط البيوت ولون الغول الوان

وقال عبيد بن ايوب وكان جوالاً في مجهول الارض لما اشتد خوفه وطال تردده وابعد في الهرب

لقد خفت حتى لو تمر حمامة لقلت عدو او طليعة معشر
فان قيل امن قلت هذي خديعة وان قيل خوف قلت حقاً فشمر
وخفت خليلي ذا الصفاء ورابني وقيل فلان او فلانة فاحذر

«١» يقال هو مخش حرب بالكسر اي موقد لها «٢» اي صاحت (٣) كامير واد

فلله در الغول اي رفيقة … لصاحب قفر خائف متنفر
أرنت بلحن بعد لحن واوقدت … حوالي نيرانا تلوح وتزهر
واصبحت كالوحشي يتبع ماخلا … ويطلب مأنوس البلاد المبعثر

ومما ذكر الغيلان قوله :

تقول وقد المت بالانس لمة … مخضبة الاطراف خرس الخلاخل
اهذا خليل الغول والذئب والذي … يهيم بربات الحجال الكواهل
رأت خلق الادراس[1] اشعث شاحبا … على الجدب بساما كريم الشمائل
تعوّد من آبائه فتكاتهم … واطعامهم في كل غبراء[2] شامل

ومما قال في هذا المعنى :

علام ترى ليلى تعذب بالمنى … اخا قفرات كان بالذئب يأنس
وصار خليل الغول بعد عداوة … صفيا وربته القفار البسابس[3]

وقال في هذا المعنى :

فلولا رجال يامنيع رأيتهم … لم خلق عند الجوار حميد
اتالكم مني نكال وغارة … لها ذنب لم تدركوه بعيد
انال بنو الاحسان حتى اغرتم … على من يثير الجن وهي هجود

وتزعم الاعراب ان الغول اذا ضربت ضربة ماتت الا ان يعيد عليه الضارب قبل ان تقضي ضربة اخرى فانه ان فعل ذلك لم تمت وقد قال شاعرهم :

فثنيت والمقدار يحرس اهله … فليت يميني قبل ذلك شلت

وانشدوا لابي البلاد الطهوي :

لهان على جهينة ما الاقي … من الروعات يوم رحا بطان[4]
لقيت الغول تسري في ظلام … بسهب كالعباية صحصحان[5]
فقلت لها كلانا نضو[6] ارض … اخو سفر فصدي عن مكاني
فصدت وانتحيت لها بعضب … حسام غير مؤتشب[7] يماني

(١) الادراس جمع دريس وهو الثوب الخلق (٢) الغبراء من السنين الجدبة (٣) جمع بسبس كسبب اوهو مقلوبه وهو القفر الخالي «٤» بكسر الواحدة موضع «٥» الارض المستوية الجرداء «٦» النضو بالكسر حديدة اللجام المهزول من الابل «٧» بفتح الشين اي معاب

فقد سراتها (١) والبرد ربا نخرت للبدين والجران
فقالت زد فقلت رويد اني عَلَى امثالها ثبت الجنان
شددت عقالها وحططت عنها لانظر غدوة ماذا دهاني
اذا عينان في وجه قبيح كوجه الهر مشقوق اللسان
ورجلا مخدج (٢) ولسان كلب وجلد من فراء او شنان

قال الجاحظ : وابو البلاد الطهوي هذا كان من شياطين الاعراب وهو كما ترى يكذب وهو يعلم ويطيل الكذب ويجيزه وقد قال كما ترى :

فقالت زد فقلت رويد اني عَلَى امثالها ثبت الجنان

لانهم هكذا يقولون يزعمون ان الغول تستزيد بعد الضربة الاولى لانها تموت من ضربة وتعيش من الف ضربة

﴿ زعمهم انهم يظهرون لهم ويكلمونهم وينا كحونهم ﴾

قال الجاحظ : ومن قول الاعراب انهم يظهرون لهم ويكلمونهم وينا كحونهم ولذلك قال شمر بن الحارث الضبي :

ونار قد حضأت (٣) بعيد (٤) وهن بدار لا أريد بها مقاما
سوى تحليل راحلة وعين اكالئها مخافة ان تناما
أتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الانس الطعاما

وذكر ابو زيد عنهم ان رجلا منهم تزوج السعلاة وانها كانت عنده زمانا وولدت منه حتى رأت ذات ليلة برقا عَلَى بلاد السعالى فطارت اليهن فقال

رأى برقا فأوضع (٥) فوق بكر فلا بك ما أسال وما اعاما

فمن هذا النتاج المشترك وهذا الخلق المركب « عندهم » بنو السعلاة من بني عمرو ابن يربوع وبلقيس ملكة سبأ

وتأولوا قول الشاعر :

« ١ » بفتح السين اي ظهرها « ٢ » بفتح الدال هو ولد الناقة ناقص الخلق « ٣ » حضأ النار اوقدها « ٤ » تصغير بعد « ٥ » اي اسرع فوق ناقة . واللأي الشدة والاسالة الجري والاعامة سير الابل

لاهم ان جرهما عبادكا الناس طرف (١) وهم تلادكا

فزعموا ان اباجرهم من الملائكة الذين كانوا اذا عصوا في السماء أنزلوا الى الارض كما قيل في هاروت وماروت فجعلوا سهيلا عشارا مسخ نجماً وجعلوا الزهرة امرأة بغيا مسخت نجماً وكان اسمها اناهيد • وتقول الهند في الكوكب الذي يسمى عطارد شبيها بهذا

ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون الى انه اذا عزم على الشياطين والارواح والعمار اجابوه واطاعوه • فمنهم عبد الله بن هلال الحميري • الذي كان يقال له صديق ابليس • ومنهم كدباس الهندي وصالح الموسوي • وقد كان عبيد يقول ان العامري حريص على اجابة العزيمة ولكن البدن اذا لم يصلح ان يكون هيكلا لم يستطع دخوله والحيلة في ذلك ان يتبخر باللبان الذكر ويراعي سير المشتري ويغتسل بالماء القراح ويدع الجماع واكل الزهومات ويتوحش في الفيافي ويكثر دخول الخرابات حتى يرق ويلطف ويصير فيه مشابهة من الجن فان عزم عند ذلك فلم يجب فلا يعودن لمثلها فانه ليس ممن يكون بدنه هيكلاً لها ومتى عاد خبطه فربما جن وربما مات قال فلو كنت ممن يصلح ان يكون لهم هيكلا لكنت فوق عبد الله بن هلال

« قالت الاعراب » وربما نزلنا بجمع كثير ورأينا خياما وقبابا وناسا ثم فقدناهم من ساعتنا

والعوام تروي ان ابن مسعود رضي الله عنه رأى رجلا من الزط فقال : هؤلاء اشبه من رأيت من الجن ليلة الجن • وقد روي عنه خلاف ذلك

وقال ابو النجم * بحيث تستن مع الجن الغول * فاخرج الجن من الغول الذي بانت به الجن • وهذا من عادتهم ان يخرجوا الشيء من الجملة بعد ان دخل ذلك الشيء في الجملة فيظهر لامر خاص

وفي بعض الرواية انهم كانوا يسمعون في الجاهلية من اجواف الاوثان همهمة وان خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة فخذه حتى عوذه النبي صلى الله عليه وسلم « قال الامام الجاحظ رحمه الله تعالى » وهذه فتنة لم يكن الله تعالى ليمتحن بها الاعراب من العوام « قال » وما اشك انه كان للسدنة حيل والطاف لمكان التكسب • ولو سمعت او رأيت بعض ما قد اعدت الهند من هذه المخاريق في بيوت عباداتهم لعلمت ان الله تعالى قد من على جهلة الناس بالمتكلمين الذين قد نشوا فيهم : يعني علماء الكلام وفلاسفة الدين عليهم رضوان الله

يتبع

«١» الطريف المستحدث والتليد القديم

حكم افرنجية

من لم يكن يكرم الشيخوخة كان كمن يهدم في الصباح البيت الذي يجب عليه ان ينام فيه في المساء (كار)

لايحب المرء ان يحبه الناس الا لانه يحب نفسه وربما يجعل له سبباً الى ان يحب اكثر مما يحب (ديدرو)

كلما اراد احمق ان يكون شيئاً يصادف شقياً يبحث عن احمق آخر « بومارشيه »

المرء في حاجة الى غيره سعيداً كان او شقياً فعمره قصير اذا لم يعش الا بنفسه «دليل»

التقدم هو النقطة الكبرى ولم يصل اليه احد منا فكلنا اناس سائرون في الطريق « كاسباران »

ليس من الامور العظيمة ان يكون عقل المرء حاداً اذا لم يكن مستقيماً فليس كمال الساعة الدقاقة بسرعة سيرها بل بانتظام ادواتها

يدفع العمل عنا ثلاث مفاسد : الملل والرذيلة والحاجة .

توشك السلطة في البلاد المصابة بالجمود ان تنتقل الى ايدي المهذارين الساقطين من الناس

افضل السلطات مالم يشعر المرء بثقل وطأته

مامن جندي معما كان الى الضعف والضعة الا ويحسب قائداً في نظر آخرين

افضل الاطباء من ركض في البحث عنه زبنه فلم يجدوه .

النار تغلي الماء والماء يطفئ النار فلا تدق ناكر الجميل فانه يطفئ شعلتك

ينتف ريش البط في القرى وريش المتقاضين في المدن

حاذر من اظهار مكانتك لئلا يكثر معادوك

اني لاأوثر ان أخدع عليّ ان اعيش ابداً في حذر وهو ابن الجبن وابو الدناءة « بوسويه »

لو كنت اعلم شيئاً نافعاً لوطني مضراً للجنس الانساني لابقيت عليه كما أبقي عليّ جريمة ارتكبها « مونتسكيو »

احرى الناس بالاستماع من يستعمل الكلام للتعبير عن الفكر والفكر لبيان الحقيقة والفضيلة « فنيلون »

غرائب الغرب (١)

الطباعة الباريزية

المعنا مرات في الفصول السالفة الى تفنن الباريزيين في الامور الذوقية والطباعة من جملة فنون الذوق وان كانت تتوقف علَى علم وفضل تجربة · واجور الطبع هنا غالية لغلاء الاسعار واجور الدور والمنازل فالعامل الجيد لايرزق اقل من نصف ليرة واقل عامل لايرزق اقل من اربعة فرنكات في يومه · ولذلك ترى بعض ارباب المجلات وغيرهم من المؤلفين والطابعين يطبعون مجلاتهم وكتبهم في مطابع الولايات لرخص اجورها وجودة طبعها الذي لايختلف عن المطابع الباريزية في شيء

ومن جملة المطابع العظمى التي زرتها مطبعة الامة اي مطبعة الحكومة التي أسسها لويز الثالث عشر سنة ١٦٤٠ ثم نقلت الى قصر الكردينال روهان من اجمل القصور الباريزية القديمة المعروف ببيت اساقفة ستراسبورغ · وقد أنشئت لها بناية هائلة في شارع الكنفانسيون لضيق هذا المكان علَى سعته البالغ سطحها عشرة آلاف متر مربع

تدخل من الباب فترى في فناء الدار تمثال غوتنبرغ مخترع الطباعة والمتفضل علَى الانسانية معمولاً من البرونز فلا تتمالك من الدعاء له وذكر بيض اياديه علَى العالم ثم يأخذك الدليل في الوقت الذي تعينه لك من قبل ادارة المطبعة و يطوف بك قاعات مسابك الحروف وفيها حروف في ثمانين لغة واللغة العربية في مقدمة لغات الشرق رأيناهم في بعض الغرف كتبوا ابياتاً من الشعر العربي ليمرن الاستاذ العملة على تعلم هذه اللغة فيحسنوا تنضيد حروفها بفهم

(١) من كتاب لنا تحت الطبع

ثم طاف بنا الدليل قاعات التنضيد والتجليد والطبع والطي فرأينا كل شيء قد جعل في مكانه اللائق به والعملة والعاملات يعملون في مكان واحد كتفاً الي كتف وقد يتولى الاعمال الشاقة الرجال من دون النساء · وعدد العاملين والعاملات في المطبعة يناهز الالف والخمسمائة وفيها ما يربو على ستين آلة طابعة على آخر طرز منها خمس آلات من المعروف بالروتاتيف وعلى مثلها تطبع جميع الجرائد الكبرى في الغرب اليوم · وتنفق الحكومة على هذه المطبعة نحو تسعة ملايين فرنك سانوية وفيها تطبع الجريدة الرسمية ومطبوعات الحكومة والنظارات ومناشيرها وفهارسها واوامرها فالاستعداد فيها تام لكل ماتطلب الحكومة طبعه وليس في وقتها متسع لطبع مطبوعات الافراد وناهيك بمطبعة حوت من الادوات مايلزمها من سبك الحروف حتى التجليد وناهيك بكثرة اشغال حكومة الجمهورية التي تقع ميزانيتها وحدها في ثلاثة آلاف صفحة كبيرة يطلب طبعها في وقت قصير وهذا لايتيسر الا بمطبعة متقنة جداً ·

ولهذه المطبعة معامل للتصوير الشمسي وطبع الصور والطبع المحفور المجوف والحفر على الخشب والحفر على النقش والحفر الناتيء على النحاس والزنك والطبع الملون وطبع الحجر والتصفيح والطبع المخمس وغير ذلك من التفنن في الطباعة · وتسمح المطبعة باعارة الطابعين بعض الحروف الغريبة من اللغات الاجنبية ولا تطبع من الكتب الا ما كان بلغة غريبة لا يوجد من حروفها في كل مطبعة وذلك لمحض خدمة المعارف والفنون ·

هذه جملة مايقال في مطبعة الامة ولو جمعت مطابع مصر كلها مادانتها بالمكانة وكذلك لو جمعت مطابع الاستانة واضفت اليها مطابع الولايات

العثمانية برمتها والمطبعة التي تنفق عليها الحكومة نحو اربعمائة وخمسين الف ليرة في السنة يستحيل على حكومة كالحكومة العثمانية والمصرية ان تقوم بمثلها وهي لاتنفق على المعارف كلها نحو هذا القدر من المال او اكثر منه بقليل فتأمل

مدرسة فرنسا

من المعاهد التي استغرقت شطراً كبيراً من وقتي في باريز دروس مدرسة فرنسا (كوليج دي فرانس) لسهولة التلقي فيها في كل علم يخطر في البال ولأن هذه المدرسة ذكرتني بمدارس الاسلام ايام حضارتنا وقد جعلوا العلم مباحاً لكل طالب يلقنونه اياه بلا عوض

في شارع المدارس بالقرب من كلية السوربون قام بناء عظيم أسسه فرنسيس الاول ملك فرنسا حوالى سنة ١٥٣٠ وجعل فيه درسين الاول لتعلم اللغة الرومية والثاني للعبرانية وسمى المدرسة مدرسة الملك فرأت الكلية اذذاك ان قد استهين بها فاوعزت الى مدرسة اللاهوت أن تتهم مدرسي مدرسة الملك بانهما يدعوان الى الزندقة فحال الملك دون صدور الحكم عليهما واضاف الى المدرسة درساً في الفصاحة اللاتينية ليخلص وجماعته من تهمة الالحاد ومازال عدد الدروس يزيد على عهد كل الملوك حتى اضاف اليها هنري الثالث درس العربية ونابوليون الاول درس التركية ولم يبرح بناؤها ودروسها عرضة للقلب والابدال حتى على عهد الجمهورية الثالثة

ولقد اصبحت هذه السنة الدروس التي تلقى على الناس مجاناً ٤٩ درساً يصح ان يقال انها مجموع علوم البشر يتولى تدريسها اعظم اساتذة هذه البلاد

وعلمائها ممن اشتهروا بفن او علم اولغة وصرفوا في البحث فيه شطراً مهماً من حياتهم ولم ار في هذه المدرسة استاذاً تقل سنه عن ستين الا بعض المعاونين ممن يتجاوزون الاربعين وبتخبيهم المجمع العلمي او المجامع العلمية الخمسة واساتذة المدرسة ويقبض الاستاذ عشرة آلاف فرنك في السنة ولا تتجاوز مدة الدروس ستة اشهر يتلو في خلالها درسين في كل اسبوع فقط

اما العلوم التي تلقى على جمهور المستمعين فهي (١) علم الاثقال التحليلي والسماوي (٢) العلوم الرياضية (٣) علم الطبيعة والرياضة (٤) الطبيعة العامة والتجربية (٥) الكيمياء المعدنية (٦) الكيمياء العضوية (٧) الطب (٨) علم الحياة العامة (٩) تاريخ الاجسام الغير العضوية الطبيعي (١٠) علم تكوين الجنين (١١) التشريح العام (١٢) علم النفس التجريبي (١٣) تاريخ العلوم العام (١٤) تاريخ التشريع المقابل (١٥) الاقتصاد السياسي (١٦) الجغرافيا والتاريخ والاحصاء الاقتصادي (١٧) تاريخ العمل (١٨) جغرافية فرنسا التاريخية (١٩) تاريخ الاديان (٢٠) الفلسفة الاجتماعية (٢١) علم الاجتماع الاسلامي (٢٢) علم الجمال وتاريخ الفنون (٢٣) علم الكتابات والعاديات الرومانية (٢٤) الكتابات والعاديات اليونانية (٢٥) الكتابات والعاديات السامية (٢٦) الآثار المصرية واصول لغاتها (٢٧) الآثار الاشورية واصول لغاتها (٢٨) الآداب العبرانية والكلدانية والسريانية واصول لغاتها (٢٩) لآداب العربية واللغة العربية (٣) النقود القديمة ونقود القرون الوسطى (٣١) آداب اللغات الصينية والتترية والمنشوية ولغاتها (٣٢) آداب اللغة السنسكريتية (٣٣) آداب اللغة اليونانية (٣٤) فقه اللغة اليونانية (٣٥) تاريخ آداب اللاتينية (٣٦) التاريخ الوطني والعاديات الوطنية (٣٧) الفلسفة الحديثة

(٣٨) اللغة الفرنسوية وآدابها في القرون الوسطى (٣٩) اللغة الفرنسوية الحديثة وآدابها (٤٠) اصول اللغات الجرمانية وآدابها (٤١) لغات اوربا الجنوبية وآدابها (٤٢) اللغات والآداب السلتية (٤٣) اللغة السلافية وآدابها (٤٤) علم النحو المقابل (٤٥) العاديات الاميركية (٤٦) الرياضيات (٤٧) تاريخ فن الموسيقى (٤٨) التاريخ العام والطريقة التاريخية (٤٩) اصول اللغات الهندية والصينية وتاريخها

هذه العلوم التي تدرس في مدرسة فرنسا ولا يستغرق الدرس منها ساعة يتلو في خلالها الاستاذ زبدة علمه وبحثه ولا يكثر المستمعون الا في بعض الدروس التي رزق اساتذها فضل بيان وطلاقة لسان واكثر الحضور غرباء اي غير فرنسويين وفيهم كثير من الفتيات طالبات العلم ممن قصدن فرنسا من المانيا وانكلترا وروسيا والنمسا وايطاليا وبلغاريا ورومانيا والصرب والسويد واسبانيا واميركا ليغترفن من مدارس باريز ويمكن لغتها الجميلة . فكأن اهل هذه العاصمة زهدن في حضور هذه الدروس المجانية وازهد الناس في الرجل اهله وجيرانه . وان دروساً يعد من جملة اساتذتها لفاسور وبول لوروا بوليو الاقتصاديين وماسبرو وغانو الاثريين وجونيان ومونو المؤرخين وبرجسون وريبو الفيلسوفين وغيرهم من الائمة الاعلام لحرية بان يستفيد منها كل طالب ويغترف من درر بحورها عاشق العلم

وان هذا المعهد ليولي فرنسا شرفاً ليس وراءه غاية ويدل على تفانيها في نشر المعارف والاخذ بايدي القائمين عليها وينادي بلسان الحال والمقال على توالي العصور والاجيال ان فرنسا اذا هرمت في سياستها واخلاقها فهي على الدهر فتية في جمال علمها وجدة حكمتها

التجارة الباريزية

لم يكتف الفرنسويون بل الغربيون بما بلغوه من اسباب الراحة والرفاهية بل تراهم يعملون ليلهم ونهارهم لئلا يسبق بلد بلداً آخر او مملكة مملكة أخرى كأن المنافسة التي هي من اعظم عوامل الارتقاء قد تجسمت في صدر الكبير والصغير من الافرنج فكان من آثارها مايبهرنا من تلك الحضارة الراقية والسعادة الشاملة

رأيت روح الاجتماع مستحكمة في اعمال الاوربيين فلا يكاد يأتي زمن قليل حتى تصبح جميع مشاريعهم واعمالهم شركات وجميعات ليخفى عمل الفرد ويظهر عمل الجماعة ويتراجع ضعف الواحد امام قوة المجموع فقد ظهرت لتلك الامم نتائج الاشتراك جماعة ظهوراً لاينكره الا من يكابر حسه ويغش نفسه فانشأ من كانوا الى الانفراد في متاجرهم يضمون بعضهم الى بعض ومن عاشوا بالوحدة يربحون ويخسرون فلا يدري بهم احد عدلوا عن سالف طريقتهم، واقتدى المتأخر بالمتقدم او العناصر اللاتينية والسلافية بالعناصر الانكليزية السكسونية

مثال ذلك مدينة باريز مهد الحضارة اللاتينية فانك تجد معظم مشاريعها ومتاجرها ومصانعها الشركات ومشاريع الافراد ومتاجرهم ضعيفة ضئيلة لاتكاد تحيا حتى تموت وكلها آيلة طوعاً او كرهاً الى الاندماج في سلك الاشتراك مع الجماعة . دخلت كثيراً من مخازن باريز فكنت اشهد على قلة المامي بفن التجارة روح الجماعة مرفرفة عليها وتمدد القوى زائدة في غنائها وحسن الذوق وسلامة الابداع تتخلل ارجاءها وتزيد بهاءها .

باريز اعظم بلد تصرف فيه السوق المالية والتجارية والصناعية من فرنسا

ورؤوس اموالها مقدمة جميع متاجرها ولا تفوقها في ذلك الا لندرا . وقد بلغ عدد مافي باريز من البيوت المالية والمصارف وشركات الضمان فقط زهاء الفي محل توشك ان تكون كلها لشركات واعظم متاجر باريز بل فرنسا تجارة الاطعمة المحضرة والامتعة والثياب والازياء وكلها مهمة جداً لابكثرة عددها بل بمكانتها وفخامتها وانتظام اعمالها .

زرت بعض هذه المخازن من مثل لابل جارندنيير والبرنتان والبون مارشه واللوفر ولافاييت ودوفايل وكل واحد منها يتاع بما حوى قطراً واسعاً من اقطار الشرق ويحتاج وصفه الى الكلام ساعات على شرط ان يكون المتكلم عارفاً بالتجارة وما يتصرف او يتوقف عليها وتتوقف عليه وكل مخزن يعد مستخدموه وموظفوه بالمئات ففي مخزن دوفايل وهو لفرش الدور والقصور وما يلزم لها من الاثاث والخرثي والرياش والاواني والسرر والصناديق والمقاعد والمتكآت والكراسي وادوات الطبخ وكل مايتصرف تحت انواع الزينة والتبرج والبذخ والرفاهية ماياخذ بمجامع القلب ويعد من اغرب غرائب الغرب . ولا يقدر المرء ان يطوف هذا المخزن في اقل من ثلاث ساعات اذا احب ان يلقي نظرة واحدة على مافيه من التحف والامتعة الثمينة وهو قصر فخيم جداً لم ار اجمل من نقوشه البديعة وبنائه العظيم سوى متحف اللوفر ومتحف فرسال ودار المجلس البلدي الباريزي . وفي مخزن دوفايل محل للتمثيل ومحل للموسيقى ومحل لالعاب السينماتوغراف يختلف اليها الزائرون باجور معتدلة جداً والغرض منها ان يمروا ببعض مخازن ذلك المحل الكبير فيكون مرورهم بها والقاء انظارهم عليها بمثابة اعلان عما فيها من الاعلاق النفيسة وببركة الاعلان يشتري من لم يكن تحدثه نفسه بالشراء .

ومن الغريب ان هذا المكان الذي لايشبهه في الفخامة الا ارقى قصور الملوك والامم كما قلنا آخذ الآن في توسعة مخازنه لانها ضاقت به على سعتها وما ادري ماهو رأس مالهولا مقدار ارباحه وعدد مستخدميه وغاية مارأيت ان مصرفه اشبه بمصرف كيربل هو في سعته وكثرة مستخدميه اشبه بمصرف الكريدي ليونيه في القاهرة لا في باريز فانه هناك العجب العجاب بعينه ٠

وقرأت في احصاء اخير ان مخزن لافاييت احب ان يزيد رأس ماله فقرر مساهموه ان يزيدوه اثنين وعشرين مليوناونصف مليون من الفرنكات فاذا كان مخزن واحد زاد رأس ماله فى جلسة نحو مليون ليرة عثمانية فكم يكون اصل رأس المال ٠

ومما هو حري بالنظر في المسائل الاقتصادية ان اهل باريز عَلَى شدة كرههم للالمان يبتاعون في بلدهم البضائع الالمانية لرخص اسعارها والتفنن في ابداعها حتى كادت بضائع الالمان تأتي علَى بضائع فرنسا مع جودة هذه ومتانتها واصبحت بذلك معظم البيوت التجارية لاناس او لشركات من الالمان وغيرهم ومثل ذلك قل على ماقرأته في احدى المجلات عن تجارة لندرا او تجارة نيويورك فان القسم المهم منها بيد الالمان يصرفون علَى الانكليز والاميركان سلعهم وحكومة انكلترا واميركا مع شدة حرصهما على مصلحة قومهما التجارية لم تستطيعا بالتعاريف الجمركية ولا بغيرها ان تقيماسداً منيعاً دون تسرب البضائع الالمانية اليهم ٠ ولكن المانيا او العنصر الجرماني ومن لف لفه تحارب هذه الحرب التجارية بسيف العلم والمعارف وسدود الدول لاتقوى عَلَى صد هجماتها المعقولة

ذكر الاحصائيون ان مدارس المانيا تخرج كل سنة اربعين الف طالب وبيدهم الشهادات التجارية فاين يذهب هؤلاء الرجال بعد؟ وهل لهم الا ان يصرفوا متاجرهم في مشرق الشمس ومطلعها بالطرق الاقتصادية المدهشة. فكم رجل تخرج من البلاد المصرية العثمانية يا ترى حتى الآن في المعارف التجارية وكم طالب اتقن اللغة الالمانية منا حتى اصبح يكتب فيها ويترجم منها واليها كما يكتب الفرنسوية او الانكليزية ويترجم بها ومنها؟

قال لي احد علماء الالمان اتدري باي شيء غلبنا الفرنسيس في حرب السبعين قلت لا اعلم قال غلبناهم لاننا كنا عارفين بما عندهم اما هم فلم يكونوا يعرفون ما عندنا وانا اقول ان اقتصارنا معاشر العثمانيين والمصريين والسوريين خاصة على تعلم اللغة الفرنسوية في الاكثر هو من الاحتكار الضار فيجب ان نعرف او بعضنا لغة امة كبرى تريد ان تحارب العالم حرباً اقتصادية حتى لا يكون مثلنا مثل الفرنسيس مع جيرانهم الالمان قبل حرب السبعين جهلوا ما عندهم فخسروا في مادياتهم ومعنوياتهم.

نعم نتوفر على الاخذ من اوربا كل ما تمتاز به مملكة من ممالكها فنحول وجهتنا بعد الآن الى جرمانيا لنتعلم علومها واقتصادها ومتاجرها وبريتها ونأخذ عن فرنسا الزراعة والحقوق وعن انكلترا السياسة والعلوم والبحرية وعن ايطاليا الصنائع النفيسة ونجعل للغة الالمانية والايطالية حظاً من عنايتنا حتى لا نكون حركة مضرة لحكومة خاصة من حكومات العرب فنحن كما نريد في السياسة ان نعامل الدول كلهن بوئام يجب ان نأخذ عن كل دولة راقية احسن ما عندها حتى لا نكون من الجامدين على امة بعينها والجامدون في مسائل الدين كالجامدين في مسائل الدنيا لا يخلو حالهم من ضرر على المجتمع.

الاعلان اساس التجارة

تقدم في الفصل السالف ان البيوت التجارية في باريز تبيع ماتبيع ببركة الاعلان عن نفسها وهنا مجال لان افصل ذاك الكلام المجمل فاقول : كل من زار مدينة اوربية اواميركية من ابناء هذا الشرق الاقرب يأخذه العجب من وفرة الاعلانات وتفننهم في نشرها والفرنسيس في الاعلانات مقلدون لامجتهدون قلدوا الاميركان والانكليز وهؤلاء ينفقون عليها نفقات لاتكاد تصدق فقد ذكروا ان معمل الموازين (١) فيربانك وشركاؤه الذي كان ينفق على الاعلانات نحو ثلاثة آلاف فرنك مسانهة اخذ اليوم ينفق نحو ثلاثة ملايين ونصف فرنك وقد كان خصص احد معامل الصابون ثلاثين الف ريال للاعلان عن مصنوعاته وهو اليوم يصرف الف ريال في اليوم وتخصص المعامل الكبرى التي تبيع بالمفرق في مدينة نيويورك وحدها زهاء اربعة ملايين ريال في السنة لنشر اعلاناتها في الصحف وفي مدينة شيكاغو يستخدمون البريد لنقل قوائم باعلاناتهم وقد انفق احد اصحاب المخازن لارسال طبعة واحدة من الاعلانات بطريق البريد ٦٤٠ الف ريال وليس من محل في اميركا الا ويصرف خمسة في المئة من ارباحه على الاعلانات وقد انفق احدهم ٧٥٠ الف ريال للاعلان عن موسى له فباع ستة ملايين موسى وكذلك فعل توما بيشام بحبوبه فصرف للاعلان عنها مليوني جنيه

فاشتهار اسم المعمل او صاحبه من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي وترداده في افواه ارقى الامم واوحشها موقوف على كثرة التفنن في الاعلان عنه والبذل في هذا السبيل عن سعة حتى قال كارنجي اعظم اغنياء الاميركان :

(١) المقتبس م ٢ ص ٢١٦

اذا اردت ان تبيع قبعة بريال فانك تستطيع ان تبيعها بريالين اذا وضعت اسمك عليها وذلك لانك تفهم الناس بان لاسمك بعض القيمة .

وذكروا (١) ان شركة ولن سي الاميركية وهي شركة معامل اصواف موءلفة من ٢٧ معملاً رأس مالها ٦٩٠ مليون ريال وكانت مجموع ارباحها سنة ١٩٠٢ ١٨٧٠٠٠٠٠٠٠٠ على حين بلغ مجموع المنسوجات الصوفية المصنوعة في الولايات المتحدة كلها ملياراً و ٤٨٥ مليون ريال فيدها جزء من ثمانية اجزاء من عمل الصوف ذكروا انها توصلت بفضل التفنن في الاعلان عن نفسها الى ان كادت تلتهم جزءاً عظيماً آخر من ارباح الشركات الاخرى ان لم تكن التهمتها حتى الآن

والطرق الى ذلك مختلفة فمن ضروب الاعلانات الاعلان في الجرائد والمجلات على اختلاف انواعها ووضع صفائح مخسة في الصفحة السابعة او الثامنة اي الاخيرة واعلانات في شبك ودس الاعلانات في اخبار الجرائد وبين اخبار الرياضات والسباق ودور التمثيل والازياء وادماجها في المقالات وتعليقها على حيطان الدور وفي شوارع المدن والقرى وعلى طول السكك الحديدية وفي اماكن النزهة والمناظر التي يسرح فيها النظر وفي عجلات الحوافل والترامواي والسكك الحديدية تحت الارض وفوق الارض وستور دور التمثيل والقصور وجميع الاماكن العمومية حتى المراحيض وترسم الاعلانات على القرطاس الذي يضعه الكاتب تحت يده وعلى المقطع والسكاكين وعلبة عيدان الكبريت والدواة والبارومتر وكتب التقاويم وورق

(١) كتاب الاعلان الرابح المعقول لارين

La publicité lucrative et raisonnée, par J. Arren.

النشان وبطاقات البريد وتجعل من الورق الملون والمقوى والزجاج والخزف والخشب والمعدن وغيرها · وتبدو في المساء بألوان مختلفة مقطعة بادية بالكهرباء وغيرها مما يطول ذكره

ومن غريب تفننهم في الاعلانات ان مخزن ادوات نحاسية وحديدية في ليفربول اخذ يعلن في جرائدها بانه يقدم مفتاحاً بلا ثمن لكل من يضيع مفتاح بابه او خزانته فبهذه الواسطة كان يأتيه المضيع فينصح له المحل بان يبتاع قفلاً كاملاً ويغير القفل القديم حتى لا يقع المفتاح في يد لص وربما هانت عليه السرقة فبعض الناس يبتاعون وبعضهم يكتفون بأخذ مفتاح بلا ثمن ولكن النصح يفعل في اكثرهم · واخترع احد البدالين من بائعي المأكولات المحضرة في لندرا طريقة للاعلان عن محله بان اغتنم فرصة حضور جوق تمثيل فابتاع مئات من الكراسي لمستخدمي محله ادخلهم على نفقته فتحدث القوم بذلك وذكرته الجرائد فحصل المقصود للمحل بالاعلان عن نفسه · ومن غريب تفننهم ان احد مخازن القبعات في بلتيمور في اميركا اعلن في الجرائد انه يريد ان يعرف احد النساء المحكوم عليهن بالقتل فاهتدى اليها واعطاها مئة ريال على ان تقول قبل ضرب عنقها هذه الجملة : « كل ما استطيع ان اقوله الآن هو ان محل المستر بلانك يعمل احسن القبعات بريالين » ثم قطع عنقها واغتنى صاحب المعمل ·

والامثلة على ذلك كثيرة ويكفي القاء النظر على اي حائط او مجلة او جريدة لتعرف مبلغ تفنن الغربيين في الاعلان والاساليب في الكتابة التي

يختارونها والصور المنوعة ومنها المضحك وغيرها الجدي وبعضها لطيف وآخر بشع ومنها السياسي والادبي والعلمي وقد جعل الانكليز السكسونيون

للاعلانات قواعد حتى صارت علماً من العلوم لايبرز فيه الا من لحسن ذوقه وعرف النقش والرسم والتصوير والطباعة وكان ملماً بالاقتصاد السياسي وعلم النفس ومحيطاً بعالم المالية والصناعة والتجارة والجرائد والمجلات وكان ذا هبة بالتفنن والادب والخطابة حاسباً كاتباً مفنناً يعرف النفس في المسائل الحاضرة او يحسن علم الحال

ولا تعيش معظم الجرائد والمجلات الكبرى الا باجور اعلاناتها حتى ان اجرة صفحة واحدة مرة واحدة في جريدة « لادي هوم جورنال » تؤجر بالف جنيه · ويؤخذ من احصاء صدر سنة ١٩٠٠ ان في الولايات المتحدة ١٨٢٢٦ جريدة ومجلة بلغ مجموع مايطبع من اعدادها من كل نسخة ١١٤٠٢٩٩٠٣٣٤ ومجموع ماتطبعه في السنة ٨٠١٦٨٠١٤٨٠٧٤٩ وبلغ مجموع ايرادها تلك السنة ٨٧٨٠٩٤٨٠٢٥٠ فرنكاً منها ٧٩٠٣٠٥٠٦٣٥ فرنكاً من اجور الاعلانات اي ٥٤٠٥ في المئة من مجموع دخلها وتطبع بعض الجرائد نسخاً خاصة بنشر الاعلانات فقط وتوزعها على مشتركيها ومن الجرائد ما لا يطبع غير الاعلانات وتوزع مجاناً · ويصرف احد بيوت الثياب في فيلادلفيا نصف مليون فرنك في السنة اجرة صفحة واحدة من احدى الجرائد الكبرى في تلك المدينة اسمها لروكورد ويصرف مخزن آخر ما يزيد مناهزه مليون فرنك على اربع جرائد · ومن كتاب الاعلانات من يرزق الف ليرة في السنة

ومن الاعلان الغريب ان بعض التجار ليس لهم بيوت ولا مخازن بل هم يطبعون اعلانات وينشرونها في قوائم خاصة وعلى صفحات الصحف والكتب والرسائل فيرسل الطالبون بالبريد يطلبون منهم مايشاؤون من بضائع

ومأكولات وهم يرسلونها اليهم بالبريد ايضاً وهذه الطريقة اخترعت في الولايات المتحدة لان ثلاثة ارباع سكانها يعيشون في القرى والمزارع بعيدين عن مراكز التجارة واشغالهم لاتسمح لهم بالاختلاف الى المدن لابتياع مايشاؤن وبهذه الواسطة يوفرون عليهم عناء التعب والمساومة ويصلهم مايشتهون وهم في اعمالهم وناهيك بما في هذه الطريقة من تبادل الثقة بين التاجر والشاري وفي شيكاغو وحدها تبيع مثل هذه المحال التجارية في السنة بما قيمته ملياران وخمسمائة مليون فرنك وان ثلاثة محال منها لتأخذ وحدها كل يوم خمسة وعشرين الف رسالة في طلب مايلزم اصحابها · وقد حسبوا ان عشرة ملايين اي ثمن اهالي الولايات المتحدة يبتاعون حاجياتهم على هذه الكيفية ·

وان لاحد هذه المحال التجارية في شيكاغو زبناً يبلغون مليوني نسمة يتناول منهم في السنة اربعة ملايين رسالة وهذه الرسائل لاتفتح واحدة واحدة بل تجعل كل ستين منها في آلة تفتح كلها بلحظة ثم ترسل الى مئات من البنات تجعل كل قسم مع قسمه وكل طلب مع مايضارعه وتجعل في لوالب كهربائية لاتقل عن خمسة عشر الف لواب وترسل في اسرع مايمكن الى البيوت التي تقدم للمحل طلباته وهي لاتقل عن ٧٧ الف نوع فتاتي كلها على جناح البرق بحيث يكون العمل ما امكن مستغنياً عن الايدي الكثيرة على ان محلاً واحداً من هذه المحال التجارية التي تبيع بالمراسلة عنده من المستخدمين ٦٢٠٠ مستخدم ولم يكن صاحبه قبل ربع قرن يملك ليرة واحدة وثروته تعد اليوم بملايين الليرات والناس يطلبون الى محله والى غيره من المحال التي على شاكلته كل مايخطر ببالهم ومنهم من يطلبون او يطلبن الزواج بواسطته ·

وعلى الجملة فانك لاترى في ديار الغرب محلاً تجارياً او معملاً او مشتغلاً بالفنون الجميلة بل ولا عالماً ولا كاتباً ولا صانعاً الا وينفق جزءاً من ماله على الاعلانات ليربح المئة مئات وللاعلان يد طولى في عامة الاعمال الصناعية والزراعية والعلمية ولولاها ما رأينا المخازن الكبرى والمعامل الكبرى والجرائد الكبرى فعسى ان يقتدي الشرق باخيه الغرب في هذا السبيل فيعلن خصوصاً عن اصقاعه الجميلة ليجذب السياح اليها ويربح منهم مئات الالوف من الليرات كما فعلت سويسرا واغتنت بعد فقرها بكثرة تشويق العالم الى زيارة ربوعها وكما فعلت فرنسا وايطاليا والمانيا وغيرها من اصقاع اوربا واميركا مثل مدينة دالاس في ولاية التكساس في الولايات المتحدة فان اهلها كانوا سنة ١٨٨٠ عشرة آلاف نسمة فازمع بعضهم ان يؤسسوا نادياً سموه نادي المئة والخمسين الفاً اي ان مدينتهم ستكون سنة ١٩١٠ مئة وخمسين الف نسمة وما برحوا يتذرعون الى ذلك بكل حيلة حتى بلغ عددهم سنة ١٩٠٤ ٨٣ الفاً وتوصلوا الى ان قال الرئيس روزفلت في خطاب له ان شمالي التكساس هو حديقة الرب ومدينة دالاس تطالب ويحق لها ذلك ان تكون نقطة دائرة هذه الحديقة

ثم ان الاعلان اساس من أسس الثروة اليوم بل هو سبب من الاسباب المعقولة المشروعة واثره في الاعلان عن الاشخاص ظاهر وكم من نابه اشتهر بتحدث الناس في أمره ومن آخر خمل ذكره لانه لم يعرف كيف يتوصل الى الشهرة فعاش ومات ولم يدر به احد فالاهم اجعل الشرقيين من النابهين بحق لا الخاملين المجهولين

دور التمثيل والانس والاجتماع في باريز

إن ما شهدته من التمثيل العربي المنحط جداً في الديار المصرية والشامية زهدني في التمثيل على انواعه فصرت لا اختلف الى دار تمثيل الا متكارهاً وذلك في المدة الطويلة لقلة غنائه وانقطاع الرغبة فيه واعلل ذلك بان التمثيل لم يعهده العرب ايام حضارتهم بل لم يكن لهم مايشبهه في قرطبة ولا في بغداد ولا في دمشق ولا في القاهرة ايام عزتها ولذلك قلما مال ابناء العرب اليه ميل الغربيين له وقدروا مزاياه حق قدرها .

ولما حللت باريز كان من اوائل المسائل التي توخيت دراستها حالة التمثيل في الغرب والسر في توفر اهله عليه وخدمتهم له كما يخدم الشعر والموسيقى والخطابة بل جعلوا هذه الفنون خادمة للتمثيل واصبح عندهم من ضروريات الحياة كالطعام والشراب لاحياة بدونهما وكذلك التمثيل لاحياة روحية بدون الاختلاف الى دوره ولو مرة في الشهر ان لم يكن مرة او مرتين في الاسبوع .

والتمثيل في باريز من اعظم ملاهيها وقل ان تجتمع لعاصمة ما اجتمع لها من ضروبه واشدة عناية الحكومة به تنفل من مالها كل سنة اربعة دور تمثيل مبلغاً تستعين به على تحسين حالها فتمنح الاوبرا ثمانمائة الف فرنك والتياترو الفرنسوية ٢٤٠ الف فرنك مع الدار وتعطي الاوبرا كوميك ٣٠٠ الف وتعطي الاوديون ١٠٠ الف فرنك وفي باريز ٥٣ دار تمثيل كبرى ذهبت الى اشهرها مثل الاوبرا والتياترو الفرنسوية والاوديون والشاتليه وساره برنارد والفودفيل وغيرها

فكنت كلما ألفت اصطلاحاتهم في احاديثهم وحركاتهم وسكناتهم

ومظاهرهم ورقصهم وغنائهم تبين لي سر تغالي الغربيين بالتمثيل وانه حقيقة مدرسة تهذيب وفضيلة عملية ودار سلوى وارتياح ارواح فلا عجب اذا عدوه من اكبر العوامل في نهوضهم وتثقيف مجتمعاتهم وشغفوا بفصوله ولا شغف الشرقي بفضوله وحرص الفرد منهم على ساعاته حرصه على عزيز اوقاته

اما دور التمثيل فهي قصور فخمة هندسوها على ضخامتها بحيث لا يحرم الحضور على اختلاف درجاتهم من سماع ما يقال على مسارحها ورؤية ما يعرض فيها من المشاهد والمناظر . وكفى بان دار الاوبرا كلف بناؤها ثلاثين مليون فرنك وذرعها احد عشر الف متر . واقل دار تمثيل تساوي عشرات الالوف وبعضها مئات الالوف من الليرات وان مما يبهج جوق الموسيقى في الاوبرا وقد حزرته بمائتي شخص وجوق الممثلات والراقصات والممثلين على المسرح وما اظن جمهرته تقل عن خمسمائة .

واذا عرفت ان الاوبرا تدفع لاحد ممثليها ٢٢٠٠ فرنك كل ليلة اي ١٢٨ الفاً عن ٦٤ ليلة في السنة وتدفع لغيره من الممثلين رواتب تختلف بين ٨٥ الفاً الى ٣٠ الفاً . وعن كل ليلة يغني فيها كاروزو عشرة آلاف فرنك وتتناول بعض الممثلات اربعة آلاف فرنك في الشهر جاز لنا ان نستقل اعانة الحكومة للاوبرا ونحكم على كثرة دخلها وخرجها

ولقد كنت اتمثل نفسي في حضرة اعظم فصحاء الارض وعلماء الاجتماع والنفس ساعة تنتهي الى مسمعي اصوات الممثلين والممثلات وتنفتق السنتهم بكلمات الحكمة والادب ويشخصون الفضيلة في ابهى مظاهرها كأنك تراها فلا اتمالك من توقير الممثلين والممثلات واكبار فائدة التمثيل . المدارس لتنشئة الصغار في وقت معين من السن ودور التمثيل مدارس دائمة للصغار

والكبار تفهم من ايسر السبل حكمة وآداباً وتلقنهم عبرة مفيدة وفكاهة رشيدة

حضرت رواية « مثل الاوراق » في الاوديون ورواية « البار بكاد » لبول بررجه في الفودفيل ورواية « جان دارك » في تياترو ساره برنارد ورواية الجندي الصغير في الشاتليه فكان يخيل لي وانا اسمع وارى ان الامر واقعي وان هذه المشاهد حدثت الآن وقد اجتمع جمال الصوت الى جمال الوجوه الى جمال الكلام الى جمال الهندام الى جمال المكان الى جمال النظار واقل هذا مما يستهوي النفس فلا تدري اي شيء ترى ولا اي فائدة تعي

وما اظن اكبر متنطع لو حضر التمثيل في مثل هذه الدور العظمى يستطيع ان يعبث شيئاً مما يشهد . واي عين لا تقع على ساره برنارد اشهر ممثلة فرنسوية وهي في الخامسة والستين من عمرها تمثل دور جان دارك وهي في التاسعة عشرة فتظهر كأنها هي بصوتها وحركتها ونضرة وجهها ولا ترتاح وتعجب واي اذن تسمع الحكمة في رواية البار بكاد يقولها احد الممثلين بصوت رخيم « ان الطبقات الاجتماعية كالامم يضيع حقها في حفظ مالم تقو على الدفاع عنه . » ولا يفكر طويلاً

ولقد رأيت في دور التمثيل حتى مايوصم منها بان فيه شيئاً من الخلاعة مثل « مولن روج » ان الادب يغلب على السامعين والناظرين . وان قاعات الاستراحة بين الفصول يسير فيها الخرد العين كاسيات عاريات معطرات متبرجات ولا ترى الا من يغض الطرف حياء وادباً . والغالب ان النساء يلبسن لليالي التمثيل اجمل ثيابهن وازيائهن كأنهن في بيوتهن وبين صويحباتهن واصحابهن وقلما تراهن في الشوارع الا مكتسيات من اللباس بما خف محمله وقل ثمنه

اما سائر اماكن الطرب كمحال السماع والموسيقى والمراقص العامة فكثيرة جداً في باريز واحسنها ماكان على جوانب الجواد العظمى او بالقرب منها ويكون فيها المرء بحسب مبلغه من التهذيب · وموسيقى الافرنج وعزفهم وزفنهم يستحسنها الشرقي مع طول الألفة لها والأنس بها ومن لم يعرف عندهم ولو احد هذه الانواع الثلاثة استغربوا أمره وعدوه محروماً من لذائذ الدنيا ساقطاً من رسوم الهيئة الاجتماعية · ولكل قوم عاداته واخلاقه يحرص عليها كثيراً ولا يرى فيها حرجاً ولا نكيرا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

من باريز الى الاستانة

قضيت شهرين اثنين في هذه العاصمة طفت المعاهد ورأيت المشاهد وعرفت العامل الجاهد وتبينت العالم المجاهد وطعمت الجشب والشهي من الطعام ووصلت السير بالسرى وعمل الليل بعمل النهار ورأيت العملة في حاناتهم ومطاعمهم وواكلت الاغنياء في مقاصفهم وشاركتهم في نعيمهم واختلطت بطبقاتهم اسمع عباراتهم ولم استنكف من غشيان كل مكان ارجع منه بفائدة مستطلعاً طلع خلق جارياً من الاختبار فيه على عرق فكانت عيني تمل النظر وأذني تسأم السماع وذهني يتأفف من التفكر وقلبي يتخوف كثرة الوعي · ومع ماصرفته من الوقت والقوة خرجت من هذه المدينة وفي النفس منها اشياء لم اتمكن من درس معالمها ومجاهلها ولا سيما اماكن الرياضات البدنية واللعب على اختلاف ضروبه وزيارة مجاريي العاصمة تحت الارض وسراديبها والاعتبار بقبورها ومدافنها وهي مزينة

كمنصور الاحياء ومقطعة الى طرق ومناطق

وفي يوم بدأ نهر السين بفيضانه المشؤوم الذي طغى على السدود والسكور فدكها وبثقها واودى بالاموال الجسيمة من ناطق وصامت ركبت القطار وقت الظهر الى الحدود الالمانية فكان نهرا الموز والمارن هائجين حتى طغت مياههما على السهول والاودية ولم يصل القطار الى ناحي على الحدود ويبلغ ستراسبورغ في ارض الالمان وقاعدة الالزاس الا وقد انقلبت تلك الامطار ثلوجاً وذاك الهدير سكوناً ولون تلك المياه الكدرة بلون الثلج الابيض الناصع وبلغنا مونيخ عاصمة مملكة بافيرا الالمانية صباح الغد فوقف القطار زهاء ساعتين فرأيت ان لا اضيع الفرصة فاخذت اطوف المدينة ولكن كانت الثلوج غمرتها فلم ار منها الا واجهات الابنية ورؤوسها وهنا تمثل لي النقص واحسست بالعجز وشعرت بالغربة وانا التفت عن يميني وشمالي فلا اسمع الا الالمانية التي لا اعرف منها اكثر مما اعرف من الكردية وقد تركت بعض رفاق لي في القطار ومنهم بولونيون يتكلمون بالافرنسية تطيب نفسي بمحادثتهم ومفاكهتهم حتى اذا عدت آخذ مكاني من القطار اجتاز بنا بعد قليل في ارض النمسا وهكذا حتى وصلنا مساء اليوم الثاني الى فينا عاصمة النمسا .

وعلى ذكر اللغة لا بأس بان اقول انني يوم دخلت فرنسا لم اشهد وحشة ولم اشعر بغربة لمعرفتي بلسان اهلها واطلاعي على تاريخهم وعاداتهم فكنت كأنني داخل ولاية من الولايات العثمانية التركية او قطراً من الاقطار العربية في غربي آسيا او شمالي افريقية ولما انتقلت من ستراسبورغ شعرت بتغير العادات واللهجات وايقنت بان الغريب الذي يزور بلداً لا يعرف لغة اهله كالاصم والاعمى وهذا ما عاقني في الاكثر عن زيارة انكلترا والمانيا خلال

هذه الرحلة مع شغفي بحضارة هاتين الامتين لانني استصعب ان ارى غيري بعيون غير عيني وآذان غير اذني

قضيت في فينا يومين استرحت فيهما من وعثاء السفر واطلعت على بعض معاهدها الا ان الثلوج التي بلغت نحو ذراع عاقتني عن اتمام الزيارة فركبت ثالث يوم بعد الظهر القطار قاصداً بلاد المجر فاجتزنا عاصمتها بودابست في الليل ووقف القطار فيها ساعة لم اتمكن في خلالها حتى ولا من رؤية المحطة وعدنا الى قطارنا حتى تخطينا من الغد ارض الامبراطورية الى ارض البلقان ولم يكد القطار يجتاز نهر الطونة حتى تمثل امام خيالي تاريخ هذه البلاد وبينا كنت اذكر وقائع العثمانيين في سلسترا والبروج المعروفة ببرج العرب واذكر تلك الدماء العزيزة التي اهرقت على ضفاف الطونة لفتح هذه البلاد ركبت معنا من اول محطة في بلاد الصرب فتاتان صربيتان في الخامسة عشرة من عمرهما عليهما سيماء الحشمة والادب فسألت الرفيقة رفيقتها ان تغني شيئاً فالتفتت الينا وكان معنا رفيق بلغاري يعرف التركية فاستأذن في ذلك فقلت له لا بأس فاندفعت الفتاة تغني بنغمة على ايقاع غريب فاضت له نفسي بالدموع خصوصاً وقد جاءها الغناء وهي تفكر فيما اصابنا في هذه الديار من الشقاء. فعجب رفيقي البلغاري وقال لعلك فهمت هذا النشيد الوطني الصربي قلت لم افهم وانما تأثرت من النغمة ومن امور أخرى فسألني ماهي فلم يسعني الا ان ابحث له بذات نفسي ولما ذكرت له كيف تقدموا هم وتأخرنا من بلاد هواؤها عثماني وسماؤها عثماني واكثر عاداتها عثمانية عذرني على شعوري بما فيه من فضل ادب ·

ووقف القطار ساعتين في بلغراد عاصمة الصرب فاغتنمت الوقت لزيارتها

وهي نظيفة لطيفة صغيرة حرية بان تكون قاعدة لتلك المملكة التي يقطعها القطار طولاً باقل من عشر ساعات وزرت من الغد صوفيا عاصمة بلغاريا وهي اجمل واضخم منتظمة على مثال المدن الاوربية ويغلب الادب اهلها وكثير منهم يعرفون التركية وقد وقفنا عليها نحو ست ساعات تمكنت اثناءها من درس معالمها وحدائقها ومتنزهاتها وبعض قصورها وهي اقرب الى ان تكون مدينة شرقية منها الى ان تكون مدينة غربية ويقال انها ترتقي سنة عن سنة ارتقاء يحسدها عليه حتى الاوربيون الراقون وعجبت لما سمعت بعض الالفاظ التركية يستعملونها مع اللغة البلغارية حتى الآن كأنهم تركوها عضواً اثرياً يذكرهم بايام حكم الاتراك عليهم ·

وعند الظهر سار بنا القطار يقطع بلاد البلغار ووصلنا الى جسر مصطفى باشا في ولاية ادرنه اول التخوم العثمانية عند العشاء وهناك جاءنا رجال شرطتنا يدمدمون ويبرقون ويرعدون يحكمون على هذا بالجزاء النقدي ويعفون عن ذاك ويطلبون من هذا جوازاً ومن الثاني ان ينبشوا صوانه وهميانه ومن الثالث ان يفتشوا صندوقه ويراقبوا كتبه والخلاصة تغيرت معنا الحال من الاعلى الى الادنى حتى بلغنا بلادنا فرأينا الانحطاط بادياً عليها في كل شيء وادارتها هي تلك الادارة الاستبدادية بعينها لم يعدل الدستور من شدتها ومازلنا على ذلك حتى بلغنا صباح الغد الاستانة عاصمة سلطنتنا العثمانية ·

عاصمة السلطنة العثمانية

صقع جميل وسواحل بديعة ومناظر رائقة وسماء صافية ورفاهية مفرطة

وأنس دائم فمن المضيق الى الخليج الى جزر البحر الى متنزهات منقطعة القرين الى غابات ملتفة وجبال مكسوة وعيون خرارة وكل ذلك بهجة النفس والخاطر وهذه هي الاستانة واحياؤها وضاحيتها .

اما عمرانها فصورة مكبرة من عمران الولايات لا نظام ولا شوارع منظمة ولا طرق معبّدة ولا راحة للراكب والسائر ولا للمقيم والنازل وغاية ما فيها من مصانع وآثار قصور السلاطين والجوامع الكبيرة الزاهية التي انشأوها منذ عهد محمد الفاتح الى يومنا هذا وبعض ثكن ومدارس عالية حديثة لا شأن لها من حيث فن البناء

والاستانة من حيث قوتها المادية ضعيفة ضئيلة نصف اهلها اتراك يبلغون نحو ستمائة الف والنصف الآخر اروام وارمن واكراد وارناؤد وعرب وغيرهم من العناصر العثمانية . ويغلب على الاتراك الاتكال لانهم ما زالوا حتى بعد الحرية يعتقدون من انفسهم الغناء والسؤدد اكثر من بقية العناصر ويتوهمون انهم العنصر الحاكم ولذلك قلما ترى بينهم تاجراً معتبراً او زارعاً كبيراً او مالياً دراكة يعيشون كلهم الا المرتزقة والباعة عالة على الامة لا يعرفون غير تقلد الوظائف الادارية والعلمية والقلمية والعسكرية .

فالاستانة من هذه الوجهة مدينة الاتكال المجسم يعيش اهلها كالحلمة الطفيلية على عنق الولايات ولكم خربت ولاية او لواء او قضاء ليعمر بها احدهم مصيفاً له على ضفاف الخليج او في جزيرة الامراء ويقتني من الجواري والسراري والعبيد بقدر ما تطيب له نفسه .

ولاهل الاستانة فضل ادب ولين جانب عرفوا به منذ القديم فترى الواحد منهم يعاملك باقصى اللطف والتظرف حتى يرضيك وفي باطنه على

الاغلب بسر لك غير ذلك وهذا الخلق عام في عمال النظارات والادارات الكبرى ولولا ذلك ماانصرفت وجوه ارباب الاشغال من سكان الولايات الى الاستانة يقصدونها لكشف ظلامة ونيل رتبة ومرتبة ورواتب ·

صرفت في هذه العاصمة عشرين يوماً قابلت في خلالها كثيراً من اهل العلم والسياسة وكنت اتكاره في الاختلاف الى المعاهد والناس اذ سئمت نفسي كل ذلك بعد باريز التي رأيت فيهامن كل شيء احسنه ومن العلم ارقاه ولطالما اسودت عاصمة بلادي في عيني ووددت على الاقل لو كتب لي ان ازورها قبل الرحيل الى الغرب وامتاع النظر والحواس بحضارته البهجة حتى لا ارى الانحطاط بعد الرقي ولا الظلام بعد النور ·

ومن جملة المعاهد التي هي جملة مقصدي وغاية مناي من زيارة الاستانة مجلسنا النيابي زرته خمس مرات واعضاوه نحو مائتين وخمسين نائباً من جميع عناصر الدولة واصقاعها تجد فيهم ذا العمامة البيضاء او الخضراء كما تشهد فيهم لابس الكوفية والعقال وثلاثة ارباعهم من لابسي الطرابيش ولقد سمعت من ارباب العمائم مناقشات راقية لم اكد اسمعها الا من النواب الذين صرفوا شطراً من اعمارهم في اوربا يتعلمون ويتمرنون ويدير حركة المجلس من النواب اليوم نحو عشر اعضائه شأن مجالس العالم كلها فان ارباب العقول الراقية والمضاء الكبير قلائل في كل طائفة · خصوصاً ومجلسنا مابرح طفلاً ويرجى ان يكون في الانتخابات المقبلة ارقى مما هو الآن

رأيت النظام قليلاً في المجلس يبدأ قبل الظهر بالنظر في قانون كذا وبعد الظهر يتناقش في غيره قبل ان يكمله ومن الغد يتناقش في مسألة أخرى وينسى القانون او اللائحة الاولى وذلك لانهم وسدوا رئاسته لرئيس اشتهر

بخدمته الحرية والشهرة قد تكذب · وكم وسدوا النظارات في هذا العهد الدستوري الجديد الى اناس اشتهروا بعلمهم وعقلهم في الدور السالف حتى اذا جاء الآن دور العمل ابانوا عن ضعف في المدارك وخور في العزائم وبضاعة مزجاة من العلم والعمل ونفس شريرة تعد قتل عنصر من العناصر قتلاً معنوياً لغاية بعيدة الحصول اسهل من تناول الكاس او السلام على الناس

وكل اولياء الامر اذا حدثتهم في نقصنا والسعي لاصلاحنا شاركوك في حديثك وربما تظاهروا باكثر من غيرتك وحملوا اشد من حماتك فاذا اتت نوبتهم ليعملوا تراهم يقرون القديم على قدمه ان لم نقل يزيدون الحال اعضالاً واشكالاً · فهم فلاسفة قول لا عملة عمل وجربذتهم في اساليب لهم يتقنونها لا في ظلامة يرفعونها وولاية يرقونها واصلاح يدخلونه ·

ولا اغالي اذا قلت ان عمال الاستانة الآن صورة من صور العهد الحميدي الا انهم يدعون الحرية وهم مضطرون الى الاسراع بمصالح العباد باقل مراوغة ومطاولة مما كانوا عليه في العهد الماضي اما الاصلاح الحقيقي فاظن من سيقومون به لهذه البلاد العزيزة لم يخلقوا بعد ونحن نكتفي من الحاليين ان يحتفظوا فقط بالحالة الحاضرة ريثما يتخرج جيل جديد يربى على ادب النفس وادب الدرس وينشأ بعيداً عن اخلاق الحكومة الاستبدادية المطلقة التي غرست مبادئها الساقطة في القلب واللحم والدم والعظم

المتحف السلطاني [1]

دخلنا هذه الدائرة الفخمة من بابها الغربي الكائن بجوار نظارة العدلية

(١) لم تتيسر لنا زيارة هذا المتحف فعهدنا الى صديقنا شاكر افندي الحنبلي ان يزوره عنا ويكتب لنا مقالة في وصفه ففعل وانا اشكره لفضله وعنايته ·

ومررنا امام دار الضرب العامرة وبعدها دخلنا من باب آخر ينتهي الى ساحة كبيرة بني على اطرافها رواق ذو قباب اشبه ببنيان التكايا ثم دخلنا من باب ثالث فاستقبلنا بهو كبير يسمونه غرفة العرض كان يجلس فيه الوزراء والامراء للمذاكرة والمشاورة وفي صدره مصطبة كبيرة يصعد اليها من درجة واحدة كان يجلس فيها السلطان متوارياً عن الاعين

ثم خرجنا من هذه الغرفة وصعدنا الى قصر شامخ يصعد اليه بسلم من رخام جدرانه مزينة بالقيشاني بناه السلطان مراد الرابع بعد رجوعه من بغداد على طرز قصر هرون الرشيد وسماه (قصر بغداد) وهو قصر مبني على الطرز الشرقي بشكل مثمن منتظم تحيط به من الخارج ردهة ضيقة ذات منافذ تطل على الخمائل والبحيرات وتشرف على بحر مرمرة وقسم من البوسفور واحياء القسطنطينية وضواحيها وبجانب هذا القصر دائرة (الخرقة الشريفة) وفيها الرداء النبوي وبقية المخلفات والآثار النبوية

وخرجنا بعدئذ من هذا القصر ودخلنا قصراً آخر فيه غرفة كبيرة طولها نحو عشرين ذراعاً وعرضها نحو ثلاثة عشر ذراعاً يقال انها من بناء السلطان مصطفى الرابع وفي الجهة القبلية من هذا القصر قصر آخر بناه السلطان عبد المجيد ويسمونه (سلطان مجيد كوشكي) مبني على الطرز الايطالي وهذا القصر اجمل قصر رأيناه هناك ومما يجدر بالذكر في هذا القصر صفاء بلور النوافذ حتى انك تظن النافذة مفتوحة لا بلور فيها لشدة صفائه وعلى جانب هذا القصر حجرة صغيرة بناها السلطان عبد المجيد لتبديل لباسه قبل دخوله دائرة الخرقة الشريفة

ثم انتهينا الى دائرة المتحف السلطاني وهي بيت القصيد في هذه الزيارة

وهنا لايتمالك الانسان من الدهشة عند مايشاهد تلك الآثار النفيسة والمصنوعات الثمينة النادرة التي لاتقدر لها قيمة لنفاستها التاريخية . دخلنا هذه الدائرة وهي مؤلفة من ثلاث غرف تحتانية وثلاث أخرى فوقانية واول شيء وقع نظرنا عليه تخت كسرى الذي غنمه السلطان سليم الاول من الشاه اسماعيل الصفوي في حرب (جالديران) الشهيرة وقد نصب في وسط المتحف يوحي الى الرائي بعظمة الدولة العثمانية ومجدها السالف ويصور للناظر السلطان سليم الاول ممتطياً جواده سالاً سيفه يقود جيشه الباسل الى بلاد الاكاسرة و يشتبك مع صاحب العجم في حرب عوان فيهزم جيشه و يستولي على عرشه وخزائنه .

هذا التخت على هيئة مستديرة قائم على اربعة اعمدة يصعد اليه بدرجة واحدة وكله مرصع بالياقوت والزمرد مما يبهر الناظر . شاهدنا في هذا المتحف سيف قسطنطين بالئوغوس آخر قياصرة الروم وهو سيف مرصع بالماس اخذ من جملة غنائم يوم فتح القسطنطينية . شاهدنا مهد السلطان محمود الثاني وهو على شكل السرر التي تصنع في دمشق من الخشب مرصعة بالصدف وهذا مرصع بالاحجار الكريمة . وفي المتحف ثلاث قطع من الزمرد الاولى بقدر جوزة الهند ووزنها ثمانمائة درهم والثانية على شكل مستطيل وزنها ستمائة درهم والثالثة بينهما في القطع والوزن وهناك اوان من النجف بعضها مرصع وبعضها بدون ترصيع وساعات واوان من العاج و بواطي من الصيني ودروع وطبرات ومغافر و بنادق قديمة مرصعة مما لايكاد يحصى وخواتم من الماس بعضها فضة بقدر الجوزة . والى جانبيها دوي قديمة ذهبية وقماقم ومحاريب وسبحات ومراوح مرصعة وفي جملة هذه المراوح ثلاث تعد من نوادر المصنوعات الواحدة

قبضتها مرصعة بالماس والاخرى مرصعة بالياقوت والماس في وسطها ياقوتة بقدر الجوزة والثالثة مرصعة بالاحجار الكريمة وعليها رسم الكرة الارضية

ومما امتعنا به النظر صورة شخص طوله عشرة سانتيمرات صدره و بطنه لؤلؤة واحدة ورجلاه فيروزتان و بالقرب منه صندوق وعليه فيل من الذهب مرصع بالاحجار الثمينة . رأينا اغطية مناضد من الاطلس والديباج بعضها مرصع باللؤلؤ فقط والبعض الآخر مرصع باللؤلؤ والزمرد والياقوت بنقش بديع يأخذ بالعقول وهناك قلب من الماس حجرته الوسطى بقدر البيضة و يقال ان هذه الحجرة هي رابع حجرة في الدنيا من حيث الحجم والوزن وقد امتعنا الطرف برسم السلطان عبد العزيز مجسماً معمولاً من النحاس الاصفر ممتطياً جواده بقطعة كبيرة طبيعية وآخرين صغيرين ورأينا رسم اسكندر الثاني قيصر الروس ورسم غليوم الاول عاهل الالمان

ومما رأيناه ثلاث آلات للمنظومة الشمسية مصنوعة من النحاس الاصفر تدور فيها الارض والسيارات حول الشمس بحركة دولاب يدار باليد كل ذلك بل اكثره موضوع في خزائن من البلور لا تمسه الايدي رأينا مسميات لانعرف اسماءها مما يحار لها العقل و يدهش لها الفكر وانى لنا بابن المعتز يقف في هذه الخزينة و يصف مافيها من الحلي والحلل والجواهر الثمينة والمصنوعات الفاخرة النادرة بمنظومات تحكي ترصيع الجواهر المكنوزة في هذا الكنز الكبير

ليس شيء اصعب على الكاتب من ان يرى اشياء لم يألف مشاهدتها ولا يعرف لها اسماً فهو اذا اراد وصفها عصته الالفاظ وضاقت به التعابير رأينا في هذا المتحف شيئاً كثيراً كله من النادر الغريب الذي لا يوجد الا في خزائن الملوك ولو اردنا ان نصف كل مارأيناه لطال بنا البحث واحتجنا الى

سفر كبير ولكن نكتفي بذكر الآثار التاريخية الثمينة بالنظر لما لها من المكانة العلمية والقيمة الادبية

فمن ذلك درع مرصعة بالماس والياقوت مع سيف مرصع ايضاً مكتوب عليهما هذه العبارة « هذه الدرع غنمها السلطان مراد الرابع لما فتح بغداد في اليوم الثامن عشر لسنة الف وثماني واربعين هجرية » وتخت معمول من الباغا مرصع بالفيروز والزمرد وهو تخت السلطان احمد الثالث كان يجلس عليه يوم عرفة وفي وسطه فراش من الاطلس مرصع باللآلي بنقوش لطيفة يصعد اليه بثلاث درجات صغيرة وخزانة من الكهرباء الملون المعرق اهدتها فيكتوريا ملكة الانكليز للسلطان عبد العزيز ومكتب (قنصل) كبير مرصع بالماس والياقوت وسائر الاحجار الكريمة اهدتها كاترينة قيصرة الروس للوزير الاعظم محمد باشا البلطه‌جي يوم وقعة (بيروت) الشهيرة وهذا المكتب من اثمن ماشاهدناه في هذه الخزينة لما فيه من الاحجار الكريمة وحلل ملوك بني عثمان وعمائمهم موضوعة كلها على قوالب مخصوصة على شكل انسان بالهيئة التي كانت عليها ومكتوب على كل منها اسم صاحبها وسيف السلطان الغوري عزيز مصر وخاتم السلطان عبد العزيز الذي نزع من اصبعه يوم استشهاده ووسامات مختلفة اهداها ملوك اوربا للسلاطين العثمانيين وغير ذلك من الآثار البديعة التاريخية

وفي الجملة ان هذه الخزينة هي اعظم خزينة على وجه الارض لانها جمعت بين خزائن الاكاسرة وخزائن القياصرة وملوك الاسلام وكانت في الدور القديم تجمع فيها الاموال الزائدة عن نفقات الدولة وتدخر لاوقات الحروب وتسمى (ايج خزينة) اي الخزينة الداخلية . يروى ان السلطان مصطفى

الثالث كان جمع فيها مبالغ طائلة صرفها كلها في الحرب الروسية ويقدر ماصرفه في ذلك الوقت باثني عشر مليون ليرة على حساب هذا الزمان

اما بناء الدائرة فليس من الابنية الفخمة المزينة بل هو بسيط جداً على طرز التكايا وليس فيه مايستحق الذكر سوى ماذكرناه آنفاً من القصور الحديثة التي بناها ملوك بني عثمان بعد الفتح وانما هي تمتاز بجمال موقعها وحسن مناظرها ومكانتها التاريخية فالواقف في فنائها او في احد قصورها يمتع طرفه بتلك المناظر البهيجة ويسرح فكره في غابرها وحاضرها ويهتز طرباً وتجلى له عظامة آل عثمان وسلطانهم ويرى الفاتح ! يسوق اسطوله على اليابسة باعجوبة لم يسبق لها نظير ويفتح القسطنطينية ويملك قصر القياصرة وخزائنهم كما افتتح اجداده بلاد الاكاسرة وقوضوا عروشهم ويكون نعم الامير الذي امتدحه الرسول وجيشه نعم الجيش ٠

وفي الحقيقة ان هذا البناء اللطيف من اجمل ما يتصوره الفكر والطف ماتشعر به النفوس فهو يحتاج الى قريحة شاعر مطبوع او قلم كاتب مجيد يصف ماتشعر به النفس من المعاني الشعرية في جانب هذه المناظر البهيجة والآثار التاريخية ٠ هذا ولا يسعني هنا الا ان اثني الثناء الطيب على ناظر المتحف حافظ محمد رفيق بك لما ابداه من المجاملة والملاطفة في زيارتنا هذه كما اني اشكر للاستاذ الزهراوي وعبد العزيز افندي قوجه لي عنايتهما في هذه الزيارة التي هي من اثمن الزيارات التاريخية ٠

المتحف العثماني [1]

ليس بين معاهد الاستانة وقصورها معهد توفرت فيه شروط التجديد

---

(١) كتاب « موزه همايون عثماني » مخصوص رهنما اثر وحيد »

ودخلته الروح الغربية مثل المتحف العثماني فهو المعهد الوحيد الذي قلدنا فيه الاوربيين وأحسنا التقليد يستفيد به زائره تاريخ الصناعة ولا غرو فقد ضم عاديات الامم القديمة كالرومانيين واليونانيين والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمصريين والهيتيين والبيزنطيين الا أخرين من نواويس وتماثيل واواني وآثار حجرية وخزفية وبلورية وكلها شاهدة على الدهر بما كانت عليه حضارات الشعوب التي انقرضت فاصبحت بلادها من جملة ولايات هذه السلطنة العثمانية أبد الله اركانها

ومن اجمل مايشاهد فيه مسلتان عثروا على الاولى في صامسون والاخرى في ازنيق واسد وجد في هاليكارناس (قصبة بودروم) ويرد تاريخه الى اربعة قرون ق . م وبجانبه ناووس روماني استخرج من دراج في ولاية اشقودرة ومن الطف عاديات هذه الدار النواويس التي عثر عليها في صيدا . وهي عبارة عن ستة وعشرين ناووساً ادعى بعضهم ان احدها هو ناووس اسكندر المقدوني لان الاسكندر توفي في العراق وجيء به الى سورية على ان روايات المؤرخين مختلفة في مدفنه . ومن النواويس ناووس دفن فيه تابنيت ابن اشمونازار ملك صيدا . وعليه كتابة بالخط الفينيقي . وناووس الاسكندر من اغرب مانقش النقاشون تحسدنا عليه وعلى كثير من الآثار الموضوعة في قاعات متحفنا اهل العاديات والآثار و يبذلون لنا لو اردنا في الحصول عليها مئات الالوف من النضار ونواويس المتحف البريطاني واللوفر ليست باعظم منها

ومن عاديات المتحف ناووس معروف باسم « صدراب » احد ولاة فارس فيه رسوم الصيد والقنص والحرب واللعب والسباق ووضيمة جنازة ومنه يستدل على ماوصلت اليه هذه الصناعة من تلوين الرخام في ايونيا في الساحل

الغربي من بلاد الاناضول من الارتقاء في القرن الخامس ق · م وهناك تمثال ثماني عشرة امرأة من اعجب ما نقش النقاشون جملن على اشكال منوعة بعضهن قائمات وبعضهن قاعدات وهن يذرفن دموع الحزن واللهفة وبالقرب منهن ١٩ قطعة من نواويس رومانية عثر عليها في جبل لبنان وحمص وبيروت

ومن النواويس البديعة ناووس اسمه ناووس ليكيا اي البلاد المعروفة اليوم بسواحل اضالية من اعمال قونية وهو رومي الصنعة محلي الاسلوب · وعلى مقربة منه تمثالان من الخزف المنقوش لابي الهول عثر عليهما في مدينة اورله او ميناء قلازومن من ازمير

قلنا ان الناووس المعروف بناووس الاسكندر هو من ابدع ما صنعت الايدي ولذلك زاره الوف من علماء اوربا واميركا يعجبون بصنعه وفيه كثير من الرسوم والخطوط النفيسة الملونة ومن الصور المزبورة عليها وقائع الاسكندر المشهورة · ومن كتاباته ما كتب بالخط الهيروغليفي المصري ومنها بالخط الفينيقي

ومن الرسوم الموجودة في ناحية قريبة ما يرجح انه رسم الحرب التي نشبت بين الاسكندر في ايسوس او اربيل وبين دارا ملك الفرس سنة ٣٣٣ ق · م

ومما يقع نظرك عليه في القاعة الرابعة بعض عاديات هيتية مثل اسود وجدت في زنجيرلي وقصورها وتمثال يمثل احد ملوك الهيتيين وقاعدة تمثالين لابي الهول وتمثال من الحجر الاسود اسمه «اسد مرعش» كتبت عليه كتابات هيتية وهو اشهر اثر عثر عليه من آثار هذه الامة حتى الآن ·

والهيتيون امم مختلفة كانت في القرن الخامس عشر قبل المسيح تنزل في

جبال الاكراد في سورية وقبادوكيا وقسم عظيم من بلاد الاناضول حتى مجرى نهري الاحمر (قيزل ايرمق) وكديز واصولهم كثيرة متباينة بل ان البلاد التي كانوا مستولين عليها هي كما يقول المحققون في شمالي سورية اي في المنطقة الممتدة من فرع الفرات الاكبر الى جبال طوروس · وقد انشأوا على الفرات قلعة قارغاميش المعروفة الآن بجرابلس واخذوا يهددون مدينة نينوى القديمة (الموصل) الى اواخر القرن الثامن ق · م وبلغوا منتهى مجدهم بين القرن العاشر والثامن ق · م وقد استولى على هذه القلعة صاراغون ملك اشور سنة ٧١٢ وباستيلائه عليها محي اسم الحيثيين من عالم الوجود · على ان تاريخ هذه الامة مع ما بلغت من الحضارة بين الامم القديمة لم يؤثر عنها بالذات شيء يدل على عظمتها لان خطها لم ينحل حتى الآن ويرجى ان يكتشف كما اكتشف الخط المصري القديم بواسطة حجر وجد في رشيد كتب بالخط المصري مترجماً الى اليونانية

ومن العاديات المهمة في المتحف الاواني الزجاجية والخزفية واحسن الزجاج ماجاء من سورية وقد كتب على كل قطعة منها اسم البلد الذي عثر فيه عليها · ومعلوم ان تاريخ وجود الزجاج قديم يتعذر معرفته وهناك قطع من الفسيفساء عثروا عليها في استانكوي او جزيرة كوس من جزائر البحر الرومي ويرد تاريخها الى الدور اليوناني وآثار معبد اشمون في صيداء من آثار الفينيقيين الخزفية وآثار سوكتوآ ياثلوغ ونامورده من اعمال ازمير وغيرها من بلاد الاناضول واكثرها يوناني · وفي قاعة أخرى اوان وجدت بالقرب من صوروويج في ولاية مناستر في بعض المدافن واوان في ليندوس (رودس) وغيرها يرد تاريخها الى ادوار مختلفة يونانية ورومانية ومنها ماعثر عليه في لاپسكي من اعمال كليبولي

ومن الآثار المهمة في القاعة الحادية عشرة عاديات ارض فلسطين ومنها ماعثروا عليه في جوار القدس ويرجع تاريخه الى القرن الثامن ق · م وما عثر عليه في بحيرة حمص في الجزيرة التي حفر فيها من القدور والاسرجة وقد اعتبروا القسم الاعظم منها من عهد الزمن النحاسي · وفيه قطعتان من المرمر وجدتا بالقرب من المسجد الاقصى وعليهما كتابات بالرومية تحظر على الغرباء ان يتخطوا معبد سليمان والا فيعاقبون بالموت · وهناك حجر كلسي عثروا عليه في القدس مكتوب عليه كتابة فينيقية وفيه ذكر جر الماء تحت الارض في قناة حفرت في الصخور من نبع جيحون الى سور القدس حتى تصل الى نبع عين سلوان وينسبونه الى الملك حزقيا احد من ورد ذكرهم في سفر الملوك من التوراة

وليست العاديات المصرية كثيرة في المتحف ومنها صور ابي الهول وفي ثلاث قاعات الآثار الكلدانية والبابلية والاشورية واكثرها الواح واوان واكواب وعظام كتبت بالخط المسماري

ومنها ناووس من الخزف يرد الى عهد بابل اي الى نحو ٦٠٠ سنة ق·م ومنها مسلة من الحجر من مخلفات نابونيد ملك بابل كسرها سنخريب في وقائعه مع السيتيين · ومن العاديات ماوقع في خرابة نيفر في الشمال الشرقي من الديوانية من اعمال بغداد ومنها ماوجد في تللو من اعمال البصرة ومنها ماعثروا عليه في سيبارا اوابي الحبة من اعمال الجزيرة

وقد خصوا القاعة السابعة عشرة بالآثار التدمرية والحميرية ومن الآثار التدمرية ما يستدل منه على ان صنعها من بدائع صناعهم وان كانت تشبه الصناعات اليونانية لان مملكة تدمر وان كانت يهودية لم يبق فيها اثر لهم لان

الاشوريين قرضوا عمرانها ثم ارتقت على عهداورليانوس اوائل ظهور النصرانية ودخلت في حوزة المملكة اليونانية على عهد الاسكندر واستعملت اللغة الرومية ولا سيما في الرسميات وان كانت لغتها الآرامية او السريانية . اما الآثار الحميرية فهي آثار اهل سبإ ومعين في الجوف وعاصمة سبإ مأرب واهل معين كانوا نازلين في قصبة العلى في جوار مدائن صالح ومملكة حمير اليمانية انما نشأت بعد هلاك مدينة سبإ ومعين واستدلوا من ذلك على ان الخط الحميري يشبه الفينيقي ولكن دخله قلب وابدال كثير

ومن العاديات آثار قبرص منها تمثالان للمعبودين هركول وآفروديت واوان خزفية ونذور . ومنها حلي اشورية وفينيقية وحلي وجواهر واقراط واساور وقلائد وجدت في مدينة ترواده اي في محل اسمه الآن حصارلق من اعمال لواء بيغا شمالي جون ادرميد وكان اسمه في القديم ايدا وهو بين جبل قار وهللسبون اي بين جناق قلعة وبحر الارخبيل وكانت هذه عاصمة قديمة مشهورة . ومنها ماوجدوه في ترال من ازمير وليبة من طرابلس الغرب وبرقة وغيرها في طرسوس وآخر في برغمة وفي نابلس

هذه جملة اشرنا بها الى ماحواه المتحف وله قسم آخر اسلامي جعلوه في قصر الصيني امام البناء الجديد كما قسمت مصر عادياتها الى متحفين متحف الآثار المصرية واليونانية القديمة والمتحف العربي . وقصر الصيني هذا مما أمر بانشائه السلطان محمد الفاتح ولكن لم يبق عليه من آثار ايامه الا اثر ضئيل جداً مثل الآثار التي يحويها وبعض عاديات واكثرها من قرون الانحطاط اي القرون الخمسة الاخيرة ومنها بعض الصيني الذي كان يعمل في دمشق ورودس وازنيق وكوتاهية وبعض الكاشاني المكتب بالكوفي ومنها ماعثر

عليه في مصر وقونية ودمشق وبورصة وكان يعمل فيها كما تعمل الطنافس البديعة في معامل دمشق وتوقاة واصفهان وغيرها

ومن عاديات قصر الصيني درفتان من صنع قرهمان وقونية ومنهار حالي وقماقم وطنافس ومصابيح وخطوط صدرت عن بعض الملوك العثمانيين ومنبر من صنع الرها (اورفة) واوان خزفية وجدت في الرقة من اعمال حلب وجلود كتب من صنع مهرة المجلدين من العرب والفرس والترك واصونة وخزائن وبعض آثار حجرية يقال انها أموية عثر عليها في القدس وبعض نقوش حيوانات رسمت على الزجاج من الادوار التركمانية والارتقية وملوك بني ارتق من مماليك ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي حكموا جهات ماردين وديار بكر وحلب الى سنة ٨١١ هـ وانقرضت دولتهم بعد حكم ٣٣٤ سنة الى غير ذلك من العاديات والآثار ومما عرضوه عود طرب او طنبورة وهي من صنع عصور الظلمة ايضاً

وبالجملة فان العاديات القديمة التي جعلت في البناء الجديد كلها حسنة ومقيدة لو لم يكن الكسر والتحطيم يغلب عليها لما قاسته من اهاويل الدهور اما العاديات التركية والعربية الاخيرة فتافهة على الاكثر . وفي الاستانة محل قرب جامع السلطان احمد عرضوا فيه صور الانكشارية مجسمة من الجبس من صنع النمسا وهم يلبسون البستهم المعروفة وجالسون على مراتبهم وعاداتهم لا بأس بزيارتها لما فيها من الفائدة التاريخية

سير العلم والاجتماع

تربية صغار العملة

في السويد الآن ٧٢ معملاً لصغار الاولاد منها ١٦ في استوكهلم والمخترعة لهذه المدارس العقيلة كوستاف سيستا رتزويس التي انشأت اول معمل من هذا النمط منذ عشرين سنة تذكاراً لامها وهذه المعامل هي عبارة عن ملجإ لاولاد الشعب الذين لاتفتح لهم المدارس ابوابها الا صباحاً من الساعة الثامنة الى الواحدة او بعد الظهر من الساعة الثانية الى السادسة فيعلم فيها الاولاد صنع الخشب وتطريق الحديد واصلاح الثياب وخياطتها وخصف النعال وصنع الاحذية · وقد تبين لهذه المعامل ان الاولاد يعنون كثيراً بالثياب التي يخيطونها بانفسهم ولا يقصد من هذه المعامل اعداد عملة ماهرين خبيرين بل يكتفى بتمرين ماخصوا به من الحذق والنظر والاجتهاد وتقوية ميلهم الحسن الى الاعتياد على العمل ولا يسمح لولد ان يتخلى عن صنعة قبل ان يعمل بنفسه شيئاً فيها يرضى عنه معلموه ومعلوم ان الحذق في العمل اليدوي يكون قبل الرابعة عشرة او الخامسة عشرة هذا مع ما في عملهم من التأثير الادبي النافع ويزيد ذلك سهر الاساتذة على تلامذتهم ومعاملتهم لهم بالحب والحرية ولا تعطيهم هذه المعامل لقاء عملهم سوى طعامهم وهم يبيثونه بانفسهم معظم الاحايين ·

اترابنا العميان

تحت هذا العنوان كتبت معلمة انكليزية من العميان في احدى المجلات العلمية مقالاً اثبتت فيه ان العميان ليسوا كما يتوهم الناس عاجزين الا عن استعمال قسم قليل جداً من القوى التي يستخدمها المبصرون واوردت على ذلك امثلة من التعليم الخاص بالعمي في بيوتهم او في المدارس الابتدائية والعالية فقالت ان هذه المدارس التي يديرها العمي في الاكثر مثل مدرسة المعلمين العميان في انكلترا تعلم تعليماً موافقاً لحاجات الطلبة بحيث يغادرها هؤلاء وهم يعرفون القراءة والكتابة والخياطة باليد او الآلة وطباعة الاذن ويب والكتابة على الآلة الكاتبة واللعب · وتعليمهم اللعب من اصعب الامور وهذا مايحرض عليه اساتذة مدرسة المعلمين المذكورة حتى غدا تلاميذهم يعرفون اللعب بالشطرنج والداما ويركبون الدراجة ويحسنون التجذيف والعوم ولعبة الفوتبول ·

تعلم اللغات الحية

نشر احد ضباط الانكليز في الجيش الهندي مقالة في المجلة المدرسية ذكر فيها ان حكومته ارسلته مع الحامية الى تخوم الشمال الشرقي من مستعمرة الهند بين قبائل متوحشة تتكلم بلهجة هندية صينية ليس لها قواعد ولا معجم مفردات مكتوبة فقاده الاتفاق الى ان صارت له صلة مع احد شيوخ ذاك الصقع يستعمل السحر والكهانة فانشأ بادئ بدء يستمع لما يلقيه ذاك الساحر من القصص مشفوعاً باشارات ورموز واضحة تجلب النظر فلم يمض زمن طويل الا وقد توصل الى ادراك المعاني التي يريدها الساحر وما هو الا قليل ايضاً حتى دهش من نفسه وقد اخذ يألف الكلمات التي يدمدم بها الشيخ المتوحش واصبحت له من هذه اللغة البربرية معرفة واسعة لم يتعب في تحصيلها كانه تعلمها من كتاب . واستنتج بعد ذلك بان خير طريقة يجب اتباعها في تعليم الاحداث لغة لا يعرفونها ان يسير المعلمون لها على الطريقة التي تعلم بها صاحبنا الانكليزي لغة الهند الصينية .

الاخلاق بالطعام

يرى بعضهم انه يستدل على اخلاق المرء من خطوط يده او من تفلطح رأسه او من استعماله القهوة اوغير ذلك ولكن احد الاطباء الانكليز قال : « قل لي ما تأكل لاقول لك من انت » فاستدل بان الاغتذاء بلحم البقر يورث نشاطاً وقوة . واستعمال لحم الخنزير يورث النفس انقباضاً ويسود المستقبل في النظر . ولحم الخروف يورث السويداء والاكثار من لحم العجل كثيراً مدة طويلة يضعف كل نشاط ومقاومة . وتناول اللبن الحليب والبيض يولي قوة ذهن ولا سيما في النساء والزبدة تكثر البلغم والتفاح يوافق العاملين بعقولهم والخردل من باعثات الذهن ومنشطاته .

المباحث الليمنولوجية

الليمنولوجيا من العلوم الحديثة وهو يبحث عن الظواهر والتراكيب التي تبدو في البحيرات وعلى سطوحها وفي داخلها وتدل هذه الظواهر على الخصب الذي لا ينتاهى في جوف الارض ولهذا العلم شأن عظيم في اميركا . ففي نيكاراغا مثلاً بحيرة اسمها نجيابا هي في الحقيقة حوض ماء من الصابون تحتوي كميات وافرة من محلول بيكاربونات البوتاس والصودا وسلفات المغنيزيا اذا ثار الهواء تحدث منه امواج يتكون منها زبد يستعمله سكان ضفاف البحيرة في غسل رؤوسهم والتداوي من الامراض

الجديدة · وفي وسط ولاية الالاسكا بحيرة اغرب من هذه يكون سطح مائها حلواً وسمكها ابيض اللون اما الماء في داخلها فاملح من ماء البحر وتوجد فيه الاسماك التي لا تصاد الا من البحار · ومن البحيرات الصغرى في ولاية اوتاح ماتجمد ماءه مركباً من توابل مملحة متبلورة يمشي عليها الفارس ولا يسقط وفي ذاك الصقع ايضاً بحيرة لون مائها وردي وتنبعث منها رائحة بنفسج ولونها ورائحتها صادران من وجود الحشيشة «نبات الملح» فيها وبالقرب من سانتافي في كولورادو بحيرة تحتوي كمية وافرة من الكبريت · ومثل ذلك تجده في كثير من اقطار الارض وهو ناشيء من نوع الحيوانات والنباتات التي تعيش في تلك البحيرات ومن طبيعة ارضها بركانية كانت او غيرها · قالت المجلة التي عن بنا عنها وربما علل بذلك ماوجد في بحيرة اكتشفت حديثاً في آسيا من الغليان الدائم في مياهها بحيث لا تنزل حرارتها عن ١٢٠ درجة بالميزان المئوي

التمثيل في الخلاء

ضاقت في الغرب بيوت التمثيل فهرع الناس الى الخلاء يتخذون منه دوراً للتمثيل لا تضيق بالممثلين ولا بالحضور · وقد مثلت مدرسة هارفرد الجامعة في اميركا في المدة الاخيرة رواية جان دارك للفيلسوف الالماني شيلر فكان الممثلون الفي شخص والحضور خمسة عشر الفاً وهو اعظم اجتماع على مثل هذه الحال ·

الجيش العامل

على الرغم من احتجاج الملوك ومعارضة دعاة السلم مابرحت اوربا تزيد في جيوشها العاملة حتى بلغ الجيش العامل اربعة ملايين وربعاً من اصل ٤٣٥ مليوناً من السكان اي عاملا واحداً يؤخذ من كل ثلاثين عاملا في اوربا ولالمانيا وحدها ٦٣٤ الفاً ولفرنسا زهاء ٦٠٠ الف وهكذا ازداد عدد هذه الجيوش زيادة كبرى فزادت اوربا جيشها العامل منذ سنة ١٨٦٩ ضعفي ما كان وكذلك نفقاته · وفي الاحصاآت الاخيرة ان اوربا تنفق على جيشها مسانهة ستة مليارات و٧٢٥ مليون فرنك في السنة

صفات السياسي

نشرت مجلة الاجتماع الدولية مقالة في الاخلاق التي يجب ان يكون عليها الساسة فما قالته ان الناس يزعمون بان احسن سياسي اكثرهم جربذة واحتيالاً وقد ابان استورنل كونستان فساد هذا الرأي مؤكداً بان الثقة والسلامة والاعتبار حليفة اهل الحشمة والوقار من الناس اما النجاح الموقت الذي يأتي به بعض الظرف فهو من شأن الساسة

السطحيين وولاة الشأن المتطين . فمن يجيد السلام يسلم عليه ولكن لابعد شيئاً عند التحقيق . ومن النقائص المضرة جداً في السياسي ان يكون واسع الفكر وردي النية فعليه اذا احب النجاح ان يتحامى ادهاش المجتمع بفضيلة . كما ان الواجب عليه ان لايعيش عيش الفقراء بل ان يكون له مسكن في المدينة التي يقيم فيها وواحد في الضاحية وآخر في بلده الاصلي واحياناً مسكن في احدى الولايات والانفاق على اربعة بيوت يحتاج الى البذل كثيراً ولكن ذلك ضروري لمن يحب ان يقوم بوظيفته حق القيام على صورة محتشمة . وختم الكاتب مقالته بان السياسة مثل سائر المسالك والاوضاع آخذة بالنشوء والابتعاد عن التقاليد القديمة من دس الدسائس واستعمال الشدة وغايتها الآن العمل لما فيه نشر السلام بين الانام

المعادن الشفافة

جربوا الذهب فظهر لهم انه من المعادن الشفافة ومن المحتمل ان يكون النحاس والفضة كذلك . واثبات ان هذه المعادن شفافة يحدث الواناً مدهشة وتغييراً في الصناعة

خفقان القلب

يختلف خفقان القلب في الحيوان باختلافه في الطول فكلما كان نوع الحيوان صغيراً زادت ضربات القلب فقلب الفيل يخفق ٣٠ مرة في الدقيقة والحصان ٤٠ والحمار ٥٠ والانسان ٧٠ والكلب ٩٠ والارنب من ١٥٠ الى ٢٠٠ والفأرة من ٥٠٠ الى ٦٠٠ . ولم تتيسر حتى الآن بالآلات الموجودة معرفة خفقان قلوب الحيوانات الصغيرة وغاية ماعرف ان الفأرة نفسها كلما كانت فتية زاد خفقان قلبها

جمعية الموسيقيين

تألفت في فرنسا جمعية مهمة تجمع جميع الجمعيات الموسيقية في فرنسا على اختلاف مقاصدها في نقابة واحدة . ففي فرنسا الآن ١٢ الف جمعية موسيقية مؤلفة من ٣٠٠ الف انسان على الاقل فاذا دفع الواحد فرنكاً في السنة تيسر لهذه النقابة ان تعمل اعمالاً مهمة ومنها انشاء مكتبة موسيقية عامة

التمثيل في ايطاليا

الشعب الايطالي مولع من وراء الغاية بالتمثيل ولعه بالتصوير والنقش والموسيقى حتى بلغت دوره عندهم اكثر من جميع البلاد المتمدنة بالنسبة ففي ايطاليا ١٥١٧ مسرحاً اي مسرح واحد لكل ثلاثة وعشرين الف شخص ولولاية بروز المقام الاول حتى ان بليدة

صغيرة اسمها كامبوناكورد في البندقية سكانها ٣٥٠ شخصاً لها معهد تمثيل · ومعظم دور تمثيلهم تسمى باسماء اعاظم رجالهم ·

حوادث السكك الحديدية

عَلَى كثرة عناية الاميركان لاتقاء مايحدث عن السكك الحديدية من المكدرات تزداد حوادثها يوماً عن يوم وقد حسبوا انه هلك من وقائع السكك الحديدية منذ شهر حزيران ١٩٠٦ الى مثله من سنة ١٩٠٧ ١٢٢٨٨٥ اي اكثر مما هلك وجرح في معركة واترلو حيث بلغ مجموع من هلكوا ٥٣ الفاً وفي معركة موكدن حيث لم يتجاوز الهالكون مئة الف · وقد اخترعوا في روسيا طريقة سموها طريقة التجسس وهو ان يداهم المفتش وقاد القاطرة والميكانيكي وغيرهما من عملة القطار اثناء السير فاذا صادف خللاً او نقصاً يحكم عَلَى المتراخي في الحال · ويقضى على كل سائق ووقاد ان تفحص عيناه كل شهر فاذا شوهد فيها ادنى ضعف يتم من الخدمة وقد جربوا هذه الطريقة في روسيا واميركا فظهرت لهم فوائدها ·

البريد الالماني

في احصاء رسمي لسنة ١٩٠٨ انه كان عدد الرسائل وغيرها التي مرَّت بالبريد الالماني تلك السنة ١٤٠٥٧ مليوناً وكانت سنة ١٩٠٠ ٨٨٤٠ مليوناً وعدد مستخدمي البريد ١٩٤٢٥٦ سنة ١٩٠٠ فاصبحوا في سنة ١٩٠٨ ٢٨٨٧٢٥ وتجيء بعد سويسرا المانيا بجودة بريدها في حين كانت انكلترا الثانية منذ ثلاث سنين · ولكل ٨٢٥ نفساً في سويسرا مكتب بريد ولكل ١٤٩٥ نفساً في المانيا مكتب وفي انكلترا لكل ١٨٧٣ وفي البلجيك لكل ٥١١٩ وفي ايطاليا لكل ٣٩٤٠ وفي النمسا ٢٩٦٥ وفي فرنسا ٣٠٠٨ وفي اسبانيا ٤١٤٣ وفي روسيا لكل ١٠٣٦٥ وفي الدولة العثمانية لكل ١٨٣١٥

مدرسة الخلية

الخلية اوعش النحلة اسم وضعه احد مفكري رجال التربية في فرنسا المسيو سباستيان فور لمدرسة له اوجدها في مدينة رمبوليه من مقاطعة الواز في شمالي فرنسا لتربية اليتامى او الاطفال المهملين او ذوي الحاجة يختارون من ابناء السادسة ويعلمون الى الخامسة عشرة فينتقل الطفل الى السنة الثانية عشرة التعليم الابتدائي وبعد ذلك يضاف اليه قسم فني فيتعلم الطالب حرفة فاذا بلغ الخامسة عشرة يخير بالخروج من المدرسة او ان

يعمل فيها على ان يقسم ارباحه من صناعته ثلاثة اقسام ينفق الاول لطعامه ومسكنه والثاني يضاف الى رأس مال الخلية والثالث يودع له في صندوق التوفير لحاجته الذاتية والخلية الآن مكان لطيف فيه ٣٦ طالبا وأسرة المؤسس ١٤ يعيش هؤلاء الاربعون نسمة كأسرة واحدة ورأس مال هذه الخلية من ثمرة اعمال المؤسس وحسنات المحسنين وقد كانت نفقتها سنة ١٩٠٩ نحو عشرة آلاف ليرة ودخلها اقل من ذلك بقليل وقد اسست منذ سنة ١٩٠٦ وهي الى الآن تخسر ويسد العجز منه ويربي الطلبة على التربية البدنية والتربية العقلية ولا يعلمهم الدين ولا التاريخ ليختاروا متى شبوا لانفسهم دينا ومذهبا سياسيا لانه يقول ان التاريخ كما هو الآن لا يخلو من زيادات كثيرة فمن نصفهم بانهم عظماء كانوا في الحقيقة مجرمين اشرارا ولذلك يكتفي بتلقينهم تاريخ الحضارة والمدنية اذ يلقنهم بذلك حقائق راهنة لا يتطرق اليها الفساد

اكتناء عرب الشام

كتب الامير شكيب ارسلان في النبراس فصلاً قال فيه تحت العنوان السالف ما يأتي : انه لمعلوم ان لكل مبارز شعاراً ينادي به في ميدان الحرب ، وهذا هو المسمى عند الماضين بالاكتناء وعند العاصرين « بالنخوة » ، وهي في اللغة العظمة والفخر : يقولون انتخى عليه افتخر وتعظم . وحيث كان المنتخي اكثر ما ينتخي على طريق الكناية كأن يقول : « انا ابو فلان او اخو فلانة » جعل هذا المذهب من الفخر في ساحة القتال اكتناء وسمي هذا الاكتناء انتخاء . ومنه قول الامام علي رضي الله عنه : « انا ابو حسن القرم » ومنه : « انا الغلام الغفاري » . وقد ورد في الحديث : « رأيت رجلا في القادسية وقد تكنى وتحجى » والتكني هو هذا والتحجي هو الزمزمة على عادة الفرس .

ولا ينحصر الاكتناء المقصود ههنا بذكر الاب والام بل هو تعريف الفارس بنفسه في ساحة الوغى بلقب من الالقاب او وصف من الاوصاف يصير عليه علماً . فالشعلان وهم شيوخ الرولا من عنزة من اعظم العشائر الضاربة في بادية الشام ينتخي واحدهم بقوله « انا راعي العليا » ومتى قيل « رعاة العليا » علم انهم الشعلان عند كل العرب . ولهم نخوة اخرى وهي « اخوصيته » ولا ادري ما اصل هذه التكنية ولكن الصيتة في اللغة هي بمعنى الصيت ومنه قول لبيد :

وكم مشترٍ من ماله حسن صيتةٍ لآبائه في كل مبدٍ ومحضر

ثم ان ابن سمير شيخ ولد علي نخذ آخر من عنزة يتكنى بقوله « اخو عذرا » وعذرا هذه

قرية في مرج راهط شرقي دومة الشام كان لابناء سمير عليها اتاوة سنوية اوعلى رأيهم «خوة» فتكنوا بها فكان قولهم «اخوعذرا» يشير الى ان قرية عذرا تؤدي لهم «الخوة» .

ثم ان ابن الطيار شيخ الفرقة الثانية من ولد علي يكتني «باخي ثنية» ولا اعلم ماذا كانوا يريدون بهذه الثنية المحل المسمى بثنية العقاب الواقع الى الشرق من عذرا والذي هو المطلع من المرج الى جبل القلمون .

ثم السردية وهم من العرب المعروفين في بلادنا باهل الشمال ولهم قدم في حوران وامارة في الايام السابقة ويزعم بعضهم انهم بطن من تنوخ فهؤلاء ينتخون بقولهم «اخوذيبة»

ثم بنو صخر النازلون شرقي البلقاء على طريق الحاج وهم فرقتان الطوقة والخرشان .
فالطوقة ثلاث فرق : الغبين وشيوخهم الفايز وهم شيوخ سائر بني صخر ايضاً ومنهم المرحوم طلال باشا ابن فندي الفايز والحامد والزبن . فالفايز كنيتهم في الحرب «اخوبلها» والحامد يقولون «اخو عمشاء» والزبن «اخوضحا» . واما الخرشان احدى فرقتي بني صخر فيقولون «اخوفلوا» والبلهاء في اللغة هي المرأة الكريمة الغريرة التي لا تعلم الشر ، وورد ايضاً انها الناقة : قالوا ناقة بلهاء لاتتحاش من شيء مكانة ورزانة كأنها حمقاء . ولم اعلم سبب قولهم «اخوبلها» . اما «العمشاء» فهي مؤنث الاعمش من العمش وهو ضعف البصر مع سيلان الدمع . ولم ار في فصيح اللغة «الفلواء» وانما قيل ان الفلو وهو المهر يقال له فلوّ بالتشديد ثم يؤنث فيقال فلوّة مثل عدوّ عدوّة فهل ذلك تحريف ام تخفيف ? لا اعلم . وجميع بني صخر يقال لهم البواسل وهو لقب يجمعهم فاذا قيل جاء البواسل فهم العرب من ذلك انهم بنو صخر ومعناه مفهوم . ولهم لقب آخر وهو «رعاة العرفاء» والعرفاء مؤنث الاعرف وهو الطويل الذي له عرف : يقال ناقة عرفاء اي مشرفة السنام . وقال ايضاً ناقة عرفاء اي مذكرة تشبه الجمال ، ويقال ايضاً عرفاء للضبع لطول عرفها وكثرة شعرها وقد وردت العرفاء في شعر الشنفرى قال :

ولي دونكم اهلون سيد عملّس وارقط زهلول وعرفاء جيأل

ثم ان العدوان وهم عشيرة ينزلون منذ نحو مائتي سنة بالبلقاء يشتون في الغور ويقيظون في حسبان يكتنون «باخوة شيخه» . ومن الغريب ان هذه الكنية في الحرب كنية المشايخ العوامرة من رؤساء الدروز في جبل حوران . على ان للعدوان ايضاً لقباً آخر وهو «رعاة الضبطاء» . اخبرني شيخهم وشيخ مشايخ البلقا في هذا العهد وهو سلطان

ابن علي بن ذياب ان الضبطاء اسم ناقة غنموها في حربهم مع الامراء آل مهدي الذين كانوا في البلقاء قديماً وكانوا امراء تلك الجهة وزحزحهم العدوان عنها بعد حرب عوان وان آل مهدي كانوا قد حملوا على تلك الناقة اوقار كنوزهم من الحلي والذهب والفضة فهزمهم آل عدوان وغنموا الناقة بما عليها و تقاسموا فيما بينهم تلك الاموال فكانت بدء سعادتهم وحق لهم ان ينتسبوا الى ناقة حملت سعدهم فوق متنها . واما الضبطاء في اللغة فهي مؤنث الاضبط والاضبط هو الذي يعمل بكلتا يديه : يقال اسد اضبط اي يعمل بيساره كعمله بيمينه، وناقة ضبطاء ولبوة ضبطاء . قال الجميح الاسدي :

اما اذا أحردت حردي فمجرية ضبطاء تسكن غيلاً غير مقروب

ثم عشيرة عباد من نزالة البلقاء ايضاً وهم يناظرون العدوان يقال لهم « الطرائفة » فتسمعهم في الهيجاء يصيحون « اين ذهب الطرائفة ؟ اين ذهب الطرائفة ؟ » وهم فرق ست منهم المناصير « اخوة عوجاء » ومنهم الختالين (بدون تشديد) ومنهم النقهاومنهم الرماضنة ومنهم غير ذلك . والطرائفة اسم جامع للكل

ثم الحويطات النازلون باطراف معان والعقبة على طريق الحاج هؤلاء يقال لهم « اخوة صالحة » و ينتخون في الحرب بكلمة « خيالة الصفحة » . سمعت انهم يعنون بذلك محلاً صعباً وعراً كثير الحجارة في بلادهم وفي اللغة الصفائح هي بهذا المعنى

ثم العجارمة وهم من عشائر البلقاء ايضاً ولهم قدمة في التاريخ رأيت السائح ابن بطوطة في رحلته يشير اليهم اذ مرّ من هناك قاصداً الى الحجاز هؤلاء كنيتهم « صبيان الصباح » ولا اعلم الاصل في ذلك . وعشيرة ابي الغنم جيرانهم يقال لهم « اخوة دلعب » ولا اعلم وجه هذه التسمية ولم ارَ في الفصيح « دلعباً » فلعله مقلوب دعلب اودعبل فان الدعلبة والدعبل هما بمعنى الناقة .

وبنو حميدة من عرب الكرك « صبيان السياح » والمجالية شيوخ عرب الكرك الذين منهم مبعوث ذلك اللواء في مجلس الامة هؤلاء كنيتهم « اخوة خضرا »

والصليت من عرب الكرك ايضاً يقال لهم « رعاة الحيزا » ولا اعلم للحيزا معنى الا ان كان من الحيز وهو السير الرويد والسوق اللين : يقال حاز الناقة يحيزها اي سار بها برفق وللفريحات من عرب عجلون كنية هي « اخوة شيرة » ولعل « شيرة » مخفف « شيّرة » اي جميلة لانه يقال امرأة شيرة اي حسنة الشارة

والصقر من عرب غور بيسان يقال لهم « رعاة الجدعا » والجدعاء من الجدع وهو القطع

واكثر ما يستعمل في الانف والشفة والاذن وقد رأيت في لسان العرب « بنو جذيمة » بطن من العرب ٠

ثم المساعيد النازلون بغور الفارعة في عدوة الاردن الى الغرب على طريق نابلس اميرهم ضامن المسعودي لهذا العهد يقال لهم « بنو عقبة » وبلغني انهم في الاصل اشراف واردون من الحجاز

والسرحان من العرب التي يقال لها عرب الشمال اسمهم « رعاة البويضا » ٠ والكعيبر اسمهم « رعاة الصفرا » والدعجه من عرب مادبة يقال لهم « اخوة خشفة » ٠ والمشالخة من عرب غور ابي عبيدة (رضي الله عنه) منهم الربيع « اخوة عمشيا » والفاعور « اخوة صبحا » والشراوات وهم من عرب البادية الضاربة الى الجوف يقال لهم الآن « بنو مكلب » واظن انهم هم بنو كلب لان التاريخ ذكر نزول كلب باطراف البلقاء من الشام ٠

ومن جملة الكنى المشهورة في حوران « اخوة بلجاء » وهي كنية بني الاطرش اشهر مشايخ الدروز بذلك الجبل ٠ ولا ادعي انني اتيت على جميع ما لعرب الشام من اصطلاحات النخوة والكنية واللقب اذ بقي هناك قبائل و بطون وافخاذ لا يكاد يأخذها العدد ولكل منها كنية ومعرفة تتعرف بها وانما نتبع القول السائر : « ما لا يدرك كله لا يترك كله » ٠

هلكى السل

ثبت ان الالكحول هي الباعث الاقوى للسل وانه حيثما كثرت الحانات زادت الاصابات والوفيات بهذا الداء العياء ٠ واذ كان في فرنسا مثلاً نحو نصف مليون حانة يصيب كل ثمانين انساناً من اهلها حانة واحدة وفي بلاد الشمال يصيب كل ٥٣ شخصاً حانة اصبح السل فيها اكثر انتشاراً من غيرها ٠ وقد اكدوا ان بلاد نروج توصلت بالقواعد الصحية ومراقبة التلامذة والاساتذة في المدارس التي هي بؤرة العدوى الى ان قل فيها عدد المصابين بالسل وفي احصاء ظهر منذ خمس سنين ان فرنسا يهلك فيها ٣١ نسمة من كل عشرة آلاف بهذا الداء وايرلاندا ٣٦ وابكوسيا ٢٠ والمانيا ١٧ وايطاليا ١٦ وانكلترا ١٦

التنزيه في الفرصة

بدأت الشركات في سويسرا منذ عشرات من السنين بجلب الاولاد من بلادها وغيرها وتنزيههم مدة الفرصة فجرت على اثرها شركات اخرى في اكثر ممالك اوربا حتى بلغ عدد من تنزههم الشركات من التلامذة في المانيا ٣٥ الفاً في السنة وفي انكلترا

٣٠ الفاً وفي فرنسا ٢ الفاً ومن التلامذة من يرسلون تحت حماية معليهم الى نزل للشركة ومنهم من تكتري لهم دوراً خاصة وفريق منهم تبتاع او تبني لهم دوراً من ارض لهـا لينزلوها خلال فصل الصيف

الاستشفاء في الشمس

كتب الدكتور تريمولير في مجلة مطالعاتنا في البيوت ما مثاله معرباً : جاءت الشهور التي يستشفى بها بالشمس العجيبة فلنفتح لها ابوابنا ونوافذنا ولا يكفي تسخين المساكن باشعتها وانارة زواياها بحرارتها فان الشمس في تلك الحال لاتزيد الجراثيم التي تنمو في الرطوبة والظلمة الا نضوجاً ولا يقتصر على الاستحمام بنورها المحرق المذهب خلال الارتياض والخروج للنزهة بل الواجب ادخال اشعتها الى جسمنا وهو عريان لتطهر اشعتها جثماننا وتحيي انسجتنا وتحول المادة الحية المكتسبة الى مواد حيوية طاهرة تحوي في مطاويها النشاط والقوة .

فقد اوصى اسكولاب المشهور في الاساطير القديمة الذي احترم الاطباء في كل عصر اقواله -- كل من ضعفت وظائفهم ان يعيشوا عراة في الشمس بوقاية رؤوسهم من ضربات الشمس . وكان الرومان يقتطعون من مساكنهم اومدنهم اماكن يخصصونها بحمامات الشمس والهواء الطلق يدعونها سولاريوم وبذلك حسن نسل اليونان واللاتين . قصد الاسكندر الكبير ديوجنس الكلبي ذات يوم وهو خارج من برميله يستحم على مهل بنور الشمس فسأله الملك اي غرض تريد ان اقضيه يافيلسوف فاجابه هذا اريد ان تبتعد عن طريق شمسي

وقد اتفق الاطباء في عصرنا على هذه المسألة وجاءت من كل مكان اخبار فوائد اشعة الشمس . وحدث ان رجلا كان مصاباً بخراجين نغارين من الخنازير فعرض احدهما للشمس فشفي اما الثاني فلما لم يحصل مداواته باشعة الشمس بقيت بحالها تنز . وهكذا الحال في كثير من الرضوض والقروح السلية والنواسير والبثور وجروح الجلد فانها كلها تحول بتأثير المداواة بالشمس .

واشعة الشمس لا تؤثر فقط في ظاهر الجلد بل تخترق البشرة والادمة (الطبقة الغائرة من الجلد) وتسري الى الداخل وتعدل الحواس الداخلية فالحرارة المنبعثة منها تجلب التعريق فتلين الاعصاب وترخص المفاصل و يزول الشعور بالملل والثقل بتأثير الاشعة ومايتبعها من ارتفاع درجة الحرارة ويحسن الهضم شيئاً فشيئاً ويسكن القلق والاضطراب

الحادثات من اوجاع مجهولة · ويرتفع التأثر الشديد الناشئ من وجع الكلى والرحم والمبيض والآلام العصبية ووجع الاضلاع او يقل تناوبه على المصاب به فتنبسط نفسه وترتاح روحه وتتعدل حالة البول بادراره تارة وتجمعه اخرى وتحسن موازنة الوظائف العديدة في تركيب الانسان واكمل الاحشاء التي تتاوم كل تأثير تنتهي بها الحال الى الخروج عن ضعفها · ويقف السمن عن النمو او يرجع القهقرى وذلك بدون عقاقير ولا تعاطي ادوية ولا حاجة للوصول الى هذه الغاية الى اكثر من الشمس على طريقة منظمة بتوجيه الاشعة الى البطن السمين والمتن والخاصرة حتى تعود الى اعتدالها وحالتها الطبيعية وبعد المداواة بالشمس اشهراً يعود الصدر الى سالف طبيعته ·

وان الحركات الرياضية التنفسية اللازمة للبالغين ممن ضاقت صدورهم ولكل من لهم استعداد للسل لتقضي بان يعري المرء نصفه الفوقي ويعرضه للشمس وهذه المداواة تنفع جميع الضعفاء والهزالى والمنهوكين والمتعبين · واكثر المستشفين انتفاعاً باشعة الشمس من اسودت بشرتهم فاذا لم يكتسب لهم ذلك فالواجب ان يعمدوا الى طريق آخر في الاستشفاء · ويجب ان يعرض الجزء اللازم شفاؤه للشمس مباشرة بدون حاجز اللهم الا سجف يقي الجسم من النظر وهبوب الهواء فلا يحم المستحم على هذه الصورة ولذلك رأى بعضهم ان خير استشفائه مايكون في الشتاء ورأى آخرون ان الواجب الاحتياط ووضع رفادات ندية او مثلجة على الرأس والنقرة والقلب ولذلك يجب مراجعة الطبيب

السجناء

مابرح الناس في الغرب يسعون الى تخفيف عذاب السجون والرفق بالسجناء حتى اصبح السجن بهيجاً كالمعمل او الثكنة بل ان بعض السجناء قال لمفتش احد السجون انهم لا يعطوننا خبزاً مثل خبز الجند كأنه كان نفسه ارقى منهم طبقة ويحق له ان يطالب باكثر مما نال فليس عجيباً من ثم ان تزيد الجرائم · واختلف الباحثون في الجرائم والعقوبات فمنهم من رأى الاستعاضة عن الحبس بغرامة مالية ولكن ما كل الناس في سعة يستطيعون معها بذل المال وقال آخر يجب تشهير الجاني بالاعلانات ورد عليه غيره بان ذلك مناط بعقل المجرم · وذهب آخرون الى وضع المجرمين في بيوت اعلها من اهل العرض والشرف ثم عاد عن هذا الفكر وارتضاه فقط لصغار الاولاد · واحسن السجون سجن لوفان في البلجيك حيث يفصل المحكوم عليهم عن اخوانهم ويزورهم اناس من ارباب الشرف والحشمة يسلونهم ويعطونهم عملا ويستمعون لمطالبهم وينصحون لهم سراً بنصائح صالحة

وقد ارتأى احد العلماء ان المحكوم عليه يجب ان يفصل ما امكن عن اقرانه ويكون قريباً ما امكن من المجتمع

شركات المطاط

كان يستخرج المطاط الى العهد الاخير من اشجار بربة منزرشة اسمها «ليان» ثم اصبحوا يغرسون شجره ويزرعونها فصارت غلاته على طريقة منظمة واجود واغزر من قبل وانتشرت هذه الزراعة في المستعمرات الانكليزية فأنشئت سنة ١٩٠٩ — ٨٩ شركة انكليزية برأس مال قدره عشرة ملايين جنيه كما أنشئ من اول كانون الثاني ١٩١٠ الى ١ آذار ٤٥ شركة جديدة اخرى رأس مالها خمسة ملايين ونصف من الجنيهات وكل يوم تنشأ شركات جديدة وقد كانت رؤوس الاموال الموضوعة سنة ١٩٠٦ مليونين ونصفاً من الجنيهات فاصبحت اليوم ثلاثين مليوناً واهم تلك الشركات تملك ٢٠٧٠٠٠٠٠ شجرة يستخرج منها المطاط

مدرسة التربية

يذهب كثير من الباحثين الى ان المدرسة اذا علمت الاولاد قليلاً اوكثيراً فهي لا تربيهم وقد كتب احد علماء الطليان بحثاً في هذا الشأن قال فيه ان المدارس تفرط في تدريس التعليم المسيحي على حين ليس هو نافعاً في تربية اخلاق الاولاد وذلك لانهم لايفهمون منه شيئاً فالواجب ان يعمد الى تربية الطفل على العمل حتى تصبح المدرسة مربية حقيقة فان ساعتين تكفيانه في اليوم لتعليم اللغات والمعارف الابتدائية فينبغي تخصيص بقية الوقت اي ساعتين او ثلاثاً للاعمال اليدوية بحسب ميل الطفل وذوقه لان الاستعداد للعمل امتن اساس في الاخلاق وبذلك لاتكون المدرسة سجن الطفل تتبرم نفسه من الجلوس على دكات المدارس خمساً او ست ساعات في اليوم وتضطرهم المدرسة الى حضور التعليم الديني بلا فهم والفطرة تدعوهم الى الحياة العملية التي تهيء مستقبلهم في المجتمع ·

سماد الفوسفات

انتشرت صناعة السماد الكيماوي ولاسيما الفوسفات فقد ظهر هذا السماد لاول مرة سنة ١٨٦٧ في كارولين ثم جاء سماد البلجيك والجزائر وتونس وجزائر المحيط وفلوريدا وغيرها وكان المستخرج منه سنة ١٨٨٦ ثمانمائة الف طن فاصبح هذه السنة خمسة ملايين طن والولايات المتحدة اكثر الممالك اخراجاً للفوسفات اي نصف مايستخرج من آسيا

واوربا وافريقية وزاد المصروف من هذا السماد ٧٩ مرة خلال العشر السنين الاخيرة ·

القرى والمدن الانكلوسكسونية

قابل احدهم بين نمو المدن في انكلترا ونموها في المانيا فقال ان الالمان اشد ميلاً الى سكنى المدن من الانكليز في حين بدأ الانكليز بالتحضر في المدن قبل الالمان بكثير فقد كان ٥ في المئة من سكان المملكة الجرمانية سنة ١٨٧١ يعيشون في المدن التي تضم كل واحدة منها بين جوانحها مئة الف نسمة فبلغ عدد ساكني المدن ١٩ في المئة من مجموع السكان سنة ١٩٠٥ وكان عدد المدن التي تحوي كل منها مئة الف نسمة ١٤ مدينة في انكلترا سنة ١٨٧١ فيها ٦،٢٥٠،٠٠٠ ساكن او ٢٧ ونصف في المئة من مجموع السكان فاصبحت سنة ١٩٠١ ٣٣ مدينة كبرى تحتوي كل واحدة منها على مئة الف نسمة ومجموع سكانها ١١،٥٠٠،٠٠٠ فزاد سكان المدن ضعفين خلال هذه المدة في انكلترا وزادت في المانيا ثلاثة اضعاف · والسبب في نمو المدن الالمانية كثرة اراضي المانيا وكثرة الولادات بل هجرة الناس من القرى ومعظم سكان المدن الحديثة هم شبان تختلف سنهم بين ٢٠ الى ٤٥ سنة

عملة الطليان

يبلغ عدد العاملين في ايطاليا ٧،٧٨٧،١٦٦ عاملاً منهم ثلاثة ملايين و ١٣٩،٥٠٠ يعملون في الصناعات و٤٦٧،٦٦٦ في الزراعة وقد انشأ الراقون من العملة مؤتمراً للاتحاد بينهم منذ اربع سنين فبلغ عدد الداخلين فيه الى هذه السنة زهاء ثلثمائة الف وغايتهم ان تكون حركة طبقة المساكين تحت ادارتهم مباشرة وان يساعدوا على تأسيس غرف للعمل والاتحاد الوطني وينشطوا على وضع القوانين الاجتماعية النافعة للعاملين فخطتهم اصلاحية سلمية

التعليم الحديث في الصين

اخذت الصين منذ سنة ١٩٠٠ تعنى كل العناية باصلاح التعليم في الصين فنظمت كلية بكين وقسمتها الى ثمانية اقسام ثم أسست مدرسة للغات الغربية وفي سنة ١٩٠٣ وضعت مشروع قانون لجعل التعليم عصرياً محضاً فاخذ الطالب يشرع في الدرس في السنة السادسة ولا يخرج من المدرسة الثانوية الا في سن العشرين وبعد ذلك يمرن ثلاث سنين في المدرسة العليا في عواصم الولايات قبل ان يخصص في مدرسة بكين في

علم واحد وهذه المدرسة تعد رجالاً أكفاء لستة واربعين مسلكاً . ويصرفون جزءاً مهماً من الوقت في المدرسة الابتدائية لتعلم اللغة الصينية وقراءة كتب الاقدمين من كتاب الصين اما في المدارس الاخرى فيدرسون العلم واللغات الحية خاصة وهذه اللغات تعلم عَلَى الترتيب الآتي : اللغة الانكليزية اللغة اليابانية اللغة الفرنسوية اللغة الالمانية اللغة الروسية . والتلامذة انفسهم يلاحظون في كل مدرسة امر مدرستهم ولهم حق الاشراف عليها . ولم تكد تنشر اللوائح الجديدة في التعليم حتى وضعت موضع العمل وقام الصينيون كلهم يطلبون انشاء مدارس لهم وقد فتحت في ولاية بتشيلي وحدها ثلاثة آلاف مدرسة في آن واحد وحوات كثيراً من المعابد البوذية الى مدارس للتعليم عَلَى الاصول الحديثة وقد اعوزهم المعلمون اولاً حتى اصبحوا يقبلون المتعليم بعض من لا يحسنونه الا ان الصين لم تلبث ان بعثت الى يابان سنة ١٩٠٤ بالفي طالب يتعلمون في مدارسها العالية وزاد عددهم حتى بلغوا سنة ١٩٠٦ عشرة آلاف طالب وكل من يعود منهم توسد اليه الوظائف السامية في التدريس وغيره (عن مجلة العالمين الفرنسوية)

التعليم في المانيا

لاشيء ادل عَلَى ارتقاء التعلم الابتدائي في المانيا من قلة عدد الاميين بين الجند من ابنائها فقد كان عند المانيا سنة ١٨٨٧ — ١٠٢٥٠ جندياً أمياً من الجنود الذين كانوا تحت السلاح فاصبحوا سنة ١٨٩٧ مائتين وقد بلغ هذه السنة اثنين في المئة من مجموع المجندين واكثر هؤلاء الجنود الأميين هم من البولونيين في روسيا الشرقية اما عدد الاميين في فرنسا في السنة الماضية فقد بلغ ٩٨٢٥ من الجند ومعظم الدول تعلم جندها الأميين القراءة والكتابة بحيث لا يقضي الجندي في الخدمة العسكرية الا وقد تعلم الكتابة كما تعلم الرماية

المطبوعات الاميركية

نشر احصاء بحركة العلم والمطبوعات في الولايات المتحدة خلال السنة الماضية فشوهد ان القوم اخذوا يزهدون في قراءة القصص ويرغبون في تناول كتب الجد واصبحت كتب الآداب في الدرجة الاولى من العناية بعد ان كانت في الدرجة الخامسة . وقلت العناية بكتب الدين واللاهوت كما زادت في سائر فروع العلم مثل الفنون النافعة والجغرافيا وكتب الرحلات والسياسة والعلوم الاجتماعية والتربية . وقد طبع سنة ١٩٠٩ في هذه البلاد ٨٣٠٨ كتب لمؤلف اميركي وكان عددهم في السنة التي قبلها ٦٣٤٩

وطبع ٨٢٨ كتاباً لمؤلف انكليزي او اجنبي وكان عدد هذه الفئة في السنة التي قبلها ١١٤٥ ٠

اللغة الروسية

كانت اللغة الفرنسوية في روسيا منذ مئة سنة لغة الطبقة العالية والمجتمعات المنورة وما برح الروسيون يعملون على تحسين لغتهم ويحببونها الى النفوس على كثرة شذوذها و يرققونها على غلظتها حتى نشروا اعلامها لا في بلادهم فقط بل في اوربا ووصلوا بها الى اميركا ففي نيويورك وحدها حيٌّ للروس يبلغ المتكلمون بلغتهم ١٦٠ الفاً هذا واللغة الروسية على مافيها من الآداب منذ عهد بوشكين شاعر الروس الاول الى عهد تولستوي آخر ائمة النثر عندهم لم تبرح على جفافها الاول وان تسربت اليها الفاظ كثيرة من اللغات المجاورة ولا سيما من الالمانية ٠

اميركا الاسرائيلية

في احدى المجلات الافرنجية ان اميركا هي بلاد الاسرائيليين لو رجعنا الى ماقاله بعض المؤرخين والاحصائيين ٠ فقد دخل الاسرائيليون اميركا منذ اكتشافها وسهل علماء اسرائيل في البرتقال باعمالهم الرياضية والفلكية الطريق لسفر خريستوف كولمبس الى اميركا بل انمال اليهود هو الذي يسر له رحلته وكان معه في السفينة لويز دي تور الاسرائيلي وهو اول من داس الارض الاميركية واخذ المهاجرة من الاسرائيليين منذ افتتاح تلك البلاد يأتونها زمراً زمراً فاليهود هم الذين استعمروا سان تومه حيث أسسوا معامل السكر وبهم نجحت برازيل الى ان طردوا منها سنة ١٦٥٤ وجزائر باربادو جامايك ارتقت بواسطة الاسرائيليين وقد صرح احد حكام الانكليز ان الاسرائيليين هم احسن رعايا عظمة الملك ٠ وما كانت الولايات المتحدة لتدخل في طور الفلاح لولا العنصر اليهودي فيها ٠ وقد قال الرئيس روزفلت يوم عيد الـ ٢٥٠ لهجرة الاسرائيليين ان هؤلاء القوم قد شاركوا في عمران هذه البلاد ونشأتها ٠ وقال الرئيس كليفلند لم يؤثر احد كاليهود في تأسيس معالم الحضارة الاميركية اليوم ٠

الرياضات اليابانية

يقول اليابانيون ان اجسام بنيهم اخذت بالضعف منذ تخلي الناس في يابان عن الارتياض واللعب على طريقتهم القديمة على خلاف مايظن الاوربيون فان كثرة المواصلات بالترامواي والسكك الحديدية قللت السير على الاقدام والمشي من انفع

الرياضات كالسباحة وقد نصحوا بان الواجب عَلَى كل ياباني ان يحسن العوم وبتعلمه مكرهاً في المدارس وعَلَى الناس ان يرجعوا من تلقاء انفسهم الى تعاطي اللعب والرياضات والمشي فليس ادل عَلَى ضعف البنية اليابانية اكثر من ان حكومة الميكادو اخرت ١٧٨ الفاً من الجند او اعفتهم من الخدمة من اصل ٤١٤ الفاً اضعف بنيتهم ولانهم لم يستوفوا الشروط المطلوبة للخدمة العسكرية ·

خريطة العالم

دعا المؤتمر الجغرافي في جنيف سنة ١٩٠٨ مؤتمراً دولياً للتعاون عَلَى وضع خريطة للعالم من مقياس مليون فاجتمع المؤتمر في لندرا وقرر ان ترسم انكلترا معالم افريقية ومجاهلها وترسم الولايات المتحدة معالم اميركا الشمالية والجنوبية والمانيا ترسم آسيا وستكون هذه الخريطة اصح مصوّر للاقاليم والبلدان تنفق عليه النفقات العظيمة ·

محصول الحنطة

ذكر احد كبار الاحصائيين الاقتصاديين منذ عشر سنين انه سيجيء وقت ليس يبعيد يظهر عجز كبير في محصول القمح فلا يعود يكفي الناس لانهم في ازدياد كل يوم والمحصول لايزيد على نسبتهم فقد ابان بعضهم بان محصول الحنطة في العالم سنة ١٩٠٥—١٩٠٦ كان ٢٣٧٠٥٨٦٠١٩٢ هكتولتراً (الهكتولتر مئة ليتر) وما صرف منها ٢٢٩٠٧٧٣٠٧٣٠ فبلغت الزيادة ٧٠٨١٣٠٤٦٢ هكتولتراً وبلغ المحصول في العالم سنة ١٩٠٧—١٩٠٨ ٢٠٠٠٩٠٧٣٦٠٤٣٠ والمصروف ٢٠٣٣٠٥٨٠٠٩٠٠ اي بعجز ٣٢٠٠٨٤٩٠٤٧٠ ولا يتأتى سد هذا العجز الا بخزن القمح وخزنه لايتيسر عَلَى ماينبغي والمستقبل لايخلو من خطر عَلَى غذاء البشر · وقد عاد الاقتصاديون فبحثوا عن الاراضي التي تزرع قمحاً فاثبتوا بالارقام ان كثيراً من الاصقاع في اميركا وآسيا آخذة بالنمو العجيب في زراعة الحنطة وانه يمضي الجيل اثر الجيل والقرن بعد القرن والحنطة تكفي البشر وانه اذا كانت بعض المطاحن والمخابز وقفت عن الطحن والعجن والخبز ولا سيما في العواصم الاميركية والانكليزية فذلك ناشيء من مضاربة تجار الحنطة لا من قلة المحصول ·

الصحافة في سويسرا

ظهر تقويم الصحافة السويسرية لهذه السنة فتبين منه ان سويسرا عَلَى قلة سكانها اكثر البلاد الراقية بصحفها ومجلاتها ففيها ٢٦٢ جريدة سياسية واخبارية تصدر باللغة

الالمانية و١٠١ باللغة الفرنسوية و٢١ باللغة الايطالية و٣ بلغة الرومانش (الرومانش من شعوب سويسرا الشرقية ينزلون اليوم في كريزون ولغتهم مشتقة من اللغة اللاتينية) وعندهم اربع مجلات فلسفية مهمة و٤٠ مجلة فرنسوية بروتستانتية و٣٧ المانية و٢٧ جريدة كاثوليكية و١٠ جرائد للمرسلين ومجلتان اسرائيليتان وثلاث مجلات لاتقول بدين هذا عدا الجرائد الرسمية التي تصدر في المقاطعات والمجلات الحقوقية والاقتصادية والاجتماعية والفقهية ومجلات الضمان والنساء والفلسفة والعلوم والصناعات النفيسة والرياضات والآداب فيكون مجموعها ٧٦٦ مجلة وجريدة نحيا الله بلاد العلم والعمل .

منع التقبيل

اشتدت ولاية ايوا في الولايات المتحدة اكثر من غيرها من اصقاع الارض في منع التقبيل وقد صنعت الوقاس الشريط الابيض والوردي كتبت عليه « لا تقبل » ووزعت مجانًا على تلامذة المدارس واخذت ادارة الصحة تبعث باطبائها الى البلاد يخطبون القوم في مضار التقبيل واساتذة المدارس يساعدونهم بما يبثونه من النصائح للتلامذة والطلبة

حماية الجمال الطبيعي

في المانيا عدة جمعيات اخذت على نفسها حماية الجمال الطبيعي في اصقاعها البهجة وهي تبذل كل مرتخص وغال لحماية المصانع القديمة من سوء ينزل بها ومنذ عشر سنين مابرحت المؤتمرات لهذه الغاية تنعقد وتتوالى ومن هذه الجمعيات مابلغ ايراده مئة الف فرنك في السنة تصرفها في هذا السبيل

الحمة

هي تلك الاراضي الفسيحة الواقعة في وادي اليرموك الجميل على الخط الحجازي الآتي من طريق حيفا في الكيلومترو ٩٣ و٩٥ الذي يشقه نهر الشريعة الشهير على جنوبي جبال مكيس ذات الآثار الجليلة المعروفة قديمًا بمدينة (جدره) وفي الحمة ينبع ثلاثة ينابيع معدنية حارة تنبجس بغزارة وتجري حتى تنصب في نهر الشريعة على بعد قليل ويبعد النبع عن الآخر بضع دقائق يدعى احدها « المقلي » « اوحمام سليم » ودرجة حرارته ١١٩ والآخران (حمام الجرب)وحرارته ٠٨ اوحمام « الريح » وحرارته ٨٣ بميزان فارنهيت ويلحق بهذه الحمامات ثمانمائة دونم كلها صالحة للزراعة ذات خصب وثراء وقد عرف الاقدمون مكانة هذه الينابيع فعمروها على احسن طرز من البناء الروماني

الضخم الجميل يدلنا على ذلك ماخلفوه لنا من الآثار الجليلة والابنية الدائرة الفخمة التي تخاطبنا بافصح لسان بما كانت عليه من الجلال والمنعة ابان مجد الرومانيين العابر منها آثار تياترو من الحجر الصلد الاسود على غاية الرونق والاتقان

وقد جرى تحليل هذه المياه في ادوار مختلفة لمعرفة خصائصها ومنافعها في الاستشفاء والمعالجة فافصحت التجارب عن حقائق ذات شأن كبير منها شفاء اوجاع المفاصل المعروفة بالروماتيزم على انواعها عضلية اومفصلية وامراض الجلد والقروح حادة اومزمنة والرمل الكلوي وامراض المعدة والكبد والامراض الزهرية والامراض المانعة للحبل والتوليد وغير ذلك وفيها ايضاً نبع غزير بارد له خاصية شفاء الاسهال اذا شرب منه المصاب ولهذه الحمامات شأن في كثير من جهات البلاد المجاورة لذلك يقصدها الكثيرون يستشفون بها ويمتعون البصر بمناظرها الطبيعية الجميلة بين ماء وكلاء وجبال شماء واودية غناء ولا ابالغ اذا قلت ان معدل قاصديها في شهر نيسان لا يقل عن عشرين الفاً يقيمون اياماً تحت حر الشمس وهبوب الريح لا بيت يؤويهم ولا نزل يكنهم فان كان قاصدوها يبلغون هذا العدد وهي قفراء خربة في شهر واحد فكم يكون عددهم لو تهيأت لهم حمامات منتظمة وابنية وفنادق ومابه يستتب لهم الراحة فيه أأبالغ اذا قلت انهم يزيدون عن المائتي الف؟

وقولي هذا يقوله الوف غيري ويضيق بي المقام لو قصدت الاستفاضة في وصف ماتجتنيه شركة مساهمة من الارباح ومايحوزه الوطن من الفوائد المادية والمعنوية والشركة تحتاج الى خمسين الف ليرة منها خمسة واربعون الف ليرة للابنية من حمامات ونزل ومستشفيات وخمسة آلاف ليرة لاصلاح الاراضي المجاورة ونصب اشجار مثمرة من ليمون وبرتقال وغيره وحدث عن خصب هذه الاراضي ولاحرج فان شجرة البامبا بلغت مترين فكم تكون غلة الاشجار المثمرة وكم يكون نموها عجيباً وكم من الارباح والفوائد التي تستغلها الشركة وتتمتع بها دون اعنات وعناء؟ عجلون : نجيب فركوح

مطبوعات ومخطوطات

العبرانيون والفينيقيون

نشر المسيو سلوش من علماء المشرقيات كتاباً بالافرنسية ذكر فيه ان الاسرائيليين والفينيقيين من عنصر واحد وليس اصل سكان فينيقية بعيداً عن وقت دخول الهكسوس اي العرب الى مصر · ومعنى فينيقي ساكن الكثبان والرمال الحمراء وكان العبرانيون والفينيقيون على عهد القضاة شعباً واحداً قال وقد دخل التمدن الى بلاد اليونان من مصر وان كان موسى اخو ابي الهول قد خرج من صحراء ليبيا ليحمل الحضارة الى يونان والكادموسيون اخوان الفينيقيين البكر اما اجداد الساميين المذكورين باسم بني قدم في التوارة فان اصل مقامهم كان في الهندكوش وخليج فارس ومعنى اسمهم الساميون الشرقيون ومنهم خرج العبرانيون سكان ماوراء بحر الفرات والآراميون سكان بلاد الشمال الجبلية والعرب سكان الغرب · وقال انه كان سنة ٤٧١ ق · م اناس من المستعمرين اليهود في أسوان وجزيرة الفيلة من صعيد مصر وانتشر اليهود في القرن الثاني ب · م في افريقية ولما دمرت القدس سنة ٧٠ كان اليهود ومن تبع عاداتهم هم السواد الاعظم من سكان صحراء ليبيا · وبعد الحروب التي نشبت بين يهود اليونان ويهود الرومان خربت بلاد برقة وصحراء ليبيا الشرقية واضمحل سكانها وسقطت اليهودية اليونانية منذ ذاك الحين في افريقية ولما قامت مدينة قرطاجنة الرومانية على انقاض قرطاجنة الفينيقية اصبحت مدينة تقاليد اليهود التلموديين وامتدت المستعمرات اليهودية من قرطاجنة الى بلاد مراكش وكثر عددهم في مراكش الرومانية وافريقية الفاندالية في القرن الثالث للمسيح · وتكلم على اليهود الحميريين واليهود البربر وعلق شأناً عظيماً على قول ابن خلدون في البربر النازلين في افريقية منذ عهد متطاول والبربر الذين اتوا من حمير وهم عرب اختلطوا في افريقية بالسكان الاصليين وتبربروا مثلهم وقد انصبغت هذه الشعوب الحميرية بصبغة اليهود وقال ان اليهودية انتشرت في جنوبي بلاد العرب منذ سنة ١١٥ ق · م

ديوان سلامة بن جندل

نشر المسيو كليمان هوار من علماء المشرقيات من الفرنسويين ديوان سلامة بن جندل من شعراء الجاهلية نقلاً عن نسخة مخطوطة من مكتبة ايا صوفيا في الاستانة وقد ترجمه كله الى الافرنسية ونشره في المجلة الآسياوية فساه بجرده كل حدة

فقه العلم

هو كتاب قدمه اصدقاء الماركيز ماكيوردي فوكيه المستشرق الفرنسوي بمناسبة ذكرى ثمانين سنة من ولادته و بعض تلامذته ورصفائه والمعجبين به من علماء المشرقيات فكتب كل واحدة مقالة او بحثاً في الموضوع الذى يغلب عليه فكان عدد مقالاته ٥٨ مقالةوقد جرت العادة ان يقدم للعلماء مثل هذه الهدايا كما قدم لنولدكه احد كبار علماء المشرقيات من الالمان مثله ومن مقالات هذا السفر النفيس مقالة للمستشرق «ماكس فان برشم» للكتابات المأثورة عن دولة الاتابكية في دمشق وحل ما عرف من الكتابات الخمس عن امراء البور بين منها ثلاث من الاتابك طغتكين وواحدة من ابنه بوري واخرى من محمود بن بوري . ومنها مبحث للمسيو بروتوف في حصون تخوم بلاد العرب من العقبة الى حوران واشار الى المعبد الذي أنشئ في اوائل التاريخ المسيحي في سي من بلاد حوران اكراماً لوسترا وفيه المصورات والرسوم اللازمة . وبحث المسيو جويدي في المعلومات التي تؤثر عن علماء العرب في الجغرافيا من قبل الادريسي مثل ابن خردادبة واليعقوبي وابن الفقيه والاصطخري والمقدسي في وصف اوربا الغربية فقال ان هذه المعلومات ضعيفة لان العرب الذين جاؤا اسبانيا قد ساروا على شواطئ اوربقية ولم يتيسر لهم ان يزوروا البلاد الغربية على ان هؤلاء الجغرافيين وصفوا رومية وصفاً مستوفى في الجملة اخذوه عن مصادر مسيحية ولكنها شرقية . وجميع هذه المقالات متعلقة بآثار الشرق وتاريخه وآدابه وشعوبه وفي جملة الكاتبين اناس من كبار المستشرقين مثل ستار ونولدكه ومولر وماسبرو ومرجوليوث ودوسو وغانو

مجلتان جديدتان

العلم — هي اول مجلة عربية نشرت في العراق لمنشئها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني في النجف وتطبع في بغداد وهي شهرية دينية فلسفية سياسية علمية صناعية ومؤلفها مشهور من التقديم بكتاباته ورسائله وقيمة اشتراكها ٢٠ قرشاً في محلها وريال ونصف في سائر الاقطار

النجف — هي اول مجلة فارسية ظهرت في العراق لمنشئها اغا محمد المحلاتي تصدر في النجف مرة في الشهر في ٦٤ صفحة وثمنها ثمانية ريالات وهي تبحث في موضوعات دينية ومدنية

المقتبس

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

تتمة ماورد في الجزء الماضي

مزاعمهم في الهاتف والناقل والرئي «١»

قال الجاحظ : والاعراب واشباه الاعراب لا يتحاشون من الايمان بالهاتف بل يتعجبون ممن رد ذلك فمن ذلك حديث الاعشى ابن ماس بن زرارة الاسدي انه سمع هاتفاً يقول :

لقد هلك الفياض غيث بني فهر … وذو الباع والمجد الرفيع وذو الفخر

قال فقلت مجيباً له :

الا ايها الناعي اخا الجود والندى … من المرء تنعاه لنا من بني فهر

فقال :

نعيت ابن جدعان بن عمرو اخا الندى … وذا الحسب القدموس والمنصب القصر

وهذا الباب كثير

« قالوا » وتنقل الجن الاخبار علم الناس وفاة الملوك والامور المهمة كما تسامعوا بموت المنصور في اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة . وهذا الباب ايضاً كثير

« وكانوا » يقولون اذا الف الجني انساناً وتعطف عليه وخبره ببعض الاخبار وجد حسه ورأى خياله ، واذا كان عندهم كذلك قالوا مع فلان رئي من الجن . وممن يقولون

«١» الرئي كغني ويكسر جني يرى فيحب او المكسور للمحبوب منهم « قاموس »

ذلك فيه عمرو بن لحاء ابن قمعة — والمأمون الحارثي — وعتيبة بن الحارث بن شهاب في ناس معروفين من ذوي الاقدار من بين فارس رئيس وسيد مطاع

فاما الكهان (١) فمثل حارثة بن جهينة وكاهنة باهلة وعنز سلمة ومثل شق وسطيح واشباههم

واما العراف وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسيدي والاجلح الزهري وعروة بن زيد الاسدي وعراف اليمامة رباح بن كحلة وهو صاحب المستنير البلنعي وقد قال الشاعر:

فقلت لعراف اليمامة داوني * فانك ان ابرأتني لطبيب

وقال جبهاء الاشجعي:

اقام هوى صفية في فؤادي وقد سيرت كل هوى حبيب
لك الخبرات كيف منحت ودّي وما انا من هواك بذي نصيب
اقول وعروة الاسدي يرقي اتاك برقية الملق الكذوب
لعمرك ما التثاوب يا ابن زيد بشافٍ من رقاك ولا مجيب
لـبر الناعجات اظن أشفى لما بي من طبيب بني الذهوب

وليس الباب الذي يدعيه هؤلاء من جنس العيافة (٢) والزجر والخطوط والنظر في اسرار الكف وفي مواضع قرض الفار وفي الخيلان في الجسد وفي النظر في الاكتاف والقضاء بالنجوم والعلاج بالفكر

وقد كان مسيلمة يدعي ان معه رئياً في اول زمانه، ولذلك قال الشاعر حين وصف مخاريقه وخدعه:

(١) قال ابن الاثير في النهاية: الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الاسرار وقد كان في العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما فمنهم من كان يزعم ان له تابعاً من الجن ورئياً يلقي اليه الاخبار ومنهم من كان يزعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله او فعله او حاله وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما اه وقال ايضاً: العراف المنجم او الحازي الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به. (٢) العيافة زجر الطير والتفاؤل باسمائها واصواتها وممرها وكان ذلك من عادة العرب كثيراً وهو كثير في اشعارهم يقال عاف يعيف اذا زجر وحدس وظن. افاده ابن الاثير. وقال ايضاً الزجر للطير هو التيمن والتشؤم بها والتفؤل بطيرانها كالسانح والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة

بيضة قارور وراية شادن　　وخلة جني وتوصيل طائر

الا تراه ذكر خلة الجني

ماروي من هتوفهم بالبعثة المحمدية

حكى الامام الماوردي في اعلام النبوة مارواه اهل السير من هتوف الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وانه كان من آيات نبوته الصادرة عن الهام فمن ذلك مارواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالسا اذ مرّ بهرجل فقيل له : اتعرف هذا المار ياامير المؤمنين قال : ومن هو قالوا هذا سواد بن قارب قال نعم ياامير المؤمنين فقال انت الذي اتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم ياامير المؤمنين بينانا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ اتاني رئي من الجن فضربني برجله وقال : قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوءي بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها　　وشدها العيس باقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى　　ماصادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم　　فليس قدماها كاذنابها

فقلت له : دعني فاني امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأسا فلما كانت الليلة الثانية اتاني فضربني برجله وقال : قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوءي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته وانشأ يقول :

عجبت للجن وتجبارها　　وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى　　ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم　　بين روابيها واحجارها

فقلت : دعني فقد امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأسا فلما كانت الليلة الثالثة اتاني فضربني برجله وقال : قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لوءي بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول :

عجبت للجن وتجساسها　　وشدها العيس باحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى　　ماخير الجن كانجاسها

فارحل الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى رأسها

قال : فاصبحت وقد امتحن الله قلبي للاسلام فرحلت ناقتي واتيت المدينة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقلت : اسمع مقالي يارسول الله قال : هات فانشأت

اتاني نجيٌّ بعد هدو ورقدة ولم اك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة اتاك رسول من لؤيّ بن غالب
فشمرت من ذيل الازار ووسطت بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد ان الله لاشيء غيره وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله يابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا ووثب اليه عمر فالتزمه وقال : قد كنت احب ان اسمع منك هذا الحديث فهل يأتيك رئيك اليوم فقال : مذقرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن

وروى ابراهيم بن سلامة بسنده الى رجل من خثعم قال : كانت خثعم لاتحل حلالاولا تحرم حراما وكانت تعبد اصناما (قال) فبينا نحن عند صنم منها ذات ليلة نتقاضى اليه في امر قد شجر بيننا اذ صاح صائح من جوفه

ياايها الركب ذوو الاحكام ماانتم وطائش الاحلام
ومسندو الحكم الى الاصنام
هذا نبي سيد الانام يصدع بالحق وبالاسلام
اعدل ذي حكم من الاحكام
ويتبع النور عَلَى الاظلام سيعلن في البلد الحرام
قد طهر الناس من الآثام

قال الخثعمي : ففزعنا منه وخرجت الى مكة واسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم

وروى ابراهيم بن سلامة بسنده عن رجل حدث عمر بن الخطاب قال له : خرجت واصحاب لي في تجارة لنا نريد الشام فتبعنا رجل من يهود فلما كنا ببعض اودية الشام هتف هاتف

اياك لاتعجل وخذها موبقه فان شر السير سير الحقحقه

قد لاح نجم فاستوى في مشرقه يكشف عن ظلماء بوس موبقه
يدعو الى ظل جنان مونقه

فقال اليهودي : تدرون مايقول هذا الصارخ قلنا : مايقول قال : يخبر ان نبياً قد ظهر خلا فكم بمكة فقدمنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة

ومن بشائر هتوفهم ما حكاه ابو عبدى قال : سمعت قريش في الليل هاتفاً على ابي قبيس (جبل) يقول :

فان يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لايخشى خلاف مخالف

فلما اصبحوا قال ابو سفيان من السعدان سعد بكر وسعد تميم فلما كان في الليلة الثانية سمعوه يقول

ايا سعد سعد الاوس كن انت ناصرا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
اجيبا الى داعي الهدى وتمنيا عَلَى الله في الفردوس منية عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات زخارف

قال الماوردي : ولئن كانت هذه الهتوف اخبار آحاد عمن لايرى شخصه ولا يحج قوله فخروجه عن العادة نذير وتأثيره في النفوس بشير وقد قبلها السامعون وقبول الاخبار يؤكد صحتها ويؤيد حجتها (فان قيل) ان كانت هتوف الجن من دلائل النبوة جاز ان تكون دليلا عَلَى صحة الكهانة فعنه جوابان (احدهما) ان دلائل النبوة غيرها وانما هي من البشائر بها وفرق بين الدلالة والبشارة اخبارا والثاني ان الكهانة عن مغيب والبشارة عن معين فالعيان معلوم والغائب موهوم اه كلام الماوردي

مزاعمهم في اوصافهم ومن قتلوه

يقولون من الجن جنس صورة الواحد منهم عَلَى نصف صورة الانسان واسمه «شق» وانه كثيرا مايعرض للرجل المسافر اذا كان وحده فربما اهلكه فزعا وربما اهلكه ضربا وقتلا (قالوا) فمن ذلك حديث علقمة ابن صفوان بن أمية بن حرب الكناني جد مروان ابن الحكم في الجاهلية خرج وهو يريد مالاً له بمكة وهو عَلَى حمار وعليه ازار ورداء ومعه مقرعة في ليلة اضحيانية حتى انتهى الى موضع يقال له حائط جرمان فاذا هو بشق له يد ورجل وعين ومعه سيف وهو يقول

علقم اني مقتول وان لحمي ماكول

اضربهم بالذهلول[1] ضرب غلام شملول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

ياشق ها مالي ولك ، اغمد عني منصلك
تقتل من لا يقتلك

قال شق

عنيت لك عنبت لك ، كيما ابيح مقتلك
فاصبر لما قد حم لك[2]

فضرب كل واحد منهما صاحبه فخرا ميتين · فممن قتلت الجن علقمة ابن صفوان هذا وحرب بن امية قالوا وقالت الجن

وقبر حرب بمكان قفر ، وليس قرب قبر حرب قبر

(قالوا) ومن الدليل ان هذين البيتين من اشعار الجن ان احداً لا يستطيع ان ينشدهما ثلاث مرات متصلة لا يتعتع فيها وهو يستطيع ان ينشد اثقل شعر في الارض واشقه عشر مرات ولا يتعتع

(قالوا) وقتلت مرداس بن ابي عامر ابا عباس بن مرداس — وقتلت الغريض خنقا بعد ان غنى بالغناء الذي كانوا نهوه عنه — وقتلت الجن سعد بن عبادة بن ديلم وسمعوا الهاتف يقول

نحن قتلنا سيد الخز رج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

﴿ من استهووه[3] ومنهم خرافة ﴾

(قالوا) استهووا سنان بن ابي حارثة ليستفحلوه فمات فيهم واستهووا طالب بن ابي طالب فلم يوجد له اثر الى يومنا هذا — واستهووا عمرو ابن عدي اللخمي الملك الذي يقال فيه شب عمرو عن الطوق ثم ردوه على جذيمة الابرش بعد سنين — واستهووا عمارة ابن المغيرة ونفخوا في احليله فصار مع الوحش

(١) الذهلول بالضم الفرس الجواد ولعل المراد به هنا السيف (٢) اي قضى (٣) في القاموس : استهوته الشياطين ذهبت بهواه وعقله او استهامته وحيرته او زينت له هواه

ويروون عن عبد الله بن قتادة يرفعه قال : خرافة رجل من عذرة استهوته الشياطين ورووا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم قال : الروث : قال فما كان شرابهم قال البول

توصيفهم رجل الغول وعين الشيطان

العامة تزعم ان الغول يتصور في احسن الصورة الا انه لابد ان تكون رجلها رجل حمار ، وخبروا عن الخليل بن احمد ان اعرابيا انشده

وحافر العير في ساق خدلجة (١) ، وجفن عين خلاف الانس في الطول

وذكروا ان العامة تزعم ان شق عين الشيطان بالطول : قال الجاحظ : وما اظنهم اخذوا هذين المعنيين الا عن الأعراب

مزاعمهم في ارض وبار وبلاد الحوش (٢)

تزعم الاعراب ان الله تعالى حين اهلك الامة التي كانت تسمى وبار كما اهلك طسما وجديسا وعملاقا وثمودا وعادا ان الجن سكنت في منازلهم وحمتها من كل من ارادها وانها اخصب بلاد الله واكثرها شجرا واطيبها ثمرا واكثرها حبا وعنبا واكثرها نخلا وموزا فان دنا انسان من تلك البلاد متعمدا او غالطا حثوا في وجهه التراب فان ابى الرجوع خبلوه وربما قتلوه

(قال الجاحظ) والموضع نفسه باطل فان قيل لهم دلونا على جهته واوقفونا على حده وخلاكم ذم زعموا ان من اراده التي على قلبه الصرفة حتى كأنهم اصحاب موسى في التيه وقال الشاعر

وداع دعا والليل مرخ سدوله ، رجاء القرى يامسلم بن حمار
دعا جعلا لايهتدي لمقيله ، من اللؤم حتى يهتدي لوبار

فهذا الشاعر الاعرابي جعل ارض وبار مثلا في الضلال ، والاعراب يتحدثون عنها كما يتحدثون عما يجدونه بالدو (٣) والصمان (٤) والدهناء (٥) ورمل يبرين (٦) وما

(١) خدلجة اي ممتلئة (٢) بضم الحاء المهملة في القاموس : الحوش بلاد الجن او فحول الجن (٣) الدو — والدوية — والداوية ويخفف الفلاة ودوى تدوية اخذ في الدو (٤) الصمان كل ارض صلبة ذات حجارة الى جنب رمل وموضع بعالج (٥) الدهناء الفلاة وموضع لتميم بنجد (٦) ويقال ابرين قال في القاموس : رمل لاتدرك اطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة .

اكثر ما يذكرون ارض وبار في الشعر على معنى هذا الشاعر (قالوا) فليس اليوم في تلك البلاد الا الجن والابل الحوشية والحوش من الابل عندهم هي التي قد ضربت فيها فحول ابل الجن فالحوشية من نسل ابل الجن والعيدية والمهرية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الحوش وقال رؤبة

حوت رجال من بلاد الحوش

وقال ابن هرمة

كأني على حوشية او نعامة لها نسب في الطير وهو ظليم

وانما سموا صاحبة يزيد بن الطثرية حوشية على هذا المعنى ، وقال بعض اصحاب التفسير في قوله تعالى « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً » ان جماعة من العرب كانوا اذا ساروا في تيه من الارض وتوسطوا بلاد الحوش خافوا عبث الجنان والسعالي والغيلان والشياطين فيقوم احدهم فيرفع صوته انا عائذون بسيد هذا الوادي فلا يؤذيهم أحد وتصير لهم بذلك خفارة

مزاعمهم في الصرع

يزعمون ان المجنون اذا صرعته الجنية وان المجنونة اذا صرعها الجني ان ذلك انما هو على طريق العشق والهوى وشهوة النكاح ، وان الشيطان يعشق المرأة منا — وان نظره اليها من طريق العجب بها اشد عليها من حمى ايام — وان عين الجان اشد من عين الانسان

مزاعمهم في الطاعون (١)

قال الجاحظ : العرب تزعم ان الطاعون طعن من الشيطان ، وتسمي الطاعون رماح الجن ، قال الاسدي للحارث الغساني ملك غسان

لعمرك ما خشيت على ابيّ رماح بني مقيدة الحمار
ولكني خشيت على ابيّ رماح الجن او اياك حار

يقول لم اكن اخاف على ابيّ مع منعته وصرامته ان تقتله الانذال — ومن يرتبط العير دون الفرس ولكني انما كنت اخافك عليه فتكون انت الذي تطعنه او يطعنه طاعون الشام وقال العماني يذكر دولة بني العباس

(١) اصل الطاعون الطعن والقتل بالرماح ثم اطلق على المرض العام والوباء الذي يكثر فيه الموتان .

قد دفع الله رماح الجن واذهب العذاب والتجني

وقال زيد بن جندب الايادي :

ولولا رماح الجن ما كان هزمهم رماح الاعادي من فصيح وأعجم

ذهب الى قول ابي دؤاد :

سلط الموت والمنون عليهم فلهم في صدا المقابر هام (١)

يعني الطاعون الذي اصاب ايادا ، وروي ان عمرو بن العاص قام في الناس في طاعون عمواس فقال : ان هذا الطاعون قد ظهر وانما هو وخز من الشيطان ففروا منه في هذه الشعاب : وبلغ ذلك ابن جبل فانكر عليه

﴿ مايزعمونه في تمثلهم وتصورهم ﴾

قال الجاحظ : تزعم العامة « ان الله تعالى قد ملك الجن والشياطين والعمار والغيلان ان يتحولوا في اي صورة شاؤوا الا الغول فانها تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها الا رجليها فلا بد ان يكونا رجلي حمار »

وانما قاسوا تصور الجن عَلَى تصور جبريل عليه السلام في صورة دحية ابن خليفة الكلبي — وعلى تصور الملائكة الذين اتوا مريم وابراهيم ولوطاً وداود في صورة المؤمنين — وعَلَى ماجاء في الاثر من تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك — وعَلَى تصوره في صورة الشيخ النجدي

(قالوا) فاذا استقام ان تختلف صورهم واخلاط أبدانهم وتتفق عقولهم وبياناتهم واستطاعتهم جاز ايضا ان يكون ابليس لعنة الله عليه والشيطان والغول ان يتبدلوا في الصور من غير ان يتبدلوا في العقل والبيان والاستطاعة اه

ونقل الحافظ احمد ابن حجر في فتح الباري عن البيهقي في مناقب الشافعي باسناده عن الربيع قال سمعت الشافعي يقول : من زعم انه يرى الجن ابطلنا شهادته الا ان يكون نبياً اه

---

(١) الهامة اسم طائر كانوا يتشاءمون بها وهي من طير الليل وقد قيل انها البومة وكانت الاعراب تزعم ان روح القتيل الذي لايدرك بثاره تصير هامة فتقول اسقوني فاذا ادرك بثاره طارت وقيل كانوا يزعمون ان عظام الميت او روحه تصير هامة فتطير ويسمونه الصدى فنفاه الاسلام ونهاهم عنه (اه نهاية)

(قال ابن حجر) وهذا محمول عَلَى من يدعي روُيتهم عَلَى صورهم التي خلقوا عليها واما من ادعى انه يرى شيئاً منهم بعد ان يتطور عَلَى صور شتى من الحيوان فلا يقدح فيه وقد تواردت الاخبار بتطورهم في الصور ، (قال) واختلف اهل الكلام في ذلك فقيل هو تخييل فقط ولا ينتقل احد عن صورته الاصلية وقيل بل ينتقلون لكن لاباقتدارهم عَلَى ذلك بل بضرب من الفعل اذا فعله انتقل كالسحر (اي الشعبذة) (قال) وهذا قد يرجع الى الاول اه وسيأتي تحقيق تمثلهم في اول مباحث الخاتمة

﴿ رأيهم في قرناء الشعراء الفحول ﴾

قال الجاحظ : يزعمون ان مع كل فحل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر و يقولون اسم شيطان المخبل[1] عمرو واسم شيطان الاعشى مسحل[2] وكذلك ايضاً اسم شيطان الفرزدق عمرو وقد ذكر الاعشى مسحلا حين هجاه جهنام فقال :

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له بجهنام يدعى للهجين المذمم

وذكره الاعشى فقال :

حباني اخي الجني نفسي فداوءه بأفيح جياش العشيات مرجم

وقال اعشى سليم :

وما كان جنيّ الفرزدق اسوة وما كان فيهم مثل فحل المخبل
وما في الخوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحل

وقال الفرزدق في مديح اسد بن عبدالله :

ليبلغن ابا الاشبال مدحتنا من كان بالغور او طودي خراسانا
كأنها الذهب العقيان حبرها لسان اشعر خلق الله شيطانا

وقال

فلو كنت عندي يوم قرء عذرتني بيوم دهتني جنه وخبائله

فمن اجل هذا البيت ومن اجل قول الآخر

اذا مازاع جارية[3] فلاقى خبال الله من انس وجن

زعموا ان الخابل الناس . ولما قال بشار بن برد

(١) بزنة اسم مفعول (٢) كمنبر (٣) اي اجتذبها

دعاني شنقنان الى خلف بكرة　　فقلت اتركني فالتفرد احمد

اي احمد لي في الشعر من ان يكون لي عليه من معين فقال اعشى سليم يرد عليه

اذا الف الجني قرداً مشنقاً　　فقولوا لخنزير الجزيرة ابشر

فجزع بشار عند ذلك جزعاً شديداً لانه كان يعلم مع تغزله ان وجهه وجه قرد وكان اول من اعرف من جزعه من ذكر القرد الذي رأوا منه حتى انشد قول حماد عجرد

ويا اقبح من قرد　　اذا ماعمي القرد

وفي ان مع كل شاعر شيطاناً يقال معه قول ابي النجم

اني وكل شاعر من البشر　　شيطانه انثى وشيطاني ذكر

وقال آخر

إني وان كنت صغير السن　　وكان في العين نبوٌّ عني

فان شيطاني كبير الجن

واما قول عمرو بن كلثوم

وقد هرت كلاب الجن منا　　وشذبنا قتادة من يلينا

فانهم يزعمون ان كلاب الجن هم الشعراء . ومما دل على انهم يقولون ان مع كل شاعر شيطاناً قول شاعرهم

اذا ماترعرع فينا الغلا　　م فليس يقال له من هوه

اذا لم يسد قبل شد الازا　　ر فذلك فينا الذي لاهوه

ولي صاحب من بني الشيصبا　　ن فطوراً اقول وطوراً هوه

وشيصبان وشنقنان رئيسان ومن آباء القبائل في زعمهم وقد ذكرهما ابو النجم

لاني شنقنان وشيصبان

﴿ خيالهم في جن الشام والهند ﴾

قال الجاحظ : واصحاب الرقي والاخذ والعزائم والسحر والشعبذة يزعمون ان العدد والقوة في الجن والشياطين لنزالة الشام والهند وان عظيم شياطين الهند يقال له (سكوبرك) وعظيم شياطين الشام يقال له « دركاراب » وقد ذكرهما ابو اسحق في هجائه محمد ابن بشير حين ادعى هذه الصناعة فقال

قد لعمري جمعت من اصعياب ثم من شعر آدم والغراب
وتفردت بالطباق والهيكل والدهنيات من كل باب
وعلمت الاسماء كي ماتلاقي زحلا والمريخ فوق السحاب
واستثرت الارواح بالبحر بأتين لصرح الصحيح بعد المصاب
جامعاً من لطائف الدهمسيا ت كوسا نعتها في كتاب
ثم احكمت متقن الكرويا ت وفعل النارنس والنجاب
ثم لم تفتك السماية والخد مة والاختفاء بالطلاب
بالخواتيم والمناديل والسعي بسكوبرك ودركاراب

﴿ توهمهم ملامح الجن في الانس ﴾

قال القعقاع بن معبد بن زرارة في ابنه عوف بن القعقاع : والله لما اري في عوف من شمائل الجن اكثر مما ارى فيه من شمائل الانس : وقال بجير بن ايوب :

اخو قفرات حالف الجن وانتفى من الانس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الانسي يعرف نجله وللجن منه خلقه وشمائله

وقال الآخر :

وصار خليل الغول بعد عداوة صفيا وربته القفار البسابس
فليس بجني فيعرف نجله ولا هو انس تحتويه المجالس
يظل ولا يبدي لشيء نهاره ولكنه ينتاع (١) والليل دامس

﴿ قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان ﴾

انشد اعرابي :

فما يعجب الجنان منك عدمتهم وفي الاسد افراس لهم ونجائب
اتسرج يربوعا وتلجم قنفذا لقد اعوزتهم ماعلمت المراكب
فان كانت الجنان جنت فبالحرى ولاذنب للاقدار والله غالب
وما الناس الاخادع ومخدع وصاحب اسهاب وآخر كاذب

وقال دعلج بن الحكم

---

(١) اي يخرج

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب وشيطانه عند الاهلة يصرع

وانشد عبد الرحمن بن منصور الاسدي

جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوي من جنون جنون

وانشد

أتوني بمجنون يسيل لعابه وما صاحبي الا الا صحيح المسلم

وقال ابن ميادة

فلما اتاني ماتقول محارب تغنت شياطين وجن جنونها
وحكت لها مما اقول قصائدا ترامت بها صهب المهاري وجونها

وقال في التمثيل

ان شرخ الشباب(١) والشعر الاسو د مالم يعاض كان جنونا

وقال الآخر

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ان الشباب جنون برؤه الكبر

وما احسن ماقال الشاعر

جادت بها عند الغداة يمينه كلتا يدي عمرو الغداة يمين
ما ان يجود بمثلها في مثله الا كريم الخيم(٢) او مجنون

وقال الجمحي

ولو انني لم انل منكم معاقبة الا السنان بذات الموت مطعون
اولا خطبت فاني قد هممت به بالسيف ان خطيب السيف مجنون

وانشد

هم احموا حمى الرقبى بضرب يؤلف بين اشتات المنون
فنكب عنهم درء الاعادي وداووا بالجنون من الجنون

﴿ مايحكونه من نيران السعالي والجن ﴾

انشد ابو زيد لسهم بن الحارث

ونار قد حضأت بعيد هدء بدار لااريد بها مقاما

(١) اي اوله (٢) بكسر الخاء المعجمة السجية والطبيعة

سوى تحليل راحلة وعين | اكالئها مخافة ان تناما
اتوا ناري فقلت منون انتم | فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم | زعيم نحسد الانس الطعاما

قال الجاحظ : وهذا غلط وليس من هذا الباب بل الذي يقع ههنا قول ابي المطراب عبيد بن ايوب

فلله در الغول اي رفيقة | لصاحب قفر خائف متقفر
ارنت (١) بلحن بعد لحن واوقدت | حوالي نيران تبوخ (٢) وتزهر

﴿ فلسفة ماتزعمه الاعراب من عزيف الجنان وتغول الغيلان ﴾

قال الجاحظ رحمه الله : كان ابو اسحاق يقول في الذي تذكر الاعراب من عزيف الجنان وتغول الغيلان اصل هذا الامر وابتداؤه ان القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ، ومن انفرد وطال مقامه في البلاد والخلاء والبعد من الانس استوحش ولاسيما مع قلة الاشتغال والمذاكرين والوحدة ، لاتقطع ايامهم الا بالمنى او بالتفكير ، والفكر ربما كان من اسباب الوسوسة وقد ابتلي بذلك غير حاسب كابي ياسر ومثنى ولد القنافر (قال) وخبرني الاعمش انه فكر في مسألة فانكر اهله عقله حتى حموه وداووه ، وقد عرض ذلك لكثير من الهند واذا استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه فيرى مالا يرى ويسمع مالا يسمع ويتوهم على الشيء الصغير الحقير انه عظيم جليل ثم جعلوا ماتصور لهم من ذلك شعرا تناشدوه واحاديث توارثوها فازدادوا بذلك ايمانا ونشأ عليه الناشئ وربي به الطفل فصار احدهم حين يتوسط الفيافي وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس ، فعند اول وحشة او فزعة وعند صياح بوم ومجاوبة صدا وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في الجنس واصل الطبيعة نفاجا كذابا وصاحب تشنيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلمت السعلاة ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول قتلتها ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول تزوجتها قال عبيد بن ايوب

---

(١) اي صوتت (٢) اي تسكن

فلله در الغول ايّ رفيقة | لصاحب قفر خائف متنفر

وقال

اهذا رفيق الغول والذئب والذي | يهيم بربات الحجال الهواكل

وقال آخر

اخو قفرات حالف الجن وانتفى | من الانس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الانسي يعرف نجله | وللجن منه خلقه وشمائله

ومما زادهم في هذا الباب واغراهم به ومدّ لهم فيه انهم ليس يلقون بهذه الاشعار وبهذه الاخبار الا اعرابيا مثلهم والا غبيا لم يأخذ نفسه قط بتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق او الشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط — واما ان يلقوا رواية شعر اوصاحب خبر فالرواية عندهم كلما كان الاعرابي اكذب في شعره كان اطرف عندهم وصارت روايته اغلب ومضاحيك حديثه اكثر فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية الغول اوقتلها او مرافقتها اوتزويجها ، وآخر يزعم انه رافق في مغارة نمرا فكان يطاعمه ويؤاكله فمن هؤلاء خاصة القتال الكلابي فانه الذي يقول

ايرسل مروان الامير رسالة | لآتيه اني اذاً لمضلل
ومابي عصيان ولا بعد منزل | ولكنني من خوف مروان اوجل
وفي ساحة العنقاء اوفي عماية | اوالاود (١) مامن رهبة الموت موئل
ولي صاحب في الغار هدك صاحبا | هو الجون (٢) الا انه لا يعلل
اذا ما التقينا كان جل حديثنا | صماتا وطرف كالمعابل (٣) اكحل
تضمنت الأروى (٤) لنا بطعامنا | كلانا له منها نصيب ومأكل
فاغلبه في صنعة الزاد انني | اميط الاذى عنه ولا يتأمل
وكانت لنا طب (٥) بارض مضلة | شريعتنا لايّ من جاء اول
كلانا عدوّ لو يرى في عدوه | محزا وكل في العداوة مجمل

وأنشد الاصمعي

(١) الاود بالضم موضع بالبادية (٢) اي الاسود (٣) جمع معبلة بكسر فسكون وهو النصل العريض الطويل (٤) بضم الهمزة انثى الوعول (٥) بالكسر الـعادة وشان

ظللنا معا جارين نحترس الثأي [1] يشاربني من فضلتي واشاربه

ذكر سبعا ورجلا قد توافقا فصار كل واحد منهما يدع فضلا من سؤره ليشرب صاحبه ، والثأي الفساد ، وخبر ان كل واحد منهما يحترس من صاحبه

فلما من جميع ماذكرناه عنهم فانما يخبرون عنه من جهة المعاينة والتحقيق وانما المثل في هذا مثل قوله

قد كان شيطانك من خطابها وكان شيطاني من طلابها

حينا فلما اعتركا ألوى بها

والانسان يجوع فيسمع في اذنه كالدوي وقال الشاعر

دوية القيافي رابه فكأنه اميم [2] وساري الليل للضوء يعود

يعود اي يضجر ، وربما قال الغلام لمولاه دعوتني فيقول لا وانما اعترى مسامعه ذلك لعرض لانه سمع صوتا

ومن هذا الباب قول تأبط شرا او قول القائل في كلمة له

يظل بموماة ويمسي بقفرة جحيشا [3] ويعروري ظهور المهالك

ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي بمنخرق من شده المتدارك

اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كالئ من قلب شيحان فاتك

ويجعل عينيه ربيئة قلبه الى سلة من حد اخضر باتك

اذا هزه في عظم قرن تهللت نواجذ افواه المنايا الضواحك

يرى الانس وحشي الفلاة ويهتدي بحيث اهتدت ام النجوم الشوابك

(قال الجاحظ) : ويدل على ماقال ابو اسحق من نزولهم في بلاد الوحش وبين الحشرات والسباع مارواه لنا ابو مسهر عن اعرابي من بني تميم نزل ناحية الشام فكان لايعدمه في كل ليلة ان يعضه او يعض ولده او بعض حاشيته سبع من السباع او دابة من دواب الارض فقال

تعاورني دين وذل وغربة ومزق جلدي ناب سبع ومخلب

وفي الارض احناش وسبع وحارب ونحن اسارى وسطها نتقلب

ثم عد في قصيدته ماينيف عن الثلاثين صنفا مابين حيوان وحشرات

« يتبع » جمال الدين القاسمي

(١) كالثرى الافساد وسيذكره (٢) الاميمة كجيينة الحجارة تشدخ بها الرؤوس

(٣) الجحيش كامير الشق والناحية

نشوء اللغات الاسلامية

تتمة ماورد في الجزء الماضي

دعت ضرورة ايجاد الفاظ جديدة للتعبير عن افكار حديثة ان تأخذ اللغة العربية من اللغات الاجنبية او ان تعمد الى معجمها بان تصيغ الفاظاً جديدة او بان تضع معاني جديدة للالفاظ التي تجدها في متن اللغة · ولم يكن في العربية سهولة اللغات الرومانية بان تعمد الى اللاتينية او اليونانية لتصيغ منها التعابير الجديدة و بهذا تألف حزبان حزب يقول باخذ الالفاظ الافرنجية والآخر لا يرضى الا بالرجوع الى الاشتقاق من متن اللغة · والظاهر ان الحزب الاول قد كتبت له الغلبة اولاً ولا سيما في بلاد الجزائر وذلك لجهل المترجمين اولغلبة الكسل عليهم فبدلاً من ان يبحثوا في ايجاد لفظ يقابل اللفظ الفرنسوي اكتفوا بنقله على ماهو بدون ان يحدثوا فيه تغييراً ثم ان عدم وجود صحافة وطنية مما ساعد على ذلك ايضاً فان جريدة المبشر الرسمية مابرحت الى عهد قريب هي الجريدة الوحيدة في الجزائر اما جرائد البلاد الخارجية فلم يكن دخولها اليها الا من المتعذرات · وقد ذكر المسيو واشنطون سويرس من جملة الالفاظ الاعجمية التي دخلت على اللغة الجزائرية لفظة شامبيت ويجمعونها على شامبايت اي حارس الحقل بدلاً من عس الفحص وفي الاوراق الرسمية « السيد الكوفرنور جنرال » اي سيدي الحاكم العام في حين كان من السهل جداً ان يقال سعادة والي مملكة الجزائر وقد انحى يوسنيه في كتابه الملح العربية على هذا النقل الرديء وحق له ان ينحي عليه قال لانه لا يفهم له معنى حتى عند الفرنسيس انفسهم ·

و باليته يرى ماسرى الى لسان العامة من الجزائريين وفي مكاتباتهم من الالفاظ الفرنسوية المحرفة تحريفاً تتعذر احياناً معرفته · وقد جاء في كتاب الرسائل العربية المخطوطة الذي نشره المسيو هوداس والمسيو دلفين لفظة « لانتورالبزه فرانسه » بمعنى المتجنس بالجنسية الفرنسوية ولفظة « كاتارفاويت » بدلاً من لفظة ثمانية وثمانين · ونحن لانورد الفاظاً كثيرة من هذا القبيل من الالفاظ الافرنجية التي يقل فيها التحريف ولا تتأذى منها النفس في العبارة العربية مثل لفظة « كونسيون دو » امتياز ماء التي وردت في رسالة لاحدهم ننقلها كما هي ·

ولقد وقع رجوع الى الاصل في مكافحة الالفاظ الاعجمية التي اوشكت ان تغير

نضرة اللغة . فاكد المسيو باربية دي مينار سنة ١٨٩٦ مع السرور ان الصحافة العربية في مصر وسورية اخذت تستعيض عن الالفاظ الاجنبية التي كثرت فيها بالفاظ عربية صرفة وذلك ان اللغة يمكنها بما لها الاستغناء عن الالفاظ الاعجمية وكان منها ان عربت سنة ١٨٩٧ لفظة « كونغره » بلفظة مؤتمر للدلالة عن مؤتمر المستشرقين الذي عقد تلك السنة في مدينة باريز ووضعت كلمة مستشرق للفظة « اوريانتاليست » الفرنسوية وهي اسم فاعل من شرق والمصدر استشراق اي طلب الشرق او انتحاء نحو الشرق وهي تنطبق على الاصل الافرنجي كل الانطباق . واخذ اللسان العثماني هذه الالفاظ الثلاث عن العربية وانشأ يستعملها وكان من قبل ينقل اللفظ الفرنسوي برمته واحتذاء اللغة العربية مطالب الحياة الحديثة هو من العادات المتبعة في الصحافة التونسية ويرجى ان تجري سائر الجرائد العربية في البلاد الاخرى والجرائد السورية والمصرية وهي نموذجها ومصدرها لوحيد على مثال الجرائد التونسية في تعريب الالفاظ

واليك الآن عدة امثلة في استعمال المولد من الالفاظ العربية الصرفة اقتبسناها من كتاب المسيو واشنطون سو برس ومن هذه الالفاظ لفظة منطاد للبالون ودراجة للبيسيكليت ومطفأة لمضخة الحريق ومستوصف . ومن جملة الالفاظ التي كانت موجودة في اللغة واستعملت لمعنى جديد لفظة امتياز وانهاء ودشن « افتتح » وتحقيق ومذهب (سيامي) وصبغة (سياسية) . وانت ترى ان لفظة صبغة بالمعنى الخاص معناها اللون والصباغ اما الذين يصوغون الكلمات المولدة عندما يعمدون الى الفاظ موجودة في متن اللغة فانهم يستندون على المعنى الاصلي للفظ الذي يريدون ان يعربوه . ومن هذه الالفاظ التي كان لي المسيو واشنطون سو برس ان يضيفها الى قائمة الالفاظ المعربة لفظة « كلية » فقد كان المترجمون يستطيعون ان يطلقوا عليها لفظة دار العلوم اودار الفنون ولكن كثيراً من الكتاب لاحظوا ان لفظة « اونيفرسيته » تعطي معنى الاجتماع والمجموع فصاغوا من كل كلية وهي ترجمة حرفية للفظة الفرنسوية . ولفظ كلية شائع اليوم في مصر كثيراً .

وبعد فانا اذا بحثنا عن الالفاظ في كل قطر عربي وعن علاقة الفاظه بالالفاظ الفرنسوية نستنتج ما يأتي : ففي سورية ومصر وتونس كمية كبيرة من الالفاظ الفرنسوية مختلفة الاساليب وفيها ايضاً كثير من الالفاظ التركية او الفارسية التي انتقلت الى العربية بواسطة التركية وهي في الاكثر تعابير عسكرية وادارية او الفاظ تشريف مثل باشا

و بك وافندي وخانم · والفاظ طليانية مثل سيغورطه (ضمان من الحريق اوضمان الحياة) المستعملة في التركية · وندر استعمال هذه الالفاظ في البلاد الاخرى وهي شائعة بالاستعمال عَلَى الالسن في طرابلس الغرب كما تجد بعض الالفاظ الرومية وهناك الفاظ اعجمية اخرى ولكنها قليلة وهي مستعملة في مصر خاصة مثل لفظة « جنيه » الانكليزية لليرة المصرية · وهذا جماع الالفاظ الاعجمية وقد سبق لنا الكلام على المالطية وهي بين اللغة التونسية والمصرية وفيها اثر كبير من الايطالية

ثم ان في تونس لغة مكتوبة منقحة للغاية ليس فيها شيء من الالفاظ الاجنبية ولغة محكية دخلت اليها الالفاظ الافرنسية والايطالية بكثرة · اما لهجة الجزائر فتكثر فيها الالفاظ الفرنسوية وفيها كما في لهجة تونس بعض الالفاظ التركية وقليل من الاسبانية والايطالية · اما لغة مراكش فنجد فيها تعابير فرنسوية وايطالية واقتبست قليلاً من لغة البربر وكثيراً من اللغة الاسبانية وربما بعض الالفاظ البرتقالية · وقد اكد المسيو مرسيه في بحثه عن هذه الالفاظ المشتركة ان الالفاظ البربرية (التي قد تكون احياناً الفاظاً من اصل عربي متبربرة ثم اعيدت الى اللغة العربية) قلما توجد الا في البلاد الكبرى التي تكثر فيها اللغة البربرية ثم ان تأثير اللغة الاسبانية في المدن الساحلية محسوس جداً فتراهم يستعملون في الكلام لفظة « كوشطا » للساحل مأخوذة من « كوستا » الاسبانية و « فالسو » اي رديء الصفة و « فافور » نعمة و « خلينالد » محتذاة من جنرال و « موندا » من « موني » اي المعاملة · ولم يثبت بان الادوات او الحروف دي ودیال الكثيرة الاستعمال قد اتت من دي ودل ولكن اللغة العربية المراكشية اخذت عن الاسبانية حرف ب · وقد لاحظ المسيو مرسيه وحقت له هذه الملاحظة بان قلة التناسب في هذه اللغة وتأثيرها باللغة البربرية والاسبانية ناشئة من اسباب كثيرة والحقيقة إن اللغة البربرية ليست لغة مكتوبة هو من اهم الاسباب عَلَى ان العربية كانت في كل زمن تحو اللغة البربرية وعاملة عَلَى تمدينها وتحضيرها

من الصعب تعيين الالفاظ الدخيلة عَلَى لغات فارس الوطنية قبل الفتح العربي فاللغة البهلوية كتابة آرامية واكثر الفاظها آرامية ولكن اي تأثير كان في اللغة من هذه الالفاظ السامية المشتركة ؟ والواقع ان هذه الالفاظ الدخيلة لم تكن اسماء مجردة بل اسماء كثيرة الاستعمال وضعت لما يقابلها من الالفاظ الايرانية التي كانت ولا تزال موجودة وهذا يقرب من الحقيقة رأي من يدعون ان البهلوية لاتختلف الا في الخط

وقد تبدل كل شيء في الفتح الاسلامي فدخلت عَلَى اللغة الفارسية الفاظ سامية جديدة ومنها العربي التي هي تعابير دينية والفاظ مجردة واخذوا يكتبونها بالف باء العرب وهذا هو اصل الفارسي الحديث . ولكن هذا التحول طال امره حتى ان الفردوسي كتب في القرن العاشر كتابه الشاهنامة وهي قصة ابطال فارس بدون ان يستعمل الالفاظ العربية وهذا مما يدل عَلَى مقدرة يصعب تقليدها اليوم وان كان بعض العلماء يقدرون على كتابة مكاتب مطولة ومقالات جرائد مقتصرين فقط على الالفاظ الايرانية ولكن من ادغام اللغة الفارسية بالالفاظ العربية نشأت اللهجة الفارسية الحالية .

ولقد كانت للفرس والاتراك او التتار في القرون الوسطى كثير من العلائق التي ابقت اثراً منها في اللغة ومرت بعض الالفاظ التركية الى الفارسية منذ قرون ومن جملتها ماذكره ارمنيوس فمبرى من الالفاظ المستعملة في الفارسية وهي من اصل تركي مثل « سالار » قائد و « خواجه » معلم او استاذ . ومرى اليها بعض الالقاب واسماء الوظائف مثل آغا و بك وخان وباشي (زعيم) التي كثيراً مانراها متصلة بالفاظ فارسية مثل « متولي باشي » وهو اسم لقب ديني و « ده باشي » زعيم عشرة (اون باشي) اما سائر اللهجات المحكية في فارس كالآرامية ولغات الشعوب القافقاسية الخاضعة للحكم الفارسي فلم تتأثر حتى اوائل القرن التاسع عشر بالمؤثرات الفارسية وهكذا في اللغة الهندستانية عَلَى كثرة الصلات الموجودة بين فارس والهند فالواجب مع هذا ان لانغفل عن لفظة « لك » مئة الف و « كورور » خمسمائة الف و « تشاب » طبع او مطبوعات وتنوب هذه عن لفظة « طبع » العربية وهي لفظة حديثة العهد

هذا مايقال في الدور الذي سبق الدور الذي صار لفارس صلات مع اوربا في اوائل القرن الماضي . وبعد ذلك الدور داهمت الالفاظ الاجنبية اللغة ولم تكن هذه الالفاظ مأخوذة من اقرب الامم من فارس كما كان المنتظر ولا من اكثرهن نفوذاً فيها من حيث السياسة والاقتصاد بل ان اللغة الفرنسوية هي التي دخلت عَلَى اهل الجيل الحاضر بافكارها ومصطلحاتها اللازمة للتعبير عن الالفاظ الحديثة في الشرق

بحث في هذا الموضوع احد كبار رجال فارس المرزا علي خان ذكاء الملك مدير مدرسة السياسة في طهران في محاضرة له القاها في مدرسة الاتحاد الاسرائيلي في عاصمة ايران يوم ١٣ نيسان ١٩٠٧ ونشرت محاضرته في المجلة الزرقاء تكلم فيها بعد ان اورد بعض الملاحظات عَلَى الالفاظ العربية والتركية والهندية التي اخذتها الفارسية عَلَى نشوء

لغته الحديث فقال ان اللغة الروسية واللغة الانكليزية لم يسر منهما الى الفارسية الا الفاظ قليلة جداً

وربما وجد الناظر في لغة اهل طوريس ورشت بعض الفاظ روسية في اللغة الدارجة ولكنها قليلة للغاية وهذا مما يدل على ان الروس قد اخذوا الفاظاً كثيرة من لغتهم عن الاجانب مثل الفرنسويين والالمان والانكليز والطليان فلم تستعر الفارسية من الروسية الا لفظ « ساور » «واستكان» طاس و« دروخكا » عربة و« كاليسكه » كاليش (وهي عربة ذات اربعة دواليب) و« تارانتاس و باراخود » للسفينة التجارية و « اسكات » معاملة الورق وهي من اصل فرنسوي اسنيا

والالفاظ الانكليزية عبارة عن عشر وهي « فاغون » و « تراموای » و« نوت » من بانكنوت و « شيك » وجيلاس (قدح للشرب) وجلاس وسار لاسهم الشركات الخ .
اما الالفاظ الفرنسوية في الفارسية فكثيرة جداً وهي تنقسم على الوجه الآتي : الالفاظ العلمية واسماء العقاقير واسماء الاطعمة مثل « سوب » حساء و « جيكو » فخذ و « كوتلت » ضلع واسماء الالبسة مثل « كلوش » حذاء الرجل و « بلوز » مئلمح و « بالتو » معطف و « باردسو » شعار واسماء للتعبير عن المخترعات الحديثة : مثل « تلغراف» و « تلفون » و« اتوموبيل » و « بالون » و « غاز » للاستصباح والفاظ الجندية مثل « اسكادرون » كتيبة و « باتري » (بطارية) عدة مدافع و« مارش » سير « هالت» وقوف و« دفيله » مضيق و « موسيك » موسيقي وان وجود معلمين من الفرنسيس في الجيش الفارسي في ازمان مختلفة قد انتهى باستعمالهم الالفاظ الافرنجية واسماء الاثاث مثل « پيانو » و« لانترن» مصباح واسماء مدرسية مثل « كلاس » صف و « بروغرام » خطة و « ديكته » املاء و « نمرة » واستعمالهم لفظتي « بارلمان »و« كونستيتوسيون » اللتين نقلوهما بلفظ شوراي ملي ومشروطيت واسماء سياسية فيقولون عنها سياست وتعابير دولية مثل « قنصل » و « تمبر » طابع و « بودجه » ميزانية و « هنور » شرف التي تقابل لفظة هنر الموجودة في الاصل الفارسي وقد استخرجها مونتسكيو وقبلت بين الفارسيين كما قبلت لفظتا « مرسي » الشكر و « باردون » العفو

واستنتج ذكاء الملك بانه لافائدة من اختراع الفاظ جديدة متى أريد التعبير عن افكار حديثة فان اللفظ الجديد على ما يرى هو غريب كاللفظة الاجنبية التي يراد اتقاؤها. ومن رأيه ان لا يؤخذ من اللغات الاجنبية لفظ مادام في اصل اللغة الفارسية ما يقوم

ولاسيما في اللغة العثمانية الادبية فانك لاتكاد تجد لفظة تركية مقابل ثلاثة الفاظ عربية او فارسية الاصل ففي آذربيجان والقافقاس تجد تأثيرات اللغة الفارسية ظاهرة في لهجة القوم كل الظهور وفي آسيا الصغرى ترى اللغة العربية موثرة في لغة السكان ولا سيما في اللفظ ·

وليست هذه الالفاظ المشتركة الاسلامية هي الوحيدة في بابها فانك تجد في لغة سكان التركستان الصينية الفاظاً سرت اليها من اللغة الصينية ولكن ما أخذ من اللغات الاوربية كثير للغاية

في اي عصر دخلت الى التركية الالفاظ الاولى التي هي من اصل غربي ؟ انه من الصعب ان يحكم بذلك حكماً صريحاً عَلَى ان الاخذ عن الرومية نشاهده قد حدث في التركية منذ القرن الثالث عشر · وفي المعجم اللغوي الذي نشره المسيو هوتسما وكتاب نحو التركية لابي حيان بعض الفاظ من هذا القبيل مثل لفظة (اوغور) سعادة (ارغات) صانع وهذه الالفاظ على ندرتها في اللهجات الشرقية تكثر بسرعة عجيبة في اللغة التركية العثمانية بعد فتح الاستانة حتى ان لفظة (افندي) الذي كتب المسيو بيشاري تاريخها الغريب والتي تنقلت بها الحالات صورة ومعنى كانت مستعملة منذ القرن الخامس عشر ·

واذ كانت الايطالية هي اللغة البحرية والتجارية في البحر المتوسط فقد اقتبست في كل زمان كمية عظيمة من الالفاظ للغة العثمانية فاننا نجد فيها تعابير بحرية وتجارية وهي من لهجة البندقية خاصة ·

وقد اقتبس اللسان العثماني اليوم عدة تعابير بحرية ورياضية من اللغة الانكليزية كما اقتبس قديماً من اللغة المجرية واللغات السلافية في البلقان عدة الفاظ عسكرية اما سائر اللغات المحكية في المملكة العثمانية فاللغة التركية العثمانية تكاد لم تأخذ عنها شيئاً وقد سرت اليها بعض الالفاظ الالمانية وبعض الالفاظ من اللغات الاخرى ولكن الالفاظ الافرنسية كانت ولاتزال اكثر وجوداً في اللسان العثماني من جميع اللغات الاجنبية · بدأ دخولها عَلَى عهد السلطان محمود مبيد جيش الانكشارية ويجب اعتبار هذا التأثير في الاصل عَلَى الاقل نتيجة لازمة للاصلاحات التي جعلت الدولة العثمانية مملكة تشابه اليوم بعد اليوم سائر ممالك اوربا بحكومتها وعاداتها وقوانينها فقضت الحال للتعبير عن افكار جديدة لايجاد الفاظ جديدة وكان معجم اللغة التركية الفارسية العربية يكفي في احوال كثيرة لسد هذه الثلمة ولكن الاتراك رأوا من الانسب قبول

مقامه · ولذا عبروا عن السكة الحديدية بلفظ « راه آهين » ومتولي الاشغال بلفظ « م‍ ... » ولفظ « مرسل فوق العادة » بلفظ مأمور فوق العادة و « غرفة التجارة » بلفظ « انجمن تجارتي » ومهندس بلفظ « فني مأمور »

ويغلب عَلَى الظن ان عدد الالفاظ الاجنبية سيقل بعد حين فانا نرى الجدال قائماً منذ بضع سنين في الصحافة لاعادة اللغة الفارسية الى نضرتها الاولى والقوم يريدون الرجوع بلغتهم الى لغة الفردوسي بحذف الالفاظ العربية التي كثرت سرايتها الى الفارسية وألفنا استعمالها عَلَى ماتراه من الامثلة التي اوردناها · ويدعي القائلون بهذا الرأي ان حذف الالفاظ العربية لايفهم منه مخالفة للدين فما من شيء في القرآن يقضي علينا بان تستعمل في لغتنا الفاظ عربية · وان تناغي الفرس بوطنيتهم ومافطر عليه القائلون بهذا الرأي من الغيرة والاقتدار ومن جملتهم اللغوي العالم مؤلف الدولة ليدعو الى عقد الرجاء بنجاح هذا المشروع

كان الاتراك قبل ان يدينوا بالاسلام يستعملون الف باء من اصل سامي اما الالف باء اليونانية اوالرومانية القديمة والويغور فالظاهر انها لم تكن تقتبس شيئا من اللغات السامية · واقتبسوا اعداداً قليلاً من الالفاظ الفارسية والصينية وعدداً غيرقليل من الالفاظ المغولية التي كان الاشتراك في الاصول بينها وبين التركية يسهل احتذاء مثالها بالنظر لكثرة الصلات بين الشعبين · وهذه جملة ما اخذه الاتراك قبل الاسلام من جيرانهم حتى اذا انتحلوا الدين الاسلامي تغير كل ذلك · فكانت العربية وهي لغة الدين والعلم مصدراً للاتراك يتناولون منهما الالفاظ الدينية والعلمية التي تمس حاجتهم اليها وكانت اللغة الفارسية عَلَى اتم نشوئها ولها آداب رائقة هي لغة الاتراك الادبية في عامة الاقطار وما الشعر التركي الا على مثال الشعر الفارسي وانتشر التهذيب الفارسي من آسيا الوسطى الى البحر الرومي وكانت له المكانة العليا في كل مكان يتكلم به باللغة التركية التي كانت مفرداتها كثيرة في القديم بفضل طرق الاشتقاق الكثيرة الهينة ولكنها لم تلبث ان افتقرت بما دهمها من الالفاظ العربية الفارسية

وانك لترى في النصوص القديمة من لغة الويغور الفاظاً مثل كوتادغو بيليك وهي من القرن الحادي عشر وهي تكثر في لغة الجغتاي نحو القرن السادس عشر وقد تركت لغة الويغور بالمرة واستقام امر التركية بانها لغة اسلامية · اما اللهجات الشرقية التي هي اكثر عراقة في تراكيبها القديمة فقد احتفظت بتراثها الوطني من المفردات اما في اللغة العثمانية

التعابير الاجنبية ولا سيما الافرنسية منها على ماهي عليه • واذا غيروها احياناً فانما يغيرونها لتكون موافقة للفظ التركي • وزاد في هذا الاقتباس من الافرنسية انشاء صحافة تركية وطنية نسجوا فيها على مثال الصحافة الاوربية وكثر شغف ادباء العثمانيين بتلاوة مصنفات الفرنسويين حتى حلت محل مصنفات الفرس نحو سنة ١٨٥٠ فاصبحت المثال الذي يحتذيه كتاب الاتراك ولا سيما ترجمة القصص الفرنسوية التي هي في الاكثر من اسلوب الانشاء الطبيعي

ثم عاد القوم منذ خمس عشرة سنة يريدون وضع حاجز دون هجوم الدخيل على لغتهم وطرح مادخلها منه وارادوا ان يعبروا عما يريدون بالالفاظ التركية واذا لم يكن فيها مايقابل اللفظ الافرنجي يعمدون الى الفارسية او العربية • وكاد هذا الاصلاح يأتي بالنتائج المنتظرة منه خصوصاً وان له علاقة بالحركة لتوحيد اللغة العثمانية وهي الحركة التي أشير اليها وسنعود الى الكلام عليها • وعلى اي حال فانا نرى الآن في الصحافة التركية الفاظاً مولدة مثل « تحت البحر سفينه سي » اي غواصة و« آثار عتيقة » اي العاديات او الآثار العتيقة و « بيطرفلك » الحياد « بين الملل »دولي وغيرها • وقد نقلوا الى التركية كما نقل كتاب العربية الفاظاً افرنجية وضعوا لها مسميات فترجموا دارعة بلفظ « زرخلي » ولكن الطراد ابقوه على اصله الفرنسوي فقالوا (كروازور) وقالوا عن النسافة (توربيدو) وهي من الايطالية وبالافرنسية (توربيل) و (غانبوط) اي سفينة مدفعية وهي من الانكليزية (كونبوت)

اما المصطلحات العلمية فتكاد تكون تقريباً باجمعها تركية او فارسية او عربية ويعمد الى الفرنسوية واللاتينية في النادر ولا تستعمل الانكليزية ولا الالمانية

اما سائر اللهجات الشرقية التي تأثرت من اللغة العثمانية باللغات الاوربية فان اللغة الروسية تكاد تكون وحدها منفردة بهذا الامتياز ولا يشاهد ذلك الا في اللغة التتارية خاصة والظاهر ان ذلك بدأ في النصف الاول من القرن التاسع عشر فانك تجد في القصص الهزلية التي الفها ميرزا فتح العلي آخوان زاده التي كتبت بين سنتي ١٨٥٠ و ١٨٦٠ بعض الالفاظ ان لم تكن روسية فتكون قد سرت الى التتارية من اللغة الروسية مثل (زاكون) قانون (بيلت) من (بيله) الفرنسوية اي تذكرة و (باشبور) من (باسبور)اي جواز و (مدال) من ميدال اي نوط ولا تكاد الآن تفتح جريدة مثل ترجمان التي تصدر في بغجه سراي وترقي التي تصدر في باكو وجريدة قازان مخبري

الا وتدهش مما تراه من كثرة الالفاظ الروسية او المصبوغة بالصبغة الروسية لان كثيراً منها من اصل فرنسوي او الماني او ايطالي

اذا عرفت هذا فما هو مستقبل اللغة التركية ؟ انا نشهد الآن لجنة المعارف العمومية في مجلس النواب الروسي تعنى بالكتب المؤلفة باللغة المحلية للمدارس وقد رفضت الاستعاضة عن اللفظ التتري باللفظ التركي وذلك ليحولوا دون « الجامعة التركية » . ولكن من اين نشأت هذه المخاوف ؟

نشأت من كون جميع العناصر التركية مهما كانت لهجتهم من الاستانة حتى سمرقند يريدون ان يتعارفوا ويتفاهموا وانا نجد الصحف العثمانية تقرأ في روسيا كثيراً والصحافة التترية تتخذها نموذجاً تحتذيه حتى ولو كان مايقتبسونه منها من المولد مأخوذاً من اصل اوربي ولا يجب ان يفوتنا ان كثيراً من الالفاظ الفرنسوية قد سرت الى اللغة التترية بواسطة اللغة الروسية ولكن ماجاء منها من طريق اللغة العثمانية اوفر عدداً

ولقد اصبح من الظرف في البلاد العثمانية منذ بضع سنين ان تحتقر اللهجات الشرقية وينظر اليها كما ينظر الى مايسمونه « قبا ترك » اي التركي الغليظ وشغف القوم بالرجوع الى لغة النيفا وسلطان باير القديمة الغنية التي افتقرت وتبدلت اوضاعها بما دهمها من الالفاظ العربية والفارسية اولا والالفاظ الافرنجية ثانياً فالقوم فيها يبحثون في حذف جميع هذه الالفاظ ليستعيضوا عنها بما يقابلها من الالفاظ التركية التي نسيت منذ عهد بعيد وهي اكثر التئاماً مع روح اللغة . واصبح لهذه الحركة شأن عظيم بما توفر عليه القائمون بطرح الالفاظ الدخيلة على التركية من الابحاث اللغوية المهم اكثرها كابحاث العلماء امثال القائم مقام نجيب عاصم بك والمقالات الكثيرة التي نشرت في الجرائد وتأسيس الجمعيات لهذا الغرض مثل جمعية (ثورك درنكي) اي المنتدى التركي وغرضه درس اصول اللغة التركية واحياء ماعاث فيه البلى من الالفاظ ويقول المسيو هارتمان احد علماء المشرقيات انه يرجى ان تكون لهذه الحركة نتائج حسنة

وهكذا يرجع العثمانيون الاتراك الى التركية القديمة والتتر الروسيون يحاولون الجري على مثال اللغة التركية الشائعة في الاستانة ويطمعون في كل مكان ولاسيما في روسيا ان يوحدوا اللغة . وهذا العمل يلاقي صعوبات مهمة ولاسيما فيما تعلق منه باللغة العامية . فاللغة المحكية في القريم هي اللغة العثمانية الا قليلا ولا فرق بين هذه اللغة ولغة القافقاس الا ببعض التعابير المتعلقة باللهجة وبعض الالفاظ الروسية التي يريد القوم طرحها وبعض

الصيغ النحوية على ان هذا الفرق لايحول دون العثماني وفهم لهجة ازري من ايسر وجه ومن المتعذر ارجاع لهجات بلاد قازان وآسيا الوسطى الى هذا الاسلوب . ومهما تم في هذا الامر فالانظار متجهة لما يحدث من هذا القبيل في البلاد التركية اتجاهها لما يحدث في سائر العالم الاسلامي مما فيه تأييد روح الوطنية باللغة الوطنية

المالية العثمانية

لاشيء يشغل بال العارفين من العثمانيين مثل اصلاح ميزانية الدولة وبينا النفوس متطلعة الى مايجري في مجلسنا النيابي بشأنها وردت مجلة العالمين الباريزية وفيها مقالة بقلم احد الاخصائيين في هذا المعنى قال فيها ان واردات السلطان سليم الاول كانت تقدر سنة ١٥٠٨ بـ ٣١٣٠٠٠٠٠ دوكا (١) وبلغت سنة ١٥٥٣ ١٥ مليون دوكا وبعد ذلك عاد ارتقاؤها انحطاطاً وقوتها ضعفاً مشهوداً لما وقعت فيه الدولة العثمانية من الغوائل السياسية والفتن العسكرية . فظهرت عندئذ نقود الورق واخذت الدولة بالاقتراض فاصبحت المملكة في قبضة ارباب المصارف من الماليين ولاتزال حتى يوم الناس هذا . فليت شعري هل ينهض احرار الامة العثمانية المجددون لانهاض ماليتهم من كبوتها؟ فالجواب على ذلك اقتصدوا على وجه حسن تحسن ماليتكم لان هذه لاتستمد الا من الاقتصاد على ان الحالة الزراعية والصناعية والتجارية في السلطنة العثمانية ليست على مايرام بالنظر لمثل هذه المملكة الواسعة الرباع والاصقاع . فقد اخرجت المملكة العثمانية سنة ١٩٠٥ ١٨ مليون قنطار من الحنطة و٣٤ مليون قنطار من الشعير والجاودار (الحنطة السوداء) والقرطمان والذرة . ويستخرج من اليمن قهوة حسنة معروفة منزلتها . وتبلغ مساحة الغابات

(١) الدوكا معاملة ضربها دوق اودوج في البندقية تكون من الذهب او من الفضة وهي من سكة القرن الثالث عشر اماسعرها بمعيارهذه الايام فقد كان يختلف باختلاف البلاد فالدوكا الذهبي كان سعره نحو نصف ليرة عثمانية في المانيا والنمسا وسويسرا وهانوفر وهولاندة وبولونيا وبروسيا وروسيا والسويد وفي امارتي باد وبال وغيرهما من ١٠ فرنكات و٦٩ سنتيماً الى ١٠ و٧٥ سنتيماً وفي الدانيمرك وهولستاين ٩ فرنكات و٣٠ سنتيماً وفي البندقية ٧ و٤٨ س وكان في البندقية ايضاً دوكا بسعر ٣ فرنكات وربع

التي خربتها المواشي عشرة ملايين هكتار · ويصدر من ولاية بروصة ولواء ازميد نحو الف طن من الفيالج (الشرانق) وكثير من الموارد الطبيعية على ظاهر الارض وباطنها لم تستثمر الى الآن لقلة رؤوس الاموال والمهندسين · وتقدر صادرات المملكة وواردانها بنحو ١١٥٠ مليون فرنك تكاد تنقسم نصفين وطول سككها الحديدية ٦٦٠٠ كيلومتر ·

هذا ماقاله صاحب هذا المبحث وقال ان اصلاح المالية العثمانية ليس بالامر المتعذر فانها اذا لم تحدث للدولة مشاكل خارجية تستطيع ان تلم شعثها بعد بضع سنين اذا احسن الاحرار السياسة والادارة · وهو قول يشبه مايردده ناظر ماليتنا على انه مثل بعض الماليين لايرى على الدولة حرجاً في الاقتراض لسد العجز من ميزانيتها لان الدولة تقترض من جهة وتوفي ديونها من جهة اخرى ·

ولما كانت الدولة العثمانية دولة حربية منذ قامت في الوجود الى اليوم والى مابعد اليوم تحتم عليها ان تنفق على جيشها شطراً عظيماً من دخلها وبذلك كانت العسكرية اول ادارة دخلها الاصلاح في الدولة بعد اعلان الحرية وهذا الاصلاح يستدعي نفقات طائلة فقد جعل مايطلب للحربية في ميزانية سنة ١٣٢٦ ٨٦٢٨٠٠٤٥٢ ليرة عثمانية او نحو ٤٠ في المئة من الواردات والدولة تحاول ان تجعل لها بحرية تضاهي قوتها البرية وهيهات ان يتم لها ذلك وقد جعلت المخصص لهذه الغاية زهاء مليون ليرة واخذت تجمع اعانة لانشاء اسطول من رواتب الموظفين على اختلاف درجاتهم وتهز اكف المحسنين من الاهلين فجمع حتى الآن اثنان واربعون مليون قرش اوصت باكثرها على مدمرات ونسافات · وتدفع الدولة زهاء ثمانية ملايين وربع للديون العمومية العثمانية مما يبلغ مع اللازم للجيش البري والبحري زهاء ثلثي الدخل والباقي يصرف رواتب لرجال الادارة والدرك والمعارف والنافعة

اما اصلاح المالية فموقوف كما يقول العارفون على اصلاح طرق الجباية وتعديل قيم الاملاك وتضمين الاعشار بحيث يتعادل مايجبى منها من الفلاحين ومن كبار الاغنياء المالكين وان تطبق من خطط الاصلاح مالايكلفها النفقات الطائلة ويكون مأمون المغبة مثل اصلاح ري العراق واستثمار الاقرب فالاقرب من مناجمها وانشاء الاهم فالاهم من خطوطها الحديدية ومرافئها البحرية · والاضطلاع بجباية رسوم الاغنام وفرض ضريبة التمتع على التجار الوطنيين والاجانب على صورة عادلة واذا قبلت الدول بزيادة الرسوم الجمركية اربعة في المئة تبلغ ١٥ في المئة فتبلغ الزيادة فيها ٣٤ في المئة واذا اضفنا

اليها اصلاح ادارة الجمارك بتكثير رواتب الموظفين والاقتصار على المقتدرين منهم تزيد الواردات نحو ٢٥ في المئة

وبيت قصيد كل هذا الاقتصاد في النفقات فقد رأينا الحكومة اقتصدت في الظاهر من امور طفيفة واسرفت في امور كبيرة وما ندري على اي قاعدة من قواعد الاقتصاد طبقت قانون التقاعد في موظفيها فبعد ان كان العامل من الموظفين يقبض الف قرش مثلاً اجرت تقاعده واخذت تدفع له الفاً ومئة قرش اي انها زادته في رزقه وبذلك خسرت من وجهين الاول انه دخل في زمرة المتقاعدين اناس كان يرجى ان ينفعوها بمعارفهم وتجاربهم لو داموا على عملهم مع مراقبتهم واستعاضت عنهم باغمار لايحسنون كيف يسيرون الا قليلا وتكبدت الخزانة من الوجه الثاني زيادة رواتب المتقاعدين

ولو كانت الحكومة تقترض المال اللازم لها لسد عجز ميزانيتها والقيام بالاصلاحات النافعة من البيوت المالية العامرة باموال رعاياها لهان الامر وقلنا لها لابأس من اقدامها الآن على تحسين ماتريد تحسينه والتوسعة في النفقة ولكنها تنفق بالاستدانة من مصارف اوربا وعليها الآن نحو ١٣٠ مليون ليرة عثمانية دين للمصارف وقد استلفت في العام الفائت لسد عجز الميزانية اربعة ملايين وهي تحتاج هذه السنة لعشرة ملايين ليرة اخرى

ويقول المسيو لوران المستشار المالي ومع انه لايعرف مقدار الديون العثمانية معرفة صحيحة فالمظنون انه لايقل عن ٢٩٥٠ مليون فرنك فاذا ضم هذا المبلغ الى القروض التي عقدت منذ سنة ١٨٨٢ اي منذ انشاء ادارة الديون العمومية وهي ١،٠٣٩٥،٠٠٠،٠٠٠ فرنك منها ١،١٧٥،٠٠٠،٠٠٠ للديون العمومية ١٥٥،٠٠٠،٠٠٠ مليون سلفة و ٦٥،٠٠٠،٠٠٠ للمصرف الزراعي واخذنا التعديل المتوسط لانجد العجز يقل عن اربعة وستين مليون فرنك سانوية وقد تراكمت عليها هذه الديون لانها سعت في استهلاك الديون المنتظمة

وكيف يتأتى للدولة ان تكثر وارداتها فتصبح كما قال ناظر المالية ثلاثين مليوناً بعد ثلاث سنين ونحن نراها لم تضع في ميزانية الزراعة والمعادن سوى جزء من مئة جزء واقل من ثلثمائة جزء في المئة للتجارة والنافعة ومعظم هذا القدر يصرف رواتب لموظفي هاتين الادارتين فاين ماتركه لينفق على اصلاح ري العراق وفتح المناجم وانشاء الخطوط الحديدية والطرق والمرافئ ولم يزد المخصص للمعارف سوى ٣٥٠ الف ليرة وهو قدر زهيد بالنسبة لاتساع المملكة واكثرها مما يصرف على تتريك العناصر العثمانية لا على تعليمها علماً ينفع

الامة والوطن

ومن الغريب انه ورد على الخزينة في السنة الماضية خمسة وعشرون مليون ليرة من الضرائب المتنوعة ومليونان ونصف عن ولايتي البوسنة والهرسك واربعة ملايين بدل التخلي عن بلغاريا ونحو خمسة ملايين صودرت من اموال المخلوع عبد الحميد واموال اعوانه ونحو مليون من واردات الاراضي السنية ماعدا القرض الذي عقدناه وهو زهاء اربعة ملايين وانفق كل هذا في سنة واحدة ولعل هذه السنة لاتكون اقل من طريدتها لان الدولة لاتأمن كل ساعة ان يفتح عليها باب فتنة داخلية او خارجية تضطر الى الانفاق فيها مالم تدخلة في ميزانيتها .

اهم الواردات المخمنة في الميزانية ٦٠٢٣٣٤٢٥٩ ليرة من الاعشار و٣٥٩٨٠٠٣٩٥ من الجمارك و ١٠٣٣٣٠٠٦٠ ليرة خراج الاراضي ١٠٣٧٧٠٣٦٠ خراج العقارات و ١٠٢٧٩٠٠٧٢٠ رسوم الاغنام و ١٠٣٨٩٠٦١٣ البدلات النقدية الى غير ذلك من رسوم التمتع والمرتب على الغابات والمناجم مما لايتجاوز الستة والعشرين مليوناً . وقد الغي منذ ابتداء سنة ١٣٢٦ من البلاد التي لم تحرر نفوسها واملاكها جميع الرسوم التي كانت تؤخذ باسم الدكاكين والخيم وماشاكل ذلك عدا عن رسم الاحتساب او الدخولية (OCTROI) الذي كان وضعه من اهم عوامل فتنة الارناؤد الاخيرة كما ألغيت الرسوم التي تؤخذ من الصيارف واصحاب المعامل المنشأة حديثاً وجميع القوانين المتعلقة بالعملة المكافئة وتذاكر المرور اي الجوازات وتحصيل بدلات الطرق نقداً لابدناً وتلغى الرسوم التي احدثت في الكمارك بدون استناد على قانون او نظام والغيت الرسوم التي كانت تستوفيها الحكومة تحت اسماء الدلالية والزورق والرحى والحطب والفحم والباج والصباغ ومعمل الترميد والقصب والمضيق ومرور الحيوانات وميزان الفضة وتمغتها وغيرها كما الغيت رسوم الجسور والمعابر في ولايات بغداد والبصرة والموصل والقدس وبعض جهات ادرنة فانها تركت للبلدية

وقد كتب شفيق بك المؤيد نائب دمشق في مجلس الامة العثمانية وهو ثقة في الشؤون المالية مبحثاً قال فيه : ان ديون الدولة يوم تألفت ادارة الديون العمومية محررة بالضبط في قانون تأليف هذه الادارة وكانت يومئذ عبارة عن ١١٦٢٨١٥٠١٧٢ ليرة عثمانية غير انا اذا دققنا نجد ان قيمة هذه الديون الحقيقية لاتتجاوز ثلاثين مليون ليرة لان القيمة المحررة في القانون هي قيمة اعتبارية لاحقيقية وقد قسمت الديون المذكورة

وقتئذ الى اربعة اقسام اعظمها وكان يتناول اكثر من ثلاثة ارباعها ما كان معروفاً عند اصحاب الدين باسم (ترتيب د)

وهكذا كانت المئة منه تختلف ابداً بين ١٧ و٢٠ وانا عليَّ ما اذكر ما تجاوزت قط قبل ان تظهر مسألة توحيد الديون ٢١ او ٢٢ كما ان مجلس الديون العمومية لم يدفع قط في مشتراه لاستهلاك الدين قيمة فوق ذلك. واني لآت ببرهان جلي عليَّ ان قيمة الديون الحقيقية اعني قيمتها في البورص لم تتجاوز قط ثلاثين مليوناً . وذلك ان مجلس الديون العمومية كان ولم يزل ينشر كل سنة خلاصة اعماله في رسالة مخصوصة يطبعها ويوزعها عليَّ اصحاب الدين . وقد وقعت بيدي الآن اتفاقاً عليَّ رسالته عن عام ٣١٤ فوجدت ان الفائدة التي اداها المجلس تلك السنة عن الاقسام الاربعة المذكورة بلغت ١٠،٠١٤،٤٨٣ ليرة عثمانية فاذا اضفنا الى هذا المبلغ ما يعود من صافي الواردات لاسهم السكة الحديدية الروملية وهو ١٥٦٣٣٥ ليرة بلغ المجموع ١٠،١٧٨،٠٨٠ ليرة واذا اخذنا رأس مال هذا المبلغ بحساب قيمة الديون الموحدة وجدنا ذلك لا يبلغ ثمانية وعشرين مليوناً غير انه يجب لاجل تعيين مقدار الديون الخارجية وقتئذ ان نضيف الى هذا المبلغ قيمة الديون المضمونة بخراج مصر والدين الذي كان معروفاً بالتحويلات الممتازة فيبلغ بمجموع ذلك زهاء خمسين مليون ليرة وهذا يكاد لا يتجاوز مقدار الدين الموحد الآن فاين هذا من ١٥٠ مليوناً .

اما ديوننا الخارجية الآن فهي كما يأتي وهي ارقام حقيقية راهنة لا اعتبارية

١٨،٦٦٠،٦٩٨	الديون المضمونة بخراج مصر
٥٢،٣٩٤،٦٥٩	الديون الموحدة
٣١،٣٣٢،٥٥٤	ديون اخرى مودعة لمجلس الدين
٢،٣٩٩،٦٠٦	ديون لبعض البيوت المالية
١٥،٢٦٢،٧٦٤	ديون منوط امر تأديتها بنظارة المالية (منها القرضان الاخيران)
١١٩٩٩٦٢٨١	المجموع

فاذا اضفنا الى هذا المبلغ قيمة القرض الذي تنوي الحكومة عقده واضفنا عشرين مليوناً رأس مال ما ندفعه كل سنة ضماناً لشركات السكك الحديدية نجد ان مجموع ديون الامة ستتجاوز في منتهى هذه السنة المالية مائة وخمسين مليوناً فتزيد عنها يوم تأسست الديون العمومية ما يقرب من مائة مليون

قال عَلَى اني لست من الذين يستعظمون هذا المبلغ و يرون ان احوالنا المالية وخيمة العاقبة لمجرد تراكم هذه الديون علينا . كلا وانما الخطر كله في سياسة الحكومة المالية وانحرافها عن طريق الاقتصاد متبعة خطة التبذير والاسراف في جميع شؤونها وامورها مما لا يقف بنا عند هذا الحد بل يجرنا الى عقد القروض الجديدة فنحمل عاتق اخلافنا مالا يقدرون عَلَى القيام باعبائه ونبيع آجل الامة بعاجل لذة نحن في غنيً عنها .

وان في ميزانية السنة الحالية اجلى برهان واعظم دليل عَلَى ماقدمت

تقررت ميزانية الدولة العثمانية عن سنة ٣٢٦ بعجز يتجاوز عشرة ملايين ونصفاً من الليرات العثمانية ومهما قال القائلون فهذ العجز لا ينقص عندي عن ثمانية ملايين فتحتاج الحكومة لسده ان تعقد قرضاً يقرب من عشرة ملايين بزيادة نحو ثلاثة ملايين عن العام الماضي .

ولا يخفى ان ديوننا الخارجية وضمانات السكك الحديدية مع الواردات المخصصة لها مفوضة ادارتها جميعها الى دائرة اجنبية لاتأثير للحكومة في اعمالها وهذه الواردات مع النفقات وفائدة الديون المخصصة لها يجب في الحقيقة تنزيلها من الميزانية ايراداً ومصروفاً فاذا فعلنا ذلك رأينا ان صافي الواردات التي للحكومة حق التصرف بها يبقى عبارة عن ثمانية عشر مليوناً فاذا استقرضت الحكومة عشرة ملايين لسد عجز الميزانية تكون قد استقرضت مايقرب من ستين في المائة من مجموع وارداتها فما ظن القراء بتاجر لايكتفي ان يصرف سنويا عَلَى خاصته وأسرته جميع كسبه وايراده بل يقترض فوق ذلك ستين في المئة من مجموع هذا الكسب والايراد اه.

حكم افرنجية

التألم عَلَى مايرغب فيه اكثر من الاستمتاع بما تملكه اليد هذا ليس من السعادة في شيء بل هو من شأن الطامع

ان ما تشمئز منه نفوس ارباب الافكار الصالحة من المناقشات هو انها تنتهي بالخصام

كثيراً مايكون الاستهزاء افلاساً في الفكر .

مامن شيء ادل عَلَى الحذق اكثر من حسن السلوك

الجهل عَلَى ثلاثة ضروب : جهل بكل شيء ومعرفة ناقصة فيما تعلمه ومعرفة غير مايجب عليك معرفته

يتوهم الاولاد والمجانين ان عشرين فرنكا وعشرين سنة لايتأتى ان تنتهي

شارك الناس في افراحك تعظم وشارك الناس في اتراحهم فان الترحة المجزأة يقل تأثيرها

يسأل الحكيم نفسه عن سبب اغلاطه والاحمق يسأل عنها غيره

سران يضمنان احترام الشيخوخة وصفاء الحياة : حب العمل والشعور بالواجب

النظام يسعف الذاكرة و يوفر الوقت ويحفظ الاشياء ٠

يقرأ الانسان ليمهر فلو كان الناس يقرؤن ليكونوا احسن حالاً يصبحون عما قريب امهر واحذق

نشكو قليلا في الاحيان من احبابنا لنبرر سلفا خفتنا (لاروشفوكولد)

ان تعلم النظر هو اطول الفنون واصعبها (كونكور)

اننا نحب من يعجبون بنا ولكننا لانحب ابداً من نعجب بهم (لاروشفوكولد)

يجد المرء في السياحة رأس مال للبطالة لايخلو منه زاوية من زوايا قلب كل منا (بانفيل)

علينا وحدنا ان نحرس افكارنا ففي البيوت نسهر عَلَى اخلاقنا وفي المجتمعات نحرس السنتنا (العقيلة دي ستايل)

لايحدث في الحياة امر لا كما يخشى منه ولا كما يؤمل فيه

اشبه بمن يقول الكذب من يورد قولاً في معرض الحق وهو لم يفكر فيه

في القراءة اجمل سلوى عن الحياة وعن النفس

استمع مئة مرة ولاتتكلم الا مرة واحدة

من العار الحذر من الاصحاب اكثر من الانخداع بهم

احق انواع الاسراف باللوم الاسراف في الوقت

الاغتياب نذالة ولاقوة له الا عَلَى المتغيب

العفو طيب الفضيلة

ان لك من الحاضر دواء وما دمت تتعذب منه فاعقد الرجاء بالخلاص

التربية الاوربية [1]

سادتي الاخوان الاعزة :

اوعز اليَّ بعض اعضاء هذا المنتدى الكريم ان احدثكم بما رأيت في رحلتي الاخيرة الى اوربا فلم تسعني مخالفتهم لان الطلاب اعزة وتبادل الافكار معهم من اشرف المطالب ولكن الموضوع كبير لايتسع وقتي الآن للاحاطة باطرافه كله ولا اوقات الحضور الكرام الى وعيه وسماعه ولذلك اقتصر منه في هذه الليلة على الاشارة الى طرف مما تأثرت به نفسي في درس معالم الحضارة الاوربية في اماكنها واستطلاع طلعها بالعمل بعد الاشتغال بدراستها بالنظر مدة . ولذا استميح عفوكم اذا لحظتم في اقوالي شيئاً مما لم يعتد بعضكم سماعه فانا أقص عليكم شعوري ولا حرج على الشاعرين كما لاحرج علَى الشعراء .

اول مايقع عليه نظر الداخل الى ارض اوربة ذاك الانتظام الغريب في مرافق الحياة ومظاهر القوة فيسقط لاول وهلة على نموذج صالح من استبحار العمران هناك بل يتجسم في عينه وذهنه ماسمعت اليه ولا تزال تسعى تلك الامم الراقية من الاخذ بأسباب الراحة والبسطة من طريق التكمل العلمي والنشوء الاجتماعي والعملي .

ولا يزال هذا النموذج من العمران يعظم في نظر السائح كلما طاف المعاهد وزار المشاهد وجال في القرى والدساكر والحواضر والقواعد . وكل

(١) خطاب القيناه في المنتدى الادبي في الاستانة وهو مجمع الناشئة العربية من طلاب المدارس العالية

فرع من فروع هذا الارتقاء العجيب يحتاج الناظر في وصفه الى مجلد برأسه حتى يتجلى للسامع بعض التجلي وما راءٍ كمن سمعا ·

ماذا اذكر لكم ايها الاخوان من حال اوربا ومدنية الغرب الراقية التي بلغها بقوة العقل وتطبيق العلم على العمل ؟ أأحدثكم بصناعاتها التي تبهر النفس ؟ او باتساع متاجرها التي لايحصيها العد ؟ او بارتقاء زراعتها التي تنادي بلسان حالها ومقالها بانه لم يبق بعد مابلغته غاية ؟ ام اذكر لكم حال المجامع العلمية والسياسية والجمعيات الاجتماعية والنقابات التجارية والصناعية ام المدارس الجامعة والكلية والثانوية والابتدائية ام المتاحف والمعارض والمكاتب والمجالس والمصارف ودور التمثيل ومحال الطرب والانس ؟

كل هذه المشاهد كنت اختلف اليها في اوقاتها واجتمع برجال العلم والادب والسياسة منذ الصباح الى مابعد منتصف الليل ونفسي تتأثر بتغير المشاهد بحيث تمالك عليّ مشاعري فلا استطيع التفريق في الحسنات كأنني ابتليت بداء الاستحسان لاتقع عيني على شيء ولا تسمع اذني بشيء ولا يتصور ذهني اقل شيء الاوأخذ به جملة وتغرق النفس في استحسانه وتحار في وصفه

ولقد كنت عزمت ان ادون في مفكرتي مايعرض لي من المظاهر والمناظر ويتردد في صدري من الافكار والخواطر واحضره من المحاضرات والخطب والدروس النوادر ولما كثرت عليّ الموضوعات كلَّ القلم من التقييد وقلت انك ياهذا تكتفي متى عدت لتحدث قومك بما رأيته من تسجيل مايعلق في ذهنك وبعضه مما فيه الغناء والكفاية ·

نعم تركت التقييد على خلاف عادتي فصدق فيَّ قول الشاعر

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش مايصيد

لولا ان اليأس من اعظم الامراض في الافراد والجماعات لطاوعت النفس وقنطت من نهضة هذا الشرق لمجاراة الغرب ولولا انني اعتقد بان النجاح مقدور لكل مخلوق يعمل وان الأجسام تتكون من الذرات وان من الجزئيات تنشأ الكليات لسجلت بان قيام الشرق العثماني وهو علَى نهضته المتثاقلة البطيئة التي نشهدها امر متعذر الا بعد قرون ان كتبت له الحياة. ولكن امامي مثال الدولة اليابانية مملكة الشمس المشرقة رأيتها جارت اكبر الدول الاوربية في ثلاثين سنة وفاقت من كانت تعمل منذ ثلثمائة سنة من الدول الغربية فبلغت درجة عالية من الحضارة

نعم ان اليأس يجب ان لا يتطرق الينا وان كنا و ياللاسف تحت وصاية الغرب اليوم في كل شأن من شؤون حياتنا السياسية والاجتماعية والعلمية والتجارية يصرفون علينا كل ما يريدون من ضروب المعارف ويربحون بعقولهم منا انواع الارباح والمكاسب ويستثمرون شرقنا بكل مالديهم من ذرائع العلوم والفنون ونحن معهم باهتون شاخصون شأن عبد مع سيده او جاهل مع عالم

حضرت دروساً كثيرة في الكوليج دي فرانس وهي المدرسة العظمى التي تضم في صدرها زهاء اربعين عالماً من كبار علماء فرنسا يقرأ كل واحد منهم درسين اثنين في كل اسبوع في العلم الذي اخصى فيه وتفرد به طول عمره وتكون دروسهم عامة يحضرها كل من اراد فتدل على كرم الفرنسويين في العلم

وحضرت دروساً في مدارس أخرى ووفقت الى سماع خطب ومحاضرات كثيرة فلم ار في اكثرها الا تعصباً علَى الشرق وغمطاً لحقوقه

اذكر لكم على سبيل المثال محاضرتين دعيت اليهما لتعلموا منهما مقدار ما يعده الغرب للشرق ومبلغ حكم ابنائه علينا ولكم بعد ءان تقيسوا حاضرهم بحاضرنا وغابرهم بغابرنا وتضحكون بعدها او تبكون ·

فالمحاضرة الاولى كانت في قاعة السوربون الكبرى اي كلية باريز وهي المكان الذي جرت العادة ان يكون معهد العاملين للعلم من الفرنسويين فاقامت جمعية آسيا الفرنسوية والجمعية الجغرافية حفلة للاحتفاء باعضاء بعثة بليو الى التركستان الصينية وكنشو بحضور جماعة من اعضاء المجمع الفرنسوي ولم يكن الحضور اقل من الف وخمسمائة مستمع ومستمعة والمسيو بليو هو في الثامنة والعشرين من عمره طلق اللسان آية في البيان وهو استاذ اللغة الصينية في المدرسة الفرنسوية في الشرق الاقصى · شرح في محاضرته مالاقاه في رحلته التي بدأت في ١٥ حزيران سنة ١٩٠٦ وانتهت في الصيف الماضي واتى على ما وفق اليه من الاكتشافات الاثرية والكتابية وغيرها في آسيا الوسطى مما حفظ لفرنسا شهرتها القديمة في البحث عن الآثار وقال ان التعصب انتشر هناك بانتشار الاسلام في القرن الحادي عشر للمسيح فكان من ذلك التعصب ان اتى على الآثار بجملتها · وقد قرع الشرقيين عامة والمسلمين منهم خاصة انواع التقريع · اما رحلته فهي كسائر الرحلات العلمية التي يرحلها الغربيون الى آسيا وافريقية فيكونون مقدمة للفتح والاستعمار وقديماً كان الشاعر يقول « السيف اصدق انباء من الكتب » فاذا ارادت امة ان تفتح بلداً أخرى ترسل اليها السيوف والبنادق ثم تمهد البلاد بالمعارف اما اليوم فيرسل الغرب رجال العلم يرتادون البلاد اولاً ثم يرسلون مدافعهم وبنادقهم وآلات تدميرهم والامثلة على ذلك كثيرة

وقد ادعى بليو صاحب البعثة والغالب انه على حق فيما ادعاه ان ماوفق الى جلبه من الآثار قد اغنى مكتبة الامة في باريز بالوف من المخطوطات الصينية ومنها شيء في تاريخ الصين كما اغنى متحف اللوفر الشهير بتماثيل ورسوم ونقوش فاصبحت باريز بذلك عاصمة الدروس الصينية في اوربا ويحق لها ان تفاخر بان مجموعة ماعندها الآن من الآثار الصينية ليس لها مثيل في الغرب حتى ولا في الصين نفسها قال وغاية البعثة في التركستان الصينية ولا سيما في مقاطعات قاشار وارومشي البحث عن بقايا التمدن البوذي الذي سبق التمدن الاسلامي الى هناك وانه رأى جميع اهل التركستان من اهل الاسلام واذ كان دينهم يحرم التماثيل والصور لم يظفر بكثير منها في الاماكن المطروقة اذ كانت تعبث بها ايدي المتعصبين منهم

وقال انه رأى لسوء الحظ ان قد سبقه الى ارتياد تلك الاصقاع اناس من الالمان والانكليز واليابان والروس للغاية نفسها ولكنه وفق الى ان اكتشف بين قاشار وكوتشار في نصف الطريق في طومشونك تمثالاً بوذياً صغيراً بين الصناعة اليونانية والبوذية حريٌّ بان يكون صلة بين الصناعة الشرقية القديمة والغربية وظفر في قاشار تحت انقاض احد المعابد في طبقة كثيفة بمخطوطات هندية فاحرز ثلثها بواسطة راهب انقطع في تلك المغاور ووصف تلك البقاع بانه لا شجر فيها ولا عشب مع انك تمشي فيها الوفاً من الكيلومترات اللهم الا في بعض الواحات . واكثر تلك الاصقاع جبال شامخة ومنحدرات كثيرة ورمال محرقة فكانت الحرارة في الصيف تصل الى الاربعين درجة وفي الشتاء الى الخمس والثلاثين تحت الصفر حتى كان الحبر يجمد في ايدي اعضاء البعثة متى ارادوا ان يقيدوا آثار بعثتهم وقد اخذ احد اعضاء البعثة صورة

طوبوغرافية من خط هذه الرحلة وفوائدفلكية في عدة نقاط وآب بمجموعة من الحشرات والحيوانات تغني المتحف الطبيعي وبصور كثيرة عرضت بالفانوس السحري علَى الحضور تلك الليلة حتى لكأنهم ذهبوا بانفسهم الى تلك الاصقاع النائية ·

هذه المحاضرة الاولى التي تكهرب بها جسمي وتأثرت عواطفي وسمعت بها مهانة أمتي بأُذني · والمحاضرة الثانية القاها المسيو تارديو من كبار السياسيين الفرنسويين وصاحب المقالات الافتتاحية في جريدة الطان في الدولة العثمانية فهو اول اخصائي في سياسة الشرق ولاسيما دولتنا يقلب القلم بين اصبعه كما تشاء حكومته · حضرت خطبة له في مدرسة اللغات الشرقية الحية القاها علَى طلبة تلك المدرسة العالية ممن يتخرجون الآن ليذهبوا الى الشرق فيما بعد لخدمة حكومتهم ويكون منهم التراجمة والقناصل والسفراء ببيان لم اسمع من العرب ولا من العجم ابلغ منه لم يتمتم ولم يعطس ولم يكرر وقلما رأيت انساناً درس موضوعه واعد له المواد التاريخية والمستندات اكثر من ذلك ولكن سياسة المنافع والمصالح كانت تلوح صراحة من خلال كلام الخطيب فكان عجبي بتحامله علَى هذه الدولة اكثر من عجبي بذلاقة لسانه فقد تكلم على علاقة فرنسا بالشرق ولا سيما بالدولة العلية منذ القديم فقال ان فرنسا صاحبة الفكر الاول في الحروب الصليبية قد اتى عليها زمن حالفت فيه الدولة العلية ايام قوتها لتستخدمها لاغراضها وقد جنى الفرنسيس ثمار هذا الوفاق ثم لما مضت سنون والدولة لم تر خيراً لها من تلك المحالفة نزعت يدها من يد حليفتها ثم عادت فرنسا فبعثت بابنائها الى القريم ليحاربوا مع الانكليز والعثمانيين جيوش الروس لان مصلحتها اقتضت ذلك اذ ذاك وافاض في نشأة الامتيازات

الاجنبية في البلاد المصرية والعثمانية وقال ان فرنسا في كل دور من ادوارها استخدمت الدولة العلية لمقاصدها وان لها اليد الطولى في المسألة الشرقية اي استقلال بلاد البلقان واليونان وانها لاتقصر كل حين في بتر عضو من اعضاء هذه الدولة حتى تموت وتفنى

فيااخواني ويا سادتي ايسمع عثماني هذا الكلام ولا تجهش نفسه بالبكاء ولا تذوب كمداً وحسرة وتسود الدنيا في عينيه ؟

هذا بعض مايعده الغرب للشرق فما ذا يعد الشرق للغرب ؟

نحن ياقوم لانحفظ كياننا ولا نحتفظ بلغتنا وديننا وآدابنا الا اذا قاتلنا من يريدون قتالنا بالسيف الذي يقاتلوننا به · واعني به سيف العلم · نحن يقضي علينا ان نأخذ من تلك المدنية الغربية التي تدهشنا كل ماينفعنا لقيام مجتمعنا نأخذ عن رجال العلم منهم ونحتك بهم زمناً لنستفيد ونعرف الطرق التي يجب علينا سلوكها

رأيت الدولة بعد انقلابها الاخير بعثت بزمرة من الطلبة العثمانيين ليدرسوا في مدارس اوربا ولا سيما في مدارس باريز فقدرت عددهم قليلاً جداً بالنسبة لمجموع هذه الامة · واني لاانجل ان اقول لكم ان عدد الطلبة البلغاريين في روسيا والمانيا والنمسا وفرنسا والبلجيك وانكلترا اكثر من عدد الطلبة العثمانيين واياكم ان تظنوا ان جميع طلبة الاجانب تبعث بهم حكوماتهم ليدرسوا على نفقتها بل ان لهم الافراد شأناً عظيماً في هذا الباب وكثيراً ما ينفق الطالب من مال ابيه عن سعة حتى لايتم دروسه الا وقد اتى على آخر فلس مما عنده وهو مغتبط بما صنع لانه احرز رأس مال كبير لايقدر بالملايين والكرات وعاد وهو يعرف كيف يخدم امته وبلاده

نحن مقصرون كل القصور في ارسال ابنائنا الى ديار الغرب يلتقطون درر العلوم من بحار كلياتها ومدارسها والعرب في هذا المعنى اكثر العثمانيين قصوراً · ولقد احصيت جميع من يدرسون من ابناء سورية في اوربا على نفقة الحكومة او على نفقاتهم فلم اقدر ان اوصلهم الى ثلاثين طالباً اكثرهم يدرسون على نفقتهم فليت شعري أليس هذا العدد بقليل على قطر يناهز سكانه الثلاثة ملايين · هذا من سورية ارقى البلاد العربية وما اظن احداً من ابناء العراق والجزيرة والحجاز واليمن وطرابلس وبرقة وغيرها من الاقاليم العربية يدرس في مدارس اوربا فيكون هؤلاء الثلاثون طالباً لخمسة عشر مليوناً من العرب العثمانيين يصيب كل مليون نسمة طالبان وما اعظم ذلك من قصور وتقصير

نعم هو قصور ليس وراءه وراء وجمود همم كاد يصدق به علينا حكم الغريب · واني لارجو ان لا تكون اقوالنا اكثر من افعالنا فان الكلام لا اثر له بقدر الفعل · نريد معاشر العرب ان نجاري الامم الراقية بل سائر العناصر من اخواننا العثمانيين ولا نجاريهم على الاقل في مضمار التعلم ؟

نتناغى بالوطنية ونندب حظ اللغة العربية ونحن ابناؤها الذين نعقها ولا نتعلمها · أليس مما يزعج ان يخاطب العربي اباه وامه واخاه وصديقه بغير لغته الاصلية ؟ يعمل ذلك لا ليتمرن على تلقف غير لغته بل لانه لا يعرف ان يتكلم ويكتب بلسان ابيه وامه وقد يكون في الاكثر ممن يفرض عليهم فرض عين تعلمها ليفهم بها كتابه وشريعته

انا ان كنت عربياً واحب العرب واريد نهوضهم ايتيسر لي كل ما اريد اذا لم اخاطبهم واخطبهم واكتب لهم بلغتهم التي يفهمونها · انا ان كنت

اريد الاطلاع على مجد آبائي واجدادي أ أتمكن من ذلك بدون دراسة ماخلفوه من آثارهم وهل يتيسر لي هذا الا باللغة التي كتبوا بها ؟ اقول هذا وانا آسف كل الاسف على قصور العرب عن تعلم لغتهم قصوراً لا ابالي اذا قلت ان فيه العار والشنار ·

ايزهد سلالة العرب الاكارم في لغتهم ويتعلمها المستشرقون اكثر من علماء العرب انفسهم ؟ ايزهد العربي ابن العشرين في العربية ويتعلمها رجل اعجمي في الستين من عمره · واعني به الكنت دي ساردج الفرنسوي · هذا الرجل من اهل الطبقة العالية في غناه كان والده سفيراً في طهران عن الملك لويز فيليب ملك فرنسا وقد كان هو موظفاً في السفارات وآخر وظيفة له رئاسة تراجمة سفارة فرنسا في مدريد ثم استقال وهو يسكن في الصيف في قصر له في لوزان في سويسرا وفي الشتاء في باريز وقد قام في ذهنه منذ اشهر ان يدرس اللغة العربية للاطلاع على حضارة العرب ومدنيتهم الباهرة فاتخذ له استاذاً صديقنا وطنينا ميشل افندي بيطار وانشأ يتخرج به فقطع شوطاً في التعلم واذ كانت الدواعي تضطره الى المقام في قصره في سويسرا اكثر من باريز وكان استاذه لايستطيع ان يلحق به الى سويسرا كتب اليه يلتمس منه التماس التلميذ من استاذه ان يبعث اليه بدروس عشرين يوماً حتى لايضيع وقته مدة مقامه في سويسرا ويحرم من الاستفادة والتحصيل فاذا آب الى العاصمة يعاود مابدأ به ·

هذا الرجل على ابواب الشيخوخة وهو في هذه السن يحاول ان يتعلم لغة شرقية لاعهد له بمعرفتها · او ان يتعلم لغة القرآن ليدرس بها مدنية اهله وشبان العرب انفسهم يترفعون عن ان يقضوا ولو بعض اوقات فراغهم في

إحكام لغتهم · هذا هو مثال صغير من امثلة الهمم في الشرق وامثلتها في الغرب فهل فيكم ياشباب المستقبل وقرة عيون العثمانية العربية من يمشي على اقدام هذا الشيخ الفرنسوي حتى لايجيء علينا وقت نضطر فيه ان نأخذ لغتنا بل ديننا عن اوربا ونكون تحت وصايتها حتى في امس الامور بنا واعلقها بقلوبنا ؟

كل مانراه من همم الغربيين ومتانتهم هو محصول الكتاب والمدرسة فانتم وامثالكم شباب هذه الامة في ايدي اقتداركم ان تجددوا لها شبابها اذا وضع كل منكم نصب عينه الذهاب الى الغرب وقضاء سنين في الدرس والبحث ليرى بعينه ويحكم بنفسه على قصورنا عن الغربيين وفقرنا وغناهم وشقائنا وسعادتهم ليعلم انني لا اغالي فيما اوردته لكم بل انني عاجز عن الوصف والتعريف · ولا يقمن في اذهانكم ان الذهاب الى اوربا بعيد المنال وانه لايتيسر الا لكبار الاغنياء · فالعيش في معظم البلاد الاوربية ارخص من الاستانة ومصر ودمشق وبيروت والمدارس رخيصة اجورها او لايكاد يكون لها اجور ومنها ما اجرة الطالب فيه مع الاكل والنوم والدرس ستون فرنكاً في الشهر ومثل هذا القدر من المال لايصعب على احد فيما احسب ان يعده او يستلفه على المستقبل مهما بلغ من ضيق ذات يده

يا ابناء قومي ويا زهرات أمتي ! أليس من العار ان تكون بلادنا التي لاتعيش الا بالزراعة ولا تحيا الا بالزراعة خالية من عارفين بها على الاصول الحديثة فلا يكون الذين يتعلمون منا هذا الفن في اوربا سوى طالبين اثنين احدهما في المدرسة الزراعية في لوفان من اعمال البلجيك وهو رفيق بك بيضون من بيروت والآخر في كرنيون من اعمال باريز في مدرسة كرنيون الزراعية

واسمه مصطفى افندي الكيلاني من حماة . كلاهما من ابناء الاعيان ولهما اراض ومزارع فنعما عملا بالاختصاص بهذا الفن الشريف المفيد ولكن أليس في ابناء سورية بل البلاد العربية احد من ابناء الاعيان يملك اراضي وقرى غير هذين الشابين ؟ بلى ان المالكين كثار ولكن محبي الدرس قلائل ! هذا في فن الزراعة فمتى يقوم منا اناس لتعلم الكهربائية ومد الخطوط الحديدية والهندسة العملية والصناعات الحديدية واليدوية والتجارة وغير ذلك مما نحن فيه عيال على الاوربيين

زرت مدرسة كرنيون الزراعية وهي على مسافة ساعة من باريز فرأيت شعارها مكتوباً بقلم غليظ في مكتبتها بما معناه : « الارض هي الوطن ومن توفر على تحسينها يخدم وطنه » ولكن قومي غفر الله لي ولهم يحتقرون هذا الفن فيما ارى . فان كنا نختلف في البديهيات فمتى نتفق في غيرها ؟

زرت كرنيون ورأيت بها ان عبد القادر الكيلاني يلبس مشالح الزراع ويدرس كما يدرس ابناء الاعيان في فرنسا ويجاريهم في ذكائه واطلعني على ما في مدرسته من متاحف ومعارض واصطبلات وحظائر لتربية الماشية وحدائق لغرس النبات والبقول وغابات للنزهة والانتفاع وادوات للعمل وحرث الارض وكرثها

رأيت كل هذا واكبرته وقلت في نفسي لو حذا السوريون في الزراعة وتربية الماشية حذو الفرنسيس فيها وتربتهم تلائم تربتنا واقاليمهم اشبه باقاليمنا لاغتنينا غنى يغنينا عن الهجرة ونطلب الوظائف الاتكالية فقد ذكروا لي ان خروفاً اعلفته ادارة المدرسة سنتين على الطريقة العلمية فبيع في احد المعارض بسبعين ليرة فاين خرفاننا التي يباع الواحد منها بسبع ليرات . مهما علفناها

بجهلنا وبساطتنا واطعمناها السمسم المقشر او الشيح والقيصوم والعرار والعرعر

ولكن الآمال معقودة بان نعلف خرفاننا على طريقتهم ونستثمر تربتنا على اصولهم ونربي عقولنا على مناحيهم ونطبع دوابنا وماشيتنا بحسب سنتهم فيكون اذ ذاك ابناء عبد القادر في التوفر على زكاء التربة في نفعهم لهذه الامة على مستوى جدهم الذي زكى النفوس في عصره · وتزكية التربة لاتقل عن تزكية التربية والمآل واحد ·

مدرسة كرنيون الزراعية هي التي اوصي ابناء الاعيان وغيرهم الى التخرج فيها لتخصب بهم تربتنا بعد اجدابها وتملأ جيوبنا بعد فراغها والمال مبدأ كل عمل وفاتحة كل ارتقاء مادي وادبي ·

نحن لانرقى الرقي المطلوب الا اذا تعلمنا العلم العملي وزهدنا قليلاً في شقشقة الألسن والنظريات المجردة · ومن جملة المدارس التي زرتها في فرنسا وتأثرت ايضاً بنظامها مدرسة جزيرة فرنسا في مقاطعة الواز · زرتها بدعوة من صديقي مرسي افندي محمود احد كتاب مصر فكانت زيارتها وزيارة مدرسة كرنيون من اسعد الايام التي قضيتها في ارض الفرنسيس واني احب ان اقص عليكم قصة هذه المدرسة لتعرفوا الغرض منها فاقول :

قام منذ عشر سنين في فرنسا رجل من رجال الصحافة اسمه ادمون ديمولانس درس طرق الحضارة والتعليم والتربية عند الالمان والانكليز والاميركان وقابل بين طرائقهم واخلاقهم وعاداتهم وبين ماعند الفرنسيس منها ووضع لذلك الكتب وكتب المقالات وانشأ مجلة العلم الاجتماعي التي تدور على هذا الغرض ومن جملة كتبه سر تقدم الانكليز السكسونيين الذي نقل الى

العربية فعمت فائدته العرب كما عمت الافرنج

وقد وفق ديمولانس صاحب تلك الدعوة بان التف حوله اناس من ارباب الغيرة على ارتقاء بلادهم والاهتمام بمستقبلها فكانوا يعطونه بالمئات لقيام الغرض الذي حاول بلوغه وتربية ابناء الفرنسيس على الطريقة الانكلوسكسونية العملية فأسست لذلك ثلاث مدارس كبرى عقيب دعوته الاولى مدرسة بروش أسست سنة ١٨٩٩ باسم جماعة من المساهمين وأخرى في اقليم نورمانديا لجماعة من كبار الصناع منها وأخرى في ليانكور أسست سنة ١٩٠١ وهي التي اريد ان احدثكم عنها

ليانكور قرية سكانها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وهي على نحو ساعة من باريز الى الشمال في مقاطعة الوازوفيها مافي سائر بلاد فرنسا من انواع المرافق والرفاهية والمعامل الكبرى الصناعية والزراعة الراقية الغنية بل فيها من دور التمثيل فقط ثلاث دور وفي قصر الدوك دي لاروشفوكول الواعظ المشهور صاحب الكلمات المأثورة الذي أسس بنك التوفير في فرنسا في اواسط القرن التاسع عشر قامت هذه المدرسة العملية . وقصره هذا في ارض مساحتها مائتا هكتار اي نحو ثلثمائة فدان لم يبق منها الا دائرة حشمه اما دائرة قصره فقد اتى عليها رجال الثورة الاخيرة فدكوها وجعلوا عاليها سافلها وقد حلت المدرسة في تلك الدائرة فوسعت كل صفوفها ومرافقها ومعاملها .

في هذه البقعة الجميلة الواسعة بل الابعدية الكبيرة والحانوت الفخم التي حوت الغابات والمروج والحدائق والغدران والآكام والسهول يتربى رجال المستقبل على الطريقة الانكليزية وفيهم الفرنسويون واكثرهم من ابناء الباريزيين وعدد قليل من الاميركان والانكليز والبرتغاليين والاميركيين

والمصريين · يعيشون في هذا البيت كأنهم في أسرة لا في مدرسة وقد رفعت عنهم اكثر القيود التي تقيد طلبة المدارس الداخلية واختصر منها على مايحفظ به النظام والآداب من مثل الحظر على احدهم ان يركض ويرفع صوته في المدرسة او في حجر الدروس وان يلعب في الاماكن التي هي ممر لاخوانه وان لايخرج من المدرسة ولا يركب في قارب في الغدير بدون رخصة اولاً وان لايبتاع اي شيء كان من المدينة بدون استئذان وان لايدخل جرائد ولا كتباً الا اذا وقع عليها المدير ولا يدخن وان يلبس ثياب اللعب عند ما يخرج من غرفة المائدة وقت الظهر ولا يركب دراجته الا يومي الخميس والاحد وان لا يعبث بما حوت حديقة المدرسة ومكتبتها وان لايتكلم بعد ان يطفأ النور في غرف النوم مساء ولا قبل ان يستيقظ رفاقه صباحاً وماعدا ذلك فهو حر ان يلعب اللعب الذي يختاره في الاوقات التي خصصت لذلك منذ الظهر الى حوالى الساعة الرابعة بعده ·

وكل هذه القيود لاتكبر على التلميذ لانه يعرف انه لابد منها لكل عائلة كبرى وما هذه المدرسة الا كذلك · والمدرسة تقسم الى ثمانية صفوف أسسها الاستاذان الانكليزيان هوكنسن وسكوت ومديرها اليوم المسيو لبلا وهو فرنسوي لان قانون فرنسا يحظر على الاجانب انشاء مدارس باسمائهم في البلاد · وفي المدرسة نحو عشرين معلماً ومعلمة وناظرة · ورئيسة المدرسة الآنسة باري من اقرباء اديمون ديمولانس صاحب الدعوة الى الاخذ بطريقة الانكليز السكسونيين في التربية ومن اولئك المعلمين معلمان انكليزيان واثنان المانيان

ويقسم تلامذتها بحسب اسنانهم واستعدادهم ولا يختلط الكبار بالصغار

الا في بعض ساعات النهار وهذه المدرسة تعد التلامذة لنيل شهادة البكلوريا او العالمية ولكن على غير الطريقة التي يحشى بها رأس التلميذ بالمواد النظرية وهي عن العلم العملي بمعزل · فالمدرسة تربي الارادة والعين والذوق واليد والجسم اكثر مما تربي الذهن والذاكرة

واسماء الصفوف كصفوف سائر المدارس ويشترك جميع المعلمين في التعليم ويلاحظون الدروس ايضاً ولا يراجعون التلامذة في ماتعلموه خارج الصفوف النظامية لان النهار يكفي لذلك ويتولى الاولاد بانفسهم امور لعبهم وحفظ النظام العام وسائر شؤون الحياة وربما لاتروق اكثر الاولاد هذه الطريقة خصوصاً واكثر من فيها من ابناء الاغنياء والامراء اعتادوا ان يخلقوا وحواليهم الخدم والحشم يتولون من امورهم مايتقاعسون هم عن عمله ويصعرون خدودهم كبراً من القيام به

ويقسم التلامذة بعد الصفوف والفرق الى بيوت مختلفة وكل بيت يديره استاذ ويعهد الى النساء بالادارة البيتية والعناية بالمرضى وتعليم الموسيقى وتعليم الاحداث من الطلبة وهن يعشن في المدرسة نفسها وعلى الطلبة ان يحضروا ثلاث جلسات في الاسبوع لتعلم لعب الكوكي والكريكة بنظارة اساتذة في هذه الالعاب · وفي المدرسة دار للتمثيل كما فيها ميدان للعب السيف ومحل لتعلم الرقص والموسيقى ومحال دروسهم اشبه بمكتب رجل منه بقمطر تلميذ لكل واحد منضدة عليها دواة وورق نشاف يتصرف فيها كما يشاء ويرى فيها الدروس التي يدرسها بطريقة عملية اكثر منها نظرية

فيتعلم مع العلم صناعة من الصناعات التي هي احب الى قلبه كالزراعة والنجارة والحدادة والتصوير والتجليد وصنع المقوى والفخار والجلد وغيرها

وذلك بنظارة اساتذة هذا الشأن يدلونه على الطرق التي يسلكها ولا يعملون معه بل يدلونه على عيوب عمله و يده وعينه هما اللتان تعملان ليعتمد بذلك على نفسه فاذا عاد الى اهله يستطيع ان يصنع بذاته عملاً من مثل ذلك فلا يكون فرق بين ماعمله في المدرسة و يعمله بعد الخروج منها و يتولى اكثر شؤونه كما قلنا بنفسه حتى يسهل عليه كل جهاد في حياته فان الرياضات التي يقومون بها في البستان والحقول والرحلات في الخلاء سواء كانوا مشاة ام ركباناً على الدراجات تزيد في قوائم وقابليتهم للرياضات البدنية ولا يقل النوم عندهم عن عشر ساعات للصغار الى تسع للكبار ليستريحوا من اتعاب النهار

وتمتاز هذه المدرسة بان يرحل تلامذتها بمراقبة اساتذتهم او بعضهم الى البلاد المجاورة كالبلجيك وهولاندة او غيرهما من مقاطعات فرنسا البعيدة ليعتادوا الاستغناء عن الرفاهية ويحسنوا التخلص عند الحاجة من مشاكل الاحوال التي كثيراً ماتصادف الانسان في حياته وذلك ايضاً ليحتملوا بصبر وحسن خلق معاكسات الوقت ونكد الايام وتتوثق عرى المحبة بينهم ففي عيد الفصح تنقسم المدرسة الى ثلاث فرق بحسب سن التلامذة المؤلفة منهم فتذهب كل واحدة في وجهة خمسة ايام وكل من حسنت اخلاقه ودروسه يرحل به ايضاً كل ثلاثة اشهر مرة او مرتين يوماً او بعض يوم الى مكان بعيد وللمدرسة في الصيف شهران ايضاً عطلة فتكون عطلتها السنوية من حيث المجموع ثمانين يوماً وتستوفي المدرسة اجرة من كل طالب الى سن الحادية عشرة ٢٥٠٠ فرنك فاذا تجاوز هذه السن تأخذ منه ثلاثة آلاف يدخل في ذلك اكثر حاجاته ماعدا بعض الدروس كالرقص والموسيقى والرسم فانه يدفع اجرتها على حدة · وهو مبلغ كثير بالنسبة لاهل بلادنا ولكنه لا يستكثر

في مدرسة مثل هذه تنفق النفقات الطائلة على الاساتذة والعيشة والرحلات ويطبق فيها العلم على العمل وتربى الحواس بالعمل اكثر من تربية الذاكرة

حدثني احد اساتذة المدرسة قال كان فكر موسيو ديمولانس ان تكون على الطريقة الانكليزية المحضة ولكن لم تمض مدة حتى انقلبت اوضاع الدروس والرياضات الى مايشبه الاوضاع الفرنسوية لان ماتوهمه ديمولانس من انه يمكن تطبيقه في بلاده قد غالى فيه كثيراً ولو كان حياً — مات منذ نحو سنتين — لرجع عن كثير مما نعاه على قومه وعدّ عدمه نقصاً في تربيتها وسبباً في ضعفها ·

وهو قول حق سديد لان مايوافق امة لا يطبق بالحرف على اخرى وللعادة والمحيط والتقاليد دخل كبير في اوضاع الامة على ان هذه الغمة قد افادت فرنسا وغيرها بلا شك واطلعت الشرق على ان التربية الفرنسوية مع ماهي عليه من الحسن هي في رقيها دون التربية الانكليزية السكسونية من وجوه وان كانت هذه دونها من وجوه ولعل بلادنا تستفيد من كل ذلك عبرة

تقدم ان تلامذة مدرسة ليانكور هم من الفرنسيس وخليط من البرتقاليين والاميركان والانكليز والمصريين وهكذا شأن معظم المدارس في فرنسا ولا سيما كلياتها الجامعة فلا يتعلم فيها الطلبة من الذكور فقط بل يتعلم فيها الطالبات من الاناث واني لا اذكر انني حضرت خطبة اودرساً او مجلساً علمياً ولا زرت متحفاً ولا مطبعة ولا ادارة جريدة الا ورأيت الفتيات سبقنني الى تلك الامكنة ومعظمهن روسيات وانكليزيات والمانيات وبلقانيات و بولونيات · والبولونيات (١) اكثر الفتيات الاجنبيات في فرنسا واكثرهن عناية بتعلم

(١) شارك النساء الرجال في اوربا في كل عمل من اعمال الحياة وفي فرنسا شاركن الرجال في الامور الذهنية ايضاً وثلث ماينشر في فرنسا من الكتب هو من اقلام الكاتبات

اللغات الاجنبية حتى ان الواحدة منهن لتكلمك فلا تحسبها الا فرنسوية لكثرة اتقانها للغة الفرنسوية واجادتها النطق بها مما لا يكاد يتيسر مثله لغريبة ولا لغريب عن اللغة وهن مع هذا اكثر النساء الاوربيات تفانياً في احكام ملكة لغتهن وحرصاً على آدابها وتلقينها

ولقد كانت المرأة البولونية تعلم اولادها لغتهم في الغابات والحقول عندما كانت الحكومة الروسية تحظر عليهم الى قبل بضع سنين تعلم لغتهم لتجعلهم روساً مع الزمن فلما دالت دولة الجهل ونال البولونيون كسائر العناصر السلافية بعض حريتهم عقيب انشاء الدوما الاولى كان من البولونيين ان فتحوا في شهر واحد في البلاد التي وقعت منذ قرن ونصف تحت سلطة الروس زهاء اربعة آلاف مدرسة يعلمون فيها العلوم العالية والدروس المنوعة بلغتهم ولم ينقصهم اساتذة ولا اعوزتهم بالطبع التلامذة

فالمرأة البولونية وان عنيت بتعليم اللغات الاجنبية عنها تحتفظ بلغتها

والشاعرات وكثيرات منهن يكتبن ويجدن كالرجال مثل مارسل تينايو مؤلفة كتاب دار الخطيئة والكونتس دي نوايل والعقيلة دي رنيه امرأة الشاعر المشهور وهي شاعرة مثله ومريم هاري صاحبة كتاب فتح البيت المقدس وعشرات امثالهن من المشهورات . والمنافسة الادبية بين الجنسين النشيط واللطيف على اتمها في فرنسا حتى قال لي احد كتابهم انه سيجيء يوم على فرنسا لا يبقى لكتابها وجه للمعاش الا ان يطيروا في مناطيد الهواء فقط وما عدا ذلك فالنساء يتولينه بدلنا . ولعل من يسيح في اوربا بعد عشرين سنة يشاهد ما لم نشهده الآن من الارتقاء المادي والادبي فقد ساح الشيخ رفاعة الطهطاوي في منتصف القرن الماضي ولم يكن من مرسيليا الى باريز سكة حديدية بل كانت فيها حافلة بالدواب فاغتبط بما رأى وساح احمد زكي بك في اوائل هذا القرن فركب القطارات في اوربا جمعاء. وسحنا نحن اليوم فرأينا ما لم يكن بعهد من السيارات الارضية والطيارات الهوائية والمؤلفات في العلوم والصناعات الادبية فماذا يشهد اولادنا واحفادنا بعدنا يا ترى ؟

ووطنيتها احتفاظاً اسأل الله ان يرزقنا نحن بعضه حتى انها اذا تزوجت من اجنبي لا تلبث ان تصبغ اولادها بصبغتها بحيث اضطر بسمرك ان يسن في عهده قانوناً يحظر فيه على الضباط الالمان ان يتزوجوا من البولونيات اذ ثبت له ان الوطنية الالمانية كادت تضعف ويعروها الانحلال في القسم الذي اصاب مملكة روسيا من ارث صاحب بولونيا

فياليت شعري متى يكون نساؤنا بل رجالنا في هذه المنزلة من صحة الوطنية مع الحرص على الجامعة العثمانية التي هي عدتنا في شدتنا وبدون هذه الجامعة السياسية لا يرجى لنا بقاءٌ بعد الذي رأيناه من تكالب الغرب على الشرق فنحن ان انصفنا لا ننزع يدنا من الجماعة لان يد الله مع الجماعة ومن رأى كيف كانت حالة سويسرا والمانيا والولايات المتحدة قبل الوحدة السويسرية والالمانية والاميركية يدرك سر الاجتماع والتعاضد ويعرف ان المركب الكبير يستحيل ان تأتي عليه الانواء بقدر ما تضر بالصغير فقد يغرق هذا او يستغرق في غيره ولا من يسمع به

تعلمنا اوربا واميركا كل يوم معنى من معاني الوطنية والجامعات الجنسية فان كان بعض الاجتماعيين يدعون اليوم الى انشاء جامعة اوربية واحدة وبعضهم الى انشاء جامعة اميركية واحدة و بعضهم الى انشاء جامعة صفراء من اليابان والصين واحدة افلسنا نحن يا ابناء العثمانية احرياء بان نزيد في تكاتفنا و تكافلنا ونرفع من بيننا سوء التفهم بسعي العقلاء منا

طال المقال وبت اخشى عليكم الملال فهل تأذنون بان اختمه بجملة واحدة للمقارنة بين اخلاقنا واخلاق الغربيين وهي الاخلاق التي كانت من اعظم الوسائط في ارتقائهم كما كان نقيضها واسطة في انحطاطنا وذلك انني

تبينت بالاختبار ان الافرنج اكثر تفكراً منا في مصادر الاحوال ومواردها فهم لا يقدمون مثلنا على امر قبل ان يوقنوا من انفسهم الغناء فيه فالصانع في الغالب لا يتطال الى ان يكون سياسياً والمحامي لا يعمل في الزراعة وهكذا اختص اهل كل طبقة بطبقتهم وتفرد كل عالم بما يعلم ولم يتعده فالاختصاص او الاخصاء هو الذي كان واسطة نجاح الغرب ودعوى معرفة كل شيء هي التي كانت واسطة انحطاط الشرق

الغربي يفتخر بانه لا يعرف غير ما تعلمه في مدرسته وحصله من حرفته ولكنه تعلمه فبرز فيه واحاط باطرافه وصبر حتى نضج فتناول ثماره جنية · اما نحن فنسارع في الهبوب كما نسارع الى الرقود فنهب دفعة واحدة كما نخمد كذلك

الغربي يهمه نجاح العمل من حيث هو عمل نافع لامته ولنفسه ولذلك جاءت مصانعهم ومعاهدهم بل وجميع شؤون حضارتهم فخمة خالدة وكانت مصانعنا ومعاهدنا وسائر اعمالنا مختلة معتلة لا تدوم الا بدوام من عمل لها اول مرة فاذا ماذهب تذهب بذهابه

الغربي استفاد ويستفيد بتجارب غيره لان من عادته ان يحسن الانتفاع بكل شيء ونحن من عادتنا ان نهزأ في الاكثر بكل شيء

الغربي يدخل الاصلاح الى داره وبيته وامته بالتدريج بحسب سنة النشوء في عالم الكون والفساد ونحن نحب ان نطفر طفرة في اصلاحنا والطفرة محال لان سنن الفطرة لا تغالب ولا تعاند · الغربي يحب النظام حتى صار ذلك طبيعة ثانية له ونحن لا يهمنا النظام ولا التنظيم · الغربي معتدل علَى الاكثر في عامة احواله ونحن اميل الى الافراط او التفريط · الغربي عبد الواجب ونحن قلما نقوم بفرض او واجب فالغربي كما احسن تقسيم الاعمال والاخصاء فيها

احسن استخدام الوقت احسانه لاستخدام عناصر الطبيعة فجده جد ولكن في اوقات الجد وهزله هزل ولكن في اوقات الهزل ونزهته نزهة ولكن في اوقات النزهة وعمله عمل محض ولكن في زمن العمل والشرقي ويالاسف ليس كذلك ٠

احسن الطبائع في الغربي خلق الاعتماد على النفس وانكار النفس فهو يعتمد على كفاءته اولاً ثم على محيطه وامته وقد يهتم في الاكثر بمصلحة امته اهتمامه اواعظم بمصلحة نفسه ولذلك جاء كل غربي راق امة برأسه وامة تتألف من افراد هذا حال سوادهم الاعظم ينبسط ظل عمرانها ويمتد على الارض سلطانها ٠ فالله اسأل ان يهب هذا الشرق المحبوب نفثة من تلك الروح العالية وهذا لا يرجى لنا الا بتكثير سواد امثالكم يا طلاب المدارس العالية فطلاب المدارس العالية هم ولا جرم اهل المطالب العالية فاعرفوا مقدار انفسكم ومقدار الآمال التي تعلقها عليكم امتكم نضر الله وجوهكم وبيض بكم وجوهنا

سير العلم والاجتماع

الدرس في النزهة

اعتادت بعض المدارس في الغرب ان تخرج بتلامذتها في ايام معينة من الاسبوع الى الضواحي تدرسهم في كتاب الطبيعة بعيدين عن الدفاتر والكتب وجدران صفوفهم مايحرر حواسهم من رقها و ينزه عقولهم من اتعابها و يعلمهم معالم بلادهم ومجاهلها وهذا ما سماه احد علماء التربيه بمدارس النزهة وليست هذه المدارس عبارة عن نزهة بسيطة يهيم فيها التلامذة والاساتذة على وجوههم كما في نزهات المدارس بل انها نزهات هي الى الجد اكثر منها الى الهزل و خطتها واسعة لانها تجمع بين الولد والارض والحياة وتعلمه النظر والتبصر والتفكر والشعور بالحقيقة وجمال الموجودات حيوانات كانت اوجمادات وتوقفه

عَلَى مناظر الطبيعة واعمال ابنائها فيجمع فيها الولدشعوراًوشاهدات وملاحظات واحكاماً وتذكارات وصوراً عَلَى اختلاف ضروبها يستمد منها معرفة وحكمة

ويخرجون الى هذه المدارس في مساء يوم الاربعاء الاول والاربعاء الثالث من شهر نيسان وايار وحزيران وتموز وآب وتشرين الاول اي في شهور الربيع والخريف اما في الصيف فيخرجون اليها صباحاً خوف الحرارة وفي الشتاء يخرجون في اوقات الصحو والفرق بين هذه النزهات وغيرها ان الاساتذة يكونون عارفين بالخطة التي يجرون عليها وما فيها من مظاهر الكون المفيدة وظواهر الاشياء ليلفتوا اليها انظار تلامذتهم واذا كان في الطريق شيء يغيب عن اذهان المعلمين فيتخلصون من مأزقه في الحال

فباستعداد المعلمين لمثل هذه النزهات ينجو التلميذ من هوى النظام المدرسي وخلل العادات و يتعود التنظيم المدقق بما يسبق نزهاته من تدقيق المعلم بما يلزم لكمال هذه النزهات من الفوائد التي تناسب مدرسته ومحيطه فيذهب التلامذة مجتمعين حول معلمهم اكثر مما هم في صفوف المدرسة يسايرونه في البراري و ينظرون و يتأملون و يستمعون و يسألون ثم يعودون الى المدرسة ببذرة من التذكارات فيكتبون مشاهداتهم و يجعلونها في جريدة مذكراتهم وربما اضافوا صور المناظر والاشياء التي وقعت عليها انظارهم ٠

والسبب في هذه المدارس البرية هو ان بعضهم قالوا ان المدرسة لاتعطي سوى جزء معين من المعارف وهذه المعارف منتخبة بحيث لاتضمن للولد كل المعرفة العملية التي يحتاج اليها في الحياة بل انها تؤثر في قواه وتخلق له فكراً وتنيره وتوسعه وفيها التربية الحقيقية فالواجب ان يحمل الطفل من ابناء الشعب عن معلمي مدرسته الابتدائية عادات حسنة من التفكر وذكاء نبيهاً مفتحاً وافكاراً رائقة وصحة حكم وبعد نظر ونظاماً واستقامة في الفكر واللسان ٠ وليس في هذه الطريقة من التعليم طرائق ميكانيكية تبلد الذهن ولا دروس عالية تحوي في مطاويها معلومات تافهة باردة بل فيها كل ضروب التعاون في الافكار المختلفة المرنة ولا سبيل الى ابلاغ العلم الى العقول اذا كان المعلم يلقيه عَلَى صورة مجردة و يمله كالمتساقط فعلى المعلم ان لا يلقن الا مايقرب من اذهان الطلبة وعليه في كل تعليم ان يستخدم اموراً محسوسة و يري الاشياء بحيث تمسها اليد و يقف بالطلبة امام حقائق ناصعة و يمرنهم بالتدريج عَلَى استخراج المجردات فهو يربي صحة الحكم في تلميذه بما يقوده اليه من النظر و يربي فكر البحث بكثرة النظر والعقل بمعاونته عَلَى التعقل بذاته من دون قواعد منطقية ٠

التلميذ لا يتعلم دروس الاشياء في كتاب مالم تضع امام عينيه صورة الشيء او عينه والا فيكون كالببغاء يسمع المدرس فيتشاءب والاولى ان ينظر الى الشيء بذاته فان صورته واسطة وخير للناظر ان ينظر مباشرة فينطبع بطابع مايرى واشكاله ويسمع صداه وينشق رياه ويغتني باسماء الاعيان والاجناس التي تفهمه الاشياء وتمثلها لعينيه بما فيها من زخرف ثم يحسن ان تذكر في كتاب مع صورتها . ولئن افادت المعارض الطبيعية والمتاحف في المدارس فان الافيد منها والاقرب الى حصول المقصود ان نعرض الاشياء على انظار الطفل في اماكنها فالواجب ان يرى الحجر في الجبل والحصاد في الحقل المتموج باشعة الشمس والنبات والزهر في النور المرتج قبل ان يفهم بل لاجل ان يفهم مجموعة المعرض من اعشاب وزهور واحجار . يجب ان يذهب الى الطبيعة ليلاحظ الاشياء والمخلوقات في مساكنها واماكنها واكتشاف الصلات بين الارض والبشر .

فيخرج الطفل من المدرسة وهو اقرب الى العمل والحقائق متسلحاً بسلاح ماض من التعليم لطعن عوائق الحياة وليس معنى هذه التربية اخصاء التلاميذ في العلم بل تلقينه مبادئ عامة واستعداداً موسعاً فيه يحبب اليه البلاد التي خلق ليعيش فيها وتلقي في نفسه ذوقاً للبقاء فيها ليعمل لها ويضرب فيها اوتاد مقامه ولذا اقتضى ان ينظر في مظاهرها الطبيعية ويرى صناعاتها وفنونها كيف رقيت ويقرأ تاريخ اجداده ويشعر بالصلات والاتحاد المعقودة بين الارض واجيال الناس الذين راقهم النزول فيها وحولوها منذ قرون الى الحالة التي وقع استحسانهم عليها .

وبهذه التربية تربى الحواس في التلميذ على حين تصاب بين جدر المدرسة باغفاء . والتربية الطبيعية تشد أزر التربية العقلية وهناك القوة والنفاذ فيتيسر للتلامذة ان يقدروا الابعاد الشاسعة بسيرهم على الاقدام ثم بالعين من بعيد ولا يبرحون يتصورونه حتى يرسخ في ذاكرتهم فينظرون الى قامة انسان وعلو بيت وطول شجرة على اختلافها في البعد والطول ويميزون بين جمال الاصقاع وما يتخللها من المظاهر والالوان اما صغار الاطفال فلا يستطيعون ان يسايروا اترابهم الاكثر منهم سناً فيجلسون الى ناحية يقطفون زهوراً واوراقاً ويعدونها وبذلك يكون لهم درس في الحساب ثم يجمعونها بحسب اشكالها وحجمها وبذلك تتمرن السنتهم على الكلام واذهانهم على النظام . فحاسة الذوق والشم تتمرنان باستنشاق الزهور وجنيها ورائحة الارض والمرج وغابة الصنوبر والسمع يتعود الانصات الى خرير المياه وتقدير المسافات التي تبلغ بها الآذان وتتمرن الايدي كما تتمرن العيون

عَلَى المساحة وتكعيب الخشب فتقرب التلميذ من الارض ومن اعمال البيوت

نعم بهذه الواسطة يتمرن الطفل عَلَى الحساب والمساحة والعلوم الطبيعية بما يعده ويحسبه ويحوله ويجمعه من النبات والحيوان والمعادن والاحجار والمسافات وهكذا يتنقل نظر التلميذ في الخلاء من حقل يعمل فيه صاحبه بيده وكرم يعزقه مالكه ومعمل يشتغل فيه الفتيان والفتيات وترتفع الكلفة بين المعلم وتلاميذه فيسيرون معه او يسير معهم كما يسير اب مع بنيه و يدرك التلامذة باحتكاكهم بارباب الصناعات وعملة الحقول ان العمل شريف في ذاته وانه خير مايعدله نفسه

العالم في الصور

كتبت الآنسة برس في مجلة التربية مقالة قالت فيها : ان اول من رأى تسهيل الدرس عَلَى الاطفال بوضع صور في الكتب المدرسية هو احد قدماء العلماء آموس كومنيوس (١٥٩٢—١٦٧١) وما برحت طريقته تنتشر ولكن عَلَى ضعف حتى العهد الاخير وقد غدت الكتب المدرسية وغيرها مصورة كلها بل افرطوا في تصويرها حتى قال بعضهم ان كثرة الصور توشك ان تأتي عَلَى كل اجهاد للفهم وتفكر الانسان بنفسه في موضوع بمجرد وصفه وصفاً بسيطاً · ولكن الذاهبين الى ان الصور تضعف قوة التصور هم عَلَى خطإ في دعواهم فان الصورة تقوي الجهاد للفهم وذلك بان تجعل الحواس والذهن تتحرك بنفسها منذ الصغر ويتسع امام الطفل عالم العلم المنوع وتعلق بواسطته مبادئ من العلم غير قليلة وبذلك يكون الفكر في سعة من الوقت والقوة اللازمة للبحث في امور أخرى لايتأتى التمكن منها بالنظر · نعم ان الصور توضح كل شيء بحيث تكتفي ارباب ارباب العقول العادية بمافيها وهي مفيدة ايضاً لتفتح لارباب الافكار العالية اموراً جديدة أخرى · ولعمري اليس التصوير من حيث الجملة هو سبب ونتيجة لاتساع الانتباه العقلي في السنين الاخيرة ·

فالواجب ان تري الجغرافيا عيوننا صوراً من بلاد العالم لم نرها ولن نراها · وان يكون التاريخ معرض صور لكل عصر او لكل القصص التي تعظم قيمتها لقلة صحتها لانها تعبر عن حالة الافكار العامة لزمن او لشعب اهم من فكر الابطال الذين تنسب اليهم · وان يكون التاريخ الطبيعي عبارة عن نزهة حية في حدائق حيوانات او حيوانات تتمثل حية ونباتات تبدو بجمالها وقوة اصولها وصخور تبدو عَلَى اجمل مظهر لتنبه النظر الى التأمل

نعم فلتكن عجائب المعامل والادوات وما وصلت اليه بعض الصناعات والاعمال

الاجتماعية من الارتقاء من مألوف عقل الولد بواسطة التصوير وبذلك يربح الطفل لنفسه وللمستقبل لان ماتمثل لعينيه يقيمه وسط التمدن العصري محفوفاً باكتشافات العلم وتبدل الاخلاق السريعة في تحولها اليوم وكم من عادة كانت بالامس غريبة فاصبحت اليوم من المألوفات وقد كان اجدادنا يضحكون من الكهربائية وتأثيراتها وها قد بلغت منزلة المألوف وكذلك سيكون الحال غداً في الطيران في الهواء فلكي يستعد الطفل لتلقي مايحدث غداً من الارتقاء يجب عليه بعد الآن ان ينظر بلا انقطاع بكل مافيه من قوة نظر الى ارتقاء اليوم ٠

والصور مفيدة في تعليم الحساب وتصور الحياة العملية وفي دراسة النحو والصرف فان كتاب علم مصور تصويراً جيداً هو درس في الذوق ولطف في الصناعة والواجب ان ينبه المعلم تلميذه الى ماحوت الصورة التي تمر في الدرس من المعاني وان كان من الصور ماينطق بنفسه فالاولى ان ينطقه ٠ فالطفل لاول حركته يعطى لعباً وصوراً منقوشة مجسمة فاذا تقدم في السن تعرض عليه صور على الورق ليتعلم منهامايحدث في الحياة البيتية فيشرح المعلم لتلميذه كل الادوات والآنية والخرثي والماعون والثياب لينبه ذهنه الى كيفية استعمالها واذا شرحت الصور للولد شرحاً كافياً لايلبث متى ادرك ان يقلدها بيده ويتعلم ماهو بعيد عنه كأن يدرس ابن المدينة مايجري في القرية وابن القرية مايتم في المدينة فبالتصوير يدخل الطفل في عالم جديد والتصوير يمثل لعينيه العالم في مظاهر لم يكن يتوقعها فيرى حوالي الاشياء والمناظر التي رآها في كتابه وربما كان يمر بها وهو ساه لاه عنها وبذلك يعلم جمال الحقيقة فالاكثار من مجاميع الصور في المدارس والبيوت من اقوى اسباب التعليم ٠

صحة العين

نشر الدكتور دوفور في مجلة التربية مقالة في صحة العين في البيوت والمدارس قال فيها : ان الواجب تنظيف عيون الاولاد والعمل لما فيه وقايتها لا ان يمدوا ايديهم اليها وهي وسخة فلا تستعمل لها اسفنجة ولا خرقة استعملت في سائر اجزاء الجسد ولا ان تغسل عيون الاولاد بماء استحموا به ٠ لان الاسفنجة تبقى مااستعمل منبا لفرك الوجه لاتخلو من وسخ ولكي يثق المرء بنظافتها يجب ان تجعل في ماء غال كل مرة يراد استعمالها وكثيراً ماتكون الفوط قاسية القماش فالاحسن استعمال شيء من القطن للعيون ثم ترمى بعد الاستعمال واحسن سائل لغسل العين الماء الطاهر واذا أريد مزيد العناية فالواجب استعمال ماء

أغلي ثم فتر وتجعل فيه قطعة من القطن المعروف ثم تمسح بها العين ولاسيما وراء الجفون والحدقتين من جهة الانف والواجب تنشيف العيون بعد غسلها حتى لايبقى فيها اثر للمداواة · وان يفهم الطفل ويعي على نفسه ان لايقرب يديه وهما موسختان من عينيه كما لايقرب منها شيئاً يؤذيها من مثل قلم او مقص اوشنكل اوموسى فاذا كبر وتعاطى بعض الصناعات تجعل على عينه نظارات تقيها الذرات الضارة

و يقتضي ان تكون غرفة المدرسة منورة بالنور الابيض وبنور النهار ما امكن وما دام النور الطبيعي كافياً يجب تفضيله على النور الصناعي · ومما يضر العين بل مجموع حالة الانسان ان يبقى المرء في غرفة منورة بنور احمر مثل غرف التصوير الشمسي فان للالوان الملونة تأثيراً في النظر · يجب ان يكون النور غزيراً فان مضرة النور القليل تضطر التلميذ الى الاقتراب من دفتره اوكتابه فيشغل قواه النظرية بافراط فاذا عني بصحة عينيه منذ صغره يجود نظره في كبره ولتدارك ذلك يجب ان يكون النور كافياً بحيث يستطيع التلميذ ان يقرأ عن بعد ثلاثين سنتمتراً على الاقل براحة · و يقتضي ان تكون غرفة الدرس بحيث يرى منها التلميذ شعاعاً من نور الشمس اومن ضوء النهار واسوأ المدارس ماجعل خالياً من النور في الطبقة السفلى من البناء لاترى منها الا الفناء اوشوارع ضيقة

والاصلح ان يدخل النور عن شمال الولد فانه اذا قابله يبهر نظره فيضره واذا استدبره يظلل جسم الطفل ماتحت يده من الورق والكتاب واذا جاءه عن يمينه يغطي السطر الذي يخطه · ويمكن تنوير الغرف العالية من سقوفها واذا أريد التوقي من نور الشمس في غرف الدرس فالاحسن اختيار ستور رمادية فاتحة كما تجعل الجدر كذلك حتى لاتبهر عيونهم ويجب ان يكون النور الصناعي شديداً ما امكن فالغازدون الكهرباء ضوءاً وخيره ماجعلت له زجاجة ولذلك تفضل مصابيح البترول والغاز والكهرباء على الشموع وغيرها مما لازجاج يمنع الهواء عن العبث بنوره · ويقتضي للغرف المنورة بمصابيح البترول والغاز ان تهوى لانه ينبعث من تلك المصابيح بخار وحامض كربونيك تستدعي الهواء أكثر من الغرف المنورة بالكهرباء ·

اما كيفية الجلوس فينبغي ان لاتكون لي كراسي لاتليق الا للجلوس عليها بضع دقائق في احدى التهوات بل تكون بحيث لا يقترب التلميذ مما بين يديه من الكتاب وغيره اقل من ٣٢ الى ٣٣ سنتمتراً و يكون جسمه وذراعاه ورأسه على وضع يستريح به فاذا جلس بعيداً عن الكتاب اوالدفتر لا يصير احسر قصير النظر او انه اذا كان مصاباً بالحسر

لا يزيده اعضالاً . فاذا احب الكتابة يقدمقدم ذراعه على المنضدة ويبقى مرفقه مطلقاً في الهواء وان تكون المقاعد عالية في الجملة وعلو محل كل تلميذ ٦٥ سنتمتراً على الاقل ويجب ان يعود الطفل على الكتابة المستوية لاالسطور المائلة لان المائلة تسبب الحسر وان يعلم العمل بالادوات الكتابية التي شاعت بالاستعمال في اميركا . ويختار من الكتب ماتقرأ حروفه مطبوعة على ورق غليظ في الجملة بحيث لاتبدو الحروف النائتة من اسفله ويكون الورق ابيض خيراً من الرمادي اوالاصفر الذي يمتدحه بعض اطباء العيون فالحروف الجيدة مالاتلتبس فيه الحروف المتشابهة بالرسم حتى عن بعد . ويجب ان لايتجاوز طول السطر ثمانية سنتمترات وبين كل سطر مسافة ثلاثة مليمترات وان لاتطول الصفحات ويكون لهاهوامش بيضاء

لايدخل الطفل المدرسة قبل السادسة من عمره ولا يبدأ بتعليم الكتابة الا بعدسنة من بداءته بالقراءة ويعلم الكتابة بالورق والقلم لاعلى الواح من الحجر ولا يعلم في النهار اكثر من اربع ساعات وهو جالس بحيث لاتتجاوز كل مدرسة اكثر من ساعة يفصل بين كل واحدة منها ربع ساعة على الاقل يصرفها التلميذ في اللعب في الهواء الطلق او تحت رواق بحسب الفصل ولايقرأ التلامذة ولا يكتبون خلال النزهةوان تقلل ساعات درسه في بيته ماامكن لان شروط الصحة تكون في البيوت غير مستوفاة في الجملة وكذلك ينقطع الولد عن الدرس ايام العطلة وكل اسبوع كما تصرف العطلات المدرسية في الهواء الطلق لافي العمل . والاحسن ان لايملي الاستاذ على تلامذته مايقضى عليهم ان ينسخوه بل ان يكتبه ويوزعه عليهم ويلاحظ الاطفال المولعون بالمطالعة فلا يسمح لهم ان يطالعوا في الفراش لان جلستهم تكون غالباً مختلة ونور الغرفة ضئيل ويجب تعويد الاطفال رؤية الاشياء البعيدة حتى تمرن عيونهم على النظر

والحسر هو من الاسباب الرئيسة ان لم يكن في العمى التام فلنصف عمى يجعل الانسان عاجزاً ويحول بينه وبين تعاطي اكثر الصناعات وقد فحص كوهن في المانيا سنة ١٨٦٥ زهاء عشرة آلاف طفل فقرر بان الحسر في مدارس القرى يكادلا يوجد لهم اثر ويزيد عددهم بزيادة الدرس ويبلغون الدرجة الكبرى من قصر البصر في المدارس العالية والجامعات وان الحسر في التلامذة يزيد من الطبقة الواطئة الى الطبقة العالية وان كان يكثر في العلماء لكثرة تحديقهم الساعات الطويلة وان الحسر يزيد في صاحبه كما تقدم في درسه . وقد اكد كثيرون في بلدان مختلفة هذا الاحصاء فابان البحث بان الافراط

في تقريب العين من المرئيات يورث الحسر وهذا ناشيء من سوء جلسة التلميذ الذي يحني الى جسمه الى الامام مستنداً على مقدم ذراعيه مصعراً رأسه والسبب في الحسر واختلال وجهة العمود الفقري رداءة وضع التلميذ

ولقد كان ولا يزال لمسألة الحسر في المدارس شأن عظيم ولطالما ارسلت الحكومات الى مدارسها بالتعاليم الواجب على المعلمين تطبيقها على التلامذة لوقاية اعينهم من الضعف والقصر ومن احسن الخطط التي اختطوها (١) ان يتسم التعليم على وجه لا يضطر فيه التلميذ الى صرف اكثر من ساعة متتابعة (٢) ان تمرن العيون على النظر الى مسافات متراخية (٣) الرياضة المتوالية في الهواء الطلق والرياضات البدنية (٤) الامتناع من القراءة في العتمة اوفي الشفق اوضوء مظلم (٥) حسن العناية بوضع التلميذ خلال القراءة والكتابة (٦) الحظر على التلامذة ان يضعوا نظارات على عيونهم بدون استشارة طبيب العيون (٧) يجعل التلامذة الذين ضعفت عيونهم في مكان يعينه الطبيب (٨) يجب ان ينبعث النور للقاريء والكاتب والمصور من شماله اومن اعلى رأسه (٩) يجتنب النور الصناعي واذا كان لامناص منه فلااقلال ماامكن من القراءة والكتابة على ضوئه و يبتعد عن التصوير فيه (١٠) يعلم الاولاد بحروف غليظة (١١) يحظر استعمال الورق ligné (١٢) يباعد بين العنق والعمل القريب

تربية البيوت في الضاحية

اشتهر الدكتور ليز في المانيا بانشاء مدارس سماها بهذا الاسم وشاعت طريقتها في اوروبا واميركا على نحو ما كانت شاعت منذ بضع سنين كتب اديمون ديمولانس في فرنسا القائل باتخاذ التربية السكسونية . وقد كتب في مجلة التربية الفرنسوية يصف طريقة مدارسه قال : اننا انشأنا خلال العشر السنين الاخيرة من بيوت التربية ثلاثة وهي في الضواحي بعيدة عن المدن يتربى فيها التلاميذ متمتعاً بكل قواه الطبيعية والدينية والادبية فيعيش في محيط ملائم لتربية شخصيته على القوة والنشاط على صورة تعرف بها قيمة الحياة وافراحها وتكون جديرة بان تساعد على سعادة الخلق فيقوم المعلمون في هذه المدارس بوظيفة المربي الحقيقي يعيشون مع الفتيان الذين عهدت اليهم تربيتهم كما يعيش الاصحاب و يعينونهم ما امكن على اتمام تربيتهم الشخصية فيلعبون و يعملون معهم و يقاسمونهم اللذائذ والاعمال الجدية و يؤثرون فيهم بالمثال والقدوة و بما يبثونه في قلوبهم من حب الميل الى كل الصور الشريفة والنافعة في العمل . وللتربية العملية المقام الاول في هذه

التربية فيمكنون الطفل ان يعيش في الهواء الطلق وما يتحتم عليه القيام به من انواع الرياضات البدنية يكون متناسباً مع نموه ويعمل بدون افراط فيوصونه بالمشي والعدو واعمال الرياضة وركوب الدراجة وهذه الرياضة الاخيرة تكون في السنة الحادية عشرة ومن جملة الاعمال التي تقوي جسمه زراعة البقول والزروع والنجارة وهي من الصفات التي كتبت لها المدرسة فضل التقدم واذ كان الدكتور ليز يعلق شأناً عظيماً على تأثير جمال الاقاليم في التلميذ أسس مدارسه الثلاث في ثلاثة اقاليم بهجة من بلاد المانيا اما الاشغال العقلية فيجب ان يعملها الطفل على صورة مقبولة ويتقبلها بفرح فينميه مافيه من الميل الفطري وهبات في النظر وقوته في التفكر كما تربى فيه العواطف الدينية والادبية والوطنية وتنمى بما يحفظ نظام الحياة ومباهجها واخلاصها المطلق نحو الواجب . ويدرس ارقى صور الصناعة ينمى في الطفل معنى الصناعات وفكرها والشعور بها .

قال لقد انشأنا في ثلاثة اقاليم بهجة من بلاد المانيا (في هارز وتورنغ وورون) ثلاثة دور للتربية للاطفال والمتوسطين والكبار وذلك ليكون ابناء كل سن مع ابناء سنهم ويخلصوا من جنسهم في مدارس داخلية اشبه بالسكن منها بالمدارس فيعمل اهل كل سن مايشاؤن لتنمية شخصياتهم ولهم من تنوع الاقاليم التي ينقلون من مدارسها مايوسع امامهم أفق العمل في الحياة وليس في كل مدرسة اكثر من ٥٠ الى ٧٠ تلميذاً يقسم كل ١٠ الى ١٢ منهم فرقة واحدة يتولى امرها معلم يعيش معهم كما يعيش الاب مع اولاده وهكذا تتسع دائرة اختبار الطفل وافكاره بتنقله من فرقة الى اخرى ومن مدرسة في هذا القطر الى اخرى في قطر آخر تخالفها بعض الشيء في النظام

والعيش في هذه المدارس منوع الاساليب حسن النظام بحيث يلائم تنمية القوى العقلية والطبيعية فيه. تيقظ الاولاد فيها بين الساعة السادسة الى السابعة صباحاً ليغتنموا نشاط البكور فبعد ان يستحموا ويفطروا يبدأون بالدروس وهي خمسة طول كل منها ٤٥ دقيقة وذلك للمتوسطين والكبار اما الصغار فدروسهم اربعة . ودروس الصباح لاتكون الا في فرعين او ثلاثة ويفصل بين كل درس فرصة للنزهة وفرصتان تدوم كل منهما ثلاثين دقيقة تخصص احداهما للركض في الغابة اذا كان الوقت صاحياً وفي الشتاء للتزحلق على الثلج واللوح luge والنزهة الثانية لتناول الطعام الثاني ويتغدون الساعة الواحدة بعد الظهر والتعليم ينتهي الظهر وللتلميذ ساعة قبل الطعام يتعاطى فيها اعماله الخاصة اما الاكل فانا نتبع فيه طريقة الدكتور لاهمان وذلك باننا نكثر من البقول

والثمار وتقلل من تناول اللحم وتحامي الاطعمة ذات التوابل والمشروبات الروحية والجزء الاول من وقت بعد الظهر اي من الساعة الثانية الى الرابعة تستعمله في الاعمال العملية مثل البستنة والتجارة او في الفنون اللطيفة كالرسم والموسيقى الآلية وبعد الساعة الرابعة يبدأ العمل العقلي على انه تقل فيه ما امكن التمارين المكتوبة والنصوص المستظهرة . والعمل الجوهري في المدارسة يتم في الصباح وتدوم مدة الدرس في المساء ساعة في المدرسة الصغرى وساعة ونصفاً في المدرسة الوسطى وساعتين ونصفاً في المدرسة الكبرى وبعد رياضة طبيعية قصيرة اودرس في الفضاء يذهبون الى المائدة الساعة السابعة وبعد ذلك يستريح الطفل قليلاً على نحو ما يشاء ثم ينتقلون الى قاعة الاسرة فيبدأ استاذ الموسيقى وجوقة التلامذة في اول الاجتماع وآخره بتلحين قطعة من الشعر ثم يتلو المدير قطعة ادبية تنشر بها روح الطفل وتكون الادبيات متناسبة مع اقتدار القوى العقلية في الطفل فالصغار يرتاحون الى تلاوة الاقاصيص والحكايات والقطع الشعرية اما الكبار فيحبون انواع الآداب العالية وينام الصغار في الساعة الثامنة وينام الكبار في الساعة التاسعة

وفي كل اسبوع تقضي كل فرقة او أسرة السهرة في رفقة اب الأسرة ويخصصون سهرة اخرى لسماع الموسيقى وكثيراً ما تتلى عليهم محاضرات يقوم بها اصدقاء المدرسة اوالاساتذة انفسهم وهكذا ينتهي اليوم بما يعلي نفس التلميذ ويحدوها الى المطالب العالية . واذ كان التلميذ في حاجة الى الحرية لترتقي مداركه فالمدرسة تطلق سراحه بعد ظهر الاربعاء والسبت ولا يخشى ان يسيء استعمال هذه الحرية لان انفراد المدرسة في الخلاء والعيشة الاشتراكية بين الاساتذة والتلامذة وكثرة الاعمال الطاهرة والجاذبة تستدعي نشطته وتقود ارادته

وطريقة المدرسة في التعليم طريقة الوصف والاستدلال التي تساعد الطفل ابداً على مؤازرة المعلم في عمله . ولا تطبق هذه الطريقة الا على شرط ان تنظم المواد المدروسة في هذا العمل الابتدائي المشترك وان تعرض من جديد على الطفل في صورة عملية . واذ كانت الفروع التي تدرس كل صباح قليلة سهل البحث في المسائل التاريخية والعلمية واللغوية وذلك بدرس تجارب الغير والمستندات الموجودة وعلى هذا يتأتى التوسع في درس تاريخ الادب بدون ان يجزأ وللطفل من وقته متسع ليعرض افكاره ويقدم اعتراضاته ويهيء اجوبته .

ان احترام التلميذ لشخصية المربي وطاعته له هي من الشروط الجوهرية في نجاح التربية وهذه المدارس لاتتطلب ذلك من تلامذتها بالخوف ولا بالقصاص . فان التأثير الروحي الناشئ من الشخص المربي الحري بكل تجلة والانقياد للطبيعة او للعقل وتأثير نوع الحياة والعمل المطلوب هي وحدها حرية بتربية اخلاق حرة .

وعلى ذلك يسمح للتلميذ ان يجري مع ميوله ويقوم بما يزيد في نشاطه على عمله ولا تطلب المدرسة الا بما لاغنية عنه في تربيته الطبيعية والعقلية فتعلمه بالقدوة وبما يسود فيها من الافكار العامة الى ان يدرك ماهية الواجب بحيث يتضح له بان نجاحه هو نتيجة لازمة انظام منطبق على العقل .

اما العقوبات فيستغنى عنها في هذه المدرسة لان المربي يتنزل الى تقريب منهاجه من عقل التلميذ ويعامله على نصاب العدل واذا اختلت هذه الشروط تصبح الحاجة ماسة الى العقوبات وعلى التلميذ من ثم ان يتعاطى عمله بابتهاج وهذه هي الطبقة من التلامذة التي تتوخى المدرسة تنشئتها والقيام عليها ولا تطلب منهم الكمال بل تريدهم على ان يرتقوا ارتقاء تدريجياً متناسباً مع قواهم واستعدادهم . واذا لم يكف ذكاء التلميذ وارادته للتوقي من الاغلاط او لسد مواضع الخلل من تربيته فان المدرسة تنشطه وتصبر عليه في جهاده على انها لاتكلفه مالا طاقة له به .

ويعامل كل تلميذ بالاحترام اللائق بشخصه فان المربي الحقيقي هو الذي يكتشف في كل تلميذ حتى في المقصرين منهم في المدارك ماهو جدير بالاحترام وقابل للتكمل فاذا تم ذلك فالحياة المدرسية تنقضي في دعة نافعة ونفع شامل .

واذا مست الحاجة الى انزال القصاص بالتلميذ فلا يكون الا على اقل درجاته فمن اساء استعمال حريته تحجز عليه ومن تراخى في درسه يغيرون له الاسلوب في الالقاء والمراقبة وطريقة تنشيطه وهكذا تجتهد المدرسة ان تحمل الولد على الاعتراف بخطائه وتأخذ بيده كل الاخذ لتوقد في نفسه جذوة العمل الصالح . ويحرمون العقوبات البدنية والقصاص الخارجي التي ليس لها علاقة داخلية مع الخطأ الذي ارتكبه كما لايعمدون الى مكافأة المحسن من التلامذة بمكافآت مادية . لاجرم ان اعظم الصعوبات التي تشاهد في تربية مدارس المدن ناشئة من الخروج عن سنة الفطرة وهذا ساقط من ذاته في مدرستنا بالنظر لموقعها من الخلاء ولطرز معيشتنا .

ولقد اقتنعنا بان كل شخص لم يطرأ على قلبه وذكائه مايشوههما كل التشويه هو

قابل للخير حري بالعناية لاصلاح حاله . فالثقة والحب والاخلاص والمعاملة بحسب قانون العقل كلها من العاملات في ضمان النجاح للمرء حتى ان النجاح وان كان لا يرجى في الحال بهذه الطريقة فاننا على ثقة بان البذرة الملقاة لابد عاجلاً او آجلاً ان تأتي اكلها .

نحن نحاول ان نحبب تلاميذنا بدون ضعف الملقن بهم معنى الواجب ونحببه الى نفوسهم ونشطهم على الرغبة فيه ابداً . هذه هي القواعد التي جرينا عليها منذ عشر سنين وظهرت بعض نتائجها وحذت حذونا بعض المدارس التي انشئت في البلاد الخارجية فابانت عن نجاح وستعظم فائدته في المستقبل اكثر .

معنى التاريخ

كتب الدكتور ماكس نوردو كتاباً بالافرنسية تحت هذا الاسم جاءت فيه بعض الفقرات الآتية :

ان ما كان يراه الجيل الماضي في التاريخ لايراه الحاضر ومايناسب هذا لايناسب المستقبل ومايناسب الهنود واليابانيين لايناسب الاوربيين والاميركيين فالتاريخ يختلف باختلاف الازمنة والامكنة والاشخاص فما نتنبأ به اليوم الى مصلحة عامة لايكون له غداً تأثير في العالم . فالتاريخ يسير في ظلمات الماضي كالانسان الذي يحمل مصباحاً وشخصية المؤرخ تظهر وان قال ذلك المؤرخ ان الواجب اخفاؤها لايراد الحقائق مجردة . وقد قال هيرودوتس ابو التاريخ ليس التاريخ سوى لعب ممن يرويه ولايختلف عن القصائد التي تنظم في تمجيد الابطال الا بكونه نثراً وهذه شعر . وهو الى اليوم لم يبرح على مايدعيه بعضهم من انه اصبح علماً عبارة عن قصة ولا يختلف المؤرخ عن القصصي الا بان حريته محدودة بحوادث حدثت وعرفت في الجملة وذلك لانه لايستطيع ان يناقض ماوقع التسليم به عند السواد الاعظم . ليس التاريخ علماً لان العلم ليس الا معرفة الصلات بين النتائج والمقدمات التي تربط الظواهر بعضها ببعض ومعرفة النواميس العامة في الطبيعة التي هي منبعثة عنها . وقد رد المؤلف هربرت سبنسر قول من يطلق لفظ علم على هذا النوع من التقييد والتنسيق في الحوادث . وعبثاً حاولت فلسفة التاريخ ان تحدد الصلة الاصلية في الحوادث وان تضع القوانين التي تتسلسل بها الوقائع التاريخية وربما جاء زمن اقتدر الناس فيه على تدوين تاريخهم خالياً من التناقض اذ ارتقى الفوتوغراف والتصوير الشمسي اكثر من الآن . ولكن لايتأتى ان يدون بهذه الواسطة الا جزء صغير من الحوادث وماوراءها وهو الاهم كنحو ماتضمر في روح البشر ويبقى مخفياً عنا

فلا سبيل الى نقشه ونقله . والحقيقة ان لكل مؤرخ رأيا خاصاً في الصور الكبرى من الماضي والحاضر وقلما تتفق صوره عَلَى صور رصفائه .

التاريخ هو غير تدوين الوقائع بل هو خارج عنه وارقى منه وما التاريخ الا مجموع حوادث اعترضت الجهاد الانساني في سبيل الحياة فهو تابع الاعمال والمحن والميول والحقائق التي يحاول الانسان بها ان يوفق بين وبين الشروط الطبيعية والصناعية الكائنة في المحيط الذي ولد فيه ويجب عليه ان يعيش وسطه فلا ترى بين رجل عادي ورجل فاتح فرقاً في الطبيعة وكلاهما خاضعان للقوانين الفطرية فالاول لاعلاقة له بغيره قد يعيش ويموت فلا يدري به احد اما الثاني فيؤثر بافكاره واعماله في الوف وملايين من ابناء جنسه فالفرق بينهما في الكمية لابالكيفية وكم من اناس كبر مقامهم من دونوا اخبارهم حتى ان كثيرين ليعجبون من ارباب الرحلات السخفاء عجبهم من كبار الفاتحين المصلحين وكم من اناس هم عظماء في نظر امة ولايذكرون عند اخرى وكم من زلازل وحرائق اثرت في الانقلاب البشري اكثر من الحروب والغارات وما سبب ذلك الا المؤرخون فانهم غالوا في هذه وسردوا اخبار تلك على وجه عادي .

قال ومن المحقق ان معرفة الحوادث التاريخية ليس فيها ضرورة حيوية كما هو الحال في الظواهر الطبيعية ونواميسها بل انها تسد في المرء حاجة نفسية بل حاجة اجتماعية . وملكة النقد على الجملة غير مرتقية في السواد الاعظم من الخلق فلم يرزقوا استعداداً للتمييز بين الحق والباطل وقلما يهتمون بذلك فكل قول يؤكد قائله صحته يقبلونه مصدقين بدون ان يطلبوا الدليل عليه وان يبحثوا عن درجته من الصحة والتثبت . فكما ان اللاهوت يوقف الناس عَلَى الاسباب الاخيرة في نظام هذا العالم او المعجزات تكشف خفايا المستقبل هكذا تدوين الحوادث التاريخية كان يوقفهم على معميات الماضي . ولو اهتم البشر بالاطلاع عَلَى الاسباب الاخيرة لي نسبة اهتمامهم بالاطلاع على الاسباب القريبة لقضي عَلَى عالم اللاهوت منذ عهد طويل عَلَى نحو ماجروا في التاريخ الطبيعي الذي خلفه بلنيوس وعلم الحياة تأليف ارسطو وكتاب الطبيعة لبطليموس ولو اهتموا بمعرفة الماضي اهتمامهم بالمستقبل لادركوا منذ عهد بعيد ان تدوين وقائع التاريخ لايوصل الى معرفة المستقبل الا كما يدل علم النجوم والقيافة والعرافة

الصحة المدرسية

اجتمعت جمعية الصحة الالمانية في ديسو من بلاد المانيا وبحثت في امور كثيرة في

حفظ صحة التلامذة ولاسيما في مسألة العيون فقر الرأي عَلَى ان خير وقاية للعين من الامراض عناية الامهات بنظافة عيون ابنائهم و بناتهم ثم عناية المدارس بذلك والتوفر عَلَى تقليل النقائص الارثية وملاحظة وضع النور في المدارس بحيث لايقترب الاولاد مما ينظرون فيه وان تجعل الدروس في الصباح اما وقت العصر فيصرف في الالعاب والرياضات حتى يتيسر للنظر ان يتمرن على النظر الى المسافات البعيدة . ولا بأس حين الحاجة من انشاء مدارس خاصة بضعاف الابصار من التلامذة وهذا خير طريق للعناية بنظر حماة الوطن وابناء المستقبل عَلَى ان يعنى ارباب البيوت بصحة عيون ابنائهم عناية المدارس بها بعد

كلية ليبسيك

احتفلت كلية ليبسيك الالمانية بمرور خمسمائة سنة عَلَى تأسيسها فقد أنشئت سنة ١٤٠٩ عَلَى يد اساتذة وتلامذة من الالمان هاجروا من براغ للخلاص من النفوذ السلافي فمد فريدريك المحارب ظل حمايته عليها وكذلك صاحب سينا فحازت شهرة وقوة لم تزل محتفظة بهما حتى اليوم . وفيها الآن خمسة آلاف تلميذ من اقطار اوربا وانتدبت كليات المانيا وغيرها من كليات الغرب مندوبين عنها حتى اضطرت عمدة الاحتفال ان تحدد عدد الخطباء وناب كثير من ملوك الامارات الالمانية فيها وقد احتفلوا باقامة موكب تاريخي اشترك فيه الفا رجل يمثل الادوار المختلفة في الحياة المدرسية في ليبسيك منذ سنة ١٤١٩ الى ١٨٣٠ ومما مثلوه فيها مناقشة لوثيروس صاحب الدعوة البرتستانتية مع خصمه ايك وحرب الثلاثين سنة والدور الذي رفض فيه الفيلسوف ليبنز من نيل شهادة الحقوق ودور ليسنج و كيتي واربعة من قدماء تلامذة ليبسيك .

بلجيكا الحديثة

نشر فرنسوي اقام في بلاد البلجيك زمناً كتاباً في وصفها جاء فيه ان ليس في بلجيكا روح بلجيكية كما ليس في المانيا روح المانية ولا في فرنسا روح فرنسوية ولا في انكلترا روح انكليزية لانه مامن شعب في الارض يملك روحاً خاصة به بل هو مزيج ارواح مختلفة ففي البلجيك شعبان الفالون والفلامند وقد انتبه الشعب الفلامندي في السنين الاخيرة فطلب ان تعامل اللغة الافرنسية واللغة الفلامندية بالمساواة . وفي البلجيك ٢٨٣٢٦٠٠٠ نسمة لايتكلمون بغير الفلامندية و ٢٥٧٤٠٠٠ نسمة لاتتكلم بغير الافرنسية و ٨٠١٦٠٠ يتكلمون بالافرنسية والفلامندية و ٢٨٣٠٠ لايعرفون ان يتكلموا بغير الالمانية

و ٧٢٠٠ يتكلمون الفلامندية والالمانية و ٤٢٩٠٠ يتكلمون باللغات الثلاث الشائعة في البلاد . والباجيك متأخرة من حيث التعليم فتجد فيها ١٠١ أمي في كل ١٠٠٠ جندي اي اكثر من عشر ابنائها في حين ليس في هولاندة سوى ٢٣ أميًا في الالف وفي فرنسا ٤٧ وبحث المؤلف في احزاب البلجيك فردها الى ثلاثة احزاب حزب الاحرار وحزب الدين وحزب الاشتراكيين وقال ان الحرب الاول ضعيف بالنسبة للثاني الذي استولى على الامر فالاحرار يكتفون بان يخاطبوا الارواح والافكار اما سائر الاحزاب فتدعو الى مذهبها بما تقوم به من الاعمال النافعة العملية فهي تسطو على الفلاح والعامل والطفل ايضاً تتناولهم من المهد ولا تتركهم الى اللحد

محصول الذهب

قالت مجلة الاقتصاديين : مابرح محصول الذهب في العالم يزيد سنة عن سنة وليس هو الذي زاد غلاء المعيشة بل ان الغلاء ناشئ بطبيعة الحال من التدابير السياسية والقوانين الاجتماعية وهاك جدولاً بمحصوله سنة ١٩٠٩ ومنه تفهم ان الاولية قد فازت بها الترنسفال في هذا الباب

	فرنك
الترنسفال	٧٧٠٬١٠٠٬٠٠٠
الولايات المتحدة	٤٩٢٬١٥٠٬٠٠٠
اوستراليا	٣٦٧٬١٠١٬٩٧٨
روسيا	١٧٤٬٢١٦٬٠٠٠
المكسيك	١٣٢٬٦٠٠٬٠٠٠
رودوسيا	٦٤٬٢٨٥٬٥٠٠
الصين واليابان وكوريا	٥٦٬١٠٠٬٠٠٠
كندا	٥٤٬٨٢٥٬٠٠٠
الهند الانكليزية	٥٣٬٨٨٦٬٦٠٠
افريقية الغربية	٢٣٬٥٨٧٬٥٠٠
مدغسكر	١٢٬٦٤٨٬٠٠٠
الاقطار الاخرى	١٢٧٬٥٠٠٬٠٠٠
المجموع	٢٬٣٢٩٬٠٠٠٬٠٠٠

مخطوطات ومطبوعات

أمهات مخطوطات

ندر جداً بين غلاة الكتب العارفين في البلاد العربية مثل الشيخ طاهر الجزائري في دمشق ومحمود شكري افندي الآلوسي في بغداد واحمد بك زكي في القاهرة فهم يتوسلون الى نشر كتب السلف بكل مالديهم من ذرائع لينيروا بها افاق البلاد ويحيوا موات المجموع والافراد . وطريقة العالم المصري في الدعوة غريبة لانه متضلع باللغة او باللغات الافرنجية فقد نشر بالامس تقريراً طبعه بالعربية والتركية لتنظيم خزائن الكتب العامة في الاستانة واقرب الطرق الى الانتفاع بها واليوم نشر كراسة بالافرنسية فقط ذكر فيها الاسباب التي يجب الاعتماد عليها في مصر لاحياء الآداب العربية فيها فقال ان القاهرة منذ أسسها الفاطميون استأثرت بالارث العلمي الذي كان لبغداد وقرطبة فازهرت فيها الحضارة الاسلامية وانارت الافق آثارها فنجحت مساعي العلماء المصريين الى آخر عهد سلاطين المماليك واثمرت اعمالهم ثمرات جنية وكان لهم من تنشيط الملوك والافراد الذي شغفوا بالآداب والعلوم مادعاهم الى تأليف مجاميع من المخطوطات النادرة والآثار الثمينة وكان للجوامع الا قليلا مدارس وخزائن كتب دع عنك المكاتب التي جعلت خاصة لحفظ المخطوطات

وان الاعمال الباهرة التي قامت على ذاك العهد لتدل عليها كتب النويري وابن فضل الله العمري وابي شامة والمقريزي والقلقشندي والسيوطي ثم ابن اياس والجبرتي من المتأخرين وان المناصب السياسية التي تولى معظم هؤلاء امرها قد كان لهم منها اعظم مساعد على اقتباس المواد النافعة لهم من سجلات الدولة وآخرهم علي باشا مبارك صاحب الخطط الجديدة التوفيقية ولكن ماجمع في مصر من مصنفات السلف في خمسة او ستة قرون قد تمزق شذر مذر وانتقل الى مكاتب مختلفة ولا سيما الى الاستانة عقيب فتح السلطان سليم العثماني مصر وحمل القسم الآخر الى مكتبة باريز ولا سيما منذ عهد حملة بونابرت على مصر ومكاتب برلين وليدن ولندن واكسفورد ورومية وفينا وغيرها فجمعتها تلك الحكومات المتنبهة الغيورة على الآداب واخذ علماؤها يبعثون الينا منها الحين بعد الآخر مايطبعونه اجود طبع و يعيدون الينا ماضاع منا بالانقلابات السياسية و بجهل بعض الاجيال الماضية ولقد جمعت بفضل الخديوي اسماعيل واشارة علي مبارك باشا بقايا

تلك الكنوز وأسست لها المكتبة الخديوية نتوها قدماً، دور يحق فيه للمصريين ان يستعيدوا سالف مكانتهم العلمية في العالم الاسلامي وبعد ان تكلم على ما ابرزته المطبعة الاميرية من مصنفات علماء العرب مثل كتاب الاغاني والعقد الفريد وتاريخ ابن خلدون وصحاح الجوهري وقاموس الفيروزآبادي وغيرها من المصنفات التي لها شأن حتى عند علماء المشرقيات من الافرنج لفت انظار الحكومة المصرية في عهد الخديوي عباس الثاني الى احياء ماخلفه لنا السلف الصالح واورد ماوفق الى جمعه من مكاتب منوعة بواسطة التصوير الشمسي من الكتب الممتعة او ما استنسخه او عرف مكانه ككتاب «نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين احمد بن عبد الكريم النويري» (ونويرة قرية بالقرب من بني سويف في صعيد مصر) وهو كتاب دائرة معارف في العلوم البشرية التي عرفت في عصره قسمه الى خمسة اقسام وهي السماء والارض ومافيها والانسان وعالم الحيوان وعالم النبات (وفيه نبذة في الطب) والتاريخ وهو في ٣١ مجلداً انتهى قبيل سنة وفاة المؤلف سنة ٧٣٣ هجرية

وتكلم ماشاء بيانه على هذا السفر الممتع وما لقيه من العناء في جمع اجزائه المتفرقة ثم ذكر دائرة معارف اخرى لمؤلفها شهاب الدين ابي العباس احمد ابن فضل الله العمري واسم كتابه «مسالك الابصار في ممالك الامصار» وهو في ٣٢ مجلداً قسمه الى قسمين الارض والانسان وهو دائرة معارف طبيعية جغرافية مع المصورات وتاريخية وادبية وسياسية وهذا المؤلف دمشقي وكان معاصراً للنويري

والكتاب الثالث الذي لفت اليه الانظار «جوامع العلوم لاربعين تلميذ ابي زيد البلخي» من اهل القرن الثالث وهو مثل دائرة معارف ايضاً . والكتاب الرابع والخامس «درر التيجان لابي بكر بن عبدالله بن ايبك الداواداري» و «كنز الدرر وجامع الغرر» للمؤلف نفسه وهو تاريخ مهم فيه امور لم تنتشر بالطبع عن دولة الفاطميين والايوبيين والمماليك وحياة المصريين وغارات التتار واخلاقهم وتقاليدهم واساطيرهم وسبب زوال الخلافة العباسية وفيه ترجمة مطولة للسلطان الناصر قلاوون صاحب المعاهد الخيرية في مصر والشام واحسن سلاطين المماليك وحامي الآداب والمعارف في عصره

والكتاب السادس سيرة السلطان جقمق لابن عربشاه والكتاب السابع كتاب «تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه» وهو من مؤرخي الاسلام الذي تفاءلوا في التاريخ ـ تطبعه على نفقتها اليوم أسرة جيب الانكليزية بمعرفة

الامير كايتاني الايطالي في رومية والكتاب الثامن « ذيل تجارب الامم للوزير ابي شجاع » و « لطائف المعارف للنيسابوري » وهو في الادب والتاريخ والسياسة والجغرافية والاحصاء و « شجرة النسب الشريف النبوي للملك الاشرف السلطان ابي النصر قانصوه الغوري » وكتاب « صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد احمد بن سهل البلخي » وهو في الجغرافيا وفيه ٢٢ مصوَّراً . والبلخي اول جغرافي في الاسلام استعمل رسم الارض وكتاب « تاريخ الامير يشبك الظاهري » وهو رحلة فيها وصف سورية وارمينية وفارس في القرن التاسع للهجرة . ومن الكتب التي لفت اليها الانظار كتاب « الادب الصغير والادب الكبير لابن المقفع » وقد كتب لنا يقول فيهما ان النسختين اللتين ظفر بهما من كتابي الادب الكبير والادب الصغير لابن المقفع هما اجمل واصح بكثير من اللتين اعتمدنا نحن واعتمد عليهما الامير شكيب ارسلان في الطبع وان الذي سميناه بالدرة اليتيمة انما هي الادب الكبير بعينه ونسخة زكي بك هي بالشكل الكامل ومنها كتاب « ترجمة البقية من كتاب يسطوس » احد فلاسفة يونان المعروف عند الافرنج بجامبليك وهو الذي قاوم النصرانية في القرن الثالث للميلاد واراد ان تبقى يونان على وثنيتها والكتاب الخامس عشر رسالة في تاريخ الغناء وعدم حرمته واخبار المغنين في بلاد العرب ومؤلفه من اهل القرن الثاني والكتاب السادس عشر كتاب « العز والمنافع للمجاهدين بآلات الحرب والمدافع » وهو كتاب معرب عن اللغة الاسبانية الاسلامية (الجميادو) بقلم قاضي فاس سنة ١٠٥٠ هـ قال فيه ان البارود اخترعه راهب الماني

هذه هي الكتب التي لفت اليها صاحب اللائحة انظار العالم العربي والغربي معاً وهو يرى ان يبدأ بطبع دائرتي معارف النويري المصري والعمري الدمشقي ليكون لمصر مجد خالد كالاهرام على الدوام وفقه الله وسائر العاملين لخدمة العلم

فلسفة الاسلام

نشر الماجور ليونارد الانكليزي كتاباً في الاسلام وسيرة صاحب الشريعة (عليه الصلاة والسلام) على وجه يرفع الغشاء عنها ويزيل الشبه الشائعة في الغرب اليوم عن حقيقة هذا الدين وقد قدم له السيد امير علي العالم الهندي المشهور مقدمة بالانكليزية واثنى على علمه وحبه للحق والكتاب يطلب من مكتبة لوزان في لندرا .

النصائح الكافية لمن يتولى معاوية

كتاب في ٢٢٤ صفحة في افعال معاوية بن ابي سفيان رأس خلفاء بني امية وما

عامل به آل البيت وكيف قام عَلَى الامام الحق وشيءٌ من تاريخ ذاك الدور تأليف السيد محمد بن عقيل العلوي الحسيني من نحارير الكاتبين والعالمين

مبادئ الفلسفة القديمة

هي مجموعة فيها كتاب ماينبغي ان يقدم قبل تعلم فلسفة ارسطو لابي نصر الفارابي وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة له ايضاً عنيت بتصحيحهما ونشرهما المكتبة السلفية بمصر لمؤسسيها محب الدين افندي الخطيب وعبد الفتاح افندي القتلان . وقد جعلت له مقدمة في ترجمة الفارابي مطولة وعلقت عليه حواشي مفيدة

سمير الليالي

طبعت المكتبة الرفاعية في طرابلس الشام الجزء الاول من هذا الكتاب تأليف محمد امين افندي صوفي السكري وهو في جغرافية المملكة العثمانية وشيء من تاريخها وهو في ١٩٨ صفحة وعسى ان يزيد المؤلف كتابه تدقيقاً في الطبعة القادمة لان فيه بعض نواقص لايصح ان تبقى فيه

الغصن الرطيب في فن الخطيب

هو مختصر في تعليم الخطابة للشيخ سعيد الشرتوني من فصحاء لبنان وانوبيه وفيه كثير من القواعد و بعض امثلة

مطالع الاضواء في مناهج الكتاب والشعراء

هو موجز ايضاً للشيخ سعيد الشرتوني انتق فيه زبدة علوم المعاني والبيان والبديع والعروض بعبارات وجيزة قال احد الناظرين فيه « تبين لنا اثناء مرور النظر عَلَى مباحث هذا الكتاب ان المؤلف اذا استشهد ببيت شعر يعزوه لقائله او فقرة من المزامير يبين عدد الصحيفة التي وردت بها الا الآيات القرآنية الشريفة فانه اذا استشهد بها لا يعزوها بل يتخذها كالمثال المبتكر من عنده او كالكلام المعتاد فياحبذا لو ارجع الآيات كما يرجع غيرها »

الارض في السماء

هي قصائد ادبية اخلاقية تاريخية واساطير حكمية تأليف امين افندي ظاهر خيرالله من الشعراء والكتاب جمع فيها الحقائق العلمية والنتائج العقلية والفوائد الزراعية عَلَى نمط جديد ولم يلتزم فيها الروي في كل شطر وسماه الارض في السماء اي مايناله به الانسان رغد العيش وحلاوة الامن وهو مشكول بالشكل الكامل ليسهل على كل متناول

وعدد صفحات هذا الجزء ١٤٣ ص طبع بالمطبعة الادبية في بيروت ويطلب من مؤلفه في دمشق ·

دروس الحياة الانسانية في مدرسة الله الثبانية

هو كتاب في ١٥٢ ص تأليف امين افندي ظاهر خير الله المشار اليه جعل شعاره ان المبروءات المحدودة تنطق بلسان صمتها عن تمام حكمة الباري الغير المحدود وفيه مباحث ادبية واجتماعية جعل الدين ولا سيما آيات الكتاب المقدس دعامتها الكبرى وذلك لينتفع به طلاب المدارس المسيحية وهو مشكول ايضاً سهل العبارة حسن الاسلوب والنسج ·

تاريخ ابي المحاسن

بدأت جامعة كليفورنيا في اميركا بنشر كتب في اللغات السامية فرأت ان تفتتح عملها بنشر الجزء الثاني من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابي المحاسن ابن تغري بردي وهو في ست مجلدات كان نشر الجزء الاول منه في ليدن · وهذا التاريخ يبدأ من الفتح الاسلامي وينتهي سنة ٨٧٢ للهجرة · وفي هذا الجزء كلام عَلَى خليفتين من خلفاء الفاطميين العزيز الناصر والحكم ·

حضارة بابل

نشر المسيو مارتين ٢٤٨ رسالة باللغة البابلية وجدت في ابي حبة عَلَى خمسين كيلومتراً من مدينة بابل وفيها اشارات الى ثروة تلك البلاد واشخاصها ومجتمعها المدني والديني واشغالها التجارية والحقوقية وذلك مدة خمسين سنة من سقوط بابل الى اوائل قيام دارا ملك الفرس ·

ابن الطفيل

نشر المسيو ليون غوتيه بالافرنسية كتاباً على ابي بكر ابن الطفيل احد فلاسفة الاندلس فيه ذكر حياته واعماله واشار الى رسالته حي بن يقظان في الحكمة المشرقية ·

ابن رشد

نشر المستشرق المومأ اليه كتاباً في ابن رشد الفيلسوف الاسلامي جعله تتمة لما كتبه الفيلسوف رنان عنه وافاض في الكلام عَلَى كتاب فصل المقال في تقرير مابين الشريعة والحكمة من الاتصال ·

المقتبس

جرائد الولايات العربية

كل شيء آخذ بالنشوء والنمو في هذه الديار الا جرائد الولايات العربية الرسمية فانها كلما طال عليها الزمن تنحط مكانتها لانها كانت ولاتزال تقدس اعمال الولاة وتزكيهم الا قليلاً وجرائد هذا حالها كيف يرضيك خبرها ومخبرها .

للحكومة العثمانية اليوم اثنتاعشرة ولاية (او لواء) عربية تصدر فيها ١١ جريدة رسمية أسوة سائر الولايات في آسيا الصغرى والروم ايلي وهي طرابلس الغرب ، بيروت جبل لبنان ، القدس ، سورية ، حلب ، الموصل ، بغداد ، البصرة ، الحجاز ، اليمن تصدر مرة في الاسبوع لتقريظ اعمال الولاة والمتصرفين ونشر بعض اوامر الحكومة باللغتين العربية والتركية لان الاولى لغة البلاد والثانية لغة الحكومة والعربية منقولة عن التركية بالحرف ولكنه نقل لاتقدر ان تقول عنه عربياً ولا مولداً واحر به ان يكون لغة خاصة يكاد لايفهمها الا قلائل ممن ألفوها اوممن يعرفون التركية فاذا عسر عليهم فهم عبارة قلبوا الوجه التركي من الجريدة فقرأوا الاصل لينحل معهم الاشكال .

الى هذه الدركة من الانحطاط بلغت لغة تلك الجرائد بفسادها ولو كانت منتشرة بين طبقات القوم انتشار سائر الجرائد العربية لافسدت من ملكة الادب العربي فساداً لايشبهه فساد ولكن من حسن الطالع ان قراءها محصورون او يكادون يعدون على الاصابع واقدمها أنشئ منذ خمس واربعين سنة واحدثها منذ سنتين وثنتان منها وهي الزوراء جريدة بغداد والموصل تصدران بالتركية الصرفة كأن الحكومة اعتبرت الجزيرة والعراق من الاقاليم التركية اوانها ارادت ان توفر على اللغة العربية بعض الالفاظ والتراكيب الرديئة تصدرعن اعظم العواصم العربية القديمة اوانها لم تجد في دار

السلام والموصل الحدباء من يعرب لها جريدتها الرسمية · وجريدة لبنان تصدر بالعربية فقط وهي احسن الجرائد الرسمية عبارة · ولذا فان كلامنا اليوم مقصور عَلَى تسع جرائد لتسع ولايات كبرى كل منها حرية بان تدعى مملكة لاولاية لاتساع بقاعها وكثرة نفوسها وقديم مجدها ونكتفي بايراد جمل من جرائدها الرسمية ننقلها نموذجاً على انحطاط اسلوبها وتراكيبها ناتقطها من صفحة واحدة من كل صحيفة ولانشير الى الجريدة حرصاً على كرامة القائمين بها وان كان معظمهم لايعرفون من العربية جملة ولا من قواعدها قاعدة وهم عامة يكتبون وينشرون بدون مبالاة بما يفسدون به لغة العامة والخاصة وان كانت تتفاوت تلك الجرائد في عباراتها · فما ورد في احداها قولها : «صورة التحريرات الواردة بالشرف» وهي تعريب عن الاصل التركي بالحرف ولفظ التحريرات لم يسبق في الفصيح استعماله كما لم يسبق للعرب استعمال خطاب بمعنى كتاب المستعملة بين المصريين ويجمعونها عَلَى خطابات قال في التاج « وتحرير الكتاب وغيره تقويمه وتخليصه باقامة حروفه وتحسينه باصلاح سقطه وتحرير الحساب اثباته مستوياً لاغلث فيه ولاسقط ولا محو » فالتحرير يجمع عَلَى تحارير وليس هو مقابل لفظ رسالة او الوكة او كتاب · اما تركيب « الواردة بالشرف » فمن اسمج التركيب

وقالت : « ان التشتت والافتراق هما يسببان ويحدثان الغوائل والمشكلات الداخلية ويؤديان الى انقراض الهيئة المعظمة العثمانية واضمحلالها كما تشهد بها امثالها التاريخية ولايحصل لها السلامة والسعادة والترقي والتعالي الا باتحاد قلوبهم واتجاههم جميعاً نحو غاية واحدة فنظراً لهذه الحقائق رئت نواب الملة تشكيل الجمعيات المبنية عَلَى اساس القومية والجنسية والمعنونة بهامخلة بالوحدة العثمانية » ففي هذه الجملة من الركاكة والالفاظ المبذولة الزائدة الدخيلة ماتراه · فاي داع اولاً لتكرار لفظي التشتت والافتراق والغوائل والمشكلات وفعلي يسببان ويحدثان وانقراض واضمحلال وكلها بمعنى واحد يستغنى باحداهما عن الاخرى ثم الى اين يرجع ضمير امثالها وكذلك كيف يرجع ضمير اتجاههم جميعاً · وتركيب يحصل لها السلامة والسعادة والترقي والتعالي من التراكيب السقيمة ولامعنى للتعالي هنا ولو قال لتتم لهم السلامة الخ لكان اسلم ومن القبيح استعمال « فنظراً لهذه » واقبح منه « رئت نواب الملة تشكيل » فان في هذا التركيب ثلاث غلطات فقط الاولى في الرسم فكان الوجه ان يقال « رأى » ولفظ الملة لاتستعمل بمعنى الامة في العربية وهو من استعمال الترك فالملة الشريعة اوالدين كملة الاسلام والنصرانية

واليهودية قال في التاج : وقيل هي معظم الدين وجملة ما يجيء به الرسل وقال الراغب : الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه ليتوصلوا به الى جواره وقال ابو اسحق : الملة في اللغة السنة والطريقة . وكذلك يقال في « تشكيل » فليس في العربية التشكيل بمعنى التأسيس اوالانشاء فتشكل في الامر عندهم تصوروشكله تشكيلاصوره . وما ابشع تركيب « الجمعيات المبنية على اساس القومية والجنسية والمعنونة بها » فتجد الالفاظ عربية في الظاهر ولكنها مبذوءة في تركيبها

وقالت : « فيجب ان تبلغون الذين يقتضي لهم التبليغ بالصور الحسنة والمناسبة وتبينون لهم ان ليس في هذه المادة غرض سوى المحافظة على الوحدة العثمانية المتكفلة بالسلامة والسعادة العمومية وان تجري التدريسات الابتدائية بالالسن القومية وتساعد على الجمعيات الخيرية والعلمية وان لا يتلقى احد الممنوعية المذكورة في شكل التعرض الى الاقوام » فالغلط النحوي في هذه الجملة وهو ما نسامح به لانه بسيط لا يفسد اللغة بقدر ما تفسدها تلك الالفاظ المسلطة والتراكيب الشائنة المغلطة مثل « تبلغون الذين يقتضي لهم التبليغ بالصور الحسنة والمناسبة » ولو قال : تبلغون من يجب على ما يجب . لكان اخصر واسلم . ولو قال الكفيلة بالسلامة العامة والسعادة الشاملة لاجاد ولفظ التدريس لا يجمع على تدريسات ومن الالفاظ ما يستحب مفرده اكثر من جمعه ومنها ما يعذب جمعه اكثر من مفرده ولعل جمع تدريسات جمعت على مثال تحريرات وكم ادخلت التركية على العربية من هذه الجموع والالفاظ التي تجدها عربية الاصل ولكن اتى عليها شيء من العجمة ومنها ما نقل به اللفظ عن اصله مثل التشكيل .

ومن سخيف اللفظ « الممنوعية » فان المنع عربي في الاصل ولكن هذه الصيغة لم تعهد للعرب ولا لمن بعدهم وانما جاءتنا في القرون المتأخرة ومثلها الممنونية ولا يقال انا ممنون منك فالممنون المتطوع بل ممتن لك كما لا يقال المحظوظية والمسرورية والامنية بمعنى الامن والمقطوعية والمعلومية والمأذونية والمفهومية والانتقالية والفراغية وكل هذه الصيغ لا تجوز في لغة العرب دخلت عليها من التركية فاللحن كما قال عبداللطيف البغدادي يتولد في الامم والنواحي بحسب العادات والسير

وما دام في اللغة متسع عن هذه الالفاظ فالاحسن نبذها وكذلك يقال في التنسيقات والمأموريات فقد خطأوا من قال من المتكلمين هذه المحسوسات وقالوا صوابها المحسات لانه يقال احسست الشيء بمعنى ادركته فاما المحسوس فهو المقتول من حسه اذا قتله .

ولو راجع من يمسكون القلم العربي ليكتبوا به الجرائد في معاجم اللغة مثل هذه الالفاظ ونظروا في اصولها لردوا اكثرها الى الصحة من تلقاء انفسهم

وتقول « ينبغي اجراء التعقيبات المتمادية والشديدة بواسطة مأمورين البلدية تحت نظارة الاطباء في المواقع المحررة آنفا وتحري الفيران الميتة والقائهن في الماء المغلي وامساكهن بملقاط الحديد الطويل وتبليلهن بدهن الكاز واحراقهن بالنار ... يجب اجراء الوصايا والتوضيحات الكافية للاهالي لاتلاف الفيران اللواتي لم تصبهن المرض بعد لالا يمرضن ويكن واسطة لانتشار المرض ويجب ايضاً على الدوائر البلدية اعطاء اجورات مناسبة لكل فارة التي يصطادونها الاهالي بالفخ قصداً لتقليلهن في البلد »

هذه الجملة وحدها كانت تكفي الدلالة على ما في هذه الجريدة من منافيات البيان والقواعد المألوفة لصغار الطلبة دع عنك كبارهم . فمن الاغلاط اللغوية التي فيها « التعقيبات » و « التوضيحات » و « الاجورات » و « وقوعات » ومن الاغلاط النحوية « مأمورين البلدية » والصواب مأموري البلدية و « لكل فارة يصطادونها الاهالي بالفخ » وهذه اللغة يسمونها لغة البراغيث من قولهم اكلتني البراغيث واولى ان تسمى لغة الفيران للتناسب ومثله تنزيل الفيران منزلة العاقل فقال (القائهن) والصواب القاؤها (وتبليلهن بدهن الكاز واحراقهن الفيران اللواتي لم تصبهن المرض بعد لالا يمرضن ويكن ... قصداً لتقليلهن) والاولى ان يقال دهنها بالكاز واحراقها ... الفيران التي لم يصبها المرض بعد لئلا تمرض فتكون ... قصد تقليلها و (لالا) هذه من اغلاط الرسم وصوابها لئلا كما يفهم من سياق العبارة ومن مراجعة الاصل التركي وكذلك (ملقاط) والاحسن ملقط ولم تكتف هذه الجريدة باستعمال الالفاظ التركية المهزعة بل هي تدخل الى العربية الفاظاً افرنجية لها في اللغة ما يقابلها مثل لفظة (كادرو) التي شاعت في العهد الاخير في هذه البلاد يراد بها الموظفون الغير العاملين فيقولون اخرج فيها خارج الكادرو او القادرو وهي لفظة فرنسوية والاولى ان يقال اخرج من الخدمة او اسقط او ما ماثل ذلك . و (محلول السوبليمه) ولو قال محلول السليماني لافهم وما اعجم و (البارافات) ولو استعاض عنها بالاكواخ لاصاب شاكلة الصواب ولفظ (سوبليمة) و (باراك) من الالفاظ الفرنسوية ايضاً وعندنا ما يقابلها من اللسان العربي

وجاء في جريدة اخرى لقطر آخر .. المثمين لمتصرفية .. والصواب المعين . و

ندعوا لمعاليه بالموفقية وهي جملة لم تشتم رائحة العربية ولو قالها عربي لاوردها هكذا (ندعو له بالتوفيق) فالموفقية من الالفاظ العربية المتركة والاولى حذف الالف من ندعوا كما تحذف في موزعوا الجرائد ومأموروا الادارة. وقالت: (بحمد الله تعالى وعنايته التي لانهاية لها من منذ يومين ثلاث قد تنزلت الامطار النافعة في .. وجوارها واخذت الزراع صيب المواضع . وفي اثناء نزول المطر في يوم الاحد قد اصابت الصاعقة المطبخ الواقع في الجهة الشمالية من خسته خانة المركز العسكري وبحمد الله لم يكن تلفات في النفوس ولا ضايعات سوى احتراق يسير في ارجل محمد علي من الخدمة بدون تأثير) هذه القطعة التي افتتحها الكاتب وختمها بحمد الله نقول فيها الف سبحان الله لما فيها من الركاكة والافساد للغة قريش . وما اظن رجلا من عرض الناس يكون له بعض مطالعة قليلة يكتب عبارة احط من هذه ودليلنا (من منذ يومين ثلاث) و (لم تكن تلفات في النفوس ولا ضايعات سوى احتراق في ارجل محمد علي من الخدمة بدون تأثير» وغير ذلك من الغلط الفظ الفظيع . لماذا تلفات وضايعات » فتنصرف على وزن (موفقيات) و(تنسيقات) (وتعقيبات) الفاظ اصلها عربي ولكن تركيبها اعجمي . ولم نفهم (اخذت الزراع صيب المواضع) الا عندما قلبنا الوجه التركي فرأينا فيه ما تعريبه: (فاخذ الزراع يحرثون حقولهم ويسرعون الى بذرها) كما انا لم نفهم نسبة الارجل الى محمد علي وهل هذا الخادم له اكثر من رجلين كما نرى الآدميين ام له عدة ارجل ولعل هذا يقاس على ما مر بك آنفا من تنزيل غير العاقل منزلة العاقل في جملة الفيران . ومن ابشع التعابير تعبير (بدون تأثير) في آخر العبارة اما لفظ (خستهخانة) فلها في العربية مايقابلها مثل دار المرضى اومستشفى وكذلك جميع الالفاظ التي تختم بخانه فالواجب على العربي ان لا يخون لغته بل يردها الى اصلها فلا يقول دفترخانه ولا تيمارخانه ولا طوبخانه ولا موزخانه ولا بارودخانه ولا قره قولخانه بل يقول دار السجلات ودار المعتوهين ودار المدافع والمتحف اودار التحف ودار البارود ودار الخفر او المخفرة الخ

ومن ركاكات هذه الصحيفة (لاجل تقوية الانضباط بداخل المملكة روي لزوم انشاء واحد قره غول في مواقع ..... مخصوص لاقامة قوميسر البوليس . وقد تبرع ... بخدمة مفتخرة باعطاء عرصة مهما يكون انشاء القره غول .. المصارف الانشائية المقتضية للقره غول المذكور تعهد بتأديتها اعانة من طرف .. مأمور التوتون الرژي .. فابراز الحمية من المومى اليهم بهذه الصورة اوجبت التقدير والممنونية .)

وكان الاجدر ان يقال لتوطيد امور الضبط في البلاد دعت الحاجة الى اقامة مخفرة ٠٠ ليقيم فيها مفوض الشرطة خاصة فتبرع فلان باعطاء عرصه تبنى فيها المخفرة واخذ عَلَى نفسه اداء النفقات لبنائها ٠٠٠ فلان وفلان مأمور حصر الدخان ٠٠٠٠ وحمية الموما اليهم حرية بالشكر موجبة للاجر وهنا ننبه الى رسم (المومى اليهم) الواردة في العبارة فالاولى رسمها بالالف لانها من اوماً والاتراك يرسمونها بالياء وكثير من كتاب الصحف يتابعونهم عَلَى رسمها غلطاً ٠ وجاء في هذا العدد (التقسيط المعطا من طرف ٠٠٠) وكان الاولى ان تجعل الف المعطى بدل ياء (المومى اليهم)

وجاء فيها : (تفضل بالاشعار من جانب قومانداں القواي العمومية ان مجموع الاعانة للبوابير العثمانية في المعسكر الهايوني بلغت كما هو محرر اعلاه تسعة وخمسين الف وسبعمائة وثمانية وثلاثين قرش وعشر بارات وقد ارسلت رأساً الى دار السعادة فابراز حمية المتبرعين الجديرة جديرة بالمحمدة والشكران) في هذه الجملة اربع الفاظ اعجمية كان يتأتى الاستعاضة عنها بالفاظ عربية مثل (قومانداں) قائد (وقواي) القوة و (البوابير) السفن و (الهمايوني) السلطاني ٠ ولو قال كتب قائد القوة العامة ان قد بلغت الاعانة للسفن العثمانية في المعسكر السلطاني ٠٠٠ لاحسن ولفظ (قرش) تنصب عَلَى التمييز ولم نفهم معنى حمية المتبرعين الجديرة ولا الشكران .

وفي هذه الصفحة من الصحيفة اغلاط شائنة اخرى اكثرها مما يعرفه احداث المدارس مثل : (ان طالبين المأمورية تؤخذ منهم ورقة ترجمة الحال ابتداء ليعلم منشاهم وهويتهم والغير تابعين لهذا الاصول لا يكون اسعافهم لمسئولهم) وتعريب هذه الجملة هكذا : تؤخذ من طالبي التوظف تراجمهم بادئ بدء ليعرف منشأوهم واحوالهم ولا يجاب سؤْل من لا يجرون عَلَى هذه الاصول) ولفظ « هوية » تكثر في الكلام المولد مثل كمية وكيفية ٠

وجاء ايضاً مانصه وفصه : « فالمأمور الذي يمتنع ويصر على عدم اعطاء ترجمة الحال بلا مانع فيلحظ انه لمقصد ستر واخفا بعض خصوصات عائدة لسيئات سوابق احواله فالمأمورين المختارين السكوت في مقابل اغماض العين بهذا الباب يرى انهم غير موافقين للمصلحة » وتعريب هذه الجملة كما يأتي : « علم ان لمن يمتنع من الموظفين عن اعطاء ترجمته بلا موجب مقصداً يريد ستره لسوء حاله والسكوت عن اهل هذه الطبقة يعد من الاهمال ولا يوافق المصلحة بحال »

ومثله « في هذا الحال واختياره لا يكون تجويز هذا المقصد والطالبين المأمورين

بداية اذا ماأعطوا ورقة ترجمة الحال لايكون قبولهم في خدمة الدولة قياساً للاصول »
و « لاجله لزم التبليغ تعميماً ٠٠٠ لايجوز قطعياً لمأمورين الحكومة ٠٠٠ وعلى فرض يحصل خلاف هذا الاساس من المستخدمين في خدمة الحكومة فطبيعياً تجري بحقهم المعاملة اللازمة وبناء عليه يقتضي ايفاء التنبيهات » جمل كلها من السخافات والركاكات بمكان لايصل اليه كاتب الا بخذلان من الله ٠

وجاء في جريدة لقطر آخر : « بناء على شدة احتياج اهالي الولاية وضروراتهم كما علم من قرار تصفية البقايا وكان تدقيق ذلك وتطبيق تعليمات مضبطة البقايا الى نهاية سنة ١٣٢٠ في درجة الوجوب فقد تقرر استحصال الامر بالتلغراف واجراؤه » وتعريب هذه الجملة كما يأتي : علم من قرار تصفية بقايا الاموال ان اهالي الولاية في حاجة ماسة الى ان تطبق عليهم لائحة البقايا الى نهاية سنة ١٣٢٠ ولذا تقرر استصدار الامر بلسان البرق وجرى العمل به ٠

وفي هذه الصفحة من الصحيفة الفاظ اعجمية عمت بها البلوى في اللغة القرشية مثل : « ارسلت الولاية بمحررة » اي في كتاب او رسالة ٠ و « استحصال امر وتسريع اجرائه لاهميته » والاولى استصدار الامر والعمل به في الحال لخطورته او خطره او شأنه اومكانته ولفظة اهمية مثل موفقية ومعمورية اصلها عربي وتركيبها العجمي وكذلك « لتأمين وادامة نعمة الامنية والراحة الى منتهى حدودها » اي لتوطيد دعائم الامن والراحة للغاية ٠ ومثله نسب قوميسيون التنسيق اعطاء معاش المعزولية الى ٠٠٠ اي رأت لجنة الاصلاح منح راتب عزل الى ٠٠ ولفظ معاش غير وارد في هذا المعنى والاولى ان يقال راتب اومشاهرة وكذلك نسب رأى مناسباً و « قوميسيون » لجنة و « المعزولية » مثل الممنونية والامنية والاهمية تقاس عليها ولكن لاتقس عليها بالله عليك ومثلها تبليغات وتعليمات وايضاحات ٠ وفي هذه الجمل تراكيب رديئة مثل : « باش كاتب الاعشار وبلغت لهم الكيفية بتذاكر مخصوصة ٠٠٠ المخبر عنه يكون مظنوناً باشهار السلاح ٠٠٠ ان ينظموا محاسباتهم العائدة لزمان ادارتهم بمجرد ماينفكون عن مركز وظائفهم ٠٠٠ وبذلك ظهرت انه نزلت علامة الخصب والبركة في السنة الآتية ٠٠٠ يقرر في حق المفتين بعض احوال مخصوصة مستثناة ٠٠٠ » والخطب يسير في ارجاع هذه الجمل الى العربية فيقال : رئيس كتاب الاعشار وابلغوا ذلك في رسائل خاصة ٠٠٠ المتهم بانه شهر السلاح ٠٠٠ يضعون محاسباتهم ايام ادارتهم عندما يغادرون وظائفهم ٠٠٠ الخ

وتقرأ صورة من صور الركاكة في صفحة واحدة ايضاً من تلك الجرائد التي تصدر في قطر آخر ايضاً فمنها: « يلزم ايفاء التعقيبات القانونية بحق من ··· لكل الملحقات والمراجع الايجابية ··· اسماء الذوات الذينهم عينوا ·· حيث كانت ارض انموذج الزراعة بعيدة عن البلد وواقعة في محل لايمر فيه احد ولم يستفاد من هذا الانموذج شيء حال كون تفق عليه الاموال الكثيرة وبذلت باصلاحه المساعي الوفيرة فاستئذن كل من مجلس الولاية العام ومجلس الادارة من نظارة الاحراش والمعادن والزراعة بان يجعل الميدان والبستان الذي في جواره جفتلك الانموذج ··· وعرف عن اهمية المسئلة ايضاً وحين اقتران ذلك بالتصديق العالي يجري الايجاب اللازم » · وصوابه: اسماء الاعيان الذين عينوا ··· لعامة العالات والمراجع ··· لما كانت ارض الحقل الانموذجي ··· لم تنتفع به في حين انفقت عليه الاموال الطائلة استأذن مجلس الولاية العام ومجلس الادارة نظارة الخراج بان يجعل مزرعة انموذجية ·· عرف بمكانة المسألة حتى اذا صدق عليه يعمل بموجبه ·

وفي هذه الصحيفة من الالفاظ الاعجمية كل ماتنقبض منه النفس العربية مثل « المشروطية » و « الشائمة » و « والمضبطة الاسترحامية » و « حيثية ملة النجيبة العثمانية » و « استرحامات » و « تفوهات لسانية » الخ ويمكن ان يقال عنها الحكومة النيابية او الدستورية والاشاعة ومضبطة الاسترحام وشرف الامة العثمانية الكريمة · واسترحام وتفوه · ونرى هذه الجريدة كلما ارادت ان تتفاصح تسقط مثل قولها: « ماتقرر وما افتكر بتاتا تبديل والينا المحترم واعهد بان هكذا اشاعات لاتنقص بعزم وحزم حضرة المشار اليه الذي يتعلق باصلاح المملكة ·· المرتبة العليا والمكان المسمى ··· تترنم بالانغام المحزنة التي تفعل بالارواح بالانفعال السراح » تريد ان تقول لم يتقرر ولم يفكر بتاتاً في ابدال والينا المحترم وعهدي بان مثل هذه النبآت لاتضعف عزمه ولاحزمه وهو العامل على اصلاح البلاد ··· المرتبة العليا والمكان السامي او الاسمى · ولم افهم مايراد بالسراح هنا · وكذلك « نحن متحسبين بحياة حب الوطن » اي شعورنا وطني اوما شاكل ذلك ولفظ حسيات يرسمونها بالتاء المفتوحة مثل ثبات لاثقاة ولكن ليست من العربي في شيء ·

واليك انموذجات اخرى من جريدة قطر عظيم آخر: « غير خاف على ان جميع المأمورين والمستخدمين هم مكلفون باعطاء اوراق تراجم احوالهم وكان الذين لم يقدموا

اوراق لايتعينون في المأموريات ابتداء وذلك من الاصول المتخذة فمن الضروري ان الذين يتعينون في خدمة يجب ان يعطوا ورقة ترجمة حالهم في اقل مدة وان لايتسببوا الى الاحتياج بتبليغهم فيكون معلوماً لدى العموم انه اذا وقع خلاف ذلك لاتجري معاملاتهم وتكون الاشارة عَلَى اسمائهم في دفاتر القيود طبقاً للاشعار الواقع من نظارة الداخلية هذه المرة فلتجري التبليغات اللازمة الى مأموري ومستخدمي النافعة بالمثابرة عَلَى مقتضاه »

وجاء فيها : لحيث انه من اللزوم ان اوراق الاخبارات ... مستندة الى قناعة كاملة من اصحابها وان يصرح في الامضآت ... اخبرنا بذلك العموم فيقتضي اعلانه بطرفكم ... رياسة شوراء الدولة وتعليمات البول ... المعاونية الاولى ... باطن مظروفات مبطنة تعمل له خاصة لاجل ارساله بتمام المحافظة عن الضياع ... حاصلات البول تقيد في خاناتها المخصوصة بالدفاتر المحلية ... صندوق تسهيلات ... من عموم مأموري البلدية ... تلقي المسئولية عَلَى الآمر والصارف ... بقيد مصروفاً بانواعه ومقاديره بجهة المدفوعات في دفتر عينيات البول الخ

وهنا نترك تصحيح هذه العبارات مكتفين بايرادها بنصوصها لئلا يطول البحث . وعندنا ان هذه الجرائد اذا دامت عَلَى هذا المنوال توجد في اللغة العربية لهجة جديدة لايفهمها الا طبقة مخصوصة ويكون الاختلاف بينها وبين الفصحى اكثر مما بين الاسبانيولية والبرتقالية وهناك بعض صحف رسمية هي اقرب الى الصواب في منشوراتها وان كانت لاتسلم مما تقع فيه الجرائد الركيكة العبارة مثل قول احداها : « باشمديرية الرسومات » « وصل الى مياه ثغرنا » « طريق شوسة » « للتحري عَلَى المزيفين » « استلفت الانظار » « القشلة الهمايونية » « دفتر الاغراب » « مستملكات الروس » « رفع راية العصيان ضد » « طمعاً بنوال مقاصدهم » « الامر الهام » « بحكم وهلة » « الرفاه والراحة » « بناء عليه وتوفيقاً لاحكام » والاحرى ان يقال : رئاسة مديرية الجمرك . بلغ ثغرنا .. طريق مركبات اومعبدة . للبحث عن المزيفين . لفت الانظار او وجه الانظار . الثكنة السلطانية . سجل الغرباء . مستعمرات الروس . رفع راية العصيان عَلَى . طمعاً بنيل مقاصدهم . الامر المهم اوالجلل . يحكم لاول وهلة . الرفاهية او الرفاهة والراحة . عملا باحكام . اما تركيب « بناء عليه » « وعليه » « وحيث ان » فهي مولدة لايعرفها العرب والاولى ان يستعاض عنها بتراكيب اخرى عربية

تعليم النساء

وترجمة علية بنت المهدي العباسي

تمهيد

كان الخلفاء والامراء وخاصة الناس في صدر الاسلام حتى القرن الخامس للهجرة من احرص الناس عَلَى تهذيب بناتهم وجواريهم وامهات اولادهم ينفقون الاموال ويجهدون النفوس السنين الطوال في تثقيف عقولهن وتقويم فطرتهن بالترويض والتخريج والتدريس والتحصيل عَلَى ايدي ثقات اهل العلم وائمة النحاة والرواة واشهر الحفظة والمجودين فما منهن بعد ان يتمرسن عَلَى العفاف وحب الفضيلة من لا تحفظ القرآن العزيز وطرفاً من احكام الفقه والحديث ونتفاً من علمي الانساب والتاريخ فضلاً عن آداب اللغة واخبار السلف من شعراء ومحدثين وغزاة وخطباء وكتبة وامراء فكان صدر كل فتاة من فتياتهم كنزاً من اسنى الكنوز يصيب منه سميرها ماشاء من ادب وحكمة ونكتة وفكاهة فينجذب لها فوءاده وتنزع اليها عواطفه وتحل من نفسه محل الحرمة والتجلة والاعظام بمقدار مايتوسمه فيها من مخايل الدراية والتعقل وآثار التجابة والاختبار

وما في ذلك من عجب بل العجب من النقيض وهيهات ان يخفى على امثال المنصور والمهدي والرشيد والمأمون ان الحسن المادي مهما كان بارعاً رائعاً باهراً فتاناً اذا لم يقترن بالحسن المعنوي ويشفع بالظرف الادبي كانت صاحبته كالتمثال المنحوت والصورة المنقوشة بل اقل قيمة وابعد جاذبية منهما لان التمثال والصورة معدودان من الجمادات فلا يتوقع منهما الانسان رشاقة الحركة ولطف الاشارة وخفة الروح وحلاوة المعنى وسعة الدراية وحسن الرواية ولذلك يستحسنان و يروقان باعين الناظرين بمقدار ماأودع فيهما من دقة الصناعة وتناسب الرسم وحسن التكوين وتشاكل الالوان بمعزل عن تلك المزايا

اما الفتاة ذات الجسم المتحرك والنفس الحية واللسان الناطق والخلق السوي العتيد: ان تكون زوجاً موءانسة وأماً مربية فتأباها النفس و يعافها الذوق و ينصرف عنها القلب وان كانت جميلة وسيمة مادامت جامدة كالصنم بكماء كالعجماء لاتفقه من احوال

الدنيا واسرار الحيوة وحقائق الكون وماهية مايراد منها ومفروض عليها من سنن وواجب الا ما كان مداره المطعم والمشرب وقوامه الملبس والمركب ومرجعه اللهو والقصف ونتيجته الحب والبعال فاذا عرض لها امر يستوجب الانباء — وهو مما يحدث كل يوم — قصرت في الاداء وتلكأت في الكلام وسعلت وتنحنحت وتسامجت ماشاءت ولم تقو على الافهام وان سئلت عن شيء اجابت بلا ادري اوهذرت بجواب لم يكن من لحمة السوءال ولا من سداه . فمن كانت على هذا الطرز — وما عدو امثالها عندنا بقليل — احر بها ان تكون عند اذكياء الرجال وارباب الذوق والفضل ساقطة المنزلة سافلة القدر رخيصة القيمة تفضلها الشخوص وتمتاز عنها الصور لان هذه تمتع الاعين بجمالها ولا تضر النفوس اما تلك فانها تورث الكراهة وتمني بالضجر وتبلي المنازل خاصة والمجتمع القومي عامة بادواء من الهموم والموبقات تذهب بالامم الى اقصى الدركات

اجل وليس من ينكر انك لتراها بادىء الامر فتستحسنها لنقاء بشرتها وسواد حدقتها واعتدال قوامها وغضاضة جسدها وبضاضته وجدله والتفافه ثم تسمع كلامها الدال على جهلها وغباوتها المؤذن بقصر اداركها وسذاجة قلبها وظلام ذاكرتها فتزدريها وتستهجنها وينبذها قلبك نبذ النواة ويطرحها ذكرك طرح القذاة لانها لاتصلح للموءانسة وترويح الهموم ولا ترجى للاستشارة وتسديد الرأي ولا تنفع للامومة باتم معانيها وللتربية وتدبير المنازل بكل مايراد من هذين الواجبين بحكم العقل والصواب ومن كان هذا شأنها كانت سخطاً على النوع الانساني ونيراً ثقيلاً على عاتق الوجود وكل امة تقلص ظل مجدها ونضب معين رخائها ونزفت مواد قواها وتقطعت اسباب منعتها وعزتها وهنائها انما نساؤها على تلك الشاكلة ولقد صدق من قال « ان التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسراها »

فياحبذا لواقتدى كبراؤنا واعاظمنا بمن درجوا قبلهم من اساطين الامة وسراة اعلامها وصرفوا العناية الى تعليم اولئك اللواتي لايسمين بحق اوانس الا اذا كن بالفعل نزهة المجالس ولا يقال لهن عقائل مالم يكن بالحقيقة ارباب علم وادب وتهذيب وفضائل فان الناس على دين ملوكهم والعامة تقتدي باعيانها فان احسن هوءلاء الابتداء احسن القوم الاقتداء والعكس بالعكس سنة الله في الخلق منذ حلت الحضارة محل البداوة وقام التهذيب مقام الفطرة واصبح البشر درجات ومراتب وطبقات

نقول هذا توطئة وتمهيداً لما نذكره الآن من ترجمة ابنة خليفة واخت ثلاثة خلفاء وعمة

ثلاثة وهي (علية بنت المهدي) [1] التي عني قومها بتعلمها وتأديبها وتنوير عقلها وتوسيع دائرة اختبارها حتى صارت آية الفضل ونابغة الادب ومثال العفاف وعنوان الرقة والبلاغة في قرض الشعر الصحيح الاجزاء المتين التراكيب الرشيق المعاني تتفنن في اساليبه وتأخذ باطرافه اخذاً يبهر العقول و يفتن الالباب عَلَى كونها نشأة زهو وترف وغرسة صفو ونعيم · ومعلوم ان الملكة الشعرية لاتستحكم في فتاة الى هذا الحد الا بعدالامعان والجد واحياء الليالي الطوال تبحراً في علوم العرب واتقاناً لفنون الادب وتعمقاً في دراسة اشعار النابغين المجيدين من فحول الجاهلية والمخضرمين والمولدين والاَّ لما تهيأ لها ان تحذو حذوهم وتنسج عَلَى منوالهم وما تلك بالوحيدة بين اترابها في ذلك العصر الزاهر وما بعده بل يوجد كثيرات مثلها حتى بين الجواري القيان فضلاً عن حرائر الآنسات الحسان

* * *

ولدت علية حفيدة المنصور — ثاني خلفاء العباسيين — و بنت المهدي واخت موسى الهادي وابراهيم بن المهدي والرشيد هارون والعباسة واسماء وعمة الامين والمأمون والمعتصم وصالح من سرية ام ولد تدعى مكنونة جارية المروانية [2] وذلك في سنة «١٦٠» للهجرة وادركتها الوفاة نحو سنة «٢١٠» وقد ناهزت الخمسين عَلَى اثر حمى اصابتها وقد قال بعض المؤرخين في سبب وفاتها ان ابن اخيها المأمون ضمها اليه طويلاً وجعل يقبل رأسها والنقاب مسدول على وجهها فغصت بريقها لشدة ما نالها من حبس انفاسها ثم شرقت وسعلت فكان في ذلك حتفها

قال ابو اسحق القيرواني في كتابه « زهر الآداب » كانت علية لطيفة المعنى رقيقة الشعر حسنة مجاري الكلام رخيمة الصوت ولها الحان حسان احصاها ابو الفرج الاصبهاني في كتابه فاذا هي ثلاثة وسبعون وكلها حسن مختار

---

(١) هي ابنة المهدي واخت موسى الهادي وهرون الرشيد وابراهيم وعمة الامين والمأمون والمعتصم وكل هؤلاء كانوا خلفاء

(٢) كانت مكنونة هذه احسن جارية بالمدينة وجهاً فاشتريت للمهدي في حياة ابيه بمئة الف درهم فاستولت عَلَى قلبه وغلبت عَلَى امره حتى كانت زوجته الخيزران تقول « ماملك المهدي امرأة اغاظ عليَّ منها » وما زال خبر شرائها محجوباً عن ابيه المنصور حتى مات فولدت له علية هذه وعاشت الى ما بعد وفاة الرشيد

وقال النوفلي عنها انها من اوضإ النساء وجهاً واعدلهن قواماً واظرفهن كلاماً تقول الشعر المتين الجيد وتصوغ الالحان الحسنة وكان في جبينها اثر من شجة اوفضل سعة ينقص من محاسنها فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر تستر ذلك العيب فكان ما احدثته خير ما ابتدعته النساء وقد وهم من قال ان اختها العباسة المبدعة لتلك العصائب فان ذلك لم يقله احد من ثقات المؤرخين

وقال ابرهيم بن اسماعيل الكاتب كانت علية حسنة الدين لاتغني ولا تشرب الا اذا كانت معتزلة الصلوة فاذا طهرت اقبلت على الصلوة وتلاوة الاوراد ومطالعة الكتب — الا ان يدعوها الخليفة الى شيء فلا تقدر على خلافه — واطرب شيء لديها قول الشعر

وكان احد احفاد الفضل بن الربيع وزير الرشيد يقول ما اجتمع في الاسلام اخ واخت احسن غناء من ابراهيم بن المهدي واخته علية وكانت اخته تقدم عليه

حدث يوماً ابو احمد بن الرشيد فقال : دخل في بعض الايام المأمون الى دار الحرم ودخلتُ معه فسمعتُ غناءً اذهل عقلي فلم اقدر ان اتقدم ولا اتأخر وفطن المأمون لما بي فضحك ثم قال : هذه عمتك علية تطارح عمك ابراهيم

مالي ارى الابصار بي جافيه ... لم تلتفت مني الى ناحيه

لاتنظر الناس الى المبتلي ... وانما الناس مع العافيه

وقد جفاني ظالماً سيدي ... فأدمعي منهلة واهيه

والشعر والغناء لها ومن شعرها في اخيها الرشيد وقد دعته الى وليمة فلبى دعوتها

تفديك اختك قد حبوت بنعمة ... لسنا نعدُّ لها الزمان عديلا

الا الخلود وذاك قربك سيدي ... لازال قربك والبقاء طويلا

وحمدتُ ربي في إجابة دعوتي ... فرأيت حمدي عند ذاك قليلا

قال الراوي ما معناه : لما زارها الرشيد قال لها « غنيني ياأختي » فقالت « وحياتك لاعملنَّ فيك شعراً ولاصوغنَّ فيه لحناً ولاسمعنك به غناء يطرب الثكلى ويرقص المقعد ويشجي المدنف » ثم نظمت من وقتها الثلاثة ابيات التي ذكرناها وغنت بها في لحن جديد من خفيف الرمل فاطرب الرشيد كثيراً واستعادها اياه مرات . ولها فيه ايضاً وقد دعا اختها العباسة الى زيارته ولم يدعها

مالي نسيتُ وقد نودي باصحابي ... وكنت والذكر عندي رائحٌ غادِ

انا التي لااطيق الدهر فرقتكم ... فرقٌ لي ياأخي من طول إبعادي

ولها في ابن اخيها الامين وكانت لما مات الرشيد جزعت عليه جزعاً شديداً وتركت اللهو والغناء فلم يزل بها الامين حتى عاودته وهي كارهة فقالت

اطلت عاذلتي لومي وتفنيدي ... وانت جاهلة شوقي وتسهيدي
لاتشرب الراح بين المسمعات وزر ... ظبياً غريرأنقي الخد والجيد
قد رنحته شمول فهو منجدل ... يحكي بوجنته ماء العناقيد
قام الامين فاغنى الناس كلهم ... فما فقير على حال بموجود

ولها في « لبانة » ابنة اخيها علي بن المهدي وكانت من حسان زمانها الفاتنات

وحدثني عن مجلس كنت زينه ... رسول امين والنساء شهود
فقلت له كر الحديث الذي مضى ... وذكرك من بين الحديث اريد

وليس شعرها هذا بشيء في جانب غزلياتها فان لها من المقاطيع في « طل » و « رشا » وهما من مماليك الرشيد مايكاد يسيل حلاوة و يقطر ظرفاً ويشرب سلاسة ومنها قولها في « رشا » وقد كنت عنه بزينب

وجد الفؤاد بزينبا ... وجداً شديداً متعبا
اصبحت من كلفي بها ... صباً كئيباً منصبا
ولقد كنيت عن اسمها ... عمداً لكي لاتغضبا
وجعلت زينب سترة ... وكتمت امراً معجبا
قالت وقد عز الوصا ... ل ولم اجد لي مذهبا
والله لانلت المود ... ة او تنال الكوكبا

فلما اشتهر انها تكني عن « رشا » بزينب قالت وقد صحفت زينب بلفظة « ريب »

القلب مشتاق الى ريب ... يارب ما هذا من العيب
قد تيمت قلبي فلم استطع ... الا البكا ياعالم الغيب
خبأت في شعري اسم الذي ... ارته كالخبء في الجيب

وكان لزبيدة زوجة الرشيد جارية اسمها « طغيان » وشت بها مرة الى الرشيد فقالت علية تهجوها وفيه مع ادب الكتابة اشد انواع الذم وهو من مبتكراتها المأثورة

« لطغيان » خف مذ ثلاثين حجة ... جديد فلا يبلى ولا يتمزق
وكيف بلى خف هو الدهر كله ... على قدميها في الهواء معلق
فما خرقت خفاً ولم تبل جورباً ... واما (ثياب فوقه) فتمزق

ولها مات « رشا » اوقتل شبت في « طل » فقالت وقد صحفت اسمه في البيت الاول تلميحاً

ايا سروة البستان طال تشوقي فهل لي الى « ظل » لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يهوى خروجه وليس لمن يهوى اليه دخولُ
عسى الله ان نرتاح من كربة لنا فيلقى اغتباطاً خلة وخليلُ

ولها فيه ايضاً وقد جعلت التصحيف في البيت الثالث

سلم عَلَى ذاك الغزال الاغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له ياغل الباب الرجال
خليت جسمي ضاحياً وسكنت في«ظل»الجمال
وبلغت مني غايةً لم ادر فيها ما الاحتيال

ثم صرحت به في ابيات أخر تستعطفه بها وتتهمه بالصدود والاعراض وهي قولها وهو من ارق التشبيب

يارب اني قد عرضت بهجرها فاليك اشكو ذاك ياربّاه
مولاة سوء تستهين بعبدها نعم الغلام وبئست المولاه
طل ولكني حرمت نعيمه ووصاله مالم يغثني الله
يارب ان كانت حياتي هكذا ضراً عليّ فما اريد حياه

والذي ادبها وخرّجها وعلمها فنون الشعر انما هو عمرو ابو حفص الشطرنجي وقد نشأ هذا في دار ابيها المهدي مع اولاد مواليه ثم انقطع بعد موت المهدي الى علية هذه ولما زوجت بموسى بن عيسى العباسي خرج معها الى دار زوجها ولما عادت الى القصر بموت زوجها عاد معها وسمي شاعرها وهو القائل عن لسانها لما غضب عليها الرشيد

لو كان يمنع حسن العقل صاحبهُ من ان يكون له ذنبٌ الى احدِ
كانت علية ابرى الناس كلهم من ان تكافا بسوء آخرَ الابدِ
ما اعجب الشيء نرجوه ونحرمه قد كنت احسب اني قد ملأت يدي

فكانت اياته هذه سبب رضى الرشيد عنها واقباله عليها ومن احسن الغزل وارقهُ قولها

ياعاذلي قد كنت قبلك عاذلا حتى ابتليتُ فصرت صبًّا ذاهلا
الحب اول مايكون مجانةً فاذا تمكن صار شغلاً شاغلا

ارضى فيغضب قاتلي فتعجبوا يرضى القتيل وليس يرضى القاتلا

وكان الرشيد قد استحلفها ان لاتكلم « طلا » ولا تشبب به في شعرها ولا تسميه فحلفت له ثم هم يوماً بالدخول اليها واذا بها تقرأ في سورة البقرة وقد بلغت الآية « فان لم يصبها وابل فطل » وارادت ان تقول « فطل » فقالت « فالذي نهى عنه امير المؤمنين » فضحك وقال لها « ولا كل هذا »

هكذا روى القيرواني واما الاصبهاني فقال انه عند ما سمع الرشيد منها ذلك وهبها الغلام بعد ان قبل رأسها وقال لها « لست امنعك بعد اليوم من شيء تريدينه » وعندنا ان الرواية الاولى ادنى الى الصحة عَلَى ماعهد من غيرة الرشيد وانفته كيف لا وهو الهاشمي الابي العزوف النفس ولقد روي عن لسان علية انها قالت « لاغفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط ولا اقول في شعري الا عبثاً » وهي هي التي تقول « ماحرم الله شيئاً الا وقد جعل فيما حلل منه عوضاً فباي شيء يحتج عاصيه » و بالجملة لو لم يكن حبها للجمال مقصوراً عَلَى القيل والقال لما اكثرت من شعرها من ذكرى الهجر والوحشة والشوق فما نظمت بيتاً في التشبيب والغزل الا كاد ينطق بعفتها وادبها بغير لسان و يعرب عن نزاهتها وتصونها كافصح ترجمان لان النار لاتنبعث عن فؤاد اخمدته الشهوات واطفأت جذوته اللذات وما احلى قولها تشكو وتتألم وهو من مهلهل الشعر

نام عذالي ولم انم واشتفى الواشون من سقمي
واذا ماقلت بي المّ شك من اهواه في المي

ولو شئنا ان نأتي عَلَى جميع اخبارها ومنظوماتها وما ذكر الرواة من بدائعها ونكاتها لضاق بنا المقام وادرك القارئ الملال فلم نر بدّاً من الاقتصار عَلَى ماأوردنا تبصرة للرجال وتذكرة لمن اغفلن العلم ولم يعتنين بالفضل من ربات الحجال خاتمين هذا الفصل ببيتين « لعلية » لايخلوان من الحكمة والعبرة لمن يكثر الزيارة واللبيب تغنيه الاشارة

اني كثرت عليه في زيارته فمل والشيء مملول اذا كثرا
ورابني منه اني لاازال ارى في طرفه قصراً عني اذا نظرا

سليم عنحوري

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

تتمة ماورد في الجزء الماضي

اقوال متقدمي فلاسفة الاسلام في الجن

« ابن سينا والفارابي »

قال ابن سينا رحمه الله في كتاب الحدود : الجن حيوان هوائي ناطق مشف الجرم من شأنه ان يتشكل باشكال مختلفة (قال) وليس هذا رسمه بل هو معنى اسمه ، اه قال ابو البقاء في كلياته : اي هذا بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواء كان معدوماً في الخارج او موجوداً ولم يعلم وجوده فيه فان التعريف الاسمي لايكون الا كذلك بخلاف التعريف الحقيقي فانه عبارة عن تصور ماله حقيقة خارجية في الذهن (ثم قال ابو البقاء) وجمهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء قد اعترفوا بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضاً .

وفي رسالة المعلم الثاني ابي نصر محمد الفارابي في جواب مسائل سئل عنها مامثاله :

(سئل) فيما رآه بعض العوام في معنى الجن وسأله عن ماهيته (فقال) : الجن حي غير ناطق غير مائت وذلك على ماتوجبه القسمة التي يتبين منها حد الانسان المعروف عند الناس اعني الحي الناطق المائت ، وذلك ان الحي منه ناطق مائت وهو الانسان ومنه ناطق غير مائت وهو الملك ، ومنه غير ناطق مائت وهو البهائم ، ومنه غير ناطق غير مائت وهو الجن : فقال السائل : الذي في القرآن مناقض لهذا وهو قوله « استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا » والذي هو غير ناطق كيف يسمع وكيف يقول : فقال : ليس ذلك بمتناقض وذلك ان السمع والقول يمكن ان يوجد للحي من حيث هو حي لان القول والتلفظ غير التمييز الذي هو النطق ، وترى كثيراً من البهائم لا قول لها وهي حية ، وصوت الانسان مع هذه المقاطع هوله طبيعي من حيث هو حي بهذا النوع كما ان صوت كل نوع من انواع الحي لايشبه صوت غيره من الانواع كذلك هذا الصوت بهذه المقاطع التي للانسان مخالف لاصوات غيره من انواع الحيوان ، واما قولنا : غير مائت فالقرآن يدل بذلك في قوله تعالى « رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين » اه

« ابو طالب المكي »

قال في قوت القلوب في الفصل الثلاثين في تفصيل خواطر القلوب ما مثاله بعدسرد آيات وقال تعالى « يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك» وقال تعالى « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقال « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » فمن السواء والتعديل والازدواج والتقويم ادوات الظاهر واعراض الباطن وهي حواس الجسم والقلب . فادوات الجسم هي الصفات الظاهرة . واعراض القلب هي المعاني الباطنة قد عدلها الله تعالى بحكمته وسواها على مشيئته وقومها اتقاناً بصنعته واحكاما بصنعه (اولها) النفس والروح وهما مكانان للقاء العدو والملك وهما شخصان ملقيان للفجور والتقوى (ومنها) غرضان متمكنان في مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين في مشيئة حاكم وهما التوفيق والاغواء (ومنها) نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والايمان فهذه ادوات القلب وحواسه ومعانيه الغائبة وآلاته والقلب في وسط هذه الادوات كالملك وهذه جنوده تؤدي اليه او كالمرآة المجلوة وهذه الآلة حوله تظهر فيراها و يقدح فيه فيجدها

(ثم قال) فاذا اراد الله تعالى اظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نوراً في القلب فاثرت فينظر الملك الى القلب فيرى ما احدث الله تعالى فيه فيظهر مكانه فيتمكن على مثال فعل العدو في خزانة الشر وهي النفس ، والملك مجبول على حب الهداية مطبوع على حب الطاعة كما ان العدو مجبول على الغواية مطبوع على حب المعصية فيلقي الملك الالهام وهو خطوره على القلب بقدح خواطره يأمر بتقييد ذلك ويحسنه له ويحثه عليه وهذا هو الهام التقوى والرشد

(ثم قال) ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل اسمائها ، فاما تسمية جملة الخواطر فما وقع في القلب من عمل الخير فهو (الهام)

وما وقع من عمل الشر فهو (وسواس)

وما وقع في القلب من المخاوف فهو (احساس)

وما كان من تقدير الخير وتأميله فهو (نية)

وما كان من تدبير الامور المباحات وترجيها والطمع فيها فهو (امنية وامل)

وما كان من تذكرة الآخرة والوعد والوعيد فهو «تذكر وتفكير »

وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو « مشاهدة »

وما كان من تحدث النفس بمعاشها وتصريف احوالها فهو « هم »

وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو « لم »

ويسمى جميع ذلك « خواطر » لانه خطور همة نفس او خطور عدو بجسد اوخطرة ملك بهمس اه ملخصا

« الغزالي »

قال في المضنون الكبير : الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بانفسها مختلفة بالحقائق اختلافاً يكون بين الانواع مثال ذلك القدرة فانها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفا اللون واللون والقدرة والعلم اعراض قائمة بغيرها فكذلك بين الملك والشيطان والجن اختلاف ومع ذلك فكل واحد جوهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف بين الجن والملك فلا يدري اهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف بين الفرس والانسان او الاختلاف في الاعراض كالاختلاف بين الانسان الناقص والكامل وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان وهو ان يكون النوع واحداً والاختلاف واقعاً في العوارض كالاختلاف بين الخير والشرير والاختلاف بين النبي والولي ، والظاهر ان اختلافهم بالنوع والعلم عند الله تعالى ، وهذه الجواهر المذكورة لاتنقسم اعني ان محل العلم بالله تعالى واحد لاينقسم فان العلم الواحد لايحل الا في محل واحد وحقيقة الانسان كذلك فالعلم والجهل بشيء واحد في محل واحد متضادان وفي المحلين غير متضادين واما ان هذا الجوهر غير منقسم وهل هو متحيز ام لا فهذا الكلام عائد الى معرفة الجزء الذي يتجزأ فان استحال الجزء الذي لايتجزأ فهذا الجوهر غير منقسم ولا متحيز وان لم يستحل الجزء الذي لايتجزأ فيمكن ان يكون هذا الجوهر متحيزا — وقد قال قوم لايجوز ان يكون غير منقسم ولا متحيز فان الله تعالى غير منقسم ولا متحيز فما الذي يفصل هذا من ذلك وهذا غير مبرهن عليه لانه ربما تباينا في حقيقة الذات وان سلب عنهما الانقسام والتحيز والامور المكانية وتلك سلوب والاعتبار بالحقائق لان ماسلب عن الحقائق كالعرضين المختلفين بالحد والحقيقة الحالين في محل واحد فان ايجاب احتياجهما الى المحل وكونهما في المحل لا يفيد تماثلهما فكذلك سلب الاحتياج الى المحل والمكان لايفيد اشتراك الشيئين ويمكن ان تشاهد هذه الجواهر اعني جواهر الملائكة وان كانت غير محسوسة وهذه المشاهدة على ضربين اما على سبيل التمثيل كقوله تعالى « فتمثل لها بشراً سويا » وكما كان

النبي عليه الصلاة والسلام يرى جبريل في صورة دحية الكلبي [١] والقسم الثاني ان يكون لبعض الملائكة بدن محسوس كما ان نفوسنا غير محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها الخاص بها فكذلك بعض الملائكة وربما كان هذا البدن المحسوس موقوفاً عَلَى اشراق نور النبوة كما ان محسوسات عالمنا هـذا موقوف عند الادراك على اشراق نور الشمس وكذا في الجن والشياطين اه

وقال الغزالي في الاحياء في بيان تسلط الشيطان عَلَى القلب بالوسواس بعد تمهيد مقدمة ما مثاله : فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة الرغبة تنقسم الى مايدعو الى الشر اعني مايضـر في العاقبة والى مايدعـو الى الخير اعني الى ماينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاماً والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواساً ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلابد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك عَلَى اختلاف الاسباب هذا ماعرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات عَلَى الاسباب ، فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى (ملكا) وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى (شيطانا) [٢] والمطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى (توفيقاً) والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا) فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة . و (الملك) عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضـة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك . (والشيطان) عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر . فالوسوسة في مقابلة

(١) وقال الغزالي قبل ذلك في مبحث الرؤية : وتمثل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس بمعنى انه انقلب ذات جبريل صورة دحية الكلبي بل انه ظهرت تلك الصورة للرسول مثالا مؤدياً عن جبريل ما اوحى اليه وكذلك قوله تعالى « فتمثل لها بشرا سويا » اه

(٢) يؤيده آية من شر الوسواس (والوسواس) حقيقة في المصدر الذي هو الوسوسة . ويشبه ماللغزالي هنا قول من قال ان الشيطان قوة من جملة القوى الانسانية وهكذا قال الراغب : كل قوة ذميمة للانسان فهو شيطان .

الالهام. والشيطان في مقابلة الملك . والتوفيق في مقابلة الخذلان. واليه الاشارة بقوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين)

« ابن حزم »

قال رحمه الله في كتاب الفصل في الكلام على الجن ووسوسة الشيطان وفعله في المصروع: لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم ايضاً بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لانهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء. ولا فرق بين ان يخلق خلقاً عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء — وبين ان يخلق خلقاً عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته لكن لما اخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى على ايديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبانهم امة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون واجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون واكثر اليهود ، وهم يروننا ولا نراهم قال الله تعالى « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل « الا ابليس كان من الجن » ، واذ اخبرنا الله عز وجل اننا لا نراهم فمن ادعى انه يراهم اورآهم فهو كاذب الا ان يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فاخذته فذكرت دعوة اخي سليمان ولولا ذلك لاصبح موثقاً يراه اهل المدينة او كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن ابي هريرة. الذي رأى انما هي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جني بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي منقطعات او عمن لا خير فيه

وهم اجسام رقاق صافية هوائية لا الوان لهم وعنصرهم النار كما ان عنصرنا التراب وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجل « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » والنار والهواء عنصران لا الوان لها وانما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب والكتان والادهان وغير ذلك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا اجساماً صافية رقاقاً هوائية لادركناهم بحاسة اللمس

وصح النص بانهم يوسوسون في صدور الناس وان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا ان الله عز وجل جعل لهم قوة

يتوصلون بها الى قذف مايوسوسون به في النفوس ، برهان ذلك قول الله تعالى « من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » ونحن نشاهد الانسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتتبدل اعراضه وصورته واخلاقه وتثور ناريته ، ويرى من يحب فيثور له حال اخرى ويبتهج وينبسط ، ويرى من يخاف فتحدث له حال اخرى من صفرة ورعشة وضعف نفس ، ويشير الى انسان آخر باشارات يحيل بها طبائعه فيغضبه مرة ويخجله اخرى ويفزعه ثالثة ويرضيه رابعة ، وكذلك يحيله ايضا بالكلام الى جميع هذه الاحوال فعلمنا ان الله عز وجل جعل للجن قوى يتوصلون بها الى تغيير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها اليه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجرى الدم كما قال الشاعر

وقد كنت اجري في حشاهن مرة كجري معين الماء في قصب الآس

(واما الصرع) فان الله عز وجل قال « كالذي يتخبطه الشيطان من المس » فذكر عز وجل تأثير الشيطان في المصروع انما هو بالمماسة فلا يجوز لاحد ان يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال مالا علم به وهذا حرام لايحل قال عز وجل « ولا تقف ماليس لك به علم » وهذه الامور لايمكن ان تعرف البتة الا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ماذكرنا وبالله تعالى التوفيق فصح ان الشيطان يمس الانسان الذي يسلطه الله عليه مساً كما جاء في القرآن يثير به من طبائعه السوداء والابخرة المتصاعدة الى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلاخلاف منهم فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وماتوجبه المشاهدة وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزامين والكذابين وبالله تعالى نتأيد اه كلام ابن حزم

« الفخر الرازي »

قال في مباحث الاستعاذة من اوائل تفسيره : اطبق الكل على انه ليس الجن والشياطين عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجيء وتذهب مثل الناس والبهائم بل القول المحصل فيه قولان (الاول) انها اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة ولها عقول وافهام وقدرة على اعمال صعبة شاقة (والقول الثاني) ان كثيرا من الناس اثبتوا انها موجودات غير متحيزة ولا حالة في التحيز وزعموا انها موجودات مجردة عن الجسمية (قالوا) وهذه الارواح قد تكون مشرقة الهية خيرة سعيدة وهي المسماة بالصالحين من الجن . وقد تكون كدرة سفلية شريرة وهي المسماة بالشياطين (ثم قال)

واعلم ان قوما من الفلاسفة طعنوا في هذا المذهب وزعموا ان المجرد يمتنع عليه ادراك الجزئيات والمجردات يمتنع كونها فاعلة للافعال الجزئية : وهذا باطل لوجهين (الاول) انه يمكننا ان نحكم على هذا الشخص المعين بانه انسان وليس بفرس والقاضي على الشيئين لابد وان يحضره المقضي عليهما فههنا شيء واحد هو مدرك للكلي وهو النفس فيلزم ان يكون المدرك للجزئي هو النفس (الثاني) هب ان النفس المجردة لاتقوى عَلَى ادراك الجزئيات ابتداء لكن لانزاع انه يمكنها ان تدرك الجزئيات بواسطة الآلات الجسمانية فلم لايجوز ان يقال ان تلك الجواهر المجردة المسماة بالجن والشياطين لها آلات جسمانية من كرة الاثير اومن كرة الزمهرير ثم انها بواسطة تلك الآلات الجسمانية تقوى عَلَى ادراك الجزئيات وعَلَى التصرف في هذه الابدان

واما الذين زعموا ان الجن اجسام هوائية او نارية فقالوا الاجسام متساوية في الحجمية والمقدار وهذان المعنيان اعراض فالاجسام متساوية في قبول هذه الاعراض، والاشياء المختلفة بالماهية لايمتنع اشتراكها في بعض اللوازم فلم لايجوز ان يقال الاجسام مختلفة بحسب ذواتها المخصوصة وماهياتها المعينة وان كانت مشتركة في قبول الحجمية والمقدار واذ ثبت هذا فنقول لم لايجوز ان يقال احد انواع الاجسام اجسام لطيفة نفاذة حية لذواتها عاقلة لذواتها قادرة عَلَى الاعمال الشاقة لذواتها وهي غير قابلة للتفرق والتمزق واذا كان الامر كذلك فتلك الاجسام تكون قادرة عَلَى تشكيل انفسها باشكال مختلفة ثم ان الرياح العاصفة لاتمزقها والاجسام الكثيفة لاتفرقها ، اليس ان الفلاسفة قالوا ان النار التي تنفصل عن الصواعق تنفذ في اللحظة اللطيفة في بواطن الاحجار والحديد وتخرج من الجانب الآخر فلم لايفعل مثله في هذه الصورة ، وعلى هذا التقدير فان الجن تكون قادرة عَلَى النفوذ في بواطن الناس وعلى التصرف فيها وانها تبقى حية فعالة مصونة عن الفساد الى الاجل المعين والوقت المعين ، فكل هذه الاحوال احتمالات ظاهرة والدليل لم يقم عَلَى ابطالها فلم يجز المصير الى القول بابطالها

(ثم قال الرازي) اعلم ان الانسان اذا جلس في الخلوة وتواترت الخواطر في قلبه فربما صار بحيث كانه يسمع في داخل قلبه ودماغه اصواتا خفية وحروفا خفية فكأن متكلما يتكلم معه ومخاطبا يخاطبه فهذا امر وجداني يجده كل احد من نفسه . ثم اختلف الناس في تلك الخواطر فقالت الفلاسفة ان تلك الاشياء ليست حروفا ولا اصواتا وانما هي تخيلات الحروف والاصوات وتخيل الشيء عبارة عن حضور اسمه ومثاله في الخيال

وهذا كما انا اذا تخيلنا صور الجبال والبحار والاشخاص فاعيان تلك الاشياء غير موجودة في العقل والقلب بل الموجود في العقل والقلب صورها وامثلتها ورسومها وهي عَلَى سبيل التمثيل جارية مجرى الصورة المرتسمة في المرآة فانا اذا احسسنا في المرآة صورة الفلك والشمس والقمر فليس ذلك لاجل انه حضرت ذوات هذه الاشياء في المرآة فان ذلك محال وانما الحاصل في المرآة رسوم هذه الاشياء وامثلتها وصورها ، واذا عرفت هذا في تخيل المبصرات فاعلم ان الحال في تخيل الحروف والكلمات المسموعة كذلك فهذا قول جمهور الفلاسفة ،

ولقائل ان يقول هذا الذي سميته بتخيل الحروف والكلمات هل هو مساو للحرف والكلمة في الماهية اولا فان حصلت المساواة فقد عاد الكلام الى ان الحاصل في الخيال حقائق الحروف والاصوات والى ان الحاصل في الخيال عند تخيل البحر والسماء حقيقة البحر والسماء — وان كان الحق هو الثاني وهو ان الحاصل في الخيال شيء آخر مخالف للبصرات والمسموعات فحينئذ يعود السؤال وهوانا كيف نجد من انفسنا صور هذه المرئيات وكيف نجد في انفسنا هذه الكلمة والعبارات وجدانا لانشك انها حروف متوالية عَلَى العقل والفاظ متعاقبة على الذهن فهذا منتهى الكلام في كلام الفلاسفة

اما الجمهور الاعظم من اهل العلم فانهم سلموا ان هذه الخواطر المتوالية المتعاقبة حروف واصوات حقيقية

واعلم ان القائلين بهذا القول قالوا فاعل هذه الحروف والاصوات اما ذلك الانسان اوانسان آخر واما شيء آخر روحاني مباين يمكنه القاء هذه الحروف والاصوات الى هذا الانسان سواء قيل ان ذلك المتكلم هو الجن والشياطين اوالملك واما ان يقال خالق تلك الحروف والاصوات هو الله تعالى (اما القسم الاول) وهو ان فاعل هذه الحروف والاصوات هو ذلك الانسان فهذا قول باطل لان الذي يحصل باختيار الانسان قادرا عَلَى تركه فلو كان حصول هذه الخواطر بفعل الانسان لكان الانسان اذا اراد دفعها وتركها لقدر عليه ومعلوم انه لايقدر عَلَى دفعها فانه سواء حاول فعلها اوحاول تركها فتلك الخواطر تتوارد عَلَى طبعه وتتعاقب على ذهنه بغير اختياره

(واما القسم الثاني) وهو انها حصلت بفعل انسان آخر فهو ظاهر الفساد • واذا بطل هذان القسمان بقي (الثالث) وهي انها من فعل الجن اوالملك اومن فعل الله تعالى (اما الذين قالوا) ان الله تعالى لايجوز ان يفعل القبائح فاللائق بمذهبهم ان يقولوا ان هذه

الخواطر الخبيثة ليست من فعل الله تعالى فبقي انها من احاديث الجن والشياطين ، واما الذين قالوا انه لايقبح من الله شيء فليس في مذهبهم مانع يمنعهم من اسناد هذه الخواطر الى الله تعالى)اه

« الماوردي »

قال في كتاب اعلام النبوة : الجن من العالم الناطق المميز يتناسلون ويموتون ، واشخاصهم محجوبة عن الابصار ، وان تميزوا بافعال وآثار ، الا ان يخص الله برؤيتهم من يشاء ، وانما عرفهم الانس من الكتب الالهية ، وما تخيلوه من آثارهم الخفية ،

(ثم قال) : واختلفوا في الشياطين فزعم قوم انهم كفار الجن يتناسلون ويموتون وزعم آخرون انهم غير الجن وانهم من ولد ابليس واختلف من قال بهذا في تناسلهم وموتهم فذهب فريق منهم الى انهم يتناسلون ويموتون وذهب آخرون الى انهم كابليس لايموتون الا معه وان تناسلهم انقطع بانظار ابليس الى يوم يبعثون ، فان انكر قوم خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية فهرتهم براهين العقول وحجج القياس (ثم اسهب في ذلك رحمه الله)

« القاشاني »

قال في تفسير آية « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن » في سورة الاحقاف مامثاله : الجن نفوس ارضية تجسدت في ابدان لطيفة مركبة من لطائف العناصر سماها حكماء الفرس (الصور المعلقة) ولكونها ارضية متجسدة في ابدان عنصرية ومشاركتها الانس في ذلك سميا ثقلين وكما امكن الناس التهدي بالقرآن امكنهم وحكاياتهم من المحققين وغيرهم اكثر من ان يمكن رد الجميع واوضح من ان يقبل التأويل :

وقال في تفسير سورة الجن : قد مر ان في الوجود نفوسا ارضية قوية لافي غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة ادراكها ولا على هيآت النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية — ولا في صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوي وتجرد اوتتعلق ببعض الاجرام السماوية متعلقة باجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية اوالنارية اوالدخانية على اختلاف احوالها سماها بعض الحكماء (الصور المعلقة) ولها علوم وادراكات من جنس علومنا وادراكاتنا ، ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوي امكنها ان تتلقى من عالمها بعض الغيب فلا تستبعد ان ترتقي الى افق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة اي

النفوس المجردة — ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى فرجمت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ، ولا تنكر ان تشتعل اجرامها الدخانية باشعة الكواكب فتخترق وتهلك اوتنزجر من الارتقاء الى الافق السماوي فتتسفل فانها امور ليست بخارجة عن الامكان اه

« القاضي ابو يعلي بن الفراء »

نقل عنه السفاريني انه قال : الجن اجسام مؤلفة واشخاص ممثلة ويجوز ان تكون رقيقة وان تكون كثيفة خلافاً للمعتزله في قولهم انهم اجسام رقيقة ولرقتها لانراها (قال) : ولاقدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله ضربا من ضروب الافعال اذا فعله نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على امر اذا فعله نقله الله عن صورة الى صورة اخرى لجري العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها عن صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء ، واذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها (قال) والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك (وسيأتي في اول الخاتمة مبحث تمثل الروحاني مفصلا)

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

نقل عنه السفاريني انه قال : لم يخالف احدمن طوائف المسلمين في وجود الجن وكذا جمهور الكفار لان وجودهم تواترت به اخبار الانبياء تواترا معلوما بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامة (قال) ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم ، (وقال) ليس الجن كالانس في الحد والحقيقة فلايكون ماامروا به ومانهوا عنه مساويا لما على الانس في الحد والحقيقة لكنهم مشاركوهم في جنس التكليف بالامر والنهي والتحليل والتحريم بلا نزاع اعلمه بين العلماء : (وقال في تفسير سورة الاخلاص) ان الفلاسفة كلامهم في الالهيات والكليات العقلية كلام قاصر جداوفيه تخليط كثير وانما يتكلمون جيدا في الامور الحسية الطبيعية وفي كلياتها فكلامهم فيها في الغالب جيد ، واما الغيب الذي تخبر به الانبياء والكليات العقلية التي تعم الموجودات كلها وتقسم الموجودات قسمة صحيحة فلا يعرفونها البتة فان هذا لايكون الا ممن احاط بانواع الموجودات وهم لايعرفون الا قليلا من الموجودات ومالايشهده الآدميون من الموجودات اعظم قدرا وصفة مما يشهدونه بكثير ، ولهذا كان هؤلاء الذين عرفواماعرفته الفلاسفة اذا سمعوا

اخبار الانبياء بالملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار وهم يظنون ان لاموجود الا ماعلموه هم والفلاسفة يعيرون حائرين متأولين لكلام الانبياء على ماعرفوه وان كان هذا لادليل عليه وليس لهم بهذا النفي علم فان عدم العلم ليس علما بالعدم لكن نفيهم هذا كنفي الطبيب للجن لانه ليس في صناعة الطب مايدل على ثبوت الجن والا فليس في علم الطب ماينفي وجود الجن وهكذا تجد من عرف نوعا من العلم وامتاز به على العامة الذي لايعرفونه فيبقى بجهله نافيا لما لايعلمه ، وبنو آدم ضلالهم فيما جحدوه ونفوه بغير علم اكثر من ضلالهم فيما اثبتوه وصدقوا به، قال تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » اه

وقد اسهب رحمه الله في كتابه الفرقان — المطبوع — فيما يتعلق بالجن والشياطين فليراجع

« ابن القيم »

قال رحمه الله في زاد المعاد في علاج الصرع ما مثاله : الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية — وصرع من الاخلاط الردية . والثاني هو الذي يتكلم فيه الاطباء في سببه وعلاجه . واما صرع الارواح فائمتهم وعقلاؤهم يعترفون بان علاجه بمقابلة الارواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الارواح الشريرة الخبيثة فتدفع آثارها وتعارض افعالها وتبطلها . وقد نص على ذلك بقراط في بعض كتبه فذكر بعض علاج الصرع وقال : هذا انما ينفع من الصرع الذي سببه الاخلاط والمادة واما الصرع الذي يكون من الارواح فلا ينفع فيه هذا العلاج : واما جهلة الاطباء فينكرون صرع الارواح ولا يقرون بانها تؤثر في بدن المصروع وليس معهم الا الجهل والا فليس في الصناعة الطبية مايدفع ذلك والحس والوجود شاهد به ، واحالتهم ذلك على غلبة بعض الاخلاط هو صادق في بعض اقسامه لافي كلها ، وقدماء الاطباء يسمون هذا الصرع المرض الالهي وقالوا : انه من الارواح ، واما جالينوس وغيره فتأولوا عليهم هذه التسمية وقالوا : انما سموها بالمرض الالهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس فتضر بالجزء الالهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ : وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الارواح واحكامها وتأثيراتها وجاءت زنادقة الاطباء فلم يثبتوا الا صرع الاخلاط وحده ، ومن له عقل ومعرفة بهذه الارواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء الاطباء وضعف عقولهم

(ثم قال ابن القيم) هذا ولو كشف الغطاء لرأيت اكثر النفوس البشرية صرعى

مع هذه الارواح الخبيثة وهي في اسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها وبها الصرع الاعظم الذي لا يفيق صاحبه الا عند المفارقة والمعاينة فهناك يتحقق انه كان هو المصروع حقيقة

وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح الى الايمان بما جاءت به الرسل عليهم السلام

« الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده »

قال في تفسير قوله تعالى « الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » الموسوسون قسمان قسم الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم وانما نجد في انفسنا اثرا ينسب اليهم ، ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة نازعة الى الشر يحدث منها في نفسه خواطر السوء :

وقال في موضع آخر : (١) ان الهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم وقد اسندا الى هذه العوالم الغيبية ، وخواطر الخير التي تسمى الهاما وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محله الروح فالملائكة والشياطين اذن ارواح تتصل بارواح الناس ، فلا يصح ان نمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا لان هذه لو اتصلت بارواحنا فانما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لا نحس بشيء يتصل بابداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فاذن هي من عالم غير عالم الابدان قطعا

(ثم قال) يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهم بامر فيه وجه للحق او للخير ، ووجه للباطل او للشر ، بان في نفسه تنازعا كان الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر احد الطرفين ، ويترجح احد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي اودع في انفسنا ونسميه قوة وفكرا — وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقتها — لا يبعد ان يسميه الله تعالى ملكا ويسمي اسبابه ملائكة اوماشاء من الاسماء فان التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع اه وسبق في كلام الغزالي نحوه وسيأتي في الخاتمة عن الراغب الاصفهاني ما يؤيده

---

(١) نقله المنار مجلد ١١ صفحة (٥٨٨)

﴿ خاتمة ﴾

«في فوائد متفرقات من شوارد هذه المسألة»

(أ) للباحثين في تمثل الارواح آراء عديدة وانظار متنوعة نذكر منها طرفا قال في الخلاصة : اعتقاد قدماء اليهود بماهية الارواح المغيبة انها اما هواء خالص او لهيب نار (ثم قال) فعلى هذا فللملائكة اجسام هوائية لطيفة لاترى مالم تمثل كالهواء الذي نتنفسه فانه جسم لكنه غير مبصر اه (ثم قال) واقرب شاهد للتمثل هو الهواء فانه وان لم يقبل في حال تخلخله شكلا ولالونا الا انه متى تكاثف امكن تشكله وتلونه كما يقع في السحاب وعلى هذا النمط يجوز ان تتكثف اجسام الملائكة بالقدرة الربانية على قدر مايلزم لتكوين الجسم المراد اتخاذه و يقدرون بعد التجسد ان يفعلوا افاعيل حيوية اه

وقدمنا عن القاضي ابي يعلى انه قال : لاقدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله ضربا من ضروب الافعال اذا فعله نقله الله من صورة الى صورة الخ : ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن امام الحرمين ان تمثل جبريل معناه ان الله افنى الزائد من خلقه او أزاله عنه ثم يعيده اليه بعد • وجزم ابن عبد السلام بالازالة دون الفناء وقرر ذلك بانه لايلزم ان يكون انتقالها موجبا لموته بل يجوز ان يبقى الجسد حيا لان موت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلا بل بعادة اجراها الله تعالى في بعض خلقه ونظيره انتقال ارواح الشهداء الى اجواف طير خضر تسرح في الجنة ، وقال شيخنا شيخ الاسلام — زكريا الانصاري — ماذكره امام الحرمين لاينحصر الحال فيه بل يجوز ان يكون الآتي هو جبريل بشكله الاصلي الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل واذ ترك ذلك عاد الى هيئته ومثال ذلك القطن اذا جمع بعد ان كان منتفشا فانه بالنفش يحصل له صورة كبيرة وذاته لم تتغير وهذا على سبيل التقريب والحق ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ايضا ان القدر الزائد لايزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط والله اعلم اه كلام الحافظ كله مبني على حمل الاطلاق في موارده على الحقيقة فليتأمل وقال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في رسالة التوحيد : اما وجود بعض الارواح العالية — وهم الملائكة المكرمون — وظهورها لاهل تلك المرتبة السامية (الانبياء عليهم السلام) فمما لااستحالة

في بعد ماعرفنا من انفسنا وارشدنا اليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ماهو الطف من المادة وان غيب عنا فاي مانع من ان يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشيء من العلم الالهي وان يكون لنفوس الانبياء اشراف عليه فاذا جاء به الخبر الصادق حملنا على الاذعان بحته ، اما تمثل الصوت واشباح لتلك الارواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند اعداء الانبياء ، الا يدعونه في بعض المصابين بامراض خاصة على زعمهم فقد سلموا ان بعض معقولاتهم يتمثل في خيالهم ويصل الى درجة المحسوس فيصدق المريض في قوله ان يرى ويسمع بل يجالد ويصارع ولا شيء من ذلك في الحقيقة بواقع فان جاز التمثيل في الصور المعقولة ولامنشأ لها الا في النفس وان ذلك يكون عند عروض عارض على المخ فلم لايجوز تمثل الحقائق المعقولة في النفس العالية وان يكون ذلك لها عند ماتنزع عن عالم الحس ، وتتصل بحظائر القدس ، وتكون تلك الحال من لواحق صحة العقل في اهل تلك الدرجة لاختصاص مزاجهم بمالايوجد في مزاج غيرهم ؟ وغاية مايلزم عنه ان يكون لعلاقة ارواحهم بابدانهم شأن غير معروف في تلك العلاقة من سواهم وهو مايسهل قبوله بل يتحتم لان شأنهم في الناس ايضا غير الشؤون المألوفة وهذه المغايرة من اهم ما امتازوا به وقام منها الدليل على رسالتهم ، والدليل على سلامة شهودهم وصحة مايحدثون عنه ان امراض القلوب تشفى بدوائهم وان ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوة في اممهم التي تأخذ بعقالهم ، ومن المنكر في البديهة ان يصدر الصحيح من معتل ، ويستقيم النظام بمختل اه وقد نقلنا عن الغزالي كلمة في تمثيل الملك فتذكره

(ب) شاع وصف الجن « بالارواح » في المأثور وفي كلام الحكما، قال ابن الاثير في حديث : اني عالج من هذه الارواح : الارواح هنا كناية عن الجن سموا ارواحا لكونهم لايرون فهم بمنزلة الارواح : الا انه غلب لفظ « روح » مفردا في التنزيل الكريم على الملك قال في الخلاصة : ان كلمة « روح » التي يوصف بها الملائكة تتضمن معنى يدل على ماهيتهم وهو انهم مجردون عن كثافة الاجسام فليسوا مثلنا (قال) لان اصل معنى الروح في العبراني واليوناني كما في العربي ريح اي هواء متحرك وكأن لغة البشر تقصر عن التعبير بتمام الكنه والحقيقة فاكتفى بلفظ يوضح الحقيقة وان لم يجلها تمام الجلاء اه وقال ابن الاثير في حديث (الملائكة الروحانيون) يروى بضم الراء وفتحها كأنه نسبة الى الرُّوح اوالرَّوح وهو نسيم الريح والالف والنون من زيادات النسب ويريد به انهم اجسام لطيفة لايدركها البصر اه

وفي كليات ابي البقاء : الروح بالضم هو الريح المتردد في مخارق الانسان ومنافذه واسم للنفس الخ وفي التاج عن الفراء، قال : سمعت ابا الهيثم يقول : الروح انما هو النفس الذي يتنفسه الانسان وهو جار في جميع الجسد فاذا خرج لم يتنفس بعد خروجه : وفي نقد المحصل للطوسي : الفلاسفة يفرقون بين النفوس والارواح فان النفوس عندهم جواهر بسيطة مجردة متعلقة بالابدان ، والارواح اجسام مركبة من الابخرة والادخنة المرتفعة من الدم المحتبس في العروق : وروى ابن جرير عن قتادة في تفسير آية « و يسئلونك عن الروح » قال الروح هو جبريل قال قتادة : وكان ابن عباس يكتمه ثم اسند الى ابن عباس ان الروح ملك وكذا عن علي رضى الله عنه انه قال : هو ملك من الملائكة :

(ج) جاء في معجم لاروس : ان سقراط كان يزعم ان له شيطاناً خاصاً يوحي اليه مقاصده وجميع مبادئ فلسفته وحكمته . فادعى بعضهم ان ذلك كان روحاً اوعاملاً فوق قوة البشر واطلق آخرون هذا الاسم على معنى ادبي لطيف وحاسة طبيعية رائقة سريعة الادراك انمتها تجارب طويلة وهم على مايرون ان شيطان سقراط لم يكن غير الهامات باطنة تعرض لقلبه وعقله موقتة عند تصور اعلى مطالب الفلسفة فمعنى استشارة سقراط لشيطانه الخاص هو انه يستشير الهامه الداخلي وعقله وحكمه التي لايراها نفحة ونعمة بل هي منبعثة عن الالوهية وهي جزء منها . ورأى آخرون ان هذا الزعم كان من سقراط حيلة يريد ان يتوصل بها الى تحقيق اصلاح سياسي كبير . والظاهر ان سقراط اقتنع بصحة ماوقع في نفسه فلم يخامره ولا تلامذته ادنى شك في مدعاه وكان ذلك من آكد الاسباب في الحكم عليه بالموت .

وجاء فيه ايضاً في مادة جني : ان الجن في الاساطير الرومانية اشارة الى الشيطان عند اليونان وهي عبارة عن الروح اوالمبدإ الحيوي فكانوا يذهبون الى ان كل عمل يعمله الانسان يمليه عليه شيطانه الخاص . فالظاهر انه كان من تأثيرات الزندقة الطبيعية ان توهم عامة اللاتين بان لكل شيطانين وذلك ليحلوا كما يشاؤن مسألة الخير والشر فشيطان الخير يوحي الافكار الصالحة النافعة وشيطان الشر يلهم الاعمال الشريرة والحوادث المكدرة وهكذا رأى القائدان بروتوس وكاسيوس عند ما كتبت الهزيمة على اعلامهما شيطانيهما الشريرين

وكان القوم في رومية يعبدون الشياطين الخاصة والشياطين المحلية فاذا ولد لهم ولد يقومون باحتفال اكراماً لشيطانه وكثيراً ما تقدم فاكهة وثمار لشياطين المكان وعلى

عهد الامبراطورية كان شيطان الامبراطور يعبد عبادة خاصة اكراماً واحتراماً اه

(د) جاء في دائرة المعارف البريطانية ماتعريبه :

ان كلمة الشيطان هي اسم وضع في الانجيل والمذهب النصراني على شرير كبير يظن انه برأس مملكة من الارواح الخبيثة وهو الملك فيها وانه عدو لله دائماً واللفظة العبرية وهي الشيطان الدالة على معنى المعاكسة ايضا تستعمل لهذا الشرير الكبير اوملك مملكة الشر ومما لاشك فيه ان روحا خبيثة كهذه كثيرا ما استعملت في العهد الجديد وقدسمي باسماء متعددة غير ماذكر مثل كلمة الممتحن ، بعل زبوب ، ملك الشياطين ، القوى ، الشرير الخاطئ ، العدو الالد ، وهذه الاسماء استعملت مترادفة في الانجيل وحيثما استعملت تدل على نفس القوة المحركة الشريرة الخارجة عن الانسان والمؤثرة فيه اوالتي لها سلطة عليه ومن المسائل ماهو مبلغ اعتقاد المسيح نفسه في وجود مثل هذه القوة الخبيثة لانه مما لاشك فيه ان قوة كهذه كان معترفا بها في معتقدات اليهود في ايامه ومن المحقق ايضا ان هذا الاعتقاد بين اليهود لم ينم دفعة واحدة بل نشأ على مهل ولايتأثره المطالع في العهد القديم بوضوح كما نجده واضحا في العهد الجديد وفي الحقيقة ان كلمة الشيطان لاتوجد في التوراة الا في خمس مواضع وفي آثار الانبياء العبريين الاولى لايوجد اعتراف بروح شريرة تقاوم ارادة الله والصورة التي صورت بها هذه الروح الشريرة في آثار متأخريهم تختلف كثيرا عن الصورة التي صورها متأخرو علماء اللاهوت . اذاً ماهو اصل الاعتقاد بالشيطان من حيث انه روح خبيثة مطرودة «فالجواب» الذي يذكره المنقحون من المعاصرين ان هذا الاعتقاد نشأ من اختلاط اليهود بالفرس لما كانوا منفيين في بلاد فارس فالاعتقاد الفارسي يقسم الدنيا بين الهين موجودين مختلفين الواحد خير والآخر شرير الا ان كليهما له حصة في الخلق والانسان . فاهرمزده كان مقدساصادقاتجب له العبادة والاحترام واما اهرمن روح الظلام ذوالعقل الشرير فلم يكن اقل قدرة وكان يدعي الحق بمساواة اهرمزده من حيث اطاعة الانسان له «وفي القرون الوسطى» كان الاعتقاد بالشيطان عظيما فالقديسون كانوا يحسبون انفسهم وغيرهم بخصام دائم معه ومن الصعب علينا الآن ان نتصور مقدار التأثير لهذا الاعتقاد في معيشة الناس حينئذ فانه كان الفكر الثابت في رأس كل انسان خصوصا من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر وهي مدة يمكننا ان نعد هذه الخرافة بلغت فيها منتهاها ومن المحقق ان هذه العقيدة لم تنقص الا قليلا في

القرن الخامس عشر بل حتى في القرن السادس عشر اوالسابع عشر ، ولوثيروس كان يشعر دائما بتماس الروح الشريرة ومعاكستها في مكتبته وفي فراشه وبحجرته كان الشيطان يتداخل في اشغاله او راحته ولما كان يباشر درسه سمع صوتاً عرفه حالا انه صادر من عدوه «الشيطان» «قال» فلما وجدت انه يريد ان يعود مرة ثانية الى عمله جمعت كتبي وذهبت الى فراشي وسمعته مرة ثانية في الليل ماشيا في الرواق لكنني لما كنت اعلم انه الشيطان لم اهتم به بل غرقت في نومي وكذلك يقول لوثيروس ولما افقت في هذا الصباح باكرا جاءني الشرير وابتدأ يجادلني فقال لي انت مذنب عظيم فاجبته الا يمكنك ان تأتيني بنبأ جديدياشيطان . ولما تقدم المعقول في القرن الثامن عشر تناقص هذا الاعتقاد بانتشار التأثيرات الشيطانية والشعور بما فوق الطبيعة تضاءل من جميع جهاته ولا سيما الاعتقاد القديم بسلطة الشيطان المطلقة على مصير الانسان ومع ان الشعور الديني ازداد كثيرا منذ ذلك الحين فلا يمكن ان يقال بان الاعتقاد القديم بالشيطان واعماله تجدد ومن الممكن ان يكون اعتقاد النصرانية اليوم ان هنالك قوة شريرة في العالم تعاكس ارادة الله ولكن هل هذه القوة هي شخص وماهو فعلها في ارادة الانسان وايضا هل هنالك مملكة ارضية للشياطين يرأسها ملك وماهي علاقة هذه المملكة الشيطانية بمصير الانسان؟ كل ذلك مسائل لم تقرر بعد او مشكوك بها في اي مذهب من مذاهب الكنيسة . ووظيفتنا ان نلاحظ هذا التغير في اعتقاد النصارى من غير ان نبين منافعه اوغير ذلك ومن المحقق ان الاعتقاد بالشيطان لا يشغل مكانا عظيما في تصورات النصارى اليوم كما كان من ذي قبل وانه ليس لسلطته الآن الاثر الذي كان له في الانسان واختباره اه كلام دائرة المعارف البريطانية ولم نورده مع كلام المعجم قبلها الا ليتم للواقف على هذه المسألة الاطلاع على آراء بقية المفكرين من الملل الاخرى فيها

(ﻫ) تزعم الفرس ان الجن يسكنون في بلاد تسمى جنستان ويسميها شعراؤهم ارض العفاريت والجنيات ويقولون انها واقعة في الطرف الغربي من افريقية ومنهم من يقول ان مقرهم في جزيرة الحيات في بحر الهند ويصورونهم بهيئة مخيفة بقرون طويلة واذناب وعيون مشقوقة طولا وشعر واقف كذا في دائرة المعارف

(و) قال ولي الدين : يدعي بعض شيوخ الضلالة ورسل البهتان ان لهم تعازيم يستحضرون بها الجن ويجعلونهم تحت تصرفهم ولا يزال لهذه الاضاليل اثر يذكر يتناقله الناس ويعتقدون بصحته اه

(ز) قال الرازي في مقدمة تفسيره في بحث الاستعاذة : هؤلاء الذين يمارسون صنعة التعزيم اذا تابوا من الاكاذيب يعترفون بانهم قط ماشاهدوا اثرا من هذا الجن « قال الرازي » وذلك مما يغلب على الظن عدم هذه الاشياء « قال » وسمعت واحداً ممن تاب عن تلك الصنعة قال : اني واظبت على العزيمة الفلانية كذا من الايام وماتركت دقيقة من الدقائق الا اتيت بها ثم اني ماشاهدت من تلك الاحوال المذكورة اثرا ولا خبرا اه

(ح) ذكر بعض المحققين ان ابليس علم جنس للشيطان معرب ذيافوليس باليونانية ومعناه موقع الخلاف اومطغي اومبعد الانسان عن سبيله ، و يتضمن اسمه معنى آخر في كتب الوحي وهو رئيس الارواح الشريرة « قال » وكان شعراء الفرس الذين ينظمون في الخرافات يصفونه بلون اسود وعينين تقذفان نارا ورائحة كبريتيه وقرون وذنب واظافر معوجة وحافرين مشقوقين اه

(ط) لفظ شيطان عبراني بمعنى مخاصم اومضاد ثم اطلق على روح شريرة غير مرئية تدعو الى المعاصي والآثام « كذا في المرشد » قال الراغب عن ابي عبيدة : الشيطان اسم لكل عارم من الجن والانس والحيوانات « قال » وقد يسمى كل خلق ذميم للانسان شيطانا اه ونقله السيد الزبيدي عنه في تاج العروس شرح القاموس

(ى) قال بعض الافاضل : من الاعتقادات الشائعة ان الجن تسكن بعض الاماكن ولا سيما الخربات والقبور والعيون والآبار والبيوت المهجورة حتى العامرة ايضا فيحتاج اهلها الى الخروج منها وكانوا في الجاهلية اذا ارادوا سكنى دار ذبحوا للجن ذبيحة حتى لاتضرهم وهذا الاعتقاد لتقادم العهد لم يزل باقيا الى الآن في اماكن كثيرة ويرى بعض العامة مرائي واساطير من هذا القبيل ، وماذلك الا اوهام وتصورات تنتج من المخيلة المنطبعة فيها من جري اكثر الاخبار ، آثار لاتمحى الا بكرور الايام ، وانتشار الوية العلم في كل الاقطار بحيث تتمزق حجب الاوهام ،وتأخذ الحقائق مكانها في افكار الانام ، سهل الله سلوك سبيل العلم والعرفان انه الكريم العلام

جمال الدين القاسمي

الاتكال الشرقي

نصيحة غربي

قليل في القارئين من لم يسمعوا باسم المستر روزفلت [1] رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق الذي خدم بلاده اجل خدمة فعد العالم الاجتماعي الاقتصادي والقائد العظيم والسياسي الانساني واعظم ملوك عصره ورؤساء الجمهوريات بلا نزاع

اصل هذا الرجل هولاندي نزل اجداده الولايات المتحدة منذ مائتي سنة وتخرج هو في كلية هارفرد الجامعة وكان قبيل الحرب الاميركية الاسبانية مساعد امين سر وزارة البحرية فلما نشبت الحرب استقال وتطوع في الجيش حتى اذا عاد ظافراً عينته الحكومة والياً على نيويورك ثم معاوناً للرئيس ماكنلي فلما قتل هذا انتخبته الامة رئيساً عليها على الرغم مما كان يكيد له بعض منافسيه في السياسة ثم اعيد انتخابه بعد اربع سنين وهي المدة الانتخابية لكل رئيس جمهورية. ضرب روزفلت على ايدي رجال الاحتكار في الغرب وطأطأت لاقواله رؤوس ملوك الفولاذ والبترول وغيرهم من الاميركان ونصر المستضعفين والفقراء وهاله اجتماع الثروة في ايدي افراد وحرمان سائر الامة منها فقام يضرب على المحتكرين الرسوم الفاحشة ويداوي الاجسام والجيوب بانعاله كما يداوي الارواح والعقول باقواله وله عدة تآليف اجتماعية سياسية ومقالات كثيرة في المجلات والجرائد وهو الذي الف بين جمهوريات الجنوب وجمهوريات الشمال وجعل لبلاده مقاماً سامياً في السياسة الخارجية وحل المعضلة التي كانت استحكمت بين روسيا واليابان فاستحق على عمله جائزة السلام لنوبل وعينه مجمع العلوم السياسية والاخلاقية في باريز عضواً مراسلاً له دلالة على اعتبار اوربا لاعماله

ولما لم يرض المستر روزفلت ان يعاد انتخابه لرئاسة الجمهورية للمرة الثالثة عملاً بالتقليد المأثور عن الرئيس واشنطون وجفرسون رأى ان يهجر البلاد مدة ليخلو الجو للرئيس تافت الجديد فرحل الى افريقية الشرقية ليكمل نفسه في العلم والتجارب ويفيد امته من رحلته حتى اذا عاد الى نيويورك يوسد اليه تحرير مجلة الاوتلوك الاسبوعية

(١) المقتبس م ٣ ج ٧ صفحة ٣٥٨

وهكذا يرجع الرئيس من زعامة خمسة وثمانين مليونًا من البشر الراقي الى رئاسة تحرير مجلة · وناهيك بمنصب العلم من منصب

خطب المستر روزفلت في الخرطوم قاعدة السودان جماعة من طلبة المصريين والسوريين في دار احد مرسلي الاميركان في شهر ربيع الاول ١٣٢٨ — آذار ١٩١٠ وانتقد مايرمي اليه كثير من الشبان في اوربا واميركا وافريقية من الرغبة في التوظف وخدمة الحكومة فاراد هم على ترك الاتكال والعمل في اعمال المعاش على طريق الاستقلال قال :

« فمتى قلت لكم انه يجب عليكم ان تؤيدوا الحكومة لااريد أن يخطر لكم انني اريد من قولي هذا انكم مضطرون الى السعي وراء احراز الوظائف فيها (ضحك) بل ان الامر على عكس ذلك · وارجو بإحضرة الدكتور جفن (رئيس الارسالية الاميركية في السودان) ان الاعمال التي قمتم بها هنا والتي تقوم بها سائر المعاهد العلمية التي لكم صلة بها سترمي الى تلك الغاية · فتذكرون دائمًا ان اعظم الناس خدمة ونفعًا للحكومة هو الرجل الذي يأبى في كل حال ان يشغل وظائفها

أما أنا فلا أريد أن أرى كلية من كليات الارسالية موجهة سعيها الاول وجاعلة غايتها الرئيسة من التعليم مجرد تخريج طلبة لاحراز الوظائف في مناصب الحكومة · بل أريد أن ارى المتخرج مستعداً للعمل باستقلال وبدون اقل اهتمام بأية مساعدة ينالها من راتب يتقاضاه من الحكومة · فان افضل الوطنيين شأناً هو من برع في الهندسة والصناعة والزراعة ومن سوء الحظ ان يقع في الاذهان سواء في اميركا واوربا وافريقية ان الرجل المتعلم يجب ان يجعل غايته الوحيدة اتخاذ وظيفة في خدمة الحكومة · انني ارجو ان يتخرج من هذا المعهد العلمي وامثاله عدد من افاضل الموظفين لخدمة الحكومة في اعمالها العسكرية والملكية ولكن اذا وافقت الاحوال فان موظفي الحكومة بين ملكيين وعسكريين يكونون دائمًا العدد الاقل من المتخرجين · لان الغاية العظمى التي يجب ان ترمي اليها المعاهد العلمية هي تخريج رجال يستطيعون العمل بدون مساعدة ويستطيعون ايضا مساعدة انفسهم وغيرهم وهم في استقلال تام بدون أن تكون لهم اقل علاقة بالحكومة · وهذه مسألة اهتم بها كثيراً هنا اهتمامي بها في اميركا بالذات · · · ·

وفي الختام اقول لاتقعوا في الخطأ الذي يقع فيه الشبان منكم فتظنوا ان تعلمكم قد انتهى بخروجكم من المدرسة اوالكلية · بل اعلموا انكم انما انجزتم نصف العلم فأنتم الآن

في الخمسين من عمري ولو اني توقفت عن تحسين حالي وزيادة معارفي لشعرت ان قد اوشك ان ينتهي نفعي للجمهور

فعلى كل واحد منكم متى خرج من مدرسته ان لا يقول « الآن قد انتهى تعلمي فني وسعي ان اكسل » بل اريد ان تقولوا « قد سهلوا لي وضع اساس قوي للتعليم الناضج وفيما انا اقوم باعمالي سأواصل تمرين نفسي وتعليمها فبدلا من ان تمر بي الاعوام وانا واقف في مكاني اراني اتقدم واصير اكثر كفاءة للعمل واوفر مقدرة على انجاز الاعمال الحسنة »

هذا ماقاله في هذه الخطبة وهو كما تراه يدعو الى الاستقلال في التربية وقال في خطبة له في القاهرة القاها في الجامعة المصرية ابتدأها بالاسف لانه ليس من اهل العلم ليتكلم بالعربية ولو كان منهم لما تكلم الا بها :

« اجتنبوا الباطل والادعاء الفارغ كما تجتنبون التعصب الديني والجنسي والسياسي . ان في كليات اوربا وكليات بلادنا اموراً كثيرة تستفيدون منها ولكن فيها ايضاً اموراً كثيرة يجب اجتنابها . فاقتبسوا عنا ما كان حسناً ولكن انتقدوه قبل اقتباسه حتى تثقوا بأنكم انما تقتبسون ما هو الافضل والاصلح لكم .

واهم من اجتناب التقصيرات التعليمية اجتناب التقصيرات الادبية . فانكم ترسلون الطلبة الى اوربا لكي يدرسوا فيها و يستعدوا لان يصيروا اساتذة . وهذا الاستعداد لازم اذ من الامور الجوهرية ان تكون الجامعة مطابقة على احسن ما يجري في معاهد اوربا واميركا العلمية ولكن ليعتن الشبان الذين يرسلون باقتباس كل ما هو حسن وحميد وواجب لارقى انواع التقدم الحديث وليجتنبوا كل ما كان غير ضروري في تمدن هذا العصر ولا سيما رذائل الامم المتمدنة الحديثة ولتكن اذهانهم مفتوحة اذ من الخطإ العظيم ان تأبوا اقتباس ما رقي به الغرب في مرقاة القوة والعدل والعيشة الطاهرة وان تقضوا به حاجاتكم ولكن من الخطإ العظيم ايضاً ان تقتبسوا ما كان رخيصاً او مبتذلاً اوردياً . ليعلم الذين يرسلون الى اوربا ان فيها اشياء كثيرة يجب ان يتعلموها وأخرى يجب ان يجتنبوها ويرفضوها فليأخذوا الحسن ولينبذوا القبيح .

واعلموا ايها الخلان انه ان كان عندي شيء اقوله لكم فذلك الشيء هو ان الاخلاق اهم من العقول بكثير وانه يجب على كل جامعة عظيمة بالفعل ان تسعى في تربية الصفات التي تكون منها الاخلاق اكثر من تربية الصفات التي تقوم بها العقول المثقفة . نعم انه

ما من رجل يبلغ الطبقة العليا بين الرجال اذا لم يكن عاقلاً ذكياً بنفسه ولم يكن مثقفاً بعقل وذكاء اذ التثقيف لازم كالذكاء ولكن الذكاء وحده لايجدي مالم يسترشد بقلب مستقيم ومالم تكن وراءه قوة وشجاعة · فالآداب والحشمة والعيشة الطاهرة والشجاعة والمروءة واحترام الانسان لنفسه كلها صفات اهم في تربية الامم من ذكاء العقول فاجعلوا هذه الجامعة بحيث تساعد امتكم على ارتقائها دواماً ·

واحذروا خصوصاً من نقص واحد في التربية الغربية فقد كثر الميل في مدارس الغرب العالية الى تعليم الشبان حتى يكونوا رجال علم وادب ورجال صناعات وموظفين في وظائف رسمية كأن لاتربية حقيقية غير التربية العلمية ولذلك سررت غاية السرور بانكم شرعتم في انشاء المدارس الصناعية والزراعية في مصر اذ التربية العلمية نوع واحد من انواع التربية المختلفة وليس من الحكمة ان يقتصر عليها وحدها سوى جزء قليل من اهل كل البلاد · اما بقية الامة فيجب ان تستبدلها بغيرها وتمرن على اعمال أخرى · ان سمو الخديوي في اعماله الكثيرة التي تتناول جميع وجوه العيشة المصرية اظهر حكمة عالية وبعد نظر وادرك حاجات بلاده بما يظهره من الاهتمام بترقية زراعتها وتحسين الزرع والضرع ·

فهذه البلاد كسائر البلدان تحتاج الى عدد معين من الرجال تؤهلهم تربيتهم الانقطاع الى العلم او التعليم في المدارس او تقلد مناصب الحكومة · ولكن ليس من مصلحة بلاد ما ان ينصرف الى هذه الامور سوى جزء صغير من ذوي العقول الكبيرة فيها ·

ويجب ايضاً ترقية الميل الى الصنائع وتمرين الاهالي حتى يحسنوا الزراعة وينبغوا فيها كما ينبغ امهر المحامين والموظفين وحتى يخرج منهم المهندسون والتجار واصحاب الاعمال الاخرى التي لاغنى عنها في بلاد عظيمة متمدنة ·

ان وجود سياسي شجاع مستقيم بعيد النظر مفيد في كل بلاد ولكن فائدته توقف خصوصاً على استطاعته التعبير عن مشيئة امة وللسياسي النصيب الاصغر في قيامتها وللتاجر والزارع والمهندس واهل الفنون الاخرى النصيب الاوفر · كل امة لايكون لها من القادة الا الكتبة والساسة والمحامون لم تدرك شأواً يستحق الذكر · فأساس الحياة الصحيحة في كل بلاد واجتماع انما هو الرجال الذين يعملون الاعمال المختلفة من حراثة وصناعة وتجارة ولا فرق بين ان يشتغلوا بايديهم او بعقولهم · وخير للانسان

ان يشتغل برأسه ويديه معاً فهؤلاء هم الذين يعملون الاعمال الكبرى في حياة المجموع وما المشتغلون بالعلوم والمعارف والسياسة وا تقانون وموظفو الحكومة سوى مكملين لهم ·

عَلَى ان الامر المهم ان يقوم العمل على الامانة والكفاءة مهما يكن مركز العامل من أكبر كبير الى احقر حقير · وما اقوله هنا عَلَى ضفاف النيل هو نفس ماقلته عَلَى ضفاف انهر الهدسون والمسيسبي والكولمبيا ·

واذكروا دائماً انه لا الفرد ولا الشعب يتربيان التربية الجوهرية بمجرد فعل يفعلانه وانما يتربيان بطريقة تتعاقب فيها الافعال كطريقة النمو فانك لاتجعل الانسان متربياً ومتعلماً تعلماً حقيقياً بمجرد اعطائه دروساً معينة وكذلك لاتجعل امة صالحة لان تحكم نفسها بنفسها بمجرد اعطائها دستوراً عَلَى الورق · بل تربية الفرد وتعليمه حتى يصير صالحاً للعمل في العالم تستغرقان اعواماً طويلة وهكذا تربية الامة واعدادها حتى تنجح في قضاء واجبات الحكومة الذاتية لا يتمان في عشر سنوات او عشرين بل يلزمهما اجيال متعاقبة »

وخطب ايضاً تلميذات كليات البنات الاميركية في القاهرة فقال :

« لاتقوم امة في العالم ابداً اذا لم تكن فيها المرأة قادرة على القيام بعملها بجدارة واهلية مثل الرجل وانه من العدل ان تفهم وهي في حداثة السن في مدرستها وتعلم كيف يجب ان تنشأ وترتقي كما يرتقي الرجل ومن الواجب ان لاتتعلم العلوم فقط بل ان تعرف كل ابنة كيف تؤدي اعمالها واشغالها

اني افتخر بكل مدرسة لاتقتصر على تلقين العلوم بل تعلم العمل ولا أشك في ان تلميذات هذه المدرسة متى صرن صاحبات بيوت يبرهن عَلَى اقتدارهن عَلَى ان يقمن في بيوتهن كما تقوم نساء الارسالية في بيوت رجالهن

يسرني جداً في هذه المدرسة انها تعمل عَلَى قاعدة التسامح الديني · يسرني جداً ماعلمته من ان ثلث تلميذات هذه المدرسة مسلمات والثلثين مسيحيات واسرائيليات ومن طوائف اخرى

اود الآن ان اتكلم عن المدارس عامة لما جئت الى مصر من زمن بعيد لم تكن الحالة كما هي الآن انني لااقدر ان اصفها تماما ولكن اتذكر منها مايجعلني مع المقابلة ارى الآن النجاح والتقدم العظيم · انني شاهدت الآن بيوتاً وترتيباً ومعيشة لم اشاهدها حينئذ · رأيت في بيوت عديدة مادلني على ان الزوجات والامهات اللواتي فيها قد كن تلميذات في مثل هذه المدرسة او انهن عاشرن معلماتها والمتعلمات فيها

انني في كلامي عن المدارس لا أخصص جنساً منها بل امتدح كل المدارس على اختلاف نزعاتها وصفاتها والقائمين بالعمل فيها ولا اقول انه توجد مناظرة بين هذه المدارس او انني اكره المناظرة في هذا السبيل بل اقول انني ارجو الخير لجميعها اذا كانت تعمل وهي ولاشك تعمل لخير المصريين »

هذا ماقاله العلامة المشار اليه وهو كما تراه يرمي الى الاستقلال وينفر الناس عن الاتكال اذ قد عز عليه ان يرى شبان الشرق يقلدون بعض شبان الغرب في مكاسبهم ومعايشهم فيصبحون عالة على الحكومات يرزقون من خزائنها مختارين في عملهم الراحة على السعي والكسل على المضاء والتضييق على الانطلاق والاتكال على الاستقلال فتخرب البلاد باهمال ابنائها لها ويفتحون بايديهم ابواب بيوتهم للدخلاء والغرباء وتترك خيرات الارض لمن يقوم على تعهدها واستثمارها واستنباطها

من طبيعة المرء ان يحب العيش المضمون المريح وليس احسن من الوظائف في هذا الباب تضمن معاش الانسان في حياته وبعد مماته فيتدرج في سلسلة المراتب ولاسيما اذا كان على شيء من المعرفة المكتسبة والجربذة والدهاء ومعرفة المدخل والمخرج في نيل رضى رؤسائه بحيث يكون كالآلة في ايدي محركها ولا يطلب من الآلة الا تنتظيم سيرها فان نطقت هي وسألت عن السبب كان للموظف ولاسيما اذا كان صغيراً ان يسأل عنه . يكفي في مضار التوظف في الحكومات انها تسلب الارادة ومن سلبت ارادته فنيت نفسه ومن فنيت نفسه كان كالميت لا يتحرك الا اذا حرك . وان امة يرضى نوابغ ارباب الذكاء فيها لانفسهم ان يكونوا بلا ارادة ولا شخصية ولا استقلال جديرة بالضعة والمقت والفقر والخمول واذا حاز النبهاء هذه الصفات السيئة فاولى ان يكون حظ الخاملين اتعس . ولا رجاء لعامة ضعف خاصتها عن تعهد امرها .

من اكبر الدواعي في تراجع عمران البلاد العثمانية والمصرية انه وقر في النفوس مع الزمن ان من لم يخدم الحكومة لا يعد من الاشراف ولا من ارباب المكانة والرأي والوجاهة . وان كل مروءة وحكمة وعقل وعلم ورفعة وقف على الموظفين ومن لم يحنك بالحكومة كان وضيعاً مهما رفعه مقامه وشرف آبائه وجدوده وجده ومضاؤه وحنكته ودربته ومعرفته وثروته

هذا الخلق من طبيعة الحكم الاستبدادي وكم رأينا بيوتاً خربت لان اربابها عز عليهم الا ان يجاروا بيوتاً اخرى كانت منافسة لهم في التسابق الى دواوين الحكومة

ففقلوا عن تجارتهم وزراعتهم المشروعة المعقولة وتعلقوا بالتافهات من خدمة ارباب الحكم فما استفادوا بقديمهم ولا احسنوا تلقف حديثهم . واكثر مايكون هذا الخلق ظهوراً الآن في سكان العواصم مثل الاستانة والقاهرة ودمشق وحلب فترى كثيرين من اهلها كالحلمة الطفيلية ينتظرون نقل احدهم اواستقالته اوموته حتى يخلفوه في مكانه

ان اقوال المستر روزفلت حرية بان يجعلها اهل هذه البلاد رائداً بين ايدي اعمالهم ومهمازاً لهم في اقوالهم وافعالهم . ان انصراف وجوه الناس كلهم نحو التوظف قد عطل في بلادنا القوى المعنوية والمادية وغادر القوم كاعجاز نخل خاوية تركوا موارد الثروة الحقيقية وراحوا زرافات يطرقون ابواب الحكومة وما هي بمغنية رعاياها كلهم وهم هم مادة حياتها وبغناهم تغنى وبشقائهم تشقى .

لا يتعلم المتعلم منا من اهل الطبقة العالية والوسطى والدنيا الا ليكون ضابطاً اوقائمقاماً او موظفاً في الاقلام او من رجال القضاء وقليل جداً من يريدون ان يتعلموا ليستعدوا لانجاح تجارتهم وزراعتهم وصناعتهم ولاسيما من اهل الاسلام الذين حصروا آمالهم في الحكومة في كل دور من ادوارهم ولذا قلما رأينا ابن تاجر منا علمه ابوه على الاسلوب الجديد حتى يكون كتجار الافرنج بتعليمه وتجاربه ويعود عليه القرش قرشين بدل ان يعود قرشه بيارة .

طف مخازن القاهرة والاستانة وازمير وسلانيك والاسكندرية وبيروت واسأل عن تراجم اربابها واجناسهم فهل ترى فيهم الا افرنجاً او غير مسلمين من اهل البلاد .

واذا وقع لك ان صادفت تاجراً مسلماً فيكون في الاكثر غريباً عن تلك المدينة او انه احوج الى التعلم في عمله من اصغر تاجر من اولئك التجار ارباب الاموال الطائلة والمعرفة الواسعة .

تجوّل في القرى وافحص المزارع هل تجد لمسلم وطني مزرعة نجحت بسعيه كما نجحت مستعمرات الالمان في فلسطين والفرنسويين في البقاع ومستعمرات الطليان والروم والارمن في مصر واذا رأيت مسلماً اخصبت تربته على سبيل الاتفاق فابحث عن السبب تراه اهتدى الى استخدام اناس ممن تربوا على غير طريقته وعرفوا في الامور الدنيوية من اين تؤكل الكتف .

وابحث عن صناعات البلاد هل تراها كل يوم الا ترجع القهقرى لان اربابها جمدوا على ماتعلموه من آبائهم ولم تحدثهم انفسهم في تقليد الراقين من صناع الايدي ولانك

لا تجد في الالف منهم واحداً يعرف ما يقتضي لنجاحه من الاسباب واي الطرق سلكها الغربيون حتى بزوا بمصنوعاتهم مصنوعاتنا ويوشكون ان يقضوا عليها قضاء ابدياً ·

كل هذا نتيجة الكسل والاعتماد على الحكومة في الرزق والبلاد لا ترتقي الا بالمسلمين في المملكة العثمانية لانهم الجمهور الاعظم من السكان ومنهم جلّ رجال القضاء والادارة وارباب الاملاك والاراضي ولا سبيل الى ارتقائها الا اذا ارتقوا هم انفسهم ان لم يكن اكثر من مواطنيهم فلا اقل من ان يكونوا على مستواهم · ونظن هذا التصريح جارحاً ولكنها هي الحقيقة لا تدليس فيها ولا دهان ·

ان كل ما كان الموظفون يجمعونه من دماء الامة لم يثمر لهم الثمرة الجنية لانه مال حرام اثام من غير طرقه المشروعة من كد واقتصاد فلم نر ثروة تسلسلت في اعقاب الموظفين الى جيلين الا نادراً وكثيراً ما كان يفتقر الموظفون في حياتهم ولولا رواتب التقاعد لرأيت اعظم الموظفين في السنة التي يضطرون فيها الى ترك وظائفهم فارغة ايديهم من مال يعتاشون به ولو كانت مشاهراتهم تعد بعشرات الليرات ·

هذا من حيث المال اما عن سلب حرية الموظفين فحدث ما شئت ان تحدث ولولا ان العادة تسهل الاشياء لقضي على اكثر الموظفين في سن الكهولة لكثرة ما يلقون من عنت رؤسائهم وتضييق وجداناتهم وكم من ذكاء ذهب سدى لان صاحبه لم يستعمله بل حصره في دائرة ضيقة من عمل اصبح له شيئاً معروفاً في بضعة اشهر وقضى عمره وهو يبيض ويسود ويحاسب في موضوع لا يكاد يتعداه ·

ان التوظف عمل من اعمال الناس لا يصح ان يترك والا فمن يدير شؤون البلاد ولكن لا يجب التهافت فيه كما نراه يتزايد اليوم بعد اليوم فالام التي كانت تفرح ابنها فيما غبر وتقول له ان شاء الله اراك باشا ينبغي لها ان تربيه مع ابيه على ان يكون بعد اليوم ممتازاً في حرفة من الحرف او صناعة من الصناعات فقد جربت الامة ورأت من افلاسها مالا ينكره عاقل لانه لم يتعلم منها احد الا ليكون من المستخدمين · كأن خيرات الارض والسماء لا تتدفق الا على من ينصب نفسه وجسمه للجري على ارادة غيره لينال بزعمه رزقه هنيئاً ·

انا والله مع احترامنا لكل موظف امين يخدم الامة بصدق ويقبض راتبه بعرق جبينه لنفضل عليه من يتجر بالسواد لتعمر به الارض ومن يخرج الحجارة من المقالع ويعتمد على خالقه وعمله في معاشه على فرد ينسى كل شيء ويتجرد عن كل شيء ليقال عنه انه موظف ·

نزل مصر بعض المتعلمين من السوريين منذ عهد الخديوي اسمعيل وقبله واخذوا بما فيهم من النشاط والقوة والمعرفة يتولون الوظائف و ينافسون فيها المصريين في بلدهم فبقيت ارزاقهم محدودة ولم يخرجوا عن كونهم مستخدمين يصرفون في آخر شهرهم كل ماقبضوه في اوله · ولما صعبت الحكومة المصرية وصول غير المصري الى تولي الوظائف بالقانون الذي سنته على عهد الوزارة الرياضية حول السوريون وجلهم مسيحيون وجهتهم الى التجارة والزراعة فماذا كان من اثر ذلك عليهم ؟

كان منه ان اصبحوا يتكلون على عملهم وكدهم و يبتاعون الاطيان البائرة في القطر المصري فيعمرونها بنشاط ومعرفة و يتجرون بمصنوعات البلاد ومصنوعات اوربا و يتوفرون على تنمية اموالهم بطرق اقتصادية حتى لم يمض عقد اوعقدان من السنين الا وقد اصبح ابناء سورية النازلون في مصر اغنياء بعد الحاجة موسعاً عليهم غب الضيق يملكون القصور الباذخة و يتمتعون بالعيش الخضال حتى قدر احد العارفين ثروة السوريين في مصر بخمسين مليون جنيه اي بعشر مجموع ثروة مصر · ولو ظلوا راضين كلهم بالدون من المعاش لما جمعوا واحداً من مئة من هذه الثروة الطائلة ولا يكون مايجمعونه الا من التقتير والشح وكذلك فعل المسيحيون في البلاد العثمانية لما قطعوا آمالهم من الحكومة فباتت اعمال المعاش المهمة كما تقدم بايديهم ودرت عليهم اخلاف السعادة ولو قلدهم سائر العثمانيين في هذه الخطة الشريفة لخلصنا من الاشكال الذي لم تبله امة من الامم في سالف القرون والاجيال

قال الجاحظ في رسالته مدح التجار وذم عمل السلطان : وهذا الكلام لاينجم من حشوة اتباع السلطان فاما عليتهم ومصاصهم وذو البصائر والتمييز منهم ومن فيقته الفطنة وارهفه التأدب وارهفه طول التفكر وجرى فيه الحياء واحكمته التجارب فعرف العواقب واحكم التفصيل و ينطق (؟) غوامض التحصيل فانهم يعترفون بفضيلة التجار ويتمنون حالهم ويحكمون لهم بسلامة الدين وطيب الطعمة و يعلمون انهم اورع الناس ابداً واهنأهم عيشاً وآمنهم سرباً لانهم في افنيتهم كالملوك على اسرتهم يرغب اليهم اهل الحاجات و ينزع اليهم ملتمسو البياعات لاتلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا تستعبدهم الضرع لمعاملاتهم وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته فان اولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملق وقلوبهم ممن هم لهم خول مملوءة قد لبسها الرعب والفها الذل وصحبها ترقب الاحتياج فهم مع هذا في تكدير وتنغيص خوفاً من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب وتغيير الدول

واعتراض حلول المحن فان هي حلت بهم وكثيراً ماتحل فناهيك بهم مرحومين يرق لهم الاعداء فضلاً عن الاولياء فكيف لا يميز بين من هذا ثمرة اختياره وغاية تحصيله وبين من قد نال الوفاء عنه والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الاثراء وقضاء اللذات من غير منة لاحد ولا منة يعتد بها وكم بين من هو من نعم المفضلين خلي وبين من قد استرقه المعروف واستعبده الطمع ولزمه ثقل الصنيعة وطوق عنقه الامتنان واسترهن بتحمل الشكر الخ

ملك الانكليز وامبراطور الهند(١)

اذا كان فراق هذه الدنيا تزداد صعوبته بزيادة اقبال الحظ وسعادة الطالع عَلَى المرء فالملك ادوارد السابع اولى الخلق بكراهة الموت وحب البقاء . وان كان بلوغ الاماني وحصول الرغائب وازعاً للمرء عن التشبث بحبال الحياة ومفضياً به الى القناعة من الدنيا والاكتفاء من لذائذها وحب الرحيل عنها فهذا العاهل الكبير اجدر الناس عَلَى الاطلاق بالملل من العمر والازدراء باطايب الحياة .

وذلك لانه عاش عمراً مفعماً بالحوادث العظيمة ومملوءاً بكل ما اشتهته نفسه وطاب به قلبه وتمتع بجميع ما تتطلبه الاميال البشرية وتهنأ به النفوس . فقد كان قبل ان ارتقى الى العرش البريطاني في ٢٢ كانون الثاني ١٩٠١ منصرفاً الى ما يلذه من السياحات والمذاكرات والمشاغل الخاصة غير متحمل عناء السياسة ولا متعرض الى ما لا يعنيه من شؤونها فكان يكثر من مخالطة العلماء ومفاوضتهم في الفنون التي اولع بها ويحضر الحفلات العلمية ويسمع الخطب ويقرأ المقالات في العلوم الطبيعية ويطالع الجرائد السياسية ويقف على آراء الزعماء ومطالب الاحزاب واغراضهم ويعي ذلك في صدره لينتفع به عند الحاجة ويتلهى بالخروج الى الصيد في اوقات الفراغ والسياحة في اوربا وقد كان مولعاً بمدينة باريس جعلها موضع طربه ومقر صفائه واكثر من اتيانها والالهو فيها حتى اتهمه الناس بالمجون والطيش وحسبوا انهماكه في الملذات وقيامه على صفاء العيش وخلو الذهن من المشاكل يجعله ضعيفاً في ادارة الشؤون السياسية قاصراً عن النهوض باعباء الملك عند انتدابه اليه .

درس العلوم العالية في جامعة كمبردج وجامعة اكسفورد ونال منهما رتبة دكتور في

(١) مقتبسة من المقتبس اليومي

الشرائع ووجهت اليه درجات علمية سامية من المدارس الكبرى في بريطانيا ومستعمراتها وعين قائداً في الجيش البري واميرالاً في البحرية الانكليزية وانتخبه الماسون رئيساً اعظم للمحفل الانكليزي وكان غيوراً على هذه الجمعية مؤيداً لمبادئها حافظاً لقوانينها حتى صار له في العالم الماسوني مقام جليل ومنزلة سامية . وقد زار سورية سنة ١٨٦٢ وجال في مدائنها وتفقد آثارها كما ساح في غيرها من بلاد الشرق والغرب مثل الهند ومصر وكندا والولايات المتحدة وغيرها وتعرف باكثر ملوك الدنيا قبل وصوله الى العرش واضطلع بالسياسة الخارجية ودرس طبائع الاقاليم والشعوب وكان ينوب عن والدته الملكة فكتوريا في اكثر الاحتفالات الدولية والجمعيات العلمية والخيرية .

افضى اليه صولجان الملك بعد وفاة والدته فطرح اللهو جانباً وانتقل من دور التأهب الى دور العمل وقد كان عندئذ الاضطراب سائداً والتلبك مستولياً في دوائر انكلترا السياسية بسبب الحرب الناشبة في جنوبي افريقية مع الترانسفال وان كان النصر قد انبلج للانكليز وتوثقوا من استيساق الامر لهم في تلك الناحية فعمد الى سياسة اللين والرفق وغير خطة العنف التي كانت تنويها حكومته مع ذلك الشعب فاباح لهم الامن والاستقرار في منازلهم ووزع عليهم الارزاق والحقوق حتى اخلدوا الى السكينة والهدوء ورتبت الشؤون في بلاد الراس على اسلوب مهد لانكلترا ثبوت القدم على نصف قارة افريقية من جهة الجنوب واقامة دولة انكليزية في تلك الاقاليم تضارع دولتها في الهند

ثم فكر بوسيلة للاطمئنان من جهة هذه الدولة الضخمة وايصالها من منابع النيل الى مصبه ومازال يدبر ويمهد حتى وفق الى عقد الاتفاق الودادي مع فرنسا واطلق يد انكلترا في وادي النيل فاصبح البأس الانكليزي مشتملاً على القسم الاعظم من قارة افريقية من الاسكندرية الى رأس الرجاء الصالح . وهذا الاتفاق الذي الف به ادوارد السابع بين الانكليز والفرنسيس هو اعظم عمل قام به في حياته واحسن مااستفادت به انكلترا في القرن الماضي خصوصاً وقد كان عقده في اثناء الحرب اليابانية في الشرق الاقصى عند ما كان يخشى من ان تسعى فرنسا بتأليف حزب كبير في اوربا لمناصرة روسيا واضاعة انتصارات اليابان

في ايامه شذبت اليابان قنادة الروس في الشرق الاقصى وكفكفوا غائلتهم الى الوراء في منشوريا وبلغت السياسة الانكليزية في ذلك اوجها الاعلى بانكسار شوكة روسيا والطمأنينة من تعاظمها وتعاليها في الشرق فامنت على الهند منها وتحققت ان هذا القلق

قد خمدت جمرته وبردت ثائرته فلا يتحرك قبل اواسط القرن العشرين ·

وفوز السياسة الانكليزية في الشرق الاقصى اقنع اوربا قاطبة ان انكلترا هي صاحبة الكعب الاعلى والمقام الاول وهي الخصم الذي لا ينازع والقرن الذي لا يدافع فتزلفوا اليها بالمودة وتلطفوا بخطبة مودتها والتقرب منها حتى ان روسيا نفسها التي تحملت الضربة الكبرى اغتفرت لها الذنب وتناست ما للانكليز من اليد في تعزيز شأن اليابان ومعاضدتهم في تلك الحرب ومالت الى مصانعتهم واسترضائهم والفضل الاكبر في هذا النفوذ كان للملك ادوارد الذي ادار دفة السياسة بيده واهتم بتدبير الامور على هذا المنوال ·

ومن غرائب الاتفاق ان السنوات التسع التي كان فيها هذا العاهل على العرش البريطاني لم يظهر في اثنائها رجال بين ساسة الانكليز مثل الذين ظهروا على عهد والدته بالاقتدار والحنكة والدربة فلم يكن لديه مثل غلادستون وسالسبوري وبيت وبكنسفيلد وبلمرستون وغيرهم فكان الحمل عليه ثقيلاً والتبعة عظيمة واخذ على عاتقه استنباط الاساليب واختراع المذاهب السياسية ومال الى سياسة السلم والرفق فزار اكثر ملوك اوربا ورؤساء حكوماتها والف بين القلوب واصفى الود لاعدائه وعقد معهم عهود المودة والاخلاص وصارت انكلترا التي كانت بالتقاليد الاوربية القديمة متهمة بالاعتزال والانفراد والكبرياء ومكروهة من الشعوب اقرب الاقوام مودة واعلقهم بقلوب الام ·

فهو اول ملك انكليزي زار قياصرة الروس في عاصمتهم واول من انتزع سخائم البغض والعداوة الراسخة بين الانكليز والفرنسيس · وقد تعاصى عليه استجلاب ابن اخته امبراطور المانيا باللين والصداقة فاألب عليه جيرانه وكاد يخرج ايطاليا من المحالفة الثلاثية ويفرد الدولة الالمانية وحدها بين الممالك الاوربية

اما علاقة الملك ادوارد بدولتنا وسلطاننا فقد كانت في دور الاستبداد اقرب الى العداء منها الى الصداقة وقد صرح مراراً في مفاوضاته السياسية انه يتمنى الخير للدولة العلية غير انه يائس من اصلاحها ويحسبها عضواً فاسداً في العالم المتمدن ولذلك لم يكن نصيراً للدولة الحميدية في نكباتها ولا اعانها في ويلاتها الكثيرة بل ربما شذ في بعض مآزقها ومهد السبيل الى ندور بعض الولايات عنها فكانت له اليد الطولى في استقلال كريت ورغب في اخراج مكدونيا من الوحدة العثمانية متبعاً بذلك سياسة غلادستون الذي كان يرى الحزم بتقسيم الدولة العثمانية الى ممالك صغيرة حرصاً على السلم العام وصفاء بال العناصر من المشاكل الحميدية

ثم لما تبيّن الرشد من الغي وانتصر الحق على الباطل بظهور الاحرار على الاشرار واعلان الدستور في البلاد العثمانية كان الملك ادوارد اشد الاجانب فرحاً بهذا الانقلاب واكثرهم مظاهرة لحكومتنا الجديدة الحرّة فوقف في وجه المانيا وعرقل دسائسها في البلقان وصرف نفوذه وقوة دولته العظيمة في استمالة الرأي العام في اوروبا لجهتنا وتسكين القلاقل في الروم ايلي وحال دون امنية الاعداء الذين حاولوا الحاق جزيرة كريت بحكومة اليونان وقد أثر عنه كلام كثير في مواقف متعددة نشط فيه حركتنا الدستورية وتمنى لنا الخير والاقبال وتوسم فينا التقدم والفلاح وكان اول من اقرّ بين الملوك على خلع عبد الحميد بما هنأ به السلطان محمد رشاد من عبارات الود والاخلاص وقد اشتدت عزائم احرارنا بمظاهرته لهم وتصريحه بالسرور والاستبشار بما قاموا به من النجدة والحمية

واهتم ايضاً بحل مشاكل بيننا وبين ايران وحمل روسيا على مما لأته لتوطيد العدل واعلان الدستور في بلاد فارس

هذه اهم الاعمال السياسية التي قام بها الملك ادوارد السابع مدة ملكه القصيرة وجميعها عائدة على امته بالخير والنجاح وعلى العالم بالفضل والاصلاح حتى لقبه الاوربيون بصانع السلام واعترفوا انه رئيس السلم والداعي الى الوئام والوفاق وحامي الحرية والعدل ينضوي تحت رايته نحو مئة مليون من المسلمين في الهند وجزائرها وجنوبي افريقية والسودان والصومال وغيرها وقد كان يحب هؤلاء المسلمين من رعاياه ويعدهم اخلص الشعوب لعرشه واعلقهم به حباً وقد اسفوا على موته وحفظوا له ذكراً حميداً

لا يجادل احد في ان الملك ادوارد كان ارحب الملوك صدراً واوسعهم فضلاً ومن اكثرهم علماً واعرضهم جاهاً واسلمهم قلباً واصفاهم وداً . وقد اشتد حزن شعبه عليه ولم يجد سبيلاً للعزاء سوى ما يؤملونه من ان ابنه وولي عهده ينسج على منواله ويحذو حذوه في السياسة بهذه الايام التي يشكو فيها الانكليز من قحط الرجال في عواصمهم .

ولد ابنه الملك جورج في ٣ حزيران سنة ١٨٦٥ فهو اليوم في الخامسة والاربعين من عمره وتبوأ التخت الانكليزي منذ اسبوع وليس له من الشهرة وسعة الاطلاع ما كان لوالده قبل بلوغ الملك فهو اقرب الى العلم منه الى العروش واشد ولعاً بالمطالعة والدرس منه بالتمرسات السياسية وقد صرف معظم حياته الماضية بين الكتب وفي الاندية العلمية وملاحظة المعاهد الخيرية . على ان القوم يتوقعون منه اعمالاً عظيمة ويحسبون ان عقله الكبير الذي اجاد في مجال العلم والتفكير لا يقصر في ميدان السياسة والتدبير

فارس الخوري

مصطلحات آلات الطرب واغاني العرب

كل من طالع كتاب الاغاني وبعض كتب الادب القديمة التي تذكر الغناء وانواعه وآلات الطرب وملاهيه يقع على الفاظ ثمينة اصطلاحية اذا نقر عنها في دواوين اللغة ومعاجمها المطولة لايرجع عنها الا بما رجع به حنين . ولقد حاول المستشرقون غير مرة البحث عنها في الكتب الادبية التي أُلفت في الصدر الاول من عصر زهو اللغة فلم يعثروا على ضالتهم كما لم يعثر عليها ادباء الشرق وعلماؤه . وقد وفق العاجز في هذه الآونة الى وجود الضالة نهباً في كتاب مخطوط كنت قد وصفته في المقتبس ٢ : ٢٨٢—٣٨٦ وعنوان البحث في كتابنا المذكور هو : « العود ومصطلحاته » وها نحن اولاء ننقل الى الادباء قراء المقتبس الاغر ما جاء من البحث تعميماً للفائدة وتقشعاً لشوكة الجهل الناشبة في اذهاننا من هذا القبيل . قال صاحب الكتاب : « العود ومصطلحاته » في الصفحة ٢٢١ من المخطوط وما يليها

كثيراً ما كنت اطالع في كتاب الاغاني الفاظاً في مصطلح الغناء وما كنت اتوصل الى فهمها حتى ظفرت اخيراً برسالة لعبد القادر بن غيبي الحافظ المراغي المشهور بعلم الالحان فاخذت عنه ما يتعلق بفتح مغلق الكلام الخاص بهذا العلم فاقول :

اعلم ان الالفاظ الواردة في كتاب الاغاني تتعلق كلها بالعود العربي فاذا علمت تركيب هذه الآلة هان عليك فهم ما اشكل عليك من مصطلحها فهذه الآلة طولها مثل عرضها مرة ونصفاً وغورها كنصف عرضها وعنقها كربع طولها في الراحة وثخن الورقة من خشب خفيف ووجها اصلب وتمد عليه اربعة اوتار اغلظها البم بحيث يكون غلظه مثل المثلث الذي يليه مرة وثلثا . والمثلث الى المثنى كذلك . والمثلث مثل الزير كذلك وقدضبطوها بطاقات الحرير فقالوا :

يجب ان يكون البم اربعاً وستين طاقة . والمثلث ثمانياً واربعين والمثنى ستاً وثلاثين . والزير سبعاً وعشرين . ويجعل رؤوسها من جهة العنق في ملاوٍ والاخرى كشط فتتساوى اطوالها . ثم يقسم الوتر اربعة اقسام طولاً ويشد على ثلاثة ارباعه مما يلي العنق وهذا دستان الخنصر . ثم ينقسم الآخر تسعة ويشد على تسعة مما يلي العنق وهذا دستان السبابة . ثم يقسم ماتحت دستان السبابة الى المشط أتساعاً متساوية ويشد على التسع مما يلي المشط ويسمى دستان البنصر فيقع فوق دستان الخنصر مما يلي دستان

السبابة . ثم يقسم الوتر من دستان الخنصر مما يلي المشط ثمانية اقسام وضعف اليها جزءاً مثل احدها مما بقي من الوتر وشده فهو دستان الوسطى ويكون وقوعه بين السبابة والبنصر. فهذه الاصطلاحات هي المصححة للنسب فاذا جذب وترمنها الى غاية معلومة سمي الزير فيجذب المثنى على نسبة تليه في الانحطاط وهذا مع الجنس بالخنصر والضرب حتى يقع التساوي .

فالزير كعنصر النار في الطبع والتأثير . والمثنى كالهواء والمثلث كالماء والبم كالتراب . فانطبق على الاخلاط والامزجة افراداً وتركيباً . ويقوى مايكون على الاخلاط من سجايا وامراض وامكنة وازمنة حتى قيل ان لطف النار مثل لطف الهواء مرة وثلثا . وهكذا الهواء بالنسبة الى الماء والماء الى التراب كما مر في الاوتار واماوضعهم هذه الاوتارحتى جعلوها ثمانية فلما مر بك من انها اول مكعب مجذور لان الارض كذلك فشاكلوا بذلك مزاجها . وقد قيل ان هذه النسبة مستمرة الى الفلك . فان قطر الارض ثمانية والهواء تسعة والقمر اثنا عشر وعطارد ثلاثة عشر والزهرة ستة عشر والشمس ثمانية عشر والمريخ احد وعشرون ونصف والمشتري اربعة وعشرون وزحل سبعة وعشرون واربعة اسباع والثوابت ثلاثون ولان الثمين داخل في اشياء كثيرة منها تضاعف المزاج والطبائع وبالجملة قد اختلف ميل طوائف العالم الى مراتب الاعداد كما عشقت الصوفية الواحد فطوت الاشياء فيه والمجوس الاثنين والنصارى الثلاثة واهل الطبائع الاربعة واهل الاوفاق الخمسة والهندسة الستة والحكماء الفلكيون السبعة فالذهن من حيث هو يستحسن النسب حتى اذا برزت الى الخارج زادت النفس بسطاً فان الكتابة تحسن بمناسبة حروفها استقامة وتدويراً وغلظاً ورقة واستدارة ولو بمجرد الانحناء فقد قيل ان الحروف كلها وان اختلفت بحسب الامم لاتخرج عن خط مستقيم ومقوس ومركب منهما .

ثم قوانين الغناء لاتخرج عن ثمانية . (ثقيل اول) ورسمه :

تنْ تنْ تنْ . تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من تسع نقرات هي ثلاث متواليات وواحدة كالسكون فخمس مطوية الاول . (وثقيل ثان) وهذا رسمه :

تنْ تنْ تنْ . تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من احدى عشرة وهي ثلاث متواليات فواحدة ساكنة فثقيلة فاربع مطوية الاول (وخفيف الثقيل الثاني) ويسمى

الماخوري وهذا رسمه : تنْ تنْ تنْ تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من ست ثلاث متواليات فسكون ثم ثلاث . (ورمل) ويسمى ثقيل الرمل وهذا رسمه :

تنْ تنْ تنْ . تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من سبع وهي : ثقيلة اولى فمتواليتان فسكون وهكذا الى آخره (وخفيفه) وهذا رسمه :

تنْ تنْ . تنْ تنْ . تنْ تنْ .تنْ تنْ .

وهو مركب من ثلاث نقرات متوالية متحركة (وخفيف الخفيف) ورسمه :

تنْ تنْ تنْ . تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من نقرتين بينهما سكون قدر واحدة (وهزج) ورسمه :

تنْ تنْ تنْ تنْ . تنْ تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من نقرة كالسكون ثم سكون قدر نقرة ثم بين كل اثنتين سكون فهذه اصول التراكيب وانما تكرر بحسب استيفاء الادوار .

(فالسلي) بالتشديد نسبة الى المسلة من آلات الخياطة وتسمى هذه وما بعدها (الاجناس المركبة) وهي كثيرة لكن تعود الى اصول منها على التاسع ثمانية : احدها وهو المسلي سمي بذلك لرقة مدخله وغلظ وسطه و بدل على اجتماع الاخلاط في الصدر والشراسيف والقلب وكال الربو والديلات وامتلاء المعدة ويعرف به تحرير الخلط من باقي البسائط وهو سهل .

وثانيها المائل وهو عكسه هيئة ودلالة

وثالثها الموجيُّ وهو المختلف الاجزاء تدريجًا بحيث يكون الاعظم الخنصر و يظهر اختلافه عرضا فيشبه الامواج ومنه اسمه وهو يدل على فرط الرطوبة والاستقاء الزقي واللحمي وذات الرئة وغلبة الامراض البلغمية .

ورابعها النملي سمي بذلك لدقته وضعف حركته ويقع في رابع الحارة فيدل على الموت في الخامس و بعد الموضع من وجود الحمي فيدل على الموت في الحادي عشر ويكون عن الدودي ايضاً فيرد عليه اذا انتعشت القوى بشرب مايقوي القوى كدواء المسك والبادزهر وانكر قوم انقلابه والصحيح ماقلناه وكل مادل عليه الدودي دل عليه النملي لكنه اشد رداءة وضعفاً في القوى

وخامسها الدودي وهو موجي ضعفت حركته بإسهال ان طال . والا فالمجفف من داخل كاخذ نحو الافيون وما يكثف المزاج الى فساد الرطوبات وقد يقع في البحارين لنقص الرطوبات و يكون ابتداؤه عن الموجي كما في النبضة .

وسادسها المنشاري وهو ما اختلفت اجزاؤه تواترا وسرعة وصلابته وعكسها وكان قرعه الاصابع متفاوت التساوي كاسنان المنشار و يدل على فرط اليبس و يختص بذات الجنب والدبيلات والاورام .

وسابعها المرتعش و يدل على الرعشة ونحوها من امراض العصب بحسب مواقع اجزائه كما مر .

وثامنها المتشنج ودلالته كالمنشاري مطلقاً في غير ما اختص اي ذات الجنب به

هذا واعلم ان اللحن يسمى مطلقاً اذا لم يكن مقيداً بلفظة تدل على وصفه كالثقيل والخفيف وخفيف الخفيف . و يذكر بعد اللحن موقع الاصبع الذي يبتدأ به ليهتدي الى قراره فيقال مثلاً ثاني ثقيل مطلق اوثاني ثقيل بالوسطى او بالخنصر في مجرى البنصر او خفيف رمل بالبنصر او خفيف ثقيل اول بالبنصر الى غير ذلك وهو المعروف عند اصحاب هذا الفن بمواقع الاصابع من الدساتين . والله الموفق . اه نقله بحرفه

بغداد : ساتسنا

مخطوطات ومطبوعات

الذخيرة لابن بسام

في مكتبة الامة بباريز الجزء الاول من كتاب الذخيرة لابن بسام وهو بخط مغربي ناقص ورقة من اوله وآخر هذا الجزء ترجمة الوزير ابي عامر بن مسلمة وهو في ٢٦٣ ورقة من القطع الكبير حديث الخط فيما يظهر . وفيها السفر الثاني من كتاب الذخيرة منسوخ عن نسخة مكتبة اكسفورد وقد ذكر فيها ان الخط المنقولة عنه رديء جداً ولذلك جاءت فيها اغلاط قد لا يهتدى اليها اوله فصل في ذكر الاعيان المشاهير ارباب صناعة المنظوم والمنثور بحضرة اشبيلية ونواحيها وما يصاقبها ويدانيها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي وهو الجانب الغربي من جزيرة الاندلس وايراد ما بلغني من غرر اشعارهم ومستظرف اخبارهم مع ما يتعلق بها ويذكر بسببها .

قال ابن بسام : وحضرة اشبيلية على قدم الدهر كانت قاعدة هذا الجانب الغربي من الجزيرة وقرارة الرياسة (؟) ومركز الدول المتداولة ومنها شهدت البلاد وانبثت الجهاد عليها الفرسان كأنها العقبان و بهذا الافق نزل جند حمص من المشرق وسميت حمص ولما كانت دار الاعزة والاكابر نابت فيها الخواطر وصارت مجمعاً لصوب العقول ودرب العلوم وميداني فرسان المنثور والمنظوم لاسيما من اول المائة الخامسة من الهجرة حين فرح كل حزب بما لديه وغلب كل رأس على ما في يديه بعد الدولة الحامدية فاضحت اقطاب الجزيرة يومئذ كبني الاعيان واهلها كما قال اخو بني عدوان

عذيري الحيي من عدوا ن كانوا حية الارض

بغى بعضهم بعضاً فلم تبق على البعض

فاشتمل هذا القطر الغربي لاول تلك المدة على بيتي حسب وجمهور في ادب مملكتان من لخم وتجيب حضرتا بلاده واكثر تارواده فاتاه العلم من كل فج عميق وتبادره العلماء من بين سابق ومسبوق وكل ما نشأ من هذين البيتين امير وان الى العلم الطلب وفي اهله ارغب والسلطان سوق يجاب اليه ما ينفق لديه حتى اجتمع في الجانب الغربي على ضيق اكنافه وتحيف الحذر قصه الله لاطرافه ما باهى الاقاليم العراقية وانسى بلغاء الدولة الديلمية فقل ما رأيت فيه شاعراً غير ماهر ولا شاعراً غير قاهر دعوا حر الكلام فلبى وارادوه فما تأبى وطريقتهم في الشعر الطريقة المثلى التي هي على طريقة البحتري في السلاسة والمتانة والعذوبة والرصانة وانا اورد في هذا القسم بعض ما انتهى الي من خير كلامهم في نثرهم ونظامهم مشوباً ذلك كله بفنون فوائد ومعارف من اخبار يحسن الوقوف عليها على ان الذي بلغني من شعر قطر ثماد من بحر ونقطة من قطر ولقد فاتني كثير من الكتاب من اعيان الشعراء ممن كان في ذلك التاريخ منهم من لم اسمع بذكره ومنهم من لم تسمح نفسي باثبات ما بلغني من شعره وربما اجريت ذكر احدهم غير مبوب عليه ولا مشيراً اليه اما لشيء اجاد فيه واما ان يتعلق ذكره بذكر من أجريه وقد ابدى بذكر الرجل لمكانه من الاحسان لا لتقدمه من الزمان او لبعض ما يدعو اليه القول من نسق خبر او موجب نظر باول ما ابتدأت به من اهل حمص آل عباد لشباتة ذكرهم مع جودة شعرهم اهـ

وهنا اورد ابن بسام ترجمة القاضي ابي القاسم محمد بن عباد ثم اورد ترجمة المعتضد بالله عباد بن ذي الوزارتين القاضي ابي القاسم محمد بن عباد قال فيه :

ثم افضى الامر الى عباد ابنه سنة ٣٣ وتسمى اولاً بفخر الدولة ثم بالمعتضد قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ولا سلم عليه قريب ولا بعيد جبار ابرم الامور وهو متناقض واسد فرس الطلق وهو رابض متهور تتحاماه الدهيات وجبان(؟) لاتأمنه الكماة متأسف اهتدى ومنبت قطع فما ابقى ثار والناس حرب وكل شيء عليه ألب فكفى اقرانه وهم غير واحد وضبط شانه بين قائم وقاعد حتى طالت يده واتسع بلده وكثر عديده وعدده افتتح امره بقتل وزير ابيه حبيب المذكور طعنه في ثغرة الايام ملك بها كفه وجباراً من جبابرة الانام شرد به من خلفه فاستمر يفري ويخلق واخذ يجمع ويفرق له في كل ناحية ميدان وعلى كل راية خوان ضربه لا يعطي وسهم لايخطي وسلمه شر غير مأمون ومتاع الى ادنى حين ....

وقد اطال في ترجمته وما وقع له من المحنة وما قاله وقيل فيه من الاشعار ثم اورد باباً يشتمل على طائفة من الوزراء والاعيان ممن كان في دولة المعتضد من ارباب هذا الشأن واجتلاب ملح وطرف لشعراء كانوا بذلك الاوان مع ما يتعلق بها ويذكر بسببها فترجم ابا حفص عمر بن الحسن الهوزني . وابا الوليد الباجي وابا عامر بن مسلمة وابا الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب وابا الحسن علي بن حصن الاشبيلي وابا عمرو ابن الباجي واتى على جملة من شعر ابي الاصبغ بن عبد العزيز وترجم الوزير ابا العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الاياديب . والوزير ابا عبيدة البكري وذا الوزارتين الفقيه الكاتب ابا بكر محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة وقال فيه : وهو في وقتنا جمهور البراعة وبقية ائمة الصناعة وعذبة اللسان العربي وسويداء قلب هذا الاقليم الغربي بحر علم لا يبرح وجبل حلم لا يتزحزح من بعض كور اشبيلية نشأ في دولة المعتضد شهر بالعفاف فلزمه ويسر للعلم فعلمه وعلمه وكانت له نفس تأبى الا مزاحمة الاعلام والخروج على الايام وهو دائماً يغض عنانها فتجمح ويطمن من غلوائها فتتطاول وتطمح ممتنعاً من خدمة السلطان قاعداً بنفسه عن مرتبة نظرائه من الاعيان بين عفة تزهده وهيبة من المعتضد تقعده حتى فطن له ذو الوزارتين بن زيدون فلم يزل يصرح فذى المطالة عن مائه ويعلي رماد تلك الهيبة عن نار ذكائه الى ان نبه عليه المعتضد آخر دولته فتصرف فيها قليلا على تقية من تلك البقية . وتقشف من ذلك التعفف الى ان افضى الامر الى المعتمد واخيه وقد كان في ايام ابيه من بعض من يداخله ويصافيه فحياه من علاه بنصيب وسقاه من نداه بحر لا بذنوب وانهضه الى مثنى الوزارة واكثر

ماعول عليه في السفارة فسفر غير مامرة بينه وبين خلفاء من ملوك الطوائف بافقنى(؟) حتى انصرفت وجوه آمالهم الى امير المسلمين وناصر الدين ابي يعقوب يوسف بن تاشفين رحمه الله فسفر ذو الوزارتين بينهما مراراً فكثر صوابه واشتهر في ذات الله مجيئه وذهابه واضطر المعتمد اليه قريباً من آخر دولته فعظمت حاله واتسع مجاله واشتهر عَلَى الدوله استيلاء لاقصر عنه اشكاله الى ان كان من خلعه ما كان فكان ذو الوزارتين احد من حرب وفي جملة من نكب واقام عَلَى تلك الحال نحواً من ثلثة احوال حتى تذكره امير المسلمين بما كان عهد من حسن خليقته وسراء طريقته وقد حدثت ان سبب ذلك الذكر كتاب كان ورد من صاحب مصر لم يكن به من الجواب عليه والانصاف منه وتفقد يومئذ اعلام المشاهير فكان ذو الوزرتين اقرب مذكور فاستدعاه لحينه وولاه كتبة دواوينه حتى انساه زمانه اه ·

ثم ترجم الوزير الفقيه الكاتب ابا القاسم محمد بن عبد الله بن الجد والوزير الكاتب ابا محمد عبد الغفور وذا الوزارتين ابا بكر محمد بن عمار والوزير الكاتب ابا الوليد بن المصيصي والوزير الاديب ابا القاسم بن مرزقان والوزير الكاتب ابا الحسين بن محمد ابن الجد والاديب ابا الحسن البكري والكاتب ابا الحسن صالح بن صالح الشنتمري والوزير ابا الحاكم عمرو بن مدحج وابا الوليد بن عمه ابني حزم والاديب ابا بكر بن يحيي بن بقى

ثم اورد فصلا يشتمل عَلَى ذكر الكتاب الوزراء والاعيان الادباء الشعراء ممن نشأ في الدولة المؤرخة بحضرة بطليوس وسائر بلاد البحر المحيط الرومي والاندلس وذكرمنهم المظفر ابا بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس والوزير الكاتب اباعبد الله محمد بن ايمن والوزير الكاتب ابا محمد عبد المجيد بن عبدون والاديب ابا جعفراحمد عبدالله بن هريرة القيسي الاعمى القطيلي والوزير الكاتب ابا بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي والوزير الكاتب ابا بكر بن قومان والاديب ابا زيد عبد الرحمن بن مقانا الاشبوني والشيخ ابا الحسن علي بن اسماعيل القوشي الاشبولي والاديب ابا عبدالله محمد بن الفيق وذا الوزارتين ابا محمد بن هود والشيخ الاديب ابن عمر بن فتح بن زلوحنة والاديب ابا عمر يوسف بن كوثر الشنتريني والاديب ابا الوليد المعروف بالنحلي والوزير الكاتب ابا بكر محمد بن سوار الاشبوني والاديب ابا محمد عبدالله بن صارة الشنتريني

وهذا الجزء في ٢٦٥ ورقة والجزء الثالث من هذا السفر منقول عن نسخة مغربية محفوظة في مكتبة غوتا واوله في ذكر الجانب الشرقي من جزيرة الاندلس وتسميته من نجم في أفقه من رجال النظم والنثر والرياسة بدأه بترجمة ابي عمر القسطلي ثم ذكر ذا الوزارتين ابي عبدالله الطاهر وذا الوزارتين ابي عامر بن الفرج وذا الوزارتين القائد ابي عيسى ابن لبون وذا الرياستين ابا مروان عبدالملك بن رزين والوزير الكاتب ابا محمد عبد الله بن الفقيه ابي عمر بن عبد البر النمري والوزير الكاتب ابا عامر بن التاكرني والوزير الكاتب ابا المظفر عبدالرحمن بن ساحر المعروف بابي الدباغ والاديب ابا الربيع سليمان بن مهران السرقسطي والاديب الاستاذ النحوي ابا عبدالله بن خلصة الضرير والاديب ابا مروان بن غصن الحجاري والاديب ابا علي ادريس بن اليملي والوزير الكاتب ابا الاصبغ بن ارقم والكاتب ابا المظفر بن مثنى وهو عبد الرحمن بن احمد ابن ميمون والوزير الكاتب ابا عمر بن القلاس والوزير الكاتب اباجعفر بن جرج والوزير الكاتب ابا الفضل بن حداي الاسلامي والاديب الكاتب ابا الربيع سليمان بن احمد القضاعي والاديب ابا عامر البهاري والاديب ابا اسحاق بن خفاجة والاديب ابا حاتم الحجاري والاديب ابا بكر محمد بن عيسى الداني والاديب ابا جعفر احمد بن الدودين البلنسي والكاتب ابا جعفر بن احمد مردانية والوزير الكاتب ابا الخطاب عمر بن احمد بن عبدالله بن غيطون التجيبي الطليطلي وذا الوزارتين الكاتب ابا عبدالله ابن ابي الخصال قال فيه : حامل لواء النباهة بالروية والبداهة مع منظر ووقار وشيم كصفو العقار ومقول امضى من ذي الفقار وله ادب بحره يزخر ومذهب يباهي و يفخر وهو وان كان خامل المنشأ نازله لم تنزله منازله ولا فرع للعلاء هضابا ولا ارتشف للسناء رضابا فقد تميز بنفسه وتخير من جنسه والذي الحقه بالمجد واوقعه بالمكان النجد ذكاء طبع عليه طبعه ونجم في سرية النباهة ۰۰۰۰۰

ثم ذكر الكاتب ابا عبدالله محمد بن ابي الخصال والوزير ابا محمد بن القاسم والاديب ابا تمام غالب الملقب بالحجام وهنا انتهى الجزء الثالث وهو في ٢٣٣ ورقة وجاء في آخره انه يتلوه في اول السفر الذي يليه في ذكر الحديث ابو عامر بن الاصيل ۰ وفي هذه الاجزاء من الشعر الغريب والنثر المطرب ماهو ديوان الادب وناهيك بسجعات ابن بسام التي هي ابهى من سجع الحمام بل وناهيك بما يقع عليه اختياره من نظيم الكلام ونثاره ومن هذه الاجزاء يؤخذ ديوان انشاء في السلطانيات والاخوانيات والتهنئات والتعزيات

والشفاعات والوسائل والجهاد وفي مقاصد شتى

فياحبذا لو تصدى لطبعه احد ائمة علماء المشرقيات في الغرب ليخدم بذلك التاريخ والادب العربي · وفي مكتبة هذه المجلة النصف الاول من هذا الكتاب وهو بخط مغربي ينفع في المعارضة اذا كتب الطبع للكتاب ونحن نقدمه لمن يتصدى لطبعه مع الشكر وقد اقتبسنا منه عدة تراجم في مجلدات المقتبس الماضية مع بعض الصعوبة لغلبة التحريف عليه

ديوان احمد نسيم

اهدانا هذا الشاعر المصري الجزئين الاولين من ديوانه وفيهما قصائد في اغراض شتى وبعضها اجتماعي وهاك نموذجاً من شعره قال في الشرق ومصر :

تداعت رواسي الشرق فانهال جانبه وما هم حتى اقعدته نوائبه
تحاربه الاعداء من كل جانب ولم يكفهم ان الزمان يحاربه
تحدد على هاماته شفراته وترهف فوق الناصيات قواضبه
وحسبك ان الشرق في كل امة مآثره مشهورة ومناقبه
تخرج منه الفاتحون لارضه فماجت به بطحاؤه وسباسبه
وكان عريناً لانضمام ليوثه وكان كناساً لانتهان رباربه
وكان قديماً مهبط المجد والعلى ومصعد غطريف ترجى مواهبه
وكان طليقاً ازهر اللون وجهه وللغرب وجه اصفر اللون شاحبه
له النصر والتأييد في كل غارة اذا زحفت يوم الصدام كتائبه
وكم بات مختالاً بكل ممالك تسير على هام العباد مواكبه
وكم صال والهيجاء قان نجيعها بكل صقيل لاتفل مضاربه
اذا ما جرى وثباً الى مطلع النهى فلا من يجاريه ولا من يواثبه
فياشرق تأساه اذا ناخ كلكل من الغرب اذ مدت اليك مخالبه
تقدمك الغرب المجد فلم يدع مكاناً تدانيه العلى وتقاربه
هرمت فلم تقدر على الدأب فانثنى يشاطرك الدنيا وما طر شاربه
ومن عجب طفل على الثدي مرضع يطاول شيخاً حنكته تجاربه
جنحت الى حب الخمول ولم تسر على سنن يرجو الهداية جانبه

***

صدقتك ما في الشرق الا شراذم تخور خوار الثور آذاه ضاربه
وما فيهم الا مضل مموّه على القوم حتى اخطأ الرأي صائبه
وفي كل يوم يبتلي بناهض تغير على عرش الملوك عصائبه

***

اعاتب قومي والعتاب تودد اذا لم اجد بين الورى من اعاتبه
الى مَ ضياع العمر في غير عائد بجدوى ولم يرجع من العمر ذاهبه
يصاب الفتى بالحادثات تحيطه واول من يسعى اليها اقاربه
مصائب لاتحصى اذا ما عددتها ورحم الفتى ان لاتعد معائبه
خمول ولهو وانحطاط وذلة وغدر ووعد لايؤنب كاذبه
وكم ماكر ينساب ارقم مكره وآخر مشاء تدب عقاربه
بعينك فانظر نظرة المرء خلسة تجد بائساً ملقى على الضيم غاربه
ارى ناظر الشرقي يرنو من الاسى رنوّ امرئ ضاقت عليه مذاهبه
ومما يزيد النفس بؤساً وحسرة تربصها خطباً تبيت تراقبه
وما الشرق الا موطن عبثت به على غرة ابناؤه واجانبه
اضاعوا حمى يجري النضار بارضه وتهمي عليه بالُجين سحائبه
كذا الشرق في اطواره طول عمره غرائبه ماتنقضي وعجائبه

***

رثيتك يا ارض الفراعنة الاولى قضوا في بلوغ المجد ما الحق واجبه
ورثت بفضل العلم عزاً ممنعاً فما بات الا وابن غيرك غاصبة
ولا خير في عرش من الغرب ربه ولا خير في مال من الغرب كاسبه
أفيقي فما في الجهل الا مذلة ولا العلم الا سؤدد عزّ صاحبه
أتبرى ظلام الشرق بعد انسداله فعند طلوع الشمس تجلى غياهبه
ولا تقنطي من رحمة الله مرة اذا شيم من برق المخذلك خالبه
امثلي ترين الغرب يقظان شاخصاً الى الشرق يرجو ان تسوء عواقبه
وددت بلادي ان تسود بنفسها لا كتب فيها خيرما انا كاتبه

وقال من قصيدة:

بعض الشيوخ ولا اقول جميعهم تخذوا التعنت والعناد لزاما

رثت عواطفهم وبات ضميرهم خلقاً وحبل العلم صار رماما
الفوا الجمود وكل شيخ همه ان يلبسوه عمامة ووساما
يمشون فوق الارض اعرض اهلها جيباً واطول خلقها اكماما
فروا من العلم الحديث وحسبهم جهلاً بان عدوا العلوم حراما
حب الجبان النفس خلفه لقى خلف المعامع يؤثر الاحجاما
وهم الذين اذا تضافر جمعهم هزوا العروش واسقطوا الاعلاما
والله لو شهروا سلاح علومهم قهروا الاسود وحاصروا الآجاما
ولربما غلب الضعيف بعلمه جيشاً تموّج كالخضم لهاما
قد حرموا علم الحساب وساءهم ان يعرفوا الاعداد والارقاما
قنعوا بتجويد القراءة واكتفوا مذ اتقنوا التنوين والادغاما
سلهم عن الاهرام تسمع قولهم سيف ابن ذي يزن بنى الاهراما
سلهم عن اليابان تعرف انها جبل خصيب ينبت الاقزاما
سلهم عن الميكاد تعرف انه ملك غزا كسرى وحارب حاما
سلهم عن الامزون تعرف انه جزر تحيط مراكشا وسياما

الى ان قال :

يانصف أميين كيف قرأتم ونسيتم ان تعملوا الاقلاما
هل في اللغات نقيصة ان شئتم ان تفحموا اربابها الاعجاما
وهم الذين كما تراهم اتقنوا لغة النبي كتابة وكلاما
مستشرق حفظ الكتاب وآخر اخذ الشرائع عنه والاحكاما
يكفي رجال الغرب كل عجيبة تعيي الظنون وتعجز الاوهاما
بلغوا المطار وسوف تسمع انهم جازوا الهواء وخاطبوا الاجراما
عابوا جمود المسلمين وصرحوا ان لانعد مع الانام اناما
عشقوا الحياة وما عشقنا بعدهم الا جموداً يشبه الاعداما
تمنا وباتوا ساهدين وفاتنا حب الجمود على الضلال نياما
متعنتين على الدخيل فان يضيء نخرج اليه من الضياء ظلاما
حتى يظن الدين دين تعنت او دين قوم اشبهوا الانعاما

تقرير المجمع العلمي السميثوني عن سنة ١٩٠٧

ANNAUL REPORT OF THE SMITHSONIAN INSTITUTION 1907

من اهم الجمعيات العلمية في اميركا الشمالية هذه الجمعية التي جعلت مقرها في واشنطون وامامنا الآن تقريرها السنوي عن سنة ١٩٠٧ وقد وقع في ٧٢٦ صفحة وفيه عدة مقالات وابحاث مفيدة بالانكليزية في الفلك وطبقات الارض والظواهر الجوية والطبيعيات والكيمياء والمعادن او التعدين والنبات والحيوان وعلم البشر حوت ٣٧ بحثاً في الاغراض المشار اليها مع بعض الصور والرسوم الانيقة فمقالة في آلة التور بين الجارية على اليابسة والماء ومقالة في ارتقاء التركيب الميكانيكي في الطباعة وفي بعض حقائق عن الكهرباء وابحاث جديدة في التلغراف اللاسلكي وخاصيات الانوار الكهربائية المتنوعة وتقدم صناعة التعدين الكهربائية وتقدم جديد في التصوير الشمسي الملون والبربر في افريقية الجنوبية قبل نزول الاورببين فيها وآلة رخيصة الثمن لتحصيل علم الفلك وعلم طبقات داخل الارض وبحر سلطون والطرق المائية في البلاد وارتقاء علم الظواهر الجوية مثال لارتقاء العلم العام ومنزلة علم النبات القديم في وقتنا الحاضر وحدائق الحيوانات في بريطانيا والبلجيك وهولاندة وعلم الحيوان الاصلي تقدمه وغايته والتاريخ العام للحوات الثدي البحرية وشعوب اقليم البحر المتوسط واليابان قبل التاريخ واصل الحضارة المصرية والمضخة النارية واصل ابجدية الكنعانيين ومسألة تعمية الالوان ومقالة في الدرن واخرى في ترجمة مارسلن بيرثيلون وغير ذلك . والتقرير كالتقارير السابقة في الغاية من حيث الطبع والوضع فمتى يكون للشرق العربي مثل هذه الجمعية التي تحيي العلوم المادية وتخلص من دور الادبيات والخيالات

تقرير المجمع العلمي السميثوني عن سنة ١٩٠٨

ANNUAL REPORT OF THE SMITHSONIAN INSTITUTION 1908

هذا التقرير اكبر من التقرير السالف حجماً واغزر مادة يبدو عليه النمو الغريب وتتبين منه ارتقاء هذه الجمعية الراقية ومباحثه تدور كطريدة على العلوم المادية والطبيعية ففي مقالاته الموقعة بتواقيع اهل هذا الشأن مقالة في المناطيد الحربية واخرى في التلغراف اللاسلكي وفي التصوير الشمسي والحاكي (الفونوغراف) والمادة والاثير وارتقاء الكيمياء العامة والطبيعة في الاربعين سنة الاخيرة وارتقاء القذائف في عشرين سنة ومباحث

حديثة في تكوين الكون وتغيرات المناخ واسبابها واورنوس علم طبقات الارض وفي معارفنا الحاضرة عن الارض ورحلات الى القطب الجنوبي من سنة ١٨٨٩ وبعض مناظر جيولوجية من النيل وفي الوراثة وفصائل النبات وصبار المكسيك وسمك انكلر وانواعه وطيور الهند ونشوء الفيل والحمة الدورية في اليونان وكارل فون ليني احد علماء الجيولوجيا وترجمة اللورد كلفن واعمال هنري ركوبرل . وجميع هذه المقالات في الغاية من التحقيق ويدخل هذا المجلد في ٨٠٠ صفحة جمعت فاوعت وفيه كمجلدات السنين السابقة قائمة اعمال الجمعية والغرض منها ودخلها وخرجها لازال التوفيق حليف المجامع العلمية على اختلاف لغاتها واغراضها

الريحانيات

طبع في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٢٢٨)

قليل في كتابنا من خلصوا من ربقة التقليد وقليل فيهم من يكتب ليفيد . وامين افندي ريحاني صاحب كتاب الريحانيات هو من امثل كتابنا وشعرائنا نجا من التقاليد ووقف نفسه على نشر مايفيد واشتهر بانه العربي الذي فاق الانكليز في البيان الانكليزي فيكتب وينظم كافضل ادبائهم ومصنفه رباعيات ابي العلاء الذي ترجمه شعراً الى الانكليزية ومقالاته في المجلات الاميركية والانكليزية ادل دليل على تبريزه ولكنه على هذه المزية الممدوحة في منافسة افاضل الانكليز لم تفته منافسة كتاب العربية فكتب ونشر عدة مقالات وابحاث في الجرائد العربية في اميركا ومصر والشام كما طبع من قلمه كتابين احدهما المحالفة الثلاثية والآخر المكاري والكاهن وجميع ماكتبه كتبه لاليقال انه كتب بل لنفع قراء العربية وقد طبع هذه الآونة الجزء الاول من مقالاته التي نشرها في الجرائد من قلمه

صدَّر كتابه بشذرة من خطه جاء فيها وهو ماينم على الغرض من نشر الكتاب « جرد نفسك ولو بضع ساعات من اطمار الاجيال وتعال نحج معاً . ومتى وصلت الى كعبة الحقيقة وانت في مئزر الحج تجد هناك أثوابك الموروثة واثواباً اخرى جديدة الى جانبها فاما انك تعود الى ما كنت عليه فتلبس ما الفته وتسير في سبيلك واما انك تعتاض عنه بثوب ليس بفخيم ولكن من الرقع والفتوق سليم . وفي كل حال لا انسى انك أكلت من جفنتي وشربت من ابريقي ونمت في خيمتي . . . . »

في الكتاب عدة مقالات أكثرها مما كتبه تحت سماء اميركا فوشحت الكتابة من

افكار محيطها وصدرت كأنها غربية لا شرقية واكثرها من نمط الشعر المنثور كمقالة وادي الفريكة التي وصف فيها الكاتب قريته وما فيها من مظاهر الطبيعة البهجة فاجاد من وراء الغاية ومقالات « الكتاب » « انوار الافكار » « مناهج الحياة » « الصلوة » « جهل الانسان لحكمة الخالق » « عظة رأس السنة » « من على جسر بروكلن » « فوق سطوح نويورك » « الفقر وبنوه » « التمدن الحديث » « الضجيج والضوضاء » « روح هذا الزمان » « شهداء العلم » « الحرب التي تهمني » « الخيانة والخاس » « خطاب المسيح » « بين اللاهوتيين والعلماء » « ماهي السعادة » « بيتان للمتنبي » « مكروب السعادة » « المصيبة في التعزية والتعزية في المصيبة » « الرداء الاسود » « فلتر » « جان جاك روسو » « وليم غارسون » « تولستوي » « ابن سهل الاندلسي » « الثورة الافرنسية » « بذور للزارعين » وغيرها

والكتاب تتدفق حرية الفكر من اطرافه ورقة الاحساس من سطوره وبعد النظر من مراميه ومعانيه وكله معان فلسفية في قوالب عصرية وروح شفافة في شعور جديد واقد قرأنا مرات بعض المقالات ونحن الآن نحب ان نعيد تلاوتها اذ قل في ارباب الاقلام مثل هذا النفس في اصلاح الافكار والتلطف في ابلاغ العقول الجامدة محاسن الحضارة المدهشة والتجديد المفيد

وما احلى قول الكاتب من مقالة في جسر بروكلن وهو جسر نويرك يخاطب تمثال الحرية قائلاً : « متى ياترى تصير الحرية مثل هذا القمر فتوقد مصباحها لا في الغرب فقط بل في الشرق وفي الجنوب وفي الشمال — في العالم بامره · متى تحولين وجهك نحو الشرق ايتها الحرية ? متى يمتزج نورك بنور هذا البدر الباهر فيدور معه حول الارض ويفني ظلمات كل شعب مظلوم ? ايتاتى ان يرى المستقبل تمثالاً للحرية بجانب الاهرام? ايمكن ان نرى لك في بحر الروم مثيلاً ? امكن ان يولد لك اخوات في الدردنيل وفي بحر الهند وفي خليج الصين ? ايتها الحرية متى تدورين مع البدر حول الارض لتنيري ظلمات الشعوب المقيدة والامم المستعبدة

« وانت ايتها البواخر المقلة الى اوربا ومصر وعدن والهند منسوجات « نوا كلند » وقطن « فرجينا » وحديد « بنسلفانيا » وقمح « تكساس » وخشب « فرمنت » خذي معك الى بحر الروم وبحر الهند والبحر الاحمر والبحر المتوسط بعض موجات من هذه الامواج التي تغسل ابداً تمثال الحرية · خذي معك ولو زجاجة صغيرة من الماء المقدس ·

ورشي منها سواحل مصر وسوريا وفلسطين وارمينيا والاناضول وكل جزيرة تمرين بها وكل بلاد تقصدينها وكل شعب تجيء سواريك قباب كنا ئسه ومآذن جوامعه .

«احملي سلام هذه الآلهة التي تدير الآن طريقك في الخروج من العالم الجديد وتوكل بها مالها في السماء من شقيقات باهرات . احملي الى الشرق شيئاً من نشاط الغرب وعودي الى الغرب بشيء من تقاعد الشرق . احملي الى الهند بالة من حكمة الاميركان العملية وعودي الى نويرك ببضعة اكياس من بذور الفلسفة الهندية اقذفي على مصر وسوريا بفيض من ثمار العلوم الهندسية واقفلي الى هذه البلاد بفيض من المكارم العربية . ايتها البواخر الآتية حيي عن جسر بروكلن خرائب تدمر وقلعة بعلبك واقرأي اهرام مصر سلام هذه المعالم الشاهقة المشعشعة بالكهرباء . سيري ايتها السفن بسلام وارجعي بسلام

وقد شاهدت الآن ثلاثة مناظر عظيمة لا اقدر ان انساها حياتي . لا انساها لانها عندي اشبه برموز جميلة لدعائم الحياة الروحية الثلاث هي مراحل في رحلتي الفكرية التي باشرتها منذ خمس سنين — او من حين ولدت . نعم اني طفل في العالم الروحي اني سائح في مروج النفس واوديتها امامي مسافة طويلة يجب ان اجتازها وتحتي هوة هائلة يجب ان اسبر غورها وفوقي فضاء غير متناه فينبغي لي ان اتمتع بجماله وحولي من المروج والجبال والانهر والبحار مايشغل معظم وقتي لو عشت الف عام .

اما المناظر الثلاثة التي تمتع بها طرفي حتى الآن فقد تركت اثراً عظيماً في نفسي فهي لبنان وسواحله من ذروة جبل صنين وباريز من على برج ايفل ونويرك من الليل في منتصف جسر بركلن فالاول انما هو رمز الطبيعة والثاني رمز الفنون الجميلة والثالث رمز الكد والاجتهاد وهذي هي دعائم الحياة الروحية الثلاث فالمنظر الاول صنعة الله والمنظران الآخران صنعة الانسان المنظر الاول او الطبيعة هو منبع النفحات الالهية والالهامات الروحية والمنظر الثاني او باريز هو منبع التفنن في الصناعة على الاطلاق والمنظر الثالث المنبسط امامي الآن انما هو عنوان الجهاد والجلد والثبات والنجاح

فاذا كنت ايها القارئ شاعراً او مصوراً او كاتباً بل لو كنت صباغاً او دباغاً او اسكافاً وجه نظرك الى الطبيعة اولا تستمد منها الالهام الالهي وعنها تقتبس الالوان البديعة والمناظر الجميلة والاشكال الانيقة والنفحات السماوية وعرج على باريز ثانياً تتعلم فيها دقة الصناعة ولطافة الاسلوب وجمال الفنون وغرابة الابداع وسر الابتكار وانزل على

نو يورك ثالثاً تأخذ منها الاجتهاد والجلادة وتتعلم من اهلها الاستقلال في العمل والثبات بعد الفشل . الطبيعة — التفنن — الاجتهاد — هذي هي اساس الاعمال الفكرية هذي هي دعائم الحياة الروحية . لبنان — باريز — نو يرك — في الاولى روحي وفي الثانية قلبي وفي الثالثة الآن جسدي »

والكاتب ليس من الملاحدة كما يتهمه اعداؤه بل هو ملحد باكثر مايتخرص به المتخرصون من الشروح على المتون ومن قرأ مقالته في « فلتير » الفيلسوف الفرنسوي ينجلي له من اي نحلة كان ان الحرية ان لاتراعي اخاك ولا اباك فيما تعتقد صحته. قال : الالحاد مضر بالصحة فهو لاشك ينفخ الصدر ولكنه يضعف القلب و يصغر الرئتين . اقول هذا عن اختبار ولا اقول اكثر من ذلك ليعلم القاري، فكره . اذاً الالحاد مضر بالصحة ومهما قلتم لا اوضح . اختبروا لانفسكم ان شئتم ولكن اياكم والتطوح واذا كنتم لاتعرفون الحدود فالاجدر بكم ان لاتجربوا لئلا تتملك فيكم جراثيم المرض واذا كانت معدتكم ضعيفة فاياكم وفلتير .

وبعد ان افاض في مزايا هذا الفيلسوف ومآتيه ومنازعه آخذه على روايته التعصب التي طعن فيها على الاسلام واهداها الى البابا فقبلها هذا بكل سرور وبعث الى فلتير كتاباً لطيفاً اثنى فيه على غيرته (بخ بخ) وانتقد بعض ابيات في الرواية الشعرية فاجابه فلتير متجاملا على عادته في مثل هذه الامور انك لاشك معصوم عن الغلط في المسائل الادبية ايضاً (زه ثم زه) هكذا تبادل الاثنان عواطف الولاء الكاذب وانتصر فلتير على اعدائه اليسوعيين وانصارهم ولا يخفى على القاري اللبيب مافي هذا العمل من السياسة والحيلة والمكر ناهيك بان الكاتب اخطأ في انتقاده الدين الاسلامي وفي تحامله المنكر على موءسسه العظيم ... »

وهذه النموذجات كافية في بيان فضل هذا التأليف النفيس ومنزلة ابي عذره من سلامة الفطرة و بعد الغور والنظر فله منا الشكر على ما اتحف به عالم الآداب من هذا السفر الجديد في وضعه وطبعه

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب

المعروف بمعجم الادباء اوطبقات الادباء لياقوت الرومي

نشر الاستاذ مرجيلوث استاذ اللغة العربية في كلية اكسفورد القسم الاول من الجزء الثالث من هذا السفر النفيس الذي يطبع على نفقة أسرة جيب الانكليزية وفي هذا

الجزء ٤٤ ترجمة من حرف الحاء وفيه من الاعلام ترجمة السيرافي وابن رشيق وابي هلال العسكري والاسكافي وابن مقلة وغيرهم وطرف من اخبارهم ومنثورهم ومنظومهم واكثره مما لم ينتشر بالطبع حتى الآن فسد بذلك فراغاً مهماً في آداب العربية . وانا لنكرر شكرنا للاستاذ مرجليوث لغيرته على آدابنا اكثر من غيرتنا انفسنا ونرجو ان يوفق الى اتمامه على مايحب ويحب عشاق العلم المولعون باحياء آثار السلف

كتب متفرقة

مبادئ العلوم السياسية والتاريخ الدستوري — الفه مصطفى افندي صبري فيه كلام مفيد في المجالس النيابية ونظام الحكومات ولاسيما العثمانية والمصرية والانقلابات السياسية والاقطاعات يطلب من مؤلفه في مصر

غرائب الاغتراب ونزهة الالباب — هو رحلة للسيد محمود الآلوسي صاحب التآليف المهمة وفيه وصف رحلته من بغداد الى الاستانة ومن لقيهم في عهده من المشاهير والبلاد التي حلها طبع في بغداد في مطبعة الشابندر

الخلاصة العراقية في تاريخ ادب اللغة العربية — هو كتاب في تاريخ العربية وتراجم الكتاب والشعراء الاقدمين من اهلها تأليف احمد افندي حسن الزيات في القاهرة .

فهرس مقتنيات الآثار العربية — تأليف مكس هرتس بك رئيس مهندسي دار الآثار العربية بمصر وتعريب علي بك بهجت وكيلها وفيه تاريخ هذه الدار والغاية من انشائها

المجموعة العلمية — مجموعة رسائل في الرياضيات والطبيعيات وضعها عبد الواحد افندي حمدي في مصر

فلسفة النشوء والارتقاء — او مجموعة الدكتور شبلي شميل وفيها كثير من كتابات هذا المفكر الكبير في مجلدين ظهرا منها حتى الآن وتطلب من القاهرة

مشاهد الممالك — فيه وصف مسهب لبلاد اوربا واميركا وكثير من افريقية وآسيا وكلها مما ساح فيه المؤلف ادوار بك الياس في القاهرة

نصائح للامهات — عربه الدكتور فريد عبدالله في مصر وهو نصائح لربات البيوت للعناية باطفالهن عند غيبة الطبيب

المقتبس

درس على كتاب الدارس في المدارس (1)

ايها السادة :

ان تاريخ كل أمة سواء كان مجيداً او غير مجيد قد لا يخلو مستقبله من ارتباط بماضيه لا من حيث التشابه بين طرفيه بل من حيث النتائج التي تترتب عليها نهضة الامم احيانا وتغيير مجرى الحياة الاجتماعية بان تسرع بخطا الشعوب الى مراقي الصعود

ومعناه انه اذا كان ماضي الامة عظيما محترماً في التاريخ تحرص لى ان يكون اعظم احتراماً في حاضرها او على ان تسترد ذلك الاحترام اذا فقدت شيئاً منه . واذا كان ماضيها سيئاً غير محترم في التاريخ تدأب على التخلص منه وتطلب لنفسها حاضراً أسعد منه . فالنتيجة واحدة في الحالين ولكن لمن ؟ ومن يحصل على مثل هذه النتيجة من الامم ؟

تحصل عليه أمة تعلم ان لها تاريخاً تدرسه وماضياً تبحث فيه وترجع اليه لاسيما اذا كان تاريخاً مجيداً له آثار معروفة في الوجود واثر محقق في الاجتماع . والامة كالفرد مغرورة بالماضي الجميل اذا تمثل لها نفخ فيها من روحه فملأها نشاطا ودفعها الى الامام اشواطا

وان امة لاتعرف تاريخها أحري بها ان يتنكر لها الزمان وتزدري بها الشعوب لجهلها بماضي التاريخ وتنكرها الانسانية وتنكرها السماء والارض

ان المدنية الاسلامية التي رفع منارها اسلافنا الطاهرون وغيرت شكل الارض

---

(1) محاضرة الفاضل رفيق بك العظم في منتدى القوتلي في دمشق يوم ١٤ شعبان سنة ١٣٢٨

ومجرى الاجتماع كان لمدينتكم هذه حظ وفير منها لاسيما في التوفر عَلَى انشاء معاهد العلم ودور التربية والتهذيب

هذا ايها السادة مَدعاتي لان اقف بينكم خطيباً افتح صحيفة من ماضي التاريخ فيما يتعلق باسلافكم الغابرين ومدينتكم الفيحاء وفيها ذكرى للذاكرين «وذكرفان الذكرى تنفع المؤمنين»

ان هذه الذكرى ما ترونه في هذا الكتاب الضخم المشتمل عَلَى الف وثلاثمائة وستين صفحة وهو كتاب (الدارس في المدارس) تأليف العلامة المؤرخ محمد بن محي الدين النعيمي وهو خاص بما أنشيء من معاهد العلم والمساجد ودور العجزة (التكايا) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مائتين وبضعا وثمانين لو وزعت المدارس منها عَلَى السنين منذ انشاء اول مدرسة في القرن الخامس الى سنة احدى وتسعين وثمانمائة الى عهد المؤلف في اواخر القرن التاسع لاصاب دمشق كل سنتين مدرسة تنشأ او دار للعجزة والمرضى تشاد هذا فضلا عما انشيء من المدارس بعد ذلك التاريخ ولم يدركه المؤرخ المذكور وهذا فهرست الكتاب نتلو عليكم بعضا من اسماء المدارس التي جاءت فيه ولا اطيل خوفا من ضيق الوقت

اما تواريخ انشاء هذه المدارس بالضبط والاوقاف التي حبست عَلَى الطلبة فيها والعلماء الذين نبغوا منها ودرسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس في الوقت متسع لتلاوته عليكم كما ترون من حجم الكتاب وحسبكم ان ممن درسوا في هذه المدارس وتولوا رياستها اونبغوا فيها من علماء الشريعة مثل الحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور والامام ابن تيمية صاحب التآليف الكثيرة وقاضي القضاة صدر الدين الازرعي صاحب الجامع الصغير والعماد ابن كثير والنووي وابن الصلاح والحافظ جمال الدين المزي واشباههم من العلماء الكبار ومن علماء الطب مثل الرؤساء ابن ابي أصيبعة صاحب تاريخ الاطباء ومهذب الدين بن الحاجب ونجم الدين اللبودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين الدخوار وعماد الدين الدنيسري واضرابهم

ومن علماء العقليات والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن ابي الحكم الباهلي وعز الدين السويدي وابي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب البيمارستان النوري القائم الى اليوم من عمل يده واضرابهم

وها انا اقرأ لكم مثالا واحداً من ترجمة هؤلاء الرجال فاسمعوا ما قال تاريخ الدارس هذا في ترجمة افضل الدين ابن ابي الحكم نقلا عن الصفدي

(محمد بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي) هو افضل الدين ابو المجد بن ابي الحكم من الحكماء المشهورين كان طبيباً حاذقا وله يد طولى في الهندسة والنجوم (اي علم الفلك) وله في سائر الآلات المطربة يد عمالة وعمل اورغنا وبالغ في اتقانه وقرأ على والده وغيره في الطب وكان في دولة نورالدين بن الشهيد ولما عمر البيمارستان والمستشفى النوري بدمشق جعل امر الطب فيه اليه الى آخر ما قال

هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم لكم وهذا الفضل الكبير منهم وعدد كثير مثلهم من اهل الشهرة بالعلم والفضل درسوا في هذه المدارس او تخرجوا على رؤسائها ومشايخها ثم ملأوا المكتبة العربية بالمؤلفات النافعة في كل فن ومن راجع منكم كتاب الكواكب لابن عروة الحنبلي في اكثرمن مائة مجلدوتاريخ الحافظ ابن عساكر في اكثر من عشرين مجلداً وهماموجودان اليوم في المكتبة العمومية في مدرسة الملك الظاهر بدمشق وقاس عليهما ما ألفه علماء تلك القرون الافاضل وما قبلها من الكتب في علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ والتراجم والفلك والطب والرياضيات كالهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم علم مقدار مالهذه المدارس ومؤسسيها من الفضل على الامة وما للنابغين فيها من الاثر العظيم في الوجود بما سهروه من الليالي الطوال في التحرير والتحبير وما عانوه من النصب في وضع كتب العلم لافادة الناس حتى ملأوا بها المكاتب ونشروا العلم : وما قولكم في ان عالماً واحداً من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكمية كما ذكر ذلك ابن ابي أصيبعة في ترجمة المومأ اليه

ولا يظنن بعضكم ان هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وان اكثر علمائها وطلبتها من طلبة العلوم الشرعية وآلاتها كلا فان فيهامدارس لغير العلوم الشرعية كالطب مثلا ومن هذه المدارس المدرسة الدخوارية والدنيسرية واللبودية كما سترون ذلك فيما يأتي من الكلام ان شاء الله

ولقد اخبرنا التاريخ ان معاهد العلم كانت مشاعة بين طلابه من كل فن وان الطبيب او الفلكي مثلا كان يلقي دروسه في اي مدرسة كانت من مدارس العلم له فيها وظيفة

بل في الجوامع والمساجد ايضا لانها كانت قبل ان توجد المدارس عَلَى شكلها المعهود اي قبل القرن الرابع اشبه بمدارس للعلم بل هي المدارس بعينها وما زالت كذلك معاهد للعلم والعبادة معاً الى اليوم كما تعلمون

واذكر لكم مثالا واحداً عَلَى ان المدارس كانت مشاعة لطلاب كل علم ما نقله ابن ابي أُصيبعة في ترجمة رفيع الدين الجيلي قال :

« وكان مقيما في دمشق وهو فقيه في المدرسة العذراوية داخل باب النصر وله مجلس للمشتغلين عليه في انواع العلوم والطب وقرأت عليه شيئا من العلوم الحكمية »

واعلموا ايها السادة ان كثيراً من علماء الشريعة مثل الجيلي جمعوا بين العلوم الشرعية والعقلية والطب والفلك والرياضيات وكلهم من خريجي هذه المدارس بالضرورة وممن جاء ذكرهم من هؤلاء في هذا التاريخ واذكره مثالا للباقين احمد بن الحسين الدمشقي واليكم ماجاء من ترجمته في هذا الكتاب نقلا عن ابن كثير

(الجمال المحقق احمد بن عبدالله بن الحسين الدمشقي) اشتغل عَلَى مذهب الشافعي وبرع فيه وافتى واعاد وكان فاضلا في الطب وقد ولي مشيخة الدخوارية (مدرسة طبية) لتقدمه في صناعة الطب عَلَى غيره وعاد المرضى بالبيمارستان النوري عَلَى قاعدة الاطباء وكان مدرساً بالشافعية بالمدرسة الفروخشاهية ومعيداً بعدة مدارس الى آخر ماقال

هذا يدلكم عَلَى ان العلوم كانت مشاعة بين العلماء وان العالم بالشرع قد يكون عالما بعلوم أُخرى من العلوم النظرية والعملية كالفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم التي قامت عَلَى دعامتها المدنية الاسلامية وكانت الحلقة الوسطى بين المدنية القديمة والمدنية الحديثة حتى اعترف بفضلها على التمدن الغربي كثير من علماء التاريخ والاجتماع في اوربا كدربي ومونتسكيو وكوستاف لوبون وافردوا للمدنية الاسلامية كتباً خاصة اتوا فيها عَلَى ذكر ما تركته هذه الحضارة من آثار الترقي والعلم التي يجهلها اهله لهذا العهد بالاسف والعار

نحن الآن ايها السادة بصدد علماء دمشق في القرون الوسطى وانما هم حلقة من سلسلة تلك المدنية الاسلامية التي اخنى عليها الزمان واذا سمحتم لي فاني اختم كلامي بنبذة من تاريخ تلك السلسلة بعد استيفاء الكلام عَلَى كتاب الدارس هذا ان شاء الله

علمنا مما سبق عدد المدارس ودور العجزة التي انشئت في دمشق ولكن من الذي انشأ هذه المدارس ورفع بنيانها وادر الخيرات عليها وانفق من ماله على طلابها اهي الحكومة او الافراد او الجماعات ؟

بلغ بنا الضعف ان صرنا كالاطفال نطلب كل شيء من الحكومة كما يطلب الطفل كل شيء من والديه اما اسلافنا فلم يكونوا كذلك بل كانوا استقلاليين اكثر منهم اتكاليين يعرفون قيمة الاعتماد على النفس فكان الفرد الواحد يقوم بما تقوم به الجماعة او يطلب من الحكومة اليوم

ولهذا فان كل ماجاء ذكره في هذا الكتاب من المساجد والتكايا والمدارس انما انشأه الافراد وقام بمال اهل السخاء والجود من اسلافكم الطيبين لمحض الخير وارادة نشر العلم وخدمة الوطن والدين

لم يختص بهذا العمل الجليل والشرف الرفيع الملوك والامراء وذوو السلطة كما قد يتوهم بعضهم كلا بل كان الافراد من كل الطبقات من اهل اليسار يتسابقون الى اقامة المعاهد العلمية حسبة لله وحباً بعمل الخير واستبقاء للذكر الصالح في الوجود

فالتجار والعلماء والسيدات هم الذين اسسوا هذه المدارس كل مدرسة يؤسسها شخص بمفرده ويحبس عليها من ملكه ما يكفي ريعه لبقائها بل اقول لكم والخجل يكاد يمنعني من التكلم والحزن يوشك ان يعقد لساني ان العبدان — عبدان اسلافكم ايها السادة — شيدوا باموالهم بعض هذه المدارس ورفعوا منار العلم فيها للفضيلة كم ترفع العبدان الى منزلة السادة في حين تنحط السادة الى منزلة العبدان

ان العبدان كانوا ارفع نفوساً واسخى كفوفا منا الآن يالخجل والخسران

ان الكلام وحده لايغني عن البرهان وانكم تنتظرون مني الدليل بعد هذا البيان واليكم امثلة من عمل العلماء . والتجار . والسيدات . والعبدان

قال المؤرخ في فصل عقده لمدارس الطب

(المدرسة الطبية الدخوازية «الدخوارية») المدرسة الدخوازية بالصاغة العتيقة بقرب الخضراء قبلي الجامع الأموي انشأها مهذب الدين عبد المنعم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار في سنة احدى وعشرين وستمائة بالصاغة العتيقة كما تقدم واول من درس فيها واقفها ثم من بعده بدر الدين محمد بن قاضي بعلبك ثم عماد الدين الدنيسري وهو بها الى الآن

(المدرسة الدنيسرية) غربي البيمارستان النوري والصلاحية بآخر الطريق من قبلة قال الذهبي في العبر في اخبار سنة ست وثمانين وستمائة

« عماد الدين ابو عبدالله محمد بن عباس الربعي » الرئيس الطبيب ولد بدنيسر سنة ست وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وتفقه للشافعي وصحب البهاء الزهير وتأدب به وصنف الى ان قال نقلا عن الاسدي : العماد محمد بن عباس الحكيم البارع في الطب صاحب المدرسة للاطباء بالقرب من بيمارستان نور الدين الشهيد الخ .

(المدرسة اللبودية) اللبودية النجمية مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري انشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي في سنة اربع وستين وستمائة : الى ان قال نقلا عن ابن ابي أصيبعة . كان علامة وقته وافضل اهل زمانه في العلوم الحكمية الخ

هذه امثلة من عمل العلماء : واسمعوا مثالا من عمل التجار في سبيل الخير والعلم والمنفعة العامة لم يعمل مثله احد من اغنياء هذا الزمان

(المدرسة المزلقية) بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية انشأها تاجر الخاص الشريف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلق ميلاده سنة اربع وخمسين وسبعمائة وكان ابوه لبانا ادركه جماعة وهو يباشر ملبنة عند جامع يلبغا فنشأ ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه ان اول سفرة سافرها كسب فيها مائة الف دينار وثمانمائة الف درهم وانفتحت عليه الدنيا وعمر املاكاً كثيرة وانشأ على درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار اتفق على عمارها مايزيد على مائة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت في غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الاوقاف الكثيرة الحسنة وعين للحجرة الشريفة على الحال بها افضل الصلاة واتم السلام الشمع والزيت في كل عام الى آخر ماقال

وهذا مثال لتاجر غيره ايضا : (المدرسة الرواحية) شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الاموي ولصيقه شمالي جيرون وغربي الدويلعة وقبلي السيفية الحنبلية : قال ابن شداد بانيها زكي الدين ابو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه العبر في

من مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة والزكي بن رواحة هبة الله بن محمد الانصاري التاجر المعدل واقف المدرسة الرواحية بدمشق واخرى بحلب الخ

ومن امثلة عمل النساء : (المدرسة العالمية) العالمية شرقي الرباط الناصري غربي سفح قاسيون تحت جامع الافرم واقفتها الشيخة الصالحة العالمة اللطيفة بنت الشيخ الناصح الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة التي قبل هذه (وهي المدرسة الشيخية بانيها الشيخ ابو عمر الكبير) وكانت فاضلة لها تصانيف وهي التي ارشدت ربيعة خاتون بنت نجم الدين ايوب اخت الملك صلاح الدين الى وقف المدرسة الصاحبية بقاسيون على الحنابلة الخ

ومن امثلة عمل العبدان والطواشية (المدرسة الصارمية) الصارمية داخل بابي النصر والجابية قبلي العذراوية بشرق قال القاضي عز الدين بانيها صارم الدين ازبك مملوك قايماز النجيبي ورأيت مرسوما بعتبتها ما صورته

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الاجل صارم الدين جوهر بن عبدالله الحر عتيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذرى ابنة شاهنشاه رحمها الله تعالى الخ

ارأيتم ايها السادة بماذا قامت هذه المدارس وبمن وكيف ان الافراد من اسلافكم كانوا يعملون مالا يعمله الجماعات منكم اليوم

ان الافراد هم الذين ينهضون بالام وان المدنية الاسلامية التي تلوت عليكم حلقة من سلسلتها العظيمة كان للافراد شأن عظيم في وضع دعامتها وتشييد بنيانها

تعلمون ايها السادة ماكان لترجمة كتب اهل التمدن القديم كاليونان والفرس الى العربية من الاثر الكبير في تأسيس المدنية الاسلامية في بغداد على عهد الخلفاء العباسيين وقد يتوهم بعضهم ان الذي عني بترجمة هذه الكتب انما هم الخلفاء وحدهم واخصهم امير المؤمنين المأمون والحال ان لكثير من الافراد ورجال الفضل والنبل من الامة يداً لاتنكر في هذا السبيل ·

وهذا يدلكم على ان عمل الاشخاص منفردين لايقل تأثيراً في الهيئة الاجتماعية عن عملهم مجتمعين

ولذا فلا ابالغ اذا قلت ان نوابغ الامة الذين خدموا بذكائهم وعلمهم المدنية وشيدوا

اركانها الرفيعة انما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل اهل السخاء والجود من محبي العلم والترقي وانصار النجاح الذين كانوا ينفقون من مالهم عَلَى المترجمين للكتب العلمية الى اللغة العربية

ومن هؤلاء الافاضل الأجواد الذين رصدوا جزءاً كبيراً من اموالهم عَلَى المترجمين لكتب العلم في تلك العصور : علي بن عيسى العباسي : ومحمد بن موسى بن شاكر الرياضي الشهير : وعلي بن يحيى الكاتب : وابن المدبر الكاتب : وثاوري الاسقف: ومحمد بن عبد الملك الزيات الوزير : وبختيشوع الطبيب : ويوحنا بن ماسويه الطبيب : والعدد الكثير من امثالهم المولعين بالترقي والعلم الذين كان ينفق كل واحد منهم اموالاً طائلة عَلَى نقله العلوم الى اللغة العربية حتى لقد نقل ابن ابي أصيبعة عن محمد بن عبد الملك الزيات انه كان ينفق في الشهر الواحد عَلَى المترجمين الف دينار · قال هذا فضلاً عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا القصد

انا والله نتمنى ان تجمع هذه الالف دينار في كل شهر من الف غني من اغنيائنا اليوم لتنفق في سبيل نشر العلم وتربية الناشئة من ابناء الاوطان ولو فعلوا ذلك اليوم لعوضها ابناؤهم اضعافاً مضاعفة في الغد · بل لو فعل ذلك اهل كل ولاية عثمانية لاصبحت المملكة العثمانية بعد عشر سنين جنة قطوفها العلم وسياجها القوة والحياة · ولنعد الى ما كنا بصدده فنقول :

بمثل هذا البذل عَلَى نقل كتب العلم ونشرها بين الكافة والاستفادة منها ظهر اركان النهضة في الشرق الذين ارتفع بهم شأن التمدن الاسلامي وذلك مثل بني موسى بن شاكر المهندسين الرياضيين في عصرهم وبني بختيشوع وبني سهل وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قرة وبني زهرون وابي عثمان الدمشقي وابن كرنيب ويحيى بن عدي المنطقي وابي الفرج الطبيب وابي الريحان البيروني والشيخ الرئيس ابن سينا وابي نصر الفارابي والفخر الرازي وابن الشاطر واضرابهم من العلماء الذين ظهروا في الشرق في عصور متفاوتة ابان الحضارة الاسلامية

ومثل بني زهر ويحيى بن السمينة وابي القاسم المرحيطي امام الرياضيين والفلكيين في عصره وابن السمح الغرناطي المهندس وسعيد بن عبد ربه وابي جعفر الترحالي وابي الوليد ابن رشد وابنيه محمد واضرابهم ممن ظهروا كذلك في الغرب

ومثل ابن الهيثم البصري صاحب التآليف الغزيرة في الرياضيات والفلك والمبشر ابن فاتك وعلي بن رضوان وتلميذه افرائيم بن الزفان والشيخ السديد رئيس الاطباء وشمس الرياسة بن جميع الاسرائيلي ورشيد الدين ابي حليقة وامثالهم ممن ظهروا في مصر كل هؤلاء من علماء الفلسفة والطب والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها من العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المائة ممن ظهروا في عصرهم وبعده في الشام وبغداد ومصر وفارس والمغرب والروم اي آسيا الصغرى وغيرها من الامصار ونهضوا بالامة واعلوا ذكر المدنية الاسلامية في الشرق والغرب وانما وضع لهم الاساس افراد من الامة قدروا قدر العلم فشيدوا معاهده وترجموا كتبه واكرموا اهله فتكون من عمل اولئك وهؤلاء وتعاونهم جيلا بعد جيل بناء تلك المدنية العظيمة التي فقدناها بعد ولم نستطع اللحاق بابناء التمدن الحديث لاعراضنا عن العلم وغفلتنا عن تحدي الامم الراقية وقبض اكفنا عن امداد معاهد العلوم وانشاء دورها مع انا قد يطلب منا الآن ونحن جماعات فلا نجيب ما كان يعمله الافراد من اسلافنا من تلقاء انفسهم وبمحض رغبتهم بالعلم والمعارف وحبهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم ·

وبالجملة ايها السادة انا امة ذات ماض مجيد وتاريخ جميل وقد ترك لنا اسلافنا درساً لا يمحوه الزمان ونقش في كل زاوية من المشرق ومكان فلن يبلغ بنا ضعف النظر اوضعف القلوب والهمم او فساد الاخلاق واستحالة الدم الى ان تتناساه ولا نقرأ صحفه الزاهية التي يدعونا كل سطر منها الى التذكر والتفكر والسعي الحثيث الى الترقي الذي مناطه العلم والعلم يحتاج الى المال · فالمال َ المال َ الكرم َ الكرم َ الانتباه الانتباه والا قضي علينا بالدمار ولحق بنا العار وتبرأ منا اسلافنا الطاهرون ولا يكون ذلك ان شاء الله مادام فينا الكرام الغيورون والرجال المفكرون والسلام عليكم

اغنياؤنا

قال لنا منذ مدة احد اعيان دمشق اني اضطررت لضائقة اصابتني ان ابيع عقارين من عقاراتي افتدري من كان يزيد فيهما ؟ قلنا لا ندري · قال كان يزيد فيهما اناس لا يتصور العقل ان عندهم قوت شهر واحد اناس يلبسون خلق الثياب ولا تعدهم من كبار السوقة بل من صغار المرتزقة اما من كان يظن انهم سيتلقفون ذينك العقارين فلم

يساوموننا عليهما بفلس واحد لانهم لانقد عندهم وربما كان تقدير الناس لاموالهم هو دون الحقيقة بمراحل ·

واجتمعنا من المساء بمجلس غاص بالمفكرين وارباب التجارب فقص علينا احدهم ان المزرعة الفلانية التي يراد بيعها في الغوطة قد انتهى ثمنها الى عشرين الف ليرة على رجل لم يكن يظن انه يملك عشر معشارها من الثروة حتى قال انه يدفع قيمتها حوالة على المصرف دفعة واحدة ثم اجمعت آراء الحضور على ان ثروة دمشق قد زادت في العشر سنين الاخيرة زيادة محمودة بداعي الاموال الطائلة التي بذر بها تهافيها ادارة السكة الحجازية وهي لاتقل عن مليوني ليرة وادارة الترامواي الكهربائي الذي انفق نحو مائتي الف ليرة وما اعقب قرب المواصلات من ورود السائحين والحاجين الى دمشق ذاهبين منها وجائين وما نقلته السكك الحديدية من غلات البلاد القاصية فقدر ماحملته سكة حوران وحدها من الغلات في العام الفائت بثمانين الف طن والطن اربعة قناطير دمشقية وثمنها يناهز المليون ليرة وما نقلته سكة حديد حماة بخمسة واربعين الف طن هذا عدا ما نقلته الخطوط الاخرى وحمل على متون الدواب والجمال من الغلات والثمرات حتى عمرت بذلك قرى حوران وكانت خرابا يبابا منذ بضع سنين وغدا الحوراني اليوم يلعب بالليرات كما يلعب جاره الفلاح المصري بالجنيهات هذا في اقليم واحد من اقاليم بلاد الشام وفي فلسطين وولاية بيروت وحلب وسورية مقاطعات لاتقل في خصبها وامراعها عن حوران ولكنها لم تشتهر شهرتها واصبح اهلها بفضل المواصلات والحركة التجارية الجديدة في سعة من العيش تزيد كلما زادتهم الحكومة امنا ووفرت لهم مرافق الحياة ·

قالوا وهذه النهضة الاقتصادية في دمشق خاصة لانها قاعدة هذه البلاد والنقطة الوسطى منها وباب الكعبة ومقر الفيلق ومركز الولاية قد استمتع بخيراتها المقاولون والنجارون والحدادون والبناؤون والحجارون والجمالون والعملة والتجار وارباب الفنادق والمطاعم والعربات فتسربت الدراهم والدنانير الى جيوب ارباب الطبقة الوسطى فمن دونها واغتنى كثيرون وارتاشوا حتى ان كثيرين من بائعي الفول المدمس لايرضون من الربح في يومهم باقل من ليرة

كل هذا قالوه وهو صحيح ولكن الواجب علينا ان لانمر بنادون ان نتدبر سره الاقتصادي والاجتماعي فالسر فيه ان كثيرين من الاعيان اكتفوا بما حازوه من الثروة ارثا عن آبائهم او بفضل سعيهم ولا نقول كيف حازوها والطرق التي سلكوها فمنهم من كانت

ثروته ثمرة الكدح المشروع من تجارة وزراعة وهم قلائل يعدون على الاصابع . ومنهم من اغتنوا بالاتفاق فابتاعوا مثلاً ارضاً اوعقاراً قضت الاحوال بارتفاع اسعاره فاصبح ماابتيع بالف يساوي عشرة آلاف وعددهم محدود ايضاً ومنهم اثروا بما كان لهم او لاجدادهم من النفوذ في الدولة الاستبدادية فكان الفلاحون يأتونهم باكين شاكين طالبين اليهم ان يرفعوا عنهم ظلم الحكومة او الملتزمين اوعرب البادية و يأخذوا قوتهم حلالاً زلالاً وهم يكتفون منهم بالحماية و يدفعون لهم الخمس كل سنة من مجموع ماانبت الارض . ومنهم من تيسر لهم ان يحرزوا وقفاً عظيما لمدرسة او لمدارس فعمروا ارضه ورباعه فاخصب وعلاتّه مع الزمن فاغتنوا هم واولادهم ومنهم من وسدت اليهم الوظائف فباعوا ذممهم وفتحوا بطونهم لاكل الرشى واضاعوا حقوق العباد والدولة حتى جمعوا لهم مقداراً من المال انشوا به الحوانيت وعمروا الدور واستثمروا المزارع والدساكر . ومنهم من جرأوا على استحلال الربا ايام كان ابن حوران مثلاً لفقره يضطر في اكثر سنيه ان يقترض القرش بقرشين وكانت للمرابين والصيارف لحة وعرامة فجمعوا من رأس مال صغير كنوزاً كبيرة في برهة وجيزة ومنهم من لم يستنكفوا من ظلم الفلاح فاكلوا لحمه وعرقوا عظمه حتى تم لهم والناس في غفلة والحكومة في اغفاءة الذ من اغفاءة الصبح نائمة عن رعاياها ان جمعوا ماجمعوا سحتاً بحتاً وحراماً لايجوزه عقل من عقول البشر ولاشريعة من الشرائع السماوية والارضية .

هكذا اقام اكثر ماتشاهده من الثروات وعلى هذه الاسس قامت ابنية الامجاد والتقتير رائد اصحابها والامساك طريقهم الى الجمع . ومن اتاه قرش فصرف بعضه واحسن استخدام ماجمع لابد ان يأتي عليه يوم يحوز الغنى وكيف لانتسب بعض الاغنياء الى كزازة الايدي ونحن نراهم لايسمحون حتى بتعليم اولادهم مع ان تعليمهم باتفاق آراء العقلاء يعادل اطعامهم لقوام اجسامهم وتغذية الارواح مفضلة عند الكثيرين على تغذية الاشباح

لو تعلم اولاد الاغنياء التعليم العصري المطلوب وربوا على الاخلاق الفاضلة اخلاق العمل والحساب لما خيف على ثروات آبائهم من التبدد وارثوا النشب كما يتوارث النشب كابراً عن كابر فتتسلسل الوجاهة في بيوتهم الجيل بعد الجيل والعصر بعد العصر فلا يخافون عيلة ولايشكون سقوط منزلة . واصدق مثال يصح الاستشهاد به كل حين مايراه كل انسان من الفروق في حالة المسيحيين والمسلمين وهم ابناء وطن واحد لايختلفون

في طبائعهم ولا سيما في عاداتهم وهم قد فاتوا المسلمين بمبادي يتعلمونها من اللغات والعلوم وطاب عيش الفقير منهم اكثر من عيش الغني في المسلمين وذلك بفضل ماتعلموه من حسن التربية والحساب للمستقبل وعدم الاتكال على الحكومة واعمالها بل على الكفاءة واستخراج الثروة من المذاهب الطبيعية في المعاش ·

وعقد ابن خلدون فصلا في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة آباء فقال « ان باني المجد عالم في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لابيه قد سمع منه ذلك واخذه عنه الا انه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاني له ثم اذا جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقتهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم ان ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف وانما هو امر وجب لهم منذ اول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصابة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب فقط فيربأ بنفسه عن اهل عصبيته ويرى الفضل له عليهم وثوقاً بما ربي فيه من استتباعهم وجهلاً بما اوجب ذلك الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بمجامع قلوبهم فيحتقرهم بذلك فينغصون عليه ويحتقرونه ويديلون منه سواه من اهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب للاذعان لعصبيتهم بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتنمو فروع هذا وتذوي فروع الاول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز

« واشتراط الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والا فقد يدثر البيت من دون الاربعة ويتلاشى وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بانه مباشر له ومقلد وهادم وهو اقل مايمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم اشارة الى انه بلغ الغاية من المجد وفي التوراة ما معناه ان الله ربك طائق غيور مطالب بذنوب الآباء للبنين على الثوالث وعلى الروابع وهذا يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب اه

وبعد فان من سنن الكون ان لا يظل الغني غنياً ولا الفقير فقيراً وان من رأيناهم اغتنوا في العهد الاخير بالنسبة لمجموع ثروة الامة هم الذين سعوا الى الرزق من ابوابه ومعظمهم يوثرون حتى بعد ان اغتنوا ان يعيشوا عيش البساطة فدخل احدهم فائض كثيراً عن خرجه ولا يبعد ان يجيء يوم يتولى اولئك الذين لا نعرفهم الآن او لا نريد ان نعرفهم ازمة الامور ويصبحون هم اعيان البلاد خصوصاً اذا داووا ارواحهم وارواح ذراريهم بترياق التعليم وبلسم التربية الحديثة وطبعوا أسرائهم بطابع الاستقلال لا بطابع الاتكال في الاعمال. ربوهم ليكونوا اعضاء عاملة في المجتمع البشري لا ليكونوا فقط آمرين ومأمورين. ربوهم ليعرفوا قدر المال وطرق كسبه من الوجوه المشروعة المعقولة لا بالاحتيال والنصب وخبث الطعمة وسوء القالة. ربوهم كما يربي الانكليزي ولده فيعلمه حتى اذا بلغ اشده يلقيه برضاه في معترك الحياة مانعاً عنه كل مؤونة مالية لا كما يربي الفرنسوي ولده فيعلمه ما اراد فاذا شب لا ينفك عنه فيزوجه ويعطيه وربما حرم بناته حتى يخلف قدراً اكثر لبنيه

التعليم الوطني

من اهم المسائل الاجتماعية في العالم مسألة التعليم فهو الذي تحرص عليه الامم حرصها على حياتها. والتعليم الوطني هو ارقى انواع التعليم به تحفظ الجنسيات واللغات ويبقى على العادات والقوميات ولذلك تجد العراك في هذا الشأن على اشد ما يكون بين الامم الغالبة والامم المغلوبة فالبولونيون لا يشمئزون من الالمان والنمسويين والروسيين الا لان كلاً من المانيا والنمسا وروسيا تحاول ان تصبغ البولونيين بصبغتها. والجزائريون لا يتأففون من فرنسا الا لانها تنوي القضاء على جنسيتهم ولغتهم ودينهم بتلقينهم المبادئ الافرنسية واللغة الافرنسية. والكوريون لا يغضبون على اليابانيين الا لان هؤلاء يحبون ان يصبغوا اهل كوريا بصبغتهم ويطبعونهم على مناحيهم. واهل الالزاس واللورين لا يكونون من الالمان الا لانهم يرمون الى تربيتهم على الاسلوب الالماني وتلقينهم اللسان الالماني لينسوا مع الزمن لسانهم وقوميتهم كما نسي اهل شلزويك هولستاين الدانيركيون لغتهم بانضمامهم الى بروسيا. والجاويون لا يتأوهون من هولاندة الا لسعيها في تنشئتهم على مناحيها.

والهنديون اعظم مايقمون، عَلَى الانكليز تلقينهم الناس حب انكلترا وعظمتها ولغتها وان كان الانكليز اكثر الامم مراعاة لعواطف المغلوبين عَلَى امرهم

وهكذا لو استقر بنا تاريخ الانسان الى اليوم والى ما بعد اليوم نجده عبارة عن سلسلة ظلامات منشأوها سوء التفاهم بين الناس يريد القوي ان يسخر الضعيف ويطبعه عَلَى منازعه لاعتقاده بانه اعلى منه كعباً واكثر علماً وادباً وارجح عقلاً وانجح سعياً شأن العالم مع الجاهل يود ان لا تمر به ساعة الا ويعلمه شيئاً ليقربه منه ويحسن الانتفاع به ولكن ما كل قوي يكون اعلم من ضعيف ولا غالب اعقل من مغلوب وندر في الناس والامم من يقر بارجحية غيره عليه ولو كان الحق في ذلك اوضح من فلق الصبح ·

نقول هذا ونحن نرى التعليم الوطني في مصر والشام وهما اعرق البلاد العربية في الحضارة والتعلم عَلَى اضعف مايكون وان كانت مصر سيدة البقاع في هذا لان انتباه الناس منذ سنين لجعل طبقات التعليم بالعربية بعد ان كاد يصبح كله بالانكليزية لابد ان يحفظ عَلَى المصريين لغتهم واخلاقهم وتقاليدهم اكثر مما يحفظها عَلَى السوريين مثلاً · فقد عبثت بالسوريين دواعي التفريق في الوطنية وضعفت ملكتها فيهم بقوة المدارس الغير الوطنية في ديارهم · فان كانت هذه المدارس قد نفعت سورية بما ادخلته اليها من النور القليل فقد اضرتها بانحلال عقدة الوطنية فمدارس الاميركان والروس واليونان والفرنسيس والانكليز والالمان قد اصلحت وافسدت · اصلحت بتلقين من تخرجوا فيها شيئاً من معارف الغرب واضعفت في نفوسهم حب الوطن بتحبيبها اليهم اوطاناً غير اوطانهم وتعريفهم الى رجال غير رجالهم ومساواتها في اعينهم الامم · والعاقل من حرص عَلَى نفع امته قبل كل نفع وانتفع بما عنده قبل ان يتطال الى ما عند غيره

رأينا افاضل الطبقة التي نشأت من مدارس الفرنسيس والاميركان والروس في ادوار مختلفة فلم نشهد فيهم الا النادر من يغار عَلَى وطنه كما يغار عَلَى حرمه فكنا اذا حدثناهم بما تصير اليه حالة لغتهم ووطنيتهم بتخليهم عنهما قالوا واي نفع يرتجى لمن يتعلم اللغة العربية وهل هي الا لغة قوم بادوا وانقضت ايام سعدهم ومن يضمن لنا ان نعيش اذا تعلمنا اللغة العربية ولذلك كانت اقل لغة من لغات العالم المتمدن اكثر فائدة · اما حالتهم في انحلال عقدة الوطنية فادهى وامرّ · ومن زهد في لغة آبائه وجدوده كان حرياً بالزهد في وطنه ووطنيته · واللغة والوطن يصح ان يكونا اسمين لمسمى واحد ·

شهدنا اناساً قيل عنهم انهم حاملون للشهادات العالية من مدارس الاجانب فكنا

نسألهم بعض الاسئلة البسيطة في تاريخ امتهم وبلادهم فما كانت اجوبتهم الا استهزاء بما يترتب على معرفتهم ذلك من الفوائد وكان ايسر مايحجنا به احدهم انه يعرف تاريخ روسيا اواميركا اوانكلترا اوفرنسا معرفة جيدة ويوردون لنا ايام تلك الامم واسماء رجال الحرب والسياسة والعلم فيهم ويعجزون عن ذكر شيء من تاريخ بلادهم الا القليل الذي تلقفوه بالسماع من العامة . هذا في ناشئة المدارس الاجنبية الذين هان عليهم ان يغادروا بلادهم واكثرهم نزحوا الى مصر واميركا وغيرها واختاروها موطناً لهم وربما حدثتهم انفسهم ان يتجنسوا بالجنسية الاجنبية لانه لاترجى لهم عودة الى بلادهم وقد ملئت نفوسهم بحب من تخرجوا بهم .

وهناك طبقة ومعظمها من المسلمين تخرجت في مدارس الحكومة تخرجت اقرب الى العجمة منها الى العربية لان المدارس الاميرية مابرحت الى اليوم وقبل اليوم تعلم اللغة العربية تعليماً صورياً وتوفر عنايتها بالتركية لغة البلاد الرسمية وانا لنخجل ان نقول ان سورية قد نشأ منها زهاء خمسمائة ضابط ونحوهم او اكثر من الموظفين لايعرفون من اللغة العربية الا ان يتكلموا الكلام العادي البسيط واكثرهم يمزجونه بالفاظ تركية لايفهمها ابن العرب ويعتذرون عن قصورهم بانهم لم يتعلموا في المدارس لغة آبائهم واجدادهم ومن يقدرون منهم على الكتابة الصحيحة بلغتهم فافراد يعدون على الاصابع تعلموها في الغالب بعد ان انجزوا دروسهم . والمتخرجون في مدارس الحكومة لايحسنون في الاكثر تاريخ الدولة العثمانية فضلاً عن تاريخ العرب وامجاد اسلافهم

جنت مدارس الاجانب والحكومة على هذه البلاد اعظم جناية لان المتخرجين فيها ومعظمهم من الذكاء على جانب عظيم لم ينفعوا الدولة حق النفع ولم ينفعوا البلاد التي ولدوا فيها فتراهم ضعافاً في حبهم اوطانهم فاماان ينتقلوا في الوظائف واما ان ينتقلوا من البلاد جملة فتحرم منهم الامة التي اولدتهم والسماء التي اظلتهم والارض التي اقلتهم والبلاد لاتعمر الا بايدي ابنائها بعد ان قيل في الامثال « قتل ارضاً عالمها » وهل اعلم بها من ابنها .

ابحث عمن تخرجوا في هاتيك المدارس منذ ثلاثين سنة تجدهم الا قليلا جداً وقفوا انفسهم على نفع غيرهم واحتقروا جنسيتهم ولغتهم وربما كان عدد المحتقرين لها في ناشئة المدارس الاميرية اكثر من متخرجي المدارس الاجنبية لان هؤلاء يرون باحتكاكهم بالاجانب مبلغ تفاني هؤلاء في انهاض اممهم وحبهم لغتها وتقاليدها ولمدارسهم عناية

بالعربية اكثر من المدارس الاميرية فاذا كان الطالب حصيف الرأي لا ينطلي عليه محال من يعلمونه ولكن من اين له وطنية كوطنيتهم وغيرة كغيرتهم وهو لا يعرف من اسباب وطنيته حتى ولا لغتها ولا من مجد اجداده الا قشوراً ولا من حاجات بلاده وقانونها الا تافهاً . وهل غير القوي يدافع عن حوزة وغير العاقل يحتفظ بعاداته ولغته والقوة لا تنشأ الا بالعلم والتربية الوطنية

ان المدارس الغير العربية في سورية اشبه بالسارق الذي يسرق الاعلاق ونفائس المتاع . استغفر الله بل ان من يسرق فلذات الاكباد ليخرجها على ما اراد اشق على النفس وطأة واعظم في المغبة اثراً وهل يقاس سارق الاموال بسارق الاطفال والرجال اوليست الارواح اثمن من كل بضاعة وهل اعز من الولد على قلب ابويه

وليس معنى هذا الدعوة الى مقاطعة المدارس الغير العربية فان اهل هذه البلاد لاغنى لافراد منهم عن تعلم اللغة التركية لغة السياسة الجامعة ولا عن تلقف بعض اللغات الاوربية الراقية كالانكليزية والفرنساوية والالمانية والايطالية ولكن الواجب ان يتعلموا ما شاؤا من اللغات والعلوم بعد ان يحكموا لغتهم كتابة وخطابة حتى لا يسرق ابناء سورية بتساهل آبائهم ويبيعوهم من اقوام اخر بالمجان على امل التوظف في وظائف الحكومة او الاحتكاك بالاجانب احتكاكاً يؤدي في الاكثر الى ارتحال المتخرج بهم عن بلده وزهده في وطنه زهداً ابدياً .

ان المدارس التي تعلم على غير الاسلوب الوطني هي التي تسلب من سورية اليوم بعد اليوم روحها وناهب الروح ماذا يدعى في الشرع والعقل؟ ان لاهل كل قطر منازع خاصة بهم وعادات واخلاقاً ومميزات اذا فقدوها هلكوا وانحل امرهم وآضوا عبئاً ثقيلاً على البلاد لا ينتفعون بها ولا هي تنتفع منهم . فالواجب اذاً انشاء مدارس لاحياء التعليم الوطني لتحيا بحياته البلاد لان مئة رجل يعرفون الزراعة باللغة الفرنسية اقل نفعاً من واحد يشرحها للعرب بالعربية وقد يكون تعلمها بالعمل لا بالنظر . وهكذا الحال في مئة كاتب متعلم قرأ العلوم والآداب بغير لغته لا يستفيد منه قومه عشر معشار كاتب واحد يعرف كيف يعلم عامة قومه قبل خاصتهم وجاهلهم قبل عالمهم اصول المعاش والمعاد بلغة ابيه وامه .

ان مما عاق الاتراك عن فهم اسرار الشريعة قلة عنايتهم بالعربية التي يجب على كل مسلم ان يتعلمها والذي عاق العرب عن فهم قوانين البلاد جهلهم بالتركية لغة الجامعة

العثمانية التي توجب السياسة تعلمها فظلت اكثر قوانيننا مكتوبة باللغة التركية ولم يستفد منها الا قلائل من الاتراك وبعض من تعلموا ليتوظفوا من العرب والروم والارمن والارناؤد والاكراد واللاز والفلاخيين والبوشناقيين والبلغاريين . ولو تخرج في مدارس الحكومة اناس من العرب يحسنون الكتابة والخطابة بلغتهم كما يحسنونها باللغة الطارئة عليهم لتمكنوا على الاقل من نقل هذه القوانين الى العربية وعرف العثمانيون ما لهم وما عليهم وافادوا بلادهم وقوميتهم فائدة كبرى .

ان مما يبكي ان يسن ابن الاستانة قانوناً يحاول تطبيقه على ابن حوران وهلا كان الاختلاف في الحاجيات طبيعياً بين تركي وعربي واوربي وآسياوي . ولذلك جاءت قوائم الدروس الجديدة في المدارس الابتدائية والثانوية في الولايات العربية مثل دروس الولايات التركية لا اثر فيها لتعلم العربية الان يكون قراءة القرآن في الصفوف الابتدائية يتلى فيها بلا فهم ولا علم

واكبر دليل على ان نظارة المعارف العثمانية جاهلة بطبائع البلاد انها اسست مدرسة لتخريج المعلمين في دمشق ولم تذكر اسماً فيه للعلوم العربية لغة الدين والبلاد وجعلت الجهد كله مصروفاً الى تلقين التركية حتى لا يعلم الاساتذة الجدد الا مما تعلموه ويكثر عدد العارفين بالتركية والمتخلين من لغتهم فلا بأس بهم خصوصاً متى اصبح التعليم الابتدائي اجبارياً الا وقد اهمل العرب لغتهم بتاتاً

صرحنا بهذا وان كان فيه غضاضة كبرى على العرب الذين لم يستفيدوا من حرية الدستور حتى الآن وينشئوا على الاقل كتاتيب منظمة لتلقين لغتهم من ايسر الطرق حتى ينتفعوا بعد الآن باولادهم حق النفع ولا يفقدوا عدداً كبيراً ممن يدخلون مدارس الاجانب فتنحل وطنيتهم وتضعف لغتهم . اما مؤسسو تلك المدارس اجنبية كانت او اميرية فانهم يعذرون للسبب الذي اوردناه آنفاً وهو ان القوي يريد ان يستغرق الضعيف سنة من سنن الكون . ولم يبلغ البشر درجة راقية من التمدن حتى تتساوى في عيونهم اللغات والعناصر كلها وتتجرد امة فتفنى لاحياء غيرها وتقلل جنسها لتزيد سواد آخر ولا تهدم دارها وتريد هدمها لتعمر بانقاضها دار جارها والسلام .

جبل الدروز وفتنتهم

الى الجنوب من دمشق على نحو عشرين ميلا منها كورة واسعة مخصبة الرباع اسمها حوران فيها نحو ستمائة قرية وفي شرقي تلك الكورة اقليم يمرع فيه السهل والجبل الاانه اطلق عليه اسم جبل حوران كما يقال له جبل الدروز الآن لان معظم سكانه منهم وهو يمتد من شمالي حوران الى جنوبيه ويحده من الشمال اللجاة وهي ارض بركانية ذات حرار وعرة للغاية ومن الشرق البادية ومن الجنوب قفر مترامي الاطراف يتصل بوادي الحجاز ومن الغرب الجنوبي النقرة والنقرة سهل جيد التربة في وسط حوران

وطول هذا الجبل نحو ١٥ ساعة على راكب المطايا وعرضه ٨ ساعات وهو من الجهة الجنوبية والجهة الغربية اي نحو ثلاثة ارباعه سهل خصيب تضاهي تربته تربة السهل من بلاد حوران وغوطة دمشق والبقاع العزيز وربما كانت احسن منها وفيه ١٠٨ قرى ويقدر نفوسها على التخمين بخمسين الف نسمة وربما استطاع حمل السلاح منهم نحو ثمانية آلاف ومنهم الذين يشنون الغارات ويقتلون الابرياء ويسلبون المارة واقليمهم هو الاقليم الوحيد في سورية باسرها الذي ازمنت فيه الفوضى واحب اهله على قربهم من الحواضر ووفرة غنائم يزراعتهم ان يعيشوا عيش السلب والنهب والقتل يؤذون من خالفهم من مجاوريهم ويطيلون ايدي اعتدائهم على ابناء السبيل ويناوئون الحكومة ويعصون قوانينها فلا يؤدون الضرائب الاميرية والخراج ولا يخدمون الجندية واذا لم يجدوا من يقتلونه ويقتلون به يقتتلون بينهم كأنهم يتعبدون باهلاك العباد والعيث بالفساد في البلاد ·

وآخر عمل فظيع قاموا به انهم غزوا جيرانهم اهل قريتي معربة وغصم وسكانهما مسلمون ومسيحيون فقتلوا ٥٩ رجلا وامرأة وجرحوا ثلاثة وبين القتلى اربع نساء بينهن والدة شيخ معربة وزوجته واخته ونهبوا القسم الاعظم من السهوة وجبزة وسماقية وطيسة من بلاد السهل فطفح كأس الصبر منهم ولم تر الدولة بدأ من ارسال حملة عليهم تؤدب عصاتهم وتضرب على ايدي الفوضويين والعدميين منهم وتؤاف شاردهم وتؤمن خائفهم وتخضعهم للقوانين كسائر الافراد العثمانيين

ولعل كثيرين يتساءلون عن تاريخ عمران هذا الجبل ونزول الدروز فيه فالمعروف من حاله انه كان في الدول القديمة تابعاً لحوران تشهد لذلك الآثار القليلة الباقية الى

اليوم في بعض امهات قراه مثل السويداء (١) قاعدته القديمة وصرخد وقنوات فان الكتابات اليونانية واللاتينية والنبطية والعربية المكتوبة بخط سباه تدل على انه كان عامراً للغاية

وفي السويداء بل في اكثر قرى الجبل على ما انتابها من الحرب والتدمير بعض الآثار اليونانية والرومانية (٢) مثل القناة والمعبد والمسلة التي يظن انها من القرن الرابع والخامس للميلاد والجامع الحرب المزبور عليه بعض كتابات يونانية والخزان الكبير لجمع الماء الذي انشيء على اكمة تشرف على السويداء وعلى طريق قرية القنوات جسر مهم للغاية جعل على عمد هائلة يظن انه من القرن الاول وانه كان ناووساً

والظاهر من عاديات قنوات انها كانت اهم من بصرى قاعدة بلاد حوران كلها وكان فيها ابرشية للروم ولا تزال بعض الطرق هناك مبلطة ببلاط كبير سلم من عوادي الايام ومعظم الدور محفوظة كما كانت بنوافذها وابوابها الحجرية

ومن الآثار التي تجلب الانظار ذاك المسرح «الثياترو» الجميل الذي قام على يمين الوادي واكثره منحوت في الصخر وقطره نحو ١٩ متراً وفيه تسعة صفوف اسفله على متر ونصف تحت الملعب وفي وسطه حوض ماء وهو مطل على الوادي ومصانع المدينة وجبل حرمون (الشيخ) وفي مكان شاهق آثار معبد ذي ادراج في الصخر تؤدي الى برج اصم ربما كان جزءاً من حصن مشرف على المضيق ويستدل من الابنية السفلى ان تاريخها يرد الى ماقبل عهد الرومان وعلى مسافة قليلة نحو الشرق برج عظيم مدور دائرته ٢٥ متراً وربما كان برجاً لدفن الموتى وهناك بعض خرائب كنائس وجادات واروقة وارتجة وبعض قطع من هياكل وتماثيل وملاعب

---

(١) قال ياقوت في المشتبه السويداء بضم السين وفتح الواو تصغير سودا اربعة مواضع السويداء من قرى حوران من اعمال دمشق ينسب اليها ابو محمد عامر بن دغش بن خضر بن دغش الحوراني السويدائي كان شيخاً خيراً تفقه ببغداد على ابي حامد الغزالي وسمع الحديث من ابي الحسن ابن الطيوري سمع منه الحافظ ابو القاسم الدمشقي واثنى عليه خيراً ومات في حدود سنة ثلاثين وخمسمائة والسويداء موضع على ليلتين من المدينة من جهة الشام والسويداء مدينة مشهورة بين آمد وحران من نواحي ديار مضر بالضاد المعجمة واهلها ارمن نصارى والسويداء قرية من قرى حماة بينها وبين حمص (٢) دليل سورية وفلسطين ليدبكر

وعلى ثلاثة ارباع الساعة من قنوات في الجنوب الشرقي قرية ساله وفيها معبد من اهم معابد حوران تشبه هندسته معبد هيرود في القدس وفيه من رسوم الاسود والغزلان والخيول المسرجة وغيرها ما يأخذ بمجامع القلب · وهناك ايضاً مذبح في سفح درجات المعبد وكان هذا المعبد خاصاً بعبادة الهالسماء ومن الآثار المهمة آثار شهبا وطرقها معبدة واسعة تكاد تكون اوسع طرق حوران وقد يبلغ عرض الشارع فيها سبعة امتار وستين سنتيماً ·

وليس في الايدي مايستدل منه على منزلة تلك البلاد من العمران على عهد العرب وكانت قبيل الاسلام منازل قبائل بني غسان كما كانت البلاد المجاورة لها فقد بنى النعمان ابن المنذر الغساني من ملوك القرن الرابع للميلاد قصراً في السويداء بقي منه بعض جهاته ووجدت في صرخد [1] صخرة اللات التي عبدها الانباط والعرب كما ذكر هيرودوتس وعليها كتابة تدل على انها نصبت لذي الشرى وهو معبود نبطي له آثار في بصرى وبتره (وادي موسى)

والغالب ان صرخد حازت في الاسلام مكانة اعظم من مكانة السويداء فبالغ الملوك بتحصين قلعتها ليدفعوا عوادي البدو عن القرى العامرة وقد كثر ذكرها في كتب التاريخ على عهد الدولة الصلاحية ومن بعدها من دول الجراكسة خصوصاً بعد ان استولى على الكرك والشوبك وغيرهما من الحصون المجاورة الملك الناصر السلطان صلاح الدين بن ايوب وولى اخاه الملك العادل ابا بكر بن ايوب عليها واصبح لتينك المدينتين شأن عظيم حتى عدت الكرك من الممالك مثل مملكة بعلبك ومملكة حماة ومملكة شيزر وغيرها ومعظم هذه الممالك اصبحت بعد قرى حقيرة في القرون الاخيرة لغلبة الجهل على الحكومات التي تعاورتها ولقلة الامن وانتياب الغارات والزلازل والاوبئة التي اجتاحت سكانها ·

ويؤخذ مما رواه ابو الفداء صاحب حماة ان بلاد صرخد وما والاها وبعبارة اخرى جبل الدروز كانت تدعى في عهده اي في القرن الثامن بجبل بني هلال قال :

صرخد بلدة ذات قلعة مرتفعة وليس لها ماء سوى ماء المطر في الصهاريج والبرك وهي قاعدة جبل بني هلال وليس وراء عملها من جهة الجنوب والشرق الا البرية ومن

---

(1) دواني القطوف

شرقيها تسلك طريق يعرف بالرصيف الى العراق وعلى هذا الطريق بين صرخد وبغداد عشرة ايام

وقلعة صرخد شاهدة ابد الدهر بعظمة تلك البلاد وهي كما قال الثقات اضخم واهم من قلعة حلب اه

وقد جدد الملك الظاهر بيبرس [١] فيما جدد من المصانع في بلاده ماتهدم من قلعة صرخد وجامعها ومساجدها وكذلك فعل ببصرى وعجلون والصلت وكانت قلعتا كوكب وعجلون [٢] لعز الدين بن أسامة وكان هذا ملك صرخد سنة ثمان وستمائة للهجرة وقال ابن خلكان : انه ملك صرخد سنة احدى عشرة وستمائة قال لان استاذه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب حج في السنة المذكورة واخذ صرخد من صاحبها ابن قرجه واعطاها مملوكه ايبك والظاهر ان الاول اصح واستمرت في يد ايبك الى سنة اربع واربعين وستمائة فاخذها الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل من ايبك المذكور . وممن تملك صرخد اقوش الافرم احد امراء بني ايوب .

ومن الادلة على استبحار العمران في الجبل انه نشأ من بعض امهات مدنه اعلام مشاهير ومنهم عز الدين السويدي [٣] من اهل القرن السابع كان عالما عاملا ويونس بن ابراهيم ابن سليمان الصرخدي النحوي اللغوي ٦٩٨ وابراهيم بن سليمان التميمي الصرخدي الفقيه خطيب صرخد مات فيها سنة ٦١٧ وبدر الدين السلختي قاضي غزة نسبة الى صرخد ايضاً وبعضهم يقول صلخد وسلخة والاصح صرخد فيما نرى والروايات الثانية تحريف طرأ مثله على بلدان كثيرة في سورية مثل عربيل وجماعيل فيقولون عربين وجماعين لاستسهالهم النطق بالنون اكثر من اللام

قال ابن ابي أصيبعة : « حدثني نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي ان نجم الدين القمراوي وشرف الدين المثاني وقمرا ومثان هما قريتان من قرى صرخد قال كانا اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكمية وتميزا واشتهر فضلهما وكانا قد سافرا الى البلاد في طلب العلم ولما جاآ الى الموصل قصدا الشيخ كمال الدين بن يونس (الفيلسوف العلامة) وهو في المدرسة يلقي الدرس فسلما وقعدا مع الفقهاء ولما جرت مسائل فقهية تكلما في ذلك وبحثا في الاصول وبان فضلهما على اكثر الجماعة فاكرمهما الشيخ وادناهما ولما كان آخر النهار سألاه ان يريهما كتابا له كان قد الفه في الحكمة

(١) فوات الوفيات (٢) تاريخ ابي الفداء (٣) تاريخ الاطباء لابن ابي أصيبعة

وفيه لغز فامتنع وقال: هذا كتاب لم اجد احداً يقدر على حله وانا ضنين به فقالا له: نحن قوم غرباء وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز بنظرك والوقوف على هذا الكتاب ونحن بائتون عندك في المدرسة وما نريد نطالعه سوى هذه الليلة وبالغداة يأخذه مولانا وتلطفا له حتى انعم لهما واخرج الكتاب فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ولم يناما اصلاً في تلك الليلة بل كان كل واحد منهما يملي على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقابلاه ثم كررا النظر فيه مرات ولم يتبين لهما حله الى آخر وقت وقد طلع النهار فظهر لهما حل شيء منه من آخره وانفتح اولاً فاولاً حتى انحل لهما اللغز وعرفاه فحملا الكتاب الى الشيخ وهو في الدرس فجلسا وقالا: يامولانا ماطلبنا الا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي يعسر حله واما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان واللغز الذي فيه علمه عندنا قديم وان شئت اوردناه فقال قولا حتى اسمع فتقدم النجم القمراوي وتبعه الآخر واوردا جميع معانيه من اول الكتاب الى آخره وذكرا حل اللغز بعبارة حسنة فصيحة فعجب منهما وقال: من اين تكونان قالا: من الشام قال: من اي موضع منه قالا: من حوران فقال: لاشك ان احدكما النجم القمراوي والآخر الشرف المتاني قالا: نعم فقام لهما الشيخ واضافهما عنده واكرمهما غاية الاكرام واشتغلا عليه مدة ثم سافرا .»

وهذه الرواية تدل كل الدلالة على انتشار العلم في هذه المزارع في القرون الوسطى وامتان بلد شرف الدين المتاني قرية موجودة الى اليوم اما قمراو فهي قميرة خربة واقعة الى الجنوب من صرخد على مسافة ساعتين ومنها[1] الفقيه موسى القمراوي اديب مناظر حاذق توفي سنة ٦٢٥ ومن شعره

لما تبدى بالسواد حسبته   بدراً بدا في ليلة ظلماء
لولا خلافته على اهل الهوى   لم يشتهر بملابس الخلفاء

ومن قرى صرخد العرّمان بتشديد الراء وفتحها والعامة اليوم تخففها قال ياقوت: انشدني ابو الفضل محمد بن مياس العرّماني من ناحية صرخد من عمل حوران من اعمال دمشق لنفسه

يعادي فلان الدين(؟) قوم لو انهم   لاخمصه ترب لكان لهم فخر
ولكنهم لم يذكروا فتعمدوا   عداوته حتى يكون لهم ذكر

وانشدني ايضاً لنفسه

(1) ياقوت في المعجم

ولما اكتسى بالشعر توربد خده ... وما حاله الا تزول الى حال
وقفت عليه ثم قلت مسلماً ... الا انعم صباحاً ايها الطلل البالي

وانشدني ايضاً انفه بمدح صديقه موسى القمراوي وقمرى قرية من قرى حوران ايضاً قريبة من العرمان

اصبحت علامة الدنيا باجمعها ... تشدُّ نحوك من اقطارها النجب
بأنْ عَلَى كبد الجوزاء منزلة ... تحفها من جلال حولها الشهب
ما نال ما نلت من فضل ومن شرف ... مراة قوم وان جدوا وان طلبوا

وفي الجبل الى اليوم قريتان باسم نجران قال ياقوت ان نجران موضع بحوران من نواحي دمشق وهي بيعة عظيمة عامرة حسنة مبنية عَلَى العمد الرخام منمقة بالفسيفساء وهو موضع مبارك ينذر له المسلمون والنصارى ولنذور هذا الموضع قوم يدورون في البلدان ينادون من نذر نذر نجران المبارك وهم ركاب الخيل وللسلطان عليهم قطيعة وافرة يؤدونها اليه في كل عام · وقال مثل ذلك في دير نجران ايضاً وما ندري ان كانت نجران هذه هي نجران جبل حوران ام هي واقعة في السهل من قرى بصر الحريري

وتبين مما تقدم ان العمران قديم في هذا الجبل وليس في الايدي نصوص يركن اليها اللهم الا اذا كان شيء في بطون التاريخ والجغرافيا جاء بالعرض ولم نهتد الى معرفته وقد كان سكانه عَلَى ما مر بك آنفاً مسلمين ومسيحيين ولم ينزله الدروز الا في القرون المتأخرة ويقول احدهم انهم رحلوا الى جبل حوران منذ نحو مائتين وعشرين سنة ايام ابتدأ قوم من دروز لبنان يهاجرون واولهم أُسرة بني حمدان التي بطش بها التنوخيون امراء لبنان ومنذ ذاك الحين اصبح كل من يغلب في الحروب القيسية واليمنية في لبنان ومن عضه الدهر بنابه او غضب عليه الحاكم يرحل الى ذاك الجبل ثم انضم اليهم اناس من دروز وادي التيم وصفد وجبل الاعلى والقنيطرة وجوار دمشق

نزل الدروز هنا وهم مستضعفون فقراء وما زالوا يطردون المخالفين لهم من سكان البلاد الاصليين بالقوة ويستصفون املاكهم ومنها ما هو الى اليوم لبعض ارباب البيوتات في دمشق وبايديهم صكوك بملكيتهم لها حتى كاد الجبل الا قليلا جداً يكون لطائفة الدروز وزعماؤهم بنو الاطرش وبنو الحلبي والمغوش وعامر وناصر والعزام توزعوا عَلَى القرى ومن اكبر زعمائهم بنو الاطرش وبينهم وبين بني مقداد المسلمين سكان بصرى وما جاورها طوائل قديمة يتربص كل منهم بجاره الدوائر منذ نحو قرن ويعتقد الطرشان ان بني

مقداد هم الحائل دون تعديهم حدود جبلهم ولولاهم لامتد سلطانهم على سهول حوران فاستأثروا بها كما استأثروا بهذا الجبل

واول الوقائع التي قام بها الدروز في الجبل وتمت بها لهم الغلبة وقعة جرت بينهم وبين ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٠ م في جنوبي اللجاة كتبت فيها الهزيمة على المصريين وقتل منهم الفريق محمد باشا وغيرهم من قوادهم وفي سنة ١٨٣٨ انفذ ابراهيم باشا احد رجاله شريف باشا في اربعمائة فارس الى قرية ام الزيتون في محل يعرف بوادي اللواء على نحو خمس ساعات عن السويداء لتجنيد الدروز فقتلهم الشيخ حمدان الدرزي عن آخرهم ولم يبق الا على مقدمهم · وكذلك جرى لمحمد باشا القبرصي فلم يظفر بهم

ومنذ ذاك العهد اعتصموا بجبالهم ونشأ لهم شيء من الاستقلال عن الحكومة وايقنوا بانها تخاف بأسهم وتحسب لهم الف حساب وزاد سوادهم وقوتهم في حادثة الستين وقد هاجر اليهم من لبنان كثير من ابناء مذهبهم فاعتزوا بهم خصوصاً بعد ان ثبت ان الدروز هم الذين اوقدوا نار فتنة النصارى منذ خمسين سنة وانتهت بقتل وصلب مئات من اهل دمشق المسلمين ولم يكدر للدروز خاطر ولم يسألوا عما ارتكبوه في تلك الفتنة الاهلية من الفظائع

وما برحوا يحشون القتل والسلب والتخريب منذ حادثة سنة الستين لان الحكومة استعملتهم اذ ذاك او استعملوا لها بواسطة بعض الدول آلة لمقصد تريده على ما يؤكد العارفون· ولقد قتلوا من جند الدولة والاهالي المساكين مالو احصي لبلغ مقداره نحو نصف سكان الجبل اليوم· ووقائعهم في قرية ام ولد وقرية الكرك وقرية كحيل والحراك وبصرالحريري وبصرى اسكي شام وجوارها وقرية المليحات ومع عرب المعجل وعرب السرحان وعرب الخريشة وعرب ولدعلي وغيرهم مشهورة الى الآن على الالسن دع عنك نحو عشرين قرية اغتصبها الدروز من الحوارنة في قضاء عاهرة وقضاء السويداء وقضاء صرخد وهي اقضية الجبل اليوم التابعة لمركز اللواء الذي كان اول امس شيخ سعد فاصبح امس شيخ مسكين واليوم غدا درعا

نعم لم يكن سكان جبل الدروز كما قال عارف باحوالهم منذ اربعين سنة الا اقل القليل من سكانه فالجهة الجنوبية اي قرى صرخد وجوارها كانت بايدي المسلمين والمسيحيين من اهالي حوران والقرى الغربية كانت بيد حمولة الزعبية من حوران الى ان اعتاد اشقياء دروز جبل لبنان وحاصبيا وراشيا اي وادي التيم وعكا وصفد والقرى المجاورة لدمشق

والقنيطرة ومن اعتادوا القتل والنهب وقطع الطريق وتعذرت عليهم الاقامة في بلادهم ان يعتصموا في هذا الجبل فضاقت عليهم تراهم الاصلية فجلوا الحوارنة عن بلادهم واصبح جبلهم ملجأ الاشقياء

اما وقائعهم المشهورة فاولها كان سنة ١٢٩٥ شرقية بينهم وبين اهالي بصر الحريري فساقت الدولة عليهم قوة الى موقع القراصة ولما لم تحسن الادارة زاد الدروز جرأة الى ان كانت سنة ١٢٩٧ شرقية وقد هجموا على قريتي الكوك وام ولد وذبحوا سكانهما عن بكرة ابيهم حتى الاطفال الرضع فكانوا يفسخونهم قطعتين ثم سيقت عليهم قوة بقيادة المشير حسين فوزي باشا اسفرت عن ربط دية شرعية مقسطة على الدروز وتأسيس قائم مقامية جبل الدروز وجعلها ثماني نواح وتعيين قائم مقام ومديرين للنواحي منهم

وما برحوا يشغلون الحكومة فترسل عليهم الحملات كل مدة ويراوغون ثم يستعطفون رجالها بالكذب والرشى وتارة يتحد اشقياء المقرن القبلي مع عرب السردية فيغزون قبائل بني صخر والحويطات والسرحان وقرى حوران الجنوبية وينضم اشقياء المقرن الشرقي الى عرب الصفا يغزون تجار بغداد والزور واشقياء المقرن الشمالي يتحدون مع عرب الحسن ويغزون قرى جبل قلمون والنبك وحمص ويتحد بعضهم مع عرب اللجاة يسلبون قرى سفوح جبل حوران وتارة يقتلون الموظفين ويمثلون بالعسكر ولا يدفعون الاموال وينهبون التجار حتى ارسلت عليهم الحكومة حملة مهمة سنة ١٣١١ رومية فضربتهم ضربة لو وضعت بعدها الاصلاحات الادارية المعتبرة ولم تعف بعد قليل عن زعمائهم لاستقام الامر ولم يعودوا الى سالف احوالهم حتى صيف هذه السنة

احل[1] اشقياء الدروز في حوران قتل من خالفهم والاعتداء على مجاوريهم وعلى القوافل الآتية من العراق ونجد حتى كادت التجارة تنقطع بين اقطار العراق ونجد والشام بسبب غاراتهم على الاقاليم المجاورة وخربوا جانباً عظيماً من القرى والمزارع واخذوا المواشي وسفكوا الدماء حتى التجأ اليهم كل من عصا الدولة من العسكر الفار من الجندية ومن الاشقياء وخربت باعمالهم كثير من القرى والمزارع واصبحوا بفعلاتهم يحولون دون امتداد العمران في اطراف هذه الولاية ولولاهم لاستفاض عمرانها ولاسيما من جهة الشرق والجنوب عمراناً تزيد مساحته على ولاية عظمى من الارض المنبتة ولكفت ملايين من المهاجرين واهل البادية

[1] خليل رفعت افندي الحوراني في جريدة المقتبس

اما الفوائد التي ستنتج من ادخالهم حظيرة الطاعة فامتداد العمران الى الجنوب مراحل كثيرة حتى يبلغ من الازرق الى بلاد الكرك بل قرى الملح الى الجوف فينتفع بمافيها من المياه المعطلة و يمتد من جهة الشرق الى تدمر مسافة عشرة ايام . وتدمر هي المعروفة بتاريخها المجيد . و يتصل من جهة الشمال ببلاد حماة وحلب . ولعل هذا المبحث لايصدر الا وقد اخلد اولئك العصاة الى السكون بهمة قائد الحملة العام سامي باشا الفاروقي فيضع لهم اساساً راسخاً في الاصلاح لايتمكن احد من نقض عروته و يعاملون في عهد الدستور بما لم تكن الدولة تعاملهم به ايام الاستبداد و يشرط هذا الجرح النغار بل الآكلة المزمنة في جسم سورية بمشراط الجراح الماهر الذي احسنت الحكومة ظنها به في هذه المهمة فيصبح جبلهم منتاب المصطافين كما اصبح جبل لبنان من قبل فجبل حوران ليس دون جبل الشيخ وجبل قلمون وجبل اللكام وغيره من جبال سورية بهوائه ومائه و يزيد عليه خصب تربته و بعده عن الرطوبة هذا و يقل الماء الجاري في جبل حوران واكثره ينابيع قليلة تكاد تكفي لشرب الشفة فقط اما الزروع فلا تنمو بالسقيا بل تروى بماء السماء كسائر بلاد حوران وحدث ماشئت ان تحدث عن خصب التربة فان الحبوب تجود فيه كل الجودة وتقل الاشجار فيه اللهم الا الكرم والتين و بعض السنديان والزان واكثر الغابات التي لم يبق منها الا جذوع اشجارها تجدها بالقرب من السويداء وسهوة الخضر وسهوة بلاطة ومياماس وابي زريق وساله وقنوات وعتيل في ذروة الجبل اي في اطراف قليب حوران ولم يبق الاشجرات معدودات بين قنوات والجبل والله اعلم

اصل الدروز (١)

ينسب الدروز الى رجل يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي كان احد اصحاب دعوة الحاكم بامر الله العبيدي ويسمى في كتب هذه الطائفة نشتكين الدرزي والدرزي بالفتح معناه الخياط فارسي معرب والعامة تضم الدال و يقولون في الجمع الدروز والصواب الدرزة محركة . اما الحاكم هذا فانه سادس خليفة من خلفاء الدولة العبيدية و يقال لهم

(١) ملخص من كتاب « حل الرموز في عقائد الدروز » لاستاذنا سليم افندي البخاري من علماء دمشق وهو لايزال مخطوطاً لم ينشر بالطبع

الفاطميون ولقبه الحاكم بامر الله وكنيته ابو علي واسمه المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بامرالله محمد بن عبيدالله المهدي ٠

واختلف المؤرخون في صحة نسبهم فبعضهم صححه وجعله متصلا بفاطمة الزهراء عليها السلام ونسب عبيدالله المهدي الى محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق ٠ وطعن اكثر العلماء والمؤرخين في هذه النسبة وجعلوا نسبهم متصلاً بالحسين بن محمد بن احمد القداح وكان مجوسيا وقيل يهودياً فقالوا ان امهم فاطمة بنت عبيد اليهودي واسم المهدي هذا سعيد ولقبه عبيدالله وزوج امه الحسين ابن محمد بن احمد بن عبيدالله القداح بن ميمون بن ديصان وقيل هو سعيد بن احمد بن عبدالله القداح بن ميمون وميمون هذا هو صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة كان يظهر التشيع لآل البيت ونشأ لميمون عبدالله وكان يعالج العيون التي نزل اليها الماء بالقدح (هو اخراج الماء الفاسد منها) وتعلم عبدالله من ابيه ميمون الحيل واطلعه ابوه على اسرار الدعوة لآل البيت ثم سار القداح من نواحي كرج واصفهان الى الاهواز والبصرة ثم الى سلمية من اعمال سورية يدعو الى آل البيت

ثم توفي القداح وقام ابنه احمد مقامه وتوفي احمد وقام مقامه ابنه محمد ثم قام بعده ابنه الحسين وكان ببغداد فسار الى سلمية حيث كان له بها ودائع واموال من ودائع جده عبدالله القداح وكان يدعي انه الوصي وصاحب الامر والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه و يراسلونه واتفق انه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها وهي في غاية الحسن والجمال فتزوجها الحسين المذكور ولها ولد من اليهودي يماثلها في الجمال فاحبها واحب ولدها وادبه وعلمه العلم فتعلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد وهو عبيدالله المهدي وعرفه اسرار الدعوة من قول وفعل واعطاه الاموال والعلامات فدعا له الدعاة ٠

قال ابن خلدون : ولا يلتفت لانكار هذا النسب لان اغراء المعتضد لابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسلجماسة بالقبض على عبيدالله لما سار الى المغرب وشعر الشريف الرضي في قوله :

مامقامي على الهوان وعندي مقول صارم وانف حمي
ألبس الذل في بلاد الاعادي وبمصر الخليفة العلوي

من ابوه ابي ومولاه مولا ي اذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيداك اس جيعاً محمد وعلي
ان ذلي بذاك الجد عز وأوامي بذلك الربع ري

شاهد بصحة نسبهم واما المحضر الذي ثبت ببغداد ايام القادر بالقدح في نسبهم وشهد فيه اعلام الائمة فهي شهادة على السماع ·

وبدأت دولة الفاطميين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين الى سنة سبع وستين وخمسمائة وفي ايامهم كثرت الرافضة واستحكم امرهم ووضعت المكوس على الناس واقتدى بهم غيرهم وافسدت عقائد طوائف من اهل الجبال الساكنين بثغور الشام كالنصيرية والدرزية · والحشيشية نوع منهم

وكانت احوال الحاكم بامر الله متناقضة فعنده شجاعة وجبن ومحبة للعلماء وانتقام منهم وميل الى اهل الصلاح وقتلهم وسخاء ويبخل بالقليل · لقب نفسه الحاكم بامر الله ولما زاد ظلمه عن له ان يدعي الالوهية اقتداء بفرعون فاخذ يمهد لذلك المقدمات فلقب نفسه الحاكم بامره وامر الخطباء بان يقرؤا بدل البسملة (باسم الله الحاكم المحيي المميت) وصار يدعي علم المغيبات باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وعنده من دعاته رجلان اعجميان من دعاة الباطنية احدهما يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي وثانيهما يقال له حمزة بن علي بن احمد اما الاول فانه قدم الى مصر في اواخر سنة سبع واربعمائة ودخل في خدمة الحاكم ووافقه على اثبات دعوته بالالوهية وصنف له كتاباً كتب فيه ان روح آدم انتقلت الى علي بن ابي طالب ومنه الى اسلاف الحاكم متقمصة من واحد الى آخر حتى انتهت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب في الجامع الازهر بالقاهرة فهجم الناس على مؤلفه ليقتلوه ففر منهم وحدث شغب عظيم في القاهرة ونهبوا بيت الدرزي وقتلوا كثيرين من اصحابه فارسله الحاكم سراً الى بر الشام فنزل بوادي التيم بالقرب من جبل الشيخ وهناك نادى بالوهية الحاكم وكان الامراء التنوخيون الذين قدموا من العراق الى الشام من الباطنية ولذلك كانوا مستعدين لقبول دعوة الدرزي فانقادوا اليها ومن ذلك تسميتهم بالدروز · وقتل الدرزي المذكور في وقعة مع الترك سنة احدى عشرة واربعمائة ·

وثانيهما حمزة بن علي بن احمد وكان وقع الخلاف بينه وبين الدرزي وبعده تقدم مكانه ودعا بلوهية الحاكم فاجابه البعض واتخذ معبداً سرياً لعبادة الحاكم وجعل نفسه

ثانياً له فهو مقدس محترم عند القائلين بالوهية الحاكم يلقب عندهم بهادي المستجيبين وحجة القائم وغير ذلك · وهم يكرهون محمد الدرزي و يشتمونه ويكرهون التسمية باسمه لما انه اراد ان يغتصب منصب حمزة و يتقدم عليه بما فعله كما يعلم من رسالة الغاية والنصيحة من كتبهم · ولما قتل الحاكم قرب حلوان مصر زعم الدروز انه خرج في ليلة منفرداً الى البركة الزرقاء ومن هناك عرج الى السماء مختفياً عن اعين الناس وكتب حمزة بعد وفاة الحاكم الرسالة المسماة بالسجل المعلق وعلقها على ابواب الجامع وفيها يقول ان الحاكم اختفى امتحاناً لايمان المؤمنين وشرع حمزة يزرع في القلوب بذر الاعتقاد بالوهية الحاكم وتوحيده وعبادته ويجتمع هو واتباعه في المعبد السري يعبدون الحاكم حتى ثارت عليهم المسلمون وظفروا بهم وطردوهم ففروا من مصر ونزل بعضهم في الجبل الاعلى من الديار الحلبية وبعضهم في جهة حوران ثم تفرقوا من هناك فذهب بعضهم الى جبل الشوف والآخر الى وادي التيم ولم يزالوا في نمو وازدياد الى هذا العصر

للدروز عادات قديمة توارثوها منها ان لهم قضاة منهم يحكمون في المعاملات المدنية الجارية بينهم على مقتضى الشريعة غير انهم يخالفونها في بعض المعاملات بحكم العادة الموروثة فلا يسوغ لاحدهم مثلاً ان يوصي بجميع ماله لاحد اولاده ويحرم الباقي من ميراثه ان كان هذا المال الموصى به من كسب يده واما اذا كان منتقلاً اليه بطريق الارث عن آبائه واجداده فلا يسوغ له ذلك لانه حينئذ يكون من حقوق الأسرة والاصول والفروع متساويان فيه فللورثة استحقاق في تقسيم هذا المال ·

ومنها ان المرأة لاترث شيئاً من دار ابيها حتى ان هذه العادة سرت الى مجاوريهم في الجبل من بقية الطوائف · وكذا يخالفون في النكاح والطلاق اذ لهم في ذلك اصول خاصة ولايجوز عندهم الجمع بين امرأتين فان لم يطلق التي عنده لايمكنه التزوج بغيرها وتطلق المرأة بادنى سبب ولايجوز عندهم رد المطلقة ولو كان بعد زوج آخر

ويخالفون في عقائدهم عقائد الفرق من ارباب الديانات لكنهم يستترون بين المسلمين بالاسلام و يتزيون بزي اهله والاحرى ان نقول انهم يتظاهرون بالتبعية لمن يكونون تبعاً له واما في الباطن فانهم ينكرون الانبياء عليهم السلام وينسبونهم الى الجهل وانهم كانوا يشيرون الى توحيد العدم وماعرفوا المولى ويشنعون بالطعن على جميع ارباب الديانات من المسلمين والنصارى واليهود والديانة الحقة عندهم هي عبارة عن توحيد الحاكم

ويفترض عندهم صدق اللسان بدل الصوم وحفظ الاخوان بدل الصلاة ولكن لايجوزون مراعاة ذلك لغير افراد ملتهم

ويقرأون القرآن ويؤولونه بتأويلات تناقض الشرع ويذهبون الى قدم العالم تبعاً لبعض الفلاسفة ويقولون بالتناسخ معبرين عنه بالتقمص فالجسد يسمى قميصاً عندهم وان الميت حين موته تنتقل روحه الى من يولد وقتئذ فالارواح الانسانية لاتنتقل عندهم الا الى قوالب انسانية ويقولون ان الهوية الالهية تنتقل من قالب وتحل في قالب آخر في كل عصر فتتجلى في كل زمن بصورة وتجلت اخيراً في الحاكم وان حمزة ايضاً ظهر في كل عصر بقالب ففي زمان كان فيثاغورس الحكيم وفي زمان كان شعيباً وفي زمان كان سليمان بن داود وفي زمان كان المسيح الحق فهو النبي الكريم عندهم . وحمزة العصر المحمدي هو سلمان الفارسي

ويزعمون ان القرآن قد أوحي حقيقة الى سلمان الفارسي وانه كلامه ومحمد (عليه الصلاة والسلام) اخذه وتلقاه عنه حتى زعموا بان خطاب لقمان الذي خطب به ولده في معرض الوصية بقوله : « يابنيّ اقم الصلاة وأمر بالعرف وانه عن المنكر» هو خطاب سلمان لمحمد والتعبير بالنبوة انما هو من خطاب المعلم للمتعلم .

ويقسمون الى قسمين العقال والجهال ويقال لهم ايضاً العوام ونساؤهم ايضا ينقسمن قسمين عاقلات وجاهلات فيقال للعاقلة جويدة وللجاهلة غير جويدة والعقال طبقتان طبقة الخاصة هي التي يعتمد عليها ويوثق بها حقاً اذ انها حصلت على تمام المعرفة باسرار الديانة وطبقة العامة وهي التي يحسن الظن بها واما الجهال فلا حظ لهم من الديانة سوى الدخول تحت اسم الدرزية واينما وجد هؤلاء العقال تتخذ هناك معابد للعبادة يسمونها بالخلوة وهي حجرة ضمن حجرة وفي كل ليلة جمعة يلتئم اهل كل طبقة في الخلوة الخاصة بهم ويجتمعون جميعاً في الخلوة الخارجية فيقرأون شيئاً من المواعظ ومن هؤلاء العقال طبقة انقياء يقال لهم المتنزهون وهم مثابرون على العبادة والورع ومنهم من لم يتزوج ومنهم من لم يأكل لحماً مدة حياته ومنهم من هو صائم كل يوم ولهم زيادة احتياط في التورع حتى انهم لايذوقون شيئاً من بيت احد من غير العقال والعقال جميعهم يعتقدون ان اموال الحكام والامراء حرام فلا يأكلون شيئاً من طعامهم ولا من طعام خدمهم حتى ولا من طعام حمل على دابة مشتراة من مال حاكم لكنهم يستحلون اموال التجار من اي جهة كانت فان حصل في ايديهم شيء من مال اعتقدوا حرمته يذهبون به الى احد التجار

فيستبدلونه منه ويتزهون السنتهم عن الفاظ الفحش والبذاءة ويتجنبون الاسراف لانه يورث نقصاً في اخلاق الموحدين عندهم

ويحرص الدروز جداً على كتمان عقائدهم ولذلك يعبرون عن مرامهم في كتبهم ورسائلهم بطريق الرمز والكناية ويذكرون مباحث من علم الكلام وبعض مقالات غلاة المتصوفة وتأويلات الرافضة والملاحدة وخصوصاً الاسماعيلية من غلاة الشيعة ثم انهم لاعتقادهم التناسخ وهو التقمص يزعمون ان اذا مات احد من كبار العقال الذين يعتقدون بولايتهم تذهب روحه الى جهة الصين وتحل في قالب ولهذا يزعمون ان لهم وراء جبل الصين كثيراً من الاولياء ويعتقدون انه كان قبل عالم الانس عالم الجن والحن والرم وعوالم اخر ويقولون انه كان قبل دور الحاكم سبعون دوراً وكل دور اربعة آلاف الف سنة « اربعة ملايين » وتسعمائة الف سنة فيكون قد مضى من مبدإ الخليقة الى دور الحاكم ثلاثمائة الف الف سنة وثلاثة واربعون الف الف سنة « ثلاثمائة وثلاثة واربعون مليون سنة » واول الادوار دور العلي وآخرها دور الحاكم وهو دور القيامة ويثبتون لكل دور من السبعين دوراً سبعة نطقاء وسبعة اوصياء وسبعة ائمة فيكون مجموع النطقاء لجميع الادوار اربعمائة وتسعين ناطقاً والاوصياء كذلك والائمة كذلك والناطق هو الرسول والوصي هو الاساس ويقولون ان اصحاب التكليف في كل عصر ستة كما كانوا في هذا العصر ومدة دعوة الناطق السابع مضمنة في مدة دعوة الناطق السادس واولو العزم خمسة في كل دور كما انهم خمسة في هذا الدور الاخير قالوا وانما كانوا خمسة لا غير لان النهاية في القوة عند الخامس من كل شيء ففي المقامات الربانية كانت عند الخامس وهو الحاكم وفي النطقاء انتهى العزم عند الخامس (يعنون به محمداً عليه الصلاة والسلام) وفي الاوصياء عند الخامس (يعنون به علياً كرم الله وجهه) وفي الائمة عند الخامس (يعنون به محمد بن عبدالله القداح) وينتظرون ظهور يأجوج ومأجوج من داخل الصين ويحترمونه ويقولون يأتي هؤلاء القوم الكرام بالفي الف وخمسمائة الف من العساكر الى مكة وفي صباح اليوم الثاني يتجلى لهم الحاكم بامره من ركن البيت اليماني ويهدد الناس بسيف مذهب في يده ثم يعطيه حمزة وهو ايضاً يقتل الكلب والخنزير ثم يهدم الكعبة ويعطي الدروز حكومة الارض جميعها ويستخدم بقية الناس في حكم الرعية .

وبعد فان لهم مواجب دينية وفرائض توحيدية اوجبوا على جميع اهل ملتهم حفظها ومعرفتها والعمل بها وسترها عن غير اهلها وهي اربع وخمسون فريضة . منها عشر مقامات

ربانية وهم العلي والبار وابو زكريا وعلي والمعل والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم وكلهم اله واحد · ومنها اربع مظاهر البارى بها وهي الهيئة والاسم والنطق والفعل فالهيئة هي الصورة التي ظهر بها والاسم هو اسم الحاكم الذي تسمى به والنطق هو المجالس والسجلات التي يتكلم بها وتصدر عنه والفعل هو المعجزات التي كانت تصدر منه كقهر الملوك وقتل الجبابرة وظهوره بين الاعداء وحده وخروجه ايضاً وحده في انصاف الليالي وظهوره في الحر الشديد وقت الهاجرة مع عدم تأثير الشمس في وجهه وعدم رؤية ظل له في ضوء الشمس والقمر وغير ذلك من الامور التي ذكروها معجزات له في كتبهم كالسيرة المستقيمة ومجرى الزمان وغيرهما ·

ومنها عشر فرائض توحيدية الاولى معرفة الباري وتنزيهه عن جميع المخلوقات الثانية معرفة الامام قائم الزمان وتمييزه عن سائر الحدود الروحانيين الثالثة معرفة الحدود الروحانيين باسمائهم ومراتبهم والقابهم وان قائم الزمان اولهم وهو الذي نصبهم وهم مطيعون لامره ونهيه الرابع صون اللسان الخامسة حفظ الاخوان السادسة ترك عبادة العدم السابعة التبروء من الابالسة الثامنة التوحيد لمولى في كل عصر وزمان التاسعة الرضى بفعله العاشرة التسليم لامره وهي مذكورة في رسالة ميثاق النساء ورسالة البلاغ والنهاية

ومنها عشرة مواجب دينية وهي كن لهم في تفاسهم واعراسهم وجنائزهم على السنة التي رسمت لهم فهذه ثلاثة الرابعة اجيبوا دعوتهم الخامسة اقضوا حاجاتهم السادسة اقبلوا معذرتهم السابعة عادوا من خاصمهم الثامنة عودوا مرضاهم التاسعة بروا ضعفاءهم العاشرة انصروهم ولاتخذلوهم وهي في رسالة التحذير والتنبيه ·

ومنها عشرون امامية وهي اربعة انواع النوع الاول اسامي وهي خمسة الاول علة العلل الثاني السابق الحقيقي الثالث الامر الرابع ذومعة الخامس الارادة النوع الثاني طبائع جوهرية وهي خمس الاولى حرارة العقل الثانية قوة النور الثالثة سكون التواضع الرابعة برودة الحكم الخامسة ليونة الهيولى فهذه الخمسة هي العقل وطبائعه الاربعة وهي في رسالة كشف الحقائق

النوع الثالث خصائص نورانية وهي خمس الاولى الحمد لمن ابدعني من نوره الثانية وايدني بروح قدسه الثالثة وخصني بعلمه الرابعة وفوض اليَّ امره الخامسة واطلعني على مكنون سره فهذه من كلام حمزة وهي في اوائل رسالة التحذير والتنبيه

النوع الرابع منازل كلية وهي خمس الاولى حد الجسمانيين الثانية حد الجرمانيين الثالثة حد الروحانيين الرابعة حد النفسانيين الخامسة حد النورانيين فهذه المنازل الخمسة هي مجتمعة في الامام وهي مذكورة في السيرة المستقيمة

واما تلقي الديانة واخذها فله عندهم كيفية مخصوصة وهي انه اذا اراد احد من الجهال ان يأخذ الديانة و يدخل في سلك الموحدين ينبغي له ان يستجلب رضى الموحدين بتقديم الوسائل التعطفية مدة لاتقل عن سنتين يلتمس منهم قبوله وادخاله في جماعتهم واعطاءه الديانة فاذا قبلوه ادخلوه على الامام فيوصيه بحفظ السر وعدم اشهاره ويأمره بتحرير العهد الواجب تحريره اذ لايكون موحداً خالصاً بدون تحرير العهد على نفسه فاذا حرره وسلمه الى الامام صار واحداً منهم والعهد الذي يجب تحريره هو المسطور تحت العنوان الآتي :

ميثاق ولي الزمان

توكلت على مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الازواج والعدد اقر فلان بن فلان اقراراً اوجبه على نفسه واشهد به على روحه في صحة من عقله و بدنه وجواز امره طائعاً غير مكره ولامجبر انه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات كلها على اصناف اختلافاتها وانه لايعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة وانه لايشرك في عبادته احداً مضى اوحضر او ينتظر وانه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع مايملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع احكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من افعاله ساءه ذلك ام سره ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه واشهد به على روحه او اشار به الى غيره اوخالف شيئاً من اوامره كان بريئاً من الباري المعبود وحرم الافادة من جميع الحدود واستحق العقوبة من البار العلي جل ذكره ومن اقر ان ليس له في السماء اله معبود ولا في الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين وكتب في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا من سني عبد مولانا جل ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن احمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمرشدين بسيف مولانا جل ذكره وشدة سلطانه وحده اه

السجل المعلق

من المخطوطات المضنون بها عند الدروز السجل الذي كتبه حمزة بن علي هادي المستجيبين وكان سبباً لثورة الافكار في مصر حتى هرب منها ونزل سورية ونشر بها العقيدة الدرزية وهو اكبر القائلين بالوهية الحاكم وهاك بعض فصول منه تفيد مطالعتها في تمثيل حالة هذا القوم ننشرها بحرفها . وهذا السجل هو مقالات منوعة في اغراض شتى فمن مقالاته مقالة : « خبر اليهود والنصارى وسؤالهم لمولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين صلوات الله عليه عن شيء من امر دينهم باعتراض اعترضوه فيه وانكار انكروه عليه والجواب على ذلك بما اختصمهم من القول واسكتهم وانصرفوا مقهورين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم حدث من نثق به ونسكن الى قوله مع اشهار الحديث في ذلك الوقت انه حضر في موقف من مواقف الدهر وصاحب العصر مولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين سلام الله عليه اذ وقف بين يديه بالقرافة في مقابر تعرف بقباب الطير نفر فسلموا عليه فوقف عليهم حسب ما كان يقف على من سلم عليه فذكروا انهم من اهل الذمة وان لهم حاجة وانهم يهود ونصارى فقال عليه السلام قولوا حاجتكم فقال نسأل حاجتنا اذا امنتنا على نفوسنا فقال ان طلبة الحوائج لا تحتاج الى امان فقالوا هي حاجة صعبة وسؤال عظيم فقال عليه السلام اسألوا فيما عسى ان تسألوا ولو كان في الملك .

قالوا : يا امير المؤمنين ماهو شيء يتعلق بامر الدنيا وانما هو شيء يتعلق بامر الدين وخطر عظيم فان امنتنا على انفسنا ذكرناه وسألناك عنه وان لم تأمنا سألناك العفو وانصرفنا آمنين فعدلك وامنك قد ملآ الغرب والشرق وعطاؤك وجودك قد غمرا جميع الخلق . قال عليه السلام : اسألوا عما اردتم وانتم آمنون بامان الله تعالى وامان جدنا محمد وامانتا لا منكوث عليكم في ذلك ولا متأول . قالوا : يا امير المؤمنين ان الذي نسألك عنه خطر عظيم وامر جسيم وانت صاحب السيف والملك ولا نشك في امانك ولكننا نخشى من سفهاء الامة . قال عليه السلام : قولوا وانتم آمنون من جميع الناس والامة . قالوا : يا امير المؤمنين انت تعلم ان صاحب الشريعة الذي هو محمد بن عبدالله الرسول المبعوث الى العرب الذي لهجرته كذا وكذا سنة وذكروا عدد السنين التي لهجرته الى تلك السنة التي خاطبوه فيها انه حين بعث الى العرب وجاهد سائر الامم لم يسمنا الدخول في شريعته

الا ان اخترنا ذلك بلا اكراه او اداء الجزية ولم يكافنا الا هذا وكذلك كل واحد من ائمة دينه وخلفاء مذهبه ومتفقهي شرعته لم يسمنا ما سمتنا انت اياه من هدم بيعتنا واديارنا وتمزيق كتبنا المنزلة على رسلنا من عند ربنا فيها حكمة بالحلال والحرام والقصاص حتى انك ابحت التوراة والانجيل يشد فيها الدلوك والصابون وتباع في الاسواق بسعر القراطيس الفارغة .

وقد اخبر صاحب الملة والشريعة عن ربه فيما نزل عليه ان التوراة فيها حكم الله ثم انه ذكر في غير موضع في الكتاب المنزل عليه تفخيم امر رسلنا والافاضل من تباعهم مثلما هو موجود في كتبنا او اكثر القرآن المنزل عليه فيه ذكر موسى وعيسى و يوشع واسماعيل واسحق و يعقوب و يوسف وزكريا ويحيى وهؤلاء كلهم انبياؤنا وائمة شرائعنا ومثلما ذكروا الفضلاء منا مثل بقايا موسى وحواري عيسى وما حكاه ايضاً في الكتاب المنزل عليه من تفضيل قسنا ورهباننا بقوله ان فيهم قساً ورهباناً واذا سمعوا ما انزل الى الرسول تفيض اعينهم بالدمع مما عرفوا من الحق ولو استقصينا كل ماجاء في الكتاب المنزل عليه من تفضيل رسلنا وتفخيم كتبنا لكان اكثر ما نزل عليه في هذا المعنى ثم قد كان من خلفاء الملة وائمة الشريعة من المحمودين آبائك والمذمومين اعدائهم واعدائك مثل بني أمية و بني العباس ممن عتا في الارض وملكها طولا وعرض (؟) مع اتساع ملكهم وعظم سلطانهم وكان يخطب لهم في كل بقعة بلغت اليها دعوة رسولهم وصاحب شريعتهم ولم يحدث علينا رسماً ولا نقضوا لنا شرطاً اقتداء منهم بصاحب ملتنا وشريعتنا المذكورة على لسان نبيهم . فمن اين جاز لك انت يا امير المؤمنين ان تتعدى حكم صاحب الملة والشريعة وفعل الخلفاء والائمة الذين ملكوا قبلك البلاد والامة وليس انت صاحب الشريعة بل انت احد ائمة صاحب الشريعة واحد خلفائه والقائم في شريعته لتتممها وتشد اركانها وبنيانها وبذلك نطقت في كلامك في غير موضع من مواقفك التي خاطبت بها واشهر ذلك عنك اقرب الناس اليك من اوليائك وانت تفعل معنا مالم يفعله الناطق معنا ولا احد من ائمته وخلفائه كما ذكرناه وهذه حاجتنا التي سألناها وامرنا الذي قصدناه وطلبنا الامان عليه ونريد الجواب عنه فان يكن حقاً وعدلاً آمنا به وصدقنا وان يكن متعلقاً بالملك والدولة والسلطان بقينا على اديانا غير شاكين في مذاهبنا وازلنا الشبهة عن قلوب المستضعفين من اهل ملتنا وماجئناك الا مستفهمين غير شاكين في عدلك ورحمتك وانصافك وعلى هذا اخذنا امانك وقد قلنا الذي عندنا واخرجناه من اعماقنا

كما تقتضيه اديانا والامر اليك فان تقل لنا سمعنا واطعنا واجبنا وان اذنت لنا ولم تقل انصرفنا ونحن آمنون بامانك الذي امنتنا فقال عليه السلام : اما الامان فباق هو عليكم واما سؤالكم فما سألتم الا عما يجب لمثلكم ان يسأل عن مثله واما نحن فنجيبكم ان شاء الله ولكن امضوا وعودوا الي ههنا ليلة غد . وليأت كل واحد منكم يعني من اليهود والنصارى بافقه من يقدر عليه من اهل ملته في هذا البلد ليكون الجواب لهم والكلام معهم

ولما كان في ليلة غد حضر القوم في المكان بعينه ووقفوا وسلموا وقالوا قد اتينا بمن طلبه امير المؤمنين منا وقدموا احد عشر رجلاً ومن قبل سبعة فقال لهم امير المؤمنين صلوات الله عليه : لهؤلاء اخترتم ولهم قدمتم قالوا باجمعهم : نعم يا امير المؤمنين قال للنفر : وانتم رضيتم ان تكونوا متكلمين عن اهل ملتكم نائبين عنهم قالوا : نعم قال : فهل تعلمون في هذه البلدة من اهل ملتكم من هو افقه منكم قالوا : لا قال عليه السلام : وانتم تحفظون التوراة والانجيل واخبار الانبياء قالوا : نعم قال عليه السلام : (انتم) عارفون بمبعث صاحب الشريعة الذي انا قائم بامته وذاب عن شريعته وسيرته واخباره وماجرى بينه وبين رؤساء ملتكم ومتقدميكم من اليهود والنصارى من الجدل والمسائل والاحتجاجات ومن سلم لامره منهم ومن لم يسلم من مبعثه الى حين وفاته . قالوا : لم نحط بذلك كله بل احطنا باكثره مما يلزمنا حفظه وعلمه مما جرى بينه وبين علمائنا تصحيحاً لمذهبنا وشريعتنا وذلك عندنا محفوظ مدون مكتوب تتوارثه احبارنا واحبار عن الاولين من قبلنا حتى وصل ذلك الينا و يتصل بغيرنا كما وصل الينا الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

قال عليه السلام : ان اصحابكم سألوني البارحة عن سؤال بعد ان اخذوا اماني عَلَى نفوسهم ووعدتهم ان اجيبهم عن سؤالهم اذا احضروا علماءهم وقد حضرتم واعترفوا لكم بالعلم والفضل وصدقتموهم انتم على ذلك واعترفتم عندي بما قلت لكم اتعرفون في هذه البلدة من هو اعلم منكم من اهل ملتكم باخبار صاحب شريعة الاسلام ونبيه وشيعته وعلمه وشريعته قلتم : لا . وانا اسألكم وفي آخر السؤال اجيبكم واخبركم بما سألوني عنه اصحابكم واماني باق عليكم وعليهم عَلَى شرط وهو اني كلما سألتكم عن شيء يقتضيه مذهبكم وشريعتكم ومذهب صاحب ملة الاسلام وشريعته فتجيبوني عنه بما هو مأثور في كتبكم المنزلة على انبيائكم ومدون في كتب رؤسائكم وعلمائكم واحباركم ومالم يكن عندكم ولا تعرفونه

ولا تؤثرونه في كتاب منزل ولاقول حكيم مرسل فردوه علي وادفعوه بحججكم التي عسى ان تدفعوا بها سواي وما عرفتموه وفهمتموه فلا تنكروني اياه لقيام الحجة عليكم به وفيه قالوا : نعم قال لهم ان صدقتم فاماني يعمكم وان كذبتم انفسخ اماني عنكم وعاقبتكم وكانت عقوبتكم جزاء لكذبكم ارضيتم ؟ قالوا : نعم قال : ابلغكم انه لما كان في كذا وكذا من هجرة الرسول صاحب شريعة الاسلام اتاه رؤساء شريعتكم وعلمائكم من الملتين اليهود والنصارى وهم فلان وفلان وفلان وسمى لهم رجالاً من احبارهم ورهبانهم وامسك . قالوا : نعم يا امير المؤمنين وفلان وفلان وسموا له بقية اسماء الرجال حتى اتوا عَلَى آخرهم . قال عليه السلام . قد صح عندي انكم صدقتم لما تممتم اسماء الرجال الباقين الذين بدأت انا بذكرهم افي ذلك عندكم شك تشكون فيه او ريبة ترتابون بها قالوا : لا قال لهم : لما استحضرهم ماقال لهم : قالوا : يقول امير المؤمنين فمنه القول ونحن سامعون فما عرفناه اقررنا به وسلمنا فيه ومالم نعرفه ولم يكن مأثوراً عندنا ذكرنا لامير المؤمنين . قال عليه السلام : قال لهم صاحب الملة والشريعة : الم تكونوا منتظرين لزماني متوقعين لشخصي وترجون الفرج مع ظهوري فلما ان ظهرت فيكم واعلنت دعوتي وشهرت امر ربي كذبتموني وجحدتموني ونافقتم علي فطائفة منكم قاتلوني وطائفة رحلوا من جواري حسداً لي وبغضة حسبما تفعله الامم الباغية في الازمان المتقدمة اذا ظهر مثلي سنة سنتها الظالمون اولهم ابليس اللعين مع آدم الكريم فهل كان ذلك منه اليهم قالوا : نعم قال : فاذا علمتم ان ذلك قد كان منه فما كان جوابهم له عن ذلك بعد استماعهم كلامه قالوا : قد قلنا اولى لامير المؤمنين ان يقول ولنا ان نسمع ونحن محمولين عَلَى الشرط الاول الذي شرطه امير المؤمنين علينا اما ماعرفناه اقررنا به وما لم نعرفه انكرناه فتريح في ذلك سلامة اديانا بالتصديق بالحق وسلامة انفسنا من القتل بالتزام الشرط

قال لهم امير المؤمنين عليه السلام : كان جوابهم انهم قالوا: ما انت الذي كنا منتظرين لزمانه متوقعين لشخصه ولا الذي نرجو الفرج مع ظهوره قال لهم : ما دليلكم على صحة ذلك اني ما انا هو قالوا : ماهو مأثور عندنا وموجود في كتبنا وبشرت به انبياؤنا لاممهم قال لهم : ماهو بينوه قالوا : ثلث خصال احدها ليس اسمه كاسمك وقد نطق بذلك لسانك في نبوتك وجهرت به لاصحابك وجعلت ذلك فضيلة لك فمنه آخذناك لما قلت ماحكيته عن المسيح ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث ويضع عنكم ضركم والاغلال التي كانت عليكم فهو كما قلنا ما انت المسمى اذ

اسمك محمد والذي بشرت به باتفاق منا ومنك اسمه احمد والثانية مدته قد بقي لها اربعمائة سنة من يوم مبعثك الى حين ظهور هذا المنتظر فقد خالفته ايضاً في الاسم والمدة والثالثة المنتظر انما يدعو الى توحيد ربه بلا تعطيل ولا تشبيه ولا كلفة تلحق نفوسنا حسبما ذكرته في تنزيلك من تحليل الطيبات وتحريم الخبائث ووضعه عنا اصرنا والاغلال التي كانت علينا فاي حجة بقيت لك علينا وليس اسمك اسم من ينتظر بقولك ولا فعلك فعله ولا المدة مدته فقد خالفته كما قلنا في الاسم والمدة والفعل واذا كنت انما تدعون الى شريعته فبقاؤنا في شريعتنا آثر وخير لنا

وصفة المنتظر عندنا رفع التكليفات وانقضاء الشرور ورفع المصائب والشكوك وان لا يتجاوزه في عصره كافر ولا منافق وانت اكثر اصحابك يظهرون النفاق عليك وانما بغلبة سيفك عليهم سلموا لامرك واذا كان ذلك كذلك فلم تلومنا عَلَى قتالك وتناقلنا عَلَى طاعتك والدخول في شريعتك . ثم قال لهم امير المؤمنين عليه السلام : أكذا كان قالوا : نعم كذلك كان وكل قولك حق وصدق . قال: فما كان جوابه لهم عن هذا الكلام قالوا: يقول امير المؤمنين حسبما جرت به العادة ونسمع ونعترف بالجواب اذا علمناه وننكره اذا جهلناه قال لهم عليه السلام : اما اذا عرفتم ذلك وعلمتموه فلا شك انكم تعرفون صفة الحال كما جرت ان شاء الله . ثم قال امير المؤمنين عليه السلام : كان جوابه لهم لا اقاتلكم عَلَى الدخول في ملتي والتكذيبي والصدوف عن امري لانكم اصحاب شرائع وكتب ومتمسكون بامرها ناطقون وليس اقاتل من هذه صفته ولا انا رافع الشرائع ولا ذلك كله الي بل كلما ملكت بلداً بسيفي ممن فيه عبدة الاوثان والتناذر فلي ان الزمهم الدخول في ملتي اواقتلهم ومن كان في البلدة منكم عرضت عليه اما الدخول في ملتي واتباع امري وشريعتي او اداء الجزية فاذا كره الوطن الذي ملكته وبسيفي فتحته فمن وزن الجزية منهم اقررته في مكانه ومن انتقل عني تركته ومن قاتلني منهم عَلَى مثل ذلك قاتلته وانتظرت فيكم حكم ربي قالوا : لك ذلك فما قلت الا حقاً ولا نرى منك الا صدقاً قال لهم : اذا استقر ذلك بيني وبينكم وقد تأولتم علي ورفعتم منزلتي وفضلي الذي قد اتاني من عند ربي وزعمتم ان الذي تنتظرونه له اسم تعرفونه وفعل تعلمونه ومدة تنتظرونها وهي من مبعثي الى حين ظهور هذا المنتظر بقي له اربعمائة سنة فاكتبوا بيني وبينكم مواضعة تتضمن كل ذلك وذكره وعَلَى انكم تدفعون اليَّ الجزية طول تلك المدة التي ذكرتم ان المبعوث اليكم فيها يأتي غيري فان كنت من جملة المخرصين الكذابين فانتم تكفون مؤنتي ويرجع اليكم

الملك اذا ظهر من تنتظرونه وان لم يظهر ومدتي قائمة وشريعتي ماضية وحكمي لازماً ولم يأتكم في هذه المدة من تنتظرونه فلصاحب ملتي والقائم بدعوتي والامام الذي يكون في ذلك العصر ان يدعوكم الى مادعوتكم اليه اليوم فان اجبتموه وسلمتم وان ابيتم عليه كما ابيتم عليّ وصددتم عنه واستكبرتم فله ان يأخذكم بالشرط الذي شرطتموه عَلَى انفسكم ويقابلكم فان قاتلتموه قتلكم ولا يقبل لكم عذراً و يستبيح ملتكم ويهدم شريعتكم بهدمه لبيعكم و يعطل كتبكم ويكون ما بقي لكم عذر تحتجون به ولا محال تركنون اليه ولا ابليس تعولون عليه وهو المنصور عليكم يقطع شأفتكم وشأفة كل الظالمين فهذا نص المواضعة اهكذا هو قالوا : نعم قال امير المؤمنين عليه السلام : والمواضعة لم تزل تنتقل من بعد صاحب الشريعة والملة من وصي صادق الى امام فاضل حتى وصلت اليّ فهي عندي فلم يكن عليه السلام ان ينقض شرطاً أسسه وحكما بينه وهو معروف وقت ان نشأ في الجاهلية محمد الامين فكيف ينقض ما انعم به عليكم ولم يجز لاحد من ائمة دينه وخلفاء شريعته ان ينقض ما امر به من قبل انقضاء المدة اتباعاً وتسليماً لحكمه فلما وصل الامر اليّ وانقضت تلك السنون المذكورة في المواضعة في عصري وعند تمامها امري اخذت منكم بحقه ودعوتكم الى شرطكم وشرطه حسب ماتقتضيه الامانة وحكم المعاهدة اكذلك بلغكم انه صفة الحال قالوا : نعم كذلك كان قال : فاي حجة بقيت لكم عليه وعليّ بعدما اوضحناه واي امر تعديت فيه بزعمكم عليكم اذا كنت بشرطكم اخذتكم وما كنتم تنتظرونه اقمته عليكم وقد اوسعتكم حلماً وعدلا اذا ابقيت نفوسكم عَلَى اجسامكم ونعمكم عليها امها(؟) لا لتنتبهوا بعد الغفلة وتسلموا بعد المعاهدة فاي حجة لكم بعدما وصفناه واي حق معكم بعد ماقلناه واي عذر يقوم لكم بعد ماشرحناه قولوا واسألوا وتجابوا وتصفوا ولا يكون لكم قولا ولا حجة فانصرفوا محجوجين كاذبين نادمين شاكين خائبين فقال : ماذا تقولون قالوا باجمعهم هذا والله كله حق وصدق لانشك فيه ولا نرتاب به قد سمعنا لو فهمنا ولله الحجة البالغة رب العالمين وصلى الله عَلَى نبيه وآله الطاهرين . تم الكلام في هذا الفصل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله وحده وبه نستعين» اه

وسننشر في الجزء الثاني نتفاً من هذا المخطوط ايضاً جلاء لحقيقة الغامضة

اللاما وعابدوه

عرف المطالعون من مواطنينا كثيراً عن غرائب ديانات البشر وعقائدهم ومعبوداتهم القديمة والحديثة ولكن نظن انه لم يخطر لعاقل منهم ببال انه يوجد حتى اليوم امم عريقة في التمدن وهي تعد بالملايين تعبد انساناً حياً مثلهم وتقدم له من انواع التكرمة والتبجيل والاعظام ما لا ينبغي تقديمه الا للاله الحي الازلي القيوم فان اللاما وما ادراك ما اللاما ان هو الا بشر كسائر الناس يأكل ويشرب ويضحك ويبكي ويخطئ ويصيب ومع ذلك فالملايين من الصينيين والهنود والمغول يؤلهونه تأليهاً ويبذلون له من ضروب العبادات ما يقضي بالحيرة والاستغراب والذهول هذا ولما كان الموضوع غريباً عجيباً وقد لا يخلو من الفائدة لمن تتبع تاريخ واحوال وشؤون الامم وما انطوت عليه من الشذوذ والمدهشات رأينا ان نطرفهم بهذه المقالة آخذة بناصيتي الايجاز والوضوح فنقول:

ان الدين اللاماوي قديم جداً مرَّ عليه زهاء ثلاثة آلاف سنة وهو زاه سائد منتشر في مساحة من المعمور تقرب من سبعمائة الف ميل تمتد من ينبوع نهر « الاندوس » الى حدود الصين ومن تخوم الهند الى قفر « كوبي » وتسمى هذه المملكة « ثيبة » او « تيبت » وعدد سكانها يتجاوز الستة ملايين وهي مجاورة لجبال حملايا وترتفع عن سطح البحر نحو عشرة آلاف قدم بيد ان هذا الدين لم ينحصر في تلك المملكة فقط بل تسربت تعاليمه ايضاً منذ عصور متطاولة الى قبائل وفصائل كثيرة من امة التتر المتجولة بين ضفاف نهر « الولكا » و « كوريا » بجوار بحر اليابان والى كثير من جزائر الهند ومقاطعات الصين حتى يقول الباحثون ان الذين يدينون بهذا الدين لا ينقصون عن مئة مليون اكثرهم ممن لهم اقدام راسخة في المدنية الشرقية وعراقة تامة في الحضارة بين اصحاب اللون الاصفر والقوقاسيين من شعوب آسيا الكبرى

ومقر عرش هذا المعبود « استغفر الله » انما هو قصر يسمى « باتولي » مبني في ذروة جبل عليّ مقربة من شاطئ « بارامبوتر » بينه وبين « لاسا » عاصمة البلاد سبعة اميال وفي حضيض ذلك الجبل يقيم نحو عشرين الفاً من الكهنة تتفاوت رتبهم الدينية بحسب بعد منازلهم وقربها من عرش « اللاما » معبودهم الاكبر

وهم يعتقدون انه ازلي لا يموت محيط بكل الامور جامع لانواع الفضائل ويسمونه

« اب السماوات » وهو لا يرى الا في مكان سري في قصره يجلس فيه الاربعاء بين مئات من المصابيح الذهبية وعليه من الحلي وانواع الجواهر النفيسة ما يقصر عنه الوصف فيتقاطرون الى زيارته من كل صوب واوب وحدب في موسم معلوم وقليل منهم من يفوز بالدنو منه على قيد اذرع وكل الذين ينالون شرف الدخول الى مقدسه ان يطرحوا انفسهم الى الارض ركعاً سجوداً وهم بعيدون عنه مرمى النظر اجلالا له وتكريماً ولا يخص بهذه المنحة السامية الا الملوك وعظماء الامراء وزعماء القبائل فيرونه عن بعد من طرف خفي دون ان يخاطبوه او يبس لهم ببنت شفة

وهذه الزيارة تكفي عندهم لمغفرة كل ما اجترحوه ويجترحونه من الآثام والكبائر مدى الحيوة ومن العجب انهم يأخذون من رجيعه ما يدخرونه في اوعية صغيرة ذهبية ثم يعلقونه كالتمائم والتعاويذ في اعناقهم واعضادهم يستشفون بها من الامراض ويدفعون كيد الابالسة ونزغات الشياطين وهم يشترون تلك الذخائر الرجسة بالوف مؤلفة من المال ومن حصل على مثقال منها فقد نال بزعمهم سعادة الدارين وجمع بين الحسنيين وقد يدخلون الى مطاعمهم ولو بعض نقاط من مفرزه المائي ولكن هيهات ان ينال ذلك منهم الا كل رفيع القدر نافذ الكلمة واسع العطاء فمن خدمه الحظ وخازمه التوفيق بحيث يتهيأ له ان يجمع بين « المفرزين » معاً فهو بين الاقطاب الاعلام امجد من الاسكندر في عصره او فرعون في مصره فيالله مما تخط اليه مدارك البشر

وللاما سلطان سياسي فضلاً عن سلطانه الديني ومع ان بلاده تحسب منذ القديم تابعة للامبراطورية الصينية وتؤدي لها بعض الجزية فهو يدير حكومة بلاده مستقلاً بواسطة عمال يسمونهم « خانات » وما من مدافع وله في « باكين » وغيرها من العواصم في الشرق الاقصى سفراء وامبراطور الصين ذاته يؤدي له الطاعة والاحترام كمعبود ولاعوانه الكثيرين الذين يسمونهم « اللامو بين الصغار » انفذ سلطة واسمى مكانة بين عامة الناس وخاصتهم وهم يجبون الهدايا ويجمعون النذور من جميع بلاد المغول ــ وثيبة والهند الغربية وغيرها وغيرها باسم « اللاما العظيم » ومع كونهم فاسدي الاخلاق قبيحي السيرة منغمسين في الملاذ البهيمية يحترمهم الناس اعظم احترام ولهم جميعاً من الثروات الطائلة ما صارهم في المقام الاول بين متمولي تلكم الاصقاع وموسريها

وعندهم ان « اللاما » متى ادركه الهرم او مات بسبب آخر من اسباب الموت تفارق روحه ذلك المنزل المتهدم القديم لتحل في مسكن اقوى وامتن فتنتقل تلك الروح الى جسد

طفل له عندهم علامات وفروق خاصة كالعجل « آبيس » عند قدماء المصريين فيبحثون عنها بواسطة اللامو بين الصغار حتى اذا تحققوا وجودها في اي طفل كان قالوا — هذا هو اللاما — فاتخذوه خلفاً لسلف قبله واقاموا عنه نواباً منهم حتى يبلغ اشده وعلى هذا لا يكون ذلك في زعمهم موتاً طبيعياً بل هو من قبيل الانتقال العادي من موئل الى آخر

وهم يؤمنون بآله واحد يثلثون اقانيمه كما يثلث الهنود « برهما » ويزعمون انه ظهر اول مرة (سنة ١٠٢٦ قبل الميلاد) وكان يملك في بلاد الهند وهو متجسد يموت في الظاهر ولكنه في الحقيقة ينتقل كما ذكرنا من مسكن الى آخر مع انه ازلي حي سرمدي لا يموت ويريدون به نفس اللاما العظيم الذي يسميه الصينيون « هوفو » اي الاله الحي

ثم هم يؤمنون بخلود النفس والثواب والعقاب ولهم صلوات واصوام وذبائح وقرابين وكهانة ذات فروض ونذور ومناسك وصوامع واديار وعدد كهنتهم يتجاوز الثلاثين الفاً وكلهم يلبس البسة خاصة ذات مناطق صفراء وقبعات تختلف اشكالها واوضاعها باختلاف رتبهم الدينية ولهؤلاء الكهنة مدارس تلقنهم فروض الدين ونواميسه وتماليمه وشيئاً من الطب وعلم الهيئة وضروباً من الشعوذة والتدجيل يخرقون بها على العامة المخدوعة باساليبهم السحرية غير ان دهاء الانكليز الذين يستسهل امرهم بعض متهوسي الكتبة ذوي الاماني والاحلام لم يدع هذه الزمرة المضلة وآلهها الدجال يتمتعون بما توارثوه عن آبائهم منذ آلاف اعوام من المجد السامي والمكانة العليا بل مابرحوا منذ بعض قرن فآتياً يبثون دعاتهم ورسلهم وينصبون شباكهم واحابيلهم بين اللامو بين متذرعين بكل وسيلة من وسائلهم الفعالة لبسط نفوذهم وتمتين دعائمهم في تلك الاقطار حتى الجأوا اللاما واشياعه بعد حملات سالت فيها الدماء سيل الماء الى موالاتهم والدخول في حمايتهم وتحت سيطرتهم الى غير ذلك مما كشف القناع عن بصائر الصينيين وامات ثقتهم وصدق يقينهم بذلك المعبود الكاذب فنهضوا عليه نهضة رجل واحد واجلوه عن مقدسه فمضى هارباً صاغراً مدحوراً لا يلوي على شيء يلتمس من مواليه الانكليز حماية روحه وماله الى غير ما هنالك مما فاضت ببيانه صحف الاخبار وجاء منطبقاً على ما يريد الانكليز خلافاً لما يتوهمه البعض بن ينظرون الى المرامي السياسية بعين الاحول فسبحان مصرف الامور بحكمته ومقلب الاحوال بقدرته ان له لآيات تترى تبدو من خلال تعاقب الليل والنهار

ومن غرائب هذه البلاد ان الهواء فيهامع ارتفاعها المتناهي عن سطح البحر ومجاورتها لاعظم جبال آسيا انما هو بارد جاف لامطر فيه اصلاً حتى ان الثلج قلما يرونه في تلك الاصقاع والخشب هنالك لايبلى بل يصير صلباً حتى يضارع الصوان ويبقى مع الدهر كذلك اللحم اذا عرضته للهواء يجف حتى يمكن سحقه بسهولة فيصير ناعماً كالكحل وهكذا يفعلون

ومع انه لا ينبت فيها شجر بري قط تجد في اوديتها المحجوبة عن الزعازع والاعاصير اشجاراً مثمرة كثيرة كالتفاح والتين والكرم والرمان والجوز وهناك يزرع الارز والحنطة والشعير وما يماثله من انواع الحبوب فتكون غلته جيدة بخلاف نجادها المرتفعة المعرضة للرياح فانها لا تصلح للزراعة الا شذوذاً

وهي غنية بمعادنها الثمينة فان الذهب والفضة والحجارة الكريمة كالزبرجد والماس توجد هنالك بكثرة كما يوجد ايضاً الرصاص والزئبق والحديد والبورق والملح

واهلها عَلَى غرابة دينهم وخشونة شعائره لينو العريكة دمثو الخلق خفيفو الروح اولو شجاعة وكرم وامانة ومروءة ينزعون الى الحرية والاستقامة والصدق في معاشراتهم ومعاملاتهم ولهم كاهالي فينيقية الاقدمين اشد الولوع بالتجارة عَلَى اختلاف مناحيها واكثرهم زاهد في الزراعة لعقم اراضيهم ومحلها ولكنهم يشتغلون باستخراج المناجم والتعدين ولهم حذق عجيب بتثقيف الحجارة الكريمة واصلاحها واظهار رونقها ولمعانها

ولغتهم وان كانت من ذوات المقطع الواحد الا انها واسعة يعبر بها عن المعاني الفلسفية والدينية مهما كانت دقيقة غامضة بسهولة وجلاء وهم يكتبون بها من الشمال الى اليمين كما يكتب الهنود باللغة السانسكريتية ومكتبتهم غنية في آدابها واكثرها اناشيد وتراجم وشروح مستمدة من كتب البوذيين المقدسة

ويذهب اكثر علماء (البيولوجيا) ان اصل هذه الامة مغولي ويقيم بين ظهرانيها قليل من المسلمين ومعظمهم من اهالي كشمير ويوجد هنالك ايضاً بضعة آلاف من الكاثوليك

ويكثر عند اللامويين تزويج جملة رجال بامرأة واحدة كاهالي جزيرة سيلان وهي عادة مستفيضة في كل امة او بلاد تقل نساؤها ويكثر رجالها

ولقد اختلف الكتبة والمؤرخون كثيراً في اسم هذه المملكة فمنهم من يدعوها (ثيبة) ومنهم من يسميها (تيبت) وبعضهم من قال انها (تبت) ولقد ضبطها ياقوت

الحوي بالباء المشددة اما الاوربيون فيرسمونها هكذا (Lhibet) واول سائح استقرأ تلك البلاد هو (توماس مانني) وذلك سنة ١٨١٢ للميلاد ثم وليه القس (هوك) سنة ١٨٤٥ و١٨٤٦ وانما استقراؤهما اياها لم يتجاوز القسم الغربي منها ولكن دعاة اليسوعيين قد عرفوا قبلها العاصمة (لاسا) وما حولها منذ القرن السابع عشر اما سائر اقسام المملكة ولا سيما الشرقية والشمالية فهي مابرحت حتى اليوم مستغمدة احوالها في سحاب كثيف وتعد عند الجغرافيين من مجاهل الارض

هذا مجمل ما امكن الوقوف عليه بعد التدقيق والتنقيب عن احوال تلك المملكة الغريبة في دياناتها وعباداتها في اقليمها و بيئاتها في طبائع اهلها وعاداتهم اخذناه محصلاً عن عدة مصادر هي محل الثقة ثم اطرفنا به المقتبس تفكهة لقارئيه وتبصرة وذكرى

دمشق سليم نخوري

قانون تكليف العقارات

الفصل الأول

في العقارات التي عليها تكاليف

المادة الأولى — يفرض على العقارات في كل قضاء تكليف واحد بنسبة دخلها ويكون هذا بدل التكاليف الحاضرة وهي الخراج « ويركو » وحصة المعارف والتجهيزات وذلك اعتباراً من السنة المالية التي تلي تحرير هذه العقارات وتخمين ايرادها وفقاً لاحكام هذا القانون ويجوز ضم شيء على اصل هذا التكليف للمعارف والامور النافعة لاهل ذلك القضاء بشرط ان يعين الحد الاعظم لهذه الضمائم في قانون الميزانية كل سنة . تعتبر كل دائرة بلدية في الاستانة والبلاد الثلاثة « بك اوغلي ، اسكدار ، ايوب » قضاء عند تطبيق هذا القانون

المادة الثانية — العرصات المستعملة مخازن ومعامل للتجارة والصناعة تعد من نوع العقارات وان لم يكن فيها بناء وسقف

المادة الثالثة — تعتبر افنية العقارات وحدائقها من متممات الابنية و يفرض عليها مع الابنية تكليف على نسبة سعتها وتعين هذه النسبة بنظامات خاصة . اما الزائد من

الافنية والحدائق عن النسبة المذكورة اذا لم يستعمل للتجارة والصناعة كما هو محرر في المادة الثانيه فيتبع قانون تكاليف الاراضي والعرصات . والعرصات المتصلة بالطواحين والمعامل لوضع لوازمها ومصنوعاتها تعد من مشتملاتها وتعتبر مثلها من حيث التكاليف

المادة الرابعة — الاستثناء يكون اما دائماً اوموقتا . اما المستثنيات دائماً فهي :

١ — عقارات الدولة

٢ — عقارات الحضرة السلطانية سوى ماهو للاستغلال منها

٣ — عقارات البيت السلطاني المحررة اسماؤهم في الميزانية العامة في فصل رواتب البيت السلطاني على شرط ان يسكنوها .

٤ — عقارات البلديات والقصبات والقرى التي يستعملها الناس ولا ايراد لها .

٥ — التكايا والزوايا المصدق عليها في الدوائر الرسمية وبيوت العبادة والاديار وتمماتها التي في حريمها (يشترط في هذه ان لاتكون مستأجرة)

٦ — العقارات المخصصة لاقامة الخدمة والمشايخ والمتولين المصرح بها في الوقفيات اذا لم تؤجر اوتستأجر

٧ — العقارات الخاصة بالمدارس والمعارف ودور الخير اذا لم تؤجر اوتستأجر

٨ — الدور التي يسكنها الفلاح والمزارع اللذان يحرثان ويزرعان بنفسهما والدور التي يسكنها حراس المزارع والاراضي والحراج والمحلات المعدة لايواء الحيوانات وحفظ الحاصلات والآلات والادوات الزراعية (ان جميع العقارات المدرجة في هذه الفقرة الثامنة مشروط بها ان تكون خاصة باستثمار اراضي القرية اوالمزرعة وان لاتكون مفرزة من الاراضي المعدة للزراعة ومؤجرة)

٩ — الحظائر والزرائب والمحال الخاصة بتربية الحيوانات ودود الحرير .

المادة الخامسة — تبقى العقارات المعفاة من التكاليف بموجب معاهدات وفرامين اووثائق اشترطتها الحكومة على نفسها مستثناة من التكاليف كما كانت وبعد الآن لا يقبل استثناء سوى المواد التي ذكرت في المادة الرابعة الا بقانون مخصوص

المادة السادسة — تعين الادارة المركزية نوع العقارات المذكورة في المادة الخامسة والفقرات الاولى والثانية والثالثة والخامسة والسادسة والسابعة الواردة في المادة الرابعة

المادة السابعة — المستثنيات موقتاً هي :

١ — الطواحين والمعامل في خلال خمس سنوات مالية تلي السنة التي تم فيها الانشاء
٢ — المساكن التي أنشئت لاسكان العشائر السيارة والمهاجرين الاولى لعشر سنوات مالية والثانية لخمس سنوات مالية تمر بعد السنة التي تم فيها الانشاء سواء أنشئت هذه المساكن من قبل الحكومة اومن قبل العشائر او المهاجرين انفسهم ٠
٣ — الابنية الجديدة الحجرية والخشبية الاولى لمدة سنتين والثانية لمدة سنة واحدة تلي السنة التي تم فيها البناء الحجري اوالخشبي ٠ يجب عَلَى اصحاب البناء ان يعطوا في خلال شهرين من مباشرتهم البناء مأموري المالية في ذلك القضاء بيانا يتضمن موقع الابنية ونوعها وجهة استعمالها ٠ فاذا لم يعط هذا البيان في مدته المعينة يطرح عليه تكليف العقار اعتباراً من السنة المالية التي تلي ختام الانشاء ٠ متى اجر البناء كله او جزء منه اوصار في حالة يمكن معها استعماله والانتفاع منه بعد انشاؤه تاما

المادة الثامنة — الابنية الآتي بيانها تعد من الابنية الجديدة
١ — العلاوات التي تضم عَلَى الابنية الموجودة
٢ — العرصات التي تعد للاستعمال بالصورة المحررة في المادة الثانية من هذا القانون ٠
٣ — ماجعل من العقارات الموجودة طواحين ومعامل

المادة التاسعة — العقارات التي عليها تكاليف اذا دخلت في عداد المستثنيات يجري عليها حكم هذا الاستثناء من اول السنة المالية التي تلي السنة المستدعى بها من قبل المكلف

المادة العاشرة — العقارات التي احترقت وخربت اوصارت من الخراب الى حال لايمكن الانتفاع به واخبر صاحبها موظفي المالية عنها عَلَى الاصول وثبت ذلك لديهم بالتحقيق يرفع عنها التكليف اعتباراً من التقسيط الذي يلي التقسيط المصادف تاريخ مراجعة صاحبها واخباره اما عرصتها فيجري عليها قانون تكاليف الاراضي

المادة الحادية عشرة — المطاحن والمعامل ودور الصناعات اذا لم تشتغل مدة سنة كاملة عَلَى الاقل بدون فاصلة يكون لاصحابها الحق بالعفو الموقت عن ثلاثة ارباع التكليف في المدة التي لم تشتغل بها ٠ وعلى اصحاب هذه العقارات ان يرفعوا الى الحكومة بيانين احدهما في اول مدة توقفها عن العمل والثاني في آخر تلك السنة ٠ ويكون حكم العفو الموقت اعتباراً من التقسيط المصادف نهاية السنة ٠ واذا لم يخبر اصحاب العقارات في مدة شهر واحد باستئنافها العمل ببيان يقدمونه الى الحكومة يحرمون من التمتع بالعفو

في غضون تلك السنة ٠ اذا استمرت المطلة مدة سنتين فيجب تجديد البيان في كل سنة عَلَى الصورة المذكورة

﴿ الفصل الثاني ﴾

في نسبة التكليف

المادة الثانية عشرة — ان نسبة التكليف هي اثنا عشر في المئة عن الواردات غير الصافية وانما يزاد على هذه النسبة في ميزانية المعارف مايعادل النصف في المئة للمعارف المحلية في كل سنة

يطرح التكليف عَلَى الطواحين والمعامل ودور الصناعات والدور الخشبية المعدة للسكنى بعد تنزيل ربع وارداتها غير الصافية ٠ المقارات المحتوية عَلَى الآلات والادوات المخصوصة والمعدة لاجراء صناعة تعد معملاً او دار صناعة ٠ الابنية المنشأة بجدران من الخشب اوالواح خشبية اوما يسمونه بغدادي تعتبر خشبية (ولو كان اساسها قائماً عَلَى الحجر الى ارتفاع مترين من وجه الارض) الابنية المنشأة من اللبن هي من قبيل الابنية الخشبية ٠

المادة الثالثة عشرة — تعفى الدور التي وارداتها غير الصافية مائتان وخمسون قرشا فاقل والمعدة لسكنى صاحبها من التكليف جملة ٠ والدور التي ايرادها اكثر من مئتين وخمسين قرشا واقل من الف يصرف النظر عن مائتين وخمسين قرشا من ايرادها

المادة الرابعة عشرة — تحرر وتخمن العقارات بحسب الايجارات غير الصافية المتعارفة في محلها عامة وبحسب ايراد الابنية التي من نوع واحد وبحسب موقع البناء ومساحته وعدد ادواره وعدد غرف كل طابق منه ونوع المواد التي انشيء منها وبحسب حاله الحاضرة من حيث حسن محافظته وبحسب صورة الانتفاع منه ٠ وعند تخمين الايراد غير الصافي للطواحين والمعامل ودور الصناعات ينظر الى مافيهامن الوسائط الصناعية الثابتة

المادة الخامسة عشرة — اذا لم يوجد وسائط كافية لتخمين واردات البناء الغير صافية تعين قيمة البناء الحقيقية ويعتبر ثمانية في المئة من قيمته ايراداً غير صاف اذا كان طاحونا اومعملا اودار صناعة او دارا خشبية لسكنى صاحبها وستة في المئة اذا كان من العقارات الاخرى

﴿ الفصل الثالث ﴾

في تحرير العقارات وتقدير دخلها

المادة السادسة عشرة — تكتب جميع العقارات وتقدر قيمتها لتنفيذ حكم هذا القانون . يعين مبدأ التحرير والتقدير ببيان من الوالي في الاستانة والولايات ومن المتصرفين في الالوية المستقلة

المادة السابعة عشرة — تكون كتابة العقارات من قبل لجنة مؤلفة من ثلاثة اشخاص تعينهم الحكومة ويكون التقدير والتخمين من قبل لجان يلحق بها وكلاء المكلفين برئاسة احد المأمورين الثلاثة المار ذكرهم

يكون عدد الوكلاء ثلاثة تنتخبهم مجالس البلدية في القصبات التي فيها دوائر بلدية ومجالس الادارة في القصبات التي ليس فيها دوائر بلدية من اناس لهم املاك داخل البلدة وفي القرى تنتخبهم مجالس القرى . اصحاب العقارات مكلفون باراءتها لهذه اللجان واعطائهم المعلومات الكافية عن احوالها العامة وعن جهة استعمالها ومقدار اجرتها ويؤخذ ممن يمتنع عن ذلك او يخبر بخلاف الحقيقة عن عمد عشرون قرشاً الى مئة قرش جزاء نقديا بحكم المحكمة .

المادة الثامنة عشرة — اذا كان العقار منقسما ومفرزاً بين اصحابه بصورة رسمية يخمن ايراد كل قسم على حدة واذا لم يكن مفرزا بل كان مشاعا بينهم يخمن ايراده كله من حيث المجموع

المادة التاسعة عشرة — عند ختام تخمين القرية اوالحي في المدن من قبل اللجنة التي ذكرت آنفا يعلن اكمال الجدول الذي يتضمن قيد العقارات وتخمين ايرادها ليطالعه المكلفون ويمعنوا فيه نظرهم مدة شهر واحد ثم يبلغ كل مكلف على الانفراد ورقة اخبارية تتضمن مقدار الايراد الذي خمن عقاره ولكل مكلف الحق بالاعتراض في مدة شهرين من تاريخ تبليغ الاخبارية لمأمور مال القضاء لينظر به في لجنة التخمين

ولمأموري المال ايضاً الحق بالاعتراض على تقدير اللجنة وتخمينها في مدة شهرين من بعد ارسال الجدول المذكور اليهم وحينئذ يكونون مكلفين بتبليغ اعتراضهم هذا مع اسبابه الموجبة بصورة مختصرة للمكلف صاحب العقار لتقدير الذي لايعترض عليه قبل انتهاء المهلة المذكورة يكون قطعياً

المادة العشرون — على اللجنة ان تنظر في الاعتراضات المذكورة وتسمع اعتراض

المعترضين شفاهاً اذا طلبوا او وجد لزوم لذلك وان تشاهد العقارت مرة ثانية وتحقق احوالها عند الايجاب تعطي قراراً مدة شهرين عَلَى الكثير ويبلغ هذا القرار الى المكلفين بواسطة مأموري مال القضاء

المادة الحادية والعشرون — للمكلفين ان يستأنفوا قرار لجنة التخمين في خلال شهر واحد من تاريخ تبليغه لدى لجنة تؤلف في كل لواء باعتراض يقدمونه لمأموري المال حاوٍ للدلائل الكافية

تؤلف هذه اللجنة برئاسة الوالي او المتصرف هكذا: الدفتردار او المحاسب ومأمور تنتخبه الحكومة وثلاثة اعضاء يقترع عليهم بواسطة المجالس العمومية في الولايات والجمعية العمومية البلدية في الاستانة اذا لم يكن المجلس العمومي فيها ملتئما من بين ستة من اصحاب الاملاك يبعث بهم اللواء

ولمأموري المال ايضاً ان يراجعوا لجنة الاستئناف في المدة نفسها على شرط ان تبلغ مراجعتهم هذه للمكلف . وعَلَى لجنة الاستئناف ان تعطي قرارها في خلال شهرين

المادة الثانية والعشرون — اذا ادعي بان قرار لجنة الاستئناف مخالف للقانون والنظام فللمكلفين ومأموري المال ان يراجعوا في خلال شهر واحد من بعد تبليغ القرار عَلَى الطريقة المار ذكرها اللجنة المركزية التي تؤلف في نظارة المالية بانتخاب الناظر من رئيس وستة اعضاء . وهذه اللجنة لاتبحث في المعاملات المتعلقة بتقدير الايراد

المادة الثالثة والعشرون — للمكلفين ان يعترضوا في خلال شهرين من بعد اعلان جدول التكليف الذي يكتب بنهاية التحرير العمومي على التكليف المطروح عليهم في الاحوال الآتية وفقاً للطريقة المدرجة في المادة التاسعة عشرة وما يليها من المواد

١ — اذا وجد سهو وامتنعت الحكومة عن تصحيحه .

٢ — اذا لم يجر التبليغ المحرر في المواد ١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢ او جرى بصورة مخالفة للقانون

تكون هذه المدة عبارة عن شهر واحد من ابتداء اعلان جداول التحرير الخاص الذي يجري في خلال التحرير العام وجداول التكاليف التي تحرر لاول مرة في ختام التعديلات .

المادة الرابعة والعشرون — الاعتراضات الواقعة على مقدار التكليف المدخل في جدول التكاليف لاتؤخر تحصيله ولكن اذا تقرر ان الاعتراض محق يرد المقدار الزائد الى المكلف حالا .

المادة الخامسة والعشرون — مقررات اللجان المبينة في المواد السابقة تعطى بالاكثرية على شرط ان لايكون عدد الاعضاء اقل من النصف فاذا تساوت الآراء يرجح الطرف الذي فيه الرئيس

الفصل الرابع

في دفتر امهات التكليف ومعاملاته التعديلية

المادة السادسة والعشرون — الجداول التي تحرر بمعرفة اللجان المارذكرها حاوية تحرير العقارات وتقدير ايرادها والتعديلات المتوالية التي تجري بموجب هذا القانون يتألف منها دفتر الامهات .

دفتر الامهات يكون مأخذا لجداول التكاليف السنوية المحررة في المادة الثالثة من قانون تحصيل الاموال المؤرخ في ٥ شعبان سنة ١٣٢٧ و ١٨ اغستوس سنة ١٣٢٥

المادة السابعة والعشرون — في كل عشر سنوات تجري تعديلات عمومية لتقدير ايراد العقارات وفقا لاحكام هذا القانون .

المادة الثامنة والعشرون — اذا نقص ايراد العقار او زاد مقدار الثلث لبعض الاسباب الدائمة يعدل تعديلاً خاصاً بطلب من صاحب العقار او مأمور المال عدا عن التعديلات العمومية التي تجري في كل عشر سنوات . تطلب التعديلات وفقاً للفقرة السابقة في الستة الأشهر الاولى من السنة المالية وتعتبر التعديلات من السنة الآتية .

المادة التاسعة والعشرون — يقضى على اصحاب الاملاك بيان الخصوصات الآتية الى قلم المال كتابة من ابتداء تطبيق هذا التكليف في كل قضاء ويعطى لهم علم وخبر بمقابلة ذلك .

١ — العلاوات التي تضم على الابنية الجديدة الموجودة .

٢ — العرصات التي خصصت من جديد للجهات المصرح بها في المادة الثامنة من هذا القانون .

التبديلات التي تحصل في جهة استعمال الأبنية بصورة تدعو الى انقطاع الاستثناء

المسطور بهذا القانون والتحولات التي تغير نسبة التكليف المعينة في المادة الثانية عشرة ٠

تعطى البيانات المذكورة في خلال شهرين اعتباراً من استعمال الاملاك على الوجه المذكور او من حدوث التحولات فيها واذا لم تعط البيانات في المدة المذكورة يضم على التكليف المقتضي اخذه على حسب التبدلات التي لم يخبر عنها عشرة في المئة مرة واحدة

المادة الثلاثون — اصحاب الاملاك التي نسيت في التحرير العام ولم تكتب يقضي عليهم انباء امرها قبل انقضاء السنة الثانية التي تلي ختام اعمال التحرير واذا لم يخبروا بدون عذر مقبول يضم على اصل تكليف ذلك العقار عشرون في المئة من ابتداء تطبيق هذا القانون في ذلك المحل الى آخر السنة التي يطلع بها على النسيان ٠

المادة الحادية والثلاثون — تجري المعاملات المتعلقة بتعديلات دفتر الامهات وفقاً للقواعد الموضوعة للتحرير العمومي وانما تؤلف اللجنة التي تنظر في هذه المعاملات من اربعة اعضاء اثنان منهم ينتخبان من اعضاء مجلس الادارة واثنان من اعضاء المجلس البلدي برئاسة مأمور المال ٠ ينظر في الاعتراضات التي يقدمها المكلفون او مأمورو المال المحليون على قرار هذه اللجان في المدة المحررة في المواد السابقة في مجالس الادارة المحلية ٠ يكون قرار مجالس الادارة قطعياً على شرط ان يبقى حق المراجعة للجنة المركزية في المدة المعينة محفوظاً في الاحوال المحررة في المادة الثانية والعشرين ٠

الفصل الخامس

في المكلفين الملزمين بأداء التكليف

المادة الثانية والثلاثون — اصحاب العقارات وذوو اليد على العقارات مكلفون بدفع التكليف المرتب عليها واذا لم يوجد هؤلاء فالساكنون فيها ٠

المادة الثالثة والثلاثون — المتصرفون في العقار مشاعاً يكلفون بنسبة حصصهم الشائعة ٠ العقار المقيد على شخص متوفي يعتبر غير مقسوم وتجري بحقه المعاملة وفقاً للفقرة الأولى هذا اذا لم يقسم و يقيد في ادارة الطابو او اذا لم يسقط الورثة حقوقهم الارثية كلها او بعضها ٠

احكام عمومية

المادة الرابعة والثلاثون — يحرر ناظر المالية نظاماً يتضمن كيفية تنفيذ هذا القانون

وبعد تدقيقه في مجلس شورى الدولة ينفذ بارادة سلطانية ·

المادة الخامسة والثلاثون — تعتبر الاحكام التي كانت مرعية قبلا في تكليف العقارات لاغية من ابتداء تنفيذ هذا القانون في كل قضاء واكال التحرير العام والمباشرة في تحصيل التكليف ·

المادة السادسة والثلاثون — عقارات الحرمين الشريفين مستثناة من احكام هذا القانون ·

المادة السابعة والثلاثون — ناظر المالية مأمور بتنفيذ هذا القانون ·

مخطوطات ومطبوعات

حالة المسلمين الاقتصادية

تأليف المسيو لشاتليه

La position économique de l'Islam, par M. A Le chatelier

اعتاد صديقنا صاحب هذه الرسالة ان يرينا كل يوم اثراً من آثار علمه واطلاعه ودليلاً من ادلة مضائه واضطلاعه فهو اليوم المرجع الاكبر في احوال الاسلام والمسلمين ومن اعظم ائمة الاربيين الواقفين على منزلة الشرقيين ورسالته هذه كسائر ماخطه يراعته اوصدر تحت رعايته مملوءة بحسن الظن بمستقبل المسلمين افتتحها بقوله ان العالم الانكليزي السكسوني الذي ذهب بفضل التقدم في اعماله الاقتصادية ليس هو من حيث العدد الانصف العالم الاسلامي فهو عبارة عن ١٢٥ مليون ساكن في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وكندا واوستراليا وافريقية الجنوبية والهند وسائر المستعمرات الساحلية التي ينزلها العنصر الانكليزي اما الاسلام فتجمع كلمته من ٢٠٠ الى ٢٥٠ مليون من البشر ويمتد سلطانه من الصحاري المتجمدة في ايرتيش واوهيو الى مدن افريقية الجنوبية من الارخبيل الهندي الى شواطئ الاتلانتيك مع فروع في اوربا تصل الى ليتوانيا وبولونيا كي ينتشر من وراء البحر المحيط الى اميركا واوستراليا · والمسلمون كالسكسونيين تجدهم تارة مجتمعين في بلاد اسلامية خاصة بهم واخرى متفرقين بين من لايدينون بدينهم فمركزهم الجغرافي ذو شأن في العالم

والسواد الاعظم من المسلمين في آسيا فهو فيها عبارة عن ١٧٠ مليون مسلم اي مثل مجموع سكان اميركا الشمالية والجنوبية واسبانيا والبرتغال ٠ ففي الهند الانكليزية ٢٨٤ مليونًا من السكان منهم ٦٢ مليون مسلم وفي الهند الهولاندية ٣٠ مليونًا وليس معدل السكان واحداً في كل بلد بل ان نسبة المسلمين في الهند الصينية الى سائر السكان نسبة ٥ — ١٠٠ من مجموع السكان ومعدلم في الصين من ٥ الى ٦ في المئة وفي الافغان ٥—٩٩ في المئة وفي بخارى ٩٦ في المئة وبلوجستان ٩٤ في المئة و٩٣ في فارس وينزل معدلم كما تقدمت نحو الغرب فبينما نجدهم ٩٨ في المئة ببلاد العرب ينزل معدلم الى ٨٦ في المئة بين النهرين والى ٧٨ في المئة في آسيا الصغرى والمعدل العام للمسلمين في آسيا هو ٣٠ في المئة ويبلغ في افريقية ٣٦ ففيها ٦٠ مليون مسلم مقابل ١٦٥ مليون افريقي وينزل معدل نفوسهم من الشمال الى الجنوب ويكون سوادهم الاعظم في الشمال اي في مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر واصل سكان افريقية الشرقية من جالية العرب والهنود ينزلون في رودوسيا والترنسفال والناتال والراس ومدغسكر وجزائر كومور وموريس ولا يقل عددهم عن مائتي الف ولا يكثر عدد المسلمين في اوربا الا في بلاد روسيا ففيها نحو ثلاثة ملايين من التاتار وكذلك ترى في شبه جزيرة البلقان اجناسًا من الاتراك والارناؤد وغيرهم لا يقل عددهم عن ثلاثة ملايين ايضًا اما سائر بلاد اوربا فليس فيها الا عدد قليل لا يتجاوز الالوف من المسلمين المختلفين في اجناسهم وليس هو ثابتًا ٠ واذا اضفنا الى اوستراليا وتوابعها نحو ٤٠ الى ٥٠ الف افغاني وهندي وماليزي ومثل هذا القدر في اميركا باسرها من الاتراك والعرب والصينيين والزنوج جاءت معنا لائحة صحيحة في الجملة من العالم الاسلامي

وبعد ان افاض قليلاً في وصف معتقدات المسلمين وعاداتهم قال ان لسان القرآن الالهي يحدث صلة اخرى بين اعضاء الاسرة الاسلامية الكبرى فاذا كانت اللغة العربية لا يتكلم بها سوى خمسين مليونًا من الآسياويين والافريقيين من نهر الفرات الى النيجر فهي يترنم بها في المدارس الاسلامية من بلاد الصين الى افريقية الجنوبية من جزائر الفيلبين الى مراكش وتستعمل لغة كتابة عند الخاصة في كل بلد اجتمع فيها المسلمون ليتلوا القرآن العظيم ٠ وان الشعوب الاسلامية التي لم تقبل اللغة العربية قد دخل الى لغاتها منها الشيء الكثير فالفارسية والتركية والملازية تكتب بحروف عربية ولغة

الاوردو الهندية قد دخلها كثير من التعابير العربية وكذلك اللغة السواحلية ولغة البول والبربر في افريقية

وذكر المؤلف تاريخ الصحافة الاسلامية بالحجاز فقال مع ان تاريخها يرد الى سنة ١٨٢٨ ايام انشأ محمد علي الوقائع المصرية اصبحت الآن منتشرة ولاسيما في مصر على عهدها الاخير والبلاد العثمانية بعد الحرب وتقدر الصحف الاسلامية في الارض بار بعمائة منها ١٥٠ باللغة العربية اكثرها في مصر والشام وتونس . وافاض في المشاريع الصناعية والتجارية التي اخذ المسلمون في آسيا خصوصاً يدخلون فيها و يبرزون كغيرهم من الشعوب الراقية واحسن ظنه بنهضة المرأة التركية وكيف يحاول المجددون في الاسلام اليوم ان يدخلوا العلوم والفنون حتى في الجوامع كما فعل التونسيين في جامع الزيتونة والمصريون في الازهر وذكر مثالاً من السكك الحديدية واعمال الكهرباء والبخار ولاسيما في البلاد العربية فقال ان المدينة المنورة مع انها في قفر بين البدو تنار بالكهربائية كما ان ينبع تشرب من ماء مقطر بالبخار والامام يحيى في اليمن يطلب تمديد سكة حديدية من الحديدة الى صنعاء

ثم قال ان المفكرين من السياسيين الغربيين لينظرون وحق لهم ان ينظروا الى هذه النهضة الحديثة في الاسلام لا من حيث الدعوة الى الجامعة الاسلامية ولا من حيث الجامعة الوطنية بل الواجب ان ينظروا الى مايتوقع امره في القريب العاجل من قيام مدنية اسلامية متماسكة تقصد الى توطيد اسباب التكافل الاقتصادي بين اجزائها وقال ان السياسة الحميدية اخفقت في دعوتها للجامعة الاسلامية فانفصمت عرى تلك الدعوة يوم ظفر احرار سلانيك باعادة الحرية الى المملكة العثمانية وقال ان السياسة العثمانية الاسلامية الالمانية تهيء السلطنة للتقسيم (كذا) والعقول لانتصور كيف تخلص من الانقسامات الجنسية لايجاد فكرة الوطنية

فالفكرة الاقتصادية هي التي تهم العالم الاسلامي اكثر وهي بها اليوم يطالب المتغلبون كما تطالب مصر انكلترا بتولها منافع مصر يجب ان تكون لمصر وكذلك فعل الجزائريون بعد سبعين سنة من استيلاء فرنسا عليهم فقاموا وهم لايخافون بأس القوة يطالبون باراضيهم التي استصفيت فعلى اوربا ان تتأكد قيام المسلمين بالجامعة الاقتصادية عما هو ماثل للعيان من حال ايران فان اهلها يريدون ان يقاطعوا كل من هو غير ايراني وان يطبقوا القواعد المدنية والاقتصادية على الاسلام لتكون بلادهم لهم في اقتصادياتها ومشاريعها النافعة وهنا

قال المؤلف بان عَلَى اوربا ان تنتظر المسلمين وجرائدهم التي تنفخ فيهم روح النهوض لترى كيف تحقق سياستها الاقتصادية فينادي لسان حالهم جميعاً بلاد الاسلام للمسلمين ونحن نقول اذا صحت هذه الاحلام والاوهام آمين

منطق المشرقيين

والقصيدة المزدوجة في المنطق للرئيس ابي علي بن سينا

« عنيت بتصحيحه المكتبة السلفية بالقاهرة ص ٨٣ »

احسنت هذه المكتبة بنشر هذا السفر النفيس عَلَى اسلوب راق شأنها في كل مانشرته حتى الآن وقد صدرت الكتاب بترجمة الرئيس عن اصح المصادر فجاءت الترجمة في ٣٨ صفحة وهي من احفل تراجم الرئيس . اما الكتاب والقصيدة فهما في الغاية من السلاسة والوضوح بحيث يسهل لي من لم يدرس هذا الفن لي اصوله ان يتلقفه بنفسه من هاتين الرسالتين ولا عجب فكلام الرئيس رئيس الكلام . وهاك ماقاله المؤلف « في ذكر العلوم » ننقله نموذجاً لمن لم يسعده الحظ بقراءة شيء كثير من قلم الرئيس وعنواناً عَلَى كيفية تقسيمهم العلوم في عهده قال : « ان العلوم كثيرة والشهوات لها مختلفة ولكنها تنقسم اول ما تنقسم قسمين : علوم لا يصلح ان تجري احكامها الدهر كله بل في طائفة من الزمان ثم تسقط بعدها اوتكون مفنولاً عن الحاجة اليها باعيانها برهة من الدهر ثم يدل عليها من بعد . وعلوم متساوية النسب الى جميع اجزاء الدهر وهذه العلوم اولى العلوم بان تسمى « حكمة »

وهذه منها (اصول) ومنها (توابع وفروع) وغرضنا هاهنا هو في الاصول وهذه التي سميناها توابع وفروعاً فهي كالطب والفلاحة وعلوم جزئية تنسب الى التنجيم وصنائع اخرى لاحاجة بنا الى ذكرها

وتنقسم العلوم الاصلية الى قسمين ايضاً : فان العلم لايخلو اما ان ينتفع به في امور العالم الموجودة وما هو قبل العالم ولا يكون قصارى طالبه ان يتعلمه حتى يصير آلة لعقله يتوصل بها الى علوم هي (علوم امور العالم وماقبله) . واما ان ينتفع به من حيث يصير آلة لطالبه فيما يروم تحصيله من العلم بالامور الموجودة في العالم وقبله

والعلم الذي يطلب ليكون آلة — قد جرت العادة في هذا الزمان وفي هذه البلدان ان يسمى (علم المنطق) ولعل له عندقوم آخرين اسماً آخر لكننا نؤثر ان نسميه الآن بهذا الاسم المشهور

وانما يكون هذا العلم آلة في سائر العلوم — لانه يكون علماً منبهاً على الاصول التي يحتاج اليها كل من يقتنص المجهول من المعلوم باستعماله للمعلوم على نحو وجهة يكون ذلك النحو وتلك الجهة موّدياً بالباحث الى الاحاطة بالمجهول فيكون هذا العلم مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تنقل الذهن من المعلوم الى المجهول . وكذلك يكون مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تضل الذهن وتوهمه استقامة مأخذ نحو المطلوب من المجهول ولا يكون كذلك . فهذا هو احد قسمي العلوم

واما القسم الآخر — فهو ينقسم ايضاً اول ماينقسم قسمين : لانه اما ان تكون الغاية في العلم تزكية النفس مما يحصل لها من صورة المعلوم فقط واما ان تكون الغاية ليس ذاك فقط بل وان يعمل الشيء[4] الذي انتقشت صورته في النفس

فيكون الاول تتعاطى به الموجودات لا من حيث هي افعالنا واحوالنا لتعرف اصوب وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا والثاني يلتفت فيه لفت موجودات هي افعالنا واحوالنا لتعرف اصوب وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا

والمشهور من اهل الزمان انهم يسمون الاول (علماً نظرياً) لان غايته التصور نظر ويسمون الثاني منهما (عملياً) لان غايته عمل .

واقسام (العلم النظري) اربعة : وذلك لان الامور اما مخالطة للمادة المعينة حداً وتواماً فلا يصلح وجودها في الطبع في كل مادة ولا يعقل الا في مادة معينة مثل الانسانية والعظمية وان كانت بحيث لايمتنع الذهن في اول نظره عن ان يحلها كل مادة — فيكون على سبيل من غلط الذهن بل يحتاج الذهن ضرورة في الصواب ان ينصرف عن هذا التجويز ويعلم ان ذلك المعنى لايحل مادة الا اذا حصل معنى زائد يهيئها له وهذا كالسواد والبياض فهذا من قبيل الموجودات والامور .

واما امور مخالطة ايضاً كذلك والذهن وان كان يحوج في صحة تصور كثير منها الى الصاقه بما هو مادة او جار مجرى المادة — فليس يمتنع عنده وعند الوجود ان لايتعين له مادة وكل مادة تصلح لان تخالطه مالم يمنع مانع وليس يحتاج في الصلوح له الى ممهد يخصصه به مثل الثلاثية والثنائية من حيث هي مشكونة وتعرض الجمع والتفريق ومثل التدوير والتربيع وجميع ما لا يفتقر وجوده ولا تصوره الى تغير مادة له وهذا قبيل ثان من الامور والموجودات

واما امور مباينة للمادة والحركة اصلا فلا تصلح لان تخلط بالمادة ولا في التصور العقلي الحق مثل الخالق الاول تعالى ومثل ضروب من الملائكة وهذا قبيل ثالث من الموجودات

واما امور ومعان قد تخالط المادة وقد لاتخالطها فتكون في جملة مايخالط وفي جملة ما لايخالط مثل الوحدة والكثرة والكلي والجزئي والعلة والمعلول .

كذلك اقسام العلوم النظرية اربعة لكل قبيل علم .

وقد جرت العادة بان يسمى العلم بالقسم الاول (علماً طبيعياً) وبالقسم الثاني (رياضياً) وبالقسم الثالث (آلهياً) وبالقسم الرابع (كلياً) وان لم يكن هذا التفصيل متعارفاً فهذا هو العلم النظري

واما (العلم العملي) فمنه ما يعلم كيفية مايجب ان يكون عليه الانسان في نفسه واحواله التي تخصه حتى يكون سعيداً في دنياه هذه وفي آخرته وقوم يخصون هذا باسم علم الاخلاق

ومنه مايعلم كيف يجب ان يجري عليه امر المشاركات الانسانية لغيره حتى يكون عَلَى نظام فاضل — اما في المشاركة الجزئية واما في المشاركة الكلية والمشاركة الجزئية هي التي تكون في منزل واحد والمشاركة الكلية هي التي تكون في المدينة

وكل مشاركة فانما تتم بقانون مشروع وبمتول لذلك القانون المشروع يراعيه ويعمل عليه ويحفظه ولا يجوز ان يكون المتولي لحفظ المقنن في الامرين جميعاً انسان واحد فانه لايجوز ان يتولى تدبير المنزل من يتولى المدينة بل يكون للمدينة مدبر ولكل منزل مدبر آخر . ولذلك يحسن ان يفرد (تدبير المنزل) بحسب المتولي باباً مفرداً و(تدبير المدينة) بحسب المتولي باباً مفرداً ولا يحسن ان يفرد التقنين للمنزل والتقنين للمدينة كل عَلَى حدة بل الاحسن ان يكون المقنن لما يجب ان يراعى في خاصة كل شخص وفي المشاركة الصغرى وفي المشاركة الكبرى شخص واحد بضاعته واحدة وهو (النبي)

واما المتولي للتدبير وكيف يجب ان يتولى فالاحسن ان لاتدخل بعضه في بعض وان جعلت كل تقنين ايضاً باباً آخر فعلت ولا بأس بذلك لكنك تجد الاحسن ان يفرد العلم بالاخلاق والعلم بتدبير المنزل والعلم بتدبير المدينة كل على حدة وان تجعل الصناعة الشارعة ماينبغي ان تكون عليه امراً مفرداً

وليس قولنا « وما ينبغي ان تكون عليه » مشيراً الى انها صناعة ملفقة مخترعة ليست

من عند الله ولكل انسان ذي عقل ان يتولاها كلا بل هي من عند الله وليس لكل انسان ذي عقل ان يتولاها ولا حرج علينا اذا نظرنا في اشياء كثيرة مما يكون من عند الله انها كيف ينبغي ان تكون

فلتكن هذه العلوم الاربعة اقسام العلم العملي كما كانت تلك الاربعة اقسام العلم النظري اه »

الهيئة والاسلام

لمؤلفه السيد هبة الدين الشهرستاني طبع ببغداد في مطبعة الآداب سنة ١٣٢٨ ص ٣١٤

ذكر المؤلف ان الاسلام يوافق آراء الفلسفة الحديثة اكثر مما يوافق القديمة خصوصاً في الفلكيات وقد فسر كثيراً من الآيات المشكلة والروايات المعضلة قال: « فيي الناس اناس يزعمون سلوك الشارع في ابواب الفلكيات مسلك الحكماء وان الهيئة القديمة هي الموافقة للشريعة القديمة فلاجل ذلك تراهم عند اعتقادهم بطلان الفلسفة الغابرة تزل اقدامهم و يضعف التزامهم بنواميس الشريعة الطاهرة فقصدت من تصنيف هذا الكتاب بيان مخالفة الاسلام لمعظم مباني الهيئة البطليموسية وموافقته للآراء المكتشفة في الهيئة الجديدة فينبغي ان يكون تصديقهم للعلوم العصرية سبباً لرسوخ العقائد الدينية ومزيد اليقين بصدق باقي مقالات النبي الامي والائمة من اهل بيته » . والمؤلف مشهور بسعة الاطلاع فنشكره على تحفته

غرائب الغرب

لصاحب المقتبس طبع بمطبعته ص ٢٠٤

هي بعض ما شاهده وعرفه صاحب هذه المجلة عن ديار الغرب نشر اولاً في بعض اجزاء هذه السنة والسنة الماضية وجردناه على حدة وهذه مقدمته وهي تنم عن الغرض من نشره:

« هذه فصول ومقالات بل آهات وتأوهات كتبتها في وصف معالم الغرب وما لقيته فيه وثقفته عنه وانا على مثل اليقين بانها لا تحمل في مطاويها من تلك المدنية الساحرة الا بقدر ما تصل اليه يد عابر سبيل و يفطن له فكر النزيل والدخيل راجياً من كرمه تعالى ان ينفع بها قراء العربية ومنه استمد العون والتيسير نعم المولى ونعم النصير»

رسائل البابية

نشر البارون روزن الروسي المتوفى ٦٣ رسالة بالفارسية والعربية كتبها بهاء الله

المصلح الثاني في المذهب البابي · والعربية منها كما قال احد الناظرين في هذه الرسائل وان كانت تبدو في صورة وحي قرآني لا تخرج عن كونها كتبت لتقوية البابيين على تحمل المصائب في سبيل ايمانهم والعمل بما توحي به الحقيقة الكلية والرسالة العشرون منها المسماة «سورة الملوك» عبارة عن شكوى صاحب المذهب واتباعه من بعض ماينالهم من الموظفين الذين اضطهدوا من انتحلوا مذهب الباب · ولئن كان البهاء ينحو فيها منحى القرآن في الانشاء فيغتر بها بعضهم لاول وهلة الا ان من يحسن كتابة لغته لا يلبث ان يرى اغلاطاً عربية واكثرها في التركيب

معيار الفتاوي

نشر المسيو اميل امار من علماء المشرقيات في فرنسا ملخص فتاوي فقيه المغرب ابي العباس احمد بن يحيى الونشريسي المتوفى سنة ٩١٤ هـ في مجلدين وترجمها الى الافرنسية مع تعليق الشروح اللازمة لها · وهذا الكتاب هو فتاوى صدرت عن مفاتي افريقية اي تونس وولايتا قسنطينة والجزائر وعلماء الاندلس والمغرب الاقصى وهو عبارة عن ولاية وهران وبلاد مراكش وكان طبع هذا الكتاب برمته على الحجر في فاس في ١١ مجلداً تدخل في ٤١٢٢ صفحة فنسق الناشر هذه الفتاوي حتى جاءت مثل كتاب دالوز في القانون مرجعاً يسهل الرجوع اليه

ثلاث مجلات جديدة

الحقائق — مجلة دينية علمية اخلاقية اجتماعية عمرانية لصاحبها الشيخ عبد القادر الاسكندراني يحررها نخبة من اهل الفضل بدل اشتراكها في دمشق ريال واحد وفي البلاد العثمانية ريال وربع وفي الاقطار الاجنبية ٧ فرنكات وتصدر مرة في الشهر

النديم — مجلة كاثوليكية سياسية اخبارية تاريخية ادبية علمية لمنشئها شاكر افندي عون و يعاونه بانشائها بعض اصحاب الاقلام قيمة اشتراكها في بيروت ريالان وفي البلاد الخارجية عشرة فرنكات وهي تصدر مرتين في الشهر

تنوير الافكار — مجلة دينية ادبية سياسية تصدر كل شهر مرة في بغداد لصاحبها عبد الهادي افندي الاعظمي ومديرها نعمان افندي الاعظمي قيمة اشتراكها في الممالك العثمانية مجيدي وربع وعشرة فرنكات في الخارج

كتب متفرقة

معنى الحياة — عربه عن الانكليزية وديع افندي البستاني وهو تأليف اللورد افبري

المشهور وفيه نصائح للناشئة في قوة الارادة وصدق العزيمة والثبات والشجاعة والاقتصاد يطلب من مكتبة المعارف في مصر

تقرير السر الدن غورست سنة ١٩٠٩ — هو التقرير الذي يصدره كل سنة معتمد انكلترا في مصر عن الحركة الادارية والسياسية والعلمية فيها صدر بالعربية والانكليزية والفرنسوية وفيه كلام طويل على المعارف المصرية ونمو الحركة للتعليم وازدياد عدد الشبان والكتاتيب والعناية بتعلم العلوم باللسان العربي المبين و يطلب من مطبعة المقطم بالقاهرة

القطار السريع في علم البديع — مختصر في علم البديع لحفني بك ناصف من شيوخ الادب في مصر وهو شرح بديعية تقي الدين

سير العلم والاجتماع

الشعرى اليمانية Sirius

قرأت في المقتبس رسالة من بغداد تبحث في الشعرى العبور فشكرت عناية الكاتب بهذا البحث النافع وارجو مواصلة القراء بشذور هذا العلم الساطع بيد اني وجدت فيها هفوة لعلها من النقل او النشر وهو قوله : « ان العلامة شارل نوردمان يقول بان الشعرى تبعد عنا نحواً من خمسمائة مرة بعد الشمس عنا » والصحيح انها تبعد عنا زهاء خمسمائة الف وثلاثة وعشرين الف مرة بعد الشمس عنا وتتأتى معرفة ذلك من رصد اختلافها السنوي وهو الزاوية الحاصلة عندها التي يقابلها قطر فلك الارض وهي اصغر من ان تقاس الا بأدق الآلات لان فلك الارض من ذلك المكان السحيق يرى كنقطة متحدة بنور الشمس المشع لكنها في غاية الضعف وقد عرف لها اختلاف سنوي جزئي وهو بحسب قائمة اورمان ٠،٣٩ من الثانية فيقتضي لوصول نورها الينا ثماني سنين وثلث سنة تقريباً وبالتدقيق ٨،٣ ثم بحسب مادتها وهي ثلاث مرات وربع مثل مادة الشمس فتكون قوة الجذب فيها اشد من قوة الجذب في الشمس وتوابعها معاً (السيارات واقمارها) فلو وجدت على بعد خمسمائة مرة مثل بعد الشمس عنا لدنت الشمس اليها ثم اسرعت نحوها مضطرة لشدة التجاذب (لان الجاذبية تتغير بالقلب كربع البعد) اما للدوران

حولها اوللاندماج فيها والواقع ان الشعرى اليمانية من النجوم المتباعدة عنا وان شمسنا (ونظامها) سائرة نحو نقطة بالقرب من الجاثي واستنتج بعض الراصدين ان اقرب «الكيوني» انور كواكب الثريا قطب دوران حقيقي للكواكب (الشموس) التي تتألف منها عقود البروج كافة وهذا الرأي الاخير لم يجزم بصحته حتى الآن والشعرى اليمانية محسوبة من النجوم المزدوجة وقيل بانها تدور حول جرم مظلم اعظم منها قليلاً ومدة دورانها حوله ٥٢ سنة تقريباً

ثم ذكر ان « الشعرى اليمانية هي الينا اقرب هذه الكواكب المنتشرة على بساط المجرة » والمعلوم عنها حتى الآن انها الرابعة في البعد عنا بين الثوابت لانه عرف لثلاثة كواكب اختلاف سنوي اكثر واقربهم الينا « α.centauri قنطوروس » اختلافه السنوي ٠٫٧٥ اي ثلاثة ارباع الثانية فيكون بعده عنا قرابة ٢٥٢ الف مرة بعد الشمس عنا و يقتضي لوصول نوره الينا اربع سنين ويظن بعض علماء الهيئة ان بين النجوم الضئيلة التي تعد بالملايين عدد قليل منها اقرب الينا من قنطوروس

لنفرض للاستعانة على تصور قدر الشمس الهائل و بعدها عنا ولاجل مقابلة المسافات الشاسعة المذكورة ان كرة قطرها قدمان تمثل الشمس فتكون الارض كحبة حمص صغيرة على بعد ٢٢٠ قدماً عنها وتكون اقرب الثوابت الينا على بعد تقديره بالتقريب ٨٠٠٠ ميل عن مثال الشمس والمسافة الحقيقية التي بيننا وبين الشمس ٩٢ مليون ميل بالتقريب يصل نورها الى الارض في ٨ دقائق و١٩ ثانية

ويلي الشعرى اليمانية في البعد عدد لا يحصى من النجوم بضعة وعشرون منها يعرف لها اختلاف سنوي والملايين الكثيرة الباقية لا يعرف لها اختلاف سنوي لتناهيها في البعد اولتوغلها في قلب المجرة اواقاصيها وترها باشعاع نورها وليس بذات جرمها لان زاوية البصر تتلاشى قبل الوصول الى اقرب الثوابت بمسافات بعيدة واقوى النظارات في وقتنا الحاضر لا ترينا قرصاً للثوابت واذا قيل بأن النور يجتاز عرض المجرة بمدة عشرين الف اوثلاثين الف سنة فبعض السدام على رأي بعض الفلكيين يقتضي لوصول نوره الينا سبعمائة الف سنة واقوى النظارات لم تحله الى نجوم مفردة او عناقيد ومن المحتمل ان يكون مجرة بعيدة كالمجرة التي نظامنا الشمسي وعامة الكواكب وانظمتها منها وفيها على ان الرأي القائل بان وراء هذه المجرة المحيطة بنا مجرات عديدة مؤلفة من عوالم وانظمة

الى ما لا نهاية لما يتأكد والآلات الحاضرة لا تمكننا من كشف شيء من هذا السر العظيم وقد وجدت خطوط في طيوف بعض السدام انور من خطوط الهيدروجين لا تدل على عنصر معروف في الارض او في الشمس حتى الآن فمن المحتمل ان يكون ذلك دليلاً عَلَى وجود عنصر ابسط او اوطأ رتبة من الهيدروجين

هذا ما جال في الخاطر حداني اليه كوكب نظرائه كاتب تلك الرسالة لاقتفاء اثره واقتباس منار علمه في هذا المسلك الذي قد لا انجو بسلوكه من العثور فالرجوع الى مايدونه علماء العصر احق والبحث في انواع العلوم الطبيعية انور للبصيرة فتكسب المرء قدرة التصرف بالاعمال العظيمة المفيدة فان اكثر الناس تجهل حقيقة هذا العلم وتخيل في السماء اموراً سخيفة اشركتها في معتقدها وتسكعت في باطلها وظلت عليها القرون والاحقاب حتى رسخت تلك الاوهام الفاسدة في العقول وانطبعت مزاعم زعمائهم الباطلة في القلوب فتأصل فيهم الميل للشعوذات والايمان بالخرافات وحقت عليهم كلمة الشر والجهالة فصارت ذريعة الى المجادلات حتى الحروب والغارات وفاتهم ان الارض دار فراغ وتنازع في البقاء وان عصرنا هذا عصر جد واجتهاد وانهم عَلَى سطح جرم حقير (الارض) اعتباره كذرةٍ من جميع المادة نسبته اليها كنسبة حبة رمل الى طود عظيم خليط من التراب والرمل والحجارة تناثرت اجزاؤه في هذا الفضاء وعلم الهيئة الحقيقي وهو علم اثبته الفحص وقام عليه البرهان يعرفنا بحقيقة هذا الوجود ويزيل او يقلل من تفاخر الانسان الكاذب وغلوائه وعند التعمق باصوله وتعميم انتشاره في مستأنف الزمان يدركنا التغيير الكلي في جميع امورنا واحوالنا ونخرج من مأزق التعصب ومضيق الافكار فتبدو علامات اليمن وامارات الخير ويكون لهذا العلم المزية الكبرى عَلَى سائر العلوم فهو رائد الاصلاح الاكبر دمشق : احد القراء

وقف للعلم

وقف احمد بك زكي من علماء مصر خزانة كتبه وفيها مئات من الامهات المهمة المخطوطة والمطبوعة واكثر مطبوعات اوربا العربية وكثير من نفائس الكتب الافرنجية على المطالعة لاهل القاهرة وذلك عَلَى شرط ان تجعل في مكان خاص بها من دار الكتب المصرية وهي غيرة على العلم لا تستكثر ممن خدمه طول حياته

مسألة قلة النفوس

وضعت مجلة الاقتصاد بين مقالة قالت فيها انه يكاد لا يعرف كبير امر عن مسألة النفوس

لان الامم القديمة قد دثرت كلها تقريباً ونوشك ان لانعرف الا اموراً طفيفة عن حالة الاشوريين كما نحن كذلك في تصور اليونان والرومان فان الرجال الممتازين قواداً كانوا او فلاسفة ممن اشتهروا قديماً لم يتركوا عقباً فلا يمكن ان يقال انهم هلكوا في حروب اهلية اوخارجية وان قد خلفتهم شعوب اخرى مثل البورغونيين والفانداليين والغوتيين الذين نشأوا من جرمانيا والهونسيين والمجريين الذين جاؤا من آسيا فالماضي يمثل لاعيننا تعاقب الامم التي تناقلت حسنات المدنية خلفاً عن سلف .

ومسألة قلة النفوس اليوم ينظر فيها في كل مكان ولاسيافي فرنسا فالشعب الفرنسوي اليوم ٣٩ مليوناً ويجب ان يزيد كل سنة مليون نسمة ولذلك رأى احدهم ان يعطى كل اب اوام فرنسو يتبين ماشاءا من الوظائف لان لهم ميلاً خاصاً اليها على شرط ان يكون لها ثلاثة اولاد احياء اواكثر بدون نظر الى كفاءتهما وان تخصص الحكومة مكافأة مالية قدرها خمسمائة فرنك تدفع دفعتين اذا ولد للابوين الولد الثالث وهو حي وبذلك تنفق الحكومة في السنة من ١٥٠ الى ١٧٥ مليون فرنك

فردت المجلة على هذا الفكر وقالت ان الاولاد والعجزة الذين يولدون على تلك الصفة مدة عشر سنين يزيد عددهم ملايين وهم لايعملون عملاً ويفتقر السكان من جبايةهذه الضريبة منهم اي مبلغ ١٧٥ مليوناً كل سنة الذي يقضي عليه اداؤه وما قط كانت زيادة الضرائب مغنية لامة ومن ذلك ينشأ فقر متتابع لان مائتي مليون فرنك لاتكفي للقيام بتعليم العلم العالي الذي يستلزمه اعداد رجال للصناعات الحرة مثل الطب والمحاماة والهندسة وغيرها وسلك الوظائف ايضاً وربما كان في المستقبل معوض عن هذا العمل ولكن الحال في فرنسا ليست كاميركا وروسيا لان باطن ارضها قليل الخصب ولا يرجى رواج التجارة اكثر من الآن فالنفوس فيها محدودون وكل دواء يقترح للشفاء من قلتها لايزيد الحال الا اعضالاً

فهذه الضريبة لاتأثير لها في الاغنياء والحكومة الآن هي السبب في تقليل السكان فخير لها فيما ترى ان تسهل التعليم العالي فلا تحتم على طلاب الطب والمحاماة تعلم اللاتينية بل واليونانية ومجموعة العلوم في حين يكفيهما معرفة علومهما معرفة عملية ويحذف حباً بالاقتصاد من خطة الدروس درس بقية العلوم لامثال هؤلاء وبذلك يتوفر مبالغ من المال تصرف على تعليمهم اياها . قالت وانجع الاسباب في ذلك تقليل الضرائب على وجه عام فبتقليلها تزيد النفوس الى الحد المطلوب الذي تسمح به حالة البلاد ونشاط اهلها

دار الترجمة

صدر الامر الخديوي باعادة ديوان الترجمة في مصر كما كان في ايام الخديويين السالفين وسيعرب هذا الديوان كل ماتحتاج اليه اللغة العربية من انواع العلوم والفنون المستحدثة

التربية اليابانية

تقضي الحكومة اليابانية على الوالدين ان يرسلوا ابناءهم الى المدرسة ست سنوات يخصص منها ساعتان في اليوم لدروس الآداب · ولناظر المعارف ان ينتخب الكتب المدرسية · واهم الموضوعات في مدارسهم واجب الحب الوالدي واحترام السلف والاخلاص للامبراطور والامبراطورة والصفح والاحتشام وعرفان الجميل والاقتصاد والرقة نحو الشيوخ والخدم والمجاملة والواجبات نحو الجار والخير العام واحترام الآلهة والوطنية واستعمال الوقت والشجاعة · وقد اضافوا في السنين الاخيرة دروساً عديدة في واجبات الوطني الاجتماعية وواجبات الجندي وانتخاب النواب للبرلمان والبلدية واحترام الشرائع وافضلية الرجل وواجبات الرجل والمرأة وهلم جرا ·

اكتشاف نافع

اكتشف الدكتور اهرليخ الروسي تركيباً كيماوياً من الزرنيخ فدلت التجارب على نجاح هذا الدواء في معالجة الحمى الملارية والحمى المتقطعة ومرض النوام · ويعتقد بعض الاطباء انه بات في حيز الامكان الآن التغلب على مرض النوام المتفشي في بلاد الكونغو وغيرها من البلاد الاميركية · وفي رواية اخرى ان هذا التركيب يشفي من المرض الزهري

ميكروب الخصب

اعلن الدكتور رسل والدكتور هتشنصن في المجمع الطبي البريطاني اكتشاف ميكروب يقتل البكتريا اللازمة لخصب الارض وهو اعظم اكتشاف زراعي منذ ٥٠ سنة وكانا قد اكتشفا علاجاً بالحرارة اومضادات الفساد يقتل جراثيم كثيرة من التي تأكل البكتريا المفيدة للارض فتزيد بذلك خصب التربة وقد كان في اثناء ابحاثهما في هذا الموضوع ان اكتشف الميكروب المتقدم ذكره

المقتبس

صناعة النظم والانشاء

كان الوليد ابو عبادة البحتري [1] معاصراً لحبيب بن اوس المعروف بابي تمام [2] وهما من اعيان امراء الكلام وكلاهما طائي غير ان البحتري ولد بعد ذاك باربعة عشر عاماً فما ترعرع وبدت فيه علائم النبوغ حتى كان ابو تمام في اوج مجده وبحبوحة اشتهاره فلصق به وتخرج عليه حتى اذا نبل شعره وسار ذكره قال ابو تمام « ان شعر هذا الغلام قد نعى اليَّ نفسي فما اجتمع في طي شاعران مشهوران الا مات اكبرهما » وقد صدقت نبوءته هذه فان ابا تمام لم يعش بعد قوله هذا اكثر من عام واحد ولقد مات عبطةً وهو دون الاربعين ولو عمر حتى اكتهل كالمتنبي او حتى شاخ كالبحتري لاتى بالآيات المعجزات ولأطبق الناس على كونه امير الشعر قديماً وحديثاً

(1) ولد بمنبج سنة ٢٠٤ للهجرة وتوفي بها سنة ٢٨٤ وهو الذي سئل عنه ابو تمام فقال « جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه » وسئل ابو العلاء المعري من اشعر الثلاثة ابو تمام ام البحتري ام المتنبي فقال « المتنبي وابو تمام حكيمان وانما الشاعر البحتري »

(2) ولد في قرية جاسم من ناحية الجيدور في حوران سنة ١٩٠ للهجرة وتوفي في الموصل سنة ٢٢٨ على اصح الاقوال وهو احد الثلاثة المتفق على تقديمهم من الشعراء المحدثين والاثنان الآخران المتنبي والبحتري وقيل سئل ابن الزيات وزير المعتصم من اشعر الناس ؟ قال ابو تمام حيث يقول

وما ابالي وخير القول اصدقهُ حقنتَ لي ماء وجهي اوحقنتَ دمي

وكان البحتري قد سأل يوماً ابا تمام ان يبين له الوجهة التي ينتحيها في نظمه والوتيرة التي يجري عليها توصلاً الى الاجادة والابداع فقال له

« يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة جرت في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء اوحفظه وقت السحر اذ تكون النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم . وان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا اخذت في مديح سيد ذي اياد فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه ونضد المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الرديئة . وكن كأنك خياط يقطع الثياب عَلَى مقادير الاجساد . واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرك الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين وجملة الحال ان تقيس شعرك وتعتبره بما سلف من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما نبذوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله »

قال البحتري « فأعملت نفسي فيما قال فجاد شعري وطار ذكري ووفقت الى ما اروم »

اما الحاتمي [1] فقد اختار الليل للنظم وحوك الكلام ذاهباً مذهب (جورج ساند) الكاتبة الفرنساوية التي كانت تبدأ بكتابتها عند منتصف الليل وتنتهي منها الساعة السادسة ثم تنام الى الحادية عشرة عَلَى ماوصفه المترجمون لها . وحجة الحاتمي في ذلك ان في الليل تجم الاذهان وتنقطع الاشغال ويصح النظر وتؤلف الحكمة ويتسع مجال الفكر وتنبعث الخواطر . وعندنا انه مصيب واكثر رجال السياسة والتدبير واهل العلم والخيال وارباب الاختراع والابداع يفضلون الليل عَلَى النهار ويختصونه لمهم من الاعمال والصعب

[1] هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي كان معاصراً للمتنبي وقد اجتمع به في بغداد فساءه ما رآه فيه من صلف وترفع واعجاب فبادهه بكلام افحمه به واخزاه حتى نهض المتنبي من مجلسه متغيظاً محجوباً ثم اسرع الرحلة من العراق خجلاً وقد آلى عَلَى نفسه ان لا يعود اليها فانشأ الحاتمي الرسالة الحاتمية المشهورة شارحاً فيها ماجرى بينه وبين المتنبي من اظهار سرقاته وابانة عيوب شعره فدلت عَلَى غزارة مادته وتوفر اطلاعه وله غيرها كتاب اسمه حلية الادب في مجلدين : توفي سنة ٣٨٨ للهجرة وقد اناف عَلَى السبعين

من شؤونهم والتفكير فيما يصلح من امورهم وينبه من اقدارهم وفيه غالباً انشأ المؤلفون الكتب وحبروا الرسائل وولدوا المعاني الحسان واودعوها اسلاك كلامهم تباهي النجوم ضياء والدر نظاماً والروض زخرفاً وجمالاً — وان كان ذلك مدعاةً لاضناء اجسامهم واخترام اعمارهم فان السهر ولا جرم مدعاة للسقم ومدرجة للالم وقد طالما عبث بالعقول قبل الاجساد فاوصل اليها الفساد — فالشاعر الماهر والكاتب المتأنق من اذا خلا الى حجرته وقد سدل الليل ستاره وسكنت ضوضاء الناس واستولت سنة النوم على اجفانهم نشط الى ماهو ميسر له من الامر وباشر عمله بعد امعان الفكرة واطالة الروية واستيحاء السليقة فيستمد من القريحة عفوها وفيضها غير مستند الى معنى لغيره يتلاعب به او قول لبعض السلف ينتحله موقناً ان الناس كافةً قيمون لهمنتقدون لاقواله متفرغون لتزييف كلامه وتفنيد نظامه ووزن معانيه والفاظه بميزان المتعنت عليه المتبرم به الطالب حجة يتذرع بها الى تنقيصه وتسوئته والحط من فضله ثم يكتب وهذا التخوط نصب عينيه ماثل لديه فلا يجود الا من مائه ولا يسبك الا من معدنه بلا اغتصاب ولا استكراه حتى اذا فرغ مما حبر تربص الى ان تهدأ سورة اعجابه فيما راق له من مبتكرات معانيه ومسبوكات قوافيه — وقد يحمل ان يكون تربصه هذا يوماً او اياماً — ثم يعود بعد ذلك — وقد سكنت القريحة وخلا الذهن وصح التأمل — فيراجع ماكتب مراجعة منتقد ذاته قيم على نفسه رقيب على عمله فان وجد محلاً للاصلاح اتاه او وجهاً للتهذيب والتنقيح مارسه وعاناه متخيراً اشرف الالفاظ واخفها واكثرها قرباً الى الفهم وتداولاً على الالسنة يدمجها في تضاعيف سطوره على منوال خاص واسلوب غريب يعرف به وتظهر ملكته في انفاس كلامه بحيث ينسبه القارىء العارف به اليه بمجرد تلاوته ولو لم يكن معنوناً باسمه ثم يعرضه على من يثق به من جهابذة الاقلام لعله يرى فيه عورةً فيسترها اوثلماً فيسده فمن سلك هذا المسلك الجدد من مجيدي الشعراء والكتاب امن في غالب منشآته العثار وحق له الاشتهار

تلك نصيحتنا نوصي بها ونحرض على الجري بمقتضاها وان كنا خالفناها في كل منظوماتنا حتى اليوم على مايعلمه المقتطف ونبه اليه فاننا كنا ننظم في ليلتنا القصائد المطولات ثم نبعث بها في الصبح الى عالم النشر دون معاودة نظر او تثبت وما ذلك الا اثر من آثار ضيق العطن المنبعث عن هزال الجسم وسوء الهضم اعاذ الله منهما كل ناظم وناثر فانهما آفة الاتقان ومجلبة التعس والمرارة والشقاء لبني الانسان ومامصدرهما فيمن قدر له ان

يعيش بعقله وعمله الا الامعان في السهر وعدم الاعتدال في الدراسة منذ الصغر فليتق الله الكاتبون في اجسامهم ان لهم فيما نعالنهم به عظة وعبرة ان كانوا ممن يتدبرون

وهنا — والشيء بالشيء يذكر — نأتي على كلام لابي عثمان الجاحظ [1] :ما لايخرج عما نحن في شأنه وتتوفر فيه الفائدة لمن رزقوا حظ الكتابة ولم يهتدوا الى قانون يقوي فيهم ملكة الانشاء ويبعثهم عَلَى الاجادة في الصناعة فان ذلك اهم مايحتاجه المنشؤون هذه الايام بعد ان قوضت فوضى الاقلام اركان البلاغة وشوهت ديباجة البيان واضاعت سر التأنق في الرسل حتى زالت عنه مسحة الجمال الا في عدد نزر ممن اوتوا نصيبهم من سلامة الذوق والعلم وألهموا الدراية في صناعتهم هذه الشريفة الى محجة الكمال فرسخت في اذهانهم قواعد التحرير والتعبير واستحكمت في صدورهم اساليب التفنن بصوغ المعنى الصحيح في قالب اللفظ الفصيح حتى استقامت لهجتهم ووضح منهاجهم وعذب بيانهم فنسجوا عَلَى منوال خاص بهم تشربه القلوب وتستحسنه الاذواق وتعشقه النفوس عَلَى مافيه من السهولة والانسجام ومتانة التراكيب : قال الجاحظ

« يقول جهابذة اللفظ ونقاد المعاني واساطين البيان · المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في اذهانهم المختلجة في نفوسهم المتصلة بخواطرهم والحادثة عن افكارهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة لايعرف الانسان ضمير صاحبه ولاحاجة اخيه وخليطه ولامعنى شريكه والمعاون عَلَى امره وعَلَى مالايبلغه من حاجات نفسه الا بغيره وانما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها · وهذه الخصال هي التي تدنيها الى الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً والغائب شاهداً والبعيد قريباً · وهي التي تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مفيداً والمقيد مطلقاً والوحشي مألوفاً وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون ظهور المعنى · وكلما كانت الدلالة اوضح

(١) هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري الكاتب العالم المشهور صاحب التصانيف العديدة في الادب · لقب بالجاحظ لانه كان جاحظ العينين اي بارزهما · وهو مع ذلك مشوه الخلقة قبيح المنظر حتى قال فيه الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ما كان الا دون قبح الجاحظ

مات مفلوجاً ببغداد سنة ٢٥٥ للهجرة وقد تجاوز التسعين · ومن افضل مؤلفاته كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين وله شعر قليل مقبول

وافصح وكانت الاشارة ابين وانور كانت انفع وانجع في البيان والدلالة الظاهرة عَلَى المعنى الخفي هو البيان الذي مدح الله بمدحه بكتابه ويدعو اليه ويحث عليه : بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت اصناف العجم

فالبيان اسم كل شيء كشف لك عن قناع المعنى وهتك لك حجب الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم عَلَى محصوله كائناً ما كان ومن اي جنس كان .

والالفاظ هي التي تكشف لك عن اعيان المعاني في الجملة وعن حقائقها في التفسير وعما يكون منها لغواً بهرجا وساقطاً مطرحاً فان صح التناسب وتم التآلف بين تلك المعاني وما تستخدمه لابرازها من الالفاظ سهل إشرابها للعقول وتجليها عَلَى المخيلات ودخولها الى صميم القلب والعكس بالعكس » . فمن شاء ان يكون حديثاً تقرع الآذان نبراته اومنشئاً تسحر الالباب نفثاته فليلبس المعنى الدقيق اللفظ الرشيق الذي لا ينقص عن معناه ولا يزيد وليمتن الاصول ويحذف الفصول ويجتنب الحشو ويطنب حيث يستحب الاطناب ويوجز حيث لا يستكره الايجاز : كل ذلك يفتقر الى رأي حصيف وفكر نقاد وخاطر جريء وذهن ذكي وذوق يحسن الاختيار وبديهة لا تعرف التلكؤ وحافظة تكتنز من المواد ما يستعان به عَلَى ركوب هذا المركب الوعر تقرن الى ضلاعة في العلوم وتبحر في الادب ومطالعة في آثار ائمة اهل البيان ممن نبغوا فدرجوا من قبل واشتمل عليهم الزمان ولقد قال ابو داود [1] «رأس الانشاء الطبع وعموده الدربة وجناحاه رواية الكلام وحليه الاعراب وبهاؤه تخير اللفظ» وقال ابن المعتز [2] «العاقل يكسو المعاني وشي الكلام في قلبه ثم يبديها بالفاظ كواس في احسن زينة والجاهل يستعجل باظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها»

ولما سئل جعفر البرمكي وزير الرشيد المشهور عن البيان قال « هو ان يحيط كلامك بمعناك ويكشف عن مغزاك ويخرجه عن الشركة ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سليماً من التكليف بعيداً من الضعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل مع نزاهته عن الركة وترفعه عن اللغو وابلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم وصفاه راووق الفهم وضمته دنان الحكمة فتمشت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رقته وفي العقول حدته وما احسن

(١) هو العالم المحدث المعروف بالسجستاني ولد سنة ٢٠٢ للهجرة ومات في البصرة سنة ٢٨٥ (٢) هو عبدالله ابن المعتز احد الخلفاء العباسيين المشهود له بجودة النظم والنثر وسعة العلم والادب ولد سنة ٢٤٩ وقتل سنة ٢٩٦ بعد ان تولى الخلافة يوماً واحداً

ماقال حائك اديب « الكلام ماتصلت لحمة الفاظه بسدى معانيه فخرج مفوفاً منيراً وموشى محبراً وان من البيان لسحراً »

ولقد قال غيره « البليغ من يحوك الكلام عَلَى حسب الاماني ويخيط الالفاظ عَلَى قدود المعاني » ومن اجلى ماوصفت به البلاغة قول احد العلويين « البلاغة ايصال المعنى الى القلب بحسن صورة من اللفظ » وهو يضارع قول بعض الاعراب « البلاغة ايجاز في غير عجز واطناب في غير سفسفة »

هذه هي الصناعة التي يحسبها الناس اليوم لعقة من عصيد او لقمة من ثريد فلا يكاد الصبي منهم يقرأ الاجرومية او شيئاً من شرح ابن عقيل عَلَى الفية ابن مالك و يتلقف بعض ماأوجده الخليل بن احمد في دائرة البحور من الاعاريض وقيده اسماعيل الجوهري عَلَى بعض صفحات الصحاح من حوشي الالفاظ حتى يتربع في دست التصنيف والتأليف او يقف عَلَى منبر الامام الخطيب او يسمي نفسه بالشاعر الساحر فيملأ الدنيا صناناً وهو يظنه عطراً وملابًا اوورنداً او اخواناً ولله الامر من قبل ومن بعد وماهو بغافل عما يهذرون

« سليم عنحوري »

هل اللغة العربية حية(١)

وضع المسيو اسحاق قطان احد اعضاء المجمع العلمي القرطاجني في تونس محاضرة رد فيها على من قال ان اللغة العربية ليست من اللغات الحية وانها كانت كذلك وقد اصبحت اليوم من اللغات الميتة فاحدث كلام من اصدر هذا الحكم تأثيراً في نفوس المسلمين لان له علاقة باعز الاوضاع عندهم واقدسها في نظرهم ونعني بها اللغة وقد ردت بعض الصحف الاسلامية عَلَى من رموا العربية بالعقم رداً لم تورد فيه برهاناً بل جعلته خيالياً وتجاوزت فيه حد المناقشة العلمية ورمت القائل وهو اوربي بالطبع بانه لايعرف مافي العربية من المزايا والخصائص وقالت انى يتأتى لغريب عنها ان يفهمها حق فهمها بيد ان صاحب هذه المحاضرة دافع عن العربية دفاعاً علمياً ورد مزاعم من يرمونها

(١) عربنا هذه الرسالة في الشهر الذي صدرت فيه من العام الماضي ففقدت اصولها من المطبعة في جملة المقالات التي ضاعت عندما أقفلت مطبعة المقتبس وعطلت هذه المجلة والجريدة وها نحن نعربها ثانية حرصاً على فائدتها فهذا عذرنا لصاحبها

بالموت بالبرهان السديد واثبت لها الحياة مع من يثبتها لها من ابنائها الذين يكتبون بها ويتكلمون فقال :

ان دعوى المسيو نوبل بان اللغة العربية لغة مقدسة جامدة لاتتحرك وان ادنى تغيير يدخل عليها يعد خرقاً لحدودها وعبثاً بقانونها هو من الدعاوي التي يخالفها الواقع ولا ينهض عليها دليل . واني أرى علماء المشرقيات الذين يتعلمون العربية والكتاب المسيحيين في سورية ومصر ممن عنوا بها وبرزوا في آدابها متذوقين بل والمستنيرين من المسلمين انفسهم يوافقونني عَلَى قولي ان اللغة العربية لغة سامية انتشرت اولاً في شبه جزيرة العرب ووصلت الى درجة التهذيب قبل الاسلام ببضعة قرون وكملت على يد النبي واصحابه وانه مضت عليها قرون طويلة وهي زاهرة بين شعوب انتشرت بينهم الحضارة الاسلامية فنشأ لم في العربية كتاب كثيرون من النصارى واليهود والمسلمين وانها اليوم شائعة بين الشرقيين من اهل الاسلام وغيرهم ويتفهم بها بضع مئات الالوف من البشر بينهم كثير ممن لم يدينوا بالاسلام ينزلون شمالي افريقية واواسطها وجزءاً من قارة آسيا .

نعم لا أؤاخذ اذا قلت اذا كانت العربية عند معظم المسلمين لغة مقدسة لانها لغة الدين والعبادة وهي لم تبرح لارباب العقول السامية الذين ازدان بهم الاسلام والمسيحيين والاسرائيليين الذين عنوا بها حق العناية منذ عهد الخلفاء الى هذا اليوم اداة بديعة للافصاح عن الفكر والعواطف العالية في مظاهرها المختلفة وهي من اجمل لغات البشر .

ارى انه متى أريد البحث في لغة بحثاً علمياً ان لاتوصف بما يصفها به ارباب التقاليد من النحاة ولا المتعصبة من المتفقهة بانها لغة مقدسة غير قابلة للزيادة والنقص بل الواجب النظر الى تاريخ هذه اللغة والبحث فيما اذا كانت بقيت جامدة عَلَى صورتها الاولى حقيقة اوانها نشأت ونمت كما ينمو كل تركيب نام حي .

لاجرم ان كل امرىء يدرك ان اللغات لاتحيا عَلَى يد اساتذة الكليات ولا بتنارير النحاة ولا باحكام الحاكم واوامر الحكومات فاللغة الافرنسية لم تنم منذ عهد كولبر الى زمن بريان بهذه الطريقة بل ان العربية عَلَى مافيها من الكتب في النحو والعروض التي شرحها معلمو الجوامع لاتعد لغة ادب فكما ان الافرنسية تحيا بكتابها المبدعين المجددين اكثر من حياتها برجالها اللغويين والباحثين في اصولها هكذا اللغة العربية عاشت طول عمرها

خارج الكليات الاسلامية بل بفضل اعمال المجددين والمترجمين والعلماء والفلاسفة والشعراء الذين كانوا في عصور مختلفة مع تمسكهم بقواعد النحو العربي الذي كانت الكليات مهيمنة عليها فهم يقفون ما امكن موقف التوفيق بين مايكتبون و بين اللغة التي يعجبون بها وحق لهم العجب من كمالها وغناها وجمالها . ومع هذا لم يقفوا ساعة عن تقويتها بما يحملونه اليها من الافكار الطارئة ولغات الشعوب الاخرى

واذا ابى المسيو نويل الخروج من هذا القياس وادعى بان اللغة المصرية اليوم هي لغة حديثة نشأت من قطع ملفقة من التقارير وليست من التقديس في شيء اي ليست اللغة العربية في معناها الحقيقي بل هي لغة صناعية وان اللغة المقدسة هي التي استعملها القرآن فقط وفيها الغريب — اذا قال بهذا فهو يحذف بقياسه من الآداب العربية كتب المؤرخين والعلماء والفلاسفة وغزل الشعراء لانها مملوءة بالمولد او انه يعتبرها من الكلام الوحشي الغير المأنوس و يقتصر بان لا يعد من الآداب العربية الا القرآن وتفاسيره ور بما كانت هذه التفاسير بحسب زعم المسيو نويل من غريب الكلام ايضاً

اما انا فلا افرط في التدقيق اكثر من عالم من علماء المسلمين بعد ان رأيت في دور المكتب اناساً من صلحائهم ينظرون في كتب القرآن والفقه و بجانبها تآليف كتبت بالعربية الحديثة بل مترجمات لفلاسفة يونان . ولذلك اسمي باللغة والآداب العربية تلك اللغة وتلك الآداب التي اتفق جمهور المسلمين وامثال سلفستر دي سامي ودرامبورغ وغولدسير وغيرهم من العلماء على تسميته بهذا الاسم .

قال المسيو نويل ان اللغة الحية هي التي تخضع لنواميس الحياة اي انها تدخل فيها الجديد وتنبذ ما لا تراه نافعاً لها وهو تجديد يعد من شروط الحياة كالتغذية لكل تركيب نام نباتياً كان او حيوانياً

واذا كانت اللغة العربية مقدسة ولها قواعد ثابتة لا يدخلها التعديل بدون خرق حرمتها فهي لا تقبل القلب والابدال ولذلك امست من اللغات الميتة

واني لا اكتفي بدحض هذه الحجة بان اورد تاريخ العربية ولكم ان تحكموا بانفسكم بان هذه اللغة لم تبرح خاضعة قبل الاسلام وبعده لنواميس الحياة . اما تاريخ اللغة العربية فينقسم الى ادوار اربعة : دور التكون ودور المدنية الاسلامية الزاهر ودور الانحطاط والدور الحالي ،

فدور التكون يبدأ بالزمن الذي انفصلت فيه هذه اللغة عن سائر اللغات السامية

واصبحت لغة خاصة بعد ان كانت عبارة عن لهجات كثيرة قلما تجد بينها اختلافاً كثيراً وهي وافرة بقدرما كان يعيش من القبائل في ارض شبه جزيرة العرب · وتعدد اللهجات كان من اسباب غنى العربية بمفرداتها وانتهت الحال بعد ذلك بان اندمجت هذه اللهجات بعضها في بعض ونسيت كلها ماعدا ثلاث لهجات كبرى ذكرها التاريخ وهي لغة اليمن والحجاز والحبشة

جاء محمد (عليه السلام) وبدأ بتوحيد بلاد العرب في سياستها ووفق اخلافه الى تتميم هذا المقصد فتوحدت بذلك اللغة وكانت الغلبة للغة الحجاز موطن النبي فاصبحت لغة القرآن بعد واغتنت بما دخل اليها من المفردات المستعملة عند شعوب كثيرة ممن كانوا يقصدون مكة حاجين كالهند والفرس والنبط والحبشة والمصريين والاسرائيليين وغيرهم · فكانت مكة اشبه ببرج بابل ولا عجب ان سرى الى اللغة الادبية على ذاك العهد مزيج من لغات الامم الاخرى

فالالفاظ الدخيلة التي اغتنت بها اللغة العربية اذذاك هي اسماء العقاقير الطبية وماتنتج بطون الارض من المعادن وما يصنع في فارس والمملكة الرومانية والهند الشرقية من المصنوعات ويحمل الى جزيرة العرب · واقتبست العربية قبل الاسلام الفاظاً كثيرة من اللغة البهلوية كما اقتبست من العبرانية بعض الفاظ العبادة مثل «الحج» «الكاهن» «عاشوراء» وكانت الصلات التجارية بين الهند وبلاد العرب سبباً في تعريب كثير من الالفاظ السنسكريتية ولاسيما ماكان منها خاصاً بالعطور والاحجار الثمينة · وبعد ان فتحت فارس اخذ العرب يلبسون الثياب الفارسية وادخلوا الى لغتهم الالفاظ الدالة عليها في جملتها فدخلها من الالفاظ «السروال» «الجبة» «القفطان» «الطربوش» على نحو ما استعمل المسلمون الذين يكتسون الثياب الاوربية اليوم من الالفاظ «الجاكت» «البنطلون» «اللستيك» واخذ عن الفرس معظم الالفاظ التي تدل على الاطعمة المختلفة والاسلحة والآنية وغيرها ·

وابتدأ الدور الثاني للغة العربية وهو دور الفتوح والمدنية الاسلامية باقتباس الالفاظ الدينية والقانونية والادارية والعلمية وغير ذلك ثم بتعريب كتب اليونان والفرس والهنود فدخل اللغة من الالفاظ مثل «الكحالة» و«الصيدلة» ثم توسعت في استعمال بعض الالفاظ لاكثر من المعنى الذي وضعت للدلالة عليه مثل «مؤمن» «مسلم» «صلاة» «زكاة» «الحضانة»

حتى اذا تمت الفتوح واخذ المسلمون ينظمون البلاد التي خضعت لسلطانهم اخذوا من الفرس والبيزنطيين اصول اوضاعهم السياسية والادارية والقانونية والعسكرية والمالية فاقتضى لهم تعابير جديدة الدلالة على هذه الوظائف الجديدة فاقتبسوا اكثرها عن الفرس والبيزنطيين مثل « الديوان » « الجامكية » « البريد » « نيشان » من الفارسية « الاسطول » « الكردوس » « البطاقة » من الرومية واخذوا مفردات عبرية وسريانية عندما ترجمت التوراة والاناجيل مثل « قربان » « جهنم » « توراة » « توبة » « تلميذ » « يغوث » « آمين » بل ان قواعد النحو نفسها قد دخلها التعديل فاخذت العرب تستعمل الضمائر المستترة للتفنن في التعبير تكثر من استعمال صيغة المجهول وتنسب الى الروح روحاني والى النفس نفساني وتستعمل بعض الصفات في صورة اسماء مثل « المائية » « العامة » « الخاصة » وعلى ذلك العهد سقطت من الاستعمال بعض الالفاظ التي اتى الاسلام على مدلولاتها مثل « المربع » « النشيطة » « الاتاوة » « الصرورة »

ولقد ظلت العربية تغتني بمفرداتها الجديدة وتراكيبها الحديثة وتنمو مفرداتها وقواعدها حتى جاء عصر انحطاط المملكة الاسلامية واخذت تنقسم الى ممالك مستقلة يحكمها اناس من اصول غير عربية كالمغول والاكراد والاتراك وغيرهم . ففي تلك العصور أصيبت اللغة بما ذهب برونقها الاصلي واصبحت من التكلف واستعمال الالفاظ الفخمة على جانب من الغلظة والجفاء حتى ان ما كتب من المصنفات على ذلك العهد تصعب قراءته لخلوه من كل فائدة . فهو عهد الالفاظ الرنانة المفخمة والسجع المرصع الذي أعجب به بعضهم وحمل عليه كثيرون وذلك لان البيان كثيراً ما يضيع لضرورة السجع واذا ارتضت الاسماع الاسجاع فالفكر ينبو عنها كل النبو .

وفي ذلك العهد دخلت اللغة تلك الاستعارات المفخمة والمبالغات الغريبة حتى ان معظم الالفاظ التي عربت تلك الايام كانت الفاظاً ادارية اواسماء رتب في الجيش مثل « سنجقدار » « الجاشنكير » « اليوزباشي » « الباشا » « دفتردار » « خزندار » « المابين » « الاغا » « دفترخانه » . وفي ذاك العهد ايضاً اخذت بعض الالفاظ العربية توضع لمسميات جديدة مثل « المتصرف » « الصدر الاعظم » « القائم مقام » « المسئولية » « التابعية » ثم اتى دور تركت اللغة الا ما كان له مناسبة بالنحو واللغة والتصوف والفقه وفي هذه الموضوعات صدرت كتب لاتحصى بكثرتها .

والدور الرابع دور النهضة ويرد تاريخه الى نحو قرن وقد نزل الاوربيون في الشرق يلتمسون لهم في شواطىء البحر الابيض بلاداً يظهر فيها نشاطهم فاختلط المشارقة بالمغاربة اختلاطاً دائماً نشأ منه تبادل في الافكار بينهم وبفضل ذلك اغتنت لغاتهم بمفردات استعارها بعضهم من بعض . واذ كانت بضاعة الشرقيين في العلم قليلة أضطروا في دراسة العلوم الحديثة ان يأخذوا الفاظاً عن اللغات الغربية او ان يتوسعوا في معاني بعض مالديهم من الالفاظ العربية ليضعوها لافكار ومعارف جديدة . وذلك دليل على ان اللغة ظلت على حالها على النشوء

ومن العبث ان نورد هنا بعض الالفاظ الافرنسية التي اندمجت في سلك اللسان العربي مثل « بوليس » « بارلمان » « سيركولير » اوالالفاظ الايطالية مثل « بوسطة » « دبكربتو » « بروتستو » دع عنك التعابير العلمية التي سرت الى العربية من اللاتينية اواليونانية وهي شائعة في لغات اوربا . ومن الالفاظ الكثيرة التي حولت عن معناها الاصلي للدلالة على افكار جديدة لم تكن مألوفة للشرقيين « الميزانية » « المؤتمر » « المحرر » « المحافظون » « الاحرار » « الاشتراكيون » « اهل الفوضى »

وقد نشأ للغة في سورية ومصر لعهدنا كتاب بالعربية من الطبقة الاولى خلصوا اللغة من قيودها واعادوا اليها نضرتها الاولى وانقذوها من المترادفات المملة حتى صارت بانشائها الى الوضوح والسلاسة معبرة احسن تعبير عن الافكار الحديثة وبفضلهم اخذت روح اللغات الاوربية تدخل في العربية وسهلوا نحوها وصرفها وبيانها .

يقولون ان لغة الكتابة تخالف لغة التكلم ومثل هذا موجود في اللغة الافرنسية نفسها فان اهل الطبقة الوسطى يتكلمون بلغة لاتناسب بينها وبين لغة اديب اوشاعر على ان الشعب في البلاد التي يتكلم فيها بالعربية اقرب الى فهم مايتعلمون من الالفاظ بالذوق من الشعوب الاوربية الى فهم الغرب من لغاتهم الرسمية . والدليل على ذلك انك تجد الطبقة النازلة من الامة تستمع للحكواتي (الاداتي) في محال القهوة وتنصت لقصص الف ليلة وليلة وقصة عنتر وتتفهمها كلها على بلاغتها بفطرة فيها وشعور طبيعي . ومهما يقال فان التمثيل باللغة العربية الادبية يفهمه العامة ولئن فاتهم فهم بعض ابياتها فعامة باريز ليسوا في مسارحهم اكثر فهماً لما يتلى عليهم من قصائد كورنيل وموليير

واللغة العربية ليست كما يقال لغة صناعية اجنبية وليست غريبة الا عن كثير من الطلبة

الهنود والمراكشيين وغيرهم ممن يقصدون من البادية جامع الزيتونة في تونس والازهر في مصر ليتعلموها بل هي لغة حية لمن يدرسها ويتعلم بها بذوق مثل كتاب الشام ومصر الذين يتولون الصحافة وينشرون المعارف البشرية بواسطة الصحف والكتب بل هي حية ايضاً بالنسبة لاولئك الذين تراهم في محال القهوة من العامة يهتزون لما يسمعون من اناشيد الغزل ووقائع الحروب على ان اللغة الافرنسية ايضاً هي احق بان تكون لغة صناعية اجنبية اذا رأينا كيف يتوارى شبان الطلبة من قرى اقاليم البروفانس وبرتانيا وغاسكونيا (فرنسا) عن الانظار ساعات اللعب في المدارس يتكلمون بلهجتهم الخاصة بهم

فان قيل ان اللغة العربية تحتاج الى عشر سنين لتعلم نحوها قلنا ان الشرقيين يتعلمونها في اقل من هذه المدة ويتقنون معها عدة لغات اجنبية فعلينا ان نعقد املنا باصلاح طرق التعليم في المدارس الاسلامية على الاسلوب الحديث وبذلك يحصل الطلبة لغتهم في قليل من الزمن فاللغة يجب ان تكون آلة لا غاية

وقد قال المسيو نويل ان حاجة العربية ماسة الى ان تستمد من اللغة العامية لتحيا اما انا فاقول بان اعظم نقص في اللغة العربية ان تكون غنية وهي لا حاجة بها الى الاخذ من العامية في حين نجد لديها ٢١ لفظاً مختلفاً للدلالة على الظلام و٥٢ للشمس و١٠٠ للخمر و٢٥٥ للناقة و٣٥٠ للاسد . وقد أصيبت اللغة الافرنسية بكثرة مفرداتها على عهد رونسارد فما قدح ذلك فيها بل عد من الزيادات التي تحذف . فالعربية لا تشبه اللغات الاوربية بل هي بالنسبة الى الافرنسية كالمرأة الباريزية الممشوقة القوام الجميلة الهندام مع المرأة السمينة الشرقية التي تحرص على هندامها القديم وهي حية جميلة قوية . نعم ان غنى العربية في مفرداتها يضر بمرونتها وسرعة فهمها ولكن الدم الفتي الحار لا يكثر منها كثيراً في عروقه وانا نجد كتاب هذا العصر يسقطون عدداً كبيراً من المترادفات ويتشقون بها الروح الغربية فهم قوام على صحتها وحياتها . واللغة التي تأخذ عن العامية تصبح الى الابتذال الممقوت اقرب

وبالجملة فان العامة في الشرق ليسوا اقل من عامة الغرب فهماً للغتهم ولكنهم يزيدون فهماً يوم تصرف بينهم كل سنة الملايين لنشر التعليم العام على نحو ما يجري في الغرب . وان قيل ان اللغة العربية لغة ادبية جميلة ولكنها ليست الا اداة مشوشة لتعليم العلوم فالجواب بان النتيجة التي وصل اليها اصدقائي المعلمين في المدرسة الخلدونية من تعليم

العلوم باللغة العربية هي تكذيب صريح لمن يقول هذا القول · ويمكن ان يقال ان شعوب الشرق هم من عناصر ادب وتفنن فهم اميل الى تلقف الشعر منهم الى تعلم العلوم المادية كما يفعل اليوم اهل القاصية من بلاد اوربا فيتخلون عن الجيل من العلوم لتعلم ماهو نافع منها حتى كادوا يفقدون بذلك حضارتهم · فانا اقول لهم في هذا المجال ماقاله نابوليون : اذا كانت العلوم من احسن مااعتمدت عقول البشر الى تطبيقه فالآداب (الادبيات) هي روح الانسانية بذاتها

السجل المعلق

نقلنا في الجزء الماضي نموذجاً من كتاب السجل لحمزة بن علي مثبت الوهية الحاكم بامرالله وصاحب مذهب الدروز الاول وها نحن اولاء نتبعه بنتف منه تكشف الغطاء عن معتقدهم وللقارىء ان يعلق عليها ماشاء :

جاء في الرسالة الموسومة ويد (؟) التوحيد لدعوة الحق : توكلت على مولانا البار العلام العلي الاعلى حاكم الحكام من لايدخل في الخواطر والاوهام جل ذكره عن وصف الواصفين وادراك الانام حروف بسم الله الرحمن الرحيم حدود عبد مولانا الامام : كتابي اليكم معاشر الاخوان المستجيبين الى دعوة مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد جل ذكره عن الصاحبة والولد العابدين له لالغيره الناجين من شبكة ابليس اللعين والضد المهين وجواسيسه الملاعين وانصاره الناوين وحزبه الشياطين ليس لابليس عليكم سلطان ولا لجنوده لديكم مكان ولا لزخرفه عندكم شان بل انتم الملائكة المقربون الذين ملكوا انفسهم عن افعال المشركين وانتم حملة عرش مولانا جل ذكره والعرش هاهنا علمه الحقيقي الذي هو صعب مستصعب لايحمله الا نبي مرسل اوملك مقرب اومؤمن امتحن المولى قلبه بالايمان له وجده سبحانه وتعالى عما يصفون

اما بعد فاني احمد اليكم مولانا الذي لامولى لنا سواه وآمركم واياي بالشكر لنعمه وآلائه حمد من استوجب الزيادة في اولاه واخراه واوصيكم بما ايدني به مولانا جل ذكره وامرني به من اسقاط مالايلزمكم اعتقاده وترك مالا يضركم افتقاده من الادوار الماضية الخامدة والشرائع الدارسة الجامدة ومامنهم ناطق الا وقد نسخ شريعة من كان

قبله من المتقدمين ومحمد بن عبدالله الناطق السادس لما ظهر بالنطق نسخ الشرائع كلها وسد الطرق وقال فمن لم يترك ما كان عليه قديماً من دين آبائه واجداده قتل وسمي كافراً ومن ترك الشريعة التي بيده ولم يلتفت اليها وقع عليه اسم الاسلام وكان سيف سيله غير ملام وضمن لهم محمد الجنة على الدوام فبان للعاقل الشافي والمخلص الكافي ان الاشارة والمراد هاهنا في عبادة الوجود لا للعدم المفقود والانسان ابن يومه وساعته وفي الوجود راحته وله عبادته وبه حياته واليه اشارته ومولانا الحاكم البار العلام قد نسخ شريعة محمد بالكمال ظاهراً للمؤمنين ذوي الافضال وباطناً للموحدين اولي الالباب واما من نوره في قلبه زاهر وفي معاني اموره للخلق قاهر وغير منافق بالكفر شاهر لا يلتفت الى استعمال الناموس وعلوه وزخرف القول وسموه ويعلم انه استدراجاً للكافرين وتمييزاً للمؤمنين الموحدين كما قال وليميز الله الخبيث من الطيب وان كان لا يخفى عن مولانا جل ذكره الخبيث من الطيب يعني المشرك من الموحد لكنه اراد ان يبين للموحدين من يرجع منهم على عقبيه ومولانا جل ذكره عالم بما في الصدور وما هو كائن والدليل على ذلك زوال الشريعة على الاختصار في شيء واحد اذ لم تحتمل هذه الرسالة طول الشرح

وقد بينت لكم في الكتاب المعروف بالنقض الخفي نسخ السبع دعائم ظاهرها وباطنها وذلك بقوة مولانا جل ذكره وتأييده ولا حول ولا قوة الا به وكيف وفي رفع الزكاة واسقاطها مقنع للسائلين عن غيرها وهي مقرونة بالصلاة وقد غزا عبد اللات بن عثمان المكنى بابي بكر الى بني حنيف ومعه جميع المهاجرين والانصار فقتل رجال بني حنيف ونهب اموالهم وسبى حريمهم . وقد اشترى علي ابن ابي طالب وهو اساس الناطق من جملة السبي امرأة تعرف بالحنفية واسمها تحفة وهي ام ولده محمد فقيل له يا علي كيف تستحل نفسك ان تشتري امرأة مسلمة تشهد ان لا اله الا الله وتشهد ان محمداً رسول الله وتصلي الخمس وتصوم شهر رمضان فقال علي ما ينفعها ولا لقومها الشهادتين ولا سائر اعمال الشريعتين اذا لم يؤدوا الزكاة وان الزكاة هي الشريعة بكمالها فمن لم يؤدها وجب عليه القتل وأحل لنا ماله واهله لقوله فويل للمشركين الذين لا يؤدون الزكاة فقد اخرجهم الله من الاسلام وجعلهم مشركين . وانتم معاشر الموحدين قد علمتم وسمعتم السجل الذي امر مولانا جل ذكره بقراءته عليكم واسقط عنكم الزكاة والاعشار والاخماس وسائر الصدقات الى ابد الآبدين ولم يسقط عنكم محافظة بعضكم بعضاً ... »

وقال في رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد : « فنعوذ بمولانا من ذلك سبوح قدوس

مبدع الابداع وجامع الاشتات والاضياع الذي هو علّي السموات عال وفي الارض متعال وعن قريب يظهر مولانا جل ذكره سيفه بيدي ويهلك المارقين ويشهر المرتدين ويجعلهم فضيحة وشهرة لعيون العالمين والذي يبقى من فضلة السيف توخذ منهم الجزية وهم صاغرون ويلبسون الغيار وهم كارهون ويكونون في الغيار والجالية على ثلثة اصناف فغيار النواصب علاقتان من الرصاص في اذني كل واحد منهم وزنهما عشرون درهماً وطرف كمه الايسر مصبوغ فاختياً وجاليته ديناران ونصف وهم يهود امة محمد ويكون غيار اهل التأويل الواقفين عند العدم علاقتين من الحديد في اذني كل واحد منهم وزنهما ثلثون درهماً وطرف كمه الايمن مصبوغ بالسواد وجاليته ثلاثة دنانير ونصف وهم المشركون نصارى امة محمد ويكون غيار المرتدين من توحيد مولانا جل ذكره علاقتين من الزجاج الاسود في اذني كل واحد منهم وزنهما اربعون درهماً ويكون على رأسه طرطور من جلد ثعلب وصدر ثوبه مصبوغ رصاصياً اغبر وجاليته خمسة دنانير في كل سنة وهم المنافقون مجوس امة محمد وتوخذ هذه الجالية من الشيوخ والشباب والنساء والصبيان والاطفال في المهد وتغير عليهم العلائق في كل سنة فمن خالف منهم ضرب عنقه ٠٠٠٠ »

وقال في رسالة الغاية والنصيحة : فلو ميزتم معاني الكلام وتدبرتموها لبان لكم نطق الرسول من نطق ابليس وفعل الامام من فعل غطريس ولعرفتم السبت والخميس وتبرأتم من فرعون وهامان الرجيس ولتصور لكم ارتفاع مكان ادريس وعبدتم مولانا جل ذكره باري الحن والجن والبن والانيس ٠ والرسول هنا هو الامام المفترض الطاعة وهو دون الامام الاعظم وابليس هو المشتبه بالمولى سبحانه ويزعم بانه جنس ويدعي عهد المسلمين والامام الاعظم ذومعة وسمي ذومعة لانه دعا توحيد الامام جل ذكره بلا واسطة وغطريس هو نشتكين الدرزي الذي تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين وهو الضد الذي سمعتم بانه يظهر من تحت ثوب الامام ويدعي منزلته ويكون له خوار وجولة بلادولة ثم تنطفي ناره وكذلك الدرزي كان من جملة المستجيبين حتى تغطرس وتجبر وخرج من تحت الثوب والثوب هو الداعي والسترة التي امره بها امامه حمزة بن علي ابن احمد الهادي الى توحيد مولانا جل ذكره سبحانه وتعالى وادعى منزلته حسداً له واعجاباً بروحه وقال قول ابليس وكذلك الدرزي سمى روحه في الاول بسيف الايمان فلما انكرت عليه ذلك وبينت له ان هذا الاسم محال وكذب لان الايمان لايحتاج الى سيف يعينه بل المؤمنون

محتاجون الى قوة السيف واعزازه فلم يرجع عن ذلك الاسم وزاد في عصيانه واظهر فعل الضدية في شانه وتسمى باسم الشرك وقال انا سيد الهاديين يعني انا خير من امامي الهادي وغره ما كان يفسره من زغل الدنانير والدراهم وحسب ان امر التوحيد مثله يحتمل التدليس وابى ان يسجد لمن نصبه المولى جل ذكره وقلده واختاره وجعله خليفته في دينه وامينه على سره وهاديا الى توحيده وعبادته فتغطرس على الدين واظهر سيف الناطق والاساس اجمعين طلباً للرياسة والاسم اللطيف باظهار الشريعة في عالم البسيط والكثيف . وفرعون البرذعي وهامان علي ابن الحبال لان فرعون كان داعي وقته فلما ابطأ الناطق قال انا ربكم الاعلى يعني امامكم الاعظم . وهامان الذي فتح له باب المعصية وادريس هو الذي رفع مكاناً علياً وهو ارتفاع درجته في العلوم حتى صار اماماً دون الامام الاعظم الذي مص العلم من ذي مصة وهو قائم الزمان هادي المستجيبين عبد مولانا جل ذكره وصفيه بلا واسطة جسماني فاذا عرفتم هذا عبدتم مولانا جل ذكره باري الحق وهم الدعاة والجن وهم المأذونون والبن وهم المكاسرة والانس وهم المستجيبون هاهنا في هذا المعنى والسبت دليل على السابق وهو علي بن عبدالله اللواتي الداعي والخميس دليل على التالي وهو مبارك بن علي الداعي واهل التأويل يزعمون بان الكلمة هو السابق والسابق هو الكلمة لافرق بينهما ولا يعرفون فوقهما شيئاً اذ كانت الثلثة حدود الذين هم ذومة وذومعة والجناح غائبين عن عيون قلوبهم ينظرون اليهم وهم لا يبصرون .

معاشر المستجيبين لمولانا جل ذكره قد بلغت لكم الهداية ودعوتكم الى توحيد مولانا جل ذكره في سبعين عصراً ما منها عصر الا ويظهرني مولانا جل ذكره فيكم بصورة اخرى واسم آخر ولغة اخرى اعرفكم ولا تعرفوني ولا تعرفون نفوسكم . والآن قد استدارت الادوار وكأنكم باظهار توحيد مولانا جل ذكره ونور الانوار واظهر لكم ما كان مدفوناً تحت الجدار فلمولانا الحمد والشكر وحده فلا تنكروا معجزات مولانا جل ذكره وآياته ولا تلتفتوا الى امس فامس مضى بما فيه وغداً فلا تعلم انك توافيه واليوم انت فيه بما يقتضيه وكلما غاب عن العالم استطوه فلو كان للعالمين عقول لميزوا معجزاتي التي ايدني بها مولانا جل ذكره يوم الجامع ....»

وقال في رسالة السيرة المستقيمة بشأن القرامطة ما يأتي : «وكان اهل الاحساء — الى المدينة مرتة — يسافرون اليها بالبيع والشراء فدخل اليها رجل من اهل الاحساء يقال له صرصر فكاسره بعض الدعاة واخذ عليه العهد من وقته وساعته واتى

به الى عند آدم وهو شطنيل فاطاقه داعياً باحساء واعمالها فخرج الرجل من وقته وساعته الى الاحساء واعمالها واخذ العهد بها على خلق كثير واوصاهم بتوحيد مولانا جل ذكره وعبادته والاقرار بشطنيل وامامته والتبري من ابليس وصحبته وقال لهم اذا دخلتم هجر فعبسوا وجوهكم وقرمطوا آنافكم على اهلها فان فيها رجلاً يقال له حارث ابن طرماح الاصبهاني وله اصحاب كثيرة وكلهم قد خالفوا امر مولانا البار العلام وجحدوا فضيلة الامام فلا تخاطبوا اهلها بشيء من العلم الا لمن يحضر معكم مجلس شطنيل الحكيم فقبلوا من الداعي صرصر وفعلوا ما امرهم به من العبسة والقرامطة فلقبوهم بالقرامطة الى وقتنا هذا وصار ذلك اسماً في بلاد الفرس وارض خراسان اذا عرفوا رجلاً بالتوحيد قالوا هذا قرمطي ويسمون مذهب الاسماعيلية القرامطة بهذا السبب

وكان ابو طاهر وابو سعيد وغيرهم من القرامطة دعاة لمولانا البار سبحانه يعبدونه ويوحدونه ويسجدون لهيبته وعظمته وينزهونه عن جميع بريته فلقبهم المولى جلت قدرته بالسادة وعملوا في الكشف مالم يعمله احد من الدعاة وقتلوا من المشركين مالم يقدر عليه احد من الدعاة ولم يسهل المولى سبحانه ظهور الكشف على ايديهم لما علم جلت قدرته وعزت عظمته ومشيئته مايكون من الخلف بعدهم من اضاعة التوحيد والضلالات واتباع بني العباس بالشهوات ووقوعهم في الغي والغمرات وقد آن وقت الكشف وازف اوان السيف والخسف وقتل المنافقين وهلاكهم بالعنف ولا بد من رجوع اهل الاحساء وهجر وديار الفرس الى ما كانوا عليه من توحيد مولانا جل ذكره وعبادته ويسجدون لهوهيبته وعظمته وينزهونه عن جميع بريته ويكونوا انصار التوحيد كما كانت قديماً اسلافهم وابث فيهم دعاة التوحيد واجمع شمل الاولياء والعبيد واقهر بسيف مولانا جل ذكره كل جبار عنيد حتى لايبقى بالحرمين الشريفين مشرك بمولانا جل ذكره ولا كافر به ولا منافق عليه ويكون الدين واحد (؟) بلا ضد ولا معاند وذلك بقدرة مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد وشدة سلطانه ولاحول ولاقوة الا له وبه عليه توكلت وبه استعين واليه المصير وهو حسبي ونعم المعين النصير ....»

وقال في نفس هذه الرسالة ايضاً في توحيد الحاكم وآياته : فلمولانا الحمد والشكر على ظهور نور الانوار وخروج ما كان مدفوناً تحت الجدار فقد انعم علينا وعليكم بمباشرته في البشرية وظهوره لكم في الصورة المرئية كما تدركون بعض ناسوته الانسية ولا اقول

ذاته اونفسه او صورته اومعناه اوصفاته اوحجابه اومقامه او وجهه الاضرورة على قدر استطاعة المستجيبين وما يفهموه المستمعين (كذا) وتعيه عقولهم ويدخل في خواطرهم ولو قلنا غير هذا لما فهموا الكلام ولا تم لهم النظام والا فمولانا جل ذكره لايدخل في الاوهام والخواطر ولا يمتزج بباطن ولا ظاهر بل منه بدأ كل شيء واليه يعود كل شيء كل يوم هو في شان لايشغله شأن عن شان سبحانه وتعالى عن احاطة الدهور به والازمان لايقف احد من المخلوقين على افعال مولانا جل ذكره ولا يدرك غاية سلطانه ولا يستطيع الوقوف على كنه عشر عشر معشار سيرته وبرهانه

ولو تدبروا العالمين (كذا) مايرون من آياته وبيان علاماته مشاهدة العيان لكان لهم كفاية عن طلب العدم بالخبر وعن كتبة التواريخ والسير وذلك مايشاهدون منه مالايجوز ان يكون من افعال احد من البشر ولاسمع به من التواريخ والسير . ولو جئت اذكر لكم عيان جميع ما اظهر مولانا جل ذكره من آياته وبيان علاماته لما حواه قرطاس ولا كتبه قلم كما قال في القرآن ولو ان ما في الارض من شجر اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله والله في هذا الموضع ناسوت مولانا سبحانه لكني اذكر لكم في هذه السيرة وجوهاً قليلة العدد كثيرة المنفعة لمن تفكر فيها ووحده وعبد مولانا سبحانه وعن عن حكومة الاوهام سلطانه .

فاول ما اختصر في القول ما فعله المولى سبحانه مع برجوان وابن عمار وهو يومئذ ظاهر ما يرونه العامة على قدر عقولهم ويقولون صبي السن وملك المشارقة كافة مع برجوان وابن عمار ملك المغاربة كافة ماامر مولانا سبحانه بقتلهم فقتلوا قتل الكلاب ولم يخش من تشويش العساكر والاضطراب واما امر ملوك الارض فما يجرأ احد منهم على مثل ذلك ثم امر بقتل ملوك كتامة وجبابرتها بلا خوف من نسلهم واصحابهم ويمشي انصاف الليالي في اوساط ذراريهم واولادهم بلا سيف ولا سكين

وقد شاهدتموه في وقت ابي ركوة الوليد بن هشام الملعون وقد اضرم ناره وكانت قلوب العساكر تجزع في مضاجعهم مما رأوه من كسر الجيوش وقتل الرجال وكان المولى جلت قدرته يخرج انصاف الليالي الى صحراء الجب ويلتقي به حسان بن عليان الكلبي في خمس مائة فارس ويقف معهم بلا سلاح ولا عدة حتى يسأل كل واحد منهم عن حاجته ثم انه يدخل في ظاهر الامر الى صحراء الجب وليس معه غير الركابية والمؤذنين وكذلك في وقت نفاق مفرج بن دغفل بن جراح واخوته واولاده ويدر بن

ربيعة وجميع العرب كافة وكانوا اهل الحجاز مع سلطانهم حسين بن جعفر الحسيني الذي نافق بمكة ومجيئه الى الرملة واجتماعه مع ابن جراح واولاده وما بالحضرة احد من العسكرية ولامن الرعية الا وهو يعتقد في كل يوم وليلة بان حسين بن جعفر الحسيني يجي مع مفرج بن دغفل واولاده ويكبسون القاهرة والمولى جل ذكره يركب كل يوم وليلة ويخرج العتمة من القاهرة ويدخل صحراء الجب ناحية الجبل موضع يزعمون العالم بان مفرج بن جراح يجيء من ذلك الموضع ولم يرجع الحسيني الى مكة حتى وقعت العداوة بينه وبين ابن جراح واراد ابن جراح ان يقتله ثم هلك بعد ذلك مفرج بن دغفل بن جراح وملوك الارض كافة قد عجزوا عن هذا ..... » اه .

وهكذا تجد هذا المخطوط كيف قلبته حاويًا انواعًا مما تقدم وقد ختم بقصيدة اسمها شعر النفس للشيخ ابي ابراهيم اسمعيل بن محمد التميمي الداعي المكنى بصفوة المستجيبين الى دين مولانا الى علم الامام أرسلها الى جبل السماق لتقرأ على كل موحد وموحدة قال :

الى غاية الغايات قصدي وبغيتي ... الى الحاكم العالي على كل حاكم
الى الحاكم المنصور عوجوا ويمموا ... فليس فتى التوحيد فيه بنادم
هو الحاكم الفرد الذي جل اسمه ... وليس له شبه يقاس بحاكم
حكيم عليم قادر مالك الورى ... يؤانس بالاسم المشاع بحاكم
غدا السابق السامي اليه وتاله ... مع الجد والفتح الخيال الملاوم
عبيداً لمولانا خضوعاً لامره ... وكل فتى في الدين عبد لآدم
هو الواحد العالي على كل علة ... وما غيره الا كعبد وخادم
هـو الحاكم المولى بناسوته يرى ... ولاهوته يأتي بكل العظائم
الى الحاكم المولى فهبوا واقبلوا ... فتوحيدكم صدق على كل حازم
اذا الحاكم العالي تعالى بموكب ... فوحد بين العلم بين العوالم
تسمى اماماً والامام فعبده ... يُقظ ولا نصغي الى كل نائم
وقد ظهر المولى فآسى عبيده ... بافعالهم انساً بحكمة حاكم
ظهوراً بافعال العبيد وشكلهم ... ويؤنسهم والخلق شبه البهائم
اذا بثنا التوحيد طاشت عقولهم ... وراموا انتهاشاً مثل نهش الاراقم

سيقطعهم عظم احتجاج مقالنا / على عظمهم قطعاً كقطع الصوارم
هو الحق ما قلنا شواهده اتت / تحز مقال القوم حز الغلاصم
تقوم رجال الحق عند قيامهم / بقوة عزم في انتهاء العزائم
يفادون رغماً لايجاب مقالهم / حفاة سارى في اكف الضراغم
يناديهم الهادي هلموا الى الذي / جهلتم من التوحيد من كل عالم
هلموا الى المعنى الخفي وحسبكم / شواهد ما ابدي لكم في الدعائم
وقلتم بتأويل المعاني ديانة / على غير ما قد قيل من كل قائم
ظننتم بان الطفل يبقى لصغره / وانسيتم حد البلاغ المكاتم
واشركتم والشرك كنه لنطقكم / وامواج بحر الشرك بين التلاطم
سيطلق سيف الحق فيكم لجهلكم / ويحصدكم كالزرع من غير راحم
ويحويكم اهل الاجابة والتقى / وتوحيدهم يربو على كل غانم
ويظهر سيف للتميمي مشهراً / على جمعكم والفعل من غير آثم
وما صفوة للمستجيبين تارك / جهادكم من غير خوف ولا لم
وتشفي غليلاً في الصدور مكمناً / ونأتي على انسابكم والتراجم
وتمشون جهراً بالغيار لخلفكم / وتلقون كل الذل من غير راحم
سيكظم هذا الشعر كل منافق / ويزداد كظماً فوق كظم الاكاظم

حال الهند الانكليزية

(معربة عن مجلة الدنيا الاسبوعية)

ليست احوال الهند كما يرام والحكومة الهندية والبريطانية في خوف شديد ورعب زائد . لاجرم انه يستبعد حدوث ثورة عامة مثل ثورة سنة ١٨٥٧ . لان الحكومة تتذرع بوسائل من الحزم والاحتياط تجعل امثال هذه الثورات من قبيل المحال . خصوصاً وان اسلاك البرق وخطوط الحديد وسرعة وصول الاخبار وسهولة المواصلات تساعد الحكومة على توطيد دعائم الامن والراحة وتضمن لها السكون والهدو . غير ان الهنديين يحاربون الفاتحين بأسلحة أخرى وسيظلون محاربين لم ابداً بها وهي : الجرائد . الخطب . الدعوة الى الثورة .

فبهذه الاسلحة الثلاثة يحاول الهندبون نزع نير الحكم الانكليزي من اعناقهم . الا وان بين سكان آسيا عَلَى اختلاف مللهم ونحلهم وتباين عناصرهم واجناسهم و بين اهل اوروبا نفوراً ليس في امكان البشر محوه ورفعه .

واليك ماقاله كيبلينك في هذا الصدد : (Kipling من كتاب الانكليز ولد في بومباي سنة ١٨٦٥)

« الشرق شرق والغرب غرب . ولا شيء يجمع بينهما فهما ضدان لا يأتلفان . ومن المتعذر كل التعذر ان تنشأ بين ابن الشرق و بين ابن المغرب ألفة حقيقية او مودة ثابتة او ثقة تامة . فانهما يتكلمان بلغتين متباينتين كل التباين ولا يستطيعان ابداً ان يتفاهما . وعدم الالفة وقلة الوئام هو الاصل في علائق الشرقيين والغربيين على مدى الايام ... »

تخرج في غضون خمسين سنة من المدارس العليا في الهند وانكلترا ما يربو عَلَى خمسين الف تلميذ هندي فتسعة اعشار هؤلاء غدوا كتاباً وادباء ومحامين . اما الاطباء والمهندسون والكيماويون فهم بين ثلاثة الى اربعة آلاف

و يتخرج كل سنة من المدارس العالية اثنا عشر الف هندي وهؤلاء يأتون بلادهم حاملين شهاداتهم فيزداد بهم عدد الدارسين المعلمين زيادة مستمرة

وان يكن قد خصص لهؤلاء الشبان بعض المناصب الصغيرة في الادارة والمحاكم فليس في هذه المناصب ما يكفيهم جميعاً ومن لم يقدر عَلَى الدخول او يرغب في دخول سلك المعلمين بتلك الرواتب الطفيفة التي كادت تكون سخرية وهزؤاً يضم صوته لاصوات الجرائد ورجال السياسة المهيجين فعدد هؤلاء كبير للغاية وهو ينمو و يقوى عَلَى الدوام ...

فالتربية الاوربية جعلت الهنديين غير راضين وصيرتهم حانقين ناقمين ! ينشأ الهندي من المدارس العالية عَلَى ذكاء وقاد ونباهة تامة غير ميال للتجارة او الصناعات فيدخل في برهة وجيزة غمار السياسة وهو حانق عَلَى حكومة وادارة قد غرستا فيه آمالا كبيرة ومنته باحلام مذهبة لم يتمكن من تحقيقها ولا طاقة له بالحصول عليها . واذ كان يرى نفسه عَلَى مستوى من يحكمون عليه مساوياً لهم في المعرفة والادراك لافرق بينه و بينهم في شيء لايلبث ان يتمثل امام عينه ذاك الظلم المهين الذي سجل عليه حياة بائسة تحت ربقة اناس دخلاء اجانب غرباء مع ان في مكنته ان يقوم مقامهم

في تولي الامور والمصالح والعمل في شؤون الحكومة والادارة وقد يفضلهم و ينازعهم من حيث انه ابن البلاد عارف بأخلاقها وطبائعها ، خبير بأمزجتها وعاداتها ، واقف على معتقداتها وتصوراتها ...

يتعلم الهندي في بلاد الانكليز في ايام الدراسة قواعد السياسة واصول الادارة و يقف على آراء علماء الاجتماع على نحو ما يتلقاها شبان الانكليز فيخرج من المدرسة وعقله متشبع بمبادىء الحكم الذاتي وحكم الامة نفسها بنفسها وعدم المركزية Selfgovernment كما هو الحال في بريطانيا . والتلميذ الهندي يفهم هذه المبادئ كل الفهم و يعلمها حق العلم ولكنه متى جاء ليطبق احكامها على بلاده واوطانه يشعر بأن لسان حال الانكليز يقول له بأجلى اشارة :

« ما كان حقاً وصحيحاً على ضفاف التايمس ليس كذلك على ضفاف الغانج ! »

وهذا القول يصعب اذا نظر الانسان اليه بعين انكليزية اما الهندي فلا يقنعه ذلك ومن هنا ينبعث النفور والحنق .

يريد الهنود اما ان يتركوا وشأنهم يحكمون انفسهم بانفسهم واما ان يحكمهم الانكليز مراعين مصلحة الثلاثمائة ميليون من البشر سكان الهند رعية امبراطور الممالك الهندية وملك بريطانيا . وبعبارة اخرى يطلبون من حكومة الهند ان توجه عنايتها لحفظ مصالح الهند

اما الانكليز وجرائد الانكليز فيقولون و يجهرون بالقول غير مبالين بأن بقاء الانكليز وحكمهم عليها هو لاجل مصالح الانكليز فقط فالهنود محكومون للانكليز من اجل هذه المصالح وحدها وما دام الانكليز في بلاد الهند مصالحهم ومرافقهم فيها خطيرة حرصاً على هذه المصالح ورعاية لهذه المرافق وحباً بالوصول اليها على اكمل وجوهها يحكمون هذه المملكة الشاسعة الاطراف الوسيعة الجوانب و يديرون امورها .

ربما ساغ للانكليز ان يقولوا انهم عمروا البلاد وحسنوا حالها بانشاء الطرق ومد الخطوط الحديدية واسلاك البرق واصلاح الري وسقيا الارض وفتح ابواب الصناعات وبذل العناية في حفظ الصحة العامة ودرء اسباب المجاعات وتخفيف و يلاتها . ولكن هذه المواد النافعة لم تأت الا من طريق العرض وهي منبعثة من المنافع الكبيرة والفوائد

العظمى التي خص الانكليز بها انفسهم دون سواهم فهي ناشئة من حاجتهم اليها لاجل استثمار البلاد واخذ نتاجها وغلتها ...

وقصارى القول : ان الانكليز لم يحكموا بلاد الهند من اجل عيون الهنود الكحلاء ولمنفعة الهنديين بل رغبة في مصلحة الانكليز وحدها ...

وما من احد في الغرب يلوم الانكليز على صنعها هذا . ولكن أليس من البديهي ان يصبح اهل الهند غير راضين عن هذه الحالة .

يقول الهنود : لا يعمل الانكليز الا لانفسهم .

ويجيبهم الانكليز : بانهم يعملون لانفسهم وفي عملهم هذا ينفعون البلاد الهندية .

فهنا فرق دقيق لا يخفى على الناقد البصير .

وان الهنود الدارسين في اوروبا يعلمون هذا الفرق و يدركونه وهم لا ينفكون من الفات انظار ابناء وطنهم اليه مشوباً بالاعظام والمبالغة . رأى الهنود المتعلمون وعرفوا ماذا حدث وجرى في جزيرة ايرلاندا ورأوا وعرفوا ماذا حدث وجرى في الممالك الاخرى فاقتدوا بهم ونسجوا على منوالهم وحذوا حذوهم وقلدوا الايرلانديين والاجتماعيين والعدميين (سوسياليست وآنارشيست) في اعمالهم ..

خذ مثالاً لذلك حادثة عليبور سنة ١٩٠٨ وحادثة لوندرا سنة ١٩٠٩ (وهي ان دنكرا الهندي قتل السير كرزون و يلي والدكتور لانقا سنة ١٩٠٩) وغيرهما ...

فالمتهيجون والكتاب والصحافيون من الهنود الذين يعرفون قوة الجرائد والمطبوعات وتأثيرها فتحوا باب حرب دائمة على صحائف الجرائد ضد الانكليز يدعون الناس فيها الى طلب الاستقلال في الادارة (اوتونومي وبالهندية سوراجا) ويشوقونهم لمقاطعة البضائع الانكليزية (بويكوتاج وبالهندية سوادشي) كما صنع الايرلانديون في جزيرتهم .

واضافوا على ذلك عمل الفوضويين اي القتل والفتك الذريع والقاء القنابل والاجزاء المفرقعة والمواد النارية المنفجرة .

وهذا هو البلاء ! فكيف السبيل للوقوف امام تياره الهائل ؟

لم تعمد الحكومة الانكليزية حتى الآن الا الى طريقتين : الاولى العزم والرصانة . الثانية : ارضاء الطبقات العليا التي لها التأثير في الهنود بشيء من المنافع والمناصب وهم البراهمة الذين يلتصق بهم عامة الدارسين من الهنديين الذين نشأوا نشأة افرنجية .

وربما وجد بين هؤلاء من هو راض عن الانكليز وحكم الانكليز . بيد انهم قليلون جداً لايتعدون الطبقة التي تولت مناصب الحكومة ونالت رواتب كافية .

اما جيش الكتاب الصحافيين العرمرم ، جيش الناقمين الحانقين ، جيش المتعلمين الذين لم يحصلوا على مراكز في الحكومة فأنهم يؤثرون في افكار الناس جميعاً من طريق الكتابة والخطابة .

يصعب الحكم على مبلغ تأثير هؤلاء المتحمسين والى اين يصل وماذا حصل منه . ومعلوم ان التأثير عظيم جداً لاسيا في بنجاب و بنغاله وغيرهما من الاقطار . . .

ومما يساعد على امتداد سلطة الانكليز في الهند انقسام الهنديين الى طبقات متخالفات (كاست . Caste) وهذه الطبقات لا رابطة بينها ولا ترغب في ان يكون لها رابطة .

ولا يوجد في الهند ما يقال له امة هندية . وليس بين سكان الممالك الهندية رابطة مشتركة سوى بغض الانكليز وهذه الرابطة عبارة عن شعور سلبي لا يفيد في شيء ان لم يكن مشفوعاً بشعور ايجابي كحب الوطن والاشتراك في اللغة وفي الافكار . فهذا لا اثر له في الهند . او لم يوجد بعد . ويختلف الهنود بعضهم عن بعض كما يختلف سكان البلاد المفترقة في اوربا .

ثم ان العنصر الاسلامي في الهند راض عن حكومة الانكليز لانه هو ايضاً اجنبي . ومن المحقق ان المسلمين في الهند ليسوا سوى ستين مليوناً من ثلثمائة مليون والهنود يبغضون المسلمين بقدر بغضهم للافرنج تقريباً وزد على ذلك فان مسلمي الهند محرومون من الذكاء والميل للتعليم الذي عرف به الهنود .

فينتج من ذلك ان الحالة في الهند او في بعض اياﻻتها (كبنجاب و بنغاله وغيرهما . .) ليست على خير وان كان لا ينبغي اعظامها والمبالغة فيها لان وجود الطبقات المتخالفات في درجات الاجتماع واختلاف الاجناس والاديان يحول دون ثورة عامة على الانكليز . وانكلترا لا تخشى الا من ان تثور الهند مدفوعة من احدى الدول العظمى او مستندة عليها . خطر الثورة في الهند قليل جداً بالنسبة للثورة التي حدثت قبل اثني عشرة سنة ولكن المركز حرج على كل حال . عن نهر الذهب : عبدالوهاب

آفة الاخبار

مسألة تصحيح السند في الاخبار من المسائل المعول عليها كثيراً في الاسلام حتى عد ذلك من خصائصه و بمحفظت السنة بجالها وطرحت منها الزوائد ولم يبق مجال للوضاعين والقصاصين على شدة احتيالهم في بث مااخترعوه ووضعوه ولاجل هذا الغرض ألفت المصنفات الكثيرة في الطبقات ليعرف كل امرئ بترجمته فلا يغتر انسان بقوله مهما بلغ من زخرفه : فمن طبقات للمفسرين واخرى للمحدثين واخرى للفقهاء وغيرها للمؤرخين وغيرها للنحويين والحكماء والادباء والفلاسفة والاطباء لتظهر على المعرضفات من انتسب لعلم او ضرب في المعارف بسهم

ولذلك كان من السهل التمييز بين اقوال المؤلفين على عهد رواج بضاعة العلوم في هذه الديار ايام كانت ملكة النقد ترجع الى قواعد مقررة وضوابط محررة فلا يغتر الخاصة بنقل نقله مؤلف هو في الحقيقة من العامة لمجرد مايرونه مكتوباً على الورق منشوراً في سفر مجلد .

ولقد كان ولا يزال بعض من يعانون صناعة التأليف يسقطون الحين بعد الآخر في مسائل فيخلطون فيها على الاغلب ومنشأ ذلك على مايعرف المحققون عدم تصحيح السند والنقل واخذ القول على عواهنه بدون تمحيص حتى لم تكد تخلو كتابة المكثرين من المغامز يتبين منها عوارها و يتجلى ضعفها .

مثال ذلك اختلاف بعضهم في امر الخلفاء وما كانوا عليه من المنازع والاخلاق فكان بعضهم يقدح في سيرتهم حتى يسقطوهم كل الاسقاط و بعضهم يرفعونهم حتى يبلغوا بهم مراتب الملائكة وكلا الامرين افراط وتفريط . فقد رأينا بعض الوضاعين وارباب المجون اتهموا بعض بني العباس كالرشيد والمأمون مثلا بالتبذل والاسترسال في الخلاعة ولم نر مؤرخاً واحداً من ثقات المؤرخين صحح هذه الاخبار فكأن مدون تلك الهنات يحاول الصاقها بخصمه لغرض سياسي او ان ينقلها بعض ارباب المقالات والاهواء — واكثرها نشأت ايضاً من نزعات سياسية — ويقصد منها غرضاً من الاغراض او يغتر بها الابله وما اكثر البله في المؤلفين . ومن الحكايات المدخولة للاغراض المنوه بها مارواه بعض لم يصححوا النقل في السبب الذي حمل الرشيد على نكبة البرامكة من قصة العباسة اخته مع جعفر بن يحيي بن خالد مولاه وانه لكلفه

بمكانهما من معاقرته واياهما الخمر اذن لها في عقد النكاح دون الخلوة وان العباسة تحيلت عليه في التماس الخلوة لما شغفها من حبه فحملت ووشي بذلك للرشيد فغضب ونكب البرامكة

وقد رد ابن خلدون عَلَى هذه التهمة الشنعاء احسن رد معقول فدفع هذه الفرية عن ابنة خليفة واخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول قريبة من عهد البداوة وسذاجة الدين وماهذه التهمة الا مما وضعه الوضاعون يقصدون التوصل منه الى النيل من اولئك الخلفاء بهذه الطرق السافلة واغراء الناس عَلَى اتيان المنكرات ليقول العامة اذا كان مثل الرشيد يعاقر الخمر ويقدح في مروءته في مسألة تزويج اخته فاولى بنا ان لانتشدد في قيود الدين والآداب ونحن يسعنا مايسعهم وقد قال الطبري وهو من ثقات المؤرخين والمحدثين ان الرشيد كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاماً ويحج عاماً . اما الشراب الذي يرمى بنو العباس بتناوله فكان عصير التمر وقد افتى بحله الفقهاء .

وانا اذا اعتمدنا في اخبارنا عَلَى مثل كتاب اعلام الناس ونزهة المجالس وشمس المعارف وغيرها من كتب الموضوعات واعتقدنا صحة اقوال بعض ارباب الاهواء من المؤرخين لايكاد يبقى لنا بقية يعتد بها من الخلفاء والائمة ما كانت الامة بهم تبقى الى اليوم محافظة بعض الشيء عَلَى آدابها واخلاقها . ومن ذلك ماوقع مؤخراً لصاحب مقالة تعليم النساء [1] فنقل ماقاله الادباء واكثرهم من المخالفين لبني العباس في مذهبهم الديني والسياسي — في علية — فيدة المنصور وبنت المهدي واخت موسى الهادي وابراهيم ابن المهدي والرشيد والعباسة واسماء وعمة الامين والمأمون والمعتصم وانها كانت تشبب بغلامين طل ورشا وان الرشيد لما آنس منها ميلا الى طل وهبها اياه وقبل رأسها وقال لها لست امنعك بعد اليوم من شيء تريدينه !

ولئن رجح الكاتب الرواية الثانية لما عرف من انفة الرشيد وغيرته ولكنه كان عليه طرح هذه الرواية المدخولة لادنى نظر قياساً عَلَى نظائرها مما روي عن ارباب الخلاعة من الماجنين من الشعراء والوضاعين من اهل الاهواء ممن يريدون الاعتذار عن سيئاتهم باتهام العظماء بهذه التهم الشنعاء ليكون الناس في الخزي والبذاء كاسنان

(١) المقتبس م ٥ ص ١٧٢ لسليم بك عنحوري

المشط في الاستواء ولطالما ود صاحب الكبائر لو كان الناس كلهم شركاءه فيما يقترفون ٠

وانا اذا وضعنا هذه الرواية على محك الروية تجلى لنا لاول نظر بانها لاتصدر عن عامة الناس في عصر الرشيد والمأمون وناهيك به من عصر بلغ الغاية في الآداب والعلم والصيانة فكيف يعقل صدور ذلك من خليفة وابنة خليفة واخت خليفة ولو وجد عقلاء عصره ورجال دولته اقل نقد عليه لما سكتوا عنه ولو اغمضوا عيونهم لما خفي امره على الطالبيين القائمين بالدعوة الى اهل البيت وهل احسن لهم ذريعة في اسقاط الرشيد والمأمون من نسبتهما الى امور لوثبت اقلها لكانت تقصيهما عن منصب الخلافة ولو كان اهل الارض ظهراءهما

ان اخلاق السوقة تأبى لعمر الحق الرضى بما نقله اهل المجون عن الرشيد وسماحه لاخته بمعشوقها وقوله لها انه لايصدفها عن اتيان ما تريد اذا كان فيه هوى نفسها ! وان نسبة تلك الاشعار في التسيب والتشبيب الى امرأة كملية من فضليات النساء لايرضى به السوقة دع عنك الخلفاء بعد الذي علمناه من ان العرب كانوا يقتلون من بناتهم من تشبب وتفحش في غزلها فكيف بعد هذا نثق برواية القيرواني في علية وهو أموي والاصفهاني وهو علوي ومعاداة العلويين والامويين لبني العباس معلومة مشهورة وميل الادباء والموسيقيين للاغراب لادهاش الناس معروف موصوف ومتى كانت تؤخذ حقيقة علمية من اديب اوفضيلة اخلاقية عن شاعر ٠

وعندنا ان كل ما اتهم به الوضاعون واهل الخلاعة بعض الخلفاء الاول من بني العباس انما اتى من تكتم العباسيين في اسرار دولتهم ولانهم اعطوا الامة حرية أمنت فيها فلم يرعوِ بعض ادرياء الفطرة اقرب الى العبث بعقول العامة من نشر تلك الموضوعات والمجونيات بين العامة والخاصة كما اشاعوا سوء القالة عن العباسة وعلية والناس اميل الى الشر منهم الى الخير والى كسر القيود اكثر من الاحتفاظ بها والى اقاصيص الهزل واساطير اللهو اكثر من روايات الجد وتلقف الحقائق ٠ وكل شيء يحتاج الى تمحيص وحاجتنا اليه في التآليف والمؤلفين اكثر حتى لانغترر بكل قول ولانصحح كل نقل

قانون حق التأليف

المادة الاولى — لكل نوع من النتائج الفكرية والقلمية حق لصاحبها يسمى « حق التأليف » .

المادة الثانية — النتائج الفكرية والقلمية هي جميع انواع الكتب والمؤلفات والرسوم والالواح والخطوط والمحكوكات والهياكل والخطط والخرائط والمسطحات والمجسمات المعاربة والجغرافية والطوبوغرافية وكل المسطحات والمجسمات الفنية والترانيم والتواقيع (نوطه) الموسيقية .

المادة الثالثة — ان حق التأليف يتضمن طبع ونشر هذه الآثار والاتجار بها وترجمتها للسان آخر او افراغها لرواية تمثيلية ويشمل الدروس والمواعظ والخطب والمسامرات التي تلقى لاجل التعليم والتربية او الفكاهة . اما الخطب التي تلقى في مجلس المبعوثان والاعيان والمحاكم والاجتماعات العمومية فلكل انسان ان يضبطها وينشرها . وانما جمع خطب خطيب او دروس استاذ وتدوينها وطبعها هو حق من حقوق صاحبها .

المادة الرابعة — المقالات والرسوم التي تنشر في الجرائد اليومية والموقتة اذا كانت مقيدة بعبارة مثل « حقها محفوظ » « ونشرها وترجمتها ممنوع لغير صاحبها » فحقها محفوظ . ولكن المقالات والرسوم والاخبار اليومية غير المقيدة بمثل هذا القيد لا يعتبر فيها حق التأليف على شرط ان يبين مأخذها .

المادة الخامسة — لا يجوز استعمال اسماء الجرائد والمجموعات والرسائل والكتب الموجودة من قبل احد وانما لكل انسان ان يضع لمؤلفاته اسماء وعنوانات عمومية .

المادة السادسة — يعود حق التأليف للمؤلف في حياته وبعد وفاته يعود اولا لاولاده وازواجه لمدة ثلاثين سنة من تاريخ وفاته . ثانيا لآبائه وامهاته . ثالثا لاحفاده بالتساوي . وعليه لا يجوز طبع ونشر هذه المؤلفات او ترجمتها للسان آخر في هذه المدة من قبل احد غير مؤلفها او ورثته .

المادة السابعة — ان حق التأليف في الالواح والخطوط والنقوش والرسوم والاشكال والخرائط وجميع المسطحات والمجسمات المعاربة والجغرافية والطوبوغرافية بعد الوفاة

هو ثماني عشرة سنة اما حق التأليف في الترانيم والتواقيع الموسيقية فهو كالكتب والمؤلفات (ثلاثون سنة) .

المادة الثامنة — ليس في القوانين والنظامات والاوامر والتعليمات الرسمية والاعلانات التجارية والصناعية حق للتأليف ولكن للذين يعلقون عليها و يشرحونها حق محفوظ في هذه التعاليق والشروح .

المادة التاسعة — ان مدة حق التأليف للآثار التي لم تنشر في حياة المحرر تبتدئ اعتباراً من تاريخ نشرها .

المادة العاشرة — لايجوز تمثيل رواية منثورة اومنظومة اوتمثيل قسم منها من غير اذن المؤلف ولايتضمن حق طبع هذه الآثار ونشرها حق تمثيلها .

المادة الحادية عشرة — ان تمثيل الروايات المنثورة والمنظومة في المسامرات التي ترتبها المكاتب والجمعيات الخصوصية لالمقصد الانتفاع غير تابعة لحق التأليف

المادة الثانية عشرة — يجوز اخذ بعض القطع من اي اثر كان لضرورة اولفائدة من الآثار الادبية والعلمية والكتب المخصوصة بالمدارس وفي الانتقادات على شرط ان يذكر اسم المؤلف .

المادة الثالثة عشرة — لاتنشر المكاتيب الا برخصة من صاحب تلك الآثار اذا كان حياً اومن عائلته اذا كان متوفى .

المادة الرابعة عشرة — يمكن ترجمة اثر من الآثار من قبل واحد او اكثر ضمن احكام هذا القانون وحق كل مترجم من ترجمته كحق التأليف اعتباراً من وفاة المترجم .

المادة الخامسة عشرة — ان حق التأليف في الآثار التي تنشرها الدوائر الرسمية والجمعيات المعروفة لدى الحكومة بصورة رسمية عائد لتلك الدوائر والجمعيات .

المادة السادسة عشرة — اذا ألف او ترجم اثر من قبل اشخاص متعددين من غير مقاولة فحق التأليف اوالترجمة عائد اليهم كافة على التساوي واذا توفي احد الشركاء فحق استفادته من الاقسام التي نشرت لتاريخ وفاته والمسودات التي اعدت للنشر ينتقل لورثته وتعتبر مدة الثلاثين سنة في حق التأليف ومدة الخمس عشرة سنة في حق الترجمة اعتباراً من وفاة آخر شريك في التحرير واذا كان يوجد مقاولة مخصوصة بين الشركاء فيجري حكم المقاولة تماما واذا حدث خلاف ما يرجع الى المحكمة

المادة السابعة عشرة — اذا لم يبق لكتاب صاحب ما كأن توفي مؤلفه بلا وارث او انقطعت الوراثة اوحدثت اسباب اخرى فكل انسان له الحق بطبع ذلك التأليف وترجمته .

المادة الثامنة عشرة — يمكن لكل احد ان يطبع المؤلفات المطبوعة قبلا والتي لاصاحب لها وفقاً للمادة السابقة واما الذين يودون طبع مصنف لم يطبع حتى الآن فيعطى لهم بناء على استدعائهم امتياز من قبل نظارة المعارف لمدة عشر سنوات الى خمس عشرة سنة وحينئذ لا يجوز لغير صاحب الامتياز او ورثته طبع هذا الكتاب في خلال هذه المدة وانما اذا لم يباشر طبع المؤلف في مدة سنة او عطل سنة بعد مباشرة طبعه فيعد الامتياز كأن لم يكن .

المادة التاسعة عشرة — اذا نفدت بعد وفاة المؤلف نسخ اثر من الآثار المعتبرة التي يرجى منها فائدة للناس ولم يتيسر طبعه لسبب من الاسباب كفقر ورثة المؤلف او اهمالهم او عدم اتفاقهم فنظارة المعارف تستكمل اسباب طبع هذا الاثر مع مراعاة حقوق الورثة .

المادة العشرون — على مؤلفي الآثار ان يعطوا ثلاث نسخ مطبوعة من اثرهم لنظارة المعارف في الآستانة ولمديرية المعارف في الخارج و يقيدوه و يسجلوه ليحفظوا بذلك حق تأليفهم اما الآثار التي ليس لها الا صورة واحدة كالالواح والتماثيل والتعاليق (الانواط او المداليات) فهي مستثناة من هذه المعاملة .

المادة الحادية والعشرون — يقيد في الدفتر المخصوص الذي ينظم في نظارة المعارف ومديرياتها لحق التأليف ماهية المؤلف واسم كتابه وموضوعه وتاريخ ومحل طبعه وعدد صحائفه و يوضع له رقم بالترتيب و بعدها يوقع عليه من صاحب الكتاب او وكيله الرسمي .

المادة الثانية والعشرون — يؤخذ في دوائر محاسبات المعارف ربع ليرة عثمانية فقط خرجاً للقيد والتسجيل و يعطى بمقابله من قبل نظارة المعارف اومديرياتها علم وخبر يعتبر بمقام سند للتصرف يكون معمولاً به الى ان يثبت عكسه بالمحاكمة .

المادة الثالثة والعشرون — تجري معاملة قيد المطبوعات الموقتة في كل آخر سنة عند اراءة النسخ التي نشرت وتسجيلها .

المادة الرابعة والعشرون — لاتسمع دعوى حق التأليف في المؤلفات غير المسجلة الى حين تسجيلها . تعلن في آخر السنة الكتب التي قيدت وسجلت في غضون السنة واسماء مؤلفيها رسميا بواسطة الجرائد .

المادة الخامسة والعشرون — لصاحب الاثر او المترجم او صاحب الامتياز اوورثتهم ان يبيعوا او يتركوا في خلال المدة النظامية حق التأليف اوالامتياز تماما اوموقتا او بتعيين عدد النسخ لآخر بموجب مقاولة بمقابل بدل او بلا بدل و يكون المشتري او الآخذ حينئذ قائمًا مقام اصحابها ضمن شروطها حتى انه اذا توفي قبل اكمال المدة تعد ورثته متصرفة في المدة الباقية ·

المادة السادسة والعشرون — يجب تسجيل مقاولة البيع او الترك في نظارة المعارف في الاستانة وفي مديرياتها في الخارج و يؤخذ نصف ليرة عثمانية خرج قيد ولدى ابراز المقاولات التي لم تقيد على هذه الصورة الى المحاكم يؤخذ ثلاثة اضعاف الخرج المذكور جزاء و يرسل الى صندوق المعارف ·

المادة السابعة والعشرون — المحررون واصحاب الصناعة الذين يشتغلون لامم غيرهم يعتبرون بائعين حق تأليفهم اذا لم يوجد مقاولة خصوصية ·

المادة الثامنة والعشرون — ليس للطابع ان يحدث تغييرا ما في الكتاب بدون اذن المحرر واذا اجري ذلك منع نشر الكتاب بواسطة المحكمة وتعلن صورة الاعلام بالجرائد وليس للطابع ان يسترد الاجرة التي اعطاها للمحرر ·

المادة التاسعة والعشرون — ان طبع كتاب وتمثيله في المدة الحقوقية من غير اذن صاحبه يعد تقليدا وكذلك تمثيل رواية منثورة او منظومة في المدة الحقوقية من غير رخصة اصحابها وطبع التواقيع (نوطه) الموسيقية اواستنساخ الخرائط والالواح والرسوم وانواع الخطوط بالفوطوغراف او بوسائط اخرى واعمال قوالب للآثار القلمية والموسيقية بالوسائط الصناعية واعمال الواح لها (بلاكات) هو بحكم التقليد يجازى المقلدون توفيقا للمادة الثانية والثلاثين ·

المادة الثلاثون — ان نسبة الآثار في التأليف والفنون النفيسة لغير اصحابها يعد انتحالا وكذلك من قدم واخر عبارات كتاب اواناشيد موسيقية اوحرف طرز افادتها كله بصورة يفهم منها الاصل واسندها لنفسه يعد بحكم المنتحل ·

المادة الحادية والثلاثون — الانتقادات والشروح والحواشي لا تعد انتحالا وكذلك اذا نقل المؤلف بعض جمل وفقرات من كتاب آخر لمصنفه ونوه بانه اخذه من محل آخر لا يكون منتحلا ·

المادة الثانية والثلاثون — من طبع الكتب التي لها حق التأليف بدون رخصة من اصحابها اوتوسط بطبعها اومثل رواية،نشورة اومنظومة يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا ويحبس من اسبوع الى شهرين وتضبط منه الاسفار التي طبعها وتعطى الى اصحابها وكذلك من طبع مثل هذه المصنفات في الخارج ومن ادخلها الى الممالك العثمانية يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا والذين يبيعون هذه المطبوعات وهم عارفون بها او يعرضونها للبيع يغرمون بخمس ليرات عثمانية الى خمسة وعشرين ليرة جزاء نقديا .

المادة الثالثة والثلاثون — اذا اقيمت دعوى الضرر والخسارة من قبل صاحب الكتاب المتضرر يعطى بحقها قرار من المحكمة نفسها مع اساس الدعوى .

المادة الرابعة والثلاثون — يعامل الطابعون الذين يطبعون كتباً زيادة عن المقاولة التي عقدوها مع المؤلف معاملة الذين خانوا الامانة وتضبط النسخ الزائدة التي طبعوها ويؤخذ منهم بدل ماباعوه منها ويعطى كل ذلك لصاحب الكتاب .

المادة الخامسة والثلاثون — تطبق احكام المادة الثانية والثلاثين التي بحق المقلدين عَلَى المنتحلين ايضا .

المادة السادسة والثلاثون — لاصحاب الكتاب المشتركين ان يراجعوا المحكمة على الانفراد ويطلبوا الضرر والخسارة التي لحقتهم بسبب التجاوز عَلَى حقوقهم التصرفية من قبل الغير .

المادة السابعة والثلاثون — لايجوز للدائنين حجز كتب المؤلف التي لم تطبع واذا صدر حكم في بيع الآثار والمؤلفات التي حجز عليها يعتنى كثيرا بعرضها للبيع ووقاية اصحابها من الغدر .

المادة الثامنة والثلاثون — النظام المتعلق بطبع الكتب والمؤرخ في ٨ رجب سنة ٢٨٩ و٣٠ آب سنة ٢٨٨ مفسوخ بهذا القانون مع الفقرات المذيلة عليه .

المادة التاسعة والثلاثون — عَلَى من طبعوا اثراً قبل هذا القانون بدون ان يحصلوا على رضى صاحبه او ورثته مراجعة صاحبه اوورثته واستحصال رضاهم واذا استمروا على بيع الآثار المقلدة من غير رضى اصحابها يجازون بمقتضى هذا القانون .

المادة الاربعون — ان تنفيذ الاحكام القانونية عَلَى الجرائم المعينة بهذا القانون متوقفة عَلَى شكاية شخصية .

المادة الحادية والاربعون — ان حق التأليف في الآثار التي نشرت بلا امضاء او بامضاء مستعار راجعة الى ناشرها الى ان يظهر محررها نفسه

المادة الثانية والاربعون — ناظر المعارف والعدلية مأموران باجراء هذا القانون .

في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ وفي ٦ آذار سنة ١٣٢٦

عبث المشيب

ظلم الرجال نساءهم وتعسفوا ... هل للنساء بمصر من انصار
يامعشر الكتاب اين بلاؤكم ... اين البيان وصائب الافكار
أيهمكم عبث وليس يهمكم ... بنيان اخلاق بغير جدار
عندي على ضيم الحرائر بينكم ... نبأ يثير ضمائر الاحرار
مما رأيت وما علمت مسافراً ... والعلم بعض فوائد الاسفار
فيه مجال للكلام ومذهب ... ليراع (باحثة) (وست الدار[1])

***

كثرت على دار السعادة زمرة ... من مصر اهل مزارع ويسار
يتزوجون على نساء تحتهم ... لا صاحبات بغى ولا بشرار
شاطرنهم نعم الصبا وسقينهم ... دهراً بكأس للسرور عقار
الوالدات بنيهم وبناتهم ... الحائطات العرض كالاسوار
الصابرات لضرة ومضرة ... المحييات الليل بالاذكار

***

من كل ذي سبعين يكتم شيبه ... والشيب في فوديه ضوء نهار
يأبى له في الشيب غير سفاهة ... قلب صغير الهم والاوطار
ماحله عطف ولا رفق ولا ... برّ لاهل او هوى لديار
كم ناهد في اللاعبات صغيرة ... ألهته عن حقد بمصر صغار
مهما غدا او راح في جولانه ... دعته خاطبة الى سمسار

(١) هما كاتبتان مصريتان تكتبان في الصحف المصرية مقالات وحواراً في النساء

شغل المشايخ بالمتاب وشغله بتبدل الازواج والاصهار
في كل عام همه في طفلة كالشمس ان خطبت فللاقمار
يرشو عليها الوالدين ثلاثة لم ادر أيهم الغليظ الضاري
المال حلل كل غير محلل حتى زواج الشيب بالابكار
سحر القلوب فرب ام قلبها من سحره حجر من الاحجار
دفعت بنيتها لاشأم مضجع ورمت بها في غربة واسار
وتعللت بالشرع قلت كذبته ما كان شرع الله بالجزار
مازوجت تلك الفتاة وانما بيع الصبا والحسن بالدينار
بعض الزواج مذمم ما بالزنا والرق ان قيسا به من عار
فتشت لم أر في الزواج كفاءة ككفاءة الازواج في الاعمار

***

أسفي عليّ تلك المحاسن كلما نقلت من (اليالي[1]) الى الدوار
ان الحجاب عليّ (فروق) جنة وحجاب مصر وريفها من نار
وعلى وجوه كالأهلة روعت بعد السفور ببرقع وخمار
وعلى الذوائب وهي مسك خولطت عند العناق بمثل ذوب القار
وعلى الشفاه المحييات أماتها ريح الشيوخ يهب في الاسحار
وعلى المجالس فوق كل خميلة بين الجبال وشاطيء محيار
تدنو الزوارق منه تنزل جوذراً بقلادة او شادناً بسوار
يرفلن في أزر الحرير تنوعت ألوانه كالزهر في آذار
الطاهرات اللحظ امثال المها الناطقات الخرس كالاوتار
الرائعات اللاعبات أوانسا بربى (يوكدرة) وشاطيء (صاري)[2]
الدهر فرق شملهن فرب به يارب تجمعه يد المقدار

مصر احمد شوقي

---

[1] اليالي لفظة تركية معناه المصيف على شاطيء البحر [2] «يوك درة» اي الوادي الاعظم و«صاري ير» اي الارض الصفراء من متنزهات الاستانة على الخليج

الابر

كثيراً ماقرأنا في كتاب دائرة المعارف العربية للبستاني عن بعض أمم الشرق واديانها فلم نعد بطائل . ومن جملة هذه الاجيال «الأبر» فلا تجد لهم ذكراً في هذا الكتاب . مع ان جغرافيي العرب ذكروهم في مؤلفاتهم وان لم يذكروا لنا التفاصيل التي نتطال الى معرفتها . فقد جاء في كتاب ابن الفقيه المسمى بكتاب البلدان ص ٨٣ من طبعة دي كوي مانصه : «وبرجان وبلدان الصقالب والأبر شمالي الاندلس» وقد نقل هذه العبارة بعينها وحروفها ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك . وقال ابن رسته في الاعلاق النفيسة ص ٩٨ عن بلاد هؤلاء الاقوام مانصه : «واماماوراء هذه الاقاليم (الاقاليم السبعة) الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبتدئ من المشرق من بلاد ياجوج ثم يمر على بلاد التغزغز وارض الترك ثم على بلاد اللان ثم على الابر ثم على برجان والصقالبة وينتهي الى بحر المغرب» اه بحرفه. وقال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف ص ٣٢ «وحد الاقليم الخامس بحر الشام الى اقصى ارض الروم مما يلي البحر الى تراقية وبلاد برجان والصقالبة والابر الى حد ارض ياجوج وماجوج الى حد الاقليم الرابع مما يلي نصيبين اطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة .» اه . وفي موضع آخر ص ١٨٤ من كتاب المسعودي المذكور ذكر الابر من سكان بلاد تجاور جبل القبق (قوقاس اوقفقاسية) قال : «وقرب من هذا الجبل من الامم كاللان والسرير والخزر ... والابر وبرجان والروس والبرغر ...» وذكرهم مرة ثالثة في ص ١٩١ قال : «ومن جاورهم (اي الروم) من الممالك من برجان والابر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم .»

ولم نجد لهم ذكراً في سائر كتب مؤرخي العرب وواصفي البلدان منهم فلا الطبري ذكرهم ولا ابن الاثير ولا ابن خلدون ولاغيرهم من كبار المؤرخين . ومن بعد ان بحثنا عنهم وجدناهم انهم هم الذين يسميهم الافرنج *Les Avares* وهنا نلخص عنهم ماكتبوه اتماماً للفائدة وسداً للثلمة الموجودة في كتبنا التاريخية والجغرافية .

الابر جيل من الناس منشأوه في بلاد التتر وهم فروع من فروع قبيلة الهونة . وكانوا قد ضربوا خيامهم بعد ان هجروا بلادهم الاصلية في نواحي جبال الالطائي . ثم طرأت

عليهم طارئة من الصينيين سنة ٥٥٢ م فطردتهم من مقرهم وافنت جماعات منهم ٠ ومن نجا منهم فزعوا الى جهات بلاد اوربا فقطعوا نهري الاتل والدون سنة ٥٥٧ ثم خيموا بعد برهة على شطوط الطونة ٠ وماعتموا ان ناوأوا ملوك الروم وقياصرتهم ونشلوا منهم سنة ٥٨٢ داقية وفنونية ومن هناك انتشروا ولا انتشار الجراد في بلاد جرمانية في شمالي الطونة حتى بلغوا ايطاليا ٠ واول ماخضدت شوكتهم كان سنة ٦٢٦ تحت أسوار القسطنطينية فان هرقل الملك كسر شيخهم «بيان» وكان حليفًا لكسرى ٠ ثم دوخهم كل التدويخ شرلمان من سنة ٧٩١ الى سنة ٧٩٩ وحينئذ دانوا بالنصرانية ٠ وكان الابر طويلي النجاد محبين للحروب وقد اشتهروا بالمكر والنكر والخدعة في الفر والكر ٠ واما مساكنهم فانهم لم يأووا الى غير الخيم والمضارب ٠ ولم يعرفوا من المدن الا الاحوية جمع حواء وهي جماعة بيوت الوبر المتدانية وكانوا يقيمون على هيئة دوائر عظيمة وتسمى عندهم «رنك» اي حلق جمع حلقة لاستدارتها ٠ وكان يسمى شيخهم باسم «الخان او الخاقان»

اما حدود بلاد الابر فقد اختلفت باختلاف العصور ففي عهد معظم انتشارها اي من سنة ٥٩٠ الى سنة ٦٣٠ كانت مملكتهم تشمل فلوات شمالي الطونة من لوزاقة الى ماوراء الدون ٠ وعند افول شمس القرن السابع للمسيح تقلصت حواشيها حتى كان في شمالي بلادهم وغربيها ديار اللاه والوند والجيك (اي بلاد بولونية وسيلسية وبرندبرج وبوهمية على التسمية الحديثة في عهدنا هذا) وفي شرقيها كان الخزر وكان موطنهم يومئذ بين البوك ودنيبر ٠

وبعد ان خرب شرلمان ديارهم سنة ٧٩٩ لم يبق منها الا الصقع الغربي بين نهري «الثيس والان» وهذا ايضًا جعله مقاطعة لدولة الافرنك باسم «أبرية» واما مابقي من تلك الربوع فقد احتلها المجر اي المنكاريون ٠ وفي بلاد الجركس في عهدنا هذا بقية من الابر تقيم على منحدر كوه قاف الشمالي بين الاكسائي وشرداغ ويبلغ عدد بيوتهم اليوم ١٢٠٠٠ وكلهم يدينون لخان كبير خاص بهم ٠ ومعيشتهم من الصيد والغزو والنهب والسلب ٠ وهم يرجعون في الحكم الى قيصر روسية ٠ — هذا ماأردنا ايضاحه وفوق كل ذي علم عليم

بغداد : ساتسنا

نظرة في النظرات

أخرج هذا الكتاب للناس في هذا العهد والامة في براز دائم بين القديم والحديث يريدها الاول على البقاء على الرثيث من تالدها مما ورثته بحكم الطبع أو التطبع ويضطرها الثاني إلى التجرد عما يأخذ بخناقها من العادات والتقاليد العتيقة التي أخنى عليها الدهر والاخذ بالجديد المفيد المنطبق على حاجات العصر اليوم ·

وها نحن اولاء نرى بين علماء الدين في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن من يتساءلون عما إذا كان تعليم العلوم المادية الطبيعية والتوفر على دراستها حراماً أو حلالاً بينا نرى بعض المفكرين من الباحثين العالمين يشهرون على اولئك حرباً عواناً تدير رحاها الاقلام مصرحين انهم لا يدينون بسوى القوة والمادة اللتين هما من مظاهر الطبيعة ويضربون بكل علم عرض الحائط اذا لم يكن من العلوم المادية الطبيعية أو منطبقاً على نواميسها الصحيحة أوموصلاً إليها متمماً لها ففريق يبالغ في اعظام الخيال ويغالي في البحث فيما وراء المادة وفريق لا يعرف غير الحقيقة المادية مذهباً ·

ألا وان هذا البراز الحيوي لم يكن مقصوراً على العلم فقط بل تناول عامة شؤون الحياة وفروع الفنون الاخرى فكان للأدب النصيب الاوفر منه فانا مازلنا ولا نزال نرى بعضهم لا يرى للشعر من المكانة العالية الا اذا كان قائله كاليها زهير وابن معتوق والشاب الظريف ويحسبون أن الكلام الظريف هو ماجاء في « ريحانة الادب » وأشباهها غير معتدين بما عداها من الكتب الممتعة مثل « نهج البلاغة » و « الدرة اليتيمة » و « كليلة ودمنة » وما جرى على أسلات ألسنة الشعراء المتقدمين كالشريف الرضي والمتنبي والمعري وغيرهم من المتأخرين ممن جمعوا إلى التراكيب العربية الفصيحة الافكار الغربية الصحيحة كانهم لا يعدونها شيئاً مذكوراً ·

في كل حركة تقوم بين ظهراني هذه الامة المنبسطة ظلالها في هذه المملكة المتنائية الاطراف نشهد مثالا مجسماً من مبلغ تأثير تنازع البقاء ونقرأ فيه التجدد نقياً لا يشوبه شوب القديم فنستدل منه على تقدم الامة في أفكارها وآرائها وأن ماينا له القائمون بالتجديد من خصومهم الاعداء الالداء المكابرين لابد من وقوعه مادامت الامة جاهلة خاملة وما دام من كتب لهم العلم والنباهة أفذاذاً لا يزال تأثيرهم من الضؤول والحؤول بحيث يتراجع لاقل ريح تعصف ·

وبعد فلا بدع إذا بودئ الاستاذ المنفلوطي صاحب هذا الكتاب لاول وهلة بما ناله من معارضيه من بذاءة اللسان والتسفيه في القول ماتجله عنه لانها سنة في المجددين منذ القديم . فهذا غستاف فلوبر الكاتب الفرنسوي المعروف كان يحتقره معاصروه ويهزؤون بكتاباته وآرائه حتى يحمله ذلك على البكاء كالاطفال الصغار ويشرع يخاطب زملاءه زولا وكونكور وددوده بقوله : « بربكم أنبئوني لم لم تنل هذه المؤلفات الاستحسان الذي أتطلبه » فتأخذهم رعدة الكآبة والحزن فيبكون جميعاً — هذا الرجل الذي كان في عصره بهذه المثابة ولم يكتب لآثاره أن يرتاح لها الرأي العام أصبح القوم اليوم يعبدونها ويمجدونها ويسبحون بحمدها .

امامي الآن هذا الكتاب انظر إلى الصفحة الاخيرة منه بعد ان كنت قرأت معظم فصوله في الصحف وكانت نظرتي اليه في المرة الثانية ومقالاته مجموعة في سفر خاص غيرها في الاولى . اذ كنت أطالعه وانا أعلق عليه في مفكرتي بعض ما آخذت بمنشئه ورأيته مما يجدر ان ينبه عليه مثله عليّ اني قرأت ما كتب عليه في الجرائد والمجلات فأذا به لا يبل غليلا ولا يغني فتيلا مما دل عليّ ان باب « التقريظ والانتقاد » لم يفتح عندنا كل الفتح ونخشى ان طال علينا الامد ان يصيبه ما اصاب باب « الاجتهاد » .

وقد افردت لكل من « أسلوبه » و« موضوعه » و « آرائه » و « لغته » و « وصفه » بحثاً خاصاً سأتكلم عليّ كل واحد منه على حدة وانفيه بالالماع الى شذرة من « روح المؤلف » ، وذلك بقدر ما مكنتني الفرصة من القيام به وهداني اليه البحث والنظر .

ا
أسلوبه

مما كتبه « المنفلوطي » في مؤلفه هذا قصص جمة كانت هي الباعثة لي عليّ الخوض في غمار هذا الموضوع ولذا فأنا انظر اليه في هذا المبحث نظري الى قصصي أريد ان أبين طريقته في الانشاء وأحاول ان اردها الى مذهب خاص مما انشأه ادباء المغاربة في تاريخ آدابهم . اذ لكل كتاب ادبي قصصي اسلوب خاص ينهج فيه مؤلفه المنهج الذي يراه انه امتع وانفع ووافق طبعه في الغالب او يتبع في ذلك سنة الارتقاء :

قامت في اوربا مذاهب شتى [1] في الادب القصصي منذ القرن السابع عشر حتى اليوم وكلها حلقات من سلسلة تاريخ الآداب عند الغربيين . فمن هذه المذاهب مذهب

---

[1] معرب عن فصول من كتاب « المصنفون والمصنفات »

يرى زعماؤه ان الغاية من الصناعة هو اصلاح الانسان وتعزيته لتخفيف آلامه عند حلول المصائب والنوائب . فتجدهم يضمنون قلوبهم وافكارهم في كتبهم بدعوى انهم بتأثراتهم هذه تثور ثائرة القراء . وان ذوق كاتب القصة الشخصي ليتمثل في تضاعيف كتابه فتراه يخلق اشخاص الوقائع ليصف شعوره الذاتي وشوقه المبرح به نابذاً العناية ببث العواطف في ابطال الرواية ظهريا . من اجل هذا ندر ما استفاد التاريخ وعلم الاجتماع من امثال هذه المؤلفات .

وما يحملهم على ذلك الا مشيهم مع شعور القراء وتنزلهم من عقول العامة لان هؤلاء اعتادوا ان يعيشوا مجردين عن الحقائق العادية وانهم ليتذمرون من مطالعة صفحات حياة الانسان كما هي . ولذا كانت خطتهم في الروايات ان يجعلوا الوقائع والاشخاص على هيئة خيالية « Idéal » يوم كان يستفيض على الالسنة انه من اللازم اللازب الاختلاق في الروايات وكانت القصص السامية والاشعار الرقيقة الحافلة بالشعور ليس لها كلمة عالية . وقد سمي هذا المذهب

(Idéalisme مذهب الفكريين)

وهناك مذهب آخر في الانشاء يدعي « Romantisme — مذهب الخياليين » وهو كما عرفه ستاندال هوب : عبارة عن « صناعة تمثل نتائجها الادبية ما يلائم معتقدات الاقوام واطوارهم وعاداتهم في الحال الحاضرة مما يبعث في نفوسهم سروراً ونشاطاً » بل هو كما يقول النقاد الشهير بروتير : هو « ان لا يعرف الصانع سوى ذوقه وتهوساته وخيالاته قاعدة واصلا » بل كما قال اميل فاكي : « ان روح الرومانتيزم الحقيقية هو الحذر من الحقيقة وان يكن لما الصانع في صدره موجدة ونفوراً » قالوا : وهذا الحذر يتم باستسلام الفكرة للمخيلة كل الاستسلام وليس في هذا المذهب مشاهدة ولا تحقيق ولا ترصد كما انه ليس ثمة معقول ولا محاكمة ولا منطق لان هؤلاء كلها امور تدين للحقيقة المادية — هذا هو اصل الرومانتيزم .

ومن المذاهب التي نشأت وشاعت المذهب التاريخي الذي كان زعماؤه يعنون بوضعه في الروايات التاريخية فيحرفون الحقائق التاريخية عن مواضعها وهم من التزوير والافتئات بحيث كانوا يطبقون تواهم المخيلة وعامة ما يخترعونه من الافكار على الوقائع والحادثات . فالتاريخ عندهم كما قال اسكندر دوماتيس « مسمار يستعينون به على تنضيد الواحهم » فليس لديهم من ثم فكرة سوى انهم يعملون على ادخال البشر والارتياح في نفس القارئ . بيد ان لجمال

الاسلوب ورقة الوصف عندهم مكانًا من العناية . وامثل نموذج لهذه المؤلفات التاريخية واحفلها هما كتاب « خمسة آذار » لالفريد دوفيني و « نوتردام دوبارب » لفيكتور هوغو .

وقد نشأ مذهب جديد دعي بمذهب الطبيعيين « Naturalisme » ومن اخص ميزاته هو ان زعماءه وسعوا دائرة القصص واخذوا يبحثون عن ملجاء تلوذ به اشخاص القصة خشية ان تخوض عباب الوقائع الغريبة التي يتعملها بعض الكتاب لتكون النتيجة اما الانتحار او الزواج واصحاب هذا المذهب ينظرون الى ذلك الضرب من القصص نظرهم الى العوبة يتلهى بها الفتيان والفتيات . والذي يعنون به اليوم هو صفحات التتبع فشأن القصة عندهم بنسبة ماتعيه من صحيح الوصف وحديث الوقائع .

ومن انصار هذا المذهب من القصصيين ممن جردوا الروايات من شوائب الكذب والاختلاق بعد فلوبر اميل زولا وموباسان الكاتبان الفرنسويان المعروفان ونشأ عن هذا مذهب آخر دعي « مذهب Impressionnisme امبرسيونيزم » . والفرق بين هذا ومذهب الطبيعيين هو ان زعماء المذهب الاول يعنون بابلاغ العواطف وآثار ماولدته فيهم الحقيقة وهم يرون ان « الحقيقة واسطة » . اما انصار الثاني فانهم مستقلون عن الذاتية وما همهم الا تتبع الحقيقة كما هي على حين يترجم زعماء الامبرسيونيزم الطبيعة اكثر من ان يعيدوها مرة اخرى . وعلى هذا كان ولاجرم مذهب الطبيعيين امتن وارصن وقصصهم اعظم مهابة ووقارا .

وهناك مذهب جديد وضعه الكاتب الفرنسوي الشهير « بالزاك » وانضوى تحت لوائه كبار المتأدبين ممن اثروا اثراً محموداً في نهضة الآداب الفرنسوية الا وهو « مذهب الحقيقيين Réalisme » وقد اتم وضعه فلوبر بمصنف له سماه « مدام بوفاري » وقد سبق هذا الرجل بالزاك وستاندال ومريمي فاذاقوا الفرنسويين بمصنفاتهم طعم الحقيقة ولكنهم لم يكسروا سورة شهوتهم باسرها ولم يتعد تأثيرهم في نفوس القراء ايقاظ الحقيقة فيهم . ولكن مصنف « مدام بوفاري » علم الناس اجمع ماهو مذهب الحقيقيين بما تري في تضاعيفه من وصف الحياة بما فيها من اضطراب وضوضاء باجلى تعبير واوضح بيان .

وطريقة « بالزاك » في قصصه هو انه يبدأ اولاً في تعريف الاشخاص ويأتي على

تصوير المكان الذي فيه يعيشون والبيئة (المحيط) التي في ارجائها يجولون وما يحوي المكان من اثاث ورياش ثم يذكر الخلق واجسامهم وما يلبسون ويكتسون من اردية حتى انه يرسم خطوطهم الجبهية واخيراً ينفخ فيهم من روح الحقيقة فينطقون ويتحركون ·

هذه هي « الطريقة العلمية » التي ينحو منحاها العلماء والعقلاء من كتاب اوروبا في التاريخ والادب ولا يهمهم مما يكتبون سوى انهم يمثلون الحقيقة للقراء عارية بابشع واشنع مظاهرها غير هيابين ولاوجلين · وثمة من المذاهب ما كنت اود ان آتي على ذكره هنا لولا اني توخيت في هذه « النظرة » الايجاز مثل المذهب الرمزي (سنبوليزم) والمذهب الفني (كلاسيسيزم) وغيره من المذاهب ·

وبعد فلم نقدم بين يدي القاري هذه المقدمة الا نرجو ان نكون الممنا فيها بطرف من مذاهب الكتاب الا انستطيع ان نحكم على بعض فصول « النظرات » القصصية ونضعها في المحل الذي يجب ان تحل فيه بين هذه المذاهب كلها ·

لاجرم ان الناظر في هذا السفر والمطلع على هذه المذاهب يعلم ان المنفلوطي جرى في كتاباته مجرى الخياليين وانه يجمع بين هؤلاء ومذهب الفكريين في الاحايين · فهذه مقالته الكأس الاولى [1] و « عبرة الدهر » [2] يتجلى فيها الخيال باحفل مظاهره · فقد سمع صوت المؤلف في الاولى عند قوله : « وما كان له وهو يهيم الخ ... » وكذلك عند قوله فيها : « والمنظر المتكرر لايلفت النظر ولا يشغل الذهن » · وقد اورد على لسان الشخص المريض الشاخص ببصره الى السماء — ذلك الرجل الذي لم يبق منه الا إهاب ممزق — حديثاً لاقدرة لاصحاء الاجسام على ايراده في مثل تلك الحال وقصد المنفلوطي ان يبين سبب الادمان على الخمر فجعل ذلك بلسان المريض ذاكراً ان كل كأس شربها جرتها عليه الكأس الاولى وان ليس الباعث على ذلك غير قصور عقله عن ادراك خداع الخلطاء وبين « ان الخونة الكاذبين خدعوه عن نفسه خداعاً ليستكملوا بانضمامه اليهم لذتهم التي لاتتم الا بقراع الكؤوس وضوضاء الاجتماع » ثم عاد المنفلوطي واظهر شخصيته فقال : « ولو علمت كيف خدعوه وزينوا له الخروج عن طبعه ومألوفه واي ذريعة تذرعوا بها الى ذلك لتحققت انه ابله الى النهاية من البلاهة وضعيف الى الغاية من الضعف » وقد حكم عليه بالبلاهة ولم يذكر عن تربيته

[1] ص — ٥ [2] ص ٢٥

مايفهم منه انه على غرارة وسذاجة بل الذي تبين انه كان صديق المؤلف وارتباطه بالصداقة يقضي بان يكون فيما احسب على غير ماذكر ·

وفي مقالة عبرة الدهر دليل آخر على مذهب الخياليين وهو ذكره (صاحب القصر) بانه فاسد الاخلاق واغفاله البحث في ان يذكر عن نشأته الاولى شيئاً تتبين منه ان بين جنبيه نفساً ملؤها الرذائل · وكان عليه ان يصف (بلالا) الخادم الذي جعله في موقف الحكم الحكيم وانه من المبادىء العالية ماهو كيت وكيت وان يذكر طرفاً من حنق زوجته وتلهفها على زوجها الذي كان يقضي الليالي الطوال وهو يداعب ازواج المحارم بمثل ما يداعب غيره زوجه · وهذا نقص كبير وخطأ فادح في الاسلوب · ولكن المنفلوطي كما اسلفنا لم يهتم في الحقيقة اهتمامه الزائد في ان تكون قصته جامعة لجمال الاسلوب الخيالي الذي ضمنه حكماً بالغة وعواطف شريفة بدون ان يتبين المواقف التي يقف فيها الرجل الغر الغمر موقف المرشد الحكيم ·

ومما يستدل فيه ايضاً على تنكبه جانب الحقيقة سؤال (صاحب القصر) (بلالاً) في اي ساعة نحن من ساعات الليل فاجابه في الساعة الاولى ثم ذكر المؤلف ان الخادم لم يصل من الحديث الى حد معين « حتى نصل خضاب الليل واشتعل المبيض في مسوده » على ان ذلك الحديث يذكر في بضع دقائق ليس الا ···

هذا نموذج مما ذكره المنفلوطي من الفصول القصصية ومن تشريح اسلوبه يعلم انه احتذى مثال (الخياليين) في انشائه · وكل من تتبع الحركة الادبية في المشرق يعلم انها مسوقة نحو الكمال بحكم ناموس « النشوء والارتقاء » وان كتاب المنفلوطي هذا هي احدى الحلقات من سلاسل الآداب التي لايتم البحث بدونها ·

وانا نودع باستقباله وماضمنه من اسلوب جديد وتشبيه رائق واستعارات فخمة ذلك الاسلوب الخيالي المحض في كتاب « كليلة ودمنة » وهو من تاريخ آداب المشرق بمثابة « لافونتين » من آداب المغرب كما ان غيرنا ودع بما عربه عبدالله بن المقفع كتاب « الف ليلة وليلة » واقاصيص « عنترة » الممزوجة بالابطال الخياليين بما كان بهاو بامثالها بدء نهضتنا الادبية القصصية كما كانت « الالياذة » باكورة نهضة الغرب في الآداب وفاتحة رقيهم وتقدمهم ·

وجدير بكبار ادبائنا العاملين وهم يرون الغرب كل يوم يخطو خطوات واسعة نحو

الحقائق ان يقنفوا آثار مذهب الحقيقيين باطراحهم مذهب الخياليين جانباً وان يطيلوا الفكر والتنقيب فيستبدلوا الاحياء بالاموات و يستعيضوا بالارواح عن الاشباح وكفى .

٣

موضوعه

قسم المنفلوطي كتابه الى عشرة فصول : (١) الرسائل العلمية (٢) الرسائل الادبية (٣) الرسائل الاخلاقية (٤) الرسائل الاجتماعية (٥) الرسائل السياسية (٦) الرسائل الدينية (٧) الدهريات (٨) النسائيات (٩) الروايات (١٠) المراسلات . ويجب ان نذكر هنا قبل كل شيء ان المنفلوطي لم يحسن تبويب الكتاب فقد ذكر مقالة « افـدك قومك » في الرسائل « الاخلاقية » وكان الاولى ان تكون في « الرسائل الاجتماعية » كما انه ذكر مقالة « مدرسة الغرام » [١] وفي « سبيل الاحسان » [٢] في الثانية في حين يقتضي ان تكون من موضوعات الاولى . وانت اذا اردت ان تنزل هذا الكتاب المنزلة الخليق بها من حيث علاقته بالعلم والاجتماع والسياسة والاخلاق رأيته يضرب في الاخير منها بسهم وافر ويجري منه على عرق .

تقرأ روح الاخلاق في مقالة الكأس الاولى و« اين الفضيلة » و « الغني والفقير » و « عبرة الدهر » و « مدينة السعادة » و « الرحمة » و « الصدق والكذب » و « الانصاف » وتراه ايضاً يتعرض للموضوعات الاجتماعية فلا يلم بالبحث فيها من عامة اطرافها على حين تستدعي درساً يسلب المرء فيه قراره ليسقط الناظر فيها على حقيقة ناصعة او علم جم او فكر جديد .

يدلك على هذا بحثه عن المجرم في مقالة « افـدك قومك » [٣] فانا لاننكر عليه انه ذكر فيه مايفهم منه انه يحمل الذنب على المجتمع البشري وعلى التربية الاولى وعلى القانون والى غير ذلك شأن كثيرين ممن قاموا اليوم في اوربا يحامون عن المجرمين ويعدونهم كالبائسين يستحقون الرحمة و يطلبون تعديل القانون الجائر لتخفيف ماينزل بهم من الويل والثبور . ولو كان المنفلوطي من كتاب الحقائق لتوسع في هذا المبحث وقرأ ما كتبه الاطباء في هذه المسأله لتتم الفائدة

ثبت مؤخراً بعد الفحص الطبي [٤] ان للجناة من نقص ملكاتهم المادية والادبية استعداداً لما يوقعونه من الجنايات منذ زمن مديد . وقد فحص « بنديكيت » احد

(١) ص — ٢٦٥ (٢) ص — ١٩٢ (٣) ص — ٧٦ (٤) المصنفون والمصنفات .

مشهوري اطباء فينا ادمغة كثير بن ممن يقترفون الجنايات الكبرى فوجدها بأسرها موءوفة غير تامة التركيب ، وهذا الرجل يعد الجنون والجناية صنوان . ويرى رأيه هذا الدكتور « بوردي » الفرنسوي وقد بحث في ادمغة ستة وثلاثين جانياً حكم عليهم بالاعدام فرأى الناحية الجبهية مصابة والناحية الجدارية واسعة جداً . وهذا يدل على نقص القوة العاقلة والشعور والميل الى الحنق والنزق . وقد نظر « غاروفالو » احد مشاهير علماء الجزاء في ايطاليا في الجناة فلم يجد واحداً منهم خلواً من امارات مادية وادبية تحكي الانسان الاول .

وماظهر من الحقائق الجديدة من امثال هذا الاستقراء والاستقصاء هو موضوع الرأي العام في اوربا في شأن تنظيم الجزاء حتى نشأ عن هذه التجارب الطبية علم جديد يسمى « علم الجرائم البشرية — آنترو بولوجي كريمينل » وكان للايطاليين اليد الطولى في خدمة هذا الفن الجليل

نال المنفلوطي من المدنية الغربية في كلامه عليها مالا ارضاه ولا يرضاه له كل من درسها حق دراستها وبحث فيها بحث العالم المتجرد عن المؤثرات دينية كانت او قومية لابحث خطيب او اديب اوشاعر او واعظ مرشد داع الى وطنية او اخلاق .

وردد في قوله هذا كلام ثلة من حملة الاقلام ممن لهم من اخلاقهم عصبية قومية اونعرة شرقية وسواء عندي كان قولهم هذا بدافع الوطنية او الدعوة الى احياء آثار مجد لنا دثرت معالمه اوالاحتفاظ بما ابقى لنا آباؤنا من تراث عاداتنا خشية ان يخالطها الضعف اوتمازجها لوثة من لوثات الفساد فينشأ ناشئهم وقد انحل من وطنيته كما انحل من دينه وداخل الفساد اخلاقه كما اصاب عاده ومنازعه

واني اشاركه في كل ماجاء في تلك المقالة الا في قوله : « ان دعوناهم الى الحضارة فلنضرب لهم مثلاً بحضارة بغداد وقرطبة وثيبة وفينيقية لابباريس وروما وسويسرا ونيويورك ، وان دعوناهم الى مكرمة فلنسرد عليهم آيات الكتب المنزلة واقوال انبياء المشرق وكلماته لاآيات روسو وباكون ونيوتون وسبنسر ، وان دعوناهم الى حرب ففي تاريخ خالد بن الوليد وسعد ابن ابي وقاص وموسى بن نصير وصلاح الدين مايغنينا عن تاريخ نابوليون وونجيثون وواشنطون ونلسون وبلوشر (بلوخر) ، وفي وقائع القادسية وافريقية والحروب الصليبية مايغنينا عن وقائع واترلو وترافلغار واوسترليتز والسبعين »

هذا ماكتبه المنفلوطي الى ابناء القرن العشرين من المشارقة وهو يريد ان يربوا

تربية مدنية عملية يصدون بها غارات الاجانب التي يشنونها عليهم من كل صوب وأوب وهذا هو السلاح الذي يحمل الشبيبة المصرية عَلَى ان يتسلحوا به ليقاتلوا اعداء الوطنية ويخرجوا من ديارهم من ابتزوا اموالهم وغلبوهم عَلَى امرهم وكل يوم يرشونهم بسهام التعصب والطيش

من الحكمة ان يدعو القائم بالاصلاح الى قومية او وطنية لكن بدون ان يزدري مدنية الامم الاخرى الناهضة و يعمل عَلَى الحطمنها وهم الذين بها وطدوا دعائم استقلالهم ورفعوا منار مجدهم وسؤددهم

وما ادري كيف تقوم لنا نحن معشر المشارقة قائمة اذا اقتصرنا عَلَى ما اورثناه من المناحي والمنازع واقبلنا عَلَى الاخذ بما ابقاه لنا آباؤنا الاولون من الآثار فقط بدون ان نمعن النظر في آداب رجال الغرب واخلاقهم وعاداتهم وتاريخهم و بالجملة نقف عَلَى سر تقدمهم ولا اعلم لاي غرض نعنى بارسال البعثات العلمية الى البلاد الاوربية وننادي عَلَى رؤوس الاشهاد ان هذا هو الذي يحقق لنا الامل في المستقبل اذا لم يكن المقصد منه درس تاريخ نابوليون وولنجتون وواشنطون ونيلسون و بلوخر ووقائع واترلو وترافلغار واوسترليتز والسبعين او انتيل حتى نروى من آداب روسو و باكون وزولا والفريد دوموسه او انتبطن اسرار فلسفة ديكارت و باكون ونيوتن وسبنسر وغيرهم ٠

ويجب ان لايغرب عن الاذهان ان ماتوفر لقواد المغاربة من الاسباب والوسائل في بيئتهم و بين بني جنسهم وما كان يجول في خواطرهم من الاماني التي كانت المصالح تدفعها للانبعاث الى حيز الوجود غير ما توفر لقواد المشارقة من العرب وغيرهم عَلَى اقتحام غمرات الردى في سبيل الدفاع عن الحمى وهذا مايدعو لاختلال التوازن في الدهاء السياسي في الفريقين بما يتذرع به من الحيل الحربية والدسائس في مثل هذه الاحوال للنظر في كتاب الغيب وقراءة مستقبل الامم فيه مما ينجم عنه ما نراه من الاختلاف في نتائج الحروب والمعارك نصراً كان او خذلانا

وسواء صحت نظرية من زعموا ان من دواعي سقوط الدولة العربية جهل الامة بتاريخ اليونان والرومان اولم تصح فأن فيها حقيقة لا اخالها تخفى عَلَى امثال الاستاذ المنفلوطي ٠ واذا اتخذنا هذه النظرية اصلا جاز لنا ان نبشر مساعينا بالاخفاق والحبوط ونحكم عَلَى حياتنا الاجتماعية والسياسية بالانحلال والاختلال في مستقبل الايام اذا قادنا الجهل الى ان نحرم عَلَى انفسنا الوقوف عَلَى سر استبحار عمرانهم وانبساط ظلال مدنيتهم في طول البلاد وعرضها فنحرم من الاستمتاع بعلومهم وآدابهم ٠

ولو كان قوله هذا درساً يلقي عَلَى صغار العقول من الطلبة الاطفال ليطبعهم بطابع حب الوطن و ينشأوا وهم يفادون في سبيله بالنفس والنفيس لما أوخذ بقدر ما يؤآخذوهو في موقف ودع فيه — كما قال عن نفسه — « الخيال والشعر وداع من يعلم ان الامر اعظم شأناً واجل خطراً من ان يعبث به العابث بامثال هذه الطرائف التي هي بالهزل اشبه منها بالجد والتي انما يلهو بها الكاتب في مواطن فراغه ولعبه لا في مواطن جده وعمله »

الا فليعلم الكاتب ان في الغربيين من العادات ماهو خليق بنا نحن الشرقيين ان نغتبط به ونأخذ بالنافع الرافع منه والرجاء ان لا يظن باننا بما نكتبه الآن نخدع الامة عن نفسها اونفسد عليها شرقيتها بتزيننا لها هذه المدنية تزييناً يجمع الى استقلالها النفسي استقلالها الشخصي فلشد وايم الحق مانكون محتفظين بعاداتنا العربية الشرقية وآدابنا ولكن ما نراه من تيار المدنية الغربية يريدنا عَلَى مجاراتها شئنا ام ابينا فان لم نعد لها عدتها ولم نسر معها جنباً الى جنب دحرتنا وربما اوردتنا موارد الهلكة غير حافلة بنا ولا آسفة علينا ·

ومما انكره عليه ايضاً تعرضه في مقالة الحساب [1] لولي عقله واستاذه رجل الاسلام الشيخ محمد عبده ورجل المرأة قاسم بك امين · ولو اقتصر عَلَى ذكر (المحسن) وذلك الرجل الذي كان في حياته يتخذ في اعماله مايسمونه (الحيل الشرعية) وذلك (القطب) الذي كان اكبر تاجر من تجار الدين — لواقتصر عَلَى هؤلاء لكان احسن صنعاً · وجل ماآخذبه الاول هو انه « فاجأ جهلة المسلمين بما لايفهمون من المبادئ الدينية الصحيحة والاغراض الشريفة فأرادوا غير ماأراد وفهموا غير مافهم · وهذا ماد عاالى الحادهم (!) ومروقهم من الدين (!) بعد ان كانوا مخرفين وانه اول لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة حتى اولوا الملك والشيطان والجنة و بين لهم حكم العبادات واسرارها وسفه لهم رأيهم في الاخذ بقشورها دون لبابها فتركوها وانه قال لهم ان الولي اله باطل وانما اله حق فأنكروا الالوهية حقها وباطلها »

« يتبع »

دمشق : صلاح الدين القاسمي

(١) ص — ١٠٦

اخبار العلماء باخبار الحكماء

من الكتب الجيدة في التراجم هذا الكتاب للوزير جمال الدين ابي الحسن علي القفطي من اهل القرن السابع طبع اولا في ليبسيك واعيد طبعه في القاهرة فتداولته الايدي وعم الانتفاع منه كما عم من قبل بكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء [1] لموفق الدين ابي العباس احمد المعروف بابن ابي أصيبعة من اهل ذاك القرن الا ان كتاب اخبار الحكماء مال فيه صاحبه الى الاختصار حتى جاء في نحو نصف طبقات الاطباء وان كان زاد عليه بضع تراجم لان المترجمين في كلا السفرين النفيسين تجاوزوا الاربعمائة

سرد ابن القفطي اسماء مترجميه على حروف المعجم بحسب تقادم عهدهم بخلاف ابن ابي أصيبعة الذي اتى بالتراجم بحسب الاقطار ثم بحسب ـني ولاداتهم ولم يشبع الاول الكلام الا في بعض الاشخاص وربما اوجز في الاحايين ايجازاً لا يكاد يقع فيه ابن ابي أصيبعة الا نادراً والغالب ان هذا وقف في جملة ما وقف عليه من الكتب كتاب القفطي فاستعان به وزاد عليه لان هذا توفي سنة ٦٤٦ في حلب وابن ابي أصيبعة توفي سنة ٦٦٨ في صرخد من بلاد الشام ولا يعقل ان يكون رجلان متعاصرين ولا يطلع احدهما على مايكتبه الآخر فقد نرى بعض التراجم بالحرف الواحد في الكتابين ولعل المصادر التي اخذ عنها المؤلفان كانت واحدة فجاءت بعض تراجم مترجميهم بعبارة واحدة

ومع ان ابن القفطي اشتهر بانه من كبار غلاة الكتب [2] وهو ذو ثروة واسعة وفي منصب الوزارة نرى ابن ابي أصيبعة وهو من طبقة الاطباء في عصره يهدي كتابه الى احد وزراء دمشق ومع هذا نقرأ فيه سعة المادة المدهشة ولكن المتأخر قد يفوق المتقدم ولا عبرة بتقادم الميلاد كما لا عبرة باختلاف البلاد اذا كان الترقي فيها علماً

وهنا لا بأس بايراد طرف من ترجمة صاحب اخبار الحكماء زيادة في البيان فهو [3] علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد بن موسى وزير حلب القاضي الاكرم الوزير جمال الدين ابو الحسن بن القفطي احد الكتاب المشهورين وكان ابوه القاضي الاشرف كاتباً ايضاً ولد بقفط من الصعيد الاعلى بالديار المصرية واقام بحلب وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والاصول والمنطق والنحو والهندسة

(١) المقتبس م ٣ ص ٧٢٠ (٢) المقتبس م ٢ ص ٥٦٩ (٣) فوات الوفيات

والتاريخ والجرح والتعديل ولد سنة ستين وخمسمائة وتوفي سنة ست واربعين وستمائة وكان صدراً محتشماً كامل السؤدد وجمع من الكتب الا يوصف وقصد بها من الآفاق وكان لايحب من الدنيا سواها ولم يكن له دار ولا زوجة واوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين الف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب وهو اخو المؤيد ابن القفطي ومن شعره

ضدان عندي قصرا همتي وجه لحيي ولسان وقاح
ان رمت امراً خانني ذو الحيا ومقول يطمعني في النجاح
فانثني من حيرة منهما لي مخلب ماض ومالي جناح
شبه جبان فرّ من معرك خوفاً وفي يمناه عضب الكفاح

وله من التصانيف كتاب الضاد والظاء وهو مااشتبه في اللفظ واختلف في المعنى والخط . كتاب الدر الثمين في اخبار المتيمين . كتاب من الوت الايام عليه فرفعته ثم الوت عليه فوضعته . كتاب اخبار المصنفين وماصنفوه . كتاب اخبار النحويين كبير كتاب اخبار مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين ست مجلدات كتاب اخبار المغرب كتاب تاريخ اليمن كتاب المحلى في استيعاب وجوه كلا . كتاب اصلاح خلل صحاح الجوهري كتاب الكلام على الموطا لم يتم كتاب الكلام على صحيح البخاري لم يتم تاريخ محمود بن سبكتكين وبقية كتاب تاريخ السلجوقية كتاب الاستئناس في اخبار آل مرداس كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم كتاب مشيخة تاج الدين الكندي كتاب نهزة الخاطر ونزهة الناظر في احاسن من ظهور الكتب اه .

وعلى ماتوخى ابن القفطي من الاختصار في التراجم تسقط فيه على امور كثيرة وفوائد غزيرة خصوصاً وان من الرجال من ترجمهم هو وحده ومنهم من تفرد بهم ابن ابي أصيبعة ومنهم وهم الاكثر من اشتركا معاً في ترجمتهما مثل الذي نقله عن الخطيب امين الدولة ابو الحسن علي الاباني العثماني الاموي القفطي صاحب القاضي الاكرم قال : « وكان من اجمل من رأيت نباهة وفضلا وبلاغة ومشاركة قال ادركت جلة المشايخ من اجلاء بلادنا وهم مجمعون على ان الذي اردم اراضي اكثر قرى مصر واسس الجسورة المتوصل بها من قرية الى قرية في زمن النيل هو ارشيميدس فعل ذلك لبعض ملوكها وسببه ان اكثر القرى بمصر كان اهلها اذا جاء النيل تركوها وصعدوا الى الجبال المقابلة لها فاقاموا بها

الى ان يذهب النيل خوفاً من الغرق واذا اخذ النيل في النقص نزل كل قوم الى اراضيهم وشرعوا في الزرع فكان ماتطامن من الارض يمنعهم ما انحبس فيه من الماء عن الوصول الى ماعلا فلا يوصل اليه الا بعد جفافه فلا يمكن زرعه فيذهب بذلك فمل كثير ولما علم ارشميدس بذلك في زمنه قاس اراضي اكثر القرى التي على مايكون من النيل واردم ردوماً وبنى عليها القرى وعمل الجسورة مما بين القرى وفي اوساط الجسورة قناطر ينفذ الماء منها من ارض قرية الى اخرى فزرع كل واحد منهم الزرع في وقته من غير فوات ووقف من كل ضيعة ارضاً معينة يصرف مغلها في كل سنة الى اصلاح هذه الجسورة فهي الى الآن معلومة ولها ديوان مفرد بمصر يعرف بديوان مدن الجسورة وعليها احتراز كثير وعناية كثيرة واعرف وانا طفل وقد اضيفت هذه الجهة بالاعمال الشرقية من جوف مصر الى والدي رحمه الله نظراً وله نواب وضمان ومشدون وكان العمل فيها اتعب من جميع الاعمال اه»

ومثل قوله في ترجمة جالينوس الحكيم بان انطونيوس قيصر ملك اثنتي عشرة سنة وبنى مدينة ايليوبوليس وهي مدينة بعلبك اي اصلحها وقد قال في ترجمة سنان بن ثابت بن قرة الحراني مانصه : «وكانت منزلة سنان كبيرة عند الامراء والوزراء فمن ذلك ان الوزير علي بن عيسى بن الجراح وقع اليه في سنة كثرت فيها الامراض والاوباء توقيعاً نسخته : فكرت مد الله في عمرك في امر من في الحبوس وانهم لايخلون مع كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ان تنالهم الامراض وهم معوقون من التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الاطباء في امراضهم فينبغي اكرمك الله ان تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم ويحملون معهم الادوية والاشربة وما يحتاجون اليه من المزورات وتتقدم اليهم بان يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويريحوا عللهم فيما يصفونه لهم ان شاء الله تعالى . ففعل سنان ذلك ثم وقع اليه توقيعاً آخر : فكرت فيمن بالسواد من اهله وانه لايخلو من ان يكون فيه مرضى لايشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الاطباء فتقدم مد الله في عمرك بانفاذ متطببين وخزانة من الادوية والاشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ماتدعو الحاجة الى مقامهم ويعالجون فيه ثم ينقلون الى غيره . ففعل سنان ذلك وانتهى اصحابه الى سورا والغالب على اهلها اليهود فكتب سنان الى الوزير علي بن عيسى يعرفه ورود كتب اصحابه عليه من السواد بان اكثر من بسورا ونهر ملك يهود وانهم استأذنوا في المقام عليهم وعلاجهم

اوالانصراف عنهم الى غيرهم وانه لا يعلم بما يجيبه به اذ كان لا يعرف رأيه في اهل الذمة ومثله ان الرسم في بيمارستان الحضرة قد جرى للملي والذمي · فوقع الوزير توقيعاً نسخته : فهمت ما كتبت به اكرمك الله وليس بيننا خلاف في ان معالجة اهل الذمة والبهائم صواب ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم والمسلمين قبل اهل الذمة فاذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون اليه صرف في الطبقة التي بعدهم فاعمل اكرمك الله في ذلك واكتب الى اصحابك به ووصي بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الاوباء الكثيرة والامراض الفاشية وان لم يجدوا بذرقة توقفوا عن المسير حتى يصح لهم الطريق ويصلح السبيل فانهم اذا فعلوا هذا وفقوا ان شاء الله تعالى اه »

وفي هذه الرسائل الثلاث نموذج مهم من الكتابة الرسمية في اوائل مدة العباسيين ودليل على مابلغته الحضارة في عهدهم ايام كان الطب من جملة مايعنى به حتى ان سنان ابن ثابت احصى الاطباء في بغداد ولم يرخص لاحدهم ان يطبب الا اذا اخذ شهادة بكفاءته وكذلك فعلوا مع الصيادلة حتى لا تؤتى الامة من جهة طب ابدانها كما حاذر الخلفاء ان لا تؤتى من قبل اديانها ·

وكما تجد المحاسن ماثلة في اخبار الحكماء ترى المساوئ كذلك كالذي ذكره في ترجمة عبد السلام بن عبد القادر الجيلي المعروف بالركن قال : « كان عبد السلام هذا قد قرأ علوم الاوائل واجادها واقتنى كتباً كثيرة في هذا النوع واشتهر بهذا الشأن شهرة تامة وله تقدم في الدولة الامامية الناصرية وحصل له بتقدمه حسد من ارباب الشر فثلبه احدهم بانه معطل وانه يرجع الى اقوال اهل الفلسفة في قواعد هذا الشأن فاوقعت الحفظة عليه وعلى كتبه فوجد فيها الكثير من علوم القوم وبرزت الاوامر الناصرية باخراجها الى موضع ببغداد يعرف بالرحبة وان تحرق بحضور الجمع الجم منها ففعل ذلك واحضر لها عبيد الله التيمي البكري المعروف بابن المرستانية وجعل له منبر صعد عليه وخطب خطبة لعن فيها الفلاسفة ومن يقول بقولهم وذكر الركن عبد السلام هذا بشر وكان يخرج الكتب التي له كتاباً كتاباً فيتكلم عليه ويبالغ في ذمه وذم مصنفه ثم يلقيه من يده لمن يلقيه في النار اه »

ومثلما نقله من الفقرة في ترجمة موسى بن ميمون الاسرائيلي الاندلسي لما نادى عبد المؤمن بن علي الكومي البربري المستولي على المغرب في البلاد التي ملكها باخراج النصارى منها وقدر لهم مدة وشرط ان اسلم منهم بموضعه على اسباب ارتزاقه ما للمسلمين وعليه ما

عليهم ومن بقي عَلَى رأي اهل ملته فاما ان يخرج قبل الاجل الذي اجله واما ان يكون بعد الاجل في حكم السلطان مستهلك النفس والمال

ومما ذكره وهو مايدل عَلَى اتساع ثروة العرب (١) في ترجمة بني موسى بن شاكر محمد واحمد والحسن من ان محمداً صار بآخرة من وجوه القواد الى ان غلب الاتراك عَلَى الدولة وذهبت دولة اهل خراسان وانتقلت الى العراق فعلت منزلته واتسع حاله الى ان كان مدخوله في كل سنة بالحضرة وفارس ودمشق ونحوها نحو اربعمائة الف دينار ومدخول احمد اخيه نحو سبعين الف دينار . فتأمل مبلغ هذه الثروة

ومما نقتبسه من هذا الكتاب انموذجاً عَلَى درجة الحضارة في القرن الخامس ما نقله من كتاب كتبه المختار بن الحسن بن عبدون الحكيم الطبيب البغدادي المعروف بابن بطلان من نصارى كرخ بغداد الى الرئيس هلال بن الحسن بن ابراهيم ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . انا لما اعتقده من خدمة سيدنا السيد الاجل اطال الله بقاءه وكبت اعداءه دانياً وقاصياً وافترضه من طاعته مقيماً وظاعناً اضمرت عند وداعي حضرته العالية وقد ودعت منها الفضل والسؤدد والمجد والفخر والمحتد ان اتقرب اليها واجدد ذكرى عندها بالمطالعة مما استطرفه من اخبار البلاد التي اطرقها واستغربه من غرائب الاصقاع التي امكنها خدمة للكتاب الذي هو تاريخ المحاسن والمفاخر وديوان المعاني والمآثر ليودعه ادام الله تمكينه منها مايراه ويلحق ما يستوفقه ويرضاه وعَلَى ذكره فما رأيت احداً بمصر وهذه الاعمال اكثر من الراغب فيه وكل رئيس في هذه الديار متشوق اليه متشوف ولوصوله مترقب متوقع ولو وصلت منه نسخة لبلغ الجالب لها أمنيته في ربحها ونفعها والى الله تعالى ارغب في نشر فضيلته الباهرة ومحاسنه الزاهرة بجوده . وكنت خرجت من بغداد وبدأت بلقاء مشايخ البلاد وخواصها واستملاء ماعندهم من آثارها وعجائبها فذكر لي اخبار مستطرفة وعجائب غريبة واقطاع من الشعر رائقة ولضيق الوقت وسرعة الرسول اضربت عن اكثره واقتصرت على اقله وكنت خرجت على اسم الله تعالى وبركته مستهل شهر رمضان سنة اربعين واربعمائة متصداً في نهر عيسى عَلَى الانبار ووصلت الى الرحبة بعد تسع عشرة رحلة وهي مدينة طيبة وفيها من انواع الفواكه مالايحصى وبها تسعة عشر نوعاً من الاعناب وهي متوسطة بين الانبار وحلب وتكريت والموصل وسنجار والجزيرة وبينها وبين قصر الرصافة مسيرة اربعة ايام ورحلنا

(١) المقتبس م ٢ ص ٤٥٣

من الرصافة الى حلب في اربع رحلات وهي بلد مسور بالحجر الابيض فيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيستان وفي احداهما مكان المذبح الذي كان يقرب عليه ابراهيم عليه السلام وفي اسفل القلعة مغارة كان يخبأ فيها غنمه واذا حلبها اضاف بلبنها الناس فكانوا يقولون حلب ام لا و يسأل بعضهم بعضاً عن ذلك فسميت حلب وفي البلد جامع وست بيع و بيمارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية وشرب اهل البلد من صهاريج وعلى بابه نهر يعرف بقويق يمد في الشتاء و ينضب في الصيف وفي وسط البلد علوة صاحبة البحتري وهو قليل الفاكهة والبقول والنبيذ الا ماياتيه من الروم (الاناضول) وما بحلب موضع خراب ومنه خرجنا من حلب طالبين انطاكية وبين حلب و بينها يوم وليلة فبتنا في بلدة للروم تعرف بعم فيها عين جارية يصاد منها السمك و يدور عليها رحا وفيها من الخنازير والنساء العواهر والزنا والخمور امر عظيم وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه سراً والمسافة التي بين حلب وانطاكية ارض مافيها خراب اصلا الا ارض زرع للحنطة والشعير بجنب شجر الزيتون وقراها متصلة ورياضها مزهرة ومياهها متفجرة وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفيصل ولسوره ثلثمائة وستون برجاً يطوف عليها بنوبة اربعة آلاف حارس ينفذون من القسطنطينية من حضرة الملك فيضمنون حراسة البلد سنة و يستبدل بهم في الثانية وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل والسور يصعد من الجبل الى قلته ويستتم دائرة و في رأس الجبل داخل السور قلعة تبين لبعدها من البلد صغيرة وهذا الجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها الا في الساعة الثانية وللسور المحيط بها دون الجبل خمسة ابواب وفي وسطها قاعة القسياني وكانت دار قسيان الملك الذي احيا ولده بطرس رئيس الحواريين وهو هيكل طوله مائة خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين ودائر الهيكل اروقة يجلس فيها القضاة للحكومة ومعلمو النحو واللغة وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فنجان الساعات يعمل ليلاً ونهاراً دائماً اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا وفي اعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمامات و بساتين ومقاصير حسنة وتخر منها المياه وهناك من الكنائس مالايحد كثرة كلها معمولة بالفص المذهب والزجاج الملون والبلاط المجزع وفي البلد بيمارستان يراعي البطريك المرضى فيه بنفسه وفي المدينة من الحمامات مالا يوجد مثله في مدينة من اللذاذة والطيبة فان وقودها من الآس وماؤها سيح وفي ظاهر البلد

نهر يعرف بالمقلوب يأخذ من الجنوب الى الشمال وهو مثل نهر عيسى وخارج البلد دير سمعان وهو مثل نصف دار الخليفة يضاف فيها المجتازون يقال ان دخله في السنة اربعمائة الف دينار ومنه يصعد الى جبل اللكام وفي هذا الجبل من الديارات والصوامع والبساتين والمياه المتفجرة والانهار الجارية والزهاد والسياح وضرب النواقيس في الاسحار والحان الصلوات مايتصور معه الانسان انه في الجنة . وفي انطاكية شيخ يعرف بابي نصر بن العطار قاضي القضاة فيها له يد في العلوم مليح الحديث والافهام وخرجت من انطاكية الى اللاذقية وهي مدينة يونانية ولها ميناء وملعب وميدان للخيل مدور وبها بيت كان للاصنام وهو اليوم كنيسة وكان في اول الاسلام مسجداً وهي راكبة البحر وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه واذان في اوقات الصلوات الخمس وعادة الروم اذا سمعوا الاذان ان يضربوا الناقوس وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم . ومن عجائب هذا البلد ان المحتسب يجمع القحاب والغرباء المؤثرين للفساد من الروم في حلقة وينادي على كل واحدة منهن ويتزايد الفسقة فيهن لليلتها تلك ويؤخذن الى الفنادق التي هي الخانات لسكنى الغرباء بعد ان تأخذ كل واحدة منهن خاتما هو خاتم المطران حجة بيدها من تعقب الوالي لها فانه متى وجد خاطياً مع خاطية بغير ختم المطران الزمه جناية . وفي البلد من الحبساء والزهاد في الصوامع والجبال كل فاضل يضيق الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم واذهانهم اه . »

وبعد فان تاريخ القفطي من الكتب التي اجاد فيها مصنفها حريٌّ بان يستفيد منه كل متأدب ومتعلم ويرجع اليه كل عالم ومؤرخ سلس العبارة جميل المأتى ينقل الامور على علاتها في الاكثر بدون تمحيص لها او ابداء رأي فيها وابن ابي أصيبعة يفوقه في رد كل قول الى قائله وضبط الاعلام والتدقيق في التواريخ واخبار الرجال وذكر شذور من شعرهم ونثرهم والكتابان كفرسي رهان او كالسلسلة المفرغة لاندري اين طرفاها

الصحف والنجاح

للنجاح في الاعمال اسباب كثيرة منها ماهو مادي ومنها ماهو معنوي اذا اختل احدها تعذر النهوض بالشق الآخر · وانشاء الجرائد والمجلات لايخرج عن هذا الحد المقرر وهل في الارض عمل لايحتاج الى علم وتجارب ومال واستعداد · ولطالما رأينا مصر في الثلاثين سنة الاخيرة والشام في عهدها الدستوري الجديد وغيرهما من الاقطار والامصار التي يتكلم اهلها بالعربية تتجرأ على اصدار الصحف بدون حساب ولاروية وادركنا العامة اجرأ من الخاصة على اقتحام هذا المركب الصعب وليس لديهم في الاغلب من وسائط النجاح كبير امر فلا يلبث ماينشئون ان يظهر الى الوجود حتى يختفي اضطراراً لااختياراً · وهذا هو السبب في تعدد الجرائد وقصر اعمارها واشمئزاز الناس منها اذ توهموها بما تمثل لهم من حال بعض من اقدموا عليها آلة للتكسب والتدجيل لااداة للوعظ والارشاد والتعليم

مارأينا صناعة من الصناعات استسهل الناس امرها كالصحافة فلم يعهد معلم في التجارة اوالحدادة اوالبناء او الهندسة يحترف هذه الحرف بدون سابق ممارسة ويتصدر للاعتياش منها وهو لايعرف من اسرارها سراً ولكن فن الصحافة في هذه الديار الذي يتوقف النجاح فيه على اسباب كثيرة اهمها العلم والتجربة والمال قد رأينا اناساً من الاغمار يدعونه بدون خشية واكثرهم لايعرفون قراءة الجرائد والمجلات دع عنك تأليفها واصدارها

كان جمهور الناس الى عهد قريب يشارك الاطباء في طبهم فترى الكبير والصغير اذا عرض لهما مريض من خاصتهما ومعارفهما لايتوقفان في وصف علاج يشفيه مدعيين ان ذلك من مجرباتهما او مجربات اصحابهما ولما كثر الاطباء واستنارت الامة بعض الشيء خفت هذه العادة في التعدي على الاطباء في طبهم الا عند الطبقة الجاهلة اما الصحافة فيدخل فيها بالفعل اناس ليسوا منها وليست منهم ويصفون للامة ادوية تقيها الاسواء والارزاء والادواء ويعترضون على العالمين والحاكمين والسلاطين بلا خشية ولاحياء كأن طب الارواح ليس اصعب من طب الاشباح اوكأن الصحافة من العلوم اللدنية لا الكسبية يتعلمها المرء بالذوق وتوحى اليه ايحاء ·

من اجل هذا احتقرت الامة الصحافة لما رأت من ضعف كثير من ادعيائها في اخلاقهم ومعارفهم ممن شانوا اسمها وعبثوا بجمالها تذرعاً الى مطمع ينالونه وصيت بالباطل يحصلونه ومقام عال يتزلونه · نعم لم تشهد العطار بيطاراً ولا الاسكاف نجاراً

ولا الحطاب رساماً ولا الفحام نظاماً ولا الجوهري حجاماً ولكن شهدنا الفلاح صحافياً والمتشدق مؤلفاً والثرثار محامياً والمكثار خطيباً كما نشهد الاغبياء قد يحاولون بلوغ درجات الاذكياء والفقراء يقلدون الاغنياء

بيد ان سنن الفطرة التي لا تغالب ونظام هذا الكون البديع الذي قلما اختل يعاقبان المعتدي على ما لا يعلم بما جنته يداه كما قيل في الامثال الافرنجية كل خطاء يحمل عقوبته فيه · وندر جداً في الناجحين من تيسر لهم الوصول الى ما وصلوا اليه الا باتخاذ الذرائع المنجحة ونسج حلل مجدهم بايديهم

رأينا كثيراً ولا سيما في مصر والشام اتصلوا بالصحافة وانفقوا ثرواتهم في سبيلها فلم ينجحوا في مساعيهم ورجعوا بعد العناء الطويل وخسارة المال صفر الايدي خائبين لان مائدة العلم لا يجلس اليها طفيلي ولان التمويه ان صعب في عمل فهو في الاعمال العلمية اصعب ·

من ذلك رجلان اثنان صرف احدهما في تأسيس الجرائد بضعة الوف من الجنيهات والآخر بضع مئات من الليرات وبعد العمل سنين ومحاولة النجح ولو بالتلون في المبادئ وقلب الحقائق وتقبيح ما يستحسن واستحسان ما يستهجن والظهور في مظهر المصلحين الغيورين بعد كل هذا اضطرا الى الرجوع ادراجهما ولو كانا صرفا ربع ما بذلاه في هذا السبيل على درس فن الصحافة على اصوله وتلقناه كما تلقن الصناعات المهمة ويدرب عليها المشتغلون بها لكان النجاح مضموناً لا محالة ·

ولقد شاهدنا عياناً ان معظم الصحف التي كتب لها البقاء في هذين القطرين الشقيقين خاصة هي التي قام باعبائها اناس متعلمون تخرجوا في الكتابة وتدربوا في السياسة وتذوقوا لمخالطة من العلوم التي لا يسع صاحب جريدة ومجلة جهلها · ومعظم من لم يحالفهم ما يسمونه بالتوفيق اخفقوا لاسباب ناشئة من ضعفهم وقلة معارفهم في صناعة يلزمها ما يلزم لكل صانع من الادوات ان لم نقل انها تتوقف على ادوات اكثر ·

وهنا مجال لان تنصح للشبان المتهوسين في الكتابة الراغبين في الشهرة ان لا يقدموا على الدخول في معترك الصحافة والسياسة والآداب قبل ان يستتموا ادواتها او يستعدوا لها او يتخرجوا بها مدة فالاجادة في مقالة يكتبها كاتبها في ايام وربما عاونه غيره في تلقين موضوعها وتقويم اصولها وفروعها لا يتأتى منه الاجادة في كل موضوع ودعوى كل علم · والنشر

والطبع مما ترغب فيه النفس والنفس غالباً تميل الى نيل المحمدة والذهاب بفضل الشهرة والعاقل على اي حال من اتهم نفسه وحاسبها ولو يسيرا حتى لايكون كل من يخط سطرين مغروراً بهما كمن هو بابنه و بشعره ،فتون . و بعد فان قانون المطبوعات العثمانية الجديد يقضي عَلَى من يصدر جريدة او مجلة ان يحسن الكتابة باللغة التي يصدر بها صحيفته ليعلم مايكتب فيها ولو كان قومنا يبالغون في انتقاء الرجال للاعمال لوضع في قانوننا بند يلزم كل من تصدر لمعاناة صناعة القلم ان يمتحن في الفن الذي يخوض عبابه كما يمتحن المتطببون والصيادلة فانشاء الصحف ان لم يكن احق بالعناية من معرفة الامراض والعلل والعقاقير فلا اقل من ان يكون عَلَى مستواها فكم من جاهل قتل نفساً زكية ومن صحافي جرع قراءه السم الزعاف عَلَى حين ينتظر منه الترياق النافع

سير العلم والاجتماع

الجرائد في سلانيك

يكي عصر — جريدة تركية يومية تصدر بعد الظهر أسست قبل خمس عشرة سنة وكانت تسمى «عصر» الى ان جاءت الحرية فزادت كلمة يكي بمعنى جديد فصارت يكي عصر . تبيع في يومها مقدار ثلاثة آلاف نسخة

روم ايلي — جريدة تركية يومية أسست هذه السنة ولها من المشتركين ،مقدار ستمائة وتبيع خمسمائة تقريباً فيكون ماتصرفه مقدار الف ومائة ولسوف تروج سوقها لاسباب لانريد ذكرها

زمان — جريدة تركية يومية أسست بعد اعلان الدستور بقليل ثم عطلت ثم نشرت قبل ايام قلائل ولذلك لانعلم مقدار ماتصرفه عَلَى اني ولو عرفته فلا يتخذ مقياساً لانها بنت عشرة ايام .

سلاح — جريدة تركية تصدر الاثنين والاربعاء والسبت ثلاث مرات في الاسبوع ولا يبعد ان تصير يومية يباع منها في البلدة مقدار الف نسخة ويرسل الى مشتركيها الف وخمسمائة فيكون مجموع ماتطبعه (٢٥٠٠)

مأمورين — جريدة تركية تصدر في الاسبوع مرتين تخص المأمورين فقط كما يظهر من اسمها

باغچه (جنينة) — مجلة سياسية ادبية اجتماعية تنشر بالتركية في كل نصف شهر مرة وثمنها قرش واحد ، قليلة الفائدة قليلة الراغب تحتوي على ١٦ صفحة

حسن وشعر — مجلة تركية تصدر كل خمسة عشر يوماً مرة لاطلاوة لآدابها الا ماقل وثمنها قرش واحد

وطنداش — جريدة تركية تنشرها جمعية الاتحاد والترقي ترسلها الى اهل القرى مجاناً تصدر كلما اقتضى الحال . وهذه الجريدة تبحث عن الاتحاد والترقي خاصة بلسان يفهمه القروي وفيها من المواد ماينفع القروي في حقله وزرعه .

فاروس تيس ثسالونيكيس (منار سلانيك) — جريدة رومية يومية أسست سنة ١٨٧٤ ميلادية تبيع في سلانيك مقدار ستمائة نسخة ولها من المشتركين مقدار سبعمائة فيكون المجموع ١٣٠٠

آستير (النجم) — جريدة رومية يومية أسست هذه السنة تبيع الفاً في سلانيك وترسل لمشتركيها الفاً فيكون المجموع (٢٠٠٠)

فونوبي (البرغش) — جريدة رومية اسبوعية اصفها منظوم وهو القسم الاول حتى العنوان وشرائط الاشتراك ونصفها منثور وكلها هزل أسست قبل سنة ويباع منها الف نسخة

نه آ اليثيا (الحقيقة الجديدة) — جريدة رومية يومية أسست سنة ١٩٠٣ ميلادية باسم اليثيا (حقيقة) ثم بعد الدستور ضم لها نه آ (جديد) .

يباع منها في سلانيك الف وخمسمائة مع مشتركيها في هذه البلدة ويرسل لمشتركيها فى الاطراف الفان وخمسمائة فيكون ماتصرفه ٤٠٠٠

بفلوس (ب بدل ف) (سهم) — جريدة رومية أسبوعية هزلية أسست هذه السنة تبيع مقدار الف نسخة

ابوكا (زمان) — جريدة يهودية (*) يومية أسست سنة ١٨٧٣ ميلادية ولها من المشتركين في سلانيك ستمائة وتبيع فيها مقدار الف وخمسمائة ومشتركوها في الاطراف سبعمائة فيكون مجموع ماتصرفه ٢٨٠٠

(*) لسان اليهود في سلانيك لسان الاسبانيين وحروفهم قريبة من العبرانية وليست هي .

الامبرسيال l'impartial — جريدة اسرائيلية يومية . أسست سنة ١٩٠٨ ميلادية تبيع مقدار الف نسخة

قرباج (سوط) — جريدة يهودية اسبوعية هزلية أسست هذه السنة فنالت رغبة الناس جميعهم ولذلك تبيع مقدار ستة آلاف نسخة

الآونير (المستقبل) — جريدة يهودية تصدر يوم الاثنين والاربعاء والجمعة تبيع مقدار الف نسخة . أنشئت قبل ثلاث سنوات

ره ويانا بوبولار (مجلة العوام) — مجلة يهودية اسبوعية تنشر في ادارة ما قبلها وترسل معها يوم الجمعة .

و بوقوز بكو (شيطان) — جريدة يهودية أسبوعية هزلية لم تنل الرغبة مثل اختها قرباج

لاناسيون (الامة) — الاسم افرنسي ولكنها جريدة يهودية اسبوعية يباع منها مقدار الف نسخة

لاتريبوناليبر (المحكمة الحرة) — جريدة يهودية اسبوعية يباع منها مقدار الف نسخة .

جورنال دوسالونيك (جريدة سلانيك) — جريدة افرنسية محررها اسرائيلي أسست قبل ١٥ سنة تصدر الاحد والثلاثاء والخميس تبيع في سلانيك الف نسخة ولها فيها سبعمائة مشترك ولها في الاطراف اربعمائة مشترك فيكون مجموع ما طبع ٢١٠٠ نسخة

بروغره دوسالونيك (رقي سلانيك) — جريدة افرنسية يومية محررها من اهل سلانيك أسست قبل ١١ سنة يباع منها مقدار الف نسخة

كان للبلغار ثلاث جرائد قل مشتروها فخسرت فتعطلت جميعها .

واما اهل سلانيك فلا يزيدون عن مائة وخمسين الفاً وقد كنت احب ان اقايس اهل الشام وجرائدهم بأهل سلانيك وجرائدهم وحبهم المطالعة لاسيما و يأتيهم كل يوم من جرائد استانبول مثل طنين واقدام وصباح وبكي غزته مالا يمكن حصره ولكن لا علم لي بمقدار اهل الشام ولا بجرائدهم ولا بمقدار ما يصرف منها فهل لاحد الفضلاء ممن يعرف ذلك ان يتخذ هذه العجالة اساساً و يتحفنا بالمقايسة ؟ سلانيك ر . ب

التربية العقلية

وضع احد اساتذة المدارس الجامعة في فرنسا كتاباً في التربية العقلية قال فيه بشأن تعلم الانشاء ان افضل طريقة يتخذها المعلم في تعليم تلامذته ان لا يقترح عليهم كتابة موضوع بدون ان يدلهم على الطريق التي يجب عليهم سلوكها لان الافضل في نظره ان تتدارك اغلاطهم قبل وقوعها من ان تصلح بعد كتابتها فان نقد الاغاليط عقيم في الاكثر ولا يخلو دائماً من الضرب على سندان واحد فلاجل الفائدة من التصليح يجب ان يكون في « الوظيفة » اوالفرض بعض الميزات الابتدائية والاجدر ان تقرأ للمتعلم قطع من اقوال الغير في الموضوع الذي يقضى عليه كتابته . قال ان من الصعب تعليم الاولاد ان يكتبوا او يحكموا كتابة صحيحة وحكماً صحيحاً ولكن من الممكن تلقينهم كلهم معنى النظام وحسن السياق وذلك يتأتى بدرس ما كتبه الكاتبون حق درامة وتحليله وبيان مزاياه ومتانة تراكيبه ومتى تم للمرء ان يعرف ماحوت كتابة كبار الكتاب من الحسنات يوشك ان يقبض على سر الانشاء

المدرسة والاخلاق

وضع احد علماء الالمان كتاباً في التربية الاخلاقية قال فيه ان الواجب في تعليم الاطفال ان يدربوا انفسهم بانفسهم وان يعلمهم معلوهم كيفية التوفيق بين شخصيتهم الروحية وشخصيتهم الحسنة فيباحثوهم في موضوعات في الاخلاق الشخصية او الاجتماعية ذات ارتباط كلي بحياة التلامذة انفسهم وان يعودوا في المدارس الى القول بعدم المركزية اي الحكومة المستقلة بحيث يعدون الطفل للديمقراطية العملية ويكون ذلك للمتقدمين من التلامذة

غاية التربية

قال استاذ التربية والتعليم في كلية براين ان غاية التربية تقوية حواس الشخص ما امكن مع احترام الخلق الطبيعي وشخصية الافراد فالواجب ان نحكم فيه قوة الانتباه والتفكر والذاكرة ولا نعجل في استثمار عقله . وهو يشدد كثيراً في تربية الارادة لانها اهم من كل شرح وتفصيل في تربية اخلاق المرء

آثار عربية

ظفر البارون ماكس فون اوبنهايم اثناء سياحاته في الشرق على عدة كتابات استخرج بعضها ودفنها الى علماء الآثار ليحلوها ومن جملتها ١٩٦ اثراً عربياً حلها المسيو برشم

ونشرها في كتاب خاص ومعظمها لم يعرف وهي مما عثر عليه السائح الالماني من جنوبي بحيرة حمص الى دمشق ماراً بقلعة الحصن ومصيات وحماة وقنسرين وحلب والزها (اورفه) وماردين وديار بكر والبيرة وعينتاب وآذنة وطرسوس وقرمان وقونية ويرد تاريخ معظمها الى عصر استيلاء المماليك على مصر ومنها ست كتابات من عهد الخليفة المنصور في ديار بكر تاريخها سنة ٢٩٧ من الهجرة وبعضها من عهد سيف الدولة ابن حمدان في حلب من سنة ٣٥٤ ومنها اثر وجد في دمشق من عهد السلطان طوطش السلجوقي (٤٨٠) وآخر في سلية من عهد الامير خلف ٤٨١

علم نفس الطفل

الف احد علماء سويسرا كتاباً في تربية الاطفال وتعليمهم قال فيه : ان الطفولية يجب ان ينظر اليها بانها باب الاستعداد للحياة وتختلف مدة الطفولية بحسب درجة كمال النوع فكلما اعتبر تاماً اي حافلا غنياً بالمقاومات يطول طور الطفولية وعبثاً يريد المرء اختصار هذا الطول لان الفطرة حمت هذا الدور من نقص التركيب بالف واسطة وكلما كانت الطفولية قصيرة يكون ترقي الطفل قاصراً . وتكلم على لعب الطفل فقال انه بالنسبة للطفل من اهم المعدات لاستقبال الحياة فانا نرى اللعب حتى في الحيوانات سارياً بحسب قوائم الطبيعية فالهرة الصغيرة تلعب بكرة من الورق كما تلعب بفارة والجدي يتظاهر بانه يناطح في حين ليس له قرون وكذلك الحال في الطفل فان الالعاب على اختلاف ضروبها هي استعداد للعمل القانوني الذي يعمله يوم يبلغ اشده فمن كتب له ان يكون صالحاً في طفوليته يكون رجلا تام الادوات في رجوليته والطفل الذي رزق السلامة في اعضائه والعمل لما يعد جسمه للشاق افضل واقدر في جهاد الحياة ممن يحملون الشهادات العالية التي تنبئ بدرسهم واستنارهم فاللعب باعث قوي في نمو الحواس يمد كل ما نشأ من النشاط وهو يشترك مع الفكر القوي في سن الفتوة فالواجب ان يترك هذا التصور يأخذ مأخذه كما يشاء . ويضاف الى ذلك رغبة الطفل في النظر والسؤال فينبغي ان لا يضن الابوان بالجواب على اسئلة يسألها الابن هذا في سن الطفولية اما في سن البلوغ فان التقليد من اكبر ادوات الارتقاء فالبالغ يقلد عند الاقتضاء ليسهل التوفيق بينه وبين المطالب العالية والطفل يقلد في لعبه وهذا اللعب مما يفيده . والمهم في ذلك ان يطبق اعماله على محيطه وان يقوي قواه ويتعلم معلومات جديدة وينمو على الدوام نمواً طبيعياً واخلاقياً وهو يرتقي هذا الترقي اذا قابل بنفسه المصاعب

التي يجب عليه التغلب عليها وتناول بنفسه المعارف اللازمة والاسرار التي يقضي عليه كشفها وسبر غورها . وقال ان علم التربية والتعليم (بيداكوجيا) هو علم معرفة درجات النشوء الطبيعي في الطفل واستخدام كفاءاته الفطرية لترقيتها .

سن تعليم القراءة

يبدأ الاولاد بتعلم القراءة في انكلترا في السنة الثالثة وفي سويسرا بين الخامسة الى السابعة بحسب المقاطعات وقد بدأ «اميل» روسو في الخامسة عشرة . وبحث احدهم بحثاً دقيقاً فتبين له ان الطفل يتعلم القراءة في الاكثر بسرعة بين السابعة والثامنة وتقل السرعة بين السادسة والسابعة وان الاظهر في هذه الحال ان يبدأ في سن السادسة بتعلم القراءة . واكدت مديرة مدارس الامهات في فرنسا ان تعليم الولد قبل السادسة يضر جداً به ولكنها سمحت بان يقرأ الاولاد بين الخامسة والسادسة من اعمارهم نحو عشرين دقيقة فقط وقالت ينبغي ان يدل الطفل على الكلمات التي يقرأوها ولا يكتفي بتكرارها فقط اذ تشتغل في تلك الحال ذاكرته فقط وان يقرأ بصوته العادي بدون ان يرفعه وان تستعمل له الالفاظ المستعملة نفسها بدون الفاظ مجهولة

انتظام التجارة

ثبت ان التكافل النامي في المصالح المادية بين البشر واضطرار كل بلدة ان تطلب المواد الاولية والمواد التي تفرغ في قالب آخر اوتبحث عن مصرف لبضائعها وحاصلاتها في البلدان الاخرى كان من ان عدل النظام التجاري العام تعديلاً كبيراً لاسيما وقد اصبح اليوم طول سكك حديد الارض مليون كيلومتر وكان سنة ١٨٧٠ مائتي الف كيلومتر فقط واصبحت السفن تحمل اليوم ٣٠ مليون طن وكانت سنة ١٨٧٥ لاتحمل غير ٣٠٧٠٠٠٠٠ طن وعدد الاسلاك البرقية البحرية ١٤٠٠ ولم يكن سنة ١٨٦٦ سوى سلك واحد فكيف تكون الحال يا ترى عندما تلا الجوور والبرور بالسفن والسكك والاجواء بالطيارات

التربية المشتركة

كتب احد العارفين في مجلة «الاسبوع الادبي» في جنيف مقالاً في معنى تربية البنين والبنات في مدرسة واحدة فاورد عدة امثلة تثبت الفضلية هذا النوع من التعليم ولاسيما لما شوهد من نتائجه الحسنة في انكلترا وقال ان تربية الجنسين معاً ولاسيما في المدارس الداخلية (كلّا) اقل خطراً من تربية كل جنس مع ابناء جنسه . ومن شروط

النجاح في ذلك ان يؤخذ الاولاد صغار السن جداً و يتركون يعيشون ابداً معاً و يطرحون العناصر التي لا يمكن التوفيق بينها فيربى الاولاد والشبان في مدارس الفلاة حيث تسلم الحياة من الشوائب واخلاق الجد تكون احسن اثراً وان يسلموا الى مربين تخرجوا على الاصول الحديثة في علم النفس فيربى كل جنس بحسب طبيعة وما ينتظره في حياته من الواجبات

الولادات والوفيات

كانت الولادات ازيد من الوفيات سنة ١٩٠٨ في اكثر ممالك اوربا فبلغت الولادات في المانيا ٨٧٩،٥٦٢ والوفيات ٧٩٥،١٠٧ وفي النمسا ٣١٣،٦١٦ و٣٠١،٩٣٦ وفي المجر ٢٣٩،٧٦٠ و ٢٢٨،٣٣٨ وفي البلجيك ٦٤،٨٣٧ و ٦٧٣٠٥ وفي انكلترا وغاليا ٤١٩،٩٢١ و ٣٤٦،٨٤٧ وفي بلاد القاع او هولاندة ٨٤،٩٢٦ و ٧٥،٩١١ وفي ايطاليا ٣٦٨٦٦٧ و ٣٨٥١٦٥ وفي نروج ٢٧،٦٠٠ و ٣٠٤٥٠ وفي السويد ٥٨،٤٠٧ و ٤٤،٢٠٤

الهند البريطانية

وضع احد علماء فرنسا كتاباً في الهند بعد درس عشرين سنة فقسمها قسمين قسم مساحته مليونان وستمائة الف كيلو متر مربع وسكانه ٢٣٢ مليون نسمة وهذا القسم تحكم عليه انكلترا مباشرة وقسم مساحته مليون وسبعمائة وخمسون الف كيلو متر مربع وسكانه ٦٢ مليوناً ونصف مليون وهذا القسم يحكمه راجات الهند والزعماء الوطنيون المحالفون للعرش البريطاني ولهم مستشارون انكليز . ومناخ البلاد بالطبع مختلف باختلاف الاصقاع فاقليم راجبوتانا رمال تبعث الحرارة المدهشة في الصيف وتجلد المياه في الشتاء . ومسألة المياه اهم ما في الهند من المسائل وقد اقام الانكليز في اقليم بنجاب اعظم آلات الري في العالم و يقدرون عدد من يهلك كل سنة في الالف ٣١ منهم ١٩ بالحمى . والسكان طوائف فكل طائفة تخرج منها اناساً ولكن لا تدخل اليها احداً وكان عددهم منذ نحو خمسين سنة لا يتجاوز المئة فاصبح اليوم ٢٣٧٨ تقسم بين ٤٣ عنصراً وتابعية . ومنها اربع طوائف يتألف منها ١٦ في المئة من الشعب الهندي وهي طبقة البراهمة وعدد اعضائها ١٤،٨٠٠،٠٠٠ والشامار بين ١١ مليوناً وكل واحدة من الراجابوتيين والاهيربين ١٠ ملايين والطبقات الكبيرة تسحق الصغيرة

والظاهر ان المناخ مؤثر جداً في السكان حتى اصبحوا الى الكسل اقرب منهم الى

حياة العمل وكل واحد يريد ان يعمل له وهو مستريح فتجد في كل خمسة رجال يعملون بحسب الظاهر واحداً لايعمل شيئاً اصلاً وواحداً يستريح وآخر يتأمر وآخر معاون فالارض تؤجر من كبير الى اصغر وتتعاورها الايدي بالايجار . وكثرة الديانات تزيد الاعياد وايام الراحة والناس لا يربحون ولا ينظرون في المستقبل والقائض فاحش جداً عندهم ولذلك ترى المرابين في خطر ابداً من السلب والقتل على ان الفلاح اقرب الى الاتفاق مع المرابي من جباة الاموال لان الضرائب ثابتة لاتتغير بحسب جودة المواسم وعدمها ولها اوقات معينة لامناص من ادائها فيها ولذلك تراه عند الضائقة يعمد الى المرابي فيستدين منه بفائض كبير وقد كان ثلث الفلاحين منذ ثلاثين سنة مديثين على امل ان يتخلصوا من ديونهم والثلثان الآخران لا امل لهما بالخلاص حتى اضطرت الحكومة الانكليزية في بنجاب ان تسن قانون سنة ١٩٠٠ تقضي فيه على الفلاح ان لا يبيع ارضه الا من فلاح ولكن المرابين كلهم اصحاب زراعات ولذلك لم يقل بيع الاراضي ولا رهنها . ولم تنفذ الحكومة هذا القانون في البلاد الاخرى . وقوة الحكومة البريطانية في الهند ناشئة من كون انكلترا تحكم عناصر مختلفة من السيخيين والمسلمين والماهراتيين والهنود والبرمانيين وكلهم يتحاسدون بينهم و ينفصل بعضهم عن بعض في الجنس والعادات والاديان ولذلك كان من الصعب اشراكهم كلهم في منافع الادارة على قدم المساواة وعدد المسلمين هناك ٦٢ مليوناً والهنود ٢٠٧ ملايين وكان المسلمون حكام البلاد مدة قرون لذلك يحتقرون المسابقات التي تجري للدخول في الوظائف اما البراهمة فيتسابقون اليها

تربية العقل

ألف الدكتور تولوز الفرنسوي كتاباً في هذا المعنى قال فيه ان النظر افيد للمرء من البحث والدرس في خزائن الكتب والتمرن على الحكم في الامور الواقعة خير من املائه الذهن بمعارف ميتة لامحصل لها والعمل خير من التصور والحركة افضل من التخيل وتكلم فيه على ضرورة العمل للانسان فقال يجب ان يعمل المرء ليعيش لا ان يعيش ليعمل وان الراحة الحقيقية هي في الانقطاع بضعة اسابيع عن العمل كل الانقطاع بعد قضاء زمن في الجهاد والجد لافي تعديل العمل وتخفيفه

جلسة الاولاد

تبين ان السبب في تشويه اجسام الاولاد استعدادهم الكلي للجلوس على مقاعد

كيفما اتفق وان البحث قد اثبت بان في كل خمسة ملايين طالب يخرج ٥٧٠ الفاً مشوهين في اجسامهم واحسن واسطة لاتقاء ذلك اجلاسهم على مناضد عالية بحيث لا يكادون بقعدون الا منتصبة قاماتهم وارجلهم تمس الارض وبذلك يتقوى هيكلهم العظمي على طبيعته ويتنفسون تنفساً حسناً

الخطوط الحديدية في الارض

ظهر من احصاء اخير ان طول السكك الحديدية في القارات الخمس زاد في السنة الماضية ٢٥ الف كيلو متر فتجاوز طولها المليون كيلو متر منها اربعمائة الف في الولايات المتحدة وكندا ومئة الف في اميركا الجنوبية وستون الفاً في المانيا ومثلها في روسيا وخمسون الفاً في فرنسا وثلاثة واربعون الفاً في النمسا وثمانية وثلاثون الفاً في انكلترا وجميع الخطوط الحديدية في آسيا لا تتجاوز الخمسة والتسعين الف كيلومتر. وفي افريقية احد وثلاثين الفاً وفي اوستراليا تسعة وعشرين الفاً

صحة المدارس

تكلم احد الخطباء في موءتمر الفنون في المدرسة في نانسي احدى حواضر فرنسا في موضوع صحة المدارس فقال ان للنور دخلاً كبيراً في القراءة وان الواجب ان تكون حروف المطبعة تخينة في الجملة وان يعتنى باختيار الالوان المفرحة في الجدران والحوائط ويستغنى عن الالوان الباعثة القذرة كلون الشوكولا والالواح الحجرية السوداء والالوان البيضاء الجافية التي تجعل صفوف المدارس كأنها غرف مستشفيات بل الواجب تنويع الالوان والادهان على الطريقة المقبولة للاولاد فاللون الاحمر والازرق والبرتقالي مما ينفع النفس والنظر في الايام الممطرة الغائمة وتكون للنفس بمثابة شعاع الشمس قال والواجب الاكثار في المدارس من الزهور والورد تزرع كيفما اتفق في الافنية والماشي ويعلم الصبي احترامها حتى لا يقطفها بمجرد وقوع نظره عليها كما يعلم مراعاة الحيوان

الاولاد المدخنون

حقق اساتذة هولانديون تأثير التدخين في الاولاد فثبت لهم مضاره في عقولهم واخلاقهم والمدخنون هم كسالى وفاسدو الامزجة والتراكيب ويزيد معدل المدخنين من الاولاد بالنسبة لحالة اهليهم من الرفاهية وعدمها

المقتبس

ابو العلاء المعري

شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء

١ — موطنه وأسرته

الى جنوبي حلب على بعد ثماني عشرة ساعة عنها بلدة معتدلة الهواء قديمة عرفها الرومانيون باسم (خالس) ثم لقبت بعدهم بذات القصور وهي اليوم قضاء من اعمال حلب يعرف بقضاء معرة النعمان نسبة الى المعرة قصبة ولفظة المعرة سريانية بمعنى المغارة وليست في شيء من التفاسير التي عددها ياقوت الحموي في معجم البلدان ولقد زعم بعض المؤرخين انها سميت بمعرة النعمان نسبة الى النعمان بن بشير الانصاري عامل حمص الذي مرّ بها فمات له ولد ودفنه فيها فنسبت اليه وقد توفي النعمان سنة ٦٥ هـ (٦٨٤ م) .
وعندي ان رأي ياقوت في معجمه اقرب الى الصحة وهو انها نسبت الى احد اجداد المعري وهو النعمان الملقب بالساطع ابن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله وهو تنوخ بن اسد بن دبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة .

فتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب اجتمعت هذه القبائل مع غيرها في البحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك فسموا تنوخاً وتنوخ بمعنى الاقامة فتكون تنوخ حياً من بني قضاعة من عرب اليمن (وقيل من الازد) خرجوا من مدينة مأرب الى البحرين عند سيل العرم [1] ثم تفرقوا في نواحي العراق والشام ونزل منهم نعمان زعيم قبيلته واميرها بالمعرة فنسبت اليه وهو اوجه الاقوال وامثلها

(١) راجع كتابي دواني القطوف صفحة ٦٢

فمعرة النعمان كانت حصينة منيعة فتحها المسلمون في صدر الاسلام ثم استولى عليها الافرنج الصليبيون سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨م) واعادها المسلمون الى ايديهم سنة ٥٢٩هـ (١١٣٤ م) وزارها ابن بطوطة وابن جبير وغيرهما من السياح وقالا انها كانت لعهدهما من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقاً وبساتينها ممتدة الى مسافة يومين وفيها الزيتون والتين والفستق وانواع الفواكه ٠

ولاشأن لفستقها اليوم ولكن فيها الزيتون والتين والزبيب والعسل وانواع الحبوب والقطن وفيها صناعة النسج والدباغة ٠ وتوجد قرى كثيرة باسمها منها معرة مصرين قرب حلب ومعرة باش من قضاء النبك في جبل القلمون ومعرة صيدنايا من اعمال دومة وغيرها ٠ والى المعرة ينسب كثير من العلماء اشهرهم ابو العلاء هذا وكذلك كانت موطن أسر مشهورة مثل الامراء الارسلانيين التنوخيين في لبنان وآل الجندي في حمص وغيرهم

وقد نشأ من التنوخيين في معرة النعمان سليمان بن محمد بن سليمان من سلالة النعمان ابن عدي المنتهي نسبه الى الحاف بن قضاعة التنوخي الشهير وهو جد المعري لابيه كان قاضياً في بلدته ومن العلماء الاعلام في وقته وترعرع ولده عبدالله والد المعري على الادب وكلف بالعلم وتزوج امرأة من آل سبيكة مواطنيه الذين عرفوا بآدابهم وخدم الادب والمعارف الى ان رزق ولده ابا العلاء هذا فكان صفوة هذا البيت وخلاصة ذكائه ومخيض زبدة آدابه

٢ً = نشأته

ولد ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان التنوخي في معرة النعمان في بيت عرف بالادب والفضل ومن والدين من سلالة العلماء يوم الجمعة في ٣ ربيع الاول سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) وما انفتحت عيناه لنور العالم ومشاهدة جمال الطبيعة حتى مني بالجدري في اول سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧م) فأطفأت نورهما وردته الى قلبه فتوقد ذكاءً وقد ارتجل شعراً لما عيّره بذلك عبدالله الخوارزمي وهو قوله :

قالوا العمى منظرٌ قبيحٌ قلت بفقدي لكم يهون
والله مافي الوجود شيءٌ تأسى على فقده العيون

وكثيراً ما كان يقول احمدالله على العمى كما يحمده غيري على البصر ٠ ولقد كانت له اسوة بكثير من كبار الشعراء والعلماء الذين أُصيبوا بالعمى مثل هوميروس اليوناني

وبشار بن برد العربي وغيرهما والذي يظهر ممن شاهدوه انه كان في اول امره قد غشي يمنى حدقتيه بياض وذهبت اليسرى جملة فكانت احدى عينيه بارزة والاخرى غائرة جداً وذلك يخالف ماذهب اليه بعضهم من انه كان أكمه . وكان يقول : لاأعرف من الالوان الا الاحمر لانني أُلبست في الجدري ثوباً معصفراً . وكانت في وجهه ندوب الجدري وهو نحيف الجسم عصبي المزاج حاد الذهن قوي الحافظة

قرأ النحو واللغة على ابيه ثم رحل الى حلب وقرأ على محمد بن عبد الله بن السعد النحوي فتمكن من آداب اللغة وطالع كثيراً من المؤلفات لوفرة المكاتب في حلب وقلتها في بلدته ونظم الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ولم يتكسب به بل نظمه شارحاً فيه اغراض نفسه ومعبراً عن شواعره وواصفاً عجائب الكون ولاسيما الافلاك . ومفسراً غرائب الاجتماع وحاضاً على الزهد والاعتزال . وممعناً في فلسفة الوجود . ومتشكياً من من مناوأة الايام ومساورة المصائب . وعلى الجملة فانه ابلغ شاعر قام في الاسلام ذاهباً في شعره مذهب الفلسفة وحرية الفكر والنظر الى الكون بعين العقل وكان مولعاً بمطالعة المتنبي وتحدي افكاره فنظم على منواله غير متقيد بالصناعة اللفظية .

واتقن العلوم ابن عشرين سنة فصار مرجع الادباء ومحط رحال البلغاء فتخرج عليه كثير من علماء عصره من اشهرهم ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي . وابو زكرياء الخطيب التبريزي شارح الحماسة

وقد رحل في تفقد المكاتب والتوسع بالمعارف الى طرابلس الشام المشهورة بمكتبتها العظيمة اذ ذاك وسار الى اللاذقية فنزل ديراً فيها وسمع من احد الرهبان بعض العلوم واطلع على مذهبي اليهود والمسيحيين وكذلك قصد دمشق وحلب وبغداد وغيرها

وكان يرتزق من وقف يحصل منه ثلاثين درهماً (١) في العام ينفق نصفها على من يخدمه

---

(١) « المقتبس » سألنا صديقنا احمد بك تيمور من علماء القاهرة عن القدر الذي كان يرزقه المعري فكتب الينا مانصه

راجعت رسائل ابي العلاء الى داعي الدعاة وظفرت بالفقرة التي وعدتكم بها فكتبتها لكم على علاتها وهي (ومما حثني على ترك الحيوان ان الذي لي في السنة نيف وعشرون ديناراً فاذا اخذ خادمي بعض مايجب بقي لي ما لا يعجب فاقتصرت على فول وبلسن ومالا يعذب على الالسن فاما الآن فاذا صار الى من يخدمني كبر عندي وعنده هين فما حفني الا اليسير المتعين ولست اريد في رزقي زيادة ولا اوثر لسقمي عيادة والسلام)

فعورض في رزقه فذهب الى بغداد متظلماً ممن عارضه سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) ثم عاد اليها ثانية سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) واقام فيها سنة وسبعة اشهر فتفقد مكاتبها وتعرف بعلمائها ودرس عليه كثير منهم قال ابو القاسم التنوخي: لما ورد المعري بغداد قرأت عليه شعره وذكر انه دخل عليه وهو في بغداد علي بن عيسى الربعي ليقرأ عليه شيئاً من النحو فقال له الربعي: ليصعد الاصطبل فخرج مغضباً ولم يعد اليه. ويروى انه دخل يوماً مجلس المرتضى فعثر بانسان فقال له: من هذا الكلب فقال المعري: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً وله اخبار كثيرة لا محل لاستيفائها

ومن اشعاره في غربته يحن الى وطنه قوله:

فيابرق ليس الكرخ داري وانما رماني اليها الدهر منذ ليالـ
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسالـ

وقوله:

ياماء دجلة ما اراك تلذ لي شوقاً كماء معرة النعمان

وعاد ابو العلاء من بغداد الى المعرة سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ولزم بيته وشرع في التصنيف والتدريس فتقاطر اليه الادباء من كل صوب مقتبسين من آثاره وكاتبه العلماء والوزراء واهل الاقدار فانقطع الى خدمة الآداب وسمى نفسه رهين المحبسين للزوم بيته ولذهاب عينيه كما صرح في ذلك بقوله:

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

وكان يلعب الشطرنج والنرد (الطاولة). وعلي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلم وولع بالعلوم الرياضية واتقنها وله كثير من الابيات الرياضية مثل قوله:

طرق العلى مجهولة فكأنها صم العوائد ما لها أجذار
والعقل أنذرنا بما هو كائن في الدهر ثم تشعب الانذار

وعلى الجملة فان المعري كان غزير الفضل وافر الادب عالماً باللغة ضليعاً من آدابها حسن الشعر جزل الكلام قوي الذاكرة شديد الذكاء

٣ — حافظته ونوادره ووفاته

اشتهر ابو العلاء بقوة الحافظة اشتهاراً عظيماً فاق فيه بديع الزمان الهمذاني وغيره

وربما زاده حفظاً العمى فانه يجمع الذهن ويقوي المخيلة . ومما يروى عنه انه جرى حساب طويل بين رجلين في مكان تشرف عليه غرفته فسمع الحساب وحفظه . ثم ضاعت الاوراق بعد ايام فأملاها عليهما ووجدت الاوراق بعد ذلك فكانت طبق إملائه .

وأعجب من هذا انه كان يوماً عند يهودي فأتاه يهودي آخر واستودعه صرة . ثم جاء يطلبها بعد سنة فانكرها فرافعه الى القاضي ولم يكن بينهما شهود الا المعري فاستقدمه القاضي وسأله . فقال : انني رجل اعمى لم ابصر ما كان بينهما . ولكنني سمعت كلاماً بالعبرانية اذكر لفظه ولا اعرف معناه . فدعا القاضي يهودياً خالي الذهن من القصة واعاد عليه الشيخ ذلك الكلام فاذا هو يؤذن بصحة الدعوى

وأنشده مرة ابونصر المنازي قوله :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظماء زلالاً الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

فقال له ابو العلاء : انت اشعر من بالشام . وطوبت الايام على قوله هذا فلما رحل الى بغداد انشده المنازي فيها :

لقد عرض الحمام لنا بسجع اذا أصغى له ركب تلاحى
شجى قلب الخلي فقيل غنى وبرح بالشجي فقيل ناحا
وكم للشوق في احشاء صب اذا اندملت اجد لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى وسكران الفؤاد وان تصاحى
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة كأحداق المهى مرضى صحاحا

فقال له ابو العلاء . ومن بالعراق عطفاً على قوله قبلاً (انت اشعر من بالشام) الى غير ذلك وكان يقصده كثير من العلماء للتعارف به وممن نزل بالمعرة القاضي عبد الوهاب البغدادي فمدحه المعري (راجع ابن خلكان ١ : ٤٣١)

ومن نوادره ان الوزير ابا الفضل التميمي الدارمي البغدادي اجتمع بابي العلاء هذا في بلدته المعرة لما بعثه القائم بامر الله العباسي من بغداد رسولا الى صاحب افريقية

المعز بن باديس وانشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال لله أنت من ناظم

ولقي يوماً غلاماً فسأله عن الطريق فدله . فسأله الغلام عن اسمه فعرفه به فقال له أأنت القائل :

واني وان كنت الاخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

قال: نعم . قال : ان الأوائل وضعوا ٢٩ حرفاً للهجاء فهل لك ان تزيد عليها حرفاً فسكت وقال لرفيقه : ان هذا الغلام لايعيش لحدة ذهنه وهكذا كان

وبقي اليف الأدب منقطعاً الى التدريس حتى مرض ثلاثة ايام ومات في الرابع منها ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث من مرضه : اكتبوا عني . فتناولوا الدوي والاقلام فأملى عليهم غير الصواب فقال القاضي ابو محمد عبدالله التنوخي : احسن الله عزاءكم في الشيخ فانه ميت . فمات يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٨م) بالمعرة . وفي طبقات ابن الانباري انه توفي سنة ٤٩٩ وهو خطأ . وقبره في ساحة من دور اهله وعلى الساحة باب صغير قديم وهو مهمل وقد اوصى ان يكتب على قبره .

هذا جناه ابي عليَّ (م) وما جنيت على احد

والمشهور انه مكتوب على قبره :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة مكنونة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيرة منه الى الصدف

وقرئ على قبره سبعون مرثية ورثاه نحو ١٨٠ شاعراً

٤ = اخلاقه ومعتقده

كان المعري حاد الذهن عصي المزاج فضاق خلقاً في آخر ايامه لان العمى يورث الضجر وكثرت مصائبه فاختار العزلة واكثر الشكوى وسوء ظنه بالناس بدليل قوله :

من عاش غير مداج من يعاشره اساء عشرة اصحاب واخدان

كم صاحب يتمنى لو نعيت له وان تشكيت راعاني وفداني

وقوله : توحد فان الله ربك واحد ولا ترغبن في عشرة الرؤساء

يقل الاذى والعيب في ساحة الفتى وان هو اكدى قلة الجلساء

وكان حر الضمير تدل سريرته على ظاهرته ولذلك قال :

وأودتموني ان اكون مدلساً هيهات غيري آثر التدليسا

وربما تظاهر بما ليس من خلقه تلبية لقوانين المعاشرة كقوله :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن اني جاهل
فواعجبا كم يدعي الفضل ناقص ووا اسفا كم يظهر النقص فاضل

وكان متواضعاً يمقت الكبرياء فلذلك قال :

دعيت ابا العلاء وذاك مينٌ ولكن الصحيح ابو النزول

وبقي نحو ٤٥ سنة منقطعاً عن اكل اللحوم والبيض واللبن مقتصراً على المآكل النباتية لانه كان يذهب مذهب من تقدمه من الفلاسفة الذين لا يعذبون الحيوانات بالذبح وقال ابن الانباري : انه كان برهمياً ولذلك لما وصف له فروج وهو مريض لم يأكله بل خاطبه بقوله : استضعفوك فوصفوك . والى ذلك اشار تلميذه ابو الحسن علي بن هام في مرثيته له بقوله :

ان كنت لم ترق الدماء زهادةً فلقد أرقت اليوم من عيني دما

وكان يذهب مذهب الهنود ايضاً في احراق جثة الميت كما جرى لسبنسر وكوخ في عصرنا بدليل قوله :

حرّق الهند من يموت فمازا (م) روه في روحة ولا تبكير
واستراحوا من ضغطة القبر ميتاً وسؤال لمنكر ونكير

وقوله :

اذا حرق الهندي بالنار نفسه فلم يبق غش للتراب ولا عظم
فهل هو خاش من نكير ومنكر وضغطة قبر لا يقوم لها نظم

ومن قواعده السياسية التي يصدع بها عظماء ساستنا في هذه الايام قوله :

يقول لك العقل الذي بين الهدى اذا انت لم تدرأ عدواً فداره
فقبل يد الجاني الذي لست واصلاً الى قطعها وانظر سقوط جداره

ومن مذهبه الشورى بدليل قوله :

ملّ المقام فكم اعاشر أمة أمرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ومنه كرهه للمدح ولذلك قال :

اذا اثنى عليَّ المرء يوماً بخير ليس فيَّ فذاك هاجي
وحقي ان اساء بما افتراهُ فلونٌ من غريزتي ابتهاجي

ومن مبادئه التثبت عند حلول النوائب كما قال :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي اذا قيـ ـس بصوت البشير في كل ناد
ابكت تلكم الحمامة ام غنت على فرع غصنها مياد

وذهب مذهب القائلين ان وجود الولد جناية فلم يتزوج بدليل ما اوصى ان يكتب عَلَى قبره و بدليل اقوال له كثيرة منها :

عَلَى الولد يجني والد ولو انهم ولاة عَلَى امصارهم خطباء

وربما كان متردداً في البعث والمعاد والخلود ولكن اعتقاده بها اكثر من انكاره لها ومن قوله :

ايها الملحد لاتعصي النهى فلقـد صح قياس واستمر
ان تعد في الجسم يوماً روحه فهو كالربع خلا ثم عمر

ولذلك الف بعضهم كتاباً في الدفاع عنه سماه (دفع المعرة عن شيخ المعرة) والف كمال الدين بن العديم كتاب (دفع التجري عن المعري) وكتبت مقالات كثيرة في تبرئته مما نسب اليه من الزندقة

٥ = شعره

يكفي في وصف شعر المعري ان يقال في ناظمه انه فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة وقد تصرف فيه تصرفاً غريباً وسرح خياله في العوالم العلوية والسفلية فمثلها احسن تمثيل وحرص الناس عَلَى شعره فجمع في ثلاثة دواوين (لزوم مالا يلزم) (وسقط الزند) (وضوء السقط) وقد قلت فيها مورياً

ومبذرق نظر اللفيفة جاءني والنار قربي بالثقاب يضرَّم
مذ قال هذا ضوء سقط الزند قا ت له اراه لزوم مالا يلزم

ومنها انتخب الآن مايدل عَلَى مسرح خيال المعري وحسن وصفه ودقة فكره وقوة بصيرته فمن اقواله يصف السهر والليل من قصيدة :

بانت عرى النوم من عيني محللة وبات كوري عَلَى الوجناء مشدودا

كأن جفني سقطا نافر فزع ... اذا اراد وقوعاً ريع او ذيدا
ظن الدجى فتخة الاظفار كاسرة ... والصبح نسراً فما ينفك مزؤودا
تناعس البرق اي لا استطيع سرى ... فنام صحبي وامسى يقطع البيدا
كأنه غار منا ان نصاحبه ... وخاف ان نتقاضاك المواعيدا
من يخبر الليل اذ جنت حنادسه ... والرمل عني لما طل او جيدا
اني أراح لاصوات الحداة به ... وللركائب يخبطن الجلاميدا
كأنهن غروب ملؤها تعب ... فهن يمتحن بالارسان تقويدا

ومن حماسياته قوله من قصيدة :

يتهللون طلاقة وكلومهم ... ينهل منهن النجيع الاحمر
لا يعرفون سوى التقدم آسياً ... لجراحهم بالسمهرية تسبر
من كل من لولا تسعر بأسه ... لاخضر في يمنى يديه الاسمر
يذكي تلهب ذهنه اوقاته ... فكأنما هو بالغدو مهجر
وضجيج طفلهم الحسام وان ثوى ... منهم فتى فمع المهند يقبر
فكأنهم يرجون لقيا ربهم ... بالبيض تشفع عنده وتكفر
انا من اقام الحرف وهي كأنها ... نون بدارك والمعالم أسطر

وقال من قصيدة أخرى في الغنى والفقر :

وان الغنى والفقر في مذهب النهى ... لسيان بل اعفى من الثروة العدم
ومانلت مالا قط الا ومالـ ... ـبي ولا درهماً الا وودي بي الهم
لك الخير قد انفدت ما هو ملبسي ... حياء وعند الله من قائل علم
ولو انه اضعاف اضعاف مثله ... من التبر لم يثبت له في نداك اسم
واهون به في راحة اريحية ... كآخر ماض ليس من شأنه الضم
فمني تقصير ومنك تفضل ... بعذر فلا حمد لدي ولا ذم
فلو كنت شعراً كنت احسن منشد ... سليم القوافي لازحاف ولا خرم

وقال ايضاً من قصيدة أخرى :

تقول ظباء الحزم والدمع ناظم ... على عقد الوعساء عقد ضلال
لقد حرمتنا اثقل الحلي أختنا ... فما وهبت الا سموط لآلي
فان صلحت للناظمين دموعنا ... فانتن منها والكثيب حوالي

جهلتن ان اللؤلؤ الذوب عندنا ... رخيص وان الجامدات غوالي
ولو كان حقاً ماظننتن لاغتدت ... مسافة هذا البرسيف اوال[1]

وقال في نار القرى :

الموقدي نار القرى الآصال والا ... سحار بالاهضام والاشعاف
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ... ترمي بكل شرارة كطراف

وقال في خلاء الفكر للنظم والنثر :

ولولا ما تكلفنا الليالي ... لطال القول واتصل الروي
ولكن القريض له معان ... واولاها به الفكر الخلي

وقال في التوجيه البديعي :

فدونكم خفض الحياة فاننا ... نصبنا المطايا في الفلاة على القطع

وقال ايضاً :

حروف سرى جاءت لمعنى اردته ... برتني اسماء لهن وافعال
وقال : ولو جرت النباهة في طريق الا ... خمول الي لاخترت الخمولا
وقال : فصرفني فغيرني زماني ... سيعقبني بحذف وادغام

وقال من قصيدة :

وليلا تلحق الاهوال فيه ... بفود الشيخ ناصية الغلام
اذا سئموا الرحيل فكل غر ... يرى صرعاته خلس اغتنام
كأن جفونه عقدت برضوى ... فما يرفعن من سكر المنام
لو ان حصى المناخ مدى حداد ... ازرتها النحور من السآم
وجاز الي ابراد هجير ... يجوز من القراب الى الحسام
يرد معاطس الفتيان سفعاً ... وان ثني اللثام عن اللثام
اذا الحرباء اظهر دين كسرى ... فصلى والنهار اخو الصيام
واذذنت الجنادب في ضحاها ... اذاناً غير منتظر الامام
وقال : وكم لك من اب وسم الليالي ... على جبهاتها سمة اللئام
مضى وتعرف الاعلام فيه ... غني الوسم عن الف ولام
وقال : لفظ كأن معاني السكر تسكنه ... فمن تحفظ بيتاً منه لم يفق

(1) مغاص لؤلؤ في البحر الاحمر

فرتب النظم ترتيب الحلي عَلَى ... شخص الجلي بلا طيش ولا خرق
الحجل[1] للرجل والتاج المنيف لما ... فوق الحجاج[2] وعقد الدر للعنق
فان توافق في معنى بنو زمن ... فان جل المعاني غير متفق
قد يبعد الشيء من شيء يشابهه ... ان السماء نظير الماء في الزرق

وقال: ارى المجد سيفاً والقريض نجاده ... ولولا نجاد السيف لم يتقلد
وخير حمالات السيوف حمالة ... تحلت بابكار الثناء المخلد

وقال: كأن كل جواب انت ذاكره ... شنف يناط باذن السامع الواعي

وقال: وكلامك المرآة تصدق في الذي ... تحكي وانت الصارم المصقول

وقال: فيا قبر واهٍ من ترابك لينا ... عليه وآه من جنادلك الخشن
لانطبقت إطباق المحارة فاحتفظ ... بلؤلؤة المجد الحقيقة بالخزن

وقال: وليلة سرت فيها وابن مزنتها ... كميت عاد حياً بعدما قبضا
كأنما هي اذ لاحت كواكبها ... خود من الزنج تجلى وشحت خضضا
كأنما النسر قد قصت قوادمه ... فالضعف يكسر منه كل ما نهضا
والبدر يحثث نحو الغرب أينقه ... فكلما خاف من شمس الضحى ركضا
ومنهل ترد الجوزاء غمرته ... اذا السما كان شطر المغرب اعترضا
وردته ونجوم الليل وانية ... تشكو الى الفجر ان لم تطعم الغمضا

وقال: وأرى ابا الخطاب نال من الحجى ... حظاً زواه الدهر عن خطابه
لا يطلبن كلامه متشبه ... فالدر ممتنع عَلَى طلابه
أثني وخاف من ارتحال ثنائه ... عني فقيد لفظه بكتابه
كلم كنظم العقد يحسن تحته ... معناه حسن الماء تحت حبابه
فتشوفت شوقاً الى نغماته ... أفهامنا وزنت الى آدابه
والنخل ماعكفت عليه طيوره ... الا لما علمته من ارطابه
ردت لطافته وحدة ذهنه ... وحش اللغات اوانساً بخطابه
والنحل يجني المرّ من نور الربى ... فيصير شهداً في طريق رضابه

وقال ملغزاً في الابرة
سعت ذات سم في قميصي فغادرت ... به اثراً والله يشفي من السم

---

(١) الخلخال (٢) منبت شعر الحاجب

كست قيصراً ثوب الجمال وتبعاً وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وقال وقد ابدع في تشبيه الليل والبرق :

كما أغضى الفتى ليذوق غمضاً فصادف جفنه جفناً قريحا
اذا مالاحتاج احمر مستطيراً حسبت الليل زنجياً جريحا

وقال وقد ابدع :

ياسعد اخبية الذين تحملوا لما ركبت دعيت سعد المركب
غادرتني كبنات نعش ثابتاً وتركت قلبي مثل قلب العقرب

وقال : لاتطلبن بآلة لك حاجة قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمح وذلك اعزل

وقال : ولاتجلس الى اهل الدنايا فان خلائق السفهاء تعدي

وقال يصف انعكاس صورة السماء ونجومها في مرآة الماء

فأطمعن في اشباههن سواقطاً على الماء حتى كدن يلقطن باليد
فمدت الى مثل السماء رقابها وعبت قليلا بين نسر وفرقد

وقال: أطرق كأنك في الدنيا بلا نظر واصمت كأنك مخلوق بغير فم
وان هممت بمين فاتخذ لفماً (١) مضاعفات لتثني اللفظ باللفم

وقال في ذم الدنيا من ابيات :

وقد نطقت باصناف العظات لنا وأنت فيما يظن القوم خرساء
يموج بحرك والاهواء غالبة لراكبيه فهل للسفن إرساء
اذا تعطفت يوماً كنت قاسية وان نظرت بعين فهي شوساء

وقال: ان الاعلاء ان كانوا ذوي رشد بما يعانون من داء اطباء
وماشفاك من الاشياء تطلبها الا الألباء لو تلقى الألباء
نفر من شرب كاس وهي تتبعنا كأننا لمنايانا أحباء

وقال يصف الشباب: ان الشبيبة نار ان اردت بها أمراً فبادره ان الدهر مطفئها

وقال : اذا فعل الفتى ماعنه ينهى فمن جهتين لاجهة أساء

وقال في النساء :

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءه

---

(١) اللفم بالفاء، اللفام وهوما على طرف الانف من النقاب

فصلاة الفتى بالحمد والاخلاص تجزي عن بونس وبراءه
تهتك الستر بالجلوس أمام الستر ان غنت القيان وراءه

وقال في ادب الاخلاق :

اذا صاحبت في ايام بؤس فلا تنس المودة في الرخاء
ومن يعدم اخوه على غناه فما ادى الحقيقة في الاخاء
ومن جعل السخاء لاقربيه فليس بعارف طرق السخاء

وقال :

القلب كالماء والاهواء طافية عليه مثل حباب الماء في الماء
منه تنمت (١) ويأتي مابغيرها فيختلف العهد من هند واسماء
والقول كالخلق من سيء ومن حسن والناس كالدهر من نور وظلماء

وقال :

ينافي ابن آدم حال الغصون فهاتيك أجنت (٢) وهذا جنى (٣)
تغير حناؤه شيبه فهل غير الظهر لما انحنى (٤)

وقال: ان تستقيم امور الناس في عصر ولااستقامت فذا أمناً وذا رعبا
ولا يقوم على حق بنو زمن من عهد آدم كانوا في الهوى شعبا

وقال: يغدو على خله الانسان يظلمه كالذيب يأكل عند الغرة الذيبا

وقال: تقادم عمر الدهر حتى كأنما نجوم الليالي شيب هذي الغياهب

وقال في النمام :

وانك ان اهديت لي عيب واحد جدير الى غيري بنقل عيوبي

وقال في الرياء :

والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقال في فساد الناس :

عرفتكم بني حواء قدماً فكلكم أخو ضغن مكور
ومافيكم على الاحسان جاز ولامنكم على النعمى شكور

---

(١) ظهرت (٢) ادركت ونضجت (٣) اي اثماً ونحوه (٤) وهو بمعنى قول الآخر

يامن يدلس بالخضاب مشيبه ان المدلس لايزال مريبا
هب ياسمين الشيب عاد بنفسجاً أيعود عرجون القوام قضيبا

وقال: صدف الطبيب عن الطعا م وقال ما كله يفر
كل باطبيب ولا خلا ص من الردى فلن نغر

وقال: مثل الفتى عند التغرب والنوى مثل الشرارة ان تفارق نارها
ان صادفت ارضاً أرتك خمودها أو وافقت اكلاً أرتك منارها

وقال: وان اقتناع النفس من احسن الغنى كما ان سوء الحرص من اقبح الفقر

وقال: وما الوقت الا طائر يأخذ المدى فبادره اذ كل النهى في بداره
رأتك البرايا ظالماً يا ابن آدم وبئس الفتى من جار عند اقتداره

وقال: اضرب وليدك تأديباً على رشد ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة وقس على شق رأس السهم والقلم

وقال: النفس عند فراقها جثمانها محزونة لدروس ربع عامر
كحمامة صيدت فئنت جيدها اسفاً لتنظر حال وكر دامر

ولقد نسبه بعضهم الى الكفر لقوله:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ولكنه قال ايضاً في محل آخر:

خلق الناس للبقاء فضلت امة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعمال الى دار شقوة او رشاد

وقال ايضاً:

فاني وجدت النفس تبدي ندامة على ما جنته حين يحضرها النقل
وان صدئت ارواحنا في جسومنا فيوشك يوماً ان يعاودها الصقل

وقد لوم في قوله ايضاً:

تاه النصارى والحنيفة ما اهتدت ويهود حيرى والمجوس مضلله
قسم الورى قسمين هذا عاقل لا دين فيه ودين لا عقل له

والمرجح انه كان متردداً في مذهبه وربما كان اقراره بالدين في اخريات ايامه كيف لا وهو القائل:

عجبي للطبيب يلحد في الخالق من بعد درسه التشريحا
ولقد علم المنجم ما يو جب للدين ان يكون صريحا

رب روح كطائر القفص المسجون ترجو بموتها التسريحا

ومن ذلك قوله :

اذكر الهك ان هببت من الكرى واذا هممت لهجعة ورقاد
واحذر مجيئك في الحساب بزائف فالله ربك انقد النقاد
تغشى جهنم دمعة من تائب فتبوخ(١) وهي شديدة الايقاد

وقوله : ازول وليس في الخلاق شك فلا تبكوا عليَّ ولا تبكوا

وقوله : لا ييأسن من الثواب مراقب لله في الايراد والاصدار
فترى بدائع انبأت متحدثاً ان الجزاء بغير هذي الدار

وشعره كله عَلَى هذا النمط من حرية الفكر والشكوى وله من القصائد الفخرية المشهورة وغيرها ما نجتزئ عن ذكره الآن ومن نوادر قصائده مانشرته مجلة المقتبس (٢:٩٧ و٤:٦٦) . وعلى الجملة فان المعري دقيق التصور حتى يمثل لك احيانًا اموراً لا يستطيع تمثيلها البصير وهاك الآن من فلكياته ما يدل عَلَى سمو مخيلته فمن قوله في الفجر :

كأن سنا الفجرين لما تواليا دم الاخوين زعفران وابدع
افاض عَلَى تاليهما الصبح ماءه فغير من اشراق احمر مشبع

وقوله : كأن الليل حاربها ففيه هلال مثلما انعطف السنان
ومن ام النجوم عليه درع يحاذر ان يمزقها الطعان
وقد بسطت الى الغرب الثريا يداً غلقت بانملها الرهان
كأن يمينها سرقتك شيئاً ومقطوع عَلَى السرق البنان

وقوله يغرن عليَّ الليل اذ كل غارة يكون لها عند الصباح توالي
ولاح هلال مثل نون اجادها بجاري النضار الكاتب ابن هلال

ولقد اعتنى كثير من الغربيين بجمع اشعاره وترجمتها الى لغاتهم مثل كارليل (Carlyle) المستشرق الانكليزي استاذ العربية في جامعة كمبردج في اواخر القرن الثامن عشر فانه ترجم بعض ابيات باللاتينية والانكليزية . وهكذا فعل المستشرق النمساوي فون كريمر (Von Kremer) فانه نشر مقالات كثيرة في (المجلة الجرمانية الآسيوية) عن ابي العلاء وافكاره وشعره نظماً سنة ١٨٧٧م ثم الف كتاباً

---

(١) تخمد

بعنوان (اشعار ابي العلاء المعري الفلسفية) طبع في فينا سنة ١٨٨٨ نقل فيه نثراً اكثر من مائتي بيت من شعر المعري . ثم ترجم رباعياته بالانكليزية نظماً صديقي امين افندي الريحاني اللبناني بكتاب انتخبه من دواوينه الثلاثة وطبع في نيو يورك سنة ١٩٠٣ في ١٤٤ صفحة صدره بمقدمة بحث فيها عن ابي العلاء وسيرته ومن رأيه ان عمر الخيام الشاعر الفارسي قد تحداه وهما متعاصران . واختار موسى افندي بيكييف من افاضل قازان (روسيا) منتخبات من لزوميات المعري ونقلها الى التركية في نحو مائتي صفحة مطبوعة في اورنبورغ سنة ١٩٠٨م . واعتنى كثير من القدماء بدواوينه فان عبد الله بن السيد البطليومي النحوي الاندلسي شرح سقط الزند شرحاً استوفى فيه المقاصد وهو اجود من شرح ابي العلاء صاحب الديوان المسمى بضوء السقط . وكذلك التبريزي خريج المعري شرح سقط الزند .

وكان حسين بن الجزري شاعر بني سيفا امراء طرابلس الشام مغرماً بالمعري فكتب عَلَى ديوانه لزوم مالايلزم

ان كنت متخذاً لجرحك مرهماً ... فكتاب رب العالمين المرهم
اوكنت مصطحباً حبيباً سالكاً ... سبل الهدى فلزوم مالا يلزم

ودواوينه الثلاثة مطبوعة في مصر وسورية . وقد قابلت مجلة المقتطف الغراء بينه وبين ملتون الشاعر الانكليزي الضرير صاحب (الفردوس الضائع) راجع السنة العاشرة صفحة ٤٤٩ ومجلة الهلال الغراء ترجمته في السنة الخامسة عشرة صفحة ١٩٥ . وترجمه رضاء الدين افندي بن فخر الدين من علماء اورنبرغ في روسية بالتركية التترية في ٧٢ صفحة طبعت في المدينة المذكورة سنة ١٩٠٨ . وغيرهم

ولقد كان المعري والمتنبي وابن هانئ ممن اختطوا خطة جديدة في الشعر لم ترق في عيون المحافظين عَلَى الاسلوب القديم فلذلك لم يسمحوا للمترشحين للنظم ان يتحدوهم كما في مقدمة ابن خلدون وغيرها فالمعري اشبه بفكتورهيكو عند الافرنسيين وكذلك صنواه

٦ — نثره وكتبه

اهم ماوصل الينا من نثر المعري رسائله التي نشرت في بيروت سنة ١٨٩٤ مشروحة بقلم الاستاذ شاهين عطية اللبناني في ٢٤٠ صفحة . وفيها تكلف غريب وإغراب في النثر لم تألفه العامة واليك الآن أمثلة منها تعرفه عند القراء :

فمن نثره قوله من رسالة «ان كان للآداب أطال الله بقاء سيدنا نسيم يتضوع . وللذكاء نار تشرق وتلمع . فقد فغمنا عَلَيّ بعد الدار أرج أدبه . ومحا الليل عنا ذكاؤه بتلهبه . وخول الاسماع شنوفاً غير ذاهبة . واطلع في سويداوات القلوب كواكب ليست بغاربة .» ومما كتبه الى صديق له سأله ان ينقصه في ترتيب المكاتبة «وقد أيقنت ان رسل نصيحته ليس بسمار . وان صواب رأيه عن غير ائتمار . ولم اكتب في امر ابي فلان الا متشكراً ثم ثنيت باسترفاد المعونة مذكرا . اذ كان ادام الله عزه لايشير لسائله الى الرفد البعيد . ولا يضرب لراجيه رؤوس المواعيد» وكتب الى ابي القاسم المغربي جواباً عن فصل كتبه اليه وهو برمته «كلما هم خبري بالهمود . واشرفت عَلَى الخمود . نعشني الله بسلام يرد من حضرته يجعل اثري كالروضة الحزنية . والبارقة المزنية . ولو كنت عن نفسي راضياً . لشرفتها بزيارة حضرته . ولكني عنها غير راض . وما اقربني الى انقراض . ولقا انا قضيض التمراد . ومتخلف المراد . قد عددت في اناس قيل فيهم تهلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون . عما كانوا يعملون . فان نعمت اوشقيت . فدعائي يتصل بحضرته مابقيت اه» وكتب من رسالة «لو اتصلت كتب مولاي كاتصال الامطار وتوالت توالي الانفاس لكنت بوليها . أمرمني بوسميها . والى مستأنفها . أشوق مني الى سالفها . ومايكتب الا في بر . ولا يحث عَلَى غير المصلحة في الجهر والسر . ومادري ماقول في السعادة التي قد رزقتها عنده حتى غطت معايبي . وسترت الاسدة التي أضرت بي . فما انكر بعدها ان تعد نطفات الدرلام الادراص . وان تصاغ مناطق الذهب للرباح . وان يدعى المدعون ان ريش ابن انقد سهام صائبة . اوقنوات يزنيه .... » وقد اطال في بعض رسائله حتى ان المطالع يمل مطالعتها ولا يتجلد ليتم قراءتها واخصر رسائله ما ختمها بقوله

«كانت كتبي اليه كبارح الأروى تكون في الدهر مرة . والآن صارت كسوانح الغربان وبوارح الظباء

تكاثرت الظباء على خراش   فما يدري خراش مايصيد

ومن الحف فدواؤه ماقال بشار . وليس للحف مثل الرد . وعليه سلام لو كان يوماً لكان يوم عرفة . اوشهراً لكان ثالثاً اي شهر رمضان والسلام وحسبي الله وحده» وقد عني بطبع رسائل المعري هذه الاستاذ مرغليوث وترجمها بالانكليزية معلقاً عليها شروحاً مفيدة من ادبية وتاريخية مصدرة بترجمة المؤلف للمؤرخ شمس الدين الذهبي معتمداً عَلَى

نسخة في مكتبة ليدن قابلها عَلَى نسخة بيروت المشار اليها وقال انها ينقصها تسع رسائل وبعض العاشرة ·

ومن نثره الذي بين ايدينا الآن (رسالة الغفران) وهي التي وصفها شمس الدين الذهبي في ترجمة المعري بقوله « له رسالة الغفران في مجلدة قد احتوت على مزدكة واستخفاف وله رسالة الملائكة ورسالة الطير عَلَى ذلك الانموذج » ارسلها الى علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح [1] صدرها باشواق وتحيات ثم اشار الى وصول رسالته اليه واثنى عليها ثم استطرد الى وصف الجنة ونعيمها ومن دخلها من الشعراء والملائكة عَلَى اسلوب اشبه بالشعر القصصي الروائي عند الافرنج اليوم فجاء بعده باكثر من قرنين دانتي شاعر الايطاليين ونسج عَلَى منوالها (الرواية الالهية) وملتون شاعر الانكليز (الفردوس الضائع) وغيرهما ولكنهما لم يغربا باللغة مثله · وقد طبعت رسالة الغفران مصححة بقلم الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني في مصر سنة ١٩٠٧ م في ٢١٣ صفحة · ولها نسختان مخطوطتان احداهما في المكتبة الخديوية بمصر والثانية في مكتبة الكوبريلي في الاستانة · ولا بأس ان ننتخب منها الآن قوله في الشعر صفحة ٥٥ : « فقال وما الاشعار فاني لم اسمع بهذه الكلمة قط الا الساعة · فقلت الاشعار جمع شعر · والشعر كلامٌ موزون تقبله الغريزة عَلَى شرائط ان زاد او نقص ابانه الحس · وكان اهل العاجلة يتقربون به الى الملوك والسادات فجئت بشيءٍ منه اليك لعلك تأذن لي بالدخول في هذا الباب » ومن قوله في اللغة صفحة ٩٣

« والباب فيما كان مضاعفاً متعدياً ان يجيء بالضم كقولك عددت اعد ورددت ارد وقد جاءت اشياء نوادر كقولهم شددت الحبل اشد واشد ونممت الحديث انم وانم وعللت القوم اعل واعل · واذا كان غير متعد فالباب الكسر كقولهم حل عليه الدين يحل وجل الامر يجل · والضم في غير المتعدي اكثر من الكسر فيما كان متعديا كقولهم شح يشح ويشح وشب الفرس يشب ويشب وصح الامر يصح ويصح وفحت الحية تفح وتفح وجم الماء يجم ويجم وجد في الامر يجد ويجد في حروف كثيرة اه »

وللمعري مؤلفات كثيرة غير ماذكر المع اليها الحاج خليفة في كشف الظنون اهمها ظهر العصري في النحو · والفصول والغايات · واقليد الغايات · وكتاب الفصول · وكتاب

(١) وقد اراني صاحب مجلة المقتبس نسخة من رسالة ابن القارح هذه سينشرها قريباً ·

السادر · وقاضي الحق · والقائف عَلَى مثال كليلة ودمنة وتفسير منار القائف · ومبهج الاسرار · وملقي السبيل في المواعظ · والمواعظ السنية ونظم السور · والحقير النافع في النحو · وخطب الخيل عن السنتها · ورسائل المعونة · والصاهل والساجح · وزجر النابح يتعلق بلزوم ما لا يلزم · والسجعات العشر في الوعظ · وسجع الحمائم · والسجع السلطاني في مخاطبات الملوك والوزراء · وسجع الفقيه · وسجع المضطرين عمله لرجل تاجر يستعين به عَلَى دنياه · وشرف السلف عمله لامير الجيوش · واهم مؤلفاته الايك والغصون او الهمزة والردف لم يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من فنون الشعر والادب الا احصاها يقع في الف ومائتي كراس وربما بلغ اربعين مجلداً من كتبنا اليوم · الى غير ذلك مما يغني قليله عن كثيره

فهذا شيخ المعرة وفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة وهذه آثاره التي خلفها لنا رحمه الله تنشد قول ابي الفتح حصينة المعري فيه :

وعجبت ان تسع المعرة قبره ... ويضيق بطن الارض عنه الاوسع
لو فاضت المهجات يوم وفاته ... ما استكثرت فيه فكيف الادمع

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

نظرة في النظرات

تتمة ما ورد في الجزء الماضي

اراد المنفلوطي في كلامه هذا ان يخطئ الامام بأن ما دعا اليه من المبادئ الدينية لم يحن بعد وقتها وان سواد هذه الامة لم يتأهلوا لقبول هذه المبادئ جاعلاً ذلك علة العلل في الحادهم ومروقهم من الدين وهو قياس منطقي أُعيذ المنفلوطي عن ان يحشو فكره بمثله من الاوهام والخيالات التي ابان فيها عن فكر ليس له حظ من التجربة والاختبار ·

لا يستطيع صاحب النظرات فيما اعلم ان ينكر ان جل الداعين ان لم اقل كلهم انجبهم الدهر وولدتهم العصور في اوقات كانت فيها الافكار حيرى يقارع بعضها بعضا في ميدان الحياة · ومن هنا نعلم الحاجة الماسة الى المرشدين في مثل هذه الاحوال الحرجة والمآزق الضيقة وانهم متى قاموا بفكرة اصلاحية لابد ان يلاقوا في طريقهم من عثرات الفريق المخالف ما يستهدفون معه لضروب الايذاء فيقومون بين مثالب الطعن والنقد حتى تتسرب

الفكرة الى بعض من يعمل عَلَى نشرها في سرهم وجهرهم ليبقوا من سعيهم هذا خميرة حيوية في المجتمع الانساني لمن يأتي بعدهم ممن تجد لها من عقولهم مباءة فتتأصل في نفوسهم فيستفيدون اذ ذاك ويفيدون بما يدعون اليه ويسعون وراء اشرابه النفوس ماوجدوا الى ذلك سبيلا ·

بمثل هذا قامت المذاهب والاديان وتأبدت الآراء العلمية والنظريات الفلسفية · واذا لم يكن الامر كذلك فليدلل لنا المنفلوطي برهانا يبين مصلحاً قام بفكرة جديدة ولم يقم في وجهه في بيئته حتى من بني جلدته من يعمل عَلَى محاربتها اومناهضته بكل مافيه من قوة وقدرة ·

ويا لله كيف جاز له ان يحكم عَلَى ان المبادىء السامية التي دعا اليها الشيخ محمد عبده كانت مدعاة للالحاد والمروق من الدين بدعوى ان دعوته لم يجن بعد وقتها او انه يوجد ثمة من يمقتها وينبذها او انها نشرت بين فئة اتخذوا من هداها ضلالا ومن نورها دجى حالكاً · وهؤلاء تلامذته مصريهم وشاميهم وعراقيهم وحجازيهم في عامة الاقطار يتناغون في مبادئه ويتدارسون كتبه لم ينظر اليهم الاستاذ المنفلوطي ونظر الى فئة ضالة مضلة لابد من وجودها في كل عصر ومصر

وكان الواجب على من لم يفهم مااراد الاستاذ الامام اواشتبه عليه بأن يسأل عنه اهل العلم فقد قال احد شيوخ العلم : « يستحيل في نظر العقل ان يدعو الحق الى الباطل والهدى الى الالحاد وأصول الدين الصحيح الى المروق منه ، بل ماابطل مبطل ولا الحد ملحد ولا مرق مارق الا بجهله بالاصول الصحيحة ونبذه التعلم السديد وسلوك جواده القويمة »

ولو كان من شروط الدعوة فقد المناوئين خشية مناهضتهم ومحاربتهم لما قام نبي بدعوة ولا عالم بأرشاد وتعليم ولكانت الفكرة الاصلاحية التي قويت وشاعت بالمناهضة ثوت في ثرى الرمس قبل ان يلحد القائم بها ولما كنا رأينا كتاباً منزلا ولا ادبا غضاً ولا علماً صحيحاً وبالجملة ما كانت للامم مدنية زاهرة ولا عمران زاخر ·

ولا وجه لانكاره عَلَى هذا الامام التأويل لان اتخاذ التأويل قاعدة مما لانكران فيه في كل تأويل جرى اللسان في مثله ووسعته اللغة وهي لثروتها وغزارة مادتها وسعت من المجاز مايربو عَلَى الحقيقة حتى صرح أئمة البيان بأن المجاز اكثر من الحقيقة · ولو اعار نظره الى من سبق ذاك الامام في مسألة الجن والملك كحجة الاسلام الغزالي والراغب

الاصفهاني والقاشاني ونحوهم لما اكبر هذه المسألة وقد اوضح ذلك الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه « مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن » وافاض في هذه المسألة بما لا يبقى معه ريبة لمرتاب فليرجع اليه من شاء (١)

واما ماقام به الامام من بيان اسرار الدين وحكمه فذلك فن قديم عني به ائمة الاسلام وفلاسفته كالأئمة الذين تقدم ذكرهم واضرابهم وهو عندهم من اجل الفنون التي يجب درسها والتوسع فيها · وقد اخذوا على انفسهم ان يفهموا الامة ان الدين مؤاخ للعقل مؤازر للحكمة ليس فيه مايعلو عن العقل او ينبو عن الفهم وحجتهم في ذلك ان القرآن الكريم هو الذي مهد السبيل للتعليل وصرح بذلك في آيات لاتحصى كما اوضحه الامام ابن القيم في كتاب « التعليل » وقد حذا حذوه من المتأخرين حتى برع في هذا العلم — علم الحكم والاسرار — الامام ولي الله الدهلوي فألف كتابه المشهور « حجة الله البالغة » وافرغ جهده في استنباط الاسرار في العبادات والمعاملات حتى جاء في مجلدين كاملين حافلين ·

ولقد سفه المنفلوطي رأي قاسم بك امين ايضاً وانحى عليه لانه دعا المرأة وقد رآها في احط دركات الجهل الى ان تلم بمعرفة مايلزمها في جهاد الحياة وجلادها من تربية وتعليم لتكون امرأة صالحة لهذا المجتمع فتدير شؤون منزلها او تضرب في الارض لترتزق ان عضها ناب الفقر وفجعت بموت من يعولها ويكفلها وهو لم يدعها الى ذلك — كما يعلم المنفلوطي — الا خشية ان يمزق الحجاب وهي من الجهل المريع بمكان ·

وما ذنب قاسم بك ان بين رأيه ولم يأبه لكيد الكائدين من تجار الادب والدين « والمرأة اخذت بالاسهل من رأيه والالصق بنفسها من نصيحته فتبرجت ورفعت برقعها قبل ان تنسج لها برقعاً من الادب والحياء »

ومما لامشاحة فيه ان رجل المرأة قاسم بك قام بدعوته احسن قيام فوصف الدواء بعد ان شخص الداء ولو كان في البلاد الاوربية لاقيمت له النصب والدمى — وان كان صاحب النظرات لايقول بالتماثيل — احتفاء به واعترافاً ببيض اياديه وسابقة فضله عليهم او لو كان المنفلوطي يقدر عمل العامل وفضل الفاضل لما جرأ على ان يقول فيه : « مارأيت باطلا اشبه بالحق من باطله » (٢)

---

(١) طبع في الاعداد الثلاثة من المجلد الخامس من هذه المجلة ثم أفرد منها كتاب خاص على حدة (٢) مقالة طبقات الكتاب ص — ٤٣٢

— ٣ —

آراؤه

ذهب الاستاذ المنفلوطي في طائفة من آرائه مذاهب فريق من فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر في اوربا حتى قابله بعضهم بروسو من حيث نظره الى المجتمع الانساني ومما قالوه : ان ما كتبه روسو في فن التربية والتعليم قائلا : « ايها الرجال ، لا ترهقوا النشء الصغار على ان يفكروا كما تفكرون و يعتقدوا ما تعتقدون ولا تحاولوا افساد ملكاتهم بهذه الفضيلة الموهومة والحرية المطلية التي هي في مذهب العقل غاية العبودية ومنتهى الاسترقاق الخ ٠٠٠ » — ان ما قاله روسو تعرض له المنفلوطي في فصل له عنوانه « مدينة السعادة » [1] « واغرب ما لفت نظري اني لم ار في تلك المدينة ذات التمايز الذي اعرفه في مداشنا بين الناس في منازلهم ومراكبهم وازيائهم كأن جميع سكانها سواء في حالة المعيشة ودرجة الثروة »

وفي المنفلوطي نزعة اشتراكية تجلى على اشدها في هذا الفصل في قوله : « وحسب الرجل من البشر بيت يؤويه ومزرعة صغيرة يقتات منها ودابة تحمل اثقاله ثم لا شأن له فيما سوى ذلك »

وقالوا : يرى روسو ان الدور العالية التي شيدتها الحكومات للتعليم هي التي تغرس مبادئ الجهالة في النفوس وتبعد الانسان عن عقله وفطرته [2] والمنفلوطي يقول : « واي حاجة الى المدارس في مثل هذا المجتمع وليس بأبر بآبائنا منا فنحن الذين نتولى تعليمهم وتهذيب نفوسهم وتمرينهم على العمل النافع فلا مدارس عندنا غير المصانع والمزارع نعلمهم كيف يرمون البذور وكيف يستنبتونها وكيف يصنعون الآلات الزراعية وكيف يستعملونها الخ ٠٠٠ »

وبالجملة فمن رأي الشيخ المنفلوطي ان لا يكون في هذا المجتمع سيد ولا مسود ولا غني ولا فقير ولا حاكم ولا محكوم فالشطر الاكبر من الفلسفة التي يتثني اثرها هي فلسفة خيالية لا تأثير لها في ابناء القرن العشرين الا بقدر ما للاساطير من التأثير في العلوم الرياضية ٠ وهي ان جاز ان يكون لها انصار قبل مائتي سنة او يزيد فلن تجد لها فيما احسب من هذا الجيل الجديد الناشئ على افكار داروين وهيكل وهكسلي وسبنسر ورانكي وموسن وبالزاك وزولا نصيراً وظهيراً لانها مخالفة لسنن الطبيعة والحياة العملية ٠

---

(١) ص — ٣٨ (٢) التربية الاستقلالية

وقد ذهب مذهب (اسكندر دوما فيس) ولفيف من مفكري المتأدبين الغربيين في مقالته « غرفة الاحزان [1] » في المرأة المجرمة من حيث انهم يمهدون لها الاعذار ويرون الرجل اجدر باللائمة منها لانها ضعيفة مفرطة الشعور ولانه هو الذي هم بها فراودها عن نفسها واراد ان ينزل بها السوء فخدعها اذ عاهدها ان تكون له زوجة ويكون لها بعلا فسلبها قلبها وشرفها وعفتها وغادرها حين علم ان في احشائها جنينا يضطرب وبين جنبيها ناراً تضطرم وكان سبب شقائها حتى اصبحت حزينة ذليلة تفضل الموت على عيش لاتستطيع معه ان تكون زوجة لرجل او أماً لولدواخذ المجتمع البشري يتهكم بها ويعبث مما زادها حزنا واكتئابا .

وقد مثل انا هذه البغي وقد تركت وراءها ماتراه من النعمة الواسعة والعيش الرغد في ذلك القصر الذي كانت متمتعة فيه بعشرة امها وابيها الى منزل حقير في حي مهجور لايعرفه احد ولا يطرقه طارق لتقضي فيه البقية الباقية من حياتها .

ولم يكتف ببيان هذه الجناية وحدها بل جعل ان امها واباها قضيا حزنا لفقدهـا ويأساً من لقائها وختم الحادثة بان اضاف عَلَى تلك الجنايات جناية اخرى وهي هلاك المرأة المجرمة بعد ان اودع نفسها من العواطف الشريفة ما شعرت معه بمصيبتها حتى ساورتها الهموم وبلغت منها مبلغاً اودى بحياتها وهكذا ضاعف الجرم عَلَى الرجل وجعله كاذباً وخادعاً ولصاً وقاتلا وختم المقالة وهو يحض الرجال القاسية قلوبهم النصح للرفق بضعيفات النفوس من النساء .

والظاهر ان الاستاذ المنفلوطي كان لاينظر الى الحقيقة من حيث هي بل كان قلمه حين يأتي عَلَى وصف حادثة يختلف باختلاف المظاهر والمؤثرات فبينما نرى صفحات مقالته هذه مكتظة بماملأ النفوس شفقة ورحمة وعطفاوحنانا عَلَى العاهرات اذا به يضن عليها بجندي يقف ليخفرها ممن يريد ان يسلبها من الحقوق مالم يبق لها منها الا القماء ويستكثر عليها ذلك في موقف هي خليقة بالشفقة والعناية اكثر من كل المواقف .

ولقد رأيناه وهو يتكلم عَلَى « المرقص » في الازبكية يحمل على الحكومة المصرية حملة منكرة ويحتدم غيظاً وحنقاً لان هذه الحكومة المدنية المادية (عَلَى رأيه) التي هي مسؤولة امام القانون عن استقرار الامن واستتبابه تبعث بجندي يحمي ابواب العاهرات لئلا يعبث المشاغبون بالامن والسكينة او يعيثوا في الارض فسادا .

---

(١) ص — ١٤٣

وعما قال :[١] « ان العين لا تكاد تملك مدامعها سحاً وتذرافاً كلما ابصرت هذا الجندي الشريف واقفاً هذا الموقف الذليل يسمع قراع الدفوف ، لا قراع السيوف ويرى حمرة الصهباء لا حمرة الدماء ويحمي الفسق والفجور لا القلاع والثغور . وما اعجب لشيء عجبي لهذه الحكومة التي تضن بجنديها ان يشتمه شاتم او يلمسه لامس فتغضب له غضبة مضرية تتراءى فيها الشهامة والحمية والعزة والنخوة ثم لا تضن ان تؤجره نائحة في الجنائز ، او قوادة في المراقص »

هذا ماقاله المنفلوطي وما يحدوه الى هذا الا انه ود ان يكون في طليعة من يعمل بالدرس الذي القاه على الرجال القاسية قلوبهم ليعلمهم فيه الشفقة والرحمة والاحسان !!! وما اراه في مبدإه هذا الا كتولستوي الفيلسوف الروسي الشهير الذي يهيج هائجه على الحكومة الروسية و يصمها بالمعرة والدعارة لانها تبعث بالاطباء الى المواخير العامة وتعهد اليهم ان يعنوا بتطهيرها خيفة ان تنتقل جراثيم الادواء الدوية من هؤلاء البغيات الباغيات فتعم الشعب بأسره وتراه يرمي الاطباء بكل مكروه بدعوى انهم يدعون وراء اشاعة الموبقات و تسهيل اسباب الفسق والفجور[٢]

و يقضي علينا الاخذ برأي هذا المصلح الاخلاقي الروسي ان نهمل تعهد اماكن الفسق والمواخير وان ندع الجراثيم تفتك بمن ملكت عليهم امرهم لتسري العدوى في الآخرين وتنتشر الامراض الوبيئة الوبيلة في الامة حتى تهلك عن آخرها بدعوى صون اخلاق الشعب كيلا يتطرق اليها الفساد والخلل .

وقد رحم السيد المنفلوطي المرأة البغي في غير هذا الموضع ايضاً وحض على التزوج بها[٣] ليرد اليها عرضها وزعم ان ذلك من اعظم القربات وعد الرجل الذي يرد العرض الضال الى صاحبه المفجوع فيه اشرف ممن يمنح الحياة فاقدها . على شرط ان يكون الباعث على الزواج الرحمة والرأفة والحنان والشفقة لينظر في اصلاح قلبها ويحاول ان ينزع من جنبيها ملكة الفساد الراسخة في نفسها و يداخلها مداخلة المؤدب المهذب الذي يصور في نظرها معيشة الفساد بصورة تنفر منها وتشمئز لها .

ومما قال : « ليت الرجال يأتمرون جميعاً على ان يستنقذوا بهذه الوسيلة الشريفة (الزواج) كل امرأة ساقها فقرها وعدمها او فقد عائلها الى البغاء »

(١) ص ١٥٢ (٢) رواية البعث لتولستوي (٣) مقالة الاحسان في الزواج ص — ٢١٤

وقد صرح في هذه المقالة ان « بغاء البغي شقاء ماجناه عليها الا الرجل فجدير به ان يغرم ما اتلف و يصلح ما افسد » وتعرض للمرأة ايضاً في مقالة التوبة [1] فكأن بين جنبيه جذوة نار من الحقد والموجدة تنقد على الرجل لانه قتلها وعلى المجتمع الانساني لانه لايعاقب القاتل على جرمه ولا يسلكه في سلسلة المجرمين .

والغالب ان ثقته بالجرائد المصرية ضعيفة جداً فهو يراها نادياً من اندية القمار والكتاب جماعة اللاعبين والرؤوس المصرية موضوعة على مائدة الالعاب كما توضع الاكر على طاولة « منضدة » (البلياردو)

والسيد وطني سلمي معتدل يفضل اتفاق الاحزاب السياسية على اختلافها وتعارفها على تناكرها مادامت الغاية من تأليفها « تحرير الوطن من رق العبودية »

ومن رأيه ان العلماء والجهلاء سواء [2] وليس بين الفريقين من الفرق الا ان هؤلاء لايعرفون كيف يعبرون عن آرائهم وافكارهم واولئك اعرف منهم في كيفية افضاء الحكمة اليهم وسعيهم وراء وعظهم وارشادهم وان ما ينطق به الحكيم العالم من جوامع الكلم هو نفس ما يأتي به الجاهل من الامثال لولا ان كلام الاول في اسلوب محود ومقال الثاني في تعبير مبتذل .

يقول قوله هذا ثم يكتب في مقالة « موت العظماء » مانصه : [3] « ليست هذه العشرة ملايين (يعني المصريين) التي نراها الا اطفالا رضع ، وسوائم رتع لولا علماؤها واذكياؤها الذين يقودونها الى الخير و يأخذون بيدها في ظلمات الحياة »

فليت شعري اذا كان العلماء والجهلاء في مستوى واحد من العلم والتربية فلماذا ينحي على أمته وابناء دياره و ينزلهم منزلة الحيوانات العجم وفيهم العالم والجاهل . واذا كان المنفلوطي قد وجد في معاجم اللغة ان مادتي العلم والجهل من الالفاظ المترادفة فيكون كلامه حينئذ جامعاً لمتناقض الاحكام .

— ٤ —

لغته

لم ار فيما رأيت من الكتب الممتعة التي وعت نتاج قرائح اهل الادب في هذا العصر كالريحاني وامثاله افصح لغة ولا اصح تركيباً من كتاب « النظرات »

فانك ترى على فصوله مسحة العربية الاولى وقد خلت في الغالب من ركاكات الكتاب

(1) ص — ٤٠٥ (2) ص — ٣٢٣ (3) ص ٣٥٦

الجدد والمبذوء من تراكيبهم وجملهم المتعاظلة التي اعتورتها العامة حقبة من الزمن انسلخت فيه عن العربية الخالصة حتى اصبحت الى الاعجمي اقرب منها الى اللسان العربي المبين ·

بيد اننا نرى من الواجب ان لانمسك القلم في نقد ما رأينا من سقطاته في جمل نزلت منزلة اقوال العامة والفاظ لغوية كان الاجدر بكتاب ادبي مثل هذا ان يكون مصونًا عنها ·

فما نأخذه به استعماله فعل (ازدرى) متعديًا بالباء والعرب لايعرفونه الا متعديا بنفسه في قوله في مقالة « النبوغ » « من العجز ان يزدري المرء بنفسه » واستعماله (الوظيفة) بمعنى (المنصب) وقوله : « خرج في المنطق عن الحيوانية والناطقية » والصواب ان يقال : « من الحيوانية والناطقية » وقوله « جداً عجيب » والاولى ان يقال « عجيب جداً » لان « جداً » اذا قدمت اضيفت الى مابعدها ونسبته « بديهة » عَلَى « بديهي » وكان عليه ان يقال (بدهي) كما يقول في « بجيلة (بجلي) واستعماله (تلائم) بمعنى التأم في قوله في مقالة الجمال « غير متناسبة ولا متلائمة » وقوله : « و يحبس عليها انفاسها » فان حبس هنا لاتتعدى الا بـ « عن » فاذا تعدت بـ « عَلَى » كانت بمعنى « الوقف » واستعماله « البسيط » بمعنى « الساذج » وقوله « ودققت النظر » والعرب تقول · « دقق الشيء اذا انعم دقه » واستعماله « تربى » بدل « ربي » وجمعه لفظة « مثل » على « امثلة » والمسموع « امثال » وقوله « في السنة العامة » والصواب « عَلَى السنة العامة » واستعماله « الاعواج » بدل « الاعوجاج » و « تعرج » عوضًا عن « تعوج » و « احتجز » بمعنى « منع » وقوله « لاتسلم الا الحياة » وهي عامية والافصح « ولاتفادي الا بالحياة » وادخاله واو الحال عَلَى الماضي بعد الا كما انها لاتدخل عَلَى المضارع المثبت في قوله « فما رأيت سطوراً متقطوعة الاواسط متشابهة الاطراف الا وقرأتها » وقوله « نهشه في اصبعه » والصواب « نهش اصبعه » واستعماله « الاعراض » بمعنى « العلامات » وقوله « يودعه الله في فطرة الانسان » والصواب « يودعه الله فطرة » الخ · · · ·

هذا ما رأينا ان ننبه عَلَى ماورد في كتاب النظرات من الالفاظ والجمل مما لاعهد للعرب به كما ان ثمة الفاظًا اغفلنا ذكرها كاستعماله لفظة (المراسح) بدل (المسارح)

و (البالونات) عوضاً عن (المناطيد) و (الميكروبات) بدلا من (الجراثيم) و (الطاولة) بدل (المنضدة)

والعاقل يغتفر له هذه الهنات اليسيرة اذا عرف ان الكاتب بين ظهراني امة معظم صحافييها وادبائها وكتابها يرون ان في هذه اللغة التي يكتبون بها الغناء والكفاء عن ان يتحدوا العرب العرباء في مناحي اساليبهم واقوالهم ولله في خلقه شؤون .

— ٥ —

وصفه

وهب السيد المنفلوطي ملكة خارقة في الوصف تكاد تكون فيه طبعاً وسليقة . واني لاقرأ له القطعة الادبية فيخيل الي من سحرها ان نفحة من قلم « هيكو » تهب علي فلا اكاد اتم قراءتها حتى اهم باعادتها المرة بعد الاخرى واحمد الله على ان وجد في هذا العصر من ينفح هذا الهيكل البالي من الادب روحاً جديدة ليحيا حياة رغد وهناء :

قال في مقالة الغد :[1] « الغد بحر خضم زاخر يعب عبابه وتصطخب امواجه فما يدريك ان كان يحمل في جوفه الدر والجوهر او الموت الاحمر »

« ولقد غمض الغد عن العقول ودق شخصه عن الابصار حتى لو ان انساناً رفع قدمه ليضعها لايدري ايضعها على عتبة القصر او على حافة القبر »

« الغد صدر مملوء بالاسرار الغزار تحوم حوله البصائر ، وتتسقطه العقول ، وتستدرجه الانظار فلا يبوح بسر من اسراره الا اذا جادت الصخرة بالماء الزلال »

« كأني بالغد وهو كامن في مكمنه رابض في مجثمه متلفع بفضل ازاره ينظر الى آمالنا واما نينا نظرات الهزء والسخرية ، ويبتسم ابتسامات الاستخفاف والازدراء »

« يقول في نفسه : لو علم هذا الجامع انه يجمع للوارث وهذا الباني انه يبني للخراب وهذا الوالد انه يلد للموت ماجمع الجامع ولا بنى الباني ولا ولد الوالد »

الى ان قال : « ايها الشبح الملثم بلثام الغيب ، هل لك ان ترفع عن وجهك هذا اللثام قليلا لنرى لمحة واحدة من لمحات وجهك . اولا فاقترب منا علنا نستطيع ان نستشف خيالك من وراء هذا اللثام المسدول فقد طارت قلوبنا شوقاً اليك ، وذابت اكبادنا وجداً عليك »

« ايها الغد ، ان لنا آمالا كباراً وصغاراً ، واماني حساناً وغير حسان . فحدثنا عن

(١) ص — ١

آمالنا اين مكانها منك ، وخبرنا عن امانينا ماذا صنعت بها أأذللتها واهنتها ، ام كنت لها من المكرمين. لا لا ، صن سرك في صدرك وابق لثامك على وجهك ولا تحدثنا حديثاً واحداً عن آمالنا وامانينا حتى لا تفجعنا فيها فتفجعنا في ارواحنا ونفوسنا فانما نحن احياء بالآمال وان كانت باطلة، وسعداء بالاماني وان كانت كاذبة »

وحسبنا هذه القطعة الذهبية التي اوردناها هنا دلالة على مكانة الكاتب من ملكة الوصف ومبلغ ماوهب من القوة الطبيعية في النثر الشعري او الشعر المنثور .

وللمنفلوطي في بعض فصول كتابه تشابيه جميلة واستعارات جديدة ربما غمضت على عقول من اعتادوا تمجيد القديم من المتأدبين او تعامى عنها بعض من يرى « المعاصرة حرمان » فلم يرفعوا لها شأناً ولم يقيموا لها وزناً كقوله : [١] « فتشت عن الفضيلة في قصور الاغنياء فرأيت الغني اما شحيحاً او متلافاً . اما الاول فلو كان جاراً لبيت فاطمة (رضي الله عنها) وسمع في جوف الليل انينها وانين ولديها من الجوع ما مد اصبعيه الى اذنيه ثقة منه ان قلبه (المتحجر) لا تنفذ اليه عاطفة الرحمة ، ولا تمر بين طياته نسمات الاحسان » وربما انكروا عليه وصفه القلب بالتحجر وعد جعله للاحسان نسمات اغراقاً منه في المجاز ومبالغة في الاستعارة ولكن الحقيقة في غير ما يزعمون .

ومثل قوله : « فقد عقد رياء الناس امام عيني سحابة سوداء اظلم لها بصري حتى ما اجد في صفحة السماء نجماً لامعاً ولا كوكباً ساطعاً » وقوله « درع منسوجة من نجيع » وقوله : « بهذه الصواعق التي يمطرونها علينا من سماء الصحف » ومن جمله الجميلة قوله : « وما نشر الظلام اجنحته السوداء في الافق حتى رأيتني احير من دمعة وجد في مقلة عاشق يدفعها الحب ويمنعها الحياء . لا اعلم هل انا سر كامن في باطن الظلماء ، او حوت مضطرب في اعماق الماء » وقوله ايضاً : « وهناك احسست بسلسبيل بارد من الامل يتسرب الى قلبي فينقع غلته ويطفئ لوعته » وقوله في مقالة يخاطب بها المحزون : « انت حزين لان نجماً زاهراً من الامل كان يتراءى لك في سماء حياتك فيملأ عينك نوراً وقلبك سروراً ، وما هي الا كرة الطرف ان افتقدته فما وجدته » وقوله : « ابتسامة هادئة » الخ . . .

وقد اجاد الشيخ في مقالة « غرفة الاحزان [٢] » ايما اجادة حتى ان قارئ القصة ليجد اثرها في نفسه بعد قراءته لها في دمعة تترقرق في جفنه فتنم عن عواطفه وشعوره . وما هي

(١) اين الفضيلة ص — ١٧ (٢) ص — ١٤٣

لوثلمت الا جائزة القلب الى اليراع الذي خط تلك السطور باسلوب يتدفق شعراً وشعورا . ولا يسعه الا ان يكبر ذلك الوصف الذي الم بعامة اطراف الحادثة اكباراً فكان جامعاً لما تشعر به النفس من دبيب الآلام واعياً لما يصدر عن النفس السامية من شريف العواطف .

— ٦ —

روح المؤلف

اذا صحت النظرية القائلة بان « الكتابة صورة الكاتب » جاز لنا ان نحكم على المنفلوطي انه من جماعة المتشائمين Pessimistes ولكن لا في مذهب من المذاهب الفلسفية او التاريخية او السياسية بل هو ممن يرون ان لاسعادة في الحياة ولاهناء وان من العبث ان يلقي المرء بنفسه الى التهلكة في معترك الحياة ما دامت الرذائل آخذة من النفوس مآخذها وان مانسميه فضيلة ليس الا خداعا ورياء ونفاقاً دعيت بالفضيلة وهي ليس لها ظل في هذا الوجود .

هو ينظر الى المجتمع نظر الحانق الناقم لانه يعتقد انه « مصاب بالسقم في فهمه والاضطراب في تصوره فلاعبرة بحكمه ولا ثقة بوزنه وتقديره اذ هو يسمي الفقير سافلا وطيب القلب مغفلا وطاهر السريرة بليداً والحليم عاجزاً » [1]

وانك لترى في مقالته « اين الفضيلة » روح اليأس مجسمة وما يتخيله او يفكر به هو قد مر بخاطر كثيرين من أدباء المشارقة والمغاربة وكثيراً ما اجهد الكاتب من هؤلاء نفسه ليضع قصة يأتي بها على شرور العالم ومفاسده وكنت كلما مررت بسطر من سطوره تصب اللعنات على هذه الحياة التي تراها مثال الشقاء، وتمثل أتمثل بقول الشاعر العربي الحكيم :

انما نحن بين ظفر وناب	من خطوب اسودهن ضراه
نتمنى وفي المنى قصر العمر	م فنغدو بما نسر نساه
صحة المرء للسقام طريق	وطريق الفناء هذا البقاه
بالذي نغتذي نموت ونحيا	أقتل الداء للنفوس الدواء
مالقينا من غدر دنيا فلا كا	نت ولا كان اخذها والعطاه
من فساد يحويه للعالم الكو	ن فما للنفوس منه اتقاه
قاتل الله لذة لاذانا	نالها الامهات والآباه

(١) مقالة الشرف — ص — ١٥٧

نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فإيجادنا علينا بلاء — الخ ...

يدلك على هذا ايضاً ما تقرأه له في مقالة «الشعرة البيضاء»[1] ويعني بها شعرة المشيب التي رآها تلوح في فوده فخاطبها مؤنباً اياها بانها تدني له الموت وبالغ في تأنيبها وتعنيفها، وأغرق في عتبها ولومها ثم رجع بعد ذلك لنفسه وكأنه ندم على ما فرط منه بحقها واخذ يخاطبها قائلا: «ما الذي يحمله في صدره لك من الحقد والموجدة رجل لم ينعم بشبابه فيحزن على ذهابه، ولم يذق حلاوة الحياة فيجزع لمرارة الممات ولم يستنشق نسمات السعادة غضا رطباً فيأسى عليها عوداً يابساً»

«ما الذي ينقمه عليك من الشؤون رجل يعلم انك وحي الامل الذي يبشره بقرب النجاة من حياة ليس فيها من السعادة والهناء الا لمحات قليلة يكدرها ما يحيط بها من الهموم والاكدار كما تكدر انفاس الحزن الحارة صفحة المرآة»

«اليس كل ما اعده عليك من الذنوب انك طليعة الموت الذي يخلصني من منظر هذا العالم المملوء بالشرور والآثام، الحافل بالآلام والاسقام، الذي لا أغمض عيني فيه الا لافتحها على صديق يغدر صديقه واخ يخون اخاه وعشير يحدد انيابه ليمضغ عشيره، وغني يضن على الفقير بفتات مائدته وفقير يقترح على الدهر حتى بلغة الموت فلا يظفر بامنيته وملك لا يفرق بين رعيته وماشيته، ومملوك لا يميز بين ملك الملك وربوبيته ونفوس تتفانى قتلا على لون حائل، وظل زائل، وغرض سافل، وعيش باطل وعقول تتهالك وجداً على نار تحرقها، وانياب تمزقها وعيون حائرة في رؤوس طائرة تنظر ولا ترى شيئاً مما حولها، وتلمع ولا تكاد تبصر ما تحتها»

هكذا رأينا المنفلوطي يرمي هذا العالم بنظرات كلها شؤم كما هو شأن جماعة المتشائمين في عامة شؤونهم واطوارهم واحوالهم. ولولا انه «لا يقول الا ما يعتقد ولا يعتقد الا ما يسمع صداه من جوانب نفسه»[2] لقلنا انها خطرات شاعر وجدت لها من مياه مخيلته مطلعاً ثم ما لبثت ان ادركها الغروب. اما وان هذا الكلام هو صورة من صور نفسه، فلا جرم انها حالة نفسية كثيراً ما تعرو من يميلون الى التجرد عن المادة ويرون في سكون الموت وظلمته حياة مفعمة بالحركة والنور والرغد والسرور!...

دمشق: صلاح الدين القاسمي

(١) ص — ١١٥ (٢) مقالة آداب المناظرة ص — ٢١٠

الى العرب [١]

يامعشر العرب الكرام تحية شغف النسيم بها فبات عليلا
رقت فلولا الشعر يحبس ذوبها وجدت لما بين السطور مسيلا
من شاعر لولا هواه بقومه ما كان يرضى باليراع خليلا
باتوا يلوموني وبات القلب عن لوم الوشاة بحبهم مشغولا
زادوا ولوعاً بالملام واسرفوا فيه فزدت ثغورهم تقبيلا
حلت الثغور بذكر من احببتهم فرشفت من برد اللمى معسولا
اني لاهفو ان ادرت حديثهم حتى كأنك قد ادرت شمولا
ماذا علي اذا عددت هواهم دينا وغيري عده تضليلا
والناس مختلفون في اهوائهم متباينون مشارباً وميولا
ولرب محسوس ترى آثاره ليست على كل النفوس شكولا
سجع الحمائم يستفز اخا الهوى طرباً ويحسبه الحزين عويلا

***

قومي وانتم خير من فوق الثرى واجلهم يوم الفخار اصولا
ردوا على الشرق القديم شبابه فالامر بات لعزمكم موكولا
شخصت لواحظه اليكم يبتغي نيل الرجاء فحققوا المأمولا
وانضوا العزائم للرقي وحسبكم يوم الطلاب تواكلاً وخمولا
لاتيأسوا فاليأس كم جرّ الردى وغدا على صنو النفوس دليلا
واخو العلى من لايزال طلابه ابداً بأسباب الرجا موصولا
فالروض يزهو بالنضارة بعدما نهكته عادية الهجير ذبولا
واذا المنى امتنعت وعز منالها كان الثبات بنيلهن كفيلا

***

فامشوا الى كبد العلاء بهمة تذر الجبال الشامخات سهولا
وتقحموا الغمرات واصطبروا لها فالمرء ان يجبن يعش مرذولا

(١) القيت في احدى الحفلات

والمجد مطلبه شديد فاخلقوا عزماً يذلل صعبه تذليلا

***

واستشهدوا التاريخ اصدق منبئ بالغابرات من العصور الاولى
ايام تبتدر الجياد شوازباً يضربن عرضاً في البلاد وطولا
يحملن ابطال الجزيرة طلعاً كالاسد ابرحها الحفاظ الغيلا
من كل اروع مثلما تهوى العلى كالسيف عضب الشفرتين صقيلا
تلقاه يؤثر ان يموت مكرماً عن ان يتمتع بالحياة ذليلا
فتحوا البلاد وغادرت اسيافهم في كل ارض رنة وصليلا
بيض اذا انتضيت ليوم كريهة وردت ظباهن الدم المطلولا
كتبوا بها في الدهر آية سؤدد لاتقبل التحريف والتأويلا

***

ذودوا عن اللغة التي وردت بها آي الكتاب وانزلت تنزيلا
هي روح نهضتكم ومعقد مجدكم فتعهدوها بكرة واصيلا
وحياتكم ياقوم فاحتفظوا بها او ترتضون عن الحياة بديلا

***

لاتحسبوا الدستور يسعدكم اذا لم تسلكوه للرقي سبيلا
واذا الصباح بدا ولم نجن الكرى لم يجدنا فاق الصباح فتيلا
فاسترشدوا بالعلم وانصرفوا له وتدارسوا المعقول والمنقولا
وابنوا المدارس في البلاد كأنها زهر تزيح من الظلام سدولا
وهي الكفيلة حين يعمر ربعها انا ننال من الزمان السولا
وتكاتفوا في السعي لاتتخاذلوا فيبيت كل خاذلاً مخذولا
وتعهدوا الاخلاق فهي اذا التوت تركت ممردة الصروح طلولا
ماكان تحرير الرقاب بنافع ان لم نحرر انفساً وعقولا

دمشق : جرجي الحداد

الكتابة والكتب ودورها [1]

افرأيتم المصريين الاقدمين وقد تركوا لنا كتبهم منقوشة على صفحات الجبال وفي بطون المغارات وعلى احجار البرابي والاهرام والمسلات ؟

ام هل اتاكم حديث الاشوريين ؟ فقد اكتشف النقابون في هذه الايام مصاحفهم مرقومة على اللبن ، وهو الطوب المشوي او المطبوخ . وذلك لان ارض ما بين النهرين مكونة من طمي دجلة والفرات فليس فيها جبل ولا حجر . ولكن ذلك لم يقف حجر عثرة في سبيل الغرام بالكتب . فصاروا يرقمون بالمسمار على الطين وهو نيء ثم يطبخونه في النار ، استبقاء لكتاباتهم على مر الادهار والاعصار

ثم انتشر هذا الغرام في مصر وعم وطم ، فاحتاج القوم لزيادة الكتابة ، واحسوا بما في النقش على الاحجار من الصعوبة ، فعادوا الى الطبيعة ، وهي الهادي الاكبر للبشر ، أخذوا البردي وعالجوه بما جعله صالحاً للكتابة ، وها هي آثاره في دار العاديات المصرية بقصر النيل في القاهرة ، واكثرها في متاحف اوربا ، واما الصين والهند ، فقد كفتهم دودة القز هذه المؤونة ، في القيام بما يدعوهم اليه الولوع بالكتب والكتابة ، واذا نظرت الى بني الاصفر وأعني بهم اليونان والرومان تجدهم قد استعانوا بالحيوان ، فعالجوا الجلود وصنعوا منها مانسميه بالرقوق

واول من استنبط ذلك الاغارقة من اهل فرغامة ، وهي مدينة بآسيا الصغرى تسمى عندهم برجامة **Pergame** فصار اسمها علماً على هذا المصنوع من الرقوق ، ولا يزال باقياً عند جميع الافرنج الى الآن ، فان اهل ايطاليا يسمون الرق (بفتح الراء) برجامينو *Pergamino* اي الفرغامي لان العرب تقلب الباء الفارسية الى الفاء لقرب المخرج كما قالوا في *Platon* افلاطون وهكذا . واما الاسم العربي فهو مأخوذ من ترقيق الجلد بعد دبغه .

اما العرب فبلادهم جرداء قحلاء فلم ينقشوا على الاحجار ، ولم يطبخوا الطين على النار ، ولم يهتدوا الى صناعة الترقيق . ولكن ذلك لم يكن حائلا دون غرامهم بالكتابة والكتب . فكانوا قبل الاسلام في عصر النبوة يكتبون على عسيب النخل اي تحوف

(١) من محاضرة لاحمد بك زكي احد الباحثين العالمين في مصر القاها في نادي موظفي الحكومة في الاسكندرية في شهر رمضان الماضي

الجريد لكثرة هذه الشجرة المباركة في بلادهم . و يكتبون عَلَى الواح العظام (وكثرتها ناشئة عن ذبح الاضاحي) ويكتبون على نوع من الاحجار المصقولة التي يلتقطونها من فيافيهم و بواديهم .

ونقف بالكلام عَلَى العرب دون سواهم من الامم الاخرى . فانهم مالبثوا في خلافة الصديق ومن جاء بعده من الخلفاء ، ان انتشروا في الارض فاخذوا عَلَى اهلها اساليب الحضارة . ثم احتاجوا الى التبسط في الكتابة ، لاتساع الملك واستبحار العمران فكتبوا في العراق عَلَى الحرير وسموه بالمهراق . وكتبوا في مصر عَلَى البردي ولا تزال آثاره باقية في اوربا و بعضها في القاهرة في دار الكتب الخديوية . وكانوا يكتبون عَلَى هذا البردي باللغة العربية وحدها تارة ، ومصحوبة بالترجمة الرومية او القبطية تارة اخرى . ولاتزال هذه سنة مطردة في ديارنا ، اعني بها سنة الاحتياج الى لغتين مثال ذلك : الاحجار واوراق البردي في عهد اليونان ، نراها مكتوبة بلغتهم و باللسان المصري القديم ، وفي عهد الرومان حل اللسان اللاطيني محل اليوناني . حتى جاء العرب فكان من شأنهم ماذكرنا . ثم انقضت مدة طويلة من ايام المأمون الى آخر الدولة الايوبية استقل فيها اللسان العربي . حتى جاءت دولتا المماليك البحرية والجركسية فاندمجت في اللغة العربية بعض الفاظ واصطلاحات دخيلة من التركية . ثم جاءت دولة العثمانيين فكانت السيادة في مصر للماليك الاتراك حينئذ طغى بحر اللغة التركية وصارت تزاحم لغة البلاد . واستمر الحال عَلَى ذلك بعد جلوس الفرد الفذ العظيم « محمد علي » نابغة العصر الجديد الى ايام سعيد و بعد ذلك بدأت الفرنساوية تحل قليلا قليلا محل التركية . وها هي الآن تتأخر في الميدان امام اللغة الانكليزية . والحق يقال ان لغة البلاد اخذت في الانتعاش كثيراً بفضل خديوينا المحبوب عباس الثاني وبفضل حكومته الرشيدة السعيدة . وبفضل المحاكم والجرائد وسترون عما قليل حسنة جليلة من اكبر محاسن الحكومة الحاضرة يرتفع بها منار هذا اللسان وتتجدد معها آداب العرب وعلومهم

نرجع الى الكتابة والكتب فنقول ان العرب ماعتموا ان استخدموا الجلود بعد ترقيقها وكان من مزاياها عندهم انهم كانوا يغسلونها و يجددون الكتابة عليها . فرأوا ان ذلك ان كان صالحاً في بعض المعاملات الوقتية ففيه ضرر كبير عَلَى العلم كما رأوا من جهة اخرى ان الحرير يدعو الى مؤونة كبيرة مع ان الحاجة ماسة الى الاكثار منه ومن الرق بل رأوا في ايام هارون الرشيد انهم كانوا مقلدين لغيرهم من الامم وان ما وصلوا

اليه من الحضارة والرجحان يوجب عليهم الاخذ باسباب الاختراع والاستنباط . فكانوا اول من اصطنع الورق على هذا الشكل الباقي الى ايامنا هذه وحسبهم ذلك فخاراً . وقد سموه بالكاغد [1] ثم بالقرطاس ثم شاع اسم الورق وانتشرت معامل الورق من الخرقة اي من الكهنة في سمرقند و بغداد والقاهرة ودمياط ثم انتقل الى بلاد الغرب فكان لهذه الصناعة شأن كبير في بلاد الاندلس واشتهرت مدينة شاطبة بمعاملها ومصنوعاتها التي فاقت في الجودة والاحسان والاتقان واربت على مابلغه اهل المشرق من هذا الباب ومن شاطبة كان الكاغد يحمل الى سائر بلاد الاندلس . ومن هناك انتقل الى افرنجة (فرنسا) ثم الى بقية ديار اوربا وقد ابلغه القوم في هذه الايام الى نهايات مايخطر بالاحلام واتوا في ذلك بالعجب العجاب حتى صاروا يصنعونه من الاخشاب وانعدمت هذه الصناعة من ديار الشرق كلها نصار عالة على غيره فيها وفي غيرها

حينئذ توفرت عند العرب الاسباب المادية والعقلية فابدعوا في التصنيف واغربوا في التأليف وتهافتوا على جمع الكتب وتطلبها يستوي في ذلك السلطان والسوقة والخاصة والعامة والرجال والنساء وجميع الطبقات حتى كثرت دور الكتب في القاهرة وامهات

(١) اما الكاغد فهو لفظ فارسي وقد كان لهذه اللغة الفارسية تأثير يذكر في العربية ايام العباسيين لان الفرس هم الذين رفعوا قواعدها وشادوا دعائمها وكان رجالاتهم هم المدبرون لامرها في اول قيامها ثم في ايام الخليفة السابع وهو المأمون بن هرون . وفي ايامه اخذوا ايضاً عن الروم علومهم ومعارفهم فنقلوا لفظة Carta اليونانية وعربوها وهي بصيغة الجمع فقالوا قرطاس والغريب في هذا الموضوع ان ائمة اللغة نصوا على ان القرطاس يقال بضم القاف او بكسرها واجمعوا على ان الفتح لم يقل به احد . وهو امر غريب فان الفتح اقرب على اللسان واقرب الى الاصل . وهذه اللفظة عربها المصريون في ايام محمد علي في ضمن الاصطلاحات الجغرافية فقالوا خرطة محاكاة للتلفظ على الطريقة اليونانية للدلالة على الصورات الجغرافية التي يسميها ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار بلوح الرسم والتي ورد اسمها في بعض نسخ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الادريسي هكذا (لوح الترسيم) وانا اظن كثيراً ان هذه اللفظة من تحريف النساخ او المساخ وان صحتها لوح الرسم كما رأيته في موسوعات ابن فضل التي ذكرتها لكم . ثم ان المتقعرين في اللغة حرفوا لفظة خرطة فقالوا خريطة وخرائط وما دروا ان ذلك الاسم موضوع لجعبة الراعي ولكن قد كان ما كان

المدائن المصرية بدرجة لاتتصورها الآن لان بلادنا اصبحت خلواً منها بالمرة لولا تلك الصبابة القليلة الباقية في دار الكتب الخديوية وفي الازهر الشريف تتلوها المكتبة الحديثة التي انشأتها البلدية في الاسكندرية . اما البيوتات فقد اصبح عددها اقل من اصابع اليد الواحدة واولها بيت السادات يتلوه بيت البكري فبيت المرحوم رفاعة وعبد الله فكري . واما الافراد فقد قلبت النظر فلم ار غير المرحوم لطيف باشا سليم و بعده الفاضل احمد بك تيمور

وقد اردت ان اجري عَلَى هذا المنوال وان كانت خطواتي صغيرة و يدي قصيرة ولكنني خشيت ان تذهب مجموعتي من بعدي للعطار والزيات والبقال او تتفرق شذر مذر كما حصل للمجموعة النفيسة التي كانت تزدان بها دار المرحوم علي مبارك باشا في حياته . لذلك جعلتها من الآن خاصة بالامة ولا ازال دائباً الى آخر ساعة من حياتي عَلَى توسيع نطاقها والزيادة فيها

اذا رجعنا ببصرنا الى التاريخ رأيناه يحدثنا عن دور الكتب في القاهرة فتأخذنا لوعة لمجرد هذا الوصف ونبكي عَلَى ذهاب العين والاثر

فدور الكتب التي اسسها الفواطم يحدثنا المقريزي عنها بما يثير الاشجان و يستمطر المدموع من الآماق . فقد كان في قصر الخلافة وحده اربعون خزانة كانت فيها النوادر والذخائر فاخذ معظمها بعض الموظفين و بعض الاجناد الاتراك بدل مرتباتهم في ايام الشدة التي وقعت للخليفة المستنصر

وقد نهبت عرب لواتة شيئاً كثيراً منها اغرب المقريزي في وصفه ثم قال : ان عبيدهم واماءهم اخذوا جلودها يوسم عمل ما يلبسونه في ارجلهم واحرقوا ورقها تأولا منهم انها خرجت من قصر السلطان اعز الله انصاره وان فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم سوى ماغرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها مالم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية الى اليوم بناحية آثار تعرف بتلال الكتب

هذا عدا خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل اليها احد وعدا خزائن دار العلم بالقاهرة « وهي مماثلة لما نسميه الآن اكاديميا او كما يقول صاحب كشف الظنون وابن ابي اصيبعة قبله : (اقاذيميا) » وسوى خزانة المارستان العتيق وقد بقيت الى ان بيعت في ايام صلاح الدين فاشترى القاضي الفاضل وحده منها مائة الف كتاب مجلد واودعها في المدرسة التي انشأها بالقاهرة . وفضل القاضي الفاضل ومكانته في الدولة الايوبية

يدلان عَلَى انه اختار افضل الكتب واحسنها ولكنها ذهبت بها الايام ايضاً فان الغلاء لما وقع بارض مصر في سنة ٦٩٤ صار طلبة هذه المدرسة يبيعون كل مجلد برغيف من الخبز · وبقيت منها بقية تداولتها ايدي الفقهاء بالعارية فتفرقت وكان فيها مصحف اشتراه القاضي الفاضل بنيف وثلاثين الف دينار عَلَى انه مصحف الخليفة عثمان وكان في خزانة مفردة له غربي المحراب · وهذا القاضي الفاضل كان يقتني الكتب من كل فن ويجتلبها من كل جهة وله نساخ لا يفترون ومجلدون لا يبطلون · وقد بلغ مجموع كتبه قبل موته بعشرين سنة ١٢٤٠٠٠ مجلد طلب ابنه مرة ان يقرأ ديوان الحماسة وتوسل الى ذلك ببعض المقربين لديه فامر القاضي الفاضل فاحضر له خازنه ٣٥ نسخة فصار ينفضها واحدة واحدة ويقول هذا بخط فلان وهذه بخط فلان حتى اتى عَلَى الجميع ثم قال: ليس عندي ما يصلح للصبيان وامر بشراء نسخة بدينار لولده وقد احضرت مجموعة رسائله في جملة ما احضرته من الكتب

وقد بقي بعض الكتب من آثار الفاطميين في مصر وزاد عليها المماليك وجعلوا لها خزانة عمومية ولكنها احترقت في سنة ٦٩١ فتلف بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيء كثير جداً كان من ذخائر الملوك · والذي نجا من النار انتهبه الغلمان وباعوه بابخس الاثمان فظفر الناس منها بصحائف محرقة فيها نفائس غريبة

ولم تكن هذه المدرسة هي الوحيدة في القاهرة فقد كانت خزائن الكتب في المساجد والجوامع والمدارس فضلا عن القصور والمنازل · وحسبي الاشارة الى بعض المدارس التي امتازت بجمع الكتب النادرة فمنها المدرسة التي انشأها بمصر القديمة في سنة ٦٥٤ الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا (بكسر الحاء المهملة وتشديد النون المفتوحة كما ضبط الثقات من المؤرخين) فقد كانت فيها خزانة جليلة من الكتب النادرة ثم نقلها فبقيت عنده حتى مات فتفرقت في ايدي الناس وكذلك الملك الظاهر بيبرس البندقداري جعل في مدرسته الظاهرية خزانة كتب تشتمل عَلَى امهات الكتب في عامة العلوم

فلما تولى السلطان قلاوون جعل في قبته البديعة خزانة الكتب في جميع انواع العلوم ولكن معظمها تفرق في ايدي الناس واقتدى به ابنه محمد فانشأ خزانة كتب بمدرسته التي شادها بجوار هذه القبة في الجهة المعروفة الآن بالنحاسين

واما اسماء الامراء والافراد فهي كثيرة جداً مثل الامير متكوتمر سيف الدين الحسامي والحاج سيف الدين آل ملك والامير سيف الدين الجاي والطواشي سابق الدين مثقال والطواشي سعد الدين بشير الجمدار . واهم الكل الامير جمال الدين محمود الاستادار

ولا انتقل من هذا الموضوع قبل ان اذكر لكم ان نساء مصر كان لهن مشاركة في هذه المأثرة وحصة كبيرة في الغرام بالكتب واكتفي الآن باسم الست عاشوراء بنت ساروج الاسدي وكانت عائشة في ايام صلاح الدين والست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون بنت الملك العادل الايوبي وكانت من فضليات اهل العلم واشتهرت بالبراعة في الفصاحة وفنون الادب والسيدة الجليلة الكبرى خوندتتر الحجازية بنت السلطان الناصر محمد بن قلاوون والست بركة ام السلطان الملك الاشرف شعبان والست ايديكين زوجة الامير سيف الدين بكجا الناصري

وقد بدد الزمن آثار تلكم السيدات الكريمات فلم اقف عَلَى كتاب من تلك الخزائن الكثيرة وغاية الامر ان في دار الكتب الاهلية بباريس تحت نمرة ٢٧٥١ كتاباً في علم تعبير الرؤيا وهو مرتب عَلَى حروف الهجاء بشكل معجم ومكتوب في سنة ٨٣٣ هجرية برسم خزانة اميرة من اميرات مصر (احدى البرنسسات) وهي بنت السلطان الملك الظاهر جقمق

كان هذا الغرام عاماً في مصر وفي جميع بلاد الشرق . وخصوصاً في الممالك الخاضعة لصولجان صاحب التاج في القاهرة . التي كانت عاصمة للامبراطورية المصرية . والشواهد كثيرة عَلَى هذا الولوع وحسبي ان اذكر لكم اسماً واحداً من باب التدليل . وهو ابو الفدا سلطان حماه وصاحب التاريخ المشهور بالمختصر في اخبار البشر وصاحب الجغرافيا المسماة بتقويم البلدان الذي طبع وترجم في باريس قد جمع في خزانته من الكتب مالا مزيد عليه وكان في خدمته ماينا هز مائتي معمم من الفقهاء والادباء والنحاة والمنجمين والفلاسفة والكتبة

ولو اردت ان استقصي ما اعرفه عن الكتب وغرام المولعين بها ايام كانت الحضارة الاسلامية زاهية زاهرة لطال المقام ولم تكفني الايام تتلوها الايام

وقبل الختام اذكر لكم قضية وقعت بمصر وهي من اغرب ما سطرته سجلات القضاء

وقفت على كتاب اسمه كنز الدرر وجامع الغرر لابي بكر بن عبدالله بن ايبك الدوادار وهو في تسعة اجزاء ثلثاها بمكتبة ايا صوفيا والثلث الباقي بمكتبة طوب قبو بالقسطنطينية وهو في تاريخ مصر وفيه تفصيل غريب وبيان واف لانراه في التواريخ التي وقعت الينا . وليس هذا محل الشرح عن هذا السفر الجامع النافع . وقد كان هذا الكتاب موقوفاً على احدى المدارس بالقاهرة فاغتصبه بعض الاكابر واوقفه على مدرسته وقفاً صحيحاً شرعياً مرعياً فاقيمت عليه قضية بمجلس الحكم وحصلت المرافعة والمدافعة ثم اصدر القضاة حكمهم ببطلان الوقف الثاني واعادة الكتاب الى مقره الاول باسم واقفه الاول . وقد قضت الايام ببطلان هذين الوقفين وبانقسام الكتاب الى شطرين في خزانتين ولكن في غير مصر

ان العرب في اجتماع اهل الفضل والعلم في دور الكتب كانوا مقلدين لليونانيين في اثينة وللرومانيين في رومية وكل منهما قد نهج على سنة اجدادنا المصريين

اول من مدح الكتب على ما انبأنا به التاريخ الصحيح هو اول من اسس لها داراً خصوصية بديار مصر وجعل منفعتها عمومية

انا لا اجاري بعض الغلاة من العرب ومن اربى عليهم من المتهوسين الالمانيين الذين قالوا بوجود دور الكتب قبل حدوث الطوفان واخذوا يتصيدون الاقاويل من هنا ومن هناك ويقيمون الدلائل على غير طائل محتجين على ذلك بتعليم آدم الاسماء وبالاعمدة التي نقشها شيث وبالصحف التي نزلت على ادريس ويكفينا ان نقنع بما هو وراء ذلك وهو قديم بل قدموس حتى لانخوض بحور الخيال ونهيم في اودية الاوهام . حسبنا ان نرجع الى ما هو قبل اليوم باكثر من ٣٢٠٠ سنة فهنالك نصل الى التاريخ الثابت المنقوش على الاحجار وهو مما لاجدال فيه ولا امراء . فتلك الاطلال الماثلة الى الآن في صعيد مصر تنطق لنا بلسان هيروغليفي مبين وتقول ان اوسيماندياس فرعون مصر الذي سماه اليونان سيزوستريس ورمسيس الثاني هو اول من اسس دار الكتب في مدينة طيبة بالصعيد وهو اول من مدح الكتب بعبارة وصلت الينا . وذلك انه نقش على باب تلك الدار كلمتين اثنتين جعلها رمزاً عليها وتلخيصاً لكل ما فيها وهما

﴿ شفاء الارواح ﴾

ولعمري ان هاتين الكلمتين هما ابلغ من كل ماجادت به القرائح بعده في شرق البلاد وغربها وما هو مأثور عن عجم الامم وعربها

وعن المصريين اقتبس اليونان علومهم ومعارفهم ونظاماتهم ولكنهم لما جاء الدور لهم لم يتيسر لهم انشاء مكتبة عمومية الا بعد الفرعون المصري بربوات من السنين لا تقل عن الخمسة القرون وذلك ان طاغية بيسسترات هو اول من احدث بمدينة أثينس (أي اثينا) داراً من هذا القبيل لاستفادة الخاص والعام وكان ذلك قبل القرن السادس للميلاد وجمع فيها اشعار اوميروس بعد ان تلقفها من افواه الرواة كما كان شأن العرب من بعده باثني عشر قرناً في ايام بني امية وبني العباس . وما لبثت هذه الدور ان انتشرت بارض اليونان كما يشهد بذلك بيت قاله شاعرهم ارسطوفان

وفي يد كل انسان كتاب يلقنه "افانين" العلوم

وتولع اليونان بجمع الكتب والحث عليها لدرجة لا تكاد تكون محمودة : دخل حاكم الى مدرسة النحو باثينا فطلب من الاستاذ نسخة من ديوان اوميروس . فاعلمه المعلم بعدم وجودها فما كان من الحاكم في هذا الاهمال الا ان صفعه وخرج

ثم تهوس القوم بجمع الكتب من غير استفادة او افادة حتى رأى اديبهم لوسيان الشميشاطي ان يكتب رسالة بليغة في هجو رجل جمع من الكتب طائفة وفيرة لمجرد الاشتهار بانه جماع للكتب . قال ذلك الاديب يخاطب ذلك المذموم بما ترجمته

« في وسعك ان تعير الكتب لغيرك فتكسب اجراً وفيراً ولكن ليس في طاقتك ان تستفيد منها فتيلا ولا قطميراً . عَلَى انك ما اعرت منها احداً شيئاً مذكوراً فكان مثلك كالكلاب التي تنام في اسطبل الدواب فهي لا تقدر عَلَى اكل ما فيه من الشعير ولكنها تمنع منها الخيل وهي قديرة عَلَى الانتفاع با كله »

ولو تأخر هذا الاديب المجيد لخر ساجداً اذا سمع قول الكتاب المجيد « مثلهم كالحمار يحمل اسفاراً » فانظروا يارعاكم الله الى حسن الديباجة والى هاتيك الاجادة : واما قول لوسيان فما اشبهه بقول الجاحظ ولكن في ذم الخصيان ولا از بد على هذا البيان بغير الاشارة عليكم بمراجعة كتاب الحيوان واليكم مثلا مما قاله العرب في ذم من يجمع الكتب وهو لا يدري بما فيها

زوامل للاخبار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا باحماله او راح ما في الغرائر

فلما جاء دور الرومان انشأ الامبراطور يوليان المنبوز بالمرتد وفي كتب العرب بالمارق

دار كتب في القسطنطينية واراد ان يتشبه بفرعون مصر ولكنه لم يبلغ شأوه فكتب على بابها هذه العبارة ·

« لبعض الناس صبابة بالخيل ولبعضهم ولع بالطير ولآخر بن غرام بالوحش واما انا فقد تدلهت منذ نعومة اظفاري بشراء الكتب واقتنائها »

ومما امتازت به مدينة القسطنطينية انها في ايام النصرانية حفظت في كنائسها علوم الاقدمين حتى جاء العرب فاستفادوا منها ونشروها من قبورها وكان لهم بهذه الوسيلة القدح المعلى في ترقية الحضارة وبني الانسان وكذلك امتازت في ايام الاسلام بحفظ ماجادت به قرائح العرب الكرام في مساجدها وما علينا سوى اقتفاء اثرهم واتباع سنتهم · وقد فتحت لكم الباب وحسبي ذلك فخراً

جاء العرب في ايام العباسيين فانتهت اليهم كلمة عن سقراط فكانت محركة لعزائمهم وجعلتهم ائمة الامم وقادة الافكار

قيل لهذا الفيلسوف : اما تخشى على عينيك من ادامة النظر في الكتب فقال : اذا سلمت البصيرة لم احفل بسقام البصر

وفي هذا المقام لايصح اغفال ذكر المأمون فهو اول من اسس دار كتب عامة في الاسلام وسماها بيت الحكمة كما انه اول من اسس مجمعاً للعلوم (اقاذيميا) وسماه دار العلم · هذا فضلا عن خزانة كتبه الخصوصية التي يروي لنا عنها ابن النديم كل معجب ومطرب

كان بمدينة الاسكندرية حاكم يسمى خليل ابن شاهين الظاهري اشتهر بتأليفين احدهما في عالم اليقظة والآخر في عالم المنام فاما الاول فهو كتاب زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك ثم اختصره وسماه زبدة كشف الممالك وهو كتاب مفيد في وصف بلادنا واعمالها ودواوينها ووظائفها ونظاماتها وغير ذلك من محاسن هذه المملكة مع سرد ابيات مما نظمه بعض ملوكها وسلاطينها الى غير ذلك من النوادر والفوائد ولا حاجة لي بان اقول لكم انه لا يوجد من هذا الاثر النفيس ولا نسخة واحدة مخطوطة بديار مصر كلها وهي وطنه ووطن مؤلفه بل هي موضوعه ومدار مباحثه ·

اما الكتاب الثاني فقد سماه « الاشارات في علم العبارات » والعبارة هي تعبير الرؤيا وتفسير الاحلام واسم العلم بالفرنسوية مأخوذ عن اليونانية

قال صاحب كشف الظنون: «كانت العرب في صدر الاسلام لاتعتني بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها وبصناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم لحاجة الناس طراً اليها · وذلك منهم صوناً لقواعد الاسلام وعقائد اهله عن تطرق الخلل من علوم الاوائل قبل الرسوخ والاحكام» واقول ان الشارع هو الذي دعاهم الى تقييد العلم عَلَى اطلاقه فقد جاء في الحديث الشريف:

العلم صيد والكتابة قيد · قيدوا رحمكم الله علومكم بالكتابة

اخذ الشاعر قول الشارع فصاغه في بيت سائر و نظم بارع

العلم صيد والكتابة قيده ... قيد صيودك بالحبال الواثقه

ثم مدحوا الكتب كما مدحها فرعون مصر وقياصرة الروم من قبلهم فقال العتابي وهو من اجلاء عصر الامين والمأمون

لنا ندماء لانمل حديثهم ... امينون مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم مامضى ... ورأياً وتأديباً وامراً مسددا
بلا علة تخشى ولا خوف ريبة ... ولا نتقي منهم بناناً ولا يدا
فان قلت هم احياء لست بكاذب ... وان قلت هم موتى فلست مفندا

ومدحها ابن طباطبا العلوي

لله اخوان افادوا مفخرا ... فبوصلهم ووفائهم اتكثر
هم ناطقون بغير السنة ترى ... هم فاحصون عن السرائر تضمر
ان ابغ من عرب ومن عجم معاً ... علماً مضى فيه الدفاتر تخبر
حتى كأني شاهد لزمانها ... ولقد مضت من دون ذلك اعصر
خطباء ان ابغ الخطابة يرتقوا ... كني كفي للدفاتر منبر
كم قد بلوت بها الرجال وانما ... عقل الفتى بكتاب علم يسبر
كم قد هزمت بها جليساً مبرماً ... لايستطيع له الهزيمة عسكر

وهو ينظر بقوله الاخير الى جواب جالينوس فقد قيل له: لم كان الرجل الثقيل اثقل من الحمل الثقيل فقال لان ثقله عَلَى القلب دون الجوارح، والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه

وفي ذلك المعنى الذي اشار اليه ابن طباطبا وهو في مصر قول لمونتسكيو (ابن

خلدون فرنسا) وهو في باريس قال ماترجمته : ماحل بي جيش الهموم الا بددته بساعة واحدة من القراءة

ومدح العرب للكتب كثير جداً اكتفي منه بكلمة واحدة منثورة : اهدى بعض الكتاب الى صديق له دفتراً وكتب اليه : هديتي هذه اعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد . لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب . وهي انس في الليل والنهار والسفر والحضر وتصلح للدنيا والآخرة . وتؤنس في الخلوة وتمتع في الوحدة . مسامر مطواع ونديم صديق .

وقال آخر : الكتب بساتين العلماء

ولكن كل هذه الاقوال وما شابهها مما نرويه عن المتقدمين والمتأخرين لا تعادل الكلمتين اللتين قالها فرعون مصر عن الكتب

شفاء الارواح

ولقد قام رجل من مشاهير الانكليز في اوائل القرن التاسع عشر وهو بلور ليثون فاشار بمطالعة الكتب لازالة انواع الامراض قال ماخلاصته : لقد اختلج في ضميري ان انظم دور الكتب على نسق جديد مفيد فبدلا من ان يكون مكتوباً على الخزائن والدواليب والرفوف هذه الكلمات . لغة . علوم طبيعية . فن القريض ونحو ذلك اشير باستبدال هذه الكلمات باسماء الامراض التي تنتاب الجسم والروح مما يمكن مداواته بالمؤلفات الموجودة فيها من داء النقطة الى اخف النزلات فهذا النوع الاخير من الاسقام يصلح له قراءة الكتب المزلية مع منقوع الشعير في قليل من اللبن الحليب فاذا غشي النفس هم من الهموم التي يمكن ازالتها مثل عدم تحقق الاماني او معاكسة الاخوان او معاندة الزمان ففي هذه الحال يحسن بالمصاب ان يتلو تراجم الاعيان والافراد فيتسلى بما اصابهم من البلايا و يزول مرضه باذن الله . فاذا ما طم الهم وعم الغم فالروايات انجع دواء لهذا السقم . ولكن اذا حلت بالانسان مصيبة فادحة وجب عليه ان يستغرق كل عقله ولبه وقلبه في عمل من الاعمال العقلية التي تجعله ينسى نفسه وما حل به من الارزاء

واستشهد المستنبط لهذا الطب الجديد الغريب بما حل بشاعر الالمان (جيته) فانه حينما مات ولده تفرغ لدراسة علم جديد وقيل انه اكمل فصول بعض رواياته البديعة فجاءت في نهاية البلاغة والاعجاز

فانظروا الآن الى ماصنعه الاسكندر الاكبر حينما هزم دارا ملك الفرس فانه ظفر في جملة الغنائم الملوكية بصندوق بديع الصنعة فقال للمقربين اليه : لاي شيء يصلح هذا الصندوق ؟ فاجاب كل منهم بما رآه . ولكن سيد الفاتحين لم يعجبه قولهم وقال انما يليق هذا الصندوق لحفظ الياذة اوميروس

وفي ايام الاسلام ظفر الحجاج بن يوسف عامل بني مروان بصندوق عجيب من ذخائر الفرس فامر بفتحه فوجدوا صندوقاً آخر ففتحوا فوجدوا صندوقاً آخر ثم رابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً فقال الامير : لعل فيه حماقة من حماقات الفرس . ففتحوا واذا فيه بطاقة مكتوب عليها هذه العبارة : من مشط لحيته في كل يوم طالت : ونحن لم نخرج عن الموضوع لان هذه الوصية كانت مكتوبة على قطعة من الحرير وانني اقلب الطرف يمناً وشمالا فلا اجد من اوصيه بها ليخبرنا بصحتها بعد العمل بها

ولا يخفى عليكم ان عرب الشرق هم الذين احيوا علوم العرب ونشروها وهاهم عجم الغرب يعملون على هذه السنة الآن في المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وهولاندة واسبانيا والروسيا وسائر بلاد اوربا واميركا ولا امل لي الا ان ارى اهل مصر يشاركونهم فهم احق بتراث اجدادهم ولا يكون ذلك ولن يكون الا بالعناية بالكتب

هل اتاكم حديث فرنسا وناهيكم بها في العلم والحضارة والعرفان؟

انها مدينة لمصر الاسلامية بدينين عظيمين في انشاء دور الكتب العمومية

اولهما يرجع الى ايام الحروب الصليبية . فان الملك القديس لويس وهو التاسع بهذا الاسم شن الغارة على مصر في اول دولة المماليك البحرية ثم عاد ادراجه مهزوماً ولكنه رجع ظافراً بفكرة حميدة ومأثرة جميلة . وهي انه اقتبس عن اجدادنا فكرة جمع الكتب بعضها مع بعض في دار واحدة وفتحها في وجه الجمهور لينتفع بها الخاصة والعامة

اترك الكلام لكاتب سيرته وامامه في صلواته فقد قال ماخلاصته :

« ان الملك التقي الورع القديس لويس وصل الى سمعه وهو فيما وراء البحار ان سلطاناً من سلاطين الشرقيين يبذل عنايته في البحث عن الكتب المختلفة الانواع وفي استنساخها على نفقته ثم يضعها في دار عمومية ليستفيد من مراجعتها علماء بلاده فانه كان يجعل هذه المجاميع تحت تصرف جميع الطالبين . فاراد القديس لويس ان يتشبه بهذا السلطان وعزم على بذل المال بمجرد عودته الى فرنسة لنسخ الاسفار النافعة

وصحاح الكتب المقدسة التي يتأتى له العثور عليها في الاديار ليتمكن هو ورعاياه العاكفون على علوم الادب من درسها وحرثها للانتفاع بها وافادة الجار والقريب بمعارفهم وقد انجز هذا القصد فامر باعداد مكان لائق امين في باريس جمع فيه كثيراً من تصانيف القديس اغسطينوس وامبرواز وجيروم وغريغوار وبقية ائمة المذهب الارثوذكسي . وكان يذهب في اوقات الفراغ للقراءة في هذا المكان ويسمح لغيره عن طيبة خاطر بمشاركته في مناجاة المؤلفين . وكان يؤثر استنساخ الكتب على شراء اصولها لان ذلك في رأيه من شأنه ان يزيد في عدد الكتب المقدسة ويجعلها اكثر فائدة . وكان حينما يقرأ في تلك الكتب بمحضر من خدمه وحشمه الذين لايفهمون اللاطينية يترجم لهم بالافرنسية مالايدركونه من العبارات »

غير انه في آخر عمره اصابه دخل في عقله فبدد شمل تلك المجموعة وامر في وصيته بتوزيع الباقي على الاديار

واما الدين الثاني الذي لنا على فرنسا فيرجع الى عهد قريب منا وبيان ذلك ان القائد بونابرت عند هجمته على مصر في فجر القرن الماضي على التاريخ الميلادي نهب كثيراً من بقايا الكتب النفيسة التي كان اجدادنا الفوها او وجدوها بعد الفتح العثماني . وكل من ذهب الى باريس اواطلع على فهرس دار الكتب الاهلية فيها يأخذه العجب العجاب ان لم تساوره الاشجان والاحزان . فلقد اصبحنا اذا احتجنا الى شيء من مؤلفات المصريين الخاصة بمصر لانرى منها شيئاً في بلادنا ولا بد لنا من الرحلة والتغرب لتطلبها في بلاد الغرب

ولقد ادرك محمد علي ذلك عند مااراد ان يجدد العلم في ربوع مصر فارسل نفراً من نابغي الازهر الشريف فعادوا وافادوا جدد الله عهدهم . ورافع رايتهم هو المرحوم رفاعة بك فطالما انشأ وانشد وصنف والف وترجم وعرب وكلنا عيال عليه وعلى اولاده

اعلموا ان للعرب وللاسلام سراً عجيباً في تاريخ الحضارة والعمران . فالعرب اينما حلوا انتشرت لغتهم قليلاً قليلاً ثم سادت رويداً رويداً ثم انتهى امرها بالانفراد والاستقلال . كذلك الاسلام اينما انتشرت رايته استهوى العقول والالباب . ولكن الغريب ان العجم هم الذين ينشرون علوم العرب ودين العرب حتى لقد قال الخليفة الاموي سليمان بن عبدالملك : « عجبت لهذه الاعاجم ملكت الدهر فلم تحتج الى العرب وملكت العرب فلم تستغن عنهم » وماذا كان يقول هذا الخليفة ودولته أموية عربية

محضة : وماذا كان يقول لو عاش حتى رأى عصر العباسيين او لو بعث من قبره هذه الايام ورأى حاجة العرب الى الاعاجم في كل شيء من مرافق الحياة وحاجتهم اليهم حتى في احياء آثارهم او التهافت على اقتناء مآثرهم

ماذا كان يقول لو علم بالقصة الآتية ؟

تعلمون ان التتار هم الذين خربوا دولة العرب ودكوا معالم الاسلام ومع ذلك فمن اغرب الغرائب واعجب العجائب انهم ما لبثوا ان دانوا بدين العرب المغلوبين وتشبهوا بملوكهم البائدين في احياء العلوم وتوسيع نطاق العمران . سر من اسرار الطبيعة لا نراه الا في شؤون العرب ومعارفهم . فبعد ان هلك هلاكو وبعد ان مارت الارض بتيمور فادخلته في تامورها جاء احفادهما فدخلوا في دين الله افواجا ثم واقوا بهم وارتفع بهم مناره في بلاد آسيا الوسطى وفي بلاد الهند الى اوائل الجيل الماضي ومن اشهرهم في العلم والعلماء الغ بك واسمه محمد بن شاهرخ اعتنى هذا الرجل بعلم الفلك والف فيه زيجا باللغة الفارسية ترجمه الى العربية بعض افاضل المصريين والترجمة في خزينتي بمصر وجمع هذا الرجل خزانة من الكتب النفيسة رأيت من بعض بقاياها كتاب الصور السمائية لعبد الرحمن بن عمر بن محمد ابن سهل الصوفي ويسمى بابي الحسين ويعرف بكتاب صور الكواكب وبكتاب الكواكب الثابتة وهو الذي اريد ان احدثكم عنه في هذه الساعة

هذا الكتاب لا ابالغ في فضله ولا اذكر شيئاً من محاسنه وانما اقول لكم ان الروس عرفوا قدره فطبعوه في بلادهم ثم اوعزوا الى احد علماء الفرنسيين فترجمه الى اللغة الفرنسية وطبعوا هذه الترجمة ايضاً في بطرسبرج . وهذا الصنيع المزدوج يدلكم على فضل الكتاب وفائدته . واذا بحثتم في ارض مصر من الشلالات الى الاشانيم ومن بادية العرب الى صحراء لوبيا لا تجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية اما الاصل العربي فقد ابس طاقية الاختفاء وتطاير في الفضاء وهجر ديارنا وواصل غيرنا فيما وراء البحار ورحل عن ارض اهين بها الى بلاد ظهرت قيمته بين اهلها بحيث ان العرب الذين صدر الكتاب بلغتهم اذا احتاجوا الآن لمراجعته وجب عليهم ان يتلقنوا احدى هاتين اللغتين الفرنسية او الفارسية او ان يذهبوا الى بطرسبرج وان استبعدوها فالى باريس وهنالك يجدون منه خمس نسخ استغفر الله بل ستاً لان السادسة هي التي سأتكلم عليها . ففي سنة ١٨٩١ عثر يوسف بك خلاط على نسخة ملوكية

من هذا الكتاب مكتوبة على ورق الحرير بالوان مخالفة بالنسخ والثلث وقد بلغ الكتاب فيهما نهاية الاجادة والاتقان وازدانت بصور ملونة باهية زاهية يتدفق فيها الذهب واللازورد على احسن شكل واجمل مثال ·

وفوق هذه المزايا التي تجعل للنسخة قيمة يتنافس فيها المتنافسون ويتعشقها العارفون فانها حوت اثراً آخر يزيدها قيمة لدى اهل الدراية · ولكن اين هم في ديارنا ··· وذلك انها مكتوبة برسم خزانة الملك العالم المؤلف (الغ بك) وعليها اسمه بخطه فصارت بذلك نادرة النوادر وذخيرة الذخائر ·

عرضها يوسف بك على دار الكتب الخديوية فقومتها اني لاستحي من ذكر القيمة ···· ولكن اقولها لكم لتعلموا مقدار تفريطنا · قومتها بخمسة عشر جنيهاً مصرياً · وظنت ان ذلك شيء كبير · وكيف لا وهذا المبلغ يساوي الالف ونصف الالف من القروش اوخمسة عشر الف مليم : توجه صاحب الجوهرة الى الغازي مختار باشا فزاده الربع · توجه الى الارسالية العلمية الفرنسية بالقاهرة الكائنة الآن بجوار دار ناظر المعارف الحالي فضاعفت له الثمن اربع مرات ووعدته فوق هذه المساومة بوسام المجمع العلمي الفرنسي · فقبض الثمانين جنيهاً ولا ادري اذا كان احرز النشان ولكنه اشترط ان يكتب اسمه ببنانه على تلك النسخة فقبل القوم شرطه وارسل الكتاب الى باريس تكميلاً لنصف الدستة واصبحت نسخهم ستاً ·

روى صاحب كتاب الفهرست ان ابا زكريا يحيى بن عدي النصراني المتوفي ببغداد سنة ٣٦٤ قال انه رأى في تركة ابراهيم بن عبد الله الناقل النصراني كتاب السماع الطبيعي كله وكتاب البرهان لارسطو مشروحين بقلم الاسكندر الافروديسي وعندي قطعة وافرة من (كتاب البرهان) وانهما عرضا عليه بمائة دينار وعشرين ديناراً فمضى يحتال في الدنانير ثم عاد فاصاب القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خراساني (العجمي من الفرس) بثلاثة آلاف دينار وكانت هذه الكتب مما يحمل في الكم

قال القاضي الاكرم الوزير القفطي المصري بهذه المناسبة في كتابه المترجم بتراجم الحكماء المطبوع في لبسيك من اعمال المانيا مانصه :

« فانظر الى همة الناس في تحصيل العلوم والاجتهاد في حفظها والله لو حضرت هذه الكتب المشار اليها في زمننا هذا وعرضت على مدعي علمها ما ادوا فيها عشر معشار

ماذكر » وما ذا كان يقول لو سمع الحكاية التي رويتها لكم عن كتاب الصوفي · نعم ان الخراساني اشترى الكتب بثلاثين ضعفاً واما الفرنسيون فاشتروا كتاب الصوفي باربعة اضعاف لانهم لم يجدوا في مصر من يزاحمهم كما جرى في بغداد

واقول لكم ان يحيى بن عدي النصراني المذكور كان من اكابر المؤلفين والمترجمين ومحققي الفلاسفة وكان من المغرمين بجمع الكتب ونسخها بيده وكان اوحد دهره ومذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية · رآه ابن النديم في سوق الوراقين فعاتبه على كثرة نسخه فقال : « من اي شيء تعجب في هذا الوقت · من صبري ؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتهما الى ملوك الاطراف وقد كتبت من كتب المتكلمين مالا يحصى ولعهدي بنفسي وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة · »

ونحن نعلم ان النويري المصري صاحب كتاب نهاية الارب في فنون الادب كان يكتب في اليوم والليلة ثلاثة كراريس اي ستين ورقة · فلم يبلغ شأو هذا المتقدم مع ان جميع المؤرخين يعجبون بابن وطننا الذي سترون اثره الجامع لكل العلوم والمعارف في السنة المقبلة ان شاء الله

كل هذه الاعمال وهي قطرة من بحر تدلكم على مقدار الغرام بالكتب وانه اذا استولى عَلَى العقل فلا يجد المدنف العاشق لذة في شيء آخر · وهذا الغرام ليس قاصرا عَلَى الشرق او على الغرب بل هو داء مستحكم في نفوس الناس عَلَى اختلاف الاوطان والاديان والاجناس

نرجع الى ذكر السرقات في الكتب واروي لكم حادثتين وقعت احداهما لرجل من افاضل الاسكندرية وكان للثانية شأن كبير بالجامع الازهر في القاهرة

فمن الرجال الذين يحق للاسكندرية ان تفتخر بانها انجبتهم ابو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري النحوي الجغرافي الف كتاباً فيما اختلف وائتلف من اسماء البقاع وقد ضبطه وافنى في تحصيله وتحقيقه عمره فاحسن فيه كل الاحسان فجاء ابو بكر زين الدين محمد بن موسى الهمداني المشهور بالحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ فسطا عليه برمته وادعاه واستجهل الرواة فرواه نبه عَلَي ذلك ياقوت الحموي في صدر معجم البلدان بقوله ·« ولقد كنت عند وقوفي عَلَي كتابه ارفع قدره من علمه وارى ان مرماه يقصر عن سهمه الى ان كشف الله من خبيئته ومحض المحض عن زبدته » اقول انه رغماً عن هذا التنبيه مازال الكتاب مشهوراً باسم السارق فان صاحب كشف الظنون لم يذكر

غيره وسماه كتاب ما اتفق لفظه واختلف مسماه في الاماكن والبلدان المشتبهة في الخط . وعلى كل حال فالكتاب لم يصل الينا

واما الحادثة الثانية فقد وقعت بالقاهرة في ختام القرن التاسع للهجرة . وذلك ان الامام شهاب الدين ابا العباس احمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣ الف في السيرة النبوية كتابه المشهور المتداول بيننا الآن وهو «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» فما راعه بعد ان فرغ من تبييضه في سنة ٨٩٩ الا وقد رفع جلال الدين السيوطي دعوى عليه امام شيخ الاسلام زكريا الانصاري . وهاك بعض ماورد في صحيفة الدعوى «انه يسرق من كتبي ويستمد منها وينسب النقل الى نفسه» فطالبه شيخ الاسلام ببيان ما ادعاه . فقال انه نقل عن البيهقي وله عدة مؤلفات فليذكر انه نقله عنه . ولكنه رأى ذلك في مؤلفاتي فنقله وكان الواجب عليه ان يقول نقل السيوطي عنه

ماذا كانت النتيجة ؟ انظروا واعجبوا

صدر الحكم على القسطلاني بالترضية اللازمة للسيوطي وازالة مافي خاطره

كيف كان التنفيذ؟

مشى القسطلاني من القاهرة الى الروضة (جزيرة المنيل) وكان السيوطي معتزلا عن الناس بها فوصل الى بابه ودقه فقيل له من انت ؟ فقال انا القسطلاني جئت اليك حافياً ليطيب خاطرك . فقال له : قد طاب . ولم يفتح له الباب

فأين اين ذلك الزمان مما نحن فيه الآن ؟ افرأيتم لو رفع المجني عليهم قضاياهم من هذا القبيل على السارقين الذين فاقوا القسطلاني قولوا لي بربكم هل كانت تكفينا المحاكم الشرعية والبطريركية والاهلية والمختلطة والقنصلية ولجان النفي الاداري ؟

لعمري ان تجار الاحذية كانوا يفلسون كلهم في يوم واحد لو اقتدى السراق بما فعله القسطلاني !! ولكن التبجح وانتهاك الحرمات وصلا في زماننا الى درجة لامزيد عليها خصوصاً وان انتشار الطباعة ساعد على نمو هذا الطبع

وتلك الصناعة قد كان لها اصل عند العرب في مصر والاندلس وان كان الاثر الناطق بذلك قد ذهب من بلادنا ولكن الافرنج حفظوه لنا اثابهم الله عنا خير الثواب ووفقنا الى اقتفاء خطواتهم في النافع بدلا من تهالكنا على تقليدهم في كل ضار

اخبرني الاستاذ الفاضل حفني بك ناصف انه رأى خشبة محفوظة بمكتبة ويانا

عاصمة الثمـا في جملة ما ازدانت به من آثار الدرب وثمرات عتولم وهذه الخشبة منقوشة عليها بالتجويف كتابة عربية مقلوبة على الطريقة المألوفة في اصطناع الاختام وانها كانت مستعملة لطبع الاوامر العسكرية وتوزيعها على الجنود كما هو الشأن في ايامنا هذه في « الغازته العسكرية » وذلك يستفاد من العبارات المنقوشة عليها وهذه الخشبة يرجع عهدها للفواطم وربما نشر صورتها عن قريب بعض علماء المستشرقين فتكون برهانًا على تولد هذا الفن بديار مصر

واما الاندلس فقد ترقت الى ما وراء هذه الخطوة الاولى فقد كان للاندلس في هذا الباب ثلاث خطوات

الاولى انهم قلدوا مصر في عهد الفواطم ولكن اثرهم لايزال باقيًا في ديارهم وها انا اطرفكم بصورة فتوغرافية منه كهدية للعيد السعيد وهي صورة الطابع الذي كان يستعمله اهل الاندلس في مدينة المرية عثروا عليه في اطلالها وخرائبها وهو مصنوع من الخشب والكتابة التي عليه تدل على انه كان مستعملا في قيسارية المرية ولفظة قيسارية تدل على السوق ولا تزال مستعملة بهذا المعنى في القاهرة وفي كثير من مدائن الشرق واصلها مشتق من اسم قيصر كما انه اسم موضوع للدلالة على مدائن كثيرة بآسيا الصغرى منسوبة الى قيصر ولا شك ان هذا الطابع كان مستعملا بصفة الدمغة (التمغة) التي كانت مستعملة في مصر الى عهد قريب لوضعها على الاقمشة والزنابيط في نظير تأدية الرسوم المطلوبة لخزينة الحكومة

كذلك كان ذلك الطابع يوضع على الاقمشة والطرود التي يجب دفع الرسوم عليها قبل دخولها الى السوق اي القيسارية في تلك المدينة مدينة المرية كما يستفاد من الكلمات المكتوبة فيه وهي: طابع قيسارية المرية عام خمسين وسبعمائة

واما الخطوة الثانية فهي ان الاشراف على دار الطباعة كان من خطط الدولة . يدلكم على ذلك النص العربي الذي نبه اليه العلامة جايانجوس الاسباني وهذا النص وارد في كتاب (الحلل السيرا) لابن الابار الاندلسي المشهور وقد طبع العلامة دوزي الهولاندي قطعة وافرة من هذا الكتاب الثمين في مدينة ليدن من سنة ١٨٤٧ الى ١٨٥١ . وانتم تعلمون ان ابن الابار هو الذي ارسله صاحب الاندلس ليستنجد بصاحب تونس . وهو ذلك الرسول الذي وقف بحضرة ملك تونس وانشده تلك القصيدة الطنانة الرنانة التي تستفز الجبان و يلين لها قلب الجماد . قال في مطلعها :

ادرك بخيلك خيل الله أندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

ومحل الشاهد ان ابن الابار يقول في كتابه المذكور ان عبد الرحمن الناصر الخليفة الاكبر (ولى بدر بن احمد الوزارة والحجابة والنيادة والخيل والبرد وكان ينفرد (اي بدر) بالولايات فتكتب السجلات في داره ثم يبعثها للطابع فتطبع وتخرج اليه فتبعث العمال وينفذون على يديه . نعم ان هذا النص سقيم ويحتاج الى تقويم ولا بد من مراجعة الاصل وتقويته بنصوص اخرى . وربما كان المراد وضع الطابع عليها . ولكن هذا الغرض بعيد لان الطابع على ما نفهم لايصح وجوده بيد غير الوزير كما هو معهود في الدول الاسلامية حتى الى الآن في الباب العالي . والاظهر ان ذلك يشير الى اخراج نسخ متعددة من مطبعة حجرية لتبليغها الى اهل الولايات ورؤوس الواحات

اما الخطوة الثالثة النهائية فلنا عليها دليل مما اورده لسان الدين ابن الخطيب في كتابه المترجم بالاحاطة في اخبار غرناطة قال في ترجمة الشيخ ابي بكر القدسي ما نصه :

والف كتاب الدرة المكنونة في محاسن اسطبونة والف تأليفاً حسناً في ترحيل الشمس ومتوسطات البحر ومعرفة الاوقات بالاقدام ونظم ارجوزة في شرح ملاحن ابن دويدار وارجوزة في شرح كتاب الفصيح ورفع الوزير الحكيم كتاباً في الخواص وصنعة الامدة وآلة طبع الكتاب غريب في معناه)

هذه العبارة اكتشفها اثنان من علماء الافرنج تمكنا منها بشرح طويل في جرنال آسيا سنة ١٨٥٢ فأنتم ترون فضل عجم اوربا في البحث والتنقيب عن مآثر العرب . نعم انهما ارادا تصحيح العبارة العربية من حيث استقامة الكلام وتصورا ان فيها بعض الالتباس والابهام . فأخذ احدهما يصحح الجملة الاخيرة بما ليس له محل من الاعراب فقال (كتاب باقي خواص وصنعة وآلة طبع الكتب كتاباً غريباً في معناه) ولا يصح انما بان نهزأ بهم بسبب هذا التصحيح العليل السقيم ومافاته من الاعراض اما الجوهر فهو انهما اكتشفا هذا البرهان الدال على ان هذه الصناعة وجدت في ايام العرب ولو من باب النظريات العلمية اذ لم تجد لها للآن اثراً عملياً محسوساً ومن المعلوم ان الامدة (جمع مداد) تحتاج لتركيب مخصوص لكي تخرج منها نسخاً متعددة فلذلك كان المؤلف الاندلسي بين صنعتها وبين طبع الكتاب . ولما كان هذا الاستنباط البديع الغريب لم يسبق له مثال بالاندلس رأى صاحب الاحاطة وجوب التنبيه على فضل الكتاب فقال: غريب في معناه

فاين اين ذلك الكتاب الذي الفه القدسي ووصفه لسان الدين ابن الخطيب بانه غريب في معناه

لاشك انه ذهب طعمة للنار حينما علت كلمة الاسبانيين وطردوا المسلمين من تلك الديار فانهم كانوا كلما وقع لهم كتاب مكتوب بحروف عربية قالوا هذا قرآن وبادروا لطلب الغفران باحراقه بالنيران وبهذه الكيفية احرقوا تسعة اعشار ونصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمن وتسع الكتب العربية فلم يكد يخلص الينا منها واحد في الالف وكانوا يتهافتون بارتياح وتقوى الى ارتكاب هذه الجريمة الكبرى وهم يظنون انهم يحسنون صنعاً حتى ان احد كرادلتهم احرق في يوم واحد بمدينة غرناطة نحو الف الف كتاب . وكان هذا الصنيع بعمل الايمان

جمهورية البرتقال

من الانقلابات السياسية الاخيرة مناداة الاحرار في مملكة البرتقال بالجمهورية والقضاء على الملكية فاصبحت هذه الجمهورية ثاني جمهورية في اوربا ومنذ سنين لم يبايع بجمهورية مهمة في ممالك الارض الا في برازيل فكأن هذه المملكة وكانت في القديم تحت حكم البرتقاليين بدأت بنزع الملكية فاحبت أمها الاصلية ان لاتقصر عنها في المطالبة بالحرية .

نعم تغلب الاحرار او الحزب الجمهوري على المحافظين بعد اضطرابات دامت سنين ادت الى مقتل الملك كارلوس منذ نحو سنتين وعين ابنه عمانويل خلفاً له وها قد هاجر بلاده في الفتنة الى جبل طارق مخافة ان تتناوله الايدي باذى كما تناولت من قبل اباه .

ولما كانت للبرتقال صلة قديمة بممالك الشرق الاسلامي وحكومات العرب وكان هذا الانقلاب من الانقلابات التي لها علاقة كبرى بالتاريخ والاجتماع رأينا ان نأتي بنبذة قليلة من احوالها السياسية والطبيعية عسى تكون منها بعض فائدة فنقول :

البرتقال مملكة في الجنوب الغربي من اوربا يحدها من الجنوب والغرب البحر المحيط الاتلانتيكي او بحر الظلمات ومن الشرق والشمال مملكة اسبانيا ومنها ومن هذه المملكة تتألف شبه جزيرة ايبيريا وتبلغ مساحتها السطحية ماعدا جزائر آسور وماديرا ٨٨٩٥٤ كيلومتراً مربعاً وسكانها نحو ستة ملايين وعاصمتها لشبونة

ولا تفصلها عن اسبانيا تخوم طبيعية كا كثر المالك وفيها انهار جارية وجبال عالية واعلى قممها الجبل المسمى رياسكا يبلغ ارتفاعه ١٥٧٨ متراً وحرارة البلاد معتدلة تتجاوز في الصيف في مدينة قلربة « قويمبرا » ٢١ درجة وامطارها غزيرة في الشتاء قليلة في الصيف وانهارها حسنة جارية في الجملة واعظمها ماينبع من ارض اسبانيا ومنها مايجري في ارض البرتقال

واصول سكان هذه البلاد مزيج من عناصر وشعوب كثيرة فمنهم سليتون وايبريون ولاتينيون وسويفيون وفزيغوتيون وكثير من المغاربة والاسرائيليين وبعض الزنوج ففي لشبونة والكراف تقرأ الى الآن في سحنات البرتقاليين السواد مما يستدل به على كثرة من كانوا يحملون من الزنوج الى لشبونة خلال القرن السادس عشر (١٠ الى ١٢ الف زنجي كل سنة) وكثير من اهل برازيل . والدين الرسمي في البلاد الكثلكة اما سائر الاديان فالظاهر انها حرة يتسامح مع اهلها

وتعد مملكة برتقال من المالك الدستورية وهي وراثية يتناوب الملك فيها ذكورها واناثها وقد نشر دستورها الاول في سنة ١٨٢٦ ثم عدل سنة ١٨٥٢ والقوة التشريعية هي لمجلس الكورتس اومجلس النواب والشيوخ والملك يصدق على مايقرره ويتألف مجلس الامة من مجلس اعيان ومجلس نواب وعدد الاعيان ٥٢ عضواً وراثياً و١٣ قسيساً و٩٠ عضواً يعينون مدة حياتهم وفي مجلس النواب ١٣٨ منهم سبعة عن المستعمرات ينتخبون من الشعب مباشرة من الاشخاص الذين حصلوا على بعض الرتب او الالقاب العلمية او ممن لهم دخل سنوي يربو على الفي فرنك . وللملك ان يدعو هذا المجلس او يحله وهو يعين رئيس الاعيان ويصدق على تعيين رئيس النواب . والامة تنتخب نوابها مباشرة ولا يسوغ للملك ان يتغيب عن المملكة اكثر من ثلاثة اشهر بدون ان يأذن له المجلس والوزارة مؤلفة من وزير الداخلية ووزير المعارف والفنون الجميلة ووزير المالية والعدلية والمذاهب والحربية والبحرية والمستعمرات والخارجية والاشغال العمومية والتجارة والصناعة . وتقسم البلاد الى احد وعشرين مقاطعة ولكل واحدة عامل يعينه الملك ولكل ولاية مجلس عام انتخابي ولجنة اجرائية

وهذه البلاد زراعية وارضها موزعة كثيراً في الشمال وليست كذلك في الجنوب على ان عدم النظام في تقسيم الاراضي وهجرة السكان اضرت بالبلاد ضرراً بالغاً . واهم

غلات البلاد الكرم تكاد تكون زراعته عامة ومنه يخرج الخمر الجيد والحبوب تكثر في الشمال كما تكثر الغابات والاشجار المثمرة في الجنوب . وتكثر فيها تربية الماشية ودود الحرير والنحل . ولها موارد عظيمة من الصيد

ومعادن البلاد كثيرة في الجملة ومنها الثمين الا ان الفحم الحجري لا اثر له فيها ويكثر الملح في شطوطها البحرية وفيها عدة ينابيع معدنية يستفاد منها اكثر مما تستثمر مناجمها . والسواحل هي المراكز الصناعية في البلاد ومنها اعمال الحديد والآلات الحديدية وصنع السكاكين والمدى والنسج والغزل والدباغة والنجارة ومعامل القفافيز (الكفوف) والاحذية والدانتلة والمربيات والتبغ وغيره والخدمة العسكرية فيها اجبارية تكون ٢٥ سنة منها ثلاث سنين في الجيش العامل وخمس في الرديف الاول يخدم فيها الجندي شهراً واحداً كل سنة ليتعلم . وقدرت واردات الحكومة في السنة الماضية بنحو ١٥،٨٥٥،٠٠٠ جنيه ونفقاتها بنحو ١٦،١٥٧،٠٠٠ و يبلغ دينها ٢١٦،٦٠٠،٠٠٠ جنيه ووارداتها زهاء خمسة عشر مليون جنيه وصادراتها نحو نصف ذلك والتعليم الابتدائي اجباري فيها لكنه كما هو في المملكة العثمانية اسم بلا جسم حتى بلغ عدد الأميين فيها منذ عشر سنين ٨٧ في المئة وهو ما لا نظير له في مملكة اوربية صغرى وفيها مدارس عالية كثيرة متنوعة وعدد جيشها العامل ٣٠ الفاً وتستطيع ان تجند ٢٥٠ الفاً ايام الحرب ولها بحرية فيها ٦٠٠٠ ضابط وعسكري

وللبرتغال مستعمرات عظيمة لكنها جزء من مستعمراتها القديمة وكانت البرازيل من جملتها ايام كان للبرتغال القدح المعلى في استعمار افريقية وجنوبي آسيا . و يبلغ مجموع مساحة مستعمرات البرتغاليين الآن ٣،٨٥٠،٠٠٠ كيلومتر مربع فيها نحو عشرين مليون ساكن . فلها جزائر آسور وماديرا في المحيط الاتلانتيكي وجزائر الرأس الاخضر وسنغامبيا البرتغالية وغينة والقديس توما وجزيرة الامير في افريقية الغربية ولانكانا وكابندا ثم انكولا وبنكولا وموساميدس . ولها في افريقية الشرقية مملكة موزانبيق وسوفالا وغيرهما ولها في آسيا من المستعمرات كواوسالسيت ودامو وديو واعمالها وماكو ونصف تيمور وكامبنج مما يدل على ان جزائر السوند كان يملكها الملاحون الاول من البرتغاليين وكانت هذه المملكة في القديم جزءاً من لوزيتانيا استعمر الفينيقيون شطوطها ثم استولى عليها الرومان خمسة قرون ونصفاً وتقلبت بها الحال حتى اوائل القرن الثامن

للميلاد فاستولى عليها المسلمون وضموها الى مملكة الخلافة ولم يلبث ملوك النصارى في استوريا ان توسعوا في فتوحهم الى جنوبي الجبال وطردوا المغاربة الى غاليسيا واحتلوا لشبونة سنة ٩٥٣٠ ومن ذاك العهد نشأ اسم برتقال نسبة لمقاطعة بورتو واشترك البرتقاليون في محاربة المسلمين واجلائهم عن الاندلس وهزموا المسلمين كما يقول لاروس في معجمه في معركة سانتارم (١١٨٤) وساعدوا اهل قشتالة في حرب لاس نافا دي تولوزا (١٢١٢) وسالادو (١٣٤٠)

ونشأ للبرتقاليين بفضل عقول امرائها بحرية عظيمة وقام منها سياح عظام منهم الذين اكتشفوا جزائر ماديرو وكناريا والرأس الاخضر والكونغو ورأس الرجاء الصالح كما وصلوا الى جزائر مالابار والصين والهند واليابان ٠ وتجارة العطور والابازير والافاوية اغنت البرتقال قديماً في الزمن الذي اخذت تعتني فيه ايضاً بالآداب والصناعات ٠ وقد كان لديوان التفتيش الديني فيها كما كان في اسبانيا شأن يذكر وأسس فيها سنة ١٥٢٦ ٠ وكان من وفاة ملكها الدون سباستيان في وقعة القصر الكبير ان دخلت المملكة في يد فيليب الثاني ملك اسبانيا الا انها حاولت ان تتخلص منه اما هو فجعل بلادهم خديوية قشتالية ومنعهم من الاتجار مع شذاذ الآفاق من اهل بلاد القاع (هولاندة) فاخذ هؤلاء يجلبون الابازير والافاوية تواً من بلاد الشرق وانكسر الاسطول البرتقالي سنة ١٦٠١ في بانتام من اعمال جاوة واستولى الهولانديون عَلَى جزائر السوند وبنوا باتاويا وحلوا في سيام وسيلان واليابان وعَلَى شواطئ غينة وغويان

وفي سنة ١٦٤٠ انتقض اقليم كاتالونيا عَلَى صاحب اسبانيا فنزعت البرتقال بدها من الحكم الاسباني وبايعت دوك باراكانس ملكاً عليها فلما لمت المملكة البرتقالية شعثها حاربت اسبانيا خمساً وعشرين سنة واستعادت بعض مستعمراتها الا انها تركت بومباي للانكليز سنة ١٦٦١ وفي الربع الاول من القرن التاسع عشر انفصلت برازيل عنها ٠ واذ مالت برتقال الى انكلترا اكثر من فرنسا لم تساعدها هذه في ازماتها السياسية وقد قامت في القرن الماضي باصلاحات اقتصادية مهمة منها وضع اصول « الكاداستر » عَلَى الاراضي والغاء الرقيق من المستعمرات وابتياع املاك الرهبان وتمديد الخطوط الحديدية واصلاح اصول المالية .

والدليل عَلَى ان المسلمين حكموا تلك البلاد مدة تسربان الفاظ كثيرة الى لغتهم من العربية وهي اقل مما في لغة اهل قشتالة وقد ألف دوزي المستشرق الهولاندي كتاباً في

الالفاظ التي اخذتها البرتقالية والاسبانية من اللغة العربية ويبلغ عدد المتكلمين بالبرتقالية في برتقال وبرازيل وجزائر الرأس الاخضر وغيرها من المستعمرات البرتقالية في المحيطين والهند الصينية نحو عشرين مليون

وكانت هذه البلاد جزءاً من الاندلس ويطلق عليها اسم البرتقال[1] Portugal وهذا هو اسمها في كتب العرب لا بورتغال او بغير واو وعاصمتها لسبون Lisbonne التي يذكرها العرب باسم لشبونة واشبونة والاشبونة[2] ولا تزال في مدينة شنترة Cintra حصون العرب على قمم الجبال وبجانب بعضها مسجد باقية آثاره الى الآن وعلى مقربة منه قبر دفن فيه القوم عظاماً وجدوها ولم يعلموا انها للمسلمين او للنصارى فوضعوا على رجام القبر صورة الصليب وصورة الهلال والقسم الذي كانت تسكنه العرب في لشبونة يعرف عندهم باسم الحمة لابتشديد الميم ويسميه البرتقاليون الآن من باب التحريف الفاما ومنظر هذه المدينة يشبه المدائن الشرقية

ومن امهات مدن البرتقال مدينة كويمبرا Coimbra المعروفة في كتب العرب باسم قلمرية وهي الآن دار العلم ومحط المعارف في بلاد البرتقال . ومنها مدينة بورتو Porto واسمها في كتب العرب برتقال وبها يسمى هذا القطر برتقال كما تقول نحن الآن طرابلس وحاضرتها طرابلس وتونس وحاضرتها تونس وكما تقول بني سويف وبندرها بني سويف والفيوم وبندرها الفيوم والمنيا وبندرها المنيا وهكذا في اسيوط وقنا

وفي مدينة البرتقال هذه آثار كثيرة ولكن العرب لم يخلفوا فيها شيئاً يذكر لانهم كانوا يجيئونها فاتحين ثم يجوزونها الى غيرها من البلاد ولم ترسخ فيها قدمهم وقد تألف التجار على انشاء دار البورصة على الطراز العربي ونقشوا اكبر بهو فيها بحسب الاسلوب العربي وزينوه بالزخارف وكتبوا في ضمن رسومها البديعة اشعاراً عربية وفي جميع الطرازات هذه العبارة (عز لمولاتنا السلطانة مريم ٢) يريدون عز لمولاتنا السلطانة مريم الثانية اه .

---

(١) السفر الى المؤتمر لاحمد بك زكي (٢) قال المقري في نفح الطيب واما غرب الاندلس ففيه اشبيلية وماردة واشبونة وشلب فمن اعمال اشبيلية شريش والخضراء ولبلة وغيرها ومن اعمال ماردة بطليوس وبابرة وغيرها ومن اعمال اشبونة شنترين وغيرها ومن اعمال شلب شنت رية وغيرها

اما القول بان العرب كانوا يجيئون البلاد فاتحين ثم يجوزونها الى غيرها فمسألة فيها نظر بعد ان قال ياقوت ان شنترة ملكها الافرنج (اي من المسلمين) سنة ٥٤٣ ونسب اليها قوم من اهل العلم . ولا يخرج من دولة علماء الا اذا رسخت اقدام حكومتها في البلاد .
وقال في شنترين انها مدينة متصلة الاعمال باعمال باجة في غربي الاندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصبابه في البحر المحيط وهي حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً و بينها و بين باجة اربعة ايام وهي الآن للافرنج ملكت سنة ٥٤٣
وقال في قلمرية « بضم اوله وثانيه وسكون الميم وكسر الراء وتخفيف الياء » مدينة بالاندلس وهي اليوم بيد الافرنج . وفي لشبونة ويقال لها اشبونة بالالف وهي مدينة بالاندلس يتصل عملها باعمال شنترين وهي مدينة قديمة قريبة من البحر غربي قرطبة وفي جبالها البزاة الخلص ولعسلها فضل على كل عسل الذي بالاندلس يسمى اللاذرني يشبه السكر بحيث انه يلف في خرقة فلا يلوثها وهي مبنية على نهر تاجه والبحر قريب منها وبها معدن التبر الخالص و يوجد بساحلها العنبر الفائق وقد ملكها الافرنج في سنة ٥٧٣ وهي فيما احسب في ايديهم الى الآن .
واصرح من هذا ما قاله المراكشي [١] قال وفي الحد المتوسط ما بين الجنوب والمغرب من المدن مدينة طليطلة وكونكة واقليج وطلبيرة ومكادة ومشربط ووبذ وابلة وشقوبية هذه كلها يملكها الادفنش وتسمى هذه الجهة قشتالة وتجاور هذه المملكة فيما يميل الى الشمال قليلا مدن كثيرة ايضاً وهي سمورة وشلمنكة والسبطاط وقلمرية هذه كلها يملكها رجل يعرف بالببوج وتسمى هذه الجهة ليون وفي الحد المغربي الذي هو ساحل البحر الاعظم اقيانس مدن ايضاً منها مدينة الاشبونة وشنترين وباجة وشنترة وشنياقو ومدينة يابرة ومدن كثيرة ذهبت عني اسماؤها يملكها رجل يعرف بابن الريق
وذكر في سيرة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن انه خرج سنة ٥٧٩ قاصداً غزو الاندلس قال : فقصد مدينة شنترين اعادها الله للمسلمين وهذه المدينة اعني شنترين بغرب الاندلس وهي من امنع المدائن يملكها وجهاتها مع بلاد كثيرة هنالك ملك من ملوك النصارى يعرف بابن الريق وقد فصل ماوقع بينهما من الهزائم وكيف خرج ابو يعقوب وحمل في محفة وكيف هرب ابو الحسن المالقي الذي كان سبب هزيمة

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب

المسلمين الى مملكة ابن الريق فآواه صاحبها واكرمه الى ان بدا له من سوء رأيه ان يكتب كتاباً الى الموحدين يستعطفهم وادرج في ضمن ذلك فصلا يذكر فيه ضعف المدينة فاطلع الرجل الموكل به وكان يعرف العربية سراً فقبض عليه فشاور ابن الريق قسيسيه في امره فاشاروا عليه باحراقه فحرقه

وذكر المراكشي انه كان يملك الثغر الذي من الجهة الشمالية من الاندلس (بعد انقطاع الدعوة الأموية عنها) وبعض المدن المجاورة للبحر الاعظم ابن الافطس الملقب بالمظفر ثم كان له ابن اسمه عمر يكنى ابا محمد تلقب بالمتوكل عَلَى الله كان يملك بطليوس واعمالها ويابرة وشنترين والاشبونة قال: اتصلت مملكته الى ان قتل المرابطون اصحاب يوسف بن تاشفين ابنه المتوكل في غرة سنة ٤٨٥ وكانت ايام بني المظفر بمغرب الاندلس اعياداً ومواسم وكانوا ملجأً لاهل الآداب وفيهم يقول ذو الوزارتين ابو محمد عبد المجيد بن عبدون من اهل مدينة يابرة قصيدته المشهورة التي مطلعها:

الدهر يفجع بعد العين بالاثر فما البكاء عَلَى الاشباح والصور

وبهذا علمت ان العرب استولوا عَلَى برتقال مدة لاتقل عن مائة وخمسين سنة فنبغ فيها رجال منهم وخلفوا آثاراً لاتزال شاهدة بفضل تقدمهم في العمران وان هذه المملكة التي انقطعت الآن بيننا وبينها انواع الصلات كانت من جملة ممالك الشرق وان كانت غربية وان لسانها اقتبس من لساننا وان التعصب الذميم الذي تم عَلَى يد القاوسة منذ القديم كان من المعجلات في نزع الملكية وقيام الجمهورية الآن

وقد كان اول عمل للجمهور بين طرد جماعة اليسوعيين من بلادهم واستصفاء الاديار والقضاء على الرهبان والراهبات لانهم لم ينسوا بعد مسعى رجال الدين في مقتل فرر رجل الاسبان الحر في العام المنصرم قتلوه بواسطة الحكومة عَلَى ابشع صورة عرفت في عصر النور والمدنية فلما ظفر الاحرار بالمحافظين قضوا القضاء المبرم عليهم وعَلَى تقاليدهم ليعرفوهم ويعرفوا الحكومات التي تعمد الى الشدة في معاملة امتها ان الناس لايحكمون الا باستمالة القلوب وان القوة اذا خيف منها زمناً فقد يأتي آخر يستهين بها اهله فيستميتون ويستبسلون

والضغط لايزيد النفوس الابية الا مضاء. وهكذا أُهين رجال الدين ولا سيما اليسوعيون وطردوا اوكادو من البرتقال كما طردوا من فرنسا من قبل وحرم عليهم دخول سويسرا وتوشك سلطتهم ان تتزعزع ايضاً في اسبانيا لمتاخمتها ارض برتقال واذا صحت

عزيمة البلادين المتجاورين عَلَى انشاء مملكة واحدة كما هو فكر بعض الخاصة هناك تصبح جمهورية اسبانيا والبرتغال واحر بها ان تسمى جمهورية ابيريا من الحكومات القوية ذات الشأن العظيم ، وربك يفعل مايشاء ويختار

رحلة الى قلمون الاسفل (١)

عَلَى اربع ساعات من شمالي دمشق واد منبسط بين جبلين متسامتين طوله من سفح ثنية العقاب الى مزرعة الناصرية لايقل عن ست ساعات وعرضه ساعتان تربته بيضاء ورباعه مخصبة ومياهه موفورة بحيث لو حفرت عشرة اذرع او اكثر ينبط الماء غزيراً مع ان الجبلين المتناوحين من شمال الوادي وجنوبيه لاشجر فيهما ولاغابة تزينهما . ولو كانا مغروسين بالسنديان والزان والبلوط والشوح لكان هذا الوادي بامطاره الغزيرة وربيعه المتواصل اشبه باخصب السهول السندية ولذا كان جبل قلمون ضعيفاً بريه وان لم يكن كذلك بزكاء تربته . والعالي والاسفل او التحتاني منه متشابهان وان كانت سهوله اخصب من آكامه وتلعاته ومياه الاعالي اعذب من مياه الاسفل . وفي قلمون الاسفل من القرى الامهات ما يطلق عَلَى امثاله في ديار الغرب اسم بلدة و ذلك مثل الرحيبة وجيرود والمعظمية والقطيفة وضمير وكلها ذات تاريخ قديم وعمران طبيعي وهي بكثرة نفوسها يزيد عمرانها اليوم كلما انبسط ظل السلام فيها وامن اهلها عَلَى مواشيهم من غارات اشقياء الصفا وجبل الدروز المجاورين لهم من جهة الجنوب والجنوب الشرقي عَلَى مسيرة يوم من هذه البلاد

ولقد كان عرب الصفا واللجاة وجبل حوران يغزون منذ سنين اهل قرى قلمون الاسفل في عقر دارهم و يرعون زروعهم و ينهبون ناطقهم وصامتهم ولذلك ضعف عمران تلك الديار حتى عَلَى قيد غلوة من القصبات والدساكر فاصبحت الا قليلا مزارع حقيرة ومداشر . وقلت الاشجار فيها حتى في ضواحي القرى وعَلَى شواطئ الجداول والانهار لان الفلاح اصبح لايفكر الا في رزق سنته فاذا نجا عامه من شرور النهب فهو سعيد آمن والا فيقضي عليه ان يعيش في فقر ليس بعده فقر وذلة هي الموت بعينها او يهيم على وجهه الى اقليم آخر يكون اقرب الى الامن والامان يطلب معاشه بالعمل مأجوراً وكان

(١) المقتبس م ٤ ص ٣٥٩

يستطيع ان يعيش اميراً من ارض اورثه اياها آباؤه واجداده لو كان له حكومة تفكر فيه وتدفع عنه بوائق الدهر وعواديه وتعرف ان انتقاضاه اياه من الضرائب والاتاوات ليس الا لتحميه

ومن الغريب ان الامن ما كاد يرفع رواقه في هـذه الديار وتنتظم اصول الادارة بالنسبة لما كانت عليه في القرن الماضي مثلا حتى سرت الى الاهلين هنا نغمة الهجرة الى اميركا ففدا هذا الجبل بمن هجره شقياً وكان يسعد بهم لو توفروا عَلَى خدمة ارضه واستثمار شجره واستنبات غلاته وتعدين مناجمه والعمل لاستبحار عمرانه ولا يقل عدد المهاجرين من هذا الوادي عن خمسمائة من اصل نحو عشرين الف نسمة وكل يوم يزيد نازحهم وقلما يعود احد منهم . يذهب الشبان الافوياء ويبقى في الاكثر الاطفال والكهول والشيوخ حتى كادت تسوء الظنون في مستقبل هذه البلاد وهي اذا لم توفق الى النهوض بنشاط شبانها هيهات ان تعمر بتكاسل شيوخها وكهولها وخمولهم .

قلما تمدين مناجمها لان جبالاً من مثل هذه لاتخلو من مناجم فاذا كانت بقعة واحدة وهي جيرود[1] وما اليها تحتوي في جملة ماتحتوي من الغلات والثمرات عَلَى اربعة اصناف من العناصر التي تقل او لاتوجد في غيرها فما بالك لو بحث في قرى هذا الجبل وحده عما يكنه صدره من الخيرات الطبيعية .

نعم في جوار جيرود عَلَى مسافة ساعة منها المملحة التي يصدر منها الملح الجيد للطعام وتكفي الوف القناطير التي يمكن استخراجها من سورية باجمعها ولذلك يكتفى باستخراج كمية قليلة منه لان في جوار تدمر وحماة وصفد مملحات اخرى ينتفع بملحها دع عنك مافي سائر الاقطار العثمانية من هذا الجزء المفيد

وبالقرب من المملحة معدن الجبس او الجبصين ينبشونه من الارض قطعاً مستطيلة بطول شبر او شبرين وعرض ثلاثة اصابع وثخن اصبعين يستخرج العامل القنطار الشامي منه بسبعة قروش وقد لايستخرج قنطاراً منه في اليوم الواحد فيأخذه ضامنه من ادارة الغابات والمعادن ويجعله في تنور كبير يحرقه وعندها يستحيل الى جبس يدخل في الابنية والتبليط والنوافذ وغير ذلك

هذان هما المعدنان اما النباتان فهما نبات القلي او الاشنان يقطعونه ويجعلونه في

(١) في معجم البلدان جرود بدون ياء وقال انها من اقليم معلولا من اعمال غوطة دمشق ولعلها كانت تابعة للغوطة

حفر يوقدون فيها النار فيستحيل الى قلي . ومن شواطئ المملحة التي لا يقل طولها عن ساعتين وعرضها عن ساعة ينبت السل او قش الحصر وهذا القش يخرج في بقاع اخرى ولكن احسن القش ماخرج من جيرود ولذلك ترى كل حصري في دمشق يحرص على ان ينسج حصره من قش جيرود لمتانته ورونقه

فبلاد هذا بعض مغلها الطبيعي خصت بزكاء المنبت وجمال الطبيعة تخرج منها الحبوب على انواعها والثمار على اختلاف اشكالها ثم يظل اهلها في جهالة على قربهم من دمشق ام المدن السورية بل عاصمة هذه البلاد العربية وذلك لقلة المواصلات بينهم وبينها ولان الحكومة لا يهمها الا ان تأخذ من اهلها حقوقها ولا تقوم بما يجب عليها لهم من الحقوق

ولو كان الاهالي في قلمون والمرج والغوطة يفكرون في مستقبل بلادهم حق التفكير ويحبون ان يبقى اولادهم لهم لا ان يربوهم لينزحوا الى اميركا ويتشتتوا في البلاد لطلبوا من الحكومة امتياز سكة حديدية ضيقة كالمعروفة في مصر بالسكك الحديدية الزراعية وبذلك تصدر الصادرات على ايسر وجه وتتساوى في الابعاد القرى القاصية والدانية .

بالسكك الزراعية أحيي موات مصر وقربت مسافاتها والتحمت اجزاؤها واذا كان يتعذر الآن ربط دمشق ببغداد بسكة حديدية تجتاز الغوطة والمرج وقلمون والقريتين وتدمر الى العراق لاختلاف المصالح السياسية فلا اقل من ان يقوم اغنياء دمشق وهذه الاقاليم ينشئون سكة ضيقة تصل بين هذه القصبات بوصلة العمران ففي الغوطة من امهات القرى مثل دومة وعربيل وجوبر وسقبا وفي المرج مثل ضمير وعتيبة وعذراء وفي قلمون مثل يبرود وديرعطية وقارة والنبك وجيرود والرحيبة والقطيفة وغيرها مايجدر بارباب الاموال ان يتدبروه ويضموا اشتات هذه الاجزاء المتفرقة التي لا تجد بينها طريقاً معبداً ولا بريداً ولا سلكاً برقياً ولا طبيباً ولا صيدلياً ولا كاتباً ولا حاسباً بل تجد فيها الناس يعيشون بعيدين عن محيطهم لا يعرفون عنه اكثر مما يعرف ابن السودان عن سكان ورا كش في حين ترى المسافات قريبة وابعد قرية عن الفيحاء لا تبعد مائة كيلومتر او يوماً وبعض يوم على ظهور المطايا

مثال ذلك اننا قصدنا الى هذا الجبل يوم وقفة عيد الصغير فكان الفلاحون يسألوننا كلما وقفنا لنريح مركباتنا فيما اذا كان ذاك اليوم من رمضان او انه رؤي هلال العيد

وثبت في دمشق اما من كنا نسألهم عن فتنة جبل الدروز فكانوا لايعرفون من امرها الا ان الحكومة جيشت جيشاً عليهم ولا يعرفون ماتبع ذلك من تأديب الدروز على حين هم احق الناس بالفرح بهزيمة الاشقياء لانتشار ظل الامن في تلك الربوع ولانهم طالما تأذوا بهم ونهبت مواشيهم وقتل رعاتهم وزراعهم ٠

ولا سبيل الى عمران هذه البلاد الا بالامن والعلم فمن جملة اسباب الامن مد الخطوط الحديدية الزراعية التي تقل نفقاتها وتكثر فوائدها المادية والمعنوية فتتضاعف اثمان الاراضي هنا كما يتضاعف دخلها وتكثر اشجارها ومواشيها والعلم لاينتشر الا اذا هب اعيان البلاد وعقلاؤها الى انشاء مدارس لابنائهم خاصة تجري على غير الخطة التي يسيرها عليها ديوان المعارف ٠ تسير في التعليم على طريقة يتعلم بها الفلاحون لغتهم فقط بحيث يقرؤن ويكتبون فيها في الجملة ويعرفون المبادي الاولى من الحساب والطبيعة والنبات والحيوان وشيئاً من تربية المواشي وحفظ الصحة والرياضة البدنية واصول الدين. يعلمون كل ذلك بالعمل اكثر من النظر ٠

فلو قامت في كل قرية من قرى قلمون مدرسة ابتدائية كالتي انشأها في جيرود كبيرها محمد باشا الجيرودي ووقف عليها بستاناً فيه صنوف الثمار لايقل ريعه السنوي عن عشرة آلاف قرش لاصبح قلمون بعد عشرين سنة ارقى جبال سورية لما فطر عليه اهله من الذكاء والنشاط ٠

نعم استحق الزعيم المنوه به كل شكر لانه جرى على غير سنة كبرائنا في السخاء فكان فيما نظن ثاني رجل في هذا القرن الرابع عشر وقف على العلم في سورية مثل هذا الملك الذي لايقل ثمنه الآن عن ثلاثة آلاف ليرة ٠ والرجل الاول هو فيما نذكر محمد باشا المحمد من امراء عكار وقف على مدرسة دينية هناك ما يكفيها ٠ اما سائر اعياننا واغنيائنا فلم يوفقوا الا قليلا الى وقف ماعوليهم في دنياهم واخراهم فخراً وذخراً ولعل اعيان هذه البلاد من الأسر العريقة في المجد تقدم بعد الآن بين يدي نجواها من البذل للعلم ما تقربه العين فيحذون في ذلك حذو اغنياء الاقاليم في مصر الذي نهضوا بها وما انشؤه لفلاحيهم من الكتاتيب في بضع سنين مالا تنهض به امة تنتظر من حكومتها ان تعلمها في قرن اوقرنين ٠ وليت شعري متى تنبعث من دمشق نفحة من تلك الروح التي انبعثت في القاهرة ففاضت على اقاليم مصر فاحيتها حتى يكون حظ المصريين واحداً في النهوض اليوم كما كان كذلك في القرون الوسطى ٠

مخطوطات ومطبوعات

كتاب المثنى

قال ابن ساعد [١] : ان علم اللغة هو نقل الالفاظ الدالة عَلَى المعاني المفردة وضبطها وتمييز الخاص بذلك اللسان من الدخيل فيه وتفصيل مايدل فيه على الذوات مما يدل عَلَى الاحداث وما يدل على الادوات وبيان مايدل على اجناس الاشياء وانواعها واصنافها مما يدل عَلَى الاشخاص وبيان الالفاظ المتباينة والمترادفة والمشتركة والمتشابهة . ومنفعة الاحاطة بهذه المعلومات خبراً طلاقة العبارة والتمكن من التفنن في الكلام وايضاح المعاني بالالفاظ الفصيحة والاقوال البليغة .

ولقد طبعت كتب كثيرة في اللغة ولا يزال يظفر باشياء لم يكتب لها الظهور وقد وقع الينا من مكتبة احد علماء هذه الحاضرة نسخة من كتاب المثنى تأليف حجة العرب ابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي الذي ذكره السيوطي في بغية الوعاة فقال انه عبد الواحد علي ابو الطيب اللغوي الحلبي الامام الاوحد .

قال في البلغة له التصانيف الجليلة منها مراتب النحويين ، الطيف الاتباع ، الابدال ، شجر الدر ، وقد ضاع اكثر مؤلفاته وكان بينه وبين ابن خالويه مناقشة مات بعد الخمسين وثلثمائة . وقال الصفدي : احد العلماء المبرزين المتقنين لعلمي اللغة والعربية اخذ عن ابي عمر الزاهد ومحمد بن يحيى الصولي واصله من عسكر مكرم قدم حلب واقام بها الى ان قتل في دخول الدمستق حلب سنة احدى وخمسين وثلثمائة .

وكتابه هذا في ١٣٠ ورقة اكبر من الربع عليه حواش وتعليقات مفيدة كتب على الحاشية ان اكثرها بقلم ابن الشحنة وابن مكتوم القيسي تلميذ ابي حيان وفيه نقص من وسطه ونقص قليل من آخره الا انه لايحول دون الانتفاع منه لان النسخة قديمة على مايظهر وهي حسنة الخط بالشكل الكامل والصحة غالبة عليها بحيث يسهل تمثيلها بالطبع دون الرجوع الى الامهات لتصحيح الفاظها واثبات الروايات المعتمدة في ضبطها وليس في الكتاب تاريخ نسخه ويرجح انها كتبت في القرن السابع او الثامن .

جاء في مقدمته مانصه : « بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل عَلَى محمد النبي وعَلَى آل

(١) هو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المتوفى سنة ٧٤٩ صاحب كتاب ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

محمد . قال ابوالطيب عبد الواحد بن علي اللغوي : انه ليس شيء من كتبنا وان قصرت ابوابه وقلت اوراقه وضمر حجمه وصغر جسمه باقل فائدة في معناه للمتعلم ولا انزر عائدة في مغزاه عَلَى المتفهم من غيره وان اسهبنا فيه واغرقنا في معانيه حتى طارت اصوله وانشرحت فصوله بل كل واحد بحمد الله عَلَى غاية ما يمكننا من الكمال فيما اقتصرنا به عليه ونهاية التمام فيما انتهينا به اليه ومامن شيء توخيناه من ذلك ولا تعمدناه الا لغرض في الافهام تحريناه وحرص عَلَى الاعلام الذي اردناه وكل من الله سبحانه وبه . فاذا كانت بغيتنا فيما نعانيه وارادتنا فيما نعيده ونبديه معونة اللقن المستفيد والتقريب عَلَى ذي الفهم البعيد والحاق الكهام البليد بالذكي الحديد وكان ذلك لوجه الله خالصاً موفوراً لا نريد به جزاء ولاشكوراً فانا غير قانطين من تفضله جل اسمه علينا بالارشاد وتوفيقه ايانا للسداد والله عند ظن عبده وكافل لمن استرشده برشده ولاقوة الا بالله . ونحن قاصدون في كتابنا هذا قصد ماورد من كلام العرب مثنى في الاستعمال تثنية لازمة ومبتدؤون بشرح وجوهه وتقصيها وذكر ضروب توسعهم فيها فنقول ان جميع ماورد على ذلك من الاسماء عشرة اصناف الاثنان غلب احدهما عَلَى اسم صاحبه الاثنان جمعهما في التثنية اتفاق اسميهما الاثنان غلب نعت احدهما عَلَى نعت صاحبه الاثنان جمعا في التثنية لاتفاق نعتيهما الاثنان غلب عليهما لقب واحد منهما الاثنان يجمعهما لقب واحد الاثنان ثنيا باسم اب او جد او احدهما ابن الآخر فغلب اسم الاب الاثنان اللذان لا يفردان من لفظهما الاثنان في اللفظ يراد بهما واحد الاثنان يثنيان وان اكتفي باحدهما لم ينقص المعنى واما ماورد من ذلك من الافعال فصنفان من الفعل المبني على صيغة التثنية والمراد به تكرير الفعل . الفعل يجيء لفظه لاثنين ومعناه لواحد ونحن نبوب هذه الابواب ونأتي عَلَى ماقيها او جمهوره ان شاء الله . »

« هذا باب الاثنين غلب اسم احدهما عَلَى اسم صاحبه قال الاصمعي وابو عبيدة قولهم سار في الناس سيرة العمرين انما يريدون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال الفراء نحو ذلك وسمع معاذاً الهراء يقول لقد قيل سنة العمرين قبل عمر بن عبدالعزيز وجاء في حديث انهم قالوا لعثمان رضي الله عنه نطلب منك سيرة العمرين فهذا يدلك عَلَى صحة ماقلنا »

وهنا اخذ المؤلف بورد الامثلة في هذا الباب مثل الخنقان والزهدمان والبحيران والعتبان والعبدان والجيدان والعقامان والنافعان والشريفان والعشاءآن والاقسان

والقربان والقمران والمربدان والطلحيتان والابانان والنيران والمشرقان والضمران والدحرضان والكبيران والموصلان والصباحان والبصرتان والغدوان والمطران · وشرحها شرحاً موجزاً واستشهد لها بكلام العرب واورد في باب التثنية لاتفاق اسميهما السعدان لسعد بن زيد مناة بن تميم وسعد بن ملك بن زيد مناة بن تميم والمروان لمرو الشاهجان ومرو الروذ · والفرقدان والقطبان والناظران والوريدان والاجدلان والذراعان والمسجدان قال بعد الامثلة الكثيرة وهذا باب يفوت الاحصاء ويدخل فيه الاذنان والعينان والجبينان والحاجبان والخدان والوجنتان واللحيان والعارضان وما اشبه ذلك

وقال في باب الاثنين غالب نعت احدهما على نعت صاحبه مثل الاسمران الخبز والماء والاسودان التمر والماء والاخضران البحر والليل والابيضان الخبز والماء والباكران الصبح والمساء ويقال لها الرائحان والابيضان الشحم والشباب · وقال في باب الاثنين جمعا في التثنية واورد لفظ الاقهبان الفيل والجاموس الاحمران الخمر واللحم والاصفران والاسودان والازهران والابهمان والاعميان والاطيبان والاخبثان الخ ·

واتى على هذا النحو من تفصيل الابواب تفصيلا حسناً وشرحها شرحاً احسن

وقال في الاتباع الذي اوله الالف : قال ابوملك تقول العرب في صفة الشيء بالشدة انه لشديد اديد وهو من الاد والأد القوة الا ان الاديد لا يفرد قال الراجز

نضوت عني شرة واداً من بعد ما كنت حملا نهدا

ويقال جيء به من عيصك وأيصك اين من حيث كان ولم يكن فالعيص الاصل والايص اتباع الخ

وقال في الاتباع الذي اوله الباء يقال انه لحسن بسن وانه لكثير بثير وانه لقليل بليل الخ وقال في التوكيد الذي اوله الباء : يقال فر وله بصيص واصيص وبصيص من الفزع وكله بمعنى الصوت الضعيف ويقال انه لغض بض وغاض باض وهي الغضاضة والبضاضة قال ابو زيد والبضاضة رقة البشرة وقال الاصمعي هي رقة البشرة والبياض وقال ابو زيد قد يكون الاسم بضاً ويقال انه لسر بر وسار بار وانهم لسارون بارون وسرون برون قال الشاعر

اخوة ما تمت سرون برون فان غبت فالذئاب الجياع

وهكذا اتى بباب الاتباع على حروف المعجم فاستوفاه ولم نعثر في شيء من كتب اللغة المطبوعة على اكثر استيفاء لهذا المبحث من هنا · وفي آخر هذا الفصل البديع انتهى

بحسب الظاهر الكتاب . وجاءت بعده قطعة اخرى في اللغة على تلك الشاكلة ولكنها تكاد تتجاوز ثلاثة ارباع الكتاب فمن امثلته : الباء والشين يقال ارب عَلى القوم وارش عليهم اذا حمل عليهم ووشى بهم وهو يؤرب عَلى القوم تأريبًا ويورش تأريشًا ويقال غلام بلبل وشلشل اذا كان خفيفًا ظريفًا . وقال في الباء والفاء : ابو زيد يقال خذه ببانه وخذه بافانه اي بزمانه وحينه وانشد

فهلا بافان وفي الدهر غرة تزور وفي الايام عنك عقول

وعلى هذه الصورة كانت سياقة هذه الابواب المفيدة ولها نظائر من كتب اللغة المطبوعة

وهاك نموذجًا آخر : الجيم والقاف قال الاصمعي : يقال لكل ذي حانوت كربج وكربق والكربج والكربق ايضًا اسم الحانوت وهو فارسي معرب وسئل عن كثير فقال كان كربجًا قال ابو حاتم يعني صاحب حانوت ويقال هو الفالوذج والفالوذق واعطاني من الشعير او الحنطة كيلجة وكيلقة . ابو عمرو يقال انه لحسن الجسم وحسن القسم بمعني واحد والقسم هو الجسم بعينه وانشد

طبيخ نحاز او طبيخ اميهة دقيق العظام سيّئ القسم املط

ويقال اباجت عليهم بايجة من الدهر وانباقت عليهم بايقة وهي البوايج والبوايق اي الشدائد والدواهي قال الشاعر وهو الشماخ يرثي عمر رضي الله عنه

قضيت اموراً ثم غادرت بعدها بوايج في اكمامها لم تفتق

وفي الحديث لن يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوايقه اي دواهيه قال ابن احمر

اخاف بوايقا تسري الينا من الاشياع سرًّا او جهارا

ومن الامثلة الكثيرة ماورد في « العين والنون » الاصمعي يقال اعطيته اعطاء وانطيته أنطيه انطاء بمعنى واحد ومنه قول الاعشى

جيادك في القيظ في نعمة تصان الجلال وتنطا الشعيرا

والدعفص والدنفص من الرجال الزري المنظر القميء ويقال عسل الذئب يعسل عسلانا ونسل ينسل نسلانا وهو ضرب من المشي تضطرب فيه متناه وفي التنزيل : فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وشكا عمرو بن معدي كرب الى عمر بن الخطاب رحمة الله عليه المعص فقال : كذب عليك العسل اي عليك بالعدو قال الشاعر :

عسلان الذئب امسى قاربا برد الليل عليه فنسل

وهكذا تجد الكتاب من اوله الى آخره سلسلة فوائد لغوية حرية بالتدبر والاستظهار ولو اتسع المجال لاكثرنا من الامثلة وفيما اوردناه مقنع فعسى ان تصح عزيمة بعض الطابعين والمؤلفين على نشره ليضاف الى المجموعة اللطيفة التي طبعت مؤخراً من كتب اللغة مثل كتاب فقه اللغة للثعالبي والالفاظ الكتابية للهمداني وتهذيب الالفاظ لابن السكيت والنوادر لابي زيد والاضداد لابن بشار الانباري والفصيح لثعلب وذيله للبغدادي وفصيح اللغة للهروي وفعلت وأفعلت للزجاج ومبادئ اللغة للاسكافي واساس البلاغة للزمخشري والمقصور والممدود لابن ولاد وغير ذلك من المختصرات والمطولات كرسائل العارات للاصمعي ورأس تلك الكتب المتممة المخصص لابن سيدة المطبوع والمحكم له الذي يرجى طبعه عما قريب

اعمال الاعلام

فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام تأليف لسان الدين ابن الخطيب طبع في بلرم صقلية سنة ١٩١٠ ص ٦٨

احتفل علماء الطليان في المشرقيات بمرور مئة سنة على مولد ميشل آماري المستشرق الايطالي الذي صرف حياته كلها في درس التاريخ الاسلامي ولاسيما ما كان متعلقاً منه بجزيرة صقلية التي دانت للمسلمين زمناً طويلاً فوضعوا لذلك كتاباً اتى كل واحد بنبذة تاريخية اواجتماعية نشرها . ومن جملة ما نشرهذا الجزء من تاريخ ابن الخطيب . نشره حسن حسني افندي عبد الوهاب استاذ التاريخ في المدرسة الخلدونية بتونس بدعوة من صديقه الاستاذ نالينو الايطالي ومكافأة لذكرى من خدم الاسلام والمسلمين في اوربا طول حياته وقد علق الناشر بالافرنسية شروحاً وحواشي على هذا الجزء تدل على بعد غوره وتدقيقه على اسلوب الاوربيين . وللكتاب مناسبة كبرى بتاريخ شمالي افريقية وصقلية والاندلس وفيه ذكر من ولي الملك بصقلية قال لسان الدين في وصفها : قال ابو محمد الرشاطي : صقلية جزيرة كبيرة وصقلية اسم لاحدى مدنها الكثيرة وقلاعها الاثيرة وطولها مسيرة خمسة ايام وهي في البحر الشامي موازية لبعض بلاد افريقية واقرب المواضع اليها من بلاد افريقية رأس أدار بينهما مجرى يوم وتوازي من الجهة الاخرى ارض الروم الكبيرة وافتتحت في اثني عشرة ومائتين وكانوا قبل ذلك معاهدين ولافتتاحها خبر شهير . وقال ابو الحسن ابن جبير في رحلته يصف مدينة مسينة واخبار ملوكها : هذه المدينة موسم تجار الكفار ومقصد جواري

البحر من جميع الاقطار كثيرة الارفاق برخاء الاسعار مظلمة بالكفر لا يقر فيها للمسلمين قرار اسواقها دانقة حفيلة وارزاقها واسعة بارغاد العيش كفيلة لا تزال بها ليلك ونهارك في امان وان كنت غريب الوجه واليد واللسان وذكر بعد مدينة مسينة المدينة المعروفة ببلارمة فقال فيها سكنى الحضر من المسلمين ولهم فيها المساجد والاسواق المختصة بهم والارباض وسائر المسلمين بضياعها وجميع قراها وبدنها كسرقوسة وغيرها وبهذه المدينة سكنى ملكها غليام وشأنه عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين وهو كثير الثقة بهم وساكن اليهم في احواله والمهم من اشغاله ومنهم وزراؤه وحجابه وهم اهل دولته المرتسمون بخاصته وعليهم يلوح رونق مملكته لانهم في الملابس الفاخرة والمراكب الفارهة ولهذا الملك القصور المشيدة والبساتين الانيقة وهو كثير الاتخاذ للقيان والجواري وليس في جميع ملوك الرومية اشرف منه في الملك ولا انعم ولا ارفع وهو يتشبه في تنعمه بالملك وترتيب قوانينه وتقسيم مراتب رجاله وتفخيم ابهته واظهار زينته بملوك المسلمين. وملكه عظيم جداً وله الاطباء والمنجمون وهو كثير الاعتناء بهم شديد الحرص عليهم. ومن عجيب شأنه انه يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته الحمد لله حق حمده وكانت علامة ابيه الحمد لله شكراً لانعمه. وجواريه وحظاياه في قصره مسلمات كلهن. وذكر لنا ان الافرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة يعيدها الجواري المسلمات. وذكر مدينة شيفلود فقال هي مدينة ساحلية كثيرة الخصب واسعة المرافق منتظمة الاشجار والاعناب مرتبة الاسواق يسكنها طائفة من المسلمين وذكر مدينة ثرمة فقال هي احسن وضعاً من التي تقدم ذكرها وهي حصينة تركب البحر وتشرف عليه وللمسلمين فيها ربض كبير لهم فيه مساجد وهذه المدينة من الخصب وسعة الرزق على غاية وذكر المدينة التي هي حاضرة صقلية فقال هي ام الحضارة والجامعة بين الحسنيين غضارة ونضارة فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر وموارد عيش اخضر عتيقة انيقة مشرقة مونقة تتطلع بمرأى فتان وتتخايل بين ساحات وبسائط كلها بستان فسيحة السكك والشوارع تروق الابصار بحسن موضعها البارع عجيبة الشأن قرطبية البنيان قد زخرفت فيها للملكها دنياه تنتظم بلبتها قصوره انتظام العقود في نحور الكواعب وتتقلب في بساتينها ومياديها بين نزهة وملاعب فكم له فيها لا عمرت من مقاصر ومصانع ومناظر ومطالع وكنائس قد صيغ من الذهب والفضة صلبانها وديارات قد زخرف بنيانها وللمسلمين بهذه المدينة رسم باق من الاسلام يعمرون اكثر مساجدهم ويقيمون الصلاة باذان

مسموع ولهم ارباض قد انفردوا بها باسمائهم وبسكناهم ولهم فيها قاض وجامع يجتمعون للصلاة فيه ويحتفلون في وقوده واما المساجد فكثيرة لاتحصر واكثرها محاضر لمعلمي القرآن واطنب في شبهها بمدينة قرطبة . وذكر مدينة طرابنش واطنب في ذكر الجميع بما لا مرغب في اطالته اذ يجر التفجع ويثير التوجع اعادها الله دار ايمان بقدرته اه »

وذكر من ولي على هذه الجزيرة من الملوك الى ان تغلب عليها الروم واستولى عليها رجار ملك النصارى في زمن المرابطين على عهد الاموي المستعلي من ملوك الشيعة بمصر عندما استولت الروم على بيت المقدس والجزائر اوقبل ذلك بيسير وتداول هذه الجزيرة امراء الى ان انقطع عنهم امداد المسلمين لاشتغال كل جهة بما يخصها من الفتن فكان استخلاص العدو لها في سنة خمس وثمانين واربعمائة وذكر المؤلف من خرج من هذه الجزيرة من المحدثين والعلماء والفقهاء والشعراء والكتاب مثل ابن حمديس الصقلي قدم على المعتمد بن عباد عند الجلاء لحادثتها فكان اثيراً لديه وهو القائل مما الم فيه بذكر صقلية

قضت للصبا النفس اوطارها … وابلغها الشيب إنذارها
نعم واجالت قداح الهوى … عليها فقسمن اعشارها
وما غرس الدهر في تربة … غراساً ولم يجن اثمارها
فافنيت في الحرب آلاتها … واعددت للسلم اوزارها
كميتاً لها مرح بالفتى … اذا حث باللهو ادوارها
تناولها الكوب من دنها … فتحسبه كان مضمارها
وساقية زررت كفها … على عنق الظبي ازرارها
تدير بياقوتة درة … فتغمس في مائها نارها
وفتيان صدق كزهر النجوم … كرام النجار احرارها
يديرون راحاً تفيض الكؤوس … على ظلم الليل انوارها
كأن لها من نسيج الحباب … شباكاً تعقل طيارها
وراهبة اغلقت ديرها … فكنا مع الليل زوارها
حدانا اليها شذا قهوة … تذيع لانفك اسرارها
فما فاز بالسك الا فتى … أنيم دارين او دارها
كأن نواجه عندها … دنان مضمنة قارها

طرحت بميزانها درهمي فسيل سيف الكاس دينارها
خطبنا بنات لها اربعاً ليفترع اللهو ابكارها
من اللاء اعصار زهر النجوم تكاد تطاول اعمارها
تريك عرائسها ابديا طوالا تصافح اخصارها
تفرس سيف شمسها طيبها مجيد الفراسة واختارها
فتى دارس الخمر حتى درى عصير الخمور واعصارها
بعد لما شئت من قهوة سنيها وبعرف خمارها
وعدنا الى حالة اطلعت على قضب البان اثمارها
يرى ملك اللهو فيها الهموم تثور فيقتل ثوارها
وقد سكنت حركات الاسى قيان تحرك اوتارها
فهذي تعانق عوداً لها وتلك تقبل مزمارها
وراقصة لقطت رجلها حساب يد نقرت طارها
وقضب من الشمع مصفرة تريك من النار نوارها
كأن لها عمداً صففت وقد وزن العدل اقطارها
تقل الدياجي على هامها فتهتك بالنور استارها
كأنا نسلط آجالها عليها فتمحق اعمارها
ذكرت صقلية والاسى يهيج للنفس تذكارها
فان كنت أُخرجت من جنة فاني احدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعي انهارها
ضحكت ابن عشرين من صبوة بكيت ابن ستين اوزارها
فلا تعظمن عليك الذنوب اذا كان ربك غفارها

وقد اجاد الناشر في التعليق على الرسالة بعض ملافات المؤلف من رجال صقلية او هاجروا منها الى افريقية وذكر اناساً منهم فنشكره على تحفته

درس التاريخ الاسلامي

تأليف الشيخ محي الدين الخياط . القسم الثاني طبع على نفقة المكتبة الاهلية في المطبعة العصرية بيروت ص ٨٧

اجاد مؤلف هذا التاريخ بتسهيل مطالبه وتنسيق عباراته بحيث يتناوله التلميذ على

ايسر وجه بعبارة لطيفة وهذا الجزء يشتمل على تاريخ دولة الخلفاء الراشدين وماحدث من الاحداث الاولى في الاسلام . وكنا نود لو صحت عزيمة المؤلف على شكل مواضع الاشكال من عباراته حتى تقوى ملكة الفصيح اوالتلاوة المعربة في التلميذ وان يعلق شرحاً خفيفاً في الهامش على بعض الاعلام ولاسيما الجغرافية فيكون التلميذ على بصيرة من مواقع البلاد التي تعرض له ويجتمع له منها مجموعة معجم صغير للبلدان التي فتحت للصدر الاول . وذلك مثل الجابية والبلقاء وبصرى والعربة واليرموك وقيسارية وعمواس وسبطية والرها وبرقة والقادسية وجلولاء والاهواز وقرقيسيا والجزيرة وكذلك بعض اعلام فارسية مثل مكران وطخارستان وماسبذان وابيورد وطوس فان التلميذ لايقنعه ان نقول له مكران من بلاد فارس خصوصاً وان كثيراً من اسماء هذه البلاد قد تغير الآن عن اصله اودثرت برمتها . ثم انا لاحظنا ايجازاً في العبارات كاد يكون مخلاً في بعض المحال مثل اقتضاب الجملة التي قالها هرقل لماسار من الشام الى القسطنطينية بائساً والتفت الى الشام وقال : « السلام عليك ياسوريا سلاماً لااجتماع بعده » وقد كتب التاريخ انه قال هكذا : « السلام عليك ياسورية سلام لااجتماع بعده ولايعود اليك رومي ابداً الا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم وياليته لايولد فما احلى فعله وامر فتنته على الروم »

المهاجر السوري

تأليف جميل افندي بطرس حلوة طبع في مطبعة جريدة الهدى اليومية في نيويورك ص ١٥٤

من انفع الكتب الاجتماعية والاقتصادية التي نشرت بالعربية هذه الآونة هذا الكتاب الذي وضعه مؤلفه من مهاجرة السوريين في اميركا الشمالية لفائدة المهاجر السوري الى ارض خريستوف كولمبس فقد بحث بحثاً مستوفى فيما ينبغي للمهاجر عمله حتى ينجح بدأه بلمحة من تاريخ مهاجرة السوريين ونشوئها ومؤسسيها وعدد السوريين في الولايات المتحدة واعمالهم وقد قال في ذلك ان الاحوال قد تحولت والشؤون تبدلت واميركا اليوم غيرما كانت عليه منذ خمس عشرة سنة وذلك ليكون المتخلفون في الوطن على بصيرة وانتباه ولاسيما ان السياسة قدبشرت بالترقي والتحسن والحرية بالتقوى والتمكن وسورية غنية بمناجمها وآكامها ووريانها ومائها وهوائها ولا ينقصها الابذل الاموال عليها وتوجيه العزائم اليها حتى يفيض منها اللبن والعسل .

وذكر ان الهجرة لاترجع الى ابعدمن خمسين عاماً كان الباعث عليها اختلال الجاري

الاقتصادية في السلطنة العثمانية . وقد انكرنا عليه قوله ان الصواعق في عهد الحكومة الحميدية كانت تقع عَلَى رؤُوس نصارى الشرق دون سواهم وعَلَى فلوسهم بعيش الجاسوس والمنافق لما ثبت لدى العارفين ان المسيحيين ان لم يكونوا سواء واخوانهم المسلمين في المعاملة فقد كانت حقوقهم مرعية اكثر وقولنا هذا في مسيحيي سورية لافي غيرها خصوصاً وان اكثر المهاجرين من لبنان ولبنان باستقلال ادارته كان اكثر دعة من غيره من الولايات

وقال انه هاجر الى الولايات المتحدة فقط من سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٨ خمسة آلاف نسمة وكلما نجح افراد زادت الهجرة وفي الولايات المتحدة من السوريين الآن عدد يبلغ الثلثمائة الف اذا حسبنا تكاثرهم عَلَى سبيل التوالد

وقد تكلم المؤلف بحرية فقال ان البعض من المتجولين عَلَى تقدير انهم في بلاد غربة وعَلَى زعم ان لارقابة عليهم ولا معاينة خلعوا عنهم تبعة الاستقامة والصدق والامانة جارين بذلك عَلَى انفسهم نقمة الوطنيين ولعنة المواطنين

واجاد في كلامه عَلَى المرأة السورية المهاجرة واشار الى ماتتعرض له من الهوان وثلم الشرف باتجارها واشار بان تعفى من هذه المذلة فالمال لايكون شريفاً تحصيله من هذه السبل

وعقد فصولاً كثيرة في المهاجرة والدولة والمهاجرة ومقتضياتها واستئصال النخاسة وحماية العمال والخطر الاصفر وتفريق المهاجرين في الولايات عوضاً عن تجمعهم وضريبة الدخول عَلَى النفوس والفحص ومراقبة الحكومة وما ينبغي للمهاجر ان يكون له من المال ويكون تليه من الصحة والهندام . وتكلم على عمران الولايات المتحدة واجاد فقال يكفي ان يقال عن مساحة الولايات المتحدة ان ولاية تكسس فقط منها تسع انكلترا وجرمانيا وفرنسا وايطاليا مجموعات ! واورد دستور الولايات المتحدة وحقوق الرعوية فيها ورئاسة جمهوريتها وتذاكر التجنس بالجنسية الاميركية وغير ذلك من القوانين النافعة لتصور حالة تلك البلاد وهو مما ينفع المهاجرين وغيرهم فنشكر للمؤلف تحفته التي نفع بها ابناء وطنه

كتب متفرقة

نقد النصائح الكافية — تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي وفيه تعديل معاوية وقبول مرويه ومروي الصحابة الذي كانوا معه وبيان الاعتدال والانصاف كما هو مذهب الائمة وفلاسفة الاسلام وهو في ٤٤ صفحة طبع في مطبعة الفيحاء بدمشق ومن احسن

ماراقنا فيه الفصل المعنون ببيان ان كتب الحديث مشتركة بين الامة يرويها الشيعي عن السني وبالعكس وان عادة السلف الرواية عن المخالفين في المذهب وان كتب الحديث هي ايمانية محمدية لاشافعية ولا غيرها والكتاب جيد كسائر ماخطته يراعة الاستاذ

الاخلاق — هو كتاب عربه عن الانكليزية محمد افندي الصادق حسين صدر الجزآن الاولان منه ومؤلفه صموئيل سميلز من مشاهير الانكليز و يطلب من مكاتب القاهرة

الصحة من السعادة — تأليف الطبيب مصطفى السعادة صدر الجزء الاول منه في ١٦٦ صفحة وفيه كثير من القوانين الصحية والتدابير الاهلية يطلب من مؤلفه في بيروت

ديوان الانشاء — هو مختصر في المراسلات العصرية تأليف محمد عمر افندي نجا في بيروت في ٢٢٤ صفحة وفيه كثير من الفوائد والرسائل التجارية يطلب من مؤلفه ومن مكاتب بيروت

الاسلام حافظ الذمم فيما بين الامم — تأليف عبد الوهاب افندي سليم التنير من افاضل بيروت وفيه رد على بعض قسس البرتستانت الذين تناولوا الاسلام بما حط من شأنه آخذاً من كتب الافرنج ومنشوراتهم وتواريخهم غير مغفل ماورد في الاسلام نفسه وهو في ٤١ صفحة

الدرر — اعادت المطبعة الادبية في بيروت طبع «الدرر» لاديب بك اسحق من كتاب الطبقة الاولى من الصحافيين في القرن الماضي وفيه مقالاته وقصصه وخطبه وآثاره ومراثيه وكل مايتعلق بذلك وهو من جمع شقيقه عوني افندي اسحق وقد وقع في ٦١٦ صفحة

مجلتان جديدتان

مجلة الاقتصاد — هي زراعية صناعية تجارية مصورة لمنشئها انيبال افندي ايلا تصدر في بيروت مرتين في الشهر في ٣٢ صفحة وقيمة اشتراكها في العام خمسة بشالك ماعدا اجرة البريد وفيها عدة مقالات نافعة منها مقالة في بلجيكا واقتصادياتها جاء فيها ان مساحة انكلترا ٣١٥ الف كيلومتر مربع وسكانها ٤٠ مليوناً ومعدل السكان في كل كيلومتر ١٢٦ والديون العمومية ١٧ ملياراً والتجارة ١٧ ملياراً وطول سككها الحديدية ٣٥ الف كيلومتر ومساحة البلجيك ٢٩،٤٥٠ وسكانها ٧ ملايين ومعدل سكانها ٢٢٤ وديونها ٢،٧ مليار وتجارتها ٣،٠ مليار وطول سككها ٤٥٠٠ ومساحة النمسا والمجر ٦٢٥

الف كيلومتر وسكانها ٤٤ مليونًا ومعدل الساكن في كل كيلومتر ٦٩ وديونها ١٦ ملياراً وتجارتها ٤٧ مليون وسككها ٢٥ الف كيلومتر ومساحة المانيا ٥٤٠ الف كيلومتر مربع وسكانها ٥٣ مليونًا ومعدل الساكن في كل كيلومتر ٩٧ وديونها ١٦ ملياراً وتجارتها ١٠٧ وسككها الحديدية ٤٩ الف كيلومتر ومساحة روسيا ٥٤٣٠٠٠٠٠ وسكانها ١٠٦ ملايين ومعدل السكان ١٩ وديونها ١٦ ملياراً وتجارتها ٤ مليارات وطول سككها ٤٠ الف كيلومتر ومساحة ايطاليا ٢٩٠ الف كيلومتر وسكانها ٣٢ مليوناً ومعدل سكانها في كل كيلومتر ١٠٩ وتجارتها ٣ مليارات وسككها ١٦ الف كيلومتر ومساحة فرنسا ٥٣٦ الف كيلومتر وسكانها ٣٨ ومعدل السكان ٧٢ ساكنًا في كل كيلومتر وديونها ٣٥ ملياراً وتجارتها ٧٠ وسككها الحديدية ٤٢ الف كيلومتر اما البلاد العثمانية فساحتها ٤ ملايين كيلومتر مربع وسكانها ٣٨ مليونًا ومعدل السكان في كل كيلومتر ١٠ اشخاص وديونها ٥ مليارات وتجارتها ١٧ مليار وسككها الحديدية ٥٠٠٠ كيلومتر بما فيه طريق الحجاز

العالم الجديد — مجلة شهرية تصدر بالعربية في نيو يورك وتبحث في شؤون اجتماعية واقتصادية ولغوية وفكاهية وتاريخية اطلعنا عَلَى العددين السابع والثامن منها فرأيناهما حافلين بالموضوعات والمباحث النافعة لمنشئها سلوم افندي مكرزل وقيمة اشتراكها دولاران ونصف وهي في عشرين صفحة كبيرة

سير العلم والاجتماع

مدارس الصحافة

حاول الغربيون ان يعلموا فن الصحافة في المدارس فأُنشئت في باريز سنة ١٨٩٩ مدرسة للصحافة فلم تلبث ان اصبحت منتدى تقرأ فيه محاضرات ومسامرات وخطب في موضوعات لها علاقة بالصحافة . وفي ليل تام اوجين تافرنيه سنة ١٨٩٦ فالقى عدة محاضرات في وظائف الصحافي وفي لندن انشأ وليام روث مدرسة للصحافة يدرس فيها علاوة عَلَى كيفية كتابة المقالات اصول طبع الجريدة وفي اميركا ولا سيما في الولايات المتحدة انشأوا عدة صفوف في المدارس الكلية لتعليم الصحافة ولا سيما في فيلادلفيا

وشيكاغو واضافوا في ولاية كنساس الى دروس التحرير والانشاء درساً في كيفية جلب الاخبار وامتازت سويسرا والمانيا في هذا الشأن فاشتركت برن وزوريخ وجنيف وهايدلبرغ وبرلين في تعليم فن الصحافة . قالت احدى المجلات الافرنجية بعد ايراد ما تقدم : وياليت شعري هل اثمرت هذه الاعمال ما كان يتوقع منها وهل دخل الاصلاح في الصحافة من هذا التعليم ? فالجواب بالايجاب صعب . فينبغي للصحافي مع ما يجب لصناعته من المعارف الفنية كفاءآت متنوعة ومزايا طبيعية وصفات في الثبات والارادة ويصعب تعليمه هذه المهنة بدونها مهما اجلسناه على دكات المدارس على انه لا ينكر ان التعليم العالي يجب ان يعنى بعد الآن بالمسائل المهمة التي تخوض الصحافة عبابها وان مدارس الصحافة التي هي متممة للدروس العالية تخدم خدمة نافعة في هذا الشأن

الساحات للصحة

قال الفيلسوف جان جاك روسو : ان نفس الانسان مضر بالناس . ولكن هذه القاعدة لم تطبق في المدن ولذلك كثرت فيها الامراض فقد تبين بالاستقراء ان المدن التي تكون ساحاتها العامة اكثر والهواء والشمس يتخللها تقل فيها الوفيات بالسل وان في لندن يقل عدد الموتى بالسل الى ثلث عدد من يهلكون به في باريز لان ساحات لندن اكبر من ساحات باريز بثلاث مرات تصرف عليها الملايين لاعتقادها النفع منها للناس . قلنا فاين ساحاتنا في المدن الكبرى وحدائق النزهة .

مكاتب الشعب

قدم قيم مكتبة مدينة بلفنا الروسية الى مؤتمر الكتب والمستندات في بروكسل تقريراً في خزائن كتب الشعب في بلغاريا فقال انه يعضدها جمعيات مؤلفة اعضاؤها من ارباب الحرف المختلفة فلكل مكتبة محل فيه خزانة الكتب وغرفة المطالعة التي تعرض فيها المجلات والجرائد السياسية والمصورة . وقال ان مدينة بلفنا كان فيها سنة ١٨٨٨ — ٨٠ مجلداً فاصبح فيها الآن ١١ الفاً وانه عول ان يجري على طريقة مجمع الكتب الدولي الذي عقد في بروكسل وهو ان تصف الكتب بحسب موادها وتجعل لها فهارس بذلك

يابان الاقتصادية

نشرت يابان احصاء بالحالة الاقتصادية في بلادها خلال سنة ١٩١٠ فبلغت مساحتها السطحية ٤٤٨٣٤٣ كيلومتراً مربعاً يدخل في ذلك جزائر فرموز وبسكادور وصقالين

وكان سكانها سنة ١٩٠٩ — ٥٣،٢٧٤،٩٨٠ منهم ٥١،١٦٩،٥٨١ في البلاد الاصلية وقد زاد السكان منذ سنة ١٨٩١ عشرة ملايين فيكون بذلك ١٣٣ ساكناً في كل كيلومتر مربع . وقد نظمت يابان ماليتها بعد الحرب الروسية اليابانية وسنت قواعد في الميزانية مملوءة بالحكمة وحددت الخرج والدخل السنوي بحيث تتحامى عقد قروض جديدة وان تسارع الى وفاء ماعليها من الديون فلا تميل الى ان تطلب اموالاً جديدة بل قللت ما امكن ما كانت وضعته من الاعتمادات لبعض المشاريع وارجأت دفع النفقات اللازمة لبعض الاعمال العامة وضربت لها مدداً متطاولة لتخف السنة بعد السنة

وعزمت هذه الحكومة ان تدفع كل سنة خمسين مليون يان او ١٢٩،١٥٠،٠٠٠ فرنك كل سنة لوفاء الديون العمومية وازمعت ان تزيد هذا القدر حتى تستهلك جميع الديون التي عليها ومع كل هذا فهي تزيد في ميزانيتها العادية وميزانيتها فوق العادة فكانت هذه السنة ٤٠٢،٨٦٠،٠٠٠ يان للاولى و ١١٤٦١٩٩٧٨ يانا للثانية واهم النفقات التي زادوا فيها مخصصات الامبراطور وزيادة رواتب الموظفين والضباط والتوسعة على الجند واكثر النفقات فوق العادة بذلت في استهلاك دين الامبراطورية . وبداعي النظام الجديد في الجباية نزلت الضرائب على العقارات والسكر احد عشر مليون ونصف مليون يان وزادت من جهة اخرى واردات الحكومة العادية بتحسن بعض الضرائب الاخرى وحاصلات الطوابع والبريد واحتكار الملح والكافور والتبغ . وقلت النفقات الغير العادية مليونين ونصف مليون يان . هذا وقد كانت الميزانية منذ خمس سنين ٢٧٧ مليون يان فارتفعت على حين فجأة ابان الحرب الروسية اليابانية الى ٤٢٠ مليوناً

وبلغت تجارة يابان الخارجية سنة ١٩٠٩ — ٨٠٧،٣١١،٣٥٤ ياناً منها ٤١٣١١٣،٠٠٠ من الصادرات و ٣٩٤،١٩٩،٠٠٠ في الواردات واكثر صلات يابان التجارية مع الصين والولايات المتحدة ثم تجيء فرنسا فالمانيا فانكلترا . وطول خطوطها الحديدية ٥٠٢٠ ميلا منها ٤٥٤٣ ملك الحكومة و ٤٧٧ تستثمرها شركات كلفت ٥٣٥ مليون يان ومع ان معدل دخل سكك الحكومة اكثر من دخل سكك الشركات فالحكومة تريد ان تجعل محاسبة خطوطها على صورة تجارية

فوائد الثلفون

نشر احد الالمانيين كتاباً في الفوائد التي نجمت في التجارة من الثلفون جاء فيه

ان ما انفقته المانيا الى آخر سنة ١٩٠٤ — ١٥٣٠٠ مليون مارك لانشاء السكك الحديدية و ٢٦٤ مليون مارك لانشاء الاسلاك التلفونية . وكانت الولايات المتحدة انفقت الى سنة ١٩٠٢ — ١٨٢٣ مليون مارك وان النظام الاقتصادي الحديث قائم اليوم على اساس نقل الاخبار بسرعة ففي الاسلاك التلفونية مبادلة للمفاوضات الشفاهية في بقعة واسعة من الارض ولا تزال المسافات بين الاسلاك تبعد كلما كمل الفن وتم العلم والتلفون افضل من التلغراف ولكنه لا يقوم مقامه واستعمال التلفون يستلزم اقتصاداً عظيماً في الوقت وبه سهل تكاثر الصلات التجارية وكان يتعذر بدونها دوامها وساعد على اعتدال الاسعار وتحكم التجار فيها والتلفون اداة نافعة في تقسيم العمل وتوزيعه فالواجب تنزيل اسعاره حتى يشترك في منافعه الفقير والغني على السواء

النجاح الالماني

كان من نتيجة آخر احصاء قامت به المانيا منذ ثلاث سنين ان كان عدد سكان المانيا ٦٢٠٠٣٦٠٠٠ اخذت افادات كافية عن ٦١٠٧٢١٠٠٠ ساكن وقد صرفت المانيا على هذا الاحصاء الاخير وحده زهاء ستة ملايين مارك فكان عدد الاشخاص العاملين في الصناعات الرئيسة ومنهم الخدمة ومن لا موطن لهم والاشخاص المستقلون بلا عمل ٣٠٠٤ مليون وفي المانيا ٢٦٣ مليون ارباب الاملاك وموظفين فاذا حذف عدد الاشخاص المستقلين وهم بلا صناعة تجد عدد العاملين ٢٦٠٨ مليون اي زهاء ٤٣ في المئة من مجموع السكان وكان سنة ١٨٨٢ ١٧ في المئة فقط . وتقسم هذه الصناعات والحرف الى ثلاثة اقسام رئيسة وهي الزراعة ويدخل فيها البستنة وتربية المواشي والغابات والصيد . والصناعات الصغرى والكبرى والتجارة والنقل وقد زاد عدد العاملين في كل فرع من فروعها وقل عدد المشتغلين بالزراعة على نسبة معتدلة فكان عدد العاملين في الزراعة سنة ١٩٠٧ ٣٢ مليوناً على حين بلغ عدد هذا العدد ٤٣ مليوناً سنة ١٨٨٢ وبلغ عدد من يتعاطون الزراعة مباشرة في سنة ١٩٠٧ — ١٧ مليوناً وعدد المشتغلين بالصناعات ١١ مليوناً وزاد عدد السكان سنة ١٨٩٥ الى ١٩٠٧ نحو عشرة ملايين التهمت الصناعة منهم ثلاثة اخماسهم وربعهم انصرف الى التجارة والنقل وهكذا كان بحسب الاحصاء الاخير ٣٠٥٠١٠٠٠٠ شخص من مديري الزراعات و ٧٠٢٨٣٠٠٠٠ من العملة و ٩٩٠٠٠٠ من المستخدمين و ١٠٩٧٧٠٠٠٠ مدير في الصناعة و ٦٨٦٠٠٠٠ مستخدم و ٨٠٥٩٣٠٠٠٠ عامل و ١٠٠١٢٠٠٠٠ مدير في التجارة و ٥٠٠٠٠٠٠ مستخدم

و ١،٩٦٠،٠٠٠ عامل . وزاد عدد الاشخاص العاملين باكثر سرعة من عـدد المعامل وكثر انضمام المعـامل بعضها الى بعض واحتفظت الزراعة بالقسم اللازم لهـا من السكان ونبذت الآخر للعمل في التجارة والصناعة

مطالعات

قال ابوالعلاء المعري واجاد ماشاء :

مثل الفتى عند التغرب والنوى ... مثل الشرارة ان تفارق نارها
ان صادفت ارضاً ارتك خمودها ... او وافقت اكلاً ارتك منارها

وقال الآخر وقد ابدع :

وكم قائل مالي رأيتك راجلاً ... فقلت له من اجل انك فارس

وقال البحتري ولم يبق مجالا لقائل :

الجاهلان اثنان من دون الورى ... فافطن أُخيّ وان هما لم يفطنا
من قال ما بالناس عني من غنىً ... من جهله اوقـال بي عنهم غنى

فضائل الهند ثلاثة وضع كتاب كليلة ودمنة المشهور والشطرنج والارقام التسعة الهندية

قال يونس النحوي : الايدي ثلاث يدٌ بيضاء و يد خضراء و يد سوداء فاليـد البيضاء هي الابتداء بالمعروف واليد الخضراء هي المكافأة عَلَى المعروف واليد السوداء هي المن بالمعروف

كتب رجل من العلماء الى يزيد بن حاتم يستوصله فبعث اليه ثلاثين الف درهم وكتب اليه (اما بعد فقد بعثت اليك بثلاثين الفاً لاأكثرها امتناناً ولا أقلها تجبراً ولااستثيبك عليها ثناء ولا اقطع للـبها رجاء والسلام)

عيسى اسكندر المعلوف

احصاء الحيوانات

قدم الاستاذ سيبلي الى مجمع ترقية العلوم البريطانية احصاء في انواع الحيوانات قال فيه لقد كثرت منذ نحو نصف قرن الحيوانات ذوات الثديين كثرة زائدة فبعد ان كانت ١٢٠٠ نوع اصبحت ٢٣٠٠ وبعد ان كانت اجناس الطيور ٣٦٠٠ ارتفعت الى ١١٠٠٠ وكان عدد الدبابات ٣٤٣ فصارت ٣٤٠٠ وعدد الاسماك ٣٥٠٠ فاصبحت ١١٠٠٠ والحيوانات التي لافقار لها كذات الصدف ١١٠٠٠ فعد منها ٣٣٠٠٠ والحيوانات ذوات القشر من ٢٩٠ الى ٧٥٠٠ والعناكب من ١٠٤٨ الى ٣٠٧٠ والهوام من ٤٩١٠٠

الى ١٥٠٤٠٣٢٠ واجزاء البحر ونجومها من ٢٣٠ الى ١٨٠٤٣ والديدان من ٣٧٢ الى ٦٠٧٠ وكان مجموع الانواع المعروفة سنة ١٨٤٠ —٧٣٤٥٨٨ فاصبحت سنة ١٨٨١ ٣١١٦٥٣ ومازالت في ازدياد سنة عن سنة

انكلترا والاقتصاديات

نشرت الحكومة الانكليزية احصاء مهماً في الوفيات والولادات قالت فيه ان عدد الوفيات سنة ١٩٠٨ كان ١٥ في الالف في انكلترا و ١٦ في الالف في البلجيك و١٨ في بروسيا و٢٠ في فرنسا وان من يموتون من الاطفال في روسيا فاحش جداً فقد بلغ ٢٦٨ في الالف وقد تبين من هذا الاحصاء نجاح انكلترا كثيراً في الامور الاجتماعية منذ خمسين سنة وقلة المواليد فيها فقد كان معدل الولادات فيها سنة ١٨٥٠ — ٣٣ في الالف فنزل سنة ١٩٠٥ — الى ٢٧ في الالف وان الفقراء يكثرون عن ذي قبل وكذلك يكثر ايداع الناس اموالهم في صناديق التوفير وتتسع دور العملة بفضل المجالس البلدية وتقل الامراض المعدية وتزيد مسافة الانفراج بين غلاء المعيشة والمياومات وان مايشغل بال انكلترا هو في الحقيقة مسألة العطلة الاسبوعية

حماية الاطفال

في اميركا انشئت اول جمعية لحماية الاولاد سنة ١٨٧٦ وفيها اليوم ٣٥٠ جمعية تتوخى هذا الغرض واهم هذه الجمعيات هي في مدينة نيويورك في بناية عظيمة ذات ثماني طبقات خدمت الانسانية خدمة تذكر فبمساعيها ابطل اكراه الاولاد على الشحاذة او بيع الزهر في الليل ومنع الموسيقيون السيارون والباعة وغيرهم ان يستخدموا صغار الاطفال فاذا وصل اليها طفل تفحصه فحصاً طبياً فان رأت فيه تشويهاً في بعض اجزاء جسمه تختار له عملا يوافق مزاجه وبذلك انقذت منذ تاريخ تأسيسها ١٦٠٠٩٧٧ طفلا

الهواء الطلق

وضع احد علماء كوبنهاغن عاصمة الدانيمرك طريقة جديدة في الاستشفاء فارتأى ان يسير المرء مكشوف الرأس حافي القدمين ويتجرد ابداً من الثياب فلا يكثر منها اذا امكن و ينام بدون قميص ويفضل السير راجلاً على ركوب المركبات والترامويات والدراجات وقد اخترع نوع من القبقاب ليلبس في الارجل بدل الاحذية المتعارفة حتى يتخلل الهواء الرجل على نحو الطريقة التي اخترعها الخوري كنيب في الاستحمام

للاستشفاء بالماء البارد · اما الجوارب فقد حظر لبسها في الارجل قال ولا بأس بوضع قماش مسرد عَلَى الساقين وقال ان النزلة الصدرية كادت تسطو عليه منذ بضع سنين فرأى ان يداويها في الحال بالمشي السريع فتصبب جسمه عرقاً ونجا من الاصابة بها · وقد احدثت هذه الطريقة الجديدة في الصحة اخذاً ورداً بين الباحثين والعالمين في الغرب فكأن واضعها يريد ان يعود بالانسان الى العيش الطبيعي

الخط المائل والمستقيم

اتفق جمهور من الاطباء في جلسة لهم في باريز عَلَى ان الخط المستقيم لايتأتى معه للولد ان يجلس جلسة طبيعية بسبب التنقل الدائم في يده اليمنى فان حركة ذراعه تحدث تعباً في الاعصاب فيكون هذا الخط متعباً جداً و بطيئاً جداً وتنشأ عنه اخطار للاولاد المستعدين لتشويه الجسم والكزاز (الشنج) الذي يصيب الكتاب اما الخط المائل فانه يكتب عَلَى صورة اسهل من المستقيم ولذلك يقل اتعاب الولد وتكون به جلسته اكثر انضباطاً وهذه الطريقة هي التي يفضل تعليمها في المدارس وان الخط المستقيم لايحول دون حسر البصر كالخط المائل او المنحني

نصائح للعلمين والمتعلمين

كتب احد المشتغلين بتربية العقول يقول ان التربية المدرسية يجب ان لاتختلف عن التربية البيتية فيفرض عَلَى التلامذة ان يعنوا باسباب الحشمة والحرية والارادة والنظر والتعقل وهكذا يتعلمون مايجب بانفسهم ولانفسهم قال واياك ايها التلميذ ان تحاول الرجم بالغيب فالتكهن هو صورة من صور الكذب · والتفت الكاتب الى الاساتذة فنصح لهم ان يحترموا شخصية تلامذتهم كل الاحترام وان يدركوا معنى التبعة التي تنوء عليهم و يقولوا في انفسهم ان المدرسة اذا لم تسر سيراً حسناً فذلك ناشيء من المعلمين لاالمتعلمين فعلى الاستاذ ان يحذر الغفلة والتوسع في الرحمة كالتوسع في الشدة وان تكون مطالبهم من المتعلمين بحسب سنهم فيجب ان لايخافهم التلميذ ولكن لايبغضهم وان تكون تربيتهم استقلالية لا اتكالية اي لا كحالة الموظف مع سيده · وهنا وجه كلامه الى المديرين فقال عليكم ان لاتنسوا ان الواجب ان يعامل الناس باكثر مما يستحقون

المقتبس

الجن

عند غير العرب من امم الشرق والغرب

طالعنا في مجلة «المقتبس» الغراء ماحاكت برودة وطرزت بنوده براعة صديقنا الابر الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي بقية اعلام دمشق عن اعتقاد العرب في الجن وما ورد في اسفار الدين واشعار التابعين واقاصيص السلف من الاحكام والنوادر والآثار الحاكية عنهم الآتية على وصفهم واحوالهم فراقنا منها حسن التبويب ودقة النقل وبراعة اللهجة ووضوح المنهاج وسعة الاستيعاب الى غير ذلك مما لا يستكثر في جانب ماهو مشهود من فضل الشيخ اعزه الله وحدانا الاعجاب بما هنالك الى تحبير مقالة موجزة تكون لها كالتكملة تأتي على ماعند غير العرب من امم الشرق والغرب من امثال هذا الاعتقاد. وهو موضوع بكر لم يتسور جداره فيما نظن مفترع قبل ولم يحم حوله قلم شرقي على ما اتصلت اليه مطالعاتنا حتى اليوم

ولقد بذلنا جهد المستطيع تنقيباً عن مواده المستترة في ثنايا الصحف والمبعثرة في زوايا المطولات وتخيراً للاصح من المصادر والاصدق من الروايات فجاءت مقالتنا — على مانعهده بذاتنا من الضعف — طرفة يرغب فيها وامنية يسعى اليها وما احراها ان تكون مع رسالة الشيخ سفراً مستقلاً يرجع اليه عشاق الدراسة والاستبصار من ناشئة الوطن وادبائه فان اتيتم على هذه البغية كنتم من المحسنين

تمهيد

كثر عداد من يزعمون ان العرب هم المتفردون دون سائر الناس في الاعتقاد بالجن اعتقاداً دينياً استناداً الى ماورد في كتابهم الموحى من صريح النصوص القائلة بوجودهم — كما

في سورة الرحمن والاحقاف والجن — وتوارثاً لما جاء في اقاصيص الجاهلية مما دوّنه الثقات واثبته المؤرخون واتى على بيانه الشيخ بحيث لم يبق مجالاً لتفصيل وتعليل • وفي ذلك الزعم من الخطإ والوهم مالا يحتاج الى دليل فانك لو رجعت الى كتب الامم القديمة من كل بيئة وجنس ومذهب لرأيت في تضاعيفها مايؤيد كون الاعتقاد بالجن كان منتشراً بين البشر مستفيضاً في كل قبيلة وفصيلة وشعب ممن اهل بهم المعمور من الارض شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً بادية وحضراً لا يستثنى منه قوم ولا تبرأ منه أمة ولكن على تباين في الآراء واختلاف ببعض الفروع

فالظاهر ان الاعتراف بوجود ارواح يتوقع شرها كالاقرار بوجود آلهة يرجى خيرها انما هو من مقتضيات هذا الكيان الانساني لامحيد عنه لكل ذي لسان ناطق يرشده العقل الى انه من اهل الخلود وانه ضيف مجتازٌ في حكم هذا الوجود والا فما بال الامم على تباعد انحائها واختلاف آرائها وتغاير مذاهبها وتناقض مشاربها تجمع على هذا الامر اجماعاً باتاً كأن افرادها متواطئون عليه — منذ كانوا في عالم الغيب — فكلهم يقول باله يثيب وشيطان يكيد وجن تخيف ونفس بين ذلك تتنازعها عوامل اليأس والرجاء ويبدو لها انها بنت البقاء دون سائر ذوات الارواح التي تقلها الغبراء وتظللها السماء وينعشها الهواء وان كانت محاطة مثلهن باسباب الزوال محكوماً على هيولاها المركب بالانحلال وشخوصها المتحركة بالجمود ثم الفناء

على هذا نشأت الناس وعلى هذا اجتاز عالمهم برزخي الحيوة والموت الوفاً مؤلفة من السنين قال بعضهم انها عشرات الوف وقال آخرون انها ملايين حتى جاءنا الطبيعيون من متفلسفي هذا العصر — عصر الاكتشاف والاختراع — يجلسون على منصات القهارمة والاساطين وينشدون مع ابي نواس شاعر العباسيين

ماجاءنا احد يخبر انه في جنة من مات او في نار

ويقولون مع ابي العلاء

ومهما عشت في دنياك هذي فما تخليك من قمر وشمس

***

تحطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبكُ

وانه لاشيء في هذا الكون غير هذه المادة التي يتعاورها التركيب والتحليل ويتداولها الدثور والتمثيل — مع بقاء في الكم وتغيير في الكيف — وان القول بما وراء المادة

من قوة تدبير الحركات هي علة الموجودات منها استمد الناس ارواحاً سرمدية انما هو من اوهام الواهمين وتخليط الجاهلين فما نحن وسائر من يتحرك بالارادة الامن ماء وطين ولا يحيينا ويميتنا الا الدهر !!

فاين هذا من ذاك ? وما هذا الانقلاب العجيب والانعكاس الغريب ? واية منفعة من قول جعل العامة من الناس — وهم تسعة اعشارهم بل يزيدون — في اودية من الحيرة يهيمون وفي ظلمات من التردد والشك يخبطون لا يرون لانفسهم مما اتوهم في مهاويه مخرجاً ولاهم يهتدون ·

رويدك ايهذا العصر عصر الحضارة والنور · وبَلى رسلكم يامعاشر العلماء · ارباب الحصافة والذكاء · وحنانيكم يامن اكثروا من التعمق والتبحر · واسترسلوا في الاستقراء والاستنتاج · وبحثوا في الجراثيم والذرات · وتكلموا عن الحويصلات والنقاعيات · وبرهنوا عَلَى كون السديم اصل الكائنات · والانسان سليل نوع من القردة او مايشاكلها من ذوات الفقرات · ورحماكم ياصحاب « دارون » واولياء « سبنسر » واشياع « بخنر » وتلامذة « هكل » وان كان فيكم فيلسوف « كفرشيا » وحكيم « وادي الفريكة » ومتهوسو « وادي النيل »[1] انا ايم الله لسنا من يقف في سبيلكم فيما تستوحون اسراره من الاحكام والنواميس وتحاولون اجلاءه من الغوامض والمشكلات اخذاً عما تلقيه عليكم الطبيعة أمكم وأمنا من الدروس والامثولات طبق ماتبعثكم اليه ميولكم واهواؤكم · ولكن لنا كلمة نقولها الآن لكم جهراً بعد اذ كنا نتداولها بيننا همساً ونهجس بها سراً فان اصختم اليها سمعاً واستوعبتم لها قلوباً وجريتم بمقتضاها بعد اليوم عددنا كم كراماً وقلنا سلاماً والا فما على من استحكمت الاهيبوخاندريا في معدته واستولت السوداء عَلَى دماغه من سبيل

ليس من ينكر ان المصلح العاقل من هدى بعلمه لامن اضل · ومن اراح لامن اتعب فياحبذا — ياصحابنا — الجهالة انها خير من هذه المعرفة الناقصة التي تعجلتم بها الى نقض الاديان ونقويض اركان العقائد وتمتين دعائم التعطيل والجحود قبل ان تنضج آراؤكم وتجمعوا عَلَى ما اليه ترمون وعليه تتهافتون من بث بذور الكفر في القلوب وتعبدكم للطبيعة التي اصبحتم لكثرة دراستكم لها ومزاولتكم علومها اعلق بها من جنود بونابرت بمدافعهم

(١) راجع رسالة « تعليم الامة » المثبتة في الجزء الرابع من مقتطف هذا العام وذيلها (صفحة ١٠١٢ و١٠١٣)

اولئك الذين كانوا لكثرة اصطحابهم لها وتهوسهم باستعمالها والاحتفاظ بها يسمونها باحب الاسماء اليهم و يعانقونها و يقبلونها كأنها من الغانيات الفاتنات وكذلك انتم الآن فان توفركم عَلَى تلك الدراسة وانصرافكم الى استيجاء دقائق الهيولي مستحكين الصامت من قواها وعناصرها غير منفكين عن مناغاتها ومباغمتها آناء الليل واطراف النهار قد استهوياكم واستدرجا بكم الى تأليه هذه المادة الجامدة حتى صرتم تحسبونها كل شيء وليس وراءها شيء اوقبلها شيء بحيث لو امكنكم ان تحذفوا مذ الآن من كل معاجم الارض ماحوته من الالفاظ الدالة عَلَى الخلق والابداع والصمدانية والقدرة والبعث والخلود لفعلتم

فيا اسفاً عَلَى الهمجية اذا كان ما اتاكم هذا من نتاج المدنية ويا حسرة عَلَى الجهالة ان كان ذلك من مستلزمات العلم · افتتركون الفا وستمائة مليون من الناس حائرين بائرين لايدرون بمَ يعتقدون واية وجهة ينحون فلا رأيكم تثبتون ولا عن قولكم ترجعون !!؟؟

تالله انامعكم لفي صفقة مغبون وما انتم الا غادرون والا فما هذا التغرير الذي يجعل كلاً من افراد هذا المجتمع القومي يحيا بلا ضمير يسرق متستراً و يثلب متخفياً و يقتل متوارياً و ينتحر قانطاً وما عليه من وجدانه قيم ولا من دينه زاجر ولا في الآخرة عَلَى زعمه من نكير !!!

لعمرك ان العامي الذي لايتوقع في الآخرة عن عمله حساباً ولا يرجو عن حسناته ثواباً ولا يخشى مهما تعددت سيئاته وتعاظمت كبائره عقاباً الا اذا كانت مشهودة من الانام مثبتة لدى الحكام ثم يحسب ذاته في هذه الحيوة الدنيا كالنبات الفطري حتى اذا مات لم يعد شيئاً مذكوراً · لايلبث ان يكون لعنة عَلى الارض وسخطاً من السماء لايحفل بالمحظور والمباح ولا يبالي بالحلال والحرام بل يقضم الاخضر واليابس و يجتاح العامر والغامر وهو يقول «عَلَى الدنيا السلام»

فالعالم الحريص على منفعة بني نوعه الدائب عَلى خير قومه و بلاده من اشتغل بما يريد من انواع العلوم مايشاء عَلَى مايشاء وان يعتقد لنفسه بنفسه ما احب كيفما يحب لكن على شريطة ان ينشط لتمتين اوتاد العقائد وتأليف شوارد المذاهب مع تنزيهها عما لحقها من الزوائد ولصق ببعضها من الخرافات تاركاً للجاهل وازعاً من دينه يجنبه الموبقات ورادعاً من ضميره ينكبه المنكرات وما ضر العاقل ان يكون ذا دين مثله مادام الدين لايكلفه الشطط ولا يعنته بكثرة التكاليف وقد اباحه من طريق الحلال كل ما منعه

عن طريق الحرام فلا يقفل في وجوه ملاذه وامانيه الابواب ولا يطالبه باكثر مما يتقاضاه العقل و يرضى به الصواب

ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالوبال عليكما

اوعَلَى الاقل يترك الاديان وشأنها والعقائد وحالها يتحارسها زعماؤُها و يصونها ائمتها وعلماؤُها — فلا يتعرض لها ولم فى اقواله ومنشوراته بما يعبث باليقين و يولد الشكوك و يبعث عَلَى الحيرة اوالمروق من نزغات ومعـاريض وترهات وادلة و براهين واقاصيص لاقوام لها حتى اليوم الا النزق والسفسطة ولا ركن الا الخيال والهوس يراد بها التفرد بالشهرة فيما يخالف ما اجمع عليه الناس وان كان حقاً وتواطأت عَلَى وجوبه العقول وان كان صحيحاً غير مفكر بما ينجم عن اضاليله وسفاسفه من تشويش النظام وضياع الاحكام وانتشار الفوضى والعود بالعالم الانساني الى الزمن الذي كان فيه آباؤُنا يضارعون برابرة الاوقيانوس الهندي واواسط افريقية حالاً وقالاً وخلقاً واوضاعاً · متصيداً باحابيله الابليسية و بهتانه المزخرف مافي حقائب بعض من أُوتوا مالاً ولم يرزقوا عقلاً من دينار مكنوز ثم ينفقه عَلَى تمثيل اسفار ورسائل يطبع منها الآلاف من النسخ ثم توزع عَلَى الناس — ولاسيما الناشئة الادبية منهم — مجاناً قصد اشراب قلوبهم تلك المبادئ الفاسدة وايداع نفوسهم تلك الحماقات السخيفة التماساً للشهرة عَلَى ما ألمعنا من طرق التعميم في الاذاعة والتوسع في الابلاغ كما فعل بعض هؤلاء المفتونين — بحب الطبيعة — هذه الايام فنفعت نفثاته السامة في ادمغة البعض مالا يتوقع العاقل بعده الا قيام دولة الشهوات وانثلال عروش الآداب وتقويض اركان الديانات وانتشار الاباحية والعدمية الى غير ذلك من بواعث الهلكة والانقراض والبوار لولا ان يأبى الله الا ان يعيد كيده الى نحره بان قيض له من اهل التبصرة والاعتبار والعلم الصحيح من يكشف عن بصائر اهل الغرور بما يريهم عياناً زيف درهمه وزغل ديناره فان الحق ابلج وضاح · والباطل لجلج فضاح وان كره الماكرون

يقول المتعنتون من هؤلاء الملاحدة المتحذلقين — سنداً عَلَى ماسجله التاريخ من انباء حروب وفتن واضطهادات [1] كان منشأها الظاهري التباين في المذاهب والاختلاف في الدين

(١) يريدون بذلك مناوآت القياصرة الرومانيين للدين المسيحي في بدء ظهوره وحروب الاصلاح في اوروبا والحروب الصليبية في آسيا وافريقية وفتن الخلافة في

ان الديانات ألفت بيننا إحناً وعلمتنا افانين العداوات

فالدين اذن عدو النظام لانصيره بغيض السلام لاظهيره !!!

نحن لاننكر ان كثيراً من المشاغبات والفتن والثورات والحروب والغارات[١] أثيرت باسم الدين ونشبت على حساب الدين ولكن من سبر غور الحقيقة بمسبار النزاهة والاخلاص وتوفرت له سلامة الذوق وصحة الاستنتاج واصالة الرأي وعدالة الحكم علم — بعد الاستقراء — علم اليقين ان الدين لم يكن المصدر الحقيقي لتلك الموبقات بل الباعث عليها في الاصل والمؤدي اليها بالفعل — ماخلا الشاذ — انما هو شهوات الملوك ولبانات اولي الحكومات ونزوات ارباب السلطات والزعامات الذين من دأبهم — ولاسيما في تلك العصور المظلمات — التذرع باية وسيلة كانت — حتى التغاير الديني اوالمذهبي — لاثارة الفتن واصلاء الحروب ارادة ان يتهيأ لهم من جرائها تمتين السلطة والتوسع في البسطة والاستفحال في الملك تلبية لدواعي اطماعهم اللانهائية واشباعاً لنهمات اميالهم النفسانية

فالمرء لاتنقضي آرابه ابداً اذا انقضى ارب يصبو الى ارب

ومن ذا الذي يتجرأ ان يقول ان ماينشأ عن سوء استعمال الدين انما هو الدين ???

لاجرم ان للحروب والفتن اسباباً جمة قد يكون سوء استعمال الدين او التذرع بالدين احداها وقد لايكون وما ارباب السيادة من خدمة الدين وغيرهم الا بشر مثلنا قد يسيئون في امورهم المعاشية وسياساتهم الادارية وقد يحسنون : فما بالنا نلصق بالدين — الذي هو من الله — ماينجم باسمه وعلى حسابه من مساويء الناس ؟ أفلا تفقهون !!

أجل : ان مطامع اصحاب العروش وتخالف العناصر وتباين الاجناس وطموح الامم التي توفرت لها القوى الى التغلب على المستضعفين ونزوعها الى التكاثر والاستزادة سواء كان عن طريق الفتوح او الاستعمار او الدين هي هي لعمر الحق — في كل آن وزمان — مصدر الفتن ومبعث الاحن وعلة العدوان ومنشأ الحروب التي مابرحت مرافقة حيوة بني الانسان منذ اصبحوا دولاً وامماً وجماعات حتى الآن وهي لاتبرح ولن تبرح ملازمة لهم — ولكن على تباين بالكم والكيف — عملاً بناموس تنازع البقاء الى

صدر الاسلام ومذبحة القديس برتلماوس في فرنسا والتفتيش الديني في اسبانيا وناهضة منكري تكريم الايقونات في الشرق والغرب الى غير ذلك من الفتن والحروب التي نشبت اولاً واخيراً باسم العقائد والبدع والمذاهب والدين

منتهى الدوران . ومن ماراني في ذلك ثانية من اقوال قهارمة التاريخ واقطاب العمران وفلاسفة طبائع البشر بما شاء من دليل وحجة وبرهان .

لنسلم جدلاً — ولو بالباطل — ان في عصور التعصب والغباوة والجهل كانت الديانات جرثومة العداوات وارومة الحروب والثورات ولولاها كان الناس في نعيم مقيم وأمن مكين !! لا بأس عليهم ولا هم يحزنون !!!

ثم تعالوا بنا الى هذا العصر الحديث عصر التساهل والكياسة والعلم عصر الحضارة والتمدن والنور عصر الحرية والمساواة والاخاء ولنقف متسائلين هل خلت أممه الاعرق حضارة والاعلى في المدنية كعباً من فتن تثار وحروب تصلى واطماع تسود وشرور تتفاقم ؟؟

ام هل من علاقة للاديان بحرب بروسيا مع النمسا (سنة ١٨٦٦) او حرب المانيا مع فرنسا (سنة ١٨٧٠) اوحرب الانكليز مع الترنسفال واليابان مع الصين وروسيا مع اليابان والبلغار مع الصرب في خواتم القرن التاسع عشر وفواتح القرن العشرين ؟؟ كلا ثم كلا

فليصمت اذن اولئك الذين يتلفظون بتلك السفاسف والترهات تغريراً بالسذج وتمويهاً على الاغبياء وليعلموا ان الاعتقاد بمبدع حكيم يجزي ويثيب مع الاحتفاظ بقاعدة « صن دينك واحترم دين سواك » هو عماد السلام وركن التهذيب ومصدر الآداب ومظهر الوئام والتحاب : فكيف لا يتقي الله اولو الالباب !!!

أجل ان في تسود العقائد المبنية على التنزيل والوحي وسلامتها من الشوائب والحشو وتنزهها عن الخرافات واللغو وترفع اوليائها عن التشيع الشائن والتعصب الضار والتحامل الذميم يستتب النظام ويسود السلام وتسعد الانام لا بقول المعري

أأترك هاهنا الصهباء عمداً ... لما وعدوه من عسل وخمر

فموتٌ ثم بعث ثم حشر ... حديث خرافة يا ام عمرو

او قوله : اثنان اهل الارض ذو عقل بلا ... دين وآخر دينٌ لا عقل له

فان هذا الفيلسوف الشاعر الضرير رهين المحبسين — حبس العمى وحبس البيت — بعد ان اوحى اليه خياله الواسع ما اوحى فباح بما هذر وجاهر بانه كفر مطاوعة لما يستولي على امثاله من اعراض السوداء عاد اليه بعض رشده فاستحوذ عليه الشك وخامره التردد والريب فقال متوجساً لعقباه حاسباً حساب أخراه

في القدس قامت ضجةٌ ما بين احمد والمسيحْ
هذا بناقوس يدقُّ — وذا بمأذنة يصيحْ
كلٌّ يؤيد دينه ياليت شعري ما الصحيح

ثم لم يمت الا على دين آبائه كما حقق الثقات من معاصريه خلافاً لمن يتخذون اقواله حجة يؤيدون بها مذاهب التعطيل ويذيعونها بين الناطقين بالضاد هداهم الله

ذلك ما رأينا اثباته استطراداً في هذا التمهيد كبحاً لجماح من ملأُوا الدنيا زياطاً تشيعاً لاصحاب تلك الاضاليل ممن يتوهمون السراب شراباً والحبة قبة وما اهون ما تخدعهم الزخارف والاباطيل ان ربك لبالمرصاد وهيهات ان يفلح حزب الفساد مادام للصلاح فئة من اعلام يعملون هم في الظلمات مشكاة وفي المجاهل والمعاثر هداة وما على منفق جهده من جناح ولا الى تأنيبه من سبيل

« عود عَلَى بدء »

قلنا ان الاعتقاد بالجان قلما خلت منه امة في غابر الازمان ومصداقاً لذلك نقول الآن

ورد في ميثولوجيا الهنود ان ارواحاً شريرة اسمها « رقشاشة » ومعنى هذا الاسم الجبابرة خلقت قبل الجو والحيوانات وهي ترصد الآجام والمقابر وتلهى باثارة الموتى من اجداثهم والتحرش بهم . تأكل لحوم الاحياء من البشر وتشرب دماءهم وتتخذ لها صوراً مختلفة واشكالاً متباينة ثم هي لاتزال حاضرة عند تقدمة القرابين وذبح الضحايا للآلهة لكي تفسد عَلَى الناس شعائرهم وتغري المعبودات بردّ تلك القرابين ورذل مقدميها : من اجل ذلك يعدُّها الهنود اشد ضرراً عَلَى البشر من سائر الجن

وقد ذكر في الكتب السانسكريتية القديمة المحفوظة في هياكل الصين وكوريا وسيلان وسائر امهات المدن المنتشرة في الشرق الاقصى الغاصة باتباع « برهما » و « بوذة » من ذوي الجنس الاصفر ان النساك وخدمة الدين طالما استنجدوا القوى العلوية للنجاة من شرور هذا الصنف الغادر من الجن الكثير العدد وهو مع ذلك لايزال يزيد نمواً وانتشاراً بزيادة عداد من يموتون من الائمة اصحاب الكبائر لان ارواح هؤلاء تكون الى زمن من نوع « الرقشاشة » واشهر هذه الفئة الباغية المنقسمة الى فرق ومراتب انما هي « رافانا »

وليتك تدري ما « رافانا » انما هي روح شرير زائد القحة والجرأة كثير المطامع والشهوات

حتى انه زين له في بعض الازمنة ان يخضع الارض ومن عليها والهاوية ومن فيها والسموات ومن فوقها الى حكمه وسلطانه ويجعل الكيان المطلق عبداً خادماً لرغائبه ومآربه ونزعاته فتمادى جوراً وعسفاً وزاد بغياً وطغياناً حتى أنّت من حيفه الارض وشكت ظلمه الافلاك واستولى الرعب على قلوب المعبودات في اخدارها والملوك في عروشهم وكان موطن هذا الجني الخبيث في ذلك الزمان « لافكا » عاصمة جزيرة سيلان

فساء « وشنو » [1] العظيم هذا الامر الجلل ورأى ان يتجسد ثانية لينقذ الاكوان ومعبوداتها من شر هذا الطاغية ويرد الى المخلوقات طمأنينتها وسلامها فتجسد في الجهة المقابلة من الهند في صورة « راماتشندر ابن داسرتا ملك ابوذيا من امرأته كساليا »

(١) ان وشنو هذا تجسد على زعمهم ثلاث مرات : الاولى اراد بها تخليص البراهمة من جور الكشترية اي اهل السيادة والحرب من الهنود الذين صاروا يعطلون الشعائر الدينية ويمتهنون خدمة الدين « البراهمة » فتجسد في مظهر ابن ناسك متعبد اسمه « جامادغني » ثم سمي « باراسوراما » ومعناه راما ذو الفأس فجد في آثار الكشترية حتى اباد ذكورهم ولكنه استحيا اناثهم ليتزوجن البراهمة فيحيا بهن نسل الحربيين : الثانية هي التي تكلمنا عنها في المتن والمقصود منها انقاذ المعبودات من جور « رافانا » كما علمت وكان اسمه اذ ذاك « تشندرا » ومعناه القمر : الثالثة وغايته منها ادخال الفنون الزراعية الى البلاد وقد سمي بها « راما » واتخذ رايته المحراث وبعد ان علم الاهلين اصول الفلاحة عرج مع امرأته « ستيا » الى السماء . ويقال ان راما هذا هو نفس « باخوس » عند اليونان و « رعما » المذكور في سفر التكوين بين مواليد « كوش » ويزعم بعض علماء الانكليز ان « راما » في تجسداته الثلاثة ان هو الا شخص واحد ظهر في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد وعبر عنه في التوراة باسم « رعما » وان اتحاده مع ملك القرود الوارد في المتن ايماء الى اتفاقه مع سكان الهند الجنوبية المتوحشين على فتح جزيرة سيلان لان اولئك السكان كانوا يسمون زمانئذ القرود وان « رافانا » يراد به طاغية من البشر كان مالكاً جزيرة سيلان وحدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد الهند كافة فعاث وسطا حتى سلط عليه « رعما الهندي » فتواثق مع ملك متوحشي الهند على قتله واستخلاص سيلان منه . واخبار « راما » مدونة في قصيدة تشتمل على خمسة وعشرين الف بيت او دوبيت تسمى « رامايانا » نظمت باللغة السانسكريتية المقدسة وترجمت مراراً الى اللغة الهندية الحديثة والى بعض لغات اوروبا

وبعد ان اتحد مع «سوغريفا» (١) ملك طائفة القرود على الابقاع براقانا مضيا الى الارخبيل الفاصل بين جزيرة سيلان والبر والقيا هنالك جسراً من الصخر اجتازاه الى الجزيرة ثم باشرا القتال مع «راقانا» فلم يثبت الخبيث امام المعبود المتجسد وحليفه!!! فسقط بين ايديهما هالكاً غير مأسوف عليه

والرومانيون يقولون انه يوجد عذراء من الجن كانت تقيم في غابة اسمها «اريسيا» على مقربة من رومية عاصمة الرومان وتدعى تلك العذراء «ايجيريا» وان احد ملوكهم «نومابومبيليوس» اتخذها له زوجة فكانت تساعده على قهر الامم المتوحشة وادخالها في ربقة الطاعة له والانضواء الى عرشه وتشاركه في حل ما اعضل عليه من المشكلات. فلما مات زوجها جزعت عليه اشد الجزع ولجأت الى تلك الغابة معتزلة حيث كانت تجلس في حضيض جبل ذارفة دموعاً سخية بلا انقطاع فاحزن حالها «ديانا» الهة الصيد فرأت ان تحولها الى عين ماء نضاخة لا ينضب ينبوعها فسميت عندئذ «عذراء العيون» وشيد بجوارها هياكل للعبادة كانت النساء الرومانيات يقصدنها بنذورهن الثمينة في مواسم معلومة متخذات لها اعياداً يحتفلن بها احتفالاً كبيراً لانها كانت تحفظهن عند الولادات وتصون مواليدهن من سائر الجن. ولمدينة رومية جني خاص اقام له قدماء الرومانيين تمثالاً من ذهب

والجرمانيون ومنهم البروسيون وسائر الالمان وكثيرون من التابعين للعرش النمساوي يزعمون ان للمياه جناً يطلق عليها اسم «اليفنة» ويدعوها الانكليز «مرميده» واهل شمالي اوروبا «نكسن»

قال سكان سواحل البلطيك انها تظهر على شكل الخيل على مقربة من ثغور البحار وتداعب من يخرجون في القمراء للنزهة والسمر في تلك الشواطئ وكثيراً ما اخافتهم. اما الالمانيون فيقولون انها تقيم في نهر «الب» وانها اظرف من جن بحر البلطيك وقد تخرج احياناً من الماء في ليالي الشتاء وتقصد النار التي يتركها رعاة المواشي لتستدفئ بها. وقد طالما نظرت هنالك بهيئة نساء جميلات مستترات بشبه براقع لهن وجوه زهر وشعور شقر تسترسل على اكتافهن. وقد يعشق بعضهن الرجال فيخلصن الحب لمن كان وفياً منهم ويساعدنه في ميادين الحروب ويقين شخصه بنفوسهن من سهام العدو ولا تنفك احداهن مولعة بمن تهوى مرافقة له ساهرة على مصلحته وراحته متحملة معه

(١) يذهب المتأخرون من العلماء ان هذا هو نفس «بعلوس» المذكور في التوراة

ما يكابده من برحائه وضرائه حتى الموت . ولكن اذا خانها ولو مرة ذهبت به الى شاطئ البحر او ضفة النهر وجذبته بمنتهى قوتها الى اللجة فتميته غرقاً !!! وهي على مايقولون ذات صوت غرِد مطرب هو — في زعمهم — مصدر حفيف الغابات وخرير الانهار الذي يؤنس الحزين ويسلي الغريب وكان القدماء من اهالي اوروبا الشمالية اذا ارادوا استمالة تلك الجن طرحوا في البحار والانهار ثماراً وازهاراً وذهباً ولؤلؤاً وعطراً وطيباً استعطافاً لها وقد وجدوا في بحيرة « تولوز » اشياء كثيرة مما كان يستعطف بها سكان فرنسا القديمة تلك الجنيات الحسان اللواتي يشبهن في بعض امورهن بنات الماء اللواتي ذكرهن الدميري في كتابه « حيوة الحيوان »

ومن اغرب ماروواه المؤرخون ان « سيبيون » الروماني لما فتح مدينة « تولوز » وجد في بحيرتها من الذهب ماوزنه مئة الف « ليبرة » ومن الفضة مثله فاستأثر بها

وقد تحقق ان الغاليين القدماء اجداد سكان جنوبي فرنسا الآن كانوا يرفعون تلك الجنيات الحسان الى مصاف الآلهة ولذلك اشتد حنق التولوزيين على من خرق حرمة بحيرتهم سالباً حليهن وكنوزهن كما اعلمنا وربما كان لهن في بلادهم غير الاسماء الثلاثة التي ذكرناها قبل

اما السكندينافيون وهم اهل « اسوج » اواسويد و « نروج » و « هولاندة » اوالفلمنك و « الدانيمارك » فيعتقدون بوجود جن اسمها « الفة » او « الفر » وهي حاذقة لبيبة ذكية عاملة وتقسم عندهم الى فئتين

احداهما تعرف بالجن الصالحة ويقال لها جن النار اوجن النور تقيم في بلاد الغيم التي يتولاها صاحب الشمس لها وجوه تلمع كالصباح وعيون اجمل من الكواكب وشعر ذهبي يروق مرآه للناظرين والثانية تعرف بالجن الهائلة وتسمى عندهم « سفوورت الفار » وهي عدوة للنور واشد سواداً من الزفت ذات منظر كريه وتقاطيع شنيعة واعضاء مشوهة ولا تسكن الا في باطن الارض

واهل القرون المتوسطة من سكان هذه الممالك السكندينافية كانوا يزعمون ان هذه الجن الارضية تختطف اطفالاً من اسرتها واذا احبت احداهما رجلاً ذهبت به الى موطنها تتلذذ بمداعبته ولا تدع له سبيلاً الى تركها والعود الى بلاده : وهم يوقنون كل اليقين ان ملكتهم خطفت السيد « توماس السيدون » الملقب بالشاعر الى حماها وجرت عليه

في صرح لها سبع سنين كان فيه تمثال غرامها وكعبة هيامها وهي على ما يرتأون لطيفة المعاني حسنة الطلعة تنسج لها القصة وحللا من نور القمر وتعتم بعمامة في اعلاها جرس وتحتذي برجليها الكافور بتين زجاجاً رقيقاً نقياً شفافاً فاذا عثر انسان عند انفلاق الصبح على حذاء او جرس مما تلبسه تلك الجنيات الرائعات المحاسن ملقى على العشب نال من التي فقدته كل ما يتمناه

وهي تشتو غالباً في كهوف الجبال تعيش فيها كسائر الناس وتصرف الوقت بمطالعة الاشعار واناشيد الآلهة وكتب التاريخ وبتطريق الذهب والفضة والاخبار عن مستقبلات الشؤون متخذة لها حلياً من الياقوت والزمرد وكبار اللآلي . ومتى بدت تباشير الربيع تزايل تلك الكهوف والمغاور متجولة في جوانب الجبال استنشاقاً للهواء العطر والنسيم البليل . وقد تتسلى الاشجار لتقتطف منها الازهار والثمار او لتراقب من يمر على مقربة منها حتى اذا اقبل الليل تجتمع في الحقول متماسكات بالايدي كالحلقة التي تؤلفها نساؤنا ليجلون العروس ثم تأخذ في الرقص والغناء في ضوء القمر . وقد ترعى ماشيتها على ضفاف الانهر ولا تزال تلك حالها حتى يعاودها الشتاء

ومع ان « الالفة » غير منظورة فالمولودون ايام الآحاد يمكنهم ان يروها . وهي على نحافتها وجمالها ولطف بنيتها لها من القوة ما يمكنها من حمل اثقل الصخور واكبرها حجماً ماشية به مسافات طويلة واذا لمست ميتاً هزته وزعزعته من اسه ولو شاءت حملت بيدها رجلاً وسارت به ركضاً ولا تبالي . وهي تحب غالباً شجر البلسان والزيزفون والحور الرومي فمن احب ان يراها من مواليد يوم الاحد بقصد من تلك الاشجار ما كان منها في سفوح الجبال يجدها تغني على قيثارها العازف تحت رواق ظلها الوارف

وكان لها في بلاد الانكليز وسكوتلاندة ملك وملكة وكانت جزيرتا « سترن » و« روجن » في بحر البلطيك تحت سلطانهما وقد شوهد هذا الملك يوماً في مركبة يجرها اربعة افراس ويستدلون على تجوله في مملكته المترامية الاطراف بصهيل الخيل وسواد الماء والضوضاء التي يحدثها اعوانه في طبقات الهواء

واليونانيون القدماء يقولون ان « اغينور » ملك فينيقية تزوج بالجنية « ميلي » فولدت له « اوروبا [1] » فنشأت ذات جمال فتان وبياض ناصع فشغف بها المشتري وتمثل لها بصورة ثور وتزلف اليها كثيراً حتى ركبته طمعاً بلين قياده فاسرع وهي على متنه نحو

(١) معناه النعجة وبها سميت احدى القارات الخمس على مذهب اكثر الجغرافيين

البحر وسبح بها الى جزيرة « كريت » وهناك اتخذها زوجة فاولدها خمسة صبيان وثلاث بنات وكلهم ابتنوا مدناً وانشأوا قبائل وعلى هذا يكون الكريتيون من سلالة الثيران والجن فلا عجب اذا كانت نيران فتنهم لانطفأ وحركات ثوراتهم لاتسكن

والروسيون الاقدمون يزعمون ان « الفامبيره » فريق من الجن يسكنون القبور وهم يثورون ليلاً من المدافن . متفرقين على منازل الاحياء حال نيامهم فيمتصون دماءهم . وان « الديموفوي » جني البيوت يتراءى للنساء حال انفرادهن وان في الانهار عفاريت تدعى « فوريانوي » وفي الغابات أبالسة اسمها « الياسنك » والسلافيون يدعون ان للجن الهاً خاصاً يسمونه « ونشرنوبوغ » اي الاله الاسود وللبشر الهاً آخر اسمه « ياليوغ » اي الاله الابيض

واهل جبال « البريني » او « البرانس » يعتقدون ان الجن مقيمة في الغيوم التي تغشى ذروات جبالهم وعلى ضفاف الانهار الحافلة بالاشجار ولهم فيها اقاصيص طويلة وروايات غريبة لايحتمل المقام سردها واستيفاءها

واهالي جزائر « ملديف » يقولون انه كان يجيئهم في وقت معلوم من ناحية البحر جني كأنه مركب مملوء بالقناديل فلا ينجون من شره الا باعطائه فتاة بكراً يتركونها له في بيت الاصنام ثم يصبحون فيجدونها مهتوكة ميتة فاتفق ان زار مدينتهم رجل صالح يدعى ابو البركات البربري فلما حان زمان مجيء الجني اخذت النساء يبكين و ينـدبن فسألهن عن السبب فقالت له عجوز منهن ان لها بنتاً وحيدة بارعة في الجمال اصابتها القرعة بحسب القاعدة الجارية في المدينة وستكون في الغد ضحية للجني فقال انا انوب عنها ثم ذهب الى بيت الاصنام متخفياً واخذ يتلو القرآن العزيز فلما سمع الجني تلاوته غاص في البحر ولم يعد بعد

قال ابن بطوطة في رحلته ان هذه الحادثة كانت سبباً لدخول اهالي تلك الجزائر في الاسلام وهي يد كبرى تعد لابي البركات المشهور بصلاحه على اولئك الوثنيين

واليونانيون يثبتون ان عذارى من الجن اعتنين بتربية « جوبتير » وهو طفل فاهدى اليهن قرن الخصب وهو احد قرني العنزة التي رضع لبنها عندهن

وهم يقسمون الجن الى ثلث رتب يرفعون الاولى منها الى مقام المعبودات وجدها الاعلى عندهم « اجنيوس » باللسان الروماني القديم وهو شخص « زفس » او « جوبتير »

وهي تقسم الى فئات اوقبائل منها « البانة » و « الفونة » « والسانيرة » و « النيمفة »

والرتبة الثانية توابع كل شعب وكل مدينة وكل محلة وهم يعتقدون ان مؤلفي هذه الرتبة يولدون ويموتون كسائر الاحياء غير ان حياتهم تستغرق الوفا من السنين

والرتبة الثالثة توابع كل شخص بمفرده وهم الذين يتولون امور الافراد ويؤثرون في جميع احوالهم من معايشهم وعواطفهم وحوادثهم وامراضهم · وللنساء توابع خاصة يسمونهن « جونون »

قال « سرفيوس » متى ولد الانسان يسخر له تابعان من الجن احدهما يرشده الى مابه الخير والآخر يميل به الى طرق الشر

وقال « ابوليوس » ان النفس البشرية ذاتها تتحول بعد نجاتها بالموت من هيولاها الى الجن فان كانت حيوة صاحبها صالحة دخلت في عداد الجن الانيس وبقيت في البيت لحماية ساكنيه وان كانت شريرة سميت « لارفه » اي عفريتاً او جنياً خبيثاً فلا تستقر في مكان واحد ويكون دأبها الاخافة والتهويل والقاء الرعب بين البشر والوسوسة والنزغ في الصدور امالة باربابها الى الاضرار والافساد وارتكاب المنكر

وقال « خريسيوس » عن امثال هذه الارواح الشريرة انها تائهة في جوانب المعمور تستخدمها الآلهة للاقتصاص من الائمة الظالمين ولتزيين الشر في اعين الصلحاء المتقين وهي اصناف منها « لارفة » و « مانة » و « ليمورة » ويراد بها كلها ارواح الموتى الاشرار وقد وجد على ابنية القبور عدة تماثيل ورسوم محفورة تشخص بها تلك الارواح بهيئة الجن

وكانوا يزعمون ان في وسعها اسعاد من تحميهم ولذلك قال احد العرافين لانطونيوس — عاشق كليوباترا المشهور واحد قواد اسكندر الكبير ومقتسمي ملكه — ان تابعه يخشى بأس تابع اوغسطوس قيصر فهو لايجرأ على الاضرار باوغوسطوس مادام تابعه يحميه ويذود عن حوضه

وكان اليونان والرومان عن بكرة ابيهم يقدمون في اعياد مواليدهم نذوراً للصالحين من تابعيهم زهراً وبخوراً وخمراً يضعونها على ضفاف الجداول وتحت ظلال الاشجار في الغابات تكرمة وزلفى ولو استوفينا كل ماورد عن هاتين الامتين في اعصرهما الخرافية مما يتعلق بموضوعنا لطال بنا المطال وضاقت عن استيعابه الرسائل بيد ان فيما ذكرناه عنهما غنى وكفاية

اما الفرس فيعتقدون انه يحكم العالم روحان متضادان متخاصمان احدهما صالح وهو

« اورمزد » والآخر شرير اسمه « اهرمن » وهذان الروحان في خصام دائم ومن غلبة الواحد على الآخر ينتج تداول الخير والشر والنور والاظلام والليل والنهار في كل يوم . وما الجن الا خدمة « اهرمن » وحاشيته وسيأتي يوم يظهر فيه ثلاثة انبياء يفلون جيوش « اهرمن » و يتلفون اعماله فلا يبقى جني على الارض فيعيش الناس في سعادة كاملة وسلام دائم يتكلمون بلسان واحد و يعيشون متحدين على نمط واحد ووتيرة واحدة وهؤلاء الثلاثة انبياء سيولدون من « نطفة محفوظة في ينبوع ماء صغير لم يهتد الى مكانه بعد »

وهذا الاعتقاد الثاني مستفيض في الشرق منذ القديم حتى انه يظهر بالتتبع والاستقراء التقليدي انه كان على عهد عيلام بن سام بن نوح الذي منه تشعب الفرس وقد سرى الى عدة شيع ونحل وبدع في القرون الاولى واصبح ركناً بني عليه مذهب « ماني » الموسوس الفارسي كما لا يغرب عن كل مطلع على تاريخ هذه الامة

وقد زعم الفرس ايضاً ان للجن مملكة خاصة اسمها عندهم « جنستان » اي بلاد الجن ويقولون انها واقعة في الطرف الغربي من افريقية وقد طالما سماها بعض شعرائهم بارض المردة والعفاريت : اما العبرانيون والفينيقيون والكلدانيون القدماء فيقولون ان الجن تدخل في البشر فتبليهم بالجنون وهي تسكن الارض وتتراءى للناس بهيئات مختلفة حتى انها تتلبس باشكال الحيوانات و يستخدمها السحرة والعرافون للانباء بالمغيبات وكشف المستورات وكل هؤلاء الامم يعتقدون كالعرب بالقرينة والتابعة والكهانة والسحر ومن يرجع الى تواريخهم يجدها طافحة باخبار واقاصيص تدل على رسوخ هذا الاعتقاد فيهم منذ قرونهم الاولى شأنهم في ذلك شأن سائر الامم الشرقية سواء

اما المصريون فقد كانوا يهبون جني نهر النيل في كل عام عروساً حسناء من فتياتهم استرضاء له واستمداداً لفيضه ويجعلون الحيات والهررة وغيرها آلهة وانصاف آلهة متخذين العجل « آبيس » اعظم معبود لهم بناء على كون الزراعة ركن معايشهم وقوام رزقهم في بلادهم فهم يكرمونه ويخصونه بافضل انواع العبادات لبعد الثيران من سائر بني جنسه بنوة من عنده تكفيهم مؤونة الحرث والفلاحة التي لم يجدوا اليها سبيلاً في تلك الازمنة الا بتسخير البقر

ومع ان الاقدمين منهم كانوا في طليعة غيرهم من الامم علماً ومدنية وتهذيباً كانت عقائدهم الخرافية في غاية السخف وقد زادهم فيها استرسالاً اجتياح اليونان ثم الرومان

لبلادهم واستيلائهم عليها ردحاً من الدهر اذ قد اضيف ما عند هؤلاء من مضحكات العقائد ومبكياتها الى ما عندهم منها حتى اصبحت مزيجاً جامعاً ما لم تجمعه امة قبل ولا بعد

هذا مجمل ما ورد متفرقاً في اسفار السلف واساطيرهم — من كل امة ونحلة — برهاناً على كون الاعتقاد بالارواح الخفية كالجن والعفاريت والمردة انما هو مرافق حيوة البشر في قرونهم الاولى من كل جيل وجنس ومذهب ولكن على انحاء متضاربة ووجوه متباينة واختلاف كثير في وصفها وتكييفها وتعيين قواها وطبائعها وتحديد ماهيتها ومراتب تأثيرها في اعمال الخلق وشؤونهم الى غير ذلك مما لم يقع عليه الاجماع التام بين شعب وشعب وامة وامة

ومما يجب التنبيه اليه انه قام في كل صقع وبين كل قوم رجال افذاذ من ابناء العصور النابرة قائلين بما يقوله اليوم اكثر علماء الغربيين وبعض الشرقيين من ان هذه الارواح — الضارة — لا وجود لها الا في مخيلات الناس واوهامهم يبعثهم على تصورها والجزم بوجودها ما يتعاورهم من الاماني والمخاوف والانفعالات المتناقضة فيما يعرض لهم من احوال هذه الحيوة الدنيا الكثيرة الكوارث والشجون مضافاً الى ذلك ما يتوارثونه من عقائد الآباء ويتناقلونه خلفاً عن سلف من ترهات ومجازيات قد اعان على تمكينها في اذهانهم ما اسدله الجهل على بصائرهم من كثيف الحجب في اعصر الظلمات ولاسيما اثناء القرون الوسطى التي استحكمت فيها المنازعات الدينية والاحن المذهبية — مسببة عن اطماع الملوك — حتى البست الارض ارجواناً من الدم

فما بدأ يتفجر في افق العالم الغربي نور العلم الصحيح المبني على التثبت والاستقراء الحسي حتى اخذ يتقلص في تلك الاصقاع ظل الاعتقاد بوجود ارواح تتأثر بني الانسان متداخلة في امورهم ومصايرهم فاعلة في شواعرهم وهواجسهم ضاغطة على حركاتهم وسكناتهم في معايشهم ومرتزقاتهم وكان ذلك في اواسط القرن الثامن عشر حتى اذا اشرف محيا القرن العشرين من نافذة الدهر تلاشى او كاد مذهب من يرى ان في العالم المحجوب قوة تناوئ ارادة الله وتناهض عباده كما يزعم الثنائيون من الامم. ومعظم المتدينين من الفلاسفة والمفكرين في ايامنا هذه يذهبون الى انه قبل انقضاء هذا القرن قد لا يبقى على وجه البسيطة من يصدق بوجود فاعل فوق الطبيعة غير الحق عز وجل وهو سبحانه اعلم بما يتخرصون

دمشق «سليم عنحوري»

حمة [١] ابي رباح

لم يكتب احد من المتقدمين من علماء العرب وغيرهم في تاريخ هذه الحمة او موقعها او وصفها وصفاً علمياً مع ما لها من المكانة في التاريخ والطبيعة كما انه ليس للباحثين المتأخرين من الغربيين والسوريين مقال في هذا الباب يرجع اليه او شرح يستند عليه

ولقد كان بودي ان اقف عَلَى كلمة من هذا القبيل لتكون لي دليلا في سبيل ما اريد تسطيره وحجة تؤيد ما اعلمه في هذا الموضوع واروم تحبيره الا انني لم اجد كتاباً يذكر ما اردت وبنيّ بما رمت فما وسعني الا ان اعود الى ما اعلمه عن هذه الحمة بالاختبار مجداً في تطبيقه على الفن الحديث ومستدلا عَلَى تاريخه بما عثرت عليه فيها من الابنية والآثار القديمة بقدر الامكان ·

مركزها الجغرافي — ابو رباح جبل من كورة حمص من عمل ناحية القريتين يبعد عن الاولى اربعين ميلا الى جهة الشرق وعن الثانية تسعة اميال الى الشمال الغربي يشرف على ضيعة يقال لها الغنثر من املاك عبدالمجيد آغا سويدان مدير ناحية حسيه (ايكي قبولي) الحالي ورئيس اسرة سويدان المعروفة ويحده من الشمال اراضي (الشومرية) وهي جبال قل فيها المنبسط ذات تربة جيدة وارض خصبة منبتة وفيها بعض القرى المستحدثة وكانت من املاك السلطان السابق ويسمونها الآن (الاملاك المدورة) ومن شماله ايضاً البلعاس وهي كورة من كور حمص [٢] فيها حرج من شجر البطم يبلغ طوله تسعين ميلا من الغرب الى الشرق ويحده من الشرق طريق القوافل بين الشام وتدمر ثم الجباة وهي مزرعة لنا ذات مياه وقد اوقع سيف الدولة فيها بقبائل البادية وذكرها المتنبي بقصيدة يمدح بها المشار اليه حيث قال :

ومروا بالجباة يضم فيها　　كلا الجيشين من نقع ازار [٣]

ومن الجنوب الغنثر والجباة المار ذكرها ومن الغرب الشومرية والفرقلس وهي قرية من الاملاك المدورة ذكرها ياقوت الحموي فقال انها اسم مياه قرب سلمية بالشام والاصح انها اقرب الى حمص من سلمية ·

(١) الحمة في اللغة العين الحارة التي يستشفى بها الاعلاء والمرضى فاهل القرى المجاورة لهذا المكان يسمونه الحمة واهل المدن كدمشق وحمص وحماة وغيرها يسمونه حمام ابي رباح وابو رباح اسم مستحدث عَلَى ما اظن (٢) معجم البلدان (٣) معجم البلدان

مركزها الطبيعي — ان هذا الجبل بركان لاثائر ولا منطفيء لانه لو كان ثائراً لاهلك القرى والبلدان المجاورة له وقضى على الارواح والاجساد مما يقذفه من الحجارة والحمم ولو كان منطفئاً لما صعد منه البخار الذي يراه الناظر من مسافة بعيدة متفرقاً في الجو . ومعلوم ان الارض كانت جسماً يكاد يكون سيالا يتلظى قبل وجود الانسان والحيوان والنبات على ظهرها ثم برد سطحها وبقي جوفها شديد الحرارة والسبب في ثوران البراكين هو هذه الحرارة والماء والمواد المعدنية الحارة في جوف الارض فاذا ما اختلط الماء بالمواد المعدنية الحارة تمدد ورفع ما فوقه ثم يزداد الضيق عليه من الحرارة وثقل الارض وعندما يشتد دفعه ينفجر و يقذف الحمم والصخور والبخار و يجعل الصعيد المستوي جبلا راسياً مما يرمي به تلك الاجسام ولكن اذا فقدت المواد المعدنية وظل الماء جارياً تسخنه حرارة باطن الارض الطبيعية البالغة الفي درجة او اكثر وكانت الارض بركانية من قبل لا يصعد من افواهها غير البخار كما يشاهد في ابي رباح هذا اذ يسمع الانسان الواقف عند فوهته صوتاً كهدير البحر و يرى البخار يتصاعد منها كبخار الماء المغلي في المرجل فمن هذا يتبين لنا ان ابا رباح كان بركاناً ثائراً في العصور الخالية ودام ثورانه ردحاً من الزمن الى ان انتهى ما في جوفه من المواد المعدنية وبقي الماء والحرارة الطبيعية المسببان لصعود بخاره الحار

نظرة تاريخية — اتضح مما قدمنا ان هذه الحمة بركان نفدت مواده المعدنية الحارة منذ الوف من السنين وصارت الى ما هي عليه اليوم عبارة عن فوهة وسط جبل يتصاعد منها بخار ، اي ليس الا . ثم جاء الاقدمون وبنوا فوق هذه الفوهة حماماً يستشفون به من الاسقام والامراض ولكن من هؤلاء الاقدمين الذين شادوا هذا المعهد الكبير النافع ؟ . .

سؤال نقف عنده اذ ليس لدينا من الادلة التاريخية الا الآثار الموجودة التي سنستنبط منها ما يكون موافقاً للاحكام التاريخية فنقول : سكن هذه البلاد كما روى التاريخ من الامم ذات الحضارة والمدنية والسلطة الكنعانيون والآراميون واليونانيون السلوقيون والتدمريون والرومانيون والمسلمون فالامم الاربع الاولى هم سكان البلاد الاصليون والاثنتان الباقيتان هم الفاتحون الذين قطنوها بعد الفتح فاي امة من هذه

الام قامت بتشييد هذا المحل ياترى ؟ المسلمون ؟.. لا لأن الآثار الموجودة ليست من ايامهم بل هي اقدم منهم بقرون عديدة كما انها ليست من اعمالهم ولو كان ذلك لدونوها في كتبهم وكذلك الرومانيون لم يكونوا الا امة فتوح واستعمار لا امة علم وفن ولم يبرزوا الا في بناء المعاقل والحصون في الصحارى لصد صدمات المهاجمين وقلما تنفع دولة مستعمراتها كما تفيد ممالكها الاصلية ومع كل ذلك نرى اثراً من تلك الآثار المتباينة في طراز هندستها وقدمها على نسق الابنية الرومانية ذات العقود والقناطر قائماً على يمين الحمة بمسافة عشرات من الخطوات وهو احدث الآثار الباقية المتداعية الاركان.

واذا امعنا النظر في هذه الآثار ندرك ان ليس للكنعانيين والاراميين من صنعة فيها وربما اقاموا في ذلك المكان حيناً من الدهر حتى داهمتهم الحمم الصادرة عن جوف الارض ابان ثورانها فازهقت نفوسهم ودفنت مساكنهم اذ يبصر المرء هنالك آثاراً طامسة تغشاها الحمم والانقاض الدالة على الثوران في غابر الازمان.

وهنا لم يبق لدينا سوى تينك الامتين السلوقية والتدمرية ولا مناص من نسبة هذا الحمام وما يجاوره من الانقاض الى احداهما او الى كلتيهما لان الامة السلوقية كانت ربة علم وفلسفة لا يفوتها استخدام مثل هذا البحار للنافع الصحية وكذلك الامة التدمرية على ما نعرفه ويعرفه الخاص والعام فان لنا في مدينتها العظمى شاهداً عدلاً على مابلغته من الاتقان في الصناعات والترقي في الفنون وناهيك باعمدتها الباسقة التي كانت تجري من فوقها الانهار فامة مثل هذه لا يعوقها جعل بركان قريب لعاصمتها[1] حماماً يزيل ما في الابدان من الاوجاع والاوصاب.

فكلتا الامتين كان لها في حلبة المعارف افكار سامية وفي مضمار الرقي عقول نيرة ثم دالت دولتهما وهما ينشدان:

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

اي لعمر الحق انها لآثار تدل على ما كان لهم من اليد الطولى في الفنون الجميلة والصناعات البديعة كما ان قيام هذا الحمام ليس عن عبث او سائقة طبيعية بل عن علم صحيح وعقل رجيح فانك اذا حققت النظر في مبانيه الخربة وجدت انها كانت في عهدها الزائل مستوفاة الشروط الطبية داخلاً وخارجاً مما نعجز نحن ابناء القرن العشرين عن الافتكار بمثله ولو بعد حين.

(١) المسافة بين تدمر وابي رباح ستون ميلا

وفوق كل هذا انني ارجح نسبة هذه الآثار الى التدمريين لمشابهة انقاضها لانقاض مدينة تدمر وقربها منها ولما يتواتر عَلَى السنة الاهلين في تلك الانحاء من ان هنالك ساقية قديمة تنتهي الى المدينة المذكورة .

نبذة صحية — لو كنت طبيباً لفحصت هذا الحمام من وجهته الطبية والكيماوية فحصاً دقيقاً وعلمت ماهية بخاره ومقدار درجة حرارته ونتيجة تحليله ولكنني لا اطيق التطفل عَلَى موائد الطب فاقتصر عَلَى ما اعلمه من شفائه للمصابين بالامراض العصبية عامة وتيبس الاعضاء والتشنج خاصة .

وفاتنا ذكر ماهنالك من المناظر غير الفوهة التي بني عليها الحمام ومنها منفذان احدهما يتداوى به الصم بوضع آذانهم عَلَى فيه والثاني يؤمه العقيمات من النساء لدفع الاسباب المانعة من حبلهن بقعودهن القرفصاء عليه ولا اخال الاطباء يقولون بخرافة هذه الطريقة لان البخار اذا ما دخل الاذن وبيت الولادة يطهر مافيهما من الاوساخ ان كان ثمت ذلك والله اعلم .

لمحة ادارية اقتصادية — ليس من ينكر ان مثل هذه المعاهد اذا عني باصلاحها تأتي بدخل عظيم ولكننا امة قدر لها ان تكون في الاعصر الماضية خاملة كسلى لاتهتدي الى طرق غناها ولا تدرك مقر ثروتها التي هي تحت تصرفها وفي حوزتها فترى المال الذي في جبالها متروكا والممزوج بتربة سهلها منسياً ومن جملة المهملات هذا المكان الذي نحن بصدده وهو لم يزل خراباً يباباً يلجأ اليه لصوص الاعراب وجناتهم فلو لحظ بطرف الاهتمام قليلاً وارسل اليه طبيب كيماوي يحلل بخاره ويشرح فوائده الصحية بتقرير شرحاً وافياً ومهندس يخطط لاعتماره مصوراً كافياً ثم تنشأ فيه اماكن منظمة تسر القاصدين من المرضى وغيرهم بعد بناء مخفرة للجند تمنع المعتدين من اهل البادية وتلزمه الحكومة الى شركة او متمول لقاء مبلغ من المال لكانت تستفيد منه وتفيد فتنشر الامن في تلك الربوع وعساها فاعلة عن قريب وعسى اهل العلم لايضنون علينا بما يكشف الغامض من هذه الحمامات البخارية

فارس فياض

مناظرة القنائي والسيرافي

من المناظرات الجميلة باسلوبها وجمال انشائها ماجرى بين متى بن يونس القنائي وبين ابي سعيد السيرافي نقتبسها من الجزء الثالث من معجم الادباء لياقوت الذي صدر مؤخراً ليطلع القراء على افكار فيلسوف وافكار نحوي وها نحن نقدم قبل ايراد المناظرة مختصر ترجمة المتناظرين وناقل كلامهما ليكون القارئ على بينة ممن يتلو كلامه

اما متى (١) بن يونس او يونان ابو بشر وهو من اهل دير قنى فهو ممن نشأ في اسكول مرماري قرأ على قويري وعلى روفيل وبنيامين ويحيى المروزي وعلى ابي احمد بن كرنيب وله تفسير من السرياني الى العربي واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره وكان نصرانياً وتوفي ببغداد يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وله من الكتب مقالة في مقدمات صدر بها كتاب انالوطيقا كتاب المقاييس الشرطية شرح كتاب ايساغوجي لفرفوريوس

واما ابو سعيد الحسن السيرافي فيتلخص مما قاله ياقوت في معجم الادباء ان سيراف بليد على ساحل البحر من فارس كان ابوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه ابو سعيد عبدالله وقال ابو حيان في كتابه الذي الفه في تقريظ عمرو بن بحر وقد ذكر جماعة من الائمة كانوا يقدمون الجاحظ ويفضلونه فقال : ومنهم ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وامام الائمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة افتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى ببغداد وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السلياني فما جاراه فيه احد ولا سبقه الى تمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والامانة والرواية صام اربعين سنة واكثر الدهر كله ومات سنة ٣٦٨

هذا اما ابو حيان التوحيدي فهو المتكلم الصوفي صاحب المصنفات ومنها كتاب البصائر والاشارات وغيرهما وكتاب المقابسات (٢) وكان اماماً (٣) في النحو واللغة والتصريف فقيهاً مؤرخاً وصفه ابن النجار بانه كان فقيراً صابراً متديناً وانه كان صحيح العقيدة الا ان بعض المؤرخين رموه بالكذب وقلة الدين والمجاهرة بالبهتان وانه تعرض لامور جسام

(١) تاريخ الاطباء (٢) المقتبس م ١٠ ص ٣٠٢ (٣) طبقات الشافعية الكبرى

والقدح في الشريعة والقول بالتعطيل قال ابن فارس : ولقد وقف سيدنا الصاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدخله ويخفيه من سوء الاعتقاد فطلبه ليقتله فهرب والتجأ الى اعدائه ونفق عليهم بزخرفه وافكه ثم عثروا منه على قبيح دخلته وسوء عقيدته وما يبطنه من الالحاد و يرومه في الاسلام من الفساد وما يلصقه باعلام الصحابة من القبائح ويضيفه الى السلف الصالح من الفضائح فطلبه الوزير المهلبي فاستتر منه ومات في الاستتار . وعده ابو الفرج ابن الجوزي في تاريخه احد زنادقة الاسلام الثلاثة وهم ابن الراوندي وابو حيان التوحيدي وابو العلاء قال واشدهم على الاسلام ابو حيان لانه جمجم ولم يصرح . قال السبكي انه وقع على كثير من كلامه فلم يجد فيه الا مايدل على انه كان قوي النفس مزدريًا باهل عصره ولا يوجب هذا القدر . قلنا وما كان طلب الصاحب ابن عباد لابي حيان الا لان هذا وضع كتابًا (١) سماه مثالب الوزيرين ضمنه معايب ابي الفضل بن العميد والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما ومن كتبه ايضًا الامتاع والمؤانسة في مجلدين وكتاب الصديق والصداقة وكان موجودًا في السنة الاربعمائة .

واليك الآن هذه المناظرة الغريبة :

قال ابو حيان : ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بين ابي سعيد السيرافي وابي بشر متى واختصرتها فقال لي اكتب هذه المناظرة على التمام فان شيئًا يجري في ذلك المجلس النبيه و بين هذين الشيخين بحضرة اولئك الاعلام ينبغي ان يغتنم سماعه وتوعى فوائده ولا يتهاون بشيء منه فكتبت : حدثني ابو سعيد بلمع من هذه القصة فاما علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح فانه رواها مشروحة قال : لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلثمائة قال الوزير ابن الفرات للجماعة : (وفيهم الخالدي وابن الاخشيد والكندي وابن ابي بشر وابن رباح وابن كعب وابو عمرو قدامة بن جعفر والزهري وعلي بن عيسى بن الجراح وابو فارس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طغج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان) اريد ان ينتدب منكم انسان لمناظرة متى في حديث المنطق فانه يقول لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من

(١) ابن خلكان في وفيات الاعيان

الشبهة والشك من اليقين الا بما حويناه من المنطق وملكناه من القيام [١] واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه • فاحجم القوم واطرقوا فقال ابن الفرات : والله ان فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته وكسر مايذهب اليه واني لاعدكم في العلم بحاراً وللدين واهله انصاراً وللحق وطلابه مناراً فما هذا التغامز والتلامز اللذان تجلون عنهما • فرفع ابو سعيد السيرافي رأسه وقال : اعذر ايها الوزير فان العلم المصون في الصدور غير العلم المعروض في هذا المجلس على الاسماع المصيخة والعيون المحدقة والعقول الجامدة [٢] والالباب الناقدة لان هذا يستصحب الهيبة والهيبة [٣] مكسرة و يجتلب الحياوالحيامغلبة وليس البراز في معركة غاصة كالصراع في بقعة خاصة • فقال ابن الفرات : انت لها يا ابا سعيد فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك والانتصار لنفسك راجع على الجماعة بفضلك • فقال ابو سعيد : مخالفة الوزير فيما يأمره هجنة والاحتجان عن رأيه اخلاد الى التقصير ونعوذ بالله من زلة القدم واياه نسأل حسن التوفيق في الحرب والسلم ثم واجه متى فقال : حدثني عن المنطق ما تعني به فانا اذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطأه على سنن مرضي وعلى طريقة معروفة • قال متى : اعني به انه آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من سقيمه وفاسد المعنى من صالحه كالميزان فاني اعرف به الرجحان من النقصان والشائل من الجانح • فقال له ابو سعيد : اخطأت لان صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل ان كنا نبحث بالعقل هبك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن من لك [٤] بمعرفة الموزون اهو حديد او ذهب او شبه او رصاص واراك بعد معرفة الوزن فقيراً الى معرفة جوهر الموزون والى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدها فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك وفي تحقيقه كان اجتهادك الا نفعاً يسيراً من وجه واحد و بقيت عليك وجوه فانت كما قال الاول

حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء

و بعد فقد ذهب عليك شيء ههنا ليس كل ما في الدنيا يوزن بل فيها ما يوزن وفيها مايكال وفيها مايذرع وفيها ما يمسح وفيها ما يحزر وهذا وان كان هكذا في الاجسام المرئية فانه ايضاً على ذلك في المعقولات المقروءة والاحساس [٥] ظلال العقول وهي

(١) لعله القياس (٢) كذا بالاصل (٣) ق -- (٤) ق ذلك

(٥) لعله والاجسام

تحكيها بالتبعيد والتقريب مع الشبه المحفوظ والمماثلة الظاهرة ودع هذا اذا كان المنطق وضعه رجل من يونان عَلَى لغة اهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها من اين يلزم الترك والهند والفرس والعرب ان ينظروا فيه و يتخذوه حكماً لهم وعليهم وقاضيا بينهم ماشهد له [1] قبلوه وما انكره [2] رفضوه . قال متى : انما لزم ذلك لان المنطق بحث عن الاغراض المعقولة والمعاني المدركة وتصفح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة والناس في المعقولات سواء الا ترى ان اربعة واربعة ثمانية عند جميع الامم وكذلك ما اشبهه . قال ابو سعيد : لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة وطرائقها المتباينة الى هذه المرتبة البينة في اربعة واربعة انهما ثمانية زال الاختلاف وحضر الاتفاق ولكن ليس الامر هكذا ولقد موهت بهذا المثال ولكم عادة في مثل هذا التمويه ولكن ندع هذا ايضا اذا كانت الاغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل اليها الا [3] باللغة الجامعة للاسماء والافعال والحروف افليس قد لزمت الحاجة الى معرفة اللغة . قال : نعم . قال اخطأت : قل في هذا الموضع بلى . قال متى : بلى انا اقلدك مثل هذا . قال ابو سعيد : فانت اذاً لست تدعونا الى علم المنطق بل الى تعلم اللغة اليونانية وانت لاتعرف لغة يونان فكيف صرت تدعونا الى لغة لاتفي بها وقد عفت منذ زمان طويل وباد اهلها وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها و يتفاهمون اغراضهم بتصرفها عَلَى انك تنقل من السريانية فما تقول في معان متهولة [4] بالنقل من لغة يونان الى لغة اخرى سريانية ثم من هذه الى لغة اخرى عربية . قال متى : يونان وان بادت مع لغتها فان الترجمة قد حفظت الاغراض وادت المعاني واخلصت الحقائق . قال ابوسعيد : اذا سلمنا لك ان الترجمة صدقت وما كذبت وقومت وماحرفت ووزنت وما جزفت ولا نقصت ولا زادت ولا قدمت ولا اخرت [5] ولا اخلت بمعنى الخاص والعام ولا باخص الخاص ولا باعم العام وان كان هذا لايكون وليس في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني فكأنك تقول بعد هذا لاحجة الا عقول يونان ولا برهان الا ما وصفوه [6] ولا حقيقة الا ما ابرزوه . قال متى : لا ولكنهم من بين الامم اصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم و باطنه وعن كل مايتصل به و ينفصل عنه وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وانتشر ما انتشر وفشا ما فشا ونشأ ما نشأ من انواع العلم

(١) ق لم (٢) ق نكروه (٣) ق ــ (٤) لعله مجهولة (٥) ق اخرقت (٦) لعله وضعوه

واصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم · قال ابو سعيد : اخطأت وتعصبت وملت مع الهوى فان العلم [١] مبثوث في العالم ولهذا قال القائل

العلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الارض ولهذا غلب علم في مكان دون مكان وكثرت صناعة في بقعة دون صناعه [٢] وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة ومع هذا فانما كان يصح قولك ويسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع الامم بالعصمة الغالبة والفطرة الظاهرة والبنية المخالفة وانهم لو ارادوا ان يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا ان يكذبوا ما استطاعوا وان السكينة نزلت عليهم والحق تكفل بهم والخطأ تبرأ منهم والفضائل لصقت باصولهم وفروعهم والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهل ممن يظنه بهم وعناد ممن يدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم من الامم يصيبون في اشياء ويخطئون في اشياء ويصدقون في امور ويكذبون في امور ويحسنون في احوال ويسيئون في احوال وليس واضع المنطق يونان باسرها انما هو [٣] رجل منهم وقد اخذ عمن قبله كما اخذ عنه من بعده وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير وله مخالفون منهم ومن غيرهم ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة فكيف يجوز ان يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف او يحله او يؤثر فيه هيهات هذا محال · ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان قبل منطقه · وامسح وجهك بالسلوة عن شيء لا يستطاع لانه مفتقد بالفطرة والطباع وانت فلو فرغت بالك وصرفت عنايتك الى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها وتجارينا فيها وتدرس اصحابك بمفهوم اهلها وتشرح كتب يونان بعادة اصحابها لعلمت انك غني عن معاني يونان كما انك غني عن لغة يونان وهاهنا مسألة : اتقول ان الناس عقولهم مختلفة وانصباؤهم منها متفاوتة · قال متى : نعم · قال : وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة او الاكتساب · قال : بالطبيعة · قال : فكيف يجوز ان يكون هاهنا شيء يرتفع به الاختلاف الطبيعي والتفاوت الاصلي · قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفا · قال ابو سعيد : فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع ودع هذا اسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب ومعانيه متميزة عند اهل العقل فاستخرج انت معانيه من ناحية منطق

(١) ق العالم (٢) لعله بقعة (٣) ق —

ارسطاطاليس الذي تدل به [١] وتباهي بتفخيمه وهو الواو وما احكامه وكيف مواقعه وهل هو عَلَى وجه واحد او وجوه · فبهت متى وقال : هذا نحو والنحو لم انظر فيه لان لاحاجة بالمنطقي الى النحو وبالنحوي حاجة الى المنطق لان المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ فان مر المنطقي باللفظ فبالعرض وان عبر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى اشرف من اللفظ واللفظ اوضع من المعنى · قال ابو سعيد : اخطأت لان المنطق والنحو واللفظ والافصاح والاعراب والانباء والحديث والاخبار والاستخبار والعرض والتمني والحض والدعاء والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة الا ترى ان رجلا لو قال نطق زيد بالحق ولكن ماتكلم بالحق وتكلم بالفحش ولكن ماقال الفحش واعرب عن نفسه ولكن ما افصح وابان المراد ولكن ما اوضح او فاه بحاجته ولكن مالفظ او اخبر ولكن ما انبأ لكان في جميع هذا محرفاً ومناقضاً وواضعاً للكلام في غير حقه ومستعملا للفظ عَلَى غير شهادة من عقله وعقل غيره والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة وانما الخلاف بين اللفظ والمعنى ان اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ولهذا كان اللفظ بائداً عَلَى الزمان يقفو اثر الطبيعة باثر آخر من الطبيعة ولهذا كان المعنى ثابتا عَلَى الزمان لان مستملي المعنى عقل والعقل الهي ومادة اللفظ طينية وكل طيني متهافت وقد بقيت انت بلا اسم لصناعتك التي [٢] تنتحلها وآلتك التي تزهى بها الا ان تستعير من العربية لها اسماً فتعار ويسلم لك بمقدار وان لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من اجل الترجمة فلا بد لك ايضا من كثيرها من اجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة اللاحقة بك · قال متى : يكفيني من لغتكم هذا الاسم والفعل والحرف فاني اتبلغ بهذا القدر الى اغراض قد هذبتها لي يونان · قال ابو سعيد : اخطأت لانك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير الى وصفها [٣] وبنائها عَلَى الترتيب الواقع في غرائز اهلها وكذلك انت محتاج بعد هذا الى حركات هذه الاسماء والافعال والحروف فان الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات وهذا باب انت واصحابك ورهطك عنه في غفلة عَلَى ان هاهنا سراً ما علق بك ولا اسفر لعقلك وهو ان تعلم ان لغة من اللغات لاتطابق لغة اخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها في اسمائها وافعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره وما اظن

(١) ق بها (٢) ق — (٣) لعله وضعها

احداً يدفع هذا الحكم او يسأل في صوابه ممن يرجع الى مسكة من عقل او نصيب من انصاف فمن اين يجب ان نثق بشيء ترجم لك عَلَى هذا الوصف بل انت الى ان تعرف اللغة العربية احوج منك الى ان تعرف المعاني اليونانية عَلَى ان المعاني لاتكون يونانية ولاهندية[1] كما ان اللغات[2] لاتكون فارسية ولا عربية ولاتركية ومع هذا فانك تزعم ان المعاني حاصلة[3] بالعقل والفحص والفكر فلم يبق الا احكام اللغة فلم تزري عَلَى العربية وانت تشرح كتب ارسطاطاليس بها مع جهلك بحقيقتها وحدثني عن قائل قال لك حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث عنها حال قوم كانوا قبل واضع المنطق انظر كما نظروا[4] واتدبر كما تدبروا لان اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة والمعاني نقرت عنها بالنظر والرأي والاعتقاب والاجتهاد ماتقول له لايصح له هذا الحكم ولايستتب هذا الامر لانه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفتها انت ولعلك تفرح بتقليدك وان كان على باطل اكثر مما يفرح باستبداده وان كان عَلَى حق وهذا هو الجهل المبين والحكم الغير مستبين. ومع هذا فحدثني عن الواو ماحكمه فاني اريد ان ابين ان تفخيمك للمنطق لايغني عنك شيئاً وان تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها الى الحكمة اليونانية ومن جهل حرفاً واحداً امكن ان يجهل اللغة بكمالها وان كان لايجهلها كلها ولكن يجهل بعضها فلعله يجهل مايحتاج اليه ولا ينفعه فيه علم بما لايحتاج وهذه رتبة العامة اوهي رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير فلم يتأبى عَلَى هذا وينكر ويتوهم انه من الخاصة وخاصة الخاصة وانه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة وخفي القياس وصحيح البرهان وانما سألتك عن معاني حرف واحد فكيف لو نثرت عليك الحروف كلها وطالبتك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق والتي لها بالتجوز وسمعتكم تقولون « في » لايعلم النحويون مواقعها وانما يقولون هي للوعاء كما يقولون ان الباء للالصاق وان في تقال عَلَى وجوه يقال الشيء في الوعاء والاناء في المكان والسائس في السياسة والسياسة في السائس الا ترى هذا التشقيق[5] هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها ولا يجوز ان يعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب فهذا جهل من كل من يدعيه وخطل من القول الذي افاض النحوي اذ قال « في للوعاء » فقد افصح في الجملة عن المعنى الصحيح وكنى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ومثل هذا كثير وهو كاف في موضع السكيت. فقال

(١) ق هندسية (٢) لعله « الاغراض » (٣) ق حاصلها (٤) نظرت (٥) كذا بالاصل

ابن الفرات ايها الشيخ الموفق اجبه بالبيان عن مواقع الواو حتى تكون اشد في افحامه وحقق عند الجماعة ماهو عاجز عنه ومع ذلك فهو متشبع به ٠ فقال ابوسعيد : للواو وجوه ومواقع منها معنى العطف في قولك اكرمت زيداً وعمراً ومنها القسم في قولك والله لقد كان كذا وكذا ومنها الائتناف كقولك خرجت وزيد قائم لان الكلام بعده ابتداء وخبر ومنها معنى رب التي هي للتقليل نحو قوله

وقاتم الاعماق خاوي المخترقن [(١)]

ومنها ان تكون اصلية في الاسم كقولك واقد واصل وافد وفي الفعل كقولك وجل يوجل ومنها ان تكون مقحمة نحو قول الله تعالى فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي ناديناه ومثله قول الشاعر

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل [(٢)]

المعنى انتحى بنا ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلم الناس حال صغره بكلام الكهل في حال كهولته ومنها ان تكون بمعنى حرف الجر كقولك استوى الماء والخشبة اي مع الخشبة ٠ فقال ابن الفرات لمتى : ياابا بشر اكان هذا في نحوك [(٣)] ٠ ثم قال ابوسعيد : دع هذا هاهنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي اكثر من علاقتها بالشكل اللفظي ،ماتقول في قول القائل زيد افضل الاخوة ٠ قال: صحيح ٠ قال : فماتقول ان قال زيد افضل اخوته ٠ قال: صحيح ٠ قال : فما الفرق بينهما مع الصحة فبلح وجنح وعصب ريقه [(٤)] ٠ فقال ابو سعيد : افتيت عَلَى غير بصيرة ولا استبانة المسألة الاولى جوابك عنها صحيح وان كنت غافلا عن وجه صحتها والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وان كنت ايضاً ذاهباً عن وجه بطلانها ٠ قال متى : بين ماهذا التهجين ٠ قال ابو سعيد : اذا حضرت المختلفة [(٥)] استفدت ليس هذا مكان التدريس هو مجلس ازالة التلبيس مع من عادته التمويه والتشبيه والجماعة تعلم انك اخطأت فلم تدعي ان النحوي انما ينظر في اللفظ لافي المعنى والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ هذا كان يصح لو ان المنطقي يسكت ويجيل فكره في المعاني ويرتب مايريد في الوهم السياح والخاطر العارض والحدس الطارئ واما وهو يريغ ان يبرز ماصح له بالاعتبار والتصفح الى المتعلم والمناظر فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل عَلَى مراده ويكون طباقاً لغرضه وموافقاً لقصده ٠

(١) البيت لروبة : فليراجع مغني ابن هشام (مصر ١٣٠٢)٢ :٣٥ (٢) البيت لامرئ القيس (٣) لعله بمنطقك (٤) لعله وغص بريقه (٥) يعني التلاميذ

قال ابن الفرات يا ابا سعيد تمم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لاهل المجلس والتبكيت عاملا في نفس ابي بشر . فقال ما اكره من ايضاح الجواب عن هذه المسألة الا ملل الوزير فان الكلام اذا طال ملّ . فقال ابن الفرات ما رغبت في سماع كلامك وبيني وبين الملل علاقة فاما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر . فقال ابو سعيد : اذا قلت زيد افضل اخوته لم يجز واذا قلت زيد افضل الاخوة جاز والفصل بينهما ان اخوة زيد هم غير زيد وزيد خارج من جملتهم وذلك دليل [1] انه لو سأل سائل فقال من اخوة زيد لم يجز ان تقول زيد وعمرو وبكر وخالد وانما تقول بكر وعمرو وخالد ولا يدخل زيد في جملتهم فاذا كان زيد خارجاً عن اخوته صار غيرهم فلم يجز ان يكون افضل اخوته كما لم يجز ان يكون حمارك افضل البغال لان الحمار غير البغال كما ان زيداً غير اخوته فاذا قلت زيد افضل الاخوة جاز لانه احد الاخوة والاسم يقع عليه وعلى غيره فهو بعض الاخوة الا ترى انه لو قيل من الاخوة عددته فيهم فقلت زيد وعمرو وبكر وخالد فيكون بمنزلة قولك حمارك افره الحمير فلما كان على ما وصفنا جاز ان يضاف الى واحد منكور يدل على الجنس فتقول زيد افضل رجل وحمارك افره حمار فيدل رجل على الجنس كما دل الرجال وكما في عشرين درهما ومائة درهم . فقال ابن الفرات : ما بعد هذا البيان مزيد ولقد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الانقياد . فقال ابو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك وان زاغ شيء عن النعت فانه لا يخلو من ان يكون سائغاً [2] بالاستعمال النادر والتأويل البعيد او مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم فاما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عليهم وكل ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع والقياس المطرد على الاصل المعروف من غير تحريف وانما دخل العجب على المنطقيين لظنهم ان المعاني لا تعرف ولا تستوضح الا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون بترجمة اخرى هم فيها ضعفاء ناقصون وجعلوا تلك الترجمة صناعة وادعوا على النحويين انهم مع اللفظ لا مع المعنى . ثم اقبل ابو سعيد على متى فقال : الا تعلم يا ابا بشر ان الكلام اسم واقع على اشياء قد ائتلفت بمراتب

(١) لعله ودليل ذلك (٢) ق سابقا

مثال ذلك انك تقول هذا ثوب والثوب يقع على اشياء بها صار ثوباً ثم به نسج بعد ان غزل فسداته لاتكفي دون لحمته ولحمته لاتكفي دون سداته ثم تأليفه، كنسجه، وبلاغته كقصارته ودقة سلكه كرقة لفظه وغلظ غزله ككثافة حروفه ومجموع هذا كله ثوب ولكن بعد تقدمة كل مايحتاج اليه فيه • قال ابن الفرات : سله يا ابا سعيد عن مسألة اخرى فان هذا كلما توالى عليه بان انقطاعه وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره والحق الذي لاينصره • قال ابو سعيد : ماتقول في رجل قال لهذا علي درهم غير قيراط • قال متى : مالي علم بهذا النمط • قال : لست نازعاً عنك حتى يصح عند الحاضرين انك صاحب مخرقة وزرق هاهنا ماهو اخف من هذا قال رجل لصاحبه : بكم الثوبان المصبوغان وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغان وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغين بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ • قال متى : لو نثرت انا ايضا عليك من مسائل المنطق شيئاً لكان حالك كحالي • قال ابو سعيد : اخطأت لانك اذا سألتني عن شيء انظر فيه فان كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية اجبت ثم لا ابالي ان يكون موافقاً او مخالفاً وان كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك وان كان متصلا باللفظ ولكن على موضع لكم في الفساد على ما حشوتم به كتبكم رددته ايضا لانه لاسبيل الى احداث لغة مقررة بين اهلها ما وجدنا لكم الا ما استعرتم من لغة العرب كالسبب والا [1] والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمل والمخصوص وامثلة لاتنفع ولا تجدي وهي الى العي اقرب وفي الفهاهة اذهب ثم انتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر لانكم لاتفون بالكتب ولا هي مشروحة وتدعون الشعر ولا تعرفونه وتدعون الخطابة وانتم عنها في منقطع التراب وقد سمعت قائلكم يقول الحاجة ماسة الى كتاب البرهان فان كان كما قال فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب وان كانت الحاجة قد مست الى ما قبل البرهان فهي ايضا ماسة الى ما بعد البرهان والا فلم صنف مالا [2] يحتاج اليه ويستغنى عنه هذا كله تخليط وزرق وتهويل ورعد وبرق وانما بودكم ان تشغلوا جاهلا وتستذلوا عزيزا وغايتكم ان تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص وتقولوا الهلية والاينية والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية والانسية والكسبية والنفسية ثم تتمطون وتقولون جئنا بالسحر في قولنا « لا في شيء من باء وواو وجيم في بعض باء وفاء في بعض

(١) لعله والآلة (٢) ق —

جيم والا في كل ب و ج في كل ب فا اذن لا في كل ج [١] وهذا [٢] بطريق الخلف [٣] وهذا بطريق الاختصاص وهذه كلها جزافات وترهات ومغالق وشبكات ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقب رأيه وانارت نفسه استغنى عن هذا كله بعون الله وفضله وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأي وانارة النفس من منائح الله الهيبة [٤] ومواهبه السنية يختص بها من يشاء من عباده وما اعرف لاستطالتكم بالمنطق وجهاً وهذا الناشئ ابو العباس قد نقض عليكم وتتبع طريقكم وبين خطأكم وابرز ضعفكم ولم تقدروا الى اليوم ان تردوا عليه كلمة واحدة مما قال وما زدتم على قولكم « لم يعرف اغراضنا ولا وقف على مرادنا وانما تكلم على وهم » وهذا منكم لجاجة ونكول ورضى بالعجز والكلول وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض هذا قولكم في فعل و ينفعل ولم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما ولم تقفوا على مقاسمهما لانكم قنعتم فيهما بوقوع الفعل من يفعل وقبول الفعل من ينفعل ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ومعارف ذهبت عنكم وهذا حالكم في الاضافة فاما البدل ووجوهه والمعرفة واقسامها والنكرة ومراتبها وغير ذلك مما يطول ذكره فليس لكم فيه مقال ولا مجال وانت اذا قلت لانسان كن منطقيا فانما تريد كن عقليا او عاقلا او اعقل ما تقول لان اصحابك يزعمون ان المنطق هو العقل و هذا قول مدخول لان المنطق على وجوه انتم منها في سهو واذا قال لك آخر كن نحويا لغويا فصيحا فانما يريد افهم عن نفسك ما تقول ثم رم ان يفهم عنك غيرك وقدّر اللفظ على المعنى فلا ينقص منه هذا اذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به فاما اذا حاولت فرش المعنى و بسط المراد فاجل اللفظ بالروادف الموضحة والاشباه المقربة والاستعارات الممتعة وسدد المعاني بالبلاغة اعني لوح منها شيئاً حتى لا تصاب الا بالبحث عنها والشوق اليها لان المطلوب اذا ظفر به على هذا الوجه عز وجل وكرم وعلا واشرح منها شيئا حتى لا يمكن ان يمترى فيه او يتعب في فهمه او يسترح [٥] عنه لاغتماضه فبهذا المعنى يكون جامعا لحقائق الاشياء ولاشباه الحقائق وهذا باب ان استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس على اني لا ادري ايؤثر ما اقول ام لا ثم قال حدثنا هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين او رفعتم بالخلاف بين اثنين اتراك بقوة المنطق و برهانه اعتقدت ان الله ثالث ثلاثة وان الواحد اكثر من واحد

---

(١) الصواب هو « لا اي شيء من ب وان ج في بعض ب فا اذن لا في كل ج والا في كل ب و ج في كل ب فا اذن في بعض ج » (٢) الصواب « وذلك » (٣) لعله الخلاف (٤) لعله البهية (٥) لعله ينتزح

وان الذي هو اكثر من واحد هو واحد وان الشرع ماتذهب اليه والحق مانقوله هيهات هاهنا امور ترفع عن دعوى اصحابك وهذيانهم وتدق عن عقولهم واذهانهم ودع هذا هاهنا مسألة قد اوقعت خلافا فارفع ذلك الخلاف بمنطقك قال قائل « لفلان من الحائط الى الحائط » ما الحكم فيه وما قدر المشهود به لفلان فقد قال ناس له الحائطان معا وما بينهما وقال آخرون : له النصف من كل منهما وقال آخرون : له احدهما هات الآن آيتك الباهرة ومعجزتك القاهرة وانى لك بهما وهذا قد بان بغير نظرك ونظر اصحابك ودع ايضا قال قائل « من الكلام ماهو مستقيم حسن ومنه ماهو مستقيم كذب ومنه ماهو خطأ » فسر هذه الجملة واعترض عليه عالم آخر فاحكم انت بين هذا القائل والمعترض وارنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب وبين الحق والباطل فان قلت كيف احكم بين اثنين احدهما قد سمعت مقالته والآخر لم احصل عَلَيّ [1] اعتراضه قيل لك استخرج بنظرك الاعتراض ان كان ما قاله محتملا له ثم اوضح الحق منهما لان الاصل مسموع لك حاصل عندك وما يصح به او يطرد عليه يجب ان يظهر منك فلا تتعاسر علينا فان هذا لايخفى عَلَى احد من الجماعة فقد بان الآن ان مركب اللفظ لايحوز مبسوط العقل والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة وليس في قوة اللفظ من اي لغة كان ان يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سوراً ولا يدع شيئاً من داخله ان يخرج ولا شيئاً من خارجه ان يدخل خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد اعني ان ذلك يخلط الحق بالباطل ويشبه الباطل بالحق وهذا الذي وقع الصحيح منه في الاول قبل وضع المنطق وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق وانت لو عرفت العلماء والفقهاء ومسائلهم ووقفت عَلَى غورهم في قطرهم وغوصهم في استنباطهم وحسن تأويلهم لما يرد عليهم وسعة تنسيقهم للوجوه المحتملة والكنايات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة لحقرت نفسك وازدريت اصحابك ولكان ما ذهبوا اليه وتابعوا عليه اقل في عينك من السها عند القمر ومن الحصا عند الجبل . اليس الكندي وهو علم في اصحابك يقول في جواب مسألة « هذا من باب عدة » نعد الوجوه بحسب الاستطاعة عَلَى طريق الامكان من ناحية الوهم بلا ترتيب حتى وضعوا له مسائل من هذا وغالطوه بها واروه من الفلسفة الداخلة فذهب عليه ذلك الوضع فاعتقد انه [2] مريض العقل

(١) ق — (٢) لعله سقط « صحيح وهو »

فاسد المزاج حائل الغريزة [illegible] اللب قالوا له : اخبرنا عن الاسطقسات الاجرام واصطكاك [1] تضاغط [illegible] يدخل في باب وجوب الامكان او يخرج من باب الفقدان الى مايخفى عن [illegible] لها ايضا : ما تشبيه [2] الحركات الطبيعية الى الصور الهيولانية وهل هي ملابسة [illegible] في حدود النظر والبيان او مزايلة له على غاية الاحكام ماتأثير فقدان الوجدان [illegible] لامكان عند امتناع الواجب من وجوبه في ظاهر مالا وجوب له في امكان [illegible] هذا فقد حفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الركاكة والضعف والفساد والفسالة [illegible] ولولا التوقي من التطويل لسردت ذلك كله ولقد مر بي في خطه التفاوت في [illegible] الاشياء غير محاط به لانه يلاقي الاختلاف في الاصول والاتفاق في الفروع وكل [illegible] على هذا النهج فالنكرة [3] تزاحم عليه المعرفة والمعرفة تناقض النكرة على ان [illegible] من باب الالسنة [4] العارية من ملابس الاسرار الالهية لا من باب الالهية [illegible] في احوال السرية « ولقد حدثني اصحابنا الصابئون عنه بما يضحك الثكلى و[illegible] و يغم الصديق وما ورث هذا كله الا من بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق [illegible] الله [illegible] وتوفيقاً نهتدي بهما الى القول الراجع الى التحصيل والفعل الجاري [illegible] انه سميع مجيب . قال ابو حيان : هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ [illegible] باملائه وكان ابو سعيد روى لمعاً من هذه القصة وكان يقول لم احفظ على نفسي كل [illegible] ولكن كتب ذلك القوم الذين حضروا في الواح كانت معهم ومحابر ايضاً و[illegible] كثير منه . قال علي بن عيسى : وتقوض المجلس واهله يتعجبون من جأش ابي سعيد [illegible] المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة وقال له الوزير ابن الفرات : عين [illegible] ايها الشيخ فقد نديت اكباداً واقررت عيوناً و بيضت وجوهاً وحكت طرازاً لايبليه [illegible] ولا يتطرقه الحدثان . قال قلت لعلي بن عيسى : وكم كان سن ابي سعيد يومئذ [illegible] سنة ثمانين ومائتين وكان له يوم المناظرة اربعون سنة وقد عبث الشيب [illegible] مع السمت والوقار والدين والجد وهذا شعار اهل الفضل والتقدم وقل من [illegible] على بحليته الا جل في العيون وعظم في الصدور والنفوس واحبته القلوب وجرت [illegible] . وقلت لعلي بن عيسى : أكان ابو علي الفسوي

---

(١) لعله اصطكاك [illegible] والاجرام تضاغط (٢) لعله نسبة (٣) ق والنكرة
(٤) ق البسة

حاضراً في المجلس قال : لا كان غائباً وحدث بما كان وكان الحسد لابي سعيد عَلَى مافاز به من هذا الخبر المشهور والثناء المذكور ٠ قال ابو حيان : وقال لي الوزير عند منقطع هذا الحديث ذكرتني شيئاً كان في نفسي واحببت ان اسألك عنه واقف عليه اين ابو سعيد من ابي علي واين علي بن عيسى منهما واين المراغي ايضاً من الجماعة وكذلك المرزباني واين شاذان واين الوراق واين حيويه فكان من الجواب ماتقدم ذكره

التلغراف

سعى ركضاً رسول الكهرباء	عَلَى اسلاكه فوق الهواء
جرى متدفقاً من دون صوت	كما تجري الاشعة من ذكاء
وطار بأرضنا براً وبحراً	كما طارت بروق في السماء
وقد اوحى برمز جاء خطاً	بأقصى المدن يقرأ في جلاء
اصمُّ سامعٌ اقوال دان	واخرس ناطق بمراد ناء
جماد كاتب من غير كف	حروفاً لسن من هذا الهجاء
به التلميح تصريح جلي	به الايجاز تطويل لراء
وليس يريبه حر وبرد	فيجري في المصيف وفي الشتاء
يقابل ضغط اعصار ببر	وتياراً يهيج موج ماء
تجارى في الضياء وفي الدياجي	ليوصل مايشاء بلا وناء
فيشبه في سكينته فؤاداً	يمد الجسم في خبر الغذاء
كذا اسلاكه تحكي عروقاً	قد امتدت بجثمان الفضاء
واعصاباً بها الاحساس يجري	لادمغة كجري الكهرباء
تسير بطيها الانباء تحيي	عوالم ارضنا سير الدماء
فسبحان الذي اهدى عقولاً	الى كشف القناع عن الخفاء

عيسى اسكندر المعلوف

العرب

العرب مات شعورهم فاندبه دهرك باكيا
ولى فولي بعده انسي وساء مآليا
وظللت للهم المبـ رح والشقاء مواخيا
لاأجتلي للعلم الا شانئا او قاليا
واذا دعوت الى الهدى قومي ورحت مناديا
وطفقت اندب حالهم ندب الربوع خواليا
واقول ان عمادنا ياقوم اصبح واهيا
عافوا النصيحة وانثنوا لايسمعون دعائيا
قد كنت اطمع ان ارى وطني بهيجاً زاهيا
فوجدته من كل علـ ـم او علاء خاليا
فرثيته وبكيته وسكبت دمعاً غاليا
وتقطعت اعشار قلـ ـبي حسرة وفؤاديا
ياعرب ان خمولكم ترك القلوب دواميا
اشجى المحب بما شجا فغدا حزيناً آسيا
فمتى الصعود الى العلى فاُنال صاح مراديا
واريت مغتبطاً اجـ ـرّ من الحبور ردائيا
فسعادتي ياابن الكرا م وبغيتي ومراميا
ان تصبح العرب الاذلـ ـة سادة ومواليا
وتعيد مجداً كان بالـ ـعلم المرجب حاليا
وتكون نوراً للبريـ ـة بالمعارف هاديا
وتشيد في ربع العلا ء معاهداً ومبانيا
فتسوء حسادا نكا هم فضلها واعاديا
هذي سعادتي التي انا ناشد وهنائيا
وهي الشفاء لعلتي وهي الدواء لدائيا

القدس : اسعاف النشاشيبي

مخطوطات ومطبوعات

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

للامام ابي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤ صححه محمد امين افندي الخانجي بعد قراءة الاصل على الشيخ طاهر الجزائري طبع بمطبعة « كردستان العلمية » بمصر سنة ١٣٢٨ ص ٢٦٧

علم الاخلاق كما قال ابن ساعد علم يعلم منه انواع الفضائل وكيفية اكتسابها وانواع الرذائل وكيفية اجتنابها وموضوعه الملكات النفسية من الامور العادية ومنفعته ان يكون الانسان كاملا في افعاله بحسب امكانه لتكون أولاه سعيدة وأخراه حميدة . وجميع ما طبع حتى الآن من كتب هذا الفن الجليل مفيد في بابه نافع لطلابه مثل كتاب الذريعة في مكارم الشريعة للراغب الاصفهاني وتفصيل النشأتين له وادب الدنيا والدين للماوردي والفوز الاصغر لابن مسكويه وتهذيب الاخلاق له ايضاً ومداواة النفوس لابن حزم ورسائل اخوان الصفا وحكم ابن عطاء الله السكندري وقواعد التصوف لابن زروق والطب الروحاني للشيرازي ومعظم احياء علوم الدين للغزالي وبعض فصول الفتوحات المكية لابن عربي وغير ذلك من كتب التصوف الصحيح

وهذا السفر من اجل الكتب التي احييت هذه الآونة بمعرفة استاذنا الشيخ طاهر الجزائري فجاء الفرع والاصل متساويين في المحاسن وقد قال عنه في التذكرة الطاهرية الذي وضعه استاذنا في فوائد متفرقة في وصف الكتب النافعة الكثيرة التي يطلع عليها قوله . « وقفت في ذي الحجة سنة ١٣٢٧ على كتاب روضة العقلاء للامام الحافظ الاجل ابي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي احد افراد الدهر فوجدته كتاباً من اجل الكتب وانفعها قصد فيه مؤلفه بيان ما يحتاج اليه العقلاء في ايامهم على اختلاف احوالها وهو من المطالب العالية التي يحرص عليها كل عاقل غير غافل . وليس الرجال باحق بالاستفادة منه من ربات الحجال وقد ابتدأ كل مطلب بحديث ثابت يتعلق به واتبعه بما قصد بيانه ووشاه بشواهد كثيرة مما قاله فيه شعراء الحكماء وحكماء الشعراء وجرى في عبارته على نهج من اوتوا الحظ الادنى من البيان فيجدر بالعقلاء ان يروضوا انفسهم في روضتهم مجتنين من اثمارها ومجتلين لازهارها »

والمؤلف من جلة العلماء المكثرين من التأليف [1] المجودين فيما كتبوا وكتابه هذا على ما نعلم طبع لاول مرة وقد ترجم له ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال ما محصله: «ابو حاتم محمد بن حبان التميمي العلامة الفاضل المتقن كان مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون والاسانيد أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم ان الرجل كان بحراً في العلوم سافر ما بين الشاش والاسكندرية وادرك الائمة والعلماء والاسانيد العالية وكان من اوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق اليه وولي القضاء بسمرقند وغيرها من المدن وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته . قال ابو بكر احمد بن ثابت: ومن الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واصفها مصنفات ابي حاتم محمد ابن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السجزي ووقفني على تذكرة باسمائها ولم يقدر لي الوصول الى النظر فيها لانها غير موجودة بيننا ولا معروفة وانا اذكر منها ما استحسنته سوى ما عدلت عنه واطرحته . فمن ذلك كتاب الصحابة خمسة اجزاء وكتاب التابعين خمسة عشر جزءاً وكتاب اتباع التابعين خمسة عشر جزءاً وكتاب تبع الاتباع سبعة عشر جزءاً وكتاب تباع التبع عشرون جزءاً وكتاب الفصل بين النقلة عشرة اجزاء وكتاب علل اوهام اصحاب التواريخ عشرة اجزاء وكتاب علل حديث الزهري عشرون جزءاً وكتاب علل حديث مالك عشرة اجزاء وكتاب علل مناقب ابي حنيفة ومثالبه عشره اجزاء وكتاب علل ما استند اليه ابو حنيفة عشرة اجزاء وكتاب ما خالف الثوري شعبة ثلاثة اجزاء وكتاب ما انفرد فيه اهل المدينة من السنن عشرة اجزاء وكتاب ما انفرد به اهل مكة من السنن عشرة اجزاء وكتاب ما عند شعبة عن قتادة وليس عند سعيد عن قتادة جزآن وكتاب غرائب الاخبار عشرون جزءاً وكتاب ما اغرب الكوفيون عن البصريين عشرة اجزاء وكتاب ما اغرب البصريون عن الكوفيين ثمانية اجزاء وكتاب أسامي من يعرف بالكنى ثلاثة اجزاء وكتاب كنى من يعرف بالاسامي ثلاثة اجزاء وكتاب الفصل والوصل عشره اجزاء وكتاب التمييز بين حديث النضر الحداني والنضر الخزاز جزآن وكتاب الفصل بين حديث اشعث بن مالك واشعث بن سوار جزآن وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن راذان ثلاثة اجزاء وكتاب الفصل بين مكحول الشامي ومكحول الازدي

(١) المقتبس م ٥ ص ٣

جزء وكتاب موقوف مارفع عشرة اجزاء، وكتاب آداب الرجالة جزآن وكتاب مااسند جنادة عن عبادة جزء وكتاب الفصل بين حديث نور بن يزيد ونور بن زيد جزء وكتاب ماجعل عبدالله بن عمر عبيدالله بن عمر جزآن وكتاب ماجعل شيبان سفيان اوسفيان شيبان ثلاثة اجزاء وكتاب مناقب مالك بن أنس جزآن وكتاب مناقب الشافعي جزآن وكتاب المعجم عَلَى المدن عشرة اجزاء وكتاب المقلين من الحجاز بين عشرة اجزاء، وكتاب المقلين من العراقيين عشرون جزأ وكتاب الابواب المتفرقة ثلاثون جزأ وكتاب الجمع بين الاخبار المتضادة جزآن وكتاب وصف المعدل والمعدل جزآن وكتاب مفصل بين حدثنا واخبرنا جزء وكتاب وصف العلوم وانواعها ثلاثون جزأ وكتاب الهداية الى علم السنن قصد فيه اظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه يذكر حديثاً ويترجم له ثم يذكر من يتفرد بذلك الحديث ومن مفاريد اي بلد هو ثم يذكر كل اسم في اسناده من الصحابة الى شيخه بما يعرف من نسبه ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ثم يذكر ما في ذلك الحديث من الفقه والحكمة فان عارضه خبر ذكره وجمع بينهما وان تضاد لفظه في خبر آخر تلطف للجمع بينهما حتى يعلم ما في كل خبر من صناعة الفقه والحديث معاً وهذا من انبل كتبه واعزها .

قال ابو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر يعني السجزي فقلت له : اكل هذه الكتب موجود عندكم ومقدور عليها ببلادكم فقال انما يوجد منها الشيء اليسير والنزر الحقير .

قال وقد كان ابو حاتم بن حبان سبل كتبه ووقفها وجمعها في دار رسمها بها فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان وضعف السلطان واستيلاء ذوي العيث والفساد عَلَى اهل تلك البلاد . قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب ان يكثر بها النسخ فيتنافس فيها اهل العلم ويكتبونها ويجلدونها احرازاً لها ولا احسب المانع من ذلك كان الا قلة معرفة اهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله وزهدهم فيه ورغبتهم عنه وعدم بصيرتهم به والله اعلم .

قال الامام تاج الاسلام : وحصل عندي من كتبه بالاسناد المتصل سماعاً كتاب التقاسيم والانواع خمس مجلدات وكتاب روضة العقلاء وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب مثل كتب الهداية الى علم السنن من اوله قدر مجلدين وله وهو اشهر من هذه كلها كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شعب الايمان وكتاب

صفة الصلاة . وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار والمشهورين في الامصار والاقطار عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم جعل داره مدرسة لاصحابه ومسكناً للغرباء الذين يقيمون بها واهل الحديث والمتفقهة ولهم جرايات يستنفقونها داره وفيها خزانة كتبه في يدي وصي سلمها اليه ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة من غير ان يخرجه منها . قال الحاكم : ابو حاتم كبير في العلوم وكان يحسد لفضله وتقدمه . وصنف لابي الطيب المصعبي كتاباً في القرامطة وتوفي سنة ٣٥٤ ودفن في الصفة التي ابتناها بمدينة بست بقرب داره اه

هذا هو الرجل العظيم الذي اغفل ذكره كتاب التراجم والباحثون في آثار السلف كصاحب وفيات الاعيان وفوات الوفيات وصاحب الفهرست وصاحب كشف الظنون ومع هذا لم يغفل عنه ياقوت وترجمه بما هو اهله . وكم في هذه الامة من ضاعت تراجمهم وغابت عنا اعمالهم لضعف في مدارك اهل بلدهم وعقم النفوس في ديارهم وحسد نالهم وهي العلامة المميزة للمصلحين والصالحين التي كثيراً ما أُصيبوا بتأثيراتها الضارة .

اما الكتاب الذي نشر اليوم فهو روضة علم وادب واخلاق قسمه الى مطالب في ادب النفس ناهزت الخمسين مطلباً مثل لزوم التقوى والعلم والصمت والصدق والحياء وترك القحة ولزوم التواضع ومجانبة الكبر والتحبب الى الناس ومداراتهم وافشاء السلام والمزاح المباح والاعتزال عن الناس ومؤاخاة الخاصة وكراهية المعاداة والتلون ومجانبة الحرص للعاقل والتحاسد والتباغض ومجانبة الغضب والطمع ولزوم القناعة والتوكل والرضا والعفو وصفة الكريم واللئيم والزجر عن قبول الوشاة وكتمان السر والنصيحة للمسلمين كافة والزجر عن التهاجر ولزوم الحلم عند الاذى واباحة جمع المال للقائم بحقوقه والحث على اقامة المروآت والزجر عن قبول الهدايا وقضاء الحوائج والحث على طلب المعالي واطعام الطعام والمجازاة على الصنائع والحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية وغير ذلك مما يستفيد منه الكبير والصغير ويتأدب به الامير والاجير و يغني غناءه للرجال والنساء على السواء

يفتتح المؤلف كل فصل بحديث صحيح ثم يشفعه بكلام منظوم او منثور ينقله بالرواية ومنظومه كله مما يجدر بالناشئة حفظه لسلاسته وكثرة حكمه ثم يتكلم ابو حاتم من عنده كلاماً يدل على العقل الواسع والعلم النافع وحسن المأتى ولطف الاداء وقد يورد في اكثر الفصول قصصاً تروق العامة والخاصة معاً . نسق تأليفه تنسيقاً عجيباً لم يخل به من

اوله الى آخره حتى جاءت المطالب كلها متساوية بالحجم والفائدة آخذة من الحسن والاحسان بنصيب وافر . فجودة الاسلوب La méthode التي عرفت بها مصنفات الافرنج لعهدنا تجدها على اتمها في المجودين للتأليف في عصور الارتقاء الاسلامي وهذا الكتاب نموذج صالح منها

واليك الآن مثالا من عبارة المؤلف تستدل منها على مبلغه من الحذق والعلم والبيان . قال ابو حاتم : لايكون المرء بالمصيب في الاشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب والعاقل يكون حسن المأخذ في صغره صحيح الاعتبار في صباه حسن العفة عند ادراكه رضي الشمائل في شبابه ذا الرأي والحزم في كهولته يضع نفسه دون غايته برتوه (خطوة) ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها لان من جاوز الغاية في كل شيء صار الى النقص ولا ينفع العقل الا بالاستعمال كما لاتنفع الاعوان الا عند الفرصة ولا ينفع الرأي الا بالانتحال كما لاتتم الفرصة الا بحضور الاعوان . ومن لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه اخاف ان يكون حتفه في اقرب الاشياء اليه . ورأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل ان يكون والواجب على العاقل ان يجتنب اشياء ثلاثة فانها اسرع في افساد العقل من النار في يبس العوسج : الاستغراق في الضحك وكثرة التمني وسوء التثبت . لان العاقل لايتكلف ما لايطيق ولا يسعى الا لما يدرك ولا يعد الا بما يقدر عليه ولا ينفق الا بقدر ما يستفيد ولا يطلب من الجزاء الا بقدر ماعنده من الغناء ولا يفرح بما نال الا بما اجدى عليه نفعه منه والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ولمعرفته رفده ومحضره ولعدوه عدله وبره وللعامة بشره وتحيته ولا يستعين الا بمن يحب ان يظفر بحاجته ولا يحدث الا من يرى حديثه مغنما الا ان يغلبه الاضطرار عليه ولا يدعي ما يحسن من العلم لان فضائل الرجال ليست ما ادعوها ولكن مانسبها الناس اليهم ولا يبالي مافاته من حطام الدنيا مع مارزق من الحظ في العقل . انشدني عبد الرحمن ابن محمد المقاتلي

فمن كان ذا عقل ولم يك ذاغنى يكون كذي رجل وليست له نعل
ومن كان ذا مال ولم يك ذاحجى يكون كذي نعل وليست له رجل

قال ابو حاتم : كفى بالعاقل فضلا وان عدم المال بان تصرف مساوي اعماله الى المحاسن فتجعل البلادة منه علما والمكر عقلا والهذر بلاغة والحدة ذكاء والعي صمتا والعقوبة تأديبا والجرأة عزما والجبن تأنيا والاسراف جودا والامساك تقديرا فلا

تكاد ترى عاقلا الا موقراً للرؤساء ناصحاً للاقران مواتيا للاخوان متحرزاً من الاعداء غير حاسد للاصحاب ولا مخادع للاحباب لايتحرش بالاشرار ولا يبخل في الغنى ولا يشره في الفاقة ولا ينقاد للهوى ولايجمح في الغضب ولا يمرح في الولاية ولايتمنى مالا يجد ولا يكتنز اذا وجد ولايدخل في دعوى ولايشارك في مراء ولايدلي بحجة حتى يرى قاضياً ولايشكو الوجع الا عند من يرجو عنده البرء ولا يمدح احداً الا بما فيه لان من مدح رجلا بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه، ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية . والعاقل يكرم على غير حال كالاسد يهاب وان كان رابضاً وكلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض وكلام العاقل وان كان نزراً خطوة عظيمة كما ان مقارفة المأثم وان كان نزراً مصيبة جليلة ومن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه وآفة العقل العجب بل على العاقل ان يوطن نفسه على الصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك مما لايخطيه على ممر الايام ولايجب للعاقل ان يحب ان يسمى به لان من عرف بالدهاء حذر ومن عقل العاقل دفن عقله ما استطاع لان البذر وان خفي في الارض اياماً فانه لابد ظاهر في اوانه وكذلك العاقل لايخفى عقله وان اخفى ذلك جهده واول تمكن المرء من مكارم الاخلاق هو لزوم العقل اه .

ومن الحكايات التي ساقها قوله : سمعت اسحق بن احمد القطان البغدادي بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم فقال لي : دخلت يوماً على احمد بن حنبل فاذا هو مغموم مكروب فقلت : مالك ياابا عبدالله . قال : خير . قلت : ومع الخير . قال : امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرأت الا انه بقي في صلبي موضع يوجعني هو اشد علي من ذلك الضرب . قال : قلت اكشف لي عن صلبك قال : فكشف لي فلم ار فيه الا اثر الضرب فقط فقلت : ليس لي بذي معرفة ولكن سأستخبر عن هذا قال : فخرجت من عنده حتى اتيت صاحب الحبس وكان بيني وبينه فضل معرفة فقلت له : ادخل الحبس في حاجة قال : ادخل فدخلت وجمعت فتيانهم وكان معي دريهمات فرقتها عليهم وجعلت احدثهم حتى انسوا بي ثم قلت : من منكم ضرب اكثر قال : فاخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم انه اكثرهم ضرباً واشدهم صبراً قال : فقلت له اسألك عن شيء فقال : هات فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سياطاً يسيرة الا انه لم

بت وعالجوه وبرأ الا ان موضعاً في صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر قال : فضحك فقلت : مالك قال : الذي عالجه كان حائكاً . قلت : ايش الخبر . قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها قلت : فما الحيلة قال : يبط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها وان تركت بلغت الى فؤاده فقتلته . قال : فخرجت من الحبس فدخلت على احمد بن حنبل فوجدته على حالته فقصصت عليه القصة . قال : ومن يبطه . قلت : انا قال : او تفعل قلت : نعم قال : فقام فدخل البيت ثم خرج و بيده مخدتان وعلى كتفه فوطة فوضع احداهما لي والاخرى له ثم قعد عليها وقال استخر الله فكشفت الفوطة عن صلبه وقلت ارني موضع الوجع فقال : ضع اصبعك عليه فاني اخبرك به فوضعت اصبعي وقلت : هاهنا موضع الوجع . قال : ههنا احمد الله على العافية فقلت : ههنا قال : هاهنا احمد الله على العافية فقلت : هاهنا قال : هاهنا اسأل الله العافية قال : فعلمت انه موضع الوجع قال : فوضعت المبضع عليه فلما احس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم حتى بطته فاخذت القطعة الميتة ورميت بها وشددت العصابة عليه وهو لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعتصم . قال : ثم هدأ وسكن ثم قال : كأني كنت معلقاً فاصدرت قلت : يا ابا عبدالله ان الناس اذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ورأيتك تدعو للمعتصم قال : اني فكرت فيما تقول وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان آتي يوم القيامة وبيني وبين احد من قرابته خصومة هو مني في حل . اه

ومن اجمل الفصول التي استشهد بها المؤلف وصية الخطاب بن المعلى المخزومي ابنه قال : اخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا ابو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي حدثني عبد الرحمن بن ابي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي انه وعظ ابنه فقال : يابني عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فانها لا تخفى على الله خافية ، واني قد سمت لك وسماً ؛ ووضعت لك رسماً ، ان انت حفظته ووعيته وعملت به ملأت اعين الملوك ، وانقاد لك به الصعلوك ، ولم تزل مرتجى مشرفاً يحتاج اليك ، ويرغب الى مافي يديك ، فأطع اباك ، واقتصر على وصية ابيك ، وفرغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولبك ، واياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الاخوان فان ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحناء ، وعليك بالرزانة ، والتوقر من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكى عنك ، والق

صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الاذى ، من غير ذلة لهم ، ولاهيبة منهم ، وكن في جميع امورك في اوسطها ، فان خير الامور اوساطها ، وقلل الكلام ، وافش السلام ، وامش متمكنا قصدا ولا تخطط برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلو عنقك ولا رداءك ، ولاتنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات . ولا تقف على الجماعات . ولا تتخذ السوق مجلسا ولا الحوانيت متحدثا . ولا تكثر المراء . ولاتنازع السفهاء . فان تكلمت فاختصر . وان مزحت فاقتصر . واذا جلست فتربع . وتحفظ من تشبيك اصابعك وتفقيعها . والعبث بلحيتك وخاتمك . وذؤابة سيفك . وتخليل اسنانك . وادخال يدك في انفك . وكثرة طرد الذباب عنك . وكثرة التثاؤب والتمطي . واشباه ذلك مما يستخفه الناس منك . ويغتمزون به فيك . وليكن مجلسك هاديا . وحديثك مقسوما . واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير اظهار عجب منك . ولامسألة اعادة . واغض عن الفكاهات . من المضاحك والحكايات . ولاتحدث عن اعجابك بولدك ولاجاريتك . ولا عن فرسك ولا عن سيفك .

واياك واحاديث الرؤيا فانك ان اظهرت عجبا بشيء منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك الاحلام واغتمزوا في عقلك ولا تصنع تصنع المرأة ، ولا تبذل تبذل العبد ، ولا تهلب[1] لحيتك ولا تبطنها ، وتوق كثرة الحلف ، ونتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والاسراف في الدهن ، وليكن كحلك غبا ، ولاتلح في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم عدد مالك ، فانهم ان رأوه قليلا هنت عليهم ، وان كان كثيرا لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، ولن لهم في غير ضعف ، ولاتهازل أمتك ، واذا خاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب من عجلتك ، وتفكر في حجتك ، وارى الحاكم شيئا من حلمك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تحفز على ركبتيك ، وتوق حمرة الوجه وعرق الجبين ، وان سفه عليك فاحلم ، واذا هدأ غضبك فتكلم ، واكرم عرضك ، والق الفضول عنك ، وان قربك سلطان ، فكن منه على حد السنان ، وان استرسل اليك ، فلا تأمن انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكلمه بما يشتهي ، ولا يحملنك ما ترى من الطافه اياك ، وخاصته بك ، ان تدخل بينه وبين احد من ولده واهله وحشمه ، وان كان لذلك منك مستمعا ، والقول منك مطيعا ، فان سقطة

(١) هلب الشعر نتف ما غلظ منه . وتبطين اللحية ان لايؤخذ مما تحت الذقن والحنك

الداخل بين الملك واهله صرعة لاتنهض ، وزلة لاتقال ، واذا وعدت فحقق ، واذا حدثت فاصدق . ولا تجهر بمنطقك كمنازع الاصم ، ولا تخافت به كتخافت الاخرس ، وتخير محاسن القول ، بالحديث المقبول ، واذا حدثت بسماع فانسبه الى اهله ، واياك والاحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب وتقف لها الجلود ، واياك ومضعف الكلام مثل نعم نعم ولالا وعجل وعجل وما اشبه ذلك . واذا توضأت من الطعام ، فأجد عرك كفيك ، وليكن وضعك الحرض من الاشنان في فيك كفعلك بالسواك ، ولاتنخع في الطست ، وليكن طرحك الماء من فيك مسترسلا ، ولا تمج فتنضح على اقرب جلسائك ، ولا تعض نصف اللقمة ثم تعيد مابقي منها منصبغا فان ذلك مكروه ، ولاتكثر الاستسقاء على مائدة الملك . ولاتعبث بالمشاش . ولاتعب شيئاً مما يقرب اليه على مائدته بقلة خل اوتابل اوعسل . فان السحابة . قد صيرت انفسها مهابة . ولاتمسك امساك المثبور . ولاتبذر تبذير السفيه المغرور . واعرف في مالك واجب الحقوق وحرمة الصديق واستغن عن الناس يحتاجوا اليك . واعلم ان الجشع . يدعو الى الطبع . والرغبة . كما قيل تدق الرقبة . ورب اكلة تمنع اكلات . والتعفف مال جسيم . وخلق كريم . ومعرفة الرجل قدره . يشرف ذكره . ومن تعد القدر . هوى في بعيد العقر . والصدق زين . والكذب شين . ولصدق يسرع عطب صاحبه احسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله . ومعاداة الحليم . خير من مصادقة الاحمق . ولزوم الكريم على الهوان . خير من صحبة اللئيم على الاحسان . واقرب ملك جواد . خير من مجاورة بحر طراد . وزوجة السوء الداء العضال ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه . وطاعة النساء تزري بالعقلاء .

تشبه باهل العقل تكن منهم . وتصنع للشرف تدركه . واعلم ان كل امريء حيث وضع نفسه . وانما ينسب الصانع الى صناعته . والمرء يعرف بقرينه . واياك واخوان السوء . فانهم يخونون من رافقهم . ويحزنون من صادقهم . وقربهم اعدى من الجرب . ورفضهم من استكمال الادب . واستغفار المستجير لؤم . والعجلة شؤم . وسوء التدبير وهن . والاخوان اثنان فحافظ عليك عند البلاء . وصديق لك في الرخاء . فاحفظ صديق البلاء . وتجنب صديق العافية . فانهم اعدى الاعداء . ومن اتبع الهوى . مال به الردى . ولا يعجبنك الجهم من الرجال . ولا تحقر ضئيلا كالخلال . فانما المرء باصغريه قلبه ولسانه . ولا ينتفع به باكثر من اصغر به . وتوق الفساد . وان كنت في

بلاد الاعادي . ولا تفرش عرضك لمن دونك ولا تجعل مالك اكرم عليك من عرضك

ولا تكثر الكلام . فتثقل على الاقوام . وامنح البشر جليسك والقبول ممن لاقاك . واياك وكثرة التبريق والتزليق . فان ظاهر ذلك ينسب الى التأنيث . واياك والتصنع لمنازلة النساء وكن متقربا متعززاً متنهزاً في فرصتك رفيقاً في حاجتك . متثبتاً في حملتك . والبس لكل دهر ثيابه . ومع كل قوم شكلهم . ولا ترد حتى ترى وجه المصدر . وعليك بالنورة . في كل شهر مرة . واياك وحلاق الابط بالنورة . وليكن السؤال من طبيعتك . واذا استكت (؟) فعرضا . وعليك بالعارة . فانها انفع التجارة . وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع . ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك . ومن اكرم عرضه اكرمه الناس . وذم الجاهل اياك افضل من ثنائه عليك . ومعرفة الحق من اخلاق الصدق . والرفيق الصالح ابن عم . ومن ايسر اكبر . ومن افتقر احتقر . قصر في المقالة مخافة الاجابة . والساعي اليك . غالب عليك . وطول السفر ملالة . وكثرة المنى ضلالة . وليس للغائب صديق . ولا على الميت شفيق . وادب الشيخ عناء . وتأديب الغلام شقاء . والفاحش امير . والوقاح وزير . والحليم مطية الاحمق . والحمق داء لاشفاء له والحلم خير وزير . والدين ازين الامور . والسماجة سفاهة . والسكران . شيطان . وكلامه هذيان . والشعر . من السحر . والتهدد هجر . والشح شقاء . والشجاعة بقاء . والهدية من الاخلاق السرية . وهي تورث المحبة . ومن ابتدأ المعروف صار له ديناً . ومن المعروف ابتداء من غير مسألة . وصاحب الرياء . يرجع الى السخاء . ولرباء بخير . خير من معالنة بشر . والعرق نزاع . والعادة طبيعة لازمة . ان خيراً فخير وان شراً فشر . ومن حل عقداً احتمل حقداً . ومراجعة السلطان . خرق بالانسان . والفرار عار . والتقدم مخاطرة . والعجل منفعة . ايسار في دعة . وكثرة العلل . من البخل . وشر الرجال . الكثير الاعتلال . وحسن اللقاء . يذهب بالشحناء . ولين الكلام من اخلاق الكرام

يابني ان زوجة الرجل سكنه . ولا عيش له مع خلافها . فاذا هممت بنكاح امرأة فسل عن اهلها فان العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة . واعلم ان النساء اشد اختلافاً من اصابع الكف . فتوق منهن كل ذات بذا . مجبولة على الاذى . فمنهن المعجبة بنفسها . المزرية ببعلها . ان اكرمها رأته لفضلها عليه . لاتشكر على جميل . ولاترضى منه بقليل . لسانها عليه سيف صقيل . قد كشف القحة ستر الحياء عن وجهها . فلا تستحي من إعوارها .

ولا تستحي من جارها · كلبة هرارة · مهارشة عقارة · فوجه زوجها مظلوم · وعرضه مشتوم · ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا · ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين · حجابه مهتوك · وستره منشور · وخيره مدفون · يصبح كئيباً · ويمسي عاتبا · شرابه مر · وطعامه غيظ وولده ضياع · وبيته مستهلك · وثوبه وسخ · ورأسه شعث · ان ضحك فواهن · وان تكلم فتكاره · نهاره ليل · وليله ويل · تلدغه مثل الحية العقارة · وتلسبه مثل العقرب الجرارة · ومنهن شفشليق شعشع سلفع [1] ذات سم منقع · وابراق واختلاق · تهب مع الرياح · وتطير مع كل ذي جناح · ان قال: لاقالت: نعم وان قال : نعم قالت: لا · مولدة لمخازيه · محتقرة لما في يديه · تضرب له الامثال · وتقصر به دون الرجال · وتنقله من حال الى حال · حتى قلى بيته · ومل ولده · وغث عيشه · وهانت عليه نفسه · وحتى انكره اخوانه · ورحمه جيرانه · ومنهن الورهاء الحمقاء · ذات الدل في غير موضعها · الماضغة للسانها · الآخذة في غير شانها · قد قنعت بحبة · ورضيت بكسبة · تأكل كالحمار الراتع · تنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت · ولم يكنس لها بيت · طعامها بائت · واناؤها هاضير · وعجينها حامض · وماؤها فاتر · ومتاعها مزروع · وماعونها ممنوع · وخادمها مضروب · وجارها محروب · ومنهن العطوف الودود · المباركة الولود · المأمونة على غيبها · المحبوبة في جيرانها · المحمودة في سرها واعلانها · الكريمة التبعل الكثيرة التفضل · الخافضة صوتا · النظيفة بيتاً · خادمها مسمن · وابنها مزين · وخيرها دائم · وزوجها ناعم · موموقة مألوفة · وبالعفاف والخيرات موصوفة · جعلك الله يابني ممن يقتدي بالهدى · ويأتم بالتقى · ويجتنب السخط ويحب الرضى · والله خليفتي عليك والمتولي لامرك ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً اه ·

هذه انموذجات من الكتاب والغالب ان للمؤلف مصنفات غير ماذكر في ترجمته يؤيد ذلك ماقاله آنفا مسعود بن ناصر من ان ما اورده من اسماء مؤلفاته هو عدا ما اطرحه منها بيد ان المؤلف نفسه يحيل في خلال كتابه هذا على بعض مصنفاته مثل كتاب « محجة المبتدئين » « العالم والتعلم » « الوداع والفراق » « التوكل » « مراعاة الاخوان » « مراعاة العشر » · فكم يكون قدر جميع ما خطته انامله ياترى · وقد علق عليه استاذنا

(١) الشفشليق العجوز المسترخية : والشعشع الطويلة : والسلفع الصخابة البذيئة السيئة الخلق

المنوه بقدره حواشي نافعة وشكل محل الاشكال منه وحلاه بالفواصل فجاء هذا السفر الجليل وافياً بالغرض من كل جهة حرياً بالمتأدبين ان يتدارسوه و يتنافسوا في اقتنائه لنفاسة طبعه ووضعه

السياسة الاسلامية

تأليف المسيو لشاتليه طبع في باريز سنة ١٩١٠ ص ١٦٥

La politique musulmane, par M. A Le Chatelier. E. Leroux, éditeur, 28 rue Bonaparte Paris

نشر صديقنا صاحب هذا الكتاب وهو من رجال الاجتماع والاستعمار في فرنسا موءلفاً جديداً بهذا الاسم جعله ملحقاً لمجلة العالم الاسلامي الباريزية وقدمه الى احد اعضاء شورى الدولة الفرنسوية فقال فيه اذا كانت لفرنسا سياسة المانية وسياسة انكليزية بل وسياسة لاتينية فلماذا لاتتخذ لها سياسة اسلامية امام مجموع العالم الاسلامي فان مائتي مليون مسلم احرياء ان يساسوا وتخرج فرنسا في سياستهم عن الاوهام الاستعمارية والسياسية .

وتكلم على تاريخ امتداد الاسلام في قارتي آسيا وافريقية فقال ان شواطئ البحر الابيض كانت عمالات للمسلمين من الاندلس حتى صقلية وشواطئ افريقية ولما فتحوا بلاد الروم (بيزانس) واخذوا بخناق البلقان زاد المسلمون من جهة اخرى ثم تراجعوا فلم يبق في اوربا غير ستة ملايين منهم وان مسلمي روسيا يتكلمون اللغة الروسية و يتحضرون بالحضارة السلافية ماعدا البوادي منهم وان كان بعضهم يتسامحون بتعلم اللغة التركية العثمانية وقد احتفظوا بعقائدهم واخلاقهم . قال : ولقد اتهم الالبان الذين كانوا اعظم قوة تحرس عبد الحميد في المدة الاخيرة بانتحال العقيدة البكداشية على حين كان من البانيا ان سعت كل السعي في الانقلاب العثماني الاخير

وقال ان احرار العثمانيين ليدعون الى وطنية عنصرية يطبقونها على مصلحتهم حتى خاب ظن من كانوا يوافقونهم بادئ بدء وقاموا يريدون ان يبقوا عثمانيين لااتراكاً وان الاحرار ارادوا حياة الاسلام في اوربا الشرقية بعد ان كاد يضمحل امره منها ولكنه عاد وعليه المسحة الاوربية وذلك لاختلاط اهله باهل اوربا فكان من تأثيرات المحيط في هذا الدين ان رزق حياة جديدة ونهضة رافعة فقد احدث الانقلاب العثماني من حيث الاجتماع والعلم فشلا للدين المحمدي على نحو ما كان معروفاً على عهد الخلافة

الحميدية ولكنه ظفر ظفراً ثميناً من حيث السياسة والوطنية فبدا في صورة جديدة اكثر انطباقاً على الروح الغربية وغدا نفوذه وقوته اكثر مما كانت على العهد الحميدي . ولم يقصر مسلمو روسيا في انشوئهم الاجتماعي فابدوا العواطف التي فطروا عليها في مطبوعاتهم ودار الندوة الروسية ومؤتمراتهم حتى ضاهى الاسلام في روسيا بقوته الاسلام في الارض العثمانية فتقوى هناك بخلاصه من العوائق التي كانت تضعفه وباشتراك اهله في حركة الشعوب الاوربية وضعف في تقاليده الا انه نشط من عقاله

وان الدارسين في مدارس اوربا من السوريين والمصريين والهنود والفرس والاتراك وان كانوا قلائل في عددهم الا انهم ارباب مكانة بعقولهم سيعيدون الى الامة الاسلامية شبابها. وعقد فصولا كبرى افاض فيها في شيء من ماضي بلاد الاسلام وحالتها الاجتماعية والمادية والمعنوية اليوم فتكلم على السياسة الاستعمارية في الجزائر وتونس ومراكش وافريقية الغربية وافريقية الشرقية وآسيا كلاماً لم يخرج عن استحسان تلك الطريقة التي اتبعتها فرنسا في الاستعمار وتلقين الامم المحكومة مدنيتها بالقوة والعنف ونزع عاداتها وتقاليدها لتجرعها جرعة من الآداب الفرنسوية وان لم تطقها و «فرنسة» كل من يحقق على رأسه علم الجمهورية . وبحث في المملكة العثمانية ومصر وبلاد العرب وفارس والصين والهند ومسلمي الملايو والروس بلسان اجتماعي ينظر الى مصلحة قومه من الوجهة الاستعمارية .

وقال في النتيجة ان الواجب على حكومته ان تفتح اعتماداً بعشرين الف فرنك تقطعها لكلية الجزائر لتستعين بها على نشر المطبوعات التي تجعل الجزائر مورد العالم العربي ومصدره وما ندري كيف يتسنى ذلك بين قوم يقضى عليهم ان ينسوا انتهم العربية ولا يدرسوها نصف او ربع لغة الحضارة الحديثة

ولفت انظار من قدم له كتابه الى اصلاح حال مدرسة اللغات الشرقية في باريز وزيادة العناية بدراسة اللغات الاسلامية اسوة العربية والفارسية والتركية على نحو ما سمت انكلترا واصلحت في هذا الشأن كليتي لندرا واكسفورد وسمت المانيا فاصلحت كلية برلين وقال ان الواجب انشاء ناد يأوي اليه من يدرسون في فرنسا من المسلمين كا انشأت برلين ولندرا مثله لهذه الغاية وقال ان اللغة العربية هي لغة التعارف والتعامل بين المسلمين كاللغة الانكليزية بين السكسونيين فينبغي صرف العناية لها . واحسن ظنه كا هي عادته بارتقاء المسلمين ولا سيما في الشؤون الاقتصادية

فقال ان مجموع تجارتهم لم يكن في منتصف القرن التاسع عشر في العالم اكثر من ثروة افقر امة اوربية وعدد المسلمين نحو مائتي مليون ولا يبعد ان لا ينتصف هذا القرن العشرون الا ويصبح مجموعها خمسين مليار فرنك الى غير ذلك من الايضاحات التي تنتفع بها فرنسا وتستفيد في مستقبلها الاقتصادي والاستعماري · والكتاب محلى بصورات بلاد الاسلام ويمض رسوم الجوامع والاشخاص والكتابات الاسلامية وهو يدل دلالة واضحة على مبلغ غيرة المؤلف على مصلحة امته ودرجة علمه باحوال المسلمين اليوم وامس كما هو شهادة ناطقة بان الاحصاء في فرع من فروع العلوم الكثيرة انفع للعالم وللعالم من الخطف من هنا ومن هناك

النسائيات

مجموعة مقالات نشرت في « الجريدة » في موضوع المرأة المصرية بقلم « باحثة البادية » اوالعقيلة ملك حفني ناصف سنة ١٣٢٨ ص ١٧٦

من نعم الله على مصر ان فيها عاملين في كل فرع من فروع الحضارة وانها تقلد الغرب في خطواتها نحو الارتقاء حتى كادت تكون قطعة من ديار الغرب لو كان نساؤها متعلمات كرجالها ولكن مصر الغنية بتربتها الذكية لم تقصر في ذكاء عقول ابنائها وبناتها فقد نشأ لها بفضل عقول رجالها ناشئة من النساء يأخذن بايدي بنات جنسهن الى مهيع التقدم وفي رأسهن مؤلفة هذا الكتاب العقيلة ملك حفني ناصف نسبة لوالدها احد شيوخ العلم في القاهرة او « ملكة باسل » نسبة لزوجها · عني بتأديبها والدها فجاءت اديبة بزت الادباء وكاتبة يقل في الكتاب مثلها وقد نشرت الآن ما املاه قلبها على لسانها وقلمها في معنى تعليم المرأة على الاسلوب الجامع الى الدين الصحيح آداب الدنيا والمدنية الحديثة

وقد طالعنا ماخطته يراعتها في هذا الشأن ولاسيما محاضرتيها في المقارنة بين المرأة المصرية والمرأة الغربية تكلمت فيها كلام العاقلة الحصيفة عن المولودة ودور الطفولة والمراهقة والخطبة والزواج والاقتصاد المالي والمنزلي والعمل البيتي والاخلاق والعادات ودور الامومة · ومحاضرتها التي القتها في نقد عادات النساء وختمتها بقولها لو كان لي حق التشريع لاصدرت اللائحة الآتية

(المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح اي تعليم القرآن والسنة الصحيحة

(المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الاولي اجباريًا في كل الطبقات

(المادة الثالثة) تعليمهن التدبير المنزلي علمًا وعملًا وقانون الصحة وتربية الاطفال والاسعافات الوقتية في الطب

(المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب باكمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر

(المادة الخامسة) اطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد

(المادة السادسة) تعويد البنات من صغرهن الصدق والجد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل

(المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج البنات قبل ان يجتمعا بحضور محرم

(المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الاتراك في الاستانة في الحجاب والخروج

(المادة التاسعة) المحافظة عَلَى مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الاشياء والناس بقدر الامكان

(المادة العاشرة) عَلَى اخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا

طالعنا كل هذا ورأينا السيدة المؤلفة اجادت فيه من وراء الغاية لان اقوالها نتيجة خبرة وتجارب بل هي القانون النافع في انهاض المرأة من كبوتها وفي الكتاب مطالب كثيرة في اصلاح المرأة والاعتدال يقرأ من تضاعيفه والادب يقطر من خلاله .

وقد قدم له احمد لطفي بك السيد مدير « الجريدة » والكاتب الخطيب العامل مقدمة لطيفة ابان فيها الغرض من هذه الابحاث فقال لقد اجادت باحثة البادية في جعل بحثها مرتبًا عَلَى هذا الخط المعين فان الاعتدال في تعليم المرأة وتربيتها وتقرير الحد اللازم ان تقف عنده في المساواة بينها وبين الرجال الاعتدال في ذلك كله امان من الزلل والوقوع في نتائج سيئة قد لا تكون اقل في سوء الاثر من نتائج خمول المرأة وتعودها عن السعي الى كمالها الخاص . قال اما الدين فانه ملاك اخلاق المرأة ومناط آدابها وطرق كمالها وموجب الثقة بها . ان تقوى المرأة اكبر الادلة عَلَى صونها ومعرفتها بالواجب وحسن قيامها به . ان شهود المرأة صلاة الجماعة في المسجد الجامع مرة واحدة اصلح لقلبها من

سماع واعظ اخلاقي في الدار او في المدرسة سنة كاملة · وان تقليد المرأة الشرقية لاختها الغربية نافع ولكن هذا التقليد الى اليوم ليس بمحسنة جديدة مادام انه خلا من النوع الخاص بالدين · فان الغربية تذهب الى معبدها مرة في الاسبوع على الاقل والمسلمة الشرقية لاتذهب اليه في مصر ابداً · كأن دخول بيت الله اثقل كلفة عليها وابعد عن رضى وليها من دخولها في بيوتات التجارة وشهودها مسارح اللهو · الا وان حضور النساء صلاة الجماعة على صورة لائقة ومن غير اسراف هو اول عمل حسي تأتيه المرأة لتقرب به مسافة الفرق بينها وبين الرجل ولتقرر به المساواة المنشودة · وعلى الجملة فالكتاب من انفع ما كتب في عصرنا حري بكل آنسة وعقيلة بل بكل رب بيت ان يتدارسه ويعمل به فبالامس قام في مصر المرحوم قاسم بك امين يحرر المرأة من قيود رقها واليوم قامت ملك ابنة حفني بك ناصف تبين الخطة العملية فمتى يأتري يكتب لهذه الديار ايضاً ان يقوم فيها من بنات حواء من يسعين لاصلاح شأن بنات جنسهن على الطريقة «الملكية» فالكلام يفضل بفضل مصادره واحسنه ما صدر عن ربات الحسن والاحسان

سير العلم والاجتماع

العلم والمال بمصر

ظهر كتاب الاحصاء الذي جرت عادة ديوان الاحصاء في مصر ان ينشره كل سنة فاذا فيه ان مجموع دخل مصر كان سنة ١٩٠٩ ١٥٨٨٧٣١٣ جنيهاً ومجموع نفقاتها ١٦٩٠٠٠١٥ جنيهاً وكان دخلها سنة ١٨٨٠ ٩٥٨٤٤٣٠ جنيهاً وخرجها ٧٦٩١٤٢٤ جنيهاً ·

وبلغ عدد مدارس الحكومة في هذه السنة المكتبية ٦٤ مدرسة فيها ٩٩٨ استاذاً و١٤٧١٤ تلميذاً منهم ١٤٠٨٧ ذكراً و٦٢٧ انثى وبلغ عدد المدارس الحرة ٢٦٥ مدرسة سنة ١٩٠٨ فيها ٢٣٢٩ استاذاً و ٥٢٤٤١ تلميذاً منهم ٤٦٢٩٣ ذكراً وبلغ عدد كتاتيب الحكومة ١٤٤ كتاباً سنة ١٩١٠ فيها ٤٤٩ استاذاً و١٣٣٦٥ تلميذاً منهم ٩١٨٣ ذكراً وبلغ عدد الكتاتيب الحرة ٣٣٥٦ فيها ٦٧٩٩ استاذاً و١٩٠٨٥٧ تلميذاً منهم ١٧٤٠٢٣ صبياً · وبلغ عدد المدارس الاجنبية ٤٠٩ مدارس فيها ٢٣٢٨ استاذاً و٤٧٣٨١ تلميذاً منهم ٢٨٩١٤ ذكراً و١٨٤٦٧ انثى

المحسنون للشام ولمصر

من اول امارات النهوض في مصر والشام ان ابا السعود افندي الحسيبي من اعيان دمشق يقف خزانة كتبه على المطلعين والعالمين سبلها في مكان خاص في القنوات وفيها مخطوطات ومطبوعات نادرة وهي نفيسة مهمة لانقل فيما يحسب عن الني مجلد ويقف لها عقاراً يقوم بالانفاق عليها وعلى القيم . وان عبد الرحمن بك اليوسف من اعيان الفيحاء ايضاً تعهد بتعليم شابين في مدارس فرنسا على نفقته بعلم الاول الهندسة الميكانيكية والثاني علم الزراعة وان بطرس افندي داغر من اعيان بيروت تبرع لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في الثغر بمئة ليرة كل سنة لتستعين بها على ترقية مدارسها الخاصة بالاناث . ووقف الامير يوسف بك كمال من اعيان القاهرة ١٨٠ فداناً من اجود اراضيه في المنيا وعمارة بالاسكندرية يبلغ صافي دخلها السنوي ستة آلاف جنيه على مدرسة الفنون الجميلة التي اسسها في احد قصوره في درب الجماميز ووهب هذه المدرسة ايضاً عشرة آلاف جنيه لهدم القصر المذكور وبنائه من جديد على طرز مدارس الفنون الجميلة في الغرب وهذا فوق ما كان دفعه من المال للجامعة المصرية والمدرسة الصناعية والابتدائية اللتين بناها في املاكه في صعيد مصر وعلاوة على قطعة الارض التي تساوي عشرة آلاف جنيه وهبها لنادي المدارس العليا لينشئ فيها منتداه . فاكرم بهؤلاء الرجال الذين يحسنون لانارة العقول فيذكرون في الدنيا بالمحمدة وفي الاخرى بالرحمة

اعمال الطيور

نشرت المجلة الفرنسية مقالة قالت فيها ان النشاط من خصائص الطيور وقلَّ فيها من يتخلف عن هذه القاعدة فالطير البحري المعروف بقصير الجناح Pingouin الذي نرى جناحيه كنصل السيف يتحولان الى قطع يظهر انها تعجزه عن الحركة ومع هذا يطير ويقفز وكثيراً ما تطول مدة طيرانه وتحمله من جزائر الشمال الى البحر الابيض حيث يشتو وهذا مثل طير القوق Cormoran فانه يصيد ويتناول السمك بحذق ويعرف بنزوة منه كيف يمسك ذات القشر وعادمة الفقار من الحيوانات ويتسلى بها فيجعلها نقله وحلواه - وطائر البجع الذي يظهر بانه اعسر يتوكأ على رجل واحدة في الحدائق وانه لاحراك فيه وهو على العكس طائر رحالة بفضل ما رزق من الاجنحة الواسعة التي تكون له بمثابة شراع لانظير له يستخدمه في تنقله على البحيرات والانهار حيث ينزل ويقيم من جنوبي اوربا والهند والصين واميركا واوستراليا . وتمتاز بعض الطيور بنشاطها على

العمل بان تخذ لها صناعات مرتبة فالعصفور الدوري الذي كثرت اسماؤه بحسب البلاد هو في الواقع ونفس الامر عامل لايتعب ذو امانة للغاية فيسميه الاسبانيون وهو في مالقة عند مايكون جاز اليها من جبل طارق نحات الحجر مشبهين له في الصناعة بالبناء لانه يبني عشه وزائده العلم التام في الهندسة ومن انواعه كثير في فرنسا وانكلترا وجنوبي اوربا تختار لوكناتها ثقوب اشجار الصنوبر وتبدع في هندستها واحسان بنائها بالاحجار والملاط فالعصفور في جبل طارق صغير الجرم كالشحرور يستعمل قوادمه ومنقاره لجمع الحجارة والحصا و ينقلها الى المحل الذي وقع عليه اختياره و يركها بعضها فوق بعض محكماً لها طبقة فوق اخرى ويجعل للعش حاجزاً طوله عشرين سنتمترًا وعمقه كذلك وطوله من ٦ الى ٧ سنتمترات وهو يستعمل له نحو ٢٨٠ حجراً ماعدا ٧٠ الى ٧٥ حجراً للتأسيس و يبلغ عدد الاحجار ٣٥٠ ومنها ماوزنه ٦٠ غراماً وعجيب منه كيف ينشط لحمل مثل هذا الثقل والمسافة التي ينقل منها الحجار لعشه ليست بقصيرة ·

ومن انواع العصافير مايألف البلاد الجبلية وهو ايضاً يختط لعشه في الجدر والاحجار والاشجار خططاً عجيبة و يبالغ في هندسته وتنسيمه وكذلك الحال في الخطاف الذي يشبه السنونو فيكمل عمله و بدلاً من ثقب بسيط يختاره في اعلى العش للدخول يقيم نوعاً من الطريق مغطى في اسفل الجدار · ومن الطيور ما لايحذق ابتناء الوكنات ومع هذا لاتلقي صغارها عَلَى حصا تختاره لذلك · واعجب مافي هذه الطيور البناءة كلها فطرة الذكاء التي تقودها الى اختيار ادوات البناء · فالسنونو مثلا تعرف كل المعرفة تمييز نوع الملاط الذي تجمع فيه بين اجزاء ماتقيم من البناء من الداخل والخارج وذلك بمفرزاتها اللزجة التي هي من خصائصها الطبيعية وهذه المفرزات يستخدمها بعض الطيور ملاطاً لوكناتها ايضاً · وان الطير المعروف ببناء البيوت ليصنع عشه من الطين والقش حتى ان اهل المكسيك منه تعلموا طريقتهم في البناء

ومن الطيور النجار كما فيها البناء وذلك كالطائر المعروف بالنقار الذي يعيش في الاشجار يتسلق عليها بمخالبه فينقر بمنقار لحاء الشجرة ليفرغ منها الهوام التي يعيش بها فهو عامل غريب يجمع عشه بصبر مدهش ويحفره في بعض الجذوع عَلَى ثلاثة امتار من وجه الارض ويحتال في اجادة محله ماشاء وشاءت الاجادة الغريزية عَلَى نحو ما نشاهد جحوراً نحرتها هذه الطيور كنقار الخشب والسرد في غابات انكلترا ثم تتركها الى محل آخر لاتصل اليه اليد

ومن الطيور ما يقي الزرع كالقصير الرجلين Vanneau يخدم الحدائق كما يخدمها صاحبها والمتعهد لها فهو وان كان يعيش عَلَى شواطيء مجاري الانهار ولا سيما البطائح الا انه يقي الزهور والبذور التي يترك وشأنه ليسرح بينها وليس اجمل من هيئته وهو يقفز ويمر مسرعاً جائياً ذاهباً وجسمه مائل الى الامام وقنبرته منتصبة وريشه مشرق ظاهره سماوي وباطنه ابيض وعينه متنبهة لا يغفل دودة ولا حلزوناً الا ويعزلها عن الزرع بوجدان سليم

واعجب من هذا وذاك حال الطير المسمى الشرطي Policier وهو يكثر في اواسط اوربا يقف عَلَى الاسلاك البرقية عَلَى مساوف بعيدة يرصد الابعاد وهو اسود وله عصابة برتقالية في رأسه يقتات بالديدان ويخافه النسر والباشق والبازي وقد سمي الظالم لانه اذا اختلط بطيور اخرى يتسلط عليها واذا لم يجد اسلاكاً ينزل عَلَى بعض العمد او عَلَى غصن شجرة واذا كان في السهل ينزل على ظهر بقرة ويعيش من الصيد ولا يهاب ما كان اكبر منه من الحيوانات بل يستخدم منقاره ومخالبه فيدميها ويقتنص وهو بذلك يتحاماه الكواسر وغيرها ولا يقرب من وكناته احد منها واشتهر بالشجاعة بين الطيور حتى انها لتهابه في وكناتها وتحسب له الف حساب ولذلك كتبت له السعادة وهو من بين شذاذ الآفاق من الهوام والطيور والكواسر حامي القانون والمسيطر الاعظم .

التحصيل في اوربا

بلغ عدد من يخصون في العلوم في مدارس اوربا خمسة عشر طالبا من اهل دمشق فقط عدا من ارسلتهم الحكومة على نفقتها منهم اربعة في الطب والجراحة واثنان في طب الاسنان واثنان في الحقوق واثنان في الزراعة وواحد في الهندسة وآخر في هندسة الكهرباء وواحد في علم التربية والتعليم واثنان يستعدان في العلم الآن

الرئيس البرتقالي

ان الرئيس البرتقالي الجديد تيوفيل براغا هو كاكثر رؤساء الجمهوريات عالم كبير فان فاخرت فرنسا برئيس جمهوريتها الاول تيرس وفاخرت الولايات المتحدة باحد رؤساء جمهوريتها روزفلت فيحق للبرتقال ان تفاخر برئيسها براغا فهو من اكبر كتابها المعاصرين وهو في السابعة والستين من عمره اشتهر امره منذ خمسين سنة وهو شاعر فيلسوف نقاد فقيه اولى بلاده فخراً لا يبلى بما نشره لها من تاريخ آداب البرتقال الذي

كتبه في عشر سنين متوالية ومن كتبه روح الحق المدني الحديث وهو زعيم القائلين بالفلسفة الحسية في برتغال كما ان بنيامين كونستان زعيمها في براز يل وهذه الفلسفة هي التي وضع اساسها اوغست كونت الفيلسوف الفرنسوي ومابرح براغا يحف حوالى منبره في لشبونة اناس من الناشئة الجديدة يوحي اليهم آماله الديمقراطية وروحه الوطنية فلا عجب اذا وقع اختيار امته عليه ليرأسها ·

اللعب والتربية

كتب احد علماء التربية من الالمان مقالة طلب فيها الى دور التعليم ان تخص وقت بعد الظهر من كل يوم بالالعاب المختلفة تكره عليها الاولاد والمتعلمين اكثر مما تكرههم على تعلم دروسهم واستشهد بقول الامبراطور منذ مدة « انني ابحث عن جنود لحاجتنا ماسة الى جيل قوي من الناس » فالجمناستيك البسيط لايقوم بهذا الغرض بل الواجب المشي الكثير الطويل لا الاكتفاء بالعاب عادية يقوم بها الاولاد والشبان عرضا بل العاب حقيقية عملية مثل التزحلق (باتيناج) والعوم وغير ذلك · العاب يناظرها مدير خبير يستثمر النشاط ويحسن الانتفاع بمرونة الجسد ويقوي بالعمل والعادة اليومية احسن قوى النفس والعقل مثل الصبر والحرية والارادة وعمل مثل هذا المدير لايقل في الفضل عن عمل زملائه اساتذة العلوم واللغات والتاريخ فهو يعمل على تربية الشبيبة على شرط ان يعطى الوقت اللازم لذلك وهو ينوع الالعاب بحسب الفصول حتى لاينهك القوى في الحر كما يعاملها به في البرد

فقر يابان وغناها

ذهب بعض الاميركيين الى ان يابان افقر بلاد في العالم فاثبت ذلك الاستاذ كامب من كلية كيوتو بالاحصاء الدقيق قابل فيه بين غنى اليابان وغنى غيرها من الامم فقال اذا كانت يابان تملك مثلا ١٠٠ يان (معاملة يابانية نحو فرنك) فان المانيا تملك ٦٨٣ يانا وفرنسا ٧٤٣ يانا وانكلترا ١٠٠٨ يانات فالدخل الشخصي اذا سرنا على هذا النحو هو ١٠ يانات في اليابان و ٤١ في المانيا و٥٢ في فرنسا و٦٠ في انكلترا و٧٣ في الولايات المتحدة · والدين الذي على بلاد يابان ثقيل تنوء تحته فهو نحو ٣٢ يانا في المئة ومع هذا فان يابان لايخشى عليها الفقر المدقع والخراب العاجل بالديون لان الفرد منهم يعرف كيف يصرف في سبيل سداد عوز حكومته فيقطع من اكله و يقتصد من

رفاهيته بسائق وطنيته ليعطي حكومته ماتنهض به من المال . والاقتصاد في المعاش من خصائص هذه الامة

اوهام السن

من الشائع عَلَى الالسن ان من تجاوز الخمسين يؤذن نشاطه العقلي والطبيعي بالضعف عَلَى ان الحوادث تثبت نقيض ذلك فان الحياة العلمية والسياسية والادبية مخصبة كثيراً في السن التي يرميها الناس بالعقم ولطالما اورد بعضهم ادلة عَلَى رقيهم العقلي ونشاطهم فان شهرة لورد استراتكونا في عالم السياسة ابتدأت لما كان عمره خمساً وسبعين سنة وهو اليوم في سن التسعين يعمل منذ الساعة العاشرة قبل الظهر ويحضر الولائم الرسمية ثلاث مرات في الاسبوع . وكان عمر وليام مورغان ٦٥ سنة لما كتب قصصه الاولى وكان عمر بيرمون مورغان المثري الاميركي نحو ذلك عند ماوضع خطته في الاثراء . ومنذ خمسين سنة كانوا ينظرون الى ابن الخامسة والاربعين في بلاد الغرب بانه شيخ اما اليوم فلويد جورج السياسي الانكليزي قد بلغ السابعة والاربعين ولا يزال يعد في الشبان وقد بدأ السير هيرام ماكسيم في سن السبعين يعمل عملاً جديداً كل يوم . ولما وصل فرنكلين الى باريز سفيراً من قبل حكومة الولايات المتحدة كان عمره احدى وسبعين سنة وبدأ فيكتور هوغو بكتابه تاريخ جنابة في الثانية والسبعين من سنه اما الفيلسوف هربرت سبنسر فقد اتم اعماله في الرابعة والثمانين من عمره وعلى كل فالنشاط ميسور لكل من جادت صحته وصحت عزيمته عَلَى العمل شاباً كان او كهلا او شيخاً ولا يزال المرء في هذه الدار يتعلم حتى يموت . والترتيب في الحياة هو سر اقتدار هؤلاء المعمرين عَلَى العمل الى النهاية

اصلاح خطأ

سها عن بالنا ان نقول في الجزء الماضي عند انشاء مقالة جمهورية البرتقال انها ثالث جمهورية في قارة اوربا فان الاولى فرنسا والثانية سويسرا والثالثة تلك الجمهورية الجديدة

وجاء في الكلام عَلَى « روضة العقلاء » في هذا الجزء ان صاحب كشف الظنون لم يذكره بلى انه ذكره بقوله « روضة العقلاء » لابن ابي حيان في الاحاديث وفي هذا خطأ في اسم المؤلف وهو حبان بالباء لابالياء . وفي قوله ان الكتاب في الحديث وهو في الاخلاق

المقتبس

ظلامات عصر الظلمات

كل من القى نظرة اجمالية على تاريخ القرون الوسطى والقرون الحديثة في هذه البلاد يوقن بان القرون الاخيرة اي القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر كانت اشقى العصور على هذه البلاد لاحكم فيها الا للقوة لاعدل يحييها ولا علم ينهضها وخصوصاً في الايام التي سادت فيها حكومة الاقطاعات وساد معها جيش الانكشارية (يكي جري) اوالعسكر الجديد فكل ماتراه عينك في دمشق مثلا من بيوت ضيقة متلاصقة وارتجة واطئة واحياء لامنفذ لها وقصور ومدارس في الضواحي خربة انما نشأ من اعتداء هذا الجيش على افراد الرعية المسكينة وما نجا من ايديهم يتناوله الظلمة من الحكام ويصادرونه ويستصفونه هنيئاً مريئاً لاوازع يزع ولا ادارة منظمة: احكام في الدمار مسمطة وقواعد في السياسة معسلطة وآراء في جلب المصالح ودرء المفاسد مخلطة مغلطة.

ولقد وقع الينا مخطوط نافع [1] اورد فيه مؤلفه بالعرض في جملة قصائده بعض ماشاهده في عصره من الكوائن فاحببنا نقلها الى هنا دلالة على القضية التي قررناها آنفاً ولتكون متممة لتاريخ هذه الحاضرة. وهاك ماورد في هذا المعنى بمناسبة مدحه لاحد حواشي سليمان باشا ابن العظم (والي الشام اذ ذاك) قال: « واتفق لهذا الممدوح قصة من غرائب القصص وهي انه سعى في خلاص جماعة من اهل حيه وغيرهم من القتل وفداهم بنفسه ودافع عنهم عند والي الشام بما يستطاع وسلموا من الهلاك بسبب مدافعته

(1) هو ديوان النصائح والانوار اللوائح لمؤلفه محمد الحافظ النجار من اهل القرن الثاني عشر وهو من خزانة كتب غالب بك الزالق احد اعيان هذه الحاضرة وفضلائها

عنهم وفر قوم من دمشق خوفاً من واليها واوقع الوالي القتل والنهب بقوم آخرين ظفر بهم في دمشق ثم ان الوالي خرج من دمشق اميراً بقافلة الحج وخرج معه هذا المذكور حاجاً ومؤدباً ماعليه من خدمة السلطان في طريق الحاج فلما وصل الامير والحاج الى المزيريب رجع اولئك النفر الذين فروا من الوالي بعد ان ارسلوا مكاتبة الى جبران هذا الذي سعى في خلاص اكثرهم من القتل تشتمل تلك المكاتبة عَلَى انهم في ليلة كذا يرجعون ويدخلون دمشق بقصد انتهاب دارهذا المذكور وقتل من يظفرون به من اهاليه وقراباته فاجابهم كل من كاتبوه بذلك بالسمع والطاعة وانهم سيكونون لهم عضداً وعوناً عَلَى مـا بيتوا عليه وارادوه من السوء بهذا الامر الذي عزموا عَلَى فعله فلما كانت الليلة الموعودة دخل اولئك النفر الفارون دمشق ومعهم نفر من النصارى والدروز والاشقياء اعداء الدين والمسلمين ولما وصلوا الى القرب من الدار المقصودة بالسوء تلقاهم الناس بالترحيب وتحزب معهم غالب الناس من اهالي ذلك المحل حتى بلغوا العدد الكثير فلما قربوا من الحي ترفع اهله في منازلهم وفر من كان في الدار المقصودة من كبير وصغير طالبين للنجاة بانفسهم فلما وصل اولئك النفر المغضوب (عليهم) ومن معهم من المنافقين الذين انضموا اليهم كسروا الابواب وهجموا عَلَى الدار وانتهبوا وضربوا وافسدوا افساداً ماسمع بمثله واصبحوا ماكثين في دمشق لايهابون احداً فخرج اليهم نائب الوالي والاعيان والموالي فتلقوهم بالحرب والضرب وقتل جماعة وجرح آخرون ورجع النائب ومن معه منهزمين ومكث اولئك النفر الاشقياء بدمشق ريثما بلغوا اربهم من سلب واغتصاب وتهكم وتحكم لايردهم عن ذلك احد ولايهابون احداً ....»

قال : « ولقد حقق الله تعالى جميع مانطقت به هذه القصيدة من الظفر باولئك النفر المفسدين والطائفة المعتدين المارقين من الدين على يد وال آخر غير ذلك الوالي المذكور في ترجمة هذه القصة قد عيئ السلطان وولاه دمشق لاجلهم بسبب فتنة اضرموا في الشام نارها واثاروا غبارها وافسدوا افساداً فظيعاً فقتلوا وخربوا واستلبوا وانتهبوا واحرقوا الدور والاماكن وحركوا من الشرور كل ساكن وتجاهروا بالفواحش وارتكبوا كل امر مخالف للدين فاحش واعلنوا الفطر في شهر رمضان على رؤوس الاشهاد وتعطلت الاسواق والمعاملات بسببهم في دمشق قريباً من سنة لاتقام جمعة ولايسمع اذان ولايفتح جامع ولا يمكن احد ان يخرج من منزله لحاجة ولا لغيرها لفسادهم وافسادهم وتعديهم عَلَى الخاص والعام وانما كان سبب تمكنهم من ذلك عدم وال في الشام فان

واليها كان قد خرج منها الى الحج اميراً ففي رجوعه من الحج عارضه العربان في اثناء الطريق ففر منهزماً بعد ان اعجزوه وانتهبوا قافلة الحاج باسرها بعد ان كانوا انتهبوا جردة الحاج وقتلوا من الجردة والحاج الجم الغفير ... فهذا كان سبب تمكنهم من اقامة الشرور والفتن فجاءهم بعد ذلك هذا الوالي المذكور ثانياً وقتل منهم من قدر عليه وفر منهم من فر منهزماً وسلب دورهم ومتاعهم واثاثهم ووجوه اخبارهم وتركهم اذل من اليهود واحقر من الذباب واوهن من الكلاب ولحق دمشق واهلها من ذلك الوالي وحاشيته وجنده اسوأ السوء بسبب قيامهم على اولئك الاشقياء وانتهبت غالب المنازل في دمشق وقتل خلق كثير من البرآء وتوطن هذا الجند الكثير من دور الناس واخرجوا اهلها منها عنفاً وجبراً وقسراً وظهر من اتباع هذا الوالي ماانسى اهل دمشق ما كانوا فيه من الضنك والشدة قبل قدوم هذا الجند اليهم ... واعقب مجيء هذا الوالي الى دمشق في دمشق ضيق وشدائد وشرور وظلم وجور وعسف وتعد واحتقار لاهل دمشق من شدة فظاظتهم وغلظتهم وكان فيهم من النصارى والرافضة مالايحصى عدده وختم ذلك بزلزال في دمشق ونواحيها ورجفات زعزعت الجبال وردمت الدور في غالب الاماكن وهدمت كثيراً من المساجد والمعابد والمنارات وعند كتابتي لهذا المحل كانت مكثت في دمشق خمسة وار بعين يوماً وقتل اذ ذاك تحت الردم خلق كثير وخرج غالب الناس من منازلهم وتركوها خالية وتوطنوا البساتين والجبانات . » وقال في مكان آخر : « قد تقدم في هذا الديوان ذكر بعض ماوقع في دمشق من الفتن والمحن والشرور والغلاء والظلم وغير ذلك مما مر وتقدم وكل ذلك قبل تاريخ سنة الف ومائة وسبعين وها انا اذكر ماوقع واتفق لدمشق واهلها في سنة سبعين ومابعدها من العظائم والحوب والازمات والزلازل والرجفات وماتأتى من ذلك من خراب الدور والمنارات والجوامع وما كان في تلك الايام من ظلم وجور وعسف الى ان تداخلت الدواهي والبلايا بعضها في اثر بعض حتى كان آخر ذلك الطاعون الذي انسى ماكان قبله مما يفسد الاديان ويهلك الابدان ويشيب الولدان

وهنا اورد المؤلف ارجوزة مطولة في وصف تلك المحن قال فيها :

لما نقضت عشرة — من صومنا محررة
قامت طغاة فجرة — في شامنا المطهرة
واضرموا نار الفتن — واظهروا اخافي الاحن

واوقعونا في محن   وكدروا منا الفطن
ومذ رأيت الفتنا   ثارت وقامت علنا
وكل مكروه انا   وكل سوء وعنا
ناديت ربا ذا منن   بعدالفروض والسنن
وجنح ليل قد سكن   وفيه قد فر الوسن
وقلت قول الملتجي   وطالب للفرج
وهارب من حرج   يا من اليه التجي
يادافع البلاء   ياعالم النداء
ياسامع الدعاء   يا كاشف اللأواء
خلص اناساً ظلموا   من بطش قوم ظلموا
عن الرشاد قد عموا   ومن سداد حرموا
وعجل انتصارا   واهلك الاشرارا
وايد الابرارا   وسدد الاخيارا
وهت ربوع الشام   من زمرة طغام
وعصبة لئام   خذوا من الحرام
وفرقة فجار   طاغية اشرار
قد ازعجوا الدراري   باقبح الضرار
لم يرحموا صغيرا   لم يستحوا كبيرا
لم يتركوا نقيرا   نهبا ولا قطميرا
واعلنوا الفسادا   واذهبوا العبادا
واخربوا البلادا   واحرموا الرقادا
وحللوا الحراما   واهملوا الصياما
وقهروا اليتامى   وفضحوا الايامى
واظهروا الاسرافا   وقتلوا الاشرافا
وضيعوا الانصافا   واكثروا الخلافا
وشتموا الايمانا   وكذبوا الايمانا
وهدموا الاوطانا   واورثوا الهوانا

وضيعوا الامانة   وشهروا الخيانة
وحرموا الديانة   وفارقوا الصيانة
وظلموا الحكاما   وابطلوا الاحكاما
واكثروا الضراما   والحشوا الكلاما
مدوا يد الفجائع   مدوا مدى المواجع
وقتلوا في الجامع   لساجد وراكع
وتابعوا الاذية   واعظموا الرزية
واوقعوا البلية   واقلقوا البرية
واغلقوا المساجدا   واهملوا المعابدا
واكثروا المفاسدا   فحرموا المحامدا
وعطلوا المنابرا   وحقروا الاكابرا
ودمروا الاصاغرا   واشهروا المناكرا
وقصدوا اذانا   واسكنوا الاحزانا
وتابعوا الشيطانا   وخالفوا السلطانا
وبات كل حالم   من جاهل وعالم
وقاعد وقائم   بالهم كالمآتم
وكل سوق سكرا   وقل بيع وشرا
وقام سوق الافترا   ودام هذا اشهرا
يسوء فيها مدة   حكت ليالي الردة
فلم نزل في شدة   ونحن في محنة

والارجوزة طويلة وهي على هذا النمط وقعت في نحو خمس ورقات بالخط الدقيق المدمج قال في آخرها : « وجميع هذه الشكاية انما هي مما وقع من الشرور والفتن في سنة الف ومائة وسبعين في دمشق وما جرى واتفق خارجها من نهاب الجردة في سنة احدى وسبعين ثم ما وقع فيها من انتهاب الحج وما حصل اذ ذاك من الفساد والافساد من طائفة الاعراب والاوغاد ولما انتهبت الجردة ثم مات اميرها ثم انتهب الحج وانهزم اميره ورجع الى دمشق من سلم من القتل منهوبا مسلوبا وكانت نار الفتنة لم تزل ثائرة

في دمشق بين طائفة القول (١) وطائفة الينكشارية من مضي عشر ليال من شهر رمضان والقول اذ ذاك محاصرون في القلعة فلما اقبل المنتهبون من الحجاج الى دمشق خرجت طائفة الينكشارية يتلقون المنهزمين والمنتهبين من الحجاج فكل من ظفروا به وكان من القول قتلوه واخذوا مايجدونه معه من متاع اودابة او غير ذلك حتى انه قد بلغني انهم ظفروا باحد القول خارج دمشق فقتلوه شر قتلة واخذوا ما كان معه ثم احرقوه بالنار واستمرت الشرور والفتن قائمة في دمشق وهي اذ ذاك خالية من وال حيث ان امير الحاج لما انهزم في اثناء الطريق استمر منهزماً ولم يدخل دمشق فبقيت بلا وال ولا حاكم ٠

ولما بلغ السلطان مصطفى اخبار ماتقدم ذكره من انتهاب الجردة والحج وما في دمشق من الفتن والهرج وان طائفة القول محاصرون في القلعة ساءه ذلك وعين عبدالله باشا الشنجي وامره عَلَى دمشق وعَلَى الحج وانه يستقصي الخارجين عن امره والمتعصبين عَلَى القول ويقتلهم ويرسل برؤوسهم الى الباب العالي والزمه ان يباشر اصلاح طريق الحاج بما امكنه فجاء عبدالله المذكور والياً عَلَى الشام واعمالها واميراً عَلَى الحاج ودخل دمشق في اوائل سنة احدى وسبعين وجاء معه بجند الغالب منهم نصارى واعاجم ٠ فلما قرب من دمشق تحزبت الينكشارية وتجمعوا في جهة الميدان والقبيبات والحقلة ووقع منهم اساءة ادب في حق الوزير وجنده وانتهبوا من نزل منهم بالقرب من محلهم الذي تحصنوا فيه ثم بعد يومين من ذلك نزل من الينكشارية نفر الى جهة باب الجابية وتلك النواحي فظفروا باثنين من الجند فبطشوا بهما فقتل احدهما وجرح الآخر فبلغ الخبر الى الوزير فامر من عنده من الجند ان يذهبوا الى المحل الذي فيه الينكشارية ويقتلوا من يقدرون عليه ويأسروا من قدروا عَلَى اسره فخرج الجند متوجهاً الى جهة حارة الميدان وتلك الجهات فلما وصلوا الى وجوه المطلوبين وتوجهوا فرت طائفة الينكشارية طالبين البراري والقفار فتبعهم نفر من الجند ساعة من نهار وقتلوا منهم عدداً قليلا ورجعوا عنهم واستمر اولئك هاربين ثم ان الجند اخذوا في قتل من رأوه كائناً من كان وشرعوا في النهب والسلب فانتهبوا اغالب المنازل والحوانيت من حدود الحقلة الى باب الجابية واستمر ذلك من الضحوة الكبرى الى وقت العصر والجند يأتون بالرؤوس الى حضرة الوزير فقتل في ذلك اليوم من الرعايا العدد الكثير وانتهب المتاع والمال الغزير الى ان دارك

(١) هم عسكر « القبو قولي »

تعالى باللطف بعد ان اخذوا العدد الكثير من الرعايا البرآء وسجنوهم ووضعوا القيود والاغلال في ايديهم وارجلهم واعناقهم ولما بلغ الوزير ان هؤلاء النصارى والاعاجم حصل منهم التعدي في القتل والنهب خرج اليهم ولامهم على ذلك وامرهم بالكف عن ذلك وجمع ما قدر على جمعه مما انتهبوه ووضعه في المساجد وارصد له من يحرسه وندب المنتهبين ان يأتوا و ينظروا في الامتعة فمن وجد شيئاً من متاعه اخذه ففعلوا ذلك فما حصلوا على عشر معشار ما انتهب من متاعهم واموالهم واطفأ الله تعالى نار الفتنة ثم حقد النصارى والاعاجم الذين هم من جند هذا الوزير يتحكمون في اهل دمشق بالسلب والاستحلال والشتم والقذف والضرب والقتل حتى اشاعوا الفواحش وتجاهروا بالزنا وشرب الخمر وحتى تعدوا الى ان يخرجوا اهل المنزل من منزلهم ويسكنون فيه وكان الانسان في تلك الازمان لا يأمن على نفسه اذا خرج من منزله بعد المغرب ومتى خرج أصيب بنفسه او ماله . وهذا الذي ذكرته هنا هو الذي اشرت اليه في الارجوزة المتقدمة من الشكاية مما وقع في دمشق من الرزايا سنة احدى وسبعين بسبب ما وقع من طائفة الدول واليكشارية من الفساد والافساد ثم بسبب ذلك ما وقع بعده من طائفتي النصارى والاعاجم الذين هم من جند الوزير المذكور سلط الله تعالى الزلازل والرجفات فوقع الردم في المنازل والجوامع والمنارات ومات تحت الردم خلق كثير وقبل ان تسكن تلك الرجفات والزلازل ارسل الله عز وجل الطاعون فاخلى البيوت وفرق الجموع وشتت الشمل وكدر العيش »

وقال بعد ان مدح عام اثنين وسبعين ومئة والف : « وقد كان اهل دمشق في غاية الوجل ونهاية الفرق والقلق من جهة الحاج من شر الاعراب الاشقياء قياساً على ما وقع منهم من الشر في العام الذي قبل هذا العام وكان الوجل الواقع من اهل دمشق في محله حيث ان العرب بالغوا في التعدي وتجروا واعتادوا اسلب الاموال وتكدير الاحوال ولكن الله يؤيد بنصره من يشاء فان امير الحاج الذي هو عبد الله باشا المذكور وقع بينه و بين عرب حرب شر من اجل مال الصر المرصود للعرب من جهة السلطان فتوعده بالشر فاحتال عليهم وقتل امراءهم وفر الاذناب منهم ومضى الامير والحاج سالمين غانمين ولما رجع الامير بالحاج رجع على طريق آخر بعد ان تجمعت العربان بين الحرمين بقصد المعارضة للحاج فخيب الله آمالهم ولطف سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين وسلمهم من غوائل الاشقياء المجرمين وبلغنا ذلك كله بعد هلة عام اثنين وسبعين بايام فلاجل ذلك خصصت هذا العام بالمدح

ايضاً فقد كان الناس قبل هاته يشكون من قلة الغيث فلما استهل اغاث الله عز وجل العباد واحيا البلاد والا فان الدواهي الواقعة فيه وفي ايامه بدمشق وقراها لم يسمع بمثلها من فساد الجند وافساد العساكر وظلم رئيسهم وجور حواشيه وعسفهم .»

وعاد المؤلف فكرر اهوال ما وقع سنة سبعين ومابعدها وقد دام ما وقع من اذى الجند السابق والجند اللاحق الذي جاء مع الوالي الجديد من عشر ليال من شهر رمضان الى جمادى الاولى و « القول منحشرون في قلعة دمشق واليكشارية ومن تبعهم من الحشرات حول القلعة والحرب قائمة على ساق وقدم وقد اخرج الجند الجديد او بعض الناس من دورهم وتوطنوها ومع اختطافهم لبعض النساء والغلمان جهاراً من غير مدافع لذلك ولا ممانع حاكمين عَلَى جميع اهل الشام بالكفر وبانهم قوم يزيد مصرحين بذلك »

هذه نموذجات من عصر الظلامات والظلمات والكتاب نسخة كتبت بقلم مؤلفه وشعره متوسط حسن بالنسبة لعصره عصر الانحطاط في كل شيء كتبها في ذي القعدة سنة الف ومائة وثلاث وسبعين

الالفاظ السريانية في العربية العامية

اللغة السريانية من امهات اللغات السامية وهي من اصول اللغة العربية ولو بحثت في اصول الالفاظ العربية لرأيت بعضها سريانياً في الاصل كما دخل اليها الفاظ كثيرة من العبرانية والحبشية والفارسية عَلَى نحو ماحققه المحققون من الباحثين في اصل اللغات .

كان للسريانية شأن عظيم حتى قال بعضهم ان السريانية كانت لسان آدم ابو البشر وتعدى بعضهم فادعى ان لسان اهل الجنة السريانية وذهبت [1] عصابة من العلماء الى ان السريانية اصل لغات الآدميين بدليل ماورد في اسفار موسى من تسميات تقرب كل القرب من الالفاظ السريانية معنى ومبنى وعَلَى كل فهي بكر لغات النوع الانساني وهي من اعرقهن في القدم واول من انطلق بها لسانه عَلَى ما نعهد ارام بن سام فتناقلها الآراميون اخلافه ممن اطلق اسمهم حيناً من الدهر على السوريين او السريان الذين عمروا

(١) الدواثر او بقايا اللغة السريانية في اللغة العامية العربية لمؤلفها القس يوسف حبيقة اليسكنتاوي بمطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٢ والمطبعة اللبنانية سنه ١٩٠٤ وهي جزآن صغيران

بلاد الكلدان واشور وسورية والمراد بالسوريين غير الاثوريين النازلين من صلب آثور او اسور بن سام من كانوا يسكنون عبر الفرات ولما دوخ ملوك اشور سورية عدّ الاشوريون والسوريون شعباً واحداً ولما اقتسموا الملك عرف من اقام في عبر الفرات بالاشوريين وقد تكلم بهذه اللغة السريانية سكان اورشليم بعد السبي البابلي واكثر نصارى البطريركية الانطاكية والموارنة واما اشهر فروعها فاولها البابلي وهو افصحها واوضحها وابقاها كتبت به بعض اسفار العهد القديم من الكتاب المقدس وثانيها الاورشليمي الذي تكلم به اليهود بعد جلائهم من بابل فتناسوا العبرانية وتلقفوا الكلدانية فشابوها ببعض الفاظ من لغتهم وسميت لغتهم العبرانية لان اليهود كتبوها بالعبرانية وهي كلدانية سريانية والثالثة السريانية الانطاكية وبها كتبت كتب الدين عند الموارنة وكانت شائعة في البلاد العربية والحبشة وقسم من بلاد الارمن ومابين النهرين وسورية ولبنان وفينيقية وانطاكية .

والى اليوم لايزال اثر ضئيل للسريانية اثناء المفردات العربية في كلام اهل شمالي لبنان كما ان اهل بشراي وحصرون وبعض القرى المجاورة لها كانت تتكلم بالسريانية في اواخر القرن السابع عشر ولايزال الى اليوم اهل معلولا من جبل قلمون يتكلمون باللغة السريانية مع اللغة العربية وقريتان بجوارها

وهاك الآن اسماء بعض قرى الشام التي هي سريانية الاصل :

(داريا) الدور . (بيتيما) بيت اليتيم . (بيت لهيا) بيت الالهة . (زملكا) سلاح الملك . (كفرشكا) قرية الجلود . (كفرسوسة) قرية الفرس . (كفر قوق) قرية الاكواز . (معربا) المغوب . (المعرة) المغارة . (راشيا) الرؤوس . (البقاع) السهول .

واليك اسماء بعض قرى لبنان واكثر اسمائها سريانية :

(بكفيا) الموجودة بين الحجارة . (بسرين) الحومات . (حبرمون) رفيق من انت . (مزمورا) الترنيمة اوالانشودة . (عيناب) عين ابي . (رمحالا) الرمل العالي . (رشميا) رأس المياه اي اعذبها . (شرتون) صدقتموني . (شوربت) العرق . (بيت مرى) دار سادتي . (البتير) المسكن . (بسكنتا) محل العدل . (بعلشميه) قرية السماء . (برمانا) ابن من انت . (بتغرين) سوق التجار . (بتعلبن) مأوى الثعالب . (عينطورا) عين الجبل . (الشوير) سور . (عين عار) عين الغار .

(قرنابل) قرن الابل · (العاقورة) العين الباردة · (بجة) الجنة والبستان · (جعيته) الصادحة · (درعون) الذراع · (حدشيت) احد الستة · (عين جوبا) عين الحب · (عاليتا) العالية · (عمشيت) مع الستة · (ميروبا) المياه الغزيرة · (راسكيفا) رأس الحجر · (رشعين) رأس العين · (شمسطار) شمس الجبل · (ايطو) القيظ · (بتحلين) بيت الحلوين · (اسيا) الطبيب · (بشودار) مكان الشر · (اهدن) الجنة · (حردين) انظر اذاً · (حدتون) الجديدة · (مجدليا) البرج · (مارشينا) سيد الامان · (يارينا) الوارث · (نيحا) الهادئ · (عين تورين) عين الجبال · (صورات) الصور والتماثيل · (كفرحتنا) حقل الختن · (راشانا) الرئيس · (رام) العالي · (شاتين) الشؤون · (شبطين) القضبان · (تورين) التنانير · (زغرتا) الصغيرة · (الدوق) المنظر · (قزحيا) كنز الحياء (كفرحي) مكان الحي · (كفر زينا) حقل السلاح · (بكاسين) انا خفية لانها لا ترى من كل النواحي · (برقي) ابني · (بتدين) محل القضاء · (كفرتعلا) حقل الثعلب · (مليتا) الملآنة · (ريحات) الاكام · (بطرام) بيت العالي · (بطرومين) بيت السادة · (كفرحاتا) الحقل الجديد · (كفرعقا) حقل العقد · (عابا) الحصن ·

هذه نموذجات من اسماء القرى وهناك كثير من الالفاظ الشائعة في اللغة الدارجة في سورية وهي من اصل سرياني وتجد اكثر هذه الالفاظ في لغة اهل جبل لبنان فمن ذلك قول الام لولدها ردعاً له وتخويفاً من ان يمس شيئاً يؤذيه (أُوواوا) وهي كلمة وعيد · و(واوا) ويل ويل والمعنى ان مست ذلك الشيءُ المؤذي فويل ثم الويل لك · وقولهم (الشكارة) للدلالة عَلَى النزر اليسير وهي في الاصل السرياني تدل عَلَى البقعة من الارض فيقولون مثلا : فلان عنده شكارة كرم وفلان مربي شكارة دود حرير وزرع له شكارة قمح · ويقولون عمن يتروى في اموره (فلان يتبحر في اموره) اي يتفحص · ويقولون (يحش الارض) حفرها ويقولون ايضاً يحوش بمعنى نبش وحفر · ومنه قولهم (الولد يعط) وهي لبط · ومنه (جهجه الضوء) اي انبلج الصبح · ومنه (كميت) اي عجزت · ومنه (عمل له كعرة ايما كعرة) اي صاح به وانتهره زاجراً · ومنه (جرجره) اي جره · ومن ذلك زرع دليل) اي متفرق هنا سنبلة وهناك اخرى · (دلف بيتنا) أسيء وكف وقطر · (دندل) دلى · (دقر الباب) اوصده (دحينام) محقنام وافنينام · (طلعت هيلة

الماء) اي بخاره · (يزعق الولد) يصرخ ويصيح · (زفر ثيابه) وسخها ودنسها (زرب الماء اوزرزب او ذرف) نضح وانهرق · (انقطع حيله) قوته وحوله · (حيص الدابة) شدها وربطها · وبنعتون الرجل الداهية الشديد المكر بكلمة (حرح) اي المكار المحتال الذي لا يؤخذ من وجه ·

وربما قال بعضهم ان بعض هذه الالفاظ من مفردات العربية الفصحى ولكن لها في بعض التعابير من المعاني ما يحمل على ان يقطع المرء بانها سريانية المبنى والمعنى والوضع والمولد ·

ومن ذلك « طرطوع » من يخلط في كلامه لخفة عقله · (طرش ثيابه) اي لوثها وقذرها · (اطرشوه ماء) رشحوه وانضحوه · ومنه « يطرشون بيوتهم بالكلس او بالحوارى » وهي سريانية · (يا ويما يوجد) ويما البحر او اليم ما يشيرون اليه يضارع امواج البحر غزارة · « كبس العجل » روضه · « كوش او كوش الزبالة » جمعها وكومها · وتقول العجوز لجارتها تغزل صوفاً وغيره اذا ما تكدرت منها « خرب الله كوشتك » تريد احلّ الله ما تكوم من خيوط ساق مغزلك · « تلوش العجين » تعجنه وتعركه · ومن صلواتهم « الميامر واحدها ميمر Homélie) قطعة حسنة ينشدون بعضها خلال التداس بلحن · ومن دعاء لموتاهم « الله ينيحهم والله ينيح نفوسهم » اي يريحهم ويمتعهم بالراحة · ومن دوائر لغتهم قولهم « قلبي سايف » اي فان وتالف · « الساعور » المفتقد والزائر والعائد · « عقوس الزنبور » الحمة وابرة الزنبور التي يلسع بها فيقولون عقه الزنبور اي لسعه · « العتيد » الآتي والمقبل · « داء الفالج » من شق وشطر والفالج يصيب عادة شطراً من الجسم فيقطعه عن الحركة او يأخذه الاسترخاء · « الدم يفلفلك » يلوثك ويمرغك كأن يقال قتلك الله ومرجك بدمائك · « فرط الثمر » نثره · « فرم اللحم والتبغ » هبره وقطعه إرباً إرباً · « فرافيط الخبز » فتاته · « فرشخ » وسع ما بين رجليه · ومثله « فشخ »

ومن دوائر لغتهم قولهم « ان هذا الشيء يقاوي كثيراً » يصبر على عوادي الدهر · « هو قافط او قامط » معبس · « قرقش الحمص » صرّ اسنانه عليها فظهرت بها متانتها · « القيس » الشيخ والمسن · « يرصون الزيتون » يرضونه · « يرشمون البيدر » يضعون علامة عليه ومنه « الرشم » للطابع المنقوش الذي يسمون به البيدر · « شبشول

القدرة» ماتدلى منها دعوها كذلك لاسترسالها كاسترسال اغصان الجفنة · «يشفون اشجارهم» يقلمونها · «اشحط الاولاد» اطردهم · «شحرك الله» سودك · «تشطح على الحصيرة» تمدد وتسطح · «ريح الشلوق وتسمى الشلهوبة» اي اللهبة والضرم · «شلح متاعه» ارسله ورمى به بعيداً و «شلح» تعرى · «الشلفة» الفأس الصغيرة يقطعون بها الحطب · «شمط له اذنيه» اقتلعهما «شمط» خطف · «شعف او شقف الرغيف والحجارة» من كسر جزأً · «الشربوكة» الشرك والأُحبولة · «انشرط» انخزق وانخرق · «شرم الاذن» قطعها · «شرشت الشجرة اوشلشت» تأصلت وضربت عروقها في الارض ومنها الشروش · «شرّش ارضك» اقطع عروقها · «الشماس والاشبين» المعروفين عند النصارى «شتل بستانه» نصبه · «الطغمة» الزمرة · «ضربه وتوكه» عطبه · «تكتك» هذر وثرثر · «تف الطعام» قاءه ومجه والتف البصاق غير السائل · ويصفون الرجل الداهية بكلمة «بهموت» وهو الغول عند السريان كالسعلاة عند العرب · «بح ياولدي» جف ونفد · «نوص القنديل» من برص العشب اذا بان اولا فاولا · ويقولون «فو عليك» اي اف عليه كلمة تكره · «شحط جلده» اي خزق · «كش الدجاج» وغيره من الطائر زجره · «تحمط له او عليه» اغتاظ وغضب · «تروحن» انفرج ونفس كربه «البكير واللقيس» للمطر الوسمي والولي · ويقول من يتورط في امر صعب يتشكى قائلا ماهذه «البلشة» اي الضر · «بعقه» رفسه برجله وركله في بطنه · «برعط الولد» من تبرعص في الماء اي اختلج فيه · «الغوغا» الصخب والجلبة «جم الكرم» اذا اقتضبها من اسفل جذعها لتنبت من جديد · «الجملون» وهو سقف من خشب محدب كسنام الجمل مستطيل وهو تصغير الجمل في اللغة السريانية · «جعر الفدان والجمل» من عج الثور والجمل · «غف الطائر فريسته» اذا حام حولها او وثب بشدة · «الدجال» وهو الى السريانية اقرب منه الى العربية · ويقولون عمن يموت برداً «دنق» اي تعذب وتألم لما يأخذه من نوافح البرد · «حركش» من حرش بين القوم واغرى · «يطيب ارضه» يجعلها صالحة لالقاء البذار فيها · «الطربون» الغصن الصغير او المورق · «كدن الفدان» من قرن الثورين اي شدهما الى نير واحدة · ويقولون للشيخ المسن «اختيار او ختيار» اي شيخ · «ماسورة الحائك» وهي لفافة من الخيوط يلفها على عقدة قصب مجوفة ·

ولو اردنا استقصاء هذه الكلمات الدخيلة في اللغة العربية العامية بل واللغة الفصحى

الدخيلة من الالفاظ السريانية لطال بنا المطال . وهنا نكتفي بما تقدم مضيفين اليه « سكر الباب » « مرد الغربال » « عكشه الثور » نطحه « عرم التراب » كومه وكدسه « عرم الاناء والكيل بالجوامد » اطفحه « فرطش مناخيره » « فركش الولد » « فقع » تمزع غيظاً « فاش عَلَى وجه الماء » « فشار » المهذار « صمد دراهم » « صمد العروس » « صنة الابط » نتنه . « قبع الحجر » اصله في الركز فاستعمل في القلع « قرمة الشجرة » جذعها « قن الدجاج » « جلد فلان متشب » اي شارث متشقق « الشوب » الحر « الشموط » الكبة من الصوف « الشقيف » الصخر العظيم « شقل الحجر » رفعه « الشرنقة » البيت الذي تنسجه دودة الحرير لنفسها « طبش الاناء » كسره . وكذلك « الناسوت » و « الجبروت » و « الكهنوت » و « الملكوت » و « برا وجوا » « وباخ الثوب »

غرف التجارة

ايقنت الامم التي كانت تحرص في اوائل القرن التاسع عشر عَلَى الانتصار في ميدان الهيجاء ، ان المصالح الاقتصادية اهم المصالح واكثرها نفعاً فاخذت تعمل لتوسيع نطاق تجارتها واعرضت عن توسيع مساحة بلادها . ولا مشاحة في ان تقدم الامم ونجاحها في حالتي السلم والحرب ومضاء حكمها ونفوذها في البلاد الابتدائية لا يكون الا بالمال وما يقوم به من الاعمال التجارية والصناعية .

تقحمت الدول في القرن العشرين حرباً ضروساً لفتح مصادر جديدة لمحاصيلها المتزايدة يوماً فيوماً في جميع انحاء المعمور بفضل الصناعات الكبرى اعني الصنائع التي تكوّن بالالوف المؤلفة من رؤوس الاموال وتضم الالوف من العمال تحت سقوف المعامل الفخمة . وهكذا اخذ ارباب الصناعات والمستثمرون يبحثون البحث المدقق عن اسواق البلاد في كل قطر ومصر . وكان النصر في حلبة هذه الحرب حليف الفئة التي اعدت السلاح الاقوى والاسباب المؤثرة فنشأت من ذلك لامتهم مكانة اقتصادية بين الامم لم تكن لتحلم بها قبل عشرين عاماً او ثلاثين .

ان اميركا التي كانت تستحصل دون ان تعنى بتصريف محاصيلها وبيعها الى عهد غير بعيد احست بلزوم الحيد عن سياستها الماضية بسد ابواب التجارة حتى ان احد

المفرطين في التشديد باصول حماية الصناعة والتجارة صرح لامته في خطبة القاها قبل وفاته ببضعة ايام انه لابد من توسيع نطاق التجارة وعقد العهود مع بعض الدول توصلاً لهذه الغاية وفتح خلات في ابواب الجمارك المسدودة

وليست امة الاميركان وحدها في حاجة الى المبادلة التجارية بل جميع ام الارض المنتجة مضطرة لمبادلة محاصيلها زراعية كانت اوصناعية · وليس الاستحصال غاية وانما هو واسطة والمستحصلون لايستحصلون لانفسهم بل للانتفاع بما هم احوج اليه من ثمرات اعمال غيرهم عن طريق المبادلة ومكانتها ورواجها متناسبان مع مكانة المصادر ووفرتها وتحقيق ذلك من واجبات التجار مباشرة واما الحكومة فلا ينتظر منها الا ابلاغ التجار ما يتصل بها من الاخبار بواسطة قناصلها والذب عن حقوق رعاياها في البلاد الاجنبية وان لاتسن قوانين وانظمة تمس حرية التجارة وان تقيم قوتها مقام قوى الافراد حيث تكون الامة متأخرة في العلم والتجارة وان تكون لهم خير دليل فيما يمكن ان تكون

ولكن التجار في البلاد الراقية لايعتمدون في ترقية التجارة الوطنية الاعلى انفسهم ولا يستغني تجار الام النازلة عن هذا العضد على ان موظفي الحكومة لايعلمون حق العلم ولايستطيعون ان يعلموا كنه التجارة وسير اعمالها · فكيف يصح ان يقودوا التجار وهم احوج الى قيادتهم وآرائهم المؤيدة بالاختبار الصحيح والتجارب المتواصلة ·

وقصارى القول فلايجدر بالحكومة ان تعين وجهة سير التجارة بين بلادها والبلاد الاجنبية وان فعلت لاتصلح خطأ اوجبه تداخلها حتى تقع في مثله ومن المحتم عَلَى الحكومة ان تشاور من هم احق بالمشورة في سن الشرائع والانظمة الداخلية وتعيين خطتها في المشاريع العمرانية ووضع الضرائب التي لها علاقة بالتجارة والقيام بكل ماله مساس بالمصالح الاقتصادية والاتقع في حيص بيص فلا تطبق شرائعها عَلَى حاجيات الامة ولا تلائم الاحوال الاقتصادية وتحول دون ارتقاء البلاد من حيث العمران وتخنق الروح التجارية بالتعديل الذي تحدثه في اصول الضرائب · وبعد فان المعهد الذي يهدي الحكومة الى المحجة المثلى في مجرى اعمالها و يقوم بكثير من الواجبات التي ترتفع بها مكانة التجارة الوطنية هي الغرفة التجارية

اخذت الطبقات الاقتصادية «**» في الام التي نالت حريتها السياسية واحتفظت هي ونوابها بحق التشريع تسعى لترقية الاوضاع التي يؤلفها المنتخبون « بالفتح » من بينهم

«**» التجار والزراع والصناع او ارباب مذاهب المعاش المشروع

ليدافعوا عن منافع الطبقات الاقتصادية وكان لهذه الحركة الاقتصادية ثمرات عظيمة تعود على الافراد والامة بالنفع العميم ولما كان اعضاء هذه الاوضاع «غرف التجارة والزراعة والصناعة» يمثلون الطبقات الاقتصادية عامة اصبحت كلمتهم نافذة عن موكليهم والحكومة تحترم آراءهم واقوالهم وتصيخ الى مطاليبهم لانهم امناء الزراع والصناع والتجار وعمدتهم ولهم اطلاع على حاجات البلاد مهما تنوعت وتضاربت فيؤلفون بينها و يجمعونها حول مركز واحد

ومن المسلم انه لا يعتمد في الشؤون الحيوية الا على ذوي العلاقات بالمناهج الحيوية ولذلك يستناد من آراء ارباب الصناعات في الصناعة ومن التجار في آرائهم عن التجارة. ولما كان الرجوع في كل مسألة الى عامة التجار والصناع متعذراً اقتضت الحال ان تعتبر هذه الغرف والاندية التي حاز اعضاؤها الثقة العامة مرجعاً وآراء هذه الاندية تعتبر كآراء عامة افراد الطبقات الاقتصادية . والحكومة تعلم حق العلم ان موكلي رجال هذه الاوضاع قوة عظيمة اجتماعية في البلاد وان الايدي لا تجسر ان تتلاعب بهذه القوة .

اقيمت الغرف التجارية لمصلحة يجب الدفاع عنها ولا يرجى اقتطاف الثمرات من هذه المصلحة بمجرد اعمال الحكومة وتدابيرها ولذلك لا ينكر احد الداعي الى تأسيس الغرف التجارية ولكن هل هذه الغرف اسست على طراز واحد في كل قطر ومصر ؟

الفرق تنقسم من حيث تأليفها قسمان

١ — الغرف المؤسسة على القاعدة الفرنسوية تؤسسها الحكومة ويحضر جلساتها من تنيبهم الحكومة عنها وحق انتخاب اعضائها محصور بالتجار المقيدين في سجل الغرف التجارية اومن يدفع منهم مبلغاً معيناً من ضريبة الباتنت والحقيقة ان هذا الشكل من الغرف عبارة عن نقابات الزامية ومداخيلها من الضرائب الموضوعة لها .

والغرف التجارية في المانيا وهولاندا والنمسا وايطاليا والبرازيل ورومانيا من هذا القسم .

والغرف الصناعية والتجارية في النمسا توفد نواباً الى مجلس الامة ولذلك فان لها هنالك فروضاً سياسية تقوم بها . وغرف التجارة الالمانية رسمية ايضاً ولكل من غرف الحكومات الالمانية التجارية قوانين خاصة بها . ولها واجبات خاصة عدا عن واجباتها العامة تتعلق بالامور العدلية اذ انها تنتخب مرشحين من التجار يناط بهم امر القضاء في محاكم الدعاوي التجارية وتعرض اسماءهم على الامير .

والغرف التجارية في ايطاليا تابعة لقانون ١٨٦٢ وغرف التجارة الرومانية تابعة لقانون ٧ ايار ١٨٨٦ اما الغرف التجارية العثمانية فهي على الجملة من الغرف المؤسسة على القاعدة الفرنسوية ·

٢— الغرف المؤسسة على القاعدة الانكليزية عبارة عن نقابات تجارية حرة ليست لها صفة رسمية قط · ومداخيلها من رواتب الاعضاء وهذه الغرف التي يمكن ان ينتظم في سلكها جمهور صنوف التجار اشبه بنقابات الصناعات المتحدة المؤلفة من رؤساء الصناعة بتلك النقابات المنتشرة في الاقطار الاوربية كافة ·

تلتئم الغرف التجارية كل عام في انكلترا وتؤلف مؤتمرا عاماً وكذلك في اميركا وللقرارات التي تبرم في مؤتمري اميركا وانكلترا شأن عظيم · والغرف التجارية في البلجيك واميركا والبرتقال واليابان من هذا النوع · تنشئ الغرف التجارية الانكليزية الثغور وتتعهد بمحافظتها وتستوفي في مقابلة ذلك ضرائب معينة من السفن ·

ولهذه النقابات « الغرف التجارية الانكليزية » التي تؤلف قوة عظيمة في مملكة بريطانيا العظمى تأثير كلي في كثير من الاصلاحات القانونية ·

وقد كانت غرف التجارة في البلجيك الى تاريخ ١٨٧٥ من نوع الغرف الفرنسوية ثم نزعت « بضم النون » عنها الصفة الرسميه وسمح القانون من ذلك العهد بتأسيس غرف حرة · اما روسيا فلها اشكال من الغرف خاصة بها :

اولاً في كل بورص لجان تنتخبها التجار والصناع على اختلاف ضروبهم ولهذه اللجان اجتماعات متوالية · ثانيا ان لكل من صنوف التجار والصناع مجامع ينتخب اعضاءها « جمهور الصنف الذي ينتسب المجمع اليه » واهم هذه المجامع « مجمع معدني روسيا الجنوبية » وتلتئم هذه المجامع مرتين في الخريف والربيع من كل عام وتمتد اجتماعاتها خمسة عشر يوماً اوعشرين وقد تتجاوز الاجتماعات هذه المدة · ثالثاً ان في نظارة التجارة الروسية مجلساً صناعياً تجارياً تعين الحكومة النصف من اعضائه وتنتخب الصناع والتجار سائر الاعضاء ويتجدد انتخاب هؤلاء « الاعضاء المنتخبون » مرة كل ثلاثة اعوام ·

فتمر اللوائح القانونية التي لها علاقة بالتجارة اوالصناعات كافة من لجان دور البورص والمجامع والمجلس الصناعي التجاري في نظارة التجارة الروسية وكل من هذه الاوضاع يؤخذ رأيه في اللوائح المذكورة ·

هل الغرف التجارية المؤسسة على الاصول الانكليزية انفع ام المؤسسة منها على الاصول الفرنسوية ؟

ليس من جواب قطعي لهذا السؤال لان شكل الغرف اي كونها رسمية اوحرة تابع لاخلاق الامة وآدابها وعاداتها ونوع تربيتها ٠

فحيث تكون فكرة الاشتراك بالاعمال والاقدام والجرأة على القيام بالمشاريع غريزة في النفوس يقوم التجار بتأسيس غرف حرة الى يرغبون وبالشروط التي يستحسنونها فتصان بذلك المصالح التجارية وحيثما فقد هذا الشعور الحي والمبادي لا يسهل انشاء هذه الاوضاع ولابد للقيام بهذه المشاريع من اشراف القانون عليها

ولم يقتصر الاوربيون على تأسيس غرف تجارية في بلادهم بل اسسوامثلها في البلدان التي يتجرون معها فان لفرنسا خمساً وعشرين غرفة تجارية في لندن ونابولي وروسية ونيويورك وامستردام وغيرها وللانكليز والنمسا والمجر والبلجيك واميركا وايطاليا واسبانيا غرف تجارية في باريز وقد نجم عن هذه الغرف فوائد كثيرة لتجار البلاد التي تنتسب اليها وذلك لانهم يأخذون عنها الاخبار المفيدة ويدركون حاجيات البلاد التي أسست فيها وميول سكانها واذواقهم وبذلك تساعدهم على ايجاد المصادر وتوسيعها ٠ وتكون رئاسة الشرف لهذه الغرف التي تؤسس في البلاد الاجنبية في عهدة القناصل على الاغلب ٠

والحكومات تخصص مبالغ من وارداتها تدفعها الى غرف التجارة المؤسسة في البلاد الاجنبية لسد العجز في ميزانياتها لما لها من الفوائد والاعتماد وليس لهذه الغرف صفة رسمية عند الحكومة تنتسب اليها ولا عند الحكومة التي أسست في بلادها ونظارة التجارة الفرنسوية المؤسسة خارج فرنسا وهذه تخابر الحكومة الفرنسوية رأساً ٠

***

وقبل ان نبين تأليف الغرف التجارية وقوانينها في فرنسا والبلاد العثمانية نأتي هنا على التعريف بوظائف الغرف التجارية في حياة التجارة العامة لكل مملكة ٠

١ — الغرف التجارية تعنى حق العناية بالتربية الاقتصادية للبنين وتلقي مسألة التعليم التجاري بما يجدر بها من الشأن فتشيد المدارس التجارية وتميل الشبيبة الى التجارة والسياحة وتحيي في نفوسهم فكرة الاقدام والجرأة وتنظم للمدارس الخطط المفيدة التي تقوي ارادة التلاميذ وتؤسس المكاتب ليألف الشبان والطلاب مطالعة

التآليف والمصنفات المحررة باقلام السياح وتدعو اهل العلم لالقاء المحاضرات وتمنح الجوائز للمقيمين في الممالك الاجنبية وتعلم في مدارسها لغات البلاد التي تكون ميداناً فسيحاً لحركتها التجارية وعَلى الجملة تنشيء شبيبة يقظى جريئة عَلَى الدخول في الحياة التجارية تدخل هذه الحياة واعمالها مكللة بالنجاح ٠

ومن متممات التربية الاقتصادية الدروس الليلية والمتاحف التجارية ودور الانباء والاستعلامات وكل هذه متممة لفوائد التدريس والتعليم ٠

٢ — الغرف التجارية توجه الرأي العام نحو عقد المعاهدات التجارية عَلَى المبادي الحرة وتسعى في تنظيم تعرفات الجمارك بحيث تسهل نشوء التجارة وتقدمها

٣ — تتوسط الغرف التجارية في عقد المقاولات بين الامم صيانة لحق التملك الصناعي خارج البلاد كما في داخلها وتطالب بسن القوانين الضامنة لانتقال الحقوق الاجتماعية والبيوت التجارية من البائع الى المشتري دون اضطرار الى تغيير اسمائها وبذلك يصان كل اسم تجاري ذي شهرة من الاختلاس والضياع ٠

٤ — الغرف تعاضد الحكومة نقداً ومادة لانشاء المشاريع العمرانية النافعة ٠

٥ — تصدر الغرف التجارية مناشير ومجلات وتطبع محاضر جلساتها وكثيراً ماتنشر نتائج تحقيقاتها الخاصة عن المسائل التجارية ٠

٦ — اذا كانت دائرة الغرفة ضيقة النطاق لاتقتصر في ابحاثها وتتبعاتها عَلَى هذه الدائرة وتطالب بالاصلاحات التي تنفع عامة انحاء المملكة وتنتخب كل مايمكنها من الوسائل التي تؤدي الى التقدم والرقي ٠

وفي المراكز التجارية الاوربية كافة اندية تقوم بهذه الوظائف احسن قيام واعضاؤها من الرجال الذين قضوا اربعين او خمسين حجة من حياتهم في التجارة واشتهروا في خلالها بالعلم والعمل ومكارم الاخلاق ٠ واذا شئت ان تعلم كم لاعمال اولئك الرجال ، رجال العلم والعمل ومباحثاتهم من الفوائد فهذه آراؤهم في المسائل التي لها مساس بحياة بلادهم الاقتصادية والمالية ومطاليبهم التي يعرضونها عَلَى حكوماتهم واعمالهم وآثارهم المفيدة كلها شواهد وحجج دامغة ٠

اقتبست قوانين غرفنا التجارية من الغرف الفرنسوية ولذلك سنبحث هنا عن ماضي هذه وحاضرها لنعلم منشأ تلك ٠ اول غرفة تجارية فرنسوية أُسست غرفة مرسيليا التجارية التي كان تأسيسها في اواخر القرن السادس عشر وانشيء ايضا في اوائل القرن

السابع عشر من الغرف التجارية في تسع مدائن فرنسوية محافظة على المصالح التجارية. ولكل واحدة من هذه الغرف شكل خاص ومع ذلك فان لها اوصافاً عامة مشتركة بينهن فاعضاء الغرف الطبيعيون هم اعضاء محاكم التجارة والاعضاء المنتخبون «بفتح الخاء» يؤخذون من صنوف التجار والقدماء منهم اومن اعضاء محكمة التجارة سابقاً. وكانت الغرف مكلفة بابداء آرائها ومطاليبها فيما يتعلق بالمصالح التجارية وعرض المذكرات التي يدفعها التجار اليها الى المراجع العليا.

يقول مؤرخو الفرنسيس لم تؤثر هذه الغرف في سياسة البلاد الاقتصادية تأثيراً مهماً ولم يكن لها سلطة تذكر الا ان غرفة التجارة المارسيلية لم تكن كذلك بالنسبة لامتيازها الطبيعي ولان قنصليات الشرق كانت ملحقة بها ولما على التجار من الحقوق والواجبات المؤبدة بالقانون وكانت تسمح لاقامة الفرنسويين في مرسيليا وكان لها اسطول لمناهضة اللصوصية في البحر «القرصان». ومن جملة اعمالها انها كانت تشتري الاسرى وتقدم الهدايا الى الملك وتغيث السفائن المنكوبة وقد بلغت نفقاتها الاعتيادية مليوناً واحداً عام ١٧٨٩

ولما ألغي اكثر اوضاع الدور السابق عقب الثورة الفرنسوية الكبرى ألغيت الغرف التجارية في الجملة وبعد ثمانية اوعشرة اعوام أسست في اثنين وعشرين بلدة غرف تجارية مقيدة بقيود نظامية ضيقة النطاق غيران هذا الشكل لم يثمر قط ولم يمنح وقتئذ حق انتخاب الاعضاء الا لاربعين اوخمسين تاجراً كان ينتخبهم الوالي وقضى الامر المؤرخ سنة ١٨٣٢ باحداث لجان منتخبة مؤلفة من اعضاء محكمة التجارة واعضاء مجلس الصلح وجماعة من التجار يبلغ عددهم عدد اعضاء ذينك المجلسين ومنحت ثورة عام ١٨٤٨ حق انتخاب الاعضاء لغرفة التجارة التجار الذين يؤدون ضريبة الباتنت عامة. ولما عادت الادارة السابقة امر الامبراطور بأن يكون تأليف لجنة الانتخاب من قبل الوالي والقاعدة المرعية اليوم في انتخاب الاعضاء وضعت عام ١٨٧٢. وآخر نظام يتعلق بالغرف التجارية وضع عام ١٨٩٨

والغرف التجارية في نظر القانون الفرنسوي هي واسطة الدفاع امام الحكومة عن المصالح التجارية في اصقاعها المعينة. ولا توجد الغرف التجارية في الجهات عامة وانما يطلب ناظر التجارة والصناعة تأسيسها حيث يرجى النفع ثم يؤخذ رأي مجلس الناحية التي طلب الناظر تأسيس الغرفة فيها ورأي مجلس الولاية العام والغرف التجارية فيها وبعد كل ذلك

تفتتح بارادة خاصة ٠ وفي القانون صراحة بانه لابد من وجود غرفة تجارية واحدة في كل ولاية عَلَى الاقل واذا دعت المصالح التجارية الى تأسيس اكثر من غرفة يجوز وعندئذ يذكر في الارادة الصادرة بتأسيس كل غرفة حدود القطعة التي يتعلق بالغرفة الدفاع عن مصالحها التجارية ٠ وفي بعض الولايات تسع غرف تجارية ٠ وللغرف التجارية اعضاء اصليون اوعاملون واعضاء مخابرون ٠ وسأعود الى بيان كيفية انتخاب الاعضاء الاصليين اما الاعضاء المراسلون فتنتخبهم الغرف رأساً ولهم الحق في حضور الجلسات ويستضاء بآرائهم ولايجوز ان يكونوا اكثر عدداً من الاعضاء الاصليين ٠ والاعضاء المراسلون احسن صلة بين الغرفة والتجار وبوجودهم في هذه العضوية يتهيئون للانتظام في المستقبل في العضوية الاصلية التي لاشك انها اكثر مكانة من الاولى ولايغرب عن القارئ الكريم ماينجم عن هذه الاصول من الفوائد ٠ وعدد الاعضاء العاملين يختلف بين ٩ و٢١ ويجوز ابلاغ عددهم الى (٣٦) في غرفة التجارة الباريزية فقط ويجب التصريح بعدد اعضاء كل غرفة في الارادة القاضية بتأسيسها واذا قضت الاحوال يجوز تعديل هذا العدد بالارادات التي تصدر بعد التأسيس ٠

واليك الآن اصول انتخاب الاعضاء الاصليين ٠ ينتخب كل من محكمة التجارة وغرفة التجارة ومجلس الصلح ومجلس البلدية والمجلس العام بعض اعضاء مجلسه فتتألف من هؤلاء المنتخبين «بفتح الخاء» ورؤساء المجالس المذكورة «محكمة التجارة والغرفة التجارية ومجلس الصلح والمجلس العام» لجنة تعنى بتنظيم دفتر باسماء المنتخبين «بكسر الخاء» ولا يجوز ان يكون عددهم اقل من خمسين ولا اكثر من الف «الا في باريز فيجوز ان يكون عدد المنتخبين ثلاثة آلاف وان يكون معادلا لعدد عشر التجار المكلفين بتأدية ضريبة الباتنت وبعد اتمام هذا الدفتر يدفعون به الى الوالي ليعلنه

ثم تلتئم لجنة الانتخاب تحت رئاسة مدير الناحية وتشرع بالانتخاب وشروط الانتخاب للعضوية ان يكون المرشح مكلفاً بتأدية ضريبة الباتنت منذ خمس سنين ومقيماً خلال هذه المدة داخل حدود الاقليم الذي تنتسب الغرفة اليه وبالغاً الثلاثين من عمره وان يكون ايضاً اما تاجراً اودلالا في البورصة اومن مديري شركات الآنونيم اوربانا لاحدى السفن ذات الاسفار البعيدة ولم يصرح القانون بشروط اللجنة غير انه معتبر ضمناً لما لاعمال الفرق ومقاصدها من الشأن الوطني

وتجري الانتخابات بالرأي الخفي والاكثرية المطلقة عن المرشحين المسطرة اسماؤهم عَلَى

قائمة خاصة واذا تساوت الآراء ينظر الى الاكثرية الاضافية واذا تكرر التساوي يرجح الاكبر سناً ثم يكتبون محضراً بصورة الانتخاب ويدفعونه الى الوالي وهذا يرسله الى ناظر التجارة • وللناظر حق مطلق في رفض عضوية اي شخص كان من المنتخبين (بفتح الخاء) ولو لم يكن ثمت اسباب قانونية • وبعد اجازة انتخاب الاعضاء وتصديقه من قبل الناظر يؤسس الوالي الغرفة بالفعل • ومدة العضوية ست سنوات ويتجدد انتخاب ثلث الاعضاء مرة في كل عامين بطريقة الاقتراع ويجوز اعادة انتخاب اي عضو كان بعد انقضاء مدته مهما تكرر انتخابه للعضوية والعضو الذي يتغيب عن الغرفة ستة اشهر بلا معذرة يطلب الناظر رأي الغرفة في شأنه ثم بعد اخذ رأي الغرفة يعلن انه اعتبر مستقيلا من عضوية الغرفة وينتخب (بفتح الخاء) سواء في اول انتخاب (من الانتخابات الجزئية) التي تتخلل الست سنوات •

ظهر للقاريء الكريم ان الانتخاب لايشمل التجار كافة ولقد تكرر الطلب من مجلسي الامة والاعيان لتوسيع هذا الحق ولم يسعف المجلسان هذا الطلب • وبعد ان تتألف الغرفة من الاعضاء يجتمع اعضاؤها وينتخبون لهم رئيساً اول ورئيساً ثانياً اورئيسين ثانويين وكاتباً واميناً للصندوق ولغرفة التجارة البارىزية وحدها الحق في انتخاب عدة رؤساء ثانويين وكاتبين ويتجدد انتخاب الرؤساء والكاتب وامين الصندوق مرة في كل عامين ولابأس بتجديد انتخابهم لهذه الوظائف نفسها وللولاة والمتصرفين الحق في حضور الجلسات وآراؤهم استشارية وكانوا قبلا من الاعضاء الطبيعية يرأسون الجلسات التي يحضرونها • واذا فقدت الغرفة ربع اعضائها باي سبب من الاسباب يجب انتخاب غيرهم في مدة شهرين وتدعى هذه الانتخابات الانتخابات المتممة • الا اذا كانت السنة التي حدث فيها هذا النقص في مجموع الاعضاء سنة الانتخابات الجزئية فيجب حينئذ التربص ريثما تجري هذه الانتخابات • ولا يجوز هذا التأخر الى حلول وقت الانتخابات الجزئية اذا فقدت الغرفة نصف اعضائها فاكثر • ومن حاز الاصوات الكافية في الانتخابات المتممة تنتهي مدته بانقضاء مدة العضو الذي انتخب عنه •

ولاتجري المفاوضة عن امر ما في الغرفة الا اذا حضر اكثر من نصف الاعضاء ولا يبرم امر الا باكثرية الاصوات المطلقة واذا تساوت الاصوات فالارجحية في جانب الرئيس •

ولا يتقاضى الرئيس والاعضاء رواتب عن وظائفهم هذه ولرئيس محكمة التجارة

حق التقدم على رئيس غرفة التجارة في التشريفات كما ان لاعضاء هذه المحكمة نفس الحق على اعضاء الغرفة التجارية ٠

وللغرف التجارية استقلال تام في الامور الداخلية وهي تسن نظامها الداخلي وتعدله كما شاءت ولها حق المخابرة رأساً مع ناظر التجارة وغيره من النظار ٠ والقانون صريح في ان للغرف ان تنشر محاضر جلساتها واكثر الغرف تستفيد من هذا الحق ٠ وليس لاعضاء غرف التجارة صفة الموظفين ولا تعتبر اعمالهم من اعمال القوة الاجرائية بتاتاً ٠

واليك الواجبات الرئيسة التي يجب ان تقوم بها غرف التجارة باعتبارها شخصاً ادبياً ذا استقلال له كما عليه حقوق وواجبات،

١ — الاجابة عن الاسئلة التي ترد الى الغرف فيما يتعلق بالامور الصناعية والتجارية ٠

٢ — ان تبدي الغرف آراءها في اسباب ترقية الصناعات والتجارة

٣ — القيام بالاعمال التي يتحتم على الغرفة صيانتها

فالبند الاول والبند الثاني من واجبات الغرف الاستشارية والثالث من حقوقها الادارية ٠ والغرف التجارية تؤسس مخازن عامة ومستودعات تجارية ودوراً للبورصة ومدارس تجارية وكذلك تشتري امتيازات بعض المشاريع النافعة ٠ ولا بأس بمنح الغرف هذه الامتيازات اذا رغبت هي فيها بشرط ان لا تثبط مساعي الافراد او تضعف فيهم قوة الاقدام للقيام بهذه الاعمال والمشاريع ٠ والامور التي يرجع فيها لرأي الغرف هي كل ما له مساس بالنظامات والعادات التجارية وانشاء غرف تجارية جديدة ودور للبورصة ومحاكم تجارية ومراكز لسماسرة البورصة والدلالين وبيان اسعار الاموال وتصديقها عند الحاجة وماله علاقة بتعريفة الدلالة وانظمتها وتعاريف الجمارك واصول الرسوم الجمركية وتعارف النقليات وقوانينها والضرائب التي تؤخذ لتنفق في محلها للمشاريع النافعة والعمرانية وتأسيس مصارف «بنوك» جديدة او فروع للمصرف الفرنسوي ومخازن عامة واحداث اماكن للبيع بالمزايدة ٠

والغرف التجارية مكلفة بدفع ضريبة الباتنت عن الاشغال التجاريه التي تتعاطاها برخصة خاصة او امتياز بشرط ان يكون لها منها ربح صاف واما اذا توازنت النفقات والمداخيل فلا تدفع شيئاً ٠ ومن حقوق الغرف المهمة حق المخابرة بعضها مع بعض والاتحاد لصيانة

المصالح العامة المشتركة وتتكبد بعض النفقات المشتركة ايضاً . فالمخابرة سهلت المفاوضة بين الغرف وبالاشتراك سهل القيام بالمشاريع التي لها علاقة باكثر من ولاية .

تنقسم مداخيل الغرف الى ثلاثة اقسام : (١) ضريبة الباتنت التي تستوفى من التجار بحسب طبقاتهم ومكلفيتهم والهبات والوصايا (٢) المداخيل الغير الاعتيادية وهي الضميمة التي تضاف الى ضريبة الباتنت والتخصيصات التي تأخذها من الحكومة وما يرد على الغرف من مبيع العقارات والقروض (٣) المداخيل الصافية التي تأخذها الغرف المذكورة من الاعمال والمشاريع النافعة والتجارية التي تقوم بها .

وتنقسم نفقات الغرف ايضاً الى ثلاثة اقسام « ١ » النفقات العادية « ٢ » النفقات الغير العادية « ٣ » النفقات الخاصة .

النفقات الاولى ماتنفقه الغرف لادارتها السنوية ، الثانية ماتنفقه الغرف لشراء اراضي وعقارات او بنائها اوالمخصصات الغير العادية . والثالثة وهي النفقات الخاصة ماتنفقه الغرف على الاوضاع التي لها اوتعهدت هي بادارتها . والقانون الفرنسوي الاخير سمح للغرف التجارية بتأليف ذخر احتياطي وهي مكلفة بتنظيم موازنة منتظمة تجيزها نظارة التجارة ولها ان تعقد قروضاً باسمها ولكن لابد من اقترانها بارادة رئيس الحكومة .

هذه خلاصة كيفية تأسيس غرف التجارة الفرنسوية ويظهر مما سبق انها ليست حرة تماماً وبينها وبين الحكومة صلات وارتباط . الباقي للآتي

بين النهرين : تعريب ز . خ

نهضة سورية

لم يبق مجال للشك بان بلاد الشام ناهضة نحو الترقي بقدم ثابتة وعزم اكيد فقد بدأت تباشير النهضة من بيروت بُعيد حوادث سنة الستين التي انتهت بمنح الاستقلال الاداري لجبل لبنان وضعف امرها في اواخر مدة السلطان المخلوع عدو المعارف اللدود ثم سرت نفحة من تلك الروح الطيبة بعد اعلان الحرية اذ ايقن بعض الاهالي ان العهد عهد كفاءات لاعهد شفاعات والدور دور نشاط واقدام لادور جمود واحجام وان من لايعد للدهر عدته يهلكه الدهر ولا من يرحمه .

ولقد نال من نعمة الدستور في السلطنة كل بلد بقدر استعداد اهله وكان من توفرت لهم ذرائع التعلم اكثر ركوضاً الى ورود مناهل العلم وليس في سورية مدينة

استقام لها امر التعليم كثغر بيروت الذي حمل اليه الافرنج ولا يزالون يحملون علمهم واموالهم ليربوا بها ناشئة الشرق ويخرجوهم عَلَى المنازع الغربية مازجين الى تلقين المدنية تلقين النصرانية وقد وفقوا الى ماقصدوا اليه منذ نحو نصف قرن

ولكن اهل البلاد انتبهوا الى مايلحقهم من الفضاضة اذا ظلوا عيالاً عَلَى ما اسسه لهم الافرنج من المدارس فبدأوا بتأسيس مدارس طائفية اهلية سبق اليها المسيحيون اولاً في بيروت وبعض مدن سورية ثم حذا حذوهم المسلمون في بيروت فدمشق فغيرهما ولكن البيروتيين عَلَى قلة عددهم وغناهم بالنسبة للدمشقيين فاقوا جيرانهم هؤلاء لان اعتمادهم كان عَلَى انفسهم واعتبروا حق الاعتبار بما حمله اليهم المرسلون من الاميركان والالمان والروس والفرنسيس وقدروا المبادئ والخواتيم فرأوا انه لاينقذهم من سوء المصير الا العمل لتثقيف عقول ابنائهم عَلَى الطرق الوطنية الحديثة

اما الدمشقيون فقد استمرؤا وظائف الحكومة فكانوا ولم يزالوا اذا تعلموا شيئاً لايقدرون له من الفوائد الا بقدر ما يقربهم زلفى من الحكام ويوليهم التصدر في دست الرئاسة ولذا يرجح ان يكون مستقبل البيروتيين اكثر ثماراً جنية من مستقبل جيرانهم اللهم الا اذا اعتمد الدمشقيون عَلَى انفسهم وحسبوا التوظف ثانوياً وقللوا من توقيره في نفوسهم .

هذا مثال ضربناه اماسائر مدن سورية كالقدس وحيفا ويافا وصيدا وعكاء وطرابلس واللاذقية وحمص وحماة وحلب واسكندرونة وزحلة وغيرها فقد هبت للتعلم بقدرما تساعدها اسبابها ومن كان اقرب الى الاختلاط بالغربيين كانت نهضته اقوى وارقى كما هو المشاهد من حال حمص اذا قيست بغيرها بالنظر لموقعها وحالها وكثرة المهاجرين منها الى مصر واميركا فانا نراها آخذة نحو الرقي وهي لاتتجاوز الخمسين الف نسمة اكثر من حلب التي تربو عَلَى مائتين وشتان بين مركز قضاء من اعماله عشرات من القرى والمزارع وبين قاعدة ولاية عظمى من بعض عمالاتها انطاكية والرها ومرعش بل الوف من القرى والمزارع العامرة الغنية وتجارة واسعة تمتد الى بغداد والى ولايات الاناضول كافة بل كانت فيما مضى دار ملك بني حمدان .

ولكن الحلبيين ابتلوا بما ابتليت به من قبل بعض الحواضر والعواصم كالاستانة التي يعول اهلها عَلَى الحكومة في ترقيتهم وكاد بعضهم يتناسون لسانهم ليتعلموا اللسان الرسمي فيتسنى لهم به ان توسد اليهم الوظائف التي تتلمظ بحلواتها شفاه كل وكلة تكلة يحب ان يعيش كالحلمات الطفيلية بامتصاص دم غيره .

امام الامة اليوم طرق ثلاث تسلكها او احدها للخلاص من ربقة الجهل ومصافحة انامل

الحضارة على مايجب وبقدر مايجب وهي اما ان تضع جميع امانيها بالحكومة وتنتظر الفرج يأتيها على يد نظارة معارفها وهو بعيد الحصول قليل الثمرة مهما يرقشه المبرقشون وزينه السائسون والحاكمون ٠

فنظارة المعارف العثمانية قد سنت نظام التعليم الابتدائي والثانوي والعالي بحيث يلائم الاستانة وبعض ولايات الاناضول التي يتكلم اهلها بالتركية ولم تسنه بحيث ينطبق مع حاجة ابن قوصوه ويانيا ومناستر واشقودرة انطباقه مع حاجة ابن وان وارضروم وبتليس ومعمورة العزيز اوسورية وبيروت وطرابلس الغرب واليمن ٠ فالذين سنوا قانون المعارف كانوا متأثرين بعوامل من حب قوميتهم ولسانهم فلم ينظروا الى الاثر النافع الواجب اعطاؤه لاهل كل اقليم بحسب محيطهم ومزاجهم بل سنوه واكثرهم لايعرف من حال الولايات الا النزر اليسير الذي لايخول صاحبه حق التشريع لامة مختلفة اللهجات والحاجات ٠

وبعد فانا لانعرف كيف تعلل اجبار ابن جبل عجلون على دراسة التركية قبل ان ينال حظاً من لغته ٠ فاذا حملناه على تلقف لغة اجنبية قبل ان يحكم اصول لغته هل يكون فائدة منه لامته ووطنه يا ترى ؟ وهل بدراسة مختلة الاسلوب يتيسر لنا ان « نترك » هذا العجلوني مادام لاغنية له عن بلاده وقد لايخرج منها الا لقضاء الخدمة في الجندية ثم يعود لحراثه وسكته وثوره وجمله وحماره

اليس الاولى له ان يتعلم من لغته القدر اللازم له من كتابة وقراءة وبعض العلوم العملية الضرورية ؟ وكيف يتيسر لغريب عن لغة لايعانيها ولا يسمع لهجتها ولا يقرأ آدابها ان يستطيع بها التعبير عن مقاصده في مثل هذه المدة القصيرة من دراستها ٠ اما هو انفع للدولة والامة اذا تعلم هذا الفلاح باللغة التي هي اقرب اليه وانصرف الى ارضه وزرعه اكثر من تعليمه لغة صعبة عليه لاتنفعه الا اذا طمح للاستخدام في الوظائف الادارية والعسكرية ومن يبق عندذلك يا ترى للتوفر على اخراج ثروة البلاد والانفاق على هذا الجيش الكثير العدد والمدد وسائر مايشترك العثمانيون في تسديده في ميزانيتهم من النفقات

ان معنى الوقوف بالعجلونيين عند حد تلقين مبادئ التركية هو ان الحكومة تريد ان تجعل من جمهور الامة حكاماً وامراء وضباطاً حتى تكون مادة حياة البلاد آخذة

بالدثور و يصبح الناس كلهم كمتعلمي الاستانة لايحلمون بغير الوظائف ولا يرون السعادة الامن طريقها

هذا ما كان من اصلاح نظارة المعارف في البلاد العربية اما مدارس الاجانب فلا تخلو ايضاً من مضار لان معظمها يأتينا باسم النصرانية ليلقنها الموافق والمخالف و ينشر آداب لغته وحب بلاده فترى التلميذ يتخرج في تلك المدارس وهي ارق من المدارس العالية في الاستانة ايضاً ملماً بلغته ولكنه محكماً اللغة التي تلقى بها مبادئ العلوم وجاهلا كل الجهل بما ينفع بلاده وقد لايعرف من تاريخها وعمرانها واجتماعها اكثر مما يعرف عامة الطليان والاسبان عنها فلا يلبث وقد زينوا له حال الغرب ان ينقلب اليها مهاجراً فكأن هذه المدارس برزخ تنقل الدارسين فيها من وطنهم لتعدهم لخدمة اوطان اخرى و بفضل تلك المدارس هاجر من سورية زهاء ثلثمائة الف نسمة و بعضهم من المتعلمين يطلبون الرزق في جمهوريات الشمال والجنوب من اميركا ومستعمرات افريقية تخربت بذهابهم بلادهم وهم لم يستفيدوا بقدر ما فادوا به

ومن ثم لم يبق لنا سوى الامر الثالث الذي يجب علينا الاعتماد عليه الآن لنهوضنا ونعني به المدارس الاهلية والسعي في تحسين حالتها المادية والادبية فهذا النوع من المدارس هو هو معقد آمالنا ومنه تنبعث شعلة نور الحق وتتأيد كلمة الوطنية وتحيا اللغة العربية فلو أنشئت مثلا في كل بلدة وقرية مدرسة اهلية كالمدرسة العثمانية والمدرسة العلمية في دمشق والمدرسة العثمانية ودار العلوم في بيروت مثلا ووسد التدريس فيها الى خيرة رجال العلم والادب يثقفون العقول على منازع الفضيلة وحب الوطن والسعي الى الكمال العقلي لنشأ لنا منها بعد زمن وان كانت بدرجتها ادنى من المدارس الثانوية وارقى من الابتدائية ناشئة تستطيع ان تعمل كل عمل وتستعد الى التبريز فيه لانها تكون عارفة بتاريخ بلادها وعظمة امتها ومنزلة لغتها من لغات الشرق والغرب تنفع بما تعلمته العامة قبل الخاصة

شاهدنا غير واحد من اهل هذه البلاد ممن درسوا في مدارس الاجانب العالية فاحكموا لغة اوربية او درسوا في مدارس الحكومة العالية فاحكموا اللغة التركية فما رأيناهم الا قاصرين غير نافعين لانهم ضعفاء في التعبير عن مقاصدهم بلغتهم وشاهدنا من عانوا لغتهم وشدوا شيئاً من آدابها فاقتدروا على الكتابة والخطابة فيها مع ما احكموه من اللغات الاجنبية والعلوم الحديثة واصبح العلم الذي درسوه ملكا لهم لاما لكاً لهم

يصورونه متى شاؤا في المظهر اللائق به فينقلون من اسباب المدنية مايطبقونه على مصلحة بلادهم لانهم يعرفون داءها ودواءها ويشعرون بالواجب عليهم لها

رأينا اكثر من احكموا اللغات الاعجمية الاجنبية احكام ابنائها لما اذا قضي عليهم ان يقوا في ارضهم بعد سن الدراسة صمّاً بكماً في المجالس عمياً عن مصالح الامة والبلاد لايحسنون المدخل والمخرج دأبهم التأفف من اهل بلدهم لانهم لايفهمونهم وماذلك الا لان تلك اللغة التي احكموها وزهدوا في لغة آبائهم قد نقلتهم الى عداد اهل تلك اللغة فكثروا سواد العارفين بها ولو تمثلوا العلوم بلغتهم لنقلوها اليها فزادوها قوة بدلاً من ان تزيد بضعفهم ضعفاً .

واحسن واسطة لارضاء العناصر العثمانية التي لاتقل عن اثني عشر عنصراً تتكلم باثنتي عشرة لغة مختلفة ان تترك حرية التعلم لكل عنصر بتعلم لغته وبعض مايبدو له غناؤه من اللغات الاخرى والعلوم وبذلك يسهل اشراب القلوب محبة الوطنية وتحضير العامة على اسرع صورة مقبولة وربطهم برباط الوحدة العثمانية ومن احب الاستخدام يدخل المدارس الثانوية فيحكم التركية ومن احب الاتجار والتمحض للعلم يحكم لغة راقية من لغات اوربا مشفوعة بالعلم الذي يلزمه الاخصاء فيه والا فان الفلاحي والبلغاري والرومي والارناؤدي والارمني واللازي والجركسي والتركي والكردي والبشناقي والاسرائيلي والعربي يصعب جداً تحضيرهم في قرون كما صعب على النمسا ان تربط الجرماني بالمجري بالتشكي بالبوهيمي بالبوشناقي بالكرواسي بالبولوني الا بعد ان اطلقت لاهلها الحرية ان يتعلموا بلغتهم وبدون ذلك لاتنهض البلاد

سير العلم والاجتماع

المدارس الصناعية في المانيا

كتب احد رجال الفرنسيس كتاباً سماه « المانيا العاملة » جاء في بعض فصوله ماتعريبه : ان السائح الذي يجتاز المانيا يدهش في العادة من انه لايرى بيتاً قائماً وحده في الاراضي الزراعية بل ان جميع المساكن في الحقول منضمة بعضها الى بعض بحيث يتألف منها احياناً مدن وهذا ممايدل على فكر الاشتراك المتأصل في العنصر الجرماني الذي يستغرب حال شخص يريد الابتعاد عن اخيه وهناك شيء آخر وهو ان معظم حكومات المانيا

تحظر انشاء المساكن بعيدة عن مراكز القرى حتى لا يحرم الاولاد من الاختلاف الى المدرسة في الايام الممطرة العاصفة وهناك يسأل الوالدان عن ولد تأخر عن المدرسة فاذا تخلف احدهم يجب على اقربائه ان يبينوا معذرته والا فيجزون اشد الجزاء . وعلى رؤساء المعامل الذين يستخدمون في الخلاء عملة اوموظفين ان يضمنوا لاولادهم حملهم كل يوم الى مدرسة القرية القريبة واذا كثر العملة في بقعة بعيدة وزاد سوادهم تؤسس في الحال مدرسة عامة وتكون في العادة باعانة من صاحب العمل . وكان من اثر هذه العناية ان قل عدد الاميين في المانيا بحيث لا تجد واحداً في الالف على انهم لم يكتفوا بتعليم مبادئ فقط بل انك لا تدخل قرية ولا معملا ولا بيتاً الا وتجد الجرائد والكتب في الايدي تتلى ويستفاد منها وذلك بين جميع طبقات الالمان

للتعليم الابتدائي والاوسط في المانيا ميزتان لا نظير لها في سائر الممالك وهي انه لا يبعد المتعلم عن العيشة البيتية بين ذويه وهو سلم للتعليم الصناعي الذي تختلف درجاته وتراه نظرياً وعملياً في آن واحد

وماذا اقول في دروس الاشياء والمجاميع النفيسة التي تراها في المدارس الالمانية والتعليم بالنظر وبالذهن والعمل والنزهات المفيدة وغير ذلك من انواع التربية . وما من الماني الا ويتعلم شيئاً من التعليم الصناعي في هذه البلاد التي يكاد الناس كلهم يعملون قد وقع في النفوس انه لا يجوز لاحد ان يتعاطى صناعة من الصنائع المقررة قبل ان يتعلمها بالنظر والعمل وهذا ما ادى الى انشاء كثير من المعاهد الملوكية والامبراطورية والبلدية والخصوصية تقصدها الامة فتستقي من مواردها قوتها المنتجة والعقلية

واعظم هذه المعاهد واقدمها واشهرها هي كلياتها وعددها اثنتان وعشرون كلية وكانت كل امارة من الامارات الالمانية فيما مضى تحاول ان تكون لها كلية فاقدمها كلية هايدلبرغ انشئت سنة ١٣٨٦ واحدثها كلية بون أسست سنة ١٨١٨ . وقدم الكلية عنوان شرف لها وقد بقيت كلية هايدلبرغ اكثر الكليات محافظة على منزلتها السامية اما كلية برلين التي أنشئت سنة ١٨٠٩ فطلابها اكثر . ومن اشهر كليات المانيا كلية ليبسك أنشئت سنة ١٤٠٩ وهي تفاخر بانه كان من جملة اساتذتها الفيلسوف لايبنز ومن جملة طلابها كيتي وريشارد فانير

ولئن كانت الكليات الالمانية مستقلة حرة على صورة لم تحصل عليها كليات فرنسا فهي منظمة بنظام واحد فالكليات مهما كانت وجهتها في تعليمها نظرية او عملية

لاتنافس في اعداد مهندسين وصناع والمباحث التي يستفيد منها امثالهم لا يظفرون بها الا في المجامع الكيماوية والطبيعية . والعلوم الطبيعية في المدارس الصناعية هي التي يتخرج فيها ارباب الهندسة والصناعات وهذه المدارس تابعة لكل امارة هي في بلادها تدير شؤونها وتعطي الدارسين فيها شهاداتهم بعد دراسة اربع سنين وعددهـا اثنتا عشرة مدرسة وهي في مدن اكس لاشبل برلين برنـويك كارلسروح درامستاد درسد هانوفر مونيخ ستوتكار دانزيك برسلو فيبرغ وفي هذه المدارس زهاء اثني عشر الف طالب فيخرج منهم كل سنة ثلاثة آلاف مهندس عدا من يتخرجون من المدارس الثانوية الصناعية

وقد كانت الكليات هي التي تمنح لقب دكتور اشرف الالقاب واعلاها في المانيا وبعد جدال طويل في مجلس النواب تقرر ان من حق تلك المدارس الصناعية ان تمنح هذا اللقب وبذلك خرجت المانيا عن تقاليدها القديمة بعض الشيء . ولا تسل كيف ينظر اولئك الفلاسفة واللاهوتيون واللغويون اخلاف الفلاسفة هيكل وكانت وليسنغ لمن نالوا شهاداتهم عَلَى طريقة اميركا الشمالية لانهم اتقنوا صناعة من الصناعات . والالمان احرص الامم عَلَى لقب دكتور حتى انك اذا لم تطلق هذا اللقب الشريف عَلَى من ناله عد ذلك منك سخرية وفي ذلك دليل كبير ليل هذا الا ـ ـ للعلم والتلقب بالقابه وقد كان للامبراطور غليوم الثاني يد طولى في اعطاء المدارس الصناعية حق اعطاء هذا اللقب الشريف حتى قال في خطاب له القاه عَلَى تلامذة المدرسة الصناعية قرب برلين : انني اغتبط لاني استطعت ان امنح للمدارس الصناعية العالية لقب دكتور انتم تعلمون انني تحملت مقاومات شديدة في هذا السبيل اما اليوم فقد اضمحلت وقد اردت ان اجعل للمدارس الصناعية المقام الاول لما لها من المنزلة السامية لا من حيث العلم العملي بل من حيث الوجهة الاجتماعية . ونظام هذه المدارس واحد وتعليمها واحد اللهم الا ان بعضها تبذل العناية في فروع تمس حاجة اقطارها لها مثل مدرسة اكس لاشبل التي تعنى بتعدين المناجم كل العناية ومدرسة دانزيك التي تعنى ببناء السفن . وكان من ظفر هذه المدارس باعطاء لقب دكتور اكبر دليل عَلَى غلبة الحديث عَلَى القديم

ومدة الدراسة في المدارس الصناعية اربع سنين يدخلها من بيده من الوطنيين او الاجانب شهادة من مدرسة ثانوية وفيها يتجلى ميل الالمان للاخصاء فيعلمون ما يعلمه غيرهم من الامم فرداً واحداً لخمسة افراد قائلين ان الذهن لا يتسع لا كثار المواد عليه ففي مدرسة هانوفر

مثلاً أناس يتعلمون فن البناء وآخرون الهندسة وغيرهم علم الحيل (الميكانيك) وغيرهم الكيمياء الصرفة وآخرون الكيمياء الكهربائية وغيرهم اجماليات وفيهم ٩٠٨ تلامذة و١٩٤ تليذة و١٥٥ مستمعاً وبين الجميع ٥٩ اجنبياً من امم مختلفة والدروس عملية اكثر منها نظرية وهذه المدرسة خارجية يتناول التلامذة طعامهم قبل الدخول اليها وينقطعون عن العمل من بعد ظهر السبت الى صباح الاثنين كل اسبوع والالمان لا يحرصون على تعليم الهندسة لاذكى اذكيائهم بل يريدون ان يجعلوها قريبة المنال من كل احد وهم يستعملون كل الطرق التي يرونها نافعة لئلا يتعبوا الفكر على غير طائل باغراقه مدة ساعات في قراءة صورة ولذلك ترى الاساتذة يأخذون تلامذتهم الى معامل خاصة كثيراً ما تكون بعيدة عن المدرسة ليطلعوهم بالعمل على ماينبغي لهم الاطلاع عليه من الآلات والادوات وكل معامل المدرسة وغرفها وحجر كتبها وصفوفها منارة بالكهربائية اوالغاز على صورة لا تضر بصحة عيون الطلبة حتى انه ليقل جداً عدد الحسر بين الالمان لشدة العناية بصحة العيون . ومثل ذلك يقال عن مدرسة دانزيك وهي خاصة باعمال الهندسة للعارات البحرية واعمال الري والمرافيء ومجاري الماء وهي كسائر مدارس الصنائع الكبرى اشبه بقصور الملوك منها بالمدارس لما حوت من المرافق والردهات والماشي والساحات والادوات وهذه المدرسة قد كلف بناؤها فقط سبعة ملايين فرنك ويكفي ان يتصور القاريء عظمتها اذا قلنا له ان فيها ٩٤ الف متر من الاسلاك الكهربائية و ٢٠٤٥٠ متراً من اللوالب و٢٩٠٥ مصابيح بيضاء متأججة و٣٧٢ مصباحاً ذا قوس قوتها ٢٨٥٨٥٠ شمعة . وقصارى القول انك لا تمر بقرية ولا قصبة ولا مدينة ولا عاصمة في المانيا الا وتجد فيها مدارس صناعية كبرى وصغرى على نفقة الحكومة او البلديات تعلم الصناعات المختلفة بحيث فاض عددهم عن حاجة البلاد وذلك لان الشعب الالماني موقن بان الواجب ان يسلح كل ولد في الوطن الالماني بالاسلحة الضرورية في الجهاد الاقتصادي

مخطوطات نادرة

في المدرسة الاحمدية في حلب خزانة كتب عربية مخطوطة نجت من عوادي الدهر فكانت احفل مكاتب الشهباء . والى القاريء المخطوطات التي لها علاقة بموضوع هذه المجلة ننقلها من فهرست نسخه سليم افندي البخاري من علماء دمشق منذ بضع وعشرين سنة «كتب الادب والدواوين» : شرح نهج البلاغة نسختان . شرح ديوان المتنبي

لابن جني · ايضاً للواحدي · تمثيل المحاضرة للثعالبي انتخاب حياة الحيوان · مسليات الحزين · شرح درة الغواص · الجزء الاول من المسعودي على المقامات · الجزء الاول من مناهج الفكر [١] · جواهر العقدين في فضل الشرفين · مجموع ابن شمس الخلافة · طبقات الملوك للثعالبي ·

«كتب التاريخ» : الاول من مرآة الزمان · تاريخ ابن الخطيب المسمى بدر المنتخب مجلدان والثاني مخروم الآخر · من الوافي بالوفيات للصفدي جلد ٤ · مختصر تاريخ الذهبي المسمى بالعباب · من مختصر تاريخ الذهبي جلد ٦ · من تاريخ الذهبي جلد ٥ · الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ · مجموعة في طبقات العلماء · منتخبات تواريخ آل عثمان · تحفة الكبار في اسفار التجار لكاتب جلبي · من عيون التواريخ جلد ٧

«كتب متنوعة» : تذكرة السويدي تقويم الابدان · مفردات صوري · رسالة في الطاعون للبلبيسي واخرى للبيلوني · تشريح الافلاك لبهاء الدين العاملي · صور الكواكب لعبد الرحيم الصوفي · المباحث الشرقية للرازي · المصارع في المطارحات للسهروردي · لمعة ابن الشاطر · رسالة وضع خطوط نصف الدائرة لابن مجدي المسمى بزاد المسافر · رسالة خطيب العدلية في وضع المزاول ومعها رسالة في الاصطرلاب · زيج الوغ بك · ملخص الوغ بك · مجموع رسالة في الاصطرلاب ورسالة في الربع المقنطر واخرى في الربع المجيب · رسالة في ربع المقنطرات · مجموع فيه اثنتا عشرة رسالة اولها في الربع المقنطر وآخرها رسالة تركية · رسالة في الاصطرلاب للطوسي · فراسة ابن شيخ دبوس · فراسة فيلمون · كتاب الفروسية ورماية النشاب · كتاب في فروسية المجاهدين وتحفة المجاهدين ·

ذهب المصارف

اغنى مصارف العالم بنقوده مصرف فرنسا ولذلك تهرع اليه كل دولة تريد ان تعقد قرضاً فقد بلغ ما في خزائنه من الذهب سنة ١٩١٠ — ١٣٤،٨١٨،٠٠٠ جنيه وما في مصرف روسيا ١٢٢،٣٢٠،٠٠٠ جنيه وما في مصرف النمسا والمجر ٥٥،٤٥٦،٠٠٠ وما في مصرف ايطاليا ٤٨،٣٢٠،٠٠٠ وما في مصرف انكلترا ٣٧،٣٤٨،٧٤٠ وما في مصرف المانيا ٣٢،٢٥٠،٣٥٠ وما في مصرف اسبانيا ١٦،٧٦٠،٠٠٠ وما في مصرف هولندا ١٠،٠٦٧،٣٣٠ هذا في ارقى ممالك اوربا وقد بقيت البلجيك والبرتقال وسويسرا

(١) لعله الكتاب الذي تكلم عليه عيسى افندي اسكندر المعلوف في هذا الجزء

والدانيمرك واسوج ونروج والصرب وبلغاريا ورومانيا والجبل الاسود فكم تبلغ النقود الموجودة في المصارف العثمانية ياترى ؟

امالي تاريخية

« المعتصم سمي المثمن »

ذكر ابو الفرج : ان المعتصم الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢٢٧ هـ ٨٤١ م كان يسمى المثمن لانه الثامن في احد عشر امراً اولها انه ثامن ولد ولد العباس والثاني انه ثامن خلفائهم والثالث انه ولي الخلافة سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) وكانت مدة خلافته ثماني سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام . وولد له ثمانية بنين وثماني بنات وكان عمره عند وفاته ٤٨ سنة وكان مولده في شهر شعبان ثامن الشهر في السنة

« ابن مقلة المثلث »

من غريب ماروى المؤرخون ان ابن مقلة الخطاط الشهير تولى الوزارة ثلاث مرات لثلاثة خلفاء المقتدر والقاهر والراضي وسافر ثلاث مرات ودفن ثلاث مرات لانه دفن اولا بموضع فجاء اهله ونبشوه ودفنوه في موضع آخر ثم نبش ثالثة ودفن في موضع ثالث

« الخليفة الراضي بالله »

من غريب مانقله المؤرخون ان الخليفة الراضي بالله العباسي المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ٩٤٠ م ختم الخلفاء في امور منها انه كان آخر خليفة له شعر يدون . وآخر خليفة خطب كثيراً (واما من بعده فخطبوا نادراً) . وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل اليه الندماء . وآخر خليفة كانت له نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه واموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين عيسى اسكندر المعلوف

المرأة اليابانية

كتب عالم الماني في تربية النساء في يابان فقال : لم تكن المرأة اليابانية الى اواسط القرن التاسع عشر غير سجينة بيتها وأسرتها فكان اليابانيون يعتقدونها من عنصر احط من عنصر الرجال ولما ارادت يابان ان تدخل مضمار الترقي حقيقة تغيرت وجهة الافكار بسرعة في التربية كما تغيرت في السياسة وفي سنة ١٩٠٢ كان في يابان ٧٠ مدرسة عالية للفتيات وكان عدد الطالبات في مدرسة المعلمات ٣٢١ الف طالبة سنة

١٩٠٣ . وبعد ان ساح الاستاذ ناروس سياحة علمية في اميركا عاد الى يابان فعضده اناس من كبرائها مثل الكونت اوكوما والبرنس ايتو فأنشأ سنة ١٩٠١ اول مدرسة كلية للنساء التي اصبح المتعلمات فيها والمستمعات بعد ثلاث سنين الف امرأة . والذي يزيد في العجب من هذا الاصلاح السريع هو ان يابان لم تغفل في تربية النساء عن الوجهة العملية فالفتيات يدرسن دروساً عالية ولا يفوتهن استعدادهن لوظيفة الزوجة والام وهن يعشن عيشة أسرة واحدة وليس في المدرسة تعليم ديني بل يعلم فيها التسامح وخفض الجانب !

مدارس الغابات

كان الاولاد في كل زمان ومكان يهربون من المدرسة والكتاب لان منهم من لايقدرون ان يخالفوا ماركز في غرائزهم من تطلب الهواء الطلق والحركة وذلك لرداءة بناء مدارسهم ولان وضعها غير طبيعي ونظامها مختل معتل وقد اخذ علماء التربية والتعليم في اوربا يدركون كل الادراك ان من مدارسهم مايجلب السقم ويميت الهمم وكان السابق الى ذلك اناس في المانيا وانكلترا وسويسرا فقاموا يطبقون بين الضروريات الطبيعية ومطالب المدنية الحديثة حتى يحولوا دون الاولاد والهرب من الكتاتيب والمدارس فيتمتعوا في مدارسهم بما تتطلبه اجسامهم من الهواء والنور ويسرحون ويمرحون تحت غابات الصنوبر والزان

قالت مجلة التربية ونشأت هذه الفكرة في برلين لان هذه المدينة القديمة ضيقة النطاق فاسدة الهواء لما فيها من تراكم الانفاس حتى ان خمسة عشر الف نسمة من اهلها يعيشون في اقبية تكون دافئة في الشتاء ورطبة بعض الشيء في الصيف فمدينة شارلوتنبرغ الملاصقة لبرلين هي التي منها نشأت هذه الفكرة لان ابناءها كانوا بضعفهم الناشيء من رداءة هوائهم لايستطيعون ان يسيروا مع اقرانهم عَلَى حين ان مدينتهم هي ام التعليم وفيها اعظم كلية صناعية فلم يستطيعوا ان يجاروا اقرانهم فرأى احباب الانسانية هناك ان ينقلوا اولئك الاولاد الى مدارس في الغابات تكون لهم بمثابة مصاح او مصايف عَلَى سواحل البحار فاذا قويت اجسامهم يقوى ذكاؤهم والعقل السليم بالجسم السليم .

رأوا ان ابناء هذه المدينة اضعف من غيرهم بذكائهم وما سبب ذلك الاضيق حاراتهم وفساد اهويتهم وان الاولى نقلهم من المدن الى الفلاة وهاقد اصبحوا الآن يبعثون بالاولاد ممن ليسوا مرضى حقيقة وهم مصابون بالهزال اوضعف الرئتين والقلب اوظهرت

عليهم اعراض داء الخنازير اوغيره من مفسدات الدم — يبعثون بهم الى مدرسة الغابات بدلا من ان يذهبوا الى المدارس الخاصة بالتلامذة المتأخرين فالمدارس الجديدة ليست للمرضى الذين يعدي بعضهم بعضاً ومعاملتهم من اقسى مايكون من الشدة بل هي مدارس المرشحين للسل وغيرها من الامراض كما يقول الاطباء. فتداوى فيها صحتهم و ينقذون مما يتهددهم بدون ان يحولوا بينهم وبين دروسهم او يضيعوا عليهم سنة كاملة.

قام الشارعون بهذا العمل وهم يتخوفون الفشل والناس في المانيا لاينظرون في الاعمال الجديدة الا الى ثمراتها الاولية وساعدهم البنك الالماني في مشروعهم بان ابتاع لهم الارض واعطاهم اياها بلا ربا والارض واقعة في غابة عَلَى بضعة كيلومترات من شارلوتنبرغ يسير بينها وبين الغابة ترامواي كهربائي يصل بين المدينة واول الغابة في عشرين دقيقة ثم يسير الانسان من المحطة الى المدرسة عشرين دقيقة على قدمه الى وسط الغابة وهواؤها عليل اكثر من المدينة وصاف للغاية

ومن اهم مافيها انبعاث رائحة القطران والصمغ من الصنوبر والرنبنج وليس في هذه المدرسة اكثر من مئة طفل وطفلة جعلوهم في اكواخ من خشب سدوها من الداخل بقماش ولم ينفق عليها كثيراً بل بذات العناية للتوقي فيها من الضباب والمطر وهناك بنايتان من الخشب وهما عبارة عن صفين يفصل بينهما غرفة للمعلم او المعلمة وفي الجدران بعض المصورات الجغرافية والالواح وموقدة من القاشاني لامن الحديد المصبوب لان الحديد مضر باتفاق علماء الصحة وهناك تجري الدروس في المطر تقام الصفوف في هاتين البنايتين عَلَى ان تترك النوافذ مفتحة ماامكن وفي اوقات الصحو تقام الدروس في وسط الغابات تحت اغصان شجر الصنوبر القديمة والاولاد جلوس عَلَى العشب وعلى المروج اللينة وعلى مقربة من غرف المدارس أنشئوا سقيفات مفتحة من اطرافها الاربعة لانها اذا كانت مفتحة من جهة واحدة تكون معرضة لمجرى الهواء وتكون سطوح هذه السقيفات متينة تقاوم الاعاصير والامطار و يكون من تحتها بمأمن من الرطوبات والرطوبات هي عدوة مدارس الخلاء. وهناك ايضاً بعض سقيفات اخف من الاولى واصغر و بجانبها سقيفة واسعة طولها ٢٧ متراً وعرضها ٦ مفتحة نحو الجنوب ويمكن ان تؤوي ٢٠٠ الى ٢٥٠ طفلا. فتحت هذه السقيفات البرية المبثوثة في الغابة يتسلى الاولاد عند مايتعذر عليهم ان يخرجوا من المطر الى تحت السماء وهناك يستريحون فيجلسون عَلَى الكراسي المستطيلة كلما حالت الرطوبة دون تنزههم تحت الاشجار ولكن تصل الى عيونهم ورؤوسهم رائحة

الصنوبر وبعض اشعة الشمس . وفي احدى السقيفات مناضد مستطيلة ودكات جعلت بيتاً للغداء، وفيها صحاف وكؤوس مثرة على نظام تام يجلس اليها الاولاد اوقات الطعام كل واحد في مكانه الخاص به وفي وسط هذه البنايات الخفيفة أنشئت بناية اكثر متانة وهي من خشب ايضاً قسموها اقساماً فمنها قسم للمديرة وآخر للطبخ وثالث لحفظ الطعام ورابع قبو وحمام اوحمامان للذكور والآخر للاناث اما الحمام فعلى غاية من النظافة . وعلى هذا كان الماء الحار والماء البارد والحركة والراحة والهواء والشمس مساعدة على تقوية تركيب الاولاد . وفي هذه المدرسة مستشفى صغير موقت لما قد يطرأ من الامراض والعوارض على الاولاد .

وليس لهذه المدارس وفيها ٢٥٠ ولداً سوى المديرة واليها يعود امر التربية والصحة وملاحظة الخادمات والمطبخ وستة معلمين وثلاث معلمات

تبدأ هذه المدرسة بالدروس عند ماتعود الحياة الى الغابات والخضرة في الربيع اي بعد عيد الفصح وتدوم بحسب مساعدة الجو وربما دامت الى النصف الاخير من كانون الاول ولكن من العادة ان تطول مدة الدروس الى آخر شهر تشرين الاول في شمالي المانيا والى منتصف تشرين الثاني في جنوبيها فيأتي الاولاد نحو الساعة السادسة ونصف صباحاً فتطوف بهم ادارة المدرسة في الغابات الى الساعة الثامنة راكبين في ترامواي معد لهذا الغرض وفي تلك الساعة تبدأ الدروس وفي العادة ان لا تطول مدة كل صف اكثر من ٢٥ دقيقة فبعد الصف الاول يعطى التلميذ خمس دقائق للراحة والنزهة وبعد الصف الثاني عشر دقائق . والاطفال الصغار ومن بعدهم لايدرسون في اليوم اكثر من ساعتين والا كبر منهم سناً يدرسون ساعة زائدة . والصف لا يتألف من اكثر من عشرين تلميذاً ليتيسر للمعلم ان يعنى بكل واحد من المتعلمين عناية خاصة ويدير شؤونهم واعمالهم . وقد رأت ادارة المدرسة ان اربعة دروس يدوم كل واحد خمساً وعشرين دقيقة افضل من دروس يدوم كل واحد منها ٥٥ دقيقة وفيها من ٤٠ الى ٥٠ تلميذاً وان الاحرى ترك التلميذ يسرح ويمرح في الغاب لا ان يقعد على الدكة يستمع ٣٥ من اترابه يسمعون دروسهم مما لا يزيده الا ثلم حاسة الانتباه فيه ويدخل على نفسه الاشمئزاز من الدرس مهما كان جذاباً اما الدروس التي يدرسونها في هذه المدرسة فهي دروس المدارس الابتدائية في المانيا ومختصر اللغة المحلية الالمانية وتاريخ المانيا ومختصر التاريخ العام والجغرافيا والحساب والتاريخ الطبيعي والغناء والرسم ودروس الاشياء

وقليل من اللغة الافرنسية لبعض الطلبة و يعنون عناية خاصة بتدريس اللغة الالمانية والتاريخ والجغرافيا والغناء . وان كان الغناء من دروس التسلية اكثر من الدروس الجدية . والتاريخ الطبيعي والنبات والغناء والرسم يعلمون في الغابة غالباً وفي جوار المدرسة بالعمل اكثر من النظر وقد تبين ان عقول من يتربون من الاولاد على هذه الطريقة اثقب ومعلوماتهم اكثر بخلاف عقول من يتربون في المدن ومايحصلونه .

وقد جعلت الالعاب بحيث تقوي نشاط الاولاد وتلقي في نفوسهم فكرة الابداع والاختراع فترى المدرسة قد خصت صغار الاولاد بقطعة من الارض مرملة يلعبون فيها ويحفرون و يطمون و يبنون باغصان الخلاف جسوراً وحصوناً وانفاقاً ومجاري وكثيراً ماتستحيل هذه العمليات الى صورة درس في الجغرافيا اوالطوبوغرافيا فيرسمون بعض انهار بلادهم وما على حفافيها من الاراضي والمصايف والحصون. وكبار الاولاد يدربون صغارهم على هذه الالعاب كما ان المعلمين يلاعبون كبار الطلبة بدون ان يظهروا بانهم في صدد درس بل انهم في لعب ونزهة

ولطالما لاحظ علماء التربية ان جهاد المرء اذا صرف الى غاية نافعة يكون عليها في نفس الطفل لذة زائدة فتؤثر في تربيته اكثر مما تؤثر الاعمال التي لانتيجة لها فقد قال ارسطو ان كل حي يحب نشاطه . فاذا كان العمل فرحاً فهو كذلك على شرط ان يتم لا بالاكراه بل بحرية اي ان يتم بارادة المرء مدفوعاً اليه بغايته الطبيعية وهي الايجاد والايلاد والاحداث

ولذا اختصت المدرسة كل تلميذ بقطعة صغيرة من الارض حديقة يزرعها و يستنبتها مايريد فهو ملك هذه الروضة الذي لاراد لحكمه وله ريعها زهوراً كان او ثماراً فترى احدهم يزرع قرنفلا اوورداً ليقدم منها باقة لكبار اسرته وآخر يميل الى العمليات فيزرع فجلا او بقولا و بقوة الماء والعناية يستخرج من تلك الارض الرملية المحرقة غلات نافعة حتى اذا تقدم في السن يدرك كم بذل الفلاح من العناية حتى اتاه بخبز عمل من الجاودار وصفحة من البقول . وهناك طفل آخر مولع بالنبات فيربي في روضته نباتات نادرة من الغابة ويدرس كيفية نشوئها . وهكذا أشرب اخلاق كل واحد من هؤلاء المتعلمين وكلهم يفكرون فيما يستنبتون ان يقدموا من اول غلة لاقربائهم وابويهم دليلا على مهارتهم وحذقهم . ولا تسل عما يبذله اولئك الاطفال من الهم ليدخلوا السرور على قلوب غيرهم وكم لها من الشأن والقيمة الادبية التي لاتضاهى .

اما الطعام الذي يتناوله فقد اختارته المدرسة من اقلها نفقة واكثرها تغذية لان المقرر الذي يدفعه التلامذة واكثرهم من الفقراء لا يكفي لتقديم المأكولات الثمينة . وطعام الغداء الذي يقدم الساعة الثانية عشرة ونصف وقت الظهر هو اكبر طعام وما عداه فالاولاد يأكلون كل يوم اربع وجبات الاولى الساعة السابعة يقدمون له كأسا من اللبن الحليب وقطعة خبز ومربيات لانهم يعتبرون السكر مادة من مواد الغذاء ومقويا . وفي الساعة العاشرة يقدمون اكلة خفيفة ايضاً وعند الظهر طعام مغذ مؤلف من ثريد ولحم لا يقل عن مئة غرام لكل ولد وبقول معدلها من ١٥٠ الى ٢٠٠ غرام وفاكهة او حلويات او مربيات . وفي الساعة الرابعة يطعمونهم لبناً حليباً وخبزاً بالزبدة وفي الساعة الخامسة وربع يطعمونهم قطعة من الخبز وشيئاً من اللوز الهندي (كاكاو) . وانت ترى ان اللبن والخبز هما اكثر الاطعمة تغذية واقلها كلفة

ولقد كان من نتائج هذه التربية والحياة المدرسية ان كان الاولاد يأتونها ضعاف الاجسام تقرأ في وجوههم عبوسة وفي نفوسهم انقباضاً وفي ارواحهم ذلة وصغاراً لا تميل انفسهم الى شيء ولا تنبسط شهواتهم لشيء وبعضهم لا يعرفون كيف يلعبون ايضاً فهم خليط من ابناء الاحياء القذرة لا يعرفون الزهور ولا المروج ولا تغريد الاطيار في الاشجار ولا الحبوب ولا كيف تغيب الشمس فتسحر بمنظرها ولا كيف تشرق فيبهج النفس مرآها ولا كيف تسرح الحيوانات في الغابات ولا كيف تطن الهوام والحشرات في الشمس او تعبث بالاوراق وها قد اصبحوا منذ اول دخولهم المدرسة وافكارهم منتبهة ونشاطهم موفوراً وكل شيء جديد لديهم كأنهم في عالم جديد يهتز منهم من لم يهتز لامر من قبل وينتبه اكثرهم رخاوة ويعود اليهم الذوق في الحياة فلا يجدون في العمل سخرة مملة عقيمة وكلما زادت قواهم الطبيعية يعود ذكاؤهم العادي الى حالته الطبيعية

وقد اخذ وزن اجسام الاولاد يزيد من اسبوع الى اسبوع فكان الواحد يزيد نصف ليبرة وكثير منهم زاد ثقلهم من ٩ الى ١٠ ليبرات في خلال ثلاثة عشر اسبوعاً وكما اخذت المدرسة تراقب وزن التلامذة اخذت تراقب كمية الدم فيهم فظهرت لها نتائج حسنة واخذوا يشفون من الامراض وتحسن صحتهم تحسناً ظاهراً على اختلاف اسقامهم فثبت ان المقام في تلك الغابة نفع في اكثر المصابين بداء الخنازير وفقر الدم والمستعدين للسل . هذه هي النتائج الخارجية ويصعب تعيين ماحدث للاولاد من النمو في ارادتهم ومقدرتهم على العمل وحسن خلقهم وفرحهم بالحياة وهذا من النوى

اوالنتائج الادبية لم يتيسر لاداة ان تضبط على التحقيق نموها وضعفها ومع هذا فان لها تأثيراً كبيراً لافي صحة الاخلاق بل في الصحة الطبيعية

فالمحيط الجديد الذي انتقل اليه الاولاد وتأثير الطبيعة في نفوسهم والسكون والعمل المعقول والجهاد الحر النافع كل هذا يفعل احسن فعل في الاعصاب التي كثيراً ماتهيج من هواء المدينة وضوضائها اوتضعف لقلة الهواء النقي . فمدارس الغابات هي اشبه بأسرة كبرى كل امرئ سعيد ان يكون منها وكل واحد من ابنائها يحرص على ان لايسوء سمعتها وفي هذه الدار يتجلى للانظار ما للعناية النسائية بالاطفال لانهم يبوحون للمديرة التي تحنو عليهم حنو المرضعات على الفطيم بذات انفسهم ونياتهم واعمالهم فترشدهم وتنشطهم وتحاول ان تجعل منهم اهل حشمة من الرجال وجد من الفتيات . وادارة المدرسة تفكر في ان تجعل مدرستها داخلية لان الهواء النقي ينفع في حالة النوم ضعفي نفعه في حالة الاغفاء بالنسبة لهواء المدن القذرة فقد ثبت ان الطفل عند عودته في المساء الى دار ابويه يفقد احياناً ما ادخره من القوى لرداءة الغذاء اوالهواء ولانحطاط المحيط في الاخلاق والتربية او لاسباب اخر من اسباب انفعال النفس . هذا وان يكن الالمان اميل الى ان يجعلوا اولادهم في مدارس خارجية اكثر من الداخلية وقد اشتهر امر هذه المدرسة في بلاد الالمان واخذت كثير من المدن الصناعية تحذو حذوها كما فعلت مدينة البرفلد وكيل ولوبك ومونيخ ومولهوس وغيرها وعمدت كلها الى اقتصار الدرس والدروس واشباع المواد فيها ودوام الراحة وتكثير وجبات الاكل المغذي واجمل مدرسة تحت الغابات في المانيا — وكلها غابات جميلة — مدرسة غلادباش

وكذلك ارسل الانكليز اناساً من رجال التربية عندهم ودرسوا طريقة هذه المدارس واخذوا يقلدونها لان طريقتها اشبه بطرائقهم في التربية والاعتماد على رياضة النفس فيها اكثر من الاكثار من الدرس فلم يحبوا ان يكون الاطفال في الارتياض اقل عناية بامرهم من الفتيات في كليتي اكسفورد وكمبردج حتى ان بلدية لندن نفسها انشأت ثلاث مدارس من هذا النوع وكذلك فعلت مدينتا برادفورد وهاليفاكس واختيرت اماكن نزهة فيها الاشجار الهائلة وصرف بعض الانكليز في هذا السبيل عن سخاء . ومتى قصر الانكليز في بذل الجنيهات كالمطر اذا كانت نتيجتها تربية القوى الطبيعية في الاطفال ؟

ولقد اخذت هذه المدارس تعلم الرسم في الطبيعة والطوبوغرافيا على شاطئ السواقي والحساب بقياس الاشجار الضخمة وتقدير حجم جذوعها بالمتر المربع والجغرافيا بخط خطوط في الرمل ناتئة · وللاستحمام بالمضخات وغيرها المقام الاول في هذه المدارس · وللاشغال العملية مكانة كبرى فالبنات يتعلمن غسل الثياب وترقيعها والعناية بالاولاد · ومن مبدإ هذه المدارس ان الواجب ان يعرف كل ولد كيف يعمل عملاً باصابعه العشرة ولهذا من الشأن العظيم من حيث الاخلاق وتقوية العقل اكثر مما يتوهم المتوهمون · وكانت نتيجة هذه المدارس باعثة على الرضى اذ قد ثبت ان تسعة اعشار تلامذتها زادوا زيادة محسوسة في وزنهم ونشاطهم · ولئن كان نمو القوى الطبيعية سهلاً تحقيقه بواسطة الدينامومتر ودل البحث على ان الاولاد لم يزيدوا وزناً مثل مدرسة شارلوتنبرغ الالمانية فذلك لان الجنس الانكليزي في الغالب غير مستعد للسمن كالعنصر الالماني وكان من التلامذة الضعاف في عقولهم ان اخذت تنشط من عقالها كلما زاد نشاط اجسامهم

وقد اغتبط الانكليز بما تم من النجاح على ايدي مدارس الغابات ولا تلبث كل مدينة في انكلترا ان يكون لها مدرسة من نوعها كما ان اناساً من رجال المال في اميركا قد احدثوا في سان فرنسيسكو وغيرها اندية للاولاد تضمن لضعاف الحال والصحة السفر لاستنشاق الهواء الطلق وربما كان ذلك مقدمة لاحتذاء اميركا حذو المانيا وانكلترا في انشاء مدارس في الهواء الطلق وبين اشجار الغابات · وقد اخذت سويسرا وفرنسا تفكر في انشاء مدارس من هذا النوع لان العناية بالصحة هي فوق كل عناية حتى قال ديكارت الفيلسوف انه مقتنع كل الاقتناع بانه اذا كان ثمت واسطة لجعل البشر اذكى وانبه مما هو فليس غير الطب يجب ان يعض عليه بالنواجذ ويلتمس منه الشفاء

عقول الاطفال

في مجلة الاقرباذ الانكليزية ثلاث مقالات في اعداد عقل الطفل · الاولى في الدور الذي يجيء على الطفل من سن ١٨ شهراً حتى يبلغ ثلاث سنين وهي سن تعلمه الكلام ومقدرته على التقليد وغريزته في البحث عما لا يعلم وتكون قواه في التصور والتعقل في مبدإها وارادته جرثومة تبدو في صورة عناد وبعد سن الثالثة تتأصل فيه قوة التعقل بمظهر اكبر وهذه هي السن التي يكون للتفكر فيها شأن رئيسي وتظهر الارادة في مظهر اجلى ويأخذ الولد في تقرير امور بدون ان تحمله اليها ضرورة لاحقة ولا يتيسر لهذا النشوء في عقل الطفل ان يتم على اصوله الا باجادة تغذيته ونومه فلطول رقاده شأن مهم في هذه السن ·

اما من حيث الاخلاق فالذى يجب للوالدين هو ان يطيعهما بدون خشية لان للخشية نتائج سيئة في مستقبله وعَلَى الوالدين ان يوقنا بان عقل الطفل صغير كجسمه ، وان الواجب عليهما له اشياء كثيرة وهو لا يسأل معهما عن شيء

والمقالة الثانية في تهذيب الطفل جاء فيها ان المهذب الحقيقي هو الذي يعلّم قليلا من كل موضوع وكثيراً في موضوع واحد · وتكون تربية الطفل تربية حرة بان لا يغفل عما يعلمهم الاهتمام بكل الموضوعات الكبرى والصغرى مثل القصص والرحلات والتواريخ في الحيوانات والنباتات ويجب ان تؤثر الكتب التي لها قيمة ادبية فان الذوق يتكون منذ الطفولية كالمفردات التي بها يستعين المرء ان يعبر بعد عن افكاره · ويجب ان لا يعتقد بان الفضيلة تحبب الى النفس بالتنفير من الرذيلة بل بتحبيب الفضيلة نفسها وما فيها من الخيرات فان الابطال الذين احببناهم واعجبنا بهم وحاولنا تقليدهم في شبيبتنا يظلون اصدقاءنا يوم نبلغ اشدنا · وبالجملة فالواجب ان يذكر ان القراءة تعلم الاولاد وتسليهم وان لا يكثر عليهم من الكتب المملة ويترك لهم اختيار مايروقهم منها عَلَى شرط ان تكون لها قيمة ادبية او اخلاقية او علمية ·

والمقالة الثالثة في تعليم الطفل بالحديث والحوار لانهما يؤثران في تربيته ولكن لامباشرة فان الدائرة التي يلعبون فيها ويدرسون وبدائع الصنائع التي تلقنهم الجمال والنظام لا اثر لها في امداد نفوسهم واذواقهم بقدر حديثهم فاذا تركوا وشأنهم في حديثهم يصبحون وحديثهم نسقاً واحداً غير لائق فعلى المعلم ان يعنى بحديثهم بحيث يكون عاماً واحسن الاحاديث ما كان بحضور النساء لان بعض مدارس انكلترا جربت هذه الطريقة فنشأت منها خيرات كثيرة في تربية عقل الطفل ·

الاخلاق والعادات

يرى بعضهم اختلافاً في تعيين معنى الطبيعة والعادة وان الطبيعة والمزاج او الاخلاق لا تؤثر فيها التربية او ان التربية اذا استطاعت تغيير طبع الانسان فلا تعمل الا عَلَى ابطاله وتلاشيه وعلماء الاخلاق عَلَى اختلاف بينهم في هذا الشأن فقد قال روسو ان التربية التي ليست سوى العادة لاطائل تحتها وهي عاجزة عن التأثير في المرء لانها تجد امامها سدوداً من مقاومات الطبيعة فلا تستطيع تغيير الميل والاستعداد ولا تقف عثرة في سبيل النشوء فليس في مقدرتها الان تنير المرء وتهيء له السبيل للانبعاث والعمل

او انها تنشيء للمرء طبيعة ثانية وتبيد الاولى وتشحذ العقول وتهجن الارواح وتحث الارادات وتقويها

فقد اعتاد من يقول بان الانسان غير قابل للتربية ان يحتج بان الشر مغروس في فطرته وهذه هي الحاكمة المتحكمة في تكوين اخلاقه ولكن هذا الزعم فاسد لان الدلالة على تأثير التربية وفعلها في تغيير الطباع امر لا ينكره مفكر . قالوا ان العادة طبيعة ثانية ومن المحقق انه اذا كانت للمرء طبيعة وهذه الطبيعة متحولة بالعادة فهو من بين سائر الحيوانات خاضع للتأثيرات الخارجية الكثيرة المنوعة التي لها الفعل الاكثر في هذه الاسباب والتخلق بها واحتذاء مثالها فان الحس الحي اللطيف وتركيب المرء اللدن المرن المستعد بدون عناء لجميع انواع التكون وقوة الحافظة التي هي طبيعية في المرء وبها يعتاد العادات على ايسر وجه كل هذا يجتمع ليكون اخلاقاً ومظاهر في المرء متشابهة لما يحيط به من الاخلاق والاشكال وما يحفه من الاجسام . وهذا هو جملة القوة العظمى في التربية الطبيعية ومنها تنشا في الحال التربية الاخلاقية وبذلك يكون المرء قابلا للكمال الى مالا نهاية له ويستطيع القيام بكل امر

ويعتدل النظام الحيواني بالعادة خاصة فهي بطول الزمن تؤثر التأثيرات النافعة والتأثيرات الضارة . فتركيب الانسان خاصة مستعد ان يظهر في كل المظاهر . والمرء يستطيع ان يألف تناول السم وربما صعب عليه الاقلاع بعد من عادة كان ألفها بالتمرس بها والرجوع عن القبيح الى الحسن فسكان البلاد الرديئة الهواء قد لا تجود صحتهم ابداً في بلاد اجود بهوائها فالمصابون بالربو (ضيق التنفس) الذين تناسبهم الاماكن الشاهقة في العادة قد يرون حاجتهم ماسة الى هواء كثيف ثقيل كانوا اعتادوه ايام صحتهم والهواء الشديد قد يزيد في اوجاعهم ويحدث لهم اختناقاً مدهشاً ولقد رأينا سجناء خرجوا من محابسهم ومطابقهم العفنة اقوياء اشداء بعد ان قضوا مدة طويلة مسجونين بجرائمهم ثم ضعفوا وهزلت اجسامهم من الهواء الطلق ولم تعد اليهم صحتهم الا بعد ان ارتكبوا جنايات اخرى اعادتهم الى مطابقهم الاولى التي اصبحت لهم كأنها مساقط رؤوسهم .

وهكذا في الوسع ان تدخل على الطبيعة تعديلات اصلية كثيرة ويمكن تجديدها وقلبها والاخذ بها في طريق غير طريقها وذلك بالعادة . ثم ان الطبيعة خاضعة لجميع المؤثرات وقابلة لاعتياد انواع العادات فهي — خلافاً لما يقال — مرنة وقابلة للتحول لا تظل على حال واحدة بل تفعل فيها الاخلاق والتقاليد ومؤثرات المحيط والعادات

الشخصية . وقد قال احد علماء التربية ان للمرء مزاجين طبيعي او اصلي وكسبي فالاول ينشأ من مزاج الانسان فلا يؤثر فيه الا اذا تكرر عليه غيره وعندئذ يظهر المزاج الآخر اي ان المزاج الاصلي يؤخذ بالمزاج الكسبي وهذا الذي يعتبر كأنه مزج الاهواء الطبيعية والعادات المكتسبة التي يقضي علينا ان نلاحظها فقط فالمزاج الطبيعي يعرف ويظن ويغلط وهو مفترض مثل شروط التربية ولكن المزاج الكسبي هو نتيجة التربية نعرفه ونثبته فهو عمل من اعمال التجارب الثابتة

فالمزاج الكسبي هو عبارة عن التبدلات التي تفعل في المزاج بحكم الوراثة — وان كان يمكن اعتبار الوراثة جزءا من المزاج الطبيعي — ومن التبدلات الطبيعية الخاصة المشتركة بين جميع الناس وهي تنشأ من السن ومن الانقلاب الذي يحدث في الانسان عند البلوغ مثلا ثم من مجموع التبدلات العارضة التي تترك آثاراً باقية كمو المرض او الاسباب المنظمة الثابتة كالمناخ واصول المعيشة والاعمال العادية من جسدية وعقلية

وقد ادمجنا في جملة اسباب المزاج الكسبي المرض والمناخ وذلك لانهما يعدلان طبيعتنا وان كان في اليد تعديلهما لانه في استطاعة المرء ان يقاوم المرض ويتوقاه بمراعاة قواعد الصحة ويضعفه او يشفيه بالعلاج الخاص به كما انه يصلح او يخفف تأثيرات المناخ او يجعله بحيث يناسبه وان كان في الاكثر عرضة لتأثيراته . والمرض يغير تركيبه ويقطع الموازنة بين الاعصاب الحاسة والمحركة وتغلب الاول على الثاني فهكذا تجد في الاولاد والمعرضين للامراض حساً رقيقاً وشعوراً قبل اوانه وذكاء حسنا ويتحول المزاج ايضاً بحسب المناخ فترى في البلاد الباردة القوى العصبية عاملة قوية والقوى الحسية مخدرة ضعيفة وبالعكس ترى اهل البلاد الحارة اما البلاد الرطبة العفنة فالمزاج فيها بلغمي

ومهما كان من تأثير الاسباب الطبيعية في طبيعتنا فالتربية لها مدخل كبير في اعداد الرجال بل انها هي المادة والعامل فانا نجد فيها يستعبدنا سبباً لتحرير رقنا فمن ثم كانت التربية العامل الاكبر في طبيعتنا واذا كان للمرض والاقليم تأثير فذلك يشعر بان طبيعتنا قابلة للتحول . فالحرية ليست سوى اسم اطلق على مرونة تركيبنا الطبيعي والاخلاقي . وفي مكنتنا ان نعارض بين مختلف التأثيرات التي نخضع لنظامها ونكون لها سادة ونطبعها وننجو من تأثيراتها المضرة ونحرر نفوسنا من قيودها .

يكاد يكون تأثير طراز المعيشة كتأثير الاقليم واحدهما يتغلب على الآخر فانك تجد في عرض واحد من الكرة اناساً مختلفين في طبائعهم من مثل اليابانيين والصينيين واليونان والاتراك . لاجرم انه ينسب ذلك الى اختلاف العناصر وربما كان لاسلوب المعيشة دخل كبير ايضاً . ولقد قيل ان المدنية لاتقوم الا في بعض الاقاليم كالاقاليم المعتدلة فالواجب ان يقال ايضاً لاتقوم الا ببعض التدابير والذرائع وما قط ازهرت الا بين الشعوب المعتدلة .

فالعادة الشائعة باستعمال الافيون في البلاد العثمانية والصين والهند قد اثرت كالمناخ او اكثر بل ساعدت كالحكومة اواشد في تلك البلاد لى توحيش سكانها . جعلهم غير صالحين للمدنية . واستعمال الالكحول هو ايضاً عند ام اوربا مسألة حياة وموت . وبالسان اعم ان ضرره يلحق بالصحة عن اختيار وكل خطيئة طبيعية لها نتائج اخلاقية واجتماعية . قال سبنسر : « قلائل في الناس من يظهر انهم يفهمون ان في العالم شيئاً يمكن ان يسمى الخلق الطبيعي . والظاهر ان الناس يعتقدون على الجملة بانه يباح لهم ان يعالجوا اجسامهم على نحو ماتدرك عقولهم . » وانت ترى الفلاح طماعاً شديداً يقتل نفسه في العمل ويستعمل القسوة مع امرأته واولاده فيستنفد قواهم ويخرب صحتهم كما ترى العامل يضيع كسبه في الحانة ويخل باصول قواعد الصحة في مأكله ومسكنه بل ان عامة الطبقات في البشر تسرف على نفسها وتبذر في قواها وتعجل الخلل والهرم والعقر اليها وهكذا ضربت المدنية ضربة شديدة بايدي السواد الاعظم الذين لايقدرون نعمها حق قدرها واختل نظامها المادي بل ان التقدم المادي وهو شرط ظاهر في التقدم المعنوي يبحث في الحقيقة من التربية والاخلاق حتى ان الام كانكلترا التي تحترم الرفاهية الحديثة وتتعبد بها وتقصد من ذلك عنايتها بامور الصحة كعنايتها بالرفاهية تراها تكاد تكون وحدها سائرة في طريق المدنية بقدم راسخة احسن من الام التي لها افكار خيالية في الحضارة . فخير ما ينظر اليه في التربية ان يلاحظ ما انطوت عليه جوانحنا ومزاجنا وان نبني نظامنا على اساس الحياة الطبيعية

للمزاج تربية او لابد له من تربية وقد شوهد بان المزاج غير ثابت من فطرته لانه نتيجة المرض والاقليم والنظام الصحي . يثبت ذلك اي ان المزاج قابل للتحول غير راسخ مانراه من تحويله لابوسائط طبية بل اجتماعية كالصناعات مثلاً . فالصنعة تروض الانسان باجمعه وتتحكم في اذواقه وافكاره وتقوده في سلوكه بل تعمل في تركيبه

الطبيعي · ومن البديهي ان ليس الحداد والطارز متحدين في القوة العضلية كما ليس لهما مزاج واحد وامراضهما ليست متشاكلة والاختلاف بين ابن الادب والفلاح والاول ينهك عقله والآخر يتعب عضلاته يختلفان بتركيبهما الطبيعي كالاختلاف المشاهد بين فرنسوي والماني وانكليزي وهولاندي وربما كان اكثر ·

اذاً فما هو المزاج ؟ الظاهر انه يصعب ضبطه وتحديده ولا يتأتى تعيينه الا بالفكر فيحدد لا بما هو فيه بل بما يمكن ان يستحيل اليه · ولقد نظر المشرعون والحكماء في القديم الى التربية بانها تدريب منظم تام لاتختل قواعده ولايضل قاصده وعلى ايدي القدماء تحققت الاعاجيب التي تنشأ من التربية كالجندي والوطني والانسان الذي يقصد الى غاية كالدفاع والعظمة ومجد البلاد ولايعيش الطامح اليها الا لاجلها ولا يستنشق الهواء الا لتحقيق أمنيته منها وبلوغ اربه · ولقد كان المثال البديع الذي ظهر من تربية الجندي الاسبارطي خير مثال تحدثه الامم فأعجب بتدربه القدماء والمحدثون وحق لهم ان يعجبوا لا لما تم على يديه بل لما بدا فيه من تأثير التربية او تدريب الانسان بالانسان وهكذا دربت رومية رجال شحنتها · وفي اسبارطة ورومية يجب على الاخلاقي ان يفكر في تأثير التربية لان هذه التربية لم تظهر قط باعظم من مظاهرها في تينك العاصمتين ولم يمتد سلطانها حتى ولا في عهد اليسوعيين الذين كانوا يعجبون بما يتم على ايديهم من جعل اعضاء رهبنتهم عبيداً خاضعين وادوات تامة

نعم فعلت التربية فعلها حتى اخرجت المرء عن طبيعته الاصلية وعدلت في مزاجه حتى اشتهى الفيلسوف ميستر ذات يوم ان يرى الانسان في نفسه او على فطرته فقال انه رأى فرنسياً وانكليزاً وايطاليين وروسيين ولكنه لم يوفق الى رؤية الانسان المجرد العام بل رأى الانسان بحسب المحيط والتعليم والتربية المكتسبة والمزاج ولكن اذا كان الانسان الحقيقي هو محصول التربية ومجموعة العادات واذا كان ابداً ابن الاحوال الطارئة عليه والعادات والمناخ والقوانين الا يجب ان يقال بان ليس له خلق خاص وان شخصيته تضمحل بما يعدو عليها · فالظاهر اننا لانتظر للشخصية الا عند مقاومتها للتربية ونراها مباينة بتعريفها للمؤثرات التي تؤثر فيها

ترجع التربية الى العادة وهنا انقسم علماء التربية الى قسمين فمن قائل بتأثيرات العادة ومن قائل بعدمها · فزعم روسو بان للتربية دخلا قليلا في اعداد الانسان قائلا ان التربية استعباد له وان خير عادة يعودها الطفل ان لا يعود امراً ما حتى ولا الاكل والشرب

ولا النوم في ساعات معينة بل ان يعد للاستمتاع بحريته وانت تلاحظه من بعيد كما تلاحظه في استعمال قواه تاركاً لجسمه العادة الطبيعية وان يكون ابداً مالك قياد نفسه وان تربى ارادته عند ما يكون مالكاً لها قال والعادة الوحيدة النافعة للاولاد هو ان يستعبدوا لضرورة الاشياء بدون عناء والعادة الوحيدة النافعة للرجال هو الاستعباد للعقل بدون كبير امر · ومثل لذلك بالنبات الذي تثنيه وتكرهه على ميل خاص فلا يلبث ان يعود الى اصله اذا اطرحته من يدك ·

وقواعده هذه تنطبق على التربية بل هي قواعد التربية بذاتها اذ لافرق بين التربية والعادة وما التربية الا العادة فمن ثم كانت التربية تربيتين تربية ظاهرة موقتة وتربية حقيقية دائمة فالاولى هي التي تقاوم الطبيعة والثانية هي التي توحي اليها الطبيعة ولاتعمل الا على ترقيتها وموافقة قانونها ولذا قال روسو ان من الناس من يفسون تربيتهم او يضيعونها ومنهم من يحتفظون بها · على ان الابتعاد عن الفطرة مما ينافي العقل فالحكمة تقضي بان نعمل مع الطبيعة ولاجلها وكل تربية لاتجري على هذا النظام لاتكون عبثاً ثقيلا فقط بل تكون عبثاً لانتيجة لها · ومن الباطل ان نعتقد ان مخالفة الطبيعة في التربية تغني غناءها وماهي الا ظواهر فان معظم العادات كما قال روسو التي تعتقد انك تلقنها الاولاد ليست عادات حقيقية لانهم أخذوا بها بالعنف وجروا عليها على غير ارادتهم فهم يتوقعون الفرص لينزعوا ربقتها · وقوله هذا صحيح لاغبار عليه فان بدريتو Pedrito الذي أخذ وهو طفل من محيطه المتوحش وربي التربية الاوربية الدقيقة تخلى يوم خلا له الجو ونجا من ايدي مديريه عن عيش الرفاهية الظريف وراح يعود بين اهله الى عيشة الكسل والعطالة والشقاء التي قادته اليها ميوله الارثية ولم يعد قط الى حالته الثانية · وكذلك كان من حال الصيني الذي تزوج من امرأة فرنسوية واخذها معه الى بلاده فلما بلغها اخذ ينظر الى زوجه بانها غير مساوية له وانقطع عن معاملتها معاملة متمدنة · وبهذا تبين ان التربية ليست غالباً الا طلاء يزول لاقل عارض · وقد قال الفيلسوف ريبو ايضاً ان الطبيعة لاتمانع وان للارث والميول الطبيعية دخلا كبيراً في التربية · ومن رأي روسو ان العادة لايمكن الا ان تكون منطبقة على الطبيعة ·

وقالت العقيلة نكرسوسور التي ناقضت روسو في نظرياته وجعلت للعادات في التربية الشأن الذي اراد روسو ان يسلخه عنها ان الولد ليس الا كائناً لدناً رخصاً قابلا للتحول مستعداً الى التطبع بالعادات يتناول ذلك على ايسر وجه بدون تكبير وليس في العادات

عائق عادي يحذر قواه بل ان الاتفاق يتم ابداً بين الخلق والعادات وكما كان الولد فتياً في السن انبعثت عاداته من اخلاقه ومن نفسه · وبالجملة فانه يحصل للولد ذوق في العادات التي يعتادها فيقع استحسانه على مايراه · قالت انها رأت طفلاً في الشهر التاسع من عمره يبكي بكاء شديداً و يأبى ان يتناول غذاءه لان الفنجان والصحفة والملعقة لم تكن موضوعة في محلها التي جرت العادة ان توضع فيه · فاستدلت بذلك على ان ذوق النظام كان بذرة في الطفل فالواجب على المربي ان يربيه ويقويه وهكذا تجد ذوق النظافة والحياء فطرية في الانسان قالت انها شاهدت طفلة في الشهر الثامن عشر من سنها تبكي اذا مس احد مقطف مربيتها في النزهة وقد رأت هذه الطفلة امرأة مجهولة دخلت ذات يوم وسرقت من البيت قفطان والدتها فاخذت تصيح صياحاً هائلاً · ومن هذا يستنتج ان العادة ليست في الاصل عارضية دخيلة فينا بل انها تدخل وتنساب في حياتنا بقدر ماتصادف من الائتلاف وتنبيه فينا من الشعور و يتفق مع اراداتنا وهكذا هي مادة من شخصيتنا ولكن تلك العادات لا يجب ان تخرج عن الطبيعية فلا تمازج وايانا كما يتمازج قلبان كأنهما تراضعا لبناً واحداً ويتعلق المرء بالعادة مختاراً لا مضطراً فتظل عاداتنا كما كانت في الاصل بهجة وظرفاً لا سلسلة وقيداً ليكون لسان حال كل امرىء ان عبوديتي حلوة وعبئي غير ثقيل · نعم يعتاد الامور وهي محببة اليه ولا يعتادها متكارهاً ·

ولقد كان القدماء ينظرون الى التربية بانها تدريب مدقق شديد او تدريب على اسلوب تام ولكنهم يشفعون تربية الجسم بتربية الروح فلم يكونوا يكتفون بتربية العضلات بل كانوا يلقنون المربى العبادة او احترام القوة ويرون ان التدريب او العادة ليس بشيء اذا لم تظهر بانها ترجمان الروح ·

قال الكاتب الفرنسوي الذي احتذينا عن مبحثه لهذه النبذة : وطريقتنا في التربية هو ان لا ننظر الى ان العادة والخلق موجودة بذاتها ومستقلة بنفسها بل ان نعتبرها بان احدها يقوم بصاحبه وهو متمم له

اصلاح حوران

تمت لسورية أمنيتها التي طالما نشدتها من ادخال حوران ولا سيما جبل الدروز في الطاعة واصلاحه اصلاحاً اداريًا ليسعه بعد الآن ماوسع عامة الاقاليم العثمانية · فوفق القائد العام في الحملة على جبل الدروز سامي باشا الفاروقي الذي انتدبته الدولة لتأديب العصاة بالنظر لمعرفته اللغة العربية ولانه استعان على تحقيق رغائبه بقواد من ابناء هذه

الولايات والمتصرفيات	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد السكان	السكان في الكيلومتر المربع
« سلانيك	٣٥،٠٠٠	١،١٣٠،٨٠٠	٣٣
« مناستر	٢٨،٥٠٠	٨٤٩،٠٠٠	٢٩
« قوصوة	٣٢،٩٠٠	١،٠٣٨،١٠٠	٣١
« اشقودرة	١٠،٨٠٠	١٩٤،١٠٠	٢٨
« يانيه	١٧،٩٠٠	٥٢٧،١٠٠	٣٠
— في آسيا الصغرى —	٥٠١،٤٠٠	٩،٠٨٩،٢٠٠	١٨
ولاية الارخبيل (بحر سفيد)	٦،٩٠٠	٣٢٢،٣٠٠	٤٧
متصرفية ازميت	٨،١٠٠	٢٢٢،٧٠٠	٢٧
« بيغا	٦،٦٠٠	١٢٩،٥٠٠	٢٠
ولاية خداوندكار	٦٥،٨٠٠	١،٦٢٦،٨٠٠	٢٥
« آيدين	٥٥،٩٠٠	١،٣٩٦،٥٠٠	٢٥
« قونيه	١٠٢،١٠٠	١،٠٦٩،٠٠٠	١٠
« اطنة	٣٩،٩٠٠	٤٢٢،٤٠٠	١١
ولاية انقرة	٧٠،٩٠٠	٩٣٢،٨٠٠	١٣
« قسطموني	٥٠،٧٠٠	٩٦١،٢٠٠	١٨
« سيواس	٦٢،١٠٠	١،٠٥٧،٥٠٠	١٧
« طرابزون	٣٢،٤٠٠	٩٤٨،٥٠٠	٢٩
— في ارمينية وكردستان —	١٨٦،٥٠٠	٢،٤٧٠،٩٠٠	١٣
ولاية ارضروم	٤٩،٧٠٠	٦٤٥،٧٠٠	١٣
« معمورة العزيز	٣٢،٩٠٠	٥٧٥،٢٠٠	١٧
« بتليس	٢٧،١٠٠	٣٩٨،٧٠٠	١٥
« ديار بكر	٣٧،٥٠٠	٤٧١،٥٠٠	١٣
« وان	٣٩،٣٠٠	٣٧٩،٨٠٠	٩
— في سورية ومابين النهرين —	٦٣٧،٨٠٠	٤،٢٨٨،٦٠٠	٧
ولاية حلب	٨٦،٦٠٠	٩٩٥،٨٠٠	١١

الولايات والمتصرفيات	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد السكان	السكان في الكيلومتر المربع
· سلانيك	٣٥،٠٠٠	١،١٣٠،٨٠٠	٣٣
· مناستر	٢٨،٥٠٠	٨٤٩،٠٠٠	٢٩
· قوصوة	٣٢،٩٠٠	١،٠٣٨،١٠٠	٣١
· اشقودرة	١٠،٨٠٠	١٩٤،١٠٠	٢٨
· يانيه	١٧،٩٠٠	٥٢٧،١٠٠	٣٠
— في آسيا الصغرى —	٥٠١،٤٠٠	٩،٠٨٩،٢٠٠	١٨
ولاية الارخبيل (بحرسفيد)	٦،٩٠٠	٣٢٢،٣٠٠	٤٧
متصرفية ازميت	٨،١٠٠	٢٢٢،٧٠٠	٢٧
· بيغا	٦،٦٠٠	١٢٩،٥٠٠	٢٠
ولاية خداوندكار	٦٥،٨٠٠	١،٦٢٢٦،٨٠٠	٢٥
· آيدين	٥٥،٩٠٠	١،٣٩٦،٥٠٠	٢٥
· قونيه	١٠٢،١٠٠	١،٠٦٩،٠٠٠	١٠
· اطنة	٣٩،٩٠٠	٤٢٢،٤٠٠	١١
ولاية انقرة	٧٠،٩٠٠	٩٣٢،٨٠٠	١٣
· قسطموني	٥٠،٧٠٠	٩٦١،٢٠٠	١٨
· سيواس	٦٢،١٠٠	١،٠٥٧،٥٠٠	١٧
· طرابزون	٣٢،٤٠٠	٩٤٨،٥٠٠	٢٩
— في ارمينية وكردستان —	١٨٦،٥٠٠	٢،٤٧٠،٩٠٠	١٣
ولاية ارضروم	٤٩،٧٠٠	٦٤٥،٧٠٠	١٣
· معمورة العزيز	٣٢،٩٠٠	٥٧٥،٢٠٠	١٧
· بتليس	٢٧،١٠٠	٣٩٨،٧٠٠	١٥
· ديار بكر	٣٧،٥٠٠	٤٧١،٥٠٠	١٣
· وان	٣٩،٣٠٠	٣٧٩،٨٠٠	٩
— في سورية وما بين النهرين —	٦٣٧،٨٠٠	٤،٢٨٨،٦٠٠	٧
ولاية حلب	٨٦،٦٠٠	٩٩٥،٨٠٠	١١

الولايات والمتصرفيات	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد السكان	السكان في الكيلومتر المربع
· سلانيك	٣٥،٠٠٠	١،١٣٠،٨٠٠	٣٣
· مناستر	٢٨،٥٠٠	٨٤٩،٠٠٠	٢٩
· قوصوة	٣٢،٩٠٠	١،٠٣٨،١٠٠	٣١
· اشقودرة	١٠،٨٠٠	١٩٤،١٠٠	٢٨
· يانيه	١٧،٩٠٠	٥٢٧،١٠٠	٣٠
— في آسيا الصغرى —	٥٠١،٤٠٠	٩،٠٨٩،٢٠٠	١٨
ولاية الارخبيل (بحر سفيد)	٦،٩٠٠	٣٢٢،٣٠٠	٤٧
متصرفية ازميت	٨،١٠٠	٢٢٢،٧٠٠	٢٧
· بيغا	٦،٦٠٠	١٢٩،٥٠٠	٢٠
ولاية خداوندكار	٦٥،٨٠٠	١،٦٢٦،٨٠٠	٢٥
· آيدين	٥٥،٩٠٠	١،٣٩٦،٥٠٠	٢٥
· قونيه	١٠٢،١٠٠	١،٠٦٩،٠٠٠	١٠
· اطنة	٣٩،٩٠٠	٤٢٢،٤٠٠	١١
ولاية انقرة	٧٠،٩٠٠	٩٣٢،٨٠٠	١٣
· قسطموني	٥٠،٧٠٠	٩٦١،٢٠٠	١٨
· سيواس	٦٢،١٠٠	١،٠٥٧،٥٠٠	١٧
· طرابزون	٣٢،٤٠٠	٩٤٨،٥٠٠	٢٩
— في ارمينية وكردستان —	١٨٦،٥٠٠	٢،٤٧٠،٩٠٠	١٣
ولاية ارضروم	٤٩،٧٠٠	٦٤٥،٧٠٠	١٣
· معمورة العزيز	٣٢،٩٠٠	٥٧٥،٢٠٠	١٧
· بتليس	٢٧،١٠٠	٣٩٨،٧٠٠	١٥
· ديار بكر	٣٧،٥٠٠	٤٧١،٥٠٠	١٣
· وان	٣٩،٣٠٠	٣٧٩،٨٠٠	٩
— في سورية وما بين النهرين —	٦٣٧،٨٠٠	٤،٢٨٨،٦٠٠	٧
ولاية حلب	٨٦،٦٠٠	٩٩٥،٨٠٠	١١

الولايات والمتصرفيات	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد السكان	السكان في الكيلومتر المربع
« بيروت	١٦٠٠٠	٥٣٣٥٠٠	٣٣
متصرفية لبنان	٣١٠٠	٢٠٠٠٠٠	٦٥
« القدس	١٧١٠٠	٣٤١٦٠٠	٢٠
ولاية سورية	٩٥٩٠٠	٧١٩٥٠٠	٨
متصرفية الزور	٧٨٠٠٠	١٠٠٠٠٠	١
ولاية بغداد	١١١٣٠٠	٦١٤٠٠٠	٥
« الموصل	٩١٠٠٠	٣٥١٢٠٠	٤
« البصرة	١٣٨٨٠٠	٤٣٣٠٠٠	٣
— في بلاد العرب —	٤٤١١٠٠	١٠٥٠٠٠٠	٢
ولاية الحجاز	٢٥٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	١
« اليمن	١٩١١٠٠	٧٥٠٠٠٠	٤
— ايالة طرابلس الغرب	١٠٥١٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١
— سيسام	٤٦٨	٥٥٠٠٠	١١٧
— قبرص	٩٦٠٠	٢١٠٠٠٠	٢٢
— كريت	٨٦١٨	٣١٠٠٥٦	٣٦
— مصر	٣١١٤٠	١١٢٨٧٣٥٩	٣٦٢
— تونس	١٦٧٤٠٠	١٨٣٠٠٠٠	١٠

التربية الجديدة

لا ينبغي للمدرسة ان تكتفي بالتعليم بل ان تعد رجالا عاملين للحياة ولذا قامت انكلترا وفرنسا والمانيا وسويسرا وروسيا وايطاليا والولايات المتحدة بانشاء مدارس جديدة تريد ان تتناول من التلميذ حياته باجمعها لا ان تربي عقله فقط تريد ان لا تكون المدرسة دار تعلم بل دار احتذاء تهمها الحياة قبل التعليم . وقد وضع فروبل Frœbel اعظم باحث بالتربية في العصر الماضي قاعدة من شأنها ان الواجب التعلم مع العمل فالمدارس الجديدة وجدت لتطبق هذا الفكر وتدفعه الى نتيجته الطبيعية وهي ان الواجب التعلم مع الحياة فيقتضي من ثم للانسان الكامل الذي يجب ان يعمل

عملاً مثمراً ويجد السعادة في علاقاته الشخصية ويصبح وطنياً صالحاً — يقتضي له جسد سليم وذكاء شديد وصفات لازمة له في ضروريات الحياة . وهذه القوة والمقدرة الطبيعية والصفات الاخلاقية لايتأتى الحصول عليها الا بالعمل فيجب ان يعيش الولد حياة الصحة الجسدية والجهاد العقلي والاخلاقي حتى اذا دخل في سن الرجولية تكون له قدرة واعتياد على استخدامها في الغايات الحسنة .

وقد كان حتى الآن ينظر الى المدرسة بانها جعلت لترقية العقل وان سائر شؤون الحياة هي في الطفل من عمل الاسرة ولكن اسباب الحياة قد تبدلت في العصر الاخير حتى لم يعد في طاقة الاسرة ان تجهز الطفل بجهاز من الصفات اللازمة له في جهاد الحياة فاقتضى من ثم للمدرسة ان تقوم بهذا الواجب فتنشئ عادات صالحة وتعلم الاسباب اليها ولاغنية في تلقين هذه التربية الآن عن المدارس الداخلية لان محيطها مستعد لتصوير الطفل في الصورة اللازمة لنفعه فلا يجد فيها مايخالف الغرض الذي يرمي اليه بخلاف من يقضي شطراً من حياته الاولى في البيت وقد يكون هذا في الاكثر جارياً على غير سنة المدرسة في الآداب وهناك فوائد اخرى في التربية المدرسية وهي انها تساعد الاولاد على ان يكبروا في الفلاة ويتعاطوا الاعمال المطلوبة منهم ويفهموا فائدتها ويعيشوا في ظل الطبيعة خلال السنين التي تتأثر الروح بالانطباع بطابعها

ومنذ امد طويل عرفت التربية الطبيعية في احسن المدارس الانكليزية مكانة . فانكلترا هي بلد الرياضات والحياة في الفلاة والبراري ومن هذه المدارس نشأ في الانكليز حب اللعب في الهواء الطلق فينظم الاولاد لانفسهم العابهم دون ان تتدخل في شؤونهم ادارة المدرسة حتى اصبحت الالعاب والرياضات اهم جزء من التربية في المدارس الثانوية في البلاد التي يتكلم بها باللغة الانكليزية وفي غيرها ايضاً .

وبعد فان النزهات (الفسح) في الفلاة والحمامات في الهواء الطلق ولعب الرماية والهدف والشغل اليدوي على اختلاف انواعه واختيار الغرف المعرضة للتهوية على الدوام واستعمال اللباس الساذج المعقول والطعام اللطيف الصحي ومراعاة قواعد الصحة في استعمال الوظائف الجسدية كل هذا مما يجب ان يعم امره في المدارس كما تعم الالعاب وهي لازمة لبقاء الصحة ولاسيما لايجاد عادات راسخة متى زالت سلطة المدرسة عن رأس التلميذ وتلقي في نفس الاولاد حب الحياة السليمة النشيطة فينبغي لنا محيط

يسمح بكل ماتقدم على ان يترك شيء منه للمصادفات فالمدرسة التي لا تضع في قانونها ماعددنا تخل ولا جرم بواجبها الاول

قال العالم الانكليزي الذي ننقل كلامه هنا عن مجلة التربية الفرنسوية وليست احسن ذخيرة عقلية يحملها الفتى من المدرسة هي مجموعة معلومات علمية وانشاء جميل بل القدرة على التفكر بنفسه فيكون له ارادة على الابتكار ويستعد لان يقوى على حل المشكلات كلما عرضت . وهذه القوة لا يحصل عليها بالبحث في الكتب بل بان يعمل الولد الشيء بذاته على اختلاف ضروبه والواجب ان يتسع في خطط المدارس فتكون دروسها متنوعة وتولي كفاءة كل امرىء حرية اوسع . فدماغ الولد لا يقوى بالقراءة بقدر مايقوى بالعمل والدماغ في الاصل لم يحث عن عادات اليد بل ان اليد علمت العادات للدماغ وهكذا يجب العمل في تنشئة الطفل ليكون رجلا فيجب ان يكون لنا في خطط الدروس اعمال يدوية متنوعة كثيرة لا لانها اساس العلوم والفنون التي توصلنا اليها بل لانها في حد ذاتها ادوات ثمينة في التربية . ففي الاعمال العملية وفي الاعمال الكتابية ينبغي لنا ميدان نشاط ودرس لنكون على بصيرة من نوع القوى والمصالح الحقيقية في الطفل ونكشف استعداده الشخصي . يجب ان لا ننسى ان القيمة الرئيسة في عمل ما ليست بنتائجها المادية بل بطريقة انتاجها في طريقتها وان اهم نتيجة وادومها هي العادة العقلية التي ساعدت على الانتاج . يجب للمدرسة والمعمل عمل شخصي وان يعطى التلميذ مسائل ليحلها بالاختبار اكثر مما يحلها بالتعقل فتحصيل العلم يجب ان يعتبر بانه سياحة اكتشاف اكثر مما ينظر اليه بانه تعلم ما اكتشفه الغير فلا يجب ان يطلب من التلميذ ان يتعلم لينتفع بعد بمعارفه اذا سنحت له الفرص بل ان يعلم ضرورة العلم بالعمل السريع الذي يرى نفسه مضطرة ان تقوم به

فالتربية الجديدة لا ترمي الى تنشئة رجال ونساء ذوي كفاءة وقدرة بل تريد اعداد وطنيين صالحين ينتفعون بخصائصهم لا لينالوا منها فوائد خاصة لهم بل ليعاونوا الناس ويساعدوهم . يعود الاولاد ان يقدروا انفسهم بانفسهم وان تهيأ لهم اسباب العمل فلا يكفي ان يتعلم ماهو صالح اذا لم تقو الارادة وتتأصل عادة عمل الخير في المرء بالفعل فقد كان سقراط يقول ان المرء لا يختار عمل الشر من نفسه وبذلك نتج ان معرفة الخير هي ضرورية فقط ونحن نتعلم دروس الحياة كلما عشنا .

نلقن الولد ان يعمل ونساعده ان يرى بنفسه ضرورة الوقوف عند حد والاعتراف بقيمة سلوكه . وهذا خير من استعمال الضعف في التلقين ويفرض علينا ان نمتع الولد

بحريته لانه اذا لم ينشأ وهو يختار الخير لاينمو في الاخلاق نموآ حقيقياً واذا خالفنا ذلك نصوغ من الطفل اداة مدهشة لا رجلا عاملا ولا يتأتى ذلك الا بتبادل الثقة بين المتعلمين فيخلص الاولاد بعضهم لبعض ويخلص المعلمون في مراعاة حرية من يعلمونهم . يجب على الاساتذة ان يقتنعوا كل الاقتناع بان الاولاد يرون من شيم نفوسهم ان يكونوا احرياء بالثقة عند ما يشاهدون انه يوثق بهم وان يدربوا من دون عنف وقسوة ولا ينظر لم كمن ينظر الى من يشك في حاله .

قال واري اننا في حاجة لنفوذ المرأة حيثما وجد اولاد وذلك لا في السنين الاولى للطفولية بل في خلال مدة التربية واذا صح كما نعتقد باننا لانستطيع ان نتعلم الا اذا عشنا فنحن في حاجة في المدرسة الى جميع العوامل والمؤثرات الرئيسة في الحياة فليس تحديد الحياة المدرسية وقصرها على جنس واحد الا عبارة عن خنقها وفلجها منذ بدايتها فتربية البنين مع البنات ضرورية والمدارس التي سرت على الاسلوب الجديد في التربية تقوم بهذا المطلب من عدة وجوه بحسب حالتها واعتقادها وعاداتها القومية وبترك التلميذ ان يعتقد ماشاء من دين آبائه ولا يبحث في الاديان بل يبحث في اعداد رجال على انه يعلم نفع التدين كما يعلم الاجنبي عنا احترام وطنية الغير لاتقديس وطنيتنافقط

مخطوطات ومطبوعات

مباهج الفكر ومناهج العبر

وقفت في الصيف الماضي (سنة ١٩٠٩ م) على هذا المخطوط النفيس في المكتبة المارونية بمدينة حلب ويسمى ايضاً (نزهة العيون في اربعة فنون) لمؤلفه جمال الدين ابي عبدالله محمد الكتبي الملقب بالوطواط المتوفى سنة ٧١٨ ه‍ (١٣١٨ م) وهو على شكل دائرة معارف في الطبيعيات والعلوم والجغرافية . متقن الخط مذهب الصفحات في ٥٨١ صفحة مخروم من آخره قليلا وضعه مؤلفه على اربعة فنون الاول في العوالم العلوية والثاني في الارض والثالث في الحيوان والرابع في النبات وكسر كل من الفنون الاربعة على تسعة موضوعات . والذي يفهم من بعض تعاليق على الكتاب ان مؤلفه اندلسي الاصل مصري المنشأ . وان هذه النسخة حصلها من اسبانية المطران جرمانوس

فرحات الحلبي الماروني · وقد رصع مؤلف هذا الكتاب كلامه بنثر بليغ وشعر رشيق ومن منتخبات اشعاره الفلكية قول ابن رشيق القيرواني في ترتيب السيارات :

بالذهب شرف كيـ وان بحظ من دهائك
واعار المشتري حا مك مع حسن اهتدائك
وانتفى المريخ سيـ فاً لك يمضي بمضائك
والذهب التي على الشـ مس[1] رداءً من بهائك
وكسا[2] الزهرة اخـ لاقك مع حسن ثنائك
ثم اعطى كاتب الشـ مس نصيباً من ذكائك
واقام القمر الـ فرد بدراً لارتبائك[3]
انجز الوعد لعبد ماله غير رجائك

وقول هبة الله بن صاعد بن التلميذ المسيحي بذكر عقوق ولد له :

اشكو الى الله صاحباً شكساً تعفه النفس وهو يعنفها
فنحن كالشمس والهلال معاً تكسبه نورها ويكسفها

وقول آخر في المجرة :

وعلى المجرة انجم نظمت مثل الفقار يلوح في الظهر
هذا حباب فوق صفحتها طاف وهذا جدول يجري

وقول ابن ابي ظافر المصري من ارجوزة في وصف الشمس :

والشمس قد مالت لنحو المغرب فموهت لجينه بالذهب
وفتحت في ساعة الاصيل وردتها في خده الاسيل

وقول هاشم بن الياس في وصف الجوزاء :

وكأنما جوزاؤه في غربها يفداه سابحةٌ ببركة زئبق
وكأنما اومت ثلاث انامل منها تقول الى ثلاث نلتقي

وقول الآخر في اقتران الشمس بالقمر :

يقابل الشمس فيه بدر دجى يأخذ من نورها ويمتار
كصيرفي يروح منتقداً في كفه درهم ودينار

(١) في الاصل سقطت لي فانكسر الوزن (٢) في الاصل (كسى) (٣) الاصل ارتيائك

وهناك اوصاف الانسان كقول ابن الرومي في الترك :

اذا ثبتوا فسد من حديد تظل عيوننا فيهم تحار
اسود الحرب انفسهم كبار اذا لوقوا واعينهم صغار

واوصاف الحيوان كقول بعضهم في الفهد :

رقدت مقلتي وقلبي يقظان يحس الامور حسا شديدا
يحمد النوم في الجواد كما لا يمنع الفهد نومه ان يصيدا

وقول ابي محمد اليزيدي في رثاء القنفذ من ابيات :

عجبت له من شيهم متحصن بذبل من السرد المضاعف يبرق
واني (١) اهتدى سهم المنية نحوه وفي كل عضو منه سهم مفوق
ولو كان كف الدهر يستحسن الردى لكان بكف الدهر لا يتعلق

وقول آخر في وصف الخطاف :

اهلا بخطاف اتانا زائراً يذكر عهداً (٢) بالزمان البلسم
لبست سرابيل الصباح بطونه وظهوره ثوب الظلام القاتم

وقول بعض الحكماء (ابن التلميذ اوابن صفية) في النمل :

واذا انبت المهيمن للنـ ـمل جناحاً اعدها للتردي
ولكل امرئ من الناس حد وهلاك الفتى جواز الحد

واوصاف النبات كقول آخر في البطيخ :

ثلاث هن في البطيخ زين وفي الانسان منقصة وذله
خشونة لمسه والثقل فيه وصفرة لونه من غير عله

وقول بعضهم في الثوم :

الثوم مثل اللوز ان قشرته لولا روائحه وطعم مذاقه
كالنذل غرك منظراً فاذا دعي لفضيلة ينمى الى اعراقه

واوصاف الجمادات كالاهرام والمباني والبلدان والحوادث كقول ابي سعيد نصر ابن يعقوب يصف زلزلة :

اسقني كأساً كلون الذهب وامزج الريق بماء العنب
فقدار تجت بنا الارض ضحى كارتجاج الزئبق المنسرب

---

(١) الاصل ان (٢) كذا وهو جواز مكروه

فكأن الارض في ارجوحة وكأننا [1] فوقها في لولب

وعلى هوامشه حواش فيها فوائد كثيرة منها ماينسب الى السلطان سليمان القانوني لما مرّ عَلَى وادي حماه وهو في حلب سنة ٩٦١ هـ ١٥٥٣ م يصف نواعيرها :

نواعير [2] في وادي حماة اذا بكت تهيج مني بالبكا مدمعاً قامي
فاني على نفسي لاجدر بالبكا اذا كانت الاخشاب تبكي عَلَى العاصي

وفيه مباحث تاريخية في وصف العواصم والاجناد والمواقع مثل موقعة دمياط بين المسلمين والصليبيين وكثيراً مايستشهد بابن الاثير وبالمسيحي وغيرهما من المؤرخين. وفي صفحة ١٨ منه وصف كسرى للفلك ذكره حمزة بن الحسين الاصفهاني في كتاب التشبيهات . وهو عَلَى الجملة من الكتب النادرة الجديرة بالنشر ولمؤلفه كثير من المصنفات التي تدل عَلَى واسع اطلاعه مثل الدرر الغرر في شعراء الاندلس وغرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة وغيرها عيسى اسكندر المعلوف

ارشاد الفحول

الى تحقيق الحق من علم الاصول

للامام المجتهد الذي طار صيته في الاقطار القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ طبع بمطبعة السعادة في مصر سنة ١٣٢٧ على نفقة مصطفى افندي المكاوي

لاحاجة بنا الى الاسهاب في ترجمة المؤلف — الشوكاني — لسهولة الوقوف عليها في مواضع عدة منها في مقدمة كتاب نيل الاوطار المطبوع وفي كتاب التاج المكلل لناشر علمه وآثاره الامام صديق حسن خان وفي غيرها

اما آثاره عليه الرحمة فكلها مما يتنافس فيها و يتسابق اليها ومعظمها في القطر اليماني وما نشر منها بالنسبة الى مالم ينشر كالقطرة في جانب البحر ولقد كان من حسنات هذه الايام الاهتمام بطبع كتابه هذا بمصر لما هبط اليها من اليمن فلطالما تشوقت اليه نفوس الفضلاء وتاقت لمراجعته قلوب المحققين لشهرة مؤلفه بتجويد المباحث واستقلال الفكر وقد جمعه احسن جمع وهذبه ابلغ تهذيب وتوسع في كثير من المباحث بما يزيد المجتهد قوة في البحث و بصراً في الاستنباط و بصيرة في حصول المأمول ، ومما انفرد به

(١) الاصل (وكأننا من فوقها) (٢) سقط نصف الكلمة من قطع الورق عند التجليد

عن الكتب المؤلفة في ذلك — عدا عن كثير من نوادره — تحقيقات اتى على نهاية ما يمكن ان يقال عنها في مباحث الاجماع والاجتهاد والتقليد فقد اورد عشرين بحثاً وخاتمة في الاجماع و تسع مسائل في الاجتهاد وستاً في التقليد ، في مطاويها من بدائع التحقيقات مالم يسبق اليه كما يعرفه من وازن بينه و بين ما في الايدي من اسفار هذا الفن

اما مكانة علم الاصول فاسمى من ان تعرف و يكفي انه — كما قال المؤلف — عماد فسطاط الاجتهاد واساسه الذي تقوم عليه اركان بنائه وانه العلم الذي يأوي اليه الاعلام والملجأ الذي يلجأ اليه عند تقرير المسائل وتحرير الدلائل في غالب الاحكام

جمال الدين القاسمي

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

جردنا من هذه المجلة مانشره في هذا المبحث الشيخ جمال الدين القاسمي احد العلماء العاملين في دمشق لتتداوله الايدي فجاء في ٥٠ صفحة وتطلب منه ومن ادارة المقتبس. ولاحاجة للكلام عليهـا فالقراء عرفوا دقة ابحاثها ووفرة فوائدها وادركوا كيف حلت هذه المعضلة القديمة .

تصحيح اعلام برتغالية

تفضل صديقنا احمد بك زكي في القاهرة فارجع لنا الاعلام البرتغالية التي وردت في مقالة جمهورية البرتغال في الجزء السادس من هذه السنة الى اصلها فقال

١— ذكرت الكراف تعريبا بقولهم Algarve واسمه الغرب عند العرب وهو لايزال من بقاياهم علما على مقاطعة كبيرة في جنوب البرتغال وغربها .

٢— ذكرت سانتارم وصحة اسمها عند العرب « شنترين » Santarem

٣— ذكرت لاس نافادي تولوزا وصحة اسمها عند العرب : وقعة العقاب . وكانت بقرب مدينة طلوسه Tolosa

٤— ذكرت بارا كانس وصوابها عند العرب : « ابراقنصة »

٥— استعملت لفظة الكاداستر بلفظها الافرنكي ومقابلها عند العرب في مصر والمغرب الاقصى والاندلس هو كلمة : « الروك » ونحن كنا نقول في مصر الى عهد قريب « التاريع » . والآن نقول المساحة

المقتبس

رسالة ابن القارح

الى ابي العلاء المعري

(الى القاري ٔ مخطوطاً من اندر المخطوطات ظفرنا به في خزانة كتب استاذنا الشيخ طاهر الجزائري كتبه ابو حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بالقارح الى ابي العلاء المعري فاجاب عنها هذا في رسالة خاصة سماها رسالة الغفران طبعت بمصر سنة ١٣٢١ — ١٩٠٣ في مطبعة هندية . اما ابن القارح وكان يلقب بدوخلة فكان شيخاً من اهل الادب راوية للاخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قوّوماً بالنحو وكان ممن خدم ابا علي القارسي في داره وهو صبي ثم لازمه وقرأ عليه وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر . قال ابن عبدالرحيم وشعره يجري مجرى شعر المعلمين قليل الحلاوة خال من الطلاوة وكان آخر عهدي به بتكريت في سنة احدى وعشرين وار بعمائة فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا واقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل فبلغني وفاته من بعد وكان يذكر ان مولده بحلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة . قال ياقوت وعلي بن منصور هذا يعرف بابن القارح وهو الذي كتب الى ابي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح فاجابه ابو العلاء برسالة الغفران وذكر اسمه فيها)

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاحاً باسمه واستنجاحاً ببركته، والحمد لله المبتدي بالنعم المنفرد بالقدم الذي جل عن شبه المخلوقين وصفات المحدثين ولي الحسنات المبرأ من السيئات العادل في افعاله الصادق في اقواله خالق الخلق ومبديه ومبقيه ماشاء ومفنيه وصلواته على محمد وابرار

عترته واهلي، صلوة ترضيه وتقربه وتدنيه وتزلفه وتحظيه كتابي اطال الله بقآء مولاي الشيخ الجليل ومد مدته، وادام كفايته وسعادته، وجعلني فداءه وقدمني قبله على الصحة والحقيقة وبعد القصد والعقيدة وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة ولا على تنقص وخلابة وتحبب ومسامحة ولا كما قال بعضهم وقد عاد صديقاً له كيف تجدك جعلني الله فداك وهو يقصد تحبباً ويريد تملقاً ويظن انه قد أسدى جميلا يشكره صاحبه ان نهض واستقل ويكافئه عليه ان افاق وابل عن سلامة تمامها بحضور حضرته وعافية نظامها بالتشرف بشريف عزته وميمون نقيبته وطلعته، ويعلم الله الكريم تقدست اسماؤه اني لو حننت اليه ادام الله تأييده حنين الواله الى بكرها وذات الفرخ الى وكرها او الحمامة الى إلفها او الغزالة الى خشفها لكان ذلك مما تغيره الليالي والايام والعصور والاعوام لكنه حنين الظمآن الى الماء والخائف الى الامن والسليم الى السلامة والغريق الى النجاة والقلق الى السكون بل حنين نفسه النفيسة الى الحمد والجد فاني رأيت نزاعها اليهما نزاع الاسطقسات الى عناصرها والاركان الى جواهرها فان وهب الله لي ملاً من العمر يؤنسني برؤيته ويعلقني بحبل مودته مرت كساري الليل التي عصاه واحمد مسراه وقر عيناً ونعم بالاوكان كمن لم يبسه سوء ولم يتخونه عدو ولا نهكه رواح ولا غدو وعسى الله ان يمن بذلك بيومه او بثانيه، وبه الثقة وانا اسأل الله على التداني والنوى والبعاد امتاعه بالفضل الذي استعلى على عاتقه وغاربه واستولى على مشارقه ومغاربه، فمن مر على بحره الهياج ونظر في لألآء بدره الوهاج خليق بان يكبو قلمه بآماله وينبو طبعه عن رسائله الا ان يلقي اليه بالمقاليد او يستهويه اقليداً من الاقاليد فيكون منسوباً اليه ومحسوباً عليه ونازلا في شعبه واحد اصحابه وحزبه وشرارة تياره وقراضة ديناره وسمك بحره وثمد غمره وهيهات ضاق قتر عن مسير ليس التكحل في العينين كالكحل خلقوا اسخياء لا متساخين وليس السخي من يتساخى لاسيا واخلاق النفس تلزمها لزوم الالوان للابدان لايقدر الابيض على السواد ولا الاسود على البياض ولا الشجاع على الجبن ولا الجبان على الشجاعة قال ابو بكر العزرمي :

بفر جبان القوم عن أم رأسه ... ويحمي شجاع القوم من لايناسبه

ويرزق معروف الجواد عدوه ... ويحرم معروف البخيل اقاربه

ومن لايكف الجهل عمن يوده ... فسوف يكف الجهل عمن يواثبه

ومن اين للضباب صوب السحاب وللغراب هدى العقاب وكيف وقد اصبح ذكره

في مواسم الذكر آذانا وبلّى معالم الشكر لسانا فمن دافع العيان وكابر الأنس والجان واستبد بالافك والبهتان كان كمن صالب بوقاحة الحجر وحاسن بقباحته القمر وهذى وهذر وتعاطى فعقر وكان كمحموم بلسم فعفر ونادى عَلَى نفسه بالنقص في البدو والحضر وكان كما قال من يعنيه ولا يشك فيه

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

وروي ان رسول الله صلى الله عليه وزاده شرفاً لديه قال لعن الله ذا الوجهين لعن الله ذا اللسانين لعن الله كل شقار لعن الله كل قتات · ووردت حلب ظاهرها حماها الله تعالى وحرسها بعد ان منيت بريضها بالدرخمين وام حبوكري والفتكرين بل رميت بآبدة الآباد والداهية النآد فلما دخلتها وبعد لم تستقر بي الدار وقد نكرتها لفقدان معرفة وجار وانشدتها باكيا :

اذا زرت ارضاً بعد طول اجتنابها فقدت حبيباً والبلاد كما هيا

كان ابو القطران المرار بن سعيد الفقعسي يهوى ابنة عمه بنجد واسمها وحشية فاهتداها رجل شامي الى بلده فغمه بعدها وساءه فراقها فقال من قصيدة :

اذا تركت وحشية النجد لم يكن لعينيك مما تبكيان طبيب

رأى نظرة منها فلم يملك البكا معاوز يربو تحتهن كثيب

وكانت رياح الشام تكره مرة فقد جعلت تلك الرياح تطيب

فحصلت من الرياح عَلَى الرياح كما حصل لابي القطران من وحشية ثم وثم وثم أجري ذكره ادام الله تأييده من غير سبب جره وغير مقتض اقتضاه فقال الشيخ بالنحو اعلم من سيبويه وباللغة والعروض من الخليل فقلت والمجلس بأزز بلغني انه ادام الله تأييده يصغر كبيره ويبزر صغيره فيصير تصغيره تكبيرا وتحقيره تكثيرا وهكذا شاهدت من شاهدت من العلماء رحمهم الله اجمعين وجمله وارث اطول اعمارهم وامدها وانضرها وارغدها وما ثم له حاجة دعت الى هذا قد تفتح النور وتوضح النور واضاء الصبح لذي عينين كان ابو الفرج الزهرجي كاتب حضرة نصر الدولة ادام الله حراسته كتب رسالة الي اعطانيها ورسالة اليه ادام الله تأييده استودعنيها وسألني ايصالها الى جليل حضرته واكون نائبها لاباعثها ومعجلها لامؤجلها فسرق عدىلى رحلا لي الرسالة فيه فكتبت هذه الرسالة اشكو اموري وابث شقوري واطلعه طلع عجري وبجري وما لقيت في سفري من اقيوام يدعون العلم والادب والادب ادب النفس لأدب الدرس وهم

اصغار منهما جميعاً ولم تصحيفات كنت اذا رددتها عليهم نسبوا التصحيف الي وصاروا إلباً علي لقيت ابا الفرج الزهرجي بآمد ومعه خزانة كتبه فعرضها علي فقلت كتبك هذه يهودية قد برئت من الشريعة الحنيفية فاظهر من ذلك اعظاماً وانكاراً فقلت له انت على المجرب ومثلي لا يهرف بما لا يعرف وابلغ تيقن فقرأ هو وولده وقال صغر الخبر الخبر وكتب الي رسالة يقرظني فيها بطبع له كريم وخلق غير ذميم قال المتنبي : اذم الى هذا الزمان اهيله صغرهم تصغير تحقير غير تكبير وتقليل غير تكثير فنفث مصدوراً واظهر ضميراً مستوراً وهو سائغ في مجاز الشعر وقائله غير ممنوع من النظم والنثر ولكنه وضعه غير موضعه وخاطب به غير مستحقه ومااستحق زمان ساعده بلقاء سيف الدولة ان يطلق على اهله الذم وكيف وهو القائل يخاطبه

اسير الى اقطاعه في ثيابه   على طرفه من داره بحسامه

وقد كان بنو حمدان يجعلهم في خفارته اذ كانوا منسوبين اليه ومحسوبين عليه ولا يجب ان يشكو عاقلاً ناطقاً الى غير عاقل ولا ناطق اذ الزمان حركات الفلك الا ان يكون ممن يعتقد ان الافلاك تعقل وتعلم وتفهم وتدري بمواقع افعالها بقصود وارادات ويحمله هذا الاعتقاد على ان يقرب لها القرابين و يدخن الدخن فيكون مناقضاً لقوله

فتباً لدين عبيد النجو   م ومن يدعي انها تعقل

او يكون كما قال الله تعالى في كتابه الكريم « مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويوشك ان تكون هذه صفته »

حكى القطربلي وابن ابي الازهر في تاريخ اجتمعا على تصنيفه واهل بغداد واهل مصر يزعمون انه لم يصنف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمه يحكيان فيه ان المتنبي اخرج ببغداد من الحبس الى مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير رحمه الله فقال له : انت احمد المتنبي فقال انا احمد النبي وكشف عن بطنه فاراه سلعة فيه وقال هذا طابع نبوتي وعلامة رسالتي فامر بقلع جبته وصفعه بها خمسين واعاده الى محبسه ويقول لسيف الدولة

وتغضبون على من نال رفدكم   حتى يعاقبه التنغيص والمنن

كذب والله لقد كان يتحرش بالمكارم ويتحكك بها ويحسد عليها ان تكون الا منه وبه وهذا غير قادح في طلاوة شعره ورونق ديباجته ولكني اغتاظ على الزنادقة والملحدين الذين يتلاعبون بالدين ويرومون ادخال الشبه والشكوك على المسلمين ويستعذبون

القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم اجمعين و يتطرفون و يتنذئون إعجابًا بذلك المذهب تيه معن وظرف زنديق. وقتل المهدي بشارًا على الزندقة ولما شهر بها وخاف دافع عن نفسه بقوله

يا ابن نهيا رأسي علي ثقيل   واحتمال الرأسين عبء ثقيل
فادع غيري الى عبادة ربيـ   ـن فاني بواحد مشغول

واحضر صالح بن القدوس واحضر النطع والسياف فقال علام تقتلني قال على قولك

رب سر كتمته فكأني   اخرس او ثنى لسان عقل
ولو اني اظهرت للناس ديني   لم يكن لي في غير حبسي اكل

يا عدي الله وعدي نفسه

الستر دون الفاحشات ولا   يلقاك دون الخير من ستر

فقال قد كنت زنديقًا وقد تبت عن الزندقة قال كيف وانت القائل

والشيخ لا يترك عاداته   حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى غيه   كذي الضنى عاد الى نكسه

واخذ غفلة السياف فاذا رأسه يتدهدأ على النطع. وظهر في ايامه في بلد خلف بخارا وراء النهر رجل قصار اعور عمل له وجهًا من ذهب وخوطب برب العزة وعمل لهم قمرًا فوق جبل ارتفاعه فراسخ فانفذ المهدي اليه فأحيط به و بقلعته فحرق كل شيء فيها وجمع كل من في البلد وسقاهم شرابًا مسمومًا فماتوا باجمعهم وشرب فلحق بهم وعجل الله بروحه الى النار. والصناديقي في اليمن فكانت جيوشه بالمديخرة وسفهنه وخوطب بالربوبية وكوتب بها فكانت له دار أفاضة يجمع اليها نساء البلدة كلها و يدخل الرجال عليهن ليلا قال من يوثق بخبره دخلت اليها لانظر فسمعت امرأة تقول يا بني فقال: يا أمه نريد ان نمضي امر ولي الله فينا وكان يقول: اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ولا ولد من ولد فتكونون كنفس واحدة فغزاه الحسني من صنعاء فهزمه وتحصن منه في حصن هناك فانفذ اليه الحسني طيبًا ببعض مسموم فقصده به فقتله. والوليد بن يزيد اقام في الملك سنة وشهرين واياما وهو القائل

اذا مت يا ام الحنيكل فانكحي   ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فان الذي حدثته من لقائنا   احاديث طسم تترك العقل واهيا

ورمى المصحف بالنشاب وخرقه وقال

اذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب خرقني الوليد

وانفذ الى مكة بناء مجوسياً ليبني له عَلَى الكعبة مشربة فمات قبل تمام ذلك فكان الحجاج يقولون : لبيك اللهم لبيك لبيك ياقاتل الوليد بن يزيد لبيك واحضر بناجية من ذهب وفيها جوهرة جليلة القدر صورة رجل فسجد له وقبله وقال اسجد له ياعلج قلت ومن هذا قال هذا ماني شأنه كان عناياً اضمحل امره لطول المدة فقلت لايجوز السجود الا لله فقال قم عنا وكان يشرب عَلَى سطح وبين يديه باطية كبيرة بلور وفيها اقداح فقال لندمائه ابن القمر الليلة فقال بعضهم : في الباطية فقال : صدقت اتيت على مافي نفسي والله لاشربن المفتحة يعني شرب سبعة اسابيع متتابعة وكان بموضع حول دمشق يقال له البخرا فقال

تلعب بالنبوة هاشمي بلا وحي اتاه ولا كتاب

فقتل بها ورأيت رأسه في الباطية التي اراد ان يفتتح بها وابوعيسى بن الرشيد القائل

دهاني شهر الصوم لا كان من شهر ولاصمت شهراً بعده آخر الدهر

ولوكان يعديني الامام بقدرة عَلَى الشهر لاستعديت دهري عَلَى الشهر

عرض له في وقته صرع فمات ولم يدرك شهراً غيره والحمد لله . والجنابي قتل بمكة الوفاً واخذ ستة وعشرين الف جمل خفاً وضرب آلاتهم واثقالهم بالنار واستملك من النساء والغلمان والصبيان من ضاق بهم الفضاء كثرة ووفوراً واخذ حجر الملتزم وظن انها مغناطيس القلوب واخذ الميزاب قال : وسمعت قائلاً يقول لغلام دحسمان طوال يرفل في برديه وهو فوق الكعبة يارخمة اقلعه واسرع يعني ميزاب الكعبة فعلمت ان اصحاب الحديث صحفوه فقالوا يقلعه غلام اسمه رحمة كما صحفوا عَلَى علي رضى الله قوله تهلك البصرة بالريح فهلكت بالزنج لانه قتل علوي البصرة في موضع بها يقال له العقيق اربعة وعشرين الفاً عدوهم بالقصب وحرق جامعها وقال في خطبته يخاطب الزنج انكم قد اعنتم بقبح منظر فاشفعوه بقبح مخبر اجعلوا كل عامر قفرا وكل بيت قبرا . قال لي بدمشق ابو الحسين اليزيدي الوزير بن علي نسب جدي دخل واياه ادعى قال . ابو عبدالله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي : كنت بمكة وسيف الجنابي قد اخذ الحاج ورأيت رجلا منهم قد قتل جماعة وهو يقول يا كلاب اليس قال لكم محمد المكي ومن دخله كان آمناً اي أمن هنا فقلت له يافتى العرب تؤمنني سيفك افسر لك هذا قال : نعم قلت : فيها خمسة

اجوبة الاول ومن دخله كان آمنًا من عذابي يوم القيمة والثاني من فرض الذي فرضت عليه والثالث خرج مخرج الخبر وهو يريد الامر كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن والرابع لايقام عليه الحدفية اذا جنى في الحل والخامس منّ الله عليهم بقوله انا جعلنا حرما آمنًا و يتخطف الناس من حولهم فقال صدقت هـذه اللحية الي توبة ؟ فقلت : نعم فخلاني وذهب

والحسين بن منصور الحلاج من نيسابور وقيل من مرو يدعي كل علم وكان متهوراً جسوراً يروم اقلاب الدول و يدعي فيه اصحابه الالهية و يقول بالحلول و يظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة وفي تضاعيف ذلك يدعي ان الالهية قد حلت فيه وناظره علي بن عيسى الوزير فوجده صفراً من العلوم وقال تعلمك لطهورك وفرضك اجدى عليك من رسائل انت لاتدري ماتقول فيها كم تكتب الى الناس تبارك ذوالنور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعشعته ما احوجك الى ادب حدثني ابو علي الفارسي قال رأيت الحلاج واقفًا على حلقة ابي بكر الشبلي انت بالله ستفسد خشبة فنفض كمه في وجهه وانشد

يا سر سر يدق حتى ... يجل عن وصف كل حي
وظاهراً باطنا تبدى ... من كل شيء لكل شي
ياجملة الكل لست غيري ... فما اعتذاري اذاً الي

وهو يعتقد ان العارف بن الله بمنزلة شعاع الشمس منها بدا واليها يعود ومنها يستمد ضوءه انشدني الظاهر لنفسه

ارى جيل التصوف شر جيل ... فقل لهم واهون بالحلول
اقال الله حين عشقتموه ... كلوا اكل البهائم وارقصوا لي

وحرك يومًا يده فانتثر على قول مسك وحرك مرة اخرى فانتثر دراهم فقال له بعض من حضر ممن يفهم أرني دراهم معروفة أؤمن بك وخلق معي ان اعطيتني درهمًا عليه اسمك واسم ابيك فقال وكيف هذا وهذا لا يصنع قال من احضر ماليس بحاضر صنع ماليس بمصنوع وكان في كتبه اني مفرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود فلما شاع امره وعرف السلطان خبره على صحة وقع بضربه الف سوط وقطع يديه ثم احرقه بالنار في آخر سنة تسع وثلثمائة وقال لحامد بن العباس : انا اهلكك فقال حامد : الآن صح انك تدعي ما قرفت به . وابن ابي العذافر ابو جعفر محمد بن علي الشلمغاني اصله من قرية من قرى

واسط تعرف بشلمغان وصورته صورة الحلاج ويدعي عنه قوم انه آله وان الله حل في آدم ثم في شيث ثم في واحد واحد من الانبياء والاوصياء والأئمة حتى حل في الحسن بن علي العسكري وانه حل فيه، وكان قد استغوى جماعة منهم ابن ابي عون صاحب كتاب التشبيه ومعه ضربت عنقه وكانوا يبيحونه حرمهم واولادهم بتحكم فيهم وكان يتعاطى الكيمياء وله كتب معروفة

وكان احمد بن يحيى الراوندي من اهل مرو الروذ حسن الستر جميل المذهب ثم انسلخ من ذلك كله باسباب عرضت له ولان علمه كان اكثر من عقله وكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مرداً عندصبوته ومن يقوم لمستور اذا خلعا

صنف كتاب التاج يحتج فيه لقدم العالم فنقضه ابو الحسين الخياط

الزمرذ يحتج فيه لابطال الرسالة نقضه الخياط .

نعت الحكمة سفه الله تعالى في تكليف خلقه امره . نقضه الخياط .

الدامغ يطعن فيه على نظم القرآن

القضيب يثبت ان علم الله محدث وانه كان غير عالم حتى خلق لنفسه علماً نقضه الخياط

الفريد في الطعن عَلَى النبي عليه الصلوة والسلام

المرجان في اختلاف اهل الاسلام

علي بن العباس بن جريج الرومي قال ابو عثمان الناجم دخلت عليه في علته التي مات فيها وعند رأسه جام فيه ماء مثلوج وخنجر مجرد لو ضرب به صدر خرج من ظهره فقلت : ماهذا قال : الماء أبل به حلقي فقلما يموت انسان الا وهو عطشان والخنجر ان زاد عليَّ الألم نحرت نفسي ثم قال : اقص عليك قصتي تستدل بها عَلَى حقيقة تلفي اردت الانتقال من الكرخ الى باب البصرة فشاورت صديقنا ابا الفضل وهو مشتق من الافضال فقال اذا جئت القنطرة فخذ عَلَى يمينك وهو مشتق من اليمن واذهب الى سكة النعيمة وهو مشتق من النعيم فاسكن دار ابن المعافي وهو مشتق من العافية فخالفته لتعسي ونحسي فشاورت صديقنا جعفراً وهو مشتق من الجوع والفرار فقال : اذا جئت القنطرة فخذ عَلَى شمالك وهو مشتق من الشؤم واسكن دار ابن قلابة وهي هذه لاجرم قد انقلبت بي الدنيا واضر ما علي العصافير في هذه السدرة تصيح سيق سيق فها انا في السياق ثم انشدني

ابا عثمان انت قريع قومك وجودك للعشيرة دون لومك

تمتع من اخيك فما اراه يراك ولا تراه بعد يومك
والح به البول فقلت له البول ملح بك فقال

غداً ينقطع البول ويأتي الوبل والهول
الا ان لقاء الله هول دونه الهول

ومات من الغد فارجو ان يكون هذا القول توبة له مما كان اعتقده من ذبحه نفسه والرسول عليه الصلوة والسلام يقول من وجأ نفسه بحديدة حشر يوم القيامة وحديدته بيده يجأبها نفسه خالداً مخلداً في النار من تردى من شاهق حشر يوم القيامة يتردى على منخريه في النار خالداً مخلداً من تحسى سماً حشر يوم القيامة وسمه بيده يتحساه خالداً مخلداً [1] في النار

قال الحسن بن رجاء الكاتب جاءني ابو تمام الى خراسان فبلغني انه لا يصلي فوكلت به من لازمه اياماً فلم يره صلى يوماً واحداً فعاتبته فقال : يامولاي قطعت الى حضرتك من بغداد فاحتملت المشقة و بعد الشقة ولم اره يثقل علي فلو كنت اعلم ان الصلاة تنفعني وتركها يضرني ماتركتها فاردت قتله فخشيت ان يحمل عليَّ غير هذا

وفي تاريخ كثيرة انه احضر المازيار الى المعتصم وقبل قدومه بيوم سخط على الافشين لان القاضي بن ابي دواد قال للمعتصم : اعزل و يطأ امرأة عربية وهو كاتب المازيار وزين له العصيان فاحضر كاتبه وتهدده المعتصم فأقر انه كتب الى المازيار لم يكن في الارض ولا في العصر بلية الا انا وانت وبابك وقد كنت حريصاً على حقن دمه حتى كان من امره ماكان ولم يبق غيري وغيرك وقد توجه اليك عسكر من عساكر القوم فان هزمته وثبت انا بملكهم في قرار داره فظهر الدين الابيض فاجابه المازيار بجواب هو عنده بخط احمر فجمع بين الافشين والمازيار فاعترف المازيار بما حكي عنه وقيل للمعتصم ان وراء المازيار مالا جليلا فانشد

ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ذكروا ان اثنين قتلوا ثلاثة آلاف الف وخمسمائة ذباح بالثياب الحمر والخناجر الطوال وانهم وجدوا اسماءهم في وقعة وقعة وفي بلد بلد وكانوا يأخذون من كل واحد علامة خاتمه او ثوبه او منديله او تكته اتى الوادي فطم على القري

قد لقيت من يجادلني ان عليا رضي الله عنه وكذلك الحاكم [2] وقد ظهر بالبصرة من

(١) وقوع لفظ الخلود في هذه الاحاديث للتهديد (٢) كذا في الاصل

بدعي ان جعفر بن محمد عليهما السلام وانه متصل به وروحه فيه ومتصلة به ولو استقصيت القول في هذا الفن لطال جداً ولكن

لابد للصدور ان تنفثا ... وللذي في الصدر ان يعثا

بل لو قلت كل ما اتمله اكلت زادي في محبسي بل كنت انشد

احمل راساً قد مللت حمله ... الا فتى يحمل عني ثقله

واستريح الى ان انشد

ليس يشفي كلوم غيري كلومي ... ما به ما به وما بي ما بي

ان شكوت العصر واحكامه وذممت صروفه واياه، شكوت من لايشكي ابداً وذممت من لايرضي احداً شيمته اصطفاء اللئام والتحامل على الكرام وهمته رفع الخامل الوضيع ووضع الفاضل الرفيع اذا سمح بالحياء فأبشر بوشك الاقتضاء واذا اعار فأحسبه قد اغار فما بين ان يقبل عليك مستبشراً و يولي عنك متجهماً مستبشراً الا كلمح البصر واستطارة الشرر لم يخترق ذكر الوفاء مسامعه ولم يمس ماء الحياء مدامعه، ظاهره يسر و يونس وباطنه يسوء و يوئس يخيب ظن راجيه و يكذب امل عافيه لايسمع الشكوى ويشمت بالبلوى قد ذممت سيئاً ووقعت فيه انا كالغريق يطلب معلقاً والاسير يندب مطلقاً واستحسن قول علي بن العباس ابن جريج الرومي

الا ليس شيبك بالمنتزع ... فهل انت عن غية مرتدع

وهل انت تارك شكوى الزما ... ن اذا شئت تشكو الى مستمع

نشيب اخي الشيب أمنية ... اذا ماتناهى اليها هلع

كنت في حال الحداثة اقرب الناس الي واعزهم علي واقربهم عندي واجلهم في نفسي مرتبة من قال لي نسأ الله في اجلك جعل الله لك امد الاعمار واطولها فلما بلغت عشر الثمانين جاء الجزع والهلع فم ارتاع والتاع واخلد الى الاطماع وهو الذي كنت اتمنى و يتمنى لي اهلي امن صدوف الغواني عني فانا والله عنهن اصدف و بهن وادوائهن اعرف اذ لست ممن ينشد تحسراً عليهن

للسود في السود آثار تركن بها ... لمعاً من البيض تثني اعين البيض

وقول الآخر

ولما رأيت النسر عز ابن داية ... وعشش في وكريه جاشت له نفسي

ولا انشد لابي عبادة البحتري

ان ايامه من البيض بيض ما رأين المفارق السود سودا
واذا المحل ثار ثاروا غيوثاً واذا النقع ثار ثاروا اسودا
بحسن الذكر عنهم والاحادي ث اذا حدث الحديد الحديدا
بلدة تنبت المعالي فما ينـ غر الطفل فيهم او يسودا

وهذه صفة معرة النعمان به ادام الله تأييده لاخلت منه ومن النعمة عليه وعنده فقد وجدت اهلها معترفين بعوارفه خلا ابي العباس احمد بن خلف الممتع ادام الله عزه فأني وجدت آثار تفضله عليه ظاهرة ولسانه رطباً بشكره وذكره وقد ملأ السماء دعاء والارض ثناء . قالت قريش للنبي عليه الصلاة والسلام اتباعك من هؤلاء الموالي كبلال وعمار وصهيب خير من قصي بن كلاب وعبد مناف وهاشم وعبد شمس فقال نعم والله لئن كانوا قليلا ليكثرن ولئن كانوا وضعاء ليشرفن حتى يصيروا نجوماً يهتدى بهم و يقتدى فيقال هذا قول فلان وذكر فلان فلا تفاخروني بآبائكم الذين موتوا في الجاهلية فلما يدهده الجعل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها فاتبعوني اجعلكم انساباً والذي نفسي بيده لتقتسمن كنوز كسرى وقيصر فقال له عمه ابو طالب أبق علي وعلى نفسك فظن عليه الصلاة والسلام انه خاذله ومسلمه فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ماتركته ثم استعبر باكياً ثم قام فلما ولى ناداه اقبل ياابن اخي فاقبل فقال اذهب وقل ماشئت فوالله لااسلمتك لسوء ابداً فكان عليه الصلاة والسلام يذكر يوماً مالقي من قومه من الجهد والشدة قال لقد مكثت اياماً وصاحبي هذا يشير الى ابي بكر بضع عشرة ليلة مالنا طعام الا البرير في شعب الجبال وكان عتبة بن غزوان يقول اذا ذكر البلاء والشدة التي كانوا عليها بمكة لقد مكثنا زماناً مالنا طعام الا ورق البشام اكلناه حتى تقرحت اشداقنا ولقد وجدت يوماً تمرة فجعلتها بيني وبين سعد وما منا اليوم احد الا وهو امير على كورة وكانوا يقولون فيمن وجد تمرة فقسمها بينه وبين صاحبه ان اسعد الرجلين من حصلت النواة في قسمه يلوكها يومه وليلته من عدم القوت وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رعيت غنيمات اهل مكة لهم بالقرار يطوا بتدا امره انه وقف على الصفا ونادى ياصباحاه فجاءوا يهرعون فقالوا : مادهمك ماطرقك قال : بما تعرفونني قالوا محمد الامين قال : أرأيتم ان قلت لكم ان خيلاً قد طرقتكم في الوادي وان عسكراً قد غشيكم

من الفج اكنتم تصدقوني قالوا : اللهم نعم ماجربنا عليك كذباً قط ٠ قال : فان الذي انتم عليه ليس لله ولا من الله ولا يرضاه الله قولوا لااله الا الله واشهدوا اني رسوله واتبعوني تطعكم العرب وتملكون العجم وان الله قال لي استخرجهم كما استخرجوك وابعث جيشاً ابعث خمسة امثاله وضمن لي انه ينصرني بقوم منكم وقال لي : قاتل بمن اطاعك من عصاك وضمن لي انه يملك سلطاني سلطان كسرى وقيصر ثم انه عليه الصلاة والسلام غزا تبوك في ثلاثين الفاً وهذا من قبل الله الذي يجعل من لاشيء كل شيء ويجعل كل شيء لاشيء يجمد المائعات ويميع الجامدات يجمد البحر ثم يفجر الصخر وما مثله في ذلك الا كمثل من قال هذه الزجاجة الرقيقة السخيفة احك بها هذه الجبال الصلدة الصلبة المنيفة فترضها وتفضها وهذه النملة الضعيفة اللطيفة تهزم العساكر الكثيرة المعدة وكذا حقيقة امره عليه الصلاة والسلام حتى لقد قال عروة بن مسعود الثقفي لقريش وكان رسولهم اليه صلى الله عليه وسلم بالحديبية لقد وردت عَلَى النجاشي وكسرى وقيصر ورأيت جندهم واتباعهم فما رأيت اطوع ولا اوقر ولا اهيب من اصحاب محمد لمحمد هم حوله وكأن الطير عَلَى رؤوسهم فان اشار بأمر بادروا اليه وان توضأ اقتسموا وضوءه وان تنخم دلكوا بالنخامة وجوههم ولحاهم وجلودهم وكانوا له بعد موته اطوع منهم في حياته حتى لقد قال بعض اصحابه لاتسبوا اصحاب محمد فانهم اسلموا من خوف الله واسلم الناس من خوف اسيافهم فتأمل كيف استفتح دعوته وهو ضعيف وحده بان هذا سيكون فرآه العدو والولي وما كان مثله في ذلك الا مثل من قال هذه الهباءة تعظم وتصير جبلاً يغطي الارض كلها ثم انذر الناس بها في حال ضعفها وجاء صلى الله عليه وسلم يوماً ليدخل الكعبة فدفعه عثمان بن طلحة العبدري فقال : لاتفعل ياعثمان فكأنك بمفتاحها بيدي اضعه حيث شئت فقال : لقد ذلت يومئذ قريش وقلت قال : بل كثرت وعزت وانا استعين بعصمة الله وتوفيقه واجعلهما معينتي عَلَى دفع شهواتي واشكو اليه عكوفي عَلَى الاماني واسأله فهماً لمواعظ عبر الدنيا فقد عميت عن كلوم غيرها بما جشم عَلَى خواطري من الشعف ولست اجد مني منصفاً لي منها ولاحاجزاً لرغبتي فيها عنها واين ودائع العقول وخزائن الافهام يأولي الابصار صفحنا عن مساوىء الدنيا اغماضاً لعاجل موفق التنغيص وترمي اليه يد الزوال وتكمن له الآفات قال كثير

كأني انادي صخرة حين اعرضت   من الصم لوتمشي بها العصم زلت

واقول عَلَى مذهب كثير يادنيا في كل لحظة لطرفي منك عبرة وفي كل فكرة لي منك

حسرة يامرنقة الصفا و يا ناقضة عهد الوفا ماوفق لحظة من عرج نحوك ولا سعد من اثر المقام على حسن الظن بك هيهات يامعشر ابناء الدنيا كم في الظاهر اسم الغني وفي الباطن اهل التقلل لهم نفس هذا المعنى كم من يوم لي اغر كثير الاهلة قد اصحت سماؤه وامتد علي ظله تمدني ساعاته بالمنى و يضحك لي عن كل ماأهوى حتى اذا اتصل بكل اسبابي وامتزج سروره بفرحي وروحي واترابي نفست علي به الدنيا فسعت بالتشتيت الى ألفته والنقص الى مدته فكسفت بهجته كسوفاً وارهقت نضرة وحشته الفراق وقطعتنا فرقاً في الآفاق بعد ان كنا كالاعضاء المؤتلفة والاغصان اللدنة المتعطفة واحسرتي في يوم يجمع شرتي كفن ولحد

ضيعت ما لابد منه بالذي لي منه بد

وانشد قول ابن الرومي

الا ليس شيبك بالمتنزع فهل انت عن غيه مرتدع

فاقلق وابكي بكاء غير نافع ولاناجع ويجب ان ابكي على بكائي وانشد

لساني يقول ولا افعل وقلبي يريد ولا اعمل
واعرف رشدي ولااهتدي واعلم لكنني اجهل

عرض علي بعض الناس كأس خمر فامتنعت منها وقلت خلوني والمطبوخ على مذهب الشيخ الاوزاعي وقلت لهم عرض ابراهيم بن المهدي على محمد بن خازم الخمرة فامتنع وانشد

ابعد شيبي اصبو والشيب للجهل حرب
سن وشيب وجهل امر لعمرك صعب
يا ابن امام فالا أيام عودي رطب
واذ مشيبي قليل ومنهل الحب عذب
واذا شفاه الغواني منى حديث وقرب
فالآن لما رأى بي العذال ماقد احبوا
وآنس الرشد مني نوم اعاب واصبو
آليت اشرب خمراً ماحج لله ركب

واقبلت على نفسي مخاطباً ولها معاتباً والخطاب لغيرها والمعنى لها لقد امهلكم حتى كأنه اهملكم اما تستحيون من طول مالا تستحيون فكن كالوليد تقلبه يد اللطف به على فراش العطف عليه تصرف اليه المنافع بغير طلب منه لصغره وتصرف عنه المضار بغير حذر منه لعجزه اما سمعت

الرسول عليه الصلاة والسلام اذ يقول في دعائه الهم اكلأني كلاءة الوليد الذي لايدري مايراد به ولا مايريد الا متعلق والاذلال اذيال دليله الا مسد مطية ورحلا ليوم رحيله ياهلاه الدلجة الدلجة انه من يسبق الى الماء يظمأ انما منعتك ماتشتهي ضناً بك وغيرة عليك قال الرسول عليه الصلاة والسلام : اذا احب الله عبداً حماه الدنيا وانت تشكوني اذا حميتك وتكره صيانتي اذا صنتك الا لائذ بفنائنا ليعز الا فار الينا لافار منا يامن له بد من كل شيء ارحم من لابد له منك عَلَى كل حال الله يغني بشيء عن شيء وليس يغني عنه بشيء فلهذا قال جبريل للخليل الك حاجة قال : اما اليك فلا الله يستحق ان يسأل وان اغنى لانه لايغني بشيء عنه اطمعه انطيعه ولا تطمه ليعطيك فتفتر وتمل . من ترك تدبيره لتدبيرنا ارحناه جل من لوالب القلوب والهمم بيده وعزائم الاحكام والاقسام عنده

انسيت ذكر احبة بفسون ذنبك عند ذكرك
وجفوتهم ولطالما كانوا خلافك طوع امرك
وصبرت عند فراقهم ماكان عذرك عند صبرك

تترك من اذا جفوته ونسيت ذكره وتعديت حده وتركت نهيه وضيعت امره وتبت اليه وعولت في تفضله عليك عليه وتملت : يارب قال : لك لبيك « واذا سألك عبادي عني فاني قريب» ان كان الذباب بوجهك فاتهمك وان قطعت انا اعضاءك فلا تتهمني انت الذي اذا اعطيتك ما املت تركتني وانصرفت « واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه » ياواقفاً بالتهم كم كم ابليس يقول لك ماغرك بي تقول حلمك والا لو ارسلت عليّ بقة لجعتني عليك اذ اردت ان تجمعني

امن بعد شربك كأس النهى وشمك ريحان اهل التقى
عشقت فاصبحت في العاشقين اشهر من فرس ابلقا
ادنياي من غمر بحر الهوى خذي بيدي قبل ان اغرقا
انا لك عبد فكوني كمن اذا سره عبده اعتقا

كان ببغداد رجل كبير الرأس فيلي الاذنين اسمه فاذوه رأسه في الازمنة الاربعة مكشوف لايتورع عن ركوب مخزية يقال له يافاذوه ويلك تب الى الله فيقول ياقوم لم تدخلون بيني وبين مولاي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فكان في بعض الشوارع يوماً ذاهباً والشارع قد اتسع اسفله وضاق اعلاه والتقت جناحان فيه فتناولت جارة

جارتها مهراساً انسل من يدها على رأس فاذوه فهرس رأسه وخلط كخلط المريسة واعجله عن التوبة وكان لنا واعظ صالح يقول لنا احذروا ميتة فاذوه .

قال جبريل في حديثه خشيت ان يتم فرعون الشهادة والتوبة فاخذت قطعة من حال البحر فضربت بها وجهه يعني طينه والحال ينقسم ثمانية اقسام منها الطين فكيف يصنع من عنده ان التوبة لاتصح من ذنب مع الاقامة على آخر فلا حول ولا قوة بلغني عن مولاي الشيخ ادام الله تأييده انه قال وقد ذكرت له اعرفه جزاً هو الذي هجا ابا القاسم علي ابن الحسين المغربي فذلك منه ادام الله عزه رائع لي خوفاً ان يستشر طبعي وان يتصورني بصورة من يضع الكفر موضع الشكر وهو بتعريف التنكير انفع لي عنده لجلالة قدره ودينه ونسكه وانا اطلعه طلعه ليعرف خفضه ورفعه وفراداه وجمعه

كنت ادرس على ابي عبدالله بن خالويه رحمه الله واختلف الى دار ابي الحسين المغربي ولما مات ابن خالويه سافرت الى بغداد ونزلت على ابي علي الفارسي وكنت اختلف الى علماء بغداد الى ابي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وابي عبيدالله المرزباني وابي حفص الكتاني صاحب ابي بكر بن مجاهد وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغت نفسي اغراضها جهدي والجهد عاذر ثم سافرت منها الى مصر ولقيت ابا الحسن المغربي فالزمني ان لزمته لزوم الظل وكنت منه مكان المثل في كثرة الانصاف والحنو والتجاف فقال لي سراً انا اخاف همة ابي القاسم ان تنزو به الى ان يوردنا ورداً لاصدر عنه وان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعني بها فقال لي يوماً مانزى بالخمول الذي نحن فيه قلت واي خمول هنا تأخذون من مولانا خلد الله ملكه في كل سنة ستة آلاف دينار وابوك من شيوخ الدولة وهو معظم مكرم فقال : اريد ان تصار الى ابوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ولا ارضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان فأعدت ذلك على ابيه فقال : ماخوفني ان يخضب ابوالقاسم هذه من هذه وقبض على لحيته وهامته وعلم ابو القاسم بذلك فصارت بيني وبينه وقفة

وانفذ الي القائد ابوعبدالله الحسين بن جوهر فشرفني بشريف خدمته فرأيت الحاكم كلما قتل رئيساً انفذ رأسه اليه وقال : هذا عدوي وعدوك ياحسين فقلت من يريوماً يربه والدهر لا يغتربه، وعلمت انه كذا يفعل به فاستأذنته في الحج فاذن فخرجت في سنة سبع وتسعين وحججت خمسة اعوام وعدت الى مصر وقد قتله فجاءني اولاده

سراً يرومون الرجوع اليهم فقلت لهم خير مالي ولكم الهرب ولايكم ببغداد ودائع خمسمائة الف دينار فاهربوا واهرب ففعلوا وفعلت و بلغني قتلهم بدمشق وانا بطرابلس فدخلت الى انطاكية وخرجت منها الى ملطية وبها المـا يسطرية خولة بنت سعد الدولة فاقمت عندها الى ان ورد علي كتاب ابي القسم فسرت الى ميافارقين فكان يسر حسواً في ارتغاء قال لي يوماً من الايام : مارأيتك قلت : أعرضت حاجة ؟ قال : لا اردت ان العنك قلت فالعني غائباً قال : لا في وجهك اشفى قلت : ولم قـال : لمخالفتك اياـي فيما تعلم . وقلت له ونحن عَلَى انس بيني و بينه لي حرمـات ثلاث البلدية وتربية ابيه لي وتوبيتي لاخوته. قال هذه حرم مهتكة البلدية نسب بين الجدران وتربية ابي لك منة لنا عليك وتربيتي لاخوتي بالخلع والدنانير اردت ان اقول له : استرحت من حيث تعب الكرام فخشيت جنون جنونه لانـه كان جنونه مجنونا واصح منه مجنون واجن منه لايكون وقد انشد :

جنونك مجنون ولسـت بواجد طبيبا يداوي من جنون جنون

بل جن جنانه ورقص شيطانه

به جنت مجنونة غيرانها اذا حصلت منه الب واعقل

وقال لي ليلة اريد ان اجمع اوصاف الشمعة السبعة في بيت واحد وليس يسنح لي ما ارضاه فقلت انا افعل من هذه السـاعة قال انت جذيلها المحكك وعذيقها المرجب فاخذت القلم من دواته وكتبت بحضرته

لقد اشبهتني شمعة في صبابتي وفي هول ما القى وما اتوقع

نحول وحرق في فناء ووحدة وتسهيد عين واصفرار وادمع

فقال كنت عملت هذا قبل هذا الوقت فقلت تمنعني سرعة الخاطر وتعطيني علم الغيب وقلت : انت ذاكر قول ابيك لي ولك وللبتي الشاعر ولحسن الدمشقي ونحن في الطارمه اعملوا قطعة قطعة فمن جود جعلت جائزته كتبها فيها فقلت

بلغ السماء سمو بيـ ـت شيد في اعلى مكان

بيت عـلا حتى تو ر سفي ذراه الفرقدان

فانعم به لازلت من ريب الحوادث في امان

فاستجاد سرعتها وكتبها في الطارقة وخلع علي وكان ابو القسم ملولا والملول ربما مل الملال وكان لايمل ان يمل ويحقد حقد من لاتلين كبده ولا تحل عقده وقال لي بعض

الرؤساء معاتباً : انت حقود ولم يكن حقوداً فقلت له انت لاتعرفه والله مـا كان يحلى عوده ولا يرجى عوده وله رأي يزين له العقوق ويبعث اليه رعاية الحقوق بعيد من الطبع الذي هو للصد مصدود وللتآلف الوف ودود . كأنه من كبره قد ركب الفلك واستوى على ذات الحبك ولست ممن يرغب في راغب عن وصله او ينزع الى نازع عن خلته فلما رأيته ساوراً جاريا في قلة انصـافي على غلوائه محوت ذكره عن صفحة فؤادي واعتددت وده فيما سال به الوادي

ففي الناس ان رثت حبالك واصل وفي الارض عن دار القلى متحول

وانشدت الرجل ابياتاً اعتذر بها في قطعي له

فلو كان منه الخير اذ كان شره عتيداً لقلنا ان خيراً مع الشر

ولو كان اذ لاخير لاشر عنده صبرنا وقلنا لايريش ولا يبري

ولكنه شر ولا خير عنده وليس على شر اذا دام من صبر

وبغضي له شهد الله حياً وميتاً اوجبه اخذه محاريب الكعبة الذهب والفضة وضربها دنانير ودراهم وسماها الكعبية وانهب العرب الرملة وخرب بغداد وكم دم سفك وحريم انتهك وحرة ارمل وصبي ايتم وانا معتذر الى الشيخ الجليل من تقريظه مع تقريظي فيه لانه قد شاع فضله في جميع البشر وصار غرة على جبهة الشمس والقمر خلد ذلك في بدائع الاخبار وكتب بسواد الليل على بياض النهار وانا في مكاتبة حضرته بمنظوم ومنثور كمن امد النار بالشرر واهدى الضوء الى القمر وحب في البحر جرعة واعار صبر الفلك سرعة اذ كان لايحل النقص بواديه ولا يطور السهو بناديه

ولقد سمعت من رسائله عقائل لفظ ان نعتها فقد عبتها وان وصفتها فما انصفتها واطربتني يشهد الله اطراب السماع وبالله لو صدرت عن صدر من خزائنه وكتبه حوله يقلب طرفه في هذا ويرجع الى هذا فان القلم لسان اليد وهو احد البلاغتين لكان ذلك عجيباً صعباً شديداً ووالله لقد رأيت علماء منهم ابن خالويه اذا قرئت عليهم الكتب ولا سيما الكبار رجعوا الى اصولهم كالمقابلين يتحفظون من سهو وتصحيف وغلط والعجب العجيب والنادر الغريب حفظه ادام الله تأييده لاسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من الاذكياء المبرزين المنظوم وهذا سهل بالقول صعب بالفعل من سمعه طمع فيه ومن رامه امتنعت عليه معانيه ومبانيه .

حدثني ابو علي الصقلي بدمشق قال : كنت في مجلس ابن خالويه اذ وردت عليه

من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزانته واخرج كتب اللغة وفرقها عَلَى اصحابه يفتشونها ليجيب عنها وتركته. وذهبت الى ابي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها وبيده قلم الحمرة فاجاب بهولم يغيره قدرة عَلَى الجواب وقال ابو الطيب : قرأت عَلَى ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً وقال لي ابو عمر كنت اعلق اللغة عن ثعلب عَلَى خزف واجلس عَلَى دجلة احفظها وارمي بها وانا تعبت وحفظت نصف عمري ونسيت نصفه وذاك اني درست ببغداد وخرجت عنها وانا طري الحفظ ومضيت الى مصر فامرجت نفسي في الاغراض البهيمية والاعراض المؤثمية واردت بزعمي وخديعة الطبع المليم ان اذيقها حلاوة العيش كما صبرت في طلب العلم والادب ونسيت ان العلم غذاء النفس الشريفة وصيقل الافهام اللطيفة وكنت اكتب خمسين ورقة في اليوم وأدرس مائتين فصرت الآن اكتب ورقة واحدة وتحكني عيناي حكاً مؤلماً وادرس خمس اوراق وتكل ثم دفعت الى اوقات ليس فيها من يرغب في علم ولا ادب بل في فضة وذهب فلو كنت اياسا صرت باقلا واضع كتاباً عن يميني واطلبه عن شمالي واريد مع ضعفي ارتاد لنفسي معاشاً بظهر غير ظهير بل كسير عقير وصلب غير صليب ان جلست فهو كالدمل وان مشيت فجملتي دماميل ومعي بقية نزرة يسيرة من جملة كثيرة لو وجدت ثقة اعطيته اياها ليعود علي بما ارفه به جسمي من الحركة وقلبي من الشغل وانا اجد من ادفعها اليه ويبقى ان يردها الي

دفع رجل الى صديق له جارية اودعها عنده وذهب في سفره فقال بعد ايام لمن يأنس به وتسكن نفسه اليه : يا اخي ذهبت امانات الناس اودعني صديق لي جارية في حسابه انها بكر جربتها فاذا هي ثيب . ومن ظريف الاخبار ان بنت اختي سرقت لي ثلاثة وثمانين ديناراً فلما هددها السلطان اطال الله بقاءه ومد مدته وادام سموه ورفعته واخرجت اليه بعضها قالت : والله لو علمت ان الامر يجري كذا كنت قتلته فاعجبوا من هريستي وذ بوني والله لولا ضعفي وعجزي عن السفر لخرجت اليه متشرفا بمجالسته ومحاضرته فاما مذاكرته فقد يئست منها لما قد استولى علي النسيان واحتوى عَلَى قلبي من الهموم والاحزان والى الله الشكوى لا منه وليس يحسن ان اشكو من يرحمني الى من لا يرحمني وليس بحكيم من شكا رحيماً الى غير رحيم وكان ابو بكر الشبلي يقول : ليس غير الله غير ولا عند غير الله خير . وقال يوماً : ياجواد ثم امسك مفكرا ورفع رأسه ثم قال : ما اوقحني اقول لك ياجواد وقد قيل في بعض عبيدك

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وقد قيل في آخر

تراه اذا جئته متهللا كأنك معطيه الذي انت سائله

ثم قال : بلى اقول ياجواد فاق كل جواد وبجوده جاد من جاد . ودخل ابن السماك عَلَى الرشيد فقال له عظني وفي يد الرشيد كوز ماء فقال: مهلاً يااميرالمؤمنين ارأيت ان اقدر الله عليك مقدراً فقال لن امكنك من شربة الا بنصف ملكك اكنت فاعلاً ذلك قال : نعم قال : اشرب هنأك الله فلما شرب قال: ارأيت يااميرالمؤمنين ان لو اسفت نفس هذا المقدر عليك فقال : لن امكنك من اخراج هذا الكوز الا بأن استبد بملكك دونك اكنت فاعلاً ذلك قال : نعم قال : فاتق الله في ملكك لايساوي الابولة وكيف اشكو من قاتني وعالني نيفاً وسبعين سنة كان قميصي ذراعين فوكل بي والدين حدبين مشفقين يتناهيان في دقته ورقته وطيبه فلما صار اثني عشر ذراعا تولاه هو وطعامي فما اجاعني قط ولا اعراني والذي هو يطعمني ويسقين خاطب ربه بالادب فقال . واذا مرضت فهو يشفين فنسب المرض الى نفسه لانها تنفر من الاعراض والامراض وكل شيء يطرأ على الانسان لايقدر عَلَى دفعه مثل النوم واليقظة والضحك والبكاء والغم والسرور والخصب والجدب والغنى والفقر فهو منه تقدست اسماؤه الا ترى انه لايتوعد عَلَى فعله ولا يعاقب عليه ومايقدر عَلَى دفعه فهو منه مثل ان يريد الكتابة فلا يقع منه البناء ويريد البناء فلا تقع منه الكتابة ومن به الرعشة لايقدر عَلَى امساك يد ومن ليست به يقدر عَلَى امساكها

كنت بتنيس وبين يدي انسان يقرأ ويحزن : «يوفون بالنذر ويخافون» ويبكي فخطر لي خاطر فقلت انا بضد هؤلاء القوم صلوات الله عليهم انا لا انذر ولا اسفي ولا اخاف شقاء ولا عناء ولوكنت اخاف مااصبحت محموماً وكنته وحدثني من اثق به ولا اتهمه عن ابيه وكان زاهداً قال : كنت مع ابي بكر الشبلي ببغداد في الجانب الشرقي بباب الطاق فرأينا شاوياً قد اخرج حملاً من التنور كأنه بسرة نضجاً والى جانبه قد عمل حلاوى فالوذجاً فوقف ينظر اليهما وهو ساه مفكر فقلت يامولاي : دعني آخذ من هذا وهذا ورقاقاً وخبزاً ومنزلي قريب تشرفني بأن تجعل راحتك اليوم عندي فقال : ياهذا اظننت اني قد اشتهيتهما وانما فكري في ان الحيوان كله لايدخل النار الا بعد الموت ونحن ندخلها احياء

يارب عفوك عن ذي شيبة وجل كأنه من حذار النار مجنون
قد كان ذم افعالا مذممة ايام ليس له عقل ولا دين

تمت الرسالة والحمد لله ذي الافضال وصلواته على محمد وخيرة الآل مافرغت من هذه السوداء حتى ثارت بي السوداء وانا اعتذر من خطل فيها اوزلل فان الخطأ مع الاعتذار والاجتهاد والتحري موضوع عن المخطئ ومن ذا الذي يؤتى الكمال فيكمل. قال عمر بن الخطاب : رحم الله امرأ اهدى الى عيوبي واسأله ادام الله عزه تشريفي بالجواب عنها فان هذه الرسالة على مابها قد استحسنت وكتبت عني وسمعت مني وشرفتها بأسمه وطرز تهابذكره والرسالة التي كتبها الزهرجي اليَّ كانت اكبر الاسباب في دخولي الى حلب واذا جاء جواب هذه سيرتها بحلب وغيرهاان شاء الله وبه الثقة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

الدين والدنيا

واين يختلفان وكيف يتفقان

ادخر لدنياك ادخار الراغب فيها . وتزود من دينك زاد الراغب عنها

نسمع في الارض اليوم صيحة تصم الآذان منشأوها اختلاف المذاهب والاديان . وهي لكثرة الصائحين فيها قد صارت اشبه شيء بلغط زمرة من المغنين وقد علت اصواتهم واختلفت لهجاتهم وتباينت نغماتهم فيقف السامع الصحيح الاذن مبهوتاً من خلط هؤلاء المغنين كخلطنا بين الدنيا والدين

يريد بعض الناس ان يكون الدين كل شيء . وينظر غيرهم الى الدين كأنه لاشيء . وبين هؤلاء واولئك افراد وزمر واقوام يتشاحنون ويتجاذبون ويتخاذلون ويتقتلون تعصبا للدين ولكنهم في الحقيقة يسخطون رب العالمين الذي لو شاء لجعلها امة واحدة ووحد لها السراط الى عليين

في تعاليم كنفوشيوس المسالمة والاخاء اساس الدين . وفي الديانات الفتشية وهي احط الاديان في نظر الراقين لاظل لما نحن فيه ان العداء بسبب اختلاف المعتقد بل كل منهم وما يعبد شرط الولاء للقبيلة وفي التوراة على لسان سليمان الحكيم « من يعلم

روح بني البشر هل هي تصعد الى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل الى اسفل الى الارض . جامعة ص ٣ — ٢١ » فكأن سليمان يوعز الى قومنا بان يفثأوا من حدتهم في احتكار طريق السماء . وفي الانجيل « في بيت ابي منازل كثيرة . وان الذين بلا شريعة فبنير الشريعة يدانون . وان كل من عمل خيراً مقبول عنده » فعلى مَ التعصب . وفي القرآن الشريف « من يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . وان الله رب العالمين » ولم يقل رب النصارى ولا رب المسلمين

وفي حكم العقل ان الله تعالى يجل عنه ان يخلق امما وشعوباً ليجعلها برمتها طعاماً للنار لانها عملت بشريعة الضمير التي سنها هو لتكون شريعة عامة وتجاوزت بعض الامور العرضية التي لم يتفق لها ان تقتنع بها لرسوخ غيرها في مكانها مما لا يضر بالانسانية ولا يغضب رب البرية

وفي حكم الكتب المنزلة والعقل معاً ان الهنا الرحوم الغفار . المحب الاب السماوي . لم يخلقنا ليظهر قوته وبطشه فينا فيرسل بعض ابنائه الى بحيرة النار المتقدة لانهم يسيرون اليه في طريق لا نراها نحن موصلةً اليه اما لنقص في مداركنا واما لانه تعالى لم يشأ ان يوحي الينا كامل ارادته في خلقه . او يعقل ان ننسب للاله الذي هذه صفاته محبة التلهي بنظر لحوم ابنائه وهي تشوى في نار جهنم كأنه يسير بتعذيبنا وهو الرحيم الرحمن الغفار لجميع ذنوبنا اذا آمنا به كما نحن مؤمنون ؟

اذاً فالموحدون جميعاً وجهتهم الاله الواحد واليه يسيرون . فلماذا هذه القيامة القائمة عَلَى الارض وهذا التعصب الذميم الذي يفرق الاخ عن اخيه والابن عن ابيه . انزلت علينا آيات بينات بكره كل من خالف معتقدنا وباثارة حرب عوان عَلَى اخواننا في الدين من الموحدين . بل مالنا وللكفرة الملحدين والله رقيب عليهم ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم لانه على كل شيء قدير .

نعم ان جميع الاديان توصي بمحبة الناس بعضهم لبعض وبمنع الاعتداء . وبالمسالمة . والاخاء . فضلاً عن شريعة الضمير ووصية كنفوشيوس والسيد المسيح معاً القائلة « مهما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوا هكذا انتم ايضاً بهم »

فأين حكم العقل والضمير وهذه التعاليم السامية من سير البعض منا ممن يتصافحون بالخناجر ويسلمون بالمسدسات لا لسبب سوى كون الفئة الواحدة تسير الى خالقها في طريق موازية لما تسير فيها الأُخرى :

اهكذا تكون مقدمات الامم التي تريد الرقي في عمرانها . ام نظن ان الله يرضى عن مثل هذه الافعال التي ما انزل بها من سلطان

بقي ان منبت التعصب ليس في الدين نفسه بل في ما ادخل عليه من التقاليد والشروحات والتفاسير المضلة التي قد سممت عقول العامة حتى صاروا ينظرون بعضهم الى بعض نظر العدو الالد على رغم كونهم ابناء وطن واحد تجمعهم جوامع اللغة والقومية والوطنية ووحدة المعتقد بربهم اجمعين

حقاً ان حالتنا في الشرق لما تذرف لها الدموع السخينة . لاننا تركنا الجوهر وتمسكنا بالعرض تركنا العبادة الحقيقية بالروح والحق وصرنا ننظر الى الاسماء لا الى المسميات . فمن كان اسمه محمداً او بطرس او هرون او حمزة او مارون او نقولا صار كأنه يحمل في عنقه علامة ليقتله كل من يجده من اخوانه في الانسانية واشقائه في الوطنية

فالى مَ ياقومنا نبقى عَلَى هذه الحالة المحزنة نخلط الدين بالدنيا في معاملاتنا وصلواتنا ووظائفنا وخدمنا الوطنية وواجباتنا القومية

الا يدري رؤساؤنا الروحيون ان كلمة منهم تغير مبادئ العامة اكثر من مجلد يكتبه غيرهم من الناس . فلماذا لايتكلمون و يزيلون الوحشة بل الغلظة من قلوب الرعايا مع بقاء المعتقدات عَلَى اصلها مجردة عن الزيادات

هو ذا بعض المفكرين من اخواننا المسلمين في وادي النيل قد جاهروا بوجوب الاصلاح الديني ودعوا الراسخين في العلم الى مجتمع يبحثون فيه لتنقية الدين مما طرأ عَلَى محيطه من الشوائب التفسيرية والعادات التقليدية التي لاتتفق مع جوهر الدين . فلماذا لانحذو نحن حذوهم فنعم نفعهم وننزع عن الدين صبغة التعصب التي شوهته بها العصور الوسطى ولا تزال عليه الى الآن

يظهر مما تقدم ان الدين والدنيا يتفقان اذا نزعنا عن الدين ما الصقه به المتعصبون من الزوائد الضارة وهو يزداد اختلافا كلما زدنا تفننا في تفسير التعصب وتجريحه اغراء للسذج ببقائهم عَلَى ما هم عليه من الجهل المطبق

ديننا — لاتخف يااخي التقي فان لا قوة بشرية تقدر عَلَى اختطاف دينك منك ولا عَلَى زعزعة اركانه اذا كان مؤسساً كما تعتقد عَلَى الصخر .

فدع الزوابع تهب وافرح بعدم اقتدارها على هزه . اما اذا كنت حذراً خائفاً عَلَى

دينك فتحيطه بسور لئلا تسفيه الريح فتفقتك اذاً بصاحبه قليلة ، ولذلك تحاول انت ان تملأ نقص هذه الثقة . الا تعلم ان الحق يعلو ولا يعلى عليه وان الصحيح لا يتحول الى فاسد باختلاطه بالامور الدنيوية بل يطفو كالزيت فوق عكر الماء وتظهر شوائبه لاقل نظرة كما قد ظهرت الشوائب التي ادخلت فيه الى الآن

كلمة الى حضرات روساء الاديان — جاء في الاسفار الدينية « رئيس شعبك لا تقل فيه سوء » . فانتم روساء الشعب الروحيون ولذلك فاننا نجل مقامكم ونحترمكم ونضمن لكم حفظ الرئاسة الدينية على شرط ان تفصلوا الدين عن الدنيا لانكم لستم روساء فيها ولا يجوز ان تكونوا لئلا يلتوي عليكم الامر في سياستنا التي تحتاجون معها الى توحيد القوى العقلية . وبعد هذا نرجوكم ان تفهموا الفلاح والصانع والتاجر والواعظ والكاتب وغيرهم ان يحترف كل منهم حرفته العالمية مجردة عن كل صبغة دينية . واذا جاءكم طلاب الوظائف وارباب الدعاوي واحلتموهم الى المراكز الدنيوية وبثثتم فيهم روح الدين الصحيح القاضي باعتبار جميع الناس اخواناً في الدنيا . واذا جاهرتم بمبدإ الاخاء من على المنابر . واذا نزعتم من قلوب الشعب اشواك الجهل الديني — وهو التعصب الذميم . واذا اعطيتمونا قدوة نتبعها في هذا السبيل . فانكم اذا فعلتم جميع ذلك تخدمون الدين والانسانية معاً وحينئذ تروننا نزيد مقامكم رفعة ونجل جميعنا رئاستكم شاكرين لانكم بذلك تسكتون السنة المتذمرين

هذه هي الطريقة المثلى لفصل الدين عن الدنيا ولتعزيز المراكز الدينية العليا لان بها يستوفي العمران نصيبه ويحافظ الدين على حقه

فمن لنا من ساداتنا الروحيين بمن يبدأ بالمجاهرة بهذا التساهل وهذا التسامح فنسطرها له باكورة للاصلاح الديني في القرن العشرين

دنيانا — علينا في دنيانا واجبات كثيرة لابد في قضائها من التعاون والتعاضد بقطع النظر عن الدين . هوذا البلاد في حاجة الى الشركات الوطنية وتوحيد الكلمة القومية في الدفاع عن الوطن وفي تعميره بما حسن من الحضارة الحديثة . فمن يقوم بهذه الاعمال ومتى يتم لنا النجاح اذا بقي الدين حاجزاً بين ابناء المذاهب المتفرقة . او كيف يمكن ان ننهض معاً ونحن ينظر بعضنا الى بعض شزراً كنظر القريب الى الغريب المعتدي . ام نكذب على انفسنا وعلى الله بقولنا ان الدستور قد وحد فينا المبادئ القومية

ومافوقنا للآن الا المذاهب متجسمة والضغائن كامنة تكاد تظهر من تحت الرماد في كل ملة ومذهب

هذه هي الحقيقة وادلتها تحيط بها احاطة الهالة بالقمر . والحقيقة اولى ان تقال لئلا يذهب بنا الوهم الى الاعتقاد باننا قد صرنا كما اظهرنا في بدء حياتنا الدستورية

أجل ان فينا العدد العظيم ممن يريدون الاخاء وينادون به بالسنتهم وجرائدهم واعمالهم ولكن لا يزال في البلاد كثيرون من نصراء الدور السابق ممن يلقون الشقاق في كل ملة ويثنون الناس عن سيرهم في دنياهم متآخين

فاعمال هؤلاء لايكشفها الا حملة الاقلام المناط بهم الدفاع عن الجامعة القومية

ولقد كان لجرائدنا على اختلاف نزعاتها الفضل العظيم في امالة الخواطر وتحويل الرأي العام عن التعصب الى الحرية والمساواة والاخاء ولا نزال نطمع من زملائنا باعادة الكرة المرة بعد المرة على كل خالط للدين بالدنيا

وانا لنعجب من استحكام هذا الشر في بلادنا الشرقية حيث الذكاء يتدفق من العقول في حين اننا لانرى عند غيرنا عشر معشار مانحن فيه من الشقاق

أسبب ذلك كون ارضنا مهبط الوحي ومحتد الصالحين ؟

أنكون اول من قصد الله بنا خيراً فحولناه بجهلنا الى شر عظيم ؟

أهكذا كانت غاية محمد وموسى وعيسى عليهم السلام أجمعين ان يزرعوا في قلوبنا العداوة الى ابد الآبدين ؟

اقصد هؤلاء الداعون الناس الى طاعة ربهم ان يعلموهم الشقاق في دنياهم بواسطة الدين ؟

كلا . ثم الف كلا — اننا نحن السبب في ذلك كله لان نفوسنا جانحة الى الشر والله لايغير قوماً الى الحسنى قسراً اذا هم ابوا ان يغيروا ما بانفسهم . لان الانسان حر في افعاله ليكون لكل نفس ماكسبت وعليها مااكتسبت

وخلاصة مانقوله في هذا الشأن اننا قد شبعنا من العداء وقد كلت خناجرنا من الطعن ومسدساتنا من خطف الارواح فهي تضرع الينا بلسان حالها قائلة استبدلوني بالنظرات الاخوية والمصافحة السلمية والقبلات القلبية . القوني في اليم وسيروا بلا خوف ولا عداء وتضافروا في اعمالكم وتعاونوا في خدمة وطنكم . انسوا ذكري واهملوا امري وتسلحوا بالغيرة الوطنية والمحبة الاخوية

لقد آن الوقت للاختلاط في الخدمة والاعمال المالية والاندغام في الدفاع والسعي وراء المصلحة القومية

ولا يتم لكم ذلك الا بترك الشقاق فتتركوني ولا يزول الشقاق الا بفصل الدنيا عن الدين و بذلك تريحوني وتخدمون دنياكم وتكسبون رضى رب العالمين

وفي الختام اننا نبتهل اليه تعالى لينظر الينا بعين الرضا وينزع من قلوبنا شوك الشقاق و يلهمنا رحمة منه الى التوفيق بين مساعينا الدنيوية مع تمسكنا باصول الدين مجردة عن الدخيل · وهو حسبنا ونعم الوكيل «خليل سعد»

غرف التجارة

تتمة ما ورد في الجزء الماضي

ذكرت قبلا بعض ما تمتاز به الغرفة الباريزية على غيرها من الغرف الفرنسوية من الامتيازات وقد مضى عليها مائة وسبعة اعوام وهي ذات مقام سام خاص بها ولها خمس لجان عملية استشارية الاولى تبحث في المسائل الاقتصادية كما انها تتوغل بتحقيق مسائل الرسوم الجمركية والادخالية (الاوكتروا) والثانية تشتغل بمسائل الوسائط النقلية والثالثة بالمسائل التجارية والصناعية والرابعة بمسائل الصادرات وتعنى الخامسة بالدروس ولها ايضاً تسع لجان ادارية تشتغل بدور البورصة ومدارس التجارية والمكتبات ···· ولها ديوان يتولى كتابة تقاريرها الاسبوعية وقد نظمت هذه الغرفة خلال سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٢ ستة وسبعين ومائة تقرير في مسائل شتى واتحدت مع عدة لجان ألفت في النظارات واوفدت عنها اعضاءه الى المؤتمرات الاجنبية ·

وتنفق كل عام اربعة وخمسين الف فرنك على الدائرة الوطنية للتجارة الخارجية وستة وستين الفاً على مدرسة التجارة ومئة وعشرين الفاً على مدرسة التجارة العالية وخمسة وثلاثين الفاً على الدروس الليلية وسبعة واربعين على دور البورصة وثلاثين الفاً على الاوضاع والاعمال المفيدة للتجارة ·

وتتولى غرفة التجارة الباريزية ادارة كل من مدرسة العلوم التجارية العالية التي أنشئت سنة ١٨٨١ وموازنتها ٥٢٧ الف فرنك ومدرسة التجارة العالية التي أنشئت سنة ١٨٢٠ وموازنتها (٥١٠) آلاف فرنك ومدرسة التجارة التي أُسست عام ١٨٦٣

وموازنتها ٢٣٥ الف فرنك وتحت حماية غرفة تجارة باريز الجمعية التجارية لتعليم الالسنة الاجنبية وجمعية الترغيب في اصدار الاموال التجارية الفرنسوية وقد اسستا عام ١٨٨١

***

ذكرنا اوضاع الغرف الفرنسوية عامة والغرفة الباريزية خاصة ونبحث الآن في اوضاع الغرف التجارية في البلاد العثمانية واليك البيان :

قفضى القرار الصادر عام ١٢٩٣ بتأليف جمعيات زراعية وتجارية مؤلفة من اربعة وعشرين عضواً في القسطنطينية واثني عشر عضواً في حواضر الولايات وثمانية اعضاء في مراكز المتصرفيات واربعة اعضاء في مراكز الاقضية ومن الشروط الاساسية النظامية ان يكون الاعضاء الذين يتوظفون في القسم التجاري من التجار والاعضاء الذين يتوظفون في القسم الزراعي من الزراع وان تكون الغرف ملحقة ومرتبطة بعضها ببعض وان تكون غرف الولايات تابعة لنظارة التجارة مباشرة . وكانت الغاية من كل هذا تنسيق الغرف تنسيقاً اداريًا بحيث تكون مرتبطة بالحكومة ارتباطاً موثقاً غير ان هذا التنسيق الذي لم ينظر في وضعه الى الوسط والاحوال لم يثمر قط الثمرة المطلوبة . وفي اليوم السادس من صفر عام ١٢٩٧ اي بعد اربعة اعوام اعلن النظام الاساسي لغرفة القسطنطينية وفي العشرين من رمضان عام ١٢٩٨ الموافق لليوم الثالث من آب ١٢٩٨ اعلن النظام الداخلي لغرفة التجارة واصدر في هذا التاريخ قوانين تقضي بتأسيس غرف صناعية وتجارية على حدة .

وكان اعلان النظام الاساسي لغرف التجارة باسم « النظام الاساسي لغرفة دار السعادة التجارية » ولم تسن الحكومة نظاماً خاصاً بغرف الولايات التجارية . ولم يعلم سر نسبة هذا النظام الى غرفة القسطنطينية على انه لم يكن مستحيلا درج الاحكام والمواد المتعلقة بغرفة القسطنطينية التجارية في النظام العام للغرف التجارية .

ولم تمنع هذه الحال تأسيس الغرف في الولايات بل ان هذه حذت حذو استنبول وانشأت غرفاً قياساً على غرفة العاصمة . وقرر شورى الدولة ان تطبق غرف الملحقات وضعها واعمالها على غرفة الاستانة وان يراقب موظفو الملكية الغرف ويلاحظوا ما يكفل حسن ادارتها وبقائها وانه انيط بالولاة انشاء الغرف في اوقاتها لايجاد الاسباب التي تؤول الى ترقية التجارة الاهلية وانها (الغرف التجارية) مرتبطة بنظارة التجارة وان لها الحق

بمراجعة النظارة اذا دعت الحاجة وابلغ كل هذا الى محل الايجاب واتخذت ايضاً بعض قرارات بما ستجري عَلَى غرف الولايات والاقضية من الامتيازات

ولقد تأسست غرف زراعية في بعض الجهات ولم توسس في اكثرها ولم يوسس غرف صناعية مطلقاً ولذلك طلبت نظارة التجارة ان تقوم غرف التجارة باعمال الغرف الزراعية والصناعية وواجباتها · وقرر مجلس الوكلاء قبول هذا الطلب واقترن بارادة سنية في السابع والعشرين من جمادى الآخرة لعام ١٣٠٦ وعلى اثر الغاء غرف الزراعة والعدول عن تأسيس الغرف الصناعية دعيت الغرف التجارية (غرف التجارة والزراعة والصناعة) ولكن من اللازم اللازب احداث غرف زراعية عَلَى حدة لان العنصر الحيوي في بلادنا هو ولا شك الزراعة · و يتيسر للغرف التجارية ان تقوم باعمال غرف الصناعات ولا بأس بتوحيدها لان الصناعات في بلادنا اقرب الى العدم منها الى الحياة ·

يقضي النظام الاساسي لغرف القسطنطينية التجارية ان تكون موُلفة من اربعة وعشرين عضواً ·

وشروط العضوية اولاً ان يكون المنتخب (بفتح الخاء) بالغاً الثلاثين من عمره ثانياً ان يكون ممن قضوا في التجارة لا اقل من خمس سنين غير متهم بجنحة اوجناية ولا مفلس (الا اذا استرجع اعتباره بعد الافلاس) وان يكون من ذوي الشرف والاستقامة · وتجري الانتخابات بالاكثرية الخفية · وعند تساوي الآراء يرجح الاكبر سناً ولايجوز انتخاب عضوين من شركة واحدة · ولجنة الانتخاب تتألف من عشرين منتخب اول (بفتح الخاء) عشرة تنتخبهم نظارة التجارة والزراعة (الآن نظارة التجارة والنافعة) وعشرة ينتخبهم التجار فيجتمعون تحت رئاسة ناظر التجارة (وفي الولايات تحت رئاسة الوالي والالوية تحت رئاسة المتصرفين وفي الاقضية تحت رئاسة القائمقامين) · واعضاء الغرفة ينتخبون من بينهم رئيساً اول ورئيساً ثانياًبالاكثرية المطلقة و يعرضون هذا الانتخاب على النظارة لتجيزه ·

مدة العضوية (ولقد استعمل القانون في هذا المقام لفظة وظيفة الاعضاء على ان عضوية غرفة التجارة ليست وظيفة من الوظائف) ثلاثة اعوام ولم يكن يجوز الى تاريخ ١ كانون الثاني لعام ٣٠٥ تجديد انتخاب العضو قبل مرور سنة عَلَى انقضاء عضويته السابقة ولكن المادة المعدلة في هذا التاريخ جوزت تجديد انتخاب العضو عقب انقضاء مدته · ومن لايحضر الجلسات مدة ستة اشهر يعتبر مستقيلا واذا توفي احد الاعضاء اواستقال

اوحكم عليه بجناية اوجنحة تنتخب لجنة الانتخاب غيره عند حلول اول اجتماعها و يتم العضو الجديد المدة الباقية لسلفه · واليك واجبات الغرفة التي ذكرها النظام الاساسي وهي ابلاغ المواد الآتية رأساً وتحريراً الى نظارة الزراعة والتجارة

(١) وسائل ترقية الصناعات

(٢) مايجب على النظارة القيام به من الاصلاح والتحوير ·

(٣) الامور التي من شأنها ترقية التجارة : تعارف الجمارك،الاشغال العامة (الامور العمرانية والنافعة) ، المراسي ، الملاحة في الانهر ، البريد ، اسلاك البرق ، السكك الحديدية، فتح الطرق والشوارع ، تأسيس دور البورصة ، اصدار الجرائد التجارية ·

وفي النظام صراحة بان الغرف مطالبة باحداث سجلات وقيود منتظمة لكل ماله علاقة بالاعمال التجارية من الاموال والمسكوكات والاسهام ومما يقضي به نص القانون الزام الغرف بالاجابة عن اسئلة النظارة مؤيدة اجوبتها بهذه السجلات والقيود موقعة عليها بختم الغرفة

ولغرفة التجارة الحق في وضع نظامها الداخلي كما هو مصرح في احدى مواد نظامها المترجم عن نظام عام ١٨٣١ الفرنسوي وقد عملت بموجب هذا الحق وسنت نظامها الداخلي الا انها دفعته الى الدوائر الايجابية ثم قرنته بارادة سنية بلا ضرورة نظامية ·

***

يعتبر النظام الداخلي غرفة التجارة مصدر الاخبار التي تتصل بنظارة التجارة عن التجارة والتجار والصلة بين الحكومة والتجار في الاعمال التي تجري بينهما

والواجبات الاساسية على الغرفة هي البحث والتنقيب عن المصالح التجارية والصناعية والوسائل التي تؤول الى ترقية الصناعة والتجارة والتذرع بها وعن العوائق التي تحول دون تقدمها وابلاغ الحكومة ما تعثر عليه الغرف من نتائج البحث والتحقيق وللغرف الحق باجراء الامور الآتية عدا عن الواجبات التي سبق ذكرها آنفاً والتي ذكرت في النظام الاساسي :

اولاً — تدعو الغرف التجارية التجار واصحاب المصارف (البنوك) والمعامل ليسجلوا اسماءهم في دفاتر الغرف الخاصة والدعوة تعلن بنشرات عامة او في الجرائد ·

ثانياً — تسجل سفر التجار (المسجلة اسماؤهم عندها) وقدومهم وافلاسهم

واسترجاعهم الاعتبار التجاري (بعد الافلاس) واذا حكم على احدهم ظناً واتهاماً بجنحة اوجناية يسجل ايضاً هذا الحكم في الدفتر الخاص لهذه الوقائع ·

ثالثاً — تصدق مجاناً الكفالات واوراق الشهادات والتقارير ومقدرة الكفلاء فيما يتعلق بالامور التجارية ·

رابعاً — تستجلب من محال الايجاب وبواسطة نظارة التجارة اوراق اقامة الحجة البرتستو التي تنظم بحق التجار واصحاب البنوك والمعامل لعدم تأديتهم البونويات والسندات المحررة للأمر والسفاتج الموقعة بتواقيعهم ·

خامساً — تستنسخ في دفتر خاص عين الصكوك والعقود التجارية والصرافية والبحرية والصناعية والعمرانية المنعقدة خارج الغرفة عند طلب الفريقين المتعاقدين ·

سادساً — للغرفة التجارية الحق في ابداء ملاحظاتها في تجديد قانون التجارة وتصحيحه والنظامات التي لها علاقة بمحاكم التجارة وفي تأسيس غرف التجارة في الولايات ودور البورصة وتوظيف الدلالين ووكلاء الكامبيو [1] وسن تعرفات للدلة وقوانين لها ولغيرها من الامور التجارية التي يجب ان يكون لها تعرفات ونظامات وفي البنوك والاعمال العمرانية ·

قضت المواد المؤرخة في ١٧ المحرم لعام ١٢٩٩ و١٨ تشرين الثاني لعام ١٢٩٧ المذيلة للنظام الداخلي للغرف التجارية بان تنظم الغرف التجارية اوراق الشهادات بالكفالات التي تقدم الى الدوائر الرسمية والمحاكم التجارية والحقوقية باسم التجار وان ترسل الى محل المزايدة مأموراً تنتدبه ليحضر الحجز والمزايدة للاموال وتقدير القيم من قبل الخبراء اذا كان ذلك بقرار من المحكمة · ومن جملة ماتقتضيه المواد المذكورة الزام الدلالين والوسطاء (سماسرة التجارة) بتسجيل اسمائهم في الغرفة التجارية وان يأخذوا منها تذاكر باجراء صناعتهم وان لايقبل في المزايدات والمناقصات للدوائر الاميرية الا التجار والدلالون الذين بيدهم شهادات بانهم مسجلون في دفاتر الغرف التجارية وان يكون تسطير صحائف دفاتر التجار ووضع اشارة (صح) عليها من قبل الغرف — وقد أعيد بعد ذلك حق كتابة صحائف دفاتر التجار ووضع اشارة (صح) الى محرر المقاولات كما في السابق · والمنع الذي ذكر قبل المادة الاخيرة لم يراع الا قليلا ·

***

(١) الوكالات او الاوضاع التي تشتغل بمبادلة الاسهام والاوراق النقدية والحوالات

سبق ان اعضاء غرفة التجارة الاستنبولية اربعة وعشرون وذلك بمقتضى النظام الاساسي . واما تأليف غرف التجارة في الولايات من اثني عشر عضواً وفي الالوية من ستة اعضاء والاقضية من ثلاثة فهو من احكام المقررات واعضاء الغرفة يجب ان يكونوا من تجار احد الطبقتين : الاولى والثانية المسجلة اسماؤهم في غرفة التجارة ويجوز انتخابهم للعضوية من التجار الوطنيين والاجانب على السواء متى تحقق انهم مسجلون في الغرفة . والصنف الاول من التجار المسجلة اسماؤهم في دفتر الغرفة هم اصحاب المصارف وهؤلاء يدفعون للغرفة خمس ليرات كل سنة . والصنف الثاني من التجار المسجلة اسماؤهم في الغرفة هم الذين يؤدون ثلاث ليرات سنوياً والصنف الثالث منهم يدفعون ليرتين والرابع ليرة واحدة عن بدلات الاشتراك [1] والشركاء الذين لهم توقيع واحد يعتبرون تاجراً واحداً . والتجار المجلون اولا اسماءهم في دفتر الغرفة ثم يعتبرون من احد الاصناف الاربعة بقرار من الاعضاء ويحق للاعضاء المسجلة اسماؤهم في الصنفين الاول والثاني ان ينتخبوا اعضاء لغرفة التجارة كما ان الاعضاء الموقتين في المحاكم التجارية والخبراء والمميزين لبعض الدعاوي والاشخاص الذين يفحصون الدفاتر التجارية يجب ان يكونوا من الصنفين المذكورين

(المواد المذيلة)

تجتمع اعضاء الغرف التجارية مرة في الاسبوع واذا اقتضت الحال يعقدون اجتماعات غير عادية بدعوة من الرئيس او بطلب كتابي من ستة اعضاء وبعد نصب الرئيسين الاول والثاني ينتخب الاعضاء من بينهم باكثرية الاصوات مشاورين اولاً وثانياً لسنة واميناً عاماً للصندوق . وما عدا هذا يجوز ان يكون للغرفة امين صندوق بكفالة وكتبة للتركية [2] والفرنسوية وسواهم من الموظفين والمستخدمين وتجرى مذاكرات

(١) الغرف التجارية العاملة تصدر جرائد ومجلات اقتصادية واحصائية وتقوم باعمال كبرى تنفع التجار بل ان المصالح التجارية قائمة عليها ولذلك يجوز ان يقال بدل الاشتراك عن القيمة التي تدفع الى تلك الغرف ولعل اصل استعمال هذا التعبير (بدلات الاشتراك) ناجم عن هذه المنافع الحقيقية في غير البلاد العثمانية ومنافعها الموهومة في هذه البلاد المنكودة الحظ

(٢) وكأن لغتنا العربية لا حظ لها من الوطنية فلا تذكر في نظامات الحكومة والمعقول ان تجري معاملات الغرف التجارية بالالسنة الاهلية ولكني لا اصدق الا ان

الغرفة بحسب ماتقتضيه اعمالها اليومية وقبل ارفضاض الجلسات تنظم الغرفة يومية المذاكرات عن الاجتماع القادم . وعلى الرئيس اعلام الاعضاء كتابة بايام الاجتماع . ولاتبرم القرارات الا اذا حضر الجلسات اثنا عشر عضواً ولكن تجوز المذاكرات اذا اجتمع اقل من ذلك وتكتب الآراء والملاحظات التي يذكرها الاعضاء في اوراق الدعوة للجلسة القادمة والاعضاء الذين لايحضرون ثانياً اما ان يقبلوا رأياً من هذه الآراء ويلفوه الى الغرفة كتابة واما ان يحضروا الجلسة المعينة في ورقة الدعوة ويعربوا عن آرائهم الذاتية واذا خالفوا في اجوبتهم الكتابية آراء الاعضاء ولم يحضروا او انهم لم يجيبوا الدعوة كتابة ولم يحضروا الجلسة بتاتاً تعرض الغرفة عن آرائهم و يبرم القرار ولولم يبلغ عدد الاعضاء المقدار المعين .

والغرفة الحق في تعيين لجان مؤلفة من غير الاعضاء للنظر في بعض المسائل ولايجوز ان يتجاوز عدد اعضاء هذه اللجان الستة وتنتدب الغرف احد اعضائها لينضم الى اللجنة و يقوم بوضع لائحة تتضمن نتائج البحث عن المادة المحولة الى اللجنة .

وللرئيس الحق في تأليف لجنة للبحث في المواد الجديدة بالقبول المبلغة الى الرئيس تؤلف من ثلاثة رجال ينتخبهن الاعضاء ويقضي النظام الاساسي بأن تكون مداخيل الغرف التجارية عبارة عن بدلات الاشتراكات التي يدفعها التجار وبعض الرسوم (ولم يذكر صاحب المقالة هذه الرسوم) وما زاد على نفقات الغرفة من المداخيل يجوز انفاقه بقرار الغرفة واذن الحكومة معاً على انشاء مدارس وجرائد تجارية : ولكن يرصد منه مبلغ لايقل عن مئتي ليرة لاحوال طارئة . والغرفة مكلفة بتنظيم ميزانيتها لآخر كل سنة .

وهذا تعريب نص احدى المواد الانتهائية :

(تعرض الغرفة التجارية على انظار مراحم (؟!) الحكومة الجوائز لذوي الاختراعات الصناعية التي ينجم عنها منافع عامة .

***

الداء الذي افسد مدارس الحكومة — بل وكثيراً من المدارس الاهلية — يفسد الغرف والاندية التجارية والسياسة التركية المحضة التي تفادي بالغاية الاولى من المدارس في سبيل تتريك الامم تفادي بكل فائدة او ثمرة ولا تسمح للغرف باجراء معاملاتها ومخابراتها بالعربية . ز . خ

ان النظامين الاساسي والداخلي لغرفة التجارة المعدلين بمقررات من شورى الدولة لاستحالة تطبيق موادها عَلَى الولايات محتاجان الى تعديل مهم يجب ادخاله عليهما :

اولاً : ان النظام الاساسي لغرف التجارة مختصر كثيراً وخاص بالعاصمة وثانياً ان كثيراً من مواد النظام الداخلي يجب ادخالها في النظام الاساسي ولذلك يجب مزج النظامين المذكورين ومراجعة آراء الغرف التجارية في العاصمة والولايات وتدقيق النظامات الاوروبية ثم بعد ذلك يجب عَلَى نظارة التجارة سن لائحة قانونية لتعرض عَلَى مجلس الامة في اجتماعه القادم

ولاشك ان الفوائد التي تنجم عن انشاء الغرف التجارية عَلَى أُسس الحقوق والواجبات وتنسيقها بحيث تكون ممثلة للتجار ونائبة عنهم تكون عظيمة . وبعد قبول مجلسي الامة والاعيان اللائحة المذكورة واقترانها بارادة سنية يجب الشروع بالعمل بها دون تأخير ومن الضروري اعطاء حق وضع النظام الداخلي للغرف نفسها بشرط ان لايكون مناقضاً للنظام الاساسي ويجب ان تسجله الغرفة في نظارة التجارة .

ان تعريف الغرف التجارية المذكور في النظام الداخلي ليس بتعريف يضمن كرامتها ولذلك من الضروري ادخال قيد يتضمن ان للغرف المذكورة حق الدفاع عن المصالح التجارية وصيانتها وبذلك فقط تعلو مكانة هذه الاوضاع .

ويجب تأسيس غرف تجارية في كل حاضرة من حواضر الولايات كما هي الحال في فرنسا وان يكون تأسيسها في مراكز الالوية والاقضية غير محتم واذا ارتأى التجار او الحكومة تأسيسها في الالوية او الاقضية يجب ان يكون ذلك بعد موافقة المحاكم التجارية في مراكز الولايات والالوية والاقضية او موافقة الغرف التجارية في مراكز الولايات او الالوية .

ويجب اعطاء الرخصة بتأسيس الغرفة من قبل الولاية واعلام نظارة التجارة بواقعة الحال . ولاحاجة بحسب النظام الحالي لتصديق انتخاب الاعضاء من قبل الحكومة ويجب ان تبقى الحال كما هي اليوم ولا ارى ايضاً ان يتوقف انتخاب الرئيس على اجازة الولاة والمتصرفين والقائمقامين بل يشترط عَلَى الرئيس الذي ينتخب ان يكون من الوطنيين .

وللاعضاء المراسلين في بلادنا ايضاً شأن كبير ولذلك يجب ان يكون للغرفة اعضاء مراسلون من البلدة التي أُسست فيها الغرفة وهي تنتخبهم ويجب ان يحضروا الجلسات و يستضاء بآرائهم في بعض المسائل كما انه من الضروري ان يكون للغرفة اعضاء مراسلون

في الولايات والبلاد الاجنبية · ويجب ايضاً توسيع حق الانتخاب واعطاؤه لكثير من التجار والصناع الذين يؤدون رسوم التمتع وعملا بهذا المبداء يجب العدول عن القاعدة التي تقضي بأن يكون تعيين النصف من اعضاء لجنة الانتخاب من قبل الحكومة والنصف الآخر من قبل التجار وان يكون حق الانتخاب للعضوية مشروطاً بالاحوال الآتية · ان يكون المرشح للانتخاب مقيماً منذ مدة معينة في البلدة التي تقام فيها الغرفة مشتغلا خلال هذه المدة بصناعة اوتجارة (بكل ماتشمل هاتين الكلمتين من ضروب الاعمال) ومن الذين يؤدون ضريبة التمتع ومن ذوي الشرف والاستقامة ·

اما مسألة الجنسية العثمانية فقد سبق ان هذا الشرط غير مصرح به في القانون الفرنسوي ولكنه مرعي في الانتخابات واما عندنا فلم تشترط التابعية العثمانية على الاعضاء فمنهم الاجنبي ومنهم العثماني على السواء · ويجب ان تظل الغرف على هذا الحال الى حين لاسيما وان التجار الاجنب المقيمين في بلادنا منذ مدة طويلة قد درسوا شؤون بلادنا حق الدراسة واذا اضفنا الى ذلك مقدرتهم العلمية وسعة اطلاعهم ووفرة بحثهم تبين لنا انه يستفاد منهم اذا كانوا بين اعضاء غرفنا التجارية انما يشترط على اولئك الاعضاء الاجانب اقامتهم في بلادنا مدة لاتقل عن عشر سنين مشتغلين خلالها بالتجارة ·

جاء في نظام غرف التجارة ان لها الحق في انشاء مدارس وجرائد تجارية ويجب ان يكون لها الحق ايضاً بتأسيس غير ذلك من الاوضاع التجارية وان تتعهد (اذا رغبت) القيام بالامور العمرانية على طريق الامتياز ولكن الواجب ان تكون خاضعة للشروط التي تشترط على غيرها من اصحاب الامتيازات ·

ولايمكن لغرفنا التجارية ان تقوم بالاعمال التي تؤول الى ترقية تجارتنا مالم تتوفر في ميزانيتها المداخيل والا فان محافظة الحالة الحاضرة تقضي بان تظل مداخيلها تكاد لاتساوي النفقات الجارية السنوية مما لايجوز البقاء عليه ابداً ·

فيجب تقسيم الشركات الانونيم على درجات معينة والزامها بتأدية مقادير مقررة سنوية تعين بحسب هذه الدرجات · ويجب ان تقرر درجات التجار بقدر مايدفعون من ضرائب التمتع لابمجرد رأي الغرف وتقديرها · ومن اللازم اللازب تسجيل التجار اصحاب هذه الدرجات كافة والزامهم بتأدية الضريبة السنوية ·

***

لم يتصل باحد الى هذا العهد ان الغرف التجارية قامت منذ تأسيسها بمشروع يرفع مكانة التجارة في هذه البلاد · ولقد غابت هذه الغرف حيناً من الزمن ثم عادت تظهر في مظهر الحياة ثم افلت بعد الشروق افولاً لا طلوع بعده او عاد بعضها بعد طول الغروب ولم تكن اعمالها في الغالب الاعبارة عن تسويد القرطاس او ابداء بعض الآراء التي لم يلتفت اليها · ولم تلتفت الغرف التجارية الى انشاء مدارس او صحف تجارية البتة · ولا تلقى تبعة هذا الاهمال عَلَى الغرف التجارية بل عَلَى الحكومة السابقة · ولقد سبق ان بعض الغرف التجارية طلبت مرات عديدة اصلاح الاصول الرسومية وتسهيل المصالح التجارية دون ان تتجاوز الى طلب انشاء اوضاع جديدة ولم تثمر هذه المراجعات قط ·

ولما يئس التجار من الاستفادة من الغرف التجارية تخلوا عنها ولم يعودوا يؤمون ابوابها وقطعوا عنها رواتبهم السنوية ومما يدلنا على درجة ارتباط التجار بغرفتهم هذه مداخيل غرفة القسطنطينية قبل عشر سنين فانها كانت في ذلك الحين ضعفي مداخيلها اليوم ·

هذه الاحوال من جهة وكون انتخاب الاعضاء لغرفة التجارة في العاصمة لم يكن كما وضعه القانون بل كان بيد نظارة النافعة تمنح العضوية من تشاء على نحو ما كانت تجري القاعدة في الاحسان بالرتب والمناصب من جهة اخرى كل هذا وذاك ليس من الامور التي ترتاح اليها نفوس التجار او تطمئن بسببها قلوبهم للغرفة التجارية ·

التجار اكثر واسرع من جماع طبقات الامة معرفة وشعوراً بالانقلاب الكبير الذي يسري الى شؤوننا العامة · ومع ذلك فان حياة حرية التجارة قائمة بتوطيد دعائم الامن ومتى اطمأن جمهور التجار الى ان مصالحهم الاصلية مصونة يجدر بنا الاعتماد عليهم بحيث لا يغادرون مثقال ذرة من واجباتهم ومن الواجب عَلَى الغرف ان تطلب من الحكومة بجد ومضاء تحديد نظام الغرف وتعديله وان تبحث بحثاً مدققاً في ضروريات التجارة ونواقصها في المحال التي تنتسب اليها وتدفع بآرائها وملاحظتها الى نظارة التجارة وان توجه همتها الى انشاء المدارس والصحف التجارية والدروس الليلية التي تكفل توسيع دائرة العلم بين ارباب التجارة · كل ذلك حقيق بالمفاداة ولا شك ان الاعمال المعروفة في هذا السبيل تتكلل بالنجاح

ويجب ان تكون غرفة القسطنطينية التجارية نموذجاً لسائر الغرف وان تدفن

العنعنات الماضية [١] فتجعلها نسياً منسياً : يجب ان تتقدم هذه الغرفة بفتية الافكار وتدخل الاصلاح الحقيقي الى مجلتها المدرسية وغير منكر ان هذه الصحيفة التجارية الوحيدة في البلاد العثمانية لاتفي بالحاجة بمقالاتها التي لاتتجاوز العمودين وفقراتها المترجمة بل يجب على غرفة القسطنطينية ان تتخذ مجلة غرفة التجارة الفرنسوية مثالا وتنحو نحوها فتنشئ على منوالها صحيفة تجارية جامعة لاخبار التجارة الداخلية والخارجية الجدية المفيدة والموضوعات الاساسية فاذا لم تقم غرفة القسطنطينية بهذه الاعمال ولم تأت بالآثار الدالة على رقي صحيح لاتنال مكانة ارفع من مكانتها في دورها السابق ٠

اما التجار المسجلة اسماؤهم في دفتر غرفة القسطنطينية فهم (٤٧) من الصنف الاول و (١٠٧) من الثاني و (٢٤٠) من الثالث و (٥٠) من الرابع وقد يوجد بين تجار الصنفين الثالث والرابع من يجب ان ينتظموا بين تجار الصنفين الاول والثاني وبين التجار الذين لم يسجلوا اسماءهم في الغرفة كثير يجدر بهم الانتظام في احدى الدرجات الاربع ٠ والامل وطيد بترقي مداخيل الغرفة ولو بقيت اصول تصنيف درجات التجار على حالتها الحاضرة ٠

وتبلغ مداخيل غرفة القسطنطينية وحدها (ماعدا مداخيل جريدتها ونفقاتها) ١٧٥،٣٢٦ قرشاً صحيحاً تنفق في مقابلة ذلك ٤٣٥٣٢ قرشاً على رواتب موظفيها و ٢١٧٣٩ قرشاً على النفقات المتفرقة و ٢١٦٠٠٠ على اجور دار ونحوه ٠ فالنفقات الادارية وحدها تتجاوز دخل الغرفة ولا ينفق على المشاريع النافعة من مداخيلها بارة واحدة وما حالة غرف التجارة في الولايات باشفى للصدور واوفى للاماني من غرفة القسطنطينية ولقد رغبت ان اعرف عدد غرف التجارة في الولايات والالوية والاقضية من القيود الرسمية فماذا رأيت ؟٠٠

رأيتني امام كمية تستحق العجب : في بلادنا مئة وخمسون غرفة تجارية على ان عامة غرف التجارة في فرنسا لاتتجاوز المئة والعشرين ٠

وبما انني اعتبر الغالب من هذه الغرفة المقيدة في الدفاتر حبراً على ورق لا اصدق ان الفهرس الذي انقل منه متقارناً للصحة ٠ [٢]

(١) يظهر ان الكاتب يقصد بالعنعنات التقاليد القديمة (٢) فهرس غرف التجارة في البلاد العثمانية

وللاجانب في بعض المراكز التجارية العثمانية غرف تجارية ففي القسطنطينية غرف تجارية انكليزية وافرنسية وطليانية ونمسوية والمانية ويونانية ولكل واحدة منها نظام داخلي وللغرفتين الانكليزية والفرنسوية مجلتان بلسان قومهما . أسست غرفة التجارة الانكليزية عام ١٨٨٧ ولها رئيس وثمانية اعضاء وعضوان خارجيان وعضوا شرف وكاتب وامين صندوق واربعة كتبة شرف في سلانيك وازمير ومنشستر ولندن ولهذه الغرفة مراسلون في سلانيك وازمير ومنشستر ولندن والولايات العثمانية . ولها مجلة يبلغ حجمها ستاً وثلاثين صفحة كبرى جامعة لمقالات في التجارة الانكليزية العثمانية والاخبار والاحصاء .

وفي ازمير ايضاً غرفة تجارية انكليزية .

ويشترط في عضوية الغرفة التجارية الانكليزية الاشتغال بالتجارة او بالصناعة اوالشؤون المالية ويشترط على العضو ان يكون انكليزياً او من وكلاء المعامل الانكليزية في البلاد العثمانية .

ورئيس الشرف لغرفة التجارة الفرنسوية هو قنصل فرنسا العام ولها لجنة ادارية مؤلفة من رئيس وكاتب واربعة عشر عضواً ولها اعضاء مراسلون في فرنسا ولجنة مؤلفة من تسعة اشخاص في جناق قلعة ولجنة اخرى مؤلفة من تسعة عشر شخصاً في بورصة ولها مراسلون في سبعين بلداً داخل البلاد وفي الخارج لها من يخابرها في روسيا وفارس ورومانيا والصرب واليونان .

وتصدر هذه الغرفة شهرياً مجلة في سبعين اوثمانين صفحة منذ اثنين وعشرين حجة بلا انفصال . وتدعى هذه المجلة مجلة الشرق التجارية . وهي جامعة للمقالات والاخبار المفيدة للغاية واني اتمنى ان تعلو مكانة غرفتنا التجارية الى منزلة غرفتي التجارة الفرنسوية والانكليزية وان تتقدم جريدتها تقدم الجرائد اليومية .

مابين النهرين : تعريب ز . خ .

آلاسكا والالاسكاويون [1]

آلاسكا شبه جزيرة تنيف مساحتها على اراضي فرنسا ثلاث مرات اصبحت الآن معتركاً حيوياً جديداً لبني البشر الا ان وعورة المسالك واختلاف الهواء بها ترك اربعة اخماس من ارضها في عداد المجاهل

وقد كانت هذه البلاد الواقعة في اقصى الغرب الشمالي من اميركا الشمالية والمنفصلة عن قارة آسيا بخليج بهرنغ مستعمرة للدولة الروسية فباعتها من حكومة اميركا ·

ان البحث لم يهتد الى شيء مهم فيما يتعلق بالسكان الاصليين من وجهة علم الانساب بل ظل اكثره ان لم نقل كله ناقصاً مبهماً · فالشعوب النازلة سواحل البحر قد تمكن بعض المرسلين من درس احوالها اما المتوغلة في الداخل فاكتفى العلم بأخذ روايات من ارتادوها من الذين ضربوا في عرضها للتنقيب عن معادن الذهب اولصيد بعض الحيوانات التي ينتفع من جلودها للفراء الثمينة · وكلا الفريقان مما لا يعول على قولها ولا يرجى منهما ان يفيا البحث العلمي حقه او بعض حقه ·

ويستدل من آخر احصاء لسكان هاتيك البلاد الذي جرى سنة ١٩٠٠ للميلاد ان عددهم (٢٩٥٣٦) نسمة يدخل فيهم الاسكيمو ولكن ذلك مما لا يصح الاعتماد عليه لاسباب جمة اهمها ان اغلب تلك الشعوب من الرحل ولم يتيسر الوصول الى بعضها لوعورة المسالك كما ذكر · اضف الى ذلك ما دفعته اليهم المدنية الاوربية من آفاتها كالجدري والسل والزهري وداء السكر بعد اكتشاف مناجم كلونديك الذهبية فأن هذه الامراض الفتاكة فعلت وما زالت تفعل في الاهلين مالا يفعله الأسل حتى ان كثيراً من القرى خوت على

(١) لمخريجي المكتب الملكي في الاستانة واعضاء الامرة « الملكية » كما ينعتون انفسهم مجلة تصدر باسمهم ينشرون فيها بنات افكارهم ونتاج قرائحهم فيما يرتأونه من طرق الاصلاح في الادارة والقضاء ولا يخفى ان بينهم الصدر الاعظم والوزير والوالي كما ان في عدادهم مدير المال والمحاسب والقائمقام والمتصرف وغير ذلك من صنوف الموظفين فهم نخبة شبان المملكة ورجال حاضرها ومستقبلها وتكتب هذه المجلة في بعض الاحايين ما يجوز ان يقال عنه خارجاً عن صددها الا انه لا يخلو من فائدة تعود بالنفع على القراء وهذه المقالة هي من الشق الثاني كتبها عبد الفياض توفيق بك ونحن نعربها لقراء المقتبس ·

عروشها واصبحت قاعاً صفصفاً عقب انتشار داء الجدري انتشاراً مريعاً من وراء الغاية . ولهذا يتراءى لي ان عدد السكان تنازل الى الخمسة والعشرين الفاً وهم يقسمون الى فريقين فالاول يضم اليه شعوب شيلكاوستيفكنس وياكوتا وهايداح وآباعوت واوك الذين يتفقون في الجنس والنسل . والثاني شعب واحد يدعى دنا ويختلف عن الاول باعتبار علم اصول الشعوب وسلائلهم وهو ينزل البلاد الواسعة التي تمتد من خليج الهودسون الى قلب آلاسكا على ان هذا التقسيم المبني على علم ناقص لا يلتفت اليه ولا يعمل به الى ان يقوم علماء الانسان بالتتبع العلمي والبحث الكافي ويتفقوا على ذلك شأنهم في سكان اميركا الاصليين

والذي يزيد المستطلع اشكالاً في امرهم مشاكلتهم بعضهم بعضاً حتى انك لتخالهم من عنصر واحد لاتفاق ازيائهم واخلاقهم ومهما كان النقابة دقيق الفكر بعيد النظر لايتمكن من النقد الصحيح والتمييز المصيب فلنحسبهم الآن قوماً واحداً وندرس احوالهم الاجتماعية .

يجد القائلون بأن سكان اميركا الاصليين من المغوليين الذين هبطوا اميركا عن طريق خليج بهرنغ وصخور الاووسيك في آلاسكا من الوثائق ما يقوي حججهم وبرهانهم . لاجرم ان غولف استرايت الذي وصل الى سواحل آلاسكا بعد اجتيازه جزر اليابان هو الذي نفخ في الساحليين من شرقي آسيا روح الجرأة والاقدام على ارتياد هذه البلاد حتى اصبح امر احدى السفن الشراعية اليابانية التي جرفها التيار الحار سنة ١٨٣٣ ميلادية ودفعها الى ساحل آلاسكا مشهوراً لان البرابرة «وفي الاصل اليام يام» جعلوا منها مائدة كانت عيداً لاولهم وآخرهم .

اما الآن فقد وضح الحق وظهر ما كان باطناً من ان آلاسكا كانت مأهولة بالسكان في ازمنة ما قبل التاريخ كسائر اخواتها من البلاد الافريقية وتثبت هذه الحجة ما نراه الآن في عادات الالسكاويين واخلاقهم وطبائعهم ولغتهم فأن كل هذه لم تكن عليها مسحة تدل على انها آسيوية .

ونحن نتوخى في عجالتنا هذه البحث عن حالتهم الاصلية قبل ان يمازجها ما اكتسبوه من الاحتكاك بالاوربيين فنقول ان هؤلاء قد اجتازوا دور التكامل البدائي للبشر وتباعدوا ما امكن عن الهمجية حتى صاروا اقرب الى البداوة منهم الى التوحش قبل ان تطأها اقدام المكتشفين من الروس .

وترى لهم في البلاد الساحلية الآن البيوت الواسعة القوراء وبعض المصايف والقصور التي اقيمت عَلَى منوال الاوربيين وبالاجمال فهم ارقى علماً واوسع مداركاً من شعوب البوروج الذين مازالوا يلبسون جلود البهائم ·

والغريب في امر هاته البيوت القطرية انها عَلَى اتساعها وقد يختلف طولها بين المائتي متر وعرضها بين الخمسة عشر والعشرين متراً تكفي لايواء عائلات كثيرة معاً ومع هذا لاترى فيها نافذة خلا بعض ثقوب في سقوفها لانبعاث الدخان المتصاعد من المواقد واجتذاب نور الشمس الى الداخل ولم يكن فيها مايصلها بالخارج سوى بعض الابواب كما ان سطوحها لم تكن مائلة من طرفيها كما هو الحال في غير بنايات بل لها ميل قليل يكفي لتسليط مياه المطر عَلَى الخارج وتتفع هذه السطوح خطباء القوم فيرتقونها ويتخذونها منبراً لدى الحاجة ·

وتبنى هذه البيوت من عيدان الحطب التي لم تصقل ويقتطعونها بمقاطع خشبية لان الحديد الذي فيه البأس الشديد والمنافع الجمة للناس لم يعرفوا به بعد ·

ويعتاضون عن الحديد بقرون نوع من الحيوان يسمى عندهم « وايتي » او بقواطع من شجر البابل [1] وفي الشتاء حيث يهجم الثلج بخيله ورجله يضيفون الى البنايات الداخلية طبقة من رفيع القصب ويمثل ذلك ايضاً يفرقون البيت عن اخيه فيكون سداً بين العائلات التي تأوي اليه ·

اما اثاث هذا البيت البدائي فهو موافق له كل الموافقة فلا تجد فيه من الرياش مايضيق معه الرحب بل هو في منتهى البساطة وهنالك مقاعد خشبية تحت الفراش « او هي اسرة النوم » عَلَى طول جدار البيت والفراش هو من السل « قش الحصر » وقد زيد في نسيجه عند موضع الرأس حتى اشبه الوسادة كما ان غطاءهم او لحافهم من جلود الغزلان المدبوغة او نوع من الكلاب الجعدة الشعر وقد اوشك نسلها بالانقراض بينهم ·

لهؤلاء البائسين الذين يطلق عليهم اسم همج بعض صناعات لو انصف المطلعون عليها لقالوا بكبر عقولهم ورقة شعورهم وقد ترى بعض الصناديق من صنعهم على حين لا يعرفون المسمار ولا رأوا آلات النجارة · والحدادة غاية في الضبط وآية في الدقة وطول هذه الصناديق متر وعرضها ستون او سبعون سنتيمترا وعمقها سبعون اوثمانون سنتيمتراً ·

(١) نوع من الاشجار الهندية

وصف احد المرسلين صناعتهم هذه بقوله انهم يأتون بخشبة من شجر الارز و يشقونها عَلَى اربعة وجوه ثم يصقلونها ما امكن و يلفونها لفاً جيداً فيتكون منها زوايا الصندوق الثلاث ثم يخيطون طرفا الخشبة الداخليين بخيطان قوية من جلود الوعل يدخلونها بالمسلة «الابرة» المصنوعة من قرون نوع آخر من الوعل فتحصل معهم الزاوية الرابعة اما اسفله فأنهم يجعلونه من قطعة واحدة من الخشب وله حافة تتصل اطرافها بالزوايا الاربع فيخاط كذلك بدقة غريبة حتى انك لاتجد فيه عوجاً ولا امتا . ويكون غطاء الصندوق من قطعة واحدة ايضاً يمدونها عَلَى شقوق الزوايا المتناظرة فيتم الصندوق الذي يعد من بدائع الابداع . وبعد ان يحفروا على الغطاء شارة العائلة او الفريق ويدهنونه بلون مناسب يضعون فيه الملابس القيمة والفراء الثمينة التي تلبس في الاعياد والمواسم .

ويبلغ الشتاء اشده ويقرص البرد في بعض بلادهم فيشقون بأسهما بحفر مستديرة يفتحونها في بطن الارض عَلَى سعة متر او مترين كبيوت الاسكيمو وهنالك يختبئ العشرون او الثلاثون منهم مجتمعين فيحصل الدفء بينهم

وتعلو هذه الحفر اكواخ حقيرة ليس لها من النوافذ الا واحدة في رأسها هي للجيئة والذهاب والهواء والنور اما سبيلهم الى هذه الانفاق فهو عمود من خشب نقروه حتى تتأت منه ارجل اشبه السلم .

وقد اتفق الاسكاويون عَلَى عادة غريبة جرى عليها اغلب الاقوام الفطريين وبينهم هنود اميركا الوسطى والجنوبية وهي عزل البنات اللواتي يبلغن اشدهن والنساء اللائي في المحيض في اكواخ خاصة بهن حتى يطهرن (١) ولو جردنا صناعة السلال الدقيقة التي يصنعونها من رفيع القصب نجد كل صناعتهم في حالة ساذجة للغاية . نعم انهم يحيكون بعض الاقمشة المتينة من خيوط خاصة يستخرجونها من الياف شجر الارز ويخلطونها باصواف وعول صيفين وكندا واصواف الكلاب التي مر ذكرها فيتكون عندهم منها نسيج متين يفي بحاجتهم الا ان ذلك مما لايعد صناعة نافعة .

وهذه الكلاب هي من الحيوانات الداجنة التي يمكن ان يقال عنها انها وحيدة هذا القوم فهم ينتفعون من جلودها واصوافها وتفيدهم في صيدهم وجر عجلاتهم على الجليد ولكنها ويالاسف قد اوشكت تنقرض كما ذكرنا وقل نسلها قلة يخشى من ورائها .

(١) لم يقتصر ذلك عَلَى الامم الفطرية فقد ترى هذه العادة متبعة عند الطائفة السامرية المقيمة في مدينة نابلس وهي تدين بالموسوية وتعمل ببعض التوراة

والسلال التي اشرنا اليها شهرة واسعة عند اهل الاخصاء في جمع شتات الآثار وروائع الصنائع وهي اهل لان تكون كذلك لان عملها جميل متقن وعلى الرغم من انها لم تطل بطبقة صمغية فقد تجدهم يستخدمونها في امتياح المياه من الآبار ونقلها ولا يرشح الماء من هذا السجل « الدلو » او السلة ابداً ·

والاغرب من هذا ان النبات الذي يستعمل في صنع هذه السلال يختلف باختلاف الشعوب الا ان ارقها وادقها ما كان من الياف شجر الارز ويوجد من هذه السلال ما اربى عمره عَلَى خمسين عاماً تتداولها الايدي صباح مساء اما صانعوها فأنهم من النساء عَلَى الاعم ·

وللنساء ولع خاص بالزينة والتبرج فيذهبن مذهب الماديين حتى ان المقارنة النسلية بينهن عَلَى هذه الوتيرة ·

وتلقى ذلك ظاهراً كل الظهور في بعض الشعوب فترى الاب لايهيمن عَلَى ابنه اوسبطه الاحين تزوجه من امرأة بينا يكون للشاب الخيار بقبول الابنة التي انتخبها له والده او رفضها ·

اما مايتعلق بوجوه القرابة بين المرأة وزوجها فلم يكن لها من قاعدة مألوفة او خطة مرسومة بل ترك ذلك لاجتهاد كل فريق منهم · فقد ترى لدى بعضهم جوازاً بزواج ابناء العم بينا تلقى زواج فتى وفتاة خاضعين لزعيم واحد من المحظورات عند آخرين فالاولين لم تمنعهم لحمة النسب من الزواج والآخرين منعتهم صلة التبعية فقط

وتجد الزواج عند بعضهم كأنه اتفاق وقتي اوهو اقرب الى الاستمتاع منه الى الزواج والانكى من كل ذلك ان شرعتهم قد تركت حبل الرجال عَلَى غواربهم واحلت لهم افتراس ابة امرأة في حيهم · نعم انهم اشترطوا في ذلك ان يتبارز الشاب الطالب مع زوج المرأة المطلوبة برازاً لايتخلله سفك دم لان لاسلاح لديهم فاذا ماغلب الاول الثاني عَلَى امره وطرحه ارضاً جاز له التصرف المطلق في امرأته · ولكن ماذا يفيد هذا الشرط وهل يغني عن الحق شيئاً مادامت الغلبة للقوة ؟ واذا كان الزوج الاول ممن يعتقدون قوة خصمه ويستنكف عن مبارزته فيحق حينئذ لذلك الخصم ان يذهب الى بيت الاول ويدعو امرأته الى اللحاق به وهنالك لايسع صاحبتنا الا الجري وراء زوجها الجديد البطل والدخول في داره وحرمه ويظل الاول منزوياً في احدى زوايا

بيته ينظر الى هذه العادة الغريبة شزراً وقد اعتراه اليأس واشبه المرة التي كسرت اناء الحليب • [1]

ويقيم الزوجان عَلَى ان يملك كل منهما ماله من اثاث البيت ورياشه ان كان هنالك مايقال له اثاث ورياش ولا يجوز لهما ان يشتركا في شيء من انواع القنيات ومتى توفي الزوج الرجل يسترد ذوو قرباه ما كان له في الدار من مال ومتاع اما اذا سبقت المرأة زوجها الى الموت فلا يكتفي اهلها بأخذ مالها في البيت فقط بل هم يضطرون الزوج الى اعطاء هدية ذات قيمة لتكون عزاء وسلوانًا لهم عَلى فقد ابنتهم •

ومتى فاجأ الحامل المخاض يدخلها بعض النسوة العجائز الحاضرات غرفة خاصة وبعد ولادتها يغسلن الطفل بالماء الفاتر ويرششن عَلَى جسمه مسحوق شجر الارز ثم يضعونه في سلة عَلَى شكل سرر الاطفال ويعلقونها في دعامة البيت الخشبية او غصن من اغصان الشجر وهذه السلال او السرر مصنوعة بحيث يتسنى للام ان تحملها عَلَى ظهرها اثناء مشيها •

ويخرج الطفل من سريره مرتين في اليوم عَلَى الاكثر لاخذ افرازاته وتبقى هذه السلة عشاً له الى ان يدرك حد الفطام والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ومتى اتممنهما يدرج الطفل من عشه او سجنه وتذهب الام في ذلك السرير الى جهة نائية من الحرج فتعلقه في احد الاغصان تقدمه الى الملك الموكل بحفظ ذلك الوليد طول حياته •

وهنالك بدعة سيئة يجري عليها بعض الشعوب في اطفالهم • فهم يلفعون رؤوسهم عقب اليوم الثالث من ولادتهم بعمامة من قشور الشجر وهذه العادة القبيحة التي تغير من شكل عظم الرأس وتهصره وتشوه الخلقة هي في عرفهم علامة خاصة بالنبلاء • ثم يتلو ذلك التلفيع يوم خاص يجتمع فيه لفيف الأسرة او يقيمون حفلة حافلة بتسمية اسم الوليد وبعدها تبدأ دروس التربية الجسمانية وبعد انقضاء السنة الرابعة عن ولادة الصبيان يجهزون عليهم بالضرب بعصي رفيعة صباح كل يوم صيفًا كان اوشتاء ربيعًا كان اوخريفًا ليزيدوا حس جلودهم عَلَى زعمهم وفوق ذلك فهم يرغمونهم عَلَى الاغتسال بالماء البارد في الانهار الجارية •

ومتى بلغوا العاشرة من حياتهم يدفعونهم من اكواخهم الى الخارج حفاة عراة ليقضوا

(١) عربنا هذا التشبيه بعينه عن الاصل •

ليلهم نياماً يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء او انهم يمضونه وايديهم قيد ماء الجليد على ضفاف البحيرات ولا يجوز لهم رفعها الا بعد ان تشرق الشمس عليهم فحل عقال هؤلاء المحكوم عليهم بظلم العقول السخيفة .

وعندما يأزف زمان تكاثر الاسماك في المياه وتطفو عليها طبقات من السمك المنتن يعشون بأولادهم تحت جنح الليل ليستنشقوا تلك الروائح الكريهة ويعتادوها ويمارسوا الفروسية تحت رعاية ملك الحفظ .

اما من حيث المعتقد فأنهم بعيدون جداً عن الاعتراف بآله قادر وقائلون بتعدد الارواح التي ملأت السهل والجبل وعلى رأيهم ان لكل منهم عملا خاصاً به حتى ان السماوات والشجر والحجر وآلات الصيد وكل مايقع عليه نظرهم في هذا الكائن الهائل من جماد ونبات وحيوان له ملك موكل به ولذلك تراهم ابداً مشتغلين بالمراسم والعبادات ليرضوا هذه الآلهة الكثيرة وينعموا بالاً في هذه الحياة الدنيا .

مثال ذلك ان افراد الشعوب التي تقتات من الصيد لايتيسر لها اكل لحم الوعل الذي يصيدونه بهناء بل انهم يحتفظون بالدماء والامعاء لئلا تقع تحت يد وحش ضار فيأ كلها وذلك لاعتقادهم ان الملك الموكل بذلك يطلع بقية الوعول على جلية الامر ويريهم النقص الذي حصل من الصائدين في سبيل احترام رفيقهم فلا يعودون يجودون بأنفسهم ليصطادوها بل يلجؤون الى الجبال التي تناطح السحاب ويشكل على المقلين في العناية بهم امر الصيد .

ثم انهم عندما يأتون بصيد الوعل الى بيوتهم لايجوزون به الابواب التي وطئتها اقدام النساء وفي عرفهم ان ظباء النساء وظباء الوعل اعداء متشاكسون .

وعندما يزمع احدهم صيد الدب الابيض يطلب الى روح ذلك الحيوان ان تتمثل امامه كحيوان مستسلم ولاتمسه بسوء فان ساعده الحظ ووفق الى صيده يدهن وجهه على « وجه الانسان » بألوان مختلفة علامة شكره على نجاحه ويبدأ بتلاوة قصيدة رثاء يمدح فيها خلال الفقيد العزيز وسجاياه الغر (!)

ومن غريب عاداتهم في مباشرة طعام لحم الدب انهم يبدأون برأسه على ان يكون وجوه حاضري الوليمة مصبوغاً بالألوان وان يعلق عظم رأس الدب في اعلى غصن من شجرة باسقة بحيث يراه ابناء جلدته عزيز الجانب رفيع الجناب في الحياة وبعد الممات . يقولون وبعد هذا لا يأنف الحيوان مقابلة الصيادين والتعرض لاسنة حرابهم اواخشابهم .

ولايقتصر هذا الاحترام على نوع الدب فقط بل يكاد يكون عاماً في جميع الحيوانات . وعند ما يتجاذب الاهلون حديث الصيد ويخصون بالذكر الحيوان الذي يغنون قتله او صيده بالفخاخ يمازج حديثهم الحشمة والادب فيخفتون من اصواتهم لئلا يقرع مسامع الارواح الموكلة بتلك الحيوانات كما انه يكون منسجماً متناسقاً كقولهم : « رفاقنا . لعل اولياء نعمتنا يتكرمون علينا برؤية احدهم فيكون نصيبنا منهم وعلاً اوغزالاً او دباً الى غير ذلك »

ولو اكتفوا بهذه التعاليم والتقاليد في الحيوان فقط لكان لهم فيه بعض العذر ولكنهم شملوا به الفاكهة ايضاً فحالما يبادرون بجني الثمار يكون لهم راهب او ساحر يتلو عليهم جهاراً دعاء يليق بالمقام ويرضى به الملائكة الموكلة لتتم البركة ويحصل الخير . وبينا الراهب يتلو الادعية والاذكار يقف زعماء الشعب وفي ايديهم العصي يراقبون اعمال الشبان حتى اذا مارأوا احداً فتح عينيه قبل ختام الدعاء اوسعوه ضرباً ولكماً .

على ان كل ما ذكر لايعادل الحفلات التي يقيمونها عند حلول موسم صيد نوع من السمك فعند ماتقع سمكة في يد الصياد في اول الموسم يرفعها على ساعدين لانه محظور عليه ان تمسها يده فيأتي بها بكل وقار الى رئيس الرهبان الذي يتقبلها منه بقبول حسن ويرفعها الى مكان خص بها وهيئ لها من غصون الصنوبر .

ثم يقترح على شيخ جليل من الحضور تكون له الوجاهة والرجاحة في قومه ان يصف حول السمكة العصي التي تشير كل منها الى اسرة من البيوت الكريمة بحسب درجاتها ثم يتناول الراهب الرئيس العصي واحدة بعد واحدة ويمس بها مسح السمكة الامامي الذي يعتدونه يدها اليمنى ويخاطبها بقوله : لي الشرف ان اقدم لكريم مقامك الأسرة الفلانية التي حضرت الى رحابك الواسع واطلب اليك ان تسمي لها بان تكون موطئ قدمك الى غير ذلك من ضروب الاطراء وصنوف المديح . وبعد اتمام هذه المراسم يضع السمكة في قدر جديد ويسلقونها على النار بين النشيد والترتيل ثم توزع بين زعماء القوم وتليها الاسماك التي تشرفت بالعيد بعدها وتطبخ هذه ايضاً ثم تعطى الى من لم يكن حرم عليه اكل السمك شرعاً .

لرؤساء الدين عند هذه الطوائف شأن كبير لانهم يعتقدون فيهم انهم وسطاء بينهم وبين الملائكة او الارواح الموكلة وتنتقل الرهبنة من الآباء الى الابناء وتتعاطى هؤلاء الرهبان بعض مواد تخدر الجسم في حين يعنون كل العناية بالاعتكاف والانقطاع

عن الناس فيكون فيهم من وراء ذلك شيء من الجمود والسكينة ·

ومما يدعو الى الانتباه الانصاب القائمة في مداخل البلدان وقبالة البيوت وقد زعم المكتشفون من الروس انها تماثيل تعبد والحقيقة ان هذه شارات خاصة لكل أسرة منها شارة فمنها ما يكون كالطير ومنها ما يكون كالسمك واشباههما من الحيوان على ان هذه تخدم في تفريق البيوت بعضها عن بعض لانها كلها مبنية على نسق واحد لا يمكن التمييز بينها الا بمميزات خاصة وهذه التماثيل تفي بالغرض المقصود · ولهم نوع من السحرة يطببون المرضى ولكن بأخراج الارواح الشريرة منهم لا بالعلاج النافع الذي لا يعرفونه · ثم هم يدعون ان كل أسرة منهم من نسل احد الارواح الموكلة و يعتقدون ان لهم صلة بالسماء كالصينيين ابناء ماء السماء ولله في خلقه شوؤن

حيفا عبد الله مخلص

قانون الجمعيات

الفصل الاول

المادة الاولى — الجمعية هي الهيئة المؤلفة من اشخاص عديدين غايتهم توحيد معارفهم اومساعيهم دون ان يقصدوا اقتسام الربح

المادة الثانية — لا تضطر الجمعية الى نيل الرخصة قبل تأليفها الا انها يقضى عليها عقيب تأسيسها اخبار الحكومة طبقاً للمادة السادسة ·

المادة الثالثة — لا يجوز تأليف الجمعيات المستندة على اساس غير مشروع مغاير لاحكام القوانين والآداب العامة او مخل بالامن في المملكة وتمام ملكية الدولة وتغيير شكل الحكومة الحاضرة والتفريق سياسة بين العناصر العثمانية المختلفة ·

المادة الرابعة — محظور تأليف جمعيات سياسية اساسها وعنوانها القومية والجنسية

المادة الخامسة — يشترط في اعضاء الجمعيات ان لا تكون منهم اقل من عشرين غير محكوم عليهم بجناية او محرومين من الحقوق المدنية ·

المادة السادسة — ممنوع كل المنع تأليف الجمعيات السرية · فاذا أنشئت جمعية تقدم بياناً في الاستانة لنظارة الداخلية وفي الولايات لاكبر موظف ملكي يوقع عليه مؤسسو الجمعية ويختمونه فيبينون فيه عنوان الجمعية ومقصدها ومراكز ادارتها واسماء

المكلفين بادارتها وصفتهم ومحل اقامتهم · ويعطى علم وخبر مقابل هذا البيان · ويربط بالبيان المذكور نسختان على نظام الجمعية الاساسي المصدق عليهما بطابع (ختم) الجمعية الرسمي ·

وبعد اخذ العلم والخبر يعلن المؤسسون الكيفية على ان الجمعيات مضطرة ان تخبر الحكومة حالا بالتعديلات والتبديلات التي تجريها سواء في نظامها الاساسي او في هيئة الادارة ومحال الاقامة وهذه التعديلات والتبدلات يعمل بها من يوم اخبار الحكومة وتقيد في سجل خاص يبرز في كل وقت تطلبه العدلية والملكية ·

المادة السابعة — لمركز كل جمعية مجلس ادارة يؤلف من شخصين على الاقل واذا كان للجمعية فروع يجب ان يكون لكل واحد منها مجلس ادارة مربوط بالمركز ويشترط على المجالس ان يكون لها اولا سجل تبين فيه هوية الاعضاء وتاريخ دخولهم ثانياً سجل للقررات والمفاوضات والتبليغات ثالثاً سجل فيه مقدار دخل الجمعية ونفقاتها بانواعها ومفرداتها وتبرز هذه السجلات للملكية والعدلية في اي وقت تطلبها

المادة الثامنة — كل جمعية تعطي بياناً بموجب المادة السادسة تكون بالواسطة مدعية ومدعى عليها في المحاكم كما هو مبين في المادة التاسعة ولها الحق بان تتصرف وتدير ماعدا الاعانات التي تكلف بها الدولة اولا الحصص النقدية التي يعطيها اعضاؤها على ان لاتتجاوز سنوياً الاربع والعشرين ليرة ثانياً المحل المخصص لاجتماع اعضاء الجمعية وادارتها ثالثاً الاموال الغير المنقولة اللازمة للوصول الى المقصد الذي اتخذته وفقاً لنظامها الخاص · ومحظور على الجمعيات ان تتصرف بغير ذلك من العقارات

المادة التاسعة — تكون المراجعات والمطالبات باسم الجمعيات لمأموري الحكومة والمحاكم والمجالس الرسمية بعرائض عليها طوابع يوقع عليها الكتاب العموميون والمديرون بتوقيعهم وطابعهم الذاتي ولا تجري غير ذلك من الوسائط · وان امثال هؤلاء الاشخاص الذين يقومون بالمعاملات باسم الجمعية تبين هويتهم في نظام الجمعية الاساسي

المادة العاشرة — يمكن لاعضاء الجمعيات ان ينفصلوا عنها في اي وقت يريدون ولو اشترط في نظاماتها الاساسية عكس ذلك بعد ان يؤدوا ماعليهم من الحصص النقدية التي حان استيفاؤها وتختص بالسنة الحالية

المادة الحادية عشرة — محظور ادخال الاسلحة النارية والجارحة الى المكان الذي تجتمع فيه الجمعية كما انه يحظر حفظها فيه الا انه يمكن ان يوجد اسلحة بقدر

اللزوم في الاندية المختصة بتعليم الصيد والقنص ولعب السيف عَلَى ان يكون للضابطة علم بذلك ·

المادة الثانية عشرة — تمنع الحكومة كل جمعية لم تعط بيانًا للحكومة ولم تخبر وتعلن عن نفسها حسب المادة الثانية والسادسة و يعاقب بالغرامة النقدية من خمس ليرات الى خمس وعشرين ليرة مؤسسوها ومجلس ادارتها وصاحب محل اجتماعها ا ومستأجره عَلَى انه يحكم بجزاء آخر اذا كانت امثال هذه الجمعية مؤلفة لمقصد مضر من المقاصد المسطورة في المادة الثالثة والمبينة في قانون الجزاء كما يقضي به القانون المذكور

المادة الثالثة عشرة — يؤخذ جزاء نقدي من ليرتين الى عشر ليرات من الذين يأتون اعمالاً تخالف باقي احكام المادة السادسة ماعدا الاخبار والاعلان واحكام المادة الرابعة والخامسة والسابعة والتاسعة · و يغرم اعضاء الجمعيات التي تمنع بموجب المادة الثانية عشرة وتبقى مخالفة لهذا القانون اوتؤسس من جديد بالجزاء النقدي من عشر ليرات الى خمسين ليرة وبالسجن من شهرين الى سنة ويجازى بعين الجزاء من يعطون محالهم لاجتماع اعضاء جمعية منعت ·

المادة الرابعة عشرة — اذا كان نظام الجمعية التي تحل برضا اعضائها واختيارهم او بموجب نظامها الداخلي اوتمنعها الحكومة صريحًا يعمل بموجبه بالاموال العائدة اليها والا تعامل على حسب ماتقرره هيئة الجمعية العمومية ·

اما اذا كانت الجمعية قد منعت لتألفها لاحد الاسباب المضرة المبينة في المادة الثالثة فان الحكومة تأخذ اموالها وتضبطها

المادة الخامسة عشرة — الاندية هي من قبيل الجمعيات المدرجة في هذا الفصل ·

المادة السادسة عشرة — الجمعيات الموجودة اليوم مضطرة ان تقدم بيانًا وتعلن كما تقضي بذلك المادة الثانية والسادسة وان توفق معاملتها عَلَى احكام باقي مواد هذا القانون خلال شهرين اعتباراً من اعلان هذا القانون ·

الفصل الثاني

المادة السابعة عشرة — ان اعتبار الجمعية خادمة للمنافع العامة متوقف عَلَى تصديق الحكومة بقرار من شورى الدولة ·

وهذه الجمعيات يمكنها القيام بالمعاملات الحقوقية كافة التي لاتمنع منها نظاماتها الاساسية ولا بد للاسهم والسندات التي تعود الى حاملها ان تقيد وتحول باسم الجمعية

ولايمكن للجمعية ان تقبل هبـة او وصية الا باذن خاص من الحكومة وتباع اموال الهبة او الوصية الغير المنقولة اذا لم تنفع الجمعية في مقصدها و يصرح في قرار البيع بالمدة التي يجب ان تباع في خلالها و يسلم بدل العقار المباع الى صندوق الجمعية

المادة الثامنة عشرة — للضابطة حق تفتيش الجمعيات والاندية فتفتح هذه ابواب محال اجتماعها لمأموري الضابطة في كل وقت · يجب ان يكون مع موظفي الضابطـة كي يثبتوا انهم دخلوا محال الاجتماع مستندين على لزوم حقيقي امر اواذن رسمي يضطرون الى ابرازه و يكون صادراً اليهم من ناظر الضابطة في الاستانة ومن اكبر مأمور ملكي او وكيله في الولايات

المادة التاسعة عشرة — على ناظري الداخلية والعدلية تنفيذ هذا القانون

في ٢٩ رجب سنة ١٣٢٧ وفي ١٣ آب سنة ١٣٢٥

سير العلم والاجتماع

سعة التأليف ومؤلفو الشيعة

كتبت رصيفتنا العرفان تتمة لما كتبناه في الجزء الاول من المقتبس الخامس في سعة التأليف في الاسلام وذكرت المكثرين من التأليف عند الشيعة فقالت : لم نجد بين رجال القرن الاول من له ثلاثون مصنفا لعدم انتشار التأليف آنئذ وغلبة الأمية ويكفي بان تثبت للشيعة مؤلفين على حين اذ لم يكن لغيرهم تأليف في ذلك القرن فقد الف امير المؤمنين علي عليه السلام صحيفة في الديات والف سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري في الاخبار والسير والف ابو الاسود الدؤلي في النحو والادب والف كثيرون غيرهم ممن يطول الشرح في تعدادهم

ومن المؤلفين المكثرين من رجال الشيعة في القرن الثاني لوط بن يحيي ابو مخنف المؤرخ المشهور الذي يروي عنه الطبري وغيره من المؤرخين قال النجاشي [1] له كتب كثيرة وعد منها نحو ثلاثين كتابا كلها في التاريخ والسير

(١) هو احمد بن علي بن احمد بن العباس النجاشي الاسدي المتوفى سنه ٤٥٠ له عدة كتب منها كتابه هذا الذي ننقل عنه وهو مطبوع في الهند مرتب على حسب الطبقات ترتيبا حسنا وقد ذكر به رواة الشيعة من الصدر الاول الى زمانه وطريقته انه

وهشام بن الحكم عدد له النجاشي نحو ثلاثين كتاباً اكثرها في الكلام والفلسفة الالهية

ومن رجال الشيعة في القرن الثالث ابراهيم بن محمد الثقفي قال النجاشي له كتب كثيرة والتي اتصل بنا منها ثم عددها نحو اربعين كتاباً

والحسن بن موسى ابو محمد النوبختي قال النجاشي له على الاوائل؟ كتب كثيرة منها كتاب الآراء والديانات وحجج طبيعية مستخرجة من كتب ارسطاطاليس في الرد على من زعم ان الفلك حي ناطق وكتاب في المرايا وجهة الرؤية فيها وعدد له نحو اربعين كتاباً

وسعد بن عبد الله ابو القاسم القمي عدد له ما ينيف عن ثلاثين كتاباً

وعبد العزيز بن يحيى الجلودي ذكر النجاشي كتبه في اربع صفحات وقد بلغت مائة واربعة وثمانين كتاباً في جملة فنون واغلبها تاريخ واخبار وفقه

وعلي بن محمد العدوي الشمشاطي قال النجاشي له كتب كثيرة عدد منها مايقرب من اربعين كتاباً ومما يلفت النظر منها كتاب الانوار والثمار قال النجاشي قال سلامة بن دكا ان هذا الكتاب الفان وخمسمائة ورقة يشتمل على ذكر ماقيل في الانوار والثمار من الشعر وكتاب النزه والابتهاج قال قال لي سلامة بن دكا انه نحو الفين وخمسمائة ورقة يذكر فيه آداباً واخباراً ومن جملة كتبه مختصر تاريخ الطبري واغلب كتبه ضخمة

والفضل بن شاذان ابو محمد الازدي النيسابوري قال النجاشي : ذكر الكجي انه صنف مائة وثمانين كتاباً وقع الينا منها وعدد نحو خمسين كتاباً

ومحمد بن اورمه ابو جعفر القمي قال النجاشي : ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو حتى دس عليه من يفتك به فوجدوه يصلي من اول الليل الى آخره فتوقفوا عنه وقد عدد له نحو ثلاثين كتاباً ومن العجيب ان بينها كتاباً في الرد على الغلاة وكل كتبه دينية

ومحمد بن جعفر بن احمد بن بطه المؤدب ابو جعفر القمي قال النجاشي : كبير المنزلة بقم كثير الادب والفضل والعلم يتساهل في الحديث ويعلق الاسانيد بالاجازات وفي

يذكر الرجل فيقول يروي عن فلان عن فلان الى ان يتصل بالامام ثم بالنبي وكذلك المؤلفات فانه يقول له كتب او كتاب يرويه فلان عن فلان وقد ذكر بكتابه هذا الفاً ومائتي رجل من رجال الشيعة وكل منهم له المؤلف والمؤلفات

فهرست مارواه غلط كثير وقد عدد له اكثر من خمسين كتاباً اكثر كتبه مسماة باسماء الاعداد فله كتاب الواحد والاثنين الى التسعة والاربعين

ومحمد بن احمد ابو الفضل الجعفي الكوفي المعروف بالصابوني عدد له النجاشي نحو سبعين كتاباً وقد كان زيديا فصار اثني عشريا

وهشام بن محمد السائب قال النجاشي : كان له كتب كثيرة وعدد منها خمسين كتاباً في الانساب والتاريخ والسير

و يونس بن عبد الرحمن قال النجاشي : وكانت له تصانيف كثيرة وعدد منها اكثر من ثلاثين كتاباً

ومن رجال الشيعة المشهورين في سعة التأليف في القرن الرابع احمد بن محمد بن دول القمي قال النجاشي : له مائة كتاب وعدد منها جانباً

وعلي بن احمد ابو القاسم قال النجاشي : كان يقول بانه من آل ابي طالب وغلا في آخر امره وفسد مذهبه وصنف كتباً كثيرة اكثرها على الفساد وقد عدد له نحو خمسين كتاباً اغلبها ردود ومنها رد على ارسطاطاليس وكتاب في تفسير القرآن وكتاب في النفس

ومحمد بن يعقوب الكليني عدد له النجاشي اربعين كتاباً وقال : صنف الكتاب الكبير المعروف بالكليني يسمى الكافي في عشرين سنة ومات سنة ٣٢٩ سنة تناثر النجوم

ومحمد بن احمد بن الجنيد الكاتب ابو علي الاسكافي عدد له النجاشي مايقرب من مائة وثمانين كتاباً كلها دينية فقه وسير وكلام

ومحمد بن بابويه القمي المشتهر بالشيخ الصدوق عدد له النجاشي نحو مائتي كتاب

وموسى بن الحسن ابو الحسن الاشعري القمي قال النجاشي : صنف ثلاثين كتابا وعدد منها اثني عشر كتابا

ومن المؤلفين في هذا القرن اسماعيل الصاحب بن عباد وابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني وهما وان لم تبلغ تآليف كل منهما الثلاثين فانها تناهز العشرين فضلاً عن تعدد مجلداتها وغزير فائدتها

ومن المكثرين من التأليف في القرن الخامس علي بن الحسين ابو القاسم السيد المرتضى الشهير فقد عدد له النجاشي اربعين كتابا و يقال بان له ثمانين كتاباً وهو صاحب امالي المرتضى الذي طبع في مصر

ومحمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد عدد له النجاشي نحو مائة وستين كتاباً

اما في القرن السادس فيوجد من الشيعة عدة مؤلفين بيد انهم غير مكثرين

ومن المكثرين من التأليف في القرن السابع السيد احمد ابن طاووس قال في الروضات (١) وصنف اثنين وثمانين كتاباً في فنون من العلم وعد منها طرفاً صالحاً

والحسن بن المطهر الحلي المشهور بالعلامة عدد له صاحب الروضات سبعين مصنفاً ورأيت عَلَى حواشي بعض مصنفاته بأن له ثلاثمائة مصنف

والسيد علي بن طاووس عدد له صاحب الروضات نقلا عن كتب كثيرة اكثر من ثلاثين مصنفاً كل كتاب منها عدة مجلدات

ومحمد الخواجه نصير الدين الطوسي الحكيم المعروف عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتاباً في فنون مختلفة

ومن المكثرين من التأليف في القرن الثامن محمد بن معية النسابة وهو وان لم يتجاوز ماعدد له صاحب الروضات خمسة عشر كتاباً فهي تبلغ الستين مجلداً منها كتاب اخبار الامم فانه قال صاحب الروضات خرج منه احد وعشرون مجلداً وكان يقدر اتمامه في مائة مجلد كل مجلد اربعمائة ورقة

ومحمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الاول فهو وان لم يذكر له صاحب امل الآمل الا نحو خمسة عشر كتاباً فمن المشهور ان له تآليف جمة في فنون مختلفة جزيلة الفائدة

ومحمد بن مكرم الانصاري الافريقي صاحب كتاب لسان العرب المعجم المعروف له كتب كثيرة ويقال ان مختصراته خمسمائة مجلد

اما في القرن التاسع فلم نعثر عَلَى مؤلفين مكثرين بين رجال الشيعة وان كان يوجد بينهم عدة مؤلفين مقلين

وممن اشتهر في القرن العاشر بكثرة التأليف زين الدين الشهيد الثاني العاملي ثم الجبعي عدد له تلميذه العودي من المؤلفات المتنوعة ماينيف عن ستين مؤلفاً

وممن اكثر من التأليف في القرن الحادي عشر . عبد بن هبة الله بن الحسن الراوندي عدد له صاحب الروضات نحو اربعين مصنفاً وبها الكتب التي وقعت في عشرة مجلدات

وصدر الدين محمد ابراهيم الشيرازي المشتهر بالملا صدرا عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتاباً اكثرها في الحكمة الالهية

(١) هو كتاب روضات الجنات لمؤلفه محمد باقر الخوانساري من رجال القرن الثالث عشر جمع كتابه تراجم كثيرين من السنة والشيعة

ومحمد بن الحسن بن علي بن محمد المعروف بالشيخ الحر العاملي صاحب كتاب الوسائل في الحديث وامل الآمل في علماء جبل عامل في التراجم وقد ترجم نفسه به وعدد مصنفاته كما نقله صاحب الروضات فاذا هي تنيف عن اربعين كتابا ورسالة

ومن المؤلفين المكثرين في القرن الثاني عشر اسماعيل المازندراني قال صاحب الروضات بعد ان عدد له اربعة عشر كتاباً ورسالة الى غير ذلك من الرسائل والمؤلفات الكثيرة التي تبلغ نحوا من مائة وخمسين مؤلفا متينا في فنون شتى من العلوم والحكم والمعارف

ومحمد باقر المشهور بالمجلسي عدد له صاحب الروضات نحو خمسين مؤلفا عربيا (١) وخمسين مؤلفاً فارسيا وبعد الفراغ من تعدادها قال : وعدد ابيات (٢) جميع ماذكر من العربي والفارسي الف الف بيت واثنين واربعمائة الف بيت وسبعمائة واذا وزعت على ايام عمره التي هي ثلث وسبعون سنة من غير زيادة ولا نقصان يكون قسمة كل سنة تسعة عشر الف بيت ومائتين وخمسة عشر بيتا وخمسة عشر حرفا وهكذا بالترتيب اه

والسيد خلف عدد له صاحب الروضات نقلا عن امل الآمل وغيره من كتب التراجم نحو ثلاثين مؤلفاً

وسليمان البحراني عدد له صاحب الروضات اكثر من خمسين مؤلفا اكثرها رسائل

وعبد الله بن جمعة السماهيجي البحراني عدد له صاحب الروضات نقلا عن بعض اجازاته اكثر من ثلاثين كتاباً ورسالة

والسيد هاشم البحراني عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتاباً وفيها المجلدات الضخمة

ومن المكثرين من التأليف في القرن الثالث عشر من الشيعة الشيخ احمد الاحسائي (٣) فقد قال صاحب الروضات بعد ماعدد له ثلاثين مؤلفا الى تمام مائة رسالة وكتاب

---

(١) اكثر مؤلفاته العربية جمعت في كتابه بحار الانوار الذي طبع في بلاد ايران فوقع في سبعة عشر مجلداً ضخما وقد حوى ماهب ودب وبه الغث والسمين

(٢) البيت عبارة عن خمسين حرفاً باصطلاحهم اي سطر واحد

(٣) هذا الرجل مبتدع مذهب الكشفية القائلين بالحلول والشيعة الاثنا عشرية تكفرهم وبه يقول الشاعر

لزين الدين احمد ضوء فضل به تجلى القلوب المدلهمة
يريد الحاسدون ليطفئوه ويأبى الله الا ان يتمه

ومحمد باقر البهبهاني قال صاحب الروضات نقلاً عن صاحب المنتهى له ستون مؤلفاً ثم عدد اكثرها

وملا جعفر الاستراباذي عدد له صاحب الروضات نحو اربعين مؤلفاً في علوم مختلفة اكثرها مجلدات ضخمة

وابو القاسم الميرزا القمي صاحب كتاب القوانين في الاصول عدد له صاحب الروضات عدة كتب كلها مجلدات ضخمة وقال وجد بخطه مايؤدي بانه كتب الف رسالة في مسائل مخصوصة من العلوم

ومحمد بن عبد النبي المعروف بميرزا محمد الاخباري [1] نقل صاحب الروضات بان له كتاباً في الرجال ترجم به نفسه وعدد مؤلفاته وهي ثمانون مؤلفاً في فنون عقلية ونقلية وشهودية وجلها او كلها مجلدات كبيرة ومنها ما وقع في عدة مجلدات اه ·

مدرسة الاستقلال

ذكرت مجلة العلم الاجتماعي ان مدرسة دي روش في فرنسا احتفلت بمرور عشر سنين على تأسيسها فذكر رئيسها بهذه المناسبة ماقامت به المدرسة منذ انشائها في تربية العقول ونزع حب الاتكال من النفوس وتحبيب الاستقلال اليها قال ان هذه المدرسة انشأها اديمون ديمولانس (صاحب كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين) وغرضها ان تقصد الى القضاء على الاساليب والعادات المتبعة في المدارس الداخلية الفرنسوية فهي تعاكس النظام الناشيء من التدريب المبالغ فيه وتقاوم انهاك القوى في عامة اشكاله وطريقة اتباع الخطط في الدروس ورخاوة التربية الطبيعية وقلة كفاية التربية الصحية وفقدان التربية العملية ونزع الاساليب المتبعة في تربية الاخلاق وتلقين الاديان · وقد ذكرت المجلة ان غاية ماتوخته هذه المدرسة ان توفق بين النمو العقلي في الطفل وعنيت ان تبين للاولاد لماذا يعملون الشيء الفلاني وان تشوقهم الى تعلمه لحل المسألة الفلانية بحيث يهتمون بنتائجها وكان ممن تخرجوا في تلك المدرسة منذ سنة ١٩٠٥ ان تقدموا للمسابقة فاحرز قصب السبق منهم ٥٦ من ٦٧ وابانوا عن كفاءة مدهشة في المواد التي لاتسألهم عنها المدارس مثل الرياضات البدنية واللغات الحية والموسيقى والمعلومات العملية وتربية الاخلاق · واحسن ثمرات التعليم الاستقلالي انه لم يعمد

(١) الاخباريون الذين ينكرون تعلم علم الاصول ولا يعملون الا بالاخبار ولا يقسمونها الى الاقسام الاربعة بل يأخذونها على علاتها وهم من المبتدعين

الى البطالة فرد من المتخرجين على اسلوبه بل ان ٣٦ منهم دخلوا في التجارة والصرافة وكثيرون قصدوا البلاد الخارجية وثلاثة دخلوا المدارس التجارية و ١١ في الصناعة وقلما يرغب تلامذة هذه المدرسة في التوظف والاعمال الحرة بل يختارون الصناعات العلمية الحرة فلم يدخل منهم حتى الآن سوى واحد في ممعان السياسة وواحد آثر التوظف .

مؤتمر العناصر

من اول مظاهر الاخاء بين البشر المؤتمر الذي سيعقد في لندرا في شهر تموز ١٩١١ فهو اول مؤتمر عام للعناصر يساعد على تبادل الاحترام بين عناصر الشرق والغرب وستتلى فيه مفكرات غريبة يتلوها اناس من ارقى الرجال من اهل العالمين القديم والحديث وسيكون بينهم خمسة وعشرون رئيساً من مجالس النواب واربعون أسقفاً ومئة وثلاثون استاذاً في الحقوق الدولية وغير ذلك وسيكون لهذا المؤتمر شأن عظيم في مستقبل العناصر البيضاء وغيرها

استعمار الاسلام

قالت مجلة الاقتصاد الدولية اننا قد ايقظنا اليابان والصين من سباتهما وها قد اصبحنا ولاسيما الاميركان منا نعض الانامل ندماً على ماقدمناه بين يدي تينك الامتين وقد اخذ المسلمون ينهضون و ينتبهون ايضاً بحسب رأي المسيو لشاتليه (المقتبس م ٥ ص ٢٧٦) كما يفهم من الارقام التي اتى بها للدلالة على انتباه المسلمين قال ان الصحف الاسلامية تكون الرأي العام الاسلامي على ان تكون منافع الجمارك والاراضي والغابات والمعادن والنقل والاحتكارات والامتيازات وكل ثمرات الارض الاسلامية خاصة بالمسلمين يقول لسان حالها « الاسلام للمسلمين » وقد علقت المجلة على ما تقدم بهذه الجملة الغريبة وها كها بنصها معربة : اننا نعد انفسنا سعداء اذا اكتفى المؤمنون بهذا ولم يأتوا فيستعمروننا على الطريقة التي عمدنا اليها معهم .

ضعاف المدارك

نقلت مجلة الاقتصاديين البارزية عن احدى المجلات الانكليزية بحثاً لاحد اطباء انكلترا جاء فيه ان بين عامة الناس والبله الثابتة بلاهتهم في بريطانيا العظمى طبقة كبرى ضعيفة في مدارك كها وهي عالة على أسرها والمجتمع وعددها لايقل عن خمسين الفاً قال ان ضعف العقل ارثي واصحابه يشتد غرامهم ويكثر اولادهم على حين يقل

اولاد الاذكياء وبذلك ينتج ضعف الاخلاق والعقل في المجتمع وذلك لان ضعاف العقول يأتون الجرائم والمفاسد اكثر من غيرهم وضعيفات العقل من البنات اقرب بنات جنسهن الى الاغواء . وقد حسبوا جميع سكان ورخوس فكان خمسهم او ربعهم ضعاف العقول فالواجب اذاً تقوية هذه المدارك الضئيلة والمدارس التي اقيمت لغرض تقوية الضعاف في عقولهم لم تثمر الثمرة المطلوبة لانه لم ينجح واحد في الخمسين ممن دخلوها لانها أنشئت على مبدإ مدارس اقوياء العقول اي على طريقة مدرسية صرفة لاشأن فيها للصناعات . قالت المجلة فان ادعى صاحب هذا التكر بان هذا خطر عظيم على المجتمع أجيب بانه كان منذ كان البشر ولكنه لم يكن محسوساً كما هو الآن لان الملاجىء والاديار تؤوي امثال هؤلاء وكانوا من قبل مشتتين فالخطر وان كان واقعياً الا انه ليس بالدرجة التي يظنها الطبيب المشار اليه نعم ان الاولاد كلهم يصاغون صياغة واحدة من من السادسة الى الثانية عشرة بمعنى انهم يتعلمون القراءة والكتابة وما تعلم القراءة والكتابة بالامر السهل كما يظهر بل هو من شاق الاعمال التي لانقدرها حق قدرها فان المستخدم في احدى المكاتب يملي ثلاثين كلمة في الدقيقة اي مايعادل طوله خمسة امتار فتكون هذه الخطوط ثلثمائة متر في الساعة او الف كيلو متر في ثلثمائة يوم من ايام السنة وهي ايام العمل . ولاجل كتابة ١٣٠ كلمة يدور رأس القلم ٤٨٠ دورة في الدقيقة و ٢٨٨٠٠ دورة في الساعة دع عنك مايتبع ذلك من التماريج بما لايقل طوله كله عن مئه الف كيلو متر في السنة ولولا العادة ماسهلت الكتابة وخففت من تعب الاعصاب وهذا هو العمل الذي يقضي على الاولاد ان يعملوه فهل يستغرب اذا رأينا بعضهم ينوؤن بهذا العبء الثقيل وان ماطلبه الطبيب لضعاف العقول من تعليمهم الصناعات هو احق به ان يطلب لجميع المتعلمين اذا اردنا ان يكون لهم عقل سليم في جسم سليم

تربية الحس

كتب بول غولتيه من علماء التربية في فرنسا مقالة في نقص تربية الحس في مجلة التربية جاء فيها : لاارى في التربية اكثر اهمالاً في العادة من تربية الحس فانه متروك وشأنه ينمو كما يشاء وعلى النحو الذي يشاء فيأخذ بالاتفاق ذات اليمين او ذات الشمال في المدرسة والأسرة وترى الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات يعنون بما في جهدهم بتلقين العلوم ولايلتفتون الى تربية القلب في حين ان الحس اصل القوى كلها ومبدأ كل حياة ولا اثر للذكاء والارادة بدونه على ماابان ذلك الفلاسفة المحدثون امثال ريبو

وفولية ويرجسون . فالفكر الذي لايقتبس من حرارته عار عن القوة . فبه تعرف مطويات الضمائر وعناوين الامزجة وغاية الجهد بل هو الصورة المميزة لما في الافراد من مزايا الابداع . قال روسكين (من علماء الاجتماع الانكليز) : اننا نشكو من قلة الحس اكثر من كثرته فقلته ادت ببعض الارواح الى الابتذال فمن آثار قلته عادات واعمال تخالف الانسانية لاخوف يزعجها ولافرح ولاشرف ولاتقوى يهزها فاذا تثاقلت يد المرء في تعاطي العمل وجف قلبه وساءت عاداته وجمد فؤاده يجيء مبتذلاً على نسبة قلة عواطفه وسرعة ذكائه وجودة مأتاه ومنزعه فالعقل لايعرف غير الحق فهو الانسانية الربانية تستحكم من القلوب فتدرك الالهيات وصالح الاعمال .

فالحس يقرب بين الشخصيات ويسيطر على العواطف فيجمع الناس في افراحهم ويشركهم بعضهم مع بعض في اتراحهم بل هو السلسلة التي تربط كلاً منا بالعالم كله فهو الموزع الجوهري بين الشخصيات . والافكار والاعمال نتيجة لازمة عنه وهو كذلك الصلات بين الافكار . اذا نقص فلا شيء يحدو نحو الكمال بل ان الكمال يفقد جملة ويجف معين العلم والصناعات والفضائل ويتعذر العلو وتفقد العشرة وتنحل ربط الاجتماع فلا احسان ولاشفقة . اذا فقد الحس تضعف الارادة ويبقى العلم ظلا زائلا ويفنى الذكاء . ولطالما رأينا علماء وهم بله مغفلون لواستقريت احوالهم تجد لافرق بينهم وبين حمر الخلائق لان العلم لم يرق فيهم الحس الرقيق الذي يمكنهم من معرفة مالا يقع مباشرة تحت حواسهم وهو قلما يتعلم في كتاب فالحس من ثم هو الحد الفاصل بين ان يجعل الرجل في مصاف كبار الرجال او في طبقة ضعاف المغفلين

واذا حيد باستعداد الطفل عن الجادة منذ صغره لايلبث ان يكون استعداده مبعث كثير من المفاسد واصل جم من الخطايا يوصل باحسن مافيه من مائية الى الاغصان الشرهة الطفيلية فتهلك الاغصان النافعة وتقوى دواعي الهوى والشهوات فقد قال بول بورجه : « تكاد تكون معظم الامراض العصبية ناشئة من اضطراب العشق ومبدأ كل هذا الاضطراب من رداءة التدبير الصحي الاخلاقي زمان البلوغ » فمن الحس تنشأ المطالب العالية والمطالب الدنيئة وهذه القوة اوهذا الاساس في كل قوة سواء كان في الخير او في الشر ينبغي ان لايترك وشأنه في الولد على حين هو لدن رخص الى الغاية فاذا هذب على ما يجب يكون منه ابطال وقديسون والا فلا اقل من اهل حشمة ووقار

واكثر مايكون مربياً للحس بيت العائلة والتربية الاصلية هي التي تجعل الولد على استقامة لاينالها من تربية اخرى وفي حب الوالدة ولدها معنى من معاني الظرف تصحب المرء الى قبره ولكم كانت عناية الام اكبر مخرج للرجال الاعاظم حتى قالت العقيلة نيكر دي سوسور « ان الحنان هو الحرارة الضرورية لتنمية الجراثيم السعيدة »

والمدارس الداخلية مضرة وهي لصغار السن جريمة و يتضرر البنات وهن سيصبحن ملائكة البيت بدخولهن المدارس الداخلية اذ يبتعدن عن الأسرة بل عن العالم و يفطم الولد من الحب ولايعرف غير جفاء النظام والعذاب المجرد وقلة مبالاة الادارة بامره. يتعذب ومامن احد يعنى به عناية حقيقية او يعرف ذوقه وميوله ولايجد حوله من يبوح اليه بذات نفسه فهو وحيد محروم من الهواء واحساسه يذبل ان لم نقل يفسد ولذلك كانت المدارس الداخلية في فرنسا لاتخلو من مفاسد تحت الاخلاق. وقد انتبه الانكليز لذلك فلم يعودوا يرسلون بناتهم الى المدارس الداخلية بل يجعلونهن في بيوت معلماتهن فيعشن بعيدات عن اهلهن ولكن عيشة الظرف والعطف ويسهر معلماتهن على اخلاقهن و ينجون من ادارة تسير على هواها كادارة الحبس فالافضل اختيار البيت لتربية الاولاد فيه فليس كالأسرة التي خرجنا منها وازع يحف طفولتنا بعنايته و يعلمنا الظرف واللطف والطهارة التي كتب فيها رينان الفيلسوف يقول : « اين يتعلم الطفل اوالفتى الطهر وصفاء السريرة اللذين هما اساس كل ادب راسخ و يدرك زهرة العواطف التي تكون ذات يوم بهجة للمرء ودقة الفكر التي هي ذات اشكال لاتدرك بالتصور ؟ أيتعلمها في الكتب وفي الدروس التي تلقى على مسامعه فيصغي اليها اوفي رسائل يستظهرها ؟ كلا انه لايتعلمها في شيء من ذلك بل يتعلم في الهواء الذي يعيش فيه والمحيط الاجتماعي الذي يصير اليه يتعلمها بحياته في أسرته ليس الا . »

فالحنان الآخذ بعنان الأسرة بمافيه من الانتباه والحب هو الذي يربي حس الطفل من نفسه بعيداً عن قلة الاهتمام والعدوى والحسد بعيداً منذ نعومة اظفاره عما يعبث به . ويجب ان لايدفع الاولاد للخادمين والخادمات فانهم يفسدونهم بضعف عقولهم وقلة عنايتهم حتى ان ولداً في الثالثة عشرة اصبح ابله بصنع خادمة ارادت تسكيته فوضعته في غرفة وأقفلت عليه الباب بضع دقائق حتى اذا فتحت الغرفة وجدته متشنجاً وقد عولج الولد فشفي الا انه بقي ابله طول حياته . فصح فينا ماقاله بلوتارك في القديم : « من الغريب اننا نرى الواحد منا يستخدم خادماً له في حرث ارضه وآخر لتنظيم داره وغيره

لادارة نفقته فاذ كان له خادم سكير لايستطيع عملا بعهد اليه بتربية ولده » ونحن كم عندنا من معلم ومعلمة خانهم الدهر فعمدوا الى اتخاذ التعليم حرفة وهم ليسوا على شيء من الاخلاق التي تطلب منهم لتربية خلق المتعلم فيرث الاولاد عيوبهم ونقائصهم واحياناً مفاسدهم بل يقتبسون دناءة النفس فيتجردون عن المطالب العالية النضيجة قبل ان يبلغوا السن اللازمة ٠

ولذلك وجب على الوالدين ان لايتخلوا لاحد عن ملاحظة اولادهم ففي الطفولية يتولون ذلك بانفسهم واثناء الدراسة يشرفون اشرافاً عليهم ولا يدفعونهم الا لمعلمين اكفاء على ان دلال الولد وملاطفته على الدوام قلما تنشيء رجالاً او نساء احرياء بالاعتبار لان رخاوة الحس على هذه الصورة تبعد بالولد عن تحمل المكاره والافراط بالعناية به تعده الى ان لايتوقع الا الدلال فالشاب يتطلب من الزوجة رفيقة لا أماً والشابة تنتظر ان تكون لعبة لا ملكاً ٠ وهذه العيوب تلحق الولد الوحيد في الغالب لان والديه يبالغان في دلاله ٠

واضر مايكون على الطفل الاغراق في قضاء رغائبه واعطاؤه من اللعب مالاتشتد حاجته اليه بل يكون من شأنه ان يعوده الاسراف والبذخ وخير من ذلك ان يعود الولد الحرمان والتقشف لان الشدة القليلة في التربية تدعو المربى الى الشجاعة ٠ عرف الاسبارطيون ذلك حق المعرفة وهذا هو السبب في ان الانكليز مازالوا محافظين على انواع الرياضات العنيفة وضرب السياط في المدرسة ٠ لاجرم ان ذلك يمنع رقة القلب الكاذبة ويعد من التأنث مما هو من العيوب حتى في النساء ٠

وينبغي ان لانكتم شيئاً عن الاولاد يطلبون السؤال عنه واذا كان ثمت مالايسوغ لم ابداؤه نعدهم بان نفصح عنه بعد حين فالجهل فيها ليس من الخير في شيء لان الجهل خطر كل حين وقد كتب المسيو نيكولاي يقول : « ان الاخلاق عبارة عن تعلم مجاهدة الشر لان يعقد الامل الخيالي بان يكبر الولد في سذاجة تامة في حين هو يعيش في الهواء الفاسد الذي تستنشقه »

فالتربية الحس القوي الذي يقاوم الصدمات يجب ان نجملها تمس الحياة عند بدء ظهورها والمدرسة مفيدة بهذا الباب لان الاخلاق تحاك فيها ولابأس بان يغادر الولد البيت ويسيح في الخارج فان ذلك مما يقوي فيه الارادة ويشد عزمه على العيش في الهواء الطلق في هذه الحياة

يجب ان يكون للحس نظام فقد كان علماء التربية حتى الآن يعتبرون الصناعات واسطة للتسلية لا نتيجة لها او الاعيب صبيان وهي في الحقيقة احسن تعويذة لان في مكنتها ان تجعل ابداً في الاحساس مساوقة ونظاماً وتحيله الى ادب غض اذا صح ان الاعتدال هو القصد لا في المآكل والمشرب بل في الفكر والعواطف هو اساس كل فضيلة فقد قال روسكين: ان معرفة الجميل هو الطريق الحقيقي بل هو الدرجة الاولى لمعرفة حقيقة الاشياء الجميلة فان الحياة والسرور بالجمال في عالم المادة هما من القسم الدائمة المقدسة في اعمال الخالق كما الفضيلة في عالم الافكار .

فمن الواجب كل الوجوب ان يجعل شعور الطفل منذ نعومة اظفاره يحتك بالجمال بوجه عام والفنون بوجه خاص وذلك لا في كتب يدرسها بل فيما يحيط به و يحف حوله وان يوقى النظر الى البشع كما يوقى النظر الى ماينافي الادب

يجب ان لا ينشأ الطفل و يتطلع حواليه الا و يجد الجمال في المسكن والجمال في المناظر فمن سيئات التمدن الحديث ان حرم ابناءه السكنى في بيوت وسط الغابات والاشجار وجعل مساكنهم متصلة بعضها ببعض بحيث لا تفتح النافذة الا لترى واجهة البناء المحاذي لك ولا يفتح الطفل عينه الا على ما هو منحط و بشع على حين يسهل ان نزين مسكننا فليس الجمال هو البذخ بل ان النظافة والنظام المدقق وانتقاء الاثاث والزهور و بعض النفائس والاعلاق في البيت تكفي في حمل الجمال الى مساكننا ولان تفتح لحياتنا اليومية على الدوام باباً يطل على عالم الخيال . والواجب ان يعنى بلباس الطفل على ماينبغي على اسلوب لا ينافي الاقتصاد ولا الظرف . نحن لا نقول كما يقول الفيلسوف كارلايل ان اللباس يوجد النفس الانسانية بل نقول بانه يرتبها و ينظمها . وعليه فالاحسن ان ينظر ايضاً في اختيار اللعب للطفل حتى لا يكون مما تتقزز منه النفس والاولى ان يعهد بصنع العاب الاطفال الى اناس من ارباب الذوق والتفنن على ما كانت عليه الحال في القرن السابع عشر والثامن عشر . و يجب ان لا تحرم المدرسة من مظاهر الجمال لان الطفل يقضي فيها شطراً مهماً من اوقاته واذ كان معظم الوالدين لا يستطيعون ان يجعلوا لاولادهم بيوتاً في الخلاء فالاجدر بالمدارس الثانوية ان تقيم مدارسها في الضواحي ليتيسر للاولاد ان يعودوا في المساء ليبيتوا في دور آبائهم . فقد كتب روسو ان البشر لم يخلقوا ليتجمعوا كما يتجمع النمل في التربة بل لينتشروا في الارض التي يحرثونها فنفس الانسان قتال لاخوانه . وهذه حقيقة لا مجاز والمدن هوة الجنس البشري

فعليك ان تبعث باولاد يجددون حياتهم بانفسهم وينشطون قواهم وسط الحقول ويستعيضون عن تلك القوى التي يضيعونها في الهواء القذر من الاماكن المأهولة كثيراً .

وهكذا يجب ان تكون المدارس الابتدائية في القرى والمدن في اماكن يتخللها الهواء والنور وان يستعاض عن الأدهان التي تطلى بها جدر المدارس بالسواد عادة بالوان زاهية تزيل الوحشة عن قلب الطفل فيستفيد من ذلك عقله وقلبه . واحر بان تكون جدران المدرسة مزينة بتحاسن نفيسة ومفروشة حجرها احسن فرش بحيث يكون الجمال عن ايمان الطفل وشماله وقدامه ووراءه ومن اجل هذا اختار بعض علماء التربية ان يربى الاطفال في حدائق خاصة بهم لينشأوا على التأمل في الكون والنظر في اسراره وبدائعه فالسماء تتعلم بالنظر فيها ولكنها لاتفيدنا بقدر ماتتعلم من الصغر من التأمل في عظمتها

يقتضي ان يطلع الطفل منذ صغره على ابدع ماتقشه النقاشون وصاغه الصائغون وبناه البناؤون وان نبتعد عن تدريسه تاريخ الصناعة لانه لايفهم منه شيئاً فيدخل الملل الى قلبه بل الاولى ان نشرح له الجمال فقط ونشعره بوجوده . فعلم الطفل ان يكون متفنناً لاان يتخذ الصناعات النفيسة حرفة له بل يجب ان يعلم اللازم منها حتى لايكون كما قال روسكين اكثر خجلاً اذا لم يحسن الغناء مما اذا كان لايعرف القراءة والكتابة لانه من الممكن كل الامكان ان يعيش المرء عيشة سعيدة ظريفة بدون كتاب ولاحبر ولكن قلما يتأتى ان لاتميل النفس الى الغناء اذا كان في يوم سعده . ولقد رأى اليونان هذا الرأي فكانوا يزعمون بان في تعليم الطفل الغناء بمدونه طول حياته بزاد ثمين من الحكمة والسرور دع عنك ان الغناء بالاشتراك مع الاصحاب هو آكد الطرق الى تعلم التضامن . ثم انه من النافع تعويد الطفل ان يرسم بقلم الرصاص اوالمنقش الاشكال والالوان الطبيعية فيتعلم بها الممارسة اللازمة للصناعات النفيسة ويعتاد النظام والتدقيق الذي يقود عواطفه بالطبع الى التنسيق والذوق فاذا ربي الحس على هذا الطرز يستعد للتخلق بالفضائل بتقوية الارادة وبدونها لايتأتى قيام شيء في عالم الفضيلة لان الارادة لاتوجد الميول والرغائب تتخير منها وهذا الميل ناشيء مثل كثير من الميول عن الحس الذي يعمل كل العمل فمن اللازم اللازب تقوية ميول الطفل الحسنة بتثقيف ارادته بدون ان يشعر

القدوة هي المربية في هذا الباب فهي تتسلط على الرجال فما اجدرها ان تكون كذلك للاولاد يسيرون في اعمالهم بسيرتها و ينهجون على الدهر نهجها فقد ذكروا ان فتاة اخذت في الشهر الخامس عشر من عمرها تقلد اباها في تقطيب حاجبيه وتعتاد عاداته في الغضب ولهجته في رفع صوته ثم تعلمت الفاظه في قلة الصبر والغضب وهكذا اصبحت تردد افعال ابيها كلها بعد السنة الثالثة · وقانون القدوة الذي هو عمل من اعمال الاقتداء والمحيط يعمل عمله في الحس كما يعمل في الذكاء فقد قال مونتسكيو : « من العادة ان يعلم الاب اولاده مايعلم كما ان من العادة ان يورثهم شهواته »

ولذا كان على الوالدين ان يراقبوا انفسهم في كل مايصدر عنهما بين أسرتهما وامام اولادهما و يبتعدا عن كل ما شأنه ان يحدث في الولد تأثيراً سيئاً في الافعال او الاقوال ونرى الناس لايبالون ان يأتوا امام الطفل مايفسده في فعاله ومقاله و يعلمه المفاسد كلها قبل ان يعرف ماهيتها · فالغضب وكلمات الكبر والعجب واللذات الشهوانية والوقيعة والكذب تعرض كل يوم امام عيني الطفل واذنيه فتشوه حسه وتفسد نفسه و يعتذر الابوان بان ابنهما لايفهم مايأتيان امامه وهو يدرك العيوب التي تمثل امامه على هذه الصورة و يتوهم بان الواجب يقضي بذلك و يوشك ان يسوء نظره على الدهر

و ياسعد من لم يره ابواه لانهما في الاكثر يدللانه دلالاً يفسده فلا ينتهرانه لتربية نفسه خوفاً من بكائه او ان يفقدوا ابتسامة موقتة فتسوء تربية الطفل والطفلة بصنع ابويهما وانالتهما كل رغائبهما وماذا يظنه الولد في نفسه متى رأى حواليه اناساً على اهبة تامة لسماع مايقوله والاعجاب به وتدليله واستحسان كل مايصدر من فمه و يصفقون تصفيق السرور لكل مايقوله مما يخالف الادب · فلو كان رجلا لما وسع عقله كل هذا التصفيق والاستحسان فما بالك به وهو طفل ·

ومن الناس من يسيرون على عكس هذه الخطة فيتناكدون الطفل في اقواله وافعاله و يغضبونه في عامة احواله و يعلمونه الحسد بما يستعملونه معه من ضروب التهديد الشديد الدائم الذي يروقهم تكراره وهذا من مفاسد التربية ايضاً ·

فعلى الوالدين ان يباعدا عن الطفل ما يرتكبه من المضرات في تربيته فلا يشتدان عليه ولا يرخيان له العنان بل تكون تربيتهما الى القصد فلا يمنعانه من لذائذه بكل مايطلب و يجيبانه من رغائبه الى كل مايشتهي فقد قيل من يحب كثيراً يعاقب كثيراً فتأنيب الطفل من اهم فروض الوالدين واكبر مظهر من مظاهر عنايتهما · والاولاد

كالام يعزون الصرامة ولا يحبون الا ما يحترمون · كل هذا بدون ان يخلوا ساعة من سرور ابنهما حتى يعيش ويكون تجليه سرورا طول حياته

قلنا ان الوالدين ينبغي ان يكونا خير قدوة لابنهما فهو لا يتأثر بالفضيلة الا اذا رآها ماثلة بالفعل امامه منذ نعومة اظفاره وكم من اناس لا يتطالون الى هذه الغاية لانهم عاشوا في وسط غير متمدن ومنهم من يحفظون حطة نفس ينم عليها تبذل اخلاقهم ومعلوم ان لهذه تأثيراً في القلب وهكذا الحال في كل الفضائل فاذا شاهدها الطفل اليوم بعد الآخر يتشربها وتطمح نفسه الى ان يأتيها بذاته · فمن ابوين حرين ينشأ طفل مخلص ومن اب محتشم يكون الولد عفيفاً ومن امرة طاهرة يخلق الولد نقياً تقياً · فالعدوى في هذا الباب اشد فعلاً في الطفل من قانون الوراثة وان للحركات والسكنات افعالا في خلقة الطفل وخلقه ولذلك وجب ان تصدر عن النفس دائمة لا متقطعة

وكما يقضي على الابوين ان يكونا خير قدوة لابنهما يجب عليهما ان يبذرا في نفسه البذور الصالحة وذلك بان ينميا فيه حب الذات اوالاعجاب باحسن مافيه فليس احسن في التربية من ان يشعر المربى من نفسه بخجل عما اتاه فليس الاولى البعد عن مكافحة حب الذات بل المناسب تنميته على النحو اللائق وتسييره الى وجهة الكمال فمن دواعي التربية وضع الثقة في نفس من تربيه فالاديان تدعو منتحليها الى الايمان فمن الضروري كما يقول بعض علماء الاخلاق ان يؤمن المرء بقوته الخاصة بمعزل عن معونة خارجية فاقل شك يطرأ علينا يبتلينا بالعقم وينضب مادتنا ويحول دون انبجاس ارادتنا القوية

وكما تحافظ على حرمة الولد عليك ان تربيه على حرمة غيره وان تعرفه بها بان تضرب على العرق الحساس فيه فاذا احببت ان تلقنه معنى الاحسان فاعرض عليه مصائب الناس وقارنها بما يشعر به من هذا القبيل · و يغلط الوالدان اللذان يخفيان عن ابنهما شقاءهما كأنه رذيلة من الرذائل مع ان الفقر احسن مدرسة لتعليم الطفل الذي ولد في الرفاهية حتى لا يعتبرها بانها واجبة اومضمونة وتنبه فيه الشعور بالشفقة · فمن النافع ان يعرف منذ طفوليته ان من الناس من خانهم سوء الطالع ليعتاد التحنن عليهم والاسراع الى اغاثتهم

وتحتاج في تربية الحس ليأتي بثمرات جنية الى ان توقد جذوته بالتحميس ليعمل الاعمال العظيمة فالواجب ان يلقن الطفل بين العاشرة والحادية عشرة من سنه الولوع بغاية سامية ارقى مما يقع تحت نظره كل يوم وبذلك تتغذى روحه وينتفع بما لديه من القوى والمواد · وخير ماينفع في هذا الشأن النظر في انواع التعليم كالعلوم وتاريخ

الفنون والآداب فالتعليم اعظم . بما يربي ميول الطفل ويعده لان يكون من كبار الرجال ويربأ به عن الانغماس في حمأة المصالح المبتذلة . فالتعليم لا يقوم بوظيفته اذا لم يكن فيه مايوسع معارفنا بل يوقد شعلتها بتوجيهها نحو الحق والجمال والخير واساس ذلك التحمس في الانسان

ولا يكتفى في تعلم تاريخ الصناعات والآداب بعرضها وتحليلها بل الواجب ان يعلمها الطفل في اللوحات والهياكل والمصانع والشعر والقصص والخطب فهي لا تأخذ مكاناً من قلبه ويتحمس بها الا بذلك . يعرض عليه ذلك بالعمل ويشرحه المعلم فالتعليم الادبي والصناعي مهما بلغ من غنائه لا يتيسر تلقينه بدون قطع تشرح السر فيه كالتشريح لا يستفيد منه المتعلم اذا لم تكن امامه جثة . فعلينا ان نبتعد عن التحليلات التي لا مستند لها من الحقيقة لانها بقطع النظر عما فيها من الضرر اللاحق بالذهن تعود المرء على العمل بالفارغ وهي خالية من تأثير في الحس فمن واجب الاستاذ ان يطلع تلميذه على مقاصد المؤلفين ويشرح لهم عواطفهم على صورة تمثل فيها الحياة والشعور وتبعث في روحه احتذاء مثالهم وبذلك لا يكون من تعليم الفنون والآداب فتح السبل التي يفيض منها حس المتعلم بل ان حسه اذا تجمع على هذا النحو تزيد قوته وصفاؤه وتنبع منه ينابيع لا تجف طول الحياة

يقول بعضهم ان التربية العلمية الصرفة تجعل الذوق قاحلا ولكن ربما كان العلم يتطلب قوة في التحمس كما تتطلب الفنون والآداب من الصانع والكاتب فالبحث عن الحقيقة يستدعي اخلاصاً شديداً كالنظر في الجمال . والمرء كما يقول باسكال اقل سكراً باستحصال تركيب الطبيعة وما فيه من اللانهاية منه في ايجاد شيء من تصوره . فالذين يصرفون حياتهم في البحث ليسوا اقل قوة ممن يخترعون افكاراً من نفوسهم

قال كلود برنارد : « ان الرغبة الشديدة في المعرفة هي الباعث الوحيد الذي يجذب الباحث ويعضده في اعماله وهذه المعرفة هي التي يكبها فتفر امامه على الدوام وتكون في الوقت نفسه عذابه الوحيد وسعادته الوحيدة فمن لا يعرف كيف يقاسي المرء العذاب من اجل الحصول على مجهول لا يعرف الافراح التي تصيبه عند اكتشاف الجديد وهي افراح لا يدانيها شيء في العالم » للحقيقة كما للجمال بهاء وجلال ولذلك كم فائدة تكون للحس ولارتقاء العلوم في المستقبل ان يكشف عنها القناع امام اعين من يعلمهم الا انه

يجب لاشراك التلامذة في البحث ان تكور لهم تلك الحقائق ويطلب منهم ان يبحثوا بانفسهم وان يوفر لهم قسطهم من السرور باكتشافها فيطلعون عَلَى مقدمات العلوم والاكتشافات العظيمة ويشوقهم الى احتذاء مثال من جاهدوا جهاد الابطال امام قوى الطبيعة حتى تبطنوا اسرارها فاذا حمي وطيس البحث ينشأ فيهم حب الغاية المنشودة كما ان من يبدأ باللعب ويكون ضعيفاً لاول امره لايلبث ان تنبعث له همته ويزيد لبلوغ الغاية غرامه . وهذا يستدعي لتعليم الآداب ان يجعل التلميذ مع اتصال بالحقيقة والطبيعة التي هي ميدان درس العالم بدلا من حصره في مآزق تبعث نفسه عَلَى المقس والتأفف في حين كان يجب ان تذكي فيها شعلة حب العلم فقد قال الفيلسوف رنان : « انما نشبه بالقديسين والابطال وكبار الرجال في كل عصر وجيل اهل الاخلاق العلية الذين وقفوا انفسهم خاصة للبحث عن الحقيقة غير مبالين بالمال بل ربما فاخروا بفقرهم وابتسموا لما يقدم اليهم من التكريم وتساوى في نظرهم المدح والقدح وهم عَلَى ثقة فيما يعملون سعداء لان لهم الحقيقة » ولاسبيل الى نشر ماتعبت به عقول نوابغ الارض في العلم والآداب والصناعات الا عَلَى ايدي اساتذة جهابذة وبغير ذلك لايرتقي الحس .

والتعليم الديني نافع جداً في تربية الحس فقد قال جبرائيل كومبايري : « باعد عن الجنس البشري الاعتقاد بعالم اخروي ارقى مما هو فيه فانك تسلبه بطبيعة الحال جزءاً من القوى اللازمة للتخلق بالفضيله فاذا لم يكن هذا العالم الا خلاء واسعاً يضيع فيه صوت الانسانية في الفراغ بدون ادنى قوة عاملة تضمن للعدل نصرة ابدية فالانسانية معرضة للسقوط في حياة سافلة لاستهوائها وافتتانها بالمفاسد ومايتسرب اليها من مغريات الملاذ المادية » وسواء علم الناس التعليم الديني او لم يعلموه فمن الثابت ان الخرافات تقوى بضعف الاديان ولقلة العناية بنقد الدين ولكنه لايضمحل فالواجب تلقين الطفل لباب الدين لا الحشو ولا اللغو ليشب عَلَى المعقول والتشبث باذيال الجوهر بعيداً عن التعصب وصغر العقل فقد قال فكتور هوغو : « ان ما يخفف الالم ويغرس التقوى والقوة والعقل والصبر والطهر والحرية في الانسان هو ان ينظر عَلَى الدوام الى عالم احسن مما هو فيه يلمع من خلال ظلمات هذه الحياة »

المقتبس

الدرر الكامنة

ليس احسن من تراجم الرجال للوقوف على حال السياسة والاجتماع في عصر من العصور ففي جملة ماطبع من كتب التراجم والطبقات كتاب خلاصة الاثر في تراجم اهل القرن الحادي عشر للمحبي المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي المتوفى سنة ١٢٣٣ ولم تطبع تراجم اعيان القرن الثامن والتاسع والعاشر وان كان مثل السبكي في طبقاته والصلاح الكتبي في وفياته قد تعرضا لبعض المترجمين في الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لحافظ عصره قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني الاصل المصري والضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ وان لم يدركا من الرجال من جاء بعد ممن ذكرهم صاحب الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة النجم الغزي المتوفى سنة ١٠٦١

وها نحن نتكلم على «الدرر الكامنة» وسنعقبه في الجزئين التاليين بالكلام على الضوء اللامع والكواكب السائرة .

جاء في كشف الظنون : الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لشهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة مجلد ضخم اوله الحمد لله الذي يحيي ويميت الخ جمع فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الاعيان مرتباً على الحروف ذكر في آخره انه فرغ منه في شهور سنة ٨٣٠ ثلاثين وثمانمائة ولم يكمل الغرض لبقايا من التراجم في الزوايا ثم اختصره جلال الدين السيوطي في مجلد ولابن المبرد ايضاً مختصره

اما الكتاب الذي نحن بصدده فمنه في دمشق مخطوط (١) قديم بخط ابراهيم البقاعي مهمل غير معجم وتعسر في الاحايين قراءته وهو في مجلد ضخم من القطع الكبير قال في مقدمته : « اما بعد فهذا تعليق مفيد جمعت فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية من ابتداء سنة احدى وسبعمائة الى آخر سنة ثماني مائة من الاعيان والعلماء والملوك والامراء والكتاب والوزراء والادباء والشعراء وعنيت فيه برواة الحديث النبوي فذكرت من اطلعت على حاله واشرت الى بعض مروياته اذ الكثير منهم شيوخ شيوخي وبعضهم ادركته ولم ألقه وبعضهم لقيته ولم اسمع منه وبعضهم سمعت منه وقد استمددت في هذا الكتاب من اعيان العصر لابي الصفا الصفدي ومجاني العصر لشيخ شيوخنا ابي حيان وذهبة العصر لشهاب الدين ابن فضل الله وتاريخ مصر لشيخ شيوخنا الحافظ قطب الدين الحلبي وذيل سير النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي وذيل ذيل المرآة للحافظ علم الدين البرزالي والوفيات للعلامة تقي الدين ابن رافع والذيل عليه للعلامة شهاب الدين ابن حجي وماجمعه صاحبنا تقي الدين المقريزي في اخبار الديار المصرية وخططها ومعاجم كثير من شيوخنا والوفيات للحافظ ابي الحسين بن ايبك الدمياطي والذيل عليه لشيخنا الحافظ ابي الفضل بن الحسين العراقي وتاريخ غرناطة للعلامة لسان الدين ابن الخطيب والتاريخ للقاضي ولي الدين ابن خلدون المالكي الى غير ذلك وبالله الكريم عوني واياه اسأل عن الخطإ صوني انه قريب مجيب . »

وهذا المجلد في ٢٦٧ ورقة مرتب على حروف المعجم يميل فيه المؤلف الى الاختصار وفيه من تراجم المشاهير ترجمة ابي جعفر ابن الزبير والشهاب الاذرعي وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن فضل الله العمري وعماد الدين ابن كثير وابن الوردي وابن الشهاب محمود وابن المطهر الشيعي والصلاح الصفدي والعلائي والطوفي وابن خطيب داريا وابن عقيل وابن القيم وبرهان الدين القيراطي وابن هشام وابن رجب وابن جماعة والتاج السبكي والاردبيلي والتقي السبكي والسلطان محمود غازان والحافظ البرزالي وابن الاكفاني والحافظ الذهبي وشيخ الربوة ولسان الدين ابن الخطيب والخطيب القزويني والكمال ابن الزملكاني وابن دقيق العيد والبدر البلقيني وابن الوكيل وابن سيد الناس وابن نباتة وابن الحاج وابن المكرم والشمس القونوي وابو حيان الاندلسي وقطب الدين الشيرازي والبازري والحافظ المزي وغيرهم ممن كانوا غرة ذلك القرن

(١) في خزانة كتب الشيخ اسمعيل الميداني من بيت علم مذكور في دمشق

كما ان فيه من الخاملين ممن لا نسقط لهم على تراجم ولو مختصرة الا في هذا السفر ومن اعظم ما يلفت نظرك في هذا الكتاب روح التعصب التي كانت مستحوذة في ذاك العصر ايام كان يقتل كل من يخالف الجمهور في فكر او مذهب فتقرأ فيه صورة مكبرة من حال ذاك القرن الذي استولت فيه على هذه البلاد الجراكسة والتتار ممن اصبحوا أعوبة في ايدي المتعصبة من رجال الدين وهاك ما قاله في ترجمة اسمعيل بن سعيد الكردي المقري المصري « تفقه وتمهر في القراآت والفقه والعربية وكان طلق العبارة سريع الجواب حسن التلاوة يدري الحاوي والحاجبية ويحفظ الكثير من التوراة والانجيل رمي بالزندقة بسبب انه كان كثير الهزل وحفظت منه كلمات قبيحة حتى صار يقال له اسمعيل الكافر واسمعيل الزنديق وطلب الى تقي الدين الاخنائي وادعي عليه بخلط في كلامه فسجن فجاءه شخص من الصالحين فاخبره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له قل : للاخنائي يضرب رقبة اسمعيل فانه سب اخي لوطاً فاستدعى به واعد مجلساً وأقيمت عليه البينة بامور معضلة فامر به فقتل بحكم المالكي بن التنصرين في السادس والعشرين من صفر سنة عشرين وسبعمائة نقلته من خط القطب وذكر انه حضر ذلك وقال كان قد نظر في المنطق فدخل في كلام لافائدة فيه فضبط عليه . وقرأت في تاريخ موسى بن محمد اليوسفي انه كان مشهوراً بالعلم بين الفقهاء وله فضيلة مشهور في الادب » قلنا وافجع بعصر يقتل فيه العالم عقيب رؤيا يراها احد ارباب الخيال .

وممن ضربوا على الزندقة « ناصر بن ابي الفضل بن اسمعيل المقري الصالحي ولد سنة ٦٦٦ ونشأ جميلا جداً وكان صوته مطرباً فكان يقرأ في الختم والترب وحفظ التنبيه ثم صحب الباجربقي محي فصار يقع منه كلمات معضلة وسلك سبيل التزهد ودخل الى بغداد مع ركب العراق فيقال انهم نقموا عليه شيئاً وهموا به فتوجه الى ماردين ثم فر منها الى حلب فجرى على عادته في الشطح فانكر عليه كمال الدين بن الزملكاني وهو يومئذ قاضي حلب فقبض عليه وارسله مقيداً الى دمشق فقامت عليه البينة عند القاضي شرف الدين المالكي فاعذر اليه فما ابدى عذراً بل تشهد وصلى ركعتين وجهر بتلاوة القرآن ثم ضربت عنقه وذلك في ربيع الاول سنة ٧٢٦ ويقال انه انشد حين قدم ليقتل

ان كان سفك دمي أقصى مرادهم فما غلت نظرة منهم بسفك دمي

وقال ابن حبيب قلت فيه لما قتل

يا ايها الهيتي هيت الى الردى كم تجتري بلسان خب هالك

ارسلت من حلب لجلق موثقا ونقلت بعد الشافعي لمالك

وفي الحاشية بخط ابن حيان البقاعي : قال ابن كثير ضربت عنقه بسوق الخيل على كفره واستهتاره بآيات الله وشركه وصحبته الزنادقة كالنجم ابن خلكان والشمس محمد الباجربقي وابن العمار البغدادي قال الشيخ علم الدين : وحضر قتله العلماء والاكابر وارباب الدولة وكان يوماً مشهوداً اعز الله فيه الاسلام (!) واذل فيه الزنادقة واهل البدع وقد شهدت مهلكه وكان شيخنا ابن تيمية ايضاً حاضراً يومئذ وقد أنبه وقرعه على ما كان يصدر منه اه .»

وقال في ترجمة السكاكيني ما نصه : « محمد ابن ابي بكر بن ابي القاسم الهمداني ثم الدمشقي السكاكيني الشيعي ولد سنة ٦٣٥ بدمشق طلب الحديث وتأدب وسمع وهو شاب ابن اسمعيل العراقي والرشيد بن المسلمة ومحمد بن علام في آخرين وتلا بالسبع روى عنه البرزالي والذهبي وآخرون من آخرهم ابو بكر بن المحب وبالاجازة شيخنا برهان الدين التنوخي . وأقعد في صناعة السكاكين عند شيخ رافضي فأفسد عقيدته فاخذ عن جماعة من الامامية وله نظم وقصائد وورد على العفيف التلمساني في الاتحاد وام بقرية جسرين مدة وام بالمدينة النبوية عند اميرها منصور بن جماز (؟) ولم يحفظ عنه سب في الصحابة بل له نظم في فضائلهم الا انه كان يناظر على القدر وينكر الجبر وعنده تعبد وسعة علم قال ابن تيمية : هو ممن يتسنن به الشيعي ويتشيع به السني . وقال الذهبي : كان حلو المجالسة ذكياً عالماً فيه اعتزال وينطوي على دين واسلام وتعبد سمعنا منه وكان صديقاً لابي وكان ينكر الجبر ويناظر على القدر ويقال انه رجع في آخر عمره ونسخ صحيح البخاري ووجد بعد موته بمدة في سنة خمسين وسبعمائة بخط يشبه خطه كتاب يسمى الطرائف في معرفة الطوائف يتضمن الطعن على دين الاسلام واورد فيه احاديث مشكلة وتكلم على متونها تكلم عارف لما يقول الا ان واضع الكتاب يدل على زندقة فيه وقال في آخره وكتبه مصنفه عبدالحميد بن داود المصري وشهد جماعة من اهل دمشق انه خطه فاخذه تقي الدين السبكي عنده وقطعه في الليل وغسله بالماء ونسب اليه عماد الدين ابن كثير الابيات التي اولها

ايامعشر الاسلام ذمي دينكم الابيات ومات السكاكيني في صفر سنة ٧٢١ » وفي الحاشية وجزم ابن كثير ان الكتاب الدال على الزندقة خطه وقال : ان فيه انتصاراً لليهود واهل الاديان الفاسدة قال ولما مات لم يشهد دفنه القاضي شمس الدين بن مسلم ودفن

بسفح قاسيون وقتل ابنه فيما بعد على قذف أُمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضي الله عنهما ٠

وتراجم مثل السكاكيني تؤخذ عن امثال الحافظ الذهبي وكفاه فضلا ان مثل الذهبي والبرزالي يعدان من مفاخرهما الاخذ عنه وآثار التعصب والحقيقة لاتخفى على من قرأ العبارة الاخيرة ٠ وقال في ترجمة « علي بن الحسن بن ابي الفضل بن جعفر بن محمد ابن كثير الحلبي الرافضي قدم دمشق واقام بها سنوات فاتفق انه شق الصفوف والناس في صلاة جنازة بالجامع الاموي وهو يعلن بسب من ظلم آل محمد فنهره عماد الدين بن كثير وأغرى به العامة وقال ان هذا يسب الصحابة فحملوه الى القاضي تقي الدين السبكي فاعترف بسب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فعقدوا له مجلساً فحكم نائب المالكي بضرب عنقه تعزيراً وزجراً بعد ان كررت عليه التوبة ثلاثة ايام فاصر فضربت عنقه بسوق الخيل وحرق العوام جسده وذلك في جمادى الاولى سنة سبعمائة وخمس وخمسين »٠

ومن انعم النظر في تراجم من قتلوا يتضح له انهم كانوا على جانب عظيم من العقل والعلم وان اكثر ماروي عنهم متقول عليهم ليجدوا السبيل الى اقناع العامة والحكام لازهاق ارواحهم

وفي الدرر عدة تراجم من هذا القبيل تدل على انحطاط في ذاك العصر وان الناس كانوا يعمدون للتشفي ممن يحبون الى استفتاء القاضي المالكي لان مذهب مالك يقضي بان يكون التعزير بالقتل او بالحبس والتشهير كما وقع لاحمد بن محمد مري البعلي الحنبلي من اشياع ابن تيمية فرفعوا امره الى القاضي المالكي بالقاهرة « فضرب به ضرباً مبرحاً بحضرته حتى ادماه ثم شهره على حمار اركبه مقلوباً ثم نودي عليه هذا جزاء من يتكلم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكادت العامة تقتله ثم اعيد الى السجن »

ومثل ماوقع لاحمد بن محمد البقفي المصري الاديب العالم فضربوا عنقه بامر القاضي المالكي بالطبع لانه بدت منه كما قيل امور تنبئ بانه مستهزئ بامور الديانة وانه منحل مستحل المحرمات ٠

ومثل ماوقع لاحمد بن محمد بن اسمعيل الحلبي الاديب المتصوف فضبطت عليه الفاظ موبقة فرفع امره الى الحاكم بحلب فحكم القاضي المالكي صدر الدين الدميري بسفك دمه فقتل وهو القائل

اذا نلت المنى بصديق صدق فكان وداده وفق المراد

فحاذر ان تعامله بقرض فان القرض مقراض الوداد

ومثله اسمعيل الكردي واحمد الروسي وعثمان الدكالي وفضل الله ابن اليهودي ومحمد الباجربقي وعلي بن الحسن الرافضي وغيرهم ممن ذهبوا شهداء قضاة المالكية والمتعصبة من العامة وبعضهم كانوا في مظهر علماء وهم الذين اوصلوا الامة الى هذه الدرجة من الافكار والتصور ·

ومن الغريب انهم كانوا يخوفون حتى من كان على رأيهم من الفقهاء والعلماء فقد ذكر ابن حجر في ترجمة العلاء ابن العطار ان الشيخ شمس الدين النقيب وغيره تكلم في فتاوى تصدر من ابي الحسن بن العطار وادعوا ان فيها تخبيطاً ومخالفة لمذهب القاضي واجتمعوا عند بعض الحكام فبادر جماعة من محبي الشيخ علاء الدين فقالوا له انهم هيأوا شهادات يشهدون عليك بها تخارت قوته وبادر الى الحنفي وصدرت علية دعوى فحكم باسلامه وحقن دمه وبقاء جهاته عليه !!!

وها نحن اولاء ننقل ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية لانها تصور لك مزية هذا الكتاب وهي خير ترجمة عثرنا عليها بل تصور لك ذاك العصر الذي كثر فيه تعذيب العلماء قال ابن حجر رحمه الله : « احمد [١] بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله ابن ابي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين ابو العباس بن شهاب الدين ابن مجدالدين ولد سنة ٦٦١ وتحول به ابوه من حران سنة ٦٧ فسمع من ابن ابي عبد الدائم والقاسم الاربلي والمسلم ابن علان وابن ابي عمر والفخر في آخرين وقرأ بنفسه ونسخ سنن ابي داود وحصل الاجزاء ونظر في الرجال والعلل وتفقه وتمهر وتميز وتقدم وصنف ودرس وافتى وفاق الاقران وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

واول ماانكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الاول سنة ٦٩٨ قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحموية [٢] وبحثوا معه ومنع من الكلام ثم حضر مع القاضي امام

(١) ساعدنا صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي على استخراج بعض مبهمات وقعت في خط البقاعي والتعليق عليها فنشكر فضله

(٢) المقتبس : طبعت في مصر ضمن الرسائل الثانية والعشرين ومعها رسالة له في اجوبته عما اعترض به عليه

الدين القزويني فانتصر له وقال هو واخوه جلال الدين : من قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً عزرناه

ثم طلب ثاني مرة في سنة خمس وسبعمائة الى مصر فتعصب عليه بيبرس الجاشنكير وانتصر له سلار [1] ثم آل امره الى ان حبس في خزانة البنود مدة ثم نقل في صفر سنة تسع الى الاسكندرية ثم أفرج عنه، وأعيد الى القاهرة ثم أعيد الى الاسكندرية

ثم حضر الناصر من الكرك فاطلقه ووصل الى دمشق في آخر سنة ٧١٢ وكان السبب في هذه المحنة ان مرسوم السلطان ورد على النائب بامتحانه في معتقده لما وقع اليه من امور تنكر في ذلك فعقد له مجلس في سابع رجب فسئل عن عقيدته فاملى منها شيئاً ثم احضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فقرئ منها وبحثوا في مواضع ثم اجتمعوا في ثاني عشره وقرروا الصفي الهندي يبحث معه ثم أخروه وقدموا الكمال الزملكاني ثم انفصل الامر عَلَى انه أشهد عَلَى نفسه انه شافعي المعتقد (كذا) فاشاع اتباعه انه انتصر فغضب خصومه ورفعوا واحداً من اتباع ابن تيمية الى الجلال القزويني نائب الحكم بالعادلية فعزره وكذا فعل الحنفي باثنين منهم

ثم في ثاني عشرين رجب قرأ المزي فصلاً من كتاب افعال العباد [2] للبخاري في الجامع فسمعه بعض الشافعية فغضب وقال : نحن المقصودون بهذا ورفعوه الى القاضي الشافعي فامر بحبسه فبلغ ابن تيمية فتوجه الى الحبس فاخرجه بيده فبلغ القاضي فطلع الى القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب فاشتط ابن تيمية عَلَى القاضي لكون نائبه جلال الدين آذى اصحابه في غيبة النائب فامر النائب من ينادي : ان من تكلم في العقائد فعل به كذا . وقصد بذلك تسكين الفتنة

ثم عقد له مجلس في سلخ رجب وجرى فيه بين ابن الزملكاني وابن الوكيل مباحثة فقال : ابن الزملكاني لابن الوكيل ماجرى عَلَى الشافعية قليل حتى تكون انت رئيسهم . فظن القاضي نجم الدين ابن صصرى انه عناه فعزل نفسه وقام فاعاده الامراء وولاه النائب وحكم الحنفي بصحة الولاية ونفذها المالكي فرجع الى منزله وعلم ان الولاية لم تصح فصمم عَلَى العزل فرسم النائب لنوابه بالمباشرة الى ان يرد امر السلطان

(١) سلار كان اكبر نواب الملك الناصر وكان في الدولتين الصالحية والظاهرية اي اكبر الوزراء، ويقال ان دخله في كل يوم مائة الف درهم

(٢) طبع في الهند في مجموع فيه اربعة كتب

ثم وصل بريدي في اواخر شعبان بعوده ثم وصل بريدي في خامس رمضان يطلب القاضي والشيخ وان ارسلوا بصورة ماجرى للشيخ في سنة ٦٩٨ ثم وصل مملوك النائب واخبر ان الجاشنكير والقاضي المالكي قد قاما في الانكار على الشيخ وان الامر اشتد بمصر عَلَى الحنابلة حتى صفع بعضهم ثم توجه القاضي والشيخ الى القاهرة ومعهما جماعة فوصلا في العشر الاخير من رمضان وعقد مجلس في ثالث عشر به بعد صلاة الجمعة فادعي على ابن تيمية عند المالكي فقال : هذا عدوي ولم يجب عن الدعوى فكرر عليه فامر فحكم المالكي بحبسه فأقيم من المجلس وحبس في برج ثم بلغ المالكي ان الناس تتردد اليه فقال : يجب التضييق عليه ان لم يقتل والا فقد ثبت كفره [١] فنقلوه ليلة عيد الفطر الى الجب وعاد القاضي الشافعي عَلَى ولايته ونودي بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الحنابلة . فنودي بذلك وقرئ المرسوم قرأه ابن الشهاب محمود في الجامع ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها واشهدوا على انفسهم انهم على معتقد الامام الشافعي (؟)

(١) في محاكمة الاحمدين ومازال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يبتلون في الله تعالى ويصبرون وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون واهل الخير في الامم السالفة يقتلون ويحرقون وينشر احدهم بالمنشار وهو ثابت عَلَى دينه وقد سم ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسم الحسن وقتل الحسين وابن الزبير وصلب حبيب بن عدي وقتل الحجاج عبد الرحمن ابن ابي ليلى وسعيد بن جبير وغيرهما وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربعمائة سوط ثم قتله وسعيد ابن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شات والبس جبة صوف وخبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد مائة سوط وذلك انه حدث عن النبي صلى الله عليه تعالى عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا فكان عمر اذا قيل له ابشر قال : كيف بخبيب عَلَى الطريق وابو عمرو بن العلاء ضربه بنو امية خمسمائة سوط والامام موسى الكاظم سجنه هرون حتى مات والامام ابو حنيفة توفي في السجن بعد ان ضرب وقيل انه جرع سماً والامام مالك بن انس ضربه المنصور ايضاً سبعين سوطاً في يمين المكره وكان يقول لا يلزمه اليمين والامام احمد امتحن وسجن وضرب في ايام بني العباس وللشيخ ابن تيمية في هؤلاء الائمة أسوة .

وذكر ولد الشيخ جمال الدين ابن الظاهري في كتاب كتبه لبعض معارفه بدمشق ان جميع من بمصر من القضاة والشيوخ والفقراء والعلماء والعوام يحطون على ابن تيمية الا الحنفي فانه يتعصب له والا الشافعي فانه ساكت عنه وكان من اعظم القائمين عليه الشيخ نصر المنبجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن العربي فكتب اليه كتاباً يعاتبه على ذلك فما اعجبه لكونه بالغ في الحط على ابن العربي وتكفيره فصار هو يحط على ابن تيمية ويغري به بيبرس الجاشنكير · وكان بيبرس يفرط في محبة نصر ويعظمه

وقام القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية مع الشيخ نصر وبالغ في أذية الحنابلة · واتفق ان قاضي الحنابلة شرف الدين الحراني كان قليل البضاعة في العلم فبادر الى اجابتهم في المعتقد واستملوه خطه بذلك واتفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين ابن الحريري انتصر لابن تيمية وكتب في حقه محضراً بالثناء عليه بالعلم والفهم وكتب منه بخطه ثلاثة عشر سطراً من جملتها انه : « منذ ثلثمائة سنة مارأى الناس مثله » فبلغ ذلك ابن مخلوف فسعى في عزل ابن الحريري فعزل وقرر عوضه شمس الدين الاذرعي ثم لم يلبث الاذرعي ان عزل في السنة المقبلة وتعصب سلار لابن تيمية واحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وتكلم معهم في اخراجه فاتفقوا على انهم يشترطون معه شروطاً وان يرجع عن بعض العقيدة فارسلوا اليه مرات فامتنع من الحضور اليهم واستمر

ولم يزل ابن تيمية في الجب الى ان شفع فيه مهنا امير آل فضل فأخرج في ربيع الاول في الثالث والعشرين منه وأحضر الى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء وكتب عليه محضر بانه قال : انا أشعري ثم وجد[1] خطه بما نصه : الذي اعتقد ان القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديم وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وان قوله الرحمن على العرش استوى ليس على ظاهره ولا اعلم كنه المراد بل لايعلمه الا الله والقول في النزول كالقول في الاستواء وكتبه احمد بن تيمية

ثم اشهدوا عليه انه تاب مما ينافي ذلك مختاراً وذلك في خامس عشرين ربيع الاول

(١) المقتبس : في هذه الوجادة نظر لان ابن تيمية قد ملأ الدنيا بفتاويه وهو في محنه التي تخالف مايقوله خصومه كما يعلمه من راجع فتاويه المصرية التي طبع منها ثلاث مجلدات

سنة سبع وسبعمائة وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم وسكن الحال وأفرج عنه وسكن القاهرة

ثم اجتمع جمع من الصوفية عند تاج الدين ابن عطاء فطلعوا في العشر الاوسط من شوال الى القلعة وشكوا ابن تيمية انه يتكلم في حق مشايخ الطريق وانه قال لايستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم فاقتضى الحال ان أمر بالمسير الى الشام فتوجه عَلَى خيل البريد وكل ذلك والقاضي زين الدين ابن مخلوف مشتغل بنفسه بالمرض وقد اشرف عَلَى الموت وبلغه سفر ابن تيمية فراسل النائب فرده من بلبيس وادعى عليه عند ابن جماعة وشهد عليه شرف الدين ابن الصابوني وقيل ابن علاء الدين القونوي ايضاً شهد عليه فاعتقل بسجن حارة الديلم في ثامن عشر شوال الى سلخ صفر سنة تسع وسبعمائة فنقل عنه ان جماعة يترددون اليه وانه يتكلم في نحو ماتقدم فامر بنقله الى الاسكندرية فنقل اليها في سلخ صفر وكان سفره صحبة امير مقدم ولم يمكن احداً من جهته من السفر معه وحبس ببرج شرقي ثم توجه اليه بعض اصحابه فلم يمنعوا منه فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة وكان موضعه فسيحاً فصار الناس يدخلون اليه ويقرؤون عليه ويبحثون معه • قرأت ذلك في تاريخ البرزالي فلم يزل الى ان عاد الناصر الى السلطنة فشفع فيه عنده فامر باحضاره فاجتمع به في ١٨ شوال سنة تسع فاكرمه وجمع القضاة واصلح بينه وبين القاضي المالكي فاشترط المالكي ان لايعود فقال له السلطان : قد تاب • وسكن بالقاهرة وتردد الناس اليه الى ان توجه صحبة الناصر الى الشام بنية الغزاة في سنة ١٢ وذلك في شوال فوصل دمشق في مستهل ذي القعدة فكانت مدة غيبته عنها اكثر من سبع سنين وتلقاه جمع كثير فرحاً بمقدمه وكانت والدته اذ ذاك في قيد الحياة

ثم قاموا عليه في شهر رمضان سنة ١٩ بسبب مسألة الطلاق واكد عليه المنع من الفتيا ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة عشرين ثم حبس بالقلعة ثم أخرج في عاشوراء سنة احدى وعشرين ثم قاموا عليه مرة اخرى في شعبان سنة ٢٦ بسبب مسألة الزيارة واعتقل بالقلعة فلم يزل بها الى ان مات في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨

قال الصلاح الصفدي : كان كثيراً ماينشدني :

تموت النفوس باوصابهـــا ولم يدر عوادهـــا مابهـــا
وما انصفت مهجة تشتكي أذاها الى غير احبابهـــا

وكان ينشد كثيراً :

من لم يقد ويدس في خيشومه　　رهج الخميس فلن يعود خميسا

وأنشد له على لسان الفقراء :

والله مافقرنا اختيار　　وانما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى　　واكلنا ماله عيار
تسمع منا اذا اجتمعنا　　حقيقة كلها فشار

وسرد اسماء تصانيفه في ثلاثة اوراق كبار واورد فيه من امداح اهل عصره كأبن الزملكاني قبل ان ينحرف عنه وكأبي حيان كذلك وغيرهما قال ورثاه محمود بن علي الدقوقي ومجير الدين الخياط وصفي الدين عبد المؤمن البغدادي وجمال الدين ابن الاثير وتقي الدين محمد بن سليمان الجعبري وعلاء الدين ابن غانم وشهاب الدين ابن فضل الله وزين الدين ابن الوردي وجمع جم واورد لنفسه فيه مرثية على قافية الضاد المعجمة

قال الذهبي ماملخصه : كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه قال : وما رأيت اسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ولااشد استحضاراً للمتون وعزوها منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه واما اصول الديانة ومعرفة احوال المخالفين فكان لايشق غباره فيه هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلثمائة مجلد بل اكثر وكان قوالاً بالحق لاتأخذه في الله لومة لائم

قال : ومن خالطه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني الى التغالي فيه . وقد أوذيت من الفريقين من اصحابه واضداده وكان ابيض اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمة أذنيه كأن عينيه لسانان ناطقان . ربعة من الرجال بعيد مابين المنكبين جهوري الصوت فصيحاً سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم

قال : ولم ار مثله في ابتهاله واستغاثته بالله وكثرة توجهه وانا لااعتقد فيه عصمة بل انا مخالف له في مسائل اصلية وفرعية فانه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشراً من البشر تعتريه حدة في البحث وغضب وشظف للخصم تزرع له عداوة في النفوس والا لو لاطف خصومه لكان كلمة اجماع كان كبارهم

خاضعين لعلومه معترفين بشفوفه مقرين بندور خطائه وانه بحر لا ساحل له وكنز لا نظير له ولكن ينقمون عليه اخلاقاً وافعالاً وكل احد يؤخذ من قوله ويترك

قال : وكان محافظاً على الصلاة والصوم معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً لا يؤتى من سوءفهم فان له الذكاء المفرط ولا من قلة علم فانه بحر زخار ولا كان متلاعباً بالدين ولا ينفرد بمسائل بالتشهي ولا يطلق لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن ويناظر أسوة من تقدمه من الائمة فله أجر على خطائه واجران على اصابته الى ان قال :

تمرض اياماً بالقلعة تمرضاً جداً الى ان مات ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة وصلي عليه بجامع دمشق وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل واقل ماقيل في عددهم انهم خمسون الفاً

قال الشهاب بن فضل الله لماقدم ابن تيمية على البريد الى القاهرة في سنة سبعمائة نزل عند عمي شرف الدين وحض اهل المملكة على الجهاد واغلظ القول للسلطان والامراء ورتبوا له في مدة اقامته في كل يوم ديناراً ومخفقة طعام فلم يقبل من ذلك وارسل له السلطان بقجة قماش فردها قال ثم حضر عنده شيخنا ابو حيان فقال مارأت عيناي مثل هذا الرجل ثم مدحه بابيات ذكر انه نظمها بديهة وانشده اياها

لما اتانا تقي الدين لاح لنا ... داع الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الاولى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبراً ... بحر تقاذف من امواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم اذ عصت مضر
واظهر الحق اذ آثاره اندرست ... واخمد الشر اذ طارت له شرر
كنا نحدث عن حبر يجيء فها ... انت الامام الذي قد كان ينتظر

قال ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فاغلظ ابن تيمية القول في سيبويه فنافره ابو حيان وقطعه بسببه ثم عاد ذاماً له وصير ذلك ذنباً لا يغفر قال : وحج ابن المحب سنة ٧٣٤ فسمع من ابي حيان اناشيد فقرأ عليه هذه الابيات فقال قد كشطتها من ديواني ولا اذكره فسأله عن السبب فقال : ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيبويه فقال ليس بشيء قال ابوحيان : وهذا لا يستحق الخطاب ويقال ان ابن تيمية قال له ما كان سيبويه نبي النحو ولا كان معصوما بل اخطأ في اكثر من اربعين موضعاً ما تفهمها انت

فكان ذلك سبب مقاطعته اياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذلك في مختصره النهر ورثاه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائية مليحة وترجم له ترجمة هائلة تنقل من المسالك ان شاء الله تعالى . ورثاه زين الدين ابن الوردي بقصيدة لطيفة طائية[1] قال كمال الدين السرمري في اماليه : ومن عجائب ماوقع في الحفظ من اهل زماننا ان ابن تيمية كان يمر بالكتاب فيطالعه مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه

(١) اليك قصيدة ابن الوردي نقلا عن ديوانه المطبوع في الجوائب

عثا في عرضه قوم سلاط	لهم من نثر جوهره التقاط
تقي الدين احمد خير حبر	خروق المعضلات به تخاط
توفي وهو محبوس فريد	وليس له الى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا	ملائكة النعيم به احاطوا
قضى نحبا وليس له قرين	ولا كنظيره الف القماط
فريدا في ندى كف وعلم	وحل المشكلات به يناط
وكان الى التقى يدعو البرايا	وينهى فرقة فسقوا ولاطوا
وكان يخاف ابليس سطاه	بوعظ للقلوب هو السياط
فيا لله ماذا ضم لحد	ويالله ما غطى البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا	مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كسالى	ولكن في اذاه لهم نشاط
وحبس الدر في الاصداف فخر	وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشمي له اقتداء	فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنو تيمية كانوا فبانوا	نجوم العلم ادركها انهباط
ولكن يا ندامة حاسديه	فشك الشرك كان به يماط
الم يك فيكم رجل رشيد	يرى سجن الامام فيستشاط
ويا فرح اليهود بما فعلتم	فان الضد يعجبه الخباط
امام لا ولاية كان يرجو	ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مال	ولم يعهد له بكم اختلاط
ففيم سجنتموه وغظتموه	اما لجزا اذيته اشتراط

وقال الافشهري في رحلته في حق ابن تيمية : بارع في الفقه والاصلين والفرائض والحساب وفنون أخرى وما من فن الا وا. فيه يد طولى وقلمه ولسانه متقاربان

قال الطوفي : سمعته يقول : من سألني مستفيداً حققت له ومن سألني متعنتاً ناقضته، فلا يلبث ان ينقطع فاكفى مؤونته وذكر تصانيفه وقال في كتابه ابطال الحيل : عظيم النفع: وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر مالايقدر احد على ان يورده في عدة مجالس كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها مايشاء ويذر . ومن ثم نسب اصحابه الى الغلو فيه واقتضى له ذلك العجب بنفسه حتى زها على ابناء جنسه واستشعر انه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتى انتهى الى عمر فخطأه في شيء فبلغ الشيخ ابراهيم الرقي فانكر عليه فذهب اليه واعتذر واستغفر وقال في حق علي : اخطأ في سبعة عشر شيئاً ثم خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها اطول الاجلين . وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع في الاشاعرة حتى انه سب الغزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه ولما قدم غازان بجيوش التتر الى الشام خرج اليه وكلمه بكلام قوي فهم بقتله ثم نجا واشتهر امره من يومئذ

واتفق ان الشيخ نصراً المنبجي كان قد تقدم في الدولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فيه فبلغه ان ابن تيمية يقع في ابن العربي لانه كان يعتقد انه مستقيم وان الذي ينسب اليه من الاتحاد او الالحاد من قصور فهم من ينكر عليه فارسل ينكر عليه فكتب اليه كتاباً طويلاً ونسبه واصحابه الى الاتحاد الذي هو حقيقة الالحاد فعظم ذلك عليهم واعانه عليه قوم آخرون ضبطوا عليه كلمات في العقائد منكرة (؟) وقعت منه في مواعيده

وسجن الشيخ لايرضاه مثلي ففيه لقدر مثلكم انحطاط
اما والله لولا كتم سري وخوف الشر لانحل الرباط
وكنت اقول ماعندي ولكن باهل العلم ماحسن اشتطاط
فما احد الى الانصاف يدعو وكل في هواه له انخراط
سيظهر قصدكم ياحاسديه ونيتكم اذا نصب الصراط
فها هو مات عنكم واسترحتم فعاطوا ما اردتم ان تعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير رد عليكم وانطوى ذاك البساط

وفتاويه فذكروا انه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر (١) درجتين فقال : كنزولي هذا، فنسب الى التجسيم ورده على من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم اواستغاث فأشخص من دمشق في رمضان سنة خمس (بعد السبعمائة) فجرى عليه ماجرى وحبس مراراً فاقام على ذلك نحو اربع سنين او اكثر وهو مع ذلك يشتغل ويفتي الى ان اتفق ان الشيخ نصراً قام على الشيخ كريم الدين الايلي شيخ خانقاه سعيد السعداء فاخرجه من الخانقاه وعلى شمس الدين الجريري فاخرجه من تدريس الشريفية فيقال ان الايلي دخل الخلوة بمصر اربعين يوماً فلم يخرج حتى زالت دولة بيبرس وخمل ذكر نصر واطلق ابن تيمية الى الشام

وافترق الناس فيه شيعاً فمنهم من نسبه الى التجسيم لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك كقوله ان اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وانه مستوي على العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال انا لا اسلم ان التحيز والانقسام من خواص الاجسام فالزم بانه يقول بثبت (؟) التحيز في ذات الله تعالى

ومنهم من ينسبه الى الزندقة لقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم لايستغاث به وان في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس عليه في ذلك النور البكري فانه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين : يعزر فقال البكري لامعنى لهذا القول فانه ان كان تنقيصاً يقتل وان لم يكن تنقيصاً لايعزر

ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله في علي ماتقدم ولقوله انه كان مخذولا حيث ماتوجه وانه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها وانما قاتل للرياسة لا للديانة ولقوله انه كان يحب الرياسة (٢) وان عثمان كان يحب المال ولقوله ابو بكر اسلم شيخاً لايدري مايقول وعلي اسلم صبياً والصبي لايصح اسلامه على قول وكلامه في قصة خطبة ابنة ابي جهل وما فيها من الثناء على . . . وقصة ابي العاص بن الربيع ومايوجد من مفهومها فانه مشنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم ولا يبغضك الا منافق

ونسبه قوم الى انه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة وكان اذا حوقق والزم يقول لم ارد هذا انما اردت كذا فيذكر احتمالا بعيداً قال : وكان من اذكياء العالم وله في ذلك امور

(١) هو محل التدريس لا منبر الخطابة المعروف في المساجد اليوم

(٢) في كتابه منهاج السنة مايكذب هذه الفرية على شيخ الاسلام

عظيمة منها ان محمد بن ابي بكر السكاكيني عمل ابياتا على لسان ذمي في انكار القدر واولها:

ايا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه باعظم حجة
اذا ماقضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

فوقف عليها ابن تيمية فثنى احدى رجليه على الاخرى واجاب في مجلسه قبل ان يقوم بمائة وتسعة عشر بيتا اولها

سؤالك ياهذا سؤال معاند مخاصم رب العرش باري البرية[1]

وقال شيخ شيوخنا الحافظ ابن سيد الناس في ترجمة ابن تيمية وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين قال : فالفيته ممن ادرك من العلوم حظا ، وكان يستوعب السنة والآثار حفظا ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته، او افتى في الفقه فهو مدرك غايته او ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وروايته ، اوحاضر بالملل والنحل لم ير اوسع من نحلته في ذلك ولا ارفع من درايته ، برز في كل فن على ابناء جنسه ، فلم ترعين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه . كان يتكلم في التفسير ، فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويردون من بحره العذب النمير ، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير ، الى ان دب اليه من اهل بلده داء الحسد وألب اهل النظر منهم على ما ينتقد عليهم من امور المعتقد، فحفظوا عنه في ذلك كلاما، اوسعوه بسببه ملاما، وفوقوا لتبديعه سهاما، وزعموا انه خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه ، ثم نازعه طائفة اخرى ينسبون من الفقر الى طريقة، ويزعمون انهم على ادق باطن منها واجلى حقيقة، وكشف تلك الطرائق ، وذكر لها مراغم وموابق ، فآضت الى الطائفة الاولى من منازعته ، واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعته ، فاوصلوا الى الامراء امره ، واعمل كل منهم في كفره فكره ، فرتبوا المحاضر ، وألبوا الرويبضة (؟) للسعي بها عند الاكابر وسعوا في نقله الى حاضرة المملكة بالديار المصرية فنقل ، واودع السجن ساعة حضوره واعتقل ، وعقدوا لاراقة دمه مجالس ، وحشدوا لذلك قوما من عمار الزوايا وسكان المدارس ، من عامل في المنازعة ، مخاتل بالمخادعة ومجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة ، يسومونه ريب المنون ، وربك يعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون ، وليس المجاهر بكفره باسوأ حالا من المخاتل وقد دبت اليه عقارب مكره ، فرد الله كيد كل في نحره ، ونجاه

(١) شرح نجم الدين الطوفي جواب شيخ الاسلام في نحو كراسين شرحا لطيفا وهو موجود في بعض مكاتب دمشق

على يد من اصطفاه والله غالب عَلَى امره ، ثم لم يخل بعـد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم ينتقل طول عمره من محنة الا الى محنة ، الى ان فوض امره الى بعض القضاة فتقلد ماتقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك الى حيث ذهـابه الى رحمة الله تعالى وانتقاله والى الله ترجع الامور ، وهو المطلع عَلَى خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وكان يومه مشهوداً ضاقت بجنازته الطريق ، وانتابها المسلمون من كل فج عميق ، يتبركون بمشهده يوم تقوم الاشهاد ، ويتمسكون بسريره حتى كسروا تلك الاعواد .

وقال الذهبي مترجماً له في بعض الاجازات : قرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في العلم والتفسير وافتى ودرس وهو دون العشرين وصنف التصانيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه وتصانيفه نحو اربعة آلاف كراسة واكثر .

وقال في موضع آخر واما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الاربعة فليس له فيه نظير وفي موضع آخر وله باع طويل في معرفة احوال السلف وقلّ ان تذكر مسألة الا ويذكر فيها مذاهب الائمة وقد خالف الائمة الاربعة في عدة مسائل صنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة ولما كان معتقلا بالاسكندرية التمس منه صاحب سبتة ان يجيز له بعض مروياته فكتب له جملة من ذلك في عشرة اوراق باسانيده ومن حفظه بحيث يعجز ان يعمل بعضه اكبر من يكون واقام عدة سنين لايفتي بمذهب معين .

وقال في موضع آخر : بصيراً بطريقة السلف واحتج له بادلة وامور لم يسبق اليها واطلق عبارات احجم عنها غيره حتى قام عليه خلق من العلماء بالمصريين فبدعوه وناظروه وهو ثابت لايداهن ولايحابي بل يقول الحق اذا اداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته فجرى بينهم حملات جزئية ووقعات شامية ومصرية ورموه عن قوس واحدة ثم نجاه الله سبحانه وتعالى وكان دائم الاشتغال كثير الاستغاثة قوي التوكل رابط الجأش له اوراد واذكار يدمنها

وكتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فاجابه ومن جملة الجواب : واما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائماً وقدره في نفسي اكثر من ذلك

واجل مع ماجمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الاوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من ازمان

وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين خليل العلائي في ثبت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء الدين عبدالله محمد بن خليل مانصه : وسمع بهاء الدين المذكور على الشيخين شيخنا وسيدنا وامامنا فيما بيننا وبين الله تعالى شيخ التحقيق السالك بمن اتبعه احسن طريق ذي الفضائل المتكاثرة والحجج الباهرة التي اقرت الامم كافةان هممها عن حصره قاصرة متعنا الله بعلومه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الامام العالم الرباني والحبر البحر القطب النوراني امام الائمة بركة الامة علامة العلماء وارث الانبياء آخر المجتهدين اوحد علماء الدين شيخ الاسلام حجة الاعلام تقي الدين ... سيف المناظرين بحر العلوم كنز المستفيدين ترجمان القرآن أعجوبة الزمان فريد العصر والاوان .. حجة الله على العالمين اللاحق بالصالحين والشبه للماضين مفتي الفرق ناصر الحق علامة الهدى عمدة الحفاظ ركن الشريعة كنز المعاني والالفاظ ذي الفنون البديعة ابي العباس ابن تيمية اه »

هذه ترجمة نابغة الاسلام واعجوب علماء القرون الوسطى ولو لم يكن في هذا الكتاب سوى ترجمته لكان كافياً في طبعه والكتاب نسخة نفيسة نادرة في بابها لان ناسخه عالم محقق ويتعاد الانسان قراءة خطه على الجماد بعد قراءة بضع صفحات منه وقد طمست بعض سطوره من اوائل بعض الصفحات لماء او رطوبة اصابته ولكن يسهل اثبات الصحة ولو بمراجعة بعض المظان المطبوعة وغيرها

والكتاب كما تقدم بخط البرهان البقاعي المفسر قال في آخره : قال شيخنا شيخ الاسلام والحفاظ مصنفه ومن خطه نقلت النسخة التي نقلت منها هذه فرغ منه جامعه سوى ما الحق فيه بعد تاريخ فراغه في شهور سنة ثلاثين وثماني مائة ثم الحق فيه الى سنة سبع وثلاثين ولم يكمل الغرض من الالحاق لبقايا من التراجم في زوايا لم استوعبها بعد اعان الله تعالى على استكمال ذلك بمنه وكرمه آمين . قلت (البقاعي) وكانت كتابتي فيه للنسخة الاولى في ربيع الآخر سنة ٨٥٥ وعسر عليّ قراءة كثير من النظم الذي في التراجم وغير ذلك ثم نقلته كذلك الى هنا والمرجو من فضل الله تعالى تحرير

ذلك ومقابلته جميعه على الاصل المنقول منه ان تيسر او يحرر ذلك من اصوله ان شاء الله تعالى وكان فراغي من هذه في ١٧ شوال سنة ٨٥٩ بمنزلي بحارة بهاء الدين في القاهرة اه

اما ابن حجر العسقلاني فهو شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن حجر نسبة الى حجر قوم تسكن الجنوب العسقلاني الاصل المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة ولد سنة سبعمائة وثلاث وسبعين وتوفي سنة ثمانمائة واثنين وخمسين والمؤلف هذا معدود من ائمة الشافعية وله غير ذلك من الكتب منها تاريخ مرتب على السنين [1] سماه انباء الغمر في ابناء العمر وفي المكتبة الظاهرية مسودته بخط مؤلفه وهي لاتكاد تقرأ لما فيها من سقم الحروف والشطب والتعليق قال في مقدمته: وبعد فيقول العبد الضعيف احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن حجر العسقلاني الاصل المصري المولد القاهري الدار هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان منذ مولدي سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة وهلم جرا مفصلا في كل سنة احوال الدول ووفيات الاعيان مستوعبا لرواة الحديث خصوصاً من لقيته او اجاز لي الى ان قال وسميته انباء الغمر بابناء العمر

وهاك نموذجاً من تأليفه: سنة سبع وسبعين وسبع مائة: فيها في المحرم طهر السلطان اولاده وعمل لهم «ميا» عظيما انفق فيه من الاموال مالا يحصى وظهرت فيه من الفواحش والقبائح مالا مزيد عليه واستمر ذلك سبعة ايام. سنة اربع وسبعين وسبع مائة: وفيها كان الوباء بدمشق فدام مدة تسعة اشهر وبلغ العدد في كل يوم مائتي نفر. سنة اربع وتسعين وسبع مائة: هجم على النائب بدمشق خمس انفس فقتلوه واخرجوا من الحبس من الميكاسه (؟) وهم نحو مائة نفر وملكوا القلعة لحاجبهم الحاجب في عسكر دمشق وضيق عليهم الى ان غلبوا فاحرق عليهم الباب وامسكوا الثائرين فلم يبقوا منهم الا من هرب

وقال في اول الجزء الثاني وهو يبتدئ باول القرن التاسع من الهجرة مانصه: دخلت سنة احدى وثماني مائة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الظاهر ابو سعيد برقوق وسلطان الروم ابو يزيد بن عثمان وسلطان اليمن من نواحي تهامة الملك الاشرف

(١) جلاء العينين في محاكمة الاحمدين للآلوسي

ومن نواحي الجبال الامام الزيدي الحسني وسلطان المغرب الادنى ابو فارس عبدالعزيز الحفصي وسلطان المغرب الاوسط المريني وسلطان المغرب الادنى ابن الاحمر وصاحب البلاد الشرقية تيمور وكان المعروف باللنك وصاحب بغداد احمد بن ادريس وامير مكة حسن بن عجلان والخليفة العباسي ابو عبدالله محمد المتوكل على الله و يدعى أمير المؤمنين و ينازعه بهذا الاسم الامام الزيدي و بعض ملوك المغرب وصاحب اليمن .

وقد امتد الكتاب الى سنة خمسين وثمانمائة و بدئ به سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وقد ذكر صاحب كشف الظنون اذيالا لانباء الغمر فمن انا بان نظفر بالاصل والفرع و يطبعا كما يطبع الدرر الكامنة

واما ناسخ الكتاب فهو البرهان البقاعي صاحب المناسبات ترجم له الضوء اللامع ترجمة مطولة وكلها مطاعن لانهما تدارسا العلم في سن الطلب واستفاد كل منهما من الآخر على عادة الطلبة فما قاله فيه انه ابراهيم بن عمر البقاعي برهان الدين وكنى نفسه ابا الحسن الخرباوي البقاعي صاحب تلك العجائب والنوائب والقلاقل والمسائل المتعارضة المتناقضة ولد فيما زعم تقريباً سنة تسع وثمانمائة بقرية يقال لها خربة روحا من عمل البقاع ونشأ بها ثم تحول الى دمشق ثم فارقها ودخل بيت المقدس ثم القاهرة قال ووقائعه كثيرة واحواله شهيرة ودعاويه مستفيضة اهلكه التيه والعجب وحب الشرف والسمعة بحيث زعم انه فهم العصر يبين بكتاب الله وسنة رسوله الى غير ذلك من المطاعن التي وجهها اليه وظهرت فيها نواجذ الشر والعداوة على انه من اهل العلم المذكورين في عصره والمعدودين من محاسن دهره ولو لم يكن له الا تفسيره في تناسب الآيات والسور الذي لم يؤلف في الاسلام مثله لكفاه فضلا ورحل في آخر امره الى دمشق واتخذها موطنا وتوفي في رجب سنة ٨٨٥ ودفن في مقبرة الحمرية ظاهر الشويكة في دمشق الشام و يوجد في المكتبة الظاهرية من تفسيره المنوه به نسختان عورضت احداها على مؤلفها وبها خطه رحمه الله

المسلمون والبولونيون

في الغرب من مملكة روسيا وفي الجنوب من بروسيا وفي الشمال من النمسا بلاد متنائية الاطراف واسعة البقاع مخصبة الرباع كثيرة الانهار والغابات والمناجم اسمها بولونيا اي السهل باللغة الصقلبية وهي المعروفة في تواريخ الاتراك باسم «لهستان» قفى عليها نكد الطالع ان تفقد استقلالها لاختلاف كلمة امرائها وابنائها منذ نحو قرن ونصف فتقاسمتها روسيا والنمسا والمانيا وتبلغ مساحة بولونيا الروسية وفيها عاصمة البلاد القديمة «فارسوفيا» ١٢٧٥٣١٩ كيلومتراً مربعاً وسكانها ٩٩٤٥٥٦٠٠٠ واذا اضفنا اليهم سكان بولونيا النمسوية وبولونيا الالمانية يبلغ عددهم نحو عشرين مليوناً بحسب تقدير الجغرافيات الحديثة من اهل اوربا يدين نحو نصفهم بالكثلكة وباقيهم اسرائيليون وبرتستانت ومسلمون تاتار

ومناخ هذه البلاد شديد ولكنه معتدل في الجملة اذا قيس بمناخ روسيا وهو حار في الصيف بارد جداً في الشتاء وتقل فيها الثلوج وتجمد الانهار في الشتاء من شهرين ونصف الى ثلاثة اشهر ونصف وقد انتشرت فيها الصناعات لكثرة مافيها من الفحم الحجري فاصبحت اهم اقاليم روسيا من هذه الوجهة اما التجارة فتكاد تكون محصورة في ايدي الاسرائيليين

وتاريخ هذه الامة القديم غامض اشبه باساطير حتى القرن التاسع للميلاد وغاية مايعلم ان هذه الاقطار الممتدة بين البحر الاسود وبحر البلطيق كان يسكنها في الاصل شعوب اسمها الانتس والمنت والفاند ثم نزلها الصقالبة · واول زعيم انشأ مملكة بولونيا فلاح صالح اسمه بياست فحكمها الى سنة ١٣٣٣ ودخلت النصرانية الى بولونيا على يد ميسيلاس الاول (٩٦٢—٩٩٢) وانضمت بلاد ليتوانيا الى بولونيا في القرن الرابع عشر بزواج هدويج ابنة كازمير الاول (١٣٣٣—١٣٧٠) من لاديسلاس جاجلون

وفي اوائل القرن الخامس عشر اي وفي العهد الذي بدأت تنشأ في اوربا ممالك مطلقة الحكم مستبدة السلطان بدأ الفشل السياسي والفوضى الادارية تدب في مملكة بولونيا مما عجل تقسيمها وحذفها من رقعة السياسة الاوربية وذلك لاختلاف مصالح البلادين ليتوانيا وبولونيا واختلاف لسانيهما وكانت مجالس النواب في الولايات متباينة

المقاصد تعاكس الملك في اقل الامور حتى في عزل الموظفين الذين كانوا يعينون بلا عزل مدة حياتهم واقل صاحب رأي في الانتخاب يوقف عمل الاكثرية ويفسد عليها امرها حتى انقلبت الحال بعد ان كتب النصر لبولونيا على الهوسيين وفرسان حملة السيوف ان تبقى بلا حكومة ولا جيش ماخلا ايام أسرة جاجلون

قد بدأ انحطاط بولونيا على عهد سيجسموند فاذا سنة ١٦١٨ فاصبحت المملكة بدون مالية ولا ايت ملك وطني بل كان ينتقل الملك من فرنسوي بعينه مجلس النواب الى مجري هذا وليس للبلاد حدود طبيعية تحميها من هجمات المهاجمين

ثم عادت الى البلاد بعض حياتها على عهد يوحنا سوبيسكي (١٦٧٤ — ١٦٩٥) فاصبح لها بعض مجد بجيش لما نظمه فبالجيش البولوني أنقذت « فينا » من ايدي العثمانيين الذين حاصروها ولكن لم تعد نجدة البولونيين للنمساويين بشيء من الفائدة عليهم ولا على حكومتهم • وخلف المنتخب فريدريك اغطس في ساكس ملكها سوبيسكي فاستند الى امارته سكسونيا فاستقام له امر بولونيا ثم خلع وتداخلت روسيا في امره ثم نشأ خصام بين بيوت الملك في بولونيا يدعي كل منهم حق امتلاك على البلاد وفي سنة ١٧٦٤ قضت ارادة كاترينا الثانية صاحبة روسيا بتأييد ساتيسلاس بونياتوفسكي على عرش السلطنة البولونية وفي وسط ذاك الاضطراب كثرت الانقسامات الداخلية وجاءت الفتن الدينية التي كانت هادئة هناك فانضمت الى المنافسات السياسية وذلك مما تخلل الامر من عبث الاصابع الاجنبية فاستصرخ الاروام كاترينا الثانية [1] امبراطورة روسيا واستنجد البروتستانت ماري تريز ملكة النمسا وفريدريك الثاني • وكان لروسيا نفوذ في مجلس نواب سنة ١٧٦٦ فسعت الى اطلاق حرية المذهب والفت حرية الانتخاب فاستقام امر الحكومة وكان الاضطراب على اتمه عندما ألف سنة ١٧٦٨ اتحاد بار يضمن احترام الاستقلال الوطني ولكن كان قد سبق السيف العذل فتقرر بين روسيا والنمسا سنة ١٧٧٢ تقسيم بولونيا ولم يقاوم في ذلك من الدول سوى الدولة العلية فتقاسمت النمسا والمانيا وروسيا تلك المملكة العظمى وفي سنة ١٧٩٥ قسمت البلاد نهائياً فوقعت العاصمة اي فارسوفيا من حصة روسيا وكراكوفيا وفيها كلية بولونيا العظمى من حظ النمسا ونالت بروسيا بقية المملكة ثم نظم جزء منها مملكة جديدة ولكنها انقضت وثارت سنة ١٨٣٠ فدخل الروس الى فارسوفيا بعد ان ابلى البولونيون بلاء حسناً فانحلت مملكة فارسوفيا

(١) معجم لاروس الجديد Nouveau Larousse illustré

واقفلت كلية فيلنا البولونية وصادرت الاموال ونفت الرجال فاصبحت بولونيا ولاية روسية وقام البولونيون سنة ١٨٦٣ ثانية وحملهم على الانتقاض ما رأوه من اشتغال روسيا في حرب الشرق فألف البولونيون منهم عسكراً لايبقي ولايذر وبالنظر لقلة عدده تمكنت روسيا من قمع جماح الفتنة بعد سنة من نشوبها وما فتئ منذ ذلك العهد حال بولونيا في الولايات الروسية آيلا الى نزع لغتها وابدالها باللغة الروسية وتدريب اهلها على المناحي الروسية وكذلك حال ولايات بروسيا آخذ بالصبغة الالمانية الجرمانية

هذا اجمال من تاريخ انقسام مملكة بولونيا اما حالتها الادبية والعمرانية فان لغتها من فروع اللغات السلافية الغربية وقريبة جداً من اللغة الكاسوبية واللغة البولابية . وفي بولونيا عدة لهجات وقد نشأ من كلية كراكوفيا التي انشأها كازمير الاكبر عدة رجال في الفلسفة والعلم منهم كوبرنيك الفلكي ونجحت اللغة البولونية على عهد ملوكها من أسرة جاجلون وذلك بفضل دعاة المذهب البرتستانتي الذين اختاروا نشر تعاليمهم بلغة الشعب وعلى عهد يوحنا كوشانوفسكي سلم ذوق اللغة وتألفت على القواعد العلمية المألوفة لليونان والرومان ودام ذلك الى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وهما قرنا الانحطاط لان القوم شغلوا بالفتن الداخلية فلم يعد احد ينظر في الادب وداهمت اللغة مفردات من اللغات الاجنبية .

وقد نشأ للآداب البولونية شعراء وكتاب كبار ومؤلفون ووعاظ واثريون ومؤرخون وجغرافيون وقصصيون ودخل الشعر البولوني على عهد ثورة سنة ١٨٣٠ في طور جديد واثرت في عقول الناهضين من شبانهم احوال الفتن وانطلقت السنهم بالشعر الممزوج بعواطف النفوس المتألمة ودامت طبقة الشعر في ارتقاء الى اواخر القرن التاسع عشر بما نشأ لهم من الشعراء بل والشاعرات المجيدات الذين حركوا كوامن النفوس وهيأوها لمطلب الكمال والاستقلال وساعد القصصيون خاصة بما نشروه من الاساطير والروايات على ترقية اللغة البولونية وادخال حياة جديدة فيها في العهد الاخير دع عنك من خرج من هذه الامة من الفلاسفة والمؤرخين

وان ما بقي من الآثار القليلة والعاديات في تلك البلاد ليدل دلالة واضحة على ان قدماء الصقالبة كانوا يحبون الصناعات والفنون وكذلك كانت الحال في القرون الوسطى في بولونيا فان ملوكها حموا حمى الصنائع النفيسة فكانوا يأتون من ايطاليا بالبنائين والنقاشين والمصورين حتى جاراهم البولونيون ونافسوهم في هذه الاعمال بعد .

ولكن الفتن التي استطار شرارها في القرنين الاخيرين سلب من نفوس البولونيين قرارها فهاموا عَلَى وجوههم بعد فقد استقلالهم في طول اوربا وامير كا وعرضهما وكثر منهم المهاجرون ولاسيما الى اميركا الشمالية حتى قيل انهم بلغوا نحو مليوني بولوني يحافظون الى اليوم عَلَى لغتهم وآدابهم وعاداتهم القومية

وللبولونيين غرام فائق في احتفاظهم بلغتهم وتناغيهم بتاريخهم فتراهم كلما طال المطال على تمزق ملكهم يحنون لاسترجاعه وتقوى عزائمهم عَلَى المطالبة به ولكن اوربا او الساسة من اهلها قد قدت قلوبهم من حجر فلا تسمع لباك ولا ترحم كل شاك . عَلَى ان البولونيين لم يعتمدوا بعد التجارب الكثيرة الا عَلَى انفسهم فكانوا ومازالوا يستعدون في بلادهم وخارجها للتربية الحربية حتى لا تزول منهم ملكة الكر والفر وقد انشأوا لغرض الاستقلال جمعيات بثوا دعاتها في بلادهم وفي اوربا واميركا يجمعون المال الى ايام الشدة وهذا المال يحفظونه في الغالب في فروع جمعياتهم في سويسرا وقد صرفوها كلها في الفتن الاخيرة التي ثارت في بولونيا الروسية عقيب حرب روسيا مع اليابان فكانت تأتينا اخبار فارسوفيا بفظائع البولونيين وشدة حكومة روسيا في قطع دابر الفتنة . وفي سويسرا ايضاً حفظ البولونيون تاج آخر ملوكهم وصولجانه ونموذجاً من البستهم جعلوها في متحف خاص

ولما انتشرت الحرية بعض الشيء في روسيا تنفس خناق البولونيين وقاموا يعيدون امجاد آدابهم بمدارسهم ولم تنل روسيا مأربها من نزع لغتهم وتلقينهم لغتها بالقوة بل عادت اللغة البولونية اكثر انتشاراً مما كانت قبل انقسام بلادهم ومن الغريب ان التشتت الذي اصاب اهلها والسعي الحثيث في معاملة مدارسها بالشدة في المانيا وروسيا لم تسفر الاعن اندماج كثير من اليهود والجرمانيين في الجنسية البولونية لان البولونيين من اقدر الامم عَلَى جلب غيرهم اليهم كأن من خواص شعبهم ان يأخذ ولا يعطي

كانت النمسا ومازالت ارفق الدول الثلاث الكبرى التي تقاسمت بينها بولونيا بهذه الامة ولغتها وآدابها وعاداتها ولذلك كان اخلاص البولونيين لها اكثر من اخلاصهم للالمان والروس لانها ساوتهم بسائر عناصرها فلم يستثقلوا ظلها ولا تبرموا بادارتها .

ولكثرة اندماج الالمانيين والاسرائيليين بالبولونيين من حيث يشعرون ولا يشعرون زادت نفوس فارسوفيا زيادة هائلة حتى بلغت الآن ثمانمائة الف وكانت اقل من خمسين الفاً ايام التقسيم وعدت من عواصم بلاد اوربا وبالنظر لخصب البلاد وعراقتها في

الصناعات والتجارات ونشاط اهلها اكثر من سائر العناصر السلافية بلغت مداخيل المصنوعات البولونية ٤٢٠ مليون روبل وكانت اقل من ثلاثين و بلغت قيمة الثروة العامة في بولونيا الالمانية نحو الف وثلاثمائة مليون مارك وكانت نحو اربعمائة مليون

وهكذا تجد تجاراتها واسعة باتساع غاباتها ومناجمها وخصب تربتها واقتدار اهلها عَلَى الصناعة والتقليد حتى حاكوا اعرق الامم الغربية في الحضارة ويكفي ان كوري مخترع الراديوم هو وعقيلته من اهل بولونيا وان في اهل اوربا كثيرين ممن نعرفهم الآن فرنسويين اوالمانيين او نمسويين او انكليزيين وهم في الحقيقة بولونيون لغة ومنشأً .

وبعد فيجدر وقد اتصل بنا نفس الكلام في هذا المبحث الى هذا الحد ان نلم بطرف من تاريخ هذه الامة وعلاقتها بالمسلمين ولاسيما بدولة آل عثمان فقد بدأت الصلات المهمة بين بولونيا والامم الاسلامية [1] عَلَى عهد لاديسلاس جاجلون والسلطان مراد العثماني وحاكم بلاد المجر على ذلك العهد يوحنا هونياد وهو تابع لبولونيا وكانت تحدث مشاكل عَلَى الدوام بين جيشه وجيش السلطان وبعد حروب وفتن كتب فيها النصر تارة للعثمانيين واخرى للمجر بين سئمت نفوس الطرفين القتال فطلب السلطان مراد التوسط بالصلح الى صاحب بولونيا فوقع عَلَى صكه في ١٤ ربيع الآخر سنة ٨٤٨ ﻫ (١٤٤٤) لمدة عشر سنين عَلَى ان يعيد السلطان بلاد الصرب الى ملكها وان تضم بلاد الفلاخ الى المجر و يفتدي السلطان صهره محمد جلبي الذي أسر في وقعة كونوبيرا بسبعين الف دوكا (٨٠٥٠٠٠ فرنك)

واذ صادف ان السلطان مراد تنازل عن عرش الملك لابنه محمد طمعت اوربا في السلطنة ورأت ان الفرصة مناسبة للنيل منها وعَلَى عرشها فتى لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره فطلب الى صاحب بولونيا ان يشارك الدول في تحالفهن على العثمانية فابى للعهد الذي عقده قبل مع سلطان العثمانيين فارسل اليه البابا اوجين الرابع يصرح بانه لاخشية في بعض الاحوال من الحنث بالايمان ومثل له بنفسه اذ انه جهز ثماني سفن على نفقته وسمى نفسه رئيس العصبة فاضطر صاحب بولونيا ان يسير عَلَى الخطة التي رسمها

(1) كتاب بولونيا والاسلام لصديقنا سيف الدين افندي كاشتوت البولوني
Thadée Gasztowtt. La Pologne et l'Islam. Paris Société Française d'Imprimerie et de Librairie 15 Rue de Cluny, 1907

امام الاحبار فانفذ بعوثه الى اقليم ترانسيا واشتبك القتال بين المجريين والبولونيين والفلاخيين من جهة والعثمانيين من اخرى ونزل السلطان مراد بنفسه الى ساحة الوغى بدلاً ابنه الذي خلفه فقتل احد شيوخ العسكر العثماني واسمه خوجه خير ملك بولونيا فدب الفشل في الجيش المتحزب كله وذلك في رجب سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤)

قال المؤرخ ليونارد شودزوكو : « قال السلطان مراد بينا هو يطوف ساحة الوغى مع امين سره ازب بك لما رأى صرعى الحرب من اعدائه : اليس من الغريب ان يكون كل هذا الجيش مؤلفاً من شبان وليس فيه شيخ واحد فاجابه ازب بك : لو كان فيه شيخ واحد لما القى بنفسه في مثل هذه الورطة المجنونة » وقد فقد جيوش المجاربين في تلك الوقعة اشياء ثمينة ومنها سجلات ملك بولونيا فقدت مع مافقد عند مصرعه وهي خسارة كبرى .

وفي سنة ١٤٤٧ كان التاتار في بلاد القريم في حروب دائمة فاجمع رأيهم على ان يحكموا كازمير جاجلون ملك بولونيا ودوق ليتوانيا فيما شجر بينهم فنزل بعض المنكوبين من التاتار في بلاد ليتوانيا على الرحب والسعة واعطاهم صاحب بولونيا اراضي يتوفرون على زراعتها واخلصوا له ودافعوا في مواقف القتال عن حوزة بلاده واطلق لهم حريتهم الدينية حتى استمال بذلك قلوبهم وجاء الملك لاديسلاس الرابع وابد امتيازاتهم فانشأوا لهم جوامع ومنارات وبعد ان كانوا بادية رحالة اصبحوا مزارعين ساكنين وادعين وفي سنة ١٤٩٤ جمع يوحنا البر ملك بولونيا بعض امراء النصرانية في جواره وتحالفوا على قتال العثمانيين فساق السلطان بايزيد جيشاً مؤلفاً من اربعين الف جندي اجتازوا نهر الطونة وانضموا الى الفلاخيين وهجموا سنة ١٨٩٤ على بلاد بولونيا وكان صدر الامر السلطاني الى والي سيلسترا ان يهاجم البولونيين ففتح العثمانيون البلاد على ايسر وجه لانبساط سهولها واستولوا على بعض مواقعها في وقعتين ظفروا فيهما ولكن داهم الجيش العثماني برد قارس وثلج واعاصير فهلك منه اربعون الفاً ولم يسلم سوى عشرة آلاف جندي عادوا ادراجهم يجتازون نهر الطونة

واذ تحالف ملك بولونيا مع ملك المجر وملك ليتوانيا اضطر السلطان بايزيد ان يبعث الى كراكونيا سفراء لعقد الصلح . وفي سنة ١٥٢١ ارسل السلطان سليمان الاول الى بلاد المجر سفيراً لم يجبه المجريون الا بخنق سفيره فساق السلطان على المجر قوة من جيشه غلب بها المجر وان امدهم صاحب بولونيا بستة آلاف جندي لكن قوة الدولة العلية كانت

اعظم وعاد السلطان سليمان في ربيع سنة ١٥٢٦ ايضاً في قوة من رجاله على بلاد المجر فامد صاحبها ملك بولونيا ولكن قوة الدولة العثمانية تغلبت فكتب النصر لاعلامها وهلك في المعركة لويز الثاني ملك المجر في خمسة وعشرين الفاً من رجاله

ثم سار سليمان الى جهات المجر وارجع البلاد الى ملكها الشرعي وانقلبت الحال فتحالف سلطان العثمانيين مع ملكي بولونيا وفرنسا وتزوج السلطان سليمان بروكسلان من سبايا البولونيات فشغفته حباً واتخذها سلطانة شرعية وسماها خرّماً وكانت على غاية من الجمال والادب والذكاء ولكنها صرفت ذكاءها الى الخبث فكانت القاضية على السلطان ان يعامل ابنه معاملة بربرية شهدت لها تواريخ العثمانيين فقتله بدسائسها

وفي سنة ١٥٧٢ اعانت بولونيا الدولة العلية عند ماتداخلت هذه لاقرار الامن في نصابه في اقليم مولادافيا وسعت الدولة العلية كل السعي ان يبقى التحالف مستحكماً بينها وبين فرنسا وبولونيا لدفع عوادي النمسا ولكن حكم بولونياملوك لم يعدوا لهذا الامر عدته . وفي سنة ١٥٧٦ تحالف السلطان مراد الثالث مع اتين باتوري امير ترانسلفانيا وملك بولونيا وجددت هذه المعاهدة سنة ١٦١٩

ولكن امير ترانسلفانيا واسمه بتلم كابور كان يطمع في الاستيلاء على المجر فحرض العثمانيين والتاتار على البولونيين فوقعت بين صاحبي بولونيا والعثمانية وقعة اخرى سنة ١٦٢٠ كسر فيها البولونيون وفي سنة ١٦٢١ قام السلطان عثمان الثاني في مئة الف من جنده قاصداً الى بولونيا فدحر جيشه ولما رأى انه فقد منه ستون الفاً اضطر يوم ٢٣ ذي القعدة ١٠٣٠ الى عقد صلح صدق عليه في الاستانة سنة ١٦٢٣ سفير بولونيا

ثم ان روسيا اهاجت خاطر السلطان مراد الرابع على بولونيا ولكن حكمة صاحب بولونيا قضت بحقن الدماء وان كان ازمع السلطان العثماني ان يملأ بجيوشه السهل والوعر في بولونيا لكن السفير البولوني تلطف في السفارة واغضى عما سمع من السلطان من ارادة هذا ان تدين بولونيا بالاسلام وتدك حصونها وتؤدي اليه الجزية نعقدت بين الدولة العثمانية وبولونيا معاهدة سنة ١٦٣٤ كانت نافعة للبولونيين . وفي تلك السنة بدأت روسيا بحجة الدفاع عن مسيحيي الشرق تدس الدسائس .

خدم نالي بك وهو بولوني واسمه الاصلي بوبوفسكي الباب العالي اعظم خدمة في

القرن السابع عشر كما خدم البولونيين والليتوانيين فقد عينته الدولة مترجماً في الباب العالي وكان يحسن سبع عشرة لغة

وفي سنة ١٦٧٢ زادت الاخطار التي كانت تهدد بولونيا منذ سنة ١٦٥٢ فكان قيصر الروس يدس الدسائس بين القوزاق والتاتار والاتراك ليحملهم على النيل من البولونيين حتى كان من السلطان محمد الرابع ان اعلن عليهم الحرب في نيسان سنة ١٦٧٢ فاستولى على كامينيك بودولسكي وليوبول وكل اهم المواقع الحصينة من اقليم روتينيا غاليسيا. فطلب صاحب بولونيا الصلح من السلطان وتخلت بولونيا للباب العالي عن بودولي واوكرين وان تدفع اليه جزية سنوية قدرها ٢٢٠ الف دوكا الا ان الامة البولونية لم ترض ان تدفع مثل هذه الجزية لما رأت فيها من العار عليها وآثرت ان تعود الى الحرب تموت في ساحاتها من ان تقبل بشروط ارتضاها ملكها مأفون الرأي ضعيف الحول والطول فعاد السلطان محمد الرابع الى القتال وهاجم سوبيسكي جيوش العثمانيين في شوسيم على نهر دنيستر واستولى على المدينة ورجع العثمانيون على اعقابهم الى بابا طاغ حيث كان السلطان مخيماً فصادف ان مات في ذاك الحين ملك بولونيا فانصرف سوبيسكي الى فارسوفيا للاشتراك في انتخاب ملك لبولونيا فقدر انتخابه ملكاً لها مكافأة له على الخدمة التي قدمها لامة وعاد الى قتال العثمانيين فهزمهم في بودوليا واوكرنيا وفي ١٩ شعبان ١٠٨٧ هـ عقد الصلح على ان لاتدفع بولونيا شيئاً ويبقى لها قسم من اقليم بودوليا ويحتفظ العثمانيون بكامينيك وان تكون مفاتيح الاماكن المقدسة بيد بولونيا لانها دولة تسامح لاتتعصب لكاثوليكي ولا لرومي ولا لبرتستانتي ولا لغيرهم من اهل الاديان وذلك على الرغم من ارادة روسيا فصفت العلائق بين الدولة العثمانية وحكومة بولونيا

ولما ساقت الدولة العثمانية على فينا مائة وخمسين الف رجل وكادت تستولي عليها انجد صاحب بولونيا صاحب النمسا فارتد العثمانيون عن عاصمة النمسا ثم اقتتل الجيش العثماني مع الجيش النمساوي سنة ١٦٩١ في سالانكم على نهر الطونة فغلب العثمانيون اولا ثم انهزموا فاقدين ثلاثين الفاً من رجالهم وفي سنة ١٦٩٤ رد البولونيون العثمانيين من كامينيك بردولسكي

ونال العثمانيون على عهد مصطفى الثاني عدة نصرات على جمهورية البنادقة واستولوا على المرسك وامدوها بالذخائر وجاز السلطان في جيشه الطونة ماراً بآق بنار

(كارلسبرج) وتمسوار ولاغوس وقاتل النمساويين فقتل زعيمهم وقتل العثمانيون من الروس في ازوف ثلاثين الفاً ثم فشل العثمانيون في غرة صفر ١١٠٨ في تسيا على يد النمساويين وكان العثمانيون يريدون انقاذ بلاد المجر من النمساويين

وفي خلال ذلك اجتمع ملوك اوربا للمرة الاولى لحل الاختلافات التي كانت بين الدولة العلية العثمانية وبين سبع دول من دول اوربا وبموجب ماتم من هذا الاجتماع ارجعت الدولة العلية الى بولونيا كامينيك وبودوليا واوكرونيا وتخلت الاولى للثانية عن الخراج الذي كانت تتقاضاه منها ومنذ ذاك العهد تصافت بولونيا والعثمانية لانهما ابتليتا بدسائس حكومات اوربا التي يقصد بها اضعاف الفريقين فكانت اوربا تترك روسيا تعتدي على العثمانية وبولونيا والسويد بدون ان تطالبها باحكام العدل والانصاف ومراعاة حق الجوار نعم كانت تغضي عن روسيا لتنال قسطها من الارض العثمانية والبولونية والسويدية

نشبت حروب هائلة على عهد السلطان احمد الثالث بين السويد وروسيا وبولونيا وسكسونيا دامت منذ سنة ١٧٠٠ الى سنة ١٧٠٩ فانهزم السويديون والبولونيون ولجأوا الى الارض العثمانية فنزلوا في بندر من اقليم بسرابيا فاكرمت العثمانية مثواهم الا ان روسيا لحقت بالمنهزمين الى الارض العثمانية وفي خلال ذلك دخل الاسطول الروسي الى الاستانة فاغتاظ السلطان واعلن الحرب عاهداً بقيادتها العامة الى الصدر محمد باشا البلطجي وحمي وطيس القتال بين عساكر الدولة يعضدها اناس من البولونيين وبين الروس في سهول هوسكب فاركب الله القائد العثماني اكتاف العدو ولكن القائد العثماني عاد فارتشي من كاترينا الاولى ملكة روسيا وعقد بين دولته والامبراطورية الروسية معاهدة اجحفت بحقوق امته فعزله السلطان ونفاه الى جزيرة لمنوس وقتل خنقاً من ارتشوا معه من رجال الدولة اذ ذاك مثل وزير الداخلية ورئيس الكتاب وغيرهما واعلن السلطان ان هذه المعاهدة بين الدولة العلية وروسيا لاغية وعاد الى اعلان الحرب على العدو سنة ١٧١١ بقيادة يوسف باشا الصدر الاعظم فاوقفت الحرب بسعي الروس في الاستانة وعقدت معاهدة جديدة بين المتحاربين فوقع رجال روسيا على عهد الصلح ليشغلوا الدولة ويغنموا الوقت فلما ابلغوا مضمون المعاهدة للقيصر ابى الاقرار عليها فاعلن السلطان الحرب في شوال سنة ١١٢٤ ولم يظفر الروس في هذه الوقعة بالعثمانيين الا لان وزارتي لندرا والهاي كانتا تعضدانه على العثمانية وبولونيا والسويد وبسعاهما اوقفت

الدولة العلية الحروب ووقعت في ادرنة يوم ١٣ حزيران ١٧١٣ عَلَى معاهدة صلح الى مدة خمس وعشرين سنة ولم تراع فيها مصلحة الدولة العلية وعادت روسيا فعقدت معاهدة اخرى مع الدولة العلية سنة ١٧٢٠ من مقتضاها انه يحق لها التدخل في شؤون بولونيا .

توفي السلطان احمد الثالث سنة ١١٤٩ هـ وخلفه السلطان محمود الاول فحارب الفرس واضطر الى التخلي عن تبريز وفي سنة ١١٤٩ وقع الفرس والعثمانيون عَلَى هدنة لتتفرغ الدولة العثمانية لمقاومة اعتداء روسيا والنمسا . وازمعت روسيا ان تجتاز بجيوشها بلاد بولونيا لتداهم الارض العثمانية فاغتاظ لذلك السلطان محمود لانه مخالف للعهد الموقع عليها ولم يسمع الروس لاحتجاج العثمانية فحاصروا مدينة ازوف واضطرت الحكومة العثمانية ان تسوق جيشاً في ٦ صفر ١١٤٩ هـ (١٧٣٦) وكانت قد سقطت المدينة قبل ان يجدها الجيش العثماني واستولت روسيا عَلَى اوتشاكوف وكيبورن وعَلَى كوزلوف وبغجه سراي وآق مسجد من بلاد القريم واتى الروس من الفظائع في هذه الوقائع ما سطره لهم التاريخ باحرف من نار حتى كتب المسيو كاستلنو في تاريخه الذي قدمه الى القيصر اسكندر الاول بشأن هذه الوقائع ما نعربه : ان الحملة لم تول روسيا شرفاً فان بلاد القريم أُحرقت ودمرت وربما كان مثل هذا العمل يغتفر عَلَى عهد البربر لما فطروا عليه من الجهل ولكن احراق المدن في القرن الثامن عشر وتخريب اهم المصانع والآثار وتدمير المعابد وابادة المدارس العامة وادخال الظلام عَلَى العقول باحراق خزائن كتب الامة التي تريد الانتفاع بها في انارة افكارها والقاء الشيوخ والنساء والاولاد طعمة للنيران لا يقصد منه الحرب بل اهلاك شعب عن بكرة ابيه »

وتحالفت روسيا والنمسا محالفة دفاعية وهجومية واحتالت الثانية لعقد مؤتمر مؤلف من مندوبيها ومندوبي روسيا والدولة العثمانية فرأى الروس بموجب المعاهدة المبرمة ان تلغى جميع المحالفات التي كانت أُبرمت بين الدولة العلية وامبراطورية روسيا وان تسلم الى هذه بلاد القريم وكوبان وجميع البلاد التي نزلها التاتار ويعترف لمولدافيا وفلاخيا بانهما امارتان مستقلتان تحت رعاية روسيا ويعترف بان ملوك الروس هم قياصرة وان تدخل السفن الروسية حرة الى البحر الابيض من خليجي البوسفور والدردنيل فلم ترض الدولة بهذه الشروط المجحفة وعادت النمسا فجمعت قواها وحمي الوطيس في بلاد

البلقان وهزم العثمانيون العدو حتى اضطر الروس الى ان يحرقوا بانفسهم اسطولهم في بحر ازوف لئلا يسقط في ايدي العثمانيين

وفي سنة ١٧٣٩ عقد الصلح بوساطة فرنسا بين الدولة العثمانية من جهة ودولتي النمسا وروسيا من اخرى واعادت النمسا بلغراد وسابا كرا ورسونا وغيرها واصبح نهر الطونة والساف تخوماً بينها و بين الدولة العثمانية وقضت المعاهدة الاخيرة على روسيا ان تهدم حصون ازوف وتاكاروج وتسحب سفنها من بحر ازوف والبحر الاسود ولا تتجر الا على السفن الاجنبية وان تظل القريم مستقلة وتنال لقاء ذلك حرية المذهب الارثوذكسي في المملكة العثمانية وان تقيم لها سفيراً دائماً في الاستانة ووعد السلطان ان يمنح لقب امبراطورة للقيصرة حنة ايفانوفنا · ولم يجر في هذه المحالفة ذكر لبولونيا · وكان من نتائج هذه المعاهدة ان عرف الارثوذكس على عهد السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٥٧ بان روسيا تعضدهم في البلاد العثمانية فكان اول عمل لهم ان ينهبوا دير الكاثوليك في يافا وهجموا على الفرنسيسكانيين وغيرهم من البابويين حتى في كنيسة القبر المقدس وكسروا المصابيح والآثار وغيرها وجردوا الرهبان مما كان لهم

ولما ابى اغسطس الثالث ملك بولونيا ان يدخل مع اعداء الدولة العلية في محالفة ضدها اعترف به الباب العالي ملكاً وارسل من قبله الى فارسوفيا عاصمة البولونيين مندوباً سنة ١٧٣٧ وذلك على عهد السلطان عثمان الثالث وكذلك ابلغ السلطان مصطفى الثالث بعد ثلاث سنين صاحب بولونيا بجلوسه على العرش و بدأت العلائق الحسنة بين الدولة العلية وحكومة بولونيا حتى كانت الدولة تصدر اوامرها المرة بعد المرة الى عمالها في شوسيم وبندر والى خان القريم ان لايكدروا صفو الصلات بينهم و بين بولونيا واذا نشأ على التخوم خلاف يحلونه بالحسنى

وادخلت روسيا في غضون ذلك جنداً لها الى ارض بولونيا فاعترض الباب العالي عليها فاجابته بانها تنوي اطفاء فتنة داخلية وان العهود تقضي بان لاتتداخل العثمانية في الشؤون البولونية ومع هذا امر الباب العالي فاضطرت بولونيا ان تحسم الخلاف الذي كان قد حدث بين الشعب بداعي انتخاب ملك جديد فاتحدت بولونيا على امر بينها تحت حماية الدولة العلية حتى ان السلطان مصطفى الثالث لما ذهب الى جامع ايوب ليتقلد سيف عثمان الاول على العادة قدم له الجند كأس مشروب على نحو ماجرت العادة فاجابهم انه يرجو في الربيع القادم ان يشربه معهم على اسوار بندر وضفاف دينبر

ولقد كانت جل رغائب روسيا في ذاك العهد ان تقسم بلاد السويد والدولة العثمانية وبولونيا فكانت تسعى الى ذلك بكل حيلة وتحيد عن كل محالفة كما فعلت سنة ١٧٦٧ بالاتفاق سراً مع ملك بروسيا وادخلت جيوشها الى بولونيا فاغتاظت الدولة العلية لذلك اذ عدت هذه مقدمة الى جلب الدب الاكبر الى جوارها واعلن السلطان مصطفى الثالث الحرب على كاترينة الثانية سنة ١١٨٢ هـ ٠

وفي سنة ١٧٦٩ و١٧٧٠ حدثت بين الدولة العلية وروسيا وقائع كتب فيها الظفر للروس ولاسيما في الحرب البحرية التي هاجم فيها الاسطول الروسي الاسطول العثماني في نافارين واحرق السفن العثمانية بقيادة ربان انكليزي واحرقت مدينة تشسما بالقرب من ازمير وسمع صوت القذائف الى بعد خمسين فرسخاً والى ازمير عَلَى بعد ستة فراسخ ودام الحريق من الساعة الواحدة بعد نصف الليل الى الساعة السادسة صباحاً وكان ذلك في ١٣ ربيع الاول سنة ١١٨٣ هـ تخسر العثمانيون خمس عشرة سفينة في كل منها ٧٤ الى ١٠٠ مدفع وتسع سفن في كل واحدة منها من ١٥ الى ٣٠ وعدة مراكب واستاق الروس سفينة فيها ستون مدفعاً وخمسة زوارق ودامت الحرب بين الدولتين سنة ١٧٧١ و ١٧٧٢ واستولى الروس عَلَى القريم واحبوا عقد الصلح الا ان السلطان نشر في المحرم سنة ١١٨٧ (١٧٧٣) منشوراً يعلن فيه الحرب عَلَى روسيا فظفر الجيش العثماني في عدة وقائع في سنتي ١٧٧٣ و ١٧٧٤ وردوا الروس عن تجاوز نهر الطونة والى ماوراء سيلسترا وبينا النصر كان حليف اعلامهم توفي السلطان مصطفى الثالث وكان قبيل وفاته اخذ منشوراً من حكومات بروسيا والنمسا وروسيا باتفاقهن عَلَى تقسيم بولونيا تقسيماً اوليّاً وذلك في سنة ١٧٧٢

وخلف عبد الحميد الاول اخاه مصطفى الثالث وفي ايامه اتفقت روسيا والنمسا عَلَى حرب الدولة العثمانية فاستوليا عَلَى اوتشاكوف سنة ١٧٨٨ وفي خلال ذلك كانت المانيا تحاصر بلغراد فحزن السلطان لما نال ملكه حتى مات قهراً سنة ١٧٨٩ وظل خلفه سليم الثالث يحارب تينك الدولتين ولكن ردت الجيوش العثمانية على اعتابها واستولى الظافرون عَلَى بندر وغيرها واستولى النمساويون عَلَى بلغراد وسائر مدن الطونة وفي خلال ذلك احبت انكلترا وبروسيا والنمسا ان تحمل روسيا عَلَى توقيف الحرب عَلَى العثمانيين لاشتغالهن بثورة فرنسا الاولى ولكن كاترينا صاحبة روسيا رأت الفرصة مناسبة لدوام الحرب واتمام رغائبها بشأن العثمانية وبولونيا الا ان جيوش العثمانيين ظفروا في عدة مواقع

بالجيش الرومي وذلك في البحر الاسود بالقرب من بكي قوله ثم بالقرب من آق بر (سباستبول) وانهزم امير البحر الرومي في ٨ ايلول سنة ١٧٩٠ وتبدد اسطوله وبعد خمس وستين سنة في ٨ ايلول اي سنة ١٨٥٥ سقطت سباستبول ايضاً وفي خلال ذلك حدث لروسيا ما اشغلها ببولونيا فعقدت الصلح مع الدولة العلية وفي سنة ١٧٩٣ قسمت بولونيا تقسيماً ثانياً وفي سنة ١٧٩٥ قسمت تقسيماً ثالثاً بين الدول الثلاث ولم تفه دولة من الدول ببنت شفة في الاعتراض على هذا العمل الا الدولة العلية التي اعترضت على نزع استقلال بولونيا بالقول والفعل ولكن قدر فكان واستولت روسيا وبروسيا والنمسا على بلاد البولونيين بعد مذابح بيعت فيها الارواح بيع المجان.

ولقد عزمت حكومات اوربا سنة ١٨١٥ ان تقيم في فينا مؤتمراً دولياً لتقرير حال السياسة وسعت روسيا ان لا يقبل فيه مندوب من الدولة العلية فنجحت في مسعاها وكان من اثر ذلك ان اخذت روسيا تحرض اليونان والصرب والبلغار من رعايا الدولة العلية على نزع ايديهم من حكومتهم فقضي في دسائسها الوف من هذه العناصر ومن المسلمين ايضاً

وحدثت بين سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤٨ عدة فتن داخلية في البلاد العثمانية وكذلك في بلاد الفلاخ والمجر وتدخل الباب العالي في شؤون ولايات الطونة واهم ذلك فتنة المجر ولو جرت الدولة العلية على تحالفها مع بولونيا والمجر وعنصراها من العناصر التي تحب العثمانيين كثيراً لنجت هي وهم من غوائل سياسية كثيرة

قلنا ان الدولة العلية ناهضت لحفظ استقلال بولونيا بالقول والفعل وذلك على عهد مصطفى الثالث الذي اعلن الحرب على كاترينا الثانية لمجرد الدفاع عن بولونيا فبعثت الدولة الصدر محمد امين باشا الى تخوم نهري الطونة ودنيستر سنة ١٧٦٨ فحاولت كاترينا ان تدخل اليه السم فاكتشفت المكيدة وشنق الاطباء ولكن عاد الصدر فتناول رشوة من روسيا هو وامير مولدافيا وترجمان الباب العالي فلما اكتشف السلطان امرهم امر باعدامهم في آب سنة ١٧٦٩ وارسل الباب العالي قائداً آخر ودام القتال بين البولونيين والعثمانيين من جهة وبين الروس من جهة أخرى الى سنة ١٧٧٠ وانتهى على مامر بك آنفاً بتدمير الاسطول العثماني في تلك الوقعة المشؤومة

فالمسلمون والبولونيون اصدقاء منذ عرفوا ما يكيد لهم اعداؤهم حتى ان بولونيا لم ترسل بجيش منها مع جيوش الصليبيين الى الشرق لما قام هؤلاء باستخلاص البيت المقدس

من ايدي المسلمين . ويكفي في عناية الدولة بالبولونيين وعنايتها بالمجريين ايضاً انها فتحت صدر بلادها لقبول المنكوبين منهم والعاملين على انهاض بلادهم واسترجاع سلطانهم فانزلتهم في ارضها على الرحب والسعة ووسدت الى بعضهم المناصب واستعانت بهم على تقوية كلمتها الجندية والسياسية حتى ان الدولة لما ارسلت الى مؤتمر بكرش الدولي مندوباً من قبلها في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر اعلنت بان دول اوربا اذا رضيت بان تعيد مملكة بولونيا الى حالتها يعدل الباب العالي علناً عن امتلاك ولايات الطونة ولذلك رأى عقلاء من البولونيين ان تؤلف كتائب بولونية سنة ١٨٥٤ تحت رعاية العثمانية فتألف عسكر القوزاق وكان منهم كتائب الدراغون التي جاءت الى سورية ايام فتنة سنة ١٨٦٠ في جبل لبنان

وكان من كتائب البولونيين في حرب القريم ان ابلوا مع العثمانيين بلاء حسناً ولما انتهت الحرب اقطعتهم الدولة بعض قرى في ضواحي بروسة واسسوا لهم بلدة في ضواحي الاستانة لاتزال الى اليوم وقد دان بعض قوادهم بالاسلام مثل ميخائيل ساجوفسكي الذي سمي بعد محمد صادق باشا ولوبورد زاكي الذي لقب بمحمد حلمي وغيرهما من رجال البولونيين الذين اخلصوا الخدمة للدولة العثمانية . وابن محمد صادق باشا المشار اليه هو مظفر باشا متصرف جبل لبنان السابق .

وهكذا كان الاتراك والبولونيون يتحابان كلما طال المدى خصوصاً والعثمانيون يعلمون حسن معاملة البولونيين ايام استقلالهم للتتار المسلمين النازلين في بلادهم ليتوانيا منذ سنة ١٤١٠ وكيف كانوا يعتمدون عليهم في الدفاع ويؤلفون منهم كتائب تغني غناءها في رد هجمات المهاجمين على بلادهم وكانت لهم حريتهم المذهبية والشخصية حتى كانت تسمح لرجالهم ان يتزوجوا من النساء البولونيات لقلة النساء عند التتار وان يتبعن مذهب رجالهن وما قط تزوجت مسلمة من بولوني كما انه لم يتزوج تاتاري من يهودية

وكانت بلاد بولونيا قديماً الطريق التجاري لبلاد الشرق الى اوربا لان بولونيا كانت اول بلاد المسلمين ولذلك ترى العادات والاذواق واحدة في البولونيين واكثر العثمانيين وبين البلادين من الصلات التجارية شيء كثير ولا سيما بعد ان زادت مدنية البولونيين ونما عددهم الذي بلغ كما قال مؤلف الكتاب الذي اعتمدنا عليه في تعريب هذه النبذة ثلاثين مليوناً وهم نازلون بحر البلطيق الى البحر الاسود ومن نهر اودر الى داويينا الى دينبر .

ذهب استقلال بولونيا منذ نحو قرن ونصف ودعاة استقلالها مازالوا منبثين في البلاد لم يدخل اليأس على نفوسهم والاب يلقن اباه والام تلقن ولدها التناغي بالاستقلال ويعلمون ابناءهم تاريخ بلادهم وعظمتها وبطش الحكومات التي تقاسمتهم ولا سيما روسيا ويذكرون لها مذابحها وافاعيلها فيهم فهل يوفق اولئك الدعاة الغيورون الى ما انصدوا اليه ذات يوم يأتوى ام يخضعون على الدهر لمن استصفوا ارضهم وديارهم .

ان انقضاء القرون في حياة الشعوب لاشأن له بقدر كر السنين في حياة الافراد وما المئة سنة بالشيء الكثير على امة تطلب التجديد ونزع ربقتها ممن يظلمها ولذلك يرجى الاستقلال لكل امة كان لها نفقدته كالمصريين والجزائريين والمنديين وغيرهم ممن استعمرت بلادهم واقرب الامم بالاستقلال البولونيون والليتوانيون .

الفصيح العامي والعامي الفصيح

من مبحث لنعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى اليومية في نيو يورك

ليس في اللغة العربية معجم واحد يستحق ان يدعى نجعة الرائد بوفرة الشواهد وكثرة الفوائد وضبط الشوارد ولا في غير اللفظة ما يدل على ازالة الابهام وكشف الغامض بايراد ابيات فحول الشعراء وعبارات بلغاء المنشئين في صحة الكلمة والعبارة كما نرى في وبستر في الانكليزية وليتره في الفرنساوية فترى اكثر الكتاب يتخرصون في ما لا يعذرون عليه ويتوهمون ان البيان في الدخيل والحوشي والبلاغة في المقيم والوحشي وان كل من حرف عرف .

فاللغة في حاجة الى معجم تقام على كل حرف وكلمة منه شواهد شعرية ونثرية يسلم معها الذوق ويستقيم ويرد الكلام المدعو عامياً الى اصله الفصيح ويعدل عن التقعر الى السهل المقبول

قد تهتأ ثوب اللغة حتى كاد يسقط من تقطعه فترى كل من تحيف بيانه عجمة وجدل عن ادعاء ومكابرة يجتحف الفصيح ويستلب البليغ ويحرك خشاشه غضباً على كل من

ملك من اللغة عنانا وضبط لها بيانا ويكون لايدري من اي الدهداء هو ولايعرف له في عالم الادب اصل او فصل ولكنه يتوهم ان كل كلمة يقرأها ولا يفهم معناها تكون من «الحوشي» والوحشي» ! » . وان كل ماتداولته ألسنة العامة ساقط يجب الترفع عنه وتكون الكلمة التي لايفهمها من ابلغ ماجرت به اقلام المنشئين والشعراء الا اذا لم يطالع ليعلم ولا تحرى ليفهم ويكون بعض ماتداولته ألسنة العامة من بقايا افصح اللغات العربية التي اعتورها التصحيف والتحريف وقليل من البحث يرجعها الى اصلها ويقيم من اللسان منآده على ماوقع من نحو خمسين عاماً اواليوم اذ توكف المجتهدون أثر بلغاء العربية الاقدمين وتنشطوا للبحث والتنقيب واقبلوا على التدقيق والتحقيق وقد ترجع مثابرتهم اللغة الى رونقها الاول بعد خمسين عاماً تأتي .

وليس لنا حق في مدارسنا الوطنية اثر « للوطنية » فترى ان كل مدرسة سورية قد اوجبت على تلاميذها التخاطب بلغة غريبة عنهم حتى عند اول دخولهم بابها فيتسرب العتوق وشيء من البله الى قلوب وعقول هؤلاء الاولاد المساكين ويكون القائمون على تهذيبهم وتدريبهم من خونة الوطنية ومجرمي الآداب اذ كيف يعقل ان طاباً لا يفهم من الفرنساوية او الانكليزية اوالروسية اوالجرمنية كلمة يكلم رفيقه باحداهن قبل انقضاء الاعوام عليه وكيف يقبل السوريون مثل هذه « الشريعة المدرسية » الظالمة التي تكم فم التلميذ وتعوده الخيانة اضطراراً لقضاء حاجاته الضرورية وتنشئه على حب لغة غير لغته ووطن غير وطنه ولو ان المدارس السورية توجب التخاطب بلغة اجنبية في ساعة واحدة معينة للتلاميذ لكان ايجابها معذوراً وان لم يكن له مثيل في اي مدارس اوروبا واميركا وانما هو الاحتقار يركب الصغار ! والمدرسة التي لا تصان فيها اللغةالوطنية تكون عدوة الشعب ولو كان منشئوها من الصرحاء .

ان البلاء ليس في الادعاء وحده بل في اختزال كل منا برأيه والتصرع والتصاغر للاجنبي والتمرؤ الظاهر تكلفه والتفوق البادي تحيفه مع الوطني وريح التخاذل حتى في اللغة تنجف كل ذروة باقية في جرفها وتحتمل كل درة كنا نعرفها قبل عصفها ولله في تدابيره شؤون .

وهناك آفة جديدة على اللغة من اهمال معاجمها المعروفة وعدم تنقيحها وتصحيحها وادخال الموضوعات الحديثة اليها ففي اي معجم نرى تفسيراً عصرياً للجهر والتدي والرعاد والمنطاد مثلا اوجمعاً لشتات ماأجمع على صحته المحققون اوتوسعاً في الاشتقاق

والنحت والقلب والابدال والتركيب والادغام مما لاغنى عنه في لغة حية بل نرى ان كل معجم يطبع حديثًا يجرد من الكثير من اصوله بدعوى حفظ آداب الناشئة وصون اخلاقها . فليكن ذلك . ولكن بعد بذل شيء من العناية لزيادة الضروري للكبار كانتقاص الضروري للصغار .

الفيلسوف اللغوي يجد في كل معجم حديث زيادة جديدة وشروحًا مفيدة الا في العربية الباقية كالرسوم الدوارس مع تعدد المدارس . وترى « المثقفين والمهذبين » ينشرون صفحات الحريري والبديع ومجمع البحرين وامثالها لاشراب التلاميذ روح المخادعة والمصانعة والجبانة والخيانة والحيلة والرذيلة على غير قصد منهم او بقصد استظهار الشوارد والاوابد ويطوون صفحات كل كتاب يكون افيد واعود وانفع وارفع لانهم لايزالون كالفلاحين الشرقيين محافظين على المحاريث القديمة !

ومن عيوب العربية ايراد جموع لامفرد لها وافعال لامصدر ولاماضي لاحدها فهل تقبل فلسفة اللغة شيئًا من هذا ؟ وهل يعقل ان واضعي اللغة بنوا كلاًّ من غير اجزاء ؟ اننا لاننسب هذا الخلل الا الى مدعي المحافظة على سلامة اللغة اذ يكونون يحافظون على قديم عقيم لايسلم به عقل سليم .

وفي اللغة عيوب كثيرة الصقها بها غير الراسخين ونظن ان أوان النهضة الادبية قد آن وانه يجب ان يعلن دستور اللغة كما اعلن دستور الحكومة

انا مورد الآن ماحضرني من العامي الفصيح للغاية التي بسطتها في التوطئة .

توًّا — اسأل عجوزًا او شيخًا ان يدلك على بيت او طريق في لبنان فيقول لك « اذهب توًّا » ويشير باصبعه والكلمة فصيحة من قولهم جاء توًّا اي قاصدًا لايعرجه شيء

بربص — يقال بربص الارض اذا ارسل فيها الماء لتجود او بقرها وسقاها سقيًا رويًا وهو المعنى الذي تستعمل العامة الكلمة له في بعض السواحل والقرى الغزيرة المياه اما في سائر لبنان فيفهمون بالبربصة رش الماء امام البيوت والحوانيت وليس في المعنى شذوذ

دعث — الدعث هو تدقيق الرجل التراب على وجه الارض بالقدم

ودعس — وقريب منه دعس الشيء اذا وطئه شديدًا والغريب ان اكثر الصحافيين يعتبرون « دعس » عامية وان الكتاب لايستعملونها لزعمهم ان المعنى العامي غير تام

اما « دعث » فلا يذكرها احد منهم مع ان القرويين يستعملونها « للرص » و يقولون عن الارض المدوسة مدعوثة وعن السطوح التي تكف : يجب دعسها او دعثها . فليتأمل القارئ

دعك — كلمة فصيحة ويقال دعك: الثوب اذا ألان خشنته الا ان متفرنجي اللغة لايرون في الكلمة فصاحة فيستعملون « أخلق » وهي لاتدل على شيء من الدعك بل على البذ والارثاث

دعر — يقول العرب : عود دعر نخر للرديء الكثير الدخان ويفهمون بالدعارة (بتشديد الراء) سوء الخلق و يقولون دعر العود اذا دخن ولم يتقد ونقول العامة رجل دعر اذا كان متصلباً جافياً وهو من المجاز الذي لاغنى عنه الا ان من الناس من لايريد ان يمتد نظره الى ابعد من ارنبة انفه .

دغري — في محيط المحيط ان « الدغري تحريف الطوغري بالتركية ومعناه الصحيح والمستقيم » فماذا لا يرجع الى الاشتقاق العربي فيكون معناه الانقحام من غير تثبت وهو المعنى الذي يريده اكثر العامة اذ يقولون : اذهب دغري وذهب دغري الى البيت واذا وجد اختلاف فما لايعتد به .

الثغرة — يلفظ اكثر اللبنانيين الثاء بين لفظها الاصلي ولفظ التاء او الطاء فيقولون اثغرت الثغرة و يستعملون الكلام الفصيح في المواضع التي لايحسن كثير من كتاب هذه الايام استعماله فيها ولاعبرة باللفظ الذي لايفسد المعنى — لو كان اللفظ يفسد معنى الكلمة لكانت اللغة الانكليزية فاسدة في اكثر كلامها بين اللفظ الانكليزي والامريكي والكندياني والاوسترالي .

الثلم — خط الحراث و يريد البعض جعله غير فصيح من طريقة لفظه التي اشرنا اليها في الثغرة .

احزك الحمل — شده جيداً « والمكارون » يستعملون هذه الكلمة الفصيحة التي لاترضي البعض مع ان معنى « حزكه » عصبه وضغطه واحتزك بالثوب احتزم .

بلصقي — اللبناني يقول : اجلس بلصقي اي بجنبي ولا يوجد اصح من هذا التعبير للمعنى المراد الا ان استعمال العامة له جعله عند بعض الناس غير عربي كما جعل بعض الفضائل مستحى بها الا ان لاصحابنا هؤلاء ينظرون الى الكلام نظرهم الى المصنوعات

الوطنية التي ليس لانفسها وأدقها قيمة عندهم ولو استطاعوا ان يعاضوا عن هواء سورية العليل بهواء معل بشرط ان لايكون « وطنياً » لما ترددوا .

مزعه — مزقه والكلمة عربية وعلَى لسان كل لبناني

شلخه — هبره بالسيف وجريمة العامة انها تستعمل الشلخ للدية والمنجل الا ان المنتشرين علَى اطراف الجبل والمضطرين الى منازلة ومقاتلة المغيرين والغزاة يقولون « شلخه بالسيف »

حز — وعلَى ذكر الشلخ نقول ان نصيب « حز » من (المتمصرين — ونريد بهم الذين يدعون تمصرهم بين بلغتنا العامية) ليس افضل من نصيب شلخ . يقال : حز الشيء قطعه وفي فقه اللغة للثعالبي انه خاص باللحم الا ان العرب تقول حز الخشبة فرضها والعامة تقول : حزز المنشار جعل فيه أثراً وتقول ايضاً « الحز » للقطع والحزة للقطعة ولا نرى مايعاب به الاشتقاق

حش — قطع الحشيش او طلبه وجمعه والكتاب يؤثرون استعمال « قطع الحشيش » علَى حشه مع ان الكلمة اصلية لا يصلح غيرها لمعناها .

القلت — النقرة في الصخر يجتمع فيها الماء واصلها لنقرة الجبل يستنقع فيها الماء ويستعملها الاولاد من العامة صحيحة دون اكثر الكتاب .

غطغط — غلب النوم عليه هذا هو المعنى الاعم عند العامة ويأتي بعده معنى غليان القدر فلو قام منشيء بليغ واستعمل الكلمة لقال « المتمصرون » عنه انه يأتي بالوحشي والحوشي او ان الكلمة دخيلة لانهم هكذا يريدون اوهكذا يفهمون .

زلق — زلقت قدمه زلت . والزلقة الصخرة الملساء وبها سميت قرية في ساحل بيروت وفي التسمية دلالة علَى ان اللسان العربي كان في بلادنا فصيحاً ولاتزال الآثار تشهد له الا ان من نكد الدنيا عليه ان عارفيه — بروحه لابلفظه — غير كثار وان جاهليه مع الادعاء بمعرفته جيش جرار

زحل — عن مكانه تنحى وتباعد

زحلقه — دحرجه ومنه تزحلق الاولاد في مطاوعه

شخر — صات من حلقه او انفه ولا ندري مايجعل الكلمة غير فصيحة في استعمالها للغطيط .

قفقف — في معاجم اللغة : قفقف الرجل ارتعد من البرد وغيره او اضطرب حنكاه

واصطكت اسنانه وهو المعنى الذي تستعمله العامة له تماماً الا ان هناك معنى آخر لم نعثر عليه في المتون وانما ورد رواية واسناداً في لسان العرب وهو : قفققت الدجاجة على بيضها حضنته واستعمال الكلمة شائع في لبنان للمعنيين فهل اغرب من هذا النقص في معاجم اللغة

وخش — الشيء كان وخشا اي رديئاً وهذا هو المعنى الذي تريده العامة من الوخش ضد الناعم لانهم لايخصون الاشياء فقط به بل يتناولون بمعناه رذال الناس وخشارتهم ويصيبون بكل فصاحة ·

طم = بالتراب دفن وغطى

كب = افرغ

طرقة — طريق

من الحاضر — من الجاهز

بتكه قطعه تشديد بتكه للمبالغة

بت — الامر امضاه

بربر = صاح واجلب وتكلم بالفاظ وحشية

قرقر = شقشق (حاجي تقرقر وتبربر)

وكل كلمة مما مر واجبة الاستعمال في موقعها اذ ليس مايسد مسدها

القز = في محيط المحيط ان العامة تستعمل القز لما غزل من الفيالج المبيضة فهل هي تستعملها الا لما استعملها له الشاعر القائل :

« يرفلن في سرق الحرير وقزه » ؟

راز وروز = يقال رازه جربه وامتحنه وقدره وراز الرجل اختبره قال الحريري

لاتسأل المر من ابوه ورز خلاله ثم صله او فاصرم

وروز كلامه روأ في تقديره وترتيبه فما قول المتفرنجين !

نتش — نتش اللحم جذبه قرصاً والشعر نتفه

النتفة = ما تنتفه باصبعك والفعل نتف بمعنى نزع · يرى المتروي ان معنى العامة في محله وان انكر المنكرون وعلى هذا المثال ثقل وثقّل

نش = الغدير أخذ ماؤه في النضوب وهو المعنى المستعمل له النش عند العامة اكثر من التحلب والنز · والنز من العامي الفصيح وهو النجل او الماء المتحلب من الارض

يقبق — من من السوريين لم يسمع هذه الكلمة ؟ تقول العامة فلان يقبق اي يهذر وفي المعاجم ان البقبقة تفريق الكلام على الناس وربما كانت فلسفة الكلمة في المعنى العامي الذي يتناول معنى الهذر والشقشقة والغموض

وهم يقولون ايضاً عند ازالم الجرة في حوض او الدلو في بئر ان الماء يقبق فليطلب الادباء الأصل لتثبت لهم فصاحة الكلمة

قرفة — يقال بنو فلان قرفتي اي هم الذين اظن عندهم طلبتي وسل بني فلان عن ناقتك فانهم قرفة اسب تجد خبرها عندهم والعامة تستعمل الكلمة كالقراف والمقارفة مصدري قارف اي قارب

وقراف من لا يستفيق دعارة يعدي كما يعدي الصحيح الاجرب

الا ان اصل المقارفة للاشياء الدنيئة وما لا شك فيه ان التعميم الذي جرت عليه العامة ناتج عن المخالطة المفسدة للغة الا ان غرضي الآن هو اثبات صراحة اكثر الكلمات الدارجة واذا وجد في بعضها خلل فذلك من جهل المدعين فوق ماهو من مخالطة الاعاجم اما ترون كيف تستدرك العامة المعنى بقولها: مقارفة التاجر الفلاني حسنة والآخر رديئة فروح اللغة لاتزال فيهم وهم افيد لها من الذين لايفهمون ولا يريدون تفهم معنى الكلام

قرف — تقول العامة قرف قمعة الشجرة اي انتزعها والاصل القشر

تف — هذا مثل التف عندي مثل وسخ الظفر وقد لاتكون العامة تفهم ان التف هو وسخ الظفر الا انها تفهم انه شيء لايعبأ به وتستعمل الكلمة فصيحة

تفه — اصل هذه الكلمة تفه وفساد لفظها لا يفسد معناها فهي فصيحة يجب استعمالها على حد ماتستعملها العامة بعد اقامة اللفظ فهي تقول: شيء تفه وامر تفه وكلام تفه وقولها صحيح فصيح

هبط — لازم متعد يقال هبط بمعنى سقط وهبطه بمعنى انزله واكثر استعمال العامة للفعل مشدداً فهم يقولون هبط الحائط فاين المأخذ ؟

مسماك — المسماك عود يكون في الخباء يسمك به البيت اي يرفع قال ذو الرمة الثقفي :

كأن رجليه مسماكان من عشر صقبان لم تتقشر عنهما النجب

والكلمة مستعملة عند القرويين بمعناها الوضعي الا انهم يستعملونها لرفع الكرم ايضاً

ويظن البعض انها لا تعود فصيحة فعلى هذا المذهب الغريب لايجوز لنا ان نضع للجاحبين شكيمة ولا ان نلقي الى الاكفاء مقاليد الامور .

ان بلية اللغة في ابنائها المقيدين لانهم مقيدون ولما كنا نبحث في المسماك فلا بأس من استعمال الكلمة العامية الفصيحة من ان كل من لايكون لطيفاً يكون بالطبع « سميكاً »

هبج — هبجه بالعصا ضربه وهبجه ورمه وتهبج تورم وبما ان العامة تستعمل الفعل بمجرده ومزيده لم يعد عند المتشئين فصيحاً

هبش وهمش — لينظر العارفون اذا كان معنى الجمع والالتقاط تاماً ام لا

جرّس — المتشئون يستعملون شهر والعامة تستعمل جرس للتسميع بالناس واشهار عيوبهم ونقائصهم والكلمة العامية اصح واوقع .

« ماهذه الجرسة ! »

هاش — لا تلتفت ياقارئي الى هوش الكلاب وتهويشهم فان ابناء العربية آخذون بخناقها وانما تذكر قول العامة : « الناس هائشون » وقولهم : « هم في هوشة وكانوا يتهاوشون » للدلالة على الهرج والهيج والفتنة والفساد والاختلاط وتذكر في الوقت نفسه ان الكلمة عربية فصيحة وان « الهوش والبوش » من فصيح اللغة ايضاً وانه لاينقصنا الا التحقيق والتدقيق

الكلمات التالية كلها من فصيح العربية المحسوبة عامية

الشلشلة القطران والانتشار — التشمير للرفع والتقليص — قش الشيء جمعه والاولاد والنساء في لبنان يقولون : نحن ذاهبون الى الحقل او الحرج نقش اي نجمع الوقود — هارش واثب وخارش للناس والكلاب والشيء بالشيء يذكر فالعامة تقول : رجل هرش للشيخ ولنا فعل هرش الرجل يهرش اذا ساء خلقه فاذا كانت كلمة هرش عربية فهرش مصحفة وهل اقدر الائمة لايلحنون ؟ — لازق لاصق — ولصقي ولصق بيتي بجانبي وجانبه — الهتيكة الفضيحة وهي في لسان العرب دون الفيروز ابادي ومحيط المحيط — حاص حوله اي حام — نعر صوّت بخيشومه وصاح : كفى تنعروفلان ينعر — رزه غرزه والشيء في الشيء اثبته : رز الوتد ورز الدبل والمد والجراب — صوّل الحنطة والكلس — عزوة الرجل — نُتْفة ونتفه ونتّفه — الوأف — خارت قوته ابي

ضعف — عزره لامه ووبخه — الولودية الصغر — خنخن لم يبين كلامه اي ابدى خنة او غنة في خياشيمه — خنفس عن القوم : كرههم وعدل عنهم ومنه فلان مخنفس والولد مخنفس · تفاصح تكلف الفصاحة — فلتة لسان وفلت لسانه · السحت الكسب من مال الحرام — نكس رأسه طأطأه — تعوق تأخر وتربث — يسرها الله : سهلها — طعمه مز : فيه مزازة اوطعم بين الحلاوة والحموضة قال الحريري :

لا ابالي من اي كأس تفوقت ولا ماحلاوة من مزازة

همدت النار : ذهبت حرارتها وطفئت البتة — نصت وانصت : سكت مستمعاً وتسمع — خبص الشيء بالشيء خلطه وخبصه للمبالغة — الخبتة : التواضع والخشوع — تزنتر : تبختر وهي فصيحة الا ان العامة تكره التزنتر والتبختر — حت : حك وقشر — خبطه : ضربه ضرباً شديداً

تبقط — تقول العامة : فلان يتبقط والمعنى انه يتناول الشيء قليلاً قليلاً او شيئاً شيئاً الا ان استهزاء جهلة المتعلمين بالعامة يجعل الكلام الفصيح غير فصيح عند الاغبياء دون سواهم ·

قرفص — من اين اتت القرفصاء التي هي ان يجلس الرجل على أليتيه ويلزق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه اذا كان لا يوجد لها فعل بمعناها فان قول العامة « قرفص » يدل على القرفصاء الا ان المعاجم تنكر هذا المعنى مع وضوحه · انشد ابو المهدي

لو امتخطت وبراً وضبّا ولم تنل غير الجمال كسبا

ثم جلست القرفصا منكبّا تحكي اعاريب فلاة هلبا

ثم اتخذت اللات فينا ربّا ماكنت الا نبطياً قلبا

الا ان العربية في حاجة الى التحقيق والتدقيق · انظر الى فرع آخر من هذا الاصل فانهم يدعون اللصوص المتجاهرين « قرافصة » لانهم يقرفصون الاسير اي يشدون يديه تحت رجليه الا انهم لم يذكروا للجمع مفرداً والجموع التي لا مفرد لها غير قليلة فهل هذا معقول ?!

نبر — من معاني نبر المعنى الذي اتخذته العامة لرفع الصوت · انشد اللحياني

اني لاسمع نبرة من قولها فأكاد ان يغشى علي سرورا

فلماذا لا تكون الكلمة فصيحة · لاندري !

نهر — بالله يا ابناء العربية ماهذه الفوضى ! تقولون نهر السائل وانتهره زجره والعامة

تستعمل المعنى نفسه الا بعض الانداء عن توسع ومايثبت وجود معنى الزجر في نهر العامة انها لاتستعمل الكلمة الا عند الحدة والشدة ففقدو اللغة هم اكثر حملة الاقلام لاالعامة التي لاتزال محافظة على مالايحافظ عليه اكثر الدارسين ٠ وقريب من نهر نده٠

تحوج — متى ذهب الناس في طلب الحاجات يقولون نحن ذاهبون نتحوج وكذلك يقولون عند شراء حوائج العروس ومع ذلك تعتبر الكلمة عامية عن غير ترو اذ ماهي بضاعة التاجر غير حاجته « وجهاز » العروس غير حاجتها ؟

خش — اهلاً وسهلاً خش ٠ اي ادخل وخشت الحية في الحائط دخلت والكلمة من الفصيح

هث — بماذا تهثني تعيرني وتحط مرتبتي ومنزلتي

مقمق — يجب ان يكون لنا من معنى التكلم باقصى الحلق هذا الفعل بدليل وجود اسم فاعل منه وهو المقامق الا ان معاجم اللغة لاتشير الى شيء من هذا او ان النقص الظاهر فيها تكمله العامة بقولها : فلان يشقشق ويقمق فليرجع المنقبون الى المتون ويعتبروا

طاح — ذهب وتاه في الارض ومنه « الطائح » عند العامة للفار من وجه الحكومة ولايوجد كلمة ادل على المعنى فيجب استعمالها

انثم الجسم — قلنا ان بعض لفظ العامة غير صحيح الا ان كلامهم فصيح ومن الشواهد « انثم الجسم » اي ذاب وضعف وبعض الدروز في لبنان لايزالون يلفظون الكلمة « على حقها » ولا يبدلون الثاء سينا وشيء من العناية يرجع الى اللغة رونقها ولو ان الحكومة تقيم الائمة لاقامة الكلام واللفظ لكانت تخدم البلاد والعباد ما زالت مدارسنا توجب على التلاميذ التخاطب بلغة اجنبية ولاتوجب عليهم التخاطب « ولو لساعة » بفصيح لغتهم كأن التخاطب بفصيح العربية عار وبفصيح سائر اللغات فخار

وقوق — من فصيح اللغة ان الوقواق المكثار والوقواقة المهذارة قال ابو بدر المسلمي

ان ابن ترنى امه وقواقه تأتي تقول البوق والحاقه

الا ان المعاجم لاتذكر الفعل الا لنباح الكلب واختلاط صوت الطير وعندي ان الكلمة على ماتستعملها العامة صحيحة فصيحة اذ كيف يقولون وقواق ووقواقة ولا يقولون وقوق بمعناهما ثم ان العامة تستعمل « الوقوقة » في التهكم كأنها تقول ان فلاناً يخلط ويلت فاذا رفض اللغويون الا التقيد بسلاسل التقليد البليد فلا اقل من التسليم بصحة المجاز

ات — ثم ان الات هو الخلط فلماذا يجوز لنا استعمال الخلط واعتباره فصيحاً ولا يجوز لنا استعمال اللت وهو بمعناه . فكم انت مظلومة ايتها العامة !

فقع — مات من شدة الحر والعامة تقول « فقع ومات » مع تخصيص المعنى بالهم والغم الا ان المراد ظاهر وحوادث الفقع في حمارة الصيف كثيرة في امهات مدن الولايات ويجب استعمال الكلمة الا من « مفاقيع » اللغة .

تصيع الرجل = ضل . من تصيع الماء اضطرب على وجه الارض وفي الحرف معنى التفرق بتردد وتحير فلماذا لانتوسع في اللغة كما توسع العرب قبلنا .

المداس = الحذاء الذي يلبس في الرجل « والمتفرنجون » يفضلون استعمال اللستيك والصباط والجزمة لان « المداس » مستعمل من العامة فكأنهم يحاولون اظهار تفوقهم بنبذ اصح الكلمات العربية لالحجة الا ان الكلمة من غير « زيهم » الحديث

حنك فلاناً = دلك حنكه والغريب ان الكلمة تعد عامية متى استعملت لدلك القابلة حلق الطفل قبل ان يرضع فاذا كان معنى الدلك موجوداً فاين « العامية » في الكلمة وهي على فصاحتها . ابعط في كلامه : لم يرسله على وجه قال رؤبة

وقلت اقوال امريء لم يبعط   اعرض عن الناس ولا تسخط

وابعط في السوم تباعد وتجاوز القدر — قال حسان

ونجا اراهط ابعطوا ولو انهم   ثبتوا لما رجعوا اذاً بسلام

سفق — سفقه بالكف : لطمه قال ابو منصور سفقت الباب واسفقته أجفته . وسفق وجه الرجل لطمه فاستعمال العامة للسفق في محله .

دمشق — الشيء زينه . قال ابو نخيلة :

« دمشق ذاك الصخر المصخر »

وهذا هو معنى العامة : شاب مدمشق وقامة مدمشقة

دلق — تروى في المعاني التالية ، تدلق السيل عليه واندلق هجم واندفع — اندلق الشيء خرج من مكانه ، وكل ماندر خارجاً فقد اندلق ويقال : طعنه فاندلقت اقتاب بطنه اي خرجت امعاؤه ودلق وادلق السيف اخرجه فاي جريمة لغوية في استعمال العامة للدلق والاندلاق بمعنى الصب والانصباب

عثر — زل ومعثر ساقط وزال والعامة تلفظ الثاء تاء

خثر — جمد وتماسك ومخثر مجمد

لزّ — الشيء شدّه والصقه والقوم اجتمعوا وتضايقوا والشيء بالشيء الزمه به فليعتبر اللغويون

زمك — عن ابن الاعرابي زمكت القربة وزمجتها اذا ملأتها والزمك ادخال الشيء بعضه في بعض والعامة تستعمل المجرد والمشدد استعمالا صحيحاً

زرك — زرك الغلام ساء خلقه . هذا عند اللغويين فصيح ولكن الا يجوز لنا ان نعامل زرك معاملة « سئم » فنقول اسأم وسأّم وازرك وزرّك ولماذا ؟! قد تكون العامة علَى صواب

دعقه — في لسان العرب . الدعق الدقّ ومحيط المحيط لايذكر هذا المعنى الذي هو معنى العامة تماماً الا اذا كان لايجوز لنا استعمال الصب للبترول لانهّ لم يكن عند العرب ولا لسائل آخر غير الماء والخمر

حوّشه — جمعه وانحاش عنه تقبض ونفر والحواشة مايستحيا منه والعامة تستعمل كل ذلك دون حملة الاقلام

لقلاق بقباق — مهذار كثير الكلام واللقلقة تقطيع الصوت والجلبة ولقلق وقلقل بمعنى واحد للتحريك والهز

لاط — لاطه خالطه وعجنه وقد وردت في كلام الامام علي

الحدْو — الحدو عند الموت من الفصيح

سن — سن الارض ملسها قال الشاعر:

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ـراء تمشي في مرمر مسنون

وهو المعنى الذي تستعمله القروية اللبنانية بعد ان « تطين بيتها او تمرحه » وتسنه وتسن « الحجرية »

شرم — شق وقطع فهو مشروم بكل فصاحة

استملح — الشيء عده مليحاً .

سبرك سبري — تريد العامة بذلك ان عليك ما علي لان اصلك كاصلي وهيئتك كهيئتي وليس من مغمز

تعنفص — كان ذا صلف وخفة وخيلاء وادعى بما ليس فيه ولا يريدون ان يكون له رباعي

تغنجت : شكلت وتدللت

تغلج : فلان على فلان بغى عليه وظلمه فهو مغلج

ثخنها : غلظها وصلبها

حزر : الشيء قدره وضمنه وحزره التي عليه مايحزره

اقلعت الباخرة = في الجرائد والمجلات والكتب نقرأ هذه العبارة الواجب الاقلاع عنها — كانوا يقولون اقلعت السفينة اي نشرت شراعها اوقلوعها تمخر شاقة الماء، ولم يكن ايام كانوا يستعملون العبارة بخار اما اليوم فلا يجوز ان نقول اقلعت الباخرة بل مخرت اوجرت الا اذا كان المركب غير بخاري وفي مثل هذه العبارة يظهر فضل اللغة العربية ويثبت لهؤلاء الذين لايعرفون شيئاً منها اننا بغنى عن تحدي الفرنجة الذين يقولون « اقلعت الباخرة » لفقر لغاتهم

ضربت بكلامه عرض الحائط = مهما التمس « المجازيون » من الاعذار لا اجد هذا التعبير عربياً فاننا لانضرب عرض الحائط بالكلام لنهمله ونسقطه ونطرحه ونرميه. نحن نقول في العربية جاء في كتاب فلان فضربت به عرض الحائط وانما لانقول مثل هذا القول عن الكلام نفسه

حررت له وارسلت له = اصعب ما في اللغة عَلى الدارسين انفسهم احسان استعمال حروف الجر وكل مدقق يتناول الجرائد والمجلات الا العدد القليل منهن يضحك من كثرة السقطات التي لايعذر منشيء عليها وفي مقدرته شراء معجم او في رأسه قوة تمييز بين هذا وذاك المعنى فانت لاتكتب لاحد الا اذا استكتبك ولا ترسل له الا اذا كلفك الارسال اما اذا اردت ان تقول انك تخاطب احداً بالكتابة فيجب ان تستعمل « الى » لا اللام وهكذا في الارسال ثم ان التحرير ليس الكتابة ولا الكتاب او الرسالة بل « انقاذهما من عبودية السقط والخلل » والغريب جداً ان منشئي الجرائد والمجلات يدعون الكاتب محرراً وهم يريدون المنشيء لا المصحح ولا المصلح ولا المهذب ليعذروا والاغرب من ذلك ان بعض جامعي المعاجم العربية سقطوا في ما سقط فيه غير المتمكنين والمدققين وقالوا عن الكتاب والرسالة « تحرير » فأدوا ولم يقوموا .

غب افتقاد شريف الخاطر العاطر = هل عَلى مثل هذه البلادة في الانشاء بلادة !

كل كلمة بنفسها فصيحة الا ان مجموعها لامعنى له والمسؤولية الحقيقية على المدارس

والاساتذة الذين يـقطون الى الجاهلين ولا يرفعونهم اليهم بل ان الجوي على الطرائق القديمة يجعل اكثر الكتابات سقيمة عقيمة « خالية من المعنى ولكن تفرقع »

ابقاء القديم على قدمه يجب ان يرجع الى عهد بلغاء العربية لا الى العهد المتأخر الذي اعتور اللغة فيه الخلل والفساد فما معنى العاطر والفاخر والشريف مع الخاطر ولماذا لانكتب ونكاتب بفهم وسهولة وبساطة وسلامة ؟

دام بقاؤه = طلب الدوام حماقة وحرام · اي بقاء يدوم ! تدوم المادة بعد استحالة ولكن الذين يطلبون دوام البقاء او يدعون للناس به لا يريدون المادة بل البقاء في دار الفناء وخلود من اعدت لم اللحود

حمى الدمع من عيونها — كم من العيون للمرأة وان تكن العيون عليها كثيرة

الملاحة الجوية — « في طعم هذا الاصطلاح ملح » فانه من غير روح العربية ومن غير فقهها فاذا كنا نحن اصحاب الجرائد اليومية نلتمس الاعذار لضيق اوقاتنا عند ما نلجأ الى الخواطر فما هو عذر اساتذة المعاني والبيان في المدارس والكليات وما هو عذر اصحاب المجلات — المطير اصلح من الملاحة وانما لابد من اختيار كلمة اصلح

المظلم والعامر — خرج من عالم الخرافة « المظلم » الى بلاد الحرية « العامرة »

الجرح يدمي — الجرح لا يدمي وانما يدمى

خذ اي كتاب ومجلة وجريدة واعتبر فلسفة كتابتها دون الالفاظ · او المعاني دون المباني · تجد اننا — الا عدداً قليلاً من حملة الاقلام — نتعسف ونتكلف ولا نراعي المعاني والبيان لان اكثر المنشئين متطفلون

نحن ابعد ابناء اللغات الحية عن وضع الكلام في مواضعه واقامته في مواقعه لاننا لاندرس فلسفة اللغة بل لان اكثر اصحاب الجرائد والمجلات والمترجمين والمؤلفين من غير الاكفاء الا بالتبجح والادعاء او ان اللغة امست واسطة للكسب والارتزاق حتى بالعبث والنفاق واليك بعض مايخطر في خاطري الآن اجيء به وأكل اليك الحكم

طارت نفسه شعاعاً — تخرصات الاوهام — يغيظه من النظام — هل يعتمد كلام السقيم في « طعم » الماء — رفع الابن باسطاً يديه الى والدته — سقط عليه بالضرب حتى « جلد » به الارض — الجالية والطارئة : دون تمييز بين الاستيطان والعود = يسير ويسري دون فرق بين سفر النهار والليل — « رحلوا » في القطار الى المدينة والولاية الفلانية · زاره اخوه فاحسن « قراه » = ظعنوا مع اصحابهم الى واشنطون =

شخص البياع الى بوسطن = كان الخواجا فلان يتدفق في خطابه كالسيل المنهمر الا انه اعتذر بانه غير خطيب وشكر الناس وجلس دون ان يتكلم !

ثم ماهي فائدة الحركات في اللغة اذا كنا لانوبد الا نصرف عن جعل الواو « الثقيلة الد » في اولي وعمرو وحيوة وصلوة بحجة التمييز وازالة اللبس وهلا يوجد غير هذه الكلمات في العربية بحاجة الى الضبط ؟ ثم ماهي فائدة الحركات اذا كنا نكتب « إله » ولايجوز لنا ان نكتب مونثه إلهة ؟ ثم كيف يعقل ان تكون جموع لامفرد لها مثل شلقة ومخاطر ومحاسن وشماطيط وما جمعه الثعالبي وغيره وهل كل مالايكون سمعه الجامع لايكون وضعه الواضع جريًا عَلَى القياس ؟ وكيف يمكن ان تكون المطاوعة في فعل ولاتكون في آخر مثله تمامًا ؟ وكيف تكون صيغة افعل التفضيل في ما لافعل له كقولهم : هو اقلط منه او كيف يكون مضارع لاماضي له كقولهم : لم يذر؟ اومزيد لامجرد له والامثلة متوفرة ؟

وثمت منابت العربية بعد ان كانت مستخلصة وتفاصح كل من لم يكن فصيحًا ولن يكون متفصحًا فوجب ان يرجع الناس الى فقه اللغة الذي لا اعني به كتاب ابي منصور الثعالبي بل فلسفة اللغة حتى لايوصل كل من اغتر بمقدرته الكلام عَلَى عواهنه ويحسب ان من جمع كلمة الى كلمة كان شاعرًا وناثرًا واماماً وثقة — يجب الاقلال من الترديد المبهم الذي لايزيد الا اعتكالا والاعتدال في تعليم القواعد بحسب كل مذهب والتوثق في معاني البليغ من المنظوم والمنثور والاستكثار من حفظ الجيد ولاسيمابدعى السهل الممتنع ويجب ان تكون مجلاتنا وجرائدنا المدارس الحقيقية فترفض كل كتابة عليلة بالمعاني الضئيلة وينبه المغرور والشعرور الى مايفسد الذوق ويدعو الى الهزء . ومن فقه اللغة ان نصطلح عَلَى مايذلل لنا صعاب اللفظ عند الترجمة والاستشهاد اي ان يكون لنا مانستطيع معه نقل الكلمة الاعجمية من نكرة وعلم الى معناها الاصلي وقد كان للعرب دوم واشتمام فليكن لنا زيادة عَلَى مثالها والله وليّ التوفيق

تولستوي

فقدت الحكمة عضواً عاملاً من دعاتها وعمدة ثقة من اعز انصارها ورعاتها وانساناً كاملاً خدم الانسانية بافعاله واقواله وادهش ارباب التقاليد بحسن مثاله وراع قلوب اهل السلطة بحظوته واقباله ونعني به فيلسوف روسيا واحد رجال الاخلاق في هذا العصر الكنت ليون نيكولا يفتش تولستوي الذي هزّ نعيه ارجاء العالم المدني وا كبر رجال الاصلاح هول المصاب به

ولد هذا الحكيم في اياسنايا بوليانا من اعمال ولاية تولا الروسية سنة ١٨٢٨ فيتم من امه وهو ابن سنة ونصف وفقد اباه في العاشرة وهو من بيت وجاهة وغنى وكان جده سيء الادارة يميل الى البذخ والاسراف ففقد ثروته حتى اضطر الى التوظف فعينته روسيا والياً لقازان وجاء ابنه والد تولستوي ولم يكن على شيء من العفاف حتى العشرين من سنه (١) ورزق ابناً من خادمة زوجه منها اهله ثم تخلى عن الوظائف وتزوج بوالدة تولستوي وكانت غنية تحسن الروسية كتابة وقراءة كما تحسن الانكليزية والالمانية والافرنسية والايطالية والفنون والضرب على البيانو وكانت على جانب من حرية الفكر وسلامة الوجدان والسذاجة

واشتغل والد تولستوي بالزراعة في الاملاك الواسعة التي ورثها عن ابيه واتصلت اليه من زوجه وكان يحب المطالعة واقتنى مكتبة فيها شيء كثير من آداب الفرنسيس وكان من عادته ان لايقتني كتاباً قبل ان يأتي على مطالعة ما اقتناه من قبل فنشأ ليون تولستوي على اللغة الافرنسية وكان يفهم كتب الفيلسوفين الفرنسيين روسو وفولتير كما يفهم شعر بوشكين شاعر الروس واخذ الافرنسية عن استاذ فرنساوي اسمه سان توما ولم يبلغ الخامسة عشرة حتى كان متشبعاً بآدابها

ربي في المذهب الارثوذكسي ولكن لم يكد يبلغ التاسعة عشرة من عمره حتى تجرد عن الاعتقاد بالكنيسة ولكنه عمد الى التقية فلم يكن يظهر ما يضمر وكان وهو طالب يقوم بالفروض والواجبات وغادر سنة ١٨٤٧ الكلية التي كان يدرس فيها ليلتحق بالفلاحين ويحسن اليهم الا انه لم يفلح وفي سنة ١٨٥١ سافر الى القفقاسيا حيث عين ضابطاً في المدفعية واشتهر ببسالته في حصار سواستبول فعين قائد فرقة وكان في خلال تلك المدة

(١) المقتبس م ٣ ص ٤٠١ ترجمة تولستوي لنفسه

قد نشر باكورة كتبه موقعة بالحروف الاولى من اسمه واسم أسرته ثم اقام في بطرسبرج مدة فكتب عدة مصنفات وقصص له وساح سنة ١٨٥٨ في المانيا وسويسرا وفرنسا وعاد الى روسيا بعد تحرير الفلاحين فانشأ في بلده مدرسة نموذجية للفلاحين ومجلة في التربية والتعليم وعين قاضي صلح · وفي سنة ١٨٦٢ تزوج وطابت نفسه وحسن سلوكه ولم يكن من قبل كما قال عن نفسه على حالة حسنة في آدابه وكانت كتبه التي كتبها لاول عهد زواجه احسن ماخطته يده واسماها فكراً وفي سنة ١٨٧٤ اخذ يتساءل عن مصير الحياة فصارت تبدر بوادر ذلك على أسلة قلمه ولسانه حتى اذا كانت سنة ١٨٨٣ تعرف الى فلاحين كانا انشأآ لهما مذهبين دينيين من مقتضاهما ترجيح العهد القديم على العهد الجديد وان اصلاح العالم لايتم الا بالعمل اليدوي والشخصي وبعد ان جاهد تولستوي نفسه تخلى في رواية عن بعض املاكه فوزعها على الفلاحين وترك جزءاً منها لأسرته كان يعمل فيه بنفسه على نحو مايعمل صغار الفلاحين بايديهم ومنذ ذلك الحين لم يترك بلده وطفق يحرث الارض كما يحرث الآداب ويبث الفضيلة وصار قصره مجمع العلماء والفضلاء · وفي ٢٤ شباط ١٩٠١ حرم المجمع المقدس الرومي تولستوي لالحاده وخروجه عن ربقة التقاليد الارثوذكسية وتخوفت الحكومة الروسية عادية افكاره فصارت تراقبه حتى كادت تنفيه مع الوف ممن كانت تنفيهم الى سجونها في سيبريا لولا ان لطف الله به ونفس خناق الحرية عن امته بانشاء مجلس الامة

ويعتبر تولستوي بانه من اقدر القصصيين الذين نبغوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد اجاد في ذكرى الماضي من حياة امته ووصف الروح الروسية والاخلاق الروسية بحسن مأتاه وجودة اختياره وتفصيله وتصويره فكان مما رزق من هذه الهبة يصور لك ابطال قصصه كأنهم احياء بل يصور كذلك الاشخاص من الدرجة الثانية والجمهور · وهو قليل العناية بانشائه ولذلك لاتقرأ عليه مسحة التفنن واذ قد نشأ تولستوي لاهوتيا تراه يحاول ان يقترب مما يراه بانه النصرانية الاصلية · وتطالبه الفلسفة الطبيعية بأنه احد دعاتها والناقمون في ضرامها وان تولستوي ليبحث في كل مكان عن الطبيعة · والجوهر في قاعدة حياته الجديدة هي الطبيعة الصوفية وللاخلاق عنده المقام الاول وجماع القول في فلسفته ان « لايقاوم الشر بالشر » · وقد ظهرت كتبه كلها في اللغة الروسية في ثمانية عشر مجلداً وترجم معظمها الى لغات اوربا الراقية وترجم بعضها الى العربية ولا سيا قصصه ·

وهذا الدور الاخير في حياته هو الذي تمنى ان يموت عليه قال في ترجمته نفسه : لما ذكرت ماأتيت من خير وماتم عَلَى يدي من شر رأيتني اقسم ادوار حياتي الطويلة بأسرها الى اربعة ادوار : اولها ذاك الدور العجيب خصوصاً اذا قيس بالدور الذي يليه — البار البهج الشعري واعني به دور الطفولية · ثم الدور الثاني وهو عشرون سنة كان فيه من الفشاء الغليظ والخدمة والطمع بالمعالي وخصوصاً في المكاسب ما كان · ثم جاء الدور الثالث وهو ثماني عشرة سنة اي منذ تزوجت الى نشوري الروحي وهو الدور الذي يحق له ان يدعى في نظر العالم دور الاخلاق بمعنى اني عشت في هذه الثماني عشرة سنة كما تعيش الأسر بالحشمة والنظام غير مستسلم لفسدة ينبذها الناس ولكن جميع مصالحي كانت مقصورة عَلَى عنايتي بأسرتي عناية مقرونة بحب الذات ممزوجة بالانانية وعَلَى زيادة ثروتي وعَلَى نجاحي الادبي وعَلَى مختلف حظوظ تنالها نفسي والدور الرابع يرد الى عشرين سنة التي انا فيها الآن واود ان اموت عليها وبها يتمثل لي ماقي الحياة الماضية من عظيم الخطر وهو الدور الذي لاابغي سواه ماخلا اعتيادي الشر الذي اندمج في روحي في الادوار الاخيرة ·

هذا مجمل من طفولية تولستوي وشبابه وكهولته وشيخوخته وقد نشأ فيه القيام عَلَى الظالمين ومجاهدة المستبدين من الرؤساء الدينيين والدنيويين مما تثقفه عن خالته تاتيانا الكسندروفنا وكانت من النساء المتهذبات فعلمته الحب والميل الى الوحدة والتأثر من المظالم كما علمه روسو وفولتير نزع ربقة التقاليد الموروثة · ولكن تولستوي لم يتحرر كل التحرير من رق العبودية للمحيط والمنشإ وبقيت فلسفته ترشح من صبابات النصرانية ومدارها لاتقابل الشر بالشر · ولو سارت اوربا عَلَى هذه الفلسفة لما قام عمرانها وانبسط سلطانها عَلَى ماترى · فلسان حال الغرب « وجزاء سيئة سيئة مثلها » فحكمة تولستوي ليست كحكمة معظم انصار الحكمة في الغرب اليوم مادية صرفة بل هي روحية ممزوجة بطرف من آداب النصرانية تتخللها عقائد اشتراكية متطرفة فهو لايرى ان يملك الأرض احد لانها لله بل ان تترك وشأنها ينتفع بها عباده ويرى ان لايعاقب المجرمون بالسجن بل ان يصفح عنهم الصفح الجميل ولا يعتقد بالوهية المسيح بل يرى انه انسان ذو مذهب هو خير المذاهب للناس ومن افكاره الاشتراكية بل الفوضوية ان احسن الطرق في الخلاص من ظلم الحكومات ان يمتنع الناس عن الخدمة العسكرية وعن اداء الضرائب وبذلك تضطر الحكومات الى اصلاح امرها

ومن تعاليم تولستوي الادبية ان يتعد المرء عن مغازلة النساء و يتحد بزوجه قلباً وقالباً ولايهجرها لان هجرها مفسدة واي مفسدة وان الواجب ان لايفرق الانسان بين مواطنيه والغرباء لان الناس ابناء اب واحد وام واحدة وان يسعى كل امرئ بازالة عدم المساواة بين البشر حتى يعيشوا بسلام · وله آراء في المعاد بعضها مما لا يقره عليه رجال الدين

ولقد ضاق صدر تولستوي قبيل وفاته من شؤون بيته و يقال انما نشأ ذلك من مقاومة أسرته له في امر خيري كان يريد ان يختم به حياته وهو ان يجعل ريع كتبه مادام الدهر وقفاً على أمته فلم يوافقه على هذا الفكر اهل بيته ولا سيما زوجته المشهورة بيخلها فقام تولستوي ذات يوم ورافق طبيبه على نية الهرب من بيته وركب في الدرجة الثالثة من القطار ليساوي الفقراء ولكن كانت المركبة مكتظة بالركاب حتى لم يكن فيها محل يجلس فيه الشيخ الحكيم فعرض موظف السكة الحديدية عليه ان ينتقل الى الدرجة الاولى او الثانية فابى ونزل في احدى المحطات وهي اسكابوفا و بصق دماً وزادت حرارته ثم اسلم الروح في غرفة مدير المحطة و يقال ان الفيلسوف كان ينوي ان يلحق باحد الاديار لينضم الى من فيه يعبد الله على مناحيهم وانه قابل ابنة له راهبة في طريقه وفاوضها بضع ساعات كما خلا ساعات برئيس دير ثان

والاقرب الى الفعن ان تولستوي عزفت نفسه عن الدنيا واحب التجرد عنها وعن الملاذ والابهة في قصره وعن عيشه المحفوف بالخدم والحشم شاء ام ابى واراد ان يفعل الخير بوقفه مداخل كتبه على الامة فعاكسته زوجه وكان منه ان هام على وجهه لايدري كيف يسير فوافاه حمامه وشق نعيه على امته البالغة مئة وخمسين مليوناً من البشر وعلى كل من اطلع على طرف من افكاره وفلسفته العملية من منوري الارض ولا عجب اذا عدته امته مفخراً من مفاخرها جاد به الزمان وعده اهل الاخلاق والحكمة والاصلاح من اعظم من عملوا لادب النفس واصلاح المجتمع الانساني

سير العلم والاجتماع

الصناعة في مصر

القى علي بك ثروت خطبة في الصناعة في المؤتمر الوطني المصري جاء فيها ماملخصه :

لم يخطئ من قال ان الصناعة أثر الذكاء الانساني في استخدام الطبيعة وتصغير أشكالها والتأليف بين قواها المختلفة ولذلك كانت اقوى الامم من بنت هيكل قوتها على اساس مكين من الصناعة

وقد كانت امتنا المصرية راقية في صنائعها منذ القدم . ولا تزال الآثار التاريخية شاهدا حياً على مبلغ رقيها الصناعي . وكفى في الدلالة عليه ان البلاد المصرية هي التي ثبتت فيها قوى الفراعنة ومدنيتهم وحفظت معها مدنية العرب

وكان حظها من الصناعة في التاريخ الحديث وافرا فانه لما ولي محمد علي باشا الكبير الاريكة الخديوية افرغ جهده في ترقية الصناعة الاهلية وجلب لها من الخارج ماينقصها من فنون الصناعة الاجنبية

نظر الى البلاد المصرية نظر حكيم فرأى انها بطبيعة تكوينها زراعية صناعية فشمر عن ساعد الجد واخذ ينشئ المصانع المختلفة في كثير من بلاد الوجهين البحري والقبلي . اعانه على ذلك علماء فرنساء بعض اساطين الصناعة فيها وساعده ايضا كثير من الايطاليين والنمساويين . وقد جاوز عدد المصانع المختلفة التي انشأها مائة وخمسة وسبعين مصنعاً يصنع فيها الخزف والزجاج والجلد والجوخ والانسجة المتنوعة والخيط بانواعه والطرابيش والالبسة والاسلحة والبارود والمعادن والمدافع والسفن الحربية وجميع ماله علاقة بالمعيشة . فكان المصري يلبس ملابس اهلية تصنع في بلاده وكانت المدن الكبيرة والصغيرة والثغور وسائر البلدان العامرة حافلة بهذه المصانع والمعامل المتنوعة

ارسل الارساليات العديدة الى كثير من العواصم الاوربية لاتقان الصناعة حتى اذا عادوا الى بلادهم بعد ذلك آبوا واقفين على اسرار الفنون محيطين بدقائق الصناعات فحلوا محل اولئك المعلمين في المصانع المصرية

انشأ محمد علي مصانع اخرى لصنع الشمع واحواضاً لصنع لوازم المراكب الحربية وداراً لضرب النقود في القلعة فكانت مصر في ذلك العهد ارقى كثيراً من اليابان

أخذت الصناعة تنمو وتزهر حتى بلغت من الانتشار والرقي مبلغاً عظيماً وبقيت كذلك حتى عهد الخديوي سعيد وقد اسس معملاً كبيراً كان يديره افرنسي كبير هو انجلو بك

ثم اخذت الصنائع الاوربية تفد على مصر وعلى الاخص بعد انشاء السكك الحديدية المصرية فالح قناصل الدول على سعيد باشا ان يبطل جميع المعامل فأبطلها ماعدا معامل الحربية فانه ابقاها كما انه انشأ مدرسة الفنون والصنائع وقصر التعليم فيها على تعليم الرسم وفن العمارة وغيرها من الفنون الجميلة

وقد وفدت على مصر في عهد الخديو سعيد بعثة افرنسية من المهندسين الجيولوجيين للبحث عن المعادن في بلادنا فأذن لهم الخديو ان يعملوا . وفي اثناء عملهم عثروا في السودان على صنف الفحم الحجري وحملوا منه كمية الى مصر لاجربتها فجربت ووجدت نافعة وأقر على نفعها انجلو بك ولكن قنصل انكلترا في ذلك العهد الح على الخديو ان لا يعنى بهذا الامر بدعوى انه يكلف الحكومة المصرية نفقات طائلة فضلاً عن ان الفحم من صنف غير جيد فأطاع الخديو وفقدت مصر بذلك مرفقاً تجارياً مهماً

وقد انشئت في اوائل عهد اسماعيل مدرسة العمليات الكبرى في بولاق وكانت هذه المدرسة قائمة على نموذج مدارس الصنائع بفرنسا عين لها جيجون بك الفرنسي ناظراً . وقد بلغت من الرقي مبلغاً مدهشاً فكان المتخرجون فيها يؤدون عمل المهندس الميكانيكي والمهندس الرياضي معاً . وفي ذلك الوقت أنشئت المطبعة الاميرية في بولاق وانشئ بجوارها معمل لعمل الورق على اختلاف اصنافه واشكاله وكان ما يخرجه هذا المعمل كافياً لحاجة مصر . وقد بقيت على تلك الحال حتى هبط الاحتلال بلادنا . وكذلك انشأ الخديو اسماعيل معامل السكر في الوجه القبلي والمدارس الصناعية في كل بلد من بلاد القطر فكان عهده من هذه الوجهة عهد حياة للصناعة والصناع

قضت سلطة الاحتلال سنة ١٨٨٤ ان يلغى معمل المدافع النحاسية وتباع عددها الكبيرة فبيعت هذه العدد من شركة انكليزية بثمن بخس كما قضى ببيع عدد ضرب النقود الى شركة انكليزية اخرى وكان من هذه العدد ما لم يستعمل بعد وما لم تفتح صناديقه الا ايدي رجال هذه الشركة وصدر الامر ببيع جميع عدد آلات مصنع الورق وذلك في سنة ١٨٨٥ وفي هذه السنة ايضاً باعوا آلات وعدد الورشة الكبرى التي كانت الخاصة الخديوية قد انشأتها حين اشترت سراي الجيزة

وفي سنة ١٨٨٧ بيعت العدد والآلات التي كانت تدار بها مغازل القطن وبيعت ورش القطن في الاقاليم واحدة بعد أخرى

وفي عام ١٨٩٨ بيعت جميع آلات دار الصناعة « الترسانة » الكبرى بالاسكندرية وبيعت مراكب البوستة الخديوية واحواضها لشركة انكليزية بمائة وخمسين الف جنيه وهو لايعادل نصف ثمن حوض واحد والاحواض كثيرة والمراكب اكثر

اما مراكب بولاق وترسانتها فان جزءاً عظيماً منها قد بيع

انشأ المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف الاسبق مدرستين صناعيتين احداها في المنصورة والثانية في اسيوط ليكون منهما ابر ملجأ للتلاميذ الذين فصلوا من المدارس التجهيزية التي كانت في المديريات فالغاها الاحتلال اما مدرسة المنصورة فلم تبق طويلا لان الورشتين اللتين يملكهما بعض الانكليز في تلك المدينة قضتا على حياتها . حتى اذا كانت سنة ١٨٩٣ عادت الى حالتها السابقة واصبحت الآن ورشة بسيطة لايتعلم فيها الطلاب الا مبادئ القراءة والكتابة والهندسة والحساب والرسم العملي بعد ان كانت تعلم فيها العلوم الهندسية والميكانيكية العالية

وليس ثمت دليل على عظيم الخطأ في عدم رقي الصناعة في مصر اقطع ولا انصع من الاقوال السديدة التي ذكرها المسيو (ليوبولد جوليين) المهندس الزراعي واحد واضعي تقرير لجنة القطن الاخير فقد قال :

« ان كل امة يكثر فيها وجود المواد الاولى الضرورية للحياة يكثر فيها كذلك وجود المعامل لصنع تلك المواد فيها ومن اهمها القطن فان كل الامم التي تزرعة تنشيء بجواره معامل لغزله ونسجه والانتفاع به عدا مصر فانها لاتزال فقيرة في معاملها خلواً على الاخص من هذا الصنف »

سعى الساعون في تأسيس معملين لنسج المنسوجات القطنية في سنة ١٨٩٩ احدهما في القاهرة والآخر في الاسكندرية . اما معمل القاهرة فقد اغلق . ولايزال الآخر باقيا وفيه ثلاثون الف مشط واربعمائة نول

وقد لقي مؤسسوه صعابا جمة في تأسيسه اهمها وضع الحكومة المصرية على منسوجاته ضريبة قدرها ثمانية في المائة

ثم رأت ان تنزل هذه الضريبة الى ثلاثة في المائة لمدة خمس سنوات . فعسى ان

تجعل الحكومة هذا الاعفاء دائما حتى يتيسر لمروجي هذه الصناعة ان ينشروها في كل مكان

على ان في البلاد المصرية غير هذا المعمل نحو ستة آلاف وثلاثمائة نول للنسج وكلها للوطنيين وهي تستورد خيوط الغزل من الممالك الاوربية وقد استوردت في سنة ١٩٠٨ من هذه الخيوط ما قيمته ٢٢٩٠٠٠ ج

على انما تستهلكه البلاد المصرية في عام من المنسوجات الاوربية بلغت قيمته في سنة ١٩٠٨ ٤٢٠٠٠٠٠٠ ج ولو كانت مصر تنسج منسوجاتها في معامل لحسابها لبقيت هذه الملايين في خزائنها ولم تنقل الى خزائن المعامل الاوربية

وقد فكر بعض ذوي النفوس العالية في الحال وفي مقدمتهم المرحوم مصطفى كامل باشا الذي اقترح على الامة في سنة ١٩٠٢ انشاء معهد صناعي كبير يكون بمثابة تذكار لمرور مائة عام على تولية محمد علي باشا الكبير مؤسس البيت الخديوي فلبت جمعية العروة الوثقى بمدينة الاسكندرية نداءه واخذت في الاكتتاب لتأسيس مدرسة محمد علي الصناعية فوجدت من نفوس الامة ارتياحا واقبل على الاكتتاب الكثيرون وفي مقدمتهم الخديو واعضاء الأسرة الخديوية وكرماء الاوربيين القاطنين في مصر

وما جاءت سنة ١٩٠٨ حتى كان بناؤها عاليا ووضعها محكما وهي اليوم تقدم للثغر احسن الاعمال وتكفي الكثيرين من ابنائه ثم نحا اهل الخير هذا النحو فتأسست مدرسة في اسيوط بهمة محمود باشا سليمان احد كبار الاعيان وتأسست مدرسة في بني سويف وثالثة في الفيوم

وقد عني الامير حسين كامل باشا بالاكتتاب لمدرسة كبرى صناعية لمديرية البحيرة فلبى دعوته كثير من الاعيان الاغنياء وبلغ الاكتتاب نحو ٣٠٠٠٠ جنيه وظهرت هذه المدرسة في اجمل مظهر وهي تعمل الآن اعمالا مفيدة

وكذلك عنيت بطريركية الاقباط واسست مدرسة صناعية كبرى في بولاق اكتتب لها الكثير من ابناء هذه الطائفة بمبالغ طائلة وكذلك مدرسة طوخ الصناعية فانها شيدت في هذه الايام الاخيرة على احسن طراز وغير ذلك من الورش الصغيرة .

واخيراً فكر يوسف كمال بك في ان يخدم امته من طريق العلم والصناعة فاسس مدرسة لتعليم الفنون الجميلة ووقف عليها عقاراً يقدر بخمسين الف جنيه واخذ في تشييد دار كبيرة لها واختار لها مديراً افرنسيا هو المسيو لايلاني النحات النابغة الشهيرة

ووكيلا هو فؤاد افندي حسيب واختار اساتذتها من الاوربيين والمصريين المشهود لهم بعلو الكعب والتفوق في هذه الفنون الجليلة

فاعاد الامير بانشاء هذه المدرسة الى مصر روح النحت والنقش والظل وفن العمارة وغير ذلك من الفنون الجميلة الكبيرة التي تعود عَلَى مصر لا محالة بجليل الفوائد

لحوم البشر

ان عادة اكل اللحوم البشرية غير محصورة في مكان ففي الكتب اليونانية القديمة اشارات اليها والايرلنديون الاقدمون كانوا يأكلون موتاهم وفي مكسيكو وبيرو قبل فتوح اسبانيا كانت تشهر الحروب ليستحصلوا ذبائح من البشر لاعيادهم وولائمهم

لكن بولنيزيا لم تزل محافظة عَلَى هذه العادة الى عصرنا الحاضر ومبتدعو تلك العادة في تلك الجزائر هم سكان جزائر الفيجي وهي عندهم من الفروض الدينية وهم مولعون بطعم لحوم البشر الى درجة ان احدهم كان يعيش مع امرأة له عيشة راضية فلا يكون منه الا ان يقتلها ويقتات بلحمها كما رواه وليم في كتابه عن سكان الفيجي وهم لايفضلون لحم الطفل عَلَى لحم الرجل او المرأة المسنة بل يأكلون ماتيسر بعد شيه ٠

من افظع العقوبات عندهم انهم يبترون اطراف المجرم وهو حي ينظر اليها تشوى وتؤكل

ومن افظع ما يروى ان رجلا من اهل هذه الجزيرة كان يفاخر بانه اكل مدة حياته ٩٠٠ انسان وهو مع ذلك يقرب الضيف وليس عنده من الشراسة اكثر من باقي سكان الجزيرة ممن لم يأكلوا لحم بشر مدة حياتهم ٠ ويروى ان شيكا زعيم احدى جزائر الفيجي امر في ساحة الحرب مايربو عَلَى مائتي مقاتل من عسكر العدو وفي صباح ذلك اليوم اولم وليمة دعا اهل الجزيرة لحضورها ومشاركته بالتمتع بلحم الاسرى ٠

وفي غينة الجديدة عندما يشيخ الرجل ويصبح غير قادر على العمل يأخذه اهله ويربطونه الى غصن شجرة ويجتمعون حوله يرقصون ويغنون بقولهم « الثمرة قد نضجت الثمرة قد نضجت » ثم يهزون الغصن فيقع الشيخ على الارض فيأكلونه ٠ وفي جزائر الهبريز الجديدة يفضلون اكل لحوم السود عَلَى لحوم البيض وهذه العادة ايضا منتشرة بين سكان كليدونيا الجديدة ٠

يقول المستر تيلور في كتابه عن زيلندا الجديدة ان الطريقة المتبعة هي انهم يرسلون سللا مملوءة بلحوم البشر من طرف الزعيم الى اعوانه فمن قبلها منهم يأتي الى الموعد

المضروب بمجموعه للمساعدة وهم يعدون من لايذهب الى الحرب ويأ كل من لحوم البشر « غير مهذب » وبعد انتهاء المعركة تجتمع جثث القتلى وتنزع لحومها عن العظام وترسل الى بيوت الانصار والحلفاء ٠

والمزية الوحيدة في تلك العادة ان الذين يتولون تقطيع الفريسة وتعريق لحمها يصبحون على شيء من المعرفة في تركيب اعضاء الانسان لذلك تراهم ماهرين في رد خلع المفاصل ٠ هذا وقد اخذت تخف وطأة هذه العادة منذ اخذت المدنية الحديثة تدخل الى تلك الجزائر اه ٠ ملخصاً عن مجلة الاثري الاميركي

الصور السمائية

تكلم احمد بك زكي في محاضرة التي نشرتها مجلة المقتبس في الجزء السادس من المجلد الخامس تحت عنوان (الكتابة والكتب ودورها) على كتاب (الصور السمائية) لعبد الرحمن ابن عمر بن محمد بن سهل الصوفي فقال عنه : واذا بحثتم في ارض مصر من الشلالات الى الاشاتيم ومن بادية العرب الى صحراء لوبيا لاتجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية اما الاصل العربي فقد لبس طاقية الاختفاء وتطاير في الفضاء وهجر ديارنا وواصل غيرنا فيما وراء البحار ورحل عن ارض اهين بهـا الى بلاد ظهرت قيمته بين اهلها بحيث ان العرب الذين صدر الكتاب بلغتهم اذا احتاجوا الآن لمراجعته وجب عليهم ان يتقنوا احدى هاتين اللغتين الفرنسية او الفارسية او ان يذهبوا الى بطرسبرج وان استبعدوها فالى باريس وهنالك يجدون منه خمس نسخ استغفر الله بل ستا لان السادسة هي التي ما أتكلم عليها الخ

وحينما تلوت هذه العبارة تذكرت اني رأيت هذا الكتاب من نحو خمس سنين في المكتبة الاحمدية التي نوهت مجلة المقتبس في ذاك الجزء بذكرها وذكرت بعضاً من نفائس كتبهـا فدعاني ذلك ان استفتح المكتبة واعيد النظر الى هذا الكتاب واكتب شيئاً عنه تبشيراً لعشاق هذا العلم بوجود هذا الكتاب في هذه البلاد بلغة الناطقين بالضاد لعلهم يسعون في طبعه و يقتبسون من غرر فوائده

اوله بعد البسملة

قـال عبدالرحمن بن عمر المعروف بابي الحسن الصوفي بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله المصطفى وآله (امابعد) فأني رأيت كثيراً من الناس يخوضون في طلب معرفة الكواكب الثابتة في مواضعها من الفلك وصورها ووجدتهم على فرقتين احداهما

تسلك طريقة المنجمين ومعولها على كرات مصورة من عمل من لم يعرف الكواكب باعيانها وانما عولوا على ماوجدوه في الكتب من اطوالها وعروضها فرسموها في الكرة من غير معرفة خطائها وصوابها فاذا تأمل من يعرفها فيها وجد بعضها مخالفا في النظم والتأليف لما في السماء او على ماوجدوه في الزيجات وادعى مؤلفها انهم قد رصدوها وعرفوا مواضعها وانما عمدوا الى الكواكب المشهورة التي يعرفها كثير من الخاص والعام مثل عين الثور وقلب الاسد والسماك الاعزل والثلثة التي في جبهة العقرب وقلب العقرب وهذه الكواكب هي التي ذكر بطليموس انه رصدها باطوالها وعروضها واثبتها في كتابه المعروف بالمجسطي لقربها من منطقة فلك البروج فرصدوها واثبتوا مواضعها في وقت ارصادهم ثم قال بعد كلام طويل :

واما الفرقة الاخرى فانها سلكت طريقة العرب في معرفة الانواء ومنازل القمر ومعولهم على ماوجدت في الكتب المؤلفة في هذا المعنى ووجدنا في الانواء كتباً كثيرة اتمها واكملها في فنه كتاب ابي حنيفة الدينوري فانه يدل على معرفة تامة بالاخبار الواردة عن العرب في ذلك واشعارها واسجاعها فوق معرفة غيره ممن الفوا الكتب في هذا الفن ولا ادري كيف كانت معرفته بالكواكب على مذهب العرب عيانا فانه يحكى عن ابن الاعرابي وابن كناسة وغيرهما اشياء كثيرة من امر الكواكب يدل على قلة معرفتهم بها وان ابا حنيفة لو عرف الكواكب لم يسند الخطأ اليهم ثم كل من عرف من الفرقتين احدى الطريقتين لم يعرف الاخرى والف في كتابه اشياء من غير الفن الذي اخذ فيه نادى على نفسه بها بالخطإ وخفة البضاعة فيه منهم ابوحنيفة فانه ذكر في كتابه ان البروج الاثنا عشر لم تسم بهذه الاسماء الا لان نظم كواكبها مشاكل للصورة المسماة باسمها وان الكواكب تنتقل عن اماكنها واسماء البروج غير زائلة وان زال نظم الكواكب ولم يعلم ان نظمها لايزول ولايتغير (الى ان قال) وقد كنت اظن بابي حنيفة ان له رياضة بعلم الهيئة والرصد فقد كنت بالدينور في سنة خمس وثلثين وثلثمائة من سني الهجرة في صحبة الاستاذ ابي الفضل محمد بن الحسين نازلاً في حجرته وحكى لي جماعة من المشايخ انه كان رصد الكواكب على سطح هذه الحجرة سنين كثيرة فلما ظهر تأليفه وتأملت ماأودعه كتابه علمت ان الذي كان يراعيه انما كان طلب الظاهر المشهور من الكواكب وما كان يجده في كتب الانواء من ذكر المنازل وما اشبهها والناس كلهم متفقون على ان لهذه الكواكب حركة الى توالي البروج

ثم قال بعد كلام طويل :

ولما رأيت هؤلاء القوم مع ذكرهم في الآفاق وتقدمهم في الصناعة واقتداء الناس بهم واستعمالهم مؤلفاتهم قد تبع كل واحد منهم من تقدمه من غير تأمل لخطائه وصوابه بالعيان والنظر حتى ظن كل من نظر في مؤلفاتهم ان ذلك عن معرفة بالكواكب ومواقعها ووجدت في كتبهم من التخلف ولاسيما في كتب الانواء من حكاياتهم عن العرب والرواية عنهم اشياء من امر المنازل وسائر الكواكب ظاهرة الفساد لو ذكرتها طال الكتاب بلا فائدة عزمت مرات كثيرة عَلَى اظهار ذلك وكشفه وكان يعتريني فتور في حال واشغال تصدني عن المراد في اخرى الى ان شرفني الله بخدمة الملك عضد الدولة ابي شجاع بن ركن الدولة رحمه الله تعالى وانعم عليَّ بادخالي في جملة خوله وحشمه ووجدته من فنون العلم متمكنا وفي المعرفة بها منبسطا وعَلَى عامة العلماء مقبلا والى جميعهم محسنا ورأيته كثير الذكر لاحوال الكواكب مائلا الى امتحانها والوقوف عَلَى مواقعها من الصور ومواضعها من البروج والدرج بالرصد والعيان ولم اجد بحضرته من المنجمين من يعرف شيئاً من الصور الثماني والاربعين التي ذكرها بطليوس في كتابه المعروف بالمجسطي عَلَى حقيقتها ولا شيء من الكواكب التي في الصور عَلَى مذهب المنجمين ولا عَلَى مذهب العرب الا اليسير الظاهر المشهور الذي يعرفه الخاص والعام ولم اجد لمن تقدمني من العلماء ايضاً كتاب في احد الفنين يوثق بمعرفة مؤلفه الا كما تقدم ذكره ولا يمكن الرصد الا بمعرفة الصور وكواكب كل صورة بالنظر والعيان فرأيت ان اتقرب اليه بتأليف كتاب جامع يشتمل عَلَى وصف الصور الثماني والاربعين وعَلَى كواكب كل صورة منها وعددها ومواقعها من الصور ومواضعها من فلك البروج باطوالها وعروضها وعدد كواكب الفلك كلها المرصودة التي من الصور والتي حوالى الصور وليست منها

وبعد كلام طويل اخذ المؤلف يتكلم عَلَى الصور الثماني والاربعين صورة فصورة مع اثبات نفس الصورة ونقشها بحروف وارقام عند موضع كل كوكب غير ان اربع عشرة صورة منها ليس عليها شيء من الحروف والارقام وخالية من الاشارات الى مواضع الكواكب

وبعد ان ينتهي من الكلام عَلَى كل صورة يذيله بجدول فيه اسماء كواكب تلك الصورة وارقام تدل عَلَى مواضع تلك الكواكب فيها والكتاب في ١٢٧ صفحة بقطع قريب من الكامل قال ناسخه في آخره : وافق الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة

المسماة بكواكب الصوفي في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس بعد الالف وتحت ذلك ثلاثة اسطر اخر لم يقرأ منها سوى (المقري الموقت يومئذ بجامع حلب الشهباء الكبير عمره الله تعالى) حلب : محمد راغب طباخ

المعادن المذخورة

نشر المؤتمر الجيولوجي الدولي الحادي عشر الذي التأم في استوكهلم خلاصة التقارير التي طلبها من علماء طبقات الارض والمهندسين في مناجم العالم على اختلاف الاصقاع والديار بأن مناجم الحديد في العالم بأسره وتقسيمها فتبين منها ان مايعرف الآن من المناجم في الدنيا يحتوي على عشرة مليارات طن وربما لايقل المذخور في بطون تلك المناجم عن خمسين الف طن وما ينبغي للعالم اليوم هو ستون الف طن وكان يكتفى سنة ١٨٧١ بثلاثة عشر مليون طن وسنة ١٨٩١ بستة وعشرين مليون طن وسنة ١٩٠١ باحدى وار بعين مليون طن واذا قدرنا مايلزم العالم من الحديد اليوم ومايعرف من مناجمه المذخورة فلا يكفي الحديد سوى قرنين آخرين واذا لم تتدارك الحال بالبحث عن مناجم جديدة يختل المعدل واليك جدولاً بما هو مذخور من الحديد في القارات الخمس ومنه ما عرف ومنه ما يقدر تقديراً وهو بحساب مليون طن :

	مناجم يرجى ان تكون مذخورة		مناجم معروفة مذخورة	
	حديد	حديد ممزوج بتراب	حديد	حديد ممزوج بتراب
اوربا	١٢٠٨٥	٤١٨٣٩	٤٧٣٢	١٢٠٣٢
اميركا	٤٠٧٣١	٨١٨٣٩	٥١٥٤	٩٨٥٥
اوستراليا	٣٧	٦٩	٧٤	١٣٦
آسيا	٢٨٣	٤٥٧	١٥٦	٢٦٠
افريقية	؟	؟	٧٥	١٢٥

وجاء في جدول آخر ذكرت فيه المناجم المعروفة والتي يرجى كشفها في كل مملكة على حدتها من ممالك اوربا فكانت المملكة العثمانية كثيرة جداً بمناجمها الا انه لايعرف مقدارها الآن وتبين ان فرنسا أكثر ممالك اوربا بمناجمها المعروفة

مخطوطات ومطبوعات

بدائع الصنائع

في ترتيب الشرائع للامام علاء الدين ابي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي المتوفى سنة ٥٨٧ هـ طبع بمصر سنة ١٣٢٨

اعتاد محمد امين افندي الخانجي صاحب المكتبة المشهورة في القاهرة والاستانة ان يطبع للامة كل نافع من آثار سلفها الصالح فاحيا باقدامه عدة أمهات ومنها هذا الكتاب في الفقه الحنفي تعرض فيه مؤلفه الملقب بملك العلماء لاقسام المسائل وفصولها وتخريجها على قواعدها واصولها ليكون اسرع فهماً واسهل ضبطاً وايسر حفظاً وقد جمع جملاً من الفقه مرتبة بالترتيب الصناعي والتأليف الحكمي مع ايراد الدلائل الجلية والنكت القوية وهو في سبعة اجزاء تم الاول والثاني والخامس والسادس والسابع منها وسيتم الجزآن الآخران وقد وقع في نحو ٢٥٠٠ صفحة بالقطع الكامل على ورق جيد وحروف مصرية ولا شك ان المشتغلين بفقه الامام الاعظم يحلون هذا الكتاب محله من الاعتبار كما احل المالكية المدونة الكبرى المنسوبة للامام مالك والشافعية كتاب الأم للشافعي فيعد عندهم مرجعاً واسعاً

الدولة الاسلامية او ماضي الشرق وحاضره

تأليف الشيخ احمد الصابوني الحموي طبع الجزء الاول في مطبعة حماة سنة ١٣٢٨ ص ٢٠

كان الفاضل صاحب هذا الكتاب نشره مقالات متسلسلة في جريدة لسان الشرق فاستحسنها قراؤها فاعاد طبعها مع زيادات على هذه الصورة فجاءت شاهدة بفضله وبعد نظره وكتابة التاريخ على هذا الاسلوب اوقع في النفوس واعلق في الاذهان لانها عبارة عن التدبر في اعمال الرجال . فقد تكلم على طائفة من الخلفاء الراشدين والملوك الامويين والعباسيين فكان كلامه فلسفة على تاريخهم . وبيان الحكمة من اعمالهم . ومما رواه المؤلف نقلاً عن ابن عبد ربه ان عثمان حينما كبر وتقدم في العمر شد اسنانه بالذهب وقال غيره انه وضع سناً من ذهب ومعلوم ان تركيب السن من الذهب لا يكون الا بمهارة في الصناعة وعلم بها عظيم . وعبارة المؤلف منسجمة وعساه يوفق الى نشر بقية الاجزاء ليعم نفعه

الاسكا وكلونديك

تأليف جبرائيل افندي عساف مرعي من دوما (لبنان)طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام سنة ١٩٠٩ ص ٢٢٨

موءلف هذا الكتاب ممن اقاموا زمناً طويلاً في بلادالاسكا وكلونديك بلادالذهب فعنّ له ونعما فعل ان يكتب ماعرفه عن هذه البلاد وغناها ومدنها ومناجمها وركازها وزرعها وضرعها وصيدها وسكانها وحكومتها وادارتها وحالتها الطبيعية وما يتعلق بتلك البلاد من الفوائد الاجتماعية والاقتصادية التي تفيد الجالية العربية الى تلك البلاد وابناء العربية كافة في الاطلاع على عجائب صنع الله في ارضه وهذه البقعة الصغرى منها التي بلغت مساحتها بحسب الاحصاء الاخير ٥٩٠٨٤٤ ميلا مربعاً اي نحو خمس مساحة الولايات المتحدة ويناهز طول سواحلها البحرية ٢٦ الف ميل وهي كما قال الموءلف سعة بالغة تزيد عن محيط الارض عند خط الاستواء . وبالجملة فان هذا السفر نافع في بابه وياحبذا لو تصدى كل من ينزل منا قطراً شاسعاً من اقطار الارض فيصفه بما ينبغي خدمة للعلم ورجال المال والاعمال لتذكر لهم على الدهر مقرونة بالثناء الطيب والذكر العطر

تقويم البشير

ظهر هذا التقويم الذي تصدره مطبعة الآباء اليسوعيين كل سنة وهذه هي السنة الرابعة والثلاثون لظهوره وهو تأليف الاب لويس معلوف وفيه حساب السنين على اختلاف انواعها من شمسية وهجرية وقبطية واسرائيلية واعياد المسيحيين واصوامهم واسماء الروءساء الروحيين فيهم ومراكزهم في المملكة العثمانية وغيرها ولا سيما البابويين منهم وجدول المعدودات وروءساء الممالك العثمانية والتقسيمات الادارية في الدولة العثمانية ولاسيما في سورية واسماء الجرائد والمجلات والمطابع في بيروت ولبنان وفيها نحو ٥٧ جريدة ومجلة وبعض وصايا صحية وفوائد علمية وبيتية ولطائف في ١٧٦ صفحة جيدة الطبع والحرف

المقتبس

الضوء اللامع

من كتب التراجم الممتعة التي تجمع بين الفائدة واللذة هذا التاريخ لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن الملقب بشمس الدين السخاوي الاصل القاهري تكلم فيه على رجال عصره بما اعتقده فيهم واطلق لقلمه العنان ايما اطلاق حتى لتخاله لا يعرف غير الهجاء مذهباً وكشف عورات اهل جيله وقبيله مشرباً .

قال في كشف الظنون : الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع لشمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ اثنتين وتسعمائة رتبه على الحروف وقد صنف السيوطي في رده مقالة سماها الكاوي في تاريخ السخاوي وشنع عليه فيها وانتخبه الشيخ زين الدين عمر بن احمد الشماع الحلبي المتوفى سنة ٩٣٦ ست وثلاثين وتسعمائة وسماه القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي والشهاب احمد بن العز محمد الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١ احدى وثلاثين وتسعمائة وسماه البدر الطالع من الضوء اللامع لاهل القرن التاسع واختصره الشيخ احمد القسطلاني وسماه النور الساطع في مختصر الضوء اللامع

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة مصححة من هذا الكتاب ربما كانت اصح نسخة في سورية بل في سورية ومصر وهي في نحو ثلاثة آلاف صفحة كبيرة بخط وسط وقعت في خمس مجلدات ضخام . والمؤلف عالم من علماء الحديث وغيره وله مصنفات أخر وترجم نفسه Autobiographie في كتابه وقد جرت عادة كثير من الاعلام ان يترجموا انفسهم من غير نكير فما قاله انه اخذ عمن دب ودرج وذلك لانه ارتحل من القاهرة على عادة العلماء لان الرحلة ولا سيما للمحدثين

والمؤرخين من لوازمهم وحج فمر علَى الينبوع وعقبة ايلة ورابغ وخليص ثم ارتحل الى حلب ماراً ببلبيس وقطيا وغزة والمجدل والرملة وبيت المقدس والخليل ونابلس ودمشق وصالحيتها والزبداني وبعلبك وحمص وحماة وسرمين وحلب ومرَّ ايضاً بطرابلس وبرزة وكفر بطنا والمزة وداريا وصالحية مصر

وله تصانيف كثيرة في الحديث ومنها تراجم من اخذ عنهم في ثلاثة مجلدات سماه بغية الراوي بمن اخذ عنه السخاوي وفهرست مروياته في ازيد من ثلاث مجلدات والتبر المسبوك في الذيل على تاريخ المقريزي في نحو اربعة اسفار والضوء اللامع الذي نحن بصدد الكلام عليه ويكون ست مجلدات بحسب تقديره · والذيل علَى قضاة مصر نسخة في مجلدة والذيل على طبقات القراء لابن الجزري في مجلد والذيل على دول الاسلام للذهبي والوفيات في القرن التاسع وترجمة نفسه والتاريخ المحيط وهو في نحو ثلاثمائة رزمة على حروف المعجم قال انه لايعلم من سبقه اليه · وطبقات المالكية اربعة اسفار الى غير ذلك من الشروح والتلاخيص ولد سنة ٨٣١ وقد استغرقت ترجمته نفسه في كتابه هذا ١١ ورقة ونصف ورقة ولم نر فيه اكبر منها

وفي هذا الكتاب من المشاهير الناشري وابراهيم بن ظهيرة والبقاعي والبرهان الطرابلسي واحمد الكوراني وابن الهام وابن الشحنة والمقريزي والحافظ ابن حجر وابن عربشاه وتيمورلنك والقاضي زكريا والحافظ العراقي وابن خلدون والجلال البلقيني والجلال السيوطي · وفيه من غير هذه الطبقة ايضاً طرف صالح جداً منهم من نسب الى بلده ومسقط رأسه ومنهم من اشتهر بالقاب أخرى فتقع فيه علَى تراجم البعلبكي والعجلوني والطنبوبي (نسبة لبلدة من اقليم المنوفية بمصر) والادفوي والزنكلوني والمنوفي والاسنوي والقوصي والدمياطي والبوصيري والسمنودي والاسيوطي والسنباطي والاشموني والملوي والمنفلوطي والفارسكوري والبنهاوي والبيجوري والمشاوي والرشيدي والسكندري والاذرعي والعكاري والبقاعي والسقطي (من سقط الحنا في شرقية مصر او سقط قليشا من البحيرة) والديروطي والفاقوسي والمحلي والدمنهوري والاخميمي والابشيهي والقليوبي والعاهري والناوي والحلاوي والكركي والشوبكي · والصعيدي والبلبثاني والبلبيسي والبصروي والصيداوي والنووي والزفتاوي والبلقيني (نسبة لبلقينة في الغربية) والاسواني والجعبري (نسبة لقلعة جعبر من بلاد حلب) والحمصي

والحموي وغير ذلك من الاعلام الذين نشأوا من قرى مصر والشام ومدنها في ذاك القرن .

بل وتجد فيه ما هو اغرب واعجب من تراجم امراء الجراكسة والمقدمين في حكومة تلك الايام امثال قايتباي احد ملوك مصر ترجمه في ست ورقات وقشتمر وقطلباي وقطليك وقطلوبغا وقطج وقمرقاس وقراجا وقراسنقر وقرا بلوك وقرا يوسف وقراقجا وقانباي وقان بردي وقانصوه وقانيك وقانم وكانور وكشبغا واق سنقر ولاجين ومنكلي بغا والطنبغا وامثالهم ممن لا تعثر لهم على ذكر في غير هذا السفر الحاوي

وترجم كثيراً من العامة وارباب الاحوال والنساء واورد بعض اشعارهن ومنها الجيد مثل شعر فاطمة ابنة القاضي كمال الدين محمد ابن شيرين الحنفي وقد كتبت الى المؤلف بعد مجيء الخبر بموت اخويه من نظمها

قفا واسمعا مني حديث احبتي ... فاوصاف معناهم عن الحسن جلت
اناس اطاعوا الله نارت قلوبهم ... وابصرت الاشياء من غير نبأة
وقد كوشفوا عن كل ما اضمر الفتى ... ونارت قلوب منهم وبصيرة

وهاك ما قاله السخاوي في مقدمة كتابه وفيها الغرض الذي يرمي اليه :

الحمد لله جامع الشتات ورافع من شاء في الحياة وبعد الممات ومقيل المقبل على الاكثار من الطاعات من ذوي الهيآت من بعد ما لعله صدر عنه من الزلات وقابل توبة من اخلص ورجع عما اقترف من البليات سيما الصادرات في الصبا الغالب معه ترك النظر في العاقبات فضلا عمن نشأ في الطاعات الى ان قال : وبعد فهذا كتاب من اهم ما به يعتنى جمعت فيه من علمته من هذا القرن الذي اوله سنة احدى وثماني مائة ختم بالحسنى وسائر العلماء والقضاة والصلحاء والرواة والادباء والشعراء والخلفاء والملوك والامراء والمباشرين والوزراء مصريا كان او شاميا حجازيا او يمانيا او روميا او هنديا مشرقيا اومغربيا بل وذكرت فيه بعض المذكورين بفضل ونحوه من اهل الذمة اقتفاء في اكثرهم (؟) لمن اضفتهم اليه في غزوه لانه اجتمع لي منهم الجم الغفير وارتفع عني اللبس في جمهورهم الا اليسير مستوفيا من كان منهم في معجم شيخنا وانبائه وتاريخي العيني والمقريزي سيما في عقوده التي رتبها النجم ابن فهد مع اصله للفاسي والطبقات والوفيات المدونة والتراجم كشيوخ ابن فهد التقي وولده تخريجه وغيرها من المعاجم وما علقته من مجامع مفيدنا الزين رضوان او رأيته في استدعاآت ابن شيخنا ونحوه من الاعيان وسائر

من ضبطته ممن اخذ من شيخنا او عني او اخذت عنه ولو لم يكن كبيراً عينا وربما اثبت من لايذكر لبعض الاغراض التي لايحسن معها الاعتراض والحقت في اثباته كثيراً من الموجودين رجاء انتفاع من لعله يسأل عنهم من المستفيدين مع غلبة الظن الغني عن التوجيه ببقاء من شاء الله منهم الى القرن الذي يليه مرتباً له لتسهيل الكشف على حروف المعجم الترتيب المعهود في الاسماء والآباء والانساب والجدود مبتدئاً من الرجال بالاسماء ثم بالكنى ثم بالانساب والالقاب وكذا المبهمات بعد الابناء مراعياً في الترتيب لذلك كله حروف الكلمة المقصودة بحيث ابدأ في الالف مثلا بالهمزة الممدودة ثم بالهمزة التي بعدها موحدة والف ثم بالتي بعدها على ما الف مردوفاً ذلك بالنساء كذلك وكل ما اطلقت فيه شيخنا فمرادي به ابن حجر استاذنا وكنت اردت ايراد شيء مما لعله يكون عندي من حديث من شاء الله من المترجمين فخشيت التطويل سيما ان حصل ايضاحه بالتبيين ولذا اقتصرت على الرضي والزكي والسراج والعضد والمحيوي ممن بانت رضي الدين او زكي الدين او سراج الدين او عضد الدين او محي الدين من المصنف عليه محتوي واعرضت لذلك عن الافصاح بالمعطوف عليه للعلم به فاقتصر على قولي مات سنة ثلاث مثلا دون وثماني مائة وتوفي ...... ثم ليعلم ان الاغراض في الناس مختلفة والاعراض بدون التباس في المحظور مؤتلفة ولكنني لم آل في التحري جهداً ولا عدلت عن الاعتدال فيما ارجو قصداً ولذا لم يزل الاكابر يتلقون ما ابديه بالتسليم ويتوقون الاعتراض فضلا عن الاعراض عما ألقيه والتأثيم حتى كان العز الحنبلي والبرهان بن ظهيرة المعتلي يقولان انك منظور اليك فيما تقول مسطور كلامك المنعش للمعقول وقال غير واحد ممن يعتد بكلامه وتمتد اليه الاعناق في سفره ومقامه من زكيته فهو المعدل ومن مرضته فالضعيف المعلل الى غيرها من الالفاظ الصادرة من الائمة الايقاظ بل كان بعض الفضلاء المعتبرين يصرح بتمني الموت في حياتي لاترجمه بما لعله يخفى عن كثيرين نعم قد يشك من يعلم انني لا اقيم له وزنا فرق بل يختلف (كذا) مايضمحل في وقته حساً ومعنى ويستفيد به التنبيه على نفسه فيتحقق منه ما كان حدساً او ظناً والله اسأل ان يجنبنا الاعتساف المجانب الانصاف وان يرزقنا كلمة الحق في السخط والرضى ويصرفنا عما لايرتضى ويقينا شر القضا وسميته الضوء اللامع لاهل القرن التاسع اهـ»

هذا هو اقل مايقال في الضوء اللامع والامل معقود بان يمثل للطبع عما قريب على يد

احدى جمعيات المستشرقين في اوربا ولقد اكتفينا بايراد ترجمتين منه لفاضلين احدهما دمشقي والآخر مصري وان كان شامي الاصل وذلك انموذجا لاسلوب المؤلف وانشائه قال في ترجمة العالم المؤرخ الكاتب المشهور ابن عربشاه :

« احمد بن محمد بن عبدالله بن ابرهيم ابن ابي نصر محمد ابن عربشاه ابن ابي بكر الاستاذ الشهاب ابو محمد ابن الشمس الدمشقي الاصل الرومي الحنفي والد التاج عبدالوهاب ويعرف بالعجمي وبابن عربشاه وهو الاكثر واليس هو بقريب لداود وصالح ابني محمد عربشاه الهمدانيين الاصل الدمشقيين الحنفيين ايضاً . ولد في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة احدى وتسعين وسبعمائة بدمشق ونشأ بها فقرأ القرآن على الزين عمر بن اللبان المقري ثم تحول في سنة ثلاث وثمانمائة في زمن الفتنة مع اخوته وامهم وابن اخته عبدالرحمن بن ابراهيم بن خولان الى سمرقند ثم بمفرده الى بلاد الخطا واقام ببلاد ماوراء النهر مديماً للاشتغال والاخذ عمن هناك من الاستاذين فكان منهم السيد محمد الجرجاني وابن الجزري وهما نزيلا سمرقند الاول بمدرسة ايدكوتمور والثاني بباغ خدا وعبد الاول وعصام الدين ابن العلامة عبد الملك وهما من ذرية صاحب الهداية واحمد الترمذي الواعظ واحمد القصير وحسام الدين الواعظ امام مسجد السيد الامام محمد بخاري الزاهر ولقي في سمرقند في سنة تسع وثمانمائة الشيخ عربان الادهمي الذي استفيض هناك انه ابن ثلثمائة سنة فالله اعلم وبرع في فنون واستفاد اللسان الفارسي والخط الموغولي واتقنهما واجتمع في بلاد الموغول بالبرهان الايدكاني والتاخي جلال الدين السيرامي واخذ عنه وقرأ النحو على حاجي تلميذ السيد ثم توجه الى خوارزم فاخذ عن نور الله واحمد بن شمس الائمة السيرافي الواعظ وكان يقال له ملك الكلام الفارسي والتركي والعربي ثم الى بلاد الدشت وسراي وحاجي خان وبها (البحر) الزاخر مولانا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد البزازي الكردري فاقام عنده نحو اربع سنين واخذ عنه الفقه واصوله ومما قرأ عليه المنظومة ثم الى قرم واجتمع باحمد بيروق وشرف الدين شارح المنار ومحمود البلغاري ومحمود اللب ابي (؟) وعبد المجيد الشاعر الاديب

ثم قطع بحر الروم الى مملكة ابن عثمان فاقام بها نحو عشر سنين فترجم فيها للملك غياث الدين ابي الفتح محمد بن ابي يزيد ابن مراد بن عثمان كتاب جامع الحكايات ولامع الروايات من الفارسي الى التركي في نحو (٠٠) مجلدات وتفسير ابي الليث السمرقندي القادري بالتركي نظماً وباشر عنده ديوان الانشاء وكتب عنه الى ملوك الاطراف

عربيا وشاميا وتركيا فبالعجمي لقرا يوسف ونحوه وبالتركي لآمر الدشت وسلطانها وبالموغولي لشاروخ وغيره وبالعربي للمؤيد شيخ كل ذلك مع حرصه على الاستفادة بحيث قرأ المفتاح على البرهان حيدر الخوافي واخذ عنه العربية ايضاً

فلما مات ابن عثمان رجع الى وطنه القديم فدخل حلب فاقام بها نحو ثلث سنة ثم الشام وكان دخوله لها في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين فجلس بحانوت مسجد القصب مع شهوده يسيرا لكون معظم اوقاته الانعزال عن الناس وقرأ بها على القاضي شهاب الدين بن الحبال الحنبلي صحيح مسلم في سنة ثلاثين فلما قدم العلاء البخاري سنة اثنين وثلاثين مع الركب الشامي من الحجاز انقطع اليه ولازمه في الفقه والاصلين والمعاني والبيان والتصوف وغيرها وكان مما قرأ عليه الكافي في الفقه والبزدوي في اصوله وتقدم في غالب العلوم

وانشأ النظم الفائق والنثر الرائق وصنف نظماً ونثراً مرآة الادب في علم المعاني والبيان والبديع وسلك فيه اسلوبا بديعا نظم فيه التلخيص وعمل قصائد غزلية كل باب منه قصيدة مفردة على قافية اشار اليه شيخنا بقوله واوقفني على منظومة في المعاني والبيان واجاد نظمها وجعل كل باب قصيدة مستقلة غزلاً يؤخذ منه مقصد ذلك الباب انتهى . ومقدمة في النحو . وعقود النصيحة . والرسالة المسماة بعقد الفريد في التوحيد . ونثراً تاريخ تيمورلنك سماه عجائب المقدور في نوائب تيمور . وفاكهة الخلفا ومفاكهة الظرفا . وخطاب الاهاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب . والترجمان المترجم بمنتهى الارب في لغة الترك والعجم والعرب

واشير اليه بالتفنن حتى كان ممن يجله ويعترف له بالفضيلة شيخنا واثنى على نظمه التلخيص كما قدمته بل كتب عنه من نظمه ليدخله في البلدانيات فقال انشدني بمنزلة برزة بالقرب من قربة القابون التحتاني في سابع رمضان سنة ست وثلاثين لنفسه

السيل يقلع مايلقاه من شجر بين الجبال ومنه الارض تنفطر
حتى يوافي عباب البحر ينظره قد اضمحل فلا يبقى له اثر

مع حرص صاحب الترجمة حين كونه بالقاهرة على ملازمته والاستفادة منه بل امتدحه بقصيدة بديعة اتى فيها بالغاز وتعامي واهاجي وجناسات وتلعب فيها بضروب الادب اودعتها الجواهر والدرر سمعتها منه ومن لطيف اياتها بيت جمع فيه حروف الهجاء وهو

خض بحر فظ حديثه تغش العلا   واجزم بصدقك ناطقاً اذ تسند

وبيت عاطل وهو

العالم العلم الامام لدى العلا   العامل الحكم الهمام الاوحد

وبيت شطره الاول مما يستحيل بالانعكاس وشطره الثاني عاطل مع كونه مما لا يستحيل ايضاً فالاول مركب من آمن والثاني من احمد وهو

نم آمنا من نم انما آمن   دم حامداً ما ام آدم احمد

وكثر اجتماعهما وطرح شيخنا عليه من الاسئلة التي فيها الفكاهة والمداعبة مما تعرف منه الملاءة والقدرة على التخلص منه ما اودعته منه اشياء في الجواهر عند الكلام على قدرة شيخنا في التفسير وغيره رحمهما الله

وكان احد الافراد في اجادة النظم باللغات الثلاث العربية والعجمية والتركية مجيد الخط جيد الاتقان والضبط عذب الكلام بديع المحاضرة مع كثرة التودد ومزيد التواضع وعظة النفس ووفور العقل والرزانة وحسن الشكالة والابهة وسيماء الخير ولوائح الدين عليه ظاهرة وقد لقيته بالقاهرة في الخانقاه الصلاحية سنه خمسين فكتبت عنه من نظمه اشياء وسمعت من لفظه العقد الفريد وعنود النصيحة وكتبهما لي بخطه وبالغ في الادب والتواضع ومات بالخانقاه المذكورة في يوم الاثنين منتصف رجب سنة اربع وخمسين ودفن بتربتها والناس مشغولون بالاستسقاء عند توقف النيل غريباً عن اهله ووطنه بعد ان امتحن على يد الظاهر جقمق وطلبه لشكوى حميد الدين عليه وادخله سجن المجرمين فدام فيه خمسة ايام ثم اخرج واستمر مريضاً من القهر حتى مات بعد اثني عشر يوماً عوضه الله خيراً وترجمته محتملة للبسط فقد كان من محاسن الزمان وممن ترجمه باختصار المقريزي في عقوده ومما كتبته عنه لنفسه

قميص من القطن من حله   وشربة ماء قراح وقوت

ينال به المرء ماينبغي   وهذا كثير على من يموت

ومنه معمياً

وجهك الزاهي كبدر فوق غصن طلعا   واسمك الزاكي كمشكاة سناها لمعا

في بيوت اذن الله لها ان ترفعا   عكسها صحفه تاتى فيه الحسن (؟) اجمعا

ومنه

فعش ماشئت في الدنيا وادرك   بها ما شئت من صيت وصوت

فحبل العيش موصول بقطع وخيط العمر معقود بموت

ومنه

وما الدهر الا سلم فبقدر ما يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات مافيه نزول وانما شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن صار اعلى كان اوفى تهشماً وفاء بما قامت عليه شروطه

وترجمه بعضهم فقال: العلامة احد افراد الدهر في الفضل والسجع وعلم المعاني والبيان والبديع والنحو والصرف والنظم والنثر كان ممن أسر مع اللنك (اي الاعرج تيمورلنك) ونقل الى سمرقند ثم خرج منها في سنة احدى عشرة وجال في بلاد الشرق ورجع الى دمشق في سنة خمس وعشرين فاقام بها مدة يتكسب بالشهادة في بعض حوانيتها وقدم القاهرة في سنة اربعين وصنف عجائب المقدور في نوائب تيمور من ابتدائه الى انتهائه ابان فيه عن فضل كبير وملكة للسجع وغزارة اطلاع بحيث لخصه المقريزي وترجم مؤلفه فقال: نثره سجعاً فعلا ورشحه بالاشعار لحلاوة الى ان قال: بانه بحر بلاغة وفصاحة انشدنا كثيراً من شعره وله معرفة بالفقه واللغة ولكن الغالب عليه الادب وله نظم كثير منه كتاب مرآة الادب يشتمل على المعاني والبيان والبديع وهو نظم بطريقة الغزل يكون نحو الفي بيت وكتاب في علم النحو نظمه بطريقة الغزل ايضاً نحو مائتي بيت وقصيدة غزلية في الصرف بديعة مدح بها بعض اعيان الدولة وقصيدة في نحو مائتي بيت وشرحها في مجلد وخصاب الاهاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب بينه وبين البرهان الباعوني وحميد الدين القاضي ابان فيه عن حفظ كثير للغة وكثرة اطلاع وغزارة فضل وسبب منعه ان الباعوني كتب له بستة ابيات التزم فيها بانطا (؟) المسألة اولها

أأحمد لم تكن والله فظاً ولكن لااری لي منك حظا

واستوفى كثيراً من اللغة وكان قد وقع بينه وبين حميد الدين فحصل للشهاب سنة أخرى مثل نظره في كتب اللغة وعملها في ستة ابيات يعجب من كثرة اطلاعه وسعة دائرته ثم كتب اليه بابيات التزم فيها الراء قبل الالف والراء بعدها .

من مجيري من ظلوم منه أبعدت مزارا

واستوفى مافي الباب قال الشهاب فلم اجد له قافية فكتب له على لسان حميدالدين قصيدة بغدادية اولها

اي خداوند عجبيو عن موالاة التناغي

فلم يقدر على الجواب بمثلها وكتب الي بقوله

ياشهاب الدين يا احـ حد يا ابن عربشاه

واستوفى القافية فظفرت باشياء تركها فقلت

قد اتى الفضل عليه حلل اللطف موشاه

فتعجب من سعة دائرته وكثرة اطلاعه ثم قال له انا والله ماعرفتك الا الآن قال فقلت له والله والى الآن ماعرفتني وطال الجواب بينهما على هذا المنوال حتى ألف من ذلك مجلداً فمن ذلك ما كتب به البرهان

ابن عربشاه كف عني او لا تخذ ما يجيك مني
واعلم باني خصم ألد الشر دأبي والمكر فني
خلفي رجال لهم مجال في الحرب لايخلفون ظني

الى آخرها ومن جملة المراسلات ان البرهان ارسل اليه بعشرة ابيات التزم فيها الباء والياء واستوفى مافي الصحاح اولها

ان القميم وانت يا هذا ابن عبن الخبير كذا

واستوفى القوافي وظن اني لم اجد قافية فاجبته وآخر الامر توجه حميد الدين الى مصر وشكاهما الى السلطان وقال له البرهان هجاني فلم يرد عليه الا بقوله يكتب له من اليوم بكفه عن هجائك فلما خرج قال السلطان لشمس الكاتب ان الباعوني رجل جيد لولا انه عرف منه شيء ماقاله وألغز اليه ابو اللطف الحصكفي فاجابه بعد ان اجاب شعر القاهرة(؟) بغير المراد ثم الغز هو اليه واجابه بما لم اطل بايراده هنا وشعره كثير جداً وتصنيفه الماضي فاكهة الخلفا ومفاكهة الظرفا في مجلد ضخم فيه عجائب وغرائب على لسان الحيوانات من اواخر ما الف ٠

ولما دخل مصر بعد الخمسين في الطاعون وجد غالب من بيت الكمال ابن البارزي مات كزوجته واخته فرثاهم بقصيدة طنانة على عدة قوافي واظهر في مخالصها من كل قافية الى الاخرى قوة عجيبة وملكة للنظم لاينهض غيره بشق غبارها من قافية اللام الى قافية الالف الى الهاء الى غيرها تزيد على سبعين بيتاً اولها

الى مَ الدهر يودى بالكمال وبه دي بالردى اهل الكمال اه٠»

وقال في ترجمة العلامة المقريزي : «احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن

ابراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن ابي الحسن ابن عبد الصمد ابن تميم الثقفي ابو العباس ابن العلا ابن المحيوي الحسيني العبيدي البعلي الاصلي القاهري سبط ابن الصائغ ويعرف بابن المقريزي وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة وكان اصله من بعلبك وجده من كبار المحدثين فتحول ولده الى القاهرة وولي بها بعض الوظائف المتعلقة بالقضاة وكتب التوقيع في ديوان الانشاء وانجب صاحب الترجمة وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين وقال شيخنا: انه رأى بخطه مايدل عَلَى تعينه في سنة ست وستين وذلك بالقاهرة ونشأ بها نشأة حسنة فحفظ القرآن وسمع من جده لامه الشمس ابن الصائغ الحنفي والبرهان الآمدي والعز ابن الكويك والنجم ابن رزين والشمس ابن الخشاب والتنوخي وابن ابي الشيخة وابن ابي المجد والبلقيني والعراقي والهيثمي والفرسيسي وغيرهم بل كان يزعم انه سمع المتسلسل علي العماد ابن كثير ولايكاد يصح • وحج فسمع بمكة من القشاوري والاميوطي والشمس ابن سكر وابي الفضل النويري القاضي وسعد الدين الاسفرايني وابي العباس ابن عبد المعطي وجماعة واجاز له الاسنوي والاذرعي وابن البقا السبكي وعلي ابن يوسف الزبيدي (؟) وآخرون ومن الشام الحافظ ابو بكر ابن المحب وابو العباس ابن العز وناصر الدين محمد ابن محمد بن داود وطائفة واشتغل كثيراً وطاف عَلَى الشيوخ ولقي الكبار وجالس الائمة فاخذ عنهم وتفقه حنفياً عَلَى مذهب جده لامه وحفظ مختصراً فيه ثم لما ترعرع وذلك بعد موت والده في سنة ست وثمانين وهو حينئذ قد جاز العشرين تحول شافعياً واستقر عليه امره لكنه كان مائلاً الى الظاهر ولذلك قال شيخنا انه احب الحديث فواظب علي ذلك وكان يتهم بمذهب ابن حزم ولكنه كان لايعرفه انتهى هذا مع كون والده وجده حنبليين ونظر في عدة فنون وشارك في الفضائل وكتب بخطه الكثير وانتقى وقال الشعر والنثر وحصل وافاد وناب في الحكم وكتب التوقيع وولي الحسبة بالقاهرة غير مرة واولها في سنة احدى وثماني مائة والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة حسن والامامة بجامع الحاكم ونظره وقرأ الحديث بالمؤيدية عوضاً عن المحب ابن نصر الله حين استقراره في تدريس الحنابلة بها وغير ذلك وحمدت سيرته في مباشراته وكان قد اتصل بالظاهر برقوق ودخل دمشق مع ولده الناصر في سنة عشر وعاد معه وعرض عليه قضاءها مراراً فابى وصحب يشبك الداودار وفتنا ونالته منه دنيا بل يقال انه اودع عنده نقداً وحج غير مرة وجاور

وكذا دخل دمشق مراراً وتولى بها نظر وقف القلانسي والبيمارستان النوري مع كون شرط نظره لقاضيها الشافعي وتدريس الاشرفية والاقبالية وغيرهما ثم اعرض عن ذلك واقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبعد فيه صيته وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الاوحدي كما سبق في ترجمته فاخذها وزادها زوائد غير طائلة ودرر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ذكر فيه من عاصره وامتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاحوال والحفدة والمتاع . وكان يحب ان يكتب بمكة ويحدث به فتيسر له ذلك . والمدخل له . وعقد جواهر الاسفاط في ملوك مصر والفسطاط . والبيان والاعراب عما في ارض مصر من الاعراب . والالمام في تأخر من بارض الحبشة من ملوك الاسلام . والطرفة الغريبة في اخبار حضرموت العجيبة . ومعرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم . واتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا . والسلوك بمعرفة دول الملوك يشتمل على الحوادث الى وفاته . والتاريخ الكبير المقفى وهو في ستة عشر مجلداً وكان يقول انه لو كمل على ما يرومه لجاوز الثمانين . والاخبار عن الاعذار . والاشارة والكلام ببناء الكعبة البيت الحرام ومختصره وذكر من حج من الملوك والخلفاء والتخاصم بين بني امية وبني هاشم وشذور العقود وضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري والاوزان والاكيال الشرعية وازالة التعب والعنا في معرفة الحال في الغنا وحصول الانعام والمير في سؤال خاتمة الخير . والمقاصد السنية في معرفة الاجسام المعدنية وتجريد التوحيد ومجمع الفرائد ومنبع الفوائد يشتمل على تملي العقل والنقل المحتوي على فني الجد والهزل بلغت مجلداته نحو المئة وما شاهده وسمعه مما لم ينقل في كتاب . وشارع النجاة يشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه الحق منها والاشارة والايماء الى حل لغز الماء وهو ظريف وغير ذلك . وقرض سيرة المؤيد لابن ناهض وقد قرأت بخطه ان تصانيفه زادت على مائتي مجلدة كبار وان شيوخه بلغت ستمائة نفس وكان حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ولذلك يكثر له فيهم وقوع التحريف والسقط وربما صحف في المتون .

ومما رأيته بخطه في ذلك ابن بدر وهو بفتح الموحدة والدال المهملة فضبطه بخطه بالبدل وعلي ابن منصور الكرخي شيخ السلفي وهو بالجيم فضبطه بالخاء المعجمة وكثيراً ما يجعل عبدالله عبيدالله وعكسه بل وبلغني انه جعل ابا طاهر ابن محمش راوي الحديث

المسلسل بالاولية حين حدث به بالخاء المعجمة بدل المهملة واما في المتأخرين فقد انفرد في تراجمهم بما لايوافق عليه كقوله في ابن الملقن انه كان يزني (؟) الصلاة جداً وكان مع ذلك بكثر الاعتماد على من لايوثق به من غير عزو اليه حتى فعل ذلك في نسبه فان مستنده في كونه من العبيديين كونه دخل مع والده جامع الحاكم فقال له : ياولدي هذا جامع جدك لاسيما وما قاله ابن ارفع في نسبة عبد القادر جده انصار يا يخدش في هذا وان توقف صاحب الترجمة فيه لكنه مع ذلك لم يكن يتجاوز في تصانيفه في سياق نسبه عبد الصمد ابن تميم وان اظهر زيادة على ذلك فلن يثق به ثم رأيت مابدل على انه اعتمد في هذه النسبة العرياني المشهور بالكذب فالله اعلم . ومن يصف من يكون كذلك بالحافظ مريد الاصلاح فقد جازف وما احسن قول بعضهم مما في بعضه توقف (كذا)

وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها واما الوقائع الاسلامية ومعرفة الرجال واسمائهم والجرح والتعديل والراتب والسير وغير ذلك من اسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والنحو واطلاع على اقوال السلف والمام بمذهب اهل الكتاب حتى كان يتردد اليه افاضلهم للاستفادة منه مع حسن الخلق وكرم العهد وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصده والمحبة في المذاكرة والمداومة على التهجد والاوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة فيها والملازمة لبيته حتى ان بعض الرؤساء فيما بلغني عتب على انقطاعه عنه انشد قول غيره :

قالت الارنب للفوت كلاما ... فيه ذكرى لتفهم الالباب

انا اجرى من الكلاب ولكن ... خير يومي ان لاتراني الكلاب

ولو انشده قول ابن المبارك

قد ارحنا واسترحنا ... من غدو ورواح ... واتصال بلئيم ... اوكريم ذي سماح

بعفاف وكفاف ... وقنوع وصلاح ... وجعلنا اليأس مفتا ... حا لابواب النجاح

لكان احسن و (له) الخبرة بالزايرجة والاصطرلاب والرمل والميقات بحيث انه اخذ لابن خلدون طالعاً والتمس منه تعيين وقت ولايته فيقال انه عين له يوماً فكان كذلك وعد من النوادر

كل ذلك مع تبجيل الاكابر له اما مداراة له خوفاً من قلمه اولحسن مذاكرته وقد حدث ببعض تصانيفه ومروياته بمكة والقاهرة سمع منه الفضلاء واخبر انه سمع فضل الخيل للدمياطي على ابي طلحة الحراوي مرتين فاعتمدوا اخباره بذلك وقرئ عليه مرة بل

كتب بخطه قبيل موته بسنة انه لايعلم من يشاركه في روايته ورأيت بخط صاحبنا النجم ابن فهد انه حضره في الرابعة علي الحراوي وما علمت مستنده في ذلك .

وقد ترجمه شيخنا في معجمه بقوله وله النظم الفائق والنثر الرائق والتصانيف الباهرة خصوصاً في تاريخ القاهرة فانه احيا معالمها واوضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم اعيانها ولكنه لم يبالغ في انبائه لهذا الحد بل قال واولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً وصنف فيه كتاباً وكان لكثرة ولعه به يحفظ كثيراً منه قال وكان حسن الصحبة حلو المحاضرة وقال العيني : كان مشتغلا بكتابة التواريخ وبضرب الرمل تولى الحسبة بالقاهرة في آخر ايام الظاهر يعني برقوق ثم عزل بمسطوره ثم تولى مرة أُخرى في ايام الدوادار الكبير سودون ابن اخت الظاهر يعني برقوق عوضاً عن مسطوره بحكم ابن مسطوره وعزل نفسه بسبب ظلم سودون المذكور وقال ابن خطيب الناصرية في ترجمة جده وهو جد الامام الفاضل المؤرخ تقي الدين وقال غيره : جمع كتاباً فيما شاهده وسمعه مما لم ينقله من كتاب ومن عجب مافيه انه كان في رمضان سنة احدى وتسعين ماراً بين القصرين فسمع العوام يتحدثون ان الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك واجتمع عليه الناس قال : فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك ومن شعره في دمياط :

سقى عهد دمياط وحياه من عهد   فقد زادني ذكراه وجداً على وجدي
ولا زالت الانواء تسقي سحابها   دياراً حكت من حسنها جنة الخلد

وهي اكثر من عشرين بيتاً مات في عصر يوم الخميس سادس عشرى رمضان سنة خمس واربعين بالقاهرة بعد مرض طويل وذلك على ماقاله شيخنا بتكملة ثمانين من عمره ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية رحمه الله وايانا اه . »

هذان نموذجان من الكتاب وكله فوائد جزيلة وهو مرآة صادقة لاحوال القرن التاسع للهجرة وفيه دب الانحطاط على اشده في جسم الامة الاسلامية

ميزان المقادير في تبيان التقادير

لعلامة الامامية وشيخ الفرقة العلوية الشيخ رضي الدين محمد القزويني وكان احد افاضل القرن الحادي عشر من اعيان قزوين

« عني بنشرها محمود شكري افندي الآلوسي احد كبار علماء العراق العاملين »

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد وبعد فيقول المفتقر بجهله بالعلم اليقيني رضي الدين محمد القزويني . كثيراً ماوقعت في الشريعة الحقة المصطفوية عليه وآله الف الف تحية . احكام مبتنية على مقادير مخصوصة ومسائل مشتملة على اوزان واكيال ومسافات منصوصة . وجليلا ما اتفقت من المتدينين اهل الحساب . طوبى لهم وحسن مآب ضوابط متقنة بتقديرات معينة . وقواعد محكمة بتجديدات مبينة فتصفحت فما وصلت الى رسالة مفصلة موضوعة لشأنها وتتبعت فما اطلعت على مقالة محصلة متكفلة ببيانها . غير انها مسطورة في صحف منتشرة ضبطها محل للقريحة . ومذكورة في كتب متفرقة حفظها مخل للطبيعة . مع ان اكثرها وقعت موقعا لاختلاف الآراء . واجلها وردت موردا لافتراق الاهواء . فها انا القي عليك لبيانها في طي هذه الرسالة نوعاً من بسط الكلام واهدي اليك لتبيانها في اثناء تلك المقالة ضرباً من توضيح المرام قاصداً فيها تسهيلا على الطلاب . راجياً منها شيئاً من الثواب فانه غير مقصور على من اكثر العمل ووفره . لكريمة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره

وسميتها ميزان المقادير في تبيان التقادير . فجعلتها تيمناً لها . وتزييناً اياها . هدية لخزانة كتب الدستور الاعظم ملجأ الاكابر والامم . حاوي الرياستين الدينية والدنيوية جامع الفضيلتين العلمية والعملية . مقدر احوال الانام . بالفكر الرزين . مدبر ممالك الاسلام بالعقل المتين . ملاذ اعاظم الفضلاء في الآفاق . سلطان افاخم العلماء بالاستحقاق . معيار نقود انظار الاولين والآخرين . خازن مكتوم اسرار السابقين واللاحقين فخر السيادة والنجابة والفضيلة والكمال . عين العظمة والشوكة والجلالة والاقبال . اعتضاد الحضرة المقدسة السلطانية . اعتماد الدولة العلية العالية الخاقانية . ابد الله تعالى ظلال دولته الى يوم الدين . بحرمة جده سيد المرسلين . وآبائه الائمة الطاهرين المعصومين .

فاعلم ان المقادير المذكورة على ثلاثة اقسام • اما مقلدة بالوزن • واما بالكيل • واما بالمساحة • والبحث عنها اما ان يكون على وجه يكشف حقائقها • او على سوق يظهر دقائقها فانتظمت الرسالة بتفصيلات افتتاحا • وبتتميات اختتاما

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب الوزن

هذه المقادير ينتهي اكثر تقديراتها بل كلها الى وزن الحبة من الشعيرة المتوسطة لقلة الاختلاف فيها • وسهولة تحصيلها وشيوعها في الامكنة والاوقات فوزنها بين الاوزان كالواحد بين الاعداد فكما ثبت للواحد كسورهم فكذلك قدرت لها اجزاء فأسس البيان بذكرها فيقال لسدس الشعيرة الخردل

والجزء من اثنين وسبعين جزءاً منها الفلس

فهو نصف سدس الخردل • والجزء من اربعمائة واثنين وثلاثين جزءاً منها الفتيل ويقال له الفتيلة (١) ايضاً فهو سدس الفلس

والجزء من الفين وخمسمائة واثنين وتسعين جزءاً منها النقير فهو ايضاً سدس الفتيل

والجزء من عشرين الفاً وسبعمائة وستة وثلاثين جزءاً منها القطمير فهو ثمن النقير

والجزء من مائتين وثمانية واربعين الفاً وثمانماية واثنين وثلاثين جزءاً منها الذرة (٢) فهي نصف سدس القطمير

والجزء من الف الف وسبعمائة واحد واربعين الفاً وثلاثمائة واربعة وعشرين جزءاً منها الهباء فهو سبع الذرة

وبعد هذا التأسيس نفصل الاوزان المشهورة المذكورة على الالسنة على ما وصل الينا حسبما اقتضاها الترتيب •

الطسوج وهو قدر حبتين من شعيرتين متوسطتين وهو مشهور وبه فسره اهل اللغة ايضاً ولم اجد فيه خلافاً

(١) وقع في القرآن المجيد منها كما في قوله تعالى ولا تظلمون فتيلا وامثاله مجاز بعلاقة معانيها اللغوية لاما اصطلحوا عليه المذكور فيما نحن فيه (منه)

(٢) الذرة النملة الصغيرة والمذكور هنا ليس وزنها الواقعي بل هو محض اصطلاح اذ بين وزنها الواقعي وهذا القدر بون بعيد يظهر من قول صاحب القاموس الذر صغار النمل ومائة منها وزنة حبة شعير فالواحدة ذرة (منه)

والقيراط وهو قيراطان قيراط الدرهم وقيراط الدينار · وهذا ايضاً مكي وعراقي فبالحقيقة ثلاثة اقسام

اما قيراط الدرهم فهو اربع شعيرات يبلغ طسوجين في القاموس في م ك ك القيراط طسوجان والطسوج حبتان يعني شعيرتين كذا في الصحاح · وقيل هو ست شعيرات فيبلغ ثلاثة طساسيج يعني قيراط الدرهم

واما القيراط المكي للدينار فهو شعيرتان او ستة اسباع شعيرة يبلغ سطوجاً وثلاثة اسباعه ·

واما القيراط العراقي فهو ثلاث شعيرات وثلاثة اسباع شعيرة يبلغ طسوجاً وخمسة اسباعه في القاموس القيراط والقراط يختلف وزنه بحسب البلاد فبمكة ربع سدس دينار وبالعراق نصف عشره انتهى فالتقدير موافق لما قدرناها به، كما ستعرف وهذا العراقي هو المعتبر في باب زكوة الذهب

واما القيراط الواقع في الحديث مع تفسيره بانه مثل جبل احد فمجاز

والدانق وهو اذا اطلق فالمراد به دانق الدرهم وقدره ثماني شعيرات يبلغ قيراطي الدرهم في القاموس في م ك ك · والدانق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج حبتان والحبة سدس من ثمن درهم وهو جزء من ثمانية واربعين جزءاً من درهم وهو بعينه عبارة الصحاح وفي د ن ق فسره بسدس الدرهم وهو ايضاً قيراطان كما ستعرف

والدرهم وهو دراهم الدرهم البغلي [1] وهو اربع وستون شعيرة يبلغ ثمانية دوانيق والدرهم الطبري وهو اثنتان وثلاثون شعيرة يبلغ اربعة دوانيق نصف البغلي في القاموس الطبري ثلثا الدرهم اراد به الدرهم الشرعي · والدرهم الشرعي وهو ثمان واربعون شعيرة يبلغ ستة دوانيق متوسط بينهما وهذا الشرعي هو المعتبر في نصاب زكوة الفضة وامثاله ويقال له الوربة ايضاً

قال العلامة في التحرير الدراهم في صدر الاسلام كانت صنفين بغلية وهي السود [2]

---

(١) ضبط بعضهم البغلي باسكان الغين المعجمة وبعضهم بفتح الغين المعجمة وتشديد اللام ووجه تسميه به مفصلاً مذكور في الحبل المتين (منه)

(٢) قيل الدراهم السود هي الدرهم من الفضة المسكوكة بالصور كما يكون بين الكفار لا الفلوس ولايخفى ان ماروي في من لايحضره الفقيه من انه سأل عبد الرحمن ابن الحاج اوعبد الله عليه السلام عن الدراهم السود تكون مع الرجل وهو يصلي مربوطة او غير

كل درهم ثمانية دوانيق وطبرية كل درهم اربعة دوانيق فجمعا في الاسلام وجعلا درهمين متساويين وزن كل درهم ستة دوانيق فصار وزن كل عشرة دراهم · سبعة مثاقيل بمثقال الذهب وكل درهم نصف مثقال وخمسة وهو الدرهم الذي قدر به النبي من المقادير الشرعية في نصاب الزكوة والقطع ومقدار الديات والجزية وغير ذلك · والدانق ثماني حبات من اوسط حب الشعير انتهى

والمثقال وهو مثقالان المثقال الشرعي وهو المعبر عنه بالدينار بلا خلاف لكن الدينار كثر استعماله في المسكوك من الذهب كما ان اكثر استعمال الدرهم في المسكوك من الفضة قدره ثمان وستون شعيرة واربعة اسباع شعيرة يبلغ درهماً وثلاثة اسباعه بالشرعي · في الصحاح وكذا في القاموس المثقال درهم وثلاثة اسباع درهم والدرهم ستة دوانيق والدانق قيراطان الخ · وهو المعتبر في الاحكام الشرعية بلا خلاف يظهر من تتبع كلام الفقهاء · وما وقع في الحديث من ان المثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصغرها مثل جبل احد واكبرها مابين السماء والارض فمجاز · والمثقال الصيرفي وهو المعروف في زماننا سنة اربع وخمسين والف في اكثر بلاد العجم قدره اربع وثمانون شعيرة على ما وزنا وراعينا في وزنه كمال الاحتياط · والتدقيق يبلغ درهماً وثلاثة ارباع درهم بالشرعي

والوافي وقدره ثمانون شعيرة يبلغ درهماً وثلثي درهم في القاموس الوافي درهم واربعة دوانيق موافقاً لما قدرنا به

والاستار بالكسر وقدره ثلاثمائة وثماني شعيرات واربعة اسباع شعيرة قدره ستة دراهم وثلاثة اسباع درهم بالشرعي يبلغ اربعة مثاقيل ونصف مثقال بالشرعي كذا في الصحاح · والقاموس وقيل هو ستة دراهم وثلث درهم او اربعة مثاقيل نقلهما الشيخ في اواخر كتاب القانون

والاوقية كالوقية بالضم وتشديد الياء وهي اوقيتان الاوقية الجديدة وهي على مابه فسرها الفقهاء · وجمهور اصحاب اللغة والاطباء خمسمائة واربع عشرة وسبعان من الشعيرة قدر عشر دراهم وخمسة اسباع درهم يعني سبعة مثاقيل ونصفا يبلغ استارا وثلثي استار بالمعنى الاول · وعلى ما نقله الشيخ في اواخر القانون هي سبعة مثاقيل يكون

مربوطة فقال ما اشتهي ان يصلي ومعه هذه الدراهم التي فيها التماثيل الحديث لا يؤيد شيئاً منهما كما لا يخفى

عشرة دراهم وتبعه العلامة الشيرازي في شرح القانون وصاحب القاموس في و ق ي لكنه وافق في م لك ك الجمهور كما وافقهم صاحب الصحاح في الموضعين وصرح بانها هي المعتبرة بين الاطباء وسننقل كلامه بعينه وعلى مافسره بعض ما يعتد به هي اثنا عشر درهماً يعني ثمانية مثاقيل وخمسي مثقال فلها ثلاثة تفسيرات والمعتمد المشهور هو الاول كما ذكرنا

والاوقية القديمة وهي الف وتسعمائةوعشرون شعيرة قدر اربعين درهماً يعني ثمانية وعشرين مثقالاً تبلغ ثمانية اساتيروثمانية اتساع استار بالمعنى الاول وفي الصحاح تصريح به وبما سبق منه فيموضع آخر كما مر بقوله الاوقية في الحديث اربعون درهما وكذلك كان فيما مضى فاما اليوم فيما يتعارفها الناس ويقدر عليه الاطباء فالاوقية عندهم وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وهو استار وثلثا استار انتهى وماوقع في الحديث من تفسير الاوقية باعظم من جبل احد مجاز

والنش [١] بالتشديد وهو تسعمائة وستون شعيرة قدر عشرين درهماً يعنى اربعة عشر مثقالا يبلغ نصف اوقية قديمة كذا في الصحاح والقاموس ورووا كان صداق ازواج النبي صلى الله عليه وآله اثنتي عشرة اوقية ونشاً اتدرون ما النش هو نصف اوقية عشرون درهما انتهى ذكر هذه الرواية العلامة في منتهى المطلب للاستدلال على ان الاوقية كانت اربعين درهماً

والرطل وهو ارطال الرطل العراقي ويقال له البغدادي ايضاً وهو المراد عنداطلاق الرطل في الاكثر وفي تفسيره خلاف فعندجمهور الخاصة والرافعي [٢] من العامة [٣] ستة آلاف ومائتان واربعون شعيرة تبلغ اثنتي عشرة اوقية وثلثي خمسه بالجديدة على المعنى الاول وبعبارتين أخر بين احد وتسعون مثقالاً بالشرعي ومائة وثلاثون درهما به وعند

---

(١) وفي حديث محمد بن علي بن موسى عليه السلام حين تزويج ابنته مأمون وبذلت لها من الصداق مابذله رسول الله صلى الله عليه وآله لازواجه وهي اثنتا عشرة اوقيه ونش على الخمسمائة الحديث (منه)

(٢) نقله عن الرافعي بهاء الملة والدين في الكشكول (منه)

(٣) « المقتبس » يريد بالخاصة علماء الشيعة وبالعامة علماء السنة وهذا الاطلاق شائع في كتب الامامية فليتأمل

جمهور العامة والعلامة[١] من الخاصة ستة آلاف ومائة واحدى وسبعون شعيرة وثلاثة اسباع شعيرة يبلغ اثنتي عشرة اوقية بالمعنى المذكور بلا زيادة ولانقصان . وبعبارتين أخريين تسعون مثقالا ومائة وثمانية وعشرون درهماً واربعة اسباع درهم وعلى هذا التفسير صاحب الصحاح والقاموس اذ فسراه باثنتي عشرة اوقية وهو الرطل المعتبر بين جمهور الاطباء ايضاً لكن على ،ايظهر مما نقله الشيخ في اواخر القانون حيث فسره باثنتي عشرة اوقية والاوقية بسبعة مثاقيل كما مر يصير اربعة وثمانين مثقالا ولم اجد من فسره به اصلاً والرطل المدني وهو رطل ونصف بالعراقي والرطل المكي وهو ضعف الرطل العراقي ويجري فيهما الاحتمالان الناشئان من تفسير الرطل العراقي ففي كل منهما مذهبان على النسبة المذكورة في الرطل العراقي

والمن[٢] ويقال له المنا[٣] مقصوراً والمشهور منه منان المن المصري والانطاليقي وهو ثمانية آلاف ومائتان وثمانية وعشرون شعيرة قدر ست عشرة اوقية جديدة بالمعنى الاول يبلغ رطلاً وثلث رطل على تفسير العامة وفي القانون ايضاً ست عشرة اوقية والخلاف في تفسيرها كما مر . والمن الرومي وهو عشرة آلاف وثمانمائة وثماني شعيرات قدر احدى وعشرين اوقية بالمعنى المذكور يبلغ رطلاً وثلاثة ارباع رطل وفي القانون عشرون اوقية يبلغ رطلاً وثلثي رطل بتفسيره

والمن الطبي وهو اثنا عشر الفاً ومائتان واثنان واربعون شعيرة وستة اسباع شعيرة يبلغ رطلين وبعبارة اخرى اربع وعشرون اوقية ولاخلاف فيه الا مايقتضيه مافي القانون من تفسير الاوقية

والمن التبريزي وهو خمسون الفاً واربعمائة شعيرة يبلغ ستمائة مثقال صيرفي كما هو المتعارف في زماننا . والمن الشاهي وهو مائة الف وثمانمائة شعيرة يبلغ الفاً ومائتي مثقال صيرفي ضعف المن التبريزي

والكر بحسب الوزن اما المكيالي والمساحي منه فسيجيء تفسيرهما ويعتبر فيه كونه من الماء قدر بالف ومائتي رطل باتفاق فقهائنا رضوان الله عليهم الا القطب الراوندي وسنذكر ماذهب اليه لكنهم اختلفوا في ان هذا الرطل هل هو مدني او عراقي ذهب

(١) صرح به في التحرير واسنده اليه الشهيد في البيان (منه)

(٢) وللمن غير الاوزان المذكورة اطلاقان آخران نقلهما صاحب القاموس بقوله المن كيل مشهور او ميزان (منه) (٣) بلا تشديد (منه)

الى الاول جماعة منهم ابن بابويه والسيد المرتضى رحمهما الله والى الثاني الشيخان والعلامة ومن تبعهم ففيه مذهبان يرجع بعد ملاحظة الاختلاف الواقع في قدر الرطل العراقي بين الجمهور والعلامة كما ذكرنا الى ثلاثة مذاهب بحسب المآل [١] فعلى مذهب ابن بابويه يصير مائتين واربعة وثلاثين الف درهم شرعي وعلى مذهب الشيخين مائة وستة وخمسين الف درهم وعلى مذهب العلامة مائة واربعة وخمسين الفاً ومائة وخمسة وثمانين درهماً وخمسة اسباع درهم .

ومما يلحق بالاوزان النواة وهي الاوقية من الذهب اواربعة دنانير او ما زنته خمسة دراهم اوثلاثة ونصف ومن العدد عشرون اوعشرة هكذا في القاموس

والربوة بالكسر وهي عشرة آلاف درهم كما في القاموس

والبدرة وهي كيس فيه الف او عشرة آلاف درهم اوسبعة آلاف دينار كما في القاموس وفي بعض كتب اللغة عشرة آلاف درهم اوسبعة آلاف دينار

والقنطار بالكسر قيل مائة وعشرون رطلاً وفي القاموس وزن اربعين اوقية من ذهب اوالف ومائتا دينار اوالف ومائتا اوقية اوسبعون الف دينار اوثمانون الف درهم اومائة [٢] رطل من ذهب اوفضة الى الف اوملأ مسك ثور ذهباً اوفضة انتهى

وهذا الاخير هو الشائع وبعض المفسرين عليه حمل مافي قوله تعالى (وآتيتم احداهن قنطاراً) وما وقع في الاحاديث مع تقديره في بعضها بالف ومائتي وقية والوقية باعظم من جبل احد وفي بعضها [٣] بخمسة عشر الف مثقال من ذهب والمثقال باربعة وعشرين قيراطاً اصغرها مثل جبل احد [٤] واكبرها مابين السماء والارض فمجاز

(١) لايقال يجب ان يكون اربعة مذاهب لسراية الاختلاف في الرطل العراقي الى المدني ايضا لانا نقول لما كان القائل بالمدني من جمهور الخاصة فالمراد بالمدني هو المعنى الاول اي رطل ونصف بالعراقي على تفسير الخاصة (منه)

(٢) تفسيره بمائة رطل يساوي تفسيره بالف ومائتي اوقية لان الرطل عنده اثنتا عشرة اوقية فالترديد بينهما كأنه لخصوصية الموزون فيه اي الذهب والفضة (منه)

(٣) كما روي في الكافي عن ابي عبدالله عليه السلام من قرأ الف آية كتب له قنطار من بر والقنطار خمسة عشر الف مثقال والمثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصغرها مثل جبل احد واكبرها مابين السماء والارض (منه)

(٤) كما روي في الكافي في فضل القرآن عن ابي عبدالله عليه السلام من قرأ

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب الكيل

هذه التقديرات ينتهي اكثرها الى مكيال يقال له المد بالضم معياره تخميناً ملأ كف الانسان المعتدل اذا ملأها ومد يده بهما قاله صاحب القاموس في م د د موافقا لما نقله عن الداودي بتقريب تفسير الصاع ثم قال وبه سمي مدا وقد جربت ذلك فوجدته صحيحاً انتهى ولتعسر ضبطه مع رجوع المقادير المكيلة اليه احتيج الى تقديره بوزن معين سهولة للحفظ وصونا عن التغيير فقدر به فاختلفوا في قدره بحسب اختلاف الروايات عن المقدر فلا بد لنا مقدماً عَلَى سائر تلك المقادير تفسيره وتحقيق وزنه على ماوصل الينا من المذاهب تأسيساً للاصل وتمهيداً للفصل فهذا القسم ايضاً في الحقيقة ينتهي في التقدير الى اوسط حب الشعير وفي تقديره ستة اقوال الاول مائة واثنان وستون درهماً ونصف درهم بالشرعي هو مائة وثلاثة عشر مثقالا وثلاثة ارباع مثقال بالشرعي يبلغ رطلا وربعا بالعراقي عَلَى تفسير جمهور الخاصة وهذا احد احتمالي مذهب ابن ابي نصر البزنطي من المحدثين اذ فسره برطل وربع ومذهبه في قدر الرطل غير معلوم فان وافق الخاصة فذاك والا ثمانة وستون درهما وخمسة اسباع درهم هو مائة واثنا عشر مثقالاً ونصف مثقال يبلغ رطلا وربعا عَلَى تفسير العامة فهو الاحتمال الآخر لمذهبه · والثاني مائة واحد وسبعون درهماوثلاثةاسباع درهم هو مائة وعشرون مثقالا يبلغ رطلا وثلثا عَلَى تفسير العامة واليه ذهب النووي[1] من العامة واختاره صاحب القاموس في تفسير الصاع ونسبه صاحب الصحاح الى اهل الحجاز · والثالث مائة وثلاثة وسبعون درهماً وثلث درهم هو مائة واحد وعشرون مثقالا وثلث مثقال يبلغ رطلا وثلثا عَلَى تفسير الخاصة واليه ذهب الرافعي من العامة ومن تبعه · والرابع مائتان وسبعة وخمسون درهما وسبع درهم هو مائة وثمانون مثقالا يبلغ رطلين على تفسير العامة نقله صاحب القاموس ونسبه صاحب الصحاح الى اهل العراق · والخامس مائتان وتسعة وثمانون درهماً وسبعا درهم هو اثنان ومائتا مثقال ونصف مثقال يبلغ رطلين وربعا عَلَى تفسير العامة · واليه ذهب العلامة من الخاصة رحمة الله عليه · والسادس مائتان واثنان

خمسمائة آية في يوم وليلة في صلوة النهار والليل كتب الله عز وجل له في اللوح قنطاراً من حسنات القنطار الف ومائتا اوقية والوقية اعظم من جبل احد

(١) نوى قرية بالشام منها ابو زكريا النووي من القاموس

وتسعون درهما ونصف درهم هو اربعة ومائتا مثقال وثلاثة ارباع مثقال يبلغ رطلين وربعا على تفسير الخاصة واليه ذهب جمهور فقهائنا رضوان الله عليهم اجمعين (والقسط) وهو مكيال يسع مدين بالمعنى الثاني على ما يستفاد من القاموس اذ فسره بما يسع نصف صاع والصاع باربعة امداد بذلك المعنى وقيل هو اربعة ارطال بتفسير العامة وحينئذ يبلغ مدين بالمعنى الرابع . ونقل الشيخ في اواخر القانون ان القسط عند الروم رطل ونصف وسدس فيكون عشرين اوقية والقسط الانطاليقي رطل ونصف واعلم انه قال يختلف باختلاف اضافته الى بعض المائعات كما نقل الشيخ ايضاً عن بعضهم ان القسط من الزيت ثماني عشرة اوقية ومن الشراب ثمانون رطلا ومن العسل مائة وثمانمائة ارطال ومن بعضهم ان قسط العسل رطلان ونصف وقد عرفت مراراً ان الرطل على ما نقله اثنتا عشرة اوقية كل منها سبعة مثاقيل وذكر بعضهم في تفسير قسط العسل رطلا واحدا ايضاً (والصاع) واعني به صاع النبي صلى الله عليه وآله وهو المدار عليه في زكوة الفطر وغيرها اتفقت اقوالهم جميعاً على ان الصاع اربعة امداد كيلا ولم اجد خلافاً فيه واما في تقديره بحسب الوزن فاختلفوا فيه بحسب اختلافهم في تقدير المد فمذهب كل في الصاع اربعة امثال ما ذهب اليه في المد ففيه ايضاً ستة مذاهب وسبعة احتمالات فعلى اول احتمالي مذهب البزنطي هو خمسة ارطال على تفسير الخاصة وعلى آخر احتماليه خمسة ارطال على تفسير العامة وعلى مختار النووي وصاحب القاموس والمنسوب الى اهل الحجاز خمسة ارطال وثلث رطل على تفسير العامة وعلى مختار الرافعي خمسة ارطال وثلث رطل على تفسير الخاصة وعلى ما نسب الى اهل العراق ثمانية ارطال على تفسير العامة وعلى مختار العلامة رحمه الله تسعة ارطال على تفسير العامة وعلى مختار جمهور فقهائنا رضوان الله عليهم تسعة ارطال على تفسير الخاصة

والكيلجة وهي منّ وسبعة اثمان منّ بالطبي يبلغ ثلاثة ارطال وثلاثة ارباع رطل على تفسير العامة كذا في الصحاح والقاموس (والمكوك) كتنور وهو كما في الصحاح ثلاث كيلجات يعني احد عشر رطلا وربع رطل كذا في القاموس

والويبة بتقديم الياء المثناة التحتانية وهي اثنان او اربعة وعشرون مدا كذا في القاموس فيجري فيها المذهب الثاني والرابع اللذان نقلهما في المد ففيها اربعة احتمالات

والفرق وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا عراقياً على تفسير العامة كما في الصحاح

يبلغ ثمانية امنان وتفسيره بما يسع ثلاثة اصوع لايغاير هذا التفسير اذا كان المختار عند المفسرين به ان الصاع خمسة ارطال وثلث فالترديد في تفسيره بين مايسع ثلاثة اصوع وما يسع ستة عشر رطلا من صاحب القاموس كأنه لاختلاف التعبير مع كونه بعيداً جداً

والقفيز المكيالي اما الارضي منه فسيجيء تفسيره يختلف بحسب البلاد جداً والمنقول ثمانية مكاكيك اعني اربعة وعشرين كيلجة كذا في الصحاح والقاموس

والاردب بكسر الهمزة وتشديد الباء وهو ستة وتسعون مدا يبلغ اربعة وعشرين صاعاً نقله صاحب القاموس وقد عرفت مختاره في الصاع

والجريب المكيالي اما الارضي منه فسيجيء تفسيره قال صاحب القاموس هو مكيال قدر اربعة اقفزة فيبلغ اثنين وثلاثين مكوكا

والوسق هو المعتبر في نصاب زكوة الغلات وهو مائتان واربعون مداً يبلغ ستين صاعاً بالاتفاق نقله اهل اللغة وغيرهم ولم اجد خلافاً فيه فيختلف الآراء في وزنه بحسب اختلافها في المد والصاع ففيه ايضاً ستة مذاهب وسبعة احتمالات والتفريع ظاهر مما ذكرنا في المد والصاع

والكر المكيالي وهو ثلاثة آلاف وثمانمائة واربعون مدا يبلغ اربعين اردباً نقله صاحب القاموس وله معنيان آخران نقلهما ايضاً بقوله وبالضم مكيال للعراق وستة اوقار حمار وهو ستون قفيزاً

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب المساحة

ينتهي تقديرات هذا القسم ايضاً الى قدر الشعيرة المتوسطة لكن لامن حيث الوزن كما مر بل من حيث المساحة اي قدر عرض السطح الصغير منها يعني احدجنبيها وبعضهم لم يقنوا في التقدير على عرض الشعيرة وتجاوزوا عنهاوقدروا عرض الشعيرة ايضاً بعرض شعر البرذون ذنبه كما قال صاحب البهائية اوعرفه كما صرح به صاحب القسطاس وقيل عرض كل شعيرة ست شعيرات منه وقيل سبع شعرات فبعد هذا التأسيس اعلم ان هذا القسم من المقادير ينقسم الى ثلاثة اقسام اما ان يعتبر فيه المساحة الخطية ٠ واما ان يعتبر فيها المساحة السطيحة ٠ اي مربع الخط ٠ واما ان يعتبر فيها المساحة الجسمية اي مكعبه فالقسم الاول الذي يعتبر فيه المساحة الخطية (الاصبع) وهي قدرت بست

شعيرات متلاصقات بالسطح الاكبر بحيث يكون ظهر كل منها عَلَى بطن الآخر وبهما قدرها شارح الجغميني • وقيل سبع وبها قدرها شارح اللمعة ففيها ايضاً مذهبان وفي كل منها يجري احتمالا تقدير الشعير فتصير الاحتمالات في تقديرها أربعة • الاول كونها ست شعيرات والشعيرة ست شعرات • والثاني • كونها سبع شعيرات والشعيرة سبع شعرات • والثالث • كونها ست شعيرات والشعيرة سبع شعرات • والرابع • كونها سبع شعيرات والشعيرة ست شعرات عكس الثالث فنقل الاول صاحب البهائية والقسطاس • ونقل الثاني والثالث الشهيد الثاني في شرحه عَلَى لمعة الفقه • ولم اطلع عَلَى نقل عَلَى الرابع لكنه متحد في المآل مع الثالث اذ حاصل ضرب الستة في السبعة وبالعكس واحد فالمذاهب الواقعة المختلفة في المآل في تقدير الاصبع ثلاثة موجب الاول ان يكون ستا وثلاثين شعيرة والثاني ان يكون تسعاً واربعين منها والثالث ان يكون اثنتين واربعين منها فيجري هذا الاختلاف في جميع المقادير الآتية الراجع تقديرها الى الاصبع فكل واحد من التقديرات التي تنتقل بعد عَلَى ذلك الوجه منفلق عن ثلاثة احتمالات بحسب المآل

والقبضة وهي تقدر باربع اصابع مضمومة يبلغ ثمان وعشرين او اربع وعشرين شعيرة ينتهي الى مائة وست وتسعين او مائة وثمان وستين اومائة واربعين شعيرة

والشبر والمعتبر منه شبر المستوي خلقه وهو المقياس لاستعلام الكر من الماء يمكن تقديره تخميناً بالقبضة والاصبع بان يقال هو ثلاث قبضات او اثنتا عشرة اصبعاً ولكن لم يقدروه بشيء اعتماداً عَلَى قلة تفاوته مع قيد المستوي ومن اراد التحديد فيمكن ان ينضبط بما قدرناه ويكاد ان لايتخلف عند التتبع

والقدم وهي المعتبرة في الظل وليس لها قدر معين قدرت بسبع القامة من اي شيء كان من الشواخص سواء كان قامة الانسان اوغيره فيختلف بحسب اختلاف اعتبار القامة

والخطوة والقامة من الانسان والمعتبر منهما هو المتعارف الوسط ولم يقدرا بشيء معين

والذراع وهي ثلاث الذراع الشرعية ويقال لها القائم وهي ذراع المحدثين وللاصل فيها من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى او الساعد قدرت باربع وعشرين اصبعاً يبلغ ست قبضات والذراع الحديد ويقال لها السوداء قدرت بسبع وعشرين اصبعاً

يبلغ سبع قبضات الا اصبعاً والذراع الهاشمية وهي ذراع القدماء قدرت باثنين وثلاثين اصبعاً يبلغ ثماني قبضات هذه الثلاثة هي المنقول والاذرع المتداولة في زماننا بحسب البلاد في زماننا غير محدود

والقصبة وهي ست اذرع بالهاشمية وسبع وتسع بالحديد وثماني بالشرعية

والاشل بالتخفيف وهو عبارة عن حبل طوله ستون ذراعاً بالهاشمية يبلغ عشر قصبات

والميل وهو الميل الهاشمي والاصل فيه مدى البصر قدرت بستة وسبعين الف اصبع يبلغ اربعة آلاف بالشرعية هذا هو المشهور في تقديره وروي ثلاثة آلاف وخمسمائة هذه الذراع نقله الشهيد الاول رحمه الله في البيان ففيه مذهبان

والفرسخ وهو ثلاثة اميال عند الاكثر فيختلف باختلاف تقدير الميل فهو اما اثنا عشر الف ذراع بالشرعية يبلغ تسعة آلاف بالهاشمية اوعشرة آلاف وخمسمائة بالشرعية يبلغ سبعة آلاف وثمانمائة وخمساً وسبعين بالهاشمية ونقل صاحب القاموس في تفسيره عشرة آلاف ايضاً وظاهره الشرعي ففيه ثلاثة احتمالات وقول صاحب القاموس في الميل انه ثلاثة اواربعة آلاف ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء او اثنا عشر الف ذراع بذراع المحدثين انتهى اشارة الى الاول لا الى قولين مختلفين فيه وان كانت عبارته موهمة لخلاف المراد معناهـا انه ان اعتبرت في تقدير الفرسخ ذراع القدماء اي الهاشمية وقدر بتسعة آلاف منهـا فالميل الذي يكون ثلث الفرسخ عبارة عن ثلاثة آلاف بهذه الذراع وان اعتبرت فيه ذراع المحدثين اي الشرعية وقدر باثني عشر الف منها فالميل عبارة عن ثلاثة ايضا يعني اربعة آلاف بتلك الذراع ولاتفاوت في التقدير الا بالاعتبار كما اشار اليه الميبدي في حاشيته على شرح الجغميني بقوله هو ثلاثة اميال بالاتفاق وذرعان الميل اربعة آلاف كل اثنان وثلاثون عند المتقدمين وفي التقديرين الميل ستة وتسعون الف اصبع انتهى هذا ولكن دعوى الاتفاق في كون الفرسخ ثلاثة اميال مزيفة بما نقلناه عن صاحب القاموس في تفسيره يعني عشرة آلاف ذراع ولم ينقل احد تفسير الميل بما يطابق ثلثه

والبريد وهو عبارة عن اثني عشر ميلاً يبلغ اربعة فراسخ وهو المشهور ونقل صاحب القاموس في تقديره فرسخين ايضاً

والمسافة [١] وهي التي شرع عند القصد اليها مع شروطه القصر في الصلوة والصوم اختلف فيها فقيل اربعة فراسخ يبلغ بريداً بالمعنى المشهور وقيل ثمانية فراسخ يبلغ بريدين بهذا المعنى ففيه مذهبان ويجري في كل واحد الاحتمالات المذكورة في الفرسخ ففيها ستة احتمالات يصير في المآل عند ملاحظة المذاهب الثلاثة في الاصبع ثمانية عشر احتمالاً

والقسم الثاني الذي يعتبر فيه المساحة السطحية سعة الدرهم البغلي

وهي المعتبرة في عفو الدم في الصلوة اذا كان ناقصاً عنها اومساوياً لها قدرا فقدره بعض فقهائنا كابن الجنيد رحمه الله بسعة عقد الابهام الاعلى وبعضهم كابن ادريس رحمه الله بما يقرب من اخمص الراحة

والعشير وهو ست وثلاثون ذراعاً هاشمية مسطحة مضروب القصبة في نفسها ويقال لعشر كل شيء ايضاً عشيراً وكأنه هنا ايضاً بذلك الاعتبار لكونه عشر القفيز

والقفيز الارضي وهو ثلاثمائة وستون بهذه الذراع حاصل ضرب القصبة في الاشل وقدره صاحب القاموس بمائة واربعين ذراعاً

والجريب الارضي [٢] وهو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع بها مضروب الاشل في نفسه وما ذكرنا في القفيز والجريب هو المنقول وربما يختلف بحسب اختلاف اعتبارات البلاد .

الباقي للآتي

(١) السوف بالضم موضوعه في الاصل للشم وكثر للمسافة الاستعمال في البعد لان الدليل اذا كان في مسافة فلاة شم ترابها ليعلم اعلى قصد ام لا كذا في القاموس وذكرها هنا باعتبار حقيقتها الشرعية والاختلافات الواقعة فيها وان كانت نظيراً لنصاب الزكوة في المقادير الموزونة من انها من المسائل الفقهية وليست مما نحن فيه وقس عليها نظائرها المذكورة منه

(٢) وما وقع في بعض خطب امير المؤمنين عليه السلام ان اول من بغى على الله عز وجل عناق بنت آدم واول قتيل قتله الله عناق وكان مجلسها جريباً في جريب الخطبة وان كان بظاهره يقتضي ان يكون الجريب مما يعتبر فيه المساحة الخطية ولكن يظهر من تتبع كلام اهل اللغة والحساب ان حقيقته ما ذكرنا فينبغي ان يحمل ماوقع في تلك الخطبة على التوسع منه

علماؤنا

وكيف ينشئون ابناءهم

ان العالم الذي اصفه في مقالي هذا ليس مما انبتته بلدتنا طرابلس الشام وحدها . بل يوشك ان يكون من مستنبتات كل بلدة من بلادنا الاخرى .

قضى هذا الفاضل حياته في خدمة العلم وتحقيق مسائله والتأليف فيه . وقد ورث هذا الميل من آبائه ، فأحب ان يورثه ابناً له في السابعة عشرة من عمره فلم يفلح .

وكما ذكر علماء « الطبيعيات » في كتبهم ان الاجسام او المواد قسمان « موصل ردي » و« موصل جيد » يعنون بالاول ما تنتقل فيه الحرارة ببطء . وبالآخر ماتنتقل فيه بسرعة — كذلك الحال في بعض الاشخاص : فان منهم من ينقل ملكات آبائه واستعدادهم العلمي الى ابنائه ومنهم من لاينقل . والاول يصح ان نسميه «موصل جيد » والثاني « موصل ردي »

وصاحبنا الذي نحكي عنه هو على مايظهر من قبيل القسم الاخير : فانه مع ما أوتيه من سعة العلم والرغبة في تحصيل فنونه — لم يورث ابنه هذا الميل والاستعداد . فكان كسولاً . فاتر الهمة . منطفئ نار العزيمة . وهل ان ضعف الميل في ذلك الفتى امر جبلي فيه او انه عرض له بسبب الاسلوب الذي جرى عليه ابوه في تربيته وتثقيفه ؟ لا اعلم .

وربما كان القارىء أشد علماً مني ، اذا اطال روحه واصغى لاتمام الحديث :

قيل للوالد : نراك توبخ ابنك لاقل هفوة . وتنتهره على ملاء من الناس . وقد بلغ الشباب فيحسن بك ان تخاطبه بما يخاطب به عادة من كان في مثل سنه .

فقال : انه يعرف هذا . ويعرف مبلغ تأثير التوبيخ العلني في تشويه اخلاق الناشئين . ولكن هناك ضرورة تستدعي العدول عن هذا الاصل في التربية الى اصل آخر اجل واسمى .

ولما استوضح الامر منه قال : انه كان يؤنب ابنه على سوء عمله في السر . فكان لايرعوي ولا يزدجر . ثم لما اخذ يوبخ جهرة صار الولد يحاسب نفسه ويصلح سيرته .

قالوا : ولكنك تشتغل لامر تافه لاعلاقة له بما تقول · فقد سمعناك توبخه منذ وضع الكرسي في غير الموضع الذي تريد ان يضعه فيه · وهذا مما لايحسن بحال من الاحوال ان يوبخ عليه · لاسيما وهو لايعلم الغيب الذي وقر في نفسك من لزوم وضع الكرسي في هذا المكان دون ذاك ·

فتخلص الاستاذ من الجواب عَلَى هذا الاعتراض الى وصف ذكاء ابنه · وصفاء ذهنه · وانه يفهم ويحفظ مايلقى عليه بسرعة زائدة · وقد حفظ مرةً كتاباً صغيراً في قواعد اللغة الفارسية وحذق جميع مسائله في وقت قصير · ثم قال : لكن ابني مع هذا الذكاء النادر كسول لايهتم بحفظ دروسه · ولايصبر عَلَى المطالعة · ولو فعل لكان في النابغين الاولين · وعد في مقدمة الطلاب الناجحين ·

ثم قال : وانني لااطيق ان ارى ابني جاهلاً وان اعيش انا واياه تحت سقف واحد · وقد اعيتني الحيلة في تعليمه · ويخطر لي انه اذا وصل الى سن العشرين وبقي عَلَى ماهو عليه من الكسل والجهل اسلمته الى الجندية · وضننت بدفع البدل النقدي عنه · او انني ارسله الى مكاتب الاستانة · حيث يعفى التلامذة من الخدمة العسكرية · واخذ يصف مايقاسي من عناء هذا الامر وان ابنه ننص عليه طيب عيشه · ولذيذ حياته · قال الراوي : فخشعت نفسي لقول الاستاذ · ورثيت لحاله · وقلت له ارى ياسيدي ان حياتك اثمن من ان تكدر صفوها بمثل هذا · وان ابنك اذا لم يكن فيه استعداد وميل لطلب العلم · فاختبر ميوله الأُخرى لشؤون الحياة ودعه يشتغل في العمل الذي يحسنه ويميل اليه بطبعه · فاذا كان يميل الى التجارة والكسب فنشطه لسلوك هذا السبيل · واذا رأيته يميل للدخول في سلك موظفي الحكومة فليفعل · فان ذلك اجدى من ان تكلفه مالاطاقة له به من التحصيل ·

فاربدّ وجه الاستاذ من سماع هذا الكلام · وقال : ان جميع ماتعلمه انت اعلمه انا وانك للآن لم تدرِ ما اقول : اما قلت لك ان ابني عَلَى جانب عظيم من الاستعداد والذكاء وانه يحفظ ويفهم مايلقى عليه بسهولة وانه في ساعة واحدة حذق مسائل اللغة الفارسية التي لايدركها غيره في بضعة ايام ·

قال الراوي : قلت بلى ياسيدي الاستاذ فهمت كل ماتقول ولكنك انت لم تفهم بعضاً مما اقول :

ان قوة الذكاء والفهم غير قوة الميل والرغبة · فما لم تتوفر في الطالب هاتان القوتان

لا يقال عنه انه مستعد للطلب . ولا ذو قابلية للعلم . وان ابنك ذكي سريع الفهم . لكنه كسول ضعيف الميل . فهو اذن قد توفرت فيه قوة دون قوة . الا ترى ان كثيرين من الطلاب هم عَلَى العكس من ابنك : ترى الواحد منهم كثير الرغبة والميل لتحصيل العلم متوفراً عَلَى الدرس والمطالعة جهده . لكنه ينقصه قوة الذكاء والفهم المتوفرة في ابنك . فيضيع عمره ولا يستفيد شيئاً من العلم . والالبق بمن كان كذلك — اي كان ذكياً لكنه كسول اومجتهداً لكنه بليد — ان يدع طلب العلم و يأخذ في عمل آخر ينتفع به .

فامتعض الاستاذ وقال : من اين اتيت بهذه الفلسفة ؟ يريد انني تكلمت بكلام غير مفهوم . وهو مايريدون بكلمة الفلسفة احيانا . ثم عاد الاستاذ فشرح ماأُوتيه ابنه من ذكاء وقوة حافظة وغير ذلك من المواهب والمزايا . هذا ماقصه الراوي علينا . وموضع العبرة فيه ان ذلك الاستاذ قد درس عَلَى زعمه علوم الاولين والآخرين لكنه نسي علماً واحداً لم يوفق لدرسه مع انه في اشد الحاجة اليه . ذلك العلم هو علم التربية الذي هو فرض عين عَلَى كل اب عائلة . ومعلم مدرسة . واذا زعم الاستاذ ان هذا العلم درسه في جملة مادرس . نقول له ولكنك لم تكن ذا استعداد وقابلية للانتفاع به . فيرد علينا بانه عَلَى استعداد وقابلية لانه ذكي وسريع الفهم . فنضطرب حينئذ الى السكوت والصبر .

ومثل الاستاذ كثيرون يريدون ان يلزموا اولادهم بالتحصيل . ويكونون ضعيفي الميل والرغبة فلا يهتمون ان تمضي اعمارهم سبهللا . و يكون من جهة ثانية قد فات الوقت الذي يمكنهم فيه التدرب عَلَى الكسب وتوفير الثروة فيقضون حياتهم في البطالة والخمول وضيق ذات اليد .

ولو فطن اولياؤهم لحالهم من اول الامر لربأوا بهم عن مثل هذا الموقف . وتخطوا بهم مالا يطيقون من العلم الى مايطيقونه من العمل . واعانوهم على الانتفاع بميولهم الخاصة واستثمار مواهبهم الفطرية .

واكثر مايكون هذا الاغفال في بيوت العلم القديمة فان الآباء فيها يحرصون على تنشئة بنيهم في العلم . وتعويدهم التحصيل منذ الطفولة . و يلزمونهم اياه بكل وسيلة . ولا يكون في كثير منهم ميل اليه . واستعداد له . فيقضون اعمارهم فيه . من غير ان

يكون لهم نصيب منه . سوى القيافة الخاصة . عمامة وطيلسان . وجبة واسعة الاردان .

وهناك سبب آخر يحمل الآخرين على الاشتغال بطلب العلم من دون أن تتوفر فيهم القابلية له فلا ينالون حظا منه : اولئك الذين يريدون الفرار من الخدمة العسكرية وتضيق ذات يدهم في الغالب عن البدل النقدي فيشتغلون في التحصيل لهذا الغرض .

وقد ينبغ بين هؤلاء افراد يصبحون فخراً لقومهم . ونبراس هدى في وطنهم . اما الآخرون وهم معظم الطلاب فيحذقون من العلم القدر الذي ينجيهم من الخدمة العسكرية ثم لايلبثون ان يشغلوا عنه فينسوه رويدا رويدا . ويكونون قد وصلوا الى سن يصعب معها مزاولة عمل اوصناعة فيعيشون كلاً على اهليهم . يرمقون الرزق ترميقا . ولو انصف هؤلاء انفسهم لما اشتغل بتحصيل العلم منهم الا من اوتي نصيباً من ميل واستعداد للطلب . ورزقاً يكفيه مؤونة الحاجة . والا فخير للمرء منهم ان يتعاطى عملاً يرفه به عيشه . وينقذه من عار البطالة . ويمكنه من اداء البدل العسكري . او انه يقوم بهذه الوظيفة المقدسة . فانها من اشرف الاعمال لاسيما في وقتنا هذا . وقد اصبحت الحكومة دستورية . والجندي فيها مرفه في معيشته . موفور الحرمة في اداء خدمته .

ولو بلغ طلاب العلوم الاسلامية في احدى المدن مائة طالب مثلاً لكان منهم عشرة يشغلون المناصب الدينية : مثل مفتي . وموظف محكمة . وكاتب صكوك . وعشرة آخرون اغنياء عن الكسب بغنى والديهم . وعشرة سوامم اقدموا على الكسب بقوة من ارادتهم وهمة نفوسهم . اما السبعون الباقون فيغدون ويروحون في قومهم على غير الحالة اللائقة بحرمة العلم وكرامة اهله وقد تقود البطالة بعض هؤلاء الى انتياب اماكن اللهو . وينزل الحال بآخرين الى تناول الصدقات . والسقوط على طعام الاموات .

وانا لنود ان يكثر هذا العنصر فينا معشر المسلمين : عنصر علماء الدين ولكننا نود لهم قبل كل شيء ان يكونوا موضع احترام العامة واجلال الخاصة ليكون ذلك ادعى للانتفاع بهم . والتلقي عنهم . وان يكون لهم من خزينة الاوقاف ومال الامة رواتب تساعدهم على اداء وظائفهم . والظهور في مظهر التجمل بين ابناء قومهم . ثم يكون

وراء ذلك من قبل الحكومة او من قبل الرأي العام عيون تراقبهم · وتناقشهم الحساب عَلَى اعمالهم · حتى اذا اقترف احدهم مالايلائم آداب صنفه · وكرامة دينه · اكره على التجرد من زيه العلمي · ثم ليختر لنفسه صناعة أُخرى او يبقى متشرداً كما يريد · والا فان ظهور اهل الدين في مظهر يزري بهم ويحط من قدرهم يدعو الى النفرة منهم وترفع ابناء الخاصة عن الدخول في سلكهم · فلا يعود ينضم اليهم سوى الحثالة · من اهل الجهالة · وذوي البطالة ·

طرابلس الشام : المغربي

صحافتنا وصحافتهم

يا امتنا اذا اردت ان يكون لك حول وطول وكلمة عالية مسموعة ومنزلة مهمة عند دولتك وسائر دول الارض فاقبلي عَلَى صحافتك الوطنية اقبال الشعب الاميركي عَلَى صحافته

صحافة الولايات المتحدة وصحافتنا

عدد	سكان	ولاية	ميسوري	٣١٦٦٦٦٥	عدد	صحافتها	١٠٤٨
«	«	«	اهايو	٤١٥٧٥٤٥	«	«	١١٨٩
«	«	«	ايلنيز	٤٨٢١٥٥٠	«	«	١٧٤٦
«	«	«	بنسلفانيا	٦٣٠٢١١٥	«	«	١٥٢٤
«	«	«	نيورك	٧٢٦٨٨٩٤	«	«	١٩٥١
«	«	«	ايوي	٢٢٣١٨٨٣	«	«	١١٣٢
«	«	«	مشغن	٢٤٢٠٩٥٢	«	«	٨١٠
«	«	«	انديانا	٢٥١٦٤٦٣	«	«	٨٥١
«	«	«	مـتشوستس	٢٨٠٥٣٤٦	«	«	٦٥٤
«	«	«	تكس	٣٠٤٨٧١٠	«	«	٨٥١
«	«	«	كروليناالشمالية	١٨٩٣٨١٠	«	«	٢٦٦
«	«	«	تنسى	٢٠٢٠٦١٦	«	«	٢٩٨
«	«	«	ويسكنسن	٢٠٦٩٠٤٢	«	«	٧٣٢
«	«	«	كنتكي	٢١٤٧١٧٤	«	«	٣٣٨

عدد سكان ولاية	جورجيا	٢٢١٦٣٣١	عدد صحافتها	٣٩٥
« « «	مسيسبي	١٥٥١٢٧٠	« «	٢٥١
« « «	منسوتا	١٧٥١٣٩٤	« «	٧٧٠
« « «	الاباما	١٨٢٨٦٩٧	« «	٢٣٠
« « «	فرجينا	١٨٥٤١٨٤	« «	٢٤٩
« « «	نيوجرمي	١٨٨٣٦٦٩	« «	٣٩٠
« « «	اركنسس	١٣١١٥٦٤	« «	٢٨٩
« «	كرولينا الجنوبية	١٣٤٠٣١٦	« «	١٥٦
« « «	لوزيانا	١٣٨١٦٢٥	« «	٧٣٦
« « «	كلفرنيا	١٤٨٥٠٥٣	« «	٧٣٨
« « «	فلوريدو	٥٢٨٥٤٢	« «	١٨٣
« « «	ماين	٥٣٩٧٠٠	« «	١٥٨
« « «	كولبوريدو	٦٩٤٤٦٦	« «	٣٧٤
« « «	كنكنت	٩٠٨٤٢٠	« «	١٧٣
« « «	غربي فرجينيا	٩٥٨٨٠٠	« «	٢١٧
« « «	نبراسكا	١٠٦٦٣٠٠	« «	٦٥٩
« « «	ماريلند	١١٨٨٠٤٤	« «	٢٠٦
« « «	اوكلاهوما	٣٩٨٨٣٣١	« «	٣٠٣
« «	داكوتا الجنوبية	٤٠١٥٧٠	« «	٣٩٣
« « «	نيوهمشر	٤١١٥٨٨	« «	٩٤
« « «	اورغن	٤١٣٥٣٦	« «	٢٤٠
« « «	رودايلند	٣٢٨٥٥٦	« «	٥٩
« « «	واشنطن	٥١٨١٠٣	« «	٩٩
« « «	يوفا	٢٧٦٧٤٩	« «	٨٣
« « «	مقاطعة كولمبيا	٢٧٨٧١٨	« «	٨٢
« « «	داكوتا الشمالية	٤١٩١٦٤	« «	٢٣٣
« « «	فرمونت	٣٤٣٦٤١	« «	٧٦

عدد سكان ولاية مقاطعة الهنود	٣٩٢٠٦٠			عدد صحافتها	١٦٤
« « « نفادا	٤٢٣٣٥	«	«		٣٥
« « « الاسكا	٦٣٥٩٢	«	«		٤٥
« « « اريزونا	١٢٢٩٣١	«	«		٦٦
« « « ايدهو	١٦١٧٧٢	«	«		٩٩
« « « دلوار	١٨٤٧٣٥	«	«		١٤٠
« « « نيومكيسكو	١٩٥٣١٠	«	«		٦٣

يظهر من مطالعة هذا الجدول الذي جمعته بعد بذل الوقت الطويل ان نفادا اصغر ولاية في الولايات المتحدة بعدد سكانها . فهم يبلغون ٤٢٣٣٥ نفساً وعدد جرائدهم ومجلاتهم كما ترى يبلغ ٣٥ جريدة ومجلة اي انه يصيب كل ١٢٠٩ انفس منهم جريدة واحدة . هذا عدا مايرد عليهم من جرائد سائر الولايات ومجلاتها

وولاية الاسكا تجيء فوق ولاية نفادا في عدد السكان . دع عنك عدم استبحارها في الحضارة والعمران بداعي اقليمها البارد جداً ومع تقصيرها بذرائع الرقي عن شقيقاتها نقرأ ان لسكانها البالغ عددهم ٦٣٥٩٢ نفساً ٤٥ جريدة ومجلة اي انه يصيب كل ١٤١٢ نفساً منهم جريدة

وقس على ولايتي نفادا والاسكا بقية الولايات وقابل بين عدد سكان كل منهما وعدد جرائدها ومجلاتها ولا سيما احط مقاطعة في الجمهورية بمعارفها وعلومها واسباب تقدمها الا وهي مقاطعة بقايا ذلك الشعب القديم شعب سكان اميركا الاصليين الهنود الذين مازال اكثرهم عائشاً عيشة الهمجية — قابل تجد ان لكل ٢٤٥١ نفساً منهم جريدة فعددهم ٣٩٢٠٦٠ نفساً وعدد جرائدهم ومجلاتهم ١٦٤ جريدة ومجلة ثم قابل بين عدد سكان الجمهورية الاميركية وعدد جرائدها وبين عدد سكان البلاد العثمانية وجرائدها وتأمل في الفرق واعتبر واتخ باللائمة على مسببي تأخرنا وتقهقرنا

صحافتنا

لا اعلم وانا سحيق الدار كم هو عدد صحافة ولاية سورية . الا انني لا إخالها تتجاوز عدد الاصابع فقد اتصل بي ان غير جريدة منها دبت فيها الحياة ردحاً من الزمن المدعو بزمن الدستور ثم تمارضت او مرضت ومضت لملاقاة ربها وانه لم يبق غير المقتبسين

والعصر الجديد والراوي وحط بالخرج في دمشق والاخاء في حماة وحمص في حمص وثنتان اوثلاث لم اقف على اسمائها

في اعظم مدن العربية

في القرن العشرين الذي اتصلت فيه بلاد العالم بعضها ببعض اتصال شرايين الجسم واختلطت شعوبها اختلاط الحابل بالنابل — في القرن الذي قويت فيه شوكة العلم — في القرن الذي كثرت فيه الثورات والنهضات وظهرت الاختراعات والاكتشافات الا يوجد في اعظم مدينة في البلاد العربية — في مدينة من اعرق مدن الدنيا بقدمها — في بقعة من افضل بقاع المعمورة بارضها وسمائها واقليمها وخيراتها — في دمشق اكثر من خمس اوست جرائد تستحق ان تسمى جرائد ؟

كثرة قرائهم وقلة قرائنا

عدد سكان ولاية نفادا في اميركا يقل عن سكان صالحية الشام على ما ارجح ولا يزيد كثيراً عن سكان حي نصارى دمشق ولاولئك ٣٥ جريدة وللدماشقة البالغين ثلاثمائة الف نفس ونيف خمس او ست جرائد او لكل ستين الفاً منهم جريدة وقراء الصحف منهم لا يزيدون عن خمسة بالالف على ما أقدر واظن ان تقديري هذا في محله . فالطامة الكبرى ليست فقط بقلة جرائد دمشق بل بقلة عدد مشتركيها . فلجريدة حقيرة في الجمهورية الاميركية العظمى مشتركون وقارئون اكثر من أكبر وأقدر وأشهر جريدة في دمشق

مكانة المقتبس من جريدة اميركية كبرى تطبع ستين الف نسخة يومياً

هذا المقتبس على شهرته الواسعة ومقدرة صاحبه المشهورة بين الناطقين بالضاد في مشرق الارض ومغربها وبين الكثيرين من الاميركيين في غربي الولايات [1] يقال انه لا يطبع يومياً اكثر من ثلاثة آلاف نسخة يوزع منها الفين وخمسمائة نسخة على المشتركين والقارئين وخمسمائة نسخة على رصفائه ومكاتبيه في الجهات في حين ان مكانة المقتبس المعنوية لا تنقص مكانة عن مكانة صحيفة اميركية كبرى تطبع يومياً ستين الف نسخة كبيرة

(١) لقد نقلت عشرات من مقالات المقتبس (المجلة والجريدة) الى كثير من جرائد ومجلات الاميركيين في غربي الولايات المتحدة وتهلل لها غير واحد من اكابر الكتاب

مقابلة وانتقاد

في عاصمة نبراسكا البالغ عدد سكانها ٦٥ الفاً عدة جرائد ومجلات ناجحة منها جريدتان عظيمتان سبق ذكرهما تشغل كل منهما بناية عظيمة ومعدل ماتطبعه احداهما يومياً خمسون الف نسخة وما تطبعه الأُخرى اربعون الف نسخة وبكل حرية اقول ان معنويات تينك الجريدتين الخطيرتين لاتفوق معنويات المقتبس وانما تفوقه بما لايقاس بكثرة القارئين والمشتركين وتعدد الصفحات وكبر الحجم وبشيء معنوي هو انك تقرأ عنواناً لكل كتابة او خبر في تينك الجريدتين تفهم منه ما يرمي اليه الكاتب قبل ان تطالع الكتابة او المقالة او الرسالة وترى الصور الكثيرة المهمة في كل عدد منهما كل يوم ولاسيما عدد الاحد الكبير البالغ اربعاً وعشرين صفحة كبيرة تقرأ فيه مقالات مشاهير وشهيرات الكتاب والكاتبات في اوربا واميركا

واما المقتبس فانك لاتستطيع ان تفهم شيئاً من كثير من مقالاته ورسائله واخباره الا بعد ان تقرأ الكتابة كلها واذا كانت طويلة تضطر احياناً الى قراءة العمود او العمودين او الثلاثة الاعمدة منه لتلم بالموضوع او تقف على مغزاه ومرماه ومن حين صدور اول عدد منه الى يومنا هذا لم ار ولم يرَ غيري صورة فيه قطعياً . فاذا كان الداعي الى ذلك هو قلة واردات المقتبس المادية فيعذر واذا كان الداعي هو ان الدين الاسلامي ينهي عن نشر الصور فهل لصاحب المقتبس اولغيره من ائمة الدين ان ينشروا بياناً شافياً بهذا الباب لعلنا نعذر ونقنع . ان الدين الاسلامي الكريم كتبت شرائعه ونشرت في زمان هوغير زمان القرن العشرين وما انطبق على ذلك الزمان لاينطبق على هذا الزمان ولكل عصر حاجات لاتوافق حاجات العصور التي سبقته واذا كانت الصور من بقايا آثار الوثنية التي كانت في اوج مجدها وعزها في اول عهد ظهور الاسلام فعلم القرن العشرين قد محا تلك الآثار او كاد وصار يفهم العالم والجاهل اليوم ان الغرض من نشر الصور هو للافادة التي تتقاضاها اليوم حاجة عصر النور لا للعبادة التي كانت تتقاضاها حاجة عصر الظلمة في القرون المتوسطة

صحف العرب في اميركا

قرآء الصحف العربية في ولايات الاتحاد معدودون ومحدودون لعدد الناطقين بلغة قريش فيها لاينقصون عن مئة وخمسين الف نفس ومع ذلك ترى صحافتهم اكثر

عدداً واكبر حجماً واحسن تبويباً وانظف ورقاً من صحافة ولاية سورية بل ارقى بادياتها . وشاهدي او دليلي عَلَى ذلك جريدة الهدى اليومية الصادرة في نيورك فانها مع كونها في بلاد غريبة نائية عن مواطن اللغة العربية فهي تطبع نحو خمسة آلاف نسخة كل يوم ذات ثماني صفحات كبيرة حافلة بالمقالات المحبرة والاخبار المهمة ومزينة بالرسوم الرامية الى اغراض نافعة واذا حققت وجدت ان مانطبعه الهدى وحدها كل صباح لايقل عما تطبعه جرائد ولاية سورية مجموعة

لوم وعتاب

لا أُريد ان أنسب الى اني احرق الأُرَّم واورِّث نيران المناظرة لغاية او نكاية بين المستصغرين منزلة المهاجرين من المتخلفين والذابين عن حياض المهاجرين فلهؤلاء مكانة سامية ابدعها جدهم وكدهم ولأُولئك بتعريضهم عيون لاتبصر واجسام لاتشعر واغراض كلها امراض وانما الوم بل اعتب عَلَى ولاية رجالها ونساؤها واولادها لايقل عددهم عن مليون نفس هم عرب في عرب — عَلَى ولاية شرقها وغربها وجنوبها وشمالها وسماؤها وارضها واطوارها ووهادها وسهولها وهضابها واشجارها واثمارها وانهارها عمرت بالعرب وتخص العرب وليس لهم ولها عَلَى الاقل جريدة تطبع مانطبعه جريدة عربية في ديار العجمية

كيف يأتي الاصلاح

الاصلاح جاءَ ويجيء وسيجيء من طريقين اما من طريق الحكومة واما من طريق الشعب ومثال الاول حكومة يابان ومثال الثاني الجمهورية الافرنسية والجمهورية الاميركية والانقلاب العثماني لم يأت من طريق الحكومة ولا من طريق الشعب من حيث مجموعه بل من طريق الجيش . اما والحكومة العثمانية منصرفة قواها جملة الى حل مسائلها ومشاكلها وقد بدا حتى الآن انها لاتكترث او لاتريد ان تكترث بالعربية حيث ام ماتت فقد تحتم عَلَى ابنائها ان يعلوا منارها ويحموا ذمارها ويحملوا لواءها وهذا لايكون فقط بالاحتفاظ ببقايا تلك الكتب العتيقة الباحثة في مذاهب سيبويه ونفطويه واضرابهما مثلا بل يكون في نشر الصحافة الحرة بكثرة في المدائن وفي القصبات وفي المديريات وفي الضواحي والنواحي فالصحافة الحرة الصادقة بلا مدافع اكبر كلية للدولة واكبر مدرسة للامة واكبر جامعة للثورات الادبية المحطمة قيود الجهل والظلم وللنهضات

الجالبة رفعة القدر ووفرة الفخر ويقاس رقي الامم برقي صحافتها فكل امة لها صحافة راقية لها منزلة راقية في السياسة والاجتماع والآداب والعمران والعرفان

صحافة هذا الدور هي غيرها في الماضي

لم تكن الصحافة موجودة بعرفي في دور نيرون القرن العشرين . فتلك التي كان العبيد المستعبدون يدعونها صحافة لم يكن اكثرها الا وريقات او نشرات لنشر آيات التقديس والتدليس والتدنيس بل لاذاعة المين كل المين والتمويه كل التمويه والتجهيل كل التجهيل والتضليل كل التضليل وكان الاستذلال والاستعباد يقضيان بدفن الحقائق واستحياء الخارق . اما وقد ردت الى الشعب بعض حقوقه المعطاة له من الله فمن الفضاضة على الصحافة ان تستر العيوب والعورات وكل صحافة لاتدل الدولة والامة على حسناتهما وسيئاتهما بكل مافي كلمة الحرية من معنى الحرية لاتدعى صحافة ولا يرجى لامتها وحكومتها صلاح واصلاح

الذنب ذنب الشعب

نعم ان مضمار الانتقاد اوسع في اميركا منه في الدولة العلية بداعي تقييد الصحافة العثمانية واطلاق حرية اميركا غير ان الذنب على الشعب . فشعب اميركا مطالب وناهض وقائم والشعب العثماني قاعد وجامد ونائم . النواب هم الذين قيدوا حرية الصحافة وهم ضيقوا الخناق عليها والشعب هو الذي انتخب اولئك النواب وارسلهم الى عاصمته وهو الذي يدفع مرتباتهم ونفقاتهم فالشعب هو سيد النواب والنواب خدامه ولم اسمع ولم يسمع غيري ان ٢٥٠ خادماً يستطيعون ان يستبدوا بثلاثين مليون (سيد) فيا ايها الشعب مر نوابك بتعديل قانون صحافتك واحملهم على تلبية امرك فان لبوه كان ماتريد والا فاقلب لهم ظهر المجن في الانتخاب المقبل وانتخب الاصلح فالاصلح حتى تبلغ ضالتك وتعمل عمل البلاد الشعبية . فهل من سامع او مجيب لهذا الصوت الضعيف

اميركا : يوسف جرجس
زخم

(المقتبس) ان اعظم عائق يحول بيننا في هذه المجلة وفي جريدة المقتبس وبين وضع الصور اللازمة القليلة في بادئ الامر هو عدم اضطلاعنا بهذا الامر وعدم

وجود مصور ماهر هنا يحسن حفر الصور على المناحي المطلوبة ٠ والاسلام لايمنع من التصوير الا المجسم والمنع تحت شروط ايضاً ٠

ثم ان قلة رواج بضاعة العلم والادب من اكبر الدواعي في تخلف صحافتنا العلمية والسياسيه كما قال صديقنا صاحب المقالة فمجلة المقتبس على شهرتها لاتطبع سوى الف نسخة في الشهر وجريدة المقتبس على سعة انتشارها لاتبيع اكثر من الفي نسخة في اليوم فمن لنا بيوم نطبع فيه صحفنا عشرة آلاف فقط لتقلد الصحافة الغربية حذو القذة بالقذة ومكانة الجرائد بمكانة قرائها ولايحيط العامل الاعظم في رقيها

عمران الكرك

لم تكد الحال تستقر في حوران على مايجب بعد ان ادبت الحملة العسكرية اشقياء الدروز في جبل حوران حتى ارادت الحكومة ان تحصي نفوس سكان لواء الكرك كما احصت سكان لواء حوران فنشز السكان وانتقضوا على الحكومة وصادف ان قطعت مرتبات بدو بني صخر والخرشان وغيرهم ممن كانوا يتقاضون انعاماً من السلطنة منذ القديم لحراسة الطرق فتكونت هذه الاسباب وقام البدو الذين حرموا من رواتبهم وهي اربعة آلاف ليرة في السنة وسطوا على بضع محطات من السكة الحديدية الحجازية واقعة على طول زهاء مائتي كيلومتر في اراضي اللواء وخربوا بعض القضبان الحديدية ونهبوا احد القطارات التي كانت قادمة من المدينة وسلبوا ما كان مع ركابها من مال ومتاع مما لايقل ثمنه عن عشرين الف ليرة وقتلوا وجرحوا بعض موظفي الخط الحديدي وكان ذلك على بضع ساعات من مركز لواء الكرك وقام الكركيون باديهم وحاضرهم واطالوا يد الاعتداء على التجار والموظفين والحامية ولو لم يلجأ الموظفون الى قلعة الكرك الحصينة ويبقوا فيها عشرة ايام ريثما وافاهم المدد لقضت الثورة عليهم ولا يعلم الى الآن عدد من هلك في الفتنة من التجار والضباط والموظفين والجند ممن كانوا يتجولون في الارباض لاتمام اعمالهم وقد حرقت نيران الفتنة الاماكن الاميرية كلها ونهبت نقود الخزينة ونقود ادارة حصر الدخان ونهبت دور الموظفين واحرق قسم منها وخرب قسم عظيم من المدينة باطلاق القلعة المدافع عليها وقطع العصاة الاسلاك البرقية وهاموا على وجوههم في البراري والجنود يتأثرونهم الآن في السهل والوعر ٠

وقد نوى اهالي الطفيلة واهالي معان القيام بمثل هذه الفظائع في الوقت الذي قام فيه الكركيون بثورتهم ولم يؤثر عنهم شيء مضر

واذ كان النزاع الآن قائماً في ذلك الصقع بين الحكومة والسكان وبعبارة أخرى بين المدنية والهمجية رأينا ان نلمَّ بعمرانه وتاريخه وجغرافيته واقتصاده واستعداده للارتقاء فنقول نقلاً عن مصادر عربية وافرنجية وتركية كثيرة : يمتد هذا اللواء من وراء قصر الزرقاء في الحد الجنوبي من لواء حوران الى مدائن صالح جنوباً وهي مسافة يقطعها راكب المطايا في العادة في نحو خمسة عشر يوماً اما عرضه فمن الغرب نهر الأردن (الشريعة) وبحيرة لوط (البحيرة المنتنة او البحر الميت) ووادي العاربة والوجه والعقبة الفاصلة بينه وبين فلسطين الى بادية الشام شرقاً فالجوف فنجد وهذه المسافة لا تقل عن خمسة ايام وهي تبلغ اكثر اذا تجاوزنا البادية الى وادي السرحان في الشرق .

وارضه سهلية جبلية وجباله لا ترتفع كثيراً عن سطح البحر وتدعى باسماء البلاد التي بقربها الآن واشهر انهار اللواء وادي الزرقاء ينبع من رأس عمان قال ياقوت: الزرقاء موضع بالشام بناحية عمان وهو نهر عظيم في شعار ودحال كثيرة وهي ارض شبيب التبعي الحميري وفيه سباع كثيرة مذكورة بالضراوة وهو نهر يصب في الغور . ووادي الصلت وهو ينبجس من قصبة الصلت ووادي السير ينبعث من قرية وادي السير ووادي حسبان ينبض من محل اسمه حسبان ونهر زرقا معين ووادي الوالا ينبع بالقرب من ام الرصاص وينضم اليه وادي الموجب وهذا الوادي يتألف من اللجون الواقع في منتصف الطريق بين القطرانة والكرك وجميع هذه الاودية او الانهار تصب في نهر الأردن او الشريعة ومن انهار هذه البلاد وادي الكرك ينبع في قصبة الكرك ويصب في بحيرة لوط ووادي الحسا تجتمع اليه مياه الشراة ومياه وادي موسى وينابيع شتى فيصب في بحيرة لوط . وهذه الانهار تفيض كعادة معظم الانهار شتاء بما ينهال اليها من السيول وتجف قليلاً في الصيف . ومن الانهار ما لا يجري الا في الشتاء مثل نهر الثمد ولا ينتفع بهذه المياه في السقيا حتى ان نهر الزرقاء الذي يعد من الانهار المتوسطة لا يسقي اكثر الاراضي التي حفافيه بل هي تشرب بماء المطر وكذلك حال اراضي البلاد كلها ما خلا بعض الحدائق القليلة في وادي موسى والصلت

ووادي الموجب ووادي الحسا من اعمق اودية سورية قد ينزل الراكب من ذروتهما الى قرارتهما في ساعة ونصف ويصعد اليهما في اكثر من ذلك

وفي هذا اللواء مناجم كثيرة فبالقرب من زرقا معين على ساعتين من مادبا جبال ملونة ففيها جبل اصفر وآخر احمر وبالقرب من بحيرة لوط وحمة عفرة من اعمال الطفيلة معادن الكبريت والقصدير والبترول والنحاس · وزرقا معين هذه من الحمامات البخارية اشبه بحمام ابي رباح بالقرب من تدمر · وهي ثلاث حمامات يستحم المستحمون ببخارها ولا يجسر احد ان يمد يده اليها · ويقصدها سياح الافرنج كما يقصدون حمة عفرة من بحيرة لوط حتى اذا بلغوا شاطئها يركبون على الدواب ثلاث ساعات

وتقل الحراج في هذا اللواء واهمها ما كان بالقرب من بلدة الصلت وفي ارض بني حميدة وهي تبعد عن قصبة الكرك خمس ساعات ويمتد هذا الحرج من الزرقاء قرب معين الى وادي بني حماد وطوله نحو عشر ساعات وفي قضاء الطفيلة حراج واسعة يمشي الانسان بظل لزابها وسنديانها طويلاً ولاسيما في جنوبه قرب قرية ضانا

واكثر الاشجار المثمرة في اللواء التين والعنب والزيتون واكثره في الصلت والطفيلة والكرك والعراق وخنزيرة · واهم الحبوب التي يستنبتونها الحنطة والشعير والذرة والعدس والحمص يصدرونها الى فلسطين او الى دمشق وتباع بعشرات الالوف من الليرات وقبل ان تخترق السكة الحجازية هذا اللواء كانت صادرات بلاد الكرك تباع في فلسطين او تبقى في ارضها لبعد المسافة بينها وبين دمشق واقربها لا يقل عن خمسة ايام على الجمال

ومعظم سكان هذا اللواء بادية رحالة ولا تجد ساكنين في البيوت الا في الكرك والصلت والشوبك ومعان والطفيلة وتيمة وصنفحة وبصيرة وضانا وخنزيرة والعراق وكثربة ومادبا وام الرمان وعمان والفحيص ووادي السير وناعور وعين صويلح ورصيفة وياجوز وعيون الحمر ويادودة ولبن وام العمد وزيزاء · ويخمن الناس نفوس الاهالي بمئة وخمسين الفاً نحو خمسهم حضر والباقي بادية ينزلون في بيوت شعر عشائر وقبائل واتخاذاً ولكل عشيرة موقع خربة يتخذون من الآبار انابير يخزنون فيها حبوبهم وهم ينتجعون الكلأ · وفي قضاء اللواء اي الكرك ثلاثون الف ساكن منهم ار بعمائة بيت مسيحيون والباقي مسلمون وفي قصبة الصلت عشرة آلاف منهم الفان من المسيحيين وليس بين العرب الرحالة اناس من المسيحيين واهل مادبا كلهم مسيحيون ·

قال القرماني في (معان) انها مدينة صغيرة على قارعة طريق الركب الشامي وهي على عشر مراحل من دمشق كان غالب اهلها نصارى · والآن ليس فيها احد منهم

ولقد نظمت الحكومة ادارة هذه البلاد سنة ١٣١٠ على الحساب الهجري وكانت

حكومتها من قبل يد المشايخ والزعماء فجعلت الكرك مركز اللواء وسمت سائر اللواء باسمه وقسمته الى اربعة اقضية وهي قضاء المركز وقضاء الصلت وقضاء الطفيلة وقضاء معان والى سبع نواح وهي عمان وديبان ومادبا وزيزاء (جيزة) وتبوك وخنزيرة والشوبك ٠

وديبان هي شمالي ضفة ارنون (الموجب) على نحو ٤ اميلا من مصبه في بحيرة لوط و٦ اميلا شمالي الكرك وهي المعروفة في الكتب المقدسة باسم ديبون اوديمون وكانت احدى منازل بني اسرائيل [1] واشتهرت ديبان بالحجر الموآبي الذي وجد فيها سنة ١٨٦٨ وهو حجر اسود طوله اكثر من ثلاثة اقدام وعرضه نحو قدمين وسمكه نحو قدم وفيه ٣٤ سطراً من الكتابة الفينيقية العبرانية قرئت كلها وهي من ميشع بن خموسا ملك موآب ملخصها انه بنى هذا المقدس لكموش لانه خلصه من كل معتد وجعله ينظر بازدراء الى اعدائه كلهم قال قد ضايق عمرى ملك اسرائيل موآب اياماً عديدة ٠ملك ارض ميدبا وسكن هناك هو وابنه ٤٠ سنة اهلكه كموش على عهدي حينئذ بنيت بعل معون ورممت قريتايم ٠ بنى ملك اسرائيل عطاروت فهاجمت المدينة واخذتها وقتلت كل سكانها قال لي كموش اذهب خذ نبأ من اسرائيل فذهبت وحاربتها من الفجر الى نصف النهار فاخذتها وقتلت سبعة آلاف رجل وجررت آنية يهوه على الارض امام كموش واقام ملك اسرائيل مدة حربه معي في ياهص فطرده كموش من امامي ٠انا هو الذي بنى عروعير (عراعر) وعمل طريق ارنون انا هو الذي بنى بيت باموت التي أخربت انا هو الذي بنى نبوسورودبون وبيت دبلتايم وبيت بعل معون وقال لي كموش انزل وحارب حورونايم وخذها اه ٠

اما مدينة ميدبا ويقال لها الآن مادبا فقد تعاقب عليها بنو اسرائيل وموآب وعمون مراراً وهي على مسافة ٦ اميال من حشبون بين الشرق والجنوب الشرقي و١٤ ميلا شرقي بحر لوط وكانت في القرون الاولى مركزاً مهماً للدين المسيحي ومن آثارها الآن كنيسة قديمة قيل هي من القرن الخامس وقد وجدت بها سنة ١٨٩٧ خارطة الارض المقدسة مرسومة بالفسيفساء رسماً متقناً يظهر فيه نهر الأردن وكثير من المدن الرئيسة وكانت مادبا في الاصل مدينة ويؤخذ من الكتابة التي أثرت عن الملك ميزا من القرن الحادي عشر ق م انها أعيدت الى الموآبيين لتصير بعد ذلك تحت تحكم النبطيين اي

(١) جغرافية الكتاب

العرب وكانت عَلَى عهد المكابيين قلعة مهمة استولى عليها هيركان واصبحت عَلَى عهد الرومان جزءاً من العربية الصخرية · والخارطة لم تزل في كنيسة الروم هناك

وعمان كما قال القرماني ، مدينة قديمة خربت قبل الاسلام ولها ذكر في تاريخ الامرائيليين وهي رسم كبير ويمر بجنبها نهر الزرقاء الذي عَلَى طريق الحاج الشامي وهي من اعمال البلقاء وهي من بناء لوط

واخصب ارض في هذا اللواء ارض البلقاء وهي واقعة بين الأردن والبرية ووادي الموجب والزرقاء وتمتد من الصلت الى مادبا عَلَى مسيرة تسع ساعات وهي تزرع في الجملة قال القرماني : البلقاء كورة بين الشام ووادي القرى بها قرية الجبارين ومدينة الشراة وبها الرقيم المذكور في القرآن فيما زعم بعضهم وفيها مدن عظيمة وقرى كثيرة الا انها دثرت وخربت فليس بها ديار ولا نافخ نار · والقرماني كتب في القرن الحادي عشر

وارض الصلت وهي عبارة عن مركزه وناحيتي عمان ومادبا هي كما قال القرماني بلدة من اعمال الأردن بها قلعة يسكنها من يحفظها من قبل ملوك العثمانية وينبع من تحت قلعتها عيون كثيرة وتدخل البلد وبها بساتين كثيرة يجلب منها حب الرمان الى البلاد · ومن اراضي اللواء البائرة الجيدة التربة الشاغرة ارض الشراة المشهورة قديماً وهي تمتد من حصن الشوبك الى وادي موسى وفيها كلها مياه غزيرة وهي ذات تربة حسنة وكلها خراب اليوم · والشوبك عَلَى ١٩ ساعة عن الكرك كما ان وادي موسى عَلَى ٢٥ ساعة عن الكرك ·

ولهذه البلاد تاريخ مجيد قبل الاسلام وبعده ويكفي ان من اعمالها وادي موسى — على ٦٤ ميلا من جنوبي الكرك و ٥٤ ميلا عن الجنوب الشرقي من بحيرة لوط — المعروف عند الافرنج بيترا اي العربية الصخرية او سلع ومن اعمالها بلاد مآب (موآب) المشهورة في تاريخ النصرانية والظاهر ان سلع هي غير بترا وليست مرادفة لها ولا يعرف اليوم اسم بترا الاصلي ولا تاريخها كما ينبغي ويظهر من النواويس القديمة فيها ان تاريخها يرد الى القرن السادس ق · م ولم يجر ذكر للنبطيين اي العرب الذين استولوا على البلاد بعد الادوميين الا في سنة ٣١٢ ق · م اي ايام ارسل الملك انتيغونس قائده اتني ثم جاء القائد ديمتريوس ليستولي عَلَى بترا عاصمة البلاد فاخفق القائدان في فتحها وكانت المدينة في الغالب صغيرة وهي حيث وجدت النواويس القديمة ومعظمها عَلَى اكمة هناك لا تمتد الى الوادي · حازت هذه المدينة مكانة كبرى لحصانتها ومناعتها امام غارات

سكان البادية فكانت مخزن القوافل النبطية لوقوعها على طرق البحر الاحمر اي القلزم ومصر وغزة ودمشق وتدمر ·

واول امير نبطي ذكره التاريخ اسمه ارتياس الاول · وامتد سلطان النبط على عهد المكابيين الاولين الى شرقي الأُردن ولما ضعفت دولة البطالسة والسلوقيين عاد النبط فقوي سلطانهم بسرعة في القرن الثاني قبل الميلاد · وكانت حدود هذه المملكة على عهد ارتياس الثالث نحو سنة ٨٥ تمتد الى دمشق ولقب ملكها اذ ذاك «محب اليونان» ويستدل على ان المدنية اليونانية كانت قد استحكمت اواصرها في ارض النبط من المصانع والنواويس التي عثر عليها وهي تنم بأجلى بيان عن مدنية يونان [1] وفي ايام هذا الملك حدث المصاف الاول بينه وبين الرومان فاضطر ارتياس ان يؤدي الجزية اليهم · واضطر النبطيون على عهد الامبراطور بومبي واخلافه ان يقدموا منهم الحين بعد الآخر جنوداً مساعدين للرومانيين ولكن ظلت مملكتهم حرة قوية وانضمت على عهد ارتياس الرابع الى مملكة دمشق · وفي سنة ١٠٦ للميلاد جعلت بترا واعمالها كلها ابـ العربية الصخرية ولاية رومانية وقد انشأ الامبراطور تراجان طريقاً عظيماً وصل فيه بين سورية والبحر الاحمر · وبعد ذلك انقسمت هذه الولاية · وفي نحو سنة ٣٥٨ اصبحت بترا ولاية مستقلة برأسها تحت اسم مملكة فلسطين اوفلسطين المسالمة · وان المصانع والعاديات الرومانية التي لم تبرح محفوظة الى اليوم لتدل بان بترا كانت على عهد الحكم الروماني قد بلغت شوطاً عالياً من العظمة والارتقاء ولم تبدأ بالسقوط عن مكانتها الا في نحو منتصف القرن الثالث للمسيح لارتقاء مملكة فارس ومملكة تدمر اللتين نازعتاها في التجارة بل لان الفرس ونقوا الى تحويل التجارة عن مصارفها القديمة الى اصقاع الفرات والخليج الفارسي ·

ولما فتح العرب هذه البلاد كان قد محي اسم بترا او كاد · وزعم الصليبيون لما جاؤوا سورية فاتحين ان جبل هارون على مقربة من بترا هو جبل طورسينا فانشأوا قصراً فخماً في ذروته المقدسة ومنذ ذاك العهد سقطت المدينة في تيه العدم الى ان كان القرن التاسع عشر وقد اكتشف سياح الافرنج مافيها من العاديات وفيها ٧٥٠ ناووساً مهماً

(١) دليل بيدكر لفلسطين وسورية ١٩٠٦

Bædeker. Palestine et Syrie 1906

وهي اهم تلك المصانع ومن العاديات هنا التي تعد من اغرب ماصنع [١] خزانة فرعون وهي هيكل علوه ٨٥ قدماً واسفله دار مربعة قطرها ٣٦ قدماً وعلوها ٢٥

وقال مؤرخو الفرنجة ان معنى سلع في اللغة العبرانية صخر فدعا اليونان والرومان هذه البلاد بترا اي صخراً ودعاها العرب الحجر وقالوا انها مدينة ثمود وان الفرجة الصخرية الواقعة فيها المدينة هي صدع الصخرة الذي خرجت منه ناقة صالح. والحقيقة ان سلع بفتح السين وكسرها والجمع السلوع اسم عربي ومعناه الشقوق في الجبال قال ابو زياد الاسلاع طرق في الجبال يسمى الواحد منها سلعاً وهو ان يصعد الانسان في الشعب وهو بين الجبلين يبلغ الى الوادي ثم يمضي فيسند في الجبل حتى يطلع فيشرف على واد آخر بفصل بينهما هذا المسند الذي سند فيه ثم ينحدر حينئذ في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل منحدراً في فضاء الارض فذاك الرأس الذي اشرف من الواديين السلع ولايعلوه الا راجل . قال ياقوت: وسلع حصن بوادي موسى بقرب بيت المقدس وبهذا لا يصح ان يطلق سلع على وادي موسى باجمعه كما توهم بعضهم . والحجر كما قال ياقوت . اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام قال الاصطخري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادي القرى على يوم بين جبال وبها كانت منازل ثمود . قال الله تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين) قال ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا في اضعاف جبال وتسمى تلك الجبال الاثالث وهي جبال اذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل لايكاد يرتقى كل قطعة منها قائمة بنفسها لايصعدها احد الا بمشقة شديدة وبها بئر ثمود التي قال الله فيها وفي الناقة « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » قال جميل :

اقول لداعي الحب والحجر بيننا ووادي القرى لبيك لما دعانيا
فما احدث النأي المفرق بيننا سلواً ولاطول اجتماع تقاليا

اما بلاد مواب او مآب فهي جزء من العربية السعيدة او الصخرية بين بحيرة لوط فيما وراء عبر الاردن والبادية على ضفتي نهر ارنون وكانت عاصمة المؤابيين قلعة رباط مواب . والمؤابيون هم ابناء لوط لايعلم من تاريخهم الا انهم كانوا اولي بأس شديد يخاف اليهود عاديتهم لغزوهم اياهم الحين بعد الآخر واستولى المؤابيون على الاسرائيليين

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

ثماني عشرة سنة (١٣٣٢ — ١٣١٤) عَلَى عهد حكومة القضاة وقد غلب شاول (جالوت) المؤآبيين وخضعوا لسلطان داود موقتاً ثم استعبدهم الفرس فالمصريون فالسوريون فالاسكندر فالرومانيون وعَلَى عهد العرب امتزجوا بهم وفنوا فيهم كما فنيت شعوب كثيرة في الفاتحين مع الزمن وآثروا الانضمام اليهم بسائق الدين والمصلحة الدنيوية . اما مدينة الكرك فكانت هي عاصمة المؤآبيين على مايقول بعض الجغرافيين وكان اسمها كرك موآب .

وكان [1] مقام المؤآبيين جنوبي ارنون وامتدوا جنوباً الى ادوم وهم من نسل لوط اتحدوا عَلَى اخوتهم بني عمون وطردوا الرفائيين وسكنوا امكانهم حاربهم شاول وانتصر بهم بحسب رواية التوراة وعند ملك موآب اودع داود ولديه من وجه شاول وقيل ان ملك موآب قتلهما فقتل داود منهم ثلاثين الفاووضع الباقين تحت الجزية وقد ساعدوا بختنصر في حصار اورشليم واسترجعوا بعد السبي املاكهم القديمة .

وعد ياقوت بلاد مآب مدينة واحدة فقال وهي على طرف الشام من نواحي البلقاء قال احمد بن محمد بن جابر توجه ابو عبيدة بن الجراح في خلافة ابي بكر في سنة ١٣ بعد فتح بصرى بالشام الى مآب من ارض البلقاء وبها جمع العدد فافتتحها عَلَى مثل صلح بصرى وقيل ان فتح مآب قبل فتح بصرى وينسب اليها الخمر قال حاتم طي :

سقى الله رب الناس سحاً وديمة ... جنوب الشراة من مآب الى زغر
بلاد امرىء لايعرف الذم بيته ... له المشرب الصافي ولا يعرف الكدر

وقال عبد الله بن رواحة الانصاري :

فلا وابي مآب لنأتينها ... وان كانت بها عرب وروم

ولم يقل ياقوت ان الكرك عاصمة بلاد مآب بل قال انها قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين ايلة وبحر القلزم والبيت المقدس وهي عَلَى سن جبل عال تحيط بها اودية الا من جهة الربض

وفي المرآة الوضية والى جنوبي نهر الزرقاء الى نهر الموجب البلقاء وشماليها جبل الصلت وليس فيهما موضع مسكون الا قرية الصلت ومن مواضعها القديمة جلعاد وعمون وهي الآن عمان وحشبون وهي الآن حسبان والعال ونبا وماعين وعراعر وديبان وفي جنوب هذه المقاطعة كانت قديماً ارض بني عمون والى جنوبي النهر الموجب وهو نهر

(١) جغرافية الكتاب

ارنون ايضاً والى الاحساء ارض الكرك وهي ارض موآب او ارض قوم لوط ومن قراها الكرك وهي كبير موآب وربة هي رابة موآب وزعراء . ويقال انها صاغر التي هرب اليها لوط لما نجا من سادوم

وقال ياقوت ان البلقاء كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل ومن البلقاء قرية الجبارين التي ارادها الله تعالى بقوله « ان فيها قوماً جبارين » وبالبلقاء مدينة الشراة شراة الشام وهي ارض معروفة ونسب اليها قوم من الرواة والنسبة اليها بلقاوي . وقال ان الشراة صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في ايام بني مروان ونسب اليها بعض الرواة والنسبة اليها شروي .

وذكر ياقوت ايضاً ان عمان بلد في طرف الشام وكانت قصبة ارض البلقاء وروى عن ابي عبد الله محمد بن احمد البشاري عمان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ورستاقها البلقاء وهي معدن الحبوب والانعام . بها عدة انهار وارحية يديرها الماء ولها جامع ظريف في طرف السوق مسقف الصحن شبه مكة وقصر جالوت على جبل يطل عليها وبها قبر اورياء النبي عليه السلام وعليه مسجد وملعب سليمان بن داود عليه السلام وهي رخيصة الاسعار كثيرة الفواكه غير ان اهلها جهال والطريق اليها صعبة قال الاحوص بن محمد الانصاري

اقول بعمان وهل طربي به ... الى اهل سلع ان تشوقت نافع
اصاح الم يحزنك ريح مريضة ... وبرق تلالا بالعقيقين لامع
وان غريب الدار مما يشوقه ... نسيم الرياح والبروق اللوامع
وكيف اشتياق المرء يبكي صبابة ... الى من نأى عن داره وهو طامع
وقد كنت اخشى والنوى مطمئنة ... بنا وبكم من علم ما الله صانع
اريد لانسى ذكرها فيشوقني ... رفاق الى ارض الحجاز رواجع

وقال الخطيم العكلي اللص يذكر عمان (بفتح العين)

اعوذ بربي ان ارى الشام بعدها ... وعمان ماغنى الحمام وغردا
فذاك الذي استنكرت يا ام مالك ... فاصبحت منه شاحب اللون اسودا
وان لماضي العزم لو تعلمينه ... وركاب اهوال يخاف بها الردى

ونسب اليها بعض الرواة والنسبة عماني .

هذا ماقاله صاحب معجم البلدان وفي كلامه على بلاد مآب والبلقاء وايـ المدائن كانت عاصمة تلك الكورة كلام لايمكن لمرء ان يجزم بان البلدة الفلانية كانت قاعدة البلاد والغالب ان الحكومة في الاسلام كانت تنتقل في هذه المدن فتارة بعمان واخرى في الكرك والمفهوم من النصوص الآنفة الذكر ان تلك البلاد كانت قبيل الاسلام وبعده بقرون عامرة بالسكان وفيها قرى ومزارع كثيرة

وتاريخ هذه البلاد مبعثر جداً قبل الاسلام وبعده وليس لدينا من النصوص التي يستأنس بها الا مارواه ياقوت في معجمه من اسماء قرى كانت في وادي موسى ومؤاب والبلقاء قال : (مؤتة) قرية من قرى البلقاء في حدود الشام وقيل مؤتة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف واليها تنسب المشرفية من السيوف قال ابن السكيت في تفسير قول كثير

اذا الناس ساموكم من الامر خطة لها خطة فيها السهام المثمل
ابى الله للشم الانوف كأنهم صوارم يجلوها بمؤتة صيقل

قال المهلبي مآب واذرح مدينتا الشراة على اثني عشر ميلا من اذرح ضيعة تعرف بمؤتة بها قبر جعفر بن ابي طالب بعث النبي صلى الله عليه وسلم اليها جيشاً في سنة ثمان وامر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال ان أصيب زيد فجعفر بن ابي طالب الامير وان أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة فساروا حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها موتة فالتقى الناس عندها فلقيتهم الروم في جمع عظيم فقاتل زيد حتى قتل فاخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل فاخذ الراية عبد الله بن رواحة فكانت تلك حاله فاجتمع المسلمون الى خالد بن الوليد فانحاز بهم حتى قدم المدينة فجعل الصبيان يحثون عليهم التراب ويقولون يافرار فررتم في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم :ليسوا بالفرار لكنهم الكرار ان شاء الله وقال حسان بن ثابت :

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذوالجناحين جعفر
وزيد وعبدالله هم خير عصبة تواصوا واسباب المنية تنظر

وقال : (الموجب) بلد بالشام بين القدس والبلقاء

وقال :في (أُبنى) « بالضم ثم السكون وفتح النون والقصر بوزن حبلى » موضع بالشام

من جهة البلقاء جاء ذكره في قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد حيث امره بالمسير الى الشام وشهر الغارة على ابنى وفي كتاب نصر أبنى قرية بمؤتة

وقال: (اذرح) اسم بلد في اطراف الشام من اعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لارض الحجاز . وبين اذرح والجرباء ثلاثة ايام وقيل ميل واحد (والثاني اصح) واقل لان الواقف في هذه ينظر هذه (والجرباء) موضع من اعمال معان بالبلقاء من ارض الشام قرب جبل الشراة من ناحية الحجاز وهي قرية من اذرح وبينهما كان امر الحكمين بين عمرو بن العاص وابي موسى الاشعري

وقال: (زيزاء) من قرى البلقاء كبيرة يطوءها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة واصله في اللغة المكان المرتفع ولذلك قال ذوالرمة

تحدر عن زيزائه القف وارتقى ... عن الرمل وانقادت اليه الموارد

وقال مليح

تذكرت ليلى يوم اصبحت قافلا ... بزيزاء والذكرى تشوق وتشغف
غداة ترد الدمع عين مريضة ... بليلى وتارات تفيض وتذرف
ومن دون ذكراها التي مطرت لنا ... بشرقي عمان الشرى والمعرف
واعملت من طود الحجاز نجوده ... الى الغور مااجتاز الفقير ولفلف

وقال: (السواد) نواحي قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها فيما احسب

وقال: (شنار) نقب شنار بكسر الشين نقب في جبل من جبال الشراة بين ارض البلقاء والمدينة على شرقي طريق الحاج يفضي الى ارض واسعة معشبة يشرف عليها جبال فاران وهي في قبلي الكرك .

وقال: (صرفة) قرية من نواحي مآب قرب البلقاء يقال بها قبر يوشع بن نون

وقال: (الصمان) من نواحي الشام بظاهر البلقاء قال حسان بن ثابت:

لمن الدار اقفرت بمعان ... بين شاطي اليرموك فالصمان
فالقريات من بلاس فدا ... ريا فسكاء فالقصور الدواني

وقال: (طعال) جبل بالشام مشرف على البثينة بين الغور وجبال الشراة .

وقال: (طفيل) تصغير طفل وادي طفيل بين تهامة واليمن عن نصر وبوادي موسى قرب البيت المقدس قلعة يقال لها طفيل عرندل قرية من ارض الشراة من الشام فتحت في ايام عمر بن الخطاب بعد اليرموك .

وقال : (جادية) قرية من عمل البلقاء من ارض الشام عن ابي سعيد الضرير واليها ينسب الجادي وهو الزعفران قال : ويشرق جادي بهن مديف · اي مدوف ·

وقال : (جبال) من قرى وادي موسى من جبال الشراة قرب الكرك بالشام منها يوسف بن ابراهيم بن مرزوق بن حمد ان ابو يعقوب الصهيبي الجبالي والحافظ ابو القاسم ·

وقال : (الرُّبة) بلفظ واحدة الرباب عين الربة قرية في طرف الغور بين ارض الأُردن والبلقاء ·

وقال : (زغر) قرية بمشارف الشام واياها عنى ابو دؤاد الايادي حيث قال :

ككتابة الزغري زيـ نها من الذهب الدلامص

قال وقيل زغر اسم بنت لوط عليه السلام نزلت بهذه القرية فسميت باسمها وقال حاتم الطائي

سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب الشراة من مآب الى زغر

بلاد امريء لا يعرف الذم بيته له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر

وقال : (المشارف) جمع مشرف قرى قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من اعمال دمشق اليها تنسب السيوف المشرفية رد الى واحده ثم نسب اليه · وفي مغازي ابن اسحاق في حديث موتة ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ·

وقال : (معان) بالفتح وآخره نون والمحدثون يقولون بالضم واياه عنى اهل اللغة منهم الحسن بن علي بن عيسى ابو عبيد المعني الازدي المعاني من اهل معان البلقاء والمعان المنزل يقال الكوفة معاني اي منزلي قال الازهري : وميمه ميم مفعل وهي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً الى موتة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة فساروا حتى بلغوا معان فاقاموا بها وارادوا ان يكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم عمن تجمع من الجيوش وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي الف فنهاهم عبدالله بن رواحة وقال انما هي الشهادة او الظعن ثم قال

جلبنا الخيل من أجاء وفرع تغر من الحشيش لها العكوم

حذوناهم من الصوان سبتاً ازل كأن صفحته أديم

اقامت ليلتين من معان   فاعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات   تنفس من مناخرها السموم
فلا وابي مآب لانينها   وان كانت بها عرب وروم
فعبأنا اعنتها لجاوت   عوابس والغبار لها بريم
بذي لجب كأن البيض فيها   اذا برزت قوانسها النجوم

وروى ياقوت عن ابي محمد الاعرابي في قول الراجز

ياعمرو قارب بينها تقرب   وارفع لها صوت قوي صلب
واعص عليها بالقطيع تنضب   الا ترى ماحال دون المقرب
من نعف فلا فدباب المعثب

قال — فلا — من دون الشام والمعثب واد من مآب بالشام ومآب كورة من كور الشام ودباب ثنايا يأخذها الطريق

وقال: (تنهج) اسم قرية بها حصن من مشارف البلقاء من ارض دمشق سكنها شاعر يقال له خالد بن عباد و يعرف بابن ابي سفيان ذكره الحافظ ابو القاسم

وقال: (التيه) الموضع الذي ضل فيه موسى بن عمران عليه السلام وقومه وهي ارض بين ايلة ومصر و بحر القلزم وجبال الشراة من ارض الشام يقال انها اربعون فرسخاً في مثلها وقيل اثنا عشر فرسخاً في ثمانية فراسخ واياه اراد المتنبي بقوله

ضربت بها التيه ضرب القما   ر اما لهذا واما لذا

وقال: (الحميمة) بلد من ارض الشراة من اعمال عمان في اطراف الشام كان منزل بني العباس

وقال: (نقنس) بكسر اوله وثانيه ونونه مشددة من قرى البلقاء من ارض الشام كانت لابي سفيان بن حرب ايام كان يتجر الى الشام ثم كانت لولده بعده

وقال: (النقيب) بالضم وهو تصغير نقب وهو معروف موضع في بلادهم بالشام بين تبوك ومعان على طريق حاج الشام

وقال: (وسادة) موضع في طريق المدينة من الشام في آخر جبال حوران مابين برفع وقراقر

وقال: (الوعيرة) كأنه تصغير الوعرة حصن من جبال الشراة قرب وادي موسى .
هذا ماتيسر تلقفه من معجم البلدان وليس بين اسماء هذه البلاد شيء يعرف الآن

فيما نحسب الا قرية اوقريتان مثل عمان ومعان وماعدا ذلك نقد دثر واصبح خرابًا يبابًا تدل آثاره عليه وقد بدأ الخراب الحقيقي في هذه البلاد على عهد الصليبيين وكانت اشهر حصونهما الكرك والشوبك فقد اخذ بغودين [١] من ملوك الصليبيين الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين والشوبك هي في رواية مسريقة وقال القرماني [٢] : شوبك بلدة صغيرة كثيرة البساتين من اعمال الشام غالب اهلها نصارى وهي شرقي الغور على طرف الشام من جهة الحجاز وينبع من تحت قلعتها عينان وقلعتها على تل مرتفع مطل على الغور ٠

واستولى الصليبيون على الكرك وحصنها الملك فولوك تحصينًا شديدًا حتى كان صاحبها البرنس ارنلط كما يقول مؤرخو العرب او ارنولد كما يقول الافرنج من اشد الصليبيين عدواة للمسلمين كان غزا الحرمين فنذر صلاح الدين يوسف بن ايوب ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان فسقط بيده اسيرًا يوم وقعة حطين بالقرب من طبرية وبعث صلاح الدين فاستولى على الكرك

وفي الانس الجليل ان السلطان صلاح الدين لما كان في بلاد انطاكية لم يزل الحصار على الكرك وكان اخوه الملك العادل عين معه على حفظ البلاد وكان صهره سعدالدين كمشه بالكرك موكلاً بحصاره فراسل الافرنج الملك العادل في الامان فامتنع ثم صالحهم وسلموا الحصن ٠ ولم يكن للكرك شأن كبير قبل الحروب الصليبية ثم غدت عاصمة مملكة يعرف صاحبها بملك الكرك او صاحب الكرك على عهد صلاح الدين ومن بعده الى عهد الجراكسة والغالب ان موقعها الحربي المهم وتوسطها تقريبًا بين مصر ودمشق وكانت اذ ذاك حكومتهما واحدة هيأ لها ذلك

قال القرماني : كرك بليدة مشهورة وبها حصن عال على قلة جبل يقال انه كان دير الروم وجعله المسلمون حصنًا فيها قبر جعفر الطيار واصحابه وفي اسفله واد فيه حمام وبساتين كثيرة وكان من دأب ملوك الترك والجراكسة كلما خلعوا سلطانًا ارسلوه الى الكرك

اما الكرك او قلعتها فهي كانت وما زالت من اعظم حصون سورية ولذلك احتلها الصليبيون وحرص صلاح الدين واسرته ان يسترجعوها منهم لانها مفتاح القطرين

(١) خطط المقريزي (٢) في تاريخه المسمى باخبار الدول وآثار الاول وهو مما كتب في القرن الحادي عشر ٠

بل القطر المصري والشامي والحجازي ولذلك تجد ذكرها يتردد كثيراً في التاريخ منذ استولى عليها الافرنج الى ان انقرضت دولة الجراكسة في مصر والشام عَلَى يد السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ هـ ·

ولطالما كانت الكرك موعداً للقاء وميداناً لاهراق الدماء وتكافح الناس في جوارها عَلَى امتلاكها كفاحا واي كفاح يبعث فيه الارواح والاشباح بيع السماح وهاك الآن مثالا من صحف التاريخ المنسية نعتبر بها وتزدجر

قال ابو الفدا في حوادث سنة ثمان وستين وخمسمائة وفيها سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمعا عَلَى الكرك وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك · والرقيم هو كما قال ياقوت ايضاً بقرب البلقاء من اطراف الشام عناه كثير بقوله وكان يزيد بن عبد الملك ينزله وقد ذكرته الشعراء

امير المؤمنين اليك تهوي عَلَى البخت الصلادم والعجوم
اذا اتخذت وجوه القوم نصباً اجيج الواهجات من السموم
فكم غادرن دونك من جهيض ومن نعل مطرحة جذيم
يزرن عَلَى تنائيه يزيداً باكناف الموقر والرقيم
تهنئه الوفود اذا اتوه بنصر الله والملك العظيم

والموقر حصن بالبلقاء قال فيه ياقوت انه اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق وكان يزيد بن عبد الملك ينزله قال جرير :

اشاعت قريش للفرزدق خزية وتلك الوفود النادبون الموقرا
عشية لاقى القين قين مجاشع هزبراً ابا شبلين في الفيل قسوراً

وقال كثير :

سقى الله حياً بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب

وقد نشأ من الموقر جملة من المحدثين والنسبة اليها موقري وصرح الشاعر بان الموقر من ارض الشام فقال :

اذنت علي اليوم اذ قلت انني احب من اهل الشام اهل الموقر
بهاليل ثم عصمة الناس كلهم اذا الناس جالوا جولة المتحير

وقال كثير عزة

اقول اذ الحيان كعب وعامر ... تلاقوا ولقتنا هناك المناسك
جزى الله حياً بالموقر نصرة ... وجادت عليه الرائحات الهواتك
بكل حثيث الوبل زهر غمامه ... له درر بالقسطلين مواشك

وفي حوادث سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ان البرنس صاحب الكرك عمل اسطولا في بحر ايلة (وهي مدينة على ساحل بحر القلزم او الاحمر مما يلي الشام) وساروا في البحر فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب [1] يفسدون في السواحل و يفتنون المسلمين في تلك النواحي فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجاً قط فعمر الملك العادل ابو بكر ابن ايوب اسطولا في بحر عيذاب وارسله مع حسام الدين الحاجب لؤلؤ وهو متولي الاسطول بديار مصر فاوقع بالذين يحاصرون ايلة فقتلهم واسرهم ثم سار في طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة وسار لؤلؤ يقفو اثرهم فبلغ رابغ فادركهم بساحل الحورا وتقاتلوا اشد قتال فظفر بهم وقتل اكثرهم واخذ الباقين اسرى وارسل بعضهم الى منى لينحروا بها وعاد بالباقين الى مصر فقتلوا عن آخرهم

وفي السنة التالية سار السلطان صلاح الدين من دمشق للغزوة وكتب الى مصر فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك وحصره وضيق على من به وملك ربض [2] الكرك وبقيت القلعة وليس بينها و بين الربض غير خندق خشب وقصد السلطان صلاح الدين طمه فلم يقدر لكثرة المقاتلة فجمعت الفرنج فارسها وراجلها فقصدوه فلم يمكن السلطان الا الرحيل فرحل عن الكرك وسار اليهم فاقام في اماكن وعرة واقام السلطان قبالتهم وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك فعلم بامتناعه عليه فرحل عنه ·

و بعد وقعة حطين كان السلطان صلاح الدين لما سار الى البلاد الشمالية قد جعل على الكرك وغيرها من يحصرها وخلى اخاه الملك العادل في تلك الجهات يباشر ذلك فارسل اهل الكرك يطلبون الامان فامر الملك العادل المباشرين بحصارها بتسلمها فتسلموا الكرك والشوبك وما بتلك الجهات من البلاد ·

---

(١) عيذاب بالفتح ثم السكون وذال معجمة وآخره باء موحدة · بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عند والي الصعيد « ياقوت »

(٢) الربض فيما قال بعضهم اساس المدينة والبناء والربض ماحوله من خارج · الاول مضموم والثاني بالتحريك

قال ياقوت في الشوبك انها قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وايلة والقلزم قرب الكرك وذكر يحيى بن علي التنوخي في تاريخه ان بقدوين الذي ملك الفرس سار في سنة ٥٠٩ الى بلاد ربيعة من طيء وهي باق والشراة والبلقاء والجبال ووادي موسى ونزل على حصن قديم خراب يعرف بالشوبك بقرب وادي موسى فعمره ورتب فيه رجاله وبطل السفر من مصر الى الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن . وبعد وفاة صلاح الدين ظلت الكرك والشوبك والبلاد الشرقية بيد الملك العادل سيف الدين ابو بكر ابن ايوب

تقدم ان حصن الشوبك كان من جملة الحصون التي يتنافس فيها الفاتحون في هذه الديار وهو على ١٩ ساعة من الكرك يؤيد ذلك ما رواه ابو الفدا [1] في حوادث سنة ٦٢٥ هـ من ان الملك الكامل صاحب مصر ارسل يطلب من ابن اخيه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الشوبك فلم يعطه اياه ولا اجابه اليه فسار الملك الكامل من مصر الى الشام بقصد استخلاص الشوبك وغيره .

وفي حوادث سنة ٦٢٩ ان الملك الكامل سار من دمشق الى الشوبك واحتفل له الملك الناصر داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل ابي بكر ابن ايوب احتفالاً عظيماً بالضيافات والاقامات والتقادم وحصل بينهما الاتحاد التام وكان نزول الملك الكامل باللجون قرب الكرك وهي منزلة الحجاج . وفي سنة ٦٣٣ فترت العلائق بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين عمه الملك الكامل صاحب مصر فسار الاول الى بغداد ملتجئاً الى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف فاصلح الخليفة بينهما وعاد الناصر الى الكرك وفي سنة ٦٣٥ جرى بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك الجواد يونس المتولي على دمشق مصاف بين جنين ونابلس انتصر فيه الملك الجواد يونس وانهزم الملك الناصر هزيمة قبيحة ونهب عسكره واثقاله وللناصر هذا وقائع مع اسرته وغيرهم ولكن بني ايوب ومن بعدهم على تنافسهم في الملك كانوا يداً واحدة على اعدائهم الصليبيين حين الحاجة لان هؤلاء لم تكن انقطعت شأفتهم كلها من بلاد الشام

وفي سنة ٦٤٤ سار الامير فخر الدين يوسف ابن الشيخ من قبل الملك الصالح الى حرب الملك الناصر داود صاحب الكرك فاستولى على جميع بلاد الملك الناصر وولي

(١) اعتمدنا على تاريخه في وصف ما انتاب الكرك بعد حرب الصليب

عليها وسار الى الكرك وحاصرها وخرب ضياعها وضعف الملك الناصر ضعفاً بالغاً ولم يبق بيده غير الكرك وحدها ·

وفي سنة ٦٤٧ استولى الملك الصالح ايوب صاحب الديار المصرية عَلَى الكرك وفي السنة التالية ملك القلعتين الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدين وكان اعتقله الملك المعظم تورانشاه في الشوبك فلما قتل هذا بادر النائب عليهما وهو بدر الدين الصوابي الصالحي فافرج عن الملك المغيث وملكه الحصنين وفي سنة ٦٥٦ انضمت البحرية الى المغيث صاحب الكرك والتزموا عسكر مصر في غزة فكانت الكسرة عَلَى المغيث ومن معه فولى منهزماً الى الكرك في اسوإ حال ونهبت اثقاله ودهليزه · وفي سنة ٦٥٧ حاصر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حماة الملك المغيث صاحب الكرك بسبب حمايته البحرية واقاموا عَلَى بركة زيزاء (التي يعرفها العامة ببحيرة اليوم) مايزيد عَلَى شهرين وفي سنة ٦٦٠ قتل الملك المغيث صاحب الكرك قتله الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر لانه كتب اجوبة عَلَى مكاتبات من التتر الى الملك المغيث في اطماعهم في ملك مصر والشام ورتب الظاهر امور الكرك وعاد الى مصر

وفي سنة ٦٨٠ استقر الصلح بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الملك خضر ابن الملك الظاهر بيبرس صاحب الكرك · وفي سنة ٧٠٨ سار الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية متوجهاً الى الحجاز فسار الى الكرك وكان النائب بها جمال الدين اقوش الاشرفي فعمل سماطاً واحتفل به وعبر السلطان الى المدينة ثم الى القلعة ولما عبر السلطان عَلَى الجسر الى القلعة والامراء ماشون بين يديه والمماليك حول فرسه وخلفه سقط بهم جسر قلعة الكرك وقد حصلت يد فرس السلطان وهو راكبه داخل عتبة الباب فلما احس الفرس بسقوط الجسر اسرع حتى كاد ان يدوس الامراء الماشين بين يديه وسقط من مماليك السلطان خمسة وثلاثون الى الخندق وسقط غيرهم من اهل الكرك ولم يهلك من المماليك غير شخص واحد لم يكن من الخواص ونزل في الوقت السلطان عند الباب واحضر الجنويات والحبال ورفع الذين وقعوا عن آخرهم وامر بمداواتهم فصلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه وكان ارتفاع الجسر الذي سقطوا منه الى الخندق يقارب خمسين ذراعاً ·

ولما تولى الملك الناصر [1] احمد بن الملك الناصر بن محمد بن قلاوون في الكرك اقام فيها اياماً في لهو ولعب فانكروا عليه اموراً لاتليق بالسلطنة فاتفق اهل الشام عَلَى خلعه وارسلوا الى المصريين في ذلك فاجابوهم وسلطنوا اخاه الصالح اسماعيل ووردت المراسيم الى جميع ولايات الاعمال الشامية بتجريد العشرات وغيرهم الى الكرك وعينوا عَلَى معاملتي صيداء وبيروت خمسمائة راجل فذهبوا اليها سنة ٧٤٣ ووجدوا في القلعة ومع السلطان احمد خلقاً كثيراً وقد نصبوا عَلَى القلعة في اعلاها خمسة مجانيق ومدافع كثيرة وكان الكركيون يظهرون من باب القلعة ويقاتلون احياناً كثيرة وكان الحصار والزحف مستمراً ونصب المحاصرون على القلعة منجنيقاً يرمي بحجار وزنها خمسة وثلاثون رطلاً ٠

وكان يحكى عن السلطان احمد انه كان شاباً حسن الشكل عبل البدن وكان يلبس ملبوس العرب ووسع اكمامه عَلَى زي الكركيين وكان يظهر لهم انه لبس هذا الزي محبة فيهم

وكان يجلس كل يوم بين شراريف القلعة ويرمي سبعة سهام صيغت نصولها من فضة موشاة بذهب كانت تدل عَلَى قوة قوسه وكان اذا اراد ان يرمي السهم رفع يده التي فيها القوس فيسقط كمه من سعته الى كتفه حتى يبان شعر ابطه وكان غليظ الذراع ابيض اللون ورأوا له سهماً في حصار الكرك وقد نقش عليه هذان البيتان ٠

ومن جودنا نرمي العداة باسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
يداوي بها المجروح منها جراحه ويشري بها الاكفان منها قتيلها

وهما للامين بن هرون الرشيد وكان لما حضره عبدالله بن طاهر في بغداد بعساكر اخيه المأمون صنع نصول النشاب من خالص الذهب ونقش عليها هذين البيتين

ولما دخلت سنة اربع واربعين وسبعمائة ضعفت حال السلطان احمد والكركيين وكان زرعهم قد رعي رعاه التركمان والعربان وكان اكثر دوابهم قدنهبت وانقطع عنهم الجلب وحالهم في ضعف واخذت قلعة الكرك سنة خمس واربعين وسبعمائة واخذ سلطانها وقتل وذلك بعد ان تجمعت عساكر الشام عَلَى حصارها زهاء سنتين

وبعد فليس في التاريخ الحديث ولاسيما من بعد دخول الدولة العلية الى هذه

(١) تاريخ بيروت لصالح بن يحيي

البلاد شيء ينقل ليفيد في حالة بلاد الكرك اللهم ما كان من انتقاض اهالي هذه البلاد على ابراهيم باشا المصري لما فتحها ايام دخوله الى سورية في اوائل القرن الماضي ونظم ادارتها وجعل لها حامية من جنده فلم يمض الا قليل حتى تمرد السكان وقاموا فذبحوا الحامية والموظفين عن بكرة ابيهم حتى انهم قتلوا كتيبة من جنده كانت آتية الى مصر فضللوها في الطريق واهلكوها الا قليلا كما ارتكبوا مثل هذا المنكر هذه المرة ولم يفلحوا

ويؤخذ بالقرينة ان معظم البلاد اصبحت بادية بعد هذه الوقعة لغلبة الجهل واختلال الادارة وظلم العمال وكذلك حال القرى يعرف ذلك كل من طاف في اقضية اللواء الاربعة فانه يشاهد خرباً ومياهاً سائبة فقد كان في قضاء الصلت وارض بني صخر نحو ثلثمائة قرية وعدة مدن عامرة وليس فيها اليوم سوى خمس عشرة قرية عامرة بعض الشيء

وبعض الحرب في اللواء بيد العرب المزارعين وبعضها شاغرة وآخر ملك للحكومة . وبدو الكرك كثيرون فمنهم في قضاء الصلت الدعجة [1] والايديات وابي نعيم والشوابكة والازايدة والابووندي والعجارمة والمطيريون والحرافيش وارامفة والعدوان والنمر والكائد والصالح والعباد والمناصير والفقهاء والزيود والزيادات والجروم والمشاخة والفاعور والربيع وبنو صخر وهم يقسمون الى الزبن والهكيش والحفير والقبمين والفايز ومجموع بيوتهم نحو ٤٥٠٠ بيت واشهرها بنو صخر وهي ٧٠٠ بيت والعدوان وهي ٥٠٠ والعباد ٨٠٠ والارض التي تنزلها هذه القبائل شرقي نهر الشريعة وغربي البادية وشمالا وادي الوالا ووادي الثمد وجنوباً ماء الزرقاء والحدود الفاصلة بين عجلون والصلت وسكان القضاء كله نحو اربعين الفاً وهو اعمر اقضية الكرك

وفي قضاء الطفيلة نحو عشرين الفاً من النفوس وهذه [2] اسماء عشائرهم : الحميدات وهي اعظمها مؤلفة من خمسمائة بيت وعبدين تقرب نفوسها من الحميدات والبحارات مثلها ايضاً والكلالدة والوهيبات والهلالات وعشيرة المناعين وهي رحالة تقضي اكثر ايامها في الجوف بالقرب من نجد وتنزل القضاء بعض اشهر بين محطة الجروف ومدينة الطفيلة وفي هذه المدينة ١٢ الفاً من السكان الحضر .

وفي قضاء معان عشائر وانخاذ واهمها الحويطات ومنها الدمانية وابوتاية والمطالقة ومنها

---

(١) خليل رفعت افندي الحوراني

(٢) الدكتور محمد خيري القباني

البدول والشوبك والنعيات والديابات والعمارة والمراعية والدرواشة والعطون والزوايدة والطقاطقة والعمارين والرشايدة والسعيديين والراجفة · وفي قضاء معان ايضاً ينزل بنوعطية وهم يقسمون سبعة اقسام منهم المزايدة والخضرة والشبوث والهرامسة ومنازلهم من المدورة الى تبوك

امـا عشائر قضاء الكرك [1] فكثيرة وهي اغوات · اللصايمة · بنو حميدة · بيايضة جلامدة · حباشنة · خرشة · خنزيرة · دنيبات · كفاوين · ضمور · حجايا · سليط · شمايلة · صرايرة · صعوب · طراونة · العمرو · عراق · عكشة وحجازين · غور الصافي غور المزرعة · نقرا · قطاونة · قضاة · كثربة · معايطة · مجالي · مبيضين · مصاروة · مدانات · بقاعين · نوايسة · نعيمات · هلسة

هذه فرق عشائر الكرك واهمها واكثرها عدداً بنو حميدة · سليط · حجايا حباشنة ضمور · صرايرة · طراونة · كثربة · معايطة · وتقسم عشيرة بني حميدة الى ثلاث فرق (حمولات) وهي ابو بريز وابن طريف وابو ربيحة · وينقسم ابو بريز الى فرقتين وهما الفواضلة والتوايهة · وكل منهما ينقسم الى اربع جماعات لكل جماعة شيخ · وتنقسم عشيرة ابن طريف الى ست فرق وهي ابن طريف · رواحلة · الحيصة الضرابعة · الشخانبة · شقور وحمادين · بصيرة وتنقسم عشيرة ابي ربيحة الى اربع فرق · هي الشبروانة وحوامة · هواوشة · اللوانسي · قواسمة · وتنقسم عشيرة سليط الى فرقتين بحارات ورجيلات · وتتألف عشيرة الحباشنة من العرود والجعافرة · وتتألف الضمور من محمود ومحيات والطراونة من عيال جبرين وعيال جبران · ومجامعة وعيال عودة ·

اما كثربة فهي قرية يسكنها فرقتان وهما القراللة والرماضنة ويتألف القراللة من زغيلات سالم وزغيلات سعيد وسلامات ونهاينة ومخاترة · ويتألف الرماضنة من الرواشدة والخثاتنة وشواورة وكساسبة ومطارنة وجوازنة · وتتألف عشيرة المعايطة من فرقة ساهر و يوسف · ويتألف النعيات من العبادلة والجعافرة والاحامدة ويتألف الحجايا من محموديين وهدايات وهؤلاء الحجايا لا يزرعون ولا يفلحون بل هم بادية · والعشائر التي لها شأن عند الحكومة هي · المجالي · طراونة · ضمور · معايطة ·

(١) حمدي افندي النصر

سرايرة · مدانات · حلسة · اما العشائر التي لها الفوذ على العشائر نفسها فهي المجالي · سليط · شحايا · طراونة · بنو حميدة ·

هذه اسماء العشائر وفرقها ومكانتها اما اماكن نزولها فان فرق ابي ربيعة · ابي زيد · شطناوية · المروضة · الرواحنة من عشيرة بني حميدة وسليط وكعابنة والفقرا كلهم ينزلون تحت الخيام في ناحية ذيبان من اعمال مركز اللواء · وحدود ذيبان هذه من القبلة نهر الموجب ومن الشمال اللب ومن الغرب بحر لوط ومن الشرق ام الرصاص في بقعة من الارض سهلية جبلية يبلغ عرضها اربع ساعات وطولها سبع ساعات · ولا تجد شرقي ام الرصاص ارضاً تزرع ومركز ناحية ذيبان وادي الوالا وهو على احدى عشرة ساعة عن مركز اللواء ·

اليك على الجملة اسماء العشائر المزارعة وهي معدودة بادية رحالة في هذا اللواء والحكومة تستوفي منها الى اليوم عشراً مقطوعاً وخراجاً مقطوعاً ووديا (تعداد الجمال وتعداد الغنم) مقطوعاً اي انها تفرض على كل حمولة او عشيرة قدراً من المال وتطالب به من وجهاء هم فيكون بذلك مجال لظلم الضعاف من هذه القبائل يرهنهم مشايخهم وعمال الحكومة وهؤلاء يشتدون في الاكثر في اعنات من يظلمون به او يجازون بنزله وقد يأخذوا بجريرة جاره او اخيه فان بعض اولئك البدو قد يهربون في بعض حتى الحمل اولفرض آخر فلا يلبث عمال الدولة ان يستولوا من ابناء تلك القبيلة ما هو في ذمة الهاربين وكثيراً ما تقاضت الحكومة من واحد ما يفرض على خمسة من عشيرته ·

مثال ذلك ان العامرة من الحويطات كانوا اغنياء على عهد تأسيس اللواء اي منذ سبع عشرة سنة فلم تمض بضع سنين حتى اصبحوا اكثر الفقراء بتلك القاعدة السخيفة في الادارة وتفرقوا تحت كل كوكب ومنهم من انقلب الى حسمه وغزة اواوغل في البادية الى نجد والشرق

نعم ان الحكومة حتى الآن لم تعمل لعمران اللواء عملاً من شأنه رفع الحيف وكشف الظلامات لتعمر البلاد بل على العكس ان ما خرب من عمرانها وابذعر من سكانها بدلاً من ان ترسل لهم وعاظاً يعلمونهم بلغتهم بعثت اليوم في الدور الزائد تسعة من الاتراك تحت اسم وعاظ لا يعلمون العربية فاشتغلوا سنين بالتجسس وبث المفاسد وبهذا تأصلت النفرة في قلوب القوم بدلاً من تأليف شاردهم وساعد على ذلك في الاكثر انحطاط

طبقة اكثر الموظفين الذين يعيثون في امور الادارة وبذلك زاد الاهلون مراناً على الاحتيال تخلصاً بزعمهم من فساد الحال وركنوا الى شيوخهم على ظلم فيهم اكثر من حكومتهم التي تريد الخير بهم على الجملة وان كانت لم تهتد الى الطريق حتى الآن في اختيار الجياد من العمال

كان الرجاء معقوداً بتأسيس حكومة الكرك ان تغدو عمالتها كلها بعد هذين العقدين من السنين جنة لما خصتها به الفطرة من المواهب وتنقلب تلك الخيام السوداء كما قال احد العارفين دوراً قوراء . فاصبحت بسوء الادارة بيوت ارزاء ولأواء .

كاد اولئك البادية يضعون ثقتهم بالحكومة يوم تولى امرهم اداري يقيم نصاب العدل ويرفع عن عاتقهم عدوان زعمائهم الجاهلين ولكن جرى الامر على عكس ذلك فاخذ السكان يستضعفون حكومتهم خصوصاً بعد ان قاموا منذ زهاء سنتين وهجموا على دار الحكومة وكان بلغهم انها تريد احصاء نفوسهم والحقيقة انها كانت في صدد انتخاب نائب منهم يمثلهم في مجلس الامة . ولو احسن متصرفهم اذ ذاك التصرف وصحت عزيمة الحكومة على انزال العقوبة الشديدة بمن شقوا عصا الطاعة لما حدث اليوم ماحدث تخرب العامر والغامر وتضرر الحاكم والمحكوم عليه .

فان يوماً في فتنة يخرب مالا يعمر في سنين . وعدل ساعة يحيي الارض اكثر من كل قوة في غير محلها . فوا اسفاه لبلاد مثل هذه تؤوي الملايين من البشر يعيشون من تربتها سعداء وهي اليوم لا ينزلها سوى الوف لا يستفيدون منها ولا يفيدون وها قد زادت اليوم فوق خرابها خراباً . كانت بالامس ممالك ذات منعة وهي الآن بما تحيفها من الدمار عبرة لمن اعتبر فسبحان من يشقي ويسعد ويغني ويفقر

رثاء تولستوي

(تولستوي) تجري آية العلم دمعها   عليك ويبكي بائس وفقير
وشعب ضعيف الركن زال نصيره   وما كل يوم للضعيف نصير
ويندب فلاحون انت منارهم   وانت سراج غيبوه منير
يعانون في الاكواخ ظلماً وظلمة   ولا يملكون البث وهو يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى   عليهم وتغشى دورهم وتزور
ويأسى عليك الدين اذ لك ابه   وللخادميه الناقمين قشور
أيكفر بالانجيل من تلك كتبه   أناجيل منها منذر وبشير
وتبكيك إلف فوق (ليلى) ندامة   غداة مشى (بالعامري) سرير
تناول ناعيك البلاد كأنه   يراع له في راحتيك صرير
وقيل تولى (الشيخ) في الارض هائماً   وقيل (بدير) الراهبات اسير
وقيل قضى لم يغن عنه طبيبه   وللطب من بطش القضاء عذير

***

اذا أنت جاورت (المعري) في الثرى   وجاور (رضوى) في التراب (ثبير)
او اقبل جمع الخالدين عليكما   وغالى بمقدار النظير نظير
جماجم تحت الارض عطرنها شذى   جناهن مسك فوقها وعبير
بهن تباهي بطن (حواء) واحتوى   عليهن بطن الارض فهو فخور
فقل يا حكيم الدهر حدث عن البلى   فانت عليم بالامور خبير
أحطت من الموتى قديما وحادثا   بما لم يحصل منكر ونكير
طوانا الذي يطوي السموات في غد   وينشر بعد الطي وهو قدير
تقادم عهدانا على الموت واستوى   طويل زمان في البلى وقصير
كأن لم تضق بالامس عني كنيسة   ولم يؤوني دير هناك طهور
ارى راحة بين الجنادل والحصى   وكل فراش قد اراح وثير
نظرنا بنور الموت كل حقيقة   وكنا كلانا في الحياة ضرير
اليك اعترافي لا لقس وكاهن   ونجواي بعد الله وهو غفور
فزهدك لم ينكره في الارض عارف   ولا متعال في السماء كبير

بيان يشم الوحي من نفحاته وعلم كعلم الانبياء غزير
ملكت سبيل المترفين ولذتي بنون ومال والحياة غرور
اداة شتائي الدفء في ظل شاهق وعدة صيفي جنة وغدير
ومتعت بالدنيا ثمانين حجة ونضر ايامي غنى وحبور
وذكر كضوء الشمس في كل بلدة ولا حظ مثل الشمس حين تسير
فما راعني الا عذارى اجرنني ورب ضعيف تحتمي فيجير
أردت جوار الله والعمر منقض وجاورته في العمر وهو نضير
صبا ونعيم بين اهل وموطن ولذات دنيا كل ذاك نذور
يهن وما يدرين ما الذنب خشية ومن عجب تخشى الخطيئة حور
اوانس في داج من الدير موحش ولله انس في القلوب ونور
واشبه طهر في النساء بمريم فتاة على نهج المسيح تسير

***

تسائلني هل غير الناس مابهم وهل حدثت غير الامور امور
وهل آثر الاحسان والرفق عالم دواعي الاذى والشر فيه كثير
وهل أسلكوا سبل المحبة بينهم كما يتصافى أسرة وعشير
وهل آن من اهل الكتاب تسامح خليق بآداب الكتاب جدير
وهل عالج الاحياء بؤساً وشقوة وقل فساد بينهم وشرور
ثم انظر وانت المالئ الارض حكمة أأجدى نظيم أم افاد نثير
اناس كما تدري ودنيا بحالها ودهر رخي تارة وعسير
واحوال خلق غابر متجدد تشابه فيها اول واخير
تمر تباعا في الحياة كأنها ملاعب لاترخى لهن ستور
وحرص على الدنيا وميل مع الهوى وغش وافك في الحياة وزور
وقام مقام الفرد في كل امة على الحكم جم يستبد غفير
وحوّر قول الناس مولى وعبده الى قولهم مستأجر واجير
واضحى نفاذ المال لاامر في الورى ولا نهي الا مايرى ويشير
تساس حكومات به وممالك ويذعن اقيال له وصدور

وعصر بنوه في السلاح وحرصه على السلم يجري ذكرها ويدير
ومن عجب في ظلها وهو وارف يصادف شعبا آمنا فيغير
ويأخذ من قوت الفقير وكسبه ويؤوي جيوشا كالحصى ويمير
ولما استقل البر والبحر مذهباً تعلق اسباب السماء يطير

احمد شوقي

رثاك امير الشعر في الشرق وانبرى لمدحك من كتاب مصر كبير
ولست ابالي حين ارثيك بعده اذا قيل عني قد رثاه صغير
فقد كنت عوناً للضعيف وانني ضعيف ومالي في الحياة نصير
ولست ابالي حين ابكيك للورى حوتك جنان او حواك سعير
فاني احب النابغين لعلمهم واعشق روض الفكر وهو نضير
دعوت الى عيسى فضجت كنائس وهز لها عرش وماد سرير
وقال اناس انه قول ملحد وقال اناس انه لبشير
ولولا حطام رد عنك كيادهم لضقت به ذرعاً وساء مصير
ولكن حماك العلم والرأي والحجى ومال اذا جد النزال وفير
اذا زرت رهن المحبسين[1] بحفرة بها الزهد ثاو والذكاء ستير
وابصرت انس الزهد في وحشة البلى وشاهدت وجه الشيخ وهو منير
وايقنت ان الدين لله وحده وان قبور الزاهدين قصور
فقف ثم سلم واحتشم ان شيخنا مهيب على رغم الفناء وقور
وسائله عما غاب عنك فانه عليم باسرار الحياة بصير
يخبرك الاعمى وان كنت مبصراً بما لم تخبر احرف وسطور
كأني بسمع الغيب اسمع كل ما يجيب به استاذنا ويحير
يناديك اهلا بالذي عاش عيشنا ومات ولم يدرج اليه غرور
قضيت حياة ملؤها البر والتقى فانت بأجر المتقين جدير
وسموك فيهم فيلسوفاً وامسكوا وما انت الا محسن ومجير
وما انت الا زاهد صاح صيحة يرن صداها ساعة ويطير

(١) يريد المعري

سلوت عن الدنيا ولكنهم صبوا ... اليها بما تعطيهم وتمير
حياة الورى حرب وانت تريدها ... سلام واسباب الكفاح كثير
ابت سنة العمران الا تناحراً ... وكدحاً ولو ان البقاء يسير
تحاول رفع الشر والشر واقع ... وتطلب محض الخير وهو عسير
ولولا امتزاج الشر بالخير لم يقم ... دليل على ان الاله قدير
ولم يبعث الله النبيين للهدى ... ولم يتطلع للسرير امير
ولم يعشق العلياء حر ولم يسد ... كريم ولم يرجو الثراء فقير
ولو كان فينا الخير محضاً لما دعا ... الى الله داع ان تبلج نور
ولا قيل هذا فيلسوف موفق ... ولا قيل هذا عالم وخبير
فكم في طريق الشر خير ونعمة ... وكم في طريق الطيبات شرور
الم تر اني قمت قبلك داعياً ... الى الزهد لا يأوي اليّ ظهير
اطاعوا ابيكيراً وسقراط قبله ... وخولفت فيما ارتئي واشير
ومت وما ماتت مطامع طامع ... عليها ولا القى القياد ضمير
اذا هدمت للظلم دور تشيدت ... له فوق اكتاف الكواكب دور
افاض كلانا في النصيحة جاهداً ... ومات كلانا والقلوب صخور
فكم قيل عن كهف المساكين باطل ... وكم قيل عن شيخ المعرة زور
وماصدعن فعل الاذى قول مرسل ... ولاراع مفتون الحياة نذير

حافظ ابراهيم

المقتبس

الكواكب السائرة

من المخطوطات في التراجم التي تتصل بطبعها سلسلة تواريخ القرون كتاب الكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة للنجم الغزي ومنه نسخة جيدة في الخزانة الظاهرية بدمشق دخلت في ثلاثة اجزاء وبلغ عدد اوراقها ١٦٤ بالقطع الكامل وفي آخرها جزء رابع جعله المؤلف ذيلاً على كتابه هذا وهو خمسون ورقة قال فيه انه الفه لتمام سنة ثلاث وثلاثين بعد الالف وهي السنة التي جاءت بكل عجاب قال وسميته لطيف السمر وقطف الثمر من تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر . وقد كتب الاصل والفرع سنة اثنتين وستين ومئة والف قال المؤلف بعد مقدمة طويلة : واني طالما كنت اتشوق الى تأليف كتاب يجمع تراجم المتأخرين من اهل المئة العاشرة من العلماء الانجاب فلم اجد من تعرض لهذا المنى او دخل في هذا الباب غير ان الشيخ المحدث النحوي شمس الدين محمد بن طولون الحنفي ألف كتاباً جمع فيه تراجم طوائف من اواخر المئة التاسعة واوائل المئة العاشرة سماها بالتمتع بالاقران ولم اقف على مجموع هذا الكتاب وانما وقفت على نحو كراسة منه فاستدللت بالصبابة على العباب ووقفت له ايضاً على الجزء الثاني من تاريخه الذي جعله لحوادث الزمان وسماه بمفاكهة الاخوان واوله من مستهل سنة سبع وعشرين وتسعمائة الى ختام سنة احدى وخمسين فرأيته ذكر فيه وفيات من بلغه وفياتهم في تلك المدة لكنه لم يخرج فيه لتراجمهم من عهده ثم وقفت بعد على الجزء الاول منه فرأيته ابتدأ فيه من اول سنة ثمانين وثمانمائة وهي سنة ميلاده وانتهى فيه الى سنة ست وعشرين وتسعمائة وكنت قد وقفت قبل ذلك على

قطعة من تاريخ كتاب الحافظ العلامة بدر الدين العلائي الحنفي في حوادث القاهرة من سنة سبع عشرة وتسعمائة الى اواخر سنة اربع وثلاثين ثم وقفت عَلَى تعليقة بخط والد شيخنا الشيخ الامام الفقيه ابو الندى شرف الدين يونس العيثاوي الشافعي رحمه الله تعالى علق فيها وفيات شيوخه وبعض اقرانه وترجم اكثرهم فذكر من مآثر كل مترجم مايليق بمقامه ومكانه ثم وقفت على قطعة صالحة من تاريخ العلامة شهاب الدين احمد الحمصي الخطيب الشافعي الذي ضمنه من مهمات الحوادث والوفيات فاذا هو تاريخ عجيب غير انه سلك فيه مسلك الايجاز والتقريب فدعاني ذلك الى تأليف هذا الكتاب فجمعت فيه من تراجم القوم مايغلو في السوم ويحسن له الانتخاب وتحريت فيه بقدر الطاقة والامكان وجه الحق والصواب وسلكت بين طريقتي الايجاز والاطناب لانه اقرب لتناول المتقصدين وانفع لمن يريد الكشف من احوال المترجمين معتمداً فيما انقله عَلَى خطوط هؤلاء المشايخ اوعَلَى خط من يوثق به من كل ذي قدر في العلم شامخ وقدم في الفضل راسخ او عَلَى ماتلقيته من افواه المعتبرين واخذته عن الفضلاء البارعين مما يدخل في تراجم الاعيان او تاريخ مواليدهم او وفياتهم بحسب الامكان من اهل القرن المذكور من العلماء الاعلام بدمشق المحروسة وحلب وغيرهما وبلاد الشام ومن علماء القاهرة والحرمين الشريفين حسبما تيسر لنا مع التحري والاجتهاد في كل مقام وضممت الى ذلك نبذة من تراجم اعيان التخت العثماني ووفيات اعيان الملك السلطاني ممن اتفقت وفياتهم فيما حدث من الزمان منتخباً لذلك من الشقائق النعمانية ومن رحلة والدي المسماة بالمطالع البدرية ومن غيرهما مما بلغني وتحققته وتلقيته عن الثقات وتلقنته واضفت الى ذلك ايضاً من تراجم سلاطين القرن المذكور وملوكه ليتم نظم الكتاب في قلائد عقيانه وسلوكه معتمداً في هذا النوع عَلَى كتاب الاعلام بما في مكة من الاعلام للشيخ العلامة المبرز عن الاقران القطب الحنفي المكي عرف بابن قاضي خان وعَلَى غيره ايضاً مما تيسر لنا الاطلاع عليه في هذا الشأن ثم اني وقفت بعد ذلك عَلَى تاريخ العلامة رضي الدين ابن الحنبلي الحلبي الحنفي المسمى بدر الحبب في تاريخ اعيان حلب وهو كتاب في مجلد ضخم ثخين مشتمل عَلَى الغث والسمين والتافه والثمين وربما فيه بعض التراجم بما لاتعلق له بالمرام وليس له بفن التاريخ التام وربما اكمل الاسماء لئلا يخلو الحرف من التراجم بنقاش او تاجر او مؤذن اومطنبر وعاشق اومعمار اوغيرهم من العوام فانتخبت منه تراجم بعض اعيان كتابه وضممتها الى كتابي واعرضت عما لم يقع اختياري عليه مما اتى به وليس في بابه

حسبما قضى به تمييزي وانتخابي لاني وضعت هذا الكتاب على اسلوب اهل الحديث والاتقان ولم ارسمه كيف اتفق ولا على اي وضع كان ثم وقفت على تاريخ مختصر للامام المحدث المسند المعتبر ابي المفاخر عبدالقادر المحيوي ابن النعيمي الشافعي سماه بالعنوان في ضبط مواليد ووفيات اهل الزمان وقد ذيل عليه ولده العلامة المحيوي محي الدين فانتقيت منه مالاغنى لكتابنا عنه ثم وقفت على طبقات الاولياء الكبرى والوسطى وكلاهما للشيخ القدوة الشعراني عبدالوهاب فانتقيت منه مادخل في شرط كتابي من تراجم الصالحين الانجاب مع ذكرهم مع ذكرهم الشيخ العلامة الولي المحدث شرف الدين الكناوي من الصالحين ممن يدخل في شروط كتابنا من تراجم المتعينين في شرح منظومته التي جعلها في تقييد اسماء مشاهير الاولياء والعارفين ومع ذكر تراجم اعيان من اخذ عن شيخ الاسلام الوالد من العلماء والصالحين والبارعين ممن يدخل في شرط الكتاب ايضاً ملخصاً لذلك من جزء له كتب فيه تراجم جماعة من تلامذته والملازمين فكان كتاباً جامعاً لزبد هذه الامهات ملخصاً لمقاصد جامعيها من العلماء الاثبات وكل ذلك مع توفير القرائن وتهيئة الاسباب وتيسر الجمع والتأليف من قبل الكريم الوهاب وسميته « بالكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة » وقد وقع الاختيار فيه بعد تقديم اسماء المحمدين على ترتيب حروف المعجم اوالنعة في اوائل اسماء المترجمين وعلى تقسيمه الى ثلاث طبقات الطبقة الاولى فيمن وقعت وفاته من اول القرن الى ختام سنة ثلاث وثلاثين الطبقة الثانية فيمن وقعت وفاته من اول سنة اربع وثلاثين الى ختام سنة ست وستين الطبقة الثالثة فيمن وقعت وفاته من اول سنة سبع وستين الى نهاية سنة الف اه .

وترجم صاحب خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر المؤلف الغزي في ست ورقات ويؤخذ منها انه ولد سنة ٩٧٧ ونشأ على شيء من الطلب وله مؤلفات منها هذا التاريخ ومنها شرحه على الفية التصوف لجده وله كتاب في ترجمة والده . وله كتاب التنبيه في التشبيه قال فيه المحبي انه كتاب بديع في سبع مجلدات لم يسبق الى تأليفه وهو ان يذكر ما ينبغي للانسان ما يتشبه به من افعال الانبياء والملائكة والحيوانات المحمودة وما يتشبه من اجتناب مايلزم فعله . وقال انه خاتمة حفاظ الشام وكانت وفاته سنة ١٠٦١ عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة اشهر وانتفع به اناس كثيرون وتلقوا العلم عنه

اليك زبدة ترجمة المؤلف وعصره كما ترى ليس من العصور الراقية في الاسلام ولذلك تراه على فضل فيه مأخوذاً بمؤثرات عصره يخلط الجيد بالرديء او يشوب الجيد الكثير بهنات لاتليق بمن كان مثله ولكن هو المحيط يعمل في عقل المرء مالا يعمله كل تعليم وارشاد .

خذ مثالاً لذلك مارواه المؤلف من تراجم لاناس تستحي ان تعدهم من العامة لان العامة ارقى منهم عقلاً وديناً ولعمري اي دخل لكتاب في تراجم اعيان قرن ان يدس في جملتهم اناس لاخلاق لهم خرقوا حدود الشريعة بدعواهم خرق العادات وعبثوا بعقول العامة فسرت بدعهم الى الخاصة . قل لنا بابيك اي داع للمؤلف ان يترجم اناساً من البله السخفاء ارباب الجذب مثل ابكر اليمني المجذوب وعبد الله الكردي المجذوب وشعبان المجذوب ومحمد المجذوب وعمر العقيبي المجذوب وابي بكر بن المجنون ومروان المجذوب وذي النون الكملاني المجذوب واحمد ابوطاقية وفرج المصري المجذوب وخميس المجذوب وسويد ابن المجذوب وسويد المجذوب الى غيرهم من المجاذيب والمجانين الذين هم احرى بان يجعلوا في دور المعتوهين من ان يحشروا في عداد العلماء العاملين امثال شيخ الاسلام زكريا الانصاري والشيخ حسن البوربني والجلال السيوطي والسيدة عائشة الباعونية وغيرهم ممن كانوا منار الامة في ذاك القرن

تالله ان شيخ الاسلام زكريا والسيدة الباعونية لايرضيان بان يذكر اسمهما مع اسماء اولئك الذين قضي عليهم باختلال تراكيب ادمغتهم وقضي على الامة بضعف علمائها ان يقدسوهم ويتباركوا بهم فقابلوا ضعف العقول بضعف مثله والخلل بما هو اشد منه عاراً .

مانظن عاقلاً يرضى بان يعد في الاولياء سويد المجذوب وهو باقرار المؤلف يتناول الحشيش فيغيب ويهذي ومثله تلك الطبقة من المجاذيب والمجانين وشيخنا المؤلف يقول للناظرين في كتابه اعتقدوا كما اعتقد بهؤلاء السخفاء

وعلى ذلك فالكتاب ليس من الكتب المنقحة لان المؤلف لم يشتغل بعلم التاريخ اشتغاله مثلاً بعلم الحديث ولذلك كان كحاطب ليل في بعض صفحات كتابه . وماذا تفيد الامة ترجمة محمد بن مبارك القابوني مثلاً الذي ترجمه بانه كان رئيساً في عمل الموالد ! ندي الصوت حسنه بعيد النفس عارفاً بالموسيقى الا انه كان دائماً يلحن وكان احد المؤذنين المشهورين بالجامع الاموي ورئيس المؤذنين بالدرويشية والسبائية .

ان نفس القارىء تتلع اذا قرأت ترجمة علي بن ميمون مثلاً وكان بعض اهل عصره يعتقدون فيه الخير والصلاح وهو على جانب من العلم فما ذا يضر مؤلفنا لو كان اقتصر على التعريف بمثله وبغيره من العلماء واطرح من عداهم ممن لاغناء فيهم الاتكبير حجم الكتاب وتلويثه بتلك الهنات وربما لايقع كلامنا هذا الموقع المقبول من قلوب بعض من يحبون ان يحسنوا ظنهم بعباد الله اما المؤرخ والاجتماعي فلا يقنعه من الخلق ان يذكروا كلهم بالمحمدة على قاعدة التساوي فيختلط صالحهم بطالحهم وعاقلهم بمجنونهم بل لايرضى الا ان يقدر كل واحد وما يعمل فقد قيل في بعض الآثار اذكروا الفاسق بما فيه وقيمة كل امرىء ما يحسنه ٠

ان القول بخرق العادة وتعدي نظام الطبيعة ليس هذا محل الجدال فيه وعلماء الاسلام انفسهم على اختلاف بينهم فيه ومنهم من تكلم محتجاً ومنهم من آثر السكوت والسكوت قد يضر في مثل هذه المواطن ٠ اما كرامات الاولياء التي ينسبها بعض احبابهم لهم وهم لايدعونها على الاغلب على نحو مانسبوا امورا للجيلي والرفاعي وغيرهما من العلماء فانها تدخل في باب خرق العادة وهذه لاينقل اخبارها الا من يحلمون بها في منامهم و يقظتهم فاذا كان البشر نسبوا الى اناس عرفت ترجمتهم على مايجب اموراً لم يأتوا بها ولاقالوها فما احرياه ان يلبسوا مع ضعف المدارك على بعض الصالحين كرامات لم تخطر لهم في بال وهاك الآن ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية [1] في هذا المعنى فهو اصرح ماقرأناه وهو يقف عنده المعتقدون ولايفوتهم ان كل من قرأ قوانين الوجود وذكر معنى خرق العادة يستحيل عليه ان يؤمن بما تقاه علماء الاسلام حتى في القرون الوسطى قال ابن تيمية :

ومن اظهر الولاية وهو لايؤدي الفرائض ولايجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لاحد ان يقول هذا ولي الله فان هذا ان لم يكن مجنوناً بل كان متولهاً من غير جنون اوكان يغيب عقله بالجنون تارة و يفيق اخرى وهو لايقوم بالفرائض بل يعتقد انه لايجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر وان كان مجنوناً باطناً وظاهراً قد ارتفع عنه القلم ٠ وقال نقلاً عن الشيخ ابي سليمان الداراني انه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال ابو القاسم الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن و يكتب الحديث لايصلح له

(١) الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان

ان يتكلم في علمنا او قال لايقتدى به وقال ابو عثمان النيسابوري من امر السنة عَلَى نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى عَلَى نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة لان الله تعالى يقول في كتابه القديم « وان تطيعوه تهتدوا » .

وقال : تجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله انه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الامور او بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل ان يشير الى شخص فيموت او يطير في الهواء الى مكة اوغيرها او يمشي على الماء احيانًا او يملأ ابريقًا من الهواء او ينفق بعض الاوقات من الغيب او ان يختفي احيانًا عن اعين الناس او ان بعض الناس استغاث به وهو غائب اوميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته او يخبر الناس بما سرق لهم او بحال غائب لهم او مريض اونحو ذلك من الامور وليس في شيء من هذه الامور مايدل عَلَى ان صاحبها ولي لله بل قد اتفق اولياء الله على ان الرجل لوطار في الهواء اومشى عَلَى الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لامره ونهيه وكرامات اولياء الله تعالى اعظم من هذه الامور الخارقة للعادة وان كان قد يكون صاحبها وليًا لله فقد يكون عدواً لله فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين واهل الكتاب والمنافقين وتكون لاهل البدع وتكون من الشياطين فلا يجوز ان يظن ان كل من كان له شيء من هذه الامور انه ولي لله بل يعتبر اولياء الله بصفاتهم وافعالهم واحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة و يعرفون بنور الايمان والقرآن و بحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة مثال ذلك ان هذه المذكورة وامثالها قد توجد في اشخاص و يكون احدهم لايتوضأ ولايصلي الصلوات المكتوبة بل يكون ملابسًا للنجاسات معاشراً للكلاب يأوي الى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل رائحته خبيثة لايتطهر الطهارة الشرعية ولايتنظف الخ

وبعد هذا ننقل للقارىء نموذجًا من ترجمة المؤلف لرجل جليل في عصره وهو علي بن ميمون دفين مجدل معوش من اعمال شوف لبنان نورده بدون تذييل عليه ليستنتج القارىء لنفسه ان تلك الكرامات التي ينسبها المؤلف للمترجم به لم يقل هو بها بل ادعاها له احبابه ومريدوه ومعظمهم قد يكونون مأخوذين بحبه لاينظرون الى الواقع الا من وجه واحد قال المؤلف مانصه :

علي بن ميمون بن ابي بكر بن علي بن ميمون بن ابي بكر بن يوسف بن اسمعيل بن ابي بكر بن عطاء الله بن ميمون بن سليمان بن يحيى بن نصر يوسف بن عبد الحميد بن

بلتزواز روق (؟) بن وسكرن بن عربه بن هلال بن محمد بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم كذا باقي النسب في ترجمته لابن طولون الشيخ المرشد المربي القدوة الحجة ولي الله تعالى العارف به السيد الشريف الحسيب النسيب ابو الحسن ابن ميمون الهاشمي القرشي المغربي الغماري الفاسي اصله كما قال ابن طولون من جبل غارا بالغين المعجمة من مملكة فاس . وقال الشيخ موسى الكناوسي اصله من غمارة وسكن مدينة فاس واشتغل بالعلم ودرس ثم تولى القضاء ثم ترك ذلك ولازم الغزو على السواحل وكان رأس العسكر ثم ترك ذلك ايضاً وصحب مشايخ الصوفية ومنهم الشيخ عرفة القيرواني فارسل الشيخ عرفة الى ابي العباس احمد التوزي الدباسي ويقال الشبلي بالتاء ومن عنده توجه الى المشرق قال الشيخ موسى دخل ببيروت في اول القرن العاشر وكان اجتماع سيدي محمد بن عراق به اولاً هناك ولما دخل بيروت مكث ثلاثة ايام لم يأكل شيئاً فاتفق ان ابن عمران كان هناك واتى بطعام فقال لبعض جماعته ادع لي ذلك الفقير فقام السيد علي بن ميمون واكل وقال ابن عراق لاصحابه قوموا بنا نزور الامام الاوزاعي فصحبهم ابن ميمون لزيارته في اثناء الطريق لعب ابن عراق على جواده كعادة الفرسان فعاب عليه السيد علي ابن ميمون فقال له اتحسن لعب الخيل اكثر مني قال نعم فنزل ابن عراق عن فرسه فتقدم اليها سيدي علي فحل الحزام وشده كما يعرف وركب ولعب على الجواد فعرفوا مقداره في ذلك ثم انفتح الامر بينهما الى ان اشهر الله تعالى الشيخ علي بن ميمون وصار من امره ماصار .

قال الشيخ موسى كذا اخبرني علي الغرباني المغربي عن شيخه علي الكيزواني عن سيدي محمد بن عراق وقال في الشقائق انه دخل القاهرة وحج منها ثم دخل البلاد الشامية وربى كثيراً من الناس ثم توطن بمدينة بروسا ثم رجع الى البلاد الشامية وتوفي بها قال وكان لايخالف السنة حتى نقل عنه انه قال : لو اتاني السلطان ابو يزيد بن عثمان لا اعامله الا بالسنة . وكان لايقوم للزائرين ولا يقومون واذا جاءه احد من اهل العلم يفرش له جلدة شاة تعظيماً له وكان قوالا بالحق لايخاف في الله تعالى لومة لائم وكان له غضب شديد اذا رأى في المريدين منكراً يضربهم بالعصا قال وكان لايقبل وظيفة ولا هدايا الامراء والسلاطين وكان مع ذلك يطعم كل يوم عشرين نفساً من المريدين وله احوال كثيرة ومناقب عظيمة انتهى

وكان من طريقته ماحكاه عنه سيدي محمد بن عراق في كتاب السفينة انه لايرى لبس الخرقة ولا الباسها وذكر الشيخ علوان رضي الله تعالى عنه انه كان لايرى الخلوة ولا يقول بها وكان اذا بلغه ان احداً سبه او ذمه ونسبه الى جهل اوفسق اوبدعة يتأول مايتأول عنه وكان يقال عنه كناز وكيماوي ومطالبي فيقول : نعم انا كناز وعندي كنز عظيم ولكن لايطلبونه ولايسألوني عنه وانا كيماوي ولكن لايطلبون ماعندي من الكيميا وانا مطالبي وعند مطلب نفسي مزهود فيه ويشير الى كنز العلم ومطلب المعرفة وكيمياء الحقيقة وكان كثيراً مايقول جواب الزفوت السكوت ٠

ومن وصاياه اجعل تسعة اعشارك صمتاً وعشرك كلاماً ٠ وكان يقول الشيطان لاوحي وفيض فلا تغتروا بما يجري بنفوسكم وعلى السنتكم من الكلام في التوحيد والحقائق حتى تشهدوا من قلوبكم ٠ وكان اذا اتاه متظلم من الحكام يقول : له اصلح حالك مع الله فمن اصلح مابينه وبين الله اصلح الله مابينه وبين خلقه وكان ينهى اصحابه عن الدخول بين العوام وبين الحكام ويقول ما رأيت لهم مثلا الا الفار والحيات فان كلاً منهما مفسد في الارض فالحيات مسلطة على الفار والفار مسلطة على الناس وكذلك العوام سلط بعضهم على بعض فسلط الله تعالى الحكام عليهم وكما انه لابد ان يسلط على الحية قاتلاً يقتلها او يأتيها اجلها سلط على الظالم ظالماً آخر وكان شديد الانكار على علماء عصره وكان يسمي القضاة القصاة والمشايخ المسالخ والفقيه الفقيع من فقع اللبن اذا فسد ٠ وكان من كلامه لاينفع الدار الا مافيها وكان يقول ايضاً لاتشتغل بعدد اموال التجار وانت مفلس ٠ وكان يقول اسلك ما سلكوا تدرك ما ادركوا ٠ وكان يقول لاتخلطوا الحقائق ويستدل بقوله تعالى « ولاتلبسوا الحق بالباطل » وكان يقول عجبت لمن يقع عليه نظر المفلح كيف لايفلح ٠ قلت وهو منقول عن سيدي احمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه ٠

وكان يقول يبصر احدكم القذاة في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عينه قلت هو حديث رواه الامام احمد من طريق ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه يبصر احدكم القذى في عين اخيه وينسى الجذع في عينه وكان يقول كنزك تحت جدارك وانت تطلبه من عند جارك

وله كلام غير هذا وله من المؤلفات شرح الاجرومية على طريقة الصوفية وكتاب غربة الاسلام في مصر والشام وما والاها من بلاد الروم والاعجام ورسائل عدة منها

بيان فضل خيار الناس والكشف عن مكر الوسواس ورسالة الاخوان من اهل الفقه وحملة القرآن وكشف الافادة في حق السيادة ومواهب الرحمن وكشف عورات الشيطان وتذكرة السالكين وتذكرة المريد المنيب باخلاق اصحاب الحبيب كذا في ترجمته لابن طولون ومنها رسالة لطيفة سماها تنزيه الصديق عن وصف الزنديق ترجم فيها الشيخ محي الدين بن العربي وذكر في اولها ان سبب تأليفها انه دخل دمشق في سنة اربع وتسعين وثمانمائة فسمع عن بعض اهلها استنقاص الشيخ محي الدين بعد ان زار الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفدي بها في شعبان من هذه السنة وهو الذي عرفه بابن العربي وبمقامه في الصالحية قال وكنت اسمع به في المغرب ولا ادري من حاله سوى انه من اهل العلم والخير فقصدت زيارته فانتهيت الى حمام [1] يقال له حمام الجورة فسألت من الحمامي ان يفتح لي باب مقامه فصعد من بعض الجدران وفتح لي باب مقامه فوجدته ليس فيه اثر العواد وفيه عشب يابس يدل على ان احداً لايأتيه الى ان قال ثم قعدت عند قدميه الكريمتين كما ينبغي بل اقول قعدت عَلَى سوء الادب اذ هو ان اقف خارج المقام بالكلية في مقام السائل المفتقر لكن اخطأت واسأل الله تعالى بلطفه ان يتوب عليَّ ذلك قال رأيت في مشهد قبره عند رأسه حجراً مكتوباً فيه قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك » الآية فعند ذلك قوي نور اعتقادي في الشيخ وتزايد نوراً عَلَى نور حتى ملأ ظاهري وباطني وكنت قصدت بلاد ابن عثمان رجاء الجواز من هناك الى المغرب فدخلت برصة غرة المحرم سنة خمس وتسعين فلما كان سنة تسع وتسعمائة خار بنا الى تقييد بعض كلمات في اظهار شيء من محمود صفاته

«١» وذكر علي بن ميمون في رسالة له مخطوطة اسمها تنزيه الصديق عن وصف الزنديق مايشبه هذه القصة وقال انه قصد صالحية دمشق سنة اربع وتسعمائة ليزور الشيخ لاكبر فلم يجد من يوصله اليه لشدة خوف العامة من ظلم الفسقة الخاصة المنتقدين وانه سأل عن منامه فذكر له بالنعت من بعيد وقيل له اسأل عَلَى موضع كذا فاذا وصلته فستجد هناك حماماً فهو في جواره قال ثم اتيت حتى انتهيت الى الحمام فسألت الحمامي ان يفتح لي الباب لادخل الى المقام واشاهد القبر فتحيل الحمامي وصعد من بعض الجدارات وفتح باب المقام الخ

ويستدل من هذه القصة ان قبر الشيخ محي الدين بن العربي كانت تحظر زيارته في القرن العاشر على نحو مايزار الآن ويبالي العامة وبعض الخاصة في الثناء بزيارته فاين هذا مما عليه العامة الآن من شد الرحال اليه كل اسبوع فتأمل

ثم ذكر رحمه الله تعالى ترجمة الشيخ ابن العربي رضي الله تعالى عنه ودل هذا الكلام منه على انه كان له اعتقاد زائد في ابن العربي وهو ما عليه اعيان المتأخرين من العلماء المحققين والصوفية المتعمقين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ودل هذا الكلام منه ايضاً انه رضي الله تعالى عنه دخل دمشق قبل القرن العاشر وذكر سيدي محمد بن عراق رضي الله تعالى عنه في كتاب السفينة ان سيدي علي بن ميمون دخل دمشق سنة اربع وتسعمائة وذكر ابن طولون في تاريخه مفاكهة الاخوان ان سيدي علي ابن ميمون اول ما دخل دمشق دخل في اواخر سنة اثنتي عشرة وتسعمائة فهرع الناس اليه للتبرك به ونزل بحارة السكة بالصالحية وصار يعمل بها ميعاداً و يرشد الناس

وممن صعد اليه للاخذ عنه الشيخ عبدالنبي شيخ المالكية والشيخ شمس الدين بن رمضان شيخ الحنفية وسلكا على يديه وخلف انتهى ولا تنافي بين هذا و بين ما تقدم لان ما ذكره ابن طولون هو مبلغ علمه اذ لم يعلم بقدمة ابن ميمون الاولى والثانية حتى ذكر هذا الكلام وايضاً فان سيدي علي بن ميمون لم يشتهر في بلاد الغرب بالعلم والمشيخة والارشاد الا بعد رجوعه من الروم الى حماة سنة احدى عشرة ومكث بها مدة طويلة ثم قدم منها الى دمشق في سابع عشري رجب سنة ثلاث عشرة وتسعمائة كما ذكره سيدي محمد ابن عراق في سفينته وتقدم في ترجمة ابن عراق من هذا الكتاب

قال ابن عراق واقام يعني شيخه ابن ميمون في قدمته هذه ثلاث سنوات وخمسة اشهر واربعة عشر يوماً يربي و يرشد و يسلك و يدعو الى الله تعالى عليَّ (كذا) سيدي الشيخ عبد النبي مفتي المالكية وسيدي محمد بن رمضان مفتي الحنفية وسيدي احمد بن سلطان كذلك وسيدي عبدالرحمن الحموري مفتي الشافعية وسيدي اسماعيل الدنابي خطيب جامع الحنابلة وابو عبدالرحمن قيم الجامع وسيدي عيسى القباقبي المصري وسيدي احمد بن الشيخ حسن وجاره حسن الصواف وسيدي الشيخ داود العجمي انتهى

قلت وكان ممن اصطحب به شيخ الاسلام الجد رضي الله تعالى عنه وكان يحضر سيدي علي بن ميمون درسه ومجالسه فكان الجد رضي الله تعالى عنه يقول لابن ميمون حين يحضر عنده ياسيدي علي امسك لي قلبي امسك لي قلبي

وممن اجتمع به شيخ الاسلام الوالد وكان يومئذ في سن الثمان او التسع لكنني لم اتحقق عنه انه اخذ شيئاً اولم يأخذ عنه وكان شيخنا الشيخ حسن الصلتي المقري يذكر انه رأى سيدي علي ابن ميمون وحضر مجالسه فعلى هذا يكون بحمدالله قد صحبنا في طريق الله تعالى من صحبه .

ومن كراماته انه حصلت بين رجلين من الفقراء المتجردين عنده منافرة فخرج احدهما في وجهه فسمع الشيخ بذلك فقال لمن كان السبب في ذلك اما ان تأتي به واما ان تذهب عني فلم يلبث يسيراً الا والذي خرج على وجهه قد دخل على الشيخ وهو يبكي وذكر ان الشيخ تشكل له في صورة اسد وكان كلما توجه الى طريق منعه من سلوكها .

ومن كراماته ان المطر حبس بدمشق في سنة ثلاث عشرة وتسعمائة فكتب سيدي علي بخطه درجاً الى نائب دمشق سيباي فحضر النائب بالدرج الى الجامع الاموي في يوم الجمعة رابع رمضان فقرأه على مفتي دار العدل السيد كمال الدين بن حمزة وقضاة القضاة الثلاثة الشافعي ابن فرفور والمالكي خيرالدين والحنبلي نجم الدين بن مفلح فاذا فيه آيات من القرآن العظيم واحاديث من السنة في التحذير من الظلم ثم انتقل الى الفقهاء والقضاة فحذرهم من اكل مال الاوقاف ثم حث على الاستغفار وذكر مايتعلق بذلك ومن نقل ذلك عن السلف بحيث ان سيباي ذرف دمعه فهم في اثناء قراءة الدرج وقع المطر وجاء الله تعالى بالغيث كذلك ذكر هذه الواقعة ابن طولون وانا لاشك في انها كرامة ظاهرة وانتقد ابن طولون على الدرج المذكور ان صاحب الترجمة تعرض فيه لذكر الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون ولذكر غيره ولامهم فيه على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانا اقول لاانتقاد عليه في ذلك اصلا فانه اراد النتيجة فاعلن ان الفتنة التي وقعت بين التقوي ابن قاضي عجلون وابن اخته السيد كمال الدين وبقية اعيان دمشق بسبب هدم التربة كما تقدم شرحها في ترجمة السيد وغيرها ايضاً انما كانت بسبب توجه سيدي علي بن ميمون بقلبه عليهم وتكدر خاطره ويؤيد ذلك ان هدم التربة المذكورة كان في ثالث رمضان المذكور ثم استفتي الشيخ تقي الدين في هذه الايام في هذه الوقعة وافتى بعدم الهدم ثم هاجت الفتنة بعد ذلك وانتشر شرها وتطاير شررها حتى طلب الشيخ تقي الدين وابن اخته فاحضرون الى السلطان الغوري بمصر وصودر باموال كثيرة ولاحول ولا قوة الا بالله

ثم رأيت ابن طولون ترجم سيدي علي بن ميمون في التمتع بالاقران وذكر من مصنفاته بيان فضل خيار الناس والكشف عن منكر الوسواس والرسالة الميمونية في توحيد الجرومية وبيان غربة الاسلام ورسالة الاخوان من اهل الفقه وحملة القرآن وكشف الافادة في حسن السيادة ومواهب الرحمن في كشف عورات الشيطان وغير ذلك وقال قدم دمشق فتلقاه الشيخ عبد النبي وانزله بحارة السكة بالصالحية وهرع الناس للسلام عليه

طلبة العلم والفضلاء والعلماء والقضاة والامراء، وصار يسأل كلاً من اسمه و ينهاه عن ذكر اللقب ان ذكره ثم عن حرفته و يوصيه بتقوى الله تعالى ثم يوجه نفسه الى القبلة و يرفع يديه الى وجهه و يقرأ له الفاتحة و يدعو له و يصرفه وان رأى في ملبسه شيئاً منكراً ذكره .

قال ثم عقد للتسليك مجلساً في منزله فتلمذ له خلق من المذاهب الاربعة كالشيخ عبد النبي من المالكية والشمس بن رمضان من الحنفية والشهاب ابن مفلح من الحنابلة والزين الحموري من الشافعية وآخر من تسلك على يديه منهم القاضي ابو عبدالله محمد ابن عراق وشاع ذكره وبعد صيته وصار كلامه مسموعاً عند الامراء خصوصاً نائب الشام سيباي ولهم فيه اعتقاد زائد

ثم قال ابن طولون اجتمعت به وسلمت عليه ثم ترددت الى مجلسه فما رأت عيني اعظم شأناً منه لكنه كان يستنقص الناس وقال احياناً ما رأيت في هذه المملكة اعلم من ابن حبيب الصفدي قال وكان ابن حبيب مشهوراً بمحبة ابن العربي ويتبجح بها انتهى .

قلت وما ذكره عنه انه كان يستنقص الناس هذا انما كان من سيدي علي بن ميمون على سبيل التنهيض لمن يستنقصه وينكر عليه لا على سبيل احتقار الناس واستصغارهم وتأييد نفسه عليهم

ومن كرامات ابن ميمون رضي الله تعالى عنه ما ذكره الشيخ علوان في شرح تائية ابن حبيب ان رجلاً من اعيان دمشق وفضلائها في العلم والتدريس قال بلغني انه تفرس فيه ان لا يكون منه نتيجة وكان ذلك بعد ان تجرد ذلك الرجل وارتكب انواعاً من الرياضة والمجاهدات وحكى سيدي محمد بن سيدي علوان في تحفته قال اخبرني شفاهاً جمع ممن سكن قرية مجدل معوش التي هي قرية الشيخ وقبره فيها انه كان في جوارهم وفي قريتهم كروم قد يبست اغصانها وفسدت عروقها وتعطلت بالكلية فلما دخل الشيخ المذكور تملك الاراضي عادت الاراضي المجدبة مخصبة وعادت اشجار العنب المذكورة ايضاً الى احسن ما يكون واينعت ثمارها قال وهي مستمرة من ذلك الى الآن الى هذا الزمان ولم يعرف ذلك الا من بركته .

وذكر ايضاً ان بعض اهل العلم حكى له وقد توجه لزيارة قبر سيدي علي بن ميمون رضي الله تعالى عنه في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة فقال ان من غريب كرامات من انتم متوجهون لزيارته ما شاهدته بعيني ذلك ان رجلاً من الاجناد ارسل كلباً قال او صقراً على غزال فركضت الغزال حتى جاءت الى الارض التي هو مدفون فيها فدخلها واجتمعت

في ظل الشيخ فقيل للجندي دعها فانها قد فعلت فعل العائذ بقبر الشيخ فلم يلتفت الى مقالتهم وجاء اليها وهي قائمة فلم تبرح من مكانها حتى امسكها الجندي بيده وذبحها واكل من لحمها فلما فرغ من اكله اخذه وجع في بطنه واستمر حتى مات من ليلته فلما غسل كان لحمه على المغتسل متقطعاً قطعاً حتى كأنه اكل شيئاً مسموماً قالت فعلمت انا وغيري ان ذلك كله من بركة الشيخ انتهى ·

وكان سبب انتقال سيدي علي بن ميمون من دمشق الى مجدل معوش وهي قرية من معاملة بيروت انه دخل عليه وهو بصالحية دمشق قبض واستمر ملازماً له حتى ترك مجلس التأديب واخذ يستفسر عن الاماكن التي في بطون الاودية ورؤوس الجبال حتى ذكر له سيدي محمد بن عراق مجدل المعوش فهاجر اليها في ثاني عشر المحرم سنة سبع عشرة وتسعمائة قال سيدي محمد بن عراق ولم يصحب غيري والولد علي وكان سنه عشر سنين وشخصاً آخر عملا بالسنة واقمت معه خمسة اشهر وتسعة عشر يوماً وتوفي ليلة الاثنين حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بها في ارض موات بشاهق جبل حسبما اوصى به قال ودفن بعده خارج حضرته المشرفة رجلان وصبيان وامرأتان وايضاً امرأتان وبنتان الرجلان محمد المكناسي وعمر الاندلسي والصبيان عبد الله وكان عمره ثلاث سنين وموسى بن عبدالله التركاني وامرأتان ام ابراهيم وبنتها عائشة زوجة الدعري والمرأتان الآخرتان مريم القدسية وفاطمة الحموية وسألته عند وفاته عن امور منها اين اجعل دار هجرتي فقال : مكان يسلم فيه دينك ودنياك ثم تلا قوله تعالى «ان الذين توفاهم الملائكة» الآية وقال ابن طولون في حوادث سنة سبع عشرة وتسعمائة من تاريخه ويوم الجمعة تاسع عشريه يعني جمادى الآخرة بعد صلاتها بالجامع الاموي نودي بالسدة بالصلاة غائبة على الشيخ العالم السيد علاء الدين علي بن ميمون المغربي · قال وقد صح انه توفي ليلة الخميس حادي عشره بتل بالقرب من مجدل معوش وبه دفن انتهى · ولم يختلف قول سيدي محمد بن عراق في السفينة وقول ابن طولون والشيخ موسى الكناوي ان سيدي علي بن ميمون توفي في ليلة الحادي عشر من جمادى الآخرة غير ان في كلام ابن طولون انه كان يوم الخميس وتقدم انه كان يوم الاثنين وقول ابن طولون اصح لانه ارخ هو والحمصي وغيرهما مستهل جمادى المذكورة انه كان يوم الاثنين فيكون حادي عشرة يوم الخميس بلا شك رحمه الله تعالى اه»

ميزان المقادير في تبيان التقادير

تتمة ما ورد في الجزء الماضي

والقسم الثالث الذي يعتبر فيه المساحة الجسمية الكر المساحي من الماء

فهو كما انه مقدر بالوزن كما مر مقدر بالمساحة ايضاً واقوال فقهائنا رضوان الله عليهم فيه اربعة ٠ الاول سبعة وعشرون شبراً مكعباً حاصل ضرب ثلاثة عرضا في ثلاثة طولاً في ثلاثة عمقا واليه ذهب الصدوقان وباقي القميين وهو ظاهر بن طاوس وصريح العلامة في المختلف واليه مال بعض المتأخرين ايضاً كالشيخ علي رحمه الله في حاشية المختلف والثاني اثنان واربعون شبراً وسبعة اثمان شبر حاصل ضرب ثلاثة ونصف عرضاً في ثلاثة ونصف طولا في ثلاثة ونصف عمقاً واليه ذهب الاكثر وهو المشهور والثالث نحو مائة شبر واليه ذهب ابن الجنيد والمراد في هذه الثلاثة بلوغه المقادير المذكورة اذا ضرب بعض الابعاد في بعض ومثلوا بالمكعب لتسهيل الفهم والرابع مابلغ مجموع ابعاده عشراً ونصفا ٠ وليس المراد الضرب واليه ذهب القطب الراوندي [1] وعلى هذا القول ليس له قدر معين لابحسب المساحة ولابحسب الوزن ويكون له افراد مختلفة غيرمتناهية بعضها منطبقة على بعض المذاهب الباقية وزنا او مساحة ونسبوا الى القولين الاخيرين في تقدير الكر الشذوذ ولزم على [2] الاخير ان يكون كف من الماء بل اقل اذا انبسط فيما

(١) قال الشيخ بهاء الملة والدين في الحبل المتين وانت خبير بان صدور مثل هذا التحديد العظيم الاختلاف الشديد التفاوت عن القطب الراوندي رحمه الله لايخلو عن غرابة والذي يظهر ان مراده طاب ثراه ان الكر هو الذي لو تساوت ابعاده الثلاثة لكان مجموعها عشرة اشبار ونصفاً وحينئذ ينطبق كلامه على المذهب المشهور والله اعلم بحقائق الامور (منه)

(٢) قوله ولزم على الاخير ان يكون الخ لايخفى انه لاينتهي الكر في القلة على هذا القبول حدا لايكون اقل منه كما يظهر بالتأمل فتأمل فيما نقل الشيخ بهاء الملة والدين في الحبل المتين عن الشهيد الثاني ان ابعد الفروض عنها مالوكان كل من عرضه وعمقه شبرا وطوله عشرة اشبار ونصفا واعترض عليه بوجود ماهو ابعد منه كما لوكان طوله

يبلغ طوله وعرضه عشرة اشبار ونصف زائداً على الكر · وحوض مربع كل من ابعاده ثلاثة اشبار ناقصا عنه وهذا بعيد جدا هذا ماأردنا ايراده من التفصيلات والآن نسوق الكلام في التتميات وبالله التوفيق

(تتميم) اعلم ان الشيخ في آخر القانون ذكر بعض الاكيال والاوزان المعروفة في اليونانية ناقلا بعضها من كناش ساهر وبعضها من كناش ابن سرابيون وقد نقلنا عنه في هذه الرسالة مايحتاج اليه في الجملة حسبما اقتضاه التعريف وطرحنا اكثرها لوجوه الاول انها كانت على اللغة اليونانية الغير المعروفة في هذه الازمان ولا فائدة في تطويل الرسالة بذكرها الا لفهم بعض مافي الكتب الطبية مما نقل بعينه عن اليونانية وكذا بالفصل الذي ذكره في آخر القانون تلك الفائدة ومعه لايكون لذكرها في تلك الرسالة كثير فائدة والثاني ان نسخ القانون كانت مختلفة في اكثرها وفي تحقيق اللغات اليونانية وتصحيحها على وجه يطمئن الخاطر عسر تام وفي نقلها بصورتها من غير تصحيحها مسخ غير مفيد · الثالث ان بعضها مماذكره تأصيلا متناقضة وفرع كثيراً منها على ذلك البعض فصارت اكثرها مضطربة غير محصلة وكان الشيخ نقلها من اصولها من غير تأمل وحساب فعرى كلها عن الفائدة لعدم الاعتماد

ومن جملة الشواهد على ماذكرنا انه قال في موضع القسط الانطاليقي رطل ونصف والرطل اثنتا عشرة اوقية انتهى وفي موضع آخر بعده بسطر وان يكون اربعين استاراً والرطل عشرين استاراً · والاستار ستة دراهم ودانقان اواربعة مثاقيل انتهى نفسر الرطل اولاً باثنتي عشرة اوقية والاوقية في موضعها بسبعة مثاقيل فبلغ الرطل اربعة وثمانين مثقالاً (١) · وفسره ثانياً بعشرين استاراً والاستار اما بستة دراهم ودانقين فبلغ ثمانية

تسعة اشبار وعرضه شبراً واحدا وعمقه نصف شبر فان مساحته اربعة اشبار ونصف ثم ناقش معه رحمهما الله بان الابعاد الثلاثة في العرض الذي ذكره انما هي اثنا عشر شبرا لاعشرة ونصف هذا (منه)

(١) وفي بعض نسخ القانون موقع او اربعة وار بعة بالمواد وفي بعضها وهو اربعة وعلى هاتين النسختين يصير اقوى اضطرابا كما لايخفى ولذلك نقلنا عنه في بيان قدر الاستار موافقاً عنه هونا وطرحنا النسختين الاخيرتين ثم مااخترنا نقله في بيان قدر الرطل من الاحتمالات الثلاثة مع اضطراب كلامه فيه عن المعاضدة بصورته بقول صاحب القاموس وغيره وكذا مانقلنا عنه في بيان قدر الاوقية وان كان المعتمد خلافه كما مر (منه)

وثمانين مثقالاً وكسرا واما باربعة مثاقيل فيبلغ ثمانين مثقالاً فيضطرب قدر الرطل في كلامه بين كونه اربعة وثمانين مثقالاً وكونه ثمانين اوثمانية وثمانين مثقالا وكسرا ومع ذلك لاينطبق شيء من هذه الثلاثة على شيء من تفاسيره المشهورة على ماذكرنا في موضعه

تتميم قد عرفت مما تقدم ان الدانق حقيقة هو سدس الدرهم الشرعي الذي هو عبارة عن شعيرتين فاعرف الآن ان الدانق والطسوج يطلقان مجازاً على سدس كل شيء وربع سدسه مما اعتبر فيه الوزن ام لا كما هو المتعارف الشائع في زماننا فعلى هذا لما كان المثقال المعبر عنه بالدينار بالاتفاق عبارة عن ثماني وستين شعيرة واربعة اسباع شعيرة فيجب ان يكون دانقه هو سدسه الذي عبارة عن احدى عشرة شعيرة وثلاثة اسباع شعيرة وطسوجه هو ربع هذا السدس الذي هوعبارة عن شعيرتين وستة اسباع شعيرة فتبين خطأ من قال ان دانق المثقال اثنتا عشرة حبة وطسوجه ثلاث حبات اذ يلزم ان يكون المثقال اثنين وسبعين شعيرة وقد عرفت انه ثماني وستون شعيرة واربع اسباعها اللهم الا ان يكون في المثقال اصطلاح آخر لم ينقل الينا وكذلك تبين خطأ صاحب الشمسية في الحساب حيث توهم ان طسوج الدينار اربع شعيرات

وقال يجب ان يعلم ان الدوانيق مخرجها من الدينار ستة والطساسيج مخرجها من الدوانيق اربعة والشعيرات مخرجها من الطسوج اربعة ثم بسط الكلام في المثال وتحرير الكسر من مخرج الى مخرج على هذا الحساب وهذا فاحش جداً اذ يلزم حينئذ ان يكون الدينار ستاً وتسعين شعيرة ضعف الدرهم الشرعي وحكاية كون الدينار درهماً وثلاثة اسباع درهم وكون عشرة دراهم سبعة دنانير اشهر واشيع من ان يحتاج الى نقل الاسناد وتفصيل عبارات الاقوام وقد مر بعضها وكأن هذا الخلط صار مغلطة لبعض الحسابين ايضاً كصاحب قسطاس المستقيم حيث وافقه في ذلك واقتفى اثره بعض الناظمين ايضاً حيث نظم في بيان اجزاء الدينار شعراً

هست شش دانك قدر ديناري   ليك هر دانك اذ طسوج جهار
هر طسوجي جهار جوهرجو   شش خردل بود بوقت شمار

مع ان هذا الناظم قد نظم ماهو الحق ايضا في بيان وزن الاستار واجزائه فقال

جار مثقال ونيم استادي   هفت مثقال وده درم اى يار
درهمي وده سبع بكمثقال   حامش اكنون كه شد سخن بسيار

ولا يتوهم ان مناط ذلك الاختلاف ربما يكون قدر الدرهم ولعل فيه خلافاً تفرع عليه، ماوقعوا فيه اذ لامجال لذلك التوهم لمن تتبع الآثار والاخبار وشيوع كونه ثماني واربعين شعيرة قد جاوز حد التواتر حتى نظم ذلك الناظم ايضاً ونقله صاحب القسطاس

شش دانك بود قدر درم يادت باد دانكيست دوقيراط چنين كفت استار

قيراط وطسوج چهچون دانستي هريك ونها بعد بود يادت ياد

وقد اخطأ ايضاً صاحب الرسالة في الحساب هنا من جهة اخرى وزعم ان الدينار ستون حبة حيث قال في تعليل حفظ نسبة الستين لكون الدينار ستين حبة وكون الفرجة ستين دقيقة وكون الكرستين قفيزاً وكون الدرهم ستين عشيراً انتهى ثم كان مراده بالعشير عشر الدانق من حيث اطلاقه على عشر كل شيء كما مر والا لم ينقل تفسير العشير بخصوص ذلك وظني ان منشأ هذه الاغلاط قلة تتبع الآثار والكسل في تصفح الاخبار والاخذ بكلام مجهول والاعتماد على خبر غير منقول

« تتميم » قد ذكرنا ان الدراهم المشهورة المنقولة هي الدراهم الثلاثة البغلي والشرعي والطبري وذكرنا ان مورد الاحكام الشرعية منها هو الشرعي الذي وزنه ستة دوانيق وهو المدار عليه في باب زكوة الفضة وغيره المضبوط بالقراريط والطساسيج فكل ما وقعت من الدراهم المختلفة المغايرة له وزناً بحسب الازمنة يقاس عليه بالحساب فاول نصاب زكوة الفضة مثلا مائتان من تلك الدراهم التي واحدها ستة دوانيق وزكاتها خمسة منها قدر ربع عشرها الذي عبارة عن ثلاثين دانقاً فاذا فرض وزن الدرهم في زمان خمسة دوانيق مثلاً فاول مراتب الزكوة يصير بهذا الحساب ستة منها اذ لا يبلغ ثلاثين دانقاً الا ستة منها واذا فرض في زمان اربعة دوانيق وسبعا دانق مثلا يصير اول مراتب الزكوة حينئذ سبعة منها وهو ظاهر مما قلنا وعلى هذا القياس وكأنه قد كانت الدراهم في بعض الازمنة السابقة على هذين القدر بن اللذين ذكرناها تمثيلا يستفاد مما روى الشيخ الجليل رحمه الله في الكافي في باب العلة في وضع الزكوة على ماوضع عن حبيب الخثعمي قال كتب ابو جعفر المنصور الى محمد ابن خالد وكان عامله على المدينة ان يسأل اهل المدينة عن الخمسة في الزكوة من المائتين كيف صارت وزن سبعة ولم يكن هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وامره ان يسأل فيمن يسأل عبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد عليهما السلام قال فسأل اهل المدينة فقالوا ادركنا من كان قبلنا على هذا فبعث الى ابي عبد الله بن الحسن فقال كما قال المستفتون من

اهل المدينة قال : فقال ماتقول يا ابا عبدالله فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله جعل في كل اربعين اوقية اوقية فاذا حسبت ذلك كان عَلَى وزن سبعة وقد كان وزن ستة كانت الدراهم خمسة دوانيق قال حبيب : فحسبناه فوجدناه كما قال فاقبل عليه عبد الله بن الحسن فقال : من اين اخذت هذا قال : قرأت في كتاب امك فاطمة عليها السلام قال : ثم انصرفت فبعث اليه محمد بن خالد ابعث اليّ بكتاب فاطمة عليها السلام فارسل اليه ابو عبد الله عليه السلام اني انما اخبرتك اني قرأته ولم اخبرك انه عندي قال حبيب فجعل محمد بن خالد يقول لي ارأيت مثل ذلك قط الحديث

توضيحه ان السائل توهم ان المعتبر في الزكوة هو العدد لا الوزن لما رأى من كثرة اطلاق الدرهم على المسكوك من الفضة من حيث العدد كما مر وهذا توهم شائع نقله العلامة في منتهى المطلب واستدل عَلَى خلافه بقوله وحكى عن بعض اهل الظاهر اعتبار العدد وهو خطأ للاجماع ولما روى ابو سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيما دون خمس اواق من الوزن صدقة انتهى فبعثه هذا التوهم الى ان يفتش عن كيفية شيوع سبعة دراهم في زمانه لاول مراتب الزكوة مع انه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كان خمسة دراهم غافلاً لا عن ان المعتبر في الزكوة هو الوزن لا العدد وان دراهم زمانه مختلفة وزنا بالنسبة الى دراهم رسول الله صلى الله عليه وآله فاجابه ابو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام بان رسول الله صلى الله عليه وآله جعل في كل اربعين اوقية اوقية يعني ان المعتبر في الزكوة ربع العشر بحسب الوزن لا بحسب العدد وذكر الاوقية تنصيصاً على ذلك اذ هي صريحة في الوزن لايجري فيها توهم العدد فقال عليه السلام فاذا حسبت ذلك كان عَلَى وزن سبعة اي اذا اعتبرت ربع الشعر من حيث الوزن فيصير اول مراتب الزكوة وزن سبعة من دراهم هذا الزمان التي وزنها اربعة دوانيق وسبعا دانق ثم اوضح عليه السلام ذلك بتنظير له من الدراهم التي كانت قبل زمانه فقال : وقد كانت وزن ستة دراهم خمسة دوانيق يعني وعَلَى هذا الحساب يصير اول مراتب الزكوة وزن ستة دراهم منذ كانت الدراهم خمسة دوانيق بحسب الوزن فلا اعتبار بالعدد والمعتبر هو الوزن فعدد الدراهم عَلَى اي وزن كان يحسب ويقاس عَلَى ماجعل رسول الله صلى الله عليه وآله اصلا في ذلك اي الدراهم التي كان وزنها ستة دوانق فافهم

«تتميم» من الاوزان الشائعة في زماننا المرجعة للباقية هو المثقال الصيرفي الذي عليه

مدار المسكوكتين المحمدية والعباسية الرائجتين في هذه الايام بنسب اليه المحمدية بخمسة دوانيق والعباسية التي ضعفها بمثله وثلثي مثله وعليه ايضاً مدار المنين التبريزي والشاهي المشهور بن بين الانام يكون التبريزي في زماننا ستمائة منه والشاهي الذي ضعفه الفا ومائتين وهذا المثقال مع انه في هذا الزمان مرجع المقادير المذكورة ومقياس الاوزان المشهورة لم يضبط بالشعيرة وامثالها ضبطاً مشاراً اليه ولم يحفظ حفظاً مداراً عليه فبعضهم كالعلامة رحمه الله كأنه ضبط بمائة وثلث شعيرة والفين وثمانمائة وخمسة وثمانين جزءاً من خمسة وخمسة آلاف اجزاء شعيرة يستفاد من ضبطه الصاع صريحاً بخمسمائة وستة وثلاثين مثقالا وربع مثقال بالصيرفي فالرطل العراقي الذي يكون عنده وعند الجمهور من الخاصة تسعاً من الصاع مضبوطاً حينئذ بتسعة وخمسين مثقالا ونصف مثقال وثلث وربع مثقال

ومعلوم مما مر ان الرطل العراقي عنده عبارة عن تسعين مثقالاً شرعياً ينتهي الى ستة آلاف ومائة واحدى وسبعين شعيرة وثلث سبع شعيرة فوجب ان تكون المثاقيل الصيرفية المذكورة التي بها ضبط الرطل عبارة عن تلك الشعيرات فبالنسبة مثقال واحد صيرفي يلزم ان يكون عنده مائة وثلث شعيرة والفين وثمانمائة وخمسة وثمانين جزءاً من خمسة وخمسة آلاف اجزاء شعيرة كما قررنا وبعضهم كالشيخ علي رحمه الله كأنه ضبطه بمائة واربع شعيرات وخمسمائة وخمسة وسبعين جزءاً من سبعمائة وسبعين جزءاً من شعيرة يستفاد من ضبطه الصاع والرطل صريحاً بمثل ماضبط به العلامة مع تصريحه بان الرطل عبارة عن احد وتسعين مثقالا شرعياً موافقاً الجمهور فينتهي الى ستة آلاف ومائتين واربعين شعيرة زائدة على عدد شعيرات رطل العلامة بثمانية وستين شعيرة واربعة اسباعها قدر مثقال واحد شرعي هو تفاوت مابين الرطلين فحينئذ وجب ان تكون المثاقيل الصيرفية التي بها ضبط الرطل عبارة عن هذه الشعيرات الزائدة على شعيرات رطل العلامة بما ذكرنا فبالنسبة مثقال واحد صيرفي يلزم ان يكون عنده عبارة عن مائة واربع شعيرات وخمسمائة وخمسة وسبعين جزءاً من سبعمائة وسبعين جزءاً من شعيرة كما قلنا ثم لايخفى ان الشيخ رحمه الله ان لم يقتف في ذلك اثر العلامة وضبط ماصح عنده فاتفاقهما صورة في قدر الصاع والرطل بالنسبة الى المثقال الصيرفي مع ذلك الاختلاف معنى من غرائب الاتفاقات واغرب من ذلك ان اقتفى اثره واعتمد على تصحيحه وظن نفسه متبعاً موافقاً له في ذلك وغفل عن تلك الدقيقة الموجبة للاختلاف وعدم الموافقة وبعضهم

من فضلاء العصر ضبطه صريحا بست وتسعين شعيرة و بعضهم ضبطه بخلاف هذه المذكورات مما يوجب نقله التطويل

وبالجملة لما رأيت هذه الاختلافات حاولت ان اضبطه بنظر دقيق وقصدت ان احفظه بتأمل حقيق فتحقق عندي بتصحيحات قويمة وتفتيشات مستقيمة ان المثقال الصيرفي المتعارف في زماننا عبارة عن اربع وثمانين شعيرة قدر درهم وثلاثة ارباع درهم بالشرعي ولا تظنني مخطئاً ايام ومصوبا رأيي ان بعض الظن اثم حاشا ان اكون اهلا لذلك ولكن اثبت ماثبت لدى شمة فكري القاصر وأديت ماوجب على ذمة ذهني الفاتر هذا مع انه يجوز ان يكون في زمن العلامة والشيخ علي رحمهما الله قدر المثقال الصيرفي زائداً على قدره في زماننا بمقدار التفاوت الواقع في الضبطين وكذا الكلام في التفاوت القليل الواقع بينهما رحمهما الله بحسب زمانيهما وامثال ذلك قد يكون متفاوتة في الازمنة والاعصار ويؤيد ما قلت التفاوت الواقع في المن التبريزي في الزمانين حيث ضبط الشيخ علي رحمه الله المن التبريزي بخمسمائة مثقال صيرفي واليوم ولاشك ستمائة منه ويمكن ان يكون هذا التفاوت الواقع في المن بعينه مناطاً للتفاوت في المثقال بحسب الزمانين اذ خمسمائة من المثقال الذي ضبطه الشيخ قريب جداً من ستمائة من مثقال زماننا حسبما ضبطناه وما يبقى من التفاوت قليل يمكن استناده الى الميزان او الشعير او التسامح او امثالها

«تتميم» اعلم ان انواع الاجسام كما كانت المتساوية فيها وزنا قد تخالفت حيزاً فرطل من الماء مثلا لايملأ نصف مكان رطل من الشعير كذلك المتساوية منها بحسب الحيز قد تكون مخالفة بحسب الوزن فوزن صاع من الشعير مثلا لايبلغ نصف وزن صاع من الماء وعلى هذا القياس سائر الاجسام حسبما اقتضت صورته النوعية من التخلخل والتكاثف والخفة والثقل وتحقيقه كما تقرر في موضعه ان نسبة وزن الخفيف الى وزن الثقيل يكون كنسبة مكان الثقيل الى مكان الخفيف بل قد يكون نوع واحد من الاجسام يختلف اشخاصه في ذلك بحسب الامكنة والعوارض المختلفة كما لايخفى فتقدير كل معين بوزن معين لايتصور الا بنوع من التخمين وضرب من التسامح فما قال العلامة رحمه الله في التحرير الوسق ستون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وآله اربعة امداد والمد رطلان وربع بالعراقي الى قوله وهذا التقدير تحقيق لاتقريب انتهى محل تأمل اذ تقدير المد عبارة عن كيل مخصوص بالرطل الذي هو وزن مخصوص لايمكن بدون تقريب الا ان

يحمل على انه لما كانت هذه التقادير مستندة الى الشارع فتكون بمنزلة التحقيق والا فمعلوم ان المد من الماء المعتبر في الوضوء لايوافق المد من اجناس اخر كالحنطة والشعير وامثالها المعتبر في الكفارات بحسب الوزن حتى يقدرا بشيء واحد تحقيقاً فكأنه اراد الشارع توسعة وجعل ذلك الكيل المخصوص والوزن المخصوص في تلك الاحكام بمنزلة الواجبات التخييرية بايهما اخذ المكلف بري ذمته وان اختلفا فاحشا واليه ناظر ظاهر قول بعض الفقهاء [1] في قدر زكوة الفطر هي بالكيل صاع وبالوزن الف ومائة وسبعون درهماً انتهى . فاشكاله بعد ذلك في صورة بلوغه كيلا لاوزنا او بالعكس لخفة او الثقل كأنه مبني على الاحتياط هذا مع ان الروايات في التقدير مختلفة لاتأبى الجمع بينها بحمل كل منها على جنس مناسب لكن لم ينقل من الفقهاء هذه الطريقة بل جمعوها من جهات أخر او طرحوا بعضها لضعف السند وغيره على حسب اقتضاء قواعد الاصول حتى انتهى الى الاختلافات بينهم متفرعاً على اختلافات اصولهم فاتخذ كل مذهب كما نقلنا عنهم في التفصيلات

«تتميم» المقادير الموزونة والمكيلة التي قدمناها منقسمة على قسمين قسم معتبر بخصوصه في الشرع مذكور في الاحاديث دائر على السنة الفقهاء وقسم ليس كذلك بل متداول بين الحسابين [2] وعامة الناس والقسم الاول ايضاً على قسمين قسم معتبر عدده على سبيل الاصالة وكونه متعلقا للاحكام [3] وقسم [4] ليس كذلك بل مذكور على سبيل التبعية وكونه مقياساً لشيء آخر ومحدداً له فبالحقيقة ينتهي الى ثلاثة اقسام . ولما كان القسم الاول منها اي المعتبر في الشرع اصالة مما اشتدت حاجة المكلفين اليه من حيث ابتناء فتاوى فقهائنا رضوان الله عليهم حاولنا تسهيلاً عليهم تقويم ضابطة لبيان تلك المقادير خاصة متضمنة لكيفية نسبتها واحدا واحداً من الاوزان المعروفة في زماننا اعني المن التبريزي والمثقال الصيرفي والشعيرة واجزاءها على ماوصفناها قبل فوضعنا جدولاً واثبتنا فيه المقادير المعتبرة المذكورة وبينا ان كلا منها كم يكون من المن ثم مانقص عنه من المثقال ثم ما كسر عنه من الشعيرة وعلى هذا القياس . وعلمنا ما كان مجاوزاً عن بعض بعلامة البياض . وما كان مطفراً وغير بالغ الى البعض بعلامة الصفر ايضاحاً للمقصود

(١) هو الشيخ بهاء الملة والدين في رسالته الزكوية للاثنى عشرية (٢) كالاوافي والاستار وامثالها (٣) كالدرهم والدينار وامثالها (٤) كالرطل والاوقية وامثالها (منه)

وهذا هو الجدول

		المن التبريزي	المثقال الصيرفي	الشعيرة	الخردل	الفلس	الفتيل	النقير	القطمير	الذرة	الهباء
الدرهم المعتبر في زكوة الفضة وغيرها بالاتفاق		٠	٠	٤٨							
الدينار المعتبر في زكوة الذهب وغيرها بالاتفاق		٠	٠	٦٨	٣	٥	٠	٥	١	١	٥
الكر المعتبر في باب الطهارة	على مذهب ابن بابويه	٢٣٣	٥١٤	٢٤							
	على مذهب الشيخين	١٤٨	٣٤٢	٧٢							
	على مذهب العلامة	١٤٦	٥٦٣	٥٣							
المد المعتبر في بعض الكفارات وغيرها	على احد احتمالي مذهب البزنطي	٠	٩٢	٧٢							
	على احد احتمالي مذهبه	٠	٩١	٧	١	٨	٣	٣	٤	٦	٦
	على مذهب العلامة	٠	١٦٥	٣٥	٤	٣	٢	٣	٣	٥	١
	على مذهب الجمهور	٠	١٦٧	١٢							
	على احد احتمالي مذهب البزنطي	٠	٣٧١	٣٦							
الصاع المعتبر في زكوة الفطرة وغيرها	على احد احتمالي مذهبه	٠	٣٤٤	٢٩	٠	١٠	١	٤	٢	٣	٣
	على مذهب العلامة	١	٦١	١٨	٥	١	٤	١	٥	٨	٤
	على مذهب الجمهور	١	٦٨	٤٨							
	على احد احتمالي مذهب البزنطي	٣٧	٨٥	٦٠							

الوسق العراقي في نصاب زكوة الغلات	المن التبريزي	المثقال الصيرفي	الحمصة	الخردل	الفلس	الفتيل	النقير	القطمير	الذرة	الهباء
على احد احتمالي مذهبه	٣٦	٢٤٠	٦٦	٣	٥	٠	٥	١	١	٥
على مذهب العلامة	٦٦	٧٣	٣٩	٢	٦	٥		٦	١٠	٢
على مذهب الجمهور	٦٦	١٥٤	٢٤							

« تتميم » يظهر مما مر من التفصيلات ان الاختلافات الواقعة بين فقهائنا رضوان الله عليهم في قدر المد والصاع والوسق كلها مبنية على خلافين احدهما في قدر الرطل العراقي هل هو تسعون مثقالا او احد وتسعون مثقالا وهذا الخلاف قائم بين العلامة والجمهور وثانيهما في قدر المد هل رطل وربع او رطلان وربع بالعراقي وهذا الخلاف قائم بين ابي نصر البزنطي وغيره من الفقهاء وهم يسندون الى قوله الضعف والشذوذ قال العلامة في التحرير وقول ابن ابي نصر المد رطل وربع تعويل على رواية ضعيفة انتهى وقال الشهيد في البيان وشذ قول البزنطي ان المد رطل وربع فكون المد رطلين وربعا بالعراقي هو رطل ونصف بالمدني مجملا مع قطع النظر عن الاختلاف الواقع كالمجمع عليه بين فقهائنا والروايات متضافرة على هذا المعنى دالة اكثرها ايضا على ماذهب اليه الجمهور في قدر الرطل روى الصدوق رحمه الله فيما لا يحضره الفقيه في باب الزكوة عن الكوفي وليس على الحنطة والشعير شيء حتى يبلغ خمسة اوساق [1] والصاع اربعة امداد والمد وزن مائتين واثنين وتسعين درهما ونصف وروى الشيخ رحمه الله في الاستبصار في باب ماهية زكوة الفطر عن ابراهيم ابن محمد الهمداني اختلفت الروايات في الفطرة فكتبت الى ابي الحسن صاحب العسكر عليه السلام اسأله عن ذلك فكتب ان الفطرة صاع من قوت بلدك الخ وفي آخر الحديث ترفعه وزنا ستة ارطال برطل المدينة والرطل مائة

(١) هنا سقط في الاصل

وخمسة وتسعون درهماً ويكون الفطرة الف ومائة وسبعين درهماً الحديث وفي باب مقدار الصاع فيه عن جعفر بن ابراهيم بن محمد الهمداني قال كتبت الى ابي الحسن عليه السلام على يدي ابي جعلت فداك ان اصحابنا اختلفوا في الصاع بعضهم يقول الفطرة بصاع المدني وبعضهم يقول بصاع العراقي فقال كتبت الى الصاع ستة ارطال بالمدني وتسعة ارطال بالعراقي قال واخبرني انه يكون بالوزن الف ومائة وسبعون(١) وزنة وعن علي بن بلال في هذا الباب قال كتبت الى الرجل اسأله عن الفطرة وكم يدفع قال فكتبت ستة ارطال من تمر بالمدني وذلك تسعة ارطال بالبغدادي وفي باب مقدار الماء الذي يجري في غسل الجنابة والوضوء عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضأ بمد ويغتسل بصاع والمد رطل ونصف والصاع ستة ارطال واما ماروي في هذا الباب من روايتين ظاهرهما خلاف ماظهر من هذه الروايات فقد ذكر الشيخ رحمه الله هنالك وجه التوفيق فيهما فالاولى عن سليمان بن حفص المروزي قال قال ابو الحسن عليه السلام الغسل بصاع من ماء وصاع النبي صلى الله عليه وآله خمسة امداد والمد مائتان وثمانون درهماً والدرهم ستة دوانيق والدانق وزن ست حبات والحبة وزن حبة شعير من اوساط الحب لا من صغاره ولا من كباره والثانية عن سماعه قال : سألته عن الذي يجزى من الماء للغسل فقال اغتسل رسول الله صلى الله عليه وآله بصاع وتوضأ بمد وكان الصاع على عهده خمسة امداد وكان المد قدر رطل وثلاث اواق الحديث فقال الشيخ رحمه الله في وجه التوفيق قوله في هذا الخبر الصاع خمسة امداد وتفسير المد برطل وثلاث اواق مطابق الخبر الذي رواه زرارة لانه فسر برطل ونصف فالصاع يكون ستة ارطال وذلك مطابق لهذا القدر فاما تفسير سليمان المروزي المد بمائتين وثمانين درهماً فمطابق للخبرين لانه يكون مقداره ستة ارطال بالمدني ويكون قوله خمسة امداد وهماً من الراوي لان المشهور من هذه الرواية اربعة امداد ويجوز ان يكون ذلك اخباراً عما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله اذا شارك في الاغتسال بعض ازواجه يدل على ذلك مارواه محمد بن مسلم عن احدهما قال سألته عن وقت غسل الجنابة كم يجزى من الماء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغتسل بخمسة امداد بينه وبين صاحبته ويغتسلان جميعاً من اناء واحد انتهى فتوضيح توفيق الرواية الاولى على ماذكره رحمه الله انه حمل في هذه الرواية الصاع خمسة امداد على وهم الراوي لان المشهور منها اربعة بدل خمسة فاذا كان الخمسة

(١) اعني الدرهم الشرعي (منه)

وهماً والصواب اربعة امداد حال كون المد مائتين وثمانين درهما فيوافق الصاع اسي اربعة امثاله مع ستة ارطال فلا يبقى منافاة اوعلى ان يكون خمسة امداد اخبارا عما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله وقت مشاركته بعض ازواجه في قدر ماء الاغتسال فيستقيم ايضا ولا منافاة بين هذه الصورة وبين ان يكون اربعة امداد في صورة الانفراد وفيه تأمل لان كون المد مائتين وثمانين درهما خلاف الظاهر والمشهور واتفاق الجمهور ويلزم حينئذ ان يكون الصاع الفا ومائتين وعشرين درهما وهو خلاف ماظهر من الروايات المقبولة عنده الدالة على انه الف ومائة وسبعون درهما ومع هذا لاقائل به فكيف التوفيق وايضا حمل خمسة امداد على صورة المشاركة بعيد في هذا الحديث جدا اذا لم يقع فيه الاخبار عن ماء الغسل حتى يمكن الحمل على تلك الصورة بل وقع الاخبار عن قدر الصاع ثم ان في هذه الرواية ان الدانق وزن ست حبات والحبة وزن حبة شعير وهذا ايضا بحسب الظاهر خلاف ما اتفق عليه من ان الدانق من الدرهم عبارة عن وزن ثماني شعيرات وان المراد بالحبة والشعير واحد ويلزم على هذا ان يبلغ دانق الدرهم اثني عشرة شعيرة فالدرهم يصير اثنين وسبعين منها الا ثمانية واربعين كما هو المتفق عليه وان حملنا قول الشيخ في التوفيق على ان المد وزن مائتين وثمانين من هذه الدراهم التي واحدها عبارة عن اثنين وسبعين شعيرة بوساطة تلك الاصطلاحات وان كان بعضها غير مشهور فلا يستقيم ايضا اذ يوجب ان يكون الصاع حينئذ ثمانين الفا وستمائة واربعين شعيرة يبلغ الفا وستمائة وثمانين درهما من الدراهم المشهورة ولاقائل به فظهر ان هذه الرواية مشكلة جداً لاتستقيم الا بتكلف بعيد والعلم عند الله واهله واما توضيح توفيق الرواية الثانية على ماذكره رحمه الله انه ابقى خمسة امداد في هذه الرواية على حاله لتجبر هذه الزيادة في عدد المد نقصان تفسيره برطل وثلاث اواق فقصده ان المد الذي صاع النبي صلى الله عليه وآله خمسة مد، غير المد الذي كان منه اربعة لان هذا المد كما فسر عبارة عن رطل وثلاث اواق وخمسة منه يعني خمسة ارطال وخمس عشرة اوقية ينطبق على اربعة امداد بالمعنى المشهور يعني ستة ارطال مدنية وفيه ايضا تأمل لانه على تقدير ان يكون المد على هذا المعنى لايستقيم ايضا اذ توجب ان يكون خمس عشرة اوقية عبارة عن رطل واحد مدني حتى بعد ضمه الى خمسة ارطال بلغت ستة ارطال ولا شيء من الاوقيتين الجديدة والقديمة موافقاً لهذا القدر اذ الجديدة على ماينا اما عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم يبلغ سبعة مثاقيل ونصفا لخمس عشرة منها

مائة واثني عشر مثقالا ونصف مثقال واما عشرة دراهم يبلغ سبعة مثاقيل بخمس عشرة منها مائة وخمسة مثاقيل واما اثنا عشر درهما يبلغ ثمانية مثاقيل وخمس مثقال بخمس عشرة منها مائة وستة وعشرون مثقالاً وظاهر ان لايبلغ شيء من هذه الثلاثة حد الرطل المدني والقديمة اربعون درهما وخمس منها يزيد على الرطل فضلاً عن خمس عشرة ولم ينقل تفسير الاوقية بغير هذه المعاني هذا وان امكن حمل خمسة امداد في هذه الرواية على وهم الراوي مستظهراً بالشهرة والاتفاق والروايات الصحيحة كما جوز الشيخ رحمه الله في رواية سليمان ولايبعد ان يحمل الرطل هنا على المكي دون المدني والاوقية على الجديدة بالمعنى الاول فيستقيم بلا تكلف في معنى المد والصاع ايضاً اذ الرطل المكي كان عبارة عن رطلين عراقيين وثلث اواق بهذا المعنى يبلغ ربع رطل عراقي على تفسير العلامة فيصير كلاهما رطلين وربعا بالعراقي وهو رطل ونصف بالمدني فاربعة امثاله يبلغ ستة ارطال مدنية كما هو المستفاد من الروايات المطابقة مع ماذكرنا انه كالمجمع عليه بين الفقهاء ويمكن ان يحمل الرطل على العراقي ايضاً ويؤيد بمذهب البزنطي ولايمكن ان يحمل الاوقية على القديمة اصلا اذ اذا حمل الرطل حينئذ على العراقي ينقص عن المد او يزيد عليه بالنسبة الى المذاهب واذا حمل على المد او المكي يزيد عليه على جميع المذاهب فلا يصير مطابقاً لشيء منها فليس قول صاحب الصحاح في تفسيرها الاوقية في الحديث اربعون درهماً وكذلك فيما مضى انتهى على عمومه فتأمل

« تنبيه » قد عرفت مما تقدم في التفصيلات ان الكر المعتبر في باب الطهارة المعروف بماء مقدر شرعاً لاينفعل بالنجاسة مالم تغيره مقدر بتقديرين بالوزن وبالمساحة على مافصلنا كلاً في موضعه ففيه احتمالان اما ان يكون الوزن اصلا فيه وتكون المساحة طريقاً الى استعلامه لتعسر الوزن في اكثر الحالات واما ان يكون بعكس ذلك بان تكون المساحة اصلا فيه ويكون الوزن طريقاً الى استعلامه حال تعسر المساحة لعدم وقوعه على شكل بركاري كالغدران والاحباب (١) وامثالهما واما ان يكون كل منهما اصلا مستقلا يجوز استعمال ما اراد المكلف منهما بدون تعسر الآخر وان كان بينهما تفاوتا كثيراً كالواجبات التخييرية فظاهر كلام الشيخ ابي جعفر الطوسي رحمه الله هو الاول قال في الاستبصار في باب كمية الكر في ذيل ذكر رواية الوزن بعد ذكر الروايات التي في المساحة فلا ينافي هذا الخبر ماتقدم من الاخبار لانا كنا ذكرنا في كتابنا تهذيب

(١) جمع حب

الاحكام ان العمل على هذا الخبر على مانصره الشيخ رحمه الله وحملنا ماورد من التحديد بالاشبار على ان يكون مطابقاً لذلك بان يكون مقدارها المقدار الذي يطابقها فكأنه جعل لنا طريقان احدها ان نعتبر الارطال اذا كان لنا طريق اليه واذا لم يكن طريق الى ذلك اعتبرنا الاشبار لان ذلك لايتعذر على حال من احوال انتهى . وكذلك ظاهر من عرف الكر بالف ومائتي رطل وظاهر العلامة والشهيد ومن تبعهما رحمهما الله هو الثاني حيث فرعوا اختيار العراقي في الارطال دون المدني على مناسبة لما اسسوه من المساحة وكذا ظاهر من عرف الكر بانه ماولغ تكسيره باشبار مستوى الخلقة اثنين واربعين وسبعة اثمان وظاهر ابن بابويه رحمه الله هو الثالث لاختياره من اقوال المساحة مالا يناسب ماذهب اليه بحسب الوزن لان البعد وعدم المناسبة بين تقديريه يأبى عن ان يكون احدها لاستعلام الآخر فيكون كل منهما اصلا مستقلا مأخوذا من رواية معتمد عليها لايضره عدم مناسبة الآخر له وامثال ذلك كثيرة في الشرع تمانيل (١) والعجب من ابن بابويه كيف لم يعتبر العراقي واعتبر المدني مع ان الكر عنده قريب من نصفه عند من اعتبر العراقي انتهى فيه تأمل ثم ان العلامة رحمه الله في المختلف وافق ابن بابويه رحمه الله في المساحة والشهيد رحمه الله في الذكرى وافق الجمهور فيه ومع هذا اختار كل منهما في الوزن الارطال العراقية لادعائه ان تلك الارطال هو المناسب لما اختاره من المساحة دون الارطال المدنية قيل (٢) وقد يظن ان بين الكلامين تصادما فان الارطال العراقية ان ناسبت مذهب ابن بابويه كما قال العلامة بعدت عن مناسبة مذهب الجمهور بل تكون الارطال المدنية انسب منها اذ التفاوت بين المذهبين في قدر المساحة قريب من التفاوت بينهما في الوزن والتفصي عن هذا التصادم غير خفي انتهى . واشار الى وجه التفصي في الحاشية بقوله بان يقال مراد الشهيد رحمه الله ان اعتبار الرطل العراقي يناسب التقدير بالاشبار على كل من الروايتين بخلاف الرطل المدني فانه شديد البعد عما يقتضيه رواية القميين وفيه ايضاً تأمل اذ على تقدير اعتبار المناسبة لاشك ان الارطال العراقية انسب من الارطال المدنية الى ما اختار ابن بابويه في المساحة ولكن دعوى كونها انسب من المدنية بالنسبة الى المذهب المشهور في المساحة ايضاً لايكاد يتم بل المدنية انسب منها بكثير وتوضيحه ان ما يملأ من الماء قدر شبر من المكان كما

(١) القائل شيخنا بهاء الملة والدين رحمه الله في رسالته الكرية (٢) القائل البهائي في رسالته الكرية (منه)

صح عندنا بتخمين دقيق قريب من التحقيق هو اربعة امنان تبريزية وثلاثمائة وستة وخمسون مثقالاً صيرفياً تبلغ قدر سبعة وعشرين شبراً هو مذهب ابن بابويه في الكر مائة واربعة وعشرين مناً واثنا عشر مثقالا ولاشك ان الارطال العراقية انسب به من المدنية بكثير يظهر من الرجوع الى الجدول ويبلغ قدر اثنين واربعين شبرا وسبعة اثمان شبرهو مذهب الجمهور مائة وستة وتسعين مناً وخمسمائة وثلاثة وستين مثقالا ونصف مثقال وظاهر ان الارطال المدنية التي عبارة عن مائتين واثنين وعشرين مناً واربعة عشر مثقالا وسبعي مثقال كما مر في الجدول اقرب الى هذا القدر من الارطال العراقية التي قدرها عند الشهيد رحمه الله مائة وثمانية واربعون مناً وثلاثمائة واثنان واربعون مثقالا وستة اسباع مثقال كما مر ايضاً اذ تفاوت الارطال المدنية منه لايبلغ الى ستة وعشرين مناً وتفاوت الارطال العراقية يزيد على ثمانية واربعين مناً فاين هو من هذا ولا يبلغ التفاوت الذي قد يكون في اشخاص المياه المتحدة في المكان بحسب الوزن الى حد يستر ذلك كما تشهد به التجربة ولئن اغمضنا عن ذلك ايضاً فلا شك ان المناسب لمن جعل الاصل في التقدير المساحة وجعل الوزن طريقا الى استعلام بلوغه ذلك القدر كما فيما نحن فيه ان يكون ما اختاره من الوزن زائدا عليه لا ناقصاً عن باب المقدمة وتحقق كونه غالبا القدر الشرعي يقيناً وزيادة الارطال المدنية على القدر المشهور في المساحة متيقنة عنده ايضاً دون الارطال العراقية اذ مع الاغماض عن تيقن نقصانها عنه بازيد من زيادة المدنية عليه فلا مجال البتة لدعوى تيقن زيادتها عليه المصححة لكونها مستلزمة للبلوغ الى الحد المذكور والعلم عند الله واهله

«تتميم» ينبغي للمكلف المقيد بالشرع المهتم لتحصيل براءة الذمة ان يكون طريقته التمسك بالاحتياط والعمل على وجه يكون به مخرجاً عن عهدة الخلاف في جميع ماذكرنا من المسائل الخلافية فيختار في قدر المد والصاع المعتبرين في الكفارات وزكوة الفطر وامثالها مذهب الجمهور الذي قدروا المد بما يبلغ مائة وسبعة وستين مثقالا صيرفياً واثني عشرة شعيرة والصاع بما يبلغ مناً تبريزياً وثمانية وستين مثقالا وثماني واربعين شعيرة اذ هذا التقدير لها اكثر من جميع التقادير الباقية كما مر والاحوط هنا هو الاكثر ويختار في قدر الوسق المعتبر في تحقق نصاب الغلات ثاني احتمالي مذهب البزنطي اعني ستة وثلاثين مناً تبريزياً مع كسوره المثبتة في الجدول حتى يكون خمسة اوساق هو قدر النصاب عبارة عن مائة واثنين وثمانين مناً وكسر اذ هذا التقدير في النصاب

اقل من سائر التقديرات والاحوط هنا هو الاقل وعلى هذا القياس في قدر الكر ومثاله حسب ما اقتضاه سلوك طريقة الاحتياط . ولا شك انه اصوب خصوصاً في زماننا الذي فيه الآراء متخالفة والحق محجوب والقائم بالحق مستور

اللهم ارزقنا توفيق ادراك ملازمته . وتحقيق ماهو الحق من خدمته . والخروج عن عهدة ماهو الصواب من التكاليف بفراغ البال . والخلاص عما يوجب تفويت الوقت . وتضييع العمر من القيل والقال . هذا آخر ما اردنا ايراده في هذه الرسالة . وقصدنا الاختتام به في تلك المقالة والله الموفق والمعين

السوريون في اميركا

لا يصح اطلاق اسم المهاجرين على السوريين الذين سافروا من بلادهم الى اميركا لكونهم لم يهاجروا ديارهم كما هو المفهوم من معنى المهاجرة وانما يصح اطلاق اسم المسافرين عليهم لانهم سافروا الى اميركا للتجارة لا للاقامة او لمغادرة اوطانهم بتاتاً او لجعل اميركا وطناً جديداً لهم أبداً

وجعلهم طريق اميركا طريقهم المطروق ذهاباً واياباً مما يثبت هذا . وسل ايًا كان من السوريين في اميركا الشمالية والجنوبية هل هجرت سورية . يقل كلاَّ ما هجرتها وانما غادرتها الى حين — نزحت عنها طلباً للاكتساب والاتجار ومتى نجحت ووصلت الى غرضي عدت الى وطني

واما اولئك الذين اشتروا الدور والاملاك في اميركا فلم يشتروها لكي يقيموا في اميركا وانما اشتروها ليتجروا بها ويكسبوا ويثروا فالاتجار في الاراضي والعقار كثيراً مايفيض على صاحبه ينابيع اللجين والنضار . وسل ايًا كان من الملاكين السوريين في اميركا الا تريد ان ترجع الى ارض آبائك واجدادك اذا تمكنت من بيع املاكك بالربح يقل بلى أريد من قلبي ولكن دور العودة لم يأن بعد . وما يقوله الملاكون بهذا الباب يقوله التجار والعمال والاطباء والصحافيون السوريون في اميركا

وحجتهم على ذلك هي هذه الامور (١) قلة العدل في الوطن (٢) عدم المساواة (٣) شدة التضييق والضغط (٤) عدم وجود الأمن في اراضي سورية المهجورة وغير

المهجورة (٥) عدم وجود المعامل المهمة وقلة ابواب الرزق (٦) كثرة التثبيط وقلة التنشيط (٧) كثرة القول وقلة العمل (٨) الابطاء الطويل والمماطلة في المعاملات

هذه هي حججهم الرئيسة وحقهم ان يحتجوا بها . فاذا كانوا قاسوا مشاق الاخطار والاسفار حتى وصلوا الى ديار اتسعت ابواب رزقها وكسبها وكثر عدلها وساد أمنها وعمت مساواتها وحريتها وسبق عملها قولها وكثر تنشيطها وقل تثبيطها — اذا كانت هذه حالة البلاد التي وطئتها اقدام السوريين فحريٌّ بعقلائهم ان يغتنموا فرصة الانتفاع منها والعاقل العاقل من وجد الفرص فانتهزها والجاهل الجاهل من اظفرته بنفسها ولم يغتنمها

السوريون المتخلفون منقسمون الى اربع طوائف في هذا الموضوع . طائفة راضية عن سوريي اميركا . وطائفة غير مبالية بهم . وطائفة غير راضية عنهم وهي غير مخلصة؛ وطائفة غير راضية الا انها مخلصة

اما الاولى فهي عامة الشعب السوري وهي الاكثر عدداً واما الثانية فهي التي لايهمها عمرت البلاد او خربت واما الثالثة فهي التي يليق بها ان تسمى بالطائفة «المتعنتة» لانه لايرضيها شيءٌ فهي ابداً تتذمر وتتأفف وتفاخر وتباهي باقدارها وتستصغر أقدار سواها كأنها خلقت من طينة سماوية وغيرها خلق من طينة ارضية

واما الرابعة فهي الطائفة المخلصة الغيورة على وطنها وهي القائلة بضرر «سفر» المهاجرين الى اميركا بعرفي او بضرر «مهاجرتهم» بعرفها، وعرف غيرها

والطائفة القائلة بفائدته هي عامة الامة السورية فأيتهما احق بقولها ودعواها اتلك ام هذه ؟

لاجرم ان دعوى الطائفة الراضية هي الاظهر والاحق واليك البراهين

غادر اكثر السوريين نزلاء اميركا اليوم القطر السوري جاهلين القراءة والكتابة فصاروا في اميركا يقرأون ويكتبون

غادروها جاهلين كثيراً من آداب السلوك فصاروا في اميركا بآداب سلوكهم من الطبقة الاولى

غادروها جاهلين السياسة الوطنية والاجنبية فصاروا في اميركا من اهل الالمام بها وصاروا يفهمون معناها ومبناها ومغزاها ومرماها

غادروها عديمي المعارف العمومية تقريباً فصاروا في اميركا ملمين بكثير من تلك المعارف

غادروها جاهلين اساليب التجارة فصاروا في اميركا من اهل التجارة

غادروها جاهلين الصناعات العصرية فصاروا في اميركا عاملين بكثير منها

غادروها جامدين خاملين فصاروا في اميركا ناهضين

غادروها ونفوسهم صغيرة فصاروا في اميركا من اهل النفوس الكبيرة

غادروها اذلاَّء فصاروا في اميركا اعزاَّء

غادروها منقادين لاهل الاستبداد انقياداً أعمى فصاروا في اميركا متنورين ومن دعاة الاستقلال الشخصي

غادروها ولا صحافة لهم فصارت صحافتهم في اميركا من ارقى الصحافات العربية في العالم العربي

غادروها فقراء فصاروا في اميركا من اهل اليسار

غادروها ولا مقام لهم فصاروا في اميركا من اهل المقامات

غادروها ضعفاء الهمة والعزيمة فصاروا في اميركا من اهل العزائم والهمم

هذا بعض ما كانوا عليه في سورية وبعض ماصاروا اليه في اميركا اما ما ارسلوه من المال الى سورية فهو اكثر من عشرة ملايين دولار او مليوني ليرة انكليزية ومن كان مشككاً بذلك فعليه بمراجعة مصرف لندن والمصرف العثماني في بيروت على الاخص

منذ عامين سألت احد العمال في مصرف اوماها نبراسكا الاول وهو المستر نيسي الذي لا يزال حياً يرزق عن قيمة الدراهم التي ارسلها سوريو ولاية نبراسكا الى سورية على يده من ذلك المصرف فقال : ان ما ارسلوه في شهر واحد بلغ ستين الف دولار اميركي اي اثني عشر الف ليرة انكليزية . فاذا كان هذا ارسله فريق من سوريي ولاية نبراسكا في شهر واحد فكم هي قيمة المبالغ التي ارسلها ويرسلها غيرهم في غير ولايات ؟

وتلك المبالغ الكبيرة بادية لذي عينين في لبنان وغير ولاية من ولايات سورية لما كنت في سورية كنت ارى بأم عيني المبالغ التي كانت ترد على اهالي راشيا الوادي بقراها فكانت تلك المبالغ وحدها تختلف كل اسبوع بين الخمسمائة ليرة والالف ليرة حتى كثر المال في ذلك القضاء بين الايدي وكثر الاخذ والعطاء وصار ربا الليرة في الشهر عشر بلوات وعشرين بارة بعد ان كان قبل عهد السفر الى اميركا لا يزال عن قرشين وثلاثة قروش

والدور الجميلة التي يشاهدها الناس اليوم في الاقاليم والولايات والالوية والمديريات والاقضية التي لها علاقة بسوريي اميركا قد بنيت بمال هؤلاء . ولولا هذا المال لكانت بقيت بلدان وضياع كثيرة اقرب الى الخراب منه الى العمران ولولاه لما كانت قدرت الرعية على تأدية الاموال الاميرية لان البلاد السورية ولاسيما في العقد الاخير من القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين كانت بحاجة شديدة الى المال . فالاشغال في ذلك العهد المظلم امست في خبر كان . وكان الحكام والموظفون واهل السلطة والسيادة قد اغتصبوا البقية الباقية من مال الامة ولم يبقوا لها الا الموت ذلاً وفقراً وجوعاً وقهراً

واما دعوى القائلين بان ما ربحته سورية مالياً من طريق اميركا لا يوازي عشر معشار ماخسرته من شبانها ورجالها الذين ذهبوا فدية الغربة فأقول لهم انه من البديهي ان من يموت في سورية يموت في اميركا . فالموت موجود في هذه كما هو موجود في تلك خلا عنك انه اقل بطشاً في اميركا منه في سورية بدليل وفرة الوسائط الصحية في اميركا وقلتها في سورية والسوريون في اميركا محافظون على صحة اجسامهم اكثر بكثير من محافظتهم عليها في سورية

واما القول بان المال الذي فارق السوريون آباءهم وامهاتهم واقرباءهم من اجله لا يساوي لوعة ام على فرقة فلذة كبدها فهو قول اعده من تلك الاقوال العتيقة البالية التي كانت وما زالت من اسباب انحطاط الشرق والشرقيين

اجتماع الولد بأمه وابيه واهله دائماً حسن وجميل ولكن هذا الاجتماع لا يصيّر ذلك الولد رجلاً ولهذا ترى رجال الشرق الذين يصح ان يقال فيهم انهم رجال قلائل جداً بل لهذا السبب اصيب الشرق بقحط الرجال

الاميركي يربي ولده ويعلمه وحينما يبلغ رشده يقول له اذهب الى العالم وعاركه ودعه يعاركك واما الشرقي فلا يعلم ولده ولا يربيه تربية الاميركي ولا يعلمه تعليمه وانما يخاف عليه اذا فارق بيته ولو الى بضعة اميال وهو يعتقد بانه بعمله هذا يحبه ويغار على مصلحته وخير مستقبله وان هذا هو اهم ما يطلب منه ولكن قد فاته ان على هذا الخوف « وعدم هذا الخوف » يتوقف سقوط امم وارتفاع امم واذا لم ينتفع سوريو اميركا غير هذا من اميركا فيكفيهم لانهم على هذا المبدإ يستطيعون ان يشيدوا بناء امة عالية

واما الذاهبون الى ان بقاعاً جمة من بقاع سورية قد خربت بسبب « مهاجرة »

سوريي اميركا وانهم لو ظلوا في بلادهم يتعهدون زرعها وضرعها وتعميرها لكانت درّت عليهم وعلى سورية انهار الثروة وكانت هذه الثروة اكبر بكثير من ثروتهم التي حصلوها في اميركا ولكانت تلك البقاع زاهية بالحضارة زاهرة بالعمران فهو مذهب فاسد من وجوه جمة

هو مذهب فاسد لان الطور الذي زايلوا فيه وطنهم كان طور الخراب . فكانت سماؤه وأرضه خراباً في خراب وجهاته الاربع خراباً بخراب ولم يستطع في ايامه سوريو اميركا وغير سوريي اميركا ان يثروا ولا ان يعيشوا على الاقل عيشة خالية من ضغط الظالمين وجورهم وتعدي الحاكمين واستبدادهم ولا ان ينبسوا بكلمة في الاصلاح والعمران

اما كان الفلاح يهجر ارضه ويقطع غرسه ويهمل ضرعه تخلصاً من الظلم؟ اما كان يترك داره تنعي من بناها كرهاً لاطوعاً لان صبره قد عيل في تلك الايام السوداء ولم يبق في وسعه ان يحتمل فوق ما احتمل بصعوبة لايستطيع بشري ولا وحش بري ان يطيقهما . لماذا هجرتم اوطانكم وخلانكم واخدانكم واخوانكم واعز الناس لديكم واحبهم اليكم يا ايها الاحرار؟ اهو لكونكم لم تقدروا على إطاقة ما لا يطاق ام لا؟ كنا نتوقع ان تكونوا عادلين في كتاباتكم عنا في ارض غربتنا . كنا ننتظر إنصافاً لا اجحافاً ولكن شئتم ولمشيئتكم احكام ان يحتقرونا ويرمونا بالعيوب والعورات حتى الذين كنا نعلق على فضلهم ومروءتهم وغيرتهم كبار الآمال بل قضت الاقدار ان يظلمنا حتى حماة العدل وكماة الفضل الا ان الايام بيننا وبينهم ولكل عصر احكام

والخلاصة ان سوريي اميركا لم يخربوا وانما عمروا ودواعي الخراب المشهور في سورية عائدة الى تلك الحكومة المشهور امرها وان صح ان الذنب كله او جله راجع على سوريي اميركا فلماذا فررتم انتم من وجه الحكومة الجائرة قبل سوريي اميركا او بعدهم ولم تبقوا في سورية لتصلحوا ما افسده سواكم او لتعمروا لا لتساعدوا على ازدياد الخراب

اشاع والي بيروت وكثيرون غيره اشاعات عن سوريي اميركا لم نسمع بها الا منه ومنهم ولعل الغيرة على مصلحة الدولة دعتهم الى تلك الاشاعات . فاذا افترضنا وجود افتقار بعض السوريين في اميركا الى القوت الضروري فانه من المؤكد والمحقق وجود كثيرين من السوريين الغير (بضم النين والياء) الذين يعنون بذلك البعض

ويطعمونه ويسدون حاجاته وان فرضنا ان السوريين لم يكترثوا بأخيهم الجائع فحكومات هذه البلاد المرحومة الشفوقة تعنى به وان فرضنا انها لاتعنى به فهناك جمعيات في كل ناحية من نواحي هذه الديار غرضها الاعتناء بالفقراء والمعوزين على انني لم اسمع ولم يسمع غيري ان سوريا مات جوعاً من اول عهد السفر حتى يومنا هذا وكيف يموت السوري جوعاً وقلما فرغ كيسه من المال مهما تكن حالته وحرفته في ارض غربته . واما القول بان هذه الاشاعات هي نتيجة تقارير معتمدي الدولة العثمانية في اميركا فاننا لاندري كيف ان هؤلاء المعتمدين يمثون بتلك التقارير وهم لا يعرفون عن سوريي اميركا من حيث مجموعهم شيئاً تقريباً ولا يعرف السوريون عنهم سوى وجودهم في اميركا

انا اكتب عن السوريين لا عن سواهم من العثمانيين في اميركا واذا كان هنالك جمهور من مهاجري اتراك سلانيك وازمير وسواهما لم يفهموا كيفية التماس الرزق في اميركا من ابوابه وكان معتمدو الدوله في اميركا يعنون باخوانهم الاتراك المهاجرين (؟) لانهم اتراك ويهملون سواهم لانهم غير اتراك ويرسلون في احوالهم التقارير حباً بمصلحتهم وغيرة عليهم — فليس المعنى ان السوريين العرب في اميركا صاروا اتراكاً حتى يصح عليهم ما اذاعه عنهم والي بيروت اعتماداً على ما ارسله معتمدو الدولة في اميركا بهذا الباب

اميركا : يوسف جرجس زخم

مقابر (١) المصريين وجنائزهم

في المقابر المنفية

ابتدأت المقابر بلحود تحت الثرى تدفن فيها الاموات بعد درجها في لفائف الاكفان اما مباشرة في جوف الارض او في جرار كبيرة من الخزف ويظن انه سرى لهم ذلك اقتداء بقايين حين قتل اخاه هابيل وعجز عن مواراة سوأته فبعث الله غرابا اريه كيف يواري سوأة اخيه ففعلوا مثله

(١) محاضرة القاها احمد بك كمال العالم الاثري المصري في اواخر ذي الحجة سنة ١٣٢٨ في نادي المدارس العليا

واقدم الجثث ما وجد منها مقرفصاً على الهيئة التي خلقت بها في احشاء الامهات سوى الرأس فانه يبقى منتصباً لامنطوياً بين الرجلين وقد وجد منها العدد الكثير في وادي القطار بجوار القبيح من الجهة القبلية الشرقية وفي جهة أبي صير التابعة لمديرية الفيوم وفي نقاده والكوامل وأم الجعاب وجبل السلسلة

ثم استعمرت اللحود لدفن الفقراء على تمادي الزمن وكان للوميات في بادىء الامر ثلاثة أحوال

الحالة الاولى — يكون هيكل الموميه مجتمعاً تترسى فيه الركب منضمة الى الصدر وموضوعة فوق الوجه وتلحد في القبر على جنبها الايسر متجهة نحو الجهة القبلية

الحالة الثانية — يجمعون عظام الميت بعد تجريدها عن اللحم ويفصلون الرأس عن العنق لتحنيط الرأس وحفظه سليماً وذلك في بعض الوميات

الحالة الثالثة — حرق بعض شيء من الجثة أو حرقها كلها مع بعض من الاثاث الذي يتهيأ لوضعه في القبر معها ثم يؤخذ رماد ذلك المحروق و يوضع في قدر

وقد خالف الفقراء في صناعة اللحود اولو الثروة والاعيان فاتخذوا مقابرهم منحوتة في صميم الجبال وعلى الاخص في جبل لوبيه كالمقابر التي تراهـا الآن بجوار الاهرام في مديرية الجيزة فانها آبار تبتدىء فوق صخر الجبل ثم بعد عمق يختلف بعداً وطولا حسبما يشاؤون تنتهي بمنامة مستطيلة يوضع فيها تابوت الميت فهي بهذه الصفة لاتختلف عن مقابرنا الآن الا بعمق الآبار وقد تكون البئر شبه منزل للمنامة غير ضيق فينحتونها في سفح الجبل و يتركون وجهتها الغربية عالية و يجعلون في آخرهـا منامة مربعة لدفن الميت فيها و يصورون في الجزء الاعلى الذي ترك فوق السطح على حافة البئر صورة الميت و بجانبه باب وهمي لارشاد الروح (كما كانوا يعتقدون) عند نزولها من السماء الى جثتها حيث ترى شبه صاحبها امامها و باباً معداً لها فلا تضل عن الوصول اليها ويجعلون تحت هذا الباب الصوري مائدة من الحجر ينصب بجانبها مسلتان صغيرتان وقد كان يوضع فوقهمـا الخبز المقدس والشراب ولحم الطيور مما هو مبين بقلم النقش على جدران القبر

وان كان الميت من اعيان الدولة او من سراة القوم شادوا له مسطبة وهي بناء جسيم مرتفع كالهرم الناقص شكلا او كالهرم المدرج الناقص ويجعلون فيها بئراً منحوتة في صخر الجبل يوصل الى سرداب طويل يفضي الى منامة معدة لمواراة جثة الميت

فتكون المسطبة عبارة عن تركيب التبر ثم يرسمون في طول وجهتها من الاعلى نقوشاً تتضمن عنوان صاحب القبر ويكون تحت هذه النقوش المستطيلة باب المقبرة محلى بالنقوش والصور الدالة على الميت وعلى اهله وذويه وتكسى ظاهر تلك المساطب بنحيت الاحجار او يبتنونها باللبن — وفي بعض الاحيان يجعلون للمقابر المنحوتة في صخور الجبال قاعات بطرق متواصلة وعلى جدرانها دعوات وصلوات وصور مرسومة بالالوان كما ترى في مقابر سقارة فيستدل من تلك النقوش والصور على عقائدهم الدينية وعلى نسب الميت وسلسلة حسبه مرتبة في الواح ترتيباً حسناً من قبيل الحلية والزينة للمكان وفي بعض الاحيان يجعلون امام القبر اثراً يعمل فيه مدخل يفضي الى المنامة — واما الملوك فأنهم ميزوا مدافنهم عن مدافن الرعية بان جعلوها اهراما كاملة مبنية بالحجر او باللبن وجعلوا تحتها او في جحمها الاماكن اللازمة للجثة وللاثاث والقرابين والصلوات وشحنوا في بعض الاحيان جدران هذه الاماكن الداخلية بالنقوش الدينية الصعبة المعنى واليها الآن وجه الأثريون مباحثهم ورعايتهم لايضاحها وحل مغمضاتها — وتبنى الاهرام بطريقة بسيطة جداً وهي انهم يتفقون اولا على الرسم المراد ايجاده من البيوت الداخلية وعلى ارتفاع الهرم وطول قاعدته وعرضها ثم يسلمون هذا الرسم الظاهر البيان الى المهندس المعماري وهو يقوم بالعمل طبقاً للاوامر الصادرة اليه فاذا انجز الاشغال اللازمة في صخر الجبل من نحت وتفريغ شرع في البناء فيكسو الاماكن الداخلية المراد كتابتها بالاحجار الملساء ثم يرتفع فوقها بالبناء فاذا علا فوق الارض جعل البناء على هيئة المسطبة المائلة الاجناب او المستقيمتها بحيث يجعلها ناقصة عن المقياس المطلوب بمقدار الكسوة الظاهرة التي يغطي بها الهرم بعد بنائه ومتى أتم المسطبة الاولى واراد الشروع في الارتفاع بنى مسطبة ثانية فوقها اقل حجماً منها بحيث يجعل في الفضاء الذي ترك في المسطبة الاولى زلاقة للعمال توصل الى المسطبة الثانية وهذه الزلاقة تقام بدون مونة وتملأ بالرمل والحصا ويستمر العمل من الزلاقة التي فوق الارض الى الزلاقة الثانية التي فوق المسطبة الاولى حتى تنتهي المسطبة الثانية ثم يشرعون في المسطبة الثالثة ويجعلونها اقل حجماً من الثانية ويقيمون لها زلاقة بالكيفية السابقة وهكذا يستمر البناء في اقامة مسطبة بعد اخرى حتى ينتهي العمل بآخر مسطبة فتكون المساطب مدرجة بعضها فوق بعض ثم يهرمون المسطبة العليا ثم الثانية لها وهكذا يستمرون في ملء الفوارغ الموجودة بين المساطب وبعضها متبعين وضع الكسوة الحجرية من

القمة الى القاعدة حتى يتم الهرم واما الاهرام المقامة باللبن فانها كالاهرام المقامة بالاحجار من حيث الوضع والرسم في الاماكن السفلى ولا تختلف عنها الا بالمادة لانها تقام بوضع اللبن المصنوع بالطين وخلط القش بهيئة مداميك بعضها فوق بعض ويكون بين المدماك والآخر طبقة خفيفة من الرمل في مقام المونة لتثبيت اللبن في مكانه فلا تدكه زلازل الارض ولا تزعزعه الزوابع والعواصف

مقابر طيبة

هذه المقابر منحوتة في جوانب الجبل بوادي يعرف الآن ببيبان الملوك وبآخر يعرف ببيبان الحريم وغالب هذه المقابر يشتمل عَلَى طرقات وبيوت بعمد وفيها نقوش بالوان وبدون حفر تتضمن تقديم القرابين واقامة الصلوات بناء عَلَى ماهو مدون في كتاب الموتى المنقوش صورته على حيطان الاهرام

ولا بد لكل قبر من الباب الوهمي لكونه يقوم مقام الايوان الذي يشاد امام المقابر مشحونًا بالرسوم والنقوش وينقشون على هذا الباب توسلا الى أسوريس أو الى (خونومو) أو مينو أو أمون أو يتاح أو أتومو أو (رع) اي الى معبودات منف وعين شمس التي عمت عبادتها المدن والقرى في بعض الاقسام بعد ان كانت معبودات للحاضرات الشهيرة تلك هي أوصاف المقابر على وجه عام

تشييع الجنازة

اذا حضر احدهم الموت جهزوه مدة سبعين يومًا وهي المقررة عندهم للتحنيط ثم وضعوه فوق سرير جميل كالموجود منه بعض نماذج في المتحف المصري ووضعوا تحت هذا السرير اربعة قدور فيها احشاؤه التي نزعت من جوفه وقت التحنيط ولكل قدر غطاء له صورة مخصوصة اما كرأس الانسان او كرأس ابن آوى او كرأس الباشق او كرأس القود أي انها تمثل اولاد حوريس الاربعة وهم (حور) و (أمست) و (قبح سنو) و (ديوموتف) المعهود لهم حفظ الاحشاء الضرورية للحياة وفي هذه الاثناء يكون القبر قد تهيأ واستعد للميت ويكون نعيه قد بلغ احبابه ومعارفه ومتى اصبح الصباح وحان وقت (اختفاء رأسه في وادي اوتي واجتماعه بالارض) حسب تعريفهم هنالك تحضر وفود الناس ويرفعون النعش فتقوم زوجته وخادماتها ويتعلقن بالنعش ويمنعن خروجه من البيت وتأخذهن عبرات الحزن فيبكين وينحن ويولولن فتجتهد الرجال في خلاص النعش ويخرجونه عنوة من باب داره ثم يسيرون به الى

القبر فتبتدي[٩] الجنازة بطائفة من العبيد والخدم ومعهم القرابين وهي فطير وازهار وجرار ماء وقارورات فيها شراب ونوافح عطر وطيور مجهزة فوق سلال وعجل يسحبه رجل ليضحي كفارة للميت وعلب في بعضها مأكولات وفي بعضها تماثيل صغيرة لازمة لروح الميت — ومعهم ايضا صوان عليها صحاف فيها فاكهة حولها جريد النخل الاخضر

والطائفة الثانية تحمل الاثاث المعتاد كصناديق الملابس والارائك التي تفتح وتغلق أو ذات المخادع والسرر الجميلة اللازمة للميت تليهم خدمة الاسطبل يقلون عربة كاملة الادوات فيها الجعب والسهام ثم الميراخور يقود عربة يسحبها اثنان من جياد الخيل والطائفة الثالثة وهي اكثر عدداً من الطائفتين الاولى والثانية نقل القناني وصندوقا لقدور الاحشاء ثم قدور الاحشاء نفسها فالوجه المستعار المصنوع من المقوى والمصبوغ باللون الازرق والمموه بالذهب ثم الاسلحة والقضبان وعصي الادارة والقلائد والجعلان والنسور المبسوطة الاجنحة عَلَى هيئة الدائرة لوضعها فوق صدر الميت من قبيل الزينة ايام الاعياد ثم السلال والتماثيل الصغيرة وباشقاً برأس انسان رمزاً الى الروح وقد يكون بعض هذه الاشياء من الذهب المصبوب والبعض الآخر مموه بالذهب حتى ان كل من رآها مارة امامه اخذت ببصره لكثرة بهجتها وبريقها

والطائفة الرابعة فيها النائحات يسرن بضجة وغواش وعبد يصب فوق الارض من وقت لآخر بعض نقط من اللبن كأنه يشير الى ارقاد التراب الثائرة ثم يعقبه قسيس متشح بجلد النمر ينثر بملعقة من الذهب العطر عَلَى جموع الخلق — ومن خلفه يأتي النعش وهو عَلَى شكل سفينة اوسرس فيها نائحتا ايس ونفتيس وفي مقعدها المحكم الوضع قد وضعت جثة الميت محجوبة عن العيون وحولها زوجته واولاده يليهم احبابه بأفخر الملابس وبيد كل واحد عصا يتوكأ عليها ثم تأتي جيران الميت سائرين بدون نظام وعَلَى هذا الترتيب تمر الجنازة في الطرقات المعوجة بنظام تام وفيها سفينة النعش فوق السحافة تسحبها الثيران وتسير الهوينا مستمرة عَلَى ذلك مدة ساعات

فيما يحصل اثناء تشييع الجنازة

متى خرج النعش من بيت الميت كثر البكاء والنحيب وضجت النائحات المأجورة بالولولة والصراخ فيصحن ويصفقن ويقطعن شعورهن ويبدين من الامور مايستوجب الزفرات والحسرات والاسف الزائد وهذا خلاف ما يحصل من اهل الميت واحبابه

فتراهم في صراخ وانين وبكاء وعويل فالنساء منهم يتناوبن الرثاء والتأبين طائفة بعد أخرى ويقلن ما معناه :

« الى المغرب مسكن اسوريس . الى المغرب انت الذي كنت احسن الناس وكنت تبغض الرياء » فتجيبهن النائحات ويقلن المعبودات تقدما تنعيك لانك ذاهب ايها الرئيس الى المغرب

هذا مايحصل من طوائف النساء واما ما يحصل من سائق الثيران التي تسحب النعش فوق الارض فانه يحث هذه الثيران ويقول لها :

« الى المغرب ايها الثيران الساحبة للنعش الى المغرب (الا ترى) ان سيدكم آت خلفكم » فتجيبه الاحباب قائلين :

« لقد افل طالع الرجل العظيم الذي طالما احب الصدق وكره الكذب » اه

ثم تستمر الجنازة بعد ذلك في سكوت تام برهة من الزمن وبعدها تصيح احدى النائحات بالرثاء والندب فيجيبها النسوة بما يناسب ندبها وهكذا تسير الجنازة بين نعي ونحيب كما هو حاصل الى الآن في الجنائز وعلى الخصوص في الوجه القبلي وكل من سمع بالجنازة وجب عليه الاسراع اليها مراعاة لخاطر اهل الميت ووفاء بما تقتضيه عادات البلاد وكذا كل من حضر قدم واجب التعزية والسلوان قائلا « الى المغرب » مضيفاً اليها — بعض عبارات تشف عن حسن خصال الميت وفضائله ومحاسن اعماله المبرورة وعما ناله من الرقي والشرف في دار دنياه . وقد يدرجون في تعازيهم مايشير الى فناء هذه الدنيا والى بقاء الآخرة والى التحفظ والوقاية من هول يوم القيامة . ومتى اقبلت الجنازة الى شاطىء النيل نزلت حملة التوابيت في السفن المعدة لهم ونزلت النائحات وعائلة الميت في سفن أخرى ويضعون النعش في مقعد السفينة بعد كساء ظاهره اما بالانسجة المزركشة المدبجة بانواع الالوان او بستار من الجلد المصبوغ بالالوان المصنوعة صناعة جميلة تشهد لصانعها بالفضل والذوق السليم وفي اثناء جواز النيل يكون الناس وقوفاً في السفن ووجوههم نحو النعش وفيما اسلفنا قلنا ان هذا النعش صنع على نمط الفلك السري الذي اعد للمعبود اسوريس واقيمت له عبادة في مدينة العرابة ويعرف عندهم باسم نشميت اي مبرقش بنقط سود ونقط بيض او المرفوع الذكر . وهو رقيق الجسم خفيفة وشكله مستطيل وفي مقدمه ومؤخره زينة من المعدن على هيئة زهر اللوطس وكلاهما مائل ميلا خفيفا الى الامام يخالهما الرائي انهما ينوآن لثقل مافي السفينة وفي وسط هذا

الفلك مقعد مزين بياقات من جريد النخل الاخضر فتطوف حوله زوجة المتوفى واولادها نائحة ويكون معها قسيسان عليهما لباس وعصابات كزي المعبودتين لاسيس ونفتيس ومعلمهما خاف النعش لوقايته ويقف القسيس المدرس على الجنازة امام النعش وبيده مبخرة يحرق فيها البخور وتكون سفينة النائحات خلف سفينة النعش

اما باقي السفن فانها تسبح على مقربة منهما بقوة المجاذيف وقوة الرجال وهذا التشييع يعرف عندهم بالرحلة او الانتقال الى الدار الآخرة فاذا مارسا النعش على الشاطىء استقبله جموع الناس بالتبجيل والاكرام مودعين له وقائلين :

« لقد حان لك الدخول بسلام في القبر نعليك منا السلام فاذهب بسلام الى العرابة واهبط بسلام نحوها ونحو بحر الغرب » اه

ولقد كان لجواز النيل عندهم شأن عظيم لان الانتقال من هذه الدنيا الى دار الآخرة تختلف احواله عند الامم اما المصريون فقد عرفوا المكان الذي تذهب منه الارواح لدخولها في دار البقاء وهو عبارة عن فجوة في الجبل الواقع غربي العرابة المدفونة ولا يتأتي للارواح العبور منه في سفينة اسوريس ومن ثم كان عبور الميت للنيل هو استعداد روحه وتأهبها لتوجهها نحو الفجوة الآنفة الذكر وهناك تترقب مجيء الشمس في سفينتها فمتى اقبلت بما فيها من طائفة المعبودات نزلت فيها وسبحت في السماء مخترقة الجهة السماوية برسومها في اثناء ذلك اما حالة في جثتها ومحلاة بملابسها المعتادة كأنها حية في دار دنياها او يجعلونها نائمة في نعش حوله النائحات والقسوس ومن خلفها سفن مشحونة بالقرابين ولقد ذهب اليونان بناء على مابلغهم من الروايات الى ان اغنياء المصريين كانوا يفضلون دفنهم في العرابة بجانب اسوريس وهي البقعة المباركة عندهم ولكن علما من بعض جثث اولئك الاعيان الذين قيل بدفنهم في العرابة انهم محودون في مقابرهم التي اقاموها في منف او في بني حسن او في طيبة فاتضح ان الرحلة المنصوص عنها في النقوش المصرية القديمة هي للروح لا للجسد — ولنرجع الى امر الجنازة فنقول ان جموع العالم تصيح اثناء تشييع الجنازة وتقول : « الى المغرب الى المغرب دار الحق لقد نعاك وبكاك المكان الذي كنت تهواه » وتقول النائحات بسلام بسلام اذهب بسلام ايها الممدوح الى المغرب سنراك ان شاء الله يوم الحشر لانك ستذهب الآن الى الارض التي تمزج الناس بعضها ببعض »

ثم تصيح الزوجة قائلة

يابعلي يا اخي ياحبيبي قف واستقر في مكانك ولا تبتعد عن المكان الدنيوي الذي انت فيه واوجيعتاه مالي اراك ذاهباً الى السفينة لتجتاز النهر — يا ايها الملاحون لا تسرعوا به بل دعوه لانكم ستعودون الى منازلكم اماهو فراحل الى دار الخلود — لماذا اتيت ايتها السفينة الاصورسية ونزعت مني هذا الذي يفارقني ؟؟

اما الملاحون فلا يعبأون بهذه العبارات المحزنة ولا يعيرون لها اذناً واعية بل يقولون كن ثابتاً فوق سطح السفينة لاننا اقتربنا الى الشاطيء

ومتى اقبلت السفينة المقلة للنعش بقوة وتصادمت بالشاطيء ربما يقع منها بعض الرجال في النهر وكذلك لما تأتي باقي السفن وترسو بجانبها يتساقط منها في لجة النيل بعض القرابين لشدة تلاطمها بالشاطيء لكن لايلتفت احد لذلك بل يستمر الاحباب في تأبينهم ورثائهم قائلين

ما اسعد هذا الممدوح حيث ساعده الحظ فتوجه الى الراحة في قبره الذي اعده لنفسه وسينال من المعبود الرحمة الواسعة فيسمح له بالذهاب الى المغرب محفوفاً بالخدم من جيل لآخر — وهذا الرثاء لايمنعهم عن البكاء والعويل

ثم انهم يخرجون المومیا من السفينة ويضعونها ثانياً فوق السحافة وتنتظم الجنازة في سلكها الاول وتسير بهذا النظام الى سفح الجبل وهناك يتعذر على الثيران سحب النعش فتحمله الرجال فوق اعناقهم ويسيرون به المومیا الى باب القبر المعد لدفنه حيث يجدون هناك نوع مسطبة يوضع النعش عليها فينصبون صندوق الميت فوق كثيب من الرمل ويجعلون وجهه نحو جموع العالم كأنه حل بيته الجديد صحبة احبابه وكأنه قد تأهب لوداعهم للدخول في سكنه الجديد هنالك يتجدد البكاء والعويل وتعلو الاصوات بالنحيب والانين ويرتفع الصياح والصراخ ويأتي اهل الميت بالازهار فيضعونها فوق صندوقه ثم يعانقونه ويودعونه فتقول الزوجة :

« انا اختك ايها العظيم فلا تتركني فهل تقصد حقيقة ايها الاب العزيز ان اتباعد عنك ؟ متى فارقتك صرت وحيداً فهل لك من انيس يرافقك — انا اخاطبك انت الذي كنت تود المزاح معي مالي اراك ساكتاً لاتتكلم » اه

وتكون جاريتها في هذا الوقت جاثية خلفها فتقول :

« ها قد اخذ سيدي مني وترك خدمه »

ثم تقول النائحات بعدها

« نوحوا عليه نوحوا وابكوه بلا انقطاع وصيحوا باعلى اصواتكم (وقولوا) ايها الرحالة العظيم المتوجه الى ارض الخلود لقد نزعت منا فالآن نخاطبك انت الذي كنت تحب حراك رجليك للمشي مالنا نراك مغلولا مقيداً مكفنا انت الذي كان لك كثير من الملابس الفاخرة وكنت تحب القماش الابيض مالنا نراك الآن راقداً في ثيابك (التي كانت عليك) بالامس

لقد اصبح الذي يبكيك (كأنه) يتيم الامام والقلب محترقا عليك لما اصابه من الحزن وحائما حول جثتك

وفي اثناء العويل والبكاء على الميت يحرق القسيس البخور ويهرق التراب ويقول (هذا) لجثتك ايها المتوفى فلان الصادق القول لدى المعبود العظيم عند ذلك تختفي الموميا في جدثها وتستقر في ظلمات القبر الى دهر الداهرين

ولما كان القبر مسكنا للميت كما كن الدنيا للاحياء رأوا ان يجعلوا فيه اماكن للزينة ومصلى يأتي فيها اهل الميت بالقرابين والضحايا في كل يوم عيد وفيه اماكن خصوصية لايدخلها سوى جثة الميت ويزينون داخل تلك الاماكن بالرسوم والكتابة بعد تمليطها ملاطاً لطيفاً يظهر محاسنها ويجعلون تلك الرسوم الواحاً متعاقبة يعلو بعضها بعضاً بهندام ونظام حتى تصل الى السقف فيصورون حرث الارض والزراعة والحصيد وتخزين الغلال وتربية الحيوانات وصيد البر والبحر ومعامل النجارين وصناع العربات والنقاشين والصاغة والزجاجين والخبازين وتحضير الطعام واستعداد الموائد مرفقة بالاغاني ورقص العوالم وكل ذلك طلاسم يعتقدون انها تتحول الى حقائق بسر صيغ يتلونها ليتمتع بها الميت في قبره فان اشتهى شيئاً يتغذى به فما عليه الا ان يختار ماشاء من الابقار او الاشياء الاخرى المرسومة في قبره ومتى وقع نظره عليها تحولت الى حقيقة وتلذذ بها كما كان يتلذذ في دار دنياه تلك هي عقائدهم التي ساقتهم الى زخرف المقابر ولذلك ترى في رسومها صورة صاحب القبر قد اخذت فخذ الثور من يد خادمها وتغذت منه هذا مانفعله اموات فقرائهم

اما اموات الاغنياء وارباب المظاهر فأنهم لايحتاجون غالب الاحيان في اوائل موتهم الى شيء من المرسوم على جدران القبور لان اهلهم وذويهم يقدمون لهم في المواسم وغيرها ماتشتهيه انفسهم من المآكل والمشارب فيذبحون الضحايا من بقر واوز ويقدمون النبيذ والجعة وغيرها الى امون او اوزيرس او فتاح اوخونسو فيأخذ المعبود شيئاً منها

لنفسه ويرسل الباقي الى الميت المراد بتلك القرابين ومن ثم وجدت الاوقاف على الاموات؛ وبنوها على شروط كانوا يبرمونها مع قسوس المعابد وهؤلاء يقدمون ما هو موقوف للقبر من الاشياء ويقومون بالصلوات والدعوات في الاوقات المعينة وعليه كانت العناية باحياء ذكر الاموات من الامور المهمة عندهم لكن مع وجود هذه العناية ومرور المدد الطويلة على الاوقاف كان ينتهي امرها بالانقطاع اما لانقراض العائلة واندرامها او تبديد الاوقاف عقب الانقلابات الكبيرة وبذلك ينقطع الوارد عن الميت فعندئذ لا يجد امامه الا ما هو مرسوم فوق جدران قبره لكن كيف يتسنى للميت القيام والقعود واستمرار الحركة مع ان الموت افقده ذلك والتصبير حول جثته الى جسم لا حراك له ولا قدرة فلا يستطيع المشي ولا التكلم ولا النظر ولا تأدية شيء من الوظائف التي عليها مدار الوجود فلاجل خلاص الجثة من هذه المقيدات المعطلة لعامة حركات الجسم اوجدوا طريقة يسمونها (فتح الفم) وهي ان رئيس القسوس واعوانه وهم اولاد حوريس يقفون الجثة المحنطة فوق كثيب من الرمل في آخر المصلى المعدة لها ويقرأون عليها الصيغة المنادمة السرية التي تلاها حوريس على جثة اوزريس ثم يطهرونها بالماء القراح وبالماء الاحمر وبخور الجنوب وبالشب الوارد من الوجه البحري كما يفعل لتماثيل المعبودات عند الشروع في تقديم الضحايا لهم ثم يعملون له العمل اللازم لابقائه من الثبات والامانة وخلاصه من لفائف الاكفان ويرجعون له الظل الذي تقلص منه وقت خروج روحه ويردون اليه جميع حركاته فيصير جسمه المحنط حياً في عقيدتهم فيتغذى ويتنعم كما كان في دار دنياه فاذا كان الجزارون يذبحون ثور الجنوب ويقطعونه بعد دفن الميت اسرع القسيس بتناول فخذ هذا الثور ويتقدم لفم الوجه المستعار الموضوع فوق رأس الجثة المحنطة لاعتقاده انها حية وانها تتناول شيئاً من ذلك ولما يجد عدم الفائدة يأخذ آلة من خشب لها نصال من حديد ويشير بها على فم الجثة مريداً بذلك فتح فمها ثم يتلو صيغة على الموميا فيصبح في استطاعتها حسب عقيدتهم الذهاب والاياب والنظر والسمع والكلام وتناول شيء من القرابين التي تقدم لها بل وتستطيع ان تدعو كل من رافقها يوم الجنازة الى اول وليمة تقدم لها في قبرها بعد الدفن وذلك انهم متى وضعوا تابوت الجثة في منامتها اتت العبيد بالقرابين وبالقدور الاربعة التي فيها احشاء الميت والصناديق والاثاث والمأكولات التي احضروها مع الجنازة فيتلو عليها القسيس صلاة معلومة عندهم بعد وضعها في القبر ثم يخرج من عندها وتقيم عليها البناؤون سداً محكماً في نور المشاعل وبعد

فتجيز هذا العمل تقدم العبيد مائدة للحاضرين امام القبر او في المصلى فيحضر في هذه الوليمة تمثال الميت الموسوم رسماً بارزاً في آخر القاعة الثانية و يتوهمون انه يتناول مايخصه من هذه الوليمة حسب عقيدتهم القاضية بان الاشياء روحاً وشبحاً كما للانسان والحيوان فمتى ذهبت الموميا الى قبرها تلبسها الحياة وتتمتع بفضائلها كما كانت في دار دنياها فالشبح الموهوم للكرسي او للسرير هو كرسي وسرير حقيقي لجثة الانسان المدفونة فيتمتع بهما و يتلذذ بما يقدم من الشراب واللحوم امام الجنازة كأنها حية معهم وبينما يكونون مغمورين في ملاذ المطاعم تشتغل النساء بالرقص والنصف ويشرن في اغانيهن تارة الى الميت وطوراً الى الاحياء مع مراعاة السجع فيقلن

اكتسب حظ يومك ما الحياة الا لحظة اكتسب حظ يومك لانك متى دخلت قبرك مكثت فيه مكوناً ازلياً الى دهر الداهرين

فاذا انقضت هذه الوليمة تأهب الجموع للرحيل فعندئذ يقوم العواد امام تمثال الميت وبيده العود ويشرع في نشيد الاغاني القديمة فيقول ما معناه

الدنيا دار انقلاب وتجدد مستمر اذ الامر الذي قضى به اسوريس المعبود الكبير من الغرابة بمكان وهو انه من حسن القضاء (والقدر) انه كلما فني جسم وانقضى حل غيره مكانه وهذا معروف من قديم الزمان (كيف لا) وان الفراعنة الاول الذين كانوا يعبدون ودفنوا في اهرامهم ودفنت معهم في تلك الاهرام جثثهم واشباحهم تركوا ما كان لهم من مقاعد القصور التي شيدوها فانقضى نحبهم فلا تيأس (ايها الحي) بل اتبع شهوتك ومرورك قدر ما تستطيع وطول ماتعيش في هذه الدنيا فلا تفني نفسك الى ان يأتيك اليوم الذي يتوسل فيه الانسان الى اسوريس صاحب القلب الثابت فلا يسمع له — كل بكاء الناس لايفيد الميت الذي في قبره فاكتسب حظ يومك ولا تهمل ما فيه مسرتك فلم يستطع احد اخذ شيء من امواله الى دار آخرته ولا احد ذهب اليها وعاد اه

اما اعتقادهم في الجثة فبعضهم يقول انها تبقى في القبر مرتابة الوجود قليلة التحمس بنفسها فلا تبرحه الا اذا انقطع عنها وارد المؤونة اي القرابين التي تقدم لها من لدن اهلها واعتراها الجوع ويحكون انهم يرونها هائمة في القرى وتلقي نفسها بشراهة على البقايا الموجودة فوق الارض وعلى اقبح القاذورات ويحدث عندها القحط عوامل الغيظ وحب الانتقام من الاحياء الذين اهملوا امرها فتهجم عليهم وتعنفهم و تجدد

فيهم الامراض — ويحكون ايضاً ان بعض الجثث او اشباحها مع تقديم القرابين لها والقيام بما يلزمها فانها شرسة الطبع فتحملها شراستها على اضطهاد اقرب اهلها فقد جاء عنهم في الآثار ان رجلا احسن معاشرة زوجته واقام لها جنازة فاخرة يوم وفاتها واوقف لها اشياء كثيرة الا انها تقصدته بالاذى فكانت تأتيه كل يوم بهيئات فظيعة ولم يتيسر له الخلاص من سوء اعمالها فلما فرغت جعبة صبره ولم يستطع تكبد هذا التعنيف المستمر كتب لها جواباً ذكر لها فيه حسن المعاشرة والتودد الذي كان بينهما وسألها عن الاسباب التي دعتها الى هذه الاعمال السيئة فقال لها ماتعريبه :

منذ صرت زوجا لك الى هذا اليوم ما الذي فعلته نكاية فيك واخفيه عنك ماذا تفعلين حينما اعترف (امام الرب) بما فعلته لك وقت عرضنا عليه امام مجلسه حينما ادافع بنفسي عن مظلمتي امام معبودات الآخرة ويحكم عليك بناء على ما احرره لهم في مظلمتي من مساويك (اخبريني) ماذا تفعلين اه

ثم انه علق هذه الكتابة في تمثال من خشب على هيئة المرأة ووضعه في قبر زوجته فلما وصلها هذا الجواب خافت من لقاء ربها ومحاسبتها اراحته من تعنيفها — وكثير منهم يقول ان الروح تغادر قبرها وتهاجر الى ارض اخرى كائنة خلف الفجوة الآنفة الذكر وهي الواقعة في جبل العرابة وفي تلك الارض ممالك حقيقية للاموات كل مملكة تحت رعاية معبود مثل ختنامنتي وبتاح سكري واسوريس وهذه المعبودات تقتبل ارواح المصريين الذين عبدوهم في دار دنياهم فكل من توصل مثلا الى اسوريس كان تابعاً له وفي مملكته وكل من انتمى الى بتاح سكري كان من اتباعه وفي مملكته وسمي وميق اسوريس او وميق ختيامنتي — واعمر تلك الممالك واكثرها سكانا مملكة اسوريس وهي عبارة عن جملة جزر نرى من هذه الدنيا اكناقها الظاهرة بجهتها البحرية الشرقية السماء وجهتها الشرقية المجرة وهي الشهيرة بأم النجوم ولا يمكن الوصول اليها الا بعد سفر دونه مشاق واخطار فمتى غادرت الروح جدثها جعلت ظهرها نحو الوادي وزجت بكل جسارة وجرأة في اغوار الصحراء فتصادفها احدى الجميزات الباسقات هناك في وسط الرمال وتعرف عند فلاحيهم بالشجرة المسحورة فتشاهد بين افنانها اما المعبودة (نيت) او (حاتحور) او (نوت) فتتقدم لها هذه المعبودة صفحة بها خبز واخرى بها ماء فكل روح قبلت هذه العطية كانت من اتباع هذه المعبودة ولا يمكنها الخروج من مملكتها الا باذنها ورضاها و يوجد فيما وراء الجميزة بلاد محفوفة بالمخاوف مشحونة بالثعابين

والحيوانات الضارية وفيها سهول فيها حميم واباطح تسكنها ثعابين كبيرة تصطاد الارواح بالحبائل ويمكن ان كثيراً من الارواح وقعت في تلك المخاطر فهلكت اما مايكون منها محصنا بالتمائم والتعاويذ متوقياً بسر الطلاسم السحرية القوية فانها تقتحم الاخطار وتنجو منها حتى تصل الى شاطئ بحيرة تسمى (خا) فتشاهد هناك الجزائر السعيدة فيأتيها بحوت على شكل الطائر ايبس المعروف (بابي حنس) ويأخذها على جناحه او يأتيها الملاح المقدس ويأخذها في سفينته الى ان يأتي بها الى اوزريس فيسألها هذا المعبود امام اعضائه وهم اثنان واربعون قاضيا عن اعمالها في دار دنياها ويناقشها الحساب ويزن قلبها تحوت في كفة ميزانه وحينئذ تأتيها معبودة يقال لها (معيت) اي العدالة فتلقنها الاعترافات السلبية لتتبرأ من كل تهمة توجهت اليها ثم تدخل بعدئذ في رياض يقال لها (سخيت ايالو) في زمرة الارواح السعيدة وهي اراض طيبة الخصوبة يعلو فيها القمح الى سبعة اذرع بما في ذلك السنابل التي تبلغ ارتفاع الواحدة منها ذراعين

والموتى هم المكلفون بزراعته وجمع محصولاته وتخزين الغلال وقد ينوب عنهم في هذا العمل الشاق تماثيل صغيرة توضع بجانب جثثهم في القبور ويقال لها (شبتى) اي المجيبة وقت نداء صاحبها لمباشرة اعمال الفلاحة في حقل (ايالو) المذكور في الاوقات المعينة اما باقي اوقاتها فتكون في ولائم مستمرة وفي اغاني ومسامرات ومسرات لانهاية لها

وكثير منهم يقول ببطلان هذه العقيدة وفسادها لما فيها من الخشونة والفظاعة وهؤلاء كانوا يجتهدون في الوقوف على الحقائق وينسبون للارواح درجة اشرف وارقى من ذلك

وكانت لكهنته (امونرع) مذاهب في حقيقة مانؤول اليه الروح وكلها ضروب من تخمين اللاهوتيين لادخل لافراد الشعب فيها ومضمونها ان الانسان سيبعث بعد موته ولا يعلم سر ذلك الا الله الخفي اه

الرأي الصريح

في مقالة « الفصيح العامي والعامي الفصيح »

قرأت في الجزء العاشر من مجلة المقتبس مقالا بعنوان « الفصيح العامي والعامي الفصيح » لحضرة الفاضل نعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى التي تصدر في نيو يورك . قرأته بلهف شديد لاني اميل بسائق من طبعي الى المباحث اللغوية ونقد كلام البلغاء وتمييز القول الفصيح من الغث الركيك . ليكون لي من ذلك مادة استعين بها . وقاعدة احتذي مثالها : اقدمت على تصفح هذه المقالة وانا معجب باولئك النفر من اخواننا العرب المسيحيين الذين هجروا وطنهم لكنهم لم يهجروا لغتهم . ولم يذلوها في غربتها . بل رفعوا شأنها وحفظوا من كرامتها . بما نشروه من الجرائد . ودبجوه من الرسائل والكتابات المفيدة . وحضرة نعوم افندي من هؤلاء الافاضل الذين خدموا لغتنا العربية بما ينشره في جريدته (الهدى) التي لم اك من قرائها وانما كنت اقرأ احيانا نبذاً منها في صحفنا العربية اما مقال (الفصيح العامي) الذي قرأته اخيراً في مجلة المقتبس فقد رأيته اقل قدراً من ان يعزى الى صاحب جريدة (الهدى) . ولاحظت فيه ركاكة في التعبير . وضعفاً في الاسلوب . ومواضع للنقد والمناقشة بلغت من الكثرة مبلغاً جعلتني استبعد ان تكون فرطت من قلم كاتب المقالة وانما هو الذهول غلب على مصحح اصولها في ادارة المقتبس فجاءت هكذا مشوهة المحاسن . طامسة المعالم . وان لم يكن الامر كما ذكرت فيكون الوسط الاعجمي الذي يعيش فيه اخواننا المهاجرون اثرت رطانته في صراحة لغتهم . وبدأت عجمته من عروبة السنتهم . والا فكيف نقرأ مقالاً لواحد من اشهر كتابهم في نقد لغة الكتاب وتعداد اغلاطهم في اساليبهم وتراكيب كلامهم . وارشادهم الى الطريقة المثلى في التعبير والتحبير . ثم بعد هذا كله نسمع في المقال نفسه من الركاكة والغموض والسلطة مالا يتفق وجوده في عشرات من المقالات . الا يكون هذا من الغرائب ؟

لو اقتصر الكاتب على الموضوع الاهم من مقالته : وهو سرد الكلمات العامية التي يحسبها الكتاب دخيلة وهي عربية فصيحة ثم حضهم على استعمالها لكان اجاد وافاد . لكنه ذهب

في افانين القول كل مذهب وتعرض لنصح المنشئين والزراية عليهم وارشادهم الى الانشاء العالي فسقط في هذا التعرض من عل واتى بأشد مما نهاهم عنه . وحذرهم منه . ولامهم عليه .

ولا يكون من الانصاف بعد هذا ان لانذكر نموذجاً مما نؤاخذ الكاتب فيه . ثم نلفت انظار القارئ اليه :

اول مايؤخذ عليه قوله في العنوان (الفصيح العامي والعامي الفصيح) فانه تكرار لاحسن فيه . ولا داعي اليه : ان كلمتي (العامي) و (الفصيح) في هذا التركيب وقعتا صفة لمحذوف كأنه يقول (اللفظ الفصيح في اصله العامي في استعماله) ولما عكس وضع الكلمتين كان المعنى (اللفظ العامي في استعماله الفصيح في اصله) وهو نفس المعنى المستفاد من التركيب الاول فكان ذكره زيادة مستغنى عنها . وليس تقليب الكلمتين هنا كما هو في قولهم (كلام الملوك ملوك الكلام) فان هذا القول له معنى خاص لا يستفاد الا بمجموع التركيبين وقد حمل احدهما عَلَى الآخر . اي ان لكلام الملوك ميزة عَلَى سائر كلام الناس كما ان للملوك ميزة عَلَى الناس انفسهم . فالمعنى المستفاد من الموضوع والمحمول حسن في ذاته . وزاده حسناً قلب التركيب وعكس الالفاظ حتى استحق بذلك ان يعد في جملة انواع البديع .

ثم بعد هذا العنوان اراد الكاتب ان يبين مبلغ حاجتنا الى معجم لغوي يجري في تحليل الالفاظ مجرى معاجم اللغات الاوربية فافتتح الكلام بقوله : (ليس في اللغة العربية معجم واحد يستحق ان يدعى نجعة الرائد بوفرة الشواهد وكثرة الفوائد وضبط الشوارد ولا في غير اللفظة مايدل عَلَى ازالة الابهام الخ) فقوله (ولا في غير اللفظة) غامض في اتصاله بما قبله مبهم في تعيين المراد منه

ثم قال (فترى اكثر الكتاب يتخرصون فيما لا يعذرون عليه ويتوهمون ان البيان في الدخيل والحوشي والبلاغة في العقيم والوحشي وان كل من هرف عرف)

الكاتب الذي خط قلمه هذه العبارة هو الذي قال بعد سطرين (قد تهتأ ثوب اللغة حتى كاد يسقط من تقطعه فترى كل من تحيف بيانه عجمة وجدل عن ادعاء ومكابرة يجتحف الفصيح ويستاب البليغ ويحرك خشاشه غضباً على كل من ملك من اللغة عناناً وضبط لها بياناً ويكون لايدري من اي الدهداء هو الخ) اذا سألت معاجم اللغة عن معنى ماورد في هذه الجملة قد تجد ان معنى (تهتأ) تقطع وبلى . لكنك اذا سألت نفسك عما فهمته منها تجدها لاتحير جواباً . ولا تملك خطاباً . واذا الحفت عليها بالسؤال تقول لك يلوح

لي ان الكاتب الفاضل يريد ان يوبخ ادعياء اللغة والانشاء الذين يتنقصون غيرهم . ويعمون عن عيوب انفسهم .

اذا قلنا ان المصحح سها عن تصحيح كلمتين اوثلاث فهل يعقل ان يكون ركب السهو في كل جمل المقالة فحرّفها وتلعّب بها . وودونك هذه الجملة الاخرى : « وقليل من البحث يرجعها — اي الكلمات العامية — الى اصلها . ويقيم من اللسان منآده . عَلَى ماوقع من نحو خمسين عاماً الى اليوم اذ توكف المجتهدون اثر بلغاء العربية الاقدمين وتقطوا بحث والتنقيب واقبلوا عَلَى التدقيق والتحقيق وقد ترجع مثابرتهم اللغة الى رونقها الاول بعد خمسين عاماً تأتي » الجملة بمجموعها ركيكة ظاهر عليها التكلف . ولعله يريد بقوله «توكف المجتهدون اثر البلغاء — تتبعوا . ولكن هذا الفعل يتعدى باللام . ويكون معناه التعهد تارة . والتعرض مرة اخرى : فيقال فلان يتوكف لآل فلان اذا تعهدهم بالصلات والعطايا . وفلان يتوكف للامير اي يتعرض له حتى يلقاه . وقوله «مثابرتهم اللغة» صوابه عَلَى اللغة لان المثابرة بمعنى المواظبة . وهما يتعديان بعلى يقال : ثابرت عَلَى الامر وواظبت عليه . عَلَى ان المعهود في مثل مايريده الكاتب ان يقال المثابرة عَلَى خدمة اللغة او دراسة اللغة لا المثابرة عَلَى اللغة . ثم انحى الكاتب باللائمة عَلَى المدارس الاجنبية التي توجب عَلَى تلاميذها التخاطب بلغاتها وقال « وبذلك يتسرب العقوق وشيء من البله الى قلوب وعقول هؤلاء الاولاد المساكين » قد نجد لتسرب العقوق الى العقول معنى لكننا لانجد ابداً لتسرب البله الى عقولهم معنى ولا شبه معنى بسبب التخاطب باللغات الاجنبية

ثم قال الكاتب «ان البلاء ليس في الادعاء وحده بل في اختزال كل منا برأيه . والتضرع والتصاغر للاجنبي والتمروء الظاهر تكلفه والتفوق البادي تحيفه مع الوطني وريح التخاذل حتى في اللغة تجف كل ذروة باقية في جرفها وتحتمل كل درة كنا نعرفها قبل عصفها . ولله في تدابيره شوءون »

أليس من تعاجيب الدهر ان يقع مثل هذا الكلام في مقال نشر ليكون نبراساً يهدي الكتاب الى مواقع الفصاحة والبلاغة وحسن التعبير . ويجنبهم مزالق الركاكة والسلطة والغموض ؟

واغرب من ذلك ان حضرة الكاتب اراد ان يذكر عيوباً للغة فعد منها عيباً بعده قوم مزية من مزايا اللغة العربية ويحسبه آخرون امراً طبيعياً لاتخلو منه لغة من اللغات . فقد قال :

(ومن عيوب العربية ايراد جموع لامفرد لها وافعال لامصدر ولا ماضي لاحدها . فهل تقبل فلسفة اللغة شيئاً من هذا ؟ وهل يعقل ان واضعي اللغة بنوا كلاً من غير اجزاء ؟ اننا لاننسب هذا الخلل الا الى مدعي المحافظة علَى سلامة اللغة او يكونون يحافظون علَى قديم عقيم لايسلم به عقل سليم)

لانرى علاقة بين فلسفة اللغة وبين ان يكون في العربية جموع لامفرد لها : عدد اهل اللغة طائفة من الجموع لم يعرف لها مفرد : مثل محاسن ومذاكير وتجاليد . فذهب بعضهم الى انها لامفرد لها . وحقق آخرون ان لها مفردات اهملت في الاستعمال . وربما كان المراد من قول الاولين (لامفرد لها) اي في الاستعمال لا الوضع فلا يكون بين الفريقين خلاف .

ولابد من داع دعا اهل اللغة الى اهمال تلك المفردات . وقد قالوا ان جمع (لب) (الباب) لكنهم لما رأوا الجمع ارشق في اللفظ واخف على السمع اكثروا من استعمال الجمع واهمال مفرده وهكذا كان دأب القرآن الكريم في استعمال الجمع دون المفرد .

ومثل هذا يقال في الفعل الذي لم يستعمل مصدره اولم يستعمل ماضيه .

فليست المسألة اذن من مسائل الفلسفة . وانما هي من مسائل تخير ارشق كلمات اللغة للتخاطب والتفاهم .

وفلسفة اللغة لايصلح ان يكون التعمق فيها مدعاة الاجادة في المنظوم والمنثور . كما كرره الكاتب في مقاله : فان تلك الفلسفة علم نظري اكثر مما هو عملي . وله ثمرة خاصة به غير تجويد الانشاء . وتجويد الكلام الذي يتوقف علَى استظهار كثير من كلام البلغاء واطالة النظر في اساليبهم والتفطن لمناحي كلامهم . هذا هو الطريق لتحصيل ملكة الانشاء . اما فلسفة اللغة فلا يكون من اثرها ذلك بل ربما كان للاشتغال بها اسوأ الاثر في ضعف تلك الملكة والعجز عن تحدي الكلام البليغ .

وقد غلا حضرة الكاتب في الرفع من شأن فلسفة اللغة والحط من قدر زملائه الكتاب الذين لم ينالوا حظاً من تلك الفلسفة حتى قال :

(نحن ابعد ابناء اللغات الحية عن وضع الكلام في مواضعه واقامته في مواقعه، لاننا لاندرس فلسفة اللغة بل لان اكثر اصحاب الجرائد والمجلات والمترجمين والمؤلفين من غير الاكفاء الا بالتبجح والادعاء . او ان اللغة امست واسطة للكسب والارتزاق حتى بالعبث والنفاق)

فقد جعل حضرته علة تقصير اخوانه في وضع الكلام مواضعه جهلهم فلسفة اللغة · فهل هذا حق ؟ ·

ومما انتقده الكاتب قولهم (دام بقاؤه) فقال (ان طلب الدوام · حماقة وحرام) وانهم في هذا القول قد طلبوا (البقاء في دار الفناء وخلود من اعدت لهم اللحود) · وهذا ذهول من حضرة الكاتب : لان اصل الدوام في اللغة السكون ومنه (ماء دائم) · ويستعمل ايضاً في طول البقاء وامتداد المدة · ومنه (ديمة) للمطر الذي يستمر تهطاله بضعة ايام · ومنه ايضاً استعمال (مادام) : فاذا قلت اجتمع بك مادامت في هذه البلدة كان المعنى مدة بقائك فيها · فقول الكتاب دام بقاؤه في الدعاء بمثابة اطال الله بقاءه · نعم قد يراد بالدوام الخلود كما في القرآن الكريم (اكلها دائم وظلها) والضمير يرجع الى الجنة كما ان الخلود نفسه يراد به طول المدة احياناً كما ورد في القرآن الكريم عن اناس لايكونون كافرين ومع هذا خبر عنهم بأنهم يدخلون النار خالدين فيها ففسروا الخلود بانه طول المكث لا المكث الابدي ·

ومما انتقده ايضا وسهي عليه فيه قولهم (همى الدمع من عيونها) قال : « كم من عيون لها » يشير الى ان صوابه ان يقال « من عينيها » · لكن اهل اللغة يجوزون استعمال صيغة المثنى في الجمع والجمع في المثنى بل يجوزون احياناً استعمال المفرد في الجمع والجمع في المفرد · ومثلوا لكل ذلك · وذكروا له اسباباً معتبرة عند اصحاب اللغة · ففي القرآن الكريم « فقد صغت قلوبكما » · كان الظاهر ان يقال : « قلباكما » لان المخاطبين اثنان · ولهما قلبان لاقلوب · لكنهم كرهوا اجتماع علامتي تثنية في لفظ واحد · اما مثل « همى الدمع من عيونها » فيأولونه بارادة المبالغة وان المرأة كانت كأنها تبكي بعيون كثيرة · لفرط ما اسبلته من الدموع الغزيرة · واكبر مايؤاخذ به الكاتب انه عاب اخوانه الصحافيين في امر تكاد ترى مثله ماثلاً امام عينيك وملموسا تحت يديك في كل جملة من جمل مقاله · مثال ذلك انه آخذهم في قولهم « ارسلت له » وصوابه « ارسلت اليه » · وانتقاده صحيح لكن الرصفاء لايستحقون عليه كل هذا الازراء والتوبيخ فقد قال في هذا الصدد

(اصعب مافي اللغة على الدارسين انفسهم احسان استعمال حروف الجر وكل مدقق يتناول الجرائد والمجلات الا العدد القليل منهن يضحك من كثرة السقطات التي

لايعذر منشيء عليها وفي مقدرة شراه معجم او في رأسه قوة تميز بين هذا وذاك المعنى الخ)

ولكن هل تحسب حضرة الكاتب في منجاة من كل ماتنقص به زملاءه . وهل تراه احسن استعمال حروف الجر ووضعها مواضعها اللائقة بها ؟

قال في هجو اولئك الزملاء المساكين : (فترى اكثر الكتاب يتخرصون فيما لايعذرون عليه) اخطأ الكاتب في استعمال الحرفين — « في » و « عَلَى » في جملة واحدة قصيرة . يقال تخرص عليه اي كذب وافترى . ولا يقال تخرص فيه . ويقال عذره في فعله . ولا يقال عذره على فعله : فكان الواجب عَلَى الكاتب ان يقول (يتخرصون عَلَى مالا يعذرون فيه) . عَلَى ان هذه الجملة برمتها لامعنى لها او لامعنى لاستعمال التخرص في هذا المقام

ومما قاله في صدد التهكم بالكتاب والمنشئين : « ولماذا لانكتب ونكاتب بفهم وسهولة وبساطة وسلامة و » حقاً ان حضرته اشفق عَلَى القراء من اذى مايتالم من كد الذهن اذا اذا قرأوا كثيراً مما يخطء الكاتبون لكنه لم يشفق هو عليهم في مقاله هذا بل ضربهم بثالثة الاثافي مذ قال في خاتمة المقال . وانا لعيدوه عَلَى اسماع قراء المقتبس وان طال :

« ثم ماهي فائدة الحركات في اللغة اذا كنا لانزيد الا نصرف عن جعل الواو « الثقيلة الد » ؟ في اولى وعمرو وحيوة وصلوة بحجة التمييز وازالة اللبس وهلا يوجد غير هذه الكلمات في العربية بحاجة الى الضبط ؟ ثم ماهي فائدة الحركات اذا كنا نكتب « اله » ولا يجوز لنا ان نكتب مؤنثه إلهة ؟ ثم كيف يعقل ان تكون جموع لا مفرد لها مثل شلقة ومخاطر ومحاسن وشماطيط وما جمعه الثعالبي وغيره وهل كان كل مالايكون سمعه الجامع لايكون وضعه الواضع جريًا عَلَى القياس ؟ وكيف يمكن ان تكون المطاوعة في فعل ولاتكون في آخر مثله تماماً ؟ وكيف تكون صيغة افعل التفضيل في مالا فعل له كقولهم هو اقلط منه ؟ او كيف يكون مضارع لاماضي له كقولهم لم يذر ؟ اومزيد لامجرد له . والامثلة متوفرة . وثمت منابت العربية بعد ان كانت مستحلسة . وتفاصح كل من لم يكن فصيحاً ولن يكون متفصحا . فوجب ان يرجع الناس الى فقه اللغة الذي لا اعني به كتاب ابي منصور الثعالبي بل فلسفة اللغة حتى لا يرسل كل من اغتر بقدرته الكلام على عواهنه ويحسب ان من جمع كلمة الى كلمة كان شاعراً وناثراً واماماً وثقة يجب الاقلال من الترديد المبهم الذي لايزيد الا اشكالا والاعتدال في تعليم القواعد بحسب كل

مذهب والتوثق في معاني البليغ من المنظوم والمنثور والاستكثار من حفظ الجيد ولا سيما مايدعى السهل الممتنع ويجب ان تكون مجلاتنا وجرائدنا المدارس الحقيقية فترفض كل كتابة عليلة بالمعاني الضئيلة وينبذ المغرور والشعرور الى مايفسد الذوق و يدعو الى الهزء ومن فقه اللغة ان نصطلح على مايذلل لنا صعاب اللفظ عند الترجمة والاستشهاد اي ان يكون لنا مانستطيع معه نقل الكلمة الاعجمية من نكرة وعلم الى معناها الاصلي . وقد كان للعرب روم والشهام فليكن لنا زيادة على مثالها والله ولي التوفيق اه

هذا مانؤاخذ اونعاتب به الكاتب الفاضل . ولم نقدم عليه الا عندما آنسنا منه في مقاله غراماً في اللغة العربية . ورغبة في ان تكون مصونة من عبث العابثين بها . وكيد العاملين على اماتتها فقد اعرب حفظه الله في غير ما موضع من مقاله المذكور عن غيرة شديدة . وعزمة في اصلاح اللغة اكيدة . من ذلك قوله « ولو ان الحكومة تقيم الائمة لاقامة الكلام واللفظ لكانت تخدم البلاد والعباد وما زالت مدارسنا توجب على التلاميذ التخاطب بلغة اجنبية ولا توجب عليهم التخاطب — ولو لساعة — بفصيح لغتهم كأن التخاطب بفصيح العربية عار وفصيح اللغات فخار » فلا جرم ان هذه الغيرة من حضرته منقبة يحمد عليها ومأثرة يجب علينا ان نقتدي به فيها

طرابلس الشام : المغربي

سير العلم والاجتماع

الآداب العربية

وفق احمد بك زكي بعد عناية عشرين سنة الى جمع طائفة من مخطوطات السلف في علوم مختلفة فعرض على حكومة مصر ان تساعد على تمثيلها بالطبع فعينت لذلك الف جنيه في ميزانية هذه السنة ووقفت المال الاحتياطي الموجود في دار الكتب المصرية لطبع مايجب طبعه واليك المجموعة النفيسة التي جمعها صديقنا العالم وسيشرع بطبع الكتابين الاولين منها قبل كل شيء وهي بشرى بل بشريان للامة العربية بل ولكل من تهمه مدنية العرب الراقية :

موسوعات

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين النويري

مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري
جوامع العلوم لفريعين تلميذ ابى زيد احمد بن سهل البلخي

ادب وبلاغة وانشاء

الفاخر للمفضل الضبي
ديوان الحماسة الصغرى المعروف بالوحشيات لابي تمام
سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي
التسهيل بالتمثيل وهو المعروف بتسهيل السبيل الى تعليم الترسيل للحميدي
رسائل وخطب واشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الايوبي من جمع حفيده
مجموعة ترسل القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني

حديث

فنون العجائب
اكرام الضيف

آداب الملوك

كتاب التاج للجاحظ
محاسن الملوك
رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن امر بارسال رسول ومن نهى عن ذلك وكيف ينبغي لمن ارسل الى ملك ان يعمل في الاحتياط لنفسه ولمن ارسله ومن ذم من الرسل ومن حمد لابي علي الحسن المعروف بابن الفراء
كتاب تنبيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الامم والممالك)

التراجم

إنباه الرواة عَلَى أنباه النحاة للقاضي الاكرم الوزير القفطي
نزهة الالباب في الالقاب لابن حجر
التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق ابى سعيد جقمق لابن عربشاه
هدية العبد القاصر الى الملك الناصر ابي السعادات محمد بن السلطان الملك الاشرف لعبد الصمد الصالحي

سبك النضار وكسب المفاخر ونثر الدر ونظم الجواهر من سيرة المقر الاشرف السيفي اقباي الاسد الظافر كافل المملكة الغزية (في ايام قايتباي) لعبد الله بن محمد بن عبد الله الزكي الغزي الحنبلي

التاريخ

كتاب المقتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب

ذيل تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه تأليف ابي شجاع احد وزراء الدولة العباسية

درر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابي بكر بن عبد الله بن ايدك الدواداري المصري

كنز الدرر وجامع الغرر له ايضاً

النسب

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الاشرف ابي النصر قانصوه الغوري

الجغرافيا

صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد احمد بن سهل البلخي (بالخرائط)

صورة الارض وصفة اشكالها ومقدارها في الطول والعرض واقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ماتفرد بالاعمال المجموعة اليها (بالخرائط)

هيئة اشكال الارض ومقدار صورها في الطول والعرض (بالخرائط)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار Roger للشريف الادريسي (بالخرائط)

علوم طبيعية وميكانيكية

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن المكرم صاحب لسان العرب

الباهر في علم الحيل

الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل (بالاشكال والصور)

رحلة

تاريخ الامير يشبك الظاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحاتهم في آسيا الصغرى في ايام السلطان الملك الاشرف قايتباي)

علم حفظ الصحة

كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة للقوصوني الطبيب في عصر السلطان قانصوه الغوري

علم الحيوانات

الدر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في خزائن العباسيين عند ماهاجمها مع التتر فنقله الى بلاده وامر بترجمته ثم ضاعت النسخة العربية الاصلية وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما فتحوها فترجمه الى العربية ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن)

طب الطيور (مستخرج من خزانة الرشيد)

علم المعادن

الجماهر في الجواهر لفيلسوف الاسلام بالهند ابي الريحان البيروني

ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشي

علم الفلك

التفهيم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني

علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الخراساني بخط بيلك بن عبد الله القبجاقي

علم الموسيقى

كتاب العود والملاهي للمفضل الضبي

كشف الغموم والكرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

علم الحرب

العز والمنافع للمجاهدين بآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)

الانيق في المجانيق (بالصور والاشكال)

التذكرة الهروية في الحيل الحربية للسائح الهروي

ديانات قديمة

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب ثمسطس الذي احرقه بعضهم وترجمها احد المسلمين مع شرح الاناشيد والالحان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين وبديانة المجوس)

كتاب الاصنام لابن الكلبي

فنون متنوعة

لطائف المعارف للنيسابوري

عين السبع مختصر طرد السبع للصلاح الصفدي

الالمام بآداب دخول الحمام

الكوكب الدري في اجوبة السلطان الغوري

نفائس المجالس السلطانية في حقائق الاسرار القرآنية لجمعية من العلماء في عصر السلطان الغوري وهو في جملتهم

الترفق في العطر للفيلسوف الكندي

كتاب الاطعمة المستعملة في مصر على عهد سلاطين المماليك

الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب

بسط الشرق

من اهم مالفت انظار الغربيين في معرض الصناعات الاسلامية في مونيخ في العهد الاخير قسم البسط والسجادات الشرقية فقد قدروا مافيها من الكمال المدهش من حيث الالوان والنقوش والتراكيب وهيهات ان تعبر الالفاظ عن جمال تقطيعها وظرفها وتنوع وضعها وجماع صنعها وانضمام اشكالها وترصيعها وتوزيع زينتها السالمة من كل خلل . قالت احدى المجلات العلمية ومن اهم هذه القطع سجادة اسمها « ربيع كسرى » يرد عهدها الى الدولة الساسانية التي قضت عليها دولة العرب في القرن السابع للميلاد وقد تمازج فيها الذهب بالاحجار الكريمة وفيها صور ينابيع واشجار واطيار واصقاع بديعة تأخذ بمجامع القلب . ولقد نسج الفرس بسطاً من هذا النوع المسماة ببسط الحدائق قبل قيام دولة الاكاسرة بالف سنة فكانوا يصورون فيها غدراناً فيها اسماك واشجار اللوز مزهرة تتسلق عليها الهوام . ولم تكن تجعل هذه السجادات التي لاتدوس عليها الارجل الا متلطفة على الجدر كما هو الحال في اوربا اليوم بل كانت تبسط على الارض . وهي من عهد ارتقاء الصناعات الفارسية اي من القرن السادس عشر وكانت تباع منذ عشرين سنة ببضع مئات من الفرنكات اما اليوم فتباع بما يوازي ثقلها ذهباً . ومما عرض في هذا المعرض بساط اسمه « بساط الصيد » وهو ملك بلاط النمسا ولم يكن امبراطورها فرنسيس يوسف عارفاً بقيمة هذا الكنز الذي يحويه قصره من قبل وهو معمول في القرن السادس عشر ايضاً وفيه صورة وعلة يطاردها اسد وهذه الصورة

في بلاد الصين رمز الى طول الحياة وكثيراً ما كانت الصناعة الفارسية تنقل عن الصين وتقلدها في مناحيها ٠

معجم انكليزي

بدأت احدى بيوت المطابع في اكسفورد من بلاد الانكليز بطبع معجم للغة الانكليزية منذ سبع وعشرين سنة برئاسة السير جايمس موري وهو ارقى بموضوعه من المعاجم الكبرى في اللغة الافرنسية مثل لتره والانكليزية مثل وبستر والالمانية مثل كريم ٠ فيذكر هذا المعجم تاريخ كل مفردة وماتوالى عليها من النشوء مع ايراد الشواهد لذلك ويقوم بتأليفه الف ومائتا لغوي انتخبوا من مشاهير علماء اللغة الانكليزية ٠ وقد بلغ مجموع عناوين الكتب في مكتبة تأليفه عدة ملايين تتألف منها خزانة كتب هائلة اقتضت ان ينشئوا لها بناية خاصة من الحديد مخافة ان تسري اليها النيران وهذا المعجم يصدر في اوقات غير معينة وقد بلغوا به الى حرف ت

ويقدرون بانه ينتهي سنة ١٩١٣ اما ثمنه فغال ولكن نفقاته قد جمعت مقدماً باشتراك بعض الكتبية به ٠ فانعم واكرم بامة فيها هذا القدر من العلماء في لغتها عدا من لم يقع عليهم الاختيار وببلاد يطبع فيها مثل هذا المعجم الهائل الذي ربما تجاوز ثلاثين مجلداً وشركته تربح به من اول يوم

بردي قديم

اوصى احد المحسنين للقسم المصري في المتحف البريطاني باعظم قطعة من ورق البردي عرفت حتى الآن وطولها ٤١ سنتمتراً وعرضها ٥٠ سنتمتراً وقد حفظت حروفها ورسومها سالمة من كل سوء ٠ ويرد تاريخها الى ماقبل ٣٠ قرناً وهي عبارة عن صورة ثيبية من كتاب الاموات مشفوعة بابتهال الى الرب عمون اهم معبود في ثيبة وقد كتبت هذه الورقة قبل الف سنة من التاريخ المسيحي لابنة الملكة نيزي خانسو وهي ذات شأن عظيم في تاريخ الاديان ٠

صناعات الامراء

تناقلت الصحف ان السلطان المخلوع عبد الحميد سجين قصر الاتيني في سلانيك يصرف بعض اوقاته في النجارة بعد ان أنزل عن عرش السلطنة ٠ والعادة في الملوك والامراء ان يعنوا بصناعة من الصناعات النفيسة في الغالب او عمل من الاعمال اليدوية يروضون بها انفسهم وحواسهم وكانت هذه العادة شائعة كل الشيوع في فارس وبخارى

وافغانستان وبلوجستان وغيرها من الاصقاع الواقعة في النصف الشرقي من قارة آسيا ولكن ما كان من مميزات الآسياويين ايام حضارتهم اصبح الآن من مميزات الاوربيين في استبحار عمرانهم فمن امرائهم من ينصرفون الى علم او فن او صناعة يدوية وقد يصرفون فيها شطراً صالحاً من اوقاتهم خصوصاً اولئك الذين ليس لهم عمل حقيقي من الامراء والملوك . فقد كان الدوق كارل تيودور البافاري عالماً بطب العيون وممتازاً فيه . وكانت الملكة اميلي ملكة البرتغال منصرفة الى دراسة السل الرئوي . ومجل الامير هنري دي بروس الالماني اكتشاف طريقة لتنظيف زجاج السيارات . وعرف ملك بلغاريا بامتيازه في علم الحيل (الميكانيك) وهو الذي يسوق قاطرة القطار الملكي بنفسه . ويخصص ملك نابولي شطراً مهماً من وقته في عمل المعادن . واخترع دوق دولاندبورغ آلة دافعة جديدة للسفن . واختص الامير جواشيم في الحدادة . وكان الامير فردريك سيجسموند معلماً في التجارة . اما امبراطور المانيا غليوم الثاني فقريحته متسعة فهو شاعر ومؤلف قصص فاجعات ومصور بل هو يتوفر ايضاً على تربية المواشي والنباتات وصنع الخزف والفخار . وملكة رومانيا كاتبة من الطراز الاول . والامير اوجين السويدي مصور المناظر الطبيعية . ودوقة دارجيل نقاشة ماهرة . وكان الملك ادوارد السابع يصرف جزءاً عظيماً من وقته في تربية الحيوانات

اعظم البوارج

انشأت شركة ويت ستار الانكليزية بارجتين للسفر بين سوسامبتون احدى موانئ انكلترا ونيويورك في اميركا وهي من افخم ما عرف حتى الآن دعتهما (اولمبيك) و (تيتانيك) وقد انزلت الاولى الى البحر وقريباً تنزل الثانية وطول كل واحدة منهما ٢٥٩ متراً وربع متر وعمقها ٢٨ متراً و ٢١ سنتمتراً ومحمولها خمسون الف طن ولها ثلاث آلات دافعة وتقطع ٢١ عقدة في الساعة وهي بقوة ٤٦ الف حصان

حكم افرنجية

اذا تولى بعضهم المناصب يؤثرون ان يعملوا اعمالاً سخيفة على ان يبقوا بلا عمل (ارسين هوساي)

لمرء بعض الآمال الخيالية التي قد يتعذر الحصول عليها والتعلق باهداب المحال وطلب الابلق العقوق او الصعود الى العيوق (عمانويل اربن)

لا تعمل الحكمة شيئاً مع احساس الضمير العام (كيزو)

الاقتناع هو الارادة الانسانية البالغة ابعد مراقيها (بالزاك)

ابداً يظل المرء غير راض عن حاله اذا قاسه باحسن منه (لافيس) .

اياك والتساهل في النفقات الصغيرة فان ثقباً صغيراً يجري فيه الماء تغرق منه سفينة كبرى « فرانكلين »

ان العلائم الظاهرة للحزن الكبير تأتي لي الاحياء كما تكون القباب بلية على الاموات فانها كثيراً ماتكون علامة الكبرياء اكثر مماتكون علامة الحزن والفضيلة «شاتو بريان»

كلنا محكوم علينا ان نموت وما الولادة الا مبدأ الموت « غوتيه »

ان الاكثار من الكلمات للتعبير عن اثر مشهور اشبه بقطعة من الذهب تبدلها بنقود زائفة « بومارشيه »

الاموات غير مرئيين ولكنهم غير غائبين « هوغو »

للقلب عقل لايعرفه العقل نفسه « باسكال »

اذا سار المرء على خطاه يستحيل ان يصل الى الحقيقة « جوي »

لايجني خريف الحياة الا ماغرسه كل يوم منها « كراتري »

الانسانية تأمرني ان اظن خيراً اكثر مما اظن شراً « بوسويه »

من عاقب وهو في حال الغضب فلايريد من عقابه الاصلاح بل الانتقام «مونتين»

ان مما يصعب علينا ان لانكون على اتفاق مع حبنا ذاتنا « اسيل »

كلما وقع في نفس الانسان ان ليس شيء مستحيلاً يقوم باعمال اكبر مما كان يظن « ماليب »

من الامراض ان يتطلب المرء الموت واعظم منها مرضاً ان يخاف الموت

الشهوات كانواع الاطعمة ابسطها هي التي لاتتقزز منها النفس

على المرء ان يطيل نظره في نفسه قبل ان يفكر في الحكم عليه

الطاعة اعظم فرحة للمرأة بعد الحب

على المرء ان يحجب بنفسه لان البشر لايعدلون الا مع من يحبون

كانت الضرورات في المجتمعات القديمة هي الزوائد اما في المجتمات الحديثة فان الزوائد هي الضرورية

اذا اردت ان يظن بك خيراً فلا تذكر انت ذلك (باسكال)

نحب العدل كثيراً وقلما نحب العادلين

الواجب عليَّ ان اقوم بما تفرضه عليَّ الحياة من الواجبات عَلَى اي صورة وكيفية ولكن الواجب القيام بها .

الكسلان الصحيح الجسم اردأ من المريض لانه يأكل ضعفين ولا يعمل عملا .

ان من يهتمون ابداً لصحتهم هم كالبخلاء يجمعون الكنوز بدون ان يستمتعوا بها

ان قلباً مفطوراً عَلَى الاستقامة التامة لا يرضى عن الترقيع في الاخلاق كالاذن الصحيحة السمع لا ترضى عن الموسيقى الرديئة .

ان من يعتقدون من انفسهم الذكاء اكثر من غيرهم هم اقرب الى الانخداع غالباً

الديانة أم يتخلى عنها الانسان عند ماينادبه داعي سعده وهي تنتظرك يوم تصيبك البوائق (دي ليڤي)

ان اصلاح نفوس اغلب الناس عبارة عن ادخال القلب والابدال عَلَى رذائلهم

الافكار رأس مال لاتأتي بفائدة الا في ايدي من رزقوا القرائح والعقول .

تأتي عَلَى المرء احوال يكثر فيها غمه اكثر من الباكين ويتمنى الدموع ان تجري في مآقيه فلا يجدها

السكك العثمانية

اصدر المسيو الكسيس راي كتابه الرابع عشر في احصاءآت السكك الحديدية العثمانية وحساباتها في السنة الماضية جاء فيه ان دخل السكك العثمانية في آسيا كان متوسطاً اما مجموع الدخل في السلطنة فقد زاد عن السنة السابقة اذا حسبنا مانقص من سكة الروملي من جهة بلغاريا منذ اعلنت استقلالها وقدر النقص ب ٣١٠ كيلومترات . وقد نقصت الضمانات الكيلومترية في السلطنة ٥٧٩ الف فرنك وتنقص كثيراً في ميزانية سنة ١٩١٠ . اما السكة الحجازية فقد بلغ طولها ١٥٠٠ كيلو متر ودخلها ٣ ملايين و ٨٠٠ الف فرنك . وهاك ما اعطته الحكومة العثمانية من الامتيازات الجديدة : ١ً تمديد سكة بغداد بقدر بخط يبلغ طوله ٨٢٠ كيلومتراً وقد بدأت الاشغال في نقط مختلفة منه ومما تقرر ايضاً مد هذا الخط الى حلب . ٢ً تمديد خط حمص — طرابلس وطوله ١٠٢ كيلو متر وصار على اهبة النجاز . ٣ً امتياز فرع من باندرما الى صوما وطوله ١٩٠ كيلومتراً ويتصل بازمير وبحر مرمرة وبذلك تقرب المسافة بين ازمير والاستانة . ٤ً امتياز فرع من بابا الى اسكي كليسا وطوله ٤٠ كيلومتراً وهو لشركة الروملي والخطوط الثلاثة الاخيرة لا ضمانة كيلومترية لها ومجموع

الخطوط الاربعة الجاري العمل بها يبلغ طولها ١١٥٢ كيلو متراً منها ١١٠٢ كيلو متراً في آسيا و٤٠ في اوربا وهذا بيان توزيعها على الامم

٨١٩ كيلو متراً للالمان ٢٩٣ للفرنسيين و ٤٠ للنمسويين

وهذا بيان ما تستثمره الامم حالاً من السكك جمعاء في السلطنة

١١٩٧ كيلو متراً للفرنسيين و ١٤١٩ للالمان و ١٥٠٠ للعثمانيين و٩٥٥ للنمسويين وبين و ٩٠٩ للانكليز و٤٤ لامم مختلفة

ويتبين من ذلك ان الالمان اذا اتموا مد الخطوط المعهودة اليهم يصبحون في مقدمة الجميع اذ يبلغ مجموع خطوطهم ٢٣٣٩ كيلو متراً ويتلوهم الفرنسيون بخطوط مجموعها ١٩٨٩ كيلو متراً

مخطوطات ومطبوعات

الدروس العربية

تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٨ ص ٨٨

اعتاد صديقنا صاحب هذا الكتاب ان ينشر من قلمه كل ما فيه تصحيح الافكار وبث اللغة وسفره هذا في النحو من سلسلة كتب في الصرف والنحو وفنون البلاغة والانشاء وقرض الشعر والادبيات واللغة كتبه بعبارة سهلة يفهمها التلميذ وشفعه بتمارين نثرية وشعرية تفيد في احكام ملكة الاعراب فنشكره على غيرته على الآداب ونرجو له اتمام هذه السلسلة

الطريقة القدسية

او طريقة جديدة للقيودات المزدوجة لواضعها الياس بك القدسي طبع بالمطبعة البطريركية الارثوذكسية بدمشق ص ٣٢

اجاد صديقنا في وضع هذا الكتاب في علم الدوبيا او طريقة القيود المزدوجة وقد قال في مقدمته ان الايطاليين كانوا اسبق الامم الى استعمال هذه الطريقة في منتصف القرن الرابع عشر وكان اول كتاب ظهر في انكلترا من نوعه سنة ١٥٦٩ سماه مؤلفه فن حسابات التجار الطليان او مسك الدفاتر بالقيودات المزدوجة وقد وجد في مدينة جنوة سجل امين صندوق البلدية مؤرخاً في سنة ١٣٤٨ وفيه الحسابات مدونة على

هذه الكيفية ولكن هذه الطريقة لم تشع في اوربا الا في القرن السابع عشر والثامن عشر قال ولم تدخل هذه الطريقة الى بلادنا الا نحو سنة ١٨٦٥ اذ قام المعلم سليم غاليه الدمشقي وطبع كتابه البدر المنير في اصول الزنجير والف بعده المعلم ظاهر خيرالله الشويري كتابه لحة الناظر في مسك الدفاتر ورسالة ترويض المباشر في مسك الدفاتر وتبعه آخرون ووضعوا كتباً عَلَى الطريقة الايطالية وقد شرح المؤلف طريقته الجديدة المبتكرة احسن شرح يفهمه طالب هذا العلم النافع فله منا الثناء عَلَى غيرته وفضله

ديوان سلامة بن جندل

رواية ابي سعيد الاصمعي نشره الاب لويس شيخو طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٠ ص ٤٩

نشر هذا الديوان في مجلة المشرق اولاً عن نسختي الاستانة والاسكندرية وعلق عليه منشئها الباحث ملحوظات واصطلاحات وعد سلامة في شعراء النصرانية بالطبع . وشعر العرب العرباء كله مما يقتنى فللناشر الاديب الشكر عَلَى عنايته بنشر آثار العرب في اي مظهر اظهرها

كتب متفرقة

الاحكام السلطانية — هذا الكتاب للماوردي المتوفى سنة ٥٤٠ مشهور متداول وقد أُعيد طبعه الآن وعني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني ويطلب من محل محمد امين افندي الخانجي في مصر والاستانة

دروس التاريخ الاسلامي — للشيخ محي الدين الخياط وقع في ٩٦ صفحة وهو القسم الثالث منه يشتمل على مجمل تاريخ بني امية في الشرق وخريطة الدول العربية الاسلامية ويطلب من المكتبة الاهلية في بيروت .

الخراج في الشرع الاسلامي — كراسة للمسيو كولوزيو طبعت في تونس باللغة الافرنسية ذكر فيها تاريخ الخراج في ١٦ صفحة

هل اللغة العربية ميتة — كراسة للمسيو كاموسي قدمها الى المجمع العلمي القرطاجني في ١٧ صفحة قال فيها ان العربية لاتشبه الافرنسية فقد ظلت زاهرة الف سنة ومنذ ثلاثمائة سنة وقفت عن النمو اما الافرنسية فقد مضى عليها الف سنة وهي في حال التثبت واخذت تنمو منذ ثلثمائة سنة وليس القرآن هو السبب في وقوف العربية بل ابناؤها وميلهم عن الع[illegible]

وقاية الشبان من المرض الافرنجي والسيلان — هو كتاب وضعه الدكتور سعيد ابو جمرة صاحب الافكار البرازيلية منذ بضع سنين ونفدت طبعته الاولى فاعاد طبعه الآن واصفاً هذه الامراض المدهشة وعلاجها وطرق التوقي منها بلسان علمي وقد وقع في ١٧٢ صفحة من قطع الوسط وهو يعد من الامهات في هذا الباب

مجلتان جديدتان

الورقاء — مجلة علمية ادبية صناعية لمنشئها الخوري قسقفوس جرجس شلحت تصدر في حلب مرة كل شهرين في ٧٦ صفحة وقيمة اشتراكها ريال في حلب وخمسة فرنكات في غيرها

سمير الصبا — مجلة ادبية فنية فكاهية تصدر في حمص مرة في الشهر لصاحبها شكري افندي فارس لوقا في ١٦ صفحة وقيمة اشتراكها ١٢ غرشاً في حمص و١٥ في غيرها او ٣ فرنكات وربع في الخارج

خاتمة السنة الخامسة

نحمدك اللهم ان يسرت لنا ختام هذه السنة من المقتبس على النحو الذي نحوناه منذ اول تأسيسه. وبعد فقد اضطرتنا الحال الى التعجل في اصدار اجزاء هذه السنة لتعود الى اعتبار المحرم اول سنة المجلة ونجبر المدة التي انقطعت فيها عن الصدور اشهراً في العام الفائت فاصدرنا اجزاء اثني عشر شهراً في نحو ستة اشهر والفناها كذلك حتى جاءت بفضل الله وبيض ايادي موازرينا من اهل البحث والعلم لاتقل في تجويد الموضوعات عن السنين السالفة ان لم نقل انها احسن على كثرة ماانتاب مجرى العمل من العوارض. وفي مأمولنا ان تبدو هذه الصحيفة في سنتها السادسة في مظهر ارقى يكون لاثقابنا أن العصر ونهوض البلاد بكثرة سواد الراغبين في العلم والتعلم اليوم بعد اليوم والله نسأل هدايتنا وتسديدنا والتجاوز عن هفواتنا وسيئاتنا وهذا جهد المقل وما على من يبذل جهده من حرج والسلام

هدية لخزانة كتب الكلية الصلاحية بالقدس
من صاحب المقتبس
محمد كرد علي
دمشق ٤ شعبان ٣٢٩

المقتبس

مجلة تبحث في التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد والادب والتاريخ والآثار واللغة وتدبير المنزل والصحة والكتب وحضارة العرب وحضارة الغرب

AL-MOKTABAS

Revue mensuelle paraissant à Damas (Syrie)

Pédagogie. sociologie, économie politique, littérature, histoire, archéologie, philologie, ménagerie, hygiène, bibliographie, civilisation arabe et occidentale.

تصدر في كل شهر عربي بدمشق

لمنشئها

محمد كرد علي

المجلد السادس

١٣٢٩ — ١٩١١

قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف
وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً
ABONNEMENT 13 FRCS.
طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة السادسة

يفتتح المقتبس سنته السادسة بحمده تعالى ان يسر له قطع شوط صح عده شيئاً في عمر المجلات . ويغتبط اليوم ان يرى له موقعاً من نفوس العلماء والادباء ومكاناً من مجامعهم وانديتهم وسبيلاً الى الانتشار بين الخاصة في كل بلد يتكلم اهلها باللغة العربية او يرغبون في تلقفها . ويعود فيعاهد قراءه على ان يتعاهدهم كل شهر كما عودهم بنشر الابحاث النضيجة مشبعاً اياها درساً وتمحيصاً ما ساعدته بيئته ومادته فينقل للشرقيين ماتبرزه عقول الغربيين ويمثل للغربيين ما تنتجه قرائح الشرقيين من الاقدمين والمحدثين ويعنى من المباحث عناية خاصة بعلوم التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد واللغة والادب والتاريخ والآثار وتدبير المنزل والصحة والكتب وحضارة العرب وحضارة الغرب ولا يتعرض للعلوم الاخرى الا بقدر ماله علاقة بالموضوع ويتجافى عن مس العواطف الدينية والمنازع السياسية عملاً بالخطة التي رسمها في اول جزء صدر منه على صفحات الأجل

ولقد هيأ الزمان لهذه المجلة طائفة من العلماء الباحثين والكاتبين المفكرين اخذوا على انفسهم كما فعلوا في السنين الغابرة ان يوافوها اثابهم الله الشهر بعد الشهر بخلاصة ابحاثهم ويعلموا الناس مما علموا وزكنوا وهذا مما يزيد الثقة بهذا العمل العلمي وعمل الجماعة امتع وانفع وعمل الفرد لايخلو من ضعف وضؤولة وهاك اسماءهم اقراراً بافضالهم على العلوم والآداب :

احمد بك تيمور (القاهرة) احمد بك زكي (القاهرة) امين افندي ريحاني (نيويورك) الشيخ جمال الدين القاسمي « دمشق » جرجي افندي الحداد « دمشق » خليل افندي رفعت « دمشق » خليل بك سعد « بيروت » رشيد افندي بقدونس « سلانيك » رفيق بك العظم « القاهرة » زكي افندي الخطيب « سنجار » صلاح الدين افندي القاسمي « دمشق » ساتنا « بغداد » سليم افندي البخاري « دمشق » شكري افندي العسلي « دمشق » الشيخ طاهر الجزائري « القاهرة » الدكتور عبدالرحمن شهبندر « دمشق » عبدالقادر افندي المغربي « طرابلس الشام » عبدالله افندي مخلص « حيفا » عبد الوهاب افندي الانكليزي « الباب » عيسى افندي اسكندر معلوف « زحلة » فارس افندي الخوري « دمشق » فارس افندي فياض « دمشق » محمود شكري افندي الآلوسي « بغداد » يوسف افندي جرجس زخم « نبراسكا »

كتاب البئر

من مصنفات امام ائمة اللغة والادب ابي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي
توفي سنة ثلاثين ومائتين رحمه الله
ترجمته في ص ۲۰۷ من كتاب نزهة الالباء
عني بنشره وتعليق حواشيه السيد محمود شكري الآلوسي

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الشيخ الامام ابو محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن الخشاب النحوي قراءة عليه وانا اسمع بجامع القصر من مدينة السلام يوم الجمعة ثالث عشري شهر الله الاصم من سنة خمس وخمسين وخمسمائة . قال اخبرنا القاضي ابو الخير محمد بن محمد بن الحسن الفرآء قال انبأنا الشيخ ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري ، قال اخبرنا ابو عمر محمد ابن العباس بن حيويه الخزاز قراءة عليه في شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة .

قال قرأ هذا الكتاب ابو الحسن الرزاز علي بن عبد الله محمد بن احمد الحكيمي سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وانا حاضر اسمع قال حدثنا ابو العباس احمد [1] يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي قال وقرأه الرزاز ايضا على ابي عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب بمعنى التصحيح قال : صفة البئر عن ابن الاعرابي .

قال واخبرني ايضا الشيخ الامام المهذب ابو الحسن علي بن عبد الرحيم بن الحسن ابن عبد الملك بن ابراهيم بن عبد الملك السلمي الرقي قرآءة عليه بمدينة السلام في منزله في شعبان من سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسمعته ايضا من قرآءته قال : اخبرنا الشيخ الحافظ ابو الفضل محمد بن الناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي والفقيه ابو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الانصاري قرآءة عليهما في صفر سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة فاقر به قال : اخبرنا الشيخ ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قرآءة

---

(۱) كذا الاصل وفي كتاب نزهة الالباء في طبقات الادباء ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوي المعروف بثعلب كان امام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه الى آخر ما قال

عليه في يوم الجمعة خامس عشر صفر من سنة احدى وتسعين واربعمائة فاقر به قال : اخبرنا ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قراءة عليه وانا اسمع في المحرم سنة احدى وخمسين واربعمائة قال اخبرنا ابو عمر محمد بن العباس بن زكريا ابن حيويه الخزاز قراءة عليه في يوم الاربعاء النصف من شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة قال قرأ ابو الحسن الرزاز رحمه الله تعالى عَلَى ابي عبيد الله محمد ابن احمد الحكيمي سنة اربع وثلاثين وانا حاضر اسمع . قال : اخبرنا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي وقرأه الرزاز وانا حاضر اسمع عَلَى ابي عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب عَلَى معنى التصحيح قال :

صفة البئر

عن ابن الاعرابي قراءة عَلَى ابي العباس احمد بن يحيى النحوي عن ابي عبد الله محمد بن زياد الاعرابي قال : يقال للارض اذا لم يكن فيها حفر فحفر فيها « ارض مظلومة » قال الشماخ :

وأس رماد كالحمامة ماثل ونؤيان في مظلومتين كلاهما

و يقال اذا حفر قعدة الرجل او قعدتين قيل « حفر اوقة (١) او اوقتين » قال الشاعر

وانغمس الرامي لها بين الاوق (٢)

قال ابو عمر هو اوقة بالفتح وجمعها اوق كذا سماعي من ثعلب قال ابو العباس الاوقة بئر الصائد التي يستتر فيها من الوحش فاذا ابتدأ حفر البئر فهي بدء فاذا حفر الى اسفل قيل قد اعتمق وامتعق وحفر معيق وعميق واذا اخذ جانبها قيل قد لجف (٣) قال الشاعر

اذا انتحى معتمقا او لجفا

و يقال لجانب البئر الجال والجول وانه لغير ذي جول اي انه قليل العقل وانه لغير

(١) وفي القاموس الاوقة الجماعة وبالضم الركية مثل البالوعة في الارض

(٢) الرجز لرؤبة وآخره « في غيل قصباء وخيس مختلق »

«٣» الملجف الذي يحفر في ناحية من البئر والتلجيف التحفر في نواحي البئر ولجفت البئر تلجيفا حفرت في جوانبها وفي حديث الحجاج انه حفر حفرة فلجفها قال العجاج يصف ثوراً :

بسلهبين فوق انف ادلفا اذا انتحى معتمقا اولجفا

قوله بسلهبين اي بقرنين طويلين

متماسك الجول يقال ذلك للرجل اذا كان يحمق فاذا حفرها حتى يبلغ الماء قيل قد انبطها والماء هو النبط وفطرها اذا كان هو ابتدأها

واختصم الى ابن عباس رضي الله عنهما رجلان في بئر فقال احدهما بئري انا فطرتها اي ابتدأتها واستخرجتها ٠

فاذا انفذتها في الجبل قيل بئر خسيف وهي التي خسف جبلها قال الشماخ :

من الكلى في خسف رويات

ويقال حفر حتى اعان واعين اى حتى استخرج الماء وحفر حتى اصلد اذا وقع على موضع صلب او على حجر وكذلك اكدى قال ابو زبيد :

ياعثم ادركني فان ركيتي صلدت فاعيت ان تبض بمائها

وحفر فاجبل وقع على جبل واسهب وقع على رمل او تراب يغلبه

ويقال لتراب البئر البغيثة والنبيثة (١) والنثيلة والثلة والسفاة قال الهذلي :

وقد ارسلوا فراطهم فتأثلوا قليبا سفاها كالاماء القواعد

ويقال ماء نمير اذا كان يوافق الشاربة وينجع في جلودها واجسامها عذبا كان او غير ذلك قال حاتم :

وشربت بالماء النمير ولم أترك ألاطم حمأة الجفر

وقال آخر :

قد جعلت والحمد لله تقر من ماء عد في جلودها نمر

قال ابو عمر : تقر تسكن من قولك قر يقر اذا سكن ويقال ماء شريب عذب وشريب ايضا ثقيل وماء ماج وقد موج يموج موجة ومياه مائجة

واسماء البئر

الركية والجمع ركايا ٠ والقليب والجمع قلب ٠ والفقير وهي التي فقر جبلها فاتخذت حديثا ٠ والطوي والجمع اطواء ٠ والبدني وهي الجديدة الحفر وهي الواسعة الرأس لانها ربما تقوضت واتسع رأسها وربما كانت غير بعيدة القعر ٠ والبدي حين تبتدأ وهي

(١) قال ابو زيد نبث ينبث نبثا مثل نبش ينبش وهو الحفر باليد والنبيثة تراب البئر والنهر قال الشاعر

وان نبثوا بئري نبثت بثارهم وسوف ترى ماذا ترد النبائث

وخبيث نبيث اتباع

القريح وقال بعض الاعراب البدي يحفر لغرس يريد الفسيل والماتح (١) يضع رجلا على هذا الجانب ورجلا على هذا الجانب الآخر ·

والبدي مربعة وهو يتبع منها بيده بغير قامة فاذا دورت رأسها فهي القليب ويقال لفم البئر شحوتها وجرابها جوفها من اعلاها الى سفلاها ويقال بئر شديدة الجراب اذا لم تحتج ان تطوى والبئر والركية اثنان والقليب والطوي ذكران قال ابو عمرو : القليب والطوي يذكران ويؤنثان والشطون من الركايا التي في جوانبها عوج لايخرج دلوها الا بجالين · فاذا طويت بخشب فهي معروشة وقد عرشت تعرش عرشا والمزبورة المطوية بالحجارة وغير الحجارة يقال زبرتها زبرا وضرستها (٢) اضرسها ضرسا طويتها بالحجارة واذا استقي بالدلو من البئر باليد قيل بئر متوح واذا كانت على بكرة بنزع باليد نزعا قيل نزوع ونشوط التي انما حبلها نشطة واحدة وبئر انشاط اذا خرج دلوها بجذبة واحدة قال ابو عمرو انما هو انشاط بالفتح جمع نشط قال ابو محمد يوسف بن الحسن : روى الطوسي وغيره انشاط بالكسر ويجوز انشاط بالفتح جميعا ويقال ماء رفق وهو القريب المنشا القصير الرشا وماء عضوض بعيد القعر وانشدنا

ايت على الماء العضوض كأنني رقوب وما ذو سبعة برقوب

وماء مدرع (٣) قريب من المرعى قال ابو عمرو : انما هو مدرع بفتح الراء وماء باسط بعيد وماء مطلب اذا ابى ان يطلب وبئر عضوض وبروض ورشوح والاصل رشوح بالجيم قال ابو عمرو تمارشوح بخاء معجمة ومكول هي التي يجتمع ماؤها قليلا يقال قد اجتمعت فيها مكلة واذا كانت لايؤخذ ماؤها الا غرفا فهي قدوح ويقال قدحتها اقدحها قدحا واذا كانت يأتي ماؤها مرة ويذهب أخرى فهي الظنون واذا كانت اذا استقي ماؤها

---

(١) وفي كتاب المتعد المنيم لابن الجوزي الماتح بالتاء المثناة من فوق الذي يستقي من فوق والمايح بالمثناة من تحت الذي يستقي من داخل البئر قال وهذا من اسرار اللغة بسبب موافقة اللفظ للمعنى وقد اطنب في بيان ذلك

(٢) والضرس بضم الضاد الحجارة التي طويت بها البئر قال الراجز :

اما يزال قائل ابن ابن الوك عن حد الضروس واللبن

وبئر مضروسة وضريس اي مطوية بالحجارة

(٣) وماء مدرع كمحسن ومعظم اكل ماحوله من المرعى فتباعد قليلا وماء باسط بعيد من الكلاء

جمت بماء آخر قيل بئر جموم واذا كانت اذا قلت الامطار قل ماؤها قيل بئر قطوع واصابت الناس قطعة اذا غار ماؤهم وانقطع الماء وهو مقطع وقاطع وقد قطع

واذا كانت البئر حبلها عن لعوج في جرابها قيل بئر بيون وبئر زوراء وذحول اذا كان في خلقها عوج واذا كانت البئر الى جنبها بئرا اخرى تضر بها قيل بئر ضغيط وبئر مأ اورة مثلها وبئر سك اذا كانت ضيقة وانشدنا .

صبحن من وشحى قليبا سكا

قال ابو عمر : وشحى محركة وبئر بئر ذمة قليلة الماء وبئر فراط وهي التي من سبق اليها ليس لاحد ان ينمه وبئر جموم سريعة رجوع الماء ويقال للماء اذا خرج من عيونه فارتفع في البئر جم يجم جما والماء نفسه الجم ويقال استق من جم بئرك وقال الغنوي وسئل ما مائك فقال ساحات فيح وعين هزهز قريبة مرتكض الجم اي يجم ماؤها سريعا وهزهز يهتز بالماء الصواب هزهز قال ابو عمر : سألت ابا العباس عن هذا الحرف مرارا فقال هزهز لي لفظ عدبد قال واذا كان يغرف ماؤها باليد قيل بئر غروف واذا دام ماؤها في المطر والقيظ قيل بئر واتنة وقد وتنت تتن وتونا واذا كانت كثيرة الماء قيل بئر قليذم وانشد

ان لنا قليذما همومـا   يزيدها مخج الدلا جموما

واذا لم ينزح ماؤها قيل بحرها لا ينكف ولا ينكش ولا يوبى ولا ينضغض ولا يغرض ولا ينفج وبئر سعبر والخضرم والعيلم الغزيرة وبئر مادة وبئر مدة كثيرة الماء وبئر نبط التي يخرج ماؤها من عرضها ويقال للبئر اذا قل ماؤها غار يغور غورا وغؤورا وقد نكزت ايضا قال

فظلت باعراف كأن عيونهـا   الى الشمس بل تدنو ركي نواكز

انكزت تنكز نكوزا وهي ناكز واذا اندفنت ثم اخرج ترابها واسعت بجديد قيل بئر نثول والجمع نثل واذا اندفنت قيل بئر دفن ودفان واذا عطلت حتى تخرب قيل بئر سدم والجمع اسدام واذا كانت نادية فالتقطت والقيا بهم اياها ووقوعهم عليها قيل بئر لقيط وبئر خابية مثلها وكانت ندية لامة من الامم فالتقطت وعدما كان نبذه من الارض يجم عشر قيم الى الاثنين قامة واذا كان في طي البئر حجر نادر فهو العتاب يقال اصلح عقاب بئرك فيخرج حجرا في الدلي فيهدمه ليقوم عليه نال والماية ان يجذب الحبل عن حجر ناتئ في جانب البئر قال :

لو ان سلمى شهدت[١] مطلي تمتح او تدلج او تعلي
اذاً لراحت غير ذات دل

وقال آخر :

اكل يوم قائل أين أين دلوك عن حد الصفيح واللبن

والثمد ان تكون كالبئر الا انه لاتكون من عيون اذا انقطع حفر ذراعان او قامة فيخرج فيشرب اياما ثم ينقطع والحسى دائم لا ينقطع والجمع [٢] احساء وحساء . والحسى يسمى الكر واذا تغير الماء في القليب قيل قدعرمض وسجس الماء في القليب وهو الصرى والصرى مقصوران يقال ماؤها صرى فاستق من غيرها ويقال أجن وأسن يأجن ويأسن اسنا واجونا وأسن أسنا واذا علته جليدة من طول الترك قيل دوى يدوي تدوية وماء داو كما ترى فاذا علته خضرة قيل قد طحلب وعرمض وغلفق ويقال بئر ذات طاق اذا كان فيها دور وهي حروف نادرة وعرش البئر خشباتها التي يستظل بها عليها يطرح الثمام قال الراجز :

اكل يوم عرشها مقيلي حتى ترى المئزر ذا الفضول
مثل جناح السيد الغبيل

ويقال محشوشة وحشوا بئركم اي اكسوها وبئر مجهودة اذا نقيت حتى حمأتها ويظهر حرطينها فقد جهرت تجهر جهراً والاذاء حجر يجعل في مصب الدلو لئلا يخرق الماء الحوض وهو في بئر الماشية والابل وفي بئر الفرع والقف والدعامة مقام الساقي في اعلى البئر وانما سميت دعامة لانه يدعم بها طي البئر فيضغطه وهما شجرتان يدعمان طي البئر قال الشاعر :

لما رأيت انها[٣] لاقامه وانني ساق على سآمه
جذبت جذبا[٤] زعزع الدعامه

والمثابة مقام الساقي انشد ابو الجراح .

ياعين بكي عامراً يوم النهل قام على مثابة زلج فزل

والشجار خشبتان على جانبي البئر عليهما عارضة ودون العارضة بقدر ذراع او ذراعين

(١) ابصرت نسخة (٢) ومنه سميت الاحساء البلدة الشهيرة قرب البحرين لكون مياهها كذلك (٣) انه نسخة (٤) نزعت نزعاً نسخة

عارضة اخرى والنعامتان خشبتان فيما بين العارضتين في كل جانب واحدة فتانك النعامتان وفيها المحور والمحور ممدود مجبل الى العارضة وانشد

لولا الزمام اقتحم الاجاردا بالغرب او دق النعام الساجدا

واذا كانت عارضتا البكرة وعضدها من حديد كان او خشب الواج فيها والبكرة اذا كانت على ركية جرود فهي محالة الابل واذا قالوا تعوب فهو خشبة مدورة عظيمة لها اسنان فيها كأسنان الرحى قال الشاعر .

كأن صوت نابه الاذب صريف خطاف بتعوقب

و يقال للذي يجري عليه الحبل من البكرة المحرث واذا كان الشجاران من بناء طين اوحجارة فهما الزرنوقان والقرنان قال الشاعر

تأمل القرنين فانظر ماهما اججرا ام مدرا تراهما

فاذا وقع الحبل من البكرة وعضدها قيل مرس الحبل وامرسته انا فيقال امرسه اي اخرجه قال الشاعر .

بئس مقام الشيخ امرس امرس اما على قعو واما اقعنسس

والمرس اسم الحبل قال ابو العباس امرسه التاه بين الخد والبكرة وامرسه اخرجه وقد مرس الحبل نفسه قال الشاعر .

ولا تلبسوا لي الارض فيما دنني اخاف شليكم ناقتي حين تمرس

في نوادر ابن الاعرابي وليس من الكتاب

ولا يلبسوا لي الارض فيما فانني اخاف عليكم حبقي حين تلبس

هذا آخر كتاب صفة البئر عن ابن الاعرابي

في ارض الجليل

من دمشق ركبنا قطار السكة الحجازية قاصدين الى بلاد الجليل فاجتاز بنا سهول حوران وجزءاً من وادي الأردن والغور ومعظم البلاد التي مررنا بها تبعث النفس على النظر والعين الى التحديق والفكر الى التأمل لما جرى فيها من الوقائع والحوادث في سالف الاعصار

وان ارضاً اخرجت رسولاً كالسيد المسيح عليه الصلاة والسلام فكانت مهوى افئدة اهل النصرانية في العالم على اختلاف الاعصار والاقطار لحرية بان تزار مهما شطت بقاصدها الديار فما بالك وهي الآن متناول بضع ساعات في قطار البخار . وان بلاداً مضى على ابناء اسرائيل الوف من السنين وهم لم ييأسوا من استرجاعها لجديرة ان يخف اليها كل من يروم البحث في اجتماع الامم وافتراقها

يحد بلاد الجليل شرقاً الأردن[1] وجنوباً الكرمل وجبال افرايم وغرباً بحر الروم وشمالا فينيقية ولبنان وتسمى هذه البلاد جليل الامم لكثرة الامم فيها وفي الجليل تربى يسوع وفيها صرف اكثر مدة خدمته جهراً فدعي جليلياً وكان تلاميذه جليليين ماعدا يهوذا الاسخريوطي واشتهر الجليليون بشدة البأس فقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي كان هو نفسه جليلياً انهم كانوا يتمرنون على استعمال كل انواع الاسلحة منذ الصغر . وقد اشتهروا بشدة مقاومتهم للرومانيين وآل خراب اورشليم الى نجاح الجليل فاصبحت دار العلوم اليهودية ونقل اليها السنهدريم « مجمع الامة العظيم » فجعل اولا في اوشته وهي الآن خربة هوشته قرب شفا عمرو ثم نقل الى شفرام وهي الآن شفا عمرو ثم الى بيت شعرايم وصفوري وطبرية وكانت الجليل مقسومة الى قسمين الجليل السفلى وطولها من طبرية الى زبولون قرب عكا وعرضها من قرية كسالوت قرب تابور الى بيرصبع (غير بير صبع في الجنوب) وكان فيها على رواية يوسيفوس ٢٤٠ قرية وفي اصغرها ١٥٠٠٠ من السكان والجليل العليا طولها من ميلون غرباً الى طلة قرب الأردن شرقاً وعرضها من بير سبع جنوباً الى بقعة على حدود ارض صور شمالاً

ومعنى الجليل بالعبرانية الدائرة او المقاطعة[2] وكانت تطلق خاصة على القطر الشمالي

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

(٢) دليل الارض المقدسة الجديد لمسترمان - P. Barnabé Meistermann. Nouveau Guide de Terre Sainte 1907

من ارض الموعد وفيها عشرون مدينة اعطاها سليمان الى ملك صور لقاء خدمه في عمارة المعبد في القدس وكان يسكن هذه البلاد جمهور من الوثنيين ومن هنا اشتق اسمها جليل الامم وكانت بلاد الجليل تمتد على عهد عيسى الى ضفاف بحيرة طبرية ثم دخل فيها سهل يزرعيل «مرج ابن عامر» وعلى عهد السيد المسيح كانت عبارة عن ارض عازر ونفتالي وزبولون واز باخار وظلت منقسمة الى جليل اعلى وجليل اسفل الاول يمتد الى شمالي الخط الممتد من عكا الى كفر ناحوم والثاني يدخل فيه القسم الجنوبي

ويمكن على الجملة ان يقال ان ارض الجليل واقعة اليوم في الجهة الشمالية من بلاد فلسطين بين لوائي عكا ونابلس وفي الجهة الغربية من نهر الأردن ويدخل فيها قضاء صفد وقضاء طبرية وقضاء الناصرة وبعض قضاء جنين ومن اعمالها مرج ابن عامر وكانت اهم مدن الجليل بطلومايس التي اصبحت فيما بعد عكا[1] وصفوريه والناصرة وكفركنة وبتولي وكفر ناحوم وسكانها كما هم الآن مزيج من امم مختلفة واهم عناصرهم اليهود والاشوريون وكان هذا الاقليم على عهد ظهور النصرانية عامراً جداً بالسكان غنياً مزهراً وله حياة سياسية كما له حياة دينية وجميع انواع العبادات والمذاهب تجري فيه حرة مطلقة لا شيء ينغص عليها امرها وتكثر فيه النباتات والزهور من كل نوع وفيه غابات كثيرة كان يستخرج منها خشب السفن

وعرف العرب ارض الجليل بجبل الجليل فقال ياقوت ان جبل الجليل في ساحل الشام ممتد الى قرب حمص «كذا» كان معاوية يحبس في موضع منه من يظفر به ممن ينبز بقتل عثمان وقال ابن الفقيه وكان منزل نوح عليه السلام في جبل الجليل باقرب من حمص في قرية تدعى سحر ويقال ان بها فار التنور قال وجبل الجليل بالقرب من دمشق ايضاً وهو جبل يقبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل وما كان بالأردن فهو جبل الجليل وهو بدمشق لبنان وبحمص سنير . وهذا التعريف اقرب الى الجلاء من غيره . وقال ابن عساكر ان جبل الجليل من اعمال صيداء وبيروت من ساحل دمشق . وهو تعريف حسن في الجملة قال ابو قيس بن الاسلت

فلولا ربنا كنا يهوداً ... وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى ... مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا اذ خلقنا ... حنيف ديننا عن كل جيل

«1» معجم لاروس الجديد Nouveau Larousse illustré

قلنا ان ارض الجليل كانت معترك الامم والاديان من قديم الزمان ولقد جاء عليها عهد ايام الرومان كانت فيه الاديار والبيع والمعابد مبثوثة في كل بقعة من بقاعها وقرية من قراها ولما فتحها المسلمون عاملوا اهلها بالرفق واقروهم على عباداتهم شأنهم في فتوحاتهم ولكن دالت الدول وكرت الاعصار وجيشت ملوك اوربا على الشرق جيوشها في القرون الوسطى وكانت الحرب الصليبية سجالاً بين المسلمين والصليبيين في هذه الارض مدة قرنين فلا عجب اذا شهدنا اسوار المدن مهدمة وآثار البيع والاديار معفاة داثرة واشجار ذاك الصقع وغاباته مدمرة وكثيراً من مدنه قرى صغيرة اومزارع بائرة

خربت هذه الديار بادوار اتت عليها كان القول الفصل في سياسة حكومات الارض لرجال الدين وكان اهل الصليب من امم اوربا كلما ارادوا ان يرجعوا ادراجهم ويتخلوا عن هذه الارض يحنز ارواحهم حافز من القساوسة والشمامسة ومن لف لفهم من حملة الدين فيلقون بانفسهم في مآزق صعبة ويركبون الى نيل اوطارهم كل ذلول وصعبة فتردهم جيوش المسلمين عن استباحة حمى الاسلام لان فلسطين او سورية اذا ملكها الافرنج يضيع الاسلام المسجد الاقصى ويوشك ان يكون الخطر محدقاً بالحرمين الشريفين مبعث الوحي والرسالة ومحج اهل الاسلام من العالمين ولذلك هاجم الصليبيون هذه الديار بسائق الدين ودافع عنها المسلمون بسائق الدنيا والدين فكتبت الغلبة لاهل هذه البلاد وقلما ظفر مهاجم ورجع الدخلاء عنها مدحورين ولكن بعد ان خرب العامر والغامر واصبحت نقراء جرداء لاتجد فيها خضراء ولا غضراء .

ولقد كانت طبرية عاصمة الجليل ولها شأن مذكور بين مدن تلك الارباض أسست عام ١٧ للمسيح على يد هيرود انتيباس حاكم الجليل الذي جعلها عاصمته وسماها بالاسم الذي عرفت به الى اليوم اكراما لحاميه الامبراطور طيباريوس الروماني وكانت المدينة جنوبي موقع المدينة الحالية اولا اي حوالى الحمامات المعدنية ويسمى اليوم ذاك المكان بخربة الحمام وذلك لانه اكتشفت مدافن وقبور في مكان المدينة القديمة فابى اليهود ان يسكنوها لان خرق حرمة المدافن يعد عندهم من الكبائر . ولم يستطع هيرود ان يسكن طبرية لاول انشائها الا باناس من طبقة واطئة انعم عليهم بانواع الاحسان واغدق عليهم الأعطيات ترغيباً لهم ولما توفي عاملها عهد الامبرطور نيرون الى اغريبا الفتى بالولاية عليها سنة ٤١ فلم يكن منه الا ان انحطت طبرية عن مكانتها واختار صفورية لتكون عاصمة الجليل ولما انتقض اليهود على الرومانيين عهد الى المؤرخ يوسيفوس ان يكون والياً على

الجليل الاسفل والاعلى فحصن طبرية وكان يقتابها اليهود ضد نفوذ الدولة على الشاغرين من اهلها . واستسلم اهل طبرية لفسباسيان وفتحوا له ابوابها لما دخل الجليل بجيشه فكان ذلك سبب انعام الرومانيين عليهم بضروب الاحسان بعد خراب بيت المقدس

ولئن سحق الامبراطور ادريانوس الثورة الاسرائيلية وانشأ له معبداً في طبرية لعبادة الاوثان فقد ظل نفوذ اليهود مستحكماً بعده . وكان عد اليهود طبرية بموجب شريعة اسرائيل من المدن القذرة فان الرابين منهم اختاروها وعقدوا فيها مجامعهم الدينية وجعلوها مجمعهم الجديد وفي اواخر القرن الثاني انتقل من صفورية الى طبرية كبار رجال اليهود عندهم ونشأ منهم ربابنة عظماء يقدسونهم ويمجدونهم ومنهم الذين جمعوا المشنا من شريعة اسرائيل ودخلت النصرانية في القرن الرابع الى طبرية .

فتحت طبرية (١) على يد شرحبيل بن حسنة في سنة ١٣ هـ صلحاً على انصاف منازلهم وكنائسهم وقيل انه حاصرها اياماً ثم صالح اهلها على انفسهم واموالهم وكنائسهم الا ما جلوا عنه وخلوه واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً ثم نقضوا في خلافة عمر رضي الله عنه واجتمع اليهم قوم من شواذ الروم فسير ابو عبيدة اليهم عمرو بن العاص في اربعة آلاف وفتحها على مثل صلح شرحبيل وفتح جميع الاردن على مثل هذا الصلح بغير قتال قال ياقوت وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل وجبل الطور مطل عليها وهي من اعمال الاردن في طرف الغور بينها وبين دمشق ثلاثة ايام وكذلك بينها وبين بيت المقدس وبينها وبين عكا يومان وهي مستطيلة على البحيرة عرضها قليل حتى تنتهي الى جبل صغير عنده آخر العمارة

ولما فتح الصليبيون بيت المقدس اقطع ملكها غودفري دي بوليون ولاية الجليل الى تنكريد فجعل عاصمتها طبرية فأنشئت مدينة حديثة شمالي القديمة وهي الموجودة اليوم وفي سنة ١١٨٧ القبيل وقعة حطين (٢) كان يملك طبرية ريمون الثالث كونت طرابلس فسقطت المدينة بيد صلاح الدين الا القلعة وكان فيها امرأته واولاده فطلبت الامان من صلاح الدين فأمنها وانصرفت عنها تلحق بزوجها وعادت طبرية في سنة ١٢٣٩ ملكاً لاود دي موبيلارد بموجب معاهدة عقدت بين الملك الصالح ايوب سلطان دمشق ضد ملك مصر فاستعادها هذا بعد خمس سنين وذبح الحامية والنصارى فيها يقول

(١) معجم البلدان

(٢) دليل الارض المقدسة

الافرنج واخذت هذه المدينة بالانحطاط حتى ان الرحالة كارميبوس لما زارها سنة ١٦٢٠ لم ير فيها احداً من اليهود ووجد سكانها كلهم من المسلمين

وحكم طبرية ظاهر العمر حاكم عكا وهو الذي بنى سورها المتهدم الحالي سنة ١٧٣٨ وجدده ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٣ ولكن اصيبت بعد اربع سنين من هذا التاريخ بزلزال لم يبق منها ولم يذر هلك فيه سبعمائة شخص وقوضت اركان ابنيتها كافة وقل سكانها المسلمون ونزلها يهود من اطراف الارض وهم اليوم اكثر من ثلاثة ارباع سكانها لايقلون عن سبعة آلاف فيهم النمساوي والبولوني والرومي وغيرهم

واهم مافي طبرية حماماتها وبحيرتها قال علي بن ابي بكر المروي : اما حمامات طبرية التي يقال انها من عجائب الدنيا فليست هذه التي على باب طبرية على جانب البحيرة (المعروفة اليوم) فان مثل هذه كثيراً مارأينا في الدنيا واما التي من عجائب الدنيا فهو موضع من اعمال طبرية شرقي قرية يقال لها الحسينية في واد وهي عمارة قديمة يقال انها من عمارة سليمان بن داود وهو هيكل يخرج الماء من صدره وقد كان يخرج من اثني عشرة عيناً كل عين مخصوصة بمرض اذا اغتسل فيها صاحب ذلك المرض بريء باذن الله تعالى والماء شديد الحرارة جداً صاف عذب طيب الرائحة و يقصده المرضى يستشفون به وعيون تصب في موضع كبير حربه يسبح الناس فيه ومنفعته ظاهرة وما رأينا مايشابهه الا الشرميا

قلنا وان مايشير اليه من الحمامات بانه في واد بعيد عن طبرية وهو من عجائب الدنيا يشير فيما نحسب الى «الحمة» الواقعة في وادي اليرموك على طريق الخط الحديدي عند الكيلومتر ٩٣ و ٩٥ (١) قال ابو القاسم في وصف حمة طبرية وفيها عيون ملحة حارة وقد بنيت عليها حمامات فهي لاتحتاج الى الوقود تجري ليلا ونهاراً حارة و بقربها حمة يغتمس فيها الجرب و بها مما يلي الغور بينها و بين بيسان حمة سليمان بن داود عليه السلام و يزعمون انها نافعة من كل داء اه

وهذه الحمة الاخيرة اي حمة سليمان لاتزال الى اليوم معروفة بحمام سيدي سليمان وهي احدى الحمامات الكائنة في جنوب طبرية على نحو كيلومترين منها و يجري الماء الى الحمامات من اربع عيون حارة واهمها ابتناء ابراهيم باشا وهو في الشمال و يعرف باسمه وهو عبارة عن حوض كبير تحيط به عمد قديمة من الرخام وعليه قبة عظمى وهي مثقوبة بثقوب اسطوانية يخرج منها البخار ودرجة حرارة الماء ٦٢ بالميزان المئوي وهو صاف

(١) المقتبس م٥ ص ٨٥

براق في الجملة ملح الطعم مر مهوّع وتنبعث منه رائحة شديدة من حامض الكبريت او رائحة بيض فاسد . وهذه الحمات ملك الحكومة تؤجرها ممن تريد لقاء الف ليرة في السنة وفيها مغاطس في مكان آخر قد يغير صاحب الحمام مياهها في الاحايين ولكنها كسائر اقسام الحمامات الاربعة غير صحية لان اناساً كثيرين من ارباب الامراض المختلفة ينزلونها في وقت واحد ويخشى ان تسري جراثيم بعض الامراض الى جسم من كان منها سليما فيخسر بانغماسه في هذا الماء من حيث يريد الربح ولو رتبت هذه الحمامات ترتيباً صحياً كما هو الحال في حمامات ماربنباد في النمسا وبورصة في الاناضول وحلوان في مصر وأنشئت هناك كما هو رأي بعض المفكرين في عمران هذه الديار للانتفاع بخصائصها الطبيعية فنادق وحدائق واماكن تتوفر فيها شروط الراحة ومرافق الحياة لجلبت المستحمين في هذه الجهة من اقطار الارض كما تجلب حمامات بورصة وحلوان ومار بنباد وباد

وموسم الاستحمام بهذه الحمامات من اول كانون الثاني الى آخر حزيران[1] وتختلف الحرارة في الصيف في طبرية من ٣٥ الى ٤٢ ولكن الهواء حسن في الجملة فلا يؤثر في سكانها الاصليين كثيراً بقدر تأثيره في الغرباء ولذلك صدق ما قاله فيها ابو عبد الله ابن البناء : طبرية قصبة الأردن بلد وادي كنعان موضوعة بين الجبل والبحيرة فهي ضيقة كربة في الصيف وخمة وبئة وطولها نحو من فرسخ بلا عرض وسوقها من الدرب الى الدرب والمقابر على الجبل بها ثمان حمامات بلا وقيد حارة الماء والجامع في السوق كبير حسن فرشه مرفوع بالحصى على اساطين حجارة موصولة ويقال ان اهل طبرية شهرين يرقصون من كثرة البراغيث وشهرين يلوكون يعني البق فانه كثير عندهم وشهرين يثافقون يعني بايديهم العصي يطردون الزنابير عن طعومهم وحلاوتهم وشهرين عراة يعني من شدة الحر وشهرين يزمرون يعني يمصون قصب السكر وشهرين يخوضون من كثرة الوحل في ارضهم قال واسفل طبرية جسر عظيم عليه طريق دمشق وشربهم من البحيرة وحول البحيرة كله قرى متصلة ونخيل فيها سفن كثيرة وهي كثيرة الاسماك لا تطيب لغير اهلها والجبال مطل على البلد وماؤها عذب ليس بحلو اه .

ويرى اطباء العصر ان مياه طبرية الحارة تنفع النساء في وظائفهن التناسلية وتشفي كل الشفاء من الاوجاع العصبية الحادة والمزمنة ومن امراض الرثية « الرومانيزم » ومن ضعف المجموع العصبي ومن داء النقرس ومن البول السكري ومن المرة السوداء

(١) تقويم (سالنامة) ولاية بيروت السنوي لسنة ١٣٢٦هـ .

« لايوخندريا » ومن امراض اعضاء التناسل ومن الاورام المفصلية التي هي في حال الوقوف كما قد تنفع في التهاب قصبة الرئة « برونشيت » المزمن وبعض امراض الانف والحنجرة المزمنة والامراض الجلدية وعدم انتظام حركة سلسلة الفقار والحمى في الرحم والبول الزلالي والتدرن الرئوي وغيرها

اما بحيرة طبرية فقد قال فيها واصفوها من الافرنج انها الحوض الثاني الذي يملأوه نهر الأردن في طريقه عند انحداره من قيسارية الى بحيرة لوط وسطح مائها على ٢٠٨ امتار تحت سطح البحر المتوسط وعمق البحيرة ٤٥ متراً في وسطها واكثره يبلغ ٢٥٠ متراً في اللجج المجاورة للشاطئ الجنوبي من البحيرة اي قرب سمخ التي يركب منها الى طبرية في قارب في البحيرة ساعة او يركب في مركبة على اليابسة ساعة ونصفاً.

وطول البحيرة ٢١ كيلو متراً من الشمال الى الجنوب وعرضها تسعة كيلو مترات ونصف اي ان مساحتها السطحية ١٧٠ كيلو متراً مربعاً ومياهها قابلة للشرب في الفصول الاربعة وفيها كثير من السمك الجيد والجبال التي تحيط بالبحيرة في الجنوب الغربي تنفرج عنها في الشمال الغربي فيتألف منها نصف دائرة متسعة وفيها يكون سهل الغوير الخصيب Génésareth وفي ثمانمائة متر من البحيرة الى الاعالي عدة قرى وبينها مدينة صفد القديمة وفي الشمال من البحيرة سهل مموش Alluvial يشعر بمصب الأردن وفوق السهل المتموج الذي يفصل بحيرة طبرية عن بحيرة الحولة او مياه ميروم Les eaux de Mérom تنظر الى قنن جبل حرمون (الشيخ) المكللة بالثلوج ويحد البحيرة من الشرق والجنوب الشرقي صخور عالية هائلة يبلغ علوها نحو ثلثمائة متر وهي تحمل سطح الجولان Gaulanitide وفي الجنوب ينفرج الغور ثانية فيجتازه الأردن ويتلون فيؤلف اضواجاً Méandres عديدة

وكان اسم هذه البحيرة في القديم كنريت اشارة الى شكلها البيضي الذي يشبه عود الطرب واسمه بالعبرانية كنور على ان هذا الشكل هو عام في جميع البحيرات التي تحيط بها الجبال ويجتازها نهر وكانت كنريت معروفة قبل العبرانيين من مدن الكنعانيين وبعد سبي بابل دعيت البحيرة بحيرة الغوير واخذ من اسم السهل الخصيب الذي يصل الى شواطئها من الشمال الغربي وسميت في العهد الجديد بحيرة الجليل وبحيرة طبرية وهذا الاسم هو الذي اطلقه عليها العرب

ولم يخل هذا البلد على حرارته من رجال في الاسلام ولدوا ونشأوا وكانت لهم

يد في خدمة المسلمين مثل الامام الحافظ سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير ابي القاسم الطبراني « احد الائمة المعروفين والحفاظ المكثرين والطلاب الرحالين الجوالين والمشايخ المعمرين المصنفين المحدثين والثقات الاثبات المعدلين » وغيرهم ممن يفنى الدهر والخلف يتناقل عن السلف اعمالهم

وكان الأردن على عهد الفتح الاسلامي احد اجناد الشام الخمسة (١) وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك قال احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف هما أردنان أردن الكبير وأردن الصغير فاما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية بينه و بين طبرية لمن عبر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلا تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر فتسقي اكثر ضياع جند الاردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية على طرف جبل يشرف على هذه البحيرة فهذا النهر في الاردن الكبير بينه و بين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلهم السكر ومما يحمل الى سائر بلاد الشرق وعليه قرى كثيرة منها بيسان وقراوا واريحا والعوجاء وغير ذلك وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقي ضياع الغور وضياع البثنية ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت رأس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك . وقد فتح طبرية لما انتقضت عمرو بن العاص كما ذكرنا فتحها على مثل صلح شرحبيل وكذلك جميع مدن الاردن وحصونها ففتح بيسان وافيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وعكا وصور وصفورية وغلب على سواد الاردن وجميع ارضها .

في وادي الاردن بين قرية لوبية وطبرية في سهل قرية حطين وقعت الوقعة الهائلة بين جيوش الصليبيين وجيوش المسلمين ورأسهم صلاح الدين التي قال فيها مؤرخو الصليبيين انها كانت في الرابع من تموز سنة ١١٨٧م وكان جيش الافرنج مؤلفاً من الني فارس وخمسين الف راجل اشتد بهم العطش لقلة الماء هناك وبرحت بهم تباريحه قبل الوقعة بيومين وهبت عليهم ريح شرقية وهي المعروفة بالخماسين فمن لم يسلم الروح

(١) ياقوت الحموي

ظماً اسلمها للسيف وانهزم الكنت ريموند صاحب طرابلس فاستولى صلاح الدين على الا كثر وقتل من ملوكهم صاحب الكرك رنودي شاتليون الذي كان غزا الحجاز واحب فتح الحرمين فنذر صلاح الدين ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان واستسلمت سائر المواقع لارادة الجيش الصلاحي

وكان صلاح الدين قد نازل طبرية ونقب بعض ابراجها ونهب المدينة واحرقها فلما سمع الفرنج بذلك اجتمعوا للمشورة فاجمعوا على التقدم فركبوا واشتد القتال وصبر الفريقان[١] ورمى جاليشية المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر والافرنج يقاتلون سائرين نحو طبرية لعلهم يردون الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عنه وكان بعض المتطوعة قد القى في تلك الارض ناراً وكان الحشيش كثيراً فاحترق وكانت الريح فحملت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال فلما انهزم القمص (الكنت) سقط في ايديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا انهم لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواقفهم الا ان الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم فوهنوا لذلك وهناً فارتفع من بقي منهم الى تل بناحية حطين وارادوا ان ينصبوا خيامهم هناك فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت ويذكرون ان فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح عليه السلام فيما يقال فكان اخذه من اعظم المصائب الى ان أسر المسلمون من نجا من حد السيف وفيهم الملك واخوه والبرنس ارنلط (ارنولد) صاحب الكرك ولم يكن في الفرنج اشد منه عداوة للمسلمين واسروا ايضاً صاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الداوية وكان من اعظم الفرنج شأناً واسروا ايضاً جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية (الاسبتالية) وكثر القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحداً ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا احداً وما أُصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة احدى وتسعين واربعمائة الى الآن (٥٨٣) بمثل هذه الوقعة قال ابن الاثير: ولقد اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرأيت الارض ملأى من عظامهم تبين على البعد منها المجتمع بعضه على بعض ومنها المفترق هذا سوى ما جحفته السيول واخذته السباع في تلك الآكام والوهاد

(١) الكامل لابن الاثير

واختلفت الروايات في مقدار عسكر صلاح الدين والصحيح على انه كان نحو جيش الصليبيين اي يزيد عن خمسين الف مقاتل [١] الا انه كان يزداد كل يوم حتى صار معه في طبرية ثمانون الف مقاتل واجتمع عسكر الصليبيين في الجليل في صحراء صفورية اولاً الى ان كانت هذه الوقعة التي لم تقم لهم بعدها قائمة وسقطت مدن الجليل بيد الجيش الصلاحي واحدة بعد اخرى مثل عكا والناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لها كما قال العماد الاصفهاني : [٢] وكانت الفولة احسن قلعة واحصنها واملأها بالرجال والعدد واشحنها وهي للداوية [٣] حصن حصين ومكان مكين وركن ركين ولم بها منبع منيع ومربع مريع ومسند مشيد ومهاد مهيد وفيها مشتاهم ومصيفهم ومقراهم ومضيفهم ومربط خيولهم ومجر ذيولهم ومجرى سيولهم ومجمع اخوانهم ومشرع شيطانهم وموضع صلبانهم ومورد جمتهم ومرقد جمرتهم فلما اتفق يوم المصاف خرجوا باجمعهم الى مصرعهم واثقين بان الكدر لا يتمكن من صفو مشرعهم فلما كسروا وأسروا وخسروا وتحسروا ظلت حلول الفولة بجدود اهلها المفلولة ودماء داويتها المطلولة ولم يجتمع شمل غمودها بالسيوف المسلولة ولم يبق بها الا رعايا رعاع وغلمان واتباع واشياع شعاع فعدموا امكان حماية المكان ووجدوا امنهم في الاستئمان فسلموا الحصن بما فيه الى السكان وكانت فيه اخاير الذخائر ونفائس الاعلاق فوثقوا بما احكموه من الميثاق وخرجوا ناجين ودخلوا في الزمام لاجين وللسلامة راجين وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل دبورية وجينين وزرعين والطور والجبون وبيسان والقيون وجميع ما للطبرية وعكا من الولايات والربض ومعليا والبعنة واسكندرونة ومنوات

هذه هي عاصمة الجليل وهذا طرف من تاريخها وعمرانها في القديم اما اليوم فحالها حال قرية حقيرة لا تكاد تجد فيها شجرة مع اشتهارها قديماً بكثرة الاشجار بل ان النخيل الذي كان يكثر فيها لا تجد له الا اثراً ضئيلاً جداً كما كاد يفقد من ارض الجليل اللهم الا بعض سواحل البحر ولذلك تجد طبرية باهتة مكمدة ولو حفت اطراف البحيرة بالاشجار لطاب مناخها واعتدل هواؤها وراق للنواظر منظرها واصبحت مصيفاً ومشتى على حد سواء واكثر الاهالي كسالى والحكومة لا يهمها الا اخذ ما تيسر من الضرائب والعشور

(١) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس (٢) الفتح القسي في الفتح القدسي
(٣) لعلهم فرسان الهيكليين

قال لنا احد اصدقائنا من علماء دمشق في الاقتصاد والعمران زرت طبرية منذ اثنتين وخمسين سنة وزرتها منذ سنتين فلم اشهد فرقاً في عمرانها بل رأيتها جامدة لم تتحرك ولولا فندق لالماني ومستشفى للانكليز لرسمت لطبرية نفس تلك الصورة التي علقت في ذهني منذ نصف قرن ومع ما نشكوه من بطء بلادنا في نهوضها وعمرانها نجد القرى في هذه الحقبة من الزمن قد تغيرت صورتها وانبسطت رقعتها وحسنت ولو بعض الشيء بقعتها اما طبرية فهي الجمود بعينه ولم يزدها الا جالية من يهود الغرب نزلوها مهاجرين فكان المسكن الذي ينزله خمسة انفس يؤوي الآن عشرين فتضايق السكان وفسد الهواء واستوبل الماء وافتقر اهل البلاد الاصليين لان لسان حال الاسرائيليين والصهيونيين خاصة مع جميع الشعوب كما قال ذلك السامري « لامساس »

كان من حق الناصرة ان يسبق الكلام عليها لانها اليوم اعمر بلاد الجليل ومهبط افئدة ام النصرانية ولكنها بلد حديث بالنسبة لبلاد الجليل بدأ مجدها بانها كانت موطن مريم العذراء عليها السلام وفيها عاش المسيح الى الثلاثين من عمره ولم يرد لها ذكر في كلام قدماء المؤرخين ومعنى الناصرة الفرع او الزهرة وهي على ثلاثة عشر ميلا من طبرية ممتدة على شكل نصف دائرة في سفح دائرة من الآكام العالية وبيوتها بيضاء نظيفة تحيط بها اشجار الزيتون والتين والصبار وبذلك تألف منها صورة مليحة لا تتعب العين من النظر اليها

قال رنان [1] : كانت الناصرة بلدة صغيرة قائمة في طية ارض منبسطة على متن بعض الجبال اما سكانها فانهم يبلغون اليوم اربعة آلاف نسمة [2] فكأنها الناصرة القديمة لان المؤرخ يوسيفوس يقول ان اصغر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة آلاف نسمة وان كان هذا القول لا يخلو من مبالغة . والبرد في الناصرة شديد في زمن الشتاء ولكن الهواء جيد جداً وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت مؤلفة من منازل مبنية من غير هندسة ولا نظام ومنظرها شبيه بمنظر القرى الاسيوية وربما لم تكن منازل الناصرة تختلف عن المنازل الحجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العامرة والتي اذا اضيفت اليها اشجار الكرمة والتين المغروسة بجانبها كان لها منها منظر رائق .

(١) تاريخ المسيح تعريب فرح افندي انطون

(٢) هذا في زمن رنان وقد ساح في سورية وفلسطين ولبنان بين سنتي ١٨٦٠ و ١٨٦١ وسكان الناصرة اليوم عشرة آلاف

اما المكان الذي بنيت فيه الناصرة فانه مكان شائق وليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للأمل في السعادة والراحة . ولا تزال هذه المدينة الى اليوم مقاماً جميلاً . اما سكانها فهم قوم ألفوا اللطف والبشاشة وحدائقها باردة خضراء . وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في اواخر القرن السادس عشر فشبه ارضها بارض الجنة من فرط خصبها . ولا يزال في غربي المدينة اودية خصبة ينطبق عليها وصفه

اما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكان حولها السرور شاملاً فقد هدمت ولا يجري الآن من نبعها سوى ماء كدر واما جمال النساء الناصريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء من ذلك الجمال الذي كان مشهوراً عنه في القرن السادس عشر انه هبة للناصريات من مريم العذراء فانه لا يزال يترقرق في وجوههن فهناك الشكل السوري الجميل في اتم خلقة .

ولا شبهة في ان العذراء كانت تقف في صباها بين اولئك النساء حول العين ومعها اناء الماء لتستقي منها . وقد قال انطونين مارتير ان نساء اليهود يكرمن المسيحيين في هذا المكان مع انهن يكرهنهم كرهاً شديداً في غيره . فكأن هواء وطن السيد لطف اخلاقهن . واذا نظرت في البغض الديني وجدته في هذا المكان اخف منه في سائر الامكنة .

واما منظر الافق من المدينة فانه قصير ضيق ولكنك اذا صعدت الى الآكام المشرفة عليها انبسط امامك منظر جميل يسحر الالباب . فانه من الجهة الغربية يظهر لك جبل الكرمل ممتداً الى البحر وداخلاً فيه ويليه غيره من الجبال بينها وادي الأردن وسهول بيريا المرتفعة . اما في جهة الشمال فانك ترى جبال صفد متجهة نحو البحر وهي تستر عنك عكا وتظهر لك خليج حيفا .

هذا كان افق يسوع . هذا كان في صباه المنظر الدائم امام عينيه . هذا هو مهد ملكوت الله ومسرير الديانة المسيحية . فاذا بقي العالم مسيحياً في مستقبل الزمان وصار اكثر احتراماً لاصول الدين واشد رغبة في استبدال الاماكن المقدسة المشكوك فيها باماكن حقيقية فما عليه الا ان يبني كنيسة على هذه الآكام التي كان يسوع يجلس عليها ويشاهد العالم منها . هناك يجب ان تقام الكنيسة الكبرى التي يجب ان يحج اليها المسيحيون من جميع اقطار العالم . هناك حيث يرقد يوسف النجار والوف من ابناء الناصرة المنسيين يحق للفيلسوف ان يقف ويتأمل في مجرى حوادث العالم ليعزي نفسه

عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في اعز مايكون لديه ولكي يتحقق ان العالم سائر الى غرض الهي لا يصرفه شيء عنه مهما قام في سبيله من المصاعب والعثرات اه .

هذا ما وصف به فيلسوف الفرنسيس الناصرة بلد يسوع الناصري كما كان يقال له والتي منها اشتق اسم النصارى (١) وهو وصف ينطبق كل الانطباق على حالتها اللهم الا ماجاء عفو الخاطر فكان اشبه بتشبيه شاعر مثل قوله في مكان الناصرة انه « ليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتأمل في السعادة والراحة » ونظن مثل هذا القول يصح اطلاقه على جبال سورية عامة بل جبال الارض كافة فهي كلها تبعث الروح على التأمل لفراغ الذهن فيها من كدورات المدن وازدحام الانفاس وما تقع عليه العيون من المناظر الشائنة في هذا الوجود الغريب وكيف كانت الحال فالفيلسوف يعذر على ماقال لنشأته وتربيته التي قلما يتجرد منها انسان مهما نزع ربقة التيود والتقاليد ولكن هذا الغلو لا يقدح في جمال هذا البلد الطيب واي بلاد لا تطيب لاهلها .

اما تاريخ الناصرة فله ارتباط كلي بتاريخ الجليل ، بعد فلم تداهم جيوش كسرى ومولاكو وتيمور هذا الاقليم فلم من غاراتهم وتخريبهم ولقد قال بعض مؤرخي الافرنج ان التسامح الذي اسداه المسلمون للمسيحيين لم يدم زمنه طويلاً حتى ان ويلبالد لما وصل الى الناصرة سنة ٧٢٥ م لم يجد فيها كنيسة قائمة ومع هذا ذكروا بانه كان فيها سنة ٨٠٨ ثمانية عشر راهباً

وتغلب الامبراطور يوحنا سيميسس على العرب واستولى على سورية وفلسطين واحتل طبرية عام ٩٧٥ وجبل تابور والناصرة ولكن ادخل عليه خصيانه السم فعادت الولايات التي افتتحها فسقطت في ايدي العرب . وقد قال ساولف ان تنكرد لما فوضت اليه بعد فتح القدس بلاد الجليل سنة ١١٠٠ كانت معاهد الناصرة قد خربها العرب ولم يبق الا بعضها فاعاد الصليبيون بناءها واتخذوها كنيسة جامعة لهم . ولما سقطت ارض الجليل بيد صلاح الدين بعد وقعة حطين آضت الناصرة ايضاً اليه فعطف على اهلها وفي خلال هدنة العشر سنين المعقودة بين الصليبيين وصاحب مصر في ٢٠ شباط ١٢٢٩ اصبح فردريك الثاني امبراطور المانيا الحاكم المتحكم بالطريق من عكا الى الناصرة فرمم هذه المدينة على انها ماكانت قط حصناً منيعاً

(١) ياقوت في المعجم والمقريزي في الخطط

وفي شهر آذار ١٢٦٣ قدم من مصر في جيش هائل صاحبها الظاهر بيبرس البندقداري وعسكر في منحدر جبل تابور وبث كما قال القس مستربان برجاله يخربون البيع والاديار واطلق الحرية للمسيحيين على ان يدينوا بالاسلام ولكنهم ابوا ووقعت فيها وقعة هائلة قتلوا عن آخرهم . ولمؤرخي الاديار اخبار بلونها واحاديث يقصونها عما لقيه القسيسون والرهبان من المظالم الى القرن الماضي ايام تنفس خناقهم بتولي الظاهر عمر امر الجليل فاصبحوا احراراً في كنائسهم وعباداتهم آمنين من عيث البدو الذي وقع مرتين على الناصرة فغزوا اهلها في عقر دارهم .

وتاريخ الناصرة هو في الحقيقة تاريخ الاديار والعابد فيها وقد قوي سلطانها منذ جاء بونابرت وحاصر عكا سنة ١٧٩٩ وبعث باحد قواده يعسكر في الناصرة وانهالت الاحسانات على الاديار من امم النصرانية في الغرب على اختلاف لغاتهم ومذاهبهم وما منهم الا من انشأ بيعة حتى بلغت اربع عشرة بيعة وكنيسة ومعظمها من فخامة البناء وحسن الهندام مايذكر بقصور الملوك ومنازل المترفين والفرنسيسكان اقدم الرهبنات وارسخهم قدماً في الناصرة وكنيستهم مما يزار لبعض الآثار التاريخية فيها ويكفي انها اثر من آثار الكنائس في القرون الوسطى

وفي الناصرة يشتد التنافس بين اهل المذاهب المختلفة من المسيحيين يعلمون الذكور والاناث ويلقنونهم مايشاؤن ويطبون المرضى ويعطونهم العقاقير بلا مقابل من اي نحلة كانوا على شرط ان يستمعوا لوعظ الواعظين ونصائح دعاة الدين ولذلك قل في هذه البلدة الاميون والجاهلون . والقارئون الكاتبون من اهلها من الجنسين اكثر من كل بلد سواها في سورية يعيشون بصدقات المحسنين ويتمتعون بما تجود به ايدي اثنياء الغربيين

ولو اتصلت الناصرة اليوم بالسكة الحديدية مع خط حيفا على الاقل او لو مد منها خط الى القدس لما حج حاج من النصارى الا ونزل الناصرة يزور ويتبرك ولكان من ذلك للحكومة والامة فائدة مادية مهمة ان مدن سويسرا مايعيش طول سنته مماينفقه الزوار في مصايفها افلا يجدر ببلد السيد المسيح ان يعيش اهلها من ربع يأتيهم به عشرات الالوف من جمهور المؤمنين من المسيحيين .

« للبحث صلة »

غابات سورية

تشجير اراضي السلطنة من اهم المسائل الاقتصادية المهمة التي يجب ان تصرف لها عناية العثمانيين وحكومتهم فقد جهل الناس منافع الغابات ولم تعن الحكومة بالهيمنة عليها حتى اتى السكان او كادوا في اكثر الاقاليم على ما ابقى لهم الاجداد من الغابات الغبياء فكان الخطر يحدق بحياة البلاد الاقتصادية ويوشك ان يستفحل الخطب لهذا الاهمال

قال العارفون ان في المحافظة على الغابات نجاح الزراعة والتجارة والمعامل والصناعات والملاحة البحرية والنهرية والمناجم وجميع اسباب الراحة في الحياة بل وحياتنا ايضاً. ودعا المحدثون من الاقتصاديين والمفكرين في الغرب الى حفظ الغابات قائلين ان حفظها من اول مصالح المجتمعات وحفظها اول الواجبات على الحكومات واثبتوا انه كلما قطعت من بلد اشجاره يمسي فقيراً لان في قطع الاشجار التي تغشى منحدرات الجبال وقنناها ثلاث مصائب لابناء الاجيال المقبلة: قلة الوقود وقلة المياه واستعداد البلاد لفيضانات المخربة لحياة البشر مناطة بالاشجار. والامم التي تحب الغابات هي من الامم العاملة التي تحسب للمستقبل حسابه وبقدر عراقة الافراد في الاخلاق والتقاليد يجعلون لهم منها رؤوس اموال فيفلحون بها ويرتاشون

ابادة الاشجار جائحة من جوائح الانسان ونذير اضمحلال الامم والاحتفاظ بالغابات والآجام هو تطبيق لمبدإ الدين الاجتماعي وقانون التكافل الذي يربط الاجيال بعضها ببعض قال الوزير كولبر الفرنسوي ذات يوم وقد رأى قلة عناية أمته بغاباتها: ان فرنسا مستهلك من قلة الحراج

وليس معنى ابادة الغابات حرمان بلادنا من اجمل حليها بل انضاب ينابيع الانهار واختلال نظامها اختلالا فيه الهلاك والتخريب والاضرار بالصحة العامة وتغيير وضع الارض التي تحملنا فتتاً كل التربة الصالحة منها على الزمن بهجوم المياه عليها دفعة واحدة وهو من اعظم الاخطار على التربة المنحدرة. ومتى عري الجبل من اشجاره يهلك الزرع والضرع معاً فتجري السيول على التربة الجرداء تحمل معها اولا التربة الصالحة للزراعة ثم تفرج ما بين الصخور وتجعل الاحجار ركاماً مشرفاً على الاودية ويصبح النهر مسيلا تكثر مياهه فتفيض ايام الامطار وتنهال بدون نظام مودية بكل ما في طريقها وتتزايد زيادة هائلة فتفيض في السهل وهناك الفيضان والطوفان وتقطع الامواج بتيارها

الاشجار والصخور وتخرب السدود وتودي بالدور والقصور وتدك المدن من أسسها . تجري مياه الامطار على الصخر القاحل كأنها تمشي على سطح دار وتخرب المراعي وتفيض الانهار حاملة تربة الجبال وحصاها واحجارها فتطفح بها مجاري المياه وتسد مصابها وبعد ان تفيض المسايل كثيراً تصبح ولا ماء فيها ويختل نظام الاهوية ويكون من ذلك خراب رعاة الجبل وزراع السهل وتجار الثغور والمدن وصناعها . من اجل هذا ساغ لنا ان نقول انهم كلهم متضامنون في منع جرد الاشجار وتعرية الجبال .

ولقد نشأت في كل عصر مضار كثيرة من جرد الجبال من اشجارها وغاباتها قال احدهم[1] كانت صقلية وافريقية الشمالية والمغرب الاقصى انبار رومية في القديم فاصبحت قاحلة ماحلة بما تواتر عليها من غارات الاندال والعرب التي انتهت بتحطيم الغابات وكل مايشاهد من الخرائب العظيمة في تونس والجزائر وبعض اعمال قسنطينة وفي غيرها شاهدة ناطقة بان هذه الاقاليم القاحلة اليوم كانت زاهرة امس وفيها المدن العامرة عراها السقوط كما عرا اسبانيا من ابادة اشجارها وكم من خرائب حفر فيها وهي رمال او انقاض فشوهدت تحتها مدن كانت عامرة بمياهها المطردة وحدائقها الغيناء وغاباتها الغناء فلم تؤت الا من قطع غاباتها ونسفت الرياح الرمال على تلك المدن فاصبحت كأن لم تغن بالامس

ولقد ثبت ان فقر البلاد ولاسيما الجبلية منها ناشئ من قطعها الاشجار خاصة . وكلما توغل المرء في دراسة التاريخ يجد الشواهد الكثيرة على تأثير الغابات في تكثير السكان فقد كان لبلاد اليونان وهي اليوم فقيرة قليلة السكان غابات وانهار[2] وان اجداب الحقول الرومانية وخرابها ناشئان من تجرد جبال الابنين من اشجارها . وجبال الابنين تقطع ايطاليا الى شطرين . وقد ناب اسبانيا انحطاط سريع من هذا الشأن فبعد ان كانت في القرن السادس عشر على عهد شارلكان وفيليب الثاني عامرة غنية محترمة انحط عمرانها في القرن السابع عشر من دون ان يضربها عدو او تستبيح حماها أمة غازية فلم يمض عليها قرن الا وقد رأت جميع علامات الانحطاط وقل سكانها على صورة مدهشة فنزل سكان مدريد من اربعمائة الف الى مائتي الف في اوائل القرن الثامن عشر والسبب في نزوح السكان تلك المجاعة التي حدثت من الجفاف الذي دعا اليه تعرية البلاد من غاباتها تعرية اخلت بنظام الري . حتى ان نهر المانزاريس كان في القرن السادس عشر

(١) مجلة مطالعاتنا في بيوتنا (٢) جغرافية اليزة ركلوس بالفرنسوية

قابلا لسير السفن في عَلَى مقربة من مدريد فاصبح اليوم جافاً. وانهم ليمزجون في اقليم اراغون الرمل بالخمر بدل الماء عندما يريدون ان يجبلوا الطين. فنفوس البلاد وعظمتها عَلَى نسبة غناها بغاباتها . وبلاد روسيا اكثر اوربا غابات فان اربعين في المئة من اراضيها مغشى بالاشجار و١٦ في المئة من ارض فرنسا وارض ايطاليا مغشاة بالاشجار و ٢٤ في المئة من ارض المانيا و٦ في المئة من ارض البرتقال و٥ في المئة من ارض فارس و ٣ في المئة من ارض اسبانيا وبلاد اليابان اكثر بلاد الدنيا غابات. وتبلغ مساحة الغابات في الولايات المتحدة خمسة اضعاف مساحة فرنسا ويحرق منها في السنة نحو ثلثمائة هكتار وكثيراً ما يلتهم قسم من غابة فتبقى الايام مشتعلة وربما حرقت فيها قرى بسكانها كما حدث في حريق البحيرة العالية وحدث هذه السنة فدام الحريق اياماً ذهبت فيه مئات الالوف من الليرات

ليس من جميع النباتات التي تنبتها الارض ماعدا الحنطة التي هي اول المواد اللازمة لغذائنا نبات ضروري لنا كالغابات نافع يحمد اثره : فللشجرة منافع كثيرة وتأثير عظيم في الانواء والحوادث الجوية في كل قطر فهي تصفي مياه الامطار وتعيدها ببطء الى الينابيع والهواء وتحول بورقها وجذوعها دون جريتها سريعاً فالاشجار لاتمسك الماء فقط بل تجذبه ثم تنظم هطول الامطار وتقلل من الفيضان وتبقى التربة في ظل الاشجار ندية خلال ايام القيظ . ونظام الغابات نظام للاهوية . فالشجرة تقي التربة من صدمات قطرات المطر والبرد فيكثر في الشتاء الثلج عَلَى قمم الجبال وتحول جذوع الاشجار واغصانها دون سقوطها وتطيل مدتها وتذوب ببطء وتغسل القشرة الرقيقة تحت سطح الارض وتمدُّ الينابيع وتعطي مزروعات الاودية الرطوبة اللازمة لها . وان جذوع الاشجار في العقاب والتلعات لتمسك التربة عن الانهيال وتقبض الصخور المفككة وتحول دون انهيار التراب

وكم من اشجار هي مأوى الماشية منذ قرون وحامية حياة الانسان كما هي حامية الهوام والحيوان وكثيراً ماتنبت الرياحين والورد في اطرافها كما ان الاشجار تمسك الحميات وتمتص رطوبة المستنقعات وتطهر هواء الاقليم بفضل حفيفها المنبعث من اكتظاظ الصخور الشجراء. ولقد صدق من قال من عشاق الاشجار « تأتينا الشجرة بالماء ومن الماء يصير مرج والمرج يغذي الماشية ومن الماشية ينشأ السماد ومن السماد الحنطة »

لاجرم ان كل من جال جولة في اوربا واميركا يعرف مقدار حرص الفرنجة عَلَى

الانتفاع بالغابات . فقد قامت الجرائد والجمعيات في فرنسا منذ مدة تدعو الى تشجير الاراضي الوعرة او الغير الصالحة للراعي والى تخضير الاراضي المنحدرة انحداراً قليلا ولسان حالها ينادي اننا نرمي الى انقاذ ارض الوطن والمحافظة على ارث ثروتنا وبدائعنا الطبيعية ونريد تربية فكر الطفل منذ صغره على قدر حسنات الغابات قدرها فبهوائها يحسن الجو وتطرد مجاري الانهار ويخضل العشب ويكثر غذاؤه للماشية والسائمة والجبال اجمل منظراً والسهول اكثر ابتساماً . واقبلت الجمعيات وغيرها تنشر منشورات في فوائد التشجير وتوزعها على الفلاحين واشتغل مجلس النواب ومجلس الشيوخ بذلك مدة طويلة

وقامت انكلترا[1] تريد تشجير كل ما يمكنها تشجيره من ارضها ولا سيما في السواحل البحرية التي تسطو عليها مياه البحر تريد بذلك ان تجد عملا للبطالين وقدرت اللجنة التي عهد اليها النظر في سطح الارض التي تعطي اذا شجرت اكثر مما تعطي الآن من الدخل فكانت ٣٦٠٠٠٠٠ هكتار[2] من ثمانية ملايين بدون ان يمس السطح المغروس من الجزائر البريطانية وايرلاندا وتبين لهم ان غابات انكلترا اقل من غيرها من غابات البلاد الاوربية وان الحكومة لا تموت بتاتاً ولذلك يتيسر لها ان تكمل ما بدأت به من الاعمال الى الغاية المطلوبة على خلاف الافراد فان الفرد يصعب عليه ان يصرف شيئاً ربما لا يأتيه في حياته فمن ثم كانت الحكومة اقدر على تشجير الغابات واستثمارها بعد سنين طويلة خصوصاً وان بيع الاخشاب والاحطاب لا يصعب على حكومة وقد رأوا ان ما تصرفه الحكومة من المال وتنتظر الحصول عليه يأتيها من الواردات بفائدته مضاعفة وانه ليس من العدل ان يصرف ابناء هذا الجيل ما يقتطف ثمرته ابناء الجيل القادم اي بعد ثمانين سنة وهي المدة التي لا يتأتى الانتفاع بالغابات في اقل منها فاذا شجرت الحكومة كل سنة ثلاثين الف هكتار تدفع في السنة الاولى ١٠١٢٥٠٠٠ فرنك وتكثر النفقة سنة عن سنة حتى السنة الاربعين فيكون قد بلغ ما صرفته ٣٩ مليون فرنك وتعادل النفقات الدخل بعد هذه السنة الى السنة السبعين وبعدها يزيد الدخل على الخرج فيبلغ الدخل الصافي نحو اربعة في المئة فتكون اذ ذاك ٢٤٨ مليون فرنك وتساوي املاك الحكومة من الغابات ثمانية مليارات فرنك اي انها تبلغ ملياراً ونصفاً زيادة عما كلفتها . وكل هذه النفقات والمداخيل محسوبة باسعارها الحاضرة ولم ينظر فيها الى غلاء اجور

(١) مجلة الافكار الحديثة الفرنسوية (٢) الهكتار مئة آر او عشرة آلاف متر مربع

العملة وارتفاع اسعار الحاصيل ورأوا ان ما يعرض للغابات من التخريب الثانئ عن الحريق والحشرات والثلج والعواصف وغير ذلك يعادل ماتربحه الحكومة من ارتفاع الاسعار لان ماينفق من الغابات يزيد على مايخرج منها الآن في البلاد المتمدنة . وهذا التشجير يشغل تسعين الف رجل طول السنة عدا من يستخدمهم من ارباب الحقول موقتاً

نعم ان تأثير الغابات في المناخ وانباط المياه وتحسين الارض وتطهيرها وجمالها وفوائدتها الاقتصادية والوطنية لاينكرها الا اعمى البصر والبصيرة . ومما ذكروه من منافع الغابات للوطن ان غابة هوستين وهي غابة صنوبر تمتد بين نهري الرين والفستول قد صدت كتائب الرومانيين عن التقدم . وهكذا حلت انكلترا مسألة الغابات وهي موطن الاستقلال الشخصي واحترام الاملاك الخاصة وتقسيم الادارة المركزية لعلمها بان الافراد في هذه المسائل لاصبر لهم بقدر الحكومة ولا عجب فهي الحكومة التي تغرس الغرسة اليوم وتنتظر جني ثمرها بعد قرن او قرنين هذا في البلاد القاصية فما بالك بها في عقر دارها

***

اليك اقل مايجب ان يقال في وصف منافع الغابات والتشجير و يدل على مبلغ عناية الافرنج بها وهم اعرف الخلق بالانتفاع من هذا الوجود . وان من يطوف المعالم والمجاهل من بلاد سورية ليستنتج ان عناية اجدادنا بالغابات لم تكن دون عناية الغربيين بها اليوم وان كانت البقية الباقية منها لاتسد خلة ولا تغني اهلها . واذا كانت الحكومة في القرون الاخيرة لاتهتم الا لتكثير الجباية والعشر ولو باستنزاف دماء الفلاحين وكان الامن اذا ارتفعت اعلامه في بعض الاقاليم فانما يرتفع بالقرب من الحواضر والقصبات والدساكر كانت الغابات في الغالب نهب الناهبين وغرضاً لاسنان القطعان وفؤوس الحطابين ولم تؤسس في الدولة نظارة للغابات الا منذ سنين قليلة وكأنها لم تكن الا لتأتي ايضاً على ما ابقته طوارق الحدثان من غاباتنا الجميلة لان عمالها يساعدون على تقليلها وكان الواجب عليهم ان يساعدوا على تكثيرها .

وكم من جبل في سورية اجرد امرد لاشجرة فيه كجبل قلمون [1] الذي تمشي فيه ساعات ولا تجد اثراً للزرع ولا للشجر حتى قال احد الاجانب ممن زاره مؤخراً :

(١) المقتبس م ٤ ص ٣٦٧

كنت اتمنى في حياتي ان اشاهد جبلاً اجرد من الكلاء والشجر فها قد قرَّت عيني في فلمون بمشاهدة ما كنت اريده من الجبال الجرداء ·

واكثر جبال سورية غابات فيما احسب جبل لبنان [1] ففيه من الاشجار الغير المثمرة الزان والسنديان والسرو والارز · والارز اهمها ومنه غابة بالقرب من قرية بشري قديمة والغالب هي التي كان يحمل من خشبها ايام الفراعنة الى مصر لبناء السفن والمعابد وغيرها فيؤتى به الى جبيل او الى طرابلس ومنهما يحمل في سفن شراعية · ولعل غابات دير القمر والباروك وعين زحلتا كانت تحمل الى صيدا ومنها تنقل في المراكب · قالوا ان الحكومة في لبنان كانت تحتكر اربعة اشكال من الشجر تستثمرها لخزينتها وهي السرو والعرعر والارز والصنوبر وتسمح بقطع غيرها واحتطابه · وقلت الغابات في لبنان منذ نحو خمسة قرون لاحتياج السكان الى الاحتطاب واخذ القوم يقلعون الغابات ويغرسون بدلاً منها اشجار التوت والكرم · وشجرا الارز مما تفرد به جبل لبنان من دون سائر جبال سورية ولا وجود له الا في اعالي سير بيلاد الضنية في وادي النجاص ففيه كثير من شجر الارز وبين سير ونبع السكر وفي الغابة الواقعة خلف وادي جهنم ويسمى تنوب ·

ويكثر شجر الشوح في جرود الهرمل وعكار وهي في الغالب من الاملاك الاميرية ينتفع بها الاهلون مجاناً او يدفعون ثمناً قليلاً للاحتطاب منها كما هو الحال في جبال عجلون · وفي جرود الهرمل وعكار صنوبر وسنديان وانك لتمر في جبال طويلة عريضة لا ترى الا السنديان وكذلك جرود الضنية وعكار من اعمال طرابلس كلها حراج تضمنها الحكومة

وعلى مسيرة يوم من شرقي حماة غابات من شجر البطم وهي الفستق البري بعينه تسمى الشومرية والبلعاس وهي منازل للعربان يقطعون منها ماشاؤا ويرعون فيها ماشيتهم وقد أضيفت الى الاراضي المدورة اي الاراضي السنية فما زادت الا خراباً على خلاف بعض الاراضي التي ضمت الى الاراضي المدورة في العهد الحميدي فكان من حظها انها عمرت وارتفع فيها علم الامن

واخبرنا احد اصحابنا ان في قرية حرمل من جبال النصيرية وسكانها تركمان غابة زرعها اهل تلك التربة منذ زهاء عشرين سنة فطالت كالرماح وحسن طلعها بعد

(١) المقتبس م ٤ ص ٤٨٧

ثلاث سنين من غرسها مما دل عَلَى ان جبال النصيرية كانت الا قليلاً مغشاة بالغابات التي لم يبق منها اليوم الا اثر ضئيل ورسم محيل · ولو توفرت عناية الاهلين في الجرود والجبال لغرسوا من الغابات ما يكون منه لابنائهم واحفادهم خير ثروة يخلفونها كما فعل اهالي الزبداني فغرسوا شجر البلوط في مكان يدعى قلعة السنديان في الجهة الغربية من الزبداني واذا امتدت هذه الغابات في سلسلة ذاك الجبل حتى تصل الى نبع بردى تأتي منها فوائد كثيرة لوادي الزبداني ووادي بردى ثم لدمشق وغوطتها اذ تكثر بذلك الامطار وتخزن المياه لنبع بردى المجاور لتلك الجبال ومن ورائها وادي القرن والحرير وفيها بعض الاشجار القليلة وهي ملك اصحابها لا الحكومة

وفي الجبل الشرقي اي في بلاد حاصبيا وراشيا غابات قليلة كما انه نقل الغابات في جبال فلسطين وفي بلاد الصلت غابات غير قليلة ما برحت الى الانقراض ومنها غابة قرب القصبة اقتلعها الاهلون وغرسوا منها كرماً يأتيهم بالعنب الجيد بلا بزر كعنب ازمير الا انه بقي اثر منها دلالة عَلَى عظمة تلك الغابة العظيمة · ونقل الغابات في بلاد حوران واحسنها ما كان في جبل الدروز ولذلك كثرت مياهه اكثر من غيره من الاقاليم ومثل ذلك يقال عن غابة عجلون التي تبلغ مساحة المستعمل منها خمس ساعات طولا وثلاث ساعات عرضاً ولا يأتي عليها عشر سنين الا وتنقرض عن آخرها

وبعد كتابة ما تقدم رأينا ان نأتي عَلَى ذكر الغابات من المصادر الرسمية فعلمنا ان غابات ولاية سورية كثيرة واهمها [(١)] في قضاء بعلبك وتبلغ مساحتها عشرين الف جريب · والجريب يقرب من عشرة دونمات · وشجره من السنديان والعرعر ويقل فيه الصنوبر واشجاره غير صالحة للاخشاب وهي معرضة للاحتطاب منها عَلَى الدوام فلم تتيسر لادارة الغابات حراسته عَلَى ما تقتضي به المادة الخامسة من نظام الخراج لقلة الموظفين وصارت الى حالة مؤلمة وبعض هذه الغابات تدعي الاهالي ملكيته وادارة الغابات تدافعهم في دعواهم · واهم هذه الغابات غابة حلبتا ووادي نيرة وما عداها فمتسلسل منهما وليس في قضاء البقاع غابات مهمة بل ان الاهلين يحتطبون من غابات الهرمل التابعة لمتصرفية جبل لبنان وهناك بعض غابات في سفوح لبنان بعضها مشترك بين البقاعيين واللبنانيين ·

وحراج وادي العجم متفرقة وتبلغ مساحتها نحو ثلاثة آلاف هكتار وحراج

(١) نشكر حسن حسني بك مفتش زراعة سورية لاعطائه ايانا هذه الايضاحات

اقضية حاصبيا وراشيا والقنيطرة مثل حراج بعلبك تسمى باسماء القرى المجاورة لها وتقدر مساحتها بثلاثة آلاف جريب تكاد لا تكفي لاحتطاب السكان الا على صورة ضئيلة . وليس في قضاء الزبداني حرج جدير بالذكر سوى حرج صغير أُصيب بما أُصيبت به سائر الحراج ولا سيما في وادي القرن ووادي الحرير فاصبح اكثره غير صالح للاحتطاب . وليس في قضاءي دوما والنبك ما يصح ان يسمى غابات سوى بعض اشجار من السنديان والبلوط متفرقة في الاودية والقمم من جبال قلمون هي ملك الاهالي يحتطبون منها فتقل سنة عن سنة

هذا في الاقضية التسعة التي هي من عمل الولاية او لوائها وفي لواء حوران اهم غابات في ولاية سورية وهي من عمل قضاء عجلون طولها ٢٦ ساعة وعرضها ٢٣ ساعة وفيها ٢٣ قرية و١٣٧٥ بيتاً ومزرعتان ومساحته من ١٣٠ الى ١٤٠ الف جريب ونصفها اليوم غير صالح للقطع يحتاج للحراسة كل الاحتياج والنصف الآخر يصلح للاحتطاب منه وعمل الفحم الا انه بعيد في نجاد وعرة ولقلة العملة الذين يتوفرون على عمل الفحم منه اصبح كأنه لم يمس . ومدينتنا دمشق يأتيها الفحم اللازم لدفئها ووقودها من غابات عجلون واذا لم تبذل العناية بوقاية الغابات مما يلحقها من المضار توشك ان تحترم بعد سنتين من الفحم فيباع قنطاره الذي يباع الآن بمئة وخمسين في الشتاء بثلاثة اضعاف ثمنه . فبسوء ادارة الحكومة لزمت قطعة من هذه الغابات لا يقل المستخرج منها عن خمسين الف قنطار يبعث بالوسائط على انه ليس فيها سوى ستة آلاف قنطار . واشجار هذه الغابة لا تصلح للخشب والدفء وان كان الفلاحون هناك يعتمدون عليه في سقوف بيوتهم فمنها الصنوبر والسنديان القطلب وفي غابات عجلون نوع من شجر الزيتون البري . هذا في غرب اقليم حوران وفي شرقه اي في جبل الدروز غابات قليلة الاهالي ينتفعون بها في وقودهم

وفي لواء الكرك بعض الغابات واهمها ما كان في الصلت ومساحتها نحو ستة آلاف جريب تحتاج للترك الآن والمحافظة عليها لكثرة ما عبثت فيها فأس الحطاب والفحام وفي قضاء الطفيلة غابات ولبعدها عن العمران لا يرغب في الاحتطاب منها فلا يستفيد منها القريبون ولا البعيدون وجنسها من العرعر وفي بني حميدة من اعمال قضاء الكرك غابات جياد هي ملك بني حميدة

اليك ما في لواءي حوران والكرك على الجملة اما لواء حماة فليس في مركزه ولا في

حمص حراج والاهالي يجلبون احطابهم وفحومهم من حراج الهرمل في لبنان ومن غابات بعلبك ومن حراج البلعاس التي كانت من املاك السلطان السابق فاصبحت للامة . وفي قضاء المعرانية حراج متفرقة تسمى باسماء القرى المجاورة لها وكذلك الحال في غابات سلمية

وقد بلغت واردات الغابات الاميرية سنة ٣٢٢ شرقية ٤٨٤٤٨١ غرشاً صحيحاً وسنة ١٣٢٣ — ٧٠٠١٨٩ وسنة ١٣٢٤ — ٦٥٠٤٦٠ وسنة ١٣٢٥ — ٦٦٦٩٨٩ وبلغت سنة ١٣٢٦ الى آخر شهر تشرين الثاني ٦٤٨٨٨١ غرشاً .

هذا في ولاية سورية اما ولاية بيروت فالحراج موفورة في اكثر الويتها واقضيتها على ضيق مساحتها ففيها بعض الغابات الصغيرة واكثرها فائدة في الانتفاع[1] والاحتطاب ما كان منها داخل لواء اللاذقية وطرابلس الشام ففي الجهة الجنوبية من مدينة بيروت في الرمل غابة من الصنوبر تقدر بالفي دونم وطول اشجارها نحو خمسة او ستة امتار ومحيطها من ٤٠ الى ٥٠ سنتيماً ويعنى كل العناية بحفظها وقد ذكر التاريخ ان هذه الغابة غرست قبل سنة ٧٦٧ هـ وقد خيف من انهيال الرمال على الاراضي الزراعية . وفي قضاءي صيدا ومرجعيون عدة غابات مبعثرة ينتفع بها السكان فقط

وعلى ثماني ساعات من صور غابات في وادي النصارى وساحل علما ووادي الخنازير وهي واسعة في الجملة وشجرها من السنديان ومحيط اكبرها متر واحد وطولها خمسة امتار لاتكفي للبناء بل تنفع في الحطب والفحم وقد جرى اهلها في اقتطاعها على الاصول فلم تقل انواعها وكذلك تجد في الجهة الجنوبية من القضاء غابات في وادي كركر ووادي البالون ووادي النهور .

وفي لواء عكا عدة غابات منها واحدة في الجهة الشمالية من ناحية شفا عمرو وهي على نحو خمس ساعات من الموانئ المجاورة وهي معروفة باسم الغربي ومرج وعاد والهوفي والزيب وتقدر مساحتها بنحو اربعين الف دونم وجميع اشجارها من السنديان ومعدل طولها من ٤ الى ٦ امتار ومعدل محيطها من خمسين سنتيمتراً الى متر واذ كانت هذه الاشجار لاتكفي الصناعات والبناء جعلها اهلها للاحتطاب واخذوا يبعثون بعضها الى الخارج . وفي قضاء حيفا على اربعمائة او خمسمائة متر عن سطح البحر غابات في جبل الكرمل ووادي العسل والعضامة والحاري والباخور تبلغ مساحة ارضها نحو ٤٢ الف

(١) تقويم (سالنامة) ولاية بيروت سنة ١٣٢٦ هـ .

دونم وهي قصيرة الطول والجسامة وهي كغابات صيدا وصور لا تنفع لغير الاحتطاب .

واهم الغابات الموجودة في لواء طرابلس في عكار والضنية تقدر مساحتها بزهاء مئة وخمسين الف دونم تمتد من قريتي غابات ونحفت الى آخر حدود ناحية الضنية وهي منبثة على سطوح مائلة و يقدر معدل ا تفاعها بسبعة آلاف متر واهمها القبايات وعنفت وارمون ،عرض والحويق وروبر وجوردبرين ووادي جهنم وفاطروفريم والضنية وهذه الاشجار تنمو في سفوح الجبل والساحل وهي لا تطول وتنفع لخشب البناء وهي من نوع السنديان والصنوبر وشرابة الراعي والعرعر وعدا هذا تجد اشجار الصنوبر والشوح منبثة على خط مستقيم بين مسيل المياه والروابي تعلو من خمسة الى عشرة امتار ومحيطها من متر الى متر ونصف و ينتفع باخشابها في جميع انواع الصناعات وفي كل هكتار اي على حساب عشرة امتار مكعبة تجد اشجاراً صالحة للبناء تعادل ١٣٦ الف متر مكعب كما يوجد في كل هكتار من الارض باعتبار عشرين متراً مكعبا وهي تعادل ٦٦٠الف متر مكعب من سائر الاشجار والخشب الذي يقطع من هذه الغابات يحمل الى حماة وحمص وطرابلس واعمالها من القرى والدساكر ·

والغابات الموجودة في لواء اللاذقية هي في اقضية جبلة والمرقب وصهيون وناحيتي باير و بوجاق وهي من الساحل على ساعة الى احدى عشرة ساعة واهمها في باير و بوجاق و بوغدهلي نية وجبل حسن ايت وجبل الملك وقزل حالتي وجورتلسم و بتالي ودر بوي تبلغ مساحتها ١٠٠ الف دونم والاشجار القريبة من الساحل يبلغ محيطها من ثلاثين سنتمتراً الى متر وطولها من ثلاثة امتار الى اربعة ومنها يستخرج خشب للبناء ولصنع القوارب الصغيرة والصنوبر الاحمر والابيض يستخدم في بعض المحال في الابنية واهم ما تقدم من الغابات غابات ناحيتي باير و بوجاق تقرب مساحتها من ٣٢ كيلومتراً مربعاً والقسم الاعظم من اشجارها اي ٩٠ في المئة منها يختلف محيطه بين ٣٠ الى ٦٠ سنتمتراً وطولها اربعة او خمسة امتار · وتندرت الادواح العظيمة وفي الاطراف والبلاد المجاورة تجد بعض الغابات يمكن تقديرها بثلاثة آلاف شجرة صنوبر اسود اكثرها يحتطب منه اهالي القرى ويحمل بعضه الى بيروت وفي وسط هذه الغابات على تخوم اسكندرونة غابة اسمها قوز تحيط بها اشجار الصنوبر وتقدر مساحتها بالف هكتار من السنديان

وقد بلغت مداخيل غابات ولاية بيروت ١٥٠٦٠٠ غرش بيع منها ١٦٩٠،٥٠٠٠

اوقة من الفحم و ٩٠٠٠ اوقة من الخشب واكثر ما يبع منها في بيروت وجوارها وسواحل مصر ·

هذا ما القفناه من مصادر متنوعة ونختم هذا الفصل بتعريب ما كتبه شاكر بك مفتش غابات ولاية سورية السابق وقد سألناه ان ينشيء لنا شيئاً في حال التنامع غاباتنا فكتب الينا ما نعربه بما يأتي وهو يصدق عَلَى غابات سورية باجمعها اي ولايات حلب وبيروت وسورية والوية القدس ولبنان والزور قال : الغابات احدى منابع الثروة الطبيعية للدولة والامة وربما كانت الاولى في بابها وما من ينكر استغناء احد عما تأتي به من الحطب والفحم والخشب وغيره ولاسيما في ولاية سورية حيث تكثر حاجات الاهالي الى الغابات اكثر من غيرها ومع هذا فلا نرى من يلتفت الى هذا الشأن ويبحث في اسباب دفع هذه الحاجة مما يوجب الاسف الشديد ·

ليس من ينكر ان الغابات تنقي الهواء وتجلب الامطار وتمنع التربة الواقعة في الحقول المسطحة من الانهيار وفيها من المنافع العامة ما ينفع في رعية الاغنام والمواشي وغيرها وكلنا نسلم باننا نطبخ كل حين طعامنا ونغسل ثيابنا وندفئ غرفنا بالفحم والحطب

ولئن رأينا اليوم مواقد تحمى بالبترول ويستفاد منها بعض الشيء الا ان هذا الطباخ لا يقوم في وقت من الاوقات بدل المنقل وكوانين المطبخ عَلَى الطرز القديم وذلك لان الطعام اذا طبخ والغسيل متى غسل تطفأ تلك الموقدة واذا فرضنا اننا اوقدناه مدة طويلة فمن البديهي انه لا ينشر حرارة تشبه حرارة المنقل ولا الكانون بحال من الاحوال · ثم ان من وسائط التدفئة والتسخين ان نرى بعض المواقد التي يستعمل فيها زيت البترول وهذه لا تزيد الحرارة الطبيعية في الغرفة الى اكثر من درجة الى درجتين في الاكثر ·

اما اخشاب البناء فانه يؤتى بها الى هنا من غابات اطنه وقونيه وآيدين فتباع بثلاث ليرات واحياناً باكثر من ذلك في حين انه من الممكن زرع شجر الصنوبر والسنديان في هذه الديار من اجود الاجناس وكل من يشتغل بالزراعة يوافق على هذا الرأي

ومع ان قنطار حطب الزيتون والمشمش يباع من خمسة واربعين الى خمسين قرشاً فقد كانت ترتفع اسعار قنطاره الى نحو ليرة ونصف لو كان المعول في احماء الحمامات والافران عليه

وهنا لا أرى حاجة لبيان فوائد الغابات بل اقول عَلَى سبيل المثال ان ما حرق من الفحم من جزء صغير من غابات عجلون قد بلغ سنة ١٣٢٤ (شرقية) ٤٠١٣٢٠٠٠٠

كيلو أخذ منها رسم ٥١٤٠٢٠٤ غروش صحيحة او ٦٧٢٣٣١ غرشاً بمعاملة دمشق الرائجة المتداولة

ولو عني الفلاحون وفقيرهم قد يملك من ثلاثين الى اربعين دونماً من الارض وهو يتلكأ معظم السنين في استثمارها كلها بحجة ان ليس لديه بقر او سكة او بذار ويترك قسماً منها بوراً لو عني بزرع شطر من ارضه او على حدودها ومجاري المياه اليها اشجاراً وحراجاً لاظلته ومواشيه وابناء السبيل بظلها واستخرج من اغصانها ومن اليابس منها حطباً لدفئه ولو اكثر منها زيادة لاستطاع ان تخرج له خشباً وفحماً فيغنى بها بعض الشيء . وبالجملة فان كل امرىء اذا ربى غابة فكأنه اسس لنفسه مصرفاً (بنكاً) دائماً لان الغابات رأس مال لا ينفد في الحقيقة .

بيد ان اهل القرى لا يفكرون في هذا الامر ولا يلتفتون الى ما ينصح لهم به من قطع الاشجار بل يقطعونها من اصولها وهناك الضرر الذي لا ينكره العقلاء

ولقد جرت المداولة بشأن الحراج والغابات في المجلس العمومي هذه السنة والتي قبلها وتعهدت الحكومة ان تأتي الفلاحين ببذور الغابات لمساعدتهم ولكن لم يراجعها احد في هذا الشأن والحكومة متكفلة بالقيام بكل انواع المعونات . ورجائي ان يعمد الاهلون بدلاً من تخريب الغابات واستئصالها الى احيائها وتعهدها وبذلك يحفظون منافعهم ويحافظون على حقوق الخزينة والله الموفق

النفس الانكليزية

لم تبلغ امة من الدهاء ما بلغه الانكليز فيه وكأنه خلق استحكم فيهم مع الزمن وتوارثه الاخلاف عن الاسلاف وتسلسل فيهم حتى اتى بالعجائب ومن درس تاريخ هذه الامة يراها تصبر وتصابر لاول وهلة وقلما طاش لها سهم فاذا رأت الفرصة وثبت ومتى انفسح لها المجال جالت .

تثبت هذه المتقدمة من مسألتين تجلى فيهما دهاء الانكليز في التاريخ وهو ان الحروب الصليبية التي دامت في سورية نحو قرنين وأهرقت فيها الدماء سيولاً لم تثنه وترجع دول النصرانية عن حرب دولة الاسلام الا بتدخل ريشاردس قلب الاسد صاحب انكلترا اذ ذاك في الامر فعرض سراً ان يزوج اخته من ابي بكر بن ايوب شقيق الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب ولو رضي القسوس لما تأخر صاحب انكلترا عن اجراء هذا العقد فانظر الى دهاء هذا الرجل وهو في القرون الوسطى وفي صدد حرب دينية كيف يتسامح بزواج اخته من غير ابن نحلته حرصاً على مصلحته . قال ابو الفدا في حوادث سنة سبع وثمانين وخمسمائة : تراسل الفرنج والسلطان في الصلح على ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان باخت ملك الانكتار ويكون للملك العادل القدس ولامرأته عكا فحضر القسيسون وانكروا عليها ذلك الا ان يتنصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال .

هذا هو الباب الاول الذي طرقه ملك الانكليز فلم يفلح لتعصب قومه وكان قد رأى ان ملك الالمان جاء عن طريق الاستانة براً الى فلسطين في مئة الف من رجاله فهلك معظمهم في بلاد الارمن ولم يصل منهم على ماقال المؤرخون سوى الف نسمة حتى ان ملكهم هلك غرقاً في نهر في الاناضول كان انغمس فيه ليستحم فايقن ريشاردس ان امر هذه الفتن يطول وان الغنيمة التي دعا اليها بطرس الراهب اي استخلاص بيت المقدس من ايدي المسلمين لاتوازي هذا القدر من العناء فطرق باباً ثانياً فجاء بعد ان شاهد حبل الصليبيين قد اضطرب وطلب الصلح بعد ان بثت الرسل في عنده وعجل بمخابرة صلاح الدين في معنى الصلح فبعث في احدى تلك السفارات يقول لصلاح الدين لايجوز لك ان تهلك المسلمين كلهم ولايجوز لي ان اهلك الفرنج كلهم قال القاضي ابن شداد بعد ان ذكر ماعرضه ملكهم من شروط الصلح العجيبة : فانظر الى هذه الصناعة في استخلاص الغرض باللين تارة وبالخشونة اخرى وكان مضطراً

الى الرواح وهذا عمله مع اضطراره والله المسؤول في ان يكفي المسلمين مكره فما بلوا باعظم حيلة ولا اشد اقداماً منه اه · ولقد كان ملك انكلترا صادق جماعة من مماليك صلاح الدين ودخل معهم دخولا عظيماً بحيث كانوا يجتمعون به في اوقات متعددة وكان في كل هذا يخلط الجد بالهزل حتى يتوصل الى امر به الا وهو استرجاع بيت المقدس الذي استخلصه صلاح الدين منهم

ثم تذرع ذاك الداهية الى انقاذ اهل نحلته من شر الفتنة وكان المسلمون قد ضاقوا ذرعاً بمدافعتهم وزحزحتهم عن تلك الديار فبادر صاحب انكلترا الى عقد الصلح سنة ٥٨٨ هـ وسبب ذلك كما قال ابو الفدا ان ملك الانكليز مرض وطال عليه البيكار (؟) فكاتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان في الصلح فلم يجبهم السلطان الى ذلك ثم اتفق رأي الامراء على ذلك لطول البيكار وضجر العسكر ونفدت نفقاتهم فاجاب السلطان الى ذلك واستقر امر الهدنة ولم يحلف ملك الانكتار بل اخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك وحلف الكندهري ابن اخيه وخليفته في الساحل وكذلك حلف غيره من عظماء الفرنج ووصل ابن الهنفري وباليان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين واخذوا يد السلطان على الصلح واستحلفوا الملك العادل اخا السلطان والملك الافضل والظاهر ابني السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد بن تقي الدين عمر والملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والملك الامجد بهرام شاه ابن فرخشاه صاحب بعلبك والامير بدر الدين بلدرم الياروقي صاحب تل باشر والامير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر والامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار

هذه هي المسألة الاولى التي تجلى فيها الدهاء الانكليزي في اجلى مظاهره والمسألة الثانية وهي احدث من الاولى عهداً ولكن يتخللها مئات من المسائل كلها سلسلة دهاء هي مسألة الاستعمار فان الانكليز لم تفتح امامهم مصارف جديدة للتجارة الا لما اكتشف خريستوف كولمبس اميركا ولقد تقدمت البرتقال غيرها من الدول لاستعمار الارض وتلتها اسبانيا ثم هولاندة وقد بلغت هذه الدولات الثلاث اوج مجدهن الاستعماري في النصف الثاني من القرن السادس عشر ايام كانت انكلترا لم تظهر بعد على ملعب الاستعمار ثم جاءت فرنسا فانكلترا ولكن هذه الدولة بزت الدول

الاربع الاول واثبتت انها دولة بحرية عظمى في صلح او ترخت سنة ١٧١٣ (١) وتطمح الى الاستيلاء على البحار ولكن هذا الدهاء في تأخر الانكليز عن دخول معممان الاستعمار قد هيأ لانكلترا الاستئثار بالاتجار مع اميركا . وانكلترا اقرب الدول الى العالم الجديد وشطوطها وهي تمتد على مسافة ٧٩٠٠ كيلومتر اي ضعفي شطوط فرنسا واكثر الدول البحرية الاربع قربا الى شطوط بحر الظلمات من سيفه الآخر فقبل سنة ١٦٠٠ ميلادية لم يكن لانكلترا مستعمرات خارج اوربا وبالدهاء السياسي افتتحت انكلترا الجديدة وفيرجينيا واخذ شارلس الثاني سنة ١٦٦١ مملكة الهند وكانت سبب غنى انكلترا وعظمتها هيأ اخذها اناس من تجار الانكليز دخلوا مع الجنود دخول السل في جسم العليل وكان من امرهم ما كان .

وهكذا لو تقصينا التاريخ لشاهدنا امثلة كثيرة في الدهاء الانكليزي الذي لا يشبهه دهاء في الامم وايقنا ان الثبات والصبر والتأني والسكون الذي خص به هذا العنصر هو الذي كان سبب نجاحه في اعماله فاشتهرت بجودتها على قلتها وندرتها وسياسته اشتهرت بحذقها على جفائها والتاريخ اعظم مترجم عن الامراء والامم وبه تكشف حقائق البشر وخصائص الشعوب

ولهذا الدهاء والتأني والصبر اسباب طبيعية وصنعية في انكلترا بحث فيها علماء الاجتماع والنفس فما قاله اميل بوتمي من كبار علماء فرنسا (٢) ان القوى الطبيعية هي من جملة الاسباب التي تؤثر في تربية الشعب . وهذه القوى هي صورة الارض الظاهرة وجبالها وانهارها وبرها وبحرها وقسوة مناخها او لطافته ووفرة ثمارها الارضية او ندرتها . فأن تأثيرها قديم كالانسان ولا سبيل الى ان نجد في التاريخ دوراً لم تؤثر هذه الحالات في البشر واذا كان عرض للانسان قلب وابدال فذلك ناشئ من مجموع اسباب وهذه الاسباب هي التي سماها تين العالم الفرنسوي « المحيط » او البيئة والعادات والقوانين المزبورة على

(١) اوترخت مدينة في هولاندة وولاية تسمى باسمها وسكان المدينة نحو مئة وعشرة آلاف وفيها مدرسة جامعة كلية ومعامل للخمل (القطيفة) مشهورة منذ القديم وفيها عقدت انكلترا وفرنسا واسبانيا وهولاندة الصلح سنة ١٧١٣ انتهت بها حرب ارث التاج الاسباني

(٢) كتاب علم الروح الانكليزية في السياسة خلال القرن التاسع عشر لاميل بوتمي
Emile Boutmy. Essai d'une psychologie politique du peuple anglais au XIXe siècle

الحجر والمذاهب الدينية والاشعار القصصية وغيرها كانت لاول الامر نتيجة المحيط الطبيعي فاصبحت مع الزمن ذات تماسك وحياة خاصة وصارت تولد بذاتها شعوراً وتتسرب الى الاسباب الطبيعية العظمى ولكن هذه الاسباب الرئيسة مابرحت تغشى هذه الجمعية البشرية التي كانت هي الباعثة اليها ولها اليوم تأثير كبير حتى انها لتأتي عَلَى الاخلاق الراسخة والمواهب الارثية فتغيرها وتفعل فيها مافعلته في اهل الاجيال الاولى .

انكلترا من بلاد الشمال ولها بين بلاد الشمال مركز امتازت به فليس لاقليمها مايعادله بين الاقاليم لانها تتمتع بمناخ يكاد لايختلف طوره فلا ترى في الشتاء تبدلا في الهواء من شمالي انكلترا الى جنوبيها عَلَى مسافة تسعمائة كيلومتر فيستطيع سكان بريطانيا ان ينتقلوا من ناحية الى اخرى بدون ان تتأثر اجسامهم من هذا التنقل وتختلف انكلترا عن سائر بلاد الشمال بتعرج شطوطها وخصب تربتها في حين يضعف الهواء المرء في اواسط بلاد روسيا او في شمالي بروسيا فيكتفي الرومي بما حضر لديه من حاجاته ولذلك يقل فيه فكر الاقدام على الاعمال اما الطبيعة في بلاد الانكليز فتنادي ساكنها بقولها انك ياهذا تهلك اذا تراخيت وتستمتع اذا جددت . فالهواء في بلاد الانكليز رطب ولكنه صحي وثقيل بحيث يكاد يصعب استنشاقه احياناً والجسم يهزل فيه اذا لم يتغلب عليه بحركات كثيرة . وان انكلترا لتطفح بطوال القامات ضخام الاجسام اشداء البنية وفيها من المعمرين الشيوخ اكثر من كل بلد من بلاد اوربا . والارض الانكليزية بما تترطب به من الضباب او يغمرها من هطول الامطار تحتاج عَلَى الدوام الى التجفيف بالقساطر حتى لاتغدو بطائح او غابات وهي بفضل تعهدها خصبة ممرعة . ومناخ انكلترا يحتاج الى الغذاء الكثير ولاسيما اللحوم وارضها مستعدة كل الاستعداد لتربية الماشية والبحر بما ضم بطنه من الاسماك يدخل في مضايق الى ارض بريطانيا العظمى فيصبح الصيد عَلَى طرف الثمام .

وبالنظر لرطوبة الهواء على الدوام واصفرار الشمس بما يداهمها من الضباب الذي يخلل اشعة الشمس نخلا لاتزال الظلمة سائدة شطراً من النهار يضطر معه ابن تلك البلاد ان يحسن لباسه ومنامه ودفئه ويبحث عن الاعمال التي تحتاج الى كدح وكد فهو في حاجة الى جوخ لثيابه والى جدران غليظة لمسكنه فتراه يصرف جزءاً مهماً من وقته في التسييج والتقطير واستخراج الفحم او تراب النفط للوقيد Tourbe خلافاً لابن جنوبي اوربا فانه لايحتاج الى مثل تلك المدة ليعيش والانكليزي اذا لم يجد غاية حاجاته

في ارضه يجلبها من الخارج بواسطة المقايضة مع ماضمته احشاء بلاده من المعادن والمناجم ويسهل عليه تناول ذلك بما له من وسائل النقل السريعة الرخيصة الاجور

ولذا كانت الطبيعة الخارجية للامة الانكليزية مدرسة ابداع ونشاط وحذر وتدبر فنشأت هذه الفضائل من اسباب جلب المصالح ودرء المضار وكانت من كاليات الاخلاق في هذا الجنس ودعا الجهاد للحياة وهو هنا اصعب منه في كل بقعة الى ان ينسلخ عنه بالانتخاب الطبيعي كل من لم يرزقوا هذه الصفات اللازمة كالمرضى والجامدين والجبناء والعطلين ولم يبق من هذا العنصر غير الاقوياء اهل الدراية العاملين وتأصل ذوق العمل بنشاط دائم فعال في النفوس حتى صار كأنه ارثي فيها.

قالوا ان الشعب الانكليزي شعب انتفاعي وهذا يصدق على كثير من الشعوب ولكن العامل الاكبر اليوم في هذه الامة الهوى في العمل للعمل والميل اليه حباً به . وما الحياة السياسية في انكلترا الا ناشئة من الميل الى تمرين القوة والبذل منها بطائل و بدون طائل ومن يجتاز البلاد الانكليزية يشعر بحاجة الامة الى هذا التمرين والى هذا الصرف من القوة بما يراه من الحركة على السيارات واشتغال قومها بالالعاب الشاقة فيوقن بان الرياضات البدنية الشديدة ليست في انكلترا مدعاة للتسلية بل هي ضرورية لدفع حاجة طبيعية لاتقل في مسيس الحاجة اليها عن الجوع والعطش

وكل من زار لندرا يشهد الرجال من الانكليز يركضون في الشوارع عدواً كأنهم في سبيل مهم جداً يوشك ان يذهب اذا ابطئوا عليه فيركضون نحوه بدون ان ينظروا ذات اليمين وذات الشمال للتخلية والتسلية فهم لايضعون نصب اعينهم غير الغاية العملية التي هي هدفهم ومنتجعهم حتى اذا وصل العامل الى مكتبه او عمله ينصرف اليه بجملته ولا يدخل فيه غيره ولا يلتفت الى مايصده او يخطر بباله في غير ماهو بسبيله فتراه لاينقطع دقيقة عما هو مأخوذ به ولا يني في مهمته ولذلك كانت اجرة العامل الانكليزي ارقى من اجور عملة الامم الاخرى لانه لايلوي على شيء اثناء العمل ويعمل نحو ضعف مايعمله الايرلاندي او الالماني مثلا . وهذا المزاج الخاص يولد في جميع الفروع عملاً مدهشاً

وانك لترى نساء الانكليز لايستنكفون من عمل يتعاطينه لتكون لحياتهن غاية فينصرفن الى تأسيس جمعيات الاحسان ويخدمن في المستشفيات ويعملن اعمالاً قد تعدها بعض الامم المتمدنة من الاعمال الوضيعة ولكنها تكون لخدمة الانسانية ولقد دخل خمسون الف امرأة في الحزب الحر في انكلترا وشاركن الرجال ومنهن المطالبات بحقوق الانتخاب

والمؤمنون من الانكليز بالدين لا يؤمنون به و ينصرفون عن كل شيء بل يعملون باسمين ويجتهدون في الحياة لا يصدهم ما اخذوا انفسهم به من الغاية عن النظر في دنياهم

و بعد فان الذوق واعتياد العمل يجب ان ينظر اليهما كأنهما خاصة جوهرية وصفة لازمة اختيارية لهذا الجنس فهما يصحبان الانكليزي حيث يذهب تشفعهما الاسباب المكتومة من نياته وهما مفتاح اسبابه وان الدواعي التي ادخلت ضرورة العمل في هذا الجنس قد اضاعت اليوم من شأنها وذلك لان كثرة الغنى العقلي والمادي قد زاد عدد الاغنياء واضعف على التدريج في جزء من سواد الامة الانكليزية الغريزة الارثية التي بها يعترف الانسان بقانون العمل و يقبل به . فاصبح الكسالى والضعاف في هذا المحيط الجديد اكثر حظاً في البقاء فتألف منهم عنصر خاص تحرص حكومته على جلب المنافع اليه واهل السعة من الانكليز يبذلون الفضل من اموالهم له وكل هذا على الجملة لا يضر الصفات التي ورثها الانكليز وتأصلت فيهم مدة قرون .

للاقليم في انكلترا تأثير مهم في الشعور والمدارك فهي البلاد التي يجف هواؤها وتكثر كهربائيتها التي تقوي الالياف وتمتن الانسجة ويكون الاحساس في اهلها امرع . ومثل الحس يكون التصور الطبيعي اي حاسة تمثل المحسوسات فانها في الانكليزي تتأخر ولذلك نرى الاعمال الجراحية تكون اقرب الى النجاح في الانكليزي منها في الايطالي مثلاً لان الاول قلما يضطرب كالثاني . وقد شاهد خصوم الانكليز من عسكرهم في حروب اسبانيا وواترلو وانكرمان عجباً اذ لم يكونوا يتأثرون للاعضاء تبتر والقذائف تنفجر والعظم يكسر وحشرجة الارواح تتصاعد

ان ارض انكلترا على ما خصت به من العبوسة والامطار الغزيرة والضباب المتواصل والطبيعة الساكنة قد اثرت في نفوس بنيها حتى لم يجدوا في الوجوه ما يشغلهم ولذا شغلوا بخاصة انفسهم وقل كلامهم كما قل شعورهم بما يأتيه من خارج والكلام كالشعور والفكر يرتقي و يصفو بالرفاهية وخضال العيش وهو اثر من آثار الثروة العامة والفراغ . ولقد وصف الفيلسوف تين الشعب البريطاني بقوله من السرور الذي يشفعه السكوت وهو من اعظم ما تطمح اليه نفس كل انكليزي ان يجاهد في امر ويتحمل المشاق ولا يتنازل عما نوى . وقد اعرب شاعرهم تنسون عن مثل هذا الفكر شعراً جاء معناه : ما اعظم على النفوس ان تقف دون غاية وتجعل لقواها حداً وان تصدأ كالسيف يعلق على

الحائط بدلاً من ان يلمع في يد حامله و يصفو بالاستعمال . ليس استنشاق الهواء هو الحياة بل اننا اذا فقدنا كثيراً فقد بقي علينا كثير فما كنا عليه مابرحنا فيه : قلوب ابطال شأنها التساوي بانفسها اصبحت عَلَى الزمن و بيد القدر نهب الضعف ولكنها مسلحة بارادة شديدة في مضائها و بحثها وايجادها وان لاتلين قناتها ابداً .

تقل في العنصر الانكليزي عَلَى الجملة الكفاءة لتصور الافكار العامة و يكره النظريات المجردة كما يكره المذاهب المقررة فليس للانكليزي شيء من المجردات يشغله بل تراه عَلَى الدوام مأخوذاً بضرورة العمل اليس معنى هذا ان حاسة العموميات ضعيف تركيبها في انكلترا بل ان العقل عملي لايقبل الا مايلزمه و ينفعه يعرف كيف يضبط نفسه ويحدد حدوده حتى اذا سار بنفسه سار صبراً نافعاً لاسيراً نكراً فعقله لايشبه قائداً في جيش يفكر في وضع خطط الهجوم والقتال بل عقله يشبه ضابطاً يقود بعيداً عن معمعان الحرب قسماً من الجند الاحتياطي المساعد فلا ترى في هذا الضابط قابلية لان يكون في الطليعة ولكنه يجيد في اتخاذ مركز له في النقط التي تجاوزها الجيش المهاجم و ينظم فيها المقاومة

لاشيء يقع عَلَى عقل الانكليزي من الغرابة اكثر من انكاره القوة الطبيعية *Naturalisme* والنظريات في الالهيات والمعقولات بل يرى ان اجنحة الفكر لم تبرح في نمو ولذلك لم تستعد للطيران مسافات طويلة بل هي تساعده فقط عَلَى السير فاذا ارتفع هنيهة وحلق في الجو فذلك ليعود الى الارض بعد مدة قليلة وهذا مادعاه يفكر في الامور القريبة التي اكثر ماتكون مساساً بمباشرة وله من مشاغله في تحصيل ثروته وتحسين زراعته مايصده عن الحق ولا يفرغ ذهنه الى النظر الى الاشباح الفارغة فهي بعيدة من الارض جداً غريبة عن الحياة الدنيا غير ملتئمة مع شروطها وضروريتها ولذا ترى الانكليزي في مسائل الدين لايتعدى افق العالم المدقق باحوال الانفس والاخلاقي الذي يبحث في المرئيات وليس هو صوفياً او منكراً ولا موحداً وهو لاينظر الي القواعد الموضوعة والالفاظ بل ينظر الى الغاية من التدين اكثر من الواسطة وهكذا هو في السياسة فلا تهوم حريته فقط عَلَى الدستور الذي يمنح الحرية عَلَى التقاليد الموروثة التي تحمي حمى الحرية القديمة المتأصلة فيه

من غريب حال الانكليز ان كثيرين من حملة العلم فيهم لم يتعلموا العلوم اللازمة للالمام بالتربية العامة فهم اخصائيون لاتشوبهم شائبة وان من يحاول في انكلترا ان يحدث

احد علمائهم في العلم المجرد لايجد من يستمع لكلامه فالعالم الطبيعي عندهم هو الذي يعرف كيف يصنع نموذجاً ميكانيكياً يطبق فيه العلم على العمل فقط حتى انك لاترى في كتبهم في الكهربائية الا حبالا مرسومة تعلق وتمتد ومواسير يقطر منها ماء وغيرها ينتفخ وآخر ينقبض وهكذا انكلترا في صناعاتها فلا يصدر منها الا مايقع تحت حسها ولا تقص في قصصها الا ماياثل حالتها الطبيعية وكذلك تاريخها ورواياتها التشخيصية وفلسفتها فان فلسفة اوغست كونت الحية ومخترعها فرنسوي وجدت لها اعواناً في انكلترا اكثر مما وجدت في فرنسا لانها صادفت هوىً في افئدة القوم

فهذا هو الشعب الذي قدر له ان ينشر البرتستانتية بثباته ويخرج من الكنيسة والكثلكة اذ كانت دين سلطة قادرة روحية تقنن وتحظر وتعاقب والناس معها مكرهون على القيام بتعاليمها اما المذهب البرتستنتي فهو دين الحكومة الذاتية الوجداني فالاول موجد النظام والقاعدة والآخر محافظ النشاط ومبدعه وهذا هو الدين الذي يناسب امة خلقت لتعمل.

ان تأخر سن البلوغ في شبان الانكليز وعفة النساء الانكليزيات وتعدد الأسر والبيوت كل ذلك من اخلاق الانكليزي الحديث كما كان قديماً من خصائص اخلاق الجرمانيين سكان انكلترا الاصليين. وامتازت الامة الانكليزية من بين الامم بانها طائفة متجانسة ولم تمتزج بغيرها فالانكليز وهم اهم عنصر تتألف منه انكلترا هم جرمانيون من بلاد الشمال ومن اجداد الجرمانيين انكليز وجوت وسكسونيون وكلهم من عنصر الماني والذين جاؤا بعد لاستيطان انكلترا مثل الدانيمركيين والنورمانديين هم فروع تشعبت من نفس تلك الدوحة

وان مايرى من شدة بأس الانكليز وقوة عضلاتهم يذكرنا بماقاله اميرسون فيلسوف اميركا «قالت الطبيعة : قد افنى الزمان الرومانيين ومحا اسمهم من سجل الوجود واني اريد ان اؤسس مملكة جديدة وساختار عنصراً شديدالشكيمة كلهم ذكور ولكنهم باجمعهم ذوو قوة وحشية فمن ثم لااعارض فيما ارى من المنافسة بين الذكور القساة المتبربرين الا فليدخل الجاموس قرنه في رأس الجاموس الآخر فيبقى المرعى لاكثرها قوة فانا لي عمل اريد اتمامه يحتاج الى ارادة وعضلات.» وهؤلاء هم الانكليز الذين لايمتزجون خارج بلادهم بغيرهم من الامم ولكنهم في ارضهم اكثر الامم حرية واكثرها اكراماً وايسرهم لقبول الغرباء ليست انكلترا جزيرة بل هي تارة فما من امة اشتبهت في افكار

ومنازع تأتيها من اوربا نفسها مثل انكلترا وايطاليا اقتدت بالبلاد الاخرى ولكن كان اقتداء موقتاً كأنه للتسلية او هو سطحي كأنه زي من الازياء . اما سواد الشعب فلم يمس بشيء في منازعه بل ظل مخلصاً لاخلاقه الاولية وبالجملة فقد كانت دواعي الاختلاط قليلة جداً بين الانكليز وغيرهم ولاسيما عامة الامة فالانكليزي اشبه بساكن الولايات في اوربا وفكره كالشراب بقي زمناً في مأمن من الاهتزاز فختر وكثف ولم تعد له تلك الميوعة التي توءهله الى الاختلاط بشراب آخر

وكان لهذه الصيغة الخاصة وقلة الرقة في الاخلاق الانكليزية نتيجة مهمة شوهدت في كيفية الاستعمار البريطاني ونتيجه . فما قط تمازج العنصر الانكليزي بغيره من العناصر في البلاد التي اخضعها لسلطانه فهو كالمعدن البعيد جداً عن نقطة التذويب فلا يتأتى ان يحمل منه ادنى مزج وما قط ساووا بانفسهم تلك الشعوب التي افتتحوا بلادها وماتلطفوا في استمالة قلوبهم فلم يعرفوا الا ان يظلموهم ويستنزفوا مادتهم ويدوسوهم او يفنوهم .

ابان الانكليز ايضاً عن عدم كفاءة في فهم مناحي العناصر المنحطة وان يتقربوا اليها ليأخذوا بايديها ويقوموا ناهضين واياها بما عاملوا به ايرلاندا من المعاملة السوأى ومثل ذلك يتجلى في ادارتهم الهند ومصر . فالانكليز يأتون تلك الشعوب بثروة مادية ونظام وامن وغنى فترى سلطتهم في بلاد الهند مثلا على احسن طريقة ونظام مدقق قوامه الحشمة والادب وهم فيها بعد قرن من الزمن لم يخرجوا عن كونهم اناساً جفاة لا يألفون ولا يوءلفون وكلما طال العهد عليهم تراهم في ارضها غرباء والاصوات تعلو للخلاص من ربقتهم . وان يوماً يغادرون فيه البلاد المستعبدة لعزيز على نفوس اهليها ولو ذهبت بذهابهم الرفاهية والسلام .

تحكم الانكليزي منهك لقوى العناصر المنحطة وهو استبدادي وكثيراً مايكون قتالاً في البلاد التي يكون فيها للاهلين مجال معهم ولا يداثوهم بنشاطهم وارادتهم لان هوءلاء الفاتحين لم يرزقوا حظاً من تليين وصلابتهم وتدابيرها على الصغار والضعاف بل لا يتمثلون ولا يعنون بغير اخوانهم والمساوين لهم .

نعم الانكليزي اكثر الامم اغراقاً في الابتعاد عن الناس والعزوف عن مجتمعهم فهو يشعر بانه اقل من غيره علاقة بالمجتمع البشري وقلما يقتبس من صلاته مع غيره شيئاً يستفيد به في تركيب اخلاقه وقلما يبحث عما يفكرون فيه واذا بحث فبحثه مجرد

لا يدخل قبيحة في عواطفه واعماله فهو ناسك بعيد عن العالم وعن غيره من الامم بل هو بعيد عن جاره الذي يساكنه في حي واحد والمحيط الذي يعيش فيه ومايشعر فيه نفسه قلما يكون نسخة بسيطة مما يراه في الخارج نفاذة، هو مثل ثمرة كبرت تحت القشرة في نوع من الصدف فهو لا يتأثر كقشرة الخوخة وما يمر عليها من مجرى الشمس لا يزيدها اصفراراً ولا احمراراً

الانكليزي لا يشعر باقل ضجر من العيش وحده ولا يجد حاجة ان يقص ما عمله على غيره ولا يسوقه سائق نفسي ان يقف على مايعمله غيره فهو فيما خلا الشؤون التي تمسه مباشرة لا يهتم الا بما له علاقة بالمسائل الوطنية العامة التي تمسه ولكن لا مباشرة بل من طريق وطنيته . يقول اميرسون : « انك تحسب الانكليزي اذا اجتمع مع الاجانب اخرس فهو لا يصافحك ولا يتركك تنظر مافي عينيه في الفندق و يلفظ اسمه بحيث لا يسمع فكل واحد من هؤلاء الجزائريين جزيرة بعينها » ويقول مونتسكيو : « يصعب على الفرنسيس ان يكون لهم احباب في انكلترا وكيف يحب الانكليز الغرباء عنهم وهم لا يحبون انفسهم والى يعطوننا ما نأكل وهم لا يتواكلون . يجب ان نجري على خطتهم فلا نهتم باحد ولا نحب احداً ولا نعتمد على احد »

ومن الغريب ان هذه الامة العازفة عن العشرة البعيدة عن الاختلاط تراها في امورها الداخلية من اكثر الامم ميلاً الى الاشتراك وما حديث انديتها ومجامعها وشركاتها المالية بخاف عن احد . وقد شرح فوليي العالم الفرنسوي سر نجاح الانكليز في الزراعة والتجارة والصناعة بقوله : « انهم بالسكوت يجمعون افكارهم و يتفرغون الى التدبير والتقدير على ماينبغي ويحسبون دخلهم وخرجهم و بصفو فكرهم اكثر و يبعث كلامهم جلياً ومن هنا كان التدقيق والرواء رائد جميع اعمالهم العامة والخاصة » وقال كارلايل الفيلسوف الانكليزي : الانكليز شعب اخرس . ثم شرح هذه العبارة بقوله : ان السكوت يزيد في علاقتهم ونظامهم مع ما يبين عنه اللسان . الانكليزي يميل الى الاختفاء ولا يهمه الظهور يهمه تجويد العمل من حيث هو عمل نافع ولذلك ترى جرائد انكلترا لا يوقع كتابها على مقالاتها وهي مع هذا ارقى من جرائد فرنسا التي يوقع كتابها على مقالاتهم ليقال عنهم انهم كتبوا ومن آثر الاختفاء من هؤلاء لا يلبث ان يظهر اسمه بعد موته

ان كان من خلق الانكليزي الاقدام على العظائم فان حب الجديد والذوق في

المجهول ليس فيه الا عَلَى ضعف ايضاً فالانكليزي يبقى انكليزياً ويعيش عيشاً انكليزياً حيثما ينزل · والانكليزي اقل من الفرنساوي والايطالي في اليأس من النجاح واكثر منهما هزوءاً بالمتاعب والمخاطر لعلمه بان لها حداً تقف عنده ولا بد من حل مشكلاتها وقلما تراه يحسب حساباً لنكد الطالع فترى الشاب يتزوج من فتاة وهو في مقتبل العمر ولا يطالبها ببائنة (دوطة) بل يقترن بها بلا مهر ويقدم عَلَى تأسيس أُسرة فيزيد نفقاته ثلاثة اضعاف ما كانت عليه والصانع يقدم عَلَى ادخال اصلاح في عمله بجرأة ويتخذ وسائط النجح وهو يعلم انه لا يلبث ان يتم اصلاح مصنعه حتى يقوم صانع آخر بنافسه ولكنه يكون استفاد من الفترة بين اصلاحه واصلاح منافسه وترى المهاجر منهم لا صبر له ولا لبد ومع هذا ينزح ويزرح تحت اثقال المتاعب وهناك سبب آخر واعني به الهوى في العمل او التجنن فيه وفي الحركة والذوق في العمل من اجل انه عمل وكل ذلك مما تقتضيه حالته الطبيعية · وانا لنرى المرسلين منهم يتغربون في الارض ولا يخافون بل يتعزون بما يتم عَلَى ايديهم في الاقاصي وينامون ملء جفولهم شاكرين ويعملون اعمالاً في السر ابتغاء وجه الله

ومن خلق الانكليزي انه متشدد في الاحتفاظ بالحالة الحاضرة فارباب العقول الغريبة في تصورها كثيرون ولكنك لا ترى فيهم احداً يميل الى الثورة وقد اشتهرت انكلترا بانها بلد التقليد اذ متعصبة حتى على التبديل اللازم وثلاثة ارباع سكانها لا يشعرون بالحاجة الى ادخال تبديل في القوانين والاخلاق والربع الآخر يقبل بالتبديل في بعض احوال مخصوصة ويتعلق بها ويلاحقها بنشاط ولذا رأينا الشعب الانكليزي قد جالد لاول وهلة ربما أُدخلت عليه اساليب الارتقاء حتى المادي منه فلما دخله صار في لحمه وعظمه وهكذا شأن الامة العظيمة تتشدد في تقاليدها وتستنكف في الغالب عن قبول كل جديد الا اذا ثبت لها ما يقتضيه ثبوت الشمس والقمر ·

مهما بلغ من انحطاط مكانة الرجل الانكليزي في المجتمع ومهما بلغت حرفته من الامتهان لا يحسد من كان اعلى منه منزلة وله من عمله الذي يستمتع بنعمه اعظم سلوى ولذلك قل ان مالت الطبقة العاملة في انكلترا الى تغيير نظام الاشراف في المجتمع وذلك لاعتقادها بان الاعمال مقسمة لان الحظوظ متباينة · وبينا ترى فرنسا تقول للوزير كن فكان مهما كان وضيعاً وللنائب كن نائباً فكان مهما كان منحطاً في اصله وللشريف كن شريفاً فيكون تجد انكلترا لا تسمح لوضيع ان يعد في جملة العظماء الا بعد ثلاثة

اجيال وذلك على نظام وترتيب تدريجي لعلم القوم بان الطبيعة في انكلترا تتأخر في كل شيء ولذلك اقتضى ان يكون ارتقاء الناس كذلك

من خصائص الانكليزي انه يشبه ميكانيكياً تعلم علم الحيل (الميكانيك) بالتجربة لا بالنظر فتراه مهتماً ان ينتج بما لديه من آلة ما امكن من النتائج ولا يحرص على تبديل محركها او ادواتها لعلمه بانه اذا فعل ذلك اقتضى عليه ان يوقف العمل وان يبذل بلا نتيجة وقتاً واهتماماً من رأس ماله المحدود وهو يدرك بانه اذا حدث للآلة ما يضر صيرها تقف حيناً وتنقطع فائدته وفائدتها ولذلك يجد من نفسه داعياً الى القبول بتعديل آلة على ان يغير ادواتها القديمة بادوات جديدة ولكن بدون ان يوقف الآلة ويقلل من عملها

يعتقد الانكليز بالضعف البشري ويشعرون بضرورة اخذ الامور بالتدريج والبداءة بها من الصغير للوصول الى الكبير حتى لا تقف القاطرة في هذا الجهاد وتتهور في منحدر لا تقوم منه فهم في شرائعهم يكتفون بتعديلها واصلاحها مع الزمن وما قط حدثتهم انفسهم ان يضربوا بما لديهم عرض الحائط ويضعوا غيرها من عند انفسهم . ولكن الانكليزي مع هذا اذا رأى الخير في تعديل قانونه يصر عليه فقد رأينا اصحاب الصحف على عهد الاصلاح البرلماني الكبير قد صعب عليهم ان يصدروا منشوراتهم الدفعة لانه قضي عليهم ان يدفعوا عن كل نشرة طابعاً فاجمعوا امرهم على ان يصدروها بدون طوابع تغرمهم الحكومة وحبستهم ولكن جرائدهم ومنشوراتهم ظلت تصدر على عادتها بدون طوابع واصروا الا برفعها فمضت اربع سنين على هذه المسألة وقد حبس لاجلها زهاء خمسمائة رجل ثم اضطرت دار الندوة ان تجيب الطلب وان كانت الحكومة تضررت من هذا القسم المهم في الميزانية

يعمل الانكليزي حباً بالعمل نفسه على حين يعمل غيره من الامم لاحراز الثمرة التي تعقب الشرف او الراحة والرفاهية والدليل على ذلك ما نراه في اهل الطبقة العالية منهم ممن لهم من ثروتهم ما يعفيهم من تعاطي اي عمل كان . تراهم يصرفون نصف ايامهم في الالعاب الرياضية الشديدة ولا يبالون فكأن الرياضات لهم كالفطرة المستحكمة كما كانت الالعاب الاولمبية في يونان ايام عزهم ثم انك لا تجد غنياً لا يصرف شطراً من وقته في النظر في شؤون مقاطعته وابرشيته وكثيراً ما يهلك قواه في هذا السبيل على حين تجد ابنه في اوستراليا او مانيتوبا يعيش مع رعاة الغنم في تلك البلاد القاصية المنفردة وابنه الآخر من المرسلين في جنوبي افريقية يعمل شاق الاعمال

وبينا نرى الانكليزي اكثر الامم تحاشياً مما فيه عبودية واحرص الناس على التناغي بالحرية الشخصية والحرية المدنية كحرية الاجتماع وحرية التكلم وحرية القول نراه في نظام أُسرته قد احتفظ حتى الآن بنظام الحكم المطلق فترى الابنة تأتي زوجها بدون ان يعطيها والدها بائنة لان العادة جرت بين الاغنياء وارباب اليسار ان يحفظوا لبكر الاولاد العقارات ويقسموا الاشياء المنقولة بينه وبين اخيه الاصغر منه سناً وتنال الابنة حصة من ذلك ويكون في الاغلب دخلا قليلا تناله من واردات ابيها . حرمت من ذلك حتى لاتجيء دار زوجها بما يرفع رأسها عليه لان الرجال يريدون ان تكون لهم السلطة التامة في بيوتهم حتى انه اذا اتفق ان ازواجهم جاؤهن بشيء من المال يضيفونه الى ثروتهم ويحرمونهن حتى من الوصاية على اولادهن ومن التصرف باموالهن . عادات قديمة ورثوها فحافظوا عليها واذ كان ابطال القرون الوسطى في اوربا قد لطفوا من شأن المرأة لان من عادتهم الاخذ بايدي الضعفاء والعاثرين فان انكلترا لم يدخل عليها هذا التلطف والزوجة مع زوجها وما يختار لا ما تختار هي . وترى الوالد والوالدة يربيان ابنهما بعيداً عنهما ولا تأخذهما شفقة في ذلك والولد اذا غاب عن والديه يتناساهن واذا مثل بين ايديهما يحترمهما .

هذه بعض صفات الانكليز ومنها انبعث ارتقاؤهم المادي والمعنوي فسبحان المعز المذل القابض الباسط رافع الامم وخافضها ومشقيها ومسعدها

الامة تحبو

نريد بالامة هنا الامة العربية او الشعوب العربية وان كان لكل قطر بل لكل كورة من اقطار بلادها وكورها حالة خاصة بها وفلسفة روحية تختلف عن جارتها وتستدعي بحثاً على حدتها ولكن ما يتعذر على التفصيل يجدر ان يذكر على الاجمال . ننظر نظرة عامة في حال العرب ليتجلى لنا ان كانوا ناهضين نحو الرقي ام هم يسيرون سيراً متثاقلا لا يعرفون الغاية ولا يهتدون الى وجه الحق سبيلا

اذا بدأنا بمراكش وهي اقصى حدود البلاد العربية نجدها لم تبرح على ما يبلغنا من امرها امة أُمية كما كانت في اواخر القرون الوسطى وهي على استقلالها وقربها من اوربا لم تتأثر بالمدنية الغربية وما فتئ اهلها يعيشون في حال التفتت يأكل كبيرهم صغيرهم ويعيث خاصتهم بعامتهم يرون السعادة كل السعادة ماهم فيه ولا تحدثهم انفسهم ان يغيروا منه بان يبحثوا عن سر تفاشلهم وتقاتلهم وجاهليتهم .

فاهل مراكش في تقاليد مدنيتهم كالذين ينتحلون الفتشية اي عبادة الاصنام في افريقية بالنسبة لاهل الاديان السماوية الراقية ما زالوا على الفطرة الاصلية وليس عندهم من دواعي البقاء الا مالا غنية عنه لكل قبيل مهما انحطت درجة مجتمعه وهيهات ان تتوحد كلمة المراكشيين على تباين اقطارهم وامصارهم مادامت القبائل تتعادى والحكومة كل يوم في شأن وليس بين قبائل البربر في القاصية وبين اهل فاس وطنجة صلة كأنهم من عالم آخر . اما من يسوغ ان يقال عنهم بان لهم شيئاً مما يطلق عليه اسم مدنية من باب التجوز وهم سكان الامصار فالخاصة منهم لا يعرفون الا بعض المسائل الدينية والتاريخية وتقف معارفهم عند هذا الحد ومن المتعذر جداً ان ترى مراكشياً قلد الغربيين في ملبسه وعيشه ومناحيه وتصور معنى المدينة الفاضلة

وهكذا اذا جئت تبحث في حال بوادي المغرب الاوسط اي الجزائر ولولا مبادي من الافرنسية يلقنها بعض الجزائريين طوعاً او كرهاً لرأيتهم الاكبادية مراكش حذو القذة بالقذة . اما مدن الجزائر فسائرة نحو التطبع بطابع المدنية الغربية على تشدد السكان الاصليين واستنكافهم من الاخذ بها والتحامي من الابتذال في تلقف ما يضر بكيانهم من قبول تلك المدنية التي تنتهي اذا فتحت لها السبل كلها بصيرورتهم فرنسيساً كما هي ارادة الحكومة والقوم مهما ابدوا من المتانة في مجافاة الاوضاع الافرنسية

تضطرهم بقوة ولو بعد نصف قرن ان يقبلوا بكل ما تعرضه حكومتهم عليهم من الاوضاع والمنازع التي لاترى لها ولهم سعادة بدونها . والجزائريون لايستطيعون على تلك الحال ان يدرسوا وحكمهم استعماري حتى ولا مبادئ لغتهم لما يحول دون امانيهم من العوائق على مايقال . وكأنا بالجزائر اذا دام امر المسلمين فيها في تراجع وقد اصبحت فرنسوية في كل حال من احوالها وانك لترى بعض اهلها يهاجرون منذ سنين ويتخلون بطبيعة الهجرة عن عروضهم وعقارهم وينزل مكانهم اناس من الفرنسيس والطليان والاسبان وغيرهم يستعمرون الارض ويتملكون الدور والعقار ويقبضون على ازمة التجارة . وقسم من الاهلين يقلد الافرنج فيشتمل على طريقتهم ويحسن لغتهم وينسى لغته وتضعف وطنيته وجنسيته وعقيدته فهذا واولاده من بعده يصبحون افرنجاً صرفاً ان لم يكن في الجيل الثاني ففي الثالث والقسم الآخر من السكان وهو المهم الآن وفيه كثير من ارباب الغنى والفكر يجمعون الا قليلا بين الاخذ بمذاهب المدنية الحديثة مع المحافظة على تقاليدهم واوضاعهم وهؤلاء خير طبقة يرجى منها النفع الآجل والعاجل وهناك قسم آخر يجرفهم سيل المدنية الحديثة فيقبلونها رضوا ام لم يرضوا

وانا اذا حسبنا من تعلموا الافرنسية اليوم من الجزائريين ولم يتعلموا لغتهم مائتي الف نسمة من اصل نحو خمسة ملايين بعد ان حكمت فرنسا هذا القطر زهاء سبعين سنة فنرى عددهم يربو على ذلك اضعافاً بعد نصف هذه الحقبة من الزمن . اذ ان الدعوات الدينية والمدنية تكون ضئيلة في الغالب لاول امرها ثم تقوى كالنار اصلها من شرارة ثم يمتد لهيبها وتلتهم البعيد والقريب منها . ويخشى ان يكون حال الجزائر مع من يهاجرونها من ابنائها حال الجو في انكلترا مع سكانها فقضى بقاعدة الانتخاب الطبيعي وقانون الوراثة على العاجزين والخاملين وبقي الشعب على الجملة من الاقوياء الاشداء العاملين الناهضين . نعم نحاذر ان تقذف الجزائر بالخاملين الذين سدت في وجوههم مذاهب المعاش وان تستعيض عنهم بالعاملين من الغربيين او من الجزائريين انفسهم الآخذين بمذاهب الحياة أخذ الاوربيين .

من اجل هذا ساغ لنا ان نقول ان مستقبل الجزائر ان دام على هذا المنوال مظلم محزن ومثلها تونس وان كان الامل بنهوض هذا القطر اقرب من بعض الوجوه لان طرز حكومة الحماية يختلف بعض الشيء عن طرز حكومة المستعمرة لوجود حاكم من ابناء البلاد في الصورة ولان بعض المنورين من اهلها لم يسعهم بعد طول الروية الا

التشبث الى الرقي باسبابه المنتجة ولو بعد زمن طويل ونعني بذلك التعلم على المناحي الاوربية وعدم اغفال التعاليم القومية والمذهبية . وهذه البزرة على صغرها لابد ان يأتي يوم عليها تكبر فيه دوحتها وتثمر في ارض قرطاجنة .

اما اقليم برقة او ولاية طرابلس الغرب فشأنها على اتساع رقعتها وكثرة سكانها شأن البلاد المتأخرة جداً وجمودها في الاخذ بمذاهب الحضارة جمود المغاربة المراكشيين وبلادهم حتى الحواضر منها بادية اكثر منها متحضرة وقلما تجد نهوضاً الى التعلم الحقيقي فيهم والنبهاء منهم يرون الاكتفاء بان يلقنوا مبادئ العلوم في مدارس الحكومة للتوظف في خدمتها اما سائر مذاهب المدنية فقد اغفلوه ولذلك يصعب ان نقول عنهم انهم كالطفل يقوم ويقعد او يحبو ويدب

جئنا الى مصر ومصر معقد الآمال في مستقبل هذه الامة لان توسطها من الاقطار العربية ومركزها التجاري المهم الداعي الى اختلاطها بالامم الاخرى كثيراً وخصب تربتها وغناها وكثرة سكانها كثرة قلما يتأتى لواد كوادي النيل ان يحوي مثله نفوساً يوفر لهم مرافق العيش وانتظام حكومتها بعد الاسلام على اختلاف الدول التي حكمتها ومدنيتها القديمة ونظامها الذي عم اريافها كما عم امصارها وتسلسل الميل في ابنائها للاخذ بمذاهب الحضارة الغربية وتأسيس اوضاعها والعناية بما يبقي عليها جنسيتها ونحلتها كل هذا مما يرجى منه ان يكون حضارة عربية غربية تأخذ ان شاء الله من الحضارتين اطايبهما على نحو ما فعلت يابان يوم عزمت ان تنشأ نشأة راقية تضاهي بها دول المنعة والمدنية الحديثة فلم تتخل عن شعائرها ولم تتناول كل ما وقعت ابصارها عليه من اسباب الحضارة الغربية فجاءت بمدنية لاشرقية ولاغربية يكاد سنا ضوئها يأخذ بالابصار

ولقد خط الزمان لمصر خطة منظمة في الارتقاء وفيها الذين قلدوا الراقين من الغربيين بعيشهم ومناحيهم وادلالهم بوطنيتهم وأرومتهم وعندها ما يلزم لامة من ادوات الرقي على اتمه الا قليلا . واذا نشأت لبعض ابنائها رغبة في تلقف العلوم الطبيعية والصناعية كما اولعوا بالعلوم الادبية والسياسية تصبح بعد بضع وعشرين سنة كأمة اوربية راقية وربما فاقت الآن وهي بعلمها وارتقائها في قارة افريقية بمنزلة المانيا او فرنسا في قارة اوربا كثيراً من الشعوب المنحطة في جنوبي اوربا

اما سورية فقد انشأت لها مدنية خاصة ان صح ان نسميها كذلك ولكنها متلونة بتلون مصادرها مختلفة اختلاف اهويتها وعناصر سكانها فلا تراك يلقنونها لغتهم منذ استيلاء

الدولة العلية عليها ولكنهم لم يوفقوا الا بتعليم افراد في بعض البلاد قضت عليهم مصلحتهم التجارية كأهل حلب وما جاورها مثلا بتعلمها او غرامهم بالوظائف العلمية والعسكرية والملكية كأهل دمشق وطرابلس وبيروت ان يتلقفوها اما الذين تأثروا من ابنائها بالمدنية الغربية المنبعثة من المدارس الفرنسوية والاميركانية والانكليزية والروسية وغيرها فاوفر عدداً وان لم تكن تلك المدارس اقدم زمناً وارسخ قدماً في كل الاقطار فهي في فلسطين اي في جنوبي سورية اقوى منها في شماليها وفي غربيها اكثر مما هي في شرقيها فتجد الناشئة الجديدة عَلَى المناحي الغربية في القدس ويافا وحيفا وعكا والناصرة وصور وصيدا وبيروت ولبنان وطرابلس والاسكندرونة اكثر مما تجد منهم في نابلس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية . وكلما كثر في بلد سواد المسلمين كان البعد من الاخذ بمدنية الغرب اكثر من غيره من المدن الجنسة باديانها وتباين اغراض المعلمين فيها

وعندنا ان الحكومة تحسن صنعاً اذا نشطت في هذا القطر اللغة العربية اكثر من اللغة التركية او عَلَى الاقل جعلتها مثلها ليكون لها من ابنائها اكفاء في صد تيار المدارس الاجنبية التي تعد الناس للهجرة اكثر من تحبيب بلادهم في اعينهم اما السعي في تتريك العرب في سورية وفي غيرها من الاقاليم العربية كاليمن والحجاز والعراق والجزيرة فسعي باطل ليس فيه خير للبلاد ولا للدولة لان تعليمهم بغير لسانهم يطول معه زمان نهوضهم الحقيقي والاتراك ليسوا بمدنيتهم على مستوى الفرنسيس والانكليز في الرقي ومعرفة المدخل والمخرج مثلاً حتى يفيضوا من علمهم عَلَى العناصر الاخرى ولذلك كان عمل الحكومة عقيماً في نشر التركية فقط في البلاد العربية والدليل عَلَى ذلك ان الولايات التركية احط بكثير من بعض الولايات العربية فولايتا سورية وبيروت ارقى ولا شك من ادرنة وبورصة كما يؤكد ذلك من طافوا هذه الولايات الاربع وخبروا قراها كما خبروا مدنها اما درجة التهذيب والتعليم في سورية فارقى من بلاد الاكراد وارمينية وولايات آسيا الصغرى اي الاناضول ولذلك جاز لنا هنا ان ندعي ان السوريين كالطفل بدأ يحبو نحو المدنية الا انه لم يعين له خطة معينة حتى الآن وحالته مناط بغناء نوابه بل نواب العرب وكفاءتهم في مجلس النواب واذا احسنوا النيابة نالت هذه البلاد حقوقها الادارية والعلمية والعمرانية والا فتبقى في حالة التذبذب

اما سائر الاقطار العربية فلا يسوغ لنا ان نقول انها اخذت تحبو مادامت الفتن

تنهك قواها وذلك مثل بعض انحاء العراق ونجد واليمن فان الامن لم يكد يقرر في نصابه في قطر من اقطارها مدة طويلة ومنذ نحو اربعين سنة لاتخلو سنة الا وتنتشر الفتن في بقعة من بقاع اليمن وكذلك جنوبي سورية ونجد والعراق ولولا بقايا مدنية تقذفها الهند على خليج فارس فينال منها البصرة وبغداد شيء قليل او تلك الآثار الضئيلة التي يلقيها الراحلون الى الشرق من اهل الغرب على بعض موانئ البحر من جهة الجزيرة العربية لقلنا ان هذه لم تختلف حالتها عن بضعة قرون الا ما كان من خلل الامن فيها

وبعد فان حال هؤلاء الملايين في اليمن والحجاز والبصرة وبغداد والجزيرة والشام وطرابلس الغرب يدل على ان الانتفاع من قليل منظم خير من كثير مشتت وان اهل سويسرا وهم ليسوا سوى جزء من عشرين جزءاً من العرب المنتشرين من شواطئ بحر الظلمات الى شواطئ المحيط الهندي اكثر اثراً في المدنية من العرب اليوم وهم لا يقلون عن ستين مليوناً وما ذلك الا لبعد اقطارهم واختلاف الاغراض في حكوماتهم فتجدها اما الى اليقظة الغربية او الى الاهمال المدهش · افراط او تفريط وكلا هذين ان زاد قتل ·

اما سائر البلاد العربية كزنجبار والسودان واواسط افريقية فحالها تبع للاقدار وهي اقرب الى الانصباغ بصبغة الحاكمين عليها لان اهلها على الاغلب ليست لهم في الاصل مدنية راقية زالت ثم بدأت تعود ولأن اقاليمها الحارة تفعل في عقولهم فتخملها كما تفعل الاقاليم الباردة في عقول الساكنين فيها فتنشطها وتبعث منهم قوة الارادة والثبات وتطلب منهم مطالب كثيرة تضطرهم الى تنويع اساليب العمل

وبعد فليس كمصر بين البلاد في رقيها فهي ام الاقطار العربية وسوف تعلم غيرها كما تعلمت فترسل اشعة انوارها على الاقطار ولا سيما اذا نالت استقلالها الاداري واصبحت ذات دستور يحل شؤونها ونهوض البلاد بحسب طبائع الحكومات التي تتولاها

والمدنية كتيار قوي لا تقف في وجهه سدود الحكومات مهما ضغطت · ورابطة اللغة والدين اقوى الروابط لا تنتزعها القوانين اليوم مهما جارت والامة الآن تحبو وتوشك ان تمشي مشية الشاب القوي العضلات التام الادوات والصفات · خصوصاً اذا تعاطفت وتعارفت اكثر مما تتعاطف الآن وتتعارف وعندنا ان الصلات الاقتصادية اي التجارية اذا قويت بين هذه البلاد اكثر مما هي الآن ورحل التاجر الراقي من العراق الى تونس وجاء المراكشي الى الشام ونهض اليماني نحو مصر وكثرت الصلات والمواصلات واشتركت المنافع واتحدت يتأتى ان تتول ولو بعد قرن اوقرنين — والقرن والقرنان لا يعدان

شيئاً في حياة الامم — ان هناك امة عربية ذات كيان يذكر لايقل عن كيان الطليان والالمان او اليابان والاميركان والعصر عصر تكوين الوطنيات باللغات واحياء ما تدثر من القوات بضم شملها بعد الشتات ولا سبيل الى النهوض الا باحياء اللغة والآداب وتذكير الابناء بما فعل الآباء والا فتبقى هذه الامة الكثيرة الحصا الوافرة البقاع والاصقاع امام المدنية الغربية اقرب الى الاضمحلال منها الى البقاء ومتى أزمن مرضها يتعذر برؤها . سبحان من يحيي العظام وهي رميم

العفة

وتمدح العرب بها

العفة خلق يعصم صاحبه عن تناول مالا يحل : فاذا عرض له ملذوذ محرم . او سنحت له شهوة محظورة حال هذا الخلق الكريم بينه وبين التلوث بها . وقد غلب استعمال كلمة « العفة » في تجنب قاذورة الزنا . ومن اكرم نفسه عن هذه القاذورة كان في منجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . ويكفي الزاني خزيا في دنياه ان يكون محتقراً في ذويه معرضاً للعاهات والامراض الخبيثة . وان يصبح قدوة سيئة لأهله وولده في سلوك هذا الطريق المشؤوم . واني اعرف رجلا ابتلي بهذه الرذيلة فكان له في كل يوم خليلة يختلف اليها . وينفق من رزق عياله عليها . وكان له زوجة واولاد : فلم يكن امره ليخفى عليهم مهما بالغ في التكتم . ولما بلغ اكبر اولاده سن الرشد مال الى هذا المنكر ونما في نفسه حب الفاحشة . فجعل يسافر من بلد الى بلد في تطلب القينات . ونصابهن . والانفاق عليهن .

وكيف يكون موقف الاب إزاء عمل ابنه هذا؟ أتراه يقدر على كبح جماحه وارجاعه عن غيه . واقناعه بان ماهو فيه يؤدي الى قبح الاحدوثة . وضياع الشرف . وخسار الصحة . وعذاب الآخرة . فاذا نصح له ابوه بمثل هذا القول ماذا يكون جواب ابنه له ياترى؟ وفي مثل هذه القصة قال الشاعر في المثل السائر .

اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

وقديماً ما تمدح العرب بالتخلق بالعفة . والابتعاد عن التلوث بقاذورة العهر . بل تجنب كل مايلحق بهم ريبة . او يدعو الى سوء ظنة . فكان احدهم لايزور امرأة جاره في غيبة زوجها تأثماً وتكرماً .

واذا كان جواداً مثل حاتم الطائي . وكان له جار بادي الخصاصة . احتال في ارفاد زوجه اثناء غيبته من دون ان يلم بها . او يدخل بيتها وقد دل حاتم على خلقه هذا في قوله :

وما تشتكيني جارتي غير انني … اذا غاب عنها بعلها لاأزورها

سيبلغها خيري ويرجع بعلها … اليها ولم تسبل عليّ ستورها

قوله وما (تشتكيني) اي لا يمكنها ان تشكوني الى نساء الحي فتقول : ان حاتماً بخل عليّ . ومنع عني معروفه . في غياب زوجي . لاتقول ذلك لما اني كنت لااقصر في فعل كل ماينعم عيشها . ويكفي حاجتها . الا الزيارة فاني كنت ادعها مدة غياب زوجها . وقوله (سيبلغها خيري) اي يصل اليها معروفي ورفدي ولا ازال كذلك حتى يرجع زوجها من دون ان ادخل خدرها . وتسبل عليّ سترها .

وقال حاتم ايضاً في هذا المعنى :

ناري ونار الجار واحدة … واليه قبلي تنزل القدر

يقول ان جاري لايضرم ناراً لنفسه وانما تكون ناري له ناراً فيأكل هو وعائلته مما يطبخ عليها . بل ان القدر تنزل عن النار وتقدم اليه ليتناول منها حاجته قبلي

ماضرني جار اجاوره … ان لايكون لبابه ستر

لاأبالي ان لاتكون ستارة على باب بيت جاري . وذلك لاني عفيف العين فلااخشى على نفسي التطلع الى داخل البيت . والنظر الى النساء اللائي فيه .

اعشو اذا ماجارتي برزت … حتى يواري جارتي الخدر

هذا البيت كأنه جواب لسؤال يوجه الى حاتم : فيقال له احسنت اذ لم ترسل نظراتك الخائنة من خلال الستور الى نساء جارك ولكن كيف تصنع اذا برزت الجارة من خدرها وتمشت بين المضارب والبيوت . فقال اني اذ ذاك (اعشو) اي اغض عينيّ او أغمضهما فلا اعود ابصرها حتى تدخل خدرها . وتتوارى فيه . واصل (العشى مقصور من دون همز — ان يضعف بصر المرء فلا يعود يبصر في الليل . وان كان يقدر على الابصار في النهار . والوصف منه اعشى . وبه سمي الشاعر المشهور . « والناقة العشواء » التي لاتبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شيء يعترضها . وتتسف الطرق على غير هدى . ومنه المثل فلان يخبط خبط عشواء .

وقد تجوز حاتم فاستعمل « الشي » هنا بمعنى غض العين . او تخزير الجفن بحيث لا يعود يبصر الا كما يبصر الاعشى الضعيف البصر .

وقد اعطانا هذا العربي الكريم في شعره درساً جليلا في الاخلاق وفي آداب معاملة النساء يجدر بنا ان نحفظه . ونحتذي مثاله . فلا نتعرض الى النساء الاجنبيات . ولا نسارقهن النظرات الخائنات

وقد افتخر حميد بن ثور الهلالي بما افتخر به حاتم فقال :

واني لعف عن زيارة جارتي وانى لمشنوء الي اغتيابها

(مشنوء) مبغض مكروه . يقول انه يكره ان يزورها لئلا يساء به الظن فيهان . كما يكره ان يغتابها لئلا يقال انه تنزل لمنافسة النسوان .

اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها زواراً ولم تنبح علي كلابها

« زوار » على وزن غراب بمعنى كثير الزيارة ومن مادة الزيارة سمي الرجل الذي يكثر من زيارة النساء وغشيانهن ومجالستهن « زير » وبه سمي المهلهل اخو كليب « الزير » ويقال فلان « زير نساء » اذا كان مولعاً بمجالستهن وتصبيهن

وما انا بالداري احاديث بيتها ولا عالم من أي حوك ثيابها

« حوك » مصدر حاك الثوب حياكة وزير النساء يعمل على تعرف احوالهن وتسقط اخبارهن فيدري . اذا جرى بينها وبين جارتها اوخادمتها . وماذا رأت او سمعت في العرس او المأتم الذي ذهبت اليه . وقد يستخبر منها عن نسيج ثوبها . ومن اي صنف او جنس هو . ومن اين اشترته . وعند أية خياطة خاطته — كل هذه الاسئلة لأجل ان يكون له مادة لحديث يشغلها به حينماً يزورها او يصادفها . فشاعرنا العربي لم يقصر في درس طباع هؤلاء الازيار « جمع زير » ومعرفة غريب حيلهم . فهو ينفي عن نفسه ان يكون فاسقاً مثلهم او يشتغل بالنساء اشتغالهم .

ومثله في ذلك عقيل بن علفة المري الذي يقول من ابيات :

ولست بسائل جارات بيتي اغياب رجالك ام حضور

(غياب) جمع غائب . وقوله (رجالك) اصله (رجالكن) بالنون لان الخطاب للجارات وهن جمع . قالوا ان هذا الحذف او الخطاب بالمفرد جائز في الشعر فقط :

يقول : انه لا يسألهن هذا السؤال ليتوصل به الى محادثتهن . او انه لا يسألهن اياه ارادة الدخول عليهن . وقضاء لبانة منهن

ولست بصادر عن بيت جاري صدور العير غمره الورود

(العير) حمار الوحش وورده مجيئه الماء يريد الشرب وصدوره رجوعه عنه بعد شربه منه · و (غمره) بتشديد الميم من التغمير · وهو ان يرد حمار الوحش الماء فيشرب اول الشرب ثم يحس بالصائد الكامن له على الماء فيرجع نافراً غير متلبث وبه الى الماء حاجة ونفسه تدعوه الى العودة ·

فالشاعر يقول اني لا ادخل بيت جاري ابتغاء الريبة · وارده كما يرد عير الوحش منهل الماء · حتى اذا علمت بان الجار في البيت صدرت ورجعت مسرعاً كما يفعل عير الوحش متى احس بالصائد القانص اذ ينقلب عن المنهل مغمراً تغميراً · وهو شديد الظمأ اليه ·

ولا ملق لذي الودعات سوطي الاعبه وربته اريد

(ذو الودعات) هو الصبي الصغير الذي يعلقون عليه الودع خشية العين ومس الجن · وقوله (ربته) تأنيث (رب) وضميره يرجع لذي الودعات · ويعني بربته امه : لانها تربيه وتملك امره وتصلح من شأنه · حتى يبلغ كماله · والتربية مأخوذة من هذه المادة ·

وقد زاد الشاعر هنا معنى لم يقله زميله الشاعر السابق : فهو يقول انه ليس بالوقح الذي يتوصل الى مغازلة النساء ومحادثتهن بمناغاة اطفالهن وملاعبتهم · فاذا رأى طفلاً مع امرأة حسناء او خادمة وسيمة القى الى طفلها سوطه او سبحته او فم سيكارته يظهر من نفسه الرحمة بالاطفال وشدة العطف عليهم · والامر ليس كذلك وانما هو فاسق يريد صاحبة الطفل · ويبغي بها السوء ·

واسلوب هذه الابيات يعطي ان قائلها يريد التعريض بعدو منافس له : كأنه يقول اني لا انتزل لامثال هذه الشناعات وانما ذاك خصمي فلان هو الذي اعتاد فعل ذلك · ومثل قوله الاخير قول الآخر

لا آخذ الصبيان الثمهم والامر قد يغزى به الامر

(يغزى) من غزا قصد · ومنه غزو العدو · لان الغازي يقصدهم في موضعهم · ومنه ايضاً (مغزى) الكلام · و (مغزى) القصة اي المعنى المقصود منهما · فلثم الصبيان هنا ليس مقصوداً لذاته وانما هو امر قصد به امر آخر · وهو تجميش المرأة والتفكه بحسنها وجمالها · وشكلها ودلالها ·

ولا اريد بـ« الشكل » هنا الهيئة والصورة وانما هو بمعنى الغنج والدلال وشبههما تفنج وتكسر . شكلت المرأة كفرحت فهي شكلة .

اما « التجميش » فلا ابح لنفسي التصريح باصل اشتقاقه . وانما اكتفي بتفسيره بالمغازلة .

وخطر لي الآن ان المغازلة — ويراد بها محادثة النساء بكلام الحب — مشتقة من غزل القطن والصوف . وانما سميت هذه المحادثة بهذا الاسم . لان الزير يجلس الى المرأة وهي تغزل فقد يساعدها بالغزل او يحل الخيوط المعقدة او يسألها عن غزلها وما تريد ان تنسج به مثلا ويكون الزير بصنيعه هذا كأنه شاركها في الغزل . ولذلك جاء فعله (مغازلة) على بناء المشاركة . ثم يتوصل الزير بهذه المشاركة الى احاديث اخرى يعلمها الازيار . ومن لطائف المتأخرين قول بعضهم .

وزان بحب الزنا مغرم اماط رداء الحيا واطرح
بقبل اولادهن الصفا ر ومن عشق الدن باس القدح

المغربي

اخبار وافكار

الجمعية الخلدونية

في الشام ومصر وتونس جمعيات اسلامية كثيرة غايتها تعليم ناشئة الامة وبث روح العلم والفضيلة في النفوس واهمها فيما نرى جمعية مآثر التربية والمقاصد الخيرية في بيروت والجمعية الخيرية في القاهرة وجمعية العروة الوثقى في الاسكندرية والجمعية الخلدونية في تونس . وامامنا الآن الخطاب السنوي لرئيس الخلدونية القاه في الاجتماع السنوي لانتخاب رئيس واحد عشر عضواً كما يقضي بذلك نظامها قال فيه انه لا تسمو كلمة الامة ولا يتقدم لها شأن الا باشتراكها في السعي والعمل والقول والفكر وانه من اجل هذا تألفت في العالم المتمدن الشركات والجمعيات الادبية والعلمية واتحدت افراداً اعلى شعوراً واحساساً . فرغبة في الحصول على هذه الغاية الشريفة سعى نخبة من فضلاء الامة التونسية فوفقوا لتأسيس الجمعية الخلدونية العلمية التي مضى عليها الآن مدة تناهز اربعة عشر سنة لم تزل في غضونها دائبة على القيام بوظيفتها من توسيع نطاق المعارف ونشر العلوم

العصرية بين الشبيبة التونسية عامة وتلامذة الجامع الاعظم خاصة لاعتبار هذا المعهد العلمي كفرع للكلية الزيتونية ٠

ومع قيامها بتلك الوظيفة السامية لم تزل ايضاً تبحث عن الوسائل الموصلة لاستكمال ذلك وترتب الدروس في الفنون غير المزاولة بالجامع الاعظم زيادة على التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة من بقية العلوم الرياضية والطبيعية التي لايحسن الجهل بها في الاوقات الحالية

وقال : ان مادة بقاء الجمعية هي اعانة المشتركين من ذوي الغيرة والمروءة الذين قدروا المشروع حق قدره واستمروا على مساعدته بمالهم وعلمهم ٠ وعناية اعضاء لجنة ادارتها ورؤسائها الفضلاء السابقين الذين يحق للجمعية ان تفتخر بحزمهم وسعيهم في ترقية الجمعية وتصييرها من ارقى الجمعيات العلمية في شمالي افريقية وخص من بينهم بالذكر سيدي محمد الاصرم الذي بذل جهده في هذا السبيل وانفق وقتاً ثميناً من حياته لتحسين تراتيبها واساليب تعليمها ٠ ثم اهتمام السادة المدرسين الذين قاموا بما نيط بهم احسن قيام وساعدوا الجمعية على نشر العلوم التي كانت مفقودة في تونس وترجمتها من اللغات الاجنبية الى لغتنا العربية ونذكر في مقدمتهم سيدي البشير صفر والسيد حسن عبد الوهاب والسيد صادق الثلاثلي والسيد عبد الرزاق الغطاس وغيرهم ٠

وقال :ان اهم نتيجة لعمل اللجنة في السنة السالفة مضاعفة الاعانة المالية المخصصة للجمعية من ادارة الاوقاف وماقررته بموافقة الجلسة العامة من تغيير مدة التعليم وتصييرها عامين بعد ان كانت عاماً واحداً حرصاً على ان يكون المتخرجون من مدرسة الجمعية اكثر علماً واوفر استعداداً لتلقي الدروس العالية او مباشرة الخدم المعاشية ومن تنظيم نظام التعليم بما يشمل بعض فنون عصرية كالحكمة والكيمياء وحياة الحيوان والانشاء العربي ومبادىء اللغة الفرنسوية الخ ٠

هذا اهم ما ورد في خطاب الرئيس ولعل بعض قرائنا يودون الاطلاع على الغرض الحقيقي من تأسيس هذه الجمعية الراقية فنقول لهم نقلاً عن تقريرها سنة ١٩٠٦ وهو يصدر باللغة الافرنسية ان اول من اقترح تأسيسها المسيو ريليه المحقق العسكري بالمقيم العام في تونس وكان من المتبحرين في المسائل الاسلامية والواقفين على حركة النهضة المصرية فوقع في نفسه ان في مكنة شبان تونس المتعلمين في المدارس الفرنسوية ان ينشروا في القطر التونسي الاساليب الحديثة المتبعة في بعض بلاد الشرق ويصلحوا جامع

الزيتونة عَلَى ما يناسب حال النهضة العلمية الحديثة فاذا صلحت حال هذا الجامع الاعظم يصبح كما كان مبعثاً للنور في العالم الاسلامي ولاسيما في شمالي افريقية . وهكذا سعى الى تأسيس هذه الجمعية فانشأها زمرة من الفضلاء والمفكرين ودعوها بالخلدونية نسبة الى ابن خلدون المؤرخ الفيلسوف الذي وضع في مقدمته اصول التعليم والاصلاح العلمي .

ومن نظامها فتح دروس والقاء محاضرات في التاريخ والجغرافيا واللغة الافرنسية والاقتصاد السياسي وحفظ الصحة والطبيعة والكيمياء خاصة وان تسهل عَلَى من فيهم استعداد لسلوك سبل الارتقاء في العلم وتنشط عَلَى احداث خزائن كتب وان تنشئ مجلة بالعربية والافرنسية تعرف العرب بالمدنية الفرنسوية والفرنسيس بالحضارة العربية

وبعد تأسيسها بمدة اعطيت مدرسة من المدارس القديمة جعلتها محلاً لصفوفها ومسامراتها ومكتبتها التي كانت تحتوي سنة ١٩٠٦ عَلَى ٦٩٠ مصنفاً بالعربية والافرنسية وقعت في ١١٥٣ مجلداً وفيها الامهات الممتعة ولاسيما ما يتعلق بتاريخ تونس وعمرانها ومدنية الاسلام

وقد لقي هذا المشروع معاكسات قوية بادئ بدء وكثرت فيه الظنون والتخرصات عَلَى نحو ما يلقى في العادة كل مشروع في الشرق ولكن عرف القوم بعد حين سلامة قصد القائمين وسكتت الالسن عن تناول الخلدونيين بسوء خصوصاً لما يرون من حماية سمو الباي والدولة المستعمرة لجمعيتهم ولان المتخرجين في مدرستها اذا كانت بايديهم شهادة يفضلون عَلَى غيرهم في الوظائف

والدروس والمحاضرات التي تلقى في تلك المدرسة هي الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وقد اقاموا معملاً كيماوياً في مكتبة المدرسة ليطبقوا العلم عَلَى العمل ثم اضافوا الى هذه الدروس علم المساحة ورسم الاراضي (الطوبوغرافيا) والرسم والجبر. واهم ماتدور عليه المحاضرات تدبير الصحة العلمية والنظام القضائي في تونس وقانون العقارات وعلم الحقوق الاسلامي والفرنسوي والاقتصاد السياسي والاقتصاد الزراعي يلقيها في الغالب اعضاء الجمعية وفيهم العلماء والكاتبون والباحثون باللغة العربية وكان المستمعون قلائل جداً بادئ الرأي فلما ثبتت الجمعية ارتقوا من العشرات الى المئة والمئتين وكانت واردات الجمعية سنة ١٩٠٦ — ٦٨٨٩ فرنكا ونفقاتها كذلك ولا شك انها زادت الآن بحسب حاجة العصر وارتقاء مدارك اهله . وقد انتخب لرئاسة الخلدونيين هذه السنة السيد عبد الجليل الزاوش من علماء تونس وارباب الافكار فيها .

الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر

بلغ مجموع ايراد هذه الجمعية الخيرية في سنة ١٩١٠ — ٢٢٣٤٠ جنيهاً و ٧٦ مليما منها٩٩٧ج و ٢٠٠م اشتراكات و٧١٧٢ ج و٣٢٥م ايجار اطيان و٢٩١٧ج و ٨٩١م للاحتفال السنوي منه مبلغ ٢٢٣٧ ج و٣٧٦ م لسنة ١٩٠٩ و٥٢٤ج و٦٧٢م تبرعات و٢٠٣ج ايجار مباني الجمعية ببني مزار وطنطا و٧٥ ج مرتبات خيرية وجنيه ومائة مليم ايرادات متنوعة عمومية و٦٧٧٣ج و٥٠٠م أجور تعليم و١٣٧٨ج و٥٦١ م ثمن كتب وأدوات مبيعة و١٤٥٠ج مرتبات خيرية و٨٢ج و ٣٧٥م ايراد وقف المرحوم احمد افندي شاكر و٦٦٣ج و ٧٨٠ م تبرعات و٤٥ ج جائزتا المرحوم علي باشا مبارك وحضرة عبد الرحمن بك رضا ٥٥ج و٧٦٥ مليما . وبلغ اجمالي المصروفات ١٨٥٥٢ج و٦٤٨م وبلغ الباقي بعد نفقات سنة ١٩١٠ وهي نفقات التعليم والاعانة والصدقة الخصوصية والنفقات العامة ١٠٣٤ اجنيها و٣٢٨ مليماً

التعليم الدنيوي

نشر المسيو كومبايري من علماء الفرنسيس مقالة في مجلة المجلات الباريزية بشأن التعليم الدنيوي (العلماني) في فرنسا وحاضره ومستقبله جاء فيها ان حكومة الجمهورية تصرف كل سنة ١٢٠ مليون فرنك على المعلمين والمعلمات عدا ما تنفقه على بناء البيوت لمعلمي المدارس ومعلماتها وان عددهم يبلغ ٥٣٢٧٦ معلماً و٥٩٣١٥ معلمة بحسب احصاء سنة ١٩٠٥ يتخرجون ويتخرجن من ١٧٥ داراً للمعلمين يتقنون فيها مايلزمهم تخريج الصبيان والبنات وكان عدد المتعلمين سنة ١٩٠٧ في مدارس الحكومة الدنيوية ٤٥٤٢٦٣١ فتى وفتاة ماعدا ٥٣٢٩٤٧ ولداً في مدارس الامهات العامة و٨١١٢٣١ تلميذاً في المدارس الخاصة و٢٣٨٢١٣ في مدارس الرهبنات وهكذا زادت فرنسا مدارسها في الثلاثين سنة الاخيرة فكثرت فيها كما كثرت كنائسها في القرون الوسطى وانتشرت المدارس حتى في القرى البعيدة فكان عدد مدارس القرى اومدارس الشعب سنة ١٨٤٣ — ٣٨٠٠ مدرسة فاصبحت سنة ١٩٠٧ — ٦٨١٢٨ مدرسة

ومع مابذل من العناية لم توفق فرنسا الى اخراج الامة كلها من ظلمات الأمية فكان عدد الاميين من الجنود الذين كانوا تحت السلاح سنة ١٩٠٨ — ٩٨٥٣ لا يقرأون ولا يكتبون و ٤١٧٥ يقرأون فقط على حين كان في الجند العامل سنة ١٨٧٢ — ٥٦٠٠٠ أمي وفرنسا مع كل ذلك لم تبلغ مبلغ جاراتها في قلة عدد الاميين في ابنائها فان في

الجيش السويسري العامل وقدره ٢٨ الفا عشرين أمياً فقط وفي الجيش الالماني واحد في الالف بعد في الاميين والسبب في كثرة الاميين في فرنسا بالنسبة لغيرها جهل بعض الآباء واهمال الاولاد عَلَى كثرة تشديد المعارف والبلديات عَلَى اولياء الاولاد الذين يهملون ارسال اولادهم الى المدارس الابتدائية يتعلمون ثلاث سنين مايخرجهم عن حد الأمية ٠ والسبب الاجتماعي الذي يدعو في الغالب الى تخلف الاولاد عن دخول المدارس قلة ذات ايدي آبائهم فلا يستطيعون ان يظهروا في بزة تناسب حالهم بين اترابهم ولكن الحكومة تداركت الامر وانشأت منذ مدة صناديق للمدارس يضع فيها المحسنون صدقاتهم ومنها ينفق على الاولاد المحاويج مايلزمهم من كسوة وطعام مغذ في الشتاء ولكن لم تعم هذه الطريقة اقطار فرنسا كلها وبلغ عدد الصناديق المدرسية ١٧ الف صندوق ٣٧١ الف مديرية اومقاطعة

وبعد ان قال ان الفقر هو من الدواعي الكبرى التي تحول بين اولاد الفلاحين والاختلاف الى المدارس ذكر ان بعض الذكور يحتاجون ان يعملوا ليطعموا بعض أسرتهم ومن الاناث من يقمن عَلَى تربية اخواتهن واخوتهن مدة تغيب الداتهن في الحقول وان اولاد الفلاحين ينقطعون عن المدرسة لانك تراهم معظم السنة يشتغلون بحش الحشيش او الزرع او الحصاد او قطف الكروم

ومن اعظم مايحول دون تعميم المدارس الدنيوية طغمة رجال الدين فانهم حرموا في فرنسا من يختلف الى مدارس الحكومة لانها لاتعلم الدين وطردوا اولاداً لم يرقهم امرهم ومنعوا تلاوة كتب لم تؤلف عَلَى هواهم فالتعليم الدنيوي لم ينجح على ما يجب بعد لضعف الوازع الاخلاقي ولانه من الصعب ان تعلم امة بامرها تعاليم العقل وتطبق نفسها عَلَى نظامه واشراب التعليم الاخلاقي الآن لفتيان صغار في عقولهم لايتأتى لهم ان يقدروا نتائجه حق قدرها

ومن الطرق التي ارتآها بعض الاساتذة في اصلاح هذا الحال ان يعلم الكبار الذين لم يسعدهم الحظ بدخول المدرسة في صغرهم كما تفعل المانيا في تعليم جندها الامي حتى يكون القرن العشرون قرن العناية بالشبان كما كان القرن التاسع عشر عصر العطف على الاطفال ٠

ويرون ان خطط الدروس الابتدائية كثيرة المواد يختلط بها ذهن التلميذ فالاولى الاقلال منها ما امكن وطبع صورة اجمالية في ذهن التلميذ تمده فقط لمبادئ طفيفة

لا يتعب بها ذهنه وتكون برزخاً له الى الانتقال الى تعلم الصناعات المفيدة او التعليم الثانوي فالعالي

وقد نصح الكاتب للاساتذة ان لا يدخلوا غمار السياسة ولا يسمعوا لكلام من ساءهم فصل الحكومة عن الكنيسة و يطمحون الى ان ترفع الحكومة يدها من التعليم وتمنح المعارف استقلالا حتى تكون للامة مباشرة يريدون بذلك ان يجعلوا حكومة في حكومة فقال لهم ماقاله جول فري مؤسس التعليم الدنيوي لبعض الاساتذة « اياكم ان تأملوا ان يكون منكم رجال سياسة فخير لكم ان تنشئوا عشرين وطنياً صالحاً من ان تساعدوا على انتخاب نائب في مجلس الامة » .

وليس معنى المدارس الدنيوية انها ضد الاديان بل معناه انها على الحيدة لا يحب القائمون بامر الامة ان يلقي المعلم في المدرسة رأياً خاصاً له او رأياً من الآراء التي تروج في الشوارع والازقة بل تريده على ان يترك من وكل اليه تعليمهم ان يفكروا كما يشاؤن فاذا خالف ذلك واورد لهم مبدأ دينياً يخون وطنه وامته فالمدارس الدنيوية ليست مدارس الحاد فاذا كانت لا يذكر فيها اسم الله فليس الغرض منها انها تخالف الله .

البعثة العلمانية

اصدرت البعثة العلمانية او الدنيوية في بيروت مجلة يكون لسان حالها باللغات الثلاث العربية والتركية والافرنسية سمتها « الرابطة » وكل قسم من اقسامها منفصل عن الآخر فقرأنا فيها مطالب هذه البعثة في الشرق وقد أسست لتنفيذها مدارس في القاهرة والاسكندرية وسلانيك و بيروت وغيرها من البلاد والحواضر . وهي ترجو ان « تتعدد في هذه البلاد التي فرقها التعصب دهراً طويلاً المدارس العلمانية مدارس التساهل والاتحاد والسلم التي يجتمع على مقاعدها الموسوي والعيسوي والمحمدي جنباً الى جنب فيتعلمون كيف يحب بعضهم بعضاً وكيف يحترم بعضهم دين بعض وشريعة بعض فلا يكونون من بعد اعداء يباغض بعضهم بعضاً ويخادع بعضهم بعضاً و يتضارسون ؟!

وقد جاء في هذه النشرة ان البعثة العلمانية الافرنسية أنشئت لنشر التعليم اللاديني في غير فرنسا سنة ١٩٠٢ وعدد اعضائها من الفرنسيس اليوم نحو عشرة آلاف يقسمون الى عدة فروع منهم من يدفع فرنكين في السنة ومنهم من يدفع خمسة ومنهم من يدفع عشرة ومنهم عشرين والغرض من ذلك بث التساهل لا الطعن بالاديان وتعلم الحضارة الافرنسية والحضارة الشرقية بحسب حالة البلاد وان عملها انساني تقصد به تحسين حالة

الناشئة في الماديات والمعنويات وتكميل الانسانية في المعقولات والاجتماعيات . وذكرت كلاماً للفيلسوف ادغار كينه (١٨٠٣ — ١٨٧٤) احد المبشرين الأول بالتعليم العلماني قال في الجمعية العلمانية : انها تعيش بمبدإ حب الوطنيين بعضهم بعضاً بقطع النظر عن معتقداتهم فعسى ان تكون كما قال واكده مئات بعده من انصار الجمهورية واحباب الاستعار وبث الافكار

فلسفة اديسون

خالف هذه المرة اديسون الاميركاني مخترع الكهربائية جميع الفلاسفة الالهيين في الاعتقاد بخلود النفس فصرح ولم يجمجم باعتقاده المادي وانكر الخلود محاولاً ان يورد حجة على دعواه في حوار له مع احدهم فقال : ليس الانسان انساناً بذاته بل هو بالخلايا التي فيه فالدماغ الانساني هو كآلة فلا سبيل لنا من ثم الى الاعتقاد بخلود الروح كما لا سبيل الى الاعتقاد بخلود اسطوانة من اسطوانات آلتي الفوتوغرافية على اننا لم نجد حتى الآن احداً قال بخلود الاسطوانة فلما ذا نطالب به للادمغة او للقوة التي فيها . لاجرم ان ذلك ناشيء من كوننا لانعرف هـذه القوة التي نعتقد بخلودها اذاً فلنحكم بان الكهربائية خالدة ايضاً لانها قوة نجهلها .

هذا ماقاله الفيلسوف بالحرف وقد احدثت تصريحاته اضطراباً شديداً في الولايات المتحدة وانطلقت الالسن في شرح اقواله في الاندية وقد صرح أديسون في خلال مقالاته ان خصومه يعثرون على حجج تؤيد مدعاه في كتاب من تأليف الدكتور طومسون اسمه « الدماغ والشخصية » الا ان مصنف هذا الكتاب نفسه سئل عن رأيه في هذا الشأن فأجاب جواباً لم يكن بنتظر منه ، فقال ان آراء اديسون مخالفة للعلم فالامة التي لاتعتقد بخلود النفس يختل امرها وقد رد بعض القسيسين على اديسون في معنى الخلود بقولهم اذا كان الانسان كما يدعي اديسون مجموع مواد مختلفة متلاحمة من الخلايا فلا يكون اديسون مخترع الفونوغراف بل مجموع خلايا فقط .

الفقراء في المانيا

نشأ عن كثرة الولادات وقلة الوفيات في المانيا ان كانت هذه الامبراطورية سنة ١٨٧٠ اربعين مليوناً فاصبحت الآن اربعة وستين مليوناً وتزيد الولادات عن الوفيات تسعمائة الف في السنة ولذلك نرى الفقراء كثاراً فيها وكذلك الاشتراكيون لان معامل البلاد وصناعاتها وزراعتها لاتعول سوى اربعين مليوناً فقط ولذا يتوسل الالمان بجميع

مالهم من الاسباب ان يقللوا من الشقاء في المدن والقرى فما تقوم به المانيا في برلين مثلاً لتخفيف شقاء الفقراء انها افتتحت اربعة اسواق لاتباع فيها اللحوم الا من الفقراء ويحظر رجال الشرطة والصحة دخولها على غيرهم من اهل السعة . والسبب في هذا الحظر هو ان اللحوم كلها سواء أكانت لحم بقر او عجل اوخروف او خنزير لاتخلو من شبهة ولذلك لايسمح ببيعها من الفقراء الا اذا جعلت في معمل كيماوي يعقمها التعقيم العلمي فيقتل منها الجراثيم الضارة . وهذه الرخصة بالسماح ببيع اللحوم الملوثة قد لايسمح بها في البلاد الراقية ولكن الالمان بالعلم اقسموا ان ينتفعوا حتى مما يضر ولا يطرحون شيئاً مهما بلغ من تفاهته وبذلك ينتفع جماهير المحاويج بتناول اللحوم اللازمة لهم في جهاد الحياة هناك

تعلم اللغات

اقرب طريقة لدرس لغة من اللغات ان يتلقفها الطالب من افواه ابنائها او ممن يحسنها كاحدهم ولما كان هذا متعذراً على بعض الاشخاص ممن لم يسعفهم الحظ بوجود معلم ليدرسهم اللغة التي يطلبونها في بلادهم اخترع احد الاميركيين آلة على نسق الحاكي يستطيع ان يدرس ابن اميركا اللغة الافرنسية والالمانية والاسبانية والايطالية بواسطتها مع قليل من الكتب دون ان يتكبد نفقات الاستاذ او عناء السفر الى تلك البلاد ليدرس لغاتها

اصل التصوير الشمسي

اخترع روجر باكون سنة ١٢٩٧ م الغرفة السوداء المستعملة للتصوير الشمسي وفي سنة ١٥٥٦ لاحظ بعض الكيماويين تأثير النور في الفضة وقام بروغام بعد حين وادعى امكان حصول التأثير في العاج الحساس وذلك بمحلول الفضة .

والذي اخترع اكتشاف التصوير الشمسي في الحقيقة هما رجلان فرنسويان اسمهما نيبس وداكرونالا جائزة من حكومة فرنسا جزاء نشرهما طريقتهما واقدم الصور الفوتوغرافية محفوظ في متحف شالون سورسون في فرنسا مسقط رأس نيبس وكان دوروتي درابر اول شخص رسم بالتصوير الشمسي وكذلك شقيقه رسم سنة ١٨٣٩ . وظل التصوير الشمسي يرتقي الى ايامنا هذه حتى اعلنوا مؤخراً اختراع طريقتين جديدتين للتصوير البارز الناتيء وانهما نجحتا واعلنوا خبر اختراع التصوير الملون وهكذا لاينتهي الاكتشاف والاختراع مادام العقل البشري يعمل ويفكر

اسباب الهجرة النبوية[١]

ايها السادة

كلمتي اليكم اليوم في اسباب الهجرة النبوية ونتائجها الادبية

تعلمون ان كل مصلح قام في العالم سواء كان من الانبياء الكرام او العلماء الاعلام ناله من قومه اضطهاد ولاقت دعوته في بادئ الامر صداً واعراضاً والكتب الالهية والتواريخ الاجتماعية شاهد حق على مانقول

ان امام المصلحين وخاتم النبيين الذي نحتفل بعيد هجرته الشريفة اليوم لاقى كذلك فوق ما يلاقيه كل مصلح للهيئة الاجتماعية وعانى من اهل الحسد والبغضاء من بني عمه وغيرهم مالم يعانه نبي من قبل ومع هذا فقد كان منذ بعث الى ان هاجر صابراً على الاذى لايفتأ يدعو قومه الى الاسلام و يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج ويدعوهم الى دينه وحمايته من حسد قومه ليتمكن بعد المنعة من بث الدعوة ونشر دين الهدى والحق ووضع قواعد الترقي الاجتماعي على اساس مكين

لكن الذين يريدون الحقيقة لنفسها و يقبلون الحق لانه حق قليلون في البشر لاسيما في ذلك العصر وفي قوم حالهم من الجهالة معروف لذا لم تصادف دعوته قبولا الا من جماعة قليلين من قريش وغيرهم الا انه كان فيمن اتبعه من قريش نفر من وجوههم واهل المكانة والعقل فيهم مثل ابي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب واشباههم من السابقين الاولين وصناديد قريش الذين ايدوا الدعوة المحمدية ورفعوا بعد ذلك شأن الامة العربية بل شأن الشرق كله على وجه بهر انظار العالم وقلب نظام الاجتماع في كثير من انحاء الارض على ماتعلمون

كان في اسلام هؤلاء مايكفي ان يثير غيظ قريش وغضبهم وخوفهم على اوثانهم فاشتدوا في اضطهاد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فألجأوه في نهاية الامر للهجرة الى المدينة مع ذلك النفر من المؤمنين .

وذلك بعد ان دعا جماعة من الاوس والخزرج من سكان المدينة الى الاسلام في احد المواسم سنة عشر للبعثة وجاءه في السنة القابلة والتي بعدها جماعة منهم ببيعة قومهم فبايعوه بيعة العقبة الثالثة وقيل هي الثانية واستوثق له منهم عمه العباس بن عبدالمطلب

(١) خطبة لرفيق بك العظم القاها في حفلة الاحتفال برأس السنة الهجرية في القاهرة

فأقسموا على نصرته وعاهدوه كي تأييد دعوته ثم نصروه بالقول والفعل وسموا بعد ذلك انصارا ونعم هذا الاسم وحبذا الفخر بنصرة الحق والحقيقة والعدل

امر بعد ذلك اصحابه بالهجرة الى المدينة فأخذوا يهاجرون ارسالا اسيء جماعات مستخفين الا بطل قريش واشجع شجعانهم الجاهر بدعوة الحق رغما عن انوف المكابرين فخر الامة الاسلامية بل فخر التاريخ عامة عمر بن الخطاب فانه اعلن هجرته وخرج مهاجراً على ملاء جبابرة قريش فلم يسعهم منعه او الوصول اليه بسوء

اتصل بعد ذلك بالنبي خبر تآمر قريش على قتله فاتفق مع صاحبه ابي بكر على الخروج في نفس تلك الليلة التي عينوها لقتله وترك على فراشه عليا ابن عمه وخرج والقوم يرصدونه فزاغت ابصارهم عنه وانقذه الله منهم رحمة بالانسانية وانقاذاً لكثير من الامم من ظلمات الشرور

وكان خروجه عليه السلام في مثل هذا اليوم المبارك ومن جميل الصادفات اذ كان يوم الاثنين كيومنا هذا الذي نحتفل فيه وذلك سنة ثلاث عشرة البعثة فسلمه الله وصاحبه من كيدهم وبلغ مأمنه بسلام في قصة طويلة معروفة في التاريخ

هذه اسباب الهجرة فما هي نتائجها الادبية ؟

عجيب ايها السادة امر هذا الانسان القوي الضعيف بينما يتطال احيانا الى ان يتناول بمداركه كل ماتحت السماء ينحط حينا آخر الى حضيض الغبراء · فمحمد صلى الله عليه وسلم انما كان يريد حياة هؤلاء القوم ولكنهم كانوا يريدون قتله فما هذا التباين العظيم وكيف بلغت بهم قوة التمييز من الضعف هذا الحد ؟

اريد حياته ويريد قتلي ولو علم الحقيقة ما ارادا

نعم جهلوا حقيقة النبي لا لنقص في ذكائهم الفطري واستعدادهم لقبول الفضيلة لان ماظهر منهم بعد بضع سنين من ذلك التاريخ يؤيد انهم كانوا اذكى الشعوب واعظمها قابلية للخير والفضيلة لكن الانصراف الى عبادة الاوثان يدعو من طبعه الى الانصراف عن التفكر في خالق الوجود ويوجد الكمال في الطبيعة فيقف بالفكر عند حد محدود من التصور ويصده عن درك كثير من الحقائق عند عرضها عليه او مفاجآته بما لم يألفه منها وهكذا كان شأن قريش والعرب عامة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بادىء الامر

ولقد تحقق بعد لقريش وللعرب والناس كافة ان سلامة النبي من غائلة قريش

في ذلك اليوم واستقرار الدعوة في مدينة يثرب هو مبدأ سعادة قريش انفسها وسعادة مئات الملايين من البشر ونهاية القضاء في قسم عظيم من الارض على عبادة الاوثان وعلى سلطة افراد من سدنة الهياكل وكهنتها، سلطة لا حد لها لا على النفوس فقط بل على الضمائر والعقول ايضا. اقول على الضمائر والعقول لان احتكار العلم الذي يراد به احتكار السيادة الدينية ما عرف الا بين جدران الهياكل حيث كانت تقيم طائفة من الناس تزعم انها وارثة ايزيس واوزيريس وبعل وجوبيتر واللات والعزى وما لا يعد من الالهة تسحر هذه الطائفة بما احتكرته من العلم عقول الشعب فتقوده حيث تشاء ولا تعطيه منه الا بمقدار ما يستطيع مئات الالوف من البشر ان يبنوا هيكلا للشمس او قبراً لابن الشمس مكرهين مسخرين

ان اطلال تلك الهياكل الفخمة وبقايا تلك القبور الهائلة الماثلة الى اليوم تدل على ان ذلك النور الضئيل الذي كان ينبعث من وراء جدران الهياكل انما كان من اجل الهياكل لا من اجل الشعب ولا ابالغ ان قلت ان بعض المدنيات القديمة للامم البائدة احرى بها ان تسمى مدنيات الهياكل بفضل اولئك السدنة الذين كانوا يحجبون عن العقول نور العلم الصحيح ونور الحقيقة الالهية استعباداً للنفوس والارواح وقد اخبرتنا الكتب المقدسة واخبرنا التاريخ من احاديث اولئك الطائفة من الناس بما يغني عن طول الشرح

هذا هو السر في أن قريشاً وهي سدنة البيت العتيق اهتزت اعصابها واستشعرت الخطر على سيادتها الدينية لاول دعاء دعا به النبي وهو التوحيد اي قول لا اله الا الله ولا عبودية لاحد سواه. فأظهروا له العداوة والبغضاء وما زالوا به حتى الجأوه واتباعه الى الهجرة عنهم ولو علموا ان هذه الدعوة مخبوء لهم تحتها فوق ما يزعمون من السيادة الوهمية وهي سيادة العلم والمدنية والسلطان العظيم في الارض بما سيكون اليهم من ميراث الامم لما فعلوا معه ما فعلوه ولكن اكثر الناس اعداء ما جهلوه

ومهما كان الحال فقد كانت هجرته الشريفة خيراً لقريش وللعرب والانسانية جمعاء اذ تمكن بعد امتناعه بالانصار من جمع كلمة العرب ووضع قواعد شريعته الغراء التي قيدت قيود عبودية البشر للبشر وفسحت للعقل مجال النظر في الكائنات فجعلت العلم مشاعاً بين بني الانسان من كل الطبقات فندبت عامة الناس الى تعلم العلم وتعلم اللغات والاستفادة من نواميس الكون وأسرار الطبيعة وجعلت قاعدة التفاضل بين المسلمين التقوى والعلم فلا يفضل عالم جاهلاً الا بعلمه ولا يفضل تقي شقياً الا بعمله

فكان من هذا تذير عظيم بالتبدل العتيد لشكل المدنية القديمة والعلم الناقص انتفض له جسم الانسانية الجامد تحت ضغط الخرافات الوثنية التي شيبت بها علوم الاقدمين ونشطت النفوس الى تناول حقها الطبيعي من هذا الوجود بما قرره الاسلام من مبادئ الاشتراكية العامة الصحيحة التي مبناها ان العقل رأس مال كل فرد فمن حق كل فرد ان يتناول من العلم ما استطاع ليتساوى مع اخيه في الاشتراك بمرافق الحياة

وهذا هو السر في ان المدنية العربية كانت ارقى مدنية سبقتها وان العرب فعلوا في قرنين ما لم يفعله غيرهم في قرون وكانوا اسرع الامم سيراً في سبيل المدنية وتبسطا في الحضارة فما لبثوا بفضل الاسلام جيلا وبعض جيل آخر حتى نشروا سيادتهم ودينهم ولغتهم في احسن اجزاء المعمور ولما توطدت لهم دعائم الملك على عهد الدولتين دولة الخلفاء الراشدين ودولة الامويين وقبضوا على زمام السيادة السياسية في معظم الممالك القديمة صرفوا عنايتهم للاخذ بأزمة السيادة العلمية فلم يكفهم ما كتبوه واشتغلوا به من علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ وسائر فنون العربية بل اهتموا بترجمة كتب اليونان في الفلسفة والفلك والهندسة والكيمياء والطبيعة وغيرها فكان اهتمام عامتهم بنقل هذه العلوم الى اللغة العربية كاهتمام خاصتهم وخلفائهم ووزرائهم فكما كان الخليفة المأمون يعطي حنين بن اسحق المترجم عن كل كتاب ينقله الى العربية زنته ذهباً مثلا بمثل ما كان بنو موسى بن شاكر المهندسون وهم من عامة الشعب يعطونه كل شهر خمسمائة دينار من اجل الترجمة هذا فضلا عما كانوا ينفقونه من الاموال على الكتب التي كانوا ينفذون في طلبها من بلاد الروم والاصقاع البعيدة بالثمن الباهظ

وكما كان كذلك محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ينفق على المترجمين من ماله الخاص نحو الفي دينار في الشهر وكثيرون غير هؤلاء من الخلفاء والوزراء والعلماء من كانوا ينفقون على استحضار كتب العلم وترجمتها

لم يقف بهم الامر عند هذا الحد من تعلم العلم وتعليمه ونشره عملا باوامر صاحب الهجرة وواضع اساس المدنية الصحيحة عليه الصلاة والسلام بل عمدوا الى تأسيس المدارس فأنشأ العباسيون اول كلية جامعة في بغداد على عهد الرشيد والمأمون سميت دار الحكمة وكانت تدرس فيها سائر العلوم الحكمية كالفلسفة والطب والكيمياء والهندسة والفلك وغيره ثم المدرسة النظامية ثم المستنصرية في بغداد ايضاً وحذا حذوهم في ذلك الامويون في الاندلس والفاطميون في مصر حتى وصلوا سلسلة المدنية المنقطعة من عهد سقوط

دولة الرومان بحلقة من المدنية العربية كان لها الفضل العظيم على العالم المتمدن لهذا العهد لانها كانت الصلة المتممة لترقي الانسان وترقي المدنية بما مهدته لعلماء اوربا من سبل المدنية الحديثة

عجيب امر هذه الامة ايها السادة ولقد يكاد يظن القارئ لاخبارها ان رقيها السريع من الخوارق وما هو كذلك بل هو نتيجة الافراج عن العلم واخراجه من بين اسوار الهياكل وجعله مشاعاً مشتركاً بين الناس يتناول عقل كل فرد نصيبه منه وحقه ان يتناول ذلك مادام العلم ثمرة من ثمرات العقل

عرف المسلمون في ابان مجدهم ومدنيتهم هذه القاعدة وحرصوا على مبدإ الاشتراكية العامة فلكي لايكون العلم محتكراً لطائفة او قاصراً على فريق دون فريق تغالوا في انشاء المدارس المتنوعة بتنوع المشارب والعلوم تغالياً لم تجارهم فيه امة من قبل فجعلوا مدارس لتلقي علم الحديث سموها دور الحديث ومدارس لفروع الشريعة على عدد المذاهب فمدارس الشافعية غير مدارس الحنفية ومدارس المالكية غير مدارس الحنابلة ثم مدارس الحكمة التي يدرس فيها الطب والفلسفة والرياضيات والفلك وغيره من العلوم الحكمية وكانت اكثر هذه المدارس داخلية ذات غرف يأوي اليها الطلبة ولم يكن التعليم فيها مجاناً فقط بل كان للطلبة فوق ذلك جرايات ومرتبات تغنيهم عن العمل لغير العلم

ومن ادلة تغالي هذه الامة في انشاء امثال هذه المدارس كتاب خطي موجود في مكتبتي اليوم في نحو الف صفحة وهو خاص بمدارس دمشق وحدها من القرن الخامس الى التاسع وفيه تاريخ مائتي مدرسة او تزيد على ذلك منها ثلاث مدارس طبية أنشئت في عصر واحد في مدينة واحدة من المدن الكبرى الاسلامية فما بالكم ايها السادة بغيرها من المدائن الشهيرة التي كانت مراكز الحضارة الاسلامية كحلب والموصل وبغداد وسمرقند والقاهرة وتونس ومراكش وطليطلة واشبيلية وغرناطة وغيرها من المدن الشهيرة التي كانت تفيض انوار العلم والمدنية على الشرق والغرب

اما تأثير هذه المدارس وعلوم العرب وآدابهم التي كانت تدرس فيها في اهل الغرب وعلوم المدنية الحديثة فما لايتسع لذكره هذا المقام ويكفي فيه شهادة علماء الافرنج انفسهم فاذا سمحتم لي اتلو عليكم شيئاً من شهادة عالم محقق كبير من علماء اوربا فيما للعرب من الفضل على المدنية وهو العلامة سديو صاحب تاريخ العرب

قال هذا المنصف المحقق في مقدمة كتابه المذكور بعد ان اثنى على اخلاق نبينا وعمله الجليل في جمع كلمة العرب :

«واما تواريخ الخلفاء الراشدين وكذا الاموية في دمشق وقرطبة والعباسية في في بغداد والفاطمية في مصر ووصف تمزيق الممالك الاسلامية التي اغار عليها المغول فدونها الافرنج تدويناً حسناً واضفنا اليها ماتركوه من اصولها وهو وصف المدنية العربية التي تمكنت اصولها في آفاق الدنيا القديمة اقوى تمكن ولا نزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمد مبادىء مانحن عليه من المعارف الاوربية فان العرب في غاية القرن الثامن من الميلاد تركوا صفاتهم الحربية وشغفوا بنيل المعارف حتى اخذت عما قليل مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقة واصفهان وسمرقند تفاخر بغداد في حيازة العلوم والمعارف وقرئ ماترجم الى العربية من كتب اليونان في المدارس الاسلامية وبذل العرب همتهم في الاشتغال بجميع ما ابتكرته الافهام البشرية من العلوم والفنون . وشهروا في غالب البلاد خصوصاً البلاد النصرانية من اوربا ابتكارات تدل على انهم أئمتنا في المعارف

ولنا شاهداً صدق على علو شأنهم الذي يجهله الافرنج من ازمان مديدة الاول ما أثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة واخبار الرحل والاسفار وقواميس ما اشتهر من الامكنة والرجال والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون الفاخرة . والثاني ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمباني الفاخرة والاستكشافات المهمة في الفنون وما اوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعي والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحية التي مارسوها بغاية النشاط من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر من الميلاد اي من القرن الثالث الى القرن العاشر الهجري»

الى ان قال بعد تخطئة بعض علماء الافرنج الذين قالوا ان الهنود والصينيين اعلم من العرب :

« واما المدرسة البغدادية المدونة للعلوم التمدنية في الفترة التي بين عصر يونان الاسكندرية والاعصر الاخيرة فكانت مساعدة على استيقاظ اهل اوربا من رقدة الجهالة ونشر انوار المعارف في جميع ممالك آسيا »

وبعد ان ذكر كيفية انتقال العلوم من العرب او بواسطتهم الى ممالك آسيا . الصين . والهند . والتركستان وغيرها قال :

« ثم اطلع اهل الغرب من اوربا على اسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جددوا في البلاد الافرنجية المدنية واللغة العربية وفنونها الادبية التي اخذت كل يوم

في زيادة الانتشار بين الافرنج ومازلنا الى الآن نكتشف اموراً مهمة (يريد من القضايا العلمية) من الكتب العربية القديمة وان عزي ابتكارها زوراً الى بعض المتأخرين من الافرنج »

هذه شهادة عالم اجنبي عن اوطاننا ولغتنا وديننا تشعر ان المدنية العربية وآدابها عمت منافعها الشرق والغرب وان العرب كانوا اساتذة العالم بلا نزاع وبالتالي كان لهم الفضل على العالم اجمع وقد شهد كثير من علماء اوربا ومحققيها مثل هذه الشهادة كالعالم دساسي والعالم دربي والعالم كوستاف لبون وغيرهم ولمن كان الفضل في هذا كله ؟ كان لصاحب الشريعة الاسلامية الذي نحتفل بعيد هجرته اليوم ولأمته النجيبة التي خدمت العلم والمدنية والانسانية جمعاء خدمة لاينكرها الا العوام الجاهلون الذين في قلوبهم مرض وعلى ابصارهم غشاوة فهم لايبصرون

فسلام على يثرب وسلام على ساكنها العظيم وسلام على امته النجيبة وعليكم اجمعين

رأس السنة الهجرية[1]

هلّ الهلال فحيوا طالع العيد ... حيوا البشير بتحقيق المواعيد
ياحرف شك سنلقانا على ثقة ... وقد عقدنا المنى في نون توكيد
كأن حسنك هذا وهو رائعنا ... حسن لبكر من الاقمار مولود
لله في الخلق آيات واعجبها ... تجديد روعتها في كل تجديد

***

فتيان مصر وما ادعو بدعوتكم ... سوى مجيبين احرار مناجيد
سوى الاهلة من علم ومن ادب ... مؤملين لفضل غير مجحود
المستسر شعار المتدين به ... العاملين بمغزى منه مقصود
في العين رمز لميقات يحد به ... وفي النهى رمز جد غير محدود
ما زال من مبدإ الدنيا ينبئنا ... ان التمام بمسعاة ومجهود
فان تسيروا الى الغايات سيرته ... الى الكمال فقد فزتم بمنشود

***

(١) لخليل افندي مطران من كبار شعراء سورية نزلاء مصر قالها في رأس هذه السنة الهجرية والاحتفال بها

اليوم عيد به معنى السرور لكم   ولم يكن بدؤه يوماً لتعييد
رسالة الله لاتنهى بلا نصب   يشقى الامين وتغريب وتنكيد
رسالة الله لو حلت على جبل   لاندك منهاواضحى بطن اخدود
ولو تحملها بحر لشب لظى   وجف وانهال فيه كل جلمود
فليس بدعاً اذا ناء الصفي بها   وبات في الم منها وتسهيد
ينوي الترحل عن اهل وعن وطن   جاراً عليه بقلب منه مكمود
يكاد يمكث لولا ان تداركه   امر الاله لامر منه موعود

***

فاذ غلا القوم في ايذائه خطلا   وشردوا تابعيه كل تشريد
دعا الموالين ازماعاً لهجرته   فلم يجبه سوى الرهط الصناديد
مضى هو البدء والصديق يصحبه   يغادر الحزن في قفراء صيخود
مولياً وجهه شطر المدينة في   ليل اغر على الادهار مشهود
حتى اذا اتخذ الغار الامين حمى   ونام بين صفاء نوم مجهود
حنا عليه فما مثواه منه سوى   مثوى الجنين من البكرية الرود
باالمعقيدة والصديق في سهر   تؤذيه افعى ويبكي غير منجود
ان العقيدة ان صحت وزلزلها   مفني القرى فهي حصن غير مهدود
اما الذين بقوا من صحبه فتلوا   سارين في كل مسرى غير مرصود
ماجند قيصر او كسرى اذا اتخذوا   كهؤلاء الاعزاء المطاريد
كأنهم في الدجى والنجم شاهدهم   فرسان رؤيا لشأن غير معهود
في حيطة الله ما شعت اسنتهم   فوق الظلال على المهرية القود

***

عانى محمد ما عانى بهجرته   لمأرب في سبيل الله محمود
وكم غزاة وكم حرب تجشمها   حتى يعود بتمكين وتأييد
كذا الحياة جهاد والجهاد على   قدر الحياة ومن فادى بها فودي
ادنى الكفاح كفاح المرء عن سفه   للاحتفاظ بعمر رهن تحديد
وضل زاعم سوء لا اضطلاع له   فالمجد اذ قال من يخلق فقدعودي
ليغنم العيش طلقاً كل متهم   وليبغ في الارض شقاً كل رعديد

ومن عدا الاجل المحتوم مطلبه — عدا الفناء بذكر غير ملحود

***

لقد علمتم وما مثلي ينبئكم — لكن صوتي فيكم صوت ترديد
ما انتجت هجرة الهادي لامته — من صالحات اعدتها لتخليد
وسودتها على الدنيا باجمعها — طوال ما خلقت فيها بتسويد
بدا وللشرك اشياع توطده — في كل مسرح باد كل توطيد
والجاهليون لا يرضون خالقهم — الا كعبد لهم في شكل معبود
مؤلهون عليهم من صنائعهم — بعض المعادن او بعض الجلاميد
مستكبرون أباة الضيم غر حجى — ثقال بطش لدان كالأماليد
لا ينزل الرأي منهم في تمزقهم — الا منازل تشتيت وتبديد
ولا يضم دعاة من اوابدهم — الا كما صيح في عفر ابابيد
ولا يطيقون حكماً غير ما عقدوا — لذي لواء على الاهواء معقود
باي حلم مبيد الجهل مرهقه — واي عزم مذل القادة الصيد
اعاد ذاك الفتى الأمي امته — شملاً جميعاً من الغر الاماجيد
لتلك تالية الفرقان في عجب — بل آية الحق اذ يغني بتأكيد
صعبان راضهما توحيد معشرهم — واخذهم بعد اشراك بتوحيد
وزاد في الارض تمهيداً لدعوته — بعهده للمسيحيين والهود
وبدئه الحكم بالشورى يتم به — ماشاءه الله عن عدل وعن جود
هذا هو الحق والاجماع ايده — فمن يفنده اولى بتفنيد
اي مسلمي مصر دين الجد دينكم — وبئس ماقيل شعب غير مجدود
طال التقاعس والاعوام عاجلة — والعام ليس اذا ولى بمردود
هبوا الى عمل يجدي البلاد فما — يفيدها قائل يا أمتي سودي
سعياً وحزماً فود العدل ودكم — وان رأى العدل قوم غير مودود
لا تتعبوا لا تملوا ان ظمأتكم — الى غدير من الاقوام مورود
تعلموا كل علم وابتغوا وخذوا — بكل خلق نبيه اخذ تشديد
فكوا العقول من التصفيد تنطلقوا — وما تبالون اقداماً بتصفيد
مصر الفؤاد فان تبغوا سلامتها — فالشرق ليث وقد صحت بفؤاد

الشرق نصف من الدنيا بلا عمل سوى المتاع بما يضني ومايودي
الغرب يرقى وما بالشرق من همم سوى التفات الى الماضي وتعديد
تشكو الحضارة من جسم اشل به شطر يعد وشطر غير معدود

***

ابناء مصر عليكم واجب جلل لبعث مجد قديم العهد مفقود
فليرجع الشرق مرفوع المقام بكم ولتزه مصر بكم مرفوعة الجيد
ما أجمل الدهر اذ يأتي وأربعنا حقيقة الفضل والذكرى بتمجيد
والشرق والغرب معوانان قد خلصوا من حاسد كائد كيداً لمحسود
صنوان بران في علم وفي عمل حران من كل تقييد وتعبيد
لافضل يخطيء فيه الخير بعضهما الا تداركه الثاني بتسديد
ولا خصومة الا في استباقهما لما يعم بنفع كل موجود

...

هذي الثمار التي يرجو الانام لها من روضكم كل نام ناضر العود
لمصر والشرق بل للخافقين معاً دع زعم كل عدو الحق مريد
جوزوا على بركات الله عامكم فقد تبدل منحوس بمسعود
رجاؤكم ابداً ملء النفوس فما يثني بحسنى ولا يوهى بتهديد
بدا الفلاح وفي هذا الهلال لكم بشرى التمام لوقت غير ممدود
غدا نرى البدر في طرس السماء محا بخاتم النور زلات الدجى السود

الصيد في انكلترا

لايخفى مافي الصيد من المنافع الاقتصادية فان بعض الاقطار تتوقف حياتها على الاكثار منه فان في انكلترا مثلاً ٤٥٦ سرب كلاب وتكلف النفقة على كل واحد منها ٢٥ الف فرنك في السنة وبقدر مايصطادون من المرات في الاسبوع • فاذا صادوا اربع مرات في الاسبوع مثلاً يكلف في السنة مئة الف فرنك كل سرب من الكلاب ومجموع ماتنفقه انكلترا على كلابها ١٨٢٢٥٠٠٠٠٠ فرنك ويلزمها مائتا الف حصان للصيد وثمن كل واحد منها تعدل قيمته بالف وخمسمائة فرنك فمجموع قيمتها اذاً اثنا عشر مليون فرنك وتكلف نفقة كل حصان في السنة الف فرنك اي ثمانية ملايين فرنك من حيث المجموع ويقدرون ما يأتي من ارباح الصيد في انكلترا للتجار وارباب المزارع وغيرها

بخمسين مليون فرنك يستفيد منها الفلاحون وتجار الخيل والسياس والسروجيون والخياطون وسكك الحديد والحوذيون وارباب الفنادق والقصابين والحراس وغيرهم واذا بطل الصيد يفقد هؤلاء ملايين من الفرنكات ينتفعون بها لقوام حياتهم

طلبة السوريين

بلغ عدد طلاب سورية الذين يتلقون العلوم المختلفة في مدارس اوربا ولاسيما في فرنسا خمسين طالباً اكثرهم من دمشق وبيروت

تبدل الاهوية

لايزال الشيوخ في بلاد الشام يذكرون ان الامطار والثلوج كانت تتصل سلسلتها منذ خمسين عاماً اياماً وليالي تمنع الناس عن الخروج في الاسواق في المدن والفلاحين عن تعهد حقولهم وحدائقهم في القرى مدة طويلة وقد بطل ذلك اليوم فتبدلت تلك الثلوج والامطار الغزيرة ببرد وجليد يدوم اسابيع فيهلك الزروع والضرع كما حدث في الشهر الماضي فدام الجليد المضني زهاء شهر ونزلت درجة الحرارة الى سبعة تحت الصفر في الحال المعتدلة كدمشق مثلا وذلك بالميزان المئوي وهلك نحو ثلث الماشية في بعض انحاء سورية لقلة المراعي وتضررت المزروعات الشتوية والاشجار المثمرة بالجليد المتصل وقلة الامطار المنعشة واذا دام الحال في احتطاب الغابات على هذا المنوال تصبح سورية جرداء مرداء على ماورد في مبحث غابات سورية من هذا الجزء . وهناك الضرر العظيم في قلة المياه في الصيف فتجف الجداول والانهار وتصبح اكثر الاصقاع المخصبة قاحلة كل هذا والحكام غافلون او متغافلون والسكان جاهلون او متجاهلون

شجرة الماء

بحث بعض العلماء في اميركا هذه الآونة في شجرة الماء التي يكثر وجودها في الاصقاع القطبية من اميركا وذكرها كثير من ارباب الرحلات في سياحتهم وهي شجر كالصبار يحتوي جذعه كمية مهمة من الماء الذي يشرب واشهر هذه الاشجار شجرة البيزنا كا وفيها عصير مائي بكثرة ويستخرج الماء منها باداة حادة من مدية او فأس تقطع بها رأس الشجرة واذا لم يجد السائح اداة قاطعة بكسر الاشواك منها ثم يحطم رأسها بحجر كبير وبهذا ترفع طبقة غلظها من ١٥ الى ٢٠ سنتمتراً فينتزع لباً معشى في ثقب يحوي نحو عشرة لترات من الماء فيسحقون اللب باليدين فيخرج منه سائل لذيذ يروي الظمأ وهو ارق

من الهواء . وفي كل صبارة لتر الى ثلاثة لترات من الماء . ويتخذ هنود اميركا من هذا الشجر مايروون به ظمأهم بعض اشهر السنة ويفضلون ماءها على كل ماء ويستعملونه لطبخ البط وغيره من الطيور التي يصيدونها في تنقلاتهم . ومن هذا الشجر نوع اسمه ساكوارو له مثل خاصية الشجر المتقدم ذكره ولكن يمازج ماءه شيء من المواد المرة . قالت المجلة التي ننقل عنها وقد دلت التجارب ان السياح لو كان معهم انبيق او آلة للتقطير لما صادفوا في سبيلهم صعوبة في اختيار الماء الجيد وقد صنع احدهم آلة تحمل مع السائح تفي بهذا الغرض فيقطر بها في الحال من ثلاثين الى اربعين لتراً من الماء المقطر السالم من مضار الماء الملوث في مثل هذه الواحات

هجرة الاوربيين

الظاهر ان قد اكتفت الولايات المتحدة الاميركية بمن نزلها من الاوربيين مهاجرين اليها منذ قرن اذ قد خف معدل قاصديها من اهم الممالك الاوربية . فقد كان عدد من هاجر اليها من النمسا والمجر سنة ١٩٠٧ — ٣٠٠ الف فاصبح سنة ١٩٠٩ — ١٧٠ الفاً وكان عدد المهاجرين من ايطاليا ٢٨٥ الفاً تلك السنة فنزل الى ١٨٣ الفاً وكان المهاجرون الروسيون ٢٥٨ الفاً فتناقص الى ١٢٠ الفاً والانكليز من ٥٦ الفاً الى ٣٢ والفرنسيس من ٩٧٠٠ الى ٦٧٠٠ وسكان جنوبي اوربا يقصدون في الغالب الجمهورية الفضية في جنوبي اميركا ففي تلك الجمهورية نصف مليون من الاسبانيول وثمانمائة الف من الطليان في حين ان سكانها لا يتجاوزون السبعة ملايين منهم خمسة ملايين من الاهالي الاصليين

مدرسة الفنادق

عزمت باريز ان تنشئ لها مدرسة لتعليم ارباب الفنادق وليست باريز هي التي ابتكرت هذا الفكر بل سبقتها اليه سويسرا والمانيا وايطاليا يعلمونهم كيف يرفهون السائحين والنازلين ويستجمعون صفات الراحة والهناء وفيها تلقى دروس نظرية وعملية يفهمها كل سامع فيتعلم فيها الطلبة علم سرعة الاستملاء والحساب والجغرافيا الوصفية وبعد دراسة ثمانية اشهر يطبقون ما تعلموه بالنظر على العمل تحت نظارة العارفين والفاضلين

البساط المدفئ

اخترعوا بساطاً من نسيج اسلاك الحديد اشبه بشعرية معدنية ذات حلق مسردة

يمد عَلَى ارض الغرفة التي يراد تدفئة ارجل الجلوس فيها خصوصاً الزوار الذين يدخلون مخدع الضيوف وارجلهم ترتجف من البرد. وهذا البساط يمس المجرى الكهربائي بواسطة آلات التنوير او الجرس الكهربائي . وهذه الآلة مغشاة بنسيج ملطف يمنع المعدن مما يضر به . ونفقة هذا البساط في الساعة لاتتجاوز الخمسة سنتيمات . وهكذا لم يكتف اهل الغرب بما لديهم من ادواة الدفء من المواقد المنوعة ومنها بالكهرباء وأخرى بالغاز وبعضها بالبترول وأخرى بالفحم الحجري او بالحطب بل رأوا ان تدفأ الارجل ايضاً في الحال وما ندري ماذا يهديهم اليه البحث بعد ذلك للرفاهية والراحة

المعارف في يابان

بلغ عدد المدارس الابتدائية في يابان ٢٨ الف مدرسة وعدد مدارس المعلمين للتعليم الابتدائي ٦٤ وعدد المدارس الثانوية ٣٧٠ و٣ مدارس عالية لتخريج معلمي المدارس الابتدائية والثانوية و٨ مدارس عالية للطلبة الذين لايريدون الدخول الى كليتي طوكيو وكيوتو اللتين تحتويان عَلَى ١٢ مدرسة عالية . هذا عدا ٤٩ مدرسة عالية للبحرية والحربية والطب والصناعات المختلفة . وعدد المدرسين في هذه المدارس كلها ١٢٥ الف مدرس وعدد الطلبة ٥٠٥٦٥٠٤٩٥ طالباً منهم ٥٠١٤٤٠٠٠ في المدارس الابتدائية الاجبارية . ولا يعلم الدين في مدارس الحكومة

تدبير الغذاء

الصحة هي الثروة الاولى التي يجب الدفاع عنها ولاسبيل الى ذلك الا بالتدقيق في تدبيرها بالتغذية المعقولة والسير في العمل والراحة على ما يقتضيه تركيبنا وما خص به الخالق بني البشر من القوى الطبيعية والعقلية . فنحن لانحسن استنشاق الهواء ولا السير عَلَى الاقدام ولا المنام للراحة ونهمل امر عضلاتنا ونسيء استعمال اعصابنا فنفتح بصنعنا الباب الى الجراثيم الضارة فتهاجمنا وتحيط بنا خصوصاً وهي مستعدة الى التسرب عَلَى الدوام الى خلايانا لتعبث بها وتعيث . ولكن اذا احسنا الغذاء والعمل والراحة والنزهة والنوم وكانت لنا ارادة قوية يكون لنا من الصحة ماتتغلب به في معترك هذه الحياة الاجتماعية

فقد قال الحكيم اليوناني : اعرف نفسك فاذا عرفت نفسك وعرفت مزاجك تضع لها تدبيراً صحياً من الغذاء والرياضة ينفعها . ومعلوم ان امزجة الناس اربعة المزاج اللمفاوي

او البلغمي والمزاج الدموي والمزاج العصبي والمزاج الصفراوي · ومن النادر ان يخرج الانسان عن احد هذه الامزجة الاربعة بل يكون مزاجه مؤلفاً من اثنين او ثلاثة منها و يكون احدها متغلباً على الآخر وهذا هو الذي تجب مراعاته في تدبير الغذاء والاعمال · والجهل بالمادة الغذائية من كل طعام من الامور التي لا تحتقر ومعرفتها اهم في قوام البنية مما يتوهم بعض العامة وذلك من الوجهتين الصحية والمنزلية ·

وما المعدة الا بيت نار وقوده الاطعمة وعملها الكيماوي مع استنشاق الهواء يحدث الحرارة اللازمة لبقاء الجسم وتحويل ما يدخل فيه وما يخرج منه بقدر ما يتناوله من الغذاء · وقد حسب علماء منافع الاعضاء هذه الحرارة بحساب الكالوري فهم يقدرون معدل مايلزم لرجل بالغ اشده من ٢٨٠٠ الى ٣٠٠٠ من الكالوري اوقياس الحرارة · واليك الآن كميات الكالوري التي تنشأ من الطعام الاكثر استعمالاً وهي مقدرة بمئة غرام اي انك اذا تناولت ١٠٠ غرام من السمك تحصل ١١٣ من الكالوري : ففي السلطة ١٢ من الكالوري وفي الملفوف ٢٧ وفي الثمار اليابسة ٣١ وفي البقول الخضرة ٣٧ وفي اللبن (الحليب) ٦٢ وفي البطاطا ٨٣ وفي اللحم ٩٤ وفي البيض ١٥٣ وفي الخبز ٢٥٥ وفي الارز ٣٤٥ وفي البقول اليابسة ٣٦٢ وفي السكر ٣٨٠ وفي الشوكولاتا ٤١٥ وفي الجبن ٤٦٦ وفي الزبدة ٧٥١ ·

فلك ان تحصل على ٢٨٠٠ من الكالوري اذا تناولت ٦٠٠ غرام من الخبز او المعجنات يكون منها (١٥٣٠) من الكالوري و٢٨٠ غراماً من اللحم منها ٣٦٣ و٥٠ غراماً من السمك و٣٠ من البيض و٢٠٠ من البقول الطرية و٥٠ من البطاطا و٤٠ من البقول النشوية و٤٠ من الثمار و٣٠ من الزبدة و١٠ من الجبن و٢٠ من السكر الخ اي نحو كيلوغرامين من الغذاء كل يوم وهو مايلزم المرء في الاربع وعشرين ساعة

ويستثنى من هذا التدبير من يعمل وهو جالس فان تناول هذا القدر ضارٌ به بل يلزمه ٣٥٠ غراما من الخبز و١٥٠ من اللحم و٢٠٠ من البقول الطرية و٢٠٠ من البطاطا و٢٥٠ من اللبن و٤٠ من السكر و٢٥ من الزبدة و١٥ من الارز و١٠٠ من الثمار اي مايكون منه ٢١٠٠ كالوري وعلى العكس فمن يعمل اعمالا تحتاج الى اتعاب الجسم فانه يحتاج ان يرفع درجة الكالوري من ٣٢٠٠ الى ٣٦٠٠ لا بزيادة مايتناوله من اللحم فانه لا يحصل منه سوى عشرة في المئة مما يجب لقوام بنيتنا من الدهن والكربون والزلال بل بتناول الخبز واللبن والبيض واللوبياء والعدس والفواكه والسكر وفيها ٢٣ في المئة مما

يجب لنا . وان كيلوغراماً واحداً من البقول كالباقلاء واللوبياء والعدس والحمص تساوي ثلاث ليبرات ونصفاً من اللحم واللبرة خمسمائة غرام

ويحتوي الخبز واللبن والبيض على جميع المواد اللازمة للتغذية فهي غذاء تام ثم يجيء الارز واللحم على اختلاف انواعه والبقول الطرية وهي اقل في التغذية من الاصناف الثلاثة الاول والسكر غذاء العامل ومولد القوة والمعوض عما فقده الجسم من التعب . والسمك نافع في التغذية لما فيه من الفوسفور والفسفور دخل في تركيب بنيتنا واعصابنا فمن كانت اشغالهم عقلية اومن كانوا في سن الطفولة من الاولاد ينبغي لهم ان يتناولوا من السمك اكثر من غيرهم ليساعد ذلك على نموهم . و يقول الدكتور متشنكوف الشهير ان من يشرب مصل الحليب كل يوم يطول عمره ولا يهرم بالشيخوخة لان فيه باشلساً اوجراثيم صغيرة تهلك الجراثيم المضرة التي يعيش منها ملايين في الاحشاء

والحرشف (الارضي شوكي) تكثر فيه المادة القابضة وهو مقو يمنع الاسهال ومدر للبول . والملفوف صعب الهضم لايلائم المعد الضعيفة . والباذنجان ملين للبطن ويسميه الافرنج مكنسة الاحشاء ومن خصائصه هو والكراث انهما يصفيان اللون . والبقلة الحامضة (الحميض) تسهل الهضم ومن كان فيهم استعداد لمرض الحصاة ينبغي لهم الامتناع عنها بالكلية . والبندورة مقبلة ومرطبة وعلى المصابين بالنقرس والحصاة والرثية (داء المفاصل) ان يمتنعوا عن تناولها . والكرفس النيء عسر الهضم والاخذ منه باعتدال يقوي من ضعفت اعصابهم واذا تناول منه المصاب بالنقرس يكون له كالتوابل اللطيفة . والهليون مدر البول ويجب تناوله طرياً . والبطاطا نافعة لارباب المعد القوية وارباب المعد المتعبة ينبغي لهم تناولها ممروثة . والخس مرطب ونافع لالتهاب الاحشاء وامراض الكلى . والبقدونس مقو ومهيج معرق مدر للبول قاتل للديدان دافع للحمى يقوي الشهوة للطعام ويسهل الهضم . واياك ان تسلق البقول بالماء الغالي جداً لئلا تفقد املاحها وموادها الازوتية المركبة منها وفي التوت الافرنجي (الفريز) كمية من حامض الساليسيليك ينفع المصابين بضعف المجموع العصبي وداء المفاصل . ومنقوع التوت الافرنجي من احسن المقويات للاعصاب وهو من افيد مايكون لمن انهكتهم الاشغال العقلية . والتوت الشوكي كالتوت الافرنجي وهو ايسر على الهضم . والكرز نافع للمصابين بالسوداء (هيستريا) ومقاوم للرثية . والخوخ نافع للمصابين بالبول السكري وللمصابين بقروح في المعدة . والتفاح نافع في تشنج الاعصاب ومعرق . ويكثر في التين الاصل المهضم (البيسين

pepsine) وهو نافع للمصدورين . والاجاص تغلب عليه البرودة تضر ببعض المعد . والليمون يقي من الحمى واذا اضيف الى القهوة ينفع كما تنفع الكينا . وهو احسن علاج لفساد الدم . والبرتقال اخف الفواكه على المعدة . واللوز اليابس مغذ جداً وهو غذاء طبيعي نادر المثال . ويرى الدكتور اوندرهيل ان لب العنب يؤكل وحده اذا كانت صحة المرء حسنة فاذا كان في البطن اطلاق يؤخذ اللب مع القشر ويطرح البزر واذا كانت المعدة منقبضة ويراد به تسهيل الطبيعة يتناول اللب والبزر ويطرح القشر وبهذه الواسطة يكون العنب دواء وفاكهة لا نظير لها .

والقهوة تورث الجسم قوة فهي من مضادات السموم ومقوية للقلب والشاي في الصباح يقوي ويورث نشاطاً ويسهل التنفس واذا شرب بعد المشي او عمل متعب يورث راحة سريعة وشبه النشاط والاقدام . وارباب الامزجة البلغمية يتطلبون مواد مقوية تصلح اجسامهم فعليهم بلحم البقر والغنم مشوياً ولحوم الارانب والحمل والتدرج (الديك البري) وان يتناولوا الخبز ناضجاً جدا بكمية وافرة وبقول امرة مسهلة وبقللون من المواد النشائية وتضر بهم الاطعمة الغير الناضجة والخس والهندباء والسبانخ والجزر وجميع البقول المرطبة والمسهلة .

وعلى ارباب الامزجة الدموية ان يعتدلوا في مآكلهم و يتقشفوا بحيث لا يزيدون الكريات الحمراء في دمهم و يتناولون من اللحوم لحم العجل والفراخ والارنب واللبن ويكثرون من البقول والثمار المزة وتنفعهم القهوة الخفيفة ويتخلون عن الابازير والتوابل وكل مايورث الحرارة في الجسم واذا كانوا مستعدين للعرق فالاولى ان لا يأتوا عملا من شأنه منعه .

وعلى ارباب الامزجة العصبية ان يستعملوا المواد اللطيفة اللذيذة لغذائهم مثل البيض والفراخ واللبن المطبوخ واسماك الانهار و يمتنعوا عن المهيجات مثل القهوة والشاي وغيرهما والخس والكرفس من انفع البقول لهم فان في عصير الخس مسكناً لاعصابهم وفي الكرفس النيء وقاية لهم من الاضطرابات فهو يقوي الاعصاب وربما نفع في ضربات القلب . وعليهم ان يقللوا من تناول الطعام اي يعتدلون جداً ولا يأخذون مالا يوافق اذواقهم من الطعام بتة .

وعلى ارباب الامزجة الصفراوية ان يفضلوا الاطعمة الغليظة و يمتنعوا عن المواد الدهنية والنشائية و يتناولوا من البقول والارز ولا يتناولون القهوة . والثمار الناضجة اللذيذة توافق امزجتهم . والخس والبندورة نافعان لهم والبندورة محسنة الكبد .

والاجدر بسكان البلاد الحارة ان يكثروا من البقول وبسكان البلاد الباردة ان يكثروا من اللحوم والمواد الدسمة نافعة لهم ايضاً .

والخبز الطري غير نافع للصحة لانه لايجود علكه فيعسر على المعدة هضمه وربما احدث مع الزمن اضطراباً في الدورة الدموية او اوجاعاً في الرأس وآلاماً في المعدة وسوء هضم . والخبز السخن الذي يتناوله بعضهم في الصباح وعليه شيء من الزبدة سم ناقع .

ومن المشهيات للطعام الثريد البارد الخالي من الدهن يتناول قبل الاكل بساعة فيكثر به سيلان اللعاب في المعدة فتستدعي الطعام ورأى بعض العلماء ان احسن مقبل مايعمل من منقوع ملعقتين من بزر الجزر في نصف لتر من الماء الغالي يؤخذ بين الطعام والطعام محلى بالعسل فيجود الهضم وتزيد الشهوة للطعام

واذا ساء الهضم معك فخير دواء سريع قريب ان تشرب شراباً حاراً . فقد قالت احدى المجلات الطبية ان من خصائص المشروبات الحارة ان تسكن الغشاء المخاطي في المعدة وتعدل احياناً التأثيرات المؤلمة التي يشعر بها بعد الاكل فهي تقوي الوظائف المعدية . والظاهر ان اليابانيين بلغوا مابلغوه من الصبر وجودة الصحة باستعمالهم الاشربة الحارة لانهم يتناولون في كل المواسم ماء حاراً او شراباً حاراً ويقولون ان الماء البارد يشد الاطراف والرعامى (فص الكبد) والرئة ويحدث السعال ويطفئ الحرارة الطبيعية التي تديم الحياة

وعليك ياهذا ان تنظم اوقات طعامك فبذلك يسهل على الحواس ان تأخذ حظها من الطعام والهضم وتعمل عملها وتستعد لقبول غيره اذا وقت لها وقتاً وعليك ان لاتسرع في خضم طعامك وقضمه بل ان تمضغ كثيراً حتى لاتضطر المعدة ان تعمل ما كان من شأن اسنانك ان تعمله من طحن الطعام . ومن الضروري ان تقلب اسنانك على اللقمة عشرين مرة وكل طعام علك جيداً كان اكثر في التغذية من طعام ازدرد ازدراداً سريعاً فقد ورد في الامثال الافرنجية من تأنى في اكله طال عمره وهاك الآن معدل الساعات اللازمة لهضم انواع الطعام الاكثر استعمالاً .

دقيقة	ساعة	
	١	الارز
٣٠	١	البيض النيء . السمك المنقوش وسمك سليمان
٤٥	١	انخاع المسلوق
٣٠	٢	اللوبيا والبطاطا المقلوة . الدجاج الهندي والبط المشوي
٤٥	٢	البيض المسلوق والفراخ المحمصة

	٣	اللبن المطبوخ ولحم الضأن المشوي والبفتيك
١٥	٣	النقانق الباردة
٣٠	٣	السمك المقلي ولحم البقر المشوي
٣٠	٣	الخبز الطري والبيض المقلي والجبن

ولحم الصيد ما عدا الطيور ثقيل على الهضم يحتاج من ٤ الى ٥ ساعات . هذا ما التقطناه من اقوال احدث علماء الصحة من الغربيين وعلى المرء ان يكون حكيم نفسه في تحميل معدته ومزاجه ما يطيق وان يراقب خروج الطبيعة مراقبة تامة فان امراض التهاب الكلي وسوء الهضم والتهاب الامعاء والزائدة الدودية كلها تنشأ من القبض واذا رأى الخروج قد ابطأ في الصباح فعليه ان يستعمل التمسيد قبل ان يقوم من سريره وذلك بان يضع رجليه تحت ظهره ويضغط بيده على بطنه فيبدأ يغمز الموضع القريب من السرة ثم يصل الى الحالب فيمر بده على صورة قوس حتى ينتهي الى الحالب الايسر .

وهنا امر يجب التنبيه له لانه داخل في صحة الجسم وهو ان المسكرات على اختلاف انواعها ضارة بالصحة بحسب رأي علماء اوربا انفسهم يضر قليلها وكثيرها خلافاً لمن يهرفون بما لا يعرفون ويقلدون على العميا وهم جاهلون ولا سيما في هذه البلاد المعتدلة الجيدة المياه القليلة الغش في المأكولات على الجملة

مخطوطات ومطبوعات

المنهج الاحمد

ألف العرب يوم كان علماؤهم يحسنون التأليف طبقات لرجال كل فن وعلم ذكر منهم صاحب كشف الظنون طبقات الادباء (مطبوع) لابن الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ وطبقات الاصبهانية لابن حبان البستي (٣٥٤) وطبقات الاصوليين للسيوطي (٩١١) وطبقات الاطباء (مطبوع) لابن ابي أصيبعة (٦٦٨) وطبقات الامم لصاعد ولابن سعيد المغربي وطبقات الاولياء لابن الملقن (٨٠٤) وطبقات البيانيين للسيوطي وطبقات التابعين لابن النجار (٦٤٣) وطبقات الثعلبي الموسوي والطبقات الجلالية للجلال الدواني (٩٠٨) وطبقات الجنان وطبقات الحفاظ (مطبوع) للذهبي (٧٤٨) وطبقات الحكماء لابن صاعد (٥٤٨) وطبقات الحكماء (مطبوع) للقفطي (٦٤٦) وطبقات الحنبلية وذيولها وطبقات الحنفية

وذيولها وطبقات الخطاطين للسيوطي وطبقات الخواص الزبيدي(٧٩٣)وطبقات الرواة لخليفة بن خياط ومسلم بن حجاج والطبقات السنية في تراجم الحنفية للتميمي الغزي (١٠٠٥)وطبقات الشافعية للسبكي طبع)وذيوله وطبقات الشافعية للخيضري (٨٩٤) وطبقات الشعراء لابن تيمية(٢٩٦) ويدخل فيها كتب كثيرة مثل شعراء الزمان وقلائد العقيان (مطبوع) وعقود الجمان والاشارة والاماء الشواعر وكتاب النساء الشواعر واصداف الاوصاف وطرف الادباء ومروج الزمان والباهر وانموذج الشعراء وجنى الجنان والغرة الطالعة والدرر الناصعة ومعجم الشعراء وشعراء الاندلس والكتب المؤلفة في الشعراء كثيرة منها يتيمة الدهر(مطبوع)للثعالبي ودمية القصر(مطبوع)للباخرزي وزينة الدهر في لطائف شعراء العصر للخيضري وفريدة القصر للاصفهاني والملح العصرية لابن القطاع والانموذج في شعراء القيروان لابن رشيق والحديقة لابي الصلت أمية بن عبد العزيز ومسر السرور للغزنوي وكتاب عمارة اليمني في شعراء عصره والمختار في النظم والنثر لابن بشرون الصقلي وطبقات الشعراء بالاندلس لابن ربيعة (٣١٠) والبارع واليتيمة والخريدة ومتعلقاتها وخبايا الزوايا والباهر وفحول الشعراء والدرر والغرر والحديقة وطبقات الصحابة والتابعين للبصري (٢٣٠) وطبقاتهم لابن مندة (٣٩٥) واسد الغابة (مطبوع)وطبقات ابن سعد(مطبوع والطبقات الصدرية وطبقات الصوفية للنيسابوري (٤١٢ وطبقات الطالبين للحسيني (٥٨٨)وطبقات العلماء لابن حميدة (٦٣٠) وطبقات العلوم للابيوردي(٥٠٧)وطبقات عماد الدين بن كثير«٧٧٤»وطبقات الفرسان لابن مثنى«٢١٠»وطبقات الفرضيين للسيوطي وطبقات الفقهاء للهمداني« ٥٢١ »ومثله لابن حبيب المالكي « ٢٤٠ » وطبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي « ٢٠٧ » وطبقات فقهاء ورؤساء الزمن لابن سمرة الجعدي«٥٨٦»وطبقات القراء للداني«٤٤٤»وصنف فيها الجزري«٧٣٣»اجمع كتاب في هذا النوع والذهبي «٧٤٨ » وذيله غيرهم وطبقات الكتاب للسيوطي وطبقات اللغويين والنحاة له« مطبوع »وآخر للاشبيلي«٣٧٩»وطبقات الفقيه للسبكي وطبقات القاضي وطبقات المالكية لابن فرحون « مطبوع » « ٧٩٩ » وطبقات المتكلمين لابن فورك «٤٠٦» وللقاضي عياض بن موسى اليحصبي سماه ترتيب المدارك وللمرزباني اخبار المتكلمين وطبقات المجتهدين لابن كمال باشا «٩٤٠» وطبقات المحدثين لابن الملقن «٨٠٤» وطبقات المعبرين لابن الخلال وطبقات المعتزلة « طبعت قطعة منه » للقاضي عبد الجبار وطبقات المفسرين للسيوطي وغيره وطبقات النحاة للمبرد«٢٨٤»

وطبقات النسابين للحسيني «٥٨٨» وطبقات النساك لابن الاعرابي «٣٤٠» وطبقات همدان لابن الانماطي وغير ذلك مما هو مطبوع مثل وفيات الاعيان لابن خلكان وذيله للصلاح الكتبي

وفي خزانة الكتب الظاهرية بدمشق كتاب طبقات الحنابلة لابن رجب قال كاتب جلبي : طبقات الحنبلية لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي الفراء الشهيد سنة ٥١٦ صاحب المجرد في مذاهب الامام احمد وقد جعل هذه الطبقات على سير الطبقات الاولى والثانية على حرف المعجم وما بعدهما على تقديم العمر والوفاة وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ ثم ذيله الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وصل فيه الى سنة ٧٥٠ ثم ذيله العلامة يوسف بن حسن بن احمد الحنبلي المقدسي مرتباً على الحروف فرغ من تأليفه سنة ٨٧١ وذيله ايضاً الشيخ تقي الدين مفلح اه ٠

والغالب ان عبد الرحمن بن محمد العمري العليمي الحنبلي من اهل القرن العاشر ذيل على ماذيله ابن مفلح في مجلد ضخم (١) سماه المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد ونحن الآن نتكلم عليه وسنتكلم في فرصة أخرى على طبقات ابن رجب٠ قال العليمي في مقدمة كتابه بعد البسملة والحمدلة : اما بعد فهذا مختصر استخرت الله تعالى في جمعه وترتيبه وسألته المعونة لي بفضله وتهذيبه يتضمن نبذة من ترجمة امامنا المبجل والحبر المفضل الرباني ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني امام اهل السنة ٠ وآخر المجتهدين من الائمة رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه واحواله ومناقبه وذكر محنته وتاريخ مولده ووفاته وتراجم اصحابه رحمة الله عليهم فاذكر اولا ماتيسر من مناقب الامام رضي الله عنه ثم اذكر اصحابه الذين عاصروه فأبتدىء بذكر من توفي منهم قبله ثم اذكر من توفي بعده ثم اذكر من لم تؤرخ وفاته وعند انتهاء اسماء الاصحاب من الطبقة الاولى ابين منهم من اشتهر من اعيان اصحابه من الفقهاء الذين كانوا على مذهبه في الاصول والفروع ونقلوا عنه الفقه ونقل عنهم الى من بعدهم الى ان وصل الينا وأسرد اسماءهم متوالية ليتميزوا عن غيرهم من اصحابه الذين قرؤا عليه الحديث وغيره ورووا عنه من غير المشهورين بالتمذهب بمذهبه في فروع الفقه ثم ذكر اسماء الاصحاب من بعد الطبقة الاولى مرتباً على الطبقات والوفيات ومن لم اطلع على تاريخ وفاته ذكرت اسمه وماوقفت عليه من ترجمته والعصر الذي كان موجوداً فيه ان علمته واوجزت لفظه حسب الامكان وحذفت الاسانيد مما رويته فيه من الاحاديث الشريفة في بعض التراجم

---

(١) من المخطوطات الموجودة في خزانة كتب استاذنا السيد محمد المبارك

طلباً للاختصار وسميته بالمنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد

وقد وقع هذا الكتاب في زهاء ٨٥٠ صفحة من قطع الوسط وكان الفراغ من نسخه سنة ١١٩٥ على يد عبد الفتاح شطي البغدادي . وعليه خطوط بعض بني الشطي وقد قال المؤلف في آخره : وهذا آخر ما تيسر ذكره من فقهاء الحنابلة رحمة الله تعالى عليهم اجمعين ولم اترك ذكر احد ممن يصلح ان يذكر في الطبقات الا من لم اطلع على امره فقد ذكرت في هذا المختصر جماعة من المتقدمين لم يذكرهم القاضي ابو الحسين وجماعة من المتوسطين لم يذكرهم الحافظ ابن رجب وجماعة من المتأخرين لم يذكرهم قاضي القضاة برهان الدين بن مفلح

وهذا الكتاب بجودة نفيسة لعلماء هذا المذهب في الف سنة وفيه تراجم كثير من المشاهير ففيه عدا ترجمة الامام احمد ترجمة ابن الجوزي وابن قيم الجوزية وابن تيمية والقاضي ابي يعلي والقاضي يحيى بن اكثم والوزير ابن هبيرة وعشرات غيرهم ممن كانوا مفخر فقه احمد بن حنبل وعنوان التقى والعلم وسعة التأليف والوعظ والارشاد . وتراجم من لقوا الالاقي في سبيل تأييد مذهبهم ولا سيما في الامتناع عن القول بخلق القرآن وهي المسألة المختلف فيها بين العلماء على عهد المأمون الخليفة العباسي ومن بعده وذلك مثل احمد بن نصر الذي قتل في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن اخذه الواثق فقال له ماتقول في القرآن قال : كلام الله قال : افترى ربك في القيامة . قال : كذا جاءت الرواية واغلظ على الواثق في الخطاب وقال له : مه ياصبي . فدعا الواثق بالصمصامة وقال : اذا قمت اليه فلا يقومن احد معي فاني احتسب خطاي الى هذا الكافر(؟) الذي يعبد رباً ولا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ثم امر بالنطع فاجلس عليه وهو مقيد وامر بشد رأسه بحبل وامرهم ان يمدوه ومشى اليه حتى ضربت عنقه وامر بحمل رأسه الى بغداد فنصب في الجانب الشرقي اياماً وفي الجانب الغربي اياماً .

وفيه امثلة من الشدة عومل بها الحنابلة وعاملوا بها في قرون مختلفة ولاسيما في القرون التي اثار ثائرها التعصب المذهبي وامثلة من معتقد رؤساء المترجمين في المسائل المختلف فيها مثل قول ابي بكر بن ابي داود السجستاني من قصيدة :

وقل غير مخلوق كلام مليكنا ... بذلك دان الاتقياء وافصحوا
ولا تقل في القرآن بالوقف قائلا ... كما قال اتباع لهم واسجحوا

الى ان يقول بعد ايراد ما يجب الاعتقاد به

ولا تكفرن اهل الصلاة وان عصوا ... فكلهم يعصي وذو العرش يصفح

ولا تعتقد رأي الخوارج انه   مقال لمن يهواه يردي ويفضح
ولا تك مرجياً لعوباً بدينه   الا انما المرجي بالدين يمزح

ومثل ذلك قول ابي الخطاب البغدادي في هذا المعنى من قصيدة

وان كتاب الله ليس بمحدث   على السن تتلو وفي الصدر يجمع
وما كتب الحفاظ في كل مصحف   كذلك ان ابصرت او كنت تسمع

ومثل ذلك قول ابي الخطاب الكلواذني من قصيدة

قالوا فهل لله عندك مشبه   قلت المشبه في الجحيم الموصد
قالوا فهل هو في الاماكن كلها   قلت الاماكن لاتحيط بسيدي
قالوا فتزعم ان على العرش استوى   قلت الصواب كذاك خبر سيدي
قالوا فما معنى استواه ابن لنا   فاجبتهم هذا سؤال المعتدي
قالوا فانت تراه جسماً قل لنا   قلت الجسم عندنا كالملحد

ومن اطال في ترجمتهم الوزير ابن هبيرة العالم الذي صنف في وزارته كتاباً في ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الائمة الاربعة المشهورين وجمع عليه ائمة المذاهب واوفدهم من البلدان اليه لاجله بحيث انه انفق على ذلك مائة الف دينار وثلاثة عشر الف دينار وحدث به لجمع الخلق العظيم لسماعه عليه وكتب به نسخة لخزانة المستنجد وبعث ملوك الاطراف ووزراؤها وعلماؤها فاستنسخوه نسخاً ونقلوها اليهم حتى السلطان نور الدين الشهيد واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم يدرسون منه في المدارس والمساجد

هذا بعض ماحواه الكتاب من الفوائد وحبذا لو صحت همة الحنابلة على طبعه بعد ان طبع الشافعية والمالكية والحنفية والامامية طبقات رجالهم فكتب الطبقات مفيدة من عدة وجوه وليس احسن في تصور حال زمن من الرجوع الى سير رجاله وما قالوه وفعلوه وحدث لهم واحدثوه

عبر الأُردن

ظهرت في عالم المطبوعات في المانيا ثلاث مجلدات للرحالتين الالمانيين برونو ودمانسكي في وصف اصقاع عبر الأُردن فجاءت متممة للرحلات التي كتبها الاوربيون على فلسطين وما والاها وقد وصفا الصقع الواقع في لواء الكرك اليوم وهو من نهر الزرقا الى بترا اي وادي موسى وصفاً جغرافياً مدققاً والطريق الروماني من مادبا الى وادي موسى والطرق المتشعبة منه ووصفا وادي موسى واذرح والطريق الروماني من اذرح الى عين صدقة

والعقبة . ومن الخرائب الرومانية واليونانية والعربية والنبطية مالم يشر اليه السائحون في تلك الارباض من قبل . ومن الآثار التي وصفت مع صورها محطة الحج وهو حصن روماني قديم وكثربة وذات رأس وطوان واذرح وفي هذه معسكر روماني وكنيسة يونانية وقد استغرق الكلام عَلَى وصف وادي موسى زهاء ثلثمائة صفحة وفي المناظر التي اوردها السائحان في كتابيهما تمثل للقارىء الاربع صخور الرئيسة المطلة عَلَى الوادي ثم وصفا اشكال النواويس المحفورة في الصخر وصفاً تاريخياً والابراج المحفورة هناك هي بيوت كان يسكنها سكان وادي موسى . ومعظم القبور التي حفرت عَلَى مثال قبور الحجر يرد عهدها الى الملك ارتياس الرابع (اي ٩ و ٣٠ سنة قبل المسيح وبعده) وليس في وادي موسى اعمدة من قبل الحكم الروماني عليها . ووصفا قصر فرعون وخزنة فرعون ورجحا بما رأياه من صور ابي الهول وايزيس ورؤوس الحملان ان تلك البلاد تأثرت بالمدنية المصرية والمسلتان الموجودتان في الحجر تمثلان ربي النبطيين دوزارس واللات ويستدل منها انها كانت مركز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون عَلَى الاقل . وقد دخلت المدنية اليونانية الى وادي موسى عَلَى عهد البطالسة وبذلك يستدل على اختلاط العنصرين المصري والسوري . ولم تستقل مملكة النبط هذه الا في اواخر القرن الثاني عند ما انحطت دولة البطالسة والسلوقيين وظل القول الفصل فيها للمدنية اليونانية الى عهد ارتياس الرابع (٨٥ — ٦٠ ق م) ولما تجزأت المملكة النبطية الى ولايات رومانية بقيت محتفظة بمكانتها . وفي اواخر القرن الثالث للمسيح عادالى وادي موسى استقلاله . والغالب ان غارات الساسانيين الفرس على هذه البلاد اضطر بترا ان تنقطع عن انشاء القبور وصك النقود . وقد وصف المؤلفان ٨٥١ مصنعاً من مصانع بترا من مثل القبور والمعابد والمذابح واجادا في وصف جبل هرون ووادي صبرة والحدود الشرقية من هذه الولاية العربية من معان في الجنوب الشرقي من بترا الى بصرى واطلقا عنان القلم لوصف ما وقعت انظارهما عليه من العاديات والمصانع ووصفا بلاد حوران ولاسيما درعا والسويداء واثيل وقنوات وقرى اللجاة وما فيها من الآثار مع بيان المسافات وطبائع البلاد ورسمها وتقاويمها بالصور والمصورات وشفعا كتابيهما ببيان تخوم البلاد العربية وتقسيم مدن سورية وفلسطين والفينيقية والعربية كما كانت في عصور مختلفة كل ذلك مع اسماء الملوك الاقدمين الذين حكموا البلاد .

المقتبس

الفتوى في الاسلام

هذا بحث علمي ادبي،تاريخي اجتماعي،يهم كل نبيه درايته، كما يجب على كل فقيه معرفته ودراسته ، لاسيما من يتولى منصب القضاء ، او وظيفة الافتاء ، فان هذا البحث من اهم مايحتاج اليه ،واعظم مايضطر للوقوف عليه ، كيف لا ومنه يعرف شعائر الحق في الاقضية والاحكام ، و يتوصل به الى فيصل الامور بالعدل في نوازل الانام ، فهو على التحقيق لباب الفقه في الدين ، وسر الاصعاد الى ذروة الاجتهاد في مقاصد الشرع المتين ،

لانريد ان نبحث في الفتوى من حيث يعرفها الناس انها وظيفة من الوظائف ومنصب من المناصب يتولاه من يوظفه من الاستانة شيخ الاسلام ، ليعول على فتواه عند توقف الحكام ، لانقصد هذا لان سبيلها المذكور معروف معلوم ، لا حاجة الى ان يكتب فيه ما كان يكتب ايام استبحار العلوم ، وانما نروم الكشف عن منشإ الفتوى في الاسلام ،و كيف كانت في القرون الثلاثة العظام ،ثم فيما بعدها الى العصور الوسطى ومن كان يتولاها ايام استفحال العلم واتساع مناحيه ، ووفرة رجال الفضل وائمة الاجتهاد فيه ، ثم ماشترط في اولي الفتوى وما ذكر من آدابهم وآدابها ،وآداب من يستفتي و يرجع الى اربابها ،

يتبع هذا مباحث متنوعة ضافية الذيول،وافرة النقول،ربما يقل في سبرها مجلدات . ولا كثرة في العلم كما لااسراف في الخيرات . بيد انا نقتصر من هذا المبحث على اللباب . ليكون نموذجاً ومدخلا لنجباء الطلاب .

مما يدهش المنقب عن اصول الفتوى مابلغته من عناية الائمة في مطالبها ومقاصدها وما تفننوا به من استنباط واجباتها واستثمار فوائدها . فيعجب مما كانت في العصور الاولى عليه

وما آلت بعد اليه . ولئن كان لضعف العلم في القرون الاخيرة مدخل في هذا التباين الا ان اليد العاملة فيه اختلاف سياسة الدول في الاخذ بالعلوم النافعة وانهاض رجالها . ونشر التعليم المفيد والتهذيب وتوسيد الامور الى حكمائها وابطالها . فقد تختلف السابقة عن اللاحقة في هذا المضمار . وتخالف امة غيرها فتقودها بعاداتها وتأخذها بنظامها فتستلب منها الافهام والافكار . ويرجع هذا الى فناء طريقة تائدة في طريقة طريفة . كما تفنى في امة غالبة قوية أمة مغلوبة ضعيفة . فتدرس آثارها وعلومها . وتمحو عاداتها ورسومها ولاختلاف الدول وتعاقبها على الممالك . مدخل عظيم في اختلاف قوانين العلم والعلماء في جميع الممالك .

ماسنذكره من احوال الفتوى لايدر به الا نقابة في التاريخ دراكة في علوم الاجتماع بصير بالماضي والحاضر . خبير بالحديث والغابر .

ومن المؤسف ان تنبذ هذه المعارف ظهريا . وتصبح في هذا الجيل نسياً منسياً . فكم في بحر الاوهام من غاد ورائح يزعم ان هذه الحالة هي هي في عهد السلف الصالح . فلا يدري شيئاً من تأثير الدول . ولا يعرف امراً من آثار الاول .

ان الباحث عن الموازنة بين السلف والخلف في شؤون الاجتماع وطبيعة العمران يعتوره من مصاعب التنقيب ومتاعب العمل واجهاد الفكر ما لا يدر به الا من عانى ماعاناه . وانفق من دم قلبه وقوة عقله ما انفقه او داناه . ولذا بعد ما كتبناه في هذا البحث من اعظم الدروس التي القيت على عالم العلم في هذا العصر . يذكر ماسلف لهذا الموضوع من جليل الشأن في كل قطر ومصر . ويعرفهم ماترك الاول للآخر . وما حفظته لنا من الكنوز ذخائر قدماء الاكابر . فرحمة الله على السلف الناصحين . وايد الله من تبعهم باحسان من المصلحين .

ولنشرع في البحث مفصلا ومبوباً . ومعنوناً جملاً جملا ومرتباً . والمستعان بالله ولاحول ولا قوة الا بالله

(اول من قام بمنصب الفتوى في الاسلام)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : لما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا الا لمن اتصف بالعلم والصدق فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضي السيرة عدلا في اقواله وافعاله متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه واحواله واذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لاينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من اعلى المراتب السنيات

فكيف بمنصب التوقيع عن رب الارض والسموات فحقيق بمن اقيم في هذا المنصب ان يعد له عدته وان يتأهب له أهبته وان يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به فان الله ناصره وهاديه وكيف لا وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الارباب فقال تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) وكفى بما تولاه الله بنفسه تعالى شرفاً وجلالة اذ يقول في كتابه « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه وليوقن انه مسؤول غداً وموقوف بين يدي الله

واول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين عبد الله ورسوله وامينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده فكان يفتي عن الله بوحيه المبين وكان كما قال له احكم الحاكمين « قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين » فكانت فتاويه عليه السلام جوامع الاحكام ومشتملة على فصل الخطاب وهي في وجوب اتباعها وتحكيمها والتحاكم اليها ثانية الكتاب وليس لاحد من المسلمين العدول عنها ماوجد اليها سبيلا وقد امر الله عباده بالرد اليها حيث يقول « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا »

(كتابة الفتوى من العهد النبوي)

عن ابي هريرة قال : لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الخطبة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من اليمن يقال له ابو شاه فقال يارسول الله اكتبوا لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه : يعني الخطبة ، وعن ابي هريرة قال : لم يكن احد من اصحاب محمد اكثر حديثاً مني الا عبد الله بن عمرو فانه كتب ولم اكتب ، وعن عبدالله بن عمرو قال : كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد حفظه فنهتني قريش وقالوا : اتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الرضا والغضب فامسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاومأ باصبعه الى فيه وقال : اكتب فوالذي نفسي بيده مايخرج منه الا الحق .

اخرجها الحافظ ابن عبد البر في كتاب جامع العلم في باب الرخصة في كتاب العلم وعززها بآثار عدة منها عن سعد بن ابراهيم قال : امرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث الى كل ارض له عليها سلطان دفتراً .

(المفتون من الصحابة وطبقاتهم في الفتيا)

قام بالفتوى بعد النبي صلى الله عليه وسلم علماء الصحابة رضوان الله عليهم قال ابن القيم : والذين حفظت عنهم الفتوى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ونيف وثلاثون نفسا مابين رجل وامرأة

وكان المكثرون منهم سبعة عمر بن الخطاب ، وعلي بن ابي طالب ، وعبدالله بن مسعود ، وعائشة ام المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن عمر ،

قال ابو محمد بن حزم : ويمكن ان يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم قال : وقد جمع ابو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن امير المؤمنين المأمون فتيا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في عشرين كتاباً ، وابو بكر محمد المذكور احد ائمة الاسلام في العلم والحديث

والمتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا ابو بكر الصديق ، وام سلمة ، وانس بن مالك ، وابو سعيد الخدري ، وابو هريرة ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وابو موسى الاشعري ، وسعد بن ابي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وجابر بن عبدالله ، ومعاذ بن جبل ، (قال ابن حزم) فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن ان يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير جداً و يضاف اليهم طلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمران بن حصين ، وابو بكرة ، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية ابن ابي سفيان ،

والباقون منهم مقلون في الفتيا لا يروى عن الواحد منهم الا المسألة والمسألتان والزيادة اليسيرة على ذلك ، يمكن ان يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث

(حالة الفتوى في عهد التابعين وتابعيهم)

كان المرجع بعد الصحابة في الفتيا الى كبار التابعين وكانوا منتشرين في البلاد التي عمرها المسلمون بفتوحاتهم ، وقد عد الامام ابن القيم في اوائل اعلام الموقعين عدداً عديداً منهم كما ان كثيراً من الحفاظ الف في طبقاتهم اجزاء ومجلدات

واما حالة الفتيا في عهدهم فقد نبه عليها ولي الله الدهلوي في الحجة البالغة [1] بما

(١) في باب الفرق بين اهل الحديث واصحاب الرأي

مثاله : اعلم انه كان من العلماء في عصر سعيد بن المسيب وابراهيم والزهري وفي عصر مالك وسفيان و بعد ذلك قوم يكرهون الخوض بالرأي و يهابون الفتيا والاستنباط الا لضرورة لايجدون منها بداً ، وكان اكبر همهم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عبدالله بن مسعود عن شيء فقال : اني لأكره ان احل لك شيئاً حرمه الله عليك او احرم ما احله الله لك ، وقال معاذ بن جبل : يا ايها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فانه لم ينفك المسلمون ان يكون فيهم من اذا سئل سدد ، وروي نحو ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود في كراهة التكلم فيما لم ينزل وقال ابن عمر لجابر ابن زيد : انك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق او سنة ماضية فانك ان فعلت غير ذلك هلكت واهلكت

وقال الامام الدهلوي ايضا[١] بعد ان مهد ضروب الاختلاف بين الصحابة في بعض الفتاوى ما مثاله :

فاختلفت مذاهب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واخذ عنهم التابعون كذلك كل واحد ماتيسر له فحفظ ما سمع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب الصحابة وعقلها وجمع المختلف عَلَى ماتيسر له ورجح بعض الاقوال عَلَى بعض واضمحل في نظرهم بعض الاقوال فعند ذلك صار لكل عالم من علماء التابعين مذهب عَلَى حياله

فانتصب في كل بلد امام مثل سعيد بن المسيب وسالم بن عبدالله بن عمر في المدينة و بعدهما الزهري والقاضي يحيى بن سعيد وربيعة بن عبد الرحمن فيها وعطاء بن ابي رباح بمكة وابراهيم النخعي والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة وطاوس بن كيسان باليمن ومكحول بالشام فاظمأ الله اكباداً الى علومهم فرغبوا فيها واخذوا عنهم الحديث وفتاوى الصحابة واقاويلهم ومذاهب هؤلاء العلماء وتحقيقاتهم من عند انفسهم واستفتى منهم المستفتون ودارت المسائل بينهم ورفعت اليهم الاقضية

وكان سعيد بن المسيب وابراهيم وامثالهما جمعوا ابواب الفقه اجمعها وكان لهم في كل باب اصول تلقوها من السلف : وللبحث تتمة بديعة فانظرها

وجل فتاوى الصحب والتابعين مروية في الموطآت والمسندات والسنن من كتب الحديث التي لم تشترط تخريج المرفوع وحده من الاحاديث النبوية عدا ما جمع عَلَى حدة منها

(١) في باب اسباب اختلاف الصحابة والتابعين في الفروع

(المفتون بالشام من التابعين)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : وكان من المفتين بالشام ابو ادريس الخولاني وشرحبيل بن السمط وعبد الله بن ابي زكريا الخزاعي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي وحبان ابن امية وسليمان بن حبيب المحاربي والحارث بن عميرة الزبيدي وخالد بن معدان وعبد الرحمن بن غنم الاشعري وجبير بن نفير ثم كان بعدهم عبد الرحمن بن جبير بن نفير ومكحول وعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة :

وفيه استقصاء التابعين المفتين من معظم البلاد فانظره وقد استقرأت في كتابي (تعطير الشام بمآثر دمشق الشام) كل صحابي وتابعي نزل دمشق من المشاهير واثرته عمن جمع في هذا الشأن من الحفاظ عليهم الرحمة وكثير منهم حفظ عنه انه قال وافتى مجتهداً برأيه وقاساً على الاصول فيما لم يجد فيه نصاً

(حالة الناس في الفتيا قبل المائة الرابعة وبعدها)

قال الامام ولي الله الدهلوي في الحجة البالغة تحت هذا العنوان ما مثاله :

اعلم ان الناس كانوا قبل المائة الرابعة غير مجمعين على التقليد الخالص لمذهب واحد بعينه قال ابو طالب المكي في قوت القلوب : ان الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له من كل شيء والتفقه على مذهبه لم يكن الناس قديماً على ذلك في القرنين الاول والثاني انتهى

قال الدهلوي وبعد القرنين حدث فيهم شيء من التخريج غير ان اهل المائة الرابعة لم يكونوا مجتمعين على التقليد الخالص على مذهب واحد والتفقه له والحكاية لقوله كما يظهر من التتبع بل كان فيهم العلماء والعامة

وكان من خبر العامة انهم كانوا في المسائل الاجماعية التي لا اختلاف فيها بين المسلمين اوجمهور المجتهدين لايقلدون الا صاحب الشرع وكانوا يتعلمون صفة الوضوء او الغسل والصلاة والزكاة ونحو ذلك من آبائهم او معلمي بلدانهم فيمشون حسب ذلك واذا وقعت لهم واقعة استفتوا فيها اي مفت وجدوا من غير تعيين مذهب

وكان من خبر الخاصة انه كان اهل الحديث منهم يشتغلون بالحديث فيخلص اليهم من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة مالا يحتاجون معه الى شيء آخر في المسألة من حديث مستفيض او صحيح قد عمل به بعض الفقهاء ولا عذر لتارك العمل به او اقوال متظاهرة لجمهور الصحابة والتابعين مما لايحسن مخالفتها

فان لم يجد احدهم في المسألة .ايطمئن به قلبه لتعارض النقل وعدم وضوح الترجيح ونحو ذلك رجع الى كلام بعض من مضى من الفقهاء، فان وجد قولين اختار اوثقهما سواءً كان من اهل المدينة او من اهل الكوفة

وكان اهل التخريج منهم يخرجون فيما لايجدونه مصرحاً ويجتهدون في المذهب وكان هؤلاء ينسبون الى مذهب اصحابهم فيقال فلان شافعي وفلان حنفي وكان صاحب الحديث قد ينسب ايضاً الى احد المذاهب لكثرة موافقته له كالنسائي والبيهقي ينسبان الى الشافعي

فكان لايتولى القضاء ولا الافتاء الا مجتهد ولا يسمى الفقيه الا مجتهداً

ثم بعد هذه القرون كان ناس آخرون ذهبوا يميناً وشمالا وحدث فيهم امور (منها) الجدل والخلاف في علم الفقه (ومنها) انهم اطمأنوا بالتقليد ودب التقليد في صدورهم دبيب النمل وهم لايشعرون وكان سبب ذلك تزاحم الفقهاء وتجادلهم فيما بينهم فأنهم لما وقعت فيهم المزاحمة في الفتوى كان كل من افتى بشيء نوقض في فتواه ورد عليه فلم ينقطع الكلام الا بمسير الى تصريح رجل من المتقدمين في المسألة (وايضاً) جور القضاة فان القضاة لما جار اكثرهم ولم يكونوا امناء لم يقبل منهم الا مالا يريب العامة فيه ويكون شيئاً قد قيل من قبل (وايضاً) جهل رؤوس الناس واستفتاء الناس من لاعلم له بالحديث ولا بطريق التخريج كما ترى ذلك ظاهراً في اكثر المتأخرين وقد نبه عليه ابن الهمام وغيره وفي ذلك الوقت يسمى غير المجتهد فقيها

(ومنها) ان اقبل اكثرهم على التعمقات في كل فن فمنهم من زعم انه يؤسس علم اسماء الرجال ومعرفة مراتب الجرح والتعديل ثم خرج من ذلك الى التاريخ قديمه وحديثه ومنهم من تفحص عن نوادر الاخبار وغرائبها وان دخلت في حد الموضوع. ومنهم من كثر القيل والقال في اصول الفقه واستنبط كل لاصحابه قواعد جدلية فاورد فاستقصى واجاب وتقصى. وعرف وقسم فحرر. طول الكلام تارة وتارة أخرى اختصر ومنهم من ذهب الى هذا بفرض الصور المستبعدة التي من حقها ان لايتعرض لها عاقل وبفحص العمومات والايماآت من كلام المخرجين فمن دونهم مما لايرتضي استماعه عالم ولا جاهل.

وفتنة هذا الجدل والخلاف والتعمق قريبة من الفتنة الاولى حين تشاجروا في الملك

وانتصر كل رجل لصاحبه فكما اعقبت تلك ملكا عضوضاً ووقائع صماء عمياء . فكذلك اعقبت هذه جهلا واختلاطاً وشكوكا ووهما مالها من ارجاء[١]

فنشأت بعدهم قرون على التقليد الصرف لايميزون الحق من الباطل ولا الجدل عن الاستنباط فالفقيه يومئذ هو الثرثار المتشدق الذي حفظ اقوال الفقهاء قويها وضعيفها من غير تمييز وسردها بشقشقة شدقيه والمحدث من عد الاحاديث صحيحها وسقيمها وهذها كهذ الاسمار بقوة لحييه

ولا اقول ذلك كلياً مطرداً فأن لله طائفة من عباده لايضرهم من خذلهم وهم حجة الله في ارضه وان قلوا ولم يأت قرن بعد ذلك الا وهو اكثر فتنة واوفر تقليداً واشد انتزاعاً للامانة من صدور الرجال حتى اطمأنوا بترك الخوض في امر الدين وبأن يقولوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون والى الله المشتكى وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان انتهى كلام ولي الله الدهلوي

(ماروي من تهيب السلف للفتيا)

قال الامام النووي في مقدمة شرح المهذب : اعلم ان الافتاء عظيم الخطر كبيرالموقع كثير الفضل لان المفتي وارث الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقائم بفرض الكفاية لكنه معرض للخطاء ولهذا قالوا : المفتي موقع عن الله تعالى : وروينا عن ابن المنكدر قال : العالم بين الله وخلقه فلينظر كيف يدخل بينهم .

وروينا عن السلف وفضلاء الخلف من التوقف عن الفتيا اشياء كثيرة معروفة نذكر منها احرفاً روينا عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال : ادركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل احدهم عن المسألة فيردهـا هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترجع الى الاول وفي رواية مامنهم من يحدث بحديث الا ود ان اخاه كفاه اياه ولايستفتى عن شيء الا ود ان اخاه كفاه الفتيا وعن الشعبي والحسن وابي حصين (بفتح الحاء) رحمهم الله قالوا : ان احدكم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر وعن سفيان بن عيينة وسحنون : اجسر

(١) قال الدهلوي قبل ذلك فأي مذهب كان اصحابه مشهورين وسد اليهم القضاء والافتاء واشتهرت تصانيفهم في الناس انتشر في اقطار الارض ولم يزل ينتشر كل حين واي مذهب كان اصحابه خاملين ولم يولوا القضاء والافتاء ولم يرغب فيهم الناس اندرس بعد حين اه

الناس عَلَى الفتيا اقلهم علماً : وعن الشافعي رضي الله عنه وقد سئل عن مسألة فلم يجب فقيل له فقال حتى ادري ان الفضل في السكوت او في الجواب وعن الاثرم سمعت احمد ابن حنبل رحمه الله يكثر ان يقول لا ادري : وذلك مما عرف الاقاويل فيه وعن الهيثم بن جميل قال شهدت مالكا سئل عن ثماني واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري وعن مالك ايضاً رحمه الله : ربما كان يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها وكان يقول : من اجاب فينبغي قبل الجواب ان يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب وقال ابو حنيفة رحمه الله : لولا الفرق من الله تعالى ان يضيع العلم ما افتيت يكون لهم المهنأ وعليّ الوزر واقوالهم في هذا كثيرة معروفة

وقال الصيمري والخطيب : قلّ من حرص عَلَى الفتيا وسابق اليها وثابر عليها الا قلّ توفيقه واضطرب في امره واذا كان كارها لذلك غير مؤثر له ماوجد عنه مندوحة واحال الامر فيه عَلَى غيره كانت المعرفة له من الله اكثر والصلاح في جوابه اغلب واستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسألة اعنت عليها

(معنى الفتوى اللغوي)

قال الراغب : الفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من الاحكام ويقال استفتيت فافتاني بكذا قال « ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن » « فاستفتهم » « افتوني في رؤياي »

وفي (النهاية) : يقال افتاه في المسألة يفتيه اذا اجابه والاسم الفتوى . وفي الحديث : ان اربعة تفاتوا اليه عليه السلام : اي تحاكموا من الفتوى ومنه الحديث : الاثم ما حاك في صدرك وان افتاك الناس عنه وافتوك : اي وان جعلوا لك فيه رخصة وجوازا

وفي (المصباح) : الفتوى بالواو بفتح الفاء وبالياء فتضم اسم من افتى العالم اذا بين الحكم ويقال اصله من الفتى وهو الشاب القوي [1] والجمع الفتاوي بكسر الواو على الاصل وقيل يجوز الفتح للتخفيف انتهى وعبارته تفيد ان الفتوى بالفتح لا غير خلافا لما يقتضيه كلام القاموس من جواز الضم والفتح فقد نوقش فيه ولذا قال شارحه العلامة الفاسي : المصرح به في امهات اللغة واكثر مصنفات الصرف ان الفتيا بالياء لا تكون الا مضمومة وان الفتوى بالواو لا تكون الا مفتوحة :

(١) فكأن المفتي يقوي السائل بجواب حادثته

وفي (اساس البلاغة) : وفلان من اهل الفتوى والفتيا وتعالوا فقاتونا وتفاتوا اليه تحاكموا قال الطرماح :

هلم الى قضاة الغوث فاسأل ... برهطك والبيان لدى القضاة

انخ بفناء اشدق من عدي ... ومن جرم وهم اهل التفاتي

وقال عمر بن ابي ربيعة

فبت افاتيها فلا هي ترعوي ... بجود ولا تبدي اباء فتبخلا

اي اسائلها

(وراثة المفتي للمقام النبوي)

قال الامام ابو اسحق الشاطبي[1] المفتي قائم في الامة مقام النبي صلى الله عليه وسلم والدليل عَلَى ذلك امور (احدها) النقل الشرعي في الحديث ان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما ورثوا العلم : وفي الصحيح : بينا انا نائم أُتيت بقدح من لبن فشربت حتى اني لارى الري يخرج من اظفاري ثم اعطيت فضلي عمر ابن الخطاب قالوا فما اولته يارسول الله قال العلم : وهو في معنى الميراث وبعث النبي صلى الله عليه وسلم نذيراً لقوله تعالى « انما انت نذير » وقال في العلماء « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم » الآية واشباه ذلك (والثاني) انه نائب عنه في تبليغ الاحكام لقوله : الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب : وقال بلغوا عني ولو آية وقال: تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم : واذا كان كذلك فهو معنى كونه قائماً مقام النبي (والثالث) ان المفتي شارع من وجه لان مايبلغه من الشريعة اما منقول عن صاحبها واما مستنبط من المنقول فالاول يكون فيه مبلغاً والثاني يكون فيه قائماً مقامه في انشاء الاحكام وانشاء الاحكام انما هو للشارع فاذا كان للمجتهد انشاء الاحكام بحسب نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه شارع واجب اتباعه والعمل عَلَى وفق ماقاله وهذه هي الخلافة عَلَى التحقيق[2] بل القسم الذي هو مبلغ فيه لابد من نظره فيه من جهة فهم المعاني من الالفاظ الشرعية ومن جهة تحقيق مناطها وتنزيلها عَلَى الاحكام وكلا الامرين راجع اليه فيها فقد قام مقام الشارع ايضاً في هذا المعنى وقد جاء في الحديث : ان من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه : وعَلى الجملة فالمفتي مخبر عن الله كالنبي وموقع للشريعة عَلَى افعال المكلفين بحسب نظره كالنبي ونافذ امره في الامة بمنشور الخلافة كالنبي ولذلك

(١) في الموافقات جزء ٤ (٢) يشير الى حديث اللهم ارحم خلفائي

سموا اولي الامر وقرنت طاعتهم بطاعة الله ورسوله في قوله تعالى « ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » والادلة على هذا المعنى كثيرة

(بيان ان المفتي والعالم والمجتهد والفقيه الفاظ مترادفة في الاصول)

قال الشهاب ابن قاسم العبادي في شرح قول امام الحرمين في الورقات « وصفة المفتي الخ : والمجتهد والمفتي واحد . وقال في شرح قوله « وليس لعالم ان يقلد » اي المجتهد المطلق فانه المراد من العالم كالمفتي حيث اطلق في الاصول

وقال ايضاً في شرح قول المحلي : والمفتي هو المجتهد : يحتمل ارادة اتحادهما مفهوماً وارادة اتحادهما ماصدقا ولعل الثاني اقرب انتهى

وقال السبكي في جمع الجوامع والمجتهد الفقيه : قال المحلي : كما قال فيما تقدم نقله عنه في اوائل الكتاب : والفقيه المجتهد لان كلا منهما يصدق على مايصدق عليه الآخر: قال العطار اي فهو ليس من قبيل التعريف وانما هو من قبيل بيان الماصدق فتساوى الافراد واختلف المفهوم

وفي فتح القدير لابن الهمام : قد استقر رأي الاصوليين على ان المفتي هو المجتهد فاما غير المجتهد ممن يحفظ اقوال المجتهد فليس بمفت والواجب عليه اذا سئل ان يذكر قول المجتهد على وجه الحكاية فعرف ان مايكون في زماننا من فتوى الموجودين ليس بفتوى بل هو نقل كلام المفتي ليأخذ به المستفتي وطريق نقله لذلك عن المجتهد احد امرين اما ان يكون له فيه سند اليه او يأخذه عن كتاب معروف تداولته الايدي نحو كتب محمد بن الحسن ونحوها لانه بمنزلة الخبر المتواتر او المشهور .

(مااشترطه الاصوليون في المفتي)

قال الامام الصيرفي : موضوع هذا الاسم يعني المفتي لمن قام للناس بامر دينهم وعلم جمل عموم القرآن وخصوصه وناسخه ومنسوخه وكذلك السنن والاستنباط ولم يوضع لمن علم مسألة وادرك حقيقتها فمن بلغ هذه المرتبة سموه بهذا الاسم ومن استحقه افتى فيما استفتي

وقال ابن السمعاني : المفتي من استكمل فيه ثلاث شرائط الاجتهاد والعدالة والكف عن الترخيص والتساهل (١)

(١) ارشاد الفحول للشوكاني

وقال الامام الشاطبي [١] المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس عَلَى المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور فلا يذهب بهم مذهب الشدة ولا يميل بهم الى طرف الانحلال والدليل على هذا انه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة ومقصد الشارع من المكلف الحمل عَلَى التوسط من غير افراط ولا تفريط فاذا خرج عن ذلك في المستفتين خرج عن قصد الشارع ولذلك كان ماخرج عن المذهب الوسط مذموماً عند العلماء الراسخين وايضاً فان هذا المذهب كان المفهوم من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الاكرمين وقد رد عليه السلام التبتل وقال لمعاذ لما اطال بالناس في الصلاة: افتان انت يامعاذ: وقال: ان منكم منفرين . وقال: عليكم من العمل ماتطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا . وقال احب العمل الى الله مادام عليه صاحبه وان قل ورد عليهم الوصال . وكثير من هذا وايضاً فان الخروج الى الاطراف خارج عن العدل ولا تقوم به مصلحة الخلق اما في طرف التشديد فانه مهلكة واما في طرف الانحلال فكذلك ايضاً لان المستفتي اذا ذهب به مذهب العنت والحرج بغض اليه الدين وادى الى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة وهو مشاهد واما اذا ذهب به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة والشرع انما جاء بالنهي عن الهوى واتباع الهوى مهلك والادلة كثيرة

فعلى هذا يكون الميل الى الرخص في الفتيا باطلاق مضاداً للمشي على التوسط كما ان الميل الى التشديد مضاد له ايضا وربما فهم بعض الناس ان ترك الترخص تشديد فلا يجعل بينهما وسطاً وهذا غلط والوسط هو معظم الشريعة وام الكتاب ومن تأمل موارد الاحكام بالاستقراء التام عرف ذلك واكثر من هذا شأنه من اهل الانتماء الى العلم يتعلق بالخلاف الوارد في المسائل العلمية بحيث يتحرى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي بناء منه عَلَى ان الفتوى بالقول المخالف لهواه تشديد عليه وحرج في حقه وان الخلاف انما كان رحمة لهذا المعنى وليس بين التشديد والتخفيف واسطة وهذا قلب للمعنى المقصود في الشريعة فان اتباع الهوى ليس من المشقات التي يترخص بسببها وان الخلاف انما هو رحمة من جهة اخرى وان الشريعة حمل عَلَى التوسط لا على مطلق التخفيف — والا لزم ارتفاع مطلق التكليف من حيث هو حرج ومخالف للهوى ولا على مطلق التشديد فليأخذ الموفق في هذا الموضع حذره فانه مزلة قدم على وضوح الامر فيه انتهى

(١) موافقات جزء ٤

وقال الامام ابو اسحق الشيرازي في اللمع [1] في باب صفة المفتي والمستفتي : وينبغي ان يكون المفتي عارفاً بطرق الاحكام وهي الكتاب والذي يجب ان يعرف من ذلك مايتعلق بذكر الاحكام والحلال والحرام دون ما فيه من القصص والامثال والمواعظ والاخبار ويحيط بالسنن المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان الاحكام ويعرف الطرق التي يعرف بهـا مايحتاج اليه من الكتاب والسنة من احكام الخطاب وموارد الكلام ومصادره من الحقيقة والمجاز والعام والخاص والمجمل والمفصل والمطلق والمقيد والمنطوق والمفهوم ويعرف من اللغة والنحو مايعرف به مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابهما ويعرف احكام افعال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومانقتضيه ويعرف الناسخ من ذلك والمنسوخ واحكام النسخ وما يتعلق به ويعرف اجماع السلف وخلافهم ويعرف مايعتد به من ذلك وما لا يعتد به ويعرف القياس والاجتهاد والاصول التي يجوز تعليلها وما لايجوز والاوصاف التي يجوز ان يعلل بهـا وما لا يجوز وكيفية انتزاع العلل ويعرف ترتيب الادلة بعضها على بعض وتقديم الاولى منها ووجوه الترجيح ويجب ان يكون ثقة مأمونا لايتساهل في امر الدين انتهى

وقال الامام النووي في مقدمة شرح المهذب : وينبغي ان يكون المفتي ظاهر الورع مشهوراً بالديانة الظاهرة والصيانة الباهرة (ثم قال) : شرط المفتي كونه ثقة مأموناً متنزهاً عن الفسق وخوارم المروءة فقيه النفس سليم الذهن رصين الفكر صحيح النظر والاستنباط متيقظاً سـواء فيه الحر والعبـد والمرأة والاعمى والاخرس اذا كتب او فهمت اشارته

قال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح : وينبغي ان يكون كالراوي في انه لا يؤثر فيه قرابة وعداوة وجر نفع ودفع ضر ولأن المفتي في حكم مخبر عن الشرع بما لا اختصاص له بشخص فكان كالراوي لا كالشاهد وفتواه لايرتبط بها الزام بخلاف حكم القاضي (قال) وذكر صاحب الحاوي ان المفتي اذا نابذ في فتواه شخصاً معيناً صار خصماً معانداً فترد فتواه على من عاداه كما ترد شهادته عليه اذا وقعت انتهى

(فتوى الفاسق والمستور واهل الاهواء والخوارج)

قال الامام النووي في مقدمة شرح المهذب : نقل الخطيب البغدادي اجماع المسلمين

(١) من اهم كتب الاصول وقد طبع مع بعض تعليقاتنا عليه

عَلَى ان الفاسق لاتصح فتواه (لغيره) وانه يجب عليه اذا وقعت له واقعة ان يعمل باجتهاد نفسه

واما المستور وهو الذي ظاهره العدالة ولم تختبر عدالته باطنا ففيه وجهان اصحهما جواز فتواه لان العدالة الباطنة يعتبر معرفتها عَلَى غير القضاة والثاني لاتجوز كالشهادة

قال الصيمري : وتصح فتوى اهل الاهواء والخوارج ومن لايكفر ببدعته ولا بفسقه :

(بحث الفتوى للقاضي)

قال الامام النووي : والقاضي كغيره في جواز الفتيا بلا كراهة هذا هو الصحيح وقيل له الفتوى في العبادات ومالا يتعلق بالقضاء وفي القضاء وجهان لاصحابنا احدها الجواز لانه اهل والثاني لا لانه موضع تهمة وقال ابن المنذر تكره الفتوى في مسائل الاحكام وقال شريح انا اقضي ولا افتي :

(تقسيم المتأخرين المفتي الى مستقل وغير مستقل)

قال الامام النووي قال ابو عمرو — ابن الصلاح — المفتون قسمان مستقل وغيره فالمستقل شرطه مع ماذكرناه ان يكون فقيها بمعرفة ادلة الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة والاجماع والقياس وما التحق بها عَلَى التفصيل وقد فصلت في كتب الفقه فيسرت وان يكون عالما بما يشترط في الادلة ووجوه دلالتها وبكيفية اقتباس الاحكام منها وهذا مستفاد من اصول الفقه — وعارفا من علوم القرآن والحديث والناسخ والمنسوخ والنحو واللغة والصرف واختلاف العلماء واتفاقهم بالقدر الذي يتمكن معه من الوفاء بشروط الادلة والاقتباس منها — ذا دربة وارتياض في استعمال ذلك — عالما بالفقه ضابطا لامهات مسائله وتفاريعه فمن جمع هذه الاوصاف فهو المفتي المطلق المستقل الذي يتأدى به فرض الكفاية وهو المجتهد المطلق المستقل لانه يستقل بالادلة بغير تقليد وتقيد بمذهب احد

قال ابو عمرو : وما شرطناه من حفظه لمسائل الفقه لم يشترط في كثير من الكتب المشهورات لكونه ليس شرطا لمنصب الاجتهاد لان الفقه ثمرته فيتأخر عنه وشرط الشيء لايتأخر عنه وشرطه الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وصاحبه ابو منصور البغدادي وغيرهما واشتراطه في المفتي الذي يتأدى به فرض الكفاية هو الصحيح وان لم يكن كذلك في المجتهد المستقل

ثم لايشترط ان تكون جميع الاحكام عَلَى ذهنه بل يكفيه كونه حافظاً لمعظمها متمكنا من ادراك الباقي على قرب

وهل يشترط ان يعرف من الحساب مايصحح به المسائل الحسابية الفقهية حكى ابو اسحق وابو منصور فيه خلافاً لاصحابنا والاصح اشتراطه .

ثم انما يشترط اجتماع العلوم المذكورة في مفت مطلق في جميع ابواب الشرع واما مفت في باب خاص كالمناسك والفرائض فيكفيه معرفة ذلك الباب كذا قطع به الغزالي وصاحبه ابن برهان (بفتح الباء) وغيرهما ومنهم من منعه مطلقاً واجازه ابن الصباغ في الفرائض خاصة والاصح جوازه مطلقاً

(القسم الثاني المفتي الذي ليس بمستقل) ومن دهر طويل عدم المفتي المستقل وصارت الفتوى الى المنتسبين الى ائمة المذاهب المتبوعة «١»

وللمفتي المنتسب حالات « احداها » ان لايكون مقلداً لامامه لا في المذهب ولا في دليله لاتصافه بصفة المستقل وانما ينسب اليه لسلوكه طريقه في الاجتهاد وادعى ابو اسحق هذه الصفة لاصحابنا وحكي عن اصحاب مالك واحمد وداود واكثر الحنفية انهم صاروا الى مذاهب ائمتهم تقليداً لهم

والصحيح الذي ذهب اليه المحققون ماذهب اليه اصحابنا وهو انهم صاروا الى مذهب الشافعي لاتقليداً له بل لما وجدوا طرقه في الاجتهاد والقياس اسد الطرق ولم يكن لهم بد من الاجتهاد سلكوا طريقه وطلبوا معرفة الاحكام بطريق الشافعي « قال النووي » قلت هذا موافق لما امرهم به الشافعي ثم المزني في اول مختصره وغيره بقوله : مع اعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره

ثم فتوى المفتي في هذه الحالة كفتوى المستقل في العمل بها والاعتداد بها في الاجماع والخلاف

« الحالة الثانية » ان يكون مجتهداً مقيداً في مذهب امامه مستقلا بتقرير اصوله بالدليل

«١» نقل العلامة السفاريني الحنبلي في بعض رسائله عن العلامة ابن حمدان انه قال : ان الاجتهاد المطلق الآن ايسر منه في الزمن الاول لان الحديث والفقه قد دونا وكذا كل مايتعلق بالاجتهاد من الآيات القرآنية والآثار النبوية واصول الفقه والعربية وغير ذلك لكن الهمم قاصرة والرغبات فاترة ونار الخير والجد خامدة وعين الخشية والفكرة جامدة اكتفاء بالتقليد وخلوداً الى الراحة وعدم التشديد وبالله التوفيق اه

غير انه لا يتجاوز في ادائه اصول امامه وقواعده وشرطه كونه عالماً بالفقه واصوله وادلة الاحكام تفصيلا — بصيراً بمسالك الاقيسة والمعاني — تام الارتياض في التخريج والاستنباط قيما بالحاق ماليس منصوصاً عليه لامامه باصوله « الى ان قال النووي » ثم ظاهر كلام الاصحاب ان من هذا حاله لايتأدى به فرض الكفاية

ثم قد يستقل المقلد في مسألة او باب خاص كما تقدم وله ان يفتي فيما لانص فيه لامامه بما يخرجه على اصوله وهو الذي عليه العمل واليه يفزع المفتون من مدد طويلة ثم اذا افتى بتخريجه فالمستفتي مقلد لامامه لا له هكذا قطع به امام الحرمين في كتابه الغياثي قال الشيخ ابو عمرو : ينبغي ان يخرج هذا على خلاف حكاه الشيخ ابو اسحق الشيرازي وغيره ان مايخرجه اصحابنا هل يجوز نسبته الى الشافعي رحمه الله والاصح انه لاينسب اليه

ثم ذكر النووي بقية حالات المفتي المنتسب اضربنا عنها لقلة جدواها ولانها فرعت لزمن غير هذا الزمن

وقال العلامة الفناري في فصول البدائع في مسائل الفتاوي : يجوز الافتاء للمجتهد اتفاقاً ولحاكي قول مجتهد حي سمعه منه مشافهة لان علياً رضي الله عنه اخذ بقول المقداد عن النبي عليه السلام في المذي ولذا يجوز للمرأة ان تعمل في حيضها بنقل زوجها عن المفتي

اما — الافتاء — لحاكي قول ميت فمنعه الاكثرون اذ لاقول لميت لانعقاد الاجماع مع خلافه وانما صنفت كتب الفقه لاستفادة طرق الاجتهاد من تصرفهم ومعرفة المتفق عليه والمختلف فيه قال في المحصول : والاصح عند المتأخرين جوازه لوجهين « الاول » انعقاد الاجماع على جواز العمل بهذا النوع من الفتوى ولمعنيان « ١ » ان احكام الشريعة المحمدية باقية الى آخر الزمان لكونه خاتم النبيين وكل من المجتهدين يثبت الحكم على انه كذلك فهم وان اختلفوا في تعيين الحكم مجمعون ضمناً على بقائه وجواز تقليد من بعدهم « ٢ » ان المجتهدين السابقين المختلفين اجمعوا صريحاً على ان من بعدهم اذا اضطروا الى تقليد الميت لعدم الاجتهاد جاز لهم ذلك « الثاني » اذا كان المجتهد الميت ثقة عالماً والحاكي عنه ثقة فاهماً معنى كلامه حصل عند العامي ظن ان حكم الله تعالى ما حكاه والظن حجة حتى لو رجع الى كتاب موثوق به جاز ايضاً كذا في التحصيل

قال في فتاوى العصر في اصول الفقه لابي بكر الرازي رحمه الله فاما مايوجد من

كلام رجل ومذهبه في كتاب معروف به قد تداولته النسخ يجوز لمن نظر فيه ان يقول قال فلان كذا وان لم يسمعه من احد نحو كتب محمد بن الحسن وموطأ مالك لان وجودها على هذا الوصف بمنزلة خبر المتواتر والاستفاضة لايحتاج مثله الى اسناد

وتوفية الكلام فيه ان لغير المجتهد ان يفتي بمذهب مجتهد ان كان اهلا للنظر والاستنباط مطلعاً على المآخذ في اقوال امامه اي مجتهداً في ذلك المذهب ومعنى الافتاء الاستنباط بمقتضى قواعده لاالحكاية « وقيل » عند عدم المجتهد « وقيل » يجوز مطلقاً ومعنى الافتاء اعم من الاستنباط والحكاية وهو المنقول عن المحصول آنفا « وقال » ابو الحسين لايجوز مطلقاً « لنا » تكرر افتاء العلماء الغير المجتهدين في جميع الاعصار من غير انكار « للمجوز » انه ناقل فلا فرق فيه بين العالم وغيره كالاحاديث « قلنا » جواز النقل متفق عليه والنزاع فيما هو المعتاد من تخريجه على انه مذهب ابي حنيفة او الشافعي رحمه الله كذا في المختصر والمفهوم من غيره ان فيه الحاكي عن الميت خلافاً « للمانع » لو جاز لجاز للعامي لانهما في النقل سواء « قلنا » الدليل هو الاجماع وقد جوز للعالم دون العامي والفارق علم المآخذ واهلية النظر

ثم عن اصحابنا في ذلك روايات ذكر في التجنيس مثل محمد بن الحسن رحمه الله : متى كان للرجل ان يفتي : قال اذا كان صوابه اكثر من خطائه « وقال » ظهير الدين التمرتاشي رحمه الله : لايجوز للمفتي ان يفتي حتى يعلم من اين قلنا فقلنا هل يحتاج الى هذا في زماننا ام يكفيه الحفظ قال يكفي الحفظ نقلا عن الكتب المصححة « وقال » نجم الائمة البخاري رحمه الله : الحفظ لايكفي ولابد من ذلك الشرط .

وفي عيون الفتاوى : قال عصام بن يوسف رحمه الله : كنت في مأتم قد اجتمع فيه اربعة من اصحاب ابي حنيفة زفر وابو يوسف وعافية وقاسم بن معن فاجمعوا على انه لايحل لاحد ان يفتي بقولنا مالم يعلم من اين قلنا اه كلام الفناري

(حكم المقلد يفتي بما هو مقلد فيه)

قال النووي : « فان قيل » هل للمقلد ان يفتي بما هو مقلد فيه « قلنا » قطع ابو عبدالله الحليمي وابو محمد الجويني وابو المحاسن الروياني وغيرهم بتحريمه وقال القفال المروزي يجوز : قال ابو عمرو : قول من منعه معناه لايذكره على صورة من يقوله من عند نفسه[1] بل يضيفه الى امامه الذي قلده « قال » فعلى هذا من عددناه من المفتين المقلدين

«١» في النفس شيء من هذا المعنى و يؤيده كلام صاحب الحاوي الآتي

ليسوا بمفتين حقيقة لكن قاموا مقامهم وادوا عنهم عدوا معهم وسبيلهم ان يقولوا مثلا من مذهب الشافعي كذا ونحو هذا ومن ترك منهم الاضافة فهو اكتفاء بالمعلوم من الحال عن التصريح ولا بأس بذلك

وذكر صاحب الحاوي في الكافي : اذا عرف حكم حادثة بني عَلَى دليلها ثلاثة اوجه «احدها» يجوز ان يفتي به ويجوز تقليده لانه وصل الى علمه كوصول العالم «والثاني» يجوز ان كان دليلها كتاباً اوسنة ولا يجوز ان كان غيرها «والثالث» لايجوز مطلقا وهو الاصح هذا ماقاله ائمة الشافعية وتقدم عن الفناري ما للحنفية

(احكام المفتين)

« الاول »

قال النووي : الافتاء فرض كفاية فاذا استفتي وليس في الناحية غيره تعين عليه الجواب فان كان فيها غيره وحضر فالجواب في حقهما فرض كفاية وان لم يحضر غيره فوجهان اصحهما لايتعين والثاني يتعين وهما كالوجهين في مثله في الشهادة ولو سأل عامي عما لم يجب — لم يجب جوابه

« الثاني »

اذا افتى بشيء ثم رجع عنه فان اعلم المستفتي برجوعه ولم يكن عمل بالاول لم يجز العمل به وان كان عمل قبل رجوعه فان خالف دليلا قاطعاً لزم المستفتي نقض عمله ذلك وان كان في محل اجتهاد لم يلزمه نقضه لان الاجتهاد لاينقض بالاجتهاد وهذا التفصيل ذكره الصيمري والخطيب وابو عمرو واتفقوا عليه ولا اعلم خلافه ويلزم المفتي اعلامه قبل العمل وكذا بعده حيث يجب النقض واذا عمل بفتواه في اتلاف فبان خطؤه وانه خالف القاطع فعن الاستاذ ابي اسحق انه يضمن ان كان اهلا للفتوى ولايضمن ان لم يكن اهلا لان المستفتي قصر كذا حكاه الشيخ ابو عمرو وسكت عليه وهو مشكل وينبغي ان يخرج الضمان عَلَى قولي الغرور المعروفين في باب الغصب والنكاح وغيرهما او يقطع بعدم الضمان اذ ليس في الفتيا الزام ولا الجاء (١)

(الثالث)

يحرم التساهل في الفتوى ومن عرف به حرم استفتاؤه فمن التساهل ان لا يتثبت

(١) فرقوا بين الفتيا والقضاء بان الفتيا لا الزام فيها واما القضاء ففيه الزام ووجهه ان المفتي مخبر عن الحكم والقاضي ملزم به

و يشرع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النظر والفكر فان تقدمت معرفته بالمسئول عنها فلا بأس بالمبادرة وعلى هذا يحمل مانقل عن الماضين من مبادرة ومن التساهل ان تحمله الاغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحرمة او المكروهة طلباً للترخص لمن يروم نفعه او التغليظ على من يريد ضره واما من صح قصده فاحتسب في طلب حيلة لاشبهة فيها ليخلص من ورطة يمين ونحوها فذلك حسن جميل عليه يحمل ماجاء عن السلف من نحو هذا كقول سفيان (انما العلم الرخصة من ثقة) واما التشديد فيحسنه كل احد ومن الحيل التي فيها شبهة و يذم فاعلها الحيلة في سد باب الطلاق

(الرابع)

ينبغي ان لايفتي في حال تغير خلقه وشغل قلبه بما يمنعه التأمل كغضب وجوع وحزن وفرح غالب ونعاس او ملل او حر مزعج او مرض مؤلم او مدافعة حدث وكل حال شغل فيه قلبه و يخرج عن حد الاعتدال فان افتى في بعض هذه الاحوال وهو يرى انه لم يخرج عن الصواب جاز وان كان مخاطراً فيها

(الخامس)

المختار للتصدي للفتوى ان يتبرع بذلك ويجوز ان يأخذ عليه رزقا من بيت المال الا ان يتعين عليه وله كفاية فيحرم على الصحيح

ثم ان كان له رزق لم يجز اخذ اجرة وان لم يكن له رزق فليس له اخذ اجرة من اعيان من يفتيه على الاصح كالحاكم

واحتال الشيخ ابو حاتم القزويني من اصحابنا فقال له ان يقول يلزمني ان افتيك قولا واما كتابة الخط فلا فان استأجره على كتابة الخط جاز

قال الصيمري : لو اتفق اهل البلد فجعلوا له رزقاً من اموالهم على ان يتفرغ لفتاويهم جاز

(واما الهدية) فقال ابو المظفر السمعاني له قبولها بخلاف الحاكم فانه يلزمهم حكمه

قال ابو عمرو : ينبغي ان يحرم قبولها ان كانت رشوة على ان يفتيه بما يريد كما في الحاكم وسائر مالا يقابل بعوض

قال الخطيب : وعلى الامام ان يفرض لمن نصب نفسه لتدريس الفقه والفتوى في الاحكام مايغنيه عن الاحتراف ويكون ذلك من بيت المال ثم روى باسناده ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اعطى كل رجل ممن هذه صفته مائة دينار في السنة

(السادس)

لايجوز ان يفتي في الايمان والاقرار ونحوهما مما يتعلق بالالفاظ الا ان يكون من اهل بلد اللافظ او متنزلاً منزلتهم في الخبرة بمرادهم من الفاظهم وعرفهم فيها انتهى كلام النووي . وهكذا نقل ابن فرحون في التبصرة عن القرافي انه ينبغي للمفتي اذا ورد عليه مستفت لايعلم انه من اهل البلد الذي فيه المفتي ان لايفتيه بما عادته يفتي به حتى يسأله عن بلده وهل حدث لهم عرف في ذلك اللفظ اللغوي ام لا وان كان اللفظ عرفياً فهل عرف ذلك البلد موافق لهذا البلد في عرفه ام لا وهذا امر متيقن واجب لايختلف فيه العلماء وان العادتين متى كانتا في بلدين ليسا سواء ان حكمهما ليس سواء انما اختلف العلماء في العرف واللغة هل يقدم العرف على اللغة ام لا والصحيح تقديمه لانه ناسخ والناسخ مقدم على المنسوخ اجماعاً فكذا هنا انتهى

(السابع)

لايجوز لمن كان فتواه نقلا لمذهب امام اذا اعتمد الكتب ان يعتمد الا على كتاب موثوق بصحته وبانه مذهب ذلك الامام فان وثق بان اصل التصنيف بهذه الصفة لكن لم يلق هذه النسخة معتمدة فليستظهر بنسخ منه متفقة

(قال النووي) قلت : لايجوز لمفت اذا اعتمد النقل ان يكتفي بمصنف او مصنفين ونحوهما من كتب المتقدمين واكثر المتأخرين لكثرة الاختلاف بينهم في الجزم والترجيح

(الثامن)

اذا افتى في حادثة ثم حدث مثلها فان ذكر الفتوى الاولى ودليلها بالنسبة الى اصل الشرع ان كان مستقلا او الى مذهبه منتسباً افتى بذلك بلا نظر وان ذكرها ولم يذكر دليلها ولا طرأ ما يوجب رجوعه فقيل له ان يفتي بذلك والاصح وجوب تجديد النظر ومثله القاضي اذا حكم بالاجتهاد ثم وقعت المسألة وكذا تجديد الطلب في التيمم والاجتهاد في القبلة وفيهما الوجهان

قال القاضي ابو الطيب في تعليقه في آخر باب استقبال القبلة : وكذا العامي اذا وقعت له مسألة فسأل عنها ثم وقعت له فيلزمه السؤال ثانية — يعني على الاصح — الا ان تكون مسألة يكثر وقوعها ويشق عليه اعادة السؤال عنها فلا يلزمه ذلك ويكفي السؤال الاول .

(التاسع)

ينبغي ان لايقتصر عَلَى قوله في المسألة خلاف او قولان او وجهان او روايتان او ترجع الى رأي القاضي او نحو ذلك وهذا ليس بجواب ومقصود المستفتي بيان مايعمل به فينبغي ان يجزم له بما هو الراجح فان لم يعرفه توقف حتى يظهر او يترك الفتيا كما كان جماعة من كبار اصحابنا يمتنعون عن الافتاء ٠

هذا مانقله النووي في شرح المهذب

(آداب الفتوى)

(الاول)

قال النووي ٠ يلزم المفتي ان يبين الجواب بياناً يزيل الاشكال ثم له الاقتصار على الجواب شفاها فان لم يعرف لسان المستفتي كفاه ترجمة ثقة واحد لانه خبر وله الجواب كتابة وان كانت الكتابة عَلَى خطر وكان القاضي ابو حامد كثير الهرب من الفتوى في الرقاع

قال الصيمري : وليس من الادب كون السؤال بخط المفتي فاما باملائه وتهذيبه فواقع وكان الشيخ ابو اسحق الشيرازي يكتب السؤال عَلَى ورق له ثم يكتب الجواب

واذا كان في الرقعة مسائل فالاحسن ترتيب الجواب على ترتيب السؤال ولو ترك الترتيب فلا بأس

واذا كان في المسألة تفصيل لم يطلق الجواب فأنه خطأ ثم له ان يستفصل السائل ان حضر ويكتب السؤال في رقعة أخرى ثم يجيب وهذا اولى واسلم وله ان يقتصر عَلَى جواب احد الاقسام اذا علم انه الواقع للسائل ثم يقول هذا اذا كان الامر كذا وله ان يفصل الاقسام في جوابه ويذكر حكم كل قسم لكن هذا كرهه ابو الحسن القابسي من ائمة المالكية وغيره وقالوا : هذا تعليم للناس الفجور واذا لم يجد المفتي من يسأله فصل الاقسام واجتهد في بيانها واستيعابها

(الثاني)

ليس له ان يكتب الجواب عَلَى ماعلمه من صورة الواقعة اذا لم يكن في الرقعة تعرض له بل يكتب جواب مافي الرقعة فان اراد جواب ما ليس فيها فليقل ان كان الامر

كذا وكذا فجوابه كذا واستحب العلماء ان يزيد عَلَى ما في الرقعة بما له تعلق بها مما يحتاج اليه السائل لحديث : هو الطهور ماؤه الحل ميتته [(١)]

(الثالث)

اذا كان المستفتي بعيد الفهم فليرفق به ويصبر عَلَى تفهم سؤاله وتفهيم جوابه فان ثوابه جزيل

(الرابع)

ليتأمل الرقعة تأملا شافياً وآخرها آكد فان السؤال في آخرها وقد يتقيد الجميع بكلمة في آخرها ويغفل عنها

قال الصيمري : وقال بعض العلماء ينبغي ان يكون توقفه في المسألة السهلة كالصعبة ليعتاده وكان محمد بن الحسن يفعله

واذا وجد كلمة مشبهة سأل المستفتي عنها ونقطها وشكلها وكذا ان وجد لحناً فاحشاً او خطأ يحيل المعنى اصلحه وان رأى بياضاً في اثناء السطر او آخره خط عليه او شغله لانه ربما قصد المفتي بالايذاء فكتب في البياض مايفسدها كما بلي به القاضي ابو حامد المرزوي [(٢)]

« الخامس »

يستحب ان يقرأها على حاضر به ممن هو اهل لذلك ويشاورهم ويباحثهم برفق وانصاف وان كانوا دونه وتلامذته للاقتداء بالسلف ورجاء ظهور ماقد يخفى عليه الا ان يكون فيها مايقبح ابداؤه او يؤثر السائل كتمانه او في اشاعته مفسدة [(٣)]

---

(١) اي فانه سئل عليه السلام عن ماء البحر فاجاب عنه وزاد حكم ميتته بحديثه هذا

(٢) ماذكره يدلك على انه كانت الفتاوي تتوارد الى العلماء بخطوط المستفتين فلذا نبه من كتب في ادب الفتوى الى مثل ماذكره كيلا يقع في محذور وان كانت الفتوى من عهد السلطان سليم صارت توجه الى عالم واحد الا انه لم يزل في ضواحي البلاد وبعض الاقاليم رجوع كثير من الناس الى فتاوي العلماء بدون تقيد بالمفتي الموظف فهذه الشروط والتنبيهات تفيد مثل اولئك حتى الآن اه منه

(٣) ليتأمل التنبيه عَلَى المشاورة في الفتوى والاستدلال بحال السلف عَلَى الشورى فيها وطرحها عَلَى انظار الراسخين بل ومن دونهم وليوازن بين هذا وما آلت اليه من

(السادس)

ليكتب الجواب بخط واضح وسط لادقيق خاف ولاغليظ جاف ويتوسط في سطورها بين توسيعها وتضييقها وتكون عبارته واضحة صحيحة يفهمها العامة ولا يزدريها الخاصة واستحب بعضهم ان لا تختلف اقلامه وخطه خوفاً من التزوير ولئلا يشتبه خطه

قال الصيمري : وقل ماوجد التزوير عن المفتي لان الله تعالى حرس امر الدين

واذا كتب الجواب اعاد نظره فيه خوفاً من اختلال وقع فيه واخلال ببعض المسئول عنه

(السابع)

اذا كان هو المبتدئ فالعادة قديماً وحديثاً ان يكتب في الناحية اليسرى من الورقة قال الصيمري وغيره : وان كتب من وسط الرقعة اوس حاشيتها فلا عيب عليه ولا يكتب فوق البسملة بحال وان يدعو اذا اراد الافتاء وجاء عن مكحول ومالك رحمهما الله الاستعاذة من الشيطان ويسمي الله تعالى ويحمده ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل « رب اشرح لي صدري الآية » ونحو ذلك

قال الصيمري وعادة كثيرين ان يبدؤا فتاويهم : الجواب وبالله التوفيق . وحذف آخرون قال النووي المختار قول ذلك مطلقاً واحسنه الابتداء بقوله الحمد لله لحديث : كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اجذم . وينبغي ان يقوله بلسانه ويكتبه

قال الصيمري : ولا يدع ختم جوابه بقوله وبالله التوفيق او والله اعلم او والله الموفق (قال) ولا يقبح قوله : الجواب عندنا او الذي عندنا او الذي نقول به او نذهب اليه او نراه كذا لانه من اهل ذلك (قال) واذا اغفل السائل الدعاء للمفتي او الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الفتوى الحق المفتي ذلك بخطه فان العادة جارية به

قال النووي : واذا ختم الجواب بقوله والله اعلم ونحوه مما سبق فليكتب بعده :

الاستئثار برأي او الاستبداد بكتاب ولا حول ولا قوة الا بالله وقد نقل ابن عبد البر في كتاب جامع العلم عن المسيب بن رافع قال : كان اذا جاء الشيء من القضاء ليس في الكتاب ولا في السنة يرفع للامراء فجمع له اهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق (ص ١٩٠)

كتبه فلان او فلان بن فلان الفلاني فينسب الى مايعرف به من قبيلة او بلدة او صفة فان كان مشهوراً بالاسم او غيره فلا بأس بالاقتصار عليه

قال الصيمري وينبغي اذا تعلقت الفتوى بالسلطان ان يدعو له فيقول : وفي ولي الامر والسلطان اصلحه الله او سدده او قوى الله عزمه واصلح به او شد الله أزره ولا يقال اطال الله بقاءه فليست من الفاظ السلف

(قال النووي) نقل ابو جعفر النحاس وغيره اتفاق العلماء على كراهة قول اطال الله بقاك وفي صحيح مسلم في حديث ام حبيبة رضي الله عنها اشارة الى ان الاولى ترك نحو هذا من الدعاء بطول البقاء واشباهه

(الثامن)

ليختصر جوابه ويكون بحيث يفهمه العامة قال صاحب الحاوي : يقول يجوز او لايجوز او حق او باطل وحكى شيخه الصيمري عن شيخه القاضي ابي حامد انه كان يختصر غاية مايمكنه واستفتي في مسألة آخرها يجوز ام لا فكتب لا وبالله التوفيق انتهى

قلت استحباب الاختصار ليس على اطلاقه بل هو في امر جلي لاحاجة الى الاطناب فيه او في جواب لعامي وهو ما تغلب فيه الفتاوي واما الفتاوي في المسائل المهمة فلا يستكثر فيها مجلد الا ان البحث هنا ليس في امثالنا

(التاسع)

قال الصيمري والخطيب : اذا سئل عمن قال : انا اصدق من محمد بن عبد الله او الصلاة لعب وشبه ذلك : فلا يبادر بقوله : هذا حلال الدم او عليه القتل بل يقول ان صح هذا باقراره او بالبينة استتابه السلطان فان تاب قبلت توبته وان لم يتب فعل به كذا وكذا وبالغ في ذلك واشبهه

(قال) وان تكلم بشيء يحتمل وجوهاً يكفر ببعضها دون بعض قال يسأل هذا القائل فان قال : اردت كذا فالجواب كذا

(العاشر)

ينبغي اذا ضاق موضع الجواب ان لايكتبه في رقعة أخرى خوفاً من الحيلة ولهذا قالوا يصل جوابه بآخر سطر ولا يدع فرجة لئلا يزيد السائل شيئاً يفسدها واذا كان موضع الجواب ورقة ملصقة كتب على الالصاق

(الحادي عشر)

اذا ظهر للمفتي ان الجواب خلاف غرض المستفتي وانه لا يرضى بكتابته في ورقته فليقتصر على مشافهته بالجواب

وليحذر ان يميل في فتواه مع المستفتي او خصمه ووجوه الميل كثيرة لاتخفى ومنها ان يكتب في جوابه ما هو له و يترك ما هو عليه

وليس له ان يبدأ في مسائل الدعوى والبينات بوجوه المخالص منها واذا سأله احدهم وقال : باي شيء يندفع كذا وكذا لم يجبه كيلا يتوصل بذلك الى ابطال حق (١) وله ان يسأله عن حاله فيما ادعى عليه فاذا شرحه له عرفه بما فيه من دافع وغير دافع

(قال الصيمري) : و ينبغي للمفتي اذا رأى للسائل طريقاً يرشده اليه او ينبهه عليه : يعني ما لم يضر غيره ضرراً بغير حق (قال) كمن حلف لا ينفق على زوجته شهراً يقول تعطيها من صداقها او قرضا او بيعا ثم تبرئها وكما حكي ان رجلا قال لابي حنيفة رحمه الله : حلفت اني اطأ امرأتي في شهر رمضان ولا اكفر ولا اعصي : فقال : سافر بها :

(الثاني عشر)

قال الصيمري : اذا رأى المفتي المصلحة ان يفتي العامي بما فيه تغليظ وهو مما لا يعتقد ظاهره وله فيه تأويل جاز ذلك زجراً له ولامثاله ممن قل دينه ومروءته

(الثالث عشر)

يجب على المفتي عند اجتماع الوقائع بحضرته ان يقدم الاسبق فالاسبق كما يفعله القاضي في الخصوم (٢) وهذا فيما يجب فيه الافتاء فان تساووا او جهل السابق قدم بالقرعة والصحيح انه يجوز تقديم المرأة والمسافر الذي شد رحله وفي تأخيره ضرر بتخلفه عن رفقته ونحو ذلك على من سبقهما الا اذا كثر المسافرون والنساء بحيث يلحق غيرهم بتقديمهم ضرر كثير فيعود الى التقديم بالسبق او القرعة

---

(١) ليعتبر بذلك بعض المحامين وامناء الفتوى وكتاب المحاكم الذين يلقنون المخالص بأجر او بغير اجر وليذكروا ما أُخذ عليهم في ميثاق الايمان من النصيحة للخلق والقول بالحق والقيام بالقسط والشهادة بالعدل اه منه

(٢) هذا الادب من اهم ما يجب العناية به لاسيما على القاضي وارى للقاضي وقت حضوره لسماع الدعاوي ان يقف على بابه حاجبا يدخل عليه مدعيا بعد آخر وفي ذلك بله الترتيب وانتظام امر مجلسه وراحة البال قيامه بما يجب من سماع الدعوى باصغاء تام

(الرابع عشر)

قال الصيمري وابو عمرو : اذا سئل عن ميراث فليست العادة ان يشترط في الورثة عدم الرق والكفر والقتل وغيرها من موانع الميراث بل المطلق محمول على ذلك بخلاف ما اذا اطلق الاخوة والاخوات والاعمام فلا بد ان يقول في الاخوات من اب وام او من اب او من ام

واذا كان في المذكورين في رقعة الاستفتاء من لا يرث افصح بسقوطه فقال : وسقط فلان وان كان سقوطه في حال دون حال قال وسقط فلان في هذه الصورة او نحو ذلك لئلا يتوهم انه لا يرث بحال

قال الصيمري وغيره : وحسن ان يقول : تقسم التركة بعد اخراج مايجب تقديمه من دين او وصية ان كانا

(الخامس عشر)

اذا رأى المفتي في رقعة الاستفتاء خط غيره ممن هو اهل للفتوى [1] وخطه فيها صحيح موافق لما عنده قال الخطيب وغيره : كتب تحت خطه « هذا جواب صحيح وبه اقول » او يكتب « جوابي مثل هذا » وان شاء ذكر الحكم بعبارة اخص من عبارة الذي كتب واما اذا رأى فيها خط من ليس اهلا للفتوى فقال الصيمري : لا يفتي معه لان في ذلك تقرير المنكر بل يضرب على ذلك [2] بامر صاحب الرقعة وله انتهار السائل وزجره وتعريفه قبح ما اتاه وانه كان واجبا عليه البحث عن اهل الفتوى وطلب من هو اهل لذلك [3] (قال) والاولى في هذا الموضع ان يشار على صاحبها بابدالها فان ابى ذلك اجابه شفاها (قال ابو عمرو) : اذا خاف فتنة من الضرب على فتيا العادم الاهلية

وسكون المجالس مما يشوش عليه في شأنها وتفرغ قلبه للقضاء فيها وتوحد وجهته اليها واما ماعليه الآن من دخول مدع بإثر آخر بعقب سائل وتزاحم المدعين والكتاب فذاك مما يجب التفكر باصلاحه وارى ايضاً ان يعلن القاضي عدم قبول الزيارة لاحد ما كائناً من كان وقت جلوسه للحكم والقضاء وعسى ان يتفكر في ذلك ان شاء الله اه منه

(١) اي على القاعدة القديمة من توارد العلماء بخطوطهم على فتوى واحدة قبل احتكارها بفرد في القرون الاخيرة اه منه

(٢) اي يعلم بالقلم عليه بخط مستطيل اشارة الى عدم صحته اه منه

(٣) سيأتي بيان ذلك مفصلا في آداب المستفتي اه منه

ولم تكن خطأ عدل الى الامتناع من الفتيا معه فان غلبت فتاويه لتغلبه عَلَى منصبها بجاه او تلبيس اوغير ذلك بحيث صار امتناع الاهل من الفتيا ضاراً بالمستفتي فليفت فان ذلك اهون الضررين وليتلطف مع ذلك في اظهار قصوره لمن يجهله

اما اذا وجد فتيا من اهل وهي خطأ مطلقا لمخالفتها القاطع او خطأ على مذهب من يفتي ذلك المفتي عَلَى مذهبه قطعاً فلا يجوز له الامتناع من الفتيا تاركا للتنبيه عَلَى خطاءها اذا لم يلق ذلك غيره بل عليه الضرب عليها عند تيسره والابدال او تقطيع الرقعة باذن صاحبها او نحو ذلك واذا تعذر ذلك وما يقوم مقامه كتب صواب جوابه عند ذلك الخطاء ثم ان كان المخطيء اهلا للفتيا حسن ان يعاد اليه باذن صاحبها اما اذا وجد فيها فتيا اهل الفتوى وهي عَلَى خلاف ما يراه هو غير انه لا يقطع بخطاءها فليقتصر عَلَى جواب نفسه ولا يتعرض لفتيا غيره بتخطئة ولا اعتراض قال صاحب الحاوي : لا يسوغ لمفت اذا استفتي ان يتعرض لجواب غيره برد ولا تخطئة ويجيب بما عنده من موافقة او مخالفة (١)

(السادس عشر)

اذا لم يفهم المفتي السؤال اصلا ولم يحضر صاحب الواقعة قال الصيمري كتب : يزاد في الشرح لنجيب عنه او لم افهم مافيها فاجيب (قال) وقال بعضهم لا يكتب شيئا اصلا (قال) ورأيت بعضهم كتب في هذا يحضر السائل لنخاطبه شفاها ٠

قال الخطيب : ينبغي له اذا لم يفهم الجواب ان يرشد المستفتي الى مفت آخر ان كان والا فليمسك حتى يعلم الجواب ٠

قال الصيمري : واذا كان في رقعة الاستفتاء مسائل فهم بعضها دون بعض او فهمها كلها ولم يرد الجواب في بعضها او احتاج في بعضها الى تأمل او مطالعة اجاب عما اراد وسكت عن الباقي

(السابع عشر)

ليس بنكر ان يذكر المفتي في فتواه الحجة اذا كانت نصاً واضحاً قال الصيمري : لا يذكر الحجة ان افتى عامياً ويذكرها ان افتى فقيهاً (قال) ولم تجر العادة ان يذكر

---

(١) ليتأمل اللبيب كلام الامام النووي هذا المأثور عن هؤلاء الاعلام وكيف لم يسوغوا لمن كان من اهل الفتوى ورجالها ان يتعرض لفتوى غيره واوجبوا ان يجيب بما عنده ولينظر من يتطفل عَلَى فتاوي الاعلام برد او تخطئة وينه وبين مقامهما بعد الثريا عن الثرى وليعتبر وليستعبر اه منه

في فتواه طريق الاجتهاد ووجه القياس والاستدلال [١] الا ان تتعلق الفتوى بقضاء قاض فيومي فيها الى طريق الاجتهاد ويلوح بالنكتة وكذا اذا افتى غيره فيها بغلط فيفعل ذلك او ينبه على ماذهب اليه

وقد يحتاج المفتي في بعض الوقائع الى ان يشدد ويبالغ فيقول : وهذا اجماع المسلمين او لا اعلم في هذا خلافا او فمن خالف هذا فقد خالف الواجب وعدل عن الصواب او فقد اثم وفسق او وعلى ولي الامر ان يأخذ بهذا ولا يهمل الامر وما اشبه هذه الالفاظ على حسب ماتقتضيه المصلحة وتوجبه الحال

(الثامن عشر)

قال الشيخ ابو عمرو : ليس له اذا استفتي في شيء من المسائل الكلامية ان يفتي بالتفصيل بل يمنع مستفتيه وسائر العامة من الخوض في ذلك فان كانت المسألة مما يؤمن في تفصيل جوابها من ضرر الخوض [٢] كان الجواب تفصيلا وعلى هذا ونحوه يحمل ما جاء عن بعض السلف من الفتوى في بعض المسائل الكلامية وذكر امام الحرمين في كتابه الغياثي ان الامام يحرص ما امكنه على جمع عامة الخلق على سلوك سبيل السلف في ذلك [٣] (للبحث صلة) جمال الدين القاسمي

---

(١) يعني الفتاوى الموجزة لعامي او من لا يرغب الا في الحكم وحده واما الفتاوى التي طلب فيها الاسهاب في ذلك فليس الكلام فيها كما بيناه قبل اه منه

(٢) كأن كانت لتحقيق حق او فصل خلاف او اراد المستفتي الوقوف على اطراف المسألة وماذهب اليها ارباب المقالات فلا مانع من التفصيل بل هو من اهم مايجب لتمحيص الحق كما فعل شيخ الاسلام ابن تيمية في فتاويه من بسطه المقال في ذلك وكذلك غيره ممن توسع في ذلك من ائمة الفتوى والاجتهاد اه منه

(٣) اسهب حجة الاسلام الغزالي في ايثار مذهب السلف والدعوة اليه في كتابه الجام العوام عن علم الكلام وكذا الامام الذهبي في كتابه العلو وقبله شيخه شمس الدين ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية وكلها مطبوعة متداولة بحمده تعالى اه منه

في ارض الجليل

تتمة ما ورد في الجزء الاول

جبلان في هذا الصقع يقدسهما المسيحيون لما لهما من الشأن في تاريخ الدين وهما من اجمل الجبال يبعثان النفوس الى عبادة الخالق تعالى وتوحيده ونعني بهما جبل الطور وجبل الكرمل . فالاول على مقربة من الناصرة قائم في الجو وسط سهل يزرعيل يعلو عنه خمسمائة متر ويعلو عن سطح البحر ٦٠٢ مترين وهو جميل المنظر ومحله عجيب في ابائه ورونقه وتجد في منحدراته شجر السنديان والخروب والبطم والمصطكي وغيرذلك . وقد ذكر بعض سياح الافرنج الذين زاروا هذه الديار في القرن التاسع للميلاد انه كان يصعد الى قمة الجبل من سلم طوله ٤٣٤٠ درجة والطريق الى القنة يدل على ذلك ومسطح القنة ١٢٠٠ متر طولا و ٤٠٠ متر عرضاً وفي احد سفوح الجبل آثار مدينة عبرانية قديمة تسمى الدبورة او ابو عمود وكانت مطلة على الوادي الذي كان طريق الزوار والجيوش المصرية قديماً فموقعه من احسن المواقع الحربية وفي سفح جبل تابور وفي سنة ٥٣ م حدثت ملحمة كبرى بين اسكندر بن اريستوبول واوليسوس كابينوس احد قواد بومبيوس الامبراطور الروماني وبعد قرن عند ما انتقض اليهود على الرومانيين احدث يوسفوس قلعة على قمة الجبل وكذلك فعل المسلمون في القرن الثالث عشر للميلاد فاقاموا حصناً منيعاً تجد اليوم بعض آثاره وقد تقاسم الروم واللاتين لعهدنا سطح الجبل وجعلوه ادياراً .

كان جبل الطور ذا شأن عظيم على عهد الصليبيين لاشرافه على بلاد الأردن . قال ياقوت : والطور جبل بعينه مطل على طبرية الأردن بينهما اربعة فراسخ على رأسه بيعة واسعة محكمة البناء موثقة الارجاء يجتمع في كل عام بحضرتها سوق ثم بنى هنالك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب قلعة حصينة وانفق عليها الاموال الجمة واحكمها غاية الاحكام فلما كان في سنة ٦١٥ هـ وخرج الافرنج من وراء البحر طالبين لبيت المقدس امر بخرابها حتى تركها كأمس الدابر .

ويقول مؤرخو الصليبيين ان الذين خرجوا من وراء البحر من الافرنج طالبين للقدس سنة ١٢١٧ م كانوا اندراوس الثاني صاحب المجر وليوبولد دوق النمسا وغليوم

كونت فلاندر ولويس الباناري ويوحنا دي بريان ملك القدس وهوج دي لوزنيان صاحب قبرص جاؤا في خمسة عشر الفاً من رجالهم وحاولوا مرتين فتح قلعة الطور فارتدوا عنها خائبين فرأى الملك العادل قطعاً لاطماعهم وحرصاً على السلام ان يدك ذاك الحصن بعد خمس سنين من بنائه وفي سنة ١٢٦٣ جاء الظاهر بيبرس البندقداري من مصر في جيش ضخم وعسكر في منحدر جبل الطور وخرب فيما قيل الاماكن الدينية التي كانت فيه وجعل عاليها سافلها وفي سنة ١٦٣١ نال قنصل دوقية طوسكانيا في صيدا من الامير فخر الدين المعني رخصة تجيز لرهبنة الاخوات القاصرين ان يقيموا في جبل الطور ومنذ ذاك العهد اصبح هذا الجبيل معاهد للعبادة والنسك

هذه لمعة من تاريخ الطور ويقال له جبل التجلي كما يقال له جبل تابور ·

اما الكرمل فهو ايضاً من الحصون المهمة قال ياقوت: كرمل بالكسر ثم السكون وكسر الميم ولام هو حصن على الجبل المشرف على حيفا بسواحل بحر الشام وكان قديماً في الاسلام يعرف بمسجد سعد الدولة · ولذا يغلط الناس اليوم في فتحهم كاف الكرمل والصحيح كسرها وهذا الجبل اطول من الطور يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الغربي على طول ٣٤ كيلومتراً ويختلف عرضه من ٥ الى ٨ كيلومترات ولا يبلغ علوه في الشمال الغربي اكثر من ثلاثمائة متر على حين يبلغ في الوسط ٥٤٠ متراً وهو مشرف على البحر من جهة وعلى سهل يزرعيل الفسيح من جهة أخرى

ومعنى كرمل بالعبرانية الحديقة وورد ذكره في التوراة اشارة الى الجمال والخصب وهو من اشهر [1] جبال غربي الأردن يبتدئ من رأس قرب حيفا وينتهي بوادي الملح مقابل يتنعام طوله نحو ١٢ ميلا واعلى رؤوسه عند عسفيا نحو ١٧٢٩ ويعرف هذا الجبل بجبل النبي الياس لانه اقام فيه وكان الكرمل في كل عصر موطن التفكر والعزوف عن الدنيا وذلك في ايام الوثنية والنصرانية حتى ان الفيلسوف فيثاغورس اليوناني كثيراً ما كان يذهب للتدبر والتفكر في الكرمل المقدس وفي عهد دارا بن بستاسب ملك الفرس (٥٢١ — ٤٨٥ ق · م) كان يعبد في الكرمل كوكب المشتري وقال بعض مؤرخي الرومان ان الكرمل نفسه كان يعبد فلم يكن فيه معبد ولا هيكل بل ليس فيه الا مذبح وعباد يتعبدون وكان في النصرانية معبداً لرجالها حتى نشأت في القرون الوسطى فيه رهبنة الكرمليين المشهورة في المشرق والمغرب وهو اليوم مقسم بين

(١) جغرافية الكتاب

اهل المذاهب المختلفة من المسيحيين اقاموا فيه الاديار وغرسوه بانواع الاشجار واستقلوا به حتى لايطرقه طارق الا بجعل او اذن وهو مطل على حيفا وعكا ناظر الى بلادالجليل ولاسيما سهل يزرعيل اومرج ابن عامر المعروف في التوراة ببقعة مجدو وبقعة مجدون ووادي يزرعيل وهو [1] مرج واسع واقع بين جبال الجليل وجبال السامرة طوله من الشرق الى الغرب ٢٤ ميلا وعرضه من ميلين الى ١٢ ميلا وهو مثلث الشكل وقاعدة هذا المثلث ضلعه الشرقي وهو خط يمتد من جبل جلبوع والدحي وتابور الى جبال الجليل او الناصرة ومن هذه القاعدة يتفرع ثلاثة فروع نحو الشرق فرع بين جلبوع والدحي وفرع بين الدحي وتابور وهوالاخصب والاشهر وفرع بين تابور وجبال الناصرة وعند هذه القاعدة ترتفع الارض فيتحول مجرى الماء الى الشرق والغرب و يشق هذا السهل من الشرق الى الغرب نهر قيشون المسمى الآن المقطع ومع كل ماهو عليه من الاهمال الآن لايزال هذا السهل في غاية الخصب وكان اعظم ساحة حرب في هذه البلاد ·

نعم ان العناية بهذا السهل قليلة لان اصحابه اغنياء كانوا ابتاعوه فيما بلغنا بحيلة ورشوة وذلك ان قراه كانت لاناس من الفلاحين ضعاف ارادت الحكومة منذ نحو اربعين سنة ان تسجل قراهم لتتقاضى منها ضرائب وكان الفلاح يرتعش من سماع الضرائب ويخاف ان يعرف بانه مالك ارض فابوا ان يسجلوها باسمائهم تفاديًا من الظلم الذي كان ينال الفلاح يومئذ فازمع والي سورية اذ ذاك ان يبيع تلك القرى او سهل يزرعيل برمته باعتباره من الاراضي الاميرية المحلولة فما كان من اولئك الاغنياء الا ان احتالوا لتباع كلها صفقة واحدة وهي ثماني عشرة قرية لايقطعها الفارس في اقل من ثماني ساعات طولاً وذلك حتى لايتيسر لاحد الاهالي ان يشتريها فرشوا الوالي فيما قيل بثلاثة آلاف ليرة وابتاعوها باقل من خمسة عشر الف ليرة وجلسوا يلعبون بالميسر مع الوالي في دارهم ولم يمض المزيعان الاولان من الليل الا وقد خرج الوالي كما دخل صفر اليدين من المال الذي ناله من طريق الرشوة فاضر بالامة والدولة معاً لان اولئك الاغنياء خسروه في القمار ليلا ما كان ناله منهم رشوة في النهار · وهكذا حرم اصحاب هذه القرى الحقيقيون منها بجهلهم وسوء ادارة الحكومة اذ ذاك وتشتتوا في البلاد و بعضهم استخدموا اجراء في قرى الاغنياء وكانوا من قبل في نعمة ولكن من يأخذ البلاد

(١) جغرافية الكتاب

بغير حرب يهون عليه تسليمها فان اولئك المالكين زهدوا فيما ملكوا لانهم بعيدون عنها والارض لمن يقوم على تعهدها فهو هو مالكها الحقيقي لامن يكتفي من ريعها بماحصل . فاباع بعض اولاد اولئك الاغنياء ما ورثوه من آبائهم واكثرها انتقلت الى ايدي الجمعية الصهيونية ويوشك ان يباع مابقي ولكن بمئات الالوف من الليرات لارتقاء الاسعار ولان الصهيونيين آلوا على انفسهم ان يملكوا فلسطين وارض الميعاد . ويبذلوا فيها مهما كلفتهم

ولا بأس هنا من الاشارة الى الجمعيات الاسرائيلية وماترمي اليه من المقاصد فهي عدة جمعيات منها جمعية احباء فلسطين وهي منتشرة في عامة الاطراف ومنها تتفرع جمعية معاونة فلاحي اليهود وصناعهم في فلسطين وسورية وهذه الجمعية روسية ولهاتين الجمعيتين فروع كثيرة في القدس ويافا واعمالها وحيفا واعمالها وصفد وبلاد بشارة وحوران وعبر الأردن ويقدر الخبيرون عدد افرادها بمئة وخمسين الف نسمة يزيد عددهم كثيراً بما ينضم اليهم كل شهر من اخوانهم الاوربيين الذين يرحلون بدينهم من اوربا الى الارض المقدسة . وعدا هاتين الجمعيتين فان للاسرائيليين اناساً من مشهوري اغنيائهم مثل روتشيلد وبركم وفليرو وفتيفيوري وغيرهم ممن ابتاعوا الاراضي لابناء نحلتهم وامدوهم بالمال ليتوفروا على استثمارها على نحو ماتشاهد في زمارين مما يدل بلسان حاله ان الصهيونيين سيعيدون مجد آبائهم في فلسطين ويستولون عليها وهاك مايقوله العارفون بهذه المسألة التي يهتم لها كل من يعرف تاريخ السياسة ويغار على مصلحة البلاد فقد قال احدهم (1) ان آمال اليهود في استرداد فلسطين بلاد آبائهم واجدادهم واعادة مجدهم وملكهم اليها قديم يعود الى عهد الرومان وتؤيده حروبهم المديدة مع المملكة الرومانية وفي كل واقعة منها في حروب اليهود ليوسيفوس آيات بينات على ذلك ولكن هذه الآمال غاضت بعد ان شتتهم في الارض ادريانوس في القرن الثاني بعد المسيح وفرق جامعتهم وابعدهم عن صهيون او اورشليم او القدس عاصمة مملكتهم القديمة ومدينة هيكلهم العظيم ولكنها مالبثت ان ظهرت في صورة التمني في عهد قسطنطين الذي اذن لهم بالدنو مرة في السنة من اسوار بيت المقدس ليندبوا مجدهم الزائل ومازالوا الى يومنا هذا يدنون من حائط الحرم الشريف الخارجي المسمى بالبراق ويتذكرون مجد ملوكهم وعظمة هيكلهم ومدينتهم ويطلبون من الله ان يعيد ماخسروه

(1) نجيب افندي نصار

ولكن رجال النهضة منهم لم يقفوا عند حد التمني فألف الدكتور هارتزل الجمعية الصهيونية التي جعلت همها الوحيد جمع المال وتوحيد كلمة اليهود على اختلاف لغاتهم وبلدانهم وجمعهم في بلد واحد امين يحصنونه اعظم تحصين بحيث لا يستطيع احد مهاجمتهم وفاوض الدكتور المذكور حكومة عبد الحميد في ذلك ولم ينجح فعهدت الجمعية الصهيونية الى الايكا بالاستعمار التدريجي كما عهد الى جمعية الاتحاد الاسرائيلي (اليانس اسرائيليت) بالتهذيب والتعليم وبقيت تعمل على جمع المال وتوحيد كلمة اليهود واقناع رجال الحكومة الدستورية بحسن مقاصدها

نعم ان الجمعية [1] الصهيونية اليهودية ورفيقاتها جمعيات ايكا وفاعوليم واليانس وغيرها ساعيات في استرجاع فلسطين التي وعدهم بها ربهم في الاصحاح الثاني والثلاثين من ارميا من الكتاب المقدس الباحث عن اسر بابل لليهود والذاكر وعد الرب برجوعهم الى فلسطين بقوله في آخره :

« يشترون الحقول بفضة ويكتبون ذلك في صكوك ويختمون ويشهدون شهوداً في ارض بنيامين وحوالى اورشليم وفي مدن يهودا ومدن الجبل ومدن السهل مدن الجنوب لاني ارد سبيهم يقول الرب اه » وذلك بعد ماسبتهم حكومة الكلدان على انهم لم يستطيعوا البقاء من بعد ذلك لانهم اصبحوا محل التنازع بين حكومة الرومان في مصر وحكومة الرومان في انطاكية ثم انقرضوا ولم يبق لهم ملك ولا دولة والآن عملاً بهذه الآية يشترون الاراضي في فلسطين على حساب الفضة ويشرطون البيع على ان يكون الثمن فضة ويكتبون الصكوك ويشهدون وهكذا تراهم لايفترون طرفة عين وهم يتجسسون الاخبار عن الذين تأخرت حالتهم المالية من اهل هذه البلاد وهي عبارة عن لواء عكاء باجمعه ولواء القدس ولواء نابلس وقسم من لواء الكرك وبعض من قضاء عجلون ويطمعون البائع بالثمن الفاحش ويكتبون الصكوك ويشهدون عليها ويسجلونها عند محرر المقاولات وعند بعض القنصليات وكانت الحكومة قبلاً منعت استعمارهم ولكن بما بذلوه من الدنانير التي تسحر الباب الخائنين من الحكام والمستخدمين استطاعوا ان يستولوا على ثلاثة ارباع قضاء طبرية ونصف قضاء صفد واكثر من نصف قضاء يافا والقدس والقسم المهم من نفس حيفا وبعض قراها واليوم يسعون للدخول الى قضاء الناصرة ليستولوا على سهل شارون ويزرعيل المذكور بالتوراة والمعروف

(١) شكري افندي العسلي

اليوم بمرج بني عامر الذي يشقه الخط الحجازي من الغرب الى الشرق وكل ذلك باسماء العثمانيين وبدلالة سماسرتهم الخائنين الذين يعدون انفسهم من سراة القوم وامجاد البلاد وهكذا اشتروا الكثير من القرى واستولوا عليها وهم لا يخالطون العثمانيين ولا يشترون منهم شيئاً ولهم بنك انكلو فلسطين يقرضهم بفائدة لا تتجاوز الواحد في المائة في السنة وقد جعلوا كل قرية ادارة فيها مدرسة وكل قضاء مديرية ولكل جهة مدير عام ولهم راية لونها ازرق وفي وسطها خاتم سليمان وتحته كلمة عبرانية معناها « صهيون » لانه جاء في التوراة ان اورشليم ابنة صهيون و يرفعون هذا العلم مكان العلم العثماني في اعيادهم واجتماعاتهم و يترنمون بالنشيد الصهيوني وقد احتالوا على الحكومة فقيدوا انفسهم عثمانيين في سجل النفوس كذباً وبهتاناً وهم لا يزالون حاملين الجوازات الاجنبية التي تحميهم وعندما يصيرون الى المحاكم العثمانية يظهرون جوازاتهم و يدعون الحماية الاجنبية و يحلون دعاويهم واختلافاتهم فيما بينهم بمعرفة المدير ولا يراجعون الحكومة و يعلمون ابناءهم الرياضة البدنية واستعمال السلاح وترى بيوتهم طافحة بالاسلحة وفيها كثير من المارتين ولهم بريد خاص وطوابع خاصة وغير ذلك مما يبرهن على انهم بدأوا بتأسيس مقاصدهم السياسية وتأليف حكومتهم الخيالية فاذا لم تضع الحكومة حداً لهذا السيل الجارف لا يمضي على فلسطين زمن الا وتراها اصبحت ملكاً للجمعية الصهيونية ورفيقاتها او شعبها المذكورة

اليك بعض ما يقال في الاستعمار الصهيوني وعواقبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهو مضر باتفاق العقلاء المجردة نفوسهم عن الاغراض وهناك استعمار آخر في فلسطين والجليل وهو اقل منه خطراً ونعني به قدوم الجالية من الاوربيين ليتخذوا هذه البلاد موطناً لهم على ان لا ينسوا مساقط رؤوسهم و يظلوا من تبعة دولهم كالالمان في يافا وحيفا مثلاً .

فقد اتت عشرات من الأسرات الالمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ونزلت في ذينك البلدين فارة بدينها من المانيا الى هذه الارض المقدسة وهي من طائفة حرة اسمها شيعة الهيكليين او احباب اورشليم أُنشئت سنة ١٨٦٢ في امارة ورتمبرغ في المانيا عقيب الحركة الدينية التي احدثها هوفمان الذي ذهب الى ان الرأي الحالي في دين النصرانية لا يكون سبيلا الى ان يحيا المتدينون بها حياة مسيحية حقيقية فاخذ اشياعه على انفسهم ان يقيموا ملكوت الله في الارض بان يبدؤوا بذلك من ارض

الوعد ومنها يذيعون في اوربا ليجددوا حياة الكنيسة والمجتمع وهم يفسرون نبوات العهد القديم تفسيراً حسناً فشرعوا سنة ١٨٦٨ بانشاء مستعمرة في حيفا وفي الوقت نفسه انشأوا مستعمرة لهم في يافا ولهذه الطائفة الآن اربع مستعمرات يناهز سكانها ١٣٠٠ وقد ساعدت على استعمار البلاد وفتحت للالمان باب التدخل في شؤوننا احياناً ·

ولو عقل من يساكنون هؤلاء الالمان من اهل حيفا ويافا لقلدوهم في نشاطهم وتنظيم بيوتهم وحدائقهم · زرْ حيَّ الالمان او مستعمرتهم في الشمال الغربي من حيفا وألق عليها نظر المتدبر تجدهم لايزيدون عن سبعمائة نسمة ولهم مدرستان ومعبدان · سرح رائد الطرف في تلك الطرق المعبدة المنسقة والبيوت القائمة على نظام واحد تحيط بها الحدائق الصغرى الغاصة بكل غض ويانع المستوفية شروط المرافق والمنافع وتعال معي بعدها ننظر الى ما في جوارها من بيوت الوطنيين واحيائهم فماذا تجد ؟ تجدها بؤرة الاوساخ ومثال الخلل ونموذج الاتكال ورموز الجمود والخمود · طف واعتبر ببناتهم العاملات وبناتنا الخاملات ثم انصفنا وانصفهم منا · هل نرى رجالنا في اقتدارهم على مستوى بناتهم في تربيتهن ونشاطهن · اما التنظير بين رجالنا ورجالهم فهذا لايقول به حتى اضيق الناس عقلاً

شرذمة من المطرودين من بلادهم نزلوا بلادنا فقراء معدمين لايملكون غير مضائهم وبعض حرف يحسنونها فساعدهم بعض موسريهم على ابتياع عشرات من الافدنة من ارض بلادنا فعمروها كما ترى على النسق الالماني ولم تمض بضع سنين حتى وفوا بنشاطهم ديونهم واثروا ولا اثراء ابن البلاد الذي ورث مئات الافدنة واصبحوا يغبطون حتى من كبار اغنيائنا ونحن من امرهم حائرون باهتون لانعمل ولا نتحرك كأن الفتور قد كتب علينا والغرور مسجل في صحائف حياتنا وكأنهم خلقوا من طينة غير طينتنا وعقل يستحيل علينا ان نلحق شأوه ·

وما ننس لاننس تلك الحديقة التي زرناها في المستعمرة الالمانية في حيفا وقد تجلى لنا فيها المضاد الغربي في اجلى مظاهره حتى لقلنا انها حديقة من حدائق فرنسا او المانيا · حديقة لاتبلغ مساحتها فداناً دمشقياً [1] وفيها معظم مايجود في الارض الحارة من صنوف البقول والاشجار جعلت مساكب وقسمت طرقاً وقد قيل لنا ان دخل صاحبها منها لايقل عن خمسين الف قرش في السنة فلم يسعنا الا ان نقول سبحان الله السر في

(١) الفدان الدمشقي ٢٤٠ قصبة مربعة والقصبة سبعة اذرع في مثلها

السكان لا في المكان . نعم السر في السكان ولا عجب اذا رأينا الالمان في مقدمة دول الارض بعلومهم وصناعتهم واخصائهم في الفنون وعندهم مثل هذا الشعب النشيط الذي يعلم بعمله اهل النشاط من الامم دروساً سامية فما بالك به مع الخاملين .

وعلى ذكر حيفا لا بأس بايراد نبذة موجزة من تاريخها لتسلسله الى حالتها اليوم فنقول :

كانت حيفا قديماً تسمى قلمون وليس لها ذكر في التوراة وتاريخها القديم غامض لا شأن له . ولقد كان الساحل من نصيب قبيلة عازر ولما وصل الاسرائيليون الى هذه البلاد لم يستطيعوا ان يستولوا على مدينة من المدن الساحلية ومن جملة الملوك الذين غلبهم جوزوي في شمالي فلسطين كان الملك جوشانان ملك الكرمل والكرمل كانت كما يقول المؤرخ بلين على الجبل المسمى باسمها وكان اسمها قديماً اكباتان وكان في جوار حيفا او قلمون مدينة اسمها سيكامينوس اي مدينة الصبار لكثرة هذا الشجر في ارضها فكانت قلمون وسيكامينوس مدينتين متنافستين تعمر الاولى وتخرب الثانية وهكذا كانت المنافسة بينهما سجالاً الى القرون الوسطى وقد زالت سيكامينوس من لوح الوجود ابد الدهر . فتاريخ المدينتين كما قال برنابه ميسترمان ممزوج بعضه في الآخر . ولقد روى التاريخ ان بطليموس لايثر حاكم جزيرة قبرص بعد ان طردته امه كليو بطرا من مصر جاء سنة ١٠٤ ق . م لنجدة عكا وكان يحاصرها اذ ذاك اسكندر جانى ملك يهودا نازل جنده وكان ثلاثين الفاً في مدينة سيكامينوس وفي اوائل التاريخ المسيحي لم تكن سيكامينوس ذات شأن هي وسائر المدن المجاورة لها وكانت مدينة عكا على رأي سترابون ارقى تلك البلاد وتجيء بعدها قيسارية *Césarée*

وكثيراً ما يذكر اسم الكرمل وبعض المدن مثل سيكامينو بوليس و بوكولو بوليس وكروكوديو بوليس وغيرها وذكر المؤرخ بلين اموراً كهذه . وقد ازهرت مدينة سيكامينوس ومدينة قلمون في القرن السادس للميلاد .

ومعنى حيفا بالعبرانية الرأس او الارض الداخلة في البحر لانها أنشئت في جوار الكرمل وهو لها معتصم وملجأ وحيفا القديمة كانت في مكان لا يبعد كثيراً عن حيفا الجديدة عرفت آثاره كما ان مدينة سيكامينوس تبين انها على اربعة كيلومترات من حيفا القديمة وقد اكتشفت بعض آثارها وعادياتها وهي رومانية يونانية

ولقد كانت حيفا في الاسلام من جملة الحصون المشرفة على البحر الرومي لاسيا وانها

موازية لجزيرة قبرص ولم تزل [1] في ايدي المسلمين الى ان تغلب عليها كوفرى الذي ملك بيت المقدس سنة ٤٩٤ وبقيت في ايديهم الى ان فتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٥٧٣ (١١٨٧) وكانت حيفا من نصيب الملك تنكرد الذي اصبح اميراً عَلَى بلاد الجليل من طبرية الى حيفا ولما سقطت عكا في ايدي الافرنج سنة ١١٩١ خرب صلاح الدين حيفا نكاية بالصليبيين حتى لا يسلم منها الا الخراب . ولكن هؤلاء جددوا بنيانها ولما غادروا سورية سنة ١٢٩٢ ظلت حيفا خاملة الذكر الى ان كان القرن الثامن فاستولى عليها الشيخ ظاهر العمر كما استولى عَلَى ارض الجليل ودكها فجعل عاليها سافلها ثم اعاد بناءها وبنى عليها سوراً وانشأ له قصراً من جنوبها يطل عليها .

والظاهر عمر هذا كان من أسرة بدوية اسمها بني الزيادنة ورث من ابيه الحكم على مدينة صفد واستولى عَلَى طبرية سنة ١٧٣٨ م وعَلَى عكا سنة ١٧٤٩ فاصبح شيخاً عَلَى اعمال الجليل كلها وكان يميل الى العمران بحيث يشبه باعماله الامير فخر الدين المعني امير الدروز في القرن الحادي عشر للهجرة وقد تقاتل الشيخ ظاهر العمر مع ابنائه انفسهم ثم غدر به احد رجاله احمد باشا الجزار واستولى عَلَى الحكومة دونه .

واستولى بونابرت عَلَى حيفا سنة ١٧٩٩ وبعد بضعة ايام ضربه الاسطول الانكليزي ضربة قاضية وفي سنة ١٨٣٧ احتلت عساكر ابراهيم باشا المصري مدينة حيفا وفي سنة ١٨٤٠ أصيبت حيفا ولا سيما حصنها باضرار جسيمة من قذائف الاساطيل الانكليزية والنمساوية والعثمانية ومنذ غادرها الجيش المصري ظلت بلا حامية الى المدة الاخيرة وقد جعلت قضاء واخذت بعض السفن التجارية ترسو فيها قليلا فتنقل اليها البريد والبضائع وتحمل منها حبوب حوران وحاصلات الجليل وقد زادت مكانة بجعلها سنة ١٣٢٠ مبدأ للسكة الحديدية الحجازية فانشئت في ضاحيتها محطة مهمة ومعامل وانابير فاخذت المدينة تعمر بذلك حتى كادت بما بلغته تنسي ذكر الموانئ المجاورة لها .

ويقدر سكانها الآن بنحو عشرين الف نسمة نحو نصفهم اسرائيليون مهاجرون لم يقيدوا في دفاتر الحكومة سوى ستمائة منهم والباقون مسلمون ومسيحيون ويقف عليها مدى السنة زهاء ٣٠٠ باخرة و ٧٠٠ مركب ويحمل منها زهاء عشرين الف طن من الحبوب والذرة والسمسم والزيت ويصدر اليها ما تبلغ حمولته عشرة آلاف طن من البضائع

وماء البلد من آبار فيه بعض الملوحة وقد كان يمكنها الاستقاء من ينابيع بتربها

(١) ياقوت في المعجم

ولاسيما من نهر المقطع اوقاديشا الفاصل بين ارض الجليل وفينيقية او بين ارضها وارض عكا لو صحت العزيمة على ذلك. وهواؤها جيد ومناظرها الطبيعية رائقة ويكثر فيها النخيل.

اما عكا وهي الآن مركز اللواء وقضاء طبرية وقضاء صفد وقضاء الناصرة من اعمالها وبعبارة ثانية هي قاعدة بلاد الجليل على ما اصابها من الانحطاط الشديد. ويؤخذ مما ورد في سفر القضاة ان عكو [1] اي عكا لم تكن مدينة اسرائيلية ولم تصبح مستعمرة يهودية الا بعد ازمان طويلة. وكان اليونان يربطون عكا بفلسطين ثم دعيت بعد باسم بطولمايس نسبة الى احد بطالسة مصر وربما كان بطليموس ابن لاغوس وذكر مؤلفو الرومان والنقود التي عثر عليها من عهدهم ان عكا كانت مستعمرة للامبراطور كلوديوس وكانت ذات منعة من حيث هي مدينة بحرية واستولى عليها العرب سنة ٦٣٨ ففقدت اذ ذاك اسمها اليوناني

قال ياقوت العكة الرملة حميت عليها الشمس وعكة اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن وهي من احسن بلاد الساحل في ايامنا هذه واعمرها قال ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء البشاري: عكة مدينة حصينة كبيرة الجامع فيه غابة زيتون يقوم بسرجه وزيادة ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون وكان قد رأى صور واستدارة الحائط على ميناها فاحب ان يتخذ لعكة مثل تلك المينا فجمع صناع الكور وعرض عليهم ذلك فقيل له لا يهتدي احد الى البناء في الماء في هذا الزمان ثم ذكر له جدنا ابو بكر البناء وقيل له ان كان عند احد فيه علم فهو عنده فكتب اليه وأُتي به من القدس وعرض عليه ذلك فاستهان به والتمس منهم احضار فلق من خشب الجميز غليظة فلما حضرت عمد يصفها على وجه الماء بقدر الحصن البري وخيط بعضها الى بعض وجعل لها باباً عظيماً من ناحية الغرب ثم بنى عليها الحجارة والشيد وجعل كلما بنى خمس دوامس ربطها باعمدة غلاظ ليشتد البناء وجعلت الفلق كلما ثقلت نزلت حتى اذا علم انها قد استقرت على الرمل تركها حولا كاملا حتى اخذت قرارها ثم عاد فبنى من حيث ترك وكلما بلغ البناء الى الحائط الذي قبله ادخله فيه وخيطه به ثم جعل على الباب قنطرة والمراكب كل ليلة تدخل المينا وتجر سلسلة بينها وبين البحر الاعظم مثل صور قال فدفع اليه الف دينار سوى الخلع والمركوب واسمه عليه مكتوب الى اليوم قال وكان العدو قبل ذلك يغير على المراكب

(١) دليل بيدكر لسورية وفلسطين

وفتحت عكا في حدود سنة ١٥ على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان وكان لمعاوية في فتحها وفتح السواحل اثر جميل ولما ركب منها الى غزوة قبرص رمها واعاد ما تشعث منها وكذلك فعل بصور ثم خربت فجددها هشام بن عبد الملك وكانت فيها صناعة بلاد الأردن وهي محسوبة من حدود الأردن ثم نقل هشام الصناعة منها الى صور فبقيت على ذلك الى قرابة ايام الامام المقتدر ثم اختلفت ايدي المتغلبين عليها وعمرت عكة احسن عمارة وصارت بها الصناعة الى يومنا ذا وهي للافرنج قال ياقوت: وكانت قديماً بيد المسلمين حتى اخذها الافرنج ومقدمهم بغدوين صاحب بيت المقدس من زهر الدولة بن امير الجيوش منسوب الى امير الجيوش بدر الجمالي او ابنه وكان فيها من قبل المصريين فقصدها الافرنج براً وبحراً في سنة ٤٩٧ فقاتلهم اهل عكة حتى عجزوا عنهم لقصور المادة بهم وكان اهل مصر لا يمدونهم بشيء فسلموها اليهم وقتلوا منها خلقاً كثيراً وسبوا جماعة أخرى حملوهم الى خلف البحر وخرج زهر الدولة حتى وصل الى دمشق ثم عاد الى مصر ولم تزل في ايديهم حتى افتتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب في جمادى الاول سنة ٥٨٣ وشحنها بالرجال والعدد والميرة فعاد الافرنج ونزلوا عليها وخندقوا دونهم خندقاً وجاءهم صلاح الدين ونزل دونهم واقام حولهم ثلاث سنين حتى استعادوها الافرنج من المسلمين عنوة في سابع جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ واحضروا اسارى المسلمين وكانوا نحو ثلاثة آلاف وحملوا عليهم حملة واحدة فقتلوهم عن آخرهم . والنسبة اليها عكي وقد نسب اليها قوم وقد رسمها عماد الدين الاصفهاني في الفتح القسي بالالف المقصورة تارة «عكا» وبالالف الممدودة أخرى

وقد استولى بودوين الاول على عكا سنة ١١٠٤ م بمعونة اسطول جنوي له وجعلها الصليبيون ميناء مهمة لا لانزال جيوشهم بل ميناء تجارية فكانت ترسو فيها سفن الجنويين والبنادقة والبيزانيين و بعد وقعة حطين سقطت عكا بيد صلاح الدين وفي سنة ١١٨٩ حاصرها من البر الملك كي دي لوزنيان ومن البحر اسطول بيزاني واستولى عليها ريشاردس قلب الاسد ملك الانكليز سنة ١١٩١ م فاصبحت منذ ذاك الحين الجادة العظمى للنصرانية في فلسطين وكانت معسكر الفرسان ودعوها باسم احدى فرقهم وكانت تدعى القديس يوحنا فقالوا عنها St-Gean d'Acre وفي سنة ١٢٩١ استولى عليها الملك الاشرف بعد مقاومة شديدة فقضى بالاستيلاء عليها على سلطة الافرنج من هذه البلاد . فبقيت عكا اهم ميناء ينزل فيه حجاج الغربيين الى الارض

المقدسة وفي حوالى منتصف القرن الثامن عشر استولى الشيخ ظاهر العمر على الجليل الاسفل وعلى جزء عظيم من الجليل الاعلى واتخذ عكا مقر امارته فعادت اليها نضرتها وخلفه في الامارة احمد باشا الجزار الذي وسع حدود امارته فامتدت شمالاً الى نهر الكلب وبعلبك وجنوباً الى قيسارية واشتهر بمبانيه التي جلب لها المواد من عسقلان وقيسارية وغيرها · وبدأ الفرنسيس سنة ١٧٩٩ يحاصرون عكا وبعد ثماني وقائع سالت فيها الدماء الى الاباطح اضطر نابوليون ان يرجع عنها واستولى ابراهيم باشا سنة ١٨٣٢ على المدينة فنهبت وخربت ولكنها عادت فنهضت من كبوتها وفي سنة ١٨٤٠ خربت الاساطيل الانكليزية والنمساوية ثغر عكا فخرب بذلك كل اثر من آثارها القديمة ثم تعاقب الخراب الاقتصادي عليها فكانت تجارتها رائجة لانها كانت سوق الحبوب التي ترد اليها من الداخلية ولا سيما من حوران فسقطت من هذه الوجهة خصوصاً لما قامت بعض موانئ سورية مثل بيروت وطرابلس وحيفا ويافا تنازعها في مكانتها وأنشئت سكك حديدية ربطت معظم هذه الموانئ بالمدن الداخلية وبقيت عكا في نجوة من الارض ضعيفة في تجارتها وهاجرها كثير من اهلها ومنهم اناس من كبار تجارها وارباب الاملاك بها ·

وقفنا على سورها نطل على ثغر عكا الذي اهرقت في سبيل الاستيلاء عليه دماء غزيرة ذاك السور الذي اعجز بمناعته صلاح الدين وجيوشه وتدبيره فارتد عنها غير ما مرة واهرق الصليبيون دماءهم في بسط ايديهم عليها ثم زحزحوا عنها بعد وقائع تشيب لهولها الرؤوس وهكذا طمح فيها الفاتحون لانهم كانوا يعتبرونها مفتاح سورية · ولطالما كانت عكا ترمي من برها وبحرها بالقذائف والنيران وكانت مجزرة يهلك فيها الانسان الانسان ·

وقفنا على اسوارها ننظر الى المدينة التي اعجزت الملك الناصر والملك الظاهر بونابرت ونتأمل في ارباضها القاحلة اليوم وكم جثة دفنت فيها وفي بحرها وهو يحدجها بعينه الزرقاء كم ابتلع من اسطول بما فيه · وقفنا وفكرنا ملياً في حال البشر يقتتلون على بسط سلطانهم وتكبير رقعة بلدانهم ويرتكبون كل منكر في سبيل المجد والفخار رأيناهم في القديم يقتتلون بحجة دينية واليوم هم كذلك ولكن حجتهم مدنية وانسانية وما المقصود في الواقع ونفس الامر الا الاستيلاء والتغلب وتوسيع نطاق الحكم والسلطان

وقفنا على اسوار عكا نندب في نفسنا الضعف البشري وقد استولى على النفس جلال

ذلك البلد وذكرنا ارواح الخلق تباع في كل عصر بريع السماح ولو اردنا ان نأتي هنا على لمعة من تاريخه لاقتضى له مجلد برأسه . وهاك الآن نموذجاً واحداً مما جرى لاجلها في القرون الوسطى قاله ابو الفدا حاضرها بنفسه : ان السلطان الملك الاشرف سار بالعساكر المصرية الى عكا وارسل الى العساكر الشامية وامرهم بالحضور وان يحضروا صحبتهم المجانيق فتوجه الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الافضل وسائر عسكر حماة صحبته الى حصن الاكراد وتسلمنا منه منجنيقاً عظيماً يدعى المنصوري حمل مائة عجلة ففرقت في العسكر الحموي وكان المسلّم اليّ منه عجلة واحدة لاني كنت اذ ذاك امير عشرة وكان مسيرنا بالعجل في اواخر فصل الشتاء فاتفق وقوع الامطار والثلوج علينا بين حصن الاكراد ودمشق فقاسينا من ذلك بسبب جر العجل وضعف البقر وموتها بسبب البرد شدة عظيمة وصرنا بسبب العجل من حصن الاكراد الى عكا شهراً وذلك مسير نحو ثمانية ايام للخيل على العادة وكذلك امر السلطان الملك الاشرف بجر المجانيق الكبار والصغار مالم يجتمع على غيرها واشتد عليها القتال ولم يغلق الافرنج غالب ابوابها بل كانت مفتحة وهم يقاتلون فيها وكان يحضر الينا مراكب مقبية بالخشب الملبس جلود الجواميس وكانوا يرموننا بالنشاب والجروخ وماذالوا بها حتى فتحت وكان في داخل البلد عدة ابرجة عاصية بمنزلة قلاع دخلها عالم عظيم من الفرنج وتحصنوا بها وقتل المسلمون وغنموا من عكا شيئاً يفوق الحصر من كثرته ثم استنزل السلطان جميع من عصى بالابرجة ولم يتأخر منهم احد فامر بهم فضربت اعناقهم عن آخرهم حول عكا ثم امر بمدينة عكا فهدمت الى الارض ودكت دكا ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا على عكا واخذوها من صلاح الدين ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها من المسلمين ثم قتلوهم فقدر الله عز وجل في سابق علمه انها تفتح في هذه السنة (٦٩٠) في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان الملك الاشرف صلاح الدين فكان فتوحها مثل اليوم الذي ملكها الفرنج فيه وكذلك لقب السلطانين

وهذا القول ينبئك بمكانة عكا واغتباط المؤرخ باستخلاصها من الاعداء .

ومن مدن الجليل صفد ولم يتيسر لنا زيارتها للامطار المتهاطلة ولموقعها في قمة جبل وهي ترى من طبرية وعلى بضع ساعات منها ومعظم سكانها يهود وبعض المسلمين من مهاجرة الجزائر وليس في اهلها العريق فيها للسبب الذي اورده ابو الفدا في حوادث

سنة ٦٦٤ قال وفي هذه السنة خرج الملك الظاهر بعساكره المتوافرة من الديار المصرية وسار الى الشام وجهز عسكراً الى ساحل طرابلس ففتحوا القليعات وحلبا وعرقا ونزل الملك الظاهر على صفد ثامن شعبان وضايقها بالزحف وآلات الحصار وقدم اليه وهو على صفد الملك المنصور صاحب حماة ولاصق الجند القلعة وكثر القتل والجراح في المسلمين وفتحها في تاسع عشر شعبان المذكور بالامان ثم قتل اهلها عن آخرهم ·

ولقد كانت صفد في القرن السابع مملكة يقال لها مملكة صفد ومضافاتها [1] وصفد حصن بقبة جبل كنعان في ارض الجرمق كانت قرية فبني مكانها حصن سميت صفت ثم قيل صفد وهو حصن منيع وكان بها طائفة من الفرنج يقال لهم الداوية فحصرهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وفتحها وقتل كل من فيها الى رأس تل بالقرب منها ثم رممها وبنى في وسطها برجاً مدوراً سماه قلة ارتفاعه في السماء مائة وعشرون ذراعاً وقطره سبعون ذراعاً والى سطحه طريقان يصعد في الطريق الى اعلاه خمسة افراس صفا بلا درج في ممشى حلزوني وهو ثلاث طبقات ابنية ومنافع وقاعات ومخازن وتحته كله بئر لماء من الشتاء يكفي لاهل الحصن من الحول الى الحول اشبه بمنارة اسكندرية وبهذا الحصن بئر تسمى الساقورة وعمقها مائة وعشرة اذرع في صنة اذرع بذراع النجار والدلاء التي لها بتاتي من الخشب تسع البتية نحو قلة من الماء وهما بتيتان في حبل واحد يسمى سرباق كغلظ زند الانسان وكلما وصلت بتية الى الماء وصلت الأخرى الى رأس البئر وكلما وصلت واحدة الى رأس البئر وصلت الاخرى الى الماء وعلى رأس البئر ساعدان من حديد بكفين واصابع تتعلق الاصابع في حافة البتية الملآنة وتجذبها الكفان فينصب الماء في حوض يجري فيه الى مقره فاذا انصب الماء من البتية حصل القصد والجاذب لهاتين البتيتين مرمة هندسية بقسي ودوائر وحركات ولا يزال ذلك السرباق دائراً على بكرته طرداً وعكساً يمنة ويسرة وحول المرمة بغال معلمات تدور بذلك فاذا سمع البغل الدائر خرير الماء وجر السلسلة انقلب راجعاً على عقبه ودار يمشي في مرتبته بخلاف ما كان يمشي الى ان يسمع خرير الماء وجر السلسلة فينقلب دائراً على خلاف دورته كذلك وهي من اعاجيب الدنيا فاذا وقف واقف وتكلم كلمة واحدة في رأس البئر سمع رجع صوته بتلك الكلمة نازلا نحو لحظة جيدة حتى يبلغ الماء ثم يعود اليه فيسمعه كما قالها فان صاح وغلب سمع دوياً واضطراباً بذلك الصياح كالرعود لبعد الماء وعمقه · ومن اعمال صفد

(١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين الانصاري المعروف بشيخ الربوة

مرج عيون وارض الجرمق وهي مدينة قديمة عادية كانت بها طائفة من العبرانية ينسبون اليها يقال لهم الجرامقة والكنعانيون بوادي كنعان ابن نوح ومن عملها جبل بقيعة وبه قرية يقال لها البقيعة لها امواه جارية ولها سفرجل مليح وبه قرى كثيرة الزيتون والفواكه والكرم وجبل الزابود مشرف على صفد والزابود قرية وبها ايضاً قرى كثيرة

وفي بلاد الجليل او عمل الأُردن قرى دائرة ذكر بعضها ياقوت في معجمه مثل (كفر سبت) وهي قرية عند عقبة طبرية و (كفر عاقب) وهي قرية على بحيرة طبرية من اعمال الأُردن ذكرها المتنبي فقال:

اتاني وعيد الادعياء وانهم اعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم فهل فيَّ وحدي قولهم غير كاذب

ومثل (كفرمندة) قرية بين عكا وطبرية بالأُردن يقال لها مدين المذكورة في القرآن والمشهور ان مدين في شرقي الطور وفي كفرمندة قبر صفوراء زوجة موسى عليه السلام وبه الجب الذي قلع الصخرة من عليه وسقى لها والصخرة باقية هناك الى الآن (عصر ياقوت) وفيه ولدان ليعقوب يقال لها اشير ونفتالي

و (دبورية) بليد قرب طبرية من اعمال الأُردن قال احمد بن منير

لئن كنت في حلب ثاوياً فجنبي الغبير بدبورية

و (ديرالتجلي) على الطور زعموا ان عيسى عليه السلام علا عليهم فيه و (خيارة) قرية قرب طبرية من جهة عكا قرب حطين بها قبر شعيب النبي عليه السلام عن الكمال بن العجمي و (عفربلا) بلد بغور الأُردن قرب بيسان وطبرية و (الصنبرة) موضع بالأُردن مقابل لعقبة افيق بينه و بين طبرية ثلاثة اميال كان معاوية يشتو بها و (أربد) بالفتح ثم السكون والباء الموحدة قرية بالأُردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام وقبور اربعة من اولاد يعقوب عليه السلام وهم دان وايساجار وزبولون وكاد فيما زعموا و (اسكندرونة) قال ياقوت وجدت في بعض تواريخ الشام ان اسكندرونة بين عكا وصور و (اكسال) قرية من قرى الأُردن بينها وبين طبرية خمسة فراسخ من جهة الرملة ونهر ابي خطرس لها ذكر في بعض الاخبار كانت بها وقعة مشهورة بين اصحاب سيف الدولة بن حمدان وكافور الاخشيدي فقتل اصحاب سيف الدولة كل مقتلة . و (معليا) من نواحي الأُردن بالشام و (الزيب) قرية كبيرة على ساحل بحر الشام قرب

عكا و (صفورية) كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام وهي قرب طبرية و (الاقحوانة) موضع بالأردن من ارض دمشق عَلَى شاطئ بحيرة طبرية حدث هشام بن الوليد عن ابيه قال خرج قوم من مكة نحو الشام وكنت فيهم فبينما نحن نسير في بلاد الأردن من ارض الشام اذ رفع لنا قصر فقال بعضنا لبعض لو ملنا الى هذا القصر فاقمنا بفنائه حتى نستريح ففعلنا فبينما نحن كذلك اذ انفتح باب القصر وانفرج عن امرأة مثل الغزال العطشان فرمقها كل منا بعين وا مق وقلب عاشق فقالت: من اي القبائل انتم ومن اي البلاد قلنا: نحن اشابيم من ههنا وهناك فقالت انيكم من اهل مكة قلنا: نعم . فأنشأت تقول

من كان يسأل عنا اين منزلنا   فالاقحوانة منا منزل قمن
وان قصرب هذا مابه وطني   لكن بمكة امسى الاهل والوطن
اذ نلبس العيش صفواً مايكدره   قول الوشاة وما ينبو به الزمن
من كان ذا شجن بالشام يزله   فبالاباطح امسى الهمّ والحزن

ثم شهقت شهقة وخرت مغشية عليها فخرجت عجوزة من القصر فنضحت الماء على وجهها وجعلت تقول في كل يوم لك مثل هذا مرات تالله للموت خير لك من الحياة فقلنا ايتها العجوز ما قصتها فقالت: كانت لرجل من اهل مكة فباعها فهي لاتزال تنزع اليه حنيناً وشوقاً .

هذا ماتيسر نقله مما تأثرت به النفس في رحلة قصيرة الى تلك الكورة في الشهر الماضي . ولو وفق اهالي عكا الى تحقيق مايفكرون به ويلتمسونه من الحكومة من الحاق لوائهم بولاية سورية لاصبحت مدينتهم او حيفا ميناء مهمة لدمشق ومورد التجارات من اوربا ومصدر الغلات من بلادنا ولعاد لبلاد الجليل بهاؤها القديم ولما اضر ذلك بعمران بيروت وطرابلس ضرراً يذكر اذ كل بلد ينال اذ ذاك حظه من الرقي . وقد كان الفكر الشائع يوم بوشر بمد شعبة من السكة الحجازية من حيفا ان تسقط بيروت عن مكانتها التجارية فرأيناها بعد ان تم ذلك الخط قد زادت بيروت مكانة ولم يغادرها من التجار الا افراد قلائل وعمرت حيفا بعض الشيء واذا جعلت لهذه ميناء ترسو فيهـا السفن آمنة كما هي الحال في بيروت ترتقي ايضاً زيادة ولاتضر بغيرها

والعمران كالثروة لايحلو وينفع الا اذا كان موزعاً بين البلاد عَلَى التساوي وحبذا يوم يكون فيه لكل ميناء من موانئ سورية صغيرة كانت او كبيرة مرفأ امين للسفن وخط حديدي يصلها بالبلاد الداخلية ولو بخطوط زراعية ضيقة يومئذ يقال ان سورية دخلت في دور العمران

اخبار وافكار

اللبن الرائب

كتب الاستاذ متشنكوف بحثاً في مجلة المجلات الفرنسوية ابان فيه مزايا اللبن الرائب او الحامض في معالجة بعض الامراض افتتحها بقوله ان الناس كانوا يفزعون من الهواء الاصفر ويموتون منه الوفاً ايام لم يكن كوخ قد اكتشف ميكروباته فلما اكتشفها سهلت على الناس الوقاية فصاروا يتخيرون المياه الجيدة فينجون منه ومن لم تساعدهم الحال على استجادة المياه كاهالي بطرسبرج عمدوا الى غلي الماء فنجوا من فتكات هذا المرض الوبيل ومثل ذلك يقال في جراثيم الطاعون والحمى وغيرها من الامراض فانها لما ظهر السبب فيها بطل العجب وذكر انه جرب وجرب كثيرون فوائد اللبن الرائب للمصابين ببعض امراض المعدة فثبتت فائدتها كل الثبوت في المستشفيات والمصاح ونفع في الحمى التيفوئيدية ايضاً وقال ان في احشائنا جراثيم سامة لا يقتلها الا حامض اللبن وانه جرب ذلك منذ ١٢ سنة في نفسه وكان في الثالثة والخمسين من عمره فامتنع عن جميع المشروبات الروحية واقتصر على الماء واللبن الرائب والشاي الخفيف والطعام المطبوخ وامتنع عن كل ما هو نيء فجادت صحته على كثرة مشاغله وبعدت همته بحيث يعمل ساعات طويلة عملاً متواصلاً بدون ان يعروه ملل بذلك فهو يوصي الشبان ان يجروا على طريقته في تناول الالبان الحامضة اذ تساعدهم سنهم على الانتفاع منها وربما اطالت حبل آجالهم كما وقع لحائك عمره مئة وثلاث سنين بحثوا عن معيشته فرأوه على اقتصاده في مأكله يتناول بكثرة الملفوف المختمر Choucroute وفيه شيء من الحامض اللبني والخلاصة فان الاستاذ المشار اليه يضرب منذ سنين على هذا الوتر من بيان منافع اللبن وقد وافقه الآن على رأيه بعد التجارب الطويلة كثير من اطباء الروس والبولونيين والالمانيين والفرنسويين وغيرهم ولا يبعد ان يؤثر صوته فيدخل اللبن الرائب على الطريقة العربية والتركية والمصرية والبلغارية الى بلاد لم يكن يدخلها من قبل بفضل هذا التنويه .

الطباعة

كانت البعثة الاثرية الايطالية عثرت في جزيرة كريت منذ سنين على الطارس التراب مكتوب عليه كتابة مدورة فثبت لها ان تاريخها يرد الى سنة ١٦٠٠ قبل المسيح

وقد توصل العلماء الآن الى حلها بعض الشيء، فتبين لهم انها تقرأ من اليمين الى الشمال وهي عبارة عن نشيد للصلاة وانها اشبه بالخط الهيروغليفي او المسند المصري وانها اول اثر مطبوع ظفر به مما دل ان الطباعة في شواطيء البحر الرومي قديمة كما كانت في الصين

الرهبنات

روت المجلة الباريزية ان عدد الرهبنات الدينية التي وقفت انفسها على بذل الاحسان ومعاونة البائس من نوع الانسان ما برحت آخذة بالانتشار في المانيا وقلّ عدد البرتستنتية منها فلرهبنة الدياكوني او الشماسية ٨٤ ملجأ منها ٥٤ في المانيا والباقي في غيرها وهي مؤلفة من ٢٥٠٠ اخ و ٢٥٠٠٠ اخت الا انه قلّ في العهد الاخير انخراط النساء في هذا السلك لانه قل الاعتماد عليهن في المستشفيات كما كان سابقاً ولكن يزيد عدد من يمرضن المرضى في بيوتهم عن ذي قبل والرهبنات الكاثوليكية تنمو اكثر من غيرها فقد كان في بروسيا منذ ٢٥ سنه ٧٤٦ ملجأ فيها ٧٠٠٠ اخ واخت فغدت سنة ١٩٠٧ ٢١١٣ ملجأ اعضاؤها ثلاثون الفاً منهم اربعة آلاف اخ وستة وعشرون الف اخت اي ان الرهبنات الكاثوليكية قد زاد عددها اربعة اضعاف

قتلى الالكحول

اعظم المسائل الاجتماعية التي يتعاورها ارباب البحث والنظر في الغرب مسألة انتشار الالكحول بين الجمهور حتى انهم حسبوا ما عند فرنسا من اماكن لبيعها فبلغت ٤٧٢٠٠٠ يصيب كل ثمانين نسمة منها محل واحد او محل لكل ثلاثين بالغاً ومعظمها من الخمور القتالة المزورة وكل يوم يفتح في فرنسا ستة اماكن للبيع بحيث تهلك هذه الامة عما قريب اذا لم تنظر في امرها وبذلك تشوهت الخلق وضعفت الاجسام حتى اضطرت الحكومة ان تترك كثيراً من الذين دعتهم لحمل السلاح لعدم اقتدارهم عليه وكثر عدد المنتحرين فزاد عددهم اربعة اضعاف ما كان عليه قبل اربعين سنة وكذلك عدد المجانين وزادت الجرائم حتى قدروا ان ثلثي المجرمين هم من السكيرين او من ابناء السكيرين . والامة هناك تحارب الالكحول كما تحارب الاعداء، بما تتوفر على نشره من الكتب والرسائل والنشرات والمجلات والجرائد والمحاضرات والخطب ولابد ان توفق الى تقليل وطأتها كما وفقت سويسرا وغيرها من الممالك الصغرى .

آثار مصرية

اكتشفت بعثة المانية في مصر الوسطى في الحفريات التي قامت بها في مكان اسمه ابو صبر الملك كثيراً من الاواني والمدى المعمولة من الصوان والعظام والعاج المنحوت وتاريخ هذه الذخائر يرد الى زمن عرف فيه التاريخ اي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد .

الآداب الانكليزية

منح احد نبلاء بريطانيا عشرين الف جنيه لكلية كمبردج في انكلترا لتؤسس بها درساً في الآداب الانكليزية تسميه درس الملك ادوارد السابع . وانشأوا في انكلترا جمعية دخلها الناس في كل البلاد التي يتكلم فيها بالانكليزية غايتها اشراب القلوب حب الشعر اذ ثبت ان المدنية المادية الحالية لا تحلو الا اذا احتفظ الناس فيها بالخيال في الحياة

معهد كارنيجي

افاد لسان البرق ان المستر كارنيجي الغني الاميركي الشهير قد تبرع بعشرة ملايين دولار أخرى للمعهد الذي انشأه عَلَى اسمه في نيو يورك فبلغ مجموع ما تبرع به من ماله خمسة وعشرين مليون ريال اميركي فاكرم بامة فيها مثل هذا الكريم وببلاد تخرج مثل هذا الغني الذي لايكاد يصدقه ابن الشرق لولا صدوره عن قوم لايتكلمون الا عن عقل ولا يميلون لغير المحسوسات . اما هذا المعهد الذي احتفل مؤخراً بافتتاحه فليس له نظير في العالم وسيكون له شأن كالمجمع العلمي الذي انشأه باستور عَلَى اسمه في مدينة باريز . ومعمل باستور يعنى خاصة بعلم الجراثيم (بكتريولوجي) والمعالجة بالمصل Serothérapie والكيمياء الحيوية والامراض السارية اما معهد كارنيجي فهو ضرب من ضروب المستشفيات العجيبة لايقبل فيه الا المرضى الذين تخلى عن طبهم الاطباء وقطعوا بانهم اقرب الى الموت منهم الى الشفاء وهو قصر عظيم جداً يذكر باعظم قصور ملوك الشرق الاقدمين وفيه من مظاهر الرفاهية والراحة والجمال احسن ما ابرزته عقول الغربيين وهو يطل عَلَى نهر فتشرف النفوس من ورائه عَلَى مناظر تأخذ بمجامع القلوب وهو مؤلف من احدى عشرة طبقة يصعد اليها بمصاعد وادراج واسعة وفيها ردهات وغرف وحجر فسيحة . وليس طول الغرف الخاصة بالمرضى اكثر من ١٦ متراً وعرضها ٨ امتار وفي كل واحدة منها سبع سرر فقط وليس للغرف زوايا وقرن بل هي ابنية مدورة

ذات قباب وذلك حتى لا يعلق الغبار زواياها عَلَى ان العناية في النظافة ليس وراءها غاية فالبيوت تفتح من تلقاء نفسها بمجرد مس الذراع او الرجل او الركبة لها مساً خفيفاً وبذلك لاينال الايدي شيء من الجراثيم وهناك محل عظيم لمداواة المرضى بالماء البارد والتغير الجسماني Métaboliome وآخر للتصوير الشمسي ورابع للراديوم وللمستشفى خزانة كتب عظيمة جعلت تحت امر اطباء المحل وتلامذتهم وله اناس موظفون للخدمة والاشراف عَلَى الاعمال وكلهم من خيرة القوم وسيأتي عَلَى هذا المعهد العلمي الانساني يوم نسمع بالاختراعات والاكتشافات التي تتم فيه بفضل تلك العقول الراجحة التي اجتمعت تحته وانقطعت الى خدمة الانسانية فيه بفضل المحسن الاميركي ويبض اياديه

قراءة الدماغ

بعد ان اتقن الغربيون علم قراءة الافكار بالتنويم المغناطيسي قام اليوم احد علماء الانكليز بعد البحث الطويل يكتشف تركيب الدماغ الانساني وميزانه وذلك بقياس الذهن بطرق وحسابات لاتخطيء فيمكنه ان يعرف طبقة عمل الدماغ معرفة اكيدة بالوقوف عَلَى درجة المقاومة في المجرى العصبي وذلك في الجزء الاسفل من مجموع الدماغ

المداواة بالراديوم

اكد احد جراحي الانكليز انه شفى بعنصر الراديوم الذي اكتشف منذ اثنتي عشرة سنة بعض الامراض مثل فالج الوجه والآلام العصبية والرثية وامراض الجلد والسرطان والصلع . وادعى طبيبان من كلية كنغبسرغ ان الراديوم يشفي من الهواء الاصفر والخناق .

واكد احد اطباء الروس ان الراديوم يشفي الاكمه والاعمى . واذا تم ذلك فلا يبقى عَلَى العلم الا اختراع دواء لاحياء الموتى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

برابرة بوليفيا

بوليفيا او بيرو العليا احدى جمهوريات اميركا الجنوبية بلاد واسعة البقاع تبلغ مساحتها ١٠٢٢٢٠٢٨٠ كيلومتراً مع ان سكانها لايتجاوزون ٢٠١٥٩٠٠٠٠ ومابرحت بعض اصقاعها عَلَى حالتها من الهمجية الاولى ومن السكان الذين رآهم الرحالة هرزوك في بوليفيا الشرقية وثبت له من اخلاقهم انهم من عنصر واحد هم وكوارابوس قبائل السيريانوس فان هؤلاء الهمج لم يرتقوا درجة واحدة في الحضارة منذ العصر الحجري فهم يستعملون

الحديد وادواتهم القاطعة هي من الصدف الذي تقذف به الشواطئ وبها يقطعون ويحتون يعيشون عيش البادية في الغابات وتمتد الاصقاع التي ينزلونها الى ربو غرائد وسان ميكل الى الشرق مما وراء ربو بلانكو · وهم لا يلبسون ثياباً وزينتهم الوحيدة عبارة عن عقد يتخذونه من اسنان القرود ومن حبوب يسلكونها في اسلاك بدون ان يخرقوها بآلة ما · واكواخهم وقلما يأوون اليها مؤلفة من اغصان النخيل واوراقه يدعمها جذع من الشجر وليس لهم من السلاح غير اقواس من خشب النخل طولها متران وسهام منه ايضاً طولها ثلاثة امتار ورأسها محدد · ولا يعرف اصل هذا الشعب معرفة اكيدة ·

المانيا وكلياتها

كان للكليات في المانيا خلال النصف الاول من القرن الماضي عمل عظيم في حياة تلك الامة العقلية والاخلاقية والسياسية ففي سنة ١٨١٠ رأى فريدريك غليوم الثالث صاحب بروسيا ان تستعيض المانيا عن القوى المادية التي افتقدها اياها نابوليون بقوى ادبية فأسس كلية برلين ليلقي في قلوب ناشئة الامة فكراً عالياً سامياً ويعلمهم بالكلام والمثال ان يخصوا ارواحهم للعلم وقلوبهم للوطن · ومن مجتمعات الطلبة نشأت الدعوة الى الوحدة الالمانية وكانت المانيا الى ذاك العهد مقسمة الى امارات مشتتة الكلمة ضعيفة السلطان فتفادى الطلاب في هذا السبيل بكل عزيز ولطالما جنحوا الى الثورات وقتلوا وقتل منهم في سبيل تأييد دعوتهم · فمن الكليات نشأت الانقلابات الكبرى في الفلسفة والدين والعلم وكان الالمان الى ذاك العهد امة فكر وشعر يقولون في انفسهم انهم تركوا البر لجارتهم (فرنسا) تتصرف فيه على ماتشاء والبحر لأخرى (انكلترا) تعمل ماتريد ولم يبق لهم الا الاحتفاظ بالسماء وهي منزل العقل · وهذه الوحدة السياسية التي كان يراها بعضهم من الخيال قد تحققت في العلم والعمل بفضل الكليات التي كانت مركز الحياة الوطنية · وانا اذا صرفنا النظر عن اهل الادب والصناعات نجد جميع كبار الرجال في المانيا من اساتذة تلك الكليات · ولما انتجت الافكار على تلك الصورة قام بسمرك قبيل الحرب الالمانية الفرنسوية ووحد بين تلك الامارات وعلم اولئك العاملين ان النشرات والدعوات تعمل الى حد محدود ولا بد لتحقيق الغرض بعد ذلك من النار والبتار · انتهى عمل الكليات السياسي سنة ١٨٧٠ ولكنها ظلت صاحبة الحق في حفظ تراث الاجداد وقديم الامجاد فهي التي تعلم الناس التجديد ولكن مع النظر الى القديم ابداً ·

كان في اواخر القرن التاسع عشر ثلاثة انواع من الكليات في اوربا الكلية الانكليزية التي هي اصل الكلية الاميركية والكلية الفرنسوية والكلية الالمانية التي اقتبست اسلوبها بلاد السكندياوبين او الدانيمرك واسوج ونروج وروسيا الا قليلا ٠

فالكلية الانكليزية تقرب من نسق القرون الوسطى لاعلاقة لها مع الحكومة بل هي مستقلة في ادارة شؤونها ومداخيلها واساتذتها وتقصد الى التربية العملية بل الى التهذيب العام الذي يجب للمهذب Gentleman ان يكون له منه نصيب ٠ اما الكلية الفرنسوية فهي تابعة للحكومة مباشرة عَلَى نحو ما اراد معدل نظامها نابوليون الاول وغايتها اعداد الطلبة لان يتعلموا ماينفعهم في ميدان الحياة الاستقلالية والكلية الالمانية نشأت بين الكليتين الانكليزية والفرنسوية فاخذت من هذه ومن تلك [1] والغاية منها ان لاتخرج علماء صرفًا ولا رجال صناعات ممتازين بل ان تهذب طلابها تهذيبًا يتيسر لهم معه ان يستعدوا لدخول المجتمع والتصدر فيه فليست الغاية اذًا ان تخرج تلك الكليات اساتذة وحكامًا ورجال دين للحكومة ولا ان تعد محامين واطباء للامة بل ان تعلمهم تعليمًا علميًا وتلقنهم الخطة التي يجب عليهم ان يسيروا عليها وتطلعهم عَلَى اساليب البحث والنقد وتقوي فيهم اخلاق العلماء كالعفة وخلو الغرض وسعة الفكر وتلقنهم شيئًا من العلوم المساعدة وان ينظروا نظرة اجمالية في الميدان الذي يجب عليهم ان يجروا فيه وبالجملة تؤهلهم الى ان يتموا هم بانفسهم مابدأ به اسلافهم ٠ فالطالب المتخرج من كلية المانية يتعلم ماهو العلم اذا اقترن بعلم خاص فلا يكتفي بشهادة ينالها فيحق له بها ان يقضي او يشفي او يعلم او يلقن الدين لمواطنيه بل يقضى عليه ان يتمرن سنة في الفرع الذي يريد الاخصاء فيه ثم يقدم فحصًا بعد ان تكون المدرسة قد اعدته للنظار الاجمالي في الحياة العملية ٠ ولرجال الدين والاساتذة والمحامين والقضاة والموظفين والاطباء في المانيا الذين يتخرجون من الكليات طبقة خاصة ومنزلة سامية بين قومهم لاينالها الا الضباط لاسباب خاصة ولكن الصيارف والتجار وارباب الصناعات والاملاك مهما بلغوا من الغنى والذكاء والاعتبار وخدموا المصلحة العامة فهم دون اولئك الذين تخرجوا من الكليات بمنزلتهم ٠ وتناغي القوم في الاعمال الحرة على طبقات الامة الالمانية

(١) تتألف الكلية الالمانية من اربع جامعات جامعة اللاهوت (برتستانتية او كاثوليكية) وجامعة الحقوق وجامعة الطب وجامعة الفلسفة وهذه الجامعة الاخيرة تماثل في فرنسا جامعة الآداب والعلوم

ان ارباب الصناعات والتجارات وغيرهم من طلاب المال والغنى لايعيشون مهما بلغوا من الذكاء الا للثروة ولذلك تكون منزلتهم في الانظار دون العاملين بافكارهم وعقولهم

يقولون ان العلم لاينجح الا باطلاق الحرية للتعلم يتعلم عَلَى ماشاء وللمعلم يعلم كما يشاء وهذا موجود في الجملة في الكليات الالمانية فان الاستاذ وان كان امر تعيينه يرجع الى الحكومة وتحكم هذه في اختيار من يعرضون عليها فهو لا يعيش من رواتب تؤديها اليه الحكومة بل انها تدفع له جزءا صغيراً والباقي يتكفل به الطلبة فيدفعون اجور الدروس التي يحضرونها والطلبة لايفحصون آخر السنة بل هم احرار وعمدة الكليات مستقلة تدير شؤونها بذاتها و ينظر في انتخاب الاستاذ الى قيمة ما يحسنه من العلم لا الى ما يمتاز به من صفات التعليم مثل جودة الالقاء وسهولته والمعلم لايتعب في القاء دروسه لانه يعلم تلاميذه بالعلم اكثر من النظر

وفي المانيا طبقة من الاساتذة مستقلة عن الحكومة كل الاستقلال ولهم الحق ان يدرسوا في الكلية التي يريدونها و يقبضوا من طلبتهم اجور دروسهم و يختاروا موضوعات مسامراتهم ومحاضراتهم و يشرعون و ينتهون من دروسهم في الاوقات التي يختارونها وترى الطالب في الكلية لايحتاج لشيء سوى ان يدفع المخصص لها وسواء حضر ام لم يحضر تعلم ام لم يتعلم لايسأل عن عمله ويكاد لايفحص الا في بعض المواد القليلة كما انه حر في الدروس التي يختارها

يعلم الالمان ان اطلاق الحرية للطالب عَلَى هذا النحو لايخلو من حمله عَلَى الكسل ولكن يرون ان لها فوائد اخرى فان الطالب يكون قد قضى في المدارس الابتدائية والوسطى نحو عشر سنين تابعاً لنظامها المدقق حتى اذا بلغ العشرين او نحوها كان حرياً في الكلية ان يتعلم كيف يعمل بنفسه و يحبب اليه عمله بدون سائق يسوقه وكيف يوجه وجهته و يجدد رغبته في التعلم فيعمل عَلَى ذوقه برضاه لا مدفوعاً بسائق شخص يجب عليه ان يتخطاه . فالكلية الالمانية تضمن للطالب فيها تهذيب العقل من جهة وتربية الارادة والخلق من جهة أُخرى وذلك باطلاقها حرية طالبها فتعامله معاملة رجل حر عاقل له حق التصرف باحواله ولسان حالها « اعمل مايروقك واعلم فقط انك ستجني ما زرعت . »

كثير في الاغاني الالمانية مايشير الى ان حرية الطالب اثمن شيء وانها من اوصافه

الخاصة به فالفتى لايحضر دروس الكلية للحصول على معارف تنفعه للقيام بحرفة ما في المستقبل وما هذا المطلب الا ثانوي بل ان الغاية التي يسعى وراءها في سنيه الثلاث في الكلية هو ان يصبح رجلاً وتكون له شخصية . يعينه على ذلك اساتذته واترابه ومن هنا نشأت فائدة جمعيات الطلبة لان الطالب يتعلم فيها امرين مهمين الطاعة واحترام الناس له . والطلبة المتقدمون يطبعون على ذلك الطلبة المتأخرين او المحدثين بمحافظتهم على قواعد لهم يسنونها وبالمحافظة عليها ينبعث في الطالب شعور الشرف وعزة النفس في الحياة المشتركة وتقوى ارادته على الصدمات فهو اذا خلص من سلطته في منزله بين ابويه يكون لتلك الجمعيات عليه شيء من السلطة الادبية فبالكلية لايصبح رجلاً عالماً ومهذباً فقط بل صاحب اخلاق . ولقد صدق احد من وصف الكليات في الغرب فقال ان الكليات الفرنسوية تنقصها الحرية والكليات الانكليزية يعوزها العلم وفي الكليات الالمانية لاينقص هذا ولا ذاك

قام مجد المانيا قديماً بمن نبغ فيها من الفلاسفة ثم بمن نبغ فيها من القواد والجند ومجدها اليوم مناط الا قليلا بارباب الصناعة والتجارة من ابنائها . ومعلوم ان حاجة المدنية الحديثة ماسة للاخصاء في العلوم والتفرد في الصناعات والمانيا لاتجهل ان قوتها في جهاد الامم السلمي بمن لديها من الاخصائيين الكثيرين كثرة لانظير لها عند الامم الاخرى ولذا بذلت العناية للمدارس الفنية والاخصائية حيث يتعلم الشبان علوماً توجد لهم مراكز في الصناعة واذ جعلوا في اواخر القرن الماضي من حق هذه المدارس ان تمنح لقب دكتور للمتخرج بها كما تمنح الكليات فقدت هذه بعض الاقبال عليها ان لم يزد كما هو المأمول

وبعد فما برح الاساتذة الذين اوجدوا في الكليات روح الوحدة الالمانية وربوا رجال الامة تلك التربية السياسية المهمة يتوفرون على الاحتفاظ بهذه الوحدة حتى صح على الالمان ولايزال صحيحاً ما كان قاله بسمرك وقد رأى جماهير الطلبة سنة ١٨٩٥ تجيء لتهنئته بعيده الثمانيني : منذ رأيت هذه البلوطات الالمانية الحديثة (و يعني بها الشبان الالمانيين) لم يبق عندي ادنى قلق على مستقبل المانيا .

صور تغني وتتكلم

ان النجاح الذي صادفته الصور المتحركة بتمثيل الاشباح على الستار قد جعل المفكرين يبدأون لتتميم الفائدة باضافة آلة الفونوغراف او الحاكي ليتهيأ لجمهور المشاهدين التمتع برؤية الاشباح وسماع اصوات ممثليها في آن واحد . وقد وفق مؤخراً الكاتبين كواد

الفرنساوي للجمع بين عرض صور الممثلين واسماع الجمهور اصواتهم بحيث تأتي حركاتهم واصواتهم طبقاً للمألوف من اصوات الممثلين الحقيقيين وحركاتهم

وطريقة ذلك ان يتكلم الممثل اولاً او يغني ويؤثر امام آلتي الفونوغراف والتصوير فيأخذ الحاكي اصواته على حدة وترسم آلة التصوير حركاته الموافقة لاصواته. ثم يوصل بين هاتين الآلتين بقضيب من حديد لتتم المواصلة الكهربائية بينهما . وتوضع آلة التصوير وراء الجمهور حسب المعتاد . ويوضع الحاكي بالقرب من الستار ويديرهما معاً مجرى كهربائي فتتحرك الآلتان بسرعة واحدة فتتفق بذلك الاصوات التي تصدر من الحاكي مع الحركات التي تدير صورها آلة السنماتوغراف او الصور المتحركة . فيرى المشاهد اشخاصاً ترقص او تمشي او تركض او تتحرك بحركات غير هذه ويسمع ما تفوه به من الاصوات المطابقة فيخالها اشخاصاً طبيعية لها قوة الحركة والنطق

قفل يفتح بصوت صاحبه

في جملة الاختراعات الحديثة قفل للابواب والصناديق له فوهة مثل فوهة آلة التلفون وله جهاز خاص فلا يفتح الا اذا تكلم صاحب القفل او غيره في الفوهة كلمة اصطلاحية يفتح بها القفل بمجرد دخول الصوت المركب من مقاطع تلك الكلمة . فاذا زادت المقاطع اونقصت تغير فعل الصوت في آلة القفل فيمتنع على الفاتح

غير ان لهذا الاختراع عيوباً اخصها عدم انفتاح القفل اذا كان الصوت ابح ولذلك فاذا أُصيب صاحب القفل بزكام شديد فلا يبقى بامكانه ان يفتح بابه او صندوقه ما لم يطلع صديقاً له على كلمة السر ليلفظ بها في فوهة القفل وفي ذلك ما فيه من الاعنات وكشف السر

تلقيح التربة بالبكتيريا

درس بعضهم خواص نوع من البكتيريا فوجد ان له خاصة امتصاص عنصر النيتروجين من الهواء وغيره وبثه في التربة التي يعيش فيها . وامتحن تلقيح الارض بهذا النوع من البكتيريا فوجد انه يزيدها خصباً وانه يحسن غلتها خصوصاً اذا وضع في التربة شيء من المواد التي ينمو فيها هذا الميكروب من مثل البوتاس والحامض الفصفوريك والكلس . وسيكون لهذا الاكتشاف شأن عظيم في الزراعة

آلة لتطهير هواء المنازل

اخترع الاستاذ شارل ريشه من باريس آلة تنقي هواء المنازل مما يكون فيه من

الغبار والجراثيم الحيوية · وهذه الآلة تقذف قطرات صغيرة من الغليسرين يلصق بهـا الغبار فتحمله ساقطة به الى الارض · ولهـا مروحة تجذب الهواء اليهـا ليسهل رشه بالغليسرين فيتهافت جميع هواء البيت شيئاً فشيئاً الى تجاه المروحة فيتطهر بهذه الطريقة السهلة

شعر الرأس

يمكن شعرة عادية من شعر الرأس ان تحمل ثقلاً يزن ست اواق طبية · ويبلغ معدل شعر الرأس نحواً من ثلاثين الف شعرة ويمكنه ان يحمل ثقلاً يزن عشرة قناطير واذا فتل معاً فانه يحمل هذا الثقل ومقدار ثلثه ايضاً · ولذلك فان نساء قرطاجنة الحرائر كن يقدمن شعورهن الكثة عندما حاصر الرومانيون مدينتهن ليصنع منها حبال قوية تقذف بها الحجارة من المجانيق

بندقية بدون صوت

تحشى ببارود بدون دخان

اخترع المستر هيرام برسي مكسيم الاميركاني انبوباً صغيراً يناط بفم البندقية فيضعف قوة صوت البارود حتى يكاد لايسمع للبندقية صوت عند اطلاقها · وهذا الانبوب عبارة عن قطعة مجوفة من الفولاذ قطرها نحو قيراط ونصف وطولها نحو خمسة قراريط ولها في جوفها حلقات معدنية لولبية نائئة من جدرانهـا الداخلية تجعل الغاز الذي ينفلت من البارود عند اطلاقه يدور في هذه الحلقات قبلما يخرج الى الفضاء · فيفقد بذلك قوته ويخرج من فم الانبوب ضعيفاً لا قوة له على تمزيق الهواء واحداث الصوت المعروف وذلك لان صوت البنادق انما يحدث من غاز البارود الذي ينفلت من فوهة البندقية حالما تخرج منه الرصاصة فيحلق في الهواء، اي انه يخرج بهيئة حلقات لهـا شكل الفطر · فتدفع هذه الهواء دفعاً شديداً تمزقه فيها تمزيقاً فيسمع له الصوت الذي نعرفه

اما بواسطة هذا الانبوب الذي يدخل فيه فم البندقية ادخالاً محكماً فيدور غاز البارود في الحلقات اللولبية في باطنه فيفقد قوته لانه لاينطلق نواً · فيخرج وله صوت يماثل صوت الغاز اذا اطلق من زجاجة « كازوزه » بعد ان تزحزح الفلينة قليلاً فينفلت ضعيف القوة بحيث لايسمع له صوت الا على بعد بضع خطوات لشدة ضعفه · وقد جرب المخترع اختراعه هذا فحشا عدة بنادق ببارود لادخان له واطلقها جميعاً على

هدف بحضور جم غفير فكان رصاصها يخترق الهدف والمشاهدون لا يرون دخاناً ولا يسمعون صوتاً الا صوت وقع الرصاص على الهدف · واذ رأت الحكومة الاميركية خطورة هذا الاختراع وتعرض الناس بواسطته لاعتداء القتلة الاشرار اذا تمكنوا من التسليح بهذا السلاح الذي يأمنون معه افتضاح امرهم عمدت الى قانون تسنه منعاً لما عساه ان يترتب على هذا الاختراع من الضرر والاخلال بالامن العام

طبقات الهواء العليا

وجد بالامتحان ان حرارة الهواء تقل كلما صعدنا في الجو حتى تبلغ علو نحو عشرة آلاف متر (٣٣ الف قدم) ومن ثم تأخذ الحرارة بالازدياد قليلاً ازدياداً قانونياً · وقد وجد ان هذه الطبقة العليا السخنة تعم جميع الجهات فوق المناطق الاستوائية والمعتدلة والمتجمدة شمالاً وجنوباً · فهذا الانقلاب في حرارة اعالي الجو يدل على امكان اختلاف تركيب طبقات الهواء السفلى عن طبقته العليا وقد ملأ بعض الكيميين زجاجات من الهواء من طبقاته المتعددة الى علو يتجاوز ٤٦ الف قدم وحلل ذلك فوجد ان عنصر الهاليوم يختفي بتاتاً على علو ٤٦ الف قدم وعدا ·اذكر فان ركاب المناطيد قد كشفوا طبقة هادئة في اعالي الجو وسيكون من وراء درسها نفع في الاسفار الجوية

اللحم الاحمر واللحم الابيض

في جملة الحيوانات الحمراء لحم البقر والغنم والخيل والخنازير البرية والوعول والارانب والحمام والبط والاوز وسمك سليمان او السلطان ابراهيم · وقد يكون لحم بعض هذه الحيوانات داكناً · اما العجول والخنازير الداجنة والارانب الاليفة وسمك الشبوط وابو منقاد والكركند والسراطين فلحمها ابيض او كمي اللون · واما الطيور فاجنحتها اي صدورها بيضاء اللحم وافخاذها سمراء اللون · وبالضد من ذلك الضفادع فان افخاذها بيضاء اللحم وما بقي منها اسمر اللون · وكثير من اصناف السمك كالحنكليس وغيره يجمع بين اللونين الاسمر والابيض · وقد تبين من الابحاث العلمية ان لهذه الالوان علاقة بالقوة والنشاط · فتكون العضلات الكثيفة اللون على الجملة اكثر نشاطاً من التي لونها احمر او اسمر لانها تتقلص بسرعة ولكنها تكل قبل العضلات السمراء اذ انها تفرز مقداراً اعظم من الحامض اللكتيك (او اللبنيك) وهو نتيجة التعب والدليل عليه

ولذلك فيمكننا ان نحكم عَلَى نشاط الحيوان وعَلَى مقدار ما يتحمله من التعب بالنسبة الى غيره من لون لحم عضلاته · والقاعدة لذلك ان ما كان لحمه ابيض كان كثير الحركة والنشاط وما كان احمر اللحم او اسمره كان اقل نشاطاً في حركته ولكنه اكثر تحملاً للاتعاب

تعجيل نمو النبات

كانت الطريقة المعول عليها لانماء النبات انماء صناعياً ان يعالج بالاثير فيسرع نموه وتنضج ثماره قبل اوانها · غير ان العلامة موليش قد كشف طريقة اسهل من هذه واقل نفقة وهي : ان يغمس مايراد انماؤه من النبات مقلوباً في ماء تبلغ درجة حرارته بين ٣٠ و ٣٥ بمقياس سنتيغراد · ويبقى مغموساً مدة تسع ساعات الى اثنتي عشرة ساعة وبعد ذلك ينقل الى غرفة مظلمة رطبة حرارتها تبلغ درجة ٢٥ ويبقى هناك الى ان تبتدئ الاوراق تظهر فينقل حينئذ الى مغرس زجاجي ويعامل معاملة النباتات التي تربى في المغارس الزجاجية الدافئة · وامتحن احدهم هذه الطريقة في الزنابق فازهرت بعد نحو اربعين يوماً مع ان ماغرس منها غرساً عادياً لم تظهر اوراقه في هذه المدة مما يدل عَلَى شدة تعجيل نمو النبات بهذه الطريقة السهلة الاجراء القليلة النفقة

ثمن الراديوم

كان يمكن قبلاً ان يشرى الجزء من الف من الغرام من الراديوم بعشرة فرنكات اما في سنة ١٩٠٩ وما بعدها فبلغ ثمن هذا الجزء خمساً واربعين ضعفاً اي ٤٥٠ فرنكاً · وبما ان الراديوم يستخرج من الاتربة الزفتية فتراب الزفت في ضواحي معمل كورنش بالقرب من لندن يساوي ثمناً يفوق ثمن تراب الذهب والماس

شباك الصيد

دل اختبار صيادي السمك في جهات متفرقة عَلَى تأثير لون الشباك بالاسماك فصار من المقرر ان من يستعمل شبكة زرقاء اللون يصيد اكثر كثيراً ممن يستخدم الشباك العادية السمراء اللون · وذلك لان لون الشبكة الزرقاء يماثل لون ماء البحر فينتفي بذلك خوف السمك من الدنو منها

آلة جديدة للحلاقة

اخترعت في اميركا آلة جديدة تحلق شعر الوجه بموسى مجهزة بآلة كهربائية بدون

ان تمسها يد انسان . وللموسى واق من المطاط وغيره يقي الحد من الجرح . ولا نظن ان هذا الاختراع يسر الحلاقين عندنا اذا تهافت الناس على شراء هذه الآلة وصاروا يحلقون لحاهم بواسطة الكهربائية ويأمنون شر جراح المواسي التي قد تنقل العدوى من مصاب بمرض جلدي في وجهه الى الاصحاء .

عضو جديد للحس

اكتشف فرتر في الهرة عضواً خاصاً للحس مؤلفاً من بضع شويكات نابتة في الجلد بجانب رسني قائمتيها الاماميتين . وكانت هذه الشويكات قد وجدت في حيوانات عديدة غير الهرة من مثل القواضم والحيوانات الدرداء (التي لااسنان لها) والمفترسة وذوات الاربع السافلة في سلم الاحياء . وتوجد هذه الحاسة خاصة في الحيوانات التي تتلقف طعامها باكفها والتي تزحف او تتسلق الاشجار . ولكنها لاتوجد في القردة لانها تعتاض عنها بما لها من الامتياز في استعمال ايديها وللآن لم يمكن الاستدلال على وجود هذه الحاسة في الكلاب

سفينة لرصد المغنطيسية

عزم بعض محبي العلم في اميركا على السياحة في جهات القطبة الجنوبية وغيرها لرصد مغنطيسية الارض فابتنوا سفينة خالية من الحديد والفولاذ . فصنعت جدرانها ومساميرها وسائر مافيها من الخشب منعاً لتأثير ما قد يكون فيها من المواد المعدنية في المغنطيسية التي تقاس بآلات خاصة في السفينة خليل سعد

طنين الآذان

تختلف الاهتزازات التي يسمعها المصابون بالصمم او بطنين الآذان فيظنون تارة انهم يسمعون صفيراً حاداً واخرى انهم يسمعون جلبة مثل صوت الزيز والصرصور والجرادة وطوراً يسمعون صوت انغام من جوقة موسيقية فيها الطبل والطنبور والجلاجل والصنوج او رنة اجراس وتغريد طيور شديدة بحيث يتراءى للسامع بانه في بيت حمام وقد تمر الشهور والمصاب بالصمم او طنين الاذن يسمع هذه الاصوات فتحول دون سماعه الاصوات الخارجية . والمصابون بالصمم والخرس معاً ليسوا عرضة لهذا المرض بل ان جميع المصابين بالتهاب الشرايين *les artério-scléreux* هم على الجملة مصابون به وتختلف درجاته فيهم . وقد بحث الدكتور ماراج الفرنسوي

في اسباب هذا المرض فقال ان اكثرها ناشئة من اختلال وضع سلسلة الكعب وان التمميز (التمسيد) نافع في اكثر حالات هذا المرض ·

تعليم الجغرافيا

الجغرافيا كلمة يونانية معناها رسم الارض اوصورة الارض عرفها العرب بتقويم البلدان او رسم الارض وكان لها شأن من عنايتهم ونبغ فيها مشاهير خدموها خدمة جلى في القرون الوسطى [1] وعدم عناية من يشتغلون بالعلوم الاسلامية بها في القرون الاخيرة نشأت منه امور مضرة ومنها مايضحك حتى ان كثيراً من جرائدنا العربية بل ومجلاتنا تغلط في ايراد اسماء البلدان والانهار والجبال والاقطار وكثير منها لايعرف جغرافية مملكته بل قلَّ جداً من خاصتنا اليوم من يحسن جغرافية قطره فالسوري مثلاً لايستطيع ان يحدد لك بلاد فينيقية ولا جبال سنير والجليل ومواب واللكام ولايعرف كم في سورية من بحيرات او من مدن عامرة وكذلك المصري قلما يعرف مركز الوجه البحري من الوجه القبلي واي بلاد الاقاليم اعمر وفي ايها يجود القطن اوتجد اثراً للصناعات وهكذا الحال في ابن العراق وابن تونس وابن الحجاز وابن اليمن دع عنك مايلزم العثماني خاصة معرفته من احوال الولايات العثمانية كلها حتى ان من الفوا في الجغرافية من الاتراك خلطوا في اسماء الاعلام خلطاً يكاد يرفع الثقة من كل ماكتبوه وكذلك الحال فيمن كتبوا من المصريين واطلعنا عليه من كتبهم وان من الاسف ان يرد في احدى مجلاتنا المعتبرة ان سورية هي من آسيا الصغرى كما من الاسف ان تقول بعض جرائدنا ان بلاد نجد خضعت لاحكام الدولة العلية مع ان نجداً قطر عظيم له اميران الآن ابن سعود وابن الرشيد تخلطه الكاتب مع لواء اسمه نجد من اعمال البصرة وقالت احدى جرائدنا ان ولاية وان من الولايات القريبة من الاستانة مثل بورصة مع ان واناً هي في اقصى تخوم الولايات العثمانية على الحدود الفارسية والروسية وقالت أُخرى انهم انشأوا خط تلفون بين غلطة واشقودرة فعربت Scutari باشقودرة مع انها اسكدار احدى احياء الاستانة ويا بعد مابين اشقودرة والاستانة وقالت احدى جرائد الاستانة الكبرى ان والي بيروت زار جبلة مركز جبل الدروز مع ان جبلة على الساحل من اعمال بيروت وجبل الدروز في داخلية سورية لاعلاقة لها مع والي بيروت الى غير ذلك مما يقع امثاله لصحافتنا كل يوم وهم يبحثون في بلادهم فما بالك بهم اذا تجاوزوها

(١) المقتبس م ٤ ص ٢٢٤

الى الصين والهند واوستراليا وامبركا واوربا وافريقية . وربما لا يخبط بعضهم عند كلامه عَلَى جغرافية الولايات المتحدة او فرنسا او انكلترا مثلاً بقدر ما يخبط في كلامه على ولايته نفسها اذ يكون قد درس جغرافيتها في مدارس الفرنسيس والاميركان والانكليز حق الدراسة في كتب جيدة ونظر الى كرة الارض او المصورات فطبق ما قرأه في الكتاب على المشاهد

ولكن علماء الجغرافيا في اوربا اليوم يرون تعليم هذا الفن عَلَى تلك الصورة متعباً للذهن لا يلبث الطالب ان ينساه متى خرج من المدرسة واذا ذكر منه فلا يذكر الا اجماليات لا تغني من التفصيل شيئاً فقالوا اي فائدة للطالب ان تذكر له ان في المقاطعة الفلانية كذا من الانهار والرؤوس وشبه الجزر والجبال والمدن والدساكر وهو يعتقد بان ما يتناوله من هذا العلم هو من الكماليات لا غناء منه الا بقدر ما في حسن الخط والرياضة الجسمية وكم من عالم رديء الخط ومن اديب لا يحسن اللعب عَلَى الحبل ولا يقفز مترين ولا يستطيع السير عَلَى قدميه ساعة او التصعيد في جبل .

بيد ان فن الجغرافية نافع في التربية نفع الرياضيات فهو علم تعقل وتدبر هو علم صلات الارض بالانسان ولذلك كان له شأن في تثقيف العقل فيه يدرك المرء جسامة البحر المحيط وعظم غابات اميركا واخلاق زنوج افريقية ويعودنا النظر الى البلاد التي نعيش فيها ولا نعرف من امورها الطبيعية شيئاً فلا نقدر ابعادها ولا قممها واوديتها ومضايقها وجوفها ولا لمَ كانت الاشجار الفلانية تجود في الساحل ولا تجود في الداخلية كل ذلك مما تعلمه الجغرافيا اليوم فبها نعرف تركيب طبقات الارض واشكال النواتئ والمناخ وكيف تنبعث المياه واشكال ما يعيش فيها من الحيوانات والنباتات والانسان . وتدل كيف ان المرء مستعبد لقوى العالم واسير في الارض وانى له ان يجاهدها ويتغلب عليها وتبين الصلة المتبادلة بين الارض والانسان

وفي القرن الماضي بدت الجغرافيا في مظهر جديد بما توفر لها من علوم طبقات الارض والطبيعة واصول الشعوب وعلم قياس البحار وعلم الاحداث الجوية والحيوان والنبات والاقتصاد السياسي ورحلات من وصفوا الامم وصفاً مجرداً ووصفوا بلادهم وصفاً مدققاً وتمت لها اكتشافاتها ولم يبق الا شيء يسير من الارض يحاول العلماء اليوم ان يكتشفوه ونعني به القطب الشمالي والقطب الجنوبي . وكم ذهب في هذا السبيل من رجال وصرفت فيه من اموال .

فغدا هذا العلم يبحث في مختصراته ومطولاته عن الحوادث الكبرى في الجغرافيا الطبيعية والجغرافية الاقتصادية ولكن علماء الجغرافيا ينتقدون اليوم تلك الطريقة التي كانت مثل الرجوع بعد تلاوة الكتاب الى المصورات او رسمها كما هو الحال في بعض مدارس الشرق النظامية قائلين ان الجغرافيا لاتعلم في قاعة الدرس وهي مقفلة عَلَى هذه الصورة وان احسن الطرق في تلقينها ماتعلمه الطالب في الارض التي يتعلم جغرافيتها فيطوف فيها مع استاذه ويريه سهولها وجبالها وبحيراتها وانهارها وخلجانها وبركانها وقالوا ان تبعة تدريس الجغرافيا عَلَى هذا النحو عظيمة لانها في الغالب تضطر الاستاذ ان يصحب معه ثلاثين او اربعين طالباً الى اماكن وعرة ولكنها جميلة وقد جرب بعضهم هذه الطريقة في التدريس فكانت طريقة انجع في الاستظهار وتطبيق التعلم عَلَى الحس اكثر من تلاوة كتاب والنظر الى مصوَّر فيحيط الطالب بالصقع وكل ما فيه من ظواهر الطبيعة اكثر ممن يسيحون وهم في القطارات لا يعرفون من البلاد الا مايكتب لهم ان يطلعوا عليه من نوافذ مركبتهم . والاساتذة الذين يمثلون صقعاً لتلاميذهم بالتصوير الشمسي اورسم المسطحات او الطواف في الضواحي يغرسون فيهم ذوق النظر والتشبيه ويضمنون لهم الفرح الكبير فاذا علمت الجغرافيا على هذه الصورة ولا سيما ما كان منها مختصاً بمملكة المتعلم يكون لها شأن عظيم في تربية قوى المتعلمين فلا تدخل في عقولهم مبادىء مبهمة فقط بل تعلمهم النظر والتدبر فيكون منها مجموعة تتكون منها احسن اداة في التربية العامة واقوى عامل في التعليم العملي فيتلقى الطالب من تعليمها عَلَى هذه الصورة اصولاً ينتفع بها في حياته يوم خروجه من المدرسة .

انتشار الالمان

قالت احدى المجلات الانكليزية المعتبرة : اخذت المانيا ترمي جهاراً الى تكبير بلادها في الشرق والغرب فان المحالفة الالمانية النمساوية تقوى كل يوم وتقترب روسيا منها بابتعادها عن انكلترا و يزيد الالمان في مداخلتهم في البلاد كلها بانهم يؤسسون فيها المدارس والجرائد و يمثلون الروايات و يقيمون الحفلات الموسيقية ويحتكرون التجارة بالتدريج وقد فتحوا حديثاً في مدريد مدرسة نجحت نجاحاً كثيراً وللالمان في البلاد العثمانية صحافة خاصة والمانيا تتقدم من جهة تخومها الغربية بخطا سريعة ولكنها ثابتة متينة وكأنا بالبلجيك وقد اصبحت عما قريب جزءاً متماً لاجزاء المملكة الجرمانية وسيكون شأنها شأن امارتي بافيرا وسكسونيا وقد كادت مدينة انفرس وهي سوقها الكبرى تصبح جرمانية بشاريعها

وروءوس اموالها ونفوذها وتنظر المانيا جهاراً الى بلاد القاع (هولاندة) والمستعمرات الهولاندية تريد ان تضمها اليها وان المانيا على مايتراءى من حالها قد اختطت لها خطة ستضم بها اليها اراضي جديدة وسيكون ذلك في اول فرصة متى حدث بينها وبين فرنسا او انكلترا مشكل

النسر عند السوريين

في مجلة تاريخ الاديان الفرنسوية ان الناظر في النواويس والقبور في سورية القديمة يجد صورة نسر وغراب وتاج محفورة في الحجر . واحياناً لايشاهد صورة غراب او تاج ولكن قلما شوهد ناووس مهم الا وقد زينت عليه صورة نسر تارة منفرداً وحده وجناحاه مبسوطان وأُخرى بين ذراعين اشارة الى الصلاة وطوراً يحمل الميت على ظهره بكل ما في جناحيه الواسعين من قوة . وانا لنشاهد هذا النسر على القبور الرومانية في عصر الامبراطورية بحيث يدعو ذلك الى الظن بان النسر السوري قد نقل على هذا الوجه الى المدافن الرومانية ومنه نشأ الرمز الامبراطوري اي علم النسر الذي تحمله الكتائب . اما وجود النسر في القديم فذلك لانه يعتبر في بعض الاديان السامية خادماً للشمس وهو الذي يحمل اليها الارواح التي انفصلت عن الاجسام المستعبدة على الارض . وانتقل هذا المعتقد السوري الى رومية حيث كانوا يذهبون الى ان النسر يحمل الاباطرة الى السماء . والنسر هو الحيوان المقدس للرب المشتري دام هذا الاعتقاد طويلا وقد عثر على مسلة من القرن الرابع تمثل صورة امبراطور يسير في النعش وامامه نسران يدلانه على الطريق وكانت هذه الحالة امتيازاً للقياصرة يمتازون به عن الشعب . وهكذا نرى نفوذ الاديان السامية الاولى موءثراً في معتقدات العالم الروماني

الحركة التجارية في روسيا

يوءخذ من بيانات سنة ١٩١٠ في روسيا ان روحاً جديدة اخذت تدب في التجارة ففي تقرير ادارة الرسومات عن ستة الاشهر الاولى من السنة المذكورة انه بلغت الزيادة في اثمان البضائع الداخلة الى البلاد مايربو على ١٢٥ مليون ريال . والاصناف التي زاد ورودها بكثرة هي الحديد والخشب وزادت صادرات الجلود ٢٥ بالمئة عما كانت عليه . والمعلوم ان زيادة طلب الحديد دليل على حركة صناعية

تجارية فالقسم الاوفر من الحديد هو لمد خطوط حديدية ففي سنة ١٩٠٨ زيد الى مجموع ما عند روسيا من الخطوط الحديدية ٢١٥ ميلاً وفي سنة ١٩٠٩ زيد ١٣٧ ميلاً واما في الستة الاشهر الاولى من سنة ١٩١٠ فقد زيد الى مجموع ماعندها من السكك الحديدية ٢٧٥ ميلاً وهي عازمة الآن على بناء ٣٠٠٠٠ ميل

الانتفاع بالكلاب بعد التربية

الكلاب من جملة الوسائل التي تتخذها جمعية الصليب الاحمر لتخليص الجرحى من ساحة الحرب ولفرع الجمعية في فرنسا ادارة خاصة بتربيتها لهذه الغاية فهم يعلمونها ان تفتش عن الجرحى في الليل او اثناء النهار فاذا حظي احد هذه الكلاب بجريح يأتي اما ببندقيته او قبعته الى حيث يقيم الراهبات فعندها يرشد جماعة منهن الى مكان الجريح وقد اتخذ المدربون لتلك الكلاب الوسائل الفعالة في تمرينها حتى لا تنبح عندما تظفر بجريح لئلا تزعجه بنباحها واما في المانيا فهم يمرنون الكلاب على ان تقيم بجانب الجريح عندما تظفر به وتنبح الى ان يأتي من يأخذه من جماعة الراهبات

ساعة من الزهور

زار حديثاً الموسيو فالير رئيس جمهورية فرنسا مدينة بيرن من اعمال سويسرا وهي من اشهر المدن في العالم لصنع الساعات فقدمت اليه ساعة مصنوعة من الزهور الطبيعية قطر دائرتها ٦ اقدام وهي معمولة من البنفسج والشقائق وعقاربها من زهور يختلف لونها عن لون دائرتها والارقام من زهور يختلف لونها عن الجميع والزهور كلها مغروسة في اصاصي «علب» صغيرة وقد احكم صانعها ضبط حركتها الى درجة انها لا تقل في ضبط الوقت عن احكم الساعات

ازالة الثلج

البخار احدث طريقة لازالة الثلج عن الخطوط الحديدية وذلك بتوليد البخار في المحطة يسحب في انبوبين من حديد يمر كل واحد منهما تحت احد قضيبي السكة فاذا نزل الثلج يذوب لحماوة الحديد

الموسيقى عن بعد

وفق حديثاً احد سكان سان فرنسيسكو قاعدة ولاية كليفورنيا من الولايات المتحدة لان ينقل صوت الفونوغراف بواسطة التلفون الى مسافة ٥٠٠ ميل وقد جرب ذلك

جماعة من الخبيرين بفن الكهرباء فكان الكل يسمعون صوت الفونوغراف عن بعد يخرج الالحان بكل وضوح

اكبر مزرعة حمام في العالم

اكبر مزرعة لتربية الحمام في العالم هي في ولاية كليفورنيا وهذه المزرعة موءلفة من ثمانية افدنة من الارض شيدت عليها حظائر الحمام · وقد بلغ عدد ماتنتجه من الحمام ٤٥٠،٠٠٠ طير في السنة لايقل عدد المفرخين منها عن ١٠٠،٠٠٠ طير ومعدل الثمن الذي يباع فيه ذلك الحمام من ريالين الى اربعة ريالات ومع ذلك فلم تعد بفائدة عظيمة على صاحبه لكثرة مايتكبده من النفقات فهي كل يوم تأكل ٦٢٠٠٠ اوقية انكليزية من الحبوب عدا اجور المستخدمين الذين يقومون بخدمتها و يحافظون عليها وعلى صغارها من الجرذان والفيران والطيور الجوارح

الافيون

قالت مجلة الاجتماع الاميركية : بلغ ثمن ماصدر من الافيون من الهند الانكليزية الى الصين من سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٩٠٤ ماقيمته ٨٥٢،٢٢٠ مليون روبية اي اكثر من ١٠٠ مليون روبية كل سنة وكان كل ماربحته بلاد الهند من الافيون الصادر الى آسيا الشرقية عامة من سنة ١٧٧٣ الى سنة ١٩٠٦ ٤٣٦،٠٠٠،٠٠٠ جنيه وابتدأت تجارة الافيون في الصين سنة ١٧٦٧ فصادفت مقاومة شديدة من الحكومة والشعب الصيني معاً ولكن الحكومة الانكليزية ارغمت الجميع على قبول دخول الافيون الى بلادهم

المواشي والمراعي

اشتهرت اوستراليا بتربية الماشية وكثر عددها في تلك البلاد حتى اصبح الكلأ غير كاف لاطعامها فعمد الاستراليون الى سقي الاراضي لتنبت عشباً يفي بالمطلوب ولما كان ماء الانهر لايمكنه ارواء كثير من الارض حفروا آباراً ارتوازية فاصبحت الارض التي تسقى من ماء تلك الآبار ٣٢،٠٠٠،٠٠٠ فدان ·

اموال الانكليز

بلغت الاموال التي اقرضها الانكليز الى غيرهم من الامم حتى آخر السنة الماضية ٢،٦٩٣،٧٣٨،٠٠٠ جنيه ودخلهم منها ١٣٩،٧٩١،٠٠٠ وقد اقرضوا في السنين الثلاث الاخيرة مابلغ مجموعه زيادة على المجموع السابق ٥١٦ مليون ليرة انكليزية فبلغ

ما اقرضه الانكليز لسكان الولايات المتحدة ٦٨٨ مليون جنيه وما اقرضوه للجمهورية الفضية ٢٦٩ مليوناً وللمكسيك ٨٧ مليوناً وللبرازيل ٩٤ مليوناً والشيلي ٤٦ مليوناً ولاوراغي ٣٥ مليوناً ولبيرو ٣٢ مليوناً ولسائر جمهوريات جنوبي اميركا ٢٣ مليوناً ولمصر ٤٤ مليوناً ولروسيا ٣٨ مليوناً وللدولة العلية ١٨ مليوناً ولاسبانيا ١٩ مليوناً ولايطاليا ١١ مليوناً ونصفاً وللبرتغال ٨ ملايين ولفرنسا ٧،٠٧١،٠٠٠٠ ج ولالمانيا ٦،٠٦١،٠٠٠٠ ومجموع مايدينه الانكليز من اموالهم للبلاد الخارجية ١،٠٦٣٨،٠٠٠، ٠٠ ج . وللمستعمرات والهند ١،٥٥٤،١٥٢،٠٠٠ ج . او ثمانون مليار فرنك هذا مع ان المشهور بان فرنسا اكثر الدول غنى واوسع الامم في بسط يدها بالدين لمن يريد مع ان ديونها لاتبلغ سوى اربعين مليار فرنك اقرضتها لغيرها في البلاد الخارجية

الجرذان

لاشك في ان الجرذان تسبب كثيراً من الامراض الوافدة كالطاعون فقد فكر الكثير في طريقة لمحوها مع ان البوم يفتك في عدد وافر منها كل سنة ومع الاسف ان الصيادين في اميركا يقتلون كل ماعثر الواحد منهم عليه ففي فرنسا والمانيا حموا هذا الطير عدو الجرذان الطبيعي فبرهنت التجربة فائدته للزارعين والصيادين معاً

اكبر مرساة

اكبر مرساة في العالم وزنها ١٥،١ طناً ووزن سلسلتها ١٠٠ طن وهي لاكبر باخرة في العالم عرضت في معرض الهندسة والمكانيكيات في لوندرا

مطاعم الاولاد الصغار

لاشك في ان الاولاد الصغار احوج من غيرهم الى الاطعمة الوافرة الغذاء ولكن هذا لايتيسر وقت الظهر لاغلب اولاد المدارس العمومية في المدائن الكبرى لعدم استطاعة الاولاد الذهاب الى بيوتهم لتناول الفطور وجلهم من أُسرات فقيرة لاتستطع ان تطعمهم في المطاعم قرب المدرسة شيئاً من الطبيخ لغلاء اثمان الطعام فيها فهم يعطون اولادهم بضعة دريهمات يبتاعون بها شيئاً من الكعك والشاي والقهوة او الشوكلاته ايسدوا بها رمقهم ففكرت الآنسة مابيل كتير من الشهيرات بفن تدبير المنزل العملي في حال اولئك الاولاد وان هذا الطعام لايقوم بما فيه من الغذاء بحاجة اجسامهم فطلبت الى لجنة المعارف في مدينة نيورك بان تجرب مطعماً في احدى المدارس العامة يتناول

فيه الاولاد فطورهم من الخبز مع البطاطا او البندورة او المعكرونة مع البندورة او ما تيسر من انواع الخضر مطبوخاً مع اللحم لقاء ثلاث (سنتات) يدفعها كل طفل فرخصت لها لجنة المعارف واعدت لها غرفة ومطبخاً في احدى المدارس فابتدأت تلك الآنسة بعملها وكانت تحسب النفقة والدخل بكل دقة فكانت النتيجة انها لم تكلف ادارة المعارف سوى عطلة المحل ومصروف الغاز والماء وفحصت ادارة الصحة العامة بعد ثلاثة اشهر من ابتداء العمل اجسام الاولاد الذين كانوا يأكلون في هذا المطعم واجسام الاولاد الذين كانوا يكتفون من الفطور بشيء من الكعك والشاي او الشوكلاتة فوجدت ان صحة الاولين احسن من الآخرين وزاد معدل وزن الآخرين بنسبة عشرة الى خمسة الى زيادة وزن اجسام الآخرين . فطلبت ادارة المعارف الى الآنسة المذكورة بان تؤلف لجنة تحت ادارتها وتوسع نطاق عملها الى عدة مدارس وخصصت لها في ميزانية المعارف ١٥٠ ريالاً كل سنة على كل مدرسة تؤسس فيها مطعماً لتقوم بالعجز اه ملخصاً عن مجلة الآورلوك

ثروة الامم

نشرت احدى المجلات الايطالية مبحثاً في ثروة يابان وقاستها بامم الحضارة اليوم فتبين منها انها افقر الدول الكبرى بأسرها فاذا حسبنا مجموع ثروة يابان نجد انها اذا ملكت مئة فان ايطاليا تملك ٢٦٩ والنمسا ٣٨٤ وروسيا ٥٥١ والمانيا ٦٨٣ وفرنسا ٧٤٣ وانكلترا ١٠٠٨ والولايات المتحدة ١٣٩٧ وما من دولة كثرت ديونها مثل مملكة الشمس المشرقة فانها تبلغ ٢٢ في المئة من مجموع ما تملك عَلَى حين يبلغ دين ايطاليا ١٧ في المئة وروسيا ١٤ وفرنسا ١٤ والمانيا ١٠ والنمسا ٧ وانكلترا ٧ والولايات المتحدة ١ واذا كان الفرد الياباني يملك ١٠ يانات مثلا فان الايطالي يملك ٢٣ والنمساوي ٢٨ والالماني ٤٢ والفرنساوي ٤٢ والانكليزي ٥٢ والاميركاني ٧٣ . وما من بلد في الارض تكثر فيه الضرائب عَلَى الرعايا (ماخلا البلاد العثمانية) مثل يابان فان الفرد فيها يدفع ١٢ في المئة من ايراده اما الايطالي فانه يدفع ١٢ و ٢ في المئة والنمساوي ١١ و ٣ والفرنساوي ٩ و ٧٠ والانكليزي ٨ و ٨٠ والالماني ٦ و ٣٠ والاميركي ٣ و ٣٠

الجهر بالقراءة

من محاضرة للمسيو اميل بوترو احد شيوخ العلم في فرنسا في هذا الموضوع ما تعريبه : من انجع الوسائط المختلفة في التعليم والتربية عَلَى ما ارى القراءة بصوت عال . ولطالما ذكرت تلك المطالبات التي كان يتلوها عَلَى مسامعنا في صبانا احد الاساتذة الماهرين في

التلاوة آونة الفراغ . وتأثير البيان كل يوم في نفوس الناس مشاهد محسوس فاذا تركنا التمثيل جانباً الآن الا نرى ان القاء الخطيب لخطابه يزيد في تأثيره في القلوب . الا تلاحظون كيف يعنى الاستاذ عند ايراده جملة من الكلام البليغ بذكره بالصورة التي تلي بها

فلقد ادرك القائمون عَلَى التربية في كل زمن مكانة الجهر بالتلاوة فكان في آثينة اول معلم يتولى تربية الطفل رجلاً يعرف قليلاً من النحو كانت مهمته الاولى ان يدرسه اقوال الشعراء فكان يترقى بالتدريج في انشاد جملة بعد جملة من كلام هوميروس او ازيودوس والتلامذة يرددون مايقول وكانت تلاوة الاسفار المقدسة في الكنائس المسيحية بصوت جهوري من اهم الاجزاء الجوهرية في العبادة في كل زمن . ونرى اليوم علماء التربية قد اقروا عَلَى فائدة التلاوة الجهرية . واتفق لي ان تأكدت ما لهذا التمرين من الشأن في المدارس الالمانية فان له ولاسيما في مدارس البنات الشأن الاول فيقصدون ان ينبهوا في العقول الشعور الوطني بتأثير النطق والمهارة في انتقاء الكلام وتنبيه الافكار الى الشعور بالجمال وبيان مكانة المؤلفين من الذكاء

وما برح عندنا (فرنسا) اجل رجال الادارة والتعليم والصحافة يعنون كل العناية بعث النفوس في المدارس عَلَى حب القراءة فقبلت وعملت في هذا السبيل امور جميلة من العبث ان تحدثوا بها واكتفي في هذه المسامرة ان ابين تأثير القراءة الجهرية وكيف ينبغي للقارىء ان يقرأ حتى يتجلى هذا التأثير فاقول : ان القراءة تبعث في الخطاب روحاً . وفي هذه الكلمة جواب سؤالنا الاول ولكن ما هو سر هذه الحياة واي معنى لهذه الاستعارة ؟ فقد شبه افلاطون الخطاب بالتصوير في قوله : « ان الحال في الكتابة كما هو في التصوير فان الصورة تتراءى للانظار حية ولكن اذا سألتها لاتحير جواباً وهكذا الحال في الخطب المكتوبة فاذا سمعتها تظن انها تفكر ولكن اذا سألتها بعض ايضاح عن الموضوع الذي تخوض عبابه تجيبك جواباً واحداً ابداً . وان خطاباً اذا اهين واحتقر ظلماً يحتاج على الدوام لمعونة من ابي عذره اما هو فعاجز عن الدفاع عن نفسه »

ومعنى ذلك ان المؤلف اذا لم يكن مستصحباً لكلامه لافائدة من تصوراته فهو اذا تلا كلامه يحفظ في ذهنه حوادث وافكاراً واحكاماً وتجارب وتحقيقات ادت به الى تلك النتائج ولذلك تحف حول كل فكر عبر عنه بالكتابة مواكب غير مرئية من الافكار التي تشرح

الكلام وهي من توابعه . والخطاب المكتوب وحده لايقوم بالافصاح عن تلك المعاني المستترة وصوت الانسان هو الكفيل باثارة فكر الحضور عَلَى الانتباه لما فيه من الدقائق فان الوقفا من صور الكلام ليست سوى شروح تعين على ادراك القصد من الافكار والصلات بينها وتعارض الاشكال وتقاربها والصورة الخاصة بالاشياء والغاية التي ينتهي اليها الفكر بل هو العمل بذاته الذي انصرف اليه الكاتب الذي يتجدد في فكر القارىء والمستمع بل هو الذكاء الراقد في غشائه المادي يتنبه ويحيي النفس . هذا هو التأثير الاول من الجهر بالتلاوة وهو من آكد الطرق وافعلها في تفهيم الكلام بجلاء والتعمق في اسراره .

لا ادري ما في الصوت البشري من سر يوصل الى الانسان فيبلغ شغاف قلبه . هذا السر اشبه بما يسمى في الطبيعيات الاهتزازات الحادثة في آن واحد . فترى القارئ والسامعين يهتزون معاً واضطراب الاول يفعل في الآخرين وبالعكس وبتأثير العقل الذي يذكرون صنعه تنشأ هذه الظاهرة فهو الذي يحيا فيهم وجه الحقيقة والجمال وهما اصل المكتوم من افكاره ينبعث في روح احبابه . وهكذا لايفهم القارئ غيره بل يحبب المؤلف الى سامعي كلامه فبسماع صوته يضيع اللسان المكتوب ماله من الكثافة والمادة ويغدو رمزاً خالصاً ويتسرب بالتدريج الى النفوس الباحثة ويصبح كالصلة والعائد بين تلك الارواح نفسها . وبينا تترنح الاعطاف تتفتح ابواب النفس عَلَى ماينبغي ويشرع العقل يخاطب عقلا آخر مثله

وعَلَى هذا فان التلاوة بصوت جهوري تعلم وتشعر بنشاط غريب . وما الفهم والشعور بقوة الا باعث عَلَى الارادة الا قليلا ومن صحت ارادته كان حرياً بان يبدأ بالعمل . فمن تلاوة المصنفات الجليلة تنشأ افكار سامية يكون من اثرها ان نرقى نحن الى مستواها ونتفهم مغازيها فتفعل في افكارنا وافعالنا

اما كيفية القراءة فقد قال لي رجل مشهور بالتفنن والرياضات ان احسن الطرق لاجادة القراءة هو ان يتلفظ الانسان عَلَى وجه الصحة محافظاً عَلَى الخارج بحسب مايعطيه الكلام والخطاب يفعل في النفوس كما تشاء ويفكر فيه الذهن بذاته وان من يحاول ان يشرح فكر المصنف يحشر نفسه بينه وبين المؤلف حشراً عَلَى غير داع . ولمثل هذا الفكر انشأ بعض نوابغ الشعراء منذ بضع سنين تمثيل روايات اللعب المعروفة بـ Marionnette حرصاً منهم عَلَى سلامة هذا الفن وممثلو هذه القصص لايحاولون عَلَى الاقل ان يقوموا مقام المؤلف .

ومن المحقق ان الواجب ان يقرأ مافي النص وان لايحاد عما فيه فان بعضهم يحرفون مايجدونه مسطوراً امام اعينهم خفة منهم او عادة لم الفوها ان يكتفوا بما حصل او لقلة لين في ملكتهم او لاهتمامهم بالموضوع تاركين مانقضي به الامانة للتأثير في فكر السامع بقدر مايعطيه الكلام ٠

وانه ليحرم على المربي ان يزيد وينقص من عنده ليلفت بذلك النظر الى نفسه كما يفعل بعض الممثلين فيزيدون من عندهم قحة منهم واعتداء ليحوزوا استحسان الحضور لهم ٠ ولن ينجح مرب يقصد من تلاوته على تلاميذه ان يعجبوا بقريحته، وكذلك لاتكون تلاوته لتسلية سامعيه كما يفعل بعض العامة فان الافكار العالية واللهجة الجميلة ليست من ادوات السرور والحظ بل يتوخى فيها ان يشترك سامعها بالحياة العالية المنبعثة من فكر قائلها. وليس للقاري، ان يتطلب اعجاب السامعين به فيصفقوا له ويشكروه بل عليه ان يفنى امام من ينقل قوله بلسانه فيكون لسان حاله الامين فقط وهو وسامعوه على مستوى واحد من هذه الوجهة فليس له الا ان ينكر نفسه وبذلك يضمن له النجاح ٠

ولا تتأتى للقاري، افادة سامعيه الا اذا شعر بما يقرؤه واحبه ليحببه الى النفوس اما التصنع من المربي فهو اسلوب مضر متى فاجأه فيه تلاميذه تفقد منه الثقة والالفة اللتان هما شرط في نفوذه عليهم وليس اجدر من السير مع الفطرة والطبع في التلاوة وان يتحد بروح المؤلف وذاته وجوهره

ينظر في كلام المؤلفين الى العصور التي قالوها فيها ليعلم انهم ثمرة تلك القرون التي عاشوا فيها فلا يأبى عليهم القاري، ذلك لئلا يخدعهم ويغشهم ولكن كلام الاعاظم نافع في كل زمن لانهم يكتبون كتابة تنفع على غابر الدهر يكتبون والمستقبل نصب اعينهم متوخين الكمال المطلق وعلى هذا فعلى القاري، ان لايكتفي بابلاغ احساسه الخاص بل ان يظهر الامور التي يذهب الكاتب على جليتها ولا يتيسر له ان يستعبد سامعيه الا اذا خاطب حواسهم كما يخاطب قلوبهم واذهانهم وان يبهجهم بثقة لسانه ولا يفوته ان الالسن خلقت لتتكلم فقد كتب البشر اللغة المحكية قبل ان ينطقوا باللغة المكتوبة

ولجودة الصوت شأن عظيم في التلاوة فالواجب ان تخرج الكلمات على ايسر وجه ورنين واطلاق وان يتلو الانسان منتصباً على رجليه ما امكن او مستنداً على مؤخر كرسيه وان يفخم الكلام بقدر ما يعطي من دون اكراه ويكون جرسه صريحاً غنياً

لطيفاً رخيماً . وغريب كم للطف الصوت من تأثير في مجامع قلوب السامعين واعدادهم لتلقي الافكار فان من اهم الاجزاء الجوهرية في الالقاء جودة التنفس فالواجب ان يكون التنفس حراً لاقليلاً ولا كثيراً لطيفاً لايشعر به .

ثم تجب العناية بالتلفظ ومعلوم كم هو ينفع ويضر . ورب خطاب جميل اضر به فساد اللفظ ولاختلاف التلفظ في علائق الناس نفوذ حقيقي كثيراً مالايقبل النسبة مع قدر هذا الخلق العقلي . والتلفظ على وجه عام يدل على المحيط الذي عاش فيه الانسان والقدر من التربية التي بلغها فهو نمام ينم عليك لمن لم يعرفك . اذاً فينبغي صرف الجهد ان يكون اللفظ صريحاً صحيحاً ظريفاً . واهم جزء في هذا الباب اخراج الحروف من مخارجها وهناك امر له دخل في احسان التلاوة وهو الاجمال اللائق بالكلام واظهاره في مظهر متناسب مع سائر اجزاء الخطاب فيجب اولاً ان يضم مايجب ضمه ويفصل ما يمثل من الجمل افكاراً متخالفة فيتردد التالي بين الوصل والقطع في العبارات فالوقف المهم ينمّ عليه اللفظ . قال كوت Got ان الوقف واخراج الحروف من مخارجها هما من اهم الشروط الاساسية في جودة القراءة . وكم من وقف يقوم مقام وصل ففي اللفظة الواحدة تجذب المخارج المختلفة الى واحدتها وتنقطع الجملة بعد كلمة او بضع كلمات والقطعة بعد جملة والخطاب بعد ايراد بعض افكار عامة . وتجب اجادة النغمة وتنويعها على ما يليق بنظام وقلة تكلف وبعد في الاحيان الى السذاجة في النطق على الترتيل والتلحين وان يتأنى في الالقاء لئلا يطيل المرء الخطاب على السامعين من حيث يريد اختصاره . ويزن الكلام فيبدأ بعد الوقف بسكون ثم يجهر رويداً رويداً فان الوزن قانون الحياة اذا وقع تطبيقه في الخطاب يملك صاحبه نفوس المخاطبين ويستهويهم ويدب الروح فيما يعرضه على مسامعهم

وينتج من هذه الملاحظات سواء كانت علمية او عامة ان لاتتأتى القراءة بصوت عال بدون ان يعد القارئ ما يريد تلاوته فان الارتجال في القراءة كما قال كوت لتلاميذه هي الليالي القمراء في الخطاب اي ان نورها مشكوك فيه لاتظهر كل حين

ولا يجب ان يستعد القارئ فقط بل ان يعد سامعيه ايضاً فيبدؤه باعطاء مايلزم من الشروح ثم يتلو بلا انقطاع فان الشرح اثناء الالقاء ينقص من بهجة الكلام . ويستدل القارئ على نجاحه في تلاوته من السكوت وقلة الحركة بين الجمع المستمع فاذا سادا فهناك الاستحسان والا فان الجلبة والحركة لاتنشآن الا من توزع النشاط الذي لاسبيل اليه بين اناس متنبهين حقيقة

تطهير الغرف

جربوا في احدى المدارس بانكلترا طريقة لتطهير الغرف وذلك انهم يبلون كمية من نشارة الخشب بسائل مضاد للعدوى فتنثر تلك النشارة في ارض الغرفة مساء وعند الصباح تكنس فكانت النتيجة ان صحة التلامذة والمعلمين تحسنت عما كانت عليه .

الفقر في انكلترا

ذكر بعض علماء الاحصاء ان انكلترا قد نهضت منذ اربعين سنة كما نهضت البلاد الأُخرى في العلم والصناعة والتربية وتدبير الصحة والاسعافات والمعونات فهي وحدها تنفق عَلَى التربية والصحة واعانة البائسين اربعين مليون جنيه بالنسبة لسنة ١٨٧١ وكان يرجى ان تخفف هذه النفقات الشقاء ولكن الامر زاد تفاقماً عَلَى العكس فكانت انكلترا تنفق سنة ١٧٧٦ — ١٥٥٧٠٠٠ جنيه في السنة عَلَى الفقراء فصارت تنفق سنة ١٩٠٦ — ١٤٠٧٨٦٠٠٠ ج وهي اليوم تعول ١٠٧٠٠٠٠٠ من السكان منهم ٥٣٨٠٠٠ تعولهم مدى حياتهم و ٥٣٠٠٠٠ تعولهم مدة طويلة و ٦٤٠ الفاً تعولهم من شهر الى سنة . وان البالغين من الرجال منذ السنة السادسة عشرة الى الخامسة والستين المحتاجين للمعونة ليزيد عددهم اكثر من النساء ومن الدواعي الى ذلك كثرة انهيال الناس من القرى الى المدن . ويرى الكاتب ان انكلترا تساعد عَلَى انتشار البؤس بما تمده الى اهله من المعونات فيكسلون ويرتكبون المحرمات عَلَى انها اذا سنت قانوناً للشيوخ تقل في بلادها بواعث الشقاء بالتدريج

الحسبة في الاسلام (١)

نشرت المجلة التونسية الفرنسوية مقالة في الحسبة جاء في خاتمتها ان العرب باختلاطهم مع الرومانيين والبيزنطيين والفرس والهنود صفت اذهانهم واقتبسوا الصناعات والفنون وهكذا جلبت الى افريقية انواع القرميد الملون والاقمشة الحريرية والجوخ الدقيق والالبسة الجميلة ونقل العبيديون الى القيروان وتونس صناعات مصر . وجاء بعدهم ملوك الصنهاجيين ولا سيما الامير ابو الحسن بن علي بن تميم المعز بن باديس وبعد ان عقدوا هدنة مع ملوك النصارى في صقلية اخذوا يتبادلون الهدايا والاعلاق النفيسة وذلك سنة ٥٢٩هـ .

وانشأ بنو حفص في تونس ابنية جميلة ونشروا العلوم والصناعات وملأُوا خزائن

(١) راجع المجلد الثالث من المقتبس ص ٥٣٦ و ص ٦٠٩

الكتب بالاسفار الكثيرة فوهب ابو زكريا الحفصي ٣٦ الف مجلد من كتبه وانشأ المدارس ومنها مدرسة الشماعين ومسجد القصبة ومنارته الحالية حيث لايزال اسمه منقوشاً عَلَى حائطها الى اليوم وهو الذي انشأ الاسواق الموجودة الى عهدنا في تونس والمتأنقة الشهرة فانشأ سوق العطارين والشوشة اي سوق الحفصي ومات سنة ٦١٤ في غنى ونعمة.

وفي ايامه نزح الى تونس اناس من الاندلسيين ممن طردوا من اسبانيا فاكرم عثمان باي وفادتهم ومد المحتسب لهم يد المعونة فجعل فقراءهم عند اناس من اهل البلاد يعملون لهم واذن لغيرهم ان يسكنوا حيث ارادوا. فابتاع اولئك النازحون املاكا واسعة واراضي ذات ينابيع غزيرة وانشأوا فيها ابراجا وتناسلوا ونزل معظمهم مدينة تونس بحيث يسوغ لنا ان نقول انهم مدنوا اهلها بما حملوه اليهم من مدنيتهم وصناعاتهم. بل قد أسسوا مدناً مهمة مثل سليمان وبالي ونيانو وقرومباليا وتوركي وجديدا وزغوان وطوبوربه وجريش الواد(؟) ومجاز الباب وتاستور وسلوقية والعالية وقلعة الاندلس وغرسوا الزيتون والتين وانشأوا الحدائق وعمروا الطرق ودمثوها بما اتوا به من بلادهم الاصلية من محادل (ملاسة) وما برح هؤلاء المهاجرون الى اليوم يمتازون عن غيرهم وهم في تونس طبقة الاحرار.

وقد انتهت الحال بان جعلت بعض اعمال المحتسب في تونس بيد مجلس العشرة الاعيان وكلهم ينتخبون من اهل تونس ومن اصل اندلسي ماخلا اثنين يكون احدهما من صفاقس والثاني من جربة ويجب ان يكونوا كلهم من اهل المذهب المالكي ومن معلمي الشواشية اي صناع الطرابيش ماخلا الجربي والصفاقسي واليهم يرجع الامر في فصل قضايا التزوير في الشواشية والاشراف على عملها وان يكون صباغها جيداً وكان نقيب حرفة الشواشية تحت امرهم

وكان من خصائص مجلس العشرة النظر في غش البضائع وهو يحكم عَلَى الجيد منها والعاطل فيما اذا حدث اختلاف بين البائع والمشتري وذلك بوساطة امين التجار ولم يكن اعضاء هذا المجلس يقبضون راتباً ولا يحضر عضو جربة وصفاقس في مجلس العشرة الا اذا عرضت مسائل تجارية. وكان لاعضاء هذا المجلس امتيازات خاصة كأن يكون لهم حق التصدر عَلَى سائر التجار ويجلسون في بعض الاحوال بالقرب من الباي. وقد تولت محكمة العرف اليوم ما كان يتولاه مجلس العشرة سابقاً من امور الاحتساب يحكمون فيما يعرض من المسائل كما يحكم اهل الخبرة وهذه المحكمة مؤلفة من امين التجار وعشرة معاونين. وقد اخذ شيخ المدينة ينظر في بعض الاعمال التي كان يتولاها المحتسب

سابقاً فهو يرأس نقباء الحرف وحكمه لا يقبل النقض والابرام فيما يحدث من الاختلافات في مسائل الصناعات وهو المكلف بحجز اموال المفلسين و بيعها في تونس وتوزيع ماحصل من اثمانها عَلَى ارباب الديون عَلَى اختلاف تابعيتهم وهو يبيع الاملاك التي رهنها بعض التونسيين ومشائخ الحارات هم اليوم مضطرون الى ان يتقدموا بياناً مطبوعاً بمن يولد و يتوفى في احيائهم من الوطنيين وهؤلاء المشائخ اليوم صورة مصغرة من المحتسبين امس

الانسان والمدنية

نشرت مجلة الاقتصاد الانكليزية مقالة جاء فيها انه يستدل من الاحصاءآت بان معدل تولد البشر اقل في الاغنياء مما هو بين الفقراء وانقص بين ارباب الاشغال العقلية مما هو بين الأميين ارباب الصناعات والعملة بحيث يسوغ لنا ان نقول عَلَى الجملة بان بين كثرة النفوس والمدنية عداوة حتى ان الحضارة يوم تبلغ اوجها لا يبقى عَلَى الارض احد يستمتع بها . وقد اوردت المجلة ارقاماً لاثبات حجة هذه الدعوى فقالت ان الامراض التناسلية هي في الاغنياء اكثر منها في الفقراء وفي المدن ولاسيما الكبرى اكثر منها في الارياف حتى انه ليتعذر من اجلها عَلَى النساء ان يلدن كثيراً او ان يكتفين بولد واحد . وكذلك يحدث مثل هذا التأثير من الامراض العصبية والعقلية التي هي تابعة لارتقاء المدنية كما يتبع الظل الجسم . والسبب الرئيسي في قلة الولادات قلة الرغبة في ان يرزق الناس اولاداً لان المدنية كلما تقدمت ينظر الى الاولاد بانهم حمل وضيق عَلَى ابويهم

طعام الاقوياء

قل من المسائل التي تضاربت فيها الآراء تضاربها في تعيين كميات الطعام وكيفيته عَلَى ما يليق بالانسان وادت الابحاث الحديثة الى ان طعام الانسان يختلف باختلاف الجنس والمهنة والمناخ ولكن الدكتور سيبرت قد اجتاز هذا الحد وهو يؤكد بعد مشاهداته الشخصية مدة خمسين سنة لاشهر مصارعي اميركا ان كل انسان يحتاج الى طعام خاص به فقد قال من مقالة له ان اقوى رجل عرفه هو المصارع الشهير سيجفريد اتى الى محلي — لان الدكتور المذكور مؤسس محل يأتي اليه المصارعون و يعيشون تحت نظارته — وهو في العشرين من عمره و بعد ان تمرن مدة ثلاثة اشهر زادت قوته زيادة عظيمة وكان الطعام الذي يختاره لنفسه اغلب مايكون من الخضر والحليب والخبز مع قليل من اللحم وكان عشاؤه قليلاً من الحليب مع شيء من السكر وقطعة من الخبز مدهونة بزبدة

وعلى هذا الطعام اصبح على شيء من القوة في اطرافه وظهره جعلته من اشهر المصارعين مع قلة اشتهاره بالحذق وخفة الحركة وكثيرون ممن اعرفهم ارادوا ان يحذوا حذوه في طعامهم فكان اغلبهم يصابون بسوء الهضم وهكذا المصارع بيتروس باربوثر كان في صباه ولداً منبوذاً لا يأكل في اغلب الاوقات سوى شيء من الخبز الناشف لفقره وبعد ان قضى مدة في الخدمة العسكرية اتخذ الصراع مهنة وفي السابعة والعشرين من عمره اثبت انه اقوى رجل من وزنه فهو يرفع وزنه من الاثقال الى فوق رأسه سواء كان بيده اليمنى او اليسرى وهو معتدل في اكله يفضل الاطعمة البسيطة . وقد شاهدت كثيراً ممن يأكلون اكثر من هذين الرجلين ويتناولون اللحم بكثرة وهم دونهما بمراحل في القوى واحتمال التعب . اه معرباً عن مجلة العلم الاميركانية

تواريخ

المكتشف والمستعمر من البلاد والجزر في العالم

اكتشف كولمبس اميركا في ١١ تشرين الاول سنة ١٤٩٢ . اكتشفت جزائر (اندر بنوفزي) بين آسيا واميركا سنة ١٧٦٠ . استعمر البرتغاليون « انغولا » سنة ١٤٨٢ ثم استعمرتها انكلترا سنة ١٦٥٠ . ادخلت انكلترا غرس الشجر الى (انغولا سنة ١٦٥٠) . استعمرت انكلترا « أنتيغو » سنة ١٦٣٢ . اكتشف المكان المعروف بمر رئيس الملائكة سنة ١٤١٩ . استعمرت هولاندا جزيرة (اريوبا) سنة ١٦٣٤ . اكتشفت مملكة البرتقال جزيرة (ازورس) سنة ١٤١٩ . اكتشف خليج (بافن) سنة ١٦٢٢ اكتشفت جزائر (باهاما) سنة ١٦٥٩ واستحوذت عليها انكلترا سنة ١٧١٨ . اكتشفت (تبربروس) واستعمرت سنة ١٦١٤ . استعمرت انكلترا جزيرة (بربودا) سنة ١٦٢٨ . اكتشفت جزيرة (باريفتن) في حزيران سنة ١٧٩٣ . حصنت هولاندا مدينة باتافيا جزيرة في جاوه سنة ١٦١٨ . اكتشفت جزر (برمودا) واستعمرت سنة ١٦١٢ . بدئ باستعمار بوسطن (ماس) في الولايات المتحدة سنة ١٦٣٠ مرت مراكب الانكليز في خليج (باي) لاول مرة في ٣١ آذار سنة ١٧٨٧ . عمرت فرنسا جزيرة (يوربون) سنة ١٦٧٢ . اكتشفت برازيل سنة ١٤٨٦ وعمرها السبانيول سنة ١٥١٥ . ثم استعمرتها هولاندا سنة ١٦٣٤ . ثم تولتها برتقال سنة ١٦٥٤ . اكتشفت جزيرة بريطانيا نحو سنة ٩٠ للمسيح . عمرت (كالدونية) في اميركا سنة ١٦٩٩ . اكتشفت كلفرنيا في اميركا سنة ١٥٤٣ . اكتشف (قابون) كندا سنة ١٤٩٩ .

ثم اكتشفتها فرنسا سنة ١٥٠٨ . اكتشفت جزائر كناريا سنة ١٣٤٤ واهديت الى اسبانيا سنة ١٣٩٣ . اكتشف رأس بلانكو في افريقية سنة ١٤٤١ . اكتشفت بريطانيا رأس بريطانيا سنة ١٥٨٤ ثم استحوذت عليه فرنسا سنة ١٦٣٢ ثم استرجعته انكلترا سنة ١٧٤٥ ثم استرجعته فرنسا سنة ١٧٤٨ ثم استردته انكلترا سنة ١٧٥٨ . اكتشف رأس جزائر (دي فرد) سنة ١٤٤٧ . اكتشف رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٧ واستعمرته هولاندا سنة ١٦٥١ . طافت السفن حول رأس (هورن) لاول مرة سنة ١٦١٦ . اكتشفت (كارولينا) احدى الولايات المتحدة سنة ١٤٩٧ واستعمرت سنة ١٦٢٩ . اكتشفت جزائر (كريبي) سنة ١٥٩٥ . اكتشف كولمبس جزيرة (المورة) في سنة ١٤٩٢ . استعمرت فرنسا جزيرة سابيني سنة ١٦٣٥ . اكتشفت جزيرة سيلان سنة ١٥٠٦ . اكتشفت جزيرة (خاتام) في حزيران سنة ١٧٩٣ . اكتشفت اسبانيا (شيلي) في اميركا سنة ١٥١٨ وغزاها الاسبانيون سنة ١٥٤٠ . يم البرتقاليون الصين لاول مرة سنة ١٥١٧ وحكم في سنة ١٦٣٥ التتر بعض مقاطعاتها . اكتشفت جزيرة القديس خريستوفورس سنة ١٥٩٥ وعمرتها انكلترا سنة ١٦٢٦ . اكتشفت مملكة « الكونغو » سنة ١٤٨٢ واستعمرتها برتقال سنة ١٤٨٦ . استعمرت روسيا القريم سنة ١٧٨٤ . اكتشفت كوبا سنة ١٤٩٢ واستعمرت سنة ١٥١١ . استعمرت هولاندا (كوركوا) سنة ١٦٣٤ . استعمرت (دريني) سنة ١٧٠٠ ! . اكتشف مضيق (دفس) سنة ١٥١٢ . اكتشف كولمبس جزيرة (ديسيدا) سنة ١٤٩٤ . اكتشفت جزيرة القديس (دومينكو) سنة ١٤٩٢ . اكتشف كولمبس « دومينيكا » في سنة ١٤٩٣ . اكتشفت جزيرة الشرق سنة ١٧٢٢ . اكتشف البرتقاليون شرقي الهند سنة ١٤٩٧ وأمها الانكليز في سنة ١٥٩١ ثم الهولانديون في سنه ١٥٩٥ ثم رهط من انكلترا سنة ١٦٠١ ورهط من فرنسا في السنة نفسها ثم رهط من الدنيمرك في سنة ١٦١٢ . اكتشفت جزائر (فولكلاندا) في سنة ١٥٩٢ . اكتشف « القبطان قابون » فلوريدا في اميركا سنة ١٥٠٠ واستعمرت سنة ١٧٦٣ اكتشف « مضيق مروبشير » سنة ١٥٥٨ اكتشفت جزيرة الثعالب في شمالي المحيط الباسيفكي سنة ١٧٦٠ . اكتشفت جزائر « كالاباغوس » سنة ١٧٠٠ انس القائد (اوغلترب) مستعمرة جورجيا الولايات المتحدة سنة ١٧٣٩ . استعمرت هولاندا جزيرة كوري سنة ١٦١٧ . استعمرت فرنسا جزيرة « غرنادا » سنة ١٦٥٢ اكتشفت (غرنيلاندا)

في سنة ١٥٨٥ واستعمرت في عامي ١٧٢١ و١٧٣١ . اكتشف كولمبس جزيرة (غودلوب) سنة ١٤٩٣ واستعمرتها فرنسا سنة ١٦٥٣ اكتشف البرتقاليون شاطئ « غينيا » سنة ١٤٨٢ وباشر القبطان هاوكن في « اتفلشمن » من نواحي ذلك الشاطئ بتجارة الدقيق سنة ١٥٦٣ اكتشفت جزيرة القديسة هيلانة سنة ١٥٠٢ وملكتها انكلترا سنة ١٦٠٠ وعمرتها سنة ١٦٥١ اكتشفت جزيرة « هودو » في المحيط الباسيفيكي في حزيران سنة ١٧٩٣ اكتشف القبطان هدسن خليج هدسن المسمى باسم مكتشفه سنة ١٦٠٧ اكتشف « ايسلاندا » احد قطاع السبل من الدنماركيين سنة ١٨٦١ اكتشف كولمبس « جاميكا » سنة ١٤٩٤ واستعمرها الاسبانيون سنة ١٥٠٩ اكتشفت يابان سنة ١٥٤٢ وزارها جماعة من الانكليز سنة ١٦١٢ اكتشف الروسيون « كامتسكاتكا » سنة ١٧٣٩ اكتشفت جزائر « لدرن » سنة ١٥٢١ اكتشفت جزيرة « لي روتش » بالقربة من جزيرة « فوكلند » السابق ذكرها سنة ١٦٣٧ اكتشف الفرنسيس « بوزيانا » في الولايات المتحدة غربي نهر مسيسبي العظيم سنة ١٦٣٣ واستعمروها سنة ١٧١٨ وسلموها الى الولايات المتحدة او تنازلوا عنها سنة ١٨٠١ اكتشف البرتقاليون مدغسكر سنة ١٥٠٦ اكتشفت جزيرة (مديريا) في سنتي ١٣٤٤ و١٤١٨ اكتشفت « نعلان » سنة ١٥٢٠ اكتشفت جزيرة « مرغلانته » سنة ١٤٩٣ استعمر اللورد بلتيمور « مركندا » سنة ١٦٣٣ وبلغت نفقات استعماره ٤٠٠٠٠ ليرة انكليزية اكتشفت جزيرة « موريتوس » سنة ١٥٩٨ واستعمرت سنة ١٧٢١ احكم الاسبانيون المكسيك سنة ١٥١٩=١٥٢١ اكتشف منتريال كندا سنة ١٥٣٤ واستعمرت سنة ١٦٢٩ اكتشف كولمبس « مونتسرت » في غربي بلاد الهند سنة ١٤٩٣ واستعمرتها انكلترا سنة ١٦٣٢ استعمرت انكلترا « نيفس » سنة ١٦٢٨ اكتشفت « كلدونية » الجديدة سنة ١٧٧٤ استعمرت انكلترا الجديدة سنة ١٦٢٠ اكتشف قابوت « فونلندا » الجديدة سنة ١٤٩٧ واستعمرت سنة ١٦١٤ اكتشفت « غيونيه » سنة ١٦٩٩ اكتشف الهولانديون « هولاندا » الجديدة سنة ١٦٢٧ واستعمرتها انكلترا سنة ١٧٨٧ استعمر الاسوجيون « نيوجرسي » في الولايات المتحدة سنة ١٦٣٧ اكتشفت اسبانيا المكسيك سنة ١٥١٨ اكتشفت « زيلاندا » الجديدة في سنة ١٦٦٠ ثم في سنة ١٧٦٩ . بنيت « بليموث » واستعمرت سنة ١٦٢٠ استعمرت نيويورك في الولايات المتحدة سنة ١٦٦٤ اكتشف الممر الشمالي الشرقي الى روسيا سنة ١٥٥٣ استعمرت « نوفا سقوتية » سنة ١٦٢٢ اكتشفت نوفازمبية سنة ١٥٥٣ اكتشفت

جزائر جورجيا الثلاث في ١٨ حزيران سنة١٧٦٥ ـ اكتشفت جزيرة « هاي‌ها » حيث قتل القبطان كوك سنة ١٧٧٨ اكتشف خرائب مدينة النخل في صحراء سورية سنة ١٦٧٨ استعمرت « باناما » سنة ١٥١٦ اكتشفت « بارغواي » سنة ٥٢٥ استعمرت بنسلفانيا الولايات المتحدة سنة ١٦٨٠ اكتشفت « بيرو » سنة ١٥١٨ اكتشف الاسبانيون جزائر فيلبين سنة ١٥٢١ اكتشف مضيق « بث » في غربي الهند في ٣٠ نيسان سنة ١٧٦٠ اكتشفت « بورتوريكو » سنة ١٤٩٧ استعمرت هولاندا « سابا » سنة ١٦٤٠ استعمرت « سالم ماس » في الولايات المتحدة سنة ١٦٢٨ اكتشفت جزائر « سندويش » في المحيط الباسيفكي سنة ١٧٧٨ استعمرت سفانا سنة ١٧٣٢ اكتشف شاطئ « سيراليون » سنة ١٤٦٠ اكتشفت جزائر « سوشي » في المحيط الباسيفكي سنة ١٧٦٥ اكتشفت جزيرة سليمان في اميركا سنة ١٥٢٧ اكتشفت جزائر سومور سنة ١٥٢٧ اكتشفت هولاندا جزيرة القديس « بوستينس » سنة ١٦٣٢ اكتشف نهر سانت لورانس واستعمره الفرنسيس سنة ١٥٠٨ اكتشفت جزائر سوفولك سنة ١٧٦٤ استعمرت انكلترا « سورنيم » سنة ١٧٦٤ واستعمرت (سورت) سنة ١٦٠٣ اكتشفت جزائر « ثاتي » شرقي الهند في ٢٩ حزيران سنة ١٧٩٥ استعمر الهولانديون « توباغو » سنة ١٦٤٢ اكتشف الاسبانيون جزائر بترقارس سنة ١٥٨٣ استعمر الاسبانيون « بترافيرمه » سنة ١٥٢٤ اكتشفت جزيرة « ترانيداد » سنة ١٤٩٨ استعمرت روسيا « برقوتي » سنة ١٧٥٢ اكتشف السر والتر فرجينيا سنة ١٥٨٤ اكتشف كولمبس غربي الهند سنة ١٤٩٢ اميركا : يوسف جرجس زخم

تفنن العرب

صرح احمد بك زكي في المؤتمر الدولي الذي عقد في الشهر الماضي بمصر لتحسين حالة العميان ان علماء العرب قد سبقوا الاوربيين الى اختراع طريقة الكتابة بالحروف البارزة الخاصة بالعميان فلخص كتاب « نكت الهميان في نكت العميان » لصلاح الدين الصفدي وقال انه يرجع الى ابن الشرق الفخر في وضع طريقة الكتابة بالحروف البارزة للعميان واذا كان المسيح عليه السلام يقول اعطوا ما لقيصر لقيصر فيجب ان نعترف بان اول مخترع لطريقة الكتابة بالحروف البارزة هو شرقي عربي هو علي بن احمد بن يوسف بن الخضر المشهور بزين الدين الآمدي الذي فقد بصره في اول عمره وشرح طريقة معرفته لاثمان جميع الكتب التي كانت في مكتبته بانه كان كلما

الشرى كتابًا الف ورقة على شكل حرف من الحروف ولصقها في الكتاب وكانت هذه الحروف هي التي يستعين بلمسها على معرفة ثمن الكتاب واستطرد الى القول بان زين الدين الآمدي المتوفى سنة ٧١٢ هجرية او ١٣١٢ ميلادية سبق «برايل» الى اختراع طريقة الكتابة بنحو ستمائة سنة لان برايل الفرنسي لم يخترع طريقته الا منذ ستين عامًا فقط

فانا ونجيب تفاني المصريين في احياء المدنية العربية فاذا اثبت صديقنا احمد زكي بك ان العرب اخترعوا طريقة الحروف البارزة فقد اثبت في السنة الماضية صديقنا احمد تيمور بك ان العرب سبقوا الاوربيين في الطيران فقال :

مهما نسينا او تناسينا فلن ينسى التاريخ ابا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس كما ذكر زيلن ومنظر واضرابهما فان من يرجع البصر في صفحاته يجد بين من خصهم الله بمواهب في استخراج العلوم واستنباطها اسم هذا الحكيم مقرونًا بالغرائب والمدهشات فهو اول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وصنع الآلة التي تعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال ومثّل في بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها تمثيلا يخيل للناظر انه حقيقة فقال مؤمن بن سعيد الشاعر يداعبه

سماء عباس الاديب ابي القا … سم ناهيك حسن رائقها

من ابيات تركت ذكرها لشناعة هجوها . وهو الذي احتال في تطيير جثمانه فكسا نفسه الريش ومد له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في ظهره لانه لم يعمل له ذنبًا ولم يدر ان الطائر انما يقع على زمكه وفيه يقول الشاعر المتقدم ذكره من ابيات

يطم على العنقاء في طيرانها … اذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

فنرى من ذلك ان الرجل كان من اسبق الفائزين بالطيران من بني الانسان ولا يغض من اختراعه تقصيره عن الشأو البعيد فيه فذلك شأن كل مشروع في بدايته وحسبنا ان منتحلي هذه الصناعة مع ما مرّ عليهم من القرون لم يزالوا دون الغاية المطلوبة منها الى اليوم افلا يكون من الانصاف التنويه بذكر هذا المخترع

طول الحياة

ثبت ان مدة الحياة البشرية آخذة بالازدياد فقد كان معدلها في اوربا خلال القرن السادس عشر للافراد لا يتجاوز العشرين سنة فبلغ الآن ٤٠ وربما ٤٤ سنة ولذلك رأى

معظم شركات ضمان الحياة ان يعيدوا النظر في قوانينهم و يتساهلوا في ضمانة النفوس وسبب هذه "الزيادة في الاعمار ما بلغته العلوم الطبية في الخمس والعشرين سنة الاخيرة من الارتقاء فتغلبت عَلَى الامراض السارية . فالغشاء الذي كان يصيب حنجرة الطفل المصاب بالخناق كان فيما مضى يودي بحياته وهو اليوم لا يزعج الجراح لما فيه من وسائط الشفاء العاجل بفضل الحقن تحت الجلد بمصل الخناق وغير ذلك من التدابير و يقل اليوم المصابون بالحمى التيفوئيدية والقرمزية وذات الجنب اكثر من الزمن السالف والسل يعالج بوسائط تظهر نتائجها الحسنة اليوم بعد اليوم والتهاب السحايا الدماغي الشوكي La méningite cérébro spinal فقد قل عدد الهالكين من المصابين به عن خمس اوست سنين الى ثلاثة ارباع . وقد تغلبت الوسائط التحفظية والطبيعية في مقاومتها لانواع الفساد البكتيري فظهرت بها نتائج موءثرة بحيث تمكنت بالتدريج لافراز السميات المرضية المسببة للحمى

ومع هذا فان بعض المتشائمين من الاميركيين قد نشروا هذه الايام مفكرة تبعث عَلَى القلق حسبوا فيها معدل عدد الوفيات في الولايات المتحدة وغيرها من بلاد العالم الجديد والقديم وحققوا اسباب الوفاة فصرحوا بان الارقام التي يستشهد بها في دعوى طول الحياة ليست صحيحة اذ يقتصر فيها عَلَى احصائيات الاولاد فقط لان هوءلاء يبلغون في الواقع سن الفتوة ولكن الاضطرابات التي تبدو في تراكيبهم في سن الشباب تظهر موءثراتها في الحال . فالمشاهد يدل الآن عَلَى ان الاولاد تقل الوفيات فيهم ولكن من بلغوا من الرجال سن الشيخوخة قلائل .

ومن رأي الاستاذ فيشر في نيو يورك انه يندر وجود اشخاص هم في مأمن من الاوجاع المهلكة مثل النقرس والرثية « الروماتيزم » وسوء الهضم والبول السكري ومرض برايت والزائدة الدودية قال ان الرجال والنساء عرضة لعوادي الاعداء المستترين عَلَى اختلاف في الدرجات فالحياة بالنسبة الى كل واحد منهم ليست في الحقيقة طويلة بل هي متسعة ومعنى ذلك ان الرفاهية التي تحيط بالحياة تقصر حبلها . ومن جملة تلك السعة في الرفاهية التغيير الذي طرأ عَلَى الطعام فان الناس بالغوا في التأنق فيه حتى انهم ليقتلون انفسهم وهم لا يشعرون . وقد بلغ من هذه التبدلات انك لا تجد امرءاً حتى في العيال المستورة يقنع بالاقلال من الطعام عَلَى النحو الذي كانوا عليه فيما غبر . فنشأ من هذا التفنن في الطعام اضطرابات عضوية لا يحتاط لها بل يسعى الناس الى زيادة شرورها مختارين .

فالناس يكثرون من تناول الاطعمة وكثيراً مايفرطون ويبحثون عن الاطعمة المحضرة انواع التحضير اللذيذ وكثيراً مايشفعونها بالمقبلات والاشربة الالكحولية ويتعرضون لما ينجم عنها من المضار بل يستقبلون عن رضى الامراض المعدية وما يتبعها من الاوصاب .

ولقد الحشوا في التأنق فتراهم يعنون كل العناية بالولد فيحظرون عليه كل مايضر به حتى اذا نجا من اخطار الطفولية واصبح رجلا يلقي بنفسه كل يوم مختاراً في هذه المهالك وهو لا يبالي . الناس كلهم يطمعون في الحياة ماخلا بعض شذوذ ولكنهم لا يهتمون بما يجب القيام به لاطالة حبل الحياة

وبعد فان فيشر وجمهور علماء الصحة يعلقون شأناً عظيماً على مجموع التراكيب التي تؤثر في حركة الطعام في التركيب النامي لتجعله صالحاً للقيام بجميع الوظائف اللازمة لانقاذ الحياة ونشوءها بل اطالتها . متى ازدردت الاطعمة على ماينبغي ووزعت في الاقنية والاحشاء على النحو الذي يوجبه علم منافع الاعضاء فالتدبير الغذائي يجري على نظام راسخ فلا يحدث ادنى عارض ويظل الجسم سالماً يقاوم الطواريء فتمضي السنون وهو صحيح وتكون الشيخوخة قليلة المزعجات على صاحبها . اما اذا تمت حركة الطعام على طريقة معتلة رائدها الاهمال وقائدها الاختلال ولا سيما فيما يختص بعمل الآلة الماضمة فتنشأ من ذلك اوجاع لاتلبث ان تكون مزمنة تضعف تركيب الجسم وتسلمه الى الامراض الباطنية

لايكفي المرء ان يأكل ليعيش بل الواجب لحماية الحياة وجعلها مقبولة واطالة حبلها ان يعلم كيف يقوم بعلم الاكل ولا يعد هذا فناً فقط بل هو علم وهوراس فلتشر الاميركاني هو رأس الدعاة الى هذه الطريقة في عدم الاسراف في الطعام وتجويد القضم والخضم ليجود الهضم فقد كان هو نفسه مستخدماً في بيت تجاري في شنغاي وكان كمواطنيه من الاميركان يحب الرياضات البدنية وله صحة جيدة قوي العضلات ينصرف الى الشاق من الرياضات في الهواء الطلق مثل المشي والركض والقفز والعراك وغيرها من الالعاب وهو يلين اعصابه . وكان من نتائج نشاطه ومعرفته ان جمع ثروة مهمة فحدثته نفسه ان يغير طرز حياته ويذوق من جميع اللذات التي يسمح له بها كيسه فمال الى تخير الاطعمة الفاخرة وآثر القصف على القصد فاخذ يطعم على خوانه كل يوم من الالوان المتبلة واللحم الغريض الحنيذ والخمور الجيدة ماساءت باستعماله معدته وكان يقضي الليالي في التدخين وتعاطي الاشربة فظهر الاثر السيء في هذه الطريقة من

استعاضته عن المشي عَلَى الاقدام بالركوب في العجلات فسمن سمناً مفرطاً حتى لم يمض الا قليل من الزمن الا وقد انكره اصحابه فكثر دمه وتورمت خدوده وتخنت رقبته واخذت تظهر عَلَى سحنته اعراض الاستعداد لداء الصرع

وفي ذات يوم اصيب عقيب اكلة اكلها بفتور في جسمه دعاه الى التفكر في صحته فازمع بما فيه من عزيمة ان يعدل عن طريقته في التغذية ويختار غيرها تكون اشد في الانتظام وان يتخلص من السمن والوبالة لما ينشأ عنهما من الضرر وطفق يسير بجسمه الى نظام مضمون ذاهباً الى ان الجسم لاتغذيه كمية الغذاء ولا كيفيته بل شروط الهضم فيه وتبين له ان ذلك مناط بلوك الطعام فمن هذه القاعدة وهي : «عَلَى من يريد ان يعمر طويلاً ان يلوك طعامه كثيراً» . هدته التجارب الى هذه الطريقة التي نسبت اليه فسميت الطريقة الفلتشرية وهي عبارة عن خمس نصائح «١» أن ينتظر المرء الشهوة للطعام «٢» ان تستثار الشهوة للطعام في اختيار الاطعمة «٣» ان يمضغ الطعام بحيث تستخرج منه جميع المادة المغذية وتترك اللقمة تسوغ الى المعدة من نفسها «٤» ان يخصص للطعام مايقتضي له من الوقت ولا يعجل في ازدراده وان يذكر الانسان ابداً انه في صدد تناول طعامه فيصرف ذهنه الى ما هو بسبيله عَلَى وتيرة منظمة ويطرد عن نفسه كل ما يلقيها في اضطراب «٥» ان يقتنع ان كل وجبة هي عمل واجب في الحياة وان يحسن القيام به بحيث يتوفر له الوفاء بهذه الغاية .

بالغ فلتشر بذاته في التدقيق بهذه القاعدة فلم تمض الا بضعة اسابيع الا وتغير تركيبه . وعاد فازهر شبابه والتف قوامه وخف ثقله فامسى ٨٠ كيلو غراماً بعد ان كان ١٨٠ ثم ماعتم ان عاد اليه بعودة قوته الطبيعية نشاطه العقلي . وزال ذاك التعب الذي كان يشعر به ايام كان سميناً مشحماً وشعر بضرورة المشي عَلَى الاقدام وان يعود الى ما كان اخذ نفسه به من انواع الرياضات في شنغاي . فظهر له ان قد تغير كيانه وعادت قواه الى نشاطها في صباه وصفا ذهنه ورأى من نفسه استعداداً الى العمل وبالجملة شعر كأنه رجع عشرين سنة في عمره الى الوراء وانه سيعمر طويلاً بعد . كل هذا نشأ من تدقيقه في تلك القواعد الخمس التي سنها ومبالغته في الاحتفاظ بها والجري عليها واخذ يقلل من كمية غذائه بدون ان يقتصر منها على مايسهل هضمه وخضمه كما يفعل بعض من يمتنعون عن اللحوم ويكتفون بالبقول وان يمتنع عن المشروبات الروحية امتناع الزهاد بل كان ينتفع بما يدخل جوفه ويتخذ اسباب حسن الهضم فيما يأكل ويشرب فلا يدخل

في بلعومه غذاء الا اذا اجاد لوكه جيداً . ولم يكتف فلتشر بما وصل اليه من هذه التجارب الصحية النافعة بل اراد ان يعم استعمال هذه الطريقة فكتب ماجرى له في الجرائد والمجلات ونشره في كراريس وزعها بلا ثمن على قومه فضحكوا منه بادئ الرأي الا ان علماء الصحة اضطروا بعد حين الى امعان النظر فيما اتاه الرجل وجربوا بانفسهم طريقته فاسفرت لهم عن نجاح واوصى الناس بها حتى صار اشياع المذهب الفلتشري اليوم يعدون بالملايين في الغرب .

وقد تبع فلتشر في طريقته الاستاذ باولو الروسي منذ سبع سنين فتبين له ان التغذية الحسنة متوقفة على الشهوة الى الطعام وهذه هي الباعث الاقوى على هضمه والانتفاع به في الجسم فالجوع يحبب الى النفوس الاطعمة على اختلاف ضروبها والاطعمة لاتفيد الا اذا رغبت فيها النفس . ولا يحسن ما على المائدة من الصحاف وينفع المتناول منها الا اذا كان هذا في فراغ من الذهن يمكنه من تقدير الالوان حق قدرها . فسرور المواكلين وطيب الاحاديث من العوامل النافعة في الهضم . والسرور على الخوان لاينشأ من اجادة الطبخ والتنطع في اختيار الالوان بل بما يبدو على وجوه المجتمعين على الطعام من الابتسام

ومعلوم انه يقتضي للجسم لتجديد الانسجة وتوليد الحرارة الحيوانية اللازمة كل يوم لحفظ مرونته والقيام بوظائفه التنفسية كمية محدودة من المواد الدهنية والزلالية وعلماء الصحة والاجسام والاعضاء على اختلاف منهم في ذلك فمنهم من يقول بالاقلال من تناول اللحوم والاقتصار على البقول والالبان والثمار والبيض والارز والزبدة ومنهم من يرى تناول اللحوم ضرورية لكل عامل يعمل بعضلاته والحقيقة ان التوسط في الامر خير وابقى . فالاكثار من اللحوم يسم الجسم وربما حدثت منه في كثير من الاحوال مضار في الصحة منبهة القوة العصبية ومنهكة قوى الكبد والكلى وعلى العكس في تناول البقول فان الاقتصار عليها يؤدي الى اضطرابات هاضمة من شأنها ان تحدث ضرراً في المعدة وعليه فاكل اللحم لايؤذي بقدر مايتوهمه بعضهم بل لايؤذي الا عدم الوقوف عند حد في تناوله .

وقد رأى احد علماء منافع الاعضاء من الالمان انه يكفي لغذاء الفرد كل يوم ١١٨ غراماً من اللحم وغيره من المواد الدهنية وقال لابأس بجعلها ١٤٥ غراماً لمن يعمل بيديه قال غيره لاحرج من ابلاغها الى ١٥٠ غراماً . واكد احد علماء انكلترا بان من

عمد الى استعمال طريقة فلتشر في الاقتصاد في الطعام واجادة مضغه يتأتى له ان ينقص نحو الثلث مما يأكل وتجود صحته

وقد جرب اساتذة من اميركا طريقة تنقيص وجبات الاكل فتخلصوا من امراض كانت تؤلمهم مثل اوجاع الرثية « الروماتيزم » والشقيقة والمرة السوداء فعادت اليهم صحتهم ونشاطهم ومنهم من كان اصيب بالسل في الدرجة الاولى فاتخذ طريقة فلتشر فنجا من الموت واصبح يستطيع ان يتعاطى اعماله العقلية ساعة او ساعتين متواليتين بدون عناء

وقصارى القول انه قد ذكر من اعتمدنا عليه من الافرنج في نقل هذا المبحث ان الحياة هي عمل مجموع الوظائف التي تقاوم الموت . واحسن طريقة في تأثير هذه المقاومة هي ان يتعلم الانسان علم الاكل والقيام عليه . فالحياة هي علم معرفة التغذية . فمن لنا بشيوع طريقة فلتشر في بلادنا فيزيد المتمعون بصحتهم ويكثر النشاط على الاعمال البدنية والعقلية ويستغنى عن الطب الا في الامراض التي يستحيل الآن زوالها من العالم

ان لتعليم الناس تدبير الصحة اثراً معروفاً عند الامم في نهوضها وهو من شأن الصحف والمدارس فالصحافة في هذه الديار قائمة على قدر الامكان بما يفرض عليها في هذا الشأن ولو سار التعليم الابتدائي في الشرق على نحو ما هو عليه في الغرب لانتفع الناس بما يتلى عليهم ويكتب لهم اكثر مما ينتفعون ولا سبيل الى ذلك الا بتلقين المدارس مثل هذه القواعد فعلى اساتذة مدارسنا ومديريها ان يلقوا على الاولاد مثل هذه القواعد فتتشربها نفوسهم منذ الصغر لتنفعهم وتنفع عيالهم في الكبر .

مخطوطات ومطبوعات

ذيل
على طبقات الحنابلة

اطلعت في الجزء الاول من المجلد السادس من مجلة المقتبس على ما كتبتموه عن (المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد) فسرتني عنايتكم بالحنابلة كما تعنون بغيرهم لما آلت اليه حالهم في هذه العصور الاخيرة من قلة رجالهم وندرة كتبهم وانطماس اخبارهم بعد ان ازهرت بهم مدارس بغداد ومصر والشام وغيرها وافعمت بتآليفهم خزائن الكتب المشهورة وصدعت باحكامهم اركان البدع المنتشرة لما لاقوه من الفتن والمحن (الى يومنا هذا) قال ابو الوفا ابن عقيل البغدادي المتوفى سنة ٥١٣ وهو ما هو وقد سئل عن الحنابلة (هم قوم خشن تقلصت اخلاقهم عن المخالطة وغلظت طباعهم عن المداخلة وغلب عليهم الجد وقلّ عندهم الهزل وعزت نفوسهم عن ذل المراياة وفزعوا عن الآراء الى الروايات وتمسكوا بالظاهر تحرجاً عن التأويل وغلبت عليهم الاعمال الصالحة فلم يدققوا في العلوم الغامضة بل دققوا في الورع واخذوا ما ظهر من العلوم وما وراء ذلك قالوا الله اعلم ولم احفظ على احد منهم تشبيهاً انما غلب عليهم (الشناعة لايمانهم بظواهر الآي والاخبار من غير تأويل ولا انكار) والله يعلم اني لا اعتقد في الاسلام طائفة محقة خالية من البدع سوى من سلك هذا الطريق والسلام) .

هذا وقد رأيت ان اكتب اليكم عن ذيل صنف بعد الكتاب المنوه به للسيد محمد كمال الدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق المتوفى سنة ١٢١٤ في نسخة خطية عندي ذكر في مقدمته سبق ابي الحسين محمد ابن القاضي الكبير ابي يعلى الفرا الى وضع طبقات الحنابلة واختصار شمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي المقدسي له (ولم نره كذيل الجمال يوسف بن عبد الهادي المقدسي وذيل تقي الدين بن مفلح) وتذييل الحافظ زين الدين بن رجب عليه وجمع العليمي كل ذلك في المنهج الاحمد طبقاته المذكورة ثم ابتدأ الغزي ذيله من اول القرن العاشر حيث وقف سلفه العليمي حتى وصل الى آخر القرن الثاني عشر في ١٨٠ صفحة فجاء فيه من رجال العلم والدين امثال جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المقدسي صاحب المؤلفات الحديثية والطبية والتاريخية المدهشة

المتوفى سنة ٩٠٩ وشرف الدين موسى الحجاوي مفتي الحنابلة بدمشق وصاحب متن الاقناع المتوفى في حدود سنة ٩٦٠ والشيخ مرعي الكرمي المقدسي ثم المصري صاحب التآليف في كل فن المتوفى سنة ١٠٣٣ وابي الفلاح عبد الحي العكري الدمشقي صاحب شذرات الذهب في اخبار من ذهب الذي بدأه من الهجرة الى سنة الف منهـا وبني مفلح وبني الشويكي وبني الرجيحي وبني البلباني وبني الجراعي وبني المواهبي واعلام من الديار النجدية والنابلسية رحمهم الله تعالى ·

وقد وقع في نفسي ان اجمع تراجم رجالنا في هذه المائة سنة الاخيرة وصلاً لهـذه السلسلة البديعة فوفقت ولله الحمد لجمعها في ٤٦ صفحة

وحبذا لو صحت الاحلام بطبع طبقات العليمي فذيله المنوه به غير انه بالنظر لعظم هذا المشروع الذي يحتاج فيه الى التعاون على نفقات الطبع الباهظة وقلة الحنابلة في دمشق بحيث لا يتجاوزون اصابع الكف ارى من الواجب على من عرف تاريخهم ووقف على سيرهم ان يشتركوا بسهام الطبع لاكون اولهم اقداماً واعظمهم سهماً واشكرهم ·

دمشق : محمد جميل الشطي

مجموعة

المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن

بمطبعة الصبر في جونية من لبنان سنة ١٩١٠ و ١٩١١ المجلد الاول ص ٤٦٢ والثاني ص ٤٨٠

اجاد المعربان الفاضلان في نقل هذه المفاوضات والرسائل السياسية من الافرنجية الى اللغة العربية لانها مادة تاريخية مهمة وادلة يصح بها نقل الناقل ورواية الراوي وكلام المتكلم خصوصاً وقد قلت الكتب السياسية التاريخية التي وقع فيها ذكر سورية · والمجلدان وان كان اكثر ما يدور عليه محورهما له مساس شديد بسياسة لبنان الا ان سائر اقطار سورية لها علاقة قوية بذلك خصوصاً وادي التيم والبقاع ودمشق وغيرها من البلاد التي نشبت فيها تلك الفتنة المشؤومة المعروفة بفتنة الستين « ١٨٦٠ م » التي انتهت بمنح لبنان استقلالا اداريا بمساعدة فرنسا وانكلترا · ومعلوم ان السياسيين لا يجوز لهم ان ينشروا اموراً تتعلق مباشرة بسياسة دولهم الا اذا مضى عليها خمسون سنة ولذلك ساغ لاخلاف اولئك السياسيين الاجانب الذين كان لهم دخل في سياسة سورية على

ذلك العهد ان ينشروا ما كتب في هذا الشأن ليكون تاريخاً. فالشكر كل الشكر لناشري هذا السفر النافع ومعربيه، وعسى ان يترجم العارفون بالامّات كل ماله مساس بحالة هذا القطر لنعم به الفائدة ونعرف ماذا يقول فينا خصومنا او اولياؤنا لنا اوعلينا

فصل القضاء

في الفرق بين الضاد والظاء تأليف احمد عزت افندي طبعت في مطبعة الشابندر ببغداد سنة ١٣٢٨ (ص ١٦٨)

جمع واضع هذه الرسالة نحو ١٨٥٠ لفظة عربية قد يشتبه التفريق بينها فيما اذا كانت تكتب بالضاد او الظاء مرتباً لها على حروف المعجم مترجماً لها الى اللغتين العثمانية والفارسية وقد قال في المقدمة ان جمعاً من العلماء الاعلام صنفوا في هذا الشأن كالامام ابن مالك والحريري وابن سهل النحوي وغيرهم لكنهم لم يرتبوا ما صنفوه على حروف الهجاء فصعب استخراج المقصود على من يعتني بهذا الغرض. فنشكر للمؤلف عنايته بسد هذه الثلمة ونرجو ان يحذو حذوه في التأليف كل من اوتوا طرفاً من العلم وشدوا شيئاً من الادب

سيرة الفاتح

تأليف نامق كمال بك وتعريب عبد الله افندي مخلص طبع في مطبعة الكرمل بحيفا ص ١٣٢

اجاد صديقنا بتعريب هذه السيرة لرجل العثمانيين العظيم فاتح القسطنطينية وحبذا لو توفر على تعريب غير ذلك من الآثار التاريخية عن اللغة التركية خاصة لانه كاتب مجيد باللغتين ، وهذه اللغة قليلة النقل عن التركية كما ان هذه قليلتها عن العربية ، والامم لا تتعارف الا اذا تعاورت النقل احداها عن الاخرى ، وعلى كل فنشكر للمعرب ونرجو له التوفيق الى اتمام خدمته العلمية

الجاذبية وتعليلها

لجميل صدقي افندي الزهاوي طبعت بمطبعة السلام في بغداد سنة ١٣٢٦ ش و ١٩١٠ م ص ٧١

اعتاد الاستاذ صاحب هذا الكتاب ان يأتي الحين بعد الآخر بمبتكرات من افكاره تدل على طول باع وذكاء جنان كما فعل في كتابه الكائنات وفي مقالاته التي اراد بها

تغيير الخط العربي وابداله بحروف له اخترعها واسقاط القوافي من الشعر العربي وجعل كل بيت من القصيدة ذا قافية واحدة وآخر كتبه هذه الرسالة اللطيفة في الجاذبية خالف فيها اهل هذا الفن في الغرب وقال ان الجاذبية في الحقيقة هي دافعية تنشأ من دفع الاجسام بعضها لبعض وان مايتراءى للناس انه جذب انما هو في الحقيقة تغلب قوة دافعة على قوة دافعة اضعف منها فالحجر يسقط عَلَى الارض لان الاجرام التي في السماء تدفعه الى جهتها والارض تمنع بحيلولتها دفع السماء من الجهة المقابلة . وهذه الرسالة وان حوت مالا يقره عليه اهل الفن فانها دلت على ان المؤلف ضرب في العلوم المادية بسهم وانه جريء في كل اصلاح يحاوله . والشجاعة الادبية مما ينقص كثيراً من الكاتبين فله منا الشكر عَلَى هديته ومن العربية الثناء على خدمتها في الفنون كما يخدمها في الآداب

ابحاث واقتراحات في التشريع المصري الحالي

الف اميل افندي بولاد احد رجال المحاماة في القاهرة رسالة في اصلاح المجالس الحسبية وتناقض الاحكام الاهلية ولزوم انشاء محكمة نقض وابرام مدنية وضوابط صحيفة الاستئناف بالقانون الاهلي والدعوى العمومية والصلح الجنائي القضائي وغير القضائي وقانون النفي الاداري واخطار تطبيقه وكل هذه المباحث تهم ابن وادي النيل اكثر من غيره لان قضاءه وان كان ممزوجاً بالقضاء الاسلامي والقضاء الفرنسوي الا انه خاص بامة لها اصطلاح خاص وعادات خاصة فنشكر لوطنينا المحامي غيرته عَلَى الحق والبلاد التي يسكنها

دليل السلام

اصدرت ادارة جريدة السلام في بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية هذه السنة ايضاً دليلها هذا وهو يحتوي عَلَى عناوين التجار السوريين في الارجنتين والارغواي والبرازيل وتشيلي وكثير من الفوائد التجارية والاحصائية بعضه بالعربية واكثره بلغة تلك البلاد

حديقة الجنان في تاريخ لبنان

تأليف الخوري اسطفان ضو طبع بالمطبعة الجامعة في البترون (لبنان) سنة ١٩١١ ص ١٤٤

لم يخدم جبل من جبال المملكة العثمانية بتاريخه وجغرافيته وعمرانه بمثل ماخدم به

جبل لبنان فلاً هله غرام بذلك وعادة بالتوفر عَلَى اظهار محاسنه ومن الكتب الجديدة في هذا الشأن كتاب حديقة الجنان (؟) وهو مختصر في تاريخ الجبل وما وقع فيه من الحوادث وطرأ عليه من اختلاف الاحكام والحكام السابقين منذ سنة ٦٠٠ الى سنة ١٧٨٨ ويليه الجزء الثاني . ولوكان المتورون من اهل كل بلد يعنون بتدوين تاريخ بلادهم واصقاعهم ما امكن لما بقي مكان مجهول حاله في هذه الديار فانا نرى اناساً دونوا وقائع طرابلس وآخرون عنوا بتاريخ حماه وغيرهم سطروا تاريخ حمص وبعضهم ذكروا لبنان فليت اهل كل بلد يدونون ما يجب عليهم لبلادهم من هذا القبيل واذا فعلوا يخدمون التاريخ العام

دروس الصرف والنحو

تأليف الشيخ محي الدين الخياط يشتمل عَلَى اوليات الصرف واوليات النحو طبع بالمطبعة العصرية في بيروت ص ١٠٤

اقتضت طبيعة النهضة في سورية ان تؤلف لها الكتب المدرسية بحسب ذوق العصر حسنة التنسيق والتبويب وممن يتوفرون على هذا الشأن مؤلف هذا الكتاب احد فضلاء بيروت وفيه تمارين عملية يفهمها الطالب الصغير فشكراً له عَلَى هذه العناية ووفق الى اتمام هذه الاقسام لنفع طلاب الآداب

وجوب الحمية عن مضار الرقية

تأليف السيد ابي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي الحسيني الحضرمي الاستاذ بمدرسة دار العلوم في حيدر اباد دكن بالهند طبع بمطبعة الاما في سنقافورا سنة ١٣٢٨ ص ١١٢

كان السيد محمد بن عقيل من افاضل الحضارمة في سنقافورا الف كتاباً سماه النصائح الكافية لمن يتولى معاوية اتى فيه بالبرهان التاريخي والديني اموراً اقره عليه بعض العلماء وانكرها عليه بعضهم وممن الف في الانتصار له الاستاذ ابو بكر المشار اليه ففند ما قاله بعضهم ممن رموا السيد ابن عقيل بالتشيع وقال ان المسألة مسألة تاريخية دينية لاتقدح بمذهب من يقول الصريح فيها واورد لذلك نصوص المؤرخين وغيرهم بعبارات رشيقة وانا لنرجو ان تكون هذه الرسالة آخر مايؤلف في موضوع فرغ منه اوكاد وان تصرف تلك القرائح فيما ينهض بالامة من عثارها اليوم . ومعاوية ان توليناه اولم نتوله فقد لقي حسابه وجزاءه

لباب الخيار في سيرة المختار

تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبعة ثانية فيها زيادات وفوائد طبعت على نفقة المكتبة الاهلية في بيروت ص ١٣٦

نشر المؤلف هذا الكتاب لتعليم ناشئة المسلمين سيرة صاحب شريعتهم عليه الصلاة والسلام وقد صدره باجمال عن العرب قبل الاسلام ووصف بلاد العرب واخلاقهم وعاداتهم وجميع ما يتعلق بسيرة صاحب الرسالة وآدابه وغزواته ونشر دعوته . ونسقه على عادته تنسيقاً يحبب تلاوته الى القارئ بعبارة سهلة جزلة وقد قدر المؤلف مساحة جزيرة العرب بمليون ومئة الف ميل مربع او ٣٦١٥٦٠٥٥٨ كيلو متراً مربعاً او ١٢٦ الف فرسخ مربع وعمل حسابها بالميل والكيلومتر والفرسخ فجاء الحساب متقارباً وقدر نفوسها باثني عشر مليوناً وقيل عشرة ملايين . والكتاب لا يستغني عنه طلاب المختصرات ولذلك عولت المدارس الاسلامية على تدريسه ونعما فعلت

العادات

لخليل افندي سركيس طبع بالمطبعة الادبية سنة ١٩١١ ص ١٦٠

صاحب هذا الكتاب هو مؤسس جريدة لسان الحال البيروتية وصاحب المطبعة الادبية خدم الطباعة العربية زمناً وهو اليوم بكتابه هذا يريد ان يخدم العادات العربية بوضعه لها مختصراً في مصطلحات الزيارات والولائم والاعراس والمآتم وآداب المحافل وغيرها مما هو جار عند الشعوب المتمدنة كتبه لطبقة خاصة من الامة العربية بل اخص من الخاصة لان معظم ما فيه من العادات يتعذر القيام به الا على المترفهين من اهل الطبقة الراقية في الغرب فما اورده من هذا القبيل لا يتأتى تطبيقه الآن على المرأة المسلمة مثلاً لان الشرط الاول مفقود عندها وهو اختلاط الرجال بالنساء و يتعذر كل التعذر العمل به عند غير المسلمين اذ يجب ان يكون لهم محيط يساعد عليه ومال يتوسعون في البذل منه وكنا نود لو قال المؤلف ان هذا كتاب في عادات الغربيين فطبقوا منه ما يمكن تطبيقه . على ان ما كتبه يحتوي على فوائد مهمة لا يستغني عنها انسان في مجتمع مهما انحطت مكانته وقلت نعمته ومدنيته

المقتبس

الفتوى في الاسلام

تابع لما في الجزء الماضي

(آداب المستفتي وصفته واحكامه(1))

« الاول »

المستفتي كل من لم يبلغ درجة المفتي فهو فيما يسأل عنه من الاحكام الشرعية مستفت بتقليد من نفسه

والمختار في التقليد انه قبول قول من يجوز عليه الاصرار على الخطاء بغير حجة على عين ماقيل قوله فيه

ويجب عليه الاستفتاء اذا نزلت به حادثة يجب عليه علم حكمها

فان لم يجد ببلده من يستفتيه وجب عليه الرحيل الى من يفتيه وان بعدت داره وقد رحل خلائق من السلف في المسألة الواحدة الايام والليالي

« الثاني »

يجب عليه قطعاً البحث الذي يعرف به اهلية من يستفتيه للافتاء اذا لم يكن عارفاً باهليته

فلا يجوز له استفتاء من انتسب الى العلم وانتصب للتدريس والاقراء وغيرها من العلماء بمجرد انتسابه وانتصابه لذلك

ويجوز استفتاء من استفاض كونه اهلاً للفتوى وقال بعض اصحابنا المتأخرين : انما

«1» عن مقدمة شرح المهذب للنووي

يعتمد قوله انا اهل للفتوى لاشهرته بذلك ولا يكتفي بالاستفاضة ولا بالتواتر لان الاستفاضة والشهرة من العامة لايوثق بها وقد يكون اصلها التلبيس واما التواتر فلا يفيد العلم اذا لم يستند الى معلوم محسوس : والصحيح هو الاول لان اقدامه عليها اخبار منه باهليته فان الصورة مفروضة فيمن وثق بديانته ويجوز استفتاء من المشهور المذكور باهليته

قال الشيخ ابو اسحق الشيرازي رحمه الله وغيره : يقبل في اهليته خبر العدل الواحد

قال ابو عمرو : ينبغي ان يشترط في المخبر ان يكون عنده من العلم والبصر مايميز به الملتبس من غيره فلا يعتمد في ذلك على آحاد العامة لكثرة مايتطرق اليهم من التلبيس في ذلك

واذا اجتمع اثنان او اكثر ممن يجوز استفتاؤهم فهل يجب عليه الاجتهاد في اعيانهم والبحث عن الاعلم والاورع الاوثق ليقلده دون غيره فيه وجهان (احدهما) لايجب بل له استفتاء من شاء منهم لان الجميع اهل وقد اسقطنا الاجتهاد عن العامي وهذا الوجه هو الصحيح عند اصحابنا العراقيين (والثاني) يجب لانه يمكنه هذا القدر من الاجتهاد بالبحث والسؤال وشواهد الاحوال وهذا الوجه قول ابي العباس ابن سريج واختاره القفال المرزوي وهو الصحيح عند القاضي حسين والاول اظهر وهو الظاهر من حال الاولين

قال ابو عمرو رحمه الله : لكن من اطلع على الاوثق فالاظهر انه يلزمه تقليده كما يجب ارجح الدليلين واوثق الروايتين . ثم هذا يلزمه تقليد الاورع من العالمين والاعلم من الورعين فان كان احدهما اعلم والآخر اورع قلد الاعلم على الاصح

وفي جواز تقليد الميت وجهان (الصحيح) جوازه لان المذاهب لاتموت بموت اصحابها (والثاني) لايجوز لفوات اهليته كالفاسق (قال النووي) وهذا ضعيف لاسيما في هذه الاعصار

(الثالث)

هل يجوز للعامي ان يتخير اي مذهب شاء قال الشيخ ينظر ان كان منتسباً الى مذهب بنيناه على وجهين حكاهما القاضي حسين في قول ان العامي هل له مذهب ام لا (احدهما) لامذهب له لان المذهب لعارف الادلة فعلى هذا له ان يستفتي من شاء من حنفي وشافعي وغيرهما (والثاني) له مذهب فلا يجوز له مخالفته

وان لم يكن منتسباً بني على وجهين حكاهما ابن برهان في العامي هل يلزمه ان

يتمذهب بمذهب مفت يأخذ برخصه وعزائمه « احدهما » لايلزمه كما لم يلزمه في العصر الاول ان يختص بتقليده عالماً بعينه فعلى هذا هل له ان يستفتي من شاء ام يجب عليه البحث عن اسد المذاهب واصحها اصلا ليقلد اهله فيه وجهان مذكوران كالوجهين السابقين في البحث عن الاعلم والاوثق من المفتين « والثاني » يلزمه وبه قطع ابو الحسين الكيا[1] وهو جار في كل من لم يبلغ رتبة الاجتهاد من الفقهاء واصحاب سائر العلوم

« الرابع »

اذا اختلفت عليه فتوى مفتيين ففيه خمسة اوجه للاصحاب « احدها » يأخذ باغلظها « والثاني » باخفها « والثالث » يجتهد في الاولى ويأخذ بفتوى الاعلم لا الاورع كما سبق واختاره السمعاني الكبير ونص الشافعي رضي الله عنه على مثله في القبلة « والرابع » يسأل مفتياً آخر فيأخذ بفتوى من وافقه « والخامس » يتخير فيأخذ بفتوى ايهما شاء واختاره ابو اسحق الشيرازي وجماعة

قال الشيخ ابو عمرو : المختاران عليه ان يبحث عن الارجح فيعمل به فانه حكم التعارض فيبحث عن الاوثق بين المفتيين فيعمل بفتواه :

وقال النووي : الذي اختاره الشيخ ليس بقوي بل الاظهر احد الاوجه الثلاثة وهي الثالث والرابع والخامس والظاهر ان الخامس اظهرها لانه ليس من الاجتهاد وانما فرضه ان يقلد عالماً اهلا لذلك وقد يفعل ذلك بأخذه بقول من شاء منهما والفرق بينه وبين مانص عليه في القبلة ان اماراتها حسية فادراك صوابها اقرب فيظهر التفاوت بين المجتهدين فيها والفتاوى اماراتها معنوية فلا يظهر كثير تفاوت بين المختلفين والله اعلم

« الخامس »

قال الخطيب البغدادي : اذا لم يكن في الموضع الذي هو فيه مفت الا واحد لزمه فتواه وقال ابو المظفر السمعاني : اذا سمع المستفتي جواب المفتي لم يلزمه العمل به الا بالتزامه « قال » ويجوز ان يقال انه يلزمه اذا اخذ في العمل به وقيل يلزمه اذا وقع في نفسه صحته « قال السمعاني » وهذا اولى الاوجه قال الشيخ ابو عمرو : لم اجد هذا لغيره وقد حكى هو بعد ذلك عن بعض الاصوليين انه يلزمه الاجتهاد في اعيان المفتين ويلزمه الاخذ بفتوى من اختاره باجتهاده

(١) بكسر الكاف وفتح الياء لفظ عجمي معناه الكبير القدر المقدم بين الناس (ابن خلكان)

قال الشيخ : والذي تقتضيه القواعد ان يفصل فيقال : اذا افتاه المفتي نظر فان لم يوجد مفت آخر يلزمه الاخذ بفتواه ولا يتوقف ذلك عَلَى التزامه لا في الاخذ بالعمل به ولا بغيره ولا يتوقف ايضاً عَلَى سكون نفسه الى صحته وان وجد مفت آخر فان استبان ان الذي افتاه هو الاعلم الاوثق لزمه بناء عَلَى الاصح في تعينه وان لم يستبن ذلك لم يلزمه ما افتاه بمجرد افتائه اذ يجوز له استفتاء غيره وتقليده ولا يعلم اتفاقهما في الفتوى فان وجد الاتفاق او حكم حاكم لزمه حينئذ

« السادس »

اذا استفتى فافتي ثم حدثت تلك الواقعة له مرة أخرى فهل يلزمه تجديد السؤال فيه وجهان « احدهما » يلزمه لاحتمال تغير رأي المفتي « والثاني » يعمل به وهو الاصح لانه قد عرف الحكم اولا والاصل استمرار المفتي عليه وخصص صاحب الشامل الخلاف فيما اذا قلد حياً وقطع فيما اذا كان ذلك خبراً عن ميت فانه لا يلزمه والصحيح انه لا يختص فان المفتي عَلَى مذهب الميت قد يتغير جوابه عَلَى مذهبه

« السابع »

له ان يستفتي بنفسه وله ان يبعث ثقة يعتمد خبره ليستفتي له وله الاعتماد عَلَى خط المفتي اذا اخبره من يثق بقوله انه خطه او كان يعرف خطه ولم يشك في كون ذلك الجواب بخطه

« الثامن »

ينبغي للمستفتي ان يتأدب مع المفتي ويجله في خطابه وجوابه ونحو ذلك ولا يومئ بيده في وجهه ولا يقل له ماتحفظ في كذا او ما مذهب امامك ولا يقل ان اجابه هكذا قلت لنا ولا يقل افتاني فلان اوغيره بكذا ولا يقل ان كان جوابك موافقاً لمن كتب فاكتب والا فلا تكتب ولا يسأله وهو قائم او مستوفز او على حالة ضجر او هم او غير ذلك مما يشغل القلب

وينبغي ان يبدأ بالاسن الاعلم من المفتين وبالاولى فالاولى ان اراد جمع الاجوبة في رقعة وان اراد افراد الاجوبة في رقاع بدأ بمن شاء وتكون رقعة الاستفتاء واسعة ليتمكن المفتي من استيفاء الجواب واضحاً لا مختصراً مضراً بالمستفتي ولا يدع الدعاء لمن يستفتيه قال الصيمري : فان اقتصر عَلَى فتوى واحد قال ماتقول رحمك الله او رضي عنك او وفقك الله اوسددك ورضي عن والديك وان اراد جواب جماعة قال ماتقولون

رضي الله عنكم او ما تقول الفقهاء سددهم الله تعالى و يرفع الرقعة الى المفتي منشورة ويأخذها منشورة فلا يحوجه الى نشرها ولا الى طيها

«التاسع»

ينبغي ان يكون كاتب الرقعة ممن يحسن السؤال و يضعه عَلَى الغرض مع ابانة الخط واللفظ وصيانتهما عما يتعرض للتصحيف «قال الصيمري» يحرص ان يكون كاتبها من اهل العلم وكان بعض الفقهاء ممن له رياسة لايفتي الا في رقعة كتبها رجل فتيه من اهل العلم ببلده

و ينبغي للعامي ان لا يطالب المفتي بالدليل ولا يقل لم «قال النووي» : فان احب ان تسكن نفسه لسماع الحجة طلبها في مجلس آخر او في ذلك المجلس بعد قبول الفتوى مجردة

وقال السمعاني : لايمنع من طلب الدليل وانه يلزم المفتي ان يذكر له الدليل ان كان مقطوعاً به ولا يلزمه ان لم يكن مقطوعاً به لافتقاره الى الاجتهاد ويقصر فهم العامي عنه

(العاشر)

اذا لم يجد صاحب الرقعة مفتياً ولا احداً ينقل له حكم واقعته لا في بلدة ولا في غيره قال الشيخ — ابن الصلاح — هذه مسألة فترة الشريعة الاصولية وحكمها حكم ماقبل ورود الشرع والصحيح في كل ذلك القول بانتفاء التكليف عن العبد وانه لايثبت في حقه حكم لا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك فلا يؤاخذ اذن صاحب الواقعة باي شيء صنعه فيها والله تعالى اعلم

هذا ما اثرناه عن شرح المهذب للنووي

(من افتى بالحديث الصحيح مخالفاً لمذهبه)

قال الامام النووي [١] صح عن الشافعي رحمه الله انه قال : اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا قولي : وروي عنه : اذا صح الحديث خلاف قولي فاعملوا بالحديث واتركوا قولي : او قال : فهو مذهبي : وروى عنه هذا المعنى بالفاظ مختلفة

وقد عمل بهذا اصحابنا في مسألة التثويب واشتراط التحلل من الاحرام بعذر المرض وغيرها مما هو معروف في كتب المذهب

وقد حكى ابو اسحق الشيرازي في ذلك عن الاصحاب فيها ممن حكى انه افتى بالحديث

(١) في مقدمة شرح المهذب

من اصحابنا ابو يعقوب البويطي وابو القاسم الدارلي ، وممن نص عليه ابو الحسن الطبري في كتابه في اصول الفقه ، وممن استعمله من اصحابنا المحدثين الامام ابو بكر البيهقي وآخرون

وكان جماعة من متقدمي اصحابنا اذا رأوا مسألة فيها حديث ومذهب الشافعي خلافه عملوا بالحديث وافتوا به قائلين : مذهب الشافعي ما وافق الحديث : انتهى

وفي شرح الهداية لابن الشحنة — من كبار الحنفية — : اذا صح الحديث وكان عَلَى خلاف المذهب عمل بالحديث ويكون ذلك مذهبه، ولا يخرج مقلده عن كونه حنفيا بالعمل ; فقد صح عنه انه قال : اذا صح الحديث فهو مذهبي وقد حكى ذلك ابن عبدالبر عن ابي حنيفة وغيره من الائمة [1]

وقال الامام السندي في حواشيه عَلَى فتح القدير — من كتب الحنفية — [2] : الحديث حجة في نفسه واحتمال النسخ لايضر فان من سمع الحديث الصحيح نعمل به وهو منسوخ فهو معذور الى ان يبلغه الناسخ ، ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح لايعمل به حتى يعرضه عَلَى رأي فلان وفلان فانما يقال له انظر هل هو منسوخ ام لا ، اما اذا كان الحديث قد اختلف في نسخه فالعامل به في غاية العذر فان تطرق الاحتمال الى خطاء المفتي اقوى من تطرق الاحتمال الى نسخ ما سمعه من الحديث ، قال ابن عبد البر : يجب عَلَى كل من بلغه شيء ان يستعمله عَلَى عمومه حتى يثبت عنده مايخصصه او ينسخه ، وايضا فان المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عده بعضهم احدا وعشرين حديثا ، واذا كان العامي يسوغ له الاخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال خطاء المفتي كيف لايسوغ له الاخذ بالحديث اذا فهم معناه وان احتمل النسخ ، ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لايسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من ابطل الباطل وقد اقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الامة ; ولا يعرض احتمال الخطاء لمن عمل بالحديث وافتى به بعد فهمه الا واضعاف اضعافه حاصل لمن افتى بتقليد من لا يعلم خطوه من صوابه ويجري عليه التناقض والاختلال ويقول القول ويرجع عنه ويحكى عنه في المسألة

(١) نقله العلامة ابن عابدين في رد المحتار

(٢) نقله الامام الفلاني المحدث الشهير ذو الاسناد العالي في كتابه ايقاظ الهمم وهو مطبوع

عدة اقوال ، وهذا كله فيمن له نوع اهلية اما اذا لم يكن له اهلية ففرضه ما قال الله تعالى « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » واذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتبه له المفتي من كلامه، او كلام شيخه وان علا فلان يجوز اعتماد الرجل على ما كتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بالجواز ولو قدر انه لم يفهم الحديث فكما لو لم يفهم فتوى المفتي يسأل من يعرفها فكذلك الحديث انتهى كلام السندي ملخصا وقد اطال من هذا النفس العالي رحمه الله ورضي عنه

(ايثار الفتوى بالآثار السلفية)

قال ابن القيم في اعلام الموقعين : اعلم ان فتاوى الصحابة اولى ان يؤخذ بها من فتاوى التابعين وفتاوى التابعين اولى من فتاوى من بعدهم ، وكلما كان العهد بالرسول صلى الله عليه وسلم اقرب كان الصواب فيه اغلب ، وهذا الحكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد فرد من المسائل فان عصر التابعين وان كان افضل من عصر تابعيهم فانما هو بحسب الجنس لابحسب كل شخص شخص ولكن المفضلون في العصر المتقدم اكثر من المفضلين في العصر المتأخر وهكذا الصواب في اقوالهم اكثر من الصواب في اقوال من بعدهم : وتتمة كلامه درر لايستغنى عن مراجعتها

(عناية المفتي بتعليل الاحكام وبيان اسرارها)

قال الغزالي في المستصفى : ان في معرفة باعث الشرع ومصلحة الحكم استمالةالقلوب الى الطمأنينة والقبول بالطبع والمسارعة الى التصديق فان النفوس الى قبول الاحكام المعقولة الجارية على ذوق المصالح اميل منها الى قهر التحكم ومرارة التعبد ولمثل هذا الغرض استحب الوعظ وذكر محاسن الشريعة ولطائف معانيها وكون المصلحة مطابقة للنص وعلى قدر حذقه يزيدها حسنا وتأكيدا اه ومن احسن المؤلفات في اسرار الشريعة اعلام الموقعين وحجة الله البالغة

(حظر الفتوى بنسخ نص الا بنص)

قال الامام ابو محمد بن حزم في مقدمة المحلى : ولا يحل لاحد ان يقول في آية اوفي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت هذا منسوخ وهذا مخصوص في بعض مايقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تأويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر

او باجماع متيقن بانه كما ذكر بضرورة حس موجبة انه كما ذكر والا فهو كاذب انتهى
وقال العلامة ابو النصر القزاني [1] القورصاوي في كتابه الارشاد : ان الاعتصام بالكتاب والسنة اصل اصيل من اصول الدين والناس رفضوا هذا القطب حتى حسبوا ان الحديث الموجب للعمل مفقود ، وان السبيل دون الوصول اليه مسدود ، ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها ، واستطار في الخلق شررها ، وجب كشف الغطاء (الى ان قال) فيقال لهؤلاء المخترعين هذا القول الذي وصفناه هل تجدون هذا الذي قلتم عن احد يلزم قوله والا فعلموا دليلا عَلَى مازعمتم

فان ادعوا قول احد من علماء السلف بما زعموا من كون الاخبار الثابتة بنقل الثقات حجة عَلَى المجتهدين لا عَلَى غيرهم طولبوا به ، ولن يجدوا هم ولا غيرهم الى ايجاده سبيلا ،

وان ادعوا فيما زعموا دليلا يحتج به يقال ماذلك الدليل . فان قالوا ان الحديث يحتمل الوضع يقال ليس الذي يقوم حجة خبر كل من نصب نفسه محدثاً بل مارواه واسنده الائمة المتقنون المعروفون بالصدق والامانة والثقات الراسخون في العلم عن قوم مرضيين عندهم وصححوه مثل مالك بن انس ومسلم بن الحجاج ومحمد بن اسماعيل البخاري ومحمد بن ادريس الشافعي واحمد بن حنبل ومحمد بن عيسى الترمذي وسليمان بن اشعث السجستاني وغيرهم من الائمة المعروفين ، وكتبهم باسانيدهم بين العلماء معتمدة مشهورة حتى قالوا ان الحديث اذا نسب اليهم فكأنه اسند الى النبي صلى الله عليه وسلم لانهم قد فرغوا من الاسناد واغنونا عنه ، ومن ثم لزم الاخذ بنص احدهم عَلَى صحة السند او الحديث اوضعفه فكما ان المجتهد يعتمد عَلَى ثبوت الخبر عَلَى الاسناد من جهة الثقات فكذلك غيره ، وكما ان خبر الواحد الثقة عن الواحد الثقة حجة يلزم به العمل عَلَى المجتهد وهو محجوج به فكذلك غيره ، وكما يجب علينا الانقياد من حديث لايعرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه فكذلك عَلَى المجتهد

وايضا ان الخبر يقين باصله لانه من حيث انه قول الرسول عليه السلام لايحتمل الخطأ وانما الشبهة باعتبار النقل حيث يحتمل السهو والنسيان ، وقول الفقيه يحتمل

---

(١) هو عبد النصير بن ابراهيم البلغاري كان من كبار علماء قزان الحنفية ومن الداعين الى الكتاب والسنة وسلوك طريق السلف له مؤلفات عديدة منها كتابه هذا المسمى بالارشاد للعباد طبع في قزان ١٣٢١ مع كتاب آخر في تراجم رجاله اسمه المرصاد في تراجم رجال الارشاد

الخطأ باصله اذ هو يجتهد فيخطئ ويصيب واما باعتبار نقله فاكثره خال عن السند اصلا فكما ان وضع الخبر محتمل وصحة الاسناد يدفعه فكذلك وضع الرواية محتمل ولا اسناد حتى يدفعه

والصحابة رضي الله عنهم كانوا متفقين عَلَى ترك الرأي بالسنة وهو حجة شرعية فكيف لا يترك التقليد بها وهو ليس بحجة اصلا

فالواجب عَلَى من بلغه الحديث ان يعمل به هذا في فقهاء الصحابة رضي الله عنهم فكيف فيمن دونهم وقد صح عن الشافعي رضي الله عنه انه قال: اذا صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي فانه مذهبي: وقال علي بن محمد القاري: وهذا مذهب كل مسلم.

واما قولهم: الحديث يحتمل النسخ والتأويل: قلنا اذا ظهر ناسخه فلا نزاع في سقوط العمل به وان لم يظهر فلا يترك العمل بالدليل الثابت لاحتمال النسخ بل يعمل به حتى يظهر ناسخه، ولو صار الدليل متروكا بكل احتمال لم يبق دليل معمولاً به الا ترى الى مانقله اصحاب الاصول عن ابي حنيفة ومحمد وحسن بن زياد رضي الله عنهم ان الحديث وان كان منسوخاً لايكون ادنى درجة من الفتوى مالم يبلغه النسخ، وايضا قد شاع عن الفقهاء الرجوع عن قول الى قول فهذا القول الذي يخالف الخبر الصحيح يجوز ان يكون قولاً مرجوعاً عنه فيكون كلا قول فكيف يترك الحديث الثابت باسناده لاحتمال النسخ ولا تترك الرواية الخالية عن السند لاحتمال رجوع قائلها بل الظاهر انه لم يبلغه الحديث ولو بلغه لرجع اليه او كان ذلك المروي مذهبه فبلغه الحديث وترك مذهبه بالحديث ورجع اليه احساناً للظن به فانه ان خالف الحديث لقلة المبالاة والتهاون به سقطت عدالته فلا تقبل روايته وفتواه

وكذلك قولهم: يترك النص لاحتمال كونه مؤولا: قلنا احتمال التأويل اما ان يكون ناشئاً عن قرينة او خفاء فيه كما اذا كان مشتركاً اومشكلا اومجملاً مثلاً اولا فان كان الثاني فلا عبرة للاحتمال اصلا اذ المراد من الكلام ظاهره عند خلوه عن قرينة تصرفه عنه والعقلاء لايستعملون الكلام في خلاف الاصل عند عدم القرينة والا لبطل فائدة التخاطب، والفرار عن ظل جدار غير مائل لتوهم السقوط ينسب الى السفه ولا كذلك اذا كان مائلا، وان كان الاول فان قدر عَلَى ترجيح احد المعاني المحتملة بالرأي فيعمل بما ترجح عنده وان لم يقدر على الترجيح وكان جواب المسألة مما اشتهر

وظهر وانجلى عن اصحابنا ارجو ان يسع الاعتماد عليه والعمل به ان شاء الله تعالى ، الا ترى الى قول العلماء ان التمسك في الاصول بالكتاب والسنة واجماع الامة مع المجانبة عن الهوى والبدعة وفي الفروع بالمجمع عليه ثم بالاحوط ثم بالاوثق دليلا ثم بقول من ظن انه اعلم واورع

وايضا كما ان التأويل محتمل في الحديث كذلك يحتمل في فتوى الفقيه فان جاز فهم المراد من الفتوى لظهوره جاز فهم المراد من الحديث ايضاً لظهوره ، وليس الفقيه باقدر عَلَى الفهيم من النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا القول الذي احدثوه وحكيناه عنهم من لزوم الاعراض عن سنن النبي واحاديثه صلى الله عليه وسلم بالشبه التي وصفناها احقر واصغر من ان ينقل و يشار ذكره اذ هو قول محدث وكلام خلف يستنكره اهل العلم وحججهم داحضة عند العقلاء ، واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فلا حاجة في رده باكثر مما شرحنا اذ قدر المقالة وقائليها القدر الذي وصفناه والله المستعان عَلَى دفع ما خالف السنة ومذهب اهل السنة وعليه التكلان انتهى كلامه بحروفه

(وجوب تحري المفتي من الاقوال ارجحها)

ان مما يدعو للنظر والتروي في الفتيا كثرة المذاهب والاقوال في المسألة فليس مذهب احق من مذهب ولا قول ارجح من آخر الا بالدليل والبرهان الذي يدعمه ويؤيده ويبينه اجلى بيان

وقد اتفق الاصوليون كافة عَلَى وجوب اتباع المفتي الاقوى دليلا والاقوم برهانا من اي مذهب كان قال الامام النووي في مقدمة شرح المهذب : ليس للمفتي ولا للعامل في مسألة القولين ان يعمل بما شاء منهما بغير نظر بل عليه العمل بارجحهما :

وقال العلامة ابو النصر القزاني الحنفي (١) في كتابه الارشاد : وليس للمفتي الفتوى باحد القولين او الوجهين من غير نظر بل عليه العمل بالارجح والجمهور من المحققين قالوا : ان العمل والفتوى بالمجمع عليه ثم بالاحوط ثم بالاوثق دليلا ثم بقول من ظنه اعلم واورع ولذلك ترى المنتسبين الى مذهب يفتون بخلاف قول امامهم كالحنفية يقلدون ابا حنيفة فيما لم يظهر عَلَى خلاف قوله دليل اقوى من دليله واذا ظهر الدليل الراجح عَلَى دليله يفتون ويعملون عَلَى خلاف قوله ويقولون الفتوى على قول ابي يوسف او على قول محمد او عَلَى قول زفر مثلا وينقلون قول ابي حنيفة رضي الله عنه في ظاهر الرواية

(١) المنوه به قبل

على خلافه وكذلك ابو يوسف او محمد مثلا ممن ينتسبون لمذهب ابي حنيفة فانهم يقلدونه فيما لادليل عندهم واذا قام الدليل عَلَى خلافه يفتون بغير قوله لان الواجب متابعة الدليل الراجح عند قيامه والتقليد انما يصار اليه عند الضرورة مقدرة بقدرها انتهى

وقال الامام ابن هبيرة في الايضاح : اذا خرج[1] من خلاف الائمة المجتهدين متوخياً مواطن الاتفاق مالمكنه كان آخذاً بالحزم عاملا بالاولى وكذلك اذا قصد في مواطن الخلاف توخي ماعليه الاكثر منهم والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد فانه يأخذ بالحزم مع جواز عمله بقول الواحد الا انني اكره له ان يكون مقتصراً في حكمه عَلَى اتباع مذهب ابيه اوشيخه مثلا فاذا حضر عنده خصمان وكان ماتشاجرا فيه مما يفتي الائمة الثلاثة بحكمه نحو التوكيل بغير رضا الخصم وكان الحاكم حنفياً وعلم ان مالكا والشافعي واحمد اتفقوا عَلَى جواز هذا التوكيل وان ابا حنيفة يمنعه فعدل عما اجتمع عليه هؤلاء الائمة الثلاثة الى ماذهب اليه ابو حنيفة بمفرده من غير ان يثبت عنده بالدليل ماقاله ولا اداه اليه اجتهاده فاني اخاف عليه من الله عزوجل ان يكون اتبع في ذلك هواه ولم يكن من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه (وكذلك)ان كان القاضي مالكياً واختصم اليه اثنان في سؤر الكلب فقضى بطهارته مع علمه بان الفقهاء كلهم قدقضوا بنجاسته وكذلك) ان كان القاضي شافعياً واختصم اليه اثنان في متروك التسمية عمداً فقال احدهما هذا منعني من بيع شاة مذكاة وقال آخر انما منعته من بيع الميتة فقضي عليه بمذهبه وهو يعلم ان الائمة الثلاثة عَلَى خلافه (وكذلك) ان كان القاضي حنبلياً فاختصم اليه اثنان فقال احدهما لي عليه مال فقال الآخر كان له عليّ مال ولكن قضيته فقضى عليه بالبراءة مع علمه بان الائمة الثلاثة على خلافه . فهذا[2] وامثاله مما ارجو ان يكون اقرب الى الخلاص وارجح في العمل اه

وقال الامام ابن عبد البر في جامع العلم : الواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب والسنة والاجماع والقياس على الاصول عَلَى الصواب منها وذلك لايعدم فان استوت الادلة وجب الميل مع الاشبه بماذكرنا بالكتاب والسنة فاذا لم يبن وجب التوقف ولم يجز القطع الا بيقين فان اضطر احد الى استعمال شيء من ذلك في خاصة نفسه

(١) يعني الحاكم او المفتي المقلد والا فالمجتهد لايمشي الامع الدليل واذا عني القضاة والمفتون بما قال ابن هبيرة فتح للامة مخارج من مهام كثيرة وابواب تقتضيها سماحة الاسلام

(٢) اي الرجوع الى العمل بما قاله الجمهور اه منه

جاز له مايجوز للعامة من التقليد واستعمل عند افراط التشابه والتشاكل وقيام الادلة عَلَى كل قول بما يعضده قوله صلى الله عليه وسلم البر ما اطمأنت اليه النفس والاثم ماحاك في الصدر فدع مايريبك الى مالا يريبك : هذا حال من لايتم النظر وهو حال العامة التي يجوز لها التقليد فيما نزل بها وافتاها بذلك علماؤها

واما المفتون فغير جائز عند احد ممن ذكرنا قوله لا ان يفتي ولا يقضي حتى يتبين له وجه مايفتي به من الكتاب او السنة او الاجماع اوما كان في معنى هذه الاوجه انتهى وهو خلاصة الخلاصة ولباب الالباب وما الطف قول الماوردي : يلزم الاجتهاد في كل حكم طريقه الاجتهاد انتهى والمجتهد فيه قال الغزالي هو كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي وقد ذكر الامام ابن القيم في اعلام الموقعين ان من افتى بقول يعلم ان غيره ارجح منه انه خائن لله ورسوله وللاسلام اذ الدين النصيحة (قال رحمه الله) وكثيراً ماترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب ولا يسعنا ان نفتي بخلاف مانعتقده فنحكي المذهب ثم نحكي المذهب الراجح ونقول هذا هوالصواب وهو الاولى ان يؤخذ به

وههنا لابد من التنبيه على انه ليس كل مايقال عنه ضعيف هو ضعيف حقيقة فقد سرى التقليد في كل شيء حتى في التضعيف وليس القول الضعيف ماضعفه فقيه برأيه لتوهم مخالفة قاعدة عنده اوقياس اونظير كلا ان الضعيف ماخالف دليلا صحيحاً من نص اوقياس قويم وكم من قول ضعف هو صحيح برهاناً ونظرا واوفق للمصلحة ولحكمة الشارع ويرحم الله القائل

وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

فعلى المفتي ان يمحص الاقوال ولا يغتر بمجرد التضعيف بل يجري وراء الاسد برهاناً الاصلح عمراناً وقد قال تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »

(الحذر من الفتاوى في تحسين البدع ووجوب الرجوع الى مآخذها)

قال الامام ابن الحاج المالكي رحمه الله في كتابه المدخل : وليحذر ان يغتر العالم او يميل الى بدعة لدليل قام عنده على اباحتها من اجل استئناس النفوس بالعوائد او بفتوى مفت قد وهم او نسي اوجرى عليه من الاعذار مايجري عَلَى البشر وهو كثير بل اذا نقل اباحة شيء من هذه الامور عن احد من العلماء فينبغي للعالم بل يجب عليه ان ينظر الى مأخذ العالم المسألة وجوازه اياها من اين اخترعها وكيفية اجازته لها لان هذا الدين

والحمد لله محفوظ فلا يمكن ان احداً يقول فيه قولا بغير دليل ولو فعل ذلك لم يقبل منه وهو مردود عليه وتتمته نفيسة فليرجع اليه (١)

وقال الامام محمد البلاطنسي في خلال فتوى له : ان الواجب على الشخص ان يلزم طريق السنة ويجتنب سلوك البدعة ولا يغتر بكثرة الفاعلين لها ولا بكون العامل بها والمواظب عليها عالماً او مرموقاً بعين الصلاح

وقال الامام ابو شامة الدمشقي : واكثر مايؤتى الناس في البدع بهذا السبب بكون الرجل مرموقاً بالاعين فيتبعون اقواله وافعاله فتفسد امورهم مع تمادي العهد ونسيان اول هذا الامر كيف كان وقال شيخنا البلاطنسي رحمه الله : ان اهل الزمان انما اتوا من قبل انهم يفتون في كل مايسألون عنه ولا يدرون اصابوها ام اخطؤها والمناكر القطيعة لا ينتبهون لها ولا ينكرونها سئل الامام مالك رضي الله عنه عن ثماني واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لاادري فالله المستعان على هؤلاء الذين شهواتهم غالبة على ديانتهم ويفتون بما ينقدح في اذهانهم ولا يقدرون انفسهم عما لايعرفونه واكثرهم ينطبق عليه الحديث الذي في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا .

(قال الامام ابو بكر الطرطوشي)فتدبروا هذا الحديث فانه يدل على انه لايؤتى الناس من قبل علمائهم فقط وانما يؤتون من قبل انه اذا مات علماؤهم افتى من ليس بعالم فيؤتى الناس من قبله

قال وقد صرف عمر رضي الله عنه هذا المعنى تصريفاً فقال :ماخان امين قط ولكنه اؤتمن غير امين فخان (قال)ونحن نقول ماابتدع عالم قط ولكنه استفتي من ليس بعالم فضل واضل انتهى

(استفتاء القلب)

روى الامام احمد والدارمي في مسنديهما عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم قال « استفت قلبك البر ما اطمأنت عليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ماحاك في النفس وتردد في

(١) ليتأمل في هذا من يؤلف في بعض البدع ويظهرها بقالب شرعي في زعمه تزلفاً الى العامة وتفانياً في العادات ومعاندة لمن افتى ببدعتها مكابرة وقحة له منه

الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك » يشير الى التورع عما هو حلال في الفتوى بحسب ظاهر الحال ولكنه يجد حزازة في قلبه فكل من وجد حزازة واقدم مع مايجده في قلبه فذلك يضره لانه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وتفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام من احياء علوم الدين

(تغير الفتوى بتغير الاحوال والرد الى المصالح)

عقد الامام ابن القيم في اعلام الموقعين فصلا لتغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعادات « وقال » هذا فصل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة اوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل اليه مايعلم ان الشريعة الباهرة التي في اعلى رتب المصالح لاتأتي به، فان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة في شيء وان ادخلت فيها بالتأويل الخ والبحث جدير بالمراجعة وللامام نجم الدين الطوفي مبحث واف في المصالح المرسلة لايستغني عن مراجعته مفت ولا حاكم[1]

(بحث قولهم في الفتوى هذا حكم الله او ما حكم الله في كذا)

المستفتي اما ان يسأل عن حكم منصوص عليه او مجتهد فيه ففي الاول لاخلاف في جواز قوله : ما حكم الله : وقول مفتيه هذا حكم الله : لان حكم الله كما قال الغزالي في المستصفى خطاب مسموع او مدلول عليه بدليل قاطع وفي الثاني اعني المجتهد فيه ان قلنا على رأي الجمهور ان لله فيه حكماً معيناً يتوجه اليه الطلب وقد يصيبه المجتهد وقد يخطئه فلا يسوغ ان يقال ما حكم الله ولا هذا حكم الله لانه مغيب وهو مثل دفين يعثر عليه المجتهد بالاتفاق فمن عثر عليه اجران ولمن اخطأه اجر واحد لاجل سعيه وطلبه وان قلنا على رأي غيرهم انه ليس في الواقعة التي لانص فيها حكم معين بل الحكم يتبع الظن والفرض على كل مجتهد ماغلب على ظنه فله ان يقول ما حكم الله بمعنى ماشرعه واذن فيه وذلك هو ماغلب على ظن المجتهد

وقد لخص هذه المسألة العلامة العضد في شرح مختصر المنتهى بقوله المسألة اما لاقاطع

(١) طبع في مجموعة متون في الاصول

فيها من نص او اجماع اوفيهاقاطع اما التي لاقاطع فيها فقد اختلف فيها فقال القاضي — ابو بكر الباقلاني — والجبائي كل مجتهد مصيب بمعنى انه لاحكم معيناً لله فيهاوحكم الله فيها تابع لظن المجتهد فما ظنه فيها كل مجتهد فهو حكم الله فيها في حقه وحق مقلده[1] وقد قيل لله فيها حكم والمصيب واحد وهوماالجمهور

وقد استدل الجمهور بحديث بريدة[2] قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميراً على جيش اوسرية اوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال له واذا حاصرت اهل حصن فارادوك ان تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن انزلهم على حكمك فانك لاتدري اتصيب فيهم حكم الله ام لا قال المجد ابن تيمية وهو حجة في ان ليس كل مجتهد مصيباً بل الحق عند الله واحد[3]

وكذلك بحديث اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر فدل ان فيه خطأ وصواباً

وقد اجيب عن الحديث الاول بما حكاه العلامة الشوكاني في نيل الاوطار قال وقد قيل ان هذا الحديث لاينتهض للاستدلال به على ان ليس كل مجتهد مصيباً لان ذلك كان في زمن النبي والاحكام الشرعية اذ ذاك لاتزال تنزل وينسخ بعضها بعضاً

---

(١) اي فهو مصيب بمعنى انه ادى ما كلف به لانه بذل وسعه واللازم في الاجتهاد ليس الا بذل الوسع لانه المقدر عليه فكل مجتهد مصيب اي اذا افتى بشيء فقد اصابه

(٢) رواه الامام احمد ومسلم والترمذي وصححه

(٣) وممن ذهب الى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فقد حكى عنه تلميذه شمس الدين ابن القيم في اعلام الموقعين سراعاً انه قال حضرت مجلساً فيه القضاة وغيرهم فجرت حكومة حكم فيها احدهم بقول زفر فقلت له ماهذه الحكومة فقال هذا حكم الله فقلت له صار قول زفر هو حكم الله الذي حكم به والزم به الامة قل هذا حكم زفر ولا تقل هذا حكم الله او نحو هذا من الكلام وصدر ابن القيم هذا البحث في الجزء ٣ ص ١٨٤ بقوله لايجوز للمفتي ان يشهد على الله ورسوله بانه احل كذا اوحرمه اواوجبه او كرهه الا لما يعلم ان الامر فيه كذلك مما نص الله ورسوله على اباحته او تحريمه او ايجابه او كراهته بخلاف ماوجده في كتابه الذي تلقاه عمن قلده الى آخر ماذكره وقد علمت مبنى الخلاف في هذه المسألة اه منه

ويخصص بعضها ببعض فلا يؤمن ان ينزل عَلَى النبي صلى الله عليه وسلم حكم خلاف الحكم الذي قد عرفه الناس :

واجاب الامام الغزالي في المستصفى عن الحديث الثاني بقوله والجواب من وجهين «الاول» ان هذا هو القاطع عَلَى ان كل واحد مصيب اذ له اجر والا فالمخطىء الحاكم بغير حكم الله تعالى كيف يستحق الاجر (الثاني) هو انا لاننكر اطلاق اسم الخطإ عَلَى سبيل الاضافة الى مطلوبه لاالى ماوجب عليه فان الحاكم يطلب رد المال الى مستحقه وقد يخطىء ذلك فيكون مخطئاً فيما طلبه مصيباً فيما هو حكم الله تعالى عليه وهو اتباع ماغلب عَلَى ظنه من صدق الشهود وكذلك كل من اجتهد في القبلة يقال اخطأ اي اخطأ ماطلبه ولم يجب عليه الوصول الى مطلوبه بل الواجب استقبال جهة يظن ان مطلوبه فيها (ثم قال) « فان قيل » ولم كان للمصيب اجران وهما في التكليف واداء ماكلفا سواء « قلنا » لقضاء الله تعالى وقدره وارادته فانه لو جعل للمخطىء اجرين لكان له ذلك وله ان يضاعف الاجر عَلَى اخف العملين لان ذلك منه تفضل ثم السبب فيه انه ادى ما كلف وحكم بالنص اذ بلغه والآخر حرم الحكم بالنص اذ لم يبلغه ولم يكلف اصابته لعجزه ففاته فضل التكليف والامتثال

والبحث جدير بالعناية وقد جوده حجة الاسلام الغزالي في المستصفى فارجع اليه

(الحذر من رد النص بالتأويل)

قال الامام تقي الدين ابن دقيق العيد من ائمة الشافعية [1] : ان الفقه في الدين منزلة لايخفى شرفها وعلاها ولاتحتجب عن العقول طوالعها واضواها وارفعها بعد فهم كتاب الله المنزل البحث عن معاني حديث نبيه المرسل اذ بذاك تثبت القواعد ويستقر الاساس وعنه يقوم الاجماع ويصدر القياس لكن شرط ذلك عندنا ان يحفظ هذا النظام ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام وترد المذاهب اليه وترد الآراء المنتشرة حتى تقف بين يديه

واما ان يجعل الفرع اصلا ويرد النص اليه بالتكلف والتحيل ويحمل عَلَى ابعد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والذلول ويحتمل من التأويلات ما تنفر منه النفوس وتستنكره العقول فذلك عندنا من اردإ مذهب واسوإ طريقة ولانعتقد انه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة وكيف يقع امر مع

(١) في خطبة شرح الالمام كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته اه منه

رجحان منافيه وانى يصح الوزن بميزان مال احد الجانبين فيه ومتى ينصف حاكم ملكته غضبة العصبية واين يقع الحق من خاطر اخذته العزة بالحمية الخ

(الفتوى في امر لم يقع)

قال الامام ابو شامة رحمه الله في كتابه (المؤمل في الرد الى الامر الاول) ما مثاله : كان الصحابة اذا نزلت بهم النازلة بحثوا عن حكم الله تعالى فيها من كتاب الله وسنة نبيه وكانوا يتدافعون الفتوى ويود كل منهم لو كفاه اياها غيره وكان جماعة منهم يكرهون الكلام في مسألة لم تقع ويقولون للسائل عنها : اكان ذلك : فان قال لا قالوا : دعه حتى يقع ثم نجتهد فيه : كل ذلك يفعلونه خوفا من الهجوم على ما لا علم لهم به واشتغالا بما هو الاهم فاذا وقعت الواقعة لم يكن بد من النظر فيها

قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يمض به كتاب ولا سنة وكرهوا للمسؤول الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما ابيح للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا يغنيهم ما مضى من الاجتهاد واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه : انتهى

(المواضع التي يجب فيها على المفتي المناظرة او يستحب وشرح فوائدها)

قال حجة الاسلام الغزالي في المستصفى : المحصلون يعتقدون وجوب المناظرة لغرضين واستحبابها لستة اغراض

(اما الوجوب) ففي موضعين (احدهما) انه يجوز ان يكون في المسألة دليل قاطع من نص او ما في معنى النص او دليل عقلي قاطع فيما يتنازع فيه في تحقيق مناط الحكم ولو عثر عليه لامتنع الظن والاجتهاد فعليه المباحثة والمناظرة حتى ينكشف انتفاء القاطع الذي يأثم ويعصى — المجتهد — بالغفلة عنه (الثاني) ان يتعارض عنده دليلان ويعسر عليه الترجيح فيستعين بالمباحثة على طلب الترجيح فانا وان قلنا على رأي انه يتخير فانما يتخير اذا حصل اليأس عن طلب الترجيح وانما يحصل اليأس بكثرة المباحثة

(واما الندب) ففي مواضع (الاول) ان يعتقد فيه انه معاند فيما يقوله غير معتقد له وانه انما يخالف حسداً اوعناداً او نكراً فيتناظر ليزيل عنهم معصية سوء الظن ويبين انه يقوله عن اعتقاد واجتهاد (الثاني) ان ينسب الى الخطاء وانه قد خالف دليلا

قاطعاً فيعلم جهلهم فيناظر ليزيل عنهم الجهل كما ازال في الاول معصية التهمة (الثالث) ان ينبه الخصم على طريقه في الاجتهاد حتى اذا فسد ما عنده لم يتوقف ولم يتخير وكان طريقه عنده عتيداً يرجع اليه اذا فسد ما عنده وتغير فيه ظنه (الرابع) ان يعتقد ان مذهبه اثقل واشد وهو لذلك افضل واجزل ثوابا فيسعى في استجرار الخصم من الفاضل الى الافضل ومن الحق الى الاحق (الخامس) انه يفيد المستمعين معرفة طرق الاجتهاد ويذلل لهم مسلكه ويحرك دواعيهم الى نيل رتبة الاجتهاد ويهديهم الى طريقه فيكون كالمعاونة على الطاعات والترغيب في القربات (السادس) وهو الاهم ان يستفيد هو وخصمه تذليل طرق النظر في الدليل حتى يترقى من الظنيات الى ما الحق فيه واحد من الاصول فيحصل بالمناظرة نوع من الارتياض وتشحيذ الخاطر وتقوية المنة في طلب الحقائق ليترقى به الى نظر هو فرض عينه ان لم يكن في البلد من يقوم به او كان قد وقع الشك في اصل من الاصول او الى ما هو فرض على الكفاية اذ لابد في كل بلد من عالم ملي بكشف معضلات اصول الدين وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب متعين ان لم يكن اليه طريق سواه وان كان اليه طريق سواه فيكون هو احدى خصال الواجب فهذا في بعض الصور يلتحق بالمناظرة الواجبة

فهذه فوائد مناظرات المحصلين اه وهو من احسن ما كتب فيها وبه يعلم ان الدخول في المناظرة انما هو للمجتهد وقد صرح به حجة الاسلام عليه الرحمة ايضاً في بحث آداب المناظرة من كتاب العلم في الاحياء. واما المقلد فقد قال عليه الرحمة في كتابه فيصل التفرقة : ان شرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه : في كلام بديع ينبغي مراجعته وما الطف قول ابن سهل : فما اضيع البرهان عند المقلد والله اعلم

(نموذج من فتاوى القرن السابع وتوقيع عدة مفتين على فتوى واحدة)

في فتاوى تاج الدين الفزاري الشهير بابن الفركاح — من ائمة الشافعية — ما مثاله

(واقعة)

قرية موقوفة على شخصين على سبيل الاشاعة الوقف الصحيح الشرعي فوضع شخص يده على نصف الارض واستغلها وبقي النصف الآخر في يد الشريك فهل يكون الحاصل من مغل النصف الباقي بين الشريكين ام لا

اجاب الشيخ شمس الدين عبد الرحمن ابن نوح المقدسي [1] اذا كانت مشاعة غير

(١) من كبار علماء دمشق مدفون في مقبرة الصوفية المعروفة بالبرامكة

مقسومة فالغصب واقع عليهما ومغل مالم توضع عليه اليد بينهما لايختص به الشريك الذي هو في يده

وصحح عَلَى جوابه عبد الكريم الانصاري

وكتب قاضي الحنفية الصدر سليمان : نعم يكون بينهما الا ان يكون نماء ملكه

وكتب بعض الحنابلة : نعم يكون ذلك بينهما عَلَى حسب شرط الواقف

وفيها ايضاً مامثاله

(حادثة)

وقعت لنقيب الاشراف بدمشق سنة (٦٦٦) كان قد حوسب فخرج عليه في الحساب ستة آلاف فقال : صرفتها في المداراة عن الوقف : فقال الاشراف : مانعرف ما المداراة بين لنا ما اردت به : فقال : مايلزمني ذلك شرعاً : فكتب في ذلك سؤال

فكتب تاج الدين : ان لم يكن المتولي حاكما فعليه بيان جهة المداراة ويكون ضامناً ان اصر عَلَى الامتناع من البيان . وساعده النجم الموقاتي على ذلك

وكتب البرهان المراغي : انه لا يلزمه بيان المداراة :

فلما كان يوم الجمعة السادس والعشرون من شوال من السنة المذكورة عقد مجلس بالعادلية عند قاضي القضاة ابن خلكان وحضر النقيب وقال : ان الفقهاء افتوا انه لايلزمه بيان المداراة : فناظره الشيخ (١) في ذلك فرجعوا الى قوله وهذا لان المداراة من غير الحاكم لابد من تفسيرها لانها في مظنة الاجتهاد فانه قد يعتقد مصلحة ما ليس مصلحة الخ

وفيها ايضا ماصورته :

(واقعة)

كان بدمشق شخص يعرف بناصر الدين ابن مجاور في سنة (٦٧٣) وقف غراسا على مغارة الدم بجبل قاسيون ظاهر دمشق واشهدنا بالوقفية ولم يكتب كتاب وقف فلما توفي كان لبيت المال في ميراثه نصيب فنازع وكيل بيت المال في الغراس فكتب محضر مضمونه ان ابن مجاور وقف ذلك الغراس عَلَى مغارة الدم وعَلَى مصارفها وقفاً صحيحاً شرعيا فقال الوكيل المصارف مجهولة وكتب في ذلك سؤال

---

(١) يعني تاج الدين الفزاري صاحب الفتاوى المنقول عنها

فكان الجواب ان المصارف الجهات المعينة في كتاب وقف مغارة الدم المتقدم عَلَى وقف هذا الغراس

ولما حضر الشهود عند القاضي كانت صورة شهادتهم : انهم يشهدون عَلَى اقرار ابن مجاور انه وقف ذلك الغراس على مغارة الدم : ولم يقولوا وعلى مصارفها

فتوقف القاضي لذلك في الحكم ونازع الوكيل وقال : ان هذه الشهادة لاتقبل : فكتب في ذلك سؤال

اجاب تاج الدين فيه بان هذه الشهادة يثبت بها الوقف ويحكم الحاكم بالوقف بها مستدلاً عَلَى ذلك بانهما شهدا على اقراره بالوقف ومطلق الاقرار بالوقف محمول عَلَى الصحيح والصحيح ما اجتمع فيه الشرائط المعتبرة فيه

وساعده عَلَى ذلك البرهان المراغي والشيخ محي الدين النواوي وغيرهما

وفيها ايضا مانصه

(واقعة)

وقف وقفاً صحيحاً شرعياً عَلَى بعض جهات البر وحكم به حاكم من حكام المسلمين واستثنى الواقف النظر فيه لنفسه مدة حياته وله ان يفوض ذلك الى من يرى في حياته وبعد وفاته وكذلك كل من آل اليه النظر في هذا الوقف له ان يفوضه الى من يراه اهلا لذلك في حياته وبعد وفاته ولم يجوز هذا الواقف لناظر من النظار في هذا الوقف ان يفوضه الا الى من يعلم عدالته وامانته وصلاحه ويختار من هو عَلَى هذه الصفات من اقرب الناس الى الواقف ثم الاقرب فالاقرب الى الاعلى من نسله فان لم يكن من عصبته احد موصوف بهذه الصفات فعند ذلك يفوض الى من هو على هذه الصفات من عشيرة هذا الواقف فان لم يوجد منهم احد فوضه الى من هو على هذه الصفات من الاجانب عَلَى حسب ما يراه وان كان الابعد عَلَى هذه الصفات والاقرب عارياً عنها فيقدم الموصوف بهذه الصفات على الاقرب ومتى عاد الاقرب الى هذه الصفات واتصف بها عاد النظر اليه ومتى مات الناظر من غير وصية ولا تفويض كان النظر بعده مفوضاً الى الاقرب فالاقرب الى الواقف من الموصوفين بهذه الصفات عَلَى الشرط المذكور فان مات الناظر ولم يفوض الى احد ولم يبق من عشيرة الواقف المذكور احد موصوف بهذه الصفات كان النظر في الوقف مردوداً الى كل حاكم يتولى الحكم بمدينة كذا فاسند الواقف النظر في ذلك الى اخيه زيد ثم ان اخا الواقف اسند النظر الى ولده عمرو اذ لم يكن

للواقف احد اقرب منه ثم ان عمراً اسند الى ولده بكر مع وجود من هو اقرب الى الواقف فهل يصح اسناد عمرو ام لا واذا لم يصح فيكون النظر الى اقرب الناس للواقف بشرط الوقف واذا كان الاقرب الى الواقف امرأة وهي موصوفة بالصفات المشروطة في النظر فهل يعود النظر اليها لكونها اقرب الى الواقف ام لا

اجاب الزين ابن المنجا الحنبلي : لا يصح اسناد عمرو الى ولده مع وجود من هو اقرب منه الى الواقف واذا مات عمرو ولم يجعل النظر الى من له جعله كان النظر الى الاقرب الى الواقف الموصوف بما ذكر واذا كان الاقرب امرأة موصوفة بما شرط وكان الوقف لا يتضرر بنظرها لقيامها بالواجب فيه اما بنفسها واما بنائبها كان النظر اليها وكتب : كتبه ابن المنجا الحنبلي

وكذلك بعده ابراهيم بن احمد بن عقبة الحنفي

اجاب التقي ابن تيمية الحنبلي : لا يصح اسناد عمرو والحالة هذه بل يكون النظر الى اقرب الموجودين الى الواقف من المتصفين بالصفات المشروطة بمقتضى شرط الواقف اذ التفويض الفاسد كلا تفويض وسواء كان رجلا او امرأة لانتظام العموم لها وقد فوض عمر رضي الله عنه وقفه الى حفصة وكتب : كتبه احمد بن تيمية »

ووافقه على ذلك الشرف المقدسي الشافعي

هذه نموذجات من فتاوى القرن السابع وهكذا ماقبله فيرى الواقف ان الوقائع والنوازل والاقضية كانت تعرض على انظار عدة من اولي العلم ليرى كل فيها مايؤديه اليه اجتهاده وقد يدلي بعضهم بحجة اقوى و برهان اقوم فيفيء الى فتواه من افتى بخلافه وقد رأيت في هذه الفتاوى — فتاوى الفزاري — من رجع بعد فتواه الى ما كتبه مفت آخر في واقعة وعبارتها فيها : فلما افتى الشيخ بذلك وكتب خطه رجع التقي ابن حياة اليه ورجع عما كان كتبه مع الجماعة واعتمد عليه انتهى وهكذا يكون العلم الصحيح والسعي وراء الحق في المسائل دون تعصب لامام او تقيد بمذهب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (للبحث صلة) جمال الدين القاسمي

الكلمات الدخيلة

منذ اخذت الصحف تصدر في العربية اي منذ زهاء ثمانين سنة شعر الكتاب والمترجمون بالحاجة الى ترجمة بعض الالفاظ الافرنجية الى العربية فبدأ بذلك الشيخ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ووضع بعض الالفاظ العربية لمدلولات افرنجية شاعت اليوم حتى عدت كأنها من متن اللغة الاصلي ثم تبعه من جاء بعده ولاسيما المترجمون في مصر وسورية ومن جملتهم الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب الطبيب والبيان والضياء الذي عرّب بعض الالفاظ وغيرهم من اللغويين المعاصرين

وفي سنة ١٣١٠ عقد في مصر مؤتمر لغوي مؤلف من بعض العلماء واللغويين تليت فيه بعض الكلمات لبعض الالفاظ الشائعة مثل «مرحى» لكلمة برافو و«برحى» على النقيض من الاولى و«مدره» للمحامي و«المسرة» للتلفون و«عم صباحاً» لبونجور و«عم مساء» لبونسوار و«البهو» للصالون و«القفاز» للجوانتي او الكفوف و«الثمرة» للنومرو «والوشاح» للكوردون و«الطنف» للبالكون و«الحراقة» لمركب النور بيدو«الجديلة» للودة و«المرب» للكاوب و«الحذاقة» لشهادة البكلوريا و«العاطف او المعطف» للبالطو وحصب الارض بالحصباء للكادام و«المشجب» للشماعة اوبور تمانتو

ثم انفرط عقد ذاك المجتمع وكان عبد الله افندي البستاني من لغويي بيروت وضع لفظة (آنسة) للداموازيل و«عقيلة» لمدام ثم وضع احمد بك تيمور [1] ثلاثين كلمة وهي

«ملة القلم» المدة بضم اوله وهي مايعلق بالقلم من المداد بعد غمسه في الدواة

«بوية الجزم اوطلاء الاحذية» البزندج او الارندج بفتحتين وهو السواد يسود به الخف

«صحبة الورد» الطاقة وهي الحزمة من الريحان ونحوه ولعلها اقرب لفظة لمعنى الصحبة وقد اصطلح الكتاب على تسميتها بالباقة وهو خطأ لان الباقة خاصة بحزمة البقل

«نشان التعليم» الدريئة بفتح فكسر وهي الحلقة يتعلم الرامي عليها.

«الكشك» اصله بالفارسية كوشك وهو القصر الصغير وقد عربوه بالجوسق.

«العطفة» الردب بفتح الراء وسكون الدال وهو الطريق الذي لاينفذ.

«١» المقتبس م ٣ ص ٢١٤

« العديل » السلف او الظأب من المظآبة وهي ان يتزوج انسان بامرأة و يتزوج آخر باختها . اما التجاب بتشديد الباء من باب التفاعل فهو ان يتزوج كل من الرجلين باخت الآخر .

« قشرة الجرح » الجلبة بضم فسكون وهي القشرة تعلو الجرح عند البرء

« الطاقية » السكبة بفتح فسكون وهي خرقة تقور للرأس كالشبكة .

« ناظر العمارة اومقدم الفعلة » الوهين كامير وهو الرجل يكون مع الاجير يحثه عَلَى العمل .

« اليشمق » اللفام بكسر اوله وهو النقاب يكون عَلى طرف الانف فان كان عَلَى الفم فهو اللثام

« السردين » الصير بكسر اوله وهو كما في القاموس السميكات المملوحة يعمل منها الصحناة وفسر الصحناة بانه ادام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للمعدة . فعلى هذا يجوز اطلاق الصحناة عَلى كل ما يقدم امام الطعام من المشهيات كالصير ونحوه المسمى عند الاعاجم *Hors d,œuvre* يمكن ان يسمى السردين ايضاً بالطريخ كسكين وهو سمك صغار تعالج بالملح وتؤكل

« العزبة » كأنها محرفة عن العزوبة بالفتح وهي الارض البعيدة المضرب الى الكلأ وصوابها الضيعة اوهي الارض المغلة وقد استعملت قديماً بمعنى « العزبة » واظنها مستعملة الى الآن بهذا المعنى بالبلاد الشامية

« مضرب الكورة » الطبطابة بفتح فسكون وهي خشبة عريضة يلعب بها بالكرة و يقال لها ايضاً الميجار بكسر اوله وهو كما في المخصص الصولجان الذي تضرب به الكرة

« المزة » النقل بالفتح او بالتحريك وهو مايعبث به الشارب او يتنقل به عَلَى شرابه من فاكهة ونحوها . والعامة تقول نقل بضم فسكون وهو خطأ قديم نبه عليه ائمة اللغة .

« اللباس الرسمي » السواد وهولون اتخذه بنو العباس شعاراً لهم ثم اطلق عندهم عَلَى لباس اسود خاص بالامراء والعلماء وذوي الاخطار وكان الرجل اذا اراد الذهاب الى ديوانه او مقابلة خليفته قال لغلامه : عَلَيَّ بسوادي وسيفي .

« ثياب الحزن » السلاب بكسر اوله وهي ثياب سود تلبسها النساء في المأتم واحدتها سلبة بفتحتين وتسلبت المرأة وسلبت بتشديد اللام اذا لبستها وهو مثل احدت الا ان الاحداد يكون عَلَى الزوج خاصة والتسلب على الزوج وغيره .

« الحبل الحاجز في الطريق » عند اصلاحها او في احتفال كبير. الماصر وهو كما في مختصر العين للزبيدي حبل عَلَى طريق اونهر تحبس به السفن او السابلة . واقتصر في اللسان عَلَى انه الحبل يلقى في الماء لمنع السفن عن السير .

« المعدية » المعبر كمنبر وهو المركب الذي يعبر به .

«عقدة وشنيطة »الانشوطة بضم فسكون وهي عقدة يسهل انحلالها اذا مددت باحد طرفيها انحلت . وتقول نشطت الانشوطة من باب نصر اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها

« الحصان البوني Poney او Penet » المكبون والانثى المكبونة وهو الفرس القصير القوائم الرحيب الجوف الشخت العظام ولا يكون المكبون اقعس ومعنى الاقعس في الخيل المطمئن الصهوة المرتفع القطاة .

« الشال »الطيلسان وقد فسره اللغويون بانه ضرب من الاكسية واقتصروا عَلَى ذلك الا ان الشيخ ابراهيم السجيني فسره في كتابه المسمى بالعمى الاكبر في عين من انكر لبس الاصفر بانه ثوب طويل عريض كالرداء يجعل عَلَى الرأس فوق نحو عمامة ويغطي اكثر الوجه ثم يدار طرفه تحت الحنك الى ان يحيط بالرقبة ثم يلقى طرفاه عَلَى الكتفين اه وهو كما ترى قريب جداً من معنى الشال .

« رخو الكرباج »الشيب بكسر اوله وهو سير السوط . وفي اللسان وشيبا السوط سيران في رأسه وشيب السوط معروف عربي فصيح اه

« الجرسون او السفرجي » لم اقف عَلَى لفظ مفرد يدل دلالة تامة عَلَى « الجرسون » وقد ذكر اللغويون الندل بضمتين وفسره بخدم الدعوة قالوا سموا ندلا لانهم ينقلون الطعام الى من حضر الدعوة واصله من ندل ينذل اذا تناول اه . الا انهم لم يذكروا مفرده فارجو ممن وقف عَلَى لفظة اخرى او على مفرد الندل ان يتفضل بنشره افادة للجمهور. عَلَى اني رأيت بهامش اللسان ان هذا اللفظ وجد مضبوطاً بخط الصاغاني بفتحتين وعليه فلا يبعد ان يكون اسم جمع لنادل كخادم وخدم الا ان مثل هذا لا ينبغي الحكم فيه الا بالنص الصريح .

« القطن الزهر » اصطلح المصريون عَلَى تسمية القطن قبل حلجه بالزهر وعربيته الفصيحة المكهل بصيغة اسم المفعول وهو كما في القاموس القطن مادام فيه الحب والقطن الحليج كأمير هو ما استخرج حبه ويسميه المصريون بالشعر . اما شجرة القطن فتسمى الزعبل بفتح اوله وثالثه وسكون ثانيه

« السنارة » الشص بفتح اوله او كسره وهي حديدة عقفاء يصاد بها السمك واما الصنارة بكسر الصاد المهملة وتخفيف النون ومنع في اللسان تشديدها فهي الحديدة الدقيقة المعقفة التي في رأس المغزل فاستعارتها العامة لمصيدة السمك وابدلوا صادها سيناً ولا داعي للاستعارة متى وجدت الكلمة الموضوعة

« الجاكيتة Jaquette » اصطلح الكتاب على تسمية « البالطو » بالمعطف ومن المعلوم ان الجاكيتة كالبالطو الصغير فلا حرج اذا سميناها بالعطيف تصغير ترخيم للمعطف .

« البيرة السوداء » البيرة خمر الشعير وعربتها الجعة وزان هبة فيجوز ان يقال الجعة السوداء الا ان العرب سمت الخمر السوداء بام ليلى فما المانع من اطلاقها على هذا النوع من البيرة

« عمود الغاز » المائلة وهي منارة المسرجة كما في القاموس

« البونية Coup de poing » الجمع بضم فسكون وهو من الكف حين تقبضها قال طرفة بن العبد

بطيء عن الجلى سريع الى الخنا ذلول باجماع الرجال ملهد

ويقال فيه ايضاً الصقب بفتح فسكون وصقبه اي ضربه بجمع كفه .

وبقيت الحال على هذا المنوال تشتد الحاجة الى مفردات عربية كلما كثر المترجمون وكان لبعض المجلات عمل مهم في هذا الشأن فوضع اربابها ومؤازروها الفاظاً كثيرة منها ماشاع ومنها مالم يرزق الحظوة من الشيوع بين الكتاب الى ان قام في السنة الماضية اعضاء نادي دار العلوم في القاهرة وهم من الغيورين على خدمة اللغة لان معظمهم ممن احكموا كتابتها وقواعدها وبيانها احكاماً يكاد لايكون وراءه غاية وهم الحلقة الموصلة بين اهل التربية الحديثة واهل التربية القديمة بل هم مثال التربية العربية العصرية فرأوا نفع الله بهم العربية ان يختاروا بعض الاكفاء منهم يؤلفون لجنة عملية تتوفر على هذا الغرض من وضع الالفاظ العربية للمفردات العامية او الاجنبية التي سرت الى لغتنا من لغات اوربا او من اللغتين الفارسية والتركية فوضعوا حتى الآن طائفة صالحة من هذه الالفاظ وها نحن نثبتها فيما يلي ايذاناً بفضل اولئك العاملين وبياناً للمشتغلين باللغة من اهل الاقطار العربية الاخرى عسى ان ينظروا فيها نظرة ثانية او ان يقروا اللجنة على ماوضعت وان كان المصريون هم في الحقيقة ائمة اللغة والقائمون على تعهدها اكثر من غيرهم من الشعوب

وهاك ماقررته اللجنة حتى الآن من الالفاظ :

« استمارة » يرى اعضاء النادي استعمال استثمارة وقد وجدت هذه الكلمة في الكتب القديمة بلفظ استيمار بالتسهيل وحذف التاء ولكنهم رأوا اثبات التاء لالتزامها في الاستعمال الحاضر وعدم المانع منه والكلمة مرة من استأمر اي اخذ امره ·

« انفيتياترو » ترجمت بلفظ مدرج منذ زمان وقد كاد اختيار الاعضاء يجمع عليها ·

« بلوك نوت » تعربيها اضمامة ومعناها الاوراق منضمة ·

« بويه » نظرت اللجنة فيما يستعمل للتلوين فوجدته على نوعين : نوع يتخلل اجزاء الاجسام فاختارت له كلمة صبغ كصبغ الثياب والورق وما اشبه · ونوع يعلو السطوح فاختارت له كلمة طلاء كطلاء المباني والاواني وغير ذلك

« تخته بوش » وهو مايسميه الافرنج « Véranda » وتعريبه تخبيرة فقد جاء في لسان العرب ان التخبيرة سقيفة من خشب ليس فيها نصب ولا غيره ·

« تربيزة او طاولة » رأت اللجنة من هذا المسمى انواعاً : فمنها ماهو للاكل وهذا خوان ويسمى حين وضع الاكل عليه مائدة · ومنها ماتوضع عليه الاشياء المختلفة وهذا منضدة مشتقة من النضد وهو جعل المتاع بعضه فوق بعض ويخصصه بعض اللغويين بحر المتاع وخياره · ومنها ماهوللكتابة خاصة وهذا يطلق عليه كلمة مكتب المستعملة ·

« ترسينه » ان مايخرج عن البناء منه ماهو مغطى وهذا يسمى كنه ومنه ماهو مكشوف وهذا طنف والكلمتان في العربية موضوعتان لما يخرج من الاجنحة في الدار · على ان هناك لفظة تؤدي المعنى وهي شرفة وقد كثر استعمالها وورد في الاغاني بهذا المعنى كلمة مستشرف

« جول » اختارت لها اللجنة لفظة مرمى على ان كلمة محج الشائعة في سورية تؤدي نفس المعنى

« خارطة » وصحيحها خريطة

« دوسيه » تعريبها ملف

« شماعة او تعليقة » وجدت اللجنة لما تعلق عليه الملابس نوعين اولها ذو عمود متوسط وشعبات بارزة فاختارت له كلمة غدان وهو في اللغة قضيب تعلق عليه الثياب والثاني يثبت في الحائط فاختارت له لفظة شجاب

« طابور » الكلمة عربية حرفت وصحيحها تابور

« كارت فيزيت » سبق اختيار بطاقة الزيارة ولا مانع من الاستغناء عن المضاف اليه فيقال بطاقة كما يقول الافرنج كارت

وقد رأت اللجنة ايضاً استبدال « سيناتوغراف » بكلمة خيالة وهي كل ماترآى لك من الصور و « فونغراف » بالحاكي « وميموغراف» بمطبعة النضح و « تيبرايتر» بمطبعة الازرار لانها اتخذت قاعدة عامة في قسمة المطابع وهي ان تستعمل كلمة مركبة من مطبعة مضافة الى اكبر مميز لتلك المطبعة . على ان كلمة الآلة الكاتبة او الكاتبة فقط اقرب من مطبعة الازرار

« اسبتالية » قالت اللجنة : كان من الممكن ان نجاري المتقدمين في اختيارهم كلمة بيمارستان ولكن رأينا ان كلمة مستشفى مع اداءها المعنى تماماً اسهل نطقاً من الكلمة الاولى واكثر دوراناً على الالسنة والاقلام

ونرى ان كلمة مستوصف اولى بالتعبير عن « الكلينيك »

« وبوفه Buffet » اختارت اللجنة لهذا المعنى كلمة مقصف — وقد سبق استعمالها لان معنى القصوف في اللغة الاقامة في الاكل والشرب وهذا هو معنى بوفه اما استعمال القصف في اللهو فغير عربي .

اما خزانة الطعام والشراب فقد استعمل لها المتقدمون كلمة سكردان

« بريمة Tire-bouchon » بزال ومعناه في اللغة : حديدة يفتح بها الدن وهو قريب من البريمة الحالية ففي هذا الاطلاق توسع

« تلغراف » استحسنت اللجنة الكلمة المستعملة برق ورسالة برقية

« تباشير » الكلمة عربية محرفة وصحيحها طباشير

« ديلوم » شهادة عالية وقالت لم توافق اللجنة على الشهادة النهائية ولا على الشهادة العليا لان الديلوم ليست كذلك بل بعدها ماهو اعلى منها . اما « شهادة الحذاقة » التي اشار اليها احمد تيمور بك فربما وضعت بعد لما هو ارقى من تلك الشهادة

« عفارم » اختارت اللجنة كلمة مرحى وهي كلمة تقولها العرب للاصابة في الرمي فيمكن التوسع فيها .

« قومسيون » استنسبت كلمة لجنة المستعملة لان معنى اللجنة الجماعة يجتمعون في الامر ويرضونه وذلك معنى القومسيون

« اتوموبيل » سيارة . كلمة استعملت وتعارفها الكتاب فوافقت اللجنة على استعمالها . « اكسبرس » قطار سريع مع كثرة الاستعمال يستغني عن الموصوف ويكتفي بالسريع كالمعتاد . « بدرة » غمنة . في القاموس الغمنة الاسفيداج والغمرة تطلي بها المرأة وجهها وهو موافق لمسمى بدرة . « بزرميط » هجين . لمن ابوه خير من امه . مقرف . لمن امه خير من ابيه . مخلط . اذا لم تلاحظ الخيرية في احدى الجهتين . « بنطلون » سروالة . « ترتوار » طوار . في القاموس طوار الدار ويكسر ما كان ممتدا معها وهذا ممتد مع الشارع . « ترجي » ممرض كلمة عربية مستعملة في معنى الترجي . « تملي » دائمي . « جهجهون » جزاف . استعملها الفقهاء للبيع من غير كيل او وزن ولم تر اللجنة بأسا بالتوسع فيها . « دونانمة » اسطول . كلمة استعملها المتقدمون من المؤرخين في معنى الدونانمة . « رومانزم » رثية . في القاموس الرثية وجع المفاصل واليدين والرجلين . « زنبلك » دوزة . في القاموس يقال لكل مالم يتحرك ولم يدر دوارة وفوارة بفتحهما فاذا تحرك ودار فهو دوارة وفوارة والزنبلك متحرك فرأت اللجنة ان الدوارة اقرب الكلمات العربية الى معنى الزنبلك . « صالون » بهو . استعمل الكتاب كلمة بهو في الصالون والمعنيان متقاربان . « صندوق القمامة » صندوق القمامة . « قشلاق » ثكنة . في القاموس الثكنة مركز الاجناد ومجتمعهم على لواء صاحبهم وان لم يكن هناك لواء ولا علم جمعه ثكن كصرد . « بمكخانة » حواطه . لمحل الاكل . مطعم . للوكاندة الاكل . « برجل » دوارة . فرجار . بركار . في القاموس الدوارة الفرجار وقد ارتضتها اللجنة لانها عربية محضة والكلمتان الاخريان من تعريب علماء الهندسة المتقدمين وقد استعملتا كثيرا في كتبهم فرأينا ان نبقي عليهما . « كروكي » رسم تقريبي . قد اختير ترجمة الكلمة غير العربية بما يؤدي معناها لعدم اتصال علم اللجنة بكلمة عربية تؤدي هذا المعنى . « هدوم » ملابس . اصل الهدم الثوب البالي او المرقع اوخاص بكساء الصوف جمعه اهدام وهدام فاستعمل العامة مفرده في غير ماوضع له وجموعه على غير وجهه وكلمة ملابس تؤدي المعنى المراد . « ناموسية » كلة . في القاموس الكلة غشاء رقيق يتوقى به من البعوض وهي الناموسية بعينها اما الحجلة فلم ترضها اللجنة لانها خاصة بما تجلى فيه العروس .

(نوته) مذكرة ، كناشة ج كناشات اشتق كلمة مذكرة من الفعل المقصود من هذا الاسم وهو التذكير وهذا مااختارته اللجنة واما كناشة فقد اختارها الاستاذ الشيخ حمزة وقد قال صاحب شرح القاموس ومنه الكناشة لاوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها

الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة واستعمله شيخنا في حاشيته على هذا الكتاب كثيراً وترى اللجنة انها تستعمل لما قاله صاحب شرح القاموس (اجنده)

(قماش) نسيج اصل القماش ماعلى وجه الارض من فتات الاشياء حتى يقال لرذاله قماش وليس هذا المعنى هو المراد بكلمة قماش وانما يريدون بها المنسوجات فكلمة نسيج طبقه

(قومندان) قائد اصل الكلمة اعجمية وكلمتها العربية قائد يقال قائد الجيش وقائد الفرقة وقائد الفرسان وقائد المشاة. (قواص) حاجب استعملت حاجب لتؤدي معنى قواص وهي موافقة. (طرحة) خمار الخمار النصيف وهي ماتغطي به المرأة رأسها وقد كانت الطرحة مستعملة قديماً في الطيلسان وقد يقولون الطراحة فالخمار اقرب الى المعنى المقصود من الطرحة. (حزورة — فزورة) احجية قال في القاموس كلمة محجية مخالفة المعنى للفظ وهي الاحجية. (شنطة) عيبة قال في اللسان العيبة وعاء من ادم يكون فيها المتاع. «شادوف» شادوف جميع الكلمات التي وردت للجنة ليس فيها مايدل على مسمى شادوف مع استعمالها في معان اخرى وهذه الكلمات هي (١) دالية وهي المنجنون والناعورة والمنجنون الدولاب يستقى عليه او المحالة يسنى عليها والمحالة البكرة العظيمة وكل هذا بعيد عن معنى الشادوف (٢) السانية وهي الغرب واداته والناقة يستقى عليها والغرب الدلو العظيمة

لهذا رأت اللجنة ان تستبقي كلمة شادوف بازاء ذلك المعنى المعروف وخصوصاً ان الصيغة عربية كثيرة الورود وقال الاستاذ الشيخ حمزة انها كلمة مصرية معروفة عند العرب. «فنار» منار المنار موضع النور ويظهر ان كلمة فنار مخلطة من الكلمة العربية منار والكلمة اليونانية فار. «فرشة» فرجون محسة من وضع الاستاذ الشيخ حمزة قال في القاموس: الفرجون كبرذون المحسة وقال في مادة حس: الحس نفض التراب عن الدابة بالمحسة للفرجون (كماشة) كماشة قال في القاموس الكش ضرب من صرار الابل وصرار الابل شد ضرعها صرها يصرها صرا وهو نوع من القبض الذي يراد به التمكن من الشيء فرأت اللجنة ان هذا من التجوز الذي يتسع مثله ولا حاجة بعد الى تغيير كلمة مثل هذه والذهاب الى الكلمات العامة مثل ملقط ومقبض وما شاكل ذلك. «كالون» قفل وغلق اختير الغلق لذلك الذي تسميه العامة «كالون» والقفل يستعمل عند العامة في مسمى معروف فيبقى دالا على ذلك المسمى وهو المنفصل عن الباب ويستعمل له عروتان يربطهما القفل بلسانه. «برميل» برميل ورد للجنة

تسع كلمات لم تر واحدة منها صالحة لان تطلق على مسمى البرميل وهي (١) الزبيل ومعناها كما في القاموس القفة او الجراب او الوعاء والقفة والجراب مسماها مخالف لمسمى البرميل شكلا ومادة والوعاء عام (٢) الزكرة زق للخمر والخل والزق السقاء او جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره وليس معنى البرميل هذا (٣) قنطاس ومعناه حوض السفينة يجتمع فيه نشافة مائها وسقاية لها من الالواح يحمل فيها الماء العذب للشرب ولاتزال الكلمة مستعملة في معناها مع التوسع (٤) مخزن وهي عامة لكل مايخزن فيه الشيء اي يحرز (٥) المقلد وهو الوعاء فهو عام (٦) العس وهو القدح العظيم (٧) الحب ومعناه الجرة والضخمة منها او الخشبات الاربع توضع عليها الجرة ذات العروتين (٨) الدن وهو الراقود العظيم او اطول من الحب او اصغر وله عس لايقعد الا ان يحفر له وهو المعروف بالزلعة او الخابية (٩) الراقود وهو مثل الدن

رأت اللجنة بعد نظرها هذه الكلمات ان تقر على استعمال كلمة برميل لانها ادل على مسماها ولم يوجد من الكلم العربية امامها ما يقوم مقامها وقد قال الاستاذ الشيخ حمزة ان برميلا بكسر الباء عربية صحيحة . « حرملة » إتب ومثنبة حرملة . في القاموس الاتب والمثنبة كمكنسة برد يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين وهو قريب من معنى الحرملة . وقد بحثت اللجنة عن اصل هذه الكلمة وكيف استعملها الناس مع الطلاوة العربية فوجدت ان الحريملة شجرة تنشق جراؤها عن الين قطن ويحشى به مخاد الملوك لخفته ونعومته فلا يبعد ان هذه الحرملة كانت تحشى بهذا القطن للتدفئة فسميت باسم شجرتها وكبر اسمها ولذلك ابقتها اللجنة . « البشاورة » الطلاسة . في القاموس الطلاسة خرقة يمسح بها اللوح . « شخير النائم » غطيط . غط النائم صات

« الدورية الليلية » عسس . عس طاف بالليل وهو نفض الليل عن اهل الريبة وهو عاس جمعه عسس . « الرغاوي » الرغاوى — الزبد . وضعت اللجنة كلمة الزبد وقال الاستاذ الشيخ حمزة الرغاوى اي الرغوة اي الزبد والجمع رغاوى كل ذلك عربي صحيح . « طازه » طازج . طازج تعريب طازه وكان من عادة العرب في التعريب ان يلحقوا بالكلمات المنتهية بمثل هذه الهاء جيما كما قالوا فالوذج ونموذج وغير ذلك . « الدش » الرشاش . الرش نفض الماء والرشاش مشتق منه

« عفش » اثاث . الاثاث متاع البيت . (حجر الحمام) نسفة . في القاموس النسفة حجارة سود ذات نخاريب يحك بها الرجل سمي به لانتسافه الوسخ من الرجل

(طاولة اللعب) نرد · (غماص) غمص ان سال · رمص ان جمد · الغمص ماسال من الرمص غمصت العين كفرح فهو اغمص والرمص وسخ ابيض · يجتمع في الموق رمصت عينه كفرح فهو ارمص والتقييد من وضع الاستاذ الشيخ حمزة
« عود الفرن » محش · المحش حديدة تحش بها النار اي تحرك كالمحشة
« مصلحة الفرن » المطردة · المطردة خرقة تبل ويمسح بها التنور ومثلها الطريدة
(هلب السفينة) انجر كلوب · الانجر مرساة السفينة وهو خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة اذا رست معرب لنكر · والكلوب من وضع الاستاذ الشيخ حمزة قال في شرح القاموس ومن المجاز كلاليب الباز مخالبه جمع كلوب
(هلب البئر) حصرم · الحصرم الحديدة يخرج بها الدلو من البئر ·
(هباب اللمبة) سناج · السناج اثر دخان السراج في الحائط ·
(مضرب الكرة) طبطابة · الطبطابة خشبة عريضة يلعب بها الكرة
(فارة النجار) مسحج · المسحج المبراة يبرى بها الخشب · (تصبيرة) لمجة · اللمجة مايتعلل به قبل الغداء · (ابعدية) ضيعة · الضيعة العقار والارض المغلة
(قزان) مرجل · المرجل القدر من الحجارة والنحاس مذكر
(اضبش) غطمش النطمش الكليل البصر اما الضبش فلم نره · (الرمش) المدب المدب شعر اشفار العينين وهو ماتريده العامة برمش · (دوخة) دوار الدوار شبه الدوران يأخذ في الرأس · (فلينة — سداد الزجاجة) صمام صمام القارورة سدادها ·
(مصفاة نحو ابريق الشاي) فدام الفدام المصفاة وابريق مفدم عليه مصفاة
(البريتون) الثرب في القاموس الثرب شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء جمعه ثروب واثرب وتعرفه العامة بهذا الاسم ولكنهم يبدلون الثاء تاء فيقولون ترب
(اوزي) حمل في القاموس من معاني الحمل الجذع من اولاد الضأن فما دونه والجمع حملان واحمال · (قشرة البيض الخارجة) قيض في القاموس القيض القشرة العليا اليابسة على البيضة · (القشرة الداخلة) غرقئ في القاموس الغرقئ القشرة الملتزقة ببياض البيض · (بياض البيض) الزلال · (صفار البيض) المح في القاموس من معاني المح صفرة البيض · (المضيفة) الثوي في القاموس الثوي كغني البيت المهيأ له اي للضيف · (شبشب) كوث في القاموس الكوث القفش الذي يلبس في الرجل والقفش الخف القصير · (موضة) بدع — بدئ في القاموس البدئ الامر الم

والبدع الامر الذي يكون اولا جمعه ابداع ٠ (انتيكة) عادي ٌ في القاموس العادي الشيء القديم — كأنه منسوب الى عاد ٠ (خريطة البحر) راهنامج في القاموس الراهنامج كتاب الطريق وهو الكتاب يسلك به الربابنة البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها (طقة واحدة) وجبة القاموس الوجبة الاكلة في اليوم والليلة او اكلة في اليوم الى مثلها من الغد ٠ (وش الفرش) ظهارة الظهارة نقيض البطانة وظاهر بينهما طابق ٠ (سيخ الشواء) سفود في القاموس السفود حديدة يشوى بها وتسفيد اللحم نظمه فيها ٠ (مونة البناء) ملاط الملاط الطين يجعل بين سافي البناء ويملط به الحائط اي يطلى والساف كل عرق من الحائط والعرق كل صف من اللبن والآجر في الحائط والساف المدماك ٠ (تقاوي) بذر البذر ما عزل للزراعة من الحبوب جمعه بذور و بذار

(الوجاق) الوطيس الوطيس التنور ٠ (الصنفرة) السفن من معاني السفن قطعة خشناء من جلد ضب او سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة

(الدربكة) الكوبة الكوبة الطبل الصغير المخصر ٠ (الطهارة) الختان ٠

(الاستراد) المنصة المنصة في الاصل ما ترفع عليه العروس واستعير لذلك المكان المرتفع الذي يصعد اليه بدرج لالقاء درس مثلا ٠ (الدربزين) الدربزين ورد ذكر الدربزين في القاموس تفسيراً للجلق واختيرت الكلمة لاستعمالها وغرابة الاخرى

(النجفة) الثريا اصل الثريا علم لمجموعة من النجوم متضامة استعيرت لهذا المعنى لما بينهما من المشابه في التضام والانارة ٠ (ضيان) متين المتانة الصلابة والكلمة العامية تستعمل في الشيء ذي الصلابة والتحمل فهو معنى متين ٠ (النفير) البوق البوق بالضم الذي ينفخ فيه ويزمر ٠ (سباطه) قنو القنو الكباسة جمعه اقناء وقنوان والكباسة بالكسر العذق والعذق هو ما تعبر عنه العامة بالسباطة اما معنى السباطة لغة فهي الكناسة تطرح بافنية البيوت ٠ (المقشة) المقشة قش الرجل اكل من هنا وهنا ولف ما قدر عليه من الخوان والشيء جمعه وكله مناسب لما تصنع. تلك الاداة والقشيش والقشاش اللقاطة ٠ (معية) حاشية الحاشية اصل الرجل وخاصته والاخير نص في المعنى المراد بمعية ٠ (بدلة) حلة الحلة ما تركب من ثوبين ازار ورداء وكذلك البدلة دائماً ٠

« ياقة القميص » زيق زيق القميص بالكسر ما حاط بالعنق منه ٠ « سواري » فرسان ٠ (الاستيك) النوط النوط معلق كل شيء ٠ (شلتة) حشية الحشية الفراش المحشو ٠

كتاب المدهش

الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي هو محدث حافظ مفسر فقيه واعظ اديب قال فيه العليمي في طبقاته انه استاذ الائمة حبر الامة بحر العلوم سيد الحفاظ فارس المعاني والالفاظ فريد العصر قريع الدهر شيخ الاسلام قدوة الانام علامة الزمان ترجمان القرآن قامع المبتدعين سلطان المتكلمين ولد سنة احدى عشرة وخمسمائة لانه وجد بخطه تصنيف له في الوعظ ذكر انه صنفه سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وقال (ولي من العمر سبع عشرة سنة وكان يحزر مجلسه في الوعظ على الدوام بعشرة آلاف او خمسة عشر الفاً قال على المنبر في آخر عمره كتبت باصبعي هاتين الفي مجلد وتاب على يدي مائة الف واسلم على يدي عشرون الف يهودي ونصراني اجتمع فيه من العلوم مالم يجتمع في غيره سئل عن عدد مصنفاته فقال زيادة على ثلثمائة واربعين مصنفاً منها ما هو عشرون مجلداً ومنها ماهو كراس واحد ولم يترك فناً من الفنون الا وله فيه مصنف . وقال بعضهم انه كان يحضر مجلس وعظه مائة الف او يزيدون وهذا مبالغة لا يستطيع انسان يوصل صوته اليهم ولا جامع او ساحة ان تجمعهم والمقصود انهم كانوا الوفاً من المستمعين وقد قال عن نفسه انه صنف وله من العمر ثلاث عشرة سنة وقيل عنه انه كان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة وذهنه حدة وجل غذائه الفراريج والمزاوير ويعتاض عن الفاكهة بالاشربة والمعجونات ولباسه الابيض الناعم المطيب

والمدهش من جملة كتبه ورد ذكره في قائمتها وهو في مجلدين [1] مكتوب بخط مشرقي مشكول كله وقد دفعناه الى صديقنا السيد عبد القادر المبارك فكتب عليه مايلي :

من المخطوطات القديمة لابن الجوزي كتاب المدهش قال كاتبه في خاتمته كان الفراغ من نسخه في العشر الاوسط من شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين وسبعمائة جاء في مقدمته بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

(١) منه نسخة في خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسني الجزائري من فضلاء دمشق واشرافها ولا نعرف لها ثانية

قال شيخ الامة وعلم الائمة ناصر السنة جمال الدين فخر الاسلام زين الانام ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي قدس الله روحه ونور ضريحه : الحمد لله الذي لامنتهى لعطاياه ومنحه حمداً يقوم بالواجب في شكره ومدحه وصلى الله عَلَى اشرف نبي وانصحه وعَلَى آله واصحابه وازواجه ماستن طرف في مرحه (اما بعد) فاني قمت بحمد الله في علم الوعظ باصحه، واملحه وآثرت ان انتقي في هذا الكتاب من ملحه والله الموفق في كل عمل لاصلحه وقد قسمته خمسة ابواب · الباب الاول في علوم القرآن وبيانه · الباب الثاني في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها · الباب الثالث في علوم الحديث · الباب الرابع في عيون التواريخ · الباب الخامس في ذكر المواعظ وهذا الباب ينقسم قسمين · قسم فيه ذكر القصص وقسم فيه المواعظ مطلقاً والله الموفق اه

وذكر في باب علوم القرآن وبيانه ستة فصول يقع كل فصل منها في نحو صفحة واحدة فذكر في الفصل الاول اقسام الخطاب في القرآن وفي الثاني ماورد فيه من ضروب الامثال وفي الثالث ما جاء فيه اخص واحسن مما بمعناه من الكلمات التي تدور عَلَى الالسنة وفي الرابع ما اتحد من الآيات المتشابهة في المعنى واختلف في اللفظ وفي الخامس ماتغاير من الآيات بزيادة بعض الحروف والكلمات او نقصانها وفي السادس ماتغاير من الآيات بتقديم او تأخير

ثم ذكر بعد هذه الفصول اربعة وعشرين باباً سماها ابواباً منتخبة من الوجوه والنظائر ذكر فيها معاني هذه الكلمات : او · ادنى · الانزال · الارض · الامر · الانسان · الباء · الحق · الخير · الدين · الذكر · الروح · الصلاة · عن · الفتنة · في · القرية · كان · كلا · اللام · لولا · من · الواو · الهدى ·

ثم اتى عَلَى الباب الثاني في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها وقسمه عَلَى ثلاثة عشر فصلا قال في اول فصل منه : لما كانت اللغة تنقسم قسمين احدهما الظاهر الذي لايخفى على سامعيه ولايحتمل غير ظاهره والثاني المشتمل عَلَى الكنايات والاشارات والتجوزات وكان هذا القسم هو المستحلى عند العرب نزل القرآن بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنما قال عارضوه باي القسمين شئتم ولو نزل كله واضحاً لقالوا هلا نزل بالقسم المستحلى عندنا ومتى وقع في الكلام اشارة او كناية او استعارة او تعريض او تشبيه كان احلى واحسن قال امرؤ القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل

فشبه النظر بالسهم تخلي عند السامع وقال ايضاً :

فقلت له لما تمطى بجوزه وأردف اعجازاً وناء بكلكل

فجعل لليل صلباً وعجزاً وصدراً على جهة التشبيه وقال غيره

من كميت اجادها طابخاها لم تمت كل موتها في القدور

اراد بالطابخين الليل والنهار · فنزل القرآن على عادة العرب في كلامهم ومن عاداتهم التجوز · وفي القرآن « فما ربحت تجارتهم · يريد ان ينقض · ومن عاداتهم الكناية · ولكن لا تواعدوهن سراً · اوجاء احد منكم من الغائط » واكثر الفصول الباقية ترجع الى بيان سعة اللغة وفقهها على اسلوب فقه اللغة لابي منصور الثعالبي

والباب الثالث في علوم الحديث وجله يتعلق ببيان اسماء المحدثين والمحدثات وتمييز مايكثر فيه الالتباس وبيان المتفق والمفترق ويقال له ايضاً المؤتلف والمختلف ثم انتقل الى الباب الرابع في عيون التواريخ اتى فيه على نبذ من امهات المسائل التاريخية فمنها قوله : كان اول ملوك الارض ملك فارس وملكهم دارا ملك نحو مائتي سنة ثم ملك بعده خمسة وعشرون ملكا فيهم امرأتان وكان آخر القوم يزدجرد هلك في زمن عثمان رضي الله عنه فكان ملكهم خمسمائة سنة وكسراً وكان اظرفهم ولاية ذو الاكتاف فانه لا يعرف من ملك وهو في بطن امه غيره لان اباه كان قد مات ولا ولد له وانما كان هذا حملا فقال المنجمون هذا الحمل يملك الارض فوضع التاج على بطن الام وكتب الى الآفاق وهو جنين وسمي سابورا وانما سمي ذا الاكتاف لانه حين ملك كان ينزع اكتاف مخالفيه وهو الذي بنى الايوان وبنى نيسابور وسجستان والسوس وما زال الملك يتنقل بعده فيهم الى ان ملك انوشروان وكان آخرهم وكان له اثنا عشر الف امرأة وجارية وخمسون الف دابة والف فيل الا واحداً وفي زمانه ولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات لثمان مضين من مولد نبينا صلى الله عليه وسلم ولما دخل المسلمون المدائن احرقوا ستر باب الايوان واخرجوا منه الف الف مثقال ذهباً ·

قال ومن العجائب انه ولد في ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول سنة تسعين ومائة المأمون ومات الهادي واستخلف الرشيد وفيه اجدبت الارض في سنة ثماني عشرة وكانت الريح تسفي ترابا كالرماد فسمي عام الرمادة وجعلت الوحوش تأوي الى الانس فآلى عمر رضي الله عنه ان لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحما حتى يحيي الناس

واستسقى الناس بالعباس فسقوا وفيها كان طاعون عمواس مات فيه ابو عبيدة ومعاذ وانس وفي سنة اربع وستين وقع طاعون بالبصرة وماتت ام اميرهم فما وجدوا من يحملها وفي سنة ست وتسعين كان طاعون الجارف هلك في ثلاثة ايام سبعون الفاً ومات فيه لانس ثمانون ولداً وكان يموت اهل الدار فيطبق عليهم الباب وفي سنة احدى وثلاثين ومائة مات اول يوم في الطاعون سبعون الفاً وفي اليوم الثاني سبعون الفاً وفي اليوم الثالث خمدت ؟ الناس وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة ذبح الاطفال واكلت الجيف وبيع العقار برغيفين واشترى لمعز الدولة كر دقيق بعشرين الف درهم

وقد عقد المؤلف رحمه الله في الباب الرابع في عيون التواريخ فصلا مستقلا افرده بذكر الزلازل والآيات المشتملة على دواعي العبر والمواعظ والزواجر وها هو بنص حروفه

زلزلت الارض على عهد عمر رضي الله عنه في سنة عشرين · ودامت الزلازل في سنة اربع وتسعين اربعين يوماً فوقعت الابنية الشاهقة وتهدمت انطاكية · وفي سنة اربع وعشرين ومائتين زلزلت فرغانة فمات منها خمسة عشر الفاً · وفي السنة التي تليها رجفت الاهواز وتصدعت الجبال وهرب اهل البلد الى البر والسفن ودامت ستة عشر يوماً · وفي السنة التي تليها مطر اهل تيماء مطراً وبرداً كالبيض فقتل بها ثلاثمائة وسبعون انساناً وسمع في ذلك صوت يقول : ارحم عبادك اعف عن عبادك · ونظروا الى اثر قدم طولها ذراع بلا اصابع وعرضها شبران والخطوة الى الخطوة خمسة اذرع او ست تبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً · وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين رجفت دمشق رجفة انتقضت البيوت على سكانها فمات منهم خلق كثير وانكفأت قرية بالغوطة على اهلها فلم ينج منهم احد الا رجل واحد · وزلزلت انطاكية فمات منها عشرون الفاً · وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاقامت نيفاً وخمسين يوماً وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والاهواز ثم ذهبت الى همذان فاحرقت الزرع ثم ذهبت الى الموصل فمنعت الناس من السعي فبطلت الاسواق وزلزلت هراة فوقعت الدور · وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين وجه طاهر بن عبد الله الى المتوكل حجراً سقط بناحية طبرستان وزنه ثمانمائة واربعون درهما وفيه صدع وذكر انه سمع لسقوطه هدة مسيرة اربعة فراسخ في مثلها وانه ساخ في الارض خمسة اذرع · وفي سنة اربعين ومائتين خرجت ريح من بلاد الترك فمرت بمرو فقتلت خلقاً كثيراً بالزكام ثم

صارت الى نيسابور والى الري ثم الى همذان والى حلوان ثم الى العراق فأصاب اهل بغداد (وسر من رأى) حمى وسعال وزكام وجاءت كتب من المغرب ان ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان خسف باهلها فلم ينج منهم الا اثنان واربعون رجلا سود الوجوه فاتوا الى القيروان فاخرجهم اهلها وقالوا لهم انتم مسخوط عليكم فبنى لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوا فيها ·

وفي سنة احدى واربعين ماجت النجوم في السماء وجعلت تتطاير شرقاً وغرباً كالجراد من غروب الشمس الى الفجر ولم يكن مثل هذا الا عند ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم · وفي السنة التي تليها رجمت قرية يقال لها السويداء بناحية مصر بخمسة احجار فوقع حجر منها على خيمة اعرابي فأحرقها ووزن منها حجر فكانت زنته عشرة ارطال · وزلزلت الري وجرجان وطبرستان ونيسابور واصبهان وقم وقاشان كلها في وقت واحد · وزلزلت الدامغان فهلك من اهلها خمسة وعشرون الفاً وتقطعت جبال ودنا بعضها من بعض وسمع للسماء والارض اصوات عالية وسار جبل باليمن عليه مزارع حتى اتى مزارع قوم آخرين · ووقع طائر ابيض دون الرخمة وفوق الغراب على دلبة بحلب لسبع مضين من شهر رمضان فصاح يامعشر الناس اتقوا الله حتى صاح اربعين صوتاً ثم طار فجاء من الغد فصاح اربعين صوتاً وكتب صاحب البريد بذلك واشهد خمسمائة انسان سمعوه · ومات رجل في بعض كور الاهواز فسقط طائر ابيض على جنازته فصاح بالفارسية والخوزية : ان الله قد غفر لهذا الميت ولمن شهده · وفي سنة خمس واربعين ومائتين زلزلت انطاكية فسقط منها الف وخمسمائة دار ووقع من سورها نيف وتسعون برجاً وسمع اهلها اصواتاً هائلة من كوى المنازل · وسمع اهل تنيس صيحة هائلة دامت فمات منها خلق كثير وذهبت جبلة باهلها · وفي سنة خمس وثمانين ومائتين مطرت قرية حجارة بيضاً وسوداً · وفي سنة ثمان وثمانين زلزلت دنبل (كذا) فاصبحوا ولم يبق من المدينة الا اليسير فاخرجوا من تحت الهدم خمسين ومائة الف بيت · وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة عدل الحاج عن الجادة خوفاً من العرب فرأوا في البرية صور اناس من حجارة ورأوا امرأة قائمة على التنور وهي من حجارة والخبز الذي في التنور من حجارة · وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة هبت ريح بفم الصلح شبهت بالتنين جرفت دجلة حتى ذكر انه بانت ارضها واهلكت خلقاً كثيراً واحتملت زورقاً منحدرا وفيه دواب فطرحته في ارض جوخا (كذا)

وفي سنة عشرين واربعمائة جاء برد هائل وقعت بردة حزرت ثمانية وخمسين رطلا فكانت كالثور النائم . وفي سنة اربع وثلاثين زلزلت تبريز فهدم سورها وقلعتها وهلك تحت الهدم خمسون الفا . وفي سنة اربع واربعين واربعمائة كانت بارجان زلازل انقلعت منها الحيطان فحكى من يعتمد عَلَى قوله انه كان قاعداً في ايوان داره فانفرج سقفه حتى رأى السماء من وسطه ثم عاد . وفي سنة ستين واربعمائة كانت زلزلة بفلسطين هلك فيها خمسة عشر الفا وانشقت صخرة بيت المقدس ثم عادت فالتأمت وغاب البحر فساح في الارض فدخل الناس يلتقطون فرجع عليهم فاهلك منهم خلقاً كثيراً . وفي سنة اثنتين وستين خسف بايلة . وفي سنة ست وخمسمائة سمع ببغداد هدة عظيمة في اقطار بغداد . قال شيخنا ابو بكر بن عبد الباقي : انا سمعتها فظننت حائطاً قد وقع ولم يعلم ما ذلك ولم يكن في السماء غيم فيقال رعد . وفي السنة التي تليهاوقعت زلزلة بناحية الشام فوقع من سور الرها ثلاثة عشر برجا وخسف بسميساط وقلب بنصف القلعة . وفي سنة احدى عشرة وخمسمائة زلزلت الارض ببغداد يوم عرفة فكانت الحيطان تمر وتجيء . وفي سنة خمس عشرة وقع الثلج ببغداد فامتلأت منه الشوارع والدروب ولم يسمع قبله بمثله . وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة كانت زلزلة بحيرة اتت عَلَى مائتي الف وثلاثين الفا فأهلكتهم وكانت في مقدار عشرة فراسخ في مثلها . وفي السنة التي تليها خسف بجيرة وصار مكان البلد ماء اسود وقدم التجار من اهلها فلزموا المقابر يبكون عَلَى اهلهم . وزلزلت حلوان فقلع الجبل واهلك خلقاً كثيراً . وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كانت زلازل بالشام في ثلاثة عشر بلداً من بلاد الاسلام فمنها ما هلك كله ومنها ماهلك بعضه . اه

وهنا انشأ المصنف رحمه الله الباب الخامس في ذكر المواعظ فبدأ في القسم الاول منه بقصة آدم و بناء الكعبة وقصة نوح وعاد وثمود والخليل والذبيح وذي القرنين ولوط و يوسف وايوب وشعيب وموسى والخضر و بلعام وقارون وداود ومريم وعيسى وسليمان وزكريا ويحيى واهل الكهف وبداية امر نبينا محمد عليه وعَلَى جميع الانبياء الصلاة والسلام وقصة الغار واهل بدر وذكر اسماء من شهدها مرتبة عَلَى حروف المعجم ثم من يعرف بالكنية دون الاسم وختم هذا القسم من الوعظ بفصل ذكر فيه بناء علي بن ابي طالب بالسيدة البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنهما وها انا ذا انقل للقراء اقصر قصة من تلك القصص الستة والعشرين لتكون انموذجا يتعرف به اسلوبه الغريب في بابه

قال في قصة ثمود مانصه : لما اعرضت ثمود عن كل فعل صالح بعث اليهم للاصلاح صالح فتعنت عليه ناقه هو اهم بطلب ناقة تخرجت من صخرة صماء تقبقب ثم فصل عنها (اي خرج منها) فصيل يرغو فارتعت حول نعي (بكسر فسكون اي غدير ماء) نهيهم عنها في حمى حماية (ولا تمسوهـا بسوء) فاحتاجت الى الماء وهو قليل عندهم فقال حاكم الوحي « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » وكانت يوم وردها تقضي دين الماء بماء درها فاجتمعوا في حلة الحيلة على شاطىء غدير الغرور فدار قدار « ابن سالف عاقر ناقة صالح الذي هو اشقى ثمود » حول عطن (فتعاطى فعقر) فصب عليهم صبيب صاعقة العذاب المون فحين دنا ودندن دمغهم دمار (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) فأصبحت المنازل لهول ذلك النازل كان لم تغن بالامس اه

والقسم الثاني يشتمل على مائة فصل كمقامات الزمخشري في اطواق الذهب وعبد المؤمن الاصفهاني في اطباق الذهب من حيث الموضوع والتفنن في الاساليب الناجعة المؤثرة في الموعوظ وهذا القسم يستوعب نحواً من خمسة اسداس الكتاب وقد اكثر فيه من الاشعار مستشهدا بها على حسب مايقتضيه المعنى الذي يريد تصويره في مخيلة السامع وربما كان الشعر في هذا القسم مساوياً للنثر او يزيد وكله او جله من نظم غيره وانما يذكره تمثلاً واستشهاداً

قال في الفصل السادس والسبعين

ذكر الاحباب والوطنا ... والصبا والالف والسكنا
فبكى شجواً فحن له ... مدنف بالشجو حلف ضنى
ابعدت مرمى يد رجمت ... من خراسان به اليمنا
من لمشتاق تميل به ... ذات سجع ميلت فننا
لم تعرض في الحنين بمن ... مسعد الا وقلت انا
لك ياورقاء اسوة من ... لم تذيقي طرفه الوسنا
بك انسي مثل انسك بي ... فتعالي نبد ما كمنا
نتشاكى مايجن فان ... نحت شجواً صحت واحزنا
انا لا انت البعيد هوى ... انا لا انت الغريب هنا
انا فرد باحمام وهـا ... انت والالف القرين ثنى
اسرحا رأد النهار معاً ... واسكنا جنح الدجى غصنا

وابكيا ياجارتي لما … لعبت ايدي الفراق بنا
اين قلبي ما صنعت به … ما ارى قلبي له سكنا
كان بيم النفر وهو معي … فأبى ان يصحب البدنا
أبه حادي الفراق حدا … ام له داعي الفراق عنى

ومن قوله في بعض الفصول : ويحك اجتنب حلواء الشره فانها سبب الحمى وخل خل البخل فانه يؤذي عصب المروءه · ان عوجلت امراضك فعولجت والا مللت واملت · لو احتميت عن الخطإ لم تحتج الى طبيب · من ركب ظهر التفريط نزل به دار الندامة

ومن قوله في هذا الفصل : كان داود اذا اراد النياحة نادى مناديه في اندية المحزونين فيجتمعون في مأتم الندب فتزداد الحرق بالتعاون

يابعيد الدار عن وطنه … مفرداً يبكي على شجنه
كلما جد النحيب به … زادت الاسقام في بدنه
ولقد زاد الفؤاد جوى … هاتف يبكي على فننه
شاقه ما شاقني فبكى … كلنا يبكي على سكنه

يامذنبين مصيبتنا في التفريط واحدة وكل غريب للغريب نسيب · ومن قوله في فصل آخر :

اخواني انتبهوا من رقدات الاغمار وانتهبوا لحظات الاعمار وقاطعوا الكسل فقد قطع الاعذار واسمعوا زواجر الزمن فما داجي الدجى ولقد نهر النهار وخذوا بالحزم فقد شقي من رضي بشفا جرف هار · ومنه : واعجبا يتأمل الحيوان البهيم العواقب وانت لاترى الا الحاضر ما تكاد تهتم بمؤنة الشتاء حتى يقوى البرد ولا بمؤنة الصيف حتى يشتد الحر ومن هذه صفته في امور الدنيا فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ·

ومنه : ما دامت النفس حية تسعى فهي حية تسعى · اول فعل لها تمزيق العمر بكف التبذير كالخرقاء وجدت صوفاً · اخل بها في بيت الفكر ساعة وانظر هل هي معك او عليك · نادها بلسان التذكرة يانفس ذهب عرش بلقيس وبلي جمال شيرين وتمزق فرش بوران · وبقي ذلك رابئة

ومنه : ياصبيان التوبة طبيبكم متلطف تارة بالتشويق وتارة بالتخويف هذه الطير اذا انشق بيضها عن الفراخ علم الاب والام ان حوصلة الفرخ لاتحتمل الغذاء فينفخان

الريح في حلته لتتسع الحوصلة ثم بعلمان ان الحوصلة تحتاج الى دبغ وتقوية فيأ كلان من صاروج الحيطان وهو شيء فيه ملوحة كالسبخ ثم يزقانه اياه فاذا اشتدت الحوصلة رقياه الى الحب فاذا علما انه قد اطاق اللقط منعاه بعض المنع فاذا جاع لقط فاذا رأياه قد استقل باللقط ضرباه بالاجنحة اذا سألها الزق فتأملوا تدبيري لكم في المواعظ . ومنه : الدنيا غرارة غدارة مكارة . تظن مقيمة وهي سيارة . ومصالحة وقد شنت الغارة

نح عن نفسك القبيح وصنها ... وتوق الدنيا ولا تأمنها
لاتثق بالدنا فما ابقت الدنـ ... ـيا لحي وديعة لم تخنها
انما جئتها لتستقبل المو ... ت واسكنتها لتخرج عنها
تستحل الدنيا وما لك الا ... ما تبلغت او تزودت منها
وسيبقى الحديث بعدك فانظر ... خير أحدوثة تكون فكنها

ومن فصل آخر :

ياساعياً لنفسه في المهالك . دنا الرحيل ونضو النقلة بارك . متى تذكر وحشتك بعد ايناسك . متى تقتدي من ناسك بناسك . كأنك بك قد خرجت عن اهلك وولدك . وانفردت عن عددك وعددك . وقتلك سيف الندم ولم يدك (يدفع ديتك) ورحلت ولم تحصل من ندمك الا عَلَى عض يدك

كأنك لم تُسمع باخبار من مضى ... ولم تر في الباقين مايصنع الدهر
فان كنت لاتدري فتلك ديارهم ... محاها مجال الريح بعدك والقطر
عَلَى ذاك مروا اجمعين وهكذا ... يمرون حتى يحشرنهم الحشر
فحتام لا تصحو وقد قرب المدى ... وحتى م لاينجاب عن قلبك السكر
بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا ... وتذكر قولي حين لاينفع الذكر

ومن فصل آخر : كان محمد بن المنكدر كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال آية من القرآن ابكتني : (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) كيف لاتذهب العيون من البكا وما تدري ماذا اعد لها سبقت السعادة لمحمد صلى الله عليه وسلم قبل كونه ومضت الشقاوة لابي جهل قبل وجوده . وخوف العارفين من سوابق الاقدار قلقل الارواح هيبة . لاتسل مع تحكم (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) قوي قلق العلماء

اترى مثلوا ... لما رحلوا ... ماذا فعلوا ... ام من قتلوا
احليف النوم ... اقل اللوم ... فعندي اليوم ... لهم شغل

ادنى جزعي لم يبق معي قلب فيعي منذ احتملوا
جلدي سلبوا جسدي نهبوا كمدي وهبوا كبدي تبلوا
هيهات افيق اذليس تطيق هذا ابليق فما العذل
لما ذرفت عيني وقفت اترى عرفت مابي الابل
ولحى اللاحي وهو الصاحي وهمو راحي وانا الثمل

ومن فصل آخر : ياتائهاً في ظلمة ظلمه · ياموغلا في مفازة تيهه · ياباحثاً عن مدية حتفه · ياحافراً زبية هلكه · يامعمقاً مهواة مصرعه بئسما اخترت لاحب الانفس اليك · ويحك تطلب النجاة ولست على الطريق · هز الزمان بوعظه فما سمعت : لينذر من كان حياً ومنه :

الى اي حين انت في زي محرم وحتى متى في شقوة والى كم
والا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتلاقي الذل غير مكرم
فثب واثقاً بالله وثبة ماجد ترى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

ومن فصل آخر

تبني وتجمع والآثار تندرس وتأمل اللبث والارواح تختلس
ذا اللب فكر فما في الخلد من طمع لابد مما ينتهي امر وينعكس
اين الملوك وابناء الملوك ومن كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهمو في كل معترك تخشى ودونهم الحجاب والحرس
اضحوا بمهلكة في وسط معركة صرعى وماشي الورى من فوقهم يطس
وعمهم حدث او ضمهم جدث باتوا وهم جثث في الرمس قد حبسوا
كأنهم قط ما كانوا ولا خلقوا ومات ذكرهمو بين الورى ونسوا
والله لو نظرت عيناك ماصنعت يد البلى بهمو والدود يفترس
من اوجه ناضرات حار ناظرها في رونق الحسن منها كيف تنطمس
واعظم باليات مابها رمق فليس تبقى وهذا وهي تنتهس
وألسن ناطقات زانها ادب جفت وما شانها بالآفة الخرس
لستهمو السن للدهر فاغرة فاها فآهاً لهم اذ بالردى وكسوا
حتى م ياذا النهى لاترعوي سفهاً ودمع عينك لايهمي وينبجس

ومن قوله في الفصل الاخير : هذه قصص النجاة قد امليتها فعنونها وهذه جوارشات

المواعظ قد جمعتها فاعجبنها ثم قال في الختام لمن اصغي واصف • افي عزمك اتباعي فأقف • الليل يضج من نومك • والنهار يستغيث من قبح فعالك •

يا ايها الراقد كم ترقد قم ياخليلي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته حظاً اذا ماهجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل او يجهد
قل لذوي الالباب اهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

وكان يردي — لولا خشية الاملال من الاطالة وعدم اتساع نطاق المجلة — ان استوفي نقل بعض فصول (هذا المدهش) برمتها لما انفسحت من محاسن البلاغة واسلوب الحكيم وجودة المعنى والمبنى مما جمع بين اللذة والفائدة ودل على سمو مدارك المؤلف وسعة فضله وغزارة مادة علمه كما يظهر من ترجمته فعسى ان يقيض الله له من خدمة العلم وناشري الويته من يجيد طبعه ويستخرج للناس جواهر كنزه فيحظى بالربح عاجلا وآجلا مع تخليد الذكر الجميل والاثر الحسن والسلام

اخبار وافكار

العين الكهربائية

اخترع الاستاذ روزنك الروسي آلة تكون بمثابة عين كهربائية تظهر بها اضطرابات المعدة واسرار اعماق البحار واسرار البراكين بجلاء ووضوح كما تُمثل لنا اذا كانت امام العين مباشرة وقد بناه على الاكتشاف الحديث للاشعة الكاثوديكية فينطبع الموجود بمرآة من نوع الروتانيف وتظهر الصورة بتأثير مجرى كهربائي • ويتأتى انزال هذه الآلة الى قعر البحر ووسط البركان والمعدة كما ينزل المسبار لسبر الابعاد فيها فترى الاشياء في الظلمات كما ترى في النور بل ترى بها المعادن المدفونة في بطن الارض اذا أُريد ان ينظر فيها اذا كان ثمت خطر على العملة في المناجم ويفيد هذا الاختراع فوائد كلية في الاعمال الصناعية وفي الفنون الحربية والبحرية وفي غير ذلك وبهذه الآلة تتم عدة اختراعات كانت موقوفة على مثل هذه العين الكهربائية

تعقيم اللبن

اخترع الدكتور هرنغ من فارسوفيا آلة لتعقيم اللبن تقتل بها الجراثيم الضارة بدون ان يفقد شيئاً من خاصيته وذلك بان يغلى من ٦٥ الى ٧٠ درجة ثم يبرد بواسطة هذه الآلة التي تعقم من ٢٠٠ الى ٢٥٠ سنتمتراً مكعباً من اللبن والآلة المذكورة حوت الشروط اللازمة التي يحفظ بها اللبن خاصياته الطبيعية والكيماوية ولونه وطعمه ورائحته وموادّه الدهنية وغيرها وبها يتأتى ابقاؤه ثمانية ايام بدون ان يحمض

برزخ جديد

عمدت روسيا ان تفتح برزخاً يصل بحر البلطيق بالبحر الاسود وطول هذا البرزخ ٢١٥٠ كيلو متراً و يقدر ماينبغي لذلك من النفقات ٤٥٠ مليون فرنك تكون السهام للروسيين فقط كما تكون جميع الادوات اللازمة لهذا العمل روسية محضة و يقول القائمون به انه يرجى ان يكون دخل هذا الخليج ٨٠ مليون فرنك كل سنة

صرعى الكتب

يذكر القراء اسم المسيو البر سيم مؤلف الكتاب (المقتبس م ٣ ص ٣٧٧ و ٤٥٧ و ٧٣٥) الباحث العلامة الذي اثبت بان عمرو بن العاص لم يحرق مكتبة الاسكندرية في الفتح بامر عمر بن الخطاب على مايتهمهما بعضهم بذلك ظلما وقد كتب المؤلف الآن مبحثاً في «المجلة» الافرنسية قال فيه ماحاصله : شدد (جول فالي) في كتابه الاخير في كلامه على تأثيرات الكتاب السيئة فقال انه طالما آذى قارئه بماينبعث منه من الافكار وخصوصاً كتب الاقاصيص والسير والغرام فلا تجد منتحراً الا وقد سبقت له مطالعة اساليب الانتحار في كتاب ولا امرأة غادرت بيتها متهتكة الا لانها تأثرت القصص الغرامية ولا قاتلا الا سهلت له ماهو بسبيله مطالعة الكتب وكم اثرت الكتب في كبار الرجال فكانوا صرعاها في الحقيقة امثال مورجة وموسه و بالزاك وساند. قال سيم اما الكتاب على التحقيق فهو كاللسان كما قال ازوب فيه الخير والشر هو رابطة الحياة المدنية ومفتاح العلوم به تعمر المدن وتنظم وبه يعلم الناس و يتعلمون ويحكم الحاكمون والمسيطرون و به تتم اول الفروض على المرء من حمد الله كما انه اشر مافي العالم واصل كل خصام و بلاء ومولد القضايا ومبعث الشقاق والحروب فاذا قيل انه لسان حال الحق فهو ايضاً لسان حال الضلال بل النميمة والغيبة.

فالمؤلف اذاً قد غالى في وصف سيئات الكتاب فنظر اليه من وجه وترك الوجه الآخر وهو وجه الحسنات وفاته الخير الذي يسديه والعلم الذي ينشره والعزاء الذي تتعزى به النفوس والغذاء الذي تتغذى به الارواح فقد قال سلفستردي ساسي : ماقط عراني الم من الآلام التي تداهم القلب الا وعالجته فزال بمطالعة ساعة وقد قال الفيلسوف شيلر يخاطب قريحته: «ماذا أكون لولاك اني اجهله ولكنني ارتعش عندما ارى مئات والوفاً من الناس حرموا ءنك» . ولذا انوخى هنا ان القي نظرة فيمن احبوا الكتب واولعوا بها وجعلوا فيها لذتهم بل سمرهم بحيث خصوا بها كل شيء وصرعوا بها مختارين راضين

وكم من مولع بالكتب طال عمره كأن الكتب مما يطيل حبل الاجل فلو تتبعت سير الرجال منذ عهد ايراتوستين (٢٧٦ — ١٩٥ ق م) الى دانيال هوبة (١٦٣٠ — ١٧٢١) لوجدت كثيرين من المعمرين المولعين بل المتجننين بحب الكتب ومنهم كيتي الفيلسوف والعالم تيرس والعالم كيزو واللغوي لتره والعالم ارنست لوكوفيه وغيرهم من المعمرين من اهل القرن الماضي والذي قبله وما منهم من قصرت سنه عن السبعين ومنهم من بلغ المئة واكثر . وشيخ رجال الادب اليوم في فرنسا المغرم بالكتب المشهور فرنسوا فرتيول بلغ السابعة والتسعين من عمره ولا يزال الى اليوم في صحة ونشاط بين كتبه الكثيرة واحبابه الموالين له

واقدم صرعى الكتب ايراتوستين الفيلسوف الجغرافي الرياضي اليوناني من اهل القرن الثالث قبل المسيح دعاه بطليموس من آثينة الى الاسكندرية ليفوض اليه ادارة المكتبة التي انشأها فيها واذ كف بصره في آخر عمره آثر الموت عَلَى ان يحرم من مطالعة الكتب ويحرم من دروسه المعتادة فانتحر جوعاً . واحدث صرعى الكتب شارل ديديه (١٨٠٥ — ١٨٦٤) مؤلف رحلات كثيرة عَلَى الشرق كف بصره فآثر الانتحار عَلَى العيش بدون تلاوة وهكذا فعل . ومثله ستانيسلاس كوبارد (١٨٤٦ — ١٨٨٤) العالم المستشرق استاذ اللغة العربية في كوليج دي فرانس فانه لما استحكم منه المرض فضل الانتحار على ان يعيش في راحة اضطرارية منقطعاً عن عمله . ومثله الطبيعي الباحث الالماني اميل بسلس (١٨٤٧ — ١٨٨٧) اضاع في غرق مجموعاته الثمينة وسطت النار بعد سنين عَلَى مكتبته وجميع مخطوطاته فرأى الانتحار افضل من تحمل الم تلك الرزية التي اصابته

ومات بريان الاميركاني حزناً عَلَى كتبه الثمينة وكان اعطاها في حال غفلة لاحدى

المكاتب ومات كوجه الافرنسي لانه رأى عشرة آلاف من كتبه تنتقل الى يد غير يده وكذلك اللغوي ريشارد برونك مات لان الحالة المالية اضطرته ان يخرج عن ملكه بعض كتبه العزيزة· ومن الناس من حزنوا وهلكوا لما رأوا مجموعاتهم تنهب او تعطل وكم من علماء وادباء وخازني كتب قضوا بما وقع فوق رؤوسهم من الكتب والاسفار الثمينة الثقيلة او وقعوا من سلم وهم بصدد وضع كتاب في بيته او رفه او اخراجه منه وكم من عالم احرق كتبه باشماله وذلك بشمعة مرى لهيبها الى ورق او احرق نفسه بشمعة كما فعل تيودورمومسن المؤرخ الالماني الذي نقل النار الى شعره الطويل الابيض فمات من اثر حروق وكم من مولع بالكتب مثل بولارد (١٧٥٤ — ١٨٢٥) الذي جمع مكتبة فيها ستمائة الف مجلد ملأ بها تسعة بيوت وانهكه التعب في جمعها ونقلها فكانت سبب هلاكه

ومن الناس من قضوا على انفسهم بصنعهم وانصرافهم الى المطالعة والاستغراق في الكتب ومن هذه الطبقة انكتيل دو بورون (١٧٣١ — ١٨٠٥) المستشرق المشهور ناقل كتاب الزاند افستا الفارمي الى الافرنجية وموجد الدروس الآسياوية في اوربا وعارف لغاتها كلها كان مقتراً في مأكله وملبسه مستغرقاً فيما اخذ به نفسه حتى انه لقلة هندامه ونظافته كان يظن انه شحاذ فيعطيه بعض المارة دارهم متصدقين عليه فقضى عقيب انهاك قوته في العمل ومن غرائبه انه عين عضواً في المجمع العلمي ولما كان زاهداً في التشريفات ولا يعنى بغير المطالعة من امور الحياة اضطر الى الاستقالة . وكم من رجل حرم نفسه الطعام والادام بل الدفء والثياب ليقتني بدر بهمات يدخرها كتاباً ومنهم انطون ماكليابشي (١٦٣٣—١٧١٤) العالم الفلورنسي المولع بالكتب كان يعيش احقر عيشة وامامه كنوز من المال انفقها على خزانة كتبه في فلورنسا وكذلك يوسف اندراوس زالوسكي اسقف مدينة كيف في بولونيا ١٧٠١—١٧٧٤ حصر كل وقته وقواه حتى جمع خزانة كتب حوت مائتي الف مجلد فنهبها الروس سنة ١٧٩٥ ومن المولعين بالكتب ومطالعتها من كانوا يكرهون انفسهم على عدم النوم ويغسلون ارجلهم بالماء البارد وهم في ابرد الاقاليم لئلا يناموا ثم يضعون المنبه على اوقات يعينونها ومن المولعين بالكتب نابوليون الاول حرم نفسه انواع الراحة لاول امره حتى اقتنى بعض الكتب وعلم اخاه في المدرسة ومنهم يواكيم لوول « ١٧٨٦ — ١٨٦١ » المؤرخ البولوني العالم بالكتب والنقود نفته حكومته فنزل بروكسل عاصمة البلجيك وكان عزيز النفس لا يقبل

معونة احد وهو في فقر مدقع والفصل شتاء وهو لامال له يبتاع به وقوداً يصطلي عليه في البرد القارس فاحتال بعض اخوانه ان يكتروا بجانب غرفته غرفة ويدخلوا انبوب الموقدة من غرفته بعد ان اخذوا رأيه واظهروا له ان غرفتهم لاتدفأ الا على هذه الصورة فقال لهم اعملوا ماشئتم وهكذا توصلوا الى تدفئته بدون ان يشعر ويدفع درهماً.

وكثير من الناس من ماتوا فوق كتبهم او امامها حتف انفهم ومنهم بترارك الاديب الكبير (١٣٠٤—١٣٧٤) والفيلسوف الصقلي انطون فلامينو من اهل القرن السادس عشر ومنهم سوليه الفرنسوي الذي آثر الوحدة على كل اجتماع وكانت حياته مثال العامل المجد وكتب بيتين لتحفرا على قبره معناهما: « ولدت يتيما وعشت وحدي في شبيبتي وكذلك في شيخوختي وهاءنذا وحدي هنا « في القبر » الى اليوم »

سلك بحري

تقول المجلات العلمية ان السلك البحري الذي سينجز هذا الشهر بين المانيا واميركا الجنوبية قد بلغ طوله ١١٫٣٠٠٫٠٠٠ كيلو متر (؟) آخذاً من امدان الى تنريف فمورونيا على شالمي « افريقية الغربي ومن هناك الى ليبريا آخذاً الى برنامبوكو فالبرازيل اما الفرع الثالث الذي يصل بين افريقية والعالم الجديد فطوله ٤٥٠٠ كيلو متر

لحم الكلاب

انتشر اكل لحم الكلاب في المانيا ولاسيما في امارة ساكس ولحمها اغلى من لحم الخيل ويذبحون سبعة آلاف كلب كل سنة في تلك الامارة لتناول لحومها

سكان الولايات المتحدة

لم يكن للولايات المتحدة احصاء معروف حتى سنة ١٨٣٠ يدل على سكانها وحركة الهجرة اليها وقد تبين بالاحصاء انه دخل من ذاك العهد سنة ١٩١٠ ٢٠ مليوناً من المهاجرين اكثرهم من الطليان والعناصر النمساوية المجرية. وليس الانكليز والايرلنديون والسكاندناويون والالمان قلائل بعدهم. وكان سكان اميركا الى حرب الاستقلال من اصل انكليزي خاصة وفيهم كثير من الايكوسيين والايرلنديين هربوا من بلادهم تخلصاً من ظلم الحكومة الانكليزية ثم جاء الالمان فالهوكنوت الفرنسويون والايكوسيون وزادت الهجرة عندما اشتد غلاء البطاطا في ايرلندا سنة ١٣٤٧ وفي ثورة المانيا

وكان الشمال الغربي من بلاد اوربا اولاً هو الذي يهاجر منه المهاجرون بكثرة الى الولايات المتحدة ثم سرت هذه البدعة الى سكان جنوبي اوربا وهم اليوم اكثر الاوربيين هجرة . ومن الغريب ان البلغاريين والرومانيين والصربيين لم يهاجروا كما هاجر غيرهم من سكان اوربا مع انه هاجر كثيرون من اهل البوسنة وبولونيا وغاليسيا كما اخذ يهاجر اليوم كثير من اهل الممالك العثمانية ولاسيما اهل سورية وارمينية .

انكلترا والسلام

ظهر من احصاء حديث ان انكلترا عَلَى الرغم مما تسعى اليه في حفظ السلام قد انفقت في القرن التاسع عشر ثلاثين مليار فرنك عَلَى حرب نابوليون والقريم وجنوبي افريقية وخسرت سبعمائة الف من رجالها وقد افقدتها الهجرة منذ سنة ١٨٢٠ ثمانية ملايين من الانفس هاجروا الى اميركا وكان في الولايات المتحدة وحدها سنة ١٩٠٠ ٢٠٨٠٠٠٠٠ انكليزي اي اكثر من مجموع مافي اوستراليا وافريقية الجنوبية وكندا من الانكليز

امة السواب

في بلاد المجر مستعمرة من السواب نزلتها منذ سنة ١٧١٦ وهو عهد تحرير الامير اوجين لتلك البلاد من حكم العثمانيين ويبلغ عددهم اليوم مليون نسمة ويجتمعون في اقليم بانات واسماء بلدانهم المانية ولكنهم قلما يتعلقون ببلادهم الاصلية وهم كالسكسونيين في ترنسلفانيا باميركا قد انشأوا لانفسهم استقلالاً جديداً رقوه بنشاطهم في كل فرع من فروعه وليس لهم الى الآن مقام رفيع في ميدان الاعمال العقلية ويكاد لايوجد لديهم اكثر من خمسة عشر مؤلفاً وهم يفاخرون بانه كان من شعرائهم القدماء شاعر اسمه نيقولا لونو ولهجة لغتهم كلهجة ذاك الاقليم وتآليفهم اشبه بالقصص التي كان يتلذذ بها الناس في المانيا منذ مئة سنة

السويد والشرق

عثروا في السويد اثناء الحفر عَلَى كثير من الامتعة والاعلاق يستدل من صورتها انها شرقية او جعلت عَلَى مثال شرقي واستنتج علماء الآثار من ذلك انه كانت من القرن التاسع الى القرن الحادي عشر للميلاد صلات منظمة بين السويد والعالم الاسلامي وربما مع الصين ايضاً فان البلاد الواقعة في جنوبي السويد مملوءة بهذه النفائس والعاديات

فقد عثروا فيها على ٣٠ الف قطعة من النقود العربية من نقود القرن الثامن الى القرن العاشر ضربت في فارس وبين النهرين وفي غيرها من البلاد الواقعة شرقي بحر الخزر مثل بلخ وسمرقند وعثروا على آثار منها الفارسي ومنها الصيني ومن جملتها كأس من الفخار مزين بالمينا استخرجوه من مدفن في غوتلاندا يشبه كأساً من البلور كتبت عليه كتابات عربية بحروف كوفية عثر عليه في سور كوت من اعمال سيبريا .

قالت المجلة الآسياوية وجميع هذه المكتشفات يتجلى بها كلام مؤرخي العرب والروم البيزنطيين والايسلنديين الذين ذكروا مكانة التجارة السكانداوية في روسيا والمملكة البيزنطية وبلاد الاسلام وما ظفر الباحثون في روسيا وسيبريا بمثل هذه الذخائر وبها تسهل معرفة الطرق التجارية التي كان سلكها التجار بين السويد والشرق وان ماعثر عليه ايضاً في جنزوف من الاسلحة والادوات وانواع الحلي ليدل على انها سويدية الشكل ممزوجة باصل عربي او رومي ويرى المسيو ارن ان نهري الفولغا ودنيبر كانا هما الطريقين الاعظمين الواصلين بين بلاد السويد وفنلاندا من جهة وبينها وبين بلاد الشرق من أخرى فكان يتيسر لتجار السويد ان يجتازوا الفولغا الى حد بحر الخزر مما يوافق عليه مؤلفو العرب فقد قالوا ان الاجتماع كان في جنوبي هذا البحر فيصادفون في طريقهم في بلغار « جنوبي قازان » وفي اتيل « جنوبي استرخان » تجاراً قدموا من فارس وتركستان ليقايضوا معهم بضائعهم وكان سكان السويد يسيرون في نهر دنيبر حتى يبلغوا المملكة البيزنطية . وقد سرت التأثيرات الاسلامية الى اعالي نهر دنيبر اذ قد ظفر الباحثون بالقرب من مدينة « كيف » بعقود سلكت في عدة اسلاك وهي من الصناعة الاسلامية .

قلنا ولا عجب اذا عثروا هناك على آثار للعرب فقد ذكر المرحوم حسن افندي توفيق من رجال النهضة العلمية المصرية في كتابه رسائل البشرى انه وجد نقلا في بعض الكتب عن القزويني في كتاب له يسمى آثار البلاد مايستدل منه ان ابا بكر محمد الاندلسي الطرطوشي المعروف بابن ابي رندقة المتوفى في الاسكندرية سنة ٥٢٠ قد ساح في ارض المانيا ووصف بعضاً من بلادها فوصف مدينة مينس وسماها مغناجه ووصف بعضاً من بلادها فوصف مدينة شليزفيك وسماها شلشويق وذكر لنا الاستاذ المرحوم ان احد علماء الجغرافيا من الالمان ذكر له انه عثر في معجم ياقوت على ذكر مدن في حدود اسكانديناقيا من شمالي اوربا فاذا صح الامر وكان ياقوت ذكر بعض هذه البلاد استفاد من ذلك الباحثون من اهل السويد ان طريق التجارة كان ايضاً من البحر

قاصدين الى المانيا فجنوبي شرقي اوربا حتى يقاضوا تجار العرب والروم بتجاراتهم ويستدل من كلام ابن رندقة ان السياحة كانت ميسورة في المانيا في القرن الخامس والسادس للهجرة وهو غريب فتأمل·

يابان الحديثة

اختلفت الروايات في تقدير رقي يابان في مادياتها وقد كتب احد العلماء في مجلة العالمين البارزية مقالة في هذا الصدد جاء فيها ان قليلا في الشعوب من سارت سير اليابان في رقيها بسرعة فقد اثبتت قوة بحريتها وبريتها في حربين عظيمتين خرجت منهما ظافرة وبلغت الدرجة الرابعة بحريتها بين الدول وعادلت تجارتها الخارجية تجارة اوستراليا وكندا واحسنت بالانتفاع جدا الانتفاع من مناجمها وصناعاتها· وسككها الحديدية واسلاكها البرقية والتلفونية كما لدولة عظمى· وتقدر ثروتها بسبعين مليار فرنك وبفضل الادارة المنظمة بلغت ميزانيتها ملياراً ونصف مليار فرنك ولم يكن لحكومتها سنة ١٨٦٨ ادنى مورد ولا تجبي اقل ضريبة وكانت تدفع ديونها الباهظة بالقروض او باصدار اوراق واستدانت سنة ١٩٠٥ اربعة مليارات ابتاعت بها سككها الحديدية وستحول ديونها كلها قريباً بفائدة اربعة في المئة والحكومة في يابان تملك ادارات البريد والبرق والتلفون وقد انشأت خطوطاً حديدية طويلة على حسابها وفي سنة ١٩٠٦ انزعت من جميع الشركات مالها من الخطوط الحديدية في بلادها واحدثت هذه الحكومة من سنة ١٨٦٨ الى ١٨٨٥ اهم الصناعات الحديثة في بلادها تضاهي بها اهل الغرب في مدنيتهم · يقولون ان آسيا متأخرة بمدنيتها خمسين سنة عن اوربا اما المدنية في يابان فانها ارقى من كثير من ممالك اوربا نفسها

التعليم في رومانيا

رومانيا مملكة من ممالك البلقان كانت تؤدي الجزية للدولة العلية من سنة ١٣٩٢ الى سنة ١٧١٦ ثم حكمتها مباشرة واستقلت نهائياً سنة ١٨٧٨ منفصلة عن العثمانية في مؤتمر برلين وهي مؤلفة من امارتي مولدافيا والفلاخ ومساحتها السطحية ١٣٩،٥٤٧ كيلومتراً وقد نشرت نظارة معارفها مؤخراً احصاء بعدد الاميين والمتعلمين من ابنائها عن سنة ١٩٠٩ اي لمرور ٣٠ سنة على جعل رومانيا مملكة تبين منه ان اولاد رومانيا يجب عليهم ان يدخلوا المدرسة الابتدائية العامة من السنة السابعة الى الرابعة عشرة واذا رأت ادارة معارفها ضرورة تكره اولياء الاولاد ان يعلموا اطفالهم في مدارس اعدادية

خاصة من سن السادسة الى السابعة واذا جاوز الولد الرابعة عشرة من سنه ولم يدخل مدرسة يضطر الى دخولها ويمكث فيها سنة زيادة اما من تعلموا مايجب تعلمه قبل ان يبلغوا الرابعة عشرة فيقضى عليهم اذا كانوا من ابناء القرى ان يواظبوا على مدارس المراجعة ٠ ولاولياء الاولاد ان يعلموا اولادهم في بيوتهم او في مدارس خاصة تعترف بها الحكومة واذا قدر لبعض الاولاد ان اخفقوا في امتحان سنتين من خصوص السنة المدرسية تقيد اسماؤهم في مدارس الحكومة علی سبيل المعونة وقد بلغ عدد الاولاد الذين هم في سن الدراسة ٨٢٧٫٨٨٣ طفلا وطفلة في القرى و ١١٠٫٥٧٣ في المدن وعدد مدارس القرى ٤٦٩٥ فيها ٦٤٦٠ معلما وعدد طلابها وطالباتها ٥٠٤٢٩٧ منهم ٣٣٣٣٧٨ صبياً و١٧٠٩١٩ ابنة وبلغ عدد مدارس المدن ٣٧٨ فيها ١٣٢٤ معلماً و٨٠٦٥٤ تلميذاً منهم ٤٦٢٧٦ ذكراً وفي رومانيا ٣٦٠ مدرسة خاصة فيها ٢٤٧٢٧ تلميذاً و٨٨ ملجأ معظمها للاسرائيليين تووي ٣١٢٦ ولداً سنهم دون السابعة ٠

قالت مجلة الاقتصاديين بعد ايراد بعض ماتقدم ونفقات المعلمين في هذه المدارس تؤديها الحكومة خاصة وقد كانت سنة ١٩١٠ — ١٣ مليون فرنك و٢٩٧٫٢٧١ فرنكا ويؤخذ من احصاء سنة ١٩٠٩ ان اهالي رومانيا بلغوا ٤٫٧٦٣٫٦٩٩ ذكوراً واناثاً سنهم اكثر من سبع سنين منهم ١٫٨٠٩٫٤٣١ يقرأون ويكتبون و٢٩٥٤٢٦٨ أمياً ومعدل الاميين في المدن ٢٦ في المئة في الرجال و٤٨ في المئة من النساء و٤٩ في المئة من الرجال في القرى و٤٣ في المئة من النساء فيها و ٢١٠٥٦٠٥ من هؤلاء الاميين تجاوزت سنهم الحادية والعشرين فنجوا من قانون المعارف الذي يقضي بتعليم الاولاد الى هذه السن و ٨٥٠٠٠٠ أمي تختلف سنهم بين السابعة والحادية والعشرين وقد بذلت العناية من وراء الغاية منذ عشر سنين لنشر المعارف بين غير المتعلمين من الرومانيين ولكن الامر صعب والتغلب عليه بعيد الآن ٠ قلنا اما المملكة العثمانية فلا تعرف حتى الآن عدد أمييها من متعلميها بل لاتعرف عدد سكانها لان كل شيء فيها موكول الى التوكل والبركة لا الى الحساب والتقدير

احتكار المجلات

شاعت في الولايات المتحدة اشاعة احدثت ضجيجاً وقلقاً في عالم الصحافة وذلك ان النقابة المالية التي يرأسها المثري الشهير مورغان تريد ان تحتكر المجلات الكبرى في تلك الديار لان احد اعضاء هذه النقابة قد ثبت انه ابتاع عدة مجلات وهو مدير شركة كرول

التي لها ثلاث مجلات عظمى يبلغ ما تطبعه ١٦٧٠٠٠٠٠ نسخة وقد اشترى مورغان سهاماً كثيرة من شركة أخرى يريد ضمها الى شركة كرول ويخشى مدبرو المجلات ان لا يكون هذا الاحتكار داعياً يضطرهم لانزال اجور الاعلانات . والذي تعجب منه في الاكثران المطبوع من ثلاث مجلات هو هذا القدر من العدد

سكان الهند

افاد لسان البرق انه بلغ سكان الهند في الاحصاء الاخير ٣١٥ مليوناً وهو نمو هائل دل على استتباب اعلام الامن وتوفر مرافق الحياة والصحة والثروة في تلك الاقطار الواسعة

المرأة والرجل

اقترحت مجلة « ادلة الترقي » الفرنسوية على ارباب الافكار وحملة العلم والادب في فرنسا ان يكتبوا لها آراءهم في طلب المرأة التساوي بالرجل في حقوق الانتخاب وهو المطلب الذي اشتد النساء في المانيا وانكلترا والنمسا وفرنسا في المطالبة به في العهد الاخير لما ظهر من اقتدارهن ومسابقتهن الرجال الى ورود حياض العلوم والمعارف فكتب لها الكاتبون وبعض الكاتبات الشهيرات بآرائهم فكانت في الاكثر مجمعة على وجوب تساوي النساء بالرجال في هذا الشأن وان اشتراكهن الرجل في الانتخاب حسن وربما كانت آراؤهن اميز من آراء الرجال في كثير من الاحوال

كارنيجي والسلام

بعد ان دفع المثري الاميركي كارنيجي عشرة ملايين دولار للسعي في ابطال الحروب من الارض وتعهد باداء اربعين مليوناً آخر قوي الامل بان يرفع السلام اعلامه على الارض وقد ألفت حكومة واشنطون لجنة من ٢٤ رجلاً من كبار ساسة الاميركان للنظر في هذا الامر . قال كارنيجي في كتابه الى هذه اللجنة « اني اودع اليكم مبلغ عشرة ملايين دولار لتستعملوه في الاسراع بابطال الحرب الدولية هذه الوصمة القذرة في وجه المدنية الحديثة » وقد وصف احد الالمان كارنيجي الاميركي وقال انه رآه في السنة الماضية وهو في السن الثالثة والسبعين فرحاً مسروراً كأنه في الاربعين وقوة جسمه ناشئة من رياضته وهو حسن الظن في الامور قوي الثقة بالمستقبل شعاره : « كل شيء صائر الى خير لان كل امر في تحسن اليوم بعد اليوم في هذه الدنيا » وكيف

لا يقول هذا وثروته تبلغ عشرة مليارات من الفرنكات هو ابن نساج ايكوسي (انكليزي) فقير جاء اميركا يبحث له عن عمل ولا تسل عن سروره يوم جاء الى ابيه بستة فرنكات اكتسبها لاول مرة من عمله في اسبوع وهو لا يزال يذكر تلك اللذة وان ربح بعد ذلك الملايين والمليارات ومن جملة حسنات كارنيجي انه اسس الفي مكتبة لامته سبلها على المطالعة والمراجعة

اصل المصريين

القى الاستاذ اليوت سميث محاضرة في مدينة مانشستر من بلاد الانكليز في اصل المصريين قال فيها : ان معرفة أصل قدماء المصريين كان موضوع بحث الكثيرين من زمن اليونان والرومان الذين دهشوا من اعمال الامة المصرية الهائلة وعاداتها الغريبة . وقد بدأت الاكتشافات الدالة على اصل المصريين في سنة ١٨٩٤ باكتشاف الاستاذ بتري مقابر بين البلاص ونقاده في شمال مدينة طيبة كان داخلها اجسام واشياء تاريخها سابق لتاريخ الأسرات التي حكمت مصر . وقد دل ذلك الاكتشاف على ان الاجسام التي وجدت قبل ذلك لم تكن مصرية بحتة بل كانت خليطاً من اجناس مختلفة . واخذ كثير من المؤرخين يضعون نظريات بنوهـا على ماعثر عليه اناس لا علم لهم بالآثار بطريقة غير منظمة وهم على غير علم بما تدل عليه من الآثار التاريخية والفوائد الخطيرة العلمية قال ان من حسن حظه انه بدأ في بحثه في مصر من سنة ١٩٠٠ وهو الوقت الذي ثبت فيه تمام الثبوت ان مقابر نقاده كان مدفونا فيها اجسام من قبل بدء التاريخ وامكن كذلك معرفة اعمار هذه المقابر معرفة تامة ومن سنة ١٩٠٠ تم كثير من اعمال الحفر والتنقيب اطلع عليها باجمعها وبحث فيها بحثا دقيقاً . وقد دلت البراهين الثابتة على ان المدنية المصرية قبل تدوين التاريخ كانت منتشرة في اعالي فروع نهر النيل الى بلاد الحبشة ومن هناك الى شاطىء البحر الاحمر

وكان من عادة المصريين قبل حكم الأسرات التي حكمتهم ان يدفنوا موتاهم واضعين رؤوسهم نحو الجنوب ولما اتت الأسرة الرابعة حدث اختلاط في الاجناس في الوجه البحري وبدأت الموتى تدفن ورؤوسها نحو الشمال . وكان المصريون يعتبرون سكان شاطىء البحر الاحمر اجدادهم ويقدسونهم ويسمونهم (بنطا) اي انهم من دم واحد ومواطنيهم

وقبل بناء الاهرام اخذ المصريون في الاختلاط التام بالاجناس الأخرى وقبل أن

بدأ تاريخ الأسرات المالكة كان المصريون قد اكتشفوا معدن النحاس فصنعوا منه اسلحة فتحوا بها الوجه البحري ولما اتحد الوجهان (القبلي والبحري) ظهرت الأسرة المالكة الاولى وفي هذا الوقت افتتح المصريون شبه جزيرة سينا وسواحل سورية الى ان وصلوا الى جبل لبنان وادخلوا في غرب آسيا فوائد النحاس واستعماله وكان هذا الاختلاط بالامم الاخرى باعثاً على تقدم المدنية المصرية فتقدموا في ذلك العصر تقدماً باهراً . وكانوا يعبدون آله الشمس (رع) على الدوام ولم تأت الأسرة الخامسة حتى انتشرت عبادة هذا الآله انتشاراً كبيراً وربما كان ذلك راجعاً الى تأثير فتح البلاد السورية

وفي آخر العصر الحجري اتى الى اوربا اناس عن طريق آسيا الصغرى وكانوا يستعملون الفلز ولهم عادات مختلفة في دفن موتاهم وقد تعقبت بقايا هذا الجنس فوجدت انها تتصل بنفس المكان في سورية الذي كان يأتي منه المهاجرون الى مصر في عهد بناء الهرم الاول حيث تعلموا استعمال النحاس من المصريين وكان عبورهم من مضيق البوسفور الى اوربا قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ثم اختلطوا من ذلك الوقت بمن كانوا عائشين في العصر الحجري وعلى ذلك فالجنس المسمى بالألبيين نسبة الى الالب هم من نسل هؤلاء الاقوام الآسيويين ولما اتت الأسرة المالكة الخامسة ظهرت دلائل وجودهم في مصر الوسطى ثم في ابيدوس ثم اخذت تقاطيع المصريين وسحنهم تتغير تدريجيا

وكان من عادة الاجانب في مصر ان يطلقوا شواربهم وقد اكتشفوا اجساماً من آخر الأسرة المالكة الثالثة الى السادسة مدفونة في الجيزة وسقارة وميدوم من هذا النوع وفحصت جماجمهم والخلاصة ان قدماء المصريين قبل بدء الأسرات المالكة والجنس الذي كان على شواطئ البحر الابيض في القسم الحديث من العصر الحجري المسمى (Mediterranean Neolithic race) من دم واحد . وفي حكم الأسرة الرابعة امتزج المصريون والاجانب بسبب الحركة الكبرى التي كانت في غرب آسيا وترقوا في ذلك العهد رقياً كبيراً

لغة الاسبرانتو

اخترع طبيب العيون الروسي الدكتور زامنهوف من فارسوفيا منذ سنة ١٨٨٧ لغة مساعدة دولية سماها الاسبرانتو واقبل بعض الناس في العالم المدني على تعلمها اقبالاً جاوز حد المأمول فانتشرت في روسيا وفرنسا والمانيا ثم تعدت الى سائر الممالك وتجاوزت

بحر الظلمات الى اميركا وعقدت لها مؤتمرات في سنين مختلفة وعواصم مختلفة اهمها مؤتمر درسد وكان فيه ٤٢ نائباً عن ٤٢ أمة مختلفة لغتها عن لغة جارتها . وهذه اللغة مؤلفة من حروف لاتينية اختار لها مخترعها ابسط التراكيب وسهل التلفظ بها بحيث يتأتى لابن الغرب ان يدرسها في بضعة اسابيع وهي من انفع ما يكون لتسهيل الصلات بين ابناء الحرفة الواحدة من مختلفي اللغات فبلغة الاسبرانتو يتفاهم الاطباء والاساتذة والمهندسون والعلماء والتجار من اي امة كانوا وقد صار لهذه اللغة الآن ٥٠ جريدة منها مايكتب بها فقط ومنها مايكتب بها وبلغة البلاد التي تصدر فيها وينشرون بها مجلة علمية تبحث في علم الانسان والحيوان والاجتماع والنبات والطب والرياضيات ولها مجلات أخرى ادبية فنية وقد بلغ عدد جمعياتها في اميركا ٢٨٠ وفي آسيا ٣١ وفي اوربا ١٢٠٣ وفي افريقية واوستراليا ٣٩ منها ٢٢٢ جمعية في المانيا فقط وناهيك باقبال الالمان على كل مايفيد وتأنيهم في الاخذ من الجديد . وقد قال من كتب عن لغة الاسبرانتو مؤخراً انها ليست واسطة للمعاملات اليومية بين البشر بل هي الواسطة الوحيدة للقضاء على الوف من المشكلات تنجم في الغالب من اختلاف اللغات وهي تبدو عياناً عند مايراد الاتحاد مع اجنبي غريب في اي عمل كان فلغة الاسبرانتو لاتضر باللغات الموجودة بل اصبحت لغة ثانية لكل مدني من الناس وهذا نافع جداً للافراد والانسانية

اللغة الموقتة

تألفت في باريز جمعية عامة من الاساتذة بعثت الى رئيس الجمهورية محضراً تصف فيه فضائل اللغة الموقتة التي الفتها قالت فيه ان هذه اللغة ساذجة عملية لاتكلف معانيها كبير درس وعناء وبها يتيسر لجميع سكان الارض ان يلفظوا ويقرأوا ويكتبوا ويستمهلوا ويطبعوا ويخابروا بالبرق والتلفون بدون سابق درس في كل اللغات والابجات مهما كانت مختلطة (كلغة الجركس والداغستان مثلا) وان يفهموها احسن فهم واسرعه واكثر مما يتأتى لهم بالاساليب المعتادة . وقد ذهب هؤلاء الاساتذة الى ان اصعب ما في اللغات التلفظ بها واملاؤها فرأوا ان يكتب الانسان كما يقرأ وان يدل بحرف واحد على كل كلمة وان كل صوت يعبر عنه بالحرف نفسه في كل اللغات التي يقع فيها ولذلك اخترعوا الف باء مؤلفة من ٤٥ حرفاً منها ذو علائم واشارات وتسهيلا لتعلم هذه اللغة اخترعوا دفاتر يشرحون في الصفحة الاولى منها قواعد تلك

اللغة واصولها وقد تركوا الثانية بيضاء لتطبيق هذه اللغة على العمل والتمرن فيها ووضعوا ملايين من هذه الدفاتر في المطاعم والفنادق ومكاتب البريد والمخازن والمحطات والمدارس ليصبو كل انسان ان يجرب بنفسه تعلم هذه الطريقة وبذلك تتم بث دعوتها وتنتشر بين الناس اقصى الانتشار ويقول مخترعو هذه اللغة ان حسناتها اذا أضيفت الى لغة الاسبرانتو تزيح الجهل الذي هو مبعث الحروب والثورات والشقاء الخاص والبلاء العام وان لغتهم اداة صلة معقولة بين مطبعة غوتمبرغ مخترع الطباعة وآلة اديسون مخترع الفونوغراف اي بين العالمين القديم والجديد

الانكليزية الفرنسية

اخترع احد الاساتذة لغة جديدة مزج بها اللغتين الانكليزية والافرنسية وهي نوع من لغة الاسبرانتو تنفع ابناء هاتين اللغتين فقط وقد وزع كراسة بمنافع لغته اباعها من الجمهور . فقالت عنه المجلات ان هذه هي النتيجة الاولى لاختراعه واستضحك منها كل من تلاها وهذه نتيجة ثانية . وقالوا ان هذه اللغة اشبه باللهجة الفلامندية المعتقدة المعروفة في بلاد البلجيك

التثاؤب

كثيراً ما كان الاطباء يقولون بشناعة التثاؤب حتى قال ابقراط ان التثاؤب كالشهقة يشع من صاحبه كما هو ضار في غيره وان احسن علاج للتوقي من التثاؤب ان يطيل المتثائب نفسه . وقد قام في العهد الاخير طبيبان في اوربا يريان ان لا بأس بالتثاؤب وانه نافع لامراض الحلق ومن يحسن التثاؤب جادت رئتاه وجميع مجاري تنفسه ولكن الواجب ان يتمرن المرء على التثاؤب كما يتمرن على تنفس الهواء فيجب ان تشتغل بالتثاؤب اعصاب الصدر والحلق معاً وان يكون عميقاً ملياً ما امكن وان يتثاءب المتثائب وذراعاه مبسوطتان بحيث يبدل الهواء الذي يجري في الدماغ والقلب والاحشاء كل التبدل ويكثر من اخراج النفس وبذلك قد يسهل البلع على من لا يستطيعه وتقل اضطرابات السمع على المصابين بها وهي تكون مصاحبة لزكام الحلق اما طريقة التثاؤب فسهلة للغاية وهي عبارة عن ان يتثاءب المرء ست اوثماني مرات متوالية بالغاً ريقه بعد كل مرة قالت المجلة التي نعرب بها واذ كان التثاؤب مما تنفر منه طباع الحضور في مجالس وقد يؤدي الى ان يحذو حذوه غيره فالواجب على الانسان كما قال الاخلاقي لابرويير ان يتثاءب في بيته لئلا يزعج غيره بما يكره

غابة تحت الارض

اكتشفت في ساندي هوك في ولاية نيوجرسي من اعمال الولايات المتحدة غابة تحت الارض على بعد ١٣٠ متراً عمقاً بينا كانوا يحفرون آباراً ارتوازية واشجارها عظيمة جداً قطر الواحدة نحو سبعة امتار . والغالب ان هذه الغابة قد انهالت عليها الرمال فطمتها ويؤملون ان يعثروا في هذا المكان على كميات وافرة من العنبر الاصفر

اجور المنازل

اشتدت وطأة الغلاء في اجور المنازل في عواصم العالم المدني فباتت فوق طاقة العاملين والمحترفين ففي احصاء اخير ان في مدينة برلين ٥٢٠٤٤١ مسكناً منها ثمانون في المئة مؤلفة من غرفتين ومطبخ وهذا مما يضر بصحة من يسكنون في مثل هذه الحال في بلد يتجاوز سكانه المليونين اي ان تسعين في المئة يسكنون في مثل هذه المساكن المتلاصقة وقد كان الرجل يسكن منذ قرن ونصف بانفاق خمسة في المئة من دخله وارتقت الاجور سنة ١٨٥٠ الى عشرة في المئة واليوم لا يستطيع السكنى باقل من ١٥ الى ٢٠ في المئة وربما اضطر بعض الاساتذة ان ينفقوا نحو ربع مشاهراتهم ليسكنوا بيوتاً لائقة بهم في الجملة والسبب في زيادة الاجور بدعة المضاربات في اراضي البناء في المدن . والناس في الغرب يطلبون تدخل الحكومات في مسائل الاجور وان تنشأ لجان لتفتش المساكن

لغة الفرنسيس

عقد مؤتمر في بروكسل للنظر في اختيار لغة دولية تقوم بالغرض المطلوب لدول اوربا من كل وجه فكان القائلون بتفضيل اللغة الافرنسية اكثر من غيرهم وقد كان للقائمين بهذا الامر عضد قوي من رجال الكليات في العالم ماخلا المانيا فانه لم تسبق دعوتها الى هذا الغرض اما المتأدبون والعالمون وارباب الاعمال العقلية فقد فضلوا كلهم لغة هوغو وراسين على غيرها من لغات اوربا

الاولاد والكسب

نشر مجلس الصحة في كليفورنيا من الولايات المتحدة نشرة قال فيها ان تعليم الولد الى سن العشرين يكلف في كليفورنيا ٤١٥٠ دولاراً اي نحو الف ليرة عثمانية وان قيمة الولد في تلك السن تساوي ٤٠٠٠ دولار وبذلك يمكن ان يثمن الشاب في سن الثلاثين

ب١٦ الف دولار على التعديل المتوسط اي انه يربح منه ٢ الف دولار في عشر سنين ويكون قد كلف ١٠١٥٠ دولاراً فيبقى الربح الصافي ٥٨٥٠ دولاراً فكل من يربي ولداً يأتيه بربح صاف الى سن الثلاثين ب ٥٨٥٠ دولاراً ومعدل ما يكلف الولد في المدارس في الولايات المتحدة ٢٩٠٠ ريال فاذا حسب العاملون الدارسون من اهل كلفورنيا بلغت قيمتهم ٦٦٨٩٥٥٠٠٠٠٠٠ ريال او نحو ضعفي سائر موارد الثروة والحكومة تفقد كل سنة مئة مليون ريال في تلك الولاية بالامراض والموت الفجائي الذي يمكن تلافيه لو حسنت العناية بالصحة اكثر من ذلك . هذا ما يساويه سكان ولاية واحدة هناك فكم يساوي سكان ثلاثين ولاية عثمانية !

الاشتراك والبلديات

كتب صاحب مجلة « ادلة الترقي » مقالة في الحركة الاجتماعية وتأثير اشتراك البلديات في اوربا قال فيها ان ارتقاء الصناعات وانشاء المعامل دعا الى تباعد المسافات بين دور العملة ومحال اعمالهم فاستدعى ذلك تنظيم الترامويات ومدها الى الاماكن البعيدة واضاءة الشوارع بالانوار الكهربائية او الغازية ولكن رأت بعض البلديات ان الترامويات هي لشركات لا تنظر الا الى ربحها فابتاعتها منها ناظرة في استثمارها كما فعلت بلدية فينا الى مصلحة الاهلين اولا فنتجت من ذلك نتائج حسنة وهكذا نظرت المجالس البلدية في المدن الكبرى وبعض الصغرى الى حالة المساكن فانشأت بعضها مساكن صحية للعملة باجور زهيدة وكانت مدينة زوريخ متقدمة على المدن عامة فخربت ربع المدينة القديمة وبنت مكانها مساكن منتظمة على هندسة وشوارع حسنة وحدائق عامة وخاصة وانشأت ادارة ترسل مقداراً من النور في السنة لكل بيت وماء سخناً للحمامات كل يوم واذ كانت مسائل اللحم والخبز واللبن من المسائل المشكلة على الفقير ايضاً مثل مسائل البيوت الصحية الرخيصة رأت بعض بلديات المانيا ان تفتح على نفقتها مسالخ ومخازن لبيع اللحوم باثمان معتدلة فتخلص العملة بذلك من احتكار القصابين وكذلك فعلت بلدية بودابست وانشأت مخبزاً تبيع منه الخبز للعملة باثمان حسنة بالنسبة لسائر الخبازين حتى اضطروا ان يجاروها ويرحموا الفقير . ومنحت بلدية رومية نصف مليون ليرة لانشاء بيوت للعملة رخيصة صحية وانشأت بلدية ميلان صيدلية ارتقت ارتقاء مدهشاً وبها انحل عقد المحتكرين من الصيادلة وتراجع امرهم وانشأت بلديات بعض مدن انكلترا معامل لتعقيم اللبن وبيعه من المراضع وغيرهم تبيعهم لبناً خالصاً لا غش فيه

وكذلك فعلت بعض البلديات في المانيا واخذت على نفسها بعض البلديات تجهيز الموتى باثمان بخسة لانقاذ الفقراء من مخالب الدافنين والمكفنين واشتطاطهم في الاجور وانشأت بعض البلديات صناديق للتوفير للعملة اتت بنتائج حسنة كما ان جميع هذه الاعمال التي قامت وتقوم بها البلديات قد نفعتها ماديا كما نفعت الطبقة البائسة والمتوسطة بها وكل هذه الاعمال يقصد بها قيام الجماعة منظمين امرهم بنظام المجالس البلدية ليدفعوا عن الفقير والعاجز بل عن مجموع امهم غوائل احتكار الافراد لمصالح العامة والحاجيات الضرورية ويعملوا على مافيه مصلحة الناس عامة لامصلحة اناس مخصوصين . وكانت انكلترا اول من فكر في مثل هذه الاعمال النافعة فعسى ان نكون نحن آخر من يفكرون في احتذاء ذاك المثال النافع والهدي الرائع

لغة دولية مزدوجة

عرض جماعة من العلماء سنة ١٩٠٠ مشروعاً نافعاً في ربط عهود الوفاق بين كل من فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية وهو ان تتداول حكومات هذه الممالك في عقد عهد تضطر بها كل منها أُممها ان تتعلم لغة الاخرى اجباريا في المدارس فكما يتعلم الانكليزي والاميركي اللغة الانكليزية في مدارس بلاده يتعلم اللغة الافرنسية كذلك وكما يتعلم الافرنسي لغته في مدارسه يتعلم معها الانكليزية مضطر ايضاً وقد قال ابو عذر هذا الفكر المسيو بول شابليه ان انتشار اللغة الانكليزية قليل في قارة اوربا اللهم الا في بعض السواحل القليلة وهكذا في افريقية الشمالية . والانكليزية منتشرة في اميركا الشمالية والجنوبية وشرقي آسيا ولكل لغة من هاتين اللغتين منطقة تنتشر فيها ولم تنازعها فيه الاخرى فاذا جرى وفاق من هذا القبيل تقوى كل من اللغتين قوة هائلة خصوصاً وان لكل لغة من تينك اللغتين اناساً بل امماً ترغب في تلقفها وتفهمها فللتجارة اللغة الانكليزية وللسياسة والسياحة والمجالس اللغة الافرنسية . ولكن جاء هذا الاقتراح في غير اوانه اذ كانت على ذاك العهد توترت العلائق بين فرنسا وانكلترا واخرجت الثانية الاولى من فاشودة وكانت انكلترا مهتمة بحرب البوير فلما صفا جو الصلات اليوم بين الدولتين قام صاحب هذا الفكر بعرضه على الانظار فوفق الى اقناع احد كبار الاغنياء في اميركا فتعهد ان ينفق على تحقيق هذه الامنية كل مايلزمها من المال ويقول العارفون ان هذا التدبير افضل من اختراع اللغات الصناعية وستنتج منه نتائج كبرى عملية لتلك الامم الثلاث من حيث الماديات والمعنويات . ونحن نقول ان هذا الفكر نافع جداً في

المملكة العثمانية ايضاً ولا سبيل الى ترقيتها الا اذا تعلم الاتراك لغة العرب وتعلم العرب لغة الترك وبذلك يحصل التفاهم ويزول كل خلاف وهذا رأي كبار عقلاء الدولة وقد سئل عن معنى سوء التفاهم الواقع بين العرب والترك فقال لا سبيل الى ازالته الا اذا تركنا العرب وعرَّبنا الاتراك .

حفظ الاسماك

اخترعوا في باريز آلة تخرج ثلجاً كالثلج الطبيعي حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل وهذه الآلة نافعة في حفظ الاسماك اذ قد ثبت ان بعض الاسماك في البحيرات والانهار يهلك كثير منها لان الثلوج والجليد تنقطع عنها فجأة وبهذه الآلة الجديدة ينزل الانسان الثلج على الاماكن التي يريدها ويحفظ السمك بطعمه ولذته في الابعاد الشاسعة وعلى متن البواخر التي تشق العباب بين قارات الارض الخمس اياماً وليالي وباستعمالها اقتصاد عشرين في المئة من ادوات الثلج الصناعي او الجليد المعروف في هذه الديار

مدارس الشعب في انكلترا

نشرت مجلة التربية لمحة لاحد قدماء مديري المدارس الانكليزية في ترقي مدارس الشعب (Public schools) هناك منذ خمسين سنة جاء فيها ان مدارس الشعب في انكلترا تقسم الى قسمين قسم يدعى في العادة الابتدائي والآخر الثانوي . ولفظة ثانوي مأخوذة من الافرنسية وربما كان كوندورسه [1] هو اول من استعملها سنة ١٧٩٢ فالمدارس الابتدائية يتعلم فيها ابناء العملة منذ صغرهم حتى سن الخامسة عشرة ولا يعلم فيها غالباً غير اللغة الانكليزية وهي اشبه بمدارس اختيارية انشأتها الكنيسة وهي تنفق عليها ويرد تاريخها الى بضعة قرون . اما برنامج دروسها فهو منظم الآن على طريقة واحدة تحت ادارة مجلس المعارف والحكومة تنفق عليها وتراقبها وتكره القوم على تعليم اولادهم فيها

وليس لهذه المدارس مثيل في وحدتها في المدارس الثانوية او في المدارس العالية . وقد جمعت طريقة التعليم فيها بين الطريقة القديمة والطريقة الحديثة اذ فعلت

---

(١) هو فيلسوف رياضي فرنسوي مشهور قام بالدعوة الى الجمهورية ولما سقط في ايدي المستبدين او كاد آثر ان يتجرع السم لينجو من الاهانة بصلبه ولد سنة ١٧٤٣ مات سنة ١٧٩٤

فيها المؤثرات السياسية والاجتماعية والدينية والتعليمية واضطرت ان تخرج طلبة ينتقلون منها الى كليتي اكسفورد وكمبردج

يبدو لك التعليم الثانوي في انكلترا لاول وهلة مرتبكاً فله مدارس قديمة واخرى جديدة ومدارس تنال رواتب من الحكومة واخرى ليس لها رواتب ومدارس دينية واخرى مدنية فقط ومدارس لها مجلس ادارة واخرى ليس لها ذلك ومدارس تقبل أعطيات الحكومة وأخرى تستنكف من قبولها ومنها المحافظة بالطرق القديمة في تدريسها ومنها من اتت على القديم فدكته واستعاضت عنه بالجديد من الاصول وقصارى القول انك تجد مدارس من جميع الطبقات والدرجات والصفات ومدارس الشعب هي في الجملة التي لها مجلس ادارة وليست ملكاً لاحد وتبقى تلامذتها الى ان يبلغوا التاسعة عشرة من اعمارهم وتبعث بقسم من قدمائهم الى كليتي اكسفورد وكمبردج . فتخرج بهذا التعريف المدارس الخصوصية والاستعدادية والمدارس الصغرى والمدارس التجارية والصناعية والمدارس التي لاتعلم اللاتينية واليونانية والمدارس الثانوية التي أنشئت حديثاً تحت حماية الحكومة ويقصد منها ان تعم التربية العامة في الطبقات الوسطى وأعليها تعليماً تجارياً او صناعياً او تخريج اساتذة للمدارس الابتدائية .

وبين مدارس الشعب والمدارس الثانوية في انكلترا اختلاف حقيقي فالاولى تكون على الاكثر داخلية واساتذتها ممن تخرجوا في الكليات العظمى وتلامذتها يأتون من بيوت آبائهم مباشرة او يكونون متخرجين في المدارس الاستعدادية واجور التعليم فيها غالية ويعلمون فيها اللاتينية واليونانية ولها ارتباط كلي مع الكليات اما المدارس الثانوية فتلامذتها خارجيون والسواد الاعظم منهم يتخرجون قبل في المدارس الابتدائية واجورها خفيفة ولا يعلمون فيها الا قليلاً من اللاتينية ولا اثر لتعليم اليونانية فيها وقلما يبقى التلامذة فيها بعد من السادسة عشرة اوالسابعة عشرة وهي تحت نظارة Board of éducation ادارة التربية والحكومة المحلية . وبعد فقد نشأت مدارس الشعب كما قلنا على صور شتى فمنها ما انشأته الاديار والبيع ومنها ما انشأه الملوك او الافراد او شركات او جمع لها المال بالاكتتاب العام فهي تسد حاجة ابناء من يديرون شؤون البلاد وقوائم دروسها تنفع من يريدون التدرج والترقي منها الى الكليات او الى الجيش ويعملون الاعمال الحرة ويستخدمون في الوظائف الملكية في العاصمة والمستعمرات والهند او في الفروع

العالية التجارية والصناعية وفي هذه المدارس نحو ثلاثين الف طالب وربما كان في المدارس التي تعد الطلبة للدخول فيها بعد نحو عشرة آلاف

والسبب الاعظم في كون مدارس الشعب واقفة في اصولها عند حد محدود ارتباطها بالكليات ولأن مديري شؤونها واساتذتها وتلامذتها هم من ارباب الاملاك او الذين يتعاطون الصناعات الحرة ٠ واهل هذه الطبقة في انكلترا هم من المحافظين في السياسة والتربية وربما كان لهذه المدارس من قدمها مادة لبقائها حتى الآن ولذا فان شركاتها او جمعياتها تدعو فيها الى التعلق باذيال الماضي ٠ ولشهرة المدرسة وتقاليدها وأسلوبها شأن اعظم من شأنها في التربية العملية او التعليم الراقي ٠

و يعيش تلامذة هذه المدارس داخليين لا في بيت واحد متسع بل في بيوت منفصلة بعضها عن بعض يوسد امر النظر فيها الى اساتذة ويختلف عدد المتعلمين في كل مدرسة منها بين ١٢ الى ٥٠ وربما زاد عن هذا القدر يعيشون عيشة اجتماعية ودية ويتحابون على نحو مايتحاب الاتراب و يتعاطفون تعاطف الاخوة ولجميع هذه المدارس الكبرى معابد يصلون فيها على وتيرة دائمة ان لم تكن متصلة بكنيسة ٠ وللدين فيها تأثير شديد ٠ والعامل الرئيسي في نجاح معلم في المدارس الابتدائية طريقته وأسلوبه وفي استاذ الكلية سعة علمه وفي مدارس الشعب اخلاقه ولذلك تجد المعلمين والمتعلمين في هذه المدارس الاخيرة مرتبطين بحب مدارسهم والاخلاص لها ارتباطاً ينم عن سبر المدرسة واخلاقها وتقاليدها ومن مبادىء هذه المدارس ان تمنح تلامذتها ثقة كبرى وقد فوضت قسماً مهماً من المراقبة والنظام في بيوت المدرسة ومحال اللعب للمسنين منهم وللرياضات شأن عظيم جداً في حياة المدرسة وفي تربية الاخلاق

وقد وصف اللورد بيكونسفيلد هذه المدارس بقوله : ان مايعجبني في مدارس الشعب هو ان طلبتها يعيشون في الهواء الطلق و يبرعون في جميع الالعاب الرياضية ولا يتكلمون الا بلسان واحد وقلما يقرؤن ٠ حقاً ان هذه الطريقة في التربية غير تامة ولكنها لم يسبق لها نظير منذ عهد اليونان

وقال احد علماء التربية ان مدارس الشعب كانت تنجح كثيراً في تخريج الرجال ٠ وعلى ما دخل هذه المدارس من الاصلاحات لاتزال تنظر اليها نظراً ثانوياً ولا ترمي الا الى غاية واحدة وهي ان تخرج رجالاً اكفاء امناء وطنيين مسيحيين و بعبارة ثانية اعضاء نافعين في الكنيسة والحكومة

وان مادخل من الاصلاح عَلَى هذه المدارس منذ خمسين سنة وما يرجى ادخاله لايتأتى فهمه عَلَى حقيقته الا بالرجوع الى تاريخها فانا نراها الى اليوم تدرس اللغتين الميتين اللاتينية واليونانية بل قد جعلتهما المادة الجوهرية في التعليم الحر ويكفي ان نقول ان السبب في دخول هاتين اللغتين الى التعليم العالي في الغرب المسيحي هو ان الكنائس كانت بجوهرها في القرون الثلاثة الاولى يونانية الاصل وكذلك اللغة والنظام والفلسفة . وباللغة اليونانية بلغت الآداب عَلَى اختلاف فروعها ماعدا الفقه اوج كمالها . واصبحت اللاتينية في خلال القرون اللاحقة في جميع غربي اوربا لغة المتبربرين من الناس وفي القرون الوسطى جعلت الكنيسة وكانت اذ ذاك القوة المربية الوحيدة في اوربا اللغة اللاتينية لغة عامة . وفي عهد النهضة [1] انتشرت الآداب واللغات الاولى انتشاراً عظيماً في ايطاليا ثم تلتها حركة الاصلاح المهمة في مدارس المانيا بقيام ستورم وملانكتون [2] وكان يدافع عن اللغات الاصلية دعاة متحمسون لامثل ايراسم [3] فقط من رجال الادب بل مثل لوثيروس من رجال الاصلاح الديني فان هذا دعا رؤساء الحكام في جميع مدن المانيا الى تأسيس مدارس تدرس تلك اللغات القديمة حتى قال بعضهم «يجب علينا ان نرتبط بحب اللغات ارتباطاً زائد الثبات كما ارتبطنا عن رضى بالانجيل فانا اذا لم نحفظ باللغات لن نحتفظ بالانجيل» ولقد اثرت بانكلترا مثل هذه العوامل فكانت بعد عهد الاصلاح تعد اللغة اللاتينية لغة الكنيسة ولغة من تطمع نفسه الى المناصب الرسمية وظلت اللاتينية لغة العلم والسياسة الى سنة ١٦٦٠ ولكن مدارس الشعب لم ترجع عن طريقتها في التعليم الا بعد ان قامت المانيا وفرنسا وعنيت باصلاح التعليم العالي لما له من الشأن في تكوين الوطنية وهذا لم يتم الا في اوائل منتصف القرن الماضي والى

(١) النهضة *La Renaissance* هي اسم يطلق على التجديد الادبي والعلمي والصناعي الذي حدث في اوربا في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر ساعد عَلَى هذه النهضة اختراع الطباعة التي بها عم بين الاوربيين انتشار الافكار كما ساعدها اختراع النقش الذي عمم الصناعات والتغالي في التحف والرسوم وبدأت هذه النهضة من ايطاليا ومنها انتقلت الى فرنسا وغيرها من ممالك اوربا

(٢) *Mélanchton* عالم لاهوتي الماني صديق لوثيروس صاحب الدعوة البروتستانتية ١٤٩٧ — ١٥٦٠

(٣) عالم هولاندي لقب بفولتير اللاتين ١٤٦٧ — ١٥٣٦

ذلك العهد كان تلامذة تلك المدارس يكتبون باللغة اللاتينية وينظمون بها ولا يدرسون الافرنسية الا قليلا اما الالمانية فكانوا يجهلونها كما يجهلون العربية وكانوا يعنون عناية خاصة بتلقين مبادئ الرياضيات ولاسيما الهندسة الوصفية وكان الاساتذة يجيدون في تعلم اللاتينية واليونانية والعلوم الرياضية وهم شيوخ يدرسون هذه المواد منذ اربعين سنة اكثر من المحدثين لان خواتيم من يمارسونها احسن من مباديها والحال ليس كذلك في مدرسي التاريخ والادب والعلوم والاقتصاد السياسي فان هذه الموضوعات تضعف كمالياتٍ وتتوقلت فادرك رجال العلم اذ ذاك ان هذه المواد لا تنبه ذهن التلاميذ ولا تلتئم مع مصلحتهم لان ليس فيها نفع عام

دام ذلك حتى اخذت بعض الكليات بعد سنة ١٨٦٧ تنفق من حسابها لتعليم بعض التلامذة فعندها اضطرت معظم مدارس الشعب الى تقديم تعليمها فمن التلامذة من اختاروا طريقة التعليم الحديثة بدون تعلم اليونانية وتعمقوا باللغة الافرنسية والالمانية والتاريخ واصبحت مواد كثيرة اختيارية لمن يريد ان يتعلمها ومنهم من اخذ يميل الى الاخصاء، اي التخصص بعلم واحد ولا سيما في المدارس المهمة

وها قد اصبحت هذه المدارس اليوم ولها معامل كيماوية ومراصد فلكية وخزائن كتب ورقي فيها تعليم الآداب الانكليزية واللغتين الافرنسية والالمانية وعدلت فيها الكتب وصرفت العناية الى تعليم العلوم ومنها علم التربية واصبح تعليم الموسيقى من المواد المهمة في التدريس وطلبة هذه المدارس يدخلون في مسائل اجتماعية مهمة من مثيل معاونتهم للفقراء والاخذ بناصر الضعفاء في الاحياء الفقيرة من المدن الكبرى ويتعلمون التعليم الوطني او واجبات الوطني في المدارس المهمة ومعظم كبار الطلاب يتعلمون التعليم العسكري ليستعدوا به الى نيل رتب الضباط في الجيش البري وكثير منهم يتعلم صناعة يدوية كالنجارة مثلا . كل هذا والغرض اليوم من هذه المدارس لم يفت القائمين بها وهي ان تربي الاخلاق وترقي المدارك ولكنها لم تبلغ في الامر الثاني درجة عالية وذلك ناشئ من تأخر نمو العقل في ابناء الانكليز فيظن الاساتذة ان عقول طلابهم كسلانة لا تعمل وقد قال اميرسون الفيلسوف الاميركاني : « ان التربية هي ما يبقى في اطوارنا وعقولنا عند ما ننسى ما علمتنا المدرسة اياه » وقال الاستاذ سدلر : تستند القوة الحيوية في التربية الى قوة الثقة بالنفس والاخلاص في المعتقد فاذا لم يكن للمربي رسالة يريد تلقينها لعقل من يربيه وابلاغها لروحه يتعذر وصوله الى وضع أسس الشخصية الادبية وهي المصادر

التي هي احسن مافي الحياة الشخصية والحياة الوطنية . فمبدأ التربية ايضاً منبعث من هذه الرسالة الروحية التي يبلغها الاستاذ وبدونها تضمحل قوتها الحيوية

هذا ما عربناه من كلام الاستاذ الانكليزي وقد امل لهذه المدارس نجاحاً او كد في هذه الخمسين سنة التالية لما يعتورها من الاصلاح التدريجي فماذا يقول ابن هذه البلاد عندما يذكر مايكتبه عنا علماء التربية والاجتماع فقد قال احد الالمان ممن قضوا عشرين سنة في العراق ان الامة العربية تموت الموت التدريجي لفساد طريقة التعليم فيها فاللهم قيض لمدارسنا الاهلية والرسمية والدينية من يصلحها الاصلاح الحقيقي ويعوضها من اصول التعليم المطول الممل باصول حديثة ترقي الخلق والعقل ومن الخطط (البرنامج) المطولة التي هي طلاء ظاهر بخطط مختصرة ظاهرها كباطنها

التربية في سويسرا

نشر الاستاذ ستودر الانكليزي بحثاً له في التربية السويسرية واذ كان ممن تربوا في مدارسها قديماً غدا كلامه جديراً بالثقة والنقل قال مانعربه عن احدى مجلات التربية الباريزية : التعليم في سويسرا على ثلاث درجات ابتدائي او موجز وثانوي وعال وكلها ذات صبغة ديمقراطية يجلس على مقاعدها ابناء جميع طبقات المجتمع كتفاً الى كتف وقد قضى قانون الاتحاد السويسري منذ سنة ٨٧٤ ان يكون التعليم الابتدائي اجبارياً مجانياً وتراعى حرية الوجدان فيه بيد ان تطبيق هذه القاعدة تختلف باختلاف الاقاليم فترى مدة الدروس لاتتشابه في كل اقليم وكذلك التعليم الديني يختلف بحسب البلاد . ومن اقاليم سويسرا مايكره فيها الولد على البقاء في المدرسة من السنة السادسة الى الرابعة عشرة ومنها ماتكون مدة الاجبار من السابعة الى الخامسة عشرة ومنها مايسمح للولد ان يخرج من المدرسة في الثالثة عشرة بعد ان يؤدي امتحاناً وعلى كل تلميذ ان يحمل دفتراً يثبت هويته . وكذلك الحال في قائمة الدروس فانها تختلف كل الاختلاف لان الاقاليم والبلديات لها مطلق الحرية ان توفق الدروس على حسب الاحوال المحلية بحيث يقال ان اعضاء المجالس البلدية في كل قرية لهم اليد العليا على كل مايتعلق بالتعليم فيحددون بحسب ارادتهم اوقات العطلة ومدتها ويختارون المعلمين ويوافقون على احداث مدارس او ابنية جديدة و يتعهدون بالاهتمام بانفسهم شؤون مدارسهم وتفتيش صفوفها في مدد معينة والنظر في راحة الاساتذة والتلامذة . ومامن مجلس من هذه المجالس يتوقف في بذل اقصى العناية بامور التعليم . والحكومة تؤدي نفقات المدارس الابتدائية

وفي بعض الاماكن تعطي للاولاد الكتب ولوازمهم المدرسية من المدرسة كما تعلمهم مجاناً وفي ايام الشتاء يقدم للاولاد طعام الغداء بثمن زهيد جداً واحياناً بدون ثمن

تكاد تكون جميع المدارس من املاك الحكومة وليس معنى ذلك بان ليس ثمت بعض مدارس اهلية خاصة فان بعض المدارس تتوخى في تعليمها غاية مخصوصة و بعضها تسعى الى منافسة المدارس العامة ولكنها خاضعة لشروط فجميع الاولاد الذي يقرؤن في مدينة نوفشاتل عَلَى اساتذة خاصة او يختلفون الى مدارس خاصة يمتحنون كل سنة امام لجنة من المحكمين وتجبرهم الحكومة عَلَى دخول مدرسة عامة اذا رأت ان نجاحهم في دروسهم غير مرض٠ وعَلَى كل استاذ يعلم لنفسه تعليما حراً ان يكون حاملا شهادة او يمتحن امتحاناً خاصاً في المواد التي تعادل مايدرس في مدارس الحكومة٠ والمدارس الخاصة في كل طرف من اطراف سويسرا خاضعة لتفتيش الحكومة

والتعليم الثانوي مجاني ايضاً في معظم الاقاليم و يعطى التلميذ في بعضها لوازمه من كتب وغيرها بلا عوض اما في التعليم العالي فان التلامذة يدفعون اجوراً ولكنها طفيفة جداً والتلميذ الفقير المدقع يتعلم مجاناً اذا اراد مهما كان استعداده٠ وليس للكليات موارد خاصة ماخلا كلية بال وكلية او كليتين تديميتين

ولا يطلب من المعلم في التعليم الابتدائي ان يميز بعض التلامذة اذا رأى فيهم نبوغاً اذ ينظر الى الاولاد كلهم نظراً واحداً ولا تفادى بمصلحة السواد الاعظم من اجل مصلحة طبقة مختارة لان الامة تتألف خاصة من ارباب العقول المتوسطة لامن النوابغ٠

المدارس الداخلية غير معروفة في سويسرا وما خلا بعض مدارس المعلمين فالحكومة ليس لها الا مدارس خارجية لان عمل الابوين في تربية الاولاد مما لايقبل المناقشة في سويسرا عَلَى ان الحكومة قد جعلت من حقها مراقبة الابوين الذين يتقضى عليهما ان يطعما اولادهما و يلبساهم عَلَى ماينبغي ومن حقها ايضاً ان تقتص من الآباء المتساهلين في العناية باولادهم وتكرههم ان يؤدوا عنهم مايقوم بكفايتهم من الرزق

وكانت العناية بالرياضات قليلة في مدارس سويسرا ويهتم المعلمون اهتماماً شديداً بذاكرة الولد لانهم ينظرون الى التعليم بانه غاية لاواسطة اما اليوم فقد ادخلوا الالعاب الرياضية والتمارين اليدوية والحمامات المدرسية والاعمال الزراعية وقللوا مدة الدروس٠ عدلوا بعض قوانين التعليم في سويسرا منذ بضع سنين ناظرين فيها الى ترقية الاخلاق باعتبارها الغاية الرئيسة في التربية ورأوا ان التعليم الديني هو العامل الاعظم في تهذيب

الاخلاق واذ كان من الواجب مراعاة حرية الوجدان عملاً بالدستور السويسري رأت بعض الاقاليم ان تجعل التوراة اساس التعليم او تدريس الاخلاق الطبيعية وخصصت ساعات معينة لدرس المعتقدات الدينية · ورأى المصلحون في الايام الاخيرة ان يرفع من التعليم تعلم الدساتير والقواعد والحقائق المجردة التي كان يقضى على التلميذ استظهارها ويمهد الى ارادة الطفل وبحثه الخاص فقط · وقد جعلت ولاية تسين اول بند من قانونها المدرسي ان الغاية من التربية ان يخرج الطفل انساناً يفكر ويعمل وعليه تبعة مايعمل · تريد بذلك ابعاد الطفل عن درس الاساليب التي تبعد الذهن عن التصور النافع والتي لا غاية لها لان استظهار كمية من الالفاظ لا علاقة بينها وبين الاختبار الشخصي فيقوم مقامها الفاظ تطلب معاونة الولد وتخوله حريته في العمل والتصور · فسويسرا لا تكتفي بان تعلم ابناءها القراءة والكتابة والحساب بل هي تنظر الى التعليم نظراً ابعد تريد تربية الصحة والاخلاق وان تبعد عن المتعلم كل مايضر بخلقه وتهذيبه

وقد كثرت في سويسرا منذ بضع سنين مدارس الزراعة والتجارة والصناعة على اختلاف ضروبها وأنشئت مدارس لتدبير المنزل يتعلم فيها البنات ادارة شؤون البيوت والخياطة والطبخ والكي والغسيل وغير ذلك · وجميع هذه المدارس هي عبء ثقيل على الحكومة ومع هذا فان الحكومة لم تغفل عن التعليم العالي فلسويسرا سبع كليات عامرة والاجور فيها زهيدة للغاية لان القوم ايقنوا ان الطبقة الراقية في حكومة ديمقراطية يجب ان تكون من اقوى عناصر الامة واكثرها ذكاء وهذه قد تكون فقيرة

والظاهر ان غاية ماترمي اليه التربية في سويسرا سعادة الامة عامة والفرد خاصة وذلك يبذر كل البذور الصالحة وتعهدها بما ينميها والاشراف على القوى النافعة وكل مافي المرء من الميول الشريفة · وينظر في هذه التربية ايضاً الى اصلاح كل ماسفل وتبدل من اخلاق الطفل والاخذ بيد كل وطني ليكون منه انسان مستقل كثير الثقة بنفسه مسؤولا عن حقوقه وخصائصه راغباً في القيام بكل واجباته نحو بلاده والناس اجمعين · وكيفما كان الحال في نقص الاساليب المتبعة في سويسرا على قلة المعلمين فالواجب ان يعترف بانها لم تكتف بالالفاظ اللطيفة في معنى التربية فهي على ضيق مواردها قد بذلت عن سعة في سبيل تهذيب الشعب وفادت بكل مالديها من المال والقوة لخدمة غرض تراه مرتبطاً كل الارتباط بنجاح الامة وبقائها

درس في الصحة

لايكفي التعقل في تناول الغذاء عَلَى نظام خاص لحفظ الصحة بل الواجب الجري عَلَى قوانينها . فكن يا هذا مغرماً بالنظافة وحب الماء والاغتسال كما تحب اعز الاشياء عليك فمن غسل اطراف جسمه واعتاد الوضوء في الاوقات المعينة ضمن لجلده الرشح المنشط والمرونة النافعة فالماء البارد يشد المسام والحار يمددها والافضل في كثير من الاحوال الاعتياد عَلَى الماء الفاتر فحمامات المياه الباردة تقوي الجسم وتنشطه والحمامات الفاترة تسكن هياج الاعصاب وتزيل التعب والحمامات الشديدة الحرارة تحط البدن وتضعفه .

دع على الدوام نوافذ مسكنك مفتحة ليدخله النور والهواء على ما يجب سواء كان في الصيف او الشتاء ولا تخف الهواء يتخلل منافذ ابوابك فانك اذا قللت من الانفاق عَلَى التدفئة تنجو من امراض كثيرة والغرف التي لايدخلها هواء هي بؤرة امراض دائمة كالزكام وذات الجنب وامراض الحلق والصدر والوفدة النازلة . دع الهواء — كما قال احدهم — يجري الى غرفتك حتى في فصل البرد فانه يحمل في جناحيه غذاء لرئتيك ومطهراً لبيتك .

تعلم جودة التنفس فان الناس يجهلون الا قليلا هذا العلم الواجب تعلمه والعمل به . فبالهواء يتجدد دمنا وتحمل الحياة الى جميع حواسنا وهو الذي يعين وظائفنا الطبيعية والنفسية على البقاء والاعتدال ومن انفع الامور في جودة الصحة ان يطيل المرء تنفسه في ساعات معينة ويتنفس بملء رئتيه وان تكون الثياب واسعة لاتضيق عَلَى الصدر يتنفس بان يعد من الاعداد من الواحد الى الستة ويكون تنفسه من انفه وفمه مغلق وتدوم هذه الرياضة عشر دقائق ومن الغد تمكث ثماني ثوان في تنفسك وثماني في حبس النفس وثماني في اخراج النفس من الرئة وهكذا تطيل كل يوم مدة التنفس وتجعله بنظام وتأن بحيث ينفذ الهواء الى ادنى طيات رئتيك ويملأ دمك بالاوكسيجين مبعث الحياة للراحة والصحة . واحسن رياضة في التنفس ما كانت في الخلاء وانت متمدد عَلَى العشب بالقرب من الاشجار او انت سائر بخطا معينة في طريق يحمل اليه الريح أرج المروج والغابات ومن واظب عَلَى مثل هذه الرياضة زاد نشاطه واستطاع قمع نفسه

اغتنم اوقات فراغك واصرف كل يوم ساعتين من وقتك للسير عَلَى قدميك فالمشي احسن انواع الرياضات يزيل كما يقول الافرنج صدأ الاعضاء وهو وقاء من المزال

وتصاب البدن وشفاء الجسم به يخف و يزيد مرونة وتنتظم حركاته . اذا فعلت هذا تنجو من السمن والربالة الضارة وتبقى اعصابك حافظة مرونتها ونشاطها الى ايام الشيخوخة

فكما ان المشي ينفع من حيث الطبيعة ينفع ايضاً من حيث الاخلاق لانه يصفي النفس ويطهر الروح وينظم الفكر ويطرد الابخرة ويأتي على الاحقاد فيطفئها ويوحي الى النفس المطالب الحسنة الشريفة والواجب ان تكون الخطا في المشي كبيرة لاتقل عن نحو ٧٠ سنتيمتراً وان تمس رؤوس الاصابع الارض اكثر من العقب وان يتعاقب اهتزاز الذراعين

والراحة مطلوبة عقيب العمل وخير الراحة ما كان منقطعاً بمعنى ان راحة ربع ساعة بعد ساعة من العمل افضل من راحة ساعة عقيب اربع ساعات في العمل . واذا اقتضى للمرء ان يواصل عمله ساعات فعليه متى فرغ منه ان يعمد لاسباب الراحة كلها كأن يستلقي على كرسي طويل و ينزع ثيابه التي تضغط على صدره ويمدد ساقيه وذراعيه ويبطل حركة اعصابه ويطبق جفنيه ويطرد عنه اهتمام النفس ويجلب اليها من الصور ما يضحكها فيذكرها بقعة جميلة من الارض ويتنزه حسن الرياضة فتمر به اللحظات كما يمر الماء المنعش ويغوص الفكر في سحاب سلام كأنه نصف نائم . واياك ان تعوزك نفسك عن صرف ثلاثين دقيقة في هذا السكون فانك بها تستعيد قواك وتعوض الآلة العاملة ما يلزم لها من الزيت لتعمل عملها .

اذا عرفت ان الاكثار من كل شيء ضار فاياك والاكثار من الراحة ايضاً فاذا كان استعمالها معوضاً للصحة ما فقدته فالاكثار منها يجلب الامراض لامحالة لان قلة الحركة والكسل تغيران الصحة اكثر مما يغيرها التعب . والاكثار من العمل ولا الاقلال منه .

المسافة قريبة بين الراحة والاغفاء فخير النوم ما كان متناسباً مع سن الانسان فقد قالوا ان ابن ٣ الى ٤ سنين يقتضي له من النوم ١٢ ساعة ومن سن الرابعة الى السابعة ١١ ومن السابعة الى السادسة عشرة ١٠ ومن السادسة عشرة الى الحادية والعشرين ٩ ويقتضي البالغين ثماني ساعات . وقلة النوم داعية الى الامراض لان فقر الدم وتعب الاعصاب والضعف تنشأ على الاغلب من قلة النوم

نم على الاقل بعد ساعتين من الطعام ويجب ان تكون غرفتك مفتحة النوافذ بعض

الشيء اذا كان الفصل غير شتاء وتكتفي بوضع ستارة عليها حتى لا يدخل الهواء مباشرة الى وجهك واضطجع عَلَى الجانب الايمن -ى لا تتأثر حركات القلب وعود نفسك التنفس من انفك لتنجو من يبوسة الحلق والغطيط وتناسَ ما وقع لك من اعمال النهار وكن كأنك لا تفكر والنوم موافيك من ذاته لا محالة

وعَلَى اصحاب المزاج الدموي ان يستعملوا الوسادة تحت رؤوسهم حتى لا يهجم الدم عليها اما اصحاب الامزجة الضعيفة والذين ابتلوا بفقر الدم فينامون ورؤوسهم واطئة ما امكن

يجب ان يكون الفراش في وسط الغرفة لا في زاوية ضيقة منها وان يكون غير محاط بالستور لئلا يمنع نفوذ الهواء اليه . والنوم عَلَى فراش الريش مضر . وخير الفرش ما كان الفراش الاسفل محشواً بالقش والاعلى بالصوف وفراشان يكفيان للراحة . والواجب اطفاء النور في غرفة النوم لان النور يتعب العيون ويأخذ كمية من الاوكسجين لا تستيقظ في الصباح بعجلة فتقفز من سريرك عَلَى حين فجأة بل دع حواسك تستعيد قواها ورأسك يطرد سحب النوم عن الجفون ولا بأس بان تكسل بضع دقائق ثم تنهض من فراشك لان الهبوب من النوم فجأة والدم محتقن والاعصاب غير مستوفزة يحدث شيئاً من الاضطراب قد لا تكون نافعة

للبرد تأثير كبير في امراضنا فانا في حال الصحة نحمل في احشائنا ورئاتنا ولعابنا جراثيم ذات الرئة والخناق والنزلات فادنى سبب تهجم عَلَى انسجتنا وتلقي الاضطراب فيها كأن نتعرض لبرد او لمطر طويل او نلبس جوارب رقيقة ترشح ماء ولذلك وجب التوقي من هذه الامور واختيار البسة تدفئ ولا ينفذ منها ماء الى البدن او الاطراف . وان ثوبين خفيفين محكمين يمسكان حرارة الجسم اكثر من ثوب واحد غليظ . واحسن ما يدفئ في البلاد الباردة في صميم صبارة القر تلك الادثرة التي يحشونها بالفرو ويلبسونها في الغرب وبعض بلاد الشرق . والعناية كل العناية بتدفئة الرجلين . واذا خرج المرء من غرفة حارة فعليه ان يمسك منديله ويضعه عَلَى فمه ومنخريه حتى لا يدخل الهواء البارد من الخارج الى الرئة الا بطء وكذلك الحال في الاماكن الحارة جداً فانها ضارة تحقن الدم كالاماكن الباردة كثيراً والواجب في شهري تموز وآب ان يمتنع المرء عن تناول المثلجات مهما حدثته نفسه بتناولها وان لا يتعرض للشمس وهو حاسر عن رأسه وان يستعمل المظلة كل من كان دموياً

وخير الطرق لاستمتاع المرء بشبابه، وان تكون ايام حياته طويلة وكلها ربيعاً ان يطرد عنه الخوف والتألم والغم والاضطرابات على اختلاف انواعها ويحسن ظنه في المستقبل فلا يستدعي بنفسه الشيخوخة ففناء الجسم موقوف على عمل المرء نفسه لا على الايام التي مضت عليه فكم من شيخ حفظ صحته بتعهدها ودفعه عنها كل ما يضربها وكم من شاب ظن نفسه مقبلاً على ورود حياض الموت لوسواس اصابه وهموم وغموم دعاها تستولي عليها وان علماء الصحة ليقولون ان الحياة قد تطول الى اكثر من مئة سنة اذا لم يطرأ عليه طارئ غير منتظر فعلى من يحب حياته ان لا ينقصها بصنعه بل يعمل لغذائها ومنامها ولباسها وعملها كل ما يجعلها بهجة مفرحة

لغة الولد

نشر احد اساتذة انكلترا في مجلة المدرسة مقالاً في المكانة المعلقة على لغة الأم فقال ان التلامذة من ابناء التاسعة الى الرابعة عشرة يجب ان يخصصوا عشر ساعات في الاسبوع لدراسة لغتهم الاصلية . فمن الوهم الفاضح ان يذهب بعضهم الى انه من الممكن تعليم الاولاد معنى الانشاء والذوق الادبي اذا لم يكونوا متمكنين كل التمكن من لغتهم . وباطل اعتقاد من يعتقد بغناء اللغات الاجنبية في التربية . بل ان تعلم لغة غريبة قبل احكام المرء لغته الاصلية احكاماً راسخاً وتبريزه في اساليبها ضار لا بلغته وملكتها فقط بل في تربية عقل التلميذ ايضاً

اما الجمهور وعامة الناس فيذهبون الى غير هذا المذهب فقد قال اللورد الفرستون في جريدة التربية يوم افتتاح مدرسة ماطالما قاله غيره وهو ان الواجب على الابناء ان يتعلموا لغة اجنبية في صباهم حتى تعلمها لان ما يتعلمونه منها في سن الحداثة في بضعة اشهر يرسخ في نفوسهم اكثر مما يتعلمونه في سنين متى كبروا . نعم ان الحواس الصوتية هي في الطفل الين منها في غيره ولكن الحبال الصوتية ليست هي كل مايلزم لتعلم لغة فان من المجرب ان الطفل الذي تعلم اللغة الهندستانية ينساها بعد سنين . قال الكاتب اما نحن فاننا نؤمن على كلام جريدة التربية ومجلة المدرسة وهو ان تزاد الساعات المخصصة لدرس اللغة الاصلية وان تؤخر ما امكن دراسة اللغات الاجنبية او القديمة ريثما يستتم التلميذ ملكة لغته وان يتجرد التعليم الابتدائي من دراسة اللغات الحية وفي ذلك من الفناء والنفع من كل وجه مالا ينكر لبيب محله . هذا ما عربناه ويا ليت نظارة المعارف العثمانية تنظر فيه نظر تدبر فان التعليم في مدارسها بالبلاد العربية اصبح

من العقم بحيث امسى عدمه خيراً من وجوده لانها قضت ان لا يعلم التلاميذ حتى في المدارس الابتدائية شيئاً من لغتهم العربية واكتفت بتلقينهم فقط اللغة العثمانية ويا ليتها تحسن تعليمها فيخرج التلامذة بعد الدراسة لم يتعلموا لغتهم ولا لغة حرصت نظارة المعارف على نشرها كالعقعق اراد ان يمشي كالحجل فنسي مشاه ولم يمش مثله ·

العمل اليدوي

من الغريب ان البلاد التي قل أميوها هي التي جعلت اساس التعليم فيها الاعمال اليدوية واعتبرت التهذيب العلمي ثانوياً فقد جرت بلاد الدانيمرك والسويد ونروج على طريقة تربي فيها ملكة الصناعات قبل الاشتغال بالمعقولات والمنقولات وجعلت غاية المدارس هناك ان تعد ابن الشعب لاكتساب رزقه فهو يجتهد في حرفة له يختارها ليبرع فيها ولا يجبر على العمل اجباراً بل تجعل له مكافآت مالية يتناولها بحسب تجويده عمله وفي خلال تلك المدة يتعلم الولد ما ينبغي له من التربية اللازمة لعامل واذا نبغ من بينهم نابغ ونبه منهم نابه يخرج من بين تلك الصفوف بطبيعة الحال · وقد جربت ايطاليا هذه الطريقة في تعليم الصناعات وتهذيب الاولاد الذين ارتكبوا جرائم فحبسوا واستعاضت عن تلعيبهم باعمال صغيرة سهلة مثل طي المقوى والحبك وعمل السلال مما يعمله المرء في العادة وهو يغني او يتحدث مع غيره فراقت هذه الاعمال الاولاد السجناء خصوصاً وانهم يتقاضون عن اعمالهم اجوراً وان كانت طفيفة لكنها تغرس فيهم ملكة الحذر والاحتياط ولذا قل فيهم من يحيد اثناء هذه الاعمال عما يقضي به النظام وجاء منهم وطنيون نافعون لا حانقون على الدهر لا يدرون كيف يسيرون

رعب الاولاد

وضع المسيو فاراندونك سؤالين على تلامذة بعض مدارس بلجيكا وهما: من اي شيء تخاف اكثر وما السبب؟ ومن اي شيء زاد خوفك كثيراً يوم كنت طفلاً وعلى اي سبب تعلته؟ فاتاه الف وخمسمائة جواب نشرها واستخرج منها ما استنتجه في مجلة علم النفس فتبين له ان الصبيان اكثر من البنات خوفاً من الاسد ورجال الشرطة ومن آبائهم وامهاتهم ومن الوحدة والماء والاشباح والمستقبل والبنات يرعبن في الاكثر من الحيوانات ولا سيما من الذئب والدب والجراذين والفيران ويخشين اكثر من الصبيان الآلام الطبيعية والرجال والمركبات على انواعها والظلمة والرعد والبرق · وان الداعي لخوف الولد ناشيء من عدم مماشاته لمحيطه لان ارادته لا دخل لها في هذا الشأن بتاتاً

بل ان تخلفه عن السير مع محيطه ناشيء من ضعفه ومعظم الرعب في الاطفال ينشأ لم من حواليهم وحدث ماشئت ان تحدث عن الرعب الذي يستولي حتى عَلَى الكبار في السن لان الاوهام غرست فيهم منذ الطفولة · قال ومن انواع الخوف ماينفع الجنس الانساني والولد ايضاً وهو الخوف النافع في الاحايين اي ان الجبناء وهم في الاغلب العاقلون قد ينجون بحياتهم في احوال كثيرة ·

الاوائل

من الموضوعات التي اشتغلت فيها في دار غربتي موضوع الاوائل · فقد بحثت حتى جمعت فيه مجموعة كبرى اخذت معظمها عن اللغة الانكليزية · وهي تشغل اكثر من اربعمائة صفحة من صفحات مجلة المقتبس

وغرضي من جمعها ان اضع في هذا الموضوع كتاباً خاصاً ذهاباً الى ان العربية مفتقرة اليه ولا سيما ان المغاربة قد عنوا به عنايه خاصة لمكانته ولا يضر المشارقة ان يحذوا حذوهم

ولقد سرني ماعرفته من ان عيسى افندي اسكندر المعلوف الباحث المعروف قد عني بهذا الموضوع · ولا ريب عندي في انه متى وقف عَلَى عنايتي به ايضاً سيسر لان غرضه وغرضي يرميان الى مساعدة المشتغلين بالكتابة عَلَى جعل العربية غنية بالمباحث التي يفاخرنا بها اهل الغرب

وهذا بعض ماعربته بهذا الباب واضفت اليه بعض الحواشي لزيادة الفائدة

اول بندقية اخترعت سنة ١٦٤٦ واول مدفع سنة ١٨٨٦

اول ملعب للتمثيل بناه الرومان في رومية سنة ٦٩ ق · م

نشر صليبيو اسبانيا لاول مرة في اوروبا ارقام الحساب العربي في القرن التاسع للمسيح

اول رئيس قتل في الولايات المتحدة ابراهيم لنكان في ١٤ نيسان سنة ١٨٦٥

اول انسان اكتشف الخليج الفاصل بين كرنيلاند واميركا الشمالية القبطان (بافين)

اول مخترع للنطاد [1] (غوزماك) اليسوعي في سنة ١٧٢٩ واول من استعمله (مونتغولر) في سنة ١٧٨٣

اول مصرف افتتح في الولايات المتحدة مصرف فيلادلفيا · افتتحه رهط من اكابر

(١) يظن ان المنطاد اخترع قبل ذلك العهد بزمن طويل

البلاد في ١٧ حزيران سنة ١٧٨٠ برأس مال قيمته ٨٣٦٩١٦ دولاراً [١]

اول مخترع للبارومتر [٢] (فورميلي) اخترعه في سنة ١٦٤٨

اخترعت الحراب لاول مرة في (بايون) (فرنسا) سنة ١٦٧٠

اول طبيب اذاع تقرير جريان الدم في الرئة (ميشل سربفتس) الفرنساوي في سنة ١٥٥٣

اول مخترع لتجليد الكتب ملك (برغامة) ظهر اختراعه في سنة ٨٨٧

اول من استعمل الخميرة في الخبز الانكليز سنة ١٦٥٠

اول قناة في العالم اقيمت في مصر بين نهر النيل والبحر الاحمر

اخترع ورق اللعب في فرنسا واستعمله الملك كارلس السادس للتسلية سنة ١٣٨٠

ادخلت المركبات الى فينا لاول مرة في سنة ١٥١٥ والى لندن في سنة ١٥٨٠

اخترع الشطرنج سنة ٦٠٨ ق ٠ م

سافر الاميركان الى الصين لاول مرة سنة ١٧٨٤

عرف الخزف الصيني لاول مرة في سنة ١٥٩١

اكتشف الكلوروفورم في اميركا وجرمانيا سنة ١٨٣١

اول كلية اقيمت في الولايات المتحدة كلية (هارفرد) المعروفة اليوم بجامعة هارفرد ٠ أسست سنة ١٦٣٨

زرع القطن لاول مرة في ولاية فرجينيا احدى الولايات المتحدة سنة ١٦٢١ وأرسل الى البلاد الاجنبية لاول مرة سنة ١٧٤١

اعتبر ميلاد المسيح عيداً لاول مرة في سنة ٩٨

طاف اسطول مجللان لاول مرة حول الارض في سنة ١٥٢١

اخترع العرب الساعات الدقاقة في سنة ٨٠٠ والايطاليان في سنة ١٣٠٠

اكتشف الفحم الحجري لاول مرة في انكلترا سنة ١٢٣٤

سكت العملة لاول مرة في التاريخ المعروف في الصين سنة ١٢٠٠ ق ٠ م وفي رومية سنة ٥٧٦ ب ٠ م وفي انكلترا سنة ١١٠١ ب ٠ م

---

(١) الدولار الاميركي عبارة عن ٢٩ غرشاً عثمانياً وكسوراً ومعناه ريال

(٢) البارومتر ميزان ثقل الهواء او قوة حفظه

أُنشئت في باريس سنة ١٢١٥ اولى الكليات من نوعها [١]

ذكر البيع لاول مرة في سفر التكوين عندما بيع يوسف بن يعقوب من المصريين

استعملت ابرة الملاّحين في الصين سنة ٢٦٣٤ ق٠م وفي اوربا سنة ١١٨٠ ب٠م

اول اجتماع عقده مجلس الامة في الولايات المتحدة في فيلادلفيا في ٥ تشرين الثاني سنة ١٧٧٤

ولدت النصرانية في اسبانيا سنة ٣٦ وفي بريطانيا سنة ٦٠ وقيل في القرن الخامس وفي فرنقونية وفلاندرس في القرن السابع وفي لومبارديا ونيورنفيا وهيس في القرن الثامن وفي اسوج والدنيمارك وبولاندا وروسيا في القرن التاسع وفي هنغاريا وسكلافونيه في القرن العاشر وفي فاندليا وبروسيا في القرن الحادي عشر وفي بومرانية وليتوانيا وقسم من بلاد التتار في القرن الرابع عشر وفي افريقية في القرن الخامس عشر وفي الهند والصين في القرن السادس عشر

صنعت الاواني الخزفية لاول مرة في (فانزا) سنة ١٤٥٠

بوشر لاول مرة بتقطير المشروبات الروحية في القرن الثاني عشر وفي ايرلندا في سنة ١٥٩٠

نشأ من احتكاك كرتين من الكبريت احداهما بالاخرى في سنة ١٤٦٧ اول فكر او رأي او تصور لكيفية استخدام الكهربائية وفي سنة ١٧٤٦ اكتشفت اشعتها في ليدن وفي سنة ١٧٥٦ كيفية ارسالها بالاسلاك

اول رجل فاه في اميركا بعبارة (تحرير العبيد) ابراهيم لنكلي في اول كانون الاول سنة ١٨٦٣

اكتشف فن النقش على صفائح نحاسية لاول مرة سنة ٥٠٤ ق٠م وعلى الخشب سنة ١٤٢٣ في فلاندرس وعلى الفولاذ سنة ١٨٣٠

اول مكتشف لفن الطبع على الحجر (سينفيلدر) الالماني حوالى سنة ١٧٩٦

استعملت المغلفات لاول مرة في سنة ١٨٣٩

اخترع حفر الخطوط سنة ٥١٢

اخترعت اول آلة لاطفاء النار سنة ١٦٦٣

---

(١) اعني الكلية التي لها درجات وفروع خاصة بكل علم

نشرت الراية[١] الاميركية لاول مرة في كمبردج ماستشوستس في اول كانون الثاني سنة ١٧٧٦

استجلب الغاز لاول مرة الى لندن لانارة الحوانيت والشوارع في سنة ١٨١٤ والى بلتيمور الولايات المتحدة سنة ١٨٢١

اخترع مرغتيني التذهيب سنة ١٢٧٣

هجر النور[٢] مصر سنة ١٥١٥

عرف الصينيون لاول مرة صناعة عمل الزجاج[٣] سنة ٢٠٠ ق.م والرومان سنة ٧٩ ق.م وفي سنة ١١٨٠ اخذ الانكليز يستعملونه للنوافذ والشبابيك وفي سنة ١٧٥٧ للقناني والاوعية. وذلك بعد ان ادخل (بندكت) هذه الصناعة الى انكلترا سنة ٦٧٤ ب.م

صنعت اول مرآة في (لامبث) سنة ١٦٧٣ وفي (لانكستر) سنة ١٧٧٣

اخترعت المطحنة[٤] في ايرلندا سنة ٢١٤

يرد اختراع البارود الى الصينيين وانتشار معرفة اختراعهم في الغرب الى سنة ١٣٢٤

أُحدث المركبات للاجرة لاول مرة في لندن سنة ١٦٢٥

بوشر استعمال مسحوق الشعر لاول مرة في انكلترا سنة ١٥٩٠ وفي سنة ١٧٩٥ ضربت الحكومة الانكليزية على كل من يستعمله ضريبة سنوية قدرها ليرة انكليزية قديمة[٥]

اول معمل للمناديل (المحارم) انشئ في بيسلي في اسكوتلندا سنة ١٧٤٨

---

(١) ناشر تلك الراية جورج واشنطن اول رئيس للولايات المتحدة وقد وافق على نشرها مجلس الامة رسمياً في ١٤ حزيران سنة ١٧٧٧

(٢) النور ويسمونهم ايضاً النَّجَر نزحوا عن بلاد الفراعنة ايام زحف الاتراك بقضهم وقضيضهم على تلك الديار وتشتتوا في جميع اصقاع اوروبا

(٣) المصريون اسبق الامم لهذه الصناعة فقد عرفوها سنة ١٧٤٠ ق.م

(٤) يراد بها الجاروشة التي يرد تاريخ استعمالها في الشرق الى اكثر من عشرين قرناً قبل المسيح

(٥) قيمة الليرة الانكليزية القديمة ٢١ شليناً وكانت من عملة بلاد غينيا

اخترعت القبعات (البرانيط) في باريس سنة ١٤٠٤ واستعملت في لندن لاول مرة سنة ١٥١٠

انشئ علم النسب حوالى سنة ١١٠٠

اخترعت الساعة الرملية في اسكندرية سنة ٢٠٤ ق٠م وادخلت الى رومية سنة ١٥٨ ق٠م

استخرج العظلم [١] في كرولينا الولايات المتحدة سنة ١٧٤٧

جرب التطعيم او التلقيح في المجرمين لاول مرة سنة ١٧٤١

بوشر في انكلترا بضمان السفائن سنة ١٥٦٠

اكتشف الحديد سنة ٤٠٦ ق٠م بواسطة احتراق جبل (ايدا) وصب في انكلترا لاول مرة سنة ١٥٤٤ واكتشف في فرجينا اميركا سنة ١٧١٥

بنيت البواخر الحديدية لاول مرة في سنة ١٨٣٠

اكتشف (جنسن) لاول مرة سيارة صغيرة للاتمري سنة ١٥٩٠

استعمل زيت الكاز للتنوير لاول مرة سنة ١٨٢٦

بوشر بتقبيل رجلي البابا لاول مرة سنة ٧٠٩

اخترعت جوارب الحبك او شغل السنارة في اسبانيا نحو عام ١٥٥٠

صنعت السكاكين او المدي لاول مرة في انكلترا سنة ١٥٥٠

أقيمت المدارس في جميع المدن الرئيسة في انكلترا لاول مرة سنة ١٨١٠

نسج الشاش وخيوط الحرير والكتان لاول مرة في بيسلي سنة ١٧٨٤

يرد اول دور من ادوار القرميد الى الرومان [٢] وفي سنة ١٦٢٥ امر كارلس الاول بتقطيعه بقوالب

اعترف لاول مرة بطائفة (الكوكر) [٣] المعروفة بالفرندس اي الاصدقاء في سنة ١٧٠٢

---

(١) العظلم (بالعين) النيل او النيلة

(٢) طالعت مقالة منذ بضع سنوات لاحد علماء الآثار في اميركا ذكر فيها ما شاهده من خرائب بابل ونينوى وعزا القرميد الى البابليين

(٣) (الكوكر) فرقة من فرق النصرانية

اخترع ميمون المصري حروف الهجاء [1] في عام ١٨٢٢ ق م

علّق جرس الحرية المشهور في اميركا لاول مرة سنة ١٧٧٦ في ساحة دار الاستقلال في مدينة فيلادلفيا

نسج الكتان لاول مرة في انكلترا سنة ١٢٥٣

يرد تاريخ اكتشاف المرايا الى سنة ١٣٠٠

اخترع القسيس كينف في انكلترا انوال الحياكة سنة ١٧٨٧

ذكر المؤرخون لاول مرة استعمال القرعة بمبلغ من الدراهم سنة ١٦٣٠

اخترع روجر باكون النظارة المكبرة في انكلترا سنة ١٢٦٠

اكتشف (ماموث) [2] في سيبريا سنة ١٨٠٦

اخترع انكسيمندر الخرائط والكرات سنة ٦٠٠ ق م

يرد اختراع الورق المعروف بالرخامي الى احد الجرمانيين في القرن السابع عشر

استعمل الكبريت لاول مرة سنة ١٨٢٩

اخترع المكرسكوب [3] لاول مرة في جرمانيا سنة ١٦٢١

أسس اول دير في العالم حيث اعتزلت الراهبة انطوني [4] سنة ٢٧٠ واول دير في فرنسا اسسه القديس مارتن سنة ٣٦٠

اخترع الابر احد الهنود في انكلترا سنة ١٥٩٨

«١» عزي ايضاً هذا الاختراع الى الفينيقيين

(٢) هو حيوان ضخم جداً يقال انه اضخم حيوان عرف عَلَى وجه البسيطة

(٣) المكرسكوب هو المجهر وقد اخترع المزدوج منه سنة ١٦٢٤ والشمسي سنة ١٧٤٠

(٤) بعث قسطنطين الرابع الى عدد كبير من رهبان افسس وراهباتها يأمرهم بابدال ملابسهم السوداء بملابس بيضاء ونبذ عاداتهم وتصوراتهم وطقوسهم الدينية الا انهم رفضوا امره رفضاً ولذلك امر بسمل عيونهم ونفيهم وطردهم وقد باع عدة اديار من اديارهم وقبض ثمنها وانفقها في جملة ماانفقه عَلَى شهواته وملذاته وعجرفته وكبريائه.

ولم يقتصر اضطهاد اولئك المساكين المنصرفين الى عبادة خالقهم على ذلك فقط بل ان مجلس الحكومة والامة اصدر قراره يومئذ بقهرهم واذلالهم وطردهم

اخترعت علامات الموسيقى سنة ١٠٧ وتقحت سنة ١٣٣٠ وطبعت سنة ١٥٠٢

أسس جوزف سمث الديانة المورمنية [١] في سنة ١٨٣٠!

اول نسخة جريدة طبعت في الغرب سنة ١٤٩٤ . واول جريدة يومية ظهرت سنة ١٦١٥ اسمها فرنكفورت واول جريدة انكليزية صدرت سنة ١٦٢٢ دعيت اخبار الاسبوع واول اعلان ظهر في سنة ١٦٤٨ واول جريدة اميركية طبعت في بوسطن (ماس) سنة ١٦٩٠ اسمها (حوادث الجمهور) واول جريدة يومية في الولايات المتحدة أنشئت في بنسلفانيا سنة ١٧٨٤ اسمها (بنسلفانيا باكت) واول جريدة سيارة في اميركا أنشئت في ١٥ ايار سنة ١٧٧٥!

اخترع الارغن سنة ٧٥٥

أسست جامعة اكسفورد في انكلترا سنة ٨٨٦ وهي الاولى من نوعها

يرد عهد الدهن الى زمن نينوس حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م

صنعت الاوراق المالية لاول مرة في اميركا سنة ١٧٤٠

صنع الورق من الخرق في مصر سنة ١٠٨٥ وفي الصين من الحرير سنة ١٢٠ ق.م

اخترع الرق [٢] اطاليوس ملك برغامة سنة ٨٨٧

سنت شريعة حصر الامتياز لاول مرة في الولايات المتحدة في ١٥ نيسان سنة ١٧٩٠

ادخلت صناعة الترصيف الى باريس لاول مرة سنة ١١٨٥

اخترع فن ترصيع اللؤلؤ سنة ١٦٨٦

استعمل (الريش) اقلاماً للكتابة لاول مرة سنة ٦٣٥

أسس فيلادلفيا [٣] وليم بن سنة ١٦٨٢

---

(١) المورمن شيعة من شيع النصرانية مقيمة في يوتا احدى الولايات المتحدة ولهم هيكل يعد افخم واضخم ما شيد من نوعه في هذه البلاد . وهم يعتقدون بتعدد الزوجات حتى ان الكثيرين منهم تزوجوا بأكثر من عشر زوجات . وقد قام وقعد لهذا الاعتقاد ولاسيما للعمل به الشعب الاميركي الراقي واخطر مجلس الامة الى سن شريعة تحظر عليهم بذلك الاعتقاد . ولهذا السبب ترى حكومة الولايات المتحدة تمنع دخول كل مهاجر قائل وعامل بتعدد الزوجات الى بلادها

(٢) الرق نوع من الجلد استعمله القدماء للتدوين

(٣) فيلادلفيا ثالث مدينة في الولايات المتحدة بعدد السكان وثامن مدينة في العالم

اخترع الفونغراف [١] توماس اديسن سنة ١٨٧٧
صنع الفوسفور لاول مرة سنة ١٦٧٧
بوشر بفن التصوير لاول مرة في انكلترا سنة ١٨٠٢ وأتقن في سنة ١٨٤١
اخترعت الأخلة [٢] لاول مرة في فرنسا وقد استجلبتها كاترينا هاورد [٣] واستعملتها لاول مرة في انكلترا وقد صنعت في المصانع الاميركية لاول مرة سنة ١٨٣٢
صبت الفلايين المصفحة بالرصاص لاول مرة سنة ١٥٣٩
استعملت الطبنجات او الفرود لاول مرة فرقة من الفرسان سنة ١٥٤٤
صنع القير او الزفت والقطران من مقلع فحم لاول مرة في (برستول) سنة ١٧٧٩
اخترع الدمام [٤] في باريس سنة ١٤٧٠
رقيت صناعة الخزف السكوني [٥] لاول مرة ١٧٦٧
بنيت كوات المدافع في البوارج الحربية لاول مرة سنة ١٥٤٥
أسس اول بريد [٦] بين فينا وبروسيلس في سنة ١٥١٦
اصلح (ودغود) صناعة الفخار اصلاحاً عظيماً لاول مرة سنة ١٧٦٣
منح اكبر انجال العترة المالكة في انكلترا لقب أميروالس لاول مرة سنة ١٢٨٦

---

(١) سماه فقيد اللغة العربية الشيخ ابرهيم اليازجي (الحاكي) ودعاه صاحب المدى (الندي)

(٢) الأخلة تجمع على خلال ويسمونه ايضاً دسار ومعناه (دبوس ابرة) وقد كان الفرنسيس والانكليز قبل اختراع الاخلة يستعملون الأشرطة والشرج (البريم او الخرج) والكلاليب (الشريط المعدني المعقف) والسفافيد الصغيرة المصوغة من الذهب والفضة والنحاس

(٣) كاترينا هاورد هي الملكة زوجة الملك هنري الثامن الذي تولى العرش الانكليزي في ٢٢ نيسان سنة ١٥٠٩ وهو الملك الحادي والعشرون من ملوك الانكليز اولهم الملك وليم الاول ابتدأ ملكه في ١٤ تشرين الاول سنة ١٠٦٦

(٤) الجفص

(٥) السكوني هو الانكليزي

(٦) بوشر بتأسيس البرد بالمراد بين لندن وسائر بلدان انكلترا في سنة ١٦٣٥ وفي سنة ١٨٤٠ بوشر باستعمال طوابع البريد فيها وفي سنة ١٨٤٦ في الولايات المتحدة

اخترعت الطباعة [1] سنة ١٤٤١

ابتدأ الاصلاح الديني في جرمانيا سنة ١٥١٧ وفي انكلترا سنة ١٥٣٢

يرجع تاريخ اختراع اقوال الشرائط الحربوية الى [2] القرن السابع عشر في جرمانيا

صنعت ملابس الملاحين لاول مرة في انكلترا سنة ١٥٩٠

افتتحت المدارس العمومية في الولايات المتحدة لاول مرة حوالي سنة ١٦٤٢

سار اول قطار حديدي [3] للركاب في انكلترا في ٢٧ تشرين الاول ١٨٢٥

---

(١) يرد فن الطباعة الى زمان الاشوريين والبابليين ايام كانوا يطبعون كتاباتهم على الواح صغيرة من الطفال اي الصلصال . اما الطباعة الحديثة فقد عزي اختراعها الى رجل يدعى فوست Faust في سنة ١٤٤١ ونسب ايضاً الى آخر يقال له كاستر L. Kaster وانه اخترعها سنة ١٤٢٣ اي قبل ان اخترعها Faust بثمانية عشر عاماً وقد اذاع فن الطباعة رجل اسمه غوتنبرغ Gutenberg في عام ١٤٥٤

وقد طبع Faust السابق الذكر وانسان آخر يدعى شوفر Schoeffer اول توراة في سنة ١٤٥٦ واول كتاب باللغة اللاتينية اسمه Psolter سنة ١٤٧٧

وفي سنة ١٤٧٧ ادخل الى انكلترا احد التجار في لندن الطابعة الخشبية . واول مطبعة انكليزية أنشئت في وستمنترابي وبقيت حتى سنة ١٤٩٤

وفي سنة ١٥٣٥ طبع Guan Hablos المكسيكي كتاب Exala Espiritual وهو اول كتاب طبع في اميركا في سنة ١٥٣٥ وفي سنة ١٦٣٩ أنشئت اول مطبعة في كمبردج الولايات المتحدة وفي سنة ١٦٢٦ ادخلت اليها الطباعة بالالوان

(٢) عزي ايضاً هذا الاختراع الى اسوج

(٣) سار اول قطار للركاب في بلتيمور واوهايو الولايات المتحدة في ١٨٢٨ واول قطار للشحن في كونس (ماس) في ١٨٢٦ واول قطار بخاري قطع ١٦ ميلاً من البني الى سكنيلتادي في ١٨٣٠ واول قطار للنوم في ١٨٣٠

وفي ١٦٦٢ اخترع المرجل وفي ١٧٠٥ منح الامتياز بآله نيوكمن البخارية وفي ١٧٧٣ اتقنها جمس وط الانكليزي وفي ١٧٧٩ اخترع اوليفر ايفنز الاميركي آلة الضغط وفي

اخترع دولاب الغزل في برنسوك سنة ١٥٣٠

اخترعت النظارة « العوينات » سنة ١٢٩٩

اصلحت الانصاب في الولايات المتحدة لاول مرة سنة ١٨٧٣

اخترع احد الفلمنكيين [١] آلة اللف في لندن سنة ١٧٩٢

قيل ان استعمال البرادع [٢] المعروفة اليوم يرجع الى سنة ٣٨٥

اول استعمال تمليح الفسيخ [٣] يرد الى الهولانديين وقيل ان اول مخترع للمنشار هوتاليوس الكاتب اليوناني [٤] صنع ملح البارود لاول مرة في انكلترا سنة ١٦٢٥

ادخل الموودج [٥] الى انكلترا سنة ١٨٣٤

١٧٠٧ اخترعت انبوبة البخار في فرنسا ثم زاد باتقانها وما بقها من الآلات جانوثان هيولس الانكليزي في ١٧٣٦ ثم وليم هنري الاميركي في ١٧٦٣ ، ثم جمس ريومزي الاميركي في ١٧٨٦ ثم جان فيتش الاميركي في السنة نفسها

وقد كلفت السكك الحديدية في الولايات المتحدة تسعة آلاف مليون دولار « ٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠ » وكلف قطار الدرجة الاولى للركاب ٨٥٠٠ دولار وقطار النوم ١٥٠٠٠ دولار وبلغ معدل نفقات الخطوط الحديدية على مسافة ميل ٣٠٠٠٠٠ دولار ومعدل ربح كل مركبة يومياً مئة دولار وثقل كل عجلة ٥٠ طناً اي ٢٠٠ قنطار وقوتها تجر ٢٤٠٠ طن ويبلغ الطول خط حديدي في الولايات المتحدة ٨٠٠٠ ميل والخط الكندي الباسيفيكي هو اكثر امتداداً من سواه شرقاً وغرباً فهو ممتد من كويك الى الاوقيانس الباسيفيكي واعلى قطر الولايات المتحدة قطار دنفر وريوكراند ونسبة قطر اوروبا الى قطر اميركا هي كنسبة قطر سورية الى قطر اوربا فقطر اميركا ارق قطر العالم بلا مدافع اليوم

(١) الفلمنكيون هم الهولانديون

(٢) البرادع تجمع على بردعة ومعناها جلال او رحل او سرج

(٣) الفسيخ سمك يعرف بالرنك

(٤) عزي ايضاً هذا الاختراع الى دوديلوس اليوناني بيد ان الاظهر ان مخترعها هو تاليوس . قيل انه اخترعها بعد ان نشر قطعة حطب بفك حية

(٥) المودج من مصنوعات العرب

أعطيت البراءة[1] باستعمال آلة الخياطة لاول مرة في انكلترا سنة ١٧٥٥ واتقن هذه الآلة ايلياس هاوي الاميركي في سنة ١٨٤٦ وآلة الخياطة هي المعروفة عند العامة « بالمكنة »

اخترع تيخوبراهي سدس الدائرة[2] في اغسبورغ في سنة ١٥٥٠

صنع الصابون[3] في لندن لاول مرة سنة ١٥٢٤

ذكر السكر[4] لاول مرة الطبيب بولس اغينتا سنة ٦٢٥

استعمل الفرار[5] لاول مرة سنة ١٥٤٠

اخترع كرخر اليسوعي البوق في سنة ١٦٥٢

اخترع احرف الطباعة الحديثة وليم غد الصائغ في ادنبرغ في ١٧٣٥

أسس المدارس الاحدية لاول مرة روبرت ريكس الانكليزي في انكلترا في ١٧٨١

اخترعت الساعات الشمسية في ٥٥٨ ق٠م وفي رومية في ٣٠٨ ق٠م

اخترعت الدباغة في ١٧٩٥

ادخل الشاي الى اوربا لاول مرة في ١٦١٠ جلبه الهولانديون من الهند والهنود من الصين

استعمل الفرنساويون آلات البرق[6] لاول مرة في ١٧٩٤ والانكليزيون في ١٧٩٦ اول « تلغراف » سلك كهربائي امتحن بين مدينة بادينقتن ودراتون انكلترا في ١٨٣٥[7]

«١» الامتياز

«٢» سدس الدائرة مزولة او آلة يتخذها الربان لرصد النجوم

(٣) قيل ان مخترع هذه الصناعة (غابولس)

«٤» مصدر السكر الصين ٠ استخرج في صقلية عام ١١٤٨ وفي مديريا عام ١٤١٩ وفي جزائر كناري عام ١٥٠٣ وفي غربي الهند سنة ١٥١٠ وفي سنة ١٦٤١ محص في باربادوس الهند واستجلب منها الى انكلترا سنة ١٥٦٩ و في سنة ١٧٥١ زرع قصب السكر في اميركا في نيواورلنز و بنيت فيها اول مطحنة للسكر سنة ١٨٥٨

«٥» يقال له ايضاً راوُوف وزئبق وهي مادة تلصق على اقفية الواح زجاجات المرايا حتى تنعكس الصور بواسطتها

«٦» اخترعت آلات السلك البرقي« التلغراف » في ١٦٨٧

«٧» في السنة نفسها اخترع تلغراف مورس

اول تلغراف نخص في اميركا بين بلتيمور والعاصمة واشنطن في ١٨٤٤ واول رسالة برقية ارسلت في هذه البلاد في ١٨٥١ من دوفر الى كالي واول رسالة برقية قطعت المحيط الاتلانتيكي في ١٨٥٨

عرض «الحاكي» التلفون المدعو جرس كبراهام لاول مرة في معرض سينتنيال فيلادلفيا في ١٨٧٥

اخترع اسحق نيوتن الفيلسوف المرقب في ١٦٩٣

صنعت الحيطان لاول مرة في معمل بسلي اسكوتلاندا في ١٧٢٣

اخترع الترمومتر[١] دربيل الهولاندي في ١٦٢٠ وزاد بتحسينه ريومر في ١٧٣٠ وفارنهيت في ١٧٤٩

اخترع الدكتور هيلس المهواة[٢] سنة ١٧٤٠

اخترعت الكمنجة حوالى ١٤٧٧ وادخلها الى انكلترا الملك كارلس الثاني

يرد اول دور من ادوار استعمال اوراق الحيطان[٣] الى اسبانيا وهولاندا ١٥٥٥ اما الاوراق المخملية فقد استعملت اولا في ١٦٢٠

استجلب الدخان[٤] لاول مرة الى انكلترا من فرجينيا الولايات المتحدة في ١٥٨٣

اخترعت الساعات الحديثة في ١٤٧٧ في جرمانيا وادخلت لاول مرة الى انكلترا في ١٥٧٧

قيل ان اختراع مطحنة الماء يرد الى عهد محاصرة القوطيين لرومية في ٥٥٥ وان مخترعها الاول هو رجل اسمه بلساريوس

ذكر الدوارة[٥] لاول مرة فيتريوفيوس اليوناني وانها نصبت على رأس برج اثينا الذي بناه فيرشس

اول جاب[٦] للاموال رجل دعي صولون عاش سنة ٥٤٠ ق.م

يوسف زخم

«١» الترمومتر ميزان الحرارة «٢» المهواة آلة لتجديد الهواء «٣» اوراق الحيطان يستعملها الاميركيون لتزيين جدران منازلهم وابنيتهم بدلاً من التكليس «٤» مصدر الدخان كوبا «٥» الدوارة هي من نوع الدواليب المستعملة لآلة الآبار الارتوازية «٦» جباية الاموال اقدم من عهد صولون اليوناني فقد كانت الاموال تجبى في

حدائق الاطفال ومدارسهم

كتبت احدى المعلمات الفرنسويات مقالة في احسن الطرق لتربية الاولاد قالت فيها ان البداءة بتعليم الطفل تكون على الغالب بتعليمه مبادئ القراءة خاصة والظاهر ان القراءة هي الواسطة الوحيدة لتنبيه جميع حواسه على حين فجأة . وقد شغل هذا الموضوع بال كثير من ارباب العقول وقام في سويسرا منذ نحو مئة سنة اثنان من رجال التربية الثقات احدهما بستالوزي في مدينة زوريخ والآخر الاب جيرارد في مدينة فريبورغ ووضعا موضع العمل طريقة جديدة من شأنها ان تزكي عقل الطفل على أيسر وجه منذ ادراكه قال فنيلون الاخلاقي الفرنسوي ان ذكاء الطفل كلهيب شمعة يحركها الريح وهي ابداً في اهتزاز فالغاية اذاً من التربية هو ان يمد ذاك اللهيب بالمادة اللازمة بان يدفع هبة خفيفة لتساعده على الانبعاث على خطة مستقيمة عالية متوخين ان لانطفئها بحركة مربعة منا بل الواجب كما قال بستالوزي ان نحسن تمليك الطفل ونعفيه من النظر اليهم الى المدارك الصريحة واذ كانت بالحواس تحدث التأثرات اقتضى ان نقرب بين الطفل وبين الامور التي يقتضى عليه دراستها فيعلم معنى الالفاظ التي يتكلم بها على مايجب ويضاف الى تعليم عقله تعليم عملي باليد وتعليمه هذا التعليم بين السادسة والعاشرة وقال غيره يجب ان يعنى بالطفل لتنبيه احساسه منذ اول ادراكه لان الولد ليس هو في الحقيقة الا رجلا ولكنه صغير. وقال آخر ان الولد اب الرجل وافضل الطرق في تعليمه كما قال فربيل ان يقرب من الطبيعة فيدرك رحمة الله ويتعلم قدرته وصنعه في الوجود ويحترم كل ما له حياة وذلك بان يعلم تربية بعض النباتات والنظر الى ماحوله فيعلم نفسه بنفسه كأن يعطى الولد كرات ومكعبات وعصياً واشكالاً ورسوماً واشياء يثنيها ويفتلها ولاسيما ما كان منها طبيعياً يعطى منها بحسب المواسم فيتناول زهراً في الربيع مثلاً وتفاحة في الخريف او الشتاء او غير ذلك مما تنبت الارض في المواسم

بابل ونينوى قبل عهد صولون بمدة قرون واذاً من الطبيعي ان الاموال لم تجب آنئذ بدون اناس يجبونها فكثير من الجباة قد سبقوا صولون بهذه الوظيفة التي كان اصحابها ولا يزالون على الغالب سائرين على طرق الظالمين والمستبدين في الشرق

الاربعة فاذا كان تفاحاً يستصحب الولد الى السوق وتبتاع ويشرح له كيف نمت وكبرت وتوصف له الاشجار وجذوعها والاوراق والارض ثم ترسم له تلك التفاحات وتقطع وتنق ويجعل له منها مربى او تشوى له في الفرن ثم يذكر كيف يصنع العصير ويصفون له المركبة والحصان والسوط وغير هذا كل ذلك يرسم له على اللوح والولد يقلده ويشفع ذلك باغان واشعار متعلقة بالموضوع وتتوسع المربية في شرح ذلك للطفل بدون ان تحيد عن الغاية الاصلية المطلوبة وبذلك يعمل عقل الطفل ويقلد في عمله فيجمع الى التربية العلمية والادبية التربية العملية لمعاناة الفنون والصناعات . وقد انتشرت طريقة فربيل في التربية على هذا النحو في سويسرا والمانيا والبلجيك وهولاندة والسويد وانكلترا وفرنسا واميركا ودخلت خصوصاً في دور اللقطاء والبائسين وأنشئت في باريز مدرسة على هذا النمط انشأتها آنسة متعلمة واخذت تربي الاطفال هذه التربية المعقولة جاعلة مع حدائق الاولاد دروساً تلقى عليهم بالعمل في حفظ الصحة وعلم النفس والكيمياء والنبات وتدبير المنزل فجعلت محيط تلك المدرسة متناسباً مع مايراه الطفل في بيت ابيه ليس فيه مافي صنوف المدارس من المناظر المدهشة مثل القماطر السود والمقاعد العالية بل فيها صور ونقوش وازهار وطيور واثاثها مناضد وكراسي صغيرة تناسب طول الطفل ومن الاولاد من يبقى طول النهار في المدرسة فيتيسر لادارتها ان تعلمه اموراً كثيرة في تدبير المنزل وتغرس فيه اصول النظام والنظافة وذلك بان تتركه مثلا يعمل طعامه بنفسه حتى اذا رجع في المساء الى بيته وعمره في الخامسة على الغالب بلاحظ على والدته ان لاتطرح قشر البطاطا او قشر البيض بل ان تحفظها لتنظيف القناني والزجاجات وآخر يطلب الى والده ان يضع كل يوم بيومه اجرة المدرسة على حدة حتى تجمع في آخر الاسبوع مخافة ان يجيء يوم الدفع ولا يكون في البيت درهم لاداء قسط المدرسة وهكذا يتعلم الطفل تدبير البيت والاقتصاد المنزلي منذ يحبو على نفسه ويغرسون فيه فكر الاحسان والعدل وحسن العشرة والالفة حتى لايستوحش من الناس كما هي عادة الاطفال وهي عادة ضارة شائعة ويعلم قدر الصناعات وفكر الأسرة فتنتبه فيه عزة النفس فلا يقول لشيء لااستطيع عمله ومنذ السنة الخامسة يرفض ان يلبسه ثيابه احد او يسرح شعره ويمشطه ويخدمه احد فيكون مسؤولا عن عمله وتنمو فيه قوة الارادة والشعور بالنظر كما ينمو فيه الاحساس الديني والكمالي والاحترام والحشمة وبالجملة ترتقي فيه التربية قبل ان يهتم بالتعليم

فاذا خرج الطفل من هذه المدرسة ويدخلها وهو بعد الثانية من سنه في الغالب ويخرج منها بعد السابعة يحسن ان ينظم اموره لانه تعلم منذ نعومة اظفاره الطاعة والنصيحة فلا يصعب عليه متى دخل المدرسة ان يتلقى بقبول حسن مايلقيه عليه معلمه او يفزع اذا جاء من بيته الى المدرسة الابتدائية مباشرة بل يكون بحسب سنه قد الف البحث والتفكر والنظر والتأمل في الاشياء ويجمع معلومات ويصل بينها برباط واحد وربما كانت بهذه الطريقة افكاره قليلة ولكنها الى الجلاء والوضوح اميل وفيها تسلسل معقول

ويحسن الولد التفكر وحصر ذهنه وهو ماينفعه عند ما يجيء دور تعليمه القراءة فلا يستصعبها ويمل منها بل تكون له ميسورة سهلة سريعة ويحصر الذهن في موضوع يتعلم الولد الاهتمام بالاشياء المحيطة به او التي تمسه مباشرة فهو يعرف الوجود ويحبه ويقدر نعمه قدرها ويذكر صانعها وتكون قد تنبهت حواسه وترقت وكذلك رغبته في النظر والمعرفة وبهذه الطريقة تقوى ارادته وتمهر يده وبما يتعلمه من الهندسة الابتدائية العملية يقدر بذهنه الابعاد والخطوط ويسهل عليه النسب وبالرسم يتعلم نقل الصور المستعملة في البيت ويدرك بنفسه انه لايستطيع ان ينقلها كما هي ويبحث عن طريقة توصله الى نقلها كما هي ويتعلم ملاحظة الاشكال وتقليدها وبذلك تتربى عينه ويده في آن واحد . ولا تسل عما تحدث هذه الطريقة عندما يجيء وقت الكتابة اذ تكون يده اعتادت رسم الاشكال وما الحروف الا اشكال ولكنها لاتنطق كالرسوم وعينه تساعد يده وكم ولد يرسم الحروف والكلمات التي يراها وهو يتعلم على هذه الطريقة بدون ان يفهم معناها . وتعلم الكتابة لايتعب به عقله ولا جسمه بل يتعلمه كأنه يلعب ويرسم .
قالت الكاتبة فمدرسة حديقة الاطفال هي مدرسة التربية وعليها يصدق هذا التعريف: التربية هواء وقانون وحياة .

قرطاجنة والعرب

بعث المسيو برتولون من المشتغلين بعلم تاريخ الانسان Anthropologie الى المجمع العلمي القرطاجني في تونس بمبحث يبين فيه الفروق بين جماجم القرطاجنيين منذ ٢٤٠٠ سنة وجماجم التونسيين المعاصرين جاء فيه ان علماء الانسان يتوصلون الى درس الاخلاق الرئيسة لمعرفة مميزات عنصر من العناصر بالنظر اولاً الى قامات اهله فمن اجناس الامم من يغلب عليها طول القامات مثل الايكوسيين والسويديين ومنهم من يكونون قصاراً مثل اللابونيين والسارديين والصقليين ثم ينظر الى الوان البشرة والعيون والشعور وحجم الجماجم

والانف والعيون والوجه فيقدرون المقياس الاعلى بمئة ومن بلغ طول رأسه من ٧٠ الى ٨٦ كان معدوداً في طوال الوجوه ثم يقاس الطول مع العرض وتجري النسبة بينهما وقد قاس في تونس مئة جمجمة قديمة جداً يظن انها من جماجم القرطاجنيين من القرن الرابع قبل الميلاد و ٢٣ جمجمة حديثة من جماجم التونسيين فاستبان ان نساء القدماء يشبهن بتقاطيعهن نساء المحدثين الا قليلاً وان الاختلاف محسوس بين رجال اليوم ورجال امس وان العقول كانت واحدة في القرطاجنيين والتونسيين وكان كثيرون من القرطاجنيين طوال القامات ومميزاتهم كمميزات قبائل الغرب العظمى المعروفة في التاريخ باسم النوميديين وثبت له ان سكان ضواحي تونس يشبهون اولئك القدماء في قاماتهم وان سكان قرطاجنة وتونس ظلوا متشابهين منذ القديم الى يومنا هذا على ما طرأ عليهم من الطوارىء السياسية وبعيد ان يكون قدماء القرطاجنيين من فينيقية لان الفينيقيين عرفوا بضيق جبهاتهم وكانت اواسط رؤوسهم منبسطة واستدل من حفريات مدافن صيدا ومن قياس هيكل عظام الملك تابنيت بن اشمونازار الذي وجد في احدى النواويس الصيداوية ان القرطاجنيين لم يشبهوا الفينيقيين بجنسهم وان القرطاجنيين اختلطوا باهل عنصر طويلة رؤوسهم وكذلك الحال في عيون الصيداويين انها كانت اكثر استدارة من عيون القرطاجنيين وانوف الفينيقيين اصغر من انوف القرطاجنيين وبذلك ظهر ان سكان قرطاجنة (المستعمرة الفينيقية) في القرن الرابع لم يكونوا من عنصر يشبه العنصر الفينيقي وان سكان قرطاجنة من اصل العنصر الذي انشأ المدنية في بحر ايجيه (الارخبيل) اي اجداد المدنية اليونانية كما استدل الباحثون في اصول مدنية شواطىء البحر الابيض ان هؤلاء الافريقيين القرطاجنيين قد نفي فيهم الطوارىء من الفينيقيين الذين حلوا ديارهم فكان اهل قرطاجنة فينيقيين ثم رومانيين ثم عرباً قال: وعلى فرنسا ان تنظر الى ما تم في هذا السبيل من صبغة التونسيين لتعيدهم الى صبغتها لان حكم العرب قد اتاهم بقانون سنه رعاة لرعيان فصعب تطبيق هذه الشريعة على مجتمعات ممدنة كالمجتمع القرطاجني ولذا انحط اي انحطاط عما كان عليه زمن الفتح الروماني . قال وان مبادىء التنظيم الذي بقيت آثاره الى اليوم في تونس مثل البلديات والصناعات وصناعة الخزف والبناء والهندسة ليست من اختراع العرب كما يقال بل هي بقايا من المدنية القديمة السابقة للاسلام فسدت على عهد الفاتحين واعمالهم العقيمة . قلنا وبمثل هذا المتعصب الفرنسوي ممن يمدون اقلامهم بالسم الزعاف ليكشبوا عن العرب جهلاً منهم او تجاهلاً ما برح استعمار فرنسا متأخراً عن غيره من الامم وسيتراجع عمرانها كلما قويت شأفة الماحكين والسفسطائيين من ابنائها

المقتبس

البرجان

Les Borganes ou Varègues

من هم البرجان الذين كثر ذكرهم في كتب العرب التاريخية القديمة وما اسمهم باللغة الفرنجية ؟ هذا سؤال يجب ان يقف على جوابه كل من يهمه الاطلاع على اخبار الاقدمين والامم السالفة . فأقول : اذا اردنا الوضوح في هذه المسألة يجدر بنا ان نقسم البحث الى ثلاثة اقسام وهي : قسم نذكر فيه كلام مؤرخي العرب او مشاهيرهم . وقسم نذكر فيه آراء لغويي العرب وقسم نأتي فيه على ما صرح به علماء الافرنج ومستشرقوهم ثم نختم هذه الابواب الثلاثة بخاتمة تكون بمنزلة فصل الخطاب .

١ . القسم الاول كلام مؤرخي العرب او مشاهيرهم

اول من ذكر البرجان من جغرافيي العرب هو اول مؤلف عربي صنف في وصف البلدان اعني به ابا زيد احمد البلخي صاحب « كتاب صور الاقاليم » المتوفى ليلة السبت لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٣٢٢ هـ (= ٣ تشرين الثاني ٩٣٣ م) اذ يقول : « اما مملكة الاسلام فان شرقيها (في عهد المؤلف) الهند وفارس . وغربيها مملكة الروم وما يتصل بها من الارمن واللان والبرجان والسرير والخزر والروس والبلغار والصقالبة وطائفة من الترك . وشماليها مملكة الصين وما اتصل بها من بلاد الاتراك ومنها بحر فارس » اه المطلوب من ايراده .

وقال ابن خرداذبة : « والعمل الثاني (من بلاد الروم) عمل تراقية وحده من المشرق السور ومن الجنوب عمل مقدونية ومن الغرب بلاد برجان ومن الشمال بحر الخزر » وقد

جاء في كتاب المسالك والممالك ذكر البرجان مراراً عديدة وكلها بهذا المعنى

وقال ابن الفقيه في كتاب البلدان : « واليها (اي الى الري) تقع تجارات ارمينية وآذربيجان وخراسان والخزر وبلاد برجان ۰ » اه

واما اليعقوبي فلم يتعرض لذكرهم ۰ وممن ضرب صفحاً عن ذكرهم ايضاً الاصطخري وابن حوقل والمقدسي وقدامة بن جعفر والبكري والبيروني

وقال ابن الوردي عن ارض البرجان ماحرفه : « هي ارض عظيمة واسعة بها من البرجان امم لاتحصى وهي امة طاغية قاسية بلادهم واغلة في الشمال » ويقول عن ارض البلغار ليبين لك انها ليست ارض اولئك كما زعم ذلك بعض المتأخرين او المعاصرين : « هي ارض واسعة ينتهي قصر النهار عند البلغار والروس في الشتاء الى ثلاث ساعات ونصف ساعة ۰ » قال الجواليقي :« ولقد شهدت ذلك عندهم فكان طول النهار عندهم مقدار ماصلي اربع صلوات كل صلاة في عقيب الاخرى مع الاذان وركعات قلائل الاقامة والتسبيح ۰ وعماراتها متصلة بعمارة الروم ۰ وهم امم عظيمة ومدينتهم تسمى بلغار وهي مدينة عظيمة يخرج واصفها الى حد التكذيب ۰ »

وقال الطبري (١ : ٢١٨) من ولد يوان : الصقالبة وبرجان ۰ (وفي ١ : ٢٢٩) وملك (افريذون ابنه) سلماً الروم والصقالبة والبرجان وما في حدود ذلك » ۰ (وفي ١ : ٩٠٠) : « وانوشروان غزا برجان ثم رجع فبنى الباب والابواب ۰ » (وفي ٢ : ١٣١٧) وفي هذه السنة (اي سنة ٩٨) اغارت برجان عَلَى مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس فامده سليمان بن عبد الملك بمسعدة او عمرو بن قيس في جمع فمكرت بهم الصقالبة ۰ ثم هزمهم الله بعد ان قتلوا شراحيل بن عبدة ۰ » اه (وفي ٣ : ٧٧٥) وقتل في هذه السنة (سنة ١٩٣) نقفور ملك الروم في حرب برجان » (وفي ٣ : ١٤٥٠) وقد كان اذن (ملك الروم في سنة ٢٤٦ هـ) لوفود برجان وغيرهم ممن ورد عليه ۰ » اه

وقال المسعودي في كتاب التنبيه :« وحد الاقليم الخامس بحر الشام الى اقصى ارض الروم مما يلي البحر الى ترافية وبلاد برجان والصقالبة والابر الى حد ارض ياجوج وماجوج ۰ » وقال في موضع آخر من كتابه المذكور : ان السبب في ذلك (في انتصار الملك قسطنطين عَلَى اعدائه) ظهور صليب له نوري في السماء في نومه في حال حربه مع ملك برجان وانه قيل له : استنصر به عَلَى عدوك تنصر عليه » اه ۰

وقال (في ص ١٤١) : وقد دخل كثير منهم (من الاجانب) في وقتنا هذا في

جملة الروم كدخول الارمن والبرغر وهم نوع من الصقالبة والبجناك من الاتراك فشحنوا بهم كثيراً من حصونهم التي تلي الثغور الشامية وجعلوهم بازاء برجان وغيرهم من الامم المتأبدة بهم والمحيطة بملكهم ٠٠٠ وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا السبب في كيفية بناء القسطنطية والتنازع في ذلك ٠ وقول من قال ماوراء الخليج كان من ارض برجان فاحتال قسطنطين على ملك برجان لعمله بالموضع وحصانته حتى اذن له في بنائها »

وقال (في ص ١٦٤) لحق (يسطنيانس)بملك الخزر مستنجداً به وتزوج هناك فلم ير عندهم مايحب فصار الى طرفلا ملك برجان ٠٠٠٠ وقد كان شرط لطرفلا ملك برجان اذا رجع الملك اليه ان يحمل اليه في كل سنة خراجاً وكان يفعل ذلك ٠٠٠

وقال (في ص ١٦٨) وكان مقتل نقفور في حرب كانت بينه وبين برجان في سنة ١٩٣ وقد اتينا على اخباره مع الرشيد وحروبه ابرجان وقتلهم اياه »

وقال (في ص١٨٣) «وقد ذكر »خبرالسور المسمى بالرومية مقرون تفسيرذلك السور الطويل الحاجز بين بلاد برجان وبين البنود الخمسة التي وراء القسطنطينية ٠٠ »

وقال« في ص ١٨٤ »وقرب من هذا الجبل «جبل القبق» من الامم كاللان والسرير والخزر وجرزان والابخاز والصنارية وكشك والكاسكية وغيرهم والابر و برجان والروس والبرغر والافرنجة والصقالبة ٠٠

وقال« في ص ١٩١ »ومن جاورهم (اي الروم)من الممالك:من برجان والابر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم ٠٠٠

وقال (في ص ١٩٦)«وقدذكرنا» ماجرى بين الروم وبرجان والبرغر والترك وغيرهم من الوقائع المشهورة والحروب المذكورة ٠٠

وقال المسعودي في كتابه الآخر مروج الذهب : (٢ : ١٦ طبعة باريس) « وشن الغارات (اي ملك البرغر يريد البلغار) حولها (اي حول القسطنطينية) الى بلاد رومية والاندلس وارض برجان والجلالقة والافرنجة ٠٠٠ » وقال (في ص ٣١١ من ذلك الجزء)٠٠ وقد كان له (اي لقسطنطين الملك) في بنائها خبر طريف مع بعض ملوك برجان لخوف دخله من بعض ملوك آل ساسان ٠٠ »وقال (في ص ٣١٤)وكان السبب في دخول قسطنطين بن هلاني في دين النصرانية والرغبة فيها ان قسطنطين خرج في بعض حروب برجان اوغيرهم من الامم فكانت الحرب بينهم سجالا نحواً من سنة ٠٠ ٠٠وقال(في٣:٦٦)الافرنجة والصقالبةوانوكبرد والاشبان والياجوج والماجوج

والترك والخزر و برجان واللان والجلالقة ... وقال (في ص٧٨) ولد يافث (او لد الذي يحتمع عليهم (على اهل الاندلس) من الامم من ولد يافث من الجلالقة و برجان وافرنجة وغيرها من الاندلس ... وقال « في ٣٨:٤ » عمل الترك خاقان سبع مائة فرسخ في خمسمائة . « اي طوله ... وعرضه ... » عمل الخزر واللان سبع مائة فرسخ في خمسمائة فرسخ . عمل برجان الف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ . عمل الصقالبة ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في سبعمائة فرسخ . وقال « في ١٣٤:٧ » وفي هذه السنة وهي سنة ٢٢٣ خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم حتى نزل مدينة زبطرة من الثغر الخزري ففتحها بالسيف ...

وقال ابن رستة : الاقليم السادس يبتدئ من المشرق و يمر على بلاد ماجوج ثم على على بلاد الخزر فيقطع بحر طبرستان الى بلاد الروم فيمر على جرزان واماسيا وهرقلة وخلقيذون والقسطنطينية و بلاد برجان و ينتهي الى بحر المغرب .

الاقليم السابع يبتدئ من المشرق من شمال ياجوج ثم يمر على بلاد الترك ثم على سواحل بحر طبرستان مما يلي الشمال ثم يقطع بحر الروم فيمر ببلاد برجان والصقالبة وينتهي الى بحر المغرب .

واما ما وراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبتدئ من المشرق من بلاد ياجوج ثم يمر على بلاد التغزغز وارض الترك ثم على بلاد اللان ثم على الابر ثم على برجان والصقالبة و ينتهي الى بحر المغرب .

وقال في موضع آخر : ومن هذه المدينة (اي رومية) تركب البحر فتسير ثلاثة اشهر حتى تنتهي الى بلاد ملك برجان وتسير منها في جبال وعقاب شهراً واحداً حتى تنتهي الى بلاد فرنجة » اه .

وقال ياقوت : برجان بالجيم . بلد من نواحي الخزر . قال المنجمون : هو في الاقليم السادس وطوله اربعون درجة وعرضه خمس واربعون درجة وكان المسلمون غزوه في ايام عثمان رضه . » اه .

وقال البلخي في كتاب البدء والتاريخ (٦٤:١) سمعت قوماً من برجان يسمونه (اي الله) ادفوا . فسألتهم عن اسم الصنم فقالوا : فغ . » وقال (في ٢٦:٣) فمنهم (من اولاد يافث) الترك والخزر والصقالبة وبرجان واشبان وياجوج وماجوج ستة وثلاثون لساناً . » وقال (في ٥٣:٤) الاقليم السادس : يبتدئ من المشرق فيمر على

بلاد ياجوج وماجوج ثم عَلَى بلاد الخزر ثم على وسط بحر جرجان الى بلاد الروم فيمر عَلَى جرزان وهرقلة وقسطنطينية و بلاد برجان الى بحر المغرب . قال اهل هذا العلم : اما ماوراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبدئ من المشرق من بلاد ياجوج وماجوج فيمر على بلاد التغزغز وارض الترك وعَلَى بلاد اللان ثم على بلاد برجان ثم عَلَى شمال الصقالبة الى ان ينتهي الى بحر المغرب . » اه

وقال ابو الفداء في تقويم البلدان : برشان بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة ثم الف ونون في الآخر . و يقال لها ايضاً برجان بالجيم . كانت قاعدة البلاد . قال ابن سعيد : و برشان كانت قاعدة الامة الذين يقال لهم برجان وكان لهم شهرة و بأس في قديم الزمان فاستولت عليهم الالمانية واباودوهم حتى لم يبق منهم احد ولابقي لهم اثر . » اه .

وقال القرماني : برجان بلاد غائصة في جهة الشمال فيها قصر النهار الى اربع ساعات والليل الى عشرين ساعة و بالعكس واهلها مجوس . » اه . وقال عن بلغار : مدينة عظيمة (كذا والمراد هنا قاعدة البلغار) عَلَى ساحل بحرمانطس مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط . وحولها من امم الترك ما لا يعد ولا يحصى . والبرد عندهم شديد جداً لايكاد الثلج ان ينقطع عن ارضهم صيفاً وشتاء . » اه .

وقال ابن الاثير في (١:٢٨ من طبعة مصر) ومن ولد بوان (والاصح يوان بالمثناة التحتية) الصقالبة و برجان والاشبان كانوا في القديم بأرض الروم قبل ان يقع فيها من وقع من ولد العيص بن اسحق وغيرهم . وقال (في ١١٦) ثم ملك اسطينان (اي أسطينانس او يسطنيان) المعروف بالاخرم تسع سنين ايام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا انفه وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر واستنجده فلم ينجده فانتقل الى ملك برجان . ثم ملك بعده لونطش ثلاث سنين ايام عبد الملك ثم ترك الملك وترهب . ثم ملك السمين المعروف بالطرسومي سبع سنين فقصده اسطينان ومعه برجان وجرى بينهما حروب كثيرة وظفر به اسطينان وخلعه وعاد الى ملكه فكان ذلك ايام الوليد بن عبد الملك واستقر اسطينان وكان قد شرط لملك برجان ان يحمل اليه خراجاً كل سنة فعسف الروم وقتل بها خلقاً كثيراً فاجتمعوا عليه وقتلوه فكان ملكه الثاني سنتين ونصفاً . » . وقال (في ص ١١٧) وجرى بين نقفور و بين برجان حرب سنة ١٩٣ فقتل فيها . » اه . وقال (في ص ١٥٤) عن كسرى انوشروان عاد الى

المدائن وغزا البرجان ثم رجع وارسل جنده الى اليمن » . اه ثم قال (في ص ٥٥ :) وقوي امره (اي انوشروان) وغزا فرغانة والبرجان وعاد فبنى مدينة الشابران . » اه. وقال (في ٥ : ١٠) وفي هذه السنة (اي ٩٨) فتحت مدينة الصقالبة وكان برجان قد اغار على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة فكتب الى سليمان يستمده فأمده فمكرت بهم الصقالبة ثم انهزموا . » اه .

وانت ترى ان ما نقلناه هنا عن ابن الاثير يكاد يكون نص الطبري بعينه . ومثل هذين النصين كلام ابن خلدون فلهذا نضرب صفحاً عن ذكره . والى هنا ايضاً انتهى ماجمعناه من كتب اشهر المؤرخين واهل التخطيط وان كان ثم غير هولآء الا انهم يعدون من النقلة لا من المصنفين الاصليين . وهذا يدلك على سبب عدولنا عن ذكر نصوصهم لاستغنائنا عنهم باقوال الكتاب الاقدمين اصحاب القدم الراسخة في هذا الموضوع

٢ً القسم الثاني نصوص لغويي العرب

قال الفيروز ابادي في القاموس : برجان كعثمان : جنس من الروم . « وزاد السيد المرتضى في تاج العروس : » يسمون كذلك قال الاعشى :

وهرقل يوم ذي ساتيذ ما   من بني برجان في الباس رجح

يقول : هم رجح على بني برجان اي هم ارجح في القتال وشدة البأس منهم . » اه . وهذا الكلام كله هو نص ابن منظور بحرفه . وقد اخذه المرتضى عنه ولم ينبه عليه .

وقال ابن الوردي : البرجان امة بل ام طاغية مثلثون . بلادهم متوغلة في الشمال وسيرهم منقطعة لبعدهم عنا وجفاء طباعهم . » اه .

وقال في المعرب للجواليقي : برجان . اسم اعجمي وقد تكلمت به العرب قال الاعشى : « من بني برجان في الناس رجح . »

وقال الجوهري في الصحاح :

« وهرقلاً يوم ذي ساتيذما   من بني برجان ذي الباس رجح . »

ولم يزد على هذا القدر مع اختلاف الرواية بينه و بين صاحب اللسان والتاج .

وقال المطرزي في المغرب : برجان جنس من الروم بلادهم قريبة من القسطنطينية و بلاد الصقالبة قريبة منهم .

وقال صاحب الاوقيانوس : برجان عَلَى وزن عثمان اسم جنس من الروم وفي كتاب المغرب للمطرزي (ماذكرناه آنفاً) وفي كتاب الخريدة لابن الوردي (مانقلناه فويق هذا) ثم قال : وعليه فيؤخذ من هذا الكلام وعن سائر ماورد في كتب تخطيط البلدان ان برجان وبغدان هما بلاد وجيل معروفان بكونان وراء نهر الطونة . فمن المحتمل اذاً ان تكون كلمة برجان معربة عن بوجاق (كذا . ويراد بوجاق البلاد المعروفة باسم بسرابية) بل ولعل الارجح ان تكون برجان تعريب بغدان . » اه تعريباً

ومن الغريب ان القلقشندي الذي وضع كتاباً في الانساب وذكر انساب كثير من الاجيال والامم والشعوب لم يتعرض لذكر البرجان . وممن اغفل التنويه بهم سائر اللغويين من العرب كصاحب الجمهرة وتهذيب اللغة والمحيط والمجمل والمخصص والمحكم والجامع لديوان العرب والعباب واساس البلاغة والمصباح المنير ومجمع البحرين ومطلع النيرين والبابوس الى آخر ماهناك .

واما صاحب محيط المحيط اي البستاني فانه نقل كلام المطرزي ولم يصرح باسم المنقول عنه . وصاحب اقرب الموارد لم يذكر البرجان بمعنى هذا الجيل من الناس . ونقف عند هذا الحد من ذكر نصوص اللغويين .

القسم الثالث رأي مستشرقي الافرنج

ذهب اغلب المستشرقين الى ان المراد بالبرجان : البلغار . وهذا لايمكن ان يكون صحيحاً البتة كما سنثبته في ذيل هذا القسم . عَلَى ان بعضاً منهم انتبهوا الى مافي هذا التوحيد بين اللفظين من الغرابة والبعد لرؤيتهم كثيرين من كتاب العرب جمعوا في عبارة واحدة بين البرجان والبلغار وميزوا بين الجيلين تمييزاً بيناً فاستنتجوا ان القومين ليسا بواحد بل هما اثنان وان كانا في اغلب الاحايين متحالفين متفقين في الهجوم والدفاع وفي القتال والقراع .

عَلَى ان بعض الافرنج ذهبوا الى ان المراد بالبرجان في بعض عبارات الكتاب من العرب قوم يكونون في افرنجة (افرنسة) وهم المعروفون باسم البرجون او البرغون اي هم المعروفون باللغة الفرنسوية باسم Bourguignons وهم محقون في ذلك . مثلاً ماقال المسعودي في عبارته (في٢: ١٦) وفي عبارته (في٣:٧٨) فلا شك ان المراد بالبرجان

هذا ك البرجون او البرغون · وهذا التصحيف قريب من البرجان فظن المؤلف الاول او ناسخ الكتاب ان البرجون والبرجان شيء واحد والحال : ان الامر عَلَى خلاف ما يظن وان كان بين اللفظين تناسب في الاشتقاق · ولهذا فقد اصاب الفاضل بربيه دمينار Barbir de meynard حينما ذكر هذه العبارة : « وبثن الغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس وارض برجان والجلالقة والافرنجة » ان المراد بهولاء البرجان : Les Bourguignons لكنه لم يصب في قوله انهم البلغار في كلام المسعودي في ٣ : ٦٦ و٣ : ٧٨ ثم ٧ : ١٣٤ ثم ٤ : ٣٨ فلو ذكرهم باسمهم البرجان كما فعل في ٢ : ٣١١ و ٢ : ٣١٥ لكان اولى له ولهذا فقد اصاب في مواطن واخطأ في مواطن أخرى ·

واما العلامة دي كوي M. J. de Goeje فانه لم ينقل الى اللاتينية اسم البرجان كل مرة وردت في الطبري · واما في ترجمته لكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة فانه نقلها الى لفظة بلغار Bulgares في ص ٩٢ و١٠٥ و٢٥٧ واما في ١٧ و٢٥٧ فقد ابقاها عَلَى لفظها « برجان » · كأنه قد اكتفى بما المع اليه وبان المراد من البرجان « البلغار » ·

وقد صرح فريتاغ انه لا يعرف عَلَى التحقيق من هم هؤلاء المعروفون باسم البرجان · عَلَى انه في الآخر ذهب الى ان قولهم : اسرق من برجان « يراد بهم هؤلاء الاقوام · وقد قال في مستهل كلامه عن البرجان برجان اسم لص او لصوص · وقد تابعه في هذا الوهم قزميرسكي · وقد وهم كلاهما · فان اللص المشهور باسم برجان هو غير جيل البرجان فاللص برجان كان من ناحية الكوفة · صلب لسرقته فسرق وهو مصلوب · وذلك انه قال لحافظه « مر الى تلك الخربة فان لي فيها مالا وانا احفظ برذونك · فلما غاب عنه قال لواحد مر به : خذ البرذون فهو لك · » (راجع فرائد اللآل في مجمع الامثال ١ : ٢٩٣)

واما برجان الآخرون فهم اقوام يجاورون البلغار وليسوا بهم · وكانوا اهل غزو لا لصوصاً شأن سائر الناس في غابر العصور قبل العمران الحديث · ولهذا فقول فريتاغ وقزميرسكي انهم من اللصوص وهم ظاهر وخبط بين فليحفظ · هذا فضلا عن انك لا ترى واحداً من ابناء العرب ذهب الى ان اللص برجان هو من قوم البرجان · او ان البرجان هم من اللصوص ومنه قولهم « اسرق من برجان · » كقولهم هم اسرق من قوم برجان »

والظاهر ان اول مستشرق ذهب الى ان البرجان هم البلغار العلامة كاترمير في الكتاب الذي نشره في باريس لمؤلفه رشيد الدين وترجمه الى اللغة الفرنسية مع

حواش نفيسة تزري بعقود الجمان . وقد رأيت هذا الكتاب مراراً عديدة في مكتبة الحاج علي الآلوسي من مبعوثي بغداد . وهو اليوم في الاستانة ومكتبته مقفلة لا يدخلها داخل ولو كان من اخص اقربائه . ولما كان مقام كاترمير من ارفع المقامات في العلم تابعه الكثيرون اعتماداً عليه . والبائن ان العلامة رينو Reinaud في ترجمته لكتاب تقويم البلدان تأليف ابي الفداء لم يقطع كل القطع برأي وطنيه كاترمير لانه ابقى كلمة برجان على حالتها في ص ٢٨٣ من الجزء الاول من المجلد الاول وفي ص ٣١٣ من ذلك الجزء بعينه . ثم قال ما معربه : « الظاهر كلمة « برجان » تعني بعض الاحيان « البلغار » المجاورين لنهر الطونة . راجع حواشي المسيو كاترمير على كتاب تاريخ رشيد الدين ص ٤٠٥ وراجع ايضاً تصنيف المسيو دوصون في كلامه عن اقوام جبل قاف ص ٢٦٠ ومن المرجح ايضاً ان هذا الاسم يشمل الابر والهرب . اه كلام رينو

فانت ترى انه لا يجزم بصحة هذا القول كل الجزم بل يذكره بكل تحفظ وتحرز لانه رأى انه اذا صح هذا التأويل في مواضع فهو لا يصح في عدة مواطن

واما اقوى براهين كاترمير على ان البرجان هم البلغار المجاورون لنهر الطونة هو هذا على ما تذكر : « يقول المسعودي ان بستنيان الثاني المشهور بالاخرم لاذ بتاوفيل ملك البرجان والحال ان كتبة اليونان يذكرون ذلك عن ملك البلغار اذن البرجان هم البلغار » اه كلام العلامة محصلا بمعناه . فاقول : نص المسعودي هو هذا : « وفي هذه السنة وهي سنة ٢٢٣ خروج توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغار والصقالبة وغيرهم » فيتضح من هذا الكلام ان البرجان غير البرغار او البلغار والا لما فرق بين اللفظين بل انهم قوم مخالفون للبرغار كما كان الصقالبة مخالفين لهم ايضاً واكتفاء اليونان بذكر البرغار فقط لا يدل على انه لم يكن معهم برجان وصقالبة بل انما ذهبوا الى ذكر البلغار اما لكثرتهم واما لشهرتهم واما لانهم اذا ذكروا البلغار فهم قراء اولئك الزمان حلفاء البلغار ايضاً البرجان والصقالبة او لعل هناك سبباً آخر لا يصل الى معرفته عقلنا القاصر .

وعلى كل حال فان كلام المسعودي صريح كل الصراحة ان البرجان قوم كانوا مع البلغار وليسوا اياهم . بل هم الذين نعنيهم في كلامنا الآتي

واما آراء سائر المستشرقين فلا حاجة الى ذكرها لانه اذا كان مقدموهم وزعماؤهم على هذا التأويل فلا يبعد تأويل من جاء بعدهم واخذ عنهم بعداً يذكر ومن ثم تكون

آراؤهم منحصرة في ثلاثة تآويل: فالاغلب يذهب الى انهم والبلغار جيل ومنهم من يقول بان البرجان في بعض المواطن تفيد البرجون او البرغونيين والطائفة الاخرى تبقي اللفظة عَلَى وجهها لانها لم ترها موافقة لمعنى البلغار

عَلَى ان هناك مذهباً رابعاً بل وخامساً لا ينسب او ينسبان الى واحد من المستشرقين بل الى عالم جليل من علماء الاتراك ولغوييهم اريد به عاصم افندي صاحب الاوقيانوس ومترجم القاموس فانه يظن ان البرجان تعريب بوجاق ويرجح عليه كون اللفظة تعريب بغدان وكلا اللفظين وان كانا يتقاربان في الكتابة الا انهما يبتعدان كل الابتعاد في النطق والتلفظ هذا فضلا عن ان ابدال الحروف وسننه لا تتوافق كل الموافقة هذا التصحيف البعيد الوقوع الا بتكلف وتعمل واعنات لا إعنات وراءه

٤ً خاتمة النبذة وفيها ذكر رأينا

من قرأ بتروٍ وتدبر ما كتبناه الى هنا وانعم النظر في الشواهد التي نقلناها عن كتبة العرب عَلَى اختلاف عصورهم يحكم حكماً باتاً بأن البرجان غير البلغار وبالعكس واليك خلاصة ماقاله العرب عنهم مجموعة هنا :

البرجان جيل من الناس بلادهم غائصة في جهة الشمال في قصر النهار الى اربع ساعات والليل الى عشرين ساعة · وبالعكس · واهلها مجوس طغاة بغاة قساة وسيرهم منقطعة عنا لبعدهم وجفاء طباعهم · وقد تنصروا في عصور النصرانية الاولى بعد ان غادروا بلادهم واقاموا بجوار البلغار من جهة وبقرب الصقالبة من الجهة الاخرى وكانوا تارةً مهادنين للبلغار ومواليهم ومحالفيهم وطوراً اعداءهم وهاجمين عليهم وغازين ايام · شأن الجار للجار · فهذا كله لا يصح الا عَلَى الامة المعروفة عند الافرنج باسم Varègues ويقال فيها عندهم Variagues او Varangiens كما ان العرب اخذوا هذه اللفظة عن اليونان وهم يكتبون الثآء الفارسية المثلثة الفوقية بآء موحدة تحتية سهل سبب تعاقب الفآء والبآء · والكلمة هي في الاصل Warg ومعناها «المنفي» او « الافاق » ثم توهموا فيها الافراد كما هو الامر حقيقة فجمعوها عَلَى فعلان فقالوا فيها « برجاناً » كما قالوا في جمع ظهر « ظهراناً » ·

والبرجان عَلَى التحقيق قوم افاقون اصل اغلبهم من اسكندناوية ثم انضم اليهم اناس آخرون من عناصر اخرى كالروس والصقالبة والأبر والسرب والبلغار فاجتمع

منهم امة قائمة بنفسها قائلها الالمانيون فالفتوها عن آخرها ·

هذا ماظهر لنا على وجه التحقيق بعد ان طالعنا عدة مؤلفات عربية وافرنجية وبعد ان وقفنا على آراء بوغودين Pogodine وشلوتزر Schlœtzer وجدعيونوف Gédéonov وكستوماروف Kostomarow وهوفاتسكي Hovatsky وآمي بوه Ami Boué وكانتس Kanitz وليجه L. Léger ودلافلاي E. de Laveleye وغيرهم ·

وان كان لواحد من القرآء مايهدم رأينا بعول براهينه فليأتنا به ونحن له من اعظم الشاكرين لان غايتنا البحث عن الحقيقة لا التمسك برأينا فمتى ما رأينا وجهها الصبيح نسير لحال بضيائه · وفقنا الله الى مابه كل خير. بغداد : صائستا

الفتوى في الاسلام

« تتمة ماورد في الجزئين الماضيين »

(حاجة المفتين الى معرفة العلوم الرياضية)

ان هذه العلوم الجليلة — الرياضية — كان عني بها من سلفنا وائمتنا من لايزال اسمه كالبدر في السماوات وثله وآثاره مرجعاً لحل العويصات مثل الحافظ بن حبان صاحب الصحيح وحجة الاسلام الغزالي وفخر الدين الرازي وولي الدين ابن خلدون والامام ابن رشد وسيف الدين الآمدي والحرالي وابن عبد ربه وابن الدلاح وابي الصلت الداني الاندلسي والرشيد بن الزبير الاسواني والمبشر بن فاتك الاموي والشيخ السويد والفخر الفارسي والقطب المصري والموفق عبداللطيف البغدادي وابن البيطار وافضل الدين الخونجي وشمس الدين الاصفهاني وابن النفيس والقطب الرازي والسيد الشريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني وبدر الدين ابن جماعة وقاضي القضاة المروي وعلاء الدين البخاري وشهاب الدين ابن الجدي والتقي السبكي ومن لايحصى من الائمة كما تراه في طبقات الحكماء، وفي حسن المحاضرة للسيوطي وسواهما من تواريخ الاعلام ووفيات الاعيان وكثير من كان فيهم من القضاة والحفاظ والرواة والمتكلمين والمفتين العدول الثقات ولو ضم اليهم غيرهم لبلغ مجلدات

كل من عني بهذه العلوم — الرياضية — علم مسيس الحاجة اليها وادرك موضع الكمال منها فراح يضرب منها بسهم ويخوض منها في بحر

تخلل كتب الفقه مالا يحصى من فروع هذه العلوم وكم توقف القضاء والافتاء في النوازل على الالمام بهذه الفنون

اليس تحرير سمت القبلة يتوقف عَلَى معرفة اصول فن الميقات وكذا تحرير اوقات الصلوات في البلاد عَلَى معرفة عروضها واطوالها المقررة في علمها

وكذلك حسم المنازعات في مساحة قطع الارض اومقادير السقيا من الانهار اوالدمن يتوقف عَلَى فن الهندسة والمقاييس

وهكذا التقاضي في وقف عَلَى بلد من بلاد دولة من الدول معينة ارتيب في كون تلك البلد من حوزتها وحدودها يتوقف عَلَى علم الجغرافيا (تقويم البلدان) فمنه يعلم دخولها في شرط الواقف اوعدم دخولها

وهكذا افتى من المحققين غير واحد ان لمن له معرفة بعلم هيئة الفلك ان يعمل بحسابه في صوم رمضان والفطر منه بل افتى تقي الدين السبكي لما كان قاضي القضاة بدمشق في رسالة سماها (العلم المنشور في اثبات الشهور) ان من شهد برؤية الهلال في رمضان او ذي الحجة مثلا ودل الحساب عَلَى انه لاتمكن رؤيته ان تلك الشهادة ترد (قال) لان قبول الشهادة انما هو عند عدم الريبة ووجود الاحتمال اما مع القطع باستحالة الرؤية للبرهان الجلي في ذلك فلا تقبل تلك الشهادة وتحمل عَلَى الغلط او الكذب (قال) لانه اقوى من الريبة لانه مستحيل عادة، وبين رحمه الله في هذه الرسالة مايجب عَلَى القاضي من التثبت في ذلك وما ينبغي له من الالمام بعلم الهيئة والميقات او تقليد من يثق به في ذلك ليكون عَلَى بصيرة مما يقبل من الشهادة في ذلك او يرد

ورسالته هذه من انفس الرسائل المضنون بها

وبالجملة فحاجيات الفنون الرياضية في الاقضية والاحكام وفي العبادات والمعاملات اوسع من ان يدخلها الحصر ولا غنى للقاضي والمفتي عن الالمام بها كما اوضحنا

(تحري المفتي في مسائل الطلاق المجمع عليه والاقوى دليلا)

مما يجب عَلَى كل مفت — بمعنييه الخاص والعام — ان يتحري ويتروى ويحتاط في مسائل الطلاق ما اجمع عَلَى وقوعه او قوى الدليل فيه معقولا او منقولا واما التسرع

بالفتوى بحل العصمة لمجرد قول غير مجمع عليه او المدرك في سواء او قول الصحب والتابعين رضوان الله عليهم على خلافه — هذا التسرع من الامور التي جرت الويلات على كثير من العائلات وكم افضت الى التحيل بما لا يرضاه الشارع ولا يأتلي مع اصول ملته السمحاء ، ومن العجب ان صور الحلف بالطلاق وانواع التعاليق فيه التي افردت لها تآليف خاصة وافعمت بطون الاسفار لاترى منها مسألة مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا واقعة مأثورة عن الصحب رضوان الله عليهم لانها مما حدثت بعد قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية في بعض فتاويه [1] لما احدث الحجاج بن يوسف تحليف الناس بأيمان البيعة وهو التحليف بالطلاق والعتاق والتحليف باسم الله وصدقة المال وقيل كان معها التحليف بالحج تكلم حينئذ التابعون ومن بعدهم في هذه الايمان وتكلموا في بعضها على ذلك فمنهم من قال اذا حنث بها لزمه ما التزمه ومنهم من قال لايلزمه الا الطلاق والعتاق ومنهم من قال بل هذا من جنس ايمان اهل الشرك لايلزم بها شيء ومنهم من قال بل هي من ايمان المسلمين يلزم فيها مايلزم في سائر ايمان المسلمين واتبع هؤلاء مانقل في هذا الجنس عن الصحابة وما دل عليه الكتاب والسنة (قال) كما بسط في موضع آخر

وبالجملة فاهم مسائل الطلاق الآن مسألة الحلف به وبالحرام . والتعليق عليه . وطلاق السكران . وطلاق الغضبان . وجمع الثلاث في كلمة دفعة واحدة . والطلاق في الحيض . ويندرج تحت كل صور شتى يرى الواقف على مذاهب السلف فيها اقوالاً وفتاوي عديدة وقد اسلفنا ما اتفق عليه كلام المحققين من وجوب التحري في المسائل المختلف فيها وبذل الوسع في مسألة القولين لترجيح احدهما

ومما يعين المفتي على الترجيح الصحيح مراجعته الكتب التي جمعت اقوال السلف في هذه المسائل وهي المحلى لابن حزم وفتاوى ابن تيمية وكتاب اقامة الدليل على بطلان التحليل له ايضا واغاثة اللهفان الكبرى لابن القيم واغاثة اللهفان الصغرى في طلاق الغضبان لابن القيم ايضاً وزاد المعاد له ايضاً وكذلك مراجعة كتب النوازل في فقه المالكية ومطولات كتب اصحاب الائمة نفعنا المولى بعلومهم الواقف عليها يجد من سماحة الاسلام ويسر الدين ورفع الحرج في هذا الباب مايجمله كله السنة تنطق بحمده تعالى على هذه الرحمة

(١) جزء ٣ ص ٥٣ من فتاويه المطبوعة

(حكم تولية طالب الافتاء)

هذا الحكم يعلم بالاولى مما ذكروه في القضاء ومن احسن ما كتب فيه ماقاله الامام الماوردي — من كبار ائمة الشافعية — في كتابه الاحكام السلطانية وعبارته :

فاما طلب القضاء وخطبة الولاة عليه فان كان من غير اهل الاجتهاد فيه كان تعرضه لطلبه محظوراً وصار بالطلب مجروحاً

وان كان من اهله على الصفة التي يجوز معها نظره فله في طلبه ثلاثة احوال (احدها) ان يكون القضاء في غير مستحقه اما لنقص علمه واما لظهور جوره فيخطب القضاء دفعاً لمن لا يستحقه ليكون فيمن هو بالقضاء احق فهذا سائغ لما تضمنه من دفع منكر ثم ينظر فان كان اكثر قصده ازالة غير المستحق كان مأجوراً وان كان اكثره اختصاصه بالنظر فيه كان مباحا

(والحالة الثانية) ان يكون القضاء في مستحقه ومن هو اهله ويريد ان يعزله عنه اما لعداوة بينهما واما ليجر بالقضاء الى نفسه نفعاً فهذا الطلب محظور وهو بهذا الطلب مجروح

(والحال الثالثة) ان لا يكون في القضاء ناظر وهو خال من وال عليه فيراعي حاله في طلبه فان كان لحاجته الى رزق القضاء المستحق في بيت المال كان طلبه مباحاً وان كان رغبة في اقامة الحق وخوفه ان يتعرض له غير مستحق كان طلبه مستحباً فان قصد بطلبه المباهاة والمنزلة فقد اختلف في كراهية ذلك مع الاتفاق على جوازه فكرهته طائفة لان طلب المباهاة والمنزلة في الدنيا مكروه قال الله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »

وذهبت طائفة اخرى الى ان طلبه لذلك غير مكروه لان طلب المنزلة مما ابيح وقد رغب نبي الله يوسف عليه السلام الى فرعون في الولاية فقال « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » فطلب الولاية ووصف نفسه بما يستحقها به من قوله « اني حفيظ عليم » وفيه تأويلان (احدهما) حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني وهذا قول عبد الرحمن بن زيد (والثاني) انه حفيظ للحساب عليم بالالسن وهذا قول اسحق بن سفيان وخرج هذا القول عن حد التزكية لنفسه والمدح لما لانه كان لسبب دعا اليه انتهى

(اشتراط علم المولي باهلية من يوليه لصحة التولية)

قال الامام الماوردي : تمام الولاية معتبر باربعة شروط (احدها) معرفة المولي للمولى

بانه على الصفة التي يجوز ان يولى معها فان لم يعلم انه على الصفة التي تجوز معها تلك الولاية لم يصح تقليده (والشرط الثاني) معرفة المولي بما عليه المولى من استحقاق تلك الولاية بصفاته التي يصير بها مستحقا لها وانه قد تقلدها وصار مستحقاً للاستنابة فيها ثم ذكر تتمة الشروط في تولية القضاء مما يدل على اعتبارها فيما هو دون تولية القضاء من الافتاء والتدريس والوعظ والارشاد والخطابة والامامة بالأولى ولله در المستوعر الاكبر في قوله

وما سقطت يوماً من الدهر امة من الذل الا ان يسود دميمها
اذا ساد فيها بعد ذل لثيمها تصدى لها ذل وقد اديمها
وما قادها للخير الا مجرب عليم باقبال الامور كريمها
وما كل ذي لب يعاش بفضله ولكن لتدبير الامور حكيمها

وبالجملة فاعطاء كل ذي حق حقه ووضع الاشياء في مواضعها وتفويض الأعمال للقادرين عليها مما يوجب صيانة الحق ويشيد بناء العدل ويحفظ نظام الامور من الخلل ، ويشفي نفوس الامة من العلل ، وهذا مما تحكم به بداهة العقل وهو عنوان الحكمة التي قامت بها السموات والارض وثبت بها نظام كل موجود ، وكل من تتبع تواريخ الامم وكان بصير القلب علم انه ما انقلب عرش مجدها الا لتفويض الاعمال لمن لا يحسن القيام عليها ويضع الاشياء في غير مواضعها « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »

(حكم الاشتراط في الفتوى ان تكون على مذهب معين)

يستفاد هذا مما اوضحه الامام الماوردي في الاحكام السلطانية في القضاء (قال) : ويجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب ابي حنيفة لان للقاضي ان يجتهد برأيه في قضائه ولا يلزمه ان يقلد في النوازل والاحكام من اعتزى الى مذهبه . فاذا كان شافعياً لم يلزمه المصير في احكامه الى اقاويل الشافعي حتى يؤديه اجتهاده اليها ، فان اداه اجتهاده الى الاخذ بقول ابي حنيفة عمل عليه واخذ به

وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى الى مذهب ان يحكم بغيره لما يتوجه اليه من التهمة والمايلة في القضايا والاحكام واذا حكم بمذهب لا يتعداه كان انفى للتهمة وارضى للخصوم

(قال الماوردي) وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فاحكام الشرع لاتوجبه « لان التقليد فيها محظور والاجتهاد فيها مستحق »

« ثم قال » : فلو شرط المولي وهو حنفي او شافعي على من ولاه القضاء ان لايحكم الابمذهب الشافعي او ابي حنيفة فهذا على ضربين « احدهما » ان يشترط ذلك عموماً في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقاً لمذهب المولي او مخالفاً له ، واما صحة الولاية فان لم يجعله شرطاً فيها واخرجه مخرج الأمر او مخرج النهي وقال : قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه الله على وجه الأمر او لا تحكم بمذهب ابي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط فاسداً سواء تضمن امراً او نهياً ، و يجوز ان يحكم بما اداه اليه اجتهاده سواء وافق شرطه اوخالفه

فان اخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء على ان لاتحكم فيه الابمذهب الشافعي او بقول ابي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط فاسد ، وقال اهل العراق تصح الولاية و يبطل الشرط ثم ذكر الضرب الثاني وفصل فيه فانظره وقال الامام ابو زيد الدبوسي — من اكابر اصحاب الامام ابي حنيفة رحمه الله — في كتاب تقويم الادلة في اواخر باب الاستحسان : وكان الناس في الصدر الاول اعني الصحابة والتابعين والصالحين رضوان الله عليهم اجمعين يبنون امورهم على الحجة فكانوا يأخذون بالكتاب ثم بالسنة ثم باقوال من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مايصح بالحجة فكان الرجل يأخذ بقول عمر رضي الله عنه في مسألة ثم يخالفه بقول علي رضي الله عنه في مسألة اخرى ، وقد ظهر من اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله انهم وافقوه مرة وخالفوه اخرى على حسب ما تتضح لهم الحجة ،لم يكن المذهب في الشريعة عمريا ولا علويا بل النسبة كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانوا قروناً اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير فكانوا يرون الحجة لا علماءهم ولانفوسهم فلما ذهب التقوى من عامة القرن الرابع وكسلوا عن طلب الحجج جعلوا علماءهم حجة واتبعوهم فصار بعضهم حنفياً و بعضهم مالكياً و بعضهم شافعياً ينصرون الحجة بالرجال و يعتقدون الصحة بالميلاد على ذلك المذهب ثم كل قرن اتبع عالمه كيفما اصابه بلا تمييز حتى تبدلت السنن بالبدع فضل الحق بين الهوى اه كلام الامام ابي زيد وللبحث مقدمة مدهشة فليرجع اليها وقد نقل نحواً من ذلك شيخ الصوفية محيي الدين ابن عربي في الباب الثامن عشر وثلثمائة من الفتوحات المكية في معرفة منزل نسخ الشريعة

المحمدية وغير المحمدية بالاغراض النفسية عافانا الله واياك من ذلك فليتدبر من يحب الانصاف

(الحسبة على المفتين وامثالهم)

قال الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي : ينبغي للامام ان يتصفح احوال المفتين فمن صلح للفتيا اقره ، ومن لا يصلح منعه ونهاه ان يعود وتوعده بالعقوبة ان عاد ، وطريق الامام الى معرفة من يصلح للفتوى ان يسأل علماء وقته ويعتمد اخبار الموثوق بهم انتهى

وقال الامام الماوردي في الاحكام السلطانية : واذا وجد — المحتسب — من يتصدى لعلم الشرع وليس من اهله من فقيه او واعظ ولم يأمن اغترار الناس به في سوء تأويل او تحريف انكر عليه التصدي لما هو ليس من اهله واظهر امره لئلا يغتر به

وقال ابن القيم : من افتى الناس وليس باهل للفتوى فهو آثم عاص ومن اقره من ولاة الامور على ذلك فهو آثم عاص قال ابو الفرج ابن الجوزي : ويلزم ولي الامر منعهم وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يطب الناس بل هؤلاء اسوأ حالا من هؤلاء كلهم واذا تعين على ولي الامر منع من لم يحسن التطبب من مداواة المرضى فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة ولم يتفقه في الدين « قال » وكان شيخنا شديد الانكار على هؤلاء فسمعته يقول : قال لي بعض هؤلاء : اجعلت محتسباً على الفتوى : فقلت له : يكون على الخبازين والطباخين محتسب ولا يكون على الفتوى محتسب انتهى

(دلالة العالم للمستفتي على غيره)

قال ابن القيم : هذا موضع خطر جداً فلينظر الرجل الى من يدل عليه وليتق الله فانه اما معين على الاثم والعدوان واما معين على البر والتقوى وقد سأل الحافظ ابو داود — صاحب السنن — الامام احمد عن رجل يسأله عن مسألة فيدله على من يسأله فقال : اذا كان يعني الذي ارشده اليه متبعاً ويفتي بالسنة :

وذكر بعد ورقات انه اذا علم ان السائل يدور على من يفتيه بغرضه في تلك المسألة فيجعل استفتاءه تنفيذاً لغرضه لا تعبداً لله باداء حقه فلا يسعه ان يدله على غرضه اين كان بل ان علم المفتي فيها نصاً عن الله ورسوله فلا يسعه تركه الى غرض السائل وان

كانت من المسائل الاجتهادية ولم يترجح له قول لم يسغ له ان يترجح لغرض السائل «وهذه المسألة جديرة بالمحافظة عليها» وليرجع الى تتمتها في كلامه

(هل يقول المفتي في المسألة قولان ونوادر في ذلك)

قال الامام ابن القيم في الاعلام : لايجوز للمفتي تخيير السائل والقاؤه في الاشكال والحيرة بل عليه ان يبين بيانا مزيلا للاشكال متضمنا لفصل الخطاب ولا يكون كالمفتي الذي سئل عن مسألة في المواريث فقال : يقسم بين الورثة على فرائض الله عز وجل : وكتبه فلان

« وسئل آخر » عن صلاة الكسوف فقال : تصلى على حديث عائشة ·

« وسئل آخر » عن مسألة من الزكاة فقال : اما اهل الايثار فيخرجون المال كله واما غيرهم فيخرج القدر الواجب عليه ·

« وسئل آخر » عن مسألة فقال : فيها قولان · ولم يزد

« قال ابو محمد ابن حزم » وكان عندنا مفت اذا سئل عن مسألة لايفتي فيها حتى يتقدمه من يكتب فيكتب هو : جوابي فيها مثل جواب الشيخ · فقدر ان مفتيين اختلفا في جواب فكتب تحت جوابهما : جوابي مثل جواب الشيخين · فقيل له انهما قد تناقضا فقال : وانا اتناقض كما تناقضا ·

« قال ابن القيم » : وكان في زماننا رجل مشار اليه بالفتوى وهو مقدم في مذهبه وكان نائب السلطان يرسل اليه في الفتاوى فيكتب: يجوز كذا او يصح كذا او ينعقد كذا بشرطه · فارسل اليه يقول : تأتينا فتاوى منك فيها : يجوز او ينعقد او يصح بشرطه نحن لانعلم شرطه، فاما ان تبين شرطه واما ان لاتكتب ذلك « قال » وسمعت شيخنا — ابن تيمية — يقول: كل احد يحسن ان يفتي بهذا الشرط وهذا ليس بعلم ولا يفيد سوى حيرة السائل وتنكده

(وكذلك) قول بعضهم في فتاويه : يرجع في ذلك الى رأي الحاكم : « قال » فياسبحان الله : لو كان الحاكم شريحا واشباهه لما كان مرد احكام الله ورسوله الى رأيه فضلا عن حكام زماننا والله المستعان

« وسئل » بعضهم عن مسألة فقال: فيها خلاف : فقيل : كيف يعمل المفتي (فقال) يختار له القاضي احد المذهبين

« قال ابو عمرو ابن الصلاح » كنت عند ابي السعادات ابن الاثير الجزري فحكى لي عن بعض المفتين انه سئل عن مسألة فقال : فيها قولان فأخذ يزري عليه وقال : هذا حيد عن الفتوى ولم يخلص السائل من عمايته ولم يأت بالمطلوب . والبحث ثمة فليرجع اليه في كلامه رحمه الله

(اجناس الفتيا التي ترد على المفتين)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : المفتي اذا سئل عن مسألة فاما ان يكون قصد السائل فيها معرفة حكم الله ورسوله ليس الا ، واما ان يكون قصده معرفة ما قاله الامام الذي شهر المفتي نفسه باتباعه وتقليده دون غيره من الائمة ، واما ان يكون مقصوده معرفة ما ترجح عند ذلك المفتي وما يعتقده فيها لاعتقاده علمه ودينه وامانته فهو يرضى بتقليده هو وليس له غرض في قول امام بعينه ، فهذه اجناس الفتيا التي ترد على المفتين

ففرض المفتي في القسم الاول ان يجيب بحكم الله ورسوله اذا عرفه وتيقنه لا يسعه غير ذلك

واما في القسم الثاني فاذا عرف قول الامام بنفسه وسعه ان يخبر به ولا يحل له ان ينسب اليه القول ويطلق عليه انه قوله بمجرد مايراه في بعض الكتب التي حفظها او طالعها من كلام المنتسبين اليه فانه قد اختلطت اقوال الائمة وفتاويهم باقوال المنتسبين اليهم واختياراتهم فليس كل ما في كتبهم منصوصاً عن الائمة بل كثير منه يخالف نصوصهم ، وكثير منهم لا نص لهم فيه ، وكثير منهم يخرج على فتاويهم ، وكثير منهم افتوا به بلفظه او بمعناه

فلا يحل لاحد ان يقول هذا قول فلان ومذهبه الا ان يعلم يقيناً انه قوله ومذهبه فما اعظم خطر المفتي واصعب مقامه بين يدي الله تعالى

واما القسم الثالث فانه يسعه ان يخبر المستفتي بما عنده في ذلك مما يغلب على ظنه انه الصواب بعد بذل جهده واستفراغ وسعه ومع هذا فلا يلزم المستفتي الاخذ بقوله وغايته انه يسوغ له الاخذ به ، فلينزل المفتي نفسه في منزلة من هذه المنازل الثلاث وليقم بواجبها فان الدين دين الله والله سبحانه لابد سائله عن كل ما افتى به والله المستعان

ولا يخفى ان في القسم الأول ينبغي للمفتي ان يفتي بلفظ النص بل هو اللازم ما امكنه

فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام وقد كان هو عمدة الصحابة واصلهم الذي يرجعون اليه وقد اسهب في ذلك بما لا يستغنى عنه فليراجع

(استعانة المفتي بمراجعة كتب المذاهب واختلاف الائمة)

في جمع الجوامع وشرحه « و » نرى « ان الشافعي ومالكا وابا حنيفة والسفيانين » الثوري وابن عيينة « واحمد » ابن حنبل « والاوزاعي واسحق » ابن راهويه « وداود » الظاهري « وسائر ائمة المسلمين [1] على هدى من ربهم » في العقائد وغيرها وقال الشعراني في الميزان وقد اجمعوا على انه لا يسمى احد عالما الا ان بحث عن منازع اقوال العلماء وعرف من اين اخذوها من الكتاب والسنة : « وقال » ان الشريعة كالشجرة العظيمة المنتشرة واقوال علمائها كالفروع والاغصان « وقال » ان الشريعة المطهرة جاءت شريعة سمحة واسعة شاملة قابلة لسائر اقوال ائمة الهدى من هذه الامة المحمدية وان كلا منهم فيما هو عليه في نفسه على بصيرة من امره وعلى صراط مستقيم وان اختلافهم انما هو رحمة بالامة « وقال » نقلا عن الامام الزركشي في آخر كتاب « القواعد » له ما مثاله : ان مطلوب الشرع الوفاق ورد الخلاف اليه ما امكن كما عليه عمل الائمة من اهل الورع والتقوى كابي محمد الجويني واضرابه فانه صنف كتابه المحيط ولم يلتزم فيه المشي على مذهب معين انتهى ثم قال الشعراني ، وقد بلغنا انه كان يفتي الناس بالمذاهب الاربعة الشيخ الامام الفقيه المحدث المفسر الاصولي الشيخ عبد العزيز الديريني [2] وشيخ الاسلام عز الدين ابن جماعة المقدسي والشيخ العلامة الشيخ شهاب الدين البرلسي والشيخ علي النبتيتي الضرير ، ونقل الشيخ الجلال السيوطي رحمه الله عن جماعة كثيرة من العلماء انهم كانوا يفتون الناس بالمذاهب الاربعة لاسيما العوام الذين لا يتقيدون بمذهب ولا يعرفون قواعده ولا نصوصه ويقولون حيث وافق فعل هؤلاء العوام قول عالم فلا بأس به انتهى وذكر التاج السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة امام الحرمين ما مثاله والامام لا يتقيد بالاشعري ولا بالشافعي لاسيما في البرهان وانما يتكلم على حسب تأدية نظره واجتهاده :

«١» ومنهم ائمة السلالة الطاهرة الذين حمل عنهم علم جم وفقه كبير وترى تسميتهم في نيل الاوطار للامام الشوكاني وفي غيره ايضاً

«٢» قال الشعراني بعد ، صنف — الديريني — كتاب الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة اتفق فيها على المذاهب الاربعة

وذكر في ترجمة ابيه الجويني انه الف كتابا سماه المحيط لم يتقيد فيه بمذهب وانه التزم ان يقف على مورد الاحاديث لا يتعداها و يتجنب جانب العصبية للمذاهب : كما قدمه الشعراني . وذكر في ترجمة ابن جرير ان المحمديين الاربعة — ابن جرير وابن خزيمة وابن نصر وابن المنذر كانوا يذهبون مع اجتهادهم المطلق وكان كل منهم مجتهداً مطلقا لا يقلد احداً ولهم من الاختيارات مادونه السبكي في تراجمهم وهذا باب يطول استقصاؤه وقد عد السيوطي في حسن المحاضرة من المجتهدين في مصر وحدها ما اناف على السبعين فكيف بغيرها وكل من هؤلاء انما كان يفني بما يؤديه اجتهاده وكان يتفق لكثير من هؤلاء وامثالهم من جمع الكتب المتونة للاستفادة بما فيها مايدهش وقد حكى السبكي في طبقاته في ترجمة الامام عبد السلام ابن بندار انه دخل الى بغداد من مصر ومما معه عشرة جمال عليها كتب بالخطوط المنسوبة في فنون العلم (١) وقال الشعراني ايضا : ان كل مقلد اطلع على عين الشريعة المطهرة — ادلتها — لا يؤمر بالتقيد بمذهب واحد وربما لزم المذهب الاحوط في الدين مبالغة منه في الطاعة . والى نحو ماذكرناه اشار الامام الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه بقوله . ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي هو وامي فعلى الرأس والعين وما جاء عن اصحابه تخيرنا وماجاء عن غيرهم فهم رجال ونحن رجال . « ثم قال » اذا تمت ذلك فيقال لكل مقلد امتنع عن العمل بقول غير امامه في مضايق الاحوال امتناعك هذا تعنت لاورع لانك تقول لنا انك تعتقد ان سائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم لاغتراف مذاهبهم من عين الشريعة « ثم قال » وكان الامام ابن عبد البر رحمه الله تعالى يقول : لم يبلغنا عن احد من الائمة انه امر اصحابه بالتزام مذهب معين لا يرى صحة خلافه بل المنقول عنهم تقريرهم الناس على الفتوى بعمل بعضهم بعضا لانهم كلهم على هدى من ربهم « وكان » يقول ايضا . لم يبلغنا في حديث صحيح ولا ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر احداً من الامة بالتزام مذهب معين لا يرى خلافه وماذلك الالان كل مجتهد مصيب . « وكان » الزناتي من ائمة المالكية يقول : يجوز تقليد كل من اهل المذاهب في النوازل . وقد اطال الشعراني في هذا البحث واجاد والقصد ان توسع المفتي في مراجعة مذاهب الائمة واقوالهم مما يعينه على الاقوى والارجح في النازلة ، اذ ليس الحق وقفا على مذهب او كتاب

(١) ومما اغرب عنه انه كان يفتخر بالاعتزال و يتظاهر به حتى على باب نظام الملك — الوزير الشهير — فيقول لمن يستأذن عليه : قل ابو يوسف القزويني المعتزلي .

وبالجلة فلا سبيل الوقوف على الضالة المنشودة الا بتتبع مطاوي الكتب وخبايا الاسفار ، وبمقدار رفع الهمة في ذلك بمقدار نور الأفكار ، قال العلامة العطار في حواشيه على شرح جمع الجوامع (١) من تأمل ماذكره من تصدى لتراجم الائمة الاعلام علم انهم كانوا مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية والاحكام الدينية لهم اطلاع عظيم عَلَى غيرها من العلوم واحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى في كتب المخالفين في العقائد والفروع يدل على ذلك النقل عنهم في كتبهم والتصدي لدفع شبههم واعجب من ذلك تجاوزهم الى النظر في كتب غير الاسلام (٢) « قال » فاني وقفت على مؤلف للقرافي (٣) رد فيه عَلَى اليهود شبهاً اوردوها عَلَى الملة الاسلامية لم يأت في الرد عليهم الا بنصوص التوراة وبقية الكتب السماوية حتى يظن الناظر في كتابه انه كان يحفظها عن ظهر قلب ثم هم مع ذلك ما اخلوا في تثقيف السنتهم وترقيق طباعهم من رقائق الاشعار ولطائف المحاضرات ، « ثم قال » ومن نظر فيما انتهى اليه الحال في زمن وقعنا فيه علم ان نسبتنا اليهم كنسبة عامة زمانهم فان قصارى امرنا النقل عنهم بدون ان نخترع شيئاً من عند انفسنا ، وليتنا وصلنا الى هذه المرتبة بل اقتصرنا عَلَى النظر في كتب محصورة الفها المتأخرون المستمدون من كلامهم نكررها طول العمر ولا تطمح نفوسنا الى النظر في غيرها حتى كأن العلم انحصر في هذه الكتب فلزم من ذلك انه اذا ورد علينا سؤال من غوامض علم الكلام تخلصنا عنه بأن هذا كلام الفلاسفة ولا ننظر فيه او مسألة اصولية قلنا لم نرها في جمع الجوامع فلا اصل لها او نكتة ادبية قلنا هذا من علوم اهل البطالة وهكذا فصار العذر اقبح من الذنب . واذا اجتمع جماعة منا في مجلس فالمخاطبات مخاطبات العامة والحديث حديثهم ؛ فاذا جرى في المجلس نكتة ادبية ربما لا نتفطن لها وان تفطنا لها بالغنا في انكارها والاغماض عن قائلها ان كان مساويا . وايذائه بشناعة القول ان

«١» صفحة ٢٢٥ جزء ٢

«٢» وقد قال السبكي في طبقاته في ترجمة كمال الدين ابن يونس شارح التنبيه — احد ائمة الشافعية — تبحر في جميع فنون العلم وتفرد بعلم الرياضي وكان اهل الذمة يقرؤون عليه التوراة والانجيل ويشرح لهما هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله ، وكان اثير الدين الابهري — مؤلف ايساغوجي — يفضل ابن يونس عَلَى الغزالي انظر ترجمته رحم الله الجميع

«٣» طبع

كان ادنى ونسبناه الى عدم الحشمة وقلة الادب ، واما اذا وقعت مسألة غامضة من اي علم كان عند ذلك تقوم القيامة وتكثر القالة ويتكدر المجلس وتمتلئ القلوب بالشحناء وتغمض العيون على القذى ، فالمرموق بنظر العامة الموسوم بما يسمى العلم اما ان يتستر بالسكوت حتى يقال ان الشيخ مستغرق او يهذو بما تمجه الاسماع ، وتنفر عنه الطباع ،

« وقالوا سكرنا بحب الآله وما اسكر القوم الا القصع »

فحالنا الآن كما قال ابن الجوزي في مجلس وعظه ببغداد

« مافي الديار اخو وجد نطارحه حديث نجد ولا خل نجاريه »

وهذه نفثة مصدور فنسأل الله السلامة واللطف اه كلام العطار وموضع الاستشهاد منه تأسفه عَلَى الاقتصار عَلَى مافي الايدي من الاسفار مع ان الدواء الناجع هو التنقيب عما خبأته ايدي السلف من جواهر العلم ونفائس الفوائد وبالله التوفيق

(اعراض المفتي عن المقلد الخصم)

المقلد هو الذي لايصل فهمه الى درك الدليل او لايريد ان يصل ، اقعدته الفطرة عن اللحاق باولي العلم ، اوقنع بالتخلف عن السباق مع ابطال النظر واقطاب الفهم ، فلما ماتت قوته النظرية كان قصاراه ان يقف مع قول مفتيه ، ويجرع من الكاس الذي يسقيه ، فاذا تحكك بالدليل ، واخذ يخوض مع الابطال في القال والقيل ، دل عَلَى تطفله ، وفضوله وتحوله وتعديه طوره ، ومجاوزته قدره ، فلهذا يجب الاعراض عنه ، وان تحجب مخدرات المناظرة منه ولما ابتلي الائمة قديما بالمقلدة الماحكين ، وضعوا لدرء جدلهم قوانين ، قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وارضاه في كتابه فيصل التفرقة (١) وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان اهلا له كان مستتبعا لا تابعا واماما لامأموما ، فان خاض المقلد في المحاجة فذلك منه فضول ، والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد ، وطالب اصلاح الفاسد « وهل يصلح العطار ما افسد الدهر اه وقال رضي الله عنه في « احياء علوم الدين » في الباب الرابع من ابواب العلم في مباحث المناظرة وتلبيس المناظرين ما مثاله : اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق لينتفع فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر

«١» مطبوع مرارا

مفيد ومؤثر هكذا كانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في مشاوراتهم « ثم قال » ويطلعك على هذا التلبيس ما اذكره، وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان (الى ان قال) الثالث ان يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم والائمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وانما يفتي فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وما يشكل عليه يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد اه

وقال رضي الله عنه ايضاً في كتاب آداب تلاوة القرآن في اسباب موانع الفهم الاربعة ما مثاله في الثاني (ثانيها) ان يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه ، فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك من غرور الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية : ان العلم حجاب : وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم انتهى

وما اجمل قول الجاحظ عليه الرحمة : (١) التقليد مرغوب عنه في حجة العقل منهي عنه في القرآن ، نصراؤه قد عكسوا الامور كما ترى ونقضوا العادات وذلك انا لا نشك ان من نظر وبحث وقابل ووزن احق بالتبين وأولى بالحجة انتهى

(ما على المفتي اذا عرف الحق)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الايمان . اتفق العلماء على انه اذا عرف الحق لا يجوز تقليد احد في خلافه وانما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال وان كان عاجزاً عن اظهار الحق الذي يعلمه فهذا يكون كمن عرف ان دين الاسلام حق وهو بين النصارى فاذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ بما عجز عنه

(١) من فصل للجاحظ مطبوع مع فصول له في الجزء الثاني من الكامل للمبرد

واما ان كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل مايقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤاخذ ان اخطأ كما في القبلة

واما ان قلد شخصاً دون نظايره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم ان معه الحق فهذا من اهل الجاهلية وان كان متبوعه مصيباً لم يكن عمله صالحاً وان كان متبوعه مخطئاً كان آثماً وهؤلاء من جنس مانع الزكاة ومن عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة فان ذلك لما احب المال حباً منعه عن عبادة الله وطاعته صار عبداً له وكذلك هؤلاء فيكون فيه شرك اصغر ولهم من الوعيد بحسب ذلك وفي الحديث «ان يسير الرياء شرك» اه كلامه عليه الرحمة

(تورع المفتي عن التضليل والتكفير)

مما يزين العالم كبر عقله وشدة رزانته وحصافة لبه ، ومما يشينه ويزري به طيشه وحمقه وخفته وتسرعه فتراه بذلك يهوي من حالق وان ناطح الجوزاء بعرفانه بحق او بغير حق

فيحفظ اللسان صيانة الانسان «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم»

قال حجة الاسلام الغزالي في «فيصل التفرقة» . اذا رأيت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه يخوض في التكفير والتضليل فاعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فان التحدي بالعلوم غريزة في الطبع لايصبر عنه الجهال ولاجله كثر الخلاف بين الناس ولو سكت من الايدي من لايدرى لقل الخلاف بين الخلق (١)

(وقال) رضي الله عنه ايضاً . واعلم انه لاتكفير في الفروع اصلا الا في مسألة واحدة وهي ان ينكر اصلاً دينيا علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر (ثم قال) ولو انكر ماثبت باخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر ولو انكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم اصول الفقه وانكر النظام كون الاجماع حجة اصلا فصار كون الاجماع حجة مختلفا فيه

« وقال ايضاً » ولايلزم كفر المأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من اهل الاسلام الا وهو مضطر اليه

« وقال ايضاً » كأن كل واحد لايرضى بما ذكره الخصم ولا يراه دليلاً قاطعاً وكيفما

---

(١) اقول هو بمعنى قول سقراط . لو سكت من لايعلم لسقط الاختلاف

كان فلا ينبغي ان يكفر كل فريق خصمه

وكتابه رضي الله عنه هذا فيصل التفرقة مما يهم كل نبيه مراجعته ومطالعته فلم يؤلف في موضوعه مثله

وقال الامام ابن حزم في الفصل [1] في الكلام فيمن يكفر ولا يكفر مامثاله : اختلف الناس في هذا الباب الى ان قال وذهبت طائفة الى انه لايكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال ان اصاب الحق فاجران وان اخطأ فاجر واحد وهذا قول ابن ابي ليلى وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جميعهم وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم « الى ان قال » والحق هو ان كل من ثبت له عقد الاسلام فانه لايزول عنه الا بنص او اجماع . واما بالدعوى والافتراء فلا « الى ان قال » واما من كثر الناس بما تؤول اليه اقوالهم فخطأ لانه كذب على الخصم وتقويل له مالم يقل به وان لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفراً

وتتمة البحث من نفائس العلم فليرجع اليها

(اتقاء المفتي التسرع في دعوى الاجماع)

كثيراً مايمر بمطالع كتب الفقه دعوى الاجماع في بعض المسائل او النوازل ــــ ولا سند له الا عدم العلم بالمخالف فيأتي سير التقليد فينقله على اعتقاد انه مجمع عليه مع ان الواجب عليه اما التنقيب جهده في سائر بطون الكتب الفروعية واسفار الخلاف حتى يسقط على الحقيقة في دعوى الاجماع او يحذف كلمة الاجماع من نقله وعزوه فقد ظهر فيما يحصى من المسائل المدعى فيها الاجماع ان وراءها خلافاً في مذاهب اخرى بل في كتب منتشرة قد لاتخلو خزانة عالم منها ، وما الطف قول شمس الدين الاصفهاني — من كبار ائمة الشافعية — في شرح المحصول . الحق تعذر الاطلاع على الاجماع الا اجماع الصحابة حيث كان المجمعون وهم العلماء منهم في قلة واما الآن وبعد انتشار الاسلام وكثرة العلماء فلا مطمع العلم به « قال » وهو اختيار « الامام » احمد مع قرب عهده من الصحابة وقوة حفظه وشدة اطلاعه على الامور النقلية « قال » والمنصف

(١) جزء ٣ ص ٢٤٧

يعلم انه لاخبر له من الاجماع الا مايجده مكتوبا في الكتب ومن البين انه لايحصل الاطلاع عليه الا بالسماع منهم او بنقل اهل التواتر الينا ولا سبيل الى ذلك الا في عصر الصحابة واما من بعدهم فلا انتهى كلام الاصفهاني

ووجه الانتقاد والتورع في دعوى الاجماع في بعض الاحكام هو ان الاجماع — على ما عرفه الاصوليون — اجتماع علماء المسلمين على حكم من الاحكام : ولذا قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية : واما اقوال بعض الائمة كالفقهاء الاربعة وغيرهم فليس حجة لازمة ولا اجماعا باتفاق المسلمين بل قد ثبت عنهم رضي الله عنهم انهم نهوا الناس عن تقليدهم وامروهم اذا رأوا قولا في الكتاب او السنة اقوى من قولهم ان يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويدعوا اقوالهم ولهذا كان الاكابر من اتباع الائمة الاربعة لايزالون اذا ظهر لهم دلالة الكتاب والسنة على مايخالف قول متبوعهم اتبعوا ذلك انتهى وفي معالم الاصول . اذا افتى جماعة ولم يعلم لهم مخالف فليس اجماعا قطعاً اذ لايعلم ان الباقين موافقون ولا يكفي عدم علم خلافهم فان الاجماع هو الوفاق لا عدم علم الخلاف انتهى

وقال حجة الاسلام الغزالي في كتابه « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » واما ما يستند الى الاجماع فدرك ذلك من اغمض الاشياء اذ شرطه ان يجتمع اهل الحل والعقد في صعيد واحد على امر واحد اتفاقاً بلفظ صريح ثم يستمروا عليه مرة عند قوم والى انقراض العصر عند قوم ومن هذا علم حد الاجماع (وقال ايضاً) وانما يعرف ذلك — مواضع الاجماع — من مطالعة الكتب المصنفة في الاختلاف والاجماع للسلف ثم لايحصل العلم في ذلك بمطالعة تصنيف ولا تصنيفين اذ لايحصل تواتر الاجماع به (قال) وقد صنف ابو بكر الفارسي رحمه الله كتابا في مسائل الاجماع وانكر عليه كثير منه وخولف في بعض تلك المسائل (قال) فاذن من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل مخطئ وليس بمكذب فلا يمكن تكفيره والاستقلال بمعرفة التحقيق في هذا ليس بيسير انتهى كلام حجة الاسلام نفعنا المولى بعلومه

(المفتي والعالم بازاء من ينبزه بالالقاب)

ان العالم لما اخذ الله عليه الصدع بالحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان لايخاف في الله لومة لائم كان مرضاً من اعداء انفسهم وعبيد اهوائهم للشنآن والنبز بالالقاب فتراهم ان وجدوه يميل للنظر في الادلة على الاحكام والوقوف على مآخذ المذاهب

والاقوال وتحري الاقوم والاصلح بدون تعصب لامام ولا تحزب لآخر نبزوه بالاجتهاد وسموه (مجتهداً) تهكماً مع انه بذ ذلك لم يقم الا بواجبه ، وان ابصروا ميله لعلوم الحكمة والرياضيات وتشوقه لاقتطاف ثمارها سموه (طبيعياً) وان رأوا حثه على البذل والانفاق في سبيل الله ودعواه الموسرين للعطف على البؤساء لقبوه (اشتراكياً) وان سمعوه يتكلم في الزيارة المشروعة وينهى عما حدث فيها او يتكلم على انواع الشرك المقرورة في السنة او يزجر عن الغلو في الصالحين دعوه (وهابياً)[1] الى غير ذلك من افانين اقوالهم ونبزهم بالالقاب لكل من لا يماشيهم على ميولهم ولا يسايرهم على اهوائهم . ولهم في كل عصر تلقيب جديد ونبز مبتدع

العالم الحكيم لا يأبه لهذه الالقاب اذا صدع بالحق ولا تحزنه بل يعيرها اذناً صماً لانه يجري على ما يوجبه دينه ، ويفرضه عليه يقينه ، وهو ما يرضي ربه وخالقه تعالى فان رضاء الناس غاية لا تدرك وانى للعاقل ارضاء اهواء متباينة ومنازع متناقضة

ما الذ الالقاب التي تتنوع على المصلح وهو ساع الى خير قومه وما اوجب الترحيب بها والابتسام لها فان امامه من الانبياء ووارثيهم ما يعزيه ويسليه وكفى بهم اسوة وما اصدق قول ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم : انه لم يأت احد بمثل ما جئت به الا عودي : رواه البخاري

الثبات على تحمل المشاق والصبر الجميل من الواجبات المحتمة على كل داع الى حق والصدمات التي يجدها البطل المقدام يجب ان تقابل بثبات الجأش وان تكون كلما تجددت باعثة على تجدد القوى ومواصلة العمل والسير ولذلك قرن تعالى في كتابه الحكيم التواصي بالحق بالتواصي بالصبر وصدق الله العظيم

(خوض بعض المفتين في التلفيق)

مسألة التلفيق من غرائب المسائل المحدثة المفرعة على القول بلزوم التمذهب للعامي وهو قول لا يعرفه السلف ولا ائمة الخلف وقد اتفقت كلمتهم على ان العامي لا مذهب له ومذهبه مذهب مفتيه .

---

(١) الوهابية طائفة مقلدة للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ولاصحابه وحاملي فقهه في الاصول والفروع وقد بسط الكلام في شرح احوالهم العلامة الجبرتي مفتي مصر في تاريخه وهو متداول ومطبوع مراراً

ترى الفقيه من القرون المتأخرة لو سئل عن رجل مسح بعض رأسه اقل من ربعه في وضوئه ثم خرج منه دم وصلى يجيبك بان صلاته باطلة لان عبادته ملفقة من مذهبين تخرج منها قول لايقول به احد هذا قصارى جوابه في فتواه ومبلغ علمه على دعواه مع انه لو فرض انها حدثت في القرون الأولى وسئل عنها مفت سلفي لكان نظره في صحتها او فسادها الى الدليل المبيح لها او الحاظر ولا يمكن ان يتصور ان يقول له : عملك هذا ملفق او هذا تلفيق وانما يأمره بالفعل او بالترك استدلالا او استنباطا فحسب ، ولذلك لم يسمع لفظ التلفيق في كتب الائمة لا في موطآتهم ولا في امهاتهم بل ولا في كتب اصحابهم ولا اصحاب اصحابهم ولا يبعد ان يكون حدوث البحث في التلفيق في القرن الخامس ايام اشتد التعصب والتحزب ودخلت السياسة في التمذهب ، واضطر الفقهاء للاعتياش والارتياش الى التشدد في ذلك والتصلب ، فمسألة التلفيق اذن من مسائل الفروع ولا دخل لها في الاصول فأن مسائل الاصول هي مباحثه التي يستمد منها معرفة الاستنباط والاستنتاج مما لاجله سمي الاصول اصولا فمن اين ان يعد منها التلفيق الذي لم يخطر على بال احد في القرون الاولى ولا سمع به ،

اتسع امر التأليف في القرون المتأخرة وادخل في كل فن ماليس منه بل امتلأ مثل الفقه من الفرضيات أضعاف اضعاف الواقعيات فلو وازنت بين اسلوب المتقدم والمتأخر في اي فن لدهشت من تباينهما عجبا فكانت كتب المتقدمين لاتخرج عن موضوع الفن قيد شبر حتى استفحل الأمر في التأليف وجرى من جرائه مانعاه غيرواحد من الحكماء وقد الم بشيء من ذلك القاضي ابن خلدون في مقدمة تاريخه

والمقام لايتسع لبسط هذا البحث الذي تتجاذبه امور عديدة لمعرفة منشأه من اختلاف السياسة ودخول عوائد الامة الغالبة على المغلوبة قسراً وتبدل المناحي والمطالب في تلقي العلم والتوسل لنيله فاختلط جيد الكتب بغيره وتبدلت العادات بغيرها وصارت المراتب والمناصب وقفاً على هذا السبيل لاتنال بغيره فتبعها ضرورة امر التأليف يجري على سننها ومناهجها وصار التمذهب اصلا راسخاً وتعددت لاجله الفرق الاسلامية كل يدعو لامام ورائده السياسة والسيادة نشأ مانشأ وتولد ماتولد بما لاعهد للسلف به بل بينه وبين سيرهم الاول بعد المشرقين يعرف ذلك كله من دقق في فلسفة التاريخ واستقرأ قواعد الفاتحين واصول الدول واستكنه رجالها وحالة العصر والمصر في كل مملكة وجيل وقد بسطناه في مقالة خاصة والقصد ان التلفيق الذي يبحث عنه المتأخرون

ينبغي للمفتي اذا استفتي عن مسألة منه ان ينظر الى مأخذها من الكتاب او السنة او مدركها المعقول منها واما تسرع، الى القول بالتلفيق بطلاناً او قبولاً فعدول عن مهيع السلف على ان مايسمونه بعد تلفيقا بقطع النظر عما ذكرنا في شأنه ربما رجع الى نوع الرخص التي يحب الله ان تؤتى وللشيخ مرعي الحنبلي — احد فقهاء الحنابلة المشاهير — رسالة في جواز التلفيق للعوام وهي رسالة نفيسة قال : لان العلماء نصوا على ان العامة ليس لهم مذهب معين (قال) وقد قال غير واحد لايلزم العامي ان يتمذهب بمذهب معين كما لم يلزم في عصر اوائل الامة (قال) والذي اذهب اليه واختاره القول بجواز التقليد في التلفيق لابقصد تتبع ذلك بل من حيث وقع ذلك اتفاقا خصوصاً من العوام الذين لايسعهم غير ذلك (الى ان قال) ولا يسع الناس غير هذا و يؤيده انه في عصر الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم مع كثرة مذاهبهم وتباينهم لم ينقل عن احد منهم انه قال لمن استفتاه الواجب عليك ان تراعي احكام مذهب من قلدته لئلا تلفق في عباداتك بين مذهبين فاكثر بل كل من سئل منهم عن مسألة افتى السائل بما يراه مجيزاً له العمل من غير تحص ولا تفصيل ولو كان ذلك لازما لما اهملوه خصوصاً مع كثرة تباين اقوالهم انتهى

وقال العلامة الدسوقي — من فقهاء المالكية في مصر — في حواشيه على شرح خليل في بحث الفتوى من خطبة الكتاب ما مثاله وفي كتاب الشبرخيتي امتناع التلفيق والذي سمعناه من شيخنا نقلا عن شيخه الصغير وغيره ان الصحيح جوازه وهو فسحة (قال الدسوقي) و بالجملة ففي التلفيق في العبادة الواحدة من مذهبين طريقتان المنع وهو طريقة المصاروة والجواز وهو طريقة المغاربة ورجحت انتهى

وقال ابن الهمام في فتح القدير في كتاب ادب القاضي : المقلد له ان يقلد اي مجتهد شاء « ثم قال » : وانا لا ادري ما يمنع هذا « اي تتبع الرخص واخذ العامي في كل مسألة بقول مجتهد اخف عليه » من النقل او العقل ، وكون الانسان يتبع ما هو اخف على نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد ما علمت من الشرع ذمه عليه وكان صلى الله عليه وسلم يحب ما خفف عن امته انتهى

نقول هذا اقناعاً لمن يهوله امر التلفيق و يزعم ان الحكم بجوازه شيء نكر مع ان امامه من الافاضل ممن نكبرهم من قال بجوازه لابل من صححه ورجحه أما نحن فانا نرى الرجوع في مسائله الى سنة السلف والائمة في مثلها كما اوضحناه و بالله التوفيق

(ما يعمل المفتي اذا فحص اقوال الائمة)

ذكر ابو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب القضاة الذين ولوا قضاء مصر في تولية قضاء مصر لابراهيم بن الجراح سنة ٢٠٤ ما مثاله : عن عمر بن خالد قال : ماصحبت احدا من القضاة كابراهيم بن الجراح كنت اذا اعملت له المحضر قرأه، عليه اقام عنده ماشاء الله ان يقيم ويرى فيه رأيه فاذا اراد ان يقضي به دفعه لي لانشيء منه سجلا فاجد في ظهره قال ابو حنيفة كذا وفي سطر قال ابن ليلى كذا وفي سطر آخر قال ابو يوسف كذا وقال مالك كذا ثم اجد على سطر منها علامة له كالخطة فاعلم ان اختياره وقع على ذلك القول فانشيء السجل عليه انتهى وهكذا حق المفتي ان ينظر في الواقعة الى اقوال الائمة ويفحصها وينعم النظر حتى اذا استبان له قوة احدها توكل على الله تعالى وافتى به والائمة باجمعهم لم يغادروا في النوازل بذل الوسع حتى اجتمع من اقوالهم الكثير الطيب ووجد فيها الامثل فالامثل واعني بالنوازل ما تجدد على عهدهم واما المأثور فما كان عن الصحب رضوان الله عنهم فكذلك يتخير فيه الامثل وما كان عن الحضرة النبوية فهناك فصل الخطاب والله الموفق

(تتمة الآداب في هذا الباب)

نختم هذا البحث الجليل بما جاء في الاقناع وشرحه [١] في كتاب القضاء والفتيا مما لم نذكره قبل وعبارته مع شرحه

يحرم الحكم والفتيا بقول او وجه من غير نظر في الترجيح اجماعا [٢]

ويجب ان يعمل بموجب اعتقاده فيما له وعليه اجماعا قاله الشيخ [٣]

وينبغي ان يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم حذراً مما يصورونه في سوءالاتهم لئلا يوقعوه في المكروه

ويحرم تساهل مفت وتقليد معروف به (قال الشيخ): لايجوز استفتاء الا من يفتي بعلم او عدل :

---

(١) هو من اهم كتب الفروع عند الحنابلة ولا يستغني عنه مفت ولا قاض لسبره من الفروع ما لا يوجد في غيره جزى الله طابعه، وواقفه خيراً

(٢) تقدم لنا هذا واعدناه تذكراً به لكثرة التساهل فيه

(٣) يعني به شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

و يلزم المفتي تكرير النظر عند تكرار الواقعة وان حدث مالا قول فيه تكلم فيه حاكم ومجتهد ومفت

وينبغي للمفتي ان يشاور من عنده ممن يثق بعلمه الا ان يكون في ذلك افشاء سر السائل او تعريضه للاذى او مفسدة لبعض الحاضرين فيخفيه ازالة لذلك

ولا يلزم جواب مالا يحتمله السائل لقول علي — كما في البخاري — حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وفي مقدمة مسلم عن ابن مسعود : ما انت بمحدث قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم

ولا يلزم جواب مالا نفع فيه لخبر احمد عن ابن عباس انه قال عن الصحابة : ما كانوا يسألون الا عما ينفعهم

وللمفتي قبول هدية لكن لا ليفتيه بما يريده مما لا يفتي به غيره والا حرم قبولها

وللمفتي رد الفتيا ان خاف غائلتها او كان في البلد من يقوم مقامه في الفتيا والا لم يجز له ردها لتعينها عليه (والتعليم كذلك)

ومن قوي عنده مذهب غير امامه لظهور الدليل معه افتى به واعلم السائل

ويجوز للمفتي العدول عن جواب المسؤل عنه الى ماهو انفع للسائل

وللمفتي ان يدله على عوض ما منعه عنه وان ينبهه على ما يجب الاحتراز عنه لان ذلك من قبيل الهداية لدفع المضار

واذا كان الحكم مستغرباً وطأ قبله ماهو كالمقدمة له

وله الحلف على ثبوت الحكم احياناً لآية « قل اي وربي انه لحق » وآية « فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » والسنة بذلك كثيرة

وله ان يكتفي مع جواب من تقدمه بالفتيا اذا علم صواب جوابه فيقول : جوابي كذلك والجواب صحيح وبه اقول :

واذا سئل المفتي عن شرط واقف لم يفت بالزام العمل به حتى يعلم هل الشرط معمول به في الشرع او من الشروط التي لاتحل مثل ان يشترط ان يصلي الصلوات في التربة المدفون بها الواقف و يدع المسجد او يشعل بها قنديلا او سرجاً لان ذلك محرم كما تقدم (لصاحب الاقناع) في الجنائز [1]

---

(١) في كتاب تيسير الوقوف على غوامض احكام الوقوف للامام المناوي في الفصل الثالث في الحادثات والواقعات من الكتاب الثاني قال (حادثة) بالشام في القرن السابع

ولا يجوز اطلاقه في الفتيا في اسم مشترك اجماعاً بل عليه التفصيل في الجواب ، فلو سئل المفتي هل له الاكل في رمضان بعد طلوع الفجر فلا بد ان يقول : يجوز بعد الفجر الأول لا الثاني . وارسل الامام ابو حنيفة الى ابي يوسف يسأله عمن دفع ثوباً الى قصار فقصره وجحده هل له اجرة ان عاد وسلمه الى ربه وقال ابو حنيفة ان قال ابو يوسف نعم اولا اخطأ فقطن ابو يوسف وقال ان قصره قبل جحوده فله الاجرة لانه قصره لربه وان قصره بعد جحوده لا اجرة له لانه قصره لنفسه . (وسأل) ابو الطيب الطبري قوماً من اصحابه عن بيع رطل تمر برطل تمر فقالوا يجوز فخطأهم فقالوا لا فخطأهم فقال : ان تساويا كيلا جاز : فهذا يوضح خطأهم المطلق في كل ما يحتمل التفصيل

ولا يجوز للمفتي ولا لغيره تتبع الحيل المحرمة والمكروهة ولا تتبع الرخص لمن اراد نفعه فان تتبع ذلك فسق وحرم استفتاؤه ، وان حسن قصد المفتي في حيلة جائزة لاشبهة فيها ولا مفسدة لتخلص المستفتي بها من حرج جاز

وللمستفتي العمل بخط المفتي وان لم يسمع الفتوى من لفظه اذا عرف انه خطه وحقيق بالمفتي ان يكثر من هذا الدعاء النبوي « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل

وهو ان شخصاً وقف وشرط على المؤذن ان يقوم بالتسبيح اواخر الليل على العادة (فاجاب) ابن تيمية وتبعه بعضهم بان ذلك بدعة مكروهة باتفاق المسلمين وما كان مكروهاً لم يكن لاحد ان يأمر به ولا يعلق استحقاق الرزق به ولا يلزم فعله وان شرطه الواقف اهـ بحروفه وما الطف ما لخصه الامام ابن القيم في اعلام الموقعين في شروط الواقفين بقوله بعد مقدمات : وبالجملة فشروط الواقفين اربعة اقسام شروط محرمة في الشرع وشروط مكروهة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشروط تتضمن ترك ما هو احب الى الله تعالى ورسوله وشروط تتضمن فعل ما هو احب الى الله تعالى ورسوله ، فالاقسام الثلاثة الاول لاحرمة لها ولا اعتبار والقسم الرابع هو الشرط المتبع الواجب الاعتبار وبالله التوفيق ، وقد ابطل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الشروط — الثلاثة — كلها بقوله : من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وما رده رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجز لاحد اعتباره ولا الزامه وتنفيذه ، ومن تفطن لتفاصيل هذه الجملة التي هي من لوازم الايمان تخلص بها من آصار واغلال في الدنيا واثم وعقوبة ونقص ثواب في الآخرة وبالله التوفيق : وذكر قبل ان قولهم : شرط الواقف كنص الشارع : ليس على اطلاقه وان لم يتنزل على هذا التفصيل فارجع الى تفصيله في الجزء الثالث من اعلام الموقعين

فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »

هذا ما يسر المولى بفضله جمعه من عدة مصنفات ، كما يظهر في العزو اليها في الاصل او التعليقات ، والمقام جدير بالعناية ، لذوي الدراية ، والله ولي الهداية ،

دمشق : جمال الدين القاسمي

اوغست كونت وفلسفته (١)

« تمهيد »

نبغ في فرنسا بعد نقض الاوضاع القديمة كثيرون من المفكرين الذين بحثوا في نظريات الاجتماع وفي طليعة هؤلاء النابغين الفيلسوف اغست كونت . وقد اختلف الباحثون في مذهبه على مركزه الفلسفي فوضعه قوم بين دمتر وفوريه وقالوا بوحدة آرائهم مع اعترافهم لكونت برجاحة العقل وتوفر المكتسبات الفنية وجعله آخرون بين هيوم ولانج وامثالها فأخطأ الفريقان مركزه وغرّ الاولين ما رأوه بين الطرق التي انتهجها الفلاسفة الثلاثة الى مقاصدهم من التشابه فشغلهم ذلك عن النظر في ضعف الرابطة بين مرامي كونت الباحث في تجديد شروط الاتحاد الاجتماعي ومرامي دمتر وفوريه وانفرد كونت عمن سواه بمبدأه المشهور ان النظام الاجتماعي لا يمكن تغييره الا اذا جعلت التصورات النظرية في الهيئات الاجتماعية خاضعة لتأثير الفن وادمجت في ما سواها من المستنبطات البشرية وهذه الخاصة تفسح لكونت مجالاً بين فلاسفة الاجتماع الناشئين في القرن الثامن عشر وتربطه بتورغوي ومونتسكيو وقوندورسه الذي كان كونت يدعوه بابيه الفلسفي وهو تصريح يكفي لاثبات ما نقول

يصعب علينا ان نلخص في هذه الصفحات فلسفة كونت المودعة في ستة مجلدات ضخمة ولا سيما ان كتاب الغرب الذين اجالوا اقلامهم في الموضوع كستوارت ميل وغيره ممن درسوا فلسفة كونت عن كثب والفوا في انتقادها لم يوضحوا مذهبه ايضاحاً

(١) معربة عن التركية

يزيل اللبس والايهام ويوقف المطالع عَلَى حقائقه. ولم يكن بين من كتبوا في هذا المبحث من اوضح لنا كيف اقتبس كونت فلسفته من الرياضيات وما الذي دعاه الى تقسيم المعلومات البشرية الى ستة فروع كبرى وكيف بدأت فلسفته بفكر رياضي فانتهت بفكر اجتماعي .

ولا يتسنى لنا ان نفهم حقيقة هذا الفيلسوف الا اذا درسنا ترجمته فنحن بادئون بها وصائرون الى مذهبه الفلسفي

ترجمته

هو ايزيدور — اغست — ماري — فرانسوا قزاويه كونت (Conte) ولد في قصبة مون بيليه سنة ١٧٩٨ وكان والده يجبي الخراج في القصبة المذكورة وبعد ان اتم التحصيل الابتدائي في مدرستها دخل دار الفنون في باريس فامتاز فيها بعصيانه للقوة الرسمية الحاكمة واحترامه الشديد للكمال الخلقي والفكري وثباته الراسخ في توخي غايته ولم يطل مكثه فيها سوى سنتين رأس بعدها احتجاجاً عَلَى احد اساتذتها آل الى اخراجه من المدرسة فعاد الى موطنه حتى كانت سنة ١٨١٦ فأمّ باريس غير مكترث باعتراض والديه الشديد واقام فيها يحصل قوته بالقاء دروس خاصة في الرياضيات وجعل همه تحدي بنيامين فرانكلين الذي كان يدعوه سقراط زمانه في معيشته عَلَى انه امتاز عن جميع الفلاسفة بصلابة العزم والثبات عَلَى مبدأه فلم تلوه عنه حياة تبكي تعاسة وشقاء

وضاق به العيش في باريس فحدثته النفس بالهجرة الى اميركا وكان عَلَى وشك ان يؤمها لولا صديق ثنى عزمه عن المهاجرة بجملة اوردها في عرض حديث تجاذبا اطرافه عن « الفكر العملي » في العالم الجديد فقال له صديقه ان لا كرنج (رياضي فرنساوي شهير) لو ذهب الى اميركا لم يجد عملاً يقوم بأوده سوى مسح الارضين . فعدل كونت عن السفر واقام في باريس يعالج الحياة المرة ويتبلغ بثمانين ليرة يتقاضاها راتباً سنوياً من احدى المدارس التي انتدبته لتعليم الرياضيات حتى سعى له اصدقاؤه بوظيفة تدريس في دار المسيو كازيمير بريه المشهور فدخلها ووجد هناك اسباب الراحة والهناء غير ان المعيشة لم ترقه لحنينه الى الحرية التي اضاعها فلم يستقر به المقام اكثر من ثلاثة اسابيع ودع بعدها مضيفيه وعاد الى حاجته السابقة وقناعته الفطرية وقد يكون الفقر في الشبيبة داعية الشر الا اذا كان الشاب الفقير متعلماً فتساعده الحاجة حينئذ

على ان يكون اميل الى الحقيقة منه الى الخيال

وسنة ١٨١٨ اتصل كونت بهنري دوسان سيمون ابن اخت الدوق دي سان سيمون المشهور وكان في عهده من كبار كتاب المذكرات السياسية فكان لهذا الاتصال تأثير شديد في نظريات كونت الفلسفية

كان سان سيمون يوم لزمه كونت في الستين من عمره ولم يكن ذا شهرة طائرة غير ان غرابة حياته واحواله الاجتماعية وافكاره السياسية تستوقف الانظار فقد قضى الرجل عمره ساعياً بماله من الملكة العقلية الرائعة لتطبيق خيالاته على حقائق الاشياء والتربية الفنية لم يكن لها اقل اثر في هذا الرجل لانه لم ينشأ عليها ولا شعر بلزومها على انه كان خبيراً بالاتحاد الاجتماعي وله في السياسة المثبتة وترقي البشر كثير من الافكار الخطيرة ولكنه لم يبنها على محاكمة منطقية بل هي اشبه بتخيلات الشعراء

هذا الفيلسوف القديم سحر كونت فلم يستطع ان يفكر في حقيقته الا بعد ان فارقه حتى انه لقبه بالمحترق في حديث له بعد ان انقطعت اواصر ودهما ولم يستطع الا ان يعترف بنفوذه عليه وتأثيره في تربيته الفلسفية واشتدت وطأة التأثير على كونت حتى ناله بها وهدأ نفسه يوم مغادرته سيمون بخلع هذا النير عن عاتقه ·

وتعرف ما كان للفيلسوف الشيخ من اليد عند كونت من كتاب بعث به الاخير الى صديق له يقول فيه : ان سيمون اراني الخطة الفلسفية التي اسلكها فانا مطرد السير فيها كل عمري غير ملتفت الى ورائي وهذا الاعتراف الصريح لا يحط من قدر كونت ولا يناقض ارجحيته العقلية وتفوقه بدرجات على صديقه الشيخ ولا ينقص من قدره انه اخذ كثيراً من افكاره التي اقام عليها بناءه الفلسفي من افكار سيمون المضطربة وخلاصة القول انه لا يصح ان نعد كونت تلميذاً لسان سيمون ولا مقلداً له وكل ما في الامر ان الشيخ اوقف صديقه الشاب على نقطتين مهمتين كان لهما الشأن الاكبر في فلسفة الاخير اولاهما ان الحوادث السياسية هي كالحوادث الطبيعية يمكن جمعها وربطها بقوانين مقررة وثانيتهما ان غرض الفلسفة الاصلي البحث في القضايا الاجتماعية فتناول كونت هذا المبدأ وتوسع في بسطه وشرحه توسعاً لم يخطر للشيخ في بال

دامت صحبة الرجلين ست سنوات ثم بدأت بالانحلال لما اوقر كونت من سلطة سيمون الثقيلة وما دخل على نفس الشيخ من القهر والحسد لما رأى ميزة الشاب عليه بمداركه ومواهبه وحدثت ثمت حادثة قطعت العلائق التي رثت ووهت وملخصها ان سان سيمون

نشر كتاباً في الاجتماع انتحل فيه معظم افكار كونت لنفسه فغضب الاخير وعاتب صديقه عتاباً مرّاً ولم يكن سبيل للتوفيق بين الرجلين فكان فراقهما ابدياً

وتزوج كونت سنة ١٨٢٥ فزاد ذلك في اسباب تعاسته وشقائه لان أسرته وهي شديدة التعصب للملكية والكاثوليكية اغضبها زواجه المدني فاقلقته باحتجاجها الا ان ذلك لم يمنعها من الاحتفاء بزوجته وشخص العروسان الى مونپيليه فأقاما فيها هنيهة سئمت الزوجة فيها عيشة القرية ذات النسق الواحد وبدأ نزاع انتهى بفراق الزوجين كما سيجيء وقد كتب كونت الى صديق مخلص في السنة الاولى بعد زواجه يقول : «ان الاحزان اغرقتني والمواجس استحوذت عليَّ فاضطررت ان افادي من سعادتي بجزء اذا لم يكن اعظم اجزائها فهو الذها واحلاها»

اثارت الافكار السامية في هذه البيئة الرديئة يحرك في النفوس مواضع الدهشة والاعجاب ويحملها على احترام الفيلسوف الذي كان يقوم على تنشئتها والخطوب المتوالية تفسد نظام حياته وكان الفشل حليفه في كل اعماله فاخفق في ايجاد تلامذة يتلقون افكاره وآراءه ولم يجبه سوى شخص اضجرته الوحدة فودع استاذه غير آسف

وفي هذه الاثناء اخذت افكار الفيلسوف بالتكامل وشرع بنشر مقالات في جريدة المنتج (لوپرودكتور) كان يتقاضى عنها بعض الدريهمات ولما أيس من بث افكاره بواسطة تلاميذه عمد الى القاء محاضرات واعلن عن المحاضرة الاولى سنة ١٨٢٦ راجياً ان يصيب بذلك شهرة وان يفوز بنفع مادي يستعين به على حاجته وفقره وشجعه احد اصدقائه على ذلك بقوله «ان كثيرين يبحثون في آرائك وافكارك غير ذاكرين بشيء فاعلن انك انت صاحبها» فعمل فيلسوفنا بنصيحته وسمع المحاضرة الاولى رجال من جلة علماء فرنسا ونخبة ادبائها

وما كاد طالع السعادة يبسم لكونت ويتحدث الناس باسمه وفضله حتى داهمته الكوارث فمني بنزيف دماغي عقيب المحاضرة الثالثة لأن ثورة افكاره انعقدت بتأثره لشقائه العائلي فأصيب بمرض عضال عاناه سنة فلما اخذ بالنقه من مرضه فكر فيما آلت اليه حاله وابصر التعاسة آخذة بسبله فيئس من الحياة وعول على الانتحار غرقاً في نهر السين ثم عدل عن الانتحار وبدأ يسترجع قواه العقلية والجسدية

وفي هذا الدور التعس عقد لكونت عقد ديني ايضاً غير ان ذلك لم يمح شيئاً من الاختلال بينه وكان المرض قد اثر فيه تأثيراً شديداً فظهرت عليه امارات الجنون فقام الفلاسفة

من معارضي كونت يقبحون طريقته ويتخذون هذه الحادثة حجة على سخف رأيه وفساد تعليمه ويقولون ليس من العقل في شيء ان يتبع الانسان مذهب مجنون وهذا تحامل مجرد يقصد منه تضييع تأثيره فقد أصيب نيوتن قبله بمرض دماغي فلم ينقص ذلك شيئاً من حرمته والاعجاب بكتابه المسمى (پرنسيب) الذي وضعه عقيب ذلك المرض

وبعد ان استجم كونت قواه عاد سنة ١٨٢٨ الى القاء المحاضرات ونشر المجلد الاول في دروس الفلسفة الموجبة سنة ١٨٣٠ بعد تعب كثير وعمل طويل بدأ سنة ١٨٢٦ ولم يكن عمله في المجلدات الخمسة التي تلته اقل عناء فانه لم يتمكن من نشر المجلد السادس الا سنة ١٨٤٢

كانت الاثنتا عشرة سنة التي قضاها الفيلسوف في التأليف سني خير وبركة عليه ذاق في خلالها السعادة المادية لانه دعي في سنة ١٨٣٨ الى امتحان الطلبة الذين يتوافدون من كل صوب الى كلية باريس وانتدبته مدرستان كبيرتان لتعليم الرياضيات فأصبح دخله السنوي اربعمائة ليرة ولما كان عهد لويس فيليب دعاه المسيو كيزويه رئيس الوزارة ليدرس تاريخ الفنون وقال له « إذا كان هناك اربع كراسي لتدريس تاريخ الفلسفة وجب علينا ان نخصص كرسياً على الاقل لظهور العلوم المثبتة وارتقائها » فدل الوزير بذلك على ميله للفلسفة الحسية ولولا اشتغاله بما فوق الطبيعة ايضاً لتقدمت في عهده تقدماً باهراً

وفي كتاب ارسله كونت الى زوجته مايدل على رقة قلبه وسمو عواطفه فقد قال لها في ذلك الكتاب « لا اود ان اصف لك هنا الحبور الذي تفيض نفسي به لما أرى الشاب فاز في امتحانه وقرب من آماله الذهبية انت تضحكين من ذلك ولكنني لا اتمالك من ان اذرف دموعي »

وكان كونت يفكر دائماً في سعادة الآخرين ويسعى الى منفعتهم بكل سبيل وهذا الاهتمام الدائم حمله على القاء الخطب والتدريس في المجتمعات العامة من سنة ١٨٣١ — ١٨٤٨ على ما كان يعترضه من الموانع ,وفي هذه السنة حدثت ثورة في باريس اظهر فيها كونت عطفه على المجتمع فقد كان يفضل السجن على الدخول في الفرق الوطنية التي ألفت يومئذ ومع انه لم يدع الناس لحمل السلاح على الملكية فانه لم يقسم لها يمين الاخلاص

ولم يكن كونت يتأثر من مشاهدة الروايات مع انه كان كثيراً ما ينتاب الملاعب فالفجعات (تراجيدي) في نظره ظواهر مصنعة ليس فيها من الحقيقة الا ظل لطيف

فقل اكتراثه بها وبماسواها القصص المضحكة (كوميدي)

وقد كتب احد تلامذته عن احواله وصفاته الشخصية ما يأتي :

دقت ساعة لوكسنبورغ الثامنة وكان صدى صوتها لا يزال يرن في الآذان حين فتح باب الغرفة ودخل رجل قصير القامة ممتلئ الجسم نظيف الثياب ملتح بممن في قص شواربه حتى لم يبق لها ظل وكان يكتفي الاثواب السوداء ويتأنق في لبسه فكلما رأيته خلته مدعواً الى وليمة وكانت عقدة رقبته لامعة كأن المكواة مرت عليها حديثاً فاقترب الرجل من اريكته المعدة له وراء المنضدة ووضع علبة السعوط أمامه وبعد ان استمد مرتين ومر القلم على الصحيفة ليرى ملئه شرع بكتابة الدرس بادئاً فيه بقوله : كنا قلنا انه في مثلث غير معين كالمثلث اب ج الخ .

ودام درسه ثلاثة ارباع الساعة والطلبة يدونون الموضوعات المهمة في مذكراتهم ليتمكنوا من مراجعتها على حدة ثم سحب من جيبه دفتراً آخر فاعاد تلاوة الدرس السابق وظل حتى الساعة التاسعة فتناول حقته ونفض ما على معطفه من السعوط وكانت يده في جيب عطفه وفتح الباب وخرج بسكينة تامة .

قلنا آنفاً انه نشر المجلد الاخير من فلسفته الموجبة سنة ١٨٤٢ وبينا المرء يتخيل عظم المكافأة التي يجب اسداؤها لهذا الفيلسوف على اثني عشرة سنة صرفها في الجهد والتعب المضنك يجد ان جزاءه كان تزايد المشكلات والخطوب التي تضيق الصدر وتضغط على الفكر ففي تلك السنة تفاقم الشقاق بينه وبين زوجته فأدى الأمر الى انفصالها بعد ان خصص لها مائتي ليرة راتباً سنوياً ونرى من العبث البحث في هذه المسألة لان احوال الزوجين الخاصة لا يطلع عليها حتى اخلص اصدقائهما وظلت مادام كونت بعد الانفصال تفكر في سعادة زوجها ودامت المراسلات الودية بينهما مدة سنين

وأصيب كونت بحادثة ثانية اثرت فيه وهو ان طابع المجلد السادس علق على الكتاب حواشي ينكر فيها حملة كونت الشديدة على اراغو فغضب الفيلسوف لذلك وخاصمه بالحاجة فربح دعواه

واشد المصائب التي نكب بها هو انه ذكر منخبيه للاشراف على الامتحان في المجلد الثالث بما لا يستحب فادى ذلك الى ضياع نصف راتبه الزهيد فضاق كونت بالعيش ذرعاً وانبأ بفقره صديقاله منذ بضع سنين وهو المستر جيمس استيوارت ميل احد علماء المنطق الانكليزيين الذي اثرت فيه افكار الفيلسوف واستمد منها معظم افكاره وآرائه في

اصول المنطق وقد كثرت مراسلات الصديقين ونشر جزء منها في المدة الاخيرة فهاج رغبة الجمهور للاطلاع عَلَى سائرها

ولما انتهت اليه كتب الفيلسوف هاجت فيه الخاصة التي عرف بها من عطفه الشديد عَلَى الرجال العظام ورثائه لشقائهم فنهض الى مساعدته وطرق ابواب ثلاثة من اصدقائه من اعطافهم لمساعدة الفيلسوف فتعهدوا بتقديم مائتي ليرة له سنويًا وكان ذلك سنة ١٨٤٥

ولم يوفق كونت لعمل شيء يدل عَلَى شعوره بجميل الانكليز فلما عاد اليهم ميل في السنة التالية اعطاه الاول مبلغًا زهيدًا ورفض الاثنان الآخران مساعدته قائلين يجب عَلَى كونت ان يعول نفسه بنفسه فلما أخفق استيوارت في مساعدة صديقه بهذه الوسيلة اشار عليه بكتابة مقالات للصحف الانكليزية وتعهد له بترجمتها فرضي كونت اولاً بهذا الطلب ثم عاد الى هوسه واعتزاره فأخذ يتهم الانكليز بفساد الاخلاق مما اسخط استيوارت وباعد مابين الصديقين حتى انتهى الامر بانقطاع المراسلات ومن كلام كونت في هذا الصدد قوله : لماذا يترك الرجل بعد موته مبلغًا من المال لمتفنن لم يعرفه وهو لا يعد مساعدة الرجال الذين عرفهم في حياته فرضًا طبيعيًا ؟ ان الانكليز بين صرحا انهما يخدان فيلسوفًا لا يقولان بقوله والرجل يجب ان لا يقبل في انتشار مبدأه الا مساعدة الذين يرثون رأيه وقبوله معونة من سواهم حطة من قدره

وما زال كونت يدفع لامرأته مائتي ليرة سنويًا من ١٨٤٥ الى سنة ١٨٤٨ اذ هبطت روانيه بدون سبب الى ثمانين ليرة ففتح المسيو ليتره وبعض الاصدقاء اكتتابًا لمساعدته فجمعوا من المال ما وسع عَلَى كونت ردحًا من الزمن وقد كان في جملة المشتركين بهذه الاعانة المستر ستيوارت ميل الذي لم يمنعه استياؤه من معاملة كونت عن مساعدته واسعافه

ويرى المطالع ان كونت لم يتصرف مع اصدقائه تصرفًا يليق برجل عظيم مثله لان نفسه جمعت الى خصاله الحميدة من رسوخ العزم وقوة الارادة والثبات والمثابرة عَلَى خدمة البشر نقائص مشينة من الغرور والعجرفة وإذا جاز التمثيل شبهنا كونت ببروتوس وكاتو

وإذا اراد الانسان ان يحب كونت وجب عليه ان يتصور حالته التعيسة وحياته المظلمة وخطوبه المتواترة وهو بين هذه الظلمات دائب على انجاز مهمته لا يكل ولا ينثني فما زال يركب الى غايته الخطوب حتى فاز بما اراد وكانت القوانين

الاساسية للعلوم الموجبة قبل عهده مطلقة مبهمة فجاء كونت موضحاً لها بما يزيل الاشكال ويقيم لها حدوداً بينة فكثر لذلك حساده ومزاحموه

ولم يكن كونت يكتب كلمة قبل ان يقرر الموضوع ويكتبه جملة فجملة بعد تبيئتها في ذهنه ومتى فرغ من احضارها جلس يكتب بيراع سيال فيسجل سلسلة من الافكار تجري على اسلاته بدون انقطاع ولا تردد لقوة ذاكرة كونت واستغنائه عن العود الى المذكرات ولكن اسلوبه الكتابي لم يكن بالحلة اللائقة لافكاره البراقة واذا كنا لانتوقع منه كتابة كالشعر في تأثيرها وسلاستها الا ان الكتابة في ارقى الموضوعات العلمية اذا لم تكن طلية محها اكثر العلماء جلداً على الاستقصاء واذا قابلنا اسلوب كونت بغيره من الفلاسفة كهيوم وديدرو وباركله رأيناه ثقيلاً جافاً وربما وقعت في كتاباته على بعض العبارات المتينة الا ان جميع اصطلاحاته خالية من سلامة الذوق في الانتخاب وقد كان يكثر من ادوات الحال في بعض الجمل حتى لايثبت لى مطالعتها الا من أوتي الصبر الجميل من تلامذته ولكن قوة فكره ونفوذ نظره وسمو آرائه تشرع له السبيل الى ذهن القارئ وتستر هذه النقيصة وتضعف تأثيرها واذا كانت مؤلفاته عظيمة فاسلوبه لا يؤلف جزءاً من تلك العظمة القائمة بماهية الافكار والممثلة رجاحة العقل الذي اوجدها . وركاكة اسلوبه ناشئة عن عدم مطالعته مؤلفات بلغاء الكتاب فهو لم يقرأ الا علماً كان يسميه علم حفظ الصحة الدماغية وقبل ان يتم فلسفته الموجبة لم يطالع سوى دواوين اثنين او ثلاثة من الشعراء في مقدمتهم دانتي واهمل ماسوى ذلك حتى قراءة الرسائل والمجلات ولكن اصدقاءه كانوا ينبئونه بكل حادثة جديدة في عالم الفن فأدى هذا الانقطاع الى تحرير نفسه من قيود الاجتماع والمؤثرات وظلت افكاره بمعزل عن الاعتبارات الخارجية واذا كان افاده من هذه الوجهة فقد اضره من الوجهة الاخرى فافرط في اهماله وضعف شعوره بالعالم الخارجي وقد وضحت فيه هاتان النقيصتان في اواخر ايامه

وقبل ان نتم ترجمة كونت نسرد حادثة جرت له سنة ١٨٤٥ يوم تعرف الى مادام دي ثو :

كانت هذه العقيلة ايماً لأن زوجها حكم عليه بالسجن المؤبد ولانعرف الا اليسير عن اوصاف المرأة واخلاقها وكل ما نعلمه هو انها وضعت قصة رفعتها في عيني كونت الى مستوى مادام جورج ساند ولم تكن هذه القصة في ذاتها شيئاً يستحق الذكر الا انها

دلت على ذوق سليم وفطرة حميدة فتوثقت بينهما روابط الولاء واصبحت العقيلة عزاءه في احزانه وافاضت على نفسه روح الهدوء والسكينة ولو طالت مودتهما لم يظهر اضطراب الفكر في كتب كونت الاخيرة الا ان الاقدار التي ناصبت الفيلسوف طول حياته فجعته بريحانة نفسه وموضوع سلوته سنة ١٨٤٦ فجزع لفقدها جزعاً شديداً ولازمه الحزن والغم فكان يخرج الى قبرها مساء كل اربعاء اذا توارت الشمس في الحجاب ويبلله بقطرات دموعه ويجثو في البار ثلاث مرات احتراماً لذكرها فيستغرق في احزانه ويستسلم الى الجزع وكان تلامذته يقولون انه يقدم لها من الاحترام ما قدمه دانتي لحبيبته باتريس ويشبهون حاله بحال دالامبر بعد وفاة ليناس

الباحثون في حياة كونت يقسمونها الى شطرين احدهما يمتد حتى تعرفه الى العقيلة دي فو والآخر بعد ذلك ويفرقون بين الشخصين كونت الذي كتب الفلسفة الموجبة وكونت الذي الف في السياسة الموجبة الا ان اعداءه يأبون كل تفريق في هذا الصدد ويقولون ان المختل الذي كتب في السياسة هو نفسه الذي كتب في الفلسفة

ولم يكد كونت ينتهي من نشر فلسفته الموجبة حتى بدأ بنشر سياسته وهذه بالطبع تستند الى تلك فنشر المجلد الرابع والاخير في سنة ١٨٤٨ وفي هذه السنة حدثت ثورة في فرانسا لم تبد طلائعها حتى هرع كونت الى تأليف جمعية دعاها الموجبة توقع ان يكون لها من الشأن في هذه الثورة ما كان لنادي الجاكوبيين في ثورة ١٧٨٩ واذا كان كونت لم يدرك جميع آماله في انشاء هذه الجمعية فقد ادرك بعضها باجتماع تلامذة الفيلسوف ووضعهم مذهباً فلسفياً جديداً كما يهوى ويختار

وكان كونت سنة ٤٩ و ٥٠ و ٥١ يلقي في القصر الملكي (باله روبال) في باريس محاضرات متتالية يحضرها عامة الناس وخاصتهم فيبحث في فلسفته ومعتقداته ودعاويه وقد ختم محاضرته الاخيرة بقوله :

« باخدمة البشرية والفلسفة والحقيقة يجب ان تتولوا زعامة العالم لأن ذلك حقكم الصريح واقصى اماني الانسانية تأليف حكومة اخلاقية مادية فكرية فان الحكومات التي قامت على دعامات الكنيسة والبروتستانتية سقطت لان الناس اتخذوها وسيلة لاضرام الثورات وقضاء اللبانات »

ومن غرائب الاتفاق ان يقوم بعد هذه المحاضرة ببضعة اسابيع رجل يدعو الناس الى طاعته لا ليخدم الانسانية بل لدعواه انه صاحب الحق بالسلطة المطلقة وان يحمل

الناس على معرفته كذلك بالقوة القاهرة

وسنة ١٨٥٢ نشر كونت رسالة في مذهب الانسانية اظهر فيها ارتياحه الى ضربة لويس نابوليون الحكومة وانشائه جمهورية هو فيها الحاكم المطلق ومهما يكن من قيمة الفكر السياسية نجد عذراً لكونت في انه كتبه وهو لا ينتظر ان تؤول الحال الى ما آلت اليه من الضغط والاستبداد والجام المطبوعات

وأصيب كونت سنة ١٨٥٧ بداء السرطان وقضى في خامس عشر ايلول فانتهت حياة مرة تنكر لها الزمان وفي هذا اليوم من كل سنة يجتمع تلامذة الفيلسوف من انكليز وفرنساويين فينوهون بذكره ويقومون بمراسم سنوها لانفسهم وقد قبض كونت وهو دون الستين وهنا لا يسعنا الا ان نشارك جون مورلي في حزنه لعاقبة من اشد عواقب العمر ايلاماً وهي « ان يقضي ارباب الذكاء الخارق في تهالكهم على نشر افكارهم قبل ان يدركوا امانيهم وتنقاد لهم رغباتهم »

« فلسفته »

لا نعرف المقادير الا قياسها وقياسها تواً يستحيل في الغالب وابسط الشواهد ما يعترضنا من المصاعب في قياس طول بالوحدة المترية اذ يشترط في صحة القياس ان ينطبق المتر على السطح كل الانطباق وادنى نتوء او غور يخل بالاستواء فيعيد هذا القياس متعذراً ذلك اهون المصاعب تعترضنا في اقل البسائط فكيف بها في ارقى المركبات كتقدير الابعاد بين الاجرام السماوية

ذاك ما قاد الفكر البشري الى وضع العلوم الرياضية فاذا تعذر او استحال علينا ان نقيس مساحة او نقدر كمية مباشرة توصلنا الى ذلك بالطرق الرياضية فجمعنا بين ما لا يقاس تواً وبين ما يقاس واستخرجنا الاولى من الثانية على قاعدة التناسب

فلكي نقيس مساحة نمثلها بشكل هندسي كالمثلث مثلاً ونعتبر المناسبة بين الاضلاع والزوايا فتسهل علينا معرفة المساحة . بهذه الوسيلة وبغيرها من نوعها تمكن الفكر البشري من تقدير الابعاد بين اجرام السماء وارتقى الى معرفة حجومها واشكالها الحقيقية وظواهرها الطبيعية وسعتها وامتدادها وقوة جاذبيتها الى غير ذلك من المعلومات التي بلغها بالوسائل الرياضية وغرض الرياضيات مقايسة الكميات وتقديرها بالواسطة وذلك يدرك بمعرفة النسبة بينها فالرياضيات اذن علم تستخرج بواسطته الكميات المجهولة من الكميات المعلومة

للمناسبات الصريحة الموجودة بينها

ماهي الكمية ؟

عرف الرياضيون الكمية انها مايقبل الزيادة والنقصان ويمكن تقديره بالوحدة القياسية (١)

فالعدد والطول والسطح والحجم والزمان والمكان وسرعة الجسم ووزنه وغيرها من الاركان الداخلة في الحوادث الطبيعية هي كميات لتوفر صفتي الكمية فيها وقد اكتفى الرياضيون بالمعلومات النسبية فلم يخطر لهم ذات يوم ان يحثوا في ماهية المكان والزمان والمادة لانها الأسس التي تقوم عليها المعارف البشرية فليس في الوسع ان تثبت او تعرّف ولهذا السبب حصر الرياضيون هممهم في كشف النواميس التي تؤثر في هذه الكميات واظهار النسبة بين ما اجتمع منها في حادثة واحدة بدون ان يحاولوا بلوغ معلومات مطلقة

والرياضيات تثبت لنا ان في وسعنا استخراج بعض الكميات الداخلة في احدى الظواهر الطبيعية من البعض الآخر اذ لابد من وجود روابط بينها ولم يشهد الناس حتى اليوم ظاهرة فقدت فيها هذه الروابط ولكنها قد تدق حتى يتعذر على الباحث اكتشافها

اذا ابدلنا كلمة « كميات » في تعريف الرياضيات بكلمة « حوادث » كان لنا تعريف العلم الحقيقي فهو ما اوضح بعض الحوادث ببعضها الآخر مستنداً في ذلك على العلاقات الموجودة بينها . وكل علم يجمع طائفة من الحوادث ويؤلف بينها ويستخرج من جمعها نواميس عامة ويضع قواعد اذا جربناها عرفنا نتائج حادثة بقياسها على حادثة ثانية من نوعها فاذا عجز عن ذلك لم تصح تسميته علماً

ثم اننا اذا جاءلنا كلمة « النواميس الطبيعية » بدلاً من « العلاقات بين الحوادث » كان ذلك اصح وقد خدمت الرياضيات في تعيين هذه العلاقات فوق خدمة كل ما سواها من العلوم فهي تدلنا على اقصى مايراد بالعلم واذا شئنا ان نقع على فكر صحيح في تحديده وجب علينا الرجوع الى الرياضيات فان الاصول العامة التي يقتضي ان يسري عليها الفكر في

(١) زاد المتأخرون الشرط الثاني من شروط الكمية اما المتقدمون فقد اكتفوا بالشرط الاول فكانت صلابة الجسم في عرفهم كمية لانها تقبل الزيادة والنقصان الا انها ليست كذلك عند المتأخرين فمع ان الاجسام تختلف في الصلابة الا ان هذه الصلابة لاتقاس بالوحدات

الابحاث لا نصادفها في غير الرياضيات وليس من علم آخر ءاثاباقي حل المسائل حلاً تاماً ويفضي الى استخراج النتائج بدقة وضبط . هذه هي النقطة التي بدأ منها مذهب الكونتيزم لواضعه اوغست كونت

استنبط الفيلسوف التحديد العام للعلم من الرياضيات واقتبس منها الاصول التي يجب ان يجري عليها في الابحاث العلمية اما اساس فلسفته فهو : ان الحوادث [1] كافة تجري تبعاً لقوانين مقررة والعقل البشري يعجز عن معرفة منشأ الحوادث الازلي ومنتهاها الابدي وهذه حقيقة لا ينكرها من كان ذا مشاركة في العلوم الطبيعية لأنه يعلم ان الغاية من ايضاح الحادثة الطبيعية ليس الا اظهار الاحوال والشروط التي يمكن معها حدوث مثلها وتعيين علاقتها بغيرها من الحوادث واليك مثلاً على ذلك

اكتشف نيوتن الجاذبية العامة فاوضح بها جميع الحوادث الفلكية وبين ان كثيراً من الحوادث التي كان الناس يتوهمون ان لا علاقة بينها كالخسوف والكسوف والمد والجزر انما هي مظاهر مختلفة لحادثة واحدة عامة كنا نعبر عنها بالثقل فبتنا نفسر جميع الحوادث الفلكية بالجاذبية العمومية ولكننا نعجز عن معرفة ماهية الجاذبية وعلتها الاصلية فاذا سئلنا في ذلك لم يكن عندنا جواب وليس هذا كل ما في الامر بل ان الفلسفة الموجبة تثبت لنا ايضاً اننا لن نستطيع ادراك ذلك فعلينا ان نتخلى عن هذه المباحث لعلماء ما فوق الطبيعة فاذا قال قائل ان اهتزازات الجواهر الفردية بسبب ذلك الثقل لا يكون قد اوضح مبهماً لان الاشكال ينتقل من الثقل الى الاهتزازات فلا يلبث المستطلع ان يسأل عن سبب الاهتزاز ايضاً

اذا اردنا ان نفهم الصفة المميزة للفلسفة المثبتة وجب علينا ان نتتبع الفكر البشري في ادوار ارتقائه وقد وضع كونت لذلك قانوناً عاماً اقتمنه بصحته معلومات العصر الحاضر وشهادات العصر الماضي

وهذا القانون هو ان كل فرع من المعارف يمر في ثلاثة ادوار متعاقبة او حالات مختلفة اولها « الدور الوضعي » والثاني « الدور المجرد » والثالث « الدور المثبت » [2]

État fictif · État Abstrait État positif.

---

(١) ليس المقصود بالحوادث هنا الحوادث الطبيعية فقط بل ربما شملت الحوادث الاجتماعية

(٢) ودعاها ايضاً État théo-logique, métaphysique, scientifique

ونكتفي بذكر هذا القانون بدون ان نتقدم الى اثباته او معرفة نتائجه

شبه كونت الفكر البشري بخضوعه لنواميس الارتقاء وحالاته الثلاثة التي تتعاقب عليه بالانسان في ادواره الثلاثة من طفولة وشبيبة وهرم

ونشأت ثلاثة مذاهب مختلفة لايضاح الحوادث في الادوار الثلاثة اولها « الفلسفة الوضعية » والثاني « الفلسفة المجردة » والثالث « الفلسفة الموجبة » والاول مبدأ ارتقاء الفكر الانساني والثالث غاية ما بلغه والثاني الحلقة المتوسطة بين الاثنين

اتجه فكر الانسان في الفلسفة الوضعية للبحث في اسباب الحوادث الازلية وغاياتها الابدية فتلقى تلك الحوادث آثاراً من فواعل ذات ارادة مطلقة يعزو اليها كل ماشاهده بدون ان يفكر في النواميس والسنن

وارتقت هذه الفلسفة فبدأت الفلسفة المجردة التي اقامت « القوى المجردة » مقام الفواعل الوهمية وهذه القوى عارية من الهيولى تسبب الحوادث المشهورة

اما الفلسفة المثبتة فقد اقتنع واضعوها ان الفكر الانساني يستحيل عليه ان يدرك معلومات مطلقة فصرفوا نظرهم عن البحث في منشأ الكائنات ومصيرها وقصروا همهم على معرفة نواميس الحوادث فزجوا بين المشاهدات والمحاكمات العقلية لاكتشاف هاتيك النواميس

لما ارتقت الفلسفة الموضوعة حتى قال الناس باله واحد يدبر الكون بلغت اوج الكمال وغاية الارتقاء وادركت الفلسفة المجردة نهاية شوطها عند ماردت الحوادث الى الطبيعة ودعتها بالقوة العامة المجردة

اما الفلسفة المثبتة فهي تسعى لتوضح ان جميع المحسوسات ظواهر مختلفة لحادثة عامة فمتى تيسر لها ذلك بلغت ارقى درجاتها على ان هذا الارتقاء غير متيسر في الاحوال الحاضرة ولاتدل ظواهر الحال على امكان ذلك في المستقبل فاذا استطعنا ان نفسر حوادث النور والحرارة والصوت والكهربائية وشيئاً من حوادث المغناطيسية بقولنا انها نتيجة تموجات فاننا لانستطيع ان نفسر الحادثات الفلكية على هذا الوجه والفلسفة المثبتة جاهدة في اظهار العلائق بين الحوادث او القوانين الطبيعية وصفتها المميزة صرف الفكر البشري عن البحث في ماهية الحوادث لأنها لاتخوض في هذا المبحث بل تدعه الى الفلسفة المجردة التي توضح الأزل والأبد بسهولة تامة وتستقصي الاسرار العلوية حتى ادق خفاياها

يتساءل القارئ بعد ان عرف غاية الفلسفة الموجبة عن الحد الذي بلغته وعلى اي شيء يتوقف اكمالها وها نحن منطرقون في بحثنا الى ذلك

لم تمر المعلومات البشرية في الادوار الثلاثة بسرعة واحدة ولا ادركت الحال الثابتة في آن واحد بل كان امرعها الى ذلك الحوادث الفلكية لبساطتها وسهولتها وتلتها الحادثات الفلسفية فالكيموية فالعضوية

ويتعذر علينا تعيين بدء انقلابها على التدقيق ولكننا نعلم انها اخذت بالارتقاء مذ أنشئت دور العلوم في اثينا والاسكندرية ومذ حمل العرب العلوم الطبيعية الى غربي اوربا وارشدوا اهليها الى نواميسها وما زالت تتكامل وتتدرج في مراتب الارتقاء حتى نبغ باكون وديكارت وكيلروغاليله فأثرت مآتيهم في الافكار البشرية تأثيراً شديداً ووضعت أسس الفلسفة الموجبة التي بدأت بالانتشار والشيوع منذ ثلاثة عصور ولكنها لم تحط بكل انواع الحوادث فان هنالك نوعاً لم تذكره وهو الحوادث الاجتماعية

هذه الحوادث لاتزال محجبة النواميس كثيرة الابهام لم يكشف عن اسرارها الغطاء ولا استطاعت العلوم ان تحصرها تحت قوانين عامة وقد وضع الفكر البشري علم الميكانيكيات والحيوان والنبات وحان الزمان الذي يضع فيه علم الاجتماع فكان كونت اول من سمت به افكاره نحو هذه الغاية فرمى اليها في موسوعات مجلداته الستة التي اودعت ملخص المعلومات البشرية لان كونت لم يقصر همه فيها على الفلسفة الاجتماعية بل تعمد تدوين الفلسفة الموجبة فبحث في كل علم الى حد اظهار علاقته بغيره من العلوم واظهر تدرج كل منها في الارتقاء ودخوله في الدور الموجب وجعل اساس بحثه تعاقب الحوادث وارتباطها المنطقي فقسم العلوم الى ستة فروع كبرى تنضوي تحتها فنون مختلفة واليك هي :

(١) . — الرياضيات (mathématiques)

(٢) . — الهيأة (الفلك) (Astronomie)

(٣) الفلسفة الطبيعية . — (Physique)

(٤) الكيمياء (Chimie)

(٥) الفلسفة العضوية (Physique organique)

(٦) الفلسفة الاجتماعية (Physique sociale)

وقدم كونت العلوم الرياضية بالذكر لأنها اقدم العلوم الموجودة واكملها وهي

اول ما دخل في الفلسفة الموجبة وقد راعى كونت في ترتيب هذه الفروع تاريخ ثبوتها ومما لاريب فيه ان الرياضيات بدأت مثبتة وما زالت ترتقي من اقدم عهدها الى اليوم وتلتها الهيأة فالفلسفة الطبيعية فالكيمياء فالحكمة العضوية رقي بها الى هذه الدرجة كبلر وغاليله ولافوازيه وپاستور اما الفلسفة الاجتماعية فان كونت حسبها لم تؤسس بعد · واختلفت الفنون في بلوغ هذه المرتبة لتفاوت درجتها في السهولة فكان ابسطها اقربها الى الثبوت ·

وشرع كونت يفكر بعد ذلك في تعاقب هذه الفنون وارتقائها من ابسط النظريات الرياضية الى ارق التصورات الاجتماعية فان ذلك الاستقصاء انما هو تتبع ارتقاء الفكر البشري والحوادث تجري على تسلسل طبيعي وهذا التسلسل هو بمثابة رابطة عامة بين النظريات المثبتة في الفنون المختلفة ورأى كونت ان بعضها يجب ان يكون له تأثير في الآخر فجعل العلوم الرياضية اول حلقة من السلسلة لأنها فعلت فيما بعدها لترقيته الى مرتبة الثبوت وجعل الفلسفة الاجتماعية الحلقة الاخيرة

قايس كونت بين الفكر بن الرياضي والاجتماعي فلم يجد مندوحة عن ان يتخذ الاول دليلاً على نظريات الثاني المثبتة حتى اذا امكن حصر الارتقاء البشري تحت قوانين معينة استبدل الرياضيات بالفلسفة الاجتماعية لأنه وجد الاولى غير كافية لتأسيس فلسفة حقيقية تامة حتى قال : ان ما بذله المفكرون من المساعي في العصور الماضية لايجاد فلسفة جديدة تحل محل الفلسفة الموضوعة ذهب ادراج الرياح لان الذين حاولوا ذلك ارادوا ان يتخذوا الرياضيات ركناً ويشيدوا مذهبهم باختلاف طفيف او كبير واذا امكن اقتباس حقيقة من الرياضيات فلا يمكن التوسع في ذلك الفكر وجعله عاماً فان الحوادث الرياضية التي ضبطت قوانينها (الهندسة والميكانيك) هي في غاية السذاجة فلا يمكن تطبيق شرائعها على المركبات وكثيرون من الرياضيين في عصرنا الحاضر يقولون ان غرائب الحوادث الفلكية والحوادث الاجتماعية الناتجة عن ارادة البشر وقدرتهم غير خاضعة لنواميس معينة

في الفلسفة الحكمية والكيموية لانجد خوارق مما يحملنا على القول ان جميع الحوادث هي ذات سنن مقررة لاتتغير ولكن الحوادث المبهمة المغلقة لايظهرها على هذا الشكل الا الفلسفة الاجتماعية فرجح لدى كونت ان يتم مذهبه على نقطة اجتماعية وسعى في كشف النواميس الثابتة لهذه الحوادث وقد كان الباحثون قبله يستندون الى افتراضات او يستعينون

بفلسفة ما فوق الطبيعة فاراد كونت ان يجرد المبحث مما يخامره من الاوهام ويدخله في حال مثبتة

وكان كونت يقول بحرية الوجدان المطلقة يريد بذلك ان كل فكر وكل تعبير يستعمل للافصاح عنه يجب ان يعفى من كل انواع الجزاء من التنبيه البسيط الى الحكم بالجناية وتبسط في القول على ذلك حتى ادعى ان ليس من حرية وجدان في الهيأة والحكمة والكيمياء والفيسيولوجيا لان المرء اذا لم يقبل مبادئها الاساسية اتهم بالهوس وليست الحال كذلك في الاجتماعيات لان المبادئ القديمة قد اضمحلت ولم تخلفها بعد مبادئ جديدة

اما اصول علم الاجتماع فكانت كغيرها من الاصول العلمية تستخلص من التجارب والمشاهدات على سبيل القياس والاستقراء فيطالع المستقرئ حوادث بسيطة يضع لها النواميس ثم يترقى الى الحوادث المركبة بطريق القياس فيستخرج قوانينها اذ ليس في وسع الباحثين استنباط القوانين العامة مباشرة من ملاحظة الحوادث المركبة ولكن كونت لاحظ ان الحال في العلوم الاجتماعية ليست كذلك فان حوادثها البسيطة تتألف من افعال الافراد وحواسهم ونواميس هذه لاتختص بها بل تشمل الطبيعة البشرية ذاتها والحوادث الاجتماعية انما هي نتائج تلك البسائط

وقد كان العلماء الى عهد كونت يحاولون اخذ العلم الاجتماعي المثبت من قوانين الطبيعية البشرية العامة ثم يجعلون الوقائع التاريخية دليلاً على صحة تلك الاستنتاجات فرد كونت هذه النظرية وقال اذا دلت القوانين العامة على مالا يؤيده شاهد من التاريخ وجب علينا ان نحكم بفساد التاريخ واختلاله لان صفحاته الاولية مهزعة وكلما اعرق الناس في الحضارة ازدادوا دقة في تدوين الحوادث واذا كان التاريخ يدلنا على مجرى الرقي البشري في غابر العصور فهو لا يوجب اتخاذ ذلك المجرى سنناً ولا يضع قانوناً فمتى شئنا معرفة القوانين تعين علينا ان نعود الى علم النفس (البسيكولوجيا)

ان قوانين الطبيعة البشرية العامة هي في جملة موضوعات علم الاجتماع غير انها تختلف في استعمالها عن القوانين في العلوم الطبيعية فان التجارب الخصوصية في هذه تؤدي عن طريق القياس الى استخراج القوانين العامة وفي العلم الاجتماعي نبلغ الناموس العام من التجربة الخاصة ثم نستخرج عن طريق القياس نتيجة تؤيد صحته

والفلاسفة الذين اشتغلوا في نظريات الاجتماع لم يكونوا يعتبرون التاريخ سلسلة

من الاسباب والنتائج بل كانوا يتلقونه كاقاصيص متفرقة لا رابطة بينهــا -حتى جاء كونت فبين فساد مزاعمهم في هذا الصدد وجعل التاريخ من اكبر مآخذ العلم الاجتماعي وحيث رأى حادثة شذت عن قوانين الطبيعة البشرية حكم باختلال تدوينها

والخلاصة ان اوغست كونت وضع اصول العلم الاجتماعي — كما قال استوارت ميل — واذا كان لم يوجد ذلك العلم فانه حبا من بعده من الفلاسفة قوة لايجاده وفلسفته المثبتة في العلوم الطبيعية واصول التحليل التاريخي ستخلد اسمه بين مشاهير الفلاسفة

دمشق : جرجي الحداد

مشاهير العرب والصناعات

وليس على عبد تقي نقيصة اذا صحح التقوى وان حاك او حجم

(ابو العتاهية)

يتوهم بعض الكتاب ان العرب اهملوا الصناعات بل استنكفوا منها لانهم لم يقولوا (آل الحائك) خشية تحقير المضاف والحقيقة هي ان قدماء العرب لم تنصرف افكارهم الى الحياكة في زمان بداوتهم لانهم لبسوا جلود الحيوانات وابتاعوا منسوجات غيرهم فلم يتقنوا الحياكة على انهم عرفوها بعد ذلك واشتهروا بكثير منها ونقل الافرنج عنهم ما تفننوا فيه منها مثل الموركو والكوردوفان لنوعين من الجلود التي دبغها العرب الاول في مراكش والثاني في قرطبة . والدامسكو للنسيج الدمشقي المشجر . والدامسكين للترصيع المعدني الدمشقي والموصلين لنسيج عرفت به الموصل وصناعة الشفار والسيوف التي اخذوها من دمشق الى غير ذلك مما لا يحصى . ولهم تآليف كثيرة في الصناعات يحضرني منها الآن اسم رسالة للكندي في المعادن والجواهر وانواع الحديد والسيوف وجيدها ومواضع انتسابها . ورسالة اخرى في مايطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنثلم ولا تكل للكندي ايضاً . وغيرها كثير لامحل لذكره الآن . ولقد ذكر جاهليو العرب بعض الصناعات في اشعارهم مثل قول طرفة بن العبد البكري من معلقته مشبهاً الناقة :

كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وقوله :

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر كسبت اليماني قده لم يجرد

وقوله :

وعينين كالماويتين استكنتا بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

ومن اقدم صناعاتهم الغزل وقد ذكروه كثيراً في اشعارهم مثل قول النابغة :

وعريت من مال وخير جمعته كما عريت مما تمرُّ المغازل

وهذه الصناعة عرفت قديماً وذكرها كثير من الاعاجم مثل قول هوميروس في الالياذة بلسان هكطور بطل ترواده عند توديع زوجته اندروماك وطلبها منه ان لا يسير الى الحرب من موشح بليغ :

ولكلٍّ عمل فامضي كفى واشغلي اعمال ربات السديل
فلك النسج وفتل المغزل وانا اعمال سمر الذبل

ووصف هيلانة تطرز بابرتها في قوله :

وجدتها بالصرح تنسج ثوباً بحواشي البرفير والارجوان
وبرأس الخياط ترمم فيه واقعات ابلت بها الفئتان [1]

وقال ابو العلاء المعري [2] في النساء :

علموهن الغزل والنسج والردن م وخلوا كتابةً وقراءه

وقال ندمَلتن كبير شعراء الانكليز مايقرب من هذا الى غير ذلك

وفي صدر الاسلام اعتبر الخلفاء الصناعات بدليل قول الامام عمر بن الخطاب : « اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول اله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني » : وقول موسى الهادي الخليفة العباسي لامه الخيزران لما استبدت بالامر وكثر المختلفون اليها لقضاء المآرب : « ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك . امالك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك او بيت يصونك » . وكثيراً ما ذكر الشعراء بعد ذلك الصناعات ولو على سبيل المجاز مثل قول ابن نباتة في الطي والنشر :

لا تخف عيلةً ولا تخش فقراً يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا تلك غزالة وذي فتاله

(١) هذه الابيات من الالياذة العربية بقلم سليمان افندي البستاني

(٢) راجع ترجمة المعري في السنة الماضية (الخامسة) من مجلة المقتبس بقلم كاتب هذه المقالة

ولقد مارس الخلفاء والصحابة والامراء والاشراف والائمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم وامكنتهم وازمنتهم صناعات كثيرة جمعت الآن منهم ماوصلت اليه يد البحث تذكرة لقوم يعقلون :

كان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان وطلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف بزازين وعمر بن الخطاب دلالاً فتاجراً · والوليد بن المغيرة وابو العاص اخو ابي جهل حدادين · والنضر بن الحارث عواداً يضرب بالعود · والعاص بن وائل السهمي بيطاراً يعالج الخيل · وابنه عمرو بن العاص جزاراً ومثله الامام ابو حنيفة وقيل كانا خزازين بيبعان الخز (وهو التباس يقع في التصحيف) · والزبير بن العوام خياطاً ومثله عثمان بن طلحة الذي دفع له النبي مفتاح الكعبة وهكذا قيس بن مخرمة · وكان مالك بن دينار وراقاً والمهلب بن ابي صفرة بستانياً · وقتيبة بن مسلم الذي فتح بلاد العجم الى ماوراء النهر جمالاً · وعقبة بن معيط خماراً وسعد بن ابي وقاص بارياً للنبال · وابو سفيان ابن حرب يبيع الزيت والادم · وعبدالله بن جدعان نخاساً يبيع الجواري · والحكم ابن ابي العاص خصاء يخصي الغنم ومثله حريق بن عمر والضحاك بن قيس الفهري· وابن سيرين

وكان سفيان بن عيينة معلماً ومثله الضحاك بن مزاحم وعطاء ابن ابي رباح والكميت الشاعر والحجاج بن يوسف الثقفي الشهير وعبدالحميد بن يحيى امام المترسلين وابو عبيدالله القاسم بن سلام والكسائي مؤدب الامين والمأمون وكثير غيرهم ممن مارسوا التدريس والتهذيب وكانت هذه الصناعة تسمى عندهم صناعة الاشراف · وكان ابو يوسف الفقيه قصاراً (يبيض الثياب) وابو العتاهية الزاهد يبيع الجرار في الكوفة فسمي الجرار · وابو تمام الشاعر كان سقاء وقيل خادم حائك · والمتنبي ابن سقاء في الكوفة · والعكبري في اول امره منجماً ثم صار نحوياً · وحماد عجرد الشاعر باري نبال · وابو اسحق ابراهيم الحصري كان يعمل الحصر ويبيعها وابو اسحق ابراهيم بن محمد الزجاج النحوي كان يخرط الزجاج وابو الحسن السري الرفاء الشاعر كان يرفو ويطرز وابو بكر عبدالله القفال المروزي الفقيه يعمل الاقفال · وابو الحسن الماوردي الفقيه كان يبيع ماء الورد · وابو الحسن علي بن هلال كان ابوه بواباً فسمي بابن البواب · وابو القاسم الزاهي الشاعر كان قطاناً (يبيع القطن) · واحمد بن محمد الطوسي الغزالي واخوه الامام الغزالي الشهير كانا من بيت الى عمل الغزل على طريقة النسبة عند الخوارزميين اذ يقولون القصاري والعطاري في القصار والعطار ·

وابو بكر ازهر بن سعد السمان الباهلي البصري كان يبيع السمن · وابو غالب تمام التياني اللغوي القرطبي كان يبيع التين · وابو القاسم الجنيد لقب بالخزاز والقواريري لانه هو عمل الخز ووالده عمل القوارير · وابو علي الحسين الكرابيسي البغدادي نسب الى بيع الكرابيس وهي جمع كرباس بالفارسية بمعنى الثياب الغليظة وهي اشبه بالخام عندنا · وابو محمد بن مسعود الفراء البغوي الفقيه كان يعمل الفراء ويبيعها · وابو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد حالج القطن فنسب اليه · ومؤيد الدين الطغرائي نسب الى كتابة الطغراء · وابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات باع الزيت ومثله كثيرون لقبوا بلقبه مثل محمد بن زيات وزير المعتصم وغيره · وابو عمرو خليفة بن الخياط العصفري نسب الى الخياطة والصبغ بالعصفر · وابو المعالي سعد بن علي المعروف بالحظيري (بالظاء المشالة) الوراق لقب بصناعته دلال الكتب · ورشيد الدولة فضل الله الهمذاني طبيب خربنده التتري كان في اول عمره عطاراً فصار يدير ممالك التتر · وابو منصور عبد الملك الثعالبي نسب الى خياطة جلود الثعالب وعملها فراء · وابو القاسم عثمان الانماطي الفقيه كان يبيع الانماط وهي البسط التي تفرش · وابو عمرو عثمان بن الحاجب كان والده حاجباً للامير عزالدين موسك الصلاحي · وابو الحسن علي بن عبد الله السمسماني اللغوي نسب الى السمسم · وابو الحسن علي بن الحسن القاضي الملقب بالخلعي كان يبيع الخلع لاملاك مصر · وابو الحسن بن وصيف المعروف بالناشيء الاصغر كان جده وصيف مملوكاً وابوه عبد الله عطاراً وهو حلاء اي عامل الحلي النحاسية للتزيين · وابو القاسم عمر الخرقي الفقيه نسب الى بيع الخرق اي الثياب البالية · وابو القاسم عمر بن محمد المعروف بابن البزري نسب الى عمل البزر وبيعه والبزر عندهم اسم للدهن المستخرج من حب الكتان وبه يستصبحون اي يسرجون المصابيح · وكان ابن سيرين المشهور بتعبير الرؤيا ابن صانع قدور من نحاس · وابو عمرو المطرز البارودي غلام ثعلب كان مطرزاً · وكان والد البحراني الشاعر الاربلي تاجراً يتردد الى البحرين ويصيد اللآلئ من مغاوصها · وفخر الملك وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي كان ابن صيرفي · وابو بكر الرازي الطبيب كان في اول امره مغنياً عواداً · وابو الحزم مكي الضرير المقري النحوي كان ابن صانع انطاع · ونصر الخبزارزي الشاعر كان يخبز ارغفة الارز بمربد البصرة · وابو الفرج محمد الغساني الملقب بالوأواء كان منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه · وكان بشار ابن برد الشاعر الشهير ابن طيان حاذقاً

بصناعته واخواه بشر وبشير كانا قصابين . وفتيان الشاغوري لقب بالمعلم لانه كان يعلم اولاد الملوك . وابو محمد القاسم الحريري نسب الى بيع الحرير او عمله . والقاضي ابو بكر محمد الباقلاني البصري نسب الى بيع الباقلى . وابو الحسين الجزار الشاعر المصري تعاطى الجزارة . وسراج الدين الوراق الشاعر الوراقة . وابو الفضل بن عبد الكريم الحارثي الدمشقي لقب بالمهندس لحذاقته في الهندسة وكان في اول امره نحاتاً جارة ونجاراً واكثر ابواب البيمارستان النوري الذي بناه نور الدين بن زنكي الملقب بالعادل في دمشق من نجارته وصناعته وقد درس اقليدس على نفسه واصلح الساعات في جامع دمشق وكان له على مراقبتها راتب خاص . وابو زكريا يحيى البياسي الاندلسي الطبيب قطن دمشق وعرف النجارة واشتغل الآلات الهندسية وكان عواداً وعمل الارغن . والبديع الاسطرلابي كان يعمل الآلات الفلكية ولا سيما الاسطرلاب . وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي البغدادي العالم نسب الى نقش السيوف والجدران لممارسته ذلك وحذقه به . وابو العباس محمد بن صبيح المعروف بابن السماك الكوفي الزاهد نسب الى صيد السمك وبيعه . وابو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج نسب الى عمل السروج . وابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي الملقب بالقزاز القيرواني نسب الى عمل القز وبيعه . ومعاذ بن مسلم الهراء كان يبيع الثياب المروية فنسب اليها . وابو منصور الجواليقي نسب الى عمل الجوالق وبيعها . وابو يزيد وثيمة الوشاء كان يتجر بالثياب المصنوعة من الابريسم الموشاة . ومحمد بن رضوان بن الرعاد كان خياطاً واقتنى مكتبة من صناعته . وشمس الدين الدهان الدمشقي الشاعر كان يمارس صناعة الدهان . والنصير الحمامي كان يحترف باكتراء الحمامات ويستجدي بشعره . وابو بكر محمد بن احمد بن محمد المعروف بابن الحداد الفقيه الشافعي المصري نسب الى احد اجداده الذي كان يعمل الحديد ويبيعه . وابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بالصيرفي الفقيه الشافعي البغدادي نسب الى الصرافة . وابو عبد الله محمد بن الكناني الشافعي المعروف بابن الكيزاني الشاعر كان بعض أجداده يعمل الكيزان ويبيعها فنسب اليها . وابو الرداد عبد الله بن عبد السلام بن الرداد المؤذن البصري عمل المقياس بمصر في اثناء القرن الثالث للهجرة . ونجم الدين المنجنيقي الشاعر كان في اول امره جندياً مقدماً على المنجنيقيين ببغداد فنسب اليه ومن لطيف منظومه قوله :

كلفت بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصياصي وافتتاح المرابط

وعدت الى نظم القريض لشقوتي فلم أخل في الحالين من قصد حائط

ويحيى النحوي الاسكندراني كان ملاحاً الى ان بلغ الاربعين من عمره فمال الى العلم واتقنه . وكان علي بن رضوان الطبيب بن قران . ومن اغرب العلماء ارباب الصناعات كشاجم الشاعر فان اسمه منحوت من صناعاته فالكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من اديب والجيم من منجم والميم من مؤدب الى غير ذلك

ومن متأخري العلماء من نسب الى الصناعات مثل القزديري وابن الطباخ وابن العطار والاسطواني وابن الكيال وابن السقاف وابن السمان وابن الحجار وغيرهم كثير

وممن لقبوا بالصناعات ولا نعلم اذا كانوا قد مارسوها ابو جعفر احمد المرادي النحاس النحوي المصري . وابن الخياط الدمشقي . وابو بكر بن عياش بن سالم الخياط الاسدي الكوفي . وابو محمد سعيد بن الدهان النحوي البغدادي . وابو القاسم الاسكافي . وظافر الحداد الشاعر الاسكندري . وابن الدهان الموصلي المعروف بالمهذب . وابن شاس المنعوت بالجلال . وابن الخشاب البغدادي . وابو نصر عبد السيد ابن الصباغ الفقيه . وابو القاسم علي بن القطاع الصقلي اللغوي . وابو الحسن علي بن القصار اللغوي . وابو بكر المبارك المعروف بابن الدهان النحوي الضرير الواسطي . وابو بكر محمد بن باجة الاندلسي المعروف بابن الصائغ الفيلسوف . وابو عبد الله محمد الرفاء الاندلسي الرصافي الشاعر . ويحيى بن الجراح الكاتب . وموفق الدين النحوي المعروف بابن الصائغ الحلبي . وابو المحاسن شهاب الدين الشواء الحلبي الشاعر . وابن النجار الدمشقي الشاعر . وابراهيم الحائك وقيل المعمار اوالحجار غلام النويري المصري الشاعر الزجال . وبكر بن علي الصابوني . وجوبان القواس الشاعر . وابن البيطار النباتي الشهير . وعبد الله بن محمد المغربي الملقب بالعطار الشاعر . وعبد الحق الاشبيلي المعروف بابن الخراط . وعبد الرزاق بن احمد الصابوني المحدث المؤرخ الفيلسوف . وابو بكر الوراق التيمي . وابو المعالي البقال الاديب . وابن الصفار الماردبني . وابو حفص الشطرنجي شاعر المهدي وابنته علية . وابو عبد الله البغدادي النقاش الشاعر . ومجاهد بن سليمان المعروف بالخياط الشاعر . ومحمد بن احمد المعروف بابن الحداد الشاعر . ومحمد بن احمد بن الصابوني الصدفي الاشبيلي . ومحمد بن داود بن الجراح الكاتب . والحافظ الكبير ابن النجار البغدادي واضع تاريخ بغداد المطول . وهبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان الشاعر البغدادي . فضلاً عن كثير من ارباب الصناعات الأُخر مثل ابي عبد الله

القرضي الحاسب · وابي حفص عمر بن الفارض الشاعر · وابن المعلم الواسطي الشاعر · وابن الدهان البغدادي الفرضي الحاسب · والبناني الراصد وغيرهم كثير

ومنهم من تدل اسماؤهم على انهم من ارباب الصناعات وهم لم يتعاطوها مثل ابي سلمة حفص ابن سليمان الخلال الهمداني فانه لم يكن خلالاً ولكنه كان يجلس الى محل الخلالين قرب داره بالكوفة فلقب بالخلال · ومثل ابي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي النحوي البغدادي الذي لم يشتغل بالزجاج ولكنه صحب ابا اسحق ابراهيم بن السري الزجاجي فنسب اليه · وابو سعيد الصدفي لم ينسب الى صناعة الصدف بل الى الصدف بن سهل وهي قبيلة كبيرة حميرية هبطت مصر · وكثير من العلماء لقبوا بالعسكري ولم يكونوا عساكر ولكنهم نسبوا الى (سر من رأى) الملقبة بالعسكر حيث نشأوا لان المعتصم لما بناها انتقل اليها بعسكره فقيل لها العسكر ومنهم ابو الحسن العسكري من اهل القرن الثاني للهجرة · ومنهم من سموا باسم عسكر مكرم من كور الاهواز مثل ابي القاسم محمد العسكري وغيره · وابو الحسن الكسائي لم ينسب الى عمل الكساء بل لانه دخل مرة على حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتف بكساء وقيل بل أحرم في كساء فنسب اليه · وابو زيد محمد القاشاني لم يصنع القاشاني المشهور ولكنه نسب الى مسقط رأسه قاشان في بلاد فارس · وكمال الدين الفراوي نسب الى فراوة في خوارزم لا الى الفراء ومن النكت باسمه انه قيل عنه (الفراوي الف راوي) · وابو بكر الآجري الفقيه لم ينسب الى صناعة الآجر (القرميد) ولكن الى قرية آجر من قرى بغداد · وابو بشر محمد الرازي الدولابي لم يصنع الدولاب ولكن نسب الى الدولاب وهي قرية من الري وصناعته كانت الورافة فلقب بالوراق وابو بكر محمد الصولي الشطرنجي توهم بعضهم انه وضع الشطرنج أو صنعه والصحيح انه اشتهر باللعب فيه · والفراء النحوي اللغوي الكوفي كان يفري الكلام ولم يشتغل بالفراء فعرف بهذا اللقب وابو عمرو بن دراج القسطلي نسب الى قسطلة في الاندلس لا الى عمل القساطل للماء · و يونس الصدفي المصري الفقيه لم يعمل الصدف بل لسبب آخر سمي بالصدفي وهو انه صدف بوجهه مرة فلزمه هذا اللقب · ومحمد بن الحسن الصائغ العروضي اقام بالصاغة زماناً يقرىء الناس فلقب بالصائغ الى غير ذلك وهم كثيرون

هذا ماوصلت اليه يد الاستقراء الآن من صناعات المشاهير عند العرب جمعته تبصرة وذكرى لمن يتوهمون ان الصناعة تزري بالعلماء والأدباء والمشاهير · على ان الافرنج كثيرو

الولع بالصناعات مما سأفرد له مقالة خاصة ان شاء الله في فرصة أخرى . ولقد اعرضت عن مشاهير المعاصرين واسماء الأمر التي تقرب الى الصناعات وهي كثيرة في بلادنا قريبة العهد فلا حاجة الى وصفها . فحبذا لو كثر الميل الى اسباب العمران بين ظهرانينا وولع مواطنونا بالصناعات ونحوها مما يوفر الدراهم ويشغل الاوقات ويعود على البلاد بالنفع والا فان اقتصارنا على العلوم اللغوية واللسانية جمود فلنتخذها مفتاحاً للعلوم الطبيعية:

بزراعة وصناعة وتجارة تجد البلاد تقدماً وفلاحا
اسباب عمران فشيد صرحها وخذ العلوم لنيلها مفتاحا

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

دقائق عربية

لا مراء ان من يشتغل بالكتابة ويتوغل في المطالعة يمر به من صور التراكيب ومن الالفاظ المفردة مايربك ذهنه واذا راجع كتب النحو وكتب اللغة فلا يهتدي الى ما يجلوله وجه الصواب فان علماء العربية على كثرة ما ألفوا في علمي الصرف والنحو واللغة تراهم قد اغفلوا من القواعد والتنبيهات والمفردات ما قد ترى بعضه في كتب الشروح او في الكلام القديم كما ذكرت ذلك في مقالة بهذا العنوان نشرت في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف وقد اجتمع لديّ كثير من هذه الدقائق فلم ادخرها لنفسي بل احببت نشرها رغبة في ان يكون للأدباء من وراء نصيبي فائدة وابتغاء تخليص العبارة من علل الخطأ فان في بعض المنشورات الحديثة ما يذوب له قلب البلاغة وتدمع له عين الفصاحة واكبر نصير لتلك المنشورات على تشويه محيا البيان اختلاط الغث بالسمين فبينا تمر فيها بالبليغ اذا بك قد وقعت في اركّ تركيب حتى ان المنشورات العامية العبارة اخف جناية على الفصاحة مما اجتمع فيه الصحيح بالمعتل فيلتبس على الضعفاء من اهل الادب العليل بالصحيح والخطأ بالصواب فيتخذون الخطأ صواباً والعليل صحيحاً وتلك رزية كبيرة على الفصاحة فمن هنا تعلم ان نشر مثل هذه المقالات المتمة للناقص والمبينة للمبهم هي أوسع فائدة واجل نفعاً وأرفع شأناً من تأليف كتاب في علم قد صارت المؤلفات فيه تربي على الالوف كما هي الحال في علم العربية

الدقيقة الاولى

قد اجازوا ان تخاطب جماعة النساء خطاب الواحدة كما أجازوا ان ينعت و يخبر عن الجمع المكسر بالصفة مفردة فيقولون عيونهم نائمة وما اجمل العيون الحوراء . ولم أجد من نبه عَلَى ذلك فيما وقفت عليه من كتب النحو والصرف مع انه وارد في كلام من بنيت عَلَى كلامهم قواعد التصريف والاعراب قال علقمة بن علف المري وهو من شعراء الحماسة

ولست بسائل جارات بيتي أغياب رجالك أم شهود

وقال آخر

قد كتب الحسن على وجهه يا أعين الناس قفي وانظري

فقال الاول (رجالك) مكان (رجالكن) وقال الثاني (قفي وانظري) مكان (قفن وانظرن)

الدقيقة الثانية

من حق الضمير ان يطابق مرجعه تذكيراً وتأنيثاً وافراداً وتثنية وجمعاً وكذلك اسم الاشارة كما هو معلوم عند صغار الطلبة ما خلا اسم الجمع فقد فضلوا في الاضمار له مراعاة اللفظ عَلَى مراعاة المعنى قلت لكن متى كان المقام يقتضي الكثرة كانت مراعاة المعنى عين مقتضى الحال فيقال هؤلاء قوم كرام وهذا قوم كريم وهذا شعب شجاع وهؤلاء شعب شجعان وكذا حكم اسم الجنس فيقولون ورق خضر باعتبار المعنى وورق أخضر باعتبار اللفظ قال ابو خراش الهذلي

تكاد يدي تندى اذا ما لمستها وتنظهر في اطرافها الورق الخضر

ولم اجد من زاد عَلَى ذلك لكنني رأيت في كلام من يوثق بهم جواز مطابقة الضمير واسم الاشارة للخبر . فان كان المرجع مؤنثاً والخبر مذكراً أجازوا الاتيان بضمير المذكر . وكذا اذا كان المرجع مذكراً والخبر مؤنثاً . مثال الاول قول التبريزي في شرح الحماسة « فائدة اذن هو انه أخرج البيت مخرج الجواب » ومثال الثاني ما جاء في كامل المبرد من قوله « اذا صب لبن حليب عَلَى حامض فهي المرخة » وهذا فاش في كلام الفصحاء وقد جاء في سورة الانعام « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي » مكان هذه ربي . قال صاحب الكشاف « فان قلت ما وجه التذكير في قوله « هذا ربي » والاشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد . وقال صاحب انوار التنزيل « ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث »

الدقيقة الثالثة

متى أُريد بالمفرد العموم ولو لم يكن اسم جنس جمعي كالشجر او اسم جمع كالشعب والقوم جاز ان يعامل في نعته والاضمار له والاخبار عنه معاملة الجمع وهذا مبني عَلَى اعتبار المعنى فقد جاء في سورة الانعام « وما من دابةٍ في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم » قال الزمخشري « فان قلت كيف قيل امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله تعالى « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه » دالاً عَلَى معنى الاستغراق ومغنياً عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم عَلَى المعنى » وقال البيضاوي و « جمع الامم للحمل عَلَى المعنى » ومثله في القرآن ايضاً « وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً » وذلك لان قوله كم من ملك في معنى كم ملائكة

الدقيقة الرابعة

في الفرق بين « نادها لو تسمع » وبين « تحيها هل تسمع »

قال التبريزي في شرح قول مويلك في رثاء امرأته

أَمرر عَلَى الجدث الذي حلت به   أم العلاء وناده ا لو تسمع

ويروى « تحيها هل تسمع » والفرق بين (لو) هنا وبين (هل) ان (لو) فائدته الشرط هنا والكلام به كلام من غلب القنوط عليه من ادراكها تحية من زارها و (هل) من حيث كان للاستفهام يصير الكلام به كأنه كلام راج او طامع في سماعها ويكون المعنى حيها وانظر هل تسمع

الدقيقة الخامسة

حق رُب ان تدخل عَلَى الماضي ولكنها جاءت في سورة الحجر داخلةً على المضارع حيث قال « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » قال الزمخشري لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود

الدقيقة السادسة

ان الفاء التي تلي همزة الاستفهام انما يراد بها التعقيب قال الزمخشري في تفسير قول القرآن « أفرأيت الذي كفر بآياتنا » والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال اخبر ايضاً بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أُولئك

الدقيقة السابعة

(فضلاً) مصدر يتوسط بين الادنى والاعلى للتنبيه بنفي الادنى واستبعاده عن

الوقوع عَلَى نفي الاعلى واستحالته فيقع بعد نفي اما صريح كقولك لا يملك فلان الدرهم فضلاً عن الدينار واما ضمني نحوه · وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلاً ان ترق الى الكلام المؤسس عَلَى علمي المعاني والبيان · واكثر الكتبة المعاصرين ذاهلون عن هذا الحكم فيستعملون فضلاً في الايجاب كقولك زيد بارع في صيد البر فضلاً عن براعته في صيد البحر وهو مخالف للقاعدة المذكورة مغاير لمنهج البلغاء

الدقيقة الثامنة

قد فشا في كتب علماء الصرف ان (يدع و يذر) قد اميت ماضيهما حتى صار ذلك معلوماً لصبيان المكاتب ولم اعثر في قديم الكلام عَلَى مايخالف ذلك الا في بيت من قصيدة عينية لسويد بن ابي كاهل اليشكري وهو

فسعى مسعاتهم في قومه ثم لم يظفر ولا عجزاً ودع

قال الشارح : اي سعى مسعاة ابيه في قومه فلم يظفر بالمراد ولاترك عجزاً الا استعمله والقصيدة من مختارات المفضل الضبي فيؤخذ من ذلك ان للمضطر ان يحيي ما أُميت كما احياه سويد

الدقيقة التاسعة

لم يذكر النحاة شيئاً في اعراب (حاش لله) وهي في موضع النصب عَلَى المصدرية · وانما بقيت عَلَى بنائها كبقاء « عن » عَلَى بنائها في نحو جلس من عن يمينه · ذكر ذلك الزمخشري في تفسير سورة يوسف

الدقيقة العاشرة

من سنن العرب انهم يقولون في نحو بني العنبر بلعنبر وكذلك يفعلون في كل ما فيه ألف ولام اذا لم يكن ثم ادغام فيقولون بلعجلان و بلحارث في بني العجلان و بني الحارث فان كانت لام التعريف مدغمة مثل النمر لم يحذفوا النون من بني

الدقيقة الحادية عشرة

اذا توالت النعوت او الاحوال وترك العطف كان ذلك اشارة الى ان كل نعت صفة كال عَلَى حدة كقول الزمخشري في مقدمة الكشاف « انشأه كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً برهانه »

الدقيقة الثانية عشرة

قد اجاز العروضيون وصل همزة القطع لاقامة الوزن وقد عثرت في شرح القصيدة

التي هجا بها حسان بن ثابت مسافع بن عياض التيمي عَلَى ما نصه « قوله اواصحاب الّلوا الصيد » خفف الهمزة . وتخفف اذا كان قبلها ساكن فتطرح حركتها عَلَى الساكن كقولك من ابوك كذا ذكره المبرد في كامله

الدقيقة الثالثة عشرة

ان كثيراً من كتب النحو المتداولة تنص على وجوب نصب الفعل بعد فاء السبب في جواب النفي والصحيح انذلك غالب لاواجب بدليل قول الحارثي وهومن شعراء الحماسة

فما حيلتي ان لم تكن لك رحمة   علي ولا لي منك صبر فأصبر

وقد جاء في القرآن بالرفع بعد الفاء حيث قال « ولا يؤذن لهم فيعتذرون » ذكر ذلك سيبويه والدماميني ونقله الصبان في باب النواصب

الدقيقة الرابعة عشرة

ان (احداً) لا يستعمل الا مسبوقاً بالنفي ما لم يضف نحو قام أحد الاربعة او يقع نعتاً لله نحو هو الله الاحداو يصاحب اسماء العدد كقولك عندي احد وعشرون رجلاً هذا ما صرح به في كتبهم ولقد رأيت البلغاء يستعملونه قبل النفي كقول الزمخشري وأعلم ان احداً غيره لا يقوم مقامه فيؤخذ من ذلك ان الشرط مصاحبة النفي سواء تقدم ام تأخر خلافاً لما يفهمه اكثر الادباء من وجوب الوقوع بعد النفي

الدقيقة الخامسة عشرة

قد انكر احد من ادركنا من اهل العصر علي احد المعاصرين قوله « قال يوحنا فم الذهب » وقال الصواب ان يقال الذهبي الفم . قلت ان هذا الانتقاد خطأ لان فم الذهب لقب ليوحنا فهو بدل منه لا نعت له عَلَى حد قولهم جاء زيد زين العابدين . وذهب عمرو انف الناقة

الدقيقه السادسة عشرة

قد انكر بعضهم استعمال المربض لغير الغنم استدل بنصوص من كتب اللغة كالصحاح والمصباح . وقد رأيت في الصفحة ٦٢٦ من الجزء الاول من الكشاف في تفسير سورة يوسف ما نصه « وهو جاثم في مربضه اي الطائر » ومثل الزمخشري جدير بان يوثق بكلامه

الدقيقة السابعة عشرة

قد انكر بعضهم جمع برهان عَلَى برهانات وجاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ في

الصفحة الثامنة ما نصه « ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة فيكون انكاره خطأ وانتقاده غلطاً

الدقيقة الثامنة عشرة

قد يخبر عن الجمع بالمفرد ولكن على تأويل قال القرآن « كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً » انما وحد ضداً وحقه ان يكون جمعاً لانه في كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم وقال القرآن ايضاً « وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام يريد ذوي جسد ووحد الجسد لارادة الجنس كأنه قال ذوي جسد من الاجساد ومثله «وما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين » ومن هذا الباب قول القرآن ايضاً « ثم نخرجكم طفلاً » قال المفسر . طفلاً حال اجريت على تقدير كل واحد

الدقيقة التاسعة عشرة

قد ورد في الشعر خطاب المرأة بضمير الرجال وذلك كقوله

فلا تحسبي اني تخشعت بعدكم   لشيء ولا اني من الموت أفرق

وكقول سعيد بن حميد يخاطب محبوبته فضل الشاعرة

تظنون أني قد تبدلت بعدكم   بديلاً وبعض الظن اثم ومنكر

اذا كان قلبي في يديك رهينة   فكيف بلا قلب أصافي وأهجر

ومن هذين الشاهدين تعلم انه يخاطب المرأة بضمير المؤنثة المخاطبة وبضمير جمع المذكر العاقل وهو جائز حيث يؤمن اللبس

الدقيقة العشرون

اذا كان المتكلم في فن ثم شرع في فن آخر من الكلام يصدر الكلام الجديد بقوله (اعلم) تنبيهاً على الانتقال — ذكر ذلك الزمخشري في كشافه

الدقيقة الحادية والعشرون

من سنن العرب ان يستغنى بذكر الشيء عن ذكر نقيضه قال المثقب العبدي

ولا تعدي مواعد كاذبات   تمرّ بها رياح الصيف دوني

اراد رياح الصيف والشتاء فاجتزأ بواحد منهما ومثل ذلك قول القرآن « سرابيل تقيكم الحر » لم يذكر البرد وهي تقي الحر والبرد فترك البرد اجتزاء بذكر الحر

الدقيقة الثانية والعشرون

من التراكيب المستفيضة الواردة عن البلغاء ما تقدر فيه الجملة بالمفرد . من ذلك

قولهم ما ترى لنا أنهرب ام نقيم والتقدير ما ترى لنا الهرب ام الاقامة . وهذا لم اجد من تعرض لذكره . نعم قالوا في باب ام المتصلة انها تقع بين جملتين في تأويل المفرد نحو قول القرآن « سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون »

على أنهم لم ينبهوا على ان الجملة تسبك بمصدر الامع الاحرف المصدرية

الدقيقة الثالثة والعشرون

قد رأيت من الادباء من ينكر استعمال صار بمعنى حصل وهذا خطأ جلبه نقص العلم فهي تأتي بمعنى حصل ومن تتبع كتب اللغة يرها واردة بهذا المعنى في عدة مواضع من ذلك ما جاء في مادة (و ق ع) ونصه « وقع في ارض فلاة صار فيها »

الدقيقة الرابعة والعشرون

ان اكثر الأدباء يرون قول العامة بقي فلان بفرد بد خطأ وصوابه « بيدٍ واحدةٍ » والحال انه عربي فصيح فقد جاء في اخبار دعبل في كتاب الاغاني فحلف ان لا يبيعها (اي الحلة) او يعطوه بعضها ليكون في كفنه فاعطوه فردكم اي كمًّا واحداً وقد ورد هذا في غير الاغاني من كتب البلغاء

الدقيقة الخامسة والعشرون

لم أر من نص على ان حيث تقع في مقام التعليل مع انها وردت للتعليل في كلام البلغاء كالزمخشري والبيضاوي قال الاول « والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون » وقال الثاني وما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام » وهي في كلام هذين الامامين بمعنى لان

الدقيقة السادسة والعشرون

اذا جاز في لفظ مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى فان روعي احدهما في جملة جاز ان يراعى الآخر في أخرى . قال في سورة الحجر « وما تسبق أمة أجلها وما يستأخرون » وقال غلاق بن مروان وهو من شعراء الحماسة

فاضحت زهير في السنين التي مضت وما بعد لا يدعون الا الاشائما

الدقيقة السابعة والعشرون

اذا قيل لا اشجع من عمرو ولا أجبن من خالد ولذلك يشبه بهما كل متناهٍ في الشجاعة وكل متناهٍ في الجبن يكون المراد ان كل متناهٍ في الشجاعة يشبه بعمرو وكل متناهٍ في الجبن يشبه بخالد — لا ان كل متناهٍ في الشجاعة يشبه بخالد ولا كل متناهٍ في الجبن يشبه بعمرو

خلافاً لما يماري فيه من يدعون التعمق في علم العربية وانما هم واقفون عند ظواهرها وتعزيزاً لهذا اروي لك ما يبين لك الامر كالصبح قال البيضاوي في تفسير سورة يوسف «وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناهٍ في الحسن والقبح بهما اه يريد ان كل متناهٍ في الحسن يشبه بالملك وكل متناهٍ في القبح يشبه بالشيطان

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

المقتبس

الفروق

للعرب كتب كثيرة في الفروق افردوها في التأليف وقد ذكر منها صاحب كشف الظنون رسالة في فروق الاصول وأخرى في فروق فروع الحنفية للكرابيسي النيسابوري المتوفى سنة ٧٧٤ وغيرها للشيخ الكرابيسي السمرقندي المتوفى سنة ٣٢٢ وثانية اسمها فروق الكرابيسي المسمى بتلقيح المحبوب ورابعة في فروق فروع الشافعية لابن سريج وأخرى للجويني ولابن النقاش وللترمذي (٢٥٥) وللأرموي (٧٧٢) قال ذكر الاسنوي في مطالع الدقائق ان المطارحة بالمسائل ذوات المآخذ المؤتلفة المتفقة والاجوبة المختلفة المفترقة من مآثر افكار العلماء وقال قد رأيت لاصحابنا في هذا المعنى تصانيف منها ما هو موضوع لهذا المعنى بخصوصه ومنها ما هو مشتمل على اعم منه فمن الاول كتاب الجمع والفروق للشيخ ابي محمد الجويني ومنه كتاب الوسائل في فروق المسائل بمجلد ضخم لابي الخير سلامة بن اسمعيل بن جماعة المقدسي ومن الثاني كتاب المطارحات لابي عبد الله القطان ظفر به الرافعي ونقل عنه في كتاب الغصب ومنه المسكت بالسين المهملة والتاء المثناة لابن عبد الله الزبيري ومنها المعاياة لابي العباس الجرجاني وهذا الباب واسع جداً اشتمل على الغث والسمين اه

ومن جملة المخطوطات التي حوتها خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسني مخطوط فيه اربع رسائل وسم اولها بكتاب المتوكلي يذكر فيه ما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية وغير ذلك لجلال الدين السيوطي والثانية الاحاديث الثمانية المنتخبة من نوادر

الاصول العالية لابي الضيا البوتيجي ويليه حسن النسيم بدار النعيم للطبلاوي ويليه المنتخب من كتاب الفروق لابي هلال العسكري. وليس عَلَى المجموع كتابة يعرف منها تاريخ كتابته الا ان الظاهر من خطه وورقه انه حديث وربما كانت الرسالة الاخيرة منه في الفروق اقدم من الثلاث الاولى لانها مكتوبة بخط يختلف عن الخط الاول ولم يذكر فيه اسم صاحبها والغالب انه تركي كتب عَلَى حاشية الصفحة الاولى ما نصه : « الفرق بين الاسامة والاسد ان الاسد اسم الجنس والاسامة علم الجنس. الفرق بين علم الجنس واسم الجنس ان علم الجنس موضوع للماهية المشتركة واسم الجنس موضوع للافراد جلبي » وقال عَلَى الحاشية «الانسان والفرس والبقر فانها علم الحقيقة المشتركة بين المذكر والمؤنث شرح » وفي آخر الرسالة : « تمت (؟) الكتاب بعون الملك الوهاب . » وبذلك يتدل عَلَى اعجمية الكاتب والمختصر واليك الرسالة برمتها :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين اما بعد حمد الله والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد وعَلَى سائر رسل الله وملائكته المقربين والرضى عن الصحابة والتابعين فهذه شذرة علقتها من كتاب الفروق لابي هلال العسكري رحمه الله

الفرق بين الاختصار والايجاز ان الاختصار هو القاؤك فضول الالفاظ من كلام مؤلف سبق حدوثه من غير اخلال بمعانيه والايجاز هو الكلام على قلة اللفظ وكثرة المعاني

الفرق بين الاطناب والاسهاب ان الاطناب بسط الكلام لتكثير الفائدة والاسهاب بسطه مع قلتها فالاطناب بلاغة والاسهاب عيّ[1]

الفرق بين المحال والممتنع عَلَى ماقاله بعض العلماء ان المحال ما لايجوز كونه ولا يتصور مثل قولك الجسم اسود ابيض في حالة واحدة والممتنع ما لا يجوز كونه و يجوز تصوره في الوهم مثل قولك للانسان عش ابداً

الفرق بين الانكار والجحد ان الجحد اخص من الانكار لان الجحد انكار الشيء الظاهر لقوله تعالى بآياتنا يجحدون والانكار لشيء خفي لقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها لان النعمة قد تكون خافية و يجوز ان يقال الجحد هو انكار الشيء مع العلم به لقوله تعالى وجحدوا بها والانكار لا يكون مع العلم

---

[1] وفي الهامش الاقتصار فيما اذا كان اللفظ والمعنى قليلا والاختصار فيما اذا كان اللفظ قليلا والمعني كثيراً

الفرق بين الزور والكذب والبهتان ان الزور هو كذب قد حسن في الظاهر ليحسب انه صدق بخلاف الكذب واما البهتان فهو مواجهة الانسان بما يكرهه

الفرق بين الافتراء والاختلاق ان المفتري يقطع بالكذب ويخبر به والمختلق يبتدئ كذبا ويخبر به

الفرق بين الاقرار والاعتراف ان الاقرار فيما قاله اداة معاني اخبار عن شيء ماض وهو في الشريعة جهة ملزمة للحكم وقال بعضهم الاعتراف كالاقرار وقال ابو هلال يجوز ان يقر بالشيء وهو لا يعرف انه اقرّ به ويجوز ان يقر بالباطل الذي لا اصل له ولا يقال لذلك اعتراف انما الاعتراف هو الاقرار الذي صحبته المعرفة بما اقرّ به مع التزام له ولهذا يقال اعتراف بالنعمة ولا يقال اقرار بها فكل اعتراف اقرار وليس كل اقرار اعترافا ولهذا اختار اصحاب الشروط الاقرار لانه اعم ونقيض الاعتراف الجحد ونقيض الاقرار الانكار

الفرق بين الشكر والحمد ان الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم والحمد هو الذكر الجميل على جهة التعظيم ويجوز ان يحمد الانسان نفسه على امور جميلة يأتيها ولا يجوز ان يشكرها فالاعتماد في الشكر على توجيه النعمة وفي الحمد على ما توجبه الحكمة ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفار ولا يجوز ان يطلق الحمد الا لله تعالى

الفرق بين الحمد والمدح ان الحمد لا يكون الا على احسان بخلاف المدح

الفرق بين الجزاء والمكافأة والمقابلة ان الجزاء لا يلزم فيه المساواة بخلاف المكافأة والمقابلة وعورض بقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الآية

الفرق بين الثناء والنثاء على ما قال بعضهم ان الثناء بتقديم الثاء يكون في الخير والشر والنثاء بتقديم النون لا يكون الا في الشر والصحيح ان الثناء وهو الاول لا يكون الا في الخير وربما استعمل في الشر والنثاء وهو الثاني يكون في الخير والشر

الفرق بين السب والشتم ان الشتم تقبيح امر المشتوم بالقول والسب هو الاطناب في الشتم والاطالة فيه

الفرق بين الشتم والسفه ان الشتم قد يكون حسنا اذا كان المشتوم يستحق الشتم والسفه لا يكون الا قبيحا

الفرق بين الذم واللوم ان اللوم على الفعل الحسن والذم لا يكون الا على القبيح •

الفرق بين العتاب واللوم ان العتاب هو يكون على تضييع حقوق المودة والصداقة بخلاف اللوم

الفرق بين المستقيم والصحيح والصواب ان كل مستقيم صحيح وليس كل صواب صحيح مستقيماً

الفرق بين المستقيم والصواب ان الصواب اطلاق الاستقامة على الحسن والمستقيم هو الجاري على سنن وان كان قبيحاً

الفرق بين الخطأ والغلط ان المخطئ من يقصد الشيء فيصيب غيره واما الغلط فهو وضع الشيء في غير موضعه

الفرق بين اللحن والخطإ ان اللحن في القول فقط والخطأ في القول والفعل

الفرق بين العقد والعهد ان العقد ابلغ من العهد

الفرق بين العهد والميثاق ان الميثاق توكيد العهد وقال بعضهم العهد بين اثنين والميثاق من احدهما

الفرق بين الوعد والعهد ان العهد ما كان بشرط قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم الآية ان لا يخرج من الجنة ما لم يأكل من الشجرة بخلاف الوعد ويقال نقض العهد واخلف الوعد

الفرق بين التفسير والتأويل قيل ان التفسير هو الاخبار عن افراد آحاد الجملة والتأويل الاخبار بمعنى الكلام جملة وقيل التفسير افراد ما ينتظمه ظاهر التنزيل والتأويل اخبار بغرض المتكلم وقيل التأويل استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه مجاز او حقيقة

الفرق بين الشرح والتفصيل ان الشرح بيان المشروح واخراجه من وجه الاشكال الى التجلي والظهور ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن والتفصيل هو ذكر ما تضمنته الجملة على سبيل الافراد ولهذا قال الله تعالى ثم فصلت من لدن حكيم ولم يقل شرحت

الفرق بين التقسيم والتفصيل ان في التفصيل معنى البيان عن كل قسم بما يريد ذكره فقط والتقسيم يحتمل الامرين والتقسيم يفتح المعنى والتفصيل يتم بيانه

الفرق بين القرآن والفرقان ان القرآن اعم و فرقان هو الفارق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر

الفرق بين السلام والتحية ان التحية اعم من السلام

الفرق بين العام والمبهم ان العام يشتمل على اشياء والمبهم يتناول واحد الاشياء بعينه

الفرق بين فحوى الخطاب ودليل الخطاب ان فحوى الخطاب باللفظ كقوله تعالى

ولا تقل لهما أف ودليل الخطاب هو ما علق بصفة الشيء او عدده او حاله او غايته ونحوها

الفرق بين البيان والفائدة ان البيان لمعرفة غيره والمعرفة لنفسه (?)

الفرق بين القراءة والتلاوة ان التلاوة لا تكون الا لكلمتين فصاعداً والقراءة تكون الكلمة واحدة

الفرق بين المنازعة والمطالبة ان المطالبة تكون بما يعترف به المطلوب والمنازعة لا تكون الا فيما ينكره المطلوب

الفرق بين المسألة والفتيا ان المسألة عامة في كل شيء والفتيا سؤال عن حادثة

الفرق بين بلى ونعم ان بلى لا تكون الا جواباً لما تقدم من جحوده كقوله تعالى: ألست بربكم قالوا: بلى . اما نعم فلا تكون الا للاستفهام بلا جحود وكقوله تعالى: فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا: نعم

الفرق بين الوسوسة والفزع ان الفزع الاغواء بالوسوسة واكثر ما يكون عند الغضب

الفرق بين الدلالة والامارة ان الدلالة مايؤدي النظر فيه الى العلم والامارة ما يؤدي النظر فيه الى الظن

الفرق بين الاستدلال والدلالة ان الدلالة ما يمكن الاستدلال به والاستدلال فعل المستدل

الفرق بين النظر والاستدلال ان الاستدلال طلب معرفة الشيء من جهة غيره والنظر طلب معرفته من جهته ومن جهة غيره

الفرق بين النظر والتأمل ان النظر هو ما ذكرناه والتأمل هو النظر المؤمل به معرفة ما يطلب ولا يكون الا في مدة فكل تأمل نظر وليس كل نظر تأملا

الفرق بين النظر والبديهة ان البديهة اول النظر يقال عرفته على البديهة اي في اول احوال النظر

الفرق بين البديهة والروية ان الروية على ما قال بعضهم آخر النظر والبديهة اوله

الفرق بين النظر والفكر ان النظر يكون فكراً ويكون بداهة والفكر ما عدا البديهة

الفرق بين التفكر والتدبر ان التدبر صرف القلب بالنظر في العواقب والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل

الفرق بين الانتظار والترجي ان الترجي انتظار الخير خاصة ولا يكون الامع الشك واما الانتظار والتوقع فهو طلب ما يقدر ايقاعه

الفرق بين الانتظار والتربص ان التربص طول الانتظار

الفرق بين الخاطر والنظر ان الخاطر مرور معنى بالقلب بمنزلة خطاب مخاطب وعند بعضهم انه كلام يحدثه الله تعالى او الملك في سمع الانسان فاذا كان من الشيطان سمي وسواساً وعورض بالاخرس فان له خاطراً ولا كلام له

الفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر يكون ابتداء و يكون عن عزوب والذكر لا يكون الا عن عزوب

الفرق بين العلم والمعرفة ان المعرفة اخص من العلم لانها لا تكون الا مفصلة والعلم يكون مجملا ومفصلا قال بعضهم : ولا يوصف الله بانه عارف قال المؤلف وليس كما قاله

الفرق بين العلم واليقين ان العلم معرفة الشيء على ما هو به او اعتقاده واليقين هو سكون النفس بما علم وبهذا لا يجوز ان يوصف الله باليقين و يقال اليقين لا يزال بالشك وقل ان يقال العلم لا يزال بالشك

الفرق بين الشعور والعلم ان الشعور النظر الدقيق الموصل للعلم والعلم اعم

الفرق بين المعرفة الضرورية والالهام ان الالهام ما يبدو في القلب من المعارف بطريق الخير فيفعل و بطريق الشر فيترك والمعارف الضرورية اربعة عند المشاهدة وعند التجربة وعند الاخبار المتواتر وعند اوائل العقل

الفرق بين العالم والمحقق ان المحقق هو المتطلب حق المعنى حتى يدركه ولهذا لا يقال ان الله محقق وقيل التحقيق لا يكون الا بعد الشك بخلاف العلم

الفرق بين العلم والعقل ان العقل هو العلم الاول الزاجر عن القبيح وكل من كان زاجره اقوى كان اعقل ولهذا لا يوصف الله تعالى به وقال بعضهم العقل الحفظ يقال عقلت الدراهم اي حفظتها ومن هذا الوجه يجوز ان يقال الله تعالى عاقل اي حافظ الا انه لم يستعمل

الفرق بين الذهن والعقل ان الذهن هو نقيض سوء الفهم وهو عبارة عن وجود الحفظ لما يتعلمه ولا يوصف الله تعالى به والعقل ما تقدم

الفرق بين الفطنة والذهن والعلم ان الفطنة هي التنبه على المعنى وضدها الغفلة ويجوز ان يقال ان الفطنة ابتداء المعرفة من وجه غامض وكل فطنة علم لا كل علم فطنة والذهن ما تقدم

الفرق بين الفطنة والذكاء ان الذكاء تمام الفطنة وفي الذكاء معنى زائد عن الفطنة

الفرق بين الفطنة والحذاقة ان الحذاقة هي سرعة الحركة في الامور واصلها الحدة والتناهي فلما كان الله تعالى لا تناهى معلوماته لم يجز ان يوصف بالحذاقة والفطنة ما تقدم

الفرق بين الالمعي واللوذعي ان اللوذعي هو الخفيف الظريف مأخوذ من لذع النار وهو سرعة اخذها من الشيء والالمعي هو الفطن الذكي الذي تبين له عواقب الامور بادنى لمعة اي لوح له

الفرق بين القريحة والطبيعة ان الطبيعة ما طبع عليه الانسان اي خلق والقريحة فيما قال المبرد ما خرج من الطبيعة من غير تكلف وقولهم ماء قراح اي لم يخالطه شيء وللارض الذي لا تنبت قرواح والشجرة اذا جاوزت الدهر قرواحة والفرس القارح القديم السن واما القرح في الجلد والقرحة شبيهه

الفرق بين العلم والفقه ان الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله بخلاف العلم ولهذا لا يقال ان الله تعالى نفقه لانه لا يوصف بالتأمل

الفرق بين السمع والاصغاء ان السمع هو ادراك المسموع والاصغاء طلب ادراكه

الفرق بين السمع والاستماع ان الاستماع هو الاصغاء للمسموع ليفهم بخلاف السمع ولهذا لا يقال ان الله تعالى يستمع

الفرق بين العلم والادراك ان الادراك موقوف على اشياء مخصوصة وليس العلم كذلك والادراك يتناول الشيء على اخص اوصافه وعلى الجملة فالعلم يقع بالمعدوم ولا يدرك الا الموجود والادراك طريق من طريق العلم ولهذا العلم قوته وضعفه بالمدرك والدراية هي الفهم

الفرق بين الاحساس والادراك على ما قاله بعضهم انه يجوز ان يدرك الانسان الشيء وان لم يحس به كما يدركه ببصره ويغفل عنه فلا يعرفه وقال اهل اللغة لما اشعرت به احسست به اي ادركته بحسك وفي القرآن: فلما أحسوا بأسنا وفيه: فتحسسوا من يوسف واخيه اي تعرفوا باحساسهم وقال بعضهم الحس هو اول العلم ومنه قوله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر اي علمه من اول وهلة ولا يجوز ان يقال الانسان يحس بوجود نفسه

الفرق بين العلم والاعتقاد ان العلم اعم فلا يلزم من العلم الاعتقاد بخلاف عكسه

الفرق بين العلم والحفظ ان الحفظ هو العلم بالمسموعات دون غيرها من المعلومات الا

ترى لا يقال حفظت ان زيداً في البيت ولا يقال للعلم بالمشاهدات حفظ ويجوز ان الحفظ هو العلم بالشيء حالاً بعد حال من غير تخلل جهل او نسيان ولهذا سمي حفاظ القرآن حفاظاً ولا يوصف الله بالحفظ لذلك

الفرق بين الذكر والتنبه ان الذكر هو العلم الحادث بعد النسيان بخلاف التنبه

الفرق بين العلم والاحاطة ان الاحاطة كالدائرة من كل وجه تجيء بمعنى العلم وبمعنى القدرة وقد جاء لفظة الاحاطة في القرآن كثيراً منه قوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطاً وقد احاط بكل شيء علماً والله محيط بالكافرين والعلم مانقدم

الفرق بين المعروف والمشهور ان المشهور هو المعروف عند جماعة كثيرة والمعروف هو المعروف ولو عن واحد

الفرق بين العلم والشهادة ان العلم اعم والشهادة اخص

الفرق بين الشاهد والمشاهد ان المشاهد للشيء هو المدرك له رؤية وقيل رؤية اوسمعاً وهو في الرؤية اشهر ولا يقال ان الله لم يزل مشاهداً لانه يقتضي ادراكاً بجله والشاهد هو يقتضي ذلك

الفرق بين الشاهد والحاضر ان الشاهد للشيء يقتضي العلم بخلاف الحاضر الا ترى انه يقال حضره الموت لاشاهده الموت ولا يصح وصف الموت بالعلم

الفرق بين الاعلام والاخبار ان الاعلام التعريض بما علم به والاخبار اظهار الخبر علم به او لم يعلم

الفرق بين العلم والتقليد ان العلم معرفة الشيء واعتقاده على ما هو به على سبيل الثقة والتقليد قبول الامر ممن لا يؤمن عليه الغلط بلا حجة

الفرق بين النسيان والسهو ان النسيان انما يكون عما كان والسهو يكون عما لم يكن يقال نسيت ما عرفته وبهذا يقال سهوت عن السجود الذي لم يكن ويقال النسيان عن ذكر والسهو عن ذكر وعن غيره

الفرق بين السهو والغفلة ان الغفلة تكون عما لا يكون والسهو عما يكون وفرق آخر وهو ان الغفلة تكون عن فعل الغير ولا يجوز ان يسها عن فعل الغير

الفرق بين النوم والاغماء ان الاغماء سهو من مرض فقط والنوم سهو يحدث من فتور جسم

الفرق بين الظن والحسبان على قول بعضهم ان الظن ضرب من الاعتقاد والحسبان ليس باعتقاد

الفرق بين الريبة والتهمة وكلاهما مذمومتان ان الريبة في الانسان تورث شكاً في صلاحه مثلا والتهمة تورث مقالاً فيه فكل مرتاب متهم وكل متهم ليس بمرتاب

الفرق بين التصور والتخيل ان التصور لا يثبت عَلَى حال وقيل التخيل تصور الشيء عَلَى اوصافه، والتخيل والتصور منافيان العلم كما ان الظن والشك ينافيانه

الفرق بين الحماقة والرقاعة ان الرقاعة عَلَى ما قال بعضهم حمق مع رفعة وعلوّ رتبة ولا يقال احمق اذا كان سيداً او رئيساً او ذا مال او جاه

الفرق بين الحياة والعيش ان العيش سبب الحياة من اكل وشرب ونحوهما

الفرق بين الحياة والروح ان الروح من قرائن الحياة والحياة عرض والروح جسم رقيق من جنس الريح وقيل هي جسم رقيق حساس وزعم الاطباء ان موضعها في الصدر من الحجاب والقلب وذهب بعضهم الى انها مبسوطة في جميع البدن وفيه خلاف كثير وسمي جبرائيل عليه السلام روحاً لان الناس ينتفعون به في دينهم كانتفاعهم بالروح وبهذا المعنى سمي القرآن روحاً

الفرق بين الروح والمهجة والنفس والذات ان الروح ما تقدم والمهجة خالص دم الانسان الذي اذا خرج خرجت روحه وهو دم القلب والنفس مشتركة يقع عَلَى الروح والذات

الفرق بين الاهلاك والاعدام ان الاهلاك اعم من الاعدام فكل اعدام اهلاك وليس كل اهلاك اعداماً

الفرق بين القدرة والقهر ان القدرة تكون عَلَى صغير المقدور وكبيره والقهر يدل عَلَى كبير المقدور

الفرق بين الغلبة والقدرة ان الغلبة من فعل الغالب وليست القدرة من فعل القادر

الفرق بين القهر والغلبة ان الغلبة من نتاج القدرة

الفرق بين القادر والقوي ان القوة اخص والقدرة اعم فكل قوي قادر لا كل قادر قوي

الفرق بين القوة والشدة ان الشدة ليست من قبيل القدرة قال الله تعالى: اشد منهم قوة اي اقوى منهم وفي القرآن ذو القوة المتين اي العظيم الشأن في القوة

الفرق بين الشدة والصعوبة ان الشدة ما ذكرنا والصعوبة تكون في الافعال دون غيرها

الفرق بين الصحة والعافية ان الصحة اعم والعافية اخص

الفرق بين الصحة والسلامة ان السلامة نقيض الهلاك والصحة نقيض السقم

الفرق بين القدرة والطاقة ان الطاقة غاية مقدرة القادر واستفراغ وسعه في المقدور ولا يقال لله تعالى مطيق

الفرق بين القدرة والاستطاعة ان القدرة اعم والاستطاعة اخص وكل مستطيع قادر لا كل قادر مستطيع

الفرق بين القادر والمتمكن قال بعضهم معناهما واحد وبعضهم فرق والاستطاعة والتمكن من صفات المخلوقين

الفرق بين الدوام والخلود ان الدوام هو استمرار البقاء في جميع الاوقات والخلود هو استمرار البقاء من وقت المبدإ والله تعالى موصوف بالدوام لا بالخلود

الفرق بين الدائم والسرمد ان السرمد هو الذي لا فصل فيه بل اتباع الشيء الشيء

الفرق بين الخلود والبقاء ان الخلود استمرار البقاء من وقت له مبدأ واصل الخلود اللزوم

الفرق بين القديم والباقي ان الباقي هو الموجود لا عن حدوث والقديم ما لم يزل كائناً موجوداً والقديم على الحقيقة هو الذي لا اول لوجوده

الفرق بين الاول والسابق ان السابق يقتضي ان يكون ثم مسبوق والاول لا يقتضي ثانياً الا ترى انك تقول هذا اول موجود ولد لفلان وان لم يولد له غيره واول عبد يملكه حي وان لم يملك غيره وبهذا يبطل قول الملحدين ان الاول لا يسمى اول الا بالاضافة الى الثاني

الفرق بين الحب والود ان الحب فيما يكون يوجبه ميل الطباع والود من جهة ميل الطباع فقط

الفرق بين الارادة والرضا ان الارادة تكون الطاعة قبلها والرضا بها يكون بعدها او معها والرضا نقيض السخط والسخط من الله تعالى ارادة العقاب فينبغي ان يكون الرضا منه ارادة الثواب

الفرق بين الارادة والمشيئة ان الارادة لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى والمشيئة لما يتراخى وقتها فقط

الفرق بين المشيئة والعزم ان المشيئة تقدم والعزم ارادة يقطع بها المريد رؤيته في الاقدام على الفعل او الاحجام عنه ويختص بارادة المريد لفعل نفسه لانه لا يجوز ان يعزم على فعل غيره

الفرق بين العزم والنية ان النية ارادة متقدمة لفعل باوقات والعزم قد يكون متقدماً للمعزوم عليه باوقات او توقت ولا يوصف الله تعالى بالنية ولا بالعزم

الفرق بين الارادة والاختيار ان الاختيار ارادة الشيء بدلاً من غيره بخلاف الارادة

الفرق بين القصد والارادة ان قصد القاصد مختص بفعله دون فعل غيره والارادة غير مختصة باحد الفعلين دون الآخر والقصد ايضاً ارادة الفعل في حال ايجاده فقط اذا تقدمته باوقات لم يسم قصداً الا انه لا يقال قصدت ان ازورك غداً

الفرق بين الهم والارادة ان الهم اجراء العزيمة عند موافقة الفعل وقيل الهم تعلق الخاطر بشيء له قدر في الشدة والمهمات الشدائد

الفرق بين الهمة والقصد ان الهمة اتساع الهم وقوته فتقول فلان ذوهمة وذوعزيمة

الفرق بين الغضب والغيظ ان الغيظ يكون من نفسه ولا يجوز ان يغضب على نفسه لان الغضب ارادة الضرر للمغضوب عليه ولا يجوز ان يريد الانسان الضرر لنفسه

الفرق بين الهم والحزن ان الحزن على ما فات والهم على ما هو آت نقلته من غير الكتاب المذكور

الفرق بين الغضب والسخط ان الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير والسخط لا يكون الا من الكبير فقط

الفرق بين العداوة والشنآن ان العداوة ارادة السوء لمن تعاديه والشنآن على قول بعضهم طلب العتب على فعل الغير لما سبق من عداوته

الفرق بين المعاداة والمخاصمة ان المخاصمة من قبل القول والمعاداة من افعال القلوب ويجوز ان يخاصم غيره من غير معاداة وان يعادي غيره من غير مخاصمة

الفرق بين الاختراع والابتداع ان الابتداع ايجاد ما لم يسبق الى مثله بخلاف الاختراع

الفرق بين الفعل والانشاء ان الانشاء هو احداث الشيء حالاً بعد حال من غير ابتداء على مثال بخلاف الفعل وقال بعضهم الانشاء الابتداء والايجاد من غير سبب والفعل يكون عن سبب وقال آخرون الفعل ايجاد بعد ان لم يكن بسبب وبغير سبب والانشاء ما يكون بغير سبب والوجه الاول اجود

الفرق بين المبدي والمبتدي ان المبدي للفعل هو المحدث له ولا يقدر عليه الا

الله تعالى والمبتدئ بالفعل هو الفاعل لبعضه من غير تتميمه

الفرق بين العمل والفعل ان العمل ايجاد الاثر في الشيء بخلاف الفعل

الفرق بين العمل والصنع ان الصنع ترتيب العمل واحكامه دون العمل

الفرق بين الجعل والعمل ان العمل هو ايجاد الاثر في الشيء والجعل بغير صورته

الفرق بين الاخذ والتناول ان التناول اخذ الشيء للنفس خاصة والاخذ لنفسه ولغيره فهو اعم ويجوز ان يقال التناول يقتضي تسليم شيء بخلاف الاخذ قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم

الفرق بين الواحد والفرد ان الواحد يقتضي الانفراد بالذات او بالصفة والفرد نقيض الزوج

الفرق بين الانفراد والاختصاص ان الانفراد ما تقدم والاختصاص انفراد بعض الاشياء بمعنى دون غيره

الفرق بين الواحد والاوحد ان الاوحد من فارق غيره ممن يشاركه في فن من الفنون بخلاف الواحد

الفرق بين الفرد والواحد ان الفرد يفيد التقليل دون التوحيد ولهذا لا يقال لله تعالى فريد كما يقال له فرد

الفرق بين الواحد والمنفرد ان المنفرد يقتضي التخلي والانقطاع عن القرباء ولهذا لا يقال لله تعالى المنفرد بالنون كما يقال متفرد بالتاء المتخصص بتدبير الخلق وغير ذلك مما يختص به من صفاته وافعاله سبحانه وتعالى

الفرق بين الواحد والوحيد والفريد ان الوحيد والفريد يقتضي التخلي عن الانيس ولا يوصف به الا الله تعالى بخلاف الواحد

الفرق بين التفرد والتوحد ان التفرد بالفضل والنبل والتوحد التخلي

الفرق بين الوحدانية والوحدة ان الوحدة التخلي والوحدانية تقتضي نفي الأشكال والنظراء ولا يستعمل في غير الله تعالى ولا يقال لله تعالى واحد من طريق العدد

الفرق بين الواحد والاحد ان الواحد لا ثاني له والاحد لا يقبل التجزي والواحد يختص بالصفات والاحد بالذات

الفرق بين الكل والجمع ان الكل عند بعضهم هو الاحاطة بالاجزاء والجمع الاحاطة بالابعاض

الفرق بين البعض والجزء ان الجزء لا ينقسم وان البعض ينقسم و يقتضي كلا والجزء يقتضي جمعاً

الفرق بين الجزء والسهم ان الجزء من جملة ما انقسمت عليه والاثنان جزء من العشرة والثلاثة ليست بجزء منها لانها لا تنقسم عليه وكل ذلك يسمى سهماً كما قال بعضهم

الفرق بين الشبيه والمشبه ان الشبيه اعم والمشبه اخص

الفرق بين المثيل والنظير ان المثيلين ما تكافآ في الذات والنظير ما قل نظيره في حسن افعاله

الفرق بين الصفة والهيئة ان الصفة من قبيل الاسماء واستعمالها في المسميات وليست الهيئة كذلك

الفرق بين الجنس والنوع ان الجنس اعم من النوع والصفة

الفرق بين الحظ والقسم ان كل قسم حظ وليس كل حظ قسماً

الفرق بين النصيب والحظ ان النصيب يكون في المحبوب والمكروه والحظ لا يكون الا في المحبوب

الفرق بين الرزق والغذاء ان الرزق اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به فليس كل ما يتغذى به الانسان رزقاً كالمسروق ليس هو رزقاً للسارق اذ لو كان رزقاً له لما ذم عليه والرزق ما ينتفع به ليدخل الحرام والالزم انه لو عاش عمره بالحرام لم يكن له رزق واما الذم عليه فامر آخر

الفرق بين البر والصلة ان البر يكون بسعة الفضل وبلين الكلام وبالملتى بجهل (؟) القول والفعل والصلة المواصلة بالفضل

الفرق بين البر والخير ان البر لا يكون الا عن قصد والخير عن قصد وسهو

الفرق بين الغنيمة والفيء ان الغنيمة اسم لما اخذناه من اموال المشركين بقتال والفيء ما اخذناه من اموالهم بغير قتال اذ سبب اخذه الكفر

الفرق بين القرض والدين ان القرض يستعمل في العين والنقد بخلاف الدين فكل قرض دين ولا كل دين قرض

الفرق بين السخاء والجود ان الجود كثرة العطاء من غير سؤال والسخاء ان يلين الانسان عند السؤال

الفرق بين الكرم والجود ان الجود ما ذكرنا والكرم على وجوه فيقال الله تعالى كريم

اي عزيز وهو من صفات ذاته ومنه قوله تعالى ما غرّك بربك الكريم اي العزيز الذي لا يغلب والكريم الحسن في قوله تعالى من كل زوج كريم ومثله وقل لهما قولاً كريماً اي حسناً والكرم بالفضل في قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم اي افضلكم ومنه قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم اي فضلناهم والكريم ايضاً السعيد في قوله عليه الصلاة والسلام اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه اي سيد قوم ويجوز ان يقال الكرم اعطاء الشيء عن طيب نفس قليلاً كان او كثيراً هذا كلام هذا الكتاب وفي كتب الفقه اشياء غير ذلك فلتراجع

الفرق بين الكرم والايثار ان الايثار بذل الشيء مع الحاجة اليه بخلاف الكرم والجود والسخاء

الفرق بين الشح والبخل ان الشح الحرص على منع الخير والبخل منع الحق

الفرق بين الصمد والسيد ان السيد المالك والصمد يقتضي القوة على الاصوب

الفرق بين سيد القوم واكبرهم ان سيدهم هو الذي يلي تدبيرهم وكبيرهم هو الذي يفضلهم في العلم والسن والشرف

الفرق بين مالك وملك ان مالك يفيد مملوكاً وملك لا يفيد ذلك لكنه الامر وسعة القدرة على ان المالك بيان اوسع من الملك لانك تقول الله مالك الملائكة والانس والجن

الفرق بين مالك ومليك ان المليك يقتضي المبالغة مثل سميع وعليم ولا يقتضي مملوكاً

الفرق بين العظيم والكبير ان الكبير الذي ليس فوقه احد وقد يكون من جهة الكثرة ومن غير جهة الكثرة ولذلك جاز بان يوصف الله تعالى بانه عظيم ولم يوصف سبحانه بانه كبير فقط وقد يعظم الشيء من جهة الحسن ومن جهة التثقيف وفرق بعضهم بين الجليل والكبير بان قال الجليل في اسماء الله تعالى هو العظيم الشأن الذي يستحق الحمد والكبير من يستحق صفة الحمد والاجل من ليس فوقه من هو اجل منه

الفرق بين الاله والمعبود ان الاله هو الذي يحق له العبادة فلا اله الا الله وليس كل معبود يحق له العبادة الا ترى ان الاصنام معبودة والمسيح معبود ولا يحق لها ولا له العبادة

الفرق بين قولنا الله وبين قولنا اله ان قولنا الله اسم لم يسم به غير الله تعالى الا على جهة الخطاء واما قول الناس لا معبود الا الله اي لا يستحق العبادة الا الله

الفرق بين قولنا يحق له العبادة وقوله يستحق العبادة ان قولنا يحق له العبادة يفيد

عَلَى انه صفة بصح انه منعم وقولنا يستحق يفيد انه قد انعم واستحق

الفرق بين قولنا الله وقولنا اللهم ان قولنا الله اسم وقولنا اللهم نداء اي ياالله

الفرق بين النصير والولي ان الولاية قد تكون باخلاص المودة والنصرة تكون بالمعونة والتقوية ولا تمكن النصرة مع الولاء

الفرق بين الحكم والقضاء والقدر والتقدير ان الحكم الزام قد يكون عن خصومة وقد فصل الامر عَلَى الاحكام مما يقتضيه الشرع والعقل والقضاء والفصل الامر التام(؟) واما المقدر فهو عَلَى ما قاله بعضهم وجود القول لي مقدار ما اراده ولا يستعمل الا في افعال الله تعالى واما التقدير فيستعمل في افعاله وافعال عباده

الفرق بين الرأفة والرحمة ان الرأفة ابلغ من الرحمة

الفرق بين الضر والبؤس ان الضر يكون من حيث لا يعلم المقصود به والبؤس لا يكون الا من حيث يعلم

الفرق بين المضرة والاساءة ان الاساءة قبيحة والمضرة قد تكون حسنة نحو المضرة بالضرب للتأديب والتعليم

الفرق بين الامهال والانظار ان الانظار مقرون فيما يقع فيه النظر والامهال فيه (؟) وقيل الانظار تأخير العبد للنظر في امره والامهال تأخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله

الفرق بين السرعة والعجلة ان السرعة التقدم فيما ينبغي ان يتقدم فيه وهي محمودة ونقيضها مذموم وهو الابطاء والعجلة التقدم فيما لا ينبغي ان يتقدم فيه وهي مذمومة ونقيضها محمود وهي الأناة واما قوله تعالى: وعجلت اليك رب لترضى فانه بمعنى اسرعت

الفرق بين الهداية والارشاد ان الارشاد الى الشيء هو التطريق اليه والتبين له والهداية هي التمكن من الوصول اليه

الفرق بين الخير والصلاح ان الصلاح هو الاستقامة على ما تدعو له الحكمة في الضر والنفع والخير اعم وافعال الله كلها خير

الفرق بين الصلاح والفلاح ان الصلاح ما يتمكن به من الخير او يتخلص به من الشر والفلاح نيل الخير والنفع الباقي

الفرق بين الفساد والقبيح ان الفساد هو التغيير عما تدعو اليه الحكمة والقبيح ما يزجر عن الحكمة

الفرق بين الدين والملة ان الملة اسم لجملة الشريعة والدين اسم لما عليه كل واحد من اهلها

الفرق بين العبادة والطاعة ان العبادة غاية الخضوع ولا تكون الا لله والطاعة الفعل الواقع على حسب الارادة ويكون للخالق والمخلوق

الفرق بين الدين والشريعة ان الشريعة هي الطريق والدين ما يطاع به المعبود ولكل منا دين وليس لكل منا شريعة

الفرق بين الاجابة والقبول ان القبول يكون للاعمال والاجابة للادعية

الفرق بين الحلال والمباح ان الحلال هو المباح بالشرع والمباح لا يعتبر فيه ذلك الشيء في السوق(؟) مباح لا حلال والحلال خلاف الحرام والمباح خلاف المحظور

الفرق بين الاسلام والايمان ان الايمان طاعة الله الذي يأمن بها العقاب على ضدها والاسلام طاعة الله تعالى التي يسلم بها من عقاب الله هذا كلامه في هذا الكتاب وليس فيه فرق بينهما والفرق مشهور في مظانه في كلام القائلين بالفرق

الفرق بين الفسق والفجور ان الفسق هو الخروج من طاعة الله تعالى بكبيرة والفجور الانبعاث في المعاصي فلا يقال لصاحب الصغيرة فاجر

الفرق بين الظلم والجور ان الجور خلاف الاستقامة في الحكم والظلم قبل ضرر من حاكم او غيره فهو اعم وقيل وضع الشيء في غير محله وقيل نقصان الحق والجور العدول عن الحق

الفرق بين القبيح والفاحش ان الفاحش الشديد القبح ويستعمل في الصورة فيقال القرد قبيح الصورة لا فاحش الصورة ويقال فاحش القبح فاحش الطول اي جاوز حد الاعتدال مجاوزة فاحشة والقبيح ليس كذلك

الفرق بين الحرام والسحت ان السحت مبالغة في حقيقة الحرام فيقال حرام سحت لا سحت حرام وقيل السحت الحرام الظاهر لان كل سحت حرام لا كل حرام سحت ويجوز ان يقال السحت الحرام الذي لا بركة له

الفرق بين الاثم والخطيئة ان الخطيئة قد تكون من غير تعمد ولا يكون الاثم الا تعمداً

الفرق بين الاثم والذنب ان الاثم لغة التقصير والذنب ما يتبعه الذم وقولهم للصبي اذنب مجاز

الفرق بين الوزر والذنب ان الوزر ما يثقل صاحبه ومنه قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي والذنب ما تقدم

الفرق بين العدل والقسط ان القسط هو العدل الظاهر البين والعدل قد يخفى

الفرق بين الندم والتوبة ان التوبة اخص من الندم فكل توبة ندم ولا كل ندم توبة اما الحديث الندم توبة اي معظمها كالحج عرفه

الفرق بين الاستغفار والتوبة ان الاستغفار طلب المغفرة والتوبة الندم على الخطيئة والاقلاع عنها والعزم على ترك العود ولا يجوز الاستغفار مع الاصرار

الفرق بين التأسف والندم ان التأسف يكون على الفائت من فعلك وفعل غيرك والندم من افعال القلوب يتعلق بفعل النادم وغيره

الفرق بين العفو والغفران ان الغفران يقتضي اسقاط العقاب ونيل الثواب ولا يستحقه الا المؤمن ولا يستعمل الا في الله تعالى ويستعمل في غيره شاذاً قليلاً والعفو يقتضي اسقاط اللوم والذم ولا يقتضي نيل الثواب ويستعمل في العبد والمراد من العفو والغفران محو الذنوب

الفرق بين الغفران والستر ان الغفران اخص فيجوز ان يستر عنه ولا يغفره

الفرق بين الصفح والغفران ان الغفران ما ذكرناه والصفح التجاوز عن الذنب

الفرق بين الاحباط والتكفير ان الاحباط ابطال الحسنات بالسيئات والتكفير ضده

الفرق بين الثواب والعوض ان العوض يكون على فعل المعوض والثواب لا يكون على فعل المثيب والثواب يقع مكافأة على الحقوق والعوض يقع على جهة المسامحة

الفرق بين الثواب والاجر ان الاجر قد يكون قبل الفعل المأجور عليه بخلاف الثواب والثواب قد اشتهر في الجزاء على الحسنات والاجر يقال كذلك ويقال على معنى الاجرة على الانتفاع

الفرق بين العذاب والالم ان العذاب اخص من الالم فان العذاب هو الالم المستمر والالم مستمر او غير مستمر

الفرق بين الالم والوجع ان الوجع اعم من الالم

الفرق بين العذاب والعقاب ان العقاب ينبيء عن استحقاق والعذاب يجوز ان يكون باستحقاق و بغير استحقاق

الفرق بين البلاء والنقمة ان البلاء يكون ضرراً ويكون نفعاً والنقمة لا تكون الا عقوبة وشدة وتسمى النقمة بلاء والبلاء لا يسمى نقمة

الفرق بين الخوف والخشية ان الخوف يتعلق بالمكروه ومنزله والخشية تتعلق بمنزلة

المكروه ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية

الفرق بين التخويف والانذار ان الانذار تخويف مع اعلام موضع المخافة وان لم يعلم لم يكن انذره

الفرق بين الخوف والفزع ان الخوف ما ذكرناه والفزع ما فاجأه الخوف عند هجوم عارض او صوت ونحوهما وهو انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل

الفرق بين الخوف والوجل ان الخوف يكون من متعد والوجل من غير متعد ومنه قوله تعالى : الذين اذا ذُكر الله وجلت قلوبهم

الفرق بين الخجل والحياء ان الخجل معنى يظهر في الوجه ارتداعاً بقوة ويجوز ان يكون الخجل عما كان والحياء عما يكون

الفرق بين الرجاء والطمع ان الرجاء هو الظن لوقوع الخير كالامل والخشية والخوف ضدهما والرجاء لا يكون الا من سبب والطمع ما يكون من غير سبب ولهذا مدح الرجاء وذم الطمع

الفرق بين اليأس والقنوط ان القنوط اشد مبالغة من اليأس

الفرق بين الكبر والجبروت ان الجبروت ابلغ من الكبر

الفرق بين العجب والكبر ان العجب بالشيء شدة السرور به والكبر اظهار عظم الشأن وهي العزة والسلطنة

الفرق بين الخشوع والخضوع ان الخضوع فعل يرى فاعله وان الخضوع له فوقه واعظم منه والخشوع يكون في الكلام خاصة لقوله تعالى : وخشعت الاصوات للرحمن وقيل هما من افعال القلوب

الفرق بين التواضع والتذلل ان التذلل اظهار العجز عن مقاومة من يتذلل له والتواضع اظهار قدرة من يتواضع له سواء كان ذا قدرة على المتواضع ام لا

الفرق بين التذلل والذل ان التذلل فعل المتصف به وهو ادخال نفسه في الحكم والذليل المفعول به الذي من قبل غيره

الفرق بين الخضوع والذل ان الخضوع ما ذكرنا والذل الانقياد كرهاً ونقيضه العز

الفرق بين الذل والاهانة ان الذل ما ذكرناه والاهانة ان يجعل كالصغير لا يبالي به

الفرق بين الذليل والمهين ان الذليل ما ذكرنا والمهين هو المستضعف

الفرق بين الحقير والصغير ان الحقير من نقص عن مقداره المعهود والصغير يكون

بالاضافة الى من هو أكبر منه

الفرق بين اليسير والقليل ان القليل يقتضي نقصان العدد واليسير ما يشتد تحصيله او طلبه ولا يقتضي نقصان العدد

الفرق بين الكثير والوافر ان الكثرة زيادة العدد والوفور اجماع اجزاء العدد حتى يكمل حجمه

الفرق بين الجم والكثير ان الجم هو الكثير المجتمع والكثير قد يكون عن مجتمع

الفرق بين العبث واللعب واللهو ان العبث ما خلا عن الارادة والارادة حدوثه واللهو واللعب يتناولهما غير ارادة حدوثهما وقيل اللعب عمل للذة لا يراعى فيه داعي الحكم كعمل الصبي واللهو للعب واللعب قد يكون ليس بلهو

الفرق بين المزاح والاستهزاء ان المزاح لا يقتضي تحقير من تمازحه بل ايناسه والاستهزاء يقتضي تحقير من يستهزأ به

الفرق بين الاستهزاء والسخرية ان السخرية تدل على فعل شيء يشتق منه السخرية بخلاف الاستهزاء

الفرق بين المزاح والهزل ان الهزل يقتضي تواضع الهازل لمن يهزل بين يديه بخلاف المزاح

الفرق بين المزاح والمجون ان المزاح ما ذكرنا والمجون صلابة الوجه وقلة الحياء

الفرق بين الحيلة والتدبير ان الحيلة ما أحيل به عن وجه فيجلب به نفع او يدفع به ضر والتدبير هو اصلاح امره او امر من يلوذ به وقد لا يكون حيلة

الفرق بين الكيد والمكر ان المكر كالكيد الا انه لا يكون الا مع الفكر والكيد اقوى من المكر

الفرق بين الحيلة والمكر ان من الحيلة ما ليس بمكر

الفرق بين الغرر والخداع ان الخداع يستر عنه وجه الصواب ليوقعه في مكروه والخطر ركوب المخاوف رجاء بلوغ المراد

الفرق بين الحسن والبهجة ان البهجة حسن تفرح به القلوب والحسن لا يقتضي ذلك

الفرق بين الحسن والجمال ان الجمال ما يحمد من الافعال والاخلاق وكثرة المال وليس هو من الحسن في شيء

الفرق بين الجمال والبهاء ان البهاء بهارة المنظر بخلاف الحسن

الفرق بين التمام والكمال ان التمام اسم للجزء والبعض الذي يتم به الموصوف بانه تام والكمال اسم لاجتماع ابعاض الموصوف

الفرق بين البشاشة وطلاقة الوجه ان البشاشة اطلاق السرور عند اللقاء سواء كان اولاً وآخراً وطلاقة الوجه خلاف العبوس والعبوس تكره الوجه عند اللقاء

الفرق بين الطهارة والنظافة ان الطهارة تكون في الخلقة والمعاني والنظافة لا تكون الا في الخلقة واللباس لا في المعاني

الفرق بين القبيح والوحش ان الوحش المزيل والقبيح في المنظر ويجوز ان يقال الوحش هو المتناهي في القباحة

الفرق بين السرور والفرح ان السرور لا يكون الا بما هو نفع او لذة على الحقيقة وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص مثلا

الفرق بين الغم والهم ان الهم هو الفكر في ازالة المكروه واجتلاب المحبوب والغم معنى ينقبض القلب معه لوقوع ضرر كان او يكون او لتوهمه

الفرق بين الهبوط والنزول ان الهبوط نزول يعقبه اقامة بخلاف النزول

الفرق بين المحض والخالص ان المحض الذي لم يخالطه شيء والخالص هو المختار من الجملة كالذهب المصفى

الفرق بين اخماد النار واطفائها ان الاخماد يستعمل في الكثير والاطفاء في القليل

الفرق بين النجم والكوكب ان الكوكب اسم للكبير من النجوم والنجم علم على الثريا في صغيرها وكبيرها

الفرق بين الزلزلة والرجفة ان الرجفة الزلزلة العظيمة الشديدة ولهذا سميت زلزلة الساعة رجفة

الفرق بين الرجوع والاياب ان الاياب هو الرجوع الى منتهى القصد والرجوع يكون لذلك او لغيره

الفرق بين المحق والاذهاب ان المحق يكون الاشياء الكثيرة ولا يكون في الشيء الواحد بخلاف الاذهاب ومنه قوله تعالى: يمحق الله الربا اي يمحق ثواب عامله لقوله تعالى: ويربي الصدقات اي ثوابها

الفرق بين العكوف والاقامة ان العكوف هو الاقبال على الشيء والاحساس فيه ومنه الاعتكاف والاقامة لا تقتضي ذلك

الفرق بين الدنو والقرب ان الدنو لا يكون في مسافة بين شيئين والقرب عام في ذلك وفي غيره فيقال قلوبنا تتقارب ولا يقال تتدانى و يقال قرب بقلبه وان كان بعيداً

الفرق بين الوسط والبين ان الوسط يضاف الى الشيء الواحد و بين يضاف الى شيئين فصاعداً تقول قعدت وسط الدار لا قعدت بين الدار و بين القوم والوسط يقتضي اعتدال الاطراف ولهذا قيل الوسط العدل في قوله تعالى: وكذلك جعلناكم امة وسطاً الآية

الفرق بين الذوق والطعم ان الذوق ملابسة يحس بها الطعم وادراك الطعم يتبين من ذلك الوجه يقال ذقته فلم اجد له طعماً

الفرق بين الركون والسكون ان الركون السكون الى الشيء بالجبلة والاتصاف والسكون خلاف الحركة وانما يستعمل في غيره مجازاً

الفرق بين التابع والتالي ان التالي فيما قال بعضهم هو التالي وان لم يتدبر بتدبير الاول والتابع انما هو المتدبر بتدبير الاول

الفرق بين قوله مالك لا تفعل كذا و بين قوله لم لا تفعل كذا ان لم لا تفعل كذا اعم لانه قد يكون بحال الى غيره ومالك لا تفعل بحال يرجع اليه

الفرق بين النار والسعير والحريق والجحيم ان السعير هو النار الملتهبة والحريق النار الملهبة المحرقة والجحيم نار على نار وجمر على جمر

الفرق بين النور والضياء ان الضياء ما يتخلل آخر النور

الفرق بين النطفة والمني ان النطفة تفيد انه ماء قليل والمني يفيد انه مستقذر

الفرق بين الصب والسكب ان السكب هو الصب المتتابع والصب يكون دفعة واحدة

الفرق بين التبديل والابدال ان التبديل على ما قال بعضهم تغيير الشيء عن حاله والابدال جعل شيء مكان شيء

الفرق بين الخوان والمائدة ان الخوان لا يسمى مائدة الا اذا كان الطعام عليها وان لم يكن عليها طعام فهو خوان

هذا آخر ما شاء الله من هذا الكتاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وفي غيره الفرق بين البشارة والتهنئة ان البشارة الاعلام بايسر والتهنئة الدعاء بالخير لمن بعدما علم به ولهذا لما نزل الله توبة كعب بن مالك وصاحبيه ذهب اليه البشير فبشره فلما دخل المسجد جاء الناس فهنوه الفرق بين الحياء والاغضاء ان الحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيراً من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته اه

رسائل الانتقاد

كلمة للناشر

بينما كنت في خلال العام الفارط أرسل رائد الطرف في بعض المخطوطات العربية القديمة عثرت على كتاب صغير الحجم جميل الخط عتيقه فتأملته فوجدته لمؤلف تونسي معدود من البلغاء . واذ كان لي ولوع شديد بالاطلاع على مآثر الادباء من بني وطني تعلقت رغبتي بتعريف هذا التصنيف . بيد اني لما أخذت اتلو رشيق معانيه واحلل دقائق مبانيه وجدت نقصاً فادحاً بين اوراقه افسد عقد جمله فحل بي من ذلك قلق عظيم . ثم بعد مدة وقعت في فهرست القسم العربي من مكتبة الاسكوريال بجزيرة الاندلس على اسم مقامة تحت عدد ٥٣٦ منسوبة الى ابي عبد الله محمد بن شرف القيرواني فانجلى خاطري وبادرت في الحال لطلب نسخة منها من بعض زملائي المستشرقين . فلما وافتني صورتها وطابقتها بما لدي عاودني سروري الاول وقوي عزمي اذ كانت القطعة الاندلسية مطابقة للقسم الاول من النسخة التونسية بزيادة ما نقص . فاسرعت حينئذ الى النسخ واتممت هاته بتلك حتى كمل والحمد لله ما كنا نرغبه وهو ما نقدمه اليوم للقراء الكرام .

ومن المناسب ان نذكر شيئاً عن الاصلين اللذين اخذنا عنهما . فالاول وهي النسخة التونسية تشتمل على ستين صفحة شرقية يلوح من شكل خطها انها من القرن السابع لكنها صعبة القراءة لانطماس الاحرف ودثور كتابتها دع عنك مالحق الورق من العث الذي اهلك جانباً وافراً منها .

اما القطعة الاندلسية التي اكملنا بها ما ضاع من التأليف فهي تحتوي على ثماني عشرة صفحة صغيرة الحجم اندلسية الخط قديمة النسخ كما يتبين ذلك من التاريخ الذي وضعه بعض المطالعين في الصفحة الآخرة حيث قال : « طالعته في موفي سنة خمس وخمسمائة » وبهذا يستدل على ان هاته القطعة كتبت زمن المؤلف مدة اقامته بالاندلس (حوالى سنة ٤٥٥) او قريباً من عهده . ومهما كان الحال فهي أقدم من اختها التونسية الا انها أخصر ولا تشتمل الا على المقامة الاولى

و يلوح لي ان مؤلفنا قصد بتدوين هذه الرسائل معارضة « كتاب العمدة » الذي وضعه زميله ومعاصره الحسن بن رشيق القيرواني كما سنبينه في ترجمته . الا ان الرسائل المعارض بها كانت أطول واكثر مما وجدناه وأوردناه هنا . يؤيد ذلك ما جاء في سياق كلام ابن شرف في مقدمته للمجلس الاول حيث قال: « فاقت من هذا النحو عشرين حديثاً » فالمظنون انه يقصد بالحديث مجالسه مع الاستاذ الموهوم الذي سماه «ابا الريان» كما اختلق الحريري في مقاماته شخص الحارث بن همام واخترع الهمذاني عيسى بن هشام . فعسى ان يساعدني الحظ بالعثور على بقية هذا التأليف النفيس ان كان في عالم الموجودات .

وقد احترمت في الاستنساخ الطريقة التي اتى عليها الاصل في الرسم وضبطه الا ما نبهت عليه اسفل المتن مع التعاليق

ولما كان الاعتراف بالمعروف فريضة وجب عليّ ان ارفع شكري الخالص للكاتب البليغ والباحث المدقق اخينا في الله محمد بدر الدين افندي النعساني الذي اعانني بعلومه النيرة لازالة بعض مشكلات النسخة التونسية كما أقدم عبارات ودادي الى العالم المستعرب المتمكن صديقي الاستاذ كارلو نالينو الذي اسعفني بالحصول على صور القطعة الاندلسية وهو لا يزال يفيدني باشاراته العلمية وفكره الصائب فجزيا عني خير جزاء

والله ولي توفيقي به اهتدي واليه انيب

تونس حسن حسني عبد الوهاب

ترجمة المؤلف (١)

نبغ أبو عبد الله محمد بن ابي سعيد بن احمد بن شرف الجذامي القيرواني نحو سنة ٣٩٠ من احدى البيوتات الشريفة القادمة مع الجيش العربي الفاتح والقيروان اذ ذاك زاهية زاهرة بالعلوم رافلة بالمعارف والفنون فروى المعقول والمنقول عن افاضل ذلك العصر كابي الحسن القابسي واخذ الفنون الادبية من اساتيذتها كابي اسحاق ابراهيم الحصري القيرواني ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهما حتى برع فيهما واجاد فالحقه حينئذ المعز بن باديس الصنهاجي اميرافريقية بديوان حاشيته لما رأى فيه من الذكاء والنجابة . وهنالك التقى ابن شرف بجماعة من الكتاب البلغاء والشعراء الظرفاء الذين كان يجمعهم

(١) اقتبسنا هذه الترجمة بتصرف من تأليفنا « الادب والادباء التونسيين » الذي عزمنا على نشره قريباً بحوله تعالى

ديوان الملك مثل علي بن ابي الرجال الكاتب رئيس قلم التحرير والمراسلات وابي علي الحسن بن رشيق صاحب العمدة ومحمد بن حبيب القلانسي وغيرهم · وطبيعي ان وجود ابن شرف في مثل هذا الوسط دعاه الى تتبع الوجهة التي شب عليها وقوي نشاطه اذ كان اولئك الادباء الاجلاء يتسابقون في التقرب بنظمهم ونثرهم الى الامير رغبة في العطايا الهائلة والهبات الطائلة · وحصل عن هذا التنافس والتزاحم حركة فكرية ادبية لم تر افريقية مثلها في عصر من عصور السلطنة الاسلامية وصارت القيروان كعبة العلم التي يحج اليها العلماء من جميع اصقاع المغرب حتى من الاندلس · وقد خصص المعز لصحبته من بين هؤلاء الزعماء المتقدمين ابن شرف هذا وابن رشيق فكان يلتفت تارة الى الاول وأخرى الى الثاني وجرى بسبب ذلك بين هذين الاديبين مناقضات ومهاجات رسمها كل منهما في رسائل مستقلة ومقامات متنوعة لم يصل الينا منها شيء فيما نعلم

حكى ابن شرف المترجم له في كتابه « ابكار الافكار » قال : « استدعاني المعز بن باديس يوماً واستدعى ابا علي الحسن بن رشيق الازدي وكنا شاعري حضرته وملازمي ديوانه فقال : أحب ان تصنعا بين يدي قطعتين في صفة الموز على قافية الغين · فصنعنا حالاً من غير ان يقف أحدنا على ما صنعه الآخر فكان الذي صنعته

يا حبذا الموز واسعاده ... من قبل ان يمضغه الماضغ
قد لان حتى لا مجس له ... فالفم ملآن به فارغ
سيان قلنا مأكل طيب ... فيه والا مشرب سائغ

والذي صنعه ابن رشيق

موز سريعٌ اكله ... من قبل مضغ الماضغ
فمأكل لآكل ... ومشرب لسائغ
فالفم من لين به ... ملآن مثل فارغ
يخال وهو بالغ ... للحلق غير بالغ

فأمرنا للوقت ان نصنع فيه على حرف الذال فعملنا ولم يرَ أحدنا صاحبه ما عمل فكان ما عملته

هل لك في موز اذا ... ذقناه قلنا حبذا
فيه شراب وغذا ... يريك كالماء القذى

لو مات مَن تلذذا به لقيل ذا بذا

وما عمله ابن رشيق

لله موز لذيذ بعيذه المستعيذ
فواكه وشراب به يداوى الوقيذ
ترى القذى العين فيه كما يريها النبيذ

قال ابن شرف: فانت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحداً. ولقد قال من حضر ذلك اليوم ما ندري مم نعجب أمن سرعة البديهة أم من غرابة القافية أم من حسن الاتفاق»

وحكى المؤلف المترجم له ايضاً في كتابه المذكور قال: «استخلانا المعز يوماً وقال أريد ان تصنعا شعراً تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذي يكون على سوق بعض النساء فاني استحسنه وقد عابه بعض الضرائر بعضاً به وكلهن قارئات كاتبات فاحب ان اريهن هذا وادعي انه قديم لاحتج به على من عابه وآسي به من عيب عليه. فانفرد كل منا وصنع في الوقت فكان الذي قلت:

وبلقيسية زينت بشعر يسير مثل ما يهب الشحيح
رقيق في خدلجة رداح خفيف مثل جسم فيه روح
حكى زغب الخدود وكل خد به زغب فمعشوق مليح
فان يك صرح بلقيس زجاجاً فمن حدق العيون لها صروح

وكان الذي قال ابن رشيق

يعيبون بلقيسية ان رأوا لها كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها التزغيب ملحاً كمثل ما يزيد خدود الغيد تزغيبها ملحا

فانتقد المعز على ابن رشيق قوله يعيبون وقال: «أوجدت لخصمها حجة بأن بعض الناس عابه» فانظر ما الطف هذه المناضلات وما أحلى هذه الحكايات ولولا خوف الاطالة لزدنا من هذه طرفاً تروق الخاطر.

واستمر ابن شرف على خدمة المعز الى ان زحف عرب الصعيد من هلاليين ورياح وغيرهم واستولوا على غالب القطر التونسي بعد ما خربوه ودمروه واضطر الامير المعز الى ترك القيروان امام تلك القبائل المتوحشة (سنة ٤٤٩ هـ) وفر الى المهدية واتخذها دار ملكه وقد تبعه اليها شعراؤه وحاشيته. وفي خلاء القيروان يقول ابن شرف من قصيدة رنانة

بعد خطوب خطبت مهجتي وكان وشك البين أمهارها
ذا كبد أفلاذها حولها وقسمت الغربة اعشارها
اطفالها ما سمعت بالفلا قط فعادت الفلا دارها
ولا رأت ابصارها شاطئا ثم جلت باللج ابصارها
وكانت الاقدار آفاقها فعادت الآفاق استارها
ولم تكن تعلو سريراً علا الا اذا وافق مقدارها
ثم علت فوق عشور الخطا ترمي به في الارض احجارها
ولم تكن تلحظها مقلة لو لحظت بالشمس اشفارها
فاصبحت لا نتقي لحظة الا بان تجمع اطمارها

وأقام ابن شرف مدة بالمهدية مع زمرة شعراء الملك يخدم الامير المعز وابنه تميما الى ان رحل عنها قاصداً جزيرة صقلية لما سمع عن كرم اميرها واليها لحقه رصيفه ابن رشيق وقد قدمنا انه كان وقع بينهما بالقيروان ما وقع بين جرير والفرزدق او بين الخوارزمي وبديع الزمان . فلما اجتمعا بصقلية تسامحا واقاما بها زمناً ثم استنهض يوماً ابن شرف رفيقه على جواز الاندلس فانشد حينئذ ابن رشيق البيتين المشهورين بين الخاص والعام

مما يزهدني في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
القاب سلطنة من غير مملكة كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد

فاجابه ابن شرف بديهة

ان ترمك الغربة في معشر قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم وارضهم ما دمت في ارضهم

واجتاز ابن شرف وحده الاندلس وسكن المرية وغيرها وتردد على ملوك طوائفها كآل عباد باشبيلية وغيرهم وبهذه المدينة الاخيرة كانت وفاته سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ مسيحي) وخلف ابناً يدعى ابا الفضل جعفراً كان اديباً مجيداً ايضاً اورد له العماد في خريدته والفتح في قلائده قصائد وفصولاً تشهد له بطول الباع .

اما تآليف محمد بن شرف فكثيرة على ما نقله الينا المؤرخون فمنها كتاب « ابكار الافكار » جمع فيه ما اختاره من نظمه ونثره وهو انفس مصنفاته (مفقود وقد يوجد منه شيء في بعض كتب الادب) . ومنها كتاب « اعلام الكلام » به نخب وملح (مفقود ايضاً) . ثم « رسائل الانتقاد » والمظنون انه الفها بعد هجرته القطر التونسي

كما يستفاد من سياق كلامه في مقدمتها . وغيرها من هذه المصنفات الادبية النفيسة

وها نحن نأتي هنا على منتخبات نثر وشعر من كلام محمد بن شرف ليرى القارىء براعة هذا المؤلف الجليل ومكانته من الادب

فمن نظمه في الشوق الى بلاده القيروان مدة اقامته بالاندلس

يا قيروان وددت اني طائر ... فاراك رؤية باحث متأمل
بالوشهدتك اذ رأيتك في الكرى ... كيف ارتجاع صباي بعد تكهل
واذا تجدد لي أخ ومنادم ... جددت ذكر أخ خليل أول
لا كثرة الاحسان تنسي حسرتي ... هيهات تذهب علتي بتعلل
لو كنت اعلم ان آخر عهدهم ... يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وله في شكوى الزمان

اني وان عزني نيل المنى لاري ... حرص الفتى خلة زيدت على العدم
تقلدتني الليالي وهي مدبرة ... كأنني صارم في كف منهزم

وانشد في المعنى

عتابًا عسى ان الزمان له عتبي ... وشكوى فكم شكوى الانت له القلبا
اذا لم يكن الا الى الدمع راحة ... فلا زال دمع العين منهملا سكبا

وقال ايضًا

وما بلوغ الاماني في مواعدها ... الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به ... فكيف لي بقضاء غير مكتوب

ومن شعره في الحكم قوله

احذر محاسن أوجه فقدت محا ... سن أنفس ولو انها أقمار
سرج تلوح اذا نظرت فانها ... نور يضيء وان مسست فنار

وقوله

لا تسأل الناس والايام عن خبر ... هما يبثانك الاخبار تطفيلا
ولا تعاتب على نقص الطباع أخًا ... فان بدر السما لم يعط تكميلا
لا يؤيسنك من أمر تصعبه ... فالله قد يعقب التصعيب تسهيلا
بع من جفاك ولا تبخل بسلعته ... واطلب به بدلاً ان رام تبديلا
وصير الارض دارًا والورى رجلاً ... حتى ترى مقبلا في الناس مقبولا

وله

اذا صحب الفتى سعد وجد تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد طفيليا وناك له الرقيب

وله ايضاً

يا ثاويا في معشر قد اصطلى بنارهم
ان تبك من شرارهم على يدي شرارهم
أو ترم من أحجارهم وانت في أحجارهم
فما بقيت جارهم في هواهم جارهم
وارضهم في ارضهم ودارهم في دارهم

ومن كلامه في التغزل قوله في ليلة أنس

ولقد نعمت بليلة جمد الحيا بالارض فيها والسماء تذوب
جمع العشائين المصلي وانزوى فيها الرقيب كأنه مرقوب
والكاس كاسية القميص كأنها لوناً وقدرا معصم مخضوب
هي وردة في خده وبكاسها تحت القناني عسجد مصبوب
مني اليه ومن يديه الى يدي فالشمس تطلع بيننا وتغيب

وقوله ايضاً

قامت تجرّ ذيول العصب والحبر ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخطو فتولي الحصا من حليها نبذا وتخلط العنبر الوردي بالعفر
تلفتت عن طلا وسنان وابتسمت عن واضح مثل نور الروضة المطر
ما لذ للعين نوم بعد ما ذكرت ليلا سمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق النحور به تساقط الدر في اللبات والثغر

وله من خمرية سمية

خليل النفس لا تخل الزجاجا اذا بحر الدجى في الجو ماجا
وجاهر في المدامة من يراني فما فوق البسيطة من يداجي
اميط عنك الكرى والليل ساج ودعنا تلبس الظلماء ساجا
وهات على اهتمام الروح راحا يعيد هموم النفس لها اقتراجا

اذا مزجتها النقد احمراراً … صبغنا المشتري فيها مزاجا

وله
بكيت دماً والقاصرات سوافر … فلاحت خدود كلهن مورّد
وقد وقف الواشون في كل وجنة … عليّ بمحضر فيه المدامع تشهد

وله
يقول لي العاذل في لومه … وقوله زور وبهتان
ما وجه من احببته قبلة … قلت ولا قولك قرآن

وقال
قل للعذول لو اطلعت لي الذي … عاينته، أعناك ما يعنيني
أتصدني أم للغرام تردني … وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقباً بجنايتي … اذ ليس دينك لي ولا لك ديني

وقال فيمن اسمه عمر

يا أعدل الناس اسماً كم تجور على … فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر … فابدلوها بعين خيفة العين

وله ايضاً

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم … فكأنني سبابة المتندم

وقال يمدح استاذه الكاتب ابا الحسن علي بن أبي الرجال

جاور علياً ولا تحفل بحادثة … اذا ادرعت فلا تسأل عن الأسل
اسم حكاه المسمى في الفعال فقد … حاز العليين من قول ومن عمل
فالماجد السيد الحر الكريم له … كالنعت والعطف والتوكيد والبدل
زان العلا وسواه شانها وكذا … تميز الشمس في الميزان والحمل
وربما عابه ما يخزون به … يشنا من الخصر ما يهوى من الكفل
سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد … ملء المسامع والافواه والمقل

ومن نظمه في انواع شتى : قال في العود

سقى الله ارضاً أنبتت عودك الذي … زكت منه أغصان وطابت مغارس
تغنى عليها الطير والعود اخضر … وغنت عليه الغيد والعود يابس

وقال في الدرهم والدينار

الا رب شيء فيه من أحرف اسمه … نواه لنا عنه وزجر وانذار
فثنا بدينار وهمنا بدرهم … وآخر ذا هم وآخر ذا نار

وقال من قصيدة في وصف سيف

ان قلت ناراً أتندى النار ملهبة · أو قلت ماء أيومي الماء بالشرر

ولـه من أخرى

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى · فبان باطراف الأسنة شائبا

ومن نثره ما كتبه مستعطفاً على محبوس في دين :

قد حكمت ايجن الاشباح · وهي سجون الارواح · فأمنن علي ماشئت منهما بالسراح · فالحبس نزاع الارواح · والعقلة أخت القتلة · وكلاهما فقد · ومهر للخطوب وفقد · وانما بينهما نفس متصاعد · وأجل متباعد · فالحق منهما ما أجلت بما عجلت · وقد اخرنا الدين الى يوم الدين ·

ومن منثور كلامه في « أبكار الافكار » :

لما فني عمر الامس · وطفيء سراج الشمس · لاحت بروق الثغور اللوامع · وجلجلت رعود الاوتار في المسامع · وبعث مخارق وابن جامع · فلم يزل ذلك دابنا · ما أقلع سحابنا · حتى مسأنا هجعة · وكلنا نقول بالرجعة

وله في القرابة : الوجيه بين اقاربه · كالوادي بين مذانبه · تجذبن ماءه وتطلبن ظماءه

وفي المدواة : كم قاطعك من راضعك · وقابحك من مالحك · ونافقك من وافقك · وناصبك من صاحبك · وحادك من وادك ·

في انواع شتى : الجود أنصر من الجنود — من بخل بماله · سمح بعرض آله — الباذل كثير العاذل — الكريم كثير الغريم — احذر الكريم اذا افتقر · واللئيم اذا اقتدر — احذر التقي اذا أنكر · والذكي اذا فكر — المطل احد المنعين · واليأس احد الصنعين — العشق احد الرقين · والسلو احد العتقين — رفث الكلام احد السفاحين · وموالاة القبل احد النكاحين — جميل الرد احد الجودين · وبقاء الذكر احد الخلودين — طول الجود احد القبرين · وبقاء الثناء احد العمرين — بئس التصهر التقصير — المتماسر خاسر — من كثر فجره · وجب هجره — من كرمت خصاله · وجب وصاله — سحابة صيف · وزيارة طيف — الوسيلة جناح النجاح — رب عين اذا رأت زنت — لا كرم بين حرم — المستلم أحزم من المتسلم ·

هذا ما قصدنا ايراده هنا على ان ما جمعناه من كلام هذا الاديب البارع هو اطول من ذلك وقد لاقينا صعوبات جمة في نظم ما تشتت اذ لا يوجد تاليف يحوي تراجم فضلاء القطر التونسي والله المسؤل الاعانة

ح · ح · ع

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن برحمتك

قال ابو عبد الله محمد بن شرف القيرواني هذه احاديث صنعتها مختلفة الانواع . مؤتلفة في الاسماع . عربيات المواشم . غريبات التراجم . واختلقت فيها اخباراً فصيحات الكلام . بديعات النظام . لها مقاصد ظراف . واسانيد طراف . يروق الصغير معناها . والكبير مغزاها . وعزوتها الى ابي الريان الصلت بن السكن من سلامان [1] . وكان شيخاً هماً في اللسان . وبدراً تماً في البيان . قد بقي احقاباً . ولقي اعقاباً . ثم القته الينا من باديته الازمات . واوردته علينا العزمات . فامتحنا من علمه بحراً جارياً . وقدحنا من فهمه زنداً وارياً . وادرنا من بره طرفاً . واجتنينا من ثمره طرفاً . ونحن اذ ذاك والشباب مقتبل . وغفلة الزمان تهتبل . واحتذيت فيما ذهبت اليه . ووقع تعريضي عليه . من بث هذه الاحاديث ما رأيت الاوائل قد وضعته في كتاب كليلة ودمنة [2] فاضافوا حكمه الى الطير الحوائم . ونطقوا به على السنة الوحش والبهائم . لتتعلق به شهوات الاحداث . وتستعذب بسمره الفاظ الحداث . وقد نحا بذا النحو سهل بن هرون [3] الكاتب في تأليفه كتاب النمر والثعلب وهو مشهور الحكايات . بديع المراسلات .

(١) سلامان (بفتح اوله) ماء لبني شيبان على طريق مكة الى العراق وبه مات نوفل بن عبد مناف . قال حاتم :

اذا حال دوني من سلامان رملة   وجدت توالي الوصل عندي أبترا

(من « معجم ما استعجم » لابي عبيد الله البكري ج ٣ ص ٧٧٦ طبعة غوتنغن سنة ١٨٧٦) . وفيما يظهر لنا ان ابن شرف اختار سلامان الذي هو اسم منزل لبني شيبان تذكاراً للقبيلة التي ينسب اليها احد اساتذته ومحسنيه ابو الحسن علي بن ابي الرجال الشيباني رئيس قلم الانشاء في دولة المعز بن باديس الصنهاجي كما ذكرناه في ترجمة المؤلف

(٢) كتاب كليلة ودمنة وضعه بيدبا الحكيم الهندي باللغة البهلوية ثم ترجم الى الفارسية ومنها عربه عبد الله بن داذبة بن المقفع (١٠٩—١٤٥ هـ) على عهد ابي جعفر المنصور العباسي .

(٣) ابو عمر سهل بن هارون بن راهبون الدستميساني اصله فارسي وانتقل الى البصرة واتصل بخدمة المأمون فتولى رئاسة خزانة الحكمة ببغداد وكان حكيماً فصيحاً

مليح المكاتبات . وزور ايضاً بديع الزمان الحافظ الهمذاني وهو الاستاذ ابو الفضل احمد ابن الحسين [1] مقامات كان ينشئها بديهاً في اواخر مجالسه و ينسبها الى راوية رواها له بسميه عيسى بن هشام وزعم انه حدثه بها عن بليغ يسميه ابا الفتح الاسكندري وعددها فيما يزعم رواتها عشرون مقامة الا انها لم تصل هذه العدة الينا وهي متضمنة معاني مختلفة . ومبنية على معاني شتى غير مؤتلفة . لينتفع بها من الكتاب والحاضرين من صرفها من هزل الى جد . ومن ند الى ضد . فاقمت من هـذا النحو عشرين حديثاً أرجو [2] ان يتبين فضلها . ولا تقصر عما قبلها . ولعمري ما اشكو من نفسي . ولا أثني على شيء من حسي . الا ظفري بالاقل مما حاولته على ما أضرمته نيران الغربة من قلبي . وثلمته صعقات الفتنة من لبي . وقطعت اهوال البر والبحر من خواطري . واضعفت الوحشة والوحدة من غرائزي وبصائري . لكن نية القاصد وسعة المقصـود . اعانا ذا الود على اتحاف المودود . والله أسأل توفيقا . ينهج لنا الى الرشد طريقا .

فمنها

قال محمد [3] وجاريت ابا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم واسلامهم [4] واستكشفته عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقته في قديمهم

شاعراً شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب . وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته منها كتاب « قله وعفره » وكتاب « نصمة وعضره » عارض بهما كليلة ودمنة في ابوابه وامثاله وزاد عليه بحسن النظام . اما كتاب « النمر والثعلب » الذي نسبه اليه ابن شرف هنا فلم نقف على ذكره في تآليفه .

(١) بديع الزمان توفي سنة ٣٩٨ ومقاماته تبلغ اربعمائة كما ذكره ابراهيم الحصري القيرواني في كتابه « زهر الآداب » حيث قال « ان الذي سبب للبديع تأليف مقاماته هو انه رأى ابا بكر بن الحسين بن دريد قد اغرب باربعين حديثاً ذكر انه استنبطها من ينابيع صدره وأنتجها من معادن فكره على طبع العرب الجاهلية بالفاظ بعيدة وحشية فعارضه البديع باربعمائة مقامة ... » الا ان المتداول الآن بين الناس خمسون مقامة فقط طبعت بمصر وغيرها والمظنون ان في عصر ابن شرف لم يصل الى افريقية سوى عشرين منها

(٢) بالاصل . أرجوا — (٣) من هنا فقط تبتدىء النسخة الاندلسية —

(٤) وبالنسخة الاندلسية : في ذكر اهل النظام . ومنازلهم في الجاهلية والاسلام —

وحديثهم (١) فقال ابو الريان : اشعراء (٢) اكثر من الاحصاء . واشعارهم ابعد من شقة الاستقصاء . قلت لا اعتبك (٣) باكثر من المشهورين . ولا اذاكرك الا في المذكورين (٤) مثل الضليل والقتيل . ولبيد وعبيد . والنوابغ . والعشو (٥) والاسود بن يعفر . وصخر الغي (٦) وابن الصمة دريد . والراعي عبيد . وزيد الخيل . وعامر بن الطفيل . والفرزدق وجرير . وجميل بن معمر وكثير . وابن جندل . وابن مقبل . وجرول . والاخطل . وحسان في هجائه (٧) ومدحه . وغيلان في ميته وصيدحه . والهذلي ابي ذؤيب (٨) وسحيم ونصيب . وابن حلزة الوائلي . وابن الرقاع العاملي . وعنترة العبسي . وزهير المزني (٩) وشعراء فزارة . ومفلقي بني زراره . وشعراء تغلب ويثرب . وامثال هذا النمط الاوسط كالرماح . والطرماح . والطثرية والدميني . والكميت الاسدي . وحميد الهلالي . وبشار العقيلي . وابن ابي حفصة الاموي . ووالبة الاسدي . وابن جبلة الحامي . وابي نواس الحكمي . وصريع الانصاري . ودعبل الخزاعي . وابن الجهم القرشي . وحبيب الطائي والوليد البحتري . وابن المعتز العباسي . وعلي بن العباس الرومي . وابن رغبان الحمصي . ومن الطبقة المتأخرة في الزمان . المتقدمة في الاحسان . كابي فراس بن حمدان . والمتنبي بن عبدان . وابن جدار المصري . وابن الاحنف الحنفي . وكشاجم الفارسي . والصنوبري الحلبي . ونصر الخبزرزي (١٠) وابن عبد ربه القرطبي . وابن هاني الاندلسي . وعلي بن العباس الايادي (١١) التونسي . والقسطلي قال ابو الريان لقد سميت مشاهير . وابقيت الكثير . قلت بلى : ولكن ما عندك فيمن ذكرت . قال : اما الضليل (١٢) مؤسس الاساس . وبنيانه (١٣) عليه الناس . كانوا يقولون اسيلة الخد

(١) هذه الجملة مفقودة من النسخة الاندلسية — (٢) بالنسخة الاندلسية : عدد الشعراء — (٣) وبالنسخة التونسية : اعنتك وهو الاولى — (٤) من ولا اذكر الى المذكورين مفقود من النسخة الاندلسية — (٥) بالنسخة الاندلسية : العشي — (٦) بالنسخة الاندلسية : ومن سواه من امثالهم — (٧) بالنسخة الاندلسية : في اهاجيه — (٨) بالنسخة التونسية : وابو ذؤيب الهذلي — (٩) بالنسخة التونسية : المزني وهو ايضاً صحيح — (١٠) بالنسخة التونسية : الخبزري — (١١) بالنسخة الاندلسية : الايادي وعلي بن العباس الايادي هذا من فحول الشعراء التونسيين خدم بشعره الامراء العبيديين اواسط القرن الرابع وكان معاصراً لابي القاسم محمد بن هاني الاندلسي (١٢) الضليل هو امرؤ القيس بن حجر الكندي حامل لواء شعراء الجاهلية — (١٣) بالنسخة التونسية : بنائه —

حتى قال أسيلة مجري الدمع . وكانوا يقولون تامة القامة وطويلة القامة وجيداء وتامة العنق واشباه هذا حتى قال بعيدة مهوى القرط (١) وكانوا يقولون في الفرس السابق يلحق الغزال والظليم وشبهه حتى قال قيد الاوابد (٢) ومثل هذا له كثير . ولم يكن قبله من فطن لهذه الاشارات والاستعارات غيره فامتثلوه بعده . وكانت الاشعار قبل سواذج . فبقيت هذه جدداً وتلك نواهج . وكل شعر بعد ما خلاها فغير رائق النسج . وان كان النهج واما طرفة فلو طال عمره . لطال شعره . وعلا ذكره . ولقد خص باوفر نصيب من الشعر . على ايسر نصيب من العمر . فملأ ارجاء ذلك النصيب بصنوف من الحكمة . واوصاف (٣) من علو الهمة . والطبع معلم حاذق . وجواد سابق واما الشيخ ابو عقيل فشعره ينطق بلسان الجزالة . عن جنان الاصالة . فلا تسمع له الا كلاماً فصيحاً . ومعنى مبيناً صريحاً . وان كان شيخ الوقار . والشرف والفخار . لبادئات في شعره وهي دلائله . قبل ان يعلم قائله . واما العبسي (٤) فمجيد في اشعاره . ولا كمعلقته فقد انفرد بها انفراد سهيل . وغبر في وجوه الخيل . وجمع فيها بين الحلاوة والجزالة . ورقة الغزل وغلظة البسالة . واطال واستطال . وامن السآمة والكلال . واما زهير فاي زهير . بين لهوات زهير . حكم فارس . ومقامات الفوارس . ومواعظ الزهاد . ومعتبرات العباد . ومدح يكسب الفخار . ويبقى بقاء الاعصار . ومعاتبات مرة تحسن . ومرة تخشن وتارة تكون هجواً . وطوراً تكاد تعود شكراً . واما ابن حلزة (٥) فسهل الحزون . قام

(١) لم نعثر في شعر امرىء القيس على هذه الجملة ولا التي قبلها . واول من استعمل لفظ القرط في نظمه هو عمر بن أبي ربيعة حيث يقول :

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل ابوها واما عبد شمس وهاشم

كما ان الاخطل هو اول من وصف الخد بالسهولة وذلك في قوله :

اسيلة مجرى الدمع اما وشاحها فجار واما الحجل منها فما يجري

« ٢ » اشارة الى قول امرىء القيس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

وهذا البيت يعد من ابتداعات امرىء القيس ومخترعاته

« ٣ » من هنا يبتدىء النقص بالنسخة التونسية فاتممنا ما ضاع من النسخة الاندلسية

« ٤ » العبسي هو عنترة بن شداد «٥» هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري البكري احد شعراء الجاهلية المجيدين

خطيباً بالموزون · والعادة ان يسهل شرح الشعر بالنثر · وهذا اسهل السهل بالوعر · وذلك مثل قوله :

أبرموا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء [1]
من مناد ومن مجيب ومن تصـ ـهال خيل خلال ذاك رغاء

فلو اجتمع كل خطيب ناثر · من اول وآخر · يصفون سفراً نهضوا بالاسحار · وعسكراً تنادي بالنهوض الى طلب الثار ما زادوا على هذا ان لم ينقصوا منه ولم يقصروا عنه وسائر قصيدته في هذا السلك شكاية وطلاب نصفة وعتاب في عزة وانفة وهو من شعراء وائل واحد اسنة هاتيك القبائل واما ابن كلثوم فصاحب واحدة بلا زيادة انطقه بها عز الظفر وهزه فيها جن الاشر فقعقعت رعوده في ارجائها وجمعت رحاه في اثنائها وجعلتها تغلب قبلتها التي تصلي اليها وملتها التي تعتمد عليها فلم يتركوا إعادتها ولا خلعوا عبادتها الا بعد قول القائل :

الهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم [2]

على انها من القصائد المحققات واحدى المعلقات واما النابغة زياد فاشعاره الجياد لم تخرج عن نار جوانحه حتى تناهى نضجها ولا قطعت من منوال خواطره حتى تكاثف نسجها لم تهلهلها ميعة الشباب ولا وهاء الاسباب ولا لوم الاكتساب فشعره وسائط سلوك وتيجان ملوك واما النابغة الجعدي فتي الكلام شاعر الجاهلية والاسلام واستحسن شعره افصح الناطقين ودعا له اصدق الصادقين وكان شاعراً في الافتخار والثناء قصير الباع لشرفه عن تناول الهجاء وكان مغلوباً فيه في الجاهلية وطريد ليلى الاخيلية واما المشي باجمعهم فكلهم شاعر ولا كميمون بن قيس شاعر المدح والهجاء واليأس والرجاء والتصرف في الفنون والسعي في السهول والحزون نفق

« ١ » البيتان من معلقته المشهورة التي مطلعها :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

يقال انه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح وكان ينشده من وراء سبعة ستور فامر عمرو برفع الستور عنه استحساناً لها · وتروى أجمعوا بدل أبرموا ·

« ٢ » قائل البيت مجهول واتبعه ابن قتيبة ببيت آخر وهو :

يفاخرون بها مذ كان اولهم يا للرجال لشعر غير مسؤم

مدحه بنات الحلق وكان في فقر ابن المذاق وابكى هجوه علقمة [١] كما تبكي الأمة واما الاسود بن يعفر فاشعر الناس اذا ندب دولة زالت او بكى حالة حالت اووصف ربعاً خلا بعد عمران او داراً درست بعد سكان فاذا سلك هذا السبيل فهو من حشو هذا القبيل كعمرو وزيد وسعد وسعيد واما حسان فقد اجتث بواكر غسان ثم جاء الاسلام وانكشف الاظلام فجاحش عن الدين وناضل عن خاتم النبيين فشعر وزاد وحسن واجاد الا ان الفضل في ذلك لرب العالمين وتـديد الروح الامين واما دريد بن الصمة فصمة صمم وشاعر جشم وغزل هرم واول من تغزل في رثاء وهزل في حزن وبكاء فقال في معبد اخيه قصيدته المشهورة يرثيه :

ارث جديد الحبل من ام معبد [٢] وهي من شاجيات النوائح وباقيات المدائح

واما الراعي عبيد فجبل عليّ وصف الابل فصار بالراءٍ يعرف ونسي ما له من الشرف واما زيد الخيل فخطيب سجاعة وفارس شجاعة مشغول بذلك عما سواه من المسالك واما عامر ابن الطفيل فشاعرهم في الفخار وفي حماية الجار واوصفهم لكريمة وابعثهم لحميد شيمة واما ابن مقبل فقديم شعره وصليب نجره ومغلي مدحه ومعلي قدحه واما جرول فخبيث هجاؤه شريف ثناؤه صحيح بناؤه رفع شعره من الثرى وحط من الثريا واعاد بلطافة فكره ومتانة شعره قبيح الالقاب فخراً يبقى لي الاحقاب ويتوارث في الاعقاب واما ابو ذؤيب فشديد اسر الشعر حكيمه شغله فيه التجريب حديثه وقديمه وله المرثية النقية السبك المتينة الحبك بكى فيها بنيه السبعة ووصف الحمار فطول وهي التي اولها امن المنون وريبه تتوجع [٣]

واما الاخطل فـعد من سعود بني مروان صفت لهم مرآة فكره وظفروا بالبديع من شعره وكان بائقة من حاجاه وصاعقة من هاجاه واما الدارمي همام [٤] فجوهر

«١» هو علقمة بن علاثة هجاه اعشى ميمون دفاعاً عن عامر بن الطفيل بابيات طالعها:

علقم ما انت الى عامر النا قض الاوتار والواتر

«٢» قال ابن الكلبي: لا اعلم مرثية اولها نسيب الا قصيدة دريد بن الصمة (عمدة: باب الرثاء)

ارث جديد الحبل من ام معبد بعاقبة قد اخلفت كل موعد

«٣» وبقية البيت : والدهر ليس بمعتب من يجزع

«٤» الدارمي همام هو الفرزدق الشاعر المشهور

كلامه . واغراض سهامه . اذا افتخر بمالك ابن حنظلة . وبدارم في شرف المنزلة . واطول ما يكون مدى اذا تطاول اخ يار جرير عليه بقليله على كثيره . و بصغيره على كبيره . فانه يصادمه حينئذ بحر ماد . ويناوءه بسيف حاد . واما ابن الخطفي (١) فزهد في غزل . وجمر في جدل . يسبح اولاً في ماء عذب . ويطمح آخراً في صخر صلب . كلب منابحة . وكبش مناطحة . لا تفل غرب لسانه مطاولة الكفاح . ولا تدمي هامته مداومة النطاح . جاري السوابق بمطية . وفاخر غالب بعطية . وبلغته بلاغته الى المساواة . وحملته جرأته على المجاراة . والناس فيهما فريقان . وبينهما عند قوم فرقان . واما القيسان (٢) وطبقتهما فطبقة عشقة . توقة . استحوذت الصبابة على افكارهم واستفرغت دواعي الحب معاني اشعارهم فكلهم مشغول بهواه لا يتعداه الى سواه واما كثير فحسن النسيب فيه لطيف العتاب مليحه شجي الاعتراب قريحه جامع الى ذلك رقائق الظرفاء وجزالة مدح الخلفاء واما الكميت والرماح ونصيب والطرماح فشعراء معاصرة ومناقضات ومفاخرة فنصيب امدح القوم والطرماح الهجاهم والرماح انسبهم نسيبا والكميت اشبهم تشبيبا واما بشار بن برد فاول المحدثين وآخر المخضرمين وممن لحق الدولتين عاشق سمع وشاعر جمع شعره يدفق عند ربات الحجال . وعند فحول الرجال . فهو يلين حتى يستعطف . ويقوى حتى يستنكف وقد طال عمره وكثر شعره وطما بحره ونقب في البلاد ذكره واما ابن ابي حفصة (٣) فمن شعراء الدولتين وممن حظي بالامتين ووصل الى الغنى بالصلتين وكان درب المعول ذرب المقول والد شعراء ومنجب فصحاء .

(١) ابن الخطفي هو جرير بن عطية بن الخطفي التميمي الشاعر المشهور المتوفى سنة ١١٠ وكانت بين جرير هذا والفرزدق مهاجاة ونقائض مثبتة بتأليف خاص

(٢) اولهما : قيس بن الملوح مزاحم بن قيس العامري المشهور بمجنون ليلى واشعاره فيها متداولة بين الناس . وثاني القيسين هو قيس بن ذريح الكناني رضيع الحسن ابن علي بن ابي طالب توفي في حدود الثمانين للهجرة . وغالب اشعاره في معشوقته لبنى بنت الحباب

(٣) هو ابو السمط مروان بن ابي حفصة سليمان بن يحيى بن ابي حفصة يزيد من الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين ولد سنة ١٠٥ وتوفي عام ١٨١ ببغداد وله نوادر كثيرة تراجع بمعاجم التراجم

واما ابو نواس . فاول الناس في خرم القياس وذلك انه ترك السيرة الاولى . ونكب عن الطريقة المثلى وجعل الجد هزلا والصعب سهلا فهلهل المسرد وبلبل المنضد وخلخل المنجد وترك الدعائم وبنى على الطامي والعائم وصادف الافهام قد نكات واسباب العربية قد تخاخلت وانحلت والفصاحات الصحيحة قد سئمت وملت . فمال الناس الى ما عرفوه وعلقت نفوسهم بما الفوه فتهادوا شعره واغلوا سعره . وشغفوا باسخفه وكلفوا باضعفه وكان ساعده اقوى ومراجه اضوا لكنه عرض الانفق واهدى الاوفق وخالف فشهر وعرف واغرب فذكر واستظرف والعوام تختار هذه الاعلاق واسواقهم اوسع الاسواق فشعر ابي نواس نافق عند هذه الاجناس كاسد عند انقد الناس وقد فطن الى استضعافه وخاف من استخفافه . فاستدرك بفصيح طرده طرفا حد اللسان وحدوده وهو محدود في كثرة التظاهر على من غض منه بالحق الظاهر ليس الا خفة روح المجون وسهولة الكلام الضعيف الملحون على جمهور العوام لا على خواص الانام واما صريع [1] فكلامه مرصع ونظامه مصنع وجملة شعره صحيحة الاصول مصنعة الفصول قليلة الفضول واما العباس بن الاحنف فمتزل بهواه وبمعزل عما سواه دفع نفسه عن المدح والهجاء ووضعها بين يدي هواه من النساء قد رقق الشغف كلامه وثقفت قوة الطبع نظامه فله رقة العشاق وجودة الحذاق واما دعبل فديد مقبل اليوم مدح وغدا قدح يجيد في الطريقتين ويبدي في الخليقتين وله اشعار في العصبية وكان شاعر علماء وعالم شعراء واما علي بن الجهم فرشيق الفهم راشق السهم استوصل شعره الشرفاء ونادم الخلفاء وله في الغزل الرصافية وفي العتاب الدالية ولو لم يكن له سواهما لكان

(١) صريع الغواني لقب لشاعرين الاول القطامي واسمه عمير بن شييم ابن اخت الاخطل سمي بذلك لقوله :

صريع غوان راقهن ورقنه لدن شب حتى شاب سود الذوائب

والثاني وهو الذي قصده ابن شرف هنا هو مسلم بن الوليد الانصاري من شعراء الدولة العباسية لقبه الرشيد بصريع لقوله :

هل العيش الا ان تروح مع الصبا وتغدو صريع الكاس والاعين النجل

ومولد مسلم بالكوفة ووفاته سنة ٢٠٨ هجرية وهو فيما زعموا اول من قال الشعر المعروف بالبديع

اشعر الناس بهما واما الطائي حبيب فمتكلف الا انه مصيب ومتعب لكن له من الراحة نصيب وشغله المطابقة والتجنيس[١] حبذ ذلك او بئس جزل المعاني مرصوص المباني مدحه ورثاؤه لا غزله وهجاؤه طرفا نقيض وخطبا ء وحضيض وفي شعره علم جم من النسب وجملة وافرة من ايام العرب وطارت له امثال وحفظت له اقوال وديوانه مقرو وشعره متلو قال ابن بسام اما صفته هذه لابي تمام فنصفة لم يثن عطفها حمية ولا تعلقت بذيلها عصبية حتى لو سمعها حبيب لاتخذها قبلة واعتمدها ملة فما لام من ادب وان اوجع ولا سب من صدق وان اقذع واما البحتري فلفظه ماء ثجاج ودر رجراج ومعناه سراج وهاج على اهداء منهاج يسبقه شعره الى ما يجيش به صدره يسر مراد ولين قياد ان شربته ارواك وان قدحته اوراك طبع لا تكلف يعيبه ولا العناد يثنيه لا يمل كثيره ولا يستكلف غزيره لم يهف ايام الحلم ولم يعف زمن الهرم واما ابن المعتز فملك النظام كما هو ملك الانام له التشبيهات المثلية والاستعارات الشكلية والاشارات السحرية والعبارات الجرية والتصاريف الصنوفية والطرائق الفنونية والافتخارات الملوكية والهمات العلوية والغزل الرائق والعتاب الشائق ووصف الحسن الفائق

وخير الشعر اكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد[١]

واما ابن الرومي[٢] فشجرة الاختراع وثمرة الابتداع وله في الهجاء ما ليس له في الاطراء فتح فيه ابوابا ووصل منه اسبابا وخلع منه اثوابا وطوق فيه رقابا يبقين اعمارا واحقابا يطول عليها حسابه ويمحق بها ثوابه ولقد كان واسع العطن لطيف الفطن الا ان الغالب عليه ضعف المريرة وقوة المرة واما كشاجم فحكيم شاعر وكاتب ماهر له في التشبيهات غرائب وفي التأليفات عجائب يجيد الوصف ويحققه ويسبك المعنى فيرقّقه ويروقه واما الصنوبري فصيح الكلام غريبه مليح التشبيه عجيبه مستعمل لشواذ القوافي يغسل كدرتها بماء فهمه الصافي فتجلو وتدق وتعذب وترق[٣] وهو وحيد[٤] جنسه في صفة الازهار وانواع الانوار وكان في بعض اشعاره

(١) البيت للفرزدق هجا به نصيبا وقد يروى : اشرفه رجالا عوض اكرمه رجالا

(٢) هنا ينتهي النقص الذي بالنسخة التونسية

(٣) بالنسخة التونسية : فيجل و يدق و يعذب و يرق

(٤) وبالنسخة التونسية : جيد جنسه

بخالع وفي بعضها يتشاجع وقد مدح وهجا ونثر[١] وشجا واعجب شعره واطرب وشرق وغرب ومدح من اهل افريقية امير الزاب جعفر بن علي[٢] منفق سوق[٣] الآداب فوصله بالف دينار بعثها اليه مع ثقات التجار[٤] واما الخبزرزي[٥] فخليع الشعر ماجنه رائق اللفظ بائنه كثيرة محاسنه صحيحة اصوله ومعادنه رائقة البزة مائلة الى العزة تسليه عن الحب الخيانة و يروقه الوفاء والصيانة وله على خشونة خلقه وصعوبة خلقه اختراعات لطيفة وابتداعات طريفة[٦] في الفاظ كثيفة وفصول قليلة الفضول نظيفة حتى ان بعض كبراء الشعراء اهتدم اشياء من مبانيه واهتضم طرفاً[٧] من معانيه وهو من معاصريه فقل من فطن لمراميه واما ابو فراس بن حمدان ففارس هذا الميدان ان شئت ضرباً وطعناً او انطقاً ومعنى ملك زماناً وملك وانا وكان اشعر الناس في المملكة واشرهم في ذل الملكة[٨] وله الفخريات التي لا تعارض والاسريات التي لا تناقض[٩] واما المتنبي فقد شغلت به الالسن وسهرت في اشعاره العيون الاعين وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره والغائص في بحره والمفتش في قعره عن جمانه[١٠] ودره وقد طال فيه الخلف وكثر عنه الكشف وله شيمة تغلو[١١] في مدحه وعليه خوارج تتعايا في جرحه والذي اقول ان له حسنات وسيئات وحسناته اكثر عدداً واقوى مدداً وغرائبه طائرة وامثاله ثائرة وعلمه فسيح وميزه صحيح يروم فيقدر ويدري ما يورد و يصدر

قال ابو الريان[١٢] هذا ما عندي في شعراء المشرق وقد سميت لي من متأخري شعراء

(١) بالنسخة الاندلسية : سر بدل نثر — (٢) هو ابو علي جعفر بن علي بن احمد ابن حمدان امير الزاب من اعمال افريقية ومؤسس مدينة المسيلة بالمغرب وقد حاربه الامير بلكين الصنهاجي صاحب القيروان واستظهر عليه ففر جعفر الى الاندلس وبها قتل سنة ٣٦٤ هـ ولابي القاسم محمد بن هاني الشاعر الاندلسي في جعفر المذكور مدائح فائقة تراجع في ديوانه — (٣) بالنسخة التونسية : سلع عوض سوق — (٤) من بعثها الى التجار مفقود بالنسخة الاندلسية — (٥) الخبززي ويروى ايضاً الخبزأرزي هو ابو القاسم نصر بن احمد بن نصر بن مأمون الشاعر البصري المتوفى سنة ٣١٠ (٦) بالنسخة الاندلسية : طريقة — (٧) بالنسخة الاندلسية : اطرفاً عوض طرفا — (٨) بالنسخة الاندلسية : الملك عوض الملكة — (٩) بالنسخة الاندلسية تناهض — (١٠) بالنسخة الاندلسية : حمأته (؟) بدل جمانه — (١١) بالنسختين تغلو (١٢) من قال ابو الريان الى فاما ابن عبد ربه مفقود من النسخة الاندلسية

المغرب من لعمري لا يمد عن معاصرهم ولا يقصر عن سابقيهم فاما ابن عبد ربه القرطبي وان بعدت عنك دياره[1] فقد ماقيتنا اشعاره ووقفنا على اشعار صبوته الانيقة وتكفيرات توبته الصدوقة ومدائحه المروانية ومطاعنه في الدبابية وهو في كل ذلك فارس ممارس وطاعن مداعس واطلعنا في شعره على علم واسع ومادة فهم مفيّ ناصع ومن تلك الجواهر نظم عقده وتركه لمن يتجمل به بعده واما ابن هاني محمد الاندلسي ولادة القيرواني وفادة وافادة فرعدي الكلام سردي النظام متين[2] المباني غير مكين المعاني يجفو بمطلبا عن الاوهام حتى تكون كنقطة النظام الا انه اذا ظهرت معانيه في جزالة مبانيه رمى عن منجنيق يؤثر في النيق وله غزل قفري لا عذري لا يقنع فيه بالطيف ولا يشفع فيه[3] بغير السيف وقد نوه بملك الزاب وعظم شأنه باجزل الثواب وكان سيف دولته في اعلاء منزلته من رجل يستعين على صلاح دنياه بفساد اخراه لرداءة عقله ورقة دينه وضعف يقينه ولو عقل لم تضق عليه[4] معاني الشعر حتى يستعين عليها بالكفر واما القسطلي[5] فشاعر ماهر عالم بما يقول تشهد له العقول بان المؤخر بالعصر المقدم في الشعر حاذق[6] بوضع الكلام في مواضعه لا سيما اذا ذكر ما اصابه في الفتنة وشكا ما دهاه في ايام المحنة وبالجملة فهو اشعر اهل مغربه في ابعد الزمان واقربه واما علي التونسي فشعره المورد العذب ولفظه اللؤلؤ الرطب وهو بحتري الغرب يصف الحمام فيروق الانام ويشبب فيعشق ويعجب ويمدح فيمنح اكثر ما يمنح

هذا ما عندي في المتقدمين والمتأخرين على احتقار المعاصر واستصغار المجاور . فحاش لله من الاوصاف بقلة الانصاف للبعيد والقريب والعدو والحبيب قلت : يااابا الريان[7] اكثر الله مثلك في الاخوان ووقاك محذور الزمان ومرور الحدثان فلقد

(١) بالنسخة التونسية : وان بعدت عنا ذكره — (٢) من متين الى كنقطة النظام مفقود من النسخة الاندلسية

(٣) بالنسخة الاندلسية : يشبع بدل يشفع — (٤) بالنسخة التونسية : عنه بدل عليه — (٥) القسطلي هو ابو عمر احمد بن محمد بن دراج القسطلي الاديب المطبوع المتوفى سنة ٤٢١ هجري والقسطلي نسبة الى قسطيلية احدى الولايات بجزيرة الاندلس (٦) بالنسخة الاندلسية : يوقع بدل يوضع — (٧) من قوله اكثر الله الى محذور الزمان مفقود من النسخة الاندلسية

سبكت فعها وحشيت عيلما (١)

قال محمد قلت لابي الريان في مجلس عقيب هذا المجلس يا ابا الريان لقد رأيت لك نقداً مصيبا ومرمى عجيبا ولقد ارغب في ان انال منه نصيبا قال النقد هبة الوالد، وفيه زيادةُ طارف الى تالد ولقد رأيت علماء بالشعر ورواةً له ليس لهم نفاذٌ في نقده ولا جودة فهم في رديه وجيده وكثير ممن لا علم له يفطن الى غوامضه والى مستقيمه ومتناقضه قلت انا شديد الرغبة الى فضلك في ان تسهمني من ميزك وعقلك ما استهدي بسراجه الى مستقيم منهاجه فاقف من مراتبه على بعض ما وقفت واعرف من مفاخره ومعانيه جزءاً مما عرفت قال نعم اول ما عليه تعتمد واياه تعتقد ان لا تستعجل باستحسان ولا باستقباح ولا باستبراد ولا باستملاح حتى تنعم (٢) النظر وتستخدم الفكر واعلم ان العجلة في كل شيء موطئٌ زلوق ومركب زهوق فان من الشعر ما يملأ لفظه المسامع ويرد على السامع منه قعاقع فلا يرعك شماخة مبناه وانظر الى ما في سكناه من معناه فان كان في البيت ساكن فتلك المحاسن وان كان خاليا فاعدده جسماً باليا وكذلك اذا سمعت الفاظاً مستعملة وكلمات مبتذلة فلا تعجل باستضعافها حتى ترى ما في اضعافها فكم من معنى عجيب في لفظ غير غريب والمعاني هي الارواح والالفاظ هي الاشباح فان حسنا فذلك الحظ الممدوح وان قبح احدهما فلا يكن الروح

قال: وتحفظ عن شيئين احدهما ان يحملك اجلال القديم المذكور على العجلة باستحسان ما تستمع له والثاني ان يحملك اصغارك المعاصر المشهود على التهاون بما انشدت له. فان ذلك جورٌ في الاحكام وظلم من الحكام حتى تمحص قولهما فحينئذ تحكم لهما او عليهما وهذا باب في اغتلاقه استصعاب وفي صرف العامة وبعض الخاصة عنه اتعاب وقد وصف تعالى في كتابه الصادق تشبث القلوب بسيرة القديم ونفارها من المحدث الجديد فقال حاكياً لقولهم انا وجدنا اباءنا على أمةٍ وقال لن نعبد الا ما وجدنا عليه آباءنا وقد قلت انت :

---

(١) هنا تنتهي النسخة الاندلسية وفي آخرها ما نصه :« نجزت المقامة باسرها والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين وسلامه اه » ثم عقب ذلك بخط غير منقوط « طالعته في موفي سنة خمس وخمسمائة » وعليه فتكون النسخة الموجودة الآن باسبانيا كتبت قريباً من عهد المؤلف (راجع ترجمته بالمقدمة) (٢) تنعم مثل تمعن

أغري الناس بامتداح القديم وبذم الجديد غير ذميم(١)
ليس الا لانهم حسدوا الحي ورقوا على العظام الرميم

وقلت في هذا المعنى :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للاوائل التقديما
ان ذاك القديم كان جديداً وسيغدو(٢) هذا الجديد قديما

فلا يرعك ان تجري لي منهاج الحق في جميع الخلق فيه قامت السموات والارض وبه احكم الابرام والنقض وسأمثل لك في ذلك مثالاً واملأ اسماعك قالا وفهمك عدلاً واعتدالا بنبع

مخطوطات ومطبوعات

حاضر الاسلام ومستقبله .

تأليف الاستاذ مونته من كلية جنيف (سويسرا) طبع على نفقة الكتبي بول كوتنر بباريز ص ٥٧

M.E. Montet . De l'Etat présent et de l'avenir de l'Islam. Librairie Paul Geuthner, Paris

في رجال العلم في الغرب فئة قليلة تجردت نفوسهم عن الغايات فاذا اصدروا حكمهم على امر يصدرونه اقرب الى الصحة احياناً اكثر ممن تربوا تربية القرون الوسطى وتشبعوا بافكار اهلها او نزعوا منزعاً سياسياً فصارت اقوالهم وافعالهم تصدر وهي ترشح من مادة سياسة دولتهم . ومن اهل تلك الفئة الفاضلة الاستاذ مونته من جامعة جنيف في سويسرا التي ست محاضرات في حاضر الاسلام وماضيه باللغة الافرنسية في «كوليج دي فرانس» بباريز وهي دار العلم العامة ونشرها في كتاب ارسل الينا لنبدي رأينا فيه فرأينا ان نلخص اقواله اولاً ثم نعقب عليها اذا وجدنا داعياً قال في المحاضرة الاولى في الابحاث الاسلامية واحياء نفوس اهل الاسلام وانتشار دينهم . ان فرنسا والمانيا

«١» اورد البيتين العلامة الشريشي في شرحه الكبير لمقامات الحريري «ج ١ ص ١٢» وروى : اولع بدل اغري والحديث بدل الجديد ومالوا عوض رقوا وقوله «ذميم» اصلها «غير الذميم» كما انه اورد لفظ «ورقوا» في البيت الثاني والاحسن عندي ان تقرى «فرقوا» «٢» بالاصل : سيغدوا

وبريطانيا العظمى وهولاندة هي الدول التي لها علاقة كبرى بالمسلمين لان لها في مستعمراتها ملايين منهم تابعين لها وان طبائع الحكومات الخاضعين لها تختلف باختلاف طبائعهم فيمكن ارجاع المسلمين المحكوم عليهم في آسيا وافريقية الى ثلاثة اقسام كبرى الهنود والمالايو والافريقيون وانه يؤثر ان يتكلم على المسلمين الخاضعين لفرنسا بنوع خاص ولا يتعرض لمسلمي الهند وجاوه وسومطرا الا بالعرض

المسلمون البربر يختلفون في طبائعهم عن مسلمي العرب او الفرس او الهنود او الصينيين او المالايو كما تختلف النصرانية اذا نظر اليها نظراً اجمالياً لانها تختلف باختلاف طبائع اهلها بحسب الاقاليم اوربية كانت او اميركية او افريقية او آسياوية

اذا نظر الى البلاد الاسلامية من حيث مجموعها يتأتى ان يقال لها الاسلام في الجملة منتشر في جزء عظيم من قارة آسيا وجزء مثله من قارة افريقية وفي بلاد عظيمة جداً من ماليزيا وعدد عظيم من اهل الاسلام في قارتي اوربا واميركا وعددهم فيهما لا يستهان به

واذا جئنا نحصي عدد المسلمين كان لفرنسا في افريقية منهم ٢٣٤١٠٨٤٠٠٠ وربما بلغ المسلمون تحت علم انكلترا ٦٨٤٠٠٠٤٠٠٠ وتحت حكم هولاندة ٣٨٤٩٣٨٤٠٠٠ منهم زهاء ثلاثين مليوناً في جاوة والمسلمون في الصين ثلاثون مليوناً اما سائر بلاد الاسلام فليس لها احصاء يعتمد عليه الا مصر وعددهم فيها ١٠٤٢٦٩٤٠٠٠ وسكان المملكة العثمانية ٢٤ مليوناً القسم الاعظم منهم مسلمون وفي ايران تسعة ملايين وفي مراكش مثلهم او اقل او اكثر فيبلغ عدد من ينتحلون الاسلام في العالم من ٢٠٠ الى ٢٥٠ مليوناً . ولم يقف الاسلام عند حد البلاد التي انتشر فيها بل تعداها الى غيره شأن اناء صببت فيه زيتاً اكثر مما يسع ففاض على جوانب الآنية

انتشر الاسلام بسرعة منذ اول ظهوره وقليل في الاديان التي شابهته وانبثت دعوته الى اليوم مثله وان النجاح الذي صادفه منذ انتشاره قد كان داعياً الى التقول في اسبابه خطأ اذ عجب الناس كيف انتشرت سلطة محمد واصلاحه خارج جزيرة العرب وقال القائلون ولا يزالون يقولون ان السبب الداعي الى انتشار الدين الاسلامي قد كان منبعثاً من اسباب زمانية كانت من طبيعة محمد والخلفاء الاول وقبل كل شيء دعت اليها القوة وقوة السيف ولكن الواقع قد كذب هذا الظن اذ لم ينظر الناظرون الى الاسباب المختلفة التي نشأت منها سرعة انتشار الدعوة الى هذا الدين

لاشك عندي بان مبادئ الاصلاح الاسلامي كانت بداءة بدء دينية صرفة . فكان محمد رسولاً على نحو ما عرف العبرانيون رسلاً مثله فقام باعتقاد خالص واقٍ على الوثنية وتوخى ان ينقذ مواطنيه من دين بربري سخيف وان يخرجهم من حالة في الاخلاق والمدنية منحطة كل الانحطاط . فلا مجال الى الشك اذاً في اخلاصه وحماسته الدينية التي كانت متشبعة بها نفسه وفكره فقام يدعو بعواطفه الى اصلاحه في مكة ثم في المدينة

ولما نقل مركز اصلاحه الى يثرب لم يلبث عنصر جديد ان ينضم الى ارادته الاصلاحية وهذا العنصر هو الشعور الوطني العربي والفكر الذي اخذ يسري في عقله بتوحيد بلاد العرب توحيداً سياسياً فنشأ بعد ذلك فكر الاصلاح الديني الى فكر جمع كلمة القبائل العربية تحت سلطة دينية وسياسية واحدة ومن هناك نشأت جرثومة مزج السلطتين الدينية والمدنية اللتين تجلى امرهما في الحضارة الاسلامية وكانت سبب عظمتها ومجدها كما ان بذلك يعلل سبب انحطاطها وخرابها وبهذا ساغ ان نميز بين انتشار الدعوة الاسلامية بادئ بدء ووعظ القرآن والهداية الدينية وبين الفتح الحربي وتوحيد سياسة العالم العربي . وهذا التمييز الاسامي الجوهري لا يفجأ به انسان تبحر في دروس التاريخ الديني فان مؤرخي الاصلاح الذي قام به لوثيروس وكلفن شاهدون بما كان للسياسة من الحمل في نشر المذهب البرتستانتي . وحقاً ان كبار المصلحين في القرن السادس عشر كانوا ارباب وجدانات واخلاق ونوابغ في الدين من الطراز الاول ولكن جذبهم تيار السياسة في عصرهم فعملوا على ان يديروه بحيث يوافق رغائبهم الدينية

وان في تاريخ البابوية امثلة لا تقل عن ذلك في الظهور والدلالة على الصلة الشديدة في النشوء البشري بين المصالح الروحية والمصالح السياسية والاعتبارات الدينية والاعتبارات العملية والمادية

ولقد ذهب بعضهم مذاهب اخرى في تأويل هذه القضية المعروفة في سرعة انتشار الاسلام لاول امره وارى ان من الباحثين من اوغلوا في تعليل الاسباب على حين يكفي كما يبدو ان تعتبر الاسباب العادية الاعتيادية في حياة كل مجتمع بشري فقال بعضهم ان القوة في انتشار هذا الدين نشأت من طبيعة هجرة العنصر العربي الذي كان يبحث عن مخرج يخرج اليه من ارضه لان بلاده كانت ضيقة لا تكفيه وزعم آخرون ان السبب

في انتشار العنصر العربي والهجرة التي انتهت في القرن السابع للميلاد بنشر الاسلام في جزء مهم من بلاد الشرق كان منبعثاً من بطء التبدل في بلاد العرب الوفاً من السنين فكان من نتيجة ذاك التبدل جفاف تلك الشبه الجزيرة التي تعادل بمساحتها ثلاثة ارباع مساحة اوربا اما نحن فنخشى كثيراً ان يكون هذا التغير الاساسي في المناخ لا يصل بنا الى اوقات عريقة في القدم قبل أن عرف التاريخ

اوجزنا الكلام على هذه الاسباب في انتشار الدعوة الاسلامية لاول عهد الهجرة لان هذا الدين ما برح ينتشر الى اليوم والعاملان الجوهريان فيه على الدوام هما اللذان اوردناهما اولاً وما انتشار الاسلام في القرن العشرين الا ناشيء من اسباب منها الديني ومنها السياسي والاقتصادي والاجتماعي

فالاسباب الدينية اذا بحثنا فيها كان علينا بادئ الرأي ان ننظر فيما اذا كان للاسلام كما للنصرانية مبشرون فانا نرى النصرانية تنتشر في الخارج بواسطة جمعيات التبشير وعوامل منفردة في المذهب البروتستانتي والمذهب الكاثوليكي بواسطة الرهبنات . وليت شعري هل في الاسلام شيء يشبه هذا فالجواب لا ونعم

ففي افريقية مثلاً اناس من المرابطين هم دعاة تبشير حقيقيين وهناك طرق دينية اخذت على نفسها نشر الدين الاسلامي على ان الاسلام ينتشر بنفسه بواسطة المسلمين انفسهم لان كل مسلم في البلاد الوثنية داعية دين بحد ذاته . المسلم على الجملة مؤمن مخلص في ايمانه وربما كان ذلك لانه قليل التعلم او كثير الجهل ومن خصائص الاسلام ان يستولي على المعتقد به فيكون مأخوذاً به قلباً وقالباً ولئن كان ثمت من المسلمين الفاترين الذين قلما يعنون بمثل هذه الامور الا ان الحمية خلق اساسي فيمن يدينون بالاسلام . واني اكرر ان في مطاوي المسلم احياناً شيئاً يشبه المبشر فهو يدعو الى دينه كما كان يعمل الابيجوي والفودوي في القرون الوسطى يدعو الى دينه وهو متوفر على تجارته او عامل في صناعته والفرق بين هؤلاء الدعاة الملاحدة قديماً و بين المسلمين اليوم هو ان الاولين كانوا يستعملون سراً هذه الطريقة في بث معتقدهم لان الحاجة كانت تضطرهم الى التقية فراراً بانفسهم من الظلم فيخبؤن كتبهم الدينية في متاعهم وخرائط بضائعهم اما الاسلام فينتشر من نفسه بواسطة القوافل التي ترحل في البلاد الوثنية والفتشية ودعاة الاسلام فيما عرفوا به من الغيرة يعمدون الى ذرائع مختلفة تناسب كل حال بحسب الاقطار والشعوب التي يبثون دعوتهم بين اهلها وللوسائط الاجتماعية والاقتصادية دخل كبير في

الاسباب الدينية التي يعمدون اليها

وهكذا نرى الدعاة المسلمين قد انشأوا قرى سكنها المهتدون الى دينهم من المحدثين في الاسلام ولطالما انتقموا من القحط الذي كان يلقي بجرانه في اصقاعهم كما حدث في وانكيا على شاطئ زنجبار ليظهروا دينهم في مظهر الشفقة والاحسان وكم من مرة اعتقوا الرقيق لينشروا معتقدهم كما وقع في وادادي فان قافلة من العبيد واصلهامن واداي قد اطال اليها يد النهب اهل البادية على حدود طرابلس الغرب ومصرفاشتراهم سيدي محمد بن علي السنوسي وعلّمهم في زاويته التعليم الضروري واعتقهم واذ ابقن بعد بضع سنين غناءهم في بث الدعوة اعادهم الى وطنهم ليتوفروا فيه على نشر الاسلام

وان دعاة المسلمين في الاقطار المتمدنة والشعوب المستنيرة يجرون في دعوتهم على غير هذه الطريقة فيتوخون بمالهم من علم وتعليم راق الى نيل الحظوة من الرؤساء وبواسطتهم يؤثرون في الرأي العام ويسكتون عن بعض العادات المألوفة في ذلك القطر ويتغافلون عن بعض الاوهام الدينية والاحتفالات الوثنية فهكذا نرى المسلمين في الصين وقد فتحت في وجوههم جميع الاعمال فيها لا ينشئون مساجد الى من سائر المعابد ولا يضيفون اليها منارات ويوصون اهل ملتهم ان لا ينقطعوا عن الاختلاف الى مواطنيهم في اعيادهم التي لها صبغة دينية وطنية وهم عند ما يقومون بالوظائف العامة يقومون بالفروض الدينية التي عينها القانون واذا حاوروا الصينيين من غير اهل دينهم يظهرون لهم الاسلام بانه دين الفطرة ينافي تقاليد الاجداد مجرد من الزوائد والامور المستحدثة التي علقت بمذهب كونفوشيوس

والمدرسة هي احدى العوامل الفعالة في نشر الدين ايضاً فالمسلمون على الجملة عند ما ينزلون ويتوطنون في بقعة جديدة يصرفون اول عنايتهم في انشاء مسجد ويجعلون بجانبه مدرسة وينظر الى المسلم في بلاد زنوج الوثنيين في افريقية بانه ارقى من غيره وبذلك يخف الى التعلم في مدرسته ابناء الوطنيين يريدون ان يصبحوا مثله معلمين مهذبين منظمين

وترى المرأة عند قبائل البجة النازلة بين النيل الازرق واعالي البلاد الممتدة من شمال سطح بلاد الحبشة ارقى بعقلها من الرجل ولذلك يختار دعاة الاسلام تعليمهن والاعتماد عليهن في بث الدعوة على نحو ما يفعل السنوسية بالزنجيات في طوبو . وهذه الطريقة في الدعوة قد اشتهرت هناك في حين ان تعليم المرأة في البلاد الاسلامية مزهود فيه على الغالب

وينتشر الاسلام بالزواج ايضاً فالمسلم يتزوج عَلَى اهون سبب بامرأة من غير عنصره كالعنصر الافريقي او العنصر الصيني او غيرهما عَلَى حين المسلم في الصين يتزوج عن رضى من امرأة من بنات بلاده ولكنه يحاذر ان يزوج بناته من الصينيين غير المسلمين

وينتشر الاسلام ايضاً باشتراء ابناء الوثنيين يربونهم على الدين المحمدي وقد شوهد في الصين اناس من المحسنين يبتاعون بالمال عشرة آلاف طفل في ايام قحط حدث في شانغ تونغ لم يبق فيها ولم يذر

واذا اعتبرنا الاسلام من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية نراه ولا سيما في افريقية قوة اسمى من غيره وواسطة للنجاح من الطراز الاول وذلك ان الاسلام كالنصرانية لم يخرج عن كونه عبارة عن مدنية ذات اصل قديم انتشر انتشاراً طويلاً واتت عليه ادوار في النشوء بطيئة وكتب له ان بلغ في الشرق وفي الغرب اوج مجده وهو اذا انحط الآن وتراجع فلم يبرح له وجود . وكانت هذه المدنية في افريقية حينما دخلت اسمى من غيرها من حيث الوجهة الادارية والاقتصادية ومن الوجهة العقلية والاخلاقية والدينية ولذا قال احد الباحثين اننا اذا قايسنا مجموع النتائج في بث النصرانية في افريقية وبث الاسلام لا من حيث العدد فان عدد من دانوا بالنصرانية قلائل بالنسبة للمسلمين بل من حيث التأثير العقلي والاخلاقي والاجتماعي في الجماعات والافراد المهتدين يتجلى لنا بلا شك ان الاسلام اسبق في هذا المعنى

فالاسلام بما فيه من مكانة اذا كتبت له الغلبة في الشعوب الافريقية ولاسيما في الزنوج فذلك لان فيه خاصية تلائم الشعوب الافريقية ولا سيما السود منهم فللاسلام بعض الاوضاع الاساسية المناسبة مع الحالة الاجتماعية في الزنوج واعني بذلك تعدد الزوجات والرق وسذاجة الحياة الظاهرة في اهل الاسلام وان هذه السذاجة في الاسلام هي قوة فيه هي قوة في التجنس توثر في الزنوج قوة شخصية في تربية النفس بالنفس وتمكين الارادة والشجاعة في قلب كل من دان به ان هذه السذاجة غريبة مدهشة لعمر الحق هي تطبيق حياة السذاجة التي يدعو اليها ارباب النظر السامي من اهل النصرانية في اوربا وافريقية

ومن جملة الاسباب التي دعت الى انتشار الاسلام احوال سياسية قضت عَلَى القبائل وعَلَى الافراد ان يحفظوا مراكزهم بالاسلام وكان ذلك قبل ان تقتسم دول اوربا بالفعل تلك الاقطار فقبلت قبائل الزنوج الاسلام لتحفظ حياتها لما في الاسلام من الادارة

والنظام ويستقلوا في حكومات لهم مستقلة ذات نظام اجتماعي حي راق وبهذه الواسطة انتشر الدين الاسلامي في بلاد كثيرة من افريقية الوسطى والغربية

وان في تاريخ حياة المامي ساموري اكبر دليل على ما للمصلحة السياسية من الدخل في بث الدعوة للاسلام فقد كان هذا الرجل قبل الاستيلاء على مدينة كانكان بحسب اغراضه السياسية فهو وثني لاول امره ثم دان بالاسلام لما اتصل بصوري ابراهيما احد اتباع محمد ومؤسس مملكة تيديان الذي استقل واحتفظ بمدائن كونيا وكانكوا وتوروكوتو وكابادوكو وبعد حين عاد الى الوثنية حتى اذا نشبت حرب كونيا عاد فدان بالاسلام وقد جرى على تعاليم المرابط دياو من نتاح جالون والفاعتيان من اهل الطريقة القادرية الذي جاء عقيب ارشاد الحاج عمر فوطن في تلك البلاد في مدينة اسمها ليانكو ومنذ ذاك العهد ساعده « الفاعتيان » في جميع حملاته وباقتراحه أطلق على ساموري بعد فتح كانكان لقب المامي

وهذا المأرب السياسي الذي حمل الوطنيين من الافريقيين على انتحال الاسلام قد اتت عليه الدول الاوربية اذ لم يجد الزنوج داعياً بعد ان فتحت كل من فرنسا وانكلترا مملكتيها الافريقيتين ان يعمدوا الى هذه الطرق . فدخول الاوربيين الى افريقية حال دون انتشار الاسلام وبقاء الوثنية في الزنوج في مراكزها وربما عاد بعض الوثنيين بعد انتحال الاسلام الى سابق دينهم كما وقع لجماعة اصلهم من قبس وصوننكه او ماركا دانوا بالاسلام واستوطنوا حوالى سنة ١٨٣٠ في شمالي باماكو واغتنوا وتأثلوا بما استرقوه من العبيد الذين توفروا على حراثة اراضيهم ولما احتل الفرنسيس تلك الجهات وابطل الرقيق ولاسيما في سنة ١٩٠٥ و١٩٠٦ عاد اولئك العبيد الى مواطنهم الاصلية فاضطر اولئك الجماعة ان يغادروا المدينة وينزلوا القرى ليحرثوها بانفسهم والغالب ان عدداً عظيماً منهم عادوا الى الوثنية وهناك امثلة اخرى للردة وهي كما تقدم منبعثة عن سبب سياسي كالسبب الذي دعا الى انتحال الاسلام فالمصلحة الواحدة ظهرت في الوجهتين المتخالفتين واعني بذلك المصلحة حفظ حقوق عنصرهم وامتيازاته

والظاهر اليوم ان الدواعي السياسية في افريقية لا تعمل لما فيه نشر كلمة الاسلام الا من حيث الوجهة المحلية الصرفة وهكذا في الجماعات الوطنيين من غير المسلمين حيث ترى مسلمين من اصل غريب واحياناً كثار العدد ولهم سطوة حقيقية لذلك يصعب على نفوسهم ان تخضع راضية لمطالب الرؤساء . وقد تجد من اولئك الزعماء من يدين بالاسلام

علناً جباراً وما ذلك الا دليل على سمو مكانة الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو ذريعة للمدنية

وقصارى ما ينتج من الحوادث التي عرضناها والاحصاءات وطرق الدعوة والاسباب المتنوعة في اسلام من لم يدن بدين الاسلام ان هذا الدين ينتشر ويرتقي وان له المكان السامي بين الاديان التي يبشر بها دعاتها وينشرها رعاتها . وليس للامثلة في الردة عن الاسلام ونزع كلمته التي ذكرناها سوى شأن ضعيف وهي لا تمنع الاسلام كالنصرانية ان تكون منذ قرون في دور دائم من الرقي والنجاح

ولا يبعد ان يأتي يوم تحدث فيه امور لا يتيسر لنا التنبوء بها مثل اسباب نشر الاسلام التي اتينا على ذكرها فيكون منها انتشار هذا الدين انتشاراً فوق العادة بحيث يعجل في هجوم الاسلام على بعض الاصقاع من الكرة على نحو ما حدث في تاريخ الاسلام ومهما يكن من هذه الظواهر في المستقبل فالاسلام ليس واقفاً في انتشاره من حيث هو دين بل لا يزال ابداً يزيد بعدد منتحليه والمتدينين به . يروى ان عقبة بن نافع لما سار في جنده سنة ٦٢ للهجرة (٦٧٨) الى اقصى المغرب بعد ان جاز بلاد مراكش بلغ شاطئ بحر الظلمات فقفز على جواده وسط امواج البحر فاصابت المياه صدر حصانه فوقف وهتف قائلاً « اللهم رب محمد اني لو تحل امواج هذا البحر لسرت الى الاقطار المتنائية امجد اسمك في مملكة ذي القرنين اقاتل عن الدين واقضي على كل من لا يؤمن بك »

بيد ان الاسلام قد حقق من الاعمال اكثر مما طمحت اليه نفس هذا القائد الجبار الذي قال ما قال آنفاً فالاسلام قد تجاوز البحار وطاف الاقطار ناشراً رسالة محمد

هذه هي المحاضرة الاولى من الكتاب وهي نموذج صالح منه وقد تكلم في المحاضرة الثانية على اصل الاسلام وما طرأ عليه من البدع والالحاد والمذاهب وفي المحاضرة الثالثة على الاولياء وفي الرابعة على الطرق الاسلامية والتصوف وعملها الاجتماعي والسياسي وفي الخامسة على مذهب البابية والبهائية وفي السادسة على مستقبل الشعوب الاسلامية والميل الى المناحي الحرة في الدين وقد ختم المحاضرة الاخيرة بطلب اتحاد العالم الاوربي مع العالم الاسلامي وان يحسن الاوربيون الى المسلمين ويحسنوا علاقاتهم في الصناعات والتجارة قال : الاسلام من حيث هو دين قوة ادبية فاول شرط في هذه الصلات الحسنة احترام الدين الاسلامي احتراماً مطلقاً وقد اخذ هذا الدين يعرف احسن من ذي قبل حق المعرفة في اوربا بفضل ما نشره بعض العلماء وبعض

السياح فان خبرة الباحثين وسذج الزائرين للبلاد الاسلامية حرية بالنظر وكثير من السياح قد لاحظوا مثل ما لاحظت فقالوا ان احسن منقذ للاوربي في الاصقاع الاسلامية التي يقل اختلاف المسيحيين اليها اسباب التي تقل راحتهم فيها هو احترامهم للاسلام وليس من الضروري الا في احوال خاصة ان ينتحل المخالفون لدين الاسلام بل يكفي بان يكونوا احباباً للاسلام او بعبارة ابسط محترمين لشعائر هذا الدين . وكم من سائح في البلاد الاسلامية سمع على اساليب مختلفة ما كان قاله سلطان حايل الى المأسوف عليه هوبر « انت مسلم في بلادي » وبعد فان من الاتحاد بين المسلمين والاوربيين بل بين المسيحيين والمسلمين نتج ولا شك نتائج حسنة قد ظهرت تباشيرها الآن فان اتحاد الارادات الحسنة في اوربا وارض الاسلام يسهل ولا جرم بالتدريج دخول كثير من الشعوب الاسلامية في تيار المدنية الحديثة . وعساني بهذه المباحث الحقيرة اكون قد حملت حجراً فوضعته في اساس البناء الذي أقيم الوثاق الحسن بين المسلمين والاوربيين بل بين المسلمين والمسيحيين

والمقتبس يقول بارك الله بكل من تخط يده في تقريب الامم بعضها من بعض خصوصاً متى كان قصده كما هو الظاهر من عبارات الاستاذ مونته خدمة الانسانية والاجتماع لا خدمة سياسة مخصوصة ولا فكر خاص

التعليم في مصر
وحظ المسلمين والاقباط منه

للشيخ علي يوسف طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر (ص ٤١)

لو كان كل المفكرين من الكاتبين والعاملين لا يدونون الا ما يعلمون ولا يقدمون الا على ما يتقنون لما ظهر عوار مؤلف ولما بدت مقاتل منشيء وباحث . وامامنا الآن كراسة في التعليم بمصر لمدير سياسة المؤيد اقدم الجرائد الاسلامية وارقاها في القطر المصري وهي خطبة القاها في المؤتمر المصري الاول اجاد فيها كل الاجادة لانه دعم كلامه بالارقام والكتابة بالدليل المحسوس يقرها الموافق والمخالف فقد قال ان البعثات العلمية التي نقلت العلوم والمعارف من اوربا الى مصر وكان لها اعظم عمل في تكوين مصر الحديثة بدورها الجديد كانت اسلامية محضة ليس بينها الا نحو عشرين طالباً من الارمن والروم والسوريين والاحباش وثلاثة من الاقباط وهؤلاء كانوا طلاب وظائف لا ناشري علوم ومعارف ولكن في هذا العهد الاخير قد توجهت رغبات

الاقباط كالمسلمين الى هجرة الاوطان في طلب العلوم والمعارف وان لم يبلغوا في هذا الصدد شأواً يضاهي شأوهم في رغبة التعليم في مصر . فقد بلغ عدد الطلبة المصريين الى سنة ١٩١٠ بفرنسا وسويسرا والمانيا وبلجيكا وانكلترا وايطاليا واميركا والاستانة وبيروت على نفقة آبائهم ٦٨١ طالباً وباضافة هذا العدد الى البعثة المرسلة من قبل الحكومة يكون عدد جميع البعثات العلمية المصرية الحاضرة خارج القطر المصري ٧٤٠ طالباً . واذا شئت ان تعرف مقدار عدد الاقباط في البعثات العلمية الموجودة الآن في القارات المختلفة سواء على نفقة الحكومة او على نفقة آبائهم فانهم لم يبلغوا خمسين طالباً اكثر من نصفهم في كلية بيروت واكثر من ثلثهم على نفقة الحكومة فنسبة الاقباط الى المسلمين في البعثات العلمية الحاضرة كلها لا تكاد تبلغ ٧ في المئة

وبلغ عدد الذين تخرجوا من مدرسة الحقوق الخديوية التي كان اسمها مدرسة الالسن والادارة حتى الآن ٦٥٥ طالباً عدد المسلمين منهم ٤٩٨ وعدد الاقباط ١٣٧

ولم يدخل الى مدرسة الطب التي أنشئت سنة ١٨٢٤ احد من الاقباط الا في سنة ١٨٨٨ وحاملو شهاداتها منهم حتى الآن ٦٦ طبيباً ومن المسلمين ٣٢٧ طبيباً ومن غيرهم من المسيحيين ٢٦ وأنشئت مدرسة دار المهندسين سنة ١٨٣٤ فلم يدخلها قبطي الا في سنة ١٨٩٦ بلغ المتخرجون فيها منهم الى الآن ٣٦ مهندساً مقابل ١٤٨ مهندساً ولم يتخرج في مدرسة المعلمين الخديوية وكان اسمها قديماً مدرسة قلم الترجمة سوى اربعة اقباط فقط مقابل ٨٣ من المسلمين وكذلك قل عن مدرسة المعلمين التوفيقية فانها من سنة ١٨٨٨ حتى الآن لم يخرج منها سوى ١٨ معلماً قبطياً مقابل ٨٨ معلماً من المسلمين وتخرج في مدرسة دار العلوم الخديوية ٤٣٢ استاذاً مسلماً ولا يدخل هذه المدرسة الا المسلمون ويوجد منهم اليوم في مدارس الحكومة بين نظار مدارس ومدرسين ومفتشين ومديري كتاتيب ٢٩٤ شخصاً والباقون في سائر فروع الادارة والاعمال

قال والفضل كل الفضل في ارتقاء مصر الحاضر للوظيفة الكبرى التي قام بها المسلمون وقد احسنوا اداءها مدة قرن كامل سواء كان في جلب انوار المدنية والعلوم والمعارف من الخارج او في تأسيس المدارس وتنظيمها وتعليم ابناء مصر العلوم المختلفة في الادوار المتعاقبة مع اشتغالهم بالتأليف وترجمة الكتب النافعة وانهم الآن اساتذة

المدارس النافعون المفيضون على الناشئة المصرية بركة العلوم والتربية ولم يشترك الاقباط في اداء هذه الوظيفة السامية مع المسلمين بل كانوا عالة عليهم اولاً ثم تلامذة لهم في العهد الاخير وكان مجموع التلامذة المسلمين في مدارس الحكومة الابتدائية والثانوية والخصوصية والعالية سنة ١٩٠٠ بالغاً ٥٩٨٤ تلميذاً ومجموع الطلبة الاقباط فيها ١٥٥٥ وبلغ عدد الاولين سنة ١٩٠٥ في تلك المدارس ٧٩٨٩ وعدد الآخرين ١٨١٥ وبلغ عدد الاولين سنة ١٩١٠ ١١٠٣٨ تلميذاً وعدد الآخرين ٢٣٥٦ وبلغ عدد المكاتب الاهلية التي شرط لها واقفوها ان تعلم اولاد المسلمين فاشتركت الاقباط في تعليم اولادهم تسامحاً منا — عشرين مدرسة فيها ٤٩٤٣ تلميذاً بينهم ٩١٢ قبطياً وبلغ مجموع تلامذة المسلمين في مدارس الاوقاف وكتاتيبها ١٨٨٧ تلميذاً بينهم ٢٤٣ من الاقباط مع ان هذه المدارس هي من اوقاف المسلمين . وختم خطابه بعد الادلة التاريخية والشواهد التي تدل على بعد غوره في المسائل المصرية الحاضرة بطلب فصل جميع المدارس الاهلية ومدارس الاوقاف عن نظارة المعارف وجعلها ادارة قائمة بذاتها يراعى فيها تنفيذ شروط الواقفين وابطال تعليم الدين المسيحي من جميع مدارس الحكومة لانه لا يجوز تعليم غير الدين الرسمي فيها كما هو المتبع في الممالك المتمدنة . فنثني الثناء الاطيب على غيرة المؤلف على بلاده وعساه يقف قلمه على الخوض في مسائلها فقط فالاستئثار بالمزايا كلها ضرب من ضروب المحال والاحصاء في الموضوعات افضل واشرف مادام قول « لا ادري » نصف العلم وكل من تجاوز محيطه والقدر الذي لقنه من العلم والمعرفة سواء كان في الصحافة او في غيرها من فنون التأليف والتعليم يوشك ان يعثر في كل خطوة فيخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهذا ما لا نرضاه للقائمين بانهاض هذا الشرق التعس من كبوته وتعليمه التعليم النافع والادب الرافع

زراعة القطن

تأليف احمد افندي الالفي طبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩١١ ص ١٤٠

من العاملين المفكرين من ناشئة مصر مؤلف هذا الكتاب وضعه على هذا الاسلوب المبتكر في زراعة القطن ومقاومة آفاته وتحسين انواعه وذكر فيه جميع ما تجب معرفته لهذه الزراعة المباركة وتجويدها والانتفاع بها وقد دل ان زراعته في القطر المصري بدأت نحو سنة ١٨٢١ م وما زال ينتشر ويشيع حتى بلغت الآن المساحة المزروعة منه اكثر من مليون وستمائة الف فدان محصولها في المواسم الجيدة نحو سبعة ملايين وربع

مليون قنطار ومتوسط ثمن القنطار غالباً نحو اربعة جنيهات الى خمسة فيقدر ايراد البلاد منه سنوياً نحو ثلاثين مليون جنيه او تزيد وان القطن المصري اجود واعلى جميع اقطار اميركا والهند والصين لا يدانيه الا قطن جزيرة سي ايلند باميركا ولكن محصول هذا لا يزيد عن نصف مليون قنطار وكان الوجه البحري مستأثراً الى ما قبل بضع سنين بزراعة القطن لان الري الصيفي عام فيه اما في الوجه القبلي فكان قاصراً على حيز محدود والوجه البحري كناية عن مديريات مصر الواقعة الى شمال القاهرة وهي البحيرة والغربية والدقهلية والشرقية والمنوفية والقليوبية والوجه البحري عبارة عن المديريات الواقعة جنوبي القاهرة وهي الجيزة والفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وجرجا وقنا وأسوان . والشهير من اصناف القطن المصري الميت عفيفي والاشموني واليانوفتش والعباسي والتوباري . والكتاب فائض بالفوائد الغزيرة لا يستغني عنه من يحب زراعة هذه الشجرة المباركة لانه حوى جميع ما يحتاج الى معرفته للنجاح خصوصاً وهو نافع لابناء سورية ممن يريدون اليوم تعلم زراعة القطن ولا سيما من اهل فلسطين فنحثهم على اقتنائه للانتفاع به فهو كتاب مادي عملي ليس فيه ما لا يفهم من الاصطلاحات الفنية وهذا من بعض حسناته

الواجبات

تأليف سامي افندي يواكيم الرامي طبع في المطبعة السورية في سان باولو البرازيل سنة ١٩١١ ص ١٧٤

احسن المؤلف وهو من ادباء الجالية السورية نزلاء اميركا الجنوبية في وضع هذا التأليف اللطيف فافاض في واجباتنا نحو نفوسنا وفي بيوتنا وواجبات الابناء نحو والديهم والاخ نحو اخيه والرجل نحو اخيه والرجل نحو زوجته والزوجة نحو رجلها والوالدين نحو اولادهم وواجباتنا نحو اقاربنا واصدقائنا ومعارفنا واعدائنا والجنس بوجه عام والمجاورات وهذا هو الباب الاول وسماه بالواجبات العامة اما الباب الثاني فهو في الواجبات الافرادية نحو واجبات التلميذ والمعلم والصحافي والطبيب والمحامي والمؤلف والحاكم والمحكوم والجندي والتاجر والزارع والصانع والمستأجر والكتاب اخلاقي وعظي حري بالناشئة ان تطالعه وتستفيد منه بتدبر فنشكر لمؤلفه الفاضل

الصاحبي

تأليف احمد بن فارس نشرته المكتبة السلفية في القاهرة ص ٢٤٥

كتاب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها جمعه ابن فارس احد ائمة اللغة في

القرن الرابع من تصانيف من تقدمه فكان له فيه كما قال اختصار مبسوط او بسط مختصر او شرح مشكل او جمع متفرق وفيه من الفوائد الغزيرة ما يجدر بكل طالب ادب ان يتدارسه المرة بعد المرة . وقد اجاد الناشر كل الاجادة باحياء هذا التأليف النفيس نقلاً عن نسخة مصححة بخط الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي احد حفاظ اللغة في العهد الاخير وقدم له ترجمة حافلة للمؤلف واجاد طبعه بحيث استحق شكر العلم والآداب

مدنية العرب

في الجاهلية والاسلام

تأليف محمد افندي رشدي طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م

(ص ٢٠٠)

البحث في مدنية العرب من اصعب الموضوعات واوسعها لان مظان النقل قليلة وما يوجد منها لا يتيسر لكل طالب وفي مصر منها الشيء الكثير لذلك كنا نأمل ان يكون هذا الكتاب اوسع مادة واصح استشهاداً فقد اقتصر المؤلف على المبتذل المعروف وكان لديه في دار الكتب المصرية مادة واسعة يتأتى الاستقاء منها ليجيء مصنفة لائقاً بشأن العرب ومدنيتهم العظيمة . بيد ان الكتاب اشبه بالكتب التي يراد بها نشر شيء من المعلومات بين العامة كالتي يسميها الفرنسيس Ouvrages de vulgarisation فقد تكلم المؤلف على العلوم التي عرفها العرب واهتمامهم بالسياحات والتجارة واسواقهم وعاداتهم وصفاتهم وحكمهم وحكمتهم العملية ونقل رسائل للمشاهير في السياسة والرياسة والم بتآليف الوزارة والشورى والدواوين وختمه بمقال في اسباب انحطاط الامم وبالجملة فنشكر المؤلف لاهتمامه وغيرته، ونرجو ان يعود الى كتابه فيضيف اليه من كتب العرب التي بحثت في مدنيتهم ومنها المطبوع في اوربا ما تكون به الطبعة الثانية من هذا المصنف تامة حافلة بالبحث والتدقيق

كتب ورسائل ومجلات

« لقطة العجلان » تأليف الامام بدر الزركشي شرحه الشيخ جمال الدين القاسمي

« دروس الصرف والنحو » للشيخ محيي الدين الخياط يشتمل القسم الاول على اوليات الصرف واوليات النحو

« الدروس العربية » للشيخ مصطفى الغلاييني وهو القسم الاول منه في النحو

« التعليم الادبي » لجرجي بك ديمتري سرسق القسم الاول منه في الاخلاق والآداب

« خديجة ام المؤمنين » تأليف عبدالحميد افندي الزهراوي وهي قصة حقيقية تاريخية اجتماعية

« الجوهر المحبوك في نظم السلوك » للسيد علاء الدين علي الملقب بعلوان الحسيني الحموي من اهل القرن العاشر

« واقعة السلطان عبد العزيز » تأليف احمد صائب بك وتعريب محمد توفيق افندي جانا

« نظام الجهاد في الشريعة الاسلامية القديمة » تأليف المسيو كولوزيو

Les lois de la guerre dans l'ancien droit musnlman par S. Colsio.

التقرير السنوي الاول لجمعية تهذيب الفتاة السورية في بيروت والشويفات

برنامج جمعية السيدات والاوانس الكاثوليكيات لتجهيز البنات العرائس الفقيرات في دمشق

خلاصة جمعية ترقي الآداب الوطنية في يافا لسنتها الثانية

«المدرسة » مجلة فنية تصدر في تونس للسيد عبدالرزق النطاسي مدرس الفنون بالخلدونية فيها المخص دروسه ودروس اخوانه من اساتذة هذه المدرسة في التاريخ والجغرافية والعلوم الرياضية والحكمة الطبيعية والكيمياء والتاريخ الطبيعي الى غير ذلك من الابحاث المفيدة

« العروس » مجلة نسائية علمية ادبية صحية فكاهية لصاحبتها الآنسة ماري عجمي تصدر في دمشق مرة في الشهر وهي المجلة النسائية الوحيدة في سورية تكتبها كاتبة لا كاتب

« العريس » مجلة علمية ادبية اجتماعية فكاهية شهرية لمنشئيها نسيب افندي محمود شهاب ووديع افندي نصار وفاضل افندي الجمل تصدر في حمص وفيها شيء من تاريخ ذاك الوادي وآثاره ونفثات اقلام ادبائه

المقتبس

بين بلاد الاراميين والفينيقين(١)

وادي العجم واقليم البلان

يفزع المشتغلون بعقولهم الى الفلاة يروضون افكارهم كلما آنسوا من نفوسهم مللاً وتعباً رجاء ان يخف عنهم ما نابهم فيعاودون اعمالهم بنشاط اكثر ومضاء اوفى واوفر . وعلى هذه السنة جرى كاتب هذه السطور فركب العربة من دمشق بعد ظهر الخميس في ١٣ ربيع الثاني ١٣٢٧ (١٣ نيسان غربي ١٩١١) قاصداً الى قطنا مركز قضاء وادي العجم فبتنا فيه ليلتنا على مثل ما كان النهار سحباً هطالة وورياحاً نكباء وزعازع واعاصير وكنا نود لو نخلص من الغد الى راشيا ولكن حالت الثلوج المتراكمة في سفوح جبل الشيخ دون الامنية فعقدنا العزم على زيارة القنيطرة حاضرة الجولان اولاً ثم نقصد الى جبل عامل او نجعل راشيا(٢) خاتمة المطاف

وعلى هذا ركبنا خيلاً من الغد قاصدين اقليم البلان ومنه الى الجولان في يوم انقطعت امطاره ولم تنقطع رياحه وذارياته وبعد ان سرنا ساعتين في شعاب وهضاب بلغنا قرية بيتيما وتخطيناها لنجتاز نهرها الى كفرحور ولكن عجز حمار مكارنا عن قطع المخاضة اذ لا جسر يعبر عليه بين القريتين وصادف ان كانت عصارات ثلوج جبل

(١) نشرنا الثاني مقالات التالية في جريدة المقتبس اولاً وقد اعدنا فيها النظر ثانية الآن ونشرناها هنا تحفظ

(٢) يرى بعضهم ان ترسم « ريشيا » لا « راشيا » وهذا الرسم اقرب الى الاصل السرياني ويقولون ريشيا الوادي نسبة لوادي سكين كما يقال ريشيا القرية بالقرب من حاصبيا « ريشيا الفخار »

الشيخ قد كثرت عصر ذاك اليوم فاضطرتنا الحال ان نعود ادراجنا الى بيتيما نقضي فيها الليل عسى ان تخف مياه نهرها من الغد فنستأنف السير

ومعنى بيتيما بالسريانية بيت اليتيم وقيل بيت الماء ولكل مسمى من اسمه نصيب وهكذا فعلنا ونحن نضحك من حكم الاقدار في هذه الديار وكيف ادى ماء النهر وعدم الجسر الى تخلفنا ليلة في الطريق . نعم استضحكنا لان حمار المكاري لم يستطع العبور وانا ورفيقي كيف نسير وحدنا ونهتدي الى ما نقصده من البلاد بدون دليل فقلنا: ياسبحان الله كم من حمار يقطر وراءه بشراً فيؤخرهم عن السير هذا الحال في حمار حيوان فكيف اذا كانت حمراً كثيرة في صور بشرية

ليس في هذا الوادي والاقليم ما يستحق الذكر من الامور التاريخية والاثرية فقد سكت التاريخ عن ذكر حالته في الازمان القديمة كما سكت عن كثير من اقاليم الشام فوادي العجم واقليم البلان ليس لهما ذكر في تواريخ القرون الوسطى اللهم الا ما كان من ذكر نهر وادي العجم الاعظم المسمى بنهر الاعوج والمعروف في التوراة باسم فرفر [1] او فرفار او فرفور

وهذا النهر يتكون من عدة عيون ومسايل تنبعث من سفوح جبل الشيخ منها عين في بيت جن ومن ينبوع آخر اسمه المشيع وعدام الشراطيط ووادي الدهابية وعين الطموسية وعين الطيبية وهما اجود تلك العيون تحسن ماءه كما يحسن ماء عين الفيجة مياه نهر بردى باختلاطه بها وهكذا تجري اليه عشرات من العيون ومنها نهر بيتيما وعيون عرنة

ويسقي نهر الاعوج او فرفر كثيراً من قرى وادي العجم التحتاني واهم قرى هذا القضاء قطنا والجديدة وعرطوز وجونية وكوكب والمعظمية وداريا وصحنايا والاشرفية والحيارة وسبينة وسبينات وبلاس والقدم وكفرسوسة والمزة والماجدية وذالنون وام القصور والديرعلي والكسوة وزاكية وزغبر وحرجلة والمقيلبية وشورى والطيبة والدرخبية والبويضية ومرجانة والحسينية والاشرفية والعباسة وحوش النفور وحوش مرانة وبراق وخان الشيح وسعسع وكناكر ودير ماكر وشقحب وبويضان وماعص وسبسبة والدنانية والدناجي والزريقية والمبارية وغيرها من الاحواش والمزارع

اما وادي العجم الفوقاني المعروف باقليم البلان فهو قرى سفوح جبل الشيخ او ما يقرب منها وطول هذا الاقليم نحو عشر ساعات وعرضه نحو سبع ساعات يحده جنوباً الجولان وشمالاً وادي

(١) قاموس الجغرافية القديمة لاحمد زكي باشا

العجم والديماس وراشيا وشرقاً وادي العجم التحتاني ايضاً وغرباً الى الجنوب حاصبيا واهم قراه عيسم وهي اول الاقليم على نحو ساعتين من قطنا ومن قراه عين البرج والقلعة وبيتيما وكفرحور وبيت سابر وحينة وبقعسم وعين الشعرة وريمة وعرنة ودربل وبيت جن وحرنة وخربة السوداء وحضر وسحيتة وترنجة وجباتا الخشب ومقروصة وحلس وبرقش وكفرقوق وصوجة ورضوان وامبياو ودربين والبجاع والصورة وراس العين ورخلة وبعفور

واقليم البلان متوسط بزراعته لكثرة ثلوجه وجليده واهويته على العكس في وادي العجم التحتاني فان تربته اخصب وتجد فيها الاشجار المثمرة اكثر. وفي بعض قراه الى اليوم عاديات ونواويس تدل على عمران قديم زاخر وان الآراميين والرومانيين واليونانيين سكنوا هذه البلاد فعمروها ولا تزال اسماء بعض بلاد الاقليم سريانية الى اليوم وقد خلفوا فيها آثاراً اصبحت على كر الليل والنهار ومابرحت تنم عن حضارة وذلك مثل آثار بيتيما كفرحور كفرقوق سيتا وقد شاهدنا في ارض كفرحور اربعة اراس عظيمة نقرت في الصخر على صورة هائلة تدل على انها مدافن اغنياء وامراء لا مقابر فلاحين فقراء. وفي كل قرية نواويس لا تقل عن هذه بمكانتها وقد طمست الايام معالمها فلم يعلم اسم بانيها

والنفوس قليلة في هذين الاقليمين (وادي العجم واقليم البلان) لا تزيد في الاحصاء الرسمي عن خمسة عشر الف نسمة عدا القرى الملحقة بعمل دمشق مثل المزة وكفرسوسة وداريا وصحنايا والاشرفية وبلاس ومع ان البلاد تؤوي مائتي الف واكثر ترى الهجرة ايضاً الى اميركا تقلل نفوسها سنة عن سنة وسكان هذه البلاد اخلاط بمذاهبهم فيهم المسلمون السنية ومسيحيون روم وكاثوليك وبروتستانت ودروز والدروز اكثرهم مضاء واقداماً على العمل ويليهم المسيحيون ثم المسلمون فكأن هؤلاء يكفيهم من المفاخر ان تكون حكومتهم منهم ولذلك جعلوا اعتمادهم عليها وكان عليهم ان يعولوا على تماسكهم ومضائهم كافعل جيرانهم في اعتمادهم على انفسهم

ذرّ قرن الغزالة غداة اليوم في بيتيما وشادينا الصديق الشيخ عبد الرحيم البابلي بورود في حديقة بيت ابي حمد قول الشاعر المنطبق على ما نحن فيه من جمال الموقع وطرب النفس بالطبيعة .

الروض مقتبل الشبيبة مونق ... خضل يكاد غضارة يتدفق

نثر الندى فيه لآلئ عقده ... فالزهر منه متوج وممنطق

وارتاع من مر النسيم به ضحى فغدت كأنما نوره تتفتق
ومرى شعاع الشمس فيه فالتقى منها ومنه سنا شموس تشرق
والغصن مياس القوام كأنه نشوان يصبح بالنسيم يغبق
والطير ينطق معرباً عن شجوه فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق
غرداً يغني للغصون فينثني طرباً جيوب الظل منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل لا يستطيع الرقص ظل يصفق

كان اليوم الثالث معتل النسيم صافي الاديم فجمدنا السير حتى وصلنا الى قرية جبلتا الخشب آخر عمل وادي العجم فبتنا في بيت مربود على ان نعاود السير من الغد ولكن عاد الجو فاضطرب وهبت الريح زعزعاً وكثر تهطال الامطار والبرد حتى ذكرنا نيسان بكانون ثم زاد قلق الطبيعة حتى استيقظنا صباح اليوم الثاني وجبل الشيخ قد لبس حلة انصع بياضاً من التي كان مكتسياً بها في اليوم الماضي وركبنا الى القنيطرة ورفيقنا البابلي يردد قول العفيف التلمساني

رياض بكاها المزن فهي بواسم وناحت لغير الحزن فيها الحمائم
واودعت الانواء فيهن سرها فنمت عليهن الرياح النواسم
يبيت الندى في افقها وهو ناثر ويضحي على اجيادها وهو ناظم
كأن الاقاحي والشقيق تقابلا خدود جلاهن الصبا ومباسم
كأن بها للنرجس الغض اعيناً تنبه منها البعض والبعض نائم
كأن ظلال القضب فوق غديرها اذا اضطربت تحت الرياح اراقم
كأن غناء الورق الحان معبد اذا رقصت تلك القدود النواعم
كأن نثار الشمس تحت غصونها دنانير في وقت ووقت دراهم
كأن ثماراً في غصون توسوست لعارض خفاق النسيم تمائم
كأن القطوف الدانيات مواهب ففي كل غصن ماس في الدوح خاتم

الجولان

الجولان كورة عظيمة من كور الشام تعد من بلاد حوران يحدها من الشرق نهر العلان ومن الغرب بحيرة طبرية والاردن الاعلى (الرقاد) ويفصلها نهر اليرموك[1]

(1) سماه بلين هيروماكس (Hieromax) وفي التلمود يارموش وسماه العرب الشريعة او شريعة المناذرة نسبة لقبيلة المناذرة التي نزلت فيه

عن بلاد عجلون من الجنوب ونهر الحاصباني بالقرب من بانياس وجبل الشيخ من الشمال وتسمى هذه المقاطعة بالعبرانية كولان (Golan) كان يطلق هذا الاسم اولاً على مدينة اسرائيلية مقدسة من بلاد باشان تنزلها قبيلة منسى وهي اليوم مدينة سحم الجولان بعينها قريبة على كيلومترين شرقي نهر العلان وعلى سبعة كيلومترات من الشمال والشمال الغربي من زيزون ولا يزال فيها بعض آثار وخرائب منها برج مربع علوه ١٥ متراً وبالقرب منه بناء جميل يظن انه كان كنيسة وقد اقام فيه . ادمون روتشيلد الاسرائيلي الغني الشهير مستعمرة للاسرائيليين

وكانت الجولان (Gaulanitide) تمتد الى شريعة المناذرة وتعد من بلاد بترا او العربية الصخرية ومن جملة مملكة فيلبس (١) وبلاد الجولان ذكر قليل في تاريخ العرب نزلها الحرث الاعرج الغساني (٢) كما كان الحرث بن ابي شمر بن الايهم مملكاً بالاردن ولعل علماء الآثار يوفقون في المستقبل الى الظفر بعاديات لغسان في الجولان كما ظفروا بقليل منها في حوران ولا سيما في جبل بني هلال (٣) الذى كان يعرف قديماً بجبل الريان لكثرة مياهه ويعرف اليوم بجبل حوران او جبل الدروز لان الغساسنة ملكوا هذه الديار وبسطوا سلطانهم ايضاً على دمشق قبل الاسلام وافتتح الجولان شرحبيل ابن حسنة وورد ذكرها في شعر حسان بن ثابت بقوله :

قد عفا جاسم الى بيت راس فالجوابي فحارث الجولان

ووردت في شعر ابي نواس في مدحه الخصيب بن عبد الحميد العجمي المرادي امير مصر من قصيدة يصف بها طريقه من بغداد الى مصر

رحلن بنا من عقرقوف وقد بدا من الصبح مفتوق الاديم شهير
فما نجدت بالماء حتى رأيتها مع الشمس في عيني اباغ تغور
وعمرن من ماء النقيب بشربة وقد حان من ديك الصباح زمير
ووافين اشراقاً كنائس تدمر وهن الى رعن المداخن صور
يؤممن اهل الغوطتين كأنما لها عند اهل الغوطتين ثؤور
واصبحن بالجولان يرضخن صخرها ولم يبق من اجراحهن شطور
وقاسين ليلاً دون بيسان لم يكد سنا صبحه للناظرين ينير

---

(١) دليل فلسطين وسورية ابدكر ودليل الارض المقدسة لمسترمان
(٢) تاريخ ابن واضح (٣) تقويم البلدان لابي الفدا

واصبحن قد فوزن من نهر فطرس وهن عن البيت المقدس زور
طوالب بالركبان غزة هاشم وفي الفرما من حاجهن شقور
ولما اتت فسطاط مصر اجارها على ركبها ان لا تزال مجير

قاعدة الجولان اليوم القنيطرة وكانت صغيرة جداً قبل ان ينزلها مهاجرة الجراكسة والداغستانيين منذ زهاء ثلاثين سنة وقد كانت في القرون الوسطى قبل عهد الدولة العثمانية قاعدة البلاد (١) قرية خان « ولا ندري اخان اربنبة او خان الدوير » تارة والشقراء اخرى والجولان اليوم او قضاء القنيطرة هو ثلاث نواح ناحية الشقراء وهي عبارة عن مجدل شمس وجباثا الزيت وبانياس وعين قنية وعين فيت وزعورة ومغور الشباعنة والفجر وخان الدوير ومزارع الفضل هذا ما كان منها الى جبل الشيخ اقرب. وناحية الجولان وفيها قرى الجركس واهمها المنصورة وعين الزيوان والصرمان والخشنية وعشيرة التركمان ومزارعها وعشيرة المواوجة والبحاترة وجبا وخان اربنبة وعشيرة الويسية والقصيرين والجعاتين والدياب واراضي البطيحة ومزارعها ونعيمات الطاعة ولهذه العشائر مزارع وقرى تفلح فيها وتزرع واغلب نزولها في المضارب ومساكنهم للفلاحين وابواء الماشية فقط. والناحية الثالثة ناحية الزوية واهم قراها فيق والعال وكفر الما والشجرة وكوية وبيت الرا ومعربة والمناظرة

ويقدرون اليوم مزارع الجولان وقراه كلها بنحو مائة وستين مزرعة وقرية فيها اراض جيدة في الجملة وتجود حبوبها في الاكثر في السنين التي تقل امطارها اما في سني الري الكثير فانهـا تغرق فبينا تشكو الاقاليم المجاورة الشرق تئن الجولان من الغرق ولذلك تصلح اراضيها لتربية الماشية كثيراً ولا تغالي اذا قلنا انها الاقليم الوحيد الذي يصلح لهذا الغرض كما يصلح « چقور اووه » اي سهل الموات في ولاية اطنة من بلاد الاناضول او الروم كما كان يسميها العرب

وهمة الفلاح في الجولان ضعيفة لأنه في الاكثر لا يملك ارضاً له بضع سنين ليتوفر على زراعتها بل ان الاراضي مشاعة بين اهل البلد الواحد فبينا يزرع هذه القطعة تراه من قابل تنزع منه وتعطى لغيره وهكذا لا يشاهد الرقي في الزراعة الا في مزارع الجراكسة اذ اختص كل فرد منهم باراض تناسب حاله وشانه فاصلحها ما ساعدته مادته وقوته وخدمها على مثل ما تخدم الزراعة في البلاد التي هاجر منها اي بلاد الروس

(١) التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله

اليوم و بنى البيوت بالحجر والقرميد وغرس الاشجار وعاش في الجملة احسن من عيشة سكان البلاد الاصليين خصوصاً وان المهاجرين يغلب عليهم الاقتصاد بحيث لا تعهد عندهم المضافات المفتحة الابواب لكل قادم كما هي عند سكان هذه الديار من العرب واكثرهم يعرفون دخلهم وخرجهم . ولو سار الجولانيون الاصليون على هذه الطريقة لحمدوا سيرهم ولما افتقر الاغنياء منهم باسرافهم اسرافاً لا يعد من الكرم في شيء وبعبارة اوضح لا يعد فضيلة (١)

وبلاد الجولان متسعة الرقعة يقل سكانها بالنسبة لعظم بقعتها ويكفي ان اراضي الفضل وهي من جملة عمل هذه البلاد تمتد من المنصورة قرب القنيطرة جنوباً حتى بانياس شمالاً وشرقاً الى جباتا الخشب وغرباً الى الحولة ولا يطوفها الراكب بالسير المعتدل في اقل من ثلاثة ايام . غلاتها جيدة وفيها بعض الاشجار المثمرة والكروم وكثير من الغابات اجتزناها من القرب من مركز القضاء الى ارض بانياس في زهاء اربع ساعات فرأينا فيها صورة مصغرة من مناخ سورية رأينا فيها الربيع والصيف او الصيف والشتاء في آن واحد . واميرها وهو اليوم محمود الفاعور مالك هذه الاراضي كلها اذا شتا في ارضه بالقرب من الحولة يشتو في حرارة كحرارة الربيع واذا اصطاف يصطاف في الارض النجدية واذا ارتبع يرتبع في واسط حيث بنى قصره على مثال قصور الاغنياء وهذا الامير حاكم مطلق في عشيرته عرب الفضل المؤلفة من نحو ٥٠٠ بيت كما قال لي احد افرادها ولا يشاركه في ملكها سوى شيخ المواودجة وبعض الجحاورة وهم عبارة عن ١٨٠ بيتاً يملكون جزءاً صغيراً منها ومن عشائر الفضل المجارمة والربيع والفاعور ويجمعها كلها اسم الفضل وكلهم رحالة او متنقلون ولكن رحلتهم في ارضهم لا يتعدونها الى القاصية كما يرحل عرب بني صخر والروالة مثلا واميرهم يدفع ما على اراضيه من الاعشار الخفيفة وجماعته معفون من الخدمة العسكرية ليسوا مع اميرهم كصاحب ارض مع فلاحيه على ما هي عليه الحال مثلاً في الغوطة والمرج وقلمون ووادي العجم والجولان يخدمون ارضه ويقاسمهم غلاتها على الخمس او الربع بل هو الحاكم المتحكم

---

(١) لو لم نكن في هذا القرن الذي يسميه الافرنج قرن النور لذكرنا ما ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي الصوفي الاديب الدمشقي من افراد القرن الثاني عشر في رحلاته الى الروم والقدس والحجاز فقد ملأها باخبار الذبائح التي نحرها له من نزل عليهم فاكل هنيئاً مريئاً ولكن لكل قرن لسان خاص به وكل فتى يغني على قدر ما سقاه الساقي

في اموالهم ودمائهم واعراضهم يأخذ ما يمكنه اخذه منهم وينفقه في وجوه مرافقه والتوسعة على ضيفانه . واهل الجولان مسلمون على الاكثر وليس فيها سوى ثلاث قرى في آخر عملها اسمها عين فيت وزعورة وغجر سكانها نصيرية

وسلطان العدل في هذه البلاد ضئيل بحيث لا يرى حتى بالمجهر والمكبرة لفساد اخلاق الاهلين عَلَى الاكثر ولان الحكومة لا تختار على الغالب لولاية اعمالها سوى من قلت كفاءتهم في الجملة . قال لي احد فضلاء القنيطرة : لقد راقبت سير الحكومة في في قضائنا منذ نحو ثلاثين سنة فلم ارها الا تقذف علينا باحط عمالها عَلَى الاغلب فاذا اتفق ان تولى العمل الاكفاء المستقيمون لا تطول مدتهم فيفارقوننا ليخلفهم من لا يرجعون الى عقل في احكامهم ولا الى عدل في نظامهم هذا ما سمعته وحققته من مجموع حوادث نقلت لي اما المعارف فلا تجد لها في القضاء عيناً ولا اثراً ويكفي بان يقال في وصف مدرستيها الاميريتين ان الاولاد يضربون معلمهم ويعبثون بلحيته وعمامته ولكن مادامت ادارة المعارف تفضل من يعرف كلمتين من التركية عَلَى الكفوء من المدرسين ممن لم يسعدهم الحظ بتعلمها من ابناء العرب ومادامت مقلة من رواتب المعلمين هيهات ان تجد احسن من هذه الطبقة لتعليم ابناء البلاد وعندنا ان الجهل المطبق خير من هذا التعليم الناقص الدنيء لان الفلاح الامي لا يجد له مرتزقاً الا من ارضه وماشيته اما الفلاح الذي تعلم هذا الاسلوب فتكبر نفسه عن الزراعة جهلاً منه وغروراً ولا يحسن عملاً اللهم الا اذا كان خيال درك او بواباً او حراساً

بين قوم هذا حالهم انشأ صديقنا احمد حمدي افندي الداغستاني مطبعة في القنيطرة سماها مطبعة الجولان فعسى ان يخادنه من التوفيق ما خادن بعض قرى سورية او بليداتها التي انتفعت من نعمة الحرية في عهد الدستور ففتحت مطابع وانشأت جرائد او مجلات ونجحت في عملها عَلَى الجملة

الحولة

بتنا الليلة السادسة في بانياس آخر عمل الجولان وحقها ان تعد من الحولة اذا نظرنا الى تقسيمها الطبيعي وبانياس بالقرب من تل القاضي حيث ينبع نهر الاردن او مدينة دان القديمة وبها آثار مهمة للصليبيين وغيرهم من الاسلام وبالقرب منها حصن الصبيبة (١) وهذا الحصن هو القلعة المشرفة عليها في رأس جبل وبينهما نحو نصف ساعة قالوا في

(١) نخبة الدهر لشيخ الربوة

وصف بانياس انها مدينة قديمة حصينة كثيرة الحدائق وهواؤها وبيء وترابها كذلك وبها مياه غزيرة وآثار لليونان قديمة وقال ابو الفدا (١) بانياس اسم لبلدة صغيرة ذات اشجار محمضات وغيرها وانهار وهي على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة الى الجنوب والصبيبة اسم قلعتها وهي من الحصون المنيعة قال العزيزي ومدينة بانياس في لحف جبل الثلج (جبل الشيخ) وهو مطل عليها والثلج على رأسه كالعمامة لا يعدم منه صيفاً ولا شتاء وقال ابن جبير (٢) في وصف بانياس انها مدينة صغيرة ولها قلعة يستدير بها تحت السور نهر يفضي الى احد ابواب المدينة وله مصب تحت ارحاء وكانت بيد الافرنج فاسترجعها نور الدين ولها محرث واسع في بطحاء متصلة يشرف عليها حصن للافرنج يسمى هونين بينه وبين بانياس مقدار ثلاثة فراسخ قال وعمالة تلك البطحاء بين الافرنج وبين المسلمين لهم في ذلك حد يعرف بحد المقاسمة فهم يتشاطرون الغلة على استواء ومواشيهم مختلطة ولا حيف يجري بينهم فيها

وخرائب بانياس على ما انتابها من حوادث الايام ولا سيما الزلازل تدل على عظمة من استولوا عليها ومياهها غزيرة للغاية لو توفرت العناية باخراج الصخور والردوم من طريقها لتضاعفت كميتها ولما كانت تقل عن مياه بردى وللافرنج كلام طويل في عمران هذه القرية الحقيرة اليوم والمدينة العظمى امس فقد قالوا ان اسمها مطابق للاسم اليوناني (Paneas) الذي كان يطلق على هذه المدينة والكورة باجمعها سميت بذلك لمغارة اختصت بعبادة بان (Pan) وهي تحت منبع الاردن وقد انشأ فيها هيرودس معبداً على اسم اغسطس وانجز ابنه فيليبس بناء هذه المدينة وسماها قيسرية فيليبس تمييزاً لها عن قيسارية فلسطين وقد وسعها هيرودس اغريبا الثاني وسماها نيرونياس وهو اسم اطلق عليها مدة قليلة من الزمن وكان فيها منذ القرن السادس اسقفية تابعة للكرسي الانطاكي واستولى عليها الصليبيون لما فتحوا هذه البلاد هي وقلعة الصبيبة التي لم يبق اليوم منها سوى انقاضها وذلك سنة ١١٢٩ او ١١٣٠ م عند ما حاولوا فتح دمشق وقد قال احد شعرائها في وصف غارتهم

بشطي نهر داريا امور ما توافينا
واقوام رأوا سفك الد ما في جلق دينا
اتانا منهم الف عديداً او يزيدونا

(١) تقويم البلدان (٢) في رحلته

فبعضهم من اندلس وبعض من فلسطينا
ومن عكا ومن صور ومن صيدا وتبنينا
اذا ابصرتهم ابصر ت اقواماً مجانينا
تخالهم وقد ركبوا قطائرها حرازينا
وبين خيامهم ضموا الـ خنازر والقرابينا
ورايات وصلباناً على مسجد خاتونا

واستولى على بانياس تاج الدين بوري صاحب دمشق سنة ١١٣٢م واعيد الاستيلاء عليها سنة ١١٣٩ واستولى نور الدين على المدينة لا على القلعة سنة ١١٥٧ ثم انقذها بودو بن الثالث احد ملوك الصليبيين وعاد نور الدين فاستولى عليها سنة ١١٦٥ ودك السلطان المعظم حصونها ومعالمها وذلك بعد ان استولى الفرنج على تلك القلعة من سنة ١١٣٩ الى ١١٦٤ واكثر ما فيها الى الآن من الكتابات العربية من القرن السابع . والاطلال من قلعتها من اجمل مناظر سورية لانها تشرف من جهة على قسم من بلاد الجولان وارض الحولة وبلاد الشقيف وبلاد الاردن

والحولة بحيرة قال بعضهم انها المعروفة في الكتب المقدسة بمياه ميروم (Merom) هكذا يسميها الرومان واما اليونان فيسمونها سمخونيتس واسمها عند العرب الحولة او الملاحة او بحر بانياس قال ابن فضل الله واما بلاد صفد فحدها من القبلة الغور حيث جسر الصنبرة من وراء طبرية ومن شرق الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حولة بانياس ويفهم من هذا ان الملاحة هي غير بحيرة الحولة وهي حوض من الماء على شكل زاوية الا قليلاً يجري منها الاردن عمقها من ٣ الى ٥ امتار وفيها طيور مائية كثيرة كالبط ونحوه ويكاد لا يدخل اليها من جهة الشمال لكثرتها وكذلك لكثرة النبات المعروف بالبردي النابت على ضفافها ولا سيما الضفة الشمالية ويتألف من السهل في شمالي البحيرة حوض كبير منظم في الجملة عرضه نحو ساعتين ومعظم هذا الوادي العميق يحتوي على الاكثر على بطائح وتسوء الصحة هناك ولا سيما بعد جفاف قليل من تلك البطائح التي تتخللها عدة قرى

وحدود الحولة قبلة الطريق الفاصل من نعران الى جسر بنات يعقوب الى قطانة والتليل ومن الغرب الجاعونة والملاحة والخالصة ويمتد الى آبل القمح وشمالاً مزرعة المارية وجسر صريد المتصل بمزرعة حلتا والخرويعة ومغور الشباعنة وبانياس من

سفح جبل الشيخ وشرقاً عين فيت وخربة السمن والمفخرة والغرابة والدردارة

هذا اجمال عن بلاد الحولة وقد ذكر المقدسي في القرن الرابع ان الاقليم المتوسط الهواء اوسط سورية من الشراة الى الحولة فانه بلد الحر والنيل والموز والنخيل . ولوجففت الحولة على نحو ما يسعى بعضهم بتجفيفها وهو سهل ممكن لا حييت بها عشرات الالوف من الدونمات قابلة لزراعة البقول والخضر تكفي اهل سورية في فصول السنة الاربعة بل سورية ومصر وغيرهما ولا سيما في فصل الشتاء لمكان الحرارة الطبيعية في تلك الاراضي وكثرة خصبها المريع وشمسها التي لا تكاد تغيب

كأن شعاع الشمس في كل غدوة على ورق الاشجار اول طالع
دنانير في كف الاشل يضمها لقبض وتهوى من فروج الاصابع

فعسى ان تصح العزائم على هذا العمل فينفع في صحة السكان وثروتهم بل صحة البلاد المجاورة وثروة سورية عامة وكم فيها من خيرات لو حسن الانتفاع بها اكفينا مؤونة الفقر والمهجرة

جبل عامل

لم اجد تحديداً صحيحاً في كتب العرب لهذا الجبل المسمى اليوم بعضه ببلاد بشارة او بلاد الشقيف او بلاد المتاولة (١) فقد قال ابو الفدا (٢) ان جبل عاملة من الاماكن المشهورة وهو ممتد في شرقي الساحل وجنوبيه حتى يقرب من صور وعليه الشقيف الذي استرجعه الملك الظاهر بيبرس من ايدي الافرنج وكانت رعاياه في حكم الافرنج وفي شرقيه وجنوبيه جبل عوف «عجلون» وقال ايضاً (٣) واما بنو عاملة فهم ايضاً من القبائل اليمانية التي خرجت الى الشام عند سيل العرم ونزلوا بالقرب من دمشق في جبل هناك يعرف بجبل عاملة فمن عاملة عدي بن الرقاع الشاعر

قال في المشترك شقيف ارنون بين دمشق والساحل بالقرب من بانياس وارنون اسم رجل والشقيف المذكور معقل حصين والشقيف ايضاً شقيف تيرون بكسر المثناة الفوقية وسكون

(١) المتاولة قيل انه مشتق من تولى اي اتخذ ولياً لانهم تولوا آل البيت عليهم السلام اي اتخذوهم اولياء واتبعوهم فصاغوا منها اسم الفاعل متولي فتحرفت حتى صارت متوالي وقيل انهم كانوا يقولون للعلويين «مت ولياً لعلي» فصاغوا منها كلمة متولي ثم صارت متوالي . واسم المتاولة خاص بشيعة جبال عامل ولبنان وبعلبك فقط والغالب انه حديث لا يرجع الى اكثر من قرنين (٢) في جغرافيته (٣) في تاريخه

المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ونون قال وهي ايضاً قلعة بقرب صور بالساحل. وقال في شقيف تيرون انها قلعة منيعة ناقلة عن صفت (صفد) على مسيرة يوم في سمت الشمال والشقيف ايضاً شقيف ارنون وهو في سمت الجبال عن شقيف تيرون وشقيف ارنون بعضه مغارة منحوتة في الصخر وبعضه له سور وهو حصين جداً

والاصح ان بلاد الشقيف (١) من مقاطعات جبل عامل الثلاث وهي بلاد الشقيف و بلاد بشارة واقليم الشحار والتفاح ويسمى جبل عامل او عاملة وجبل الخليل (؟) وهو البلاد الواقعة في نواحي قلعة الشقيف سمي بعاملة القضاعية وهي ام الحارث بن عدي الذي تنتسب قبيلته اليها نزلوا الشام مع بني جذام ولخم وغسان وشقيف تيرون هي المعروفة اليوم بقرية نيحا على حدود جزين « Casale de Gezin » من اعمال لبنان وفي شقيف ارنون او ارنولد نسبة لارنولد من ملوك الصليبيين شيء من ابنية الصليبيين

والغالب ان هذين الشقيفين كان يسمى احدهما بالشقيف الكبير وهو شقيف ارنون (٢) وكان له بر وله وال كما كان لغيره من البلاد المشهورة ، قال ياقوت (٣) : الشقيف كالكهف اضيف الى ارنون اسم رجل اما رومي واما افرنجي وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من ارض دمشق و بينها و بين الساحل وشقيف تيرون وهو ايضاً حصن وثيق بالقرب من صور

وقال شيخ الربوة «٤» جبل عاملة عامر بالكروم والزيتون والخروب والبطم واهله رافضة امامية وجبل جبع « جباع » كذلك اهله رافضة وهو جبل عال كثير المياه والكروم والفواكه وجبل جزين كثير المياه والفواكه وقلعة شقيف تيرون قلعة حصينة على جبل عال ولها عمل ولها نائب ولم يحكم عليها منجنيق وجبل تبنين « Toron » وله قلعة ولها اعمال وولاية واهلها رافضة امامية وقلعة هونين وهي على حجر واحد ولها عمل . وتبعد تبنين خمس ساعات عن صور الى الشرق الجنوبي وبها قلعة بناها هيوسنت ادمير صاحب طبرية سنة ١١٠٧ م وحوصرت وجرت فيها مواقع الى ان فتحها صلاح الدين

وانت ترى ان شيخ الربوة فصل هذا الجبل الى جبال وذلك في القرن الثامن ولعله كان يعرف كذلك في عهده ومن المحقق ان قلاع هونين وتبنين والشقيفين ارنون

(١) دواني القطوف (٢) التعريف بالمصطلح الشريف (٣) معجم البلدان
(٤) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر

وتبرون داخلة في جبل عامل وكم قاسى صلاح الدين بن ايوب في فتحها من الشدائد وقد مر الرحالة ابن جبير في اواخر القرن السادس بجبل عامل فسار من بانياس الى قرية تعرف بالميسة « ميس » بمقربة من حصن هونين فبات فيها ثم رحل من الغد فاجتاز في طريقه بين هونين وتبنين بواد ملتف الشجر واكثر شجره الرند بعيد العمق كأنه الخندق السحيق المهوى تلتقي حافتاه وبتعلق بالسماء اعلاه يعرف بالاسطبل لو ولجته العساكر لغابت فيه لا منجى ولا مجال لسالكه عن يد الطالب فيه المهبط اليه والمطلع عنه عقبتان كؤودان فعجب منه فجازه فمشى عنه يسيراً وانتهى الى حصن كبير من حصون الافرنج يعرف بتبنين وقال عنه انه موضع تمكيس القوافل ووصف كيف اخذ الافرنج من قافلته المكوس .

وقال بعض المتأخرين (١) ان جبل عامل يقال له بلاد بشارة نسبة لاحد حكامها في القرون الوسطى قيل انه من الامراء بني معن وقيل هو بشارة بن مقبل القحطاني وكل ذلك لم يقم عليه برهان والذي يدور على الالسن ان مركز امارته في قرية زبقين من اعمال صور حيث لا تزال الآثار الفخمة فيها تدل على ذلك والارجح (٢) ان بلاد بشارة نسبت الى حسام الدين بشاره من امراء الدولة الايوبية

وتقسم بلاد بشارة الى قسمين بشارة الشمالية ونهايتها في الشمال نهر الاولي « Bostrenus » ويفصلها عن الجنوبية نهر الليطاني وبشارة الجنوبية ونهايتها في الجنوب نهر القرن وكانت بلاد بشارة عامة تقسم الى ثماني مقاطعات اربع في بشارة الجنوبية وهي تبنين وهونين وقانا ومعركة ويتألف منها الآن قضاء صور وقضاء مرجعيون وثلاث في بشارة الشمالية وهي الشقيف والشومر والتفاح المعروفة الآن بناحية جباع ويتألف من الثلاث الآن قضاء صيدا والثامنة مقاطعة جزين الداخلة في قضائها من جبل لبنان

وقد كان بعض الجغرافيين « ٣ » يعد مدينة صفد من جبل عاملة كما توسع بعض المتأخرين في تخومه وكادوا يدخلون فيه جبل الريحان واقصى حدود مرجعيون والذي عليه العرف المعقول ان جبل عامل يحده « ٤ » جنوباً نهر القرن الجاري شمالي

(١) المقتطف م ٣٦ ص ٤٢٥ المتاولة او الشيعة في جبل عامل للشيخ احمد رضا « ٢ » المقتطف م ٣٧ص ٧٤١ للامير شكيب ارسلان «٣» معجم البلدان «٤» الشيخ سليمان ظاهر

تو شيحا من بلاد عكا واختلفوا في الزيب هل هي داخلة في جبل عامل ام لا وشرقاً ارض الخيط «١» والاردن والحولة وقسم من جبل لبنان وشمالاً نهر الاولي وبذلك تدخل صيدا في جبل عامل وغرباً البحر الرومي ويقسم الى قسمين كما مر بك آنفاً شمالي وجنوبي فالقسم الاول يسمى بلاد بشارة الشمالية والقسم الثاني بلاد بشارة الجنوبية وطوله ١٨ ساعة وعرضه يختلف من ٤ الى ٨ ساعات نزله بنو عاملة فنسب اليهم الا ان هذه التسمية اليوم بجبل عامل او بني عاملة معروفة بين الخاصة في الاكثر اما العامة فيطلقون عليه اسم بلاد بشارة ولا سيما قضاء صور وكان بنو عاملة نزلوا الحولة كما تفرقوا في الجبل وكما نزل الغسانيون في حوران والشام والمناذرة في العراق

وقد كانت حاضرة البلاد تبنين بادئ بدء وهونين وقلعة الشقيف ثم تراجع عمرانها بما سطا عليها من المحن والاحن وكوائن الزمن وخلفتها جباع وغيرها والنبطية اليوم اكبر بلد في الجبل وهي قاعدة البلاد الوسطى سكانها نحو خمسة آلاف نسمة والمدينة الثانية بنت جبيل فيها نحو هذا القدر من السكان وهي على ثماني ساعات من النبطية وثلاث ساعات من صفت والثالثة جوية في قضاء صور وتقدر قرى جبل عامل بنحو ٣٠٠ قرية ففي قضاء صور ١٢٧ قرية وفي قضاء صيدا ١٤٧ وفي قضاء مرج عيون ٥٤ فاذا حذفنا بعض القرى التي لا تدخل في عامل ولا سيما قرى المرج والحولة كانت قرى الجبل كما قلنا وهي نحو ثلث قرى جبل لبنان كما ان اهله نحو ربعهم ولكن اين لبنان بعمرانه من عامل

مررنا من بانياس الى النبطية سبع ساعات في جبال شاهقة وعرة ولكنها مكللة بالخضرة نضرة للغاية وقطعنا الجسر الممتد في نصف الطريق على نهر الليطاني[٢] الذي ينبع من ارض كرك نوح في البقاع ثم تصب اليه اعين وانهار وهو يمتد من ذيل جبل لبنان حتى يمر بجبال مشغرا وتمده منها اعين كثيرة ثم يمر بالجرمق ثم بالشقيف ثم ينعطف هناك ويمر فينصب في البحر الرومي قرب صور وعلى نحو ساعة ونصف من صور يمر بمدفن اسمه النبي قاسم فيسمى القاسمية وهو من اعظم انهار الشام ولا سيما في الشتاء والربيع

وقد كان فكر بعضهم ان يجره الى وادي الزيداني ليضمه الى مياه نهر بردى

«١» قال شيخ الربوة والخيط وهو قطعة من الغور الاعلى شبيه بالعراق في الارز والطير والماء السخن والزروع المنجبة «٢» شيخ الربوة

والفيجة فيسقي دمشق وغوطتها و بلاد مرج الصفر منها ولكن ثبت له ان مجراه اسفل من دمشق فلا يركبها وكذلك يحاول اهل النبطية ان يجلبوا منه قسماً ببعض الآلات الرافعة يجعلون ماءه في انابيب من حديد لتدخل بلدهم في طور المدن من حيث استقاء الماء على نحو ما فعلت ببيروت ودمشق وصيدا وهو يكلف بضعة عشر الف ليرة وكأني بهم وهم فاعلون

وكذلك يفكر جماعة من مهندسي الافرنج في تحويل مجراه قبيل مصبه بساعتين ليسقوا بمائه الاراضي المستطيلة على شاطئ البحر بين اقصى حدود جبل عامل وارض صور من جهة صيدا ولو فعلوا لاتى عملهم بفوائد مادية لهم وللبلاد ولما ذهبت تلك المياه بدون فائدة وغدا الساحل من صور الى صيدا والمسافة بينهما اربع ساعات في المركبة كحدائق دمشق باشجاره ومزروعاته الصيفية

و يقدرون المهاجرين من عامل بخمسة عشر الف مهاجر دع عنك من قصدوا مدينة بيروت وغيرها من شبانه فاشتغلوا في الحولة وطلاء الاحذية وغيرها من المهن الشاقة الرابحة ولا يقل عددهم فيما احسب عن نصف هذا القدر فيكون بذلك قد فارق الجبل من ابنائه نحو السبع اذا فرضنا ان سكانه مئة وثلاثون الفا على ماقدره بعض العارفين ومع هذا فلا تجد انحطاطاً في زراعته ومن اهم غلاتهم الدخان «التوتون» يزرعونه في الصيف بعلا فيجود من وراء الغاية لجودته في جبال الاكام «الكلبية» والتربة حمراء على الاكثر و يزرعون المزروعات الصيفية كالبقول و بعض الخضر فتنمو كلها بدون سقيا نمواً مدهشاً وزراعتهم الشتوية احسن من كثير من الاراضي الجبلية في سورية

وكانت الزراعة تراجعت في القرن الحادي عشر «لما اخذت سورية تلتهب بالفتن واشتغل الفلاح بالحروب عن النظر في زراعته فنضب معين الثروة وعاد اكثر الاراضي مهملا بوراً وبعد ان كانت الاراضي الزراعية متسعة الارجاء في بلاد بشارة اصبحت على طول المدة حراجاً واسعة ومراعي الا بعض الاراضي المجاورة للقرى والمزارع»

وسكان الجبل شيعة امامية وليس بينهم سنة الا النادر جداً و بعض المسيحيين ممن التجأوا الى اهل البلاد ايام حوادث لبنان منذ ٥١ سنة دع عنك من في صور وصيدا من السكان الاصليين وهذا الجبل مبعث التشيع في بلاد الشام ومنهم قسم في جزين والمتن والبترون وكسروان من لبنان و بلاد بعلبك وكان علماؤهم او فقهاؤهم يدرسون في مدارس مهمة كانت لهم في هذه الديار مثل مدرسة جباع التي خرجت جلة فقهائهم

وادبائهم عرفناهم بكتبهم واعمالهم ومدارس ميس وعيناثا وجزين ومشغرا والشقراء وكل هذه المدارس الدينية درست اليوم حتى اضطر القوم ان يرسلوا بعض ابنائهم الى النجف في العراق يتلقون العلوم الدينية عن ائمتهم هناك و بعد ان يقضوا بضع سنين يعودون وقد حفل وطابهم بما ثقفوه من مدرسة النجف التي هي للشيعة بمثابة الازهر للسنة .

واني ليسوءني ما سمعته من تعصب بعض هؤلاء الفقهاء على المدنية الحديثة تعصباً ما كنت اخال صدوره ممن يدرك سر الحياة في الامم فقد نقل لي ان بعضهم يحرمون الى اليوم قراءة الصحف لانها تضر بالدين بزعمهم وتشغل عن الآخرة حتى ان القحة بلغت ببعضهم ان حرم على المنبر قراءتها وجاهر بالعداء لمن يؤازرها فاضطر كثير من ضعاف العقول ان يقطعوا اشتراكاتهم بالمجلات والجرائد ليعيشوا بدون نور الاما يرسله عليهم مشايخهم ممن خفت وطأتهم ولله الحمد بعد الدستور وكانوا مع الاعيان فيما مضى يعرقون لحم الفقير ويمتصون دمه ولا راحم فنفس القانون الاساسي من الخناق بعض الشيء وتوشك تلك البقية من سلطة الجامدين من رؤساء الدين ان تذهب كأمس الدابر اذ ليس في متن الاسلام ولا في حواشيه وشروحه ما يقال له سلطة دينية . وفي الحال التي انتهى اليها المسلمون على اختلاف مذاهبهم عبرة لمن القى السمع وهو شهيد .

تراجع التعليم الديني في عامل وكان ابطال امتحان طلبة العلوم الدينية ايام عبد الحميد من جملة الاسباب ولكن البلاد ما خلت ولا تخلو من مفكرين وعالمين ممن يعتبرون الامور بمقاصدها و ينظرون الى النافع من حيث هو وقد كاد اعيان البلاد ينزعون تلك التقاليد التي وضعها الجامدون من الامتناع عن الاختلاط بالمخالف ولا سيما اذا كان من غير اهل الاسلام ومنهم اليوم من يبعثون باولادهم الى المدارس العالية في بيروت وفي صيدا وكأني بهم وهم يرسلون ابناءهم غداً الى الغرب ليستقوا العلوم من مصادرها كما فعل اخوانهم المسلمون في بيروت ودمشق و بعلبك وحاصبيا ولو بعثوا من ناشئتهم لتلقي شؤون الدنيا بمثل العدد الذي يبعثون به الى العراق لتلقف مسائل الدين اذاً لأصبح عامل ارقى بمجموعه من لبنان وما لبنان عنه ببعيد .

ولسائل ان يسأل ما ذا كانت عاقبة سلطة الرؤساء في المرؤوسين هنا فالجواب انها علمت الكثير منهم الاحتيال وشهادة الزور والاستهتار بالشعائر سراً . اخلاق تجدها في كل مغلوب على امره ارتضى غير قانون العقل دستوراً . ولا يفهم من هذا ان جبل عامل اختص بذلك من دون سائر بلاد الشام فان هذا القطر متساوٍ في اخلاقه الا قليلا

ومتى تعلم ابناؤه ولو التعليم الابتدائي لان القارئين والكاتبين لا يزيدون في قرية من قرى عامل على عدد الانامل ينزعون ايديهم ولا جرم من ايدي اولئك الذين قضى عليهم نكد الطالع ان يكونوا كالميت بين يدي الغاسل يحركونهم بحسب ما تملي الاهواء النفسية ·

هذا اجمال عن بلاد عامل بقي ان نقول ان الحكومة اخطأت في تقسيماته الادارية فجعلت مراكز الحكومة في اقاصي تخومه وتركت اواسطه بدون وازع جعلت الاقضية في صور وصيدا ومرجعيون وانشأت من النبطية وتبنين مديريتين والمديريات ضعيفة السلطة بالنسبة للاقضية والاولوية في مديرية النبطية مثلاً ٤٣ قرية فيها من السكان نحو ٢٥ الفاً افلا يجدر بها ان تكون قضاء برأسه وهكذا لو نظرت في التقسيم الماضي لرأيته غير معقول والجبل يحتاج لبضع مديريات وبضعة اقضية لتحسن طرق جبايته ويكون للحاكم قوة تحول دون التعادي بيد ان الامن موفور فيه خصوصاً بعد الحملة الحورانية التي سرت منافعها الى اقاليم سورية عامة وتحدث القوم بانتباه حكومة الدستور لكل مشاغب ومنتقض يحاذيها حبل الخروج عن الطاعة ولو جمعت الاسلحة من جبل عامل واللكام لاستراحت سورية باجمعها آخر الدهر ان شاء الله ·

ورجاؤنا ان يعود الى هذا الجبل سكانه المهاجرون او سوادهم الاعظم على الاقل وقد تهذبت عقولهم التهذيب الغربي في الجملة فيعمرون رباعه وبقاعه على نحو ما عمر اللبنانيون بلادهم ويبذروا فيها من المال في الطرق المحمودة ما يعود عليهم وكي جبالهم واوديتهم المخصبة الصافية بالرفاهية والراحة يعمرونها كما يعمر الصهيونيون القرى التي نزلوها من ارض فلسطين والجليل فقد مر بنا مكاريتا بقرية المطلة في اقصى حدود الحولة وهي لجماعة من الاسرائيليين فرأيناها بتنظيمها كقرى اوربا فهلا رأى السكان مجاوريهم وقلدوهم في مرافق الحياة والشؤون النافعة

صيدا وصور

ما الروض الاريض باكره السحاب ولا نسيم الصبا عطر بالشيح والملاب ولا مجامع الانس ولقاء الاصحاب ولا العافية في بدن ذي اسقام واوصاب ولا النضارة في خدود الغانيات الكعاب ولا تغريد العنادل وانين العود والرباب ولا نيل الاماني بعد طول التطلاب ولا رنات الاوتار تلين لها الصم الصلاب ولا كشف غوامض المسائل بعد ان خفيت عن طالبيها الاحقاب — ما كل هذا باجمل من نزول صيدا في نيسانها وايارها

وقد طرزت ضواحيها وحواشيها وترنحت بالمرقصات المطربات اعطاف شاديها وتغنت اطيارها في اشجارها وتفتقت انوارها بين ازهارها وفاح اريج تربتها الزكية وتسلسلت سواقيها النقية فتمخت الارجاء بماء ازاهيرها وورودها فكانت بهجة النفوس وريحانة الارواح

اتيتها من طريق صور وكنت قصدت هذه من النبطية قاعدة جبل عامل والمسافة بين النبطية او النابطية وصور سبع ساعات في طريق صعب في الجملة وليس في صور ما يستحق ان يذكر سوى تاريخها القديم اما حالتها الحاضرة فاشبه بقرية وسط جزيرة تتصل مع البر برمال وهي محصورة ضيقة وبلغني ان نفوسها لا يتجاوزون سبعة آلاف نصفهم من المسيحيين والنصف الآخر مسلمون وتجارتها ضيقة جداً وزراعتها متوسطة وقد ذكر القدماء بان صور هي التي اوجدت فن الزراعة وغرس الكرمة

كان امر شأن في القديم دونه اليوم ميناء همبورغ ومرسيليا ولندن ونيويورك ومن مينائها وميناء صيدا سافرت سفن الفينيقيين واستعمرت شواطئ البحر الرومي حتى بلغت مضيق جبل طارق بل تجاوزته في بحر الظلمات الى ان بلغت الجزائر البريطانية واستعمرتها واقامت فيها مصانعها ومتاجرها على حين لا ترى اليوم الا قوارب حقيرة ومراكب شراعية صغيرة لا تدل على عظمة ولا تشعر الا بفقر ومسكنة

أصحيح ان صور التي لا تصدر الآن الا قليلاً من القطن والدخان كانت فيما مضى(١) تصدر الى بلاد العالم المدني السكر والخرز والزجاج المخروط والمعمولات وعمل جبل عاملة وارجوان صيدا ؟ (٢)

أصحيح ان هذه القرية الحقيرة الضيقة النطاق الكثيبة الدور والمنازل والحوانيت كانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويجلب الفينيقيون الماء في قوارب لها هم وهي مركز حكومة فينيقية التي كان طولها خمسين فرسخاً وعرضها نحو عشرة فراسخ يقصدها اصحاب النواحي المستقلين الذين يحكمون انفسهم بانفسهم لفض المصالح المشتركة فكانت منذ القرن الثالث عشر ام مدن فينيقية ضاقت على اهلها فأقيمت مدينة جديدة قبالتها وأسس تجارها مستعمرات في البحر الرومي كله لان زراعتها لم تكفهم . أسسوها ليصيبوا الفضة من مناجم اسبانيا وسلع العالم القديم وكم أسسوا مثل قرطاجنة مدناً لا تزال انقاضها شاهدة بعزها الداثر ولذلك كان تاريخ صور وصيدا عبارة عن تاريخ العالم القديم ؟

(١) جغرافية المقدسي (٢) تاريخ الحضارة لسنيوبوس تعريب منشئ المقتبس

أصحيح ان ملوك اشور حاولوا مرات الاستيلاء على صور اي مدينة الصخر فردوا عنها خائبين لحصانتها ولم تخضع لسلطانهم الا بعد العناء الطويل محتفظة بادارتها الاصلية وان بخت نصر بعد ان حاصرها فاشتد في حصارها ثلاث عشرة سنة اضطر ان يعقد مع صاحبها ابتويعل معاهدة وان اهلها قدموا للفرس اساطيل مهمة ولذلك كان اول هم للاسكندر المقدوني ان يضرب على عظمة صور حتى تكف عن مد يد المعونة لاعدائه الاكاسرة ؟

أصحيح ان القسم القديم من هذه المدينة المسمى بالتيروس Palætyros كان يمتد من نهر القاسمية في الشمال الى رأس العين في الغرب اي على مسافة ساعتين ليس فيها الآن الا رمال وبعض الزروع البسيطة وان الاسكندر جعل عاليها سافلها ليبني بانقاضها بين البر والجزيرة سده الغريب وطوله خمسمائة قدم وعمقه ستون وان حصاره لها دام سبعة اشهر وقد اجرى اليها الماء [1] وانها بعد هذا الحصار المنهك ببضع عشرة سنة تعاصت على انتيغوس على عهد البطالسة خمسة عشر شهراً وانها كانت على اوائل انتشار النصرانية ام مدن فينيقية واولاها بالتقدم وظلت الى القرون الوسطى من الموانئ التي صعب على الفاتحين اخذهـا ولو لم يذ أ اختلاف بين ملوك الطوائف لما وجد الصليبيون سبيلاً الى الاستيلاء عليها سنة ١١٢٤ م ولقد حاصرها الملك الناصر صلاح الدين يوسف فكانت عليه صعبة المنال ولما سقطت عكا بايدي المسلمين اضطر الافرنج الى الرحيل عنها بعد ان احتلوها ١٦٧ سنة اقاموا بها بعض الابراج في البحر لا يزال بعض انقاضها باديًا وحكمها الامير فخر الدين المعني وعبثًا حاول انهاضها من كبوتها

واذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما أشقى العباد وتسعد

أصحيح ان عكا وصور وهما الآن فرضتان حقيرتان جداً من موانئ الشام كان لها من المكانة في القديم ما لم تحز بيروت بعضه اليوم مهما بلغ من مجدها البحري وان صور كانت هي وعكاء ميناء دمشق وسائر مدن الداخلية منهما تصدر التجارات وترد الواردات وهما مقصد السياح من الشرق الى الغرب وبالعكس ؟

قال ياقوت: ان صور مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر مثل الكف على الساعد محيط بها البحر من جميع جوانبها الا الرابع الذي منه شروع بابها وهي حصينة جداً ركينة لا سبيل اليها الا بالخذلان وهي معدودة في الاسلام من اعمال الاردن

(١) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى

بينها وبين عكة ستة فراسخ وهي شرقي عكة . وذكرها شيخ الربوة من جملة العجائب فقال : ان البحر الرومي منها رمية نشاب وهي مربعة البناء من خارج وهي مثمنة من الداخل وعمق الماء الى اسفل ثلاثة وار بعون ذراعاً بالكبير و يخرج منها ماء كثير وجريته فرسخين يجري الى المشوفة يسقي انصاباً ومزدرعات ، وروى ابن فضل الله : ان صور كانت ولاية في القرن الثامن وفيها كنيسة يقصدها ملوك من البحر فلهذا لا يزال عليها الرقبة وهم على هذا يأتونها مباغتة ثم يقضون فيها ما ارادوا ثم ينصرفون ولعل تلك الكنيسة هي كنيسة اللاتين التي يقال انها من بناء الملك قسطنطين وقال البكري (١) ان السفن كانت تسلك من الاسكندرية الى ابي قير فدمياط فبحيرة تنيس ثم الى جزيرة دبقوا وهي التي تصنع فيها الثياب الدبيقية ثم الى تيدار ميماس (؟) ومنها الى غزة فملاحة الواردة فعسقلان فقيسارية فيافا فرأس الكرمان (لعله رأس الكرمل) فحيفا فعكا فصور وهي داخل البحر وهي ساحل بيت المقدس ثم الى صيدا ثم الى بيروت ثم الى طرابلس الخ . وانت ترى اليوم ان من هذه الموانئ السورية ما لا تقف عليه المراكب مثل عسقلان وقيسارية وصور وصيدا فسبحان محول الممالك قرى وجاعل الجاهل معالم

وقال الشريف الادريسي بان صور كانت مرسى يدخل اليه من تحت القنطرة وعليه سلسلة تمنع المراكب من الدخول قال ابن سعيد : صور التي لا يرام لحصارمن جهة البر وقد حفر الافرنج حولها حتى اداروا بها البحر قال العزيزي و بين صور وعكا اثنا عشر ميلاً وفتحت في سنة تسعين وستمائة مع عكا وخربت وقد نقل معاوية اليها والى عكا قوماً من فرس بعلبك وحمص وانطاكية سنة ٤٢ وكانت خراباً يوم مر بها ابن بطوطة (٢) سنة ٧٢٦ وبخارجها قرية معمورة سكانها من الشنوزة «؟» قال ان بابها الذي للبحر بين برجين عظيمين و بناؤها ليس في الدنيا اعجب واغرب شأناً منه كما مر بها ابن جبير قادماً من عكا فاجتاز في طريقه على حصن كبير يعرف بالزاب « الزيب » وهي مطلة على قرى وعمائر متصلة وعلى قرية مسورة تعرف باسكندرونة وقال في وصف صور :

مدينة يضرب بها المثل في الحصانة لا تلقي لطالبها بيد طاعة ولا استكانة قد اعدها الافرنج مفزعاً لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لامانيهم هي انظف من عكة سككاً وشوارع

(١) كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (٢) راجع رحلته

واهاليها الين في الكفر طبائع واجرى الى بر غرباء المسلمين شمائل ومنازع خلائقهم. اسجح ومنازلهم اوسع وافسح واحوال المسلمين بها اهون واسكن وعكة اكبر واطغى. واما حصانتها ومنعتها فاعجب مايحدث به وذلك انها راجعة الى بابين احدهما في البر والآخر في البحر وهو يحيطها الآن من جهة واحدة فالذي في البر يفضي اليه بعد ولوج ثلاثة ابواب او اربعة كلها في ستائر مشيدة محيطة بالباب واما الذي في البحر فهو مدخل بين برجين مشيدين الى ميناء ليس في البلاد البحرية اعجب وضعاً منها يحيط بها سور المدينة من ثلاثة جوانب ويحدق بها من الجانب الآخر جدار معقود بالجص فالسفن تدخل تحت السور وترسي فيه وتعترض بين البرجين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج فلا مجال للمراكب الا عند ازالتها وعلى ذلك الباب حراس وامناء لا يدخل الداخل ولا يخرج الخارج الا على اعينهم فشأن هذه الميناء شأن عجيب في حسن الوضع ولعكة مثلها في الوضع والصفة لكنها لاتحمل السفن الكبار حمل تلك وانما ترسي خارجها والمراكب الصغار تدخل اليها فالصورية اكمل واجمل واحفل. قال وهاتان المدينتان عكة وصور لا بساتين حولها وانما هما في بسيط من الارض افيح متصل بسيف البحر والفواكه تجلب اليهما من بساتينهما التي بالقرب منهما ولها عمالة متسعة والجبال التي تقرب منهما معمورة بالضياع ومنها تجبى الثمرات اليهما وهما من غر البلاد اه.

وقال ابن خرداذبة (١) وسواحل جند دمشق عرقة طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدلون وسواحل جند الاردن صور وعكا وبصور صناعة المراكب اي المسلحة (الترسانة) وفي نزهة المشتاق: ومن اسكندرية الى مدينة صور خمسة عشر ميلا وهي مدينة حسنة على ضفة البحر ومن صور الى طبرية يومان كبيران ومنها الى عدلون وهو حصن منيع على البحر ومنه الى صيدا عشرة اميال وبين صور وصرفند يقع نهر ليطة « ليطاني » ومنبعه من الجبال ويقع هناك في البحر ومن صور الى دمشق اربعة ايام وذكر ياقوت في المشترك ان صور اشهر مدينة بساحل بحر الشام واحصنها واحسنها افتتحت في ايام عمر بن الخطاب وبقيت في ايدي المسلمين الى سنة ٥١٨ في ايام الآمر بالله فأخذها الفرنج

هذا كلام الافرنج والعرب في صور وقد بتنا فيها ليلة انقبضت فيها النفس انقباضاً

(١) المسالك والممالك

لم يعرض لها في احقر القرى التي مررنا بها في رحلتنا ومن الغد ركبنا المركبة الى صيدا في اراض مزروعة وجداول منسابة والمسافة اربع ساعات وليس في الطريق من اثر الا بقايا انقاض الصرفند وتعرف قديماً باسم الزاربات (Zarpath)وعدلون Orinthoporio ومغارة اسمها مغارة البزاز يرشح الماء من اعلى صخرمنها المتجمع من مياه المطر فيشرب منه الرعاة حيث يلجأون في الشتاء ويعتقد بعض العامة ان كل مرضع جف لبنها وانقطعت درتها تستشفي بما يرشح من قطرات الماء فيدر لبنها ولم يقم دليل على ذلك في الحس كما لم يقم حتى الآن دليل على الاستشفاء بالاماكن المباركة وبعض المعابد ومحال النسك وما النذور التي ينذرها بعض عامة المسلمين من السنة والشيعة والرحال التي يشدونها من القاصية الا من باطل السعي ومخلفات القرون الوسطى لا يؤيدها نقل ولا يقول بها عقل

وفي الطريق الى صيدا بعض نواويس ومسلات منها ما هو يوناني ومنها ما هو فينيقي ومنها ماهو مصري كما تجد احواضاً وقبوراً ومعاصر زيت وانقاض معابد وغيرها والمهم مما كان هنا وفي صيدا نقله علماء الآثار الى متحف الاستانة او متاحف اوربا سراً . ومدخل صيدا بحدائقها الانيقة مدخل المدن الكبرى وان لم يتجاوز نفوسها الخمسة عشر الفاً ولذا رجح بعضهم ان الفينيقيين اختاروها لجمال بقعتها وجبال جزين والريحان وعامل مطلة عليها اطلال الاب على ابنه او العاشق على معشوقه

وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها ... وكل روض بها في الوشي صنعاه
انهارها فضة والمسك تربتها ... والخز روضتها والدر حصباه
وللهواء بها لطف يرق به ... من لا يرق وتبدو منه اهواه
ليس النسيم الذي يهفو بها سحراً ... ولا انتثار لآلي الطل انداه
وانما ارج الند استثار بها ... في ماء ورد فطابت منه ارجاه

اختلف المؤرخون في صور وصيدا وايهما كانت اكبر وافخم على عهد الفينيقيين ويقول استرابون ان صور اقدم مدن فينيقية واعظمها بعد صيدا وقد جعل صور العتيقة على مسافة نحو خمسة كيلومترات ونصف من صور الحديثة اما بلين فيقول ان المدينة القديمة والحديثة متصلتان ببرزخ احداهما مع الاخرى ومحيطها ٢٧ كيلومتراً اما المدينة الاصلية فساحتها زهاء اربعة كيلومترات

ظفر الباحثون بنقود فيها رسم انطوخيوس الرابع قبل المسيح بمئة وثماني وستين او

سبع وستين سنة كتب عليها انها ضربت في صور أم الصيدونيين ووجدت أيقونة اخرى كأنها رد على هذه الدعوى مكتوب عليها « الصيدونيون مذلون صور الكاذبة» وهكذا تنازعت صور وصيدا شرف التقدم كما تنازعتا مدينة صرفند (صرفت) التي بناها اهل صيدا على ١٥ كيلومتراً ونصف جنوبي صيدون على الشاطئ ومعناها سبك المعادن من صرف العبراني اي ذوب

بيد ان التاريخ ناطق بان صيدا وان سبقت الفينيقيين بتأسيس المستعمرات منذ عهد عريق في القدم فأنشأت هيبون في نوميديا وقرطاجنة في شمالي افريقية فقد سبقتها صور فيما بعد وتبين ان صيدا كانت من عمل صور حتى كانت صيدا تعرف باسم « صور صيدا » (١) وظلت صيدا مستقلة في شؤونها الداخلية وكان لها حتى على عهد الرومان مجلس شيوخ وحاكم اكبر كالذي كانت تنصبه الجمهوريات اليونانية . ولم يشتهر الصيدونيون بأنهم والصوريين اساتذة العالم في تجشم البحار بل اشتهروا ايضاً بانهم اساتذة ايضاً في علم النجوم والرياضيات

خربت صيدا سنة ٣٥١ ق . م عقيب انتقاضها على ملك فارس وقتل وحرق فيها ٤٠ الفاً وفتحت ابوابها بنفسها للفاتحين اليونانيين ثم استولى عليها الرومان وكان يطلق عليها اسم « قائدة المراكب » و « أم القرى » و « المستعمرة السامية » وافتتح المسلمون صيدا سنة ٦٣٧ و٣٨ م بدون مقاومة وقاست على عهد الصليبيين اهوالاً ودفعت مالاً سنة ١١٠٧ حتى رفع الصليبيون عنها الحصار الا ان بودوين الاول عاد فاستولى عليها سنة ١١١١ وبعد وقعة حطين دك السلطان صلاح الدين اسوارها سنة ١١٨٧ م ثم عاد الصليبيون فاستولوا عليها سنة ١١٩٧ واستخلصها منهم الملك العادل وخربها في تلك السنة فأعاد الافرنج بناءها سنة ١٢٢٨ فخربها المسلمون سنة ١٢٤٩ ثم حصنها سان لوي سنة ١٢٥٣ وابتاعها فرسان الهيكليين الصليبيون وهاجمها المغول سنة ١٢٦٠ فجعلوا عاليها سافلها ثم وقعت في ايدي المسلمين ودك الملك الاشرف حصونها .

ولم تنهض صيدا من كبوتها الا في القرن السابع عشر على عهد الامير فخر الدين المعني احد امراء الدروز الذي جعلها مقر ولايته . ونشط الاوربيون على نزولها حتى ازهرت تجارتها واقام فيها قصراً له وخانات للتجارة وكان بعضهم من اهل طوسكانيا في ايطاليا وبعضهم من الفرنسيس وجلبت تجارة الحرير اليها ثروة هائلة وظلت المدينة

(١) معجم البلدان

متقدمة في تجارتها الى اواخر القرن الثامن عشر واشتدت ايالة صيدا [١] سنة ١٨٣٨ فتألفت من بلاد ساحل عتليت وعكا وشفا عمرو والجبل والشاغور وبلاد بشارة وطبرية وصفد والناصرة وتوابعها من القرى والعرب المخيمين في ضواحيها وقد ضربت اساطيل الاوربيين المتحدة سنة ١٨٤٠ قلعة ارفاد وما زالت انقاضها بادية

وكانت صيدا مرفأ دمشق الوحيد في القرن السابع عشر والثامن عشر كما كانت في القرون الوسطى وبين دمشق [٢] وصيدا ستة وستون ميلاً والميل ثلاثة آلاف ذراع او ستة وتسعون الف اصبع والفرسخ ثلاثة اميال او ثلاثمائة الف اصبع ينقص اثني عشر الف اصبع وكانت الطريق على رواية العزيزي من صيدا الى مدينة مشغرا وهي انزه بلد في تلك الناحية في واد في نهاية الحسن بالاشجار والانهار والمسافة اربعة وعشرون ميلاً ومن مدينة مشغرا الى مدينة تعرف بكامد (الغالب انها كامد اللوزقرية في غربي البقاع) قاعدة تلك البلاد قديماً ستة اميال ومن مدينة كامد الى ضيعة تعرف بعين الجر ثمانية عشر ميلاً ومن عين الجر الى مدينة دمشق ثمانية عشر ميلاً

ولا يعرف بالتحقيق الباني الاول لصور وصيدا والارجح ان الاولى بنيت في ايام جلعاد من سبط منشا بني عمون اليهود والثانية بناها صيدون بكر كنعان . وكانت مدينة صيدون اي صيدا اول ما احدثه كنعان [٣] على بضعة مراحل من جنوبي بيروت ولم تكن الا قرية للصيادين (كما يدل عليه اسمها نفسه) بناها على ما جاء في رواياتهم القديمة الاله بعل (المعروف عند اليونان باسم آجنور) على المنحدر الشمالي لرأس صغير يشرف بانعطاف نحو الجنوب الغربي وقد كان لمينائها عند السلف شهرة فائقة وهي محصورة بين صخور منخفضة متتابعة تبتدئ من النهاية الشمالية لشبه الجزيرة ثم تمتد بحذاء الساحل على مساحة بضع مئات من الامتار والسهل المحيط بها يسقيه نهر جميل يعرف باسم بوستربن « نهر الاولي » وفيها كثير من البساتين الغناء الاريضة مما اوجب هذا الموقع الطبيعي وهذا الجمال الخلقي تسمية المدينة بصيدون الزهراء وبجوارها شمالاً نهر الدامور وهي تمتد جنوباً الى مصب نهر الليطاني وفيما وراء ذلك من البلاد كان في حكم الصوريين

ةلوا وفي الاحقاب الخوالي التي مضت على العالم اي ايام كان الآلهة يعيشون بين

(١) دوائي القطوف (٢) تقويم البلدان (٣) تاريخ المسيو ماسبيرو تعريب احمد زكي باشا

الناس اختط سمروم على القارة رسم مدينة من قصب الغاب ولامهما استقر اخوه هيزعوس في بضع جزائر اقام فيها اعمدة مقدسة ، وهيزعوس هذا اول بحري في العالم . وكان هذا مبدأ صور ثم جاء بعد ذلك ملكارت وهو عند الصور يين مثل هرقل الجبار المشهور في جاهلية اليونانيين و يؤكد كهنة هذا الرب ان هيكله بني هو والمدينة في وقت واحد وقد مضى نحو الفي سنة وثلثمائة سنة حينما زارهم المؤرخ هيرودتس فعلى حسابهم يمكننا ان نقول بان مدينتهم هذه أسست في نحو سنة ٢٧٥٠ ق . م .

استكانت صور وصيدا للفاتحين كما استكانت جبيل و بيروت من مدن الفينيقيين فتفرغت الى عهد رعمسيس الثاني احد ملوك الفراعنة لاحتكار جمع تجارة مصر مع امم آسيا والبحر الابيض المتوسط وفي القرن الثاني عشر ق . م حصلتا على استقلالهما لما ضعف امر العائلة العشرين من الفراعنة وكان خلال ذلك العهد كل من صور وصيدا عبارة عن دولة صغرى تطمح اليها انظار مجاوريها بسبب ما احرزتاه من توفر اسباب الثروة ولكنهما قاومتا هذه الاطماع مدة بما كان لهما من الحصون والاسوار غير انهما لم يتأت لهما البقاء زماناً على هذا الاستقلال فاقلع من عسقلون (عسقلان) اسطول فلسطيني سنة ١٢١٠ وتلاقى بمارة الصيدونيين فدمرها تدميراً ثم استولى على مدينة صيدون ومن نجا من اهلها فروا الى صور فقويت بهم حتى صارت اقوى دولة فينيقية وفي ايام حيرام الاول (٩٨٠ — ٩٤٦ ق . م) بلغت صور بحريتها اعلى الدرجات وانبسط سلطانها

كانت صور متفرقة في عدة جزائر يفصل بعضها عن بعض السنة من البحر ليست بالعميقة بل تتخللها صخور طافية رؤوسها على صفحات الماء من جنس الصخور التي يتعذر معها اقتراب السفن في بعض المواضع من سواحل الشام فردم حيرام تلك المضايق التي تتخللها مياه البحر بجسور حصينة وردوم اقامها فاتسعت رقعة المدينة ولكنها لم تكن لتسع سوى ثلاثين الى خمسة وثلاثين الفاً واقام ملوكها وتجارها قصورهم في اواخر سفح لبنان وبقيت الجزيرة مركز الحكومة

وظلت صور راضية باداء الجزية للفاتحين حتى نشب القتال بين ملكها ايلولي « ٧٦٨ — ٦٩٢ » والملك تغلات فلازار الثالث صاحب اشور انتهت بهلاكه ووقوع صور في قبضة الاشوريين ولما سقطت نينوى عاد لصور استقلالها وفازت بدفع بخت نصر عنها بمعاونة الفراعنة الصاويين واحتملت الحصار ثلاث عشرة سنة « من سنة ٥٧٤

الى سنة ٥٨٧ » ولكن نزفت قوتها بفتنها الاهلية وفي سنة ٥٥٧ أعيدت الى سيطرة الكلدانيين ولما سقطت بابل في سنة ٥٣٨ حصل لصور وفينيقية ما حصل لها فدخلت في قبضة الفرس من غير حرب ولا قتال

كان لكل من صور وصيدا كما كان لكل مدن فينيقية رب خاص بها « بعل » وله عشتاروت « اسطارطوس وهي آلهة انثى » وكانت البعليم والعشتاروتات تمثل قوى الطبيعة والشمس والكواكب او الاغراض التي تتجه اليها نفوس بني آدم مثل العشق والقتال وكانت هذه الآلهة متوطنة في المرتفعات والمشارف وفي الغابات وفي المياه وفي الاحجار الخام « بيت ايل — بيت الاله » وكانت هذه الآلهة تؤول الى زوج واحد اعلى او الى سبعة آلهة كبراء تحف باشمون الذي هو الاله الخالق وكانت عبادة هذه الآلهة غير منتظمة ومحفوفة بأساليب القسوة فكان القوم يحرقون الاطفال تمجيداً لها واذا حل الانقلاب الصيفي اخذوا يندبون ادونيس ثم اذا جاء الخريف احتفلوا ببعثه ونشوره . ثم دخلت بعض القواعد الدينية المصرية في ديانة الفينيقيين

اخذت فينيقية عن مصر حروف الهجاء ومن الحروف الهجائية الفينيقية اشتقت حروف الهجاء الاوربية . واثرت في فنونهم من صياغة ونقش ونحت وعمارة وعمل زجاج صناعات مصر تارة وصناعات كلديا تارة اخرى واشتهرت صناعة الفينيقيين عند القدماء ، فقد اتقنوا طرق اصطناع الزجاج وحفظوا زماناً سر تحضير الارجوان وفي الآثار التي عثر عليها في امريت اي مارات القديمة ما يستدل به ان المدنية المصرية اثرت كل التأثير في المدنية الفينيقية ، بل ان معاصر الزيوت ذات الاجهزة الضخمة تشبه الآثار المصرية كل الشبه وكذلك اواني الفضة والشبهان « البرونز » التي كانت تصنع في صور وصيدا تراها مزخرفة باشكال مصرية وممثلة لموضوعات مصرية وكذلك الجواهر والاساور والخناجر ودروع الخواصر والخواتم والاقراط تشبه المصنوعات المصرية فلم يكن للفينيقيين قط فنون وطنية خاصة بهم متأصلة فيهم لانهم اقتصروا في كل عصر على تقليد اعمال الامم التي تحكمهم فكانوا يقلدون الصناعات المصرية والاشورية ايام كانت حكومة بلادهم في ايدي المصريين والاشوريين فلما حكمهم اليونان ثم الرومان حاكوا الصناعات اليونانية

وبالجملة فان صور وصيدا كانتا مدينتي صناعة وتجارة يحمل ابناؤهما مصنوعاتهم ومصنوعات غيرهم الى الجهات القاصية وهم وحدهم كانوا ينقلون البضائع في البحر المتوسط

مدة قرون طويلة اه ٠

هذا ما يساعد المقام على اقتباسه من تاريخ العاصمتين القديمتين اما حالتهما الحاضرة فمتأخرة وان كانت صيدا ترجع على صور كثيراً خصوصاً بحدائقهـا الانيقة التي يعود عليها منها دخل وافر لا سيما من البرتقال والليمون واللوز والمشمش والموز والبلح و يني دنيا وهو شجر حديث ادخل الطليون زراعته الى صيدا اولاً منذ نحو اربعين سنة وله طعم حلو مز و بذر كبير

ان تلك البقعة التي تقدر بنصف غوطة دمشق بمساحتها في ذلك السهل النضير الذي تطل عليه قمم لبنان مغطاة بالثلوج وجبل الريحان وتومات نيحا (١) ٠ وصيدا في عمرانها اليوم صورة مصغرة من عمران بيروت وفيها من المعاهد والمصانع مثل ما في الاولى فلها مدرسة صناعة لبشري الاميركان ومدرستان لهم للذكور والاناث كما فيها مدرسة لليسوعيين واخرى للفرنسيسكان وثالثة للاتحاد الاسرائيلي ومدارس ابتدائية لجمعية المقاصد الاسلامية لا تعلق لها بجمعية بيروت المسماة بهذا الاسم ولا بجمعيـة النبطية التي اطلق عليها مثل هذا الاسم ايضاً وفيها مكتب ابتدائي ورشدي اميري وغير ذلك من الجوامع والكنائس كما ان فيها مزاراً يقال ان فيه شيئاً من جثة يحيى الحصور عليه السلام وهذا غير ثابت في التاريخ كما لم تثبت الدعاوي التي من قبيله

وفي صيدا تصدر مجلة العرفان لمنشئها صديقنا احمد عارف افندي الزين وهي مجلة راقية خادمة للآداب العربية امتازت بما تنشره لعلماء جبل عامل والنجف وايران وشعرائهم وكتابهم وما ترويه من آثار العلويين وتاريخهم ولها مطبعة متقنة وهي المطبعة الوحيدة في هذه البلاد و بالنظر لقرب المسافة بين صيدا و بيروت اكتفى الصيدونيون بجرائد بيروت ولم ينشروا جرائد لهم خاصة ٠

«١» معنى نيحا بالسريانية المستريحة وهذه القرية على حدود جزين و يدخل في قضاء جزين من اعمال لبنان اليوم جبل الريحان ايضاً سمي بذلك لكثرة الريحان الذي ينبت فيه كما اكد ذلك بعض العارفين ويحده جنوباً تمرة ومرجعيون ونهر الليطاني وشمالاً اقليم جزين وغرباً الميدنة ومزرعة سجد ونهر الزهراني من اعمال صيدا وشرقاً الليطاني وقرية ميذون من اعمال البقاع واهم قراه عرمتى وجرمق وعيشية وسكانها مسلمون شيعة ودروز ومسيحيون وفي دليل لبنان ان القرى الملحقة بناحية جبل الريحان هي عيشية ووردبة زغرين عرمتى جرمق شبابل صوبرة زبد عقمانة ريحانة قطرانة خلة خازن

وقد فتحت صيدا شارعاً طويلاً لما اقامت فيه الدور والحوانيت على الطرز الجديد في الجملة اما بناء المدينة القديم فضيق معوج مثل ابنية بيروت وطرابلس القديمة او ادهى وامر وماؤها عذب يأتي في انابيب مثل ماء بيروت ويستقى منه في اعالي البيوت و بلديتها تعتني بتنظيفها اكثر من عناية بلدية دمشق و بيروت

وقصارى القول فان صيدا كما قال استاذنا الشيخ طاهر الجزائري تصيد القلوب صيدا وعلى رأي ابن الساعاتي وقد مر بها يوم كانت بيد الافرنج فرأى مروجاً خضراء كثيرة نباتها النرجس واتفق انه هرب بعض الاسارى من صيدا فأرسلت الخيل وراءه فردته فقال :

لله صيداء من بلد لم تبق عندي بلى دفينا
نرجسها حلية الفيافي قد طبق السهل والحزونا
وكيف ينجو بها هزيم وارضها تنبت العيونا

مرج عيون

عدنا من صيدا الى النبطية في مركبة وذهبنا من الغد في زمرة من الاخوان لزيارة قلعة الشقيف التي نسبت اليها البلاد المحيطة بها و يرد عهدها الى قبل الصليبيين عرفها الافرنج للمرة الاولى سنة ١١٧٩ ولما استولى عليها الصليبيون سموها الحصن الجميل وحق لهم ان يسموها كذلك لجمال موقعها المطل على نهر الليطاني المنسابة مياهه في اسفل الوادي العميق ومن الجانب الآخر بعض القرى المبثوثة في الخضرة التي تأخذ بمجامع القلوب ومن البعيد سهل مرج عيون (Ijon) الوارد ذكره في سفر الملوك و ينتهي هذا المرج بجبل الشيخ و بجانبه قلعة الصبيبة المطلة على حولة بانياس وبلاد بشارة اوجبل عامل وفي الجنوب بلاد تفتالي الجبلية الى ضواحي صفد وعلى اليمين جبل الجرمق .

ومن قلعة الشقيف ايضاً ترى قلعة هونين وفي الشمال الشرقي تصعد العين الوادي وفي اعلاه جبل الريحان منظر يملك على الانسان مشاعره فيدهش له و يبتهج ينظر الى القلعة فيراها محلقة في الجو كالعقاب تدل كل الدلالة على قدرة الانسان حتى في سالف الاحقاب ويقع نظره من جهة اخرى على اجمل مناظر سورية وتتمثل له هذه البلاد وما قاسته من مطامع الفاتحين وسيئات الظالمين المستبدين

في هذه البقاع التي منحتها الفطرة اسباب الصفاء والرواء تطاحنت سنين كثيرة جيوش اهل الصليب واهل الاسلام فاهلك الانسان اخاه بسائق الدين في الظاهر وسائق

المطامع الدنيوية في الحقيقة ولولا عزيمة من صلاح الدين يوسف بن ايوب نفت الاهواء لتجردها عن الاهواء لكانت بلادنا اليوم ملكاً لدول اوربا او لاحداهن ولما بقيت للاسلام والعرب كلمة تسمع في هذه الديار كما وقع لشبه جزيرة الاندلس وجزيرة صقلية من قبل

وقلعة الشقيف كسائر قلاع القرون الوسطى في بلاد الشام من بناء كثير من الملوك والمتغلبين واهم ابنيتها من اواخر العهد الروماني «١» ومعظمها من بناء العرب وفيها معبد او مصلى من القرون الوسطى من الجهة الشرقية وهي محاطة من الجنوب ومن الغرب بهوة عميقة محفورة في الصخر عمقها من ١٥ الى ٣٦ متراً ومن الجنوب فقط تتصل القلعة بذورة الجبل ومدخلها الى الجنوب الشرقي وطولها ١٢٠ متراً وعمقها ٣٠ ومن طرفها الشمالي بناء ناتيء طوله ٢١ متراً متجهاً الى الشرق وفناؤها او صحنها في الجهة الشرقية منها عمقه نحو ١٥ متراً ومثلها الابنية الخارجية ولها انحدار يختلف من ٦ الى ٩ امتار وقد قام على الحائط الجنوبي برجان على شكل نصف دائرة

قامت القلعة على هذا المثال بحيث اعجزت المهاجمين ويقال ان صلاح الدين لم يستطع اخذها بالمنجنيق الا بضربها به من قرية القليعة في الشق الآخر من الوادي على مسافة لاتقل عن اربعة كيلومترات وفي رواية تدور على السن اهل القرى هناك انه حاصرها اشهراً ولم يستول على حاميتها الا بحيلة دبرها قروي من اهل ذاك الجوار فدعا الحامية خارج القلعة لمأدبة اعدها لها وكانت الحامية مستأمنة له وقد انهكها الجوع حتى صارت تأكل الفيران والجرذان فاشعروا وهم مشتغلون ببطونهم الا وعسكر صلاح الدين قادمون بطعام في زي النساء حتى اقتربوا منهم فباغتوهم بالقتل فلم ينج منهم نافخ نار

والصحيح في فتحها ماقاله العماد الكاتب «٢» من ان صلاح الدين قصد الى شقيف ارنون من دمشق ماراً بقلعة بانياس «واتى مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف وجمع على من به من آلات الحصار اسباب التخويف» واقام عسكره في ذلك «المرج الوسيع والروض الوشيع» وكان الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط فامهله ثم امهله ولم يجد صاحب الحصن ملجأ «وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبل لمحاصرة الحصن ورتب له عدة من الامراء» الى ان تسلمه بعد سنة بحكم السلم وكانت مرجعيون تتوافد اليها جموع المتطوعة من دمشق وحوران والمرج والغوطة قال: وفي يوم الاحد

«١» يذكر «٢» الفتح القسي في الفتح القدسي

خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف ارنون واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون وصاحبه ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل وباب خلاصه دون فتح شقيفه مقفل وذلك ان الشقي في الشقيف فني زاده وعز اجتهاده ومرد عليه في الحفظ مراده وخانه في البصر ارتياؤه وارتياده ونخب من الرهب فؤاده واصلد باليأس زناده وامتنع عليه اصداره وايراده فسلمه على ان يسلم صاحبه وتخلص في النجاة مذاهبه وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه وتركه للاسلام بما يحويه وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور ولبس من التشريف والتسريح حبير الحبور اه

و بعد صلاح الدين نزلت القلعة الحامية الاسلامية ومازالت تتقلب عليها الاحوال حتى سكنها في القرن الماضي ابناء العشائر او حكام جبل عامل ولم يغادرها الا في النصف الاخير من القرن السابق اما اليوم فقد امست زريبة يأوي اليها الرعاة بغنمهم وماعزهم

غادرناها عصر اليوم الخامس عشر من سياحتنا الى مرج عيون او مرجعيون كما يقال لها اليوم فاجتزنا اليها جسر الخردلة الممتد على نهر الليطاني ومرج عيون كانت مملكة من ممالك اسرائيل تحيط بها حدود رحوب وقادش وخاصور وافيق اي سهل هذا المرج الذي يمتد نحو عشرة كيلومترات وعلى نحو كيلو مترمن الجديدة مركز مرج عيون اليوم تل دبين وهي ربوة في السهل فيها بعض خرائب تدل «١» على انه كان هناك مركز عيون وعيون هذه كانت عرضة لهجمات آرام وآشور منها اخذت هذه المقاطعة اسمها وقال بعضهم ان عيون هي دبين وهي قرية على ميلين شمالي جديدة مرج عيون وعلى تل دبين آثار قديمة ذات شأن وقيل هي الخيام على ميلين الى الجنوب الشرقي من الجديدة

واختلفت الاحوال على مرج عيون في الحكومات الاسلامية فكانت من اعمال صفد «٢» وسماها ابو الفدا مرج العيون بألف ولام وسماها غيره مرج عيون وهذه التسمية نشأت في الغالب للعيون الكثيرة التي تنبع من ارض الجديدة خصوصاً وهي عجيبة لا تكاد تخلو قطعة ارض من عين تنبض فيها مع ان الجديدة على سطح مستو في رأس جبل لا اتصال بينها وبين القمم العالية حيث تبقى الثلوج اشهراً كما هو الحال في قم صنين في لبنان الغربي وقمم حرمون اي لبنان الشرقي والى شرق مرج عيون جبل الشيخ وقراه والى الجنوب بلاد بشارة و بحيرة الحولة والى الغرب قرى بلاد الشقيف والى الشمال جبل الريحان وتومات نيحة او شقيف تيرون

«١» جغرافية الكتاب «٢» شيخ الربوة في القرن الثامن

وعَلَى ميلين من الجهة الثانية عند منفرج الوادي قرية ابل ويقال لها ابل السقي تمييزاً لها عن ابل القمح من اعمال مرج عيون ايضاً وفي منتصف الوادي عَلَى نفس السطح الذي قامت عليه قرية ابل قرية الخيام او الخيم . والجديدة والسقي والخيام ثلاث بلدان كأنها بلد واحد ذات ثلاثة احياء لا تقل نفوسها عن اثني عشر الف نسمة والغالب ان ابل السقي كانت بعد الاسلام مقر عمل تلك الكورة بدليل ما قاله ابن خرداذبة (١) : كورة السقي وجرثية والحولة قال ومن اخذ من بعلبك الى طبرية عَلَى طريق الدراج فمن بعلبك الى عين الجر عشرون ميلاً والى القرعون وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر ومن قرعون الى قرية يقال لها العيون تمضي الى كفر ليلى عشرون ميلاً ومن قرعون الى طبرية خمسة عشر ميلاً وعدّ ابن خرداذبة من جملة كور الاردن كورة آبل ولعلها ايضاً هي بعينها اوابل القمح ويقول ياقوت ان السقي قرية بظاهر دمشق ولم يقل عن مرج عيون الا انها بساحل الشام والغالب انها لم تكن مشتهرة في عهده وان كان لها ذكر في الفتح الصلاحي

ويتبع قضاء مرجعيون اليوم كثير من قرى جبل عامل وعدد قرى قضائها ٤٥ قرية منها المهم جداً بتاريخه وكثرة سكانه كبنت جبيل وهونين ودير ميماس وميس ولا تقل نفوس القضاء عن خمسين الفاً وربما كان المهاجرون منهم نحو خمسهم وكثير منهم الذين وفقوا في اميركا واثروا ولا سيما سكان الجديدة مركز القضاء ممن لا تجد بينهم أمياً من الذكور والاناث ولا تشبهها بهذا المعنى بلدة في سورية الا الناصرة فيما اذكر لأن تنافس الطوائف النصرانية عَلَى تأييد نفوذهم ودعوتهم فيها دعا كلاً منها الى فتح المدارس وتعميم التعليم مع التعاليم وقد فطر اهل هذه البلدة عَلَى التقليد المفيد فاذا علم احدهم ابنه لا يلبث جاره ان يحذو حذوه وهكذا حتى اصبح اهل القصبة واكثرهم مسيحيون متعلمين

اما المسلمون فشأنهم شأنهم في كل مكان مررنا به : يضن الاغنياء منهم باموالهم حتى عَلَى تعليم اولادهم والفقراء اتكلوا عَلَى الحكومة وهيهات ان يتعلم ولد يسلمه ابواه لعلم تعينه المعارف هذا اذا فتحت لها مكاتب في مراكز الاقضية فما هو الحال في سائر القرى التي تمر بالعشرين والثلاثين والاربعين منها ولا تجد فيها مدرسة اميرية ولذلك ترى ابناء المسلمين ينصرف غنيهم على الاغلب الى الفسق والاعتداء ولا يجد فقيرهم متسعاً له من العيش ليتعلم فيرعى الماشية ويعيش في الجهل المطبق عمره .

دخلت جديدة مرج عيون بالمتعلمين من سكانها في طور المدن ومثلها بعدد السكان كثير جداً في بلاد هذا القطر فهي اصغر من حرمتا وعريبل ودار يا ودومة وجوبر من قرى غوطة دمشق التي لا تكاد تجد فيها مكتباً جيداً في الجملة ولكن اهلها على قلة عددهم اهم من جميع اهل الغوطة على قرب هؤلاء من دمشق لان الغوطيين اتكلوا على الحكومة فلم تعلمهم ولن تعلمهم اما اولئك فقد افضل عليهم اللاتين والروم والبرتستانت فأحيوا نفوسهم بالآداب والمعارف على مناحيهم فاقام من اقام منهم عزيزاً وهاجر من هاجر منهم قادراً متعلماً

وبينا تجد المسلمين بأ كل كبارهم صغارهم على ما سمعته من تلك الدعوى الغريبة بين فقراء المسلمين في قرية الخيام واعيانهم الذين سلبوهم فيما مضى على مايقال اراضيهم لنجوهم من الخدمة العسكرية بكتم اسماء نحو الفين منهم عن الحكومة تجد اغنياء المسيحيين يأخذون بايدي ضعفائهم فيفضلون على المحاويج ويعلمون الاميين ويواسون من يستحق المواساة من البائسين ولا عجب فالعلم يعمر والجهل يدمر .

في الجديدة تصدر جريدة « المرج » لصاحبها صديقنا الدكتور اسعد رحال وهي من جرائدنا الاسبوعية الراقية الرائجة وقد كان اكبر دواعي رواجها نشيط المهاجرين من اهل المرج ولا سيما سكان الجديدة العقلاء المنورون ولا اعلم في مدن داخلية الشام جريدة اسبوعية تضاهيها بالرواج اللهم الا اذا كانت جريدة حمص التي تباع ايضاً من المهاجرين الحمصيين « بج بخ وزه زه »

وبعد فان هذا المرج بطبيعته من اجمل ما وقعت عليه العين من البلاد التي عرجنا عليها في رحلتنا يسرح النظر منه ماشاء في روض بهيج لو اكثروا فيه من زرع الاشجار المثمرة لفاق غوطة دمشق واشبه سهول فرنسا وجبالها خصوصاً واكثر دور الجديدة وابل والخيام اصبحت تبنى على الاصول الحديثة بالحجر الصلد والقرميد البديع ولكل دار حديقة تحيط بها كالهالة بالقمر وما ارض المرج الا كما قال الشاعر

ارض اذا عبس الشتاء رأيته	كملاءة ملئت من الكافور
واذا الربيع تكاملت وجناته	فدبجات عطرت بعبير
واذا المصيف تلألأت صفحاته	فنواكه من يانع ونضير
واذا الخريف تقلصت اردانه	فمتاع اقوات من المذخور
جمعت بها شتى المنى فكأنها	لقيا البشير بوصلة المهجور

وادي التيم

كتب لنا الطواف حول جبل الشيخ في هذه الرحلة ومشاهدة جهاته الاربع ·
وجبل الشيخ هو جبل حرمون بعينه المذكور في التوراة وسماه العرب جبل الثلج
قال حسان بن ثابت

من دون بصرى ودونها جبل الثلـ ـج عليه السحاب كالقدد

ويسمى ايضاً امانة وبعل حرمون وسيئون وسريون وسنير وشنير وزعم بعض اصحابنا ان السبب في تسميته هو ان شيخاً من زعماء الطائفة الدرزية سكن مغارة في صفحه الغربي في القرن السادس للهجرة وتسمى مغارته الآن مغارة العباد واقام هناك مع قومه السنين الطوال وبعض الافرنج يعللون هذه التسمية ببياض الثلج الذي على قمته ويشبه رأس شيخ اشيب · وتسمية العرب لحرمون بجبل الثلج تسمية طبيعية لان علوه يحفظ الثلوج الى آخر فصل الصيف ولا سيما في المنحدرات العالية التي لا تعبث بها الرياح الحارة والشمس على ما يجب وعلو اعلى قمة فيه ٢٦٧٠ متراً عن سطح البحر او نحو ٩٤٠٠ قدم وطوله ثلاثون كيلو متراً او ثلاثة وثمانون ميلاً[1] او سبع ساعات وهو الى الجنوب الغربي من دمشق على بعد ٣٠ ميلاً

ومن الغريب في امر هذا الجبل ان العيون المنبجسة من ثلوجه تكثر جداً من شرقيه اي من جهة وادي العجم واقليم البلان كما تنبجس من جنوبيه او ما يقرب منها مثل عيون نهر البانياسي والاردن وهو من سفوحه الغربية والشمالية ضنين بالماء جداً ولا سيما من جهات راشيا

وبعد ذوبان الثلوج في اواخر الربيع يصعد الى اعلى قممه بعض النظارة للنزهة والصيد وغالب صعودهم الى قمة اسمها قصر شبيب وفيها الى اليوم انقاض بناء ولكن الوصول اليها يحتاج الى سبع ساعات صعداً سواء كان من حاصبيا او من راشيا او من احدى قرى اقليم البلان فيشهدون منه سورية باجمعها ويرون بالمناظير والجاهير دمشق وكيف لا وقمم حرمون اعلى جبال سورية

قدس القدماء حرمون وكان من الجبال التي يفزع اليها العباد كما تشهد لذلك المعابد الكثيرة في جواره بل في سفوحه وقممه وكان الاسرائيليون يعجبون بعلوه ويجلونه لانه يجمع على ظهره وفي صدره الغيوم والسحب وقد ورد في نشيد الاناشيد كلام على

(١) المسالك والممالك

الحيوانات الكاسرة التي تسرح فيه وتمرح ولا يزال فيه الى اليوم جنس من الدب من النوع الذي يسميه الافرنج Ursus Syriacus وفيه انواع من الثعالب والذئاب وضروب من الطيور وينبت فيه من النباتات ما ينبت في جبال سورية عامة وتجود فيه الكروم[1] فوق ١٤٤٠ متراً من سطح البحر وبعد هذا العلو يطلع البلوط والملول وعلى علو ١٥٠ متراً من الكروم ينبت نبات الصمغ «السراس» وعلى علو ١١٥٠ الى ١٦٥٠ يكون شجر مثمر ولكنه بري وثمره يؤكل وعلى السفح الغربي من الجبل يجود اللوز في مكان يدعى عقبة اللوزة . واللوز صنفان كما ان الخوخ الضخم صنفان وفي الجبل نوع من الكراز والاجاص وتنبت فيه اصناف اخرى من الثمار البرية وهو قاحل لا خضرة فيه الا من سفحه الجنوبي حيث تنبت بعض النباتات مثل السيكران وغيره وجميع سفوح الجبل صعبة المرتقى غير مخصبة لقلة التربة فيها وفقدان المياه بمد ايام الربيع ولا يبعد ان السفوح القريبة منه كانت في القديم مغروسة بالحراج والغابات الغبياء الى الامكنة التي يساعد هواؤها على الانبات

وفي الاطراف الغربية من جبل الشيخ اي بين جبل الشيخ وجبال البقاع الشرقي اودية وتلول يقال لها وادي التيم نسبة الى تيم الله بن ثعلبة[2] تفصله عن وادي الليطاني الاعلى سلسلة تلال تمتد شمالاً الى عين الجر في البقاع وعلى تلاله قرى عديدة تبلغ خمسة وعشرين قرية ومنها يتألف قضاء حاصبيا وقضاء راشيا او التيم الاعلى وقاعدته راشيا كلمة سريانية بمعنى الرؤوس والتيم الاسفل وقاعدته حاصبيا كلمة سريانية ومعناها الجرار والى اليوم لا تزال آثار معامل الفخار في حاصبيا . ويحد وادي التيم شرقاً وادي العجم واقليم البلان وشمالاً سهل البقاع وغرباً مرجعيون وجنوباً بلاد الحولة وغرباً جبل الشيخ

وليس فيما ظفرنا به من كتب السلف اشارة تشعر بمجد سابق لمدينتي حاصبيا وراشيا قبل الحروب الصليبية والغالب انهما كانتا حصنين فقط لصد هجمات المهاجمين على المدن الداخلية على نحو ما كانت قلاع تبنين وهونين والشقيف والصبيبة وغيرها وباستيلاء امراء الشهابيين عليهما كثر الكلام بشأنهما في التواريخ الحديثة ففي سنة ٥٥٧[3] قام آل شهاب من حوران وكانوا فيها منذ الفتح الاسلامي واصلهم من الحجاز وزحفوا الى وادي التيم بزعامة الامير منقذ وكان نزولهم في بيداء الظهر الاحمر من الكنيسة الجديدة

(١) دليل بيدكر (٢) دواني القطوف (٣) تاريخ الامير حيدر الشهابي

على ساعة ونصف من ربشيا الوادي وكانت هذه البلاد تحت استيلاء الافرنج فردهم آل شهاب واستنقذوها منهم في قصة يطول شرحها وكان المتولي على وادي التيم قبلهم الامير ظهير الدين كرامة التنوخي صاحب ثغر بيروت فاتت جموع الافرنج من صيدا وصور وعكا الى حاصبيا فردهم الشهابيون على اعقابهم مدحورين وطردوا حاكم بالكوكب اورا و بسطوا احكامهم على هذا الوادي ثم اتصلوا بلبنان وتولوا امره بعد الامراء من آل معن واستولى الشهابيون على لبنان نحو قرن ونصف وقد تنصر بعض افراد من امرتهم ممن حكموا لبنان ولم يزل اعقابهم الى اليوم مسيحيين اما من بقوا في وادي التيم فظلوا مسلمين ومنهم اليوم طبقة متميلة تتولى الوظائف في الحكومة ولذلك غلط بيدكر في قوله ان بني شهاب هم من امراء الدروز ولو كانوا من امرائهم ما قتلوا في وقائع الشام المشؤومة سنة ١٨٦٠ في راشيا وحاصبيا بيد الثوار من اشقياء حوران ولبنان ايام قتل[١] ٨٠٠ من المسيحيين في راشيا و ٩٧٠ من مسيحيي حاصبيا ولو لم ينج بعضهم الى دار السيدة نائلة شقيقة سعيد بك جنبلاط لهلكوا عن آخرهم وان معظم من تراهم ساكنين في حارة الياماسية اليوم في حي الميدان بدمشق هم ممن جلوا عن وادي التيم ولا سيما من حاصبيا وراشيا يوم تلك الوقائع المشؤومة ونزلوها وتناسلوا فيها تحت ظل حاكم

اشرنا الى هذه الوقائع والفتائن اذ لا يسوغ للمؤرخ ان يسكت عن حوادث لها علاقة كبرى بعمران هذه الديار خصوصاً وقد حرقت في تلك الفتنة المشؤومة غابات وادي التيم ولا سيما حاصبيا وراشيا كما احرقت اشجار جزين واقليم الخروب من لبنان وجباع من جبل عامل وكان المنكوبون تحصنوا فيها فاشعلت فيها النيران ليهلك من لم يهلك بحد السيف والسنان

كان وادي التيم من اهم مراكز الدعوة الدرزية ولا يزال الى اليوم كذلك · وفوق حاصبيا على نصف ساعة منها خلوات البياضة وفيها مجمع هذه الطائفة الديني زرتها فرأيت فيها معبداً في الوسط مفروشاً على نحو ما تفرش الجوامع وبالقرب منه مساكن منها وقف البياضة ومنها ملك خاص لاربابها يحب اهلها الانقطاع الى العبادة ومن المنقطعين لهذه الغاية في البياضة ناس من وادي التيم وآخرون من الجبل الاعلى في حلب وجبال صفد وجبال لبنان وجبل حوران كما ان منهم المتزوج ومنهم المجرد وهم على جانب من النسك والتقشف شأن سائر العباد في معظم الامم على الغالب

(١) مجموعة المحررات السياسية تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن

وموقع الباياضة جميل يطل على كثير من قرى وادي التيم وترى منه قلعة الشقيف وغيرها من بلاد مرجعيون وجبل عامل والحولة فاذا اوقدت فيها النار شوهدت الى مكان بعيد . ونحو نصف سكان وادي التيم دروز يحسنون الزراعة وهم على جانب من الاخلاق يتوفرون على اعمالهم ويحسنون عشرة جيرانهم شأن كل من بذلم من ابناء هذه الطائفة ولا سيما في لبنان . ومن لنا برجالهم ان يهبوا لتعليم اولادهم كما هب اخوانهم المسيحيون من قبل فاستفادوا وافادوا فان في ابنائهم من الصفات الحسنة العربية ما لو توفروا على تنميته وتذكيته بالعلم الصحيح لجاء منهم شعب من ارقى الشعوب العثمانية بشجاعته ومضائه وحسن ادبه وعزة نفسه وسماحته وذكائه وبعض هذه الصفات مما يفاخر به المفاخرون

وليس في حاصبيا ما يستحق الذكر سوى معدن الحمر الذي كان السلطان المخلوع يستثمره لنفسه وظهرت منه فوائد مادية لاهل هذه الديار وهو اليوم مهمل لقلة اليد العاملة في هذه الديار لان الناس هاجروا بالالوف منها فاضطرت الحكومة ان تهمل هذا المعدن كما اهملت معدن سحمر في البقاع ايضاً وغيره من المعادن في سورية لم تفكر في استثمارها وقد اضر اهمال الحمر بارباب الكروم فتصاعدت اثمانه وهو يستعمل كل سنة لتزبيرها وتأبيرها فلحقته الدودة من اجل ذلك وقلت مداخيله

وقد سمعت ان من قرى ريشيا قرية اسمها بيت لهيا على ثلاثة ارباع الساعة من ريشيا وكنت قرأت في بعض الكتب ان بيت لهيا من اعمال دمشق تضاف اليها كورة تنسب اليها فاذا صحت روايتي تكون بيت لهيا وادي التيم غير بيت لهيا في غوطة دمشق التي ذكرها ياقوت ورد على من قال ان آزر ابا ابراهيم الخليل عليه السلام كان ينحت بها الاصنام و يدفعها الى ابراهيم ليبيعها فيأتي بها الى حجر فيكسرها عليه والحجر كان الى عهد ياقوت بدمشق معروفاً يقال له درب الحجر قال والصحيح ان الخليل عليه السلام ولد بارض بابل وبها كان آزر يصنع الاصنام وفي التوراة ان آزر مات بحران وكان قد خرج من العراق فاقام بحران الى ان مات ولم يرد في خبر صحيح انه دخل الشام وللشعراء في بيت لهيا اشعار كثيرة منها قول احمد بن منير الاطرابلسي :

سقاها وروى من النيربين الى الغيضتين وحمورية
الى بيت لهيا الى برزة دلاح مكفكفة الاوعية

والنسبة اليها بتلهي ونسب اليها خلق كثير من اهل الرواية وقال ابو بكر الصنوبري:

أمر بدير مران فاحيا — واجعل بيت لهوي بيت لهيا
و يبرد غلتي بردى فسقيا — لايام عَلَى بردى ورعيا
ولي في باب جيرون ظباء — اعاطيها الهوى ظبياً فظبيا
ونعم الدار داريا ففيها — حلا لي العيش حتى صار أريا
سقت دنيا دمشق ليصطفيها — وليس يريد غير دمشق دنيا
تفيض جداول البلور فيها — خلال حدائق ينبتن وشيا
مظللة فواكهها بابهى الـ — مناظر في نواضرها واهيا
فمن تفاحة لم تعد خداً — ومن رمانة لم تخط ثديا

والظاهر من شعر ابن منير والصنوبري ان بيت لهيا هذه والتي ذكرها الشعراء فاكثروا من ذكرها هي بيت لهيا الغوطة و بيت لهيا وادي التيم ومعنى بيت لهيا بيت الآلهة بالسريانية قال ياقوت بيت لهيا بكسر اللام وسكون الهاء وياء والف مقصورة كذا يتلفظ به والصحيح بيت الآلهة

ولم يذكر ياقوت وادي التيم في معجمه بل ذكر «يبوس» وقال انها اسم جبل بالشام بوادي التيم من دمشق واياه عنى عبدالله بن سليم بقوله : لمن الديار بتولع فيبوس

قلنا وجبل يبوس هو الغالب فيما وراء الزبداني ومنه الآن قرية كفر يبوس وهو المعروف بوادي الحرير ووادي القرن والى هنا كان يتصل عمل وادي التيم وكان هذا الوادي في القرن الثامن [1] من معاملة كرك نوح بالبقاع وله اقليم مع مايضاف الى الوادي المذكور ثلثمائة وستون قرية تعد من عمل دمشق

وزراعة وادي التيم ضعيفة واكثر قراه جميلة عَلَى اكمة من الارض وربما كانت نفوسه نحو ٢٥ الف نسمة فقط اما طرقه فاصعب واوعر طرق ومياهه قليلة ومتوسطة الجودة بطعمها ونفعها وقد تشح ايام القيظ فيقاسي الاهلون منها شدة وعناء

هذا وفي اليوم الثالث والعشرين من ايام رحلتنا ركبت ورفيقي دابتين من راشيا فبعد ان اجتزنا سهل عيحا او مستنقع قرية عيحا دخلنا في وادي بكة وجزناه في ست ساعات الى التكية احدى محطات السكة الحديدية بين بيروت ودمشق وبالقرب من هذه المحطة شلال بردى يولدون منه الكهربائية لمدينة الفيحاء ومنهار كبنا القطار عائدين الى دمشق

(١) زبدة كشف الممالك لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري

ما ذا رأينا في رحلتنا

تحملنا في رحلتنا هذه من المشاق المختلفة ما لا نكاد نكابد بعضه لو طفنا قارتي اوربا واميركا وذلك رجاء ان نعود منها بفائدة نطلع عليها الامة والحكومة وها قد كتب لنا ذلك بقدر ما سمح الوقت فرأينا ان لا نقصر بحثنا على احوال البلاد الجغرافية والتاريخية والزراعية بل ان نتعداه الى البحث اجمالاً في شؤونها الاقتصادية والاجتماعية والادارية

اول ما يقع عليه النظر و يسر بتحققه الفؤاد انتشار اعلام الامن في الكور التي جسنا خلالها بعد ان كان السائح يخاطر بروحه، وماله لو احب فيما مضى ان يطوف تلك البلاد . والامن ولا شك حسنة من حسنات هذه الحكومة الدستورية التي نرجو بالعدل دوامها و بالمدنية الراقية احكامها ونظامها

بيد ان في هذه الكور قصوراً يلحق الاهلين وقصوراً يعود على الحكومة واهم ما نطالب به الحكومة بعد الامن احقاق الحق في البلدان الصغرى ليذوق الناس طعم الحكومة الحرة حقيقة لانا لو نظرنا الى حال الاقضية نراها وحواضر الولايات والالوية سواء من هذا الوجه لا تنقطع شكوى الاهلين فيها . والشكوى طبيعية في الامم ومنها الحق ومنها دون ذلك

لا جدال في ان العهد الدستوري قد ادخل في الادارة شيئاً من روح النظام شعر به في الجندية والشرطة والمالية من فروع الحكومة ولكن سائر الفروع لم تبرح محرومة منه مثال ذلك القضاء والافتاء في الاقضية فقد طفت سبعة منها اربعة من اعمال ولاية سورية وثلاثة من اعمال ولاية بيروت واني لاستحي ان اقول ان ارباب هذه الوظائف الا النادر ممن عصمهم الله حرموا من العلم والمعرفة والنزاهة والعاطفة الوطنية فلا دين لهم الا اخذ الاموال من غير حلها ولا شريعة الا التلاعب بالاحكام الدينية والمدنية ولا هدي الا ما توحيه اليهم عقولهم القاصرة واني لآسف لمن يجلسون على بساط الشريعة المطهرة ورائدهم الجهل وقلة الامانة والصيانة ان يكونوا على نحو ما ذكرت . اذا عرفت هذا فقل مني غير هياب ولا وجل ان المشيخة الاسلامية لم تخرج في توسيدهذه الوظائف الشريفة عن الحد الذي كانت رسمته حكومة الاستبداد المطلقة اسبابه انها في العهد الدستوري لم تأت بما تحمد عليه خدمة للشريعة والقانون

القاضي او النائب في الاقضية هو الكل في الكل وربما كانت وظيفته اهم من القائمقام لان حكم هذا لا يجوز الا في الامور الادارية والسياسية اما الاول فاحكامه تتناول

الاحكام المختلفة . فان كان ممن قلت تربيته ورق دينه والسواد الاعظم كذلك اتت احكامه متناقضة مرذولة فاسدة حشوها الدرهم والدينار وسداها ولحمتها تلوث الذمة وتلون القلب والا وهو النادر كان داعية من دعاة الاصلاح ومثالاً من الكفاءة تشفعها الاخلاق الطاهرة

والسبب في هذا الهزال المفشي الذي اصاب حكام الشريعة في هذه المملكة انه انت ادوار كان ينظر الى المناظر الخارجية في تولية القضاة لا الى كفاآتهم الشخصية فلم يتأهل اكثرهم لها بالعمل ولم يخضعوا لنظام كما خضع سلك القائم مقامين مثلاً ولذا ترى في نفوس اكثر هؤلاء عفة وغيرة ومعرفة ما لا ترى بعضه فيما انطوت عليه جوانح اولئك الذين انبتوا نباتاً طبيعياً ونالوا حق الصدر بالرشى والمحاباة وارتكاب ما تنكره الفضيلة وتأباه اصول الحكومات الراقية

كان احد كبار المصلحين في مصر يقول ان الاصلاح الديني في الشرق اول كل اصلاح . وما الاصلاح الديني في الحقيقة الا اصلاح عقول القائمين بالدين كالقضاة والمفاتي والحكام ولذلك كان من اهم الاعمال التي تمت في مصر على عهد نهضتها الاخيرة انشاء مدرسة القضاء الشرعي حتى لا يقل القضاة الشرعيون في علمهم ومداركهم عن القضاة النظاميين ويتعب الاولون في اعداد نفوسهم وملكاتهم كما تعب الآخرون ويخلص الاسلام من الوصمات التي يصمه بها الجاهلون به ليوقنوا ان الضعف اتى من المسلمين لا من الاسلام .

اما سائر موظفي الادارة في الاقضية فيرجعون على الجملة الى شيء من النظام وان كان يندر فيهم العفيف النزيه بحيث لا تكاد تعد صالحاً واحداً منهم في كل عشرة طالحين ويكثر استهتار احدهم ويقل بحسب ذكائه وشجاعته فان كان على شيء منها وله من يحميه في حاضرة الولاية او عاصمة السلطنة من كبار الموظفين اغرق فيما اخذ نفسه به اي اغراق لان حاميه يدفع عنه اذى اعاديه والا لاذ بالتقية واعتصم بالمراوغة والمصانعة والدهان لمن فوقه في المرتبة

هذا اجمال من حال حكومات الاقضية واصلاحها منوط في الاكثر بتعيين متصرفين وولاة ممن خبروا امور الادارة بانفسهم سنين طويلة وكانوا على جانب من العلم وحسن السياسة يحسنون لغة البلاد ويعرفون طبائعها حتى لا يكونوا آلة بايدي فئة مخصوصة من الناس لا يكتبون الا ما يملون عليهم ولا يعارضون الا فيما لهم فيه مأرب خاص .

ومتى ادرّت الحكومة عَلَى الموظف الصغير راتبًا يكون على حد الكفاية وسألته عن عمله وراقبته في حركاته وسكناته فقل ان نظامنا الاداري دخله الاصلاح الحقيقي والا فنبقى نرسف في قيود الذل ونخبط على غير هدى ·

كل من يتجول في داخلية البلاد يرى عيانًا رداءة الطرق وقلة اعمال العمران ولولا قليل من الهندسة دخلت في بناء الدور والمساكن والقرميد اللطيف الذي يزين سطوحها لا قسم من يرى تأخر هذه البلاد وما حنث بانها لم ترتق درجة واحدة في هذا القرن عن القرون الخوالي وانها كانت قبل الف والفي سنة اوسع عمرانًا واكثر سكانًا مما هي اليوم ·

الى الآن لا تجد طريقًا معبدة حتى بين البلدان المهمة فاذا كان الطريق الآخذ من بيروت قصيدا فصور قصيدا فالنبطية فمرجعيون لم يزل متعثًا متداعيًا بعد ان صرف عَلَى رصفه بضع عشرات من الوف الليرات فما هو الحال بطريق مرجعيون حاصبيا راشيا قطنا دمشق وطريق دمشق القنيطرة او قطنا القنيطرة بانياس وهي لم يصرف عليها شيء وبقيت لا تصلح لمرور المواشي دع عنك الانسان

وبعد فان كنا لم نرصف طرقنا الى اليوم فأي اعمال اخرى ترجى ان نقوم بها مثل جر المياه من المحال البعيدة لسقيا الارضين وشفاء الاهلين اوخزنها في خزانات اوتجفيف البحيرات والمستنقعات مثل بطيحة سهل عيحا قرب راشيا الوادي البالغة مساحتها نحو اربعة آلاف دونم وبطيحة دير العشائر في وادي التيم ايضًا وبطيحة الحولة ومستنقعات الجولان مما يؤذي صحة السكان ويؤخر عمران الارضين والبلدان ·

ثم اين يد الحكومة في انهاض الزراعة من كبوتها باعطائها الاهلين السكك والادوات الزراعية والبذور والغراس التي تصلح وتجود في هذه الديار الطيبة بل اين يد الحكومه تعمل عَلَى الاقل على ما فيه حفظ الحالة الحاضرة حتى لا تزيد البلاد خرابًا فوق خرابها وان العين لتنبو عن النظر الى جبالنا وآكامنا الجرداء بعد ان علمنا انها كانت شجراء خضراء الى ما قبل عشرات من السنين واذا دمنا نوسعها القلع والقطع والحرق والشق فاقرأ عَلَى حراجنا السلام الاخير بعد بضعة اعوام ·

بلاد تكفي لاعالة الملايين من البشر وتضيق عن عيش الالوف فمتى نعقل فنعمرها حتى تقوم حاجزًا حصينًا في وجوه من يهاجرون من السوريين الى سائر قارات الارض ولا سيما الى اميركا الشمالية والجنوبية

كنا نظن ان الهجرة لم تتناول سوى لبنان وما اتصل به من الجبال لان الجبليين اقوى من غيرهم على تحمل المشاق وفطم النفس عن الراحة والرفاهية ولان بلادهم قاحلة لا تخرج لهم على الجملة اكثر مما تخرج ولكن الامر على عكس هذا لان سكان السهول ايضاً ممن يسهل عليهم الارتزاق من اراضيهم قد غادرونا الى ارض المهجر في طلب الرزق

كانت الهجرة مقصورة على المسيحيين اولا فتعدت الى المسلمين سنيهم وشيعيهم والى الاسرائيليين والدروز والنصيرية والاسماعيلية وكانت لا تتخطى لبنان الغربي ولبنان الشرقي فها قد امتدت اليوم حتى اخذت تستلب من سورية حتى سكان المدن المرفهين منها مثل اهل دمشق وحلب وبيروت وطرابلس وصيدا والقدس وتساوى ابناء هذا الوطن الواحد في مناورة مساقط رؤوسهم الى اصقاع اغتنى فيها افراد ولم يزل عشرات الالوف في فقر وفاقة

يهاجرون كل يوم بالعشرات حتى كادت بعض الاقاليم تخلو من شبانها كلهم فما هذا البوق الذي نفخ في سورية من غربيها الى شرقيها ومن شماليها الى جنوبيها حتى اسمع الصم فكاد عدد المهاجرين من ابنائنا يربو على ثلث مليون من الشبان العاملين وظل البنات عوانس في بيوت آبائهن والنساء معطلات عن التناسل حتى نشأت من ذلك مفاسد في الاخلاق لا توازيها الارباح مهما كثرت والامجاد مهما استطالت وربت

قلت اليد العاملة بقلة الشبان في هذه الاقاليم حتى بقيت بعض الاراضي بائرة معطلة لقلة من يقوم على تعهدها وتعذر على ارباب الاملاك ان يجدوا عملة لاعمال الزراعة ولو اغلوا لهم الاجور. وان اجرة البناء في وادي التيم لتبلغ الريالين ولا تجد بناء لا يعمل واجرة العامل البسيط ثلاثة ارباع الريال وقلما تحصل على القدر الذي تريده من امثاله واجرة فاعل الحراث مع الفدان ريال ونصف وقد لا تجده ولم يكتف الناس هنا ببوار ارضهم بل ان بعضهم في الحولة قلعوا بالالوف غراس التوت الجيد لانهم لا يظفرون ايام مواسم الحرير بالقدر اللازم من اليد العاملة التي تقوم عليه وآثروا ان يزرعوا اراضيهم ما امكن من القمح والشعير على غلات الحرير

كل هذا يجري في البلاد والحكومة لا تفكر في طريقة ناجعة تدفع عنها عوادي الهجرة التي كادت تسلب منها الروح. وان هذا القطر الشامي الذي لا يزيد نفوسه على ثلاثة ملايين ونصف ليعز عليه ان يفارقه نحو عشر سكانه الاقوياء ولا يأتيه من المهاجرين الا الخاملون الذين قد تعطيهم الحكومة ارضاً فيبيعونها وسكة ومحراثاً فيحملون

عنهما بثمن بخس وبذاراً فيأكلونه ثم تراهم يتسولون وبنيهم في شوارع البلاد موثرين الراحة مع الذل الشديد على العناء مع العز الاكيد

ولقد لاحظنا في سياحتنا ان كل قرية او بلدة ليس فيها ولو بضعة من المسيحيين تكون الى الخمول والخراب اكثر من القرى التي يكثر فيها اناس من غير المسلمين وذلك لان جمهور المسلمين اتكلوا في الماضي على الحكومة لتعليمهم وتربيتهم فما استفادوا وهيهات ان يفلح قوم يفقدون رجاءهم بمن يكيفون المعارف بحسب اهوائهم ولكن المسيحيين نشطوا من عقالهم بعد حادثة الستين فتعلم ارثوذكسيهم في المدارس الروسية واليونانية وبابويهم في مدارس الفرنسيس والطليان وبرتستانتيهم في مدارس الانكليز والاميركان والالمان وهكذا حتى جاء منهم جيل راق في الجملة ارتفع عن مستوى الجيل الآخر مسلماً كان او درزياً اونصيرياً اواسماعيلياً

ومن الاسف ان القرية التي يبلغ سكانها المسلمون الفاً لا تجد لابنائهم مدرسة والقرية التي لا يتجاوز سكانها المئة مسيحي تشهد لهم مدرسة ومدرستين كما لا تشهد للاولين جامعاً ولا مصلى وللآخرين الكنيسة والكنيستين ثم تجد التجارة بايدي المسيحيين يزيد غناهم كل يوم بتعاضدهم ومضائهم و يزيد اخوانهم المسلمون كل يوم فقراً بتفاشلهم وتكاسلهم

نقول هذا ونحن على مثل اليقين بان هذا القطر كسائر اقطار العالم لا ينهض الا بنهوض السواد الاعظم من اهله وهم هنا من المسلمين وان من اكبر دواعي الاسف ان يرحل عن هذا القطر اكثر ابنائه تعلماً ومضاء وهم المسيحيون ولو رجعوا ورجع سائر مواطنيهم على اختلاف مذاهبهم الى هذه الديار لعمروها واحيوها واضطروا الحكومة بعملهم ومطالبتهم المشروعة ان تعمر لهم الطرق وتعطيهم الامتيازات بالمشروعات العمرانية التي تعود عليهم وعلى البلاد بالخير والنماء ويكفي بانها تخلصها من وطأة الاجنبي والدخيل فان من الكثرة قوة وكثرة العيال احدى اليسارين

اخبار وافكار

مطبعة بدون حبر

بالاتفاق وقع اختراع هذا الاختراع كما وقع اختراع كثير غيره فقد اراد مهندس انكليزي منذ احدى عشرة سنة ان يأخذ قطعة من النقود فتدحرجت على المنضدة فضغط عليها بدون اختيار عَلَى ورق ندي كان موضوعاً عَلَى صحفة من المعدن جعلت عَلَى موصل كهربائي غير منفرد فدهش لما رأى صورة القطعة قد طبعت طبعاً صريحاً عَلَى الورق بلون اسمر وكان الرجل ممن يحسنون معرفة الكهربائية فاخذ يبحث علمياً عن سبب هذا الطبع بالعرض فصرف عشر سنين في تطبيق هذا الاختراع عَلَى طبع الحروف وقد ذكرت احدى المجلات العلمية المهمة انه قد نجح موءخراً في اختراعه فاستعاض عن الورق الندي بورق جاف مبلل بمواد كيماوية تختلط مع الورق عند ما يعمل وهذا الاختراع نافع جداً في طبع الكتب المهمة

عميان الاميركان

في نيويورك سبع مدارس للعميان الفتيان يقرأ فيها الفتيات والصبيان مع المبصرين عَلَى معلمات يلقين عليهم دروساً واحدة معينة فيسأل الاعمى والبصير عَلَى السواء ولا فرق في تعليمهم الا في الكتب والكتابة لان العمي يقرأون في كتب كتبت بحروف بارزة عَلَى اصول برايل وقدوقع تعديلها منذ اواخر سنة ١٩٠٩ فقربت فائدتها واصبحت ثمراتها مضمونة قريبة فيتعلم الولد الاعمى كما يتعلم البصير و يشترك في الالعاب الرياضية والاعمال الصناعية و يحصل على معلومات ارقى مما كان يتعلم سابقاً من مثل صنع السلال والاكياس والمكانس والجوارب كما هو الحال في مدرسة العميان في مصر بل قد اخذوا يعلمونهم مايكونون به مستخدمي تليفون وكاتبين عَلَى آلة الاختزال يتوصلون الى الكتابة بآلة عادية والى الاختزال بقلم رصاص بسيط و يعلمونهم الموسيقى والبيانو والكمنجة وغيرها من آلات الطرب فيصبحون قواماً بهذا الباب ويتمرن الفتيات منهم على الخياطة وتفصيل الفساطين والاردية وعمل الازياء والطبخ . والعميان موضع عناية خاصة من الجميع فيأخذون بايديهم و يقودونهم الى بيوتهم ومتى اتموا دروسهم يتكفل القوم لهم بايجاد اعمال في التجارة والصناعة و يرسلون باذكاهم عقلاً الى الكليات يأخذون من علومها ما طاب لهم

بحيث يتخرجون ليكون منهم موظفون · فاللهم هيّ لمبصرين منا اسباباً كهذه حتى اذا كشفت عن ابصارهم وبصائرهم يفكرون هم في تعليم العمي

اعانة البائسين

كان في فرنسا في آخر سنة ١٩٠٨ ٥١٢٠٠٠ انسان محتاج للاعانة منهم ٣٥٤٠٠٠ شيخ تجاوزوا السبعين و١٠٠٠٠٠ عليل و٥٨٠٠٠ مريض مرضاً عضالاً ومعظم هؤلاء البائسين تبعث اليهم نظارة الاعمال والاحسان الاجتماعي مرتباتهم الى بيوتهم وتختلف من ٥ الى ٣٠ فرنكاً في الشهر و٣٩ الفاً منهم تؤويهم في اماكن اقامتها لهم كالمستشفيات وغيرها يصرف عليهم في السنة اربعة ملايين ليرة تدفع الحكومة نصفها والنصف الآخر جمعية الاحسان وفي فرنسا الآن ١٦١١٨ مكتباً لجمع الاحسان غير جمعيات الحكومة تغيث زهاء مليون من السكان

سويسرا والغرباء

تحاول جمعية الاتحاد الوطني في سويسرا ان تحل مسألة الغرباء في بلادها لانهم داهموها ولا سيما في البلاد الواقعة على التخوم بحيث كادت تصبح منهم في امر مريج فقد بلغ عدد الغرباء في تلك الجمهورية الجميلة ٥٦٥٠٠٢٥ شخصاً وسكان البلاد ٣٤٧٥٠٠٠٠ اي ان في سويسرا ١٥١ غريباً من كل الف وطني سويسري وفي بعض الاماكن يكون عدد الاجانب ٤٠ في المئة والغرباء في لوغانو اكثر من السكان الاصليين وقد قررت الجمعية ان تعتبر سويسرياً كل من يخلق في ارض سويسرا من الاولاد بعد الآن · ومعلوم ان لغات سويسرا هي الالمانية والافرنسية والايطالية يتكلم بالاولى ٦٩ شخصاً في المئة وبالثانية ٢١ في المئة وفي الثالثة ثلاثمائة الف شخص فقط وفيها ٥٦ الف في المئة يدينون بالمذهب البروتستانتي و٤٢ في المئة كاثوليك .

الالكحول في اميركا

في اميركا كما في اوربا جمعيات كثيرة لمقاومة المسكرات وقد وفقت احدى جمعياتها الى ارجاع ثلثمائة الف رجل فقط عن عادة تناول المسكرات القبيحة ومن الغريب ان ثلاثين الفاً منهم اسسوا لانفسهم جمعية وقاموا ينادون بالاقلاع عن الالكحول وجمعيتهم هي الجمعية الوحيدة التي كان اعضاؤها كلهم من السكيرين قبل سنين

عمران الولايات المتحدة

وافق مجلس النواب الاميركي على ميزانية سنة ١٩١٢ فكانت ٥٤١٢٧٤٤٨٣٠٥

فرنكاً او نحو ٢٥٠ مليون ليرة عثمانية اي نحو تسعة اضعاف الميزانية العثمانية ومن هذا المبلغ ٣٠٥ ملايين لاستهلاك الدين العام و٧١٠ ملايين للاعمال العامة منها ٢٤٥ مليوناً لفتح برزخ باناما و٦٣٢ مليوناً وكسر للحربية وزهاء ٤٦٦ مليوناً للبرية . ومنذ مئة سنة لم تكن ميزانية هذه الجمهورية سوى ٤٣ مليون فرنك او اقل من مليوني ليرة عثمانية منها ١٦ مليوناً للجيش و٨٤٥٠٠٠٠٠ للبحرية و١٦ مليوناً للديون ولكن سكان الولايات المتحدة لم يكونوا على ذلك العهد سوى سبعة ملايين نسمة فزادوا اليوم ١٣ ضعفاً في مئة سنة وزادت نفقات الحكومة ثمانين ضعفاً عما كانت

حكاية العناصر

كتب جان فينو رئيس تحرير المجلة الباريزية مبحثاً في هذا المعنى جاء فيه ان اختلاط الالسن والشعوب في برج بابل ليس الا اعجوبة عادية للاولاد بجانب تأليف الامم الحديثة فانك ترى في البودقة الواسعة التي تخلق فيها الاوطان والشعوب الفروق الفسيولوجية تنحل بسرعة مدهشة كما تنحل العقول الآتية من اطراف الكرة كلها لان سهولة المواصلات ونشر التجارة بين الامم وانتشار الافكار واشتراك الكافة بها كل هذا آخذ بتقريب الاميال والحواس المديرة للانسانية وكل يوم يكثر اجتماع الناس ويتناول المجموع كمية اكثر من البلاد والعبد

والغالب ان قد انقضى دور القائلين بعلو عنصر على آخر وانحطاط عنصر عن اخيه فان يابان قد ساوت غيرها من امم الغرب بعد ان عقدت المعاهدات مع شعبين هما في مقدمة شعوب الحضارة الانكليز والفرنسيس واصبحت الصين دستورية في حكومتها وستعود الى سكانها اخلاقهم الحربية فيضطر الناس الى احترام الوانهم ومعتقداتهم والزنوج سائرون على صدة النشوء بسرعة تلقي الاضطراب في نفوس اشياع المتوهمين بالعناصر والالوان وقد ارتقى الزنوج في الولايات المتحدة منذ ستين سنة ارتقاء انسى ان اصلهم افريقي ولكن لا يمحو سيئات جنون البشر قروناً قرن في التعقل ولا بد ان تظل الحروب الآن بين ابناء آدم تصبغ اديم الارض بالدماء بضعة اجيال اخرى وبقي للبلاد العظيمة من حيث حضارتها الحق ان تكون نوبة لئلا تفقد في حروب الغد تراثها من الحكمة والجمال

واما اذا اطلقنا اليوم كلمة عنصر فذلك لانها اصبحت مشابهة الكلمة بلاد او سكان البلاد فليس معنى قولنا عنصر الفرنسيس انهم كلهم من اصل غالي كما يدعي بعضهم بل

قد امتزج بهم نحو ستين عنصراً وشعباً اقامت في فرنسا او اجتازت بها اجتيازاً فمنهم الاكيتون والبلجيكيون والغاليون والليكوريون والسمبريون والتوتونيون والسويفيون والالمانيون والسكسونيون والقانداليون والسمرتيون والسبكيون والقسكونيون والفينيقيون الذين اكثروا من المستعمرات ومن جملة مستعمراتهم مدينة نيم وهي اجل مدنهم ثم العرب والسلافيون والقينديليون والتيفاليون والروثينيون والاغاثيرسيون والبورغونديون والبلاسجيون والصليبيون والتيرنيون والاتروسكيون واليهود المراكشيون والاندلسيون الذين زحزحهم ديوان التفتيش عن ارضهم وديارهم ثم ان من الفرنسيس الويغريين والمغول والهونسيون والاوز والخزر والابر والكومانيون وغير ذلك من العناصر والشعوب مثل البولونيين والهنفتيين (السويسريين) والايبريين (الاسبانيين) وغير ذلك وربما بعض الزنوج

فوحدة الدم ليس بينها وبين ما تمتاز به امة من الصفات الاخلاقية والعقلية بل ان امتزاج دم الشعوب بعضها ببعض تزيد في قيمة الشعوب والعناصر وما يدعيه بعضهم من ان العنصر الالماني كان اليوم ارقى من العنصر الفرنساوي لانه حفظ في دمه شيئاً كثيراً من اصله هو غلط ووهم لان العنصر الآري والمدنية الآرية والجنس الآري لم توجد بل هي اختراع يكفي في تزييفه بان قال بعضهم ان الآريين اتوا من الشرق وقال آخرون من آسيا وغيرهم من الهند وآخرون من بكتريانيا وغيرهم من البلاد الواقعة بين بلاد اورال وبحر الشمال وادعى بعضهم ان الآريين اتوا من جنوبي غربي سيبريا وغيرهم انهم من اواسط المانيا وغربيها وآخرون انهم من الشمال واكد غيرهم ان الآريين هم اوربيون حقاً هذه اقوال علماء الانسان اما علماء اللغة فمنهم من يزعم ان الآريين اتوا من جنوبي غربي اوربا ومنهم من يقول بل من اواسط آسيا وغيرهم انهم من الفولغا وآخرون من بحر البلطيق . وهكذا اختلف اولئك المشتغلون في الوان الآريين وجماجمهم وقاماتهم ومدنيتهم وكيف مدنوا غيرهم وما كان عملهم واظنهم لا يزالون مختلفين في الآريين قروناً بعد لان الاوهام كالاكاذيب قد تطول حياتها ولا تأتي عليها الشدائد لتنسفها

وما قيل في العنصر الفرنسوي يقال في العنصر اللاتيني على الجملة فان الفرنسيس والطليان والاسبان والبرتغاليين والرومانيين والارجنتينيين والبرازيليين وغيرهم من الشعوب الاخرى في اميركا الوسطى كل هذه الشعوب ليست من اصل واحد بل تختلف اصولها باختلاف سحناتها وما السحنات هي التي تربي الارواح بل ارواحنا هي التي

تربي سحنائنا وماهيئة الرؤوس التي هي تجمع بين الشعوب وتوجد بينها رابطة القرابة بل حالتهم المتشابهة في الاستمتاع بالحياة او العذاب بها

ولقد كان يظن بعضهم انه يقتضي مرور عشرة اجيال حتى يختلط شعب بآخر وتذهب من بينهما الفروق ولكن مثال الولايات المتحدة امامنا لا يحتاج الى عرض فكلما كانت الامة قوية رحب صدرها وسهل عليها ان تدس فيها الصفات الاجنبية ومنذ بضعة قرون لا تجد عنصراً خالصاً من الامتزاج بغيره ولا شعوباً تألفت من وحدات متشابهة معلومة . وما الالمان في الحقيقة ونفس الامر سوى البولونيين والاوبورتونيين والفانديين وغيرهم من القبائل والشعوب السلافية وهم الذين ساعدوا على تأليف ذاك العنصر بل قد قال نيتشه الفيلسوف الالماني وكان من اصل بولوني ان الجرمانيين الحقيقيين قد نزحوا الى الخارج وان المانيا الحالية هي مرحلة تقدمها العالم السلافي

ومثل ذلك يقال في الطليان فليسوا ابناء الرومان في الحقيقة بل فيهم اجناس كثيرة امتزجت دماؤها بدمائهم فقد دخل فيهم السيسكانيون والليبورنيون وهم من الشعوب الافريقية والبلاسجيين ومن تفرع منهم والاتروكسيين والسلافيون والسليتون واللونكبارديون والبيزانطيون والفاليون والمصريون واليونان والاسبان والصقالبة واليهود والنورمانديين والعرب والبروتون والجرمان وغيرهم من العناصر والشعوب كالعنصر السامي وغيره فأين الدم الايطالي الصرف .

وان انكلترا على اعتزالها في جزائرها لم تنج من اختلاط غيرها بها ففيها دم زنجي ودم افريقي وفيها السرماني الجرماني والايبري دع عنك الفرنسيس والالمان وغيرهم ممن امتزجوا بالدم الانكليزي حديثاً . والاسرائيليون الذين يفاخرون بطهارة دمهم لا يستطيعون الا ان يغضوا ابصارهم حياء امام الحقيقة التاريخية فقد كانوا قليلاً عددهم عند ما وصلوا الى فلسطين فامتزجوا بالعرب والفيلستينيين والحيتيين وغيرهم من القبائل واعطوا دمهم الى كثير من الامم وتناولوا منها دماً حتى ان شعباً تركياً برمته اسمه الشازار قد دان باليهودية وانتشرت شريعة موسى في العالم وادخلت في مجموعها من كل العناصر

فالشعوب كالافراد ليست كبيرة باصولها التاريخية ولا معنى لاسمها وعددها ما دام الشك يتطرق اليهما والذي يهم في الامم كنزها العقلي والاخلاقي وفضائلها الغيرية التي طبعت عليها ارواحهم ونور عتوهم الذي يطوف الاقطار والامصار . وما من شعب

يسمو على آخر و ينحط عنه من حيث تركيبه بل ان هناك شعوباً تقل مدنيتها اوتكثر وتحسن المآتي اولا تحسنه في جهاد الحياة والواجب على امة تريد ان تمزج غيرها بها ان توجه عنايتها الى افكار الشعوب وتستميل ارواحهم . وما سعي روسيا في جعل جميع رعاياها روساً وسعي جرمانيا في جعل اهلها كذلك وسعي العثمانية في تتريك عناصرها وكل ما تعمد اليه هذه الدول من وسائل القضاء على القوميات الاخرى باطلة فقد اضمحلت بوهيميا تحت السلطة النمساوية قروناً كثيرة وأخرج شعبها من عداد الاحياء ودثرت لغتها وآدابها ولكن الشعلة الضئيلة الوطنية بقيت حية تحت جبال من الرماد ولما سكنت العاصفة عاد النشك واظهروا ذات يوم انفسهم وعنصرهم ومقاومتهم للالمانية اكثر من ذي قبل . وجزيرة كريت الصغيرة الباسلة التعسة ستنضم عما قريب الى يونان على الرغم من عناد الحكومة العثمانية(؟) وعمى رجال السياسة وكذلك الحال في بولونيا وفنلندا . وان الاستيلاء على الشعوب استيلاء وحشياً قد مضى وانقضى فالواجب استمالة القلوب واستتباع الارواح وان الامل الذي يدفن في اعماق القلوب اقوى من طرقات المطارق على اجسامنا فالام تحيا ما دامت لا تريد الموت

الصحافة الانكليزية

زاد في الخمسين سنة الاخيرة نفوذ الصحافة اليومية وقوتها في المجتمعات الحديثة بحيث اصبحت احدى الادوات الهائلة التي ما قط استعملت لخدمة المطامع والحاجات البشرية . فقد اصبحت السياسة والاعمال ونشر الافكار العالية والدفاع عنها وخدمة المصالح المالية والاحتيال لها العضد العام والعامل الاكيد . فهي للمؤرخ الاجتماعي بانتشارها العجيب ودخولها يكثر في جميع اعمال الحياة الاجتماعية ذات فائدة قوية ومن تأمل آثار الصحافة في بلد واسلوبها ومراميها يتأتى له ان يحكم حكماً معقولاً صحيحاً جداً على مميزات تلك الامة الاقتصادية والاخلاقية وعلى درجة عقولها وضعفها وقوتها وايغالها واسترسالها وعلوها ونزولها في سلم الاجتماع . وعلى كل جريدة ان ترضي الاميال لتحيا وتعيش وتخاطب عقل قرائها وما مجموع صحافة كل امة الا اثر من آثار ترقيها

وما من مبحث أفيد واعلق بالاذهان في هذا الشأن اكثر من الارتقاء الذي حدث في الصحافة الانكليزية فانها مثلت الاطماع والعظمة وكل ما فكرت فيه انكلترا واهتزت . وصحافتها اسمى من صحافة منافسيها بما فيها من الحياة واتساع العمل وكمال الاسلوب وجلاء المبادئ التي تديرها والبحث فيها درس لا نظير له للمؤرخ والصحافي . ويرجع

ارتقاء الصحافة الانكليزية الى اسباب عديدة منها ما هو آت من عنصر الانكليز وعقله ومنها يرجع الى ضرورات مادية حاضرة فالصحافة الانكليزية لا تضاهيها صحافة مثلها بمدانيها وتنظيمها المادي المنقطع القرين وما مثلها صحافة تشخص على ما يجب روح بلادها وتؤثر مثل تأثيرها في الفكر العام والمصالح العامة ولم تبرح منذ قرن تدبر دفة السياسة البريطانية وتوحي اليها الخطط الواجب اتباعها وان انكلترا لمدينة بقيام ملكها ومجدها لرجال صحافتها لما تنبأوا به عن جرأة لمستقبل بلادهم ولما فطروا عليه من الوطنية العاقلة على نحو ما هي مدينة بجندها ورجال سياستها

ولقد كانت منافسة صحافتها على شدتها تعلو دائماً الى الادب شكلاً ومعنى وما قط عمدت الى الابتذال لانها الانزاه قوة كذلك ولا ترى الشتائم حجة ففي كل حوار كانت تعرض الشيء ونقيضه بعدل يدهش كل من لا يعرف اخلاق الانكليز السياسية . وقد اجتهدت الصحافة الانكليزية زهاء قرن الى عهد ظهور الصحف التجارية بان وضعت نصب عينيها في كل حال المصلحة العامة قبل المصالح كلها . ومهما كان من حالة الاحزاب التي تنتسب اليها جرائدهم فمديروها لا يبيعون جرائدهم من الحكومة فليس لحكومة انكلترا نفقات سرية تصرفها للجرائد ولا في نظاراتها موظفون يعهد اليهم ان يعطوا الصحف ايضاحات لجرائدهم لا تنطق بلسان الحكومة ولا هي غير رسمية ولا نصف رسمية .

والفضل في ارتقاء صحافة انكلترا رخص اسعارها وقبل صدور جريدة «الديلي ميل» منذ ١٤ سنة لم يكن في انكلترا جريدة يزيد ما يطبع منها على ٢٥٠ الف نسخة ولا تباع النسخة باقل من عشرة سنتيمات . وجريدتا «الديلي تلغراف» «والبال مال غازت» وهما للطبقة العالية والوسطى لم يقرب المطبوع منهما من هذا القدر وعلى ما بذلتاه من العناية ظلتا واقفتين . وجريدتا التيمس والستندارد اللتان تمتعان بمركز ادبي راق كان يتأتى لهما زيادة المطبوع منهما لو صحت عزيمتهما عليه ولكنهما لم يريا حاجة ولا رغبة في ذلك فكانتا تحكمان في اعلاناتهما بقدر ما تستطيعان ولم تجدا حاجة للاستكثار من القراء ان تسيرا مع الاذواق الجديدة او تمسا مبدئهما وخطتيهما واذ كانت هاتان الجريدتان تصف حروفهما بالايدي وتطبعان على عدة ورقات «من ١٢ الى ٣٢ ورقة على ورق جيد قد يقع ثمنه قبل طبعه اغلى من القيمة التي يباع بها من الجمهور» لم يكن امامهما لكثرة المطبوع منهما الا الاعلانات تتحكمان فيها تحكماً يسد به العجز في ميزانيتهما

ولما ظهرت الصحف التي تباع بخمسة سنتيمات على ورق رخيص مطبوعة ومصفوفة بآلات كاملة اتجهت الصحافة وجهة ثانية وتعدلت بها الرأي العام والسياسة البريطانية وتأثرت الصحف القديمة من منافسة الصحف الحديثة كل التأثر وكانت تميل الى رأي المحافظين ويقرؤها اهل الطبقة العالية او الوسطى بخلاف الجديدة التي كانت ذات آراء متقدمة وقراء كثيرين من العامة وخلفت جريدة الديلي ميل جريدة الايكو فظهرت الصحف الحديثة في مظهر احسن من مظهر القديمة حسنة التحرير وافرة الاخبار كالصحف القديمة فلم تلبث ان احرزت ثقة السواد الاعظم وايثارها لها واقتطعت الوفاً من قراء منافسيها حتى عجزت كثيرات من هذه عن المقاومة فانقطعت عن الصدور واضطرت اخرى مثل الديلي نيوز والديلي كرونيكل ان تتخذ الاساليب الجديدة وتعدل خطتها وتنزل اثمانها فجددت بذلك شبابها وانبرت الجرائد المعظمة كالتيمس والستاندارد والمورنن بوست والغلوب شيئاً من العناد واخذن بعض بشهرتهن القديمة وثروتهن التالدة وذلك بفضل اخلاص قرائهن الدائم لهن ولكن التيمس والستاندارد وهما مثال التدقيق المفرط والتقاليد المجسمة عادتا فجذبتهما الضرورات التجارية ومالتا الى تكثير المطبوع من اعدادهما والميل بصحيفتيهما نحو الديمقراطية في ظهرها وبالصحافة الرخيصة تسربت الى الجمهور افكار جديدة نبهته الى الحياة السياسية وقوت عزيمته فصحت ارادته على الانتفاع بها فهبط نفوذ الاشراف والطبقات الوسطى القديمة وارتفع نفوذ الاشتراكية السياسية وتحطمت الاحزاب القديمة بحيث عجزت عن البقاء او كادت ودعت الصحف الجديدة الى معاضدة العملة و بالغت واكثرت في الدفاع عن قوانين التضامن والمعونة حتى كادت تضر بمصلحة الوطن كل ذلك لتستميل قلوب القوم و تستكثر من القراء وكان في مقدمة الجرائد المسموعة الكلمة في هذا الباب الساهرة على ارضاء الجمهور بالتنزل الى درجة افكاره جرائد الدايلي مايل والدايلي اكسبرس والمورنن ليدر التي اخذت بعد قليل من صدورها تطبع مئات الالوف

وجريدة الديلي ميل هي التي احدثت هذا التبدل في مظهر الصحافة الانكليزية وافكارها وصاحبها واسمه الفرد هرمسورث يدير اليوم بنفسه او بواسطة رجاله معظم المشروعات الصحافية في انكلترا . بدأ مديراً لجريدة اسبوعية أسست سنة ١٨٨٨ وكانت اوشكت ان تكون الى خطر بصنيع القائمين عليها فاروشها في اقل من سنة حياة خارقة للعادة بحيث بلغ المطبوع منها ٧٨ الفاً بعد ان كان ١٣ الفاً وذلك بان فتح سباقاً

ابن القراء ينال فيه جوائز مالية كل من يوفق اليها كأن كان يضع لهم سؤالاً وهو من يقدر ر كم دخل مصرف انكلترا من النقود المعيدنة والذي يحزر يكون له راتب يتقاضاه طول حياته قدره ليرة كل اسبوع فاهتم الجمهور لهذه المسابقة وكانت النتيجة بعد اقل من ثلاثة اسابيع ان ارتفعت البيعات من جريدته الاسبوعية من ٧٨ الفاً الى ٢٠٠ الف

وهكذا جرى الصحافي في كل المشروعات التي قام بها بالابداع في الاسلوب والتيقظ والبذل في سبيل انجاحها ولما اصدر جريدة الديلي ميل في ٤ ايار سنة ٣٩٦ لم يبع منها نسخة بل ارسلها الى الوكلاء وحملها في المستودعات وكان يطبع منها كل يوم مائتي الف على اسلوب كله مستحدث ولم يكتب له النجاح بعد شهر من صدور جريدته الا لانه عرف حاجات الجمهور ورغائبه فقد كان القوم قبله يتلون الجريدة ليقفوا على رأيها في الحوادث والرجال و يأخذوا منها وذلك باثمان تختلف من العشرة الى العشرين الى الثلاثين سنتيماً يبذلونها ولا يخالفون اما اليوم فانهم يبتاعون الجريدة للوقوف على ما يجري مثل الانباء الخارجية والحوادث المختلفة واخبار المحاكم والآراء في الازياء والرياضات مما يهتم له جمهور الناس ويميل اليه اكثر من جميع المناقشات الفكرية يريد ان يتناول معلومات بارخص الاثمان وقد نشأ هذا النشوء في الافكار من حالة الحياة الجديدة وما تتطلبه من السرعة والمضاء ومن انتشار التعليم العام وكان الفضل لصاحب الديلي ميل الذي لاحظ ذلك قبل غيره وعرف من اين تؤكل الكتف فيه ففي جريدته مثال جديد من الفواصل بين الحوادث واختصار في النصوص وقليل من الانشاء المكلف المديح وكثير من الحوادث فتقدر بنظرة خفيفة ان تطلع في خمس دقائق على كل ما حدث ونقل في جريدته المقالات الافتتاحية وتكثر فيها الحياة والعنوانات تلفت النظر ابداً واللهجة اقرب الى العامية والطبيعة والرسائل البرقية والنظرات الاجمالية مختصرة على الجملة والحوادث كثيرة فالقارئ يتلوها بسرعة غير محتاج الى تأمل وغاية ما يلزمه قليل من الانتباه فجريدته ولا جرم جريدة رجل العمل المستعجل الجريدة التي تقرأ في المركبة والحافلة والسكة الحديدية والمرء مأخوذ بعمله وبعبارة اصح جريدته حديثة النشأة فهي تحوي جميع الاخبار التي تنشرها الصحف القديمة بأسيسها ولكنها اجمل في الاسلوب واقل كلفة على الجيوب اي ان ثمنها نصف ثمن ارخص الجرائد القديمة

اما التيمس فقد أنشئت سنة ١٧٨٥ وهي صاحبة المقام الذي لا يباري بين صحف العالم بسعة مواردها وكثرة اخبارها وصحتها وشدة استقلالها وحسن تلقي آرائها وكانت في احرج ساعات انكلترا صوت هذه الدولة وفكرها وهي من حيث الماديات لا تجارى كبيرة الحجم تطبع عَلَى ورق ذي ١٦ الى ٢٤ صفحة حجم كل منها اربعة امتار مكعبة وقد حسبوا ما تحتاجه ادارتها كل صباح من الورق فكان عرضه مترين وطوله خمسمائة كيلومتر وورقها جميل متين وحروفها دقيقة حسنة التنسيق والوضع آية في تصحيحها وقد راهن احد اللوردات عَلَى مئة جنيه بان يخرج لها خمسين غلطة فاحدق في سنة اعداد منها حتى احصى لها ثلاث غلطات مطبعية وفي ادارتها اربعون مصححاً اذا وقعت لاحدهم ادنى غلطة يطرد من وظيفته ويؤكدون ان احد كبار مديريها قد اجلس في قاعة الانتظار احد وزراء انكلترا اكثر من ساعة بينما كان يفتش عن كاتب مقالة مسؤول عنها نسي ان يضع علامة الاستفهام بيد ان قراء التيمس اذا عثروا على غلطة مطبعية لا يلبثون ان يشعروا الادارة في الحال . ولكثرة عناية التيمس في مستنداتها ومراعاتها الدمة في نقولها وتجريد انشائها اصبحت المجموعة التي تنشرها ادارتها كل سنة في الاحكام الصادرة اشبه بمجموعة دالوز في القوانين لا يعتمد في التاريخ الاعليها . واسرة « ولتر » هي مالكتها وقد اصبحت منذ سنة ١٩٠٨ لنقابة خاصة برأسها احد ابناء مالكيها الأول ولكن اللورد هرمسورث صاحب الديلي ميل وكندي جون هما يدها العاملة وروحها المدبرة

وتجيء بعد التيمس جريدة الديلي تلغراف أنشئت سنة ١٨٥٥ وشهرتها عظيمة وهي باعلاناتها اشهر جريدة في انكلترا بل في اوربا وتأثيرها الادبي والسياسيّ اقل من التيمس ولكن اخبارها كثيرة واسعة النطاق وهي التي اشتركت مع جريدة نيويورك هرالد وبعثت هنري ستانلي للمرة الثانية للبحث عن داود ليفنكستون الذي اهتمت له انكلترا وكان من ذلك افتتاح الكونغو واصقاع البحيرات العظمى في اواسط افريقية . وجريدة المورنن بوست اول الصحف اليومية بانكلترا أنشئت سنة ١٧٧٢ وهي لسان حال المتورين والاشراف تدعو الى التوسع في الاستعمار وتخالفها الديلي نيوز وهي تدافع عن المسائل المهمة بحرية فقد دافعت عن ايطاليا ويونان وبلغاريا وارمينية وارلندا وحملت عَلَى اعدائهن حملات منكرة وهي الصحيفة الوحيدة التي لا تنشر اخبار المسابقات والرياضات . وجريدة الديلي كرونيكل هي الجناح الايمن للاحرار والستاندارد

أسست سنة ١٨٢٧ مقبولة جداً في عاصمة الانكليز وبين الاشراف المتوسطين واشراف الارياف . وجريدة المورنن ليدر غريبة مقبولة من العامة بترتيبها ووضعها وكثرة مكاتبيها في الخارج كثرة لا تضاهيها فيها جريدة اللهم الا التيمس والديلي تلغراف . ثم تجيء الصحف الاسبوعية التي تصدر يوم الاحد فمنها جريدة النيواوف دي ورلد وجريدة اللويد وكل منهما يطبع مليوناً واربعمائة الف نسخة

بين هذه الصحف نشر صاحب الدبلي ميل جريدته فنظر نظرة بليغة فيمن تقدمه فلم يران يسبقهن في انشاء جريدته ولا في رخصها ورأى ان اصدارها قبل ميعاد الصحف مما يهيء لها قراء كثيرين خارج لوندرا فقد كانت صحف هذه العاصمة تطبع بين الساعة الثانية والثالثة بعد نصف الليل وتسافر الساعة الخامسة في القطارات فتصل الى الاماكن التي تبعد مئة كيلومتر عن لندرا وقت الفطور والى الاماكن البعيدة ثلثمائة واثنين وعشرين كيلومتراً حوالى الظهر فاكترى صاحب الدبلي ميل قطارات خاصة لجريدته تسافر الى الجهات المختلفة فتوزع جريدته الى ابعد الاماكن قبل ان يتناول المطالعون جرائد ولايتهم نفسها مخافة ان يكتفوا بهذه عن مطالعة الصحيفة اللندنية وكان لذلك يطبع جريدته قبل ساعة ثم قبل ساعتين من طبع رصيفاته وبذلك استغنى كثير من القراء خارج لندن عن سائر صحفها وبعض صحف الولايات وارتفع معدل مايطبع من الدبلي ميل بعد بضعة اشهر من ٢٥٠ الفاً الى ٤٧٥ الفاً ولم يلبث ان صار ٧٠٠ الف ولم تصل الى السنة الثالثة حتى بلغ المطبوع منها مليون نسخة واصبحت اليوم تطبع مليوناً ومائتي الف نسخة في حين تطبع التيمس ٥٥ الفاً فقط والدبلي اكسبرس ٧٠٠ الف والدبلي تلغراف ٣٥٠ الفاً والدبلي نيوز ٣٠٠ الف والمورنن ليدر ٣٥٠ والستاندارد ١٢٠ الفاً والدبلي ميرور ٩٠٠ الف وجريدة ايفنن نيوز وهي فرع للدبلي ميل تصدر في المساء ويطبع منها ٢٥٠ الفاً . وقد فكر صاحب هذه الجريدة في شمالي انكلترا فرأى مدينة منشستر على ثلاث ساعات ونصف من لندرا متوسطة بين بلاد ايكوسيا ونفوسها ٧٥٠ الفاً وهي مركز تجاري مهم فانشأ فرعاً لجريدته هناك فيها جميع ما في جريدته اللندنية من الاخبار والمقالات منها ما يوصله من لندرا مع البريد ومنها ما يوصله على لسان البرق فتخرج الدبلي ميل في منشستر في الوقت الذي تصدر في لندن وبذلك تسنى له ان يبيع من الجريدة الثانية مائتي الف نسخة فيكون مجموع ما يبيع من الدبلي ميل ١٤٠٠٠٠٠ وقد اصدر فرعاً آخر لجريدته في باريز يبيع منه عشرين الف نسخة كل يوم واحبت

بعض منافساته ان تحذو حذوه واكنها لم تفلح لانه اخذ دونها المقام الاول في القاصية كما اخذه في الدانية

واغرب من هذا وذاك ان صاحب الديلي ميل اصدر فرعاً من جريدته بحروف برايل النائثة يصفها عميان و يطبعونها و يوزعونها وهي للعميان فيها الاخبار السياسية وغيرها تصدر مرة في الاسبوع في ١٦ صفحة وهذه الجريدة هي لخدمة الانسانية المحضة وذكرها اجمل سطور في تاريخ الصحافة المصرية

وبانتشار الديلي ميل الى هذا القدر اقبل ارباب الاعلانات عليها وآثروها على غيرها ولولا ذاك ما استطاع صاحبها ان يتكبد مثل هذه النفقات واستعمل اساليب التجارة في اصطياد المعلنين فلم يكتف كغيره من ارباب الصحف ان يقصد المعلنون ادارته باعلاناتهم بل اخذ يبعث برسله الى التجار يقاولونهم على اعلاناتهم. والاعلان في انكلترا اهم اسباب التجارة و بدونه تقل الارباح كما قال بعضهم بل ان امتناع الصحف يوماً واحداً عن نشر اعلانات التجارة اصعب على الامة من وقوف السكك الحديدية وانقطاع الاسلاك التلفونية والبرقية ويكفي ان لندن وحدها تنفق في السنة على الاعلان فقط ملياراً ونصف مليار فرنك — انتهى ما عربناه عن المجلة الباريزية وعسى ان يكون فيه لاهل الصحافة العربية غناء فيطرسون على آثار الصحافة الانكليزية الراقية

موظفو فرنسا

الغالب ان فرنسا اكثر بلاد الحضارة موظفين ففيها الآن ٩٦/٨٥٥ موظفاً على اختلاف الطبقات واذا أُضيف اليهم موظفو الجزائر وتونس وغيرهما من المستعمرات الفرنسوية الذين يتقاضون رواتبهم من ميزانية تلك البلاد ناهز الموظفون من الفرنسيس مليون موظف فكان لفرنسا موظف واحد لكل ٣٨ مكلفاً يتقاضون في السنة ملياراً وخمسمائة وعشرة ملايين يضاف اليها ١٠٨ ملايين رواتب رجال الملكية و ١٧٠ مليوناً رواتب العسكرية

بين القاهرة والرأس

عزم رجلان المانيان احدهما ضابط والآخر جيولوجي ان يجتازا المسافة بين رأس الرجاء الصالح والقاهرة في السيارة (اتوموبيل) والمسافة بين البلدين عشرة آلاف كيلومتر وذلك ليتأكدا فيما اذا كان يتأتى لهذه المركبة ان تحمل ركاباً و بضائع بين جنوبي أفريقية وشماليها وسيقطران مركبة اخرى الى السيارة التي تقلها وتكلف نفقات

انشائها مائتي الف مارك على ان الخط الحديدي المنوي به ربط تينك المدينتين احداهما بالاخرى قد تم بعضه ومؤخراً افتتح فرع من واد مدني الى سنار وقد بلغ طول ما مدّ منه من الجنوب ١٥٠١ ميل (نحو ٢٤٠٠ كيلومتر) والفرع الجنوبي تسير قطاراته الآن من كيبتون الى المحل المسمى ستار اوف كونغو في مملكة الكونغو الحرة اي على مسافة ٢٣١٢ ميلاً (نحو ٣٧٠٠ كيلومتر) فيبقى بعيداً عن الخطوط بعد ٢٠٦٠ ميلاً (٣٢٠٠ كيلومتر) فيكون على هذا التخطيط طول هذا الخط كله ٥٨٧٣ ميلاً منها ٣٨١٣ ميلاً قد نجزت والقطارات تغدو فيها وتروح وستجعل لها طبقة رابعة للفقراء

سكة طرابلس

احتفل في الشهر الماضي بافتتاح الخط الحديدي بين طرابلس الشام وحمص وطوله ١٠٠ كيلومترات يقف القطار في ثماني محطات و يقطع المسافة بين البلدين في اربع ساعات وهو من الخطوط العريضة مثل بعض الخطوط الحديدية في سورية وبهذا الخط اصبحت كثير من مدن الداخلية في سورية مرتبطة بالسواحل فاول ما ربط منها يافا بالقدس ثم تبعتها دمشق ببيروت فحوران ثم خط حيفا ودمشق وحيفا درعا المدينة وربطت بيروت بحلب واليوم ربطت طرابلس بحمص وما والاها

كتب الاولاد

من مقالة لاحد العالمين من الاوربيين ان كتاب الولد يجب ان يحوي شرطين رئيسين ان يعجب القارئ به ويهتم له والاعجاب به يكون بما يحويه من الصور والاهتمام له يكون بما تضمنه من الموضوعات اللطيفه وهذه الصفات تحتاج لتأليف كتاب من هذا النوع الى رجل مفنن ورجل كاتب وان يكون كلاهما مفطورين على معرفة مخاطبة الاولاد وقلما يتوفر ذلك . وقليل في كتب الاولاد المفيد لان الاسفار التي تجعل بين ايدي الاطفال هي في العادة سقيمة الانشاء عليلة التصوير كأن المؤلفين والمصورين يقصدون الى ادخال السآمة على نفوس الصغار بما يكتبونه و يرسمونه على ما اتفق فالقصص التي يوردونها مملة يريدون ان يعلموا بها بدون ان يسألوا وان يعلموا دروساً في الاخلاق والتهذيب لا تستميل قلوبهم وليست سوى مواعظ وما احرى تشبيهها بحقول بائرة لا تنبت فيها زهرة ولا تجد فيها ما يبعث حماسة الشبيبة نعم هي صور مضحكة يفهمها الولد على حسب مداركه ولكنها لم تخرج عن كونها قصصاً عامية ينضم فيها الابتذال الى فساد الاحكام . فارغة لا جاذب فيها تتعب قارئها اذا قرأ منها

الصحف الاولى فيتخلى عنها قبل ان يتمها . فالآداب التي يدرسها الاطفال هي ولا جرم مخالفة للمقصد منها في معظم البلاد . قلنا هذه شكوى البلاد الافرنجية من رداءة كتب الاطفال عندهم وهي ما هي فما هو الحال اذاً في مدارس البلاد العربية

تجار الاميركان

لكل مخزن كبير في الولايات المتحدة مدرسة خاصة لتعليم مستخدميها وبائعيها تعليماً تجارياً خاصاً يدربون في الغالب كما يدرب الجند لان تجار الولايات المتحدة قد ايقنوا بانه يصعب ايجاد مخازن كبرى اذا لم يكن فيها نظام مدقق ولذلك يدخلون الصبيان والبنات الى هذه المدرسة في الرابعة عشرة من سنهم فيعلمونهم في الصباح الحساب والانكليزية ليجيدوا التكلم بها كما يعلمونهم الافرنسية ويمرنونهم نصف ساعة على الالعاب الرياضية كل يوم لتكون حركاتهم منتظمة شأن المستخدم اللبق وفي النهار يشغلونهم في اعمال المحل ولكن بدون ان يختلطوا مع الزبن . وبعد تمرينهم ثلاثة اشهر على هذا النحو يبدأ بتعليمهم معرفة الاصناف التجارية وفي المساء يعلمونهم شيئاً من التعليم النظري فيدرسون مثلاً كيفية عمل البضائع ومحال عملها بحيث يستطيعون بعد ان يلقوا درساً مختصراً لمن تريد ان تبتاع زوجاً من الجوارب ويوقفونهم على علم النفس لان هذا العلم نافع لهم نفعه للقصصي والعالم . وامهر البائعين المرغوب فيهم هم اهل ارلندا

التلغراف اللاسلكي

زيد في هذا التلغراف اختراع جديد مركوني نجح بواسطة طيارة تنقل في النهار رسائل برقية كهربائية الى مسافة ٥٦٠ كيلومتراً وكانت رسائل التلغراف اللاسلكي حتى الآن لا تنقل الا في الليل خاصة وبهذا الاختراع الجديد يمكن ارسالها في كل ساعة والى كل مكان وبحل الاشكال الذي كان ناجماً من المخابرة التلغرافية من سفينة مبحرة مع اي محطة في الشاطىء كانت

حمى مالطة

ثبت ان هذه الحمى تنتقل في لبن الماعز وذلك لان الحكومة منعت الحامية هناك من اعطائهم لبناً حليباً في جملة الجراية اليومية . وكان ثبت ان لبن البقر ينقل جراثيم السل ولا يفيد فيه الا التعقيم الشديد

المقتبس

حالة الجو «الطقس»

«الفواعل الطبيعية التي تؤثر فيها وتدل على ما تصير اليه»

لا بد ان يتلقى قراؤنا الكرام هذا الموضوع بما يستحقه من الاحتفاء بعد ان الفتت انظارهم اليه الثلوج التي تراكمت في هذا الشتاء على ربوع البلاد فسدت المسالك وساقت حيوانات البر من كهوفها وأوجارها لتشارك الانسان في مساكنه وتشاطره شظف العيش في مكامنه

وقد خيل لمن لا المام لهم بالنواميس الطبيعية ان كثرة شرورنا قد كانت السبب لهذه الضربة الآلهية والحقيقة ان خطايانا كثيرة في كل سنة فلو كانت هي الداعي لذلك لاقتضى ان لاتفارقنا الضربات على مر السنين

ومما لا ريب فيه ان الممسك ازمة السماوات والارض بيده قد سن للطبيعة شرائع تسير بموجبها وتنتج معاً ما نشاهده من الظواهر الفلكية والتقلبات الجوية التي تختلف باختلاف اتجاه هذه الفواعل وكيفية ارتباطها معاً واجتماعها او تفرقها على ما سنبينه

ومع ان العلوم والمعارف هي مجموع اختبارات البشر لا تزال قاصرة عن ايضاح معظم ما تتوق النفس لمعرفته مما لا يزال وراء حجاب الغيب فانها قد كشفت لنا الشيء الكثير من اسرار الطبيعة حتى صارت الميتيورلوجيا او الظواهر الجوية علماً جزيل المنفعة للملاح والزراع والتاجر وغيرهم من ارباب المهن والحرف

وقد تبين من درس طبيعة الهواء والنور والحرارة وحركات الارض ومهاب

الرياح والجاذبية وغير ذلك ان تقلبات الجو وظواهره بين صحو ومطر وحر و برد ناتج خصوصاً عن اتحاد افعال السبع القوات الآتي بيانها:

(١) دورة الارض اليومية عَلَى محورها

(٢) دورة الارض السنوية في فلكها

(٣) الجاذبية التي تشد الهواء الى الارض

(٤) قوة التباعد عن المركز الناجمة عن دورة الارض عَلَى محورها وعن قوة استمرار حركة الهواء

(٥) قوات دقائق المادة المعروفة بالحرارة والنور والالفة الكيمية والكهربائية ، وقوة الاشعاع التي تصل الينا بالاشعاع من الشمس ، وجميع الاختلافات والتقلبات الموقعة عَلَى عرض الاماكن وحركتي الارض اليومية والسنوية

(٦) فقد الحرارة بالاشعاع من الارض والهواء

(٧) اختلاف تمدد الاجسام باختلاف توزيع الحرارة في الهواء لتوقف ذلك عَلَى مراكز القارات والاقيانوسات وعلى وجود أبخرة سهلة التكثيف كالتي تكون ممزوجة بقارات لا تنفك عنهـا ، وعَلَى النتروجين والاوكسيجين اللذين يتركب منهما معظم قارة الهواء

فأدنى تغيير في هذه القوات او في كيفية عملها يحدث تغيراً في ما يحيط بنا . ويتصعب علينا التنبؤ بالدقة عن حالة الجو لاننا لا نزال نجهل ما وراء كرتنا الارضية من الفواعل . ولكننا نعلم ان قوة ما تنتقل دائماً من الشمس الينا بسرعة جاذبية الثقل او النور وتتخلل الهواء المحيط بنا وبها يعلل تكوُّن الشفق . وذلك ان هذه القوة السماة ايونس *Ions* اوالكترونات *Electrons* متى تكهربت تنحرف عن سيرها المستقيم حالما تخالط الهواء وترسم منحنيات لولبية الشكل . وعندما تتصل هذه الدقائق ببعض الغازات من مثل الكربتون *Kryptpon* يستنير الغاز فيكون من ذلك نور الشفق الذي يشاهد في الاماكن القريبة من القطبة الشمالية اكثر من غيرها كأعالي اسوج ونروج وشمالي كندا وغيرها

اما الغيم والمطر والثلج والبرد وسائر متعلقاتها فتكون بالطريقة الآتية

تلقي الشمس اشعتها عَلَى مياه الاوقيانوسات والابحر والبحيرات وما ماثلها من المستودعات المائية فتسخن الهواء الملامس لها واليابسة وتبخر الماء فيخف ويصعد في الهواء

المشبع رطوبة الى الطبقة التي يتكون فيها الغيم . ويتمدد الهواء بالحرارة ايضاً فيصعد بقوة يدفع بها الهواء المجاور له من الجهات الاربع . ومعنى هذا الدفع انه ينفق شيئاً من حراراته كلما صعد ودفع مايجاوره حتى يبرد اخيراً وتغلب فيه الرطوبة فيبتدئ ان يتكاثف بشكل الغيم او السديم . وهذا التكاثف انما يتم بالتفافه حول ذرات الغبار ودقائق الالكترونات التي تقدم ذكرها فتكتسي هذه الذرات بالرطوبة كما يكتسي في الصيف ظاهر ابريق زجاجي ملآن ثلجاً . وبناء على ذلك فكلما زاد الغبار في الجو زاد تكاثف الغيم وقل المطر الذي لا يهطل الا من اواسط الغيم او قلبه حيث الغبار قليل وذلك بعد ان يضغط على الغيم والهواء الاعلى منه ويشترط في الغيم ان يكون مكهرباً بارداً الى درجة تكوّن الندى . فمن غيمة كبيرة يكونها الهواء الرطب حول دقائق المادة قد يوجد جزء صغير فقط خال من الغبار فيتمدد بسرعة كافية لتكوين ماء المطر

ومن هذا يتضح ان اطلاق المدافع الكبيرة في الهواء اذا وصل دخانه بما فيه من الدقائق الى مساواة الغيم يحدث غيماً ويمنع وقوع المطر لان المطر لا يسقط الا من قلب الغيوم حيث يقل الغبار او يخلو بتاتاً

اما اذا سقط المطر وكان الهواء بارداً جداً فانه يجمد . فاذا كان الهواء يهب من جميع الجهات لعب فيه ودوّره فيسقط برداً والا فاذا سكن الهواء سقط عطباً كنتف القطن وهو الثلج الذي تكتسي به قمم الجبال وسائر الاماكن العالية الباردة

ولمعرفة اوقات سقوط المطر او الثلج يجب ان ندرس مهاب الرياح وعلاقة البرد من كلف الشمس ومغنطيسية الارض وغير ذلك مما يصعب معرفته بالدقة

غير ان الآلات التي اخترعت حديثاً للدلالة على حالة الجو وهي البارومترو الترمومتر اي مقياس ضغط الهواء ومقياس الحرارة كثيراً ما تدل على حدوث الامطار والزوابع بالضبط قبل وقوعها بزمن يختلف بين ١٢ و ٢٤ ساعة وما ذلك الا لتأثرها بضغط الهواء ومبلغ ما فيه من الحرارة والرطوبة التي تقل او تكثر تبعاً للفواعل العديدة الطبيعية كما بيناه آنفاً

فرطوبة هواء الهند مثلاً تأتي من بعد شاسع اي من جهة الجنوب الغربي للاقيانوس الهندي وهواء اوربا يؤثر في افريقية وهواء جنوب افريقية يؤثر في آسيا وهكذا فكأن الهواء كرة مرنة ينتقل فعل الفواعل على احد جوانبها الى كل جانب ولذلك فجونا عرضة للتأثر من الاعلى اي من الفلك الذي وراء حدود الهواء ومن القطبين ومن

جانبي خط الاستواء فلا يكاد يفعل فيه فاعل الا و يظهر تأثير ذلك في مجموعه · ولهذه الاسباب لا يمكننا معرفة اوقات وقوع الامطار والثلوج واشتداد الحر والبرد وغير ذلك الا اذا عرفنا تأثير جميع الفواعل والمؤثرات في اتحاد العالم · وهذا ما يسعى العلماء لرصده ومعرفته حسبما تمكنهم الاحوال

وقد لا يمر بنا زمن طويل حتى تصير نبوات العلماء موضوع ثقة القوم فيعرف الناس جهات الرياح واوقاتها وازمان سقوط المطر والثلج بضبط يكاد يقرب من كنه الحقيقة وفي اوربا واميركا الآن معاهد خاصة فلكية تنبئ بتغيير حالة الجو انباء جزيلة النفع للانسانية · وعما قريب تنفتح عيون الناس في آسيا فيخططون هذه الخطة العلمية ويجارون القوم في حياتهم العمرانية بيروت خليل سعد

السراسرة او الزرازرة

Les Censeurs

(١ تمهيد) من احسن ما يفيد اللغويين والكتاب والمعربين واصحاب نادي دار العلوم تتبع الالفاظ الدخيلة في العربية ومعرفة الاصل الذي اخذت منه · فان التنقيب عن هذا الامر يكفينا مؤونة وضع بعض المصطلحات الجديدة مع وجودها عندنا · هذا فضلاً عن منع كثير من الالفاظ عن التسرب الى لغة قريش الفصيحة وحبس مواد اللغة عن ان يعيث فيها عائث والذب عن حياضها ومناهلها الراقية وتخفيف حمل المحافظة لكثرة ما توفر في هذه الايام بنشر الصحف المختلفة الموضوعات · وخوفاً من ان تنوء باثقالها فتبهض · ولهذا فاحسن واسطة تتخذ في هذا الباب ان يسعى الى اقفاله باقرب وقت واخصر طريق يسعى في تحقيق اصول الالفاظ الدخيلة حتى تعاد الى نصاب معانيها التي وضعت فيها ويحافظ على المعاني التي نقلت اليها في لغة العرب

وقد اهتديت في ابحاثي الى بعض هذه الحروف وتحقيق اصلها من ذلك كلمة « سرسور »

(٢ حقيقة اللفظة نقلاً عن اللغويين) السراسرة جمع سرسور قال في محيط المحيط : الزرزار (او الزردار) (قلت : كذا بدال مهملة قبل الالف) : البطرك (كذا · والاصح البطريق لان العرب خصت لفظة بطرك او بطريك او بترك او

بتريك او بطر برك بالرئيس الديني الذي هو فوق رئيس الاساقفة بخلاف البطريق فانها قد وردت عندهم بمعنى البطرك وبمعنى كبير الشرفاء من الروم والرومانيين اي بكلا المعنيين) زرازرة (او زرادرة) · اه كلام المحيط وقال قزميرسكي : الزرازرة **Patriciens** *(chez les Grecs de l'empire d'Orient)* وقال فريتاك : زرزارج زرازرة : ثم زاد : وفي الاوقيانس : زروارج زراورة · وفي التاج : *Patricii græcorum:* الزرازرة البطارقة كبراء الروم جمع زرزار بالكسر · وفي التكملة : الزراورة البطارقة · ولم يذكر الكلمة اللغوي الانكليزي « لين » صاحب مد القاموس · وممن اغفل ذكرها صاحب الصحاح والمصباح واساس البلاغة والنهاية ومختصرها · لا بل وصاحب لسان العرب ايضاً وهذا في منتهى العجب لان الكتاب ضخم في عشرين مجلداً وقد حوى الفاظاً دون الزرزار شأناً ومع ذلك فقد اهملها الا انه قال في مادة س ر ر : السرسور: الفطن العالم · وانه لسرسور مال اي حافظ له · ابو عمرو: فلان سرسور مال وسوبان مال : اذا كان حسن القيام عليه عالماً بمصلحته · ابو حاتم : يقال فلان سرسوري وسرسورتي : اي حبيبي وخاصتي · و يقال : فلان سرسور هذا الامر :اذا كان قائماً به · و يقال للرجل : سرسر : اذا امرته بمعالي الامور » اه النص · ولم ينبه على ان السرسور هو تصحيف زرزار · ومن ثم فانك لا ترى في لسان العرب اثراً لهذه الكلمة الاخيرة بالمعنى الذي اشار اليه اللغويون

اما السرسور فقد ذكرها جميع اللغويين اصحاب المطولات قال في التاج : السرسور : بالضم · الفطن العالم الدخال في الامور بحسن حيلة ··· وعن ابي حاتم : الحبيب ··· الى آخر النص الذي ذكره صاحب اللسان · وقد نقل اصحاب دواوين اللغة كلام ابي حاتم فلا حاجة الى ايراد جميع نصوصهم الآخذين عنه عبارته هذه بدون تغيير وقد ذكرناها · واما صاحب محيط المحيط فقد غلط في قوله زرادرة بالدال بعد الالف وانما هي بالواو قال في التكملة : الزراورة : البطارقة الواحد زروار كما نقلناه فويق هذا

ولم ينبه احد من لغويي العرب الى انها من اصل اعجمي واما الافرنج فلا اعرف منهم الا فرنكل اذ قال بانها من اصل فارسي او ارمي قال : سفير = سبسار وفيها لغة وهي سرسور

والعربي اذا رأى كلتا اللفظتين : الزرزار والسرسور لا يتوقف في ان يقول انهما

من اصل واحد وهو: « الزور » مكررة مع تصحيف فيكون معناها: « رئيس الرئيس» اي الرئيس الكبير . لان الزور هو الرئيس وليس الامر كذلك ولا سيما الزرزار لانهم شرحوها بمعنى البطريق او الكبير من الروم . فلا يمكن ان تكون الكلمة الا رومية اي لاتينية وهي Censor اي سنسور ثم صحفها العرب وتلاعبوا بلغاتها كما فعلوا بلغتهم فتولدت منها الفاظ كثيرة مرجعها الى واحدة . وقلبهم النون راء هين مستفاض في كتبهم والشواهد فيه لا تعد ولا تحد حتى في الالفاظ العربية الفصيحة كما قالوا في ريح ساكرة: ريح ساكنة . وقالوا الزون والزور . والوكر والوكن . والمبور والمبون (العنكبوت) وتأمر عليه وتأسن وما فيه حبربر ولا حبنبر . والمركوس والمنكوس . الى غير هذه الالفاظ وعليه قالوا في سنسور: سرسور . ومن العرب من كان يقلب السين زاياً منقوطة ويجعل الالف المفخمة اي « الافرنجية تارة الفاً وطوراً واواً كما في صلاة وصلوة . وحياة وحيوة . فقالوا على هذا القياس زرزار .

ولعل الاصح ان اللفظة اول ما وردت في كلامهم جاءت مجموعة بصورة زنازرة او زرازرة ثم توهموا مفردها زرزار حملاً لها على مادة عربية وكان السرسور اوالسنسور من ولاة القضاء عند الروم وكان من وظيفته احصاء ابناء الرعية الرومانية وتقدير اموالهم وتدبير بيت المال او خزينة المملكة . ثم امتدت سطوتهم حتى بلغت شأواً بعيداً في النفوذ وشأناً خطيراً في السلطة حتى قلد الزرازرة نقابة اشراف الروم فصارت وظيفتهم كوظيفة نقيب الاشراف عند المسلمين في عهدنا هذا . بل واوغلوا في السطوة حتى قلدوا امر مراقبة الآداب وتنزيل الاشراف عن مناصبهم العليا وابعاد شيوخ المجلس الاكبر عن مناصبهم بل وربما طردوهم من المجلس طرداً لا مرد لهم اليه

وكانت هذه الوظيفة مقيدة بالبطارقة لاغير . ومن ذلك تعريف العرب للزرازرة بمعنى البطارقة . ثم لوخي عنان جوادها فقبض عليه وعلا صهوته كل من كان اهلاً للعلى وان كان من السوقة

على ان اصح وجه اللفظة هو « السرسور » كما جاءت في اغلب كتب الائمة الا انها وردت عندهم بالمعنى الفرعي لا بالمعنى الاصلي اي انها جاءت بالمعنى الثاني الذي انتقلت اليه في الرومية واشتهرت به في عهد صدر الاسلام لانهم قالوا في تفسيرها: الفطن العالم الدخال في الامور

وان قيل لنا: « ان سرسور هو تعريب سيبرسور واصل معناه الشبعان فرحاً . [كتاب

الالفاظ الفارسية المعربة تأليف السيد ادي شير ص ٨٩) قلنا : لا يقول هذا الكلام الا من اراد الهزء والسخرية باهل العلم والتحقيق والا اي مناسبة بين هذين المعنيين . وكيف سمى الروم صاحب مقام من اهل المراتب العليا عندهم باسم فارسي . تلك اضحوكة من المضحكات المبكيات . هذا فضلاً عن ان العقل يأبى مثل هذا الوضع الغريب والتأويل البعيد العجيب ولا سيما لان جميع اللغويين متفقون على ان الزرازرة هم البطارقة اي علية اشراف الرومان . والسرامرة هم الفطنون العلماء الدخالون في الامور كأن العرب جعلت لكل فرع من المعنى فرعاً من اللفظ تفنناً وتمييزاً لفظاً من لفظ وهم كثيراً ما يفعلون ذلك

هذا وتأويل السرسور بالمعنى الذي عقده بناصيته اهل اللغة يوافق كل الموافقة للتآويل المختلفة التي جاءت بها لفظة **Censeur** فان هذه اللفظة الفرنسوية وهي نفس اللفظة الرومية **Censor** تعني ما يأتي : (١) الذي ينتقد مسلك الناس واعمالهم . (٢) الذي ينتقد مؤلفات المصنفين وماوقع فيها من الاوهام والاغلاط (٣)احد عمال الحكومة تقيمه على فحص الكتب والجرائد والمجلات وهو الذي سماه كتاب هذا العهد بالمراقب (٤) وسرسور الدروس عندهم القيم بشؤونها ويحفظ قوانينها (٥) وسرسور المصرف (البنك) مرسور شركة تجارة وقد فوض اليه تحقيق اعمال المديرين والقيمين بشؤونها . اه وهذا كله يصح فيه معنى السرسور على موجب ما اثبت معناه اللغويون اي الفطن العالم والحسن القيام على المال العالم بمصلحته

هذا ما اردنا ايراده بخصوص اللفظة واصلها ومعناها عند العرب سابقاً ومعناها عند الافرنج في عهدنا هذا . وامكان دخول مختلف معانيها في لغتنا اذ الجامعة بين شعبها موجودة عندنا ايضاً وهذا كله من منافع الوقوف على اصول الالفاظ والبحث عن انسلالها في لغتنا . بقي علينا ان نذكر ما يتعلق بهذه اللفظة من امرها في التاريخ فنقول :

« ٣ السرسور في التاريخ » كانت اقامة رتبة السرسور او السنسور في الطبقة الاولى عند امة الرومان . وكان ينتخب اصحابها انتخاباً الى زمن محدود مضروب . واذا قلدها احدهم اصبحت سلطته توازي سلطة القنصل مع ان هذه السلطة هي ابنة تلك لا غير. وكان يقام السرسور في الاصل لتعداد النفوس كما يدل عليه اللفظ نفسه «سنسور مركبة من سنس **Census** والاداة الدالة على الصاحبية والسنس هو تعداد النفوس »ومن بعد ذلك امتدت سيطرته الى اصلاح الاخلاق وتهذيب ضروب الجماعات وطبقاتها . ومن

ثم كان يشارف السوقة والبطارقة حتى اذا اخذوا بشيء وجب عليهم أن يزكوا انفسهم كلما اقتضت الحال او دعاهم السرسور ان يتبينوا ما يعزى اليهم · ولم تكن وظيفة او رتبة او منصب من مقامات الدولة الرومية الا وتخضع لسلطة السرسور او الزرزار · ومما كان يكلف به السهر على كل ما يتعلق بالمصالح العامة كالجسور والاقنية والابنية العامة والقناطر والمعابر الى غيرها · وكانت هذه السطوة او السلطة تعلو في الشعب الروماني بقدر ما كانت تنحط وتهوي في مجلس شيوخهم على انها لم تأخذ بالانحطاط الا لما دب الفساد الى الامة كلها وسرى الى الخاص منهم والعام سراً وجهراً حتى فشا في السراسرة انفسهم ولقد كان للقب الزرزار من الشرف الرفيع ما حدا بقيصر وسائر الانبراطرة ان يتسموا به و يتخذوه لانفسهم

واما في بلاد اليونان فان الزرازرة لم يفوزوا بما حظي به من النفوذ زملاؤهم الروميون فان زرازرة آثينة واسبرطة لم يقلدوا ذلك اللقب الا تقليداً ادبياً ليس الا

وقد بقي الزرزار حتى في عهد بعض جمهوريات ايطالية الاخيرة كجمهورية البندقية مثلاً ثم انقرض بانقراضها

وكان اول دخول هذا اللقب عند الرومانيين في نحو سنة ٣١٠ من تاريخ رومية اي سنة ٤٤٤ قبل الميلاد · وكان قد لاحظ مجلس رومة الاعلى ان القناصل الذين كان من دأبهم الاشتغال بتسيير الوفود العسكرية كانوا يستطيعون ايضاً ان يحافظوا على اعمال الافراد الخاصة فكان اول من ارتقى الى هذه الدرجة العليا اثنان من البطارقة على ما رواه طيطس ليفيوس

L. Papirius Mugillanus' L. Sempronius atratinus, Censui Agendo populus suffragiis Prœ fecit Censores, Abs re appellati

وكانت مدة مقامهم بادئ بدء خمس سنوات ينتخبونهم في مجالسهم الكبرى يسمون هذه المجالس مجلس القوامسة Centuriata او مجلس الزرازرة Comitia فقد قال احدهم وهو ق · اسكونيوس بديانس Q. Asconius Pedianus يعاد انتخاب الزرازرة كل خمس سنوات وهذه عبارته اللاتينية · Censores quinto quoque anno creari Solebant الا ان هذه المدة الطويلة وسوست في صدر الذين تقلدوها ما يكدر خواطر القناصل و يقلقها فقصرها الدقطاطور مامرقس اميليوس Mamercus Emilius فانزلها الى مدة ١٨ شهراً فامتعض من ذلك الزرازرة وانتقموا من صاحب هذا الاصلاح

يمحو اسمه من قبيلته وتقييده بين عداد دافعي الخراج ·

وكان من اللازم في بادئ الامر لمن يريد الحصول على هذه المرتبة العليا ان يكون المترشح لها من اصل شريف · الا ان هذا القيد لم يدم الا مائة سنة ثم عُدِل لان القناصل كانوا يؤخذون من سواد السوقة فساووا اولئك بهؤلاء · واول من أخذ من بين ظهراني الشعب هو ك · مرطيوس روتيليوس C.Marius Rutilius فانه علا وصار دقطظوراً ثم رقي فصار زرزاراً مع منليوس تثليوس Manlus Maevius ومع الزمان سنّ المدبر الاعظم او الدقطظور ق · ب · فيلون Q. P. Philon سنة ومما جاء فيها انه يجوز انتخاب السرسور من الرعية · والتاريخ يفيدنا ان ق بمبيوس Q. Pompeius وق · متلس Q. Metellus قلدا الزرزارية وهما من السوقة وذلك سنة ٦٢٢ من تأسيس رومة · ولم يكن من الضروري قبل الحرب الفونية الثانية ان يكون المترشح ممن مارس امراً من امور القضاء الاكبر ليصبح اهلاً للزرزارية بما ان طيطس ليفيوس يذكر ان پبليوس ليقينيوس كراسس Publius Licinius Crassus لم يكن الا امير ابنية édile فانتخب زرزاراً وحبراً اعظم معاً · الا انهم بعد ذلك العهد لم يعودوا يرقون الى هذه الرتبة الا من كان قنصلاً في السابق · ولم يكن يجوز لواحد ان يكون زرزاراً غير مرة واحدة في حياته ان كنت ممن وقف على ما كتبه ڤاليرس مكسيمس تتذكر انه قال عن م · روتيليوس انه من بعد ان اقيم زرزاراً للمرة الثانية وبخ الشعب توبيخاً شديداً على قلة احترامه لسنن اجدادهم اذ رأوا من المناسب تقصير مدة هذا القضاء لانهم تحققوا ان من بقي بيديه عنان هذه السلطة مدة مديدة يصبح قهاراً عسوفاً عضوضاً ومن ثم غدا انتخاب الزرزار للمرة الثانية مخالفاً لسنن السلف وقد قال بلينيوس الاصغر ان من يوسد الزرزارية للمرة الثانية عليه ان يأباها حباً بالمنفعة العامة

وكان سلاً ابطل الزرزارية الى وقت الا ان اوغسطس قيصر ازالها بتاتاً · وكان القياصرة يزاولون بانفسهم ما كان مترتباً على الزرازرة الى عهدة اسبسيانس · وبعد وفاة هذا العاهل دُثِر اثر هذا القضاء المطلق حتى لم يبق منه الا الاسم · وحاول الامبراطور دقيوس اعادته فلم يفلح · وممن اشتهر بالزرزارية « قاطو او قاطون » حتى غلب عليه لقب الزرزار وعرف به · وقد اعتمدنا فيما كتبناه على عدة أسفار لعدة كتاب من روم « اولاتين » وفرنسويين وانكليز ·

بغداد ساتسنا

رسائل الانتقاد

« تابع لما سبق »

هذا امرؤ القيس

أقدم الشعراء عصراً · ومقدمهم شعراً وذكراً · وقد اتسعت الاقوال في فضله اتساعاً لم يفز غيره بمثله حتى ان العامة تظن بل توقن ان جواد شعره لا يكبو [1] وحسام نظمه لا ينبو [2] · وهيهات من البشر الكمال · ومن الآدميين الاستواء والاعتدال · يقول في قصيدته المقدمة · ومعلقته المفخمة

ويوم دخلتُ الخدر خدر عُنيزةٍ فقالت لك الويلاتُ إنك مُرجلي

فما كان اغناه عن الاقرار بهذا وما اشك [3] غفلته عما ادركه من الوصمة به وذلك ان فيه اعداداً كثيرة النقض والبخس منها دخوله متطفلاً على من كره دخوله عليه · ومنها قول عنيزة له لك الويلات وهي قولة لا تقال الا للخسيس · ولا يقابل بها رئيس · فان احتج محتج بانها كانت أرأس منه قيل له لم يكن ذلك لان الرئيسة لا تركب بعيراً يدرج او (يمو)ت [4] اذا ازداد عليه ركوب راكب بل هو بعير فقير حقير فان احتج له بانه صبر على القول من اجل انها معشوقة قيل له وكيف يكون عاشقاً لها من يقول لها

فمثلكِ حُبلى قد طرقت ومُرضعاً فالهيتها عن ذي تمائم مُحول

وان المعروف للعاشق الانفراد بمعشوقته واطراح سواها كالقيسيين في ليلى ولبنى وغيلان بمية وجميل ببثينة وسواهم كثير · فلم يكن لها عاشقاً بل كان فاسقاً [5] · ثم اهجن هجنة

---

(١) بالاصل : يكبوا (٢) بالاصل : ينبوا (٣) كذا بالاصل ولعله يجب قراءتها اشد (٤) هنا اثر اكل ارضة افسد اللفظ (٥) قال ابو فرج قدامة بن جعفر في تأليفه (نقد الشعر) « · · · اني رأيت من يعيب امرأ القيس في قوله فمثلك حبلى (البيت) ويذكر ان هذا معنى فاحش وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلا كرداءته في ذاته · » وهذا يعارض انتقاد ابن شرف على البيت المتقدم

عليه • واستخف سخفة لعينيه • اقراره باتيان الحبلى والمرضع • فاما الحبلى فقد جبل الله النفوس على الزهد في اتيانها • والاعراض عن شانها • منها ان الحبل علة وأشبه العلل بالاستسقاء • ومع الحبل كمود اللون • وسوء الغذا • وفساد النكهة • وسوء الخلق وغير ذلك ولا يميل الى هذا من له نفس سوقي • دع نفس ملوكي • وأعجب من هذا ان البهائم كلها لا تنظر الى ذوات الحمل من اجناسها • ولا تقرب منها حتى تضع احمالها • او تفارق فصلانها • ثم لم يكفه ان يذكر الحبلى حتى افتخر بالمرضع وفيها من التلويث بأوضار رضيعها • ومن اعتزالها واشتغالها عن احكام اغتسالها • وقد اخبر ان ذا التمائم المحول متعلق بها بقوله فالهيتها عن ذي تمائم محول واخبر انها ظئر ولدها لا ظئر له ولا مرضع سواها فدل بذلك على انها حقيرة وفقيرة • ومثل هذه لا يصبو⁽¹⁾ اليها من له همة وهذه الصفات كلها تسقط قدرها نفس الصعلوك والمملوك • وقد قال ايضاً في موضع آخر من هذا الباب من قصيدة أخرى

سموتُ اليها بعد ما نام اهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت لحاك⁽²⁾ الله انك فاضحي ألست ترى السمار والناس احوالي⁽³⁾
حلفتُ لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صالي⁽⁴⁾

فاخبر ههنا انه هين القدر عند النساء وعند نفسه برضاه قولها لحاك الله لحصل على لحاك الله من هذه وتلك الويلات من تلك فشهد على نفسه انه مكروه مطرود غير مرغوب في مواصلته • ولا محروص على معاشرته • ولا مرضي بمشاكلته • ثم اخبر عن نفسه انه رضي بالحنث والفجور • وهذه اخلاق لا خلاق لها • ثم أقر في مكان آخر من شعره بما يكتمه الاحرار • ولا يتم بفضحه الا الاوضاع الاشرار فقال :

ولما دنوت تسديتها فثوباً نسيتُ وثوباً أُجرّ

واي فخر في الاقرار بالفضيحة على نفسه وعلى حبه وأين هذا من قول يعقوب الخزيمي

ولا اسأل الولدان عن وجه جارتي بعيداً ولا أرعاه وهو قريب

وانما سهل عليه كل هذا حرصه على ما كان منه وعلمه وذلك انه كان مبغضاً الى النساء جداً • مفروكاً ممن ملك عصمتها لاسباب كثيرة ذكرت • وكل من حرص على نيل شيء فنع منه فعلاً • ادعاه قولاً • وله اشباه فيما اتاه • يدعون ما ادعاه • افكاً وزورا •

(١) بالاصل يصبوا (٢) في بعض نسخ ديوان امرئ القيس : سباك عوض لحاك
(٣) بالاصل احوال (٤) بالاصل : صال

وكذباً وفجوراً . منهم الفرزدق وهو القائل

هما دلياني من ثمانين قامة كما انقض بازٍ اتم الريش كاسره

فهذا اول كذبة ولو قال من ثلثين قامة لكان كاذباً لتقاصر الارشية عن ذلك وقد قرعه جرير هذا في قوله

تدليت تزني من ثمانين قامةً وقصرت عن باع العلى والمكارم

وكان مغرماً بالزنا مدعياً فيه . وقد بلي ببوائع تصدفه عنه . منها ما شهر به من النميمة بن ساعده . والادعاء على من باعده . منها دمامته ومنها اشتهاره . والمشهور يصل الى شهوة بتبعها ريبة . فكان يكثر في شعره من ادعاء الزنا . واستدعاء النساء وهن اغلظ عليه من كبد بعير . وابغض فيه واهجى له من جرير . وخذ اطرف هؤلاء الاجناس . وهو سحيم عبد بني الحسحاس . اسيود في شملة . دنسة قملة . لا يواكله الغرثان . ولا يصاليه الصرد العريان . وهو مع ذلك يقول[1]

واقبلن من اقصى البيوت يعدنني نواهد لا يعرفن خلقاً سوائيا
يعدن مريضا هن هيجن ما به الا انما بعض العوائد دائيا
توسدني كفاً وتحنو بمعصم عليَّ وترمي رجلها من ورائيا

فانت تسمع هذا الاسود الشن وادعاءه . وتعلم ان الله لو اخلى الارض . فلم يبق رجلاً في الطول ولا في الارض . لم يكن هذا الزنمة الزلمة عند ادراك السودان الا كبعرة ببعير . في معر عير . والممنوع من الشيء حريص عليه . مدع فيه . والمعدم بابهواه . كاتم

---

(١) هو سحيم عبد بني الحسحاس بن هند شاعر مخضرم من الطبقة الاولى توفي في نصف القرن الاول للهجرة وكان اسود وكلامه فصيح الا انه قليل وغير مدون . واحسن شعره قصيدته التي اولها :

عميرة ودع ان ترحلت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وهي التي اقتبس منها ابن شرف الابيات المارة . وقد ورد منها في كتاب الاغاني (طبعة مصر ج ٢٠ ص ٥) القطعة الآتية لا غير :

تجمعن من شتى ثلاثاً واربعا وواحدة حتى كملن ثمانيا
واقبلن من اقصى الخيام يعدنني بقية ما ابقين نصلاً يمانيا
يعدن مريضاً هن هيجن داءه الا انما بعض العوائد دائيا

له مستغن ببلوغ مناه . ودليل على ذلك ان المرقش الاكبر [١] كان من اجمل الرجال وكانت للنساء فيه رغبة . وشدة محبة . وكان كثير الاجتماع بهن . والوصول اليهن وله في ذلك اخبار مروية ولم يكن في اشعاره صفة شيء من ذلك . فحسبك بذلك صحة على ما قلناه . فان قال قائل انما وصفت عن امرئ القيس عيوباً من خلقه لا في شعره قلنا هل اراد بما وصف في شعره الا الفخر . فان قال لم يرد ذلك وانما اراد اظهار عيبه قلنا ماحمق الناس اذاً هو . ولم يكن كذلك . وان قال نعم الفخر قلنا نقد نطق شعره بقدر ما اراد وتوجمر وترجم [٢] عنه قريضه باقبح الاوصاف فاي خلل من خلال الشعر اشد من الانعكاس والتناقض . وكل ما يخزي من الشعر فهو من اشد عيوبه قال ومن كلام امرئ القيس المخلخل الاركان . الضعيف الاستمكان . المتزلزل البنيان . قوله

أمرخ خيامهم ام عشر ام القلب في اثرهم منحدر

وشاقذ بين الخليط الشطر وممن اقام من الحي هر [٣]

وهر تصيد قلوب الرجال وافلت منها ابن عمرو حجر

فانت تسمع هذا الكلام الذي لا يتناسب . ولا يتواصل ولا يتقارب ولا يحصل منه معنًى ولا فائدة سوى ان السامع يدري انه يذكر فرقة من احباب لكن ذلك عن ترجمة معجمة . مضطربة منقلبة . سأل عن الخيام امرخ [٤] هي ام عشر [٥] وليست الخيام مرخاً

---

(١) المرقش الاكبر واسمه عمرو وقيل عوف بن سعيد بن مالك ينتهي نسبه لبكر بن وائل شاعر جاهلي لقب بذلك لقوله :

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الاديم قلم

وهو احد عشاق العرب المشهورين وصاحبته ابنة عمه اسماء . وكان المرقش يحسن الكتابة الحميرية كما ورد في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

(٢) كذا بالاصل — (٣) ورد هذا البيت في بعض نسخ ديوان امرئ القيس بتقديم عجز البيت على الصدر وفي بعضها بتغيير « شاقذ بين الخليط الشطر » بالمصراع الآتي : « ام الظاعنون بها في الشطر » (٤) المرخ بالفتح شجر سريع الوري يقتدح به والمرخ بالكسر الشجر اللين الرقيق (٥) العشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في اجود منه ويحشى في المخاد ويخرج من زهره وشعبه سكر وفيه مرارة . قال ابو حنيفة « والعشر من العضاه وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو وهو عريض الورق صعداً في السماء . وفي الصحاح « وثمرته نفاخة كنفاخة القثاد الاصفر » (اقرب الموارد)

ولا عشراً وانما هما عودان[1] . فان اراد في مكان هذين الخيام فقد نقض عمدة الكلام لان مرخه وعشره اتى بهما نكرتين فاشكل بذلك . وانما يجوز لو جعلها معرفة بالالف واللام والوزن لا يساعده على ذلك . ثم قال

ام القلب في اثرهم منحدر

وليس هذا السوآل من السوآل الاول في شيء الا من بعدٍ بعيد . واحتيال شديد . وقال بعد هذا

وشاقك بين الخليط والشطر ومن اقام من الحي هر

فاتى بكثير كلام لا يفيد الا قليل معنى . وذلك القليل لا غريب ولا عجيب . وهو كله ذكر فراق . ثم رجع الى ان هر فتيمة تصيد قلبه وقلب غيره فابطل باقامتها كل ما قال من اخبار الفراق ونقضه وجعل بكاءه المتقدم لغير شيء . ثم قال

وافلت منها ابن عمرو حجر

فحسن عنده ان يخبر ان الناس قد صادت هر قلوب جميعهم الا قلب حجر ابيه . وهذا من الاحاديث الركيكة والاخبار التي ما باحد حاجة اليها[2] . ومع هذا فقد اورد اصحاب الاخبار ان هر هذه كانت زوجة ابيه حجر فانظر ما في جملة هذه الابيات من الركاكات . وقلة الافادات . فانها لا تفيد قلامة . ولا تهز ثمامة . ولسنا ننكر بهذه العيوب ونزارتها . ما اقررنا له به من الفضائل وندارتها . وستجد من لا يصدق معاصراً . ولا يصدق على منقاده متأخراً . يبني على ضعف اسه . و يفديه من الجهل والعيب بنفسه . فاذا اعترضك من هذا النمط متعرض فاعرض عنه ودعه على اخلاقه . مستمتعاً بخلاقه . واتبع المسلك الذي اوضحته لك

(١) قال ابن رشيق (كتاب العمدة باب التتبيع) . . ومن اعجب التتبيع قول امريء القيس . امرخ خيامهم (البيت) يقول انزلوا نجدا الذي من نباته المرخ ام الغور الذي من نباته العشر وان الاعراب يعملون خيامكم من نبات الارض التي ينزلونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي ينزلون به . . . ولا ارى الاعراب تذكر ذلك كثيراً في اشعارها

(٢) جاء في عمدة ابن رشيق (باب الاستعارة) : فمنها قول امريء القيس وهر تصيد قلوب (البيت) . . . فكأن لفظة هر واستعارة الصيد معها مضحكة هجينة ولو ان اباه حجراً من فارات بيته ما اسف على افلاته منها هذا الاسف . . . لا على ان امرأ القيس اتى بالخطإ على جهته ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تقبحه كذكر الصيد في هذين البيتين

قال ابو الريان وفضلاء الشعراء كثير جداً ولكل مقطات · وسافقك على بعضها لعظايم المؤونة في الاحاطة بها ليس الا لاوضح بذكرها منهجاً من مناهج النقد لاحرصاً على بغض الفصحاء · ولا قصداً الى تهجين الصرحاء · واية رغبة لنا في ذلك وهم جرثومة فروعنا · وبهم افتخار جميعنا ·

قال زهير بن ابي سلمى عَلَى ما وصفناه به ووصفه غيرنا من العلو والرفعة · في هذه الصنعة · من مذهبته الحكمية · ومعلقته العلية

رأيت المنايا خبطَ عشواء من تصب تمته ومن تخطيءْ يعمر فيهرم

وقد غلط في وصفها بخبط العشواء عَلَى اننا لا نطالبه بحكم ديننا · لانه لم يكن عَلَى شرعنا · بل نطالبه بحكم العقل فنقول انما يصح قوله لو كان بعض الناس يموت وبعضهم يخجو[1] وقد علم هو وعلم العالم · حتى البهائم · ان سهام المنايا لا تخطيءْ شيئاً من الحيوان حتى يعمها رشقها فكيف يوصف بخبط العشواء رامٍ لا يقصد غرضاً من الحيوان الا اقصده حتى يستكمل رمياته · في جميع رمياته · وانما اوخل الوهم على زهير موت قوم غبطة وموت قوم هرما وظنوا طول العمر انما سببه اخطاء المنية وسبب قصره اصابتها وهيهات الصواب من ظنه لم يؤخر الهرم الا انها قصدته فحين قصدته اصابته · ولو ان الرماة تهتدي كاهتدائها · لملات ايديها باقصى رجائها

وقال زهير ايضاً في مذهبته

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وقد تجاوز هذا الحق الباطل وبنى قولا ينقضه جريان العادة · وشهادة المشاهدة · وذلك ان الظلم وعرة مراكبه · مذمومة عواقبه · في جاهليته واسلامنا · فحرض في شعره عليه وان كان انما اشار في شعره الى ان الظالم يرهب فلا يظلم فهذا قياس ينفسد واصل ليس بطرد لكن يرهبه من هو اضعف منه وربما انتقم منه بالحيلة والمكيدة وقد يظلم الظالم من يغلبه فيكون ذلك سبب هلاكه مع قباحة السمة بالظلم والمثل انما يضرب بما لا يخرم وقد كانت له مندوحة واتساع في ان يقول يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم فهذا اصح واسلم لمن لا يظلم و يظلم

قال ابو الريان وقال زهير ايضاً وهو من اطيب شعره واملحه عند العامة وكثير من الخاصة فها هنا تحفظ وتأمل ولا يهلك ذلك منهم الحق الابلج قال

(١) بالاصل يخجوا

تراه اذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي انت سائله (١)

مدح بها شريفاً اي شريف فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيئاً من عرض الدنيا اليه وليس من صفات النفوس العارفة السامية والهمم الشريفة العالية اظهار السرور الى ان تهلل وجوههم وتسر نفوسهم بهبة الواهب ولا شدة الابتهاج بعطية المعطي بل ذلك عندهم سقوط همة وصغر نفس وكثير من ذوي النفوس النفيسة والاخلاق الرئيسة لا يظهر السرور متى رزق مالاً عفواً بلا منة منيل ولا بد معط مستطيل لانه عند نفسه اكبر منه ولان قدر المال يقصر عنه فكيف الله يمدح ملك كبير كثير القدر عظيم الفخر بانه يتهلل وجهه ويمتلئ سروراً قلبه اذا اعطى سائله مالاً هذا نقض البناء ومحض الهجاء والفضلاء يفخرون بضد هذا قال بعضهم

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جزع من صرفه المتقلب

وانما غر زهيراً وغر المستحسن بيته هذا ما جبلوا عليه من حب العطاء وما جرت به عاداتهم من الرغبة في الهبات والاستجداء وليس كل الهمم تستحسن ذلك ولا كل الطباع تسلك هذه المسالك

قال ابو الريان وقال زهير ايضاً يمدح سادة من الناس فذمهم بانواع الذم واكثر الناس عَلَى استحسان ما قال بل اظن كلهم عَلَى ذلك وهو قوله

عَلَى مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل (٢)

فاول ما ذمهم به اخباره ان فيهم مكثرين ومقلين فلو كان مكثروهم كرماء لبذلوا لمقليهم الاموال حتى يستووا في الحال ويشبهوا في الكرم والحال الذين قال فيهم حسان

المحقبين فقيرهم بغنيهم والمشفقين عَلَى اليتيم المرمل (٣)

(١) البيت من قصيدة طويلة مدح بها حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري واولها:

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله

(٢) البيت من القصيدة التي مدح بها سنان بن ابي حارثة المري ومطلعها:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو واقفر من سلمى التعانيق فالثقل

(٣) جاء هذا البيت في ديوان حسان بن ثابت (طبعة تونس سنة ١٢٨١ ص ٧٢) عَلَى الصورة التالية:

والخالطون فقيرهم بغنيهم والمنعمون عَلَى الضعيف المرمل

المرمل القليل المال وارمل الرجل اذا قل زاده وكما قال غيره

الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يعود فقيرهم كالكافي

وكما قالت الخرنق [١]

الخالطين لجينهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر

فهذا كله وابيك غاية المدح النقي من القدح ثم استمع ما في هذا البيت سوى هذا من الخلل والزلل قال

عَلَى مكثريهم حق [٢] من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ففي هذا القسم الاول عيوب على المكثرين · منها انهم ضيعوا القريب كما قدمنا ودعوا حق الغريب وصلة الرحم اولى ما بدئ به ومن مكارم العرب حميتها لذوي انسابها وذبها عن احسابها والاقرب فالاقرب وما فضل عن ذلك فللأبعد ثم اخبر ان المكثرين ليس يسمحون باكثر من الاستحقاق في قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم

ومن اعطى الحق فانما انصف ولم ينفضل بما وراء الانصاف والزيادة عَلَى الانصاف امدح ثم اخبر في البيت ان المقلين على قدر قصور ايديهم اكرم طباعاً من مكثريهم عَلَى قدرهم في قوله

وعند المقلين السماحة والبذل

والبذل مع الاقلال مدح عظيم وايثار والسماحة اعطاء غير اللازم فمدح بشعره هذا من لا يحظى منه بطائل · وذم الذين يرجو [٣] منهم جزيل النائل وهذا غاية الغلط في الاختيار وفي ترتيب الاشعار ولزهير غير هذا من السقطات لولا كلفة الاستقصاء هذا عَلَى اشتهاره بانه امدح الشعراء واجزل الوافدين عَلَى الاشراف والامراء وسيتعامى المتعصب له عن وضوح هذا البيان وسينكر جميع هذا البرهان ويجمل التفتيش عن غوامض الخطاء والصواب استقصاء وظلما ومطالبة وهضما وزعم ان جميع الشعر لوطلب هذه المطالبة لبطل صحيحه وانعجم فصيحه والباطل الذي زعم والمحال الذي به تكلم فالسليم سليم والكليم كليم وانما سمع المسكين ان املح الشعر ما قلت عباراته ·

(١) هي الخرنق بنت بدر بن هفان اخت طرفة بن العبد لامه وكانت شاعرة جاهلية جليلة توفيت قبل الاسلام بنحو سبعين سنة (٢) في عدة نسخ من ديوان زهير ورد لفظ رزق بدل حق (٣) بالاصل يرجوا

وفهمت اشاراته ولحت لحه، ولمحت ملحه ورققت حقائقه وحققت رقائقه واستغني فيه بلمحه الدالة عن الدلائل المتطاولة وامثال هذا الكلام في استعمال النظام فتوهم ان خلل الشعر وزلله وضعف اركانه وتناقض بنيانه وانقلاب لفظه لغواً وانعكاس مدحه هجواً داخل فيما قدمنا من الاوصاف المستحسنة من لمح اشاراته وملح عباراته فعامل هذا الصنف بعطفك عنهم للعطف ورفعك عليهم الانف واعرض عنهم بالفكر والذكر كبراً وان لم تكن من اهل الكبر وفيما اطلعتك عليه من شعر هذين المحابين والمتقدمين القديمين ما يغني عن التفتيش عَلَى سقطات سواهما فقس عَلَى ما لم تره بما ترى واعلم ان كل الصيد في جنب الفرا[1] . قال ابو الريان ومن عيوب الشعر اللحن الذي لا تسعه فسحة العربية كقول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال الا مسحتاً او مجلف

فرفع مجلفاً وحقه النصب وقد تحيل له بعض النحويين بكلام كالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وكقول جرير الخطفي

ولو ولدت قفيرة جرو كلب   لسب بذلك الجرو الكلابا

فنصب الكلاب بغير ناصب وقد تحيل ايضاً بعض النحويين عَلَى وجه الاقفاء احسن منه فاحذر هذا ومثله واياك وما يعتذر منه بفسيح من العذر فكيف بضيق ضنك . قال ومما يعاب به الشعر و يستهجنه النقد خشونة حروف الكلمة كقول جرير

وتقول بوزع قد دببت عَلَى العصا   هلا هزئت بغيرنا يا بوزع[2]

وهذا البيت في قصيدة من احلى قصائد جرير واملحها واجزلها وافصحها . فثقلت القصيدة كلها بهذه اللفظة وللفرزدق ايضاً لفظات خشنة الحروف كهذه تجدها في شعره قال و يكره النقاد تعقيد الكلام في الشعر وتقديم آخره وتأخير اوله كقول الفرزدق

---

(١) هكذا بالاصل والمثل المشهور انما « كل الصيد في جوف الفرا » كما ورد في الحديث الشريف وقد نظمه بعضهم في قوله

كل الصيد في جوف الفرا   مثل يساق بغير خلاف

(٢) البيت من قصيدة في مدح بعض بني امية قيل لما وصل جرير في انشاده الى هذا البيت قال له الامير الممدوح — افسدتها ببوزع

وما مثله في الناس الا مملكاً ابو امة حي ابوه يقاربه[1]

يمدح به ابراهيم بن هشام المخزومي وهو خال هشام بن عبد الملك فمعنى هذا الكلام ان ابراهيم بن هشام ما مثله في الناس حي الا مملك يعني هشاماً ابو امه اي جد هشام لامه ابو ابراهيم هذا الممدوح فهو خاله اخو امه فهو يشبهه في الناس لا غير وهذا غاية التعقيد والتنكيد وليس تحته شيء سوى انه شريف كابن اخته شريف البقية للآتي

ترجمة قانون الجمعيات

— و —

شرح المغمض منه

لو فتحنا قلب البشر بسكين نفوذ النظر لوجدنا في كل قلب (غاية) ولو راجعنا التاريخ من الخليقة الى اليوم لتمثلت لنا الغايات وهي لم تخرج من الفكر الى حيز الوجود الا بالاتحاد والاجتماع ولو حللنا ارواح العالم الذي يحولنا من عرب وترك والمان وروس وانكليز الخ لوجدنا ان اجتماعهم واتحادهم وتعاونهم لا يخلو من امرين : اما خيري واما شري . ولو نظرنا بمنظار الدقة الى الحادثات الروحية لوجدنا ايضاً ان كل خير وشر هو نسبي لا قطعي ومتحول ومتبدل بحسب الزمان والمكان . الخير لزيد شر لبكر . وهكذا كل الموجودات . والكائنات مجردة او مادية او حسية او خيالية او عقلية

فلمثل هذه الاسباب ربطت جميع الحكومات[2] المتمدنة الاجتماع والاتحاد بقوانين

(١) في رواية يقاربه بدل يناسبه وقال صاحب كتاب الصناعتين البيت في مدح هشام بن اسماعيل

(٢) كلمة حكومة تتضمن مفهوم كلمة دولة . اذا قيل دولة يقصد منها (١) الملك (٢) مجلس الوكلاء (٣) مجلس النواب (٤) مجلس الاعيان . واما كلمة حكومة فهي مختصرة اكثر لانها لا تفيد الا مجلس الوكلاء بالاستانة ونوابه في الولايات وهذا المجلس مؤلف من اثني عشر رجلاً وهم الصدر الاعظم وهو الرئيس (٢) شيخ الاسلام (٣) ناظر الاوقاف (٤) ناظر العدلية (٥) المالية (٦) الداخلية (٧) الخارجية (٨) الحربية (٩) البحرية (١٠) التجارة والنافعة (١١) المعارف (١٢) مستشار الصدارة . ويقال لمجموع هذا المجلس عند علماء اصول الادارة القوة الاجرائية . ثم هناك فرق آخر بين مفهوم كلمة دولة ومدلول

خاصة مثل قانون الجمعيات وقانون الجماعات · وقانون التجارة وكتاب الشركة من قانون المجلة

نعم كل القوانين تبحث عما يتولد من الاجتماع والاتحاد لان موضوعها كناية عن المعاملات وهذه لا تكون بين فرد واحد مطلقاً بل على الاقل بين شخصين

اذاً يمكن تقسيم القوانين التي تبحث عن الاجتماعات الى قسمين الاول ما يبحث عن المعاملات المعتادة والمتكررة مثل قانون مجلة الاحكام العدلية ومنها ما يبحث عن اجتماع قسم خاص من الخلق ولكنه ايضاً كالاول معتاد مثل قانوني التجارة البري والبحري وقلما يتولد من هذا القسم ما يكدر الراحة العامة ولذلك لا تجد لموظفي الادارة الملكية به علاقة مباشرة اما القسم الثاني فهو يبحث عن الاجتماعات التي لا تكون معتادة ومتكررة وقد يمكن ان تكون في بعض الاحايين من الامور العظيمة والمخلة بالامن العام مثل الاجتماعات التي تقع لاجل الاحتجاج على عمل من اعمال الحكومة · ولهذا وضع قانون الاجتماعات دفعاً لكل محظور · ثم هناك اجتماعات منظمة ومتكررة لا تحصل امر مقرر عند المجتمعين ولما كان من الممكن ان يكون هذا الاجتماع مغايراً لسياسة الحكومة ربطته ايضاً بقانون وسمته قانون الجمعيات · وهو غير قانون الاجتماع

* * *

أعتقد اعتقاداً جازماً بان هذا التذبذب الاداري المشهود الآن ناشئ من امرين الاول عدم حصول ملكة الادارة عند رجال الادارة والثاني جهل الشعب حقوقه وواجباته · وبعد فان القانون عبارة عن مجموعة عادات راسخة في الاذهان ولذلك لا تقبل الحكومات الاعتذار بجهله ولكن ذلك فيما اذا كان هذا القانون مجموعة عادات الامة المكلفة بتطبيقه لا مجموعة عادات امة اخرى لا تستطيع ان تفهمه فضلاً عن تطبيقه · ولو فرضنا الشعب شخصاً واردنا الباسه لباس شخص آخر لما امكنه اكتساؤه ولظهر لاول وهلة بشاعة هذا اللباس المادي · وهكذا القوانين التي لا توافق مزاج الامة

كلمة حكومة وهو ان معنى الدولة اعم من معنى الحكومة مثال يقال ان الحكومة العثمانية والدولة العثمانية ولكنه لا يقال دولة دمشق بل يقال حكومة دمشق · وخلاصة اسباب ذلك ان معنى الحكومة الحاكمية الداخلية ومعنى دولة الحاكمية الداخلية والخارجية · ودمشق لا يوجد لها حاكمية خارجية وهل يوجد لها سفير يمثل حاكميتها الخارجية ؟ فلذلك كلمة دولة اعم من كلمة حكومة

فمن فقدان ملكة الادارة واشباع الذهن بوجوب التفرنج ونفرة الامة من هذا الحال وجهلها القانون تظهر شرارة الاختلاف وحينئذ ينسى الموظف الخدمة العامة ويصبح آلة انتقام لمن يعاكسه والامة ايضاً تقابله وهناك ما هناك والعياذ بالله

فلازالة هذه الحال ارى الحاجة ماسة كل المساس لترجمة القوانين للعربية حتى تكون امتنا عارفة حقوقها مراعية واجباتها · ولما كانت الترجمة وحدها لا تكفي بالنظر لان القوانين تكون مختصرة في الاغلب ومبنية على نظريات العلماء ومستندة على القوانين الاخرى ارتأيت ان اشرح ما اظنه محتاجاً للشرح · اقدمه لقراء المقتبس الشهر بعد الشهر

***

المادة الاولى الجمعية هي كناية عن اشخاص عديدين وحدوا معلوماتهم ومساعيهم لوقت غير محدود لاستحصال مقصد معلوم غير مقاسمة الارباح

ايضاح — لو كان القصد من توحيد المساعي استحصال الربح لقيل للجمعيتين وقتئذ شركة عوضاً عن جمعية

ثم معنى (لوقت غير محدود) كما هو مذكور في ضمن المادة هو لتفريق الجمعية عن الاجتماع · لان هذا يحصل بغتة و يزول سريعاً · سواء كان مرتباً او غير مرتب اما الجمعية فهي اتفاق اشخاص عديدين بصورة الترتيب ولوقت غير محدود لاستحصال امر معلوم · وقصارى القول ان الاجتماع يقع لامر وقتي مثل الاحتجاج على عمل ما اوالقاء محاضرة و ينتهي عند انتهاء الاحتجاج او اتمام القاء المحاضرة · و يكون مرة واحدة · اما الجمعية فاجتماعاتها تدوم وتتكرر

وقد مر في المتن كلمة (اشخاص عديدين) بدون تعيين العدد المطلوب · وهذه مسألة مهمة · والاغرب ان القانون ساكت عنها كل السكوت · والغالب انه تركها لاجتهاد مأموري الادارة · فلذلك نتحرى اقوال علماء اصول الادارة الملكية والاوامر التي تصدر من مراجعها ودلالة القوانين الاخرى

يقول بعضهم ان اجتماع ثلاثة اشخاص بدون اعلام الحكومة ممنوع و بعضهم يقول يجب ان يكون العدد تسعة و بعضهم يقول احد عشر والكل متفق على ان الحد الاعظم هو العشرون · و بعضهم يقول ان الحرس يتألف غالباً من شرطي وثلاثة انفار درك وهؤلاء لا يقدرون على تفريق اكثر من ستة عشر شخصاً بالصورة الجبرية فلذلك يجب ان

يكون الحد الاعظم الممنوع قانوناً ستة عشر وما زاد فهو ممنوع ومجلبة للجزاء

اما الاوامر فهي ضيقة جداً لانها تعين الحد الممنوع باجتماع عشرة اشخاص حتى ان الورقة المختومة باحد عشر ختماً ترد ولا تقبل

واما دلالة القوانين الحاضرة فتدل على ان حد الاجتماع ثلاثة اشخاص · وهذه المادة الاولى من قانون تعطيل الاشغال تقول اذا حصل اختلاف بين العملة وصاحب المشروع المالي فينتخب العملة من بينهم ثلاثة اشخاص للوكالة عنهم كلهم · وهذا يدل على انه لو انتخب العملة اكثر من ذلك لما جاز اجتماعهم استناداً على المادة السادسة من قانون الجمعيات · والمادة الثالثة من قانون الجماعات · وهناك دلالة اخرى ايضاً وهي كذلك مستفادة من قانون تعطيل الاشغال وصراحة مادته الثالثة وهي : ما دام العملة ينتخبون ثلاثة وكلاء وصاحب العمل ينتخب ثلاثة من قبله ونظارة النافعة تعين واحداً لرئاستهم اذاً يستنتج بان حد عدد الاجتماع هو سبعة اشخاص

ويا ليت واضع القانون عين هذا العدد واراحنا من هذه الظنون · وسد لنا باب هذا الاختلاف الذي ربما قامت القيامة بولاية جماء من اجله ! كما نرى بان الاختلافات تنشأ من اقل الامور تفاهة ثم تنمو وتكبر

سألت مرة متصرفاً عالماً ومدققاً اسمه جمال بك عن قصد واضع القانون من هذا السكوت وترك هذا الامر المهم مبهماً فقال لي ان القصد من ذلك هو افتراض واضع القانون بان مأموري الادارة اذكياء بعيدو النظر سريعو الانتقال ولذلك لم يرد تقييدهم بل ترك الامر لفراستهم وهل تستطيع ان تنكر علي بانه قد يمكن ان يتولد من اجتماع ثلاثة اشخاص من ارباب النفوذ المزورين الذين لا يخجلون وديدنهم ظلم الفقير وتلويث سمعة الشريف اضرار اكثر من اجتماع ثلاثمائة شخص آخرين ولهذا السبب ترك واضع القانون هذا الامر بدون تحديد حتى يتسنى لمأمور الادارة الضرب على امثال هؤلاء الشياطين

المادة الثانية ليس تأليف الجمعيات متوقفاً على استحصال رخصة من الحكومة الا انه يجب اخبار الحكومة عقب تأسيس الجمعية وفقاً للمادة السادسة

ايضاح — ليس في هذا الكون شيء بلا مبدإ ومنتهى مطلقاً وهذا المبدأ والغاية يسمى حداً لما بينهما · نعم للافراد الحرية بتأليف الجمعيات الا ان لهذه الحرية حداً وهو

عدم الاتفاق على شيء يخل بالراحة العامة اومايعاكس سياسة (١) الحكومة (٢) وادارتها (٣) . فلهذا يجب اخبار الحكومة عقب تأسيس الجمعية بتأليفها كما سيأتي في المادة السادسة من هذا القانون

مر في المتن انه يجب اخبار الحكومة عقب تأسيس الجمعية على كل حال ولكن القانون لم يعين هذه المدة ايضاً بل تركها لاجتهاد مأموري الادارة واما العلماء فيعينون لهذا الاخبار مدة اسبوع . وبعضهم مدة اربع وعشرين ساعة . وبعضهم قال بوجوب الاخبار حين افتراق الاعضاء وختام المذاكرة وهذا هو الصحيح دفعاً لكل طارىء وهو اقرب لمآل هذا القانون وانفع لمؤسسي الجمعية . لان المادة السادسة من قانون الجمعيات تقول انه يجب اخبار موظفي الادارة الملكية بمجرد التأسيس لها ثم سرعة الاخبار اوفق لمصلحة المؤسسين للجمعية اذ لو فرضنا بان الجمعية تألفت يوم الجمعة واعطي القرار بالاخبار عنها يوم الاحد واستدل البوليس على وجودها يوم السبت لجاز له منعها وجوزي المؤسسون بالجزاء المدرج في المادة الثانية عشرة من هذا القانون استناداً على دلالة المادة السادسة

مر بالمتن ان تأليف الجمعية لا يتوقف على اخذ رخصة الخ ومعنى هذا ان مأموري الادارة الملكية مضطرون ان يرخصوا بتأليف اي جمعية كانت خلا ماهو مذكور في المادة الثالثة والرابعة والخامسة . اذاً هذا الاخبار المطلوب بمقتضى المادة السادسة لا يتضمن الاستئذان بل لاجل التنبيه فقط . وبمجرد الاخبار يعطى للمخبر علم وخبر بموجب المادة المذكورة وهذا اجباري . وهذا يتضمن الاعتراف بوجود الجمعية ولا يسوغ لمأموري الادارة التعلل باعطاء هذا العلم والخبر

المادة الثالثة ممنوع تأليف الجمعيات التي تكون مبنية على اساس غير مشروع مغايرة لاحكام القوانين الموضوعة وللآداب العامة او مؤسسة على اساس الاخلال بحدود

(١) السياسة معاملة الحكومة مع الدول الاجنبية او معاملاتها داخلاً التي لها علاقة مع تبعة الدول الاخرى او مجموع التدابير ولو كانت داخلية صرفة لها مساس بمستقبل الامة

(٢) اذا قيل حكومة يجب ان يخطر على البال مأمورو الادارة الملكية وهم الصدر الاعظم وناظر الداخلية والولاة والمتصرفون والقائمقامون والمديرون والمختارون ومجلس الوكلاء

(٣) كلمة ادارة تشمل معاملات الحكومة الداخلية وهي اقل شمولاً من كلمة سياسة لان هذه تشمل الاجانب والوطنيين بعكس الادارة فانها خاصة بالتبعة الوطنيين

الدولة الملكية او تغيير شكل الادارة الحاضرة اوتفريق العناصر العثمانية سياسياً وتحتوي هذه المادة على قيود ستة واليك تشريحها :

ايضاح — منع القانون تأسيس الجمعيات القائمة على اسس ستة . واباح جميع مقاصد الجمعيات التي هي غير داخلة ضمن هذه الستة الانواع

اولاً مغايرة احكام القوانين : الارض التي لا تزرع ثلاث سنين تعد محلولة وتؤخذ من المتصرف بها ما لم يدفع بدل المثل فان دفع فيها وان لم يدفع فتباع بالمزاد من غيره بموجب المادة الثامنة والستين من قانون الاراضي فلواراد اناس تأليف جمعية لاجل منع هذا الحكم القانوني فلا يسوغ لهم تأليف جمعية لهذا المقصد . وحينئذ لا يأخذون علماً وخبراً من مأمور الادارة الملكية وان أسسوها فتمنع وفقاً للمادة الثانية عشرة من قانون الجمعيات

ثانياً مخالفة الآداب العامة — لا يعطى علم وخبر بموجب المادة السادسة لمؤسسي جمعية تود ترويج عادة جلوس النساء في محال القهوة . لان آدابنا الاسلامية لا تسمح بذلك وامثاله

ثالثاً العبث بحدود الدولة هذا شيء مفهوم وغني عن الايضاح

رابعاً الاخلال بالامن العام ولو بالواسطة :الطلاق عندنا شرعاً جائز فلو فرضنا انه تألفت جمعية لمنعه لاقتضى منعها لان مثل هذه الاعمال تؤدي الى كسر خاطر المسلمين و بالنتيجة ربما تؤدي لما لا تحمد عقباه . فاذا ادى تأليف الجمعية والحالة هذه لاخلال الامن العام مباشرة او بالواسطة فهو بالحكم سيان في نظر مأموري الادارة

خامساً تغيير شكل الحكومة الحاضرة : وهذا ايضاً ممنوع لانه ليس من خصائص الجمعيات بل من خصائص المجلسين

سادساً تفريق العناصر : وهذا ايضاً ممنوع وغني عن التشريح

المادة الرابعة :ممنوع تأليف الجمعيات السياسية المؤسسة على اساس القومية والمعنونة بعنوان الجنسية

ايضاح -- الكلام هنا من شأن المبعوثين ولذلك امرٌ به بدون ان انظر فيه

المادة الخامسة يجب ان لا تكون سن من يود الالتحاق باحدى الجمعيات اقل من عشرين عاماً وان لا يكون محكوماً عليه بجناية او محروماً من الحقوق المدنية

ايضاح — هذه المادة تبحث عن شروط من يود ان يكون عضواً لاحدى الجمعيات وهي ثلاثة :

الشرط الثاني — ن لا يكون محكوماً عليه بجناية والقصد من هذا الشرط الترهيب من الافعال الجنائية لان القوانين هي كناية عن ناظم للاخلاق والجناية هي الحبس في الكورك موقتاً او مؤبداً والحبس في احدى القلاع والنفي المؤبد والحرمان من المأموريات والسقوط من الحقوق المدنية

الشرط الثالث — وضعت ايضاً لقصد السالف الذكر والحقوق المدنية كناية عن (١) الحرمان من الاستخدام في الحكومة (٢) ان يكون محروماً من الحقوق البلدية مثل عدم استخدامه بامر رسمي في بلده او عدم ملته او عند ابناء صنعته «٣» ان لا يكون معلماً «٤» ان لا يستخدم في تحقيق امر من الامور «٥» ان لا تقبل له شهادة «٦» ن لا يكون وصياً «٧» ان لا يحمل السلاح . وهذا بموجب المادة الثالثة والحادية والثلاثين من قانون الجزاء

الشرط الاول — هذا داري خوفاً من ان تكون الجمعيات مجمع اولاد .

المادة السادسة تأليف جمعيات خفية ممنوع ممنوع قطعاً . وعند تأسيس جمعية من نوعها يجب في الحال اعطاء بيان لناظر الداخلية في فروق ولاكبر مأمور ملكي خارجها محتوياً على عنوان الجمعية ومقصدها وعلى مركز ادارتها واسم المكلفين بادارتها ومهنهم وشهرتهم ومحال اقامتهم ويجب ان يكون هذا البيان مختوماً وممضياً . وحينئذ يعطى علم وخبر بمقابل هذا البيان . ولا بد من ربط نسختين مختومتين بختم الجمعية الرسمي لهذا البيان ثم بعد اخذ العلم والخبر يعلن مؤسسو الجمعية وجودها ويجب على الجمعيات اخبار الحكومة عن التعديلات التي يجرونها بنظامها الاساسي اوفيما يتعلق بهيئة ادارتها اومحل اقامتها واما حكم التبديلات والتعديلات تجاه شخص ثالث فهو معتبر من يوم الاخبار بهذه التبديلات والتعديلات للحكومة ويجب قيد هذه التعديلات والتبديلات في سجل خاص لابرازه عند كل طلب يقع من مأموري العدلية والملكية

ايضاح — الجمعية الخفية هي التي ليس معها علم وخبر من مأمور الادارة سواء كان في الاستانة او في الولايات لان القسطنطينية ايضاً صحت اليوم ولاية كسائر الولايات . ولها وال يقوم مقام ناظر الداخلية

يجب ان يحتوي البيان اولا على عنوان الجمعية لنفوذ حكم المادة الرابعة . وثانياً على مقصدها وهذا لاجل مراعاة المادة الثالثة . وثالثاً على مركز ادارتها وهذا لاجل التفتيش وفقاً لحكم المادة الثامنة عشرة ورابعاً على اسم الاعضاء وصنعتهم ومحل اقامتهم

وهذا ايضاً لمراقبة احوالهم ولتنفيذ احكام المادة السادسة والثانية اي مراقبة الحكومة لكل ما يجري بداخل المملكة وخاصاً على نسختين من نظامها الاساسي لتبقى واحدة عند مأمور الادارة والاخرى عند مأموري الشرطة . والعلم والخبر لاجل دفع الشبهة بانها جمعية خفية .

المادة السابعة يجب ان يكون لكل جمعية هيئة ادارة مؤلفة من شخصين على الاقل واذا كان لها شعب ينبغي ان تكون لها هيئة ادارة في مركز كل واحدة منها . ثم يقتضي مسك دفتر عند كل هيئة لاجل قيد (١) هوية اعضاء الجمعية وتاريخ دخولهم اليها « ٢ » مقررات هيئة الادارة ومفاوضاتهم وتبليغاتهم « ٣ » وقيد واردات الجمعية ونفقاتها بحسب الافراد . ويقتضي ابراز هذا الدفتر لمأموري العدلية والملكية عند كل طلب

المادة الثامنة للجمعية التي تتألف وفقاً للمادة السادسة الحضور للمحاكم بصفة مدعي ومدعى عليه بالواسطة « راجع المادة التاسعة » واما واردات الجمعيات فهي بقطع النظر عما تمدها به الحكومة اولاً كناية عن الحصة النقدية التي يدفعها الاعضاء المشروط عدم تجاوزها الاربعة والعشرين ليرة سنوياً ثانياً المحل الخاص بادارة الجمعية واجتماع اعضائها ثالثاً بمقدار ما يلزمها من الاموال غير المنقولة لاجل مقصدها وعملها هذا يجب ان يكون وفقاً للنظامات الخاصة بمثل هذه المسائل وممنوع عمل الجمعيات بالاموال غير المنقولة عدا ما ذكر

ايضاح — كل حرف من هذه المادة مبني على قصد اداري وسياسي بعيد بآن واحد ولا تسمح لي حالتي الجهر به الآن

المادة التاسعة ينوب عن الجمعية في المجالس والمحاكم كاتبها العام او مديرها ومراجعتهما هذه ينبغي ان تكون تحت تواقيعهم وباستدعاء عليه طابع ثم يجب تعيين هوية مثل هؤلاء الاشخاص في نظام الجمعية الاساسي

ايضاح — ذكر في المادة السادسة انه يقدم للحكومة نسختان من النظام الاساسي فاذا كان هذا المدير او الكاتب غير مستوف للشروط اللازمة والمذكورة في المادة الخامسة يرد ولا يقبل

المادة العاشرة يسوغ لاعضاء الجمعيات الانسحاب منها في كل وقت شاؤوا ولو كان عكس ذلك مشروطاً في نظامها الاساسي بشرط ان يكون المنسحب ادى جميع ما عليه

من التقاسيط ولا سيما تقاسيط السنة الحالية

ايضاح — لو فرضنا جمعية ذا نظام يحتوي على مادة تنبئ بعدم جواز انسحاب لاعضاء منها حتى الممات واراد احد اعضائها الانسحاب منها جاز له ذلك لان هذا الشرط لغو بموجب هذه المادة ولكنه من المحتم عليه دفع ما تعهد به بتلك السنة

المادة الحادية عشرة ممنوع ادخال الاسلحة النارية والجارحة لمحل اجتماع الجمعيات وحفظها فيها ومع هذا يجوز وجود بعض اسلحة الصيد والسيوف الصغيرة لاجل التعليم بشرط ان يكون للضابطة خبر بذلك

المادة الثانية عشرة الجمعيات التي لم تؤلف وفقاً للمادة الثانية والسادسة ولم تقدم بياناً للحكومة لاجل الاخبار والاعلان تمنع ويجازى مؤسسوها وهيئة ادارتها وصاحب محل الاجتماع ومستأجره بالتغريم من خمس ليرات الى خمسة وعشرين ليرة · واما اذا كانت هذه الجمعيات مؤلفة لاجل المواد المضرة والممنوعة والمدرجة في المادة الثالثة والمصرح بجزائها في قانون الجزاء فيكون الجزاء حينئذ وفقاً لذلك القانون ·

ايضاح — كل جمعية ليس بها علم وخبر من الحكومة فهي خفية لان اعلان وجود الجمعية لا يجوز قبل اخذ العلم والخبر الذي يعطى بمقابلة البيان المتضمن تفصيل احوال الجمعية ومقاصدها اذ بمجرد الاستعلام عن مثل هذه الجمعية يشرع رجال الشرطة بمراقبتها وعند ما يتحققون وجودها تمنع ومعنى المنع هو الاخطار اولا بالكلام ثم الجبر على كل حال اي يمنع البوليس الداخلين اليها فان امتنعوا فيها ونعمت وان لم يصغوا اليه فيمنعهم بالقوة فان قابلوه بالضرب يقابلهم وان شهروا السلاح فيشهر هو السلاح ايضاً والحاصل معنى المنع رفع الفعل المنهي عنه قانوناً على كل حال ولو ادى لازهاق الارواح · والبوليس غير مسؤول عن عمده الى القوة في الحظر · وقد ذكر جزاء المواد المدرجة في المادة الثالثة من هذا القانون في الفصل الاول والثاني من قانون الجزاء · فمن اراد الوقوف عليه فليراجعه هناك · وهذا الجزاء المدرج في هذين الفصلين من قبيل الجنايات ·

اما الجزاء النقدي المدرج في متن هذه المادة فهو خاص بالجمعيات التي يكون مقصدها مباحاً وحسناً والسبب في ذلك التهاون الواقع بعدم اخبار الحكومة وفقاً للمادة السادسة فاذا لم يقدم للحكومة بيان يتضمن كيفية تأسيس الجمعية فالجزاء محقق سواء كان القصد مشروعاً او غير مشروع الا ان هناك فرقاً مهماً وهو ان كان القصد

حسناً فالجزاء نقدي خفيف وان كان سيئاً فالجزاء جسماني وشديد

المادة الثالثة عشرة من يخالف احكام المادة السادسة عدا ما يتعلق باعلان الجمعية والاخبار بها واحكام المادة الرابعة والخامسة والسابعة والتاسعة يغرم بجزاء نقدي من ليرتين الى عشرة واذا تكرر الحال فيجازى بضعفي الجزاء ومن يبقي الجمعية التي منعت طبقاً للمادة الثانية عشرة او يؤسسها و يديرها مجدداً يجازى بالتغريم من عشر ليرات الى خمسين و بالحبس من شهرين الى سنة وهكذا من يقدم محلا لاجتماع اعضاء الجمعيات الممنوعة يجازى بنفس الجزاء

ايضاح — تشرح هذه المادة الجزاء الخاص بمن يخالف بعض مواد هذا القانون اما من يخالف مندرجات المادة السادسة التي تبحث عن كيفية الاخبار بالجمعية والاعلان عنها فجزاؤه مصرح به في المادة الثانية عشرة واما من لم يخبر الحكومة بالتعديلات والتبديلات التي تجريها الجمعية وفقاً للفقرة الاخيرة من المادة السادسة او من لم يقيد هذه التعديلات والتبديلات في سجل مخصوص او من يمتنع عن ابراز هذا الدفتر لمأموري العدلية والملكية فيجازى بحسب هذه المادة الثالثة عشرة . وهذا هو معنى القيد المدرج في المتن اي (ما عدا ما يتعلق بالاخبار عن الجمعية) وما سوى هذا فهو يستلزم الجزاء بموجب المادة الثانية عشرة لا بموجب هذه المادة

واما مخالفة المادة الخامسة والرابعة والسابعة والتاسعة فيكون بموجب هذه المادة

تنبيه : هذا بعد ان يفرقهم البوليس يجازون بهذا الجزاء . واما ان خالفوا البوليس واصروا على عدم التفريق فيجازون بجزاء من يخالف اوامر الحكومة والبوليس معذور باستعمال جميع انواع القوة

المادة الرابعة عشرة اذا انفسخ عقد جمعية برضى اعضائها واختيارهم او انفسخت بموجب نظامها الاساسي او منعتها الحكومة فتعطي اموالها الى من تقرره هيئة الجمعية العامة فيما اذا لم يكن في نظامها الاساسي صراحة بذلك . واما ان وجدت صراحة تعرف كيفية تقسيم الاموال فيعمل بموجب هذه الصراحة . واما اذا كانت الجمعية منعت بالنظر لموافقة قصدها لمندرجات المادة الثالثة فتصادر الحكومة اموالها

المادة الخامسة عشرة الاندية تعد جمعيات

ايضاح — يجب على كل ناد ان يوفق جميع اعماله على هذا القانون

المادة السادسة عشرة اعتباراً من تاريخ اعلان هذا القانون يجب على كل جمعية

ان تعطي للحكومة بياناً وان تعلن وجودها في خلال شهرين وفقاً للمادة الثانية والسادسة

ايضاح — نشر هذا القانون في ٣ آب سنة ٣٢٥ اذاً فاعتباراً من ٣ تشرين الاول عام ١٣٢٥ تجازى كل جمعية ليس معها علم وخبر من الحكومة وفقاً للمادة السادسة وتعد خفية وممنوعة وذلك بموجب المادة الثانية عشرة

المادة السابعة عشرة لا تعتبر الجمعيات خادمة للمنافع العامة ان لم يصدق عليها شورى الدولة . ويصدق على ذلك من قبل الدولة . ولهذه الجمعيات اجراء جميع المعاملات الحقوقية التي لم يمنعها قانونها الاساسي . ويجب قيد الاسهام التي تكون باسم حاملها في دفتر الجمعية وعلى اسمها . ولا يسوغ للجمعية قبول الاموال التي يوصى بها وتوهب اليها بدون رخصة الحكومة . المال غير المنقول الذي يهدى للجمعية و يظهر بانه غير لازم لقيامها بواجباتها يباع و يعطى لصندوق الجمعية ويجب التصريح بالمدة التي سيباع بها في قرار قبول هذا المال غير المنقول من قبل الجمعية

ايضاح — معنى التصديق من قبل الدولة هو الاقتران بالارادة السنية ولو قيل في متن المادة من قبل الحكومة لكان القصد بذلك الامر السامي اي من قبل الصدر الاعظم لان تمثال الحكومة الصدارة وتمثال الدولة مقام السلطنة العظمى . وقد مرت في المتن كلمة (اموال) والمال قسمان منقول وغير منقول والجمعيات اذاً ممنوعة عن قبول جميع الوصايا والهبات على الاطلاق سواء كانت منقولة او غير منقولة بدون رخصة الحكومة . والدليل على ذلك ان كلمة اموال ذكرت في المتن مطلقة بدون قيد والمطلق يجري على الكمال والتعميم وسبب الترخيص بذلك من قبل الحكومة مبني على مقاصد ادارية وسياسية

ثم تقدير لزوم المال غير المنقول والموصى به او الموهوب للجمعية فهو للحكومة ايضاً بموجب هذه المادة . وهذا تابع ايضاً لاجتهاد مأموري الملكية لحكم ادارية . ويجب على الجمعيات التي تقبل مثل هذا المال ان تصرح بقرار قبوله مدة بيعه . وفقاً لمنطوق هذه المادة . وان لم تفعل فلا تجري لها معاملة في اقلام الطابو

المادة الثامنة عشرة للضابطة حق التفتيش على الجمعيات والاندية . ويجب ان يكون محل اجتماعهم مفتوحاً لزيارة الضابطة في كل وقت . ويجب على مأموري الضابطة ابراز ورقة من مأموري الملكية تتضمن امرهم بالدخول لمحل اجتماع الجمعيات

ايضاح — قيل في المتن انه يحق للضابطة التفتيش على الجمعيات في كل وقت ليلاً ونهاراً . لان كلمة كل وقت مطلقة تشمل جميع الاوقات . اما منع قانون الجزاء الدخول

للساكن بعد الساعة الواحدة ليلاً فلا يعتد به هنا من وجهين الاول هو ان هذا القانون صدر بعد ذلك والثاني ان قصد قانون الجزاء المساكن الخاصة والقصد هنا معلوم من سياق الكلام بان هذا التفتيش ليس لمساكن اعضاء الجمعية بل لمحل اجتماعهم

المادة التاسعة عشرة ناظر الداخلية والعدلية مأموران باجراء هذا القانون

٢٩ رجب عام ١٣٢٧ و٣ آب عام ١٣٢٥ انتهى

ايضاح — من العادة ان توضع مادة في آخر كل قانون تبين المرجع فيه وهذه المادة تدل بان اجراء هذا القانون من وظيفة مأموري الداخلية والعدلية . منع الجمعيات الخفية والتفتيش عليها ومراقبتها من شأن مأموري الداخلية وتطبيق الجزاء على من يخالف هذا القانون من وظيفة رجال العدلية

بيروت حسني عبدالهادي

مختصر تاريخ

الطباعة والصحافة التركية العثمانية

— ١ —

الطباعة

اول كتاب طبع بالحروف العربية كتاب الادعية السبعة طبع سنة ١٥١٤ ميلادية في (فانو) من اعمال ايطاليا . وطبع القرآن الكريم في ايطاليا ايضاً على يد رجل يدعى ديبسكيا سنة ١٥١٨ ثم طبعت كتب مهمة بالحروف العربية بين سنة ١٥٨٥ وسنة ١٥٩٠ في مطبعة قصر كيرينال البابوي التي كانت أسست في زمن البابا سكتوس الخامس وقد كان (ميخائيل زمرمان) النمساوي الذي كان أسس مطبعة كبيرة في ڤينا اوفد رسولاً الى سورية لدرس الحروف العربية وبعد عودته صنع قوالب لهذ الحروف وطبع عليها في سنة ١٥٥٤ تعريب بعض مزامير من الزبور

وفي خلال سني ١٥٨٩ — ١٦١١ اوصى (فرنسواساڤاري دوبروف) سفير فرنسا في الاستانة على بعض قوالب حروف على قاعدة النسخ والتعليق فاستعملت هذه القوالب في باريز لطبع مقدمة كتاب نشر في ثماني لغات وبقي هذا الشكل من الحروف مستعملاً

في مطابع فرنسا الى الآن . وفي سنة ١٦٥٧ طبع كتاب في مطبعة (روس كرافت) في انكلترا في تسع لغات وفيه حروف عربية

هذه فذلكة تاريخ الطباعة بالحروف العربية في اوربا . اما في المملكة العثمانية فانها دخلت اليها على يد چلبي زاده سعيد محمد افندي (باشا) الذي تولى فيما بعد منصب الصدارة العظمى وابراهيم اغا متفرقة من حراس القصر السلطاني وقد كان سعيد محمد افندي قصد باريز مع ابيه چلبي محمد افندي من كبار خواجكان الديوان السلطاني الذي كانت الدولة اوفدته الى فرنسا بمهمة فوق العادة فلفتت مطابع العاصمة الفرنسوية انظار هذا الشاب المدقق الذي ادرك في الحال فوائد فن الطباعة واخذ يفكر في تأسيس مطبعة في الاستانة لطبع الكتب بالحروف العربية ورأى نفسه في حاجة الى مشاور مدقق من ارباب الصناعة واصحاب الافكار النيرة فكاشف ابراهيم اغا متفرقة المشار اليه بما ينويه بعد عودته الى فروق وكان ابراهيم على جانب عظيم من العلم والدراية وتذاكرا مليًا في هذه المسألة المهمة وقر رأيهما على فتح المطبعة وتم الاتفاق بينهما على ان يتعهد ابراهيم اغا ادارتها من الوجهة الفنية ووضع الثاني في الحال رسالة سماها (وسيلة الطباعة) شرح فيها فوائد صناعة الطبع وسهولة اقتناء الكتب المطبوعة بخلاف المخطوطات التي لا يقدر على اقتنائها الا خواص الاغنياء . وقدم هذه الرسالة الى صدر اعظم ذاك الوقت فصادق على ما ورد فيها من الآراء الصائبة والف لجنة من افاضل العلماء والعقلاء لدرس هذا المشروع والاقرار على فتح مطبعة تنفق عليها الحكومة من اموالها فقامت اللجنة بوظيفتها خير قيام وقررت استفتاء المشيخة الاسلامية قبل الشروع في العمل منعًا لتهيج العوام الذين من دأبهم مقاومة كل شيء جديد لم يألفوه قبلاً ظنًا منهم انه مغاير للشريعة السمحاء والمرء عدو ما جهل وهذه صورة الاستفتاء :

« ما قولكم دام فضلكم فيما يقوله زيد ويدعيه من انه يقدر على نقش صور كلمات وحروف المؤلفات في العلوم الآتية القواميس والمنطق والحكمة والفلك وجمعها في قالب وطبعها على الورق واستحصال نسخ كثيرة من هذه الكتب فهل يجوز له ذلك شرعًا افتونا مأجورين » فاصدر عبدالله افندي شيخ الاسلام اذ ذاك الفتوى الآتية بعد ان قرظ رسالة وسيلة الطباعة :

« ان زيدًا الذي برع في صناعة الطبع اذا نقش صحيحًا حروف كتاب مصحح وطبعه على الورق فانه يحصل منه على نسخ كثيرة من غير عناء وتعب مما يستوجب رخص اثمان

الكتب والمؤلفات ومن ثم تداولها بين الايدي وبذلك تعم الفائدة وتشمل كل طبقات الناس وعليه يجوز شرعاً الطبع على الوجه المذكور ويستحسن تأليف لجنة لتصحيح الكتب المراد نقش حروفها وطبعها والله اعلم »

وبعد صدور هذه الفتوى افتفى اكثر العلماء الاعلام نور الله مراقدهم اثر شيخ الاسلام في تقريظ الرسالة المار ذكرها ورفعت الفتوى مع قرار لجنة الاستشارة والتقاريظ الى السلطان احمد الثالث فصدر الخط السلطاني الى سعيد محمد افندي وشريكه ابراهيم اغا آذناً لهما بتأسيس مطبعة لطبع الكتب وتألفت لجنة من كل من اسحق افندي قاضي دار الخلافة وصاحب محمد افندي قاضي سلانيك واسعد افندي قاضي غلطة وموسى افندي شيخ تكية قاسم باشا المولوية وعهد اليها مراجعة الكتب المراد طبعها وتصحيحها وعلى اثر ذلك شمر ابراهيم اغا متفرقة عن ساعد الجد والاجتهاد في اتمام معدات اول مطبعة في الملك العثماني التي افتتحت في سنة ١١٤٠ في دار ابراهيم اغا المشار اليه ولم تمض مدة قليلة على تأسيسها وافتتاحها حتى تم طبع كتاب وانقولي وهو قاموس صحاح الجوهري لمحمد مصطفى وهو اول كتاب طبع واليك اسماء بعض المؤلفات التركية التي تم طبعها في المطبعة المذكورة :

١ — ترجمة صحاح الجوهري لمحمد مصطفى افندي . طبع في ١١٤١ وعدد ما طبع منه ١٠٠٠ نسخة

٢ — تحفة الكبار في اسفار البحار . لكاتب چلبي . طبع في ذي القعدة ١١٤١ وعدد ما طبع منه ١٠٠٠ نسخة

٣ — ترجمة تاريخ السياح . طبع في غرة صفر ١١٤١ وعدد ما طبع منه ١٢٠٠ نسخة

٤ — تاريخ هند الغربية المسمى بالحديث الجديد (حديث نو) وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

٥ — تاريخ تيمورلنك تأليف نظمي زاده البغدادي وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

٦ — تاريخ مصر القديم والجديد المسمى بالدرة البهية تأليف سهيلي . طبع في ذي الحجة ١١٤٢ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

٧ — كلشن خلفا تأليف نظمي زاده البغدادي طبع في ١١٤٣ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

٨ — اصول الحكم في نظام الامم . تأليف ابراهيم متفرقة وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

٩ — فيوضات مغناطيسية . تأليف ابراهيم متفرقة وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

١٠ — جهاننا تأليف كاتب جلبي طبع في المحرم ١١٤٧ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

١١ — تاريخ نعيما (الجلد الاول) طبع في المحرم ١١٤٧ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

١٢ — تاريخ نعيما (الجلد الثاني) طبع في جمادى الاولى ١١٤٧ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

١٣ — تاريخ راشد (الجلد الاول والثاني) طبع في ذي الحجة ١١٥٣ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

وكانت المطبعة وقتئذٍ تدار بمعرفة ابراهيم اغا لاشتغال سعيد محمد افندي بمهام منصبه الى ان توفي الاول في سنة ١١٥٠ فقام بدلاً منه ابراهيم افندي من القضاة السابقين الذي كان مساعداً لابراهيم اغا في ادارة شؤون المطبعة وظل يديرها ويطبع الكتب النافعة الى ان توفي هذا ايضاً في زمن السلطان مصطفى الثالث فتعطلت وتوقف الطبع لعدم وجود رجل قادر على ادارتها ولكثرة مشاغل الدولة بامور اخرى ذات بال وبقيت المطبعة معطلة اكثر من ٣٠ سنة حتى قيض الله لها راشد محمد افندي بكلكجي الديوان العالي وواصف افندي وقمهنويس اي مؤرخ الدولة فاشتريا المطبعة وآلاتها من ورثة ابراهيم اغا متفرقة فاصبحت خاصة بهما وقطع عنها الراتب الرسمي المخصص من الحكومة واحتفلا بافتتاحها سنة ١١٩٨ واول كتاب طبع بعد افتتاحها ثانية هو تاريخ سامي وشاكر وصبحي وذيله تاريخ عزي واهم مطبعة تركية عثمانية أسست بعد هذه المطبعة هي المطبعة العامرة

اما المطابع الاجنبية في المملكة العثمانية فان اول مطبعة منها انشئت في الاستانة مطبعة كاسترو افتتحت قبل ١٤٠ سنة في غلطة وهي باقية باسمها القديم الى ايامنا هذه ويأتي بعدها في القدم مطبعة قائول المعروفة الآن بمطبعة (زه ليچ) وقائول هذا هو الذي ادخل فن طباعة الحجر (ليتوغرافيا) الى الاستانة وقد عهدت الدولة اليه سنة ١٢٤٢ بتأسيس مطبعة حجر لطبع كتب الطب اللازمة للمكتب الطبي الذي كان وقتئذٍ في مكتب غلطه سراي السلطاني الحالي

هذا مختصر تاريخ مبدإ الطباعة في الاستانة اما في الولايات فان اول مطبعة أسست

في جبل لبنان سنة ١١٤٥ لطبع الكتب العربية قام بتأسيسها الراهب الماروني عبدالله طاهر وكان اغلب من يشتغل فيها من الرهبان وقد طبعت هذه المطبعة ٣٤ مؤلفاً خلال ستين سنة

وقبل ان اختم كلامي على الطباعة ارى اتماماً للفائدة ان اورد ملخص ترجمة الرجلين اللذين قاما بادخال فن الطباعة الى المملكة العثمانية فاقول :

سعيد محمد باشا — هو سعيد محمد افندي ابن جلبي محمد افندي المعروف بيكرمي سكز رافق والده الذي اوفد الى باريز بمهمة رسمية فوق العادة سنة ١١٣٢ ولما عاد الى فروق عين كاتباً في قلم مكتوبي الصدارة وأسس فن الطباعة مع ابراهيم متفرقة سنة ١١٤٠ كما مر ذكره آنفاً وبعد ذلك بمدة قليلة رقي الى رتبة خواجكان وعين كاتباً للسپاهيين وفي سنة ١١٥٣ عين مندوباً ثالثاً في لجنة الصلح وفي شوال من السنة المذكورة عين كاتب السلحدار وفي ١١٥٤ ارسلته الدولة سفيراً الى باريز وانعمت عليه برتبة روم ايلي وفي ١١٥٦ صار وكيلاً لامين الدفتر وبعد سنة اوفدته الحكومة بمهمة الى القطر المصري وصار في سنة ١١٥٨ اميناً للدفتر وبعدها بسنة رقي الى منصب كتخدا الصدارة العظمى وفي سنة ١١٦٠ اعيد الى امانة الدفتر وبعد سنة صار توقيعياً للباب العالي وفي المحرم ١١٦٣ تولى مرة ثانية منصب كتخدا الصدارة وبعد ثلاثة اشهر عزل منها وفي شوال ١١٦٦ عين توقيعياً للمرة الثانية وفي ١١٦٨ تولى منصب رئيس المحاسبين (باش محاسبه جي) ثم نقل الى منصب كتخدا للمرة الثالثة وفي المحرم ١١٦٩ تولى الصدارة العظمى ونال رتبة الوزارة ثم عزل منها في رجب ونفي الى جزيرة استانكوي وفي ١١٧٤ عين والياً على مصر وبعد سنة نقل الى ولاية امانة ومنها الى قونية قرعش حيث توفي سنة ١١٧٥ ولهذا الوزير مؤلفات طيبة وادبية تدل على مكانته العلمية والادبية

ابراهيم اغا متفرقة — ولد في بلاد المجر وجاء البلاد العثمانية في عنفوان شبابه ودان بالاسلام وانتظم في عداد حراس القصر السلطاني فلقب بمتفرقة وقد توفي سنة ١١٥٠ كما مر ذكره آنفاً

— ٢ —

الصحافة

ان اول جريدة تركية عثمانية على ما اعلم هي تقويم وقائع الرسمية اسسها السلطان محمود الثاني سنة ١٢٤٧ لنشر قرارات الدولة وما تصدره من القوانين وقد كانت في

بادي، امرها غير يومية رديئة الطبع والورق ليس فيها الا تاة الاخبار والحوادث مثل التمجيد والتعظيم الفارغ المخجل وذلك لقلة الملمين بصناعة الصحافة في المملكة العثمانية وقتئذ ولاختلال ادارتها وظلت على هذه الحال الى ان نبغ من الرجال من يقدر الصحافة حق قدرها فاخذت تنتعش الجريدة شيئاً فشيئاً وقد اعترض سيرها عوارض جمة كانت عقبة كبيرة في سبيل تقدمها وكثيراً ماتوقفت عن الانتشار لاسباب استبدادية وكان تعطيلها الاخير في زمن السلطان المخلوع لهفوة ارتكبها رشيد بك (والي بيروت الاسبق) مستشار نظارة الداخلية في ذلك الوقت الذي عزل من منصبه بصورة لم يسبق مثلها لاحد الموظفين من قبل والغاء هذه الجريدة الرسمية في الصحف وظلت معطلة الى ان اعلن الدستور فنشرت من رمسها من جديد سنة ١٣٢٦ وهي الآن تصدر كل يوم بانتظام مطبوعة على ورق صقيل وتحتجب ايام الجمع والاعياد والمواسم الرسمية وعدد صفحاتها اربع على الاقل وهو المقرر لها وانما يزيد عدد صفحاتها زيادة كبيرة عند ما يكون مجلس الامة مجتمعاً لنشر محاضر المبعوثين والاعيان وثمن النسخة الواحدة ١٠ بارات اي متاليك واحد ولا ينشر فيها الا الاخبار الرسمية ومنشورات الحكومة ودوائرها ومحاضر مجلسي الاعيان والمبعوثين والاعلانات الرسمية وتنقلات الولاة وتعيين الموظفين واللوائح الرسمية وقد كان لها في الدور السابق قسم خاص بالاخبار غير الرسمية وهو الذي سبب الغاء الجريدة وعزل رشيد بك مستشار نظارة الداخلية المشار اليه آنفاً اما اليوم فانها لا تنشر اخباراً او حوادث غير رسمية البتة وهي تابعة لنظارة الداخلية وتطبع في المطبعة العامرة ولها ادارة خاصة بها

والجريدة الثانية في القدم هي (جريدة حوادث) اسست في اواخر حكم السلطان عبد المجيد في العاصمة ثم اخذت تكثر الجرائد من سياسية وفنية بعد تولية السلطان عبد العزيز فصدرت في سنة ١٢٨٠ جريدة تصوير افكار السياسية الاسبوعية لصاحبها ومحررها ابراهيم شناسي افندي الكاتب التركي الشهير ومجلة (مخزن علوم) الفنية التي كانت تطبع وتنشر مرتين في الشهر بقلم بعض الكتبة المشاهير وتلا ذلك جريدة وقت و بصيرت وفي اواخر حكم السلطان عبد العزيز بدأت تصدر الجرائد الهزلية مثل چيلاق وقره كوز وچانطه وغيرها وكلها في فروق واخذت الصحافة التركية العثمانية تتقدم وتترقى في اوائل حكم السلطان المخلوع بتأسيس الحكم النيابي الاول وصارت الجرائد تكتب ما تشاء بكل حرية واستمر الحال على هذا المنوال الى ان وضعت الحرب

الروسية اوزارها وصار عبدالحميد يمد يده فيتناول الجرائد التي تنتقد خطة الحكومة واعمالها و يعطلها ليخلو له الجو وبدأت الصحافة التركية العثمانية تنحط من ذاك الوقت ولم يمض ٣٠ سنة على حكم عبدالحميد الا وكانت الجرائد العثمانية عامة مكمومة الفم مكسورة القلم يضغط عليها المراقب لا تجسر على النبس بنت شفة انتقاداً على ما تأتيه الحكومة من الاعمال بل أجبرت على مدح الظلم والظلام وتعظيمهم بعبارات يمجها الذوق وتشمئز منها النفوس الابية مما هو معلوم امره للجميع لقرب العهد به

ولما اعلن القانون الاساسي قبل ثلاث سنوات اظهرت الصحافة التركية في العاصمة ومطبوعاتها نهضة كبيرة وانتشرت جرائد كثيرة باسماء مختلفة بين يومية واسبوعية وسياسية وعلمية وفنية وكثر اقبال القراء عليها وصار الناس يتهافتون على هذه الجرائد تهافت الجياع على القصاع وراج سوق المطبوعات عامة واخذ كل من يملك بضع مئات من الليرات يؤسس مطبعة لكثرة ما تأتيه به من الارباح الطائلة فتعددت المطابع في الاستانة وارتفعت اجور العمال واصبح العامل الذي كان يأخذ ١٠ قروش في اليوم في الدور البائد لا يرضى باقل من نصف ليرة عثمانية فسبب ذلك ارتفاع اسعار الطبع والورق ايضاً ولم ينقض الحول حتى بدأ اقبال الناس على مطالعة الصحف والكتب يزول بالتدريج الى ان ادى الى افلاس اكثر المطابع وتعطيل اغلب الجرائد الحديثة ولم يبق منها في عالم الوجود الا القليل منها ومع ذلك فان عددها اليوم وتنوعها يدهش الشرقي و يدل على انتشار المعارف بين اخواننا الاتراك .

تنقسم الصحافة التركية العثمانية الى قسمين : صحافة العاصمة وصحافة الولايات وتنقسم صحافة العاصمة ايضاً الى قسمين : موالية ومخالفة . فالموالية تؤيد جمعية الاتحاد والترقي وحزبها في المجلس وتعضد وزاراتها وتطري اعمال الحكومة وتطنب في مدح خطتها وتمجد سير رجالها تمجيداً غريباً وتهجم على كل من تشتم منه رائحة المخالفة او تظنه مخالفاً للجمعية والحكومة وحزب الاكثرية . فتلصق مثلاً بزيد من المخالفين الارتجاع و بعمرو خيانة الوطن وترمي بكراً بالتجرد من الشعور والعواطف العثمانية فهي اشبه بجرائد الدور السابق من حيث تعظيم الحكومة الا انها تمتاز عنها بالشدة ضد الجرائد والاحزاب المخالفة وثقل الوطأة عليها واما الجرائد المخالفة فانها لا تنتقد دائماً اعمال الحكومة المغايرة للقانون الاساسي (وما اكثر هذه الاعمال المغايرة) وروح الاصلاح ومايصدر من حزب الاكثرية من الامور المغايرة للمبادئ النيابية وتحتج على تدخل الجمعية في شؤون الحكومة

وسيطرة زعمائها الذين لا يتجاوزون عدد الاصابع على شؤون الحكومة وهيئتهم على الامة واحتكار الوظائف والمناصب لانفسهم ولذويهم وترفع عقيرتها بالشكوى من تحكم هؤلاء الرؤساء بالنواب الذين يقاومون نياتهم ومشروعاتهم واحتقارهم للعناصر التي تطالب بحقوقها المهضومة · وهناك قسم آخر من الجرائد السياسية لا يعرف لها مبدأ تميل مع الهواء فتراها يوماً مع الحكومة والجمعية على المخالفين ويوماً آخر مع المخالفين على الجمعية والحكومة فهي تسير حسبما تقتضيه الاحوال ·

اما الجرائد في العاصمة فانها تقسم الى قسمين : سياسية وفنية فالسياسية ايضاً تقسم الى قسمين : سياسية جدية وسياسية هزلية وهذه اسماء الجرائد السياسية الجدية حسب قدمها :

١ — اقدام · جريدة رشيدة عاقلة يومية خطتها المخالفة باعتدال · صاحبها ورئيس تحريرها احمد جودت بك · أسست قبل عشرين سنة وعطلت في الدور السابق مرة لهفوة صغيرة وردت في مقالة عيد الجلوس فحركت اشجان الاستبداد وتعطلت قبل سنتين مرة اخرى بسبب ما ورد في رسالة مكاتبها اليمني من الكلمات الجارحة عن الشعب العربي التي اوجبت هياج الطلبة العرب في الاستانة · وتصدر هذه الجريدة الآن باسم (يكي اقدام) اي اقدام الجديدة وعدد صفحاتها ثماني · يطبع منها ما يقرب من عشرة آلاف نسخة في اليوم ·

٢ — صباح · جريدة يومية أسست منذ ٢٠ سنة لصاحبها مهران افندي الارمني ورئيس تحريرها ديران كلكيان افندي الشهير بافكاره وآرائه الصائبة · له مقالات شائقة تنشر في صدر الجريدة · يطبع منها كل يوم ١٠ — ١٢ الف نسخة بقطع كبير ولا يعرف لهذه الجريدة خطة معينة فهي يوماً مع الحكومة ويوماً عليها ويعدها بعضهم لسان حال الشعب الارمني ·

٣ — يكي غزته · جريدة يومية ادبية خطتها انتقاد مبدأ الجمعية وسير الحكومة والوزارة ومقاومة ما يصدر منها من الامور المغايرة للقانون الاساسي · أسست قبل ثلاث سنوات وصاحبها زهدي بك ومديرها المسؤول شكري كامل بك · يطبع منها كل يوم ما يقرب من ٨٠٠٠ نسخة وقراؤها كثيرون في الاستانة وفي الولايات الاناضولية ولكتاباتها وقع كبير في نفوس رجال الحكومة وفي المحافل الرسمية ·

٤ — سنين[١] · جريدة يومية مفرطة في التعصب الجنسي مروجة افكار القائلين بحاكمية الشعب التركي عَلَى بقية الشعوب العثمانية استناداً عَلَى حق تأسيس الدولة · أُسست في الايام الاولى من الدستور باموال حسين كاظم بك والي حلب الحالي واشترك حسين جاهد بك مبعوث الاستانة معه في تأسيسها وكان اسمها وقتئذ (طنين) · وقد هاجم الثائرون مطبعتها في ثورة ٣١ آذار ودمروا ادارتها بعد ان نهبوا ما فيها من الاثاث والعدد والحروف والادوات المطبعية فتعطل صدورها مدة ثم عادت الى الانتشار بعد عودة السكون الى ربوع فروق وانطفاء نيران ثورتها العسكرية · واراد حسين جاهد بك الذي استقل بها بعد الحادثة المذكورة واصبح صاحبها الوحيد لا يشاركه فيها مشارك ان يؤلف لها شركة ذات اسهم فلم ينجح لعدم اقبال الناس عَلَى شراء سهامها · وقد اشتدت في المدة الاخيرة المناقشات القلمية بينها وبين تنظيمات لسان حال حزب الاحرار المعتدلين فتدخل الديوان العرفي وعطل الجريدتين فصدرت (جنين) بدلا من طنين لصاحبها جاويد بك ناظر المالية السابق ولم تستمر في عالم الصحافة الا بضعة ايام فلحقت باختها طنين وقام مقامها « سنين » الحالية لصاحبها اسماعيل حقي بك بابان مبعوث بغداد · وهذه الجريدة التي تنشر بقلم حسين جاهد بك مشهورة بالقاء بذور الشقاق بين العناصر العثمانية فهي التي اوقدت نيران العداوة والبغضاء بين العنصرين التركي والرومي بعد ان انطفأت وزالت في اوائل الدستور وهي التي ايقظت فتنة الارناؤود والثائرة وهي التي حركت اشجان البلغار بمطاعنها عليهم وهي التي فتحت باب مسألة العرب والترك بطعنها على النواب العرب ونسبة الارتجاع وسوء النية اليهم ووسعت الهوة بين الشعب العربي والحكومة بنشر مقالات اسماعيل حقي بك بابان مبعوث بغداد الذي طعن على البغداديين وطلب تجريد الكتائب عَلَى العراق لتأديب اهلها كما طلبت اخيراً صب (دوش) بارد عَلَى رؤوس اهل سورية وزادت الطين بلة بنشر مقالات احمد شريف محابرها المتجول في سورية · وتعد هذه الجريدة نصف رسمية ولسان حال جمعية الاتحاد والترقي لعلاقتها الشديدة برجال الحكومة والتصاق صاحبها حسين جاهد بك بالجمعية ولنفوذ كلمته في

---

(١) بعد كتابة ما تقدم اصدر الديوان العرفي امره في الاستانة باقفال جريدة (سنين) فصدرت من الغد باسم (رنين) بمثل حلتها الاولى وباقفال جريدة (شهراه) فصدرت باسم (همراه) وباقفال جريدة (تضمينات) فصدرت باسم (مطبوعات) وبعد ايام اقفلت ايضاً مطبوعات وصدرت باسم (مشرق)

الدوائر الرسمية · وهي مثل جريدة اقدام من حيث الحجم وعدد الصفحات ويطبع منها كل يوم ٦ — ٧ آلاف نسخة واكثر رواجها في مدن الروم ايلي مثل سلانيك وادرنة ومناستر ·

٥ — ترجمان حقيقت · جريدة اتحادية طائشة مفرطة في التعصب الجنسي تصدر مساء كل يوم ولها راتب معين من الحكومة · صاحبها مختار ميديك ورئيس تحريرها حسين كاظم افندي خطتها كخطة جريدة (سنين) يطبع منها كل يوم ما يقرب من الفي نسخة يروج اكثرها في الروم ايلي ولا شأن لهذه الجريدة في عالم الصحافة وقراؤها قليلون في الاستانة

٦ — ضيا · جريدة يومية شبه رسمية مفرطة في التعصب الجنسي لها مائة ليرة في الشهر مرتب من الحكومة · صاحبها ومحررها صفوتي ضيا بك وقد أسست قبل ثلاثة شهور على نفقة الجمعية لتساند طنين في تأييد الوزارة الحاضرة وتقديس اعمالها · وخطتها ترويج حاكمية الشعب التركي وهينمة الجمعية على شؤون الدولة والامة وهي من المستميتة في الدفاع عن وزارة حقي باشا وتصدر على اربع صفحات بقطع وسط ويطبع منها كل يوم ٣٠٠٠ — ٤٠٠٠ نسخة واكثر رواجها في الروم ايلي ·

٧ — حكمت · جريدة اسبوعية تصدر كل يوم خميس على ثماني صفحات بقطع متوسط خطتها انتقاد اعمال الحكومة ومخالفة الجمعية والطعن على ما يأتيه رؤساء حزب الاكثرية من الامور الشاذة والاحتجاج على أنانيتهم وغرورهم وتحكمهم بالمبعوثين المخالفين صاحبها فلبه لي احمد حلمي افندي وعدد ما يطبع منها في الاسبوع يقرب من الالفين فقط وقد أسست قبل سنتين ·

٨ — شهراه · جريدة يومية عاقلة حكيمة أسست قبل شهرين · صاحبها ورئيس تحريرها محمد خيرالدين بك بن خيرالدين باشا التونسي الصدر الاسبق الشهير ومديرها المسؤول اخوه طاهر خيرالدين بك · وتنشر هذه الجريدة كل يوم مقالة افتتاحية بتوقيع ح · ناظم المستعار عن امور الدولة الاجتماعية والادارية والسياسية تدل على وقوف كاتبها على احوال الدولة وقوفاً تاماً وقد بلغني ان هذا الكاتب هو احد ولاة حلب السابقين رشيد بك · اما خطة شهراه فهي المخالفة وانتقاد ما تأتيه الوزارة والحكومة والجمعية وحزب الاكثرية من الامور المغايرة للدستور ولكتاباتها تأثير كبير في الاندية السياسية واكثر قرائها من اهل الاستانة وسواحل البحر الاسود العثمانية

وتطبع كل يوم ٦٠٠٠ = ٨٠٠٠ نسخة على اربع صفحات بقطع متوسط ٠

٩ تضمينات ٠ جريدة يومية عاقلة حكيمة صاحبها داود بك يوسفاني مبعوث الموصل ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول لطفي فكري بك مبعوث درسم الشهير وهي لسان حال حزب الاحرار المعتدلين وقد أُسست قبل شهرين باسم تنظيمات التي عطلتها الادارة العرفية من اجل المناقشة الشديدة بينها وبين طنين فصدرت بدلاً منها جريدة زهرة ولم تعش هذه ايضاً في عالم الصحافة الا قليلاً حتى صدر الامر بمنع نشرها فقامت تضمينات الحالية مقامها ومن الكتبة البارعين الذين يحررون فيها المقالات الشائقة فريد بك مبعوث كوتاهية الشهير بهجماته على الوزارة في المجلس ٠ ويطبع من هذه الجريدة كل يوم ٨٠٠٠ نسخة يباع منها ٦٠٠٠ في العاصمة فقط وهي رائجة رواجاً كبيراً واكثر قرائها في فروق واواسط الاناضول وبلاد الارناؤود خطتها المخالفة للحكومة الحاضرة ٠

١٠ = ارناؤود ٠ جريدة اسبوعية ارناؤودية لما قسم تركي ٠ صاحبها درويش بك هيما الارناؤودي المشهور وهو من الذين اشتغلوا للحرية في الدور السابق ٠ وخطة هذه الجريدة المخالفة الشديدة للحكومة بعبارات قاسية قارصة جداً ٠ اكثر قرائها من الارناؤود ومنتشرة في الولايات الارناؤودية انتشاراً كبيراً

هذه هي الجرائد التركية السياسية الجدية من موالية ومخالفة واليك اسماء الجرائد السياسية الهزلية حسب قدمها ايضاً :

١ — قره كوز ٠ صاحبها ومصورها علي فؤاد بك ورئيس تحريرها محمود نديم بك وتصور هذه الجريدة الوقائع السياسية من ادارية واجتماعية وحربية ونيابية برسوم جميلة مضحكة وتصدر في يومي السبت والاربعاء على اربع صفحات بقطع صغير من حجم جريدة الراوي ٠ خطتها موالاة الحكومة والوزارة الحاضرة وقد كانت هذه الجريدة في مقدمة الطاعنين على المرحوم حمادة باشا ناظر الاوقاف الاسبق ونَعَى اعماله بايعاز من رجال جمعية الاتحاد والترقي لاسقاط فقيد الشعب العربي من منصبه

٢— قلم ٠ صاحبها صلاح جيمجوز بك صديق حسين جاهد بك واحد اصحاب معدن (بروم) الذي استوضح ناظر المعادن من اجله في المجلس ٠ تصدر هذه الجريدة كل يوم خميس بقطع صغير على ١٦ صفحة وفيها من الرسوم ما يسر الناظر و يضحك الثكل وهي احسن الجرائد الهزلية طبعاً واصقلها ورقاً واكثرها مادة واوفرها رسوماً

ولما قسم فرنسوي . وخطتها موالاة الحكومة وتأييد الجمعية والوزارة الحاضرة واستحسان قرارات حزب الاكثرية . ويطبع منها كل اسبوع ما يقرب من الخمسة آلاف نسخة وقد أُنشئت منذ سنتين

٣ — بكي كومزه . تصدر هذه الجريدة الهزلية التصويرية مرتين في الاسبوع وهي اقل انتشاراً من بقية الجرائد الهزلية . صاحبها كيغورافندي الارمني ومديرها المسؤول احمد مختار بك ولا يعلم لها خطة معينة فهي تسير حسب ما تقتضيه الوقائع والاحوال وقد أُسست منذ سنتين

٤ = غيدبق . جريدة هزلية تصويرية صاحبها ح . سيف الدين بك ومديرها المسؤول عارف حكمت بك تصدر مرة في الاسبوع على ثماني صفحات برسوم جميلة مضحكة اما خطتها فموالاة الجمعية والحكومة والوزارة الحاضرة وعدم مخالفة اعمالها وقد أُسست قبل شهرين فقط

٥ = جم . أُسست منذ سنة ونصف وهي اقوى الجرائد الهزلية حجماً واجملها رسوماً وادقها صنعة واسماها منزلة واكثرها انتشاراً لما حوته رسومها من المعاني البديعة والاشارات السياسية المضحكة واقبال الناس على مطالعتها واقتناؤها عظيم جداً يصدرها صاحبها ومديرها المسؤول جميل بك في الاسبوع مرة وتطبع هذه الجريدة طبعاً جميلاً جداً على ورق صقيل بست عشرة صفحة ولها قسم فرنسوي . اما خطتها فالمخالفة الشديدة فهي تنتقد اعمال الحكومة بكتاباتها الشائقة وتمثل هذه الاعمال برسومها الجميلة المضحكة

٦ = جادالوز . أُسست قبل شهرين صاحبها (جادالوز) ومديرها المسؤول حيدر رشدي افندي خطتها موالاة الجمعية واستحسان خطة حزب الاتحاديين في المجلس وعدم التعرض لاعمال الحكومة

٧ = قره‌سنان . صدرت هذه الجريدة قبل ثلاثة اشهر باسم (اشك) اي الحمار فعطلتها الادارة العرفية بحجة عدم ملائمة اسمها الآداب ! وطعناً على الوزارة في العدد الاول منها الذي بلغ ثمن النسخة الواحدة منه ٢٠ قرشاً ويقال ان صاحبها طبع من هذا العدد ٢٠ الف نسخة بيعت كلها في اقل من ثلاث ساعات . ثم قام بدلاً منها (معلوم) فما عتم ان لحق باخيه الحمار بامر الادارة العرفية وعليه صدرت جريدة قره‌سنان لصاحبها ومديرها المسؤول مصطفى افندي ورئيس تحريرها فؤاد طلعت بك . وهذه الجريدة تطعن على الوزارة الحاضرة طعناً شديداً وتنتقد خطة الجمعية انتقاداً مراً

ورسومها جميلة مضحكة جداً تطبع على ورق جيد بقطع وسط وقراؤها كثيرون ويباع منها الوف في الاستانة عدا ما يباع منها في الولايات

اما الجرائد والمجلات الادبية والفنية فهي كثيرة ايضاً هذه اشهرها :

١— مجموعهٔ ابو الضيا . صاحبها ابو الضيا توفيق بك مبعوث انطالية . تصدر في الاسبوع مرة في ٣٠ صفحة وتبحث في السياسة ايضاً . جيدة الطبع والورق كثيرة المواد أُسست قبل ٣٠ سنة فهي اقدم المجلات الادبية الموجودة عهداً ولصاحبها الذي اتقن فن الطباعة شهرة كبيرة في عالم الصحافة وكان له مطبعة في الدور البائد يضرب بها المثل في الانتظام وحسن الذوق في الطبع قضى عليها عبدالحميد قضاء مبرماً بعد ان نفى صاحبها وعذبه تعذيباً . اما خطتها فهي انتقاد اعمال الحكومة اذا صدر منها مايستوجب الانتقاد .

٢— ثروت فنون . مجلة علمية ادبية فنية تصويرية اسبوعية صاحبها ومديرها احمد احسان بك أُسست قبل ٢١ سنة . تطبع على ورق جيد بحجم المقتبس اليومي جيدة الرسوم متقنة الطبع اكثر ما يرد فيها مقالات ادبية لغوية شعرية ولها قسم سياسي اخباري

٣— صراط مستقيم . مجلة دينية فلسفية علمية حقوقية ادبية تاريخية تبحث في السياسة ايضاً وتصدر في الاسبوع مرة على ورق جيد لصاحبيها ابي العلا زين العابدين افندي وح . اشرف اديب افندي ويحرر فيها بعض كبار العلماء مثل موسى كاظم افندي شيخ الاسلام واسماعيل حقي افندي مناسترلي . أُسست هذه المجلة قبل ثلاث سنوات وخطتها تأييد مبدإ الجمعية والرضى بكل ما تفعله الوزارة

٤— شهبال . اجمل الجرائد الفنية التصويرية . كثيرة الرسوم غزيرة المواد تطبع على اجود ورق طبعاً نفيساً فهي اشبه من حيث الاتقان بالجرائد الانكليزية والفرنسوية التصويرية ولا تقل عنها انتظاماً ورونقاً ونفاسة وقد أُنشئت منذ سنتين لصاحبها ومديرها المسؤول حسين سعدالدين بك وتصدر مرتين فى الشهر واكثر قرائها الطبقة الراقية من اهل فروق واصحاب المكانة الرسمية والعلمية من الاتراك العثمانيين

٥— طبابت حاضره . مجلة فنية طبية تصدر في الشهر مرتين وتبحث في الطب العصري والاكتشافات الطبية صاحبها ومديرها المسؤول الدكتور شكري كامل بك واكثر محرريها من الاطباء

٦— جريدهٔ عدليه . مجلة رسمية غزيرة المواد بحجم المقتبس اليومي تصدرها

نظارة العدلية في الشهر مرتين تنشر فيها اوامرها ومنشوراتها والتنقلات القضائية والقوانين الجديدة ولها قسم غير رسمي يحرره كبار العلماء المتضلعين في علم الحقوق وقد أُسست قبل سنتين

٧ — دار الفنون • مجلة ادبية فنية مدرسية بحجم المقتبس الشهري طلية الباحث تطبع على نفقة الكلية العثمانية (دار الفنون) في الاسبوع مرة على ورق جيد وتحوي كل ما يلقى من الدروس في فروع الكلية المشار اليها • مديرها ساطع بك مدير دار المعلمين في الاستانة

٨ — تدريسات ابتدائيه مجموعسى • مجلة فنية ادبية مدرسية تطبع على نفقه نظارة المعارف وتصدر مرتين في الشهر يحررها معلمو دار المعلمين وهي بحجم المقتبس الشهري • مباحثها طلية جداً ولا دخل لها في السياسة

٩ — رسملى كتاب • مجلة ادبية فنية علمية تصويرية بحجم المقتبس الشهري تصدر مرة في الشهر متقنة الطبع جميلة الرسوم على نمط مجلة Je sais tous الفرنسوية • صاحبها ومديرها المسؤول عبد الله اسعد افندي ورئيس تحريرها محمد رؤوف افندي وقد أُسست قبل ثلاث سنوات

١٠ — تصوف • جريدة تبحث في التصوف والطرق الصوفية صاحبها ومحررها الشيخ صفوت افندي مبعوث اورفه تصدر مرة في الاسبوع وتميل الى سياسة جمعية الاتحاد والترقي وتؤيد مبدأها وتأخذ بناصر الوزارة الحاضرة • وقد أُسست قبل ثلاثة شهور

١١ — قادين • مجلة نسائية تصويرية ادبية اسبوعية بحجم المقتبس اليومي وبست عشرة صفحة تبحث في شؤون النساء العثمانيات وما يستوجب تمدنهن ورقيهن • أُسسها نظام الدين حسيب بك وعادل سليمان بك قبل شهرين • سياستها تعضيد الجمعية وشد ازر الوزارة الحاضرة

١٢ — عثمانلى رسامجمعيتى غزته سى • مجلة جمعية المصورين العثمانيين تطبع على نفقة هذه الجمعية وتصدر في الشهر مرة بقطع كبير وتنحصر مباحثها في التصوير على انواعه • مديرها حسين هاشم بك ابن الشريف عبد القادر ورئيس تحريرها كمال امين بك

١٣ — پول مراقليلرينه رهبر اسپه دليل غواة الطوابع • مجلة تبحث عن طوابع البريد فقط وتصدر مرتين في الشهر لصاحبها ومديرها المسؤول استيبان افندي

١٤ — بكي محيط المعارف غزة مى · مجلة علمية ادبية تبحث في السيا ة ايضاً تصدرها لجنة دائرة المعارف التي ألفت حديثاً لوضع قاموس كبير باللغة التركية على نمط دائرة المعارف الفرنسوية الكبيرة · يحررها امر الله افندي مبعوث قرق كليسا وناظر المعارف الاسبق وتصدر مرتين في الشهر على نفقة اللجنة المار ذكرها

١٥ — مودا ملكه مى · مجلة تبحث في ازياء النساء وملابسهن تصدر مرتين في الشهر على ورق جيد باللغات التركية والرومية والفرنسوية · مديرها موسيو لفلر وقد أسست قبل اربعة اشهر

١٦ — رسالهٔ موقوتهٔ حربيه · مجلة تبحث في الشؤون العسكرية تصدرها دائرة الاركان الحربية ويحررها ضباط هذه الدائرة

١٧ — جريدهٔ عسكريه · مجلة حربية رسمية تنفق عليها نظارة الحربية وتصدرها لنشر اوامرها وتنقلات القواد والضباط وترقيهم واعلانات المناقصات والمزايدات والقوانين العسكرية الحديثة وكل ما يختص بالجندية · تحررها لجنة من الضباط ولها ادارة خاصة بها

١٨ — موسيقى غزته سى · تبحث في الموسيقى فقط · تصدرها الجمعية الموسيقية العثمانية التي أسست في العام الماضي تحت حماية الامير ضياء الدين افندي نجل الحضرة السلطانية الفخيمة

هذه هي جرائد الاستانة التركية السياسية ومجلاتها العلمية والفنية والادبية فيعلم القراء منها ومن كثرة عددها وسمو موضوعاتها واقبال الناس على مطالعتها ماقطعه اخواننا الاتراك من الاشواط في مضمار الرقي الفكري السياسي والعلمي فيجب علينا والحالة هذه نحن معشر العرب العثمانيين ان نسعى لمجاراتهم بذلك حتى لا نكون احط منهم في هيئتنا الاجتماعية ولنكون عضواً حياً نامياً عاملاً في جسم امتنا العثمانية والله الموفق لما فيه خير الاوطان

الاستانة حقي العظم

بحث

في نوع من البديع

البديع فن جليل وركن من اركان البلاغة لا يستهان به وان توهم كثيرون خلافه . ولكنه مني بقوم ضعاف النظر في الصناعة الشعرية ركبوا فيه متن التكلف وقصروا هممهم على نظم انواعه بلا مراعاة ما تقتضيه الصناعة من المقتضيات واهمها ابراز المعاني في قوالب يصح ان يسمى بها النظم شعراً فتراهم اذا ظفروا بايداع البيت شيئاً منه ضربوا صفحاً عما عداه ولم يبالوا بعد ذلك بعلو او انحطاط حتى كاد هذا الفن يكون مقصوراً على هذا الضرب من النظم واصبح فيما نراه فيه من المهانة عند البلغاء

ومن العيوب المزرية بقدره مزجهم الغث بالسمين من انواعه وادراجهم فيه ما لا يصح ان يكون نوعاً بديعياً او ما هو جدير بان يعد من المقبحات لا من المحسنات بله خبطهم في بعض التعاريف والخطأ في الاستشهاد وادخال بعض الانواع في بعض بحيث اصبح في حاجة كبرى الى تهذيبه وتخليصه من تلك الشوائب

وانا ذاكر في هذه النبذة رأياً عنّ لي في نوع منه وضعه ابن المعتز وسماه بتأكيد المدح بما يشبه الذم ودعاه بعضهم بالمدح في معرض الذم وآخرون بالنفي والجحود والتسمية الاولى اولى لسلامتها من الاعتراض ولكونها اوضح دلالة على النوع . وقد قسمه علماء البديع الى قسمين قسم عرفوه بانه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح وقالوا انه افضل القسمين واستشهدوا عليه بقول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وبقول من يقول زيد لا عيب فيه سوى انه يكرم الضيف . والقسم الثاني عرفوه بانه اثبات صفة مدح ثم استثناء صفة مدح اخرى نحو انا افصح العرب بيد اني من قريش ونحو قول النابغة الجعدي

فتى كملت اخلاقه غير انه جواد فما يبقي من المال باقيا

وكلامنا في القسم الاول فقد اطلت النظر فيما كتبه علماء هذا الفن قديماً وحديثاً فظهر لي انهم تساهلوا في تعريفه فاداهم التساهل الى الخلط بين شواهده كما ترى . والذي استبان لي ويستبين لكل متأمل ان بينها فرقاً واضحاً يقسم به النوع الى نوعين . ولبيان ذلك نقول ان استشهادهم ببيت النابغة الذبياني استشهاد صحيح مطابق تمام المطابقة لاسم

النوع الذي اختاره واضعه، لان وصف سيوف القوم بانها مفلولة مثلومة لا يشك احد في انه عيب يذمون به ولكن لما كان سببه قراعهم للكتائب دل على اقدامهم وشجاعتهم وكثرة مباشرتهم الضراب بانفسهم فصار مدحاً لهم وصح القول بان الشاعر أكد مدحه بما يشبه الذم لاتيانه بتلك الصفة المذمومة المقرونة بما يصرفها الى المدح ولا يخفى حسن هذا الاسلوب البديع على من نهل من حياض العربية وتذوق بلاغتها. بخلاف استشهادهم بقول القائل لا عيب في زيد سوى الكرم و بقول القائل :

ولا عيب في هذا الرشا غير انه له معطف لدن وخد منعم

فليسا في شيء من المطابقة لاسم النوع كما يظهر لي ولا يصح عدهما مع الشاهد الاول من نوع واحد وانما اداهم الى هذا الخلط تساهلهم في التعريف كما قدمنا لانه قولهم نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح شامل لهذين الضربين من الاستشهاد اما في الثاني فظاهر لان الكرم والمعطف اللدن والخد المنعم المستثناة من صفة الذم المنفية كلها صفات مدح واما في الاول فلأن الصفة المستثناة وهي فلول السيوف وان تكن صفة ذم فقد حولت الى صفة مدح ايضاً فصح بذلك عدم الاستشهاد بهما على نوع واحد لشمول التعريف لها مع ان الفرق بين الضربين لا يخفى على ذي بصيرة . ولزيادة التوضيح نقول ان الضرب الثاني من الاستشهاد ليس فيه من تأكيد المدح بما يشبه الذم سوى الاسلوب الذي صيغت به شواهده فقط لان ذكر الاستثناء بعد نفي صفة الذم موهم لاثبات شيء ما من الذم فلما استثنى القائل صفة مدح محضة كان موهماً للنوع باسلوب وان لم يأت به على حقيقته

والذي اراه في حل هذا الاشكال ان يقسم هذا النوع الى نوعين نوع يسمى بتأكيد المدح بما يشبه الذم و يقال في تعريفه انه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة ذم مقرونة بما يصرفها الى المدح او استثناء صفة مدح محولة من ذم او غير ذلك مما يؤدي معناه وقد ظهر لي ان القرينة الصارفة قد تكون لفظية كما في بيت النابغة الذبياني لان قوله من قراع الكتائب قرينة دالة على عدم ارادة الذم او تكون معنوية كما في قول القائل

ولا عيب فيكم غير ان ضيوفكم تعاب بنسيان الاحبة والوطن

فان جعلهم ضيوفهم ينسون احبتهم واوطانهم عيب ولكن لما كان سببه كثرة الطافهم واكرامهم اياهم صار مدحاً وهو غير مصرح به بل مفهوم من سياق البيت .

(النوع الثاني) يسمى بايهام تأكيد المدح بما يشبه الذم و يقسم الى قسمين قسم

يقال في تعريفه بانه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح محضة ليس فيها شائبة ذم ويستشهد عليه بنحو قولهم لا عيب في زيد سوى الكرم وبنحو قول القائل

لا عيب فيه سوى مكارمه التي نسبت لحاتم بخل كل بخيل

والقسم الثاني يقال في تعريفه بانه اثبات صفة مدح ثم استثناء صفة مدح اخرى خاليتين من شائبة ذم ويستشهد عليه بقوله عليه الصلاة والسلام انا افصح العرب بيد اني من قريش وببيت النابغة الجعدي المتقدم وبنحو قول القائل:

وظبي ثناياه الصحاح كما ترى من الريق يرويها الرضاب المبرد
وقد حاز اشتات البهاء غير انه له مقلة كحلا وخد مورّد

وقول البديع الهمذاني

هو البدر الا انه البحر زاخراً سوى انه الضرغام لكنه الوبل

وانما جعلنا هذين القسمين لنوع واحد لانهما كما ترى من نمط واحد وليس فيما بينهما من الفرق ما يدعو الى جعلها نوعين · اما اصحاب البديعيات فقد وقفت على عشرين بديعية فما وجدت بين ناظميها من تنبه لما ذكرت بل استقوا جميعهم من بحر واحد ولم يأتوا بغير ايهام النوع الا صفي الدين الحلي حيث قال

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وهو مأخوذ من قول القائل المتقدم

ولا عيب فيكم غير ان ضيوفكم تعاب بنسيان الاحبة والوطن

وكذلك الشيخ ابن المقري في قوله

لا عيب فيه سوى تسليط نقمته على العدا ومواليه على النعم

فانه قال في شرحه ان تسليط النقم عيب ولكنها لما كانت على الاعداء كانت مدحاً وعندي فيه نظر والله اعلم القاهرة احمد تيمور

مخطوطات ومطبوعات

نهج البلاغة

لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه وعلى آله السلام جمع الشريف الرضي وشرح عز الدين المدائني المعروف بابن ابي الحديد المجلد الاول والثاني والثالث طبعت بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر على نفقة اصحابها مصطفى افندي البابي واخويه بكري افندي وعيسى افندي

ابلغ كلام عربي بعد الكتاب العزيز والاحاديث النبوية كلام رابع الخلفاء كرم الله وجهه جمعه الشريف الرضي وشرحه ابن ابي الحديد المعتزلي طبع مرتين في فارس على الحجر فكان السقم يغلب عليه وطبعته دار الكتب العربية الكبرى هذه المرة بالقاهرة طبعة حسنة جعلت الاصل بحرف غليظ مشكولا والشرح بحرف وسط والشرح هو كما قال شارحه « بسط القول في شرحه بسطاً اشتمل على الغريب والمعاني وعلم البيان وما عساه يشتبه ويشكل من الاعراب والتصريف واورد في كل موضع ما يطابقه من النظائر والاشباه نثراً ونظماً وذكر ما يتضمنه من السير والوقائع والاحداث فصلا فصلا واشار الى ما ينطوي عليه من دقائق علم التوحيد والعدل اشارة ضعيفة ولوح الى ما يستدعي الشرح ذكره من الانساب والامثال والنكت تلويحات لطيفة ورصعه من المواعظ الزهدية الدينية والحكم النفسية والآداب الخلقية واوضح ما يومئ اليه من المسائل الفقهية » الى غير ذلك مما كان حرياً ان يقال فيه انه دائرة معارف وآداب اسلامية فيه من تاريخ الصدر الاول ما يأخذ بمجامع القلوب ويغني عن تقليب عشرات من المجلدات ومع هذا فقد جاء الكتاب كله (اربع مجلدات) في زهاء الفي صفحة من القطع الكامل فنثني على طابعيه بنشره في هذه البلاد وتسهيل مقتناه على طلاب الآداب ونحث على اقتنائه اذلا يجمل بمكتبة ان تكون خالية منه وفي مأمولنا ان نكتب مبحثاً ضافياً في هذا السفر النفيس عند نجاز طبعه

تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف جرجي افندي زيدان طبع بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١١ ص ٣٢٠ ج اول

لم تبرح المادة التي طبعت من كتب العرب نزرة بالنسبة لما يقتضيه تأليف كتاب في

هذا الموضوع الجليل باللغة العربية ولكن رصيفنا صاحب الهلال استعان بما طبع من كتبنا في الشرق والغرب وبعض ما كتبه الافرنج عن آدابنا بالانكليزية والافرنسية والالمانية فجاء هذا الجزء «يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته من العلوم والآداب على اختلاف موضوعاتها» وتراجم العلماء والادباء والشعراء وسائر ارباب القرائح ووصف مؤلفاتهم واماكن وجودها او طبعها. و«هذا الجزء خاص بعصر الجاهلية وعصر الراشدين والعصر الاموي اي من اقدم ازمنة التاريخ الى سنه ١٣٢ هـ». وهو منسق مبوب مفهرس على طريقة حسنة وقد وجدنا له كلاماً في تفضيل كلام شاعر على شاعر كنا نود ان يعزوه لاهل هذا الشأن ممن كتبوا كتبهم في عصر نضارة اللغة وكانوا هم شعراء مطبوعين بالطبع كما رأينا المؤلف قال بما لم يقل به ائمة التاريخ والثقات من رواة الاخبار من ان الاسلام (المسلمين) ابادوا مكاتب الفرس ومصر وكما ارادوا هدم ايوان كسرى واهرام مصر (ص ٥٦) والمعروف الثابت عند المحققين من علماء الغرب والافرنج ان نسبة احراق مكاتب الفرس ومصر للمسلمين فرية افتراها خصوم الفاتحين ودسوها حتى تلقفها من لم يكن لهم عهد بتصحيح الاخبار والمعروف من هدم المسلمين لاهرام مصر ان المأمون احب ان يعرف ما في داخله فأمر بنقب جهة واحدة منه خدمه للتاريخ والآثار لا عملاً بمبدإ الخراب والدمار والا فان في بعض عصور الظلم قد دكت الجوامع والمدارس ايضاً وكثيراً ما تنقض بنية جامع مشهور لتؤخذ انقاضه الى جامع آخر في بلد آخر او قطر آخر وهذا لا ينسب للاسلام بل للجاهلين من المسلمين وان شئت فقل للمخربين من المتغلبين. وما نظن احداً من المحققين قال بان الاسلام كان السبب لتكاثر الشعراء العشاق (ص ١٤٠) لانتشار التسري وركون القوم الى الرخاء حتى اذا نضج المدنية الاسلامية تحول ذلك الى التهتك والتخنث وكذلك قوله (ص ٢٤٠) ان التشبيب هان على المسلمين بعد عهد الخلفاء الراشدين مع ان المعروف ان التشبيب موجود في الجاهليه والاسلام ولكن اخبار الجاهلية كلها لم تبلغنا وربما كان في مخطوطات بعض مكاتب الغرب والشرق شذرات منها تجلو لنا كثيراً من الغوامض اذا اردنا الاستقصاء في هذا المعنى والا فالحكم المبرم بقليل رأيناه على كثير مما لم نره قد يؤدي الى ركوب متون الاغلاط. وعلى كل فنشكر صديقنا المؤلف ونتمنى له التوفيق الى اتمام كتابه

التاريخ الكبير

للحافظ ابي القاسم بن عساكر عني بترتيبه الشيخ عبدالقادر بدران طبع بمطبعة (روضة الشام) بدمشق سنه ١٣٢٩

لم يبق احد ضرب بمعرفة تاريخ الاسلام الا وتشوق كثيراً لنشر كتاب الحافظ ابن عساكر المتوفى سنه ٥٧١ هـ في تاريخ دمشق وقد صحت عزيمة الشيخ عبد القادر بدران من فضلاء دمشق على نشره فنشر منه الى الآن ١٢٨ صفحة محذوفة التكرار والاسانيد وحذف اسانيد الاخبار في محلها وتقح الحوادث حسب الامكان وبين مراتب الاحاديث التي رواها المؤلف في الحاشية وكنا نود لو يوفق الناشر الى نشر هذا السفر الكبير وهو في ثمانين مجلدة صغيرة على الاسلوب الذي كتبه المؤلف وان كان هو باسلوب المحدثين اشبه منه باسلوب المؤرخين او ان يظفر الناشر بمختصر من المختصرات التي اختصرها به بعض ائمة هذا الشأن ولكن الهمم تقصر عن درك مثل هذه الغاية البعيدة الآن ولعل انتشار الكتاب على هذا المثال يشوق ابناءنا واحفادنا في مستقبل الايام الى نشر ما قاله ابن عساكر بالحرف على اننا نشكر للناشر والطابع عنايتهما وحرصهما على خدمة تاريخ اقدم مدن العالم الاسلامي ونعني بها دمشق الفيحاء

رسائل مختلفة

(السفر المفيد في العالم الجديد) والدليل التجاري لابناء الامة العربية والشعوب المختلطة في العالم اجمع تأليف الدكتور نجيب طنوس عبده اللبناني في ٦٧٦ صفحة كبيرة الحجم مع الرسوم وفوائد مختلفة عن البلاد ولاسيما اميركا الشمالية

(الفتوى في الاسلام) تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي وقد طبعت في الاجزاء الاول من مجلد السنة السادسة من المقتبس وجردها المؤلف مع تقديم فهرس لها يبين فوائدها

(ديوان البحتري) الجزء الاول منه ضبطه بالشكل الكامل وعلق حواشيه رشيد افندي عطية الاديب اللبناني وهو في ٤٠٠ صفحة كنا نود ان لا يسقط الناشر طائفة قليلة من ابياته لان من شروط الامانة ان تنشر الكتب على علاتها وان يشير الشارح الى بعض ما ربما لم يشرحه لانه توقف فيه ولاسيما في اسماء البلدان والاماكن

(برنامج جمعية النداء الخيري بدمشق) هذه هي احدى الجمعيات الخيرية التي أُسست في هذه الحاضرة في السنة الماضية . وقد كان دخلها ٢٢٢٣٥ قرشاً و٣٥ بارة

صرفت منها عَلَى تعليم اولاد الفقراء واعطاء المحاويج ١٥٩١٥ والباقي احتياطي

(البيان السنوي) للكلية الاسلامية العثمانية في بيروت لعامها السابع عشر فيه نظام هذه المدرسة الراقية ومنزعها في التربية والتعليم واعمالها وكيفية الالتحاق بتلامذتها الى غير ذلك مما يدل عَلَى تدرجها في مدارج الارتقاء والنماء سنة فسنة

(الصهيونية) ملخص تاريخها غايتها وامتدادها حتى سنه ١٩٠٥ لنجيب افندي نصار وما جاء في دائرة المعارف الاسرائيلية عن مسألة الصهيونيين شفعها المترجم بما قاله في هذه المسألة الحيوية في جريدته (الكرمل) في حيفا

التقرير السنوي السابع لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت وهي الجمعية الخيرية التي تجمع المال لتهذيب الفتيان والفتيات بقطع النظر عن مذهبهم ولها فرع نسائي وكان مجموع دخلها سنة ١٩١٠ ٥٥٦٦٣ غرشاً ومجموع خرجها ١١٠٢٦ غرشاً وبلغ مجموع من علمتهم حتى الآن ٤٤ فتى و٢ فتاتين صرفت عليهم من الغروش ٤٥٩٠٢ وذلك مدة سبع سنين ·

اخبار وافكار

حرق مكتبة الاسكندرية

كتب بعضهم مقالة في جريدة التيمس ايد فيها قول من قال ان عمرو بن العاص احرق تلك المكتبة بامر الخليفة عمر بن الخطاب معتمداً عَلَى ما قاله جرجي افندي زيدان في كتابه تاريخ مصر الحديث فرد عليه المستر بطلر مؤلف كتاب (الفتح العربي لمصر) داحضاً تلك التهمة · وقد نشرت التيمس رده في عدد ٢٥ حزيران الماضي قال : غريب ان يتحدث الناس من جديد بحرق عمرو بن العاص لمكتبة الاسكندرية وان ينشر مثل ذلك في جريدة كبيرة الشأن كجريدة التيمس وعندي انه لا يمكن ان يكون الكاتب قد بحث في المسألة من وجهيها العلمي والتاريخي فانه لو فعل لعرف ان الحجج التي يحسبها براهين جديدة عَلَى صحة قوله ليست بجديدة ولا يركن اليها في بحث هذه المسألة

وقد عقدت في كتابي (الفتح العربي لمصر) فصلا طويلاً على هذا البحث واظهرت فيه بالادلة البينة ما يأتي :

١ — ان قصة حرق مكتبة الاسكندرية نشرت في الكتب الاوربية بعد الفتح العربي بخمسمائة سنة وناشروها هم عبداللطيف وجمال الدين وابو الفدا والمقريزي . ولا شك ان ابا الفرج اقتبس روايته عن عبد اللطيف . وليست هذه الحقيقة اكتشافاً جديداً بل هي امر قديم معروف

٢ — ان تعليل الحادثة يخرجها عن الجد والصحة

٣ — ان بطل الحادثة هو يوحنا فيليونوس وهذا مات قبل الفتح العربي بكثير من السنين

٤ — كان في الاسكندرية مكتبتان مهمتان احداهما مكتبة المتحف والثانية مكتبة السيرابيوم . ولا بد ان تكون الرواية تشير الى احداهما : فالاولى اتلفت في الحريق الذي احدثه يوليوس قيصر قبل الفتح العربي باربع مئة سنة . واما الثانية فيظهر من التاريخ انها اما ان تكون قد نقلت قبل سنة ٣٩١ قبل المسيح او اتلفت وخربت في ذلك التاريخ . وعليه لم يكن في الاسكندرية مكتبة في سنة ٦٤٢ بعد المسيح ولم يوجد ذكر للمكتبة في كتب القرن الخامس والسادس والسابع مطلقاً

٥ — لو كانت المكتبة موجودة في زمن الفتح العربي لكان نقلها بسهولة ممكناً في مدة المدنة التي أعطيت قبل تسليم الاسكندرية وفقاً لمادة في المعاهدة تسمح بنقل الاشياء الثمينة وكان طريق البحر يومئذ مفتوحاً

٦ — واخيراً لو ان المكتبة نقلت او اتلفت لما كان مؤرخ ذلك العصر العالم جون فيكيو اغفل ذكرها وسكت عن حادثتها كل السكوت

وعَلَى ذلك فنشيءُ المجلة المصرية (جرجي افندي زيدان) لم يكتشف الا ما كان ظاهراً معروفاً . والكاتب لم يدرج في احمدتكم الا اعترافاً بجهل ليس فيه ادنى برهان في علم التاريخ . اه فليتأمل

تربية النظر

ذكرت احدى المجلات العلمية ان اهمال النظر في المدارس الابتدائية والثانوية في اوربا بلغ مبلغاً لم يستطع معه أكثر التلامذة ان يعرفوا بمجرد النظر تقدير مسافة اوقياس او وزن . ولكن الولايات المتحدة اخذت في مدارس المعلمين تداوي هذا الداء فتعلم التلامذة ان يقيسوا و يزنوا بعيونهم وقد رأى الاساتذة ان الاولاد لا يتصورون طول المتر تصوراً حقيقياً فصاروا يترونهم عليها بعد درس الحساب فخرج الاساتذة

بتلامذتهم الى النزهة عقيب الدرس في طريق ركزت في كل عشرة امتار منها علامة ثم ترفع العلامة ويشار الى الاولاد ان يضعوا العلامات بالنظر ومن احسن وضعها في اماكنها يعطى مكافأة وهكذا تقدّر الابعاد العالية عَلَى هذه الصورة فيضعون وتداً من اعلى الى اسفل ويتفننون في تقدير الابعاد العالية · اما التمرن عَلَى معرفة الاوزان فهو صعب أكثر من ذلك لان وزن الاشياء لا يمكن تقديره من حجمها ولكن الاساتذة رأوا ان يبدأوا بتمرين الطلاب على الاشياء الثابتة مثل تقدير وزن الحديد او الخشب اوغيرهما ثم ينتقلون بهم الى امور اخرى وعَلَى هذه الصفة يكون للتلميذ درس ولعب مسل يشغل الذهن وقد اتفق المعلمون على الاعتراف بان هذه الطريقة قد ادت الى احسن النتائج في تربية النظر

المطاط

لما اخترع ماكنتوس سنة ١٨٢٣ الرداء الذي لا ينفذ اليه الماء واشتهر به كان مقدار ما يستخرج من المطاط ١٢٠ طناً في السنة وما زال يكثر المستخرج منه حتى بلغ هذه السنة ٨٠٠٠٠ طن وقد توصل جان دبيوفسكي البولوني الى استخراج ١٠ الى ٢٠ في المئة من المطاط من صمغ اسمه جلتونغ Jelutong

وهذا الصمغ يتكون عَلَى نبات ينبت في جزائر مالابو يستخرج بسهولة وبثمن قليل بحيث بات الرجاء بعد المعامل التي أنشئت لاستخراج المطاط من هذا الصمغ ان تنزل اسعار المطاط كثيراً وتجاري ما يستخرج منه من مملكة الكونغو

بين اوربا واميركا

تنوي سويسرا ان تؤسس مؤتمراً دولياً للنظر في انشاء خط حديدي يقرب المسافة بين جنوبي اوربا وجنوبي اميركا بحيث يجعلها خمسة ايام وذلك بانشاء خط حديدي بعد جبل طارق عَلَى الساحل الغربي من افريقية قاصداً الى دكر منتهياً بباتورس بحيث يصل الانسان الى برنامبوك في ثلاثة ايام بدون ضباب ولا جليد كما هو الحال في بحر الظلمات وتكون المسافة بين جبل طارق ودكر ٢٧٨٨ كيلومتراً والى باتورس ٣٠٠٠ كيلومتر ولا تكلف نفقات الكيلومتر كبير امر لان اجرة العملة رخيصة جداً في تلك الاصقاع وبذلك يصل الراكب بعد ذلك براً وبحراً من اوربا الى برازيل في خمسة ايام وتنتفع اوربا ومراكش ومستعمرات انكلترا وفرنسا في افريقية وبرازيل وتقصر المسافة بين الكونغو وجنوبي افريقية وكذلك المانيا تستفيد من مستعمرتها

الافريقية ولكن هذا المشروع يحتاج الى رأس مال كبير حتى ينقل العملة والادوات وتهيأ اسباب المياه للشرب وغير ذلك

الزواج في الغرب

اكثر البلاد تزوجاً بلاد المجر فان معدل المتزوجين كان سنة ١٩٠٨ ـ ١٩ في الالف وكان سنة ١٨٩١ ـ ١٧ في الالف وفي المانيا زاد عدد المتزوجين زيادة قليلة بعد سنة ١٨٩٠ ونهض معدله في ايطاليا من ١٥ الى ١٦ ½ في الالف وفي فرنسا من ١٥ الى ١٦ وفي انكلترا الى ١٥ وارتقى في ايرلندا من ٩ الى ١٠ في الالف ونزل معدل الزواج في يابان من ١٧ في الالف الى ١٦ سنة ١٨٩٣ وشاع الطلاق فيها حتى كان ٣٢٥ طلاقاً في كل الف زواج وبعد سنة ١٩٠٧ بلغ معدل الزواج عندها ١٨ في الالف وما زال عدد الاولاد غير الشرعيين يكثر في العالم ولا سيما في يابان وكذلك في فرنسا والمانيا واقل الممالك باولادها غير الشرعيين انكلترا وهولاندة

نهضة الجمال

في جميع بلاد الحضارة اليوم تنشأ جمعيات ومنتديات ومتاحف للبقاء على الجمال وانهاضه من كبوته في المحال التي لا اثر له فيها فمن جمعيات لوقاية المناظر الجميلة القديمة وابقاء رونق المدن والقرى والدساكر على حالها ومن جمعيات لابعاد البشاعة عن مناظر المدن والاهابة بها الى الجمال ومن اخرى لتنشيط الهندسة والنقش وغيرها لتجويد لعب الاولاد حتى تتربى فيهم ملكة الجمال والشعور به وفي انكلترا وفرنسا تنشأ مدن كالحدائق بترتيبها ومن معارض تقام للصناعات النفيسة ومن جمعيات لتنشيط زواج جميلات الصورة من النساء بجميليها من الرجال ليكون الجمال والكمال في اولادهم صنوين ومن جمعيات تعنى بتحسين الجنس البشري ففي باريز جمعية تسعى الى نقض عهود الزواج التي يكون منها اولاد ناقصون في خلقهم مشوهون في تراكيبهم وهكذا يدعون الى الجمال ويعلونه ناشئتهم اي عملاً لنا في الشرق مثل ذلك

ادبيات يابان

كتب احد الباحثين من الانكليز ان المرأة اليابانية كانت ممتازة بقريحتها الادبية منذ عهد بعيد فكانت منذ القرن الثامن مشهورة بمعرفتها معنى الحياة وسهولة التعبير بلغة ادبية مختارة ولكن لم يكن يتفق وجود النساء الكاتبات ولا يتفق وجودهن الا في قصور الملوك ثم جاء دور هيان (٨٠٠ — ١١٨٦) فكان العصر الذهبي للمرأة اليابانية

وقد ارتقى تسع نساء الى عرش الملك فامتزن بحكومة عاقلة متسامحة فكان بلاط الملك معهداً يتعلم فيه النساء و يتهذبن والظاهر ان احسن التآليف الادبية التي نشرت في ذلك القرن قد خطتها انامل النساء ثم اتى دور يدو فاضمحلت دولة الآداب وكذلك الحال من سنة ١٦٠٨ — ١٨٦٧ فقد اطفئت في خلالها حياة المرأة العقلية . وظهرت المرأة اليابانية من سباتها الى منذ اربعين سنة ونهضت للتعلم نهضة الشمير الخبير ففي سنة ١٨٧١ بدأت النهضة النسائية بذهاب الفتيات اليابانيات يتعلمن في اميركا فنشأت عن ذلك حركة مهمة بحيث بلغ عدد الطالبات اليوم ٣٢ الفاً ومعظمهن يدرسن الآداب . وفي يابان عدد كبير من الجرائد والمجلات يشارك النساء في تحريرها كل المشاركة ولهن مجلة سمينها مجلة القرن العشرين جعلنها لسان حال الحزب الراقي من النساء يطالبن فيها لبنات حواء بالحرية وحق الانتخاب . وزعيمة اديبات يابان اليوم البارونة ناكاجيما وهي كاتبة سياسية معتبرة

النصرانية والوثنية

حكمت يابان على رجل اسمه كوتوكو بدعوى انه من الفوضويين فقام انصار الحرية وقعدوا قائلين ان لبعض رجال الدين يداً في مقتله كما كان لهم في مقتل فريرالمصلح الاسباني . قالت المجلة الباريزية : ليس كوتوكو كما صوره خصومه بل هو كاتب واخلاقي وكتابه الاخير الذي سماه « نسخ المسيح » قد احدث رنة كبرى بين الطبقة المستنيرة في يابان وكان المؤلف عدواً للنصرانية يجاهرها العداء ولذلك عاداه المرسلون من جميع الطوائف . وهو من تلامذة المصلح الياباني ناكاشومن وتأليفه الاخير في نفي مجيء المسيح ذهب فيه مذهب الاستاذ دروس ولم يعمد الى القذف في كتابه بل جعله سفر علم وبحث واستنتج فيه ان المسيح (عليه الصلاة والسلام) لم يثبت ظهوره في التاريخ وحث مواطنيه ان لا يتخلوا عن دين بوذا وكنفوشيوس ليدينوا بمذهب أسس على الوهم والوثنية (كذا)

مميزات المجانين

عُني اثنان من الاطباء بالمقابلة بين المجانين من الرجال والنساء وبين العقلاء من الجنسين فثبت لها بعد ان نظرا في ستمائة شخص ان طول المجانين قصير في الاغلب وكذلك النصف الاعلى منهم بخلاف اعضاء النصف الاسفل فانها عادية ففي مئة رجل عاقل وجدا ان الرجلين كبيرتان ٥١ مرة وصغيرتين ١٨ بخلاف ارجل المجانين فان في

٥٥ رجلاً كبيرة ٢٤ رجلاً صغيرة وبالعكس في المرأة ففي مئة امرأة عادية ٥٢ ذات ارجل صغيرة و ٢٣ ذات ارجل كبيرة وفي مئة معتوهة ٥٤ كبيرات الارجل و ١٨ صغيراتها ورؤوس الرجال العاقلين اقل طولاً في الاكثر منها في الجانين والمرأة العاقلة تمتاز على الجملة بطول الرأس بخلاف المعتوهة فانها صغيرته مستطيلته ومعظم رؤوس الرجال العاقلين قليلة العرض بخلاف المجانين فانهم عريضوها اما النساء العاقلات فيمتزن اجمالاً بعرض الرأس المتوسط او بكبره والمعتوهات بصغر عرض الرأس . والمعتوهون والمعتوهات كبار الآذان .

التمثيل بباريز

بلغت مداخيل دور التمثيل في باريز سنة ١٩١٠ ٥٧ مليون فرنك اي بزيادة عشرة ملايين عن السنة التي قبلها وكانت الزيادة اولاً للاوبرا ثم للاوبرا كوميك ثم للكوميديا الفرنسوية ثم للاوديون ثم لغيرها من دور التمثيل المدهشة المتقنة

العاملون في الامم

نشرت وزارة العملة الانكليزية احصاء بالعملة في جميع البلاد المتمدنة فكان عدد العاملين في النمسا ٥١ ونصف في المئة وعددهم في فرنسا ٥١ وربع في كل مئة و ٥٠ في ايطاليا و ٤٦ في البلجيك و ٤٤ في المانيا و ٤٥ في انكلترا و ٣٥ في الولايات المتحدة

الجلد الصناعي

اخترع منذ سنين احد البلجيكيين جلداً صناعياً وثبت الآن غناؤه في مسابقة اللجنة الزراعية في مدينة ترني من ايطاليا ونال مخترعه الجائزة وهذا الجلد عبارة عن غمس قماش من القطن بمواد دهنية زلالية دابغة والاحذية التي تصنع به تقاوم كالجلد الطبيعي ولها مرونته وطول صبره والحذاء المعمول من هذا الجلد الصناعي يكلف مع اجرته اربعة فرنكات ويباع بستة عند التجار وهو نافع للفقراء والعملة خاصة

صرعى الحروب

ذكر بعضهم ان الحكومات تقل في العادة معلوماتها عن الحروب ونتائجها المدهشة وهكذا لا يعرف الا قليل من كثير ممن فقدتهم فرنسا في الثورة الاولى وتأسيس حكومة نابليون فقد كانت جنود نابليون اوربا مثلاً فاجتازت المانيا وبولونيا وهولاندة واسبانيا وسويسرا والبرتغال وايطاليا وكرواسيا ودلماسيا وترك في ساحة الوغى مئات الالوف من الاشلاء فهلك من الفرنسيس في حرب اسبانيا التي دامت خمس سنين ٤٧٣ الفاً

وفي حرب روسيا ٣٨٠ الفاً ولا يعلم بالتحقيق عدد من هلك في معركة واترلو ومن المحقق ان الجيش العامل كان مليوناً وثلاثمائة الف من الفرنسيس هلك معظمه . كل هذا ونابليون لا يهتم بمن يهلك حتى قال له مترنيخ السيامي النمساوي ذات يوم : ماذا تعملون متى هلك هؤلاء الشبان « فاجابه نابليون : لا ادفع فلساً لاجل حياة مليون من البشر » وقال نابليون لنار بون احد قواد فرنسا . ان حملة روسيا قد استلبت من رجالي ثلثمائة الف رجل هذا خلا من قتل من الالمان . قال من تنقل عنه ان فكر الفتوح — بقطع النظر عن الحروب المدنية والدينية وحروب الاستقلال — كان زمناً طويلاً العامل الوحيد في الحملات العسكرية وقد نسي الناس في الغالب ما صحبها من الفظائع التي لا نفع فيها ولا محيص منها ولم تعلن للجمهور مخافة ان يسقط تأثير الحكومات فيهم . وقد قالوا ان التاريخ يعيد نفسه وانا ارى ان التاريخ لم يعرف على حقيقته حتى يردد ونشره بين الناس جيلاً مسلسلاً بالروايات الاكيدة اعظم نافخ في بوق السلام بين الانام . قلنا اما نحن فلا نعلم باي وجه يغالي بعضهم في تكبير نابليون في العيون باعماله وهو الذي قتل من قتل من البشر وكلف قومه لا اقل من ثلاثة ملايين من الرجال الاقوياء ومثلهم من سائر الامم او اكثر ولكن انصار الملكية في فرنسا وفي مقدمتهم رجال الدين يموهون على العقول لينفروا الناس من حكم انفسهم بانفسهم وتكون لهم السيطرة على الارادات والنفوس ءاذ لم ينزل به سلطان

مجلة فريدة

بدا لرجل كاتب ومصور من اهل قرية في جوار سبرنجفيلد من اعمال ولاية ايلينوا في الولايات المتحدة ان ينشئ لاهل قريته مجلة خاصة بهم فريدة في اسلوبها ورسومها وشعرها ونثرها وكلها مما خطته يراعته وريشته فأصدر منها عدداً واحداً وطبع منه سبعمائة نسخة بقدر عدد سكان القرية يريد بها ان يعلم اولئك الفلاحين ذوق الفنون والآداب ومن جملتها الشعر . يعلمهم به ويهذبهم وقد كانت الصور التي صورها في هذا العدد كأنها ناطقة تتكلم وتعلم مشفوعة بقصص تشرح مكانتها فمما يمثل صورة شيطان الرذيلة خضع لسلطان المرأة المربية ولطفها الساحر . ومن الصور التي صورها صورة قارب جذبه التيار في عرض البحر فمزق قلوعه وتلاعبت به الامواج والرياح من كل جانب يشير به الى قرية تتقاذفها الاهواء من فساد اخلاق وشرب مسكر وغير ذلك من الموبقات وهناك رسوم احتفالات ومواكب نشر الشعب اعلامها وقد كتبوا عليها

مواعظ ونصائح في عمل الخير وحفظ الصحة وحسن التدبير وقد زاد المجلة رونقاً شعر صاحبها الذي ينبه الشعور ورأى ان نشر مثل هذه الصحيفة أفيد لبني قومه من موعظة يسمعونها في ابرشيتهم فيطير صداها في الفضاء

الاستقلال المادي

نشر احد رجال المجر كتاباً في حالة المجر الاقتصادية قال فيه ان السبب في ارتقاء هنغريا في مادياتها قلقها الدائم عَلَى استقلالها عملاً بقول ذاك الوطني المجري الكبير : « ان كل ما تسلبنا اياه الشدة يتيسر للزمان المسالم والاحوال الموافقة ان تعيده الينا ولكن الحقوق التي نتخلى عنها بضعنا نفقدها الى الابد بدون ان نأمن رجعتها . » وعَلَى هذا شمر المجريون عن ساعد الجد واعادوا قاحل ارضهم حدائق غلباً وحقولاً ممرعة وتلك المراعي التي يضل فيها الغنم اصبحت الآن تربي قطعاناً من البقر بحيث زاد عددها مليون رأس منذ عشر سنين وان بلاد المجر كانت وما زالت بلاداً زراعية وستظل كذلك ومن الارض تستخرج اهم موارد ثروتها عَلَى انها بفضل جد الافراد والحكومة بلغت في الصناعات شأواً بعيداً يحسدها عليه ارقى الامم بحيث قدر صناعها بثلثمائة وعشرين الفاً من اصل عشرين مليوناً سكان المجر كلهم وقد جاوز محصولها السنوي ملياري فرنك فقدرت الزيادة في ثماني سنين بخمسين في المئة فلله ما يعمل الجد والعلم المادي ولا غرو بعد هذا اذا كان للماديات تأثير قوي في المعنويات .

الصين الجديدة

قلق الاوربيون لنهضة الصين الحديثة فمن قائل ان الخطر منها يوشك ان يتناول الاوربيين قريباً ومن قائل بان ذلك بعيد الآن وقد انتدبت الجمعية الجغرافية في باريز عالماً ثقة ليدرس الحالة في بلاد الصين وعاد فكتب كتاباً في هذا الشأن قال فيه ان الخطر الاصفر ليس قريب الوقوع كما يدعي بعضهم وان اليوم الذي يقوم الصينيون فيه ويقولون « آسيا للآسياويين » بعيد ومتى حان يحيق الخطر بالاقرب فالاقرب من الاوربيين (اي الفرنسيس في التونكين) كما وقع ليابان في استيلائها على كوريا ومحاولتها الاخذ بخناق منشوريا قال وان السواد الاعظم من ابناء السماء يحافظون على التقاليد القديمة كل المحافظة يقدسون اجدادهم ويكتبون بخطوط صعبة يستحيل ان تنتشر بواسطتها مدنية وربما كان الافرنج النازلون في بلاد الصين السبب الاعظم في كره الصينيين للغربيين على نحو ما جرى في ثورة البوكسر سنة ١٩٠٠ فثارت البلاد عَلَى

الاجانب بدون استثناء ، وهذه العداوة المتأصلة هناك تعجل في نشوء الصين وما هو ببطيء كما يظن فمنذ سنين قليلة كانت تمتنع الصين من انشاء سكك حديدية ثم أعطت امتيازات لاناس من الاجانب وعادت فابتاعت منهم ما مدوه من الخطوط لئلا تكون لهم حجة في بلادها ونظامها العسكري حديث العهد بعد وهو سائر سير نجاح واوربا تحسن صنعاً اذا عاقت ارتقاء الصين في الجندية لا كما تعمل الآن فيقدم تجارها لها ما تريد من عدة برية و بحرية من احسن الانواع ٠

اكبر سد

يبنون الآن على نهر المسيسبي بامبركا في شلال الرهبان بين مونتروز وكنكوك اعظم سد في العالم يحوي خزاناً تنشأ منه قوة ذات ١٥٠ الف حصان وطول هذا السد ١٤٠٠ قدم وسعته ٤٣ وعلوه ٣٧ وهو من الحجر ويكون طول الخزان ٥٦ كيلومتراً وسعته الوسطى كيلومترين

الاكتشافات المقبلة

ذكرت مجلة ادلة الترقي ان اديسون المخترع الاميركاني المشهور مقتنع كل الاقتناع بأن حجر الفلاسفة الذي شغل كثيراً من المغرمين بالكيمياء القديمة لتحويل المعادن الى ذهب سيكشف في المستقبل فيستطيع الانسان ان يسك نقوداً ودنانير على ما يشاء من الحجارة والمعادن و بذلك يختل نظام الحالة المالية في العالم وانه لايمضي زمن حتى تخترع ادوات زراعية تتحرك بالكهربائية بقوة خارقة للعادة فتحرث الارض وتسلفها (تنسفها) وتبذرها وتقلع حشيشها وتسقيها وتحصدها وتكدسها وتدرسها وان الفلاح في المستقبل سيكون عالماً بالنبات وطبيعياً وكيماوياً وتكون ادوات ابن الارض في الايام المقبلة عبارة عن سلسلة مفاتيح ومحركات كهربائية

قال ولا ينتهي القرن الا و يحل الفولاذ محل الخشب في صنع اثاث البيوت ٠ فقد كان القرن التاسع عصر الورق فاذا انتهى القرن العشرون لا يبقى للورق من اثر ولا يعرف بماذا تهمر الصرر اذ ذاك ولا على ماذا تطبع الصحف والمجلات اما الكتب فهو يرى انها ستطبع على اوراق من معدن النيكل على ثخانة واحد من خمسة من الالف من المليمتر ٠

الاسر السويدية

ملك الاسرة في السويد عبارة عن ارض زراعية او بيت بحديقة ينشأ في جوار

القرى بحيث لا يتجاوز هذا الملك ١٥ الف فرنك ويتأتى احداث هذا الملك بمعاونة الحكومة او بمعاونة شركات أُسست لهذا الغرض فالحكومة تقرض مالاً لمن يريد ان يقتني ملكاً من هذا القبيل بفائدة ٣ في المئة وكسراً وتقرض الشركات بفائدة ٤ في المئة وقد كان لاحدى الشركات الى آخر سنة ١٩٠٩—١٥٥ فرعاً من فروع مصارفها واعضاؤها ٥٤٩٠ عضواً اقرضت ٢٢٩٧٣٠٥ كوروناً تعاون الافراد على الاغنياء وترفع الشقاء عن الفقراء وهذا من افضل ما سمع في باب التضامن الاجتماعي

سكر جديد

استخرج سكر جديد من جذع الخيزران الابيض ويوجد فيه بكثرة وقد سمي فرباسكوس VERBASCOSE

حبوب السوجا LE-SOJA

السوجا نبات يزرع بكثرة في آسيا الشرقية ولا سيما في منشوريا ويحمل الى اوربا اخضر او حبوباً او حلويات وقد بلغ المحمول منه في السنة الاخيرة زهاء مائتي الف طن ويستعمل اليابانيون هذا النبات في تغذية الحيوان والانسان . وخبز السوجا يحتوي على مواد مقوية اكثر من خبز الحنطة واقل مادة نشوية منه وفيه من المواد الدهنية عشرة اضعاف ما في خبز الدقيق وينفع خاصة المصابين بالبول السكري

نواب الامم

كندا اقل الامم نواباً ففي مجلس نوابها ٢١٤ نائباً وللمجلس النيابي العثماني ٢٧٤ نائباً ولليابان ٣٦٩ نائباً وللولايات المتحدة ٣٩١ ولالمانيا ٣٩٦ ولاسبانيا ٤٠٦ ولروسيا ٤٤٢ ولايطاليا ٥٠٨ وللنمسا ٥١٦ ولفرنسا ٥٩٤ ولمجلس العموم في انكلترا ٦٧٠ ولكننا لا ندري اي المجالس النيابية احسن عملاً

الجراحة في بابل

اكتشفوا في حفريات حديثة في ارض بابل اكتشافاً له مكانة سامية في تاريخ الاجتماع وهو عبارة عن حجر كتبت عليه كتابة يرد تاريخها الى نيف واربعة آلاف سنة وفيها ذكر لاجور الجراحين وقد جاء في هذا الاثر ان اجور الاعمال الجراحية كانت معتدلة بالنسبة لهذه الايام . فكان الجراح يتناول اجرة الساق المكسورة نحو ثمانية فرنكات ونصف واجرة قلع السن او الضرس ٣ فرنكات وثلاثة ارباع واجرة العملية الجراحية بالمبضع ١٥ فرنكاً . وكانت العقوبات التي تحل بغير الماهرين من الجراحين فاحشة

جداً فاذا اساء الجراح القيام بعمليه جراحية تقطع يداه ٠

مكتبة لندرا

من افيد الطرق في اعارة الكتب لنشر المعارف ما جرت عليه مكتبة لندرا من اعارة الكتب الى من يشاء الى حيث يشاء على ان يردها او لا يردها اذا شاء وفي اي وقت شاء وقد جربت هذه الطريقة منذ قام بانشاء المكتبة كارلايل العالم الانكليزي المشهور فاسفرت عن نجاح اكيد بعد سبعين سنة من انشائها لانه قلما يضيع لهذه المكتبة كتاب واذا ضاع فانها تستعيض عنه في الحال غير آسفة عليه لان كتبها غير نادرة ولا تجليدها نفيس والذين يفضلون على هذه المكتبة بعض الملوك والافراد والعلماء المشاهير وقد كان ما لديها من المجلدات سنة ١٨٤٣ — ١٥ الف مجلد فاصبح الآن مئات الالوف ٠

افريقية الجديدة

كتب احدهم في مجلة الطبيعة ان تغيراً كبيراً طرأ على افريقية منذ خمس وعشرين سنة وذلك باتصال الخط الحديدي من رأس الرجاء الصالح الى القاهرة حتى كانكا سنة ١٩١٠ ويرد تاريخ استعمار افريقية الى سنة ١٨٧٠ ايام اكتشفت معادن الماس في كمبرلي وقد انفق الذين اغتنوا منها معظم اموالهم في عمران الترنسفال وردوسيا وتسهيل السبل الى بلوغ الكونغو البلجيكية من جهة الجنوب والدور الثاني في استعمار الاستعمار الافريقي يرد الى سنة ١٨٨٧ عند ما اكتشفت مناجم الذهب في ويتواترساند التي هي اليوم اعظم مناجم العالم ولا ننس معادن القصدير والفحم الحجري والحديد في بلاد الترنسفال وامتد الخط الحديدي من الرأس الى القاهرة فبلغ ردوسيا وكثرت بذلك صادرات الذهب منها ومتى وصل الخط الى كاتانغا سهل استخراج النحاس والمأمول ان تجاري افريقية بما يستخرج من نحاسها بلاد اميركا كما جارتها بالمستخرج من ذهبها ولكن من الاسف العظيم انه كله يستخرج لغير ابنائها ٠

مدرسة الضعفاء

قام جماعة من الجنس اللطيف تحت رئاسة الآنسة روزلاسب سنة ١٩٠٩ في مدينة بوسطون باميركا وأسسن في احدى حدائق المدينة حديقة للاطفال المصابين بضعف في القوى كفقر الدم وغيره ٠ ولما رأت ادارة المعارف نجاح المدرسة والفوائد التي تنجم عنها اوعزت الى اللجنة بان تربط مدرستها بمدارس الشعب وعينت لها الدكتور هاربنكتون

مستشاراً صحياً في لجنة ادارة المدرسة واما المدرسة فهي كناية عن حديقة واسعة بجانبها عدة غرف يلتجئ اليها التلامذة اذا تعكر صفاء الجو وفي احدى تلك الغرف يحضر طعام التلامذة وبرنامج المدرسة اليومي كما يأتي :

			الساعة	الدقيقة	
(١)	اجتماع التلامذة في المدرسة		٨	٤٥	افرنجية
	رحلة صغيرة خارج المعمور	من	٩	١٠	»
		الى	١٠	٣٠	»
(٢)	اشغال هادئة كالغناء ومحادثات				»
	قصص تتعلق بحفظ الصحة وغيرها	من	١٠	٣٠	»
		الى	١١	٠٠	»
(٣)	العاب جسمية كالكرة والعدو والقفز	من	١١	٠٠	»
		الى	١٢	٠٠	»
(٤)	تمثيل روايات	من	١٢	٠٠	»
		الى	١٢	٣٠	»
(٥)	تناول الغذاء	من	١٢	٣٠	»
		الى	١	٣٠	»
(٦)	قيلولة	من	١	٣٠	»
		الى	٣	٠٠	»
(٧)	رقص	من	٣	٠٠	»
		الى	٣	٣٠	»
(٨)	العاب عقلية مثل الغاز ومعميات وغيرها	من	٣	٣٠	»
		الى	٤	٠٠	»
(٩)	طعام خفيف	من	٤	٠٠	»
		الى	٤	١٥	»
(١٠)	الانصراف الى بيوتهم		٤	١٥	»

وكل اسبوع يستحمون مرة ويركبون مرة في سفن في البحر لاستنشاق الهواء والتلامذة صبيان وبنات تختلف سنهم بين السادسة والعاشرة وجلهم من عائلات فقيرات

واما الطعام الذي يتناولونه في المدرسة فمؤلف من الخبز والزبدة والسمك والبيض والبقول والفواكه واللبن وشيء من الحلويات في بعض الاحيان وفي هذه السنة فحص التلامذة ووجدوا ان اجسامهم قويت وعقولهم نمت وشعورهم سما فلا غرابة في ذلك لمن امعن في البرنامج السالف الذكر لان المدرسة لم تهمل اجسام التلامذة كما انها لم تهمل عقولهم وشعورهم . اه ملخصاً عن جريدة السورثي الاميركية .

تصوير الكتب

اخترع احد البلجيكيين آلة تصوير يأخذ بها ما يشاء من الكتب والاوراق التي يراد حفظها دون ان تشغل محلاً فسيحاً فهي تنقل الصحيفة الى جزء من اربعين من حجمها الاصلي وسيكون لهذه الآلة شأن في نقل المخطوطات النادرة

مستقبل الاولاد

قام في ليفربول في انكلترا جماعة وأسسوا جمعية غايتها مساعدة الصبيان والبنات بعد خروجهم من المدرسة في الحصول على عمل يضمن لهم مستقبلهم وهي تبذل جهدها لمنع الاولاد من الاستخدام في الاعمال المحدودة التي لا تحتاج لاتعاب فكر كتوزيع الرسائل البرقية والبريدية او ان يكونوا مستخدمين في احدى الحوانيت وهي تبحث في ميل الولد فتضعه في محل يوافق ميله

رقي الصين الصناعي

مما يدل على رقي الصنائع الحديثة في الصين ان حكومتها ستصنع بعد الآن ما تحتاجه من المعدات الحربية كالاسلحة وغيرها في معامل في بلادها

قوة الماء في سويسرا

من المحقق ان سويسرا تستعمل قوة الماء لتحريك آلات المعامل اكثر من كل البلاد بالنسبة لسعة ارضها فالقسم من البلاد الواقع في جبال الالب يستعمل الآن قوة ١،٢٣٠،٠٠٠ حصان وهو يزداد في استعمال هذه القوة سنة عن سنة ففي سنة ١٩٠٨ كان ما انشأه من الآلات يحتاج الى قوة ٤٠٠،٠٠٠ حصان واما في سنة ١٩١٠ فقد كان ما انشأته من الآلات يحتاج الى قوة ٧٠٠،٠٠٠ حصان لادارتها .

العمي والحرف

أنشئ معرض في مدينة نيويورك تحت رعاية جمعية مساعدة العميان فيها لاظهار ما يمكن ان يقوم به من فقد حاسة النظر من الاعمال النافعة فافتتح المستر تافت رئيس

الولايات المتحدة المعرض مع جماعة من اركان البلاد واعجبوا بما قام به العمي من الاعمال كالضرب على الموسيقى والتجارة وحياكة المكانس والسلال وتجيد الفرش والكي والكتابة المختزلة والكتابة على الآلة الطابعة الى غير ذلك من الصناعات اليدوية . وكان محل اعجاب المتفرجين تمثيل فصل من رواية لصوص مدينة البندقية لشكسبير الشاعر الانكليزي قام بتمثيلها جماعة من معهد العميان في بنسلفانيا فتقدم عدد من البنات ورقصن برشاقة باهرة وتقدم بعض الصبيان بالعاب رياضية ابتهجت لها قلوب الحاضرين وهم ايضاً فاقدو البصر كاخوانهم . عن جريدة المراقب الاميركية

محصول الذهب

بلغت قيمة ما استخرج من الذهب في العالم كله سنة ١٩١٠ — ٤٥٥،٨٣٢،٠٠٠ ريال اميركي و يقدر محصوله في عشر السنين الاخيرة بثمانية اضعاف ما استخرج سنة ١٩٠٠ .

المطالبات بحقوقهن

كثير من النساء في لندرا يطالبن المساواة بالرجال في حق الانتخاب وقد ابين ان يعدن انفسهن في دفتر النفوس اذ يعتبرن ان ليس للحكومة حق في عدهن من سكان البلاد لانه لا يسمح لهن بحق الانتخاب وحاولن الهرب من وجه مأمور النفوس يوم الاحصاء .

كبر القدم والرياضة

وجد احد معامل الاحذية الكبيرة في الولايات المتحدة ان معدل قياس احذية النساء التي اشتغلها في السنة الاخيرة كان ٥½ بينما كان معدل قياس ما صنعه منذ عشر سنين ٤½ وبعد البحث وجد ان سبب الزيادة كان انتشار الالعاب الرياضية بين النساء في تلك البلاد وان معدل طولهن ووزنهن قد زادا زيادة ظاهرة .

هرباً من الثلوج

ستنشئ احدى شركات السكك الحديدية في الولايات المتحدة نفقاً تحت جبال السير انيوادا و يكون طول ذلك النفق ستة اميال يكلف ١٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال وذلك هرباً من الثلوج التي تطم الخط فيمتنع القطار عن المسير بضعة ايام وقت الشتاء فعسى ان تعمد شركة حديد بيروت — دمشق الى احتذاء هذا المثال فتحفر النفق في حمانا بجبل لبنان فقد حالت الثلوج في هذا العام خمسة واربعين يوماً دون سير القطارات

المقتبس

البكتيريا

البكتيريا او الباشلوس او الميكروبات كلمات حديثة الوضع للدلالة على الاحياء الصغيرة التي كشفها موخراً المجهر المسمى بالميكروسكوب

وهذه الاحياء ليست حيوينات كما يتبادر الى الذهن من تسميتها بالاحياء بل نباتات في منتهى الصغر فلا ترى بالعين المجردة لان معظمها خال من الكلوروفل اي المادة الخضراء التي تتلون بها النباتات فضلاً عن تناهيها في الصغر حتى لا يمكن لاحد الناس بصراً ان يرى اكبرها بدون ان يستعين بالآلة المعظمة او المجهرة وهي الميكروسكوب او المجهر الذي ظهر الى عالم الوجود في القرن الماضي · ولذلك فالعلماء الذين عاشوا قبل القرن التاسع عشر لم يعلموا شيئاً عن عالم الاحياء هذه التي اصبح درسها الآن طافحاً برأسه كثير الفوائد للانسان والحيوان من قبل الوقاية الصحية والفوائد الزراعية على ما سيجيء في هذه المقالة التي ضمناها زبدة ابحاث العلماء ذوي الاختصاص حتى سنتنا الحاضرة

صفة البكتيريا وماهيتها وانتشارها — هي احياء نباتية ذات خلية او حويصلة واحدة شفافة اللون غالباً ، مستديرة او اسطوانية اومستطيلة الشكل تبعاً لانواعها، تنمو بالانقسام الذاتي فتمتاز على غيرها بفقد القوة التناسلية العادية و بخلو جرثومتها من النواة · ومعدل قطر حجم جرثومتها الحويصلية نحو جزء من الف من الميلمتر · والميلمتر جزء من الف من المتر

وهي قديمة العهد جداً كما تدل على ذلك آثارها في الاحافير المتحجرة في عصر تكون الفحم الحجري وما قبله · وتوجد في البرك والانهر والبحار ، وتكثر في المراحيض وكوم الزبل ، وفي التراب ، وحيث تلتقي المواد العضوية فتتعفن ، وفي جميع السوائل كالدم

واللبن والبيرا والماء على انواعه ، وفي المواد الغذائية الجامدة كاللحم والخضر وغيرهما . وكل مادة من هذا القبيل اذا ظلت مدة معرضة للهواء تنتابها البكتيريا وتتوالد فيها بسرعة وكثرة هائلة . ولذلك فهي منتشرة في كل مكان تحت سطح الارض وعليه وفي الهواء وداخل الاجسام الحية . فهي عالم يعاشرنا ويعد بملايين الملايين ولم نكن نعلم عنه شيئاً يذكر حتى اواسط القرن الماضي

ويقل انتشار هذه الاحياء في الاعالي والبلدان المفتوحة الجوانب خصوصاً في الشمال حيث تقل جداً بالقرب من القطبة الشمالية او تعدم بتاتاً . ويتنقى منها هواء الابحر والاقيانوسات لانه في تقلبه كثيراً ما يلامس الماء فيلقيها فيه ولذلك فهواء البحار اقل نقلاً للمرض والعدوى به . وكلما ارتفعنا في الجبال قل وجودها حتى تكاد تفقد على علو ٦٠٠ متر فما فوق ذلك . ولهذا السبب تنسب مناعة اهل الجبال على بعض الامراض كالهواء الاصفر وغيره مما لا تنقل ميكروباته الا محمولة على ذرات الغبار التي تقل جداً في هواء الاماكن المرتفعة

وتعيش الميكروبات على الحيوانات في درجات مختلفة من الحرارة . والنبات اقل ملاءمة لنموها لما فيه من السوائل الحامضة . الا انها تكثر ايضاً في الجذور والاغصان ذات الغدد تحت الارض وفوقها . وهي تكثر في القناة الهضمية الاحيث تجتمع المفرزات الحامضة لان الحامض عدوها ولذلك يحسن معاطاته في اوقات انتشار الاوبئة . وقد علق بعض العلماء مكانة كبرى على استعمال اللبن الرائب لما فيه من الحامض حتى نسب طول الحياة الى طول استعماله غذاء

تولد الميكروبات ونموها وفعلها — تتولد الميكروبات بالانقسام الذاتي فتتخذ اشكال انواعها المتعددة بين مستدير وضمي وخيطي الخ . والمعتاد ان يكون انقسامها عرضاً لا طولاً فتنشق كاليراعة اذا نصفناها بالشق طولاً

وقد امتحن بعضهم سرعة تولد هذه المخلوقات الصغيرة فزرع حويصلة خويطية منها في مرق الساعة ١١ صباحاً وكانت اشبه شيء بنقطة ترسم برأس ابرة فتضاعفت بعد ساعة بالانتفاخ وافرخت عند الساعة ٣½ بعد الظهر وصارت عشرة اضعاف حجمها الاصلي عند الساعة ٨½ فاتخذت شكلاً مستطيلاً معقداً وعند نصف الليل كانت قد بلغت ١٢ عقدة كل منها حويصلة مستقلة . وبعد ذلك بدأت تنقسم عند ثلثها الاعلى انقساماً جانبياً بشكل قضبان دقيقة

وهذا الانقسام كثيراً ما يحدث في بعض الانواع بعد نصف ساعة من زرعها وما يشتق منها يعود فينقسم ايضاً بمثل هذا الوقت فيبلغ عدد ما يتولد منها في ٢٤ ساعة ملايين الملايين كما لا يخفى على الحساب . وبعد هذا الايضاح نعلم شدة الخطر جلياً من كثرة تولد الميكروبات الضارة داخل الجسم . بمثل هذه السرعة . ولا يكون على الجسم خطر منها الا اذا كانت من الانواع التي تترك في الدم مفرزات او بقايا سامة اي لا تلائم بطبعها طبيعة الدم لاختلاف مادته عن مادتها اختلافاً عظيماً

اما فعل البكتيريا في الجماد والاحياء فعلى غاية الشأن . لانها هي التي تخمر العجين والخل والخمر وسائر المشروبات وتعدل المواد السائلة من دم وماء فتضر او تنفع تبعاً لكيفية هذا التعديل وهي التي تفتت الصخور وتسحل وجه الارض وتساعد على نمو النبات وحياة الحيوان بل قد عدها بعضهم أصل جميع الكائنات العضوية . واليك أخص فعلها في الحيوان والنبات والجماد

فعلها في الحيوان — اهم افعال الميكروبات بالنظر الى حياة الحيوان ما تحدثه من المنفعة والضرر . فهي تفيد الحيوان من اوجه عديدة لا يتسع المقام لايرادها هنا بالتفصيل ويكفي لتقدير نفعها مكانة وجودها في الماء الذي نشربه لانه اذا خلا منها بالتقطير صار ضاراً واذا خلت مياه اي نبع خلواً تاماً منها انقلبت مما نافعاً كما يعلم ذلك من اختبار الينابيع الشديدة الصفاء في بعض انحاء العالم فانها تضر شاربها ضرراً بليغاً اذا انتفى منها وجود الميكروبات

وقد ثبت بعد امتحانات باستور ان لا حي يتولد من غير الحي ولذلك فلا يفسد اللحم ولا تختمر السائلات على انواعها الا بفعل هذه الميكروبات ومفرزاتها . فهي التي نهيء لنا ما نتمتع به من المشروبات المختمرة كالخمر والبيرا واللبن الرائب والجبن والزبدة وغيرها مما لا يحيط به العد . فلو فرضنا فقد هذه الميكروبات فجأة لانقلبت احوال المعيشة انقلاباً يهولنا تصوره . لانها هي التي يتم بواسطتها الاختمار والتعفن ودبغ الجلود وتحضير النيل والتبغ وسائر ما له اتصال برغد العيش خصوصاً انماء الزرع كما سيجيء . فمعظمها نافع لذوات الحياة

غير أن بعضها يفرز في الدم مادة سامة فيمرض او يهيء للمرض . وقد ثبت الآن ان جميع الامراض وفي جملتها القروح والبثور وغيرها مسبب عنها . ولا نستثني من ذلك الا بعض العلل الناجمة عن فعل حيوينات ضارة

وبعد كشف كيفية فعل هذه الميكروبات صار من السهل شفاء الجراح بحفظها سليمة من الفساد وما الفساد الا فعل هذه المخلوقات الصغيرة في الدم . فكل ما يميتها من الادوية والعقاقير يسمى مطهراً لانه يمنع افسادها للدم

وميكروبات الامراض تختلف كثيراً في شكلها ومدة حياتها . فمنها ما هو ضميّ الشكل كميكروب الكوليرا ومنها ما هو بيضوي او مستدير او غير ذلك . وبعضها لا يعيش بضعة ايام كميكروب الكوليرا الذي علم انه يموت بعد اسبوع من ولادته او اقل من ذلك . وغيره كميكروب الخناق او الدفتيريا قد يعيش سنة كاملة . وميكروب السل يعمر ايضاً وتساعده المواد الحامضة على الفتك بالناس ليس لان الحامض يلائم طبعه بل لانه يهدم جدران الخلايا الرئوية المحلولة كلما أعادتها التغذية المقوية الى حالة كلسية . ولذلك فلا يجوز للمسلول تناول الاطعمة الحامضة مطلقاً . واذا اقتصر على الاغذية القلوية ساعد الطبيعة على شفائه

فعلها في النبات — في التربة انواع من البكتيريا لا تعيش الا على المواد النباتية كما انه يوجد غيرها مما يعيش على المواد المعدنية . فميكروبات النبات تتناول من الهواء المادة الكربونية فتمثلها اي تهضمها وتقتات بها فتنفصل بذلك النيتروجين وتبثه في جذور النبات . ومنها انواع تحل الماء والهواء الى عناصرهما فتسهل على النبات الاغتذاء بما يلائمه من هذه العناصر

ومما يستحق الذكر من افعالها ان بعضها يعمل عكس عمل الآخر فيتكون من هذه الاعمال دورة في تكييف المواد الغذائية تشبه الدورة المائية التي تتم بتبخير الشمس لمياه الابحر وغيرها فتصعد المياه الى الجو حيث تنعقد مطراً يعود الى الارض فيتبخر ثانية ويصعد ثم يعود وهكذا . وعلى هذا المنوال تحول انواع البكتيريا المواد النشادرية في التربة الى نيترات نباتية يتناولها الحيوان بعد تحولها الى بروتيد ثم تعيدها البكتيريا الى نشادر ثم الى نيترات وهكذا كأن بيدها قياد العناصر الغذائية تصرفها طبقاً لنواميس حفظ الوجود

وفي التربة نوع من البكتيريا الخيطية الشكل تدخل أهداب جذور النباتات القرنية كالفول السوداني وتخترق نسيجها فتشله فتكوّن عقداً او غدداً تغذيها بالنتروجين . وهذا هو سر تولد البطاطا وسائر الاثمار التي تحت الارض والغدد المفصية في السنديان . وهي التي تنخر قصب السكر وغيره

وقد عني الالمان بتربية الانواع البكتيرية التي تخصب بعض النباتات وسموها بكتيريا النتروجين لكثرة ما تقدمه من هذا العنصر لتغذية النبات · وربي غيرهم غيرها مما يحسن به نمو الورد والقمح والقطاني والخضر وغير ذلك فتفعل فعل السماد «الزبل الطبيعي»

وطريقة استعمالها انهم يربون انواع البكتيريا في مادة تلائم نموها ثم ينقعون بهذه المادة البذار او يذرون منه في التربة المراد زرعها فيقبل الزرع إقبالاً غريباً · وفي اكثر عواصم اوربا واميركا الآن مستودعات لبيع هذا اللقاح البكتيري فما على المزارعين عندنا الا ان يحذوا حذو مزارعي البلدان الراقية فيستفيدون ويفيدون البلاد

فعلها في الجماد — اي المواد غير الآلية · من البكتيريا انواع انما تعيش على الجماد كالصخور والمعادن على اختلاف اجناسها فيكون لها المكانة المهمة في بنائها وهدمها مما يشبه الدورة المائية المذكورة آنفاً · فبكتيريا الكبريت مثلاً تفعل هذا الفعل بتوليدها الكلسيوم الذي تحوله الى تجبسيوم ثم الى كبريت ثم تحله وتعيده سيرته الاولى · ويقال مثل ذلك عن بكتيريا الصخور والحديد وسائر المعادن · وتعد التربة لتكون صالحة لان يغتذي منها النبات ولان يغتذي من هذا الحيوان ثم تعود مفرزات هذا وبقاياه الى التربة · فهي اول ممثل لاقدم اشكال الحياة المجهزة بقوة تحول عادمات الحياة الى اشكال حيوية · ولذلك فلها المقام الاول في انشاء الحياة على سطح كرتنا الارضية حتى عدها بعضهم اول جرثومة حية في الوجود كان لها شأن واي شأن على وجه البسيطة

وفوق ذلك كله قد اتضح انها هي التي تحدث الحرارة بشدة حركاتها عند تنضيد التبغ بعضه فوق بعض وعند تكويم القطن والتبن الخ حتى لقد تحدث اشتعال بعض هذه المواد اذا ساعدتها حرارة الطبيعة

وهي التي يضيء بها سطح البحر لانها تؤكسد الهيدروجين المفصفر في الماء كما تؤكسد الكحل في الخمر فيقلب خلاً

خلاصة — نحن عائشون في وسط عوالم خفية عن النظر تدعى البكتيريا او الميكروبات · ومعظمها نافع للانسان بما يحدثه من التغيرات المفيدة في الجوامد والسوائل · ويمكن اتقاء الضار منها بتلقيح الجسم بسم مخفف منها كمصل الدفتيريا ولقاح الجدري وغيرهما · وان هذه الاحياء تعيش في درجات متفاوتة من الحر والبرد · فبعضها يعيش في قلب الثلج وبعضها يبقى حياً في حرارة تبلغ اكثر من مئة درجة بمقياس سنتيغراد ولذلك يجب اتقاؤها بالحيطة الصحية التي قاعدتها الذهبية «احفظ يديك وصن شفتيك»

ولنا في أجسامنا من كريات الدم البيضاء خير واق من كثير من الميكروبات الضارة لان هذه الكريات تبتلعها فتمنع انتشارها وتوليد السم بمفرزاتها

وقد علم ان التعب والجوع الشديد والتعرض للبرد جميع هذه تقلل مناعة الجسم فتزيده تعرضاً لفعل البكتيريا السامة . وان الحوامض تخفف فتكها بكريات الدم الحمراء .

وبعض الناس يمتنعون على بعض الامراض لعدم وجود إلفة كيمية بين خلايا اجسامهم وبين سم البكتيريا وهذا هو السر في نجاة الكثيرين من فعل الاوبئة في حين وقوع غيرهم فريسة لها

ويقال اجمالاً ان درس طبائع البكتيريا وإخضاعها لقوة الانسان في كثير من الحالات من حسنات النصف الاخير من القرن الماضي الذي فتح باباً واسعاً للتوغل في البحث البكتيري الذي لا بد ان ينتهي الى كشف حقائق نافعة تدهش العقول بما تحدثه من الانقلاب في سير العمران وترقية حياة الانسان .

بيروت خليل سعد

ابيات العادات

يقف الناظر في دواوين الادب ومجاميع الشعر والاخبار على ابيات غامضة المعنى يشكل عليه فهمها يسميها علماء الادب بابيات المعاني . وقد عنوا قديماً بجمعها وتدوينها وشرح معانيها وتفسير مستغلقها الا ان يد الضياع تلاعبت بتلك المؤلفات فلم يصل الينا منها الا القليل ولم نقف على هذا النوع من الشعر الا مبعثراً مفرقاً في تضاعيف الاسفار المختلفة . اذكر انني كنت اراجع مرة في شرح القاموس مع الامير محمود سامي باشا البارودي فمرَّ بنا قول القائل

فوردت مثل اليماني الهزهاز   تدفع عن اعناقها بالاعجاز

فلم ينكشف لنا معناه مع اطالة الروية واجهاد الفكر الا بعد ان سألنا عنه استاذنا الامام الشنقيطي رحمه الله فقال هذا من ابيات المعاني يذكر ابلا وردت غديراً كالسيف الصقيل في الصفاء وقوله تدفع عن اعناقها الخ يعني انها كثيرة الالبان ممتلئة الضروع وضروعها في اعجازها فاذا نزل الضيوف بصاحبها قراهم من لبنها فأغنى ذلك عن نحرها فتكون دفعت عن اعناقها باعجازها قال وتمام الرجز (اعيت على مقصدنا والرجاز) انتهى

وقد عثرت على ضرب آخر من الشعر ان لم يكن من هذا النمط فهو منه قريب رأيت ان اجمع ما تيسر لي منه واسميه (بابيات العادات) وهي ابيات ظاهرة اللفظ والمعنى الا انها غامضة من جهة القصد والمرمى فلا يفهم مراد قائليها الا بمعرفة عادة من عادات العرب اومزعم من مزاعمهم بني عليه البيت كقول الخنساء في رثاء اخيها معاوية

فلا والله لا تسلاك نفسي لفاحشة اتيتَ ولا عقوق
ولكني رأيت الصبر خيراً من النعلين والرأس الحليق

فليس في الفاظ البيتين لفظ غريب غير مفهوم كما ان معناهما ظاهر في غاية الوضوح وانما الاشكال في مرادها بالنعلين والرأس الحليق فاذا عرفنا ان العادة كانت عند نساء العرب اذا اصبن في حميم ان يحلقن رؤوسهن وتأخذ الواحدة منهن نعلين في يديها تصفق بهما وجهها زال عنا الاشكال واستبان لنا القصد · وفي معنى بيتي الخنساء قول عبد مناف بن ربع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا
كلتاهما أبطنت احشاؤها قصباً من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا
اذا تأوب نوح قامتا معه ضربا اليما بسبت يلعج الجلدا

وهو نوع مستملح من الشعر لم ارهم اعتنوا بجمعه اعتناءهم بابيات المعاني · فمنه قول زهير ابن ابي سلمى

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

الزجاج بالكسر جمع زج بالضم وهي حديدة تكون في سافلة الرمح واللهذم السنان و يكون في عاليته وظاهر المعنى ان من ابى الصلح ذللته الحرب او من لا يقبل الامر الصغير اضطر الى قبول الكبير والبيت مع صلاحه لهذا المعنى فانه يتضمن شيئاً آخر من عاداتهم وذلك ان الفئتين من العرب كانتا اذا التقتا في القتال سددت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبتها ثم يسعى الساعون في الصلح فان ابتا الا التمادي في القتال قلبت كل واحدة منهما الرماح واقتتلتا بالاسنة

(ومن ابيات العادات) قول النابغة الذبياني :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع

السليم الملدوغ و كانت عادتهم كما في لسان العرب وشرح الديوان ان يضعوا في ايدي

الملدوغ شيئاً من الحلي لئلا ينام فيدب السم في جسده فيقتله ومثله قول الآخر

فبتّ معنىً بالهموم كأنني سليم نفى عنه الرقاد الجلاجل

قلت وغريب تقارب بعض العادات عند الامم فقد حكى لي شيخ مسن من الجراكسة ان من عاداتهم في بلادهم انهم لا يدعون الجريح ينام لئلا يموت على زعمهم فيجعلون حوله من يقرع على طست او قدر من النحاس ليوقظه كلما اغفى ولا يزالون يتناوبون ذلك حتى يتم شفاؤه ·

(ومن ابيات العادات) قول الربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسراً يندبنه يلطمن اوجههن بالاسحار

فان مراده ان من كان شامتاً مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا وهن على هذه الحال ليعلم اننا اخذنا بثأره فلا يشمت به وذلك لان العرب كانت تندب قتلاها بعد ادراك الثأر وقد حكى التبريزي اقوالاً اخرى في البيتين تخرجها عما نحن فيه ·

(ومنها) قول الكميت

احلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب

جاء في معاهد التنصيص قال ابن الاعرابي : كانت العرب تقول من اصابه الكلب او الجنون لا يبرأ منه الا ان يسقى من دم ملك فهو يقول ان ممدوحيه ارباب العقول الراجحة ملوك واشراف ومثله قول القاسم بن حنبل من شعراء الحماسة

بناة مكارم وأساة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء

وقد حكى التبريزي في شرحه نحواً مما حكاه ابن الاعرابي ثم قال وقيل في دوائه ان تشرط الاصبع الوسطى من يسرى رجل شريف ويؤخذ من دمه قطرة على تمرة فيطعم المعضوض فيبرأ وقيل انه يسعط به انتهى · ومثله قول عبد الله بن الزبير (بفتح الزاي وكسر الباء) الاسدي في عبدالله بن زياد

من خير بيت علمناه واكرمه كانت دماؤهم تشفي من الكلب

وقول عبدالله بن قيس الرقيات

عاودني النكس فاشتفيت كما تشفي دماء الملوك من كلب

وقول ابن عباس الكندي لبني أسد في قتلهم حجر بن عمرو

عبيد العصا جئتم بقتل رئيسكم تريقون تامورا شفاء من الكلب

التامور هنا الدم . وكلهم اقتصروا على ذكر الكلب وقد جمع الفرزدق بينه وبين الجنون فقال :

ولو تشرب الكلبى المراض دماءنا شفتها وذو الخبل الذي هو أدنف

وذكر الجنون عاصم بن قرية الجاهلي فقال :

وداويته مما به من مجنة دم ابن كهال والنطاسي واقف

وقلدته دهراً تميمة جده وليس لشيء كاده الله صاوف

صادف بمعنى صارف . قال الجاحظ وكان اصحابنا يزعمون ان قولهم دماء الملوك شفاء من الكلب على معنى ان الدم الكريم هو الثأر المنيم وان داء الكلاب على معنى قول الشاعر :

كلب من حس ما قد مسه وافانين فؤاد مختبل

وعلى معنى قولهم (كلب بضرب جماجم ورقاب) فاذا كلب من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب وليس ان هناك دماً في الحقيقة يشرب ولولا قول عاصم ابن القرية (والنطاسي واقف) لكان ذلك التأويل جائزاً انتهى كلامه . قلت وقد تظرف البحتري فقال يهنئ من افتصد واخرجه مخرج هذا الزعم عند العرب

ليهنك البرء مما كنت تألمه وليهنك الاجر عقبى صائب الوصب

لئن فصدت ابتغاء البرء من سقم فقد ارقت دماً يشفي من الكلب

(ومن ابيات العادات) قول القائل :

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر كرام وانا لا نخط على النمل

النمل هنا جمع نملة وهي قرحة تخرج في الجسد ولو لم يكن البيت مبنياً على عادة لهم لما كان معنى لافتخاره بانه ممن لا يخطون على تلك القروح ولكن مراد الشاعر اننا لسنا مجوس تتزوج الاخوات لزعم العرب ان ابن المجوسي اذا كان من اخته وخط بيده على النملة ابرأها كذا في كنايات الجرجاني وذكر صاحب اللسان والعلامة ابن القيم في كتابه الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ان ذلك من زعم المجوس انفسهم . قلت لا مانع من ان يكون انتقل منهم الى العرب فاعتقدوه واضافوه الى مزاعمهم في الجاهلية كما انتقلت لبعضهم اشياء من التمجس عن الفرس .

(ومنها) قول سبرة بن عمرو الفقعسي

اتنسى دفاعي عنك اذ انت مسلم وقد سال من ذل عليك قراقر

ونسوتكم في الروع باد وجوهها يُخلن اماء والاماء حرائر

وذلك لان الحرائر كن في مثل ذلك الوقت يتشبهن بالاماء في كشف وجوهن ليزهد فيهن فيأمن السبي كما في شرح الحماسة للتبريزي وقال ايضاً في تفسير قول عمرو بن معد يكرب

لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شدّا

وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدّى

ان المعنى برزت كاشفة عن وجهها كأنها قد ارسلت نقابها ودل على هذا بقوله كأنها بدر السماء اذا تبدى وانما فعلت ذلك اما للتشبه بالاماء حتى تأمن السباء او لما تداخلها من الرعب انتهى . قلت وليس من هذا ما انشده الاشناندانى في كتاب معاني الشعر لذي الخرق الطهوي او لغيره

ولما رأين بني عاصم ذكرن الذي كنّ أُنسينه

فوارين ما كنّ حسّرنه واخفين ما كن ابدينه

لان معناه كما فسره انهن نساء قد سبين فنسين الحياء وابدين وجوهن فلما رأين بني عاصم ايقن انهن قد استنقذن فراجعن حياءهن فسترن ما كن ابدينه انتهى .

(ومنها) قول عنترة

تركتُ جُريّة العمري فيه شديد العير معتدل شديد

فان يبرأ فلم انفث عليه وان يُفقد فحقّ له الفقود

يريد تركته وفيه سهم شديد العير والعير الناتىء وسط النصل والبيت الثاني بني على عادة كانت لهم وهي ان الرجل منهم كان اذا رمي بسهم واراد سلامة الرمية منه رقى سهمه واذا اراد الاهلاك لم يفعل ذلك

(ومنها) قول كبشة اخت عمرو بن معد يكرب

ارسل عبد الله اذحان يومه الى قومه لا تعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم افالا وابكرا واترك في بيت بصعدة مظلم

البيت الاول مخزوم وصعدة مخلاف من مخاليف اليمن والمعنى ان هذا المرثي ارسل يقول لقومه بلسان الحال لا تأخذوا بدل دمي عقلاً اي دية وتتركوني في قبر مظلم تريد بذلك تحريضهم على اخذ الثأر ولا يفهم من ظاهر قولها بيت مظلم الا حكاية الحال لان القبر لا يكون الا مظلماً ولكن الامر ليس كذلك بل هو مبني على ما كانوا يزعمون ان

قبر المقتول لا يزال مظلماً حتى يثأروا به فان فعلوا اضاء .

(ومنها) قول جرير يرثي قيس بن ضرار

اطن انهمال الدمع ليس بمنته عن العين حتى يضمحل سوادها
وحق لقيس ان يباح له الحمى وان تعقر الوجناء ان خف زادها

وهو مبني على عادة لهم وهي ان الرجل كان اذا مر بقبر رئيس وهو في صحبة احب ان ينوب عن المقبور في الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته اكراماً له . ولما قتل ربيعة بن مكدم كان لا يمر بقبره احد من العرب الا عقر عليه دابة او بعيراً حتى مر به شيخ كبير فقال لا اعقر ناقتي ولكن ارثيه مكان ذلك ورثاه بقوله :

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغوادي قبره بذنوب
نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وبعد خرق مهمه لتركتها تحبو على العرقوب

فكان اول من ترك العقر عليه

(ومنها) قول الحطيئة

قد ناضلوك وسلوا من كنانتهم مجداً تليداً ونبلاً غير انكاس

قال التبريزي في شرح الحماسة اراد بالمجد التليد ان الشجاع منهم كان اذا أسر فارساً مذكوراً فمن عليه جز ناصيته وجعلها في كنانته . وفسره ابن ابي الاصبع في كتابه بديع القرآن تفسيراً آخر فقال معنى هذا البيت لا يعرفه الا من عرف ان عادة العرب اذا منوا على اسير اعطوه نبلاً من نبلهم عليها اشارة تدل على انها لاولئك القوم لا تزال في كنانته. فقال الحطيئة لهذا الممدوح الذي عناه بهذا المدح ان عداك لما فاخروك سلوا من كنانتهم نبلك التي اعطيتها لهم حين مننت عليهم تشهد لك بانهم عتقاؤك فكان هذا مجداً تليداً لك لا يقدرون على جحده تثبته لك هذه النبل التي ليست بانكاس يعني الصائبات التي لا تنكس اذا ناضلت بها عن العرض وهذا غاية المدح للممدوح ونهاية الهجاء لعداه اذا خبرتهم مع معرفتهم بفضله عليهم يفاخرونه بما اذا اظهروه اثبت له الفضل عليهم وهذا غاية الجهل منهم والغباوة انتهى كلامه .

(ومنها) قول سحيم عبد بني الحسحاس

فكم قد شققنا من رداء منير ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شقّ برد شق بالبرد برقع دواليك حتى كلنا غير لابس

جاء في شرح شواهد الجمل ان العرب كانت تقول ايما امرأة احبت رجلاً فلم يشق برقعها وتشق هي رداءه فسد ما بينهما انتهى · ويروى (اذا شق برد شق بالبرد مثله) وحكوا ان العرب كانت تزعم ان المتحابين اذا شق كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت مودتهما ولم تفسد ·

(ومنها) قول عمر بن ابي ربيعة

أهيم بها في كل مُمسى ومصبح واكثر دعواها اذا خدرت رجلي

لانهم كانوا يزعمون ان الرجل اذا خدرت رجله وذكر من يحب او دعاه ذهب خدرها · ومثله لجميل

وانت لعيني قرة حين نلتقي وذكرك يشفيني اذا خدرت رجلي

(ومنها) قول الاعشى

ويأمر لليحموم كل عشية بقتّ وتعليق فقد كاد يسنق

روى الثعالبي في فقه اللغة بتبن بدل قت · واليحموم فرس كان للنعمان بن المنذر والسنق في الدواب بمنزلة التخمة في الانسان وليس في ظاهر معنى البيت ما يستحسن بل قال فيه بعض من لا يعرف عاداتهم ان القيام على الفرس والاعتناء بعلفه حتى يكاد يتخم ليس مما تمدح به السوقة فضلاً عن الملوك ومراد الشاعر وراء كل هذا لانه بناه على عادة كانت لملوك العرب وذلك انه بلغ من حزمهم ونظرهم في العواقب ان احدهم لا يبيت الا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قريباً منه مخافة عدو يفجؤه او حالة تصعب عليه فكان للنعمان فرس يقال له اليحموم يتعاهده كل عشية وهذا مما تمدح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بافنية البيوت كما في العقد الفريد · وقد ذكر الاعشى اليحموم ايضاً في قوله

او فارس اليحموم يتبعهم كالطلق يتبع ليلة البهر

يعني بفارسه النعمان وقال لبيد

والحارثان كلاهما ومحرّق والتبعان وفارس اليحموم

(ومنها) قول الشاعر

كفاك الله يا عصم بن لأْي حبال بني ابيك وهم عيام

اذا مروا بجيزك لم يعرجوا ولو غطى سبلهم الظلام

عيام اي شهاوى الى اللبن وبجيزك يعني بنواحيك جمع جيزة بالكسر · وكان من عادتهم ان الرجل كان يحمل حبلا و يسترفد عشيرته فاذا اعطى الشاة والحاشية من الابل ربطها بالحبل كذا في معاني الشعر للاشنانداني والبيت اقرب لابيات المعاني منه لابيات العادات ·

(ومنها)قول الآخر يصف حماراً

يلوي مجامع لحيه فكأنه لما تمخط في السحيل نقيب

نقيب اي منقوب الحنجرة وكان من عادة العرب اذا اشتد الزمان نقبوا حنجرة الكلب او غلصمته ليضعف صوته فلا يسمع الضيف صياحه فشبه نهيق هذا الحمار بصياح الكلب النقيب · وفي اللسان ان ذلك كان يفعله البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف باستماع نباح الكلاب · وانشد الاشنانداني في معاني الشعر

تجاوبن اذ برّكن والليل غاسق تعاوي منقوبات حي محارب

وقال في تفسيره المنقوبات الكلاب كانوا اذا اشتد الزمان نقبوا لسان الكلب لئلا يسمع نباحه يقول فهذه الابل كأنها منقوبات يصف ابلا معيبة فهي ترغو رغاء ضعيفا ·

(ومنها) قول الآخر

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

فظاهر معناه انه لشدة شوقه لمن في الحي اكثر التلفت نحوه حتى وجعته عنقه · ولكن الراغب الاصفهاني في محاضراته حمله على عادة كانت لهم وهي زعمهم ان المسافر اذا خرج فالتفت لم يتم سفره قال فالتفاته لانه كان عاشقاً فأحب ان لا يتم سفره ليرجع الى من يحب ·

(ومنها) قول بشر بن ابي خازم (بالخاء المعجمة والزاي)

تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن الا يلقى على المرء مئزر

المقاليت جمع مقلات بالكسر وهي التي لم يبق لها ولد · والبيت مبني على ما كانت العرب تزعم ان المقلات اذا وطئت رجلا كريماً قتل غدراً عاش ولدها كذا في اللسان

(ومنها) قول متمم بن نويرة في اخيه مالك

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

وكان المنهال قتل مالكاً والرداء هنا السيف وكانت العادة عند العرب اذا قتل الرجل منهم رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله كما في اللسان ·

(ومنها) قول القائل

فقأت لها عين الفحيل تعيفا وفيهن رعلاء المسامع والحامي

انشده الجاحظ في البيان والتبيين والفحيل بفتح فكسر الفحل الكريم وانشد ايضاً

وهب لنا وانت ذو امتنان تفقأ فيها اعين البعران

وانشد ايضاً

فكان شكر القوم عند المنن كيّ الصحيحات وفقء الاعين

وكلها مبنية على عادة كانت لهم ذكرها الجاحظ وهي انهم كانوا اذا بلغت ابلهم الفا فقؤوا عين الفحل فان زادت فقؤوا عينه الاخرى قال فذلك المفقأ والمعمى · وفي مادة (عمى) من اللسان قال الازهري وقرأت بخط ابي الهيثم في قول الفرزدق

غلبتك بالمفقيء والمعمى وبيت المحتبي والخافقات

قال فخر الفرزدق في هذا البيت على جرير لان العرب كانت اذا كان لاحدهم الف بعير فقأ عين بعير منها فاذا تمت الفان عماه واعماه فافتخر عليه بكثرة ماله قال والخافقات الرايات انتهى ما في اللسان · قلت اذا كان معنى البيت على ما فهمه ابو الهيثم كان الصواب ان يكون المفقأ بصيغة اسم المفعول لا بصيغة اسم الفاعل · وقد روى البيت في مادة فقأ (بالمفقيء والمعنى) بالنون ونقل المصنف عن الليث ان العرب كانت في الجاهلية اذا بلغ ابل الرجل منهم الفا فقأ عين بعير منها وسرحه حتى لا ينتفع به ثم حكى عن الازهري ان معنى المفقيء في هذا البيت ليس على ما ذهب اليه الليث وانما اراد الفرزدق قوله لجرير

ولست ولو فقأت عينك واجدا أبا لك ان عد المساعي كدارم

انتهى · قلت القول ما ذهب اليه الازهري لما سيرد عليك والظاهر ان الذي حمل الليث على ان يفهم في المفقيء ما فهم كون المعنى يطلق على جمل كان اهل الجاهلية ينزعون سناسن فقرته اي حروفها و يعقرون سنامه لئلا يركب ولا ينتفع بظهره يفعل ذلك الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة ليعرف انه معمٍ فظن الليث ان الفرزدق اراده فحمل المفقيء عليه وكان وجهه على ما فهم ان يرسم ايضاً بصيغة اسم المفعول كما قدمناه · والصواب في معنى البيت ما ذكره صاحب اللسان في مادة (عنا) نقلا عن ابن سيده

ان مراد الفرزدق بالمغني في بيته في جرير المتقدم ذكره ومراده بالمعنى (ضبط بكسر النون) قوله له

تعنى يا جرير لغير شيء وقد ذهب القصائد للرواة
فكيف ترد ما بعمان منها وما بجبال مصر مشهرات

ونقل عن الجوهري ان مراده بالمعنى قوله

فانك اذ تسعى لتدرك دارماً لأنت المعنى يا جرير المكلف

قلت وعليه يصح ضبطا المعنى في بيت الفرزدق بالفتح . قال واراد بالمحتبي قوله

بيت زرارة محتبٍ بفنائه ومجاشع وابو الفوارس نهشل
لا يحتبي بفناء بيتك مثلهم ابداً اذا عد الفعال الافضل

واراد بالخافقات قوله

واين يقضي المالكان امورها بحق واين الخافقات اللوامع
اخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

اي غلبتك باربع قصائد منها هذه الابيات وعلى هذا لا يعد البيت من ابيات العادات وانما اطلت الكلام فيه لانه كان سبباً لخلاف استطار شرره بين بعض الادباء بمصر

(ومن ابيات العادات) قول آدم مولى بلعنبر

وان اراد جدل صعب أرب خصومة تنقب اوساط الركب
اطلعه من رتب الى رتب

من رجز يقوله لابنه انشده الجاحظ في البيان والتبيين . وقد يسأل لمَ كانت هذه الخصومة تنقب الركب فالجواب انه كان من عادتهم اذا تخاصموا جثوا على الركب

(ومنها) قول عتيبة بن بجير المازني من شعراء الحماسة

ومستنبح بات الصدى يستتيهه الى كل صوت فهو في الرحل جانح
فقلت لاهلي ما بغام مطية وسار أضافته الكلاب النوابح
فقالوا غريب طارق طوحت به متون الفيافي والخطوب الطوارح

وهذا مبني على عادة وهي ان الرجل من العرب كان اذا ضل وتحير في الليل فلم يدر اين البيوت اخرج صوته على مثل النباح فتسمعه الكلاب وتظنه كلباً فتنبح فيستدل بنباحها ويهتدي الى المكان . ومثله ما انشده ابو علي القالي في اماليه

ومستنبح بات الصدى يستتيهه فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له ناراً ثقوباً زنادها تليح الى الساري هلم الى قدري

وانشد ايضاً في معناه

ومبدٍ لي الشحناء بيني وبينه دعوت وقد طال السرى فدعاني

يعني كلباً نبح له فنبح فاهتدى به فكأنه دعاه بنباحه · والابيات في هذا المعنى كثيرة لا فائدة من سردها في هذه العجالة · وفي معنى استنبح ايضاً كلب الرجل يكلب من باب ضرب واستكلب انشد ابن سيده في المخصص على الاول

وداع دعا بعد ما اقفرت عليه البلاد ولم يكلب

وانشد صاحب اللسان على الثاني : ونبح الكلاب لمستكلب :

(ومنها) قول لبيد

ولقد حميت الحي تحمل شكتي فرط وشاحي اذ غدوت لجامها

الفرط بضمتين الفرس المتقدمة السريعة والمعنى انني توشحت بلجام هذه الفرس وهو مبني على عادة ذكرها التبريزي في شرح المعلقات وهي ان الفرسان كان احدهم يتوشح لجام فرسه ليكون ساعة يفزع قريباً منه وتوشحه اياه ان يلقيه على عاتقه ويخرج منه يده · ومنه قول زياد بن حمل من شعراء الحماسة

ليست عليهم اذا يغدون اردية الا جياد قسي النبع واللجم

(ومنها) قول القائل

قلبت ثيابي والظنون تجول بي وترمي برجلي نحو كل سبيل
فلأياً بلأي ما عرفت جليتي وابصرت قصداً لم يصب بدليل

لان عادتهم كانت اذا ضل رجل منهم في فلاة قلب قميصه وصفق بيديه كأنه يومي بهما الى انسان يزعمون انه ان فعل ذلك اهتدى · هذا ما تيسر لي جمعه الآن فان ظفرت بشيء بعد ذلك الحقته به ·

القاهرة احمد تيمور

الشرطي والورق

اللغوي اذا عثر على لفظة ووقف عَلَى اصلها ومعدنها ومأتاها يقر عيناً و يطيب نفساً ويثلج صدراً كأنه وقع على كنز ثمين . ومن اغرب الامور ان المستشرقين يبذلون شطراً صالحاً من اوقاتهم لتتبع معرفة اصول جميع الكلم السامية ولا سيما العربية . ولا نرى من ابناء العرب من يعنى بمثل هذا الامر . واذا رأيت نفراً يكتبون في هذا الموضوع من الناطقين بالضاد فلا تراهم يخرجون عما جاء في كتب الاجداد الاولين ولا يوردون من الكلام الا ما تناقله الخلف عن السلف بدون ان ينتقدوا كلام القائل ولا يمعنوا النظر فيه اذا كان مصيباً في رأيه هذا او مخطئاً فترى كتبنا اللغوية الحديثة لا تخرج عن كتب الاقدمين ولو تقدم هذا العلم عند باحثي الافرنج من اللغويين المستشرقين تقدماً عظيماً وظهر بمظهر النور في الدياجي .

فالى متى نبقى في هذه الحالة المفرغة في قالب الجمود او الخمود او الركود ؟ الم يحن الآن الذي نكسر فيه قيود الاسر والرق ونطلق نفسنا من هذه السلاسل الضخمة التي بقينا راسفين فيها الى يومنا هذا ؟ بلى . لقد حان بل لقد فات الوقت كما فاتنا في امور جمة ونحن في غفلة عنها وذهول .

عَلَى ان بعض كتاب العصر اخذوا يتابعون علماء الغرب من المولعين باللغات الشرقية في ابحاثهم وآرائهم ومذاهبهم وهبوا يجارونهم واي مجاراة حتى كادوا يفوقونهم في بعض الابحاث . بيد ان بعضهم قاموا يقلدونهم تقليداً اعمى حتى انهم اذا رأوا ان غربياً قال بقول لم يعد الشرقي يتجاسر عَلَى مخالفة رأيه ظناً منه ان الافرنج اذا اوتروا القوس اغرقوا فيها ولا يتركون لمن ينزع فيها من بعدهم منزعاً كما لا يبقون له منزعاً . وهذا وهم ظاهر لكل ذي عينين اذا ما اراد ان يتروى في الامر ادنى ترو .

هذا ولنا نحن عدة شواهد اثباتاً لقولنا هذا . وهي وان كان يطول سردها جميعاً الا انه لا يحدر بنا ان لا نذكر منها بعضاً اثباتاً لقولنا واظهاراً للحق . فهذه كلمة شرطي او شرطة فان اللغويين قد ذهبوا فيها مذاهب . فمنهم من قال بانها عربية فصحى ومنهم من انكر اصلها هذا وجماعة ذكرت انها من معدن رومي او لاتيني ومنهم من خالف هذه الآراء وها نحن ذا نورد بعض الشواهد .

قال في القاموس : « الشرطة بالضم واحد الشرط كصرد وهم اول كتيبة تشهد

الحرب وتهيأ للوث وطائفة من اعوان الولاة م وهو شرطي كتركي وجهني · سموا بذلك لانهم أعلموا انفسهم بعلامات يعرفون بها · اه · والى هذا الرأي ذهب السيد المرتضى · فزاد على ما سبق : قاله الاصمعي · وقال ابو عبيدة : لانهم أعدوا (اي اعدوا انفسهم لذلك واعلموا انفسهم بعلامات) · وبمثل هذا القول قال صاحب لسان العرب بل وجميع اصحاب المعاجم اللغوية بدون ان يشذ واحد منهم · وتابعهم في ذلك لغويو الافرنج أصحاب المعاجم العربية الافرنجية كنوليوس وفريتاغ وفرميرسكي ولين وغيرهم ·

عَلَى ان هذا الرأي لا يمكن ان يتمسك به اللغوي · والسبب هو : لو كان الحرف مأخوذاً من الشرط لقالوا فيه « شارط » كضابط مثلاً من الضبط · او « مشترط » كملتزم · او نحو ذلك من المشتقات الدالة على الفاعلية لا شرطي بضم ففتح او بضم فسكون بل وكيف قالوا الشرطة · فلا شك ان اللغوي المتتبع حقائق الاصول ودقائق الفصول لا يقتنع بهذا القول غير المعقول · فهي ولا جرم لمن الالفاظ الدخيلة وقد انتبه لها المستشرقون · واول من ذهب الى هذا الرأي فرنكل الالماني صاحب كتاب الالفاظ الارمية في اللغة العربية اذ قال : والاحسن اني احب ان يقول علماء العربية انها كلمة معربة يونانية من Cohors او لعلها اليونانية (Chorths =)وتاثره في ذلك الاب لامنس اليسوعي في كتاب الفروق اذ يقول : « من المحتمل ان يكون معرباً عن Cohors مثل كردوسة » ·

قلنا : وهذا ايضاً لا يمكن ان يكون صحيحاً لان هذه اللفظة الاجنبية ان كانت مصرية يونانية او رومية محضة فهي لا تدل الا عَلَى طائفة اوجماعة من العسكر اوالجند ولا ترد بمعنى المفرد · والحال ان صح هذا الكلام عن الشرطة فلا يصح عن الشرطي فيجب ان تكون اللفظة الاصلية المنقولة عنها مفردة ليصح فيها التعريب او النقل عنها بصورة المفرد · وهذا يصح اذا قلنا انها تعريب اليونانية (Stratiωthe) وبالفرنسية (Stradiot)او(Estradiot)وهي بمعنى الشرطي العربية كما ان الشرطة هي تعريب (Stratiaas) ويراد بها كتيبة الزحف او الجيش الزاحف الذي يُعِدّ للحرب ويتهيأ للوث · او من (Stratos) بمعناها

ومن هذا القبيل كلمة ورق والرقة المراد بهما الدراهم المضروبة · فقد قال الفيروزابادي : الورق مثلثة · وككتف وجبل : الدراهم المضروبة ج اوراق ووراق كالرقة ·

وزاد صاحب التاج : قال ابن سيدة : وربما سميت الفضة ورقاً . يقال اعطاه الف درهم رقة لا يخالطها شيء من المال غيرها . وقال ابو الهيثم : الورق والرقة : الدراهم خاصة . وقال شمر : الرقة : العين و يقال هي من الفضة خاصة . و يقال الرقة الفضة والمال . عن ابن الاعرابي .... الى آخر ما هناك من الكلام الدال على ان الورق عندهم من الاصل العربي الفصيح الصريح حتى انه لم يخطر على بال لغويي العرب انها دخيلة في لسانهم . وتابعهم في ذلك لغويو الافرنج ايضاً اصحاب المعاجم العربية ولم يرتابوا في عجمتها او في عربيتها اذ قلدوا العرب في اغلب الاحيان عند نقلهم المعاجم الى لغتهم .

واول من نبه لعجمتها في العربية فرنكل اللغوي الالماني المذكور اذ ذكر انها من الارميه (يرق) او من الحبشية « رقة » . قلت : وفي كلتا اللغتين لم ترد اللفظة في الاصل على ما يدل انها بهذا المعنى في اول وضعها بل يحتمل ان اللغتين اخذتا هذا المعنى عن العرب انفسهم .

وممن قال بعجمتها ايضاً الاب لامنس اليسوعي في كتاب الفروق ص ٢٦٠ في الحاشية وهذا نص كلامه : « وفيه (اي الورق بمعنى الدراهم المضروبة) ثلاث لغات أخرى (كذا والاصح اربع لغات اخرى) : وَرْق . ورق . وِرق (وزد عليها : وَرِق ككتف) ولا احسبه عربياً ولم يوجد في الكلام القديم . » اه . (كذا . ولو تروى لما قال هذا القول . لان لفظة الورق وردت في شعر ثمامة السدوسي وفي الحديث وفي شعر خالد بن الوليد وفي كلام كثيرين من الاقدمين عند مطالعة دواوينهم .)

اما الصحيح عندي ان الورق من الفارسية تعريب « پره » بباء فارسية مثلثة رقيقة في الاول ثم راء وفي الآخر هاء غير منقوطة . و يقال فيها ايضا پاره بمعناها . و يرادبها مطلق القطعة وتخصص بقطعة الفضة المضروبة كما هو معنى البارة عندنا قبل خمسين سنة . ثم عوض عن البارة الفضية بيارة نحاسية وبقي الاسم عليها وان تغيرت المادة التي اخذت منها .

هذا وانت تعلم ان الهاء الفارسية في الآخر تنقل الى القاف او الكاف او الجيم او الهاء في العربية . وقد صرح بذلك اغلب اللغويين كما في بابونج وبرذعة وبورق ونيزك واصلها بابونه وبرزعه وبوره ونيزه واما الباء المثلثة التحتية الفارسية فتكون اما رقيقة . واما نجيمة واما رقيقة ونجيمة معاً فان كانت رقيقة فتنقل الى الواو بالعربية

او الباء الموحدة التحتية كما في بابوج وواشق اصلها پابوج وپاشـه واذا كانت مفخمة فتكون فآء في العربية كما في فارس واصفهان وان كانت بين المفخمة والمرققة فهي تكون تارة بالباء وطوراً بالواو واخرى بالفاء مثل قبان فيقال فيها قبان وقفان. قال الاصمعي: قفان: قبان بالباء التي بين الباء والفاء اعربت باخلاصها فاء وقد يجوز اخلاصها باء لان سيبويه قد اطلق ذلك في الباء التي بين الفاء والباء (التاج في قفف) ومعنى قفان كل شيء: جماعه واستقصاء معرفته.

وعليه قالوا في پره: ورق. وفي پاره: باره. لكن لما توهم العرب ان الورق مشتق من ورق بل وانها مصدر ورق اجازوا فيها الوجهين فقالوا فيها ورق ورِقة كما قالوا وعد وعدة.

واغرب من هذا انهم جمعوا رقة عَلَى رقين كما قالوا في إِرة: إرين. وقوم من العرب توهموا الجمع مفرداً فوزنوه عَلَى فعيل بفتح الاول فقالوا: الرقين وفسروه بالدرهم والرقيم ولعل الرقيم ورد بهذا المعنى ايضاً تصحيفاً للرقين بالنون وهم يكثرون مثل هذا الابدال في آخر الالفاظ كقولهم: الايم والاين. الغيم والغين. اسود قاتم وقاتن. الحزم والحزن. البنان والبنام. القمع والقمن. ومثل هذه الالفاظ تعد بالمئات.

فانظر حرسك الله كيف يتلاعب العرب بالالفاظ وكيف تتسع اللغة عندهم. وكيف يبعد مجرى الكلام عن ينبوعه ومصدره ويكاد ينسيك الاصل الذي أُخذ عنه. كل ذلك من الاسرار الغامضة يتلذذ بالاطلاع عليها كل من له ذوق بهذه اللغة الشريفة البعيدة الغور

واذ قد اطلعت عَلَى اصل لفظة الورق وعَلَى انها من الفارسية علمت علم اليقين ان معناها كل قطعة من قطع المسكوكات كما تقول بالفرنساوية pièce de monnaie ثم اطلقت عَلَى دراهم الفضة او عَلَى مطلق الدراهم ان فضية او ذهبية او نحاسية بشرط ان تكون قطعة معدن مضروب لا غير.

هذا ما اردنا ايراده في هذا الباب ولنا عدة شواهد من هذا القبيل

بغداد ساتنا

رسائل الانتقاد

تابع لما سبق

قال ابو الريان ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر لانه يخرجه عن نعته شعراً وليس مما يقع لمن نُعت بشاعر . فاما الاقواء . والايطاء . والسناد . والاكفاء [1] . والزحاف . وصرف . الانصرف فكل ذلك يستعمل الان السالم من جميع ذلك اجمل وافضل

قال ومن عيوبه المذمومة مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها مثل قول الكميت

حتى تكامل فيها الدل والشنب [2]

وكما قال بعض المتأخرين في رثاه

فانك غيبت في حفرة تراكم فيها نعيم وحور

وان كان النعيم والحور من مواهب اهل الجنة فليس بينهما في النفوس تقارب . ولا لفظة تراكم مما يجمع بين الحور ولا النعيم . ومثله قول بعضهم

والله لولا ان يقال تغيرا وصبا وان كان التصابي اجدرا

لأعاد تفاح الخدود بنفسجاً لثمي وكافور الترائب عنبرا

فالتفاح ليس من جنس البنفسج لان التفاح ثمرة والبنفسج زهرة . وقد أجاد في جمعه بين الكافور والعنبر لانهما من قبيل واحد . ولو قال

لأعاد ورد الوجنتين بنفسجاً لثمي وكافور الترائب عنبرا

لأجاد الوصف . واحسن الرصف . لكون الورد من قبيل البنفسج . فهذا النوع فانتقد . وهذا الشرع فاعتمد

قال ابو الريان ولفضلاء المولدين سقطات مختلفات في اشعارهم أذا كرك منها في اشياء لتستدل بها على اغراضك لا لطلب الزلات . ولا لاقتفاء العثرات . كان بشار تتباين طبقات شعره فيصعد كبيرها . ويهبط قليلها كثيرها . وكذلك كان حبيب ابن أوس الطائي فاذا سمعت جيدهما كذبت ان رديهما لهما . واذا صح عندك ان ذلك

---

(١) قال الخليل : الاقواء ان يكون بعض القوافي مرفوعاً وبعضها منصوباً و بعضها مخفوضاً . والاكفاء ان يكون بعض القوافي على حرف و بعضها على حرف آخر . والايطاء اعادة القافية من غير اختلاف المعنى (كتاب خاص الخاص طبعة تونس ص ٥٩) .

(٢) وبكتاب الصناعتين : خود تكامل فيها الدل والشنب

الرّدي لما اقسمت ان جيدهما لغيرهما . قال ومما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة مثل قول حبيب اول قصيدة

هن عوادي يوسف وصواحبه   فعزماً فقدماً ادرك الـ (١) أو طالبه

ومثل قول ديك الجن اول قصيدة

كأنها يا كأنه (٢) خلل الحـ   ـلة وقف الهلوك اذ بغما

فابتدأ هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو ردي . قال ويعاب ايضاً الافتتاحات المتطير بها . والكلام المضاد للغرض كابتداء قصيدة ابي نواس التي انشدها الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي يهنيه ببنيانه الدار الجديدة فدخل اليه عند كمالها وقد جلس للهناء والدعاء وعنده وجوه الناس فأنشده

أربع البلى إن الخشوع لبادي (٣)   عليك وإني لم أخنك ودادي

فتطير الفضل من ذلك ونكس رأسه وتناظر الناس بعضهم الى بعض ثم تمادى بختم الشعر بقوله

سلام على الدنيا إذا ما فقدتمُ   بني برمك من رائحين وغادي

فكمل جهله وتم خطأه وزاد القلوب المتوقعة للخطوب سرعة توقع . واضاف للنفوس المتوجعة بذكر الموت شدة توجع . وأراد ان يمدح فهجا . ودخل ليسر فشجا . قال وقريب من هذا ما وقع للمتنبي في اول شعر أنشده كافوراً

كفى بك داء ان ترى الموت شافياً   وحسب المنايا ان يكن امانيا

فهذا خطاب بالكاف يقبح ولا سيما في اول لقية . وفي ابتداء واستعطاف ورقية . وفي هذا البيت غير هذا من العيوب سنذكره بعد

ووقع مثل هذا من قبح الاستفتاح في عصرنا وذلك ان بعض الشعراء انشد بعض الامراء في يوم المهرجان فقال :

---

(١) قال ابو هلال العسكري (كتاب الصناعتين) ص لما نظر ابو العميثل في قصيدة ابي تمام

هن عوادي يوسف وصواحبه   فعزماً فقدماً ادرك الثار طالبه

استرذل ابتداءها فاسقط القصيدة كلها حتى صار اليه ابو تمام ووقفه على موضع الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر فأجازه »

(٢) روى ابن رشيق في العمدة — ما كأنه بدل يا كأنه — (٣) جاء في ديوان ابي نواس : البلا عوض البلى . ولباد بدل لبادي —

لا تقل بشرى ولكن بشريان   وجه من أهوى ووجه المهرجان [١]

فأمر باخراجه واستظار بافتتاحه وحرمه احسانه قال ابو الريان ولو كان هذا الشاعر حاذقاً لكان اصلاح هذا الفساد ايسر الاشياء عليه وذلك بان يعكس البيت فيقول

وجه من اهوى ووجه المهرجان   اي بشرى هي لا بل بشريان

قال — ويقبح جداً الاتيان بكلمة القافية معجمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام وانما هي مفردة لحشو القافية كقول بعضهم

فبلغت المنى برغم اعاديك   وابقاك سالماً رب هود [٢]

فأنت ترى غثاثة هذه القافية والله تعالى رب جميع الخلق وكل شيء نخص هوداً عليه السلام وحده لضعف نقده وعجزه عن الاتيان بقافية تليق وتحسن

قال — و يقبح ايضاً الجفاء في التسيب على الحبيب والتضجر بعده . وغلظة العتاب على صده . كقول ابي نواس

أجارة بيتينا ابوك غيور   وميسور ما يرجى لديك عسير [٣]

فان كنت لا خلاً ولا انت زوجة   فلا برحت منا عليك ستور

وجاورت قوماً لا تزاور بينهم   ولا قرب الا ان يكون نشور

فلم اسمع باوحش من هذا النسيب . ولا اخشن من هذا التشبيب . وذلك قوله ان لم تكوني لي زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور للتراب عليك ولا كان جارك ما عشنا نحن الا الموتى الذين لا يتزاورون ولا يتواصلون الى يوم النشور على ان كلامه يشهد عليه بانه شاك وانما المعروف في اهل الرقة والظرف . والمعهود من اهل الوفاء والعطف .

---

(١) ورد عجز البيت في كتاب الصناعتين هكذا : غرة الداعي ووجه المهرجان وقائل البيت ابو مقاتل انشده الداعي فاوجعه الداعي ضرباً ثم قال — هلا قلت :

ان تقل بشرى فعندي بشريان

(٢) قائل البيت ابو عدي القرشي ورواه قدامة (نقد الشعر ص ٨٩) :

ووقيت الحتوف من وارث وا   ل وابقاك صالحاً رب هود

(٣) هذه الابيات من قصيدة فريدة مدح بها ابو نواس الخصيب بن عبد الحميد العجمي ثم المرادي امير مصر . وقد يوجد بعض اختلافات في روايتها منها في البيت الثاني : خلماً وهو الصديق او الصاحب بدل خلاً . وروحة بدل زوجة . ودوني موضع منا — وفي البيت الثالث : وصل بدل قرب

ان يفقدوا احبابهم بالنفوس . من كل مكروه وبوس . فأين ذهبت ولادته البصرية وآدابه البغدادية . حتى اختار الغدر على الوفاء . وبلغت به طباعه الى اجفاء الجفاء . فاعلم هذا واياك ان تعمل به

قال — ومن عيوب الشعر السرق وهو كثير الاجناس . في شعر الناس . فمنها سرقة الفاظ . ومنها سرقة معان . وسرقة المعاني اكثر لأنها اخفى من الالفاظ . ومنها سرقة المعنى كله . ومنها سرقة البعض . ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى وهو احسن المسروقات . ومنها مسروق بزيادة الفاظ وقصور عن المعنى وهو اقبحها . ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص والفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسارق كسرقة ابي نواس في هذه القصيدة التي ذكرنا معنى ابي الشيص بكماله .

قال — ابو الشيص

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم (١)

فسرقه الحسن بكماله فقال

فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير (٢)

فهذا هذا على ان بيت ابي الشيص احلى واطبع ومع حلاوته جزالة . وقد ذكر عن الحسن انه قال ما زلت احسد ابا الشيص على هذا البيت حتى اخذته منه وسرقة المعاصر سقوط همة . وبهذه القصيدة يتناضل اصحاب الحسن عنه ويخاصمون خصماءه مقرين بان ليس له افضل منها . ولا لهم الى سوى هذه القصيدة معدل عنها . فقس بفهمك واعمل فكرك على ما وصفناه من ابواب السرق ما وجدته في اشعار لم اذكرها يظهر لك جميع ما وصفناه . ويبدو لك جميع ما رسمناه قال ومما يقع في عيوب الشعر ويغفل الشاعر عنه ويجوزه الامر فيه لصغر جرم العيب وسلامة اللفظ الذي احتبى فيه ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد ايضاً عنه مثل قول المتنبي

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

فضع هذا الكلام على انه انما شكا داء ووصفه بالعظم فعاد شاكياً نفسه وجعلها اعظم الداء لانه اراد كفى بدائك داء فغلط وقال كفى بك داء فصار كفى بالسلامة

(١) قصيدة ابي الشيص التي طالعها هذا البيت تعد من ابلغ ما قيل في التشبيب

(٢) ورد عجز البيت في نسخة خطية من ديوان ابي نواس على هذه الصورة :

ولكن يسير الجد حيث يسير

داء فالسلامة هي الداء يريد طول البقاء سبب للفناء . وقال الله تعالى وكفى بنا حاسبين فالله هو اعظم شهيد فجعل المتنبي نفسه اعظم الداء ولم يرد الا استعظام دائه واصلاح هذا الفساد . وبلوغه الى المراد . ان يقول

كفى بالمنايا ان تكن امانيا وحسبك داء ان ترى الموت شافيا

فيعود الداء المستعظم كما اراد وتزول خشونة ابتدائه . وشدة جفائه . اذ خاطب الممدوح بالكاف فجعله داء عظيماً في اول كلمة سمعها منه . وقد تأدب خواص الناس وكثير من عوامهم في مثال هذا المكان فهم يقولون عند مخاطبات بعضهم بعضاً بما يخشن ذكره قلت للابعد ويا كذا اوكذا للابعد

ومن عيوب هذا القسم ايضاً ان قائله قصد الى سلطان جديد والى مكان يحتاج فيه الى التعظيم والتفخيم وقد صدر عن ملك نوه به أعني سيف الدولة وأغناه بعد فقره وشرفه ورفعه . وأدنى موضعه . فورد على كافور هذا في مرتبة شريفة . وخطة منيفة فجمل بجهله يصفه في اول بيت لقيه به انه في حالة لا يرى منها المنية . او يرى المنية اعظم أمنية . وعلم كافور بذكائه ووصول أخبار الناس اليه انه في حالة خلاف ما قال وانه كفر النعمة من المنعم عليه وأراه ان جميع ما عامله به من الجاه الواسع . والغنى القاطع حقير لديه . صغير في عينيه . فعلم كافور في هذا الوقت انه ممن لا تزكو لديه الصنيعة وان عظمت . ولا تكبر في عينيه المواهب وان جسمت . ولم يكن في خلق كافور من الصبر على اتساع البذل . ولا من الرغبة في اهل الآداب والفضل ما عند سيف الدولة من ذلك فزهده فيه بعد رغبة وعلله بالقليل . وشاوقه بالجزيل . ورأى المتنبي ان الاسود ليس له في قلبه من الحب والقرب ماله عند سيف الدولة فلم يدل عليه ولا كثر من التعتب والعتاب ما يعطفه عليه فاضاع وضاع . وكان يتوقع الايقاع . واكفران النعم نقم . ثم نجاه ركوب ظهر الهرب وأقبل يعترف لسيف الدولة بالذنوب . وكان لحذ . وشعره شريفين . وعقله ودينه ضعيفين . ومع ذلك فسقطاته كثيرة الا ان محاسنه اكثر وأوفر . والمرء يعجز لا المحالة . وكان يميل الى تعقيد الكلام ويعتمد على علمه بقبحه فيقول من ذلك ما يصف به ناقته

فتبيت تسئد مسئداً في نيها اسادها في المهمة الانضاء

ويقول في المدح

أنى يكون ابا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

ويقول في بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها والبيت لا يتعلق بشيء مما قبله فيما يظهر ولا فيما بعده بشيء

كأنك ما جاودت من بان جوده　　عليك ولا قاومت من لم تقاوم

ومثل هذا كثير وهذه الاجناس من ابيات وان ظهرت معانيها بعد استقصاء · وأطاعت غوامضها بعد استعصاء · فهي مذمومة السلك وان اطلعت منها على اجزل الافادة فكيف اذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة · وكان ايضاً يغفل عن اصلاح اشياء من كلامه على قرب ذلك الاصلاح من الفهم · مثل قوله يرثي أخت سيف الدولة

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب　　كناية بهما عن اشرف النسب

فجعل يا أخت خير وبنت خير كناية عن اشرف النسب والكناية لا تكون الا لعلل تتسع فيها التهم لان الكناية ستر وتعمية فما بال شرف النسب يورى عنه تورية المعائب · ويكنى عنه والتصريح به من المفاخر والمناقب · وقد غفل عن اصلاح هذا بلفظ فصيح · ومعنى صحيح · قد كاد يبرز من الجنان · الى طرف اللسان · وهو لو فطن اليه

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب　　غنى بهذا وذا عن أشرف النسب

قال ابو الريان وهذه الجملة التي أثبت لك فيها ما دخل على الشعراء المجيدين من التقصير والغفلة والغلط وغير ذلك كافية ومغنية عن ايراد سوى ذلك وان لقيتها بجودة بحث وصحة قياس · لم تحتج الى كشف عيوب اشعار الناس · ولعل قائلاً يقول مال على هؤلاء · وترك سوام لميله على من بكت · ولتفضيله من عنه سكت · فقل لمن قال ذلك الامر على خلاف ما ظننت لم أذكر الا الافضل فالافضل · والاشهر فالاشهر · اذ كانت أشعارهم هي المروية · فالحجة بهم وعليهم هي القوية · فقد نقلته على من ميلي عليهم · الى ميلي بالحق اليهم قال ابو الريان فاما ابتدا المستحسن فتمثيله لك يعظم و يتسع لكثرته فلا يسعنا ايراده ولكن ما سلم من جميع ما اوردناه فهو في حيز السالم · ثم تتسع طبقات الجودة فيه · واحسن منه ما اعتدل مبناه · واغرب معناه · وزاد في محمودات الشعر على سواه · ثم يمدح الادون فالادون بمقدار انحطاطه الى حيز السلامة · ثم لا مدح ولا كرامة

قال محمد فقلت لله درك ياابا الريان فما الين جانبك · وما أقرب غائبك · وما انجح طالبك · وما اسعد صاحبك · فقال انجح الله مطالبك · وقضى مآربك · وصفى من القذى مشاربك · وبث في الحواضر والبوادي مناقبك

تمت المقامة المعروفة برسائل الانتقاد

بلطف الفهم والاقتصاد

والحمد لله اولاً وآخراً وصلاته على نبيه سيدنا محمد وآله وسلامه

نفس المرأة

انصرفت افكار الباحثين الى درس طبائع المرأة ومميزاتها الجنسية وخلائقها الخاصة على اثر ما كان من نهوض المرأة لمباراة الرجل في ميدان الاقتصاد وتشوفها بعد ذلك الى مشاركته في الحقوق السياسية فتوفر على هذا البحث جماعة من العلماء الاعلام عنوا بتمحيصه وتجريده مما لصق به من خرافات الاقدمين واوهامهم جارين على اسلوب علمي لا يدع مجالاً للظن والشبهات العالقة بآراء الاقدمين والسادلة على الحقيقة ستاراً من الغلو ينهض بالمرأة الى مستوى الملائكة او يحطها الى دركات الجحيم ومن الغريب اننا لا نجد باحثاً تصدى للموضوع الا زعم انه بين حقيقة المرأة وكشف عن اسرار نفسها على ان معظمهم جهلوا طبائعها الاصلية وخواصها المميزة فجاءت ابحاثهم مزعزعة فاسدة المقدمات والنتائج ولم يفرق بعضهم بين صفاتها الخلقية وبين الصفات العارضة التي اكتسبتها في احوال خاصة

وربما اتفق لعلماء النفس ان رأوا المرأة في حال الضعف او الخوف او الاحتيال او الرياء فزعموا ان هذه الصفات من طبائعها الخلقية وانتقلت هذه المزاعم الى الاخلاف في الاجيال المتوالية فهي لا تزال تستكشف او تعجب اليوم بطبائع في المرأة اتت عليها سنة النشوء والارتقاء فبدلتها او محتها . ولقد مرت على المرأة عصور وهي بعيدة عن الحياة الفكرية والعملية تراد على الطاعة العمياء لوليها فكانت اشبه بالاطفال غير ان الزمان تغير والمرأة تبدلت وبقي معظم علماء النفس واقفين عند الآراء القديمة يحسبونها رقيقة غاية حياتها خدمة الرجل

تملصت المرأة من اسار الجمود وشاركت الرجل في الحياة العملية وتركت في زوايا القرون صفاتها القديمة وتخلقت باخلاق جديدة فلا تصح فيها آراء المغالين في اعتبارها ولا المغرقين في امتهانها

ولا بد للباحث ان يتساءل هل للمرأة صفات نفسية خاصة بها تميزها عن الرجل وما هي تلك الصفات الجنسية التي لا يؤثر فيها مركزها الاقتصادي والاجتماعي ؟

يقول علماء الحياة باختلافات جوهرية بين الخليتين اللتين تتولد الحياة من انضمامهما وان سر حياة الحياة منوطة بالخلية المذكرة اما الانثوية فهي محلولة شديدة الاحتفاظ

بقوتها العضوية وهذه الصفات تبدو آثارها في الاحياء وكلما ارتقى الجنس البشري كانت الخواص الجنسية اوضح اثراً في تركيب المرأة وطبائعها تميل بها الى السكون والدعة والراحة بينما نرى الرجل جلداً على مشاق الحياة يتجشم الاخطار ويخوض غمار الجهاد ويرى كل ما حوله يدفعه الى المناجزة والاقدام

واذا سلمنا بآراء علماء الحياة والنفس اتضح لنا سبب تخلق المرأة باخلاقها الخاصة واشغالها في المجتمع مركزها الخاص فللرجل الحرب والجهاد والمغامرة والنشاط والحزم وللمرأة اللطف والصبر والهدوء الا انها تشذ في بعض الاحيان فتفوق الرجل حزماً ومضاء وقد يوقد الرجل نار الثورة فتسعى في اخمادها وتهدئة روعه ويحملها ميلها الى السكون النفسي على الاعتصام بحبل الدين وهي اقل اقداماً على الجرائم من الرجل لما تتطلبه من تضحية القوى الجسدية والعقلية ويزعم علماء النفس ان المرأة ضعيفة المدارك مما يحملها على الاستسلام لعواطفها فهي غريبة عن الحرب والعلم والفنون وسنرى فيما يلي فساد مزاعمهم في هذا الصدد

سار علماء النفس والحياة على اسلوب واحد في ابحاثهم فأدت بهم الى نتائج متشابهة فقالوا ان المرأة اليوم هي ذات المرأة في القرون السالفة ويتبين لك خطل آرائهم من عرضها على احوال الحياة الحقيقية واذا تتبعنا ارتقاء العالم الحيواني وضحت لنا المناقضة بين آراء الباحثين في المرأة وبين حالتها الحاضرة على اتم اشكالها

المرأة المحاربة — لنتقدم الى البحث في احدى صفات المرأة التي قالوا بها من الجبن وصغر النفس ونتخذ هذه الصفة اساساً لحجتنا فقد اجمعت آراؤهم على ان المرأة لا تصلح للقتال والذود عن الوطن فلما ارتفع صوت النساء المطالبات بالحقوق دافعها المنكرون عليها بقولهم انها لا تستطيع مشاركة الرجل في الحروب والذب عن حياض الوطن على انا اذا انعمنا النظر وجدنا هذه الصفة عارضة لا جوهرية وليست هي من صفاتها الخلقية التي لا تتغير فنساء الحبش يقاتلن مع ازواجهن جنباً الى جنب راكبات على الجمال او الخيل ومتقلدات سلاح الرجال ولا ينقصن عنهم شجاعة واقداماً وصبراً على المشقات ويقول الرحالون ان النساء يتدربن على فنون القتال فينشأن شديدات القوى وقد اكسبتهن ممارسة الحروب بطشاً لا يتصف به سوى شجعان المقاتلة .

ويقول تاسيت ان جيوش البريتونيين القدماء كانت تزحف الى القتال والنساء في طليعتها ويقول مومسن بمثل ذلك عند الايبريين فقد كانت نساؤهم يقتحمن

الحصون ويقتلن زرافات في الهجوم

واكد جماعة من السياح ان النساء الامازونيات القاطنات على ضفاف نهر الامازون يشاركن الرجال في القتال ويغتذين بلحم البشر ويقص آخرون مثل ذلك عن نساء الموركيتس والكواي موراس

وذكر ارڤن ان نساء الانتيل يتمرسن بالفنون الحربية حتى يضارعن الرجال ولقد قاسى كولمبوس الامرين من بأس نساء الامازون الهنديات وفي اميركا الجنوبية يتناقلون اخباراً كثيرة عن وجود النساء المحاربات

وشاهد الرحالة ستانلي مقاتلة النساء في بلاط متزا ملك الاوغندا فعنده نساء من الامازون يتقلدن الحراب الطويلة وتزحف نساء الغراتوتو الافريقيات مع الرجال في الحرب

وفي الداهومي جيش من الامازونيات مؤلف من صنفين احداهما الصنف العامل وعدده ثلاثة آلاف والآخر المستحفظ يدعى في ابان الحاجة ويخضعن لنظامات حربية شديدة ويتعودن احتمال الجوع والعطش وغيرها من المشاق ويجبرن على مقاساة الآلام صابرات ويتميزن بالشجاعة والبأس فاذا اشار اليهن الملك اقتحمن الاخطار وخضن الغمرات وقد شاهد احد رؤساء المبشرين سنة ١٨٦١ مشهداً ملأه دهشة واعجاباً فقدام الملك النساء الامازونيات ان يقتحمن حواجز علوها متران وعرضها ستة امتار وكانت الحواجز من النباتات الشائكة يؤلم لمسها فتهشمت سوق المقاتلات العاريات غيرانهن ثبتن اي ثبات فتقدمت الفرقة الاولى ومازالت تجهد حتى اعيت فوقفن منهوكات بائسات ولكن الملك صاح بهن ونظر اليهن نظرة دفعت فيهن تياراً كهربائياً فعاودن الهجوم ببسالة نادرة حتى ظفرن بما اردن

وعند هياج البولونيين سنة ١٨٦٣ تزيت نساؤهم بزي الرجال وابلين في المعارك بلاء حسناً فاصبحت شجاعتهن مضرب المثل وسارت باحاديثهن الركبان وتفردت منهن الآنسة بوستافو يتو بالبأس والجلد حتى اصبح لها مجد حربي لا يقل عن مجد اعاظم الرجال

ان صيد الحيوانات الكاسرة ليس اقل خطراً من خوض المعارك ونساء التتر الصينيات يصحبن ازواجهن في صيدها ونساء الروس والبولونيين يشاركن بعولتهن في صيد الدببة والذئاب والخنازير البرية غير عابئات بما في ذلك من المهالك

ولا يسع الباحثين بعد ذلك الا ان يسلموا معنا باستطاعة النساء القتال ولا سيما في

الحروب الحاضرة وقد اصبح معظم الاعتماد فيها على الحذر والتيقظ والحكمة في وسع المرأة ان تشارك الرجل في الدفاع الوطني ولا تقل عنه جلداً واقداماً لولا ان ذلك يعوقها عن واجباتها المتولية وانجاز وظيفة الام

قابلية الانفعال في الجنسين . — كتبت الوف من المجلدات في بسيكولوجية المرأة تراوحت بين الاغراق في تعظيم « الشهيدة الابدية » وامتهان « عدوة الرجل القديمة » ولم ينتبه مؤلفوها انهم رسموا خطوطاً لصورة المرأة في عصر او عصور سالفة واغفلوا وصف امرأة اليوم والغد فرماها بعضهم بكل شائنة وقال الآخر انها ادق احساساً وارق شعوراً من الرجل وممن ذهب هذا المذهب الفيلسوف اوغست كونت فقال « تؤثر المؤثرات الطبيعية في المرأة بسهولة وشدة » وقد برهن على ذلك علماء نفر من الكتاب وترى انفعالها واضحاً في جميع الصروف فانها تقطب جبينها وتغضب وتحتقر ويؤلمها الاضطراب وتنقاد لعواطفها فهي في ذلك اقرب الى الطفل منها الى الرجل وسرعة التأثر في المرأة تجعلها طوراً ارق وطوراً اقسى من الرجل ثم ان الفواعل يزول اثرها من نفسه لانه عرضة لمختلفاتها فالحزن يعقب السرور والبشر يتلو الاسى كما تتوالى السحب في السماء ولكن طبيعة المرأة الساكنة اذا الامستها الفواعل تركت فيها اثراً يصعب زواله فترى عواطف الحب والبغض والرحمة والقسوة ارسخ في المرأة مما هي في الرجل

على اننا نرى الرجل في بعض اطواره لا يقل عن المرأة في الاستسلام للعواطف ويرجع ذلك الى احوال البيئة والاخلاق الشخصية لا الجنسية

الحب ريحان حياة الرجل غير انه حياة المرأة ذاتها ولكن الا تفعل العواطف في الرجل فعلها في المرأة ؟ قال لاكوردير في كتاب بعث به الى احدى صديقاته « يخطئ من يقول ان الرجل يعيش بالعقل والمرأة بالعواطف فالرجال يحيون ايضاً بالعواطف الا انها راقية تنزل لديكن منزلة العقل »

وبعض علماء النفس ينكرون على المرأة هذه المزية ويعزون اليها نقصاً بيناً في شواعرها كافة ويصفونها بتطرف يسير بها الى قمة المجد او يهبط بها الى دركات الشنار فهي مفرطة في الحالين والانانية والغيرية على اشدهما عند المرأة لان فطرتها الثائرة ترمي بها الى الغايتين المتناقضتين

وخالف هؤلاء نفر ادعوا انها ولعة بالاعتدال محمولة عليه بما لها من سكون الطبع فهي ثابتة في اعمالها وافكارها تقاوم الفواعل التي ربما اخرجتها عن بيئتها انفعالها الاولين

ينكرون عليها حق الحكم لانها تطاوع في ذلك عواطفها وحماستها الخرقاء

ويوافقهم الآخرون على هذا الرأي مستندين في ذلك على مقدمات أخرى فهم يقولون ان اخلاد المرأة للسكون يبطل كل ارتقاء اجتماعي

تلك هي آراؤهم المختلفة باختلاف وجهة النظر تنبئك ان هذه الخواص ليست جنسية وانما هي شخصية واذا عاش الرجل في بيئة تشبه بيئة المرأة لا يلبث ان يتخلق بهذه الاخلاق لان قابلية التأثر لا حد لها وهذه الصفات انما هي نتيجة احوال المحيط

ذكر هربرت سبنسر ان المرأة تفوق الرجل قسوة في البلاد التي يمثل اهلوها بالاسرى وقبيلة الداكوتاس تدفع الشيخ الى النساء يتلذذن بتعذيبه ويقول ماكسيم دي كامب ان النساء اثناء ثورة الكومون فقن الرجال فظاعة وشراسة

ومع عاطفة القسوة يتلألأ الحنان الانثوي فقد عطفت نساء البرابرة على الرحالين واظهرن لهم ضروب اللطف والرقة واتفق على ذلك مشاهير الجوابين كستانلي ولفنستون وغيرهما

والباحث المنصف يجد للنساء مواقف مشهودة في الاخطار وعوارف محمودة في تسكين ثورة الرجل فدخول بعضهن في صفوف الثوار لا ينسينا بنات جنسهن ممن بعثن السكينة في النفوس لحفظ لهن التاريخ صفحات مجيدة

المرأة والديانة — رقة شعور المرأة جعلتها متدينة في جميع العصور والشعوب وهي اسرع تلبية لدعاة المذاهب فيجد هؤلاء بين النساء مؤمنات مخلصات كان لهن في ثبات الديانات ونشرها تأثير شديد

خضوع المرأة المتقدم لسلطة الرجل سهل عليها الاعتقاد بعناية إلهية غامضة فهي لا تزال تقارع انواع المشاق في التماس مصدر الرحمة الازلي وينبوع السلام الابدي وادى بها ذلك الى الاعتقاد بتفوق كل من يسودها وكيف لا تعتقد بالله اعلى وهي تتوقع منه المكافأة على ما تتجشمه من المصاعب في هذا العالم فهي مسوقة الى التدين لا عن ميل فقط بل عن حاجة وتربيتها الاتكالية زادتها اعتصاماً بالايمان لانه يقول بالله قادر يحميها ويرعاها

وهي لا تشعر بخوف الله فقط بل تشغف بحبه وتبتهل اليه في النوازل الشداد فيخترق الظلمات المطبقة بها نور رجاء ينضر به عيشها وكلما قلت مطالبها في الحياة زادت استمساكاً بحبل الدين وكثيراً ما تنتابها اضطرابات دينية تذهل صوابها

ولا يجوز لنا الاغضاء عن ان الرجل هو الذي اوجد في المرأة تلك الفطرة ودعا الى الدين فأجابته مذعنة شأنها في الخضوع لما تعتقد به العظمة والتفوق فهي تتلقف من افواه الاحبار مبادئ الدين وتستعذب سلطته لانه يمنحها غبطة دائمة ويمني آمالها بحياة مستقبلة تمحو جميع آلامها الحاضرة فلم يخطر لها قط ان ترغب عن ذلك الجمال الفتان والأمل المتلألئ

وعلينا ان نفرق بين الديانة والتدين فشعور الرجل بالدين يختلف عن شعور المرأة بذلك الدين وبين التقي والتقية والاخ والاخت اتباع المذهب الواحد اختلاف جنسي في الايمان وتلازم العجائز المعابد واجدات في الصلاة غبطة ونعيماً وهن في ذلك اقرب الى الرجال الطاعنين في السن منهن الى اخواتهن في ريعان الصبا وكلما تعمق الباحثون في درس هذه العاطفة عند المرأة وجدوها منبعثة عن المركز لدى تشغله في المجتمع الحاضر فهي اقوى استمساكاً بحبل الدين واشد خضوعاً للعقائد والافكار. صفات للمرأة افادتها اياها حالتها الاجتماعية والادبية وتلك العاطفة الدينية ليست سوى نتيجة اعمال الرجل في الوف من السنين

هل المرأة ارق شعوراً من الرجل . — منذ خمسين سنة قام جدال بين علماء النفس عَلَى انحطاط احساس المرأة فذهب لومبروزو وتلامذته الى ضعف شعورها وخالفه في رأيه مانتكيزا ومن تابعه ويتطوي في هذين المبدأين العامين نظريات ثانوية لا تكاد تحصى وانما نشأ تناقضهم عن اقتصار الباحثين عَلَى بعض الموضوعات المحدودة واوسع مجال الاختلاف ان التجارب انجزت في ممالك مختلفة ومما لا ريب فيه ان للبيئة وطرز المعيشة تأثيراً في الشعور فالبرابرة اقل شعوراً بالالم من المتمدنين وهؤلاء متفاوتون ايضاً في شعورهم فان ابناء الطبقات العالية المترفين ممن الفوا الرفاهية واناقة العيش يشعرون بالالم فوق شعور المزارعين ومتى علمنا ذلك لم يسعنا ان نعزو التفاوت في الشعور الى الجنسية بل الى احوال الحياة التي تفرق بين الجنسين

قلنا ان بين العلماء اختلافاً كبيراً عَلَى ارتقاء حواس المرأة وانحطاطها وقد استشهد القائلون بانحطاطها على زعمهم بانها لا تستطيع التمييز بين انواع الخمور المختلفة وذلك يشير الى ضعف حاسة الذوق ويقولون مثل هذا في سائر حواسها فيفند المعارضون حججهم قائلين انما اعجز المرأة التمييز بين صنوف الخمر لانها لا تدمنها كالرجال والمدمنات منهن يضارعن في ذلك ارقى الرجال

اما شدة احساسها بالالم فيفسر كثرة الآلام التي تنتابها ويقول مانتكيزا ان شعورها به اضعاف شعور الرجل ويذهب مسرجا الى ما يناقض ذلك فيقول ان المرأة سريعة الانفعال كالطفل فتذري العبرات عند اقل طارىء وتبدو على محياها علائم الالم غير ان مظاهر الالم ليست هي ذاته وللتربية ونسق الحياة شأن خطير في الشعور فان النساء الكثيرات الامتزاج بالرجال اللواتي يمارسن حياة العمل يصبح دمعهن عصيّاً فيتجلدن على احتمال المصائب والاوجاع ويتصلبن على لقاء الخطوب ويقول لومبروزو ان ضعف حواس المرأة نعمة كبرى على المجتمع إذ يسهل عليهن تحمل آلام الحمل والوضع

سبب الانفعال . — نعود في ذلك الى آراء الفيسيولوجيين فقد برهنوا ان لنسق معيشة المرأة اثراً في جسمها ونفسها لان حياتها المنزلية واقتصارها على انجاز الواجبات العائلية قلل من مناعة جسمها وخفض من مضائها ونشاطها وقال بان « نمو العواطف الرقيقة حيث يضعف النشاط» على ان سرعة الانفعال لا تعود الى تركيبها العضلي بل تعزى الى فقر الدم الناشىء عن قلة التمرين فالنساء العاملات اقل تعرضاً للانفعالات التي تنكد عيش غيرهن من النساء وقد قال احد الباحثين ان امرأة العصور القديمة تختلف كل الاختلاف عن امرأة اليوم

ولا ريب في ان دخول النساء في الحياة العامة واساليب تهذيبهن التي تبدلت كان لها اشد اثر على حياتهن المعنوية فكلما تحككت المرأة بالرجل فقدت صفاتها الانثوية فهل يأتي يوم تضمحل فيه خواصها المميزة ؟ ان ذلك بعيد الاحتمال

استبحار العمران وانتشار التمدن يخففان من الم المرأة الناتج عن الامومة فهل يرجى ان يقويا على هاتيك الاوجاع حتى يلاشياها ؟ والذي نراه ان الامومة كانت وسيكون لها الى الابد شأن

الحب والجمال المعنوي . — ان ما تخسره المرأة ماديًا تربحه معنويًا وهذه الامومة تكبدها آلام لا تطاق الا انها تحبوها ارقى الصفات التي يمتاز بها الجنس البشري وهي الحب والحنان فالمرأة في سهرها الدائم على طفلها وعنايتها به يرتقي شعورها بالمحبة والعطف

في حب الامهات تسطع اسمى عاطفة في الوجود ويزدهر رجاء لاحد له تقر به عين الانسانية ويتفجر ينبوع هذا الحب في كل مكان فيرسم على كياننا آثاراً لا تمحى . ولا

يضمحل حب المرأة الا بانقراض آخر رجل فارتباطها بوجودنا يحملها على حفظ العهود وصيانة المواثيق ويحق للمرأة ان تفاخر بوظيفتها الاجتماعية فان الامومة هي مصدر الفضائل والمحبة الغيرية التي يحيا بها المجتمع الانساني. وهذا الحب الشديد الذي يفصل بينها وبين الرجل ليس الا ليبوأها في الهيأة الاجتماعية مكانة اسمى من مكانته اذا اعيا تكافل الجنسين دون مساواتها في العظمة واشتراكها في مقاساة الآلام

كذب المرأة. — تنمو على شجرة حياة المرأة في احوالها المختلفة فروع تخيل للرائي انها المميزات الفارقة بين الجنسين وكثيراً ما يمر بها المفكرون غير محتفلين بالاسباب الطارئة التي جعلت بعضها نضيراً زاهراً يستهوي العيون مرآه والآخر ذاويا جافاً ينبوعنه البصر على اننا اذا بدلنا بيئة الشجرة تلاشت الفروع الذابلة ولو احاطت بالمرأة صروف الرجل لكان لها فضائله ورذائله

وما وجدنا اعجز من رأي من يأخذ على المرأة اختلاقها باسباب الرياء وهي سلاح الضعفاء في النزاع الحيوي ولا بد لنا من كلام يزيد القضية وضوحاً ونحن نرى علماء النفس على اتفاق في هذا الحكم الذي يشمل المجتمعات الانسانية من ارقاها الى ادناها فاذا قضي على الضعيف ان ينازع القوي مال الى المراوغة والكذب وذلك شأن المرأة فكلما تحرج موقفها لجأت الى الافك والبهتان ذوداً عن نفسها و يقول سبنسر « ان الكذب يرافق كل حالة اجتماعية قائمة على دعامتي القوة والخوف قوة السائدين وخوف المسودين قوة واقتداراً » غير ان الفلاسفة والمشترعين وعلماء النفس والشعراء والقصصيين اغضوا عن مصدر الشر وجعلوا الكذب صفة غريزية في المرأة ومشى على هذا المذهب الشارعون فحرموا المرأة حق الشهادة زاعمين انها اقل صدقاً من الرجل فادى ذلك الى استطرادها في هذا السبيل وما كان ذلك الا ليزيد تعاسة الرجل فشقاؤه ورياؤها متلازمان والآلام التي يكبدها اياها تفسد نظام حياته العائلية فالمرأة عنصر يدخل في حياة الرجل وفي وسعه ان يطهر ذلك العنصر او يفسده

نفث في روعها انها لم تخلق الا لارضائه فتوسلت الى هذه الغاية بوسائل مهلكة واضطرت ان تصنع لتستر الطوارئ التي تلم بها فتذهب بروعة جمالها ومالت الى اغوائه ببهرجتها فتزينت وتبرجت وتخيرت جملاً عذبة تسردها عن غير شعور وزاغ بها هذا التصنع عن طبيعتها واكسبها صفات مستنكرة حتى سهل عليها بتوالي الازمان كتم عواطفها والتظاهر بما لا تحس به فاصبحت تصرخ اذا مستها شوكة وتتعالك اذا

استغرق الالم وجودها والتمست من الرجل ان يحميها لانها رأته يميل الى المرأة الضعيفة ثم ضعفت فيها ملكة النقد والتمييز باهمال تثقيفها فاصبحت تنظر الى المحسوسات نظراً مزوراً وتفسرها على غير حقيقتها ولم يشعر الرجل الا والمرأة قد تبدلت فبات ينكر الصفات التي افادها اياها وازال الافك يعبث كل العبث في المجتمع حتى اصبح دعامة الحياة العامة

كذب الرجل . — لا ننكر ان المرأة اشد رياء من الرجل غير انه ليس بفاقد هذه الصفة وانما الفرق في الكمية لا في الكيفية وقد تكذب المرأة وتداجي أفلا تجر مداجاتها على الهيئة الاجتماعية ما يجره بهتان الرجل من الويلات فما يسمم وجودنا من الشواعر الكاذبة و يباعد بيننا ويبزر الغبطة يظهر لا بين الافراد فقط بل بين الاجناس والشعوب وما السلم المسلح سوى اكذوبة هائلة نفذت الى جميع الضمائر فمن التهذيب العام والخاص وعلاقات الطبقات الاجتماعية ومبادىء الحكومات والعدل وتحديد حقوق الوطنيين وواجباتهم تتولد تلك الآفة الهائلة فتفسد البيئة التي نعيش فيها وهذه العواطف غدت وسيلة الخداع والوطنية مدرجة المنافع الذاتية والتزوير عنصراً جوهرياً للحياة فالسلطة الفردية تستعين بالقول ان حق الملك من حق الله والديمقراطيون ينادون بوجوب المساواة وكلا الفريقين نازع الى القبض على السلطة ولم يكتف مدعو الزعامة بادخال السم في الحياة العامة حتى جاهروا بذلك غير خجلين وقد اقترت الانسانية على الديانات والاديبات فبينا ترى التعاليم الدينية تقضي علينا بمحبة القريب نجد المتدينين يتنازعون و يتقارعون والشعوب تتطاحن في مضمار الجهاد

والصنائع من ارقاها الى ادناها مدعومة بالافك والتزوير وهؤلاء السياسيون يأتون ضروب الغش والرياء و يرتقون المناصب على سلم من المواعيد التي يستحيل تحقيقها وكلما قام مصلح لمناهضة البهتان رموه بضعف الوطنية وكل ذلك من عمل الرجل

وحسبنا بما تقدم دليلاً على مبلغ الرجل من الافك مما حمل المرأة في دورها على اقتفاء آثاره مسوقة بضعفها الطبيعي وعجز منتها فاقتصرت على الاكاذيب البسيطة وافرط رفيقها في البهتان

يستحب الرجل في شريكة حياته الرقة والخضوع شأن كل كائن قوي فيزينها في عينه وداعة الورقاء و يحببه اليها القوة والرجولية ومهما بلغ من اخلاقه فالمرأة مدفوعة الى مجاراته على اهوائه احتفاظاً بمحبته وصيانة للنوع الانساني فلم يكفها في ذلك جمالها ورقتها بل سمت الى استرضائه فغالبت فطرتها توسلاً الى بلوغ هذه الغاية وما وقفت عند حد

التبهرج والدل بل اتخذت مظهراً معنوياً ملائماً لميوله فتأصل حب الاسترضاء في نفسها حتى غدا لها طبيعة ثانية واثرت فيها الوراثة والانتخاب الطبيعي حتى حسبت ارضاء الرجل الغاية الكبرى من حياتها وارتاح الرجل الى تلك المظاهر مأخوذاً بما فيها من الروائع الخلابة فالمته رياه الزهر عما فيه من السم الزعاف واستنفدت المرأة مجهودها في استمالته ولو شوهت تكوينها المعنوي فاصبحت كثيرة المجاملة قديرة على كتمان عواطفها تتظاهر بالابتسام والعاصفة تثور في داخلها لتلقي على نفسها ستاراً وخادعت شريكها بقولها وحركاتها وابتساماتها فبرهن ذلك على انها لم تخسر طبيعتها الانسانية في عصور العبودية والرق فهي تأنف لتحفظ مزيتها الانسانية مما يدل على ثباتها وصلابتها ومقاومتها لما سامها الرجل من الحيف والضغط

تعاقبت القرون وتأثير الاحوال الخاصة يعمل في نفس المرأة حتى جعل لها سمة خاصة فطوت في ارضاء الرجل جميع غايات حياتها الدنيوية غير عابئة بما يسومها من ضعف فضيلتها ولكن مرونة النفس البشرية لا نهاية لها وفيها استعداد تام للرقي المعنوي فلما زالت الصروف التي تبدل من وجدانها نشطت للحرية واستعادت مافقدته من المواهب وخرجت الشعوب المنحطة من بيئتها المظلمة لتضارع ارقى الشعوب مدنية ويكفي لمحو تأثير عشرين قرناً عقبان او ثلاثة اعقاب فهذه قبائل الماوريس كانت منذ قرن واحد ساردة في ظلمات الجهل فما فتح لها باب المدنية حتى ضربت فيها بسهم وافر ونساؤها اليوم لسن دون النساء الانكليزيات وزنوج الولايات المتحدة عدوا منذ مائة عام بين احط الشعوب الافريقية وقد بلغوا اليوم شأواً بعيداً في الحضارة وشغلوا مركزاً رفيعاً في عالمي الاقتصاد والاجتماع

وكان يحق لنا اليأس من المستقبل لو ان الانسان استطرق في سبيل الاسلاف واضاف الى النقائص الموروثة ما تنتجه العصور بتواليها غير ان النفس مرنة ومرونتها تنعش الرجاء بالمستقبل والمرأة في ذلك على مستوى الرجل فيتبدل تهذيبها ومركزها الاجتماعي تستعيد الصدق احدى صفات السادة وتهجر الرياء وهو تركة عصور العبودية وعلى هذا المنوال يتغير مجموع الصفات الانثوية لان نفوسنا تتكيف على ما يلائم شروط البيئة فلم يخلق الرجل ولا المرأة كاذبين او صادقين فاذا مازج البهتان حياتنا لم يكن الا عقبى الصلات التي ربطت الجنسين

بعض المميزات — تنبهت في المرأة خاصتا الفهم والملاحظة لتستكشف مقاصد

الرجل وتعمل على بلوغها فاكتسبت من بيئتها فضائل خاصة كما استفادت نقائص خاصة واصبحت قادرة على التخلص من المآزق والنظر في اعماق نفس الرجل لمعرفة مظان الضعف فيها فعرفت كيف تلطف بكلماتها العذبة آلامنا وتهيج اشواقنا واصبحت مداهنتها اوضح اثراً واشد فعلاً واستطاعت ان تمزج بشخصيتها ان تمتزج بشخصية الرجل اذ لا يمنعنا من الانقياد الى الغير سوى وثوقنا بالقوة واعتمادنا على الذات اما المرأة ففقدت هاتين الخاصتين واستغرقت في حياة الرجل واصبحت العنصر الجوهري لسعادتنا وشقائنا

ثم ان نفسها الساكنة جعلتها ايسر انفعالا لحبها وبغضها واعجابها فوق ما يشعر به الرجل على ان الايام لابد ان تخفف من هذه العواطف

مالت المرأة الى الوهم ذلك الشعور المبهم العقيم ووجدت من تهذيبها ماينزع بها هذا المنزع فولعت بقراءة الروايات وشغلت جل افكارها في الحب لانها تحيا لتحب وعكفت على مطالعة الاقاصيص الغرامية فاصبحت لها كالحب مصدر عواطف لا ينضب غير ان انصرافها الى القصص اضعف فيها ملكة الذكاء

التصورات الحية ٠ — ملل الرجل في دوره الى الغرام وما وجد اجمل من حديثه وقعاً في نفس المرأة فصح لحكايات الخيالية الشأن الاكبر في حياتنا وهي غير جديرة بالنظر وغدا القصصيون من رجال ونساء قادة الانسانية يضعون دعائم مستقبلها واشتغل الناس بالاوهام والاحلام عن الحقائق الثابتة ولعل مؤرخاً ينشأ في القرن الثلاثين ينظر الى ولوعنا بالخيال هازئاً بما ندعيه من الرقي العقلي وربما اوقفنا في مستوى المصريين القدماء الذين عبدوا الكوائن المنحطة فلا يبعد عن الحقيقة وها نحن ذا نرى المرأة مشغوفة بالروايات مستميلة اليها الرجل وقد استغرق الحب وجودهما وقربا على مذبحه اعظم الضحايا

حياة المرأة الضيقة الحدود الثقيلة الواجبات جعلتها تتألم لادنى مظاهر الحياة ومتى رأينا شدة حب المرأة وكرهها حكمنا ان العاطفتين اقوى فيها منهما في الرجل والشجرة المنفردة في عرض البر تخيل للرائي انها اكبر مما هي

اثبت الباحثون ان وجوه الشبه بين نفس المرأة والطفل اوفر مما هي بين نفسي المرأة الطفل والرجل وقد يفوق الرجل في بعض المزايا وينحط عنه في غيرها شأن المرأة فمركزها التاريخي عند جميع الشعوب اكسبها بعض الصفات الفاضلة وافقدها اكثر منها

اطاعت الرجل واصبحت مصدر افراحه ومسراته فلم تقو على مضارعته في الفكر والمثابرة

خواص تقربها من الولد حتى وصفها بعضهم بقوله انها رجل غير كامل الا انها تستطيع في دورها ان تعزو الى الرجل ذلك اللقب ولقد يكون الطفل في حالة نموه احد ذهناً واوفر ذكاء من الرجل إذا تراجع في سلم النشوء وهو على الاطلاق اطهر منه قلباً واقل اهتماماً

الارتقاء العقلي لا يجري على خط مستقيم فينهض بنا طوراً الى اعلى الذرى ويحطنا تارة الى اعمق المهاوي وهذه المميزات التي تفصل بين الرجل والمرأة ليست سوى نتيجة عوارض طارئة تزول بزوالها ومهما يكن من موقف المرأة ازاء الرجل فهو اثر من آثار المركز الذي وجدت فيه خلال عصور متوالية فهي كما وصفوها رجل ناقص لانها امرأة غير كاملة ومما يعزينا انها لم تخسر في عصور العبودية ذرة من القوة العضوية فيعجزها فقدانها عن استعادة مركزها واقل تغيير في شروط حياتها العقلية والخلقية يمكنها من استرجاع الصفات التي اضاعتها

ان نجاح المرأة في عصرنا الحاضر ينعش في نفوسنا آمالاً ناضرة وبما ان ارتقاء الرجل قائم بارتقاء المرأة يحق لنا الوثوق بمستقبل الانسانية الزاهر . اه معرباً بتصرف من مقالة لجان فينو في المجلة الباريزية دمشق : جرجي الحداد

ابن زيدون (١) وابن جهور

هذه رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي (٣٥٤ — ٤٦٣) كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس توفي عام (٤٤٣) يستعطفه بها لما كان في اعتقاله

(٢) يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به ومن ابقاه الله

(١) (المقتبس م) ص ٤٤٩ و ٤٨٦ و ٤٨٤

(٢) لابن زيدون رسالتان فريدتان في اسلوبهما ضمنهما كثيراً من الامثال العربية والاشارة الى وقائع تاريخية مهمة

احداها الرسالة التي كتبها الى الوزير ابي عامر بن عبدوس يسخر به فيها وجعلها عن لسان ولادة بنت المستكفي الاديبة الاندلسية المشهورة وقد شرحها جمال الدين بن

ماضي حد العزم واري زند الامل ثابت عهد النعمة ·

اذا سلبتني اعزك الله لباس انعامك وعطلتني من حلي ايناسك واظمأتني الى برود اسعافك ونفضت بي كف حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك بعد ان نظر الاعمى الى تأميلي لك وسمع الاصم ثنائي عليك واحس الجماد باستنادي اليك فلا غرو فقد يغص الماء شاربه ويقتل الدواء المستشفي به ويؤتى الحذر من مأمنه وتكون منية المتمني في امنيته « والحين قد يسبق جهد الحريص »

كل المصائب قد تمر على الفتى   وتهون غير شماتة الحساد

واني لاتجلد واري الشامتين « اني لريب الدهر لا اتضعضع »

فاقول : هل انا الا يد ادماها سوارها وجبين عض به اكليله ومشرفي الصقه بالارض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفه وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما   فليقس احيانا على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي وهذه النكبة « سحابة صيف عن قليل تقشع »

ولن يريبني من سيدي ان ابطأ سحابه او تأخر غير ضنين غناؤه فابطأ الدلاء فيضاً املأوها واثقل السحاب مشياً احفلها وانفع الحيا ما صادف جدبا والذ الشراب ما اصاب غليلا ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب · له الحمد على اهتباله ولا عتب عليه في اغفاله

وان يكن الفعل الذي ساء واحدا   فافعاله اللاتي سررن الوف

واعود فاقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحامل الذي لم يف به احتمالك ·

نباتة المصري الكاتب الشاعر المعروف (٦٨٦ — ٧٦٨) شرحا سماه سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون وهو مطبوع في مصر

والرسالة الثانية كتبها الى ابي الوليد بن جهور (وهي المنشورة في هذا الجزء) وشرحها الاديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي (٦٩٦ — ٧٦٤) شرحاً سماه تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون وقد وقفنا على نسخة مخطوطة من هذا الشرح (ومنه جردنا هذه الرسالة) في خزانة صديقنا السيد عبد الباقي الحسني الجزائري والكتاب يقع في نحو مائتي ورقة كتب عام ١٢٥٦

لا اخلو من ان اكون بريئاً فاين عدلك او مسيئاً فاين فضلك

الا يكن ذنب فعدلك واسع او كان لي ذنب ففضلك اوسع

حنانيك قد بلغ السيل الزبى ونالني ما حسبي به وكفى وما اراني الا لو امرت بالسجود لآدم فابيت واستكبرت وقال لي نوح اركب معنا فقلت سآوي الى جبل يعصمني من الماء وامرت ببناء صرح لعلي اطلع الى اله موسى وعكفت على العجل واعتديت في السبت وتعاطيت فعقرت وشربت من النهر الذي ابتلي به جيوش طالوت وقدت الفيل لابرهة وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة وتأولت في بيعة العقبة ونفرت الى العير ببدر وانخذلت بثلث الناس يوم احد وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت بالافك على عائشة الصديقة وأنفت من امارة أُسامة وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت فلتة ورويت رمحي من كتيبة خالد ومزقت الاديم الذي باركت يد الله عليه وضحيت بالاشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمم

وكتبت الى عمرو بن سعدان جعجع بالحسين وتمثلت عند ما بلغني من وقعة الحرة

ليت اشياخي ببدر علموا جزع الخزرج من وقع الاسل

ورجمت الكعبة وصلبت العائذ على الثنية لكان فيما جرى علي ما يحتمل ان يكون نكالا ويدعى ولو على المجاز عقابا

وحسبك من حادث بامرىء ترى حاسديه له راحمينا

فكيف ولا ذنب الا نميمة اهداها كاشح ونبأ جاء به فاسق وهم الهمازون المشاؤن بنميم والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون اديما صحيحا والسعاة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم:

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ولا ازمعت يأساً منك مع ضمان تكلفت به الثقة عنك وعهد اخذه حسن الظن بك ففيم عبث الجفاء بأزمتي وعاث العقوق في مواتي وتمكن الضياع من وسائلي ولم ضاقت مذاهبي واكدت مطالبي وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب واني غلبني المغلب وفخر علي العاجز الضعيف ولطمتني غير ذات سوار ومالك لم تمنع مني قبل ان افترس وتدركني ولما امزق ام كيف لا تتضرم جوانح الا كفاء

حسداً لي عليّ الخصوص بك وتنقطع انفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك وقد زانني اسم خدمتك وزهاني وسم نعمتك وابليت البلاء الجميل في سماطك وقمت المقام المحمود في بساطك

الست الموالي فيك غر قصائد هي الانجم اقتادت مع الليل انجما
ثناء يخال الروض منه منوراً ضحى ويخال الوشي فيه منمنما

وهل لبس الصباح الا بردا طرزته بفضائلك وتقلدت الجوزاء الا عقداً فصلته بمآثرك واستملى الربيع الا ثناء ملأته من محاسنك وبث المسك الا حديثاً اذعته في محامدك ما يوم حليمة بسر وان كنت لم اكسك سلبياً ولا حليتك عطلا ولا وسمتك غفلا بل وجدت آجراً وجصاً فبنيت ومكان القول ذا سعة فقلت وحاشا لك ان أعد من العاملة الناصبة واكون كالذبالة المنصوبة « تضيء للناس وهي تحترق » فلك المثل الاعلى وهو بي وبك اولى ولعمرك ماجهلت ان صريح الرأي ان اتحول اذ بلغتني الشمس ونبا بي المنزل واصفح عن المطامع التي تقطع اعناق الرجال فلا استوطئ العجز ولا اطمئن الى الغرور ومن الامثال المضروبة خامري ام عامر وافي مع المعرفة بان الجلاء سباء والنقلة مثلة

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجراً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسيء يكن ما اساء النار في رأس كبكبا

عارف بان الادب الوطن لا يخشى فراقه والخليط لا يتوقع زياله والنسيب لا يجفى والجمال لا يخفى ثم ماقران السعد للكواكب ابهى اثراً ولا اسنى خطراً من اقتران غنى النفس به وانتظامها نسقا معه فان الحائز لهما الضارب بسهم فيهما « وقليل ماهم » اينما توجه ورد منهل بر وحط في جناب قبول وضوحك قبل انزال رحله وأعطي حكم الصبي على اهله

وقيل له اهلا وسهلا ومرحباً فهذا مبيت صالح ومقيل

غير ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف واللبيب يحن الى وطنه حنين النجيب الى عطنه والكريم لا يجفو ارضاً فيها قوابله ولا ينسى بلداً فيها مراضعه قال الاول

احب بلاد الله ما بين منعج اليّ وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تمائمي واول ارض مس جلدي ترابها

هذا الى مغالاتي بعقد جوارك ومنافستي بلحظة من قربك واعتقادي ان الطمع في غيرك طبع والغنى من . والله عنا والبدل منك اعور والعوض لفا

واذا نظرت الى اميري زادني ضنًا به نظري الى الامراء

كل الصيد في جوف الفرا وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فما هذه البراءة ممن يتولاك والميل عمن لا يميل عنك وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ورضاك فيمن رضاه لك

يا من يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

أعيذك ونفسي من ان أشيم خلبا واستمطر جهاما واكرم غير مكرم واشكو « شكوى الجريح الى العقبان والرخم » فما أبسست لك الا لتدر وحركت لك الحوار الا لتحن وقدتك الا لانام وسريت اليك الا لاحمد السرى لديك وانك ان سنيت عقد امري تيسر ومتى اعذرت في فك اسري لم يتعذر وعلمك محيط بان المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه تعود به صدقة

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

لعلي القي العصي بذراك وتستقر بي النوى في ظلك واستأنف التأدب بادبك والاحتمال على مذهبك فلا اوجد للحاسد مجال لحظة ولا ادع للقادح مساغ لفظة والله ميسرك من اطلابي بهذه الطلبة واشكاي من هذه الشكوى بصنيعة يصيب منها مكان المصنع وتستودعها احفظ مستودع حسبما انت خليق له وانا منك حري به وذلك بيده وهين عليه .

ولما توالت غرر هذا النثر واتسقت درره فهز عطف غلوائه وجر ذيل خيلائه عارضه النظم مباهيا بل كايده مداهيا حين اشفق من ان يعطفك استعطافه وتميل بنفسك الطافه فاستحسن العائدة منه واعتد بالفائدة له ومازال يستكد الذهن العليل والخاطر الكليل حتى زف اليك منه عروسًا مجلوة في اثوابها منصوصة بحليها وملابسها

وبعد ان اورد القصيدة (1) قال :

ها كها اعزك الله يبسطها الامل ويقبضها الخجل لما ذنب التقصير وحرمة الاخلاص فهب ذنبًا لحرمة واشفع نعمة بنعمة ليتأتى لك الاحسان من جهاته ويسلك الى الفضل من طرقاته

دمشق محمد رشدي الحكيم

---

(1) لم تنشر القصيدة لغلبة التحريف عليها

مخطوطات ومطبوعات

تاريخ اليعقوبي

مجلدان في ٩٤٠ ص طبع بمطبعة بريل في ليدن سنة ١٨٨٣

من جملة الكتب العربية التي نشرها الاستاذ هوتسما احد علماء المشرقيات هذا السفر النفيس لابن واضح من اهل القرن الثالث للهجرة وقد عني بطبعه عناية اخوانه المشتغلين باحياء آثار الشرق الاسلامي فجاء وافياً بالمرام ساداً ثغرة مهمة في تاريخ الاسلام وقد وشحه باختلاف النسخ وشفعه بفهرس لاسماء الرجال وفهرس باسماء البلدان التي ورد ذكرها في متن الكتاب ليتيسر الانتفاع به على الطالب في الحال · والنسخة التي ظفر بها الناشر ناقصة من اولها وفيها نقص من بعض فصولها لايحول دون الانتفاع منها بدأ فيها المؤلف بذكر شيث بن آدم وبعد ان ذكر على عادة اكثر مؤرخي العرب تاريخ الانبياء تعرض للكلام على ملوك الاسرائيليين وملوك الموصل ونينوى وملوك بابل والهند واليونانيين والروم وفارس وملوك الجربي والصين ومصر من القبط والبربر والافارقة والحبشة والسودان ومملكة البجة وملوك اليمن وملوك الشام وملوك الحيرة من اليمن وحرب كندة واديان العرب وحكامهم وازلامهم وشعرائهم واسواقهم وبهذا ينتهي المجلد الاول ويبدأ المجلد الثاني بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام وبتاريخ الاسلام وخلفائه الى ايام احمد المعتضد على الله بعبارة سهلة موجزة · واليك مثالين من الكتاب تعرف بهما طريقة ابن واضح قال في اسواق العرب :

« كانت اسواق العرب عشرة اسواق يجتمعون بها في تجاراتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دمائهم واموالهم فمنها دومة الجندل يقوم في شهر ربيع الاول ورؤساؤها غسان وكلب اي الحيين غلب قام ثم المشقر بهجر يقوم سوقها في جمادى الاولى تقوم بها بنو تميم رهط المنذر بن ساوى ثم صحار يقوم في رجب في اول يوم من رجب ولا يحتاج فيها الى خفارة ثم يرتحلون من صحار الى ربا يعشرهم فيها الجلندي وآل الجلندي ثم سوق الشحر شحر مهرة فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النبي ولم تكن بها خفارة وكانت مهرة تقوم بها ثم سوق عدن يقوم في اول يوم من شهر رمضان يعشرهم بها الابناء ومنها كان يحمل الطيب الى سائر الآفاق ثم سوق

صنعاء يقوم في النصف من شهر رمضان يعشرهم بها الابناء ثم سوق الرابية بحضرموت ولم يكن يصل اليها الا بخفارة لانها لم تكن ارض مملكة وكان من عز فيها بزوكات كندة تخفر فيها ثم سوق عكاظ باعلى نجد يقوم في ذي القعدة وينزلها قريش وسائر العرب الا ان اكثرها مضر وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهادناتهم ثم سوق ذي المجاز وكانت ترتحل من سوق عكاظ وسوق ذي المجاز الى مكة لحجهم وكان في العرب قوم يستحلون المظالم اذا حضروا هذه الاسواق فسموا المحلين وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة المحرمين فاما المحلون فكانوا قبائل من اسد وطيء وبني بكر بن عبدمناة ابن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة واما الذادة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بني شيبان وقوم من بني كلب بن وبرة فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع اسلحتها في الاشهر الحرم ... وكانت العرب تحضر سوق عكاظ وعلى وجوهها البراقع فيقال ان اول عربي كشف قناعه ظريف بن غنم العنبري ففعلت العرب مثل فعله .»

اما المثال الثاني فنقتبس منه بعض الجمل فقط دلالة على حرية المؤلف ورداً على من يقول ان مؤرخي بني العباس اضطرتهم السياسة ان يحملوا على بني أمية ارضاء لبني هاشم مع ان من اولئك المؤرخين من طعنوا الطعن المبرح بالعباسيين انفسهم وهم معاصرون لهم كل ذلك بفضل الحرية التي تمتع بها العلم في القرون الاولى لبني العباس قال المؤلف بعد ان ذكر طرفاً من سيرة المتوكل على ما هي معروفة ومن قبض عليهم واستصفى اموالهم من عماله . وفي هذه السنة امر المتوكل بلبس اهل الذمة الطيالسة العسلية وركوبهم البغال والحمير بركب الخشب والسروج التي فيها الاكر ولا يركبون الخيل والبراذين وان يصيروا على ابوابهم خشباً فيها صور الشياطين . وقال : وامر المتوكل في هذا الوقت ان لا يستعان باحد من اهل الذمة في شيء من عمل السلطان وان تهدم الكنائس والبيع المحدثة ومنعوا من العمارة وكتب بذلك الى الآفاق . ولعل ما دعا المتوكل الى تشديد الوطأة على اهل الذمة الانتقام منهم عما كان يأتيه ملوك الروم من غزو الاطراف فقد ذكر ابن واضح في ترجمة المتوكل ايضاً انه لما وجه عنبسة بن اسحاق الضبي لم يقم فيها الا شهوراً حتى اناخت الروم على دمياط في خمسة وثمانين مركباً فقتلوا خلقاً من المسلمين

واحرقوا الفاً واربعمائة منزل وسبوا من المسلمات الفاً وثمانمائة وعشرين امرأة ومن نساء القبط الف امراة ومن اليهود مائة امرأة واخذ السلاح الذي كان بدمياط والسقط وتهارب الناس فغرق في البحر نحو القبين واقاموا يومين وليلتين ثم انصرفوا . ومع هذا وجه « طاغية الروم » برسل وهدايا وكانت يسيرة فبعث اليه باضعافها .

وترى من خلال السطور ان المؤرخ يكاد يصرح بسوء حالة المتوكل خصوصاً في سخطه على بعض عماله وتعذيبهم ومما قاله فيه : وبنى المتوكل قصوراً انفق عليها اموالاً عظاماً منها الشاه والعروس والشبداز والبديع والغريب والبرج وانفق على البرج الف الف وسبعمائة الف دينار . قال وعزم المتوكل على المسير الى دمشق ووصف له برد هوائها وكان محروراً فكتب الى محمد بن احمد بن مدبر بأمره باتخاذ القصور واعداد المنازل وكتب في اصلاح الطريق واقامة المنازل والمرافق وسار من سر من رأى يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٢٤٣ ونزل دمشق يوم الاربعاء لثمان بقين من صفر سنة ٢٤٤ فنزل تلك القصور فاقام ثمانية وثلثين يوماً وبلغه عن بعض الموالي من الاتراك امر كرهه فشخص عن دمشق الى العراق ولم يسافر في ولايته غير هذه السفرة الا في نزهة ولم ير في سفرته هذه شيئاً ولا نظر في مصلحة احد واصابت الشام كله زلازل حتى ذهبت اللاذقية وجبلة ومات عالم من الناس حتى خرج الناس الى الصحراء واسلموا منازلهم وما فيها واتصل ذلك شهوراً من سنة ٢٤٥ وانتقل المتوكل الى موضع يقال له الماحوزة على ثلثة فراسخ من قصر سر من رأى وبنى هناك مدينة سماها الجعفرية وحفر فيها نهراً من القاطول ونقل الكتاب والدواوين والناس كافة اليها وبنى فيها قصراً لم يسمع بمثله وذلك في المحرم سنة ٢٤٦

ومما رواه المؤلف في سيرة المأمون وحريته وعلمه ان بشر بن الوليد الكندي قاضيه ببغداد كان قد ضرب رجلاً قرف بانه شتم ابا بكر وعمر واطافه على جمل فلما قدم المأمون (بغداد وكان متغيباً عنها في الشام) احضر الفقهاء فقال اني قد نظرت في قضيتك يا بشر فوجدتك قد اخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ثم اقبل على الفقهاء فقال : افيكم من وقف على هذا قالوا وما ذاك يا امير المؤمنين فقال : يا بشر بما اقمت الحد على هذا الرجل قال : بشتم ابي بكر وعمر قال : حضرك خصومه قال : لا قال : فوكلوك قال : لا قال : فللعامة ان يقيم حد القرفة بغير حضور خصم قال : لا قال : وكنت تأمن ان يهب بعض القوم حصته فيبطل الحد قال : لا قال : فانهما كافرتان ام مسلمتان قال : بل

كافرتان قال : فيقام في الكافرة حد المسلمة قال : لا قال : فهبك فعلت هـذا بما يجب لابي بكر وعمر من الحق افيشهد عندك شاهدا عدل قال : قد زكي احدهما قال : فيقام الحد بغير شاهدين عدلين قال: لا قال : ثم أقمت الحد في رمضان فالحدود تقام في شهر رمضان قال : لا قال ثم جلدته وهو قائم فالحدود يقام قال : لا قال : ثم شهجته بين المقابين فالحدود يشبع قال: لاقال:ثم جلدته عريان فالحدود يعرى قال: لاقال ثم حملته عَلَى جمل فاطفته فالحدود يطاف به قال : لا قال : ثم حبسته بعد ان اقمت عليه الحد فالحدود يحبس بعد الحد قال : لا قال : لا يراني الله ابوء باثمك واشاركك في جرمك خذوا عنه ثيابه واحضروا المحدود ليأخذ حقه منه فقال له من حضر من الفقهاء : الحمد لله الذي جملك عاملاً بحقوقه عارفاً باحكامه تقول الحق وتعمل به وتأمر بالعدل وتؤدب من رغب عنه ان هذا يا امير المؤمنين حاكم اجتهد في رأيه فاخطأ فلا تفضح به الحكام وتهتك به القضاء فامر به فحبس في داره حتى مات اه ٠

والكتاب كله فوائد غزيرة يشف عن علم صاحبه وناشره فيا حبذا لو صحت العزائم في الشرق لاعادة طبعه على صورة احسن تسهيلاً لاقتنائه لان معظم الكتب التي نشرها علماء المشرقيات قصدوا بها فائدة بلادهم او فكراً خاصاً لهم ولذلك يقللون من النسخ المطبوعة منها ما امكن بحيث يتعذر عَلَى ابن الشرق ابتياعها لغلاء اثمانها بالنسبة لما ألف من رخص الكتب في بلاده وكثيراً ما يتطلبهـا فلا يظفر منها بنسخة لانها تنفد في مدة قليلة ولا يصل خبرها الى الشرق الا وتكون قد نفدت او كادت ٠

تقويم البلدان

قلنا غير ما مرة ان علماء المشرقيات من الفرنسيس قصروا في العهد الاخير عن اللحاق برصفائهم من الالمان وان ما ينشرونه اليوم من الكتب العربية دون ما كان اسلافهم ينشرونه في النصف الاول من القرن التاسع عشر وكتاب تقويم البلدان تأليف السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل صاحب حماة اكبر شاهد عَلَى صحة هذا القول فقد طبعه في باريز بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠ المسيو رينود والبارون دميسلان بمناظرة سلفستر دي سامي شيخ المستشرقين في فرنسا الذي افضل كثيراً عَلَى العرب والعربية بما نشره من آثار السلف

وتقويم البلدان في الجغرافية العامة كما يفهم من اسمه عظيم الفائدة من وجوه أقلها ان المؤلف كان من ابعد الطبقة الراقية بين علماء القرن الثامن مدقق في كل ما خطته يده من

المصنفات فهو في ملوك الطوائف المتأخرين بعلمه وفضله بمنزلة المأمون من خلفاء العباسيين ·

ظفر الناشر ان من كتابه هذا بنسخة صححت على المؤلف وكتب عليها بقلمه بعض التعليقات او هي نسخة المؤلف فجاءت والعناية قد بذلت بها من اصح ما طبع علماء المشرقيات

اعتمد المؤلف على ما كتبه ابن حوقل والادريسي وابن سعيد وعلى كتابي العزيزي واللباب ونقل عنهم حتى في جغرافية بلاده وكان ابو الفدا طاف سورية ومصر وقسماً من بلاد العرب من الحجاز وبلغ الفرات فعد كلامه ثقة فيما كتبه والغالب انه تحدى بطليموس في تقسيماته الجغرافية قال في مقدمته : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله حمداً يليق بجلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وبعد فاني طالعت الكتب المؤلفة في البلاد ونواحي الارض من الجبال والبحار وغيرها فلم اجد فيها كتاباً موفياً بغرضي فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب ابن حوقل وهو كتاب مطول ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً غير انه لم يضبط الاسماء وكذلك لم يذكر الاطوال ولا العروض فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ومع ذلك لا تحصل به فائدة تامة وكتاب الشريف الادريسي في المسالك والممالك وكتاب ابن خرداذبة وغيرها وجميعهم حذوا حذو ابن حوقل في عدم التعرض الى تحقيق الاسماء والاطوال والعروض واما الزيجات والكتب المؤلفة في الاطوال والعروض فانها عرية عن تحقيق الاسامي وعن ذكر صفات المدن واما الكتب المؤلفة في تصحيح الاسماء وضبطها مثل كتاب الانساب للسمعاني والمشترك لياقوت الحموي وكتاب مزيل الارتياب عن مشتبه الانتساب وكتاب الفيصل كلاهما لابي المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلي فانها اشتملت على ضبط الاسماء وتحقيقها من غير تعرض الى الاطوال والعروض ومع الجهل بالاطوال والعروض يجهل سمت ذلك البلد فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ولا الجنوبي ولا الشمالي

ولما وقفنا على ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في الكتب المذكورة من غير ان ندعي الاحاطة بجميع البلاد او بغالبها فان ذلك امر لا مطمع في الاحاطة به فان جميع الكتب المؤلفة في هذا الفن لا تشتمل الا على القليل الى الغاية فان اقليم الصين مع عظمته وكثرة مدنه لم يقع الينا من اخباره الا الشاذ النادر وهو مع ذلك غير محقق وكذلك بلاد البلغار وبلاد الجركس وبلاد الروس وبلاد السرب وبلاد

الاولى (الاولاح) و بلاد الفرنج من الخليج القسطنطيني الى البحر المحيط الغربي فانها بلاد كثيرة وممالك عظيمة متسعة الى الغاية ومع ذلك فان اسماء مدنها واحوالها مجهولة عندنا لم يذكر منها الا القليل النادر وكذلك بلاد السودان في جهة الجنوب فانها ايضاً بلاد كثيرة لجنوس مختلفة من الحبش والزنج والنوبة والتكرور والزيلع وغيرهم فانه لم يقع الينا من اخبار بلادهم الا القليل النادر وغالب كتب المسالك والممالك انما حققوا بلاد الاسلام ومع ذلك فلم يحصوها عن آخرها ولكن كما قيل ما لم يعلم كله لا يترك كله فان العلم بالبعض خير من الجهل بالكل وقد جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في كتب عديدة عَلَى ما سنقف عليه ان شاء الله عند ذكرها وحذونا في تأليفه حذو ابن جزلة في كتاب تقويم الابدان في الطب وسمينا كتابنا هذا تقويم البلدان اه ٠

بدأ المؤلف بذكر الارض والاقاليم السبعة والابحار والاطوال والخلجان والبحيرات والانهار والجبال قال في الكلام عَلَى ترتيب كتابه : اما ترتيبه فانه مجدول عَلَى وضع التقاويم وقد ذكرنا فيه الاقليم الحقيقي والاقليم العرفي في بيتين والمراد بالاقليم الحقيقي احد الاقاليم السبعة المتقدم ذكرها والعرفي كل ناحية او مملكة تشتمل عَلَى عدة كثيرة من الاماكن والبلاد مثل الشام والعراق وغيرهما ٠ قال وقد جعلنا في الجدول بيتاً لضبط الاسماء فان في هذه الاسامي اسماء اعجمية لا يهتدى اليها بغير ضبط وكذلك في الاسماء المشهورة اسماء قد غيرتها العامة تارة بتغيير الفتحة الى الكسرة او الضمة وبالعكس وتارة بزيادة الحروف في الكلمة وتارة بالتنقيص مثل ما يقولون في تبريز توريز وتستر ششتر ومثل ما يقولون تدمر بضم التاء وهي بالفتح فلذلك احتجنا الى ضبط الاسماء وذكرنا في الهامش من فوق وتحت كلاماً عَلَى ذلك الاقليم وتحديده وذكر بعض مسافاته ونحو ذلك واما ترتيب الاماكن وتقديم بعضها على بعض في الذكر فانه امر لم يتهيأ لنا فيه ترتيب يرضينا فتبعنا فيه ابن حوقل وابتدأنا بجزيرة العرب لكون بيت الله الحرام وقبر نبيه عليه افضل الصلاة والسلام فيها ٠

ومع ان مؤلفنا اعتذر بتعذر الوصول الى اخبار بلاد الافرنج فقد ذكر منها جملة صالحة فذكر منها مملكة بولية على بحر الروم عند فم جون البنادقة من غربيه وهي تقابل مملكة الباسليسة التي من البر الآخر وملك بولية كان يقال له في زمانه الريدشار وذكر بلاد قلفرية والمرا (المورة) والملفجوط والفلورنس والتسقاله (ابطاليا) واستنبرى والروس وافرنسة واللمانية وذكر مدينة باريز فقال : مدينة بريس قاعدة فرنسا وهي ثلاث قطع

كما هي مدينة الباب فالوسطى التي في الجزيرة لفرنسيس سلطان الفرنج والجنوبية لجند والشمالية لسائر قوامسهم وتجارهم ورعيتهم وذكر عن ابن سعيد بلاد الباشقرد وهم ترك جاوروا اللمانيين على عهد متواثق وهم مسلمون من جهة فقيه تركاني نصرهم بشرائع الاسلام واكثر عمائرهم على نهر دوما وعلى جنوبيه قاعدتهم قرات وهي مما دخله التتر وخربوه واهلكوا اهله وفي شرقيها بلاد الصنقر (المجر) اخوة الباشقرد تنصروا المجاورة اللمانيين ولهم مدائن وعمائر على النهر الكبير مستعجمة وقاعدتهم مدينة ترتبوا وذكر بلاد اللنبردية وجنوة وبيزة والبندقية وورومية وبرشان (قاعدة امة البرجان) قال فيهم وكان لهم شهرة وبأس في قديم الزمان فاستولت عليهم الالمانية وابادوهم حتى لم يبق منهم احد ولا بقي لهم اثر وذكر مدن اثينية وقسطنطينية وتسمى بوزنطيا وماقذونية وصقجي وايزو وطرنو وبلاد (بلغار) وطلوزة قال ابن سعيد وفي شرقي بردال مدينة طلوزة يقال ان اصاحبها الفرنجي في الجبال التي في شماليه وشرقيه ماينيف على الف حصن وهو قريب من صاحب فرنسة والنهر في جنوبيها يصعد منه مراكب البحر المحيط اليها بالقصدير والنحاس اللذان يجلبان من جزيرة انكطرة وجزيرة ارلندة وتحمل على الظهر الى نربونة ومنها تحمل في مراكب الفرنج الى الاسكندرية. وذكر مدينة مرشيلية ومدينة سبقلوا في شمالي جبل جرواسيا قال فيها نقلاً عن ابن سعيد انه يصنع فيها السيوف الالمانية المشهورة ولها معدن حديد يجلبها ويقال ان في مكان منه معدن حديد مسموم يصنع منه السيوف والخناجر لا يبيح الملوك اكتسابها لغيرهم وفي شرقيها وسمت عرضها مدينة نفصين (حصن ؟) وهي مخصوصة بالماء المالية وحكمائهم. وذكر عراز ولوشيرة وسبنقو ومشقة وبرغاذما. ومن هذه المدن ما دثر الآن او تغير اسمه.

وقصارى القول ان كتاب ابي الفدا من اصدق كتب الجغرافية العربية التي ألفت في القرون الوسطى وكأنها أتمت في هذا القرن لم يفض صاحبها الا فيما علم فكان حجة ثبتاً في كل ما روى تكاد لا تقرأ له خرافة ينكرها طبعك وتنافي ارتقاء العصر الحاضر فياحبذا لو صحت همة احد لطبعه، فان نسخه فقدت ولا تكاد توجد الا في مكاتب الخاصة ودور الكتب العامة

اخبار وافكار

بدائع الصنائع
والمرأة المسلمة في العصور المتقدمة

تكلمتم في الجزء العاشر من المجلد الخامس عَلَى كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وبينتم فضل الكتاب وماله من المكانة عند المشتغلين بفقه الامام الاعظم فأحببت ان اتحف قراء المجلة بترجمة المؤلف وترجمة استاذه وبنت استاذه زوجته فاطمة الفاضلة فانها انموذج مما كانت عليه الامة الاسلامية من العناية بتربية النساء

قال الفاضل محمد عبد الحي اللكنوي الهندي في طبقاته المسماة بالفوائد البهية في تراجم الحنفية في صفحة ١٥٨ : محمد بن احمد بن ابي احمد ابو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء استاذ صاحب البدائع شيخ كبير فاضل جليل القدر تفقه علي ابي المعين ميمون المكحولي وعَلَى صدر الاسلام ابي اليسر البزدوي وكانت ابنته فاطمة الفقيهة العلامة زوجة علاء الدين ابي بكر صاحب البدائع وكانت تفقهت عَلَى ابيها (وحفظت تحفته) وكان زوجها يخطيء فترده الى الصواب وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط ابيها فلما تزوجت بصاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط ابيها وخط زوجها . اه

وقال في الكتاب الموسوم بمدينة العلوم (وهو من البقية الباقية من نفائس مخطوطات مكتبة المدرسة العثمانيه بحلب) ومنها (اي من كتب الحنفية) كتاب التحفة للشيخ الامام محمد بن احمد بن ابي احمد الامام علاء الدين السمرقندي وهو الذي تزوج الكاساني ابنته فاطمة وشرح تحفته وفاطمة هذه كانت تنقل المذهب نقلاً جيداً وربما ترد فتوى زوجها الكاساني ويرجع هو الى قولها وكانت الفتوى اولاً تخرج وعليها خطها وخط ابيها السمرقندي ثم كانت تخرج بخطها وخط زوجها الكاساني وكانت في يدي فاطمة سواران (باعتهما) وعملت بالثمن الفطور كل ليلة بالحلاوى واستمر ذلك الى اليوم ولهذا سميت تلك المدرسة بالحلاوية اه (لم يزل هذا اسمها وهي من آثار نور الدين الشهيد عمرها سنة ٥٤٤)

وقال في الفوائد البهية ايضاً في صفحة ٥٣ : ابو بكر بن مسعود بن احمد علاء الدين

ملك العلماء الكاساني صاحب البدائع شرح تحفة الفقهاء اخذ العلم عن علاء الدين محمد السمرقندي صاحب التحفة عن صدر الاسلام ابي اليسر البزدوي وعن ابي المعين ميمون المكحولي وعن مجد الائمة السرخسي وله كتاب السلطان المبين في أصول الدين وتفقه عليه ابنه محمود واحمد بن محمود الغزنوي صاحب المقدمة الغزنوية مات في عاشر رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودفن بظاهر حلب عند قبر زوجته فاطمة ابنة صاحب التحفة الفقيهة العالمة والدعاء عند قبرهما مستجاب قال الجامع قال علي القاري انه مصنف البدائع الكتاب الجليل والسلطان المبين قيل وسماه المعتمد في المعتقد ومن شعره

صبقت العالمين الى المعالي بصائب فكرة وعلو همه
ولاح بحكمتي نور الهدى في ليال بالضلالة مدلهمه
يريد الجاهلون ليطفؤه ويأبى الله الا ان يتمه

وتفقه علي محمد بن احمد السمرقندي وقرأ عليه معظم تصانيفه وزوجه شيخه ابنته فاطمة وقيل ان سبب تزويجها انها كانت من حسان النساء وكانت حفظت التحفة لابيها وطلبها جماعة من ملوك بلاد الروم ولما صنف صاحب الترجمة البدائع وهو شرح التحفة وعرضه على شيخه ازداد به فرحاً وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك فقالوا في عصره شرح تحفته وتزوج ابنته وارسل صاحب البدائع رسولاً من ملك بلاد الروم الى نور الدين محمود بحلب وكان قبل ذلك قدم الرضا السرخسي صاحب المحيط الى حلب فولاه نور الدين الحلاوية واتفق عزله فولاه نور الدين الحلاوية فتلقاه الفقهاء بالقبول · وقال ابن العديم سمعت ضياء الدين الحنفي قال حضرت الكاساني عند موته فشرع في قراءة سورة ابراهيم حتى بلغ قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) فخرجت روحه ودفن عند زوجته داخل مقام الخليل بظاهر حلب والدعاء عند قبريهما مستجاب و يعرف عند الزوار في حلب بقبر المرأة وزوجها انتهى قلت ان الاشعار التي نسبها اليه وقد نسبها حسن چلبي في حواشي التلويح الى الحكيم عمر الخيام والله اعلم · ونسبته الى الكاساني بالكاف ثم الالف ثم السين المهملة ثم الالف ثم النون بلدة وراء الشاش ذكره السمعاني وقد يقال في نسبته الكاشاني بالمعجمة بدل المهملة وفي مشتبه النسبة للذهبي قاسان بلد كبير بتركستان خلف سيحون واهلها يقولون كاسان وكانت من محاسن الدنيا خربت باستيلاء الترك عليها ومنها العلامة علاء الدين الكاساني من ائمة الحنفية بدمشق (صوابه بحلب) ايام الملك نور الدين انتهى

وقال العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار في اوائل باب الطهارة مانصه : هذا الكتاب (اي البدائع) جليل الشأن لم ار له نظيراً في كتبنا اه

وقد اكثر العلامة المذكور في حاشيته من النقل عنه والمتتبع لها يرى انه حينما يأتي بالنقل عنه يكون قد آذن بالاتيان بما فيه فصل الخطاب في المسائل المختلف فيها ٠

فكتاب يلقب المؤرخون صاحبه بملك العلماء ويشهد فيه العلامة ابن عابدين هذه الشهادة ويكون عمدته في حاشيته التي عليها المعول في عصرنا هذا يدل دلالة واضحة عَلَى عظم فضل مؤلفه وجلالة قدره وغزارة مادته ومع هذا الفضل والعلم الزاخر كانت زوجته فاطمة ربما ردت فتواه ورجع هو الى قولها ولا ريب انها لم تقدم عَلَى ذلك الا حينما آنست من نفسها انها ضاهته في العلم وبلغت مبلغه في الفضل

وحسبنا هذا دليلاً عَلَى ما وصلت اليه المرأة المسلمة من الرقي في تلك العصور وقايس ايها القارئ بين امثال هذه الفاضلة وبين المرأة المسلمة في عصرنا هذا وقل لي رعاك الله هل يوجد اليوم في مشارق الارض ومغاربها امرأة مسلمة حازت من العلياء هذه الدرجة وقل لهؤلاء العلماء القائلين بتحريم تعليم المرأة الكتابة أكان صاحب التحفة السمرقندي الذي هذب ابنته فاطمة وعلمها ما علمها جاهلاً بالحكم الذي يعلمه هؤلاء

فهل لنا ان نأخذ من ترجمة هذه الفاضلة درس عظة يوقظنا من سباتنا ويبعثنا من اجداث خمولنا ويرشدنا الى النهوض الى تعليم بناتنا واجباتهم الدينية وحوائجهم الدنيوية لنحيي في الدنيا حياة طيبة ونعيش في الآخرة عيشة راضية ٠

حلب محمد راغب طباخ

(تنبيه) علم مما تقدم ان بدائع الصنائع هو شرح لتحفة الفقهاء لكن المتصفح للكتاب لا يرى فيه المتن البتة وذلك لانه شرح على طريقة المتقدمين اي انه اتى الى كل بحث من ابحاث التحفة فوسع دائرته وجعله فصلاً ومزج المتن مع الشرح مزجا لا يمكن التفرقة بينهما الا لمن يرى التحفة عَلَى حدتها فالكتاب عبارة عن فصول متتابعة

تجدد ايطاليا

كتب احدهم في المجلة مقالة تحت هذا العنوان قال فيها ما محصله: كلما خرقوا جانباً من جبال الالب ينزل عَلَى ايطاليا ينبوع من الخصب والمال وبينما نجد العجز مستحكماً في ميزانيات المانيا وانكلترا وفرنسا ترى ميزانية ايطاليا يزيد دخلها عَلَى خرجها فازدادت تجارة ايطاليا الخارجية منذ اواخر القرن التاسع عشر بقوة عجيبة لم تضاهها به التجارة الالمانية ولا

تجارة الولايات المتحدة. نمت تجارة اميركا ٨٥ في المئة والمانيا ٨٤ وفرنسا ٥٠ وانكلترا ٤٠ اما ايطاليا فقد زادت ٩٩ في المئة . ومدينة ميلان معهد المقدمين من الماليين كما هي معهد دعاة الاشتراكية المتحمسين ولكنهم يراعون النظام في حركاتهم ومطالبهم وما قط اهرقوا دماً حراماً او اغتصبوا مالاً حراماً فالاشتراكيون عَلَى جرأتهم والماليون كذلك ويكفي ان مدينتي تورين وميلان قد اقدمتا على صنع السيارات (الاتوموبيل) قبل فرنسا وربحتا ارباحاً طائلة

وبعد فان ايطاليا مخصبة برجالها كما هي مخصبة بالاعمال والواردات ومعدل نفوسها أكثر من المانيا ففي كل كيلو متر من بلادها ١١٧ ساكناً عَلَى حين لا يوجد في كل كيلو متر من المانيا سوى ١٠٤ اشخاص . وينسب الاجتماعيون نفوس الشعب الايطالي المتزايد لاعتياد البكور في الزواج فقد تجد عروساً في الخامسة عشرة من عمرها وأماً في السادسة عشرة في كل خطوة تسيرها في البلاد ويغلب عَلَى العامل الايطالي القناعة والعمل والاقتصاد وهو مولع بحب الأسرة فاذا ابتعد عنها فانما يبتعد ليكون عوناً لها ولا يغادر المهاجر الايطالي بيته الا ليوطد دعائمه وهو ابداً يحلم بالعودة اليه

العامل الايطالي مثال القناعة والتوفير والصبر أعطه من الاجرة مايموت من مثله العامل الانكليزي وتراه مع ذلك يقتصد من اجرته جانباً في صندوق التوفير نعم ان اجرة اليد العاملة في ايطاليا رخيصة ولكن الوقود فيها قليل فتكاد لا تجد في تلك البلاد الخصيبة فحماً حجرياً وليست ميناء جين دون مرسيليا بتجارتها فاذا كانت مارسيليا تغرق فرنسا ندخلها البضائع تنقل منها الى غيرها فان جين مصرف مهم لداخلية ايطاليا فقد وقف عليها سنة ١٩١٠ — ١٣ الف سفينة في حين وقف عَلَى مارسيليا ١٧ الفاً وكان حظ جين سبعة ملايين طن من البضائع وحظ مارسيليا ثمانية واعتصاب العملة غير مألوف كما هو مألوف في مارسيليا لان العملة يعرفون ان مصلحتهم مرتبطة بمصلحة معلميهم ولذلك يحلون بينهم كل اشكال يقع بالحسنى

قال ولقد اوشكت ايطاليا ان تموت مرتين وما لاقته من الشدائد لا يخلو من عبرة فقد ماتت للمرة الاولى عند ما داهمها برابرة الشمال وجعلوا أعزة اهلها اذلة وذلك لانها نقضت عهد وطنيتها وافسدت اخلاق ساكنيها واهملت زراعتها وأضعفت جيشها فاعادت البابوية الحياة الى رومية وبدلاً من تأليه قيصر صارت تذكر اسم الله ثم جاء دور النهضة وأتت بالمفتنين والشاعرين ورجال الحرب والسياسة من ابنائها . وتراجع

عمران رومية للمرة الثانية بما حدث من الغوائل بين البابا والامبراطور حتى اذا كانت الثورة الفرنسوية انتفضت ايطاليا كما انتفض العصفور بلله القطر . وفي اواسط القرن التاسع عشر نشأت تلك الثورة الوطنية التي كان من نتائجها وصول ايطاليا الى ماوصلت اليه . كانت ايطاليا منذ ستين سنة منقسمة الى ممالك حقيرة كلهم عَلَيَّ وضم فمن مقاطعة صقلية الى رومان الى اميليا الى طوسكانيا الى بيمون ومن كان يرجو ان يداً صناع تقدر عَلَى عجن هذه الاجزاء المنحلة لتوحيدها وارجاعها الى الحياة وكم من ايطالي عظيم مات وهو يفكر في هذا الامر الجلل ويرسم هذه الخطة العجيبة

ولقد تهيأ لايطاليا مثل غاريبالدي الذي قاد فتيانها ومازيني الذي كانت حظوته من الشعب سلاحاً اقوى من كل سلاح وكافور رجل السياسة الذي احيا الزراعة كما لمّ شعث الجيش واقام نصاب العدل والحق كما فاوض اوربا بجمل ايطاليا وطناً

وهكذا بني بناء الوحدة الايطالية بسرعة ومواد متينة عَلَى ارض لا تتزعزع فتوطدت دعائم هذا البناء منذ خمسين سنة وعادت رومية عاصمة ايطاليا الجديدة وميلان وتورين ونابل هي مدن العمل النافع الرافع . ولا بسبيزيا وجين هما ولا مراء ثغران تنبعث منهما الحياة القوية فايطاليا مملوءة بماض وهي كذلك في المستقبل ترى فيها بقايا العاديات كما تجد فيها المجددات والمبتدعات وان ارواح عظماء رجالها المفتنين امثال ميشل آنج وليوناردي فنسي لتسر بما ترى الآن من معامل لومبارديا المائية الكهربائية العجيبة والمناطيد الطيارة السابحة في الفضاء . كم من آمال تحققت في ايطاليا ففيها ارادت مملكة القياصرة ثم البابوية ان تلقي السلام في العالم وفيها نشأت الخطط الشريفة في الابنية الاجتماعية والالهامات الصناعية العجيبة وكل ما ينهض بالامم ويعلي مقامها قد بدأ في صور بديعة لطيفة فايطاليا من ثم معمل الكمال والخيال

المقعدون والصناعة

في كل مجتمع افراد مصابون بعاهات تمنعهم عن تعاطي كثير من الاعمال فما هي الوسائل التي يجب عَلَى المجتمع ان يقوم بها نحوهم ؟ يجيب الانسان لاول وهلة انه يجب عليه ان يعلمهم حرفة يحترفون بها وهذا ما قامت به المدرسة الخيرية في مدينة نيويورك من المساعدة للانتفاع من المقعدين فقد رأت بعد البحث العميق ان صنعة الصياغة اوفق ما يكون لهؤلاء المنكودي الحظ لاسباب اهمها ان هذه الحرفة لا تتطلب كثيراً القوة الجسدية وفي استطاعة الصائغ ان يعمل طول النهار دون ان يضطر الى الوقوف وطلب

صناع ماهرين في هذه الصنعة متواصل ولا يخشى عليها من تهافت المهاجرين الاقوياء فيفسدونها على اهلها كما افسدوا كثيراً من الصناعات البسيطة اذ هذه الحرفة تحتاج الى مهارة لا تتأتى الا بصرف وقت غير قصير في تعلمها. فلهذه الغاية انشأت تلك المدرسة صفًا للمقعدين يتعلمون فيه هذه الحرفة تحت رعاية صانع ماهر وهم الآن يصلحون ما يدفع اليهم من العقود والجوهرات المنثرة بالاجرة عدا عما يصيغونه ويبيعونه على حسابهم والمدرسة ستجد لهم محال في المعامل متى اتموا تعليمهم.

نادي السجناء

كثير من الاحداث الذين يدخلون السجون لجرائم ارتكبوها ثم يخرجون منها عازمين على ان يكونوا مستقيمين في مسلكهم ولكنهم لا يجدون عملاً ساعة خروجهم ينتج لهم منه ما يقوم باودهم اذ الناس تحجم عن استخدامهم لعدم الثقة بهم فيجبرون على ارتكاب جرائم اخرى طلباً للرزق فيزجون في اعماق السجون. فلمساعدة امثال هؤلاء الاحداث أسس في بركلن احد احياء مدينة نيو يورك ناد يأوون اليه ريثما يحصل الواحد منهم على عمل يقتات منه فعندها يترك النادي. والآن يوجد كثير ممن ساعدهم هذا النادي يقومون باعمال مفيدة وهم يمدونه بما لديهم من الوسائل

طهارة اللبن

قال احد فلاسفة العصر «حقق لي طهارة اللبن الذي يتناوله الطفل أوكد لك سلامته» وما زال علماء العالم منذ امد بعيد يبحثون عن الوسائل لحفظ اللبن من الجراثيم المتعددة الانواع التي تضر بصحة البالغين فضلاً عن الاطفال فلهذه الغاية اخترع وعاء مؤلف من وعائين الواحد ضمن الآخر الاول من المعدن والثاني من الخشب وبينهما فسحة لوضع الجليد لكي يحفظ اللبن رطباً والوعاآن محكمان يمر من الوعاء الداخلي أنبوب يفرغ الى وعاء آخر خارج الاثنين ذو نمر كل نمرة تشير الى كذا من الوزن فلا يتكلف البائع الا لفتح انبوب يفرغ الى الوعاء المعير ويضع فيه قدر ما يطلب الزبون ثم يغلقه ويفتح انبوباً آخر يفضي الى ابريق الزبون فبهذه الواسطة يكون قد حفظ اللبن من الفساد بالحر ولم يدخل اليه شيء من الجراثيم وقت المناولة

الراحة في السفر

قد فتح حديثاً في مدينة بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية نزل يسع ٣٢٠٠ نزيل وهو نزل حسن البناء والفرش ذو طابقين وفيه ادارة خصوصية لبيع بطاقات السفر في

السكك الحديدية فالنازل فيه لا يحتاج الى الخروج منه اذا كان يريد السفر في داخل البلاد لابتياع البطاقة وشحن اثقاله

اصلاح زي المرأة

اهمل النساء في ملابسهن مقتضيات الصحة وراعين شروط الجمال فعمدن الى الشد التام لدقة الخصر وبروز الصدر وارتدين برودا لا تدفع تأثيرات الطقس الى غير ذلك مما انهك الاجسام واعدها لعوادي الضعف والوهن والنساء لاهيات بالمظاهر الخلابة عما وراءها من النحول والسقم ولما استفحل شر هذا الداء تألفت في المانيا جمعية نسائية غرضها اصلاح الازياء على ما تقتضيه شروط الصحة وانضم اليها كثيرات من علية نساء الالمان واصدرن مجلة وضعن فيها رسوم الازياء الصحية ودعت الاديبات فيها الى خلع الازياء الجديدة وفي مقدمة اولئك الكاتبات ملكة رومانيا

ومرت الحركة الى فرنسا فاهتمت مجلاتها بهذا الاصلاح ونشرت فيه الفصول الضافية وحرضت الجمعيات النسائية في فرانسا على اقتفاء اثر الجمعية الالمانية

وانتشرت هذه الفكرة في بلاد الانكليز فكانت الملكة اول من ابرزت الفكر الى حيز العمل فاصدرت منشوراً لنساء الشرفاء صرحت فيه انها لا تقبل في البلاط الا من ارتدين باكسية واسعة عينتها لهن وانكرت الترف والفخفخة على نساء الاغنياء

وعسى ان تنهض نساء الشرق الى مجاراة اخواتهن في البلاد الراقية

السكر الآسيوي

يصطنعون في الشرق انواعاً من السكر غير معروفة في الغرب منها ما يصطنع في نيبون ويدعى سكر الرز ويسميه الاهلون ميزيام اي السكر السائل لانه غير جامد تماماً ولذلك لا يمكن تداوله في التجارة وانما يرسلون منه زجاجات محكمة السد تحتوي الواحدة منها من ٥٠٠ غرام تباع بنحو ثمانية غروش وتلك الزجاجات تحفظ السكر من الفساد ولكنها اذا استمرت مفتوحة هنيهة ختر السكر وتفه طعمه والتجار يستعملونه لالصاق الغلافات وطوابع البريد ويصطنع الصينيون نوعاً آخر من الجاورس فيستخرجون عصارة النبات ويضعونها اياماً في اوعية صغيرة معرضة لحرارة الشمس فتتبخر المياه ويرسب في قعر الوعاء مقدار من السكر ينشرونه على مائدة

المقتبس

الاركيولوجيا

Archéologie

الاركيولوجيا كلمة يونانية معناها الكلام على العاديات او الآثار القديمة . وقد خص استعمالها مؤخراً بالبحث عن قدم الانسان وحال معيشته حتى زمن التاريخ

وقبل الدخول في البحث عن تاريخ الانسان القديم لا بد من تمهيد جيولوجي لشدة علاقة موضوعنا بعلم الجيولوجيا — اي قدم العالم — فنقول :

يرى معظم علماء الجيولوجيا ان الارض كانت قديماً سديمية القوام ثم جمدت فبردت قشرتها الظاهرة بعد زمن طويل الى ان صارت صالحة لظهور الحياة عليها فظهرت (بقوة علة العلل) منذ مئات الالوف من السنين . ويسمى زمن ظهورها بالدور الثلاثي وتلا هذا الدور الرباعي فوجد الانسان في اوائله على الارجح . ويرى بعضهم ان الانسان ظهر في أواخر الدور الثلاثي غير ان الآثار التي يعتمدون عليها لتعضيد رأيهم ليست بثبت . ثم جاء العصر الحجري الطويل المدة حين كان اسلافنا الاقدمون يستخدمون الادوات الظرانية من حجارة الصوان . وعقب هذا الزمان البرونزي فالحديدي وفيه بدأت الحضارة الحقيقية ووضح التاريخ . والازمنة الثلاثة الاخيرة من اخص مباحث علم الاركيولوجيا

وتختلف مدد هذه العصور في طولها فبعضها يتخطى عشرات الألوف من السنين وبعضها كالزمان البرونزي لا يتجاوز ثلاثة آلاف سنة

وبما ان ما اكتشف من آثار الدور الرباعي لا يزال في معرض البحث والتخليص من شوائب الريب نبدأ ببيان عاديات العصر الحجري التي قد كشف للآن شيء كثير

منها . ويتبين من هذه الآثار ان الانسان ظهر عَلَى الارض منذ نحو عشرين الف سنة عَلَى الاقل ومائة الف سنة على الاكثر

العصر الحجري — هذا العصر قديم جداً سابق لأقدم التواريخ البشرية من مثل الهيوروغليفية المدونة على هياكل مصر وفي مدافنها . وانتهى عَلَى الجملة قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة . غير ان بعض البلدان كمصر كانت قد تحضرت قبل المسيح بستة الى سبعة آلاف سنة وغيرها بقي الى مابعد ذلك بزمن طويل في حالة الهمجية كما يرى اليوم في سكان اوستراليا الاصليين وبعض اهالي جزر المحيط وغيرهم المنفصلين عن العالم المتحضر

ويقسم علماء الاركيولوجيا العصر الحجري الى عدة ازمنة أضربنا عن ذكرها لنسوق الكلام عليه هنا خلواً من عرقلة التقسيم والتداخل

ويظهر من الآثار القديمة ان الانسان لم يهتد في اوربا الى استعمال المعادن الا قبل التاريخ المسيحي بالفين الى ثلاثة آلاف سنة حين بدأ استعمال البرونز وبعد ذلك استعمال الحديد (قبل المسيح بنحو الف سنة)

ولذلك فالعصر الحجري في اوربا وكثير من انحاء العالم انتهى في بدء زمان استعمال المعادن بعد ان استمر زمناً طويلاً

وقد وجدت آثار عديدة في جميع انحاء العالم تدل عَلَى ان الانسان استعمل الادوات الصوانية في همجيته حيث حل في القارات الست . وكانت هذه الادوات خشنة الملس غير متقنة في اوائل عهد الهمجية ثم اتقنت شيئاً في زمن سكن الكهوف ثم صقلت وارتقت في اواخر هذا العصر الذي تلاه زمن يسمى بالجديد وهو ما نسميه هنا بزمن العبور من العصر الحجري الى الزمن المعدني اي استعمال المعادن

وفي جملة ما عثر عليه الباحثون من البقايا الحيوانية والآلات الصوانية في كنت ببلاد الانكليز وفي بلجيوم والمانيا وفرنسا ومصر وآسيا واليابان واواسط افريقية والمكسيك وغيرها ما يدل دلالة واضحة عَلَى كيفية معيشة الانسان قديماً وعَلَى انواع الحيوانات المعاصرة له التي انقرض بعضها الآن كالموث والفيل الكبير ونوع من فرس البحر هائل الجثة وكثير من الطيور التي لو رأينا هيا كلها الآن لهالنا كبر حجمها وغرابة منظرها

وقد وجدت عظام هذه الحيوانات المنقرضة بجانب ادوات الانسان في مدافنه

وكهوف . وبقي شيء من لحم بعضها لا يزال لاصقاً بالعظام

العصر الجليدي — واستدل علماء الآثار من ادلة عديدة وجدوها في طبقات متباينة العمق تحت الارض وفي كهوف كلسية ان نصف الكرة الشمالي كان معتدل الهواء في اواسط الدور الثلاثي الا ان سطح اوربا الشمالي كان في ذلك الوقت غير ما كان عليه في الدور الرباعي بعده . فكانت مياه الاوقيانوس الشمالي تغطي جميع الاراضي الواقعة الآن الى الشمال من خط يمد من جنوب انكلترا الى بطرسبرج . وبعد ذلك شمخت جبال الألب والقوقاس والكربتيان وباقي الجبال فتغيرت هواء تلك الاصقاع بما احدثته من الرطوبة والبرد فتجلدت المياه وكانت تذوب صيفاً فيتكون منها انهر جليدية تكسح في طريقها الشواخص وتخدد المطمئنات حاملة الاوحال الى ابعاد سحيقة وجارفة الصخور تسحل بها وجه الارض . فنجم عن ذلك النواتي الصخرية والرواسب الترابية في السهول كما نشاهده اليوم . ويقدر العلماء ان عمق الجليد في الدور المذكور المسمى بالجليدي ايضاً بلغ في جهات اسكنديناڤيا نحواً من ستة آلاف قدم . وجعل يقل شيئاً فشيئاً في الجنوب حتى محاذاة انكلترا ولكنه لم يبلغ قط جنوبيها كما ظهر من تحليل تربة الانهر الجليدية عند لندن .

والغريب انه كان يتخلل هذا الدور القارس مدد معتدلة الهواء تدل عليها بقايا الاشجار والحيوانات المتحجرة . فتقلبات كهذه لا يمكن تصورها كما هي حقيقة لعدم وجود مماثل لها في عصرنا الثابت او القليل التغيرات

زمن سكنى الكهوف — حدث في القرن السادس عشر ان عني اهل اوربا بالبحث عن قرن الكركدن القديم المعروف بوحيد القرن لاعتقاد عامتهم ان لهذه القرون خاصة الشفاء من كثير من الامراض فجر البحث عنه ذلك الى اكتشاف كثير من الكهوف والمغاور التي كان يسكنها الانسان . ووجد فيها من الآنية والادوات الظرانية ما يكفي للدلالة على نوع معيشة الانسان في اواسط العصر الحجري . الا ان هذه الابحاث لم تأخذ وجهة علمية الا منذ نحو قرن حين عثر على مغاور الضباع الهائلة التي كانت تفترس المموث وفرس البحر . وكان المظنون ان هذه الآثار سابقة لظهور الانسان غير انهم اكتشفوا بعد ذلك كهف كنت وهو من هذا النوع فوجدوا فيه آثار الانسان وآثار هذه الحيوانات المنقرضة جنباً الى جنب فعلموا ان الانسان كان معاصراً لها وقد ارتقى شيئاً حتى انه يشبه بعض متوحشي اوستراليا اليوم . ولكنه ارقى من

متوحشي جزائر سندويج لانهم اكتشفوا على نقوش ورسوم رسمها عَلَى العظام تشهد له بالتفوق حتى عَلَى بعض متخطي اهل زماننا

واني شهدت رسم الوعل والمموث وغيره منقولاً عنه عظام محفوظة في متحف بريطانيا فدهشت لدقة صنعها واتقان رسمها اتقاناً تقتضي له حنكة ورياضة وارتقاء عقلي مما لا يمكن ان يتم الا بعد عصور عديدة من التقدم التدريجي . ويتصف هذا الزمان بكثرة الاوهام حتى ان لمعظم اوهام اوربا علاقة بسكان الكهوف

زمن الظران المصقول — بعد ان مضى عَلَى الانسان ردح من الدهر وهو يستعمل الآلات الصوانية السمجة الشكل الخشنة الملمس توصل الى صقلها وجعلها مستطيلة اكثر من سابقاتها المائلة الى الاستدارة وجعل يعتني بمقالع الصوان ويبحث في الارض بقرون الحيوانات كالوعل لاستخراج أفضل انواعها . وكان يستعمل المطارق من الصوان ايضاً ومن الحجارة المستديرة القاسية . وفي هذا الزمان كثر انتشار الانسان في الارض لان آثاره وجدت في معظم جهات العالم

زمن العبور من الهمجية الى الحضارة — مر عَلَى الانسان نحو من الف سنة حاول فيها العبور من استعمال الحجارة الى استخدام المعادن . وكان الناس في آخر هذا الزمن قد ارتقوا كثيراً عن سابق عهدهم حتى انه وجد عند اكتشاف اميركا من بقايا الهنود وآثارهم الراقية ما يخجل سادتهم الاسبانيين الفاتحين ووجدت كتابات رمزية في المكسيك لم يهتد العلماء الى حل رموزها الى الآن ولسوف تحل مع الزمان فيكون من وراء ذلك أعظم فائدة للتاريخ . لان في المكسيك شيئاً كثيراً منها فلا تقل فائدتها عن كشف رموز اللغة الهيروغليفية في وادي النيل خصوصاً لان رسومها تماثل شيئاً ما في الهند والصين وحيواناتها تشبه حيوانات هاتين المملكتين فاذا حلت هذه الرموز كانت للعلم من اثمن الكنوز

ويمتاز هذا الزمان بوفرة كوم بقايا الاطعمة من اصداف الاسماك وغيرها لان معظم المساكن كانت بالقرب من البحيرات والانهر وكان لها منافذ للنجاة الى المياه عند الوقوع في خطر من هجوم الضواري . ووجد كثير من آثار الابنية عَلَى الآكام وعلى مرتفعات صناعية محصنة وحولها ركام من فضلات المأكولات وهي اسماك وحيوانات ونباتات بعضها مطبوخ بالنار

اما في سويسرا حيث البحيرات الجميلة تحيط بها الجبال فيظهر ان الانسان هناك

سبق جيرانه في الارتقاء مستقلاً استقلالاً نوعياً فكان يبني اكواخه على ضفافها و يلقي فضلات طعامه فيها و يتقي الخطر بفتح نوافذ الى المياه او ببناء مسكنه في وسط الماء كما شوهد في بعض الاماكن ولذلك انصرف ايضاً الى زراعة القمح والشعير مع صيد الاسماك والحيوانات . وتوصل الى صنع الخزف ونسج الحصر والحبال وشيء من الاثواب وكانت أهم ادواته الحجر وقرن الوعل .

ويمتاز جميع أهل هذا الزمان بإقامة ابنية مستديرة الشكل متجهة الى الشرق او الغرب او الى احد الكواكب ولها دهاليز تحت الارض . والارجح انها هياكل . وقد علم من انحراف اتجاه الشمس عن الهياكل التي كانت مخصصة لها انها بنيت منذ نحو الفي سنة قبل المسيح . وبعد هذا التاريخ بدأ استعمال المعادن في انكلترا مع انها كانت مستعملة في مصر وغيرها قبل ذلك

الزمن البرونزي — كان البرونز وهو مزيج من النحاس والتنك مستعملاً في آسيا وغيرها فأُدخل استعماله الى اوربا قوم من السلتيين سلالة الآريين هاجموا اوربا من جهات مختلفة . فاستعمل البرونز اولاً في كريت قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة وفي صقلية بعد ذلك بخمس مئة سنة وفي فرنسا بعد صقلية بخمس مئة سنة ولم يدخل الى بريطانيا حتى سنة ١٨٠٠ ق . م .

وكان هؤلاء السلتيون عند دخولهم انكلترا يحرقون بعض موتاهم و يدفنون البعض الآخر . واذا دفنوا احداً وضعوا معه آلة عمله وشيئاً من الطعام ليتبلغ به في العالم الاسفل واما لتشاؤمهم من بقاء عدته وطعامه بعد موته

ومن الغريب ان يستعمل الانسان البرونز اولاً وهو مزيج مركب مع امكانه استخراج الحديد حالاً من معدنه الاصلي . ولعل هذا المشكل يحل فيما بعد اما الآن فيظن ان الانسان وقع عرضاً على شيء من هذا المزيج فوجده وافياً بالغاية وعلم نسبة تركيبه بالاختبار وهي ١ الى ٩ فجرى عليها

ويعلم ان اول معدن نحاسي عثر عليه الانسان وجده في السواقي والجداول حيث كان اهل العصر الحجري يبحثون عن مواد صوانية يصنعون منها ادواتهم . فسكب اهل الزمن البرونزي ماوجدوه منه في بوائق حجرية محفور فيها رسم الفؤوس والسيوف وغيرها بمهارة تقضي بإعجاب صناعنا اليوم . وكانت هذه الصناعة قد بدأت في مصر قبل ان يعرفها سكان شمالي البحر المتوسط

وفي هذا الزمن كان الذهب كثيراً في ايرلندا بدليل ما صنع من الادوات المبتذلة منه . وان وفرة ما كان يستخرج منه مما يدهش ولا مثل لها الا في كولمبيا من اعمال اميركا الجنوبية . الا ان الفضة لم تكتشف الا بعد الذهب بزمن ليس بقليل . واول ما ظهرت على ما نعلم في سواحل اسبانيا بجوار الماريا حيث وجد منها كثير من الحلقات التي تستعمل لتمتين المقابض الخشبية في اماكنها من تجاويف الفؤوس

ومن الغريب مشابهة رسوم الادوات الحجرية في جميع انحاء العالم مما يدل على تفرق الانسان من بقعة كانت قديماً محتده الاصلي

وخلاصة ما تقدم ان للانسان تاريخاً مقروءاً من هذه الادوات الصوانية والمعدنية تدل على ارتقائه بارتقاء صنعها وتعدد ضروبها واشكالها مما لا يترك محلاً للشك في كون الانسان تدرّج في معارج النشوء والارتقاء من الآدمي العريق في الوحشية الى البشري ساكن الكهوف ومفترس الحيوانات الى صانع الآلات البرونزية التي اجتاز بواسطتها من طور التوحش الى طور استعمال الحديد فالحضارة

وهو الآن قد ابدل الاعصر القديمة بعصر البخار وجمل ينتقل منه الى عصر الكهرباء . وعما قليل نجده يأكل ويشرب ويلبس ويطير ويسبح وينام ويستيقظ ويبني ويهدم ويزرع ويحصد ويطبع ويسافر ويشهد الالعاب والملاهي على الارض وفي القبة الزرقاء بمساعدة قوة الكهرباء

هذا هو متوحش الامس ومتحضر اليوم فما عسى ان يكون انسان الغد ؟

لا ريب ان الكثير من غرائب الزمان لا يزال مخبوءاً للانسان ومن يعش ير

بيروت خليل سعد

ماذا يقال

الطابور ام التابور

كان الكتاب يقولون دائماً « الطابور » ومنذ وقف احد اعضاء نادي دار العلوم على كلمة « تابور » في تاج العروس واذاعها بين الناس لم نعد نرى الا القليلين يكتبون الكلمة بالطاء والسبب ان ورود الحرف المذكور منصوص عليه بالتاء في التاج ولم يتعرض له بالطاء . فيستنتج ان « الطابور » عامية و بالتاء افصح

قلنا : ١ — ان تعاقب التاء والطاء و بالعكس بالعربية مما لايحتاج الى التصريح به . فان الالفاظ من هذا القبيل تعد بالمئات لا بالعشرات . وربما نستطيع ان نملأ نصف عدد من اعداد المقتبس بمثل هذه الكلم التي تتعاور فيها التاء والطاء . على اننا نجتزئ بذكر بعضها من ذلك : القطر والقتر (الناصية) . وما اسطيع وما استيع . وهرت الثوب وهرطه . وطاح وتاه . وعفت في كلامه وعفط . (لواه عن وجهه وكسره لكنة) وذهب دمه تلفاً وطلفاً . . . . . . وعليه فتكون تابور وطابور من هذا الباب ولاسيما لان كلتا اللفظتين مشهورتان .

٢ — عدم ورود لفظة في ديوان لغة لا ينفي صحتها . لان المعاجم لم تدون جميع الفاظ العرب . وحسبك دليلاً على ذلك ان المعاجم التي أنشئت في صدر الاسلام هي دون المعاجم المؤلفة اخيراً في السعة وكثرة تعدد الالفاظ . أفيستنتج من ذلك ان ماجاء في هذه الكتب المتأخرة هو من اوضاع العوام او دون الاولى فصاحة . مع ان ما قيد ودون في أخريات هذه الازمان قد يكون اقدم عهداً مما جاء في دواوين اللغة المؤلفة في القرون السابقة .

٣ — ليست طابور محرفة عن « تابور » وانما الطابور كلمة دخيلة قديمة العهد في العربية ربما كانت قبل سنة ٧٣٢ هـ (= ١٣٣١ م) واما « تابور » بالتاء فانها حديثة العهد لم تدخل لسان آل عثمان الا بعد سنة ١٥٦١ م (= ٩٦٩) ولم ترد في كتب العرب الا بعد شيوع اللفظة التركية بين العثمانيين . والذي استزل اهل النادي للقول بعربية اللفظة وجودها في تاج العروس بلا تنبيه على عجمتها . بيد ان صاحب التاج كثيراً ما يغفل عن اصل اللفظة . والا فسائر امهات اللغة ودواوينها القديمة لاتذكرها

واما طابور بالطاء فاقدم منها بكثير. فقد جاء في تاريخ ابن خلدون المغربي في كلامه عن اخبار سيف ذي يزن : « ولما استوثق لذي يزن الملك جعل يعتسف الحبشة ويقتلهم حتى اذا لم يبق الا القليل جعلهم خولاً واتخذ منهم طوابير يسعون بين يديه بالحراب.» اه وانت تعلم ان ابن خلدون وُلد سنة ٧٣٢ هـ (= ١٣٣١ م) وقضى نحبه سنة ٨٠٦ وقيل ٨٠٨ هـ (= ١٤٠٣ او ١٤٠٥ م) فتكون طابور وجمعها طوابير قبل استعمال ابن خلدون لها وبعد انتشارها بين العرب وفشوها في المغرب .

اذاً : الطابور افصح من التابور ولو كانت كلتا اللفظتين دخيلة

ايقال طيارة ام مطيرة

كثر الكلام في هذا العهد عن الآلة التي اخترعها الاجانب للتحليق بها في الجو المعروفة عند الفرنسويين باسم Aréoplane فسماها كتاب الغرب « طيارة » الا ان هذه اللفظة مشتقة من طار يطير اللازم فيكون معناها : هذه المنة التي يتخذها الصبيان من الورق فيطلقونها في الهواء فترفع فيه من ذاتها . واما الآلة التي يتخذها الانسان ليحلق بها صعداً فانما تُتخذ لتطير الانسان وترفعه في الجو فهي « مطيرة » لا « طائرة » وبالاصل لان راكبها هو الذي يسيرها بيديه . فالاصح فيها ان يقال « مطيرة » اي الآلة المطيرة لا « طيارة » لا سيما ان هذه اللفظة مخصوصة بالمنة المذكورة المشهورة

نعم قد يجوز ان يقال انها طائرة او طيارة لارتفاعها في الهواء ونسبة الفعل اليها كنسبته الى صاحبها . لانه اذا اطارها ولم تطر لم يفد عمله فتيلاً . وعليه فكلاهما طائران في الهواء الا ان التحقيق احب الى اللغوي من إلقاء الكلام على عواهنه بدون تبصر وتدبر . ومن ثم فعندنا ان القول بأن « المطيرة » اصح من « الطيارة » في هذا المعنى هو ارجح ووجهه أبين . واستعمال الكتاب لها ينفي كل معنى ثان ويمنع الفكر من ان يتصور المعنى الاول المعقود بناصية الطيارة

أيقال وسط ام محيط ام حال ام بيئة ام مربى ام منشأ

للافرنج لفظة « Milieu » ومعناها حرفياً « الوسط او المحيط » ويريدون بها مجازاً : الموطن الذي يوافق عيشة الانسان الادبية او العلمية او العمرانية » فقال كاتب يقابلها في العربية « الوطن والاقليم » وليس الامر كذلك فالوطن هو La patrie والاقليم هو Le climat او Le pays فقد يكون كل منهما وسطاً للانسان الا ان معنى الوسط اعم من هذا كما يظهر لادنى تدبر . ثم عدل عن رأيه هذا وقال

هي الحال وهذا ايضاً خطأ . فالحال يقابله عند الافرنج L'état . اما البيئة فأفصح من الوطن والاقليم والحال اذا اردنابها الابانة عما في خاطرنا من معنى الوسط او المحيط .

عَلَى ان الذي ورد عند العرب من هذا المعنى هو المربى والمنشأ . وقد وردت الاولى مراراً عديدة في مقدمة ابن خلدون . وترجمها ناقلها الى الفرنساوية بلفظة Milieu المذكورة من ذلك مثلاً ما جاء في الفصل الذي عنوانه « ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم » « من الغريب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر . وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع ان الملة عربية وصاحب شريعتها عربي » اه .

وهذه اللفظة قد تكررت مراراً لا تعد في هذا السفر . وقد ورد بهذا المعنى لفظة منشأ ووجه الترادف واضح .

عَلَى اننا لا نرى سبباً لرذل كلمتي « وسط ومحيط » فانهما تفيان بالمراد من باب المجاز و باب المجاز واسع لم يقيده الاقدمون بقيود من حديد ولم يضعوا له قواعد غير القواعد المعروفة عند جميع اهل اللغات . وعليه فان جاز للافرنج ان يقولوا بهذا المعنى « الوسط والمحيط » فلما ذا يحظر على العرب التلفظ بمثل هذه الحروف . ان هذا لما يأباه كل عاقل عارف بآداب اللغات .

بغداد ساتسنا

الزلزلة العظمى

في دمشق واعمالها

قرأت في الجزء السابع من التذكرة الكمالية لجدنا المرحوم الشيخ كمال الدين الغزي هذه الوقعة العظمى فاحببت ان اطلع القراء عليها تتمة لتاريخنا الحديث قال :

انه في سنة ثلاث وسبعين ومائة والف سادس ربيع الاول في الساعة العاشرة من الليل قد رجفت الارض رجفة مقلقة برياح عواصف ورعود قواصف فطاشت لها العقول وحصل والعياذ بالله غاية الذهول وتخلعت السقوف وتشققت الجدران وهدمت في الشام بيوت لا تحصى وسقطت رؤوس مآذن دمشق منها المأذنة الغربية والشرقية

في جامع بني أمية وقع منها في تلك الساعة حصة ومنارة العروس في ذلك الجامع ذهب منها شيء يسير و بقية منارات جوامع دمشق لم يسلم منها الا القليل وتلتها رجفات وزلازل وفي ثاني يوم من تلك الليلة ضحوة النهار رجفت الارض وتزلزلت زلزلة شديدة فسقطت من منارة الجامع الشريف الأموي الشرقية جدران الشرقي والشمالي وسمع لها صوت هائل وما من منارة بدمشق الا وهي بناؤها حتى ان منارة السليمية المجبوبة بصالحية دمشق طارت منها حصة وافية وسقطت والجامع المظفري بها ايضاً ومنارة جامع سيباي والجامع المعلق وجامع حسان وجامع الامير منجك بمحلة مسجد الاقصاب ومنارات الجامع بمحلة الميدان وبقية منارات جوامع دمشق نقصت ولم يسلم منها الا النزر القليل وقبة النسر العظمى في الجامع الشريف الأموي تشققت ووهت وتشقق الجدار الشرقي من هذا الجامع ووهى وخرب اكثر دور دمشق ووقعت تلك الليلة سقوف وبيوت لا تحصى ووقعت شرار يف الجامع المزبور وكان طول كل شرافة مقدار خمسة اذرع على حائط حول سقف الجامع مقدار قامة من جميع جهات الجامع الاربع بحيث ان الشخص اذا وقف على سطح الجامع لا يرى شيئاً من الدور التي حوله فسقطت تلك الشرار يف وهدمت بعض الاماكن المجاورة للجامع كدار بني الغزي وحجرة الخلوتية الطباخية بالخانقاه السميساتية ورمت قبو ايوانها وهذه الاماكن شمالي الجامع وفعلت بقية جهاته كذلك وفعلت افعالاً عنيفة في الاحجار وانصدع في الجامع العمود الذي تجاه باب مشهد المحيا الشريف النبوي تجاه العضادة الكبرى و بقيت الرجفات والاهتزازات تتوالى ليلاً ونهاراً الى آخر شهر ربيع الاول والناس يدعون الله تعالى في اذهاب تلك الشدة التي ما عهدوا مثلها وقرأوا صحيح البخاري مرتين والقرآن العظيم مراراً وتوسلوا في رفع ذلك بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم

وانهدم في تلك الليلة المتقدمة في بيت الشهاب احمد المنيني مكانان احدهما فوق الآخر فسقط الاعلى فوق الاسفل فقتل تحت الردم في الاسفل ستة انفس من اولاده وعياله جهزهم صبيحة ذلك اليوم ودفنهم جملة واحدة بمرج الدحداح وثلاثة انفس أخر سقطت عليهم منارة في محلة الميدان ورجل وقع عليه هلال منارة جامع حسان فقتل ايضاً . وفي تلك الليلة تزلزلت بلاد صفد فذهب اكثر اهلها قتلى وقتل بها من اليهود الف وثلاثمائة نفس وذهبت حصة عظيمة من بلاد نابلس وقتل بها خلق كثيرون وتزلزلت عكا وذهبت حصة من برجها في البحر وطبريا ودير حنا وقلعة الجندل وبلاد الشوف

وسائر بلاد الساحل الشامي كصيدا و بيروت واللاذقية و يافا وحيفا وباقي تلك البلاد الشامية ولم يبق في جبل الدروز قرية الا واصابها حادث عظيم وبلاء جسيم وتهدمت الخانات عَلَى من بها من القفول وفي دمشق قتل ما لا يحصى من الرجال والنساء والذي اصاب مسجد دمشق ما عهد مثله وهذا الزمن الذي حصل فيه هذا البلاء في البلاد في اقل من درجة نسأل الله السلامة من اهوال الحشر والقيامة

ووافت الناس من سائر الاقطار من الوجه الغربي والساحل يقولون لاهل دمشق احمدوا الله تعالى عَلَى ما حفكم به من اللطف فان الخارجين عنكم لم يسلم منهم الا القليل واغاث الله تعالى بكافل دمشق الدستور الاعظم الوزير عبد الله باشا ابن ابراهيم الشهير بجته جي ومتولي اوقاف الجامع المشار اليه شيخ الاسلام علي بن محمد بهاء الدين بن محمد مراد المرادي الحسيني الثقة بنتدي مفتي السادة الحنفية بدمشق فبذل الوزير الهمة في اصلاح المنارات ونقض المنارة الشرقية المائلة التي اعجزت البنائين واهل الصناعات ان يضعوا ايديهم فيها لما هي عليه من البناء المائل المتداعي للسقوط وطلبت طائفة البنائين من النصارى اموالاً عظيمة عَلَى نقضها وان يجعلوا لذلك السقايل المائلة من الاخشاب حولها لاجل النقض فأمر الوزير بقطع الاخشاب ونقلها للجامع فقطع شيء كثير من الغيضة الشهيرة الكائنة بالوادي بدمشق ومن غيرها ونقل الى الجامع حتى امتلأ خشباً واجتمع جميع نشاري دمشق لنشره قطعاً ضخاماً كل قطعة سمكها مقدار ثلث ذراع او ربع ذراع وشرع البناؤون في عمل السقايل لاجل النقض حول المنارة الزبورة واستعظم طائفة البنائين من النصارى نقضها فانتدب رجل من طائفة النجارين المسلمين لنقضها من غير سقالة وطلع الى رأس المنارة الى ان انتهى الى هلالها ولم ينزع من ثيابه شيئاً بل خرج بقاووقه وشخشيره وأخرج معه مطرقة وازميلاً حديداً صغيراً وصار يقلع بهما الاحجار و يلقيها الى اسفل والناس ينظرون اليه من صحن الجامع ونقض في ذلك الوقت حصة من المنارة وكانت اعلا مما هي عليه الآن بخمسة وثلاثين ذراعاً واغلظ بمقدار خمسة اذرع وهلالها فوق شاش من الحجر الكبير وبذل الوزير للنجار وكان حاضراً لما صعد الى المنارة جائزة ووعده انه اذا اتم العمل ان يقابله بالجوائز السنية واخذ البناؤون في تهيئة اسباب البناء من عمل الدواليب وحفر الأسس

ثم استهل شهر ربيع الثاني بيوم الاربعاء ففي ليلة الاثنين سادس الشهر المذكور بعد صلاة العشاء بالجامع الشريف بنحو ثلث ساعة رجفت الرجفة العظمى والزلزلة الكبرى

التي لم ير ولم يعهد مثلها في سوالف العصور فصارت الجبال تمور والارض تغور والمياه تفور وبقيت بعد سكونها تتوالى زجفات لطيفة الى ان اصبح الصباح واستمرت نحو درجتين فانخلعت لها القلوب وصار الناس يبتهلون بالدعاء والتضرع لعلام الغيوب وحارت العقول وطاشت الرجال الفحول وثار في ذلك الوقت الغبار والقتام واشتد في ذلك الآن الظلام وادهش الناس في ذلك الخطب المهم والمرعب المدلهم الذي انعقدت له الالسن وخرست وغارت له العيون والشفاه يبست وصارت الارض تفور وتغلي مثل المرجل وانكشفت تلك الساعة عن غالب منارات دمشق بالسقوط وبالقصف والمأذنة الشرقية الأموية المتقدم ذكرها وقعت الى الاسفل ولم تحوج الى فك وسقطت قبة النسر في الجامع المرقوم مع عظمها وسقط جميع الرواق الشمالي باعمدته المحكمة وعضاداته وكان مشتملاً عَلَى عضادات واعمدة بين كل عمودين عضادة مبنية بالرخام وانواع الحجار المتنة من اسفلها الى اعلاها وسقطت المنارة الشرقية عَلَى جهة الجامع فهدمت مقدار ثلث المعازب الثلاث التي بقربها و تشققت غالب الجدران واشرفت عَلَى السقوط فسبحان الفعال لما يريد الحي القيوم الذي لا يموت

ولم تبق قبة في دمشق الا واصابها عاهة او سقطت ولم يسلم منها الا النادر وسقط جميع جامع يلبغا مع قبته الهائلة ومنارته مع ان بناءه كان في غاية الرصانة والمتانة وسقط من الخان البديع الذي بناه الوزير اسعد باشا والي دمشق ونائبها ثلاث قبات هائلة وتهدمت دور دمشق الا القليل وكثرت القتلى في تلك الليلة وتهدمت القرى التي حول دمشق وهلك بسبب ذلك من الانفس والمواشي ما لا يحصى كثرة وكان من جملتها قرية التل قتل بها تحت الردم ما ينوف عَلَى خمسمائة ولم يسلم منها الا القليل وقرى الجبل كالهامة والزبداني ووادي بردى هلك فيها تحت الهدم ما لا يعد ووقع سور مدينة دمشق في نهر عقربا احد انهار دمشق فسده وسور قلعة دمشق الغربي سقط جميعه وسد نهر بانياس وسدت الطرق بالتراب والاخشاب والصخور وصارت السماء مع الارض تمور وتلف من الاموال والانفس ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد وذهب من الاثاث والامتعة والاواني الصيني وغيرها الشيء العظيم الكبير فسبحان من قضى بذلك ليعلم العباد ان كل شيء هالك الا وجهه فصار الناس لا يألفون الاوطان ولا يستقرون بمكان وخرج اهل دمشق جميعاً باموالهم وانفسهم وعيالهم الى خارجها ونصبوا الخيام وبقوا مقدار ثلاثة اشهر وهم في الخارج وقد نظم في تلك الزلزلة الهائلة الفاضل

العالم الاديب مصطفى بن احمد بن محمد الدمياطي ابياتاً قال

ان تناسيت اوقات أنس تقضت　　لست أنسى ليالي الزلزال
اذكرتنا كيف المنام بمهد　　وأرتنا بالعين رقص الجبال
أشهدتنا تمايلات قصور　　باهتزاز كحالة الاطفال

ولما عرض كافل دمشق الوزير عبد الله بن ابراهيم الشهير بالجتجي الى الابواب العالية السلطانية بقسطنطينية المحمية حال الجامع الشريف الاموي المزبور وقلعة دمشق وما اصابها من الانهدام وسألوا الدولة في تعميرها وكان صاحب التخت العثماني السلطان مصطفى ابن السلطان احمد فلما وصل الخبر اليه صدر الامر منه بتعميرها وارسل اميناً عَلَى العمارة المزبورة احد البوابين بالابواب العالية مصطفى بن محمد الشهير باسبانخجي فلما وصل الى دمشق بالاوامر والاموال وذلك في سنة اربع وسبعين ومائة والف نزل كافل دمشق الوزير عبد الله باشا المذكور الى الجامع وحضر معه قاضي قضاتها اذ ذاك المولى ساطع علي بن مصطفى ختن علي احمد افندي ومفتي الحنفية بدمشق ومتولي اوقاف الجامع المزبور المولى العلامة شيخ الاسلام علي بن محمد المرادي النقشبندي وبقية اعيان دمشق من العلماء وكشفوا عما يحتاج اليه الجامع المزبور وجمعوا المعمرين والمهندسين وارباب الصنائع من كل حرفة تتعلق بالتعمير فامرهم المتولي عَلَى العمارة ان يشرعوا في اعادة ما انهدم ومرمته انتهى .

دمشق　　محمد فهمي الغزي

في خمسين قرناً

اليك اربعمائة وخمسين حادثة كبرى من حوادث خمسين قرناً او منذ فجر التاريخ المعروف حتى فجر القرن العشرين

« قبل المسيح »

في سنة ٣١٠٠ أسس نمرود مدينة بابل
في سنة ٢٣٢٤ بدأ الكلدانيون برصد الافلاك
في سنة ٢٢٥٥ ظهرت سلالة (الميا) الملوكية في الصين
في سنة ٢٢٢٦ استعمر آشور بلاد آشور

في سنة ٢١٨٨ استعمر مصرايم مصر
في سنة ٢٠٠٠ شرع باستعمال الكتابة المسمارية
في سنة ٢٠٠٠ أسس نينوس نينوى
في سنة ١٩٩٦ ولد ابراهيم الخليل
في سنة ١٩٢١ دعي ابراهيم من أور الكلدانيين الى ارض الميعاد
في سنة ١٨٩٦ ولد اسحاق
في سنة ١٨٥٦ أسست مملكة ارغوس
في سنة ١٨٣٧ ولد يعقوب وعيسو
في سنة ١٧٢٩ بيع يوسف من المصريين
في سنة ١٥٨٢ دوّن تاريخ الار بونديليين على صفائح رخامية جلبت الى انكلترا على عهد الملكة حنة سنة ١٦٢٧ للمسيح
في سنة ١٥٧١ ولد موسى بن عمران وقضى نحبه في سنة ١٤٥٠
في سنة ١٥٠٠ ملك سيزوستريس مصر
في سنة ١٤٩١ انطلق بنو اسرائيل من مصر الى ارض كنعان
في سنة ١٣٥٢ بدأ حكم قضاة بني إسرائيل وانتهى سنة ١١٩٣
في سنة ١٢٧٣ قامت دولة الآشوريين
في سنة ١١٣٦ قام شمشون الجبار بمجزرة الفلسطينيين ومات سنة ١١٢٠
في سنة ١١٨٤ حدثت حرب تورجان
في سنة ١١٢٥ ظهر صموئيل النبي
في سنة ١١٠٠ أسست في الهين مملكة (شوا)
في سنة ١٠٩٥ نصب شاول ملكاً على بني إسرائيل ومات سنة ١٠٥٦ ومات يوناتان في السنة نفسها
في سنة ١٠٥٥ نصب داود ملكاً على اليهود وفي سنة ١٠٤٨ استولى على اورشليم ومات في سنة ١٠١٥
في سنة ١٠٥٠ نصب قودرس ملكاً على أثينا
في سنة ١٠٤٨ — ١٠٠٦ ازهرت صور على عهد الملك حيرام بالصناعة والتجارة والعمران
في سنة ١٠٤٢ نقل تابوت العهد لبني إسرائيل الى اورشليم

في سنة ١٠٢٣ قام ابشالوم بالثورة
في سنة ١٠١٢ شرع ببناء هيكل سليمان العظيم وفي سنة ١٠٠٥ أتم الملك سليمان بناءه
في سنة ٩٧٥ تولى رحبعام اريكة الملك
في سنة ٩٧١ تمرد عشرة أسباط من اسباط بني إسرائيل بقيادة يربعام على الملك رحبعام
في سنة ٩٧١ استولى المصريون على اورشليم ونهبوها
في سنة ٨٨٤ أصلح ليكرغس شرائع اسبارطة
في سنة ٨٧٨ أسست مدينة قرطجنة
في سنة ٧٧٦ بدأ تاريخ اليونان وذلك في اول عهد الملاعب اليونانية التي كانت تحدث كل اربع سنوات يؤرخون بها
في سنة ٧٥٣ أسست مدينة رومية
في سنة ٧٤٧ استقلت مدينة بابل تحت حكم الملك نبوخذ ناصر (بختنصر)
في سنة ٧٣٠ أخضع الملك شالما ناصر فينيقية
في سنة ٧٢٢ استولى سرغون ملك الآشوريين على السامرة احدى اقسام الارض المقدسة التي هي السامرة واليهودية والجليل
في سنة ٧٢٠ حاصر سنحاريب الملك اورشليم وهلك جيشه
في سنة ٧٠٠ تولى يوليوس عرش الملك في رومية
في سنة ٦٨٧ حدثت حروب مسينا للمرة الثانية
في سنة ٥٩٨ حاصر نبوخذناصر اورشليم وفي سنة ٥٨٦ دمرها وصيرها خراباً وفي سنة ٥٧٩ ق . م استولى على مدينة صور
في سنة ٥٨٦ أفلت شمس مملكة اليهود
في سنة ٥٥٠ أسس قورش مملكة ايران
في سنة ٥٤٠ بدأ دور فوطيفار سيد يوسف بن يعقوب في مصر ودامت مدته عشر سنوات
في سنة ٥٣٩ استعمر الفينيقيون مرسيليا في فرنسا
في سنة ٥٣٨ استولى قورش على بابل
في سنة ٥٣٦ أعتق قورش اليهود من السبي
في سنة ٥٣٥ تجدد بناء الهيكل في أورشليم

في سنة ٥٢٩ مات قورش

في سنة ٥٢١ تولى داريوس (دارا) أريكة الملك في بلاد العجم وكان اول ملوك الفرس

في سنة ٥١٥ احتفل بافتتاح هيكل اورشليم للمرة الثانية

في سنة ٥١٠ صارت كل من رومية وأثينا جمهورية

في سنة ٥٠٧ تغلب دارا الملك على مكدونية

في سنة ٤٩٠ فاز اليونان على الفرس في معركة بارثونة وفي سنة ٤٨٠ فهزوم في معركة باس

في سنة ٤٧١ نُفي اسنقولس مدة عشر سنوات

في سنة ٤٦٠ جدد نحميا وعزرا بناء هيكل اورشليم

في سنة ٤٣٠ ولد ثيقودس

في سنة ٤٠٥ حُطم اسطول أثينا

في سنة ٤٠٠ ولد فينوفون

في سنة ٣٩٩ مات سقراط مسموماً

في سنة ٣٨٥ ولد ديموستينس الخطيب الشهير وقضى نحبه سنة ٣٣٢

في سنة ٣٨٧ رفعت أعلام السلام فوق مدينة الفلاسفة أثينا

في سنة ٣٧١ حدثت معركة ليوقترة

في سنة ٣٦٢ حدثت معركة باثينا

في سنة ٣٤٢ نشبت حرب طاحنة بين الامتين اللاتينية والرومانية

في سنة ٣٥٠ دُمرت صيدا

في سنة ٣٣٨ حدثت معركة فورنية وتحرر اليونان يومئذ من ربقة الاستبداد والاستعباد

في سنة ٣٣٤ حدثت موقعة غرينقوس

في سنه ٣٣٢ اكتسح الاسكندر الكبير مدينة صور

في سنة ٣٣١ حدثت موقعة أربيلا (أربيل)

في سنة ٣٢٤ ظهر ديوجنيس الفيلسوف

في سنة ٣٢٣ مات الاسكندر الكبير

في سنة ٣١٧ حاصر القرطجنيون مدينة سيراقوس

في سنة ٣٢٢ انتحر ديموستينس الخطيب
في سنة ٣١٦ قام أنطيغوس مقام اسكندر الكبير
في سنة ٣١٢ ظهر سلوقوس
في سنة ٣٠١ حدثت موقعة أنسوس
في سنة ٢٨٤ نُقلت التوراة من العبرانية الى اليونانية
في سنة ٢٨١ بدأت حروب بيرهوس الساحقة
في سنة ٢٨٠ ظهر نيقراط الفيلسوف
في سنة ١٣٥ ابتدأ حكم المكابيين على اليهودية
في سنة ٧٢ قام السود بثورة هائلة
في سنة ٣٠ أصبحت مصر القليا رومانياً
في سنة ٣٠ تولى اغسطس قيصر الحكم

« بعد المسيح »

في سنة ٤ مسيحية ولد المسيح
في سنة ٢٩ صلب المسيح
في سنة ٤٠ دعي تلاميذ المسيح مسيحيين لاول مرة في التاريخ
في سنة ٦٤ حدث اول اضطهاد للمسيحيين في رومية
وثاني اضطهاد في سنة ٩٥
وثالث اضطهاد في سنة ١١٠
ورابع اضطهاد في سنة ١١٨
وخامس اضطهاد في سنة ١٦٧
وسادس اضطهاد في سنة ١٧٧
وسابع اضطهاد في سنة ٢٠٢
وثامن اضطهاد في سنة ٢٣٦
وتاسع اضطهاد في سنة ٢٥٠ في رومية وأقاليمها
وعاشر اضطهاد في سنة ٢٥٨ في رومية وافريقية
وحادي عشر اضطهاد في سنة ٣٠٣
في سنة ٣٠٦ تبوأ قسطنطين عرش الملك

في سنة ٣٣٠ فتحت مدينة القسطنطينية
في سنة ٣٢٥ اجتمع مجلس الدول العام لاول مرة في نيقية
في سنة ٣٨١ اجتمع المجلس المذكور ثاني مرة في القسطنطينية (فروق)
في سنة ٣٩٤ أبطلت شريعة عبادة الاوثان
في سنة ٤١٠ غادر الرومان بريطانيا
في سنة ٤٣١ اجتمع مجلس الدول العام ثالث مرة في أفسس
في سنة ٤٣٩ استولى البرابرة على قرطجنة
في سنة ٤٤٩ غزا السكسونيون بريطانيا
في سنة ٤٥٠ اجتمع مجلس الدول العام رابع مرة في خلكدونية
في سنة ٤٥٥ نهب البرابرة رومية
في سنة ٤٧٦ سقطت المملكة الغربية
في سنة ٤٨٨ حاصر الاشتروغوطيون ايطاليا
في سنة ٥١٠ صارت باريس عاصمة الكلوفيين
في سنة ٥٢٧ ابتدأ جستينن بالملك
في سنة ٥٣٣ توالت انتصارات بالساريوس في افريقية ومن سنة ٥٣٦ الى سنة ٥٣٩ تتابعت انتصاراته في ايطاليا
في سنة ٥٥١ عرفت لاول مرة في التاريخ كيفية اصطناع الحرير في اوربا
في سنة ٥٥٣ انتهى ملك الاستروغوطيين في ايطاليا
في سنة ٥٦٨ ملك (لومباردس) ايطاليا
في سنة ٥٧١ ولد محمد نبي الاسلام (وعاش ستين عاماً)
في سنة ٥٩٥ بعث اوغسطينس برسالته الدينية الى ايطاليا
في سنة ٦٣٧ استحوذ عمر بن الخطاب على اورشليم
في سنة ٦٤٠ اكتسح المسلمون الاسكندرية بقيادة عمرو
في سنة ٦٦٨ — ٦٧٥ انهزم العرب في القسطنطينية
في سنه ٦٨٠ اجتمع موتمر الدول العام لسادس مرة في القسطنطينية
في سنة ٧١١ حمل العرب حملتهم المشهورة على اسبانيا
في سنة ٧١٦ — ٧١٨ فشل العرب ثاني مرة في محاصرتهم القسطنطينية

في سنة ٧٣٢ هزم (مارتل) العرب في موقعة (طورس) العظيمة
في سنة ٧٥٢ تولى (تيبني لي ريف) عرش الملك في فرنسا
في سنة ٧٨٧ اجتمع مؤتمر الدول العام سابع مرة في نيقية
في سنة ٧٨٧ نزل (دانس) في انكلترا
في سنة ٧٨٨ ظهرت (ايو بن) ملكة الشرق
في سنة ٨٠٠ تُوج (كارلمفن) في رومية
في سنة ٨١٤ مات الملك المذكور
في سنة ٨٢٧ حكم (اغبرت) انكلترا
في سنة ٨٤١ حدثت معركة (فونتانيل)
في سنة ٨٦٢ أسس (روق) مملكة روسيا
في سنة ٨٧١ ظهر الفرد الاكبر ملك انكلترا
في سنة ٨٧٥ أسس (هرولد فيرهير) مملكة نروج
في سنة ٩٠١ مات الفرد الاكبر ملك انكلترا
في سنة ٩١١ بيعت استريا من (رولو)
في سنة ٩١١ استحوذ الامبراطور (كونراد) عَلَى جرمانيا
في سنة ٩٣٦ نبغ (اوثو) امبراطور جرمانيا الكبير
في سنة ٩٤٠ ظهر لقب امير الامراء لاول مرة فى التاريخ
في سنة ٩٦٢ نُصب (اوثو) امبراطور جرمانيا السابق الذكر امبراطوراً على الغرب
في سنة ٩٦٩ — ٩٧٥ نصب يوحنا (زمسكس) امبراطوراً عَلَى الشرق
في سنة ٩٧٣ مات (اوثو) امبراطور الغرب
في سنة ٩٨٧ ابتدأت مملكة (كابتين) في فرنسا
في سنة ١٠٤٠ استحوذ نورمن عَلَى جنوبي ايطاليا
في سنة ١٠٥٥ استولى الاتراك عَلَى بغداد
في سنة ١٠٦٥ استولى المسلمون على اورشليم
في سنة ١٠٦٦ بدأ ملك ملوك (نورمن) في انكلترا
في سنة ١٠٨١ حدثت موقعة (دورزو)
في سنة ١٠٩٦ حمل الصليبيون حملتهم الاولى عَلَى الشرق

في سنة ١٠٩٩ استحوذ الصليبيون على اورشليم
في سنة ١١١٨ أسس الصليبيون معهد الفقه
في سنة ١١٤٧ حمل الصليبيون حملتهم الثانية على الشرق
في سنة ١١٥٢ نصب فريدرك امبراطوراً على جرمانيا
في سنة ١١٥٤ بدأ ملك ملوك (بلانتيغنتن) في انكلترا
في سنة ١١٧٢ زحف هنري الثاني ملك انكلترا على ايرلاندا
في سنة ١١٧٦ انهزم الجرمانيون بقيادة الامبراطور فريدرك في (لغانو)
في سنة ١١٨٧ استولى صلاح الدين على اورشليم
في سنة ١١٨٩ حمل الصليبيون حملتهم الثالثة عَلَى الشرق
وفي سنة ١١٩٥ حملوا حملتهم الرابعة
وفي سنة ١١٩٨ حملوا حملتهم الخامسة
وفي سنة ١٢٠٣ استحوذوا عَلَى القسطنطينية
في سنة ١٢١٥ حاصر الملك يوحنا في انكلترا (ماغانا كارتا)
في سنة ١٢٢٧ حمل الصليبيون حملتهم السادسة عَلَى الشرق
في سنة ١٢٢٧ نشر جنكيزخان لواء سلطته عَلَى العرب
في سنة ١٢٣٧ باشر المغوليون دفع الجزية لروسيا
في سنة ١٢٤٨ حمل الصليبيون الحملة السابعة عَلَى الشرق
في سنة ١٢٦١ استرجع اليونانيون القسطنطينية
في سنة ١٢٧٠ حمل الصليبيون حملتهم الثامنة عَلَى الشرق
في سنة ١٢٧٠ سقطت مصر بأيدي المماليك
في سنة ١٢٧٣ نصب (رداف هبسبورغ) امبراطوراً عَلَى جرمانيا
في سنة ١٢٩١ انتهت الحروب الصليبية
في سنة ١٣٠٧ بدأت الثورة في السويس
في سنة ١٣٠٢ حدثت معركة (كورتري)
في سنة ١٣١٤ حدثت معركة (بانوكبرن)
في سنة ١٣١٥ حدثت معركة (مورغرتن)
في سنة ١٣٤٦ حدثت معركة (كرسي)

في سنة ١٣٤٧ حكم (رينزي) رومية

في سنة ١٣٥٢ اتحدت اقاليم السويس

في سنة ١٣٦١ — ١٣٨٩ دوخ مراد الاول آسيا الصغرى

في سنة ١٣٧٧ عادت سلطة الباباوات الى رومية

في سنة ١٣٩٢ اكتشف البرتقاليون رأس الرجاء الصالح

في سنة ١٣٩٧ وقعت الملكة مرغريت عَلَى المعاهدة بين الدنيمارك واسوج ونروج

في سنة ١٣٩٨ استولى تيمورلنك عَلَى (دهلي)

في سنة ١٣٩٩ نصب هنري الرابع ملكاً عَلَى انكلترا

في سنة ١٤٠٢ تغلب تيمورلنك عَلَى الاتراك العثمانية

في سنة ١٤١٥ حدثت موقعة (اغنكورث)

في سنة ١٤٤٥ ارتقى قسطنطين عرش الملك في بزنطية وكان آخر ملوكها

في سنة ١٤٥٣ بسط العثمانيون سلطانهم عَلَى بزنطية اي القسطنطينية غابراً والاستانة حاضراً

في سنة ١٤٥٥ ابتدأت حروب (روزس) في انكلترا

في سنة ١٤٧٤ بلغ ميشل انجلو أوج شهرته

في سنة ١٤٧٩ اتحدت مملكتا فرديناند و (وايزابلا)

في سنة ١٤٨٥ حدثت موقعة (بوسورث)

في سنة ١٤٩١ سقطت غرناطا

في سنة ١٤٩٢ اكتشف كولمبس اميركا

في سنة ١٤٩٤ حمل كارلس الخامس عَلَى ايطاليا

في سنة ١٤٨٧ طاف القبطان قابوت شواطيء اميركا الشمالية

في سنة ١٤٩٩ استقلت اسوج

في سنة ١٥١٥ نصب فرنسيس الاول ملكاً على فرنسا

في سنة ١٥١٦ نصب كارلس الاول ملكاً عَلَى اسبانيا

في سنة ١٥١٧ نشر لوثر زعيم الاصلاح الديني الشهير قضاياه الشهيرة عَلَى الكنيسة الرومانية وعددها تسعون قضية

في سنة ١٥٢٩ سمي الانجيليون بروتستانت لاول مرة في التاريخ

في سنة ١٥٣٥ أسس (لويولا) نظام العدلية لاول مرة في التاريخ الحديث
في سنة ١٥٥٢ وقع على معاهدة (باسو)
في سنة ١٥٥٦ خلع كارلس الخامس
في سنة ١٥٥٨ ارتقت اليصابات عرش الملك في انكلترا
في سنة ١٥٥٨ نشأ مجلس التفتيش في فرنسا
في سنة ١٥٧١ تغلبت اوستريا على الاتراك العثمانيين
في سنة ١٥٧٢ حدثت مذبحة القديس برتلماوس
في سنة ١٥٨٧ قطع رأس ماري ملكة اسكوتلندا
في سنة ١٥٨٩ نصب هنري الرابع ملكاً على فرنسا
في سنة ١٦٠٣ انضمت اسكوتلندا الى انكلترا
في سنة ١٦١٠ قتل هنري الرابع
في سنة ١٦٤٩ قطع رأس كارلس الاول
في سنة ١٦٥٣ ظهر كرومل الانكليزي
في سنة ١٦٦٠ رجعت أسرة (ستورتس) الملك في انكلترا
في سنة ١٦٨٣ تغلب القائد جان سبيسكي على العثمانيين في فينا
في سنة ١٦٨٨ بدأت الثورة في انكلترا للمرة الثانية
في سنة ١٦٨٩ ارتقى بطرس الاكبر عرش الملك في روسيا
في سنة ١٦٩٧ امتدت سلطة كارلس الثاني الى اسوج
في سنة ١٦٩٩ استعمرت ولاية لوزيانا في اميركا الشمالية
في سنة ١٧٠٢ حطم اسطول فرنسا في (فيغو)
في سنة ١٧٠٩ اتحدت انكلترا واسكوتلندا
في سنة ١٧١٤ ارتقت أسرة (غولفس) الى العرش الانكليزي
في سنة ١٧١٥ مات لويس الرابع عشر
في سنة ١٧١٨ قتل الملك كارلس السابع على أسوج
في سنة ١٧٢٥ مات بطرس الاكبر امبراطور روسيا
في سنة ١٧٤٠ رقي فريدرك الكبير الى عرش الملك في بروسيا
في سنة ١٧٤٢ تمت معاهدة (برسلو)

في سنة ١٧٥٥ حدثت زلزلة في لشبونة
في سنة ١٧٥٥ ابتدأت الحروب السبع
في سنة ١٧٥٧ حدثت موقعتا (روصباك) و (ليذن)
في سنة ١٧٥٨ حدثت موقعة (زوزندوف)
في سنة ١٧٥٩ حدثت موقعة (ميندن)
في سنه ١٧٥٩ حدثت موقعة (كوبك)
في سنة ١٧٦٢ ارتقت الملكة كاترينا عرش الملك
في سنة ١٧٦٣ انتهت الحروب السبع
في سنة ١٧٦٣ صارت كندا من مستعمرات انكلترا
في سنة ١٧٦٥ قرر استعمال الطوابع لاول مرة في التاريخ
في سنة ١٧٦٦ ألغي استعمال تلك الطوابع
في سنة ١٧٦٨ نشبت الحرب بين الدولة العلية وروسيا
في سنة ١٧٦٩ ولد نابليون بونابارت
في سنة ١٧٧٠ حدثت مذبحة بوسطن في الولايات المتحدة
في سنة ١٧٧٤ رقي لويس السادس عشر الى عرش الملك في فرنسا
في سنة ١٧٧٤ اقفل الانكليز مرفأ بوسطن في الولايات المتحدة
في سنة ١٧٧٥ بدأت الثورة في اميركا لاجل الاستقلال وفي السنة نفسها حدثت معركة (بنكرهل) على مقربة من مدينة بوسطن (ماس) الولايات المتحدة
وفي سنة ١٧٧٦ حدثت موقعتا (لونغ أيلند) (وترنتن)
وفي سنة ١٧٧٧ حدثت معارك (بنفنتن) و (براندوين)و(جرمان ثون)
في سنة ١٧٧٨ جرى الوفاق بين اميركا وفرنسا
في سنة ١٧٧٨ حدثت موقعة (مونومون) في الولايات المتحدة
في سنه ١٧٧٩ تم الاتفاق بين الولايات المتحدة واسبانيا
في سنة ١٧٨٠ حدثت موقعتا (كارلتن) و (كامدن) قهر فيهما الامير كيون
في سنة ١٧٨٢ انتهت حرب الاستقلال
في سنة ١٧٨٣ استقلت اميركا من الحكم الانكليزي
في سنة ١٧٨٦ شبت الثورة في ولاية (ماس) الولايات المتحدة

وفي هذه السنة مات الملك فريدرك الاكبر
في سنة ١٧٨٧ عقد اشراف فرنسا مؤتمراً عاماً تفاوضوا فيه بشأن الذب عن سلطتهم وسلطة فرنسا الملكية
في سنة ١٧٨٨ طلب (غستيفس) الحرب مع روسيا
في سنة ١٧٨٩ عقد قواد الولايات المتحدة مؤتمراً عاماً
في سنة ١٧٨٩ بدت طلائع الثورة في فرنسا
في سنة ١٧٨٩ أنشأت كل من الولايات المتحدة دستوراً لها يربطها مع اخواتها
في سنة ١٧٨٩ رأس الولايات المتحدة جورج واشنطن وهو اول رئيس لهذه الجمهورية الكبرى
في سنة ١٧٨٩ دكت أسس سجن الباستيل في فرنسا
في سنة ١٧٩٠ اعلنت نروج استقلالها
في سنة ١٧٩١ مات الخطيب ميرابو
في سنة ١٧٩١ تألف مجلس التشريع في فرنسا
في سنة ١٧٩١ منحت كندا الدستور
في سنة ١٧٩٢ حدثت معركة (جيمابس)
في سنة ١٧٩٢ عقدت المؤتمرات في جميع الولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٣ قطع رأس لويس السادس عشر
في سنة ١٧٩٣ أخترع حلج القطن
في سنة ١٧٩٣ اقتسمت بولندا بين روسيا و بروسيا
في سنة ١٧٩٤ جعلت (تورونتو) عاصمة لكندا العليا
في سنة ١٧٩٥ طبع الدليل الجغرافي اول مرة في الولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٥ أطلق بونابارت سبيل الحراس
في سنة ١٧٩٦ خيم بونابارت بعسكره الجرار في بلاد ايطاليا
في سنة ١٧٩٦ حدثت مواقع (لودي) و (اركولا) و (ربنولي) و (لافيفورتا)
في سنة ١٧٩٧ عقدت معاهدة (كامبوفوميو)
في سنة ١٧٩٧ انتخب جان أدموس رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٧ رفعت اعلام السلام في (توليتنو)

في سنة ١٢٩٨ حدثت معركة الاهرام
في سنة ١٧٩٩ أعيد طبع الدليل الجغرافي في الولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٩ انتصر الفرنسيس في موقعة أبي قير اول مرة
في سنة ١٨٠٠ قطع بونابارت جبال الالب
في سنة ١٨٠٠ هزم بونابارت النمساويين في (مارنغو) و (هوهولندن)
في سنة ١٨٠١ رأس تومس جفرسن الولايات المتحدة
في سنة ١٨٠١ انضمت ايرلندا الى انكلترا
في سنه ١٨٠٢ عقدت معاهدة (أميين)
في سنة ١٨٠٢ أنشأ نابليون القنصلية في البلاد الاجنبية
في سنة ١٨٠٣ تجددت الحرب بين انكلترا وفرنسا
في سنة ١٨٠٣ اشترت الولايات المتحدة لوزيانا من فرنسا
في سنة ١٨٠٣ استقلت سويسرا
في سنة ١٨٠٣ أطلقت الحرية للسود في كندا
في سنة ١٨٠٤ نصب نابليون الاول امبراطوراً على فرنسا
في سنة ١٨٠٥ حدثت موقعتا طرف الغار واوسترلتز ومات فيهما القائد نلسن
في سنة ١٨٠٥ عقدت معاهدة (برسبرغ)
في سنة ١٨٠٦ حدثت موقعة (جينا) وقتل فيها القائد بت
في سنة ١٨٠٧ حدثت مواقع (ايلو) و (فريلاند) وكوبنهاغن)
في سنة ١٨٠٧ فرت هيئة محكمة ليسبون (فرنسا) الى برازيل
في سنة ١٨٠٨ بدأت حرب (بنسولر) وفي السنة عينها امتدت سلطة بونابارت الى اسبانيا ودعي امبراطوراً عليها
في سنة ١٨٠٩ حدثت معركة (واغرم)
في سنة ١٨٠٩ عقدت معاهدة (سكوبريون)
في سنة ١٨٠٩ طلق نابليون زوجته جوزفين
في سنة ١٨٠٩ حرم البابا نابليون حرماً دينياً فغضب نابليون وسجن البابا
في سنة ١٨٠٩ هزم (ولنغتن) جيوش فرنسا في معركة طرف الغار
في سنة ١٨٠٩ انتخب (جيمس مادسن) رئيساً للولايات المتحدة

في سنة ١٨١٠ تزوج نبوليون (ماريالوسيا)

في سنة ١٨١١ ولد ابن نبوليون ملك رومية

في سنة ١٨١١ حدثت موقعة (تيكانو)

في سنة ١٨١٢ قامت روسيا بمناورات جيوشها الحربية ارهاباً للدول المناوئة لها

في سنة ١٨١٢ نشبت الحرب بين انكلترا واميركا

في سنة ١٨١٣ حدثت معركتا بحيرة (ايري) و (تومس)

في سنة ١٨١٣ حدثت معارك (لوتزين) و (فوتيريا) و (ليبسك)

في سنة ١٨١٤ نفي بونابارت الى (الالب)

في سنة ١٨١٤ حدثت موقعة (لاندي لين)

في سنة ١٨١٤ حرق الانكليز مدينة واشنطن

في سنة ١٨١٥ عاد نبوليون من منفاه وحدثت معركة وترلو ونفي الى جزيرة القديسة هيلانة

في سنة ١٨١٥ نشرت رايات السلام في باريس للمرة الثانية

في سنة ١٨١٥ نظمت المعاهدة المقدسة

في سنة ١٨١٥ حدثت موقعة (نيو اورلينس) وكان النصر فيها حليف (جكسن)

في سنة ١٨١٧ انتخب جيمس منرو رئيساً للولايات المتحدة وهو الرئيس الذي سن شريعة اميركا للاميركيين

في سنة ١٨٢٠ شبت الثورة في اسبانيا

في سنة ١٨٢١ مات نبوليون

في سنة ١٨٢١ بدأت حرب الاستقلال في اليونان

في سنة ١٨٢٢ انفصلت برازيل عن برتغال

في سنة ١٨٢٤ بوشر العمل في قناة (ولاند)

في سنة ١٨٢٤ نصب كارلس العاشر ملكاً على فرنسا

في سنة ١٨٢٤ مات اللورد بيرون

في سنة ١٨٢٥ انتخب جان ادامس رئيساً للولايات المتحدة

في سنة ١٨٢٥ قطعت لاول مرة اول باخرة المحيط الاتلانتيكي

في سنة ١٨٢٥ هاج الشعب في كندا

في سنة ١٨٢٦ حدثت معركة نافارين
في سنة ١٨٢٩ انتخب اندرو جاكسن رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٢٩ ثار الشعب في كندا العليا طالباً حاكماً عادلاً
في سنة ١٨٣٠ حكم اللورد (ايلمر) كندا السفلى
في سنة ١٨٣٠ نشبت الثورة في فرنسا للمرة الثانية
في سنه ١٨٣١ حدثت موقعة (اوسترولنكا)
في سنة ١٨٣١ انفصلت بلجيوم عن هولاندا (البلجيك)
في سنة ١٨٣٢ نصب (اوثو) مليكاً على اليونان
في سنة ١٨٣٢ منحت السلطة لمجلس النواب في كندا
في سنة ١٨٣٥ قُرر عتق العبيد في انكلترا
في سنة ١٨٣٥ اخترع التلغراف الكهربائي
في سنة ١٨٣٧ قامت الفتنة في كندا
في سنة ١٨٣٧ تولت الملكة ڤيكتوريا عرش الملك في انكلترا
في سنة ١٨٣٧ انتخب مارتن (بيورن) رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٣٩ اتحدت كندا العليا مع كندا السفلى
في سنة ١٨٤٠ نصب فريدرك وليم ملكاً على بروسيا
في سنة ١٨٤٠ زفت الملكة ڤيكتوريا الى البرت سكسكوبرغ
في سنة ١٨٤١ انتخب هرسن رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٢ عدلت شريعة الذرة في الولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٤ انتقلت دائرة الحكومة في كندا الى منتريال
في سنة ١٨٤٥ ضُمت تكسس الى الولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٥ حدث الحريق الهائل في كوبك كندا
في سنة ١٨٤٥ انتخب بولك رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٦ نشبت الحرب بين الولايات المتحدة والمكسيك
في سنة ١٨٤٦ تم السلام بين الولايات المتحدة والمكسيك
في سنة ١٨٤٦ رقي فرنسيس جوزف الى عرش الملك في النمسا
في سنة ١٨٤٦ أعلنت هنغاريا استقلالها عن اوستريا

في سنة ١٨٤٦ افتتحت عساكر فرنسا رومية
في سنة ١٨٥١ حدث المعرض العام في لندن
في سنة ١٨٥٢ تولى نبوليون الثالث امبراطورية فرنسا
في سنة ١٨٥٥ رقي الكسندر الثاني الى عرش قياصرة الروس
في سنة ١٨٥٦ شبت نيران الحرب بين انكلترا والصين و بلاد فارس
في سنة ١٨٥٧ نشبت الثورة في الهند
في سنة ١٨٥٩ استعرت نيران الحرب بين اوستريا وايطاليا
في سنة ١٨٥٩ بدأ حكم كارلس الخامس عشر على اسوج ونروج
في سنة ١٨٦١ اشتعلت نيران الحرب بين الشمال والجنوب في الولايات المتحدة
في سنة ١٨٦١ رقي فيكتور عمانوئيل عرش الملك في ايطاليا
في سنة ١٨٦١ شبت فتنة البولانديين
في سنة ١٨٦٢ شهرت فرنسا الحرب على المكسيك
في سنة ١٨٦٢ تولى بسمارك رئاسة النظار في جرمانيا
في سنة ١٨٦٣ حرر العبيد
في سنة ١٨٦٣ دخلت الجنود الفرنسية الى مدينة المكسيك
في سنة ١٨٦٤ ضمت جزائر اندیان الى اليونان
في سنة ١٨٦٤ حدثت الحرب بين روسيا واوستريا والدانيمارك
في سنة ١٨٦٦ حدثت الحرب بين جرمانيا واوستريا
في سنة ١٨٦٧ حدثت الحرب بين انكلترا والحبشة
في سنة ١٨٦٧ ابتاعت الولايات المتحدة الاسكا
في سنة ١٨٧٠ استعرت جذوة الحرب بين فرنسا وجرمانيا
في سنة ١٨٧٠ حدثت موقعة سيدان وحوصر نبوليون الثالث
في سنة ١٨٧١ رقي وليم الى عرش امبراطورية بروسيا
في سنة ١٨٧١ صارت فرنسا حكومة اشتراكية جمهورية
في سنة ١٨٧٣ مات نبوليون الثالث في انكلترا
في سنة ١٨٧٥ تولى الفونسو الملك في اسبانيا
في سنة ١٨٧٦ دعيت فيكتوريا امبراطورة الهند

في سنة ١٨٧٨ نشبت الحرب بين العثمانية وروسيا
في سنة ١٨٧٨ نشبت الحرب في افغانستان
في سنة ١٨٧٨ مات الملك عمانوئيل وخلفه الملك هيومبرت
في سنة ١٨٧٨ مات بيوس التاسع وخلفه ليون الثالث عشر
في سنة ١٨٧٨ تمت معاهدة برلين
في سنة ١٨٧٨ استقلت رومانياوموتتيفدو
في سنة ١٨٧٩ حدثت الحرب بين شيلي وبيرو
في سنة ١٨٨٠ حدثت المجاعة في ايرلاندا
في سنة ١٨٨٠ أطلقت حرية العبيد في كوبا
في سنة ١٨٨١ قتل اسكندر الثاني في روسيا
في سنة ١٨٨١ بوشر بمشروع اكتشاف القطب الشمالي
في سنة ١٨٨٢ استعرت نيران الحرب بين انكلترا ومصر
في سنة ١٨٨٣ حدثت حرب الهنود
في سنة ١٨٩٣ شبت ثورة برازيل وارجنتين من اجل الحكم الجمهوري
في سنة ١٨٩٤ قتل كارنو رئيس الجمهورية الفرنسية
في سنة ١٨٩٤ تولى نيقولا الثاني عرش الملك الروسي
في سنة ١٨٩٤ نشبت الحرب بين الصين واليابان
في سنة ١٨٩٤ أضرب عمال معادن الفحم والسكك الحديدية في الولايات المتحدة
في سنة ١٨٩٤ شبت الثورة في كوبا لاجل الاستقلال عن الحكم الاسباني
في سنة ١٨٩٥ حدثت المجازر الارمنية
في سنة ١٨٩٥ رأس فيلكس فور الجمهورية الفرنسية
في سنة ١٨٩٦ توج قيصر روسيا
في سنة ١٨٩٧ رأس مكنلي الجمهورية الاميركية
في سنة ١٨٩٧ حدثت الحرب بين العثمانية و يونان
في سنة ١٨٩٨ حطم الاسطول الاميركي في هافانا
في سنة ١٨٩٨ نشبت الحرب الاميركية الاسبانية
في سنة ١٨٩٨ قتلت اليصابات ملكة اوستريا

في سنة ١٨٩٨ حدثت حادثة در يفوس في فرنسا
في سنة ١٨٩٨ اكتشف الذهب في الاسكا
في سنة ١٨٩٨ مات بسمارك
في سنة ١٨٩٨ عقدت المعاهدة بين الولايات المتحدة واسبانيا
في سنة ١٨٩٨ ابتدأت حرب الفيلبيين
في سنة ١٨٩٩ ابتدأت الحرب في افريقية الجنوبية
في سنة ١٩٠٠ حدث معرض باريس
في سنة ١٩٠٠ هجم الصينيون على دور السفارات الاجنبية في بكين عاصمة الصين
في سنة ١٩٠٠ قتل هيومبرت ملك ايطاليا وخلفه ابنه الملك عمانوئيل
في سنة ١٩٠٠ أعلنت الدول الغربية الحرب على الصين
في سنة ١٩٠٠ رأس مكنلي الجمهورية الاميركية

لنكلن نبراسكا (الولايات المتحدة) يوسف جرجس زخم

ام الطفل

في مشهد الحريق

ما للديار تراءى وهي اطلال هل خف بالقوم عنها اليوم ترحال
كانت بها السمرات الخضر زاهية واليوم لا سمر فيها ولا ضال
ما بالها وهي انقاض مبعثرة تغبر فيهن ابكار وآصال
هل هدَّ بنيانها من فوق صاعقة او هد بنيانها من تحت زلزال
بل قد عفتها فلم تترك بها اثراً ريح لها من لهيب النار اذيال
شب الحريق بها ليلاً مشبذة فما اتى الصبح الا وهي اطلال
اثارت النار في اطرافها رهجاً من الدخان كأن النار ابطال
حتى حكت معركاً خرت بساحته صرعى بيوت واموال وآمال

دار السعادة امست من تحرقها   دار الشقاء وقد ضاقت بها الحال
ترنو الى البحر ترجو نقع غلتها   لحظ المهجر اذ يبدو له الآل
تنهال كالرمل بالنيران ادورها   حتى تكاد لها الارواح تنهال
ياريح مهلا فلا تذري الرماد بها   ان الرماد الذي تذرين اموال

...

قد رحت للحي مذعوراً أيممه   ولي عن الزمر الباكين تسآل
وفي العراص ديار القوم خاوية   وفي الشوارع نسوان واطفال
جلسن والشمس فوق الرأس دانية   وللغبار بعرض الحي تجوال
ولا خمار فيرددن الغبار به   ولا يقيهن حر الشمس سربال
حتى وقفت وقلبي كله جزع   وادمعي لجج طوراً واوشال

...

ما انس لا انس ام الطفل قائلة   وفوق وجنتها للدمع تهطال
اني تجردت عن دنياي حاسرة   مالي سوى طفلي الباكي بها مال
اي امريء بعدهذا اليوم ذي جدة   يمونني حيث لا زوج ولا آل
اودى الحريق بدار كنت اسكنها   وكنت من بعضها للقوت اكتال
واليوم اصبحت لا دار ولا وزر   آوي اليه ولا عم ولا خال
ان الحريق خبت نيرانه ومضت   وماخبت في فؤادي منه اوجال
يا رب رحماك اني اليوم عاجزة   عما دها وبظهري منه اثقال
يارب قد ضقت ذرعاً في الحياة فما   ادري حنانيك ربي كيف احتال

...

وعند ماقد شجاني من مقالتها لفظ يقطعه في البين اعوال
دنوت منهـا قليلا وهي باكية ومن بكاها بقلبي هاج بلبـال
حتى وقفت وايناساً لوحشتها حنيت رأسي وحني الرأس اجلال
وقلت يا خت لا تستيشي جزعاً فانمـا الدهر ادبار واقبـال
اتجزعين اكتـآباً بين اظهرنا وكلنا عنك للبأسـاء حمـال
مالي اراك بعين اليـأس باكية كأن امرك عند القوم اهمال
الست من أمة ايدي الرجال بها قد فك عنهن بالدستور اغلال
حتى لقد اصبحوا ابناء واحدة في المرزئات وهم في الحكم اشكال
مستعصمين بحبل من اخوتهم يسمو بهم للعلى فضل وافضال
امسى التعاضد كالحصن الحصين لهم اذا تصادم بالاهوال اهوال
فاستبشري اليوم فيما مس من ظمأ بان وردك عند القوم سلسال
وان حقك معول في مساكنهم وما همو باداء الحق بخال

. . .

تلك التي قد شجتني في مقالتها وكم لها في نسـاء الحي امثال
فهل يصدق قومي ماظننت بهم حتى تقوم لهم في المجد افعال
فالمجد يدرك مرماه البعيد فتىً رحب الذراعين طاق الكف مفضال
واكثر البذل حمداً مايمان به من عضهم من نيوب الدهر اقلال
ياقوم هذي سبيل العرف واضحة فليمض فيها بكم وخد وارقال
ومن تلك الحال فيها لاتساعده «فليسعد النطق ان لم تسعد الحال»

الاستانة الرصافي

—*—

اخبار وافكار

الكليات الاميركية

يخاف الكثيرون من التهذيب المشترك بين الجنسين ان يخرج النساء عن طورهن ورقتهن و يفيدهن قسوة وصلابة لامتزاجهن بالذكور ولكن التجارب دلت عَلَى خطإم وفساد مزاعمهم وانتشرت طريقة التعليم المشترك في معظم الكليات الاميركية فعدد الطالبات في جامعة نيلاند ستانفورد في كاليفورنيا يناهز الخمسمائة وقد حاولوا في جامعة شيكاغو ان يفصلوا بين الذكور والاناث في سن الطلب الاولى

ولم تحافظ عَلَى القواعد القديمة سوى كلية هارفرد فانها أصرت عَلَى ايصاد ابوابها في وجوه الطالبات وفي اميركا ٣٢١ جامعة وكلية ومدرسة عالية تقبل الطلاب والطالبات عَلَى السواء بدون اقل تمييز بين الجنسين

والتعليم في الجامعات الاميركية يقسم الى ثلاثة اقسام : الاول فيه اساليب خاصة بكل من الجنسين : والثاني يشترك فيه الذكور والاناث بدون تفريق ولا استثناء : والثالث يشترك فيه الجنسان و يختص الاناث بفروع تساعدهن في حياتهن المستقبلة

والمدارس المختصة بالاناث هي دون الجامعات في رقيها العلمي واساليب تهذيبها وفي الولايات المتحدة الاميركية اربعمائة جامعة لكل منها رأس مال يبلغ عدة ملايين من الريالات ولها دخل سنوي لا يقل عن مليون ريال . فلا يستطيعون ان ينشئوا جامعات انثوية تضارع الجامعات الراقية

ونرى من جهة ثانية انه اذا وضعت خطط التعليم في الجامعات بدون نظر الى الفروق الجنسية لم تجد الطالبات فيها ما يسعفهن عَلَى انجاز وظائفهن الخاصة في حياتهن العائلية وقد نظر علماء الاميركيين في هذه القضية فادخلوا دروساً كثيرة في بعض الجامعات يلقنونها للفتيات خاصة

واليك مثالاً من خطة التعليم في جامعة شيكاغو :

(١) حفظ الصحة الجسدية وعلاقاته الاجتماعية والادبية

(٢) : الهيجين العمومي

(٣) : علم الحياة والبكتير يولوجيا

(٤) تدبير صحة الاطفال و ينطوي في هذا الدرس المواد الآتية : الوراثة والبيئة — ارتقاء الطفل الطبيعي والعقلي والادبي . — حفظ الصحة في سن البلوغ . — و يضاف الى هذه المواد ملاحظات عن الطفل في المدرسة واللعب والدرس وتأثير الاموال الطبيعية في ارتقائه الادبي والعقلي

(٥) : الاسرة . — باعتبار الوجهة التاريخية والفيسيولوجية و يدرسون ايضاً احوال الأسرة الاجتماعية والادبية والاقتصادية

(٦) : درس في الشرائع الاكثر تأثيراً في حياة الافراد والحياة التجارية

(٧) : العلم السياسي . وفيه درس تأليف الحكومات المتحدة ووظائفها وادارة المملكة ومبادئ الحقوق الاساسية

(٨) : تاريخ الصناعة ولا سيما ما يتعلق منها بالنساء

فمسألة التهذيب المشترك قد حلت في الجامعات الاميركية بحضور طالبات الدروس العالية واختصاصهن ببعض الفروع

اساليب التعليم الجديدة

تمتاز فرنسا بارتقاء مدارسها ولاسيما معاهد التعليم الحر و يصح ان تكون في ذلك قدوة سائر الامم الا انها ينقصها بعض الاوضاع التهذيبية الحديثة التي اتخذتها مدارس في اميركا وانكلترا واسكندينافيا

اجتذبت اميركا انتباه العالم المتمدن بتعليمها المؤسس على قواعد البسيكولوجيا فجامعة كولومبيا في نيويورك وجامعة شيكاغو فيهما معاهد خاصة لدرس هذه الطريقة واصلاح ما تظهره الايام فيها من الخلل وارتقاء خواص الطفل الادبية والعقلية يرجع الفضل فيه الى ذلك الاسلوب العلمي المحض الذي يرقى بالطفل سنة فسنة بل شهراً فشهراً والطلبة من الجنسين ينتابون تلك المعاهد و يشتركون في تلقي الدروس وتراقب احوالهم الصحية وتطبع تجارب الاساتذة وابحاثهم في مجلة خاصة تدعى « اخبار اساتذة الكلية » فيطبقها الطلاب والطالبات الذين سيكونون اساتذة في المدارس الابتدائية والوسطى و يصرفون جل عنايتهم الى هذه الابحاث والاختبارات التي كان لها اثر شديد في تربية الاطفال وترقية مواهبهم

اما في مدارس السويد فهم لا يعلقون على الذاكرة كبير امر ولا يعنون بتلقين الطلبة دروساً يستظهرونها بل يلقون اليهم مبادئ العلوم الطبيعية والجغرافية وغيرها

في شكل حكايات يرتاح اليها صغار الطلبة ويحفظون فيها مبادئ العلوم ولا يشعرون

وهذا الاسلوب المتبع في التعليم يشابه طريقة الاميركان من وجوه كثيرة وقد انتشر في المانيا ايضاً طريقة الاستظهار الفاشية في المدارس الشرقية وبعض اقسام اوربا وهي تؤدي الى خلاف الغاية المطلوبة فلا توسع مدارك الطفل ولا تمرن شعوره بل تؤول الى انحطاطها شيئاً فشيئاً ومتى دخل الطالب غمار الحياة العملية لم يستطع الانتفاع بما تلقنه من تلك المعلومات ولا وسعه تطبيقها

والمدارس الانكليزية تعنى بتعليم الطلاب والطالبات الاشغال اليدوية وتحاول ان تكون الواصلة بين الحياة المدرسية والحياة العملية

وللطرق التي تجري عليها المدارس الاميركية في التربية والتعليم مزايا اخرى وهي ان الطالبات يشتركن مع الذكور في تلقي العلوم ويتقاسمون لذتها جميعاً فتتوثق بينهم صلات لا اثر لميل الجنسي فيها ومتى خرجن الى معترك الحياة وقفن ازاء الرجال وقفة القادر المستقل الواثق بنفسه والمعتمد على حوله وهي خاصة تمتاز بها المرأة الاميركية عن شقيقتها الاوروبية لانها اعتادت من صغرها ان تعد نفسها مساوية للرجل

ثم ان وجود الطالبات يلطف من عواطف الذكور ويدمث من اخلاقهم فلا يشذ احدهم عن المنهج السوي خيفة من عيون رفيقاته اللواتي يراقبنه مراقبة لها في نفسه تأثير يفوق تأثير مراقبة الاساتذة

وانتشرت هذه الطريقة في شمالي اوروبا اي في بلاد نروج فاكتسبت النساء قوة وجلداً على احتمال مشقات العيش ومباراة الذكور في الحياة العملية ومشاركتهم حتى في الاعمال السياسية فنلن حق التصويت في انتخاب بعض المجالس ونبغت منهن نساء فقن الرجال في جميع الاعمال التي تعاطينها واصبحن قدوة للنساء العاملات في الممالك الراقية

التعليم الادبي في اليابان

التعليم في اليابان علمي محض وليس للديانة اقل سلطة في المدرسة ففرنسا واليابان هما المملكتان الوحيدتان اللتان نشرتا اصول التهذيب اللاديني « العلماني » في العالم بأسره

وفي اليابان فصل التعليم عن الديانة حسب شريعة التهذيب الصادرة سنة ١٨٧٢ ولا ينحصر ذلك في المدارس العامة بل يشمل المدارس الابتدائية والثانوية حتى التي انشأتها الجمعيات الدينية اذ يحظر عليها ان تلقن التعاليم الدينية وهذا الفصل بين التهذيب

والديانة كان القاعدة التي جرت عليها الحكومة منذ سنة ١٨٦٨ اي منذ فتحت البلاد اليابانية الاجانب

وقبل ذلك العهد لم يكن للحكومة ايسر اهتمام بالتهذيب العام بل تركته للافراد حاشا بعض المدارس الاريستوقراطية المختصة بابناء الموظفين ولم تكن الحكومة تدير المدارس فقد نحت اليابان في التعليم منحى المدارس الغربية منذ نشر قانون التعليم سنة ١٨٦٨ والفت فيها نظارة المعارف عقيب صدوره بسنة فلم تحجم الحكومة عن المفاداة باعز ما لديها في سبيل الارتقاء ونشر التهذيب بين ظهراني الامة

وفكرة التهذيب العلماني ليست من ابتداع الحكومة الجديدة بل يجدون ما يشبهها في تاريخ اليابان القديم

فقسوس البوذيين لم يعلموا الديانة في معاهدهم ولا في مدارسهم المجاورة للهياكل والمعابد ومعظم الطلاب اليابانيين لا يزور الكنيسة المسيحية ولا الهيكل البوذي وانما تنشئهم المدارس على الآداب ومكارم الاخلاق فالتعليم في اليابان علماني محض ليس للديانة تأثير فيه والاهلون راضون بما يعقب ذلك التعليم من النتائج ولهم كل الثقة بالاساتذة الذين يحبهم الطلبة و يحترمونهم

ليس للحكومة اليابانية ديانة رسمية ولكنها لا تقاوم الاديان بل تترك لكل فرد حرية المذهبية

الامر الملكي والتهذيب · — سنة ١٨٩٠ صدر الامر الملكي وفيه مثال للتهذيب الادبي وجب على مدارس اليابان جميعها ان تتعداه وفيه كثير من الآراء التي تتفق مع آراء الفرنساويين و بعضهم يعزو وطنية اليابان الى ما تبثه المدارس في نفوسهم بمقتضى الامر الملكي ولكنهم واهمون في ذلك لان حب الوطن احدى طبائع الرجل الياباني

والامر الملكي قسمان احدهما في التهذيب العام والآخر في التهذيب الوطني واليك الواجبات التي ذكرت في الاول :

حب البنين لآبائهم · تواد الاخوان والاخوات · اتفاق الزوجين · حفظ عهود الاصدقاء · الحشمة والاعتدال · الرغبة في خير الجميع · طلب العلوم والفنون · ترقية المواهب العقلية · الاشتراك في خدمة الامة والوطن · احترام الشورى · طاعة القوانين تضحية المنافع الشخصية في سبيل المملكة

وهذه الواجبات تنقسم على النحو التالي : واجبات المرء لنفسه وللاسرة والمجتمع

والحكومة والانسانية فهي تنطوي على جميع الواجبات ومنها تنشأ فضائل الاخلاص والشهامة والصدق والامانة والشجاعة والوطنية وهذه هي حقيقة التهذيب الصالحة لجميع الاعصر والامكنة تشمل الشريعة الادبية التي يجب ان يخضع لها العالم باسره

والقسم الثاني يتفرع عن احوال الشعب فقد ادبتهم بآداب خاصة وغرست في نفوسهم فضائل ينفردون بها

الامة اليابانية عريقة في القدم وهي تعتقد انها اسرة كبيرة من اصل واحد يقوم الملك عليها بمثابة الوالد واعتقادها هذا سبب احترامها الشديد للامبراطورية فحب الامبراطور والوطن واحد في عرفهم والميكادو يمثل الوطن

و يبالغ اليابانيون في اكرام اسلافهم وتبجيلهم ويستميتون في سبيل الوطن لانه بلاد آبائهم واجدادهم ومنذ ستة وعشرين قرناً أسس الامبراطور الاول المملكة الاولى ولم تنج من الغزاة غير ان اهل البلاد اتحدوا على الذود عن حوضهم فلم يستعبدوا للفاتحين

ولا يتيسر للطالع ان يفهم حقيقة احترام اليابانيين للأسرة المالكة وشدة تعلقهم بوب السرير ما لم يعرف مبلغ احتفاظ القوم بذكرى اجدادهم وانساب سلالاتهم فكل فرد منهم يعرف آباءه الى عهد بعيد والاسرة المالكة اليوم هي نسل الحكام الذين تعاقبوا على عرش المملكة اليابانية منذ نشأتها حتى عصرنا الحاضر وكلهم من أسرة واحدة

و يلقب الامبراطور بابن السماء لان الشعب يحسبه من سلالة الآلهة ولكن آلهة اليابانيين اسلافهم واجدادهم فاحترامهم الامبراطور فيه شيء من مواجب الدين

واول تمدن شاهده اليابانيون كان عند مجاوريهم الصينيين غير انه لم يؤثر في الروح الوطنية شيئاً وكانت قاعدتهم في التهذيب « الروح اليابانية ثم الحكمة الصينية » ودخلت البوذية الى اليابان في القرن السادس فكان لها في آداب اليابانيين شأن خطير ومنذ اصلاح سنة ١٨٦٨ طرأ على اليابان تغييرات جمة بانتشار المدنية الغربية ولكن النفس اليابانية لم تفقد شيئاً من خواصها ومزاياها

وفي كل مدرسة اوقات معينة للتعاليم الادبية وهي لا تدرس في المعاهد الابتدائية والوسطى بل تتعداها الى المدارس العليا والتجارية والفنية والطبية وغيرها والغاية من هذا التعليم صقل نفس الطفل وطبعه على المبادئ القويمة و يعلقون عليه شأناً جليلاً فيقولون ان ارتقاء مملكتهم وانحطاطها متوطان به اذ ليس لهم ديانة يتأدبون بآدابها

وعند اليابانيين سنة يدعونها سنة القربان او البوشيدو وقد ذكرت فيها آداب هؤلاء وما يجب ان يتحلوا به من الفضائل وفي مقدمتها الاخلاص للامبراطور وطاعته وفداء النفس من اجل الحاكم والشجاعة والاقدام ويجب عليه ان لا يعرف في حياته الخوف وان يكون ابداً عَلَى اهبة الموت في قتال خصم من اكفائه وان يجمع بين الصلابة والحزم والجودة والسخاء فيحمي الضعفاء ويجير المساكين ويستقيم في اموره وقد خسرت البوشيدو مظهرها القديم ولكنها اكتسبت شكلاً جديداً في نفوس الشعب

عَلى ان التعليم الادبي تعترضه عقبات كؤود اهمها اتفاق جل وقت الطلب في دراسته وتحصيله وتحير الاساتذة الكفاة ممن يصح اتخاذهم قدوة في الفضائل الخلقية وكثرت التبدلات في حياة اليابان الاجتماعية بانتشار المبادئ الغربية وتأصلها

واذ كانت اليابان قد اقتبست اصول العلوم الحديثة والفنون عن بلاد الغرب فان التعاليم الادبية لم تتصل بها عن ذلك الوجه وانما هي تركة الاسلاف والاجيال القديمة يحرص اليابانيون عليها اشد الحرص ويحفظونها خالصة من شوائب الفساد علماً منهم ان مستقبل مملكتهم معقود بها

التعليم الاهلي

القى في نادي المدارس العليا بمصر احمد افندي فهمي القطان استاذ التربية بمدرسة المعلمين الخديوية خطاباً قال فيه :

مهما اطنبنا في شرح حسنات القرن التاسع عشر فاننا لا نشك لحظة واحدة في ان نظامات التعليم التي اوجدها ستكون اما سبباً في سعادة عيش الجيل القادم ورغده او انها ستجلب عليه المصائب والحسرات . كان يلتفت في العصور المختلفة في البلاد المتمدنة بنوع خاص لتربية الافراد الذين يحكمون البلاد و يديرون شؤونها في المستقبل وكان هؤلاء في العادة من نسل الحكام والاشراف وقد تكرم بعض الغيورين من وقت لآخر فسهلوا سبل التعليم لافراد قليلين من ابناء الفقراء الذين اظهروا ذكاء مفرطاً

استمر الحال عَلَى هذا المنوال حتى جاء القرن الماضي فتيقظ العالم المتمدن وادرك ان كل وظيفة كبيرة كانت او صغيرة وكل مهنة مهما كانت صغيرة لا بد ان يستعد لها المحترف بها وذلك الاستعداد لا يكون الا في المدرسة — واقصد بذلك الاستعداد ان يربى جسمه وخلقه وعقله حتى يصبح قادراً على امرين

الاول — ان يكافح الحياة ويصير قادراً على المعيشة وسط حبائل هذه الدنيا

التي هي في تعقيد كل يوم عن سابقه

والثاني — ان يقوم بوظيفته او مهنته القيام الذي يليق بالعصر الذي يعيش فيه وبالوسط الذي هو فرد منه

فلما ادركت الامم هذه الحقيقة بدأت تكون ما اسميه نظامات التعليم الاهلية — اي نظامات تضمن التعليم بجميع ادواره لجميع افراد الامة على اختلاف طبقاتها من غير تمييز بين وضيع ورفيع

ظهرت الاختراعات العلمية في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر فادخلت لتحسين الزراعة والصناعة وظهر في الوقت عينه أئمة للتربية رجال رأوا ان مستقبل بلادهم الحقيقي ليس بالزراعة والصناعة فقط بل هو بالتربية فقرروا نظريات شتى وبنوا عليها اعمالهم واكدوا وجوب تهذيب الرجل الذي سيكون مزارعاً او صانعاً في المستقبل — وجوب تهذيبه من الوجهة الجسمية والادبية والعقلية

وقد قضت نفس تلك الاختراعات الصناعية على العمال بازدياد معلوماتهم حتى يصبحوا قادرين على ادارة الآلات الحديثة التي عهدت اليهم

ولا يخفى ان الرجل الذي يقضي كل حياته في تأدية عمل بسيط — نتيجة ثابتة مدى السنين كالفلاح مثلاً — لا تأتي عليه احوال يحتاج فيها لاجهاد فكره او تمرين قوته الاختراعية لمقاومة طارئ هو في الحقيقة لن يقع — فبالطبيعة يفقد عادة اجهاد النفس وفي المعتاد يصبح في درجة من الغباوة والجهل اقصى ما يمكن ان يصل اليها انسان فكأنه اشترى مهارته في فلاحته بثمن غال الا وهو فقد غرائزه الادبية والاجتماعية والحربية ولكن وا اسفاه هذه هي الحالة التي يصير اليها فقراء العمال او بالاحرى اغلب السكان من كل أمة متمدنة — ان لم تبذل حكومتها كل جهد لمداواة تلك الحال .

وبالاختصار فان ظهور تلك الاختراعات في القرنين الماضيين سبب نتيجتين

(١) وجوب تربية الامة باجمعها تربية عامة خوفاً عليها من السقوط

(٢) تربية الافراد الذين سيناط بهم ادارة تلك الاعمال سواء كانت زراعية اوصناعية او تجارية — تربية خاصة تشمل دراسة العوامل الطبيعية التي اكتشفت وقتئذ

كانت انكلترا هي اول الممالك التي ظهرت فيها الاختراعات الصناعية الجديدة آخر الدول في تقرير التعليم العام . فقد فرقته بروسيا وسكوتيا وورتمبرج في اواخر القرن الثامن عشر وفرنسا وكان لها نظام تعليم تام بكل حذافيره ايام نابليون اما انكلترا فانها

لم تنتشر المدارس الابتدائية لتعليم جميع ابناء الشعب الا سنة ١٨٧٠ — ويلتمس المؤرخون لانكلترا العذر في تأخيرها تعميم التعليم ويقولون ان الانقلابات الداخلية التي طرأت على دار ندوتها كانت سبباً في تأخرها

اما نحن فلم نفكر في التعليم اصلاً الا منذ سنين قلائل مع ان مصر كما قال اسماعيل باشا الخديوي الاسبق هي جزء من اوربا فيجب علينا ان نجاري الزمن الذي نعيش فيه — يجب علينا ان نعمل لنشر التعليم بين طبقات الامة حتى تستنير وتسير الى الامام بحزم وعزم ثابتين . يجب علينا ونحن جزء من اوربا ان نجاري اوربا تعليماً ان كنا نريد ان نجاريها زراعة وصناعة وتجارة

ولقد قال احد أئمة التربية باميركا في زمن شبيه بزماننا

« نحن الآن نختبر أنفسنا في الحكم الذاتي — اي ان الامة تحكم الامة — ومن العادات المتبعة من قديم الزمان ان يكون للحكام اوفر نصيب من التعلم اذا اقتضى ان يتعلم كل فرد من افراد شعب ديمقراطي حاكم نفسه بنفسه اذ ان الشعب هو الحاكم الحقيقي »

قال المستر روبرت لو في مجلس النواب الانكليزي عقب التصديق على لائحة الاصلاح الدستوري سنة ١٨٧٠ « الآن وقد عيننا الشعب نواباً عنه لتنفيذ اغراضه او بعبارة اخرى الآن وقد اصبح الشعب هو السيد الحقيقي فاول واجب مقدس علينا هو ان نربي جميع سادتنا »

حارب نابليون البروسيين وكسرهم في واقعة يينا فجمع ملكهم شتات شملهم وخطبهم قائلاً « ايها الجنود ثقوا ان الفرنسيين لم ينتصروا علينا في ساحة القتال ان انتصارهم الحقيقي كان في المدرسة »

قال ملك البروسيين ذلك اعترافاً منه بان رقي التعليم الفرنسي وقتئذ عنه في بروسيا كان سبباً في انتصار الفرنسيين على البروسيين لذلك افرغ البروسيون جهدهم في اصلاح التعليم بمملكتهم وحذا حذوهم جميع الممالك الجرمانية الاخرى وانضمت جميعها تحت لواء الامبراطورية الالمانية وخطا التعليم فيها خطوات واسعة ونبغ كثير من أئمة التربية في المانيا حتى جاءت سنة ١٨٧٠ فحارب الالمانيون الفرنسيين وكسروهم واخذوا منهم الالزاس واللورين ولكنهم في الحقيقة لم يأخذوا هاتين المقاطعتين في ساحة القتال . بل اكتسبوهما في المدرسة .

اني لا ارى ان حالتنا الحاضرة تسمح لنا بمجاراة المانيا او السويد مثلا في برامج مدارسها الاولية اذ هذا يحتاج لمال اكثر مما يمكننا تقديمه الآن—وعدد من المدرسين الاكفاء لا يمكننا الحصول عليه الا بعد بضع سنين

فارى ان نتبع الخطة الطبيعية ونبدأ صغاراً ثم نرتقي مع الزمن وبعد التجارب ارانى مقتنعاً بنشر التعليم بواسطة الكتاتيب في الوقت الحاضر فان المال الذي تحتاجه مثل هذه المعاهد قليل ومدارس معلمي الكتاتيب التي اخذت تنتشر في القطر كفيلة بتخريج العدد الكافي من المدرسين ما بين فقهاء وعرفاء فيجب علينا اذن ان يكون لدينا من الكتاتيب ما يفي بحاجة هذه الامة

ولتنفيذ ذلك يجب على كل فرد غني ان يساعد الحكومة في ايجاد مثل هذه المعاهد وزكاة المال التي هي ركن من اركان الاسلام والتي من اجلها حارب ابو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين من العرب هذه الزكاة كفيلة ببناء الكتاتيب

لذلك اقول ثانياً يجب على كل فرد غني منكم ومن جميع ابناء هذا القطر من حلفا الى البحر الابيض ان يقدم زكاة ماله لمواطنيه في شكل يفيد الجميع ولا ارى افيد من انشاء معاهد التعليم في الوقت الحاضر

ترمي التربية الحقة الى ثلاثة امور تهذيب الجسم والاخلاق والعقل . فالتربية الجسمية مهمة جداً اذ يترتب عليها تخريج رجال ونساء اشداء اقوياء يقدرون على القيام بواجباتهم المختلفة ولان العقل الحكيم في الجسم السليم

اريد ان ارى ابناء مصر في صحة تامة وعضل متين وقوام معتدل ودورة دموية منتظمة . .

اما التربية الاخلاقية فلا يشك احد في ضرورتها ووجوبها فبها وحدها يتعلم الشعب الصدق والامانة والوفاء بالوعد والاخلاص وآداب الزيارة والاكل والطريق واحترام الغير وغير ذلك

وبها وحدها تقل الجرائم على اختلاف انواعها كالسرقة والقتل وكثير من المحرمات والمنكرات

وبالتربية العقلية تهذب قوى العقل المختلفة ما بين ملاحظة وحفظ وذكر وتخيل وتفكر وبرهنة وحكم وقياس

فللعمل بموجب هذا التقسيم اقترح ان يكون برنامج التعليم بالكتاتيب كالآتي :

اولاً قراءة وكتابة ومبادئ اللغة العربية اذ هذه هي الواسطة الوحيدة للوقوف علي ما يجري من الحوادث في العالم علي وجه عام وبالوطن على وجه خاص . وبالكتابة تدون الكتب والتواريخ وهي الواسطة في المراسلة

ثانياً حساب . حتى يعرف الشخص دخله ومصروفه ويعرف معنى التوفير والاقتصاد في المصروف ويعرف التاجر لدفاتره معنى والمزارع يدرك قيمة محصوله من القطن بالقنطار والجنيه

ثالثاً دروس الاشياء . وتنتخب الموضوعات من الاشياء التي تحيط بالكتاب فان كان في القرى وجب ان تكون اكثر الموضوعات زراعية وان كان بالمدن تحتم ان يكون اغلبها صناعية ودروس الاشياء عظيمة الفائدة جداً اذ انها تفتق الذهن وتدعو الطالب الى ملاحظة ما يحيط به فضلاً عن كونها تعطيه معلومات مفيدة عما يحيط به من مزروعات او مصنوعات

رابعاً الخط . كي يتعود الطالب تحسين خطه ولا ارى ضرورة أبداً لتعليم الخط الثلث بمثل هذه المعاهد

خامساً الاخلاق . وارى ان يكون اساسها القرآن . وذلك انه متى كان الدرس على احترام الوالد مثلاً وجب على المعلم ان يستشهد بالآيات الكريمة التي تأمر بذلك وهكذا في الاخلاق الاخرى

ولسنا في حاجة لان ندرس القرآن الشريف باجمعه لمثل هؤلاء التلاميذ بل يكفي منه ما يتعلق بقواعد الدين والمعاملات المختلفة وذلك هو الجزء الذي يستظهر ويلاحظ في انتخاب الآيات الشريفة احتياجات التلاميذ — فلا ضرورة لاعطائهم شيئاً عن الزواج والطلاق مثلاً في سنيهم الاولى بل هم في حاجة لمعرفة قيمة الصدق واحترام الوالدين وطاعة الله ورسوله

وارى ان لا يكون العمل العقلي بالكتاتيب الا في الصباح فقط وبعد الظهر يتعلم التلاميذ اشغالاً يدوية — ففي القرى يتمرنون على الفلاحة وفي المدن يتعلمون مبادئ احدى الصنائع

اما البنات فيجب ان يتعلمن الطباخة والاشغال اليدوية ومبادئ الاقتصاد المنزلي عامة . يجب الاهتمام بتعليم الفتاة اذ انها ستكون أماً في المستقبل فيجب ان نعدها لان تكون أماً صالحة . يجب ان نعلمها ونربيها التربية الحسنة حتى تقدر هي على تربية

ابنائها الصغار قبل دخولهم المدرسة

ارسلتني الحكومة المصرية لدراسة الاشغال اليدوية ببلاد السويد في صيف سنة ١٩٠٣ فدرست ما يتعلق منها بالتجارة عَلَى وجه خاص ثم بدأت اطوف البلاد السويدية لارى نظامات التعليم بها واكتب تقريراً عنها فزرت ذات يوم مدرسة للبنات في استوكهلم وكانت من ارقى مدارس البنات التي رأيتها في سياحاتي باوربا

كان لتلك المدرسة مطبخ بالقرب منها تتعلم فيه البنات الطبخ فيذهب عشرون منهن كل صباح عَلَى التناوب ويطبخن الطعام تحت مراقبة ثلاث معلمات متخصصات بهذا الفن وكانت كل فتاة مرتدية بالثياب الخاصة بالطباخات فوطة بيضاء طويلة عَلَى صدرها وقبعة صغيرة من التيل الابيض فوق شعرها

وبجوار ذلك المطبخ قاعة كبيرة للاكل وبالقرب منها مصنع للاعمال اليدوية للذكور الفقراء الذين لا تقل سنهم عن اثنتي عشرة ولا تزيد عن ست عشرة . وكان هؤلاء الاولاد غالباً من المتشردين في الشوارع يؤتى بهم اما برضاهم او بواسطة البوليس كي يتعلموا صناعة . والصنائع التي كانت تدرس بذلك المصنع هي النجارة والحدادة وعمل الاحذية والفرش سواء كانت للشعر اوللملابس او غير ذلك

تطبخ البنات الطعام وتحضره للغذاء في قاعة الاكل وترتب الموائد وتقف في خدمة من يحضر لتناول ذلك الغذاء — اما الآكلون فكانوا تلاميذ ذلك المصنع المجاور — يأكلون بلاثمن ويخدمون بلااجر وبعدذلك يذهبون لصنعهم لمباشرة اعمالهم — وما يخرجونه من اثاث او فرش او غير ذلك يتهافت الناس عَلَى شرائه حباً في مساعدة ذلك المعهد والثمن يكفي للامور الآتية :

(١) شراء ما يلزم المطبخ من سمن وخضر ولحم ووقود ورواتب معلمات الطباخة

(٢) شراء ما يلزم للمصنع من خشب وحديد وشعر وجلد ومشاهرات معلمي الصنائع

(٣) يبقى احتياطي يعطى منه ١٠ جنيهات بصفة مكافأة لكل تلميذ اقام سنتين بالمصنع واتقن صناعة ما وحسنت في حقه الشهادة — يعطى ذلك المبلغ مساعدة له في الشروع في فتح دكان للنجارة او الحدادة او غيرهما حتى لا يعود كما كان متشرداً بالشوارع

وكنت عند زيارتي لذلك المعهد اتباحث مع مديره في فوائده . فبعد ان ذكرت له ما تراءى لي من تلك الفوائد قال لي : « فاتتك فائدة كبيرة فانك تعلم ان التعلم

ببلاد السويد اجباري مجاني من زمن مديد فابناؤنا متعلمون وخدمتنا متعلمون فالجو الادبي في منزلي نقي طاهر والجو في المدرسة كذلك نقي طاهر — فاذا خفت على آداب ولدي مثلا فلا اخاف الا من الشارع حيث المتشردون — فهذا المصنع وامثاله يجمع المتشردين من الطرقات وبذلك يصير جميع جو المدينة نقياً طاهراً لا تسمع فيه لفظاً واحداً يمس شعورك اذ تشمئز منه نفسك وقد جرت لي حادثة اثناء وجودي بقاعة الطعام — وذلك انني رأيت فتاة تبلغ من السن نحو الرابعة عشرة ذهبية الشعر زرقاء العينين معتدلة القوام بيدها ممسحة بيضاء تنظف بها اواني الاكل وادواته قبل تقديمه للاولاد — فذهبت لمحادثتها كي اعرف ان كانت تخدم هؤلاء المتشردين اضطراراً وخضوعاً لامر مدرستها ام ماذا ؟

وقلت لها امثلك انت يخدم هذا المتشرد القذر ؟ فرفعت عينيها الزرقاوين وهزت رأسها في وجهي وقالت بعظمة وربما كان باحتقار لي: (Ar han intcsvenok!) ومعناها بالعربية اما هو سويدي فشعرت بارتياح وادركت ان هذه الفتاة الجميلة تخدم هذا الولد القذر طوعاً لا كرهاً — تخدمه لانه سويدي وهي سويدية

في تلك اللحظة قرب مني مدير المصنع واظهر اهتماماً زائداً بمحادثتي الفتاة ولما انتهيت أخذني على انفراد وقال لي أتعلم من اخترت لتوجيه سؤالك. قلت: لا قال هذه حفيدة الملك — حفيدة الملك اوسكار — فدهشت دهشة شديدة ثم أفقت لنفسي مسرعاً وقلت له: ان هي الا برهان حي على تأثير حسن التربية فالتربية الحقة تلطف الشعور التربية الحقة تقرب القلوب بعضها من بعض تغرس في القلوب حب الوطن والمواطنين

قررت انكلترا ان يكون التعليم الاجباري من سن الخامسة الى الرابعة عشرة ولكن المانيا والسويد قررتاه من السادسة الى الرابعة عشرة فكأن الممالك الثلاث اتحدت في تحديد نهاية التعليم الاجباري ولكنها اختلفت في سن الابتداء وعندي ان يعمل بموجب نظام المانيا والسويد اذ يجب ان يترك الطفل عدداً من السنين يرتع ويجري ويلعب ويقوى جسمه قبل دخوله في مضمار التعليم حتى يكون له من الجسم وصحة المخ ما يضمن له قيامه باعماله العقلية بدون تأثير في جسمه او اضعاف لمخه كما يحصل كثيراً للمحترفين بمهن عقلية محضة — فمن رأيي اذن ان يكون التعليم الاجباري بهذا القطر من سن السادسة الى الرابعة عشرة

يقضي الطفل الثلاث السنوات الاولى بالكتاب وبعد ذلك يجب ان ينتقل الى

المدرسة الابتدائية فيمضي بها خمس سنوات ويجب ان يكون برنامج المدارس الابتدائية على طراز يؤهل التلميذ للانخراط في سلك المدارس الثانوية اذا اراد ان يشمل برنامجها شيئاً من الصناعة والزراعة ولذا يجب ان لا يشتغل تلاميذ هذه المدارس بالمواد العقلية الا في الصباح

فمتى اجتمع هذان الشرطان امكن التلميذ دخول المدارس الثانوية ومنها الى المدارس العالية او الجامعة

اما اذا كان برنامجها لا يؤهل التلميذ لدخول المدارس الثانوية فنكون كأننا اغلقنا باب التعليم في وجهه عقب انتهائه من دور التعليم الابتدائي وبذا نكون قد اتينا جرماً لا يغتفر

هذا فيما يخص طالبي التعليم المجاني . اما الاغنياء فعندي انه يجب ان يكون نظام تعليمهم كالآتي مدارس بساتين الاطفال او الكندر جارتن . كما سماها موجدها فردريك فروبل الالماني . وهي مدارس لصغار الاطفال من سن الرابعة الى الثامنة تقريباً وفيها ينظر للطفل كالو كان نباتاً صغيراً يقوم بحسن العناية والمدرسة هي في هذه الحال بستان والبستان هي المدرسة اذدلت التجارب على ان النساء وحدهن هن القادرات على ادارة مثل تلك المدارس—فيربى الطفل في هذه المعاهد من الوجوه الثلاثة الجسمية والادبية والعقلية

وبعد ان يخرج الطفل من بستان الاطفال يجب ان ينتقل الى مدرسة ابتدائية تؤهله للمدارس الثانوية ومنها ينتقل الى المدارس العالية او الجامعات

اما الاختصاص في دراسة الزراعة او الصناعة فيجب ان لا يأتي الا بعد التعليمين الاولي والابتدائي على الاقل حتى تضمن لذلك المزارع او الصانع مقداراً وافياً من الذكاء يؤهله للقيام باعماله بفكر وروية

اما في الوقت الحاضر الذي يكثر فيه عدد الاميين من البالغين الراشدين فيجب ان نعمل عملاً آخر بجانب عملنا الخاص بالاطفال . يجب ان نسرع في اعطاء هؤلاء المساكين شطراً من التعليم يساعدهم على ترقية احوالهم ويمكنهم من ان يكونوا اعضاء عاملين في المجتمع الانساني بالمعنى الحقيقي .

السينماتوغراف الناطق

اختراع جديد لاديسون لم ينجزه بعد وانما اجرى بعض التجارب في نيو يورك فاتت بنتائج مؤملة ويرجو المخترع ان يتغلب على ما يعترضه من العقبات

لغة الاسبرانتو

وضعها ذاك الطبيب الروسي لتكون كما هو معلوم اللغة التي يتفاهم بها بنو البشر وهي تنتشر يوماً فيوماً فللجمعية الاسبرانتو الالمانية ١٩٢ فرعاً يبلغ عدد اعضائها ٦٠٠٠ وللجمعية البريطانية ١٣٠ شعبة يختلف اعضاؤها بين الاربعة والخمسة آلاف. اما فرنسا فقد سبقت عامة البلاد الى درس لغة الاسبرانتو ففيها ٢٤٠ جمعية اعضاؤها عشرة آلاف وعدد جمعيات هذه اللغة في العالم باسره يناهز الالف وستمائة

المؤتمر النسائي السادس

اجتمع في مدينة استوكهولم برئاسة العقيلة شبمان كات فافتتحت الحفلة بخطاب ذكرت فيه انضمام بلادين الى الاتحاد النسائي وهما سربيا وايسلاندا فبلغ مجموع البلاد المنضمة ٢٤ وقالت ان النساء في خلال سبع السنوات الاخيرة قربن من مطالبهن في خمس عشرة امة وفي هولاندة والسويس نلن حق الانتخاب لعضوية الكنائس وفي الدانمارك حزن حق التصويت في المجالس العامة وفي اوستراليا ونروج وفنلاندا وبعض اقسام اميركا الشمالية تعد النساء (منتخبات) وقد تألف عند انعقاد هذا المؤتمر جمعية للرجال الساعين في اسعاف النساء بمطالبهن

انتباه الصين

عين احد امراء الأسرة المالكة وزيراً فانتقد الناس تعيينه انتقاداً شديداً وقام الفوضويون يهددون حتى قال المارشال فوكي التتري انه يود الانتقام للاربعمائة مليون صيني الذين تظلمهم الاسرة المالكة. على ان الصحف الصينية تطري الامير الوزير لانه صرح ان الوطنيين في الحقوق سواء وقد صدرت الاوامر الى رجال السياسة والقنصليات ان يرتدوا بالملابس الاوروبية على بعض التغيير فيها واصبح رجال الصين يؤمون بلاد اوروبا لتلقي العلوم الحديثة ولم يكونوا يحبثونها قبل ثورة البوكسر سنة ١٩٠٠ وصدر الامر بتبديل الازياء على اثر ما كان من سخرية الاوروبيين بعظماء الصين الذين يشخصون الى ديار الغرب ولكن نهضة الصين ترافقها جميع معايب المدنية الحديثة فالمبارزة دخلت حديثاً للبلاد وشرع الفوضويون باستعمال الديناميت

حوض البحر الميت

يشغل البحر الميت مساحة ٩٢٦ كيلومتراً مربعاً ومياهه ملأى بالملح وقد كانوا يستخرجون من جنوبيه ايام عظمة بزنطية المرمر الثمين والرخام السماقي والكبريت

والنحاس والفحم والملح ومع هذه الثروة الطبيعية فقد اضرب القوم منذ عهد بعيد عن التعدين فيه حتى نال ملك الامتياز بذلك احد موظفي الاتراك وقد اوشك ان يتنازل عن حقوقه الى ماليين اميركيين لقاء مليون ونصف من الريالات

الموت جوعاً

دل الاحصاء الرسمي على النتيجة المحزنة الآتية وهي ان ١٩ شخصاً هلكوا في انكلترا جوعاً خلال سنة ١٩٠٩ ومنهم ٥٤ قضوا نحبهم في لندن عاصمة الدولة البريطانية واكبر مدن العالم فاعتقد الكثيرون ان هؤلاء البائسين لم تسعفهم الجمعيات الخيرية بشيء

العمال الليليون

من اغرب ما يشاهد في نيو يورك ان مائة وخمسين الف عامل يقومون بواجباتهم ليلاً وبينهم قواد الترامواي والحوذيون والوقادون ومستخدمو البريد والتلفون وغلمان المطاعم والمسارح فدار في خلد بعضهم ان ينشئ ملهى يشتغل من الساعة الواحدة بعد الظهر الى الرابعة والنصف لان معظم هؤلاء يودون ان يروا شيئاً من الملاهي عند افاقتهم الظهر قبل العودة الى اعمالهم فانشئ الملعب ونجح نجاحاً باهراً فاقتفى كثيرون اثر منشئيه وقاموا باعمال اخرى من القاء الخطب والمحاضرات والاجتماعات الدينية

الفنون في الدور الحجري

بينت الحفريات التي جرت سنة ١٨٧٥ في وادي الفيزير ان الانسان في الدور الحجري كان ماهراً في الفنون فقد استطاع ان يحفر على الحجر صور الحيوانات التي عاش بينها وفي الحفر دقة غريبة ومهارة معجبة وقد وجدوا اجمل تلك الرسوم في مغارة التاميرا فرأوا صور البقر والخيول الوحشية والخنازير البرية وقد رسمت بالتراب الاحمر والاسود في مظاهر مختلفة وبمهارة فنية مدهشة واكتشفوا رسوماً اخرى في كومبارلس وكلها تروق النظر بدقة صنعها ومن اجمل ممثلات الفن في العصور الحجرية الرسوم التي عثروا عليها في مغارة نيو فقد وجدوا الرسوم مخطوطة بالمراود بمزيج من الفحم واوكسيد المغنيزيا ورأوا في غيرها من المغاور رسوماً ونقوشاً ترد الى ما قبل العصر الحجري وقد نقشت على العظم والعاج ثم انحطت هذه الفنون في العصور التالية لاسباب لا تزال مجهولة

المناطيد في الحرب

يتوقعون ان يستخدموا المناطيد في اكتشاف مواضع العدو فتحقن بذلك دماء جنود الاستكشاف ويفضلون في هذه الخدمة الطيارات على المناطيد المسيرة وميزة هذه انها

تستطيع الوقوف على علو شاسع اذا كان الهواء صاحياً كما تتفحص الاراضي بدقة ويحاولون اليوم نقل الاثقال في المناطيد وقد استطاع المهندس بربكث ان ينقل ١٢ شخصاً وزنهم ٦٣٣ كيلو

ان قطعاً معدنية صغيرة تزن احداها خمسة وعشرين غراماً إذا القيت من طيارة تجري عَلَى علو ١٣٠٠ متر بسرعة ٩٠ كيلو متراً تنفذ في الاجسام نفوذ قذائف البنادق وعشرة آلاف من هذه القطع لا تزن اكثر من ٢٥٠ كيلو

انتقال الطيور

عكف العلماء عَلَى دراسة هجرات الطيور وتمكنوا من معرفة أمور عنها عَلَى انها لا تزال محاطة بالاسرار الغامضة فلم يستطيعوا ان يفسروا كيف يجتاز بعض انواع الطيور ٣٨٥٠ كيلومتراً فيعبر الاوقيانوس الى جزائرها واي وكيف ينتقل سنونو البحر كل سنة من اقاصي الشمال الى البلاد التي حول البحر المتوسط فيقطع في ذهابه وايابه نحو ٣٥٠٠٠ كيلومتر وقد ابدى احد العلماء ملاحظات غريبة بهذا الصدد فقال: ان هجرات الطيور بدأت بمسافات قصيرة فازدادت الارض وكانت المسافة تبعد كلما جربت تجربة عند ما عرفت الطيور مزايا الهجرة التي اعتادتها . اما المسالك الهوائية التي ينتخبها النازحون فلم يقروا عليها الا بعد ان اثبت لهم الاختبار انها امثل الطرق الى اماكنهم الصيفية او الشتوية والمزية التي جعلتهم يؤثرون تلك السبل على سواها هي انهم يجدون فيها الغذاء الكافي اثناء رحلاتهم غير مراعين في ذلك طول الطريق وقصرها قال فالقمري ذو الرأس الاسود يمعن في جنوبي الولايات المتحدة عند نهاية نيسان حتى يبلغ المكسيك ويرافقه في رحلته السنونو الاميركي وفي ايار يعود الى الشمال في طرق اخرى فيتدرج قسم القمري نحو الاسكا توا ًيتخطف السنونو الى كريتلاندا فتزيد مسافة ما يجتازه ٣٢٠٠ كيلومتر ويتفوت في رحلته بما يعرض له من الهوام الطيارة

بحيرة تشاد

ليس لهذه البحيرة الافريقية التي يكثر الجغرافيون من وصفها مزايا غيرها من البحيرات فقد قررت بعثة بتلهو انها اشبه بمستنقع قليل العمق يمتد عَلَى مسافة واسعة ويختلف مقدار مياهه باختلاف الفصول وكمية الامطار ومياه تشاد نقية تقل فيها كلورات الصوديوم مما يدل عَلَى وجود مصرف خفي لها تحت الارض وقد اكتشفوا بحيرة اخرى جفت مياهها وكانت قبلاً بمثابة مصب لبحيرة تشاد واقعة عَلَى بعد ٤٠٠ كيلومتر الى الجنوب الغربي ويزعمون ان هذه البحيرة كانت احدى موارد النيل

غدائر الصينيين

كان الصينيون يفاخرون بذوائبهم المسدلة على ظهورهم حتى دخلت بلادهم المدنية الحديثة فشرعوا يجزونها ولهذا التبديل نتائج اقتصادية واجتماعية خطيرة الشأن فان الصيني كان يصرف على هندمة شعره خمس عشرة دقيقة في اليوم على الاقل واذا حسبنا ان الرجل يجب ان يدفع للمزين خمسة سانتيمات على الاقل عرفنا المبلغ الكبير الذي يقتصده الصينيون بالاقلاع عن تلك العادة ثم ان الذوائب تخلق الثوب الذي تسدل عليه فتقل مدة بقائه عشرة في المائة فاذا وفر الصيني على هذا الوجه عشرين سانتيماً في السنة اقتصدت الامة نحو مائة مليون فرنك سنوياً نضيف اليها ثمن اوقات الهندمة ونفقاتها فيبلغ المجموع بضع مئات ملايين من الفرنكات فجز الغدائر في الصين عمل اجتماعي اقتصادي تربح البلاد منه ارباحاً طائلة

مستقبل الكونفوشيوسية

ارتاح اليابانيون ارتياحاً شديداً الى تعاليم الديانة الكونفوشيوسية وفي جميع البلاد اليابانية الكبرى يلقون في فصلي الربيع والصيف محاضرات عن الفيلسوف الصيني العظيم فيأخذ الاساتذة البارعون يسردون فضائله ومزايا تعاليمه، وتلتف حولهم الجماهير الغفيرة تتلقى عنهم العقائد كما تلقاها اول اتباعه لم يطرأ عليها خلل ولا تحريف

تاريخ الملاحة

اسم الرجل الاول الذي ركب البحر غائب في ظلمات العصور ولكننا نعرف ان الانسان اقتحم البحر على جذع شجرة واستعان على التجذيف بغصن من غصونها ثم شرع بتجويف الجذع فبدأت الزوارق الحقيقية تطفو على وجه الغمر ثم استخدم الريح في تسيير السفن واقدم ما نعرف من السفن الشراعية مراكب البابليين التي اخترعتها مصر وفي مؤخرتها غرفة للربان على سطح مرتفع يمكن الربان من مراقبة السفينة ويأتي الفينيقيون بعد المصريين وقد نشروا تجارتهم البحرية في جميع سواحل البحر المتوسط وركب اليونانيون اللجج في القرن الثالث عشر قبل المسيح وفي مراكبهم الحربية كانت تقف المقاتلة على جسر طاف ثم تجيء المراكب الرومانية وقد اصبحت اشبه بقلاع تطفو على وجه اليم مزدانة بقطع من الرخام وتماثيل محفورة واصنام من البرونز وفيها المكاتب الواسعة على نحو ما كانت عليه سفن كاليغولا في سفراته على سواحل كامبانيا . ومراكب الفيكين صلب البناء قصدوا فيه الى مقاومة الامواج المتضاربة في بحور الشمال ولهذا بنى الفريد الكبير اسطولاً لانكلترا

عَلَى ذلك الطرز ولكن الملاحة الحديثة في تلك البلاد ترتقي الى عهد تيدورس واول باخرة اجتازت بحر الظلمات الاتلانتيك سنة ١٨١٩ بنيت في اميركا ودعيت سافانا ولكن الجمهور لم يرغب في ركوب السفن البخارية ولم تزل شكوكه ومخاوفه حتى كانت سنة ١٨٣٨ فاجتازت الاتلانتيك اربع سفن تجارية كبرى بدون مساعدة القلوع

اسنان من خشب

اخترعها احد اطباء اليابان لتقوم مقام العاجية وغيرها ولا يزال فيها بعض الخلل غير ان المخترع يرجو ان يتداركه

الميجين العام

شرع الصينيون يفكرون في حفظ الصحة فاتخذت مراكز الامبراطورية الوسائل الفعالة لمقاومة الطاعون وأنشئت في البلاد الادارات الصحية

جامعة باريز

يزداد عدد الطلاب في هذه الجامعة سنة فسنة وعدد الاجانب فيها يقارب عدد الفرنساويين ففي قسم الآداب يوجد ٨٠٠ اجنبي و ١١٤٧ فرنسويًا وفي قسم الطب ٣٥٠ اجنبيًا و ٣١٨ فرنساويًا ومجموع طلبتها ٢١٢١

موسيقى المستشفيات

أُنشئت في باريز موسيقى خاصة بالمستشفيات تعزف لتسلية المرضى ولا سيما الناقهين منهم فأتت بنتائج حسنة حملت جميع البلاد عَلَى اقتفاء اثر فرنسا في هذا الصدد فتألفت موسيقى من نوعها في بطرسبورج عاصمة البلاد الروسية

الاتومو بيل في المانيا

نجحت صناعة الاتومو بيل في المانيا نجاحًا باهرًا فزاد عدد معاملها من ١٥ الى ٥٨ في بضع سنوات وارتقى ثمن المصنوعات من ستة ملايين مارك الى ثمانين مليونًا

قوة الولايات المتحدة

بات حديث الحرب شائعًا في جميع انحاء الولايات المتحدة وشرعوا يتداولون عن مبلغ قوتها ابان الحرب فكتب كاتب اميركي يقول : عندنا جيش منتظم ففي زمن الحرب نجهز الميليس والمتطوعين فيستدعي الاولين رئيس الجمهورية على ان الآخرين لايجتمعون الا بعد قرار المجلس والميليس انفسهم ينقسمون الى قسمين الحرس الوطني وغير المنظم ولنا حسب تقرير سنة ١٩١٠ جيش فيه ٨٥٣٩٢ جنديًا وضابطًا وليس لنا من فرق

الخفر سوى فرقة المدفعية الساحلية والتابور يؤلف من ٨٠٠ الى الف رجل فيهم المشاة والمدفعية والفرسان وليس عندنا في زمن السلم سوى ٣٤٤٥٦ جندياً وضابطاً وينبغي لنا ان نجند ٧٠٠٠ آخرين ليكونوا قوة سيارة ومعظم ما يبلغه عدد المليشيا المنظم ١١٩٠٠٠ بين جندي وضابط اما سائره فلا يعول عليه في غمرات الحرب واذا ضممنا اليهم المتطوعة بلغ عدد جيشنا ٢٣٤٠٠٠ تملك ٥٣٢ مدفعاً . يقولون ان الحاجة تسن الشريعة فعلينا ان نحشد الجيوش وندعو الامة لحمل السلاح وفي الولايات المتحدة ١٦ مليوناً من الرجال تختلف اعمارهم بين ١٨ و ٤٥ فاذا دعي نصف هؤلاء للتدرب كان لنا جيش يبلغ الثمانية ملايين يذود عن بلادنا غارات الاعداء ولا ينكر ان موانئنا محصنة ولكن تنقصها الذخائر والمؤن

جنازات المصريين

كان قدماء المصريين في عهد الفراعنة يعتقدون ان الاموات يعبرون الى ما وراء جبال ليبيا حيث تموت الشمس في المساء لتبعث في اليوم التالي فكانوا يشيدون اضرحتهم في الغرب ويحسبون ان الاموات ينزلون سهل عيرو وفي احدى اوراق البردي المكتشفة رسم الشعائر الدينية التي قاموا بها في جنازة احدى السيدات وكانوا يجاكمون الميت محاكمة عثروا على صورتها في ورقة اخرى ويبحثون عن نفس الاموات

التلفون في الابعاد الشاسعة

تقدمت المراسلات التلفونية تقدماً غير منتظر ونجح المكتشفون بنقل الاصوات في الابعاد الشاسعة فمدوا اسلاكاً تحت البحر بين ابونس كليف قرب دوفر في انكلترا ورأس كريته في فرنسا وقد توفرت في الاسلاك جميع الشروط المطلوبة حتى انها فاقت عامة الجهازات المستعملة للمخاطبة عن بعد سحيق ويمكن استعمالها بين محطات لا تتجاوز المسافة بينها الفاً وخمسمائة كيلومتر ويعتقدون انهم يستطيعون ان يصلوا بين لوندرا واستراخان بالتلفون فيجتاز مدن اوربا كافة ويؤكد المهندس الانكليزي انه بعد عشر سنوات تقدر شيكاغو ان تخاطب بطرسبرج وشركات التلغراف والتلفون في اميركا ترى انها بالغة يوماً يتسنى لها فيه الوصل بين شرقي الولايات المتحدة وغربيها باسلاك التليفون وتعلن انه قبل انقضاء هذه السنة يتم معظم المشروع ويسود في نيويورك ولوندرا اعتقاد بان الاكتشافات الكهربائية ستجعل المخاطبة التليفونية ممكنة بين اي نقطة وثبت اليوم ان الاصوات المنقولة بالجهازات الحديثة تسمع بوضوح وجلاء

وعرفوا من التجارب ان ليس ثمت من فائدة في تغليف الاسلاك بالمطاط اذا لم يكن منه اضرار وفي التليفون اسرار لا تنكشف الا تدريجاً كما هي الحال في التلغراف والفونغراف والنور الكهربائي ومحركات البخار وتوفر العمال على الاتقان بذلل كل يوم عقبات جمة حتى لنستطيع القول مع نابليون ان العالم ليس لديه مستحيل

باريز ميناء بحرية

يفكرون اليوم بحفر قناة بين باريز والاوقيانوس ويقدرون نفقاتها بنحو اربعمائة مليون فرنك ويبالغون في منزلة هذه القناة الاقتصادية والحربية غير ان باخرة واحدة تغرق فيها ايام الحرب تسدها وتجعل المرور فيها مستحيلاً والقائلون بالمشروع يهيجون رغبة الناس اليه ويضربون الامثلة ان انكلترا حفرت قناة مانشستر والمانيا قناة كيال وان بلجيكا تدأب لتحول عاصمتها بروكسل الى فرضة بحرية . ولكن هذه الاقنية الاجنبية لم تكن للدول مورد غنم وفائدة لأن ارباحها ضئيلة جداً مقابل نفقاتها الفاحشة

المرض في روسيا

نشر احد الاساتذة في الاكاديمية الطبية احصاء للامراض التي تنتاب الروسيين جاء فيه انه يمرض كل سنة منهم ١٧ مليوناً اي واحد في السبعة ويحدث مليون وخمسمائة الف وفاة . اما الاصابات فمنها ستة ملايين بالامراض السارية يتوفى منها ١٢٠٠٠٠٠ واشد تلك الامراض فتكاً الجرب والملاريا والسل الرئوي وحمى التيفوس

التعليم في نروج

سنة ١٨٨٥ انشيء في نروج جامعة للفعلة مدت فروعها في البلاد منذ ذلك الحين فاصبح لها سبعون شعبة ونظارة المعارف تساعد هذه الجامعة والفعلة المتخرجون فيها يتعهدونها بالهبات والاعطيات ويبلغ عدد الحضور في جامعة كريستيانيا ٤٢٠٠٠ وهو عدد مفرط الكثرة بالنسبة لعدد الشعب وفي هذه الجامعات مكاتب للمطالعة ومعامل من الطراز الاول

الجامعات في الدانيمارك

الدانيمارك بلاد زراعية رأى النابغون من ابنائها ان يتلطفوا بنشر المعارف في امتهم فانشأوا الجامعات الوطنية تلقي دروسها في الشتاء فقط اذ لا يكون للزارع وقتئذ ما يجب عليه عمله

فيجتمع اليها الوف من فتيان الدانياركيين ومزارعيهم ممن يعملون صيفاً في الحقول

والمزارع فيقبلون عَلَى الطلب و يتلقون الدروس في معاهد تقوم بها جمعيات مختلفة تمدها الحكومة بالمال

و يقصدون من هذه الدروس الى تعريف العامل بوسائل تحسين الزراعة فيدرسونه الكيمياء والزراعة عَلَى الاصول الحديثة و يزودونه بالمعارف التي تفيده في حياته ولا يهملون فيها التهذيب العام

المدرسة الافرنسية في بطرسبرج

تسعى فرنسا لنشر تهذيبها في العالم باسره فهي لم تكتف بمن يفد عليها من الطلبة الاجانب بل عمدت الى نشر مدارسها في البلاد فانشأت مدرسة فلورنسة واخرى في مدريد وسيؤسس لها مثيل في بطرسبرج عاصمة الروس وقد قال احد كبار الفرنساويين «ان وجود مثل هذه المدرسة في عاصمة شعب يبلغ عدده ١٦٠ مليونًا شديد الارتباط بالشعب الفرنساوي يكون له نتائج جلى» فاصغت امته الى قوله ولا يلبث المشروع ان يتحقق

دور المطالعة في اميركا

سبقت اميركا سائر البلاد في انشاء هذه الدور وتألفت الجمعيات للاكثار منها. وعقد مؤتمر لها في فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ قرر ان تنشر دور المطالعة في عرض البلاد وطولها لتهذيب الشبان والعمال وكانوا لا يسمحون بدخولها الا لمن ناهز الثامنة عشرة من عمره ثم خفضوا ذلك الى الثانية عشرة فالعاشرة فالثامنة وقيمو تلك الدور مكلفون بارشاد الاطفال الى مطالعة الكتب الاغزر فائدة لهم وقد يجيئهم الطفل طالبًا كتاب قصص عن ذوي الجلود الحمراء فلا يزالون به حتى يطلب كتابًا اوفر نفعًا واجزل عائدة. ولم تكتف الجمعيات بذلك بل انشأت مستودعات للكتب في الحارات المختلفة قائلة يجب علينا ان نسير الى الفتيان والفتيات ولا ننتظر مجيئهم الينا . وارادت المدرسين عَلَى تسهيل المطالعة للطلاب باعارتهم الكتب التي يرغبون فيها او بانشاء مكاتب صغيرة للمطالعة في مدارسهم . وما ازدهرت هذه المكاتب الا بفضل المتبرعين لها من انصار العلم والانسانية والباذلين في سبيلها مبالغ جسيمة وحسبك هبات كارنجي وغيره من كبار الاغنياء دليلاً عَلَى ما نقول و بنوا لمن بلغوا اشدهم مكاتب فيها جميع المجلات والصحف الصادرة في ذلك اليوم فيجيئها الشبان في اول امرهم لمطالعة هاتيك الوريقات ثم يألفون المطالعة رويداً رويداً فيتشوقون الى قراءة المصنفات الجامعة الممتعة . وفي مدارس

الشعب مكاتب عامة خدمت التهذيب العام اجل خدمة وعملت على ترقية روح الشعب .
قلنا ان اغنياء الاميركيين تعهدوا تلك الدور بالهبات الطائلة ولقد انشأ المستر اندروكارنجي الغني المشهور الفاً وثمانمائة مكتبة انفق عليها ٥١ مليون دولار ونيفاً وكلها في البلاد التي يتكلمون فيها باللغة الانكليزية فهي منتشرة في الولايات المتحدة وكندا وانكلترا و بلاد الغال وايرلندا وايكوسيا وز يلاندا الجديدة والهند الغربية الانكليزية واوستراليا وتسمانيا وافريقية الجنوبية وغيرها

مخطوطات ومطبوعات

توجيه النظر الى علم الاثر

تأليف الشيخ طاهر الجزائري طبع بالمطبعة الجمالية بمصر على نفقة احمد افندي ناجي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي واخيه ص ٤٢٠

اعتاد استاذنا مؤلف هذا الكتاب ان يضع تآليفه في اكثر العلوم المختلفة التي هو امامها المحقق بحسب المناسبات فبينا تراه يؤلف كتاباً في البيان اذا هو ينظم بديعية و يشرحها و بينا هو يؤلف كتاباً في الطبيعيات اذا هو يكتب كتاباً في قصص الانبياء وفيه رد على من طعن بالاسلام فتارة يؤلف في العقائد واخرى في النحو وطوراً في الخطوط واحياناً في الحساب والمساحة ثم تراه يشرح رسائل ابن نباتة و يودعها من دقيق الابحاث ما ينفع و يلذ ثم يكتب كتاباً في الالغاز والاحاجي وآخر في الادب ثم في اللغة ثم في التاريخ ثم في التفسير وآخر كتبه هذا المصنف الجليل الفه على غير مثال احتذاه وان كان المؤلف الامام لا يسير خطوة بدون الاحالة الى كتب الائمة واستخراج درر بحورهم والانتفاع بعلومهم . لا نعلم اليوم عالماً من علماء الاسلام جمع فاوعى في الفنون المختلفة مثل هذا المؤلف واجاد كل الاجادة فيما ألف واختار المناسبات لاظهار مارزق من علم وفضل تجارب . وقد وصف كتابه الاخير في سطر فقال : « اما بعد فهذه فصول جليلة المقدار ينتفع بها المطالع في كتب الحديث وكتب السير والاخبار واكثرها منقول من كتب اصول الفقه واصول الحديث » ولكن ما نقله الاستاذ لا يسهل على كل عالم ان يظفر به دع عنك من دون درجة العلماء وقد ضمنه انفع ما وقع عليه في

ابحاثه وما اطلع عليه من كتب السلف ومن اهم ما قرأنا فيه مقالة في الخط العربي والحركات العربية ما نظن عالماً شرقياً او غربياً يكشف مابدائيها في التحقيق والجمع باطراف هذه المسألة مما دل على بعد غور العلامة المؤلف واصلاحه الشديد في خدمة العلم امتع الله الاندية العلمية بثمرات فضله

المجازات النبوية

للشريف الموسوي السيد الرضي طبع بمطبعة الآداب في بغداد على نفقة سيد حسن صدر الدين ص ٢٨٧

كتاب جليل يشتمل على مجازات الآثار النبوية وفيها كثير من الاستعارات البديعة ولمع البيان الغريبة واسرار اللغة اللطيفة وهو من افيد ما احيي من آثار السلف قدم الطابع امام الكتاب ترجمة مؤلفه وناهيك به من حبر كبير من احبار الاسلام وبحر من بحور العلم والعرفان . وكنا نود لو عني الطابع بتصحيح الكتاب على احد علماء العرب في العراق ليكمل تأليفاً ووضعاً وطبعاً وشكلاً وعلى كل فله من الآداب الثناء

تاريخ التمدن الاسلامي

تأليف جرجي افندي زيدان نقله الى التركية زكي بك مغامز طبع بمطبعة قناعت في الاستانة سنة ١٣٢٩

نشر المترجم وهو من الكتاب المجيدين بالعربية والتركية ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي وسماه « مدنيت اسلاميه تاريخي » عني بنقله طبق الاصل بحيث لا يشعر قارئه باللسان العثماني انه مترجم و يوقن من قرأه بالعربيــة اولاً ثم قرأه بالتركية ان المترجم استعمل غاية الامانة في نقله فاستحق ثناء الآداب العربية ونفع بما نشر مكاتب اللغة العثمانية . وقد نشر منه حتى الآن ثلاثة اجزاء وبقي عليه الجزآن الاخيران

كتب مختلفة

رحلة قيصر افندي صباغ وقرينته العقيلة نجلا (مطران) صباغ بين الولايات المتحدة الاميركية وسورية ولبنان طبعت بالمطبعة الادبية في بيروت

العبر — نظمها ميخائيل افندي الصقال بعد حوادث سنة ١٩٠٩ في انطاكية وغيرها من بلاد قيليقية طبعت بحلب في المطبعة المارونية

صحيفة الوجدان — هي شذرات من منظومات محمود رمزي افندي نظيم من ناشئة شعراء مصر في موضوع التربية والاجتماع وتربية النساء

سمير الليالي — الجزء الثاني مصدر الغرائب الزمانية في اشهر الحوادث التاريخية تأليف محمد امين افندي الصوفي السكري طبع بمطبعة البلاغة بطرابلس الشام على نفقة المكتبة الرفاعية

ارجوزة في علم القيافة — للشيخ محمد امين العمري المتوفى سنة ١٢٠٤ طبعت بمطبعة دار السلام ببغداد

تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين للشيخ عبد العزيز البداح الكويتي طبعت بمطبعة دار السلام في بغداد

منظومات جميل افندي الشطي الدمشقي نظمها في اغراض مختلفة ومنها الاجتماعي طبعت بمطبعة الانصاف بدمشق

ثلاث مجلات

كان الشهر الماضي من ابرك الشهور على الآداب العربية في مصر والشام والعراق نشأت للغة العربية في هذه الاقطار ثلاث مجلات رائقة نشرها اربابها عن كفاءة بعد التخرج في الموضوعات التي عانوها سنين فجاءت مجلاتهم ناضجة في الجملة من اول صدورها فالمجلة الاولى صدرت بالقاهرة اسمها « البيان » وهي تبحث في الادب والتاريخ والفلسفة والاخلاق والتربية والاجتماع والنقد والروايات والصحة وتدبير المنزل وتعنى بنشر آثار الغرب وآثار العرب لمنشئيها الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ومحمد افندي السباعي وهي شهرية في ٨٠ صفحة واشتراكها السنوي ٥٠ قرشاً مصرياً ٠ والمجلة الثانية « مجلة الآثار » وهي عامة المباحث شهرية تصدر عن زحلة في لبنان لمنشئها عيسى افندي اسكندر المعلوف واشتراكها في البلاد العثمانية ريال مجيدي ونصف وفي غيرها عشرة فرنكات وهي شهرية في ٣٢ صفحة ٠ والمجلة الثالثة « لغة العرب » وهي شهرية ادبية علمية تاريخية لمنشئها في بغداد الاب انستاس ماري الكرملي واشتراكها في الديار العربية تسعة فرنكات وفي الديار الاجنبية اثنا عشر فرنكاً وعدد صفحاتها ٤٠ ٠ تصفحنا الاعداد الاول من هذه المجلات المتقنة فرأينا فيها ابحاثاً ممتعة وشذرات مفيدة تدل على بعد غور اصحابها العاملين الباحثين وادبهم وغيرتهم على نشر الفضائل والمعارف ولكل منها ميزة تختلف عن الاخرى وكلها متناسبة في التنسيق والجمع بين ما يروق الخاصة ولا يتبرم به العامة فعسى ان تجد هذه الصحف من الناطقين بالضاد ما تستحق من الاقبال ليزيد ذلك في نموها ويضمن لها البقاء حتى تضاهي اكبر المجلات الاوربية بعون الله

المقتبس

كتب اللغة الانتقادية

اختلط العرب بالاجانب بعد الفتح فأثر التياثهم بهؤلاء فيهم آثاراً اسبقها التأثير في لغتهم لان اللغة وهي آلة الترجمة والتفاهم اقرب الى الانفعال من الاخلاق والعادات بل هي المدخل الى انفعال الآداب ولنا من اهتمام الامم الحية بنشر لغاها دليل بات على ذلك ولا اريدهنا شياع الالفاظ الدخيلة(١) وتسربها الى العربية فان ذلك انما ظهر بعد تبسط الامة في العمران ولكن أريد بذلك اللحن الذي حدث بعد الفتح او في أخرياته والعرب عرب في ازيائهم واوضاعهم وشظفهم في المعيشة فقد بدأوا يلحنون في التراكيب ثم في المفردات وانتهى ذلك بوضع علمين علم يحفظ التراكيب عن الخطإ وهو النحو وآخر يحفظ المفردات الصحيحة وهو علم اللغة وابتدأ العلماء قبل عهد التدوين ينتقدون اللحن في محاوراتهم ثم دونت اللغة ودون في اثنائها فن يصح ان يسمى (اللغة الانتقادية) وهو فرع بمعنى خاص من علم اللغة تنتقد فيه المفردات المستعملة غلطاً في كلام الخاصة والعامة فيذكر فيه المصحف والمحرف والمقلوب والمستعمل في غير موضعه والمتغير وضع حركاته وسكناته وقد ألف في هذا الفن جماعة من اقدمهم ابو عبيدة

(١) شاع في العصر العباسي استعمال المعرب والمولد شيوع الاجنبي في هذه الايام وهذا هو القصد من نسبته لذلك العصر عصر تبسط الامة في العمران لا انه حدث فيه ابتداء فان كثيراً من الدخيل يرجع الى عهد احتكاك العرب بقدماء المصريين وبالفرس والهنود وغيرهم من الامم التي احتك العرب بها في الجاهلية فاقتبسوا عنها مفردات غير يسيرة

معمر بن المثنى اللغوي البصري المتوفى سنة ٢١١ وقيل قبل ذلك الف كتاب (ما تلحن فيه العامة) ولعله اول من كتب في هذا الشأن فاني لم أجد غيره ممن طرق هذا الباب الا اتى منه وللامام ابي بكر المازني المتوفى سنة ٢٤٨ كتاب بهذا الاسم ولابي حاتم سهل بن محمد السجستاني العالم الشهير المتوفى سنة ٢٥٥ وقيل قبل ذلك بقليل كتاب (لحن العامة) وبهذا الاسم كتاب لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٩٠ والف المفضل بن سلمة الفاضل الكوفي صاحب الاستدراك عَلَى العين وكان معاصراً للفراء ومنقطعاً للفتح بن خاقان كتاب (الفاخر) في لحن العامة و بهذا الاسم ايضاً كتاب في لحن العامة لابن البلخي وكان مستوفياً في بلخ عَلَى عهد السلطان محمد السلجوقي والف محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ كتاب (ما يلحن فيه عوام الاندلس) ولابي هلال العسكري صاحب كتاب (الصناعتين) المتوفى سنة ٣٩٥ كتاب (لحن الخاصة) والف ابن بافي محمد بن علي السبتي المتوفى سنة ٧٣٣ كتاباً في لحن العامة وفيه كتاب لابن هشام محمد بن احمد اللخمي المتوفى قبل الستمائة

وقد انتقد جماعة من اللغويين كتب آخرين منهم فمن الكتب المنتقدة وهي في موضوع انتقادي كتاب (درة الغواص في اوهام الخواص) وهو الكتاب المعروف لابي القاسم محمد بن عثمان الحريري البصري صاحب المقامات المتوفى سنة عشر وخمسمائة وقيل سنة ٥٤٦ وقد اعتنى به الادباء فحشاه وشرحه واختصره وزاد عليه ورده ونظمه جماعة منهم وممن شرحه شرحاً انتقادياً شهاب الدين الخفاجي المصري صاحب الديوان المعروف وابو الثناء الالوسي البغدادي صاحب (روح المعاني) وسمى شرحه (الطرة) وزاد عليه ابن منصور موهوب بن احمد الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ ملحقاً سماه التكملة واكن في لحن العامة وممن رد عليه ابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ ورد عَلَى الحريري في الدرة ايضاً ابو جعفر محمد بن عبدالله المكي اللغوي المتوفى سنة ٥٦٥

ومن العلماء النقادين ابو نعيم علي بن حمزة اللغوي البصري المتوفى سنة ٣٧٥ رد عَلَى ثعلب في الفصيح كما انتصر له ابن خالويه ولابي نعيم هذا ردود عَلَى جماعة من اللغويين وصنف ابو حاتم المروي كتاب (الرد عَلَى ابي عبيدة) في غريب القرآن ولعبدالسلام بن عبدالرحمن اللخمي الاشبيلي المتوفى سنة ٦٢٧ كتاب يرد به عَلَى ابن سيده صاحب المخصص المتوفى سنة ٤٥٨

ومن كتب اللغة المشهورة التي انتقدها العلماء كتاب (العين) الذي يقولون انه اول كتاب وضع في اللغة ولكنه لم يكمل واشتهر انه للخليل بن احمد الفراهيدي الامام الشهير المتوفى سنة ١٧٥ ولكن انكر العارفون انه له كما اجمعوا على تشويشه وسوء ترتيبه وتطرق الخطأ اليه فاشتغل جماعة بترتيبه وتهذيبه واختصاره واكماله وانتقاد الاغاليط التي جاءت فيه وممن انتقده محمد بن عبدالله الاسكافي احد اصحاب الصاحب بن عباد في كتاب جمع فيه كثيراً من اغلاط الادباء واختصره ابو بكر المازني واستدرك عليه المفضل بن سلمة والفت كتب كثيرة بشأنه وتوجد من كتاب (العين) نسخة على نقصها في بعض بيوت النجف خطها وورقها عاديان

ومن رجال الانتقاد في اللغة مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس فقد خطأ جماعة من اللغويين منهم احمد بن فارس القزويني اللغوي صاحب (المجمل) المتوفى سنة ٣٩٨ فان الفيروزبادي جمع عليه الف وهم في كتابه المعروف بالمجمل وذلك في كتاب مستقل وكتاب المجمل هذا يقع في جزئين كبيرين و يوجد جزؤه الاول عند احد الادباء في النجف مخطوطاً في القرن السادس على ما اظن ولا احفظ السنة و يوجد منه جزء في مكان آخر ولا اعلم أهو الاول ام الثاني وممن خطأه صاحب القاموس الامام ابو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري صاحب (الصحاح) المتوفى سنة ٣٩٣ فان من يتصفح القاموس يجد نسبة الوهم الى الجوهري في مواضع كثيرة منه والقاموس انما بني على انتقاد الصحاح والزيادة على ما فيه ثم ان الفيروزبادي يتحامى ابن فارس اكثر مما يتحاشا من الجوهري على ان صاحبي المجمل والصحاح متعاصران ولا يعلم ان الجوهري أجاد فيما كتب اكثر من ابن فارس ولكنه انما تناول الاول وحطمته لتوفر الناس على مطالعة كتابه واشتهاره اكثر من المجمل فنال غرضه وهو ان نبذ القراء الصحاح واقبلوا على القاموس وهو وان كان اوفر مادة الا انه اعجمي اللهجة ثقيل العبارة عكس الصحاح

وانتقد الصحاح جماعة غير الفيروزبادي منهم الامام ابو عبدالله ابن بري المتوفى سنة ٥٧٢ سمى كتابه (التنبيه والايضاح عما وقع من الوهم في كتاب الصحاح) والقاضي الاكرم علي بن يوسف القفطي مؤلف تاريخ النحاة [1] من علماء القرن السادس كتاب (اصلاح الخلل الواقع في الصحاح) والصفدي صاحب شرح لامية العجم المتوفى سنة

(١) لعله الحكماء

٧٥٧ كتاب (نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم) وقد انتصر للصحاح عَلَى القاموس جماعة منهم القاضي اويس بن محمد المتوفى سنة ١٠٣٧ في كتاب سماه (مرج البحرين) ومنهم ابوزيد عبدالرحمن بن عبدالعزيز نزيل مكة في كتاب سماه (الوشاح في رد توهيم المجد للصحاح) وقد اعتمد المؤلف في ردّه عَلَى مجمل ابن فارس ومختصر الدين الزبيدي وعَلَى نسخة من نهاية ابن الاثير بخط المصنف وعَلَى نسخة وقت له من الصحاح خالية من التصحيف والتحريف العارضين اللذين اوهما بعض المنتقدين فرد عَلَى الجوهري في بعض المواضع وقد احسن نصير الصحاح هذا في دفاعه ماشاء ولا يكاد يوجد هذا الكتاب الانتقادي على انه مطبوع وهو يقع في ١٣٤ صفحة متوسطة طبع سنة ١٢٨١ ببولاق بالمطبعة الكبرى الممتازة

وقد الف النقادون كتباً في الرد عَلَى القاموس نفسه منها كتاب (الدر اللقيط في اغلاط القاموس المحيط) لمحمد بن مصطفى الشهير بداود زاده المتوفى سنة ١٠١٧ ولدي كتاب (القول المأنوس في شرح مغلق القاموس) وهو تعليقة جمعها مؤلفها من حاشيتين احداهما لعبد الباسط سراج الدين البلقيني والاخرى لجمال الدين الشهير بسعدي الرومي والكتاب مبني على ايضاح بعض الجمل والمفردات وقد تذكر فيه مواضع الخلاف بين صاحب القاموس وصاحب الصحاح وغيره ويزاد عليه من المعاني في الصحاح ما قد اغفله الفيروزبادي وردت فيه بعض المواد التي ادعى اغفال الصحاح اياها الى نسخة من الصحاح مصححة وجدت تلك الالفاظ في هامشها وخط التعليقة حسن متأخر وورقها جيد مذهب وصفحاتها ١٤٦ ولا اعرف لها ثانية

وممن انتقد القاموس ورد عليه السيد علي خان صاحب (سلافة العصر) و (انوار الربيع) وهو احد اعلام الادب في القرن الحادي عشر فانه الف كتاباً ممتعاً في اللغة سماه (الطراز) ولكنه لم يتم ويوجد جزآن منه في بعض المكتبات الخاصة في النجف وسمعت صاحبه يقول انه تتبع سقطات صاحب القاموس كما تتبع هذا سقطات صاحب الصحاح فهو يقول ووهم (الفيروزبادي) كما يقول الفيروزبادي ووهم (الجوهري) وآخر من تجرد للرد على القاموس فيما اعلم المرحوم احمد فارس صاحب الجوائب وكتابه (الجاسوس) معروف عند المتأدبين وهو من احسن الكتب الانتقادية

ولما نهضت العربية في نشأتها الاخرى اثر بعد انتشار الصحف اخذ بعض الكاتبين ينتقد الالفاظ والاساليب العامية والركيكة المقتبسة من الاجانب ومن النادم جهاداً

في ذلك المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي فانه كتب في مجلة (الضياء) وفي غيرها فصولاً في الاصلاح اللغوي صحح فيها اغلاط الكتاب وانتقد لهجتهم ولكنه اخطأ في اشياء بنى على خطإ القوم فيها ولا يزال يجيء في الجرائد والمجلات شيء من الانتقاد اللغوي سواء كان ذلك على الكتب المؤلفة او في مقالات خصت بانتقاد اغاليط الكتابة العصرية والمقتبس هي المجلة التي تسير على هذا المبدإ الصحيح الذي يبشرنا بحياة جديدة لهذه اللغة التي امتهنها اهلوها وحمل الناس على اهانتها اقتعاد ابنائها غوارب الفرقة والجهالة

***

ومن الرسائل التي قرأتها في اللغة الانتقادية رسالتان وقفت عليهما في مجموعة ذات رسائل في موضوعات شتى واسم احداهما (سقطات العامة) وهي كراسة صغيرة مرتبة على حروف الهجاء وقد شذ منها بعض حروف الهمزة والرسالة غير منسوبة لاحد ولم اجدها في كشف الظنون الا ان لهجة كاتبها تدل على انه من المتأخرين والرسالة الثانية تقع في كراستين ونصف وهي كسابقتها مرتبة على الحروف لكنها خير منها واجمع انصع لفظاً وارصن تعبيراً ولم تنسب لمؤلف ايضاً وفي كثير من فصولها يذكر ما نصه (الزائد من كلام ابن الجوزي) ولعل هذا هو ابو الفرج عبد الرحمن صاحب كتاب (المدهش) الذي نشر المقتبس وصفه وخط الرسالتين سقيم حتى لا يكاد يقرأ هذا والى قراء المقتبس شيئاً مما جاء في سقطات العامة [1]

فصل الهمزة

مما جاء فيه (الايوان) بكسر اوله الصفة العظيمة والناس يفتحون همزته وهو لحن اذ هو لفظ عربي كالديوان ولكن يجوز الفتح في الديوان حكاه في القاموس

فصل الباء

مما فيه (البرية) بتشديد الراء الصحراء والجمع ابرار وتخفيف الناس راءها (عامة العراق تشددها اليوم) غلط اذ هي بالتخفيف من برأ الله الخلق اي خلقهم (البشارة) هي بالفتح بمعنى الجمال والاسم من البشرى بكسر الباء وضمها لا غير والناس (عامة العراق تسكن الباء) يفتحون الباء في الاسم من البشرى ومما منهم (الباكرة) هي من مخترعات

(١) يراد بالعامة احط طبقات الهيئة الاجتماعية في العلم والآداب والظاهر انه ينتقد لغة بلاد خاصة من بلاد العرب فان بعض اللحن لا يوجد في بعض الاقطار وان كان بعضه عاماً

العوام وليست من كلام العرب والصحيح البكر (بنيامين) هو كاسرافيل اخو يوسف عليه السلام ولا تقل (ابن يامين) وقد شاع بين الناس ابن يامين ظناً منهم انه لفظ عربي وليس كذلك بل هو اعجمي وهو غير الذي في معلقة طرفة (البلور) عَلَى وزن ثور وسنور معروف فكسر الباء مع ضم اللام عَلَى ما هو المشهور لحن

فصل التاء

مما جاء فيه (التوأمان) هذه اللفظة تثنية توأم يقال اتأمت المرأة فهي متئم اذا وضعت اثنين وغلط الناس انهم يستعملونه بمعنى (التوأم) اي المفرد (الترجمة) بفتح الجيم مصدر عَلَى وزن فعللة من ترجمه وترجم عنه اي فسر وما شاع بين الناس من ضم الجيم خطأ (الترجمان) يقولونه بفتح التاء وضم الجيم ولم يقل به احد من اصحاب اللغة

فصل الثاء

مما فيه (الثقل) كعنب ضد الخفة و يستعمله البعض في هذا المعنى بسكون القاف وهو خطأ قال في القاموس الثقل واحد الاثقال كجمل واجمال (الثيب) يزيدون في هذه اللفظة تاء و يقولون (ثيبة) وهو خطأ لانها وردت مجردة عن التاء بلا خلاف

فصل الجيم

مما جاء فيه (جمادى الاولى والاخرى) فعالى كحبالى والعوام تستعمله (لم نسمع هذا الاستعمال) بالمعجمة المكسورة و يصفونها (هذا معروف) بالاول فيكون فيه ثلاثة تحريفات قلب المهملة معجمة والفتحة كسرة والتأنيث تذكيراً وكذا جمادى الاخرى يقولون فيها جمادى الآخر بلا ياء والصحيح الآخرة او الاخرى وهما معرفتان من اسماء الشهور وكذا ربيع الاول وربيع الآخر في الشهور واما ربيع الازمنة (يريد الفصول) فالربيع الاول باللام

فصل الحاء

مما جاء فيه (الحباب) يستعمله الاكثر في النفاخات التي تعلو على وجه الماء بضم الحاء وهو خطأ اذ هو بضم الحاء الحية فالصحيح فتح الحاء (كعب الاحبار [1] هو بالحاء المهملة واشتهر بين العوام بالمعجمة لكثرة ما يرويه من الاخبار قال في الصحاح كعب

---

(١) في القول المأنوس ما نصه قال المصنف وكعب الحبر ويكسر ولا تقل الاحبار انتهى قوله (ولا تقل) قد وقع ذلك للمؤلف في تبع وتبيع بن عامر بن امرأة كعب الاحبار

الحبر منسوب الى الحبر الذي يكتب به لانه كان صاحب كتب وقال صاحب القاموس ولا يسمع الاخبار (اي بالمعجمة) الا في الروايات (الحيدر) هو بالحاء المهملة من اسماء الاسد والعامة يستعملونه (هذا الاستعمال لا يعرف في العراق) بالمعجمة وههنا حمل المؤلف على الناس متأففاً من الجهل والتقليد فكأنه يدعو هلم اعملوا مستقلين لا يضلكم القديم ولا العادات الموروثة فقال يستعملونه بالمعجمة لعدم زوال الكزازة منهم بتحصيل طرف من العلم بل ربما يسمعون الحق فلا ينتبهون لان ترك المألوف صعب ! (الحيوان) هو بالتحريك جنس الحي وأصله حييان ذكره في القاموس فاسكان الياء كما فعله العامة لحن

فصل الدال

مما فيه (الدعاوي) هي كصحاري [1] جمع الدعوى وبكسر الراء خطأ (الديانة) هي معروفة فلحن بعض العوام بتقديم النون على الياء (هو غير معروف) وقولهم دناية عن الجهل كناية وعلى اللفظ جناية

فصل الذال

من بعض ما فيه (الاذعان) الغلط فيه من حيث يستعملونه بمعنى الادراك فيقولون اذعنت بمعنى فهمت والصحيح اذعنت له ومعناه الخضوع والذل (الاذناب) وقع في مختصرات الصرف (الزاجر عن الاذناب) زعموا انها الاذناب على وزن افعال جمع ذنب بمعنى الاثم وانما الاذناب جمع ذنب بفتح النون

فصل الراء

جاء فيه (المرثية) هي بالتخفيف مصدر قال في الصحاح رثيت الميت من باب رمى رثاء ومرثية ايضاً اذا بكيته وعددت محاسنه فتشديد الناس ياءها (وهذا شائع بين المنتمين الى الادب) لحن محض واما القصيدة فهي مرثي فيها (و يصح اطلاق المرثية عليها) (الرفاهية) هي بالتخفيف كالطواغية يقال فلان في رفاهية من العيش اي في سعة وخصب واين والناس يلحنون (هذا اللحن شائع ايضاً) فيها بتشديد الياء

فصل الزاء

بعض ما فيه (الزعيم) هو بمعنى الكفيل قال سبحانه وتعالى (ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم) وفي الحديث (الزعيم غارم) فاستعمال الناس اياه على انه من الحسبان مبني على الزعم الفاسد

فصل السين

مما جاء فيه (السبق) من باب ضرب والناس يزيدون فيه تاء فيقولون (السبقة)

(١) لو مثل بالفتاوى لكان احسن لان الصحاري بكسر الراء موجود صحيح

فهو لحن منهم ويمكن ان يقال يجوز ان تكون التاء للمرة كالضربة لكن من تتبع استعمالاتهم يعرف انهم لا يقصدون بها المرة بل يستعملونها بمعنى المصدر فقط فيقولون (هو من قبيل سبقة اللسان) (السحور) هو بالفتح اسم لما يتسحر به كالغبوق والصبوح لما يشرب في العشاء والصبوح فضم السين (وبالضم يستعملونه اليوم بمعنى السحر الذي هو قبيل الفجر) كما يفعله بعضهم خطاء (السلس) عَلَى وزن كتف تقول شيء سلس اي سهل ورجل سلس اي لين منقاد وفلان سلس البول اذا كان لا يمسكه فالسليس بزيادة الياء عَلَى ما هو المشهور غير سلس بل هو لحن محض (مسيلمة) تصغير مسلمة اسم للكذاب المشهور فمن يقوله بالفتح و يدعي الصحة اكذب منه

فصل الشين

فيه (الشباهة) هي لفظة مستعملة بين الناس ولكن لا صحة لها والصحيح الشبه بفتحتين تقول بينهما شبه

فصل الصاد

فيه (الصلاحية) اخترعها اصحابنا بتشديد الياء واستعملوها لكنها من الالفاظ المهملة والمصدر هو الصلاح والصلوح

فصل الظاء

مما فيه (المظلِمة) بكسر اللام عَلَى وزن محمدة مصدر ظلم قال في الصحاح ظلم يظلم ظلماً ومظلمة انتهى والناس يفتحون لامها فيقولون مثلاً ضرب اليتيم مظلمة اي ظلم وهو خطأ اذ هي بفتح اللام ما تطلبه من الظالم وهو اسم ما اخذ منك

فصل العين

فيه (المعجب) شاع بين الناس بكسر الجيم وهو خطأ (المعدن [1]) بكسر الدال منبت الجوهر من ذهب ونحوه من عدن بالمكان يعدن اي اقام ومنه (جنات عدن) اي جنات اقامة (الاعطاف) هو جمع عطف بكسر العين بمعنى جنب الشيء والجانبان المعطفان والناس يحسبونه جمع العطف بفتح العين بمعنى الاشفاق فيقولون (لا يبعد من الطاف مولانا واعطافه ان يفعل كذا) (عامي) بتخفيف الميم خطأ والصحيح

(١) لم ينتقد فيه شيئاً ولعله يريد ان استعماله في نفس الجوهر خطأ وليس كذلك : المقتبس الاظهر انه اراد شيوع فتح داله وهو خطأ لانه كمجلس ولذا قال الزبيدي في تاج العروس : وحكي كمقعد وليس بثبت اه

بتشديد الميم منسوب الى العامة (العيش) هو بفتح العين وكسرها على ما شاع خطأ لان العين اذا كسرت تلزم التاء كعيشة راضية

فصل الغين

مما فيه (الغذاء) بالذال المعجمة على وزن كساء ما به نماء الجسم وقوامه هكذا فسره في القاموس وقال في الصحاح (الغذاء) ما يتغذى به من طعام او شراب وقد شاع بين الناس بالدال المهملة اسماً لما يؤكل فقط نقيه غلطان (اي اهمال داله وتخصيصه بالطعام) واظنهم يغلطون من (الغداء) بالفتح والمد ضد العشاء بمعنى طعام الغد كما ان العشاء بالفتح والمد طعام العشاء (الغيبة) بالكسر من الاغتياب وفتح غينها لحن اذ هي بالفتح مصدر بمعنى الغيبوبة

فصل الفاء

فيه (الفراغة) هي لحن استعملوه من غير نكير لكن الصحيح الفراغ بلا تاء (الفلاكة [1]) هي من الالفاظ التي اخترعوها يستعملونها في ضيق الحال كأنهم اشتقوها من لفظ (الفلك) فقالوا به فلاكة وهو مفلوك اي اصابه الفلك

فصل القاف

فيه (القوابل) يستعملونها جمع قابل وهو جمع قابلة لان فواعل في الصفة جمع فاعلة الا فوارس جمع فارس على ما عرف في موضعه (القنديل) هو بكسر القاف معروف ووزنها فعليل لا فنعيل وفتح القاف لحن مشهور

فصل الكاف

(الكراهية) هي بالتخفيف من مصادر كرهه فتشديد الياء على ما فعله البعض مما يكرهه السمع ويمجه الذوق

فصل اللام

مما فيه (اللكنة) هي بضم اللام عجمة في اللسان يقال رجل الكن وقد لكن من باب ضرب كما ذكر في اللغة وما زلت اسمع من بعض العوام تحريف هذه الكلمة وارى بعض الناس حيارى في امثال هذه الاغاليط تارة يصيبون ولا يدرون اصابتهم

(١) اطلق على بعض الكتب المطبوعة اخيراً في مصر اسم (الفلاكة والمفلوكون) اي الفقر والفقراء وربما هذا الوضع فيما احسب من ناشر الكتاب لا من المؤلف والطابعون يفعلون ذلك كثيراً

ويخطئون ولا يدرون ولم لا يرجعون الى اللغة فيما أشكل عليهم حتى يخرجوا من ظلمة الشك الى نور اليقين

فصل النون

(المنبر) هو بكسر الميم لكن شاع بين العوام فتح ميمه (هو كذلك اليوم) وكذا ضم ميمه (النزل) بضمتين وبالتسكين ما يهيأ للنزيل اي الضيف والعوام يزيدونه واواً (لعلها من اشباع الضمة) وليس النزول الا مصدراً بمعنى الهبوط والحلول (النزلة) وهي الزكام يقال به نزلة والجمع نزلات والجاهلون يعبرون عنها بالنازلة ويجمعونها على النوازل (تجمع كذلك الآن) وهو خطأ اذ النازلة هي الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس كما تفصح عنه كتب اللغة (النقرس) هو داء معروف وزيادة الياء عَلَى ما هو الشائع بين العوام خطأ لان النقريس الدليل الحاذق (النكاة) بكسر النون جمع النكتة واذا ضمت النون حذفت الالف (فيقال النكت) وكثير من الناس يضمون النون ويثبتون الالف هذا بعض ما جاء في الرسالة الاولى ولعلي في فرصة ثانية آتي بثانية الرسالتين النجف محمد رضا الشبيبي

بين الفيحاء والشهباء (١)

عمران حلب القديم والحديث

كان اجدادنا يقطعون المسافة بين دمشق وحلب في تسعة ايام عَلَى الدواب وها قد اصبحنا نقطعها في ست عشرة ساعة في القطار وهو يمر مر السحاب ولو وجدت الشركة داعياً قويا لقطعت اليوم في ساعة فيفطر الراكب في الصباح في الفيحاء ويتعشى في حاضرة سورية البيضاء لان المسافة تقل عن اربعمائة كيلو متر يتيسر قطع الخمسين كيلو متراً في ساعة واحدة من رياق الى حلب والخط بينهما من النوع العريض وقطاراته منتظمة اكثر من قطارات بيروت — دمشق — حوران او يافا — القدس او حيفا — دمشق — المدينة

(١) نشرنا بضعة فصول من هذه المقالات في جريدة المقتبس واذ رأينا العامة من قرائها تبرموا بها عمدنا الى قطع سلسلتها قبل ايراد تتمتها وزدنا عليها مافاتنا الالمام به وحذفنا منها مالاعلاقة له بموضوع المجلة

انيت الشهباء او عاصمة سورية البيضاء [1] لاول مرة فرأيت فيها الصورة التي كانت تخيلها المخيلة الا قليلاً وذلك لان القدماء والمحدثين اشبعوا الكلام عليها اكثر من كل بلد سواها ولان الحكومات التي توالت عليها رفعت من شأنها واعلت من بين البلدان ذكرها . وناهيك ببلد كان ينزله ويمدحه ويحن اليه مثل البحتري [2] والمتنبي والصنوبري وكشاجم والمعري والخفاجي وابن جبوس والوزير المغربي وابي العباس الصفري وابي فراس والحلوي وابن سعدان وابن حرب الحلبي وابن النحاس وابن ابي حصينة وابن الحداد وابن العجمي والملك الناصر وياقوت وغيرهم من رجال الادب والعلم . وما قاله الشعراء في مدحها يكاد يقرب مما قالوه في اختها الفيحاء فقد قال كشاجم:

ارتك ندى الغيث آثارها واخرجت الارض ازهارها
وما امتعت جارها بلدة كما امتعت حلب جارها
هي الخلد تجمع ما يشتهى فزرها فطوبى لمن زارها

وقال البحتري

اقام كل ملث الودق رجاس على ديار بعلوى الشام ادراس
فيها لعلوة مصطاف ومرتبع من بانقوسا وبابلى وبطياس
منازل انكرتنا بعد معرفة واوحشت من هوانا بعد ايناس
ياعلو لوشئت ابدلت الصدود لنا وصلاً ولان لصب قلبك القاسي
هل لي سبيل الى الظهران من حلب ونشوة بين ذاك الورد والآس

وقال المتنبي

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدنا وانت السبيل
فيك مرعى جيادنا والمطايا واليها وجيفنا والذميل

اول من استوطن بقعة حلب [3] بنو حام بن نوح وكانوا ينزلون من شط بغداد الى مصر وقد كانت فرقة منهم فيها قيل انها تسمى الكيتا فسكنت بقعة حمص وحماة وحلب . وسكن حلب ابراهيم الخليل ثم جاء بعده بنو آرام بن لوط من بني سام واستولوا على تلك

(١) في قاموس الجغرافية القديمة : كان القدماء يطلقون هذا الاسم على شمالي الشام وارض كبدوكية Cappadoce وكيليكيا Cilicie الشرقية

(٢) الدر المنتخب لابن الشحنة

(٣) تحفة الانباء في تاريخ حلب الشهباء لبشوف الجرماني .

البقعة واخرجوا منها اولاد حام فسميت بمملكة الآراميين والسريانيين وقسموها الى ثلاثة اقسام الاولى جزيرة الآرام وهي من الخابور الى الفرات والثانية المملكة الشامية وهي دمشق وما قرب منها والثالثة مملكة آرام صوبا وهي الجبول من ضاحية حلب وما قرب منها

ووصفت حلب بالشهباء لان القادم اليها تتراءى له بيضاء من بعيد بخلاف غيرها من البلدان . ويقولون انها من بناء العمالقة بدليل الكتابة التي وجدت على الحجر الاسود في الحائط بظاهر جامع القيقان داخل باب انطاكية مكتوبة بالخط الهيروغليفي بلغة الكيتا او الحاتيين وكانت هذه الكتابة مصطلحاً عليها في ايامهم وكان اسم حلب بلغتهم هلبون وهلبة واستمرت بايديهم الى ان اتى ملوك الفراعنة من مصر وحاربوهم وملكوها منهم وهم توتمس الاول وتوتمس الثاني وسياتي ورعمسيس الاول وذلك قبل التاريخ المسيحي بالفين وخمسمائة سنة الى ثلاثة آلاف سنة ثم استردها الكيتا منهم صلحاً

واتى بعد ذلك ملوك بابل وحاربوا السريانيين وملكوها وذلك قبل التاريخ المسيحي بستمائة وستين سنة وقد عثروا في قرية من قرى جبل سمعان قرب حلب اسمها كفرنابو على الصنم الذي كان يعبده البابليون ومعنى نابو بلغتهم اله فيكون معنى كفرنابو قرية الاله وفي سنة ٨٦٠ ق . م حارب شلمناصر الرابع الحاتيين وملك حلب في جملة ماملك من البلاد فظل ملوك الحاتيين تحت سلطة البابليين الى ان اتى ملوك العجم واستولوا على البلاد واخرجوا البابليين منها وبقيت بايديهم الى ان جاء الاسكندر واخذها منهم فصارت مسكناً للروم اليونانيين يقولون لها خليء ولما حولها خلبن بالخاء المعجمة وكانوا يقولون لها بيروبا لانها فيما قيل تشبه احدى مدنهم ولعلها عربية من قولهم بريرى لان الناظر الى البر من قلعة حلب يراه ممتداً امامه .

وجدد سلوقس نيكاتور احد ملوك الرومان قبل المسيح بثلاثمائة واثنتي عشرة سنة بناء نحو النصف من مدينة حلب وبنى القلعة وامر اليهود ان يختلفوا اليها للتجارة و يقيموا بها فكثرت دورهم حتى بلغت نصف ساعة طولاً ثم استولى الروم على حلب وجعلوها كرسي مملكتهم مع سورية وانطاكية

واراد السلوقيون ان يزيدوا في بناء حلب ثم عدلوا مو ثرين لقنسرين لانها كانت اعظم والتجار يختلفون اليها اكثر فكانت تأتيها القوافل من البحر الى الفرات ومن الفرات الى البحر عن طريق قنسرين ولم يكن في حلب ما في قنسرين من

الصناعات وغيرها حتى ان تجار اوربا كانت تأتي اليها من السويدية في طريق انطاكية ويأتي اليها تجار العجم من الفرات بطريق بالس (مسكنة) ولم تكن الطريق في ذلك الوقت سالكة الى حلب الا من يقصد الذهاب الى منبج (هيرابلس)

وقنسرين هي التي نسب اليها احد اجناد الشام الخمسة وهي جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والجند هنا بمثابة الفيلق في ايامنا يتجمع فيه الجند و يقبضون أعطياتهم قال ابن جبير: ان قنسرين بلدة شهيرة في الزمان لكنها خربت وعادت كأن لم تغن بالامس فلم يبق الا آثارها الدراسة ورسومها الطامسة ولكن قراها منتظمة لانها على محرث عظيم من البصر عرضاً وطولاً وقد فسر ياقوت سبب خرابها ووصف موقعها فقال انها كورة بالشام منها حلب فتحت على يد ابي عبيدة بن الجراح سنة ١٧ هـ وكانت مدينة بينها و بين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم و بعضهم يدخل قنسرين في العواصم وما زالت عامرة آهلة الى ان كانت سنة ٣٥١ وغلبت الروم على مدينة حلب وقتلت جميع من كان بربضها فخاف اهل قنسرين وتفرقوا في البلاد فلم يكن بها في القرن السادس الا خان ينزله القوافل وعشار السلطان وفريضة صغيرة وذكر ابن جبير الخانات من حلب الى قنسرين الى باقدين ان خانات هذا الطريق كأنها القلاع امتناعاً وحصانة وابوابها حديد وهي من الوثاقة في غاية

والعواصم (١) حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها انطاكية كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الاعداء واكثرها في الجبال فسميت بذلك ويدخل في هذا ثغور المصيصة (Mobsueste) وطرسوس (Antradus) وتلك النواحي ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة الى حمص حتى كان زمان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جنداً فلما استخلف الرشيد افرد قنسرين بكورها فصيرها جنداً وافرد منبج ودلوك ورعبان وقورس وانطاكية وتيزين وما بين ذلك من الحصون فسماها العواصم لان المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو اذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر وجعل مدينة العواصم منبج واسكنها عبدالملك ابن صالح في سنة ٧٣ فبنى فيها ابنية مشهورة ذكرها المتنبي في مدح سيف الدولة فقال :

لقد اوحشت ارض الشام طراً سلبت ربوعها ثوب البهاء

---

(١) معجم البلدان

تنفس والعواصم منك عشر فيوجد طيب ذلك في الهواء

جدد الملك كيرو يس الشرواني ما انهدم من سور حلب وقت حروب العجم وعمر بالقرب من باب انطاكية بيتاً للنار لانه كان ممن يعبدونها فاشتملت حلب اذ ذاك على اربعة انواع من الديانات وهي اليهودية والنصرانية وعبدة الاوثان وعبدة النار ثم دخل الاسلام وكانت حلب في المذاهب الاسلامية تختلف باختلاف الدول عليها شأنها في ذلك شأن دمشق فتارة توالي علياً واصحابه واخرى توالي غيره

ولما اراد بدر الدولة ابو الربيع سليمان ابن عبد الجبار بن ارتق صاحب حلب بناء اول مدرسة للشافعية في هذه المدينة لم يمكنه الحلبيون اذ كان الغالب عليهم حينئذ التشيع وكان اهل حلب كلهم سنية حنفية حتى قدم شخص الى حلب فصار فيهم شيعية وشافعية وهو الشريف ابو ابراهيم الممدوح

وقد اتى صلاح الدين يوسف بن ايوب وخلفاؤه على التشيع في حلب وكان المؤذنون في جوامعها يؤذنون بحي على خير العمل وحاول السلجوقيون الاتراك مرات القضاء على التشيع في هذه الديار فلم يوفق لذلك الا الملك الناصر صلاح الدين كما ضرب على التشيع في مصر وكان على اشده فيها على عهد الفاطميين بحيث لا يكاد عالم مصري يصرح بمذهبه اذ ذاك ولا يزال الى اليوم اثر من آثار التشيع بادياً على حائط صحن المدفن الذي في سفح جبل الجوشن بظاهر الشهباء وفيه ذكر الائمة الاثني عشرية وكان حكم بني حمدان وهم شيعة من جملة الاسباب التي نشرت التشيع في حلب وجوارها وابتدأت حكومتهم سنة ٣٣٣ هـ وانقرضت سنة ٣٨١ وفي سنة ١٤١ ظهر في حلب قوم يقال لهم الراوندية خرجوا بحلب وحيران وكانوا يزعمون انهم بمنزلة الملائكة وصعدوا تلاً بحلب فيما قالوا ولبسوا ثياباً من حرير وطاروا منه فكسروا وهلكوا

ولقد كان لحلب كما كان لغيرها من امهات المدن الاسلامية عرامة وشدة في التعصب على المخالفين ويعد في سيئات الجامدين تأليبهم على الشهاب السهروردي الحكيم الالهي العالم فقد حاورهم فبزهم في حضرة صاحب حلب الملك الظاهر غازي [1] بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف فلم يروا واسطة لاهلاكه احسن من الاستشفاع بوالد مليكهم فكتبوا اليه محضراً وبالغوا في عاقبة امر السهروردي حتى صدر الامر الى الملك الظاهر بقتل هذا الفيلسوف فاختار ان يلقى الله بمنع الطعام والشراب وعنه وهلك في قلعة

---

(١) تراجم الاطباء لابن ابي اصيبعة

حلب وقبره فيما بلغني معروف الى اليوم ناعياً على الدهر تلاعب اولئك المتلاعبين بالدين والمتعصبين لاهواء نفوسهم زارياً على عصور الظلمات ولو كره السفسطائيون عاداً ذلك سيئة لصلاح الدين وان كانت اعمال هذا كلها حسنات وايامه غرراً محجلات . فقضى السهروردي ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره وكم مثله من حكيم قضت عليه اهواء معاصريه ولو عمر لملأ الدنيا علماً وعقلاً

وبعد فقد كان شأن حلب في العهد الاسلامي شأن سائر مدن الشام دخلت في حكم بني أمية ووليها عمالهم ثم انتقلت الى ايدي بني العباس ووليها صالح بن علي سنة سبع وثلاثين ومائة فنزل حلب وابتنى بها خارج المدينة من شرقيها قصراً بقرية يقال لها بطياس بالقرب من النيرب وآثاره باقية ذكرها البحتري وغيره في اشعارهم وقد كان جماعة من بني أمية اختاروا المقام بناحية حلب وآثروها على دمشق ومنهم هشام ابن عبد الملك انتقل الى الرصافة Sergiopolis وسكنها واتخذها منزلاً لصحة تربتها ومنهم عمر بن عبد العزيز اقام بخناصرة واختارها منزلاً ومنهم مسلمة بن عبد الملك سكن بالناعورة وابتنى بها قصراً بالحجر الصلد الاسود

وما زال عمال بني العباس يتولون من امر حلب ما يتولون من سائر بلاد الخلافة حتى ولى المعتصم اشناس التركي الشام جميعه والجزيرة ومصر وجاء القرامطة حلب سنة ٢٩٠ فقاتلهم اهلها ودخل الاخشيد حلب وافسد اصحابه في جميع النواحي وقطعوا الاشجار التي كانت ظاهر حلب كانت كثيرة جداً وقيل انها كانت من اكثر المدن شجراً . قال ابن الخطيب : وكانت حلب كثيرة الاشجار وكان موضع بانقوسا (احد احيائها اليوم) اشجار كثيرة كما ذكر ابن الملا في تاريخه ايضاً فقد كان الاخشيد اذا نزل حلب يقطع اشجارها ويحاصرها فاذا اخذها ورجع الى مصر جاء سيف الدوله بن حمدان وفعل ذلك الفعل وتكرر ذلك منهما حتى فني مابها من الشجر ولذلك لما امر الملك المؤيد شيخ بتسقيف قصر القلعة امر ان يقطع له من الاخشاب من بلاد دمشق فقطعت وجيء بها الى حلب في غاية الطول ونهاية الغلظ وقيل ان بعض الاخشاب المذكورة كانت من بعلبك ولما جاء الصليبيون حلب سنة ٥١٨ اخذوا يقطعون اشجارها من جملة ما اتوه من تخريبها . وحدائقها المشجرة اليوم قليلة ليس بينها و بين ضخامة المدينة نسبة

وتشرب حلب من نهر قويق وهو نهر ينبعث (١) على ستة اميال من دابق ثم يجري الى

(١) نخبة الدهر لشيخ الربوة

حلب ثمانية عشر ميلاً ثم الى قنسرين عشر ميلاً ثم الى المرج الاحمر اثني عشر ميلاً ثم يصب في بحيرة المطبخ وذلك في زمن الشتاء وقال ياقوت ان مخرجه من قرية تدعى سبتات وقيل ان مخرجه من شناذر قرية على ستة اميال من دابق ثم يمر في رساتيق حلب ثمانية عشر ميلاً الى حلب ثم يمتد الى قنسرين اثني عشر ميلاً ثم الى المرج الاحمر اثني عشر ميلاً ثم يغيض في اجمة هناك فمن مخرجه الى مغيضه اثنان واربعون ميلاً وماؤه اعذب ماء واصحه فيما قال ياقوت الا انه في الصيف ينشف فلا يبقى الا نزور قليلة واما في الشتاء فهو حسن المنظر طيب المخبر وقد وصفه شعراء حلب بما الحقوه بنهر الكوثر ومن امثال عوام بغداد يفرح بفلس مطلي من لم ير ديناراً وقد احسن القيسراني في وصفه قوله :

رأيت نهر قويق فساءني ما رأيت
فلو ظمئت وأسقيـ ـت ماءه ما رويت
ولو بكيت عليـه بقدره ما اشتفيت

واسم قويق القديم شالوس [١] وسبب تسميته بقويق ان رجلاً من رؤساء عشائر التركمان في القرن الرابع للهجرة اسمه قويق انما انشأ لهذا النهر عدة سدود ليجري جرية حسنة فاطلق اسمه على النهر من ذاك الحين وارباب الزراعة يسمونه اباالحسن وهو ينبجس اليوم من قرية اسمها جاغديغين من اعمال عينتاب ويجري الى قرية تبعد عن حلب ثلاث ساعات اسمها حيلان ويصب نحو ثلثه الى حلب تجري اليه فيه عدة ينابيع وجداول من قضاءي عينتاب وكليس وينضم اليه نبع عين التل وعين البيضا المنبجستين من جوار حلب وفي الشتاء تجري بقاياه الى خان طومان وتل طومان من اعمال جبل سمعان وتكون من مياهه بحيرة تجف بحرارة الصيف .

قال ابو فراس :

الشـام لا بلد الجزيرة لذتي وقويق لا ماء الفرات مناني
وابيت مرتهن الفؤاد بمنبج السوداء لا بالرقة البيضـاء

ويرى بعضهم ان نهر الساجور الذي كان اجراه ارغون الى حلب ليزيد به نهر قويق اذا أضيف الى ماء قويق تخصب اكثر ضواحي حلب . واصل نهر الساجور من عينتاب وتجتمع اليه عيون أخر من بلاد تل باشر ثم ينتهي الى الفرات ويصب فيه ويرى

(١) سالنامة (تقويم) ولاية حلب عن سنة ١٣٢٤ هـ .

آخرون ان خير ذريعة لتكثير ماء حلب اقتطاع ترعة من الفرات وهو من حلب على ١٨ ساعة ولا يمنع انخفاض مجراه عن الانتفاع به في حلب على علوها وكيف كان الحال فمتى زاد عمران الشهباء يفكر ابناؤها في تكثير مائها

وبعد فقد كانت الحرب سجالا بين سيف الدولة ابن حمدان والروم منذ استقرت له ولاية حلب سنة ٣٣٦ الى حين وفاته سنة ٣٥٦ فكان يغزوهم ويغزونه فتخرب حلب ثم تعمر واستولوا عليها سنة ٣٥١ وحرقها الدمستق وعاث فيها بالقتل والنهب والسبي وبعد تسعة ايام رحل عنها ولم تكن حكومة سيف الدولة مباركة على حلب بقدرما صورها شعراؤه الذين كان يغدق عليهم هباته ليقطع السنتهم ويشغلهم عنه ومن جملة ما فرأناه من مظالمه ان ابا الحصين علي بن عبد الملك الرقي ولي قضاء حلب وكان ظالماً فاذا مات انسان اخذ تركته لسيف الدولة وقال: كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك

استولى الروم على معظم البلاد المجاورة كمرعش واذنة وطرسوس الا ان حلب لم يستولوا عليها وكذلك استولى الصليبيون على كثير من عمالاتها مثل انطاكية والسويدية ولم يقدر بودوين احد ملوكهم ان يستولي عليها سنة ١١٢٤ م وما زالت حالتها حال بلاد الشام على عهد الدولة الأيوبية حتى وافاها التتر وحاصروها سنة ٦٥٨ حصاراً شديداً وقتلوا من اهلها كثيراً وقتل هولاكو اهل حارم عن آخرهم وسبى النساء وخرب اسوار قلعتها عن آخرها وجاء قازان التتري سنة ٦٩٩ فحاصر حلب وخربها وقتل واسر كثيراً من اهلها وجاء تيمورلنك سنة ٨٠٣ واجرى في حلب ما اجراه في دمشق من الفظائع والنهب والقتل والسبي وفي سنة ٨٦٣ وقع الطاعون بحلب فاحصي من مات بها وبضواحيها فاربى على مائة الف انسان وكادت تخرب بالفتن الاهلية سنة ٨٩٦ عن آخرها

كتب ابن بطلان الى هلال بن المحسن الصابي في نحو سنة ٤٤٠ هـ في دولة بني مرداس حلب فقال انها بلد مسوّر بحجر ابيض وفيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيستان وفي البلد جامع وست بيع وبيمارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية وشرب اهل البلد من صهاريج مملوءة بماء المطر وعلى بابه نهر يعرف بقويق يمد في الشتاء وينضب في الصيف وفي الوسط دار علوة صاحبة البحتري وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ ومن عجائب حلب ان في قيسارية البز عشرين دكاناً للوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدره عشرون الف دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة والى الآن وما في حلب موضع خراب اصلاً اه

قلنا وقد اشتهرت حلب في عامة ادوارها باتساع تجارتها لوقوعها في طريق القوافل وتوسطها من بلاد الروم والجزيرة والعراق والشام ولذلك لم تنحط صناعة البز او الاقمشة حتى في ايامنا هذه كما انحطت في معظم بلدان الشام لان لها من بلاد الروم مصارف تنفق فيها سلعها و يعتقد اهل الروم الخبير في تجار الشهباء فلا يعاملون غيرهم للالف والعادة وذكر المقدسي ان من التجارات التي كانت تحمل من حلب القطن والثياب والاشنان والمغرة

قال ياقوت ولاهل حلب عناية باصلاح انفسهم وتثمير الاموال فقلما ترى من ناشئتها من لم يتقبل اخلاق آبائه في مثل ذلك فلذلك كان فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة و يتوارثونها و يحافظون على قديمهم بخلاف سائر البلدان . هذا ما وصف به الحلبيون منذ نحو سبعة قرون وهي اخلاق لم تبرح متسلسلة في اعقابهم الى يوم الناس هذا ولذلك صح ان يقال ان الحلبيين اغنى من الدمشقيين والبيروتيين والحمويين والحمصيين والطرابلسيين والنابلسيين والمقدسيين والعكاويين واليافاويين والحيفاويين

وصف ابن حوقل [1] مدينة حلب في القرن الرابع فقال انها مدينة جند قنسرين وكانت عامرة جداً غاصة باهلها كثيرة الخيرات كان لها سور من حجارة لم يغن عنهم من العدو شيئاً فخرب الروم جامعها وسبى ذراري اهلها واحرقها وكان بها قلعة غير طائلة ولا حسنة العمارة فلجأ اليها قوم من اهلها فنجوا وهلك بها من المتاع والجهات للغرباء واهل البلد وسبي بها وقتل من اهل سوادها ما في اعادته ارماض من سمعه ووهن على الاسلام واهله وكان لها اسواق حسنة وحامات وفنادق ومحال وعراص فسيحة وهي الآن كالمتماسكة ولم تزل اسعارهم في الاغذية وجميع المآكل قديماً واسعة رخيصة وعليهم الآن للروم في كل سنة قانون يؤدونه وضريبة تستخرج من كل دار وضيعة معلومة وكأنهم معهم في هدنة وليست وان كانت احوالها متماسكة وامورها رضية بمحال جزء من عشرين جزءاً مما كانت عليه من قديم اوقاتها وسالف ايامها

ووصف ابن جبير حلب في القرن السادس فقال : ان هذا البلد موضوعه ضخم جداً حفيل التركيب بديع الحسن واسع الاسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سماط صنعة الى سماط صنعة اخرى الى ان تفرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالخشب فسكانها في ظلال وارفة فكل سوق منها تقيد الابصار حسناً وتستوقف

(١) المسالك والممالك

المستوفز تعجباً واما قيساريتها فحديقة بستان نظافة وجمالاً مطيفة بالجامع المكرم لا يتشوق الجالس فيها مرأى سواها ولو كان من المرائي الرياضية قد اتصل السماط خزانة واحدة وتخللها شرف خشبية بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاء منظرها اجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من ابواب الجامع المكرم

وقصارى القول فان عمران حلب القديم يشبه عمرانها الحديث الا قليلاً ومن اعظم ما يجعل الشبه كثيراً بين ادوارها المختلفة ذاك الحجر الابيض المتين الذي يبني الحلبيون به بيوتهم وحوانيتهم. وخاناتهم وتكاد تظن الشوارع والحارات والمساكن قطعة واحدة لانها كلها مبلطة معمولة من صنف واحد من الحجارة تنبسط له النفس بخلاف الحجر الاسود الكئيب المستعمل في البناء بدمشق وحمص وغيرهما

وقد اصاب حلب من مقوضات دعائم العمران في القرون الاخيرة ما اصاب غيرها من بلدان سورية ومنها الزلازل والاوبئة التي انتشرت فيها عقيب استيلاء السلطان سليم العثماني عليها سنة ٩٢٢ بعد وقعة دامت ست ساعات بين جنده المؤلف اذ ذاك من ثمانين الفاً وثمانمائة (١) مدفع وجند الغوري الجركسي سلطان مصر والشام الذي كان ضعيف التدبير قليل النظام وذلك في مكان يعرف بمرج دابق على بضع ساعات من حلب ونهض الحلبيون ففتحوا ابواب مدينتهم للفاتح بزعامة خيري بك والي حلب من قبل الجراكسة كما تلقاه اهل دمشق كذلك لان الناس كانوا سئموا في مصر والشام من حكم الجراكسة وعلقوا الآمال الطويلة بدولة ابن عثمان الفتية القوية وقد استولى السلطان سليم على مليوني ذهب وتحف كثيرة كان ادخرها الغوري في خزانة حلب ليقوى بها على محاربة العثمانيين والاستيلاء على القسطنطينية منهم فعجل الله باهلاك الغوري وانفض الناس من حوله وابقى السلطان العثماني البلاد على حالتها الاولى من حيث الادارة في حلب وخطب فيها له لاول مرة ملقباً بخادم الحرمين الشريفين

والظاهر مما في ايدينا من تواريخ حلب انها لم ترتق ارتقاء محموداً على عهد العثمانيين بعد ان كانت في عهد العباسيين تضاهي بعظمتها بغداد والموصل على قول شيخ الربوة وكان جيش الانكشارية (يكي جرى) وغيره من اكبر ادوات التخريب ينسفون العمران ولا نسف المصائب السماوية ولم ينتظم لها امر بحكومة الاقطاعات والنهب الا عندما جرى تأليف الولايات على النسق المتعارف اليوم في السلطنة سنة ١٢٨٣ هـ.

(١) سالنامة حلب عن سنة ١٣٢٤ هـ.

فدخلت الحكومة في طور قليل من النظام واصبحت الحال تحسن باحسان الولاة الذين يتولونها فاذا كانوا اعفة قادرين على الادارة يزيد عمران حلب والا فيقف او يتقهقر وممن ساعد على عمرانها الحديث وتنظيمها وفتح الشوارع الجديدة فيها على الاصول المدنية جميل باشا ورائف باشا ٠

ويكفي في تقدير غنى حلب في القرون الوسطى والقرون الحديثة ايراد دخلها من الجباية والعشور وغيرها والمقابلة بينها ٠ هذا مع غلاء النقود اذ ذاك ورخصها في الايام الاخيرة ٠ فقد كان ارتفاع حلب [١] سنة تسع وستمائة في الايام الظاهرية دون البلاد الخارجة عنها والضياع والاعمال ستة آلاف الف وتسعمائة الف واربعاً وثمانين الفاً وخمسمائة درهم وذكر ابن شداد تفصيل هذه الارتفاعات من الزكوات والعشور وضرائب البقول والفواكه والخيل والجمال والبقر والغنم والرقيق والصناعات والغلات والحطب والفحم والخشب والحديد والقنب وغير ذلك من الحكورة والمواريث وغيرها فكانت في بعض النسخ ٧٤٣٠٥٤٠٠٠ درهم

وقال ياقوت [٢] ومسافة ما يد مالكها في ايام الملك العزيز من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك وفيها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية ملك لاهلها ليس للسلطان فيها الا مقاطعات يسيرة ونحو مائتين ونيف قرية مشتركة بين الرعية والسلطان وهي بعد ذلك تقوم برزق خمسة آلاف فارس مزاحي العلة موسع عليهم ٠ قال الوزير الاكرم ابن القفطي وزير صاحبها لياقوت الحموي: لولم يقع اسراف في خواص الامراء وجماعة من اعيان المفاريد لقامت بارزاق سبعة آلاف فارس لان فيها من الطواشية المفاريد ما يزيد على الف فارس يحصل للواحد منهم في العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة عشر الف درهم ويمكن ان يستخدم من فضلات خواص الامراء الف فارس وفي اعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بذخائزها وارزاق مستحفظيها خارجاً عن جميع ما ذكرناه وهو جملة اخرى يسيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الاقطاعات الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها عيناً وحبوباً ما يقارب في كل يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع اليها في العام الماضي وهو سنة ٦٢٥ من جهة واحدة وهي دار الزكاة التي يجبى فيها العشور من الافرنج والزكاة من المسلمين وحق البيع سبعمائة الف درهم وهذا مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لا يرى

(١) الدر المنتخب (٢) معجم البلدان

فيها متظلم ولا متهضم وهذا من بركة العدل وحسن النية اهـ . وقد بلغ دخل حلب سنة ١٣٢٢ شرقية من ضريبة الاملاك والبدل العسكري والاغنام والجمال والاعشار وغيرها ٤٥٦٤٥٨٦ غرشاً صحيحاً ودخل لواء حلب كله ٢٩،١٦٧،٤١٦ غرشاً وبلغ دخل ولاية حلب كلها في تلك السنة ويدخل في ذلك لواء آمرعش واورفة ٤١٩٣٣٢،١٠٧ قروش صحيحة انفقت الحكومة على جندها وموظفيها وغير ذلك ٦،٧١٥،٣٤٤ غرشاً هذا مع ان الجباية لعهدنا فاحشة والضرائب متعددة اكثر من الادوار السالفة . ويقدرون قيمة الدراهم اليوم بثلاثة قروش صحيحة

غنى حلب ولغتها ومعاهدها وتدليها

لما كانت حلب في طريق قوافل الهند اصبحت ممتازة بموقعها منذ القديم بين البلدان ومعدودة قاعدة شمالي سورية وقد كان الافرنج ولا يزالون فيها اكثر عدداً مما هم في دمشق لانها اقرب منفذ لاتصال الشرق بالغرب فكان تجارهم يأتونها من ثغر السويدية يتجرون مع اهلها ويقايضون محصولاتهم بمحصولاتها ومحصولات الشرق ولا سيما الهند وفارس والعراق

وكانت فرنسا والبندقية [1] اول البلاد الاوربية التي اتجرت مع حلب واقامت معها الصلات المهمة والمكاتب التجارية ثم جاء الانكليز في القرن السادس عشر وتلاهم الهولانديون ولا يزال الافرنج فيها الى اليوم يقربون من عدد اخوانهم نزلاء بيروت وبعضهم تناسلوا في حلب وارتاشوا وتأثلوا وعدوا كأنهم من اهلها . وقد كان البنادقة يتجرون بالبهار يأخذونه من حلب بكميات وافرة كما كانوا يجلبون منها الشب والقطن

واهم ما اصاب حلب من الزلزال زلزلة سنة ١١٧٠ م على عهد نور الدين محمود بن زنكي فقام برمها وقلعتها وقد اصيبت بزلازل مدمرة في قرون مختلفة وآخرها زلزال سنة ١٨٢٢ الذي خرب به ثلثاها وزلزال سنة ١٨٣٠ ونهضت حلب على عهد حكم ابراهيم باشا المصري من سنة ١٨٣١ الى ١٨٤٠ م اذ قد جعلها معسكراً له

لا يتجاوز سكان حلب في التعداد الرسمي الـ ١٣٠ الفاً وربما كانوا في الحقيقة نحو ١٨٠ الفاً ثلثاهم او اكثر من المسلمين والباقون روم ويهود وأرمن وموارنة وكاثوليك وبرتستانت ولكل طائفة من الطوائف الغير الاسلامية عدة مدارس ابتدائية .

(١) دليل بيدكر لسورية وفلسطين

والمسيحيون متشبعون بالعربية اكثر من اخوانهم المسلمين لانهم اكثر عراقة في التعلم بفضل مدارسهم الطائفية والافرنجية . اما المسلمون فان المتعلمين منهم يتعلمون على الطريقة التركية ليعيشوا عالة على التوظف ولذلك ترى الشعور العربي يقل في حلب مع ان اهلها كلهم يتكلمون بالعربية اللهم الا بضع مئات من الاتراك الاناضوليين الذين ينزلونها للتجارة او الموظفين الذين يأتونها لخدمة الحكومة

وليس للمسلمين مدارس اهلية راقية والمدارس التي تصبغ المأمورين هي المدرسة السلطانية وكانت اعدادية من قبل فقلبوا اسمها كما قلبوا اسم كثير من اسماء المكاتب الاعدادية في امهات المدن العثمانية والمكتب الرشدي العسكري ومكتب الصنائع وفيها ٩٢ كتاباً ومدرسة ابتدائية اميرية و ٣٩ مدرسة لغير المسلمين و٣٢ مدرسة دينية وبعضها عامر و ٣ مكاتب للاناث و ٧ خزائن كتب عامة كان فيها ١٦٠٠٠ منزل ونحو ٨٠٠٠ دكان ومخزن و ١١٧ خاناً و ١٠٦ احياء و ١٦٩ جامعاً و ١٨٢ مسجداً و ١٩ تكية وزاوية و ٤٠ حماماً و ٢١ كنيسة وديراً و ٤ بيع و ٢٩ طاحون ماء و ١٢٨ طاحوناً على الدواب و ٣٠٠٠ نول و ١١٣ فرناً و ٨ مدابغ و٢٧ معمل مناديل وزهاء ١٠٠ قهوة و ١٢ معمل صابون و ٥٠ خمارة و١٨٨٥ حديقة

وحلب برزخ بين البلاد العربية والتركية وعلى نحو اربعين كيلومتراً من شمالي حلب يقل المتكلمون بالعربية وتصبح البلاد تركية محضة وان كان من اقضية حلب القريبة من لا يعرفون غير التركية من الفلاحين اسكنتهم الحكومه هناك مهاجرين من بلاد بعيدة . فمعظم اقضية لواء حلب يتكلم اهلها بالتركية كما ان اهالي لوائي اورفة ومرعش يتكلمون بالتركية وبعض العشائر في لواء مرعش يتكلمون بالكردية وفي بعض الاقضية جراكسة يتكلمون بالجركسية وهم مهاجرون وبعض السكان في بعض الاقضية من التركمان والعرب

ويمكن ان نلخص من ذلك ان جهات الغرب من حلب كلها عرب وهي عبارة عن اقضية ادلب وحارم وجسر الشغور ما عدا بعض قرى من اعمال حارم سكانها جركس وسكان العمق اكراد ومن الشمال من حلب الى قبيل كليس عرب ونتكلم بعض قرام بالتركية والعربية ومن كليس الى اورفة فصاعداً كل السكان اتراك ومن الجهة الشرقية جميع السكان عرب وكل قضاء الباب في الشرق الشمالي من حلب عرب وفيهم قليل جداً من التركمان والاتراك والاكراد والجراكسة وكل قضاء منبج جركس نزلوه حديثاً

وفيهم عرب وقضاء الرقة عرب وقضاء المعرة في الجنوب عرب كله . ويقال ان اهالي قضاء عينتاب يتكلمون بالتركية وقضاء كلس وان تكلم اهل المركز بالتركية فان النواحي يتكلم اهلها بالعربية والتركية والكردية

واهل قضاء اسكندرونة يتكلمون على الاكثر بالتركية والارمنية واهل انطاكية منهم من يتكلم بالتركية ومنهم من يتكلم بالعربية فيصح ان يقال فيهم ان تركيهم نعرب وعربيهم تترك واهالي ادلب كلهم عرب وكذلك اهالي حارم وفي بعض قرى هذا القضاء مهاجرون من الاتراك والجركس والتاتار واهالي قضاء بيلان يتكلمون بالتركية واهل اقضية المعرة والباب وجبل سمعان واهالي مركز قضاء جسر الشغر وناحية المضيق عرب وناحية اردو اتراك واكثر اهالي قضاء منبج من مهاجري الجراكسة واهل قضاء الرقة عرب واهالي قضاء حران منهم من يتكلم بالعربية ومنهم بالكردية .

هذه هي اللغة الغالبة على حلب واعمالها وليس اليوم في هذه المدينة ما يستحق الذكر من اعمال العمران سوى بناياتها الجديدة التي أقيمت الافليلاً على مثال ابنية الامم الراقية منفردة بعضها عن بعض ليتخللها الهواء والشمس بعيدة عن الطرق العامة لان السكان من عادتهم اليوم ان يؤخروا بناء بيوتهم وحوانيتهم ما امكن ويعطوا فضل اراضيهم للشارع حتى يكبر بحسب الخريطة التي تريدها البلدية ولذلك تجد الاحياء الجديدة مثل العزيزية والجميلية فسيحة عريضة كأنها بنيت في يوم واحد او هي لرجل واحد وكان من ذلك ان صرفت واردات البلدية القليلة وهي لا تتجاوز الستة آلاف ليرة مسانهة على تنظيف المدينة وتطهيرها وتنويرها

ولقد كنا نود ان نرى في الشهباء نهضة علمية راقية لما عرف في اهلها من الذكاء والمضاء والحساب للعقول ولكن رأينا الخاصة الذين يرجى منهم ان يسيروا في المقدمة مشتغلين بخويصة انفسهم ومن كان على خطتهم من المتأدبين دأبهم النيل من الكبراء وارباب النفوذ والثراء ممن يتوفرون على امتات الفقراء واحتجان الصفراء والبيضاء وربما مع اكثر هذه الشكوى ولكن لا حيلة فيمن اعجزوا الحكومة وعرفوا كيف يصرفونها على ما يشاؤن . وعندنا ان يترك الطعن جانباً وتتعارف الطبقة المستنيرة الى الطبقة القابضة على زمام البلاد من الاعيان الموسرين ليتسنى بذلك النهوض بالشعب المسكين وتثقيف عقول الناشئة وما دام الاختلاف مستحكماً بين المتنورين والموسرين فالغرباء يجدون سبيلاً الى التلاعب وينطبق ذلك مع رغائبهم

نحن نعتقد انه ربما كان من ارباب اليسار من جمعوا ثرواتهم الطائلة من طرق غير مشروعة في حكومة عبد الحميد وقبله ولكننا نعتقد ان منهم من جمعوها بالاتفاق كأن تتوالى سني الجدب — والجدب قلما يدوم سنين كثيرة في حلب وعملها — فيأتي الفلاح باكياً شاكياً الى ذاك الوجيه يتخلى له عن كل ما يملك من عقار وارض ليعوله وعياله ويدفع عنه الضرائب والعشور التي يتعذر عليه جداً في غير سني الخير ان يقوم بها حق القيام

وسواء جمع ارباب اليسار ما يملكون بالطرق القانونية المشروعة او من السحت البحت وارهاق الفلاح والعبث بمصلحة الفقير فان من ملك ملك ومن هلك هلك وليس من وسيلة الآن لنزع ما ملكوا من ايديهم فالاحجى ان تحسن سياستهم في الجملة للانتفاع من اموالهم تصرف على اعمال الخير وانشاء الكتاتيب والمدارس . وما نظن اكثرهم الا قانعين من الطبقة المستنيرة بالسكوت عما مضى. وماتم في الغابر هو ولا جرم نتيجة ضعف الحكومة وفسادها ولو عرفت منذ القديم كيف تحسن سياسة الرعية وتدفع الناس بعضهم عن بعض لما اختل النظام ولرضي الخاص والعام .

نحن نعلم ان اموال الاغنياء هنا بل وفي كل مكان تصرف على الاكثر فيما لا يرضى عنه الادب والاخلاق وان ابناء الطبقة الوسطى امضى عزائم واجمل اخلاقاً ولكن ليست المهارة في النقد من بعيد بل المهارة بدخول المجتمع واصلاح ما امكن من مفاسده ومهلكاته . ان في التباعد جفاء وفي الاجتماع حسن تفهم وكم من عدو لك يحكك به ينقلب على الزمن صديقاً وكم من صديق يكون بابتعادك عنه عقوقاً .

ان ما رأيناه من حلب وهي ماهي من عظمتها وغناها وما نقل لنا وشهدناه من تنوع ضروب الفجور والملاهي فيها ابكانا على قاعدة من اهم قواعد الشام وكهف عظيم من كهوف الاسلام ودعانا الى ان ننسب القصور للعالمين والجاهلين على السواء فلا يخلص منه تبعة هذا الانحلال عاقل واللوم يلحق العالم قبل ان ينال الجاهل

تالله لو صرفت حلب ربع ما تنفقه في سبيل اللهو والموبقات على المعارف والآداب الرافعة لاصبحت في بضع سنين ذات مدنية راقية . وبعد أليس من العار ان تكون نابلس في فلسطين وهي مشهورة بانغماسها في حمأة الجهالة وصغيرة بعدد نفوسها اقرب الى التعلم من حلب دخل من ابناء اعيانها بضعة وعشرون ليدرسوا في مدارس الاستانة العالية وبضعة قصدوا ديار الغرب ولا نرى الا عدداً قليلاً من الحلبيين يقصدون

الاستانة ليتخرجوا في مدارسها ليجيء منهم اتكاليون من عباد الوظائف وعبيد الحكومة ولا نرى في الغرب من ابنائهم سوى اثنين او ثلاثة فقط وبهذا نرجو النهوض ونتوسل باسباب الارتقاء

أليس من العار ان يكون بلد يبلغ بمساحته ضعفي مساحة دمشق وفي غناه التجاري من اهم المدن التجارية في البلاد العثمانية وفي طيب مناخه من اجود البقاع وفي مضاء سكانه مثلاً مشهوراً ثم لا تشهد فيه صحيفة عربية واحدة تصدر باسم رجل مسلم من اهلها يعرف طرق الاصلاح ويحسن المطالبة به . ولا مدرسة ابتدائية اهلية تعلم ابن الفلاح والتاجر والصانع ما يلزمه في دينه ودنياه ولا نادياً ولا جمعية ولا شركة تنفع في التعارف والتعاطف والتكافل .

ان معظم البلاد استفادت من نعمة الدستور فهبت تعلم وتفكر في الاصلاح ولكن حلب على ما ظهر لنا في مؤخرة البلدان التي لم تدرك حتى الآن ما يراد بالحرية . ان تلك الطائفة التي تعتز اليوم باموالها وبنيها سيجيء عليها زمن تدثر هي وماجمعت ومن جمعت لهم ان لم تعالج ذاك الضعف المميت بقوة العلم والاخلاق ويستخلف ربنا غيرها في ارضهم ممن يصلحها شأنه في خليقته منذ دحى الارض ورفع السماء

قلعة حلب

اصاب الآثار القديمة في هذه المدينة مااصاب آثار غيرها من البلدان فلم يبق منها الا انقاض تنبيء بغالاة السلف في تجويد البناء واحكامه ومن اهم هذه العاديات قلعة حلب فهي الفخم ماسيف الديار الحلبية من القلاع بنيت وسط المدينة على اكمة ربما كانت صناعية و يحيط بها خندق عظيم كان القدماء يملأونه ماء ليتعذر الوصول اليها الا من مدخلها وهذا من احسن ما يتصور العقل ويقال ان مدينة بروا *Beræa* اي حلب القديمة كانت كلها مبنية في هذه القلعة وقد تعاورتها الايدي بالبناء في قرون مختلفة وظلت مسكونة الى سنة ١٨٢٢ م ايام خربت بالزلازل

يسير الداخل الى القلعة على جسر بديع اقيم فوق الخندق فيبلغ برجاً خارجاً جعل في واجهته انواع من نوافذ الحديد البديع قيل انه من عهد الملك الظاهر لما وجد في مدخله من كتابة تاريخها سنة ٦٠٥ مع بعض الآيات الكريمة وقد بذل بعض علماء الآثار قدراً وافراً من المال لتقلع تلك النوافذ واخذ حديدها واحجارها الى متاحف اوربا فلم تقبل الحكومة ولا تزال تحظر الدخول الى القلعة الا برخصة لانها جعلت فيها مستودعاً

لبعض المهمات العسكرية وفي دهليز القلعة المتعرج عدة كتابات ونقوش بارزة على الحجر ومنها صورة نمر بن علي يمين الباب ويساره من اجمل ما ورثت ايدي الناقشين على الصخور فاذا دخل المرء من الباب وجد ساحة وآثار عدة شوارع وركاما من الانقاض بعضها انقاض جامع ومأذنة وأخرى انقاض اروقة واخرى محال لرصد العدو وفي الوسط صهريج كبير يستقى منه الى اليوم ماء عذب والغالب انه من ماء المطر . والناظر الى حلب من قلعتها يدرك عظمتها وبجلى له برها الفسيح البديع ولا سيما زمن الربيع وقد اكتست السهول والجبال بحللها السندسية

قال ابن الشحنة اول من بنى قلعة حلب سلوقس الذي بنى مدينة حلب وهي على تل مشرف على المدينة وعليها سور محكم البناء وفي وسطها بئر ينزل اليها بمائة وخمس وعشرين درجة قد هندست تحت الارض ويقال لها الآن ساطورة وكان بها دير للنصارى ويقال ان في اساسها ثمانية آلاف عمود ولما ملك كسرى حلب بنى بها مواضع ولما فتحها ابو عبيدة في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه رم اسوارها لانها خربت بسبب زلزلة كانت اصابتها قبل الفتح فاخربت اسوار البلدة والقلعة

ولما استولى نقفور ملك الروم على حلب سنة ٣٥١ امتنعت عليه القلعة ولم يكن لها يومئذ سور محكم ومن ذلك الوقت اهتم الملوك بعمارة القلعة وتحصينها فبنى سيف الدولة وابنه سعيد الدولة وبنو مرداس وعماد الدين اق سنقر وابنه عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وابنه الملك الصالح ولما ملك الملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها وحسنها وبنى بها مصنعاً للماء ومخازن للغلات وبنى سفح تلها بالحجر الهرقلي واجرى بها الى مكانه الآن وبنى على الباب برجين لم يبن مثلهما قط وجعل لها ثلاثة ابواب حديد ولما تسلم التاتار القلعة اخربها واخرب اسوارها واخذ ما كان بها من الذخائر والزردخانات والمجانيق ولم يبقوا بها مكاناً للسكنى واستمرت خراباً الى ان جددت عمارتها في ايام الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولما اتى التمرلنك اخرب اسوار البلد والقلعة واحرقها واستمرت خراباً الى ان جاء الامير سيف الدين جكم نائباً من قبل الملك الناصر فرج برقوق فأمر ببناء القلعة والزم الناس بالعمل في الخندق وازال التراب منه حتى انه عمل بنفسه واستعمل وجوه الناس بحيث كان الامراء يحملون الاحجار على ظهورهم اه

هذا اجمل تاريخ لهذه القلعة البديعة اكبر قلاع سورية واهمها الى القرن العاشر . وما نظن العثمانيين جددوا فيها شيئاً بعد الى يومنا هذا وقد وصفها ابن جبير في رحلته فقال

ومن كمال خلالها المشترطة في حصانة القلاع ان الماء بها نابع وقد صنع عليه جبان فهما ينبعان ماء فلا تخاف الظمأ ابد الدهر والطعام يصنع فيها الدهر كله وليس في شروط الحصانة اهم ولا آكد من هاتين الخلتين ويطيف بهذين الجبين المذكورين سوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد ويعترض دونهما خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة في الحصانة اعظم من ان تنتهي لي اوصفه وسورها الاعلى كله ابراج منتظمة فيها العلالي المنيفة والقصاب المشرفة قد تفتحت كلها طيقانًا وكل برج منها مسكون وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية اه . وهذا اخصر وصف للقلعة زمن عزها وعمرانها ايام كان بها « يضرب المثل في الحسن والحصانة لان مدينة حلب في وطاء من الارض وفي وسط ذلك الوطاء جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صح به تدويره والقلعة مبنية في رأسه ولها خندق عظيم وصل بحفره الى الماء وفي وسط هذه القلعة تصل الى الماء المعين وفيها جامع وميدان وبساتين ودور كثيره »

وما احرى هذا الحصن بقول البحتري من قصيدة يصف بها ايوان كسرى :

لو تراه علمت ان الليالي جعلت فيه مأتمًا بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم لايشاب البيان فيهم بلبس
ليس يدري أصنع انس لجن سكنوه ام صنع جن لأ نس
عمرت للسرور دهرًا فصارت للتعزي رباعهم والتأسي
فلها ان أعينها بدموع موقفات عَلَى الصبابة حبس
ذاك عندي وليست الدار داري باقتراب منها ولا الجنس جنسي

زراعة حلب

ليس في ظاهر حلب من الحدائق الانيقة مايبلغ نحو عشر ما في ظاهر دمشق عَلَى كثرة الماء وجودة التربة هنا . اما في اعمالها فتنبت اكثر الحبوب وتجود معظم الثمار ولولا قلة الري التي تحدث بعض السنين بقلة الغابات وتدرجها نحو الفناء وما يعشش في اوباضها من الجراد في معظم السنين لكانت زراعتها كزراعة بلاد دمشق واكثر ومع هذا فان اقضية دمشق لا تعادل اقضية حلب في زيتونها قال المهلبي وتجلب من كور حلب وضياعها ما يجمع جميع الغلات النفيسة فان بلدة معرة مصرين وجبل السماق بلد التين والزيتون والزبيب والفستق والسماق والحبة الخضراء وقال ابن شداد وفي بعض ضياع حلب ما

يجمع عشرين صنفاً من الغلات . وقال ابن الشحنة ومما اختصت به حلب ماء الورد النصيبي الذي يستخرج بالباب من اعمالها فانه لا يوجد في الدنيا مثله بحيث لا يقاربه شيء مما يجلب الى الديار المصرية من الشام مع ان المجلوب من دمشق عند المصريين في غاية العظمة بحيث يصفه اطباؤهم للمرضى فيقولون ماء ورد شامي . وقال ياقوت ويزرع في اراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والمشمش والتين والتفاح عذياً لا يسقى الا بماء المطر ويجيء مع ذلك رخصاً غضاً رويّاً يفوق ما يسقى بالمياه والسيح . وقال ابن حوقل ان ما حول معرة نسرين من القرى اعذاء ليس بجميع نواحيها ماء جار ولا عين وكذلك اكثر ما بجميع جند قنسرين اعذاء ومياههم من السماء وقال ابن جبير في بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وانواع الفواكه ويتصل التفاف بساتينها واتنظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقاً

ويصدر من حبوبها اليوم [1] الحنطة والشعير والارز والقطن والحمص والعدس والبقلاء وبذر الكتان والاينسون والسمسم والخردل والكزبرة اليابسة والماش والقصب والدخان وغير ذلك ومن الثمار الفستق الجيد في اقضية حلب وقلعة الروم وعينتاب ويجود الزيتون كل الجودة في اقضية حلب وادلب وكليس وحارم وعينتاب وانطاكية وجسر الشغر وتزيب ويجود الليمون والبرتقال بين انطاكية واسكندرونة وفي حلب والباب يجود الرمان وفي اريحا الكرز والوشنة كما يجود في حلب واعمالها انواع الثمار والبقول على اختلاف ضروبها

ويجود التوت في اقضية انطاكية واسكندرونة وبيلان وحارم بكثرة فيكون منه حرير جيد وفي اقضية الولاية ولواء مرعش مثل اقضية جسر الشغر وانطاكية وبيلان وكليس واسكندرونة وقلعة الروم من اعمال اورفة تخرج غابات كثيرة كالبلوط والدردار والصنوبر والعفص والدفلى وغيرها وفي جبال البستان تخرج على اطراف الانهار والجداول اشجار برية من الحور والصفصاف وفي السهول عرق السوس ففي داخل الولاية يكثر التين والعنب والاجاص والدراق وفي السواحل الليمون والبرتقال والكباد والطورنج ويكي دنيا وفي هذه الولاية يكثر البصل والثوم ويجود البطيخ الاحمر «الجبس» من وراء العقل وتزرع البطاطا في بعض الانحاء كما ان الكمأة تستخرج من باديتها وسهولها

(١) تقويم حلب السنوي ٣٢٤ ،

هواء حلب وصحتها

يبلغ ارتفاع حلب خمسمائة متر عن سطح البحر وبالنظر لتعرضها لحرارة الشمس من جهاتها الاربع وعبث الرياح التي لا يحول دونها حائل من الاشجار او غيرها كان بردها شديداً وحرها عَلَى تلك النسبة فهواؤها اقل اعتدالاً من هواء دمشق يزيد في ذلك قلة مياهها في الدور كما هي في دور الفيحاء المشهورة بقاعاتها واحواضها . فهواء حلب جاف معتدل للغاية ولولا بناء منازلها بالحجر لضاقت انفاس سكانها ايام القيظ وقد تبلغ درجة الحرارة الاربعين او اكثر بالميزان المئوي وقد نزلت الحرارة في الشتاء الماضي الى تحت الصفر بخمس وعشرين درجة .

ومع ذلك تجد لاهل حلب رجالاً ونساء من صحة الاجسام ونضرة الوجوه ما لا تكاد تجد مثله في معظم البلاد الداخلية من سورية . قال المهلبي واما اهل حلب فهم احسن الناس وجوهاً واجساماً والاغلب عَلَى الوانهم الدرية والحمرة والسمرة وعيونهم سود وشهل . قلنا اما البياض الناصع فهو كثير للغاية ويزيده رونقاً في بعض النساء تلك الحبة التي تخرج عَلَى الاغلب في الوجوه وتترك اثراً في الخدود بحجم الريال يزيدها رونقاً وحسناً

وهذه الحبة يقال لها في هذه البلاد حبة حلب وهناك يقال لها حبة السنة وليست في الحقيقة خاصة باهل حلب بل يشترك فيها سكان الشرق حتى بلاد فارس . واختلف العلماء في تعليلها فقال قوم انها تخرج لخاصية في ماء حلب ولو صحت هذه النظرية (١) لكان اهل عينتاب وروم قلعة (قلعة الروم) وبيرهجك (البيرة) واورفة (الرها) وخربوت وديار بكر والموصل ودير الزور وبغداد ناجين منها والحال انها تصيبهم كما تصيب الحلبيين حذو القذة بالقذة . وقال قوم انها منبعثة من الماء ولو كان الامر كذلك لاقتضى من ذلك ان تطلع في سكان القرى البعيدة ساعتين عن حلب عَلَى انك لا ترى لها فيهم اثراً

واغلب الاطباء عَلَى انها من الامراض السارية ودليلهم عَلَى ذلك ان ابراهيم باشا المصري لما قدم حلب كان في حملته رجل من قرية بشامون في لبنان فأصيب بالقرحة المذكورة وقبل ان يبرأ منها عاد الى بلاده فعدى بها اهل قريته ويقال انها لا تزال الى اليوم موجودة ويقال لها الحبة الشامونية

(١) تقويم حلب الرسمي

والحقيقة ان امر هذه القرحة لم يبرح سراً غامضاً على الاطباء ومرضاً جلدياً يصاب به الاطفال في الطفولية وبعض الغرباء الذين ينزلون حلب في الكبر ويقيمون فيها سنة وقد ينجون منها واعراضها عبارة عن بثور تظهر في اي طرف كان من اطراف الجسم ويكون في الوجه او اليد او الرجل غالباً حتى اذا شفيت بدون ان ينشأ عنها وجع تترك آثاراً وندوباً بيضاء ويصاب بها الغرباء والوطنيون على السواء كما يصاب بها الكلاب والقطط وكثيراً ما تخرج بعد ان يغادر المرء البلاد بزمن

متنزهات حلب

تتغير اسماء المتنزهات كما تتغير اسماء البلدان بتغير الازمان فمن متنزهات حلب القديمة «اشمونيث» قال ياقوت انها عين في ظاهر حلب في قبلتها تسقي بستاناً يقال له الجوهري وله فضل منها شيء صب في قويق ذكره منصور بن مسلم بن ابي الخرجين يتشوق حلب

ابا سائق الاظعان من ارض جوشن ... سلمت ونلت الخصب حيث ترود
الى اين عنها تشف مابي من الجوى ... فلم يشف مابي عالج وزرود
هل الموجان الغمر صاف لوارد ... وهل خضبته بالخلوق مدود
وهل عين اشمونيث تجري كمقلتي ... عليها وهل ظل الجنان مديد
اذا مرضت ودت بان ترابها ... لها دون اكحال الأساة برود
ومن جرب الدنيا على سوء فعلها ... يعيب ذميم العيش وهو حميد
اذا لم تجد ما تبتغيه تخض بها ... غمار السرى ام الطلاب ولود

«بابلا» قرية كبيرة بظاهر حلب بينهما نحو ميل وكانت عامرة آهلة في ايام ياقوت قال الوزير ابو القاسم بن المغربي

حن قلبي الى معالم بابلا ... حنين الموله المشغوف
مطلب اللهو والهوى وكناس الـ ... خرد العين والظباء الهيف
حيث شطا قويق مسرح طرفي ... والاسامي مؤانسي واليفي

«بطياس» قال ياقوت اهل حلب كالمجمعين على ان بطياس قرية من باب حلب بين النيرب وبابلا كان بها قصر لعلي بن عبد الملك بن صالح امير حلب وقد خربت القرية والقصر قال البحتري

يا برق اسفر عن قويق فطرتي ... حلب فأعلى القصر من بطياس
عن منبت الورد المعصفر صبغه ... في كل ضاحية ومجنى الآس

ارض اذا استوحشت ثم اتيتها حشدت عليَّ فاكثرت ايناسي

وقال ايضاً

نظرت وضمت جانبي التفاتة وما التفت المشتاق الا لينظرا
الى ارجوانيٍّ من البرق كلما ثغر علوي السحاب تعصفرا
يضيء غماماً فوق بطياس واضحاً بيض وروضاً تحت بطياس اخضرا
وقد كان محبوباً اليَّ لو انه اضاء غزالاً عند بطياس احورا

« تل ماسح » قرية من نواحي حلب ذكرها امرؤ القيس في شعره

يذكرها اوطانها تلّ ماسح منازلها من بربعيص وميسرا

« جوشن » جبل مطل على حلب في غربيها في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة وقد اكثر شعراء حلب من ذكره جداً فقال منصور ابن مسلم بن ابي الخرجين النحوي الحلبي من قصيدة

عسى مورد من سفح جوشن نافع فاني الى تلك الموارد ظمآن
وما كل ظن ظنه المرء كائن يحوم عليه للحقيقة برهان

وقال ابن سنان الخفاجي

يابرق طالع من ثنية جوشن حلباً وحيّ كريمة من اهلها
واسأله هل حمل النسيم تحية منها فان هبوبه من رسلها
ولقد رأيت فهل رأيت كوقفة للبين يشفع هجرها في وصلها

قال الخفاجي ومن هذا الجبل كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه « حربنوش » قرية من قرى الجزر من نواحي حلب قال حمدان بن عبدالرحيم الجزري

الاهل الى حث المطايا اليكم وشم خزامى حربنوش سبيل

« دابق » قرية قرب حلب من اعمال عزاز بينها و بين حلب اربعة فراسخ عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى ثغر المصيصة وبقربها قرية اخرى يقال لها دويبق قال عيسى بن سعدان الحلبي

ناجوك من اقصى الحجاز وليتهم ناجوك ما بين الأحص ودابق
أمفارقي حلب وطيب نسيمها يهنيكم ان الرقاد مفارقي
والله ما خفق النسيم بارضكم الا طربت من النسيم الخافق
واذا الجنوب تخطرت انفاسها من سفح جوشن كان اول ناشق

« الدارين » هو ربض الدارين بحلب ذكره عيسى بن سعدان الحلبي في مواضع من شعره فقال :

يا سرحة الدارين ابة سرحة | مالت ذوائبها علي تحننا
ارمي بواديك الغمام ولا عنا | نفس الخزامى الحارثي وجوشنا
أمنفرين الوحش من ابياتكم | حباً بظبيكم اساً او حسنا
اشتاقه والاعوجية دونه | ويصدني عنه الصوارم والقنا

وقال الاعشى :

وكأس كعين الديك باكرت خدرها | بفتيان صدق والنواقيس تضرب
سلاف كأن الزعفران وعندما | يصفق في ناجودها ثم يقطب
لها ارج في البيت عال كأنه | الم به من بحر دارين اركب

« دير حشيان » بنواحي حلب من العواصم ذكره حمدان بن عبد الرحيم فقال :

يا لهف نفسي مما اكابده | ان لاح برق من دير حشيان
وان بدت نفحة من الجانب الـ | غربي فاضت غروب اجفاني
وما سمعت الحمام في فنن | الا وخلت الحمام فاجاني
ما اعتضت مذ غبت عنكم بدلاً | حاشا وكلا ما الغدر من شاني
كيف سلوي ارضاً نعمت بها | ام كيف انسى اهلي وجيراني
لا خلق رقني لي معالمها | ولا اجنني انهار بطنان
لكن زماني بالجزر اذكرني | طيب زماني به فأبكاني

« ديرومانين » يعرف ايضاً بدير الساپان وهو بين حلب وانطاكية مطل على بقعة تعرف بسرمد وهو دير حسن كبير وكان خراباً في القرن السادس وآثاره باقية وفيه يقول الشاعر :

الف المقام بدير رومانينا | للروض الفاً والمدام حزينا
والكأس والابريق يعمل دهره | وتراه يجني الآس والنسرينا

« دير عمان » بنواحي حلب وتفسيره بالسريانية دير الجماعة قال فيه حمدان بن عبد الرحيم الحلبي :

دير عمان ودير سابان | هجن غرامي وزدن اشجاني
اذا تذكرت منهما زمناً | قضيته في عرام ريعاني

ومرَّ ابو فراس بن ابي الفرج البزاغي فقال مرتجلاً :

قد مررنا بالدير دير عمانا | ووجدناه داثراً فشجانا
ورأينا منازلاً وطلولاً | دارسات ولم نر السكانا
وارتنا الآثار من كان فيها | قبل تفنيهم الخطوب عيانا
فبكينا فيه وكان علينا | لا عليه لما بكينا بكانا
لست أنسى بادير وقفتنا في | ـك وان اورثتني النسيانا
من اناس حلوك دهراً فخلو | ك وامسوا قد عطلوك الآنا
فرقتهم يد الخطوب فاصبحـ | ـت خراباً من بعدهم اسيانا
وكذا شيمة الليالي تميت الـ | ـحي منا وتهدم البنيانا
حرباً ما الذي لقيناه من الدهـ | ـر وما ذا من خطبها قد دهانا
نحن في غفلة بها وغرور | وورانا من الردى ما ورانا

« دير مرقس » من نواحي الجزر قال حمدان بن عبد الرحيم يذكره :

الا هل الى حث المطايا اليكم | وشم خزامى حربنوش سبيل
وهل غفلات الدهر في دير مرقس | تعود وظل اللهو فيه ظليل
اذا ذكرت لذاتها النفس عندكم | تلاقي عليها وجدة وعويل
بلاد بها امسى الهوى غير انني | اميل مع الاقدار حيث تميل

وذكر ابن الشحنة في تاريخ حلب طرفاً صالحاً من متنزهات حلب فقال انها كثيرة فمنها ما يقصد في ايام الاعياد والمواسم ويستوي فيه الخاص والعام كباب المقام داخلاً وخارجاً يجمل فيه فيالات [1] وتعمل فيه انواع الفنون وتعقد به الحلق لارباب الصنائع ويباع فيه انواع المآكل وكذلك خارج باب النيرب وخارج باب الفرج الى ارض المالتين والمجدية وخارج باب النصر وظاهر بانقوسا وظاهر باب قنسرين ماداً الى جسر الانصاري. واما ما يقصد في سائر الايام والاوقات التي تخطر للمتنزهين فأولها من جهة القبلة الابيض ثم مرج الخالدي وعين مباركة وعين اشمونيث وهي المعروفة بعين اشمول وارض بطياس والسعدي وهو فضاء فياح تجري فيه انهر متشعبة من نهر واحد بحافتيها مروج خضر وبهامن الزهر المختار مالا يبلغه الوصف ثم الجوهري وهو بستان قديم وصفه الشعراء والبلغاء ومنها الانصاري وجسراه المعروف احدهما بحقل ابن رافع والفيض وجندبات وزاوية عباس

(١) الفيال بالكسر والفتح لعبة للصبيان يخبئون الشيء في التراب ثم يقتسمونه ويقولون في ايها هو

ومنها ارض الخوابي وطواحين السلطان ومشهد الزرازير و بستان شمس لولو وجبل جوشن والقلوت وجسر الطواشي و بستان البقمة و بستان العجمي والكهف و بستان الجزيرة والحيشي وقيصر ومرجة القرابين وجسر باب انطاكية وجسر باب الجنان وجنينة المهمندار المعروفة آخر وقت بابن نجيح و بستان الوزير وجهرة الانكليس ومنها بابلى وهي قرية قريبة متصلة ارضها بارض بانقوسا بها عدة جواسق وبحرات وجنينات وغير ذلك . ومنها قرنبيا وجبل البختي والمزازة والميدان الاخضر ومشهد سيدي فارس وقسطل الحاجب و بعادين ومرجة اغلبك وارض باصفراء وعين التل والارض المسماة بالجوز سميت به لاشجار جوز عظام كثيرة الظل عَلَى شاطئ النهر ممتدة الى حيلان وحوش البدوية وهو مكان فياح عَلَى نشز من الارض ينبت فيه الشيح والقيصوم والقرنفل والصعتر ومنها الخناقية والكتف الازرق والارض الجديدة وجورة الاسقف التي بها بستان النصيبي وتجاه مرج السلحولية ثم جنينة عبيد والناعورة وارض الحلبة ورأس الطابق والنهريات وهي مسافة يومين من اول المسلمية الى تل السلطان .

والصنوبري الشاعر قصيدة طويلة في وصف بعض متنزهات حلب وقراها القريبة جاء فيها

حبذا البا آت با آ ... ت قويق ورباها
بانقوسا ها بها ... باهى المياه حين باها
و بيا صفرا و بابـ ... لا و با (؟) مثلي وتاها
لا قلى صحراء نافر (؟) ... قل شوقي لا قلاها
لا سلا اجبال باسا ... بين قلبي لا سلاها
و ياسلين فليبـ ... ـغ ركابي من بغاها
والى باشقليشا ... ذو التناهي بتناهى
و بعاذين فواها ... لبعاذين وواها
بين نهر وقناة ... قد تلته وتلاها
ومجاري بركة يجلـ ... ـو هموي مجتلاها
ورياض تلتقي آ ... مالنا في ملتقاها
زاد اعلاها علواً ... جوشنًا لما علاها
وازدهت برج ابي الحا ... رث حسنًا وازدهاها

واطبت مشرف الحصـ ـن اشتياقاً واطباها
وارى المنية فازت كل نفس بمناها
اذهوايَ العوجان السـ ـالب النفس هواها
ومقيلي بركة الشـ ـل وسيبات رحاها
بركة تربتها الكا فور والدر حصاها
كم غواني طربي حيـ ـتانها لما غراها
اذ تلا مطبخ الحيـ ـتان منها مشتواها
بمروج اللهو القت غير لقاتي عصاها
و بمقهى الكاملي اسـ ـتكملت نفسي مناها
وغرت ذا الجوهري الـ ـحزن غيثاً وغراها
كلأ الراموسة الحسـ ـناء ربي وكلاها
وجزى الجنات بالسـ ـعدى بنعمى وجزاها
وفدى البستان من فا رس صب وفداها
وغرت ذا الجوهري الـ ـحزن محلولاً غراها
واذكروا دار السليما نية اليوم اذكراها
حيث عجنا نحوها العيـ ـس تباري في براها
وصفا العافية المو سومة الوصف صفاها
فهي في معنى اسمها حذ و بحذو وكفاها
وصلا سطحي واحوا ضي خليليَّ صلاها
وردا ساحة صهر يجي على سوق رداها
وامزجا الراح بماء منه اولا تمزجاها
حلب بدر دجى ان جمها الزهر قراها

للرحلة صلة

قانون الجماعات

وشرح المغمض منه

ابنت في جزء سبق ان القوانين التي تبحث عن افعال الناس الناشئة من اجتماعاتهم تقسم الى قسمين : قسم له مساس بالامن العام رأساً وآخر بالواسطة وقلت ان افعال الناس المجتمعة التي قد تخل بالامن العام تظهر في مظهرين . الاول دائمي والآخر موقت

والقانون الذى يبحث عن الاجتماعات الدائمة قانون الجمعيات وقد مرت ترجمته وشرح شرحاً اجمالياً . واما القانون الذي يبحث عن الاجتماعات الموقتة فهو قانون (الجماعات) وهو موضوع بحثنا اليوم .

***

هذا القانون كناية عن (١١) مادة فقط . وهو مأخوذ عن القانون الصادر في فرنسا عام ١٨٨١ وكثير الشبه به . وقد نشر في ٢٠ جماوى الاولى عام ١٣٢٧ موافق ٢٧ ايار سنة ١٣٢٥ . عقيب حوادث ٣١ آذار المعلومة .

***

المادة الاولى — . العثمانيون احرار في عقد الاجتماعات العامة بلا سلاح . وبشرط الرعاية للمواد الآتية فلا حاجة لاخذ الرخصة .

ايضاح — . اعلن واضع القانون حرية الاجتماع بهذه المادة بكل صراحة . لان هذا حق من حقوق الامة الطبيعية متولد من حرية الكلام وحرية تعاطي الافكار وحرية اتحاد الآمال .

الاجتماعات قسمان (١) سياسي (٢) وغير سياسي وكلاهما جائز . والدليل قول واضع القانون (الاجتماعات العامة) كما مر في المتن بدون قيد

وهنا نجد بيننا و بين فرنسا فرقاً مهماً يجلب نظر . وهو ان قانون الاجتماع الفرنساوي يمنع الاجتماعات لاجل الانتخابات . واما قانوننا فيجوزها كما هو مستفاد من اطلاق هذه المادة . اي ان قانون الاجتماع الفرنساوي لا يسوغ الاجتماع الا للمرشحين والمنتخبين فقط . واما قانوننا فهو مطلق الحرية للمرشحين والمنتخبين ولكل ناظر

ثم مر في متن المادة كلمة (العثمانيون احرار) فيفهم من هذا بان الاجانب ممنوعون

من الاستفادة من هذا الحق . لان لكل كلمة مفهومين : مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة . فان ذكر احدهما يستدل عَلَى ان الآخر غير مقصود وغير مطلوب . فقول واضع القانون هنا (العثمانيون) يدل بانه قصد اخراج غير العثمانيين من مدلول هذه الكلمة . ومن هنا يستدل بانه لا يسوغ لغير العثمانيين الاستفادة من حق الاجتماع .

يقول بعض علماء اصول الادارة الملكية ولا سيما الاستاذ ضيا بك بجواز عقد الاجتماع من قبل الاجانب نزلاء بلادنا بشرط ان لا يتدخلوا بالسياسة المحلية . واما هذا العاجز فيرى ان هذا القول من قبيل التوسع الفكري وليس من التفسير القانوني . لان القانون حصر هذا الحق بالعثمانيين حصراً بيناً بقوله (العثمانيون احرار) بدون تقييد بشيء آخر .

اما اذا قيل بان هذا حق لكل الافراد طبيعي لا يجوز نزعه من الاجانب . فاقول بان القوانين توضع في الاصل لاجل تحديد كل حق يحتمل ظهور اقل ضرر منه . وناهيك بما يقول له الاجانب حق وهم منفردون وحينئذ احكم كما تشاء عَلَى ما يمكن حدوثه منهم وهم مجتمعون . فلهذا السبب ارى الاكتفاء بصراحة القانون اوفق للاحتياط والتبصر بعواقب الامور . واما ان قيل : اما يسوغ لهم الاشتراك مع العثمانيين في اجتماعاتهم ؟ — فاقول ايضاً لا يجوز لان القانون وحساب العواقب هكذا يقضيان لان اقل امر يحدث في اثناء الاجتماع ربما احدث اعظم المشاكل مع الدولة التي ينتسب اليها هذا الاجنبي . ولذلك كان اتباع ظاهر القانون اوفق واسلم وانفع . ولا سيما اذا كان الاجتماع سياسياً فعدم قبول الاجنبي فيه من اضر الضروريات لا علاقة له به مطلقاً .

مر في المتن ايضاً كلمة (بلا سلاح) فاذا كان المجتمعون مسلحين علناً او سراً فهذا الاجتماع ممنوع . اما ان كان شخصان او ثلاثة من بين هذا الجمع الغفير مسلحين فيجب عَلَى هيئة الادارة تجريدهم من سلاحهم واذا امتنعوا فيعد الاجتماع مسلحاً ويمنع .

مر في المتن ايضاً بان الاجتماع غير متوقف عَلَى اخذ اذن من الحكومة . نعم لا يجب الاستئذان لذلك الا انه لما كان من الممكن وقوع ما لا تحمد عقباه اثناء الاجتماع اشترط واضع القانون بعض الشروط عَلَى مسببي الاجتماع حفظاً للامن العام . وهذه الشروط مدرجة في المادة ٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ كما سيأتي بيانها .

المادة الثانية — قبل الاجتماع يجب تنظيم بيان يتضمن يوم الاجتماع وساعته

ومحل وقوعه وان يمضى من شخصين احدهما متوطن في محل عقد الاجتماع وان يكونا نائلين حقوقهما المدنية والسياسية على شرط ان يصرحا باسميهما وشهرتيهما وصفتيهما ومحلي اقامتيهما

ايضاح — . الاجتماع غير منوط باذن الحكومة . الا انه يجب اخبارها بوقوعه لاجل اتخاذ التدابير اللازمة خوفاً من وقوع ما يكدر الخاطر ولاجل منع الاجتماعات الغير الجائزة قانوناً بمقتضى المادة ٣ و٦ و٧ و٨ و٩ من هذا القانون

قيل في المتن (يجب تنظيم البيان قبل الاجتماع) . وهذه المدة يجب ان تكون (٤٨) ساعة . لتتمكن الحكومة من جلب قوة عسكرية كافية من المحال الاخرى ان لم يوجد هناك عسكر . اما فرنسا فجعلت هذه المدة (٢٤) ساعة . بالنظر لكثرة المواصلات هناك وسهولة جلب العسكر .

مر في المتن ايضاً ضرورة بيان (يوم الاجتماع وساعته ومحل وقوعه) وهذا ايضاً ضروري . لتتخذ الحكومة التدابير اللازمة بالوقت المعين خوفاً من اجراء الاجتماع قبل ان تتخذ الحكومة التدابير الاحتياطية .

وهكذا قيل في المتن (يجب ان يمضى من شخصين احدهما متوطن في محل عقد الاجتماع) فاذا امضى البيان شخصان احدهما متوطن في البلد الذي سيقع الاجتماع فيه والثاني من بلد آخر فهو جائز بنظر القانون . وقصد واضع القانون من كلمة (محل) البلاد والقصبات والقرى .

مر في المتن (نائلين حقوقهما المدنية والسياسية) واليك البيان :

الحقوق المدنية — . هي ان يكون غير ساقط من هذه الحقوق وهي مذكورة اجمالا في المادة ٣١ من قانون الجزاء ومدرجة في الصفحة (٤٦٥) من مقتبس هذه السنة في شكل خلاصة الخلاصة

الحقوق السياسية — . هي الحقوق التي تؤهل المرء للاشتراك في ادارة المملكة . مثل حق انتخاب المبعوثين وحقوق التوظف في دوائر الحكومة والعسكرية الخ .

ثم يجب ان يصرح هذان الرجلان اللذان سيمضيان البيان باسميهما و بشهرتيهما و بجميع علائمها المميزة ليسهل على الحكومة البحث عنهما عند الاقتضاء .

المادة الثالثة — . يعطى البيان في استانبول لناظر الضابطة وفي الملحقات للولاة وَالمتصرفين وَالقائممقامين وَالمدبرين ، ويجرد اعطاء البيان يؤخذ بمقابله علم وَخبر .

وان يعطى علم وخبر فلمقدمي البيان تنظيم ورقة ضبط وامضاؤها من شخصين من الحاضرين يكونان من الحائزين على الشروط المدرجة في المادة الثانية · وحينئذ يسوغ عقد الاجتماع · ويجب التصريح باليوم والساعة التي سيقع الاجتماع فيها في العلم وخبر وورقة الضبط · اما الاجتماعات التي تقع بلا علم وخبر وورقة ضبط فهي ممنوعة · ويجازى مرتبو الاجتماع بالحبس من اسبوع الى شهر او بالتغريم بجزاء نقدي يختلف بين الثلاث ليرات وخمس عشرة ليرة

ايضاح — · (ورد بان البيان يعطى باستانبول لناظر الضابطة) · اما وقد اصبحت استانبول ولاية كسائر الولايات فيجب والحالة هذه اعطاؤه للوالي بها ·

ثم اذا امتنع مأمور الادارة عن اعطاء علم وخبر في مقابل البيان فعلى مقدمي البيان تنظيم ورقة ضبط تبين امتناعه · ويجب ان يمضى هذا الضبط من رجلين آخرين غير مقدمي البيان · وبهذه الصورة تكون ورقة الضبط محتوية على اربعة امضاآت · اثنان مدعيان واثنان شاهدان لاجل محاكمة المأمور · وجزاء من يمتنع عن اعطاء هذا العلم والخبر قطع راتب شهر لاول مرة واذا تكرر فيطرد من مأموريته وفقاً للمادة (١٠٢) من قانون الجزاء ·

العلم وخبر لا يتضمن الترخيص بل يتضمن الاستخبار من قبل من هو مكلف بحفظ الامن العام · اي ان معنى البيان الاخبار ومعنى العلم والخبر وثيقة لاجل عدم الانكار في المستقبل · حتى اذا ما وقع محظور من الاجتماع وسئل عنه مأمور الادارة الملكية واراد الانكار وادعى بانه لم يعلم بوقوع الاجتماع ليتخذ التدابير اللازمة يقال له ان المجتمعين قد اخبروك وهذا العلم والخبر دليل على ذلك اذاً انت متهاون ولهذا انت جدير بالجزاء هذا هو سر لزوم اعطاء البيان والعلم والخبر لا غير · لان الاجتماع غني عن الاستئذان لكونه حقاً من الحقوق الطبيعية · اما الاجتماع الذي يقع بدون اخبار الحكومة بتاتاً فهو ممنوع · اي ان للبوليس الحق في فضه اولاً بالكلام ثم بالتهديد ثم بالاكراه ثم ان الضرب والجرح والقتل الذي يقع من مأموري الضابطة اثناء ايفاء وظائفهم يؤدي الى المعذرة بموجب المادة ١٨٩ من قانون الجزاء العام وقانون البوليس والجندرمة الخصوصيين وعلى هذا ففي كلمة (ممنوع) فسخ الاجتماع بكل التدابير حتى تصل الى قتل من يخالف امر البوليس · وهذا الاخير غير مسؤول عن هذا القتل بالنظر لما هو مصرح به في المادة المذكورة من قانون الجزاء ·

وبعد تفريق المجتمعين يجازى المرتبون بالجزاء المدرج في متن المادة المذكورة آنفاً .

المادة الرابعة — • يجب ان تمر ثماني وار بعون ساعة بين اعطاء البيان وعقد الاجتماع . مر سبب هذا اعلاه في شرح المادة الثانية .

المادة الخامسة — • يجب ايضاح سبب الاجتماع والمقصد منه في البيان .

ايضاح — • حتى يتسنى للحكومة منع الاجتماع الغير القانوني ولاجل التبصر في مقدار العسكر الذين يجب ارسالهم للمحافظة ولاجل ارسال مأمور خاص لمحل الاجتماع للنظارة عليه وحتى اذا ما خرج عن الموضوع يفسخ الاجتماع الخ

المادة السادسة — • الاجتماعات ممنوعة في المحال المكشوفة والقريبة مقدار ثلاثة كيلو مترات من سراي السلطان المعظم ومن دائرتي المبعوثان والاعيان اثناء انعقاد المجلس العمومي .

ايضاح — • مر في المتن كلمة (مكشوفة) ومعناها ان الاجتماع يقع اما في محال مكشوفة او في محال مغلقة اي ذات سقف وباب . ومثال الاول الساحات والعراص ومثال الثاني القهاوي ودور التمثيل والاندية . لماذا ؟ لان من الاجتماعات ما يجب اجراؤه في محل مغلق كالمحاضرات العلمية . لان هذه لا تلقى على قارعة الطريق . ومنها ايضاً ما هو واجب اجراؤه في المحال المكشوفة كالاحتجاج على عمل ما يخالف القانون صدر من الحكومة او من شركة ما ولما كان هذا شاملاً لجميع الاهلين غالباً فبالضرورة يجتمعون في الساحات والعراص على الاكثر . فلهذا السبب اساغ واضع القانون كلا النوعين من الاجتماعات .

واستثنى منها ما يقع في المحال المكشوفة القريبة من سراي السلطان المعظم ومن مجلس المبعوثان والاعيان اثناء انعقاد المجلس العمومي مسافة ثلاثة كيلو مترات اي ثلاثة آلاف متر .

كذلك قيل في المتن (سراي السلطان) والقصد من هذه الجملة سرايه في استانبول لا القصور العامة في الملحقات . لان كلمة (همايون الملصقة بسراي في الاصل التركي اي سراي همايون) تفيد التخصيص بسرايه الخاص .

اعرف والياً من ظلمهم الحظ واجلسهم على عرش الولاية اراد منع احتجاج على عمله وذهب لتفسير (سراي همايون) بدار الحكومة . وبعد اللتيا والتي اقنعناه بحقيقة المسألة

قيل في المتن ايضاً (اثناء انعقاد المجلس العمومي) ومعنى هذا ايضاً اذا لم يكن

المجلس العمومي اي مجلس المبعوثين والاعيان منعقدين فالاجتماع جائز بالقرب منهما ولو بمسافة اقل من ثلاثة كيلو مترات ·

وهكذا يستفاد من كلمة (المحال المكشوفة) بان الاجتماعات التي تقع في المحال المغلقة في القرب من السراي السلطاني ومن المجلس ولو كانا منعقدين فهي غير ممنوعة ايضاً

ثم قيل في اول المتن (ممنوعة) وقد مر معنى المنع القانوني في شرح المادة السابقة

فالاجتماع الممنوع اذاً (١) هو الذي يقع في المحل المكشوفة القريبة من سراي السلطان مسافة ثلاثة آلاف متر (٢) التي تقع في المحلات القريبة من مجلس الاعيان والمبعوثين على مسافة ثلاثة كيلو مترات اثناء انعقاد المجلس العمومي · اما الاجتماعات التي تكون في محال مستورة فهي جائزة ولو كانت على مقربة من سراي السلطان والمجلسين

المادة السابعة — · لا يسوغ الاجتماع في الطرق العامة المعدة للمرور والعبور · واما زمان الاجتماع فهو من طلوع الشمس الى غروبها في الاماكن المكشوفة ·

ايضاح — · شرع الاجتماع ونظر اليه من قبل علماء فن تدبير المملكة بنظر حق طبيعي لانه مؤد الى نفع عام و خاص · اما اذا وقع في الطرق العامة فمن المحقق انه يعطل المارين والعابرين و يعوق سير التجارة و يخل بحرية ارباب الصنائع وسائر المسالك الاخرى · ولما كان درء المفسدة اولى من جلب المنفعة وفقاً للمادة الثلاثين من قانوننا العام اي مجلة الاحكام منع هذا الاجتماع الذي يقع في الطرق العامة · لكي لا نكون جلبنا ضرراً محسوساً لجلب نفع موهوم ·

هذا هو سبب الفقرة الاولى الادارية من هذه المادة ·

واما الفقرة الثانية فهي تبين وقت الاجتماع · فكما ان الاجتماع يقع في المحال المكشوفة والمستورة فهو محتمل الوقوع في الليل والنهار ايضاً · زمان الاجتماع في المحال المكشوفة من طلوع الشمس حتى مغربها · واما في المستورة فيجوز دوامه ليلاً ايضاً كما انه يسوغ عقده في منتصف الليل او في اوله او آخره · لان المحافظة هناك سهلة جداً · لا سيما والمحال المغلقة هي اما قاعة خاصة دار تمثيل او قهوة كبرى · وهذه الايضاحات مستنبطة من مفهوم المخالفة لقيود هذه المادة والتي قبلها ·

المادة الثامنة — · يدار الاجتماع من هيئة مركبة على الاقل من ثلاثة اشخاص ·

وعلى هذه الهيئة الاعتناء بمحافظة الانتظام ومنع ما يخالف القانون والاهتمام بعدم الخروج عن موضوع البيان وعدم ايراد الخطب المخلة بالامن العام والآداب العامة وعدم

التفوه باقوال تكون من قبيل التشويق لايقاع الجرائم · وان لم تعين هـذه الهيئة من قبل ممضي البيان فيجب انتخابها من المجتمعين · واذا وقع فعل يخالف المادة السابعة وهذه المادة فالتبعة توجه على هيئة الادارة وقبل تأليفها فالتبعة على ممضي البيان ·

ايضاح — · يجب ان يكون الثلاثة الاشخاص الذين يؤلفون الهيئة الادارة حائزين على الشروط الثلاثة المدرجة في المادة الثانية من هذا القانون · لانه لا فرق بين هيئة الادارة وممضي البيان ابداً · لا سيما وهو مجاز لحكومة توجيه تبعة الاجتماعات على ممضي البيان كما هو مذكور في متن هذه المادة ·

هيئة الادارة مكلفة بواجبات ستة واليك بيانها بمثال :

اولاً — المحافظة على الانتظام : لان التشتت يضيع الفائدة المنتظرة من الاجتماع وهي مثل تعارض الخطباء والصراخ وكل ما يخل بالسكون المطلوب · الاجتماع المنتظم هو الذي يخطب به الخطيب والناس تسمع له والذي لايتكلم به احد سوى الخطيب · فاذا عارض الخطباء بعضهم وظهر لكل واحد منهم حزب يؤيده فهناك يعد الانتظام مختلا يحتاج لمداخلة هيئة الادارة ·

ثانياً — منع ما يخالف القانون : اذا ترك احد ارضه الاميرية ثلاث سنين متوالية معطلة تعد محلولة و يؤخذ من صاحبها الاصلي (بدل المثل) عنها وان لم يدفع هذا فتؤخذ منه وتباع بالمزاد من غيره · هذا مؤيد في المادة (٦٨) من قانون الاراضي · فلو اراد خطيب يخطب بعكس هذا لما جاز له ويجب هنا ايضاً مداخلة هيئة الاجتماع الادارية ويجب عليها منعه · وهكذا جميع القوانين بلا استثناء · اما من رأى اعوجاجا في القوانين فعليه ان ينبه مرجعها بلائحة خاصة او بواسطة الجرائد وهذا مشروط بأن يكون تصديق القانون التصديق الرسمي ·

ثالثاً - - عدم الخروج عن موضوع البيان :مثلاً لو قيل في البيان بأن هذا الاجتماع هو لاجل الاحتجاج على حكومة اليونان فقط فلا يجب الخروج عن ذلك ويجب المنع ان حصل احتجاج على حكومة الجبل الاسود لان البيان كان عبارة عن الاحتجاج على اليونان لا غيره · وقس عليه البواقي ·

رابعاً — الامن العام : غني عن الايضاح

خامساً — الآداب العامة : لو اراد الخطيب استعمال البيرا او احدى المشروبات الاخرى اثناء خطابه فيمنع من ذلك · لان آدابنا الاسلامية تحظر علينا التهتك بالمنكرات ·

وهنا ايضاً يجب على الهيئة الادارية ان تتدخل بالامر ·

وهذا الامر يشمل الغير المسلمين ايضاً · نعم يسوغ لهم استعمال المشروبات المسكرة ولكن في اماكن خاصة لا علناً لان الآداب العامة الوطنية (وهي اسلامية بالنظر الاكثرية) لا تجيز ذلك بتة والقصد من الآداب العامة مراعاة العواطف لا غير · وهل يجوز لغير المسلمين عقلاً ومنطقاً جرح عواطف اخوانهم المسلمين اكثرية المملكة باستعمال المشروبات علناً ? كلا · اذن يجب منع الخطيب الغير المسلم ايضاً ان اراد استعمال البيرا او الكونياك على منبر الخطابة العلني · وهم يعملون هذا تقليداً للاوروبيين · اما آدابنا فلا نستطيع ان تهضم هذا بوجه من الوجوه · ولذلك منع واضع القانون هذا وامثاله وبهذه الصورة حفظ الآداب العامة من طروء الخلل عليها :

وهذا لا يحجز حرية احد لان الانسان حر في بيته يفعل ما يشاء ويشرب ما يشاء ·

سادساً — عدم التفوه بأقوال تشوق الى ارتكاب الجرائم : وهذا ايضاً غني عن الايضاح ·

هذه الامور الستة واجبات الادارة يجب الانتباه لها واذا حصل تهاون بها فالجزاء محقق بموجب المادة العاشرة من هذا القانون ·

قد يمكن ان لا يبين الشخصان اللذان يمضيان البيان اسماء هيئة الادارة لاسباب عديدة · فاذا ما وقع مثل هذا الحال · وجب على المجتمعين انتخاب ثلاثة اشخاص من بينهم قبل كل شيء وتعريف الحكومة عنهم واذا لم ينتخب احد لهيئة الادارة فتوجه التبعة على ممضي البيان والجزاء يكون بموجب المادة العاشرة ·

المادة التاسعة — · يوسل من قبل الحكومة الى محل الاجتماع مأمور ملكي او عدلي ولهذا المأمور ان يوجد في المحل الذي يعده مناسباً · وله ان يفسخ الاجتماع اذا طلبت هيئة الادارة ذلك او وقعت منازعة ومجادلة تخل بالضبط والربط

ايضاح — اذا قيل حكومة يجب ان يخطر على البال رؤساء الادارة الملكية اي المختار والمدير والقائم مقام والمتصرف والوالي وناظر الداخلية والصدر الاعظم ·

واذا طلبت هيئة الادارة فلهان بأمر البوليس والجندرمة فسخ الاجتماع ·

قيل في المتن (منازعة ومجادلة) وهذان قسمان قولي وفعلي · فان كانت قولية فلا يسوغ له المداخلة بدون طلب من هيئة الادارة واذا حصل ما يخالف القانون فتوجه التبعة على هيئة الادارة والفاعلين · اما اذا كانت المنازعات والمجادلات فعلية فله ان يتدخل من تلقاء نفسه ويفسخ الاجتماع · وهذا مستنبط من قول القانون (منازعة ومجادلة مخلة

بالضبط والربط) والاخلال بالضبط والربط لا يكون بالقول مطلقاً ٠

اما اذا اتى احد المجتمعين بشيء يغاير الآداب او تكلم بكلام يخل بالامن فعلى الهيئة الادارية ان تراجع المأمور الخاص وهو يمنع هذا الرجل من عمله وكلامه وينظم ضبطاً ويودعه للعدلية لاجل مجازاته بموجب المادة العاشرة ٠ وان لم تراجع الهيئة الادارية المأمور فتكون الهيئة مسؤولة ايضاً ٠ وان عدلها من المأمور خاطره ولم ينظم ضبطاً بها فيجازى هو ايضاً بقطع راتب شهر جزاء تهاونه ٠ وفقاً لقانون الجزاء لا لهذا القانون ٠

المادة العاشرة — يجازى من يخالف احكام هذا القانون بالحبس من ٢٤ ساعة الى اسبوع او بالتغريم بجزاء نقدي من ٢٥ غرشاً الى ليرة ٠ بشرط ان لا تخل احكام القوانين الاخرى بحق من يأتون بالجرائم الاخرى

ايضاح — لو ضرب احد آخر اثناء الاجتماع فيجازى جزاء الضرب العادي المدرج في قانون الجزاء ولا يكتفى بهذا الجزاء الجزئي المحرر في هذه المادة ٠ وهذا الجزاء خاص بمن يخالف هذا القانون المؤلف من احدى عشرة مادة فقط فلو صرح مثلاً احد المجتمعين اثناء الاجتماع يجازى بهذا الجزاء لانه اخل بانتظام الاجتماع ٠ والحاصل ان هذا القانون لا يعارض قانون الجزاء العام بتاتاً

المادة الحادية عشرة — ٠ ناظرا الداخلية والعدلية مأموران باجراء هذا القانون ٠

في ٢٠ جمادى الاولى ٣٢٧ و ٢٧ ايار ٣٢٥ ٠

ايضاح — الداخلية والعدلية ابداً لحفظ الصحة والطب ٠ فكما انه قبل المرض تراعى قواعد حفظ الصحة ولا يراجع الطبيب الا بعد وقوع المرض فمأمور الداخلية والبوليس والجندرمة يتخذ كل انواع الاحتياط ويتخذ جميع التدابير لاجل منع كل عمل يخالف هذا القانون ٠ واما ان حصل خلاف فهناك تبتدئ وظيفة مأموري العدلية ٠ اي وظيفة العدلية تبدأ حيث تنتهي وظيفة رجال الداخلية ٠

هذا هو قانون الاجتماع متناً وشرحاً وقد استندت في شرحي له على اربع مسائل[1] اقوال علماء أصول الادارة الملكية[2] وعلى دلالة القوانين الاخرى[3] وعلى الاوامر الصادرة من المراجع العليا[4] اقوال علماء اصول الفقه والمنطق ٠ واشرت الى ذلك فيما رأيت لذلك داعياً ؟

وبعد ترجمة المتن وشرحه كما مر ارى الحاجة ماسة لبيان اقوال علماء فن تدبير المملكة بحق الاجتماعات على طريق الايجاز الزائد ليكون القارىء على بصيرة تامة واليك البيان:

يقول العلماء لهذه الاجتماعات الاجتماعات العامة Béunion publique ويقسمونها الى اقسام عديدة: (١) اجتماع شامل (٢) واجتماع خاص (٣) دنيوي (٤) ديني (٥) مشروع (٦) غير مشروع (٧) مهيأ Organisée (٨) غير مهيأ اومشوش Attroupenent · ونبحث الآن في تعريف كل قسم من هذه الاقسام على وجه الايجاز ·

الاجتماع الشامل — · الذي يسوغ لكل الناس الاشتراك به سواء كان باجرة اومجاناً مثل الاشتراك لاجل سماع المحاضرات العلمية والسياسية والصناعية

الاجتماع الخاص — · الذي لا يسوغ الاشتراك به لغير المدعوين مثل الضيافات بانواعها · وهذه حرة عندنا بدون قيد وشرط ·

الاجتماع الدنيوي — هذا يكون لمقاصد عديدة تارة سياسية واخرى اقتصادية ومرة علمية وثانية تجارية ·

الاجتماع الديني — · هو من قبيل الاجتماع بالجوامع والكنائس · لاقامة الشعائر واستماع النصائح · وهذه الاجتماعات ايضاً غير تابعة بصور وشروط قانونية

الاجتماع المشروع — ما كان موافقاً للقوانين · واما الغير المشروع الغير الموافق للقوانين الاخرى

الاجتماع المهيأ — · الذي يكون مبنياً على نية معلومة وقصد محدود معين

الاجتماع المشوش — هو الذي يكون من قبيل التصادف اوالتشويق الوقتي ·

فقانون الاجتماع الذي ترجمته وشرحته بهذا العدد من مقتبسنا بحث عن الاجتماعات الشاملة والدنيوية والمشروعة والغير المشروعة والمرتبة · ولم يتدخل قط في الاجتماعات الخاصة والدينية والمشوشة قطعياً · ولا بد ان تنتبه الحكومة لهذه الاقسام الثلاثة الاخيرة وتضع لها قوانين تبحث عنها أسوة بجميع الدول المتمدنة ووقاية لحال الامة من تشويقات المشوقين الضالين المضلين ومن سوء تفسير رجال الادارة صيغة الخط والاتفاق · فان تسعة اعشار تذبذبنا الاداري ناشئ لعمر الحق من هؤلاء الضالين ارباب النفوذ ومن جهالة من يقال لهم آمرون

بيروت — حسني عبدالهادي

اخبار وافكار

الاسفنج

لا يعرف العلماء حتى الآن فيما اذا كان الاسفنج يعد من الحيوان مع انه ايضاً مشترك مع النبات كما لا يعرفون كيف يتغذي فهو يتناول غذاءه من منافذه ولكن ما هي ماهية هذا الغذاء الموزع على نصاب المدل وهذا من المجهولات ايضاً .

وان الاسفنجة المعتدلة تبلغ ١٨ سنتمتراً في اربع سنين واهم مصايد الاسفنج في سورية و بحر الادرياتيك وعلى شواطىء تونس . وقد اخذت اميركا ولا سيما شواطىء فلوريدا تخرج الاسفنج منذ مدة ايضاً و يجيء هذا الصنف من كوبا وجزائر براهاما . و يستخرج الاسفنج على صور مختلفة واكثرها استعمالاً ما يغوصون عليه في اعماق تختلف من ١٠ الى ١٥ متراً فينزعون هذا الحيوان من الصخر الذي علق فيه ومنهم من يستعملون اجراس الغواصة فيتراكض كلاب البحر فلا يتقيها الغائص الا بان يتماوت فتكف عنه لان كلب البحر لا يقترب من الجثث الهامدة . وقد عني الدكتور مور بزراعة الاسفنج بدون ساق وهو ابقى من غيره من الانواع وطريقته ان يقطع الحيوان قطعاً قدر كل واحدة خمسة سنتمترات مربعة و يركزها الى اوتاد مغموسة بماء البحر فتكبر هذه القطع و يصبح وزنها خمسة وعشرين ضعفاً عما كانت عليه وذلك في خلال ثمانية عشر شهراً .

العصر الحجري

لم تدثر اجناس البشر التي كانت معروفة في العصر الحجري الغريق في القدم فان قبائل اواسط اوستراليا تمثل آخر بقاياه . فقد باد قدماء التاسمانيين الذين كانوا فرعاً من تلك القبائل ولم يتحقق اهل فرسان اندمان (ارخبيل في خليج بنغالا) واستفظ اهل اوستراليا بسحناتهم وصفاتهم وهم قوم رحل مختلفة لهجاتهم بعيدون عن كل مدنية احط خلق الله في المعارف وصحة الاجسام ينزلون رمالاً لا ينبت فيها غير العوسج يعيش رجالهم بالصيد بالحراب والنساء يقلعن جذوعاً و يبحثن عن الديدان يتغذين بها . وكلهم من اكلة البشر لا يعرفون الثياب يسترون عوراتهم بزنار بسيط واذا اكلوا انساناً من البيض الضالين في اصقاعهم يأخذون قيمته يجعلونها على رؤوسهم واحذيته وجوار به في ارجلهم علامة على الكبرياء والعظمة . ومساكنهم عبارة عن اكواخ من الاغصان

لا يعرفون المعادن الا منذ زارهم بعض ارباب الرحلات وليس لهم آنية في مساكنهم ولا يحسبون الا على اصابعهم الى الصف الاول من الاعداد لا يتعدونها الى اكثر ولكنهم ماهرون في رسم بعض الصور عَلَى الحجارة وفي تزيين اتراسهم بيد ان حذقهم في هذه الصناعة احط من حذق اهل عصر الوعل في اوربا الغربية · ويقول العالم الاخصائي في احوالهم ان سكان اوستراليا الوسطى الاصليين جاؤوا من اختلاط بين زنوج بابوان وجنس من الخلق ارقى من الجنس القوقازي امتزج الجنسان معاً منذ الزمن الاطول ايام كانت استراليا جزءاً من قارة آسيا

السمك الاحمر

كان الغربيون يتسلون بتربية السمك الاحمر كما نتسلى به في سورية بجمله في بواطي وزجاجات وتغيير مائه اليوم بعد اليوم وقد عدلوا لعهدنا عن تربيته ولم تبق الا جزيرة صقلية تألف تربيته فيجعلون فيها غدراناً مساحتها مئة متر مربع تفصل الواحدة عن اختها حواجز وسدود تفصلها بعضها عن بعض قليلاً وهي قليلة العمق يجعلون ماء الاحواض عَلَى حرارة ٥٠ درجة ولا يفتأون يغيرون عنها الماء ويلونونها بان يضعوا في الماء شيئاً من الحديد والعطان (قشر البلوط المسحوق للدبغ) والعفص وطعامها من الهوام والدم الجمد وبقايا اللحوم والشعير به تنمو وتتكاثر ويكثرون في تلك الاحواض من الذكور اكثر من الاناث · ويقال ان السمك الاحمر قد يستغني عن الغذاء شهراً كاملاً

صناعة الفنادق

سبقت سويسرا غيرها من بلاد الغرب والشرق بان كانت افضل البلاد بفنادقها ونزلها التي تجلب السياح اليها بمئات الالوف كل سنة وتربح منهم الارباح الطائلة وليس في هذا الشرق العربي اليوم من يحذو حذوها من البلاد غير جبل لبنان فاذا تم له ما ينبغي من دواعي الاصلاح وتوفرت في فنادقه وقصوره اسباب الراحة مع الاقتصاد وعدم الاشتطاط في الطلب وامتدت فيه كل الطرق المعبدة وعشرات من كيلومترات الخطوط الحديدية ايضاً يصبح في آسيا بمثابة سويسرا في اوربا · وان بلد الفنادق اي سويسرا بل الفندق الاكبر في الغرب لم يصل الى ما وصل اليه الا بفضل العلم والمدارس وربما يعجب ابن الشرق اذا قلنا له ان صناعة الفنادق يتعلمونها هناك في المدارس تعليماً نظرياً وعملياً ولذلك سبقوا غيرهم من سائر امم اوربا الذين لهم من بلادهم ايضاً ارض

طيبة ومناظر جميلة ولكن ليس لهم استعداد السويسريين في جلب قلوب السائحين ولا يكتفى اليوم في النزل ان يعرف صاحب الفندق تقديم الطعام الجيد الطبخ بواسطة طهاته ولا ان يحسن اللقاء والتشييع و يبش في وجه نزيله بل عليه أمور اخرى كثيرة تستدعيها المدنية ولا يتعلمها الا من دخل مدارس سويسرا او لاسيما مدرسة لوزان الفندقية . فاحرى احد ارباب الفنادق في سورية ان يبعث باحد اولاده يتعلمون فيها ليطرس غيره على آثاره وتغنم البلاد فوائد كلية من دنانير السائحات والسائحين

سجون النساء

نادت ليزابت فري في اوائل القرن الماضي باصلاح سجون النساء فلم يتيسر في اميركا اجابة طلبها الا في العهد الاخير فأنشأت بعض الولايات المتحدة الشرقية سجوناً تنفذ اليها الشمس مضاءة نقية طاهرة مستوفاة من حيث الصحة وجعلوا القائمات عَلَى السجينات من النساء يعنين بامرهن كل العناية و يتحببن اليهن اذ رأت اميركا ان السجن وحده كاف في اصلاح النفوس فلا ينبغي ارهاق المسجون بل تعليمه بالقدوة والمطالعة ولذلك ترى العناية بصحتهن الادبية وصحتهن الجسمية بالغة حدها من الدقة فيجتمع السجينات في اوقات الراحة في مكتبة حوت انفع الكتب لهن يطالعن ومما يصرفن فيه اوقاتهن زراعة البقول وغيرها فلا يخرجن من السجن الا وقد تطهرت نفوسهن بالمطالعات وتعلمن تربية البقول والازهار و بذلك تم للحكومة ما أرادت من انتشار صناعة الحدائق بفضل جودة التربة والتربية في تلك الولايات . فمتى يكون في هذا الشرق القريب سجون كهذه للرجال والنساء

الكليات الروسية

تقول احدى المجلات في روسيا ان حالة كلياتها اليوم اشبه بساحة وغى غداة القتال والنزال فان سيطرة الاساتذة ان لم تكن زالت فقد تضعضعت كثيراً والخلل مستحكم في صفوف الطلبة لان للسياسة منذزمن مقاماً عظيماً في حياة الكليات مما هو مضر بالغاية المطلوبة من هذه المعاهد . ومن العجب ان تساعد الكليات عَلَى نمو هذه الافكار واذ قد ضعفت سياسة التطرف في هاتيك المدارس اخذت الحكومة تدخل فيها سياسة حزب اليمين وذلك بانشاء جمعيات تكوّن بحجة جمع شتات الطلبة آلة لبث الدعوة الارتجاعية اي العودة الى سياسة الحكم المطلق فالواجب العدول عن الاعتصابات لانها لم تثمر ثمرة ما لتلك البيوت العلمية ولطالما اضرت بمن يأتيها والحكومة تعمد اليها لتتخلص

من الاساتذة والتلامذة الذين عرفوا باستقلال الارادة والفكر · والخلاصة فان روسيا تنمو بكلياتها من حيث الفكر السياسي نحو تقديس الحكومة المطلقة والمانيا تنمو بكلياتها نحو تقديس الحكم المقيد تحت رعاية الامبراطور وشتان بين الامبراطورين والامبراطوريتين ·

الزحافات ذات العرف

كان علماء المطمورات (*Lespaléontologistes*) يدعون بان اعظم الزحافات ذات العرف في ولاية داكوتا وغيرها من الولايات المجاورة في اميركا الشمالية ولكن البحث في مطمورات افريقية النباتية وغير ذلك ابان نقيض هذا الزعم · فقد اكتشفت في الطبقات الجيولوجية في جنوبي افريقية من سهل كارو العظيم في مستعمرة الرأس مطمورات لها شبه عظيم بآثار الزحافات الاميركية الاولى وأيد احد اساتذة المانيا هذا القول وقال ان في افريقية الشرقية الالمانية جبلاً اخرجت من صدره بقايا حيوانات تشبه هذه · وكان كارنجي المثري الاميركي اهدى متحف برلين حيواناً سموه ديپلودوكوس زعم انه اكبر زحاف في الارض ولكن تبين ان في المستعمرة الالمانية الافريقية ما هو اضخم منه جثة يبلغ طوله مترين و٤٥ سنتمتراً على حين لا يبلغ طول حيوان كارنجي اكثر من متر و ٨٢ سنتمتراً وطول اعظم فقرة من عظامه من ناحية عنقه ٦٢ سنتمتراً في حين ان مثلها في الحيوان الافريقي متر و ١٨ سنتمتراً وعظم العضد في الاول ٩٢ سنتمتراً وعظم العضد في الثاني يتجاوز المترين ورأس الزحاف الافريقي صغير بالنسبه لحجم جسمه

الهجرة الايطالية

لم يهاجر منذ سنة ١٨٦٦ الى ١٩٠٨ اقل من ٥٨١٣٤٦٠ مهاجراً ايطالياً اي ما يعادل مجموع سكان الجمهورية الفضية او سكان الجزائر وقد كان المهاجرون عرضة لتلاعب اللصوص والمحتالين عندما يغادرون بلادهم فيتلاعب المتلاعبون بعقولهم واكثرهم من ضعاف العقول بالطبع فانتبهت الحكومة الايطالية والشعب الايطالي للامر وألفت جمعيات كثيرة في امهات مدن اميركا الشمالية والجنوبية لاستقبال مهاجري الطليان والسير بهم في الطرق الموصلة القريبة الى احتياز المال والعيش الخضال وهكذا تم لهم ذلك · وللسوريين على ضعفهم في تلك الاصقاع جمعيات من هذا القبيل وكانت ضئيلة ولكنها تخدم الهجرة والمهاجرة ·

السرطان البحري

لما كان السرطان البحري في اميركا اكبر من السرطان الاوربي مرتين اصبح الطلب عليه كثيراً والرغبة فيه ولا سيما للنقد بد اكثر مما يصاد منه . وقد عمدت اميركا الى تنميته بالطرق الصناعية الكثيرة فلم تفلح وقضت بان يكف عن صيده ولو بضع سنين فلم يسمع لها خصوصاً وان كثيراً من الاسماك الكبرى تسطو عليه عند ما يكبر واذا كان صغيراً فأبناء نوعه يأ كلونه ولو لم يكن قليل الامراض لفني منذ زمن طويل . وكان هذا النوع في اميركا ضعفي ماهو عليه اليوم وزن الواحدة منه من خمسة الى ستة كيلو تباع بالواحدة اما اليوم فيباع بالوزن . ونوعه يقل كما يقل عندنا السمك البحري والنهري لان الصيادين يصيدونه في الغالب بوضع قذائف من الديناميت تقتل كباره وصغاره والحكومة تمنع ذلك ولكن منعها حبر عَلَى ورق

الاقتصاد في الوقت

من اعظم ما يشكو منه ارباب الصحف كثرة مايرد عليهم من المقالات التافهة والعبارات الساقطة لا يعرف ذلك الا من يعانيه ولذلك كثيراً ما يضطرهم الوقت الى عدم اتمام قراءة ما يعرض عليهم فيدركون ضعفه لاول وهلة فيوفرون بذلك اوقاتهم . وقد شعر ارباب المطابع والمجلات والجرائد في اميركا بهذا الامر فأصبحوا اذا القيت الى احد الطابعين رواية ليراها هل تصلح ام لا ينظرون الى اسم مؤلفها فان كان ممن له شيء من الشهرة تدفع قصته الى من يقرأوها وتكلف قراءة قصة مؤلفة من مئة الف كلمة خمس ليرات فاذا جرى في كل قصة تأتيه عَلَى هذا النحو يخسر كثيراً لان قيمة الساعة التي يصرفها قارئ القصص في ادارته نصف ريال فاذا كانت القصة من قلم من يجدر ان يقرأ كتابه تدفع الى امين سر المحل وساعته تساوي اثني عشر فرنكاً فتأمل

الحمامات

عادة الاستحمام قديمة جداً ورد ذكرها في اساطير الاقدمين ويقال ان البطل هركول اليوناني استمتع بما استمتع به من القوة والعضلات المفتولة لاعتياده الاستحمام بالمياه فاشتهرت حماماته ودعي كثير منها باسمه . وكذلك ديان وايزون المشهورتين في الاساطير اليونانية فانهما حفظا صحتهما بل جعلت لهما بالمياه قوة زادت عن القوة المعتادة عشرة اضعاف . ولقد كان القدماء يعتبرون الماء البارد دواء ينجع في كل الادواء ذكرت ذلك التوراة واشارت اليه في مواطن كثيرة . وكان للعبرانيين حمامات منذ العهد الاقدم وهي ولا

جرم ضرورية لهم لحرارة الجو في البلاد التي نزلوها وقد فرض موسى الاستحمام ولاسيما على النساء وكان المصريون يرون الاستحمام من الواجب وكذلك الاشوريون على ما تراه الى اليوم فيما أُخرج من آثار بلادهم من بقايا الحمامات وجميع أُمم الشرق ترى الوضوء فرضاً دينياً ومنها ديانة ماني وزرودشت والاسلام . وكانت الحمامات في يونان على اختلاف انواعها بحرية او نهرية عامة للكل يستحم فيها من يريد والرشاش من الامور العادية في يونان وكان لرومية حمامات فاخرة فيها انواع الراحة من حجر للتعريق واخرى للتمسيد وغيرها للتبريد واخرى للدلك والتغميز . وكانت هذه الحمامات ولا سيما حمامات اغريبا ودبوكلسين وكاراكالا تنفع جد النفع وكثير من الرومانيين والرومانيات كانوا يستحمون في نهري التبر وكانون وكثيراً ما كان حكام رومية Les Censeurs يطلقون السنتهم في انكار اختلاط الرجال بالنساء وكان في القرون الوسطى في الغرب حمامات على اختلاف انواعها وفي القرون الحديثة أُدخلت عليها تعديلات جسيمة هذا ما قالته احدى الصحف الافرنجية اما حمامات الشرق فقد اشتهرت شهرة فائقة ومن احسنها اليوم حمامات دمشق فيما نحسب وان كانت تحتاج لشيء من مراعاة قواعد الصحة كأن يرجع اربابها عن استعمال المغطس يغوص فيه مئات كل يوم وفي بعضهم من الامراض الجلدية وغيرها ما تمكن سرايته وتغسل المناشف كل مرة فلا يعطى لزيد ما نشف به بدن عمرو وفي ذلك من الضرر ما لا يخفى على لبيب محله فقد صار من المثل عندهم ان الشيء الفلاني مبذول كفوطة الحمام من بدن الى بدن

المحاضرات والمسامرات

اصبحت المحاضرات والمسامرات في الغرب من الامور الطبيعية الشائعة في مجتمعاته فالمحاضرون درجات وكذلك الحضور ومنهم الجيد ومنهم الوسط ومنهم العاطل والكل في الاغلب يصفق لهم تحسيناً ويستمع لما يقولون استحساناً اوتصبراً او تأدباً ويثنون عليهم في الجرائد . وهذا العلم يحتاج الى قابلية لدنية وطبيعة كسبية ولا يجيد فيه المجيدون الا بالتدريج والاستعداد للاجادة متوقف على معلومات منوعة وأدلة لم تعرف وتفاصيل غريبة جديدة والارتجال يصعب فيها فالواجب ان تعين لها خطة وحجج تجعل على نظام خاص . ويختلف المدخل والمخرج منها باختلاف الموضوعات والاحوال ، وعلى المحاضر ان يتبين استحسان سامعيه له من النظر الى عيونهم فان رآهم فرحين عرف ان لكلامه تأثيراً فيهم . وفي فرنسا والمانيا وانكلترا وايطاليا تلقى المحاضرات بدون لاحق فلانا

تكلم المتكلم سمع السامع اما في اليابان فان الناير جعلت على صورة يشخص فيها المحاضر محاضرته او مسامرته تشخيصاً يلذ سامعيه ويضحكهم كأن تجعل نافذة تحت رجله فتفتح وتبتلعه فيختفي عن الانظار ويأخذ الحضور يقهقهون وفي افريقية الوسطى يتبع الخطيب خطابه بحركات متتابعة ويقف على ساق واحدة ويده اليمنى مسندة الى ركبته المنحنية واليسرى فوق رأسه وهذا من ادوات الاقناع والتأثير في ذهن السامعين من الزنوج وحالة الحضور اضحك لما فيها من التصفيق واشارة اليدين وفتحة الافواه والاشداق

اصلاح اجتماعي

التأم في مدينة الله آباد من مدن الهند مؤتمر مثل فيه كثير من اعضاء الجمعيات الراقية الهندية فقرر المؤتمر ابطال زواج الاولاد لان الصبيان كثيراً ما يخطبون بعض اقاربهم وهم بين الثانية عشرة والرابعة عشرة فلا يلبثون ان يتزوجوا منهن فتجيء ذراريهم ضعيفة لا تقدر على مقاومة الطاعون ولا التحط فحدد المؤتمر سن الزواج وجعلها ١٦ للبنات و ٢٥ للرجال وقرر ايضاً ابطال الزواج الا من طبقات مخصوصة لان طبقات الهنود تعد بالمئات وكل طبقة يفرض عليها ان لا تتزوج الا من اهل طبقتها فاذا وقع تطبيق هذين القرارين جاء من الهنود نسل قوي نشيط · وفي مملكة ترانفكور وهي من الممالك الهندية المستقلة يقضي ان لا تكون سن الزوج اقل ثماني عشرة وسن الزوجة ست عشرة ·

عز العلم

قالت احدى المجلات الايطالية ان الحكومات تشابهت منذ اربعين سنة فاذا ما نظرنا الى التعليم العالي في الأمم على اختلاف قاراتهم نراه ينبعث من ٢١٨ مدرسة كلية و١٨٩ مجمعاً علمياً جامعاً و ٤٣٤ مجمعاً علمياً غير جامع و ٣٩ مجمعاً علمياً (اكاديا) و ١٣٦٣ جمعية علمية منتشرة في الاصقاع المختلفة ومنها اوستراليا وآسيا التي تهب من سباتها وافريقية التي تنفض من قبور الظلمات · ولكي ندبر سرعة هذه الحركة يجب علينا ان نعتبر بان المانيا قد ارتقى عدد اساتذتها في المدارس العليا من سنة ١٨٨٧ الى ١٩٠٨ من ٢٠٩٥ استاذاً الى ٣٢٤٧ ونما من سنة ١٨٨٥ — ١٩٠٧ من ٨٠٨ الى ١٣٠٨ وسائر البلاد تحذو هذا الحذو في ارتقائها وكذلك الحال في زيادة عدد المتعلمين وربما نما اكثر من تعدد المعلمين فقد كان لفرنسا مثلاً سنة ١٩٠٧ — ٢٩٠٧٨١ طالبة في الآداب والفلسفة

من الفرنسويات و ٨٠٦ من الاجنبيات اما سائر الفروع فقد كان دارسوها في فرنسا ٦٠ ٣١ طالبة منهن ١٦٦٦ من الفرنسيس والباقيات اجنبيات وكان لالمانيا في سنة ١٩٠٨ ٤٥٣ طالبة المانية و ٦٧ اجنبية في الفلسفة ومجموع الطالبات في الفروع الاخرى ١١٣٢ منهن ١٥٩ غير المانيات ولهولاندة ٥٠٦ طلبة ولرومانيا ٤٤٠ وهكذا كثر الميل الى التعليم العالي اكثر من زيادة عدد السكان

الاستعمار الالماني

القى احد اساتذة كلية مونيخ ومدير المدرسة التجارية العالية خطابًا في السياسة الاستعمارية الالمانية قال فيه : ان المانيا دخلت ميدان الاستعمار منذ خمس وعشرين سنة في زمن تزايدت فيه الهجرة من بلادها ايام هاجر ٥٤٠ الفًا بين سني ١٨٨٠ — ١٨٨٣ و ٨٧٥ الفًا بين سني ١٨٨١ — ١٨٨٥ وكان قد مضى نصف قرن على المانيا وابناؤها ينتشرون في الارض . وادعى دعاة الاستعمار انهم كانوا يستخدمون الهجرة بتحويل وجهة المهاجرين نحو البلاد التي يخفق عليها العلم الالماني . فقد ربحت المانيا من سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ الى سنة ١٩١٠ مليونين ونصف مليون كيلو متر مربع كان فيها سنة ١٩١٠ — ٢٠٠٧٤ رجلاً من البيض يدخل فيهم الجند ورجال الشرطة وهم ١٣٦٦٢ رجلاً و٣٣٣٧ امرأة و٣٠٧٥ ولدًا فاذا اخرج منهم الاجانب بقي من هذا العدد ١٦٠٠٠ الماني فقط . وليس للالمان اليوم حاجة للاراضي الجديدة ينزلها الفائض من بنيهم كما كانوا قبل خمس وعشرين سنة فقد زاد عدد سكان المانيا من ٤٥ مليونًا سنة ١٨٨٢ الى ٦٥ مليونًا سنة ١٩١٠ وكان يبلغ معدل المهاجرين مسانهة ١٧١ الفًا سنة ١٨٨١ — ١٨٨٥ فلم يتجاوز معدله سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٩ اكثر من ٢٦٨٩٣ ويستدل على ان الالماني يجد ما يعمل اليوم في بلاده وان عدد العملة قد زاد في ربع قرن من اربعة ملايين الى ثمانية ملايين وسدس وعدد عملة التجارة من ٧٠٠ الف الى مليون وتسعمائة الف وكان عدد الاجانب في المانيا في اواخر القرن التاسع عشر ٤٨٤٤٢٣ فاصبح ١٠٠٧١٧٩ سنة ١٩٠٥

ومناجم وستفاليا والاعمال الزراعية الكبرى واعمال البناء كلها تحتاج الى عاملين في المانيا فيجيئها العملة من النمسا ومن روسيا بحيث بلغ عدد العملة فيها من غير ابنائها ٥٨٥٠٠٠ في سنة واحدة . والمانيا تستخرج من مستعمراتها المواد الاولى اللازمة لها في صناعتها التي يعمل في صناعة القطن وحدها ثلثمائة الف من الالمان ومع هذا فان

ماتصدره مستعمراتها اليها بلغ في السنة الماضية ٧٠ مليون مارك اي واحداً في المئه من مجموع الواردات الالمانية فلا تصدر مستعمراتها مثلاً اكثر من ٨٠٠ الف مارك من القطن في حين يساوي قطنها اللازم لها ٥٣٢ مليوناً وليست المستعمرات الالمانية كلها صالحة الآن لسكنى البيض فاذا حذفنا مستعمرات المانيا في الجنوب الغربي من افريقية بلغت مساحة مستعمراتها ١،٨٠٠،٠٠٠ مليون مربع منها ٥٦٦١ فقط يعمل فيها ٧٠ الف زنجي ويشارك الاوربيون في استعمارها واستثمارها وسكان مستعمرات المانيا كلهم ١٤ مليوناً يصيب كل فرد من اهلها خمسة ماركات من الصادرات في حين يصيب الفرد في جامايك ٤٨ ماركاً وفي ترنيداد ١٧٥ ماركاً . وقد انشأ الالمان في مستعمراتهم ٣٥٢٦ كيلو متراً من الخطوط الحديدية و ١٤٦٨ كيلو متراً آخذون بانشائها. والصعوبة في مستعمرات الالمان ان العيش على البيض متعذر ولذلك تراهم يضطرون الى الزواج من بنات البلاد السود فيأتي اولادهم خلاسيين وقد يكون فيهم عيوب آبائهم هذا مع ان العامل الاوربي يقبض عمالته زهاء خمسة ماركات والعامل الوطني لاينال نصف اجرته الا بشق الانفس . وقد اساءت المانيا بسياستها العسكرية التي جرت عليها مع الزنوج فابادت المرووس العصاة عن بكرة ابيهم ليحل محلهم البيض هذا وافريقية قليلة بسكانها وارضها محتاجة لاستخراج كنوزها الى ايد عاملة قد يتعذر جلبها من اوربا لرداءة المناخ لان اوستراليا قد جلبت من انكلترا ٧٦٠ الف انكليزي أعطوا جوائز عن عملهم اراضي يستثمرونها فكانت باعثة لهم على التوطن في البلاد . وحيثما يكثر السكان في افريقية يكتفي الاوربيون بالاتجار مع الوطنيين . والمدنية الاوربية تقرض الزنوج فقد بلغ عدد من يموت من العملة السود في الترنسفال ٢٨ في المئة نصفهم بامراض الكبد كما يهلك كثير منهم ومن غيرهم بمرض النوام الذي يحار به الغربيون ليتغلبوا على فتكانه بادويتهم فيفيدوا الانسانية والامور الاقتصادية .

وقد تبين بالاختبار ان سياسة الاستعمار التي ترمي الى ملاحظة مصالح الوطنيين وتعنى بتكثير سوادهم هي نافعة من حيث الوطنية ورابحة من حيث المالية فالعمل الاجباري لاينتج وماقط كانت له ثمرات كالعمل الحر المطلق — انتهى عن مجلة الاقتصاديين الفرنسوية

نتائج الحروب

نشرت مجلة ادلة البرقي مبحثاً قال فيه ان الافكار العامة في اوربا اليوم اختلفت

كثيراً في تصور معنى الحرب والسلام عن سنة ١٨٨٠ وكثر العاملون للسلام والقائلون به والداعون اليه فانه اذا نظر الى الصلات الاقتصادية بين الامم نرى ان الحروب لاتدوم كثيراً لان الغالب يخسر كالمغلوب او اكثر . وما الباعث الرئيسي للنجاح في الشعوب الاوربية الا كثرة السكان والشدة في تحصيل الرزق فالانسان مصرف لاخيه الآخر ولذلك كان العيش في البلجيك وسويسرا اشق مما هو في جرمانيا لكثرة نفوس هذه . وما تاريخ القرون الغابرة الا فتوح طويل بطيء لاستحصال الخبز وهو الى الآن غير مضمون الحصول للناس كلهم . اننا نسكن كتلة من التراب الموحل مساحتها ١٢٦ مليون كيلو متر مربع وفيها نحو ١٥٠٠ مليون من البشر والاراضي الى عهد قريب كانت موزعة توزيعاً غير معقول على السكان . انا نسكن على هذه الارض ويسكن معنا انواع من الحيوانات وما قط رأينا ابناء الجنس الواحد منها يأكل بعضها بعضاً و يفترس احدها الآخر . وللاسراع بالانتفاع من هذه الارض في حاجاتنا وجب ان يكون الشرط الاول فيها ان يتفق جمهور العاملين من البشر . ان العقل يرشدنا الى ان جهادنا عبارة عن التغلب على المصاعب والمصائب الطبيعية لا احداث امور من مثلها طبيعية . علينا ان نحفر اقنية ونخرق جبالاً لا ان نقيم سدوداً كسدود الصين . ولذا وجب ان تزال تلك الحدود المصنعة ليعيش الناس العاملون عملاً عاماً . والاستعباد العسكري واستغراق ميزانيات الدول في الانفاق على الجيوش هما من اكبر دواعي الضعف فان المدنية الاوربية تنفق في السنة عشرين ملياراً من الفرنكات في هذه السبيل فمنذ سنة ١٨٧٠ انفق الغرب مبلغ خمسمائة مليار بلا طائل فلو أبطلت الحروب منذ اربعين سنة لاستطاع البشر كلهم ان يأكلوا كما يريدون اليوم

ايظن الظانون ان البشر يرضون بعد بان يعمل المرء ساعة كل يوم زيادة حتى يقف الملوك ورؤساء الجمهوريات يستعرضون الجيوش ايام الاعياد الوطنية فقد ادرك الناس اليوم ان الحرب ليست الا جناية وهي حماقة ورقاعة . ليس الجهاد في الحياة بين الاخ واخيه بل بين الانسان والطبيعة يذللها كما يشاء ليكون مقامنا في هذه الارض مقبولاً محموداً . وللوصول الى هذه الحياة يجب نزع فكر الحروب من العقول وذلك بوجوه كثيرة اولها تربية الاطفال والبالغين . فاذا فكر كل انسان كما يفكر كاتب هذه المقالة تنقلب الحال عما قريب . على ان العالم سائرون الآن للسلام وان كان على طريقة مبهمة فالسبيل الى ذلك ان يحدد حمل السلاح بحيث يؤول ذلك الى نزعه بالتدريج وان

يتحد المتجانسون من الشعوب اتحاداً سياسياً فيتحد سكان الغرب من اوربا اي الفرنسيس والانكليز وتتحد الممالك البلقانية وتتحد الممالك الوسطى اي النمسا والمانيا وتعقد معاهدات التحكيم بكثرة . لا جرم ان الامم اليوم يقترب بعضها من الآخر بما ينشؤن من العهود و يعقدون من الوفاقات ويجتمعون عليه من السباقات والمؤتمرات والزيارات ولكن الطريقة الناجعة في ذلك ان يكون لمحكمة لاهاي الصلحية يد اقوى في ايقاف كل امة عند حد معين من التسلح وذلك بان يقاطعها كل الامم على السواء فاذا وقع خلاف بين المانيا وفرنسا وكانت الاولى معتدية يعلن عليها الدول كلهن المقاطعة فلا تلبث ان تعود الى رشدها في ثماني واربعين ساعة على الاكثر فقد قاطع الصينيون اليابانيين والاميركانيين وقاطع العثمانيون النمساويين بتدبير افراد منهم فكم تكون المقاطعات الدولية عظيمة اذا صدرت عن الحكومات مباشرة

طرابلس وبرقة

يصدر هذا الجزء والحرب البرية البحرية يتلظى اوارها بين جيوش الدولة العلية ودولة ايطاليا لاعتداء هذه على طرابلس الغرب العثمانية بدون مسوغ دولي معقول وبهذه المناسبة رأينا ان ننقل للقراء شيئاً من وصف تلك البلاد وتاريخها فنقول:

طرابلس هي القسم الشرقي من بلاد البربر يحدها من الشمال البحر الرومي ومن الشرق لواء بنغازي ومصر ومن الجنوب الصحراء ومن الغرب الصحراء وتونس ومساحة طرابلس مع بنغازي ١٢٠٠،٠٠٠ كيلومتر مربع في رواية اي قدر ولاية سورية ١٣ مرة او ستة اضعاف مساحة تونس ونحو ثلاثة اضعاف ونصف مساحة ايطاليا — وسكانها زهاء مليونين وهواء السواحل منها من جهة سهول برقة وما جاورها معتدل . اما في جهة الجنوب اي في فزان فالحرارة تغلب عليها وانهارها قليلة ليست سوى جداول لان مياهها تتبخر بشدة الحرارة وتضيع في الرمال المحرقة واكثر شرب اهلها من صهاريج تملأ بماء السماء كان ذلك قديماً ولا يزال الى اليوم . وسواحلها منبتة في الجملة ولا سيما جهات برقة فانها تخرج انواع الحبوب والبقول والثمار والزعفران والفوه والحلفا البرية والتمر والبرتقال والليمون والتين والزيتون ومن سواحلها يستخرج الاسفنج والمرجان وانواع الاسماك

و ينقسم هذا الصقع بحسب التقسيم الاداري الاخير الى ولاية ذات اربعة الوية ولواء مستقل وهو بنغازي فلواء طرابلس يدخل فيه تسعة اقضية وهي قضاء طرابلس

والنواحي الاربع وغريان واورفله وترهونة والزاوية وزوارة وعزيزية وتجيلات ولواء خمس وهو مؤلف من خمسة اقضية وهي قضاء خمس ومصراطة وظلتين ومسلاطة وسرت ولواء الجبل الغربي وهو اربعة اقضية قصر يفرين وغدامس ونالوت وفساطو ولواء فزان وهو اربعة اقضية مرزوق وسوكنة وشاطي وغات وفي هذه الولاية عشرون ناحية تتبع الاقضية وفي لواء بنغازي اربعة اقضية وهي بنغازي ودرنة ومرج واوجلة وجابو وجدابية وعشر نواح وبنغازي في المدخل الشرقي من السرت الكبرى وحاضرة برقة وتجارتها مع خانيا ومالطة ووداي في السودان الشرقي حسنة في الجملة وكان اسمها بيرنيس *Bérénice*

واشهر مدن هذا القطر اليوم طرابلس الغرب اضافوا اليها الغرب تمييزاً لها عن طرابلس الشام سميت الولاية باسمها وكانت الولاية ولا سيما قسمها الشرقي نحو بنغازي تسمى برقة قديماً ومدينة خمس عَلَى الساحل وقصر يفرين ومرزوق وغدامس وغات وبنغازي عَلَى الساحل ودرنة واوجلة وهما واحتان مشهورتان ٠ وسكان طرابلس نحو اربعين الف نسمة وسكان بنغازي زهاء عشرين الفاً .

وبرقة كما قال ياقوت اسم صقع كبير كان يشتمل عَلَى مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية (تونس) واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن ولها ساحل يقال له اجية وساحل آخر يقال له طلوبة وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر من الفسطاط (مصر) الى برقة مائتان وعشرون فرسخاً وهي مما افتتح صلحاً على يد عمرو بن العاص سنة ٢٣ ومن برقة الى القيروان (تونس) مائتان وخمسة عشر فرسخاً

قال المقدسي ومن مدن برقة ذات الحمام ٠ ورمادة ٠ اطرابلس ٠ اجدابية ٠ صبرة قابس ٠ غافق ٠ وبرقة قصبة جليلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والاعسال مع يسار وهي ثغر قد احاط بها جبال عامرة ذات مزارع عَلَى نصف مرحلة من البحر في هوة قد احاط بها تربة حمراء شربهم من آبار وما يحوونه من امطار في جباب وهي على جادة مصر يحنون الى الغرباء اهل خير وصلاح واطرابلس مدينة كبيرة عَلَى البحر مسورة بحجارة وجبل شربهم من آبار وماء مطر كثير الفواكه والانجاص والتفاح والالبان والعسل واسمها كبير ٠ واجدابية عامرة بنيانهم حجارة عَلَى البحر وشربهم من الامطار وسرت كذلك ولها بواد وشعارب ٠ وصبرة في بادية وهي حصينة بها نخيل وتين شربهم من ماء المطر ٠ وقابس اصغر من طرابلس لم واد جرار وبنيانهم من

الحجارة والآجر كثيرة النخيل والاعناب والتفاح مسورة باديتها بربر . وغافق ناحية واسعة كثيرة القرى والاسواق على ايام الجمعة بحرية ومن الناس من ينسبها الى افريقية (تونس) وذات الحمام مدينة عمرت من قريب

وكانت طرابلس من عمل تونس في القرون الاولى للاسلام ثم غلب اسمها على الكورة واصبحت بنارة قصبتها وذلك بدثور برقة وغلبة الخراب عليها وقد وصف ابن حوقل الجغرافي هذه البلاد في القرن الثالث وقد زارها فقال :

ان برقة مدينة وسطة ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة الزرية ولها كورة عامرة وغامرة وهي في بقعة فسيحة يكون مسيرتها يوماً كبيراً في مثل ذلك ويحيط بالموضع جبل من سائر جهاتها وارضها حمراء خلوقية التربة وثياب اهلها ابداً محمرة يعرف اهلها بالفسطاط من بين اهل المغرب بحمرة ثيابهم وتغبرها ويطوف بها من كل جانب بادية يسكنها الطوائف من البربر وهي برية بحرية جبلية ووجوه اموالها جمة وهي اول منبر ينزله القادم من مصر الى القيروان

وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل حين ووقت مالا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة وعبوراً عليها مغربين ومشرقين وذلك انها تنفرد من التجارة التي ليس في كثير من المغرب مثلها والجلود المجلوبة للدباغ والتمور الواصلة اليها من اوجلة ولها اسواق حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب وشرب اهلها من ماء المطر في مداجن تدخر واسعارها في اكثر الاوقات فائضة بالرخص في جميع الاغذية

ويليها اجدابية مدينة على صحصاح من حجر في مستوى بناؤها من طين وآجر وبعضها بحجارة ويطيف بها من احياء البربر خلق كثير ولها زروع مباخس وليس بها ولا ببرقة ماء جار وبها نخيل حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم وواليها القائم بما عليها من وجوه احوالها وصدقات بربرها وخراج زروعهم وتعشير خضرهم وبساتينهم هو لاميرها وصاحب صلاتها ولها من وراء ذلك لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان وهي قريبة من البحر ترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة واكثر مايخرج عنها الاكسية المغاربة وشقف الصوف وشرب اهلها من ماء السماء .

واوجلة منها على ايام بين غربها وجنوبها وهي بلد ذات نخيل عظيمة وغلات تفضل

منها لا اهلها جسيمة ومنها الى ودان طريق قصد وودان هذه ناحية ومدينة في جنوب مدينة سرت وهي جزيرة لا تقصر في رخص التمور وكثرتها وجودتها عن اوجلة. وسرت مدينة ذات سور صالح كالنبع من طين وبها قبائل من البربر ولهم مزارع وهي على البحر ترد عليها المراكب بالمتاع وتصدر به عنها وفيها من جهاز الصوف ما لا يقصر عن اجدابية وبرقة

واما طرابلس فكانت قديماً من عمل افريقية وسمعت من يذكر ان عمل افريقية لما كانت طرابلس مضافة اليها معروف معلوم وذلك انه من صبرة وهي منزل من طرابلس على يوم وهي مدينة من الصخر الابيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة صالحة الاسواق واسعة الكورة كثيرة الضياع والبادية وارتفاعها دون ارتفاع برقة وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجديدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره كالفرسك والكمثرى اللذين لا شبه لها في كثير من المواضع وبها الجهاز الكثير والصوف المرتفع وما يقان الاكسية الفاخرة الزرق النفوسية والسود الرفيعة الثمينة الى مراكب تحط عليها ليلاً ونهاراً وترد بالتجارة على مر الاوقات والساعات صباحاً ومساءً من بلد الروم وارض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم واهلها قوم موقرون من بين من جاورهم متميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصورة والقصد في المعاش الى مروات ظاهرة ولهم عشرة حسنة ورحمة مستفيضة ونيات جميلة الى مراء لا يفتر وعقول مستوية وصحة بنية ومعاملة محمودة ومذهب في طاعة السلطان سديد ورباطات كثيرة ومحبة للغريب اثيرة ولهم في الخير مذهب من طريق العصبية لا يدانيه اهل بلد . واما قابس فانها مدينة ذات مياه جارية واشجار متهدلة وفواكه رخيصة ولها من التمر والزروع والضياع ما ليس لما جاورها من زيتون وزيت وغلات وعليها سور يحيط به خندق ولها اسواق وجهاز كثير ويعمل بها الحرير ويدبغ بها الجلود ويتنابها التجار ولها صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود بها وسائمة كبيرة اه .

وقال اليعقوبي في كتاب البلدان : وحوالى برقة ارباض لها يسكنها الجند وغير الجند وفي دور المدينة والارباض اخلاط من الناس واكثر من بها جند قدم قد صار لهم الاولاد والاعقاب وبين مدينة برقة وبين ساحل البحر المالح ستة اميال وعلى ساحل البحر مدينة يقال لها اجية وساحل آخر يقال له طلميثة . وبرقة اقاليم كثيرة تسكنها بطون من البربر ولها من المدن برنيق وهي مدينة على ساحل البحر المالح وطا...ينا عجيب في الاعمال

والجودة تجوزفيه المراكب واهلها قوم من ابناء الروم القدم الذين كانوا اهلها قديماً وقوم من البربر ومن مدينة اجدابية الى مدينة سرت على ساحل البحر المالح خمس مراحل وآخر حد برقة على مرحلتين من مدينة سرت بموضع يقال له تورغة وخراج برقة قانون قائم كان الرشيد وجه بمولى يقال له بشار فوزع خراج الارض باربعة وعشرين الف دينار على كل ضيعة شيئاً معلوم سوى الاعشار والصدقات والجوالي ومبلغ الاعشار والصدقات والجوالي خمسة عشر الف دينار ربما زاد وربما نقص والاعشار للمواضع التي لا زيتون بها ولا شجر ولا قرى مقراة . ولبرقة عمل يقال له اوجلة وهو في مفازة مغرب لمن اراد الخروج اليها بنحرف الى القبلة ثم يصير الى مدينتين يقال لاحداهما جالو وللاخرى ودان وهذه من اعمال برقة المضافة ومن مدينة سرت الى ودان مما يلي القبلة خمس مراحل ووراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة وسكانها اباضية اي خوارج وفزان جنس يعرف بفزان اخلاط من الناس لهم رئيس يطاع فيهم وبلد واسع ومدينة عظيمة وتسمى برقة انطابلس هذا اسمها القديم

وبعد فهذا من احسن ما وصفت به طرابلس وبرقة ومنه نفهم درجة عمرانهما في القديم اما اليوم فقد قال واصفوها فيهما بانهما مختلفة احوالهما باختلاف كورهما فسواحل الشمال من سرت مقفرة ومن الشرق خضراء نضرة وهي برقة ومن نحو فزان مصخرة . وبلاد طرابلس اشبه بالصحراء وفي الساحل مناجم الكبريت وفي بحيرة فزان المالحة النطرون وشجر الحلفا ينباع، تجار الانكليز خاصة والصناعات محصورة في المدن الكبرى مثل طرابلس وبنغازي واشتهر بالتجارة سكان طرابلس وغدامس وكانت القوافل تسير من طرابلس الى داخلية افريقية تحمل الاقمشة والخرداوات والاسلحة والزجاج والبارود وتعود منها بالعاج والجلد والصمغ والشمع وريش النعام والتبر

وسكان طرابلس مزيج فالبربر ينزلون الجبال والعرب السهول ويكثر فيها الزنوج لان سوق الرقيق قبل ابطاله كانت فيها رائجة وفيها نحو خمسة آلاف مالطي لقرب سواحلها من جزيرة مالطة وهم منتشرون في المدن الساحلية كما ان فيها زهاء الف ايطالي ونحو خمسة آلاف يهودي اكثرهم في السواحل وليس في اهل البلاد " يحبون اصليون

وكانت طرابلس من اهم المدن التجارية ومنها كانت تسير القوافل المهمة الى داخلية افريقية فما برح الفرنسيس منذ استولوا على تونس يحاولون سلبها هذا المركز حتى فقدت مركزها التجاري وتحولت وجهة القوافل الى تونس وخصوصاً بعد ان عمرت انكلترا

اعالي النيل والسودان الشرقي وفتحت الطرق الجديدة الى بحيرة تشادمن النيجر والكونغو فلم تعد برقة مركز الاتصال بين الساحل واواسط افريقية

وكان اليونان في القرن السابع قبل الميلاد انشأوا مدينة برقة متخيرين لها الجودة هوائها وغناها وازهرت عَلَى ايامهم كما ازهرت قرطاجنة واغتنى اهل برقة بتجاراتهم الواسعة مع داخلية افريقية الا انهم انصرفوا بعد الى البذخ والرفاهية فاضمحل عمرانهم بعد ان اخرجت برقة مثل ارشيب الفيلسوف وكاليماك وايراتوستين وخلف بنوها من الآثار التاريخية التي تدل عَلَى عظمتها اليوم خرائبها المدهشة

وتاريخ طرابلس الغرب القديم غارق في ظلمات الخفاء لا يعرف [1] عنه الا ان البربر بعض سكانها الحاليين كانوا فيها · وقبل المسيح ببضعة قرون كانت انحاء طرابلس بيد الفينيقيين وقسم منها للقرطاجنيين اما جهة برقة فاتخذها اليونان مهجراً كما يهاجرون اليوم الى سواحل مصر وغيرها · وانشأ الفنيقيون في جهات طرابلس ثلاثة بلاد (تريبوليس) ومنها اشتق اسمها فقال العرب طرابلس وانشأ اليونان في جهة برقة خمس قصبات سموها بنداپوليس ثم صار حكم طرابلس الى يد حكام البربر في نوميديا بعد سقوط دولة القرطاجنيين واستولى البطالسة المصريون عَلَى برقة ثم استولى الرومان عَلَى كل من اقليمي برقة وطرابلس ووسعوا تخوم حكومتهم الى فزان وغدامس

كانت طرابلس الغرب وجهات الشرق من تونس والجزائر معروفة عند الرومان باسم افريقية وكذلك اطلق العرب عَلَى هذه الاصقاع اسم افريقية · ولما تخلى الرومان عن هذه البلاد استولى عليها الروم البيزنطيون وفتحها عقبة بن رافع في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) ثم استولى عليها الامويون وبقيت مدة في يد بني الاغلب عَلَى عهد العباسيين ثم حكمها الفاطميون وكانت معقلاً من معاقل الخوارج ولذلك كانت لهم فيها ايام مشهودة ولم يزل في بعض انحائها بقايا منهم ·

ولقد تألفت فيها عدة حكومات صغيرة وبعضها كان مهماً عَلَى عهد الاسلام واكثر ما تكون طرابلس تابعة لتونس في حكومتها وعَلَى عهد السلطان سليمان خان استولى عَلَى طرابلس طغورت باشا مستردا لها من فرسان مالطة وكانوا استولوا عليها بعد ان سقطت الاندلس في ايدي الاسبان فالحقها هذا القائد بالمملكة العثمانية ودامت تدار شؤونها دهراً على صورة ايالة ثم اقطعت لاسرة قرهمانلي فلم يلبث ان استحكم الخلاف بين افرادها

(١) قاموس الاعلام لشمس الدين سامي

فارسلت الدولة سنة ١٢٠٨ اسطولاً وواليا من لدنها ضبط البلاد

وفي سنة ١٠٩٢ بعثت اسبانيا اسطولاً الى طرابلس فكادت تتغلب عليها لان قلاعها يومئذ لم تكن فيها القوة الكافية فلما رأى الوالي عجزه عن المقاومة اتفق مع الاسطول عَلَى دفع غرامة حربية عَلَى عهد السلطان احمد الثاني رفض الوالي الصلح الذي ابرمه سلفه مع حكومة اسبانيا فبعثت خمسة عشر مركباً بقصد احتلال طرابلس فاتفق الاهالي مع العساكر وتغلبوا على الاسطول المذكور وفي سنة ١٢١٧ قدمت اساطيل اميركانية لطرابلس لان اسطولها كان يعاكس مراكب اميركا التجارية ويغنم منها كثيراً فطلب قنصلها من يوسف باشا قره مانلي تعيين ضريبة تقدمها حكومة اميركا الى حكومة طرابلس في كل سنة فعين ضريبة عدها القنصل خارجة عن الحد فطلب تخفيضها بواسطة والي الجزائر فرفض يوسف باشا وساطته واصر عَلَى طلبه فمكث اسطول اميركا عشرين يوماً يرمي طرابلس بالقنابل وقلاعها ترميه ثم رجع بعد ان غنمت حكومة طرابلس جزءاً منه وفي كل هذه المواقع كانت تشترك الاهالي مع العساكر في الدفاع .

ثم انتقض اهلها فاستعاد الامر يوسف باشا وحكم البلاد الى سنة ١٢٤٨ ثم اضطر لاستقالته من حكمها فاصبحت البلاد في حال اضطراب وهاجمها بنو سليمان من القبائل المشهورة مرات ونهبوها ثم عاد الاهلون فطلبوا انقاذهم من شرور الاختلاف فبعثت الحكومة اسطولاً فضبطت القلاع عَلَى ايسر سبيل ثم عينت لها والياً . وكانت فزان من القديم تتبع طرابلس وتتبع احياناً حاكم السودان واحياناً شرفاء مراكش وبعد ان ضبط طغورت باشا طرابلس الحق فزان بها

وهذه الولاية الواسعة او المملكة العظيمة ليس فيها شيء من الطرق المعبدة ولا من السكك الحديدية ولا تعرف الخزانات ولا اسباب الري وتكثير الاشجار والنبات وتربية الحيوانات . تحمل بضائعها على الجمال وتقصد قوافلها ولا سيما قبل ان يستأثر الفرنسيس بها لتونس من تمبوكتو في اقاصي بلاد السودان مارة بواحات غات ومرزوق وغدامس اما مواصلاتها البحرية فلا يرمي في موانيها في الولاية غير البواخر الاجنبية ونصفها او اكثر يحمل الاعلام الايطالية ثم يجيء الانكليز والفرنسيس وسائر الدول بكثرة مراكبهم

وتبلغ تجارة طرابلس السنوية زهاء مليون ليرة منها ٥٥٠ الف للواردات و٤٦٠ الف ليرة صادرات منها ٢٣ الف ليرة صادراتها للبلاد العثمانية و٤٣ الف ليرة وارداتها منها

ولانكلترا المقام الاول بين الدول بوارداتها البالغة ١٥٧ الف ليرة وصادراتها التي تبلغ ٨٨ الف ليرة ثم تجيء فرنسا فايطاليا فالولايات المتحدة فالنمسا وقد بلغت مداخيل الحكومة منها سنة ١٣٢٢ ش ١٦٤٦٠٠٤٠٠٠ غرش

السكك الحديد الصينية

تقيم الصين الآن سكة حديدية من عاصمتها بكين الى كالقان مارة ببلاد المغول التي اجتازها التاتار في غاراتهم ولا تزال تجتازها القوافل وسيلتقي هذا الخط بخط ماوراء سيبريا الروسي ويختصر المسافة بين اوربا والشرق الاقصى بضع مئات من الكيلومترات. ومن الغريب انه تم من هذا الخط حتى الآن زهاء مائتي كيلومتر وجميع العاملين فيه صينيون ونفقاته من دخل بعض الخطوط الصينية الاخرى وقد بدأ هذا المشروع يربح ولذا عزمت حكومة بكين ان لا تعهد لاجنبي مهما كان ان يمد لها خطوطاً من هذا النوع وبذلك يقتصد المتعهدون من اجور اليد العاملة اقتصاداً كبيراً لان الصيني يرضى باجرة اقل من اجرة الاوربي والاميركي ويبارى ابناء البلاد في العمل مدفوعين الى تجويده بعامل الوطنية والصينيون اليوم يستخرجون من ارضهم الفحم الحجري اللازم لخطوطهم وليسوا الآن في حاجة لغير القاطرات يستصنعونها في اميركا ولكن يستغنون عنها عما قريب بما تنتجه لم مصانعهم فمتى تكون البلاد العثمانية وهي صاحبة الحضارات القديمة والذكاء الخارق كذلك

الحيثيون

قالت المجلة: دخلت دراسة الحضارات القديمة في آسيا الصغرى في دور جديد فقد تألفت جمعية ووضع لها دخل للانفاق عليها من اجل اجراء الحفر في بلاد الحيثيين والبت بتاً علمياً في علاقتهم مع شعوب يونان القديمة وسكان سواحل بحر ايجه (الارخبيل) فان مسألة الحيثيين تهم في الدرجة الاولى علم الآثار واصول الشعوب والاجتماع. وان هذا الشعب البائد كان مدة قرون منتشراً في آسيا الصغرى وسورية كما يستدل من الكتابات ومع هذا لم يعرف الا بما اشارت اليه التوراة من الاشارات. ومنذ ثلاثين سنة ابان بحث علماء المشرقيات بحثاً علمياً امثال الاستاذ سايس والدكتور ويرغت ان شعباً معاصراً للفراعنة كان ينزل حوض قزل ايرمق Halys والفرات استولى عليه الكلدانيون منذ الزمن الاطول فاقتبس منه بعض اوضاعه المدنية التي كانت لها صبغة الطاغية وكان الحيثيون قبل المسيح بعشرين قرناً مختلفين مع بابل ويمدون تخوم

بلادهم الى جنوبي سورية والى تخوم مصر التي نشب بينهم وبينها حرب على عهد رعمسيس الثاني . وفي القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد استولوا على جزء عظيم من آسيا الصغرى . وكان الاشوريون يدعونهم خاتيس khatis والعبرانيون خني ختين Khéti-khétino ودثروا في قرون ولم يبق منهم الا تذكارهم ايام فتح الاسكندرية وامتزجت بقاياهم بالآراميين او لجأوا الى مضايق جبل طوروس . وقد اكتشفت في خرائب مصانعهم القديمة الواح كثيرة من الخزف كانت لهم بمثابة سجلات ولكن معظمها مما يصعب حله وليس للعلماء عنهم من المعلومات الحقيقية الا ما كان من الآثار المكتوبة بالخط الاشوري تثبت عظمتهم اوائل الالف الاولى السابقة لمملكة الرومان وبما كان من الابحاث الحديثة فيهما حل مسألة تشغل العلم كثيراً و يعتبر الحيثيون اعتبارات بانهم اقدم الشعوب المتمدنة

انكلترا والشاي

تكثر انكلترا من تناول الشاي سنة بعد سنة ففي احصاء سنة ١٩٠٩ انه بلغ مشروبها منه ١٤٠ مليون كيلو غرام يصيب الفرد منها ثلاثة كيلو غرامات ومعظم هذا الشاي تجلبه انكلترا من بلاد الهند يبذل ٦٠ امليون فرنك يلزم لها ثلاثة ملايين ونصف من الفرنكات ثمن ورق ومقوى لوضع الشاي فيه تعدل قيمتها بثمانية ملايين فرنك

فن تكثير السمك

La pisciculture

ان في تنمية الاسماك في المياه الجارية والغدران في البلاد تنمية ثروتها الاقتصادية بيد ان دخول الحضارة في كثير من الممالك زهد في تربية الاسماك وقليل في الاقطار ما عنيت عناية حقيقية بالاسماك واتخاذ الذرائع لتنميتها واهم مصاب الانهار لاستخراج الاسماك في العالم في النيوا احدى ولايات اميركا الشمالية وفيها مصب نهر المسيسبي العظيم وطوله من ٥٠٠ الى ٦٠٠ كيلو متر ووضعه الجغرافي واسبابه الطبيعية تجعله صالحاً لتكثير الاسماك وتتغذى جميع تلك الولاية من اسماكه ووزن ما يستخرج منه كل سنة عشرة ملايين كيلو تقدر قيمتها بنحو اربعة ملايين فرنك ويستخدم ١٧٦٧ رجلاً في صيدها

المقتبس

رسالة في اسماء الاضداد

للا جامي المتوفى سنة ٨٩٨ [١]

عني بنشرها من مجموع قديم محمد جميل افندي الشطي في دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

حامداً لمن خلق الاشياء اضدادا . ومصلياً عَلَى نبي نهى الناس عن اتخاذهم لله اندادا . وعَلى عترته وأسرته الممدين لسيرته امدادا . وبعد فلما اشتملت العربية على كلمات وضعت للدلالة على الضدين وغفل عنها من اغفل تصفح اللغات التقطتها حسب الاستطاعة . وجمعتها مرتبة ترتيب البضاعة . استبضع بها في اكتساب الامتياز بين اولي النهى وارباب الدهى وتتبين الاشياء باضدادها ومن الله العصمة عن الوصمة

(مقدمة) قال الكيا المشترك يقع عَلَى ضدين كالجون للابيض والاسود وعلى مختلفين كالعين وقال ابن فارس من دأب العرب تسمية الضدين باسم واحد نحو الجون وانكر

(١) المقتبس : الملا جامي هو مولانا نور الدين عبد الرحمن من اعاظم شعراء ايران ولد في قرية جام من اعمال خراسان سنة ٨١٧ وحصل العلم في هرات ووقف عَلَى العلوم والفنون حتى صارت له يد طولى بالآداب العربية والفارسية وسلك طريق التصوف والف عدة كتب في النظم والنثر وبعد صيته في الآفاق وخف الناس الى لقائه من الامصار وتوفي سنة ٨٩٨ وله عدة تصانيف ودواوين منها ماهو بالفارسية ومنها بالعربية وشعره الفارسي غاية الغايات لا يعرف له السقط (ملخصاً عن قاموس الاعلام لشمس الدين سامي)

ذلك ناس وليس بشيء فان الذين رووا ان العرب تسمي السيف مهنداً والفرس طرفاً هم الذين رووا انهم يسمون المتضادين باسم واحد .

الهمزة : (ثأثأ) الابل ارواها وعطشها وثأثأت الابل عطشت ورويت ضد لازم ومتعد (جفأ) الباب اغلقه وفتحه ضد (خجيء) بالمعجمة استحيى وتكلم بالفحش ضد (دارأه) دافعته ولاينته ضد (ناء) نهض بجهد ومشقة وبالحمل نهض مثقلاً و به الحمل اثقله وامالة كاناء وفلان اثقل فسقط ضد .

الباء : (اترب) كثر ماله وقل ضد (اجلعب) الرجل اضطجع والابل مضت جادة ضد (الحوشب) الثعلب الضامر والمنتفخ الجنبين ضد (خشب) في الصحاح خشب السيف احكم عمله وصقله وخشبه لم يحكم عمله ولم يصقله وفي القاموس خشبه خلطه وانتقاه والسيف صقله وطبعه (ارتاب) شك وقال ابو علي تيقن ضد اذ يكون شكاً و يقيناً ذكره الطرطوشي في قوله تعالى ان ارتبتم فعدتهن الآية (السائب) القريب والبعيد ضد (شرب) عطش وروي واشرب سقى وعطش (شعب) الشيء اصلحه وافسده ضد واما شعب بمعنى افترق واجتمع فليس بضد بل كل حرف منها لغة لقوم ومن شرط الاضداد اتحاد اللغة (الصقب) كلقب القرب والبعد ضد (اضب) صاح وتكلم وعلى ما نقل سكت ضد (الطب) الداء والدواء ضد في المثلث للبطليوسي (الطرب) محركة الفرح والحزن ضد في الاساس هو خفة من سرور اوهم (اطلب) في الاساس طلب مني فاطلبته فاسعفته واطلبه الفقر احوجه الى الطلب (استعتبه) اعطاه العتبى كاعتبه وطلب اليه العتبى ضد (العجباء) هي التي يتعجب من حسنها ومن قبحها ضد (استعذبه) استحلاه وامتنع عنه كضد (الاعراب) الفحش وقبيح الكلام والدرء عن القبيح ضد (الغناب) كغراب الجبل الاسود الصغير المستدير والطويل ضد (العنبان) محركة النشيط الخفيف والثقيل من الظباء ضد (التغريب) الاتيان بابناء بيض وبابناء سود ضد (المغلب) المغلوب مراراً والمحكوم له بالغلبة على اقرانه ضد (قرضب) اللحم جمعه في البرمة والشيء فرقه ضد سيف (قشيب) مجلو وصدئ وثوب قشيب جديد وخلق ضد (قعب) له العطية اجزلها وقعب له قعبة اعطاه قليلاً ضد (قاب) هرب وقرب ضد (الجبة) كوجبة وقصبة وخربة وعنبة الشاة القليلة اللبن والغزيرة ضد (انجب) جاء بولد شجاع وجبان ضد (النحب) الموت والاجل كضد (نصب) الشيء وضعه ورفعه ضد (الوثب) القفز والقعود بلغة حمير كضد (الوغب) الضعيف البدن والجمل الضخم ضد (الملوب)

هي المتقربة من زوجها والمتجنبة منه ضد (تهيب) الشيء وتهيبه الشيء ضد في المزهر .

التاء : (الامت) في القاموس هو المكان المرتفع والتلال الصغار والارتفاع والانخفاض ضد (السبت) حلق الرأس وارسال الشعر عن العقص .

الثاء : (اقعث) له المطية اجزلها وقعث له قعثة اعطاه قليلاً ضد (الالوث) المسترخي والقوي ضد .

الجيم : (الزوج) الذكر والانثى ضد (الفاثج) الناقة الحامل والحائل ضد (الإنجيج) الوادي الواسع والضيق ضد .

الحاء : (جمح) اسرع وابطأ ضد (الزوح) تفريق الابل وجمعها ضد (السبح) النوم والسكون والتقلب والانتشار في الارض ضد (الشحشح) من الارض ما لا يسيل الا من مطر كثير والذي يسيل من ادنى مطر ضد (المشيح) الجاد والحذر ضد (قرحان) من الامر وقراحي خارج ومن لم يشهد الحرب كالقراحي ومن مسه القروح ضد (كشح) الشيء جمعه وفرقه ضد (المسيح) المبارك والملعون ضد يعني بالمبارك مسيح الهدى عيسى عليه السلام وبالملعون مسيح الضلالة الدجال (النحاحة) السخاء والشح ضد (نشح) نشحا ونشوحا شرب دون الري او حتى امتلأ ضد (نيح) الله عظمه شدده ورضضه ضد

الخاء : (الصارخ) المغيث والمستغيث ضد (الصريخ) صوت المستصرخ والمغيث ضد .

الدال : اسد كفرح دهش عند رؤية الاسد وصار كالاسد ضد (افد) كفرح اسرع وابطأ ضد (بعد) بمعنى قبل في قوله تعالى من بعد الذكر (جعد) للكريم واذا أضيف الى البنان اوالانامل اوالاصابع او الكف فللبخيل في الاساس واما قولهم لكريم جعد فمن الكناية عن كونه سخياً عربياً لان العرب موصوفون بالجعودة (اساد) ولد سيداً واسود ضد واسود على الاصل مثله (سجد) خضع وانتصب (صرد) السهم اخطأ ونفذ حده ضد (صعد) في الجبل وعليه علاه وفي الوادي انحدر ضد (صفد) العطاء والوثاق ضد (الصماريد) الغنم السمان والمهازيل ضد (الضمد) خيار الغنم ورذالها وفي المزهر صالحة الغنم وطالحتها ضد (الصمرد) الناقة الكثيرة اللبن والقليلة (اصاده) داواه من الصيد وآذاه ضد (الضمد) رطب الشجر ويابسه ضد (المعبد) المذلل والمكوم ضد (العيد) واحد الاعياد وعادك عيد اي نزل بك حزن كضد (غمدت) الركية كثر ماؤها وقل ضد (افاد) بذل المال واستفاده ضد (القعدد) القريب الآباء من الجد

الاكبر والبعيد الآباء منه ضد (اشحذ) المطر اقلع ودام (المصد) شدة البرد والحر ضد (النجادة) السخاء والشح ضد في المزهر (النجدة) القتال والشجاعة والشدة والهول والفزع الظاهر انه ضد (الناشد) طالب الضالة ومعرفها ضد (النكد) الغزيرات اللبن من الابل والتي لا لبن لها ضد جمع نكداء (وطد) الشيء اثبته وثقله ضد والشيء رسا وسار ضد (الهاجد) المصلي بالليل والنائم ضد (تهجد) نام واستيقظ ضد فلان (هد) قال ابن الاعرابي هو الكريم الجواد واما الجبان الضعيف فهو الهد شبه ضد (اهمد) بالمكان اقام وفي السير اسرع ضد .

الذال : (الحذاء) قصيدة فيها الحذذ وهو سقوط وتد مجموع من البحر الكامل من متفاعلن فينقل الى فعلن والقصيدة السائرة التي لا عيب فيها ضد (الخنذيذ) هو الفحل والخصي ضد (المخاوذة) هي المخالفة والموافقة ضد .

الراء : (الأزر) هو القوة والضعف ضد (ابتر) اعطى ومنع ضد (البشارة) مطلقة لا تكون الا بالخير ومقيدة لا تكون الا بالشر فبشرهم بعذاب أليم (البهيرة) هي السيدة الشريفة والصغيرة الخلق الضعيفة ضد (ثغر) كمنع ثلم والثلمة سدها ضد (اثغر) الغلام القى ثغره ونبت ثغره ضد (الجبر) الملك والعبد ضد (جعفر) هو النهر الصغير والكبير الواسع ضد (الحرور) هي الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار (حزور) هو الغلام القوي والضعيف ضد (الاحمر) ما لونه الحمرة والابيض ضد (خشر) ابقى على المائدة الخشارة ونقى الخشارة ضد (الخطر) كالشرف الاشراف على المكروه والقدر والمنزلة ضد (ام خنوره) النعمة والداهية ضد (الذفر) كل ريح ذكية من طيب او نتن ضد (المسجور) الموقد والساكن ضد (السادر) هو المتحير ومن لا يبالي ضد (أسر) الشيء كتمه واظهره ضد يقال القى عليه (شراشره) اي ثقله وحماه ضد (الصفرة) بالضم معروفة والسواد ضد (اعذر) ابدى عذراً وقصر ولم يبالغ وهو يري انه مبالغ وبالغ كعضد (التعزير) ضرب دون الحد والتوقير وتعززوه وتوقروه (غبر) مضى وبقي ضد (القطارة) كفرحة (؟) الناقة اللاحق والحائل ضد (قصر) الطعام قصوراً نما وغلا ونقص ورخص .

الزاي : (الجوز) هو السرق اللين والشديد ضد (عز) ان يفعل كذا اشتد وعز ضعف ضد (الفوز) النجاة والهلاك ومنه المفازة للمهلكة والمنجاة في القاموس فاز مات ومنه نجا وبه ظفر .

السين : (الرس) ٢ الاصلاح بين الناس والافساد ايضاً ضد (عسعس) الليل اقبل

ظلامه قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر (امرس) مرس الحبل اذا وقع في احد جانبي البكرة مرساً فاذا اعدته الى مجراه قلت امرسته واذا انشبته بين البكرة والقعو قلت امرسته وهو ضد عن يعقوب (الميعاس) الارض لم توطأ والطريق ضد (الويس) الفقر وما يريده الانسان ضد ٠

الشين : (الرعشيش) بالكسر الجبان والسريع الى القتال ضد « الرشاء » في الرشاء اي الكثيرة العشب والجدبة من صفات الارض ضد « الروش » الاكل الكثير والاكل القليل ضد « الفياش » المتكبر المعجب والسيد المفضال ضد ٠

الصاد : « قلص » ماء البئر ارتفع بمعنى ذهب ومعنى تصعد لجمومه انتهى فهو ضد ٠

الضاد : « ارض » ابطأ وثقل وعدا شديداً ضد « غرض » الحوض ملؤه والنقصان عن الملء ضد ٠

الطاء : « الاشراط » الارذال والاشراف قال يعقوب هذا الحرف ضد « قسط » جار وعدل حكى ابن السكيت في الاضداد عن ابي عبيدة واقسط بالالف عدل لا غير « هبط » قال المفضل الهبوط الخروج عن البلد ودخولها ايضاً فهو من الاضداد من قطف الازهار للسيوطي ٠

العين : « باع » بعت الشيء شريته وبعته ايضاً اشتريته وفي الصحاح شريت اي بعت في برد (كذا) « التلعة » ماارتفع من الارض ومااتهبط منها عن ابي عبيدة « خلع » ثوبه وعليه اعطاه خلعة « الزهمان » محركة خفة الارنب وسرعتها والمشي البطيء وفعله كمنع ضد « السميع » السامع والمسمع « طلع » عليهم غاب عنهم حتى لايروه واقبل عليهم حتى يروه « فرع » الجبل صعد وفي الجبل انحدر « المفرع » المصعد في الجبل والمنحدر ضد « الفزع » الذعر والغوث ضد « افزع » الافزاع الاخافة والاغاثة ايضاً يقال فزعت اليه فافزعني اي لجأت اليه من الفزع فأغاثني « فزع » فلاناً خوفه وعنه كشف عنه الخوف « اقرع » الى الحق رجع وذل وامتنع « القنوع » هو السؤال والتذلل قال اهل العلم ان القنوع قد يكون بمعنى الرضى فهو من الاضداد « الاقناع » يكون رفعاً وخفضاً مقنعي رؤوسهم رافعيها من الاضداد « اودع » قال الكسائي تقول اودعته مالاً اذا دفعته اليه يكون وديعة عنده واودعته ايضاً اذا دفع اليك مالاً يكون وديعة عندك وقبلتها وهو من الاضداد ٠

الفاء : « الخلوف » حي غيب والحضور المتخلفون « خاف » بمعنى توقع من قولهم اخاف

ان يوصل السماء « السدمة » الظلمة والضوء عند بعضهم و بعضهم يجعلها الاختلاط الظلام والضوء كوقت مابين طلوع الفجر الى الاسفار « الشف » هو الفضل والنقصان ضد « العرف » الريح طيبة كانت او منتنة يقال عرف المسك « نصف » خدم وفلانا استخدمه ضد « توذف » وهو الاسراع عن ابي عبيدة ومر يتوذف اذا مر يقارب الخطو ويحرك منكبيه من الصحاح وفيه ابطاء « اليهفوف » الجبان و يقال لحديد القلب من الصحاح ضد ·

القاف : « الحانيق » الابل الضمر والسمان ضد « دهق » الكأس ملأها وكأس دهاق والماء افرغه ضد (سبقته) بالتشديد اخذت منه السبق وهوالذي يتراهن عليه المتسابقان وسبقته ايضاً اعطيته السبق قال الازهرى وهذا من الاضداد « صفق » الباب رده واغلقه وفتحه « المفرق » كمحسن القليل اللحم والسمين ضد « فوق » بمعنى دون بعوضة فما فوقها « لمق » الشي بلقه لمقاً كتبه في لغة عقيل ومحاه في لغة بني قيس ولعله لغة في نمق على ان اتحاد اللغة شرط في الاضداد ·

الكاف : « البك » هو التفريق والازدحام كأنه ضد ·

اللام : (البسل) الحلال والحرام (الجلل) العظيم والصغير (حال) في متن فرسه وثب وعنه سقط واستوى على حال متنه (ازعله) نشطه ومن مكانه ازعجه (الشمل) ما اجتمع من الامر فرق الله شمله وما تشتت منه جمع الله شمله (الكل) بالضم اسم لجميع الاجزاء وقد جاء بمعنى بعض ضد (كلل) في الامر جد وعن الامر احجم وجبن ضد (مثل) مثولاً انتصب قائماً وزال عن موضعه وتمثل مثله وفي الصحاح لطيء بالارض وهو من الاضداد (تمهل) اتأد وتقدم « النبل » الكبار والصغار « انتبل » مات وقتل ضد « النجل » يطلق على الولد والوالد فهو من الاضداد من نواهد الابكار للسيوطي « نصل » السهم اذا خرج منه النصل واذا ثبت نصله فلم يخرج « نصل » بالتشديد نزع النصل وركبه « الناهل » الريان والعطشان ضد ·

الميم : « الجمشم » كقنفذ وجندب القصير الغليظ والطويل الجسيم ضد « الادم » الاسود والجديد من الآثار والقديم الدارس ضد « السليم » و يطلق على اللديغ تفاؤلاً بسلامته « سام » البائع السلعة عرضها للبيع وسامها المشتري « شام » السيف شيماً اغمده وسله وهو من الاضداد من اصلاح المنطق « الصريم » هو الليل المظلم والصبح « الغريم » الذي عليه الدين وقد يكون للذي له الدين « قامت » السوق نفقت وركدت ·

النون : (بين) للقطع والوصل ضد (الجون) الابيض والاسود والجونة الشمس

قال « تبادر الجونة ان تغيبا » « دون » بمعنى فوق أي في الاساس هذا دون ذاك اي اخس منه ودونه خرط القتاد اي امامه وجلس دونه اي تحته « المنة » القوة والضعف .

الواو : « الرتو » الشد والارخاء « الرهوة » الارتفاع والانحدار « الرجاء » هو الامل والخوف « الا » قصر واستطاع « التفوة » الخبرة والتهمة فلان فقوتي اي خبيرتي وتهمتي « عفا » درس ومنه العفو وهو محو الجريمة وكثر حتى عفوا .

الهاء : « النبه » من الاضداد يقال للضائع نبه وللموجود نبه .

الياء : « الجادي » السائل والمعطي « اخفى » الشيء كتمه واظهره اكاد اخفيها « الدواعي » البواعث وصروف الدهر « ارأى » ارءاه صار ذاعقل وتبينت فيه الحماقة ضد « الزبية » هي المكان المرتفع وحفرة الاسد جاءني « سواؤه » اي نفسه وغيره « الشرى » خيار المال ورذاله جمع شراة « شرى » الشيء باعه وشروه بثمن بخس في الصحاح شريت اي بعت في برد (كذا) واشتراه « اشكاه » حمله على الشكاية وازال شكواه « غيت » الكلام وغبي عني ليلة « غاضية » اي مظلمة ومضيئة « اكرى » زاد ونقص « انتدى » القوم وتنادوا اجتمعوا والشيء تفرق « وراء » خلفه وقد يكون بمعنى قدام فهو من الاضداد وكان وراءهم ملك « ولى » اقبل وادبر « الونى » كفتى التعب والفترة « هوى » من الجبل صعد والله اعلم واليه يصعد الكلم الطيب

بين الفيحاء والشهباء

عمل حلب وحدودها

اجمع الجغرافيون من العرب والافرنج ان حد الشام من عريش مصر الى الفرات ومن البحر الرومي الى جبال طي ولكن مما يشوش الذهن ان جميع اعمال حلب اليوم هل هي داخلة في حدود سورية ام بعضها خارج عنها يعد من آسيا الصغرى فقد قال بوليه في معجمه الجغرافي التاريخي ان حد سورية شمالاً الى آسيا الصغرى من خليج اسكندرونة الى نهر الفرات وشرقاً نهر الفرات والبادية الى بلاد العرب وجنوباً قسم من العربية

يسمى تيه بني اسرائيل الى تخوم مصر وغرباً الى البحر المتوسط وطولها المتوسط على هذه التخوم من الشمال الى الجنوب نحو سبعمائة كيلومتر وعرضها المتوسط من الغرب الى الشرق نحو اربعمائة وخمسين كيلومتراً وهذا التعريف يدل على عمل حلب الحقيقي خصوصاً و يؤيده قول صاحب الخريدة ان الرها (اورفة) معدودة من الجزيرة لا من حلب قال ابو زيد البلخي [1] فشرقي الشام غربي الفرات وغربي الشام ساحل الروم وشماله جبال الروم وجنوبه فلسطين والاردن و بعض البادية قال ابن حوقل واما الشام فان من غربيها بحر الروم وشرقيها البادية من ايلة الى الفرات ثم من الفرات الى حد الروم وشماليها بلاد الروم ايضاً وجنوبيها حد مصر وتيه بني اسرائيل [2] وآخر حدودها مما يلي مصر رفح ومما يلي الروم الثغور المعروفة كانت قديماً بالجزيرة وهي ملطية واذنة وطرسوس وقد جمعت الثغور الى الشام وبعض الثغور يعرف بثغور الشام و بعضها يعرف بثغور الجزيرة وكلها من الشام وذلك ان كل ما كان وراء الفرات فمن الشام وانما سمي من ملطية الى مرعش ثغور الجزيرة لان اهل الجزيرة بها كانوا يرابطون و يغزون منها لانها من الجزيرة وكور الشام هي جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والعواصم والثغور و بين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام وهو الفاصل بين الثغرين وجبل اللكام جبل داخل في بلد الروم ويقال انه ينتهي الى حد مائتي فرسخ ويظهر في الاسلام بين مرعش والهارونية وعين زربة فيسمى اللكام الى ان يجاوز اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء وتنوخ الى حمص ثم يسمى جبل لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل بالمقطم من أخرى

وقال ابو الفدا [3] : حدود الشام على وجه دخل فيه بلاد الارمن وهي المعروفة في زماننا ببلاد سيس والذي يحيط بالشام من جهة الغرب بحر الروم من طرسوس التي

(١) البدء والتاريخ (٢) قال ابن حوقل واما تيه بني اسرائيل فيقال ان طوله اربعون فرسخاً وعرضه قريب من طوله وهو ارض فيها رمال و بعضه جلد وبه نخيل وعيون مفروشة قليلة يتصل حد له الى الجفار وحد الى جبل طور سينا وما اتصل به وحد باقاصي بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين وحد له ينتهي في مفازة في ظهر ريف مصر الى حد القلزم (٣) تقويم البلدان

بيلاد الارمن الى رفح التي في اول الجفار بين مصر والشام ويحيط به من جهة الجنوب حد يمتد من رفح الى حدود تيه بني اسرائيل الى ما بين الشوبك وايلة الى البلقاء ويحيط به من جهة الشرق حد يمتد من البلقاء الى مشاريق (لا مشارف) صرخد آخذاً على اطراف الغوطة الى سلمية الى مشارق حلب الى بالس ويحيط به من جهة الشمال حد يمتد من بالس مع الفرات الى قلعة نجم الى البيرة الى قلعة الروم الى سميساط الى حصن منصور الى بهسنا الى مرعش الى بلاد سيس الى طرسوس الى بحر الروم ومن حيث ابتدأنا وبعض هذه الحدود تقع شرقية عن بعض الشام وهي بعينها جنوبية عن بعض آخر مثل البلقاء فانها جنوبية عن حلب وما في سمتها وهي شرقية عن مثل غزة وما في سمتها اه

وبعد فهذا امتع تعريف لبلاد الشام وبه تبين البلاد التي تعد من اعمال حلب من حيث التقسيم الطبيعي الجغرافي والبلاد التي تعد من الروم اوآسيا الوسطى وكان عمل حلب في الحكومة السالفة منذ عهد الاسلام تابعاً في تحوله للاحوال السياسية الطارئة واليك الآن وصفها من مصادر ثلاثة مختلفة ولكن وقتها متقارب وهو بين القرن الثامن والعاشر قال شيخ الربوة : ان لحلب من البلاد ذوات الكور دون العواصم الخاصرة (يقال لها الخناصر الآن) وهي على سيف البرية وجبل بني التقعاع وكان يسمى قصر ابن الثانية وقنسرين وكانت هي القصبة قبل حلب وهي مدينة رومية كان اسمها صوما وسرمين وهي في طرف جبل السماق (يسمى الآن جبل الزاوية او النصيرية) وهذا الجبل معمور بطائفة تسمى النصيرية ومن جند حلب معرة النعمان وتعرف بذات القصرين ولها عمل من احسن الاعمال وهو شعراء ممدودة وغالب شجرها التين والفستق واللوز والمشمش والزيتون والرمان والتفاح وكثير من الفواكه وسائرها يشرب من ماء السماء لا يعتنى في فلاحته باكثر من الحرث تحته وجبل السماق من اعمر الارض واعملها فلاحة من رآه ورأى الاندلس لم يفرق بين فلاحتها وفلاحة الاندلس والفوعة ولها عمل حسن وشغر وبكاس ومعرة صرمين (مسرمين او مصرين ؟) وتيزين بلدة طيبة ولها عمل متسع وحارم كذلك وكان ثغراً حسناً وشيزر مدينة حصينة وبيئة يشرب اهلها وارضها من النهر العاصي ولها قلعة ما ولها ظاهر يسمى عرف الديك محاطة من ثلاث جهات بالعاصي وحندراس ولهاجومة اي كورة فيها اجمة كبيرة البناء لا يعلم العالم من ابن يجي ماؤها ولا اين يذهب ودلوك (Doliche, Dolica, Delouc)

ورعبان (؟) وكيسوم وفوارس « ؟ » وكفر طاب وفوذ « ؟ » وفامية وبرزية حصن منيع يضرب به المثل وتحته بالقرب بحيرة فامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ولها سكر يصاد فيها نوع من السمك شبيه بالحيات ويسمى انكليس لحمه شبيه بالالية المشوية وللنصارى فيه رغبة عظيمة يحمل في المراكب اليهم داخل البحر ضمانه في السنة نحو ثلاثين الف درهم و « عمورية » بناها الرشيد عَلَى اثر عمارة قديمة رومية

ولحلب من جهة الشمال والشرق عين تاب بلدة ولها حصن مليح واهلها تركمان ولها نهر يسيح وعليه بستان وهو جار و « اعزاز » قلعة في الشمال الغربي من حلب وتسمى عند الافرنج Hazarth و Azaz وهو حصن و « الباب وبزاعة » وهما مدينتان وبينهما واد يعرف بيطنان ولها نهر يسمى الساجور يجري اليهما من عين تاب و(بالس) وهي مدينة قديمة على الفرات وفي حيزها « صفين » و « رصافة هشام » بن عبد الملك بناها لنفسه عَلَى اثر بناء قديم كنعاني و « منبج » وهي على مرحلة من الفرات بناها كسرى وسماها منبه اي جود وفي عملها قلعة « نجم » وكانت تسمى قلعة منبج و « تل باشر »[1] ولها نهر يجري اليها من عين تاب وهو الساجور . وبحلب ايضاً مما هو داخل في اعمالها وجندها « قلعة الروم » يقيم بها خليفة الارمن وبطركها و « مرعش » ولها بحيرة متسعة و « بهسنا » حصن مليح و « الكختا » و « كركر » و « تل حمدون » و « قلعة نجم » و « قلعة حميص » و « الراوندان » وكل هذه ثغور تجاه الارمن والتتار و « البيرة » حصن منيع شرقي الفرات ومن الثغور الساحلية الجبلية « ديركوش » و « دربساك » و « بغراس » (بيلان) و « حجر شعلان » و « اسكندرونة » و (قصير) و (انطاكية) و (بغرا) ولها بحيرة حلوة من نهر الاسود بينها وبين بغراس وبين انطاكية وهي قصبة السواحل كانت قبل ثغورها وكانت احدى كراسي الروم ويسميها الروم تعظيماً لها مدينة الله كما تسمى الارض المقدسة وانطاكية من المدن القديمة ويحيط بها سور كبير محيط عَلَى اربعة جبال وشعاري ولها بساتين ولها فرضة تسمى السويدية عَلَى الساحل عند مصب العاصي في البحر والهارونية بناها هارون الرشيد . ومن اعمال حلب ايضاً (النقدة) (؟) و (حلقة سرمدا) و (حلقة تيزين) و (ارتاح) و (الجبول) و (جبرين) و (ريحا) وكثير مثل ذلك والمذكور نحو ستين عملا وكل عمل يحتوي عَلَى اعمال وكور وضياع عامرة

(١) وقد يكتبه الاتراك تلباشر تسمى في كتب المؤرخين من الصليبيين Turbessel « قاموس الجغرافية »

ورساتيق منها قائم وحصيد انتهى ما قاله شيخ الربوة ووصفها ابن فضل الله العمري (١) باختصر من هذا فقال :

واما بلاد حلب فيحدها من القبلة المعرة وماوقع عَلَى سمتها الى القمة الخراب والسلسلة الرديئة ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك كله بين الجبار والقرية المعروفة بقبة ملاعب ومن الشرق البر حيث يحد برّاً آخذاً عَلَى الثلج (؟) ونهر الخلاب على اطراف بالس الى الفرات دائرة تحدها وبهذ القسم تكون بلاد جعبر داخلة في حدودها ومن الشام بلاد الروم مما وراء بهسنا وبلاد الارمن مماوراء نهر جاهان ومن الغرب ماالخذ مع بلاد الارمن على البحر الشامي ويحلب قلاع وولايات فاما القلاع فهي البيرة وهي التي لاتماثل ولماعسكر ومنعة ولنائبها مكانة جليلة وقلعة المسلمين وهي المعروفة بقلعة الروم كانت مسكناً لخليفة الارمن ولم يزل بها حتى افتتحها وسماها قلعة المسلمين وهي من جلائل القلاع والكختا وهي ذات عمل متسع وعسكر متطوع مجتمع وكركر وبهسنا وهي الثغر التاخم لبلاد الدروب والمشتعل جمره في الحروب به عسكر من التركمان والاكراد ولا يزال لهم آثار في الجهاد ولنائبها مكانة جليلة وان كان لا يلحق بنائب البيرة وعينتاب وهي مدينة حسنة والراوندان والدربساك وبغراس وكانت ثغر الاسلام في عز الارمن حتى استضيفت الى الفتوحات الجاهانية وبها الرصاص وهو عضو من اعضائها وجزء من اجزائها والقصير وهو لانطاكية والشغر وبكاس وهما كالشيء الواحد وحجر شعلان وابوقبيس وشيزر فهذه جملة قلاعها وهي عَلَى هذا الترتيب وان كانت عينتاب داخلة عن النطاق فانها في موقعها بين ما ذكر واما ولايتها فاجلها الغربيات وهي سرمين وما معها وجملة ولايات حلب كفرطاب وفامية وسرمين والجبول وجبل سمعان وعزاز وتل باشر غير ماقي هذه القلاع نماله ولاية مضافة اليه ولمدينة حلب نفسها ولاية بركالدمشق فهذه جملة البلاد الحلبية اهـ ·

وعدد غرس الدين الظاهري (٢) بلاد المملكة الحلبية فقال انها مملكة متسعة الى الغاية تشتمل عَلَى مدن وقلاع ومعاملات وقرى عديدة واعظم مدنها حلب ثم ذكر مدن انطاكية وجعبر والرحبة وسيجر (شيزر) وسرمين والباب وبزاعة وكليس وعزاز واقليم العمق والجزيرة ومدينة الحديدة واياس (يياس) وسيس وطرسوس ومعيصة (مصيص) واذنة والرمضانية والاوزازية وقيسارية وعينتاب وشيخ وقلعة المسلمين والبيرة والرها

(١) التعريف بالمصطلح الشريف (٢) زبدة كشف الممالك

وكركر وقلعة خروص وكختا وحصن منصور وبهسنا ودارندة (فوق مرعش بار بعة ايام) ودوركي وعربكير وبعاملتها عشر قلاع وجمشكزك وبعاملتها اربع وعشرون قلعة وخربوت وهذه المدينة وعربكير وجمشكزك وقلاعها ومعاقلها كانت من ديار بكر فتحت في الايام الاشرفية واضيفت الى المملكة الحلبية · وذكر ان لكل مدينة من هذه المدن اقليماً فيه عدة قرى و بعض هذه المدن اليوم من عمل ولاية شيواس والآخر من عمل ولاية ديار بكر والآخر من عمل معمورة العزيز والآخر من ولاية اطنة

وقال ابن جبير :وعدة جميع قلاع حلب وحصونها ثلاثة وعشرون عملاً وهي عمل شيزر وقلعة النجم وعمل الشغر وبكاس وهي قلعة وعمل القصير وهي قلعة وعمل ديركوش وعمل حارم وشيح الحديد وعمل انطاكية وعمل بغراص وهي قلعة حصينة والدربساك وهي قلعة وعمل حجر شملان وهي قلعة وعمل الراوندان وهي قلعة ومعها تل هران وبرج الرصاص وتل باشر وعمل عينتاب ولها قلعة ومعها دلوك وقوص وعمل بهسنا وكركر وكختا والبيرة وقلعة الروم ومنبج والجبول والباب و بزاعا وتيزين واعزاز وكيسوم ومرمين والفوعة ومعرة مصرين ومرتجوان وكفرطاب وبالس وصفين والرصافة وخناصرة وحيار بني القعقاع وقنسرين وحاضر قنسرين

وعلى الجملة فقد اختلفت تقسيمات حلب فيما مضى وكانت في الاكثر ينتهي حدود عملها من جهة الشمال الى دروب الروم وقد تكلم ابن شداد من بلاد حلب على بالس والرصافة وخناصرة وحيار بني القعقاع وقنسرين وحاضرها ومرمين والفوعة ومعرة مصرين ومرتجوان وحارم والعمق وقال انه كان في هذه النواحي ما يزيد على ثلاثين والياً يتصرفون من جهة من يكون نائباً عن السلطان بحارم · وذكر ايضاً ديركوش وعزاز والراوندان وتل هران وتل باشر وعينتاب والمرزبان وخروص والزرب و بهسنا والباب و بزاعا والشغر وذكر من الحصون التي استولى عليها الخراب حتى صارت قرى غير دافعة ولا مانعة حصن سنياب وحصن سلعان وحصن سوبرك او بزربك وحصن تل رمان شمالي نكفالون وحصن باسوطا في المضيق وحصن عنافيب وحصن بابرك وشيح الحديد في الروج الشرقي وكفرميت في الروج الشرقي وحصن راشيا وهو الآن راشي وحصن هاب ومرفون غربي مرمدا في الحلقة وارتبا في بلدة الزاوية يقال لها الآن (في عهده) ارنبا وحصن آتب او آنب وتل كشهان او كشفان في الروج الغربي وحصن زردنا في بلد اذلب وحصن ازرقال والآن ازرغان مقابل تل كشفان وبينهما العاصي وحصن عم

وسلقين وتل عماد غربي ساقين وتل خالد وارمناز وسلمان وحصون العواصم وسلموس وزياد وهو خرت برت بين آمد وملطية والعيون وكانت اذنة والمصيصة وطرسوس من الثغور الرومية داخلة من جملة عمل حلب

وقال ابن الشحنة واعلم ان اعمال حلب قد زادت قبل الفتنة التيمرية وبعدها عما ذكره ابن شداد وعملها اليوم من جهة الروم ينتهي الى دارندة وهي آخر عملها ومن جهة الغرب من الروم الى البحر ومن الشرق الى بعض اعمال الجزيرة كالرها والرقة وجعبر والبيرة وما والاها من جهة الشرق ومن جهة القبلة الى قرب حماة واما حماة فهي منفردة الآن (في عصر المؤلف) بعمل وكانت من مضافات حلب

واما المسافات فمن حلب الى قنسرين يوم — عَلَى قول ياقوت — والى المعرة يومان والى انطاكية ثلاثة ايام والى الرقة اربعة ايام والى الاثارب يوم والى توزين يوم والى منبج يومان والى بالس يومان والى خناصرة يومان والى حماة ثلاثة ايام والى حمص اربعة ايام والى حران خمسة ايام والى اللاذقية ثلاثة ايام والى جبلة ثلاثة ايام والى طرابلس اربعة ايام والى دمشق تسعة ايام .

بلاد حلب وكورها وحصونها

اتينا في النبذة الماضية عَلَى مجمل البلاد التي كانت تعد من عمل المملكة الحلبية قبل دخول الدولة العلية العثمانية وقد رأينا هنا ان نعززها بجملة ثانية فيها وصف كل مدينة وحدها في الجملة معتمدين في ذلك في الاكثر عَلَى معجم البلدان لياقوت الحموي وتقويم البلدان لابي الفدا صاحب حماة نذكرها بايجاز ما امكن لما يتخللها من الفوائد العمرانية والاجتماعية والادبية ونذيلها غالباً بما يعرفها للقاريء اليوم ثم نردفها بما كتبه ابن حوقل في وصف الديار الحلبية

(الاثارب) قلعة معروفة بين حلب وانطاكية بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ وفيها يقول محمد بن نصر بن صغير القيسراني :

عرجا بالاثارب كي أقضي مآربي
واسرقا نوم مقلتي من جفون الكواعب
واعجبا من ضلالتي بين عين وحاجب

(الأحص وشبيث) ويقال الاولى الحص الآن بالقرب من مملحة جبول وهما موضعان والغالب انهما بالقرب من قنسرين وانشد الاصمعي في كتاب جزيرة العرب

لرجل من طيء يقال له الخليل بن قردة وكان له ابن واسمه زافر وكان قد مات بالشام

ولا آب ركب من دمشق واهله ولا حمص اذ لم يأت في الركب زافر

ولا من شبيث والاحص ومنتهى الـ مطايا بقنسرين او بخناصر

(الارتيق) كورة من اعمال حلب « ارتاح » حصن منيع كان من العواصم وهو من اعمال حارم (ارفاد) قرية كبيرة من نواحي حلب ثم من نواحي عزاز يقال لها رفاد (ارمناز) بليدة قديمة من نواحي حلب بينهما نحو خمسة فراسخ يعمل بها قدور وشربات جيدة حمر طيبة ولا تزال كذلك (اسفونا) اسم حصن كان قرب معرة النعمان بالشام افتتحه محمود بن نصر الكلابي و يقال لها اليوم (عصر ياقوت) سفوهن فيما بلغني

(الاعماق) كورة قرب دابق بين حلب وانطاكية والعمق اليوم فيها نحو مائتي قرية (افلاطنس) حصن عظيم عال مشرف جداً من اعمال جبل وهرا من عمل حلب الغربية ولعله المشهور اليوم بقصر البنات (انب) حصن من اعمال عزاز يبعد عنها نحو اربع ساعات

(انطاكية) لم تزل قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير زارها ابن بطلان في سنة نيف واربعين واربعمائة فقال ان المسافة بينها وبين حلب يوم وليلة عامرة لا خراب فيها اصلاً ولكنها ارض تزرع الحنطة والشعير تحت شجر الزيتون قراها متصلة وسورها ثلاثمائة وستون برجاً يطوف عليها بالنوبة اربعة آلاف حارس ينفذون من القسطنطينية يضمنون حراسة البلد سنة و يستبدل بهم في السنة الثانية وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل والسور يصعد مع الجبل الى قلته فتتم دائرة وفي رأس الجبل داخل السور قلعة وفي وسط المدينة بيعة القسيان وهو هيكل طوله مائة خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين وكان بدور الهيكل اروقة يجلس عليها القضاة للحكومة ومعلمو النحو واللغة وهناك من الكنائس ما لا يحد كلها معمولة بالذهب والفضة والزجاج الملون والبلاط المجزع وفي البلد بيمارستان يراعي البطريك المرضى فيه بنفسه و يدخل المجذمين الحمام في كل سنة فيغسل شعورهم بيده ومثل ذلك يفعل الملك بالضعفاء كل سنة و يعينه على خدمتهم الاجلاء من الرؤساء والبطارقة التماس التواضع ·

وقال ابن الفقيه ومن عجائب الجزيرة كنيسة الرها والروم تقول ما من بناء بالحجارة ابهى من كنيسة الرها ولا بناء بالخشب ابهى من كنيسة منبج لانها بطاقات

من خشب العناب ولا بناء بالرخام ابهى من قسيان انطاكية ولا بناء بطاقات الحجارة ابهى من كنيسة حمص

قال ياقوت وبين انطاكية والبحر نحو فرسخين ولها مرمى في بليد يقال له السويدية ترسي فيه مراكب الافرنج يرفعون منه امتعتهم على الدواب الى انطاكية واستمرت هذه المدينة في ايدي الافرنج الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتلمش السلجوقي جد ملوك آل سلجوق سنة ٤٧٧ وقد كان فتحها المسلمون مع حلب وملكها الروم سنة ٣٥٣

وفي غربي الفرات مقابل قلعة جعبر ارض (صفين) التي بها كانت الوقعة ومن قلعة جعبر الى الرقة سبعة فراسخ . (البارة) بليدة وكورة من نواحي حلب وفيها حصن وهي ذات بساتين ويسمونها زاوية البارة (بارين) والعامة تقول بعرين مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب وهي الآن خربة على طريق المعرة (باعربايا) بلد من اعمال حلب من مضافات افامية وافامية خراب فيها بعض بيوت شعر (بالس) بلدة بين حلب والرقة وكانت على ضفة الفرات الغربية فلم يزل الفرات يشرق عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينهما في ايامنا (ياقوت) هذه اربعة اميال

قال ابو الفدا ان بالس كانت مسكونة وهي صغيرة على شط الفرات الغربي وذكر ابن حوقل انها اول مدن الشام من العراق وهي فرضة لاهل الشام وفي شرقيها الرقة قال في العزيزي ومنها الى قلعة دوشر المعروفة الآن بقلعة جعبر في شرقي الفرات خمسة فراسخ

(براق) من قرى حلب بينهما نحو فرسخ وهي اليوم ناحية برق من اعمال قضاء الباب من اعمالها نحو خمسين قرية (برج الرصاص) قلعة ولها رساتيق من اعمال حلب قرب انطاكية واياها عنى ابو فراس بقوله :

فاوقع في جلباط بالروم وقعة بها العمق واللكام والبرج فاخر

(البرزمان) قلعة من العواصم من نواحي حلب (بسرفوت) حصن من اعمال حلب في جبل بني عليم (بزاعة) بلدة من اعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب بينهما وبين كل واحدة منهما مرحلة وفيها عيون ومياه جارية واسواق حسنة وهي اليوم قرية

وقال ابن جبير في وصفها بقعة طيبة الثرى واسعة القرى تصغر عن المدن وتكبر عن القرى بها سوق تجمع بين المرافق السفرية والمتاجر الحضرية وفي اعلاها قلعة كبيرة

حصينة رامها احد ملوك الزمان فغاظته باستعصائها فأمر بثلم بنائها حتى غادرها عورة منبوذة بعرائها ولهذه البلدة عين معينة يخترق ماؤها بسيط بطحاء ترف بساتينها خضرة ونضارة وتريك برونقها الانيق حسن الحضارة وبناظرها في جانب البطحاء قرية كبيرة تعرف بالباب هي باب بين بزاعة وحلب وكان يعمرها منذ ثماني سنين قوم من الاسماعيليين لا يحصي عددهم الا الله فطار شرارهم وقطع هذه السبيل فسادهم واضرارهم حتى دخلت اهل هذه البلاد العصبية وحركتهم الانفة والحمية فتجمعوا من كل اوب عليهم ووضعوا السيوف فيهم فاستأصلوهم عن آخرهم وعجلوا بقطع دابرهم وكومت بهذه البطحاء جماجمهم قال وسكانها اليوم قوم سنيون · وروى ابو الفدا : الباب بلدة صغيرة ذات سوق وحمام ومسجد وجامع ولها بساتين كثيرة نزهة واما بزاعا فضويعة من اعمال حلب في الجهة الشمالية الشرقية وفي بساتينها يقول المنازي وقد اجتاز بها

لقانا لفحة الرمضاء واد وقاه مضاعف النبت العميم
يصد الشمس انى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

ووجدنا هذا البيت في مكان آخر

نزلنا دوحه فحنا علينا حنو الوالدات على الفطيم
وارشفنا على ظماء زلالا الذ من المدامة للنديم

(بغراس) مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية اربعة فراسخ على يمين القاصد الى انطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس قال البلاذري وكانت ارض بغراس لمسلمة بن عبدالملك ووقفها على سبيل البر وكانت بيد الافرنج ففتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٤٨٥ وقد ذكرها البحتري في شعر مدح به احمد بن طولون

سيوف لها من كل دار غداً ردى وخيل لها من كل دار غداً نهب
علت فوق بغراس فضاقت بما جنت صدور رجال حين ضاق بها درب

قال يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي ان نقفور ملك الروم نزل على انطاكية سنة ٣٥٧ واقام عليها يومين وفتح المعرة وحماة وحمص وطرابلس وعرقة وجبلة واللاذقية وانطرسوس وخرب قرى كثيرة وبنى حصن بغراس مقابل انطاكية في فم الدرب (ادلب)

« بكاس » قلعة من نواحي حلب على شاطئ العاصي ولها عين تخرج من تحتها وبينها وبين ثغور المصيصة مقابلتها قلعة اخرى يقال لها الشغر بينهما واد كالخندق يقال له الشغر . (بلاطنس) حصن منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من اعمال حلب (بياس) مدينة صغيرة شرقي انطاكية وغربي المصيصة ، ميس بينهما قريبة من البحر بينها وبين الاسكندرونة فرسخان قريبة من جبل اللكام (امانوس) . (بيت لاها) حصن عال بين انطاكية وحلب على جبل ليلون كان فيه ديدبان ينظر في اول النهار انطاكية وفي آخره الى حلب . (البيرة) (بيره جيك) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة ولها رستاق واسع وهي على حافة الفرات في البر الشرقي الشمالي لاترام ولها واد يعرف بوادي الزيتون به اشجار واعين وهي بلدة ذات سوق وعمل قال ابن سعيد وقلعتها على صخرة وهي اليوم ثغر الاسلام في وجوه التتر وهي فرضة على الفرات وهي في الشرق عن قلعة الروم على نحو مرحلة وفي الغرب عن قلعة نجم وفي الجنوب والغرب عن سروج

(البيضاء) اسم لمدينة حلب لبياض تربتها (تاذف) قرية بين حلب وبينها اربعة فراسخ من وادي بطنان من ناحية بزاعة ذكرها امرؤ القيس في شعره فقال :

ويارب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا

ويقال لهذه البلدة اليوم تاتف وهي على نصف ساعة من الباب ولا يقل نفوسها عن خمسة آلاف نسمة وفيها الى اليوم كنيس لليهود وبضع اسرات منهم يسكنونها بنيت فيما يقال قبل ٣٢٠٠ سنة وهي محل مبارك عند الاسرائيليين يقصدونه للزيارة وقد زرته وزرت ضاحية البلد غراف ابي طرطر وهو بئر ماء لذيذ يمتاح ماؤه على مدار يحركه بغلان فيسقي حدائق هناك وهذا هو طرطر الذي زاره امرؤ القيس في الغالب . ويرى الاسرائيليون في تلك الانحاء ان من زار منهم كنيس تاتف وشرب من غراف ابي طرطر واغتسل من عين العزير على مقربة منها اتى عملاً صالحاً ينيله الزلفى من المولى . (تل باشر) قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب بينها وبين حلب يومان واهلها ارمن ولها ربض واسواق وهي عامرة آهلة . (تل خالد) قلعة من نواحي حلب (تل السلطان) موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق وفيه خان ومنزل للقوافل وهو المعروف بالفنيدق كانت به وقعة بين صلاح الدين يوسف بن ايوب وسيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل سنة ٥٧١ (تل منس) حصن قرب معرة النعمان وقيل من قرى حمص (توزين) ويقال تيزين كورة وبلدة بالعواصم من ارض حلب (جبل السماق)

هو جبل عظيم من اعمال حلب الغربية يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع عامتها للاسماعيلية وفيه بساتين ومزارع كلها عذي والمياه الجارية به قليلة الا ما كان من عيون ليست بالكثيرة في مواضع مخصوصة ولذلك تنبت فيه جميع اشجار الفواكه وغيرها حتى المشمش والقطن والسمسم وغير ذلك وقيل انه سمي بذلك لكثرة ما ينبت فيه من السماق قال عيسى بن سعدان :

وقولها وشعاع الشمس منخرط حييت يا جبل السماق من جبل
ياحبذا التلعات الخضر من حلب وحبذا طلل بالسفح من طلل
ياساكني البلد الاقصى عسى نفس من سفح جوشن يطفي لاعج الغلل
طال المقام فوا شوقا الى وطن بين الاحص وبين الصحصح الرمل

(الجبول) قرية كبيرة الى جنب ملاحة حلب وفي الجبول يصب نهر بطنان وهو نهر الذهب ثم يجمد ملحاً فيمتار منه اكثر بلدان الشام و بعض الجزيرة و يضمن بمائة وعشرين الف درهم في كل عام ويجتمع على هذه الملاحة انواع كثيرة من الطير قبل جمودها وصفها حسن الساسكوني الحموي بقوله :

قد جبل الجبول من راحة فليس تعرو ساكنيها هموم
كأنما الماء واطياره فيه سماء زينت بالنجوم
كأن سود الطير في بيضها خليط جيش بين زنج وروم

قال ياقوت في نهر الذهب ان اهل حلب يزعمون ان وادي بطنان الذي يمر ببزاعة وهو الذي يقال له عجائب الدنيا ثلاثة دير الكلب ونهر الذهب وقلعة حلب والعجب فيه ان اوله يباع بالميزان وآخره بالكيل وتفسير ذلك ان اوله يزرع على الحصا كالقطن وسائر الحبوب ثم ينصب الى بطيحة طولها نحو فرسخين في عرض مثل ذلك فيجمد فيصير ملحاً يمتار منه اكثر نواحي الشام ويباع بالكيل وطول الملاحة الآن نحو ٣ كيلومترات وعرضها ١٨ كيلومتراً

(الجرجومة) مدينة يقال لاهلها الجراجمة كانت على جبل اللكام بالثغر الشامي عند معدن الزاج فيما بين بياس و بوقة قرب انطاكية والجراجمة جيل كان من امرهم في ايام استيلاء الروم ان خافوا على انفسهم فلم ينتبه المسلمون لهم وولى ابو عبيدة انطاكية حبيب بن مسلمة الفهري فغزا الجرجومة فصالحه اهلها على ان يكونوا اعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام وان يؤخذوا بالجزية وان يطلقوا اسلاب من

يقتلونه من اعداء المسلمين اذا حضروا معهم حرباً ودخل من كان معهم في مدينتهم من تاجر واجير وتابع من الانباط من اهل القرى ومن معهم في هذا الصلح فسموا الروادف لانهم تلوهم وليسوا منهم ويقال انهم جاؤوا الى عسكر المسلمين وهم ارداف لهم فسموا روادف وكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون اخرى فيكاتبون الروم ويمالؤنهم على المسلمين ولما استقبل عبد الملك بن مروان محاربة مصعب بن الزبير خرج منهم الى الشام مع ملك الروم فتفرقوا في نواحي الشام وقد استعان المسلمون بالجراجمة في مواطن كثيرة في ايام بني امية وبني العباس واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة . (جلبـاط) ناحية بجبل اللكام بين انطاكية ومرعش كانت بها وقعة سيف الدولة بن حمدان بالروم

(حارم) حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية وهي الآن من اعمال حلب وفيها اشجار كثيرة ومياه وهي لذلك وبئة وهي فاعل من الحرمان او من الحريم كأنها لحصانتها يحرمها العدو وتكون حرماً لمن فيها قال ابو الفدا وقد خص بالرمان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة المياه وهو على مرحلتين من حلب في جهة الغرب وبين حارم وانطاكية مرحلة

(الحاضر) في كتاب الفتوح للبلاذري انه كان بقرب حلب حاضر يدعى حاضر حلب يجمع اصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم جاءه ابو عبيدة بعد فتح قنسرين فصالح اهله على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك وكانوا مقيمين واعقابهم به الى بعيد وفاة امير المؤمنين الرشيد ثم ان اهل ذلك الحاضر حاربوا اهل مدينة حلب وارادوا اخراجهم عنها فكتب الهاشميون من اهلها الى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم فسارعوا الى انجادهم وكان اسبقهم الى ذلك العباس بن زفر الهلالي فلم يكن لاهل الحاضر بهم طاقة فاجلوهم عن حاضرهم وضربوه وذلك في فتنة محمد الامين بن الرشيد فانتقلوا الى قنسرين فتلقاهم اهلها بالاطعمة والكسى فلما دخلوا ارادوا التغلب عليها فاخرجوهم عنها فتفرقوا في البلاد قال فمنهم قوم بتكريت وقد رأيتهم ومنهم قوم بارمينية وفي بلدان كثيرة متباينة وفي رواية اخرى (١) ان يعقوب بن صالح الهاشمي خرب الحاضر الذي كان الى جانب حلب حتى الصقه بالارض وكان فيه عشرون الف مقاتل فهو خراب اليوم

(حصن منصور) قال في المشترك وحصن منصور بالقرب من سميساط قال هو منسوب

---

(١) تاريخ اليعقوبي

الى منصور بن جعونة العامري وكان قد تولى عمارته في ايام مروان الحمار آخر خلفاء بني امية قال ابن حوقل وحصن منصور حصن صغير في مبزر زرعه عذي اقول (ابوالفدا) وهو الآن خراب ولكنه مزدرع وهو في مستو من الارض شمالي النهر الازرق وجنوبي الفرات وغربيها قريب من كل منها والجبل واقع في غربي حصن منصور بينه و بين ملطية وفيه الدربند الى ملطية

(حيب) بلد من اعمال حلب يقال له بطنان حيب (دانيث) بلد من اعمال حلب بين حلب وكفرطاب . (دركوش) حصن قرب انطاكية من اعمال العواصم (دلوك) بليدة من نواحي حلب بالعواصم كانت بها وقعة لابي فراس بن حمدان مع الروم قال بعضهم يذكرها

وإني ان نزلت على دلوك تركتك غير متصل النظام

وقال عدي بن الرقاع

امن سرى امغار للغيث غائر ام انتابها من آخر الليل زائر

ونحن بارض قلما يجشم السرى بها العربيات الحسان الحرائر

كثير بها الاعداء يحسر دونها بريد الامام المستحث المثابر

فقلت لها كيف اهتديت ودوننا دلوك واشراف الجبال القواهر

وجيحان جيحان الجيوش وآلس وحزم خزاز والشعوب القوامر

(الراوندان) قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة مشجرة من نواحي حلب قال ابو الفدا انها قلعة حصينة عالية على جبل مرتفع ابيض ولها اعين و بساتين وفواكه وواد حسن ويمر تحتها نهر عفرين وهي في الغرب والشمال عن حلب و بينهما نحو مرحلتين وهي في الشمال عن حارم و يجري من الشمال الى الجنوب على الراوندان الى عمق حارم في واد متسع بين جبال و بذلك الوادي قرى وزيتون كثيرة وهي كورة من بلاد حلب وتسمى الجومة بضم الجيم وسكون الواو وميم وهاء

(سلوقية) اقطع الوليد بن عبد الملك جند انطاكية ارض سلوقية عند الساحل وصير عليهم الفاثر وهو بسيط من الارض معلوم كالفدان والجريب بدينار ومدي قمح فعمروها واجرى ذلك لهم و بنى حصن سلوقية (سميساط) قال في اللباب وسميساط من بلاد الشام قال ابن حوقل واما سميساط فهي على الفرات وكذلك جسر منبج وهما مدينتان صغيرتان حصينتان لهما زروع سقي وعذي ومأوه من الفرات وسميساط في الغرب عن قلعة الروم

وفي الشمال عن حصن منصور وكل واحدة عَلَى مسافة قريبة من الاخرى

(سرمين) بلدة ذات اشجار كثيرة وزيتون وغيره وليس لها ماء الا مايجتمع من الامطار في الصهاريج ولها ولاية وعمل متسع وهي ذات خصب واسواق ومسجد جامع وليس لها سور و بين سرمين و بين حلب مسيرة يوم وحلب في شماليها وهي عَلَى منتصف الطريق بين المعرة وحلب

(سروج) بلدة قريبة من حران من ديار مضر ٠

(رعبان) مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم وهي قلعة تحت جبل خربتها الزلزلة في سنة ٣٤٠ فانفذ سيف الدولة ابا فراس بن حمدان في قطعة من الجيش فاعاد عمارتها في سبعة وثلاثين يوماً

(سياث) بليدة بظاهر معرة النعمان وهي القديمة والمعرة اليوم محدثة اجتاز بها القاضي ابو يعلي عبدالباقي بن حصن المعري والناس ينقضون بنيانها ليعمروا به موضعاً آخر فقال:

مررت برسم في سياث فراعني به زجل الاحجار تحت المعاول
تناولها عبل الذراع كأنما رمى الدهر فيمابينهم حرب وائل
اتتلفها شلت يمينك خلها لمعتبر او زائر او سائل
منازل قوم حدثتنا حديثهم ولم ارا احلى من حديث المنازل

(الشغر) قلعة حصينة مقابلها اخرى يقال لها بكاس عَلَى رأس جبلين بينهما واد كالخندق لها وكل واحدة تناوح الاخرى وهما قرب انطاكية قال ابو الفدا : الشغر وبكاس قلعتان حصينتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل وتحتهما نهر يجري ولها بساتين وفواكه كثيرة ولها مسجد جامع ومنبر ورستاق وهما بين انطاكية وفامية على قريب منتصف الطريق بينهما وفي شرقيها على شوط فرس جسر كشفهان وهو جسر النهر وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه في كل اسبوع والشغر وبكاس في جهة الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن انطاكية وبينهما الجبال

« شقيف دركوش » قلعة من نواحي حلب قبلي حارم ٠ « شقيف دبين » قلعة صغيرة قرب انطاكية ودبين ضيعة كالربض لها « عرض » بلد في برية الشام يدخل في اعمال حلب وهو بين تدمر والرصافة الهشامية ٠ (عزاز) بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم وهي طيبة الهواء عذبة الماء ٠ (عما) صقع في برية خساف بين بالس وحلب ٠ « العمق » كورة بنواحي حلب الشام وكان اولاً من نواحي انطاكية

ومنه أكثر مبيرة انطاكية واياه عنى ابو الطيب المتنبي حيث قال

وما الخشي نبوك عن طريق وسيف الدولة الماضي الصقيل
وكل شواة غطريف تمنى لسيرك ان مفرقها السبيل
ومثل العمق مملوء دماء مشت بك في مجاريه الخيول
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاول ما يمر به الوحول

(عينتاب) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها وهي الآن من اعمال حلب ٠ ويقول ابو الفدا انها بلدة حسنة كبيرة ولها قلعة منقوبة في الصخر حصينة وهي كثيرة المياه والبساتين وهي قاعدة ناحيتها ولها اسواق جليلة وهي مقصودة للتجار والمسافرين وهي عن حلب في جهة الشمال على ثلث مراحل وبالقرب من عينتاب في جهة الجنوب ممن قلعة الروم على نحو ثلث مراحل ايضاً وكذلك بين عينتاب و بهسنا وعينتاب في جهة الشرق والجنوب عن بهسنا

(قابا) كورة بين منبج وحلب كبيرة وهي من اعمال منبج في جهة قبلتها قرب وادي بطنان ولها قرى عامرة فيها بساتين ومياه جارية ٠ (الفرزل) ناحية من نواحي معرة النعمان في العلاة والعلاة كورة من كورها ٠ (الفنيدق) من اعمال حلب كانت به عدة وقعات وهو الذي يعرف اليوم بتل السلطان بينه و بين حلب خمسة فراسخ وبه كانت وقعات الفنيدق بين ناصر الدولة بن حمدان و بني كلاب من بني مرداس في سنة ٤٥٢ فأسره بنو كلاب

(قلعة جعبر) على الفرات مقابل صفين التي كانت فيها الوقعة بين معاوية وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكانت تعرف اولاً بدوسر فتملكها رجل من بني نمير يقال له جعبر بن مالك فغلب عليها فسميت به (قلعة الروم) قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط بها مقام بطرك الارمن و يقول ابوالفدا ان لها ربضاً وبساتين وفواكه ونهراً يعرف بمرزبان يجيء من ناحية الجبل و يصب في الفرات تحت قلعة الروم والفرات تمر بذيل القلعة وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام انقذها من الارمن السلطان الملك الاشرف ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وهي في البر الغربي الجنوبي من الفرات وهي عن البيرة في جهة الغرب على نحو مرحلة وهي في الشرق عن سميساط وهي في الجنوب من الرها وكل ذلك على الغرب منها

(قلعة النجم) قلعة حصينة مطلة على الفرات على جبل تحتها ربض عامر وعندها جسر

يعبر وهي المعروفة بجسر منبج و يعبر عَلَى هذا الجسر القوافل من حران الى الشام و بينها و بين منبج اربعة فراسخ (قورس) مدينة ازلية بها آثار قديمة وكورة من نواحي حلب وهي الآن خراب وبها آثار باقية (كرزين) قلعة من نواحي حلب بين نهر الجوز والبيرة لها عمل (كشفر يد) بلد في جبال حلب تنبأ فيه رجل في سنة ٥٦١ وانضم اليه جمع فخرج اليه عسكر الشام فقتل وقتل اصحابه « كفردبين » حصن بنواحي انطاكية (كفر روما) قرية من قرى معرة النعمان وكان حصناً مشهوراً خربه لولو الشيعي المعروف بالجراحي المتغلب عَلَى حلب بعد ابي الفضائل ابن سعد الدولة في سنة ٣٩٣ (كفرسوت) من اعمال حلب الآن قرب بهسنا بلد فيه اسواق حسنة عامرة (كفرطاب) بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة ليس لهم شرب الا ما يجمعونه من مياه الامطار في الصهاريج و بلغني (ياقوت) انهم حفروا نحو ثلثمائة ذراع فلم ينبط لهم ماء وفيها يقول ابو عبدالله محمد بن سنان الخفاجي :

بالله يا حادي المطايا بين حناك وارضنايا
عرج عَلَى اهل كفرطاب وحيها احسن التحايا
واهد لها الماء فهي ممن يفرح بالماء في الهدايا

وقال عبدالرحمن بن محسن المعري :

اقسمت بالرب والبيت الحرام ومن اهل معتمراً من حوله وسعى
ان الاولى بنواحي الغوطتين وان شط المزار بهم يوماً وان شسعا
اشهى الى ناظري من كل ما نظرت عيني وفي مسمعي من كل ما سمعا
ولا كفرطاب عندي بالجى عوضاً نعم سقى الله سكان الحمى ورعا

قال ابو الفدا انها بلدة صغيرة كالقرية قليلة الماء يعمل فيها القدور الخزف وتجلب الى غيرها وهي قاعدة ذات ولاية ولها عمل وهي عَلَى الطريق بين المعرة وشيزر قال في العزيزي ومدينة كفرطاب اهلها اخلاط من اليمن و بينها و بين شيزر اثنا عشر ميلاً وكذلك بينها و بين المعرة

(كفر غما) صقع بين خساف وبالس من نواحي حلب (كفر لاثا) بلدة ذات جامع ومنبر في سفح جبل عال من نواحي حلب بينهما يوم واحد وهي ذات بساتين ومياه جارية نزهة طيبة واهلها اسماعيلية (كلز) قرية من نواحي عزاز بين حلب وانطاكية (مرعش) مدينة في الثغور بين الشام و بلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن

عليه سور يعرف بالمرواني ثم احدث الرشيد بعده سائر المدينة وبها ربض يعرف بالهارونية وهو مما يلي باب الحدث وقد ذكرها شاعر الحماسة فقال :

فلو شهدت ام القديد طعاننا ... بمرعش خيل الارمي ازنت
عشية ارمى جمعهم بلبانه ... ونفسي قد وطنتها فاطمأنت
ولاحقة الآطال اسندت صفها ... الى صف اخرى من عدى فاقشعرت

قال ابن حوقل : الحدث ومرعش مدينتان صغيرتان عامرتان فيهما مياه وزروع واشجار كثيرة وهما ثغران قال في العزيزي وبينهما وبين انطاكية ثمانية وسبعون ميلاً وبينهما وبين مخاضة العلوي على نهر جيحان اثنا عشر ميلاً

(معرة مصرين) بليدة وكورة بنواحي حلب ومن اعمالها بينهما نحو خمسة فراسخ قال حمدان بن عبدالرحيم يذكرها

جادت معرة مصرين من الديم ... مثل الذي جاد من دمعي لبينهم
وسالمتها الليالي في تغيرها ... وصالحتها يد الآلاء والنعم
ولا تناوحت الاعصار عاصفة ... بعرصتيها كما هبت على ارم
حاكت يد القطر في افنائها حللا ... من كل نور شنيب الثغر مبتسم
اذا الصبا حركت انوارها اعتنقت ... ومثلت بعضها بعضاً فماً لفم
فطالما نشرت كف الربيع بها ... بهار كسرى مليك العرب والعجم

(معرة النعمان) مدينة كبيرة قديمة مشهورة من اعمال حمص بين حلب وحماة ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين قال ابو العلاء المعري :

فيا برق ليس الكرخ داري وانما ... رماني اليها الدهر منذ ليال
فهل فيك من ماء المعرة قطرة ... تغيث بها ظمآن ليس بسال

ونقل ابو الفدا عن السمعاني ان النسبة الى المعرة معرتي قال لان ثم معرتين معرة النعمان ومعرة نسرين فالنسبة الى الاولى معرتمي والى الثانية معرنسي غير ان اكثر اهل العلم لا يعرف ذلك

(منبج) قال ابن جبير بلدة فسيحة الارجاء صحيحة الهواء يحف بها سور عتيق ممتد الى الغاية والانتهاء جوها صقيل ومجتلاها جميل ونسيمها ارج النشر عليل نهارها يندى ظله وليلها كما قيل فيه سحر كله تحف بغربيها وبشرقيها بساتين ملتفة الاشجار مختلفة الثمار والماء يطرد فيها ويتخلل جميع نواحيها وخصص الله داخلها بآبار معينة شهدية العذوبة

سلسبيلية المذاق تكون في كل دار منها البئر والبئران وارضها ارض كريمة تستنبط مياهًا كلها واسواقها وسككها فسيحة متسعة ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن اتساعًا وكبراً واعالي اسواقها مسقفة وعلى هذا الترتيب اسواق اكثر مدن هذه الجهات ولكن هذه البلدة تعاقبت عليها الاحقاب حتى اخذ منها الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولهم فيها من البناء آثار تدل على عظم اعتنائهم بها ولها قلعة حصينة في جوفيها تنقطع عنها وتحازمنها ومدن هذه الجهات كلها لاتخلو من القلاع السلطانية واهلها اهل فضل وخير سنيون وشافعيون

قال ابو الفدا: منبج احدى بلاد الشام بناها بعض الاكاسرة الذي غلب على الشام وسماها منبه وبنى بها بيت نار ووكل به رجلاً يسمى ابن دينار من ولد ازدشير بن بابك وهو جد سليمان بن مجالد الفقيه فغلب على اسم المدينة قال ابن حوقل: وهي في برية الغالب على مزارعها الاعذاء وهي خصبة اقول (ابو الفدا) وهي كثيرة القني السارحة والبساتين وغالب شجرها التوت لاجل القز ودور سورها متسع كبير وغالب السور والبلد خراب

(الهارونية) مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام استحدثها هارون الرشيد وعليها سوران وابواب حديد ثم خربها الروم فأرسل سيف الدولة غلامه غرقويه فأعاد عمارتها وهي اليوم من بلاد بني ليون الارمني

هذا ما تيسر جمعه من اسماء المدن والكور والحصون بقيت هناك اسماء قرى ذكرها ياقوت فأضربنا عن ذكرها لتغير اسمائها اليوم وطموس معالمها على الاكثر وقد وصف الرحالة ابن حوقل المملكة الحلبية بقوله: وقنسرين مدينة نسبت الكورة اليها وهي من اضيق تلك النواحي بناء وان كانت نزهة الظاهر معوثة في موضعها كان بها من الرخص فاكتسحتها الروم فكأنها لم تكن الابقايا دمن فديتها من دمن ومعرة النعمان مدينة هي وماحولها من القرى اعذاء ليس بنواحيها ماء جار ولا عين وكذلك جميع قنسرين شربهم من السماء وهي مدينة كثيرة الخير والسعة والتين والفستق وما شاكل ذلك من الكروم وبينها وبين جبلة التي على ساحل البحر الرومي . . . وكانت مدينة جبلة يسكنها وزير الجبلين فافتتحها الروم وسبوا منها خمسة وثلاثين الف امرأة وصبي ورجل بالغ وجزيرة قبرس تحاذي جبلة في وسط البحر الرومي وبينها وبين جبلة مجرى يوم وليلة وكانت للمسلمين والروم فاحتوت الروم عليها بتفريط المسلمين وخذلان واما الخناصرة فهي حصن يحاذي قنسرين الى ناحية البادية وعلى شفيرها وسيفها كان يسكنه عمر بن عبد العزيز صالحة في قدرها معوثة للمجتازين عليها في وقتنا هذا لان

الطريق انقطع من بطن الشام باتيان الروم عليه وهلاك ولاته فلجأ الناس الى طريق البادية بالادلاء والخفراء

والعواصم اسم الناحية وليس بمدينة تسمى بذلك وقصبتها انطاكية وهي بعد دمشق انزه بلد بالشام وعليها الى هذه الغاية سور من صخر يحيط بها و بجبل مشرف عليها لهم فيه مزارع واجنة وارحية وما يستقل به اهلها من مرافقها و يقال ان دور سورها يوم تجري مياههم في اسواقهم ودورهم وسككهم ومسجد جامعهم وكان لهم ضياع وقرى ونواح خصبة وحسنة استولى عليها العدو فملكها وكانت قد اختلت قبيل افتتاحها في ايدي المسلمين وهي ايضاً في ايدي الروم اشد اختلالاً وفتحها الروم في اول سنة ٣٥٩

ومدينة بالس مدينة على شط الفرات من غربيه صغيرة وهي اول مدن الشام من العراق وكان الطريق اليها عامراً ومنها سابلاً وكانت فرضة لاهل الشام على الفرات فعفت آثارها ودرست قوافلها وتجارها بعد سيف الدولة وهي مدينة عليها سور ازلي ولها بساتين فيما بينها و بين الفرات واكثر غلاتها القمح والشعير ومن مشهور اخبارها ان المعروف بسيف الدولة علي بن حمدان عند انصرافه عن لقاء صاحب مصر وقد هلك جميع جنده انفذ اليه المعروف بأبي حصين القاضي فقبض من تجار كانوا بها معتقلين عن السفر ولم يطلق لهم النفوذ مع خوف نالهم فأخرجهم عن احمال بز واطواف زيت الى ماعدا ذلك من متاجر الشام في دفعتين بينهما شهور قلائل وايام يسيرة الف الف دينار وعلى الغرب منها مدينة منبج خصبة كثيرة الاسواق قديمة الآثار عظيمة الاسوار في برية الغالب عليها وعلى مزارعها الاعذاء وهي حصينة عليها سور ازلي رومي و بقربها ايضاً مدينة سنجة وهي مدينة صغيرة بقربها قنطرة حجارة تعرف بقنطرة سنجة ليس في الاسلام قنطرة احسن منها و يقال انها من عجائب الزمان

ومدينة سميساط على الفرات وكذلك جسر منبج وهما مدينتان صغيرتان حصينتان لها زرع سقي ومباخس وماؤهما من الفرات وكانت مدينة ملطية مدينة كبيرة من اكبر الثغور واكثرها سلاحاً ورجالاً دون جبل اللكام الى ما يلي الجزيرة و يحف بها جبال كثيرة فيها الجوز والكرم واللوز وسائر الثمار الشتوية والصيفية مباحة لا مالك لها وهي من اقوى بلاد الروم في هذا الوقت يسكنها الارمن وفتحت في سنة ٣١٩

وكانت المدينة المعروفة بحصن منصور صغيرة حصينة بها منبر و بها رستاق وقرى برسمها اعذاء فاستأثر القضاء بهلاكها على ايدي الروم و بني حمدان . والحدث ومرعش

مدينتان صغيرتان افتتحهما الروم من قبل يومنا هذا فأعادها سيف الدولة علي بن عبدالله وعاد الروم فانتزعوها ثانية من المسلمين وكان لهما زروع واشجار كثيرة وفواكه وكانتا ثغرين يرابط فيهما المسلمون ويجاهدون ففسدت النيات وانفتحت الاعمال وارتفعت البركات وفسدت المذاهب ولج الملوك في الظلم والاستئثار بالاموال والعامة في الاصرار على المعاصي والطغيان فهلك العباد وتلاشت البلاد وانقطع الجهاد وبذلك نطق الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه وعز من قائل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً

وكانت الهارونية من غربي جبل اللكام في بعض شعابه حصناً صغيراً بناه هارون الرشيد ادركته عامراً حسناً فاهلكته الروم

وكانت الاسكندرونة ايضاً حصناً على ساحل بحر الروم ذا نخيل وزرع كثير وغلة وخصب كثير فأتى عليه العدو وكذلك حصن التينات حصن كان على شط البحر فيه مقطع لخشب الصنوبر الذي كان ينقل الى الشام ومصر والثغور وكان فيه رجال لذلك اجلاد لهم علم بمضار بلد الروم ومعرفة بمخايفهم وكانت الكنيسة حصناً فيه منبر وهو ثغر في معزل من ساحل البحر يقارب حصن المثقب الذي استحدثه عمر بن عبد العزيز وعمره وكان فيه منبره ومصحفه بخطه وكان فيه قوم سراة من عبد شمس اعتزلوا الدنيا ورفضوا المكاسب وكان لهم ما يقيم بهم من المباح

وكانت عين زربة بلداً يشبه مدن الغور بها نخيل وخصب واسعة الثمار والزرع والمرعى وهي المدينة التي كان وصيف الخادم هم بالدخول منها الى بلد الروم فادركه المعتضد بها وكانت حسنة الداخل والخارج نزهة داخل سورها جليلة في جميع امورها وكانت المصيصة مدينتين احداهما تسمى المصيصة والاخرى تسمى كفربيا على جانبي جيحان وبينهما قنطرة حجارة وكانتا حصينتين جداً على شرف من الارض ينظر منها الجالس في مسجد جامعها نحو البحر اربعة فراسخ كالبقعة بين يديه خضرة نضرة جليلة الاهل نفيسة القدر كثيرة الاسواق حسنة الاحوال وجيحان نهر يخرج من بلد الروم وكان كثير الضياع وغزير الكراع

وكانت اذنة مدينة كأحد جانبي المصيصة على نهر سيحان في غربي النهر وسيحان دون جيحان في الكبر عليه قنطرة عجيبة البناء طويلة جداً ويخرج هذا النهر من بلد الروم ايضاً وكانت جليلة الاهل حسنة المحل في كل اصل وفصل وعلى اصل طريق طرسوس .

فاما مدينة طرسوس فالمدينة المشهورة المستغنى بشهرتها عن تحديدها كبيرة عليها سوران من حجارة كانت تشتمل على خيل ورجال وعدة وعتاد وكراع وكانت من العمارة والخصب بالغاية الى رخص عام على مر الايام وتعاقب الاعوام وكان بينها وبين حد الروم جبال متشعبة من اللكام كالحاجز بين العملين

ورأيت غير عاقل مميز وسيد حصيف مبرز يشار اليه بالدراية والفهم واليقظة والعلم يذكر ان بها مائة الف فارس وكان ذلك عن قريب عهد من الايام التي ادركتها وشاهدتها وكان السبب في ذلك انه ليس من مدينة عظيمة من حد سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والجبال وطبرستان والجزيرة واذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب الا وبها دار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها وتكثر لديهم الصلات وترد عليهم الاموال والصدقات العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكلفونه وارباب النعم يعانونه ويدفعونه متطوعين متبرعين ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس الا وله عليها وقف من ضيعة ذات مزارع وغلات او مسقف من فنادق فهلكوا فكأنهم لم يقطنوها وعفوا فكأنهم لم يسكنوها حتى لظننتهم كما قال الله تعالى هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزاً وكانت اولاس حصناً على ساحل البحر فيه قوم متعبدون حصين وكانت فيهم خشونة في ذات الله تعالى وكان في آخر ما على بحر الروم من العمارة فكانت مما بدا به العداوة وبغراس كان فيه منبر على طريق الثغور وكانت فيها دار ضيافة لزبيدة ولم يكن بالشام دار ضيافة غيرها كبيرة اه

ولاية حلب وسكانها وحيواناتها

تبين من الابحاث السالفة ان ولاية حلب او مملكة حلب كانت تقسم بحسب الازمان وقد يضاف اليها البعيد من البلدان ويتبع القريب منها غيرها. وتقسيمات الولاية الحلبية بحسب التقسيم الاخير هي كما يلي نقلا عن اصح المصادر التركية :

ان ولاية حلب عبارة عن شمالي سورية وجزء من البلاد الجنوبية في آسيا الصغرى ومنها مرعش او مملكة ذو القدرية وكانت تدعى قديماً كبدوكية Cappadoce وقسم من الجزيرة Mésopotamie وهو لواء اورفة (الرها) وهذا اللواء قد انفصل عن ولاية حلب في هذه السنة فاصبح من الالوية المستقلة يخابر الاستانة في شؤونه الادارية مباشرة كالقدس والزور وبيغا وازميت وغيرها

يحد الولاية بحسب تقسيمها قبل انفصال لواء اورفة من الجنوب ولاية سورية ومن

الغرب البحر الابيض واطنة (اذنة) ومن الشمال ولايتا انقرة وسيواس ومن الشرق لواء الزور وولايتا ديار بكر ومعمورة العزيز وطولها من الشرق الى الغرب ٨٥ ساعة وعرضها ٩٠ ساعة

يقولون ان اصل سكان هذه الولاية من نسل سام والجنس القافقاسي بدليل انه سكنتها قبائل الكيتا الوثنية وهم من اولاد سام بن نوح ثم الآراميون وبعد ان تناقل الحكم عليها قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة المصريون والاشوريون والفرس انتهت الى ايدي المسلمين ففتحها من اقصاها الى اقصاها كل من الفاتحين العظيمين ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد . وسكان ولاية حلب اليوم من المسلمين العرب والترك والتركمان والجركس والاكراد والنصيرية ومن المسيحيين الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والارمن والارمن الكاثوليك والسريان والسريان الكاثوليك والموارنة والبروتستانت والكلدان واللاتين وفي المدن والبلدان زمر من اليهود . ويرد انساب العرب النازلين في هذه الولاية على الاكثر الى ابراهيم الخليل اما الاتراك فقد حلوا فيها على عهد الخلافة العباسية ونزلها التركمان ايام دولة بني مرداس والاكراد على عهد دولة بني ايوب وكثر الاتراك فيها على عهد الدولة السلجوقية التركية وعلى عهد الدولتين التركية والجركسية في مصر وزادت زيادة كبرى على عهد الدولة العلية . قال ابن جبير ان حلب مبنية بالحجر الاصفر الذي لا يوجد في البلاد مثله وهي اوسع الشام بلاداً واوطاها اكنافاً ولها المرج الفسيح والبر الممتد حاضره وباديته وبها منازل عربان واتراك وبها جند كثيف وامم من طوائف العرب والتركمان وبلادها متصلة بسيس والروم وديار بكر وبرية العراق ويغلب السخاء والذكاء والمضاء على سكان هذه الولاية على اختلاف طبقاتهم

هذا كلام موجز على اناسيها اما حيوانها فانك تجد في اطراف الولاية كلها الغنم والماعز وترى في بعض اقضية مرعش كثيراً من البقر الحلوب والجاموس وكذلك في اقضية حارم والمعرة والباب وجبل سمعان ومنبج والرقة ويكثر الجمل عند عشائر الاكراد في لواء مرعش وفي مدينة حلب جنس من البقر يقال لها الشامي يدر لبناً كثيراً وفي اقضية حلب والمعرة والباب ومنبج والرقة جنس جيد من الخيول المطهمة والافراس العربية وفي جميع اطراف الولاية تكثر الابقار والثيران والبغال والحمير

وفي جبال بيلان (بغراس) والبلاد المجاورة لها وفي جبل باريشا من اعمال حارم

وفي لواء مرعش النمر والذئب والثعلب والدب وابن آوى والخنزير والايل والغزال والارنب والنمس وكلب الماء وعلى اطراف الفرات تجد الاسد · ومن الطيور الدجاج الهندي والبط والسمن والشحرور والحجل والحمام والدجاج ودجاج الماء وابو سعد والنسر واللقلق ومن الحشرات الحية والعقرب

جبالها وانهارها وبحيراتها وسواحلها

اهم جبال هذه الولاية جبل بركت وهو اعظم شعبة من سلاسل جبال طوروس Taurus — ومعناه جبل الثور وهو سلسلة مشهورة بآسيا الصغرى وله في العربية اسماء كثيرة منها دماوند وكورين — التي تنتهي بالبحر الرومي وهو الذي عرفه العرب بجبل اللكام وجبل سور والثغور القرمانية وهذا الجبل هو الحد الطبيعي بين سورية او بر الشام وبين آسيا الصغرى ولعله هو المعروف بالابواب الشامية Portes Syriennes وهو اسم يطلقه القدماء على مضايق في الجبال الفاصلة بين بلاد الشام وارض كيليكيا وكيليكيا عبارة عن لواء اطنة اليوم او اذنة فالبلاد الواقعة شرقي هذا الجبل حتى الجهة الغربية ويدخل فيها بر الشام تعد من آسيا الصغرى ففي قمة هذا الجبل قصبة اسمها يار بوز وفي سفوحه اقضية خاصة واصلاحية وعثمانية وبولانق ويياس وتسمى كلها لواء جبل بركت من اعمال ولاية اذنة وفي سفح هذا الجبل قضاء اسكندرونة وقضاء بيلان من اعمال حلب وعلى ذلك تعد اقضية بيلان وخاصة واصلاحية وبولانق من ارض سورية وفي شمالي جبل بركت جبال مرعش وقوزان يفصلها نهر جيحان ويمتد الى الجنوب حتى يصل الى بيلان واعلى قمة اكمة معر المشهورة ترتفع ٢٥٠٠ متر عن سطح البحر وتشاهد من نفس حلب ويكون الثلج في قننها صيفاً وشتاء وطول هذا الجبل ثلاثون ساعة وعرضه عشر ساعات وسكانه نحو مائة الف نسمة تسعون في المئة منهم من اهل الاسلام

ويخرج في هذا الجبل الصنوبر والسنديان والعفص والمصطكي والدردار والحور والصفصاف والدلب والارز والعرعر وقزلجق ويوجد التفاح البري والاجاص البري بكثرة

وان منظر هذا الجبل بما ينبجس منه من المياه الغزيرة النفيسة ليحلو جداً من انحاء حلب واطنة فاذا صعد المرء القمة العليا والتي بنظره الى جهة حلب يرى الخضرة الزمردية والسهول البديعة ويشهد نهر العاصي والنهر الاسود ونهر عفرين ويمتع النظر بصخور

الجبال الصعبة التي تغطها اشجار الزيتون والصنوبر التي تنبعث من الجبل الاعلى وجبل الاكراد وسهول اصلاحية وبازارجق وحلب وفي ذلك مصور بديع يصعب على ابلغ الكاتبين والمصورين وصفه ورسمه واذا عطف الناظر بصره الى ناحية بياس لا يشبع من النظر الى اشجار البرتقال والليمون في البر القلعة وفي البحر برجقوراوه ويقسمه نهر جيحان واكات سبس وسلسلة جبال طوروس الواصلة الى قوزان ومنفرج جزيرة قبرص وهناك الوف من الطيور تشدو بالحانها فتطرب الاسماع

والمنظر الثاني المالطاغ الذي تزدان به سواحل بحر الروم واودية انطاكية ويفرق بين جبل طوروس وجبل لبنان . وهذا الجبل اي المالطاغ يتشعب من سلسلة جبال طوروس بانفراج بيلان عن جبل بركت متصلاً بالجنوب الغربي ويكون معظم ارتفاعه في خليج اسكندرونة ويمتد الى الجهة الغربية على خط عمودي وتبلغ اعلى قم هذا الجبل ١٥٠٠ متر واسمه القديم امانوس (اللكام) [١] ويقال له الآن الجبل الاحمر (قزل طاغ) وجبال اردو والقصير وموسى وسمعان من جملة شعبه ويفصل بين هذا الجبل وبين لبنان سلسلة منفرجة من الجبال بين طرابلس الشام وطرطوس

وفي جبل امانوس هذا علائم البراكين وفي سنة ١٢٩٨ رومية ثار بركان صغير بالقرب من فرضة ارسوز . ويقال لجبال اردو الجبل الاقرع واسمه القديم كاسيوس [٢]

---

(١) في تاريخ النهج السديد والجبال المحيطة بسيس جبل اللكام مد البصر طوله مائة ميل والميل من الارض منتهى مد البصر والفرسخ ثلاثة اميال قال ابن شداد جبل اللكام هو جبل الاسود اسمه اللكام في الكتب القديمة ممتد من مرعش على بيلان الى السويدية ويسمونه الآن الجبل الاحمر وهو شمالي غربي انطاكيه وبالتركي قزل طاغ ونهر الاسود هو باسم الجبل ايضاً ولكن الاسم للنهر واسمه قديماً للآن الملند وهو نهران ملند كبير وملند صغير في طريق السويدية ويسمونه بالتركي قره جاي ولاجل هذا سميت سلوكية السويدية لما غلب عليها اسم النهر والجبل .

(٢) في قاموس الجغرافية القديمة مانصه : قاسيوس Cassius جبل بالشام يسمى عند العرب بالجبل الاقرع وسمي بقاسيوس او كاسيوس وهو قائد روماني ربما كان هو الذي فتح سورية واليهودية واللاذقية وفينيقية وقد سمي بالاقرع تقريباً لاسمه العبراني (حالاق) والمراد به وصف الجبل بكونه اجرد خالياً من النبات ولذلك ترجم بعضهم هذه اللفظة الاقلس غير ان الاقرع غلب

وبالعبرانية جبل حلاق او حالاق · ولقد اودى زلزال سنة ٢٥٠ ق · م في انطاكية بشطر من هذا الجبل والقى به في البحر وانبعث منه دخان اسود كثيف وفي هذا الجبل من الاشجار الصنوبر والعفص والعرعر والدلب والقصب والبلوط بكثرة

والجبل الثالث جبل اخور وهو المؤلف من جبال زيتون ومرعش وليس بجسامته كالجبلين السالفين · ومن الجبال الحرية بالذكر جبل نور الحق من اعمال قضاء البستان ولا تخلو قممه من الثلوج صيفاً وشتاء وفي هذا الجبل بحيرة متسعة وينبت فيه نوع من الزهر العطر الرائحة الجميل المنظر وهناك جبال صغيرة مثل جبل الاكراد من اعمال كليس وجبل قره بيقلي (ذو الشارب الاسود) في قضاء عينتاب وجبل الزاوية وجبل سمعان في قضاء ادلب والجبل الاعلى في قضاء حارم

انهار حلب وبحيراتها

في الولاية الحلبية عدة انهار اولها نهر الفرات ينبع قسم منه من جبل في جوار ديادين من اعمال لواء بايزيد في ولاية ارضروم (كردستان) والقسم الآخر من بحيرة الالف (بيك كولي) من اعمال الولاية المذكورة فالشطر الذي ينبجس من بحيرة الالف يقال له في تلك الانحاء قره صو (النهر الاسود) ونهر مراد وينضم هذان النهران احدهما الى الآخر في جوار معدن كبان ويسمى هناك الفرات ثم يجري الى محال كثيرة ويمر امام قصبة بيره جك (البيرة) ويجتاز مسكنة (بالس) والرقة والزور وعانة ويجتمع في القورنة بين البصرة وبغداد مع نهر دجلة وبعد ان يتألف منهما شط العرب يصب في خليج البصرة فطول نهر الفرات ١٨٠٠ كيلومتر · ويكون عرض الفرات في الشتاء ١٢٠٠ متر امام بلدة البيرة وعمقه سبعة امتار والفرات من اكبر انهار آسيا واحد الانهار الاربعة الكبرى · لا جرم ان هذا النهر بالنسبة لجسامته اذا طهر مجراه وعمقه يصلح لسير السفن ولذلك تغتنم الادارة النهرية في بغداد فرصة فيضانه فترسل في الفرات احدى بواخرها الى مدينة مسكنة لنقل الركاب والبضائع

وروى المؤرخون ان اودية الفرات كانت على عهد الاشوريين اي قبل اربعة آلاف سنة تزرع كلها وكانت تقتطع منه ترع واقنية كثيرة حتى كان يجف اقصى بلاد بابل ولا يصل من مائه الى خليج البصرة شيء وكان تجار بابل يحملون بضائع الاناضول (الروم) من قفقاسيا في قوارب معمولة من جلود البقر الى مدينة بابل · والنهر الثاني من انهار هذه الولاية نهر العاصي (Oronte وارنط الارند) قال البحتري :

وكم نفست من حمص من متأسف غدا الموت منهـا آخذاً بالمخنق
وكم قطعت ارض الارند اليهم كتائب تزجي فيلقاً بعد فيلق

وهو يخرج من عين اللبوة في جبل لبنان وبعد ان يجري الى حمص وحماة ينتهي الى سهل العمق ويجتاز قصبتي انطاكية وجسر الشغر الى ان يبلغ فرضة السويدية فيصب في البحر الرومي وكان يقال له في القديم الاورنت ثم اطلق عليه النهر الكبير ونهر المقلوب ونهر المياس

والنهر الثالث من انهار الولاية الحلبية نهر جيحان ينبع بالقرب من قصبة البستان ويصب فيه نهر سوغلي (نهر اللبن) وخرمن (البيدر) وغيرهما فيعظم جرمه وبعد ان يجتازقضاء زيتون وجوار مرعش يجري الى ولاية اطنة ويصب في البحر الابيض وكان اسمه قديماً بيراموس

والنهر الرابع نهرقره صو (النهر الاسود) ينبجس من جبل بركت فيسقي مزارع الارز المقابلة لهـذا الجبل وسهل العمق ويصب في بحيرة العمق ثم يجتمع الى ميـاه العاصي ويسميه مؤرخو العرب وجغرافيوهم بالنهر الاسود . والنهر الخامس من انهار هذه الولاية نهر عفرين وهو يخرج من جبل الاكراد فيجتمع من عدة منابع وينضم اليـه واديه صافي فيصبح نهراً معاً وهو ايضاً يصب في بحيرة العمق كنهر الاسود ويختلط بالعاصي

في ولاية حلب ثلاث بحيرات اولها بحيرة العمق في سهل العمق تحيط بها شعاب من جبال طوروس وامانوس وقسم من صخور الجبل الاعلى وجبل سمعان وطولها ٢ ميلا في عرض سبعة اميال وماؤها عذب ويقال لها بحيرة انطاكية ويقال لها البحر الابيض ايضاً يصب اليها من الشمال النهر الاسود ونهر عفرين وقسم من بحيرة يغرا المشهورة بكثرة اسماكها ومن الجنوب نهر بركت ويصب ماؤها بالقرب من الجسر الحديد في مجرى طبيعي الى نهر العاصي . وفي هذه البحيرة البط والاوز وغيرهما من طيور المـاء ويربي الفلاحون والتركمان في اطرافها ابقاراً كثيرة

وتسمى هذه البحيرة بحيرة انطاكية قال ابو الفدا في وصف بحيرة انطاكية انها بحيرة بين انطاكية وبين بغراس وبين حارم في ارض مستوية تعرف تلك الارض بالعمق وهي من معاملة حلب على مسيرة يومين عنها في جهة الغرب ويصب الى هـذه البحيرة ثلثة انهر تأتي من الشمال فاحدها وهو الشرقي يقال له عفرين والآخر وهو

النربي،منهايجري تحت دربساك و يقال له النهر الاسود والآخر في الوسط بين النهرين المذكورين ويقال له نهر (١) يغرا و يغرا قرية على النهر المذكور واهلها نصارى ودور هذه البحيرة نحو مسيرة يوم ويحيط بها الاقصاب وبها من الطير والسمك قريب مما في بحيرة افامية وتجتمع هذه الانهر الثلثة اعني النهر الاسود ويغرا وعفرين وتصير نهراً واحداً ويصب في البحيرة من شمالها ويخرج من شماليها نهر واحد و يتصل بنهر الارنط تحت جسر الحديد وفوق انطاكية على نحو ميل منها وهذه البحيرة في شمالي انطاكية اه

البحيرة الثانية من بحيرات الولاية بحيرة السمك وهي في سهل العمق ايضاً وكان يقال لها قديماً بحيرة يغرا وهي صغيرة الحجم تضمنها الحكومة لمن يصيد سمكها . والبحيرة الثالثة بحيرة المضيق في قضاء جسر الشغر وتكثر فيها الاسماك فتضمنها الحكومة لمن يلتزمها ويستخرج اسماكها و يقال لهذه البحيرة بحيرة افامية قال ابو الفدا في وصفها انها عدة بطائح تفوت الحصر بين غابات من الاقصاب واعظم تلك البطائح بحيرتان احداهما جنوبية والاخرى شمالية وماؤهما من نهر الارنط يصب هناك من جهة الجنوب فيصير منه تلك البطائح ثم يخرج النهر المذكور عند النهاية الشمالية لهذه البطائح والغابات والبحيرة الجنوبية من البحيرتين هي بحيرة افامية وسعتها بالتقريب نحو نصف فرسخ وقعرها قريب دون قامة الانسان وارضها موحلة لا يقدر الانسان على الوقوف فيها و يحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها جميم قصب وبردي ولذلك لا يكاد ان تنظر العين الى جميعها لان الجمم التي بها تحجب بعضها و يكون بها وبغيرها من البطائح المذكورة من انواع الطير مثل التمات والغريرات والجمعات والاصواغ والاوز والطيور التي تأكل الاسماك مثل الجلط والابيضانيات وغير ذلك من طير الماء مالم يكن مثله في شيء من البحيرات التي بلغنا خبرها وفي ايام الربيع ينبت بهذه البحيرة المذكورة النيلوفر الاصفر حتى يغطي جميعها بحيث يستتر الماء عن آخره بورقه وزهره وتبقى المراكب سائرة بين ذلك النيلوفر واما البحيرة الثانية الشمالية فبينها وبين البحيرة المذكورة غاب قصب وفيه زقاق يخرج فيه الراكب من البحيرة الجنوبية الى الشمالية والبحيرة المذكورة من عمل حصن برزية وتعرف ببحيرة النصارى لان صيادي السمك بها نصارى ولهم بيوت على الخوازيق في شمالي

(١) بحيرة اليغرا بين انطاكية والثغر تجتمع اليها مياه العاصي ونهر عفرين والنهر الاسود وبحيثها من ناحية مرعش وتعرف ببحيرة الطور وهو السمك البحري لكثرة هذا النوع من السمك فيها (ياقوت)

البحيرة المذكورة وتكون بقدر بحيرة فامية اربع مرات ووسط بحيرة النصارى مكشوف وينبت النيلوفر في طرفيها الجنوبي والشمالي وبها من الطير نحو ما تقدم ذكره وبها السمك المعروف بالانكليس ولشهرة بحيرة افامية وبطائحها اقتصرنا على هذا القدر من وصفها وهذه البطائح في الغرب بميلة الى الشمال عن افامية وقريبة منها فعرضها وطولها مقارب لعرض افامية وطولها اه

موانئ حلب ومياهها المعدنية ومعادنها وملاحاتها

ان سواحل هذه الولاية عبارة عن جون اسكندرونة وفرضتها المعروفة عند قدماء الجغرافيين بسنيوس واسيوس والمعدودة من اشهر موانئ البحر الابيض وفرضة السويدية المعروفة قديماً بسلوقيا وفرضة قاب آو من اعمال اسكندرونة وقره طوران من اعمال جسر الشغر وتتألف هذه الفرض والموانئ من الصخور التي تخللها ومن رأس الخنزير المشهور · ومعظم السفن التي تمخر بين سواحل سورية ترسي في ميناء الاسكندرونة اما السويدية فان بعض المراكب التي ترسي فيها تجارية واكثرها شراعية · اما فرضتا قاب آو وقره طوران فلا ترسي فيها الا المراكب الشراعية

وبالقرب من السويدية في وسط البحر نبع ماء لذيذ كالفوارة وكانت هذه الفرضة قديماً مبنية بالحجر متينة للغاية فدكها الملك الظاهر بيبرس البندقداري لما رأى من الحاجة الى ذلك لانقاذها من ايدي الصليبيين ايام استيلائهم على انطاكية وجوارها

في قضاء جسر الشغر حمامان معدنيان ينفع ماؤهما في الامراض الجلدية وفي سهل العمق من اعمال حلب حمة ماء كبريتي تبلغ حرارتها الدرجة الثانية والاربعين وفي قضاء بيره جك على الفرات حمة اخرى وفي كل من قضاء مرعش وقضاء زيتون حمة ايضاً وفي قضاء البستان مياه معدنية اسمها ايجمه نافعة للامراض المختلفة

هذا وصف تقويم الحكومة لحامات حلب ووصفها ابن شداد في القرن التاسع فقال ان الحامات التي ينتفع بمائها في اعمال حلب خمسة بالسخنة من اعمال قنسرين ماؤها في غاية الحرارة ينتفعون بها من البلغم والريح والجرب وبناحية العمق اخرى وبكورة جومة من اعمال قنسرين عيون كبريتية تجري الى الحمة والحمة قرية يقال لها حندراس لها بنيان عجيب معقود بالحجارة يأتيها الناس من كل الآفاق فيسبحون بها للعلل التي تصيبهم ولا يدرى من اين يجيء ماؤها ولا اين يذهب

اما معادن الولاية فان في جوار حلب من جهة الغرب الجنوبي معدن نحاس وفي

عشرين ساعة من شرقي حلب في محل اسمه ابوفياض فحم حجري وفي جوار حلب معدن رخام اصفر وفي قضاء حارم معدن زجاج وفي ناحية ارسوز من اعمال اسكندرونة معدن بترول وفي ذاك الاصقاع واعمال انطاكية معادن اميانت وبوراسيت ورصاص وانتمون وكروم وفي جوار قرية دير الجمال من اعمال كليس معدن كيل جسيم تلزمه الحكومة لمن يريد وفي جبل باريشا من اعمال حارم معدن رخام اصفر وفي قرية جاربين من اعمال عينتاب معدن رخام احمر وفي جبال مرعش مناجم ذهب وفضة وحديد ورخام اصفر ورخام اسود وفي قضاء زيتون معدنا حديد .

وفي ولاية حلب ملاحة واحدة وهي مملحة الجبول شرقي حلب من جهة البادية وهي عبارة عن عدة ملاحات واعظمها ما كان في جوار قرية جبول على شكل مخروطي عظيم لا تطاف اطرافها في اقل من ثماني عشرة ساعة يجمد ماؤها في ايار الى تشرين الثاني فيكون في هذه الفترة ملحاً تبيعه الحكومة كما تبيع الملح من ملاحة جيرود وملاحة حماة وملاحة الجليل وملاحة قوج حصار من اعمال ولاية قونية وغيرها من الملاحات في السلطنة وفي جنوبي هذه الملاحة جبل اسمه جبل الحاص ومن ورائه الى البادية سبع ملاحات واسمها الحمرا وخرابجة وعيتا وزرقة ورملة ودربهم ومراغة يبعد بعضها عن بعض من اربع الى ست ساعات وتجمد في آن واحد وملحها كله جيد طيب ابيض قوي نظيف وفي لذاذته من اجل ملح البلاد العثمانية

اقضية حلب وعمرانها

لحلب ثلاثة عشر قضاء هي من عملها مباشرة وهي : قضاء عينتاب اهم اقضية حلب يبعد عنها من شماليها ٢٤ ساعة . ولم تكن عينتاب مشهورة بهذا الاسم حتى على عهد الصليبيين بل كانت مدينة دلوك وهي من عينتاب على مسافة ساعة وقد نقل مركز الحكومة من دلوك الى عينتاب في سنة ٨٠٠ كما فهم من سجلات المحكمة الشرعية هناك ومن هذا العهد ابتدأت شهرة عينتاب وهي اليوم بجسامتها وعمرانها تعد من المدن الثانية في هذه الولاية .

وكان في قضاء عينتاب بموجب احصاء الحكومة منذ اربع سنين ١٢٥٣١ داراً و٤٨٥١ دكاناً و٢٢٠ مسجداً و٢٥ مدرسة و ١ تكايا و٣ مستشفيات و٦٠ فرناً و١٦ دباغة و٤ دور كتب و ٢٩١٤ نولاً لصنع الالاجة والاقمشة والعباآت والبسط وفيه ٣٥٢٦٠٠ دونم من الاراضي المزروعة و ٢٢٧٠٠٠ دونم من الاراضي غير المزروعة وسكان القضاء

٨٩٩٩٤ نسمة وللقضاء ثماني نواح وهي :اورل • رشي • قزلحصار• تل بشار •هزل • جار پين• جكده • قزيق وفيها ٢٠٧ قرى

وفي الشرق الجنوبي من عينتاب على نحو ست ساعات منها خرائب تل بشار وتل خالد المشهورة في زمن الصليبيين وفي الغرب الجنوبي منها على مسافة ثلاث ساعات خرابة قلعة برج الرصاص • وعلى ثلاث ساعات من غربي عينتاب ينبع من مزرعة رأس الساجور نهر الساجور المشهور فيسقي عينتاب وبعض اراضيها ثم يجري الى قضاءي الباب ومنبج يسقي بعض زروعها ويصب في الفرات

ويكثر في قضاء عينتاب الفستق والعنب والتين والزيتون وتصنع فيها بسط وسجادات متينة جميلة وشغل الابرة وفوط الحمام والعباآت والجلد المدبوغ والاواني النحاسية والكراسي والمقاعد الخشبية وغيرها ومنه ما يسافر الى اميركا واوربا ومنه الى مصر والاناضول والاستانة ولها تجارة واسعة مع حلب واورفة ومرعش واسكندرونة •

قضاء كليس — هي في الجهة الشمالية من حلب على مسافة ١٢ ساعة منها وفي القضاء ٤٧٢١ داراً و ١٩٥٥ دكاناً و٣٧ جامعاً و١٤ مسجداً و٢٤ تكية و ٢٨ مدرسة وخزانة كتب واحدة و٧٤ معصرة زيت و٥٠ خاناً و ٣١ فرناً وفيه ٢٢٧٢٧٠٠ دونمات من الاراضي يزرع فيها الارز والقطن وسائر الحبوب والفواكه وتكثر في هذا القضاء الكروم والبساتين وزيت زيتونها يرجع على مايخرج من جميع البلاد العثمانية وسكان القضاء ٧٢٢٠٦ فيه تسع نواح هي تركمان • فلاح •نبج • موسبكلي • شقاغي • عميكي • اوقجي عز الدين • الشيوخ • جوم و٤٦٩ قرية بحيث يجدر ان يكون ولاية قائمة برأسها لاقضاء صغيراً ملحقاً بالولاية

لايعلم تاريخ بناء مدينة كليس وغاية ماعرف انها كانت موجودة سنة ٤٩١هـ يوم قدوم الصليبيين الى هذه البلاد ومعروفة باسم كالجيس وكانت تابعة لمدينة عزاز فلما اخرب هذه تيمورلنك اخذ بعض اهلها يهاجرون الى كليس فبدأت تكبر كما يشاهد من طرز ابنيتها ومعاهدها •

وفي هذا القضاء قلعتا عزاز وراوندة المشهورتان على عهد الصليبين وفي ناحية جوم خرائب مدينة جنديرس في مزرعة صغيرة وفي ناحية العزية خرائب قلعتي جم جمه وخروز • ومرج دابق المشهور بالمعركتين العظيمتين اللتين وقعتا فيه هو ايضاً من اعمال كليس بين هذه ومدينة حلب على اربع ساعات من الاولى وست من الثانية وهاتان

الوقعتان كانت اولاهما سنة ٨٠٣ هـ بين تيمورلنك والملك الظاهر برقوق ملك مصر في دولة الجراكسة وكان عسكر تيمور فيما قيل خمسمائة الف جندي ومثله عدد العساكر المصرية فاندحر برقوق وفر لايلوي على شيء. والوقعة الثانية كانت سنة ٩٢٢ بين السلطان سليم العثماني والسلطان الغوري صاحب مصر والشام التي انتهت بفتح الدولة العثمانية لبلاد الشام ومصر

قضاء اسكندرونة — هو على ١٠٥ كيلومترات من الغرب الشمالي عن حلب او على ٢٤ ساعة واسكندرونة كانت من اهم سواحل سورية بتجارتها قبل فتح ترعة السويس لانها ميناء ولاتي حلب وديار بكر والمنفذ الطبيعي للعراق الى البحر الابيض وفي قضائها ٢٥٥٥٠ دونماً من الارض وفي المركز ١١٩٩ داراً و٤٤٦ دكاناً و٥ معامل لعرق السوس وجامعان و٥ كنائس واديار ومدرسة ودار كتب وستة كتاتيب وفي القضاء ٢٤ قرية وناحية واحدة اسمها ارسوز وسكانه ١٩٣٠٦ انفس

ويقال ان الاسكندرونة هي مدينة ميرياندروس الفينيقية وللغالب الاسكندر المقدوني دارا ملك الفرس في اياس سمي اسكندرونة باسم الكساندرا واراد الاسكندر ان يشير الى غلبته هذه فامر ببناء الاسكندرونة الحالية سنة ٩٥٥ قبل الاسلام واصيبت المدينة بزلازل شديدة سنة ١٢٣٨ هـ جعلت عاليها سافلها ثم تراجع اليها عمرانها مع الزمن وفي هذا القضاء ميناء اريسوس المشهورة في زمن الرومانيين ويقال لها اليوم ارسوز وكان يقال قديماً لخليج الاسكندرونة سنيوس اسيكوس باللغة اللاتينية واكبر دليل على ترقي الاسكندرونة تجفيف بعض بطائحها التي كانت تضر بصحة سكانها ويكثر في ارضها الليمون والبرتقال وقد رسا في مينائها مدة سنة ٦٠٠ سفينة وباخرة محمولها اربعمائة الف طن وكانت قيمة صادرها وواردها ٣،٢٩٦،٧٧٤ ليرة عثمانية

قضاء انطاكية — مدينة انطاكية غربي حلب وهي منها على مئة كيلومتر او اربع عشرة ساعة وفيها ١٣٥ مسجداً وجامعاً وزاوية وتكية و ٣٠ مدرسة و٥ دور كتب و١٥ كنيسة وبيعة و ١٨ مكتباً للمسلمين ولغيرهم وفي القضاء كله ١٠٢٨١ داراً و ٢٥٥٣ دكاناً و ٣٣٠ مخزناً و ٢٤ خاناً و ١٢٣ طاحوناً و ١٥ معمل صابون و ٣٠ معمل حرير و ٥٠ معمل زيت و ١٦٠٢ انبار ومستودع و ٣١١٠ كروم و٢٥٥ حديقة و ٤٩،٥٢١ حقلاً وفيه اربع نواح وهي قصير . سويدية . قره مورطه حربية . وعدد قراه ١٧٣ وسكانه ٧٨٧٠١

بنى انطاكية سلوقس نيكاتور اكبر قواد الاسكندر المقدوني على اسم ابيه انطيوخوس قبل الهجرة بـ ٨٨٢ سنة واصبحت عاصمة المملكة السلوقية بعد وفاة هذا الفاتح وما برحت في ارتقاء وعمران حتى بلغ سكانها سبعمائة الف واستولى عليها سنة ٧٢٣ قبل الهجرة يوناثان اليهودي فقتل في يوم واحد مئة الف نسمة فيما يقال وقد وقعت فيها سنة ٥٢٦م زلازل هائلة هلك بها ربع مليون من البشر ثم عاودتها الزلازل والحرائق في اوقات مختلفة حتى بلغ عددها نحو عشرين زلزالاً وحريقاً ومثل ذلك من الحروب الطاحنة فخربت انطاكية ولم يبق من عظمتها التاريخية سوى بعض جدران قلعتها القديمة والظاهر من هيئة الجسر الممتد على العاصي انه من ابنية السلوقيين . ومن يدخل انطاكية و يذكر ما كان فيها من القصور والدور والمعابد والهياكل اليونانية والحمامات الجسيمة والاقنية ودور التمثيل لا يلبث ان يذرف دموع الاسى على بلد انفقت العاهات السماوية والارضية على تخريبه ولقد قالوا ان التمثيل ارتقى فيها حتى كانت تجاب الممثلين من صور و بيروت والمغنين من بعلبك ولا عجب فقد كانت في عصر الرومان ثالث عواصمهم بعد رومية والاسكندرية

راجت العلوم في هذه العاصمة ونفقت اسواق الصناعات ولا سيما علم الفلك والالهيات ولا تزال الى اليوم على ضعفها تحتوي على شيء من المصنوعات وزراعتها وحدائقها تغل كثيراً وميناء السويدية عنها على ست ساعات وهي فرضة خربة اليوم لا تطرقها السفن الا نادراً وكانت تعد من اهم مرافئ سورية واول فرضة منها عكا ثم صور وطرابلس والسويدية وعلى ساعة من انطاكية مدينة دفنة القديمة و يقال لها اليوم بيت الماء وكانت متنزهاً لانطاكية على عهد سلوقس نيكاتور وقد بنيت دفنة قبل انطاكية وكان فيها الشوارع المتسعة ودور التمثيل المهمة وفيها هيكل ابولون وغيره من الهياكل وابولون هو رب الصناعات والآداب والطب والشمس في اعتقاد قدماء اليونانيين وقد بقي هذا الهيكل ١١٨٨ سنة وعلى مقربة من دفنة كان ملعب الالعاب الاولمبية وقد خربت دفنة برمتها سنة ٥٢٦م بالزلزال ولم يبق منها اليوم سوى مناظرها الطبيعية المدهشة فقط

وعلى ستة اميال من السويدية من غربيها على سفح جبل موسى مدينة سلوقية القديمة و يقول بعض المؤرخين ان سلوقية كانت من مدن الفينيقيين و يقال لها ايليا هيرياوفي رواية ان سلوقس نيكاتور بناها على اسمه وغدت بعد ميناء انطاكية وكان اسمها بياريا وهو من اسماء الجبل الاقرع واذ كان تسع مدن تعرف بسلوقية في ذاك العصر اضافوا

اسم الجبل الى هذه تمييزاً لها عن غيرها · وفي رواية اخرى ان القيصر طيبار يوس جدد سلوقية وفي قول آخر انه انشأها انشاء وقد خربت سلوقية في زلازل سنة ٥٢٦—٥٢٨ ولما استولى عليها المسلمون لم يكن فيها غير الاسم لا الرسم وسميت هذه الميناء بميناء مار سمعان في القرن السادس للهجرة ايام جاء الصليبيون الى هذه الديار ومالأهم الارمن ونصارى انطاكية وغيرها وخدموا جيوش الصليبيين واتحدوا وإياهم على المسلمين كما كان اللبنانيون ولا سيما اهل كسروان ادلاء الصليبيين يدلونهم على عورات اهل البلاد الاصليين

قضاء ادلب — قضاء ادلب في غربي حلب يبعد عنها اثنتي عشرة ساعة وفي القصبة ٣٧ مسجداً وجامعاً و٣ مدارس و٣ دور كتب و١٥ تكية وزاوية وكنيسة و١٧ كتاباً و١٠ حمامات و ٩٥٩ دكاناً و١٢ خاناً و٥٦ معصرة و٢١٥٧ داراً ونفوسها ١٣٢٣٠ وعلى ساعتين من ادلب مدينة ريحا وفيها ٦ جوامع ومساجد ومدرستان وثلاث تكايا وزوايا ومكتبتان و١٤ كتاباً وثلاثة حمامات و٢٠٠ دكان و١٥ معصرة زيت و٨٨٢ داراً و٤٨٦٨ · واشتهرت ريحا بجودة هوائها وهي في سفوح جبلي الزاوية والاربعين وفي ظاهر ريحا عدة ابنية قديمة وعلى ثلاث ساعات منها خرابة البارة تكون في جسامتها بقدر مدينة حلب وفيها رسوم هياكل وآثار قديمة وخرائب قلعة وفيها من احجار البناء ما يبلغ طوله المترين والثلاثة وعرضه ٧٥ سنتيمتراً زبرت عليها حروف يونانية وقد اشتهرت قلعتها زمان الصليبيين وقاومت صدماتهم · وفي جنوبي البارة على مسافة ساعة مزرعة اسمها السرجلية فيها آثار فخمة قديمة يحيط باطرافها بناء شاهق يسمى الحمام زين سطحه بحصا في حجم البندقة ورسمت فيه صور بعض الحيوانات والاسماك فكانت من اجمل المناظر

واشتهرت ايضاً على عهد الصليبيين قرية زردنا وهي من عمل هذا القضاء · وفي ناحية ريحا خرائب رويحة وفيها ايضاً كثير من العاديات والمصانع ومن عملها ايضاً قرية اسمها المدارة فيها مغارات واحجار بديعة وقد زبرت صور حيوانات وغيرها في مدخل المغارات ونقشت انواع النقش البديع · ومعرة مصرين ومن اعمال ادلب على ساعتين منها وفيها ١٤ مسجداً وجامعاً ومدرسة واحدة و١٥ كتاباً و٣ حمامات و٢٠١ دكان و٧ خانات و٥٧٣ داراً و٣٢٦١ نسمة من السكان وعلى ساعتين من ادلب سرمين وهي مدينة مشهورة خربت اليوم وفيها ٨ جوامع ومساجد و٣ تكايا و٦ كتاتيب و٧٥ دكاناً

و٥ معاصر و ٣٦٧ داراً و ٢٠٥٤ نفساً . وفي جوار سرمين عَلَى ١١ ساعة من حلب قصبة من بربة بنش وفيها ١٢ جامعاً ومسجداً و٢٥ دكاناً و٤٦٥ داراً و ٢٧٢٢ نسمة

وفي ناحية اريحا في سهل الروج ينبع نهر من محل اسمه عرى في سفح جبل البالعة يفيض بعضه ويركد ماء الآخر فتتألف منه بطائح ولا يستفاد منه في ارواء الاراضي ولا في غير ذلك وهناك بحيرة صغرى فيها علق واراضي القضاء ١٢٦٠٠٠ دونم يزرع زهاء اربعة اخماسها وهي منبتة للغاية جيدة الهواء وفواكهها وبقولها عذي تروى بماء السماء فقط واهم محصولاتها الزيتون ويقدر محصوله سنوياً بثلاثة ارباع المليون ليرة وزراعة القطن ترتقي هناك سنة عن سنة وتخرج ادلب الصابون والحصر الرفيعة اللطيفة وفي القضاء كله ١١٧ قرية عامرة سكانها ٥٠١٨٥ نسمة

قضاء حارم — مركز هذا القضاء في قصبة كفر تخاريم في الجهة القريبة من حلب وعَلَى ست عشرة ساعة منها وفي القصبة جامع ومسجد وتكية و ٤ كتاتيب للذكور و ٣ للاناث و ٦٧٢ داراً و ١٠٦ دكاكين و ١٣ معصرة و ٣١٩٦ نسمة . وبلدة حارم على ساعتين ونصف من مركز القضاء وفيها جامع ومسجد وسكانها ١٠١٠ وعَلَى نصف ساعة من المركز بلدة ارمناز وفيها معمل واحد للزجاج والقزاز و ٥ جوامع ومساجد و ١٠ معاصر زيت و ٣ مدابغ ونفوسها ٣٠٦٨ وعَلَى نصف ساعة من مركز الحكومة ايضاً قصبة سلقين ونفوسها ٢١٧٤ وتقدر اراضي القضاء المزروعة وغير المزروعة بـ ٦٦١٠٩٩ دونماً ونفوسه بـ ٢٧٤٨٢ وقراه بـ ٧٣ قرية وفيه ناحية باريشا وناحية الريحانية وفي ناحية الريحانية — وهي ٧٧ قرية ومزرعة واهلها عشائر من الاتراك والتاتار والجراكسة عَلَى طريق اسكندرونة — حمام معدني في محل اسمه عمر آغا وآثار الطريق المعروف بالرصاف الذي كان يمتد قديماً من فرضة السويدية الى الموصل وفي هذه الناحية ينبع نهر عفرين وفي ناحية باريشا ٣٦ قرية عربية كلها وفيها ثلاث قرى كبرى فيها المرافق اللازمة للمدن وهي ترمانين ودانا وقورقينا وفي دانا وجوار باريشا معابد قديمة وخرائب مخازن فخمة ومصانع مهمة . وفي ناحية حارم ٦٧ قرية منها من يتكلم بالعربية ومنها بالتركية وفي هذه الناحية جبل الاعلى وجميع سكانه من عشائر الدروز . وفي هذا القضاء خمسة اعين غزيرة وهي عين الجديدة وبكي شهر وعين الجوز وعين عبيدة وحارم كلها تجري الى نهر عفرين ويختلط هذا بالعاصي ولا سيما ايام الشتاء

ويفهم من الكتابات المزبورة عَلَى قلاع حارم وارتاح وسرمدا والحصن انها من

بناء سلوقس رممها الملك الظاهر وقد اشتهرت من بين هذه القلاع في الاكثر على عهد الصليبيين قلعة ارتاح وكانت على عهد الفتح الاسلامي مدينة عظمى واشتهرت تيزين من اعمال هذا القضاء على العهد العمري فكان لها شأن وفيها اسواق وجوامع . واكثر الحبوب تنبت في هذا القضاء و من غلاته القطن والزيتون والافيون

قضاء بيلان — مركز هذا القضاء على ٣٤ كيلومتراً من شرقي جنوبي اسكندرونة وفي الغرب الشمالي من حلب على ٢٧ ساعة منها وهي بين جبل بغراس وجبل طوزوس سكانها ٥٠٤٠ وهي مشهورة بدبسها ومصيرها (صوجقها) وفيها ٥ مساجد وجوامع وتكية ومدرسة و٧ مكاتب وكنيسة للارمن و٦٧٥ داراً و١٣٠ دكاناً و٧ دباغات وتعرف عند العرب بمضيق بغراس وبباب اسكندرونة وهي في منتصف مضيق «طوب» الممتد ثلاث ساعات مطلة على سهل العمق من الشرق وعلى ميناء اسكندرونة من الغرب وهي على طريق القاصد من حلب الى الاسكندرونة وبمر بخمس او ست ولايات محاطة بالاحجار ذات مكانة حربية مهمة وقد اقام فيها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٠ — ٢٥٠ نفراً من الحراس وسماه دربند جبل بغراس واسكندرونة وانشأ فيها جامعاً وحماماً وخاناً وبعد بضع سنين امر هذا السلطان بترك القصبة وعلى مسيرة ساعة من جهاتها الاربع معفاة من العشر على ان تبقى رقبتها لبيت المال فهاجر اليها أناس فسميت مزرعة عين التل وزيد في عدد المهاجرين اليها سنة ١١٨٣ على عهد السلطان مصطفى الثالث وسنة ١٢١٧ صدر الامر العالي بترك اسم مزرعة عين التل وابداله ببيلان ومعنى بيلان طريق بين جبلين شاهقين والالف والنون اداة التثنية بالعربية فصار الاصل تركياً والتركيب عربياً وفي هذا الاسم مطابقة للواقع والموقع .

واصيبت بيلان بزلزالين شديدين سنة ١٢٨٠ و ١٢٨٨ هـ فانحطت وقد بدأت بالنهوض منذ زهاء ثلاثين سنة . وفي مضيق بغراس في محل اسمه ضار قسطلي انقاض سد عظيم يعرف بباب الباشا بابه في عرض عشرة اذرع . وفي هذا القضاء قصبة بغراس وقلعتها اشتهرت في زمن الامويين بعمرانها ولطافتها وكذلك في عهد الصليبيين . ومدينة دربساك القديمة كانت في هذا القضاء وهي الى الشمال من بغراس على مسافة مرحلة منها وربما كانت دربساك هذه في جوار جسر مراد باشا وفي القضاء خرائب بلدة كوندوزلي وفيه ٥٠ قرية و١٣١٥١ نسمة

قضاء المعرة — هو على ٨٤ كيلومتراً من جنوبي حلب او على ١٨ ساعة منها وفي

القصبة ٤١ مسجداً وجامعاً و ٣ تكايا وزوايا و ٥ مدارس وخزائن كتب و ٣٥٤٩ داراً و ٤٤٢ دكاناً و ٤٣ طاحوناً · وفي القضاء كله ٤٤ مزرعة (جفتلك او ابعدية) و ٢٧ حديقة و ٣٥٦١ كرماً و ١٧٣٠٢ حقلاً و ٢٥٩٧٨ عقاراً و ١١٠٢٧٩٩ دونماً من الاراضي البائرة والصالحة وتكثر فيه الحيوانات لذلك تكثر السمون والادهان والجبن والالبان كما انه يخرج منه الخروع · وكانت المعرة معروفة على عهد الرومان واسمها خالس وقد خربت قلعتها سنة ٣٩٠ ﻫ بايدي القرامطة الباطنية وجرت فيها بين عماد الدين زنكي والصليبيين عدة وقائع فقدت معها المعرة عمرانها القديم · وفي قضاء المعرة محل كفرطاب الوارد في التوراة باسم كفرطوب وينزل في هذا القضاء عشائر الموالي والحديدي وبني خالد الجسيمة ويتوفرون على تربية الماشية ويبيعونها ونواتجها في حماة وحلب واللاذقية وبيروت وولاية سورية · وليس في المعرة من الفستق اليوم ما قاله ابن بطوطة فيها وتصنع في بعض قرى القضاء العباآت والاقمشة وفيه ١٦٧ قرية سكانها ١٨١٨٨ وعدد عشيرة الوالي ٣٨٠٠ والموالي ٣٠٠٠ وبني خالد ١٥٠٠

قضاء الباب — هو شرقي حلب على ٣٧ كيلومتراً او اربع ساعات في المركبة ومشهورة من القديم بباب بزاعة وفيه ١٥ جامعاً ومسجداً و ٦ كتاتيب و ٤٦٩٨ داراً و ٢٩١٠ دكاكين و ٣٠ خاناً و ١٩ طاحوناً و ٧ معاصر وعلى نصف ساعة من الباب قصبة تاذف وفيها ٥٢ من اليهود ومعبد قديم بني بالحجارة الغليظة ويقال انها مدينة صوبا المذكورة في التوراة ويقول ابن حوقل ان مدينة صوبا في جوار الفرات تسمى « كهب »

واشتهرت بزاعة وهي على نصف ساعة من الباب ايضاً زمن الحروب الصليبية وهي في وادي بطنان المشهور وفيها ينابيع كثيرة وخرج من بزاعة كثير من الادباء · وعلى ١٥ دقيقة من شمالي الباب محل قلعة تل بطنان القديمة وكان خربها الرومانيون ويسقي بعض هذا القضاء نهر الذهب ويعمل فيها البسط وفراء جلد الخرفان وفيه ١٩٨ قرية وناحية واحدة اسمها ايليكاوا وسكان القضاء ٢٦٨١٦ وتنزل فيه خمس عشرة عشيرة رحالة عدد نفوسها ١٥٠٤٥ وهي الفردون ، شمر ، ابو خميس ، ابو حمد ، بنوزيد ، كيار ، بكاره ، جبارين ، مجازمة ، دمالخة ، نعيم ، ابو بطوش ، غنايم ، بنو صعب ، ابو ضاهر

قضاء جسر الشغر — هو على مئة كيلومتر من حلب في الغرب الجنوبي او على مسافة ٢١ ساعة على ضفة نهر العاصي يحد القصبة من الغرب لواء اللاذقية وقضاء صهيون ومن الجنوب حماة والمعرة وادلب ومن الشمال حارم وانطاكية وفي القضاء ٢٠ مكتباً ابتدائياً

اسلامياً و٦ مكاتب غير اسلامية و ١٤ جسراً على العاصي وفي المركز ٢٢٥ دكاناً و ٦١٩ داراً و ١٠ مطاحن

وقد كانت قصبة جسر الشغر قبل اربعمائة سنة عبارة عن ١٥ كوخاً من اغصان الشجر فأنشأ فيها محمد باشا كوبريلي المشهور جامعاً وخاناً وحماماً واصبحت تنشأ فيها الدور والمساكن بعد فزاد عمرانها

وفي هذ القصبة تعمل محوف الخيل من القطن والحرامات وستور الموائد وفي ناحية اردو من جهة الشرق على حدود اللاذقية بعض غابات ويخرج منها معدن كروم والعاصي يسقي ناحية الغاب ويجتاز ناحية دركوش آخذاً الى انطاكية حيث يصب في البحر الرومي فتجد على اطرافه الحدائق والمطاحن .

ويخرج في هذا القضاء نهر اسمه النهر الابيض لذيذ الطعم خفيف على المعد ينبع من ناحية اردو بالقرب من قريتي فندون ولفشون ويجتاز قريتي زورف وشغر القديمتين ويصب في العاصي على بعد نصف ساعة من مركز القضاء

وفي هذا القضاء قرية شغر القديمة وفيها قلعة خربة وفي المحل المسمى بقلعة المضيق خرائب مدينة افاميا من بناء سلوقس وقد كان اتخذها معسكراً له وانشأ فيها مدرسة لتعليم الفرسان وجعل في المرعى الكائن في رأس المدينة عشرين الف حصان مدربة للحرب وثلثمائة رأس جاموس

وتعمل في هذه القلعة جواليق وخيام من الشعر وفي القضاء ماء معدني نافع اسمه حمام الشيخ عيسى يقصده المرضى في شهري نيسان وايار وفي شهور الخريف للاغتسال بمائه . ويصاد سمك كثير من نهر العاصي في جهة الغاب ومن بحيرة المضيق ودالبان تبيعها ادارة الديون العمومية بمئة وخمسين الف قرش سنوياً ويحمل سمكها الى حماة وحلب واسكندرونة واللاذقية وبيروت، وتبلغ اراضي القضاء ٤١٠٠٠٠ دونم وكسراً وفيه اربع نواح وهي قلعة المضيق و بداما ودركوش واردو وعدد قراه ١٦٩ ونفوسه ٢٧٩٠١

قضاء جبل سمعان — هو على قيد غلوة من حلب ومركزه في نفس حلب وهو ١١٣ قرية سكانها ٢٥٠٠١ نسمه وفيه ١٨٣ جامعاً ومسجداً وتكيتان و ٢٠ مدرسة ابتدائية و ٤٢٨٣ داراً و ٣٢ دكاناً و ١٨ خاناً و ٢٦٢ كرماً و ١٠٤ حدائق و ٥٢٦٧ حقلاً و ٧٨٠٦٧ دونماً مزروعاً وغير مزروع واهل القضاء مسلمون كلهم وفيه من الآثار

القديمة خرائب سمعان وخان طومان وارحاب والحاضر واثارب يقصدها سياح الافرنج للزيارة · وفي قرية دارة العزي بالقرب من خرابة سمعان وهي مرتفعة جداً جيدة الهواء يصعد الى ذروة جبله في ساعتين وفي هذا القضاء انواع البقول والحبوب تأخذ منها حلب حاجياتها كما تأخذ دمشق من غوطتها ويجتاز نهر قويق هذا القضاء وتعمل فيه بعض الانسجة

قضاء منبج — في الشرق الشمالي من حلب قصبة منبج على مسافة ١١٠ كيلومترات او ٢٠ ساعة والطريق اليها في مستوى من الارض يجتاز المسافر من حلب الى الباب ومنها الى منبج على طريق اورفة وهي مشرفة على البادية وفي قضائها ٤٥٠ قرية ويقرب من نصفها من الاراضي الاميرية كانت للسلطان المخلوع وسكانها ٦٩٥٠ نسمة من الزراع و ١٧٠٠٠ من سكان البوادي واسم عشائرهم ابوز ، كيار ، ابوخميس ، لهيب ، غناطسة ، تويات ، ابو غيث واكثر اهالي القصبة من مهاجري الجركس وفيها قلعة قديمة وجامعان وتكية واحدة ومكتبان ابتدائيان وخمسة كتاتيب و ٣١٠ دور و ٦٠ دكانًا وعلى ثلاث ساعات من شمالي القصبة يجري نهر الساجور الذي يصب في الفرات ويسقي اهالي الجوار بمائه زروعهم الصيفية وتحدث عنه منافع جمة منها تدوير بعض المطاحن · وطول قضاء منبج من اول نهر الساجور الى حدود لواء حماة والصقع المعمور هو ناحيته الشمالية اما انحاء جبل الحاص فزراعتها محدودة واراضي القضاء مستوية لا شأن للجبال التي تجتازه الا ما كان من بعض الروابي والآكام في جهات حمر وكان الخراب ولم يزل كثيراً في اراضيه فاخذ الاهلون يزرعون اكثر ما يجود من الغلات ويتوفرون على تربية التين والعنب

منبج من المدن القديمة في سورية كانت تسمى هيرابوليس فتحها ابوعبيدة بن الجراح بعد فتح حلب وانطاكية صلحاً والظاهر من عادياتها ان جميع اماكنها كانت قبل ان يحيفها الخراب ·منتظمة للغاية وقائمة على عمد منقوشة مزينة وفي هذه القصبة وجوارها نحو اربعة آلاف بئر تمتاح منها المياه بالدلاء لسقيا المزروعات وفي جوار الذهبة على عشر دقائق منها بناء جميل اسمه قصر البنات ويفهم من بقاياه انه كان مصيفاً بهيجاً ولعله كان قصر احد الملوك والامراء

كانت منبج معمورة للغاية على عهد الدولتين العباسية والايوبية فخربها تيمورلنك سنة ٨٠٤ وبقيت منذ ذاك العهد خراباً وفي سنة ١٢٩٥ نزلها مهاجرو الجراكسة وبقيت

لم فيها الدور والمساكن وتوفروا على عمرانها. ولا تزال الى اليوم آثار الجداول التي حفرها القدماء من الفرات الى القصبة تحت الارض مائلة . ومن اعمال القضاء خرائب بالس المعروفة اليوم بمسكنة وخرائب قلعة النجم التي كانت مشهورة على عهد الفتح الاسلامي والدولة الاتابكية ومدينة خناصرة وكانت هذه العاصمة الثانية التي ينزلها عمر بن عبد العزيز الاموي رضي الله عنه

قضاء الرقة — الرقة شرقي حلب تبعد عنها ٢٢٠ كيلومتراً او ٤٠ ساعة وهي على الساحل الشرقي من الفرات وفي مركزها ٣٢٨ منزلاً و١٤٥ دكاناً وفي قضائها ٥٦ قرية و٣٧ مزرعة جميع سكانها بادية رحالة واذا اعتبرنا عدد خيامهم كانوا عبارة عن ٢١٦٤ داراً واراضيهم ١٢٢٩٥ دونماً عامرة و ٢٩٤٠٠٠ دونم غامرة

ومدينة الرقة قديمة جداً انشأها الاسكندر الكبير وسماها نيكفور يون وكانت مشهورة في سالف الاحقاب باسم البيضاء والرفعة افتتحها سعد بن وقاص سنة ١٧ للهجرة صلحاً على يد عياض بن غنم فاتح الجزيرة

وعلى مسافة ساعتين ونصف مقابل مدينة الرقة من جهة الشامية في سفح الجبل كانت وقعة صفين بين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن ابي سفيان فقتل فيها من المسلمين والصحابة جمهور عظيم

وكانت الرقة مركز ديار مضر وهي قسم مهم من الجزيرة وعلى مقربة من الرقة غربي الفرات كان مصيف هشام بن عبد الملك الذي يسمى الرقة ايضاً ولا تزال خرائبه باقية وقد انشأ فيها هارون الرشيد معسكراً لموقعها من الثغور الاسلامية كما انشأ فيها مرصداً فلكياً . وفي الرقة قاس بنو شاكر الجغرافيون الفلكيون طول العالم وعرضه . وفي قلعة جعبر من اعمال الرقة دفن السلطان سليمان شاه العثماني

ولا يزال اهالي قضاء الرقة بادية لم تسجل نفوسهم ويقدرون بنحو ثلاثين الفاً وعشائر القضاء يتوفرون على الضرع اكثر من الزرع ولو ارادوا الاستفادوا كثيراً من مياه نهر بليخ في زروعهم وهو ينبع من قضاء حران ويمر شرقي الرقة على نحو ساعتين منها ويصب في الفرات.

هذه نبذة من اقضية حلب وعمرانها بقي الكلام على لواءي اورفة ومرعش ولما كان اكثرها في الجهة الشرقية من سورية كان بعضها يحسب من بلاد الروم والآخر من بلاد الاكراد فمدينة البيرة (بيره جك) على ١٣٥ كيلومتراً من حلب هي على الفرات وما ندري ان كانت تحسب من سورية ام لا وكذلك قلعة الروم (روم قلعة) على ساحل الفرات

في القطار

من بيروت الى زحلة

وناقلي حيث يحلو في الهوى التنقل يمشي به الدافعان الشوق والامل
كأنه جبل يمشي على جبل يرسو اذا شاء طوراً ثم ينتقل
كأنه عند ما يجري على عجل يجري على عجل يجري بها الامل
كالطير ليس يزيد السهل سرعته ولا يؤخره في سيره جبل
لو سابق الارض نحو الشمس ما طلعت الا وقد جازها في الغرب تغتسل
او طارد الزهر في افلاكها غلساً ما حط الا ومن ارتاله زحل
ما عاقه في السري برد ولا مطر كأن لطم الحيا في وجهه قبل
لا انس فيه ركوبي والحبيب وقد بتنا وكل بصهباء اللقا ثمل
قمنا عن «البور» والافلاك قد غمضت منها وقد سهرت طول الدجى المقل
يمشي الهوينا كخود ناعس نهضت عند الضحى لم يزل في جفنها ثقل
ما سار نحو الشآم الميل مكتملاً الا وجفن الضحى بالنور مكتحل
ينساب كالصل حرّان الحشاشة حيـ ـراناً كمن قطعت في وجهه السبل
طوراً تخف الى استقباله قلل وتارة تنثني من دربه قلل
يمر كالسهم في الانفاق مخترقاً حشاشة الارض لا يلوي به الوجل
خلو من الحب لا ينفك منتحباً يشكو ويبكي وما في جسمه علل
مصعد زفرات كلما عصفت حسبتها طغمات الجن تقتتل
تاتي على الارض من ابوابه بصراً يرده فشل في الطرف لا كلل
لا يستقر على شيء لسرعته فلا ترى الارض الا عند ما يصل
حتى اذا ما انجلى سهل البقاع لنا بحراً يرى كل بحر عنده وشل
امواجه الخضر بالازهار مزبدة مثل الحلي اذا ازدانت بها الحلل
هدا ومن خلفه الابعاد مدبرة كالجد يدبر من قدامه الكسل
لسرعة الجري ما لاحت له عجل كأننا في سفين ما لها عجل
والكرم عن جانبيه مطرق خجل كالغيد خف اليها فارس بطل

ترى العناقيد من اعناقها برزت مثل الهود ولكن درها عسل
حتى اذا الارض من حر المجير غدت كأنها كبد بالمجر تشتعل
صرنا الى زحلة فالبعض قد ركبوا منها وكنت انا من بعض من نزلوا

* * *

يا من له هوس في كل ذي قدم هذا القطار فاين البغل والجمل ؟!!

رشيد الخوري

اخبار وافكار

قصر بختنصر

اكتشفت البعثة الاثرية الالمانية في بابل عدة آثار من زمن عصور التوراة ومنها خرائب قصر الملك بختنصر ومعبد البعل وباب ايستار وغير ذلك من العمارات المهمة وفي النية الآن ان يعيد اولئك الاثريون تلك العاديات الى الصورة التي كانت عليها على عهد عظمة بلاد الكلدان يستعملون لذلك الادوات التامة ومنها آلات لجر الاثقال عظيمة هائلة معمولة من الحديد والفولاذ وبها ينقلون تلك الاحجار الضخمة والاسود المجنحة ويجعلونها في محالها وكانت تنقل قديماً بانضمام ايدي العبيد والاسرى وقوام المجتمعة · وقد جعل الامبراطور غليوم الثاني هذا المشروع تحت حمايته وبذل الماليون لاولئك العلماء من النفقة في هذه السبيل مايلزم · ومعلوم ان مدينة بابل على بضعة كيلومترات من بغداد والى هذه ينتهي الخط الحديدي الالماني فبابل والحالة هذه داخلة في منطقة نفوذ الالمان كما يقول كتاب السياسة وترميم قصر بختنصر مما يساعد كثيراً على توطيد هذا النفوذ ·

وكل من قرأ التاريخ يعرف عهد بختنصر المجيد وماتبعه من الكوائث وقد بدأ انحطاط بابل على عهد خليفته بالتازار بعد فتح قورش الفارسي · اما القصر الذي يراد ترميمه الآن فهو على نشز من الارض وفي جواره اراض متسعة للغاية وكان الرجالة يصعدون اليه على ادراج وكان ثمت طريق خاص بالمركبات والأسس معمولة بالحجر والحوائط من آجر لا يتفتت ولا يذوب وواجهات البناء مزينة بالنقوش تمثل الصيد وقدلون الصيادون وما يصيدون بانواع الاصباغ بالحمرة والزرقة والصفرة · والثيران المجنحة تحرس الابواب

المعمولة من النحاس وكان في القصر نحو مائتي ردهة وغرفة ينزل في اكثرها نساء هذا الملك العظيم وفي الداخل ترى انواع الطنافس والسجاد والزينات الفاخرة والافاريز منقوش عليها صور غزوات هذا الفاتح في مصر والقدس وصور · والغالب على الظن ان القائمين بترميم هذا القصر لا يكتفون بذلك فقط بل يرممون اسوار المدينة وكان سمكها بضعة امتار وهي شاهقة العلو ولها ابراج حصينة يبلغ طولها زهاء ٨٠ متراً وسيرمم باب ايستار الربة الحامية لبابل مع ما كان عليه من الثيران والتنانين الحمر والزرق · وقد رأت البعثة موقع الحدائق المعلقة المنسوبة لسميراميس ملكة اشور وسيفي النية ايضاً اصلاحها

لفحة الشمس

كثرت ضربة الشمس في الصيف الماضي في بلاد الغرب فانتبه الاختصاصيون من العلماء للنظر في طرق الوقاية منها فرأى احدهم في مونيخ ان الجسم الانساني لما كان مركباً من عناصر كيماوية فضربة الشمس ناشئة عن اضطرابات كهربائية تحدث من فقدان الملح اللازم في تركيب الجسم فأبانت ابحاثه ان الاشخاص الذين يعرقون كثيراً ولا سيما من يعملون اعمالاً شاقة في اليوم الحار يفقدون جزءاً عظيماً من الملح الضروري لصحة الجسم واستنتج من ذلك ان الجسم في هذه الحالة يضيع في اليوم من ٣٠ الى ٤٠ غراماً من الملح الذي لا يعوضه في الاحوال العادية الا الغذاء · وشرب كمية من الماء لا يكون دواء كافياً ونافعاً في هذه الحال لانه يحول دون جمود الدم وعنه ينشأ الدوار وهو اول اعراض الغثيان · ويعتقد العالم الالماني كل الاعتقاد ان ضربة الشمس تأتي بتعديل التراكيب الكيماوية في حياة الجسم تعديلاً سيئاً وذلك بحرمانه من الملح اللازم وذكر ان بعض السجون في المانيا كانت منذ اربعين سنة منعت من تمليح طعام السجناء بحجة ان الملح من الزوائد وهو دليل للرفاهية في التغذية فكان يحدث للسجناء مرض شبيه بالغثيان او ضربة الشمس يقضون نحبهم معه · وقد تبين ايضاً ان السكيرين اكثر استعداداً من غيرهم للوقوع بضربة الشمس وعللوا ذلك بان الالكحول اذا تناوله المرء بافراط يضر بالاغذية المالحة التي لا يستغني عنها الجسم وهي تقيه من الاخطار التي يتعرض لها كضربة الشمس ونحوها

التربة السوداء

في كثير من اصقاع العالم ارض سوداء ولا سيما في مراكش وجنوبي روسيا

واوستراليا وغيرها فترى تربتها سوداء فاحمة وهي مخصبة كل الخصب وتعطي غلاتها بدون ادنى سماد و بجود محصولها بضع سنين متوالية· ومن الغريب انهذه التربة تكون كلها في السهول واطئة في الجملة معرضة للرطوبة واليبوسة في فصل المطر وفي ايام الجفاف تصلب وتتشقق ·وقد نسب العارفون بطبائع التربة زمناطويلاً سر هذا السواد والخصب في هذا الضرب من الاراضي الى الكمية الوافرة من المواد المخصبة *Humus* والمواد النباتية التي تغذي على رأيهم النباتات اثناء نموها ولكن اثبت البحث الدقيق ان هذه المادة النباتية تحتوي على كمية وافرة من البوتاس وحامض الفوسفور والنشادر بحيث ان المادة المخصبة هي السبب العارض في غنى النبات واخصب التربة السوداء في العالم تربة اوستراليا ولذلك انصرفت وجوه المهاجرين من اقطار الارض اليها وقصدوها لتربية الاشجار والحيوانات وكل مايغرس و يعرش و يخور ويغم و يثغو

المطر الصناعي

اخترع احد مهندسي الجمهورية الفضية طريقة سهلة عملية لارواء الحدائق والحقول حتى في ايام الجفاف بواسطة الماء الموزع في اسلاك كهربائية وهذه الطريقة نافعة في الزراعة تأتي على الحشرات والحلات الطفيلية المضرة فتهلكها و يجري اليها الماء من نهر او بئر ارتوازي او نبع ثم يجعل في حوض من الحديد منفرد يوصل في انابيب ومجار ذات مضخة رشاشة و يمتلئ الحوض بالكهربائية بواسطة دينامو وتستعمل الكهرباء لبعض التغيرات الكيماوية التي تولد شيئاً من الاوكسيجين والاوزون والهيدروجين وغيرها مما يجعل الماء قابلاً للشرب · وبهذه الطريقة التي جربها المهندس لارواء حديقة في عاصمة تلك الجمهورية خلال الصيف الماضي وكان الماء عزيزاً في تلك الاصقاع تيسر ان ينبت عشب كثير لتربية الخيول · لا جرم ان المطر الصناعي سيكون نعمة حقيقية للزارعين و يستعمل المجرى الكهربائي في انارة بعض اجزاء من المدينة

ادب النشر

في جميع البلاد التي لها قانون للمطبوعات مواد مخصوصة للحكم على من يخالفون العرف في مسطورهم ومنشورهم فيحيدون عن شرعة الادب · وقد حكمت احدى المحاكم الالمانية على كل من رئيس تحرير مجلة «بان» الالمانية وعلى مديرها بخمسين ماركاً غرامة لانهما نشرا قطعة من مفكرات الفيلسوف فلوبر فحكمت المحاكم عليهما بدعوى ان هذه المجلة مخالفة للآداب وكانت نشرت منذ ثلاثين سنة فلم يختلف اثنان في انها غير ادبية بل

ان كاتبها كان في وصفها كالجراح يشرح جثة ولا يرى في عمله مايعبث بالادب وتحمر منه الوجوه · ومن الغريب ان احد النقاد ترجم الى الالمانية قطعة من الشعر الغزلي كتبت بالافرنسية في القرن الثامن عشر ولم يكد ينشرها حتى حكمت عليه المحكمة بالسجن ثمانية اشهر

التمثيل والمؤلفون

بلغت واردات دور التمثيل في باريز سنة ١٩١٠ — ١٩١١ (٢٧٧٣٠٠٦٢) وحقوق المؤلفين ثلاثة ملايين ونصفاً من الفرنكات وعدد اعضاء جمعية المؤلفين ٣٠٤ وعدد من يستعدون للانخراط في سلكهم ٤٥٤٣

الحرب العثمانية الايطالية

قالت المجلة ما تعريبه : لقد حزن كل الحزن جميع انصار السلام لانتشار الحرب الايطالية العثمانية فماذا كان يا ترى من امر المادة الثانية والاربعين من قانون محكمة لاهاي القاضية بان جميع الدول يقضي عليهن ان يعمدن الى التحكيم قبل ان تقعقع السيوف وتلمع الاسلحة فقد جاءتنا من كل مكان رسائل الاحتجاج على ما جرى بين الدولتين مما من شأنه ان يكدر صفو الانسانية ويذهب كل ما بذل لنفعها ادراج الرياح · فكل الجمعيات الانكليزية التي تعنى بحركة السلم قليلاً او كثيراً قد اقامت الحجة في لندرا وعزمت ان تبعث الى الاستانة بمؤازرنا السامي وصديقنا المستر ستيد حتى تقرر الحكومة العثمانية طلب التحكيم (وقد جاء الاستانة وقابل السلطان الاعظم) والرجاء معقود بان الدولة العلية تطلب هذا المطلب وما ذا يكون من شأن ايطاليا ؟ لا جرم ان المستر كارنجي الذي منح محكمة لاهاي خمسين مليون فرنك لتستعين بها على نشر السلام ينوي ان يتدخل لدى الدول الموقعة على عهدة السلم · وذلك ما يدعو الى الرجاء في حركة سلمية ربما نجحت في ادخال الشعبين المتحاربين في مضمون مبادي حقوق الدول الاصلية

عاهات الصناعة

تبين بالاحصاء ان عدد من يصابون من العملة في الولايات المتحدة بعوارض قتالة قد بلغ سنة ١٩٠٨ ٣٥ الف رجل فقط من اصل ٣٦ مليون عامل ولا يدخل في ذلك مليون عامل يعملون موقتاً وعدد المالكين في الصناعات يزيد كثيراً فقد دل احدث الاحصاآت ان معدل من يهلك بسببها ٥٠ الف رجل ولا تقل الجروح والرضوض

الغير القتالة عن اصابة مليوني عملة على الاقل . اما نحن فما ندري ان كان في احيائنا ما يوازي قدر امواتهم من العاملين في الصناعات

محف العالم المتحضر

دل الاحصاء الاخير الذي وضعه المجمع العلمي الدولي للكتب ان فرنسا في مقدمة دول اوربا بكثرة جرائدها ومجلاتها فيصدر فيها ٨٩٤٠ صحيفة ثم تجيء المانيا ويصدر فيها ٨٠٥٠ ثم انكلترا ويصدر فيها ٤٣٣٩ ثم ايطاليا وفيها ٣٠٦٨ ثم البلجيك ٢٠٢٣ ثم روسيا ١٦٦١ ثم اسبانيا ١٣٥٠ ثم سويسرا ١٣٣٢ ثم بلاد القاع (هولاندة) ١٣٠٢ . وما نظن الجرائد والمجلات التي تصدر على صورة مطردة تحت السماء العثمانية والمصرية تناهز الثلثمائة صحيفة فتأمل

العودة الى الخلاء

في اوربا كثير من العقلاء يدعون الى التبدي اي سكنى البادية والعودة الى الخلاء واستثمار الارض ولكن الحال ما زال في ازدياد وسكان القرى ينهالون على المدن اي انهيال فقد كان معدل سكان المدن بالنسبة للقرى في الولايات المتحدة ٣٦ في المئة سنة ١٨٩٠ فبلغ سنة ١٩١٠ — ٤٦ وكسراً والمأمول ان يبلغ ٥٠ في المئة سنة ١٩٢٠ بتعديل قليل يدخل على اسباب الحياة الحديثة ويختلف هذا المعدل بين ولاية واخرى ففي الماساشوست يبلغ سكان المدن ٩٦ في المئة وفي ولاية داكاتو الشمالية والمسيسبي ١١ في المئة وقد كان نمو سكان هاتين الولايتين اكثر من سكان الولاية الاولى ومع هذا فان المدن تجذب السكان رغم اقوال الخطباء وتأثيرات الكتاب

كليات اميركا

كان بدء كليات الولايات المتحدة ككليات اوربا عبارة عن مدارس دينية واولها واقدمها كليتا هارفرد ويال فهما الكليتان المشهورتان اللتان تبدلت دروسهما بالتدريج ومحا عنهما صبغة اللاهوتية فقد ادخلتا الى برنامجاتهما تعليم فلاسفة الوثنيين وكبار الكتاب المحدثين والاقدمين وكانت العلوم الطبيعية بادئ بدء يتسامح بتعليمها فيهما فاصبح لها المكانة الاولى ثم المقام الاعلى وتعليم الدروس الوسطى أعني منه النساء الاقليلاً وانصرف الناس الى تعلم ما تظهر نتيجته في الحال وتمس فوائده عن أمم . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر قد اقبلوا في التعليم بالاساليب الالمانية . والمدارس العالية في الولايات الشرقية قد أنشئت بعطايا الافراد اما مدارس الغرب والجنوب فقد انشأتها الحكومة

والمنافسة قائمة على ساق وقدم ولا تزال بين مدارس الاهلين ومدارس الحكومة وكل مدرسة تريد ان تظهر من تلامذتها النجابة والنبوغ وان يكون لها افضل المدرسين والباحثين وكليات الغرب غنية كثيراً في حين اشتهرت كليات الشرق بتأثيرها الاخلاقي

الجنسية في روسيا

لم تستطع روسيا على وسائط الشدة التي استعملتها في الجنوب الغربي من بلادها ان تنزع الدعوة الى الجنسية والتناغي بحب القومية البولونية ففي كل مكان تبدو علائم النهضة والروسية لم تتأصل في مكان وستزيد الدعوة الى الجنسية عندما تنشأ في تلك الولاية جرائد تدعو للاستقلال الاداري المحلي وعلى مااستعملت روسيا من الذرائع للقضاء على نفوذ كبار ارباب الاملاك البولونيين وحرمانهم من حقوقهم فان الروسيين بل كبار المالكين منهم لايكون لهم ادنى تأثير في تلك الجرائد التي هي ملك صغار المالكين وتصدر عن آرائهم . لاجرم ان هؤلاء لحبهم لبلادهم ولغتهم وتقاليدهم يعملون على ما فيه نجاح كلمة الوطنية وستكون مسألة اللغة اول مسألة تدخل فيها الحكومة مع الاهالي في اشكال فاذا توسعت الحكومة في اضطهادها يزداد الخرق بينها وبين المحكوم عليهم وتشتد العداوة والبغضاء . قالت احدى المجلات الروسية ولا سبيل الى حل هذه المعضلة الا بأن تعمد الحكومة التي قضى بها العدل والحق فتجري عليها وهناك الراحة لها ولغيرها

منتدى المعمرين

أنشئ في يابان منتدى لايدخله الا من بلغ مئة سنة من عمره سموه منتدى المئويين ورئيسه الكونت اوكوما المشهور وجميع المشتركين معه متعهدون ان يحافظوا كل المحافظة على مبادي الصحة الشديدة التي تضمن وتعد بطول الحياة وكلهم يودون ان يعيشوا او يرغبون في ان يعيشوا مئة سنة اخرى على الاقل . قالت احدى مجلات يابان وان هذا العزم لانفع جداً من ان يفزع المعمرون الى المعابد و يستنزلوا رضا الارباب لتطول شيخوختهم ومن مبدإ هذا المنتدى ان يحث المرء ليكون نافعاً لاخوانه ما امكنه، ويتأتى له ذلك اذا عني بصحة الجسم كما يعنى بصحة العقل وكل منهما نتيجة لازمة لصاحبه حتى ان رئيس هذا المنتدى يشترك مع القائلين بطول الحياة و يرجو ان يعمر ١٨٥ سنة !

مخطوطات ومطبوعات

نظام القضاء والادارة

تأليف احمد بك قمحة طبع بمطبعة الجريدة في مصر سنة ١٣٢٨هـ — ١٩١٠م ص ٣٤٣

لو كتب لمصر ان يرتقي فيها كل فرع من فروع العلم على نحو ما ارتقى القضاء لاصبحت كفرنسا لانقصها الا ان اهل مصر ساميون عرب واهل فرنسا توتونيون فرنسيس وامامنا الآن هذا التأليف النفيس كتبه مؤلفه من اساتذة القضاء بلسان سلس وتنسيق بديع وضمنه النظامات القضائية والادارية والمالية والسياسية في القطر المصري وطبعه طبعاً نفيساً حتى حبب مطالعته والاخذ منه لكل من لاميل عنده لمثل هذه الموضوعات وناهيك بمن يحتاجون اليها في بلاد الشرق ولا سيما العثمانية والمصرية . والناظر في هذا السفر يعرف مصر وطرفاً معاً من تاريخها السياسي والاداري والقضائي . خذ مثالاً لذلك ما اورده في امتيازات الاجانب وتعليلها قال : « وسبب ذلك ان الحكومات الاسلامية اعتادت من قديم الزمان ان تتساهل مع المسيحيين الذين في بلادها فاجازت لهم عدم اتباع الاحكام المرعية وتركتهم يتقاضون في احوال مخصوصة بحسب قواعد دينهم وقوانينهم . فمع شدة الاختلاط وتمكين العلائق ومضي الزمن اصبحت هذه العادة بمثابة القانون واضحى هذا التسامح حقاً لهم لايحتمل النزاع . هذا ما نتج عن مجرد التساهل ومحض التسامح بل ان هناك ما بني على المعاهدات فانه توجد معاهدة عقدت بين سلطان مصر صلاح الدين بن ايوب وجمهورية بيزا مؤرخة في ١٥ صفر سنة ٥٦٩ (سنة ١١٧٣م) يستدل من عباراتها ومن المعاهدات التالية لها على انه منح البيزانيين جملة امتيازات خاصة بالتقاضي والمملكة وقد حصل كذلك الفلورنتيون (الفلورنتيون والبيزانيون هم الطليان) من ابي النصر قايد باي سلطان مصر على عدة امتيازات قضائية بامر اصدره في سنة ١٤٨٨ جاء فيه ما يأتي : « اذا حدث خلاف بين الفلورنتيين انفسهم ليس لحكامنا وقضاتنا المسلمين ان يتداخلوا في مسائلهم ولكن الحكم في ذلك لقنصل الفلورنتيين فيحكم في هذه الحالة بما يناسب القوانين الفلورنتية »

ومما يلاحظ انه حصل التوسع في العمل بهذه المعاهدات حتى عمت جميع رعايا الدول المسيحية الواحدة بعد الاخرى وبقي الحال كذلك الى ان حلت الدولة العلية

المحل الاول من الدول الاسلامية فنسيت هذه المعاهدات بعض النسيان ولكنها مالبثت ان عادت بعودة الاختلاط ومقتضيات الاحوال فتعاقدت فرنسا معها على ارجاعها باتفاق جديد بصورة انه «معاهدة تجارية في سنة ١٥٣٥ حررت بين السلطان سليمان الاول وفرنسوا الاول ملك فرنسا وكان مضمونها التأمين على ارواح الفرنسويين وتجارتهم . وقد ظل تجديد هذا التقاعد الى ان عقدت معاهدة سنة ١٧٤٠ بين السلطان محمود الاول ولويس الخامس عشر ملك فرنسا وصارت هي صاحبة الشأن في حماية رعاياها وجميع الاجانب الذين يلتجئون اليها . وقلدت فرنسا الدول الاخرى في عقد هذه المعاهدات المعروفة ايضاً باسم العهودنامات واخذت الامتيازات تزداد شيئاً فشيئاً بمساعي الدول من جهة وباهمال الحكومات الشرقية من جهة اخرى من طريق كونها اقرت بعض العادات وان كانت خارجة عن نصوص المعاهدات في الواقع ونفس الامر . ولا خلاف في كون جميع هذه العهودنامات نافذة على مصر كما تقدم لانها جزء من ممالك الدولة العلية لا سيما ان الفرمان الصادر لمحمد علي باشا في اول يونيه (حزيران) سنة ١٨٤٠ اشترط فيه اعادة المعاهدات الموجودة والتي ستوجد فلا شك حينئذ في ان الاجانب متمتعون بالامتيازات في مصر اسوة بسائر بلاد الدولة العلية . »

والخلاصة فان هذا المصنف ممتع نافع كتب على هذا النموذج فجاء ناطقاً بالثناء على ابي عذره دالاً على فضله بين الاساتذة وجميل ذكره .

تاريخ حرب فرنسا والمانيا

سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١

لجرجي افندي يني طبع على نفقة يوسف توما البستاني بمصر سنة ١٩١١ ص ٢١٦

مؤلف هذا الكتاب رصيفنا صاحب مجلة المباحث من المشهود لهم في فن التاريخ ألف تاريخ سورية في حداثته وهذا الكتاب نشره ايضاً في جريدة الجنان ايام صدورها في بيروت وقد كتب المؤلف عدة ابحاث تاريخية في بعض المجلات ولا سيما في المقتطف ابانت عن تضلعه من هذا الفن الجليل وتاريخه هذا من انفع ما يكون لابناء العربية في تلك الحرب المشهورة ولذلك احسن ناشره في تجريده ونشره للناس على هذه الصورة فلمؤلفه الرصيف احسن الثناء على هممه وحسن بلائه

مطبوعات مختلفة

القراءة العربية في المعلومات المدنية — عربه من التركية السيد عبد القادر المبارك

وفيه ما يلزم كل عثماني من المعلومات عن حالة حكومته

قانون اصول المحاكمات الحقوقية وذيله الجديد الذي صدرت الارادة السنية آذنة بالعمل به بعد التصديق عليه من مجلس الامة وقانون الجزاء الجديد وفيه القانون القديم والمواد والذيول الجديدة التي اضافها مجلس الامة وبعض تعليقات معربة بقلم شاكر افندي الحنبلي

وهذان الكتابان والكتاب الاول معربان احسن تعريب تشهد لمعربيهما وهما من فضلاء دمشق معروفين بالادب وطول الباع فعساهما يتوفران على تعريب كل ما كان من هذا القبيل ليطلع العثمانيون العرب على ما يسن بالتركية من القوانين ويكتب من الكتب النافعة وينفع في تقوية الشورى في النفوس

الجغرافيا الطبيعية — لجامعه عبدالله افندي عمر التنير وهو يبحث في التربة والتلال والجبال والاودية والانهار والبرك والبحيرات والاوقيانوس والهواء وغير ذلك من الابحاث التي تنشئ التلميذ الصغير على حب العلوم والصناعات طبع في بيروت سنة ١٣٢٩ في ١١٦ صفحة مع بعض الرسوم

تحريم نقل الجنائز — رسالة لمؤلفها السيد هبة الدين الشهرستاني صاحب مجلة العلم في النجف الاشرف في العراق ذكر فيها رأيه ونصوص علماء الشيعة في تحريم نقل الجنائز من مكان الى آخر كما يفعل بعض العامة من الشيعة فيأتون الى كربلا والغري بموتاهم من اطراف العراق وفارس يدفنونها هناك وقد اجاد الرصيف في التنفير وهذه العادة المضرة الملتبسة شعار الدين

اسماء البنات — معانيها وعلاقاتها التاريخية واشهر نساء دعين بها تأليف امين افندي الغريب صاحب جريدة الحارس البيروتية وفيه كلام نافع في فلسفة الاسماء ولا سيما الافرنجية والقديمة

المقتبس

اعداء الاصلاح

الطرق شتى وطرق الحق مفردة　　　والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم　　　فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم　　　فجلهم عن سبيل الحق رقاد

ماخلا عصر من عصور الاسلام من اعداء لكل جديد ومن جامدين ينكرون كل مالا يألفون · فقد لقي المعتزلة والفلاسفة والمتكلمون والنظار من اعداء العقل كل شدة في القرون الراقية وكان عقل الملوك هو الذي يحول على الاغلب بين الجامدين وبين مايشتهون من الاعتداء على القائمين بتأييد سنن العقل والناصرين باقوالهم وافعالهم مذاهب السنة والنقل · ومن نظر نظرة مجردة عن الغرض في سيرة المناهضين للمصلحين على اختلاف الاعصار يجدهم جروا على غير مايعتقدون وطلبوا بمقاومة المصلحين ارضاء العامة ونيل الحظوى لديهم واستتباع الجاهلين من الملوك والسلاطين وقليل جداً من كان الاخلاص رائدهم في اعمالهم ومآتيهم ·

يقاوم في العادة الخامل النابه لئلا يكون له مكانة كمكانته، ويتحامل الجاهل على العالم ليعرف بين قومه بانه قسيمه في صناعته ومثيله في فضيلته و يطعن الجامد المتخرق بمن يحب ان يعبد الله بعقل و يبحث في عالم الكون والفساد بروية ليتظاهر بانه بعيد الغور شديد الغيرة وما اقواله الا رياء ومافعاله الا وساس واهواء·

لقي المصلحون من الاهاو يل في الامة العربية اكثر ممالقيه امثالهم في الامم الاخرى فيما نحسب وخصوصاً بعد القرن السابع وقد توزعت بلاد الاسلام ملوك الطوائف وكان

اكثرهم على جانب من الجهل والغباوة لايهمهم الارضاء المشعبذين بالدين ليحولوا العامة اليهم فيقوى بهم ضعفهم و يستعينون بهم على تكبير رقعة ممالكهم و بسط ظل سلطانهم على النفوس فيستمتعون بشهواتهم و بذخهم ورفاهيتهم ·

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين اعجب

ساعد على الانتقام من العالمين العاملين ناس من ارباب المذاهب سرت احكامهم بقوة اربابها فكان الحكم يجري على المبتدعة وارباب الاهواء بزعمهم بموجب قوانين لم سنوها ومنها المذهب المالكي الذي كان يحكم قاضيه بقتل اكبر عالم في الامة — والقتل يعد من التعزير في مذهب مالك — خالف المألوف من العادات التي اعتقدتها من اصل الدين وعد الخروج عنها كفراً والحاداً وما اسهلهما واسهل صدور الحكم بهما من اعداء الاصلاح المماحكين

سالت الدماء كالاودية في بغداد للفتن بين الحنابلة والشافعية مرات وسالت دماء كثير من الخاصة في كل قرن وعذبوا وأوذوا بواسطة ارباب المظاهر من المتنطعين ممن شق عليهم ان يروا كلمة الاصلاح الديني والدنيوي تفعل في الارواح فعلها المطلوب فحدثتهم انفسهم ان يتساوى المفكرون وغيرهم في نظر العامة ان لم يتمكنوا من اسقاطهم ليخلو لهم الجو و يقتصر في تقبيل الايدي وطلب الدعوات والتماس البركات عليهم دون سائر المنتسبين للعلم والشريعة ·

ومن غريب اسرار الله في خلقه ان جميع من قاوموا المخلصين من المصلحين دثروا ودثرت اسماؤهم وظلت اسماء من عادوهم وآذوهم تشهد بالجهل المركب على اعداء العقل السليم والتعاليم الصحيحة

اين اعداء الغزالي والسهروردي والآمدي وابن جرير وابن تيمية وابن رشد ذهبوا كلهم كأمس الدابر و بقيت الامة تردد على وجه الدهر اسماء هؤلاء المصلحين العاملين وتتناقل ماخطته اناملهم من سطور الاصلاح « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث في الارض »

لا يذكر التاريخ اليوم الا افراداً ممن ناوأوا رجال العقل الرجيح والنقل الصحيح اشتهروا لاحتكاكهم بالحكام وموهوا على العامة بحسن حالهم لمظهر دنيوي ارادوه وحطام من الدنيا تطالت نفوسهم لان يقتنوه كأن يكون احدهم قاضياً يخاف ان يشوكه ذاك العالم

المستنير في قضائه او شيخ عامة حدثته نفسه بالاستئثار بهذا المظهر الذي يعتقده جماع فضائل الدنيا والآخرة ·

امثال هؤلاء المتخرفين المنافقين بدلوا المعالم والتعاليم مرضاة لارباب الرئاسات والزعامات وسجلوا على انفسهم العار للبت فيما لم ينزل به سلطان وجازوا حد الشرع وهم يتظاهرون بانهم المؤتمنون عليه وما بهم ومن اعمالهم يشكو ويئن كا شكو المدنية والانسانية

وهل افسد الدين الا الملو ك واحبار سوء ورهبانها

ان من يتظاهرون بالدين وباطنهم منه بريء أضر على الدين ممن يعتونه · ومن يدعو في الغالب الى الصلاح و يتخذ التقية امام العامة درعه يكون اقرب الى الانحلال والضلال منه الى من لا يباطنون بانهم دعاة الدين والقائمون عليه وعنهم يؤخذ و بهديهم يهتدى · وشر الناس من يسرون غير مايظهرون و يتلونون باللون الذي يرون انه اوفق لهم لجر مغنم واحراز مظهر

ان هؤلاء العامة ممن يتطاولون الى مقامات العلماء هم افسد من العامة لان شيطانهم يتكلم وشيطان هؤلاء اخرس لايبدي ولا يعيد · هم سوس الفساد في كيان هذا المجتمع يدعون معرفة كل شيء وهم لم يتقنوا شيئاً الا ما سولته لهم انفسهم وحدثتهم به شياطينهم · شعارهم التدليس والتظاهر بالغيرة على المحارم ولو بحثت عن اعمالهم لرأيتهم اول المجترئين على انتهاك حرمات الاديان والشرائع وهم يتقدسونها بلسانهم والعابثين بحدودها وهم يدعون الناس الى الوقوف عند مراسيمها والسعاية بالمصلحين ليفتوا في اعضادهم و يفسدوا عليهم امرهم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره ابالسة التدجيل والتضليل من علماء (١) السوء

لو كان اعداء المصلحين على شيء من التدين الحقيقي لكانوا اشتغلوا منذ القديم بارشاد العامة وانكار المنكرات الماثلة في كل عصر امامهم مثول الشمس في السماء رأد الضحى ولكن المتدلسة امثالهم يتعلمون من قشور العلوم ما يستعينون به على الاخذ من اموال الحكومات والاغنياء والتغرير بالعامة ولذلك كان اكثر اشتغال من سموا انفسهم بالعلماء في كل عصر بالفقه لانه سلم الى ما يتطاولون اليه من الجاه والمال وحسن الحال

---

(١) في اول الجزء الاول وآخر الجزء الثالث من كتاب احياء علوم الدين فصول بديعة في علماء السوء راجعها ان احببت ·

قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء : « اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا ائمة علماء بالله تعالى فقهاء في احكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طولبوا هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الامن وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة على الخصوص

وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون الى الآن وليس ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لاغير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او علم آخر من العلوم لمالوا ايضاً معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين اه»

هذا موجز من تاريخ المتحذلقين في الدين وصف به حجة الاسلام طغمتهم في عصره وعصره الخامس من افضل عصور النور في الاسلام فما بالك بامثالهم بعده وقد حدثت من الاحداث ما كان الجهل سداها ولحمتها والنيل من المخلصين مبدأها وغايتها وما اصدق ما قاله حجة الاسلام ايضاً في هؤلاء الطغام اعداء الاسلام والسلام في اول كتابه التفرقة بين الاسلام والزندقة قال : « وأنى تنجلي اسرار الملكوت لقوم إلههم هواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم رعونتهم ، وارادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وساوسهم ، وكنزهم سواسهم ، وفكرهم استنباط الحيلة لما تنقضيه حشمتهم فهؤلاء من اين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان أبالهام إلهي ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لقبولها ام بكمال علمي وانما بضاعتهم في العلم مسألة النجاسة وماء الزعفران وامثالها هيهات هيهات هذا المطلب انفس وأعز من ان يدرك بالمنى او ينال بالهوينا فاشتغل انت بشأنك ولا تضيع فيهم بقية زمانك و(اعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى)»

وبعد فان في هذا العصر فئات في هذا الشرق ممن استعاذ منهم المصلحون في كل عصر ولكنهم و ياللاسف حثالة الحثالة ، ومثال الجهالة والضلالة ، ان قلت لهم تعاليم فلان ، قالوا لك او نسيت تعاليم فلان فهي احسن واسلم ، وان حرضتهم على علم كذا قالوا علم كذا افضل ، وان شرحت لهم اساليب المدنية ، قالوا اننا لم نؤت الا من قبل ديننا فتركناه فصارت حالنا الى ماترى ، وان حدثتهم بطرق الارتقاء قالوا انه يدعونا الى الانحلال كأنه ما كفانا ما نحن فيه من البدع ، وان دعوتهم الى الاخذ بما صح من احكام الحلال والحرام ، اوردوا لك من اقوال شيوخهم واقاصيص عجائزهم واحلام

حاليهم ومثبطات المتزهدين والمتورعين منهم ماتسأل الله، السلامة، وان حييت اليهم المعروف قالوا لك ما اكثر المنكرات .

حملة اهواء ، لاحملة شريعة ، وجعاب لغو وحشو لاقوام على مايقوم العقل ، سلاحهم المغالطة ، ومجنهم السفسطة ، رأس مالهم الثرثرة ، وربحهم الغلبة بالباطل ، والمهارة في المهاترة على غير طائل ، منامهم ، من دينهم ودنياهم ، ان تفخم القابهم ، وتملأ كراشهم وعيابهم ، وترفع بين الفاغة منازلهم ، و يزيدوا بسطة في الجسم لافي العقل ، وتكتب لهم في العالمين شهرة بعيدة بدون ان يعدوا لها اداة من ادواتها ، و يصرفوا في التحصيل ساعة من اوقاتهم ، وأبهم الحط من الفضلاء ، وهجيراهم النيل من العظماء .

يرقعون و يلفقون ، و يراوغون و يماحكون ، ويكسون ما كسون ، مدلسون موالسون ، يعادون مايجهلون ، يجمدون على مايعرفون ، يصانعون ولا يتلطفون ، يفتون وهم لايعلمون ، يجتهدون و يخطؤون ، يهرفون بما لا يعرفون ، يعدون علوم البشر ذرة من معارفهم ، و يحتقرون ما لا تبلغه مداركهم كأن فضل الله محصور فيهم ، وكأن من لا يجري على هواهم محروم من السعادة هالك ، اولئك هم ثعالب الانس يأكلون لحم اخوانهم بالغيبة والوشاية ، و يمشون بين الناس بالنميمة والسعاية ، اسود ولكن على نحت اثلات مخالفيهم ، نمور ولكن لا يحسنون الوثب الا على من لا يصلحون خدمة لهم . يفترون و يغرون ، يغوون ولا يخافون ، يخربون ولا يدرون ، يخرفون ولا يستحون ، يخرقون ولا ينتهون ، فهم اضر على الناس من قطاع السابلة ، وافسد في جسم المجتمع من الادواء القتالة ، يرجعون بالامة القهقرى ، والدواعي تهيب بها الى التقدم ، و يزينون لها الفناء والعدم ، والمصلحة قاضية بالتدارك والتعاون ، ويملون لها الذل والصغار ، وركوب متن العار ، والحالة تدعو الى تحكيم العقل في كل قول وعمل

فاللهم ثبت اقدام المصلحين وهيئ لهم من الكفاءة ما يقوون به على رد غارات اعداء الامة في اصلاحها فقد كفاها جهلاً وضلة بما كسبت ايدي المنافقين وما جلبوا عليها من الخزي المبين «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ... والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما»

بين الفيحاء والشهباء

المملكة الحموية

«حماة» كلمة سامية معناها الحصن المنيع والحمى . وحماة عاصمة مملكة لايعرف اتساعها تختلف باختلاف الدول والازمان وقد ذكر موسى اليهودي حماة الكبرى وذكر بعض الافرنج انه، ربما كان انطيوخوس الرابع ايفان هو الذي سماها ابفانيا وسماها مؤرخو النصرانية الاول كذلك . هذه رواية الافرنج ولم يصرح جغرافيو العرب بان فامية هي حماة بعينها بل قالوا ان فامية و يقال لها افامية هي مدينة [1] قديمة و يطلق هذا الاسم عَلَى كورتها ايضاً وكانت فامية عظيمة قديمة عَلَى نشز من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب (العاصي) وقال ياقوت ان فامية مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص وقد يقال لها افامية قال عيسى بن سعدان الحلبي يذكرها

يادار علوة ما جيدي بمنعطف ... الى سواك ولا قلبي بمنجذب
وياقرى الشام من ليلون لانحلت ... عَلَى بلادكم هطالة السحب
مامر برقك مجتازاً عَلَى بصري ... الا وذكرني الدارين من حلب
ليت العواصم من شرقي فامية ... اهدت الي نسيم البان والغرب
ما كان اطيب ايامي بقربهم ... حتى رمتني عوادي الدهر من كثب

وهذا دليل على ان فامية كانت من المدن المعروفة غير حماة يؤيد ذلك ان حماة معروفة بهذا الاسم في الجاهلية فكان الشاعر حرياً بان يذكرها بلفظها المتعارف

افتتح حماة ابو عبيدة سنة ١٧ وكانت معروفة في الجاهلية بهذا الاسم وذكرها امرؤ القيس في شعره بقوله:

تقطع اسباب اللبانة والهوى ... عشية رحنا من حماة وشيزرا
بسير يضج العود منه يمنه ... اخو الجهد لايلوي على من تعذرا

قال ابن حوقل ان شيزر وحماة مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا المياه والشجر والزروع والفواكه وقال ياقوت [2] ان حماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار واسعة الرقعة حفلة الاسواق يحيط بها سور محكم و بظاهر السور حاضر كبيرجداً

(١) تقويم البلدان لأبي الفدا (٢) معجم البلدان

فيه اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصانتها واتقان عمارتها وحفر خندقها نحو مئة ذراع وا كثر للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب . ولم تكن قديماً مثل ما كانت في القرن السادس من العظم بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص وسماها احمد بن الطيب قرية سنة ٢٧١ وذلك فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في سيره من بغداد

واستولى الاسماعيليون على حماة زمن الصليبيين واستولى عليها تنكرد احد ملوكهم سنة ١١٠٨ م ثم استعادها طغتكين التركي من الافرنج سنة ١١١٠ واصيبت بزلزال شديد سنة ٥٥٢ هـ حتى ذكر المؤرخون ان احد معلمي الكتاتيب خرج لحاجة وعاد وقد وقع السقف على رؤوس الاولاد كلهم قال ولم يحضر احد من اوليائهم يسأل عن ابنه الهالك وذلك لانهم هلكوا عن بكرة ابيهم . واستولى على حماة صلاح الدين يوسف ابن ايوب .

وان ماعرف من تاريخ هذه المدينة يشهد بان ايام صاحبها ابي الفدا اسماعيل كانت اسعد من غيرها وبها وبه اشتهرت ولا عجب فالبلاد قد تسعد برجل وتشقى برجل فكما سعدت دمشق بعهد نور الدين وصلاح الدين وسعدت بغداد بالرشيد والمأمون هكذا سعدت حماة بابي الفدا الملك المؤيد صاحب حماة والمعرة وبرزين . ولم تر بعده وهو ملك من اهلها ومن أسرة صلاح الدين يوماً يشبه تلك الايام في السعادة وبقي الخراب يخيفها حتى وصلت الى ماوصلت اليه لهذا العهد من الانحطاط . واحر بها ان يقال لها اليوم قرية كبيرة لالقلة نفوسها فانهم خمسون الفاً ولا لتغير معالمها وضعف زراعتها فانها مازالت بحالها بل لقلة عمرانها وجهل سكانها الا قليلاً .

لم يقل ابو الفدا في جغرافيته الا انها : مدينة ازلية ولها ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من انزه البلاد الشامية والعاصي يستدير على غالبها من شرقيها وشماليها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الارحية على الماء وبها نواعير على العاصي تسقي اكثر بساتينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مخصوصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام

وحددابن فضل الله (١) حماة من القبلة الرستن وما سامتة آخذاً مابين سلمية وقرية ملاعب الى حيث مجرى النهر والآثار القديمة ومن الشرق البر آخذاً على سلمية الى ما

(١) التعريف بالمصطلح الشريف

استقبل عن قبة ملاعب ومن الشام آخر حد المعرة من انقراتا(؟) ومن الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة وليس لها نطاق يدير على غير ولاية برها الخاص بها نفسها وبارين والمعرة .

وقال شيخ الربوة (١) في القرن الثامن ان الشام كانت تنقسم على عهد الدولة التركية الى ثمانية اقسام او ممالك والمملكة الرابعة من الثمانية حماة وبها سلطان ملك ونائب . نزل وهي مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والارزاق يحوطها النهر العاصي ويأتيها جارياً من جانبيها ويجمع بين الجانبين قنطرة ومن اعمالها الكبار بعرين وتسمى بارين (٢) وهي قلعة منيعة وسلمية وهي على سيف البرية بناها عبد الله بن صالح وعلي ابن عبد الله بن عباس ولها قناة كبيرة

وذكر حماة غرس الدين الظاهري (٣) بلفظ المملكة ايضاً وقال انها متسعة تشتمل على مدن وقلاع واقاليم وقرى واعظم مدنها حماة وان قلعتها اخربها تيمورلنك وبها جوامع ومدارس ومساجد واماكن ومزارات

ووصف ياقوت قرون حماة المعروفة الى اليوم فقال انهما تلتان متقابلتان وجبل يشرف عليها ونهرها العاصي وبين كل واحد من حماة وحمص والمعرة وسلمية وبين صاحبه يوم وبينها وبين شيزر نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة ايام للقوافل وبينها وبين حلب اربعة ايام

وحماة اليوم لواء في الشمال من ولاية سورية ومن اعماله سلمية وقسم من جبال الكلبية او النصيرية وحمص واكثر اراضي هذا اللواء سهلية الا ما كان من انحاء جبل الكلبية ففيه ما في الجبال من سهول وآكام وتربته حسنة وما كان على مقربة من العاصي يسقى منه فينبت فيه القطن والقنب والحرير والبصل (القنار) والخروع وانواع البقول والاشجار وما كان بعيداً عنه يكون عذياً وخصوصاً في المحال التي يسمونها بالزوار فانها على غاية من حسن التربة وقوة الانبات بما يتوفر القائمون عليها من التسميد

(١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (٢) بارين بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ولها اعين وبساتين وهي على مرحلة من حماة وهي غربي حماة بميلة يسيرة الى الجنوب وبها آثار عمارة قديمة تسمى الرفنية لها ذكر شهير في كتب التاريخ وحصن بارين هو حصن احدثه الفرنج في سنة بضع وثمانين واربعمائة ثم ملكه المسلمون وبقي مدة ثم اخربوه .

(٣) زبدة كشف الممالك

الذي يأتون بسماده من القرى المجاورة بحيث يكون دخلهم منها يوازي دخل اهل حدائق دمشق و بعض قراها مثل كفرسوسة والقابون وجوبر ٠

وموقع مدينة حماة والعاصي يشطرها والنواعير تئن عن ايمانها وشمائلها من اجمل المناظر ولا سيما في فصل الربيع ومن اجمل النزهات عندهم الركوب في قارب وقطع جانب من العاصي فيرى المتنزه ضفاف العاصي مخضلة بالثمار اليانعة تعكس على المياه خضرتها ونضرتها وليس في حماة ما يستحق الذكر من انواع العمران الا بقايا صناعات قديمة مثل حياكة الاقمشة للثياب والفوط والستائر والاعبئة والبرابيج (اللي) وغير ذلك من الامور الحقيرة وليس فيها مدارس اهلية ولا خزائن كتب عامة ولا مطابع ولا صحف يومية اللهم الا مطبعة واحدة وبعض صحف اسبوعية وشهرية لا نسبة بينها وبين مكانة حماة القديمة ٠

اما آثارها القديمة فأهمها دار اسعد باشا العظم احد ولاة سورية في القرن الثاني عشر وصاحب حماة بني هذا القصر منذ نحو ١٧٠ سنة على اجمل طرز على مقربة من نهر العاصي وزين بانواع النقوش والتصاوير ويظن ان صناعه كانوا من الفرس لان في نقوشهم كثيراً من النقوش العجمية وبعض الابيات الفارسية ومن ابدع ما رأيناه فيها قطعتان من الخشب جعلتا في حائط الغرفة الكبرى في الدار البرانية ونقشت عليهما صورة حماة [1] في ذاك العهد بجوامعها ومدارسها ونواعيرها وقصورها والناظر اليهما يتبين ان المرسوم هو حماة بعينها وانها كانت اذ ذاك اعمر مما هي عليه الآن والغالب ان الزلزال الاخير اخربها الا قليلاً ٠ وبالجملة فان قصر ابن العظم في حماة حري بان يزار كقصره في

(١) كان فن الرسم كان مرتقياً في القرن السابع والثامن فقد ذكر ابو الفدا ان الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف كان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية (توفي سنة ٦٤٣) بنى للملك المظفر ابراجاً بحماة وطاحوناً على النهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة قال القاضي جمال الدين ابن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها وسألنا عن مواضع دقيقة فيهـا ٠ وجمال الدين هذا هو قاضي القضاة بحماة (٦٩٧) كان اماماً مبرزاً في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة والاصول والهيئة والتاريخ وله عدة مصنفات منها الانبرورية في المنطق صنفها للانبرور (الامبراطور) ملك الفرنج صاحب صقلية لما توجه اليه رسولاً في ايام الملك الظاهر بيبرس الصالحي صاحب مصر والشام سنة ٦٥٩

دمشق وهندسة القاعة هنا وفي حماة واحدة والغالب ان من بنوا هذه بنوا تلك وكذلك النافشون والمزينون

قلنا ان سكان حماة خمسون الفاً دع عنك من في ضاحيتها من امهات القرى ومانظن لواء حماة يقل عن اربعمائة الف نسمة لان بعض سكانها مكتوم في الاحصاء الرسمي ولا سيما سكان جبال الكلبية وهم نصيرية واسماعيلية بالنظر لما رأوا من الضغط والشدة في الازمان الغابرة. وفي قضاء العمرانية حصن مصياف وفي قضاء المرقب القدموس وهما من الاماكن المعروفة عند الاسماعيلية ولهما ذكر في التاريخ

عَلَى قبر ابي الفدا صاحب حماة

حنانيك اسمعيل اجبني فدتك نفوس الملوك يا عالمهم وعادلهم وسيدهم . كنت في عصرك مثال العمل الصالح وها انت لمن بعدك عبرة لمن يعتبر .

زرت قبرك الشريف وذكرت سيرتك المثلى فبكيت عَلَى الاسلام والعرب وقابلت بما قرأته عَلَى ضريحك بين السذاجة الغالبة عليك وتفخفخة الالقاب بعدك .

قرأت : « هذا ضريح العبد الفقير الى رحمة ربه الكريم اسماعيل بن علي بن محمود ابن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب عمر في شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة » جملة لا يجوز نقشها اليوم عَلَى قبر احد العامة فاين انت منها يا ابا الفدا في مفاخرك وسؤددك ومجدك التالد والطارف

حنانيك اسماعيل كنت في حياتك قدوة الملوك العادلين تعلم الناس حب الخير وتعلم العلماء فيما توفروا عليه والفاتحين ما يفاخرون بمعرفته والحكماء ماهو ثمالة امجادهم وها انت الآن رهين حفرة قد كاد ينسى بين قومك ذكرك فلا تبدي ولا تعيد وقومك نسوا دينهم ودنياهم فكيف لا ينسون رجالهم

نشأت ايها السلطان العادل من بيت عز وملك فلم تأخذ الزخارف بلبك بل تخرجت في العلم وربيت على ادب النفس وادب الدرس حتى جاء منك عالم بل معلم العلماء بسيرته وتفننه .

نشأت نشأة عالية في القرون الوسطى وغيرك من الملوك نشأوا ولا سيما بعدك بنشأة جاهلية عَلَى الخمر والزمر والقمر لا يعرفون غير القصور والولدان والحور وغاية مفاخرهم انهم يبطشون ولا يبالون يقتلون ولا يتألمون يتعاظمون ولا يتواضعون يقضون فلا يراجعون يأمرون ولا يعدلون .

اضحت احكام بعض الملوك بعدك ذوقية واعمالهم على الأكثر استبدادية . اتخذوا الاسلام ديناً وهو منهم بريء وعبثوا بالرخص والعزائم ليس لهم وازع من القسم ولا رادع من اممهم . اضحوا جبابرة لاملوكاً وشياطين لا اناساً وانعاماً لا يعرفون الا ما فيه راحتهم وتوفير قسطهم من اللذائذ والبذخ والنعيم .

كنت اباالفدا ملكاً بالاسم ومالكاً بالفعل كنت شريفاً بماضيك وحاضرك وها انت الى يوم الناس هذا والى غد وما بعد غد شريف في عامة احوالك .

لم نعهد لك كما عهدنا للملوك قبلك وبعدك ان عدوت الرعية كالسائمة التي تملك فيتصرف مالكها بدرها ووبرها وجلدها ولحمها ويعمل مطلقاً في الاستمتاع بها لا ينازعه منازع . بل عهدناك تواسي الضعيف ولا تجور على الفقير وتحسن للعلماء وتفضل على الفقهاء والادباء والشعراء وتصرف فضل اوقاتك في التأليف والتصنيف ياثاني المأمون بعلمك وعقلك وثاني صلاح الدين بعدلك وجهادك .

ابا الفدا ان قومك اغفلوك وسيرتك بل اهملوا ضربك ولو ذكروك لساروا ولو قليلاً على سننك المحمودة فعلمت الملوك من بعدك بسيرتك الطاهرة كما كنت في عصرك خير معلم للملوك العادلين والعلماء العاملين

اباالفدا ان الملوك بعد عصرك جمعوا كثيراً واضاعوا كثيراً جمعوا فكان ملكك بجانب ما ملكوا جزءاً صغيراً جداً وماخلفوا الا ما تحمر وجوههم خجلاً منه و يأتون في الآخرة وقد شهدت عليهم لا لهم اعمالهم وانت سعدت بمن وليت عليهم وسعدوا بك فأبقيت ذكراً لا تمحوه الايام

انت علمت الخلق بان القليل مع العقل يستفاد منه اكثر من الجزيل بدونه وان وفرة المال والا قار لا تكون من السعادة في شيء اذا لم تسبقها نفس مهذبة بالآداب والفضيلة وعقل يحسن التصرف بما يملك .

من لي بنظرة منك لترى ما حل بالعرب اليوم من التمزيق والتفريق والفساد في المعاش والمعاد والجهل المطبق وضعف العقول . ثم اخلاف من حكمت للذلة وخنعوا للاستبداد وتفرقوا تحت كل كوكب فرثى لهم الصديق وشمت بهم العدو وخانهم الدهر وكل ذلك بما فعله سفهاء الاحلام من امرائهم وعلمائهم انهم كانوا ظالمين .

قم وانظر فقد بدلت الارض غير الارض بعد عصرك . اخترع الافرنج في زماننا البخار والكهرباء ووفروا مرافق الحياة وقربوا الابعاد وحسنوا العيش اما قومك فليس

لم من مدنية القرون الاخيرة الا النظر وزادوا على جهلهم فساداً في اخلاقهم بحيث لم يبق لم من الامجاد الا ان يعودوا الى صحيفة اجدادهم و يفاخروا بما تم عَلَى ايدي امثالك كالقرعاء تفخر بشعر أمها او العجوز الشوهاء لا تفتأ تذكر ماضي شبابها .

قالوا ان نظام الحكومات بعد ايامك ارتقى وانكم كنتم في عصر تقل فيه القوانين الوضعية وكان اكثر العمل بالقوانين السماوية فمن لنا بعصرك فان القوانين الوضعية ارتقت ولكن عند غيرنا من اهل الغرب والقوانين السماوية اعرضنا عنها الا قليلاً فلم نحسن تقليد المقتبين المحدثين ولا احتفظنا بتراث الاقدمين فكنا كالعقعق اراد ان يمشي كالحجل فنسي مشيته ولم يمش مثله بل كنا من الاخسرين اعمالاً

الا عطفة من نظراتك الرشيدة ايها الكريم تنظر امتك الآن الى الانقراض اقرب منها الى البقاء : كل يوم تصغر رقعة بلادها و يتحيفها الخراب و ينقصها من اطرافها تحاول تقليد الراقين من الامم فلا نراها تستطيع الا تقليدها في الموبقات والشرور لا في مقومات الحضارة واساليب النهوض .

رحماك ابا الفدا ان امثالك انفقوا اموالهم واموال الامة في شهواتهم عَلَى المغنين والمغنيات والكواعب الغانيات وانت انفقتها عَلَى العلم والعلماء . انهم اذا كانوا جهلة اغبياء فقد كنت العالم المؤرخ الجغرافي الطبيب الحكيم الفلكي ومصنفاتك شاهدة لك عَلَى غابر الدهر بانك عالم الملوك وملك العلماء . خلد اضرابك بسيرتهم صيت بطش وفتك وقطع وقت في العبث وانت اقمت نصاب العدل عَلَى من وليت امرهم فكانت ايامك رياض الازمنة و بهجة العصور فجزاك الله عن أمتك اجزل ما يجازي ملكاً صالحاً عن رعيته وعالماً عاملاً يخدم الناس بعلمه وفضيلته

المملكة الحمصية

ربما يستغرب بعضهم اطلاق لفظ مملكة عَلَى حمص فقد كانت عظيمة في الجاهلية والاسلام . كانت الشام عَلَى عهد الروم مقسومة [1] اربعة اقسام قسم قصبته دمشق وقسم قصبته طبرية وتسمى الاردن وقسم قصبته حمص وقسم قصبته ايليا (القدس) وتسمى فلسطين وكان لهم في كل عمل بطريق من البطارقة يحفظه و بعث الخليفة الاول لما اراد فتح الشام الى كل عمل جنداً وأمر اميراً فبعث الى حمص ابا عبيدة بن الجراح وسميت هذه الاعمال يومئذ اجناداً وكانت قنسرين مضافة الى حمص ثم افردت

(١) نخبة الدهر

الى حمص ثم صار الشام في خلافة الرشيد مقسوماً الى ستة اجناد ثم قسم في الدولة التركية الى تسعة اقسام منها قسم مملكة التتار والارمن والروم وانفصل عن الشام وسمي روماً .

وكانت اقاليم حمص [1] عبارة عن اقليم حماة واقليم شيزر واقليم فامية واقليم معرة النعمان واقليم صوران واقليم لطمين واقليم تل منس واقليم الغلاس واقليم كفر طاب واقليم جوسية واقليم لبنان واقليم الشعرة وخمسة اقاليم الثنة واقليم البلعاس واقليم البارة واقليم الرستن واقليم زمين واقليم القسطل واقليم سلمية واقليم عقيرتا واقليم الجليل واقليم السويداء ورفنية وتدمر . وخراج حمص ثلثمائة الف واربعون الف دينار

وكان يحد عمل حمص في القرن الثامن من القبلة قرية القصب [2] المجاورة لقرية جوسية — وجوسية — من كور حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق تمر بها السكة الحديدية بين بعلبك وحمص وهي بين جبل لبنان وجبل سنير [3] (قلمون) — آخذاً هذا الحد الى النبك الى القريتين ومن الشرق السماوة الى الفرات ينتهي الى مدينة سلمية ولها قلعة تتاريها تعرف بشميش ومن الشام مابين سلمية الرستن ومن الغرب نهر الارنط وهو العاصي ومدينة هذه الصفقة حمص وهي دار ملك البيت الاسدي ولم يزل لملكها في الدولة الاسلامية سطوة تخاف وبأس يحذر وبها القلعة المصفحة ولا منعة لها ولها بناية جليلة وعسكر وتشتمل هذه الصفقة على ولاية قارا وهي قبلي حمص وولاية مدينة حمص نفسها وولاية سلمية وولاية تدمر وهي مابين القريتين والرحبة .

هذه المدينة العظيمة التي كانت مملكة وولاية الى القرون الوسطى ضعفت في القرون الحديثة حتى اصبحت اليوم قضاء من عمل حماة واما تاريخها قبل الاسلام فقد ورد ذكرها في مصنفات بلين الروماني باسم اميزا (Emèse) Hemisa

وذكر الحمصيون قبل عهده في جملة سكان الخيام Scénites الذين قاتلهم الرومان ومن مشاهير حمص قبل الاسلام هليوكابال رو باسانيوس الكاهن الاعظم في معبد الشمس (بعل) في حمص الذي بويع امبراطوراً رومانياً سنة ٢١٧ وقد استولى الصليبيون على حمص سنة ١٠٩٩ م .

ولحمص وجند حمص ذكر كثير في كتب الفتوح [4] منها ان اهلها صالحوا اباعبيدة

(١) ابن خرداذبة (٢) ابن فضل الله العمري (٣) ياقوت الحموي (٤) فتوح البلدان للبلاذري

على مائة الف وسبعين الف دينار وذلك لان الحمصيين كانوا مخوفين لحرب هرقل عنهم وما كان يبلغهم من كيد المسلمين و بأسهم وظفرهم فامنهم الفاتح على انفسهم واموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وارحائهم واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخراج على من اقام منهم وقسمت حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها واسكنهم عاملها السمط بن الاسود الكندي في كل مرفوض جلا اهله او ساحة متروكة و كانت مدينة حمص مفروشة بالصخر فلما كانت ايام احمد بن محمد بن ابي اسحاق المعتصم بالله شغبوا على عاملهم الفضل بن قارن الطبري اخي مايزديار بن قارن فامر بقلع ذلك الفرش فقلع ثم انهم اظهروا المعصية واعادوا ذلك الفرش وحاربوا الفضل بن قارن حتى قدروا عليه ونهبوا ماله ونساءه واخذوه فقتلوه وصلبوه فوجه احمد بن محمد اليهم موسى بن بغا الكبير مولى امير المؤمنين المعتصم بالله فحاربوه وفيهم خلق من نصارى المدينة و يهودها فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم باقيهم حتى الحقهم بالمدينة ودخلها عنوة وذلك في سنة ٢٥٠ . قال البلاذري وبحمص هري[٢] يرده قمح وزيت من السواحل وغيرها مما قوطع اهله عليه وسجلت لهم السجلات بمقاطعتهم

وفرش طرق حمص بالصخر قديم جدد مرات قال ابن حوقل ان جميع طرق حمص من اسواقها وسككها مفروشة بالحجارة والبلاط وذكر الجغرافيون (١) من حسن بناء حمص انه لا يوجد بها دار الا وتحتها في الارض مغارة او مغارتان وماء ينبع للشرب وهي مدينة فوق مدينة . وقال بعضهم ان مدينة حمص هي سوريا و كان بها مرصدان اشبه بالمرصد الذي كان عند عين الهرمل وهو من مراصد الصابئة .

قلنا ان الفاتح صالح اهل حمص على ربع كنيستهم للمسجد وقد ظلت كذلك الى القرن الرابع (٣) وبعض يعتها المسجد الجامع وشطرها للنصارى فيه هيكلهم ومذبحهم وبيعتهم من اعظم بيع الشام . وقد دخلها الروم في الاسلام مرات واخربوها واتوا على سوادها وزاد اختلالها بعد دخول الروم اليها ثم ان قوماً استوطنوا بمن سلم من الروم فاتت البادية عليهم تأكل زروعهم كما كان يحدث ذلك لها الى عهد غير بعيد حتى القرن الماضي .

سكان حمص والحمصيون

الارجح ان سكان هذه البلاد مزيج من امم مختلفة باختلاف الفاتحين ففيهم دم من

(١) شيخ الربوة (٢) ابن حوقل (٣) بالفم بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان

معظم الاجناس التي حكمت هذه البلاد واهم عناصرها الحثيون والروم والعرب فما « وقع في ديار كلب (١) من القرى تدمر وسلمية والعاصمية وحمص وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر و كفرطاب لكنانة من كلب » وحمص كدمشق وما يليهما ديار غسان من آل جفنة وغيرهم ·

اما الحثيون (٢) فهم جنوبيون وشماليون وكان الجنوبيون في جهات فلسطين والشماليون نزلوا اولاً جبل اللكام « امانوس » ثم انتشروا بكرور الايام من الفرات الى حماة وحمص ومن دمشق وبرية تدمر الى كبدوكيا · ويظهر من الآثار المصرية انه لم يكن لهم ملك واحد بل كان لكل فصيلة منهم ملك

ولم يعرف شيء عن الحثيين الشماليين قبل ان يمر الرحالة بروكهارت الانكليزي بحماة سنة ١٨١٢ ويرى على جدار ازقتها خطوطاً قديمة بالخط المسند المصري اي الهيروغليفي تختلف عن الآثار المصرية ثم جاء بعده بعض رحالة من الاميركان والانكليز · واخذ العلماء بالتنقيب عن امثال هذه الآثار فعثروا على كثير منها في حماة وحمص وحلب ومرعش وكركميش (ايرابوليس) وفي كبادوكيا وفي محال اخرى من آسيا الصغرى وقد علم من هيئة وجوه الحثيين الشماليين على مارسموا في الآثار المصرية انهم اقرب الى الروتانو (كذا تسمي الآثار المصرية شعباً كان يسكن سورية الشمالية قبل الحثيين اوفي جانبهم) منهم الى سكان فلسطين ولون وجوههم ابيض ضارب الى الحمرة ·

قلنا ان اول محل احتلوه اودية جبل اللكام ثم اخذوا يبسطون ولايتهم شيئاً فشيئاً نحو الشرق والجنوب حتى اتصلوا شرقاً الى الفرات فاستحوذوا على كركميش وغرباً الى وادي العاصي فاستولوا على حماة ثم على قادس في جانب حمص ثم غالبوا الآراميين في دمشق نفسها فحكموا فيها مدة وبسطوا سلطانهم في وقت غير معلوم الى الشمال والشمال الغربي حتى ضبطوا آسيا الصغرى

وقادس كانت في برية حمص (٣) وقد صورت على الآثار المصرية لان رعمسيس الثاني احد فراعنة مصر حاصرها ايام غزا فراعنة الدولة الثامنة عشرة سورية وبلاد اشور مرات ثم ضعفت مصر في آخر ايام هذه الدولة فنبذت سورية وفلسطين طاعتها

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني (٢) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس

(٣) هي قدس قال ياقوت انها بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنة واليه تضاف بحيرة قدس

وكان الحثيون في هذه الاثناء تغلبوا على الروتانو في شمالي سورية واجلوهم من عقر دارهم وانضموا في مملكة واحدة فسيحة الارجاء تنبسط من شاطئ الفرات الى جبل طوروس والى البحر المتوسط وتمتد جنوباً الى قادس بل الى دمشق ايضاً

اخفق رعمسيس الاول في اعادة سورية الى طاعته لان خصومه فيها كانوا قد جمعوا شملهم وقد لاحظ مسبرو في تاريخ الشرق ان الفراعنة لم يكونوا الى تلك الايام يعتبرون ملوك سورية بمنزلة ملوك مساوين لهم او نازلون اقد صلح معهم بل كانوا يحسبونهم امراء ينكلون بهم اوعصاة يجرون عقابهم وكانت نهاية الحروب معهم صاغرين دون شرط او تدميرهم التام

والظاهر من الآثار ان ساتي الاول ابن رعمسيس اراد ان يستبيح حمى الحثيين فقاتلهم قرب العاصي على قلعة قادس وطالت الحرب الضروس وتعددت المواقع الى ان انتهى المصريون واستماتت الحثيون في الدفاع حتى اعيوا فرعون فاضطر ان يوقع على عهدة صلح مع موثنار ملكهم عهدة ضمنت له سلامة ملكه حتى ردت عليهم قادس مدينتهم وبعد حروب طويلة على عهد رعمسيس الثاني مع الفينيقيين وقد كانت الامتان المصرية والحثية من اهراق الدماء وعقدتا عهدة صلح وجدت صورته منقوشة على ظاهر جدار هيكل الكرنك بمصر انقطعت سائر الغزوات بين المصريين والحثيين مئة سنة وتزوج رعمسيس بابنة ملك الحثيين فتوطدت دعائم الوفاق بين الشعبين

ويتلخص من اخبار تغلث فلازار الاول ملك نينوى وكان نحو سنة ١١٣٠ ق٠م انه كان للحثيين في عهده صولة كبرى في شمالي سورية خاصة حتى كانت البلاد تسمى باسمهم اي بلاد الحثيين وكانت ولايتهم تمتد من لبنان الى الفرات وكانت بلاد الآراميين خاضعة لسلطانهم وتنبسط ولايتهم شمالاً الى مدخل البحر الاسود فتؤدي اليهم الجزية قبائل كبادوكيا (في آسيا الصغرى) وكانت عاصمة الحثيين كركميش ٠ وكانت كركميش هذه في محاربة الاشوريين للحثيين ما كانت قادس في محاربة المصريين لهم فكانت قادس حصناً منيعاً يحفر طريق آسيا في وادي العاصي وكركميش مثلها على الفرات وتفضلها بانها كانت محطة تجارة ايضاً بين مغرب آسيا ومشرقها ٠

وقد اكتشفت آثار مدينة كركميش سنة ١٨٧٥ وكان اسمها عند العرب جرابولس ويسميها الاتراك جرابيس محرف هيرابولس اي المدينة المقدسة وموقعها على الفرات في الشمال من نهر الساغور المعروف الآن بالساجور وفي الشرق من حلمان او حلفان وهي

حلب ومن خرزاز المعروفة الآن باعزاز في قضاء كلس وفي الجنوب من بلاد كمكوما المعروفة الآن بالمقبس فهي نحو الشرق من حلب واعزاز وعلى ضفة الفرات الغربية وعلى بعد ثلاث ساعات تحت الساجور وست ساعات من البيرة ·

جدد شلمناصر ملك اشور حملات ابيه على الحثيين بل قضى اكثر مدة ملكه يحاربهم ومن جاورهم · وكان من عادة الحثيين ان يرسموا خطوطهم نائتة لامحفورة فتطرق من الوراء على صفائح معدنية لتنتأ الحروف في جهتها الاخرى هكذا كانت عهدتهم مع مصر مكتوبة على صفيحة من فضة وتقرأ هذه الحروف تارة من اليمين وتارة الى الشمال وتارة بالعكس فان كانت رؤوس الحيوانات المصورة بها متجهة الى اليمين فتقرأ منها وكذلك ان كانت الى الشمال وتقرأ احياناً من اعلى الى اسفل ومن اسفل الى اعلى · واما اللغة المكتوبة فيها هذه الخطوط فيرجح انها ليست من اللغات السامية فالاعلام المذكورة في الآثار المصرية والاشورية قل فيها ما يمكن رده الى اصل سامي

واشتهر الحثيون بالنحت كما تشهد لهم آثارهم الباقية ولا سيما في حصون بوغازكوي وايوق في آسيا الصغرى واتقنوا فن تحصين الحصون واستخراج المعادن وصناعة تحويل الحديد فولاذاً وقد اخذ اليونان اشياء كثيرة في صناعتهم عن الحثيين · قال سايس في كتاب الحثيين ان مصدر فلاح اليونان هو الحثيون الذين افتتحوا آسيا الصغرى من اقدم العصور ويظهر ان صناع الحثيين الفوا من صناعة مصر ونينوى وبابل اسلوباً خاصاً بهم واخترعوا صوراً منها النسر ذوالرأسين الذي صار بعد ذلك شعاراً للسلاطين السلجوقيين ولبعض ملوك اوربا اما ديانة الحثيين فيظهر انهم اقتبسوها عن بابل وبثوها في سورية وآسيا الصغرى وتطرقت الى بلاد اليونان فان معبودات البلاد المذكورة واحدة وان اختلفت اسماً ·

نبذة في عمران حمص

ليس في الايدي مصادر يعتمد عليها لاصدار حكم مسمط على عمران حمص في القرون المختلفة وغاية ما يفهم من روايات مؤرخي العرب وجغرافييهم ان حمص في الاسلام كانت عامرة وان الزلازل اضرت كثيراً بعمرانها وان مدينة الرستن من الشمال وجوسية من الجنوب والقريتين ومهين وحوارين وتدمر من الشرق كانت من اهم عمالاتها قال ابو نخيلة يمدح بني العباس ويشير الى انهم دكوا آثار الامويين في الشام :

وامست الانبار داراً تعمر   وخربت من الشآم ادوُر

حمص وباب التين والموقر ودمرت بعد امتناع تدمر

والموقر حصن بالبلقاء وكان ينزله الامويون وكذلك حمص وباب التين وتدمر وانا اذا اخضنا عباب معجم البلدان نقرأ فيه اسماء مدن كثيرة اكثرها داثر اليوم فمنها مدينة « المؤتفكة » كانت بقرب سلمية وعلى آثارها بنيت هذه وسلمية اليوم لحمص فضلاً من اعمال حماة ومنها « مريمين » وهي من قرى حمص بين الرستن وحماة معروفة الى اليوم و « مرقية » قلعة حصينة في سواحل حمص كانت خربت فجددها معاوية ورتب فيها الجند واقطعهم القطائع و « لطمين » كورة بحمص ولها حصن و « كفر نغد » ولعلها كفرنان و « القرشية » قرية بسواحل حمص وهي آخر اعمالها و « نوز » من قرى حمص ولعلها محرفة عن فيروزة و « غنثر » واد بين حمص وسلمية والشام في قول ابي الطيب :

لحظا بالغنثر البيداء حتى تحيرت المتالي والعشار

و « عقيربات » ناحية بحمص لا تزل موجودة و « الطوبان » و « صوران » اسم كورة بحمص وجبل و « شيزر » بينها وبين حماة يوم كانت تعد في كورة حمص و « سلمية » كانت تعد من عمل حمص كذلك و « رفنية » كورة ومدينة من اعمال حمص يقال لها رفنية تدمر . و « الرستن » قرية مشهورة قال ياقوت : بليدة قديمة كانت على نهر الميماس وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر قدام حماة والرستن بين حماة وحمص في نصف الطريق بها آثار باقية الى الآن تدل على جلالتها وهي خراب ليس بها ذو سري . وهي في علو تشرف على العاصي . و « دير ميماس » بين دمشق وحمص على نهر يقال له ميماس واليه نسب وهو في موضع نزه . ولعله المتنزه الذي يقال له الميماس اليوم ظاهر حمص و « دير مسحل » بين حمص وبعلبك لا يعرف اليوم ولعله بعض الخرب التي لم تشتهر الا عند سكانها

و « دير باعنتل » غير معروفة وهي « من جوسية على اقل من ميل وجوسية من اعمال حمص على مرحلة منها على طريق دمشق وهو « الدير » على يسار القاصد لدمشق وفيه عجائب منها آزج ابواب فيها صور الانبياء محفورة منقوشة فيها وهيكل مفروش بالمرمر لا تستقر عليه القدم وصورة مريم في حائط منتصبة كما امت الى ناحية كانت عينها اليك » و « دنوة » كانت من قرى حمص بها قبر عوف بن مالك الاشجعي من الصحابة سألت عنها فلم يعرفها احد مع ان قبور الصحابة والصالحين معروفة في الاكثر ولعلها في الوهم فان وعر حمص كبير فيه آثار مبهمة وهو يمتد من حمص الى قرب طرابلس واكثره

وعر ومن حمص الى قرب حماة فما يمد و « دير اسحاق » غير موجود وهو بين حمص وسلمية في احسن موضع وانزهه ويقربه ضيعة كبيرة يقال لها جدر التي ذكرها الاخطل فقال :

كأنني شارب يوم استبد بهم ... من قرقف ضمنتها حمص او جدر

ولاهل التصف والشعراء فيه اشعار كثيرة :

و « حوط » قرية بحمص او بجبلة من ساحل الشام غير معروفة و « الحص » غير موجودة وهو « موضع بنواحي حمص تنسب اليه الخمر قال ابو محجن الثقفي :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة ... تروّي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فانني ... أخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

وتروي بخمر الحص لحدي فانني ... اسير لها من بعد ما قد اسوقها

وكانت « انطرطوس » اول اعمال حمص وهي من سواحل بحر الشام وكذلك « افامية » كورة من كور حمص عَلَى الساحل و « اعناز » بلد بين حمص والساحل . وعن ابن واضح « معرة النعمان » و « تل منس » وما والاها من اقليم حمص . و « الجبل » كورة بحمص و « بيرين » من قرى حمص و « بانياس » كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص عَلَى البحر . و « بكسرائيل » حصن من سواحل حمص مقابل جبلة

هذه هي حمص وبعض ما عثرنا عليه من اسماء قراها واعمالها اما اسماء قراها الاميرية فاليكها الآن وعددها ١٣٧ قرية ننقلها عن سجلات الحكومة :

ابودالي ٠ احارتين عتيق ٠ ام شرشوح ٠ ام القصب ٠ ام حارتين يهودية ٠ ابو همامة (الاصل ابو امامة ونسبته الى الصحابي المدفون بها) اكوم ومعيان ٠ ام العظام ٠ آبل ٠ اكراد دياسنه ٠ اعور ٠ ام دولاب ٠ باباعمرو ٠ بلقسه ٠ برابو ٠ بريج ٠ بتيسه ٠ بويضة شرقية ٠ بويو ٠ برج قعية ٠ تلعمري ٠ تلبيسة ٠ تلدو ٠ تلذهب ٠ تارين ٠ تيرمعلة ٠ تسنين ٠ تلني مندو (تل النبي مندو قبلي حمص الى الغرب عند مصب العاصي عَلَى البحيرة) ٠ ثنونه (وقف جامع خالد بن الوليد) تليل ٠ جرنايا ٠ جوبانية ٠ جوسية (قبلي حمص منها خراب وعمار فالعمار من سكة الحديد للغرب والخراب في الشرق وهي البلدة الاصلية) ٠ جديدة شرقية ٠ حفر ٠ حمام ٠ حلاموز ٠ حوارين ٠ حدائة ٠ حيصة ٠ حاويك ٠ حديدة العاصي ٠ حوز ٠ حسية ٠ حميديه ٠ حميمة ٠ خربة السودا ٠ خربة حمام ٠ خربة تين نور ٠ خربة تين محمود ٠ خربة غازي ٠ دنحة ٠ دبين ٠ دير بعلبه ٠ ديرفور ٠ دمينة شرقية ٠ دوير ٠

دار الكبيرة · دلبوز · دمينة غربية · رستن · رام العنز · ريلة · ريان · ربيعة · رأس العين · زورغربي العاصي · زور الموح · زعفرانة · زيتة وبويضة غربية · زراعة · زيدل · زور بقرايا · زيتا البحرة · سماقيات غربية · سماقيات شرقية · سمعليل · سكرة · سقرجه · شنشار · شمسين · شومرية · شيخ حميد · شرقلية · صيادية · صنون · صدد · حفر · طيبة · عين ظاط · عين حسين · عز الدين · عامرية · عسيلة · عرقاية · عيصون وشلوح · عرجون · غزيلة · تجراميز · غنثر · غنطو · غور · فيروزة · قطينة · قريتين · قنافيه · قزحل · فيرانية وحوش السيد علي · قصيرميري · قره وشر (ولها اسم ثان وهو تل الاثور) كفرعايا · كفرموسى · كفرلاها · كفرمهدي · كفرنان · كام · لفتايا · مجيدل · مشرفة · مسكنة · مهين · مودان · مباركية · مرج القطا · مرج بولاد · منقطع · متعارض · ميصرة · مطيرية · نوبجة · ناعم · انثيرة · هرقل · هبوب الريح · هيت · وجه الحجر · بويت

وهناك اراض كانت للسلطان المخلوع عبد الحميد ثم أديرت الى الخزينة وهاك اسماءها: قرية قصير ورمزون دباية · خربة الضبعة · كوكران · دحيرج · هزة · مضابع · عباسية · صايد · فرقلس · برهانية · بلها · رقامة · منزول · شعيرات · وازعية · حربية · عزيزية · حمرات · وهيب · دردغان · عاليات · نحيله · تلة الناقة · خرابة قنية · فيضة · بسبة · حولاية · دوبليب · مخرم فوقاني · مخرم تحتاني · تل الطويلة · سليمية · نواء · حميدية — ام العمد · شوكتية · جهنم · وريدة · جب عباس · تل الاغر القبلي · جوصة الخراب (قبلي الخط الحديدي وغربيه) · ام التين · سنكري شمالي · سنكري قبلي · ام العلب · تل الورد · دويعر شرقي · دويعر غربي · مسعودية · ام السرج شمالي · ام السرج قبلي · ام الجباب · جنينات · حراقي · لثنان وام قدوم · قطيم العرنوق · عيون حسين · مسيعيد · مكسر الحصان · هبرة غربي · هبرة الشرقية (ولها اسم آخر مزرعة هنداوي) · مزرعة جب الجراح · مزين البقر · تلول الهوا · رحوم · مزرعة ام صهيريج · مشيرفة · ام جامع

هذه اسماء قرى حمص وخرائبها وبعضها نائية جداً عن مركز الحكومة وخرب لعيث البادية فيه مثل القريتين مثلاً فلو جعلت القريتين قضاء مع ما يصاقبها من القرى والمزارع وكذلك جب الجراح لزاد العمران والسكان لا محالة وخصوصاً اذا باعت الحكومة مزارعها وخربها من الاهلين بيدل المثل اذاً لاشتراها الحمصيون انفسهم لان من اهلها من هو غني

جداً يتساوى في ذلك مسلوهم ومسيحيوهم فالزراعة بيد المسلمين والتجارة بيد المسيحيين وكثير من الفريقين هاجروا الى مصر واميركا فاغتنوا وتأثلوا حتى ان اهل حمص سموا لهم مدينة باسمهم في الولايات المتحدة على نحو ما سمى جدهم مدينة باسمهم يوم فتحوا بلاد الاندلس ·

قال ياقوت ان في حمص مدارس وقال ابن جبير ان بها مدرسة واحدة وليس بها مستشفى على رسم مدن هذه الجهات مثل حماة وغيرها اما اليوم فليس بهـا مدارس دينية مهمة فيما علمت سوى بعض مدارس للعلوم الدنيوية مثل مدارس الروم والكاثوليك والبرتستانت و بعض مدارس حديثة اهلية أنشئت للمسلمين و بها مدرسة رشدية اميرية و بها مطبعتا اسمها حمص تطبع جريدة حمص وجريدة جادة لرشاد وغيرها · وثلث اهل حمص غير مسلمين والباقون مسلمون وكان اهلها كما قال ياقوت « من اشد الناس على علي بن ابي طالب فلما انقضت تلك الحروب صاروا من غلاة الشيعة حتى ان في اهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية واصلهم الامامية » اما ماقاله كثير من المؤرخين والعمرانيين في ان البله يكثر في اهل حمص منذ القديم فهو مشهور عن عامتها لاعن خاصتها فقد اشتهروا بذلك فصار يتناقل عنهم القرن بعد القرن وما خلا قرن فيها من خاصة فضلاء عقلاء ودليل عقلهم اليوم انهم كانوا بعد الدستور اسبق البلدان السورية الى ورود حياض المدنية وقد انتفعت بلدهم بمد السكة الحديدية العريضة الممتدة منها الى طرابلس وكانت البضائع تصدر منها وترد على الجمال والبغال والمركبات والحوافل وسيزيد عمرانها يوم يمتد منها خط حديدي ضيق الى تدمر ويجيئها السياح بالالوف وتحمل اشعة المدنية والامن الى تلك الربوع في الداخلية وتعيد الى تدمر واربأضها عهد زنوبيا

يوم في بحيرة قدس

من يزور حاضرة من الحواضر ولا يشهد ربفها وقراها تظل معلوماته عنها قليلة و يظل مقلداً فيا يكتبه وما كان المجتهد كالمقلد سواء في شؤون الدين والدنيا · دعاني صديقي وصفي افندي الاتاسي الى قريته فروشر فركبت واياه عربة حتى وصلناها في ساعة وهي في جوار بحيرة قدس فجمعنا بين ثلاثة امور نافعة الرياضة في الخلاء والاطلاع على نموذج من قرى حمص وزيارة تلك البحيرة التي كان لها ذكر في تاريخ سورية القديم كما نسمع اليوم باسم خزان أسوان في مصر للتشابه بينها فخزان حمص يسقي تلعات وادي العاصي وخزان أسوان يسقي تلعات وادي النيل ·

وطول هذه البحيرة الصناعية ساعتان وعرضها ساعة وقد نسبت لقدس عاصمة الحيثيين اوقدشو عاصمة الحثيين الثانية يجتازها العاصي وهي ممدودة من مسافة كيلومترين وهناك برج قديم على الشاطئ الشرقي وعدة قرى ·

وقد وصف جغرافيو العرب هذه البحيرة فقال شيخ الربوة ان بحيرة حمص وهي بقعة محفوفة ببناء جص محكم وفيها اسماك كثيرة كبار ثم يخرج منها الماء عكراً مثل ماء النيل ولا يصفو بعد ذلك الى ان يدخل ارض الروج ويصل الى السويدية ويصب في البحر الرومي · وذكر ياقوت ان طولها اثنا عشر ميلاً في عرض اربعة اميال وهي بين حمص وجبل لبنان تنصب اليها مياه تلك الجبال ثم تخرج منها فتصير نهراً عظيماً

وقال ابو الفدا ان طولها من الشمال الى الجنوب نحو ثلث مرحلة وسعتها طول السد وهي مصنوعة على نهر الارنط فانه قد صنع في طرف البحيرة الشمالي سد بالحجر من عمارة الاوائل وينسب الى الاسكندر وعلى وسط السد المذكور برجان (الآن برج واحد) من الحجر الاسود وطول السد شرقاً وغرباً الف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعاً وعرضه ثمانية عشر ذراعاً ونصف ذراع وهو حابس لذلك الماء العظيم بحيث لو خرب السد سال الماء وعومت البحيرة وصارت نهراً وهي في ارض مستوية وهي عن حمص بعض يوم في غربيها ويصاد بها السمك اه ·

اذكرتني هذه البحيرة او السد او الخزان عما في بلاد الشام من الانهر والخلجان والبحيرات الكثيرة التي يذهب ماؤها بداداً ولا ينتفع به في السقيا وقد كان القدماء اعرف بما ينفع من هذا القبيل من اخلافهم سكان هذه الديار اليوم وذلك على قلة ما كان في عهدهم من الادوات التي احدثتها مدنية الغرب وتقدم فنون الحيل (الميكانيك) والهندسة والبناء · ولذلك رأينا اعمال اسلافنا شاهدة على الدهر بعظمتهم وان عقولهم كانت ارقى من عقولنا واعمالهم افخم من اعمالنا

في سورية انهار كثيرة تجري ولا من ينتفع بها من سكان الجوار فلو وقع الانتفاع بمياه نهر الفرات والعاصي وابراهيم والاردن والليطاني والازرق كما ينتفع بمياه نهر الكلب وبردى والاعوج مثلاً لاخصبت كثير من الاراضي التي تحرم من المياه اليوم وكان في المكنة ان تسقى سيحاً وتغرس فيها انواع الاشجار

لا تشكو سورية في عمرانها قلة الايدي العاملة ولا النفوس الذكية ولا قلة الخصب وسعة الرباع والاصقاع ووفرة الامواه وجودة الاهوية بل انها تشكو من قلة من يفكر

في الانتفاع من ثروتها الطبيعية ولو كانت هذه الحكومة تفكر في عمران بلادها على الاقل عَلَى مستوى ما تفكر روسيا مثلاً من دول الارض لاصبحت سورية في بضع سنين من اعمر الاقطار تشبه المانيا والنمسا وفرنسا ان لم تفقها لاعتدال الفصول الاربعة فيها. ولكن جرت الاقدار بان يتراجع عمراننا حتى اصبحنا بعد ان كانت سورية انبار العالم في الحبوب ونحن نجلب الدقيق من روسيا وآسيا الصغرى واميركا وفرنسا والحكومة ساهية لاهية لا يهمها الا قبض الضرائب والعشور ولو اوشكت البلاد ان تبور وفي المثل الفرنسوي ان الاراضي تغل عَلَى نسبة اقتدار من يقوم عليها

Tant vaut l,homme tant vaut la terre ولا عبرة في الثروة الا بما استخرج من كنوز الارض الا بما كان مذخوراً في عالم القوة

المملكة الطرابلسية

كانت طرابلس الشام ايضاً مملكة ايام حكومة الاقطاعات كما كانت صفد والكرك وحماة وغيرها من مدن سورية وكانت مدينة طرابلس او اطرابلس باثبات الف في اولها في رواية اعظم مدن هذه المملكة بل كانت طرابلس في القرن الرابع كما قال المقدسي اجل من صيدا وبيروت وذكر الظاهري ان طرابلس مدينة حسنة بها جوامع ومدارس واسواق وحمامات وعمائر حسنة وهي عَلَى شاطئ البحر المحيط يقال انها شامية مصرية لحسن هيئتها وكانت عَلَى عهده تشتمل عَلَى عدة مدن واقاليم وقلاع وقرى ومن جملة اعمالها قلعة صهيون في جبال الكلبية وقلعة المرقب وحصن الاكراد وقلعة قدموس واللاذقية وجبلة والكهف والرادفة وما والاها من القرى وتشتمل هذه المملكة الطرابلسية وتوابعها فيما قيل عَلَى قريب من ثلاثة آلاف قرية

وسمى شيخ الربوة مملكة طرابلس بمملكة الساحل وكرسيها طرابلس المستجدة بعد فتح طرابلس الشام بجيش المسلمين في مملكة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي قال: وبنيت هذه المستجدة في سفح ذيل من اذيال جبل لبنان بكورة من اكوار طرابلس بعدها عن طرابلس القديمة المخروبة نحو من خمسة اميال عَلَى شاطئ نهر يجري الى البحر (١) وهي سهلية جبلية بحرية برية يقلل الماء في جوانبها ولها قنطرة عَلَى واد بين جبلين يمر عليها الماء من منبعه اليها في ارتفاع نحو سبعين ذراعاً وطول هذه القنطرة نحو من مائتي ذراع والنهر يجري من تحتها الى سقي الاراضي ويصب في البحر الرومي

(١) يقال له اليوم نهر ابو علي وكان يعرف قديماً بنهر قاديشا اي المقدس

ولا يكاد يوجد فيها دار بغير شجر لكثرة تخرق ارضها بالمياه وهذا النهر ينبعث من جبل لبنان .
وقد جمعت في بساتين طرابلس من الفواكه ما لا يوجد في سائر الاقاليم اصلاً قصب السكر والجميز والحمضات الكثيرة الزائدة والدلتاس الذي لا يوجد مثله والثلج وسمك البحر الطري والطير الكثير ومجموعها لم يجمع في بلد غيرها ومن بلادها واعمالها الساحلية البترون وهو حصن من فتوح الملك المنصور وله عمل متسع وأنفة مدينة ساحلية محكمة البناء وانطرسوس مدينة ساحلية

وعدد من اعمال طرابلس حصن عرقا وحصن حلبا قال ولها عمل متسع به ولايات ومراكز ومن اعمالها جون ومنه رجليه (؟) والحصنان خراب في عصره ومدينة مرقية (مرقب ؟) وجومة عكار اي كورة عكار وجومة بشسريه والكورة والحدث باذيال لبنان ولها اعمال يزيد عددها على الف قرية . وحصن عكار (١) حصن منيع من بناء الاسلام وينصب اليه ماء من الجبل المطل عليه ويدخل الى القرية وحصن الاكراد حصن منيع مشرف بين الشام والسواحل ينظر الناظر منه الى الشام وقارى والنبك وبعلبك والى البحر والساحل .

قال ومن اعمال طرابلس المستجدة قلاع الدعوة وهي التي ملكها راشد الدين محمد تلميذ علاء الدين علي صاحب الالموت في العجم وهو صاحب الدعوة الاسماعيلية والحصون هذه هي حصون الخوابي وحصن الكهف وحصن القدموس وحصن العليقة وحصن المنيقة (البقيمة ؟) وحصن الرصافة باذيال طراز من جهة الشام وحصن ابي قبيس وثغر صياف وهو اهم هذه الثغور في اظهار الدعوة وارسال الرجال الفداوية الى البلاد والاقاليم في قتل الملوك والاكابر وحصن بلاطنس حصن منيع جداً وله احد عشر باباً كل باب فوقه باب وحصن المرقب ثغر منيع على رأس شاهق مطل على البحر كبير مثلث الشكل بناه الرشيد على اثر بناء قديم ثم بناه النصارى ثم ملكه المسلمون في عصره وعمروه وحصن صهيون حصن منيع عادي قديم البناء يقال انه من بناء أغسطس ملك رومية الكبرى المسمى قيصر وليس هو اغسطس صاحب التاريخ اليوناني وهذا الحصن صعب المرتقى على قبة جبل وعليه خمسة اسوار وله فرضة في الساحل في طرف دخله من الارض كالجزيرة من البحر

وذكر ان اللاذقية محاطة بالبحر من جهاتها الثلاث وهي اشبه بالاسكندرية في بنائها

(١) جبل عكار هو برجليوس القديم

وبأرضها معدن رخام ابيض واخضر موشى وبها دير الفارس من اعجب البناء في الدير وله يوم في السنة تجتمع النصارى اليه والميناء الذي باللاذقية من أعجب الموانى في البحر واوسعها لايزال حاملاً للسفن الكبار وعليه سلسلة من حديد حاصرة لمراكبه مانعة من مراكب العدو وفرضة بلاطنس مدينة جبلة بن الايهم الغساني جددت باسمه في صدر الاسلام وكانت مدينة عادية بناها الصابئة وفيها آثار مقر الملك الذي كانوا اصطلحوا عليه في زمن نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام وكان له سرب يركب الراكب فيه تحت الارض الى ظهر السفينة بالبحر ويركب في السفينة الى وسطه تحت الارض محجوباً .

وعد من عمل طرابلس مدينة بانياس فقال انها مدينة عبرانية يونانية رومية وبها انهار سابحة قريبة المنبع وبساتين كثيرة من اعجب بساتين الساحل وذلك ان حيطان البساتين متصلة بضرب موج البحر بغير حائل وبين بانياس وجبلة جزيرة صغيرة عند نهر غزير يسمى النهر الابتر وسمي بذلك لقصر جريته وقلة الانتفاع فلا يتشعب منه شعب ولا يتفرع فروع مع غزارته وقوته وعلى الجزيرة دمن حصن يقال له بلدة كان من احسن الحصون بناء وخربه اهله بايديهم دون غيرهم ودخلوا البحر من غيظهم بعضهم على بعض وهذه الجزيرة من اعجب الجزائر شأناً بالماء وذلك ان البحر محيط بنصفها واكثر والنهر محيط بالنصف الذي الى البر والماآن مختلطان فالنصف ملح اجاج والنصف عذب فرات وهما في النظر ماء واحد محيط به من سائرها . ومن اعمال طرابلس ايضاً البقيعة هي الحصن والناعم وجبال الصيربة نحو عشرين عملاً بين صهيون واللاذقية والى البترون والعاقورة

هذا وصف مملكة طرابلس وعملها في القرون الوسطى وحدها ابن فضل الله فقال من القبلة جبل لبنان ممتداً على ما يليه من مرج الاسل . حيث يمتد نهر العاصي ومن الشرق نهر العاصي ومن الشمال قلاع الدعوة ومن الغرب البحر وبلاد طرابلس لها قلاع وولايات فذكر من قلاعها حصن عكار وحصن الاكراد وكانت محل النيابة ومقر العسكر قبل فتح طرابلس وبلاطنس وصهيون ثم قلاع الدعوة وهي العليقة والمنيقة والكهف والمرقب والقدموس والخوابي والرصافة ومصياف وهي دار ملك هذه القلاع الاسماعيلية ولها على قلتها الرتب العلية واما ولاياتها فهي انطرسوس واللاذقية وجبة المنيطرة وبلاد الضنين (الضنية) ومنها بشريه وجبلة وانفة وجبيل وما لعل في تلك مما له ولاية

وبعض هذه البلاد اليوم تابعة للواء اللاذقية من اعمال ولاية بيروت والآخر من

لواء حماة من عمل ولاية سورية وغيره من عمل متصرفية جبل لبنان وبعضه من عمل طرابلس كحصن الاكراد وعكار وصافيتا ونواحي المنية وحذور والقنية وطرطوس وارواد وطرابلس هي احد الوية ولاية بيروت وهي اللاذقية وعكا ونابلس .

ويبدأ اول عمل لواء طرابلس من السفح الجنوبي من لبنان ومن السفح الشمالي من جبال النصيرية فهو بين منفسحي هذين الجبلين وتكثر انهاره واعظمها النهر الكبير في عكار ويسميه القدماء نهر ايلوتروس Eloutherus ومن ضفته الشمالية تبتدئ البقيعة وهي سهل فسيح اشبه بسهل البقاع في لبنان الشرقي

سميت طرابلس بهذا الاسم اي البلاد الثلاثة (تريبوليس) Tripoli لان مهاجري ثلاث مدن فينيقية وهي صور وصيدا وارواد بنوها وكان كل حي من احياء هؤلاء المهاجرين يفصله عن الآخر سور على ان اسم المدينة الفينيقي غير معروف على وجه الصحة وهذه التسمية اقرب الى الرومية ولعل طرابلس لم تؤسس الا قبل المسيح بسبعمائة سنة بعد تأسيس ارواد وقد جاء بعد بنائها من الصور بين والصيدونيين والارواديين دولة السلوقيين الرومية فامتلكوها في جملة ما ملكوه من بلاد الشام ثم الرومان فزينوها وانشأوا فيها ابنية فخمة اتت عليها كلها الزلازل المريعة التي اصابتها في عصور مختلفة ولما جاء الصليبيون الى طرابلس كان حاكمها ابن عمار من الحكام المستقلين بها فبدأ الكونت ريموند سان جيل من ملوك الصليبيين بحصارها سنة ١١٠٤ م وذلك بانشائه حصناً سماه الافرنج مون بلغرينوس Mons Bellegrinus وسماه المسلمون سان جيل او صان جيل ولم تؤخذ المدينة الا بعد خمس سنين وذلك باحراقها ومن جملة ما ذهب في حريقها طعاماً للنار مكتبة عربية مهمة كان فيها في بعض الروايات مئة الف مجلد وفي رواية اخرى اكثر من ذلك بكثير ودام حكم الصليبيين في طرابلس ١٨٠ سنة ارتقت في خلالها كما يقول مؤرخوهم على الرغم مما كان يتخلل تلك المدة من المصائب والحروب الاهلية واستعادها منهم سنة ١٢٨٩ السلطان قلاوون الصالحي سابع ملوك المماليك البحرية في مصر والشام وبناها في الداخل بعيدة عن الساحل كما مر آنفاً

ودخلت طرابلس في الحكم العثماني على عهد السلطان سليم يوم فتح الشام وظلت مدة تعلو وتسفل بحكم الاقطاعات شأن سائر المقاطعات والولايات وكانت مدة مركز ايالة ثم الحقت بولاية سورية يوم تأسيس الولايات وكان حظها ان تتبع بيروت يوم سلخت هذه عن دمشق واصبحت ولاية برأسها

تحتوي طرابلس من السكان عَلَى نحو ثلاثين الف نسمة وفي اعمالها زهاء ١٥٠ الفاً ومساحة قضائها ١٩١ كيلومتراً مربعاً ومساحة قضاء عكار ٢٨٥ وقضاء الحصن ٥١٣ وقضاء صافيتا ٤١٤ كيلومتراً والعنصر الغالب فيها المسلمون ثم يجيء اهل الاديان الاخرى ويقال ان اصل سكان طرابلس من جالية العجم ولذلك غلبت عليهم طباع اشبه بطباع الفرس من حيث الابهة والتأنق

كان المأمول ان ترقى مدينة طرابلس الشام لاتصالها بخط حديدي عريض مع بلاد الداخلية طوله من طرابلس الى حمص ١٠٥ كيلومترات ولكننا رأيناها هذه المرة عَلَى تلك الصورة التي رأيناها عليها منذ نحو عشر سنين لم تكد تخطو خطوة تستحق ان تذكر ولولاشيء من الموبقات الجهرية التي زادت فيها بدخول الاجانب وانتشار الحرية وكان بعضها موجوداً من قبل عَلَى صورة سرية لقلنا ان طرابلس هي هي منذ بضع سنين

ومن الغريب ان بعضهم لاحظ بان نفوس سكانها لم تزد زيادة تذكر في العهد الاخير مع ان اهلها ليسوا اكثر من سائر مدن سورية وقراها في حب الهجرة . ولولا قليل من الصحف انشئت فيها عقيب الدستور لكان يصح ان يقال ان الحركة العلمية لم تزل بحالها ايضاً . وقد اثر هذه السنة ماشوهد من النقص في حاصلات البلاد الداخلية لرداءة المواسم تخف اصدار الغلات من طرابلس وكانت بجمالتها التي تنقل الحبوب اليها في السنين الغابرة من جهات عكار والحصن وصافيتا وحمص وحماة وسلية اكثر حركة منها اليوم بسكتها الحديدية الجديدة ولكن هذه السنة لا تقاس عليها سائر السنين مادمنا موقنين بان الارتقاء بطيء الحصول كالانحطاط ولا بد من قضاء دور الحضانة في الحضارة والسكك الحديدية اذا مدت في الاصقاع المقفرة اعمرتها فما بالك بقطر مخصب البقاع والرباع جيد التربة ذكي الماء والهواء واسع المادة تجود فيه اكثر الغلات والثمرات .

اللهم ان طرابلس ستكون بعد بيروت اهم موانئ سورية بعد سنين اذا تعاضد اهلوها عَلَى مافيه المصلحة تعاضدهم يوم نالوا امتياز سكة حديد طرابلس — حمص وتركوا اشتغال بعضهم ببعض مما هو من شأن البلدان التي لاعمل لاهلها ينهضون به فلا يجدون تسلية لهم سوى الاغتياب والنميمة واكل لحوم بعضهم بعضاً وتسفيه آرائهم فتكون عاقبة ذلك التخاذل والتفاشل وذريعة الانحطاط المهين .

تمثل لنا في طرابلس كل التمثل ان العقلاء من المسيحيين احسنوا الانتفاع بالدستور اكثر من اخوانهم المسلمين فكان واسطة لنهوضهم اذ كانت لديهم مواد الارتقاء موفورة الا قليلاً فلما جاء دور العمل هبوا هبوباً محموداً ولولا داء الهجرة الذي تفشى اكثر من غيرهم ولا سيما بسبب الجندية لبلغ اخواننا في الوطن مبلغاً تحسدهم عليه حتى الامم الراقية

فعسانا نسمع عن هذا البلد الطيب كل ما يسر القلوب من دواعي الارتقاء فتقل وقائعها وحوادثها المزعجة وتكسد سوق الفسوق الرائجة بما ينهال عليها من اموال بعض اغنياء عكار والحصن وصافيتا ممن يقصدون طرابلس ليفجروا فيها ويتخلون برضاهم عن ملاحظة زروعهم وعمران بلادهم ·

واذا صح ما يسعى اليه بعضهم اليوم من نيل امتياز سكة حديدية من حمص الى تدمر والمسافة بينهما لا تقل عن مائتي كيلومتر تحمل القطارات الى طرابلس بغلات الداخلية من شرقي سورية كما ينقل الخط الحلبي محاصيل البلاد الشمالية

وبعد فقد اشتهرت طرابلس من القديم بمصنوعاتها الحريرية ولا سيما الزنانير الطرابلسية اللطيفة وكل صناعاتها قد نازعتها المصنوعات الاوربية اليوم وتوشك ان تبزها برخص اسعارها وجمالها الظاهري ومهارة المتجرين بها في قاعدة العرض والطلب ولكن اوربا لا تستطيع منازعة طرابلس ولا غيرها من هذه البلاد بمحصولات اراضيها وخصوصاً الثمار والبقول والغلات وفي طرابلس يجود البرتقال والليمون جودته في صيدا ويافا من بلاد الساحل وقد رأى ارباب الحدائق كيف ربحوا من اراضيهم منذ توفروا على زراعة هذه الشجرة المباركة

خاتمة

هذا ما شاهدناه ولاحظناه في الرحلة بين دمشق الفيحاء وحلب الشهباء سطرناه بعد الرجوع الى نصوص علماء التاريخ والجغرافيا من العرب خاصة وذلك بقدر ما سمحت الاحوال وقد استغرقت هذه السياحة عشرين يوماً ولو صرفنا اكثر من هذه الفترة والزمن وتتبعنا الاقاليم اقليماً اقليماً والكور الواحدة بعد الاخرى لاتينا من الفوائد باضعاف ما اتينا وكنا بما نجمع نستغني ببعض الشيء عن الغريبين فيما يتعلق على الاقل بتاريخ هذه البلاد وعمرانها وتقويمها والحمد لله في البادىء والخواتيم

مخطوطات ومطبوعات

المسالك والممالك

نشر علماء المشرقيات مئات من كتب العرب وقلما نشروا شيئاً الا وفيه فوائد جمة يتمم نقصاً في العلم ويسد ثلمة في الآداب والفنون . وممن عنوا بنشر كتب الجغرافية التي الفها علماء العرب الاستاذ دي غوي الهولاندي نشر في ليدن ثماني مجلدات لعلماء متنوعين في صور بلاد الاسلام وسماها المكتبة الجغرافية العربية كما نشر مستشرقو الاسبان بضعة عشر مجلداً في تاريخ الاندلس وسموها المكتبة الاندلسية ومن جملة تلك المجلدات الثمانية كتاب المسالك والممالك لابي القاسم محمد بن حوقل البغدادي من اهل القرن الرابع وقد اعتمد فيه على كتاب ابي القاسم محمد بن خرداذبة وقدامة بن جعفر الكاتب وابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وافاض فيه بذكر المفاوز والممالك والاقاليم والبلدان وطبائع اهلها وخواص البلدان في نفسها وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها وذكر الانهار الكبار واتصالها بشطوط البحار وما على سواحل البحار من المدن والامصار ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجار مع ما ينضاف الى ذلك من الحكايات والاخبار والنوادر والآثار .

هذا اقل ما يقال في كتاب المسالك والممالك واهم ما فيه ان مؤلفه رحمه الله كان في الجغرافيين كما كان المسعودي في المؤرخين ممن رحلوا من بلادهم وضربوا في طول الارض وعرضها ولذلك تكلم فيما تكلم عنه من البلاد عن ذوق ونظر واختبار فخرج من بلده وطاف كثيراً من اقطار العراق والجزيرة وارمينية وخراسان والجبال وفارس وماوراء النهر والسند والشام ومصر وبرقة وافريقية والمغرب الاقصى وصقلية والاندلس وغيرها من بلاد الاسلام ولم يتعرض للكلام على سائر الاقطار الا بحسب ما بلغه من الثقات عنها ولذلك جاء كتابه من اصح ما كتب في عصره لانه ميز بين الحق والباطل والحالي والعاطل .

وللمؤلف طريقة في التأليف والتحرز من الوقوع فيما يقع فيه اغلب مؤلفي القرون الوسطى ما لا يكاد يدانيه فيه كثيرون وكانت رحلته في التجارة على نحو ما كان شأن ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان من اكبر المساعدات له على احراز هذه الملكة واليك نموذجاً من احترازه خوف السقوط عند صيارفة النقد من بعد ان قال في كلام على اليمن :

« ويحكى عن بعض الغيلان بها ما لا استجيز حكايته لان المنكر لما لا يعلم اعذر من المقر بما يجهل » وهكذا تجده اذا شئت في الاخبار يقدم بين يدي نجواها قوله و يزعمون او يقال او و يروى ليكون المطالع عَلَى بصيرة مما يقرأه ·

وكتاب المسالك والممالك على صغر حجمه (٤٠٦ ص من قطع الوسط) فيه عدا وصف البلدان ذكر خراجها وثروتها كما مر آنفاً فهو ليس كتاباً في جغرافية الممالك بل في جغرافيتها الاقتصادية والسياسية والطبيعية يدهش المطالع لتقريرها ويتراءى له ان المؤلف من اهل القرن التاسع عشر او العشرين في اوربا واكثر ماذكره من هذا القبيل مما حققه بنفسه من مصادره لان رحلته وتنقله وبعد نظره مكنته من الاجتماع بالطبقة العالية من الحكام في عصره فوقف عَلَى ارتفاع الممالك وما تخرجه البلاد من الخيرات قال : « وفي ذكر البلد مايدل عَلَى ما كان عليه من العتاد والعدد ووصف ارتفاعه مايعرب عن حاله ومكانه و يغني عن ذكر شرفه وشأنه وكذلك كل بلد ذكرته واذكره فالعبرة بارتفاعه وجباياته هي التي تدل عَلَى قوته وقوة اهله اذ قوام الدنيا بالمال وهذه عبرة لجميع العقلاء ومرآة لسائر الفهماء وان خرج بالخصوص عن بحر العموم في هذه القضية قوم لم نحكم بهم ولم نلتفت اليهم · »

واذ كان المؤلف ممن يشتغلون بالمال وتنميته مع العلم والتأليف تراه يستدل احياناً عَلَى ثروة قوم بتزل بينهم بالسفاتج والاوراق المالية التي لهم فمما ذكر من هذا القبيل انه رأى في ايدي بعض التجار وسمى اسماءهم في صقلية والمغرب وغيرهما سفاتج كل سفتجة بار بعين الف دينار واكثر لصاحبها دين عَلَى آخر فاذا كان تاجر واحد له عَلَى تاجر آخر مثل هذا القدر فكم تكون ثروته · واليك هذه القصة التي رواها في غنى اهل سيراف ومنها تعلم عظم نفسه ايضاً وصورة من صور الخلاقة، قال: « ولقد رأيت بالبصرة منهم (اهل سيراف) ابابكر احمد بن عمر السيرافي في سنة ٣٠٥ وقد قدمت عليه بكتاب ممن يعز عليه في مهم له فاخذ الكتاب من حيث لم ينظر الي فقرأه ثم وضعه من يده ولم يعرفني لحظاً وسأله في الكتاب مخاطبتي على معانيه واستعلام ماعرض فيه من مخاطبته وما بينهما مما يجب وقوفه عليه من جهتي كالمستشهد بعلمي بعد تعريفه في الكتاب صورتي ومحلي منه ثم اقبل عَلَى بعض خدمه وذكر مراكبه وحاله فوثبت غيظاً وانا لا ابصر مابين يدي من شدة ما نالني وداخلني باعراضه فكأنه لحظ مكاني فقال : مافعل الرجل فقيل : ومن هو فقال : صاحب فلان فقيل له : و بصاحب فلان مافعلت هذا الانقباض لقد خرج

وهو لا يبصر ما بين يديه حنقاً والماً فقال: علي به فلحقني كتابه وقدبث جماعة غيره في طلبي في الطريق التي قصدت له فقال ان الشيخ تألم من خروجك بغير اذنه وعرفناه ماظهر لنا منك فانفذنا لردك فقلت: والله لقد رأيت ملوك الدنيا او اكثرهم ممن تحت ايديهم الآلاف من الناس على اختلاف اطوارهم وتباين احوالهم وهم قطب الصلف فما رأيت رجلاً اكثر زهواً وبأواً واقبح صلفاً منه فقال: وحق له ذلك هذا رجل اعتل في سنة ٤٨ علة خيف عليه منها فوصى فبلغ ثلث ماله مع شيء استزاده على الثلث لانه لا وارث له بالف الف دينار بين مركب قائم بنفسه وآنيه ووكيل معلوم ماعنده وتحت يده بالحسابات الظاهرة والقبوض المعروفة المعلومة من جهاتها واوقاتها الى بربهار ومتاع من جوهر وعطر في خانباراته ومخازنه وقل مركب خطف له الى ناحية من نواحي الهند او الزنج او الصين فكان له فيه شريك او كري الا على حسب التفضل على المحمول بغير اجرة فالحمني قوله وعدت اليه فاعتذر مما كان وهذا وان زاد على الثلث فلعله اوصى بنصف ماله فما سمعت ان احداً من التجار ملك هذا المقدار ولا تصرف فيه ولا من وديعة سلطان لانها حكاية اذا اعتبرت كالخرافات يستوحش من حكاها منها.»

وكثيراً ما يتعرض المؤلف لخصائص سكان البلاد وعاداتهم وعادياتهم ومن ذلك ماذكره في فارس من ان الاكراد في عهده كانوا يحكمونها ويجبون خراجها وانهم تغلبوا على الجزيرة وارمينية مما دل على انهم هناك الآن منذ عهد ليس بطويل وان معظمهم كانوا في بلاد فارس وما ندري ما طرأ من الاحوال حتى انتشروا في هذا القسم من البلاد العثمانية اليوم فقد قال المؤلف: واما احياء الاكراد بفارس فالكرمانية والرامانية ومدثر وحي محمد بن بشر والبقيلية والبندامهرية وحي محمد بن اسحاق والصباحية والاسحاقية والادركانية والهركية والطامادهنية والزيادية والشهروية والبندادقية والخسروية والزنجية والصفرية والشهيارية والمهركية والمباركية والاستامهرية والشاهونية والفراتية والسلونية والصيرية والازاددختية والبرازدختية والمطلبية والمالية والشاهكانية والجليلية فهؤلاء المشهورون ولا يتهيأ تقصيهم الا من ديوان الصدقات ويزيدون على خمسمائة الف بيت ويخرج من الحي الواحد الف فارس واقل من ذلك واكثرهم ينتجعون في الشتاء والصيف المراعي الا القليل منهم على حدود الصرود واما اهل الجروم فلا يزالون ولا ينتقلون بل يترددون فيها لهم من النواحي ولهم من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكراع ما يستصعب على السلطان امرهم اذا اراد ان يخيفهم. ويزعم ابن دريد انهم

من العرب وانهم من ولد كرد بن مرد بن عمرو بن عامر في حماسة. وابو بكر محمد ابن الحسن بن دريد ممن يستنبط علوم العرب واخبارها يحتج به ومسلم له ما يدعيه وهم اصحاب اغنام ورماك والابل فيهم قليلة وليس للاكراد خيل عتاق الاما عند المازنجان المقيمين بحدود اصبهان واما دوابهم فبراذين وبهاري وهم على حسن حال ويسار ومذاهبهم في القنية والنجعة مذاهب العرب ويقال انهم يزيدون على مائة حي وذكرت نيفاً وثلاثين حياً .»

وقال في فارس ايضاً : « فاما زيهم ولباسهم واحوالهم فالغالب على خلقهم النحافة وخفة الشعر وسمرة اللون واهل الصرود اعبل اجساماً واكثر شعوراً واشد بياضاً ولهم ثلاثة السنة الفارسية التي يتكلمون بها وجميع اهل فارس يفقهونها ويكلم بعضهم بعضاً بها الا الفاظاً تختلف لا تستعجم على عامتهم ولسانهم الذي به كتب العجم وايامهم ومكاتبات المجوس فيما بينهم هو الفهلوية التي تحتاج الى تفسير حتى يعرفها الفارسي ولسان العربية الذي به مكاتبات السلطان والدواوين وعامة الناس واما زيهم فكان السلطان زيه الاقبية وقد تلبس سلاطينهم الدراريع وان كانوا فرساً ومن لبس الدراريع منهم اوسع فروجها وعرض جرباناتها وجيوب دراريعهم كجيوب الكتاب والعمائم تحتها القلانس المرتفعة ويحملون السيوف بحمائل وفي اوساطهم المناطق وخفافهم تصغر عن خفاف اهل خراسان وقد تغير زي سلطانهم في وقتنا هذا لان الغالب على اصحابه لبس الديلم وقضاتهم يلبسون الدنيات وما اشبهها من القلانس المشمرة عن الاذنين مع الطيالسة والقمص والجباب ولا يلبسون دراعة ولا خفاً بكسره ولا قلنسوة حتى تغطي الاذنين وكتابهم يلبسون ملابس كتاب العراق ولا يستعملون القباء ولا الطيلسان وتناولهم بين لبس كتاب والتجار من الطيالسة والاردية والاكسية التونسي والخز والعمائم والخف التي لا كسر فيها والقمص والجباب والمبطنات ويتفاضلون في جودة الملابس والزي واحد كزي اهل العراق والغالب على اخلاق ملوكهم وخدمهم والناس منهم والمخالطين للسلطان من عمال الدواوين والداخلين عليهم واستعمال المروة في احوالهم واقامة الوظائف والمطابخ وتحسين الموائد بالمطاعم وكثرة الطعام واحضار الحلوى والفواكه قبل الموائد والنزاهة عما يقبح به الحديث من الاخلاق الدنية وترك المجاهرة بالفواحش والمبالغة في تحسين دورهم ولباسهم وموائدهم والمنافسة فيما بينهم في ذلك والآداب الظاهرة فيهم والعلم الشائع في جميعهم واما تجارهم فالغالب عليهم محبة الجمع للمال والحرص فوق من سواهم من اهل الامصار .»

وقال في كلامه على البلاد الشامية ما نصه : وطرابلس وهي مدينة كثيرة الخير والغلات والفواكه الجيدة بينة الخصب والرخص وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم وهي فرضتها وساحلها وبها يرابط اهل دمشق وسائر جندها واليها ينفرون عند استنفارهم وليسوا كأهل دمشق في جفاء الاخلاق وغلظة الطباع وفيهم من اذا دعي الى الخير اجاب واذا ايقظه الداعي اناب ، ولنفس دمشق خاصية بطالعها الجاري بها على الخلاف وسمعت عبد الله بن محمد يقول : برج الاسد معوج فاسد مع شرفه وضيائه وقل ما كان طالع بلد فصفت طاعته واستقامت وذكر سمرقند واردبيل ومكة ودمشق وصقلية وقال لا تصلح لسلاطينها ولا يستقيم سلاطينها بها واكثر هذه المدن فالنذر اثبت ما في نفوسهم والشر اشمل الاحوال عليهم اه وهذا مما يؤخذ على المؤلف ولكن كيف كان الحال لم يخل كتابه من ذكر طبائع اهل البلاد اوردناه للدلالة على ذلك

وقد اجاد المؤلف من وراء الغاية في وصف المسافات بين البلدان بحيث جاء كتابه في عصره بل والى اليوم اشبه بدليل سائح لما عرف من بلاد الاسلام وان اورث ذلك بعض الفصول طولاً احياناً ولكن المؤلفات لا تكون كلها سلسلة واحدة في الجودة والفائدة والتسلية . كما اجاد في وصف معادن كل قطر وهوائه وذكر نبذة من تاريخ عمرانه بحيث جاء كتابه لا في الجغرافيا فقط بل في المتيرولوجيا (علم الاحداث الجدية) والكرونولوجيا (التاريخ والسير) والمتيرولوجيا (علم المعادن) والاتنوغرافيا (علم خصائص الشعوب) والاركيولوجيا (علم الآثار) والنوميسماتيك (علم النقود) وهكذا حوى من كل فن خبراً ولكن مع التثبت والتنقيح على الاغلب ومما ذكره في تاريخ بني حمدان امراء الجزيرة وهم الذين خلد مجدهم ابو الطيب المتنبي بشعره لما اغدقه عليه مقدمهم سيف الدولة المشهور من المكارم فقال فيهم مالم نذكر اننا اطلعنا عليه في شيء من كتب التاريخ ما نصه: « ولم تزل (نصيبين) على ماذكرته من اول الاسلام تضمن بمائة الف دينار الى سنة ٣٦٠ فاكب عليها بنو حمدان بصنوف الجور وتجديد الكلف الى ان حمل ذلك بني حبيب وهم بنو عم بني حمدان الى ان خرجوا بذراريهم ومواشيهم وثقلهم في اثني عشر الف فارس على فرس عتيق وسلاح شاك من درع وجوشن مذهب ومغفر مدبج وسيف فارد ورمح خطي وآلة وعدة على بلد الروم مطلة فقمع بها شوكتهم ويسبون بها ذراريهم ويخربون حصونهم ويخوضون ديارهم تقدمهم كهذه العدة لهم من جنائب

عتاق وبغال فره عليها الخدم والموالي فتنصروا باجمعهم واوثقوا ملك الروم من انفسهم بعد ان احسن لهم النظر في انزالهم على كرائم الضياع ونفائس الحباء والمتاع وتخييرهم في القرى والمواشي ورفدهم بالنواحي والمواشي العوامل وعادوا الى بلد الاسلام على بصيرة بحضارة وعلم باسباب فساده وخبرة بطرقه ومعرفة بدقه وجله وقلوبهم تضطرم حقداً وتفور كيداً وقد كاتبوا من خلفوه ولاطفوا من عرفوه بقصد آل حمدان له في ماله وضياعه فاطمعوهم فيما نالوه وعرفوهم ما رجعوا اليه وجاؤا فيه من قصد بلاد الاسلام واجتياحه واصطلام بقاعه ونواحيه وان الملك ايدهم وقواهم وانعم عليهم وآواهم فلحق به كثير من المخلفين عنهم والتجى اليهم من لم يك منهم فشنوا الغارات على بلد الاسلام وافتتحوا حصن منصور وحصن زياد وصاروا الى كفرتوثا ودارا فاتوا عليها بالسبي والقتل والحقوا اسوارها بالارض وصارت لهم تلك عادة وديدناً يخرجون كل سنة عند اوان الحصاد الى ان اتوا على ربض نصيبين بنفسها والغربي من ضياعها وتعدوا ذلك الى ان وصلوا الى جزيرة ابن عمر فاهلكوا ظاهرها وسحقوا رأس عين واعمالها وساروا الى الرقة وبالس وعادوا الى ميافارقين وارزن فاخربوا قراها وضياعها واحرقوا اشجارها وزروعها الى ان جعلوها كالخاوية على عروشها وتزايدت ثقة الملك بهم والروم الى ان جعلوا لهم الارزاق والاعطية وصاروا خاصة الملك وفتحوا له المضايق وتقدموا في المسالك واطمعوه على مر الايام وتعاقب الاعوام وهلاك السلطان والاسلام في انطاكية والمصيصة وحلب وطرسوس فدار لهم عليها ما كان القضاء قد سبق به والمقدار قد نفذ فيه وكان محمد المعروف بناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان الى نصيبين فاكتسح اشجارها وبذل ثمارها وغور انهارها واستصفاها عمن دخل الى بلد الروم واشترى من بعض قوم واغتصب آخرين فملكها الا القليل وجعل مكان الفواكه الغلات والحبوب كالقطن والسمسم والارز فصار ارتفاعها اكثر مما كانت عليه وزادت ربوعها فسلمها الى من بقي من اهلها ولم يمكنهم النهوض عنها وآثروا فطرة الاسلام ومحبة المنشأ حيث قضوا ايام الشباب على مقاسمة النصف من غلاتها على اي نوع كانت وعلى ان يقدر الدخل ويقومه عيناً ان شاء او ورقاً ويعطي الجواب لمن وجب له حق المقاسمة فيكون دون الخمس فلم يزالوا على ذلك معه الى ان الحقه الله بسلفه فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين واهلها مع ولده في وقتنا هذا على اقبح ما كانوا عليه مع والده من تقدير يستغرق اكثر الغلة وتقويم ما يبقى من سهم المزارع بثمن يرونه ويحمل الى مخازنهم واهرائهم

اصابته فيقبض منه ما يحتاج لبذره ويرضخ له ما يقدره متمسكاً لرمقه وعيشه بالجهد .»

ارشاد الخلق

الى العمل بخبر البرق

تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي طبع بمطبعة المقتبس سنة ١٣٢٩ ص ١٠٤

كلما تأملنا في حالة المسلمين وما بلغه بعض مشايخ الجمود من الضعف العلمي والعقلي نحكم باننا اليوم كأهل اوربا في القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد نكابر في البديهيات ونحارب المصلحين ونود ان ندخل كل شيء في الدين ومن ذلك ان قوماً جعلوا ديدنهم الاعتراض على كل شيء يقولون في مثل هذا العصر بتحريم التمثيل وينكرون العمل بالانباء البرقية في اثبات الاهلة ولذلك ترى دعاة الاصلاح الديني امثال مؤلفنا صاحب هذا الكتاب تضيق صدورهم من هذه المماحكات في المحسوسات فيتوفرون على رد شبههم وافترائاتهم على الدين الذي صوروه بما اوحت اليهم عقولهم القاصرة

وقد اتى المؤلف بالنقول الصحيحة جاعلاً العقل رائده في حجاج المكابرين وذكر فتاوى بعض علماء العصر في جواز العمل بالتلغراف بما دل على بعد نظره وتحريه في بحثه وكأنه ادرك ان بعض المماحكين يرمونه بالاجتهاد وهو بزعمهم مسدود بابه منذ قرون فقال مبيناً غرضه في جملة . «قد يظن من لاخلاق له وبعض الظن اثم ان مراد دعاة الاصلاح العلمي الآن بالاجتهاد هو القيام بمذهب خاص والدعوة له على انفراده والشذوذ عن اقوال الائمة والغض من كرامة من سلف (نعوذ بالله من الجهل وسوء الفهم) فان من يفهم هذا لاضل من الانعام . واي عاقل يدعو لتكثير الشيع والفرق وزيادة الانقسام وانما المراد انهاض همم رواد العلم لتعرف المسائل بادلتها والبحث عن مدار كها وآخذها والتنقيب عن كتب السلف والائمة في الاصول والفروع وتعرف طرق التخريج والاستنباط وحجج الموافق والمخالف ثم توخي الاقوى فالاقوى دليلاً وتحري الاقوم فالاقوم قيلاً كما كان عليه السالف الصالح وثلة من الخلف الناجح والمتأخرون عيال على المتقدمين في جل علومهم وما ذخروه من كنوزهم وانما التفاوت في ادراك القوي سلطانه الاصح برهانه وفي الوقوف على مقاصد الشريعة واسرار التشريع ودرك اللباب من الحشو وتمييز الاصيل من الدخيل على ان التخالف في الامور المجتهد فيها الغير المنصوص عليها سنة جرى عليها السلف ومنهج سلكه الى هذا العصر كبار الخلف » فنثني الثناء

الاطيب عَلَى الاستاذ المؤلف فهو يعلم قومه بعلمه وعمله ودروسه وتصانيفه ومقالاته ولا يفتر عن الاجتهاد في خطته وامثاله من يدكون أسس الخرافات والاوهام و يرفعون من شأن العلم والعقل بين اهل الاسلام

كتاب القضاة

الذين ولوا قضاء مصر

تأليف ابي محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وذيله لابي الحسن احمد بن عبد الرحمن ابن برد نشره الاستاذ رشارد غوتهل من جامعة كولمبيا في نيو يورك وطبعه بول كوتنر في باريز في مدينة رومية العظمى سنة ١٩٠٨ م ص ١٦٧

كان البحث في احوال الشرق من خصائص علماء المشرقيات من الاوربيين وها قد اصبحنا نرى من الاميركيين ميلا الى الاطلاع عَلَى احوال الشرق والنظر في علومه وآدابه وهذا الكتاب شاهد بذلك فقد طبع طبعة جيدة بحروفها وورقها وكنا نودان يوفق ناشره الى تعريته من اغلاط الرسم والتحريف واكثره من الاصل بالطبع فقضت الامانة عَلَى المؤلف ان يبقي ما رآه على حاله ولكن غلط الناسخ لا يبرر الناشر والطابع كأن الكاتب لا يرحم القاري وعَلَى كل فقد ظهر هذا الكتاب عَلَى الاسلوب المتعارف في طبع الغربيين لكتبنا محلى بتعليقات بالانكليزية وفهارس في اسماء الرجال والنساء والرواة واسماء المواضع والقبائل والامم الواردة في متن الكتاب .

واسلوب المؤلف عَلَى سبيل الرواية كالمحدثين حسن الاداء يستفيد المطالع منه أموراً كثيرة ولا سيما في الاقضية الغريبة التي صدرت عن حكام مصر وغير ذلك من الحالة الاجتماعية في القرون الاربعة الاولى في مصر وقد قسم المؤلف كتابه الى سبعة اجزاء دخل كل واحد منها في بضع ورقات والذيل عليه في جزء واحد والاصل المنقول عنه كان في دمشق نقل في الخامس من صفر سنة اربع وعشرين وستمائة للهجرة وعجيب حال الكتب في تنقلها: كتاب عربي يؤلف في مصر فينقل من دمشق و يعثر عليه اميركاني فيلتزم طبعه فرنساوي وتطبعه مطبعة طليانية

واليك انموذجات تستدل بها عَلَى اسلوب المؤلف قال : حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني يحيى ابن ابي معاوية حدثني خلف عن ابيه عن جده ان ابا عون عبدالملك بن يزيد عزل عبد الرحمن بن سالم عن القضاء وولاه الديوان . وحدثنا محمد بن موسى الحضرمي قال حدثنا ياسين عن يحيى بن بكير قال اهل ابي سالم الجيشاني يقولون انهم

من معافر وفيها وجدت في ديوان بني أمية براءة زمن (١) مروان بن محمد فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن ابي عطاء الى خزان بيت المال فأعطوا عبدالرحمن بن سالم القاضي رزقه لشهر ربيع الاول وربيع الآخر سنة احدى وثلثين ومائة عشرين ديناراً واكتبوا بذلك البراءة وكتب يوم الاربعاء لليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى وثلثين ومائة وقال في مكان آخر: حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا احمد بن داوود ابن صالح قال حدثني محمد بن ابي المغيرة عن ابن وزير عن الجيزين كيدان عبدالاعلى ابن سعيد الجيشاني تزوج امرأة من بني عبد كلال فقام بعض اوليائها في ذلك وانكروه وترافعوا الى ابي خزيمة فقال ما احل ما حرم الله ولا احرم ما احل الله اذا زوجها ولي فالنكاح ماض فارتفعوا الى يزيد بن حاتم وهو الامير يومئذ فقال يزيد ليس عبدالاعلى من اكفائها وامر اباخزيمة بفسخ نكاحها فامتنع ابو خزيمة من ذلك وفرق بينهما يزيد ابن حاتم حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني ابن قديد عن عبيدالله عن ابيه قال قال عبدالاعلى بن سعيد الجيشاني لما فرق يزيد بين الكلالية وبينه

وأعلنت الفواحش في البوادي ... وصار الناس اعوان المريب
اذا ما عبتهم عابوا مقالي ... لما في القوم من تلك العيوب
وودوا لو كفرنا فاستوينا ... وصار الناس كالشيء المشوب
وكنا نستطب اذا مرضنا ... فصار هلاكنا بيد الطبيب

وذكر المؤلف في ترجمة عبدالرحمن العمري الذي ولي قضاء مصر من قبل هارون الرشيد سنة خمس وثمانين ومائة انه كان لا يشدد باطراف الغناء على مغاني اهل المدينة ويبرز كثيراً في مجالسه ولا يتحاشى ان يقول هذا غناء ابن سرح وهذا به الدلال وهذا من جيد غناء العريض ولم يكن بمصر مستمة (لعلها مسمعة) الا ركب اليها يسمع غناءها وربما قوّم ما انكسر من غنائها ويرى ذلك من الدين.

ومما كتب عن هذا القاضي العمري من القضايا في مسجد رث واستهدم فأمر ببنيانه قوله: « بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب امر به القاضي عبد الرحمن بن عبد الله وهو يومئذ يلي القضاء بين اهل مصر في صفر سنة ثماني وثمانين ومائة بما ثبت عنده في المسجد الذي يقال له مسجد عبد الله الذي بالظاهر قبلة الطريق الاعظم الى المسجد

(١) هكذا وردت في الكتاب ولم يعلق عليها ناشره والاقرب انها « براءة ذمة » وكذلك سقط فيها نحسب « اما بعد » قبل فأعطوا

الجامع ويحويه الطريق الذي يسلك الى سوق يربر وشرقيه السويقة التي يقال لها سويقة مسجد عبدالله على طريق الموقف وغربيه الطريق الذي يسلك منه على الجب الذي يقال له جب عبدالله حين رفع الى القاضي عبدالرحمن بن عبدالله نفر من جيرة هذا المسجد ان هذا المسجد قد رث وخيف عليه لانكسار خشبه وسقفه واحتاج الى العمارة والمرمة وانهم قد وجدوا من احتسب في اصلاحه وبنائه وتصيير حوانيت تحته في حقوقه ليكون غلتها مرمة لما استهدم منه وفي زيته وحصره وأجر مؤذنه وشأنه كله . فسألوا القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان يأذن لهم في ذلك فدعاهم بالبينة على ما ذكروا واقاموا بينة وعدلوا عنده وقبل شهادتهم فشهدوا عند القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان هذا المسجد الموصوف في صدر هذا الكتاب خيف على سقفه من قبل خشبه واحتاج الى العمارة والمرمة في جدره وان الاجنحة التي حوله وما تحت هذا المسجد ليس لاحد فيه حق وان الذي طلب عمارته وبناءه واصلاحه وتصيير حوانيت تحته في حقوقه ومرمة ما استرم منه وفي زيته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من نوائبه منفعة للمسلمين ممن صلى فيه وان ذلك ليس بضرر على احد وبعث القاضي عبدالرحمن بن عبدالله نفراً ممن يثق بهم فنظروا الى المسجد الموصوف في هذا الكتاب فرفعوا اليه مثل الذي شهد من الشهود في هذا الكتاب فلما ثبت عند القاضي ذلك رأى ان يأذن في عمارة هذا المسجد الذي وصف في هذا الكتاب وبنيانه واصلاحه وتصيير الحوانيت التي ارادوها تحته في حقوقه ليكون غلتها في مرمة ان احتاج اليها ولما يصلحه في زيته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من شأنه ويكون فضلاً (؟) ان فضل من غلتها في وجوه الخير . ورفع الى القاضي عبد الرحمن ابن عبدالله ان هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب قد اصلح وفرغ من بنيانه وحوانيته واتوا بشهود يقال لهم عبدالصمد بن سعيد وعمرو بن اسماعيل بن عمر الايلي ومحمد بن سليمان بن محمد فشهدوا عند القاضي عبد الرحمن بن عبدالله ان هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب كان اخاف سقفه من قبل خشبه واحتاج الى العمارة والمرمة في جدره وان كل ما كان تحت هذا المسجد وما فوقه والثلاثة الاجنحة التي كانت حوله ملصقة به ان ذلك كله من حق هذا المسجد وحدوده ليس لاحد فيه حق ولا دعوى ولا طلبة بوجه من الوجوه وان المجالس التي كانت حول المسجد خارجة منه كان يؤدي من يجلس فيها الكرى الى من يقوم بامر هذا المسجد انها على حالها لم تدخل في المسجد ولا في حوانيته وعدل الشهود عند القاضي عبدالرحمن بن عبد الله

فقبل شهادتهم وسأل القاضي عبدالرحمن بن عبدالله من حضره من جيرة هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب ان يكتب لهم ما ثبت عنده فيه كتباً يضعها عند من يرى ليكون ذلك حجة وقوة وان يولي القيام به رجل من اهل الثقة فولى القاضي عبدالرحمن ابن عبدالله السكن بن ابي السكن القرشي القيام بامر هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب واكراء حوانيته وان ينفق من كرائها ما رأى من زيته وحصره وأجر مؤذنه ما يحتاج اليه في امره كله وينفق بقية ان بقيت من كرائه حيث رأى من وجوه الخير وجعله في ذلك اميناً وامره بتقوى الله وطاعته والعمل في ذلك بحق الله عليه وانفذ القاضي عبد الرحمن بن عبدالله ان يكتب هذا الكتاب نسخاً تكون وثيقة في هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب فكتب ودفع منها كتاباً الى عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي وكتاباً الى حجاج بن سليمان الحميري وكتاباً الى ربيعة بن الوليد الحضرمي وكتاباً الى شعيب بن الليث بن سعد الفهمي وكتاباً الى ابي رجب العلاء بن عاصم الخولاني وكتاباً الى عمرو بن يزيد الفارسي وكتاباً الى ابي زرارة الليث بن عاصم القتباني وكتاباً الى عبدالصمد بن سعيد الانصاري وكتاباً الى محمد بن سليمان بن فليح وكتاباً الى الاشقر عبد الملك بن سالم وكتاباً الى السكن بن السكن المقيم بهذا المسجد وكتاباً الى محمد بن سليمان بن محمد بن عبيد وكتاباً في ديوان القاضي عبد الرحمن بن عبد الله اشهد القاضي عبدالرحمن بن عبدالله الشهود المسمين في هذا الكتاب انه ثبت عنده ما في هذا الكتاب وامر به وانفذه على ما سمي وفسر فيه وذلك في صفر سنة ثماني وثمانين ومائة اهـ .

ومن نكت الكتاب قوله: اخبرني ابوسلمة وابن قديد عن عيسى بن عثمان قال كان زي اهل مصر وجمال شيوخهم واهل الفقه والعدالة منهم لباس القلانس الطوال كانوا يبالغون فيها فامرهم ابن ابي الليث بتركها ومنعهم لباسها وان يشبهوا بلباس القاضي وزيه فلم ينتهوا قال ابن عثمان فجلس ابن ابي الليث في مجلس حكمه في المسجد واجتمع اولئك الشيوخ عليهم القلانس فاقبل عبد الغني ومطر جميعاً فضرب رؤوس الشيوخ حتى القوا قلانسهم قال واخبرني محمد بن ابي الحديد حدثني عتبة بن بسطام قال رأيت قلانس الشيوخ يومئذ في ايدي الصبيان والرعاع يلعبون بها وكانوا بعد ذلك لا يدخلون الى ابن ابي الليث ولا يحضرون مجالسه في قلنسوة . وانشدنا اسمعيل بن اسحق بن ابراهيم بن تميم الجمل

واخفت ايام الطوال واهلها ... فرموا بكل طويلة لم تقصر
مازلت تأخذهم بطرح طوالهم ... والمشي نحوك بالرؤوس الحسر

حتى تركتهم يرون لباسهم … بعد الجمال خطيئة لم تغفر
يتفرعون بكل قطعة خرقة … يجدونها من اعين ومخبر
فاذا خلا بهم المكان مشوا بها … وتأبطوها في المكان الاعمر
فلئن ذعرت طوالهم فلطال ما … ذعرت ومن مروا بها لم يذعر
كانوا اذا الفوا بهن لمفضل … امضى عليه من الوشيج الاسمر
كم موسر افقرته كم مقتر … اغنيته من بعد جهد مفقر
ماان عليك لقيت منهم واحداً … او في العجاج مدججاً في مغفر
لبسوا الطوال لكل يوم شهادة … ولقوا القضاة بمشية بتبختر
مالي اراهم مطرقين كأنما … دمغت روؤسهم بحمى خيبر

اخبار وافكار

طول الحياة

نعرب للقراء في الموضوعات المعضلة كل ما نعثر عليه في المجلات الافرنجية واكثرها مما لا نعيد فيه ولا نبدي وآخر ما قرأناه للدكتور نوفيل في المجلة الباريزية المقالة التالية : لما نشر خريستوف هوفلاند الطبيب سنة ١٧٩٦ في اينا اول طبعة من كتابه علم اطالة الحياة الانسانية ترجم كتابه الى جميع اللغات حتى العبرانية فهبت على الامم نسمات من روح الرجاء في هذا الباب . فقد كان العلم يبحث عبثاً منذ القدم عن حل لهذه المسألة في الحياة وانقاذ الجسم من ضربات الامراض والهلاك ان لم يكن انقاذاً ابدياً فلا اقل الى اجل معين وابعاد المسافة بين المهد واللحد على الجملة . وكم من احلام تصورتها عقول علماء منافع الاعضاء في القرن الماضي فذهبت تصوراتهم ادراج الرياح وظل البشر لا يعرفون ما يخبأوه لهم الغد من الاقدار على الحياة . بيد ان هوفلاند فتح للدروس الحياتية مهيعاً جديداً باثباته ضرورة الجري في الحياة على قواعد مقررة في علم الصحة الطبيعية والاخلاقية التي ابان حقائقها وسن طرائقها على انه لم يبد الا قوانين نظرية استند فيها الى معلومات تختلف في نتائجها من حيث الاسباب الحقيقية في الموت والمبادئ الاولى في علم الامراض وطبائعها وعللها « الباثولوجيا » . ولم تكن الطرق التجريبية قد

احدث وكانت اعمال المعامل الكيماوية محصورة في نطاق ضيق وعلم الجراثيم المرضية غير معروف

جاء لوانهوك في القرن الماضي وقال ان في احشاء الانسان والحيوان احياء دقيقة أكتشفها بعض الاكتشاف بواسطة عدسية مكبرة ثم قام معاصر هوفلاند من رجال الدانيمرك الطبيبي مولر واستخدم المجهر الذي ترى به هذه الاحياء الضارة على جليتها واتم اهرنبرغ سنة ١٨٣٣ هذه الابحاث وابان بعض خصائص النقاعيات على اختلاف ضروبها ولكن كل ما عرف الى ذاك العهد لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة للارتقاء الذي ارتقاء علم الجراثيم ٠

فكان باستور مبدأ الدور الحقيقي لعلم الجراثيم الذي كان هوفلاند واترابه اوضحوا مقدماته، فقرر ان ليس للحياة الا عدو حقيقي واحد شديد العداوة مخادع مهلك بحيث لا يكاد يقع تحت اليد ونعني به تلك الحلمة الطفيلية التي تبعث بالمرض على اختلاف ضروبه وتتعهد على الدوام بارسال رسل الحمام الى الاجسام بحيث بات يرجى ان يتوصل البشر ذات يوم بالقواعد التي سنها وبينها العلم ان يتيسر للناس اتقاء الاوجاع خفيفها وشديدها ٠ وهذه الاماني قد تحققت منذ نحو نصف قرن قليلاً قليلاً حتى لقد طال معدل الحياة الانسانية خمس سنين في الذكور وستاً في الاناث

ففي الجداول التي اخذت من الاحصاءات الاكيدة في العالم القديم والحديث ان في كل ١٠٠ وفاة ٤٢ لم تكد تحدث لو عمد اربابها الى المداواة في الزمن اللازم لها وان نصف الامراض لا تنشأ الا من جهل المصابين بها وعدم حيطتهم وقلة المعرفة في تطبيبهم اوالاهمال الذي يخيفهم ٠ ولو كتب لـ ٤٢ وفاة في المئة ان ينجوا من امراضهم لطال معدل الحياة في الجنسين خمس عشرة سنة ٠ وهذا التقرير لا يدخل فيه التعديل الذي وقع في اسباب التطهير وان كان مختلاً في بعض الاحوال ولكن نشأ عنه من عدة وجوه منافع عظيمة و يجب النظر الى الامراض التي يظن انها عضالة اليوم وربما كانت في المستقبل مما يمكن تلافيه قبل الوقوع فيه ثم ان سن الثمانين التي يصاب صاحبها بالضعف لا محالة و يصبح في انتظار القضاء الالهي عليه قد خف تأثيرها بما قرره متشنكوف من ان الشيخ مريض يستطيع ان يحتفل جذلاً بمرور المئة سنة على ولادته ولذلك امثال كثيرة ٠

قال الدكتور فيشر من كلية يال ان طول الحياة في اهم عواصم اوربا كانت كما يلي : طالت الحياة في انكلترا من سنة ١٨٨١ — ١٩٠٠ ١٤ سنة في الذكور و ١٦ في

الاناث وفي فرنسا كان معدل طولها من سنة ١٨٨١ — ١٩٠٣ — ١٠ في الذكور و ١١ في الاناث وفي المانيا من سنة ١٨٧٧ — ١٩٠٠ كانت الزيادة ٢٥ سنة للذكور و ٢٩ للاناث وفي الدانيمرك طال معدل الحياة في مدة ٥٧ سنة ١٣ سنة في الرجال و ١٥ في النساء وفي السويد طال المعدل ١٧ في الرجال و ١٥ في النساء خلال ٦٧ سنة . وظلت مدة الحياة خلال ثلاثين سنة في بلاد الهند على وتيرة واحدة وهذه النتائج هي ولا جرم ابنة علم الصحة وقد رقي هذا العلم جداً في المانيا وفرنسا وانكلترا وهو من ادنى ما يكون في بلاد الهند . واستنتج الدكتور فيشر من ذلك ان ابن اليوم يعيش اكثر من اجداده على الرغم من كثرة عمله وشدائده. فقد كان معدل الحياة في القرن السادس عشر ٢١٫٢٣ والقرن السابع عشر ٢٥٫٠١ وفي القرن الثامن عشر ٣٣٫٦٦ وفي القرن التاسع عشر ٣٩٫٠٧ ولم يزد معدلها في هذا القرن العشرين

وهذا التقرير قد قدم الى اللجنة التي عينها مجلس النواب في الولايات المتحدة فهو بمثابة مستند رسمي مهم للغاية وعلى ما في احصاءاته من النظر بعض الاحايين فان المقابلات بين الحالة الماضية والحاضرة التي حوته تجعل له مقاماً واهل السويد اطول البلاد اعماراً واقصرها الهند وبعبارة أخرى معدل الحياة فيها وهاك جدولاً آخر في طول الحياة عند الامم المختلفة

المملكة	احصاء	ذكور	اناث
السويد	١٨٩١ — ١٩٠٠	٥٠٫١٩	٥٣٫٦٦
الدانيمرك	١٨٩٥ — ١٩٠٠	٥٠٫٢٣	٥٣٫٦٢
فرنسا	١٨٩٨ — ١٩٠٣	٤٥٫٠٧	٤٩٫٦١
بريطانيا العظمى	١٨٩١ — ١٩٠٠	٤٤٫٦١	٤٧٫٦٧
الولايات المتحدة	١٨٩٣ — ١٨٩٧	٤٤٫٦١	٤٦٫٦٦
ايطاليا	١٨٩٣ — ١٩٠٢	٤٢٫٦٨	٤٣٫٦١
المانيا	١٨٩٩ — ١٩٠٠	٤١٫٦٠	٤٤٫٠٥
الهند	١٩٠١	٢٣٫٦٠	٢٤٫٠٠

وهذه الارقام تختلف باختلاف الحالة الجوية والاجتماعية وان كانت عبارة عن تقديرات اخذت في اوقات تكاد تكون متقاربة ويختلف معدل الحياة ايضاً اذا نظرنا الى البلاد التي يهاجر منها اهلها او يهاجرون اليها فانه يطول ويقصر على نسبة الاختلاف

الذي يعرض لصحة المنتقلين من الآدميين ويقول فيشر ان الراحة والسعادة تطيل حبال الآجال لاجرم ان من بلغوا المئة من الناس لم يكونوا كلهم اغنياء ولكن من لم يحرموا اشيئاً من اسباب الراحة هم اقرب الى طول الاعمار من الفقراء. فترى الموت اقل حركة في احياء الاغنياء في باريز منه في احياء الشقاء والفاقة

ولا يخفى ان الرجل او المرأة الذي هو بمأمن من الحاجة يطعم الطعام الجيد ويلبس اللباس الحسن وينزل المسكن الصحي ويمتنع عن كل ما يؤذي صحته. هو اقل عرضة الامراض من التعس الذي لا يجري عَلَى نظام مطرد في معيشته. ولا يكتسي كساء واقياً ولا يتناول الطعام الذي يسد جوعته وينزل عَلَى الدوام في منازل قذرة غير طاهرة. والامثلة على ذلك كثيرة في المدن الكبرى لان عملة المعامل يعيشون بالقرب من الطبقة العليا والوسطى حيث الرفاهية

وانك لترى اكفان الموتى تخرج من بيوت الحاويج في غلاسكو اكثر مما تخرج من بيوت سادت فيها الدعة والغبطة . ويكون الهالكون في نيويورك وسائر المدن الصناعية الآهلة بالسكان عَلَى نسبة ما يتعاطون من الصناعات ويكون طرز معيشتهم فيموت من التجار وارباب الصناعات ١٢٦١ في الالف ومن المستخدمين والموظفين ١٣٦٥ ومن ارباب الصنائع الحرة ومن العملة والخدمة ٢٠٥٢ ومن الصناعات ما يهلك به اربابها كثيراً كالصناعات التي ينبعث عنها غبار متواصل او روائح تتقزز منها النفس وان الدوام المتواصل عَلَى تطهير الاماكن والمدن قد ادخل الصحة الى حيث كانت مفقودة الا قليلاً فنشأ من ذلك ان الارقام التي يوردونها بالقياس الى زمن تتغير كثيراً في كل احصاء يقع في الخمسين سنة

وهكذا نرى ان معدل الموت في خمس وعشرين سنة نزل في برلين من ٣٣ في الالف الى ١٦ وفي مونيخ من ٤١ الى ١٨ وفي واشنطون من ٢٨ الى ١٩ وفي نيويورك من ٢٥٠٤ الى ١٨٠٦ وفي المافان حيث لا يجري احصاء الا في كل قرن كان معدل الموت ٤٥ في الالف فأخذ يختلف بين ٢٠٠٤ و ٣٢٦٦ وبديهي ان العوارض والحوادث التي تصيب الحياة فينشأ عنها هلاك كثيرين كالحروب والمصائب والغرق وغير ذلك قد يكثر بها معدل الموت ولكن ذلك لا يضر في هذه الاحصاءات لان الربح اكثر من الخسارة

والربح نشأ بالعلم لان الاولاد كانوا في الماضي يموتون كثيراً فبفضل الوسائط الصحية

الحديثة صاروا يرجون البقاء اكثر من اجدادهم ولطالما كان الخناق والحميراء والتواء الاعصاب والسعال وغير ذلك من امراض الطفولية تهلك الاولاد فلما اخترع المصل والتطعيم وطرق التداوي الخ لمتقوارتقت الجراحة وكثراستعمال الكوكايين والديجيتالين ومضادات السميات ومضادات الفساد والمورفين خلصت نفوس كثيرة من الموت

وكان السل في الدهر الغابر يعتبر من الامراض المعضلة فاصبح وان كان يهلك به كثيرون الى اليوم من الامراض التي يتأتى التوقي فيها وما برح يعصي على العلم ويقضي على اكثر ممن يقضي عليهم الجدري والحمى التيفوئيدية والخناق والسرطان والزائدة الدودية والتهاب السحايا واذا ضوعفت العناية بالصحة يرجى ان يقل عدد الهالكين بالسل ٧٥ في المئة لاسيما في مسائل العدوى منه والنجاة منها وهكذا الحال في ذات الرئة التي تكثر بكثرة تناول المشروبات فيهلك به ١١ في المئة من الناس واذا تركت اسبابه يتنزل معدل الهالكين به كثيراً والحمى التيفوئيدية قدقل الهالكون بهامنذ عشر سنين ومتى عرف الناس كيف يتحامون الماء الملوث ويبعدون عن لسع الذباب لبشراتهم لايبقى له اثر في الوجود . وسيكون كذلك نصيب الحمى القرمزية التي كادت تكشف جراثيمها ومثل ذلك الجدري متى وقع تطعيم الناس كلهم وقد كان الناس في القرن الثامن عشر يموتون به قبل جنر (طبيب انكليزي اخترع التطعيم) كثيراً بحيث لا يقل الهالكون عن ٥٠ مليوناً ولا يزال يموت به قلائل جداً . وبذلك عرفت ان بعض الامراض العادية يمكن انقاؤها بتاتاً وان غيرها يقل الرجاء في شفائها مثل التهاب البريتون والسرطان وربما اخترع العلم لها ادوية تستأصلها من الفتك بالبشر كما استأصل غيرها من الاوصاب والاوجاع

وقال جان فينو في كتابه فلسفة طول العمر ان الخوف من الموت كثيراً مايهلك المرء قبل الاوان فان المرء اذا بلغ قدراً من العمر يأخذ يتوقع الحمام كل ساعة ويزهد في الحياة فتسوء تغذيته ونومه ويجلب بيده رسل الهلاك فلوهزأ بالسبعين والثمانين لبلغ المئة سنة لامحالة وقد جرى كثير من الشيوخ على هذا النمط في الحياة فكانت النتيجة ان بلغوا المئة بصحة ونشاط ومن ارهبه تصور الموت يموت فيكون قد اضاع على امته شيئاً من حقوقها فيه واضر بها ضرراً اقتصادياً ففي مليون ونصف من الموتى كل سنة بمرض ثلاثة ملايين ينقطعون عن الاعمال فيضرون بلادهم وذويهم مثال ذلك انك تجد في الولايات المتحدة ٥٠٠٠٠٠ مصاب بالسل نصفهم لايعملون عملاً اصلاً والنصف الآخر

يعمل نصف عمل وفي هذه الولايات ايضاً نحو هذا القدر من المصابين بعوارض في اجسامهم انتهم من الاعمال التي يتعاطونها والرجل الصحيح في الجملة يضرب عن العمل خمسة ايام في السنة لوقوعه في امراض عادية كالصداع ووجع الضرس والزكام فيضر بذلك الحالة الاقتصادية فلو عرف كل امرىء واجباته نحو المجتمع لما اتى مايضر بصحته بتاتاً ورأى ذلك من فروضه الادبية والحكومات والبلديات والمشرعون مسؤولون عن كثير من الامراض التي تحدث من المسكرات والدخان لان الافراط كثيراً مايودي بصاحبه الى القبر . والحكومات في الغالب تنشط هذه الاصناف من المكيفات مخافة ان تصاب ميزانياتها بنقص في الديون العمومية او انحصار الدخان .

ولم تنتظم اساليب العمل في المعامل والمصانع الا منذ زمن قريب وكذلك لم تحدد اعمار العاملين والعاملات من البنين والبنات ولم ينظر في تقليل ساعات العمل والراحة الاسبوعية و بعض الامتيازات الا في بعض البلاد حصلت عليها نقابات العمال من المجالس النيابية بالوسائط الكثيرة .

وانهاك القوى وعدم توفر اسباب الراحة والصحة في المدارس وغير ذلك من اسباب طول الحياة لم ينظر فيها وزراء الامم ومجالس معارفها الا منذ عهد قريب و كذلك كل مايوفر على البالغين قوتهم فقد اطلقت الحرية المفرطة للناس يعملون مايشاؤن حتى اكد الدكتور فيشر ان ٥٠ في المئة يفقدون ١٠ في المئة من قوتهم الحيوية لانهم يسيئون استعمالها ولا يقتصدون فيها فان هذا الافراط يورث صاحبه اولاً اضطرابات عضوية ثم ينتهي بامراض عضالة يعقبها الموت لا محالة

و بعد فان الواجب لاطالة الحياة ان تراعى قواعد الصحة كل المراعاة فلتطويل حبل الاجل ينبغي اتقاء الامراض على اختلاف ضروبها وعدم التعرض لاقل الاوجاع اذ ربما كانت مقدمة للعظيم منها والحياة اشبه بسفينة لا تنجو من تأثير الانواء الا اذا كانت متينة من الاساس الى الرأس فالواجب على الابوين والمجتمع ان يعنيا بصحة الطفل منذ الولادة على الاصول الصحية وان لا يسمحوا بزواج الجانين والمدمنين كما يفعلون في ولاية انديانا فان الحكومة تحظر هناك كل الحظر زواج المعتوهين وقدماء السكيرين وكل من يخشى ان يكون نسلهم ضعيفاً هزيلاً وتشدد في ذلك كل التشديد ولا تعفو في ذلك عن احد وليس معنى هذا ان يسن قانون يسمح به للوالدين ان يقتلوا من اولادهم كل من لا يرجى فيه ان يعيش بقوة كما كانت الحال عند بعض القدماء ولكن العناية يجب ان

تصرف بحيث يقوى بالاساليب المختلفة كل طفل ضعيف و يأتي منه معمر حسن البنية نافع في المجتمع

لمعدل الحياة دوران الاول الطفولية والثاني الشيخوخة فالاولاد قد يعتنى بصحتهم في السنين الاولى من حياتهم اكثر مما يعتني الشيوخ فلو طبق هؤلاء على انفسهم نظام الصحة وطردوا من رؤوسهم الاوهام لطالت اعمارهم ورجي لها الهناء كما يرجى للاولاد واحسن ما يجب في هذا الباب الرياضة الجسمية والحياة في الخلاء والابتعاد عما يهلك القوى

والموت يرصد الاقوياء والضعفاء على السواء وكل سبب صحي ينفع الاولاد ينفع الشيوخ لا محالة. حقيقة يجب ان تتمثلها جميع العقول ابداً وان تذكر في البيوت امام الصغار والكبار و يأخذ كل فرد نفسه بمراعاتها ولن تعرف حسنات المدنية الا متى رأى كل انسان من واجبه ان يعين على ابطال مقاومات الحياة في كل صقع وناد . و يعلم الناس اجمع ان الحياة مستودع سلمته الطبيعة الى ايدي الانسان وعهدت اليه انقاذه وتثميره والانتفاع به وقيمة الطفل فالبالغ فالشاب فالكهل فالشيخ فالمرم في الاقتصاد هي هكذا :

سن	قيمته الاقتصادية
من الولادة الى سن الخامسة	٤٥٠ فرنكاً
من ٥ الى ١٠	٤٥٠٠ ف
من ١٠ الى ٢٠	١٠٠٠٠ ف
من ٣٠ الى ٥٠	٢٠ الى ٣٠ الف ف
من ٥٠ الى ٨٠	١٥ الف ف فنازلاً
من ٨ الى ١٠٠	٣٥٠٠ فرنك فنازلاً

بمعنى انه كلما زادت سنة في حياة الفرد او اشهر تزيد ثروة المجموع وسعادته وهناؤه والله يعلم وانتم لا تعلمون .

اشجار الغابات

نشر في اميركا كتاب مهم للغاية يخدم دروس تربية اشجار الغابات خدمة عظيمة وصف فيه مؤلفه المستر دو بر بجلاء تام جميع عطور العالم منسقاً لها احسن تنسيق وقد صرف المؤلف خمس عشرة سنة متوالية في تأليف مصنفه فزار الحدائق والمغارس وغابات

العالم بأسره وبحث في خزائن الكتب عامة مثل مكتبة باريز ولندن وبرلين وبطرسبورج وليدن ومدريد وفلورنسة وعشرين غيرها . وسيكون تأليفه خمس مجلدات ظهر الاول منها وسيكون الاخير فهرساً عاماً وتكتب الاصطلاحات بعدة لغات ومنها اليابانية والافادات التي حواها الكتاب قد استلزمت ابحاثاً عظيمة بذل الجهد الجهيد في الحصول عليها فانك تسقط في هذا المصنف على ما لايخطر لك ببال من الاستعلامات ومنه تدرك مثلاً ان في ايطاليا ٢٥٠ حديقة للنبات وان النباتات التي وصفها هوميروس وفرجيل صالحة وان دانتي وسرفانتس وشكسبير قد عبروا احسن تعبير عن عامة الزهور التي تكلموا عليها وكان للشعراء اشجار يستحسنونها وذكروا كان يستحبه منها كيتي وشيلر وفيكتور هوغو ولامارتين وغيرهم من كتاب الامم . وفي هذا السفر افادات مهمة عن رموز الغابات ولغة الاشجار والاشجار المشهورة .

البلاط الصناعي

جربوا في همبورغ بلاطاً جديداً صناعياً وهو يحتوي على محلول كلورور المغنيسيا أضيف اليه مسحوق المغنيسيا ايضاً ونشارة الخشب يجفف فتأتي منه طبقة غليظة للغاية ومتينة كالحجر تحفظ الحرارة اكثر من البلاط الطبيعي ومنظره يشبه الفسيفساء .

المدفع الهائل

انشأت انكلترا مدفعاً بحرياً جديداً قطره ٤٠٦ امتار مربعة ويقذف ١٠٨٠ كيلو منها ٦٣ كيلو من المواد الملتهبة الى مسافة ٣٦ كيلومتراً وقذائفه تخرق اعظم بوارج دربدنوت المصفحة . ويعمل الاميركان مدفعاً يقذف مقذوفاته الى بعد ٣٦ كيلومتراً وقذائفه ١٢٠٠ كيلو فيها ٧٠ كيلو مواد منفجرة

السنور

كان للسنور في كل زمان شأن واي شأن فكان العامة يكتسون بفروه في القرون الوسطى بالغرب واصبح فروه بجودة تحضيره العلمي من احسن ما يلبس وقد اخذ هذا العهد فرو الكلب ينافس فرو الثعلب في اسواق التجارة . ويرغب الصيادلة في فرنسا وفي الغابة السوداء في اقتناء السنانير البرية ليتداوى بها المصابون بداء المفاصل . وكان للقطط قديماً موقع مهم في اعياد الشعب يستعملونها في ملاهيهم فيلقونها على النار وينظرون الى الما وهي تحترق وكان بعض الامم يعتقدون ان دفن قطط حية في اساس بناية تعرف بها متانة البناء . وكان ينظر الى القطة السوداء عندهم بان فيها سراً من

السحر . وكان المصريون ينظرون الى القطط بانها حيوان مقدس والمسلمون والهنود يحترمونها كل الاحترام . وقد صورها المصورون في كل عصر وعنوا باخراج مناظرها المختلفة . وللقطط منافع عظيمة في قتلها الجرذان والظاهر انها تتنبأ بالمطر يعرف ذلك من انتفاشها وتنظيفها ووبرها ووضعها رجلها على اذنها .

المدن العظمى

ليست الحواضر والعواصم ابنة اليوم وتأسيس ساعة فقد تنبأت العصور السالفة بما سيكون من شأن المدن العظمى فكانت بابل متسعة وعدد سكان رومية في القرن الثاني مليون نسمة وكان في قرطاجنة دور ذات سبع او ثماني طبقات وقد سن قانون في رومية على عهد قنروف لمنع تغطية الجو بالابنية وكان سكان ميلان في القرن الثالث عشر ٢٥٠ الفاً فضاقت المنازل بسكانها فاخذوا يفكرون في الخلاص مما صارت اليه حالتهم وكان معظم الشعب يسكن في ثكن عظيمة

لا جرم ان سهولة المواصلات الحديثة واختراع السكة الحديدية قد دعت الى هجرة الناس من الارياف والمزارع الى المدن والعواصم وكلما كبر حجم مدينة زادت اقدام المهاجرين اليها ففي المانيا زادت القصبات المحتوية على الف نسمة من سنة ١٨٧٥ — ١٩٠٥ مرة ونصفاً في المئة والمدن المتوسطة التي فيها ٢٠ الى ١٠٠٠٠٠ زادت ١٣٤ في المئة والمدن العظمى التي فيها ثلثمائة الف ٣٠٠ ضعف في المئة واكثر ولاميركا القدح المعلى في انشاء المدن الحديثة لم يكن في شيكاغو سنة ١٨٣١ سوى ١٠٠ ساكن وها هي الآن وفيها مليونا ساكن . وفي المدن الحديثة يخرج السكان من وسط المدينة لتحل محلهم البيوت التجارية . وكانت المدن في القرون الوسطى ذات زوايا يخططها وشكلها اليوم على شكل النجم ويصل كل يوم الى مدينة لندرا اربعمائة الف انسان من الضاحية ولها خمسون كيلومتراً من الخطوط الحديدية للضاحية فقط ومدينة نيويورك مثال نقاط الاتصال في المدن فان محطة خطوط هودسون بناية ذات ٢٢ طبقة فيها ٥٠٠٠ نافذة واتساع رقعة المساكن وازدياد عدد السكان في المدن العظمى يتنوان على الدوام بنمو المواصلات وتسهيلها

الصحافيون والادباء

لم يكن الصحافيون في اوربا اصحاب اعتبار عند رجال الادب في اوائل القرن الثامن عشر ولطالما كان الفيلسوفان روسو وديدرو يشتدان عليهم وكان الشاعر

فانو اذا جرى ذكر الصحافيين يغتاظ ويشتم ولقد تردد بريـو كثيراً قبل ان يدخل ملك الصحوفة المنحط وما العلة في مقت الصحافة اذ ذاك الا لانهـا كانت توسع مجالاً كبيراً لنقد الكتب الحديثة وكان الصحافيون نقاداً لا يبينون حسـنات الكتب المؤلفة بل يكتفون بايراد سيئاتها واذا حدث ان اثنوا على كتاب فلا يلفتون نظر الناس الى تلاوته ثم ان كتاب الصحف لم يكونوا من الطراز الاول بقرائحهم حتى ان جريدة العلماء في فرنسا التي كانت الى الجد والفائدة اميل لم يكن بين مؤازريها من امتاز في العلم ولكن صحافة فرنسا خصوصاً دخلت عليها بعض تعديلات من سنة ١٧٥٠ الى ١٧٨ ولما عمت أصول الدعوة ونشر الافكار رأى الصحافيون ان جرائدهم احسن الوسائط للتأثير في نفوس الامة وهكذا اتسع أفق الصحافة حتى غدا بعزها اليوم من كان يتقزز منها امس واصبح مؤازروها في الغرب يتأهلون بمقالاتهم فيها لاعلى المناصب العلمية والسياسية

النفس الاسبانية

كتب احد من اقاموا طويلاً في اسـبانيا مقالة في « المجلة » الفرنسـوية وصف بها اخلاق الاسبانيين فقال انهم اقاموا بينهم وبين اوربا سداً كسد الصين عاشوا وراءه بمعزل عن معظم ما في ديار الغرب من مرافق الحياة واسباب المدنية وهم يفخرون باعتزالهم هذا وقلَّ ان ساح احدهم الى فرنسا او انكلترا او ايطاليا اللهم الا اذا كان من الاسبانيين نزلاء بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية واذ الجهل الذي عم الطبقات هناك الا قليلاً تروي جرائد اسبانيا عن ممالك اوربا اوهاماً وخرافات اشبه بما يروى عن بلاد الواق واق ويأجوج ومأجوج ولذا ترى صحفهم حتى الراقية منها مملوءة بالمطاعن فيمن يدعو قومه الى الاخذ عن الفرنسيس او عن الانكليز في الحضارة لان الاسـبانيين موقنون بان عندهم كل شيء

دلَّ التاريخ على ان اسبانيا نزلتها امم مختلفة منهم التارتازيون واللوزيتانيون والايبريون والسلتيون والقرطاجنيون والرومانيون والويزغوتيون والعرب والجيتانيون وان كل هذه العناصر بقي شيئاً من اخلاقها وعاداتها لم تستطع اسبانيا الحالية ان تمزجها بعضها الى بعض (كما حدث في الممالك العثمانية وعناصرها) لاعتزال كل فريق في صقع من اصقاع البلاد لا يخالط غيره ويرى الفخر له في عزلته . ويقال على الجملة ان اهل اسبانيا من حيث التركيب الطبيعي والاخلاقي ينقسمون الى اربعة اقسام وهم الباسكيون في الشمال والقشتاليون والاراغونيون في الوسط والكاتالانيون في الشرق والاندلسيون في الجنوب . والاندلسيون

من اجمل الاجناس واطولها قامات واحسنها تراكيب ولا سيما سكان الوادي الكبير الذي كان له شأن في عهد العرب وفي سيرانيفادا تغلب النحافة على السكان وتظهر فيهم السحنات العربية كل الظهور · وفي اهل الاندلس من الافراط في الحرية والتساهل في الاخلاق مالا تجد له مثيلاً في الاصقاع حتى لقد يكثر فيهم الفحش واولاد النغول ويقل فيهم الزواج واقليم كاتالونيا هو الاقليم الوحيد في اسبانيا الذي دخل في الحياة الجديدة وتوفر اهله على الزراعة والصناعة والتجارة ؟ ومن يذهب من قشتالة اوالاندلس الى كاتالونيا فكأنه فارق الموت ودخل في طور الحياة وسينهض الكاتالانيون غداً باسبانيا كما نهض البيونيون امس بايطاليا

وذكر الكاتب ان الشحاذة في اسبانيا شائعة اكثر من جميع بلاد اوربا وان الشحاذين والشحاذات يطلبون الصدقات بسلاطة وقد يدعون على من لا يعطيهم كأن لم جعلاً يتقاضونه من الغريب خاصة وربما رشق بعض الفتيات من لم يعطوهن شيئاً بالحجارة · وتشكو الصحف الكاثوليكية من ضعف الاعتقاد في الافراد ولا سيما في الرجال ويسيء الاسبانيون معاملة الحيوانات لقلة تربيتهم لا لشراسة في طباعهم الاصلية فانهم من اخضع الناس للقوة والاحكام يؤدون الاتاوات والخراج على صورة فاحشة ولا ينبسون ببنت شفة وقلما تعهد لهم ثورة على الحكومة الا في كل قرن والمرأة غير موقرة كثيراً في اسبانيا كما هي في سائر اصقاع الغرب · قلنا ومعظم هذه الاوصاف تنطبق على بلادنا العثمانية ولا عجب بعد هذا اذا رأيناها اكثر لم تتأثر بالمدنية الغربية على قربها من جوار اوربا فان اسبانيا وهي قطعة من هذه القارة كانت لصلة الدين واللغة والجنس اولى بالتشبه بالاوربيين ·

اردياء النوم

كتب احد نطس الاطباء في مجلة الصحة يقول الظاهر ان لحالة المعدة دخلاً كبيراً في النوم ومن المعلوم انه يحدث أرق بعد الهضم المتعذر او نوم ثقيل قليل الراحة فان لحركة وظائف الاحشاء دخلاً مهماً في اضطرابات النوم فالواجب ان تمنع عمن أصيبوا بالارق المشروبات المخمرة وفي كثير من الاحوال يمنع عنهم الشاي والقهوة على ان استعمال هذين المنشطين اوائل النهار لا يضر بالصحة · اما المرضى المصابون بفقر الدم فانهم يشفون من الارق بجلب النعاس الى جفونهم بان يقيلوا وقت الظهر فتساعدهم قيلولة النهار على النوم نوماً هنيئاً في الليل ويجب العناية بغرف النوم فان من اعتادوا ان

يناموا في كل فصل والنوافذ مفتحة يؤكدون انهم يناموت نوماً جيداً يعوض اجسامهم ما فقدته في اتعاب النهار . والاستهواء من انفع ما يجلب الكرى الى عيون المؤرقين والمصابون ببعض الامراض العصبية وهم عرضة للأرق يكون لهم من العمل العقلي المنتظم بعد راحة مطلقة قليلة نتائج حسنة فينامون نوماً هادئاً مقوياً تحتاج اليه اجسامهم

باريز ومستقبلها

نشر احدهم في المجلة مقالة في هذا الشأن جاء فيها ان باريز كانت بعدد سكانها في سنة ١٨٠٠ ثاني عاصمة في العالم فكان سكانها نصف مليون ولم تفقها غير لندرا وسكانها مليون واحد ثم تجيء بعد باريز موسكو وما زالت احوال العمران تزيد وينبسط ظله حتى اصبحت في العهد الاخير مدينة لندرا وسكانها سبعة ملايين ومدينة نيويورك ٤٧٦٦٨٨٣ ثم تجيء برلين وفينا وطوكيو وغيرها من المدن ليس لها شأن في القديم يذكر فقد كانت في اوائل القرن الماضي اكثر مدن اميركا سكاناً مدينة فيلادلفيا وسكانها لا يتجاوزون الا ٨٩ الفاً وهكذا زادت العواصم كلها بسكانها زيادة خارقة وباريز لم تتجاوز الثلاثة ملايين في حين كان اللائق بها ان تكون ثاني مدينة بعد لندرا فاذا ظلت العناية بها فاترة لا تعتم ان تمسي بعد عقود من السنين من اصغر العواصم فتقل رغبات اهل الارض في قصدها ولا تعود بلد النور وتنازعها في ثروتها التي يجلبها اليها السياح من القارات الخمس غيرها من العواصم الكبرى فتستميل الى النزول فيها علماء باريز والمغنين من ابنائها لكثرة ما تبذله لهم من المال وعندها تسقط هذه العاصمة سقوطاً مريعاً

ويرى بعضهم ان قلة الرغبة في نزول الحواضر واعتزال الناس على الاشتغال باعمالهم الزراعية في القرى والدساكر هو خير للبلاد وابقى لان كثرة ازدحام الاقدام والانفاس مضرة بالصحة العامة والاحسن ان يتباعدوا ولكن هذه النظرية تعالج بشيء واحد وهو ان تبذل العناية بامور الصحة اكثر مما تبذل الآن ويضاف الى باريز ما في ظاهرها من القرى والمدن بحيث تعد منها وحكومتها حكومتها لا يدفع ابناؤها رسوماً (عوائد) ولا غيرها فتدخل في باريز تلك الحقول الواسعة والحراج الغبياء في الضاحية ويساعد ذلك على تكبير ساحاتها العامة المفيدة في صحة السكان وبذلك تحفظ باريز مكانتها في اقطار العالم المتحضر لان ما تعده انكلترا من العدد لمستقبل لندرا من اعجب ما سمع ومن ذلك ادارة جر المياه اليها فانها ستكون كفيلة سنة ١٩٤٠ بارواء ستة عشر مليوناً من

السكان وكذلك ترى نيو يورك ان سكانها سيتجاوزون سنة ١٩٤٠ احد عشر مليوناً . وهكذا ترى الافرنج يفكرون الى ما بعد عشرات من السنين ونحن نقول « ولك الساعة التي انت فيها »

مدارس المؤوفين

اذا عرض لاحد العملة عارض اثناء عمله كأن يفقد عضواً من اعضائه او ذراعاً او يداً او ساقاً او عيناً فان بلاد الغرب تكفلت لمن أصيبوا بهذه العاهات ان تعلمهم صناعات يكسبون بها رزقهم ففي البلجيك أنشئت عدة مدارس لهذه الغاية بفضل مال جاد به احد محسنيها واسمه باستور من اعضاء مجلسها النيابي فيعلمون من نكبوا من العملة بفقد احد اعضائهم في زمن قصير صناعة تقوم بمعيشتهم كالتجليد والمقوى والمناقض (الفرشايات) ومماسح الارجل مما يعمل على ايسر وجه بدون ان يكون عامله تام الاعضاء فيوزع الجذع لمبتورة اعضاؤهم بحسب قابليتهم على فروع مختلفة فمنهم من يستخدم في صنع السروج ومنهم في الاحذية وآخر في الخياطة وبعضهم في الاعمال الحسابية . وكل صناعة تجري تحت نظر معلم اكبر يعين نوع العمل ويراقبه ويدفع اجوره بعد الثلاثة الاشهر الاولى من التعلم وتطول مدة تعلم الاجذم او الاكتع بقدر ما يستطيع استخدام اصابعه او بعضها فقط فان من فقد السبابة (الشاهدة) يتعذر عليه العمل فبقدر صبره يتوصل الى استخدام ما يقوم مقامها من اصابعه ومن فقد يده يتوصل الى ان يعمل بسرعة مناقض للثياب وغيرها مما يشابهها وفي مونيخ وبوتسدام وهمبورغ من بلاد المانيا مدارس كثيرة للمؤوفين وانتشر هذا النوع من المدارس في الدانيمرك ويرد عهد انشائها الى سنة ١٨٧٤ وقد بلغ عدد من انقذتهم من العملة بتعليمهم ما يلزمهم نحو ستة آلاف فمنهم من جعلت له ايد صناعية وآخر اذرعة والنساء في مدارس المؤوفين في فرنسا يعملن علباً وكوات (اباجور) ونحوها

الزنوج

تبين من احصاء وقع في الولايات المتحدة سنة ١٩١٠ ان فيها نوعاً عجيباً من الزنوج تكون بشرته سوداء على اختلاط دمه بالدم الابيض فقد كانوا فيما مضى يقسمون الزنوج الى اربعة انواع اكتورن Octeron وربع زنجي وخلاسي واسود وتكاد هذه المميزات الآن تفقد بتة ويخلفها جنس يشبهها ليس هو الجنس الزنجي الخالص السليم بل مؤلف تأليفاً آخر يدخل في دمه الثلث من دم ابيض ولكن لونه لا يشاهد محسوساً

و يوصف هذا النوع من الزنوج بظهور لون جلده · وان لون الزنجي في لوزيانا واوديان الجديدة لمشرب مشبع اكثر مما كان عليه لون اجداده قبل حرب الفساء الرقيق او من الزنوج الواردين من افريقية وسواده يلمع اكثر من زنوج الكونغو وسيماؤه افريقية ظاهرة بعض الظهور واشداقه كبيرة وشعره اقل صوفاً · ويصعب تعيين اسباب هذه الخصائص ولكن معظمها ناشيء من تغيير شروط الحياة · والزنجي الاميركي هو في العادة اقل قوة من الزنجي الاصلي واقل تحملاً من الزنجي القديم · وزعم احد الباحثين في خصائص الزنوج انه ربما لا يوجد في شمالي اميركا زنجي واحد يكون دمه خالصاً وان الزنوج ليسوا زنوجاً حقيقية وان جميع السود قد تبدلت دماؤهم وسحناتهم · ومنذ تحرير العبيد الغيت الطريقة التي كانت متبعة في الزواج بانه لا يسمح الا بزواج المتناسبين في القوة ولذلك ضعفت تراكيب الزنوج الطبيعية · وشعر الزنوج انفسهم بذلك حتى قل تزاوجهم بالبيض اوالمنود ولكن هذا النوع من السود قد تغلب اليوم ويرجى ان يعود بالتحسين مع الزمن الى سابق قوته ورجوليته

كانون التبريد

اكتشف كراهام بل مخترع التلفون ومصلح امور كثيرة في الطيارات السماوية اكتشافاً حديثاً يتبرد به الانسان في شهور القيظ وهو داخل حجرته فصنع ما سماه كانون التبريد والجليد فكان يتبرد بها في شهر آب الماضي في مدينة واشنطون بينما كان الناس يضيقون من الحرارة ذرعاً وذلك بان صنع آلة عجيبة سهلة يتأتى لكل امرىء ان يعملها بدون كلفة وذلك لان المخترع اذاع سرها ولم يأخذ بها امتيازاً كسائر المخترعات وهو انه وضع على اطار نافذة الغرفة مروحة على شكل المراوح المتعارفة تتحرك على الدوام بمجرى كهربائي ويتأتى اخذ المجرى من آلة المصباح الكهربائي فيحدث من ذلك ريح بليل تحكم جريانه الى انبوب واسع يدخل منه الى صندوق متسع بعض السعة تجعل فيه كتلة من الجليد ويخرق الصندوق خرقين يجري فيهما المجرى الجليدي الذي ينشر في الغرفة التي تكون مقفلة ويكون من الهواء البليل الناشيء من المروحة والمار على الجليد رطوبة غريبة تنشط النفس وتقوي الحس · وتقام هذه الآلة بنفقة قليلة ولا تتطلب من انواع الاحتياط الا ان يغير جليدها كل يوم · وسيتوفر الاستاذ المخترع على بسط اختراعه اكثر من ذلك وادخال تعديلات عليه ليتمكن معها كل انسان من استعماله ويكون للفنادق ومحال القهوة حظ كبير من هذه الآلة الجديدة يبردون بها زبنهم وضيوفهم

دروس السيسمولوجيا

السيسمولوجيا علم حديث النشأة فما من احد يعلم عَلَى التحقيق اسباب الزلازل وكيفية انتشارها عَلَى سطح الكرة والاشارات التي يتأتى الانتباه بها للزلازل قبل وقوعها وهذه الابحاث لا تهم من تصاب بلادهم بالزلازل تفاديها هذه الاحداث الجيولوجية وتراوحها بل تهم الانسانية لانها تقامي منها الاهاويل ولذا اخذ العلماء منذ ربع قرن يبحثون في اسرار الزلازل وآخر مؤتمر عقد في منشستر ناب فيه كثير من اهل هذا الشأن في الامم ولا سيما من الممالك التي يكثر ما لها بهزات ارضية فشرح احد الاميركان اسباب زلزال سان فرنسيسكو وشرح احد اليابان اسباب زلازل بلاده فتبين على الجملة الآن ان الارض تهتز في اي نقطة كانت كل نصف ساعة عَلَى الاقل وتجلى هذه الهزات غالبًا في مناطق معينة فقد حدث في يابان منذ سبع سنين ٨٣٣١ زلزالاً اي نحو الف زلزال في كل عام وهي تحدث في محيط من الارض لا يتجاوز بضع مئات من الكيلومترات المربعة ولكن الاهتزازات تتوالى على الارض كلها الى ابعاد نائية . وبعد ان أصيبت يابان بزلزال يوكوهاما في شباط سنة ١٨٨٠ اجمع رأي العلماء عَلَى ضرورة انشاء جمعية دولية تبحث في سر الزلازل وانقائها فهم عامة الامم الى الاشتراك وفي المقدمة روسيا وايطاليا . وقد اقترح احد اساتذة ستراسبورغ (المانيا) ان يقام مكتب للزلازل يعمل بمعاونة ثلاثة وثلاثين قطراً مختلفاً عَلَى تبادل الملاحظات وينشر كل سنة فهارس بالزلازل ويعنى بوضع مصورات للزلازل تكون مستنداً نافعاً جداً لوضع الاسلاك البحرية وانشاء البيوت فتتعين فيها النقط التي تخلو من خطر الزلزال وبفضل هذا العمل المشترك يظن بانه بات يرجى عما قريب ان يتنبأ بالزلازل قبل وقوعها ويتحامى ما ينشأ عنها من المضار

الامرة في اميركا

ظهر بالبحث والاستقراء ان نساء الولايات المتحدة ولا سيما من كان منهن من الاميركيات الاولى هن اقل النساء تناسلاً وان غير الاميركيات من نزيلات الولايات المتحدة هن اكثر نسلاً وفي مقدمتهن المرأة البولونية فان معدل اولادها ٦٦٢ ومعدل الاميركيات البيض ٢٦٧ ويجيء بالكثرة بعد البولونيات نساء الترك ثم الالمان ثم الانكليز

ابادة الجرذان

معلوم ان الجرذان تضر بالحقول في سني الجدب خاصة وتأ كل الحبوب والنباتات

وقد كان معول ارباب الزراعة على النمس يربونه ويدربونه على التهام الجرذان ولكن النمس يسطو ايضاً على الطيور وغيرها من الهوام النافعة وربما كانت القطط والكلاب انفع في ابادة الجرذان خصوصاً اذا كانت هذه قريبة من تلك لصيدها على ايسر سبيل . وقد اعتمد بعضهم على كربونات الباريوم في تسميم الجرذ وآخرون على سم دانيس وهذا السم يسري من المسمم به الى غيره من الجرذ السليم فلا تلبث ان تهلك عن آخرها خصوصاً اذا وقع تحضيره في الاماكن التي يجري التسميم بها لانه ظهر انه يفسد بعد شهرين من عمله فاذا حمل الى القاصية ضاعت فائدته وهم الآن يبحثون في اقرب الطرق للانتفاع به فاذا صحت تخدم الزراعة والنبات خدمة مهمة

النساء العاملات

انشأوا في الغرب منازل للفقراء الرجال من العملة يستأجرونها بثمن بخس جداً وفيها مرافق الحياة واسباب الراحة وقد كانت انكلترا سابقة غيرها في هذا السبيل فانشأت بلديتا منشستر وغلاسكو فنادق للعاملات فيها مئات من الغرف تكري الواحدة منها في الليلة من ٧ الى ١٣ فلساً وتربح البلدية اربعة بالمئة من ريع هذه الفنادق التي تساعد العاملات وتفكر بلدية لندرا في انشاء مثل هذه الفنادق كما سبق لها ان انشأت وانشأ الافراد بيوتاً رخيصة

احصاء الجنسين

تبين من الاحصاءات الاخيرة ان عدد النساء لا يزيد كثيراً عن عدد الرجال في المانيا والزيادة ثمانمائة الف امرأة فقط وما قيل من قلة الزواج لم يصح لان ٩٠ في المئة من النساء يتزوجن ولكن العجيب ان يلد في العادة اولاد ذكور اكثر من الاناث وموت المرضعات يؤدي ابداً الى نقص الذكور من الاطفال

شرب الشفة

ما برحت الشعوب المتحضرة تبحث منذ الازمان الموغلة بالقدم في الطرق القريبة لجلب المياه الى المدن فقد كان حمورابي يوزع المياه على بابل من احواض جعلها وسط هذه المدينة وعيون المياه في صور واحواضها في القدس كانت من اهم ما عرفه القدماء في توزيع المياه للشفة وان مجرى الماء الذي أنشيء في جزيرة ساموس هو اليوم من اجمل اعمال الصناعة في هذا الباب وكان الرومان يتفننون في جر المياه وما شوهد من آثارهم والمجاري التي اقاموها في كثير من انحاء مملكتهم تدل على براعة زائدة . ولطالما

كان ابقراط ابو الطب يحذر معاصريه من اخطار المياه القذرة الملوثة وتابعه على رأيه كثير من الاطباء وقد كانوا في اوربا خلال القرون الوسطى يحظرون القاء القذر في الينابيع العامة والآبار وكان معدل ما يلزم الرجل كل يوم في المدن من الماء ١١٤ لتراً في رومية في حين ان الباريزي اليوم يصرف ٢٠٠ لتر والهندي ١٨٠ والفينابي ١٠٠ لتر والماء الذي يستعمل في الصناعات غير محتاج الى التصفية والتطهير بالنفقات الباهظة ولذا ينصح علماء الصحة ان يجري الماء الى العواصم الكبرى في مجرين مختلفين على الاقل احدهما لشرب الشفة يكون طاهراً نقياً والآخر للصناعات والسقيا والرش يكون ماؤه عادياً

الحرف والحياة

تبين من احصاء جرى في بلاد الانكليز ان رجال الكنيسة اقل موتاً من جميع ابناء الحرف والمهن واكثر الناس موتاً املة الذين لم يتعلموا مهنهم على الاصول وبعد الكهنة والقسس يجيء ارباب الحدائق والمزارعون بطول اعمارهم وقلة زيارة الحمام لهم وبعد ذلك يكون دور الميكانيكيين والوفادين في الخطوط الحديدية . وتطول اعمار ارباب الصناعات النظيفة الذين يتعاونون ويكثر فيها المعلمون . واهل الصناعات التي تستلزم قوة كثيرة ويتعرض اصحابها للمخاطر هم مستخرجو الحطب من الغابات والبحرية فانهم يموتون اكثر من غيرهم ومثل ذلك يصيب ارباب الصناعات التي تؤدي الى السكر كباعة الخمور وتجارها

الهلام النباتي

الهلام او الجلاتين نوعان منه ما يستخرج من الحيوان ومنه ما يستخرج من النبات فالاول يكون باغلاء جلود الحيوانات والعظام والاوتار والغضاريف في الماء الحار والثاني يستخرج من مواد متنوعة نباتية بطريقة مشابهة لتلك وتصدر زوج اليوم هلاماً من نبات لا يستعمل غذاء بل يدخل في استعمالات اخرى فاذا صفي وبيض يستعمل في صقل الجوخ وفي بعض استحضارات أخرى ويستخرجونه من الحث (نبات الماء) الذي يكثر على شواطئ نروج فاذا حل جزء من عشرين جزءاً من هذا الهلام يكون منه هلام جيد ويباع حبوباً صغيرة لونها اسمر تصفر وتبيض فاذا حلت بالماء تنتفخ الحبات وكثير من انواع الحث الحلوة الطعم تحتوي على هلام يستعمله الفقراء في اوربا غذاء ويعملون منه رُبّا وهو منتشر كثيراً في بلاد يابان ويصدرون منه خارج بلادهم

ويزرع الحث في ارخبيل يابان واشتهرت جزيرة يزو بهلامها ويمزج الجلاتين الياباني في الحساء الصيني المعمول بالسنونو ويباع منه في يابان بما قيمته مليونان ونصف من الفرنكات

متوسطو القرائح

كتب ماكس نوردو من علماء الاسرائيليين مقالة في المجلة الباريزية تحت هذا العنوان فقال ماحصله : احسن ماتهبه الفطرة لطفل منذ يوم ولادته ان تجعل له قريحة رائقة فهي اجمل الهبات بل آكد التعاويذ في نيل سعادة الحياة من الغناء والثروة . لا جرم ان القريحة تزين مشاهد العالم اكثر مما يزينها شرف المولد وجلالة المراتب فيها تستميل العواطف العادية في تصور الحقيقة الى عواطف انس وهوى وبها تتسع الثقة في القوة العاملة في شخصية المرء.

ولك ان تحكم على قدر القرائح وتأثيراتها بما يصيب العظماء وارباب المكانة في هذا العالم من الفرح والحب فيتوفرون عليها اذا احسنت بها اليهم الفطرة فقد كانت الملكة فيكتوريا صاحبة انكلترا تجد سبيلاً بين مشاغلها الكثيرة من تولي امر ٣٥٠ مليونًا من البشر ان ترسم على الورق والمقوى الرسم الملون (Aquarelles) وكان ابن عمها ملك البرتغال يصور الاقمشة والاقمشة التي تخرج من منقاشه اذا عرضت في المعارض تعرف من بين غيرها ويدرك الناقدون ان يداً تخلت عن الصولجان ساعات لتمسك المنقش . وترى الامبراطور غليوم يرسم ويصور وينظم بعض الاناشيد والاغاني في آونة الفراغ وخال والدته الدوق ارنست الثاني ساكس كوبورغ قد ألف قصة باناشيد ابرزها للناس في دار التمثيل بقصره باسم مستعار وكان يجد لذة بين مشاغله ان يمثل التمثيل المضحك . وكان ماكسيميليان امبراطور المكسيك النمس الحظ شاعراً وقصائده الغنائية تشهد له بالغيرة وباحقية جهاده . واصدرت الارشيدوقة لويزدي توسقان مجلداً في الشعر بدل على انه كان في رأسها الاصهب مكان للاوزان والقوافي الشعرية .

واذا نزلنا قليلاً في درجات ارباب العروش ونظرنا الى اهل الطبقة الاولى في المجتمع نجد غواة البدائع والفنون كثيراً عديدهم فان الكونت بوست الذي يعزو الى نفسه المشكلة التساوية المجربة كان يكتب بالفرنسوية قصائد رقيقة تنبئ عن اغراض عالية والدوقة ولية المهد دوزيس تعمل نصباً وهيا كل حسنة .

وللعقائل الكبريات في باريز منذ بضع سنين ردهة سنوية يسقط الناظر في قائمتها عَلَى جميع اسماء النبيلات ونساء الكبراء ولا يقبل فيها غير رسوم رسمتها اناملهن و يتبارى الاشراف مبتهجين امام ما صنعته ايدي ازواجهن البيضاء

ولجميع الاعمال الحرة ايضاً مجتمعات فترى المحامين والقضاة والاطباء والممثلين والصحافيين يعرضون فيها ثمرات حبهم للصنائع النفيسة من نقش ورسم وحفر ومنها يستدل على مبلغ ولوعهم بالرياضات البدنية وولوعهم بتشغيل عقولهم . لا جرم ان جميع غواة الشعر والموسيقى والفنون ينظرون انصراف اذهانهم الى هذه الصناعات الجميلة خارجاً عن عملهم يتلهون بها فقط زيادة عَلَى ما أخذوا انفسهم به من الاعمال مما دل عَلَى ان القريحة الصغيرة او النصف القريحة تعد من البركات اذا نميت لذاتها فقط ولما فيها من النفع ولما لها من الوقع . ولكن اذا اضاف امثال هذه الطبقة الى عملهم طمعاً وطبعاً جاء منهم اناس يغضبون و ييأسون لانهم لم ينجحوا فيها هم بدليل نجاح من استعدوا لهذه الصناعات بالفطرة و برزوا فيها فاقبل الناس عليهم واعجبوا بما ترسمه يدهم الصناع . القريحة كائن يقوم بما يقوم به من العمل في العادة احسن من السواد الاعظم الذي يحاول الحصول عَلَى ذلك الاستعداد . والمادة الاصلية في القريحة القدوة والتقليد و يتأتي للقريحة ان تعلم الى حد محدود وفي مكنة كل رجل اعتيادي ان يجعل له قريحة وما القريحة الا بتعهدها وهي صورة حية من آثار النظر فيها والقريحة تتعهد في عهدنا بحيث يأتي من كل اثنين واحد ذو قريحة ولكن الانتفاع من ثمراتها انتفاعاً مادياً غير مضمون بل يتعلمها كما يتعلم الناس مايؤهلهم لاخذ الشهادة العالية في مبادىء العلوم فينال الشهادة المتعلمون ولكن لا يضمن لهم رزقهم منها بل هي اداة لتمدينهم

و يجب ان لا يعتقد من يستطيع نظم بيت انه شاعر ولا من يمس القلم والريشة انه مصور او نقاش فان هذا الاعتقاد حمل كثيرين عَلَى اعتقاد الكفاءة في انفسهم وعتبوا على الدهر لانه لم يعطهم حقهم من النجاح ووهموا بانه يستحيل عليهم ان يرزقوا مما لم يتقنوه اتقان النابغين له ولا يقدر قدر ذلك الا من يدخل المخازن وقاعات الصناعات فيرى ادعياء هذه الصناعات يعرضون ما خطوا ورسموا وبئس ما يريدون ان يشتروا به ثمناً ولو قليلاً و يحشرون انفسهم في عداد العالمين والنابغين . وليت اولئك الادعياء علم ما لا يعلمون التمسوا رزقهم من خدمة محال القهوة او صنع الاحذية اذاً لرفعوا رؤوسهم في صناعاتهم بدون ان يوهموا انفسهم بان لهم قريحة حسنة ويداً صناعاً .

وترى الدعوى ايضاً اكثر شيوعاً في الادب فان عشرين الفاً من الناس يدعون الشعر والكتابة وقليل منهم من لم يكتب وينظم ويؤلف قصة او قصيداً وهم متوسطون فيما يخطون ويبقى تسعة اعشارهم خاملين لا شهرة لهم الا في دائرتهم الضيقة وكم يقاسون من الالم يوم يحكم الناس على المجيدين منهم ويشهدون الكتبيين واعلانات دور التمثيل والجرائد والمجلات لا تذكر الا غيرهم من النابهين النابغين وهم قلائل يواتيهم الحظ ويحمل جمهوراً كبيراً ولا غرو فالمجيدون في الآداب كالمجيدين الخارقين للعادة في الصناعات النفيسة اندر من الغراب الاعصم والكبريت الاحمر .

وبعد فاطلب لكل من تريد له الخير ان تعرى نفسه كل التعرية من القريحة كلها فذلك خير له من ان تكون له قريحة تافهة يرافقها طمع فيه وهو طمع يضر بالنابهين ولا يفيد الآخرين من الخاملين

الفيل في الكونغو

يقدرون عدد الفيلة في افريقية من ثلثمائة الى اربعمائة الف فيل يقتل منها كل سنة نحو خمسين الفاً لاخذ العاج منها وقد اتخذت اساليب كثيرة لوقايتها مخافة ان ينقرض نسلها لخطرت بعض حكومات افريقية من الاوربيين صيدها بالنار او بشراك وان يقتل اناثها وصغارها التي يكون نابها اقل من خمسة كيلوغرامات وعلى الفيلة في معظم اصقاع افريقية يحمل الناس اثقالهم فيحمل الواحد منها ما لا يحمله ثلاثون او اربعون زنجياً والفيل في افريقية كما هو في الهند مورد ربح لصاحبه يساوي الواحد ٢٥٠ ليرة ودخله من ١٥ الى ٢٠ ليرة وهو يحرث الارض ويفتح الطرق وله غير ذلك من الفوائد

صناعات النساء

تزداد الصناعات التي يتعرف اليها النساء في بلاد الغرب اليوم بعد اليوم ويقبلن خاصة في الصناعات الاجتماعية . ولقد ابرزن في هذا الباب صفات فائقة وكانت جذوة هذا النور منبعثة من المانيا والنمسا . فقد عهدت بعض مدن النمسا مثل فينا وغراز وبراغ ولمبرغ وبرون الى النساء مناظرة العمل في الصناعات التي يشتغل بها العاملات من بنات جنسهن خاصة وانشأ مجلس ولاية بومرانيا في المانيا مهنة جديدة للنساء يعهد اليهن ان ينشرن بين سكان الحقول مبادئ تربية الاولاد(Puériculture) والاقتصاد الاهلي وحفظ الصحة والعمل اليدوي وغير ذلك . وعينت مدينة اونابروك في المانيا امرأة للعناية بالفقراء والنظر في احوالهن ورأت بلدية كيال في المانيا ان تعتمد

على النساء لمقاومة الالكحول وانقاذ من أصيبوا بتعاطيها فعينت عشر نساء لمعونة المدمنين والتأثير فيهم فاسفر عملهن عن احسن النتائج · وعينت حكومة الدانيمرك احدى الاوانس مفتشة على مطاعم المدارس في القرى ·

و يزداد تعيين النساء في الشرطة بصفة مساعدات وقد انشأت فنلاندا — وهي مرتقية جداً من حيث الاصلاحات الاجتماعية وان كانت مضطهدة من حيث احكامها — سنة ١٩٠٧ ثماني وظائف لمعاونة رجال الشرطة تولاها النساء وهن يقبضن رواتب كرواتب الرجال واهم ما يعهد به اليهن انقاذ النساء والبنات مما يطرأ على اخلاقهن وارجاعهن الى حظيرة العمل الشريف ومحاربة الاتجار بالرقيق الابيض وان يحملن العجوزات والاولاد الذين لم يرزقن حظاً من التأديب في اماكن لائقة وقد ظهرت فوائد ذلك كله حتى ان فنلاندا عزمت ان تنشئ وظائف مثل هذه في جميع بلادها وما زالت المدارس الزراعية للبنات تتكاثر في معظم بلاد الغرب وبها تهيأت مهن جديدة لهن فان الجمعية الزراعية في جنوب اقليم صواب من المانيا قد انشأت مزرعة لتربية الطيور Aviculture على الاصول الحديثة عهدت بادارتها الى امرأة وتقام فيها دروس خاصة بالنساء فقط

واحدثت نظارة التجارة في انكلترا عدة وظائف مديرات لمكاتب وسطى لاستخدام عملة للزراعة · وشعرت بعض البلاد الالمانية بان النساء يقتضي عليهن العوم والسباحة ولكن قلة الاساتذة من بنات جنسهن منعهن عن هذه الرياضة الجسدية المهمة فانشأت جمعية هناك تعلم الفتيات اللاتي عقدن العزم على تعلم السباحة وبعد ان يفحصن ينلن شهادات مؤذنة بكفاءتهن · وللنساء في المانيا شأن كبير في بيع الكتب فان عددهن فيها يبلغ ١٢٠٠٠ اي اكثر من ربع من يشتغلون بهذه التجارة · وقد اخذ النساء في المانيا في العهد الاخير يحترفن بالتجارة وصنع الجمة والنقش والتجليد والحلاقة والخياطة وعلى كثرة من كن منذ زمن يتعاطين الصناعتين الاخيرتين كان من المتعذر عليهن في المانيا ان يعملن بحسابهن اما الآن فهن في حل مما يردن ·

وفي فيينا نساء يصنعن الزجاج و ينلن بصناعته شهادات تؤذن بكفاءتهن ومن النساء من يتعلمن صناعات الساعات · ومن النساء النبيلات في انكلترا من اقتحمن اوهام محيطهن وقمن لادارة المشروعات الاقتصادية وكثيرات منهن الآن مديرات لفنادق كبرى ولبعضهن محال لقص الشعور والغسيل وعمل المربيات · وقد احدث النساء في اميركا حرفة جديدة وهي تنظيم السهرات فيعهد الى بعضهن ان يقمن بلوازم ليالي الانس

والفرح . وكثر عدد النساء المستخدمات في السكك الحديدية وادارات البريد حتى عمدت بروسيا مؤخراً ان تقبل باستخدام النساء في بعض الخطوط الحديدية على شرط ان تكون ساعات عملهن مساوية لعمل الرجال ولكنهن يقبضن نصف الاجور التي يتقاضونها . وعليه لا لذة قامت مؤلفة للاناشيد الوطنية فاصبحت مديرة جوقة مشهورة وبزت الرجال في هذا الشأن . وهكذا يعمل الغربيون رجالهم ونساؤهم كل بحسب قونه وغنائه فمتى يطرس الشرقيون على آثارهم في النافع من هذه المدنية المدهشة

الحس في النبات

يظن بعضهم ان النبات لا احساس له كما للاحياء وذلك لانهم ينظرون اليه بالعين المجردة فيقع في نفوسهم انها احط في الاحساس من نباتات البحر وانت اذا عمدت الى نبات الالودة élodée الكنادي الذي يطلع في المياه العذبة ويتأتى له ان يعيش بدون جذوع ونزعت منه ورقة بمقص وفحصتها بالمجهر ووضعتها في صحفة فيها نقاط ماء لا تلبث ان ترى فيها خلايا مستطيلة قليلاً فيها عدة اجسام مدورة خضرة وحبوب الكلوروفيل كل ذلك ساكن لا يتحرك حتى اذا مضت خمس دقائق او عشر او خمس عشرة دقيقة ترى فيها تلك الحبوب تتحرك حركة قليلة اولاً ثم تزيد وتتراءى لك الحبوب تسير على طول الصفحة يتبع بعضها بعضاً ثم تعود الى محلها الاول في دقيقتين ثم في دقيقة هكذا تدور في كل خلية ومنها ما يذهب ذات اليمين ومنها ذات الشمال ومنها ما يسير بسرعة ومنها بطء

كل هذا مما يدل دلالة ظاهرة على وجود الحس في النباتات واعظم تلك الجوارح فيها النظر الذي به ترى النور ولا تميز بين المرئيات كما هو الحال في ديدان الارض وسمك البولان (المحار) والمرجان وغيرها التي ليس لها حاسة النظر ولكنها تشعر بالاحتكاك الذي ينالها من اشعة الشمس اذا أصيب بها وما ننسبه للحيوانات لماذا نسلبه عن النباتات. ومن السهل ان نبين تأثير النور في النبات وذلك بان نغرس نباتاً في مكان ليس له سوى نافذة واحدة من جهة واحدة فنرى سوقها وهي تنمو تتجه نحو النافذة مما يدل كل الدلالة على انها تحب الشمس وهذا الحس من الشوق بالنور يوجد في الجذع ولكن هذا لا يحب النور ويهرب منه شأن من قويت فيهم حاسة النظر فانهم يستظلون من الشمس عندما تحمى جمرتها واوراق النبات تتعرض للريح في النهار وهي تنام في الليل فتغير حركتها ومن النبات ما يرى فيها ذلك محسوساً وأكثرها زهر العسل وعصيفرة Chèvrefeuille Capucine والخث او نبات الماء يسهل ان يدرس فيها تأثير النور

واللمس هو من الحواس المشهودة في النبات وترى المستحية Sensitive لادنى لمس يتحرك وريقاتها بعضها فوق بعض و يعلق اوراقها نحو الاسفل وقد عللوا ذلك بان هـذا النبات متى مس يغادر الماء حواسها ليذهب الى الساق فينقبض هذا وهناك نبات آخر اسمه طراد الذباب Dionée attrap-mouche هو من النباتات التي تلحق الاجسام المجاورة مثل الكرم والبطيخ فانه اذا لم يجد في جواره ما يعرش عليه يخرج مستقيماً . وفي الزهور ايضاً اجناس كثيرة تحس باللمس . والذوق يوجد في النبات ولا سيما في الخث او نبات الماء فانه محسوس فيه فاذا وضع في الماء اجزاء ذات طبائع مختلفة لايجلب الخث اليه وذلك بان يخرج في سطحها محتقراً ماعداه . اثبت العلماء النظر واللمس والذوق للنبات وربما لايلبثون بعد البحث ان يثبتوا لها قريباً الشم والسمع فسبحان من خلق من خلق، اناساً يفكرون الليل والنهار في تعليل هذه الكائنات وزهدنا في كل نافع فاحتقرنا كل علم .

الجنس الابيض

البحث في اجناس البشر من اهم المباحث الحاضرة ويقولون ان الجنس الابيض يسعى ليكون حاكماً على بقية الاجناس وان يكونوا تحت سلطته وملكه وهذا من الابحاث الاستعمارية فكل جنس من الابيض يطالب احتمارهو لاء وهذا ماحدا بالمسيو جونستون ان يتجشم الصعوبات والاسفار الشاسعة ليوفق الى حل هذه المشكلة العظيمة . قال بعد توطئة لهذا البحث هل في وسع الجنس الابيض ان يسكن البلاد القطبية؟ كلا هذا امر مستحيل اذ الاقليم هناك يمض جسم الابيض حتى يقتله . والابيض قليل النسل بالنسبة الى هؤلاء ولكنه يعنى بتربيتهم اولاده وكذلك يستحيل على الابيض ان يقوم بالاعمال المادحة في البلاد الحارة

فوق الاوربي اهل هذه الاجناس باعتنائه بصحته والتوقي من الامراض ولكنه لا يمكنه ان يعيش في اقليمهم كما قدمت سابقاً . ان الاختلاط ببقية الاجناس مفيد جداً ونرى نتيجته الحسنة في سيبريا من اختلاط الروسيين بالجنس الاصفر المغولي ولكي تستحكم روابط المودة بينهم يجب على الجنس الابيض ان يعاملهم معاملة حسنة بالمساواة والاحترام ولا ينظر اليهم نظر الاحتقار ومن الخطل ان ننظر الى جنس الاصفر والاسود والاحمر ونحكم عليهم بالنقص في جسدهم وعقلهم اذ ربما فاق الابيض فهذه الامة الصينية واليابانية هي اليوم غيرها بالامس وكذلك الزنوج لا يطول امرهم وهم على هذه الحال من التأخر

ان هؤلاء يتأثرون ويحنقون في صدورهم البغضاء عند ما يقرأون في جرائدنا وكتبنا الحملات الفادحة التي نحملها للحط من اقدارهم ولا بد ان يأتي يوم قريب ونرى انفسنا تحت حكومة هذه الاجناس وسلطتهم . يلزمنا زمن لمعرفة معنى الاخاء الحقيقي حتى نتلطف مع هؤلاء ونعاملهم معاملة حسنة اذ الانسانية تقضي علينا ان نعامل المخلوقات باحترام ورفق . لاجل احترام هذا المبدإ يجب ان نبحث ونتدين بدين يكون عاماً للبشر خالياً من الوضع والبدع الجنسية ويمكن ان تكون هذه الديانة المسيحية ولكن بعض اربابها يتكالبون في الاستيلاء على مراكش والكونغو وغيرهما من البلاد .

الفنادق في سويسرا

كان عدد الفنادق في سويسرا سنة ١٨٨٩ ١٠٠٠ فندق تحتوي على ثمانية وخمسين الف سرير وفي تقويم سنة ١٨٩٩ بلغ مجموع الفنادق ١٩٠٠ و ١٠٥٠٠ اسرير وهذه الفنادق تشغل في عرصاتها ٣٤٠٠٠ الف عامل منهم ١٤٠٠٠ يدأبون على العمل طول السنة . رأس مال هذه الفنادق ٨٠٠ مليون فرنك صرف منها ٥٠٠ لاجل تشييد البناء ومجموع الواردات في كل سنة ١٩٠ مليوناً فاذا اعتبرنا هذا الرأس مال مأخوذاً بالفائدة تكون الخسارة خمسة في المائة بالنسبة الى الواردات .

خاتمة السنة السادسة

يختم المقتبس اليوم عامه السادس لانشائه في القاهرة والثالث لصدوره في دمشق ويحمد الله على ان جعل اعوامه الثلاثة في ربوع الشام لا تقل عن اعوامه الثلاثة الاولى في ربوع مصر بتحقيق المسائل واشباع الموضوعات ونقل اوضاع الغربيين والشرقيين المحدثين منهم والمتقدمين ومراعاة ما اخذ النفس به على قدر الامكان من عدم التعرض للابحاث الدينية والسياسية لكون مقالاته ومباحثه ثابتة في الجملة لا يغيرها تبدل النزعات المذهبية والاهواء الحزبية او الشعوبية اوالاستعمارية

وهنا نعاهد القراء على بذل الطاقة في هذه الخدمة الشريفة مستعينين بالله وبمؤازرينا الكرام الاعلام الذين جعلوا من هذه المجلة حديقة يانعة بثمار دروسهم وابحاثهم . وقد زدنا منذ السنة القادمة في صفحات مجلد السنة ١٦٠ صفحة فيدخل المجلد في السنة المقبلة في ٩٦٠ صفحة بدلاً من ٨٠٠ بحيث يصيب كل جزء ٨٠ صفحة ولله نسأل المعونة والهداية والعفو عما طغى به القلم من الخطيئات والمفوات

القول السديد

في

بعض مسائل الاجتهاد والتقليد

تأليف

العالم الاصولي الفقيه

الشيخ محمد بن عبد العظيم المكي الحنفي

ابن المقدسي المبروز الملا فروخ بن عبد المحسن

الرومي الموروي

رحمه الله تعالى

اتم تأليفه في شوال سنة ١٠٥٢ للهجرة

صححه وعلق عليه بعض الهوامش

السيد محمد رشيد رضا

الطبعة الاولى سنة ١٣٣٢ هـ ق و١٢٩٢ هـ ش

مطبعة المنار بمصر

فهرس المجلد السادس

من المقتبس

(ي)

صفحة

لخزانة كتب الكلية الصلاحية في القدس
هدية من صاحب المقتبس
دمشق ٦ شعبان ١٣٣٤ محمد كرد علي

المقتبس

مجلة تبحث في التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد والادب والتاريخ والآثار واللغة وتدبير المنزل والصحة والكتب وحضارة العرب وحضارة الغرب

AL-MOKTABAS

Revue mensuelle paraissant à Damas (Syrie)

Pédagogie, sociologie, économie politique, littérature, histoire, archéologie, philologie, ménage, hygiène, bibliographie, civilisation arabe et occidentale.

تصدر في كل شهر عربي بدمشق

لمنشئها
محمد كرد علي

المجلد السابع
١٣٣٠ — ١٩١٢

قيمة الاشتراك في دمشق والبلاد العثمانية : ثلاثة ريالات مجيدية
وفي مصر وسائر الممالك : ستة عشر فرنكاً تدفع سلفاً

Abonnement 16 Fres

طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

السنة السابعة للمقتبس

بسم الله وبه نثق

نحمده تعالى على ان يسر لنا الوفاء بما وعدنا به يوم انشاء هذه المجلة من ارادة التحسين في موضوعاتها وتكثير موادها وتكبير حجمها وتجميل مظهرها بحسب سنة النمو الطبيعي . وها نحن اولاء نبدأ الآن بنشر السنة السابعة بزيادة عدد صفحات مجلد السنة بحيث يقع المجلد في ۹٦٠ صفحة وكان كل مجلد في السنين الاربع الاخيرة يصدر في ۸۰۰ وفي السنتين الاوليين في ٦٧٢ وتوسيع الحجم يقتضي ولا جرم التوسع في الابحاث واشباعها نظراً وتدقيقاً .

لم نتفرغ كل التفرغ في السنين الماضية الى الانقطاع لما نحب المبالغة في البحث فيه لتجويد تأليف هذه الصحيفة لان العمل في الصحف السياسية اضاع علينا جانباً من اوقاتنا بحكم الضرورة بيد اننا لم نغفل يوماً ونحن وسط ذاك العراك الشديد عن اقتباس كل ما نعتقد فيه الغناء لفائدة القراء الاعزاء .

اضف الى هذا ان السنين الثلاث الماضية من سني الدستور العثماني كانت ومازالت ايام اضطراب وفتن وبلاء ونحن وفي مثل هذه الحال يصعب على من يعمل بعقله ان يصرف قواه كلها الى تعزيز كلمة العلوم والآداب وهي لا تنمو الا في ظل الامن والراحة والقائمون بخدمتها احوج الناس الى السكون والانقطاع للتدبر والتفكر ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله .

فرجاؤنا ان يكون جو الاعوام المقبلة اكثر صفاء لنحسن الاضطلاع باعباء هذه الخدمة الشريفة ونبلي البلاء الحسن في نشر النافع في النهضة الفكرية في الديار العربية اذ كل سعي ضائع بدون ان يسبقه نهوض علمي واقتصادي وادبي والله ولي التوفيق

ملقى السبيل

سانحة

المعري وشبنهاور

من عهد بعيد بحث كتاب الشرق والغرب عن حياة الشاعر الحكيم ابي العلاء المعري وتآليفه وعرفوه بما يستحقه من الاجلال والتعظيم فلا حاجة لايراد ترجمته هنا .

الا انا لم نر احداً اشار الى المشابهة الغريبة الموجودة بين فلسفة المعري ومذهب شبنهاور الحكيم الجرماني .

ولد ارثور شبنهاور (Arthur Schopenhauer) بمدينة دنتسيغ بالمانيا سنة ١٧٨٨ فاعتنت امه بتثقيفه وكانت من مشاهير قصصيي ذلك العصر فأحسنت تربيته وبعد ان تلقى العلوم بجامعة برلين وحصل على اعلا شهاداتها اخذ بتدوين آرائه الفلسفية فألف عدة كتب اهمها (الارادة في الطبيعة) و (اساس الحكمة) واشهرها (حقائق تتعلق بالحكمة في الحياة)[1] وفيه جمع شبنهاور حكمه في اقوال موجزة وفصول قصار وصف فيها اتعاب الحياة وآلام البشر بكيفية تؤلم القارئ لانطباقها في الغالب على الواقع .

ومذهب شبنهاور مركوز على قاعدة ان جميع مشاق الانسان واتعابه الدنياوية الاصل فيها ما يسميه « ارادة البشر » يعني شهوات طبيعتنا وحبنا التمتع والتلذذ بالحياة .

اوليس هذا رأي المعري عند ما يقول : « اذا الى الدنيا مضغ . وحبها للبشر مطغ . لو انك لشأنها ملغ . ابغاك ما تأمله مبغ » ? ولولا خوف الاطالة لاوردنا شيئاً كثيراً من تشابه اقوال الحكيمين .

وتوفي ارثور شبنهاور بفرنكفورت عام ١٨٦٠

ومن اطلع على طريقة هذا الفيلسوف الالماني تيقن ان معتقده ويأسه من الحياة وتشاؤمه المستمر (Pessimisme) يطابق كثيراً مذهب المعري خصوصاً في فحصه عن اتعاب البشر وآلامهم وجسه اسقام الانسان كالباحث الماهر والطبيب العارف من غير حنان

(1) « Aphorismes sur la sagesse dans la vie; pensées et fragments » traduc. Cantacuzène, Paris 1898.

ولا شفقة على هذا النوع الانساني وبدون ان يبين في وصف الادوية التي ينبغي اتخاذها واستعمالها للانقاء وتسلية تلك المواجع .

وهناك علاقة وتشابه آخر بين ابي العلاء وشبنهاور وهو كونهما لم يتزوجا وعاشا في عزوبة مستمرة وعزلة وانقطاع مما أثر في طبعيهما وجعلهما يتشاءمان و ينتقدان الهيئة الاجتماعية و يتناولان اهل الدين وارباب الشعائر والنساء والاعتقاد و يسيئان الظن بالدنيا وساكنيها .

والفرق بين العالمين هو كون شبنهاور استقل في علم الفلسفة ودراستها والتدوين فيها بخلاف المعري الذي لم يشتغل بالفلسفة من حيث هي علم وانما كان يبحث عن اسباب الاشياء وتعليل وجودها فتخطر له خطرات حكمية تستحوذ على مخيلته وذهنه الحاد فتسبكها قريحته الشعرية في تلك القوالب العجيبة التي تظهر من قصائده .

. . .

بقي علينا ان نتكلم على رسالة « ملقى السبيل » التي نقدمها اليوم الى محبي الآثار العربية والمولعين بنثر شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ونظمه .

يظهر من هيئة هاته الرسالة وانشائها ان المعري الفها في الدور الاخير من حياته زمن عزلته وانقطاعه (حوالى سنة ٤٣٠ هـ) وقد زهد في الدنيا لكبره واقتراب اجله . فكأنه اراد الرجوع للمبادئ الدينية وسلك طريقة الوعظ والنسك وتمسك بالاعتقاد . واين قوله زمن صغره لما كان في غزارة قواه وعنفوان شبابه :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ‏ وحق لسكان البسيطة ان يبكوا

تحطمنا الايام حتى كأننا ‏ زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

من اعترافه بالبعث والمعاد في هاته الرسالة كقوله « وفي الآخرة يكون المجمع » وقوله « وعند الباري تكون الزلف » وهلم جرا .

اما اسلوب هذه الرسالة في مجمله فهو يشابه كثيراً لهجة الخطب البليغة ذات الفصول القصار التي كان يلقيها خطباء العرب كسحبان وائل الباهلي وقس بن ساعدة وعامر بن الطفيل وامثالهم باسواق الجاهلية . واليك نموذجاً من كلام قس بن ساعدة خطيب بني اياد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم « رأيته بسوق عكاظ على جمل احمر يقول :[1]

« ايها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا . من عاش مات . ومن مات فات . وكل ما هو

(١) كتاب « البيان والتبيين » لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ج ١ ص ١١٩

آت آت · في هـذه آيات محكمات · مطر ونبات · وآباء وامهات · وذاهب وآت · ونجوم تمور · وبحور لاتغور · وسقف مرفوع · ومهاد موضوع · وليل داج · وسماء ذات ابراج · مالي ارى الناس يموتون ولا يرجعون · ارضوا فاقاموا · ام حبسوا فناموا · يامعشر إياد · اين ثمود وعاد · واين الآباء والاجداد · اين المعروف الذي يشكر · والظلم الذي لم ينكر :

في الذاهبين الاولين — من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً — للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها — تمضي الاكابر والاصاغر
لايرجع الماضي ولا — يبقى من الباقين غابر
ايقنت اني لامحا — لة حيث صار القوم صائر

وسوف يرى القارىء ما بين الكلام المتقدم وحل المعري وعقده في « ملقى السبيل » من مطابقة المعنى ومشابهة اللهجة .

...

اما النسخة التي اعتمدنا عليها في النقل فهي محفوظة بمكتبة الاسكوريال من بلاد الاندلس تحت نمرة ٤٦٧ وهي بخط الراوي لها القاضي الامام الشريف ابي محمد عبدالله ابن القاضي ابي الفضل عبدالرحمن بن يحيى الديباجي العثماني رسمها بالاسكندرية اوائل القرن السادس وقد اعتنى برسمها وضبط جملها بطريقة ثابتة مدققة وهي فيما اعتقده اقدم نسخة لملقى السبيل ولا يبعد ان تكون هي التي عول عليها ادباء الاندلس في معارضاتهم لها فقد جاء في نفح الطيب [1] ان الحافظ ابا الربيع الكلاعي الاندلسي المتوفى بالجهاد سنة ٦٣٤ هـ · عارض هذه الرسالة بتأليف سماه « مفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل » · كما تحتوي مكتبة الاسكوريال نفسها على كتاب (نمرة ٥١٩) من وضع الكاتب الشهير ابي عبدالله محمد بن ابي الخصال وزير يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين عارض به « ملقى السبيل » ايضاً · ومن جهة اخرى يوجد بمقدمة النسخة التي لدينا وهي كما قدمنا صورة فوتوغرافية من الاصل الاندلسي كثير من الاجازات تثني بقراءة هذه الرسالة على اساتذة متضلعين تلتحق رواياتهم بالراسم الاول نعني عبدالله الديباجي · واقدم توقيع من هذا النمط مؤرخ سنة

(١) نفح الطيب للمقري ج ٢ ص ٧٦٩ (طبعة باريس)

٥٦٢ وهو مما يستدل به ايضاً على اهتمام الاندلسيين بتآليف المعري .

وعسى ان ننشر فيما بعد رسائل اخرى من وضع هذا الفيلسوف الشاعر والله ولي التوفيق

تونس ١٠ ربيع الانور ٣٢٩ : ح . ح . عبد الوهاب

***

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرني بملقى السبيل هذه الشيخ ابو المظفر سعد بن احمد بن حماد المعري رحمه الله عن ابيه عن ابي العلاء ناظمها وكتب عبدالله بن عبدالرحمن العثماني

قال الشيخ الامام ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان المعري رهين المحبسين

الهمزة

كم يجني الرجل ويخطيء ، ويعلم ان حتفه لا يبطيء ،

نظمه (مخلع البسيط) [1]

ان الانام ليخطئو ن ويغفر الله الخطيئه [2]
كم يطلبون عن الجميـ ل وما مساعيهم بطيئه

الالف

ابن آدم في سير وسرى [3] . يهجر بحرصه الكرى . وطال ما كذب وافترى . ليصل الى خسيس القرى [4] . وانما يحصل على الثرى . كأنه لا يسمع ولا يرى .

نظمه (سريع)

اما يفيق المرء من سكره مجتهداً في سيره والسرى
نمت عن الاخرى فلم تنتبه وفي سوى الدين هجرت الكرى
كم قائل راح الى معشر ابطل فيما قاله وافترى
على القرا يحمل اثقاله وانما يأمل نزر القرى

(١) المقتبس : كذا في الاصل وصوابه من مجزوء الكامل (٢) جميع ابيات الرسالة واردة في الاصل على وتيرة واحدة من غير فصل صدورها عن اعجازها ولا بيان الجر وهي الطريقة المتبعة في المخطوطات القديمة (٣) السير بالليل (٤) القرى بالكسر الضيافة او ما يقدم للضيف

يفتقر الحي ويترب وما يصير الا جثوة[1] في الثرى
اسمع فهذا قائل صادق أراك عقباك فهلا ترى

الباء

يفتقر الى الله الارباب . وبالكافر يحل التباب[2] . وتنقطع بالموت الاسباب .
وفي الخالق تحار الالباب .

نظمه (رجز)

دانت لرب الفلك الارباب وبالكفور يلحق التباب[3]
كم قطعت لمنية اسباب وافترقت برغمها الاحباب

التاء

النفس تصرفت وانصرفت . والاعضاء تألفت ثم تلفت . والاقضية بحق هتفت .
ما أعفيت المحلة لكن عفت . كم شفيت المدنفة فما اشتفت .

نظمه (مجزو الرجز)

نفس الفتى في دهره تصرفت وانصرفت
تألفت اعضاؤه وافترقت اذ تلفت
اقضية الله دعت فأسمعت اذ هتفت
ما أعفيت ديارهم من الرزايا بل عفت
كم شفيت مريضة من مرض فما اشتفت

الثاء

من اعظم الحدث . سكنى الجدث[4]

نظمه (متقارب)

يدوم القديم إلاه السماء ويفنى باقداره ما حدث

---

(١) الحجارة المجموعة (٢) النقص والخسارة والهلاك (٣) لابي العلاء ابيات
كثيرة تثبت حسن اعتقاده بالخالق جل جلاله وصحة ايمانه فمن ذلك قوله :
مولاك مولاك الذي ماله ند وخاب الكافر الجاحد
وقوله : والله حق وابن آدم جاهل من شأنه التفريط والتكذيب
وقوله : توحد فان الله ربك واحد ولا ترغبن في عشرة الرؤساء
زيادة على ما سيرد من هذا المعنى ضمن الرسالة (٤) الجدث : القبر

وما ارغب المرء في عيشه ولكن قصاراه سكنى الجدث

الجيم

العجب بجاهل مداج . يأسف لبين الاحداج (١) . و يعصي الملك والليل داج . وما هو من الحتف بناج .

نظمه (مخلع البسيط)

يا ايها العاقل المداجي وليله بالسفاه داجي
كأنما عينه اذا ما تحمل الحي في زجاج
كم اعمل الناجيات حرصاً وليس من حتفه بناج
رجا أموراً فلم تقدر وكل من في الحياة راجي

الحاء

ان ابن آدم لشحيح . سوف يمرض من القوم صحيح . تعصف بعقله ريح . فاذا هو لقيّ طريح . ثم يحفر له ضريح . ان ذلك لهو التبريح

نظمه (مخلع البسيط)

يا ايها الممسك الشحيح سيمرض السالم الصحيح
مالك لم تنتفع بعقل هل عصفت بالعقول ريح
ان شيد القصر في سرور فبعده يحفر الضريح
يطرح الهم بالمنايا من جسمه في الثرى طريح

الخاء

بكى عليّ الميت مواخ . كان اجاء في تراخ . فلتنه الصارخة عن الصراخ .

نظمه (مخلع البسيط)

في الله آخى فتىً لبيب واسلم المالك المواخي
بكى عليه فهل تراه في أجل دائم التراخي
اعتقد الحق واعتمده لا تزرع الحب في السباخ

الدال

اما بصرك لحديد . واما ثوبك لجديد . وظلك بقضاء الله مديد . وحولك العدد والعديد . ولكنك سواك السديد . طرقك وعد ووعيد . فهل تبدئ وهل تعيد .

(١) الاحداج : الاحمال

ام غريك [١] هو السعيد ·

نظمه (وافر)

اری ملکاً تحف به موال | له نظر الى الدنيا حديد
ضفا برد الشباب عليه حتى | مضت حقب وملبسه جديد
يزول القيظ [٢] في صيف ومشتى | ويستر شخصه ظل مديد
وفت عدد لديه فمن دروع | واسياف ينوء بها عديد
وكان السعد صاحبه زماناً | ولكن طال ما شقي السعيد
بدا شخص المنون لناظريه | وقيل له أتبدي ام تعيد
تصعد في المراتب غير وان | واحرزه عَلَى الرغم الصعيد [٣]
تفرقت الجيود [٥] فما حمته | وابطلت المواعد والوعيد

الدال

اما العيش الناعم فيلذ · ولكن سببه يجذ [٤]

نظمه (متقارب)

يلذ الفتى غفلات الحياة | وليس بمتصل ما يلذ
يمد له الظن آماله | ولكنها عن قليل تجذ

...

العاجلة حبل منفوذه · وهي عند اهل الرشد منبوذه · والانفس بحق مأخوذه · لا الدرع تنفع ولا الخوذه [٦]

نظمه (سريع)

انفذ من الدنيا ولا تلتفت | فانها بالعنف منفوذه
حازتك فانبذها الى اهلها | فهي لدى الاخيار منبوذه
ولا تمسك بحبال لها | تصبح من كفيك مجذوذه
مأخوذة مائعة في الورى | نفس بحكم الله مأخوذه

(١) الغري : الحسن والبناء الجديد (٢) القيظ شدة الحر (٣) الصعيد : القبر (٤) لعل الصواب : الجنود والا فلا معنى للجيود هنا جمع جيد بمعنى العنق (٥) جذه جذاً فانجذ اي قطعه او كسره فانقطع وانكسر (٦) الخوذة وتسمى ايضاً المغفر هو ما يجعله المحارب عَلَى رأسه ليقيه

لا سقية اغنت ولا رقية ولا تميمات ولا عوذه

الراء

لقد هجرت الخدور · وغدر بها الزمان الغدور · فاذا الخدر عوض، قبر · هل ينفعك جزع او صبر · من بارئك يجري المقدور · وتفنى الشهب والبدور ·

نظمه (مخلع البسيط)

تظهر اسرارها الخدور بما قضى الواحد القدير
كم دار في خاطر ضمير من فلك دائب يدور
وضاق صدر بمشكلات تضيق عن مثلها الصدور
يثبت فرد بلا قرين (١) وتهلك الشهب والبدور

الزاي

لا تبرزي يا غانيه · فانها الدنيا الفانيه · ستركِ بكلة (٢) والداك · فلتمسك بالنسك يداك · الورع ذهب ابريز · والجدث حرز حريز · قد تهلك فتاة رود · وتلبث مسنة تود ·

نظمه (مخلع البسيط)

يموت قوم وراء قوم ويثبت الاول العزيز
كم هلكت غادة كعاب وعمرت امها العجوز
احرزها الوالدان خوفاً والقبر حرز لها حريز
يجوز ان تبطئ المنايا والخلد في الدهر لا يجوز (٣)

(١) مصحح بهامشه « نظير » عوض « قرين » — (٢) الكلة : الستر الرقيق

(٣) ذكر العلامة الذهبي ضمن ترجمة المعري الحكاية الآتية عن القاضي ابي الفتح قال : « دخلت على ابي العلاء التنوخي بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه وكنت اتردد اليه واقرأ عليه فسمعته وهو ينشد من قلبه :

كم غودرت غادة كعاب وعمرت امها العجوز
احرزها الولدان حرزاً والقبر حرز لها حريز
يجوز ان تبطئ المنايا والخلد في الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات وتلا « ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأتي لا تكلم نفس الا—

السين

يا ابن آدم كم تحرس وتحترس . والموت اسد يفترس . ان كنت بجبل او واد . فان الاودية مثل الاطواد . يسمعها من الله داع . جل رب العظمة والابتداع .

نظمه (متقارب)

ايحترس المرء من حتفه	وما حاد عن يومه المحترس
هل الناس الا نظير السوا	م [1] وآجالهم اسد تفترس
يحل الربا ويحل الوهود	ولا بد للربع ان يندرس

الشين

لا تك ذا طيش . واعجب لما وهب [2] من العيش . ما فعل آدم وبنوه . كم ادرك الثمر مجتنوه . يبدي التوفر اخو المعيشه . والجبل مثل الريشه . المنزل لامر معروش . وبالقدر تثل العروش .

نظمه (مخلع البسيط)

اين مضى آدم وشيث	واين من بعده انوش
مر ابي تابعاً اباه	ومد وقت فكم اعيش [3]
لا ملك الا لرب عرش	تثل عن امره العروش
خف من الخوف كل طود	حتى كأن الجبال ريش
تطيش نبل الرماة منا	واسهم الحتف لا تطيش
ولم يزل للمنون جيش	تفل من ذكره الجيوش
يحث بالنعش حاملوه	وشد ما سارت النعوش
لا حبذا الانس والخطايا	وحبذا النسك والوحوش

— باذنه فمنهم شقي وسعيد » ثم صاح وبكى بكاء شديداً وطرح وجهه على الارض زماناً ثم رفع رأسه ومسح وجهه فقال سبحان من تكلم بهذا في القدم سبحان من هذا كلامه فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد وقال متى اتيت فقلت الساعة ثم قلت ياسيدي أرى في وجهك اثر غيظ فقال لا يا اباالفتح بل انشدت شيئاً من كلام المخلوق وتلوت شيئاً من كلام الخالق فلحقني ما ترى فتحققت صحة دينه وقوة يقينه » .

(١) السوام : الابل الراعية (٢) يخرج بالهامش «ذهب» بدل «وهب» (٣) ويشابه هذا المعنى قوله في محل آخر : تقضي الناس جيلا بعد جيل وخلفت النجوم كما تراها

الصاد

المرء عاوجب ناكص٠٠ والشخص لحدث شاخص ٠ ان ظل الفانية لقالص ٠ فهل خلص الى الله خالص ٠ ان دينك لوديعة في المحار ٠ انما يدرك بغوص البحار ٠ وعدم دين في الانام ٠ وكان كالحلم في المنام ٠

نظمه (مربع)

من ادعى النسك على غرة فقل له ما صدق الخارص
والنسك مثل النجم في بعده والخلق ان يبلغه ناكص
كالدرة العذراء[1] ما نالها الا امرؤ في بحرها غائص
في لجة قامصة سفنها ويصرع المستمسك القامص
تلعب بالالواح امواجها كأنما مركبها راقص[2]
نحن كنبت عامه مجدب وماؤه مستنكر ناقص

الضاد

دينك عناه المرض ٠ ضاعت النافلة والمفترض ٠ وخدعك هذا العرض ٠ وجسمك ضعيف حرض ٠ لقد بعد منك الغرض ٠ وسوف يطلب المقترض ٠

نظمه (منسرح)

دينك مضنى اصابه سقم والخسر في ان يميته المرض
وهل ترجى لديك نافلة من بعد ما ضاع منك مفترض
غرضت من هذه الحياة فهل غرك فيما ترومه غرض
تميل من جوهر الى عرض والروح في جوهر ها عرض[3]

---

(١) منجم « الغراء » عوض العذراء (٢) وقريب من هذا قوله في بيت من اللزوميات

يموج بحرك والاهواء غالبة لراكبيه فهل للسفن ارساء

(٣) للمعري اقوال كثيرة في الروح والغالب على آرائه في هذا الشأن التردد والتشكك في مآلها فمن ذلك قوله :

سر قديم وامر غير متضح فهل على كشفها للحق اسعاد
سيران ضدان من روح ومن جسد هذا هبوط وهذا فيه اصعاد

وقوله : والروح شيء لطيف ليس يدركه عقل ويسكن من جسم الفتى حرجا
سبحان ربك هل يبقى الرشاد له وهل يحس بما يلقى اذا خرجا

حرضك الشيب ان تتوب فما بت فهلا تذكر الحرض
اقرضت عمراً فما صنعت به سوف يرد الكرام ما اقترضوا

الطاء

فودك (١) علاه الشمط (٢) . والمرء تنقص ويغتبط . كالطفل كهلك فهلا يقمط . لقد عرف هذا النمط . والنفس تطعن ولا تضبط . والجرم من كفر يحبط . اين موفق لايغلط . والموت في العالم مسلط . وعائد الملك لايقنط

نظمه (هزج)

إلام الحرص (٣) والرغبــة في أشيب كالأشمط
وكالطفل غدا الكهـل فما للكهل لا يقمط
ولا يغضب اخو الريبــة ان ينقص او يغمط
فما الخاسر الا كا فر اعماله تحبط
بني آدم ان تعصوا فما الخسر من يقنط
غبطتم صاحب الثرو ة والزاهد لايغبط
اما تغلط في الدهر بان توجد لاتغلط

الظاء

اما دينك فمتشظ . وانت على الفانية معلظ . متقرب بالمين محظ

نظمه (مخلع البسيط)

او ذاك نور لاجساد يحسنها كما تبينت تحت الليلة السرجا
قالت معاشر يبقى عند جثته وقال ناس اذا لاقى الردى عرجا
وليس في الانس من نفس اذا قبضت ساق الذين لديها طيبها الارجا
واسعد الناس بالدنيا اخو زهد نافى بغيها ونادى اذ مضى درجا
وقوله : والنفس ارضية في رأي طائفة وعند قوم ترقى في السماوات
وكونها في طريح الجسم احوجها الى ملابس عنتها واقوات
وقوله : واوصال جسم للتراب مآلها ولم يدر دار اين تذهب روحها

(١) الفود معظم شعر الرأس مما يلي الاذن وناحية الرأس وهو اول مايشيب في الشعر فيقال بدا الشيب بفوديه (٢) الشمط بياض الرأس يخالط سواده وقيل بياض شعر الرأس في مكان واحد (٣) مخرج بالهامش الجهل بدل الحرص

اصبحت في غمرة ولهو تجيء بالمين كي تحظى
احذر على الدين من تشظ فالدر ملقى اذا تشظى [1]
لو هاب حر اللظى مسيء ما اهتاج حرصاً ولا تلظى
فأبد للسائلين ليناً ولا تكن في الجواب فظا [2]

العين

المرء خدعه الطمع . مرأى في الزمن او مسمع . يدأب [3] الرجل ويجمع . خلب ومبض يلمع . والعين للحذر تدمع . والسحب بالافضية همع . وفي الآخرة يكون المجمع . [4]

نظمه (سريع)

غرك ما يخدع من زخرف الدنيا فزاد الحرص والطمع
علمت ان الدهر في صرفه مفرق عنك الذي تجمع
سمعت بالخطب وعاينت هل كفك ما تبصر او تسمع
تدمع جفناك على زائل والعين للرهبة لا تدمع
كم اومض البارق في عارض فالبق الكاذب اذ يلمع
سحب تجلى خالياً دجنها عنكم وسحب بعدها همع

الغين

انك الى الدنيا مصغ . وحبها للبشر مطغ . لو انك لشانها ملغ . ابغاك ما تأمله مبغ .

نظمه (خفيف)

صاغك الله للجمال بقلب معرض عن نصيحة ليس بصغي
تكثر اللغو في المقال ولو وفقت ما كنت للديانة ملغي
لم تزل تزجر الطغاة فلا تطغ لحب الدنيا لمثلك مطغي
لو بغيت الذي اراد بك الله لاعطاك فوق ما انت تبغي

---

(١) تشظى اي تفرق وتشتت (٢) كأنما اقتبس من قول جل من قائل « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك »

(٣) يدأب اي يتعب ويشق (٤) كثيراً ما اعترف ابو العلاء في شعره بالبعث والمعاد فمن ذلك قوله :

خلق الناس للمعاد فضلت امة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعما ل الى دار شقوة او رشاد

الفاء

طال الكلف والكلف [1] فأين الخلف والسلف · ان العافية هي التلف · وعند الباري تكون الزلف · إلام تكذب وتحلف · وللاثم لو ظهر أكلف ·

نظمه (متقارب)

كلفت بدنياك شر الكلف فجاءتك مما صنعت الكلف
تبعت الغواة وما اسلفوا فهلا اخذت بقول السلف [2]
وصدقت نفسك في ظنها وكم قائل مان [3] لما حلف
تخلف مالك للوارثين وكانوا بعلمك بئس الخلف
ترجي الحياة واسبابها وتطلب [4] عند المليك الزلف
ولو ظهر الاثم للناظرين لراعك في الوجه منه كلف
نصحتك فأذن [5] الى من يقول تلاف امورك قبل التلف

القاف

قلبك معنى يخفق · يخاف من عاجلتك ويشفق · وبارئك هو الموفق · اصبحت من عمرك تنفق · ترقع العذر وتلفق · وانت في مطلبك مخفق · يطول تعبك فهلا ترفق ·

نظمه (مربع)

ان خفق البارق في عارض فالقلب من روعته يخفق
تأسف ان انفقت مالاً ولا تأسف من عمرك اذ تنفق
تظل من فقد الغنا مشفقاً ومن قبيح الاثم لاتشفق
مرتفقاً في وطن حافظاً تسأل ما هان فلا ترفق
يعود عن غيمك من شامه وهو شديد ظموءه مخفق

الكاف

سبح إلهنا الفلك · وقدس البشر والملك · والجسم في العفر يستهلك · والمرء

(١) بالاصل الكلف مكرر بالصب — (٢) ومن قوله في اللزوميات مما يشابه هذا :

ولا تقولن اذا ما جئت مخزية قول الغواة على هذا مضى السلف
لا تحلفن على صدق ولا كذب فما يفيدك الا المأثم الحلف

(٣) مان الانسان اي كذب (٤) بالاصل تترك وتخرج بالهامش تطلب التي اثبتناها لمناسبتها للمعنى (٥) أذن اي أصغ ·

بالعارفة يملك . والنهج الآخرة يسلك .

نظمه (مجزو الرجز)

سبح مع الشهب كما سبح من قبل الفلك
قدس انسان على الا ارض وفي الجو ملك
لاتبك للميت فكم مات كريم وهلك
ماخبر الغابر عن دفينه اين سلك
مالك شيء واذا اطعت فالرحمة لك

اللام

غرك تفصيل وجمل . والحي خدعه الامل . سعيك فسد والعمل . مانفعك حج ولا رمل . كأنك بين الجهل همل .

نظمه (سريع)

مازلت مشغولاً بلا خشية يغرك التفصيل بعد الجمل
تحملك الارض على ظهرها وانت سار فوق ظهر الامل
مالي ارى عينيك لم تهملا كأنما انت مخلى همل
مايشفع الحسن لاصحابه ان حسن الوجه وساء العمل
رملت في مكة تبغي الهدى فهل نهاك السعي بعد الرمل

الميم

افي مسمعك حل الصمم . أم لبك اصاب اللمم . وتحسن للانيس المهمم . وفي التراب تطوى الرمم . وفي الباطن تخان الذمم . على ذلك تمر الأمم .

نظمه (سريع)

مالك لم تصغ الى عاذل احل في المسمع منك الصمم
اجاهل [1] انت فتلحى على الـعصيان ام مس حجاك اللمم
همتك العليا هوت في الثرى وشيمة الزاكي علو الهمم
لم تف بالذمة للحر والحـر مراع وافيات الذمم
والذكر يبقى للفتى برهة وان توارت في التراب الرمم
تيمم الخير ولا ترهب السموت فللموت تصير الامم

(١) مخرج بالهامش اعاقل بدل اجاهل

النون

لله الكرم والمنن • وعن بارئك تزول الظنن • لا يسترك من الموت الجنن • وبالعاصف يراع الفنن • [1] لا تعصمك تلك القنن

نظمه (سريع)

ويحك لا تمنن على منعم عليه فالخالق رب المنن
فظن خيراً بالاخلاء والـ ـأ فالخير يحقو [2] الظنن [3]
يحزنك القبر فلا تلف كالـ ـمجنون يبني واقيات الجنن
واقنن في خوفك رب العلا وانت في مسرحك مثل الفنن
انك قن [4] لمليك حوى الـ ـملك فلا تعصم منه القنن [5]
لتقرع السن غداً نادماً ان كنت ضيعت جميل السنن

الهاء

المرء نهي فما انتهى • ما زال في العاجلة يزدهى • ان قبل ما احسن وما ابهى • فأين صاحبك لما وهى • وطال ما نعم ولها • ونال في العمر ما اشتهى [6] • ما بين غزلان ومهى • دهاه الزمن فيمن دها • والله عمر باللهى • مصور القمر والسها •

نظمه (سريع)

المرء معتوب على فعله كم سمع النهي فألا انتهى
زايله اللهو وزار البلا وطال ما عاينته مزدهى
باهى زماناً بالذي ناله ثم اتى الموت فأين البهى
وهت عقود كان في عصره احكمها لا عاقد ما وهى
ما شهوات الحي الا اذى ان نال من مدته ما اشتهى
كأن يرى في غزل دائماً ما بين غزلان له او مهى
دهاه بالمقدور لم يدفع الـ ـخطب عن مهجته اذ دهى
سها عن الواجب فاغتاله مصور البدر ورب السها

(١) الفنن الغصن المستقيم جمعه افنان وافانين (٢) بالاصل يحقوا وهذا غلط كثيراً ما يقع في المخطوطات خصوصاً القديمة منها (٣) (كذا) (٤) القن هو العبد الذي ملك ابوه من قبله (٥) جمع قن بالضم وهو الجبل او قلة الجبل (٦) هذه الجملة مخرجة بالهامش ومنبه عليها بعلامة ولذا الحقناها بالاصل •

الواو

اما صحبك فقد غووا عبوا في المورد فما ارتووا . ابادتهم الاقضية حتى تووا . خلوا للوارث ما احتووا . طواهم القدر فانطووا . ولاقتهم الآخرة بما نووا .

نظمه (سريع)

لا تغو في دنياك مستهتراً فان اصحابك فيها غووا
عنلم في سربهم[1] مورد لوكان يروي مثله لا رتووا
نادتهم الاقدار ياساكني الـــأرض الانون حتى تووا[2]
خلوا احاديثهم[3] واحتوى آخذ ميراث على ما حووا
انتشروا في عيشهم اعصراً ثم طواهم قدر فانطووا
فلتحسن النية من بعدهم فالناس يجزون على ما نووا

اللام والالف

كل غدا يخدم املاً . يسعى في ما بطن عملا . يصبح بسيفه مشتملا . لا يطلب رزقه محتفلا . والرزق لا يترك متوكلا . لم يرد في العالم حيلا .

نظمه (بسيط)

ما في البسيطة من عبد ولاملك الا حليف عناء يخدم الاملا[4]
يحث نفسا عن الاحسان عاجزة وقد اساء بعلم الواحد العملا
فهل ترى الدهر انثى اوترى ذكراً يشابه امرأة في الخلق او رجلا
يروم بالسيف رزقاً جاء في عنف ما كان يخطوه في خفض لواتكلا
يبغي المعالي في اوفى مجاهدة فان تخلف عنها لطف الحيلا
يا ساكني الترب ماعندي لكم خبر فليت شعري عن المقبور مافعلا
لم تأتنا منكم رسل مخبرة ولا كتاب الينا منكم وصلا

(١) مقحم باعلاه دهرهم بدل سربهم (٢) هذا البيت مخرج بالطرة ومكتوب بقلم مغاير للاصل وخطه رديء جداً (٣) بالهامش اباطيلهم عوض احاديثهم التي بالاصل (٤) ومعنى هذا البيت يشابه قوله في اللزوميات :

يحسن مرأى لبني آدم وكلهم في الذوق لا يعذب
ما فيهم برولا ناسك الا الى نفع له يجذب

الياء

الحي بعد العيشة ردي . وجاءه القدر فما فدي . وشخصه بالقاضية ردي . لم يرزق النيل ان صدي . لكنه عن ذلك عدي . اظلته العاجلة فما هدي . وجادته الامنية فما ندي . وقتله الحادثات فما ودي .

نظمه (سريع)

المرء في اردية لونت ماش ولكن بعد هذا ردي
فدى الاسارى زمناً ذاهباً وجاءه الموت فالا فدي
فيا ردي العقل ان الفتى لم يدفع المقدور حتى ردي
ظل صداه في الثرى ساكناً ولم يصادف منهلاً اذ صدي (١)
رنت له الاعداء ان عاينت صاحبها عن كل خير عدي
كان الهدى يهدى الى قلبه من سمعه لو انه يهتدي
جادت له امنية برهة وعاد يبساً غصنه ماندي
لا يطلب الثار لميت ولا يودى لعمر (٢) الله فيمن ودي

نجزت والحمد لله وحده

(١) بالاصل : مورداً ان صدي ومخرج بالهامش : منهلا اذ صدي وهو ما اثبتناه

(٢) بالاصل : لعمرو الله

هل تسترد اللغة مجدها القديم (١)

يستطيع التاريخ الادبي ان يبين حدود النشأة الحقيقية لكثير من اللغات الميتة والحية ولكنه لا يستطيع او على الاقل لم يستطع الى الآن ان يبين شيئاً من ذلك بالقياس الى اللغة العربية التي ينطق بها من اهل الشرق خلق كثير

ولا شك في اني قد خصصت جزءاً من هذه المحاضرة للاشارة الموجزة الى تلك الظلمات الكثيفة التي حجبت لغتنا الشريفة عما يشرف به التاريخ على الاشياء من بصيرة ثاقبة ونظر بعيد ولكنني لم استطع ان اخصص جزءاً منها لايراد الاعاجيب والمضحكات التي يوردها اكثر الخطباء في خطبهم لاني لا اطمع فيما يطمعون فيه من التصفيق الحاد والاعجاب الشديد فاليكم التقدم بالمعذرة ومنكم التمس المغفرة واظنكم لم تجتمعوا في هذا النادي لتضحكوا او تصفقوا فاني لم ار بلداً اهله احوج الى قلة الضحك وكثرة البكاء من هذا البلد ... ولولا ثقتي بانكم تعلمون من الامر ما اعلم وتشعرون بالواجب كما اشعر لقلت لكم مقالة النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه في بعض خطبه لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً

اجل انا قد اسرفنا في الهزل والمجون وقصرنا في الجد والعمل وكان حقاً علينا لو انصفنا انفسنا ان نقتصد من الهزل ما ننفقه في الجد ومن الفراغ ما نستعين به على العمل قبل ان يعضل الداء ويمتنع الدواء وتقضي ضحايا التقصير واللهو الكثير وهنالك لا ينفعنا الندم ولا يعذرنا التاريخ

قدم عهد اللغة العربية

نشأت لغتكم ايها السادة والانسان طريف عهد بالوجود لم يبلغ اشده ولم يستكمل قوته بل كان طفلاً ناشئاً حديث السن ضيق الفكر صغير العقل ولست اقول هذا القول تدبيجاً للفظ او مبالغة فيه وانما هي الحقيقة الثابتة التي ليس فيها مجال لشك ولا جدال فان هذه اللغة هي اول غصن نبت من لغة سام بن نوح عليهما السلام وقد قطعت مع الانسان هذا القدر من الزمان وعمرت معه منذ كان طفلاً الى ان صار كهلا وها انتم اولاء تسمعونها مني الآن فتشعرون بانها لا تزال حية قوية تثبت باجلى بيان انها اطول

(١) من خطبة للشيخ طه حسين من علماء مصر القاها في نادي موظفي الحكومة بالقاهرة

اللغات عمراً واشدها امراً وانظمها قوة على الخطوب وصبراً على الاحداث

فكم ماتت اللغات وهي حية وفنيت اللهجات وهي باقية وكم حاربها الدهر فحاربته وغالبها فغلبته ورامها بالسوء فامتنعت عليه

وقد ادركت هذه اللغة نضرة اللغات وذبولها واشراقها وافولها وشهدت مصارع اخواتها الساميات وهن يتفانين سراعا ويتهاوين تباعا حتى عمهن الموت وشملهن الفناء هنالك عاشت فذة فريدة تمثل قول شاعر ابنائها المجيدين

ذهب الذين احبهم وبقيت مثل السيف فردا

أجل وقد ادركت هذه اللغة هوي الامم الهاوية ورقي الشعوب الراقية فشهدت عظمة بابل واشور ومصر واشرفت على نهضة اسرائيل ورأت مجد اليونان والرومان والفرس والهند وكانت خليقة بعد هذا كله ان تروي لنا التاريخ العام امثل رواية وتحدثنا عنه اصدق حديث لولا جهل السالفين وضعف الخالفين من ابنائها فما اقدر هذه اللغة على الحياة وما اصبرها على الخطوب

صعوبة البحث التاريخي عن نشأة اللغة العربية

ذلكم ايها السادة اول عهد اللغة بالحياة ولكن في اي قرن ابتدأ هذا العهد ..؟ وكيف كان ابتداؤه ..؟ وما هي الاصول الحقيقية للغة السامية التي اقتطعت منها هذه اللغة وكيف كان اقتطاعها ..؟ هذا مالم يعرفه التاريخ الى الآن وقبل ان أشير كما وعدت الى اسباب ذلك يجب علي ان ابطل مذهبا يلهج به بعض الكتاب الذين كثر عليهم العلم حتى ضاقت به صدورهم فأخذوا يقذفونه في الصحف من غير حساب ويبيعونه على الناس من غير ثمن ويتنحلون به لانفسهم القاب العلماء والمؤلفين ..!

زعموا ان اللغة العربية نشأت كما تنشأ لغة الطفل فكانت في اول امرها اصواتاً احادية المقطع لا يزيد اللفظ منها على حرف متحرك كباء الجر ولامه وكاف التشبيه واحرف القسم وهمزة الاستفهام

ثم تركبت هذه الالفاظ بتركب معانيها ومرونة الالسنة على النطق والحركة فبلغت مقطعين وثلاثة الى ان استقرت في نصابها المعروف فلم تنقص في الاسم والفعل عن ثلاثة احرف اصول ولم تزد في الاول عن خمسة وفي الثاني عن اربعة الا بحروف غير لازمة وهي الزوائد على ان هذه الحروف لم تستطع ان تبلغ بالفعل اكثر من ستة وبالاسم اكثر من سبعة غير الحركات التي لا تحسب عند العرب حروفاً كما تحسب عند غيرهم من الفرنج ..

والحقيقة ان هذا المذهب لا يصح الا اذا قلنا ان العرب ليسوا من بني آدم ابي البشر وانما هم ابناء رجل آخر نشأ في جزيرة العرب من غير ام ولا اب ونشأت منه زوجة واستقر نسلها في الجزيرة لا يخالط الناس حتى تكونت لغته وضمنت لنفسها عدم التأثر بالاجنبي والدخيل

اما والعرب من ابناء سام بن نوح وبعبارة اوضح من ابناء آدم فليس لهذا المذهب من الصحة نصيب قليل ولا كثير

انما تنشأ اللغة هذه النشأة اذا اقتطعت من الطبيعة مباشرة من غير ان يكون لها مثال تحتذيه او منوال تنسج عليه فاما اللغة التي لها اصل ثابت معروف كاللغة العربية فليس من المعقول ان يطرد فيها هذا المذهب وعلى هذا نستطيع ان نقول ان هذا المذهب يصح بالقياس الى لغة واحدة وهي لغة الانسان الاول التي اقتطعها من اصوات الطبيعة وحركاتها وكما ان أسرة الانسان الاول قد تفرعت الى اسر مختلفة ثم كانت منها أمم وشعوب فان لغتها الاولى قد تفرعت الى لهجات متباعدة ثم كانت منها لغات متباينة

وعلى هذه القاعدة استطاع الفرنج ان يترجموا كثيراً من اللغات الدارسة

اما الاسباب الحقيقية التي نشأت عنها صعوبة البحث التاريخي عن اللغة العربية حتى عميت علينا اسرارها وأسدلت دوننا استارها فوقفنا موقف الحائرين الذاهلين بازاء كثير من الفاظها لا نعرف لها اصلا ولا نميز لها اشتقاقا فهي كثيرة اكتفي بالاشارة الى ثلاثة منها الآن

الاول ان معرفة النشأة الحقيقية للغة رهينة بمعرفة اصلها الذي اقتطعت منه فما كنا لنعرف نشأة اللغة الفرنسية لو لم نعرف اللغة اللاتينية

كذلك لا نستطيع ان نعرف نشأة اللغة العربية حتى نعرف اللغة السامية الاولى التي هي اصلها ولكنها مع الاسف قد بادت واندمجت في بناتها قبل التاريخ فلم يبق لنا اليها من سبيل

الثاني ان ضياع الاصل لا يقطع الرجاء في الوصول الى بعض حقائق اللغة في نشأتها اذا استطعنا ان نستعين على البحث بالمقابلة بينها وبين اخواتها من اللغات الاخرى ولكنا مع الاسف لم نفعل شيئاً من ذلك ولم نفكر فيه فقد كان ائمة اللغة رحمهم الله في عصر يمكنهم من ذلك لان كثيراً من اللغات السامية كانت لا تزال حية الى عهدهم ولكنهم قد عكفوا على جمع اللغة وتدوينها من غير ان يفكروا في البحث عن اصلها وقد

اخذت تلك البقية الباقية تندمج في اللغة العربية بحكم القهر والتغلب الفطري حتى لم يبق لها من الاثر الا قليل

ومن الغريب ايها السادة ان علماءنا رحمهم الله بدل ان يبحثوا عن اللغة السريانية من حيث علاقتها باللغة العربية بحثوا عنها من حيث انها ستكون لغة الاروام وسيكون واظنكم تضحكون اذا سمعتم قول بعض العلماء

(ومن غريب ماتري العينان ان سؤال القبر بالسريان)
(افتى بهذا شيخنا البلقيني ولم اره لغيره بعيني)

هذان بيتان يمثلان ضعف السليقة العربية وفسادها قبل كل شيء اقبح تمثيل ويمثلان سقوط الهمة وانحطاط النفس لانها قد تركت النافع وبحثت عدما لاخير فيه

واي ضعف للسليقة العربية اكثر من جعل الاقوال التي تسمع بالآذان مرئية للعيون واي انحطاط للنفس اكثر من ان نترك الحياة ونبحث عن الموت

ولو اني وكلت باصلاح هذين البيتين لقلت

(ومن سخيف ماتري الاذنان ان سؤال القبر بالسرياني)
(افتى بهذا شيخنا البلقيني وهو حديث كذب ومين)

على ان المستشرقين من علماء الفرنج قد بحثوا هذا البحث الذي تركناه وسلكوا تلكم الطريقة التي اغفلناها فاهتدوا الى حقائق في تاريخ اللغة العربية لا بأس بها وليس هذا موضع تفصيلها الآن فليس علينا الا ان نتأثرهم في هذه الطريق فانهم ليسوا احق منا بالبحث عن لغتنا والتنقيب عليها

السبب الثالث ان العرب ولا سيما اهل الحجاز الذين نبحث عن لغتهم الآن قد كانوا امة بادية لم تشترك مع غيرها من الامم في تكوين الحضارة الانسانية اشتراكاً حقيقياً الا بعد ظهور الاسلام فكانت في جاهليتها محتجبة عن التاريخ ولذلك لم يحفظ عنها الا اساطير حظ الظن منها اكبر من حظ اليقين

(اللغة العربية في الجاهلية)

نشأت هذه اللغة وتكونت الفاظها واساليبها وهي بمعزل عن الناس قد حملت البداوة بينها وبين التاريخ حجاباً مستوراً وكأنها قد سئمت الخفاء والاحتجاب ورغبت في الظهور ومجاراة اللغات الحية وظهرت للتاريخ في القرن الخامس لميلاد المسيح ومنتصف القرن الثاني قبل الهجرة فاذا لغة ضخمة الالفاظ فخمة المعاني متينة الاساليب رصينة التراكيب

قد تم خلقها وكملت قواها فاصبحت قادرة على البناء مستعدة للنماء وقد سلكت في الآداب الوجدانية كل مسلك فمدحت الخير والفضيلة وذمت الشر والرذيلة واخذت بنصيب موفور من المدح والهجاء والوصف والرثاء والتشبيب بالنساء والفخر بشرف المناسب وكرم المناقب واشتملت على الجم الكثير من الحكم البالغة والامثال السائرة ومن الخطب الرائعة والاسجاع البارعة ولم تدع فناً من فنون الادب الوجداني الا ضربت فيه بسهم وفازت منه بنصيب

اذا صح ما يقولون من ان مقاييس الرقي الادبي لكل امة من الامم هي اشعارها وامثالها واغانيها لان الاشعار مرآة النفس والامثال صور الفكر والاغاني لغة القلوب

اقول اذا صحت هذه القاعدة وقسنا رقي العرب في جاهليتهم بهذه المقاييس الثلاثة كانت النتيجة مؤلمة جداً لاننا لا نستطيع ان نتردد لحظة واحدة في الحكم بان العرب الجاهليين الذين لم يؤدبهم استاذ ولم يثقفهم كتاب ولم يصلح اخلاقهم دين ارق منا انفساً واذكى قلوباً وابعد منا هماً واصدق عزماً والدليل على ذلك سهل ميسور تعالوا نقارن بين اشعارنا واشعارهم وامثالنا وامثالهم وغنائنا وغنائهم ثم نستخلص من هذه المقارنة نتيجة الحكم فاي الفريقين كانت له النتيجة فهو صاحب الغلب والفوز

غير اني ايها السادة استحي ان اقارن بين قول امريء القيس في التوصل الى حبيبته

سموت اليها بعد ما نام اهلها ... سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت حباك الله انك فاضحي ... الست ترى السمار والناس احوالي
فقلت يمين الله ابرح قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي
فاصبحت معشوقاً واصبح بعلها ... عليه القتام سيء الظن والبال
يغط غطيط البكر شد خناقه ... ليقتلني والمرء ليس بقتال
ايقتلني والمشرفي مضاجعي ... ومسنونة زرق كانياب اغوال

استحي ان اقارن بين هذا الشعر الفخم الذي يمثل القوة والعزم و يظهر قائله مظهر المتسلط القادر والمسيطر القاهر و بين ذلكم الغناء المصري القائل — يالموني ياوني يالالي في حبك ظلموني — يالموني وانا حب الحص يالموني ولا اكل الحص يالموني وحبيبي في مصر يالموني على مين يجيبولي . . .

قفوا انفسكم ايها السادة موقف الحاكم الفاصل بين الحق والباطل وحدثوني اي معنى لنداء الليمون في هذا الغناء ومن هو الذي ظلم هذا العاشق في حبه وما هي العلاقة بين

اكل الخمس وبين الحب ومن ذا الذي يستطيع ان يكون قواداً لهذا العاشق بعد ان قعد به العجز وضعف الهمة عن ان يصل الى احب حبيب اليه واكرم كريم عليه لندع ذلكم الشعر والغناء ولننتقل الى شعر وغناء آخرين

هل تستطيعون ان تقارنوا بين قول ذلكم الشاعر الجاهلي في عتاب حبيبته

فاني لو تخالفني شمالي خلافك ما وصلت بها يميني

اذاً لقطعتها ولقلت بيني كذلك اجتوي من يجتويني

وبين هذا الغناء المصري القائل

ارحم متيم له احوال لما رآك تهوى خلافه صعبان عليه ...

حدثوني ايها السادة عن مقدار الفرق الكبير بين ذلكم الشاعر الجاهلي الذي يخاطب حبيبته بهذه اللهجة القاسية وهذا الشاعر المصري الذي عرف ان حبيبه قد هجره واستبدل به غيره فلم يستطع ان يعاتبه باكثر من قوله ان هذا صعب عليه بل انه لم يستطع ان يقول هذه الكلمة الا بعد ان قدم بين يديها مقدمة طويلة في الشكوى والاستعطاف

ستقولون ان هذا الفرق بين الشاعرين اثر من آثار الفرق بين البداوة والحضارة فذلك شاعر هيأت له بداوته ان يخاطب حبيبته بذلك الجفاء وتلك الغلظة وهذا شاعر هيأت له الحضارة ان يعاتب حبيبته بهذا الرفق واللين

كلا ايها السادة ليس تأثير الحضارة والبداوة في هذا الامر كبيراً فان الحضارة الصالحة لا تقتل عاطفة الغيرة من قلب الانسان ولعلكم سمعتم خبر ذلكم الشاعر العباسي الناشيء في الحضارة اذ اشتدت به الغيرة على حبيبته حتى اشفق عليها من الهواء فقتلها وقال يرثيها

يا طلعة طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها

حكمت سيفي في مجال وشاحها ومدامعي تجري على خديها

رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتي من شفتيها

فوحق نعليها وماوطي الثرى شيء اعز علي من نعليها

كان قتليها لاني لم اكن أبكي اذا سقط الذباب عليها

لكن ضننت على العيون بحسنها وانفت من نظر الحسود اليها

نعم اني لا اريد ان يكون الناس غلاة في الغيرة كهذا الشاعر ولكني أريد ان ابين لكم ان هذا الفرق بين الشاعرين ليس من آثار البداوة والحضارة وانما هو من آثار الفرق بين العزة والذلة فذلكم شاعر ابي النفس حمي الانف لا يقبل الضيم ولا

يرضى العار وهذا عاشق ضعيف مستكين قد رضي بالدون وقنع بالقليل واطمأن الى الهوان

ستقولون مالك تقارن بين الجيد من الشعر العربي والرديء من الكلام البلدي وتترك شعر النوابغ الافذاذ والشعراء المفلقين امثال شوقي وحافظ وصبري

والحقيقة ايها السادة ان هذا الاعتراض محرج جداً لانه يتعجلني في الحكم على هؤلاء الشعراء وقد لا استطيع ان ارضيكم بهذا الحكم ولكنني اقول ان هؤلاء الشعراء ليسوا في الحقيقة شعراء مصر وانما هم بين رجلين رجل نهج منهج الفرنج فهو يعبر عن اذواقهم واخلاقهم وعلى مناهجهم واساليبهم وهذا لا ينبغي ان يحسب على مصر وانما يجب ان يلحق باوربا ورجل نهج مناهج العرب القدماء فهو يكرر ما قالوه و يردد ما نطقوا به مع قليل من التغيير في اللفظ فهو يشبه القطا والظليم وهذا لا ينبغي ان يكون من شعراء مصر وانما ينبغي ان يكون من شعراء القبور

لندع الشعر والغناء الآن فهذا المقدار يكفي للمقارنة بينهما وانتقل الى الامثال فهل تستطيعون ان تقارنوا بين ذلكم المثل العربي القائل كل فتاة بأبيها معجبة

وهذا المثل المصري القائل الخنفسة عند امها عطارة والقرد عند امه غزال

كفى كفى ايها السادة فقد اثبتت المقارنة بالدليل والبرهان انا لم نصل من الرقي الادبي الى ما وصل اليه اولئكم الاعراب وان كنا اولي حضارة ومدنية واصحاب علوم وآداب وذوي شريعة ودين

آداب اللغة العربية ومادتها في الجاهلية

ارتقت آداب اللغة في القرن السادس لميلاد المسيح بمخالطة العرب لاهل العراق والشام فقد اخذوا عنهم يهودية موسى ونصرانية المسيح وربما انتقلت اليهم بعض الآراء الفلسفية التي ادخلها القسيسون في الديانة المسيحية كما يظهر ذلك في قول الاعشى.

استأثر الله بالبقاء وبالعد ل وولى الملامة الرجل

و كذلك اخذوا عنهم عقائد الصابئة وشيئاً من مذاهب المجوس ونقلوا عن حضارة الفرس والروم كثيراً من الادوات التي لم يكن لهم بها عهد من قبل وتبع ذلك نقل كثير من الالفاظ الفارسية والرومية ولا سيما فيما يتعلق بالنبات والسلاح وادوات اللهو والطرب وانواع الدواء والعقاقير وفي اثناء ذلك كان الحبش قد احتلوا بلاد اليمن فادخلوا فيها كثيراً من لغتهم وكانت التجارة بين الهند واليمن متصلة فاستتبع ذلك انتقال كثير من الالفاظ السنسكريتية الى لغتها ولا سيما فيما يتعلق بانواع التجارة واظن هذا المقدار

من الوصف قد مثل لكم اللغة العربية تمثيلاً حسناً فانتم ترونها الآن جميلة رشيقة ولكن صدق المثل العربي القائل لا تعدم الحسناء ذاما

فان تلك الجميلة الحسناء لم تخل من عيوب فقد كانت لغة قوم متوحشين يزعقون الانفس و يهدرون الدماء و يعيشون من النهب والسلب و يستبيحون لانفسهم بيع الاسير والعبث باعراض العدو والتمثيل بالمغلوب حتى ان احدهم ليخصف نعله باذن عدوه ان ظفر به او قدر عليه

وهم على ذلك اولو شظف بالعيش وخشونة في الحال يسكنون الجبال والرمال وربما اكلوا الخنافس والضباب وغذوا انفسهم بدماء الابل واوبارها فنشأ من ذلك في لغتهم حوشية الالفاظ وتنافرها وجفوة المعاني وتعقيدها وقد كانوا فوق ذلك متنافرين متدابرين قلما تطمئن قبيلة منهم الى الاخرى فلم يكن من سبيل بينهم الى التعارف و بعبارة واضحة لم يكن من سبيل الى اتفاقهم في المنطق فقد تباعدت الالسنات واختلفت اللهجات لتعدد الاوضاع وتباعد الاصقاع حتى انهم كانوا لا يفهم بعضهم بعضاً

وقد وفد اعرابي على ملك من ملوك حمير فقال له الملك ثب يريد الجلوس فظن الاعرابي انه يأمره بالقفز كما هي لغة الحجاز فوثب من اعلى الجبل حتى تردى في اسفله ولما سأل الملك عن ذلك واطلع طلع الرجل قال من دخل ظفار حمر ..

وقد احس العرب من انفسهم هذا الداء في اواخر القرن السادس لميلاد المسيح فأخذوا يطبون له و بعبارة جلية اخذوا يتهيأون لنهضتهم الجديدة في اللغة والدين والاجتماع فماذا صنعوا ..؟

مقدمات النهضة العربية

اقاموا بالقرب من مكة اسواقاً ثلاثاً كانوا يقضون فيها كل عام شهراً كاملاً من الاشهر الحرم وهو ذوالقعدة ولم يكن لقبيلة ان تتخلف عن هذا الاجتماع فكانوا يبيعون و يشترون و يتقاضون و يتخاصمون و يتنافرون و يتناشدون حسان القصائد و يتبادلون متان الخطب وكان يجلس لهم قضاة يفصلون الخصومة فربما اعلن قوم الحرب على آخرين فردهم القضاة الى السلم وربما ظفر الرجل بقاتل اخيه او ابيه فالزمه القاضي ان يطلقه و يقبل منه الفداء وكان يجلس للشعراء خاصة قضاة ناقدون يفضلون بعضهم على بعض ورئيس هذه الطائفة من القضاة هو نابغة بني ذبيان

وقد نتج من هذه الاسواق ثلاث نتائج كبرى: الاولى — شعور العرب بحاجتهم الى

السلم والفاق الكلمة واجتماع الرأي وائتلاف القلوب ولعلكم ترون ذلك ظاهراً في معلقة زهير بن ابي سلمى حين يدعو عبساً وفزارة الى الصلح

الثانية — تهيوء قلوبهم لقبول الوعظ والدين واستعداد نفوسهم للبحث النظري عما اشتمل عليه هذا العالم من نظام بديع ولعلكم تجدون ذلك جلياً في شعر زهير وخطب قس بن ساعدة واكثم بن صيفي وفي شعر لبيد بن ربيعة الذي قاله في الجاهلية

الثالثة — تقارب اللغات المتباعدة وائتلاف اللهجات المختلفة وتغلب لغة قريش على اللغات كافة

واذا كانت الحوادث في هذا العالم انما تحدث متوالية متتابعة وينتج بعضها من بعض كان حقاً علينا ان ندع هذه النتائج الآن حتى تصل عملها في الوجود لتجني ثمرها بعد حين

الشعر

في ذلك العصر التهبت جذوة الشعر واستطار شرره فالتهم كل شيء واحتكم في كل انسان ولم تكن حكمة الا له ولا رأي الا عنه ولا اعتماد الا عليه وكان يكفي للشاعر ان يمدح الوضيع فيرفعه او يذم الرفيع فيضعه او يغري بالحرب فتتهالك النفوس وتتفانى القوى او يدعو الى السلم فتصبح الضغائن والاحقاد نسياً منسياً

اختلفت قبيلتان من قبائل العرب على بئر من الآبار حتى ذكت بينهما نار الحرب فلم يكن الا ان وقف شاعر احداهما وقال :

كلا اخوينا ان يرع يدع قومه ذوي جامل دثر وجيش عرمرم
فما الرشد في ان تشتروا بنعيمكم بئيساً ولا ان تشربوا الماء بالدم

هنالك ردت النفوس الى اغمادها والسهام الى كنائنها واصبح القوم صديقاً متحابين بعد ان كانوا عدواً متباغضين

كان لعمرو بن معدي كرب الزبيدي اخت يقال لها كبشة وكانت متزوجة في بني مازن وكان لهما اخ يقال له عبدالله فزار عبدالله اخته ذات يوم فبينما هو جالس مع ابي مازن يشاربهم الخمر وثبوا عليه فقتلوه ثم افاقوا من سكرهم فاستشعروا الندم وذهبوا الى عمرو بالدية معتذرين فعفا عمرو وقال : احدى يدي اصابتني ولم ترد

فلما بلغ الخبر كبشة صبرت الى يوم عيد من اعيادهم ثم خرجت وقد شقت ثيابها ولطختها بالدم وهي تقول :

ارسل عبدالله اذ حان يومه الى قومه لا تعقلوا لهم دمي

ولا تقبلوا منهم افالاً وابكرا   واترك في بيت بصعدة مظلم
ودع عنك عمرواً ان عمراً مسالم   وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم

فلما سمع عمرو الابيات ثارت في رأسه الحمية فغزا بني مازن وقتل منهم خلقاً كثيراً

ولقد كان للشعر عند اليونان اله معروف هو ابولون واما العرب فقد كان للشعر عندهم شياطين لا تحصى وكان لكل شاعر منهم شيطان على الاقل وربما كان له اكثر من ذلك ولم تذهب هذه الخرافة بظهور الاسلام بل بقيت بعده وايدها علماء المسلمين في القرن الرابع للهجرة وقد حدث صاحب الاغاني في كتابه ان بشر بن مروان كان يحب الافساد بين الشعراء فلما ولي العراق امر سراقة البارقي ان يهجو جريراً ويفضل عليه الفرزدق فقال ابياتاً منها :

ان الفرزدق برزت احسابه   عفوا وغودر في الغبار جرير

فأمر بشر ان تكتب الابيات الى جرير وان يؤخذ بالاجابة عليها فلما وصلت الابيات الى جرير خلا الى نفسه سواد الليل فلم يصنع شيئاً فلما كاد يأخذه اليأس سمع قائلاً يقول في زاوية من زوايا البيت ويحك يا جرير غبت عنك ليلة فلم تصنع شيئاً هلا قلت

يا بشر حق لوجهك التبشير   هلا انتصرت لنا وانت امير

فقال له جرير حسبك حسبك ثم أتم القصيدة والآن اظنكم قد عرفتم مقدار ما كان للشعر في جاهلية العرب من مكانة سامية ومنزلة عالية ومن استئثار بالقلوب واقتدار على الالباب ولم تكن الخطابة بأقل منه قدراً وحسبكم ان تعلموا ان القبيلة كانت لا تشرف ولا ينبه ذكرها الا اذا كان لها شاعر وخطيب   الباقي للآتي

النهضة الفكرية

في سورية

الاقبال على الآداب منظومها ومنثورها اول ما تنصرف اليه وجوه الامم الآخذة بالنهوض ثم تنبعث الرغبة في الفنون والعلوم بحسب الحاجة والدواعي . وبعد ان اضمحلت الآداب في سورية فبلغت حداً غريباً من الابتذال في القرن الثاني عشر للهجرة وأمست ادبيات اهل الطبقة الراقية في ذاك العصر تافهة بشعة لا شأن لها ولا ذوق فيها عادت فأخذت تسير نحو الحياة في منتصف القرن الثالث عشر بما هب عليها من نسمات التجديد السارية من عقول المنورين المتأدبين من السوريين والمصريين والتونسيين

فنشأ للغة كتاب وشعراء في مصر والشام ومنهم من اخذوا يعودون بمنظوماتهم ومنثوراتهم الى سالف نضرة اللغة من الرصانة و يقلدون ادباء الافرنج في تصوراتهم . وكان لمصر في هذا الشأن يد طولى اسداها الى الآداب العربية جد البيت الخديوي الاول فعمت المعارف في مصر ومنها انتشرت الى سائر الاقطار . وان كان بعض من يريدون ان يحصروا الفضل كله في سورية ولا سيما في المدارس الاجنبية ينكرون هذه الحقيقة التاريخية المدركة

لا جدال في ان المدارس الاجنبية احسنت على عهد نشأتها في بلاد الشام واهتمت بخدمة الآداب العربية اهتمامها بخدمة آداب لغاتها الاصلية وان بذلك كثرت صلاتنا التجارية والعلمية مع اوربا واميركا وصار الافرنج يطوفون او يسكنون ديارنا وامسينا لا نفزع من نزول ديارهم او الرحلة اليها .

وعلى هذه الصورة اخذنا ندرك اليوم بعد اليوم نقصنا بالقياس الى الغربيين فيسعى المتنورون منا الى بث انوار المعارف والفضيلة و يشعرون بالمصلحة العامة و يتوفرون على اصلاح الافكار السقيمة .

النهضة الفكرية في سورية متلونة كابي براقش بتلون الاوعية التي تخرج منها فنهضة المسلمين مثلاً آتية من مدارس الحكومة على الاغلب على يد أناس من العرب تعلموا التركية في المدارس الملكية والعسكرية في الولايات السورية او في الاستانة وهؤلاء في الاكثر تعلموا ما تعلموا ليصبحوا موظفين وغايتهم ان يتدرجوا في سلك المراتب والمناصب ليعيشوا

عيش الراحة والاتكال . ولولا نفر منهم تداركوا امرهم بعد نيل الشهادات المؤذنة بكفاءتهم من المدارس الاميرية فأخذوا يحاولون ان يكتبوا بلغتهم ويتذوقوا ادبياتها ليملوا على امتهم بعض ما غلب عليهم من المعارف الجديدة لقلنا ان تلك المدارس لم تأتنا بخير الا بكونها صاغت من سورية موظفين آخرين فزادت بهم الدولة عبثًا فوق عبئها الثقيل من الاتراك الذين جعلوا وظائف الحكومة اقصى ما يبلغونه من درجات الكمال وسعادة الحال والمآل .

ثم ان طبقة الموظفين في جميع الامم التي تسير على نظام الاوربيين لا يأتي في الغالب منها كبير امر لان الاستخدام مبني على الطاعة وارتقاء الموظفين مناط باعتزالهم واحسن اعمالهم الخضوع لارادة الرؤساء . مهما كانت وهناك الارتقاء مضمون ولذلك قلما أثر موظف في نهضة الامة الفكرية خلا افرادًا في مصر عرفوا منذ زهاء سبعين سنة الى اليوم كيف يستخدمون اوقاتهم وحريتهم ليحملوا لكل من حكومتهم وانفسهم وأمتهم حظًا وتكون اعمالهم سلسلة نافعة من كل وجه

اما في سورية فاننا نجد من تذوقوا شيئًا من الادب وحبسوا انفسهم على التوظف لم يأتوا بما ينفع في النهوض الاهم الا اذا كانوا يرون تلك الدواوين الشعرية والاماديح النثرية التي يرسلونها في تمجيد الحاكمين على اختلاف درجاتهم تعدمن الآداب في شيء ولا يحضرنا الآن اسم بضعة من الموظفين يصح ان نوردهم مثالاً صحيحًا نحتج به على من يوقن كل الايقان ان الموظفين مهما بلغوا من التربية والتعليم فلا يرجى ان ينتفع بهم الا في الفروع التي تمحضوا لها من خدمة الحكومة .

واذ كانت الشام واقفة عند حد الاعتماد على مدارس الحكومة والحكومة لا تعلم الا ما ينفعها ومدارس الاجانب لا تعنى الا بالعرض بما ينفع البلاد بقيت النهضة الفكرية مذبذبة لا تركية ولا عربية ولا افرنسية ولا اميركانية ولا انكليزية ولا المانية ولا روسية ولا يونانية ولا ايطالية . كما انها ليست اسلامية سنية ولا شيعية ولا باباوية كاثوليكية ولا مارونية ولا ارثوذكسية ولا برتستانتية ولا اسرائيلية ولا درزية وبهذا صح ان نقول ان سورية بابل اللغات واللهجات كما هي بابل الاديان والمذاهب وان النهضة في اصقاعها كاجوائها في التلون واغوارها في الحرارة ونجادها في البرودة .

لم تنشأ في البلاد مدارس اهلية الا في دمشق وبيروت وحمص وطرابلس وصيداء مثلا منذ عهد قريب وهي لم تطل اعمارها بعد حتى يتخرج منها تلاميذ يكون واحدهم بالف في غنائه وكفاءته ويبذ المتعلمين في مدارس الاجانب ومدارس الحكومة معًا ويتلقن في

مدرسته ان المقصود من العلم اثارة المتعلم نفسه وذويه ونفع قومه ولغته وأمته .

وممن يساعدون اليوم على ترقية الافكار وازالة غشاوة الاوهام بعض الصحف ونشئة من ناشئة الشام تلقى العلوم المختلفة في مدارس الغرب ولا سيما في فرنسا وسويسرا وانكلترا والمانيا وأناس من وجوه البلاد اخذوا يغشون ديار الغرب للزيارة وهم على قلتهم يفيدون فيما يقصونه على قومهم من مشاهداتهم واعجابهم باوضاع المدنية الحديثة وقصور سورية بالنسبة الى ذاك التقدم المدهش .

هذه العوامل الثلاثة في ارتقاء سورية وهي الصحف والمتعلمون في مدارس الغرب والسائحون في ديارها اذا حسنت اكثر من الآن وقويت وكثر عديد الشاعرين بها تنهض بالبلاد ولا سيما مدن الداخلية كما افادت هجرة اللبنانيين خاصة في تمدين لبنان فعد من سورية بمثابة باريز من ولاياتها او القاهرة من بلاد اقاليم مصر ولذلك كانت الحركة الفكرية في لبنان وبيروت ارقى الآن منها في دمشق وحلب اذ التعلم فيهما اكثر من هاتين القاعدتين وحركة لبنان وبيروت في الفكر مادية ولذلك قلما ترى الرغبة اليوم في مدارس بيروت والجبل منصرفة الى العلوم الادبية والفنون بقدر انصرافها الى اتقان اللغات الاجنبية ولا سيما الانكليزية والافرنسية يستخدمونهما في التجارة او يتسلحون بهما للاستعانة على الهجرة الى اميركا الشمالية واوستراليا وكندا وجنوبي افريقية ومصر والسودان

وبعد فان حال النهضة غريب في هذا القطر فكما كان العمران في السهول والوهاد في كور محدودة معروفة هكذا تجد النهضة الفكرية في انتشارها موزعة على المدن الآن وبعضها لا حظ لها منها الا بقدر حظ الدساكر والقرى فترى اللاذقية وعكا مثلا بنهضتهما الفكرية دون حيفا ويافا مثلاً مع ان للمدينتين الاوليين تاريخاً مجيداً مهماً ونابلس وحماة متشابهتان وان كانت الاولى تفوق الثانية بكثرة الناهضين التعليم من ابنائها وحمص تشبه طرابلس والصلت تشبه بعلبك ولكن هناك نحو مئة بلدة لا تقل نفوس الواحدة منها عن بضعة الوف من السكان وهي لا تخرج في نهوضها الفكري عن احقر المزارع وذلك مثل دومة وجوبر وعربيل وداريا في غوطة دمشق ويبرود وجيرود ودير عطية والنبك في جبل سنير (قلمون) وحاصبيا وراشيا في وادي التيم والسويداء والرمثا ودرعا ونوى وبصرى في حوران وغيرها من أمهات القصبات في ولايات سورية وحلب وبيروت ومتصرفيات لبنان والقدس والزور وهي جماع اقاليم بلاد الشام .

قلنا ان نهضة سورية ذات الوان كثيرة وذلك لاختلاف مصالح الامم الغربية في هذه

الديار والسياسة والدين تأثير شديد في هذه الحركة ولولاهما ما رأينا تلك المدارس المبثوثة في القدس والناصرة وبيروت ولبنان ودمشق وحلب ومرعش . بل في بعض القرى والقصبات . وبينا تجد الدولة تجدّ ولا سيما في العهد الاخير بنشر لغتها وكادت ولاية حلب تعد من الولايات التركية تجد الارض المقدسة ولا سيما طبرية وصفد وحيفا ويافا والقدس توشك ان تعد ولاية اسرائيلية وذلك لكثرة المهاجرين في العشرين سنة الاخيرة من الاسرائيليين الروسيين والنمساويين والالمان وغيرهم ومنهم دعاة الصهيونية يريدون ان ينشئوا مع الزمن في فلسطين مملكة تكون سداها ولحمتها يد ابناء اسرائيل من اجل هذا تراهم في مدارسهم لا يعلمون العربية ويجعلون اللغة العبرية لغة التعليم والتخاطب ولهم في فلسطين جرائدهم ومطبوعاتهم ينشرونها على مناحيهم بمأمن من مراقبة الحكومة وتوفيق الخطة عَلَى ما يلائم مصلحة البلاد ولذا تشهد في مدن فلسطين ولاسيما في القدس ويافا وحيفا غرائب الالسن فتظنك في بورسعيد اليوم تسمع بضع لغات والبلاد عربية ولكن بالاسم فقط

ومهما يكن من صبغة النهضة في قواعد البلاد ومدنها فان اعمالها من بلاد الاقاليم كالقرى والدساكر لا تزال بمعزل عن كل نهضة وحسبك انك تمر الى اليوم في بضع قرى ولا تجد من يستطيع ان يقرأ القراءة البسيطة فضلاً عن كتابة سطرين وهذا شأن الاقاليم التي لم تدخل اليها الافرنج او دعاة البروتستانتية عَلَى الاقل مثل الصلت والكرك وتنشيء المدارس لبث دعوتها كمعظم الوية حوران والكرك واللاذقية والزور

نعم تسير الايام الطويلة ولا تشهد السكان الا كما كانوا منذ بضعة قرون تجتاز تدمر وجرش وبلاد موآب وارض الشراة والبلقاء وارض منبج وحران والرقة وبلاد الجولان وارض الصفا واللجاة وغيرها فلا تكاد ترى مدرسة اهلية ثم تذكر ماضي هذه الاقاليم فلا تلبث ان تنهل عبراتك عَلَى بلاد نام عنها رعاتها واقاليم كل منها بمساحته وخصبه وذكاء اهله ومضائهم لا يقل عن احسن اقاليم قارتي اوربا واميركا .

وربما توهم واهم ان الحرية العثمانية ابرزت من القوى ما كان كامناً في النفوس ولكننا لم نشهد من علائمها شيئاً يستحق الذكر اللهم الا اولئك النفر من المتأدبين الذين جربوا انفسهم في نشر الصحف والمجلات وتأليف الاسفار والترجمات يحاولون منها الرزق اولاً ؛ بخسرا اكثرهم عَلَى ان معظم ما نشر في السنين الاربع الاخيرة من المصنفات والمقالات يدل عَلَى ان الامة هنا لم تزل في دور التجارب وهيهات ان تعد في مصاف الامة المصرية

حتى بعد ربع قرن فالاسماء هنا اكثر من المسميات وان تكن الهمم عالية اكثر من مصر في الجملة ولكن اين نحن من نضوج العلم في وادي النيل وتلك الفئة الرشيدة من العلماء والكتاب والمفكرين والسياسيين والخطباء والواعظين

يقولون ان الكليتين الاميركية واليسوعية في بيروت تخرجان رجالاً اكفاء فأين آثارهم نستدل بها على فضلهم ووطنيتهم وماغالهم يستطيعون ان يأتونا بغيرمة لات خيالية او قصص غرامية مسلوخة او ممسوخة من اللغات الاجنبية · وكان في مقدرة اولئك المتعلمين عَلَى التواء في نظام تعليمهم ان يأتوا وهم متوفرون عَلَى اعمالهم المادية بشيء من المعارف لوطنهم يخدمونه بها ولكن القوم بلغت بهم الاثرة وحب الماديات حتى صاروا لايتعلمون العلوم الااذا كانت تنفعهم لجلب الرزق وماعدا ذلك فليس له حظ من الاعراب في جملة حالهم

وهذا من آكد الاسباب التي دعت فئة المتعلمين ولا سيما في لبنان والساحل ان يعرضوا عن درس اللغة العربية ويستعيضوا عنها بالانصراف الى تعلم احدى اللغات الاجنبية لان هذه بزعمهم تعود عليهم بجماع الفضائل والمحامد والغنى وتلك لاتفيدهم في مادياتهم ولا في ادبياتهم ولكن فات هذا الفريق من المتعلمين انهم مهما بلغوا من احكام ملكة اللغات الاجنبية لا يتعدون فيها قدر الترجمان البسيط وان من جميع من اشتهروا باتقان الانكليزية او الافرنسية حتى الآن من ابناء سورية لانعرف بضعة اشخاص يستحقون ان تنشر مكتوباتهم في مطابع الغرب الا بعد ان ينظر فيها ابناء تلك اللغة ويثقفونها ويتعاورونها بالحذف والاثبات ·

وبعد فان النهضة الفكرية لاتكون عَلَى اتمها الابالتعليم وهذا التعليم مفقود من سورية اللهم الا على مناحي الفرنسيس والاميركان وغيرهم ولذلك كانت النهضة السورية اشبه بجنين لم تظهر سحنته ولم تتم خلقته · وما دام التفرنج من جهة والاترك من اخرى يستحيل عَلَى بلاد الشام ان تدعي بان فيها نهضة فكرية عربية ولا يفعل اكثر من يتعلمون الا انهم ينقلون انفسهم الى ابناء اللغة التي يتعلمونها وينسلخون من قوميتهم

وربما يقول بعضهم ماهذا الغلو في تقدير هذا الخطر المداهم والمتعلمون افراد والسواد الاعظم لا في العير ولا في النفير لم يبرحوا عَلَى الفطرة وسيتعلمون ما يكتب لهم فالجواب ان الافراد هم العمدة ولفرد متعلم اقدر عَلَى معرفة المدخل والمخرج من عشرة آلاف أمي ولو كانت كثرة العدد تنفع كل حين لما رأينا سكان الهند يخضعون للانكليز

وجزائر المالايو او جاوة يخضعون للهولانديين وغيرهم من الامم الشرقية الضعيفة يخضعون لغيرهم من الامم الغربية القوية . وعلى الجملة فان نهضة سورية على غير ما تقتضي الحاجة الوطنية فلا هي شرقية ولا غربية بل هي من كل البلدان وثمرة كل الشعوب Cosmopolite والناس قد شعروا بنقصهم ويسعون الى تعليم ابنائهم في معظم الاقاليم والشعور بالنقص اول درجات الكمال كما ان ميل الناس الى المشاركة في المسائل العمومية دعا الى ترقية المحيط والتجافي عن تافه الاحاديث فعسى ان تنمو هذه الجرائيم وتنتقل من دور الحضانة الى دور الطفولة والفتوة في قليل من السنين

اليمن وسكانها

(ا)

« كيف عرفها وعرفهم علماء العرب [١] »

(١) هذه اسماء اهم الكتب التي اعتمدنا عليها في هذا المبحث الذي ليس لنا فيه الا صحة النقل ونسبة كل قول لقائله بالحرف ولا نكاد نحذف الا بعض الجمل القليلة التي لا علاقة لها بموضوعنا في الاكثر او المكررة في رواية اخرى : (معجم البلدان) لياقوت الحموي (طبع مصر) . (البدء والتاريخ) لابي زيد البلخي (شالون سورصون « فرنسا ») (المسالك والممالك) لابن حوقل البغدادي (ليدن « هولاندة ») . (مسالك الممالك) للاصطخري (ليدن) . (المسالك والممالك) لابن خرداذبة (ليدن) . (كتاب الخراج) لابي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ليدن) . (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) للمقدسي المعروف بالبشاري (ليدن) . (مختصر كتاب البلدان) لابن الفقيه (ليدن) . (العلم الشامخ في ايثار الحق على الآباء والمشايخ) للمقبلي اليماني (خط) . (فتوح البلدان) للبلاذري (مصر) . (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) لشيخ الربوة الدمشقي (بطرسبرج) . (صفة جزيرة العرب) للهمداني (ليدن) . (تقويم البلدان) لابي الفدا صاحب حماة (باريز) . (المختصر في تاريخ البشر) له (مصر) . (تاريخ الملوك والامم) لابن جرير الطبري (مصر) (الاغاني) . لابي الفرج الاصبهاني (مصر) . (التعريف بالمصطلح الشريف) لابن فضل الله العمري الدمشقي (مصر) . (الفرق بين الفرق) لابي منصور عبد القاهر

مضى معظم السنة الماضية والدولة العلية تسير الى اليمن الحملة تلو الحملة لاخضاع المنتقضين الثائرين من رجال الشيخ احمد الادريسي الشافعي في جهات عسير والامام يحيى بن حميد الدين الزيدي في جهات صنعاء وقد أُغمدت السيوف الآن بعد ان هلك من جيش الدولة وعصابات المحاربين لها أُلوف ولا يزال يقتل في اليمن من العساكر العثمانية كل سنة نحو عشرة آلاف نسمة بعضهم في المناوشات والآخر باختلاف الاهوية وقلة الغذاء المناسب وذلك منذ اربعين سنة ومن قتل ومات من الجند والرعية لا يقلُّ فيما نحسب عن رجال مملكة صغرى من ممالك اوربا كسويسرا او الدانيمرك او السويد

والدولة الآن في صدد اعطاء بعض الامتيازات لليمانيين وربما صدر هذا الجزء ومجلس النواب العثماني يتناقش في لائحة الاصلاحات اليمانية وسيقسمون عَلَى الاغلب ما وقع تحت حكم الدولة مباشرة من البلاد الى ثلاث ولايات ولاية صعدة وولاية صنعاء وولاية عسير وقد جربت الدولة في السنة الماضية فسلخت لواء عسير وجعلته متصرفية قائمة برأسها تخاطب الاستانة مباشرة في امورها كلواء القدس والزور فاتى ذلك بنتائج حسنة ولا عجب اذا اكثرت الدولة من مراكز الحكومات فمن الاقضية هناك ما تسير فيه اياماً وفيه من القرى ما لا تجد مثله في ولاية من الولايات العامرة في الدولة وان عدد القرى الداخلة تحت حكم العثمانيين مباشرة يبلغ ٨٦٩٣ قرية و ٢٨٩ عزلة و٢٢٧ قبيلة وكل هذا القدر العظيم المنقول عن تقويم الدولة الرسمي يحكمه ٣٨ قضاء و٥٦ ناحية ومن الغريب ان الامية تكاد تكون مفقودة في اليمن بالنسبة لسائر البلاد العثمانية واهلها مع كل ما ابتلوا به من الفتن التي جرتها عليهم تلاعب رؤسائهم ورداءة العمال لا يزالون يعلمون ابناءهم القراءة والكتابة ويقدرون اليوم نفوس اليمن بنحو خمسة ملايين لو ارتقوا وعلموا لاتى منهم اعظم جيش محارب محضر نافع . واليك الآن كيف عرفهم وعرف بلادهم علماء العرب اقرأه واعجب في سر ما صارت اليه ارضهم من الانحطاط :

صفة اليمن

قال الهمداني سميت اليمن الخضراء لكثرة اشجارها وثمارها وزروعها والبحر مطيف

البغدادي (مصر) . (الفصل في الملل والاهواء والنحل) لابن حزم الاندلسي (مصر) . (الملل والنحل) للشهرستاني (مصر) . (العبر وديوان المبتدا والخبر) لابن خلدون (مصر) . (تاريخ ابن واضح) اليعقوبي البغدادي (ليدن) . (رسائل عمرو بن بحر الجاحظ) البصري (مصر) . (ارشاد القاصد) لابن ساعد الانصاري (بيروت) .

بها من المشرق الى الجنوب فراجعاً الى المغرب ويفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط واحد من حدود عمان وبيرين الى حد ما بين اليمن واليمامة فالى حدود الهجيرة وتثليث وانهار جرش وكتنة منحدراً في السراة على شعف عنز الى تهامة على ام جحدم الى البحر حذاء جبل يقال له كدمل بالقرب من حمضة وذلك حد مابين بلد كنانة واليمن من بطن تهامة . واول احاطة البحر باليمن من ناحية دما فطنوى فالجمجة فرأس الفرتك فاطراف جبال اليحمد وما سقط وانقاد منها الى ناحية الشحر فالشحر فغب الخيس فغب الغيث بطن من مهرة فغب القمر زنة قمر السماء فغب العقار بطن من مهرة فالخيرج والاسعاء وفي المنتصف من هذا الساحل شرقاً بين عمان وعدن ريسوت وهو موئل كالقلعة بل قلعة مبنية بنياناً على جبل والبحر محيط بها الامن جانب واحد فالبر فمن اراد عدن فطريقه عليها فان اراد ان يدخل دخل وان اراد جاز الطريق ولم يلو عليها وبين الطريق الذي يفرق اليها والطريق المسلوك الى عمان مقدار ميل . ثم ينعطف البحر على اليمن مغرباً وشمالاً من عدن فبر بساحل لحج وأبين وكثيب برامس وهو رباط وسواحل بني مجيد من المندب فساحل العميرة والعارة فالى غلافقة ساحل زبيد فكمران فعطيفة فالحردة الى منفهق جابر وهو رأس غرير كثير الرياح حديدها الى الشرجة ساحل بلد حكم فباحة جازان الى عثر فرأس عثر وهو كثير الموج الى ساحل حمضة فهذا مايحيط باليمن من البحر اه .

واصرح من هذا ما قاله المسعودي : وبلد اليمن طويل عريض حده مما يلي مكة الموضع المعروف بلجة الملك سبع مراحل الى صنعاء ومن صنعاء الى عمان وهو آخر عمل اليمن تسع مراحل والمرحلة من خمسة فراسخ الى ستة والحد الثاني من حكم ورحاه الى ما بين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ويلي الوجه الثالث بحر اليمن فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة واسماء ملوك اليمن كذي يزن وذي نواس وذي منار وغير ذلك مضافة الى مواضع والى افعالهم وسير وحروب وغيرها من سمات لهم تميزهم عن غيرهم

فاليمن كما قال ابن خلدون صقع جليل ومملكة عظيمة يشتمل على اربعة وعشرين مخلافاً (وفي رواية اربعة وثمانون على ما يجيء) والمخاليف الكور وكان اليمن في صدر الاسلام على ثلاثة اقسام كل قسم منها في يد ملك احد الاقسام قصبته صنعاء والآخر قصبته الجند والاخر قصبته ظفار والذي يعطيه التحديد انه ينقسم الى قسمين احداهما

تهامية والاخرى نجدية فالتهامية قصبتها زبيد وبها يكون السلطان والجند وهي مدينة مسورة وعليها سبعة خنادق ولها نهر يجري اليها من الجبال وساحل يسمى غلافقة ومن البلاد التهامية المحجمة ولها نهر يأتيها من جبل يسمى فرع والكدرا ولها واد يجري اليها من السيول والمهجم وهي مدينة كثيرة الفواكه ولا سيما الموز ولها نهر يأتيها من التوب يسمى سرود والجال ولها نهر يأتيها من جبال حور وحرض ولها نهر يأتيها من بلاد خولان والراحة ولها نهر يأتيها من نجد واما البلاد النجدية وتسمى بلاد الجبال والنجد في اللغة قفار الارض وما غلظ منها واشرف عَلَى الارض فاعلاها تهامة واليمن واسفلها العراق والشام وهو ممتد من بلاد مهرة الى بلاد الحجاز ومسافة ذلك عشرون فرسخاً وقصبته عدن وتعرف بعدن أبين وبقعتها عَلَى البحر يدخل اليها من باب قد فتح في جبل كأنما يدخل الى الكرك بالشام وهي فرضة لما يرد من مراكب الصين والهند وكرمان وفارس وعمان ويشرب اهلها من مياه مختلفة وليس لها خضراء الا ما يجلب اليها من مسيرة يوم وبالقرب منها مدينة أبين ولها على ساحل البحر فرضة تسمى المحل ينزل الناس منه في اخصاص ولها كورة تشتمل عَلَى عدة قرى ومن بلاد الجبل صنعاء وكانت القصبة لبلاد اليمن باسرها وهي وبية كثيرة الفواكه ولها نهر يشقها يسمى السرار ويصب في سنوان فيكون منه بحيرة تمده الامطار في الصيف

وحكي ان ظفار مدينة التبابعة ومن بلاد الجبل تعز وهي قلعة حصينة وبها السلطان في عصرنا (ابن خلدون) وهي بين مدينتين احداهما المعزية والاخرى عدنة ينزل اليها واد من جبل صبر وهذا الجبل فيه قرى كثيرة قصبتها مدينة تسمى لاعة المرتقى اليه مسيرة يوم وطوله اربعة وعشرون فرسخاً ومدينة الجند مشهورة ومدينة جبلة وتسمى مدينة النهرين لانها بين نهرين ومدينة الدحلوة وهي قائمة على ذرى شامخ وعر قداء تلاث من اموال ملوك اليمن وكبرائها تبراً وجيباً يجمع المال بها والمدينة كالربض وتسمى ايضاً الجرد ومن حصون السلطان ايضاً باليمن قلعة انور وهي في ناحية تسمى وادي السيول يشتمل عَلَى قرى مشتبكة العمائر وقلعة مثوة وهي في ناحية زبيد كثيرة القرى وقلعة العروسين وهي في ناحية تعرف بعلوان الكردي كثيرة القرى ومن بلاد اليمن ذمار وهي مدينة مسورة لها عيون وبساتين ومدينة صعدة وخيوان بها خانات وحمامات واما كن وعمائر ومدينة مأرب بها آثار عرش بلقيس وهي اساطين في غاية الغلظ والارتفاع ولها كورة بين صنعاء وحضرموت وبالقرب منها جبل شق عليه سد تجتمع اليه مياه الامطار والعيون واذا

ارادوا سقي القرى فتحوا منه بقدر حاجتهم ثم يسدونه بآلات لم احكموها ومن بلاد الجبل ايضاً السروان احدهما مرو جبل لبن وآلاخر مرو مبل وهما مختلطان ولهما قصور كالقرى واسماؤها العجر والبيضاء وقرن وذوقيام وذوجنبيل ودوتق وهذان السروان يمتدان من جنوب اليمن الى شمال الحجاز وسكانها فصحاء العرب · ومن اقسام اليمن حضرموت وفيها تريم وشبام والشحر والاحقاف ومنها بلاد مهرة وغيرها

قال البلخي وكانت اعمال اليمن مقسومة عَلَى ثلاثة ولاة وال عَلَى الجرم ومخاليفها ووال عَلَى حضرموت ومخاليفها وهي اوسطها واطيب بلادها وابردها واكثر ما ارتفع من اموالها ما جباه بعض عمال بني العباس ستمائة الف دينار واهلها قوم فيهم جهل وغباوة وسلامة صدر وضعف حال واكثر فواكههم الموز وعامة لحومهم لحم البقر وفي مشارق سواحلهم صحار ومسقط وسقوطرا وشحر محلب ومن عندهم الالبان والصبر وهم ضعاف الحال سيئو العيش قليلو الحيل والصناعات ولهم لغة لا يفهمها غيرهم وتليها الاحساء وهي من ارض العرب قد استوطنها القرامطة في القرن الثالث

واليمن عَلَى رواية المقدسي قسمان ما كان نحو البحر فهو غور واسمه تهامة قصبته زبيد ومن مدنه معقر وكدرة ومور وعطنة الشرجة دوبة الحمضة غلافقة مخا كمران الحردة اللسعة شرمة العشيرة رنقة الحصوف الساعد المهجم وغيرهن ناحية أبين مدنها عدن لحج (لحج) وناحية عثر مدنها بيش حلي السرين وناحيته السروات واما ما كان من ناحية الجبال فهو بلاد باردة تسمى نجداً قصبتها صنعاء ومن مدنها صعدة نجران جرش العرف جبلان الجند ذمار نسقان يحصب السحول المذيخرة ·

فزبيد قصبة تهامة وهو احد المصرين لانه مستقر ملوك اليمن بلد جليل حسن البنيان يسمونه بغداد اليمن لهم ادب ظرف وبه تجار وكبار وعلماء وادباء مفيد لمن دخله مبارك عَلَى من سكنه آبارهم حلوة وحماماتهم نظيفة عليه حصن من الطين باربعة ابواب وحولها قرى ومزارع اعمر من مكة واكبر وارفق اكثر بنيانهم الآجر ومنازلهم فسيحة طيبة وهو بلد نفيس ليس باليمن مثله غير ان اسواقه ضيقة والاسعار بها غالية والثمار قليلة · ومعقر عَلَى جادة عدن وكذلك عبرة وعارة والخنف وكلهن صغار وعدن بلد جليل عامر آهل حصين خفيف دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب معدن التجارات كثير القصور مبارك عَلَى من دخله مثر لمن سكنه مساجد حسان ومعايش واسعة واخلاق طاهرة ونعم ظاهرة قد احاط به جبل بما يدور الى البحر ودار خلف الجبل لسان من البحر فلا

يدخل اليه الا ان يخاض ذلك اللسان فيصل الى الجبل وقد شق فيه طريق في الصخر عجيب وعليه باب حديد ومدوا من نحو البحر حائطاً من الجبل الى الجبل فيه خمسة ابواب والجامع ناء عن الاسواق الا انها يابسة عابسة لازرع ولا ضرع ولا شجر ولا ثمر ولا ماء ولا كلاء كثيرة الحريق والوكف ·

أبين هي اقدم من عدن واليها تنسب عدن لان بُرَمَّم وفوا كههم وخضرهم منها لكثرة القرى والمزارع بها وكذلك لحج ومندم عَلَى البحر عامرة · ومُخا مدينة لزبيد عامرة كثيرة السليط وغلافقة فرضة زبيد عامرة آهلة بها نخيل ونارجيل وآبار حلوة الا انهـا وبية قاتلة للغرباء · والشرجة والحردة وعطنة مدن عَلَى السـاحل بهن خزائن الذرة تحمل الى عدن · وجدة بلد اللبن يحمل اليهم الماء من بعد وجوامعهم عَلَى السـاحل وناحية عثر ناحية جليلة عليها سلطان برأسه ومدنها تقبسة وعثر مدينة كبيرة طيبة مذكورة لانهـا قصبة الناحية وفرضة صنعاء وصعدة بها سوق حسن وجامع عامر يحمل اليهم المـاء من بعد وحمامهم وضر ·

وبيش اطيب هواء منها واعذب ماء بهـا ينزل السلطان · والجريب بلد الموز وهو ارخى مدن الناحية واعجبها · وحلي مدينة ساحلية عامرة مرية رفقة · والسرين بلد صغير له حصن · مصنعة وهو فرضة السروات والسروات معدن الحبوب والخيرات · صنعاء هي قصبة نجد اليمن وقد كانت اجل من زبيد واعمر وكان الاسم لها واما اليوم فقد اختلت غير ان بها مشايخ لم ار بجميع اليمن مثلهم هيئة وعقلاً · ثم بلد رحب كثير الفواكه رخيص الاسعار · اخبازحسنة وتجارات مفيدة اكبر من زبيد ولا تسل عن طيب الهواء فانه عجيب ومع ذلك رفق معف · وصعدة اصغر من صنعاء عامرة في الجبال بها تصنع الركاء الجيدة والانطاع الحسنة ومنها يرتفع ادم الجلد وهي مدينة العلوية وعملهم · وجُرش مدينة وسطة ذات نخل واليمن ليس ببلد نخيل ونجران مثل جرش وهمـا دون صعدة واكثر ما ترى من الادم فمن هذه المدن · والحميري هو بلد قحطـان بين زبيد وصنعاء كثير القرى رديء الهواء وبي مفيد للتجار · والمعافر بلد واسع ذو مزارع وقرى وفوائد وسبأ بلد خلف هذه النواحي عامر المدينة خرب العمل

هذا وصف بلاد اليمن وفي رواية ان مسـاحتها السطحية ٢٥٦ الف كيلومتر مربع اما المسافات عَلَى تقدير العرب فهي من صنعاء الى صداء ٤٢ فرسخاً من صنـعاء الى حضرموت ٧٤ فرسخاً ومن صنعاء الى ذمار ١٦ فرسخاً ثم الى نسـفان وكحلان مرحلة

ثم الى هجر وبدر ٢٠ فرسخاً ثم الى عدن ٢٤ فرسخاً ومن ذمار الى يحصب مرحلة ثم الى السحول مرحلة ثم الى النجة مثلهـا ثم الى الجند مثلها ومن صنعاء الى الجند ٤٨ فرسخاً ومن صنعاء الى العرف مرحلة ثم الى الهان ١٠ فراسخ ثم لى جيلان ١٤ ثم الى زبيد ١٢ ومن صنعاء الى شبام مرحلة ومن صنعاء الى عثر ١٠ مراحل ومن عدن الى أبين ٣ فراسخ

مخاليف اليمن

كور بلاد اليمن تسمى مخاليف وهي اربعة وثمانون في رواية وفي رواية اربعة وعشرون قال ابن خرداذبة مخلاف صنعاء والخشب ورحابة ومرمل وبصنعاء كان غمدان مسكن سيف بن ذي يزن الحميري وفيه يقول أمية بن ابي الصلت الثقفي :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً   في رأس غمدان داراً منك محلالاً

ومخلاف صعدة فمن صنعاء الى خيوان اربعة وعشرون فرسخاً ومن خيوان الى صعدة ستة عشر فرسخاً ومن صعدة الى المهجرة وهي تحت عقبة المنضج عند طلحة الملك التي هي اول عمل اليمن عشرون فرسخاً فبين المهجرة وصنعاء ستون فرسخاً . ومخلاف البون وفيه ريدة وبها البئر المعطلة والقصر المشيد التي ذكر الله تبارك وتعالى ومخلاف خيوان ومخلاف نجدي خولان ذي شحيم وغوريها وفيها ريام النار التي كان يعبدها اهل اليمن . وعلى اليمين من صنعاء مخلاف شاكر ووادعة ويام وأرحب ومخلاف الحردة وهمدان ومخلاف جوف همدان ومخلاف جوف مراد ومخلاف شنوءة وصدى وجعفي ومخلاف الجسرة ومخلاف المشرق وبوشان وغدر وفيه ناعط ومخلاف اعلا وأنعم والمصنعتين وبني غطيف وقرية مأرب قال النابغة الجعدي

او سبأ الحاضرين مأرب اذ   يبنون من دون سيله العرما

وبمأرب قصر سليمان والقشيب قصر بلقيس قال ابن ذي جدن :

اقفر من اهله القشيب   وبان من رأبه الحبيب

وصرواح والسد وهو العرم

ومن صنعاء الى صدى وجعفي وشنوءة اثنان واربعون فرسخاً ومخلاف حضرموت وبينها وبين البحر رمال ومن صدى اليها ثلثون فرسخاً فمن صنعاء الى حضرموت اثنان وسبعون فرسخاً . ومخلاف خولان رداع وفيه وادي النمل ومخلاف أحور ومخلاف الحقل وذمار على ستة عشر فرسخاً من صنعاء ومخلاف بني عامر وثاث ورداع ومخلاف

دثينة ومخلاف السرو ويحذائه مرسى الخبيرج ومخلاف عنس ومخلاف رُعين ونسفان وكحلان وفيه بحيرة يبنون قال امرؤ القيس بن حجر :

ودار بني سواسة في رعين   تجن عَلَيَّ جوانبه الرجالـــــ

ومخلاف ضنكان وذبحان ومخلاف نافع ومصحى ومخلاف حُجر وبدر وأخلة والصهيب ومخلاف لحج ومخلاف أبين وفيه عدن ومخلاف بعدان وريمان ومخلاف الثجة والمزرع ومخلاف ذي مكارب والاملون.

ومن صنعاء الى ذمار ستة عشر فرسخاً ومن ذمار الى نسفان وكحلان ثمانية فراسخ ومن نسفان الى حجر وبدر عشرون فرسخاً ومن حجر وبدر الى قرية عدن وهي مخلاف أبين اربعة وعشرون فرسخاً فمن صنعاء الى عدن ثمانية وستون فرسخاً

ومخلاف السلف والادم ومخلاف نجلان ونهب ومخلاف الجند ومخلاف السكاسك وهو آخر اليمن

فمن صنعاء الى ذمار كما قلنا ستة عشر فرسخاً ومن ذمار الى علو يحصب ثمانية فراسخ ويحصب مدينة ظفار وقصرها ريدان قال امرؤ القيس

تمسكن قائماً وبنى طمرا   على ريدان أعيط لاينال

وبظفار كانت تنزل ملوك اليمن ومن علو يحصب الى السحول ثمانية فراسخ ومن السحول الى الثجة ثمانية فراسخ ومن الثجة الى الجند ثمانية فراسخ فمن صنعاء الى الجند ثمانية واربعون فرسخاً . وذات الشمال راجعاً الى صنعاء مخلاف ذي شعبين ومخلاف الزيادي ومخلاف المعافر ومخلاف بني مجيد وفيه البقراني الجيد ومخلاف الركب ومخلاف صلب ونقد والايغار ومخلاف المناخيين وفيه المذيخرة قلعة حصينة يسكنها آل ذي مناخ وفيها منزل ابن ابي جعفر المناخي من حمير ومخلاف حمل ودمث وشرعب ومخلاف عنة وعناية ورجيع ومخلاف السحول وبني صعب ومخلاف وحاظة ومخلاف سفل يحصب ومخلاف علو يحصب ومخلاف القفاعة والوزيرة والحجر ومخلاف زبيد وبازائه ساحل غلافقة وساحل المندب ومخلاف رفع ومخلاف مقري ومخلاف ألهان ومخلاف جبلان وفيه الجبلان من آل ذي شرح وجبلان شقان شق الطاعة وشق المعصية ومخلاف ذي جُرة ومخلاف الحقلين ومخلاف العرف والاخروت .

فمن صنعاء الى العرف ثمانية فراسخ ومن العرف الى ألهان عشرة فراسخ ومن الهان الى جبلان اربعة عشر فرسخاً فمن صنعاء الى جبلان اثنان وثلثون فرسخاً ومن جبلان

الى زبيد ورمع اثنا عشر فرسخاً

ومخلاف خولان في ظاهر صنعاء ومخلاف جدد وحوشب ومخلاف عك بحذائه مرمى دهلك ومخلاف مهساع ومخلاف حراز وهوزن ومخلاف الاخروج ومجنح ومخلاف حضور ومخلاف مأذن وحملان وفيه مدينة ضهر ومخلاف شاكر وشبام وبيت أقيان والمصانع يسكنها آل ذي حوال وهم ولد ذي مقار ومنهم يعفر بن عبدالرحمن بن كريب الحوالي· قال امرؤ القيس

والحق بيت أقيان وحجر ولم ينفعهم عدد ومال

وقال ايضاً :

ازال من المصانع ذا أراس وقد ملك السهولة والجبالا

ومخلاف واضع والمعلل وهو بين صنعاء وشبام ومن صنعاء الى شبام ثمانية فراسخ قال الشاعر :

مازال ذا الزمن الخبيث يديرني حتى بقي لي خيمة بشبام

ومخلاف الصغر ومخلاف خناش والمحان ومخلاف حكم وجازان ومرس الشرجة ومخلاف حجور والمغرب ومخلاف قدم وهو يحازي قرية مهجرة ومخلاف حية والكوذن ومخلاف مسح ومخلاف كندة والسكون ومخلاف الصدف ·

بين عمرة وصنعاء تسع واربعون سكة ومن صنعاء الى ذمار اربع سكك وبين ذمار وعدن سبع سكك وبين ذمار والجند اربع سكك وبين صنعاء ومأرب سبع سكك وبين مأرب وعندل وهي حضرموت على الابل تسع سكك

مدن اليمن تهامية ونجدية عدن كما قال الهمداني جنوبية تهامية وهي اقدم اسواق العرب وهي ساحل يحيط به جبل لم يكن فيه طريق فقطع في الجبل باب بزبر الحديد وصار لها طريقاً الى البر ودرباً سكنها المربون والحماحميون والملاحيون · ولحج وأبين وبها مدينة خنفر والرواغ وموزع والشقاق والمندب والحصيب وهي قرية زبيد وقرى بواديها حيس والقحمة والكدراء ثم المهجم وهي مدينة سرود ومور وبه مدينة تسمى بلحة ثم الساعد والستيقتان والمهجر قرية ضمد وجازان وفي بلد حكم قرى كثيرة يقال لها المخارف وصبا ثم بيش وساحله عثر وهو سوق عظيم شأنها وقد تثقله العرب فيقولون عثر وأم جحدم قرية بين كنانة والازد وهي حد اليمن

واول مدن اليمن على سمت نجدها الجند من ارض السكاسك وجبأ مدينة المعافر

وجيشان وبالقرب منها قرى لها بواد تنسب اليها مثل جحر وبدر والصهيب ثم منكث مدينة السخطيين ثم ذمار ورداع وهي بين نجد حمير الذي عليه مصانع رعين وبين نجد مذحج الذي عليه ردمان وقرن وفي جنوبيها مدينة حصى وبثرى والحنق من ارض السرو ثم مدينة صنعاء وهي أم اليمن وقطبها لانها في الوسط منها مابينها وبين عدن كما بينها وبين حد اليمن من ارض نجد وحجاز وكان اسمها في الجاهلية أزال ويسميها اهل الشام صنعاء القصبة وتقول العرب لا بد من صنعاء ولو طال السفر وينسب الى صنعاء صنعاني وعلى كل واد من هذه الاودية ما لا يوقف عليه من القرى الصغار والابيات وكل واد منها مخلاف يكون فيه سلطان يقوم به عوائده ·

قال الاصمعي اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان الى نجران ثم يلتوي على بحر العرب الى عدن الى الشحر حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة وبينونة بين عمان والبحرين وليست بينونة من اليمن قال ياقوت وقيل حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها الى صنعاء وما قاربها الى حضرموت والشحر وعمان الى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود واليمن تجمع ذلك كله

والسبب في قسمة اليمن الى مخاليف اي كور ورساتيق ما قاله ياقوت من ان ولد قحطان لما اتخذوا ارض اليمن مسكناً وكثروا فيها لم يسعهم المقام في موضع واحد فجمعوا رأيهم على ان يسيروا في نواحي اليمن ليختار كل بني أب موضعاً يعمرونه ويسكنونه وكانوا اذا ساروا الى ناحية واختارها بعضهم تخلف بها عن سائر القبائل وسماها باسم ابي تلك القبيلة المتخلفة فيه فسموها مخلافاً لتخلف بعضهم عن بعض فيها الا ترام سموها مخلاف زيد ومخلاف سنحان ومخلاف همدان لا بد من اضافته الى قبيلة ·

بعض معاهد بيروت

الصحافة البيروتية

سبقت بيروت غيرها من مدن الشام باصدار الجرائد ففيها صدرت سنة ١٨٥٨ م اول صحيفة عربية في هذه الديار باسم «حديقة الاخبار» ثم صدرت جرائد ومجلات أخرى على عهد السلطان عبد العزيز واوائل عهد السلطان عبد الحميد المخلوع ومنها ما كتبه الاكفاء امثال البستاني والاحدب ويوسف وصروف ونمر واليازجي والحوراني وغيرهم . ولما قويت شأفة المراقبة على المطبوعات ولا سيما في الثلث الاخير من عهد المخلوع تراجعت الصحافة البيروتيه وكان بعضها أقفل وبعضها نقل الى قطر آخر وبعضها ثبت ولكن على مضض وضعف لا يكاد يوصف

حتى اذا انتشرت الحرية كثرت الصحف حتى بلغ ما صدر منها مجدداً ٥٦ جريدة ومجلة اكثر من نصفها لم يزل ينشر وبها بلغ عدد الجرائد البيروتية ٢٥ جريدة منها ثماني يومية والباقيات اسبوعيات ونصف اسبوعيات وبلغ عدد المجلات ١٢ مجلة حية وهو عدد كثير على سكان مدينة لا يتجاوزون المئة والخمسين الفاً في حين لا يصدر في جميع بلاد الشام وبيروت في الجملة اكثر من مئة صحيفة بين يومية واسبوعية ومجلة شهرية ونصف شهرية او مرة في الشهرين على اختلاف النزعات ومنها الجدي الاخباري ومنها الفكاهي الهزلي

ان هذه الهمة التي تبدت مظاهرها من ادباء بيروت ولبنان حرية بالثناء لو لاحظوا في نشر صحفهم حاجة البلاد اولاً ثم نظروا في انفسهم وحكموا عليها او لها من حيث الكفاءة والاستعداد بيد انه لم تمض بضعة اشهر على نشر القانون الاساسي وقد بردت حماسة القوم للحرية وانفثأت سورة الغضب من انصار الظلم والاستبداد حتى اخذ الزمان يمحص الصحف فيشعر بعض من تهجموا عليها على غير استعداد مادي وادبي انهم كانوا في غرور باقدامهم على بث افكارهم على رؤوس الاشهاد واقتحامهم المنافسة مع الاكفاء بحيث اضروا بهم وبانفسهم معاً وستدعو الحاجة بعد الى تراجع بعض هذه الصحف فيبقى منها الاصلح بحسب سنة الكون في الاعمال .

نقول الحاجة لان قراء الصحف في سورية محدود عددهم وقد أصبحوا يجبهون ليشتركوا حتى اضطر كثير من ارباب المظاهر ان يتناولوا على الرغم منهم عدة صحف في آن واحد

ومعظمها متحد النزعة والمنى تكفي منها الواحدة والثنتان وما زاد عن ذلك فضول واضاعة وقت . ووطد معظم المشتركين انفسهم على قطع اشتراكاتهم السنة بعد الاخرى فكان الوارد على ادارات الصحف لا يسد نفقات الطبع ويعول القائمين بها في الجملة فاضطرت الى الاقتصاد غير المحمود حتى اصبحت تقتر في اجرة المترجم والمراسل واثمان البرقيات وغيرها وقصارى اكثرها ان تجيد النقل والاقتباس وتلفق مما حضر لديها من الاخبار افاد القراء او لم يفد، خدم البلاد او اضرّ بها .

ان صدور ثماني صحف يومية في ثغر صغير كبيروت دليل الاقدام وهذا العدد لا يصدر مثله من بلاد العرب الا في مدينة القاهرة ولكن اين مكانة تلك العاصمة من بيروت وهل في مكنة بيروت ان يكون لها قراء كالمصريين واستنارة عقولهم وكثرة غناهم وتشاجر الاغراض السياسية في بلادهم . ولولا ان معظم الجرائد الكبرى في مصر اصبحت تصدرها شركات وجمعيات كما هي الحال في الغرب لما عاش اكثرها ولما استطاع القسم الآخر ان يظهر بهذا المظهر من القوة والغناء .

من اجل هذا فكر بعض ارباب الصحف اليومية هنا ان يتحدوا ويصدروا جريدة واحدة كبرى على مثال الصحف المصرية الراقية وفيها ما في تلك من امارات التحسين والفائدة ولو وفقوا لاتمام هذا المشروع الجليل ونجحوا فيه لخدموا البلاد خدمة تؤثر ووفروا من عنائهم وعناء القراء الفقراء وزاد مع الايام ربحهم واثبتوا لاهل الشام ان بعض قادة الافكار من دعاة الاتحاد والوئام علموا الناس بالمثال الحي ان صحافتهم سرت على اقدام صحافة الغرب وان ما يعجز الافراد عن الاضطلاع به لم يعجز الجماعة . ومتى تمت هذه الامنية في الصحف السياسية يسهل تقليدها في المجلات العلمية فتدخل مطبوعاتنا في دور جديد يصح ان يلحق بالراقي من مطبوعات الاوربيين والاميركيين .

ان بيروت التي اعتادت ان تصرف جرائدها في اقطار الشام لا تلبث اذا كانت لها صحافة راقية ان يقبل الناس عليها في جميع بلاد القطر والا فتظل كل ولاية بل كل لواء بل كل قضاء مكتفية بصحفها كما هو المشاهد الآن في القدس ويافا وحيفا وصيدا وبعبدا وعاليه وجزين وطرابلس واللاذقية وحلب وحماة وحمص ومرج عيون والقنيطرة وزحلة ودمشق فتكاد لا تبيع فيها الصحف الراقية الا اعداداً معينة سيتناقص عددها مع الزمن وصدور الاحسن فالاحسن .

ولا مشاحة في ان الصحافة مثال من امثلة ارتقاء الامة وانحطاطها وان صحافتنا يجب

ان تقود الناس اليها بالحق والصدق لا ان تنقاد الى اهواء الناس والعامة منهم خاصة فان بعض الصحف جارت العامة مثلاً على ما يريدون في نقل اخبار هذه الحرب الناشبة الآن في طرابلس الغرب بين العثمانيين والايطاليين فراجت بعض الشيء ولكن هذه الهبة لا تدل على ارتقاء في العقول ولا على اقبال حقيقي وكان الاولى ان تنقل للقوم الانباء بدون زيادة ولا نقص مع مراعاة السياسة المتبعة من تقوية القلوب والتفاؤل بالخير للمستقبل فان من ابشع المظاهر ان يستتبع العامة الخاصة وماطرأ الفساد على احوالنا الدينية والدنيوية الا لمجاراة الخواص للعوام في أمور كثيرة

واي ارتقاء الآن والامة نراها تقبل على الصحف الهزلية اكثر من اقبالها على الصحف الجدية وان كان من جرائد الهزل ماهو سلوى النفس واحماض القلب ولكن كثرة الاقبال عليها اكبر دليل على ان الامة اميل الى الخيال منها الى الحقائق وانها امة كسل لا امة عمل

هذا وللجرائد ببيروت الفضل الاكبر في بث ملكة المطالعة في الناس وتعويدهم الفصيح من الكلام والصحيح من الآراء ولذلك تجد مجموع البيروتيين ارقى من مجموع غيرهم من سكان قواعد هذه الديار لكثرة توفر عامتهم وخاصتهم على مطالعة الجرائد والانتفاع بما تنشره من طريف المعارف والمبادئ والتكرار يؤثر في الاحجار وربك يفعل مايشاء ويختار .

مدرستان اسلاميتان

اذا كانت بيروت تعد اكبر معاهدها العلمية المسيحية كلية الاميركان وكلية اليسوعيين فان من الواجب ان تعد اكبر المدارس الاسلامية فيها « الكلية العثمانية الاسلامية » و « دار العلوم » والميزة بين المعهدين الاولين والمعهدين الآخرين ان الغرض في الاولين خدمة فكر خاص اقل مايقال فيه تزهيد نفوس اكثر المتخرجين منهما في خدمة بلادهم واضعاف الشعور الوطني اما الحالة في المدرستين الناجحتين فهي على خلاف ذلك تُنمي العاطفة الوطنية وتهيء رجالاً يبقون في بلادهم يخدمونها بما تصل اليه طاقتهم . وهذا من اعظم ماتمدح عليه المدرستان الاسلاميتان .

نشأت الكلية العثمانية منذ سبع عشرة سنة بهمة رجل ازهري لقي الامرّين في سبيل مشروعه وقاومه اعداء الاصلاح والتجديد وانصار المنافسة والحسد ماوسعتهم المقاومة فكان بثباته معلماً للمعلمين كيف يكون الصبر على ما اخذوا النفس به : ولا

عجب فصبر المعلمين يجب ان يتعلموه من سيرة الانبياء والمرسلين خصوصاً والمعلمون لا يخرجون عن كونهم مبشرين ومنذرين ولكن بوحي غيرهم وسيرة من تبعوهم من الحكماء والانبياء .

هذا الازهري هو الشيخ احمد عباس احد اساتذة بيروت ورئيس هذا المعهد النافع قام بقوته الا ما كان من معاضدة بعض المتنيرين في هذا الثغر لعمله وخصوصاً من تألفت منهم عمدة المدرسة مؤخراً من رجال بيروت وبعض قادة الافكار فيها فوفق حتى اليوم الى تخريج زمرة من الشبان المتنورين ومنهم التاجر والصحافي والطبيب والحقوقي وقد كان في كل ادوار مدرسته يستعين بالاساتذة الاكفاء من اي مذهب كانوا يعلم تلامذته بذلك التسامح المحمود والاخذ عن المخالف فيما لا يخدم رأيه ومبدأه .

زرنا مدرسته وقد زرناها مرات في الاعوام الماضية فشاهدنا النضوج آخذاً بتعاليمها والكمال قريباً منها والثبات متمثلاً في ارجائها والعناية بتربية جسم الطفل وعقله غايتها فهي في اجمل بقعة واعلاها من احياء بيروت (برج ابو حيدر) تطل على لبنان وقراه وبيروت وحدائقها الغناء ولو تم لها ما يريده لها احبابها ان تملك البنايات التي قامت فيها وأوى اليها تلامذتها واساتذتها لكانت كاملة في مادياتها كما كملت او كادت بمعنوياتها

نعم لو كانت لها دار فوراء وقصور تؤوي الداخليين والخارجيين من تلامذتها لبلغ تلاميذها ضعف ما هم الآن (٣٧٠) منهم (١٤٠) داخلياً من ابناء بيروت وانحاء سورية وغيرهم ولكن المسلمين ليسوا من القوة على الاعمال بحيث يهتمون لمشروعاتهم العملية اهتمام الغربيين لها وليس الفقر وحده هو الذي يقعد بهم عن مجاراة الامم الحية والا فاننا نرى اضعف منهم بما لا يقاس يهتمون لمثل هذه الامور اكثر منهم على ان كثيراً في رجال نهضتنا يودون على الاقل لو سكت عنهم قومهم وخلصوا من اعمالهم لا عليهم ولا لهم لا تنشيط ولا تثبيط وهذا سر من اسرار انحطاطنا العجيب .

في الكلية العثمانية اليوم ٣٠ استاذاً فيهم العربي والتركي والافرنجي و ٣٠ موظفاً في اعمالها المختلفة وتقسم مدة التعليم فيها الى ثلاثة اقسام القسم الابتدائي ومدته سنتان والقسم الاستعدادي ومدته اربع سنين والقسم العلمي ومدته اربع سنين ايضاً وفيها قسم للصغار من سن الخامسة الى العاشرة يبلغ عددهم ٣٠ طفلاً تقوم على تربيتهم معلمة مسيحية ومربية (قهرمانة) اخرى تنام معهم وتعنى بشؤونهم كما تعنى الام بشؤون اطفالها .

ينال المتخرجون من هذه الديار شهادة تعادل شهادة البكلوريا في المدارس الاخرى العالية واهم مايتعلم فيها من المعارف والعلوم واللغات تعليم النافع من الآداب الدينية العالية واعداد اذهان المتعلمين الى قبول النور الجديد ممزوجاً بالنور القديم وتخريجهم في مضمار الارتقاء .

وفي بيروت مدرسة ثانية ناجحة نشأت منذ ثلاث سنين بهمة رجل هندي محمد عبد الجبار افندي خيري وهو رجل درس في كلية عليكر الاسلامية ثم جاء بيروت وتخرج في كلية الاميركان حتى احرز هو وشقيقه محمد عبد الستار افندي خيري شهادة معلم في العلوم فحدثتهما نفسهما ان يخدما هذه البلاد خصوصاً بعد ان درسا احوال مرسلي الاميركان واطلعا على مقاصدهم وقام في ذهنهما ان يبشرا بالاسلام كما يبشر اولئك بالنصرانية فانشآ هذه المدرسة بمعاضدة فئة فاضلة من شبان بيروت وتجارها فقاما بعملهما وانكار النفس مبدأهما والغيرة الدينية دافعتهما وقد تشبعا بتعاليم الغربيين ولا سيما السكسونيين وعرفا بالخبر والخبر كيف تنجح الاعمال وتتضح واي الاساليب اولى بالاتباع في التعليم

يدهش المرء من تقلل هذين الاستاذين وتقشفهما وصبرهما واستنارة عقلهما وتوقد الذهن والغيرة في نفسهما و يعجب اكثر اذا رأى الرئيس احدهما يرحل في السنة الماضية الى او ربا يدرس في فرنسا وايطاليا وسويسرا والمانيا وانكلترا طرق التعليم في مدارسها وكلياتها و يؤوب الى هذا الثغر المسعود بخدمة المهاجرين اليه يطبق فيه على الطريقة الاسلامية مايلائمنا من اوضاع الغرب

لا اعلم مدرسة اسلامية في سورية تعلم صغار الطلبة المبادئ العلمية بالعمل مثل دار العلوم فطريقتها في تعليمهم طريقة السكسونيين في حدائق الاطفال (كندر جاردين) تترك التلميذ يختار له بقعة من حديقة المدرسة يحرثها و يزرعها و يسقيها بنفسه و ينظر فيما يلائم مغروساته ومستنبتاته ثم يعلم مبادئ الجغرافيا والطبيعيات والرياضيات بالعمل دون النظر ومنه ينطرق الى النظريات .

كان يبلغنا من نجاح صغار الاولاد في القديم والحديث امور كثيرة وها نحن رأينا اليوم صورة من صور الارتقاء المهم في تثقيف عقول الاطفال بحيث لانغالي اذا قلنا ان صغار ابناء دار العلوم يعرفون من مبادئ الاشياء وحوادث الكون الصحيحة مالا يعرف مثله من الصحة والمكانة شيوخ هذا الزمان والاستظهار لاحظ له في هذه الدار

كما له في الكلية العثمانية وطريقة هذه اقرب الى المناحي الافرنسية وطريقة تلك الى الطرق الانكليزية السكسونية

لم نر في دار العلوم اسماء الخطط الكثيرة والمواد المتنوعة التي تورد في برامج التدريس من قبيل الاعلان عن المدرسة وتنوع فنونها عادة بل وجدنا فيها العمل اكثر من القول والتأني رائد العمل والاخلاص لحمته وسداه ورأينا فيها القليل المتقن والقليل من المسائل مع الثمار البليغ فيها افضل من حشو الذهن بالمواد النظرية ولو اقتصر من تعليم اللغات على العربية والتركية والانكليزية او الافرنسية فيها لانطبقت عليها هذه النظرية كل الانطباق وذلك لان العربية لغة البلاد والدين والتركية لغة السياسة والدولة ولغة واحدة من لغات اوربا تكفي فيما نحسب اللهم الا اذا جعل تعليم اكثر من لغة اختيارياً والا فالعمر يضيق عن درس اللغات واتقانها واللغات آلة لا غاية

مدرسة دار العلوم خارجية والسعي لها متواصل لابتياع ارض لها واسعة تقام عليها بناية المدرسة ومما اعجبني فيها فتاتان مسلمتان تتعلمان بجانب الفتيان وبهما وبما رأيته من نجاحهما ذكرت طريقة الاميركان في التربية المشتركة Coeducation فعسى ان تكون الفتاتان مقدمة لهذه الطريقة التي ثبت غناؤها في ديار الغرب فيذكرنا بما كان من دروس المحدثات والقارئات في عصور ارتقاء المسلمين في المساجد والجوامع وانا لنرجو ان يزيد عدد طالبها بمرور الزمن وعددهم الآن ١٧٠ طالباً يتخرجون على ادب النفس وادب الدرس

ربما يتبادر للذهن شيء في تصور معنى الكلية الاسلامية وليس احسن في الجواب على ذلك من نقل ما تقوله هذه الدار عن نفسها في بيانها السنوي سنة ١٣٢٩ – ١٩١١ قالت:

نعني بالكلية العثمانية الاسلامية معهداً علمياً راقياً يدرس جميع العلوم والفنون التي تخول المتخرج منه ان يكون حاصلاً على شهادة البكلوريا — ان يكون رجلاً تام الادوات علماً وادباً — ان يكون ذلك الرجل الذي تحتاجه هذه البلاد بعلم راسخ وحقائق راهنة متزوداً حسن الخلق مستمسكاً بعرى الوطنية متسلحاً بسلاح العلم والمعرفة هذه غاية العمدة. وهذه هي الاصلاحات التي ادخلت الى المدرسة

(١) اصلاح التدريس الابتدائي وجعله سنتين منفردتين عن التدريس الاستعدادي والعلمي — ثم اتباع طريقة المشاهدة والحس في التعليم فيه — وتقوية مفكرة الشاب وتعويده على الاستنتاج — وان يكون اغلب التعليم في هذا القسم باللغة

العربية كما سيظهره بروغرام التدريس المفصل

(٢) يجب ان يرقى التعليم الاستعدادي وان تفصل ادارته ثم ان ينظر في الكتب التدريسية وخصوصاً العربية وان تتبع الاساتذة الطرق الحديثة في التربية والتعليم — وقد سافر الاستاذ الرئيس الى مصر وزار معظم مدارسها الميرية والاهلية من ابتدائية وثانوية وعالية وشاهد طرقهم في التعليم وبحث في الكتب المدرسية في اللغة والفنون واستصحب معه كتباً جمة تفي بالحاجة وتقوم بالمطلوب

(٣) السعي الحثيث في ان يكون تدريس العلوم باللغة العربية مستعملة لذلك الكتب المؤلفة اما الموضوعات التي يؤلف فيها حتى الآن فان الكلية ستقوم بها وتستعمل الاساتذة طريقة القاء المحاضرات وطبعها في مطابع جلاتينية تسهيلاً للتلامذة وحفظاً لتلك المحاضرات

(٤) اوقات التعليم لا تزيد عن خمس ساعات يومياً مع زيادة الاعتناء في الرياضة البدنية والحركات الجبازية التي تدرس تدريساً خاصاً

(٥) تعين الكلية قهرمانة للاعتناء بالتلامذة الصغار في القسم الابتدائي وملاحظة ثيابهم ونظافتهم

(٦) العلوم والفنون والموضوعات التي زيدت : الفلسفة الادبية والاخلاق الدينية . المطالعة العربية لعامة الصفوف في الاقسام الثلاثة . تاريخ الآداب العربي . النقد التاريخي . علم المثلثات . علم الفلك . الفلسفة العقلية . علم الرسم . اصول التجارة والمراسلات فيها وجغرافيتها .

(٧) زيادة اوقات التعليم العملي في الكيميا والطبيعيات وجلب الادوات اللازمة لذلك

(٨) يجب ان يكون التدريس والكلام سواء كان من الاساتذة او التلامذة بالعربية الفصحى

(٩) تخصيص قطعة من الارض لبعض التجارب النباتية والزراعية

اللغة العربية : هي اللغة الاساسية في الكلية يدرسها التلميذ في كل صف من صفوفها في الأستعدادية والعلمية على ان التعليم الابتدائي ان لم يكن كله بجمله فيها وذلك لان اللغة العربية هي اللغة الاساسية الاصلية فاذا تمكن الشاب من لغته الاصلية يمكنه ان يتفرغ بعد ذلك الى بقية اللغات الاجنبية — فتعين لها الكلية الاوقات

اللازمة لاتقان الصرف والنحو وعلوم البلاغة (المعاني البيان البديع) واللغة والعروض وقرض الشعر والانشاء والتعريب بحيث يتخرج الشاب ضليعاً في لغته عربي الاسلوب فصيح البيان كتابة وخطابة · والكلية تنشط همم الاساتذة على نقل العلوم الحديثة الى العربية لتدرَّس بها فيها لان بذلك خدمة اللغة والامة العربية

اللغة التركية — تبذل الكلية العثمانية جل جهدها لان يكون ابن العثمانية متقناً لغة دولته الرسمية قراءة وكتابة وانشاء وهي تخصص لها في الدائرتين الاستعدادية والعلمية الاوقات اللازمة لاتقان فروعها من مكالمات ومفردات وصرف ونحو وبلاغة وانشاء وادبيات وترجمة

اللغة الافرنسية — هي اللغة الاجنبية التي اختارتها عمدة الكلية لتدرَّس بها درساً متقناً والاعتناء بتعليمها اعتناء تاماً ليطلع التلميذ على كنه اسرارها وحتى يمكنه التبحر في مختلف الفنون الحديثة والعلوم العصرية

اما مواد تعليم هذه اللغة فهي الصرف والنحو والبلاغة والبيان والنقد البياني والانشاء والمراسلات التجارية · والترجمة وتاريخ علم الادب الافرنسي

ان ماسبق ذكره من اللغات هي اجبارية في المدرسة واللغة الاختيارية هي الانكليزية او الالمانية فتعلم منهما الصرف والنحو والترجمة والانشاء والمراسلات

وعلوم الكلية (١) العلوم الدينية · القرآن الشريف · التوحيد · الفقه · عملاً وعلماً من عبادات وفرائض ومعاملات (مجلة الاحكام الشرعية) وعلم اصول الفقه · والفلسفة الادبية من القرآن الكريم والحديث الشريف

(٢) التاريخ من قديم واجيال متوسطة وحديث وحاضر · والسيرة النبوية · وتاريخ العرب

(٣) الجغرافيا · الرسم الجغرافي · الجغرافيا التجارية · والجغرافيا الاقتصادية سيما كل مايتعلق بالمملكة العثمانية والدول الشرقية

(٤) الرياضيات · الحساب · الجبر · الهندسة · علم الفلك · المثلثات · مسك الدفاتر

(٥) العلوم الطبيعية من مواليد ثلاثة (حيوان نبات جماد) علم خواص الطبيعة · الكيمياء · حفظ الصحة

(٦) الرسم · حسن الخط · الموسيقى

(٧) المنطق · الفلسفة · الاقتصاد السياسي · علم الاخلاق

(٨) تاريخ الادب العربي · خطب في روح الاجتماع والعمران · فن الخطابة والالقاء

اما دار العلوم (١) فلها الآن اربع مدارس : (١) المدرسة التأسيسية (٢) المدرسة الابتدائية (٣) المدرسة الاستعدادية (٤) المدرسة الصيفية

(١) المدرسة التأسيسية — يراجع الرئيس بشأن هذه المدرسة

(٢) المدرسة الابتدائية — هذه تؤهل طلبتها للمدرسة الاستعدادية فهي تعلمهم الدروس الأولية في الموضوعات الآتية :— (١) القرآن الكريم والتعليم الديني (٢) اللغات — العربية والتركية والانكليزية والافرنسية مع علم آدابها وفن الخطابة (٣) الرياضيات — الحساب واشكال هندسية بسيطة (٤) الجغرافيا الوطنية والطبيعية (٥) التاريخ — حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقصص وتاريخ حياة بعض عظماء الرجال والنساء · (٦) علوم عصرية — مبادئ في معرفة المحيط القريب · اشارات في الموضوعات الاساسية من علم الحيوان والنبات وطبقات الارض والاتربة والمعادن والكيمياء والحكمة الطبيعية والفلك ومنافع اعضاء الانسان وحفظ الصحة والهيئة الاجتماعية البسيطة الخ · (٧) الرسم (٨) التمرين العسكري العثماني والعاب رياضية · وهذه المدرسة تستغرق اربع سنين مدرسية ولغة التعليم فيها هي العربية فقط

(٣) المدرسة الاستعدادية — يقصد بها تهيئة طلبتها لدخول المدارس العالية والكليات في الوطن وفي الخارج فهي تتقن الدروس الابتدائية في الموضوعات المشروع بها في المدرسة الابتدائية مع زيادة تفصيل ودقة وترتيب وتزيد عليها كما هو مبين ادناه : (١) التفسير والحديث وعلم الاديان وعلم الاخلاق ومبادئ اساسية من حكمة الاسلام · (٢) دروس اعلى في اللغات وعلم آدابها وممارسة اكثر في الانشاء والخطابة (٣) مراجعة الحساب ودروس في مبادئ الجبر والهندسة (٤) جغرافيا المملكة العثمانية المفصلة والجغرافيا السياسية العامة · (٥) تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتاريخ الاسلام والخلفاء الاربعة رضي الله عنهم وتاريخ المملكة العثمانية ومختصر تاريخ اوروبا القديم والحديث · علوم عصرية — حث على امعان النظر في الطبيعة والمحيط القريب وايضاحات في الموضوعات الاساسية من علم الحيوان والنبات وطبقات الارض والاتربة والمعادن والكيمياء (٦) والحكمة الطبيعية والفلك ومنافع

(١) لائحتها العمومية سنة ١٣٢٧

اعضاء الانسان وحفظ الصحة والهيئة الاجتماعية البسيطة (٧) الرسم بالالوان (٨) اتقان التمرين والتهذيب العسكري العثماني وبالاختصار يربى الطالب من كل الوجوه

وهذه المدرسة تستغرق سنتين مدرسية . اما لغة التعليم فتكون غالبًا اللغة العربية الا في العلوم العصرية وغيرها من الموضوعات التي لم تترق بعد في العربية والتركية

(٤) المدرسة الصيفية — هذه انشئت خصوصًا للطلبة المقصرين الذين يرغبون في تعويض مانقصهم والتخلص من جزاء تقصيرهم ليرتقوا صفوفًا اعلى وايضًا للطلبة الذين ليس لهم عند اهلهم اشغال نافعة و يرغبون في تقوية انفسهم لدروس السنة الآتية

العربية في الكلية

كان المأمول من الكلية السورية الانجيلية الاميركية ان تكون في مقدمة معاهد التعليم في هذه الديار في العناية بآداب العربية واحياء مدنية البلاد وادخال المدنية الحديثة اليها بحيث يأتي من تعاليم المدنية العربية ممزوجة بالمدنية الغربية نوع من المدنية النافعة . هكذا بدأت تلك الدار ولكن عمدتها رأوا ان يجعلوا منذ سنين التقدم للغة الانكليزية بدعوى ان العربية يضيق صدرها عن الافصاح عن العلوم الحديثة ولا يتيسر لها ان تسير مع المستحدثات العصرية جنبًا الى جنب

وهذا الخلاف هو الذي حمل فقيدي العلم والآداب الدكتورين كرنيليوس فانديك و يوحنا ورتبات على مغادرة منابر التدريس في صفوف الكلية وكانا من اعظم عمدتها العاملين لانهما ايقنا ان التعليم بالانكليزية موءخر لنشر العلم في هذه البلاد وداع الى تراجع الكلية على ماهو المشاهد اليوم واذاقل النافعون النابغون في المتخرجين من هذا المعهد العلمي العظيم وانصرفت وجهة المتعلمين الى الاستخدام في مصر والسودان واميركا فهاجر اليها خيار ابنائنا كانت الكلية معهم اشبه بمحطة توضع فيها البضائع اياما ريثما تنقل الى قطر آخر فليس لبيروت بل لسورية من هذه الكلية الا انها موطن لتعليم اولادنا على الطريقة التي تريدها تلك الكلية ثم الرحلة بهم الى حيث تروج بضائعهم رحلة ابدية او وقتية

فاذا كان لهذه الكلية التي مادخلناها مرة الا ورأينا فيها مثال العظمة الاميركية وقوة المتحمسين من الاميركان لبث دعوتهم الدينية ثم المدنية — هذا الامتياز وتلك القوة العلمية والمادية اليست حرية بان تنفع البلاد التي أُسست فيها وعاهدت النفس على خدمتها اكثر مما نفعتها : وذلك بعنايتها بتدريس العربية تدريسًا يحمد اثره و يطيب خبره ومخبره . وهذا لايكون الابانتقاء خيرة الاساتذة لتدريسها كما يختار للانكليزية على الاقل ونشر

الاسفار في العلوم الحديثة والقديمة والقاء المحاضرات والخطب عَلَى الدوام بالعربية كما تلقى بالانكليزية ٠

ربما شق هذا القول عَلَى غير المنصفين من تلامذة الكلية واساتذتها ولا سيما من رأوا نيل شهادة البكلوريا منها هي غاية علم الاولين والآخرين وان شهادة للطب او الصيدلة او التجارة منها هي جماع المعرفة والنجاح العالي وان من لم يسعده الحظ بالدخول الى ابواب الكلية والجلوس عَلَى دكات صفوفها يستحيل عليه ان يتعلم تعليماً نافعاً الى غير ذلك من الدعاوي التي طالما تجلت في اقوال كثيرة من المتخرجين في الكلية وافعالهم او في نفوس من وقفوا انفسهم عَلَى خدمة الكلية بما تريد ليعدوا في جملة معلميها وان كانت عمدة الكلية لا تحسب ابناء العرب بل ارقامهم كعباً بمثابة اصغر معلم اميركي فيها مهما صانعوا او تلطفوا مع الاميركان ٠

ومن الغريب ان بعضهم كان يشكو من سلب ارادة المرؤوسين من الرهبان الباباويين وفناء اراداتهم في ارادة رؤسائهم فلما رأينا اساتذة العربية في الكلية الاميركية ثبت لنا ان مرسلي البرتستانت ليسوا اقل سطوة على نفوس مرؤوسيهم من اولئك الرهابين وما نظن ان معلمي العربية متى ايقنوا ان المدرسة الكلية محتاجة اليهم اكثر من احتياجهم اليها تعاكسهم في اصلاح طريق تعليم العربية واحكام ملكتها بالصحف والكتب والخطب والدروس ٠

ومن الاسف ان تكون الكتب المخطوطة والمطبوعة بالعربية في مكتبة الكلية اقل من عشر المطبوعات الانكليزية بل لا تكاد تبلغ بمكانتها جزءاً من عشرين جزءاً من مكانة الكتب الافرنجية وان ما في مكتبة الكلية من قمطر الكتب العربية ادنى الى ان يكون مكتبة فرد صغيرة منه الى ان يكون مكتبة جمعية كبرى لها في المصارف المالية نحو اربعمائة الف ليرة تتقاضى ريعها السنوي

نعم ان مكتبة الكلية لا تفي بحاجة مشتغل واحد بالعلم فكيف بها تكفي في سد حاجة مئات من المشتغلين وكذلك الحال في مجلة الكلية التي تصدرها عمدة المدرسة باللغة الانكليزية والعربية وتجمل موضوعاتها الانكليزية امتع واوسع والعربية تافهة على الاغلب ٠

هذه الملاحظة التي نلاحظها على كلية الاميركان نلاحظها ايضاً على كلية القديس يوسف الكاثوليكية في بيروت فان القول الفصل للغة الافرنسية فيها يتضلع منها

المتخرجون فيها اكثر من تضلعهم من الآداب العربية وما رأينانا بغة بالانشاء العربي مثلاً تخرج على اساتذتها على كثرة من يعد القائمون باعبائها من اسماء المؤلفين والمترجمين والتجار الذين درسوا في الكلية اليسوعية اللهم الا اذ كان ممن لم نعرفهم ولكن مايشفع لهذه الدار ان عمدتها جمعوا لهم مكتبة عربية شرقية منقطعة القرين في هذه الديار وسمحوا للمنقطعين للتأليف والبحث من قسيسيهم المتعلمين ان ينشروا ماطاب لهم من الاسفار العربية خصوصاً ماوافق غرضهم الديني وخدم افكارهم ولو بالواسطة فكان من اثر ذلك ان نشرت المطبعة الكاثوليكية الملاصقة لهذه الكلية الكاثوليكية نحو مئة كتاب عربي وبعضه خلا من المسخ والحذف وان نشروا في مجلة المشرق عدة رسائل نافعة في جنب ماينشرونه من المقالات الدينية

هذا ماتراه في الكليتين العظيمتين القديمتين الاميركية والافرنسية ولغة التعليم فيهما وما نشأ لهما من الآثار ومايرجى لهما منها اذا عنيا اكثر من الآن بلغة البلاد فعسى ان يحل من نفوس القائمين عليهما المحل المطلوب وينزل منزلة من الاخلاص وارادة الخير حتى يكون في سلبهما ابناؤنا بتعليمهم لغات الاجانب بعض التعزية في تعليمهم لغة امهاتهم وآبائهم ليقووا على بث الفكر المقصود بين اهل جيلهم وقبيلهم

معامل السيوفي

كلما تأمل الناظر في الاعمال الكبرى التي قامت بهم الافراد في هذه البلاد لايراها تخرج عن القاعدة التي جرت عليها عند اهل الحضارة الحديثة والقديمة فينجح في العادة من تمرنوا سنين على العمل الذي يريدون ان يتمحضوا له وعرفوه بدقيقه وجليله وفروعه واصوله. فالناجح في ارباب المطابع هو الذي سبق له ان تعلم في صباه صناعة تنضيد الحروف واستعمال الادوات والكتابة على الحجر. والناجح في زراعته هو الذي يحسن معرفة الحرث والكرث بيده ويجيد البذر والتسميد والتشذيب والعزق والسقي والتعشيب وانواع البذار ومايجود منه واجناس التربة ومايصلحها وتربية الاشجار والنباتات والقيام على المواشي والناجح بعمل الاقمشة هو الذي يلم المالماً مهماً بكيفية نسجها وحياكتها وضروب الحرير والكتان والغزل والصوف. بل والناجح في كل فروع الاعمال الاقتصادية والصناعية والتجارية هو الذي مشى في عمله على سنة الكون فبدأ صغيراً ونمت معارفه بتقدمه في السن فينال من النجاح بقدر جهاده وملاءمة الاحوال له وحالة محيطه واسبابه ورأس ماله المادي والمعنوي

هذه المقدمة تنطبق كل الانطباق على الياس افندي جرجي السيوفي صاحب المعامل المشهورة به للتجارة والفرش في بيروت . كتبت لي زيارتها هذه المرة فرأيت صورة مصغرة من صور الغرب في بلاد الشرق وتمثل لي فضل الذكاء العربي وانه وان لم يفق الغربي فليس دونه وان يد ابنائنا صناع في الاعمال لا يفوقها ابن فرنسا وايطاليا وانكلترا والمانيا وسويسرا وبلجيكا الا بان الافرنج يرجعون الى اساليب في العمل تنقصنا او تكاد في اكثر البلاد لا تجد لها اثراً بيننا وهي ترجع الى اسباب رئيسة مهمة اولها الصبر على العمل وثانيها تجويد العمل وثالثها القدر اللازم للعمل من المال والمعرفة ورابعها الاقتصاد في الوقت والايدي العاملة وخامسها تنشيط الاهلين والحكومات للمصنوعات الوطنية وحماية التجارة الداخلية بقوانين تنفذ على الصادر والوارد وسادسها وجود المواد الاولية التي يمكن بها الاستغناء عن البلاد الخارجية في الجملة .

دلت معامل السيوفي على ان الشرقي بمفرده امة وان الامة بمجموعها ضعيفة بمعنى ان الشرقي يعمل مفرداً احسن من عمله مجتمعاً وذلك لفقد التربية المشتركة بين المشارقة يرجعون اليها وتضم هرامهم . فلو كان معمل الغزل في دمشق لفرد واحد منذ انشائه له خيره وعليه شره لما اضمحل هذا الاضمحلال الذي نراه عليه اليوم ولو كانت معامل السيوفي في بيروت لشركة لما رأينا فيها هذا النظام والنجاح وبذلك صح لنا اثبات ما قدمناه من ان الشرقي امة بمفرده والامة ضعيفة بمجموعها وان لا سبيل الى قيام الاعمال الكبرى في بلادنا وان تقدر لها النجح المطلوب الا اذا اتحدت مناحينا وتعلمنا تعليماً وطنياً اقتصادياً واحداً .

واي دليل على ذلك افضل من ان نقول بان صاحب هذا المعمل بدأ منذ ٢٤ سنة وهو في الثالثة عشرة من عمره لا يملك غير ثمانمائة قرش ومعلومات جزئية في التجارة تعلمها بالممارسة ومنها ما احرزه بقانون الوراثة لان والده كان يعمل بالحرير وجده دمشقي يجلو السيوف في دمشق ان صح ان تؤثر الوراثة في الميل الى الصناعة . ولا شك ان هذا الميل نما فيه مع الزمن وزيارة اوربا وما فيها من آثار العاملين والمفتنين فكان يتوسع في معمله بحسب سنة النمو التدريجي حتى بلغ اليوم مبلغاً يعد به مفخراً من مفاخر سورية الصناعية وانموذجاً من انموذجات الذكاء الشرقي الذي يبدع ويجيد اذا تهيأت له الاسباب وحملته الدواعي على العمل

على هضبة من هضاب بيروت الجميلة في حي الاشرفية في مكان بعيد عن مركز حركة

هذا الثغر يطل على سفوح لبنان وبيروت من جهة وعلى البحر الرومي من اخرى قامت هذه المعامل البديعة في بقعة فسيحة من الارض تدخلها فتخال نفسك في احدى معامل الغرب الكبرى واول مايبدأوك بعد الدخول من الرتاج ساعتان عن اليمين والشمال يجانبهما صندوقان معلقان مقسومان الى بيوت صغيرة وفي كل بيت مقواة كتب عليها اسم احد العملة وطبع عليها ساعات الغدو والنداء والرواح فمتى وصل العامل بعد الفجر وقبل الاشراق في الشتاء مثلاً يضع مقواته في بيتها فلا تلبث ان تكتب عليها ساعة مجيئه والدقيقة التي جاء فيها بحروف عربية وفي آخر اليوم او الاسبوع يرجع اليها مدير المعمل ويحسب المتأخر من المتقدم ويحسبون ذلك بموجب نظام خاص لم جروا فيه على مثال نظام العمال في سويسرا والبلجيك والنمسا والمانيا ومن قوانين العملة في هذه المالك اختار مؤسس المعمل احسن ما يلائم هذه البلاد وينفع في نجاح عملته ويعود عليه وعليهم بالربح واقتصاد الوقت

وهذه الساعة من انفع مايجب استخدامه في معاملنا ومطابعنا ودواوين اعمالنا وبيوتنا التجارية والمالية ودوائرنا العسكرية والملكية ليتعلم قومنا مراعاة الوقت والتدقيق في حسابه حتى يبارك لهم بساعات العمل وايام الحياة ويتعلموا ان التدقيق في المواعيد احد دعائم التنظيم في فروع الاعمال ومن اهم اساليب النجاح الذي غفل عنه معظم سكان هذه الديار وعدوا من ينظم اوقاته ويدقق في وعوده واستقبال خاصته ومن لهم علاقة به في ساعات محددة متكبراً او مهوساً

يباكر العملة في معامل السيوفي في الصيف والشتاء والخريف والربيع على السواء وينقطعون ساعة وقت الظهر ثم يعاودون العمل الى قبيل الغروب او الى بعده بقليل بحيث لايتجاوز معدل ساعات العمل في اليوم تسعاً بخلاف عملة اوربا فانهم يعملون في بعض البلاد كبلجيكا مثلاً زهاء اثنتي عشرة ساعة ولكن للمحيط وكثرة الايدي العاملة والعادة والاقليم دخلاً كبيراً في هذا الاصطلاح ولولم تكثر هجرة المسيحيين بعد الدستور لوجوب الخدمة في الجندية عليهم وجوبها على اخوانهم المسلمين فانسل معظم من هم في سن العسكرية الى اميركا او غيرها من ابناء الطبقة الدنيا خصوصاً لما قلّ بذلك عدد العملة في معامل السيوفي فليس فيها اليوم في حي الاشرفية وداخل المدينة اكثر من ٢٨٠ عاملاً مع ان الادوات والاعمال التي اقتناها صاحبها تشغل ضعفي هذا العدد فيستفيدون ويفيدون

اكثر ما يعمل في هذه المعامل مخروطات الدور الخشبية وانواع الفرش واثاث البيوت فانها تعمل كما تعمل في الغرب فتتأنق الايدي والعيون في تجويدها وسائدها الادوات التي تدار بالفحم الحجري وتبلغ نحو الستين آلة ومنها لقطع الخشب وصقله وحفره وتقويره ونقشه وتنشيفه فترى في خشب الجوز والزان من واردات الروم — (اناضول) والاكاجو من كوبا وشوح الثما وسنديان اميركا والخشب البياسي من فيلقية (اطنه) تعمل في تلك الادوات وتحركها تلك الحركات والآلات كأنها العجين في يد خبازه او الملاط بيد البناء الحاذق

قال لنا صاحب المعمل ان الآلة الكبرى المحركة في معمله هي بقوة مئة حصان تنفق في النهار ١٣ فرنكاً من الفحم وكانت الآلات التي هي اصغر منها تصرف من قبل اكثر من ذلك وبهذا يستدل ايضاً ان نفقات المعامل الكبيرة ادنى الى الاقتصاد واعمالها اقرب الى الجودة من مصنوعات المعامل الصغيرة لاسيما والمعامل الكبرى تجلى فيها قاعدة تقسيم الاعمال فتجد العملة في معامل السيوفي مقسومين الى عدة اقسام قسم الادوات وله وكيلان وقسم التجارة وله وكيلان وقسم الحفر وله وكيل وقسم البرداخ وله وكيل وفي هذا القسم نحو اربعين ابنة تعمل فيه وللمحل رسام خاص وكلهم من ابناء العرب ليس بينهم افرنجي حتى ان الادوات قد جملت في مواضعها بمعرفة صاحب المعمل دون الاستعانة باحد من غير ابناء وطنه

تختلف اجرة العامل في اليوم من ستين بارة الى ستين قرشاً ويحاسب عن اجرته كل يوم سبت من كل اسبوعين في الشتاء ويحاسب في الصيف كل سبت قبل الظهر ليتيسر له الخروج ان احب الى الجبل يصرف ليل الاحد وليل الاثنين فيه للنزهة ويقضى على كل عامل ان يعمل ستة اشهر تحت التجربة اولاً ثم تحسم من مياومته اجرة اسبوعين تجعل في صندوق المحل حتى لا تحدثه نفسه بالخروج من المعمل كل يوم او كل اسبوع كما يفعل بعض العملة في المعامل ويتركون اصحابها معطلين

ومن جملة ما شهدته من النظام داخل المعمل قاعة كبرى وموائد يتناول عليها العملة طعام الظهر وآلة تضغط النشارة عندما توضع فيها وهي من اختراع احد العمال هنا وتلقى بها الى مكان بعيد خارج بناية المعمل ومن هناك يبتاعها ارباب القاميين ومما رأيته خارج المعمل من النظام رصف الطريق الموصلة اليه على نفقة صاحب المعمل وغرس بعض الاشجار على جانبيها ويبلغ طولها نحو كيلو مترين

هذا ما رأيته في معامل السيوفي من النظام الذي لا ابالغ باني قلما رأيته في معمل برأسه شرقي ولذلك يصفق لصاحبه لانه بدأ به صغيراً سنة ١٨٨٨ في مدينة بيروت وكبره سنة ١٩٠٨ في حي الاشرفية عَلَى الصورة التي رأيناها اليوم ونفقة عمارته وارضه وادواته تساوي خمسة وعشرين الف ليرة ولكن لا يتيسر لمن معه مئة الف ليرة ان يقيم مثله بادواته ونظامه اذا لم تسبق له معرفة كمعرفة السيوفي ولم يقض سنين مثله في التجارة ويحيط بما جل وقل من اساليب العمل وتجويده فليت كل اعمالنا تجري عَلَى هذا المثال من النظام البليغ والنجاح الأكيد

جنون الاستعمار

اذا قيل ان السياسة لا قلب لها فيقال ان جنون الاستعمار فنون فقد ساق الغرور دولة ايطاليا الى ان تخرق العهود وقوانين الدول وتبعث الى طرابلس الغرب و برقة بمدرعاتها وجيوشها للاستيلاء بدون مسوغ قانوني عَلَى بلاد طرابلس و برقة من يد صاحبتها الشرعية دولتنا العثمانية ولو انّ دولة شرقية مع دولة غربية مافعلته ايطاليا مع العثمانية لقامت الدول الكبرى يداً واحدة والله اعلم اي تعويض كن يقضين عَلَى المعتدية به ولكن السياسة لا قلب لها وجنون الاستعمار فنون ·

قال الرحالة روهلفس Rohlfs الالماني وقد زار صحراء افريقية مرة ثانية سنة ١٨٧٧ : « ان طرابلس الغرب مفتاح افريقية فمن يملكها يملك السودان كله » وفي الواقع ان البحر المتوسط يكاد يمس الصحراء من طرابلس واليها تنتهي ثلاثة او اربعة طرق من الطرق المهمة في الصحراء فمن طريق غدامس يوصل الى السودان الغربي ماراً ببلاد توات وتومبكتو ومن طريق مرزوق وغات ينتهي الطريق الى بحيرة تشاد وطريق بنغازي (برقة) يؤدي الى النيل ودارفور ولكن هذه الطرق لا امن فيها وخصوصاً في جهات فزان من الجنوب حيث الـ.بة والجياع من الطوارق قد يمدون ايديهم بالاذى الى ابناء السبيل ولا سيما ايام المجاعات وما اكثرها في طرابلس و برقة

وهذا ما منع فرنسا وغيرها من دول الاستعمار من قطع المطامع من طرابلس لانها متنائية الاطراف وعمران الصحراء هو والعدم سواء و بلاد هذا حالها من الفقر الطبيعي يستحيل على شركة عاقلة في الغرب ان تقدم على انشاء خط حديدي يربط ادناها

باقصاها على الاقل ولذلك كانت نقاط اتصال الصحراء بالبحر من البحر الاتلانتيكي وخليج غينة والبحر الاحمر بفضلها التجار واكثر طرقها لاماء فيه اربعة اوخمسة ايام على الوصول الى البحر المتوسط من احدى موافي هذا الاقليم طرابلس ودرنة وبرقة وطبروق والسلوم .

يدان ايطاليا تحلم بالاستيلاء على طرابلس قبل ان تؤلف وحدتها لتكون لها مركزاً تعتمد عليه بين جزيرة كورس الفرنسوية وثغر بزرت التونسي وجزيرة مالطة الانكليزية وثغر تريسته النمسوي فتجعل طبروق من اقليم برقة مرفأ حربياً في نقطة وسطى بين تلك الجزائر والثغور . و يقول انصار ايطاليا انها اذا تم لها ماتريد (١) فانها تنتفع من الوجهة الاقتصادية من برقة على الخصوص لانها تشبه تونس بعمرانها وقد غرس اليونان الكرم والزيتون في ارضها وفيها من غلات الاسفنج شيء كثير فتصرف فيها وفي غيرها مصنوعات معامل بيمونت ولومبارديا وبالنظر لقرب طرابلس وبرقة من جزيرة صقلية الايطالية ولكثرة سكان هذه الجزيرة يجيء بعض اهلها يستنبتون الحقول ويستثمرون المعادن في طرابلس

ولكن فات اولئك الباحثين ان ذاك الحلم على فرض تحقيقه والرجاء ان يخيب ان ايطاليا كانت تستطيع الوصول الى هذا الغرض من افادة بعض ابنائها من خيرات هذا الاقليم العثماني بان تبذر في مشروعاته النافعة جانباً من اموالها فتنال ماتريد بحكم المنافسة بين ارباب الاموال والاعمال ولا سيما الاوربيين منهم كما هو في الحال في معظم اصقاع المملكة العثمانية

فقد رأينا فرنسا وضعت ملايين من اموالها في شركات السكك الحديدية في المملكة العثمانية فحفظت بذلك نفوذها ونفقت تجارتها ومعاملها فكان على ايطاليا لواجبت الانتفاع بسلام ان تجري على آثار الفرنسيس جيرانها وبذلك يتوفر لها من اهلكتهم في هذه الحرب الزبون من رجالها وما بذلته من اموالها فقد قدروا مايقتضي لها من النفقة كل يوم على بريتها و بحريتها منذ نحو ثلاثة اشهر بمئة الف جنيه وهذا مبلغ جسيم بالنسبة لمملكة تطبق مفاصل ميزانيتها بضرب الضرائب الفادحة على رعاياها حتى هاجر منهم الى اقطار الارض حتى الآن زهاء ستة ملايين رجل

قضت ايطاليا بنظامها الجائر في التملك ان يترك الناس بلادهم تنمي من بناها وكان

(١) مجلة مستندات الترقي Les Documents du Progrès

اهل صقلية واقاليم جنوب ايطاليا اكثر البلاد هجرة حتى ان بعض القرى خلت من السكان جملة واكثرها هجره ثلثا ساكنيه واصبحت الحال هناك في شقاء ليس بعده شقاء وفقر وعهر لا يدرك غورهما فكر وناهيك ببلاد يهجرها رجالها ولا يبقى فيها الا البنون والبنات والعاجزون والعاجزات

لمثل هؤلاء القوم يستعد الخاصة من الطليان كما تقول احدى مجلاتهم [١] منذ الزمن الاطول للسياسة الاستعمارية ومعظم الشعب الايطالي لايهتم بتاتاً بمستقبل المستعمرات الايطالية كارتيرة والصومال بل يتجشمون البحار الى اميركا الشمالية والجنوبية وهناك يعملون ويرتزقون . فقد بدأ الخاصة سنة ١٩٠٥ يلقون محاضرات على الاستعمار وبعد سنتين انشئ ديوان الزراعة الاستعمارية الايطالي وغايته ان يوجه الايطاليون وجهتهم الى المستعمرات الايطالية ويتخلوا عن قصد اميركا وغيرها من ديار الاجانب فانشئت لذلك حدائق للنبات الاستعماري في مدينتي رومية وبلرمة وهذا الديوان يتلقى من المصادر المختلفة معلومات عن زراعة البلاد التي يراد استعمارها وحيواناتها وموادها ومناخها ومقدار الامطار التي تهطل فيها ويقوم بابحاث جيولوجية من حيث مساحة الاراضي وخصائص شعوبها واحوالها الاجتماعية والاقتصادية وفيه تلقى محاضرات في زراعة المستعمرات وحفظ الصحة في الاستعمارية وهو يؤسس مدارس اعدادية للاستعمار وينشر مجلات وكتباً في هذه الموضوعات

وهذه النظريات لم تستطع ايطاليا حتى اليوم ان تطبقها على العمل الا في بلادها الاصلية العامرة بطبيعتها مثل الولايات الشمالية وعلى كثرة مايؤلفون من الشركات والجمعيات لانهاض شأن المهاجرين الايطاليين في اميركا فان الاسرائيليين هناك كما اكد محققوهم انفسهم [٢] اقدر منهم على الاعمال فان قسماً مهماً من التجارة الصغيرة والعظيمة بايدي الاسرائيليين وكذلك المصارف الكبرى والحكومة والوظائف العامة وعلى قلة عددهم لهم مكانة دونها مكانة الايطاليين الذين يدعون انهم من نسل غاريبالدي ومازيني وميكل آنج وليوناردو دي فنسي ورافاييل سانتريو وامثالهم من ارباب الصناعات النفيسة ورجال الادارة والسياسة

نحن نعلم ان الطليان كثير نسلهم يباكرون الى الزواج رجالاً ونساء [٣] وان نسبة السكان

---

(١) نوفا انتولوجيا Nuova Antologia (٢) مجلة راسنياناز يونال La Revue (٣) المجلة Rassegna Nazionale

منهم الى كل كيلومتر مربع اكثر من نسبتها في المانيا ففي الكيلومتر المربع في ايطاليا ١١٧ ساكناً وفي المانيا ١٠٤ اشخاص وقد ارتقت التجارة الايطالية ارتقاء مهماً ولا سيما بعدان توطدت اركان الوحدة الايطالية وتألفت من تلك الممالك الصغرى البندقية وطوسكانيا وجنوة وغيرها هذه المملكة الكبيرة وان دين ايطاليا قليل بالنسبة لسائر الممالك الممدنة ولكن كل هذه الصفات لاتبرر عملها عند العقلاء وسوف تعلم انها لو صرفت نصف ماصرفته حتى الآن من المال والرجال في الاعمال العمرانية سواء كان في بلادها او خارجها لكان احسن لها وابقى

وما نظن ايطاليا تستطيع ان تنزع من ارباب الاملاك املاكهم في طرابلس مهما نوعت اساليب الحيل ففرنسا بعد استعمار الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ على شدتها في استعمارها لم تتمكن من الاستيلاء على ماتحب من الاراضي كما كان يفعل الرومانيون في البلاد التي يفتحونها وينزعون من المالكين املاكهم ويستعمرونها بابنائهم غالباً والرومانيون اجداد الايطاليون الاول والى اليوم لم تربح حكومة فرنسا من الجزائر بل هي تخسر عليها

فهل يعقل ان تتحقق اماني ايطاليا في طرابلس والخصب فيها في اماكن معينة وهي ملك لاهلها ولطالما دافعوا عنها دفاعهم اليوم من اعتداء الفاتحين وطردوهم من عقر دارهم . فاذا كانت ايطاليا تقصد الاثراء ونفع ابنائها فهذه الطريقة من اعقم ماتلجأ اليه دولة مستعمرة من دول المدنية الحديثة فان ثروة الناس [1] لاتزيد باتساع ممالكهم فالصيني ليس اغنى من الفرنسوي مع ان سكان الصين عشرة اضعاف سكان فرنسا والالماني ليس اغنى من البلجكي مع ان سكان المانيا عشرة اضعاف سكان بلجكا وقد تضيق ارض بسكانها حتى يقل الرزق عليهم فيها فتضطر حكوماتهم ان تمتلك بلاداً اخرى كثيرة الخيرات قليلة السكان حتى تسهل على الفاضل من اهاليها المهاجرة الى تلك البلاد والارتزاق فيها كما فعلت انكلترا وهولاندا وجرت فرنسا والمانيا مجراهما . ولكن ايطاليا لم تعمر كل بلادها حتى الآن فليس بها حاجة الى فتح بلدان اخرى وتعميرها للارتزاق منها فان عندها جزيرة سردينيا مساحتها اكثر من ٩٣٠٠ ميل مربع وليس فيها من السكان سوى ٨١٠٠٠٠ نفس مع ان صقلية ثمانها مساحة وسكانها اكثر من ثلاثة ملايين ونصف وعندها مستعمرة ارتريا في افريقية على حدود السودان ومساحتها ٤٥٨٠٠ ميل مربع اي نحو نصف مساحة ايطاليا كلها وهي من اغنى بلاد

(١) المقتطف بقلم منشئه الدكتور يعقوب صروف العالم المشهور

الدنيا بالمناجم والحراج وليس فيها من السكان نصف مليون نفس وعندها بلاد الصومال ومساحتها نحو ١٤٠٠٠٠ ميل مربع اي اكثر من مساحة ايطاليا بنحو ثلاثين في المئة وسكانها نحو ٤٠٠٠٠٠ نفس وهي بلاد زراعية كثيرة الخيرات فعلى م لا يهاجر الايطاليون الى هذين البلادين و يعمرونها ان كانت بلادهم قد ضاقت عليهم

وهب ان ايطاليا اهتمت باصلاح طرابلس الغرب واستثمار خيراتها فهي اما ان تستأثر بذلك لتنحصر الفائدة فيها وفي سكان طرابلس فتكون قد جرت مجرى اسبانيا والبرتغال في استعمارها فتفشل فشلهما الانهما فشلتا فشلاً تاماً في كل البلدان التي امتلكتاها وحاولتا استعمارها ومنعتا غيرهما من مشاركتهما في النفع واما ان تجري مجرى انكلترا وهو فتح ابواب مستعمراتها لتجارات كل الامم وحينئذ لا يكون السبق للايطاليين بل للانكليز والالمان لان السبق في المناظرة التجارية للاغنى مالاً والاوفر علماً والامهر صناعة . وهيهات ان تعيش ايطاليا في طرابلس الغرب بتعب غيرها واعنات اهلها . اذا فعلت يحل بها الخراب كما حل برومية في ايامها الخالية .

يحل بها الخراب لان فكر العظمة الرومانية [1] يضيق على ايطاليا الحديثة خناقها ويحرج صدرها فهي تريد ان ترجع الى اصولها البعيدة وتطمع في غير مطمع ولا تتنازل عن عجبها . تريد بالتهور في الاستعمار ان تغتني وتعيد الى رومية الثالثة مجداً اضاعته الايام وفساد الاخلاق والنظام بل تطمع بان تجعل ممالك اوربا حافات من حول عرشها تسبح بحمدها وتفاخر بمجدها كما طمع نابوليون الاول فكان في ذلك اضعاف امته بامرها فاهرق دماءها ودماء غيرها وافقرها وافقر جيرانها وكان مصيره الى اسوإ حال .

تحاول ايطاليا اليوم الدعوة الى اعادة مجد الرومان بجميع اساليب الدعوة من نشر الصحف والقاء الخطب وانشاء المدارس حتى ان الكتب المدرسية التي تعلمها للاولاد تعد فيها نيس وكورس وترانتن من بلادها مع انها للفرنسيس تسير في ذلك على سيرة احياء الشعور الوطني كما كانت تفعل الحكومة عندنا في كتب الجغرافيا التركية فتذكر فيها من املاكنا ما فقدناه من نحو مئة سنة ولم يبق لنا حق من الحقوق الدولية والشرعية فيه

تظن ايطاليا انها تحمل المهاجرين من ابنائها بمئات الالوف الى طرابلس وفاتها ان هذه البلاد حتى اليوم على قربها من اوربا ليس فيها سوى ٢٢٠٠ مالطي و ١٠٠٠

(١) المجلة الاسبوعية Revue hebdomadaire

ايطالي و٧٠٠ فرنسوي و٦٠٠ انكليزي و١٠٠٠ اسبانيولي وبعض الهولانديين والنمساويين واليونان والالمان والاميركان لايبلغ مجموعهم كلهم خمسة آلاف نسمة وان أكفأ الناس في التجارة والصناعة والزراعة واقدر الامم بالمال والرجال هم الذين يستثمرون الارض فاين هم من الالمان مثلاً فقد بلغ من حذقهم ان استولوا على كثير من اعمال التجارة في لندن ونيويورك بل في باريز نفسها وناهيك بكره الفرنسيس لاعدائهم الالمان ولقد قدروا مؤخراً عدد الالمان في باريز وضاحيتها بمئة وار بعين الفاً يتجرون في نفس عاصمة الفرنسيس بجميع انواع التجارة وينافسون الفرنسويين في ارباحهم فتجد منهم الكتبيين والخياطين والجوهريين والفرانين وشركات الضمان والصيارف وغير ذلك من فروع العمل فلو تدبرت ايطاليا او خاصتها المفكرة لعلمت انها قادمة على معترك شديد في طرابلس وبرقة لو سلم لها ماتنويه من الفوائد السياسية لايسلم من الفوائد الاهلية ولو سلم من كل ذلك لكانت العاقبة في الاستعمار لارقى الامم في مذاهب المعاش واعرفها بطرق الانتفاع والنفع ولكن هو فساد الادارة وجنون الاستعمار تركب الامم في سبيلهما العار وتهوي في مهاوي الدمار والبوار

مخطوطات ومطبوعات

طبقات الامم

عرف الاب لويس شيخو اليسوعي مدير مجلة المشرق بما نشره من كتب العرب في اللغة والتاريخ والادب دع عنك ماخدم به طائفته وجمعيته وآخر ما اظهر الى الوجود كتاب طبقات الامم لابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ ظفر بنسخة منه عند احد الوراقين بدمشق والتحريف غالب عليها لان ناسخها الاصلي منذ نحو مائتي سنة عامي لايحسن النقل فعارض الناشر اكثر فصولها وردها الى اصولها على كتب عربية من مطبوعات علماء المشرقيات مثل الفهرست لابن النديم وتاريخ الحكماء لابن القفطي وطبقات الحكماء لابن ابي أُصيبعة ووعد في آخر جزء من المشرق ان ينشر الكتاب على حدة مع الفهارس اللازمة له

وقد رأينا ان نلفت نظر الناشر الباحث الى اغلاط وقعت له او للناسخ الاصلي ولم

يمهل الناشر نظره فيها لجاءت مشوهة لطلعة هذا الكتاب النفيس عله يتدارك فيلحق بها جدولاً في آخر الكتاب فيستحق شكر المعارف والآداب

فقد ضبط (ص ٥٦٧ ـ ٨٦٢) المرية بكسر الميم وسكون الراء وفتح الياء والصواب بفتح الميم ثم الكسر وتشديد الياء بنقطتين من تحتها وهي مدينة كبيرة من كورة البيرة من اعمال الاندلس وكانت كما قال ياقوت هي وبجانة بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكبهم قال القسطلي :

متى تلحظوا قصر المرية تظفروا بجر ندىً ميناه در ومرجان
وتستبدلوا من موج بحر شجاكم بجر لكم منه لجين وعقيان

وقال ابن الحداد :

اخفي اشتياقي وما اطويه من اسف على المرية والانفاس تظهره

والمرية بالكسر (والضم ايضاً) الشك والجدال

وفي (ص ٥٦٨) الشابران وقد وضع عليها علامة استفهام اشارة الى انه هكذا وجدها وهي من مدن ارمينية والران واذربيجان ذكرها الاصطخري في مسالك الممالك (طبعة ليدن) ونيشابور والصواب نيسابور . (ص٥٦٩) بتجستان والصواب سجستان كما قال في الحاشية وقد وقعت الفاظ من مثل هذه في هذا السفر اثبت الناشر الرواية الضعيفة في المتن وترك الرواية الصحيحة للحاشية وكان الاولى ان يعكس ليصب

(٥٧٠) خ بحر اقيابس ص اقيانس خ ولا رؤيت بها ص رؤيت لها

(٥٧١) خ يدور فيها مناجد الامم ص مماجد او محامد (٥٧٢) خ وخلقه الى نهاية العمور ص وخلق، خ السمت (بضم السين) ص فتح السين وهو الطريق خ لانهم اجمعين مشتركون لانهم اجمعون . ولا معنى لجملة : هذا التأليف الاليف العقل .

(٥٧٣) خ السباع التي تغاضي الانسان اقدامها ص تقاضي خ وكذلك قالت العرب ص ولذلك (٥٧٤) خ ولانها حازت على الملوك وسط ص ولانها فازت على . خ واشدهم أمرا ص واشدهم اشراً والأشر البطر والنشاط

٥٧٥ خ ليستحبوا بذلك قواها ص ليستجلبوا او ليسحبوا (٥٧٦) في الفرقتين الاولتين (كذا) ص الاولين وكان عليه ان يثبت الصواب وقد تكرر رسم الاولتين في مكان آخر (٦٧٠) خ في المقالتين الاولتين ص الاوليين خ في المقالتين الآخرتين ص الاخريين .

(٥٧٧) خ اوجز حساب واحضره ص واخصره خ في حسن التواليد ص حسن التوليد خ في تقدمة المعرفة ص تقدم المعرفة (٥٧٨) خ وتحملهم (بتشديد الميم) من الامور ص وتحملهم بكسر الميم بدون تشديد خ واحسن التئام ص حسن التئام خ اول ملوك بني اسرائيل ص اول ملوك بني ساسان اوساسان (٥٧٩) خ يزدجرد بن شهريار ص يزدجرد بن شهريار خ وجود التدبير ص وجودة التدبير (٥٨١) خ وكان عرضه الف وخمسمائة ذراع ص وكان عرضه الفا خ وكان بعد الطوفان منهم عدة ذوو معرفة ص وكان بعد الطوفان (٦٦٥) خ الثغور الجزروية ص الثغور الجزرية (٦٦٨) خ ابماوش الروحاني ص طيماوس ومثلها نيقوماخوش والصواب نيقوماخوس (٦٦٩) خ وجعها آلة ص وجعلها آلة

(٦٧١) خ مثبتة اساسها مزمومة قواعدها وثيق بنيانها ص مدعومة قواعدها خ اليد الحليلة ص اليد الجابلة

(٦٧٢) خ ومنها رسالته جاوبه بها ص ومنها رسالته التي جاوبه بها خ الذي كان فيه البدرة (وقال في الحاشية لعله اراد البودة) والبودة متعين خ انصدم بكتب الفاسفة ص انعدم

(٦٧٣) خ وردا عليهم آراءهم بالحجاج (كذا) الصحيحة ص بالحجاج الصحيح او بالحجج الصحيحة (٦٧٥) خ اوعطش ص اوفسطس (٦٧٦) في غاية العلماء بعده التي يحيرون · اليها وضع الناشر في الحاشية يجرون اليها مع اداة الاستفهام مع ان يجرون متحتم او يقال يصيرون خ الا الاخطب له ص خطر له خ اشتقت لها من سبعة اشياء ص من سبعة اسماء

(٦٧٨) خ ونحل مذاهب الحكماء ص ونخل بالاعجام خ بان يجمع العالم في واحد · ص ان يجمع (٦٨٠) خ في عدد اليونانيين ص في عداد

(٧٥٤) خ فان كان ذلك حق عنهم في ابعدهم في هذا الرأي من نظام الحكمة ص فان كان ذلك حقاً فما ابعدهم (٧٥٨) خ فلا يزالون في حل ورحال ص في حل وترحال

(٧٥٩) خ وآراء الفرق مع ان عبدة الأوثان ص من ان عبدة الاوثان خ ولا وار به صاحب العقل ص ولا دان به صاحب العقل · خ ماتعبدهم (بضم الباء وتشديدها) الاليقربونا الى الله زلفى ص مانعبدهم (٧٦٠) خ والعرب اصحاب حفظة ورواية ص حفظ ورواية (٧٦٢) خ رؤيت الي اقاصي الارض فأريت مشارقها وسيبلغ ملك امتي ماروي لي منها

ص زويت لي اقاصي الارض ... مازوي . وفي النهاية لابن الاثير (طبعة مصر) زويت لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها اي جمعت يقال زويته ازويه زويًا . خ حكم من الله تعالى ماضياً وقضاء منه نافذاً ص حكماً من الله تعالى ماضياً وقضاءً منه نافذاً

(٧٦٣) خ من احصائه لمتخليها ص اخصائه (٧٦٧) خ وقلما ينتفع بها في العلوم ص ينتفع بها (٧٦٨) خ ودنا اقواماً ص وانى اقواماً (٧٦٩) خ وكان ابو نصر الفارابي معاصراً لابي بشر متى بن يونس في علم المنطق تعديل العلماء ص لابي بشر متى بن يونس وعلى تأليفه في علم المنطق تعديل العلماء

(٨٤٦) خ عبد الملك المرورزي ص لعله المروَزي او المرّوذي كما في المشتبه في اسماء الرجال للذهبي (طبعة ليدن (٧٤٧) خ وكان ذلك (صبياً (؟) الى التمرس بها ص سبباً الى التمرس بها (٨٤٨) خ ذي نوّاس صذي نواس ومثلها التي بعدها بسطر (٨٤٩) خ المرآي المحرقة ص المرائي المحرقة . خ وكان (مذهب منه الى مذاهب ص وكان يذهب فيه مذاهب . خ والجماعة سواهم ص وجماعة

(٨٥٢ خ) واتخذ القوط مدينة طليطلة مدائنها العتيقة قاعدة لملكهم ص من مدائنها خ ولم تزل مركز الملك المسلمين ص ولم تزل مركزاً لملك . خ عظيم ملوك الاندلس . واهل بلاد الاندلس عرض المدينة المروفة الجزيرة الخضراء ص عظيم ملوك الاندلس واهل بلاد الاندلس . عرض الخ اي بدون نقطة بين ملوك الاندلس واهل بلاد الاندلس وعرض المدينة الخ راجع الى ما قبل اربعة اسطر وعرضها (طليطلة) ٣٩ درجة الخ

(٨٥٣) خ وكان عالماً لحركات الكواكب ص بحركات خ وبمصر من الزني (كذا) والربيع بن سليمان ص المزني وهو من الائمة المجتهدين في مصر توفي سنة ٢٦٤ واسمه ابو ابراهيم اسمعيل بن يحيى (راجع ترجمته في حسن المحاضرة للسيوطي طبعة مصر)

(٨٥٤) خ انا كفرت بما قالا وما فعلا ص اني كفرت الخ خ وذلك في ايام ايه الى الغاية بالعلوم والى الثبار اهلها ص لم نفهم معنى الثبار وفي الجملة تشويش ومثله في (٨٥٦) فداول عناية الحكم بذلك لم يظهر لنا فليحرر (٨٦١) خ كان بصيراً بالهندسة في النجوم متقدماً في اللغة ص كان بصيراً بالهندسة نافذاً في النجوم او ماقي معناها خ وولي القضاء الزتية آخر دولة زهيرة العامري ص وولي قضاء المرية آخر دولة زهير العامري . وذلك

لان زهيراً العـامري تغلب على المرية واعمالها وذلك الرسم المحرف ادنى الى ان يكون المرية (راجع المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبدالواحد المراكشي طبعة ليدن ومصر)

(٨٦٢) خ بعلوم البرهان واللسان والمسائلة . ص ومسائله خ نال هناك دنيا عريضه ص نال هناك دنيا عريضة (٨٦٣) خ له مع ذلك تقود في العربية ص نفوذ في العربية خ كانوا مشهورين باسمائهم عندنا بالاندلس الى هنا وفي زماننا ص (الى هنا) زائدة زادها منضد الحروف كما كرر سطراً بعد ذلك (٩٢٤) خ افراد من الاحداث متندبون بعلم الفلسفة ص افراد من الاحداث مبتدئون بعلم الفلسفة لامتندبون ولامتندبون (٩٢٥) خ وصنف في مصنفات كثيرة ص وصنف فيها (العلوم الشرعية) (٩٢٦) خ ولابي محمد ابن حزم بعد تصنيف وافر في علم النحو ص نصيب وافر (٩٢٨) خ تمكنه في العلم وتحققه مذاهب القدماء ص تحققه في مذاهب (٩٣٠) خ ودخل البصرة ومصر ودير مارستانها ص ودير مارستانيها . خ وكان في زمان ابن عبدون وبعده الى آخر الدولة العامر ص الدولة العامرية . وهي احدى حكومات الطوائف بالاندلس جدها عامر الداخل الى الاندلس مع طارق وجاور الخلفاء منهم بقرطبة جماعة احدهم ابو عامر محمد بن الوليد الذي عرف آل عامر طراً به وساد بعده ولده عامر (راجع اخبارهم في البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذارى المراكشي طبعة ليدن)

(٩٣١) خ حسن التوليد والتنتيج ص ولعله الاستنتاج . خ ولم يكن احد بعد محمد ابن عبدون ابوزي ابا العرب ص يوازي ابا العرب (٩٣٤) خ تطريقه للفضول ولطيفه لما غلط ص تطريقه للفضول (٩٣٦) خ اعلم الناس باخبار الانبياء وبدء الخليقة ص بدء الخليقة . خ يسمون كل تسع عشر سنة ص كل تسع عشرة سنة خ الحادية عشر والرابعة عشر والسابعة عشر والتاسعة عشر ص الحادية عشرة باثبات تاء التأنيث فيها كلها لان الضمير يعود الى السنة

(٩٣٧) خ تفرقوا في البلاد ودخلوا الامم ص وداخلوا الامم خ لطيف الذهن حسن النظر اخفر ص لعله اضر لان اخفر لامعنى لها هنا خ واتصلت به العناية فسيوفي على صناعة الفلسفة ويستوجب فنون الحكمة ص فسيوفي لامعنى لها والاولى يستوعب بدل يستوجب لمطابقته للمعنى خ والتعريف بنبذ من تواليفهم ص والتعريف بنبذة بفتح النون وضمها ولا تجمع ويغلط فيها كثيرون

هذا ماامكن الوقت رده الى الصحة من غلطات هذا الكتاب ومنها ما تركنا الاشارة اليه عمداً ولعل ناشره او غيره من المدققين ينظرون فيه نظرة ابلغ فيبرزون الكتاب منقحاً في الجملة على مايجب ويحبه الراغبون في احياء آثار السلف .

المعارف

(الكتاب الاول في علم الفلك)

تأليف عبد الوهاب افندي سليم التنير ومحمد طاهر افندي التنير طبع في المطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٩ ص ٨٢

لمؤلفي هذا الكتاب يد طولى في العلوم واضطلاع بالنقل عن الافرنج في الموضوعات التي تهم هذه الديار وتفيدها وقد ألفا الآن مختصرات في الفلك والطبيعيات والكيمياء والظواهر الجوية والجغرافية الطبيعية والحيوان والنبات ونشرا القسم الاول والغرض منها « احياء قوة التصور في الولد لمعرفة قدرة الله تعالى » وتنبيهه « الى ماقد سخر الله تعالى من الاشياء المفيدة فلا يشب حتى يشمر عن ساعد الجد فينقب عن الكثير منها مما لايزال مجهولاً فيكتشف فينفع الخلق » وتنبيهه « الى النظر والملاحظة اذ بذلك يزداد ادراكه فيرى حقيقة قدرة الله تعالي بما خص الكون من العجائب »

وقد اعتمد المؤلفان على تأليف « هولدن » في المعارف وهو يعلم في اكثر مدارس الولايات المتحدة وكندا وانكلترا وحذوا حذوه في نسقه واعتمدا على بعض الكتب العربية العلمية القديمة لوضع الاصطلاحات العلمية . والكتاب على طريقة محاورة بين اخوات وابناء عم كانوا في الجبل فرأوا اقمار السماء فحدثهم كبيرهم بمعلوماته مختصرة يتشربها الصغير بل كل من لاعهد له بهذا العلم الجليل

وقد عدلا في التأليف الاصلي ماجعله كأنه ألف بلساننا مباشرة ومؤلفاه يستشهدان بآيات الكتاب العزيز عند الاقتضاء و يقولان ان العرب ولا سيما في الاندلس كانوا كأهل الغرب اليوم يعلمون الاولاد مبادئ العلوم العالية كعلم الفلك والطبيعيات وطبقات الارض وغير ذلك من العلوم باسلوب سهل وان « اهم علماء الفلك من القدماء هم العرب وقد اكتشفوا اشياء كثيرة في علم الفلك ولذلك ترون ان اكثر اسماء النجوم والكواكب هي عربية » وقد اوضحا الكتاب بما حلياه به من الرسوم فجاء علمياً عملياً ككتب الغربيين العلمية جديراً بان يطالعه من لهم ولوع بعلم الهيئة القديمة ومن تتسرب الخرفات الى نفوسهم فيحكون عن صور الافلاك اموراً لم تكن في جلسة يطالع المطالع هذه الحلقة

الاولى من تلك السلسلة النافعة واذا اراد الامعان لا الاستظهار- لان المؤلفين لا يقولان به بل يريان الاكتفاء بالقراءة والفهم فقط — يحتاج الى بضع جلسات على الاكثر فيكون اخذ ماينبغي له من هذا العلم بل ينبغي لمن اراد الاخصاء فيه ان يرجع الى المطولات والمتوسطات وما اكثرها في كل علم وكل لغة من لغات الغرب . فللمؤلفين الفاضلين جزيل الشكر من خدمة العلوم بالعربية ثم معرفتها اهلها وكنا نود لو انتبها قليلاً لبعض الاغلاط النحوية والصرفية والبيانية التي وقعت في الكتاب ونود تصحيحها في الطبعة الثانية كما نرجو ان تكون تتمة السلسلة خالية من مثل ذلك ليكون العمل تاماً من كل وجه، على ان مثل ذلك لا يقدح في نفعه ولكن ماينشر ينبغي ان يكون الى الصحة ماامكن حتى لا يعتاد اولادنا غير الفصيح فتكون كتب العلم من جملة المساعدات على إحكام ملكة البيان ايضاً

تقويم البشير ١٩١٢

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١١ ص ٢٠٤

اعتادت هذه المطبعة في بيروت منذ خمس وثلاثين سنة ان تصدر تقويماً سنوياً يعنى بتأليفه احد الآباء اليسوعيين فجاء تقويمها هذه السنة حافلاً بالفوائد ونحو ثلثه فيما ينفع المسيحيين خاصة والكاثوليك على الاخص كتقويم السنين والاعياد والاصوام والانقطاعات وذكر الرؤساء الروحيين ومجامعهم ودواوينهم وجداول في السنة الشمسية والقمرية والمالية وتحويل النقود ثم مختصر في التقسيمات الادارية في الدولة العثمانية وقد اطلق على الروم ايلي (تركية اوربة) وهو اصطلاح افرنجي سقيم لا يجوز ان يطلق على بلاد الدولة العلية لان المملكة ليست للاتراك وحدهم بل هي لاثني عشر عنصراً ومنهم العرب نصف هذه العناصر فالاولى ان يقال لها روم ايلي و« تركية آسية » الاناضول او آسيا الصغرى كما قال المؤلف وقد تابع تقويم غوتا في احصاء سكان الولايات ومساحتها ونظن بعضه مبالغاً فيه وبعضه دون الواقع كقوله ان سكان مدينة دمشق ٢٠٠ الف وسكان بيروت ٨٥ الفاً وسكان حلب ١٣٥ الفاً فاذا اعتبرنا الاحصاء الرسمي في دمشق مثلاً نراها اكثر من ذلك وهي لا تقل في الحقيقة عن ربع مليون وبيروت لا تبلغ في الاحصاء الرسمي هذا القدر . وتوسع في الكلام على لبنان وبيروت وادارتهما وحكومتهما حتى ذكر بجانب اسم كل موظف لبناني دينه، وافرد جدولاً باسماء جرائد

سورية ومحلاتها الباقية والزائلة واسماء قناصل الدول في المملكة العثمانية واما كنهم وفوائد وامثالا وبعض قوانين جديدة مثل قانون المطبوعات والمطابع والجمعيات وغير ذلك من الفوائد فنثني عَلَى مؤلفه ونرجو ان يزيده فوائد تاريخية واثرية عن سورية ليسد في السنين المقبلة بعض الحاجة ويغني عن التقاويم الرسمية (سالنامات) التي كانت تصدرها ولايات بيروت وحلب وسورية قبل حرية المطبوعات الاخيرة وتضمنها من المواد مايستفاد من اكثره ولا سيما مايتعلق بالحركة العمرانية في البلاد اما الاخذ عن تقويم غوتا فلا يبرر العمل في اقتباس مواد هي منا عَلَى طرف الثمام لاتحتاج الا الى قليل من البحث والعناية

كتب ورسائل مختلفة

سلم الدروس العربية للمكاتب الابتدائية وهو الحلقة الاولى من كتاب الدروس العربية يشتمل عَلَى الاهم من اصول الصرف والنحو مع الامثلة والتمرينات ويليه الحلقة الثانية وقد طبعت بعنوان القسم التمهيدي تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبع في المطبعة الاهلية في بيروت عدد صفحاته ٦٤

بشرى العالم بترك المحاربات واتفاق الامم — تتضمن البشارات الالهية والبراهين العقلية بقرب حصول السلام بين الانام تأليف فرج الله افندي زكي الكردي طبع بمطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ص ١١١

الانجيل الشريف — بحث نظري تاريخي نقدي للاب انطون رباط اليسوعي طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٢

باكورة الكرم — خطابان وقصيدة تليت في احتفال غرف القراءة الوطنية في بحمدون (لبنان) طبعت بمطبعة الحسناء في بيروت

الجامعة المصرية — كراسة باللغة الافرنسية ذكر فيها رئيس الجامعة المصرية الامير احمد فؤاد باشا خلاصة اعمال هذه الكلية العربية الجامعة مدة ثلاث سنين طبعت بالقاهرة

رسالة تسهيل المنطق — تأليف الشيخ احمد الصابوني طبعت بمطبعة حماة سنة ١٣٢٩

خليل الخوري — سيرة هذا الشاعر جمعت باهتمام ادارة حديقة الاخبار في بيروت وطبعت في مطبعتها سنة ١٩١٠

اخبار وافكار

بحر الصحراء

اقترح بعض العلماء منذ ٢٩ سنة ان يسعى بتحويل صحراء افريقية الى بحر داخلي قائلاً ان هذه الصحراء الرملية ليست سوى سطح قديم من بحر جف وهو على طول الفي كيلومتر فوق مستوى المحيط الاتلانتيكي وقد زيف بعضهم هذا الاقتراح وعده رابع المستحيلات الا ان احد العلماء عاد فجدد اليوم هذه النغمة مبيناً منافع هذا المشروع وان الوصول اليه لا يقتضي له صعوبات ميكانيكية مهمة فتمتد بذلك المياه على محيط من الارض يوازي نصف مساحة البحر المتوسط فتخصب بالبحر وهوائه تلك الاصقاع الافريقية الواسعة لان اجدابها ناشيء من قلة المياه ويسقط الوف من البشر على مايقبلون به في ارض ليس فيها اليوم الا الشقاء والجوع ويجود هواء البلاد الواقعة في شمالي افريقية فتصبح مثل بلاد التاتال من هذه الوجهة. وقد ردوا هذا الفكر في العالم العلمي قائلين ان التغيير في مناخ افريقية يؤثر في مناخ شمالي اوربا الذي يوشك ان يكون كمناخ القطب الشمالي وبذلك تتعذر الحياة فيه وتغرق انكلترا وبلجيكا والدانيمرك في الثلوج اشهراً وربما حدثت من ذلك كوائن واحداث جوية وارضية ليست في البال. فختام تحيل مدنية الغرب البحر براً والبر بحراً

المحسن كارنيجي

ضاقت الولايات المتحدة على رحبها عن استيعاب حسنات المحسنين من ابنائها على العلم والانسانية وآخر ماجادت به يد المستر كارنيجي المثري الشهير ١٢٥ مليون فرنك لنشر التعليم في الولايات المتحدة هذا على حين كان حتى اليوم الباسط يده بالعطاء على كل مشروع خيري وعلمي حتى بلغت عطاياه ١١٢٩ مليوناً في حين بلغت هبات روكفلر الغني الاميركي ٨١٣ مليون فرنك فقط وما زال كارنيجي يتوسل بكل ما يمكن من الذرائع ليرد للامة ما كسبه من خيرها ويود لو قضى نحبه وهو لايملك ريالاً واحداً قائلاً: «من اعظم الجنايات ان يموت المرء غنياً»

آثار في السامرة

تتوفر كلية هارفرد الاميركية على الحفر في فلسطين برئاسة الاستاذ ليون للبحث عن

الآثار وآخر ماظفر به احد اساتذة هذه البعثة الاثرية نموذجات من الخط العبراني اقدم كثيراً مما عرف من نوعها حتى الآن وهي عبارة عن ٧٥ قطعة تشير كل منها الى جودة الخمر والزيت المحفوظ في اوان متنوعة الحجم و يرد تاريخها الى ستة قرون قبل المسيح وقد وجدت في قصر الملك اشاب من بلاد السامرة (نابلس) والخط المرسوم بالحمرة و بالقلم هو فينيقي و يختلف كل الاختلاف عن الحروف المربعة المعروفة في النسخ الخطية من التوراة · ويرى رئيس هذه البعثة ان هذا النموذج مستند مهم في حل المسألة التي طالما جرى الجدال فيها في اصل الالف باء العبرانية واصلها الفينيقي

الاولاد المهملون

عرفت اميركا منذ زمن طويل ان الشبيبة وقوة الشعب من اكبر العوامل في الغنى المادي ان لم تكن اكبرها وانه ليس اصعب من فقد قوى الشباب باهمال آداب الاولاد اهمالاً كثيراً ما يجيء به منهم مجرمون جانون ولذلك انشأت دوراً لاصلاح النفوس بحسب قواعد علم النفس الحديث ·

فقد دلت سجلات دار الاصلاح في ميشافيل من ولاية ايوفا وما وضعته من احصاء اعمالها ان عدداً عظيماً من البنات تكبن منذ حداثتهن باجتراح الرذيلة ولكن لولا دخولهن تلك الدار من اليفات السجون فاسجن بعد مغادرتهن هذا المعهد ينظمن حياتهن فيكون منها فائدة حسنة فقد ذكرت احداهن ان اباها كان شريباً خميراً اعتاد ان ينزع عنها ثيابها و يجعلها على منضدة ليرقصها امام رفاقه في السكر و يسقيها و يسليها فتخلقت بالطبع باخلاق محيطها و بدت فيها هذه الاخلاق على اتمها عندمانبذتها احدى الأسر الشريفة فلم يروا بدأ من وضعها في دار الاصلاح تقضي فيها سنتين اعتدلت في خلالها اخلاقها وميولها بحيث استطاعت بعد خروجها من هناك وعمرها خمس عشرة سنة ان تجد لها عملاً شريفاً فتعلمت الاستملاء السريع وها هي اليوم امرأة شريفة متزوجة

وقصت فتاة زنجية قصتها فقالت ان نفسها كانت حدثتها ان تقتل من تدنوها ونزعت من قلبها كل خلق شريف وبعد بضع سنين من دخولها دار الاصلاح تغيرت بالمرة ولما غادرتها ذهبت تدرس في كلية العبيد وها هي اليوم تخص حياتها وفكرها لنشر الدعوة الى المدنية بين بنات جنسها

وقد وردت هذه الدار في جملة تلامذتها القدماء رئيسة امينات المال في احدى

المصارف الكبرى ومحامية مشهورة بانها من نساء السياسة المنظور اليهن ولولا دخولها في هذا المعهد لما استطاعت تلك الامينة ولا تلك المحامية ان تتوقيا محيط اجتراح الجرائم الذي قضتا فيه شبيبتهما وكانت كلتاهما ـ قطنتا في الطبقة السافلة من ساكنات المدن العظمى

وطريقة هذه الدار مبهمة معقدة للغاية لا تستند الى تعليم خالص ساذج ولا الى عمل خاص معين بل هي عبارة عن تغيير عادات الطفل وخلقه بالطرق المنتظمة العلمية. ويتوخى هذا المعهد في فرقة البنات ان يثير فيهن حاسة الزينة لينبه فيهن الشعور الشريف فيعلمهن ان يكن معجبات بانفسهن وان يحترمن النظافة فيها وان يحترمن انفسهن ويكن لائقات اديبات وتراعي في ذلك الاذواق الخاصة فتنمى فيهن و يعنى بها

كل يوم يقرع جرس هذه الدار عند الساعة الخامسة صباحاً فتستيقظ البنات وسهلي الساعة السادسة يقضي عليهن ان يحتشمن لابسات لباساً نظيفاً ليتناولن طعام الفطور ثم يعمدن الى سررهن فيرتبنها بايديهن وفي الساعة السابعة بعد انشاد أنشودتين لطيفتين يبدأ الدرس العام فينقسمن اذ ذاك الى قسمين قسم منهن يدرس دروساً نظرية والآخر يتعلم دروساً عملية من مثل الطبخ والغسيل في الحديقة ومعمل النجارة وتتبدل حال التعليم بعد الظهر وتناول طعام العشاء الساعة الخامسة الا ربعاً وفي الصيف يتنزهن في الخلاء وفي الشتاء يخصصن ساعة من وقت النزهة في الدرس والتلميذات تطلق لهن حريتهن من الساعة السابعة الى الساعة الثامنة فيعلمن ما اردن وفي الساعة الثامنة يذهبن للنوم وفي كل قبة من القباب التي تتألف منها ابنية المدرسة يكون خمسون ابنة تحت ادارة امرأة يدعونها بأمهن وتكون ما كنهن اشبه بمنازل الامرات لا بما كن مدارس وان تلك المعاهد وما حوت من اللطف والسذاجة الساكنة لتبتعد جداً عن الشبه بالسجون ولا يفارق الاولاد هذه الدار قبل سن الحادية والعشرين الا البنات بحيث يؤمن عليهن بما يتهيأ لهن من الدرس ولا سيما بما لقن من حسن السيرة والاخلاق والنظام ان يجرين في المستقبل على حياة منظمة وكثيرات منهن بعد تخرجهن في هذه الدار يستخدمن خادمات في بيوت خاصة وكثيرات يستخدمن في محال تجار بقو يكن مربيات ومشتغلات بالفنون النفيسة . وشعار هذه الدار ان تنبه في تلميذاتها العواطف الشريفة التي كانت أطفئت جذوتها بالاهمال الذي كان أليفهن بين ذويهن

اولادهم واولادنا

لو كان الغرب يكيل لابنائه بمثل الكيل الذي يكيل به لابنائنا في الشرق لتلت

الفروق ومشى البشر خطوات مهمة نحو الاخاء العام والسلام الشامل هكذا شأن مرسليهم في مدارسهم في الشرق وهكذا شأن حكوماتهم في البلاد التي امتلكوها في آسيا وافريقية وجزر المحيطين . وانا الوم الكلية الاميركية في بيروت كما رأيتها توفر العناية بابناء المرسلين والمعلمين الاميركان اكثر من توفيرها بابناء البلاد فقد عزلتهم في مكان خاص ووضعت لهم اساتذة خصوصيين يعلمونهم غير التعاليم التي يعلمونها ابناء البلاد كأن العلم كالطعام في بيت شحيح يطعم من انواعه ماطاب له و يمنع عن خدمته واجرائه الاطايب و يقتصر فيه على الرخيص نفعهم او لم ينفعهم وهكذا رأينا انكلترا التي تحكم الهند منذ نحو قرنين وحياتها متوقفة على غنى تلك البلاد وتعليم ابنائها لاتفكر في تعليمهم وترقيتهم كما تفكر في ترقية اقل انكليزي ولو كان خلاسياً اي مزج دمه من هنود و بريطانيين فقد قدروا ان في بلاد الهند ٣٠٠ الف من عرق انكليزي او اوربي ليس بينهم سوى عشرة في المئة خرجوا من درجة الأمية فهل من اللائق ان يتركوا بدون تعليم كما يترك الوطنيون ام كيف السبيل ? واذ قد لاحظوا ان الكاثوليك وهؤلاء الاوربيين يعلمهم مرسلوهم ولكن البرتستانت محرومون ممن يسهر على تربية ابنائهم فرأت الكنائس البرتستانتية ان تجمع ربع مليون جنيه لاقامة مدارس خاصة بابناء البرتستانت من الانكليز الهنود وتعيين اساتذة اكفاء بحيث يكون ابناؤهم مثال التربية الانكليزية و يصبحون مادة قوة مهمة لانكلترا في بلاد هي خمس العالم بسكانها

العقوبة الجسمية

من اغرب الامم في عاداتها واخلاقها الامة الانكليزية فهي على مابلغته من درجات الحضارة لاتفتأ تحافظ على عاداتها الضارة في القرون الوسطى وتسعى الى تعديلها واصلاحها مع الزمن من ذلك ان العقوبات الجسدية في مدارس لندرا لاتزال مستعملة حتى اليوم فحذفت هذه العادة المضرة من مدارس اوربا ولكن مدارس لندرا حسنتها حتى ان لبعض المدارس الراقية هناك اسواطاً ميكانيكية تضرب المذنب بشدة او بغير شدة بحسب الذنب الذي اجترحه . و يضيفون الى هذا السوط الضارب آلة فونوغراف تردد بعض آيات من التوراة وبعض النصائح الادبية بصوت عال وذلك ليلهوا المضروب و يخفوا صراخه من آلامه

حصاد البشر

بينا نسمع علماء الاجتماع ينادون بمضار الحروب و يندون بها نشاهد رجال السياسة

يصمون آذانهم عن سماع اقوالهم و يرسلون الى ساحات القتال باقوى الرجال وانشطهم يهلكون بعضهم بايدي الآخر . وآخر ماذكرته مجلة الاجتماع الدولية قوها من مقالة ان فكر الحرية وحده تجعل الشعوب ولية امرها فقط ولما فنيت رومية في فكر الاستيلاء والغلبة اضاعت عظمتها فامتد ظل الحروب المشؤومة على الانسانية واصبح القحط في الرجال وذلك لان حصاد البشر كان رديئاً . وضعف رومية بالحروب كان الحجة الاولى لغارات البربر . ومن العادة ان احسن الرجال اذا ارسلوا الى الموت يخلفهم المتوسطون والفاسدون . ومهما كانت الاسباب الداعية الى الحرب فان نتائجها تبذير في البشر فان ماجنتا وورث وسيدان وايتا وليبسيك وواترلو التي جرت فيها تلك المعارك التي تشيب لها نواصي الاطفال ليست الا مجموع عظام انساني . وليت شعري من بعيد علينا اولئك الشبان والرجال الذين استوفوا نصيباً وافراً من الجمال فقضوا في ساحات النزال . وانت خبير بما يقتضي قتل المرء اخاه من العدد والنفقة حتى قال فرنكلين ان نفقات الحرب لاتؤدى خلال الحرب بل بعد ان تغمد السيوف في اغمادها . وانا لنرى الاقوياء وارباب النشاط من الناس في جهاد الحياة السلمي يتدبرون و يعملون وليسوا لتحصيل القوت في حاجة الى حرب يؤرثون نيرانها . وانا لنرى انكلترا التي بذلت في خارج بلادها قواها لاتستطيع ان تشاهد نصف ابنائها اذ قد سقطوا كلهم في الهند وزولولاندا وكبودج والترنسفال وغيرها وقد افنت المستعمرات جميع ابناء الطيبين من الفلاحين واهل الطبقة الوسطى اي العنصر القوي في الامة . اما اميركا فلم تقو الا في ظل السلم . وبعد فان الحرب مهما كان من اسبابها المشروعة فنتائجها سيئة دع عنك انها تثير في العالم الاهواء الشريرة ولا يجب ان يعمد الى الحرب الا في احوال خاصة لامناص منها

الفحم الحجري

يقول احد رجال الانكليز ان اسراف انكلترا في الفحم الحجري من بلادها يدعو الى نفاده بعد ١٧٥ سنة . وقالت احدى المجلات الالمانية ان اميركا التي تصدر مايربو على نصف مليون طن من الفحم الحجري قد بدأت تشعر بنقص ولا بد ان يكون حظها كحظ انكلترا بعد قرنين وكذلك الحال في شمالي انكلترا فان آبار الفحم الحجري ستغلق هناك في سنة ٢١٠٠ م كما انه ينفد في اواسط فرنسا و بوهيميا نحو نصف القرن الحادي والعشرين وسيدوم استخراج الفحم الحجري من شمالي فرنسا وحوض سارابروك في

المانيا الى مابعد ٤٠٠ او ٥٠٠ سنة وسيكون حظ البلجيك ووستفاليا وسيلزيا العليا احسن من ذلك فسيطول تعدين فحمها اكثر وسيطول عمر معدن سيلزيا البروسي الف سنة اخرى فلا خوف على المدنية من ثم اليوم بنضوب الفحم الحجري ولعل العلم يوصل الى اختراع مادة تقوم مقامه في احماء المداخن في المعامل والسفن والبيوت وغير ذلك .

زراعة اللؤلؤ

يزرع اليابانيون وبعبارة اخرى اليابانيات اللؤلؤ في جون آغو من بلادهم فتنمو اصدافه في خلال بضع سنين ويعنى بها المربيات عناية خاصة فيدخلن في الصدفة لؤلؤات صغيرة من البحر او من عرق اللؤلؤ تكون بمثابة بزرة للؤلؤة التي يراد استنباتها وما يزرع من اللؤلؤ على هذه الصورة يشبه من حيث اللون والصفاء اللؤلؤ الطبيعي الذي يأتي من ذوات الاصداف

قطران الطرق

بدأت اميركا تدهن بعض طرقها بالقطران فشاعت هذه الطريقة في اوربا ومنها انتقلت الى مصر وقد ثبت مؤخراً ان هذا القطران يضر الاشجار المغروسة بجانبه بما ينبعث منه من الغبار فجربوا فعل الغبار بشجر الدردار والجوز فاحترقت اوراقها وورق الجميز (جرمشق) انتفخ وتشقق وضعف وصوح ورق الآس والرند والورد

الخطر الاسود

تحاذر اوربا واميركا من الخطر الاصفر اي من نهضة الصين واليابان وزحفها على بلاد الغرب لفتحها كما فعل المغول ودمروا المدنية في هذا الشرق الاقرب وفي الشرق الاوسط . وتحاذر المانيا اليوم من الخطر الاسود وهو ان فرنسا التي تقل نفوسها والمانيا التي يتناسل ابناؤها كثيراً لابد ان تنتبه ذات يوم و تجند من ابناء مستعمراتها في شمالي افريقية اناساً خلقوا للطعان اكثر مما خلقوا للعيش من زراعتهم وكدحهم فتستطيع فرنسا ان تجند من السنيغاليين وغيرهم مليون جندي وتسوقهم بما تنشئه من الخطوط الحديدية العسكرية ثم تنقلهم في بواخرها الى مرسيليا او بوردو في مدة لا تتجاوز الاسبوع فاذا فعلت فرنسا ذلك اوجست المانيا خيفة من جارتها اكثر مما توجس هذه من تلك وقد جربت فرنسا على عهد نابوليون وغيره استخدام طوابير من الجند الاسود في حروبها فانتفعت بهم اي انتفاع

الصحافة الالمانية

اشتهرت الصحافة الانكليزية بوفرة اخبارها واتساع مادتها وتحريها الصدق في الجملة في مروياتها وقد نشر احدهم في «المجلة الكبرى» الافرنسية مقالة في وصف الصحافة الالمانية قال فيها انها على وجه عام محتشمة كثيرة موارد الاخبار نافعة للصناعة والمالية بما تنشره من الاخبار الاقتصادية الدقيقة ويبلغ عدد الصحف التي تصدر في المانيا اليوم ٤٠٠٠ صحيفة وكان فيها سنة ١٩٠٨ : ٢١٥٩ — محلا للطبع منها ١٣٠٧ لها صحيفة خاصة والصحافة الالمانية تامة الادوات من حيث الامور النافعة في الصناعة ووفرة الاخبار بحيث فيها ٢٠٠ شركة تقدم للصحف ما يلزمها من المقالات الافتتاحية والاخبار والانتقادات والحوادث والنكات . وللاعلانات في الصحافة الالمانية مكان رفيع كما لها في فرنسا

والصحافي الالماني اقل اعتباراً في قومه من الصحافي الانكليزي والافرنسي وكم نشأ في انكلترا وفرنسا كبار رجال السياسة من مقاعد التحرير اما المانيا فلا تجوّز ان يكون النائب مثلا صحافيا واذ كانت مقالات الصحف تنشر مغفلة من التواقيع مثل الصحافة الانكليزية وخلافا للصحافة الافرنسية امتنع كثير من ارباب الاقدار في السياسة ان يستخدموا الصحافة في مآربهم ومع هذا لايمنع ذلك من ان يكون للصحافة الالمانية مكانة مهمة في حياة الامة اما الحكومة فلا تنظر الى الصحافة الا بانها ضرر لابد منه وتحاول ان تنال معاضدتها ولا سيما في المسائل السياسية الخارجية واذا لم تكن الصحافة الالمانية معادية للحكومة فهي تحرص على رضاها لتعطيها هذه الاخبار بسرعة ولئن كانت جريدة نوردوتش المان زيتونغ هي لسان حال المانيا فان كثيراً من صحف الالمان تنطق ايضاً بلسان حكومتها من هذا القبيل

المستشفيات

في ظل المعابد قامت على اوائل الأُسرات الاولى من فراعنة مصر بعض الملاجئ ليأوي اليها المرضى يطبهم الكهنة بالعزائم والرقى وهذه كانت المستشفيات الاولى التي عرفت ثم اصبحت هذه الاماكن المقدسة مدارس حقيقية للتداوي ثم أضيفت اليها حجر لتكون مستوصفات وقد كان معبد سيرابيس في منفيس مشهوراً من هذه الوجهة وزاره اسكندر الكبير لاستشارة اطبائه . وكان في ارض يونان لكل بيت غني غرفة او غرفتان تحوي مايلزم لمعالجة الاحباب من المقانير وكان في يونان ايضاً مستشفيات تطب

الغرباء ويهرع اليها الناس من القاصية يشتفون وكذلك كان في رومية مستشفيات وكان الاطباء يطبون الاغنياء بالاشتراك السنوي كما كان في رومية مستشفيات للجند فدثرت عندما اغار برابرة الشمال على بلادهم ولم تعد الى الانتفاع منها الا بعد انتشار النصرانية فأنشئت رهبنات تعنى بشفاء المرضى وتمريضهم ومن اقدم المستشفيات مستشفى سالرن في ايطاليا ومستشفى مونبليه في فرنسا الذي أنشئ سنة ١١٩٥ — قالته احدى المجلات الايطالية

رمال تتغنى

للرمل في جزيرة كاباواي من ارخبيل هاواي وفي صحراء كولورادو خاصية غريبة اذا اثاره الريح فانك تسمع له صوتاً يتغنى او يطن واذا قبضت على حفنة من هذا الرمل وعركته بين يديك تسمع له صوتاً كصوت البومة واذا وضعت منه في كيس وهززته بقوة تسمع له عواء كعواء الكلب واذا فحصت هذا الرمل بالنظارة المكبرة تجده مدوراً وهو يجري واحدته على الاخرى باقل مس وبهذه الخاصية يمكننا ان نفسر السهولة التي بها تقذف الى بعيد وتطوف المسافات . وينسبون الاصوات التي تنشأ عن هذه الرمال الى قشرة رقيقة من الآثار تغطي وجه الرملة فاذا نقل هذا الرمل من هذه الصحراء يبطل صداه وغناؤه

وقاية الخشب

اخترع مهندس من بودابست طريقة لمنع العفن من ان يلحق عمد التلغراف وخشب السكك الحديد وخشب الحوائط وبالجملة كل خشب يمس الارض دائماً وسماها La Péristérilisation وهذا الاختراع عبارة عن تحضير التربة على طريقة كيماوية بحيث تسلم كل السلامة من المواد الضارة بالخشب فيصب في الثقب او المنفذ سائل معقم يهلك الحشرات والحلات الطفيلية وبهذه الطريقة يستغنى في الخشب عن طليه بالقطران

المقتبس

اليمن وسكانها

-٢-

نسب اليمانيين وتفرقهم

لا خلاف في ان عرب اليمن من بني قحطان و يعدون من العرب العاربة واكثر قبائل العرب من اليمن كما قال البلخي فمنهم السكون وخولان والازد ومازن بن الازد وميدعان بن الازد والهنو بن الازد ورماد بن سلامان ومنهم آل العتقاء والفراهيد وقساحل و يلادس وثهلان وحرحنه وبطون كثيرة قد دونت في كتب الانساب حتى ما تسقط قبيلة ولا فخذ ولا رهط ولا بطن واصل ملوك غسان بالشام من عرب اليمن

قالوا وربما اغار اليمانيون على البلدان فيرجعون الى بلادهم . واليمن قبائل كثيرة اذا دخلت فيهم قضاعة وجذام ولخم و بجيلة وخثعم وكان اول من ذكر اسمه وعرف قدره سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن ولده كهلان بن سبأ وحمير بن سبأ وقضاعة من قبائل حمير تفرقت بعض هذه القبائل في البلاد فنزلت ازد شنوءة ارض الشراة وما حولها في الشام وسارت غسان الى الشام حتى نزلت بارض البلقاء وتنصروا واقاموا ملكين بالشام من قبل صاحب الروم وسار من ولد حوالة بن الهنو بن الازد الى الموصل وقدم مالك بن فهم بن غنم بن دوس حتى نزل ارض العراق فانشأ ملكا بالحيرة

قال بعض آل اسعد بن ملكيكرب (كليكرب ؟) تبع ذا كرآ منازل من خرج من اليمن في سائر جزيرة العرب وغيرها

وقد فارقت منا ملوك بلادها فصاروا بارض ذات مبدىً ومحضر
وقد نزلت منا خزاعة منزلا كريماً لدى البيت العتيق المستر

وفي يثرب منا قبائل ان دعوا اتوا مسرباً من دارعين وحسر
هم طردوا عنها اليهود فاصبحوا على معزل منها بساحة خيبر
وغسان حي عزهم في سيوفهم كرام المساعي قد حووا ارض قيصر
وقد نزلت منا قضاعة منزلا بعيداً فامست في بلاد الصنوبر
وكلب لها ما بين رملة عالج الى الحرة الرجلاء من ارض تدمر
ولخم فكانت بالعراق ملوكها وقد طحرت عدنان في كل مطحر
وحلت جذام حيث حلت وشاركت هنالك لخماً في العلى والتجبر
وأزد لها البحران والسيف كله وارض عمان بعد ارض المشقر
ومنا بارض الغرب جند تعلقوا الى بربر حتى اتوا ارض بربر

هكذا ذكروا تفرق اليمانيين واصولهم اما مدنيتهم التي حملوها فقد اكد احد علماء الآثار ان اليمن سبقت بتمدنها بابل ومصر ومنها هاجر اجداد الفراعنة ومنها كان اجداد البابليين الاشوريين والى مصر و بابل واشور حمل اليمانيون الصناعات والعلوم والتجارة وتوغل بعضهم حتى استنبط ان اليمانيين او الحميريين هم الذين مدنوا شواطي آسيا وافريقية واوربا وقالوا انهم كانوا اميل في القديم بمدنيتهم الى التجارة لا الى الغزو والغارة ولذلك كان معظم الاذواء يتجرون فاذا كانت لرجل منهم مطامع في السيادة تغلب على البلاد

والاذواء كثيرون منهم ذو الجناح وذو المنار وذو رعين وذو نواس وذو يحصِن وذو الكلاع سيف بن ذي يزن وقد استولى الحبشة بعد ذي نواس على اليمن فلم يدعوا رجلا الا قتلوه ولا بناء الا هدموه ورئيسهم ابرهة الاشرم فخربوا المدن والخراب من عهدهم بدأ في الغالب وملك الفرس اليمن الى عهد الاسلام وكان اراد كسرى انوشروان على فتحها ابن ذي يزن يستنجده ويستعينه على السودان وامتدحه بالحمهرية فاعجب كسرى بقصيدته لما ترجمت له

ومن الاذواء علس ذوجدن كان كما في الاغاني ملكاً من ملوك حمير ولقب ذا جدن لحسن صوته والجدن الصوت بلغتهم ويقال انه اول من تغنى باليمن . رووا انهم حفروا حفيراً في زمن مروان فوقفوا على أزج له باب فاذاهم برجل على سرير كاعظم ما يكون من الرجال عليه خاتم من ذهب وعصابة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه انا علس ذو جدن القيل لخليلي مني النيل ولعدوي مني الويل طلبت فادركت وانا

ابن مئة سنة من عمري وكانت الوحش تأذن لصوتي وهـذا سيفي ذو الكف عندي ودرعي ذات الفروج ورمحي المزبري وقوسي الفجواء وقرني ذات الشـر فيها ثلاث مائة حشر من صنعة ذي نمر اعددت ذلك لدفع الموت عني فخانني قال الراوي فنظرنا فاذا جميع ذلك عنده

ولما صار حسان بن تبان اسعد ابو كرب باهل اليمن يريد ان يطأ بهم ارض العرب وارض العجم كما كانت التبابعة قبله تفعل حتى اذا كان ببعض ارض العراق على رواية الطبري كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وارادوا الرجعة الى بلادهم واهليهم فكلموا اخاه ان يقتله ويخلفوه عليهم فقتله ومرج امر حمير عند ذلك وتفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة منهم يقال له لخيعة ينوف ذو شناتر فملكهم وقتل خيارهم وعبث ببيوت اهل المملكة منهم فقال قائل من حمير يذكر ما ضيعت حمير في امرها وفرقت جماعتها ونفت من خيارها

تقتل ابناها وتنفي سراتها ونبني بايديهم لها الذل حمير
تدمر دنياها بطيش حلومها وماضيعت من دينها فهو اكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها واسرافها تأتي الشرور فتخسر

ثم تهودت حمير وكان بنجران بقايا من اهل دين عيسى على الانجيل اهل فضل واستقامة لهم من اهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر وكان موقع اصل ذلك الدين بنجران وهي باوسط ارض العرب في ذلك الزمان واهلها وسائر العرب كلها اهل اوثان يعبدونها ثم ان رجلاً من بقايا اهل ذلك الدين وقع بين اظهرهم يقال له فيميون فحملهم عليه فدانوا به قال هشام زرعة ذو نواس فلما تهود سمي يوسف وهو الذي خد الاخدود بنجران وقتل النصارى وكانوا قريباً من عشرين الفاً افلت منهم رجل وقدم على ملك الحبشة فاعلمه ماركبوا به واتاه بالانجيل قد احرقت النار بعضه فانجده برجال كما بعث الى قيصر ان يجده بالسفن والاخدود هو المذكور في القرآن « قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود » فجاء جيش النجاشي ورأسه ارياط فقتل ثلث اليمن واخرب ثلث بلادها وبعث الى النجاشي بثلث سباياها وقد اخرب مع ما اخرب من ارض اليمن سلحين وبينون وغمدان حصوناً لم يكن في الناس مثلها فقال :

هونك ليس يرد الدمع مافاتا لاتهلكي اسفاً في ذكر من ماتا
ابعد بينون لاعين ولا اثر وبعد سلحين يبني الناس ابياتاً

وقد ساق ابو الفرج الاصفهاني كيفية مقتل حسان بن تبع على يد عمرو اخيه وكيف تشتت امر حمير حين قتل اشرافها واختلفت عليه حتى وثب على عمرو لخيعة ينوف ولم يكن من اهل بيت المملكة فقتله واستولى على ملكه وكان يقال له ذوشناتر الحميري وكيف انشأ زرعة ذو نواس وكانت له ذؤابة وبه سمي ذا نواس وهو الذي تهود وتسمى يوسف كما مر وهو صاحب الاخدود بنجران وكانوا نصارى فخوفهم وحرق الانجيل وهدم الكنائس ومن اجله غزت الحبشة اليمن لانهم نصارى كما ساق كيفية خروج سيف بن ذي يزن الى كسرى يستنجده على الحبشة بسبب غزو ذي نواس اهل نجران وكانوا نصارى فحصرهم ثم ظفر بهم فخدد لهم الاخاديد وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك فحرقهم بالنار وحرق الانجيل وهدم بيعتهم

ملوك اليمن وعمرانهم

قال ابن حوقل : كانت اليمن عظيمة خطيرة الملوك فمنهم من ملك اكثر الارض في سالف الزمن كتبع الذي مدن مدينة صنعاء وسمرقند وكان يقيم بهذه حولا وبهذه آخر ولم يكن فيما سلف من الزمان ومر الدهور والايام من علت كلمته واتسعت مملكته واستفحلت جبايته كفرعون وذي القرنين وتبع ممن ثبت الملك فيه وفي عقبه فاما اموالها في وقتنا (القرن الرابع) الواصلة الى سلاطينها وملوكها وارباها واصحاب اطرافها فمن جلتها ابو الجيش اسحاق بن ابراهيم بن زيادة بعد اهل البحرين المتصلين كانوا بموالينا والذي تحت يده فمن الشرجة الى عدن طولا على ساحل البحر وارض تهامة اليمن ويكون مقدار ذلك اثني عشرة مرحلة وعرضه من الجبال الى ساحل اليمن من عمل غلافقه ويكون مقداره مسيرة اربع مراحل واكثر امواله المقبوضة من العثور وهي ماينيف على خمس مائة الف دينار عثرية (١) ومن قبالات زبيد عن جميع ما يدخلها ويخرج عنها وتشتمل عليه من وجوه الاموال مائتا الف دينار عثرية واكثر ملوك الجبال يخطبون له على منابرهم في وقتنا هذا ويصل اليه من جباية عدن على المراكب العثرية

(١) عثر بلد باليمن بينها و بين مكة عشرة ايام وهي على مسيرة سبعة ايام في عرض يومين وهي من الشرجة الى حلي و يبلغ ارتفاعها في السنة خمسمائة الف دينار عثر والى تبالة تعد من اعمال زبيد وتبالة يضرب المثل بخصبها بينها و بين مكة اثنان وخمسون فرسخا نحو مسيرة ثمانية ايام و بينها و بين الطائف ستة ايام و بينها و بين بيشة يوم واحد — قاله ياقوت

مما لايقع بموافقة ولا ضمان ويعمل بالامانات لربما زادت المراكب ونقصت وقد يرتفع له في السنة عن هذا المكان مائتا الف دينار عثرية زائداً او ناقصاً ويؤخذ العنبر بسواحل عدن وما يليها وله على ذلك ضريبة تصل اليه وله على صاحب جزائر دهلك موافقة من هدايا ترد عليه فيها عبيد وعنبر وغير ذلك وملكة الحبشة تهاديه ولا تقطع مبرته ومواصلاته ويتلوه في المكنة والمقدرة ابن طرف صاحب عثر وملكه يشتمل على وجوه من الاموال وضروب من الجبايات ويكون الواصل اليه كنصف الواصل الى ابي الجيش من المال ويتلوه الحزامي صاحب حلي وهو دون ابن طرف في المكنة والسلطان والجباية . وهؤلاء الثلاثة ملوك تهامة اليمن وابن طرف والحزامي جميعاً في طاعة ابن زياد في وقتنا هذا ويخطبون على اسمه

وملوك تهامة اليمن المعروفون بملوك الجبال كثيرة واجلهم ولد اسعد بن ابي يعفر وهو على الحجبة وهو ملك صنعاء يخطب لابي الجيش ويضرب دراهمه على اسمه وليس ينفذ اليه مبرة ولا هدية وجميع وجوه امواله دون اربعمائة الف دينار فتصرف في مروته والى اضيافه وقاصديه وهو من سلالة التبابعة ومن بالجبال من ملوكها فجبايته دون هذه العدة من المال ومرافقه بقدر كفايته

واما الحسني صاحب صعدة فله جباية كثيرة ومستغلات من المدابغ وضرائب من القوافل كثيرة تضاهي ارتفاع ابن طرف وربما زادت ونقصت وصاحب السرين (١) فما يصل اليه يقوم به وباهله وليست بحال تذكر وله على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن رسم يأخذه من الرقيق والمتاع الوارد مع التجار

اليك ملوك اليمن في القرن الرابع وما كانوا يتقاضونه من وجوه الارتفاعات مما استدل منه على ثروة اليمن الغربية واتساع اقاليمها ومخاليفها وكثرة قراها ومزارعها وقد وصف ابن حوقل ايضاً المسافات بين بلادها فقال : واما تهامة فانها قطعة من اليمن جبال مشتبكة اولها مشرف على بحر القلزم (الاحمر) مما يلي غربيها وشرقيها ناحية صعدة وجرش ونجران وشماليها حدود مكة وجنوبيها من صنعاء على نحو عشر مراحل وبلاد خولان تشتمل على قرى ومزارع ومياه معمورة باهلها وهي مفترشة وبها اصناف من قبائل اليمن ونجران وجرش مدينتان متقاربتان في الكبر بهما نخيل ويشتملان على احياء من اليمن كثيرة وصعدة اكبر واعمر منهما ويتخذ بها ما كان يتخذ بصنعاء من الادم ويتخذ بنجران

---

(١) في اعمال صنعاء قرية يقال لها السرين

وجرش والطائف ادم كثير واكثره من صعدة وبها كان يجتمع التجار وليس باليمن جميعاً بلد اكبر ولا اكثر مرافق واهلا من صنعاء وهو بلد في خط الاستواء وهو من اعتدال الهواء بحيث لا يتحول الانسان عن مكان واحد شتاء ولا صيفاً عمره وتتقارب ساعات الصيف والشتاء والجذام به ظاهر لقلة سطوة الشمس به وفيه كانت تسكن ملوك اليمن فيما تقدم وبها بناء عظيم قد خرب فهو تل كبير يعرف بغمدان وكان قصراً لملوك اليمن وليس باليمن بناء ارفع منه

والمذيخرة جبل اعلاه نحو عشرين فرسخاً فيها مزارع ومياه وفيه ينبت الورس وهو نبات احمر في معنى الزعفران يصبغ فيه ولا يسلك الا من طريق واحدة . وشبام جبل منيع جداً فيه قرى ومزارع وسكان كثيرة وفيه جامع ويرتفع منه الجمست والعقيق والجزع حجارة تعمل فاذا عملت ظهر جوهرها لان وجوه هذه الحجارة مغشاة وبلغني انها تكون في صحاري فيها حصى ملون تلقط من بينها . وعدن مدينة صغيرة وشهرتها لانها فرضة على البحر ينزلها السائرون في البحر وباليمن مدن اكبر منها ليست كشهرتها

وبلاد الاباضية بقرب حمدان وخولان وخيوان وهي اعمر بلاد بتلك النواحي مخاليف ومزارع واغزرها مياهاً . قال وبارض سبأ من اليمن طوائف من حمير وبحضرموت ايضاً واما ديار همدان واشعر وكندة وخولان فانها مفترشة في اعراض اليمن وفي اصقاعها مخاليف وزروع وبها بواد وقرى تشتمل على تهامة وبعض نجد ونجد اليمن غير نجد الحجاز غير ان جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمالي نجد اليمن وبين النجدين وعمان برية ممتنعة قال وباليمن قرود كثيرة بلغني انها تكثر حتى انها لا تطاق الا بجمع كثير واذا اجتمعوا كان لهم كبير يعظمونه ويتبعونه كاليعسوب للنمل وبها دابة تسمى العدار بلغني انها تطلب الانسان فتقع عليه فان اصابت منه تلك الدابة جرحاً تدوّد جوف الانسان فانشق ويحكى عن بعض الغيلان بها ما لا استجيز حكايته لان المنكر لما لا يعلم اعذر من المقر بما يجهل .

وذكر ياقوت ان المذيخرة قلعة حصينة في رأس جبل صبر وفيها عين في رأس الجبل يصير منها نهر يسقي عدة قرى باليمن وهي قريبة من عدن يسكنها آل ذي مناخ وبها كان منزل ابي جعفر المناخي من حمير . قال عمارة اليمني : المذيخرة من اعمال صنعاء وهو جبل بلغني ان اعلاه نحو عشرين فرسخاً فيه المزارع والمياه ونبت الورس وفي شعيره الزعفران ولا يسلك الا من طريق واحد وهو في مخلاف السحول ولما ملك الزيادي

اليمن واختط زبيد وحج من اليمن جعفر مولى زياد بمال وهدايا في سنة ٢٠٥ وسار الى العراق فصادف المأمون بها وعاد جعفر هذا في سنة ٢٠٦ الى زبيد ومعه الف فارس فيها مسودة خراسان سبعمائة فعظم امر ابن زياد وتقلد اقليم اليمن باسره الجبال والتهائم وتقلد جعفر هذا الجبل واختط به مدينة يقال المذيخرة ذات انهار ورياض واسعة والبلاد التي كانت لجعفر تسمى اليوم (القرن السادس) مخلاف جعفر والمخلاف عند اهل اليمن عبارة عن قطر واسع وكان جعفر هذا من الدهاة الكفاة وبه تمت دولة بني زياد ولذلك يقولون ابن زياد وجعفر

وذكر ياقوت في شبام انه جبل عظيم فيه شجر وعيون وشرب صنعا منه وبينها وبينه يوم وليلة وهو جبل صعب المرتقى ليس اليه الا طريق واحد وفيه غيران وكهوف عظيمة جداً ويسكنه ولد يعفر ولهم فيه حصون عجيبة هائلة وذروته واسعة فيها ضياع كثيرة وكروم ونخيل والطريق الى تلك الضياع على دار الملك وللجبل باب واحد مفتاحه عند الملك فمن اراد النزول الى السهل في حاجة دخل عَلَى الملك فاعلمه ذلك فيأمر بفتح الباب وحول الضياع والكروم جبال شاهقة لا مسلك فيها ولا يعلم احد ماوراءها ومياه هذا الجبل تصب الى سد هناك فاذا امتلأ السد ماء فتح فيجري الى صنعاء ومخاليفها وبينه وبين صنعاء ثمانية فراسخ . قال عمارة اليمني في تاريخه وكان حسين بن ابي سلامة وهو عبد نوبي وزر لابي الجيشي بن زياد صاحب اليمن انشأ الجوامع الكبار والمنائر الطوال من حضرموت الى مكة وطول المسافة التي بني فيها ستون يوماً وحفر الآبار الروية والقلب العادية فاولها شبام وتريم مدينة حضرموت واتصلت عمارة الجوامع منها الى عدن والمسافة عشرون مرحلة في كل مرحلة منها جامع ومئذنة وبئر وبقي متولياً عَلَى اليمن ثلاثين سنة ومات سنة ٤٣٢ وذكر له فضائل وجوامع في كل بلدة من اليمن .

وذكر ابو الفدا من بلاد اليمن حصن تعز فقال هي في زماننا مقر ملوك اليمن وهي حصن في الجبال مطل على التهائم واراضي زبيد وفوق تعز متنزه يقال له صهلة قد ساق صاحب اليمن المياه من الجبال التي فوقها وبنى فيها ابنية عظيمة في غاية الحسن في وسط بستان هناك . وذكر حصن الدملوة وقال انها خزانة صاحب اليمن قال ابن سعيد وهي عَلَى الجبل الممتد من الجنوب الى الشمال ويضرب بامتناعها وحصانتها المثل في شماليها تقع الجوة وهي بليدة مشهورة في جادة طريق الجبال . وذكر الشرجة وجبلة وهذه بين عدن وصنعاء والجند شمالي تعز وذمار وحلي وظفار ونجران وعدن ابين وصنعاء وصعدة

وبلاد خيوان وجرش (غير جرش سورية) ومأرب يقال لها سبأ وشبام وقصبة حضرموت ومرباط ·

وفي احسن التقاسيم ان ولايات هذا الاقليم متقطعة فاليمن لآل زياد واصلهم من همدان وابن طرف له عثر وعلى صنعاء امير غير ان ابن زياد يحمل اليه اموالاً ليخطب اليه وربما أخرجت عدن عن ايديهم وآل قحطان في الجبال وهم اقدم ملوك اليمن والعلوية على صعدة يخطبون لآل زياد وهم اعدل الناس وعمان للديلم وهجر للقرامطة وعلى الاحقاف امير منهم قال وصاحب صعدة لا يأخذ ضريبة من احد وانما يأخذ ربع العشر من التجار

وفي القرن السادس كان صاحب اليمن الملك المجاهد سيف الدين علي ابن الملك المؤيد هزبر الدين داود من بيت رسول وكان جدهم هذا رسول اميراً آخر للملك الكامل ناصر الدين محمد العادل ابي بكر بن ايوب فلما بعث الملك الكامل ولده المسعود اطسز وهو الذي تسميه العامة اقسيس بعث معه رسولاً اميراً آخر في جملة من بعثه معه ثم تنقلت الاحوال حتى استقل رسول بملك اليمن وصار الملك في عقبه

عجائب اليمن

ذكر الهمداني منها باب عدن وهو شصر (؟) مقطوع في جبل كان محيطاً بموضع عدن من الساحل فلم يكن لها طريق الى البر الا للرجل لمن ركب ظهر الجبل فقطع في الجبل باب مبلغ عرض الجبل حتى سلكه الدواب والحمائل والحامل والجفان · وقطع بينون جبل قطعه بعض ملوك حمير حتى اخرج فيه سيلاً من بلد وراءه الى ارض بينون · وقلعة الجوة لابي المغلس في ارض المعافر هي تطلع بسلم فاذا قلع لم تطلع · ومنها جبل تخلى وهو جبل واسع الرأس ذو عرقة مطيفة به تزل الوبر والقرد وتحت العرقة عرقة وفي مواضع منه عرق مترادفة وابس تم جميعه الا العرقة العليا والتي تحتها ورأسه واسع جداً فيه ثلاث قلاع حصون فاولها بيت فائس وهو من ارفع مافيه وفيها مسجد قائم كان الناس يزورونه والمضمار مثلها في الرفعة وبيت ريب حصن ذو عرقة منقطعة عليها قصور آل المنصور وحرمهم واموالهم لا مسلك لها غير باب واحد والأراس حصن بينها وبين بيت فائس وهو حصن واسع وبعد ان ذكر ابوابها قال وتغلق هذه الابواب على هذه الحصون وهذه الحصون وهذه القرى على ضياع تؤدي خمسة آلاف ذهب براً وشعيراً يكون سبعة آلاف وخمسمائة قفيز وتغلق على ميدانه وانوباته ومجزرته ومساجده

ومراعيه واغنامه و بقره وخيله ماخلا الابل فانها لاتطلعه وفي معظم حصونها زروع اعقار فيها ماؤها ومرعاها وجميع مرافقها

ومدينة خولان العظمى صعدة وهي بلد الدباغ في الجاهلية الجهلاء وهي في موسط بلد القرظ ربما وقع فيها القرظ من الف رطل الى خمسمائة بدينار مطوق على وزن الدرهم الثقلة واما ظاهر خولان فهوأسل وفيه قرى وزروع واعناب دافقين وجبل ابذر وابذر مثل جبل ذخار من الجبال التي فيها وسها الماء والمرعى والزرع والقرى

ويشتد في صنعاء البرد لايتحول الانسان الشتاء والصيف من مكانه فاذا اشتد بها الصيف وحرّ فدخل الرجل بقيل على فراشه لم يكن له بد من ان يتدثر لان بيوتها في الصيف باردة لاجل قصة الجير المسيع بها بواطن البيوت فيدخل في المخدع على فراشه و يطبق عليه الباب و يسبل الستر بين والسجف فلا يتغير ضياء البيت لاجل الرخام الذي يكون في الجدران والسقف بل اذا كان في السقف رخامة صافية نظر عوم الطائر بظله عليها اذا حاذاها وتؤدي الرخامة لمعان الشمس الى القصة فتقبلها بجوهرها و بريقها · واعشاب اليمن وحبوبها غريبة في بابهاومنهاالورس واللبان اللذان لايكونان في غير اليمن و يصيران في جميع الارض

ومن الآبار العجيبة البئر المطلة بريدة ومنها بئر مسراقة لمراد في اسفل الجوف وطولها خمسون باعاً وماؤهـا عذب فرات لايكدرها الدلاء و بئر سام بن نوح بصنعاء وكهالة بئر ذي يزن بين زبيد وعدن و بئر هوت بسفلى حضرموت و بئر ميمون المذكورة في القرآن · اما معادن الفضة بالرضراض فما لانظير له و بها معادن حديد غير معمولة مثل نقم وغمدان وبها فصوص البقران و يبلغ الثلث بها مالا وهو ان يكون وجهه احمر فوق عرق ابيض فوق عرق اسود والبقران الوان ومعدنه بجبل أنس وهو ينسب الى أنس ابن ألهان بن مالك والسعوانية من سعوان واد الى جنب صنعاء وهو فص اسود فيه عرق ابيض ومعدنه بشهارة وعيشان من بلد حاشد الى جنب هنوم وظليمة والجمش من شرف همدان والعشاري وهو الحجر السماوي من عشار بالقرب من صنعاء والبلور يوجد في مواضع منها والمسني الذي يعمل منه نصب السكاكين يوجد في مواضع منهاوالعقيق الاحمر والعقيق الاصفر العتيقان من ألهان و بها الجزع الموشى والمسير. وهو في مواضع منها منه النقمي وهو فحل العرف والسعواني والفهري منه اجنس والخولاني والجرتي من غديقة والشزب يعمل منه الواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداهن

وتحفة وغير ذلك وليس سواه الا في بلد الهند والهندي بعرق واحد .

ومحافد اليمن وقصورها القديمة التي ذكرتهـا العرب في الشعر والمثل كثيرة فاولها واقدمها غمدان ثم تلفم وناعط وصرواح وسلحين بمأرب وظفار وهكر وضهر وشبام وغيمان و بينون وريام و براقش ومعين وروثان وأرياب وهنـد وهنيدة وعمران والنجير بحضرموت .

وغمدان قصر عجيب قد بني عَلَى ثلاثة اوجه وجه بالجروب الابيض [1] ووجه بالجروب الاصفر ووجه بالجروب الاحمر ووجه بالجروب الاخضر والجروب الحجارة وابتنى في داخله عَلَى ماالقن من اساسه قصراً عَلَى سبعة سقوف بين كل سقفين اربعون ذراعاً وسقفه من رخامة واحدة وجعل عَلَى كل ركن تمثال اسد من شبه كاعظم ما يكون من الاسد فكانت الريح اذا هبت من ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت جوفه من دبره ثم خرجت من فيه فيسمع له زئير كزئير الاسد وكان يأمر (؟) بالمصابيح فتسرج في بيوت الرخام الى الصبح فكان القصر يلمع من ظاهره كلمع البرق فاذا اشرف الانسان ليلا قال ارى بصنعاء برقاً شديداً او مطراً كثيراً ولا يعلم ان ذلك من ضوء السرج فكان كذلك حتى احرق

قال ياقوت ان غمـدان حصن كان ينزله الملك الذي يكون عَلَى اليمن وكان عجيباً فلما ملكت الحبشة اليمن اخربته الا بقايا هدمها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في الاسلام وقال ينبغي لمآثر الجاهلية ان تمحى وكان في الحصن مصنعة عليها قبة من طلق [2] وفيها يقول خلف الاحمر

ومصنعة الطلق اودى بها   عوادي الاحابيش بالصيدن

وفيها يقول قدامة حكيم المشرق وكان صاحب كيمياء

فارقد فيهـا نارة ولو انهـا   اقامت كعمر الدهر لم تتضرم

لان الطلق لو اوقد عليه الف عام لم يسخن وبه يتطلى النفاطون اذا ارادوا الدخول في النار

وبنى ابرهة بن الصباح بصنعاء القليس وهي كنيسة بناها لصاحب الحبشة لم ير الناس

(١) هذه عبارة كتاب البلدان لابن الفقيه وفي العبارة تشويش (٢) الطلق بفتح الطاء وسكون اللام وحكي وزان مثل حجر براق يتشظى اذا دق صفائح وشظاياه يتخذ منها مضاوي للحمامات بدلا عن الزجاج واجوده اليماني ثم الهندي ثم الاندلسي

احسن منها ونقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء والوان الاصباغ وصنوف الجواهر وجعل خشباً له رؤوس كرؤوس الناس ولكنها بانواع الاصباغ وجعل لخارج القبة برنسا فاذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلالاء رخامها مع الوان اصباغها حتى تكاد تلمع البصر وسماها القليس (بضم القاف وتشديد اللام)

ومن قصور اليمن قصر شوحطان وقصر كوكبان واكثرها من عجيب البناء وقيل ان هذا القصر الاخير كان مبنياً بالفضة والحجارة وداخله بالياقوت والجواهر ·

ومن اعظم عجائب اليمن السد الذي كان باليمن على مثال سد اسوان في مصر اليوم ومأرب كما قال السهيلي اسم قصر كان لهم وقيل هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ كما ان تبعاً اسم لكل من ولي اليمن والشحر وحضرموت وهذا السد على ماقال المسعودي من بناء سبأ بن يشجب بن يعرب وكان ساقه سبعين وادياً ومات قبل ان يستتمه فاتمته ملوك حمير بعده وقال المسعودي ايضاً ان بانيه لقمان بن عاد وجعله فرسخاً في فرسخ وجعل له ثلاثين شعباً · ومأرب بين حضرموت وصنعاء وبينها وبين صنعاء اربعة ايام وهي قرية ليس بها عامر في القرن السابع الا ثلاث قرى يقال لها الدروب الى قبيلة من اليمن فالاول من ناحية صنعاء درب آل الغشيب ثم درب كهلان ثم درب الحرمة وكل واحد من هذه الدروب كاسمه درب طويل لاعرض له طوله نحو الميل كل دار الى جنب الاخرى طولاً وبين كل درب نحو فرسخين او ثلاثة وهم يزرعون على ماء جار يجيء من ناحية السد فيسقون ارضهم سقية واحدة فيزرعون عليه ثلاث مرات في كل عام ويكون بين بزر الشعير وحصاده في ذلك الموضع نحو شهرين · وسد مأرب بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل الى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج الا من جهة واحدة فكان الاوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء عيون هناك مع مايجتمع من مياه السيول فيصير خلف السد كالبحر فكانوا اذا ارادوا سقي زروعهم فتحوا ذلك السد بقدر حاجتهم بابواب محكمة وحركات مهندسة فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه اذا ارادوا · قال ابن حوقل ومجتمع الماء الذي بارض اليمن في ديار سبأ انما كان موضع مسيل ماء فبني في وجهه سد فكان يجتمع فيه مياه كثيرة يستعملونها في القرى والمزارع حتى كفروا النعمة بعد ان كان الله تعالى قد جعل لهم عمارات قرى متصلة الى الشام فسلط على ذلك المكان آفة فكان لايمسك ماء وهو قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها الى قوله ومزقناهم كل ممزق فبطل ذلك الماء الى يومنا هذا ·

اما سيل العرم الوارد ذكره في الكتاب العزيز بقوله « فارسلنا عليهم سيل العرم» فانه كان عَلَى رواية في ايام ملك حبشان فاخرب الامكنة المعمورة من ارض اليمن وكان اكثر ما اخرب بلاد كهلان وعامة بلاد حمير وولد حمير وكهلان هم سادة اليمن في ذلك الوقت خربها حتى لم يبق من جميع الارضين والكروم الا ما كان في رؤوس الجبال والامكنة البعيدة مثل ذمار وحضرموت وعدن ودهيت الضياع والحدائق والجنان والقصور والدور وجاء السيل بالرمل وطمها عَلَى ذلك الى القرن السابع

ومعنى العرم (بفتح اوله وكسر ثانيه) السكر والمسناة التي تسد فيها المياه وتقطع وهي تلك المسناة التي كانت قد احكمت لتكون حاجزاً بين ضياعهم وحدائقهم و بين السيل . وقيل العرم الماء الاحمر او اسم واد بعينه او اسم للجرذ الذي نقب السكر عليهم وهو الذي يقال له الخلد وقيل العرم المطر الشديد قال المثلم بن قرط البلوي

الم تر ان الحي كانوا بغبطة بمأرب اذ كانوا يحلونها معاً

وقال الاعشى

ففي ذاك للمؤتسي اسوة ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير اذا ماناًى ماؤهم لم يرم
فاروى الحروث باغنامها عَلَى ساعة ماؤهم ان قسم
وطار الفيول وفيالها بيهاء فيها سراب يلم
فكانوا بذلكم حقبة فمال بهم جارف منهدم

وقال جهم بن خلف:

ولم تدفع الاحسان عن رب مأرب منيته وما حواليه من قصر
ترقى اليه تارة بعد هجمة بأمراس كتان امرت على شزر

وقال عبدالله بن قيس الرقيات :

ياديار الحبائب بين صنعا ومأرب جاءك السعد غدوة والثريا بصائب
من حريم كأنما يرتمي بالقواضب في اصطفاق ورنة واعتدال المواكب

هل تسترد اللغة مجدها القديم

(تتمة ما في الجزء الاول)

نهضة العرب في الاسلام

لندع جزيرة العرب الآن الى ثلث القرن السابع لميلاد المسيح ثم لنعد اليها بعد ذلكم ولنحدث عما نرى

امة متفقة الكلمة مجتمعة الرأي متحدة اللغة والدين قد قوي اجتماعها واشتد اسره حتى صار كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وقد كفوا سيوفهم عن انفسهم وشهروها في وجوه عدوهم من الفرس والروم فطردوا كسرى من المدائن وأجلوا قيصر عن الشام

سلوني اين ذهب ما كانت توصف به هذه الامة من تفرق الكلمة وتشعب الرأي ومن تعدد الدين وتنوع اللهجات ..؟

اين شريعة موسى وتعليم المسيح ..؟

اين الوثنية وعقائد الصابئة والمجوس ..؟

اين حمية الجاهلية وعصبيتها ..؟

اين تلكم الضغائن التي كانت تثير الحفائظ وتأكل القلوب ..؟

كل ذلكم قد ذهب به الاسلام ايها السادة فلم يبق له في الجزيرة اثر ولست اريد ان ابحث عن مصدر ذلكم لاني انما احاضر في تاريخ اللغة لا في تاريخ الشعب

القرآن

كان القرآن للعرب شمساً نسخت عنهم ظل الجاهلية واضاءت منهم ظلمة النفوس ونقلت اجتماعهم من حال الى حال فقد جاءهم بضروب من القول لم يعهدوها وفنون من الكلام لم يعرفوها مشتملة على أمتن قواعد الاجتماع وأصح اصول التشريع ممتلئة بنافع الحكم ونابغ الكلم وجيد الوصف والتشبيه وصادق القصص والتاريخ وقد انكروه اذ سمعوه بادئة الامر ولكنهم لم يلبثوا ان خضعوا له واذعنوا لسلطانه طوعا او كرها بعد ان بهرهم جماله وسحرتهم روعته واصلحت قلوبهم حكمته وهذبت نفوسهم آدابه وظهر لهم الحق من ثناياه جميل الصورة وطلق المحيا يفتن رواؤه القلوب ويخلب الالباب ولست اريد ان اطيل وصف القرآن لان ذلك يحتاج الى محاضر خاصة وانما اقول انه

قد غير العرب تغييراً تاماً فلم يأت عليه خمس وعشرون سنة الاوقد ألان من القوم قلوباً قاسية وصقل طباعاً جافية وأرق اكباداً غليظة وهذب الفاظاً فجة ونقل الامة من البداوة الى الحضارة ومكن لها في الارض وهيأهـا للفتح والتغلب. وعَلَى الجملة انشأ من العرب خلقاً جديداً

هنالكم خضعت اللغة لمؤثرين كبيرين احدهما الاسلام والثاني الفتح

فاما الاسلام فقد صنع بالقوم ماعرفتم فحسنت لغتهم ورقت الفاظهم وظهرت عليهـا بشاشة الدين وطهارة النفوس

واما الفتح فقد استثار عواطف القوم بعد كمونها واطلق السنتهم بالخطب الرائعة والشعر الجميل نصراً للحق وذوداً عنه

مذهب باطل

وهنا يجب علي ايها السادة ان ابطل مذهباً اجمع عليه كافة المؤلفين في آداب اللغة من المحدثين يتبعون فيه رأي المؤرخ الكبير ابن خلدون رحمه الله

زعموا ان الآداب العربية ولا سيما الشعر قد وقفت ايام النبي والخلفاء الراشدين لان العرب قد شغلوا عنها بالدين والفتح وتأسيس الملك فلما استقر الامر لبني أمية نهضت الآداب من كبوتها واستيقظت من غفوتها الى آخر مايقولون

خطأ جداً هذا المذهب ايها السادة لانه لايستند على حجة ولا يعتمد عَلَى دليل

نعم انهم لم يجدوا عَلَى ذلكم برهاناً الا شيئين اثنين الاول ان لبيد بن ربيعة وهو من فحول الشعراء المخضرمين قد ترك الشعر في الاسلام اعتداداً بالقرآن واحتفالاً به وقد بعث عمر بن الخطاب الى عامله عَلَى الكوفة ان استنشد من قبلك من الشعراء وابعث اليَّ بشعرهم فدعا العامل لبيداً وابا النجم وابلغهما امر عمر فاما ابو النجم فقال

أرجزا تريد ام قصيدا ٠ طلبت شيئاً عندنا موجودا

واما لبيد فانه رجع الى بيته ثم غدا عَلَى الامير بلوح قد كتب فيه سورة البقرة وقال هذا شعري

الثاني ان محمد بن سلام وهو من علماء القرن الثالث للهجرة قال في كتابه طبقات الشعراء ان العرب في صدر الاسلام قد شغلوا بتأسيس الملك عن قول الشعر وروايته

والحقيقة ايها السادة ان ترك لبيد للشعر لاينهض حجة على العرب كافة قد تركوه او قصروا فيه وان ابن سلام رحمه الله قد اخطأ في الاولى واصاب في الثانية فان العرب

قد شغلوا عن رواية شعر الجاهلية ايام الفتح والفتن ولكنهم لم يشغلوا عن قوله يوماً ما ولذلك ضاع كثير من شعر الجاهليين بل من شعر المخضرمين لكثرة من استشهد من الرواة في ايام الردة وفي الفتح وايام الفتن السياسية الكبرى

واذا كان ابو بكر رضي الله عنه قد اشفق على القرآن الكريم ان يضيع بعد ان قتل من المسلمين خلق كثير في حروب الردة فكيف يكون حال الشعر ..؟

وكيف يشغل العرب عن قول الشعر والنبي صلى الله عليه وسلم كان يسمعه ويدعو اليه ويأمر شعراءه ان يدفعوا عنه بقصائدهم واشعارهم والخلفاء الراشدون كانوا يكثرون استنشاده والبحث عنه والقول فيه بل كيف يشغلون عن قول الشعر ومصادره الحقيقية قد كانت كثيرة موفورة فان صدر الاسلام لم يخل من حروب ينشد فيها الشعراء قصائد المدح للقواد المنتصرين والرثاء للشجعان المستشهدين وتحريض الاولياء وهجاء الاعداء والفخر بحسن البلاء ولو ان هؤلاء المؤلفين قرأوا التاريخ في كتبه المطولة المبسوطة واستظهروا ما تشتمل عليه سيرة النبي وتاريخ الخلفاء من متان القصائد وجياد الاراجيز في فنون الشعر المختلفة ما استطاعوا ان يسجلوا على انفسهم هذا القول ولا ان يصموا القرآن الكريم بأنه قد كان سبباً لانحطاط الآداب العربية يوماً ما

الخطابة

كان شأن الخطابة في صدر الاسلام ارقى بكثير من شأنها في الجاهلية لانها كانت صناعة الخلفاء والامراء وحرفة الجيش والذادة عن الثغور فقد سن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين صلاة الجماعة وجعلها من حق الخليفة يقيمها في حاضرة الدولة ويستخلف عليها الامراء في الولايات فكان يجب على الخليفة والامراء ان يخطبوا المسلمين يوم الجمعة من كل اسبوع ولم تكن هذه الخطبة مقصورة على الوعظ والدين كما هي الآن بل كانت تتناولها وتتناول الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فكان اجتماع المسلمين في مساجدهم يوم الجمعة اشبه شيء باجتماع المجالس النيابية الآن الا ان مجامعهم كان يرأسها الخليفة المسؤول امام الصغير والكبير حتى النساء ولم يكن يكره الخليفة ان يقوم له الرجل من اطراف المسجد فيرد رأيه او ينافس خطبته بل كان ذلك لهم مصدر سرور واعجاب

وكما انكم ترون الآن وزارات الامم الراقية لا تستطيع ان تنهض بعملها الا بعد ان تعرض خطتها السياسية على مجلس النواب كذلك كان الخلفاء الراشدون لا يستطيع

احدهم ان ينهض باعباء الخلافة حتى يجمع المسلمين ويخطبهم خطبة يبين فيها انموذجا لسياسته التي سيتبعها في ايام خلافته على ان حادثاً كبيراً قد حدث للعرب فأثر في اخلاقهم وآداب لغتهم ولا سيما الشعر والخطابة وهذا الحادث هو الفتنة التي ابتدأت بقتل عثمان ولم تنته آثارها الى الآن

منشأ الفتن الاسلامية

منشأ الفتن الاسلامية ايها السادة شيء واحد وهو النزاع بين الملكية والجمهورية وقد بديء هذا النزاع بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فكان بنو هاشم يرون الملكية الشورية ويعدون انهم احق الناس بوراثة الملك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولسان هذا الحزب علي والعباس وكان ابو بكر وعمر وعامة الصحابة يرون الجمهورية على ان تنحصر في قريش لان القرآن لم يجيء بوراثة الملك ولان النبي قد قال الائمة من قريش وقد انتصر هذا الحزب على جماعة الانصار الذين كانوا يريدون ان يكون منهم امير ومن المهاجرين امير كما انتصر على بني هاشم ايضاً فبويع لابي بكر وعمر ومن بعده لم يتخلف عن البيعة بنو هاشم لانهم كانوا يرجون ان يؤول الامر اليهم بعد موت هذين الرجلين ولما وضع عمر قاعدة الشورى وبويع عثمان وجد بنو هاشم في انفسهم وبايعوا مكرهين لان بني امية وهم رهط عثمان كانوا اكثر قريش عصبية واشدها قوة وكان يخشى منهم ان ينهضوا فيثبتوا الملك لانفسهم بالسيف ولذلك لم تمض على بيعة عثمان اعوام حتى ثارت اطراف الدولة على الولاة وكثر الطعن في الخليفة والنعي عليه ثم اقبلت وفود العراق ومصر الى المدينة وقد اضمروا الشر واستشعروه فحصروا دار عثمان ولم يتركوها حتى قتلوه وبايعوا علياً وكان هذا اول عهد الاسلام بالفتنة ولما قتل عثمان وبويع علي خرج عليه طلحة والزبير وعائشة يطالبون بدم عثمان فكانت بينه وبينهم موقعة الجمل ولم تكد تخمد هذه الثورة حتى خرج عليه معاوية واهل الشام يخلعونه ويطلبون قتلة عثمان ويردون الامر شورى بين المسلمين فكانت بينه وبينهم مواقع صفين ولما التحم القتال بينهما ولجأوا الى التحكيم خرج طائفة يقولون ان علياً ومعاوية ومن تبعهما قد كفروا بالله ومرقوا من الدين فحلت لنا اموالهم وانفسهم ونساؤهم وهكذا انقسم المسلمون اقساماً وتحزبوا احزابا

وتفرقوا شيعاً فكل جزيرة فيها امير المؤمنين ومنبر

قتل علي وتم الامر لمعاوية ولكنه لم يمت حتى عاد الانقسام الى المسلمين اشد مما

كان ونشأت فتن تمزقت لها وحدة الامة ونفانت من اجلها القوى واست اريد ان اذكر الفتن واخبارها ولا ان اشرح غوامضها واسرارها بل يكفي ان اذكر لكم الاحزاب التي اوجدتهـا هذه الفتن فاولها حزب الشيعة وهم انصار بني هاشـم وهؤلاء انقسموا قسمين كبيرين فمنهم من دعا الى بني علي ومنهم من دعا الى بني العباس — الثاني حزب الامويين وهؤلاء انقسموا قسمين ايضاً فمنهم من دعا الى بني معاوية ومنهم من دعا الى بني مروان — الثالث حزب الزبيرية وهم انصار عبدالله بن الزبير وكل هؤلاء يطلبون الملك ويطمعون فيه . الرابع حزب الخوارج وهؤلاء قد انقسموا اقساماً كثيرة ولكنهم يطلبون الجمهورية — الخامس حزب المرجئة وهم جماعة لم يظهروا الميل الى حزب من الاحزاب ولم يحكموا على احد بكفر ولا ايمان وانما تركوا ذلك لله وقد اظهروا الطاعة لكل ملك عادل من اي حزب كان . . . وكل هؤلاء الاحزاب كانت تحتكم الى السيف والقوة وتدافع عن آرائها بالشعر والخطابة وقد سلكوا بالشعر في تلكم الايام مسلك الصحف السياسية الآن وانا اترك لكم تقدير ماينال الشعر والخطابة في اثر ذلكم الاختلاف من علو المنزلة وسمو المكانة ولكني اقول ان الخطب في هذا العصر قد طالت وتنوعت مناحيها وسلك بها الخطباء طرقاً جمة في الجدال وقد رقت الفاظها واستعارت من القرآن الكريم شيئاً من رشاقة الاسلوب ومتانته ولم تكن تحسب الخطبة الا اذا رصعت بشيء من آي الذكر الحكيم على طريقة الاقتباس وقد اختصت الخطابة في هذا العصر بوجوب ابتدائها بحمد الله والصلاة على نبيه فاذا لم تبدأ بالحمد فهي بتراء واذا خلت من الصلاة فهي شوهاء وهذه هي المعذرة التي حملتني على ان اخالف في هذه الخطبة عادة العصر الجديد

الآداب العربية في ايام بني أمية

تم الملك لبني امية آخرة الامر وقد ورث العرب ارض الفرس والروم وتهيأت لهم اسباب الثروة والغنى فسكنوا القصور الشامخة واتخذوا نضائد الحرير وسطور الديباج وطعموا في آنية الذهب والفضة وصحت فيهم نبوة ابي بكر رضي الله عنه حين قال لعبد الرحمن بن عوف والله لتتخذن نضائد الحرير وستور الديباج ولتألمن النوم على الصوف الاذربي كما يألم احدكم النوم على حسك السعدان فلم يكن لانفسهم بد من ان تتأثر بهذه الحضارة ولم يكن لالسنتهم مندوحة عن ان تخضع لهذا التأثر فرقت الالفاظ والمعاني ورشقت الاساليب والتراكيب وقد أعرب القوم عن اهواء نفوسهم وعواطف قلوبهم

بالغناء ونشأت فيهم طبقة من الشعراء لم تحسن الا ذكر النساء والتشبيب بهن وطبقة اخرى لم تجد الا وصف الخمر والاشادة بمحاسنها وآخرون نبغوا في المدح والهجاء والوصف والرثاء والفخر والوعظ وغيرها من فنون الشعر وقد ظهر ميل القوم الى العلم فاخذوا يبحثون عنه ويسعون اليه و بدأوا يضعون علوم الدين واستعاروا كثيراً من الالفاظ الاجنبية لكثير من المعاني المحدثة ولكن خطراً كبيراً قدم اللغة ولم يكن الى اتقائه من سبيل فلندع العرب الآن في جزيرتهم ولنقف آثار اللغة في مواطنها الجديدة لنعرف هذا الخطر من مصدره ونتبين ما أعدوه له من الدواء.

كيف انتشرت اللغة العربية

خرجت اللغة العربية من جزيرة العرب مع جيش المسلمين فصادفت لغة الفرس والروم في الشام والعراق فطردتهما ثم انتقلت الى مصر فصادفت لغة الروم والقبط فطردت الاولى ومحت الثانية ثم اخذت طريقها في شمال افريقية فلقيت لغات البربر فحصرتهن في رؤوس الجبال الاطلس ثم جاوزت الى الاندلس فالتقت باللاتينية والغوطية فحصرتهما في الكنيسة وبيوت المتنصرين

كل ذلك في مدة لا تتجاوز خمسة وثمانين عاماً فمن اين لها هذه القوة وذلك البأس الشديد ..؟

هنا يجب ان نسير في البحث على مهل وأناة لأننا بإزاء شبهة عصرية ترد على الدين واللغة معا

قالوا ان دين العرب ولغتهم لم يسودا الا بالقوة والسيف وانت اريد الآن ان اذود عن الدين فربما اديت هذا الواجب في محاضرة اخرى وانما اريد ان ادافع عن اللغة التي هي موضوع بحثنا الآن

اعتذر بعض القديسين من ظلم الكنيسة في القرون الوسطى فقال يضطهد الاشرار من يكرهون ولكن الكنيسة تضطهد من تحب

اما أنا فاقول ايها السادة ان الاسلام لم يضطهد حبيباً ولا عدواً واذا كانت حضارة الفرنج ومدنيتهم قد اباحتا لهم ان ينشروا لغتهم وهمجيتهم وعلومهم وآدابهم بالقوة والبأس فان بداوة العرب وهمجيتهم لم تبيحا لهم شيئاً من ذلك في صدر الاسلام وكذب من يزعم ان في التاريخ العربي الجميل اشارة ما الى ان اللغة العربية قد التجأت في سؤددها الى قوة أو اعتمدت على سيف

وكيف لا يكذب ودواوين الحكومة الاسلامية في الشام والعراق ومصر قدبقيت أعجمية الى عصر عبد الملك بن مروان اي الى الزمن الذي استعرب فيه الناس واصبح من خطل الرأي وسوء السياسة معاملتهم بغير اللغة التي يفهمونها

اذاً فما هي الاسباب الحقيقية التي نشأ عنها انتشار اللغة وسؤددها. ؟

ان لبعض الامم قوة طبيعية تمكنها من القهر والتغلب ومن الفوز والانتصار المادي والادبي أنى وجدت واذا اردت ان امثل لهذا النوع من الامم فلن اجد له مثالا الآن اصدق من الانكليز في اميركا

اولئك الذين يسحقون شخصية الامم و يمحقون جنسيتها في اميركا و يغلبون عليها جنسيتهم ولغتهم ودينهم من غير اعتماد على قوة ولا اعداد سلاح وقد كان العرب من هذا النوع فتمكنوا من الغلب الادبي ولولا ان لغتهم صادفت من اهل الفرس عداء وحقداً ومن لغتهم قوة وشدة لانتشليها في وقت قريب

وهناك سبب آخر لانتشار اللغة العربية وهو الدين العربي الذي يأخذ كل مسلم بالصلاة ومعنى ذلكم انه يأخذ كل مسلم بحفظ شيء من القرآن الكريم وليس على الدين من ذلك بأس فان الله لم ينزله الا ليجعل الناس امة واحدة كما انه لم يسد بالقوة ولم ينتشر بالاكراه

ولقد نشأ عن اختلاط العرب بالعجم ومصاهرتهم شيء من فساد الالسنة واعوجاجها وظهر اللحن في اللغة من المولدين والمستعربين وهذا هو الخطر الذي اشرنا اليه آنفاً ولما احس العرب في القرن الاول للهجرة نهضوا لاصلاح رسم المصحف ووضع النحو والصرف وجمع اللغة وتدوينها ولكن انقضت الدولة الاموية ولما يحصلوا من ذلك على شيء كثير

الآداب العربية في ايام بني العباس

نهضت دولة بني العباس والعرب قد سئموا الغزو وزهدوا فيه لطول ما فانوا في الفتن والفتوح فمالوا الى الخفض والدعة واطمأنوا الى الترف والتعليم

وقد نضج العقل العربي فنزع الى البحث والتفكير ورغب في النظر في انواع الموجود فانقسمت الامة الى قسمين كبيرين قسم ينقل الحضارة و يهذبها وقسم يترجم العلم و يزيد فيه والخلفاء يشاركونهم في كل ذلكم و يشجعونهم عليه فلم يأت عصر المأمون رحمه الله حتى بلغت العرب من العلم والحضارة مالم تبلغه الامم ولم تصل اليه الشعوب

الخطابة

ولعلكم لم تنسوا تلكم الاحزاب السياسية التي اوجدتها الفتن الاسلامية واشرنا اليها آنفاً فقد اضعفت قوة العباسيين امرها بالمشرق وفات عزمها فاستحالت الى احزاب دينية خالصة وقد تركت السيف والسنان ولجأت الى القلم واللسان واعتمدت على الجدل والمناظرة معتمدة بالعدل والحكمة معتزة بالفلسفة والمنطق فكان للخطابة من ذلكم جمال وروعة لم يكونا لها من قبل ولا سيما بعد ان عرفوا اصول الخطابة عند اليونان بما ترجموه من كتب أرسطوطاليس .. وقد اصبحت الخطابة في ايام بني العباس صناعة تعلم وقد انفرد لدرسها جماعة اشهرهم ابراهيم بن مخرمة السكوني وبشر بن المعتمر وقد وضعوا لها ادباً وشرائط خاصة دون بقية انواع القول وشدد حرصهم على مراعاة هذه الآداب والشرائط ولكن ذلك كله قد تهيأت له الاسباب في أواخر ايام بني امية كما هي القاعدة الفطرية فان تغير الاحوال الادبية وغيرها لا يحدث بقيام دولة وسقوط اخرى وانما هو نتيجة تغير خفي في افكار الامة وعقائدها ومكوناتها

وهذا التغير الخفي هو المؤثر الحقيقي في جميع ما يحدث للامة من الاستحالات الادبية والسياسة والخلقية

وقد انحصرت الخطابة لذلك العهد في تلكم الاحزاب السياسية التي استحالت الى دينية وسميت بالمتكلمين ولا سيما بعد ان استهان الخلفاء بصلاة الجماعة والخطابة وقد بدأت هذه الخصلة في ايام بني امية واول من احدث ذلك فيما اعلم هو الوليد بن عبد الملك الذي اهمل أول ادب من آداب الخطابة فخطب جالساً على المنبر ولم يكن للناس بذلكم عهد وكثيراً ما لها الخلفاء بجواريهم عن صلاة الجمعة وانابوا عليها القواد ورجال الحاشية وقد تحدث صاحب الاغاني ان الوليد بن يزيد اصطبح يوم الجمعة فلما نودي للصلاة كره ان يفارق الكأس فبعث الى الناس في المسجد الجامع بجارية تؤمهم في الصلاة

ومما ابدع الوليد هذا في الخطابة انه شرب في يوم الجمعة فلما اراد الصلاة قال لندمائه والله لاخطبن الناس شعراً ثم صعد المنبر فقال

الحمد لله ولي الحمد نحمده في يسرنا والجهد

ثم استمر في ارجوزته حتى اتمها

لذلكم فقدت الخطابة منزلتها السياسية وعظم شأنها الديني عند المتكلمين فنبغ فيها

واصل بن عطاء وغيره وقد ادخل المتكلمون في الخطابة كلمات خصها العلماء بهم وحظروها على غيرهم فقالوا أليس وليس يريدون الاثبات والنفي وقالوا لاشئ المادة يريدون جعلها لاشيء وقالوا ماهية الحيوان يريدون حقيقته وقالوا كيفية الجسم يريدون شكله وصورته الى غير ذلكم مما يخطئ فيه كتابنا حفظهم الله يستعملونه بغير حق وماهم في استعماله الا ظالمون وقد تحدث الجاحظ رحمه الله ان بعض المتكلمين سمع في مجلس بعض الخلفاء رجلاً يتكلم و يقول اليس وليس فكاد يطير فرحاً و ينقد غيظاً فأما الفرح فلانه سمع كلمته الاصطلاحية واما الغيظ فلانه سمعها من غير متكلم اي من غاصب لها ومعتد عليها ولم يأت عصر المعتصم بن الرشيد حتى اعتمد العلماء على الكتابة واخذ ظل الخطابة في الزوال وربما كان آخر الخلفاء الذين خطبوا الناس من بني العباس هو المتوكل بن المعتصم

أستفيد ذلك من قول البحتري في تهنئته بالعيد . .

ووقفت في برد النبي مذكراً بالله تنذر مرة وتبشر

الشعر

اما الشعر فقد رقي في ايام بني العباس حتى كاد يفنى حسناً ولطفاً وقد تصرف في انواع من القول وتعددت مذاهبه ومناحيه باتساع الحضارة واستفحال العمران و كبر العقول والمدارك وأظنكم تفهمون مقدار الفرق الكبير بين الشعر العباسي وغيره من انواع الشعر العربي اذا سمعتم قول بشار في الشورى

اذا بلغ الرأي المشهورة فاستعن بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافي قوة للقوادم

او قوله في المدح

اذا ايقظتك خطوب الزما ن فنبه لها عمراً ثم نم

او قول ابي نواس في الغزل

دمعه كاللؤلؤ الرط ب على الخد الاثيل
ذرفت في ساعة البـ ين من الطرف الكحيل
انما يفتضح العشا ق في وقت الرحيل

او قول البحتري في الاستعطاف

سيدي أنت ماتعمدت ذنبا فاجازي به ولا خنت عهدا

اتراني مستبدلاً بك ما عشـ ـت بديلاً أوواجداً منك ندا
حاش لله انت اثنى الفا ظاً واحلى شكلاً واصلح قدا

او قوله في وصف عواطف الحب والبغض

اذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر ارماح تقطع بينهم شواجر ارحام ملوم قطوعها

على ان القرن الثالث للهجرة لم يكد ينصرم حتى ذهب معه جمال الشعر العربي وأخذ الشعر يبدو في منظر سمج ومعرض رث

الكتابة

بقيت صناعة من صناعات الآداب العربي لم نتكلم عنها في الجاهلية ولا في جميع الاعصر العربية الى الآن وهي الكتابة واظنكم تعلمون ان الجاهليين لم يكونوا على شيء منها لمكانهم من الامية فاما في صدر الاسلام وأيام بني امية فقد كانت الكتابة موجزة مجزأة الى ان جاء عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء من بني امية فاطال فيها وترسل وقفى اثره كتاب العباسيين ولكنهم بالغوا في الاطناب واغرقوا في الترسل وظهرت في رسائلهم صبغة الفلسفة التي اصطبغت بها عقولهم وقد اخذوا عن اللغات الاخرى كثيراً من الاساليب الجديدة ونبغ فيهم امثال ابن المقفع والجاحظ وابن وهب ولم يأت القرن الرابع للهجرة حتى اخذت الكتابة العربية في الانحطاط واخذ التكلف والمحاولة مكان الترسل والسهولة الفطرية

العلوم في ايام بني العباس

اشرنا في ايام بني امية الى ما أصاب اللغة من اللحن والتحريف وقلنا ان العرب أشفقوا عَلَى اللغة ان تفسد وعَلَى الكتاب ان تعبث به الالسنة فنهضوا لوضع النحو والصرف وجمع اللغة وتدوينها ولكن ذلك لم يتم الا في ايام بني العباس اذ نهض أئمة البصرة والكوفة فاخذوا اللغة عن قبائل العرب الخلص الذين وثقوا منهم بعدم مخالطة الهند والفرس والروم والحبش والقبط ثم دونوها في الكتب واستنبطوا منها قواعد الالفاظ من نحو وصرف واشتقاق ووضع الخليل بن أحمد علم العروض والقافية واصلح الخط ووضع شكله المعروف الى الآن مقتطفاً الفتحة من الالف والكسرة من الياء والضمة من الواو كما يظهر ذلكم من مقابلة هذه الحركات الى تلكم الحروف وقد توسع سيبويه في النحو والصرف فالف كتابه المعروف الشائع الى الآن والف الخليل بن احمد

أول معجم لغوي وهو كتاب العين وأخذ العلماء يصنفون الكتب الادبية يجمعون فيها اطرافاً من جيد الشعر وبارع النثر ليتدارسها الطلاب فيستعينوا بها على تقوية الملكة العربية وتقويم الالسنة وتفرغ قوم لرواية الحديث وآخرون لرواية المغازي والتاريخ وأيام العرب وغيرهم من الامم وانفردت طائفة لاستنباط الاحكام وتشريع القوانين وتدوينها وآخرون لرواية القرآن وعلم القراآت واختصت جماعة بنقل الكتب الفلسفية في العلوم المتنوعة عن الامم المختلفة وشرحها والزيادة عليها وعلى الجملة لم تجد اللغة العربية عصراً كهذا العصر أصبحت فيه لغة العقل واللسان والوجدان والدين ولكن ماذا ينفعها ذلكم وقد أصابها الخطر الداهم الذي لادافع له ولا مندوحة عنه فقد أصبح فساد الالسنة عاماً وأصبحت اللغة الفصحى في الحواضر مقصورة على العلماء والخاصة واما عامة الناس فأخذوا يتكلمون بلغة سيئة اللهجة فاسدة التركيب سوقية الاسلوب وظهر ان ذلكم الدواء الذي التجأ اليه العرب لم ينفع الا في حفظ اللغة والكتاب من الفساد فاما تقويم الالسنة وتهذيب المنطق فلم يكن قادراً عليهما وقد أخذ العامة يخترعون لهم فنوناً خاصة من الشعر لايزال كثير منها باقياً الى الآن وهو الذي يدور على السنة العامة والمغنين ولم يأت القرن الرابع حتى بدأ عصر الانحطاط

سقوط اللغة العربية

في ذلكم القرن بدت بوادر العلة على اللغة فذهبت نضرتها وتصوحت زهرتها ومال الكتاب الي السجع البارد والازدواج الفاتر والتكلف الممقوت وأخذ العلماء يستنبطون علوم الاساليب كالبيان والمعاني ولهوا بالقديم من جيد الكلام عن احداث الجديد من أمثاله وقد أخذ الشعراء يتعلقون باهداب البديع و يتشبثون بمحسنات اللفظ ويغلون في المجاز والاستعارة حتى صار لشعرهم معرض رث ومنظر سمج ولعل آخر من اجاد من الشعراء في هذا القرن على الطريقة الفنية الصحيحة المبرأة من العيب والنقد هو الشريف الرضي رحمه الله فاما المتنبي وابو العلاء فقد عنيا بالمعاني أكثر مما عنيا بالالفاظ على انهما كانا يحاولان الاجادة اللفظية فيقعان في التكلف الممقوت ليظهرا انهما قادران على اللغة ومحيطان بها وحسبكم من ذلكم لزوميات ابي العلاء وما فيها من اصطناع الحوشي واتخاذ الطرق الوعرة

فاما المتنبي فلا أستطيع ان أحصي سرقاته واستعاراته الباردة وتكلفه الممقوت وشغفه بالمحسنات اللفظية ولقد أحفظ من شعره ما لو أنشدتكم اياه الآن لظننتموه لغة

فارسية أو هندية على ان كل ذلكم لا يغض من قدر الرجلين في الحكمة والفلسفة أما الخطابة فلم يبق لها أثر في ذلكم العصر وأما الكتابة فقد كثر فيها السجع والتكلف كما قلنا وقد ألفت كتب كلها على طريقة السجع وقد استعجمت الالفاظ ونشأ في هذا العصر نوع من الكتابة ليس له نتيجة الا الدلالة على المقدرة اللغوية كمقامات الحريري التي لا أريد ان أصفها الا بان كلام الجاهليين أقرب منها فهماً وأسوغ منها مذاقاً واحسن في الاسماع وادنى الى الطباع ولم يأت القرن السادس حتى لزمت اللغة العربية كلها وأخذت في الاحتضار وهذا يصعب علي ايها السادة ان ارافق اللغة وهي تحتضر فلادعها الآن ولابحث عن اسباب نموها وسقوطها

اسباب نمو اللغة العربية

في اللغة العربية مزايا ثلاث هن اسباب نموها وارتقائها وهن الاشتقاق والمجاز والتعريب

فاما الاشتقاق فهو تغيير مادة الكلمة تغييراً قريباً او بعيداً او ابعد الى صور مختلفة للدلالة على معان متنوعة فكلمة الرفع مثلاً تدل على العلو فاذا غيرت الى الفرع دلت على الغصن واذا غيرت الى العرف دلت على الطيب واذا غيرت الى المفرد دلت على التراب ثم لنا ان نأخذ منها رفع بالتحريك للدلالة على الماضي وكذلكم يرفع ورافع ومرفوع الخ

واما المجاز فهو اطلاق الكلمة على غير معناها لعلاقة بين الجديد والقديم مع قرينة تمنع من ارادة المعنى الاول فنستطيع ان نطلق الغيث على النبات لانه سببه وان نطلق النبات على الغيث لانه مسبب عنه وان نطلق العين على الرجل لانها جزء منه وان نطلق الاسد والبدر على الشجاع والجميل لان بينهما مشابهة ومشاكلة واما التعريب فهو نقل الكلمة الاجنبية الى اللغة العربية واصلاحها حتى تصير على الاوزان المقيسة المعروفة وهذا النوع كثير في كلام الجاهليين وفي القرآن الكريم وكثرته في عصر الامويين والعباسيين مدهشة ... فهذه المزايا الثلاث التي توجد في اللغة العربية أكثر مما توجد في اللغات الاخرى قد جعلت اللغة مستعدة للنماء والارتقاء قابلة لكل جديد مرحبة بكل طريف لا تضيق به مهما كان أمره ولذلك استطاعت ان تسع حضارة الفرس والروم وان تحيط بانواع العلوم على اختلافها من غير ان تشكو فقراً وتظهر احتياجاً

وفي اللغة العربية عيبان عارضان وهما كثرة الترادف والاغراق في الاشتراك اما

الترادف فهو دلالة الالفاظ الكثيرة عَلَى معنى واحد واما الاشتراك فهو دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة

الترادف والاشتراك طبيعيان في كل لغة ومصدرهما اختلاف الاذواق وتباين المشارب في الواصفين وهما من اقوى الادلة عَلَى ان اللغة من وضع الانسان فهما ليسا من عيوب اللغة وانما كثرتهما هي العيب وقد وجدت هذه الكثرة في اللغة العربية وبلغت حداً فاحشاً حتى ان بعض المعاني ليدل عليه المئات الكثيرة كما ان بعض الالفاظ يدل عَلَى عشرات المعاني

ومع السرور ايها السادة اقول ان هذا العيب ليس طبيعياً في اللغة العربية وانما هو عارض محدث واول عهد الناس به ايام بني امية وبني العباس فقد علمنا ان العرب كانوا ذوي لهجات متباينة ولغات متباعدة في الجاهلية ثم غلبت لغة قريش عَلَى اللغات بواسطة الاسواق وظهور الاسلام فلما نهض الائمة لجمع اللغة وتدوينها اخذوا لغات القبائل الصريحة على علاتها وخلطوها من غير تفريق ولا تمييز فنشأ من ذلك كثرة المعاني للفظ الواحد وكثرة الالفاظ للمعنى الواحد وهذان هما الترادف والاشتراك

هذه هي اسباب نمو اللغة العربية وثروتها وانتم ترون بانها كافية بان تجعل اللغة العربية من اقوى اللغات واقدرها عَلَى الحياة كما انها قد جعلت في اللغة كثيراً مما لاحاجة اليه

اسباب سقوط اللغة

اما سقوط اللغة فلم يكن عن ضعف فيها او فتور في طبيعتها وانما هو نتيجة سبب لا اعرف غيره وهو تغلب العجم عَلَى العرب وتمهدها اشهار الحرب عَلَى اللغة والدين والجنسية العربية حتى اتوا عليها جميعاً فأنتم تعلمون ان طبيعة الانسان توجب عَلَى الامة الغالبة ان تبذل قوتها في ان تجمع السيادة للغتها ودينها وآدابها ومن حسن حظ الاسلام ان الامم التي تغلبت عَلَى العرب لم تلبث ان دانت به واتخذته ديناً ولولا ذلك لحاربته وناوأته كما حصل ذلك في بلاد الاندلس ايام تغلب الفرنج عَلَى المسلمين فقد استحالت المساجد بها الى كنائس ولم يبق للاسلام بها اثر قليل ولا كثير ومن حسن حظ اللغة ان الاسلام لايستطيع ان يستغني عنها لان القرآن عربي والسنة عربية والفقه القديم عربي ولولا ذلك لحقت اللغة العربية باخواتها القديمة الدارسة أو لأصبحت لغة صناعية كاللاتينية واليونانية القديمتين

نهضة اللغة في العصر الجديد

اقبل هذا العصر الجديد وقد اتت لغة الترك عَلَى اللغة العربية في الشام والعراق وبلاد العرب وطردتها الفارسية من بلاد الفرس فظلت لغة الدين في بلاد الدولة العلية وبها حديث العامة مع تحريف قبيح وبلهجات سيئة يمقتها المصري وان كانت لغته قد اصابها من التحريف شيءٌ كثير اما الفرس فينطقون بها القرآن الكريم عَلَى غير ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم يفخمون حروفاً ويرققون اخرى وربما لم يتيسر لهم حسن الاعراب في التلاوة وقد ناهضت لغات الفرنج والبربر عربية المغرب في شمال افريقية فشوهت محاسنها وجعلتها بحيث لا تكاد تفهم

نعم انها لا تزال لغة المساجد والدين ولسان العامة ولكن الفرنج قد اتوها من ناحية لا تأمن معها الفناء فاخذوا يعلمون لغتهم للاحداث ويهملون تعليمهم اللغة العربية حتى ينشأ أحدهم وهو لا يعرف من لغته الا الرطانة السوقية التي يصطنعها العامة في احاديثهم وهي خليط من العربية والبربرية والفرنسية والاسبانيولية فقد ظهرت نتيجة هذه الحرب الضروس فكره شبان الجزائر لغتهم وزهدوا فيها حتى ان كتب الدين الاسلامي ربما الفت لهم بالفرنسية

اما في مصر فلم يكن نصيب اللغة من الفساد قليلاً بل كان كثيراً غالياً في الكثرة وحسبكم ان من العسير جداً ان تجدوا كاتباً مصرياً يجيد الاعراب في هذه العصور الاخيرة التي تنتهي قبل الآن باقل من نصف قرن غير ان الاحوال قد تغيرت في مصر والشام تغيراً غير قليل في هذه الايام فنهض من القطرين رجال حاولوا اتقان اللغة والنبوغ في فنونها فادركوا من ذلكم نصيباً موفوراً ثم عكفوا عَلَى احياء اللغة بنفس الطريقة التي اصطنعت ايام بني العباس وهي طريقة النقل والترجمة وليس من السهل ولا من المفيد ان نبحث عن اي القطرين كان اسبق الى ذلكم واحرص عليه ولكن يكفي ان نشير الى اسباب هذه النهضة ومقدماتها وذلكم غير عسير

للنهضة اللغوية في مصر زعيمان لكل منهما ركن يأوي اليه ويعتز به اما اولهما فالمرحوم رفاعة باشا نهض لاحياء اللغة بفضل الامير الجليل رأس الاسرة المالكة في مصر فقد اتقن العلم باللغة ونبغ في كثير من الفنون واخذ يترجم ويأمر اقرانه وتلاميذه بالترجمة ويصلح كثيراً من تراجمه حتى وجد في اللغة العربية كثير من الكتب المختلفة في انواع العلوم وكل ذلك يرجع الفضل فيه الى الوفود العلمية التي كان يرسلها ذلكم الامير الجليل

الى بلاد الفرنج لتدرس العلم وتعود الى مصر فتنقله اليها بلسان عربي مبين

نعم ان ذلكم لم يتيسر كل التيسر فان كثيراً من تلكم الكتب يشينها سوء العبارة وغموضها وسوقية اللفظ وسقوطه ولكن صدق المثل القائل «ماش خير من لاش» على ان هذه النهضة لم تكن الا مقدمة فمن الخطأ ان نتمنى لو كانت راقية كل الرقي او بالغة حد الكمال

اما الثاني فهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه ومعينه هو الوزير الخطير المرحوم مصطفى رياض باشا فقد نشأ الاستاذ رحمه الله محباً للعلم عاكفاً عليه وكان كما تعلمون ذكي القلب ثاقب البصيرة ماضي العزم شديد الصريمة فلم يلبث ان نبغ في كثير من الفنون وبلغ مالم يبلغه مصري قبله ولا بعده واملي لا اغلو اذا قلت في جميع ايام التاريخ الى الآن

وقد اتقن رحمه الله اللغة الفرنسية وعرف ماتشتمل عليه من العلوم فأخذ يحث مريديه على ترجمة الكتب النافعة ويشجعهم ويعمل هو لذلك بقدر مايستطيع وأخذ يجد ايضاً في احياء كثير من الكتب العربية القديمة وحسبكم ان كتاب المخصص في اللغة الذي ألفه ابن سيدة الاندلسي الا اثراً من آثاره وآثار مساعديه من رجال الاصلاح المخلصين وقد مات رحمه الله وله على اللغة فضل كثير وقد أصلح من لسان الحكومة غير قليل فحل منه عقدة كان معها أعجم لا يبين

اما الآن فقد اصبحت نهضة اللغة في مصر فوضى ليس لها من زعيم ولذلكم كثر التخليط في الالفاظ والاساليب فالشعراء والكتاب يسترسلون في التعبير عن ضمائرهم غير جارين على قاعدة ولا معتمدين على قياس في كثير من الاحيان

الازهر

اجمع المؤلفون في تاريخ الآداب العربية من ابناء هذا العصر على ان الازهر الشريف كان هو المعقل المنيع والحصن الحصين الذي احتمت فيه اللغة العربيه من اغارة اللغات الاخرى عليها

واسمحوا لي ايها السادة بأن اقول ان هذا خطأ ليس له من الحق نصيب ولست اريد ان استدل على ذلكم بل يكفي ان ترجعوا الى كتاب المحاماة الذي ألفه الاستاذ الجليل فتحي زغلول باشا فانكم ستجدون فيه من كلام العلماء وفيهم الادباء والمتشدقون مايضحك الثكلى ويسلي هم الحزين فان اعياكم هذا الكتاب فارجعوا الى كتب الازهريين

انفسهم فانها تستطيع وحدها ان تبرهن على ما ادعيه فان اعيا كم فهم هذه الكتب فكتاب صغير يباع بثمن قليل اسمه انشاء العطار ارجو ان ترجعوا اليه فانكم ستجدون فيه احسن فكاهة لكم في اوقات الفراغ ولا تزال لغة الازهر الشريف الى الآن مع الاسف متأخرة عن لغة غيره من المدارس ومعاهد العلم وحسبكم دليلاً على ظلم الازهر للغة العربية ان كتاباً واحداً من كتب الادب او اللغة لم يكن يدرس فيه فلما جاء الاستاذ الامام امر ان يقرأ فيه كتاب الكامل للمبرد ولكنه لم يكد يخرج من الازهر حتى ألغيت قراءة الكتاب الى ان جاء شيخ الازهر الحالي فأرجع الامر كما كان

والنظام الجديد هو الذي ادخل في الازهر آداب اللغة كما ادخل غيره من العلوم الحديثة

المدارس

نخطيء كل الخطأ اذا اعتمدنا على المدارس في تقويم الالسنة واصلاح المنطق فان هذه المدارس لا تزيد على ان تلقن الطلاب شيئاً من قواعد النحو والصرف والبلاغة وليس ذلك بمغن عنا شيئاً وانما السبيل الواضحة الى ما نريد هي تمرين الطلبة على الاصابة في القول والاعراب في النطق مع درسهم مادة اللغة وأساليبها واستظهارهم الكثير الجيد من آداب القدماء وقد سلكت مدرسة القضاء شيئاً من هذا في اول امرها فحظرت على الطلاب ان يتكلموا فيها الا باللغة الفصحى وقال الاستاذ الجليل عاطف بك بركات فيما كتبه عن المدرسة في سنتها الاولى انها اذا استمرت على السير في هذه الطريقة لم تلبث ان تصير قطعة من الحجاز في صدر الاسلام ولكن يظهر انها قد اخطأت الطريق وجرت مع غيرها من المدارس في مضمار واحد

نهضة اللغة في العصر الجديد

الصحف

ولقد نخطيء خطأً كبيراً اذا جحدنا فضل الصحف على اللغة فقد جاهدت في ترقية اللغة واصلاحها بما تخيرت من شريف الالفاظ والاساليب على انها لم تلبث ان النجأت كارهة الى ادخال كثير من الاعجمي فيها وكثيراً ما تتعلق بالسجع وتتمسك باهداب البديع حتى صار كثير مما ينشر فيها نوعاً من الاوابد والالغاز على ان المجيدين من كتابها قليلون

الصحف الرسمية

يسوءني أيها السادة ان اقرأ في صدر الجريدة الرسمية الامر العالي يختم باسم مليك

مصر وأرى في المجموعة الرسمية حكم القاضي مصدراً بهذا الاسم الكريم ثم انظر في الفاظها فلا ارى من الفرق بينها وبين الفاظ العامة الا قليلا و يدوني ايضاً ان اقرأ في الصحف الرسمية رسائل الحكومة وقراراتها ثم اقارن بينها و بين ما كان يصدر عن الحكومة العباسية والاموية من رسائل الصابي وعبد الحميد فأرى الفرق بينهما كالبعد بين الارض والسماء ولئن حق الاعتذار عن الحكومة في الايام الماضية فاني لا اجد ما اعتذر به عنها الآن فقد اصلح الاستاذ الامام رحمه الله جريدتها الرسمية وحلاها بكثير من الفصول النافعة ولكنه لم يكد يتركها حتى انقطع نصفها وعادت الى ما كانت فيه من سوء اللهجة وفساد العبارة

وانه ليحسن بالحكومة التي تعمل على اصلاح اللغة في البلاد ان تصلح لغتها قبل كل شيء حتى يثق الناس انها انما تعمل في ذلك بنية صادقة وعزم صحيح

الشعر

لم يكن للشعر العربي ان يرقى بعد فساد السليقة واعوجاج الالسنة لذلك انحط في الايام الماضية حتى كاد ينسى ولكنه الآن قد ارتقى بعض الشيء على انه لا يزال منحطاً بالقياس الى الشعر العربي القديم والى رقي الانسان في هذا العصر وان كان بالقياس الى شعر القرن الماضي في ارقى الدرجات على ان العامة قد سلكوا في التعبير عن شعورهم مسلك الازجال والاوزان البلدية وانقطعت العلاقة بينهم و بين الشعراء الذين اصطنعوا اللغة الفصحى كما قلت في اول المحاضرة

الخطابة

اما الخطابة فهي الآن قسمان احدهما خطابة المسجد وهي عبارة عن الفاظ فارغة قد ملئت بها كتب كثيرة يحفظها أئمة المساجد ويتلونها على الناس من غير ان يكون لها اثر محمود وأنا اترك لكم تقدير نكبة المنابر الاسلامية بهؤلاء الخطباء بعد أولئك المصاقع المناطيق

ومن المضحكات ان القاعدة في صدر الاسلام هي اعتماد الخطباء على السيوف في البلاد التي فتحت عنوة وعلى العصي في البلاد التي افتتحت صلحاً فلما خلف هذا الخلف أصبح أئمتنا يعتمدون الآن على سيوف من الخشب على نحو من التقليد الممقوت

الثاني خطابة الاندية والجماعات سواء كانت سياسية أو علمية أو ادبية وهذا النوع كثيراً ما يشتمل على المباحث المفيدة ولكن آداب الخطابة العربية قد نوسيت فيه

واستبدلت منها آداب جديدة بين العامية والفرنجية وقد استباح الخطباء لانفسهم في الخطابة أشياء لم تكن مباحة من قبل بل كانت محظورة على الخطباء كالسعال وشرب الماء وغيرها أما لغة الخطابة فليست بتلكم اللغة الراقية وانما هي عامية في كثير من الاحيان وربما يخلط الخطيب بين اللحن والاعراب ومصدر ذلكم انه لم يحسن درس اللغة حين بدأ في تعلمها

طريقة الاصلاح

لاأعرف في اصلاح اللغة الا طرقاً ثلاثاً قديمة غيرجديدة اي اني لست مبتدعها بل قد سبقني اليها المصلحون الاولى نشر الآثار القديمة للعرب واحياء ما ألفوه من كتب العلوم والآداب ليقرأها الناس فيحصلوا على نتيجتين لازمتين احداهما معرفة الاساليب العربية الصحيحة واستظهار الالفاظ المتخيرة والوقوف عَلَى مبلغ ما كان للقوم من سعة المدارك والعقول — الثانية شعور القراء بفخامة ذلكم المجد الضائع والشرف المفقود شعوراً يدفعهم الى النهوض لاسترداده واعادة ما كان له من منزلة سامية ومكان رفيع ويلحق بهذه الطريقة ترجمة الكتب النافعة مما الفه الفرنج لتتسع بها العقول وترقى النفوس وقد جرى الاستاذ الامام رضي الله عنه في هذه الطريق شأواً بعيداً فالف جماعة احياء الكتب العربية التي نشرت المخصص وغيره من الكتب فلم يمت رحمه الله حتى نقض عقدها ولم يبق لها أثر في الوجود وقد قرأت للحكومة في السنة الماضية قراراً في هذا الموضوع بفضل أستاذي الجليل احمد زكي باشا ولكن مضى عليه العام ولم تظهر له نتيجة او أني لاخشى أن يكون قد لحق بامس الدابر -- الثانية تأليف جماعة من أولي العلم باللغة والبصر بمادتها وأساليبها تقوم بما يحتاج اليه هذا العصر من تنمية المحدثات عَلَى احدى الطرق التي اشرت اليها آنفاً وهي الاشتقاق والمجاز والتعريب وتعمل عَلَى استبدال كثير من الالفاظ العامية بمرادفاتها من اللغة الفصحى وتشرف على اساليب الكتابة والشعر والخطابة فتذود عنها ما يدخله عليها الواغلون من أدعياء الشعراء والكتاب وانما احتجنا الى هذه الجماعة الآن لما تعلمون من ان اللغة الفصحى قد اصبحت الآن صناعية فلن تبلغ مكانتها الاولى الا اذا وجدت لها من اهل العلم اطباء حاذقين يحسنون الطب لدائها والتمس لدوائها وقد وجدت منذ سنين لشيء من هذا الغرض في نادي المعلمين فاستبشرنا ورجونا الخير واستقبلتها الصحف بالحمد والاغراق في الثناء ولكنها لم تلبث ان غطت في نوم عميق ولعلها الآن تحلم بحسن الظفر وتحقيق الآمال

الثالثة تعويد الاطفـال من أول عهدهم الاصـابة وتخير الجيد من القول على الطريقة الممكنة حتى يشبوا وقد قويت فيهم السليقة العربية فلم يحتاجوا الى القواعد الا من حيث انها نوع من الفلسفة اللغوية كما هو عملها الحقيقي ولست ارى اكفأ لهذا العمل ولا اقدر عليه من الاستاذ احمد افندي القطان في بستانها الصغير الذي خطبكم فيه منذ ايام فاذا استطاع هذا الاستاذ ان يعدني بانه سينشئ اللغة الفصحى في هذا البستان كما ينشئ الاخلاق والعقول فقد حق له علي الثناء الجميل وقد حق علينا جميعاً ان ننهض ونبذل مانستطيع لايجاد هذا البستان وامثاله وبهذه الطرق الثلاث التي فصلتها الآن تفصيلا نستطيع ان نضمن للغة استرداد مجدها القديم

طه حسين

الاشتيام او الاستيام

والمتلمظة اوالمتملطة

١ معنى الاشتيام (بالشين وبالسين) على ماأثبته اللغويون وصحة ورود اللفظة بلغتين وجمعها

مامعنى الاشتيام بالشين المثلثة النقط والاستيام بالسين المهملة ؟ هذه اللفظة لم ترد في محيط المحيط لافي مادة ش ت م ولا في مادة س ت م بل ولا في ا ش ت م او اس ت م وقد وردت في ذيل اقرب الموارد نقلاً عن اللسان قال في مادة ش ت م: «الاشتيام بالكسر : رئيس الركاب (اللسان) ولم يزد على هذا القدر . واما اصحاب الصحاح والمصباح والاساس والقاموس والاوقيانوس والبابوس ومطلع النيرين وابن الاثير والسيوطي وغيرهم فلم يتعرضوا لها . وقد ذكرها السيد المرتضى في مستدرك مادة ش ت م اذ قال : الاشتيام : رئيس الركاب . عن ابن بري . » ولم يفدنا عن اصلها ولم يذكر شرحها اكثر من هذا القدر . واما الافرنج من علماء اللغة العربية فلم يذكروها وقد نسيها غوليوس وفريتاغ وقزميرسكي ودوزي . وقد ذكرها «لين» في معجمه مدالقاموس قال : الاشتيام بالكسر (والظاهر من قوله (اي من قول صاحب تاج العروس) بالكسر اي ان يقال الاشتيام) هو رئيس الركاب على مافسره ابن بري . (والظاهر

من قوله : رئيس الركاب هو رئيس الركب اي ركبان الخيل (كذا) لكن من اين اتت هذه اللفظة . ذلك مالا أعلمه . اللهم الا ان تكون معربة عن الفارسية « استايام إن وجد عند الفرس مثل هذا اللفظ . ومعناها رئيس خيل البريد») . اه قلت :هذا كله كلام لين اللغوي الانكليزي العارف باصول العربية الا قولي : (اي من قول صاحب تاج العروس) وقولي : (كذا) فهي مني زدتها نفتاً للنظر . وهو في كلامه هذا بعيد بعد الثريا عن الثرى . ولعل البعض يرميني بسوء النقل او الترجمة فها نذا اورد هنا كلامه بنصه وحرفه الانكليزي . قال :

الاشتيام With keer, (which seems to indicate that it is الاشتيام is expl. by T.B. as meaning رئيس الركاب) app. رئيس الركاب the headman, or master, of the riders: but whence this is derived Ik now not, unless it be ara bicized from the Pers استايام (if there be such au appellation), meaning » the master of the post-horse :«) « T A »

وليس هذا الغلط هو اول غلط وقع في هاويته هـذا اللغوي الانكليزي ولا هو الاخير ففي معجمه من الاغلاط لو تجسمت لقامت بين يديك كالجبال الشامخة . وليس هنا موطن ذكرها . هذا فضلاً عن انه فاته الفاظ ومواد كثيرة جاءت في القاموس او تاج العروس بل في اصغر معاجم اللغة ودواوينها وهي لاتوجد فيه ولا ذكر لها او لمادتها او اصلها في ديوانه .

قلت : والمراد من كلام ابن بري : « رئيس الركاب » هم ركاب السفينة لاغير كما يتضح تبيانه في مايلي من الكلام وايراد النصوص وكما يظهر معناه لاول وهلة . واما الاستيام بالسين فقد وردت في تاج العروس . قال في لسان العرب مصحح طبعه في هامش مادة م ل ط : « قوله » والمتملطة الخ كذا بالاصل هنا (اي الاشتيام بالشين) وشرح القاموس قال : وسيأتي في ل م ظ وقد ذكر الاستيام هناك بالسين المهملة وعزاه للتكملة . وحرر كتبه مصححه . » اه . قلت انا : والاستيام وردت في كثير من نسخ كتب التاريخ كمؤلفات الطبري والمقدسي لابل وقد قال الجواليقي (Morgenl. Forshusigen 154) ان اللفظ الفصيح الصحيح هو الاستيام بالسين وشرحها

هناك بمعنى : « صاحب المتاع » مع ان الكاتب نفسه ذكرها في كتابه « المعرّب » بالشين وان وردت في بعض نسخ كتابه القديمة بالسين اذ يقول: السبيجي والجمع السيابجة: قوم من السند يكونون مع اشتيام السفينة البحرية وهو رأس الملاحين » اه. ولم يذكرها الخفاجي في كتابه شفاء العليل.

والظاهر ان لغتها بالسين أي الاستيام افصح من الاشتيام بالشين المعجمة . لان بعض اهل الجزائر يقولون الى عهدنا هذا : « ستم السفينة » أوقفها في المرسى او ارساها هنيهة من الزمان . وقد نقل دوزي هذه الكلمة من الكتب ورآها هناك مكتوبة بالميم الممتدة لا بالميم الطويلة والميم الممتدة تشبه الراء اي انه رآها مخطوطة : « ستم » فقرأها « ستر » واثبتها في معجمه ستر قال : معناها : relâcher dans un port اي ستر (وهو لم يضبطها الا انه وضع بجانبها الرقم الروماني I للدلالة على انها من الوزن الاول من الرباعي اي ستر وعزاها في الآخر الى Roland اي نقلاً عنه . فانظر الى هذا النقل والى هذا الاسناد . وقد وقع مثل هذا الغلط المتولد من سوء قراءة الميم لطابع كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني وهو العلامة ذي خوي في الصحفة ٩ قال: « فيه (اي في البحر) سمكة يقال لها الاطمر (هكذا وردت مضبوطة بالوجهين اي على وزن دغفل وزبرج) وما هي الا كلمة « اطم » كتبت ميمها الاخيرة ممدودة بشكل راء اي هكذا « اطمر » فظنها القارئ او الناسخ والطابع او من تشاء ان تسميه ميماً وراء» فصارت « اطمر » ونفس كلمة اطم مصحفة عن اطوم . فانظر الى هذه اللفظة التي تطورت اطواراً بيد الكتاب وقالوا فيها ايضاً لطوم . وتلوم ولطم . ولطلوم ولطيم » وغير هذه التصحيفات الى ماشاءت اهواء النساخ والقراء .

وممن ذكر الاستيام بالسين المهملة غير الصاغاني في التكملة التاج في م ل ط ومحيط اللسان في م ل ط ايضاً والجواليقي وهو ابو القاسم في كلامه عن لغة الملاحين.

واما جمع اللفظة فلم يرد في كتب اللغة الا انه ورد مكسراً وصحيحاً في كتب المؤرخين واصحاب وصف البلدان . فقد جاءت اللفظة مكسرة في كتاب المقدسي المسمى باحسن التقاسيم ص ١٠ قال « وصاحبت مشايخ فيه ولدوا (اي في المحيط الهندي) ونشأوا من ربانيين واشاتمة » او في رواية واسانه (هكذا مكتوبة بدون نقط) وقد جاءت مجموعة جمعاً سالماً في تاريخ الطبري في عدة مواطن . منها في قوله : « حتى اذا استمرت الحرب امر الجداذين والاشتيامين ان يحثوا السير ... » ومنها في قوله الآخر : « فصكت

الشذوات بعضها بعضاً حتى لم يكن الاستياميين والجدافين فيها حيلة ولا عمل . فاحفظ الجمعين تصب ان شاء الله تعالى

٢ً معنى اللفظة على التحقيق

قد مر بك ان لغويي العرب قالوا في معنى الاشتيام والاستيام: رئيس الركاب او الملاحين ولم يخرجوا عن حيز هذا المعنى . الا ان المعنى الاصلي كان لرئيس الملاحين او لرئيس السفن البحرية الذي بيده الامر والنهي وكل مايتعلق بسير السفينة وايقافها الى غير ذلك . ويتحصل هذا المعنى من كتاب تاريخ الطبري . قال في حوادث سنة ٢٥١ هـ = ٨٦٥م مانصه : ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة (الى بغداد) عشر سفائن بحرية تسمى البوارج . في كل سفينة اشتيام وثلاثة نفاطين ونجار وخباز وتسعة وثلثون رجلاً من الجذافين والمقاتلة » ومن هذا النص يؤخذ ان الاشتيام (وفي نسخة الاستيام) هو كبير البارجة البحرية الحربية ويقابله بالفرنسية Commandant d'un navire de guerre.

وقال في حوادث سنة ٢٦٥ هـ = ٨٧٨ م : واستخلف (الجبائي) على الشذوات الاشتيام الذي يقال له الزنجي بن مهربان «فهنا المراد بالاشتيام امير الشذوات كلها (وهي ضرب من السفن البحرية والنهرية التي تتخذ في الحروب) فيكون معناها بالفرنساوية Amiral

وذكر في حوادث ٢٦٧هـ = ٨٨٠م . محمد بن شعيب الاشتيام والمراد به رئيس المراكب البحرية الحربية لانه يقول بعد ذلك : خرج الجبائي وسليمان في الشذوات والسميريات وقد كان ابو العباس احسن تعبئة اصحابه فأمر نصيراً المعروف بابن حمزة ان يبرز للقوم في شذواته ، ونزل ابو العباس عن فرس كان ركبه ودعا بشذاة من شذواته قد كان سماها الغزال وامر اشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجذافين لهذه الشذاة وركبها الى آخر الرواية بما يدل على ان محمداً هذا كان تحت امرته عدة شذوات وسميريات .

ومما يزيدنا ثباتاً في هذا الرأي كلام ابن صاحب الصلاة اذ يقول : « تقلد الحكم عليها (السفينة) اشتيام ذو تيقظ واستبصار . » وعليه فكلمة الاشتيام تدل على مايقابله بالفرنسية

NAVARQUE, CAPITAINE, COMMANDANT, PATRON DE NAVIRE; COMMANDANT EU VAISSEAU OU DE LA FLOTE; AMIRAL.

هذا هو المعنى الاصلي عَلَى التحقيق في عهد العباسيين. لكن لما انقطع العهد بالمحاربة عَلَى الشذوات والسميريات وبقي القوم يركبون السفن المذكورة لغاية التجارة او السفر اصبح الاشتيام بمعنى رئيس الركاب والملاحين معاً وله محل خاص كما في السابق لا يجلس فيه غيره وسموا هذا المقعد « المتلمظة او المتملطة » كما سيجيء ذكرها . ولا يمكن ان يتصور الواحد ان يكون مقعد خصوصي لغير كبير السفينة . مثلاً ان يكون لخازن امتعتها او لخازن أطعمتها كما تخيله بعضهم فالمقعد الخاص هو للرجل الممتاز بين الجماعة والمتقدم فيهم لا لغير .

٣ الاشتيام والاستيام من اصل يوناني لا من اصل فارسي او إرمي

قد مرَّ بك ان « لين » العلامة الانكليزي قال ان اصل اللفظة من الفارسية وهي فيها أستايام » اي رئيس خيل البريد والحال هذه اللفظة غير موجودة في لغة الفرس لا بالمعنى الذي ذكره « لين » ولا بمعنى آخر .

واما العرب فقد رأيت انهم لم يشيروا الى عجمة اللفظة وكل مرة ذكروها اعتبروها كأنها عربية محضة مع انه لا مناسبة بينها وبين مادة ش ت م او س ت م . وعليه فمن المحال ان تكون عربية المنبت .

بقي علينا ان نقول اما انها من اصل إرمي واما من أصل يوناني . وقد ذهب المستشرقون الى انها من اصل إرمي فقد قال فرنكل وذي خوي وباين سمث ولاوي وبكيترف وكل من تلا تلوهم انها من « إشتياما » اي الاشتيام مبنًى ومعنًى وفسروها بالخاتم اي الذي يضع الختم عَلَى الشيء بعد ان يسده او يغلقه . وقالوا ان معناها كما ذكره باين سمث « صاحب المتاع المحمول في السفينة » اي يقابلها بالفرنسيه Suprécargue وهي مشتقة من ش ت م : س ت م الارمية اي سد وختم وسدم وسطم

قلت : اني لا أنكر كون اللفظة جاءت ايضاً بمعنى صاحب الامتعة المحمولة في السفينة . إلا ان هذا المعنى فرعي واقدم معنى وصل الينا هو المعنى الاول : اي رئيس الملاحين الموجودين في سفينة واحدة وفي عدة سفن بحرية كانت او نهرية . حربية او تجارية ثم ان فعل شتم او ستم الارمي لم يرد إلا قليلاً ولم يأت في كتب الارميين بالمعنى المذكور فالذي جاء في معجم ابن بهلول في معنى « اشتياما » : هو صاحب المتاع المحمول في السفينة كما نقله عنه باين سمث . ولم يذكر الفعل « شتم او ستم الارمي . وجاء في

كتاب دليل الراغبين في لغة الآراميين ص٤٤ اشتياما : صاحب وسق السفينة ايضاً : خليفة تاجر الصحراء ووكيله يحمل له الاثمار الى الاهراء لوقت الغلاء باجرة معلومة اهـ . ولم يذكر كلمة الاشتيام العربية كما لم يذكر في كتابه الفعل شتم او ستم . مع ان هذا الفعل قريب الى العربية وهو فيها سدم الباب وسطمه بمعنى سده . وفسر الاب برون اليسوعي « اشتياما » بما معناه : الساد او السادم ومنه : واضع الامتعة في مكان مغلق ولا سيما أمتعة السفينة وعندي ان الاشتيام اذا كانت مأخوذة من الارمية فالارمية غير مشتقة من فعل شتم او ستم » بل من اليونانية **ISTAMENOS** وهو اسم فاعل من فعل **ISTEEMI** اي أوقف وأرسى وهذه تقال عن السفينة كما تقال تلك عن الرجل بل عن كل شيء . ومنه الفعل العربي المعروف عند اهل الجزائر أي « ستم » بمعنى اوقف السفينة اوأرساها . ولهذا السبب ايضاً قال الجواليقي ان الاستيام افصح من الاشتيام . كما ان الاستيام وردت في التكملة ولم ترد فيها الاشتيام . فالسين فيها تبعاً للاصل اليوناني والشين لغة فيها . وكثيراً مايقلب العرب السين المهملة شيناً ولاسيما اذا جاورت التاء كما يفعل الالمانيون في لغتهم . فقد جاء في العربية : جاحشه في جاحسه : اذا زاحمه . (عن ابن السكيت) وشمرت السفينة وسمرتها : اذا أرسلتها . (وهنا السين لم تجاور التاء) وقالوا : انتسف لونه وانتشف بمعني واحد (عن امالي تغلب) الى غير ذلك . واللفظة اليونانية توافق كل الموافقة لمعنى الاشتيام لان برئيس المركب او المراكب يناط ايقافها واجراؤها وتدبير امرها كما يتضح لادنى تأمل .

٤ً المتلمظة او المتملطة والسلوقية

لو كان معنى الاشتيام في الاصل « صاحب الامتعة المحمولة في السفينة » لما افردوا له محلا خاصاً به كما بينا ذلك قبيل هذا . لان مثل هذا الرجل يجلس على امتعته او بجانبها لافي موطن ينفرد فيه . والحال انا نعلم ان للاشتيام موطناً خاصاً به ، ومقعداً يقعد فيه هو ولا يقعد فيه غيره يسمونه المتلمظة » قال في تاج العروس في ل م ظ : « الملمظة (وهو لم يضبطها لابالقلم ولا بالنص) مقعد الاستيام (هكذا بالسين المهملة) وهو رئيس الركاب والملاحين كما في التكملة . وسبق مثل ذلك في م ل ط (اي المتملطة بتقديم الميم على اللام) ولا أدري ايها اصح . اه كلام التاج . وما بين هلالين هو من كلامنا . قلت : الاصل هو المتلظة بتقديم اللام على الميم وهي مشتقة من تلمظ الحية « يقال : تلمظت الحية : اذا أخرجت لسانها . لان الاشتيام يكون في مكان عال يشرف

منه يعلى الجو لينظر الى يمينه و يساره والى امامه ووورائه ،متلفتاً تلفت لسان الحية ليتمكن من تسيير سفينته وحفظها من الخطر واجرائها في محل امين . كما هو معلوم عن امر الاشاقة في يومنا هذا . ويفردون له محلاً خاصاً لكي لا يلهو باحاديث الناس او بما يحدث حواليه فينصرف ذهنه الى مالا يهمه و يقابله بالفرنسوية

Place du commandant ou du capitaine, passerelle, siège dans un navire réservé au commandant ou à l'amiral.

واللسان لم يذكرها في (ل م ظ) إلا انه ذكرها في مادة ربع قال في الصفحة ٤٥٦ في السطر ١٧ : والمتملطة (وقد ضبطها بضم الميم وفتح التاء واللام وكسر الميم المشددة والظاء المنقوطة المفتوحة وبهاء في الآخر) مقعد الاشتيام وهو رئيس الركاب . اما صاحب التاج فقد ذكرها في كلتا المادتين (م ل ط) و(ل م ظ) وقد ذكرها اللسان ايضاً في م ل ط قال المتملطة (ولم يضبط حركة اللام المشددة) : مقعد الاشتيام . والاشتيام: رئيس الركاب اه . قلت : والمتملطة تصحيف المتلمظة ولم يذكر هاتين اللفظتين لاالقاموس ولا محيط المحيط ولا اقرب الموارد ولا مد القاموس تأليف « لين » ولا دوزي ولا الجوهري ولا الفيومي ولا صاحب الباوس ولا صاحب الاوقيانوس ولا سائر المعاجم الافرنجية كفوليوس وفريتاغ وقزميرسكي . فياله من إغفال وقع فيه اغلب اللغويين

هذا وانت ترى مما تقدم ان العربية تحتاج الى معاجم تجمع جميع الالفاظ العربية المذكورة في دواوين الائمة الواردة في محلها او في غير مظنتها . وان يثبت فيها المعاني على اختلاف ماوردت في الاعصار ليكون ذلك المعجم مورداً ينتابه اللغوي كلما احتاج اليه ويجد فيه كل مايحتاج اليه . إذ قد رأيت مما مر بك من الالفاظ معاني ومباني لم تكن تظن انها وجدت عند العرب لانهم لم يكونوا من المشهورين بالملاحة والبحارة . ومع ذلك فقد تحققت وجود الفاظ لاتجد لها حرفاً واحداً ،مقابلاً لها في لغة الاعاجم الحاليين مع تجرهم في المدنية والعمران ومع تبسطهم في وضع الالفاظ لادنى اختلاف في معنى المرادف او لادنى تفاوت في معناه . فيالها من لغة جمعت فاوعت ومدت سماطاً فاشبعت . وان نسب اليها القصور بعض المتهوسين للغات الاجنبية وبهذا القدر كفاية للتبصر .

ومثل المتلمغة : السلوقية: قال ابن عباد في كتابه المحيط ونقل نصه الصاغاني في العباب واورده ايضاً الفيروز ابادي في القاموس : السلوقية : مقعد الربان من السفينة اه ولم يزيدوا على هذا القدر ولم يذكروا اصل اللفظة وعندي انها آرامية الاصل من فعل « سلق » الذي اسم مصدره « سلاقا » ومعناه الارتفاع والعلو . لان الربان يكون في اعلى موضع من سفينته ليرقب ماحواليه من متسع البحر ويقابله بالفرنسوية **DUNETTE** وهي مشتقة من **DUNE** بل هي مصغرها ومعناها الكثيب تصغير كثيب وهو تل الرمل كأن السلوقية تكون بعلو الكثيب ليشرف منها الربان على البحر

(الخلاصة) يتحصل مما تقدم ذكره وشرحه ان الاشتيام او الاستيام من باب الاطلاق والتغليب هو **AMIRAL D'UNE FLOTTE, COMMANDANT D'UN NAVIRE** واذا اريد به رئيس الملاحين فهو **MAITRE D'ÉQUIPAGE** وان جاء بمعنى رئيس الركاب فهو **COMMISSAIRE DE MARINE** وان عنيت به صاحب الامتعة فهو ناظر الامتعة اي **SUBRÉCARGUE** واما المتلمغة والمتملطة فهو مقعد الاشتيام اي مقعد الذي يقوم باجراء السفينة في نوبته لان الاشاقة يتناوبون في تدبير امر السفينة و يقابله بالفرنسوية **BANC DE QUART** واما السلوقية فهو ارفع مكان يكون في السفينة و يكون مقعداً للربان وهو **DUNTTE** بالفرنسوية

فقد جاء عندهم في شرحهم هذه اللفظة ما معناه : هي ما يبنى بناية خفيفة فوق الجسر الاعلى من مؤخر السفينة وهو عبارة عن نحو ربع طول المركب و يعلو نحواً من مترين ويشرف على شز المؤخر كما تشرف المنظرة على ساحة المدينة . ويكون عليه الاشتيام عند قيامه بوظيفته لانه يتمكن من ذلك الموضع من ان يرقب ماحواليه في البحر » اه

بغداد : ساتسنا

استرداد المجرمين

في البلاد الاجنبية

لامراء في ان الرادع لكثيرين من المخلوقات عن ارتكاب المنكرات الشخصية والاجتماعية والسياسية هو الخوف من العقوبة لاالخوف من الضمير ٠ ولذلك نرى من لاخلاق لهم يرتكبون افضح المنكرات اذا وجدوا للفرار والخلاص من وجه القانون سبيلاً

لاترجع الانفس عن غيها مالم يكن منها لها زاجر

والخلاص من احكام القانون يكون بوجوه كثيرة منها (١) الرشوة (٢)شهود الزور (٣) اغضاء المأمورين لاجل تطبيق قاعدة ادارة المصلحة (٤) بلاهة بعض الحكام (الحاكم مأمور العدلية فقط) ٠ والدواء الوحيد لهذا الداء القتال تعميم العلم وتهذيب الاخلاق وتعريف الانسان معنى الانسانية ٠ اي انه خلق ليخدم ابناء قومه لا ليأ كل ويشرب وينافق وينام كبهيمة الانعام اذ لاضرر من الانعام ان لم يتحرش المرء بها واما هؤلاء فانهم يمقتون من كان ذا مزية سواء وافقت اهواءهم او لم توافق ٠ لان جل مرامهم محق الحق والعدل والفضيلة ليس الا ٠ واقوى سلاح يتخذونه هو الكذب والافتراء وغاب عنهم ان حبل الافتراء قصير ٠

(٥) فرار المجرم من بلاد دولة الى بلاد اخرى ٠ وهذا موضوع بحثنا هنا ٠

لايحق لدولة من الدول ان تكره مأموري دولة أخرى على تطبيق احكام قوانينها مطلقاً ٠ لان حق القضاء محدود داخل المملكة ولا مساغ لتعديه حدود غيرها ٠ فعدَّ من لاخلاق لهم من ارباب القلوب الصلبة والضمائر الميتة هذه القاعدة نعمة كبرى واخذوا يفرون الى الممالك الاجنبية ليتخلصوا من الجزاء ٠ وهكذا كان ٠

بيد ان هنا مضرات عديدة اجتماعية لفتت نظر رجال الدول فطفقوا يفكرون بتدبير مؤثر يمنع هذا الفرار لاجل استعادة المجرمين ٠ لماذا ؟

لاشك ان المجرم اذا ترك بلا جزاء يكون سبباً داعياً لكثرة الجرائم واختلال الامن العام مماثبت تاريخياً فانه من اعدى الامراض وانه سريع الانتقال من مملكة الى اخرى ٠ وهذا هو السر الذي يدعو الدولة ان تطلب المجرم الفار من بلادها

عَلَى انه من المجرب اذا حل مريض بين اصحاء امرضهم اوفاسد بين ادباء افسدهم فخوفاً من هذا شعرت الدول التي يلتجئ اليها احد الفارين بلزوم طرد هذا المجرم الفار من وجه العدل او تسليمه عَلَى الاقل لكي تطهر بلادها منه

ولهذه الاسباب نرى الدول في عهدنا تتهافت واي تهافت لعقد المعاهدات التي تؤدي الى استرداد المجرمين الفارين . واليك القواعد العلمية :

لايجوز طلب استرداد المجرم الا اذا كان للدولة الطالبة اي التي وقع الجرم في بلادها حق القضاء على المجرم الفار . ولما كان حق القضاء محصوراً داخل الحدود الملكية اراني مضطراً لبيان هذه الحدود ومحل تطبيق هذه السلطة ولهذا يجب قبل كل شيء تعريف اقسام ممالك الدول

١ — البلاد الواقعة ضمن الحدود الجغرافية

٢ — البحور الداخلية اي التي تحاط بممالك خاضعة لدولة واحدة والانهر والمضايق البحرية والترع

٣ — المياه الساحلية اي ما يبعد عن الساحل ثلاثة اميال من البحر (الميل ١٨٥٢ متراً) او الى وصول مرمى احسن مدفع . وهذا يعد من بلاد الدولة المجاورة وما عداه فهو عام

٤ — البلاد المحتلة عسكرياً سواء كان بحال الصلح او بحال الحرب

٥ — السفن التجارية وسفن النزه

فحق القضاء يشمل كل جرم وقع في هذه الاقسام المصرح بها اعلاه . ويحق لكل دولة طلب المجرم لمجازاته اذا ارتكب جرماً بها وفر الى البلاد الاجنبية . وهذه مسألة من مسائل حقوق الدول تحل بواسطة السفراء ونظارات الخارجية وفقاً للمعاهدات او العرف والعادة .

تستلزم الجنايات عامة وبعض الجنح المهمة الرد واما مرتكبو القبائح فلا يطلبون ولا يردون

القاعدة العلمية في اعادة المجرمين — . ان يكون الجرم محظوراً بقانون كلتا الدولتين اي الفار منها والملتجأ اليها . مثلاً : تعدد الزوجات ممنوع عند الدولة الفرنساوية ومباح عند الدولة العثمانية . وعليه يعد جرماً بفرنسا ومندوباً بالمملكة العثمانية . فاذا فر فرنساوي والتجأ بالدولة العثمانية لارتكابه هذا الجرم هل يجوز تسليمه ؟

لايجوز قطعاً لان الشرط ان يكون ممنوعاً عند الدولتين . اما لو كان جرمه جرم سرقة وجبت اعادته على شرط ان يكون بين الدولتين معاهدة او تعامل

اما لو التجأ احد قرصان البحر الى بلاد سويسرا وكان هذا فرنسوياً (من قبيل الافتراض فهل يحق لسويسرا ان تمتنع عن تسليمه بحجة ان لاصراحة في قوانينها لهذه المسألة؟ كلا : لان عدم الصراحة في قانون سويسرا لم ينجم عن افتراضها القرصانية امراً مشروعاً بل من عدم وجود سبب لدرج امثال هذا القيد بقوانينها وذلك لفقدان السواحل عندها

هذه هي القاعدة العامية بخصوص اعادة المجرم فلنبحث الآن عن مستثنياتها .

ان لهذه القاعدة استثنائين احدهما يتعلق بالجرم والآخر بالمجرم . فالذي يتعلق بالشخص هو كون الملتجي من تبعة الدولة الملتجأ اليها . فلو ان المانياً مثلاً ارتكب جرماً في فرنسا ففر منها واتى المانيا فلها الحق بان تمتنع عن تسليمه . وهذه قاعدة كلية سارية بين جميع الدول . اذ كيف يقبل قوم بخضوع فرد منهم لقانون قوم آخر ؟

واما الاستثناء الذي يتعلق بالجرم فهو ان يكون الجرم عسكرياً أو سياسياً فارباب هذه الجرائم ايضاً لاتعاد بتة

وسبب ذلك ان الدولة لاتقبل الجندي الفار ولو أعيد لانها لاتؤمل منه خيراً بل تعده كالغصن الفاسد فتقطعه من شجرتها وتلقي به على الارض خوفاً من ان يفسد مجاوريه . الا اذا كان ضابطاً في سفينة ونزل الى البر وامتنع من الرجوع اليها . فيعاد خوفاً من تعطيل السفينة

واما سبب عدم اعادة ارباب الجرائم السياسية فهو سر غامض وامر مهم . لان التاريخ يدل على ان اكثر الفارين من هذا القبيل كانوا على حق وان سبب اضطهادهم وفرارهم لم يكن الا من علو افكارهم التي تعجز حوصلة العامة او رجال الامر والنهي عن ادراكها فيعدونه مخطئاً فيضطهدونه ويحكمون عليه حكماً جائراً ويخنقون فكرته . فلاجل الاستفادة من افكاره في الحال والمستقبل لاتجوز اعادته بل انهم يجلونه ويكرمونه .

وهناك شرط آخر للاستعادة وهو عدم سقوط الجرم بمرور الزمان [1] القانوني على حسب قوانين الدولتين .

(١) يسقط الجرم بالجنايات بعد عشرين سنة . وبالجنح بعد خمس سنوات وبالقباحات بعد سنتين هذا بعد الحكم اما قبل الحكم فيسقط الجرم بالجنايات بعد عشر سنين وبالجنح بعد ثلاث سنوات وبالقباحات بعد سنة واحدة

قد يمكن ان يطلب المجرم من قبل دول متعددة في آن واحد فالواجب حينئذ تسليمه الى الدولة التي وقع الجرم في بلادها . فاذا ارتكب الماني مثلاً جرماً في فرنسا وهرب الى بلجيكا وطلب من الدولتين في آن واحد ، يجب تسليمه لفرنسا لا لدولة المانيا . اما لو ارتكب جرماً في المانيا دولته وفي فرنسا يسلم لدولته المانيا . وان كانت جرائمه عديدة وفي بلاد مختلفة وطلبته كلهن بآن واحد ينظر : اي الجرائم اشد فيسلم الى الدولة التي وقع فيها ذلك الجرم الشديد . وان كانت درجة الجرائم متساوية يسلم للتي تطلبه اولاً . اما اذا وجد بين دولة معاهدة فيسلم لربة المعاهدة دون ان يلتفت لاحد غيرها .

والخلاصة فان معاهدات اعادة المجرمين تبحث دائماً في مسائل اربع :

١ — لا تعيد دولة من الدول ملتجئاً اليها اذا كان من تبعتها .

٢ — ارباب الجرائم السياسية لايعادون

٣ — ان يكون الجرم ممنوعاً بقانون الدولتين

٤ — ان لايحاكم الا من اجل الجرم الذي كان سبباً لفراره بغض النظر عما عداه .

ولا يذهلن عن نظرك ايها القارئ الكريم ان اعادة المجرمين ليست امراً محتماً . فان كانت الدولتان متعاهدتين فالاعادة ضرورية والا فلا .

ومن الاسف ان الدولة العثمانية لم تتعاهد بهذا الباب مع احدى الدول بتاتاً وقد مضى ردح من الزمن والدولة العثمانية تعيد لروسيا من يفر من بلادها ولا يتي طرابزون وارضروم كما ان روسيا ايضاً كانت تعيد من يفر من العثمانيين الى قفقاسيا . الا ان هذا الوفاق لم يدم كثيراً .

وكان قد تقرر مع دولة الصرب اعادة مجرمي الطرفين موقتاً ريثما تعقد معاهدة بين الدولتين . وبعد ان اعيد كثير من الجهتين فسخ هذا التعهد الشفاهي لامتناع حكومة الصرب عن الاعادة

واما المعاهدة التي عقدت في ايام عارف باشا مع حكومة اميركا فلم توضع موضع الاجراء قط .

واما الآن فمن المقرر عقد معاهدة مع دولة اليونان حسبما يقتضيه الجوار ولاحتياج الطرفين لها .

واغرب مايتصور ان الادارة السابقة كانت تعيد كل مجرم التجأ اليها دون مقابل

ولا معاهدة حتى ان المجرم العثماني المحكوم بخمس عشرة سنه كان يفر الى بلاد النمسا وبعد فوات الزمن يعود فرحاً فخوراً . اما المجرم النمساوي فكان يعاد بمجرد وصوله الى بلاد الدولة العثمانية . وما سبب هذه المسامحة والغفلة السياسية الا الخوف من تكدير جو الرفاهية على زعمهم كأنه من الممكن اجتماع الشرف والتغافل السياسي !

نابلس حسني عبد الهادي

الجنسية

تأليف ماكس نوردو العالم الاسرائيلي الشهير نقلها الى العربية . م ع ج

كلمة المعرب

كل مطلع على مجرى الافكار العصرية في الغرب يرى مسألة الجنسيات او القوميات الشغل الشاغل لكبار الساسة واعاظم الكتبة وفحول العلماء ويكفي المرء ان يتصفح بعض الجرائد والمجلات الاوربية ليرى فيها ذكراً لهذه المعضلة الكبرى ووسائل كثيرة لحلها . وقد لقب الكتاب والمؤلفون عصرنا هذا « بعصر الجنسيات » لكثرة ما احدث ويحدث في ايامنا هذه من الجدال والمناقشة بشأنها حتى تعدت الى المشاكل والمشاحنات وكادت تجر الى الحروب . فهي اذن مشكلة اليوم وكارثة الغد . لذلك رأيت من اللازم اطلاع بني قومي على مجمل ما وصلت اليه الآراء بخصوصها فلم اجد بحثاً ادق واتم من رسالة وضعها بالالمانية العالم الاجتماعي الشهير « ماكس نوردو » وصف بها هذه المسألة في جميع ادوارها وابدى من آرائه فيها ما هو جدير بالاهتمام فبادرت الى نقلها للعربية علها تفيدنا ولو بعض الافادة في احوالنا الحاضرة .

وماكس نوردو هو احد علماء العصر المشار اليهم بالبنان ، اسرائيلي الاصل الماني المنشإ اشتهر بمؤلفاته العديدة ورسائله الجمة التي امتاز فيها بالجد والدقة في البحث وبعد النظر والصراحة . منها كتابه « معنى التاريخ » الذي احدث ضجة كبرى عند ظهوره وقد انحى فيه على الحقائق التاريخية والمؤرخين ؛ و(السقوط البشري) وهو مجموع ابحاث فلسفية اجتماعية عصرية مثل : (الفلسفة الروحية) و (مذهب الانانيين) و (آخر القرن) و (القرن العشرين) ومنها كتابه المسمى (اكاذيب مدنيتنا المتفق عليها) و (مناقضات الاجتماع) و (مناقضات علم النفس) ومن امهات كتبه العلمية (روح

ماهو اساس الجنسية ، وما هي علامتها الفارقة ؟ لقد كثر البحث في هذه المسألة وأختلفت فيها الآراء . فقال بعضهم بالجنس يعني الاصل الفطري . والخطأ في هذا القول محسوس بحيث يوجب الانفة من الرد عليه . انا لا أعتقد بوجود الجنس البشري والما الشعوب المختلفة أنواع ثانوية لجنسنا ، والاختلافات الشكلية واللونية لم تنشأ عن تغير الجنس الواحد بسبب تأثيرات الاقليم بل منشأوها الحقيقي تعدد الجنس ، يظهر لي ان التيب بين الابيض والحبشي أو بين البابو (١) والهندي ليس أعظم من النسب بين الفيل الافريقي والفيل الهندي أو بين الثور و بين الجاموس الاميركي . ولكننا قلما نجد في جنس واحد كالابيض مثلاً من الاختلافات المهمة مايسمح لنا بوضع ميزة فارقة وحدود بين أشكال الجنسيات المتنوعة . يوجد في كل شعب ابيض أفراد ذوو قامات كبيرة او صغيرة وشعور زاهية أو قاتمة وعيون زرقاء او سوداء وهامات مستطيلة أو عريضة وامزجة باردة او حادة وبينا نرى بعض هذه الصفات متغلباً في شعب وغير متغلب في شعب آخر لانجد في الصفات الطبيعية او العقلية أقل معنى في تمييز الفرد ونسبته الى جنس محدود مثلما نجد في البشرة السوداء وشكل الوجه وتجعد الشعر من تمييز الحبشي ونسبته لجنس محدود

ان جميع التجارب التي جرت لايجاد (شكل متوسط) خاص لكل شعب لم تجد اقل فائدة علمية . ولقد تكون قراءة اوصاف هذا « الشكل المتوسط » لذيذة تهيج فينا عاطفة « حب الذات » لكنها في الواقع لم تخرج عن حد التخيل . على ان خطوط ذلك الشكل لو كانت غير خيالية ليست سوى رسوم ظاهرية في المرء — لاصلة بينها وبين حياته الداخلية — طبعت على بشرته ويمكن ان تمحى عنها متى تقدم في العمر ، انها لاترسم عليه اذا نقل وهو طفل الى بيئة غير التي ولد فيها وعرض لتأثيرات جنسية غريبة . ان (شاميسو (٢)) مؤلف كتاب « بطرس شليميل » أو « الانسان الذي اضاع ظله » كان غلاماً متأدباً ايام لم يكن يعرف من الالمانية حرفاً فاصبح بعد ذلك شاعراً المانياً يضاهي اكبر شعراء الالمان الذين يزعمون ان دم الجرمان القدماء (ضيوف

(١) (البابو) أحباش اوسيانيون يقطنون غينيا الجديدة و بريطانيا الجديدة وارخبيل سليمان وجزائر هبريد من قارة اوستراليا .

(٢) اديب وعالم طبيعي من أصل افرنسي نشأ في المانيا ونبغ فيها حتى اصبح يعد من فحول ادبائها وعلمائها العظام (١٨٣٨ — ١٧٨١)

تاسيت [1]) يجري في عروقهم والمؤرخ (ميشليه [2]) ولا اعني ذاك الافرنسي المتحمس بل الفيلسوف (الالماني) بما ظهر عليه من الصفات العقلية التي عدها « علماء الانسان » من مميزات الجرمان : كالحصافة ، والجد الادبي ، حتى التعقيد في الانشاء ! والمفكر « جول دو بوك » العريق في افرنسيته — كان أبواه يفتخران بدمهما الافرنسي الخالص — وهو الذي اشتهر بكتاباته بالطريقة « الأيديالستيه [3] » الالمانية خاصة ، و « دو بوار يموند [4] » الافرنسي الذي اصبح المثل الاعلى للعالم الالماني ، اما « تيودور كونتان » فانه لم يكن المانياً فقط بل « المانياً شمالياً » بتأملاته الطبيعية وتحليله للنفوس ... الخ الخ وهكذا قل عن اي شعب اوربي شئت فانك تجد فيه مثل هذه الحوادث شيئاً كثيراً

من ذا الذي قرأ مؤلفات « لوثراولباخ » و « اوجين موار » — مؤلف رواية LA MOINNETTE — و « شولر » و « ديتز » ولا يعتقد انهم افرنسيون اقحاح؟ بل من ذا الذي لايرى في مؤلفات « هرتزنبوخ » و « بيكر » صفات شعراء الاسبان؟ او من يرى في « دانتي [5] » شيئاً غير انكليزي حاشا اسمه قد يكفي ان يعيش المرء

(١) (تاسيت) مؤرخ لاتيني عظيم ولد بين عام (٥٥ و ١٢٠) قبل المسيح وألف كتباً قيمة عن تاريخ الجرمان ووقائعهم واخلاقهم . وتمتاز مؤلفاته بسلامة الذوق وفصاحة العبارة ودقة النظر

(٢) مؤرخ افرنسي كبير ولد في باريز وكان يعلم التاريخ في كليتها الكبرى وبالنظر لحريته منع من التدريس مرتين وقد بث كتاباه « تاريخ فرنسا » و « تاريخ الثورة » روح الحياة الوطنية في الفرنساويين (١٨٧٤ — ١٧٩٨)

(٣) (الايديالسم) مذهب فلسفي ادبي ينكر حقائق الاشياء مجردة ويعتقد انها ليست سوى صور فكرية لا تنفصل عن نفس المفكر .

(٤) اديب فرنسي ولد في (تروا) وله مؤلفات جمة في القصص والادب

(٥) دانتي شاعر ايطالي شهير ولد في (فلورنسا) وولي اعمالاً سياسية خطيرة ثم نفي فسكن باريز مدة وعاد الى (رافين) ليموت فيها (١٣٢١—١٢٦٥) نظم قصائد عديدة بث فيها غرامه المبرح في (بياتريس) ابنة (فولكو) ولاجلها الف كتابه المسمى « بالحياة الجديدة » لكنه اشتهر خاصة بروايته المشهورة « الكوميديا الالهية » وقد نال بسببها لقب ابي الشعر الايطالي .

في امة ليقتبس عاداتها واخلاقها الحميدة والذميمة دون ان يكون بينه وبينها صلة رحم وان ظهر لنا ماينافض هذه الحقيقة في شخص بعض الكتاب وارباب الفنون فيجب علينا اذن ان نبحث عما اذا كانوا أو كنا نحن متأثرين باحد مصدرين للخطاء يصعب اجتنابهما.

من البديهي ان نميل الى البحث في « شامبسو » مثلاً عن صفات نلصقها بالافرنسيين ظلماً فنجدها فيه والسبب في ذلك سرعة تغير صور الحوادث في اذهاننا فتتطور طبقاً لما علق في أفكارنا من الصور المغلطة ، ومن جهة أخرى نرى ان من المألوف عند الشاعر او صاحب الفن العائش في انكلترا ان يبقى في رأسه فكرة وطن أجداده فيخيل اليه انه من الواجب عليه ان يكون ذا أطوار تذكره بذلك الوطن وبسبب الاستهواء الناتج عن تلك الفكرة نراه لايفتأ يغير في طباعه — من غير ان يشعر — و يألف أطواراً اخرى صناعية حتى يكون مماثلاً لمواطنيه الاصليين ، والمضحك في هذا الامر ان لايظهر في صفات بني وطنه الحقيقية بل يتلبس الصفات التي ينسبها الانكليز عادة لمواطنيه خطأ .

فالجنس اذن لايمنع المرء حقاً في جنسية محدودة وها ان أبناء الهوكنوت الذين هاجروا الى مقاطعة (براندبرج) اصبحوا اليوم من أحسن الالمان وابناء مستعمري « امستردام الجديدة » من الهولانديين هم الآن أميركيون شماليون لايختلفون عن الاميركان الاصليين في شيء . فالحروب وكثرة المهاجرة مع حركة الافراد وتنقلهم جمعت بين العناصر المختلفة في بادي الامر ومزجتها مزجاً غير قابل الانحلال ، وجميع شرائع الامم الممدنة تظهر عدم الاهتمام بصلة الدم بما تبدي من ضروب التساهل في قبول الاجانب في تابعيتها وتجنيسهم بجنسيتها بحيث يكون لهم من الحقوق والواجبات مالرعاياها الاصليين

ولما كان أساس الجنسية المبني على « الانتروبولوجيا » (علم الانسان) غير كاف ، حاولوا ان يخترعوا لها أساساً تاريخياً قانونياً فقالوا : ان مايكون الامة هو ماض عام ومستقبل عام هو الحياة العامة في ظل حكومة واحدة وشرائع واحدة ، هو ذكرى أفراح وأتراح تقاسمها افراد الامة سواء . هذه القضية على مابها من الزخرف الخطابي ان هي الا سفسطة يرفضها العقل مؤيداً بالحوادث . سل من شئت من الروثانيين — اهل غاليسيا — عما اذا كان يشعر بانه بولوني بالرغم من مشاطرة الروثانيين البولونيين ، منذ

نيف والف عام في حياتهم وشرائعهم وحكومتهم السياسية . واسأل اي (فيني [١]) او (سيومي) — كذا يلقبون انفسهم — هل يعتبر نفسه اسوجياً فنلنديًا مع انه يساكنه ويعيش معه تحت ظل حكومة واحدة منذ اكثر من الف عام ايضاً . نعم ان اتحادهما في الشرائع وفي الحكومة ولا سيما في العادات والاخلاق مما يستلزم تآلفهما وينبه فيهما عاطفة التضامن والتكافل . وعلى عكس ما يجري مع اليهود فانهم قلما تعتبرهم الامم التي يعيشون في حضنها جزءاً (٢) منها . وذلك بانهم لا يزالون متعلقين تعلقاً اعمى بعادات اجدادهم — كاستعمالهم الميقات ، وتعظيمهم ايام الاعياد والبطالة ، واحترامهم الشريعة الخاصة بالمآكل واتخاذهم السكنى . . . الخ — التي تخالف كل المخالفة عادات مواطنيهم المسيحيين والتي من شأنها ان تنبه في هؤلاء عاطفة الاستقلال والافتراق عنهم . فمثل هذا الاتحاد قد لا يكفي لان يؤلف من شعوب شتى شعباً واحداً ذا جنسية واحدة

كلا ان هذا الا تمويه لا تلبث الحقيقة ان تبدده ، وما اندر ما يظهر منشأ الانسان الطبيعي مرسوماً على محياه اذ القاعدة العامة تنكره ولن نقوى على اثباته . انه لا يشعر به في نفسه ، وكل ما قيل في حق (صوت الدم) ليس الا سفاسف يبني عليها القصصيون خيالاتهم ، وليس للشرائع والادارات السياسية وحدها من القوة ما يكفي لتحديد الجنسية على ما لها من التأثير في تهذيب اخلاق المرء . وما يحدد الجنسية في الحقيقة الا اللغة . فبها وحدها يصبح الانسان عضواً في جسم الامة وهي وحدها تخوله الجنسية . فلنتمثل حق التمثيل مكانة اللغة للفرد وحظها في تكوين وجوده وفكره وشعوره ومظهره الانساني

باللغة يتكيف نظر الانسان حسب نظر الشعب الذي هذبه ورقاه واودع فيه وفي تركيبه ادق حركاته الفكرية وارق خصائص عالم تصوراته ، باللغة يصبح الانسان ابن الشعب ووارث مفكريه وشعرائه ومؤديه وقادته ، باللغة يخفض المرء جناحه لأديبات الشعب وتاريخه بفضل ما يؤثران في جميع افراد ذلك الشعب فيجعلانهم سواء في الشعور والعمل . حقاً ان اللغة لهي الانسان نفسه . بها يدرك صفات الحوادث الكونية العامة ، وبها

(١) (الفينيون) قبائل تقطن شمال اوربا وآسيا ومنهم (اللابون) و (الاوستياك)

(٢) المقتبس : لذلك كان ماكس نوردو واضع اساس الصهيونية وهي ان يكون للاسرائيليين جامعة سياسية في فلسطين يؤسسون فيها مملكة مع الزمن تعيد مجد اسرائيل كما وردت البشارة بذلك في التوراة

يوئثر في العالم الخارجي . الا وان فرداً واحداً من بين ملايين الخلق يفكر بذاته ويلبس تأثيرات الحواس عليه صوراً شخصية وسائر الملايين من الخلق تتبع ذلك الفرد عن بعد او عن كثب ، في افكاره بما وصل اليهم منها بواسطة اللغة . كان فرداً واحداً يعمل ، و يبث مدركاته في الناس والوجود باعماله الآمرة ، بينما ملايين الخلق تحصر اقوالها في اظهار ماوصلت اليه عقولها من الرقي . فاللغة اذن هي اقوى صلة تجمع بين الناس . واخوان شقيقان لايتفاهمان بلغة واحدة تلقاهما غريبين احدهما عن الآخر اكثر من شخصين غريبين التقيا لأول وهلة فتبادلا التحية بلغة واحدة

قد رأينا الانكليز واميركيي الشمال يتشاجرون فيما بينهم لاختلاف المصالح ولكنهم سرعان مايتحدون قلباً وقالباً امام غير الانكليز ويشعرون حينئذ بانهم ابناء أم واحدة هي (بريطانيا العظمى) ولقد اشتعلت نار الحرب واشتد سعيرها بين الهولنديين والفلمنكيين عام (١٨٣١) وهم اليوم على وشك عقد اتحاد اخائي كبير . ولما حارب البوير الانكليز او لما دافع البوير عن انفسهم من مطامع انكلترا السياسية كان قلب الهولانديين يخفق لهم ألماً وفرحاً بينما كانت العلائق بين هولاندة وحكومة الرأس (الكاب) قد انقطعت بتاتاً منذ قرن تقريباً . فلم يمنع اختلاف الشرائع والعادات والاخلاق وذكر التاريخ من اشتراك بلجيكا وسويسرا الفرنساويتين (لغة) في الدفاع عن فرنسا في حرب السبعين . وعلى الرغم من كره النروجيين الاحتلال الدانمركي الذي توصلوا الى التخلص منه اخيراً وبقاء شيء من ذلك الكره الى ايامنا هذه فقد رأينا النروجيين إبان حرب (شلسويك — هولستاين[1]) يتسابقون بحماسة الى نصرة من لاتجمعهم بهم سوى رابطة صغيرة هي اللغة ، واعظم بها من رابطة .

. . .

ولقد اتى على اللغة حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً وذلك حين كان الشعب في درك الانحطاط لاوظيفة له غير السخرة وتأدية الضرائب بينما كان الامر والنهي في ايدي فئة قليلة من المتسلطين . وكان يومئذ رجل الشعب لاحاجة له باللغة . وما ذا تفيده اللغة : ألانين وصب اللعنات او كتابة مزحات غليظة داخل مغارته[2] ؟ انه لم يكن يختلط بغير رفقائه في القرية وهؤلاء لم يكونوا يعرفون من اللغة اكثر منه .

(١) مقاطعتان دانيمركيتان اغارت عليهما بروسيا والحقتهما بها عام ١٨٦٤

(٢) لم نفهم غرض المؤلف من هذه الاشارة .

اما السياحة والاغتراب او رؤية الغرباء في بلده فأمر غيرمعهود . وما كانت حكومة ذلك الوقت تستعمل غير الـوط تكلمهم به دون ان تعمد الى النحو او معجمات اللغة . وكانت الديار اذ ذاك بلقعاً خالية من المدارس . وكان رجل الشعب المطالب بحق من حقوقه في المحاكم لايستطيع الافصاح عما يكنه صدره امام القاضي فلا يرى ثمة وسيلة غير الاستعانة بمحام يدافع عنه وما كان مأمورو الادارة ليسعوا الى مبادلة الشعب الحديث او مطارحته الشؤون وكان الشعب في الكنائس يطفح قلبه بالعواطف التعبدية فلا يقدر على الافصاح عنها وذلك لان الكثلكة كانت تمثل له الاله كسيد كبير اجنبي لايعبد الا بلغة اجنبية — اللاتينية — بواسطة قساوسة علماء في تلك اللغة فلم يكن من حاجة للفرد ولا في وسعه ان يخرج من مأزق الحالة الوراثية التي نشأ عليها الى محيط افسح مستعيناً بالكلام . وعندما ظهر شيء من الاستقلال في بعض المدن والدساكر اخذ السكان يجتمعون فيتحاورون ويتناقشون في امورهم وهناك كان للغة دور مهم اذ تفرق الناس شعوباً وقبائل بحسب اختلاف لغاتهم متنازعين فيما بينهم على السيادة والامارة .

اما طبقة الاشراف فما كانت لتهتم باللغة لاسباب منها ان حقوقهم في السلطة كانت مضمونة لهم منذ ميلادهم . فكانوا سادة امراء دون ان يفتح الواحد منهم فمه او يجر قلمه . اعتبر ماحصل في ايامنا في انكلترا التي لاتخلو تقاليد حكومتها الحالية من بعض عادات القرون الوسطى ، اذ ان هولاندياً من سلالة (ابقومي) — اللوردراي — اصبح فجأة سيداً من اشراف انكلترا وعضواً في مجلس اللوردات وذلك لخلو عائلته من وارث انكليزي ذكر يرث هذا اللقب العظيم ... بمعنى انه اصبح ذا حق في الحكم التشريعي في المملكة البريطانية دون ان يكون وطنياً انكليزياً او ان يعرف كلمة واحدة من اللغة الانكليزية !!! ولما كانت بعض الاحوال العامة تضطر الشريف الى الظهور كان هذا السيد يتكلم باللاتينية او ينيب عنه امين سره في استعمالها .

في مثل هاتيك الاحوال كانت الجنسيات محدودة لان اللغة نفسها كانت محدودة اما في ايامنا هذه فقد سارت الامم شوطاً بعيداً حتى في روسيا والعثمانية فالفرد اليوم حر وله الحق — مهما كانت منزلته — ان يرقى ويعلو المنزلة التي شاءت الاقدار ان يولد فيها . اصبح العدل شفهياً والادارة مفتحة الابواب لكل الناس تقبلهم في احضانها وتساعدهم بتعليماتها ، وكذا المدرسة والجيش . وقد سهلت البروتستانتية على الشعب عبادة ربه بلغته واستماع المواعظ والتعاليم الدينية بها . فصارت مزاولة الكلام لازمة

لكل حرفة ومهنة حتى اضطر اعاظم رجال الدولة بل الملوك انفسهم الى تعود سهولة النطق وارتجال الخطب . وهكذا اكتسبت اللغة مكانة عظمى حتى ان كل عقبة توضع في سبيل استعمالها او كل ضغط يسهل استعمال غيرها من اللغات الاجنبية يشعر به الفرد كعار الحق به، وامتهان بشرفه .

...

ان من يعيش بسكينة بين مواطنيه في دولة يرتبط جميع اعضائها بجنسية واحدة والذي لم يقع له ان خجل من لغته او انكرها لا يقدر قيمة تلك الجنسية . مثله كمثل الذي لم يشعر بمرض هل تكفي قراءة الاوصاف والاعراض او قص انواع الآلام والعذاب عليه لكي يشعر بها ويقدر مكانتها؟ ... اما من عاش في بلد مضطهدة فيه جنسيته ولغته غير لغة الحكومة ويرى نفسه مضطراً لتعلم لغة اجنبية لا يستعملها الا كاجنبي — هذا اذا لم يشأ ان ينبذ شخصيته او رفض الوظائف العالية والتمتع بحقوقه المدنية في تلك الدولة ليعيش كاحد عبيد القرون الوسطى او كاحد المجرمين المحكوم عليهم بالخروج من حقوقهم المدنية والانسانية ... هذا الذي يضطر للخنوع وتنفيذ الرأس امام جنسية اجنبية ، يقدر مزايا الجنسية الخاصة ويشعر بها! ليس الحرمان من حقوق الشرف التي تحكم بها بعض القوانين بشيء مذكور في جانب الحرمان من استعمال اللغة! ليس تصفيد الأيدي والأرجل بالاغلال باشد من عقل اللسان! هناك يحاول المرء ان يخرج من سجن نفسه فلا يستطيع! و يتأكد ان في امكانه ان يكون بليغاً فيرى نفسه مضطراً الى ان يرطن بلسان اعجمي . بل يرى نفسه محروماً من اقوى الوسائل الفعالة في التأثير في الغير فيشعر بانه مفلوج مقطع الاوصال!

ان المرء الذي يعرف نفسه لا يرضى لها مثل تلك الاحوال . ومن ذا الذي يقوى على انكار ذاتيته طائعاً مختاراً؟ بل من ذا الذي يرضى بان يعيش عيشة خالية من افضل المزايا واعظمها : وهي استطاعة ابداء مظهري رقيه النفساني الشعور والفكر؟ نحن على يقين بان الهندي الوثني المعتقد يطرح بنفسه تحت عجلات مركبة (جاغرنات [1])

(١) (جاغرنات) بلدة حصينة في خليج بنغالة واشهر المدن المقدسة في الهند سكانها ٣٠٠٠٠ الف و يحج اليها كل عام نيف ومليون وثني يردون اليها من اقاصي الجهات الآسيوية وفي العيد الاكبر يطوف البراهمة بمركبة عليها صنم معبودهم فيتسابق المتهوسون من الهندو الى طرح انفسهم تحت عجلاتها ليقضوا شهداء

طمعاً في ان يحيا حياة اخرى انعم واسعد من الاولى ، نعلم علم يقين ان (الفقير [١]) يأبى استخدام بعض اعضائه ويعيش سنين عديدة كنصف انسان او كانسان مائت وذلك لانه يجد من نفسه دافعاً ومن النعيم الموعود به مشجعاً ان هو قدم حياته لله قربانا ولكننا لانقدر ان نتصور اولئك الذين يولون لجنسيتهم الادبار ويرضون باستعمال لغة اجنبية يرطنون بها طول حياتهم بين استهزاء الآخرين بهم وخجلهم الدائم من انفسهم واما الذين يأتون بضحية مثل هذه جبناً او عجزاً او عن حماقة فعندي انهم يستحقون الشفقة الا الذين ينبذون لغتهم اي — أنانيتهم — وذاتيتهم المفكرة ويتسربون الى اهاب اجنبي طمعاً بنيل بعض المآرب فاولئك هم المذمومون الممقوتون بل هم أذل من (السكوبزي) الروسيين Skoptzi الذين يخصون انفسهم لاعتقاد ديني اما الاولون فيخصون انفسهم عقلياً طمعاً بمال او بما يوازيه ٠٠ حقاً اننا لانجد كلمة تقوم بوصف هذا الانحطاط الاخلاقي !

٠٠٠

ومن حظ الانسانية وشرفها ان اولئك الانذال هم الاقلون ٠ اذ الاكثرية تتمسك بلغتها وتذب عن جنسيتها كما تذب عن حياتها ٠ ان للشعب المتسلط ان يشرع قانوناً يجعل به لغته لغة الدولة ويسلط لغة المغلوبين على امرهم حتى تصبح خليطاً عامياً للسوقة لا يدخل المدارس ولا الكنائس ولا المحاكم ولا المجالس ٠ فان كانت هذه اللغة راقية او منتشرة في بلاد اخرى ، ذات ادبيات وحظ واف في التعبير عن مظاهر الفكر الانساني سواء في السياسة او في العلم فانها لن تخضع لهذا العار ٠ اذ تصبح الجنسية المضطهدة عدوة الشعب المضطهد تعض كف الذي يحاول ان يكمها وتصيح مستصرخة تريد التكلم الذي يأباه عليها غاصبها وبعد اليأس تحاول ان تهدم بنياناً سياسياً كان سجنها عوضاً عن ان يكون ملجأها ٠

قال احد هزلي الفرنسيس : لا وسيلة في الدنيا تقنع رجلاً تام العقل بان يسلم رأسه لتحز بالمقصلة (الغيلوتين [٢]) ونحن نقول بأنه لا شريعة في الدنيا تقوى على اقناع او ارغام شعب راق يشعر بوجوده ان يتنزل عن لغته وعبقريته ٠ والدولة المؤلفة من جنسيات شتى لابد ان تقع في منازعات وحروب داخلية لا تستأصل الا بوسائل

(١) الفقراء طائفة من متصوفي الهند لا عمل لهم الا التسول ٠

(٢) الغيلوتين آلة الاعدام عند الفرنساويين قديما

راديكالية اي أصلاحية مطلقة أهمها (اللامركزية) المطلقة باوسع معانيها . لكنها ويا للاسف لم تخرج من نظرية معقولة تخيلها بعض الساسة ولا يمكن تطبيقها على مجرى الاحوال . وليتصور القارئ الى اي درجة يجب ان تصل اللامركزية ، لكي ترضي جميع الجنسيات المختلفة في دولة واحدة ويلزمنا ان نعرض لكل فرد الحق بتقلد الوظائف عامة في جميع جهات الوطن وان يشترك في الحقوق المسماة (بحقوق الانسان وحقوق الوطني) دون ان يضطر الى استعمال لغة غير لغة آبائه واجداده فيجب والحالة هذه ان تستعمل في المصالح الادارية = من مكتب البريد في القرية الى النظارة = والعدلية = من قاضي الصلح الى محكمة التمييز = جميع اللغات المتكلم بها في تلك الدولة . وهكذا يجب استعمال جميع هذه اللغات في المجالس النيابية = سواء في ذلك القرى والاقضية والولايات = كما يجب ايضاً تأسيس مدارس ابتدائية وثانوية وعالية لكل شعب وبالاختصار ان لا يضطر احد لتعلم لغة غير لغته لنيل ما يناله مواطنوه الآخرون فهل يمكن القيام بكل هذه الواجبات ؟

اللهم ان هذا الامر مما يستلزم تقسيم الدول الى اجزاء صغيرة ليس بينها اقل رابطة محسوسة ، ان مساواة تامة كهذه بين شعوب مختلفة في ظل دولة واحدة ليست ممكنة الا بين امتين فقط ، متساويتين قوة كما هو الحال في بلجيكا لا حيث يوجد عشر او اثنتا عشرة امة = كما هو الحال في دولة النمسا والمجر — مختلفات في اللغة وفي العدد وفي المعارف لا صلة بينها ، متداخلة بعضها في بعض اذ ترى في القرية الواحدة ثلاثة او اربعة أجناس ولغات وفي الولاية اكثر من ذلك . ولا بد لدولة كهذه من لغة رسمية والشعب الذي تكون لغته هي الرسمية يصبح وحده حاكم البلاد . وهكذا تعدم المساواة التامة وتمتهن الشعوب الاخرى فتعيش عيشة منحطة . هناك ترى بين الافراد الوطني التام ونصف الوطني ذاك تطلق الشريعة لسانه وهذا تقضي عليه نفس الشريعة بالبكم . ومن يذكر تلك الاسطورة الالمانية (خرافة الغرايب السبعة) التي جاء فيها ان أبنة منعت من التكلم مدة سبع سنوات وان شعباً كاملاً حرم من ابسط حقوق الانسانية واعلاها يجد ان هذه الخرافة اصبحت ادارة سياسية في أحوال لا تطاق كالتي وصفناها !.

. . .

يعتقد بعض الخياليين من رجال السياسة انه سيأتي على الانسانية الممدنة يوم لا ترى

فيه من حاجة الى الاوضاع الدولية الكبرى اذ لاحرب ولا امور خارجيـة : هنالك يؤلف الناس جماعات كبرى أشبه بعائلات كبيرة او جمعيات محدودة يتمتع الفرد فيها بحرية لترقية نفسه ويتكفل جميع اعضائها بالمساعدة الادبية والمادية الضرورية لحياة الانسان ويكون كل جماعة مستقلين عن الآخرين الا في المشاريع النافعة واللازمة لجماعات متعددة والتي لا تستطيع القيام بها منفردات فتتفق اذ ذاك تلك الجماعات اتفاقاً وقتياً خاصاً بالغرض المطلوب . وحينئذ تلغى الجنسيات لان الجماعات المستقلة تكون صغيرة جداً ومؤلفة خاصة من أفراد يتفاهمون بلغة واحدة . وقبل ان اقتنع بامكان تطبيق هذه النظرية في المستقبل فانا افضل نظرية اخرى وهي ان البشر ما داموا سائرين في طريق النشوء العضوي لابد ان يستغنوا ذات يوم عن اللغة وعن الحركات الرمزية للافصاح عن مشاعرهم فتقوم مقامها حركة ذرات الرؤوس التي ستخاطب الاروس الاخرى مباشرة بنوع من الاشعاع او التنقل المستمر ! اني لاضع هذا النشوء الروحاني وذاك التقهقر الدولي في مستو واحد من حيث جواز الوقوع ولئن سلمنا جدلاً بامكان حصول احد هذين الحلين فهل نسلم بان الزمن اللازم لذلك قريب كما يدعون؟ كلا انه لابعد مما يتوهمون . لاجرم ان الامم المضغوط عليهـا لن تقتنع بهذا كما انها لن تسلم باستعمال لغة عامة . قد يمكن ان يستعمل بعض العلماء الراقين في الانسانية جمعاء لغة واحدة عامة لتبادل الافكار فيما بينهم . ولكن من الصعب التصديق بأن اقواما متفرقين يتحدون على تعليم هذه (اللغة المدرسية) لغة العلم ويخضعون لحكمها وسلطانها اذا اراد الراقون في امة ان يلقنوا الشبيبة اسرار العلم او يربدوهم على امر خطير او يبدوا لهم ماتوحيه ضمائرهم من تحليل او تحريم فلا يلجأون قط الى إلباس افكارهم ثوب تلك اللغة الاجنبية التي تحرف اوضاعها ، وتثير اشكالها ، وتضيق عليهم نطاق حريتهم .

...

بقي امامنا بعد دحض ماتقدم وسيلة واحدة من الوسائل الراديكالية الآنفة الذكر الا وهي استعمال الشدة : ان اعمال التذبذب والتجارب الناقصة والضغط الضعيف قلما تفيد شيئاً في هذا الباب . لاسيما اذا كان المقصود اغتصاب ملك أساسي قديم يحتوي على جزء جوهري من الذاتية كاللغة فالتنازع لأجل اللغة ليس الاشكلاً آخر لتنازع البقاء فيجب ان يعتبر مثله : اما ان تقتل عدوك او تقتل او تنهزم ! وتنازع الجنسيات

ليس الا تكملة لحادث ظهر منذ قرون بل منذ الوف من السنين ثم سكنت ثائرته مدة فقام اليوم من رقدته ومشى مشية مسريعة نحو الختام . ولسائل ان يسأل كيف أختلطت الجنسيات المختلفة وتدخلت بعضها في بعض ؟ وهناك الجواب : دخل شعب غاز بآبلاد شعب آخر فلم يطرده منها بتاتاً بل بقيت فئات من الشعب المغلوب بين الشعب الغالب ، او ان الشعب الغالب كان اقل عدداً من المغلوب فلم يبق منه الا فئة قليلة . هنالك يشتد التنازع بعد ان كان ساكناً فيضطر الشعب الغالب لان يستجمع آخر قواه ليدفع عنه الشعب المقهور اوان يعدمه ادبياً بحرمانه من لغته بالقوة الوحشية اللهم الااذا نهض الشعب المغزو فجأة مدافعاً عن نفسه فيطرد الغازين خارج بلاده او يضطرهم الى نبذ جنسيتهم .

ولقد تأتي الحوادث عَلَى صورة أُخرى كأن ينزح فريق من شعب عن ديارهم لانها لاتكفي لعيشهم فيقطنون دياراً غيرها . فان كانت هذه الديار خالية في الماضي ثم شاركهم في احتلالها مهاجرون من شعوب اخرى فللمحتلين الاولين ان يعتبروا الجهاد في سبيل لغتهم جزءاً من جهادهم في تمهيد العقبات الطبيعية اذا ارادوا انشاء دولة تكون لهم ملجأً حصيناً ويجب عليهم حينئذ ان يدفعوا عن انفسهم خصومهم كما يفعلون بالمستنقعات والسيول والثلوج والمنحدرات والحر والوحوش الضارية والجوع والبرد وان يعتبروا المعيشة الطيبة التي لم يظفروا بها في بلادهم والتي صادفوها في غير وطنهم ثمرة لتغلبهم عَلَى جميع العقبات الطبيعية والبشرية بعد ان عرضوا في سبيلها حياتهم . اما اذا كانت البلاد التي استوطنوها آهلة من قبل فيجب عليهم ان يعرفوا الشروط التي بها نالوا الضيافة . فان كان من تلك الشروط ان ينبذوا جنسيتهم وكانوا قد رضوا بذلك فضعفهم وجبنهم لايستحقان الشفقة . ولمضيفيهم ان يرغموهم عَلَى التنازل عن لغتهم وذاتيتهم لقاء الخبز الذي يجودون به عليهم . واذا كانوا قداحتلوا جزءاً من بلاد اجنبية دون ان يؤدوا ثمناً شائناً لهذا الاحتلال فيقتضي ان يكون عندهم الآن من الارادة والقوة مايمكنهم مما كان يجب عليهم فعله في بدء احتلالهم لو قوبلوا بالعداء فاما ان يبرحوا الارض حالاً واما ان يغتصبوا بحد السيف قطعة من البلاد او ان يقعوا في تيهور كانوا عاجزين عن الخروج منه .

...

عَلَى هذه الصورة تتمثل امامي مسألة الجنسيات . فهي كالفصل الخامس الأخير

لقصص تاريخية محزنة بدأ بعضها من زمن هجرة الشعوب واكثرها بعد ذلك بكثير · وقد طالت فترة مابين الفصول لكنها لن تدوم ، فالستار ارتفع والكارثة عَلَى وشك الوقوع ، انها ستكون شديدة قاسية وكذا تكون مقادير كل كائن حي اذ الحياة جهاد لارحمة فيه · وليست هذه مسألة حقوق بل مسألة قوة في اعلى واعظم معانيها · وما من حق يضطر الكائن الحي للتنازل عن الاسباب الضرورية لحياته ، ولا يمكن ذلك الا بالقوة ، والقوة تسبب الدفاع والمانعة · وهل يطلب من الاسد ان يبرز صكاً يخوله الحق في افتراس الحمل · الاسد يغتصب الحمل اضطراراً وهذا مبدأ حقه في افتراسه · لاجرم ان للحمل الحق بقتل الاسد ان قدر عليه ··· وحيثما تكون الحياة او ما يماثلها معرضة للخطر يتساوى الحق بالقوة وهذا ظاهر حتى ان الشرائع البشرية جميعها تبيح للفرد الدفاع عن نفسه أي انها تسمح له في بعض الاحوال ان يستعمل القوة في الدفاع عن حقه · اوليست الحرب حالة من حالات الدفاع عن النفس بين الشعوب لابين الافراد ؟ اذا رأى الشعب في بعض الامور ماهو ضروري له مد يده لامتلاكه وحقه في هذا الشيء هو عين الحق الذي للأسد في إفتراس الحمل · فاذا شاء شعب آخر منعه فيجب عليه اذن أن يعارضه بالقوة بنفس الحق الذي له ايضاً · ولا وجه للمغلوب بالتشكي مادام له الحق باعادة الكرة مرة أُخرى · فان قهر نهائياً واضاع الامل بالقوة في المستقبل وجب عليه ان يذعن للقضاء قائلاً :« خلقت حملاً فيجب ان أعيش عيش الحمل ، حبذا لو كنت أسداً ! ولكن من الحمق مشاكسة الفطرة لانها لم تخلقني اسداً »

ان الشعب الذي يراد نزع لسانه لهو في حال الدفاع الشرعي ذوحق في المناضلة عن اثمن ملك لديه · لكنه اذا لم يك قادراً عَلَى الدفاع فلا حق له بالتذمر والشكوى · كما ان للشعب المتسلط ان لا يدع الضعف يتطرق الى لغته بوجود لغة اخرى في البلاد وان لايسمح بما من شأنه ان يقلق راحته في المستقبل · فان لم يقدر عَلَى حفظ حقه بالقوة فعليه ان يعترف للشعب الآخر بتساوي الحقوق فيما بينهما وان يهبط عن تلك المنزلة العليا منزلة الشعب المتحكم ، وان كان تحكمه شرطاً من شروط حياته فاحكم عليه بالهلاك · واني لأطبق هذا الحكم بدون تحيز عَلَى جميع الجنسيات المتنازعة كالالمان في هنغاريا وبوهيميا وكالدانيمركيين في مقاطعة شلسويك الشمالية وكالبولونيين في بوزن وكالرومانيين في ترنسلفانيا وكالايطاليين في طارانت · للخمسة الملايين من المجر في

هنغاريا الحق بصبغ الاحد عشر مليوناً من الشعوب الاخرى بصبغة المجرية لانهم يتمون الفتح الذي بدىء به سنة ٨٨٤ من عهد (ارباد [١]) ولكن للالمانيين والسلافيين والرومانيين في هنغاريا نفس الحق في الدفاع عن انفسهم وان قووا يوماً على المجر ونزعوا عنهم جنسيتهم فليس لهؤلاء الا ان يقبلوا ما خبأ لهم القدر الذي قادهم منذ الف عام الى النزول على بلاد اجنبية كادوا يخسرون فيها حياتهم . وللتشيك ايضاً الحق بتأليف دولة مستقلة لا يقبلون فيها احداً من الالمان وهكذا يستعيدون عهد الوقائع الدامية التي حدثت في مارش وفي الجبال البيضاء وللالمان ايضاً الحق بان يقاوموا بقوى اشد من اقوى التشيك ويصلوهم حرباً ثالثة تبرهن لهم انهم غير اقوياء على فتح بلاد خلوها منذ اثني عشر قرناً دون مقاومة .

. . .

لا بد لاوربا ان ترى مرجل الجنسيات ينفجر انفجاراً عظيماً هائلاً عندما يأتي دور تصفية الحساب . والفرق المتبعثرة من كل شعب اما ان ترجع الى اصلها فتلتف حوله واما ان تستصرخه وتستنجده فتنتصر بمعونته على الشعوب التي تستبدبها . ومصير الشعوب الصغيرة التي اكتسحت بلاداً بالاشتراك مع غيرها الى الزوال ان لم يكن لها من قومها عضد قوي يساعدها على الثبات امام جيرانها الاقوياء . هناك لا تثبت الا الامم الكبرى ، ومن الامم الصغرى من تستطيع تأسيس دولة مستقلة بطرد او محو سائر العناصر الاجنبية التي تعيش بينها

وقد لا يمضي القرن العشرون قبل ان يشاهد ختام هذا المشهد التاريخي . بل سترى اوربا منذ الآن الى ذلك اليوم العصيب شروراً كثيرة ودماء مهدورة ومظالم عديدة وقساوة بربرية فستمحى شعوب وتسحق اقوام بدون رحمة ولا شفقة . وتبدو امام هذا التسفل البشري مظاهر شجاعة عالية هناك شراذم انذال يخضعون ادبياً بدون مقاومة وهناك ابطال يشربون كأس الردى ممزوجة بالعز والشرف . وبعد كل ذلك تتمتع الامم الباقية بحقوقها الوطنية لا يرون فيها غير انفسهم . انها لنظرات مرعبة تتراءى لنا لكنها قلما تخيف من استعد لتحمل قسوة ناموس الحياة العام : الحياة جهاد وقوة الحياة تكسب الحق فيها . وهذا الناموس سار على الشموس في الافلاك كما هو سار على

---

(١) (ارباد) فاتح مجري توفي عام ٩٠٧ وهو رأس السلالة الملكية المسماة باسمه التي انقرضت عام (١٣٠١)

المكروبات في مياه المستنقعات وهو جار ايضاً عَلَى الشعوب يدبر مقاديرها ادارة لاتقوى عَلَى تغييرها شريعة غاشة ولا سياسة قادرة ولا مصلحة ملكية ولا خبث انذال ولا تلاعب لؤماء

ولقد تدمع عين ذي العاطفة حينما يرى شعباً يجود بنفسه . اما ذو العقل فيعترف بان هـذا الشعب هلك لانه لم يكن ذا قوة تكفيه للحياة ثم يضع هـذا الشعب بين الاشكال البيولوجية (الحيوية) المغلوبة عَلَى امرها والتي مر عليها نشوء الكون .

نقد كتاب البنين

لا تتجاوز الكتب العلمية التي عربت في سورية منذ انتشار حرية المطبوعات عدد الانامل وكتاب البنين تأليف بول دومر من رجال السياسة الفرنسوية هو من انفع الكتب ولذلك احسن عبد الغني افندي العريسي احد صاحبي جريدة المفيد في نقله الى هذا اللسان العربي وقد قدمه الى رفيق بك العظم فقدم له صديقنا هذا مقدمة في علم الاخلاق عند العرب وذكر بعض ما كتب فيه علماؤهم وعرب فيه حديثاً الى لغتهم اجاد فيها كل الاجادة

والكتاب تأليف رجل جرب الامور فقال عن تجربة اكثر مما يقول عن علم نظري قسمه الى أبواب الباب الاول في الارادة والملكة والواجب والاقدام والسعي والعمل وتهذيب الاخلاق والعدل والاخاء والحرية والتسامح وتهذيب العقل وتأثير الاخلاق في الجسم الباب الثاني في ذوي القربى والارحام والمحبة والوداد والزواج والبنين والسعادة والثراء ونقص الانفس الباب الثالث في الديموقراطية والدستور والواجبات الوطنية والمساواة في الحقوق وأنوع الحرية والتعليم والتعاون وتدارك البؤس الباب الرابع في حب الوطن والسفسطائيين وهذه الامة وقوى الوطن والحرب والجنس البشري

ولا نعلم الطريقة التي جرى عليها المعرب لان الكتاب الاصلي غير موجود لدينا لنقابل بين الاصل والفرع ولم نره منذ عربناه عنه يوم صدوره مقالة في السنة الاولى للمقتبس عَلَى سبيل النموذج ثم رأينا مجلة أنيس الجليس في الاسكندرية قد عربته

او اكثره ونشرته تباعاً والغالب انها لم تنشره عَلَى حدة وقد لاحظنا المعرب قد التزم التعريب بالمعنى الا في مواطن اضطر فيها الى متابعة الاصل فجاء عَلَى تعريبه بعض الجمل شيء من الاضطراب

مثال ذلك تعريبه (ص١٣٥) لابيات فيكتور هوغو بقوله :

عهدنا اذ لو ضممنا عمرنا ماحبا العمر لسن الاربعين
عهدنا اذ يبسم الدهر لنا عن ثغور ملؤها عطف ولين
عهد ايام بها كان الشذا ه علينا كربيع الياسمين

وكذلك تعريبه لابيات هوغو ايضاً (ص١٤١)

إلهي لاتصب جسمي بسوء ولا قومي بشر مستطير
ومن عَلَى احبائي بلطف وآبائي واخواني بخير
ولا ترزأ بمكروه عدوي ولو انحى بمكروه عسير
ولا تجعل بلا زهر ربيعاً ولا تقفص الطيور بلا طيور
ولا تدع القفير بغير نحل ولا بيت الفتاة بلا صغير

واسقم من هذا تعريب بيتين لنادو (ص١٢٢).

الا ايها الطفل الودود الا ارحل فانت من الاوهام حلم تلذ لي
زعمت بحب الامية صادق وما حبكم الأمهات بامثل

ومثله في (ص٥٨)

خدموا بني أوطانهم فقضوا شهداء فيها للوفا وجبا
فذروا الزهور عَلَى رموسهم فلقد حكوا بوفاهم العربا

وانت ترى الضعف بادياً في هذه الابيات وكان عَلَى المعرب ان يعرب المعنى ويكتفي به او يدفع المعرَّب بالحرف الى شاعر كبير يعربه له بنظم سلس لا غبار عليه فان الشعر كالموسيقى والخطاب العام والتصوير لايستحب فيه الا المفرط في الاجادة كما قال لابروبير العالم الفرنسوي في مقدمة كتاب الاخلاق

ثم ان المعرب اقحم عبارات في متن الكتاب ليست منه كما فعل في صفحة ١٠١ فوقف موقف المؤلف وعدد الكتب التي يجدر بالفتى العربي ان يتلمسها ثم اقحم جملة فيمن وقع اختياره عليهم من رجال العصر الحاضر ومن الشعراء الغابرين والمعاصرين ومن المورخين القدماء والمحدثين فهذا الاقحام غير محمود خصوصاً والتاريخ يجب ان يرى

مايقول المؤلف فقط اما المعرب فاذا كان له فكر خاص فما عليه الا ان يؤلف رسالة خاصة في الموضوع تكون اوقع في النفس لانها تعرب عما خصصت له اذ ربما تغير حكمه الذي أصدره اليوم غداً او بعد غدٍ وهذا لايجوز في كتاب اخلاق يتداوله الناس الجيل بعد الجيل ٠

وقد رأينـا الكلام مخطوماً (ص ٢٦٣) عند كلام المؤلف على العرب ومدنيتهم اكتفى المترجم بوضع بعض اصفار دلالة فيما نحسب على ان هناك جملاً لم ينقلها وكان الاولى ان تعرب بالحرف ليطلع عليها القارئ ؛ واذا رأى المعرب ان المؤلف خرج حقيقة عن الصدد يذيل عليه بما يعلم في أسفل الصحيفة فان الامانة تقضي بان تنقل الكتاب برمته والا فيسمى تعريبنا له مسخاً او Adaptation كما يسميه الافرنج

وقد رأينـا المعرب يتوكأ على العويص في الاحايين فيستعمل الفصح الجديدة بالاستعمال لتتلقفها السنة الطلاب واقلامهم فيدمجوها في تضاعيف منشآتهم ولذلك جعل في آخر الكتاب جدولا للالفاظ اللغوية وتفسيرها بما يرادفها ٠ ومع حرصنـا على نشر الفصح كان الفضل لو عري هذا المعرّب من كل مايشوش ذهن القارئ ويحصره في الاستفادة من الفكر فقط

فبدلا من ان يعمد الفتى او الفتاة الى المعجم ليرى فيه تفسير ما ورد (ص١٥٧) من معنى « جلجلان » القلب يكتفي المعرب بان يقول حبة القلب او سويداؤه . وما نخال أحداً من البلغاء القدماء استعمل هذه اللفظة المتنافرة الحروف مثل « مشمخر » و « مستشزرات » و « سجنجل » التي نص عليها علماء البيان وحرضوا على إطراحها في الاستعمال لمنافاتها الفصاحة ولان في اللغة ما يقوم مقامها

وقد وقعت للمعرب الفاظ كررها في الاستعمال مثل تلابيب جمع تلبيب وهو مجمع الثياب فاستعملها في استعارة غير لطيفة كقوله (ص ٣٠) (التي كتب لمن اخذ بتلابيبها بالسعادة) وقوله (ص ٢٠٤) (قائم بين أسرته بتلابيب التهذيب والعلم) وص ٢٣٧ (اخذت بتلابيب الترقي)

وسقط المعرب على بعض الاستعمالات البعيدة او المنافية لروح الفصاحة واللغة مثل قوله (ص ٣٢) : (لاتجدي لاعصابك) والاحسن تجدي اعصابك ٠ وفي (ص ٣٣) (فلايدع في اعماله للصدفة مجالا) والاولى ان يقال للاتفاق لان الصدفة لم ترد بهذا المعنى ولذلك خطأوا من قال : في صدف الدهر صدف الدر وفي ص ٣٤ لكان

برسعها والاولى ان يقال لكان في وسعها وقد ورد هذا الاستعمال في عدة محال من الكتاب وفي الصفحة نفسها (يفضي الى فتن مستطيرة ومحن معقودة) وما نظن الصفة الثانية مما سبق استعماله وفي ص ٣٧ (تمسك منه مواس الخير) (عمل يخلص عنك لمنفعة الناس) (يدأبون فيها و يلوون عليها) (فيسعى في مصلحة ذرار ية) ولفظ مصلحة وقعت للكاتب غيرما مرة وهي من استعمالات جرائد مصر .

وفي ص ٣٨ (اصبحوا بمكان الظنة والتهمة) ولعله يريد الظنة (لا يعتمون ان يحرجوا في امرهم و يعوم بهم) (فعلى المرء متى جبه الواجب مصلحته ان ينأى عنها) ٤٨ (حبابه ان يستنيم له الوجدان) ٥٠ (فان الواجبات تتضارب كثيراً مع بعضها) والاولى بعضها مع بعض ٥١ (فمن كان يستمسك بخدافيره يستمسك بالاثرة الحسنة) ٥٤ (اي رجل كب على عمله) الاولى اكب ولعله من غلط الطبع الذي وقع كثيراً في الرسم والحركات مثل تشرأب اليها نفوس) والاولى تشرئب ومنها (ان يناوي كل مكروه ومرزئية ومخوفة) ٥٦ (اخذه رابط الروع) ٥٨ (يجدر ان يكتب على صفائح ضرائحهم) ٦٥ (فقد اربى فيها رجال القول واصبحوا بمكان ثقة من البلاغة حتى امتدحوا منذ قرون مدحاً عرفوا كنهه ايام الظهور) ٦٦ (لا تدخله سآمة من دؤب ولا اعياء من لغوب) والاعياء واللغوب يكاديكون واحداً وان كان اللغوب اشد الاعياء وفي الصحاح اللغوب التعب والاعياء ومثله في النهاية والغريبين وما ساق اليها الا التقفية ومثله (بدرت منه بادرة نزاع الى البطالة) ومثله ١٢٤ (فتق بعائدة من عطف واحسان من رحمة) ٩٦ (حتى يساهمه بديئة بدء) لعله بادئ بدء او بدأة ذي بدء ٧٠ (اعملوا واقدموا حزماً . فان طيب الحياة ورغد العيش ليس لمن كان غنياً منكم ... فاعملوا كداً كداً لانفسكم ولذويكم ولامتكم فتروحوا النفس وتسروا الخاطر) جمل ركيكة ولا سيما « اقدموا حزماً » « واعملوا كداً كداً »

٧١ (ومن ثم تطمئن نفسه فلا يستشير مباز بن الجو) ٧٢ (وهكذا الحال في التهامة) ٧٨ (فعلى من نزغته نفسه الى ان يتزيى بما هو ليس من اهله) ٨٠ (ومن الضرورة ان تلحق بهذه المعالي مداني نستنكف منها ونعرض عنها الا وهي الخلاطة والخلاعة ...) (فعلى الفتيان ان يجزموا فيحترسوا من الخلود الى هذه الملذات) (لان من اعتاد ان يأكل مطاعم تو بلت لا يستلذ بعدها بمطاعم غيرها) ٨٣ (لكنها رواحة للنفس) ٨٧ (واتخذ كل عضو من بني الانسان اخاً لك توده على السواء فلا تضمر

لاحد منهم وحراً ولا لاية امة وغرا لاداعي له ولا سببا)

٨٨ (نارت نائرتهـا فخاصت ولابت حول الام) ٨٩ (ولا تكونوا متشحشحين ! « فلال الخير » تخلفوا الاحسان ان لم تكافأوا) ٩٦ (فالعقيدة امر خاص بالوجدان يجرح ولو بخفيف المسيس) ٩٩ (ويقدموا بيقظة انتباههم على مستقبلهم) ١٠٠ (ينبغي للمرء ان ينظر فيها نعما حتى يتشرب عقله بهـا) ١٠٣ (ان العمل خير علاج لكرائه الحياة) ١٠٨ (فالرياضة واجبة لسداد الجسم نسعى اليهـا بهمة لا تفتر ولا تستحسر)

١١٠ (والممرضات اللاتي بلازمن المصاح فانهم يتعرضون للامراض المعدية والاوبئة المشؤمة ولا تلحق بهم اذية ۰۰۰۰ فمن لم يفتأ عن ان يتداعى المرض ويتوجع نحو الى المصائب وحواسر النوائب ويحاذر من طواريء الخطار) ١١٥ (غاب عني هذا الرجل بضعة سنين ١١٧ (فالام العظام والملل الشداد)

١١٩ (بطالب اليوم بعبادة الناس الذين نسل منهم ۰۰۰ ولم يسلسل آباءه الى اجداده) ١٢١ (واجب يتحتم علينا منذ نستمد الحياة منهما) (وتكادا (كابدا) الخطار لدواعي صحتك وصليا باشاق في شؤون تربيتك) ١٢٢ (المودة تضمد جروحات المصائب) الاولى جراح او جروح ۰

١٢٣ (سلاماً ورحمة ايها الابوين ! فقد قضيتما الحياة عَلَى القناعة في بيت حقير) (أماه داخلني حماسك) حماستك

١٢٥ (ولا ترأفن بنفسك عن محامد) لعله تربأن ١٢٦ (دينوا ابويكم ايهـا الناشئون كما داناكم بحب خالص) (سنة مطلق حكمها شديد وطأها (وطؤها) وودوا فان الوداد سجية رقيقة الجانب يعلق بها كل ناشيء ويواقع امرها)

١٢٩ (فيحدو عنه اكاذيب العواطف) (فان الصبر ليأزر وان الكراهة مع تداول الايام لتزول) ١٣٠ (وليكن من الود والعقل اتحاد يسلك ايها الفتى جنبات الصواب)

١٣١ (عَلَى الرجل ان يأوي « يؤوي » المرأة تحت جناحه) ١٣٢ (وليس يقصد من ابداع الحياة ايجاد بنين فقط بل تربيتهم وتمكينهم من القيام حقه في شؤون الحياة وجعلهم رجالاً رجالاً)

١٣٣ (ان المرء لا يصدر عن الزواج الا رجاء ان يلقي عن اكتاده مهام الامرة)

١٣٧ (لم يكن امهات او كن الا انهن اضطررنا الى ۰۰۰ انحطت انحطاطاً ليس بعده

من انحطاط) ١٣٨ (وعلى المرأة الفرنسة) (الاوان الانتظام بين المصار يف (الفقات) والارباح لامر تطلبه رفاهية الحياة) ١٣٩ (فتصبح مثله سافل امرها عرضة لكل المثالب والمعايب)

٤٣ (أحاجتهم للسعي اشحذوا واحضأوا نيران شجاعتهم ١٤٧ (لو لم يثبت ذلك بالبرهان اول بدء) (نوجه اعلاق قلوبهم الى امهاتهم ونجعل كعبة ثقتهم فيهن لان للام تأثيراً عليهم اقوى من تأثيرنا لرقة في عواطفها) ١٤٨ (وان في البنين روح عظمة تناصب النساء مناصبة تفيدهم وتروضهم على اعمال الارادة تحت ظل الام بدون ان يتفيل حزمهم) ١٤٩ (وتأهل فأبا البنين يودهم وليس للثراء ولا للفقر يد على السعادة) (فان من فلت ذات يده عن حوز طيب الحياة فقد شقت عليه حياته وتعاظمته اوقاته ... لانه مادام قاصراً عن تمية مورده مادام الفقر يدقعه و يذهب من جميل أنسه بأسرته)

١٥٠ (بيد ان الثراء وان لم تكن به السعادة اداة ذات بال للسعي يبتغيه ، ولا بدع ، سواد الناس ، لان من الحكمة أن يدأب المرء) (ان من لا سعي له ولا عمل للحصول على المال مساق (مسوق) بالطبع مع الذين) ١٥١ (بل عليه ان يكون في كل الاحوال بسيطاً في حياته قائماً (؟) أسرته) (يقنع بما بين يديه و يوافق مورده ومعاشه على الدقة وتقدير المنزلة فان من كان مورده مسانآة (مسانهة) خمسة آلاف ليرة ومصرفه (نفقته) خمسة آلاف ومئتين وخمسين ليرة كان فقيراً يتدرج الى السآمة والمشكلات)

١٥٢ (ان من يقطع عن الناس شوابك العلائق علائق الذات والاسرة) ١٥٣ (واعلم ان للعلائق والتعارف مع الناس سيئات أكثر من حسنات) (واقتلوا اوقات فراغكم في المنزل) من التعبيرات الافرنجية الاولى ابدالها باصرفوا واقطعوا وماشاكل ذلك ١٥٤ (ولا تهاملوا في زخرفة الاثاث فيقولن احدكم اني معيل لاقدرة لي عليه في سعة (وسع) كل الناس فقيرهم وغنيهم ان) (او تكلف في زينتها او تماجن في صنعها)

١٥٥ (تزيد المشرة وتوزن الجسم والاخلاق) لعلها تعدل الجسم

١٥٨ (اذا ضربنا صفحاً عن بلاد الروس المختلفة اصولها المجهولة سكانها في ذلك العهد) (مضى على ذلك التاريخ ثلاثون ربيعاً) الاولى سنة لان الربيع بهذا المعنى لم يرد في شيء من كلام العرب (بيد ان الانفس فيها مازالت تزداد بذلك الحين ولكن في

الناقص عن بقية الامم) (ثم دعي الامة الفرنسوية سنة ١٨٧١ فقدو لايتين « الالزاس واللورين) تبلغ مساحتهما ١٤ مليونًا ونصفًا من الكيلو متر المربع) الصواب ١٤ الفًا وخمسمائة كيلو متر مربع ١٦٠ (الانفس تزداد لدى جميع الامم ودمنا عَلَى موقف الجمود) (والانكليز الذين لم يكن لهم في ذلك العهد الا ثلثي ماللامة من الانفس)

١٦١ (هذا اذا أخذنا بلاد المال والابقوس (ابكوسيا) وتركنا بلاد أيرلاندة عَلَى معزل) ١٦٣ (نقطع دابر الامل من) استعارة غير حسنة (عرضة الاحتقار وموضع الصغار) (لامرية ان ستلهم مادونا الشعوب وتستلحم عنصرنا شعوب) ١٦٤ (ولقد كان في استطاعتهم الا يجيبوا سنة الوجود) (وأظن ان كان في الاعصر الخالية قبل وضع التاريخ رجال سفسطة)

١٦٥ (إلا ان هذا لايكون طباب (مايطبب به) لقص الانفس فان طبابه في الحمية الوطنية) (زلقت عَلَى أحادير الانحطاط وأشفاء الموت)

١٦٨ (مبادئ لايجوز لاحد ان ينكر عليها) ١٧٠ (تنقل هذه الصلاحية الى أحد) والصلاحية كلمة لم يسبق للبلغاء استعمالها وهي من مواضعات الاتراك تسربت الينا من المترجمات والصحف والاولى استعمال اختصاص او سلطة (فالديمقراطية والاريستوقراطية عرقنا في قلوب الامم) (كبرياء المتنفذين) ليس في اللغة تنفذ ١٧١ (ان كل المظالم ثقيلة على النفس مكروهة لدى النفس) ١٧٣ (فاستدعى ذلك الى توحيد القوى) والاولى دعا ذلك ومثله ص ٢٦٢ (يستنفع منها اكثر من ذلك (والصواب ينتفع فان سبن الطلب غير مقبولة كل حين

١٧٤ (كما وانه لايخلو) كما انه (عَلَى مايظن البعض بل سارت في بلاد اوربة أبعد من ذلك فازدادت المصلحة العامة الى درجة الزمت الحكومة لتكثير الدوائر ... مما يعود بالنفع على عموم ابناء الوطن والاحسن) بعضهم بدل البعض واضطرت الحكومة الى تكثير بدلا من الزمت ويعود بالنفع عَلَى عامة ابناء الوطن بدلا من عموم

١٧٦ (لاتكون فيه الحقوق مضمونة مصانة) مصونة

١٧٧ (فحكومتنا اصبحت بالتالي حكومة ديموقراطية) فبالتالي استعمال افرنجي (فهي لاتضرب خناقا عَلَى الحياة و لاتقف دون ترقي الامة)١٨٠ (جروحات الديموغجية)Démagogie والاولى تعريبها هكذا مضار مماشاة العامة عَلَى اهوائهم او خدمة العامة او ماشاكل ذلك ١٨١ (يتحمل تبعات اعمالها ودركات امورها

ويسئل عن مصيرها) (فيقرع صفاتهم ان تواثموا الى الوحدة ويشنع على زكمة السوء) فسر زكمة السوء بابناء غير صالحين ويقرع صفاتهم بتنقدهم وبعيبهم وتواقعوا الى وقعوا وراء بعضهم والجملة بدون شرح لا يفهمها الا الحريري والمعري على تكلف في رصفها

١٨٦ (رضاء مجلس الاعيان) والصواب بدون همز ١٨٧ (ومن ثم يصح لهم ان يحلوا غويص «عويص» الامور السياسية بسكينة روع ويهتموا قبل كل امر في مصلحة بلادهم حتى اذا حفظت هذه المصلحة التفت كل منهم الى مصلحة حزبه وقد ينبغي حتى في مصلحة الحزب ان يكون ٠٠) (فالواجب في الامور السياسية مهما كان صعباً متلبساً متضارباً)

١٩٠ لان الوظائف والمناصب هيكل لجسم هذه الامة المتمدنة «المتمدنة او المتحضرة» (فاذا عرض له قرح طرأ الداء)

١٩١ (في مسئلة تعيين اولياء الامر وان يقبلوا على وجدانهم يستشيرون بتلك القضية قبل العزيمة) ٠

١٩٧ (لان في ذلك مسيساً لحرية السعي) ١٩٨ (عجز النساء عن التعاطي في المعامل) ٢٠٤ (أخذت من قلوبهم شطراً كبيراً يعلق في حبها)

٢١٥ (اتى على حاضر تكدر صفوه وجابه مستقبلاً خفي كنهه) ٢٢٠ (رجعوا فيها واديموا النظر ولا تخثروا) (ولو كانت ملوءً الفاظه خشونة واعمالها غلظة) ٢٢٢ (نافع القلب من اقدامهم مبرود الغليل من شجاعتهم) ٢٢٤ (متى اعتقد الاغيار) جمع غير هي من استعمالات الاعاجم فيقولون يار اي المحب واغيار اي العدو ومنهم سرت الى بعض كتابنا (فاستفرغ العقل وهز القلب ورق دمك ولا تضن بقطرة منه صيانة لحياة الامة وتمهداً لمصلحة الوطن) ٢٢٥ (وكلما كان الاستمساك شديداً مترابطاً كانت الامة على عظمة وسؤدد) ٢٢٦ (من جري ما بث فيهم السفسطائيون) (فأودوا بهم تحت ايدي البرابرة ابداء هون اليم مخهم الله اكتافهم فالبسوهم قناع القهر وقلدوهم طوق الذل وتوطوهم بجر القتل) (نستدفع ما يقعر العنصر فانا لا نزال امة مستبصرة باقية النسيم غير نازعة الى الموت)

٢٣٠ (مرارة سخريه من هؤلاء السفسطائيين) والمرارة هنا مثل عتاب من لم تألفها لغة العرب العذبة (في الاجيال الآتية) اي القرون والجيل غير القرن (الا وان

خير امة اخرجت للناس أمة تشربت الوطنية حتى الكفاف) ٢٣١ (بغير تَدق ولا جدل ولا خلجة اذا نادهم منادي الوطن) ٢٣٣ (اقليم مر ومعمعان تنازع يوآزر العزيمة ويستنب خفض العيش ورغد الحياة) ٢٣٤ (ثم لاحت بين ظلامة هذه الاعصر بارقة عقل وشارقة عدل) (ثم تماسكت الامة فرتقت الفتق ورفئت الخرق) ٢٣٥ (لكن الثائرة قد نارت والفائرة قد فارت)

٢٣٨ (فاصبحت والالمان يفوقها بعشر بن مليونًا على حين ان ارض الامتين متساوية في المساحة والانكليز بثلاثة ملايين على حين ان ربوعهم لا تكاد تعادل نصف ربوعنا)

٢٤٠ (يدفعانها الى ان تنهض من اغمض الموات الى اعلى الدرجات) (واءأبوا ايها البنون في مصلحة الوطن ومجد الامة)

٢٤١ (قلبوا الطرف ايها الفتيان عَلَى موقع امتكم من الارض تجدوها عَلَى اجمل بقعة واخطر قطعة) (بحيث أصبح من الواجب ان تضطلع لعبئهم وتحفظ الموازنة بينهم)

٢٤٣ (تبذل النكيثة « النفس والقوة » حتى تصير قوة الجيش في البر الى تناهيها) (عظيم الاجلاد عظيم التجاليد) فسرها بالضخم القوي (فان من الضرورة ان يعتزم المرء عَلَى مران الجندية فيرتاض عليها قبل ان يسلك في نظمها) (عن طيب نفس وبسطة ذرع)

٢٤٤ (انه لقسم لو تعلمون جميل فينبغي لكل عضو من الامة ان يولي عَلَى نفسه ذلك الايلاء حين ينخرط في سلك الجندية) والايلاء والانخراط هنا من ابشع الالفاظ ٢٤٥ (الانشودة التي تردد نأمتها في الفضاء) النأمة النغمة والصوت ويقولون أسكت الله تعالى نأمته اي اماته فالاولى عدم استعمالها في هذا المقام (تغرورق عيناه وتصطك شظاياه) وفسر شظاياه بعظام ساقه ٢٤٦ (ولا تذهلن ان الوطن أمك) والاحرى ان يقال ابوك لان الوطن *La patrie* موءنث بالافرنسية مذكر بالعربية ٢٤٧ (كونوا جنداً غلاظاً مستبسلين) والاجمل شداداً بدل غلاظاً

٢٤٩ (بثبات قلب ورسوخة طمأنينة) ٢٥٠ (وبعد فقد وجب عَلَى الامة وراء ان تسعى اقصى مجهودها وراء ان تجمل الوطن عَلَى قوة وهمة)

٢٥١ (فكان ذلك مثلا مرًا استفادت منه حق الاستفادة) (حاجة الامم الاقتحام على الحروب العادلة فبرهن بحجج عديدة وامثلة كثيرة عَلَى وجوبها)

٢٥٣ (ذلك مثل يجب عَلَى كل امرئ ان يحذو حذوه و يتحكك تحككه ايام الفتن والمشاغب)

٢٥٤ (والسعي وراء منفعتهم كما يسعى المرء وراء ان يجمل امته) ولفظة الوراء هنا من الاستعمالات المولدة المبتذلة لا بد منها من يجب نقدم اللغة الى الامام

٢٥٦ (تسكن وسط افريقيا وجبال آسيا كمن كان عليه سكان الاميركان) (تمدن الشرق الادنى الذي ناهض تمدن اليونان والرومان زمناً طويلاً عَلَى الجهد وامتد من جنوب آسيا وغربها الى زدم « سد » حملايا المصمت « مالا فرجة فيه ») ٢٥٧ (فاعتراها مااعتراها لاحتكاك بها تمدن آخر اكثر كالاً من تمدنها)

٢٥٨ (وكان حب الوطن والاقدام منذ رعين لى السوا في قلوب الذين ينهضون بامتهم) جملة لم تشم ريح العربية ٢٥٩ (لا سيما قد بينت العلماء ذلك التاريخ في هذه الايام عَلَى أحسن بيان) اي أحسن بيان .

٢٦١ (حتى ماتت تلك الامة القوية المجيدة في الموت) ٢٦٤ (حتى كاد العنصر الاسود في افريقية وعنصر الزنوج في أمريكا لا يبلان من علة الانحطاط)

هذا ماعلقناه من هفوات الكتاب وهناك بعض أمور طفيفة لا يكاد يخلو منها كاتب في هذا العصر والعصمة لله وحده بيد ان هذه الهنات لا تقدح في فائدة هذا السفر البديع ولا تحط من مكانته فهو حري بالكبار والصغار ان يقتنوه و يتدارسوه و يتدبروا معانيه ومغازيه . ونثني عَلَى حمية صديقنا المعرب الذي أخرج بتعريبه كتاب دومر زكاة فضله في وقت قل فيه جداً من يخرجون زكوات عقولهم كما ندر من يخرجون زكوات أموالهم

مخطوطات ومطبوعات

الابطال

تأليف توماس كارليل وتعريب محمد افندي السباعي وفي ذيله تاريخ الثورة الانكليزية
طبع بمطبعة البيان بمصر سنة ١٣٢٩ ص ٢٤٥

مؤلف هذا الكتاب احد فلاسفة انكلترا في القرن الماضي (المقتبس م ١ ص ٥٧) هو من الرجال الذين اثروا اثراً مهماً في نهضة أمتهم لسعة عقله وعلمه وخلوص نيته وانسانيته وكتابه هذا اشتهر في المشارق والمغارب ولذلك احسن للعربية مترجمه بنقله اليها بلغة قل ان نقل كتاب الى لساننا بما يدانيها فصاحة وبياناً .

وموضوع الكتاب الكلام عن عظماء الرجال فذكر البطل في صورة اله ومثل لذلك بوثنية اهل الشمال واعتقادهم بالوهية او دين في الازمان القديمة ثم البطل في صورة رسول واورد لذلك سيرة محمد عليه الصلاة والسلام على اسلوب لم يكتب لغربي فيما نحسب ان كتب بقوته فجسم سيرته الشريفة في ٤٢ صفحة بعبارات تشف عن انصاف ليس بعده غاية . قال : لقد اصبح من اكبر العار على اي فرد متمدن من ابناء هذا العصر ان يصغي الى مايظن من ان دين الاسلام كذب وان محمداً خداع مزور وآن لنا ان نحارب مايشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة فان الرسالة التي اداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس امثالنا خلقهم الله الذي خلقنا افكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والاحصاء أكذوبة وخدعة ؛ اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأي ابداً ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج و يصادفان مثل ذلك التصديق والقبول فما الناس الا بله ومجانين وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة كان الاولى بها ان لاتخلق

« فوا اسفاه ماأسوأ هذا الزعم وما اضعف اهله واحقهم بالرثاء والمرحمة و بعد فعلى من اراد ان يبلغ منزلة مافي علوم الكائنات ان لايصدق شيئاً البتة من اقوال اولئك السفهاء ! فانها نتائج جيل كفر وعصر جحود والحاد وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الارواح في حياة الابدان ولعل العالم لم يرقط رأياً اكفر من هذا

والأم وهل رأيتم قط معشر الاخوان ان رجلاً كاذباً يستطيع ان يوجد ديناً وينشره عجباً والله ان الرجل الكاذب لايقدر ان يبني بيتاً من الطوب ! فهو اذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص والتراب وماشاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت وانما هو تل من الانقاض وكثيب من اخلاط المواد نعم وليس جديراً ان يبقى عَلَى دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائة مليون من الانفس ولكنه جدير ان تنهار اركانه فينهدم فكأنه لم يكن واني لاعلم انه عَلَى المرء ان يسير في جميع امره طبق قوانين الطبيعة والاابت ان تجيب طلبته وتعطيه بغيته . كذب والله ما اذ يعه اولئك الكفار وان زخرفوه حتى خيلوه حقاً وزور وباطل وان زينوه حتى اوهموه صدقاً ومحنة والله ومصاب ان يخدع الناس شعوباً واممًا بهذه الاضاليل وتسود الكذبة وتقود بهاتيك الاباطيل وانما هو كما ذكرت لكم من قبيل الاوراق المالية المزورة يحتال لها الكذاب حتى يخرجها من كفه الاثيمة ويحيق مصابها بالغير لا به »

وهكذا اخذ المؤلف يسرد حالة العرب في الجاهلية وفي الاسلام وكيف قام الرسول وماعمله بعبارات تشف عن روح عالية ولاغرو فهي الفلسفة ومحال ان تنطلي عَلَى فيلسوف عارف مثل هذه الحقائق . ثم ذكر البطل في صورة شاعر واستشهد بدانتي شاعر الطليان وشاكسبير شاعر الانكليز ثم ذكر البطل في صورة قسيس فذكر لوثير البرتستانتية ونوكس البيوريتانية ثم اورد البطل في صورة كاتب ومثل لذلك بجونسون وروسو وبارنز ثم ذكر البطل في صورة ملك ومثل لها بكروموبل ونابوليون والثورة الانكليزية

كل ذلك نقله العرب كأنك تقرأوه بلغته مع الاحتفاظ بالسلاسة واستشهد احياناً بابيات من الشواهد العربية ادمجها بالمناسبات وتكاد الالفاظ غير الفصيحة التي وقع فيها المترجم تعد على الاصابع وهي مما عمت به البلوى ونحب ان تكون مثل كتابة الـباحي عار يقمنه وان كانت كالوشم في الوجه او الخال في الخد وذلك مثل قوله ص ٦٢ نوايا والصحيح نيات وفي الحديث انما الاعمال بالنيات ٦٦ تضحية النفس الاولى المفاداة ٦٨ لار بعين من قرابته من ذوي قرابته ٧٣ النقطة الهامة المهمة وص ٢ اوعرت فيه تلك السبيل واوعثت وقامت فيها القحم والعقبات والموارط والهلكات ... وازمت الكروب وتشنمت المحن ٣٩ بعقوبة صارمة والاولى شديدة ٨٤ واساليب وعوائد الاولى عادات

وقد صدر الكتاب برسم مؤلفه كارليل وطبع اجود طبع فنثني الثناء الاوفر عَلَى معربه وناشره ونستمطر شآبيب الرحمة عَلَى مؤلفه

فتح العالم الاسلامي

اعتادت رصيفتنا مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية ان تصدر الحين بعد الآخر جزءاً كبيراً من اجزائها الشهرية تخصه بموضوع خاص من الموضوعات التي تخوض عبابها وقد نشرت في جزء تشرين الثاني مجيءً في ٣٢٧ صفحة تحت عنوان فتح البلاد الاسلامية توسعت فيه في عمل البعثات الانجيلية الانكليزية السكونية والجرمانية في بلاد الشرق فقدم له صديقنا المسيو لشاتليه مدير تلك المجلة واستاذ علم الاجتماع الاسلامي في كوليج دي فرانس بباريز مقدمة ابان فيها ان الاسلام ينهزم امام تعاليم تلك المدارس التي يرى بعض القائمين بها ان كثيراً من المسلمين دانوا بالنصرانية لكثرة ماتلقنهم اياه تلك المدارس الانجيلية و يرى المسيو لشاتليه ان المسلمين لا يدينون بدين آخر بل تتزعزع عقائدهم بما يلقنونه من الافكار التي تصحب اللغات الاوربية وذلك بواسطة اللغة الانكليزية والالمانية والهولاندية والافرنسية فتجعل تلك البعثات احتكاكاً بين الاسلام والصحافة الاوربية وتسهل النجاح المادي في العالم الاسلامي وهكذا تصل تلك البعثات الى العبث بالفكر الديني الذي كانت قوته بعزلته . ثم قال ان تقسيم الاسلام (اي بلاد الاسلام) السياسي سيظهر في اتم مظاهره و يسهل اعمال التمدين الاوربي عَلَى ان الاسلام يزول سياسياً ولن تكون حاله الا حال مدنية باقية في وسط التغلب الغربي ولاسبيل الى تشل الدولة العلية بعد ان ضل احرار العثمانيين سبيل انهاضها الا بتأليف ولايات متحدة اسلامية والافان تقسيم البلاد لامناص منه . و بعد ان افاض في اوضاع جمعيات التبشير واعمالها العلمية والخيرية والدينية في بلاد المسلمين وما تعده من الاسباب للقضاء عَلَى الاسلام قال الناشر في النتيجة: كان يرجى غداة الانقلاب العثماني ان يكون للاسلام دور نهضة اجتماعية ولكن زعماء حزب الاتحاد والترقي نسوا برنامجهم عندما استلموا زمام الامر فدعت الاغلاط التي ارتكبت في الاستانة وسلانيك وطهران وطوريس الى ان تعرف اوربا ان دور السياسة انتهى وجاء دور العمل . ان هذه الكتلة البشرية الموزعة في آسيا وافر يقية من بحار الصين الى المحيط الاتلانتيكي ستفقد موازنتها التقليدية بزوال الخلافة (والعياذ بالله) عما قريب وانفصام عرى الممالك المستقلة فما ذا يكون والحالة هذه مصير المدنية الاسلامية اذا نظرنا اليها بانها جزء من المجتمعات البشرية والى اي وجهة يتجه نشوء الاسلام ؟ انا بما نراه من كثرة انتشار الصحافة الاسلامية ووفرة طرق المواصلات وتأييد الروابط

الاسلامية كل ذلك سيزيد في احتكاك الشعوب الاسلامية بعضهم ببعض ولذلك يرجى ان يعظم مركز المسلمين الاقتصادي في ظل الحكومات الاوربية بفضل السهولة التي تنشأ بينهم من وحدة الاوضاع الاجتماعية في الجملة ومن استعمال لغة ادبية دينية واحدة ولذلك كان على امم اوربا ان تعمد الى سياسة التعليم والتربية مع الشرق وستكون صلات مائتي مليون في البلاد الاسلامية بحسب تأثير التربية العقلية التي يتربونها .

هذا ماقاله صديقنا عربناه على بعض جمجمة فيه وخلاصته ان الحكومات الاسلامية تنقرض والعياذ بالله ولن يبقى للمسلمين الا العمل بالمسائل الاقتصادية اي يبقون كالاسرائيليين بدون حكومة تحكمهم . كلام مر ولكن على رجال الاسلام ان يتدبروه مليًا وفي هذا البحث امرار مهمة فيما تدخره السياسة الغربية لاكتساح الشرق ونزع دينه وسياسته وعاداته كما بدرت بوادر ذلك الآن باستيلاء فرنسا على بلاد المغرب الاقصى وايطاليا على طرابلس و برقة وروسيا وانكلترا على نزع استقلال ايران بحيث صح ان نقول ان بلاد الاسلام في صدد حرب صليبية ولكنها غير دينية كحروب القرون الوسطى بل مدنية للفتح وسلمية ببث الافكار والتعاليم الغربية .

الريحانيات

تأليف امين افندي ريحاني الجزء الثاني طبع في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١٠ ص ٢٣٢

اعتاد صاحب الريحانيات وهو من نوابغ المفكرين في سورية اخذ بحظ وافر من المدنية الغربية وحظ وافر من المدنيه الشرقية ان يتحف عالم الادب الحين بعد الآخر بنفثاته الدافعة واكثر ما في هذا الجزء هو مما كتبه في سورية واكثر ما في الجزء الاول مما كتبه في الولايات المتحدة الاميركية والجزء الذي امامنا الآن هو مجموعة مقالات وخطب وشعر منثور والشعر المنثور هو كما قال عنه : « يدعى هذا النوع من الشعر الجديد Vers libres بالافرنسية وبالانكليزية free verse اي الشعر الحر او بالحري المطلق وهو آخر ما اتصل اليه الارتقاء الشعري عند الافرنج وبالاخص عند الاميركيين والانكليز فملتن وشكسبير اطلقا الشعر الانكليزي من قيود القافية وولت وتمن الاميركي اطلقه من قيود العروض كالاوزان الاصطلاحية والابحر العرفية . على ان لهذا الشعر المطلق وزنًا جديدًا مخصوصًا وقد تجيء القصيدة

منه من ابحر عديدة متنوعة . وولت وتمن هو مخترع هذه الطريقة وحامل لوائها وقد انضم تحت اللواء بعد موته كثير من شعراء اوربا والمصريين وفي الولايات المتحدة اليوم جمعيات «وتمنية» ينضم اليها فريق كبير من الادباء المغالين بمحاسن شعره الجلية المتخلقين باخلاق الديمقراطية المتشبعين بفلسفة الاميركية. اذ ان شعره لا ينحصر مزاياه بقالبه الغريب الجديد فقط بل فيه من الفلسفة والتصور ما هو أغرب واجد .»

ولا نقول في هذا الجزء إلا كما قلنا في الجزء الاول (م٥ص ٢٢٠) تتدفق حرية الفكر من أطرافه. ورقة الاحساس من سطوره وبعد النظر من مراميه ومعانيه وكله معان فلسفية في قوالب عصرية وروح شفافة في شعور جديد فقد قل في ارباب الافكار مثل هذا النفس في اصلاح الافكار والتلطف في بلاغ العقول الجامدة محاسن الحضارة المدهشة والتجديد المفيد

وقلما شاهدنا اثر المحيط في كتابة كاتب كما شاهدناها في صديقنا الريحاني فكتابته يوم كان في اميركا تذكر سيئات المدنية الغربية التي لا تعرف الها غير الماديات حتى اذا عاد الى الفريكة مسقط رأسه في لبنان عاد يحبب بالعزلة وينفر من تلك المدنية المادية ولكنه يدعو الى فك العقول من قيودها والاخذ بما ينفع من مدنية لا تكون شرقية ولا غربية كتلك الشجرة المباركة ولكنه كان في كل موضوع يخوضه يجعل لحرية المطلقة نصيباً وافراً من اقواله ولذلك نقم عليه اعداء العقل وعبيد القيود من المتنطعين من رجال الدين وحاربوه حرباً لم يكد يحاربه سوري ولكن إخلاصه شفع فيه فلم ينل باذى وهو اليوم شعلة الذكاء الشرقي في بلاد الغرب وعنوان الهمة العالية امام المشارقة

يعلم المؤلف جد العلم ان من يصرح بما يصرح به يحارب و يطعن فيه الطعن المبرح في بلاد لم يزل لاوهام المتنطعين شدة وعرامة وهم لا يرون الى النيل منه اكثر من رميه بالالحاد وإنكار الصانع ولكن من يقول (ص١٠) «انا للطبيعة وانا اليها راجعون وشكرت الله شكراً جزيلاً » لا يدل عَلَى انه ملحد بالمعنى الذي يصورونه بلى هو ملحد في التقاليد الضارة حر في افصاحه عن رأيه عَلَى اساليب لم يألفها غير المنورين من سكان هذا الشرق الاقرب

قال (ص ١٣) ان الفرق بين الاولياء والاطباء قليل لا يستحق الذكر فكم من طبيب فاضل يستحق ان يطوب قديساً او يدعى ولياً بعد موته فقد تعرفت بفضل آلامي العصبية بعدد وافر من هؤلاء الافاضل وبان لي بالاختبار ما كنت أجهله . تحققت

إن الفرق بين الطبيب والكاهن كالفرق بين الكاهن والمحامي كلهم نفعنا الله بعلمهم وبرهم يتعاطون الجربزة · كلهم يتاجرون بشيء من الحقيقة وبكثير من الخزعبلات والاوهام على ان الطبيب ارفع درجة من الكاهن والكاهن ارفع درجة من المحامي »

وصرح في (ص ٢٧و٢٩) بعيوب الاكليروس وتهاونه لا لمجرد الطعن بل للاصلاح لانه لا يريد ان تظل آدابنا (٤٨) تحت سيطرة المتدينين والمتنطعين (ولو قال المتنطعين من المتدينين لخلص من اللوم) وانفسنا في ربقة رجال الدين وان لم نتجرد من هذا الاستبداد الديني او بالحري الدفطي كما تجردنا من الاستبداد السياسي تظل آدابنا مبتذلة جامدة خاسئة ·

هو يقول (٥١) : على تقريرات رجال الدين وخزعبلات العبادات قام عبد الوهاب في نجد ولوثيروس في وتنبورغ وجون نكس في انكلترا وغيرهم في البلاد كثيرون فما ضرنا لو استغنينا عن المكهنين المدلسين وفككنا من ربقتهم واعتصمنا بالله وبدين الله وبانبياء الله ثم قال : اني احترم العاطفة الدينية التي تكاد تكون فطرية في الانسان ولكني لا اجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطعهم -- وقد قيل هلك المتنطعون -- ما يساوي ذرة من نفس امريء راقية

ومن يقول فكره بهذه الصراحة لا يرمى بالالحاد والمروق ولكن المؤلف ينحي كثيراً على رجال الدين في قومه يريد بالقوارص التي يوجهها اصلاحهم ودعوتهم الى الوطنية لئلا تفرقهم المذاهب (١٣١) فان عدوا عليه مثل هذه الهنات وربما اتى بعضها من كونه لم يرزق كل حين حظاً من جمال التعبير او انه يين ولم يجمجم والجمجمة كالتقية لا بأس بها بين القوم المخالفين اذا خشيت الفتنة فقد اتى بحسنات لا ينكرها عليه اشد الناس حظاً من خصومهم قال (ص٤٥) :

نحن اليوم واقفون بين هاتين المدنيتين بين مدنية غازية منتصرة وأخرى مدبرة فعلينا ان لا نخضع على الاطلاق لهذا الفاتح القوي وان نمسك بما في مدنيتنا من الخير الروحي ولا ينجينا من استبداد هذه المدنية الفاتحة القاهرة ويحفظ لنا حسنات تلك المدبرة سوى الآداب · ولا اريد بالآداب الكتب فقط بل اريد منها آداب النفس اولاً والاخلاق · ان الدين وهو ابن مدنية الشرق يرفض بتاتاً مدنية الغرب والعلم المادي وهو ابن مدنية الغرب يرفض بتاتاً مدنية الشرق فالدين والعلم في هذا الموقف متعرضان كل لقومه ولا ينفعنا الواحد منهما دون الآخر · واني لا اجد في كل قوى

الفكر والنفس وثمارهما اصلح وانجع من الآداب تجمع بين الاثنين فهنشأ عن ذلك مدنية جديدة قوامها الصنائع والفنون وشعارها الاخاء العام · واعلموا ان الفنون السامية الجميلة هي التي تتغذى من العلم والدين معاً والامة التي تجمل مثل هذه الفنون اساس حياتها الاجتماعية تكون ولا غرو مجد المستقبل وأم الامم · على شطوط البحرين وفي اودية الرافدين احب ان أشاهد مثل هذه المدنية الجامعة بين محاسن المدنيتين · احب ان ارى في قلب العالم جمال روح العالم وكمالها · احب ان ارى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الانبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة · احب ان تزرع بساتين هذه الارض المقدسة من تلك الشجرة المباركة شجرة لا غربية ولا شرقية

وقال في التساهل الديني وانه موجود بين الدول في معاملاتهن احداهن للاخرى ولكنه غير موجود بين الاوربيين ومن يدعونهم بالمتوحشين فالدول (١٢٣) لا تتساهل مع هؤلاء المساكين الضعفاء بل تتساهل بعضها مع بعض لانها تضطر الى ذلك وليس حباً بالمبدإ الشريف فكثيراً ما نراها تشهر الحروب عَلَى القبائل الضعيفة وتدعوها حروب الانجيل وذلك لكي يدين « البرابرة » بالدين المسيحي كرهاً وجبراً · وهذا هو التعصب الدولي الديني هذي هي الاضطهادات التي تمارسها ضد « البرابرة » كما تزعم والبرارة قوم يُعرون ويريدون · مثلا · هذه هي حروب شارلمان واضطهادات الملكة حنة الانكليزية والملك كارلوس الافرنسي هذه هي مذبحة ليلة القديس برتلماوس فعوضاً عن حدوثها في باريز وفي القرن السابع عشر تحدث الآن في صحاري افريقية وفيافي آسيا وتلول السودان وفي آخر القرن التاسع عشر · ياللعار وياللشنار ! عبثاً يكتب العلماء وينادد المصلحون ويبحث الفلاسفة عبثاً اتى السيد المسيح الى الارض لمثل هؤلاء الاقوام ·

وبالجملة فالريحانيات كلها آية في الحرية داعية الى التساهل الديني محيية بالمدنية المعقولة المحمودة مقربة بين القلوب جارياً عَلَى حد قوله « الكتب المقدسة تصلح الحياة ولكنها لا تعمر البلاد والعلوم المادية تعمر البلاد ولكنها لا تصلح الحياة اذن كتبكم المقدسة احفظوها وكتب العلم عززوها »

كتب ورسائل مختلفة

تنبيه الطالب الى معرفة الفرض والواجب للشيخ جمال الدين القاسمي طبعت في مطبعة مدرسة والدة عباس الاول بمصر سنة ١٣٢٦ — ١٩٠٨

رسائل الانتقاد — هي الرسائل التي أحياها بالنشر السيد حسن حسني عبد الوهاب في مجلد السنة الماضية من المقتبس تأليف ابي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف القيرواني المتوفى سنة ٤٦٠هـ طبعت في مطبعة المقتبس في ٤٠ صفحة

ملقى السبيل — رسالة في الوعظ والحكم نشرت في الجزء الماضي من المقتبس بعناية السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي وهي لابي العلاء المعري وقد علق عليها الناشر حواشي نافعة كما هي عادته وهي في ١٧ صفحة طبعت في مطبعة المقتبس

تمر ينلي واعرابلي لسان عربي صرف قسمى — هو كتاب في صرف اللغة العربية بالتركية لمحمد شاكر افندي الحنبلي جعله مع التمارين والاعراب في ٢١ صفحة طبع بمطبعة رشادية في الاستانة ١٣٢٩هـ—١٣٢٧ ش

العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية — للشيخ عبد الغني النابلسي طبع على نفقة الشيخ محمد سعيد افندي شيخ تكية المولوية بدمشق في مطبعة المقتبس سنة ١٣٢٩ عدد صفحاته ٣٢

مطول في انشاء المكاتيب — تأليف امين افندي الخوري طبعة عاشرة في مطبعة الاقتصاد ببيروت سنة ١٩١١ ص ٣٢٠

قصائد احمدية من الميرزا غلام احمد (المسيح الموعود والمهدي المعهود) طبعت على نفقة الجمعية الكبرى الاحمدية بمطبعة الميكزين بقاديان الهند ص ١٥٨

نسمات الصبا في منظومات الصبا لجرجي افندي شاهين عطية طبعت بالمطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٩٠٤

جدول في المنطق للشماس توما ديبو المعلوف طبع بالمطبعة البطريركية الارثوذكسية بدمشق سنة ١٩١١

اثر حسن — مجموع مراثي الدكتور سليمان الخوري الحمصي جمعه رزق الله افندي نعمة الله عبود طبع بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٤ ص ٢٨٨

البيان — مجلة دينية عمرانية تاريخية ادبية لمنشئيها مصطفى وهيب افندي البارودي وجميل افندي عبد القادر ندره في طرابلس الشام تصدر مرة في الشهر في ٣٢ صفحة وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية مجيدي وربع وفي الاقطار الاجنبية سبعة فرنكات

اخبار وافكار

تاريخ بيروت

القى الدكتور بورتر مدرس التاريخ في كلية الاميركان في بيروت محاضرة في تاريخ هذه المدينة فقال :

بيروت احدى مدن فينيقية القديمة انشئت بعد دمشق واقدم مدن فينيقية صيدا وبيروت وجبيل . ونحن لا نعرف بالتحقيق زمن انشائها ولكن يوسيفوس المؤرخ العبراني ذكر اسم رجل فينيقي وقال ان موطنه بيروت وذلك دليل على قدمها . وفي اساطير الاولين ان ابنة اله جبيل (Gibel) تزوجت من ملك وكان اسمها بيروت فسميت مدينة زوجها بيروت باسمها . ونعرف طرفاً من تاريخ بيروت في القرن الخامس عشر قبل المسيح من الآثار المصرية وذلك ان توتمس الثالث جرد جيشاً على سورية وامتلكها ولما اشتد ساعد الحثيين والامور بين في الشمال اخذوا يطردون المصريين شيئاً فشيئاً وكان عمال المصريين في سورية يكتبون و يستنجدون فرعون مصر لاغاثتهم . وقد اكتشف منذ عشرين سنة بعض هذه المكاتيب المحفورة على قوالب الآجر ومن جملتها مكتوب من حاكم بيروت الى فرعون مصر يخبره فيه بحالته مع الحثيين والامور بين وتاريخ المكتوب في القرن الرابع عشر قبل المسيح . ومما يترجح ان بيروت مأخوذة من كلمة (بئر) واظن انها مأخوذة من اللغة الفينيقية لان لفظ بيروت يقابل جمع كلمة بئر في اللغة الفينيقية . ومما يؤيد ذلك عندي انني لما اتيت الى هذه البلدة منذ اربعين سنة وكان في ذلك الحين لم يجلب ماء نهر الكلب كنت اينما اتجهت ارى آباراً والآن كثير منها ردم فيصح ان يقال انها سميت بيروت او مدينة الآبار لكثرة آبارها .

و بيروت كانت منذ القديم عظيمة بتجارتها و يظن ان مركزها اليوم غير مركزها في العصور الخالية والمرجح انه كان جنوبي مركزها الآن وذلك عند نهر الديرو وقد كشفت آثار بناء هناك وكما هو معروف ان الشاطئ هناك مرمل لا يصلح لميناء ولكننا لو نظرنا الى حالة الفينيقيين البحرية نجد ان سفنهم كانت شراعية صغيرة لا تستطيع السفر وقت الشتاء وكانوا يخرجونها الى البر و ينقطعون عن الاسفار فلذلك يجب ان يكون الشاطئ رملياً اذ يسهل اخراج المراكب اليه . ولما لم تأت نجدة من مصر سقطت بيروت في ايدي الحثيين ثم جرد رعمسيس الثاني الى سورية حملة حارب الحثيين فيها فكسرهم وأخذ بيروت ثم

اقتدوا البلاد بهم. ولرعمسيس أثر في صخر عند مدخل وادي نهر الكلب. وهكذا ظلت البلاد تحت حكم المصريين والحثيين الى ان قامت دولة اشور وأخذت بيروت كما أخذت سائر مدن سورية وقد وضع بختنصر (نبوخذنصر) تاريخ هذه الحملة ايضاً عند نهر الكلب ويرجع تاريخها الى القرن التاسع قبل المسيح ولما قامت دولة الفرس اخذت بيروت كما اخذ اخوتها من مدن سورية ولكنها لم تذكر في التاريخ كما ذكرت صيدا وغيرها. وامتلك بيروت الاسكندر الكبير كما امتلك سائر مدن سورية بدون مقاومة الا مدينة عكا. وقد حكم سورية بعد الاسكندر البطالسة وفي سنة ١٩٢ احتل السلوقيون سورية وفي سنة ١٤٠ قبل المسيح خربت بيروت بسبب حرب أهلية وفي سنة ٦٤ احتل الرومانيون سورية وكان القائد على حملتهم بومبي. واضحت بيروت في ايام اغسطس مستعمرة رومانية. والمستعمرات الرومانية كانت تؤسس في ايطاليا لاسكان العساكر الرومانيين الذين خدموا الرومان خدمة تذكر ولما اتسع ملك الرومان لم يبق ارض لاسكان هؤلاء العساكر فأخذوا يسكنونهم في املاكهم خارج ايطاليا. ثم اضحت بيروت مركز الفيلق الخامس والثامن من الجيش الروماني وعمرت بيروت على عهد الرومانيين وآثارهم فيها موجودة بكثرة. ولما اتيت بيروت رأيت كثيراً من الاعمدة القديمة عند ادارة الرسومات وقد ردمت هذه الاعمدة عندما بنيت الميناء الجديدة ولما قطعوا الطريق الجديدة في بيروت وجد كثير من الآثار الرومانية وقد اسس الرومان في بيروت مدرسة لدرس الحقوق وسائر العلوم المعروفة في ذلك العصر وبجانب هذه المدرسة اهم مدارس الرومانيين في الشرق وعندما انتشرت المسيحية تنصر كثير من تلامذة هذه المدرسة وكانوا عرضة للاضطهاد وعند ظهور الاسلام احتل المسلمون سورية وخضعت بيروت لهم في خلافة يزيد. وبعد قرن من خضوعها ظهر في بيروت الامام الاوزاعي ويقول ابو الفداء ان مولده كان في بعلبك ومات قرب بيروت واظن ان المقام المعروف بالاوزاعي الآن هو قبره ولما تراجعت قوة الامويين وانتشرت سلطة الفاطميين خضعت بيروت لهم وذلك في خلافة الحاكم بامر الله مؤسس الديانة الدرزية وكانت بيروت في عهد الصليبيين تختلف بين حكم المسلمين والافرنج. وخربت بيروت الزلزال سنة ٥٥٠ م وسنة ١٥١١ اتخذها السلطان سليم العثماني مع باقي مدن سورية ومنذ ذلك الحين لا تزال مدينة عثمانية اه

الزراعة في روسيا

تبين من الاحصاء الاخير الذي وقع في خمسين ولاية من ولايات روسيا في اوربا

وعشر ولايات من مملكة بولونيا التابعة لها ان توزيع الارض على هذا النحو وذلك بمقياس الف آكر تسمى مستعمرة والآكر يساوي ٤٠ آراً ٤٦٧١ · فظهر ان مملكة روسيا والامرة المالكة فيها والشركات الزراعية تملك ٤١٧٦١٨ مستعمرة زراعية او ٣٦ من المئة من سطح المملكة المعمور ومجموع الفلاحين يملكون ٣٧٤٦٣٤ مستعمرة او ٣٢ في المئة وللمالكين ملكاً خاصاً ١٢٧٤٦٥٦ بـ ٢٣ في المئة وفي البلاد ٩٢٤٥٦ مستعمرة او ٨ في المئة غير قابلة للزراعة وتملك الحكومة والامبراطور والمدن من مملكة بولونيا ٢١٨٤ مستعمرة اي ٧٤ في المئة وللفلاحين ١٢٢٢٣ او ٤١،٦ في المئة وللمالكين الخصوصيين ١٣٧٢٦ او ٤٦،٦ في المئة و١٢٧٤ مستعمرة او ٤،٤ في المئة غير صالح للزراعة · ويكون في روسيا اوربا ٣٤،٦ في المئة من الاراضي والحقول و ١٦،٥ من الحدائق او المروج و ٤٠،١٩ غابات و٨ في المئة بور وتبلغ الارض القابلة للزرع في بولونيا ٥٥،٦ في المئة والحدائق والمروج تكون ١٩ في المئة والغابات ٢١ في المئة من مجموع الاراضي والاراضي البائرة ٤،٤ في المئة فقط · واهم مزروعات روسيا الحنطة والجاودار والزوان والشعير والبطاطا والعلف والكتان والقنب والتبغ · ويهتمون بتربية الخيل والبقر والغنم والعنز والخنازير وكان في البلاد الروسية سنة ١٩٠٩ — ٣٢١١٤٠٠٠ حصان و ٤٨٤٩١٠٠٠ رأس من الماشية و ٨٠٠٠٠٠٠٠ غنم وماعز Ovidés ·

القهوة ومحالها

كتبت « مجموعة ابو الضيا » التركية مقالة في القهوة ومحالها قالت فيها ادعى الدكتور لاند الالماني ان أول محل للقهوة أنشئ في الاستانة سنة ١٥٥١ كما أنشئ أول محل لها في ايطاليا سنة ١٦٤٥ وفي انكلترا سنة ١٦٥٢ وفي فرنسا سنة ١٦٥٩ وفي فرنكفورت وآم ماين سنة ١٦٧٥ وفي وارسوفيا سنة ١٦٨١ وفي فينا سنة ١٦٨٥ والغالب ان الكاتب ارتكب هذا الغلط لما علم من تاريخ انتشار القهوة وذلك انه جيء بها من اليمن على عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٨ فاخرجت فتوى باغراق السفن التي تحملها مع حمولتها فاغرقت امام دار المدفعية (طوبخانة) بالقسطنطينية وقد سرد كاتب جلبي اسباب ذلك في كتابه ميزان الحق في اختيار الاحق ولقد دخل الدخان الى الممالك العثمانية على عهد السلطان احمد الاول سنة ١٠١٢ وجرى استعماله في الاستانة سنة ١٠٢٢ واُسست محال القهوة سنة ١٠٢٤ في زاوية من زوايا « خاليجيلر » وفي سنة

١٠٤٣ أحرقت في الحريق المشهور جميع محال القهوة وذلك على عهد السلطان مراد الرابع وعندها صدر الامر بمنع التدخين وكل من روئي بانه شربه او اخبر عنه بانه شربه يقتل في الحال وهذه الشدة في المنع اتخذت اذ ذاك حجة سياسية وذلك لان السلطان مراد أراد أن ينتقم للسلطان عثمان الذي قتله أرباب الفتوة من اليكچرية (الانكشارية)

فكان يتكل هذه الصورة ينكل بغاتهم فتوضع على من يراد اعدامه منهم لانه شرب الدخان علامة فارقة وهي عبارة عن مشعل يتيطونه به يبقى عليه الى المساء موقداً وقد رأى ذات يوم السلطان مراد في احدى الساحات رجلاً من الانكشارية يتقدم الى آخر من اخوانه مصلوب لانه شرب الدخان فاخرج غليونه من جيبه وشعله من المشعل فعجب الناس من هذه الجرأة ولم يسع ذاك السلطان المستبد إلا ان أصدر امره على لسان الدلالين يبيح استعمال الدخان كما كان سابقاً والغالب بان السلطان ظن بان جرأة هذا الانكشاري ناتجة عن تحرش بفتنة يدبرها اخوانه · اما استعمال السعوط في الاستانة فكان سنة ١٠٥٠ ومن حسن الطالع انه لم يشع استعماله قبل سنة ١٠٤٩ والا لكان السلطان مراد قضى بجدع انف من يستعمله جزاء وفاقا·

التعليم في روسيا

يرجع امر معظم المدارس الروسية الى نظارة المعارف العمومية وقد قسمت بلاد هذه الامبراطورية الى خمس عشرة منطقة من حيث المعارف وهناك عدة مدارس خاصة تشرف عليها بعض النظارات الاخرى كنظارة الزراعة والاشغال وغيرهما · وكان عدد الكليات في روسيا سنة ١٩٠٩ تسعاً وهي كلية بطرسبرج ، موسكو ، خاركوف ، كيف ، قازان اودسا ، دوربال ، تومسك ، وارسوفيا وقد اغلقت الكلية الاخيرة موقتاً وبلغ عدد تلامذة هذه الكليات المستمعين فيها ٣٩٤٩٤ · وافتتحت كلية جديدة سنة ١٩٠٩ في مدينة ساراتوف · ومنذ ١٩٠٨ أنشئت في موسكو كلية للشعب اسمها القائد شانفسكي وانفق عليها من ماله وسماها باسمه وفي كثير من المدن والحواضر مدارس للتعليم العالي · وفي كيف وموسكو و بطرسبرج وقازان مجامع علمية لاهوتية وفي اشمياز ين من بلاد القوقاز (القافقاس) مدرسة لاهوت للارمن وفي بطرسبرج مدرسة للكاثوليك · ولكل من بطرسبرج وموسكو وخاركوف مدارس طبية ملكية وعسكرية منها مدرسة للنساء

ثم ان المجامع العلمية ومدارس الهندسة والمعادن واللغة والغابات والصناعات النفيسة وغيرها كثيرة جداً في المدن الكبرى في المملكة الروسية ولدوقية فنلاندا الكبرى كلية خاصة في هلنسكفور كانت تضم حجرها سنة ١٩٠٩ — ٢٠٠٠ طالب

وعدد الطلبة التي يتعلمون في روسيا مجاناً او على نفقة المحسنين نحو اربعة الآف ٠
وعدد المدارس الابتدائية ٩٢٥٠١ منتشرة في طول البلاد وعرضها ونصفها لنظارة المعارف او للمجمع المقدس (سينود) وفيها ١٧٠٨٩٤ استاذاً ومعلماً و٥٧٣٨٠٨٩ تلميذاً وفي روسيا ١٠٨٣٢٠ مدرسة من كل صنف من اصناف التعليم فيها ٦١٦٤٩١٣ طالباً وتلميذاً ولا يدخل في هذا العدد ٤٠٤١٧١ تلميذاً يتعلمون في مدارس خاصة ومع كل ماتبذله الحكومة الروسية في سبيل نشر المعارف فان عدد الأميين من بنيها مما يرتعش له فان ٧٧ في المئة أميون في روسيا اوربا و٨٧ في سيبيريا و٩٤ في آسيا الوسطى ٠ وفي الولايات المتقدمة جداً في روسيا مثل ولاية أستونيا لا ينزل عدد الاميين عن ٢٠ في المئة وفي بطرسبرج عن ٤٥ في المئة وفي غير ذلك من الولايات التي تعد راقية لا ينحط عن ٥٠ في المئة

وقد بلغ ماانفقته نظارة المعارف الروسية سنة ١٩١٠ والنظارات والمجمع المقدس على المدارس والتعليم ١١٣٠٥٩٥٠٠٢ من الروبلات والروبل فرنكان و٦٦ سنتيماً

الورق المعدني

يؤكدون انه لايمضي اربعون سنة حتى تأتي المطابع على مافي الولايات المتحدة وكندا من الغابات بما تستنفده كل يوم من أشجارها لصنع الورق اللازم للصحف والكتب ولكن اديسون مخترع التلفون هون الامر على سائل سأله في هذا الشأن رأيه قائلاً ان الورق يعمل اذ ذاك من الفولاذ او النحاس أو النيكل فيمتص الحبر كالورق المعمول من الخشب والخرق البالية اليوم وتكون سماكته واحداً من عشرين الفاً من القيراط وهي أصلب والين وارخص من الورق المعروف

ثم ان المجامع العلمية ومدارس الهندسة والمعادن واللغة والغابات والصناعات النفيسة وغيرها كثيرة جداً في المدن الكبرى في المملكة الروسية ولدوقية فنلاندا الكبرى كلية خاصة في هلنسكفور كانت تضم حجرها سنة ١٩٠٩ — ٢٠٠٠ طالب

وعدد الطلبة التي يتعلمون في روسيا مجاناً او على نفقة المحسنين نحو اربعة الآف.
وعدد المدارس الابتدائية ٩٢٥٠١ منتشرة في طول البلاد وعرضها ونصفها لنظارة المعارف او للمجمع المقدس (سينود) وفيها ١٧٠٨٩٤ استاذاً ومعلماً و٥٧٣٨٠٨٩ تلميذاً وفي روسيا ١٠٨٣٢٠ مدرسة من كل صنف من اصناف التعليم فيها ٦١٦٤٩١٣ طالباً وتلميذاً ولا يدخل في هذا العدد ٤٠٤١٧١ تلميذاً يتعلمون في مدارس خاصة ومع كل ماتبذله الحكومة الروسية في سبيل نشر المعارف فان عدد الأميين من بنيها مما يرتعش له فان ٧٧ في المئة أميون في روسيا اوربا و٨٧ في سيبريا و٩٤ في آسيا الوسطى. وفي الولايات المتقدمة جداً في روسيا مثل ولاية أستونيا لاينزل عدد الاميين عن ٢٠ في المئة وفي بطرسبرج عن ٤٥ في المئة وفي غير ذلك من الولايات التي تعد راقية لاينحط عن ٥٠ في المئة

وقد بلغ ماانفقته نظارة المعارف الروسية سنة ١٩١٠ والنظارات والمجمع المقدس على المدارس والتعليم ١١٣٥٩٥٠٠٢ من الروبلات والروبل فرنكان و٦٦ سنتيماً

الورق المعدني

يؤكدون انه لايمضي اربعون سنة حتى تأتي المطابع على مافي الولايات المتحدة وكندا من الغابات بما تستنفده كل يوم من أشجارها لصنع الورق اللازم للصحف والكتب ولكن اديسون مخترع التلفون هون الامر على سائل سأله في هذا الشأن رأيه قائلاً ان الورق يعمل اذ ذاك من الفولاذ او النحاس أو النيكل فيمتص الحبر كالورق المعمول من الخشب والخرق البالية اليوم وتكون سماكته واحداً من عشرين الفاً من القيراط وهي أصلب والين وارخص من الورق المعروف

المقتبس

اوربا في سورية

حياة المرء سلسلة تختلف حلقاتها بين سوداء وبيضاء يحكم قبل ان يستأمن لبيض الليالي يتوقى سودها فيذخر قوة ومنعة ولا يقف اذ ذاك حائراً امام الشدائد قانطاً متذمراً بل متسلحاً ابداً ومتأهباً للمكافحة والنضال ·

وناموس الافراد يشمل الامم والممالك كبيرها وصغيرها فما من دولة الا وكان لها من دهرها يومان يوم لها و يوم عليها· هذه صبرت فاعتبرت وفازت وتلك لم ترعو فتلاشت تخلفها من هو اقوى منها سنة الله في خلقه

اعتبر ذلك بدولتنا العلية التي اجتاحت الممالك ودوخت الامصار فاستنامت واستأمنت ولم تتأهب لمقاومة غدرات الزمان فقامت في وجهها الامم التي كانت خاضعة لها وكانت صدمة بل صدمات بين الشرق والغرب آلت الى تقهقرنا وما كنا قبل نعرف للتقهقر معنى وفقدنا القريم وملدافيا والفلاخ و بسرابيا في عهد السلطان سليم الثالث واضطر محمود الثاني للتسليم بمصر لمحمد علي · وكانت ايام عبد العزيز فتضعضعت الدولة بتداخل الاوربيين وشق البلغار عصا الطاعة وفازوا باستقلالهم · وكان ما كان في ايام عبد الحميد من احتلال الدول لهذه الجزيرة وتلك الولاية واستقلال هذه الامارة وانسلاخ تلك حتى لم يبق من مملكة سليمان الكبير سوى شبح حاول الاحرار ان يجسموه فاقتلعوا الدستور من اعين طاغية آخر القرن التاسع عشر وعمدوا الى الاحتفاظ به متخذين من الاتحاد الثلاثي سنداً وعوناً فاجأتهم احدى الصديقات بسلخ البوسنة والهرسك فصاحوا وزمجروا ولكن لم يعتبروا فدهمتهم الصديقة الثانية باحتلال طرابلس الغرب لاعتقادها ان الدولة العلية لم تتجاوز مع التمساح الجمجمة وهي قريبة منها فما عساها

تفعل الآن مع ايطاليا وهي بعيدة عنها . كل ذلك وساسة البلاد لايعتبرون بل لم يزالوا ينتظرون حدوث عجيبة لاعتقادهم ان من اقسم على ضريح صلاح الدين لايلبث ان يمتشق حسامه و يضرب به اعداء الاسلام الضربة القاضية .

وكأني بهم امام المحنة الاخيرة واقفين مستأمنين لايحسبون للآتي حساباً متوهمين ان أزمة طرابلس الغرب هي آخر حلقة من سلسلة حياة الدولة فيحلون هذه العقدة ثم يستأمنون للدهر متعامين عن فلتات سياسة اوربا القائمة بناموس بقاء الافضل تاركين البلاد عرضة للمحن باختلال احوالها وجهل اهلها وفقد الامن منها

قلب صفحات التاريخ لاتجد بلاداً اجتاحتها صروف الدهر ونابتها خطوب الزمان وكانت ميدان احتكاك المصالح فيها مثل بلاد الشرق . ولنضرب صفحاً عن العقد الكثيرة التي لم تحل فيها بعد كالبانيا ومكدونية والعربية ولنتم النظر فيما هو اقرب الينا اي سورية وفلسطين ففيهما من مصالح الدول مالا يوجد في غيرها من الولايات و بياناً لذلك نقول :

كان نفوذ الدول الاوربية في سورية قليلاً جداً قبل أواسط القرن الغابر . وأبرمت معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ فانفتح باب واسع لذلك النفوذ وكانت الجمعيات الدينية في ذلك العهد تنقل الى الشرق مدنية الغربيين فتحينت فرصة ملائمة وغمرت سورية وفلسطين بعمالها المتسترين برداء التبشير الديني . وكانت فرنسا السابقة في هذا المضمار فغمرت بلادنا بالمعاهد الخيرية والتهذيبية بهمة جمعية اخوية المدارس المسيحية وجمعية « راهبات المحبة » ولا عجب فقد وثقت علائقها مع الشرق منذ القرن السادس عشر بحمايتها فيه كاثوليك اوربا جمعاء . وكان مبشروها يتزلون ربوع سورية بالرغم مما قام في سبيلهم من المصاعب والمشقات . ولم تغفل عن تأييد مصالحها في الشرق بكل الوسائل الفعالة على اختلاف الاحوال حتى في ايام حكومة الكونفانسيون والدير يكتوار والاضطرابات الداخلية قائمة على قدم وساق ولم يحد نابوليون عن سياسة فرنسا التقليدية في الشرق فاسرع بعد ابرام الصلح مع الدولة العلية سنة ١٨٠٢ الى تجديد الامتيازات والمحالفات القديمة وامر سفيره في الاستانة ان يبسط حمايته على كل كاثوليك سورية وفلسطين ولا سيما قوافل الزوار القاصدين الى الارض المقدسة .

ولما كان يقتضي لهذا الامر مبالغ وافرة من المال اخذت الحكومة الافرنسية تمد عمالها بالمال المطلوب . ولا نعلم ما كان ينفق في سبيل ذلك قبل الامبراطورية الثانية

على ان الحكومة ادخلت في ميزانية وزارة خارجيتها كمية تنفق سنوياً على الاعمال الخيرية والتهذيبية تبلغ قيمتها ٣٠٠٠٠٠ فرنك فاصبحت سنة ١٨٨٣ خمسمائة الف وسنة ١٨٩٢ سبعمائة الف وسنة ١٩٠٠ ثمانمائة الف ·

على ان الحكومة لا تشتغل وحدها في انشاء المدارس وتنظيمها فهناك جمعيات أُخرى قامت للغاية نفسها · ففي سنة ١٨٥٦ أسست جمعية اعمال مدارس الشرق L'œuvre des écoles d'Orient واخذت تجمع مبالغ وافرة وتوزعها على المعاهد الخيرية ومدارس الرهبنات في الشرق تبلغ قيمتها ٣٠٠,٠٠٠ فرنك · ثم اخذ الميل ينمو في فرنسا لتوسيع نطاق اعمالها وتعزيز مكانتها فأسس اثر ذلك الاتحاد الاسرائيلي L'alliance Française الذي يوزع على المدارس السورية على اختلاف صبغتها اربعين الف فرنك

ولم يكن لفصل الكنيسة عن الحكومة في فرنسا ادنى تأثير في حال المدارس السورية لان الاحرار والمحافظين لم يختلفوا في امر الاحتفاظ بمعاهد فرنسا الخيرية والعلمية في الشرق بل رأينا الاحرار كثيراً مايوجهون الى الحكومة الافرنسية قوارص الكلام في مجلس الامة لتخلفها عن خصومها في الشرق اي المانيا وايطاليا

وفي سنة ١٩٠٠ تحسنت ميزانية هذه المدارس اذ جعلها مجلس النواب باكثرية الاصوات ٨٥٠,٠٠٠ فرنك ما عدا نفقات مدارس الرهبنات الافرنسية التي لا تزال في نظره نافعة لمصالح الدولة وقرر بذل المجهود لنشر التعليم المدني وتقويته في املاك الدولة العلية

على ان نجاح المانيا وايطاليا الباهر في الشرق وسرعة انتشار نفوذهما حملا الحكومة الافرنسية على انتهاج خطة اكثر حزماً وثباتاً مع توسيع ميزانية المدارس الشرقية بصورة قانونية بحيث لا تبقى عرضة للاخطار والتضعضع فحولت تلك الميزانية العرضية الى بند خصوصي ادخلته في ميزانية نظارة خارجيتها لسنة ١٩١١ تحت نمرة ٢٢ بموجب هذا البند ينفق مليون فرنك على المعاهد الافرنسية في سورية وفلسطين ليوزع على الطريقة الآتية :

٤٥٠٠٠٠ فرنك لمدارس الرهبنات منها ٣٠٠٠٠ للمدارس العليا و ٦٠٠٠٠ للمدارس الوسطى و ٣٦٠٠٠٠ للمدارس الابتدائية

و ٣٨٣٠٠٠ فرنك للمدارس المدنية منها ١٥٧٠٠٠ للمدارس العليا و ١٣١٠٠٠

للمدارس الوسطى و٩٥٠٠٠ للمدارس الابتدائية

و٤٥٠٠٠ فرنك تنفق على مدارس مختلفة و١٢٢٠٠٠ على المعاهد الطبية

وتأخذ المعاهد المدنية علاوة على ذلك ١٧٠٠٠٠ فرنك مساعدة من جمعية البعثة اللادينية (العلمانية) التي أسست سنة ١٩٠٢

فما ذكر يبدو للعيان ان فرنسا تسعى سعياً حثيثاً في تحسين مركزها في سورية ولا تبخل بالمال في سبيل ذلك . ونعتقد انها قد لا تكتفي ببليون فرنك لازدياد نفوذ المانيا وايطاليا اللتين تمدان يديهما الى اقتلاع حماية الكاثوليك في الشرق الادنى من يدها . ولاشك انها لاتتوقف عن كل ماشأنه المحافظة على اسم الجمهورية وشرفها

اما انكلترا فانها رافقت فرنسا في عمل نقل المدنية الغربية الى سورية وفلسطين . وكان المبشرون من الانكليز ينشرون في المدن الكبرى وفي ربوع لبنان حتى اقصاها وينشؤن المدارس والكنائس والمستشفيات للمرضى فعمت اللغة الانكليزية وراجت تجارة انكلترا وصناعتها وعظمت المنافسة بين النفوذ الانكليزي والفرنساوي . على انا لاندري ماتنفقه الحكومة الانكليزية على مدارسها ومعاهدها الخيرية في سورية اما فلسطين فقد عرفنا من اوثق المصادر انه ينفق عليها اربعمائة الف فرنك ولانكلترا في سورية اضعاف ما لها في فلسطين من المعاهد الخيرية وغيرها .

ودخلت النمسا سورية بعد انكلترا وفرنسا لاشتغالها عنها بالبلقان حيث كانت تسعى جهدها بتعزيز مركزها والبلقان مركز نفوذها دينياً وسياسياً . غير انها لما رأت ماحرزته انكلترا وفرنسا من النجاح الباهر في سورية نوت مناوأتهما لتفتح لتجارتها سوقاً جديدة وفازت بذلك بهمة جمعية الفرنسيسكان الغنية التي تنشر النفوذ النمساوي بهمة لاتبارى فتنشئ المدارس والمستشفيات للمرضى وبيوت العجزة وتجري الحفريات الاثرية وتبتاع الاماكن الثمينة بالنظر الى تاريخها المقدس

ولم نتمكن من الوقوف على كمية المبالغ التي تنفقها الحكومة النمساوية في سورية وفلسطين على مدارسها ومعاهدها الخيرية لابقائها ذلك في طي الكتمان انما نترك للقارئ تقدير ذلك متى علم ان النمسا تنفق على دار الغرباء وحدها في القدس ١٢٠٠٠ كرون وذلك بموجب ميزانية وزارة خارجيتها وأضف الى ذلك الاعانات العديدة التي يمد بها الاهالي جمعية الفرنسيسكان وما يدفعه الامبراطور فرنسيس يوسف من ماله الخاص . وهذا مالايمكن لاحد معرفة حقيقته .

اما ايطاليا فانها بعد اتحادها سنة ١٨٦١ فقد وجهت انظارها الى الشرق أسوة بغيرها من الدول الاوربية . وكانت الحكومة اذ ذاك فقيرة تخصصت في ميزانيتها اعتماداً زهيداً لا يتجاوز او بعين الف فرنك اعانة لكل المدارس الايطالية في الشرق .

وفي سنة ١٨٧٠ تضعضعت فرنسا في حربها مع بروسيا فطلبت ايطاليا ان تأخذ عَلَى عاتقها حماية الكاثوليك فلم تقبل فرنسا ان تتنازل عن حقوقها . و بلغت المنافسة من هذا الوجه معظمها سنة ١٨٨٣ فكانت ايطاليا تلح بطلب حماية المبشرين الايطاليين وفرنسا تعارضها لاعتقاد الاثنين ان في هذه الحماية ما يجعل لها شأناً عظيماً في هذه البلاد .

ولما كانت ايطاليا تبغي ايصال نفوذها الى اقصى درجاته فتحت اعتماداً في ميزانيتها للمدارس الشرقية لسنة ١٨٨٣ — ١٨٨٤ قدره ثمانون الف ليرة . وما كان هذا المبلغ ليحسب عظيماً لو لم تكن ماليتها اذ ذاك في حالة يرثى لها . لكنها لم يتسن لها مع ذلك حماية المبشرين الايطاليين فقررت انشاء عدد كبير من المدارس المدنية وخصصت لهذه الغاية سنة ١٨٨٧ اعانة سنوية قدرها مليون ونصف من الفرنكات . غير انها لم تفلح في هذا المسعى لما يقتضيه التعليم المدني من النفقات الباهظة ولعدم تمكنها من ايجاد معلمين لهم خبرة كافية للقيام بمثل هذا العمل . فعادت تحاول سلب حقوق فرنسا بحماية الكاثوليك وأسست لهذه الغاية في فلورنسا « جمعية جنسية لحماية المبشرين الطليان » فاضطرت فرنسا ان تتنازل عن بعض حقوقها واتفقت مع ايطاليا في سنة ١٩٠٥ عَلَى ان المعاهد الدينية مخيرة في حماية احدى الدولتين . فحدث اذ ذاك ان عدداً ليس بالقليل انحاز الى حماية ايطاليا وكان لهذا الفوز السياسي الباهر تأثير سيء في فرنسا اضطرب له الرأي العام ايما اضطراب .

ولم تكن ايطاليا بعد فوزها عَلَى فرنسا لتكتفي بالمليون والنصف من الفرنكات لأجل مدارسها فجعلت كل سنة تخصص مبالغ اخرى لمدارس الحكومة ومدارس الرهبنات التي انشأها الاكابر بكيون المطرودون من ايطاليا بأمر الحكومة . وفي الخامس من تموز سنة ١٩١٠ صادق مجلس النواب عَلَى زيادة ميزانية المدارس السورية او بمائة الف فرنك فاصبحت نحو مليونين ادخل منها في ميزانية نظارة الخارجية ١٣٥٠٠٠٠ فرنك وفي ميزانية لجنة الاستعمار ٥٥٠٠٠٠ وتقرر توزيع المبلغ من قبل نظارة الخارجية بمعرفة نظارة المعارف .

ولما التفتت المانيا الى الشرق كانت الدول قد رسخت اقدامها في سورية وفلسطين . على ان ذلك لم يمنعها من بسط نفوذها ونشر لغتها بسرعة لا توصف شأنها في كل حالاتها مع الدولة العلية . وجعلت تخطو الى الامام بقدم ثابتة زاعمة انها مدعوة للقيام بعمل حيوي لان الحياة والتاريخ يدعوانها لتكون صلة التواصل بين الشرق والغرب ومرشدة روحية للشرقيين . وما من ينكر عليها انها تقوم بهذا العمل احسن قيام فما برحت تنقل الى الشرق ما اكتسبته من الغرب من المدنية بواسطة عمال ملكيين وعسكريين وعلماء واساتذة ومعلمين ومهذبين الخ .

ولم يفتها ان حماية الكاثوليك في الشرق كانت اعظم الاسباب الآيلة الى تعزيز مركز فرنسا فأخذت تسعى للحصول على حقوق حماية الكاثوليك الالمانيين واول عمل قامت به لنيل مآربها تأسيس « جمعية فلسطين » وعهدت اليها بادارة المعاهد الالمانية الشرقية . وكانت بعد ذلك سياحة الامبراطور في بلاد الشرق فقال وزير خارجية المانيا في مجلس الامة « نحن بعيدون عن فكرة حماية كل المسيحيين في الشرق لكن حماية الكاثوليك الالمان من حقوق الامبراطور دون منازع » . ولم تعارض فرنسا بل تنازلت عن حقوقها لالمانيا . . .

وفي هذه السنين الاخيرة نمت اعمال المانيا نمواً غريباً اذ أسست كثيراً من المدارس الابتدائية وعدة مدارس عالية ومدرسة اكليريكية في القدس وغيرها من صناعية ومستشفيات وهياكل معتمدة في كل ذلك على الجمعيات الكاثوليكية والانجيلية الالمانية وعلى اللجان الجنسية التي تستمد قوتها من الاتحاد النمساوي العام . وحذت الحكومة حذو امبراطورها الحكيم فقدمت الاعانات للجمعيات على اختلاف المذهب لتبعد عنها روح المنافسة المضرة بالمصالح الوطنية . وما عدا ذلك فقد فتحت اعتماداً في ميزانيتها قدره ٨٠٠٠٠٠ مارك ينفق على معاهدها في سورية وفلسطين بمعرفة وزارة الخارجية .

ولم تغفل روسيا عن مساعي الدول الاوربية في سورية وفلسطين ونجاح الجمعيات التبشيرية . وكان الشرق الارثوذكسي قد اعتاد من القديم ان يعتبر روسيا حامية له في ايام المحن . واعترفت لها الدول بذلك بواسطة معاهدات دولية كانت نتيجة حروب سالت فيها الدماء انهاراً . فلم يسعها الا الاقدام على مباراة الدول الاوربية بتأييد مركزها في الشرق . فأسست لهذه الغاية سفارة روحية في القدس مالبثت

ان باشرت سنة ١٨٤٧ بفتح المدارس وانشاء المعاهد الخيرية وفي سنة ١٨٥٨ بعد انتهاء حرب القريم اقامت في المدينة نفسها قنصلاً لها .

على ان السفارتين لم يكن في وسعها مباراة الجمعيات الاجنبية بالنظر لحرج المركز الذي لا يسمح لممثلي الحكومة ان يتوسعوا في العمل وادت الحاجة الى تأسيس جمعية خصوصية غير مقيدة بمركز رسمي نظير الارساليات الاوربية تطلق يدها في العمل بدون خوف وهكذا كان

ففي سنة ١٨٨٢ وضع الاساس لجمعية فلسطين الارثوذكسية التي أطلق عليها سنة ١٨٨٩ «امبراطورية» ليتسنى لها جمع الاحسان من الشعب الروسي الذي يعتقد ان الامبراطور لا يهب اسمه الا لما فيه المنفعة للوطن . وباشرت الجمعية بانشاء المدارس وصادفت صعوبات شتى لم تلق مثلها الجمعيات الاوربية لان المعاكسات بدت من حيث لم ينتظرها احد اي من الاكليروس اليوناني الذي يكره الروسيين مصدر ثروته وغناه على ان الجمعية كانت تصرف معظم اهتمامها بالزوار الروسيين فسهلت لهم سبل الوصول الى الاراضي المقدسة واقامت لهم الابنية في القدس الشريف وغيرها وانشأت عدة مستوصفات لهم وللتلاميذ مدارسها كل ذلك والخزينة الروسية لم تنفق بارة واحدة بل كان الشعب الروسي الساذج مصدر هذه النفقات الوحيد

وفي سنة ١٨٩٢ فحصت كل اعمال الجمعية وما انتجته في العشر سنوات التي مضت على تأسيسها فثبت انها نجحت وافادت الزوار كثيراً وآوت بعض اولاد الارثوذكسيين وامدتهم بالمساعدة الطبية وحق لها ان تكسب ثقة الحكومة الروسية ولما كان عدد الزوار يزداد من سنة الى سنة والمدارس لم تسد كل الحاجة والاحسانات لا تقوم بكل ما تطلبه التحسينات الحيوية من النفقات طلبت الجمعية من الحكومة اعانة قدرها ٦٠٠٠٠٠ روبل اي ٨٠٠٠٠ ليرة وايد طلبها رئيسها الغرندوق سرجيوس وقدم للحكومة ضمانة لهذا الدين كل ما تملكه الجمعية من عقار وغيره ما تبلغ قيمته مليوني روبل . فرفض وزير المالية (ڤيت) طلبه لتضعضع المالية في ذلك الحين . ولم يبق للجمعية الا ان تتابع عملها مكتفية بالاحسان من الشعب الروسي ولكنها عادت سنة ١٨٩٥ فطلبت من الحكومة ان تقرضها اربعة آلاف ليرة لتنفقها على المدارس السورية التي انشأتها بطلب من البطريرك الانطاكي سبيريدون ففتحت لها الحكومة اعتماداً بالقيمة المذكورة ادخلته في ميزانية المجمع المقدس على ان تنفقه على السفارة الروحية في القدس .

ولما لم يكن في الامكان متابعة العمل حسبما تقتضيه الاحوال بدون مساعدة كبيرة طلبت من الحكومة ثمانين الف ليرة تقبضها دفعة واحدة لتحسين امورها وتستوفي من الاعتماد المذكور اعلاه في مدة عشرين سنة . فقبلت الحكومة بذلك وتكون الجمعية لم تحصل على مطلوبها الا بعد سعي عشر سنوات وبشرط ايفاء المبلغ اقساطاً سنوية .

والامر الغريب ان الحكومة لم تنقدها المبلغ من مال الخزينة بل من ريع املاك بسرايا التي تديرها الحكومة ووفت الجمعية بوعدها . لكن الحرب اليابانية فلت من مداخيل الاحسان فلم تعد تستطيع وفاء دينها فأجلته الى سنتين ثم الى ثلاث واخيراً اضطرت الى عدم الاحتفاظ بكل المعاهد التهذيبية والخيرية التي انشأتها وصرحت الحكومة بانها تضطر والحالة هذه الى حصر اعمالها في دائرة ضيقة فتهدم مابنته في سنين عديدة . فارسلت الحكومة مفتشين الى سورية وفلسطين فحصوا اعمال الجمعية وشهدوا بما تؤديه من المنافع الجمة للزوار الروسيين وللمدارس الارثوذكسية فتقرر ايجاد مبلغ يدخل بصورة قانونية في ميزانية نظارة الخارجية فتنفقه الجمعية على تحسين المدارس في سورية وفلسطين بحيث تفي باحتياجات الاهلين نظير المدارس الاوربية في هذه البلاد . ومن هنا نستنتج ان الجمعية الفلسطينية الروسية انشأت معاهدها في هذه البلاد دون ان تساعدها الحكومة بشيء بعكس ما رأيناه في امر المدارس الاوربية الاخرى . وانها لم تحصل على الوعد بالمساعدة المنتظمة القانونية الا بعد مضي ٢٩ سنة على تأسيسها

هذا شيء عن حالة اوربا في سورية بسطته للقاريء وله ان يستنتج ما عسى ان يكون مستقبل هذا الوطن المحبوب اذا لم تبادر الحكومة الى ازالة كل ما من شأنه حمل الدول الاوربية على التدخل في شؤوننا . وما هي الا فاعلة ذلك ان شاء المولى الكريم وهو حسبنا ونعم الوكيل

وطني

اليمن وسكانها

٣

خيرات اليمن

اجمع جغرافيو العرب ان اليمن الخضراء من اخصب الاقطار واكثرها مرافق وخيرات حتى قال القرماني ان اهلها يزرعون اربع مرات في السنة و يحصد كل زرع في ستين يوماً . وقال بعضهم :

اليمن ثلثة وثلثون منبراً قديمة وار بعون محدثة وصنعاء اطيب البلدان وهي طيبة الهواء كثيرة الماء يشتون مرتين و يصيفون مرتين واهل الحجاز واليمن يمطرون الصيف كله ويخصبون في الشتاء فيمطر صنعاء وما والاها في حزيران وتموز وآب وبعض ايلول من الزوال الى المغرب يلقى الرجل الآخر منهم فيكلمه فيقول عجل قبل الغيث لانه لابد من المطر في هذه الايام

قال ابن الفقيه : وباليمن من انواع الخصب وغرائب الثمر وطرائف الشجر مايستصغر ما ينبت في بلاد الاكاسرة والقياصرة وقد تفاخرت الروم وفارس بالبنيان وتنافست فيه فعجزوا عن مثل غمدان وأرب وحضرموت وقصر سعود وسد لقمان وسلحين وصرواح ومرواح و بينون وهندة وهنيدة وفلثوم بريدة

قال الاصمعي اربعة اشياء قد ملأت الدنيا لاتكون الا باليمن الورس والكندر والعطر والعصب فاما المعرق من الجزع فانه يتخذ منه الاواني لكبره وعظمه ، ولهم الحلل اليمانية والثياب السعيدية والعدنية والشب اليماني وهو ماء ينبع من قلة جبل فيسيل على جانبه قبل ان يصل الى الارض فيجمد فيصير هذا الشب اليماني الابيض ، ولهم الورس وهو شيء يسقط على الشجر كالترنجبين ولهم البُنك و يقال انه من خشب ام غيلان .

قال الاصفهاني وكانت جمال عمان تحمل الورس من اليمن الى عمان فتصفر

وذكروا من خصائص تهامة ادم زبيد ونيلها الذي لا نظير له كأنه لازورد شروب عدن تفضل على القصب ومسد المهجرة يسمى ليفاً وبرود سحولا والجريب وانطاع صعدة وركاؤها وسعيدي صنعاء وعقيقها وقفاع عثر وورس عدن ومغاق قرح . ومن اراد العقيق اشترى قطعة ارض بموضع بصنعاء ثم حفر فربما خرج له شبه صخرة واقل

وربما لم يخرج شيءٌ منه . والعنبر يقع عَلَى حافة البحر من عدن الى مخا.

قال المقدسي اليمن معدن العصائب والعقيق والادم الرقيق فالى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والسامم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والأبنوس والنارجيل والقند والاسكندروس (لعله السندروس) والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحبش والخدم وجلود النمور

مذاهب اليمن

كان عند ظهور الاسلام في اليمن من الاديان النصرانية واليهودية والمجوسية عَلَى رواية البلاذري وقد كتب الرسول عليه الصلاة السلام الى ملوك حمير وهم الحارث ابن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال وشرح بن عبد كلال والى النعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان . وكان المجوس في هجر واليمن . ودخل عامل اليمن في الدعوة الاسلامية قال ابن خلدون وهو باذان عامل كسرى واسلم معه اهل اليمن وأمره النبي صلى الله عليه وسلم عَلَى جميع مخاليفها وكان منزله صنعاء كرسي التبابعة ولما مات بعد حجة الوداع قسم النبي اليمن عَلَى عمال من قبله وجعل صنعاء لابنه شهر بان بن باذان وقام الاسود العنسي فاخرج عمال النبي من اليمن وزحف عَلَى صنعاء واستولى عَلَى اكثر اليمن وارتد اكثر اهله ثم رجع عمال المسلمين الى اعمالهم وقاتل ابو بكر الصديق المرتدين من اهل اليمن وولى اليمن عمال بني أمية ثم عمال بني العباس لاول امرهم ثم تعاقب الولاة عَلَى اليمن وكانوا ينزلون صنعاء حتى انتهت الخلافة الى المأمون وظهرت دعاة الطالبيين بالنواحي وظهر باليمن ابراهيم بن موسى الكاظم سنة مائتين ولم يتم امره وكان يعرف بالجزار لسفكه الدم و بعث المأمون عساكره الى اليمن فدوخوا حبه وحملوا كثيراً من وجوه الناس فاستقام امر اليمن فولى محمد زياد على اليمن ضامناً له حياطتهم من العلويين فقدمها سنة ثلاث ومائتين وفتح تهامة اليمن وهي البلادة التي عَلَى ساحل البحر الغربي واختط بها مدينة زبيد ونزلها واصارها كرسياً لتلك المملكة وولى عَلَى الجبال مولاه جعفراً وفتح تهامة بعد حروب واشترط على عرب تهامة ان لا يركبوا الخيل واستولى عَلَى اليمن اجمع ودخلت في طاعته اعمال حضرموت والشحر وديار كندة وصار في مرتبة التبابعة

وكان في صنعاء قاعدة اليمن بنو جعفر من حمير بقية الملوك التبابعة استبدوا بها مقيمين بالدعوة العباسية ولهم مع صنعاء سحان ونجران وجرش ولما بلغ عاملها ابا الجيش اسحق

ابن ابراهيم فقتل المتوكل وخلع المستعين واستبداد الموالي على الخلفاء مع ارتفاع اليمن وركب بالمظلة شأن سلاطين العجم المستبدين وفي ايامه خرج باليمن يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن ابراهيم بن طباطبا بدعوة الزيدية جاء بها من السند وكان جده القاسم قد فر الى السند بعد خروج اخيه محمد مع ابي السرايا فالحق القاسم بالسند واعقب بها الحسين ثم ابنه يحيى باليمن سنة ثمان وثمانين (ومائتين) ونزل صعدة واظهر دعوة الزيدية وزحف الى صنعاء فملكها من يد اسعد بن يعفر ثم استردها منه بنو اسعد ورجع الى صعدة وكان شيعته يسمونه الامام

وفي ايام ابي الجيش بن زياد ايضاً ظهرت دعوة العبيديين (الفاطميين) باليمن فاقام بها محمد بن الفضل بعده لاعة وجبال اليمن الى جبال المذيخرة سنة اربعين وثلثمائة وبقي له باليمن من الشرجة الى عدن عشرون مرحلة ومن مخلافه الى صنعاء خمس مراحل وهلك ابو الجيش سنة احدى وسبعين وثلثمائة بعد ان اتسعت جبايته وعظم ملكه قال ابن سعيد رأيت مبلغ جبايته وهو الف الف مكررة مرتين وثلثمائة وستة وستون الفاً من الدنانير العثرية ماعدا ضرائبه على مراكب السند وعلى العنبر الواصل باب المندب وعدن أبين وعلى مغائص اللؤلؤ وعلى جزيرة دهلك ومن بعضها وصائف وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر يهادونه ويخطبون مواصلته وانقرضت دولته سنة سبع واربعمائة

ثم ملك نجاح وقيس من موالي مرجان مولى الحسن بن سلامة وتغلب نجاح بعد ان قتل اخاه في خمسة آلاف من عسكره وضرب السكة باسمه وكاتب ديوان الخلافة ببغداد فعقد له على اليمن ولم يزل مالكاً تهامة وقاعدته زبيد قاهراً لاهل الجبال وانتزع الجبال كلها من مولاه الحسن بن سلامة ولم تزل الملوك تتقي صولته الى ان قتله الصليحي القائم بدعوة العبيديين سنة ثنتين وخمسين واربعمائة فقام بالامر بعده بزبيد مولاه كهلان .

اما الصليحي فكان مبدأ امره مثل السيد احمد بن ادريس الذي كان قائماً في عسير في السنة الماضية عرف بالصلاح فالتف الناس حوله واظهر الدعوة العبيدية فاستولى اولاً على حصن بذورة جبل حمام وحصن ذلك الحصن ثم ملك اليمن كله ونزل صنعاء واختط بها القصور واسكن عنده ملوك اليمن الذين غلب عليهم وهزم بني طرف ملوك عثر وتهامة ومازال الامر كذلك حتى استولى بنو ابي البركات على بني المظفر في

شيخ وحصونه ثم باع حصن ذي جبلة من الداعي الزربعي صاحب عدن بمائة الف دينار ولم يزل يبيع معاقله حصناً حصناً حتى لم يبق له غير معقل تعز اخذه منه علي بن مهدي وبقي ملوك زبيد يخطبون للعباسيين والصليحيون يخطبون للعبيديين الى اواخر المئة الخامسة والبلاد يتجاذبها ملوك حتى انقرض امر آل نجاح سنة ٥٥٤ وخلفهم غيرهم وبقي امر اليمن في تقلقل والجبال لرجل وتهامة لآخر وعدن لغيرهم حتى جاء عبد النبي ابن مهدي الخارجي من زبيد واستولى على اليمن اجمع وبه يومئذ خمس وعشرون دولة فاستولى على جميعها ولم يبق له سوى عدن ففرض عليها الجزية ولما دخل شمس الدولة توران شاه بن ايوب اخو صلاح الدين سنة ٥٦٦ واستولى على الدولة التي كانت باليمن ونزل زبيد واتخذها كرسياً لملكه ثم استوخمها وسار في الجبال ومعه الاطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء يتخذ فيه سكناه فوقع اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة كما اختط الصليحي سنة ٤٥٨ حصن ذي جبلة ونزلها وبقيت كرسياً لملكه وبنيه ومواليهم بني رسول

وذكر ابن سعيد ان اليمن تشتمل على سبعة كرامي للملك تهامة والجبال وفي تهامة مملكتان مملكة زبيد ومملكة عدن ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر من البرين من جهة الحجاز الى آخر اعمال عدن دورة البحر الهندي واليمن اخصب من الحجاز واكثر اهلها القحطانية وفيها من عرب وائل ودامت دولة بني رسول باليمن على رواية ابن اياس نحواً من مائتين وثلاثين سنة وكان سبب تسمية جدهم برسول ان الخلفاء كانت تبعثه رسولاً الى البلاد الشامية وغيرها من البلاد فسمي رسولاً وما زال يرتقي حتى ملك بلاد اليمن .

ذكر المقدسي ان المذاهب المستعملة لعهده في الاسلام التي لها خاص وعام ودعاة وجمع ثمانية وعشرون مذهباً اربعة في الفقه واربعة في الكلام واربعة في الحكم فيها واربعة مندرسة واربعة في الحديث واربعة غلب عليها اربعة واربعة رستاقية فاما الفقهيات فالحنفية والمالكية والشفعوية والداوودية واما الكلاميات فالمعتزلة والنجارية والكلابية والسالمية واما الذين لهم فقه وكلام فالشيعة والخوارج والكرامية والباطنية واما اصحاب الحديث فالحنبلية والراهوية والاوزاعية والمنذرية واما المندرسة فالعطائية والثورية والاباضية والطاقية واما التي في الرساتيق فالزعفرانية والخرمدينية والابيضية والسرخسية واما التي غلب عليها اربعة من شكلها فالاشعرية على الكلابية والباطنية

على القرمطية والمعتزلة على القدرية والشيعة على الزيدية والجهمية على النجارية

فهذه جمل المذاهب المستعملة اليوم (في عهد المؤلف) ثم تتشعب الى فرق لا تحصى ولما ذكرنا القاب واسماء تتكرر ولا تزيد على ما ذكرنا يعرف ذلك العلماء وهن اربعة ممتدحة واربعة منكورة واربعة مختلف فيهـا واربعة لقب بهـا اهل الحديث واربعة معناهن واحد واربعة يميزهن النحارير فاما الملقبة فالروافض والجبرة والمرجئة والشكاك واما الممتدحة فاهل السنة والجماعة واهل العدل والتوحيد والمؤمنون واصحاب الهدى واما المنكورة فالكلابية ينكرون الجبر والحنبلية ينكرون النصب ومنكرو الصفات ينكرون التشبيه ومثبتوها ينكرون التعطيل واما المختلف فيها فعند الكرامية الجبر جعل الاستطاعة مع الفعل وعند المعتزلة جعل الشر بقدر الله تعالى وان يقال افعال العباد مخلوقة لله والمرجئة عند اهل الحديث من اخر العمل عن الايمان وعند الكرامية من نفى فرض الاعمال وعند المأمونية من وقف في الايمان وعند اصحاب الكلام من وقف في اصحاب الكبائر ولم يجعل منزلة بين منزلتين والشكاك عند اصحاب الكلام من وقف في القرآن وعند الكرامية من استثنى في الايمان والروافض عند الشيعة من أخر خلافة علي وعند غيرهم من نفى خلافة العمرين واما الاربعة معناهن واحد فالزعفرانية والواقفية والشكاك والرستاقية واما اربعة لقب بها اهل الحديث فالحشوية والشكاك والنواصب والمجبرة واما التي يميزهن كل نحرير فاهل الحديث من الشفعوية والثورية من الحنفية والنجارية من الجهمية والقدرية من المعتزلة ٠

قال واعلم ان اصل مذاهب المسلمين كلها منشعبة من اربع الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة واصل افتراقهم قتل عثمان ثم تشعبوا ولا يزالون مفترقين ولم ار السواد الاعظم الا من اربعة مذاهب اصحاب ابي حنيفة بالمشرق واصحاب مالك بالمغرب واصحاب الشافعي بالشاش وخزائن نيسابور واصحاب الحديث بالشام واقور والرحاب وبقية الاقاليم ممتزجون

وقال ايضاً ان اليمن قليل الفقهاء والمذكرين والقراء كما هو قليل النخيل والمياه الغزيرة والبحيرات واليهود بها اكثر من النصارى ولاذمة غيرهم وسواد صنعاء ونواحيها مع سواد عمان شراة غالية وبقية الحجاز واهل الرأي بعمان وهجر وصعدة شيعة وشيعة عمان وصعدة واهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة الا عمان والغالب على صنعاء وصعدة اصحاب ابي حنيفة والجوامع بايديهم وبالمعافر مذهب ابن المنذر وفي نواحي نجد اليمن

مذهب سفيان والاذان بتهامة ومكة يرجع واذا تدبوت العمل عَلَى مذهب مالك و بكبر بز بيد في العيدين عَلَى قول ابن مسعود احدثه القاضي ابو عبد الله الصعواني وقت كوني ثم والعمل بهجر عَلَى مذهب القرامطة و بعمان واودية لم مجلس ·

و يوخذ مما قاله الهمداني ان اهل عدن فيما يقال لم يدخل عليهم من الروم احد ولكن أهلها الرهابنة ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة وظهرت فيها دعوة الاسلام ثم كثر بها الشراة فعدوا عَلَى من بها من المسلمين فقتلوهم غير عشرة اناسية

الزيدية

والزيدية هم اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ساقوا الامامة في اولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت امامة في غيرهم الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالامامة ان يكون اماماً واجب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين وعن هذا قالت طائفة منهم بامامة محمد وابراهيم الامامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين اللذين خرجا في ايام المنصور وقتلا على ذلك وجوزوا خروج امامين في قطر بن يستجمعان هذه الخصال و يكون كل واحد منهما واجب الطاعة واقتبس زيد بن علي مذهب الاعتزال فصار اصحابه كلهم معتزلة وكان من مذهبه جواز امامة المفضول مع قيام الافضل فقال كان علي بن ابي طالب افضل الصحابة الا ان الخلافة فوضت الى ابي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فان عهد الحروب التي جرت في ايام النبوة كان قريباً وسيف امير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي فما كانت القلوب تميل اليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد وكانت المصلحة ان يكون القيام بهذا الشأن من عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الاسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترى انه لما اراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الامر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس وقالوا لقد وليت علينا فظاً غليظاً فما كانوا يرضون بامير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظ له في الدين وفظاظة عَلَى الاعداء حتى سكنهم ابو بكر رضي الله عنه و كذلك يجوز ان يكون المفضول اماماً والافضل قائماً فيرجع اليه في الاحكام و يحكم بحكمه في القضايا

ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالامامة بعده يحيى بن زيد ومضى الى خراسان

واجتمعت عليه جماعة كثيرة وخرج محمد وابراهيم بالمدينة والبصرة واجتمع عليهما الناس فقتلا ثم رأوا انه لايجوز خروج واحد من اهل البيت حتى يأذن الله تعالى بزوال ملك بني أمية الذين يتطاولون على الناس حتى لوطاولتهم الجبال لطالوا عليها وهم يستشعرون بغض اهل البيت فقتل زيد بن علي بكناسة الكوفة قتله هشام بن عبد الملك ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله اميرها ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان وابراهيم الامام قتل بالبصرة امر بقتلهما المنصور

ولم ينتظم امر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل الى بلاد الديلم والجيل لم يتحلوا بدين الاسلام بعد فدعا الناس دعوة الى الاسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه و بقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الائمة و يلي امرهم وخالفوا بني اعمامهم من الموسوية في مسائل الاصول ومالت اكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بامامة المفضول وطعنت في الصحابة طعن الامامية وهم اصناف ثلاثة جارودية وسليمانية و بترية والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد .

وقال صاحب الفرق بين الفرق ان الزيدية ثلاث فرق وهي الجارودية والسليمانية وقد يقال الحرورية ايضاً والبترية وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بامامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب في ايام خروجه وكان ذلك في زمان هشام بن عبد الملك و يذهب الجارودية اولا الى أتباع المعروف بابي الجارود وقد زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة علي بالوصف دون الاسم وزعموا أيضاً ان الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي وقالوا ايضاً ان الحسن بن علي كان هو الامام بعد علي ثم أخوه الحسين كان اماماً بعد الحسن وافترقت الجارودية في هذا الترتيب فرقتين فرقة قالت ان علياً نص على امامة ابنه الحسن ثم نص الحسن على امامة أخيه الحسين بعده ثم صارت الامامة بعد الحسن والحسين شورى في ولدي الحسن والحسين فمن خرج منهم شاهراً سيفه داعياً الى دينه وكان عالماً ورعاً فهو الامام وزعمت الفرقة الثانية منهم ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي نص على امامة الحسن بعد علي وامامة الحسين بعد الحسن ثم افترقت الجارودية بعد هذا في الامام المنتظر فرقاً منهم من لم يعين واحداً بالانتظار وقال كل من شهر سيفه ودعا الى دينه من ولد الحسن والحسين فهو الامام ومنهم من ينتظر محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب ولا يصدق بقتله ولا بموته و يزعم انه هو المهدي

المنتظر الذي يخرج فيملك الارض وقول هؤلاء فيه كقول المحمدية من الامامية في انتظارها محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ومنهم من ينتظر محمد بن عمر الذي خرج بالكوفة ولا يصدق بقتله ولا بموته فهذا قول الجارودية وتكفيرهم واجب لتكفيرهم اصحاب رسول الله عليه السلام .

ذكر السليمانية او الجريرية منهم هؤلاء اتباع سليمان بن جرير الزيدي الذي قال ان الامامة شورى وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الامامة واجاز امامة المفضول واثبت امامة أبي بكر وعمر وزعم ان الامة تركت الاصلح في البيعة لهما لان عليًّا كان أولى بالامامة منهما الا ان الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفراً ولا فسقاً وكفر سليمان بن جرير عثمان بالاحداث التي نقمها الناقمون منه واهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل ان كفر عثمان رضي الله عنه .

وذكر البترية منهم فقال هؤلاء اتباع رجلين احدهما الحسن بن صالح بن حي والآخر كثير المغوا الملقب بالابتر وقولهم كقول سليمان بن جرير في هذا الباب غير أنهم توقفوا في عثمان ولم يقدموا على ذمه ولا على مدحه وهؤلاء احسن حالاً عند اهل السنة من أصحاب سليمان بن جرير وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح ابن حي في مسنده الصحيح ولم يخرج محمد بن اسماعيل البخاري حديثه في الصحيح ولكنه قال في كتاب التاريخ الكبير الحسن بن صالح بن حي الكوفي سمع سماك ابن حرب ومات سنة سبع وستين ومائة وهو من ثغور همذان وكنيته ابو عبد الله

قال عبد القاهر : هؤلاء البترية والسليمانية من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية لاقرار الجارودية على تكفير ابي بكر وعمر والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتركها تكفير ابي بكر وعمر وحكى شيخنا ابو الحسن الاشعري في مقالته عن قوم الزيدية يقال لهم اليعقوبية اتباع رجل اسمه يعقوب انهم كانوا يتولون ابابكر وعمر ولكنهم لا يتبرؤن ممن تبرأ منهم

قال عبد القاهر اجتمعت الفرق الثلاث الذين ذكرناهم من الزيدية على القول بان اصحاب الكبائر من الامة يكونون مخلدين في النار فهم من هذا الوجه كالخوارج الذين ايأسوا أسراء المذنبين من رحمة الله تعالى ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

انما قيل لهذه الفرق الثلاث واتباعها زيدية لقولهم بامامة زيد بن علي بن الحسن

ابن علي بن ابي طالب في وقتـه وامامة ابنه يحيى بن زيد بعد زيد . وكان زيد بن علي قد بايعه على امامته خمسة عشر الف رجل من اهل الكوفة وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقين فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له انا ننصرك على أعدائك بعد ان تخبرنا برأيك في ابي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن ابي طالب فقال زيد اني لا اقول فيهما الا خيراً وما سمعت ابي يقول فيهما الا خيراً وانما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم رفضتموني ومن يومئذ سموا رافضة وثبت معه نصر بن خزيمة العنسي ومعاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة في مقدار مائتي رجل وقاتلوا جند يوسف بن عمر الثقفي حتى قتلوا عن آخرهم وقتل زيد ثم نبش قبره وصلب ثم أحرق بعد ذلك وهرب ابنه يحيى ابن زيد الى خراسان وخرج بناحية الجوزجان على نصر بن سيار والي خراسان فبعث نصر ابن سيار اليه مسلم بن احوز المازني في ثلاثة آلاف رجل فقتلوا يحيى بن زيد ومشهده بجوزجان معروف .

هذا منشأ مذهب الزيدية باليمن وغيرها قال ابن فضل الله : امام الزيدية باليمن وهو من بقايا الحسنيين القائمين بآمل الشط من بلاد طبرستان وقد كان سلفهم جاذب الدولة العباسية حتى كاد يطيح رداءها و يشمت بها اعداءها . وهذه البقية الآن بصنعاء و بلاد حضرموت وما والاها من بلاد اليمن وامراء مكة تسر طاعته ولا تفارق جماعته والامامة الآن فيهم في بني المطهر واسم الامام القائم في وقتنا حمزة و يكون بينه وبين الملك الرسولي باليمن مهادنات ومفاسخات تارة وتارة وهذا الامام وكل من كان قبله على طريقة ماعداها وهي امارة عربية لا كبر في صدورها ولا شمم في عرانينها وهم على مسكة من التقوى وتزود بشعار الزهد يجلس في ندي قومه كواحد منهم و يتحدث فيهم و يحكم بينهم سواء عنده المشروف والشريف والقوي والضعيف وربما اشترى سلعته بيده ومشى في أسواق بلده لا يغلظ الحجاب ولا يكل الامور الى الوزراء والحجاب يأخذ من بيت المال قدر بلغته من غير توسع ولا تكثر غير مشبع هكذا هو وكل من سلف قبله مع عدل شامل وفضل كامل اهـ .

نعم جاذب القوم الدولة العباسية كما قال العمري حتى كادوا يطيحون رداءها وكذلك فعلوا من بعد الى عهدنا هذا وذلك ناشئ ولا جرم من جودة هواء الجبال لان

الشدة تغرس في العادة في نفوس الجبليين وما سكان الجبال من اليمانيين الا أشبه بالافريديين على حدود الهند وافغانستان ولقد اوى الزيدية الى الجبال كما اوى معظم اصحاب الدعوات اليها هكذا فعل الاسماعيلية والنصيرية فاووا الى جبل اللكام والدروز الى جبل الشوف والجبل الاعلى وجبال صفد وجبال حوران والشيعة المتاولة الى جبل عامل وجبال بعلبك ولبنان من ارض الشام

قال بعضهم صعدة مملكتها تلو مملكة صنعاء وهي في شرقيها وفي هذه المملكة ثلاث قواعد صعدة وجبل قطابة وحصن تلا وحصون اخرى وتعرف كلها ببني الرس واما حصن تلا فمنه كان ظهور الموطيء الذي اعاد امامة الزيدية لبني الرضا بعد ان استولى عليها بنو سليمان فاوى الى جبل قطابة ثم بايعوا لاحمد الموطيء سنة خمس واربعين وستمائة

وقال ابن فضل الله ايضاً في الزيدية : واما الزيدية فهم اقرب القوم الى القصد الأم وقولهم ان ابابكر وعمر رضي الله عنهما ائمة عدل وان ولايتهما كانت لما اقتضته المصلحة مع ان علياً رضي الله عنه افضل منهما و يرون جواز ولاية المفضول على الفاضل في بعض الاحيان لما تقتضيه المصلحة او لخوف الفتنة ولهذه الطائفة امام باق الى الآن باليمن وصنعاء داره وامراء مكة المعظمة منهم وحدثني الشريف مبارك بن الامير عطيفة بن ابي نمي انهم لايدينون الا بطاعة ذلك الامام ولا يرون الا انهم نوابه وانما يتوقون صاحب مصر لخوفهم منه والاقطاع (؟) وصاحب اليمن لمداراته لواصل المكارم ورسوم وكانت لهؤلاء دولة قديمة بطبرستان فزالت الا هذه البقية ٠

وقال ابن خلدون واما الزيدية فساقوا الامامة على مذهبهم فيها وانها باختيار اهل الحل والعقد لابالنص فقالوا بامامة علي ثم ابنه الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعياً الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خرسان وقتل بالجوزجان بعدان اوصى الى محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي وجاءته عساكر المنصور فقتل وعهد الى اخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه اليهم المنصور عساكره فهزم وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق اخبرهم بذلك كله وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم الى ان الامام بعد محمد بن عبدالله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسيق

الى المعتصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذي حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع منصور ونقلوا الامامة في عقبه واليه انتسب دعي الزنج وقال آخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد ابن عبد الله اخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات هنالك وقام بامره ابنه ادريس واختط مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوكاً بالمغرب الى ان انقرضوا وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط واخوه محمد ابن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر اخو زيد بن علي فكانت لبنيه بطبرستان دولة وتوصل الديلم من نسبهم الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد

وذكر ابن ساعد من جملة فرق الشيعة الزيدية القائلين بامامة زيد بن علي بن الحسين وامامة من اجتمع فيه العلم والزهد والشجاعة ظاهراً وهو من ولد فاطمة رضي الله عنها ويخرج لطلب الامامة ومنهم من زاد صباحة الوجه وان لا يكون مؤوفاً ويجوزون قيام امامين معاً بمكانين ومن رفض زيداً هذا اطلق عليهم اسم الرافضة اولاً وهؤلاء الثلاث طوائف من الشيعة اعني الامامية والاسماعيلة والزيدية هم رؤوس فرقهم

قال ابن حزم اتفقت الامة كلها على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من احد منهم لقول الله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم اختلفوا في كيفيته فذهب بعض اهل السنة من القدماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم الى ان الغرض من ذلك انما هو في القلب فقط او باللسان ان قدر على ذلك ولا يكون باليد ولا بسل السيوف ووضع السلاح اصلاً وبهذا قالت الروافض كلهم ولو قتلوا كلهم الا انها لم تر ذلك ما لم يخرج الناطق فاذا خرج وجب سل السيوف حينئذ معه والا فلا واقتدى اهل السنة بعثمان وغيره من الصحابة وبمن رأى القعود منهم الا ان جميع القائلين بهذه المقالة من اهل السنة انما رأوا ذلك ما لم يكن عدلاً فان كان عدلاً وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف مع الامام العادل . وذهبت طوائف من اهل السنة وجميع الخوارج والزيدية الى ان سل السيوف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اذا لم يكن دفع المنكر الا بذلك قالوا فاذا كان اهل الحق في عصابة يمكنهم الدفع ولا ييأسون من الظفر ففرض عليهم ذلك

وبعد فان شيعة علي رضي الله تعالى عنه زيدي ورافضي وبقيتهم بدد لا نظام لهم قالت علماء الزيدية وجدنا الفضل في الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كله في اربعة اقسام اولها القدم في الاسلام حين لا رغبة ولا رهبة الا من الله تعالى واليه ثم الزهد في الدنيا فان ازهد الناس في الناس ارغبهم في الآخرة وآمنهم على نفائس الاموال وعقائل النساء واراقة الدماء ثم الفقه الذي به يعرف الناس مصالح دنياهم ومراشد دينهم ثم المشي بالسيف كفاحاً في الذب عن الاسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه واحياء وليه فليس فوق بذل المهجة واستغراق القوة غاية يطلبها طالب او يرتجيها راغب ولم نجد قولاً خامساً فنذكره فلما رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه دونهم . وذلك انا سألنا العلماء والفقهاء واصحاب الاخبار وحمال الآثار عن اول الناس اسلاماً فقال فريق منهم علي وقال قوم زيد بن حارثة وقال قوم خباب ولم نجد قول كل واحد منهم من هذه الفرق قاطعاً لعذر صاحبه ولا ناقلا له عن مذهبه وان كانت الرواية في تقديم علي اشهر واللفظ به اكثر وكذلك اذا سألناهم عن الذابين عن الاسلام والماشين الى الاقران بسيوفهم وجدناهم مختلفين فمن قائل يقول علي رضي الله تعالى عنه ومن قائل يقول ابن عفراء ومن قائل يقول محمد بن مسلمة ومن قائل يقول طلحة ومن قائل يقول البراء بن مالك على ان لعلي من قتل الاقران والفرسان ماليس لهم فلا أقل من ان يكون علي في طبقتهم وان سألناهم عن الفقهاء والعلماء رأيناهم يعدون علياً ممن كان افقههم وعمر وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب على ان علياً كان افقههم لانه كان يُسأل ولا يسأل ويفتي ولا يستفتي ويحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن لا اقل من ان نجعله في طبقتهم وكاحدهم وان سألناهم عن اهل الزهادة واصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا علي وابو الدرداء ومعاذ بن جبل وابوذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على ان علياً ازهدهم لانه شاركهم في خشونة الملبس وخشونة المأكل والرضا باليسير والتبلغ بالحقير وظلف النفس ومخالفة الشهوات وفارقهم بان ملك بيوت الاموال ورقاب العرب والعجم فكان ينضح بيوت المال في كل جمعة ويصلي فيه ركعتين ورقع سراويله وقطع مافضل من ردائه عن أطراف اصابعه بالشفرة في امور كثيرة مع ان زهده افضل من زهدهم لانه اعلم منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما ان زلته ليست كزلة غيره فلا اقل من ان نعده في طبقتهم ولا نجدهم ذكروا لابي الدرداء وابي ذر وبلال مثل الذي

ذكروا له في باب الغناء والذب و بذل النفس ولم نجدهم ذكروا للزبير وابن عفراء وابي دجانة والبراء بن مالك مثل الذي ذكروا له من التقدم في الاسلام والزهد والفقه ولم نجدهم ذكروا لابي بكر وزيد وخباب مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب بالسيف ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء والزهاد فلما رأينا هذه الامور مجتمعة فيه متفرقة في غيره من اصحاب هذه المراتب وهذه الطبقات علمنا ان افضلهم وان كان كل رجل منهم قد اخذ من كل خير بنصيب فانه لم يبلغ ذلك مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه . قال الحافظ بعد كلام على هذا النحو وانما قصدت الى هذا المذهب دون مذهب سائر الزيدية في دلائلهم وحججهم لانه احسن شيء رأيته لم وانما احكي لك من كل نحلة قول حذاقهم وذوي احلامهم لان فيه دلالة على غيره وغنى عما سواه

الخاتمة

تبين للقارئ من هذا المبحث كيف كانت اليمن وكيف كان سكانها وما هي مذاهبهم ولا نخال ان الداعي الى كل ماوقع من الفتن سوى المظالم التي دكت العمران وابذعربها السكان وهذا واقع بهم منذالقرون الوسطى الىاليوم وقدأصابهم منه في عهد الدولةالعلية مالم يصب معظم الولايات لبعد ديارهم فيالقاصية ولانه لم يكن يقدم على الخدمة هناك من جيش الدولة وعمالها الامن جعل الاغتناء باي طريقة كانت اول همه وهمامة نفسه

قال المقبلي اليماني : ولقد حكي عن باشا من امراء الروم يسمى سنان في صنعاء حين وطأتهم اليمن وخبره اشهره واكبر قد انسى اهل اليمن ضرب المثل بالحجاج وصار علماً للظلم والفتك كأنه مولع بسفك الدم والتفنن فيه بالسلخ والصلب والخنق والكرباج فبيناهو في خاصته يتأوه و يبتهل الى الله في طلب المخرج من نفس مسلم قتله في الروم اذ قيل له هؤلاء الجماعة الذين ارسلت لهم فاشار ان اقتلوهم من دون اكتراث ولا نظر ولا استثبات في شأنهم فقال له بعض الحاضرين في ذلك فقال انما اتأوه من قتل مسلم محترم وهؤلاء زيدية يحل دماؤهم الى ان قال وكنت اظن ان هذا شيء نادر في سنان المشؤم وجماعة قليلين واذا هو مطبق عليه في من هو في دولة الاروام كأن هذا شيء يتبع الدولة وكأنها نسخت الشريعة اهـ. كذا قال وهو على غلو فيه لايخلو من حقيقة تار يخية فقد أثر عن الولاة المتأخرين اعمال كهذه يتناقلها اليمانيون بينهم ويدونونها في اخبارهم ولذلك فما رأينا يمانياً ثاب الى سكونه فعسى ان تعرف حكومتنا الحاضرة كيف تحوّ كل الكنف وتسكن نأمة تلك الشرور المستطيرة قروناً في مملكة التبابعة وحمير

تاريخ الحضارة[١]

في القرون الوسطى والقرون الحديثة

اصول الحضارة

الآثار قبل التاريخ — تجد في الارض احياناً دفائن من سلاح وادوات وعظام بشرية وبقايا من كل نوع تركها البشر ولا علم عنها شيء ويستخرج منها الوف من الانواع في جميع ولايات فرنسا وسويسرا وانكلترا بل في اوربا كلها بل يستخرج مثلها من آسيا وافر بقية ولاشك ان لها امثالاً في العالم كله · وتسمى هذه البقايا آثار قبل التاريخ لانها اقدم من التاريخ ومنذ نحو اربعين سنة اخذ العلماء يجمعونها ويدرسونها · ولمعظم المتاحف اليوم قاعة او على الاقل بعض بيوت من الزجاج مملوءة من هذه البقايا · وعلى مقربة من باريز في (سان جرمان ان لاي) متحف من قبل عهد التاريخ · وقد جمعت الدانيمرك زهاء ثلاثين الف قطعة من الآثار · وفي كل يوم يعثر على تحف اثناء الحفر وعند بناء بيت وحفر حفيرة لسكة حديدية ·

وهذه التحف لا ترى على سطح الارض بل هي مدفونة في الاعماق وفي اماكن لم تنبش تربتها وهي مغشاة بطبقة من الحصباء والطين الذي تراكمت شيئاً فشيئاً فوقها وجعلتها بمأمن من الهواء وهو مايؤكد كل التأكيد بان تلك الدفائن هناك منذ زمن بعيد ·

علم ماقبل التاريخ — فحص العلماء هذه الآثار فتساءلوا عمن خلفها لنا وحاولوا ان يعرفوا من عظامها وادواتها كيف بقيت وكيف كانت تعيش فاثبتوا ان هذه الادوات تشبه مايستعمله بعض المتوحشين الى اليوم · ومن درس هذه التحف نشأ علم جديد[٢] سموه علم الآثار قبل زمن التاريخ

العصور الاربعة — حدثت بقايا الآثار قبل زمن التاريخ من اجناس من البشر متنوعة كثيراً فبقيت في الارض ادواراً متطاولة جداً منذ زمن كان يعيش فيه في بلادنا الماموت وهو نوع من الفيل العظيم له جلد كثير الوبر وانياب محددة · ونقسم هذه السلسلة من القرون الى اربعة ازمان تسمى عصوراً

(١) معرب من كتاب شارل سنيوبوس من مؤرخي فرنسا (٢) وضع هذا العلم علماء من الفرنسيس والسويسريين والدانيمركيين ·

فالاول عصر الحجر النحيت والثاني عصر الحجر الصقيل والثالث عصر النحاس والرابع عصر الحديد . سميت هكذا بسبب الادوات التي كانوا يعملونها من الحجر والنحاس او الحديد . على ان هذه الازمان تختلف طولاً وقصراً وربما دام عصر الحجر النحيت مئة ضعف عصر الحديد

عصر الحجر

بقايا الحصباء — اقدم الاطلال التي عثر عليها كانت مدفونة في الحصباء . وقد ظفر احد علماء فرنسا المسيو بوشه دي برت (منذ سنة ١٨٤١ الى سنة ١٨٥٣) في وادي لاسوم بادوات قاطعة من الصوان وكانت مطمورة على عمق ستة امتار فالحصباء على ثلاث طبقات من ارض خزف وحصباء وكلس صلصالية لم تحركها يد . كما عثروا في نفس تلك الاماكن على عظام بقر وأيائل وفيلة . وظل الناس يهزؤن زمناً بهذه الاكتشافات فكانوا يقولون ان هذا الصوان قد نحت صدفة بلا تعمل حتى اذا كانت سنة ١٨٦٠ جاء عدة من العلماء بالقصد الى وادي لاسوم واعترفوا بان هذا الصوان قد نحتته يد البشر بلا مراء . ومنذ ذاك العهد عثروا على زهاء خمسة آلاف قطعة تشبه تلك في طبقات من هذا الجنس نفسه وذلك في وادي السين وفي انكلترا وكان بجانب بعض تلك الآثار بقايا عظام بشرية . ولا يختلف اثنان اليوم في انه كان بشر في العالم في الزمن الذي تألفت فيه على تربتنا طبقات الحصباء . فاذا كانت الطبقات التي تغشى هذه الاطلال قد تألفت بالبطء الذي تتألف به لعهدنا هذا فان البشر الذي وجدت عظامهم وادواتهم قد عاشوا قبل زهاء مئتي الف سنة .

رجال الغيران — ولطالما عثر الباحثون على اطلال في الغيران محفورة في الصخر لكون احياناً قائمة فوق نهر واشهرها مغارات شواطئ نهر الفيزير (احد انهار فرنسا) ويكثر امثالها في كثير من الاماكن اتخذت قديماً مساكن للناس واحياناً قبوراً لهم . فنجد فيها هياكل عظامهم واسلحتهم وادواتهم وهي عبارة عن فؤوس وسكاكين وازاميل اسنة رماح من الصوان وسهام وشفار كلاليب وإبر من العظام مثل ما كان يستعملها بعض المتوحشين وقد نثرت على التربة عظام الحيوانات فكان اولئك الناس القذرون كسائر المتوحشين يلقون بها في زواية بعد ان يأكلوا الحيوان وقد يشقون عظامه ليستخرجوا منها النخاع على مايفعل اليوم المتوحشون . ولست ترى بين تلك الوحوش الارنب والأيل والبقر والحصان وحوت سليمان بل تجد بينها ايضاً الكركدن ودب

الكهوف والماموت والوعل وبقر السهل وجميع ضروب الوحوش المنقرض نسلها من فرنسا منذ زمن طويل . ولقد عثر ايضاً عَلَى بعض الصور المنقوشة عَلَى عظام الوعل او عَلَى اسنان الماموت تمثل احداها قتال وعول والثانية حيوان الماموت اي فيلاً هائلاً ذا جلد له وبر كالصوف وانياب معقفة

لاجرم ان هوءلاء الناس كانوا معاصرين لذاك الفيل والوعل فكانوا كجنس الاسكيمو (سكان القطب في اميركا) في عهدنا هذا قوم دأبهم الصيد والقنص يحسنون صنع الصوان وايقاد النيران

المساكن — انخفضت المياه في بحيرة زوريخ (سويسرا) سنة ١٨٥٤ عقيب ماحدث من الجفاف في صيف تلك السنة فاكتشف سكان الشواطئ اوتاداً غرزت للبناء وهي بالية جداً وماعوناً غليظاً غير محكم وكانت هذه بقايا قرية قديمة بنيت عَلَى الماء . ثم عثر عَلَى زهاء مائتي قرية تشبهها في بحيرات سويسرا ويدعونها القرى او المدن المبنية عَلَى اوتاد في شواطئ البحيرات . اما الاوتاد التي قامت عليها تلك المساكن فقد جعلت من جذوع الاشجار غرزت من أطرافها في البحيرة عَلَى عمق عدة امتار واقتضى لانشاء كل قرية من ثلاثين الى اربعين الف جذع تحمل سطحاً من الخشب أقيمت عليه بيوت من خشب مغشى بالطين . ويستدل مما عثر عليه من مئات من الامتعة في وسط تلك الاوتاد عَلَى العيشة التي كان السكان يعيشونها فقد كانوا يأكلون من الحيوانات التي يصيدونها الايل والوعل والخنزير البري عَلَى حين كانوا يعرفون من قبل الحيوانات الاهلية كالبقر والعنز والحمل والكلب ويحسنون زرع الارض وحصاد الغلة وطحن الحب لانه وجد في اطلال قراهم حب الحنطة بل خبز (وبعبارة أخرى معجنات بدون خمير) وكانوا ينسجون الاقمشة الغليظة من القنب ويخيطون الثياب وقد عثر عَلَى إبر من عظام وكانوا يعملون الفخار على صورة ليس فيها شيء من المهارة وترى آنيتهم لااثر للدقة فيها بل هي معمولة باليد ومزدانة ببعض خطوط فقط وكانوا يستعملون السكاكين والسهام من حجر الصوان مثل سكان الغيران ولكنهم يعملون فوءوسهم من حجر صلب للغاية تعلموا صقله . ولذلك دعي عصرهم بعصر الحجر الصقيل وهوءلاء السكان احدث عهداً من سكان الغيران لانهم لم يعرفوا فيل الماموت ولا الكركدن وان كانوا عرفوا الوعل والايل في ارض فرنسا .

المصانع او الابنية — تسمى الابنية المصنوعة من ضخم الشقيف من الاحجار غير

المصقولة الابنية الميكاليتية اي الحجارة الضخمة ويكون الحجر فيها تارة على حاله واخرى مغشى بالطين . والمصانع التي يبقى فيها الصخر مكشوفاً هي على انواع فمنها « الدوالمن » وهو منضدة من الحجر مؤلفة من حجر مستطيل مركوز على عدة احجار مغروزة في الارض و« الكروملش » وهي دائرة من الحجر يتألف من صخور كبيرة مصفوفة على صورة اطار ومنها « المانهير »⁽¹⁾ وهي حجر طويل مؤلف من شقيفة جعلت على طرفها وكثيراً ما تكون عدة من المانهير مصفوفة صفاً واحداً . ولا تزال في الكرنك من اقليم برتانيا اربعة آلاف من هذا البناء قائمة على احد عشر صفاً . ويذهبون الى انه كان قديماً عشرة آلاف واحد من نوعها جعلت على صف واحد في ذلك المكان . وانك لتشاهد الابنية الميكاليتية في فرنسا بالمئات في ولايات الغرب ولا سيما في اقليم برتانيا وتجد في انكلترا منها على معظم الآكام ومنها زهاء ألفي بناية فقط في جزائر اوركاد .

وتسمى المصانع المدفونة التومولوس وهي تشبه اكمة عن بعد واذا فتحت يجد المرء في داخلها غرفة من الحجر وكثيراً ما تكون مبلطة بالواح من الصخر . وترى منها في بلاد الدانيمرك والمانيا الشمالية مصانع منثورة ويسمي اهالي تلك البلاد تلك المصانع المدفونة قبور الجبابرين .

والمصانع الميكاليتية كثيرة خارج اوربا وفي الهند وعلى شاطئ افريقية . ولا نعلم اي الشعوب استطاعت استخراج مثل هذا التنقيف ونقله ولقد جاء زمن طويل كانوا يظنون فيه ان قدماء الغاليين والسلتيين هم الذين عنوا باستخراجها ونقلها ومن هنا جاء اسم المصانع السلتية ولكن ذلك مردود لما ان ثبت وجود مثل هذه المصانع في افريقية والهند

واذا فتحت بعض هذه المصانع المدفونة غير الممسوسة تجد فيها كل حين هيكل عظام وكثيراً ما يكون عدة هياكل وهي اما جالسة او مضطجعة فهذه المصانع عبارة عن قبور فتجد بالقرب من الميت اسلحة وآنية ونقوشاً . وفي أقدم هذه القبور ترى الاسلحة عبارة عن فؤوس من الحجر الصقيل والنقوش هي اصداف ولآلئ وعقود من عظم او من عاج والآنية بسيطة للغاية بدون عروة ولا عنق بل هي مزدانة فقط بخطوط او بنقط

(١) سميت جميع هذه المصانع باسماء سلتية لان العلماء درسوها اولاً في بلاد السلت .

وترى فيها عظام حيوانات ملقاة على ارض مكلسة وهي بقايا طعام قدم في جنازة الميت قدمه احبابه الى قبره . وليس بين هذه العظام اثر لعظم الوعل وهذا مايستدل منه على ان هذه المصانع بنيت عندما اندثر جنس الوعل من اقطارنا اي بعد زمن القرى المبنية في البحيرات

قرن المعادن

القلز (النحاس الذي لا يعمل فيه الحديد) استعمل البشر المعادن منذ عرفوا اذابتها ليصنعوا منها أسلحتهم مفضلين لها على الحجر . فاول معدن شاع بالاستعمال هو النحاس لسهولة استخراجه لان منه الصافي السهل على التطريق اذ يمكن تطريقه بارداً ولكن لم يستعمل النحاس الخالص ومنه تصنع اسلحة سريعة العطب قابلة للتقليد . ولذلك مزجوه بـ١٠٪ من القصدير ليزيد صلابة وهذا المزيج من النحاس والشبه هو الذي يسمونه القلز .

ادوات البرونز — صنعوا من القلز ادوات للعمل (كالمدى والمطارق والمناشير والابر والصنانير) وادوات للزينة (أساور وشفافيد واقراط) وصنعوا منها اسلحة بوجه مخصوص (مثل الخناجر وزج الرماح والفؤوس والسيوف) و يوجد من هذه المصنوعات في قارة اوربا عامة في المصانع المدفونة وفي نضائد الرخام dolmen الحديثة وفي معادن الحمر المشتعل tourbière ببلاد الدانيمرك وفي مدافن الحجر وكثيراً ما يكتشف بالقرب من هذه المصنوعات من البرونز ادوات من الزينة من ذهب واحياناً بقايا ثوب من الصوف . ولا يتأتى ان تكون جميع أدوات البرونز متشابهة بالعرض ومعمولة من مزيج معين . لاجرم ان تاريخها يرد الى عهد واحد وهو مقدم على وصول الرومان الى غاليا اذ لم يظفر بها قط في جانب الآثار الرومانية والى اليوم لم يعرف من كان يستعملها .

قرن الحديد -- لما كان الحديد اصعب على التطريق واقسى على العمل من البرونز لم يعرف استعماله الا مؤخراً . واذ كان اكثر صلابة لم يستعمل غيره للسلاح منذ عرف . وكان الحديد على عهد هوميروس لبلاد اليونان معدناً ثميناً يدخرونه لصنع السيوف و يبقون القلز لسائر الاستعمالات ولذلك ترى كثيراً من القبور تحوي اشياء من القلز واسلحة من الحديد كيفما اتفق

وهذه الاسلحة هي فؤوس وسيوف واقواس ودروع و يوجد منها في العادة بالقرب

من هيكل عظام وفي قبر حجر او خشب لان المحاربين كانوا يدفنون مع اسلحتهم و يعثر منها في ساحة الحروب متفرقة او ضائعة في قعر حوض من الحجر وقد اكتشف في احد هذه الاحواض في شلزويك ١٠٠ سيف و ٥٠٠ رمح و٣٠ فأساً و٤٦٠ مبهماً و ٨٠ مدية و٤٠ منقشاً وكلها من الحديد وعلى مقربة من ذاك المكان في مجرى بحيرة قديمة رأوا مركباً عظيماً طوله ٢٠ متراً محملاً كله من الحاز والسيوف والنصال والمدى فالاشياء المعمولة من الحديد التي يعثر بها على هذه الصورة كثيرة لا تحصى وهي اقل بهاء من مصنوعات البرونز لان الصدأ يأكل الحديد بسرعة فتراها لأول وهلة اكثر قدماً ولكنها في الحقيقة اكثر جدة

عرف سكان شمالي اوربا الحديد قبل دخول الرومان اي في القرن الاول ب م. وقد اكتشف في مقبرة قديمة بالقرب من مناجم الملح في هالستاد من بلاد النمسا ٩٨٠ قبراً تحتوي على ادوات من الحديد والبرونز ولم يظفروا معها بقطعة من النقود الرومانية وقد دام قرن الحديد الى عهد الرومانيين. وان المصنوعات الحديدية ليعثر عليها مع ادوات الزينة الذهبية والفضية والاواني الخزفية الرومانية ونواويس وكتابات ونقود رومانية على مثال صور الامبراطرة. والمحاربون الذين تراهم مضطجعين بالقرب من سيوفهم ودروعهم كانوا في الاكثر الى عهد قريب منا وكان كثير منهم على عهد الميروفنجيين و بعضهم ايضاً على عهد شارلمان. فليس القرن الحديدي اذاً من القرون التي تعد قبل زمن التاريخ.

الخلاصة

ماذا يراد من القرون الاربعة — استعمل سكان البلد الواحد الاحجار المنحوتة فالاحجار المصقولة فالقلز فالحديد ولكن البلاد كلها لم تكن تستعمل في القرن الواحد المعدن الواحد فالمصريون استخدموا الحديد في حين كان اليونان يستعملون القلز و برابرة الدانيمرك مازالوا على استعمال الحجر ولم ينته عصر الحجر المصقول في اميركا الا عند ماوصل اليها الاوربيون وظل المتوحشون من اهل اوستراليا الى ايامنا هذه في عصر الحجر النحيت ولا يوجد في منازل عسكرهم سوى ادوات من العظام وقداحات تشبه ما كان يستعمله سكان المغيران فليس للعصور الاربعة اذاً ادوار في حياة الانسانية بل في حياة كل مملكة على حدتها فقط

شكوك — مابرح علم الآثار قبل التاريخ من العلوم الحديثة النشأة وما نعرفه عن

البشر الاصليين تعلمناه من بقايا حفظت بالعرض ووجدت كذلك وعلى ذلك وقد تؤدي صدمة جديدة وحفيرة او خندق وانهيار ارض وجفاف مطر الى اكتشاف جديد · ومن يعرف ماهو مدفون في بطن الارض حتى الآن فان ماعثر عليه من المدفونات حتى اليوم من الاشياء لا يقع تحت الحصر ولكنها قلما تفيدنا فيما نريد ان نعرفه · فكم من زمن دام كل عصر من العصور الاربعة ؟ ومتى بدأ وانتهى في البلدان المختلفة في العالم ؟ ومن اي الشعوب اتت صور الغيران والكهوف والقرى وسط البحيرات والمصانع المدفونة في النضائد الحجرية ؟ وعندما تنقل مملكة من عصر الحجر المصقول الى الفلز هل يكون الشعب نفسه قد غير ادواته او خلفه شعب آخر ؟ وعند مايعتقد بعضهم انهم ظفروا بجواب على ذلك يحدث اكتشاف جديد يكذب علماء الآثار فقد كان يظن ان النضائد الحجرية جاءت من السلتيين فوجدوا منها في محال لم يستطع السلتيون ان يجتازوها

مسائل محلولة — ومع هذا فان ثلاث مسائل يظهر انها محلولة (١ً) الانسان هو قديم على الارض لانه عرف الماموت ودب الكهوف فكان يعيش على الاقل خلال العصر الذي يقال له العصر الرباعي (٢ً) انتقل الانسان من حالة الهمجية حتى وصل الى المدنية وحسن بالتدريج آلاته وادوات زينته من الفأس الحقير المعمول من الصوان والعقد المؤلف من اسنان الدببة الى سيوف الحديد وحلي الذهب وذلك لان الادوات الغليظة كثيراً هي ايضاً عريقة في القدم (٣ً) تقدم الانسان تقدماً سريعاً وكان كل عصر اقصر مما سبقه

غاليا

شعوب غاليا المستقلة — كانت البلاد التي يسكنها (الفرنسويون) تدعى قديماً بلاد غاليا ويريدون بهذا الاسم جميع الصقع الممتد من جبال البيرنيه الى الالب والرين فالبحر وهذه البلاد الواسعة لم تكن مملكة واحدة بل كانت تنقسم بين مئة من الشعوب الصغيرة على الاقل ولكل منها حكومته وجيشه يحارب بعضها بعضاً

وهذه الشعوب مؤلفة من ثلاثة عناصر مختلفة

(١ً) كان الايبيريون وهم من نفس عنصر سكان اسبانيا يتكلمون في الجنوب في البلاد الواقعة بين جبال البرنيه ونهر الغارون بلغة لاتشبه بوجه من الوجوه اللغات التي يتكلم بها في اوربا ومازال يتكلم بها الى الآن الباسك في البرنيه

(٢) كان السلتيون في الوسط اي من نهر الغارون الى نهر المارن من عنصر سكان ايرلاندا نفسه ولغتهم تشبه اللغة التي يتكلم بها في ايرلاندا وفي بلاد الغال و بريطانيا

(٣) في الشمال من نهر المارن الى نهر الرين الشعب البلجيكي الذي كان بعضه من السلتيين والآخر من الجرمانيين اي من نفس الشعوب التي تسكن المانيا

فلم يكن في غاليا من ثم وحدة في الجنس ولا وحدة في اللغة

ديانة الغاليين — كانت ديانة الشعوب الغالية اشبه بديانة اليونان والرومان فيعبدون عدة ارباب تمثلها اصنام. ونحن لانعرف ايضاً اسماء هذه الارباب ولكننا نعرف اسمها. وهي رب الشمس (بلن) وربة القمر (بلزانا) ورب الفصاحة يمثلونه في سلاسل ذهب خارجة من فيه لتقييد الحضور ورب مكلف بان يقود الى جهنم ارواح الموتى (توتاتس) ورب الرعد ورب يدعى المفزع كان يسكن الغابات المظلمة. وكانوا يقدمون لهذه الارباب اكراماً لها وكثيراً ما يذبحون لها ذبائح بشرية يختارونها اما من الجناة المحكوم عليهم بالاعدام اومن أسرى الحرب وكان في غاليا طبقة من الناس وقفت نفسها على خدمة الدين وهم الدوروديون يجتمعون خاصة من شبان الأسر الشريفة وهم في العادة ينوون التبتل فلا يتزوجون وكان للدوروديين مذاهب دينية تخالف دين الشعب ولم ينته الينا ما يعرفنا بهذين المذهبين ولانعلم انهم كانوا يعتقدون بخلود الروح. وكانوا يلبسون قمطاناً بيضاً ونعالاً و يقبضون بايديهم قضباناً بيضاء يستعملونها في الاعمال السحرية لانهم كانوا كهنة واطباء وسحرة وقضاة في آن واحد. وكانوا يرون ان لبعض النباتات فضيلة ذاتية ولاسيما دبق (عنم) البلوط وهو النبات الذي يشفي بزعمهم من عامة الامراض فكانوا يجنونه باحتفال حافل بمناجل من ذهب في اليوم السادس من آخر شهر في الشتاء

اخلاق الغاليين وعاداتهم — كانت الشعوب الغالية الى القرن الاول من التاريخ المسيحي برابرة متوحشين يعيشون الا قليلاً كما يعيش اليونان قبل هوميروس او الرومان في اوائل امرهم وكانت البلاد مغشاة بغابات واسعة يسكنها الذئاب والايائل والنعام والدببة وفيها بطائح مؤلفة من انهار ولم يكن فيها من طرق سوى الضيق المعوج ولم تكن البيوت سوى اكواخ صغيرة من خشب اومن لبن مغطاة بقش لانوافذ لها ولامداخن ولها في السقف خرق يصعد منه الدخان حتى انه لم يكن عند الاغنياء الغاليين اثاث ولا فرش بل كانوا ينامون على القش او على جلود ويأكلون بايديهم ولم يكن لهم مدن يصح اطلاق لفظ مدينة عليها بل لم اسوار من الحجر يسكن داخلها القوم

ويتحصنون ايام الحروب وهناك كانت تقام الاسواق وتعقد مجتمعات المحاربين والاشراف ٠

ولم يكن سكان البلاد متساوين فيما بينهم فكان الفلاحون طبقة دنيئة والمحاربون الذين يقاتلون على خيولهم هم طبقة الاشراف وهؤلاء وحدهم هم الحكام وكان لبعض الشعوب زعيم سام اي ملك (ولفظ ر يكس) الغالية التي توجد في آخر عدة من اسماء رؤسائهم مثل امبيور يكس بوايور يكس فرسينوجيتور يكس وغير ذلك هي نفس اللفظ اللاتيني ر يكس

وكان المحاربون يتسلحون برمح له سنان من الفلز وبسيف ثقيل من الحديد ويلبسون خوذة وترساً من الخشب ولم يكونوا يلبسون الدروع ٠ ويفوق الغاليون اليونان والرومان من جهة واحدة فقط وهو ان ثيابهم كانت أكثر ملائمة واحسن صنعاً للتوقي من البرد ٠ فبدلاً من ان يلبسوا مثلهم ثياباً طويلة تربك صاحبها وتترك ساقيه عريانتين ونعلين تكشفان رجليه كانوا يلبسون نوعاً من السراويل (البري) ومشلحاً وضرباً من ضروب الاردية (السي) اشبه بما يلبسه الجبليون من اهل ايكوسيا واحذية تسمى كاليكا اي الغالية ومنها جاءت لفظة « كالوش » الفرنسوية واقتبس الرومانيون تلك السراويل الغالية

غاليا الرومانية

كيف اصبحت غاليا رومانية — استوطن الرومان بادئ بدء الشطر الجنوبي من غاليا في جوار ايطاليا حيث طاب لهم الهواء واطلق عَلَى البلاد من جبال البيرنيه الى جبال الالب اسم بروفانس اي ولاية (وبقي اسم بروفانس يطلق على القسم الشرقي من شرقي نهر الرون) فلم يمض زمن طويل حتى اشبهت بلاد ايطاليا ولما افتتح قيصر بقية بلاد غاليا خف سكانها الى التخلي عن عاداتهم واقتباس عادات الرومان فغادروا القرى ونزلوا المدن حيث انشأوا معابد ودور تمثيل وحمامات وبيوتاً من رخام مفروشة بالفسيفساء على نحو ما اعتاد اغنياء الرومان

وحذا السكان حذو الاشراف فتركوا بالتدريج حتى لغتهم وأخذوا يتكلمون باللاتينية ومن اللاتينية التي تكلم بها العامة في المملكة الرومانية نشأت اللغات الرومانية كالفرنسوية والايطالية والاسبانية ويكاد لم يبق في الافرنسية سوى كلمات طفيفة من اللغة الغالية (مثل «بك» منقار «كوك» ديك «الويت» قنبرة «مارن» تراب كلسي

ممزوج بصلصال « دون » كثيب « ليو » فرسخ

نظام غاليا — لم تدثر الشعوب الصغرى القديمة التي كانت تتقاسم غاليا بل تألفت من كل واحد منها مدينة سميت باسم سكانها (مثل سواسون تريف ليموج باريز) وكلما أنشئت مدن جديدة تضاف الى ما أنشئ من نوعها قبلاً . وانضمت عدة مدن فتألفت منها ولاية وكان لكل ولاية حاكم ينوب عن الامبراطور وله سلطة مطلقة نافذة فهو يقضي بين الناس و يبت المسائل و يبلغ المدن اوامر الامبراطور وكان الوالي في الولايات الواقعة على الحدود حيث يرابط فيلق من الجيش دائم هو القائد

وما قط كان لسكان غاليا غاية في تأليف امة خارجة عن بقية المملكة حتى أمسوا على التوالي يعتبرون أنفسهم رومانيين فيطيعون الامبراطور وحكامه عن رضىً ولذلك لم يكن الامبراطور في حاجة ان يضم شملهم تحت رايته بالقوة كما يجمع شمل الشعب المغلوب على امره . وكان له جيش ولكن على التخوم فقط للدفاع عن الغاليين من غزوات برابرة الجرمانيين لا لاكراههم على الخضوع . ولم يكن في تلك البلاد الواسعة التي هي اكبر من فرنسا الحديثة من الجنود الا حرس الولاة يبلغ عددهم على الجملة ثلاثة آلاف رجل .

اصول المجالس البلدية في غاليا — ظل صغار الشعوب في غاليا يديرون أمور انفسهم بانفسهم وكان للامبراطور التدخل في مسائلهم الداخلية ولكنه لا يسيء في العادة استعمال حقوقه بل يطلب اليهم فقط ان لا يحارب بعضهم بعضاً وان يؤدوا المطلوب منهم للحكومة في اوقاته وان يحضروا امام محكمة الوالي وكان في كل ولاية عدة حكومات صغرى مأمورة وتدعى كما كانت قديماً في المملكة الرومانية مدناً او بلديات . فالمدينة على عهد الامبراطورية الرومانية كانت على مثال المدينة الرومانية نفسها فيها مجلس لعامتها وعمال ينتخبون كل سنة و يقسمون اقساماً كل قسم مؤلف من عضوين ومجلس الشيوخ يتألف من كبار ارباب الاملاك اي من الاشراف والأسرات القديمة وكان حال مجلس العامة او الامة كما هو الحال في رومية صورياً ومجلس الشيوخ اي الاشراف هم الحكام حقيقة اما وسط المدينة فهو مدينة صرفة على الدوام اي رومية مصغرة ولها معابدها واقواس نصرها وحماماتها العامة وعيونها ومسارحها وميادين لقتالها والحياة فيها صورة من حياة رومية مصغرة من حيث توزيع الحنطة والدراهم والمآدب العامة والحفلات الدينية الكبرى والالعاب الدموية . الا ان دراهم الولايات في رومية

هي التي تؤدي النفقات اما في المدن فان الاشراف انفسهم يقومون بالنفقات اللازمة للحكومة والاعياد ·

وكان الخراج الذي يجبى لحساب الامبراطور يذهب اليه برمته ولذلك اقتضى ان يقوم الاغنياء على نفقتهم بالاحتفال بالالعاب واحماء الحمامات وتبليط الشوارع وانشاء الجسور والمجاري والملاعب · قاموا بكل ذلك مدة قرنين و بذلوا عن سعة في اقامة المصانع المنبثة في ارض المملكة والوف من الكتابات المزبورة على الاحجار شاهدة بذلك ابد الدهر

كان بين جبال البيرنيه ونهر الرين نحو مئة وعشر مدائن ولم تكن كوراً ساذجة على نحو مايوهمه نظام المجالس البلدية فيها بل انه كان لمعظمها ارض مساوية لولاية اوابرشية وهكذا كنت تجد بين نهري اللوار والسوم مدن سانس وسواسون واورليان وكانت باريز ونويون وسانليس وبوفي ولاون وسواسون وآمين فقط حواضر مدن وكانت المدن في اقليم البروفانس حيث نزل الرومان منذ عهد متطاول اكثر ازدحاماً وكنت ترى في اقليمي فوكلوس ودروم فقط مدن افنيون وكاربتراس واورانج وكافايون وفيزون وسان بونس ودي وفالانس · وفي ذاك الصقع حفظت اجمل المصانع ففي مدينة نيم ترى الملاعب والمعبد المسمى البيت المربع والقناة المسماة جسر الحرس وفي مدينة آرلس الملاعب وفي مدينة اورانج المسرح وقوس النصر ولكن جميع المدن كان لها مصانع من هذا النوع · وقد عثروا في باريز اصغر مدن الغالين على حمامات حارة وحمامات معدنية بالقرب من نزل كلوني وعلى ملاعب في شارع مونج · وما من متحف الا وترى فيه محفوظاً الى اليوم بعض بقايا المعابد والمجاري والفسيفساء اوقبوراً رومانية

اسباب الغارة

الجرمان — كان يسكن وراء نهري الرين والدانوب (الطونة) في البلاد التي تتألف منها اليوم المانيا شعوب غير متمدنة كان الرومان يدعونهم الجرمانيين وكانوا كالهنود والفرس واليونان والرومان شعوباً من عنصر آري نزحت في القديم من قارة آسيا وهم شعوب من الرعاة اصبحوا حراثين وشعوباً محاربين وكانوا ينقسمون الى عدة قبائل (نحو اربعين) تحكم كل واحدة نفسها منفصلة عن الاخرى وكثيراً ما كانوا يناوشون بعضهم بعضاً الحرب

وكان معظم المقاتلين من الجرمانيين لا يعتبرون الا الحرب ويقول تاسيت انهم كانوا كلما انقطعت شأفة الحروب من بينهم يقضون اوقاتهم في الصيد و يتخلون عن كل عمل الا النوم والأكل . وكان اشجعهم واكثرهم شدة في القتال لا يتعاطون عملاً يتركون العناية ببيوتهم وحقولهم للنساء والشيوخ والضعفاء وهم يعيشون كالمخدرين . وكان في كل شعب كثير من الناس جعلوا الحرب والغارة صناعتهم فيجتمعون حول محارب شريف او مشهور و يحلفون بان يخلصوا له الخدمة وعلى هذه الصورة تتألف عصابة من الاصحاب مخلصة لزعيم يعيشون في داره و يأكلون على مائدته يحفون به ايام الحرب و يفادون بارواحهم في سبيل الدفاع عنه . وكانت تشتد حاجة هاته العصابة الى الحرب فالرفاق لينالوا عن هذه الحياة المقصورة على الأكل والبطالة والرئيس ليقوم باود رجاله . وعندما يسود السلام في الشعب تنصرف عصابات المحاربين تقاتل مع زعمائها في جيش احد الشعوب او يحاربون على حسابهم وكانت الامبراطورية الرومانية تستعملهم للقيام بهذه الاعمال فبعضهم ينهالون على ولايات الحدود ينهبونها وآخرون يدخلون في خدمة الرومانيين يقاتلون المهاجمين من البرابرة وكثيراً ما يعودون مستمتعين بثرواتهم او غنائمهم ولكن لذت لكثير منهم عيشة التشرد فلا يكادون يرجعون الى مساقط رؤوسهم . وقد ادى هذا النظام الى فناء جميع القبائل النازلة في التخوم فلم تمض ثلاثة قرون الا وقد زالت العصابات الرحالة ولم يبق حثالة من حثالات الشعوب حتى اذا جاء القرن الثالث ظهرت معاهدات تحت اسماء جديدة ليست اسماء شعوب وهي ثلاثة الالمان في القراع الذي يتألف من نهر الرين والدانوب الاعلى والفرنك على المجرى الاسفل من نهر الرين والسكسون على طول بحر الشمال وكان لكل جماعة من تلك الجماعات الصغرى التي تكون منها تلك المعاهدات زعيم يسمى ملكا ويحارب في العادة على نفقته .

ابذعرار السكان في الامبراطورية الرومانية — جرى اذ ذاك في الامبراطورية الرومانية مثل ماجرى في جميع المجتمعات القديمة كاسبارطة و يونان وايطاليا اي انه قل عدد السكان واضمحل الاحرار وخلفهم العبيد ولم يكن لهذا الشعب من العبيد حظ من النمو بل كان اذا حدث كائن من الكوائن التي يكثر حدوثها في ذاك العهد من وباء وحرب وغارة يفنى زراع ذاك الصقع فتظل الارض غير مأهولة ولم تلبث القرى على التدريج ولا سيما من جهات التخوم ان فرغت من الرجال ولم يبق سكان الا

في المدن واصبحت عدة اصقاع أشبه بالقفار منها بالارياف

وبعد ان اجتازت بالبلاد جيوش المخربين العظمى في القرن الخامس (امثال راداكيزواتيلا) حدث في البلاد فراغ استحال على الامبراطرة ان يملأوه ففي بلاد الغال واسبانيا وايطاليا بل في بلاد الغرب اجمع بار شطر كبير من الاراضي لقلة اليد العاملة واصبحت الولايات الواقعة على التخوم مقفرة ولم يبق في كل البلاد التي يسقيها نهر الدانوب من سويسرا الى البلقان ولا مدينة رومانية واحدة واضمحل السكان حتى انه منذ القرن الرابع لم يبق في جميع هذه البلاد الاشعوب جرمانية اوسلافية وهكذا الحال في البلجيك لم يجد الفرنك فيها غير القفر

انحطاط الجيش الروماني — دعت هذه البلاد المقفرة الناس الى سكناها فكان البرابرة يحاولون على الدوام ان يدخلوها وكان من السهل على الحكومة الرومانية ان تدفعهم عن البلاد كلما كان لها جيش في الجملة ولكن آلت الحال في قلة الجند كما صارت في قلة المال بحيث كان من الصعب ابداً تجنيد العدد اللازم فاعتاد السكان عيش الدعة ولم يعودوا يهتمون ان يفادوا بانفسهم في الجيش فاضطرت الحكومة ان تطلب جنداً من كبار ارباب الاملاك وهؤلاء يسوقون بعض المزارعين (المستعمرين) في اراضيهم فيأخذونهم بالقوة من وراء سكتهم ومحراثهم فلا يكون منهم الا جند مسيء النظام فقد أصبح المجندون في القرن الرابع من الضعف بحيث لا يستطيعون لبس الدرع واخذوا يعتاضون عن الخوذة بالقبعة

ولذا كان القواد يؤثرون ان يستخدموا محاربين من البرابرة لانهم يقاتلون في ساحة الوغى مستميتين وكان في الامبراطورية منذ عهد طويل جنود من الجرمان في خدمة الامبراطورية وفي آخر القرن الرابع اخذ الرومان يجندون عصابات برمتها يجعلونهم مع نسائهم واولادهم وخدمتهم في اراضي يعطونهم اياها ليأخذوا منها أرزاقهم وعلوفاتهم وهؤلاء المحاربون الذين نزلوا في البلاد الرومانية كانوا يحتفظون بلسانهم وعاداتهم واصول حروبهم وزعمائهم ولكنهم يحاربون في الجيش الروماني ويدعونهم الاجراء او المحالفين وجاء القرن الخامس فلم يكن منهم عصابات فقط بل شعوب برأسها مثل الويزغوت والبورغوند فاجتازوا الحدود بالقوة احيانًا فبدلاً من ان يقاتلوا الامبراطور آثروا ان يكونوا في خدمته . فتألفت اذ ذاك جيوش رومانيـة من شعوب بربرية يقودها قواد منهم فقد رأينا الجيش الروماني الذي رد غارات اتيلا سنة ٤٥١

مؤلفاً من الويزغوث والفرنك والبورغوند وانيوس القائد الروماني هو في الاصل كاتيلا نفسه

اخلاق الغارة — كان في الامبراطورية الرومانيــة أراض كثيرة وجند قليل واذ كان البرابرة كلهم رجال حرب ويريدون ان يتملكوا اراضي اخذوا يتملكون تارة بالقوة والعداء واخرى مقابل خدمة وفي صورة محالفين ودخول البرابرة الى الامبراطورية هو الذي نسميه غارة البربر (ويطلق الالمان عليه هجرة الشعوب) وهذه الغارة لم تحدث دفعة واحدة بل وصل الجرمانيون عصابة أثر عصابة وتاريخ العصابة الاولى سنة ٣٧٦ والعصابة الاخيرة وقعت سنة ٥٦٨ فدامت الحركة اذاً في الغرب زهاء قرنين وظلت من جهة الشرق خلال القرون الوسطى كلها فلم يكن بذلك حرب ولا فتح ولم يؤلف الجرمانيون فيلقاً بل كانوا عَلَى العكس يثيرون السكان بعضهم عَلَى بعض بحيث استحقوا اعجاب كتبة الرومان بعملهم . قال بول اوروز اننا نرى كل يوم أمة من هذه الامم البربرية تبيد أمة أخرى ولقد شاهدنا جيشين من الغوت يفني احدهما الآخر ولكن هذه الشعوب تتقاتل لتموت وتهلك . والظاهر ان الجرمانيين لم يمقتوا الرومانيين بل كانوا يحاربون من أجلهم عن رضىً دافعين غارات غيرهم من الجرمانيين ايضاً ولم يكن لهم مأرب في القضاء عَلَى الامبراطورية بل كانوا يؤثرون ان يكونوا في خدمتها . قال اتولف احد ملوك الغوت انه كان يطمع اولاً في ابادة الاسم الروماني وان يؤسس من طول الاراضي الرومانية وعرضها امبراطورية يدعوها الغوتية يكون شأنه فيها شأن القيصر اغسطس واذ وقع في نفسه ان الغوت لايعرفون النظام والترتيب ليخضعوا للقوانين عقد العزم ان يفادي بقوى الغوت لتوطيد سلطة الرومان وزيادة نفوذهم فكان يطمع ان يكون مصلح الامبراطورية اذ لم يكن في طاقته ان يؤسس مثلها مباشرة وكان البربر يدخلون الامبراطورية بدون ان يكون لهم منزع سياسي بل لمجرد انهم كانوا يرجون ان تكون حالهم فيها احسن من جرمانيا ولكن نشأت من نزولهم البلاد نتائج لم يتحدث بها احد اذ ذاك .

البربرية — كان من اقرب النتائج ان تصبح الامبراطورية الى التوحش اقرب منها الى المدنية فمضى زهاء قرن وعصابات مسلحة تطوف البلاد انواع التطواف تحرق المدن وتخرب المصانع وتقتل الحراثين او تسوقهم امامها ولقد ابقى الونداليون اخوف ذكرى حتى غدت لفظة واندالسم تطلق للدلالة على التكالب في التخريب وكان يقول المونس

وهم شعب من فرسان التاتار ان العشب لا ينبت بتة في التربة التي وطئتها حوافر خيولهم . فقد خربت مدن كثيرة ولم تقم لها قائمة وبعضها تراجع عمرانه حتى غدا بمثابة دساكر حصينة تخربت دور التمثيل والحمامات والمدارس وجميع المصانع الرومانية شيئاً فشيئاً واتخذ السكان في كثير من المدن احجارها ليبنوا به اسواراً وهلك ارباب الصناعات النفيسة فلم يبق سوى صناع قليل عدوهم لا يستطيعون ان يصنعوا الا مباني ليس عليها مسحة من الذوق والجمال. واضمحل كل مايقال له مشاهد ومدارس وادب وغدا سكان الامبراطورية يشبهون البربر . قال احد القسيسين ممن كتبوا تاريخ ملوك الميروفنجيين والاسف آخذ منه كل مأخذ : لقد هرم العالم وانثلمت فينا حاسة النكات البديعة فما من امرىء لعهدنا تحدثه نفسه ان يبلغ مستوى خطباء الزمن الماضي .

شعوب جديدة — قضى البربر في اوربا على نظام الامبراطورية الرومانية بجماعات سنة ٤٧٦ وليس في رومية امبراطور وكل ملك من ملوك البربر سيد في الارض التي نزلها قومه [١] فانقسمت الامبراطورية الى عدة ممالك بربرية فنشأت في غاليا ممالك الفرنك والبورغوند وفي بريطانيا العظمى السبع الممالك من الانكل والسكسون وفي اسبانيا مملكة الويزغوت وفي افريقية مملكة الوندال وفي ايطاليا مملكة الاوستروغوت ثم مملكة اللومبارديين وكثير من الممالك اضمحلت ودخلت في مملكة مجاورة ولكنه نشأت في كل مملكة امة مستقلة على الاقل لها حكومتها وصناعاتها وآدابها .

اخلاق جديدة — انتهت ايام المدنية القديمة بدخول الجرمانيين الى الامبراطورية وليس ذلك ان الجرمانيين حملوا مدنية جديدة كالرومان الى غاليا ولا انهم اتخذوا العادات القديمة كما اتخذ الفرس عادات آسيا بل انهم اتوا ولهم عادات في الحياة والحكومة تخالف ماألفه الرومان فيما انخفض من بلاد الامبراطورية .

فكان ارباب الاملاك من الرومان يعيشون في المدن عزلاً من الاسلحة خاضعين لموظفي الامبراطور اما الجرمانيون فقد ظلوا يحملون اسلحتهم ونزلوا القرى وكان لكل واحد في حله جند من الخدمة المخلصين وكل امرىء سيد في ارضه لا يخضع بتة

(١) عاد البربر فنزلوا في جميع تخوم الامبراطورية التي هلك سكانها محافظين على اخلاقهم ولغتهم الجرمانية فالفلامنديون في البلجيك والفرنك في الشاطئ الايسر من نهر الرين والسواب في سويسرا والبافاريون في بافيرا والنمسا ونزل بين نهر الدانوب و بلاد البلقان شعوب من عنصر سلافي مثل الخرواتيين والصربيين

للحكومة وهم محتفظون بعاداتهم الجرمانية من عدم اداء الضرائب و بذلك قضوا على نظام بيت المال وعلى الاستبداد الامبراطوري ومن هؤلاء الجار بين القرويين خرج فيما بعد الفرسان الاشراف ·

وكان اصحاب الاملاك من الرومانيين يحرثون اراضيهم بواسطة جماعة من العبيد اما الجرمانيون فكانوا يعتمدون في استثمار اراضيهم على اناس من المستعمرين اي على مزارعين يتناوبون حراثتها بالارث · فلم يبطلوا العبودية من الامبراطورية بل تركوا العبيد يصبحون بالتدريج خدمة ثم مزارعين يملكون الارض التي يتوفرون على زراعتها ·

وعليه فلم يأت البربر بعقائد ولا باختراعات جديدة بل جاؤوا يحملون عادات بدلت حالة ارباب الاملاك والفلاحين وغيرت جميع قواعد الحكومة · فغارة البربر حادث عظيم في تاريخ المدنية لانه جدد المجتمع والحكومة في اوربا ولكنه كما يحدث في التغييرات الكلية قضت الحال بمرور عدة قرون لادراك نتائج ذاك التغيير

كيف دان الجرمانيون بالنصرانية

الارباب الجرمانيون — كان الجرمانيون كاليونان والرومان يعبدون اربابا كثيرين يمثلونها في صورة بشرية فالارباب الجرمانيون يؤلفون أسرة باسرها وعندهم ان «وتان» والد الجميع ورب الحروب محارب اعور يتقلد رمحاً يخرق الهواء ولا يرى بل يركب على حصان ابيض وكان دونار احد ابنائه ذا لحية حمراء وهو رب الرعد والعواصف يسير في مركبة ويقذف المطرقة الحربية التي تعود الى يده من تلقاء نفسها · وكان الرب تير او ساكسنوت رب السيف والمغازي وفريري على العكس هو الرب الجميل المسالم اللطيف ينضج المزروعات ويشفي الامراض وبالدير رب الحكمة والعدل والصلاح يتولى نصح سائر الارباب · وهناك ربات مثل الربة مريغا امرأة الرب وتان وهي قاسية محترمة تترأس حفلات الزواج والربة فريا وهي فتاة بارعة الجمال لطيفة الشكل يسر مرآها الارباب

وكانت هذه الاسرة السماوية تسكن قاعة عليا اسمها الوالهالا حوائطها ذهب وسقوفها فضة ويربط تلك العلية بالارض التي يسكنها البشر جسر وهو قوس قزح الذي يجتاز عليه الارباب ويجلس الرب وتان في هذه القاعة على منصة من ذهب يحف به من الارباب ذكورهم واناثهم ويذهب الوالكلور وهن مرسلات سماويات وبنات الحروب

والغارات مسلحات بالتروس والرماح راكبات عَلَى خيول مطهمة قاصدات الى ساحة الوغى يلتقطن من قضوا فيها وهم يحاربون و يأتين بهم الى قاعة الوالهالا حيث ينالون مكافأة عن شجاعتهم وهناك يعيشون بالقرب من الارباب في المآدب التي يأدبها الربات المعروفات باسم والكلور اللائي يسقينهم شراب العسل والجعة ٠

ونحو الشمال من اعماق الارض جهنم مظلمة بكثرة زمهريرها اسمها نيفلهيم اي مسكن الضباب وفيها ينزل رب الشر المدعو لوكي مع ولديه فنريس الذئب المفترس وهولا[1] ربة الموت التي يمثلونها بان نصفها اسود تأكل في صفحة الجوع ولا تترك ماتتناوله بتة ٠ والى هذا المسكن الهائل يذهب المحاربون الاشرار الذين تساهلوا بان تجرعوا كأس الحمام بسبب مرض او شيخوخة ٠ وغلب الرب وتان الرب لوكي ور بطه الى ثلاث صخرات ذات زوايا مع حية تقطر سمها عَلَى رأسه ولكنه يرجى له الخلاص ذات يوم و يأتي مع الجن والشياطين الشريرة عَلَى سفينة بنيت باظافر الموتى يهاجم الارباب الساكنين في الوالهالا و بذلك تسقط الشجرة الكبرى التي تمسك العالم من السقوط و يحترق قصر الوالهالا ويغلب الارباب على امرهم وهذا ما يسمونه عندهم شفق الارباب ثم تنجلي ارض احسن من تلك تخرج من البحر المحيط مع ارباب جدد[2]

العبادة — لم يكن للجرمانيين اصنام ولا شادوا لهم معابد بل كانوا يعبدون اربابهم عَلَى الجبال او في الغابات بالقرب من شجرة او عين مقدسة وكان رأس كل أسرة يقيم باسمه الصلوات و يقدم القرابين ولم يكن عندهم كهنة جرمانيون في جرمانيا نفسها الامانذر حتى ان العصابات التي دخلت منهم الى الامبراطورية الرومانية لم تصحب معها احداً منهم ٠ ودين مبهم عَلَى هذا النحو لا يهتم احد للدفاع عنه فلم يكن من شأنه ان يقاوم طويلاً ولذا كان الجرمانيون عندما داهموا الامبراطورية مستعدين لان يدينوا بالنصرانية

البرابرة الآريون — لما نزل برابرة الشمال الارض الرومانية دانوا الا قليلا

---

(١) ومن اسمها اخذ الالمان اسم جهنم فقالوا عنها بلغتهم هول

(٢) لم يبق للجرمانيين كتاب يذكرونهم ولكن الشعوب السكندناوية (الدانيمركيون والسويديون) كان لهم دين يشبه دين الجرمانيين عرفناه من الكتاب المسمى « الادي » اي الجدة الذي كان كتب في ايسلاندا ٠

بالكثلكة بل بشيعة الآريوسية فقد كان الوزيغوتيون في اسبانيا والاوستروغوتيون في ايطاليا والبورغونديون في غاليا والونداليون في افريقية بل واللومبارديون الذين اتوا في القرن السادس كلهم من اهل المذهب الآريوسي . والظاهر ان الجرمانيين صعب عليهم ان يقبلوا بالرمز الذي جرى التواطؤ عليه في مجمع نيقية وربما زهدوا التصديق بان الابن مساوٍ للأب . وكان رعاياهم الرومان ارثوذكسيين في مذهبهم وقد ادى هذا الاختلاف في الدين مدة تزيد عن قرن الى حروب واضطهادات وكثيراً ما كان احد ملوك البرابرة يأبى تعيين الاساقفة الارثوذكس وقد بقي كرسي قرطاجنة خاليا مدة اربع وعشرين سنة ولم يكتف جنزيك ملك الوندال بنفي الاساقفة بل رأى ان ينفذ على رعاياه الكاثوليك الاوامر التي كان طبقها الامبراطرة على الملاحدة ومع هذا كتبت الغلبة للكثلكة على المذاهب النصرانية الاخرى ودان بها بالتدريج الملوك الآريوسيون وتمذهب بها شعوبهم فانتحل البورغونديون هذا المذهب في اوائل القرن السادس وانتحله الوزيغوتيون الاسبانيون في سنة ٥٨٩ واللومبارديون في اواسط القرن السابع اما سائر الممالك فقد خربتها جيوش الامبراطور يوستنيانوس .

انتحال الفرنك (الافرنج او الفرنك اوالفرنسيس) للنصرانية — بقي الفرنك الذين نزلوا غاليا من الشمال على وثنيتهم . وقد فضل الاساقفة الارثوذكسيون هؤلاء الوثنيين الذين كانوا يؤملون تنصيرهم بدلاً من البرابرة المسيحيين الذين ظلوا على اريوسيتهم ورضي احد زعماء العصابات الفرنكية واسمه كلوفيس ان يتعمد على يد أسقف ريمس القديس ريمي فحذا حذوه ثلاثة آلاف رجل ولم يلبث زعيم العصبة هذا وقد عضده رجال الكهنوت الكاثوليكي ان اصبح وحده ملك غاليا كلها ومنذ ذاك العهد اصبح جميع ملوك الفرنك من نسل كلوفيس مسيحيين وعضدوا الكنيسة الارثوذكسية وكان ذلك من جملة الاسباب في نجاحهم اما امة الفرنك فقد ابطأت في انتحالها هذا الدين فظل كثير من المحاربين زمناً طويلاً على وثنيتهم ومنهم من كان من حاشية الملك . وفي اواسط القرن السادس صادفت الملكة رادغوند وهي مسيحية غيورة على الطرق العامة جنائز وثنية فامرت المحاربين من اهل موكبها ان يأتوا عليها فقام الفرنك بسيوفهم وعصيهم . ومضى زهاء قرنين اي من القرن السادس الى السابع حتى غدا الفرنك كلهم مسيحيين

قاعدة القديس بنوا — أنشئت في ايطاليا واسبانيا وغاليا منذ القرن الرابع اخويات قسيسين ولكن العيشة التي يعيشونها في هذه الاديار من بلاد الغرب لم تشبه عيشة النساك في ثيبة (١) وفي اواخر القرن الخامس انقطع احد اشراف الايطاليين واسمه بنوا (٤٨٠—٥٤٣) الى جبل كاسين في بلاد نابولي وذلك بعد ان عاش بضع سنين متنسكاً في غار وسط الصخور وكان ثمت معبد وغابة على اسم ابولون فنصر بنوا فلاحي ذاك الجوار وامرهم بان يخربوا ذاك المعبد واقام بدلاً منه كنيستين وديراً عظيماً وغدا بنوا رئيس اخوية كبرى وانشأ نظاماً طويلاً لقسيسيه قاضياً عليهم ان يتخلوا عن الدنيا وعن الأسرة والملك وان لا يملكوا شيئاً لانفسهم حتى ولا الصفائح (السقورات) والمناقش التي يكتبون بها وان يلبسوا كساء من الصوف الخشن او مسوحاً ذات قبعات (اسكيم) كان يلبسها الفلاحون وان يخضعوا بدون تردد لكل مايصدر عن الرئيس من الاوامر قال القديس بنوا في المدخل: اسمعوا ايها الابناء اوامر الرب ولا تخافوا من الائتمار باوامر اب صالح والعمل به وذلك حتى يقودكم الخضوع التام الى ما ابعدكم عنه العقوق والكسل. وقد سمى الدير مدرسة العبودية الالهية وفي ذلك لم يأت القديس بنوا شيئاً سوى الجري على مثال رهبان المشرق ولكنه يختلف عنهم في كيفية استعمال الوقت فبدلاً من التأمل واعمال النسك امر بالعمل قائلاً ان الكسل عدو الروح وفي الجملة فان حياة الراهب داخلة تحت القاعدة ساعة فساعة فعليه ان يعمل كل يوم بيديه سبع ساعات ويقرأ ساعتين وينقسم اليوم الى سبعة قداديس يبدأ الاول منها في الساعة الثانية ليلاً. واذا اراد رجل ان يدخل في هذه الطائفة يقبل فيها على سبيل التجربة مبتدئاً وبعد شهر يتلى على مسامعه قاعدة: «هذا هو القانون الذي يجب عليك ان تقاتل تحت لوائه فان كنت في مكنة من الاحتفاظ به فادخل والا فانت حر ان تذهب من هنا بسلام». وبعد سنة يوقع على عهد يضعه على المذبح بحضور جميع القسيسين ثم يركع امام كل واحد منهم على حدته ومنذ ذاك اليوم يوقن بانه لم يعد يملك شيئاً حتى ولا جسمه. ولم تلبث قاعدة القديس بنوا ان اصبحت عامة على رهبان الغرب اتخذتها جميع الاديار القديمة وعليها أنشئت جميع الاديار الجديدة واصبح بعد حين عامة رهبان الغرب من البندكتيين.

---

(١) بلاد ثيبة Thébaïde هي صحراء في مصر العليا بين سلسلة جبال بلاد العرب وسلسلة ليبيا انقطع اليها النساك الاول من اهل النصرانية ومدينة ثيبة عاصمة تلك البلاد

الرهبان البندكتيون — عاد قسم من بلاد غاليا وايطاليا في القرن السادس فاصبح خراباً يباباً وغشت الغابات العظيمة البلاد فدخل الرهبان الذين يحبون العزلة تلك القفار وبين العوسج والشوك يقيمون لهم معبداً وبعض الاكواخ ثم يأخذون باحياء موات الاراضي المجاورة وكثيراً ما يعطيهم احد الملوك او الكونتية او ارباب الاملاك بقعة واسعة (اذ كانت قيمة الارض رخيصة اذ ذاك) فيؤسسون ديراً جديداً . ولقد كان الرهبان ينشئون الاهراء وفرناً ومطحنة ومخبزاً ويحرثون الارض ويصنعون الالبسة ويعملون حجار الطاحون والصناعات النفيسة وينسخون المخطوطات فكانت اديارهم حقولاً انموذجية كما هي معمل وخزانة كتب ومدرسة وتتألف من العبيد والمزارعين في اصقاعهم قرية كبرى هكذا نشأت في فرنسا مئات من المدن حول الاديار وكثير من المدن سميت باسم القديس رئيس ديرها الاول (سان او بر سان كلود رميرمون) وأنشئت الوف من الكنائس الخورنية على يد بعض اديار البندكتيين .

تنصر الانكليز السكسونيين — يروى ان القديس غريغوريوس رأى قبل ان يصبح بابا في سوق العبيد في رومية اولاداً شقراً بيض البشرة يباعون فسأل من اين أتي بهم فاجيب انهم انكل فقال: لقد دعوا باجمل الاسماء فهم حقاً ملائكة فهل هم مسيحيون؟ فقيل له انهم وثنيون بعد . فاجاب هل من الممكن ان تحتوي هذه الجبهات الجميلة ذكاء محروماً من نعمة المولى . ومنذ ذاك الحين رأى ان يتنصر الانكليز فلما غدا بابا بعث اربعين قسيساً يقودهم اغسطينس الى احد ملوك بلادهم فوصل المرسلون يحملون لوحة رسم عليها المسيح فجمع الملك مجلس العظماء وسألهم فيما اذا كان يقتضي قبول الدين الجديد فوقف احد الزعماء في المجلس وقال: «ربما ذكرت ايها الملك شيئاً يحدث احياناً في نهار الشتاء عندما تكون جالساً الى المنضدة مع مقاتليك ونارك موقدة وغرفتك دافئة والسماء تمطر وتثلج والريح زعزع في الخارج وبينما انت كذلك يطير طائر صغير فيجتاز الغرفة داخلاً من باب وخارجاً من آخر وهذه اللحظة التي يقضيها الطائر وهو داخل الغرفة تحلو له فلا يشعر قط بالمطر ولا ببرد الشتاء ولكن هذه اللحظة قصيرة لان الطائر لا يلبث ان يهرب ويعود الى الشتاء الذي كان فيه وعلى هذه المثال ارى حياة الناس في الارض بالنسبة للوقت غير المؤكد الذي في الآخرة فظاهر ان الحياة قصيرة ولكن اي وقت يجيء بعدها واي وقت مضى قبلها . هذا امر نجهله فاذا كان هذا الدين الجديد يفيدنا في ذلك اموراً آكد فهي جديرة بان نتحمل و يدان بها » وكانت النصرانية

تروق هؤلاء البرابرة الجديين لانها تحدثهم عن اليوم الآخر . وقد نصح البابا المرسلين المسيحيين ان لا يناقضوا المعتقدات القديمة قائلاً يجب الاحتراز من تخريب معابد الاوثان بل الواجب تطهيرها وتخصيصها بعبادة الاله الحقيقي لان الامة كما رأت اماكن عبادتها القديمة باقية تكون اكثر استعداداً الى الاختلاف اليها للالف والعادة فقد اعتاد رجال هذه الامة ان يذبحوا البقر ضحايا فالواجب ان يبدلوا هذه العبادة بزياح مسيحي دعوهم ينشئون اكواخاً من ورق الشجر حول معابدهم المحولة كنائس يجتمعون فيها ويقودون اليها حيواناتهم التي يذبحونها لا على سبيل ضحايا للشياطين ولكن في سبيل الله تعالى . ولم يضطهد الانكليز السكسونيون المرسلين المسيحيين على انهم لم يتنصروا الا ببطء فهناك كان الملوك ولاسيما الملكات تحمي الديانة الجديدة كما هي الحال في غاليا ولكن المحاربين لم يهتموا لقبولها

المرسلون الايرلنديون — دانت ايرلاندا بالنصرانية منذ القرن الخامس وكانت اذ ذاك مشهورة باديارها العديدة وحمية كنائسها الدينية فكانت تلقب بجزيرة القديسين فسافر مرسلون من اديار ايرلندا ونصروا جميع برابرة بريطانيا العظمى فالتقوا اذ ذاك بالمرسلين القادمين من رومية . وكان لكنيسة ايرلاندا ومؤسسوها مسيحيون من اهل آسيا بعض عادات شرقية فتحتفل بعيد الفصح مثلا في غير الوقت الذي تحتفل به كنيسة رومية واصطلحت على وضع اكليل الاكليروس على مقدم الرأس بدلاً من الاكليل على صورة تاج . وهذه الاختلافات في الصورة دعت الى اشتداد العراك بين المرسلين الايرلنديين والمرسلين الرومانيين فيحضر البرابرة نزاعهم بحسب ما لكتابتهم من المكانة واليك ما ذكره احد الكتاب الارثوذكس من نزاع عظيم وقع في وتبي سنة ٦٦٤ بحضور جميع مجلس الشعب . صرح كولمان الايرلندي بان مواطنيه لا يستطيعون ان يغيروا طريقتهم في الاحتفال بعيد الفصح لان ذلك مما ألفه آباؤهم فاجابه ويلفريد السكسوني : اننا نحتفل بالفصح كما رأيناه يحتفل به في رومية حيث عاش الرسولان بولس وبطرس وكذلك في غاليا وجميع الامبراطورية والبروتون فقط يعاندون في مشاكة بقية العالم وبعد فهل في المكنة ان يفضل ابوك كولومبا على قدسية فيه على السعيد امير الحوار بين الذي قال له سيدنا يسوع : انك بطرس (ومعنى بطرس الحجر) وبك يا حجر ابني كنيستي وادفع اليك مفاتيح ملكوت السموات — فسأل الملك حينئذ ذاك الايرلندي قائلاً : أحقق ان هذه الكلمات قالها سيدنا المسيح للقديس بطرس ؟

— نعم صحيح ذلك — هل في وسعك ان تبرزلي حجة تشبه حجة كولومبا؟ — لااستطيع — انتم عَلَى وفاق بان مفاتيح السموات أُعطيت لبطرس — نعم — اذن هو بواب السماء ولا اريد ان انازعه في قوله بل احب ان اخضع له في كل امر مخافة ان لا اجد احداً يفتح لي ابواب ملكوت السموات عند ما اصل اليها ٠

وهـذه الحجة كانت بحسب درجة ذكاء البربري فاستحسن المجلس الخطاب وعزم ان يتبل في المملكة بأسرها العادات الرومانية وانتهت الحال بغلبة الرومانيين (في اوائل القرن الثامن) ومنذ ذاك الحين خضعت للبابا كنيسة بريطانيا العظمى باجمعها ٠

تنصر الجرمانيين في المانيا — كان يتألف من الجرمانيين الذين تخلفوا في المانيا عدة امم كلها وثنية في القرن السادس وبدأ قسيسون ايرلانديون بتنصرهم فسكن القديس غال بين السواب بالقرب من بحيرة كونستانس في المكان الذي أُنشئت فيه البيعة التي نسبت اليه ٠ ونصر كيليان الفرنكونيين في بلاد يين ثم استشهد وتمكن القديس ولفرن من عزم دون دي فرِيزون راديود عَلَى تعميده وبينا كان الدوق يدخل الى التبو سأل اين بقي اجداده فقيل له انهم في جهنم فقال انا اريد اصبح مسيحياً حتى لاانفصل عن اجدادي ٠ واستحق ونفريد من الانكليز السكسونيين الملقب بونيفاس ان يلقب برسول الجرمان اذ ارسله البابا الى انكلترا كما ارسل أغسطينس يحمل هذه الرسالة : « رغبتنا في ان تتمتعوا معنا بالابدية فبعثنا اليكم بونيفاساً يعمدكم ويعلمكم ايمان الرب فاطيعوه في كل مايأمركم ووقروه كما توقرون اباً واسمعوا لمواعظه » ثم ان بونيفاساً اوصى به شارل مارتل زعيم الفرنك زعماء الجرمانيين وبفضل هذه المعاضدة تمكن من الدخول في قلب المانيا وعقد اجتماعات وقوض الاشجار المقدسة ومنع عبادة الاصنام وبذلك تيسر له ان ينصر شطراً من الزعماء والشعب في بافيرا وتورينغ وهيس ثم سكن في ماينس ملقباً برئيس الاساقفة ٠

وقد بقي السكسون شعباً وثنياً في بلاد وزر (فستفاليا وهانوفر) وبعد حروب دموية اضطر شارلمان زعماءهم ان يتعمدوا ثم اسكن اساقفة وقسيسين في جميع البلاد وانفصل عليهم بمايتنع عنهم الحاجة وقضى بان يقتل كل سكسوني يعبد اربابه القديمة او يهمل القيام بالصيام الذي شرعته الكنيسة فمن ثم اصبحت المانيا كلها مسيحية وغدت كانكلترا متعلقة برومية وخاضعة للبابا وارسلت المانيا ايضاً مرسلين ذهبوا فتنصروا الوثنيين في بلاد اسكاندينافيا ومقاتلين راحوا لتبديد شمل الوثنيين من السلافيين ايضاً ٠

الاسلام

دين العرب الاول — انتهت تخوم المملكة الرومانية في الشرق عند رمال بلاد العرب فظل هذا الشعب مستقلاً بربرياً منقسماً الى عدة قبائل وكان لسكان الساحل من العرب بعض مدن صغرى تعرف الزراعة وتبعث بقوافلها الى الغرب تحمل اليهم البن والبخور والتمر و يطوف سكان الداخلية القفر بمواشيهم مسلحين راكبين صهوات خيولهم نصفهم رعاة والنصف الآخر قطاع طريق (كما هي عيشة البدو الى اليوم) و يقتتل العرب فتقاتل القبيلة القبيلة ولكنهم يعتبرون انفسهم باجمعهم من عنصرواحد وهم كالاسرائيليين من العنصر الذي نسميه العنصر السامي ويمتاز عن آريي الهند واوربا امتيازاً ظاهراً بلغته ودينه . ولقد كانت العرب كلها تعبد الهاً قادراً خالقاً هو الله تعالى ولكنها تعبد الجن خاصة وهي ارواح لا ترى وكان لكل قبيلة اله خاص تعبده في صورة نجم او حجر او صنم [1] ولكنهم كلهم يرجعون في عباداتهم الى الكعبة في مكة وهي البيت المتفق عَلَى تعظيمه عندهم والكعبة معبد على صورة الكعب او زهر النرد حوائطها من حجر غير نحيت مغشاه بأقمشة من الصوف و يحفظون فيها الحجر الاسود المشهور المحترم عند العرب اجمع (وهو قطعة من حجر بركاني تحتت اليوم الى اثني عشرة قطعة (كذا)) وقد وضعت كل قبيلة في الكعبة صنماً خاصاً بها و يقال انه كان فيه ٣٦٠ صنماً ومنها صنم لابراهيم وصورة العذراء مع ابنها يسوع وانشأت قريش مدينة مكة الصغرى حوالى القرن الخامس في الوادي الضيق الذي تحيط به الصخور القاحلة محيطة بالكعبة ويقام فيها كل سنة سوق واعياد يتنافس فيها الشعراء وتبطل في خلال ذلك الحروب فمكة كانت هي المدينة المقدسة التي يحج اليها الناس من اقطار بلاد العرب كافة .

محمد (عليه الصلاة السلام) — ولد محمد في قبيلة قريش المقدسة وهم سادة مكة وسدنة الكعبة (بين سنتي ٥٦٩ — ٥٧١) وعاش وهو اليتيم الفقير الى سن الار بعين لا شأن له . وكان رجلاً جبانًا [2] سوداويا تنتابه عوارض من الحمى ونوبات عصبية وكان

(١) تهود كثير من العرب وكان بعضهم عَلَى دين النصارى

(٢) المترجم : قضت علينا الامانة في نقل ما كتبه المؤلف ان نعرب عبارته عَلَى علاتها في الاسلام والرسول الأمي العربي صلوات الله عليه هذا مع علمنا بان المؤلف مقلد فيما كتب تابع بعض اعداء الاسلام في القرون الوسطى فنطق بلسان التعصب —

—القديم وخرج بتربيته عن طور المؤرخ الى طور الطاعن الهجاء، وانا نحيل القاري' المنصف على مطالعة كتاب اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي فانه قد تكفل بالرد على امثال سنيوبوس ولو كان المجال مجال مناقشة لاوردنا نقولاً كثيرة عن علماء الافرنج انفسهم في سيرة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام عسى ان تكون جواباً لمن يكتب في القرن العشرين وما هو الا ابن القرن الثاني عشر او الثالث عشر بافكاره وتصوراته ونكتفي الآن بنقل جمل من كلام كارليل فيلسوف الانكليز في الرسالة المحمدية قال :

لقد اصبح من اكبر العار على كل فرد ممدن من ابناء هذا العصر ان يصغي الى مايظن من ان دين الاسلام كذب وان محمداً خداع مزور وآن لنا ان نحارب مايشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة فان الرسالة التي اداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس امثالنا خلقهم الله الذي خلقنا افكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والاحصاء اكذوبة وخدعة ؟ اما انا فلا استطيع ان أرى هذا الرأي ابداً ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج و يصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول فما الناس الا بله ومجانين وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة كان الاولى بها ان لاتخلق ....

هل رأيتم قط معشر الاخوان ان رجلاً كاذباً يستطيع ان يوجد ديناو ينشره عجباً والله ان الرجل الكاذب لايقدر ان يبني بيتاً من الطوب .... وعلى وذلك فلسنا نعد محمداً قط رجلاً كاذباً متصنعاً يتذرع بالحيل والوسائل الى بغيته او يطمح الى درجة ملك اوسلطان اوغير ذلك من الحقائر والصغائر وما الرسالة التي اداها الاحقا صراحاً وما كلمته الاصوتاً صادقاً صادراً من العالم المجهول . كلا ما محمد بالكاذب ولا الملفق وانما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة فاذا هي شهاب قد اضاء العالم اجمع ذلك امر الله

... ثم لاننسى شيئاً آخر وهو انه لم يتلق دروساً عن استاذ ابداً وكانت صناعة الخط حديثة العهد اذ ذاك في بلاد العرب و يظهر لي ان الحقيقة هي ان محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء واحوالها وكل ما وفق الى معرفته هو ما امكنه ان يشاهد بعينه و يتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية وعجيب والله أمية محمد نعم انه لم يعرف من العالم ولا من علومه الا ماتيسر له ان يبصره بنفسه او يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب ولم يضره ولم يزر به انه لم يعرف علوم العالم —

—لا قديمها ولا حديثها لانه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك ولم يقتبس محمد من نور اي انسان آخر ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك في جميع اشباهه من الانبياء والعظماء —اولئك الذين اشبههم بالمصابيح الهادئة في ظلمات الدهور — من كان بين محمد و بينه ادنى صلة ....

واني لاعرف عنه انه كان كثير الصمت يسكت حيث لاموجب للكلام فاذا انطق فما شئت من لب وفضل واخلاص وحكمة لا يتناول غرضاً فيتركه الا وقد انار شبهته وكشف ظلمته وابان حجته واستثار دفينته وهكذا يكون الكلام والا فلا وقد رأيناه طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهمة كريماً براً رؤوفاً تقياً فاضلاً حراً ....

ومما يبطل دعوى القائلين ان محمداً لم يكن صادقاً في رسالته بل كان ملفقاً مزوراً انه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة لم يحاول اثناءها احداث ضجة ولا دوي مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة ولم يك الا بعد الاربعين ان تحدث برسالة سماوية ....

ايزعم الكاذبون ان الطمع وحب الدنيا هو الذي اقام محمداً واثاره . حمق وايم الله وسخافة وهوس اي فائدة لمثل هذا الرجل في جميع بلاد العرب وفي تاج قيصر وصولجان كسرى وجميع مابالارض من تيجان وصوالجة واين تصير الممالك والتيجان والدول جميعها بعد حين من الدهر ؟ أفي مشيخة مكة وقضيب مفضض الطرف او في ملك كسرى وتاج ذهبي الذوائبة منجاة لمرء ومظفرة ؟ كلا اذن فلنضرب صفحاً عن مذهب الجائرين القائل ان محمداً كاذب ونعد موافقتهم عاراً وسبة وسخافة وحمقاً فلنربأ بنفوسنا عنه ولنترفع ....

ولقد قيل كثيراً في شأن نشر محمد دينه بالسيف فاذا جعل الناس ذلك دليلاً على كذبه فشدما اخطأوا وجاروا فهم يقولون ما كان الدين ينتشر لولا السيف ولكن ماهو الذي اوجد السيف؟ هو قوة ذلك الدين وانه حق والرأي الجديد اول ماينشأ يكون في رأس رجل واحد فالذي يعتقده هو فرد — فرد ضد العالم اجمع فاذا تناول هذا الفرد سيفاً وقام في وجه الدنيا فقلما والله يضيم وارى على العموم ان الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال او لم تروا ان النصرانية كانت لاتأنف ان تستخدم السيف احياناً وحسبكم مافعل شارلمان بقبائل السكسون وانا لااحفل أكان انتشار الحق بالسيف ام باللسان ام باية—

آية أخرى فلتدع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة او بالصحافة او بالنار لتدعها تكافح — وتجاهد بايديها وارجلها واظافرها فانها لن تهزم الاما كان يستحق ان يهزم وليس في طاقتها قط ان تفني ماهو خير منها بل ما هو احط وادنى ...

اما القرآن فان فرط اعجاب المسلمين به وقولهم باعجازه هو اكبر دليل على اختلاف الاذواق في الامم المختلفة هذا وان الترجمة تذهب باكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة .... اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تجاوز الآذان واذا خرجت من القلب نفذت الى القلب والقرآن خارج من فؤاد محمد فهو جدير ان يصل الى افئدة سامعيه وقارئيه وقد زعم براديه وامثاله ان طائفة من الاخاديع والتزاويق لفقها محمد لتكون له اعذاراً عما كان يرتكب ويقترف وذرائع لبلوغ مطامعه وغاياته ولكنه قد آن لنا ان نرفض جميع هذه الاقوال فاني لامقت كل من يرمي محمداً بمثل هذه الاكاذيب وما كان ذو نظر صادق يرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل والقرآن لو تبصرون ما هو الا جمرات ذاكيات قذفت بها نفس رجل كبير النفس بعد ان اوقدتها الافكار الطوال في الخلوات الصامتات ...

وماكان محمد أخا شهوات برغم مااتهم به ظلماً وعدواناً وشد مانجور ونخطيء اذا حسبناه رجلاً شهوياً لاهم له الا قضاء مآربه من الملاذ — كلا فما ابعد ما كان بينه وبين الملاذ ابة كانت لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر اموره واحواله وكان طعامه عادة الخبز والماء وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار وانهم ليذكرون ونعم مايذكرون انه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة ؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس خشن الطعام مجتهد في الليل قائم النهار ساهر الليل دائباً في نشر دين الله غير طامح الى مايطمح اليه اصاغر الرجال من رتبة اودولة او سلطان غير مطلع الى ذكر او شهرة كيفما كانت رجل عظيم وربكم والا فما كان ملاقياً من اولئك العرب الغلاظ توقيراً واحتراماً واكباراً واعظاما ....

وينكر البعض تغلب الحسية والمادية على جنة محمد وناره فاقول ان العيب في ذلك على الشراح والمفسرين لا على ماجاء في الكتاب فان القرآن قد اقل جداً من اسناد الحسيات والماديات الى الجنة والنار وكل مافيه عن هذا الشأن ايماء وتلميح وانما المفسرون والشراح هم الذين لم يتركوا لذة حسية ولا متعة شهوية حتى الحقوها بالجنة ولا عذاباً بدنيا والماً جثمانياً حتى اسندوه الى النار ثم لاتنسوا ان القرآن جعل اكبر ملاذ —

حنفياً اي كافراً بعبادات العرب ويسمون بهذا الاسم من لايعبد الاصنام بل يعبد الهاً واحداً رب ابراهيم والد العنصر العربي . وكان رجال قبيلة محمد تنظر اليه بغير عين الرضى فسكن بين الصخور الجرداء المحرقة وفي سنة ٦١١ بحسب الرواية العربية حلم محمد بأنه صاحب دين وظهرت له روح فائقة في قوتها سماها محمد بعدذلك الملك جبرائيل قالت له : اقرأ فقال محمد : ما انا بقارئ . فقالت له اقرأ . ومنذ ذاك العهد رأى محمد نفسه بان الله عهد اليه مباشرة بنشر الدين الحقيقي فبدأ يدعو زوجته وبناته اولاً ثم اصحابه ورجال مكة فقاومه زعماء القبيلة اجمع فاضطر الى الهجرة الى المدينة (سنة ٦٢٢)[١] واذ كان اهل المدينة اعداء لاهل مكة اعترفوا بنبوة محمد واخلصوا له الطاعة . واحاط المدنيون بالرسول في ثمانين من اصحابه هاجروا من مكة يتبعونه فبدأ اذ ذاك يناوش قوافل مكة القتال ويغزوها مما انتهى بخضوع اهل مكة ثم حمل جميع العرب على قبول دينه .

ولم يقم محمد بمعجزات ولم يدع انه روح الهي بل كان يرى نفسه فقط رجلاً ملهماً يتكلم ويعمل باسم الله تعالى ويظهر في مظهر رسول ومصلح قائلاً ان الدين الحق كان منذ عهد آدم وهو ان يعتقد بواحد احد وان يخضع لاوامره التي يبلغها للبشر على لسان انبيائه فنوح وابراهيم وموسى وعيسى كانوا رسلاً . وما اليهودية والنصرانية الا اوهام مطلقة بل اشكال محرفة من دين الله الحق وهذا الدين الابدي هو الذي جاء محمد يدعو اليه لخلوه من التحريف فهو خاتم النبيين واعظمهم وباسم النبي عظمه اتباعه . وقد اخذ جانباً من تعاليمه عن التوراة والانجيل[٢] ولذا ساغ ان يقال ان محمداً مبتدع مسيحي والاسلام بدعة من بدع النصرانية على اصطلاح العرب .

—الجنة روحانياً اذ قال « وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها آمنين » فالسلام والامن هي في نظر كل عاقل اقصى اماني المرء واعظم الملاذ قاطبة والشيء الذي عبثاً يلتمسه الانسان في الحياة الدنيا وقال ايضاً « ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين » واي رذيلة اخبث من الغل مصدر المحن والمصائب والنقم والآفات واي شيء اهنأ من التآلف والتصافي ...

(١) هذه السنة في الهجرة هي اول سنة في تاريخ المسلمين كما ان سنة ولادة المسيح (عليه الصلاة والسلام) هي مبدأ التاريخ المسيحي

(٢) الظاهر ان محمداً لم يعرف شيئاً عن حياة المسيح الا من الاناجيل المزورة

القرآن — كان محمد أمياً فاذا اوحي اليه ودعا الى دينه كانت تنقل كلماته فكتبت عَلَى الحجارة وورق النخيل وعظام الجمل . والقرآن (الكتاب) هو مجموع هذه القطع (١) ضمت بعضها الى بعض لاعَلَى الترتيب الذي املاه محمد بل بدئ باطولها ولم تجمع الا بعد وفاة محمد على يد امين سره زيد و بعد حين دونه الخليفة عثمان تدويناً رسمياً وهذا هو الذي نراه بين ايدينا (٢) وفي القرآن مواعظ وقصص وقواعد واحكام مبعثرة متفرقة فهو في آن واحد كلام منزل في الدين والاخلاق والنظام والدستور .

الاسلام — يسمى الدين الذي دعا اليه محمد دين الاسلام اي الاستسلام لارادة الله تعالى والذين يدينون به يسمون المسلمين (اي المستسلمين) والاسلام عبارة عن هذه الكلمات : « لا اله الا الله محمد رسول الله » فالواجب اذن الاعتقاد بالله الذي خلق العالم و يدبره وهو على عرشه والملائكة حافون به يجب الخضوع لارادته التي ابلغها الناس عَلَى لسان انبيائه وقد جاء القرآن باوامره « الكتاب الذي يحوي الحقيقة » ومن يعتقد بالقرآن و يأتمر باوامره الالهية ينال الزلفى من المولى تعالى و يكافأ عَلَى عمله ومن يختل ايمانه ولم يخضع لسلطانه فهو مذنب مع الله يعاقبه و يجازيه

وسيأتي يوم « القارعة ماالقارعة وما ادر يك ماالقارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية ، وما ادراك ماهية ، نار حامية . . . وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب عَلَى الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . . . اولئك المقربون في جنات النعيم . . . متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس من معين لا يصدعون

(١) تألف منها ١١٤ قطعة كل منها سورة

(٢) اعتاد المسلمون منذ القرن العاشر ان يغالوا ببلاغة القرآن ولكن هذا الاعجاب ببلاغته لم يكن مألوفاً للعرب في القرون الاولى و يرى احد العارفين (دوزي) ان معظم آيات القرآن قد كتبت عَلَى العكس بلغة عربية تكاد تكون الى الركاكة (؟)

عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ... واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم »

اما العبادات فسهلة للغاية فعلى المؤمن ان يصلي خمس مرات كل يوم في اوقات معينة وفي كل مدينة اسلامية يدعو المؤذن الى الصلاة من اعلى المسجد في الوقت المعين وعلى المؤمن ان يتوضأ للصلاة واذا لم يكن له ماء ان يتيمم بالتراب وان يصوم شهر رمضان لا يتناول الطعام فيه الا من الليل في الوقت الذي لا يتبين فيه الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وان يخرج من الزكاة عشر ماله (؟) على الاقل وان يحج الى مكة ان استطاع الى الحج سبيلا .

وادب الدين الاسلامي هو ان لا يرتكب المرء عملاً دنيئاً ولا يشرب الخمر ولا يرابي وان يتلقى ارادة المولى راضياً لان كل امرىء لا يخرج عما كتب له في الازل ولا سبيل له الى التخلص من المقدور فالاسلام هو دين القضاء والقدر .

انتشار الاسلام — دعا محمد سنة ٦١٠ الى دينه وكان العرب عامة يوم وفاته (سنة ٦٣٢) مسلمين اسلم نصفهم عن اعتقاد والنصف الآخر بالقوة وذلك مثل اهل قبيلة التاكيفيت Takifite (كذا) فقد بعثوا يقولون لمحمد انهم يدينون بالدين الجديد اذا رضي ان يعفيهم من الصلاة وان يترك لهم صنمهم اللات ثلاث سنين . فقال محمد ان ثلاث سنين في الوثنية يطول امرها فعرض التاكفيون ان يمهلوا على عبادة الاصنام سنة فقبل محمد ولما اخذ علي عهد الصلح ندم على هذا الامتياز وقال لا اريد ان اسمع بهذه العهدة فليس عليكم الان تخضعوا او نقاتلكم فطلبوا ان يمهلوا على عبادة اللات ستة اشهر فابى عليهم ثم اكتفوا بامهالهم شهراً فلم يرض ان يمهلهم ساعة فاسلم بنو تاكيفيت ودخل المحاربون المسلمون المدينة وحطموا الاصنام

و بعد وفاة محمد اخذ العرب ينشرون الاسلام بمثل هذه الطرق ولم يبعثوا لدعوة الشعوب الاخرى الى الاسلام رسلاً كما فعل المسيحيون بل جيوشاً فقد قال الرسول وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله فحرب المشركين جهاد مقدس والله مع المجاهدين ومن قتل منهم فجزاؤه الجنة .

وقد عني الخلفاء بعد الرسول بهذا الجهاد فكانوا يبعثون الى جميع الشعوب المجاورة رسولاً يعهدون اليه ان يخيرهم بين ثلاثة امور : القرآن او الجزية او السيف ومن

يسلم يكون كمن سبقوه بالايمان ومن يخضعون فيؤدون الجزية يصبحون رعايا وذمة ومن يقاومون يقتلون ولم يستطع احد ان يقف في وجه هذه الجيوش المتعصبة فغلب المسلمون في الشرق على سورية وفلسطين وجميع مملكة فارس وارمينية وتركستان وجزء من بلاد الهند وفي الغرب على مصر وطرابلس وافريقية واسبانيا وخضع جميع المغلوبين على امرهم الا قليلاً ولم يبق مسيحيون الا في ولايات الامبراطورية القديمة وفي اقل من قرن (٦٣٢ — ٧١١) انتشر الدين الجديد من بحر الظلمات الى نهر السند وما من دين انتشر بهذه السرعة ولم تلبث مملكة الخلفاء ان انهارت على الاثر ولكن ظلت جميع البلاد التي أسلم أهلها على اسلامها

وما فقط اضاع الاسلام ارضاً دخل فيها الا اسبانيا وكثيراً ما ربح بعد اراضي جديدة فان الاتراك حملوا هذا الدين الى القسطنطينية ولا يزال في عهدنا يدخل ام في هذا الدين في بلاد الهند والصين وماليزيا ولا سيما بين زنوج افريقية . والاسلام دين سهل على مستوى ذكاء الشرقيين ويبلغ عدد المسلمين اليوم نحو مائتي مليون فاذا كانت النصرانية دين أمم الشمال فالاسلام دين شعوب الجنوب

المملكة البيزنطية

المملكة البيزنطية — كاد البربر الذين اغاروا على بلاد الامبراطورية الرومانية يوجهون وجهتهم الا قليلاً قبل المغرب ولذا بقي في القسطنطينية امبراطور يحكم الشرق كله . ومضى قرنان (الخامس والسادس) والامبراطورية الرومانية محتفظة بعد بنصف مملكتها القديمة على الاقل وحكمها نافذ في آسيا الصغرى وسورية ومصر وفي جميع البلاد الواقعة شرقي البحر الادرياتيكي حتى لقد خضعت لها ايطاليا وافريقية وشطر من اسبانيا بضع سنين . ثم هاجمها المهاجمون فاغتصب منها البرابرة السلافيون ايليريا و بلاد جنوبي البلقان واقتطع منها العرب جميع افريقية وسورية وجزءاً من آسيا ولم يبق لها سوى قطعتين على جانبي مدينة القسطنطينية في الغرب تراسيا (روم ايلي اليوم) وفي الشرق آسيا الصغرى . بيد ان العاصمة ايضاً قاومت هجمات المهاجمين من العرب وفي ذاك الحمى الامين احتفظت حكومة الامبراطورية الشرقية بالقابها الضخمة وحكومتها المطلقة وادارتها المعتادة . وظلت على هذا النحو الى ان استولى العثمانيون على القسطنطينية (١٤٥٣) وهذه الامبراطورية التي اصبحت قرى بيزنطية هي التي نسميها الامبراطورية البيزنطية .

يوستنيانوس — لئن كان منصب الامبراطور وراثياً فانه لم يبق في الامبراطورية

الشرقية أسرة مالكة فان دسائس القصر وثورات عامة القسطنطينية لم تكد تمكن الامبراطور الا في الندر من نقل سلطته الى اخلافه فكان معظم الامبراطرة مغتصبين للملك . واشهرهم يوستنيانوس (٥٢٧ — ٥٦٥) وهو ابن فلاح من ولايات الدانوب كان يرعى الغنم في طفولته دخل خاله يوستن بعد رعاية الغنم في الجندية وما زال ينتقل من رتبة الى اخرى حتى غدا نوثوراً (قائد حرس القيصر) ثم امبراطوراً واستدعى الى القسطنطينية يوستنيانوس الذي اشتهر ببذله المال للجند وتمثيله الملاعب امام العامة فنودي به امبراطوراً عقيب وفاة خاله .

ومن شأن يوستنيانوس ان يبحث عن كل مايزيد في اعجابه فتوفر على الشهرة بفتح البلاد وانشاء المعاهد والمصانع وتقنين القوانين فاراد ان يكون فاتحاً عمرانياً مشرعاً . واذ كان غير صالح للحرب عهد الى صديقه بليزير ان يفتح البلاد باسمه وكان للامبراطورية اذ ذاك عدوان احدهما من الشرق وهي مملكة فارس الحربية والآخر من الغرب وهي الممالك التي أسسها البرابرة الجرمانيون في ولايات الامبراطورية القديمة وكان ملك الفرس صاحب حول وطول جيشه قوي ونظامه موطد الاركان وملوك البربر ضعفاء اخملـ البذخ مقاتلتهم يمقتهم الشعب الكاثوليكي لانظام لهم ولا ترتيب . فكان يوستنيانوس من جهة الشرق يغلب ولم يستطع بليزير غير الدفاع عن آسيا الصغرى وان يعقد الصلح على شرط ان يدفع الجزية (٥٣٣) وفي آخر مدته (٥٦٢) وقع على عهدة صلح جديدة متعهداً بان يؤدي كل سنة ٣٠٠٠ ذهب وقد وفق بليزير من جهة ممالك البربر كل التوفيق فافتتح مملكة الونداليين في افريقية (٥٣٤) بحملة واحدة ومملكة الاوستروغوت في ايطاليا بعد حرب ثماني عشرة سنة (٥٢٥ — ٥٣٣) وتغلب على جنوبي اسبانيا اخذها من صاحبها احد ملوك الويزغوت . فحق ليوستنيانوس ان يفاخر بانه وطد شطراً من الامبراطورية الرومانية القديمة ولكن استيلاءه عليها لم يكن له من القوة مايدفع به ما افتتحه من البلاد فلم يحم ايطاليا من غارة اللومبارديين ولا افريقية من العرب

وتوفر يوستنيانوس وهو البناء العمراني على ان يدافع عن الامبراطورية بحصون اقامها ويزين القسطنطينية بمصانع ومشاهد وحتى لاينسى الاعقاب ماقام به من جلائل الاعمال كتب يصف كل مابناه فكان مابناه على شاطئ الدانوب ٨٠ قلعة وفي ولايات اوربا ٦٠٠ وانشأ السد الذي يحول الخليج الذي قامت عليه مدينة القسطنطينية وخطاً

من الحصون على طول الفرات . واهم هذه المصانع الكنيسة الكاتدرائية في القسطنطينية المعروفة باياصوفيا اجمل اعمال الهندسة البيزنطية (وهي باقية الى اليوم جعلها العثمانيون جامعاً)

وقد عهد يوستنيانوس الى الفقيه تريبونين ان يجمع في مجموعتين جميع الشرائع والقوانين الفقهية فوفق يوستنيانوس بفتوحه ومصانعه وقوانينه على ما يجب الى ان ينال شهرة مازالت متألقة الى اليوم ولن ينسى عهده وكانت ايام حكمه تعسة تزوج امرأة وضيعة اسمها تيودورا كانت تدبر امره حسب رغبتها وهام جداً بالعاب الفروسية وبالشعر حتى نسي الحكم فثار الزرق Les Bleus ونهبوا عاصمته خمسة ايام واوشكوا يذبحونه فاضطهد اعداءه ايما اضطهاد واغلق مدرسة الفلسفة في آثينا واشتط على الشعب في تقاضي الضرائب وغضب على قائده بليزير الذي فتح باسمه كل هذه الفتوح

الاعمال التشريعية — اذا كان الامبراطرة لم تبذل لهم الطاعة الا في البلاد التي كان يتكلم فيها باللغة اليونانية فقد ظلوا يكتبون عقودهم الرسمية باللاتينية وبقيت محاكم الامبراطورية تحكم بالقانون الروماني ولكن لم يبق في الامبراطورية منذ القرن الثالث فقهاء قادرون ان يكملوا الحقوق كأن يتفننوا بالزيادة عليها فكانوا يكتفون بتكرار تعاليم فقهاء القرن الثاني والقرن الثالث كايوس واولبين وبول وبابنين ومودستين . وقرر الامبراطرة ايضاً ان يجري عمل القضاة في المستقبل في كل المسائل التي لم يسبق للقانون ان قدر وقوعها فيتبع رأي هؤلاء الفقهاء العظام واذا كان بينهم خلاف يجري على رأي الاكثرية وظلوا ينشرون الاوامر ويبعثون الى حكام الولايات اجوبة على مسائل في الحقوق تكون بمثابة قانون ولها نفوذه واحكامه . وقد الفوا في القرن الخامس مجموعة من هذه الاوامر الامبراطورية سموها القانون التيودوزي .

وصحت عزيمة يوستنيانوس على ان يجمع القانون الروماني برمته فعهد الى تريبونين ان يقتطف من اقوال جميع فقهاء الرومان ومن اعمال الامبراطرة ما يتألف منه هذا العمل الذي عنيت به لجنة من الفقهاء اشتغلت نحو عشرين سنة فألفوا ثلاثة تآليف وهي (١) مجموعة الفتاوي (بندكيت) مستخرجة من اقوال زهاء خمسمائة فقيه روماني من عصور مختلفة وتقسم الى خمسين كتاباً (٢) قانون يوستنيانوس وهو مجموع الاوامر والتقاليد الصادرة عن الامبراطرة منذ عهد قسطنطين (٣) كتاب الاحكام وهو سفر في الحقوق ألف للطلبة

ثم ان يوستنيانوس جمع في كتاب سماه السنن عامة الاوامر الصادرة في عصره وحظر ان يذكر اسم احد من فقهاء الرومان بعد ذلك و بهذا بطل استعمال الكتب القديمة في الفقه الروماني في المحاكم فضاعت الا قليلا ونحن اليوم قلما نعرف شيئاً في الحقوق الرومانية الا ما كان من قطع حفظت في مجلة يوستنيانوس ومن اجل هذا طارت شهرة هذه المصنفات

القياصرة والشعب — اصبحت المملكة البيزنطية مع الزمن اشبه بحكومة مطلقة شرقية والامبراطور سيدها يأمر بقتل كل من ينالهم غضبه و يصادر الاموال كما شاء هواه وله السلطة الدينية ينصب الاساقفة ويعزلهم و يتحكم في المعتقدات ويضطهد المخالفين . ويحف به كبار الضباط والموظفون والخدم فيتألف منهم بلاط ذو أبهة و يكون لكل من الداخلين فيه رتبة شرف و يقدر كل شيء برسوم دقيقة والقصر يستغرق جميع الاموال التي تجبى من البلاد ولا يذكر في الامبراطورية غير الامبراطور وتنقضي الحياة في القصر في معالجة دسائس النساء و بطانة الامبراطور وفي المؤآمرات . فمن ١٠٩ امبراطرة تعاقبوا الحكم منذ القرن الرابع الى القرن الخامس عشر ٣٤ فقط ماتوا حتف انوفهم عَلَى سررهم و ١٢ تنازلوا عن الملك و١٨ ماتوا في السجن و١٨ جدعت انوفهم وقطعت ايديهم و٢٠ خنقوا وسموا . وندر ان يخلف الامبراطور ابنه وكل انسان حتى الخادم والعسيف تحدثه نفسه بالوصول الى العرش فقد كان الامبراطور ناستازا رئيس حجاب وجوستين رعى الخنازير وفوكاس جنديًا بالعرض وكثيراً ما كان يحدث لبعض المتشردين ان تنبأ له بعض العجائز فتصح عزائمهم عَلَى تدبير المؤآمرات ليصبحوا امبراطرة . ويروى ان باردانوس بينا كان عَلَى وشك الانتقاض دله احد الكهنة عَلَى خدمته الثلاثة الذين كانوا يأتونه بفرسه قائلاً له ان هذين الاثنين يبايعان بالملك وهذا يبايع ثم يقتل . وهؤلاء الخدم الثلاثة كانوا ليون الخامس وميشل الثاني وتوماس الغاصب ولما كان سلاح الامبراطور في الدفاع عن نفسه التجسس والتعذيب الاليم فقد قطع فوكاس (٦٠٣ — ٦٨٠) السن انصار سلفه وفقأ عيونهم وقطع ايديهم وارجلهم وكان الامبرطور يفسر بهم بالسهام او يحرقهم بالنار وكثيراً ما كانت تجري هذه العقوبات الشديدة عَلَى رؤوس الاشهاد . وقد شهد الامبراطور يوستنيانوس الثاني وهو مجدوع الانف مشهد الالعاب ورجلاه عَلَى رأس منافسيه في العرش ثم أمر بهما فأعدما . ووضع باسيل اعداءه المجذومين المصلومين في الساحة العامة قابضاً بيده مجمرة فيها كبريت كان

يخز بها بعضهم بعضاً ثم اضطرهم ثلاثة ايام ان يشحذوا وعيونهم مفقوءة ويد كل منهم مقطوعة ·

الجيش — لم تبق في الولايات سلطة غير سلطة الجيوش يجندون من المتشردين من اهل كل بلد بجرايات يدرها عليهم الامبراطور وفيهم الاروام والفرس والعرب والارمن والصقالبة بل والفرنج والنور مانديون وكان معظمهم فرساناً لا يؤدون الضرائب ويملكون اراضي وقد دعاهم الصيلبيون الفرنسويون في القرن الثالث عشر الفرسان والشرفاء وبطلت طريقة الحكام المدنيين في الولايات وسط الحروب فكل قائد جيش يحكم على منطقة ولايته وبعضهم ينقطعون عن كل صلة مع العاصمة فيدفعون عن انفسهم بحسب مايتراءى لهم فكانت مناطق كالابرا وصقلية مثلا مستقلة حقيقة

المجاميع — حفظت القسطنطينية خزائن كتب مملوءة بنفائس قديمة وكان فيها مدارس يتخرج فيها كل من يطمعون في تولي المناصب ويقضى على الموظفين في الدولة البيزنطية ان يكونوا أدباء كما هو شأن حكام الصين ويدرس الاساتذة من الكهنة الا قليلا علوم الدين والشريعة والرياضيات والنحو وكان بعضهم ملماً بجميع علوم عصره · ولم يكن علماء بيزنطية يحاولون ان يأتوا باعمال مبتكرة بل كانوا يسقطون على التآليف القديمة فيقتبسون منها مايجمعونه في مصنفاتهم · فقد ألف فوتيوس في القرن التاسع كتاباً سماه « عشرة آلاف مصنف » ووضع سيمون المترجم وهو قائد سياسي من اهل القرن العاشر مجموعة واسعة في حياة القديسين وجمع الامبراطور قسطنطين البورفيروجنتي مجموعاً عاماً · وكان البيزنطيون يرجون ان يضموا في بضعة مصنفات شتات عامة علوم القدماء وهو عمل متكبرين لاعمل عالين ولكن عملهم حفظ شذوراً من اسفار ضائعة قديمة

الصنائع البيزنطية — ظلت الامبراطورية البيزنطية خلال القرون الوسطى باسرها تنشيء كنائس وقصوراً وتزينها فكان المتفننون بالصناعات كثيراً عددهم ولاسيما في بلاط بيزنطية وفي الاديار بين الكهنة والقسيسين · واعظم الصناعات البيزنطية الهندسة واهم مصانعها كنيسة اياصوفيا في القسطنطينية أنشئت على عهد يوستنيانوس وحافظ عليها العثمانيون فحولوها جامعاً

وتتألف الكنيسة البيزنطية من قبة كبيرة وسطى فيها قباب صغرى يدخل منها النور ويحيط بالقبة الكبرى عدة قباب او نصف قباب صغرى وجميع هذه القباب مذهبة

من الخارج وتتألق انوارها الى بعيد وفي الداخل ترى السواري من الرخام الثمين كاليصب والسماقي وكلها ذات خطوط حمر وخضر وارضها مبلطة بالفسيفساء المتألقة والحوائط مزدانة بصور مرصعة بالذهب. يريدون من هذا التفنن اظهار الغنى. وغدت هذه الكنائس ذات القباب المستديرة والمذهبة انموذجاً للمهندسين منذ القرن السادس الى القرن الحادي عشر لا في الامبراطورية البيزنطية فقط بل عند جميع البرابرة المسيحيين في الشرق. و بقيت هذه البيع في المشرق مثال الهندسة النصرانية وجاء الكنائس الروسية كنائس بيزنطية.

وما النقش والتصوير على ما كان قديماً في مصر واشور سوى صناعات ثانوية من شأنها تزيين اعمال الهندسة وتمثل صور الجدران صفوفاً طويلة من القديسين او احتفالات كهنوتية والاشخاص منفصلة عن التذهيب فيها جفاء وهي على نسق واحد وعيونها واسعة الاحداق واجسامها مقرنة لامعنى لها ولا حياة فيها وكذلك تماثيل القديسين ينتقد عليها ماينتقد على صور الاشخاص وقد انقطع ارباب الصنائع عن صنع النقوش والتصوير الطبيعية واكتفوا بنقل نموذجات مقررة مبتعدين عن الحقيقة كما كثر النقل والاحتذاء.

حفظت في المملكة البيزنطية ايضاً جميع اعمال الزينة كالنقش على الخشب اوالعاج وصناعة الحلي والزمرد وتذهيب المخطوطات. ودام ارباب الصناعة من البيزنطيين مدة خمسة قرون من القرن السادس الى القرن الحادي عشر مستأثرين بصنع مايحتاجه الملوك والاساقفة ورؤساء الاديار من البربر في غاليا وجرمانيا يعملون لهم زين البيع وبيوت الذخائر والكؤوس والعروش والتيجان والمخطوطات الثمينة وكان اذا تخرج اناس في الصناعة ببلاد الغرب يبدأون باحتذاء مثال الكنائس البيزنطية

كنيسة الشرق — لم تشأ الكنائس النصرانية في الشرق ان تخضع للبابا في رومية بل كانت ترجع الى اساقفة المدن الكبرى (القسطنطينية والقدس وانطاكية والاسكندرية) يدعونهم بطاركة وفوقهم الامبراطور رئيس الكنيسة وهو ملك على الاجسام كما هو ملك على الارواح على نحو ما هو حال قيصر روسيا الى اليوم بل هو المرجع في حسم المسائل الاعتقادية

وقد اصدر زينون سنة ٤٨٣ في الجدال الذي ثار بشأن مسألة طبيعتي المسيح امراً قاضياً على الفريقين ان يقبلا بقانون عام وبعد مئة وخمسين سنة من هذا التاريخ والمسيحيون

يتناقشون فيما اذا كانت للمسيح طبيعة واحدة او طبيعتان اصدر هيراكلوس سنة ٦٣٩ امراً يقضي بان للمسيح طبيعتين ولكن له ارادة واحدة فنشأت من ذلك بدعة جديدة وانقسمت كنيسة الشرق الى عدة شيع فكان النساطرة يقولون بان في المسيح طبيعتين الاولى الهية والثانية بشرية وان العذراء ليست أم الله بل أم المسيح وأسسوا الكنيسة الكلدانية نصبوا زعيمها في بابل · وقال القائلون بطبيعة واحدة في المسيح ان ليس فيه من الطبائع الا الطبيعة الالهية وهؤلاء أسسوا كنائس مصر وارمينية وسورية (تحت اسم اليعاقبة) والقائلون بطبيعة وحيدة في المسيح اعتقدوا بان له طبيعتين وارادة واحدة ولا يزال الموارنة في جبال لبنان يعتقدون اعتقادهم

فلم تحتفظ الكنيسة الارثوذكسية في القسطنطينية بغير روم آسيا الصغرى واوربا ولم يتيسر لها ان تظل مرتبطة بكنيسة الغرب والكنائس مختلفة في عدة مسائل فالغربيون لم يقبلوا بزواج القس ولا بعبادة الصور وزادوا الى هذه الجملة التي قيلت في مجمع نيقية « الروح القدس منبثق من الآب » قولهم ومن الابن ايضاً ولم يرض احد الفريقين ان يتنازل عن دعواه ومنذ ذهاب الامبراطور من رومية كان يعترف البابا واساقفة ايطاليا بامبراطور القسطنطينية عاهلا عليهم ولكن لم يقبلوا بان تحكم الامبراطورية في الكنيسة وان تفض مسائل الايمان والقوانين · واصبحت الصلاة نادرة ومتعذرة بين البابا والمشارقة ثم جاء امبراطور من القائلين بتحطيم الصور فامر سنة ٧٢٨ بان لا يكون في البيع اقل تمثيل من تماثيل المسيح بل ولا العذراء ولا القديسين وان تحطم التماثيل وتعفى آثار الصور فحرض البابا جماعته المؤمنين ان يقاوموا هذا الفكر وشجب القائلين بحطم الصور ولما غدا احد ملوك الافرنج (شارلمان) امبراطوراً على الغرب انقطعت كل صلة بين رومية والشرقيين

ولم تبق الكنيسة الرومية محصورة في الامبراطورية البيزنطية بل بعثت رسلا لتنصير البربر الصقالبة في اوربا الشرقية كما نصر مرسلو رومية برابرة الجرمان وفي اوربا الغربية فكما غدا الجرمان في المانيا وانكلترا كاثوليكا رومانيين اصبح السلافيون (الصقالبة) في روسيا وبلغاريا كاثوليكاً روميين وما زال هؤلاء كذلك وتسمى الكنيسة الرومية (وهي تسمي نفسها الارثوذكسية) وعدد الخاضعين لها نحو ٨٠ الى ٩٠ مليوناً ·

مكانة الامبراطورية البيزنطية — جرت عادة المؤرخين عند كلامهم على البيزنطيين

ان يطلقوا عليهم عبارات الاحتقار . نعم ان روايات مؤرخيهم تشعر بان هناك شعباً ظالماً نذلاً فاسداً ولكن لم يبق غيرهم باقين على شيء من مدنية بجانب الغرب الذي عاد فاصبح بربرياً فهم الذين حفظوا الحضارة القديمة ونقلوها الى اسم اوربا الحديثة و بذلك شغلوا مكانة عالية في تاريخ العالم الممدن واليك ماأتوه من الاعمال على سبيل الايجاز :

١ً حفظوا من التشذيب القوانين الرومانية التي لاتزال في كثير من الموضوعات القاعدة التي تجري عليها الشعوب الممدنة

٢ً انقذوا صناعات يونان القديمة وكانت تضيع آثار كتاب اليونان لولا المخطوطات التي حفظها أدباء القسطنطينية وكهنتها فالبيزنطيون كانوا خزنة كتب الجنس البشري .

٣ً انشأوا صورة عظمى من صور الصناعة وعلى الاقل في الهندسة ونعني بذلك الصناعة البيزنطية

٤ً أسسوا كنيسة نصرانية نصرت العالم السلافي تقريباً

٥ً قدمت الشعوب البربرية في اوربا الشرقية مثالاً من امثلة المدنية ولا سيما الروس فانهم طالما اعجبوا ببيزنطية وأحتذوا مثالها وما البيع الروسية الا كنائس بيزنطية والفباء اللغة الروسية مؤلفة من حروف يونانية والدين الروسي هو الكثلكة الرومية حتى ان اسماء العماد يونانية (اسكندر . ميخائيل . باسيل . حنة) واخذ الشعب الروسي (وهو اليوم يناهز المئة مليون نفس) دع عنك الصربيين والبلغاريين عن بيزنطية كتابته وديانته وصنائعه . وعلى الجملة فقد كان البيزنطيون معلمي الصقالبة كما كان الرومان معلمي الجرمان .

مملكة العرب

الخلافة

الخلفاء — فتح المحاربون العرب في اقل من قرن (٦٣٠ -- ٧١٣) بلاد آسيا حتى بلغوا نهر السند وجميع افريقية الشمالية واسبانيا وخضعت البلاد التي فتحت للخليفة زعيمهم امير المؤمنين خليفة الرسول واقام الخليفة اولاً في المدينة المنورة مدينة الرسول (٦٣٠ — ٦٦٠) ثم في دمشق (٦٦٠ — ٧٥٠) ثم في بغداد على عهد العباسيين وعند ذلك تجزأت المملكة فصار الخلفاء ثلاثة في ثلاث عواصم : بغداد في آسيا والقاهرة

في افريقية وقرطبة في اسبانيا دع عنك الولايات المنتقضة (مثل خراسان ومراكش) التي لم تكن تخضع لخليفة قط .

والقاعدة ان ينتخب المؤمنون الخليفة بالهام من الله . قال يزيد للناس عند مابويع له : ايها الناس اني اعاهدكم ان لااقيم قصراً ولا اجمع من حطام الدنيا فاذاقمت بوعدي فعليكم ان تبذلوا لي طاعتكم وتدافعوا عني بانفسكم والا فانتم في حل من بيعتي ولكن عليكم ان تذكروني اولاً فاذا صلحت فاقبلوا معاذيري واذا عرفتم برجل خبرتم اخلاقه يقوم لكم بما اقوم فاختاروه وانا اخضع له . وفي الواقع فان انتخاب الخليفة كان حراً خالصاً فتختار الامة الخلف الذي يعينه الخليفة السابق او رؤساء القواد في قصر الخليفة .

الحكومة — كانت الحكومة ساذجة للغاية . متوارثة خلفاً عن سلف وعلى الخليفة كل جمعة ان يصعد المنبر ويخطب الناس ويعظهم ثم تركت هذه العادة وكان عليه ان يستقبل القوم جالساً على عرش يحف به ذوو قرباه واعاظم دولته ولكن خليفة بغداد جعل له وزيراً يكون خادماً ووزيراً اول يسليه بحديثه ويغنيه ويلاعبه بالنرد وينوب عنه في الحكم . وهو ايضاً يقضي وقته في قصوره او حدائقه بين نسائه يحف به حرس من الجند المأجور من الاجانب (ويدعونهم الخرس لانهم لايتكلمون بالعربية)

وكان لكل ولاية قائد لجيشها يحكمها وكثيراً ما ينتقض الخليفة وفي كل حاضرة قاض يقضي بين المسلمين على اسرع وجه بدون كتابة ولا معاملة وذلك بمراعاة احكام القرآن والعدل . ويقال عدل قاض يريدون به العدل الموجز . وكانت العرب كالرومان يتركون الشعوب الخاضعة لهم يتمتعون بحقوقهم ومحاكمهم بل اساقفتهم (وكان في خلافة بغداد وحدها ٣٥ أسقفاً مطراناً) ويتركون المسيحيين يقومون كما يشاؤون بشعائرهم الدينية مكتفين منهم بتأدية الجزية فقط وان يحترموا المسلمين وان لايحملوا السيف ولا يبيعوا الخمر ولا يقرعوا نواقيسهم كثيراً ولايتلون اناجيلهم بصوت جهوري .

المذاهب — لما كان بين الشعوب المختلفة التي دانت بالاسلام كثير من الاختلاف في الاخلاق لايتأتى معه ان يقوموا بواجباتهم على مثال واحد انقسموا الى عدة مذاهب فقدماء المؤمنين في العادة ولا سيما العرب منهم يؤمنون مع القرآن باحاديث الرسول وما أثر عن اصحابه وآله فيرمزون الكتاب بالسنة ومنه اشتق اسمهم اهل السنة . لاجرم ان هذه الاحاديث التي قبلت بسائق سرعة التصديق المعهودة في الشرقيين

لا يرد عهدها الى محمد (فقد اقر احد الوضاعين الذي قتل سنة ٧٧٢ بانه وضع ٤٠٠٠ حديث) ولكنها مع ذلك من اصل عربي · اما المذهب المناقض لهذا فقد تألف بعد مقتل علي فابى اهله الاعتراف بخلفاء الأمويين في سورية ونبذوا الحديث وزعموا انهم يتمسكون بالقرآن فدعا العرب يقون في الايمان هؤلاء المخالفين شيعة او رافضة وكان معظمهم قد اسلموا حديثاً واكثرهم من الفرس فمزجوا الاسلام ببقايا دين زردشت القديم وادخلوا فيه حكايات واحتفالات ومعتقدات تكرهها العرب وجعل اكثرهم استنارة بكثرة تفسير القرآن فلسفة مجازية من الدين مثل صوفية الفرس حتى لقد شبهوا هؤلاء بالاباحيين وكان من امر السواد الاعظم كرهاً بالأمويين ان اتخذ من اخلاف علي ختن الرسول آل بيت الهي وقالوا ان الخليفة غاصب والزعيم الحقيقي هو الامام من آل بيت علي وفيه السر الالهي وهكذا جاء اثنا عشر اماماً عاشوا خاملين في المدينة ثم انقرض آل البيت فكانوا يتوقعون زمناً خروج الثاني عشر وهو محمد من مغارة بالقرب من بغداد حيث كان مختبئاً عَلَى مايقولون ومنذ ذاك العهد اخذوا ينتظرون اماماً يأتي ذات يوم لمقاومة الشر بمعونة عيسى ويلقي السلام عَلَى الارض وفي كل مساء يضرعون اليه ان يظهر قائلين تمثل لنا ايها الامام فان الانسانية في انتظارك لان الحق والعدل هلكا والارض ملئت جوراً وظلماً · وهذا المسيح يسمونه المهدي (اي الرجل الذي يسوقه الله) وقد ظهر كثير من المهديين منذ القرن العاشر ولاسيما بين مسلمي افريقية وانشأ احدهم خلافة في القاهرة وأسس آخر دولة الموحدين في مراكش وقام لعهدنا مهدي جديد آخر في السودان (١٨٨٤)

المدنية العربية

منشأ المدنية العربية — كان الاسلام كالنصرانية مباحاً الدخول فيه لكل انسان فاذا اسلم المغلوب يدخل في زمرة المؤمنين وكانت العرب الخلص في الصدر الاول التي تدعو انفسها السود تحتقر هؤلاء الداخلين في الاسلام المدعوين بالحمر السبال ولكن الخلفاء وضعوا مبدأ المساواة قال عمر من الظلم ان يحتقر المرء اخاه المسلم · وقد اخذ الروم والفرس ممن دخلوا في الاسلام او ظلوا عَلَى دينهم وهم اعرق في المدنية يتكلمون بالعربية ومزجوا عاداتهم بعادات الفاتحين وخرج العرب متوحشين من قفارهم فتحضروا كما كان شأن الرومان قديماً وراحوا يمدنون الشعوب البربر التي ما زالت عَلَى توحشها في افريقية كما مدنت رومية بربر اسبانيا وغاليا

بغداد وقرطبة — هذه المدنية العربية التي نشأت في الشام وفارس هي شرقية

محضة فقد اقتدى خلفاء دمشق بملوك فارس فكانوا يأوون الى القصور المبلطة بالمرمر الاخضر وفي وسط الفناء حوض عظيم يفيض فيسقي حديقة غاصة بالاطيار وحوله عبيده يغنون فيشرب شرابًا بماء الورد وكانت العاصمتان اللتان اسسهما الخلفاء وهما بغداد وقرطبة احسن حالة فان بغداد مدينة العجائب أنشئت في بضع سنين وكان لها اربعة ابواب من حديد تحيط بها قبة مذهبة وكان على الداخل للوصول الى القصر ان يجتاز ثلاثة ميادين وثلاثة ابواب وكان القصر مدينة مغلقة وسط المدينة . وفي ردهة الاستقبال شجرة ذهب اغصانها الاحجار الثمينة واسود مقيدة واحواض ومياه منبجسة ترطب الهواء وكان لخلفاء القاهرة حديقة اشجارها من ذهب وازهارها من الجوهر وبلاطها من الزمرد . قالوا انه كان في قرطبة في القرن العاشر مئة الف دار وستمائة جامع وثمانون مدرسة وثلثمائة حمام وثمانية وعشرون ربضًا . وقد سمت الراهبة هروسويسا الالمانية مدينة قرطبة بجوهرة العالم وكان الخليفة في قرطبة كما في بغداد يستدعي الشعراء والمغنين ويملأ حقائبهم ملوءة من الذهب . ولاغنياء التجار ايضًا حدائق مملوءة بالزهور والاشجار العطرة والبسط الفاخرة واقمشة الحرير وآنية الفضة وطيوب بلاد العرب التي يحرقونها في مجامر ذهب . وهكذا بذخ الشرقي يرغب في الثمين الفاخر اكثر من رغبته في الموافق السهل .

الزراعة — من اول واجبات الحكومة ان تفتح الترع اللازمة لزراعة الارض . وهذه كانت قاعدة امراء العرب التي جروا عليها وحفروا الآبار وجازوا من عثروا على الينابيع بالمال ووضعوا المصطلحات لتوزيع الماء بين الجيران فان مصر والشام وبابل وهي من البلاد الحارة التي تخصب واي خصب عندما يسقونها قد علمت العرب قيمة الماء وطريقة الانتفاع منه فنقلوا الى اسبانيا اسلوب النواعير التي تمتح الماء والسواقي التي توزعه . وان المورتا(؟) في ضواحي بلنسية وهو سهل مزروع كما تزرع الحديقة هو بقايا حكومة العرب وديوان المياه الذي كان يفض مسائل السقيا نظمته العرب

وقد استعملت العرب جميع انواع الزراعة التي وجدوها في مملكتهم وحملت كثيرًا من النباتات الى صقلية واسبانيا وربوها في اوربا فاحسنوا تربيتها حتى لتظنها وطنية وذلك مثل الارز والزعفران والقنب والمشمش والبرتقال والكباد والنخل والهليون والبطيخ الاصفر والعنب العطر والورد الازرق والاصفر والياسمين بل والقطن والقصب وقد دخل هذان الصنفان منذ اكتشاف اميركا

الصناعة — وجدت العرب في الشام وفارس صناعات قديمة نقلت الى جميع البلاد الاسلامية فتكملت ومنها نشأت صناعة اوربا الحديثة . وكانوا يعملون في معامل الزجاج في بغداد والشام زجاجاً معمولا بالياقوت والصدف وتخرج من معامل الاسلحة العربية الفولاذ العجمي والبطقانات المحمية في البصرة والسيوف في اليمن ثم أخذت سورية تصنع النصال الدمشقية المشهورة واسبانيا السيوف المسقية في طليطلة . ويحوكون في جبال آسيا الصغرى السجاد من صوف ذي وبر . وفي دمشق قماش الدمسكو واقمشة القصب واقمشة الحرير والصوف الدقيقة ويصنع الشاش في الموصل . وقد انتقلت الرسوم العجمية التي كانت تزدان بها هذه الاقمشة من طيور وفيلة واسود وحيوانات ونباتات يتخيلونها (و يرد عهد بعضها الى الاشوريين) الى تزييناتنا الحديثة وكان يعمل الورق في سمرقند و بغداد منذ القرن العاشر وربما قلدوا في صنعه الصينيين ومن هاتين العاصمتين انتقلت صناعة الورق الى صقلية وكساتيفا (؟) Xativa في اسبانيا . وكانت في الغرب معامل الجلد الشهيرة وهي مثل الجلد القرطبي (الكوردواني) نسبة لقرطبة (ومن هنا اشتق بالافرنجية اسم كوردونية اي صانع احذية) كما يصنع السختيان (الماروكين) نسبة لمراكش . و يعمل في بغداد السكر الذي كان اخترع في بلاد الفرس وكانت العرب تحسن عمل المربيات والاشربة والخمور الناشفة وروح الورد

التجارة — عاش الشعوب في بلاد العرب الواسعة كما كانت الحال على عهد الرومان من اقصى المملكة الى اقصاها بسلام وراحة يتقايضون حاصلات ارضهم ومصنوعات معاملهم و يرحلون الى الهند والصين يبتاعون مصنوعات الامم الصناعية ليحملوها الى الشعوب البربرية في اوربا وكانت الصنائع تنقل في البحار على مراكب وفي البر على ظهور الجمال وللعرب مرفآن تجاريان عظيمان متصلان بالعاصمتين احدهما البصرة على خليج فارس كان يفتح للعرب بحر الهند وهناك تفرغ مراكب العرب وهي قادمة من الهند تحمل العطور والابازير والعاج وتجيء الجنوك الصينية تحمل جميع صمغ اللك والحرير وتعود بالزجاج والسكر وماء الورد والقطن . والاسكندرية هي المرفأ الثاني فتحت على العرب طريق البحر الرومي واليه كانت تصل مراكب ايطاليا . فالبصرة مرفأ بغداد والاسكندرية مرفأ القاهرة

وتسير القوافل من بغداد الى كل ناحية فمن الجنوب الغربي تقصد الى دمشق وسورية والى الشرق نحو البصرة والهند ومن الشمال الى طربزون على البحر الاسود

حيث كانت تحمل بضائع المملكة البيزنطية والى الشمال الشرقي الى سمرقند وبحر الخزر حيث كان يذهب التجار ليأخذوا جلود روسيا وشمعها وعسلها . وكانت القوافل من القاهرة تسير الى الغرب في الطريق العظيم الذي يحاذي البحر على طوله ماراً بطرابلس والقيروان لينفذ من طنجة التي كانت تصل اليها تجارة اسبانيا ومن الجنوب طريق يصعد منها الى النيل حتى بلاد السودان وآخر يسير على الشاطىء الشرقي من افريقية حيث انشأت العرب مقدشو وكلوة وسفالة . ومن هذه الجهة كان يجيء التبر والعاج والعبيد . وكان في جميع المدن العظمى كبغداد والقاهرة ودمشق والقيروان وطنجة وقرطبة وسمرقند حي للتجارة (البازار) يعرض فيه التجار امتعتهم ويتفقون على الاسعار

العلوم — يقول المثل العربي من سار في طلب العلم سهل الله له طريق الجنة وكثير في الرجال من ساحوا اشهراً في طلب حديث روي عن الرسول وبالحقيقة ان المسلم يعنى عناية خاصة بعلم الكتاب وفي البلاد الاسلامية كما في البلاد المسيحية يفضلون تعلم الفقه . فقد كان الطالب في مدارس قرطبة يقضي اربع سنين في تعلم قراءة القرآن وثماني سنين في حفظه ثم يتعلمون الكتابة وهكذا كان يتخرج العلماء وهم علماء في الفقه والكلام اذ ليس القرآن قانوناً دينياً فقط بل هو قانون مدني . ومن دراسة تراكيب القرآن نشأ علم النحو وما برح المسلمون يؤثرون من العلوم الكلام والفقه والنحو وكان في الحواضر مدارس يجتمع اليها من يرغبون في التعلم او التعليم وهؤلاء الاساتذة المرتجلون كانوا يلقون دروسهم علناً بدون مقابل او لقاء رواتب يدفعها اليهم الحضور . وأنشئت في القرن العاشر في بغداد ودمشق وسمرقند مدارس كلية حقيقية تدفع الحكومة رواتبهم

وحفظت في مدارس الروم في دمشق والاسكندرية علوم الروم من فلك وجغرافيا ورياضيات وطب لجمع علماء الامبراطورية البيزنطية رومهم وعربهم وفرسهم هذه العلوم واكملوها ونشروها[1] وقد كتب احد علماء العرب اول كتاب في الجبر ترجم الى اللاتينية ووصف جغرافيو العرب البلاد البعيدة التي كانت القوافل تختلف اليها .

---

(١) اما وقد اخذ العلماء اليوم يعرفون ما كان من علم في الامبراطورية البيزنطية فقد ادركوا بانه يجب ان يحذف كثير من الاختراعات التي نسبت للعرب كما ابان ذلك مؤخراً المسيو برتلو في علم الكيمياء (كتاب اصول الكيمياء)

واستخرجت العرب من كتب الطب اليوناني الطب التجريبي الذي كان المعول عليه في القرون الوسطى وهو طب العقاقير والحبوب وكانوا كاليونان يبحثون عن داء يشفي من كل الاوصاب ولكن اهم ما غلب عَلَى العرب من العلوم علم الكيمياء وكان يجيبه اليهم امران مرغبان لعقل الشرقي وهما المشور عَلَى حجر الفلاسفة الذي يحول جميع المعادن الى ذهب والاكسير الذي يعطي الحياة ويعيد الشباب وكانوا يحاولون اخراجها بمزج كل مادة واغلائها وتقطيرها فوقع الكيماويون في انابيقهم وادوات استخراجهم ما لم يكونوا يبحثون عنه فبدلاً من الاكسير حصل معهم الالكحول (١٦٦٩) ثم بعد زمن بينا كانوا يبحثون عن حجر الفلاسفة وجدوا في المانيا الفوسفور . وظلت الكيمياء وهماً ولكن نشأت منها الكيمياء الحديثة كما نشأ قديماً من بلاد الكلدان علم الفلك من علم التنجيم .

فنون العرب — لم يكن للعرب كما للرومان صناعات وطنية خاصة بهم فكانوا اذا احتاجوا الى قصور او جوامع يعمرونها اولاً على الطرز الفارسي او البيزنطي مثل جامع دمشق ولكن لم تلبث الصناعات الفارسية والبيزنطية ان اختلطت ونشأ منها صناعة جديدة هي الصناعة العربية واجمل هذه الصناعات [1] الجوامع والقصور والجامع عبارة عن قاعة كبرى يجتمع فيها المؤمنون وفي الفناء حوض ماء يتوضأون منه ومأذنة تنتهي بسطح ومنه ينادي المؤذن المؤمنين للصلاة وكانت القاعة العظمى في قرطبة تنقسم الى احد عشر صفاً من السواري والقصر العربي هو بيت نزهة يكون بحسب عادة البلاد الحارة ولا يبدو منه من الخارج الا حوائط عارية . والقاعات كما في الدور القديمة متجهة نحو فناء (صحن) داخلي مغروس بالاشجار ويرطب هواءه حوض ماء وفي صحن الاسود في قصر الحمراء في غرناطة ينبجس الماء من كأس عظيمة من الرخام الابيض يحملها اثنا عشر اسداً من الرخام الاسود والفناء يحيط به من الشواطيء سوار يتألف منها رواق والسواري العربية رقيقة عالية على مثال الهندسة الفارسية فلا تحمل الا حوائط رقيقة خفيفة من الجبس او الملاط والقناطر التي تجمع بين السواري هي على شكل رسم

(١) تكاد تكون المعاهد العربية بأسرها معمولة من القرميد والخشب ولذلك انهدمت او هدمت . ولم يبق منها الآن الا جامع مصر والجامع الاعظم في قرطبة من القرن الثامن البرج المربع *La Giralda* في اشبيلية وجنة العريف *La Généralife* والحمراء في غرناطة من القرن الثالث عشر .

اليكارين اوهلال او قرن فهي هندسة خفيفة جميلة سريعة العطب كأنها اصحاف كتاب بالمقوى . وليس للعرب نقش ولا تصوير لان القرآن حرم عليهم تمثيل الاشخاص فبدلا من التماثيل والصور تصوروا ان يصوروا الحوائط بالوان زاهية واكاليل من الزهر والورق وآيات من القرآن واشكال هندسية مشتبكة وهذه الزين التي اصبحت على الدهر مختلطة مرتبكة لا اصل لها الا في خيال راسميها قد حفظت اسماء مخترعيها فقالوا عنها ارابسك اي النقوش عَلَى هيئة النباتات والاوراق

مخطوطات ومطبوعات

المجموع المشتمل عَلَى الدرر

كما قيض الله سبحانه رجالا في الهند لنشر مذهب السلف بطبع كتب الحديث وسننه ومسانيده وأجزائه وكتب عقيدتهم الصحيحة كذلك اتاح لذلك رجالاً من البحرين ومصر وجدة لا يألون جهداً في السعي وراء احياء آثار السلف وبعثها من مراقد الاهمال الذي قضى عليها ضعف العلم في العصور الاخيرة

ومنهم الشيخ عبد القادر التلمساني الاصل نزيل مصر فقد طبع في مصر الصارم المنكي ، والكافية الشافية ، وكتاب الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ، وجزء رفع اليدين ، وجزء القراءة خلف الامام ، وغاية الاماني وآخر مانشره مجموعة كتب من الطف الكتب وانفسها يود كل نهم بالعلم ان يقف عليها ويتمتع بفوائدها

اشتمل هذا المجموع — الذي طبع في مطبعة كردستان باجمل ورق والطف حرف — عَلَى تسعة مؤلفات (الاول) كتاب الرد الوافر عَلَى من زعم ان من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر للامام حافظ الشام ناصر السنة محمد بن ابي بكر المعروف بابن ناصر الدين الشافعي المتوفى عام (٨٤٦) جاء كتابه هذا في (١٣٦ ص) بالقطع الكامل افتتح خطبة كتابه بما ورد في اتباع السنة واجتناب البدعة ثم نعى عَلَى المكفرين والمضللين وان كل هؤلاء ، ركب هواه ، فابتدع ما احب وارتضاه ، وناظر اهل الحق عليه ، ودعاهم بجهله اليه ، وزخرف لهم القول بالباطل فتزين به وصار ذلك عندهم ديناً يكفر من خالفه ، ويلعن من باينه ، وساعده على ذلك من لا علم له من العوام ، ويوقع به الظنة

والايهام ، ووجد عَلَى ذلك من الجهال أعواناً ، ومن اعداء العلم اخداناً ، اتباع كل ناعق لايرجعون فيه الى دين، ولا يعتمدون على يقين ، قد رجوا به الرئاسة ، وتزينوا به للعامة ،

وما الطف قوله بعد ذلك عن الناطق بالتكفير ، ان هذا القول الشنيع قد ابان قدر قائله في الفهم ، وافصح عن مبلغه من العلم ، وكشف عن محله من الهوى ، ووصف كيف اتباعه سبيل الهوى،ولا يرد بعد روايته عنه ونسبته اليه بـ «كلام الانسان عنوان عقله » يدل عليه

وقد استقرأ من ترجم شيخ الاسلام ابن تيمية من مشاهير الاعلام مايقرب من تسعين اماماً مشهوراً وقدذيل الكتاب بتقاريظ اقران المؤلف ومعاصريه كالحافظ شهاب الدين ابن حجر شارح الصحيح وأضرابه

ولمؤلفه الامام ابن ناصر الدين شهرة كبيرة لقب بخاتمة حفاظ الشام وكان من اعلام القرن التاسع

(الكتاب الثاني) القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي لصفي الدين البخاري الحنفي ذكر فيه كلام الائمة الاخيار في الثناء عَلَى الشيخ ، ثم عقيدة الشيخ السلفية ثم ماوافق كلامه كلام من تقدمه من السلف والخلف ، ثم الجواب عما انكروه عَلَى الشيخ ، ثم مااختاره الحنابلة من تسمية انفسهم اهل الأثر لااشاعرة ولا ماتريدية وتصويبهم في ذلك،ثم ذكر وفاة الشيخ وبعض ماقيل في رثائه وهذا الكتاب كان طبع عَلَى حاشية المحاكمة بين الاحمدين

(الكتاب الثالث) الكواكب الدرية في مناقب الامام المجتهد شيخ الاسلام ابن تيمية للشيخ مرعي الحنبلي اورد فيه ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية مسهبة ، وسرد وقائعه مع الجامدين في عصره وتواريخ سعايتهم به الى السلاطين والنواب ، ثم من انتصر للشيخ من علماء البلاد ثم مارثي به بعد وفاته من القصائد وعدتها خمس عشرة والكتاب من اجمل الكتب التي جمعت سيرة الشيخ ومناقبه وقدطبع عن نسخة بخط السيد محمود شكري الآلوسي الحسيني احد علماء العراق .

(الكتاب الرابع) كتاب تنبيه النبيه والغبي في الرد عَلَى المدرامي والحلبي لاحمد بن ابراهيم بن عيسى النجدي وكان رأى كتاباً لشخص يلقب بالمدرامي من اهل مدراس استمد ماجمعه مما كتبه الحلبي في رده على شيخ الاسلام ابن تيمية وعلى شمس الدين الحافظ

الذهبي في كتاب العرش وكتاب العلو وحاول تأييد مذهب الجهمية عَلَى مذهب السلف وحذا حذو اولئك المؤولين الجامدين فاوسع من التأويل والحشو المعروف لم تذكر عليه هذا العالم النجدي ودحر شهادته أجمع وتبلغ صفحاته قريباً من مائتين وتسعين بالقطع الكامل ويجد فيه مجادل الحشوية في المسائل السلفية مادة كبرى

(الخامس) رسالة في زيارة القبور تأليف الحجة محيي الدين البركوي احد اولياء علماء الاتراك الشهيرين وصاحب الطريقة المحمدية وغيرها من المؤلفات ثم رسالته هذه في زيارة القبور وجمع من النقول في ذلك عن السلف والخلف وعن فقهاء المذاهب في آداب الزيارة ومحظوراتها مالا يوجد في كتاب غيره وهذه الرسالة كانت طبعت في الاستانة مرتين طبعاً محرفاً فطبعت في هذه المجموعة عَلَى نسخة مصححة غاية التصحيح وحقها ان تكون أماً يعارض بها كل مطبوع قبلها

(الخامس) عقيدة الشيخ الامام موفق الدين ابن قدامة وهي من انفس المختصرات في بيان عقيدة السلف

(السادس) كتاب ذم التأويل للامام موفق الدين المنوه به قبل اورد فيه مذهب السلف من الصحابة والتابعين في اسماء الله وصفاته ليسلك سبيلهم من احب الاقتداء بهم

وقد تخلل هذه المجموعة البديعة منظومة للحجاوي الحنبلي في تعداد الكبائر ومنظومة في عقيدة أهل الاثر لابي الخطاب الحنبلي ، وكلها نفائس وغرر ، جديرة ان تلقب بما لقب به بالمجموعة المشتملة عَلَى الدرر دمشق : (ابو الضياء)

الاعتبار

تأليف مؤيد الدولة ابو المظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري المعروف بابن منقذ طبع بمطبعة بريل في ليدن سنة ١٨٨٤

لمطبعة بريل في ليدن من بلاد القاع (هولاندة) يد طولى عَلَى اللغات الشرقية عامة واللغة العربية خاصة فقد طبعت جزءاً كبيراً من كتبنا في مطبعتها ولا تزال الى اليوم تطبع كل مايبيض وجه الآداب والعلم . وآخر مااطلعنا عليه من مطبوعاتها كتاب نشره هرتويغ درنبورغ احد علماء المشرقيات من الفرنسيس لهذا المؤلف الامير وكانت أسرته صاحبة شيزر ولها تاريخ مجيد عَلَى عهد دخول الصليبيين الى هذه الديار اما أسامة فكان في القرن الاول من تلك الحروب وطاف مصر والشام ورأى أهاويل وقص سهله

هـذا الكتاب — الذي ظفر ناشره بنسخة منه في مكتبة الاسكوريال ببلاد الاندلس — حكايات مهمة في شجاعة اهل تلك الايام وما نالهم من صروف الاقدار وما كانوا يألفونه من العادات والاحوال بحيث اسدى الناشر الى التاريخ ولاسيما تاريخ مصر والشام يداً محمودة فجاء القسم الثاني منه في ١٦٨ صفحة عدا الفهارس واسماء الرجال والنساء والحيوان والامم والاماكن والقبائل والانساب التي لا يكاد كتاب من كتب علماء المشرقيات يخلو منها ·

ذكر ابن منقذ فرقة من العرب الذين رآهم على حدود مصر قال « ورأيت بهم من الضر امراً عظيماً قد يبست جلودهم على عظامهم قلت : ايش انتم قالوا : نحن من بني أُبَي · وبنو ابي فرقة من العرب من طيء لا يأكلون الا الميتة و يقولون نحن خير العرب ما فينا مجذوم ولا ابرص ولا زمن ولا اعمى واذا نزل بهم الضيف ذبحوا له واطعموه من غير طعامهم قلت : ماجاء بكم الى هاهنا قالوا : لنا بحسمى كثول ذرة مطمورة جئنا نأخذها قلت : وكم لكم هنا قالوا : من عيد رمضان انا هاهنا ما رأينا الزاد باعيننا قلت : فمن اين تعيشون قالوا من الرمة يعنون العظام البالية الملقاة ندقها ونعمل عليها الماء وورق القطف شجر بتلك الارض ونتقوت به قلت : فكلابكم وحمركم قالوا الكلاب نطعمهم من عيشنا والحمير تأكل الحشيش قلت : فلم لا دخلتم الى دمشق قالوا : خفنا الوباء ولا وباء اعظم مما كانوا فيه وكان ذلك بعد عيد الأضحى فوقفت حتى جاءت الجمال واعطيتهم من الزاد الذي كان معنا وقطعت فوطة كانت على رأسي اعطيتها للمرأتين فكادت عقولهم تزول من فرحهم بالزاد وقلت : لا تقيموا هاهنا يسبوكم الافرنج »

وذكر انه سار مع اخيه من دمشق يقصد هو واصحابه الى عسقلان يريدون الغارة على بيت جبريل وقتالها فاجتمع الافرنج من تلك الحصون وقال : وهي كلها متقاربة وفيها خيل كثير للافرنج لمناداة عسقلان ومراوحتها · وذكر من جملة كلام له في مسيره من مصر الى الشام انه وصل جبال بني فهيد في وادي موسى وطلع في طرقات ضيقة وعرة الى ارض فسيحة ورجال وشياطين رجيمة من ظفروا به منفرداً قتلوه وتلك الناحية لا تخلو من بعض بني ربيعة الامراء الطائيين فسألت من هاهنا من الامراء بني ربيعة قالوا منصور بن غدفل · وذكر انه اخذ اماناً من الافرنج وارسل عياله واشغاله من دمياط الى عكا في بطسة من بطس الافرنج فنهب هؤلاء مامع عياله وكان نحو ثلاثين الف دينار قال وهو مما يدل انه كان من غلاة الكتب : وحرمنا ذهاب ماذهب من المال

الا ماذهب لي من الكتب فانها كانت اربعة الف (آلاف) مجلد من الكتب الفاخرة فان ذهابها حزازة في قلبي ماعشت

وقال « فهذه نكبات تزعزع الجبال وتفني الاموال والله سبحانه يعود برحمته ويختم بلطفه ومغفرته وتلك وقعات كبار شاهدتها مضافة الى نكبات نكبتها سلمت فيها النفس لتوقيت الآجال واجحفت بهلاك المال وقد كان بين هذه الوقعات فترات شهدت فيها من الحروب مع الكفار والمسلمين مالا أحصيها وساورد من عجائب ماشاهدته ومارسته في الحروب ما يحضرني ذكره وما النسيان بمستنكر لمن طال عليه عمر الاعوام وهو وراثة بني آدم من ابيهم عليه الصلاة والسلام »

وذكر ماوقع له على افامية مماول عنّ انها غير حماة وذكر بالقرب منها وادي ابي الميمون وذكر رفنية وكان اتابك حاصرها ومماقاله في افامية فلقينا فارسهم وراجلهم في الخراب الذي لها وهو مكان لا يتصرف فيه الخيل من الحجارة والاعمدة واصول الحيطان الخراب .

وشهد للافرنج الصليبيين بالشجاعة ومما قاله بالحرف : والافرنج خذلهم الله ما فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة ولا عندهم تقدمة ولا منزلة عالية الا للفرسان ولا عندهم ناس الا الفرسان فهم اصحاب الرأي وهم اصحاب القضاء والحكم . وقال في وصفهم في مكان آخر : « سبحان الخالق الباري اذا خبر الانسان أمور الافرنج سبح الله وقدسه ورأى بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير كما في البهائم فضيلة القوة والحمل » وقال : ان الافرنج قوم تبلدوا وعاشروا المسلمين فهم من اصلح القريبي العهد ببلادهم ولكنهم شاذ لايقاس عليه فمن ذلك انني انفذت صاحباً الى انطاكية في شغل وكان بها الرئيس تادرس بن الصفي وبيني و بينه صداقة وهو نافذ الحكم في انطاكية فقال لصاحبي يوماً قد دعاني صديق لي من الافرنج تجيء معي حتى ترى زيهم قال فمضيت معه لجئنا الى دار فارس من الفرسان العتق الذين خرجوا في اول خروج الافرنج وقد اعتنى من الديوان والخدمة وله بانطاكية ملك يعيش منه فاحضر مائدة حسنة وطعاماً في غاية النظافة والجودة ورآني متوقفاً عن الاكل فقال : كل طيب النفس فانا ما آكل من طعام الافرنج ولي طباخات مصريات ما آكل الا من طبيخهن ولايدخل داري لحم خنزير فاكلت وانا محترز وانصرفنا .

وذكر قضية له معهم وهو انهم سرقوا خرافاً من قطعان المسلمين ووصف كيف

تشاور الفرسان بامر الملك منهم وحكموا بالغرامة على صاحب بانياس وهو منهم فاخذ منه اربعمائة دينار . ومما ذكره ان الطور كانت ولاية لمصر بعيدة كان الحافظ لدين الله رحمه الله اذا اراد ابعاد بعض الامراء ولاه الطور وهو قريب من بلاد الافرنج . ومما رواه ان حصن مصياف كان لابن منقذ عم صاحب كتاب الاعتبار وكانوا يقاتلون الاتراك او الافرنج بما دل على انه كان في البلاد اتراك ولعلهم سكان مرعش وغيرها من اعمال ولاية حلب اليوم .

هذه نموذجات من الكتاب وهو يصور الصليبيين ومبلغ انحطاطهم اذ ذاك في سلم المدنية حتى انه ذكر ان احد رجال الصليبيين دخل الحمام في المعرة فاستعمل لهما يستعمله الرجال لتنظيف الشعر فاتى من الغد بابنته الشابة يريد الحمامي ان يعمل لها ما عمل له وذكر اموراً من مثل هذه غريبة ووصف قومه وصفاً دل على ان الفروسية هي جماع فضائل المشارقة والمغاربة في القرون الوسطى ولا يمتاز الاولون عن الآخرين الا ببعض العادات الحسنة والمدنية التي تعد شيئاً بالنسبة لتلك الاعصر

ذيل تاريخ دمشق

لابي يعلى حمزة بن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق طبع في بيروت سنة ١٩٠٨

لعلماء المشرقيات فضل كبير على العلم والتاريخ والآداب العربية لاينكره عليهم الا مكابر او جاهل ومما احيوه بالطبع هذا الكتاب احياه الاستاذ اميدروس الانكليزي طبعه في بيروت في مجلد لطيف واخذ الى الغرب جميع نسخه ووقعت له بعض اغلاط وتحريفات لايكاد يخلو منها كتاب نشر حديثاً ولكن الفوائد والحسنات اكثر من غيرها ويستفاد منه امور كثيرة لم نقع عليها في تاريخ قبله وهو مرتب على السنين واهم فصوله ما كان منها متعلقاً بعهد الدولة الفاطمية في الشام ومصر والقسم الاخير من الكتاب متعلق باخبار الحروب الصليبية وربما كان فيها تفصيل بعض الوقائع التي الم بها صاحب الروضتين في اخبار الدولتين وصاحب الفتح القدسي الماماً خفيفاً لان المؤلف كان قبلها ووصف كيف انهال الصليبيون الاول على هذه الديار من اوربا قاصدين الى آسيا الصغرى فبلاد الشام . وتوفي ابن القلانسي سنة ٥٥٥ هـ بدمشق وكان تولى رئاستها مرتين وهو من بيت وجاهة وفضل نقل عنه كثير من ثقات المؤرخين امثال الذهبي وابن الاثير وله شعر رائق ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ودفن في

سفح قاسيون . وكتابه هذا وصل به ماقاله هلال الصابي في تاريخه واختصر عباراته واخذ منها مايتعلق بتاريخ الشام عامة ودمشق خاصة

وقد توسع المؤلف في الكلام على عادات اهل هذه البلاد واصولهم وحكامها واحكامهم ودرجة عمرانهم وما اصاب البلاد من الاحداث الجوية والارضية ولا سيما في زمنه وما نال هذه المدينة من عيث المغاربة والمصامدة وهم جيش الفاطميين كما نالها في عهد العثمانيين من مظالم البكي چربة (الانكشارية)

ويستفاد من هذا التاريخ ان ولاية الفاطميين على دمشق كانت الى الشقاء وكثرت فيها المصادرات وتغيير الولاة الذين تبعث بهم مصر فلا يلبثون ان يصلوا حتى يصدر اليهم الامر بالعودة وقد زاد الناشر في الكتاب فوائد مهمة بان حلاه بحواش نقلها عن كتب تاريخية مخطوطة مثل تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي وتاريخ الازرقي وتاريخ سبط ابن الجوزي ومما نقله عن تاريخ سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٦٧ ان اتسز (ابن اوق مقدم الاتراك في دمشق الذي ابطل الاذان بحي على خير العمل من هذه الحاضرة) عاد الى دمشق ولم يبق بها من اهلها سوى ثلاثة آلاف انسان بعد خمسمائة الف افناهم الفقر والغلاء والجلاء ، وكان بها مائتان واربعون خبازاً فصار بها خبازان والاسواق خالية والدار التي كانت تساوي ثلاثة آلاف دينار ينادى عليها عشرة دنانير فلا يشتريها احد والدكان الذي كان يساوي الف دينار مايشترى بدينار وكان الضعفاء يأتون للدار الجليلة ذات الاثمان الثقيلة فيضرمون فيها النار فتحرق ويجعلون اخشابها فحماً يصطلون به وأكلت الكلاب والسنانير وكان الناس يقفون في الازقة الضيقة فيأخذون المجتازين فيذبحونهم ويشوونهم ويأكلونهم وكان لامرأة داران قد أعطيت قديماً في كل دار ثلاثمائة دينار او اربعمائة ولما ارتفعت الشدة عن الناس ظهر الفأر فاحتاجت الى سنور فباعت احد الدارين باربعة عشر قيراطاً واشترت بها سنوراً اه .

وهذا الوصف العجيب المتعلق بتاريخ عمران هذه القاعدة لم يذكره فيما اطلعنا عليه احد من المؤرخين وقد اكتفى ابن الاثير في حوادث سنة ٤٦٨ بقوله انه غلت في دمشق الاسعار حتى اكل الناس بعضهم بعضاً وعدمت الاقوات فبيعت الغرارة (ثمانون مداً من القمح) اذا وجدت باكثر من عشرين ديناراً .

وانشاء ابن القلانسي جيد وفكره خال من خرافات عصره ولا غرو فالمؤرخون

ملتفحة بالسداد افكارهم مهما انحطت عصورهم يكونون ارقى منها بمراحل خصوصاً من كان منهم قريباً من الاختلاط بالناس وارباب الرحلات وسبق له ان تولى امور الناس ولم يكتف بالدرس في المدارس امثال ابي شامة وابي الفدا والعماد الكاتب والقاضي الفاضل وابن خلدون وابن منقذ والصابي

تاريخ آداب العرب

لابي السامي مصطفى صادق افندي الرافعي طبع بمطبعة الاخبار في مصر سنة ١٣٣٠—١٩١٢ الجزء الأول صفحة ٤٤٣

مؤلف هذا الكتاب من كبار شعراء هذا العصر اشتهر بالادب منظومه ومنثوره وقد نشر حتى الآن ديوانه في الشعر في ثلاثة اجزاء وديوان النظرات واكثره نثر دع عنك ماأودعه في الصحف والمجلات من مقالاته وقصائده وهذا الجزء يحتوي الكلام في تاريخ اللغة العربية وتاريخ روايتها وما يداخل هذين البابين وقد بقي من التاريخ عشرة ابواب تقع في اربعة اجزاء اخرى . واذ كان للمؤلف ذوق عال في الادب كان الى الاجادة في موضوعه الصعب اكثر من معظم من طرقوا هذا الباب نعم انه لم يأت فيه بمادة جديدة ولكنه صاغ من الموجود عقداً لا بأس به وقد عرض المؤلف في من سبقوه الى ورود حياض هذا العلم فقال انه « علم كثرت عليه الايدي واضطربت فيه الاقلام واستبقت اليه العزائم حتى عثرت بها عجلة الرأي ولجاجة الاقدام وقد اخصب في الاوهام حتى نفشت في واديه كل جرباء وامتزج امره بالاحلام فلم يمس كتابه علماء حتى اصبح قراؤه ادباء على انهم تجاذبوه انتهاباً لجاء واهياً في وثيقه وتناكروه اهتياباً فخرج ضعيف الشبه بين ظاهره وحقيقته وما منهم الا من يحسب انه أمال بالقلم يده فمضى مرخى العنان مخلى له عن طريق السبق الى الرهان » الى آخر ماذكره في المقدمة وكله تعريض بمن خاضوا هذا البحر على حين كان فيهم جهابذة من ادباء اهل هذا العصر امثال حفني بك ناصف والشيخ محمد المهدي فمدح المؤلف كتابه لا يرفع من قدر الكتاب والمؤلفون كلهم طلاب حقيقة فمن داناها منهم يشكره الناس

وقد جعل المؤلف ابوابه اثني عشر باباً تنطوي على جملة المأثور و يدور عليها التاريخ كما تدور السنة على عدة شهور وهذه سياقتها بعد فصلين من التمهيد في تاريخ الادب واصل العرب . الباب الاول في تاريخ اللغة ونشأتها وتفريعها وما يتصل بذلك . الباب الثاني

في تاريخ الرواية ومشاهير الرواة وما تقلب من ذلك عَلَى الشعر واللغة الباب الثالث في منزلة القرآن الكريم من اللغة واعجازه وتاريخه وفي البلاغة النبوية ونسق الاعجاز فيها الباب الرابع في تاريخ الخطابة والامثال جاهلية واسلاماً الباب الخامس في تاريخ الشعر العربي ومذاهبه والفنون المستحدثة منه وما يلتحق بذلك الباب السادس في حقيقة القصائد المعلقات ودرس شعرائها الباب السابع في أطوار الادب العربي وتقلب العصور به وتاريخ ادب الاندلس الى سقوطها ومصرع العربية فيها الباب الثامن في تاريخ الكتابة وفنونها وأساليبها ورؤساء الكتاب ومايجري هذا المجرى الباب التاسع في حركة العقل العربي وتاريخ العلوم واصناف الآداب جاهلية واسلاماً بالايجاز التاريخي الباب العاشر في التأليف وتاريخه عند العرب ونوادر الكتب العربية الباب الحادي عشر في الصناعات اللفظية التي أولع بها المتأخرون في النظم والنثر وتاريخ أنواعها الباب الثاني عشر في الطبقات وشيء من الموازنات ·

والكتاب منسق مرتب سلس العبارة لطيف المأتى علق عليه واضعه بعض الهوامش واقل فيه من العزو للمصادر التي أخذ عنها عَلَى ان معظمها من الكتب المتداولة بالطبع وكان يرجى ان يقتبس المؤلف من المخطوطات الكثيرة في مكاتب مصر ولا سيما في دار الكتب المصرية الخديوية وبعض الكتب العربية المطبوعة في الغرب· وقد وقعت للمؤلف بعض هفوات دعا اليها عدم الرجوع الى الاصول من ذلك ماجاء في ص ٧٦ في الحاشية من قوله : كان اهل الشام وحوران في ذلك العهد يؤرخون من دخول بصرى عاصمة حوران في حوزة الروم · فتراءى للقارىء ان حوران ليست من الشام وما هي الا جزء منها فكان الاولى ان يقال كان أهل حوران بل أهل الشام الخ وفي ص ٣١٩ : كانت في بلاد قرامان — لعلها القريم — مدرسة مشهورة بمدرسة السلسلة · وبلاد قرامان في الاناضول معروفة في تاريخ العثمانيين ولها ذكر كثير فيه ·

وبالاجمال فانا نثني الثناء الاطيب عَلَى صديقنا صاحب هذا التاريخ ونرجو له التوفيق الى انجازه عَلَى مايحب ويحب له عشاق الادب

اخبار وافكار

فن الأكل

دعا غلاء الحاجيات احد الاطباء ان كتب في المجلة مقالة جاء فيها ان المرء اذا دقق في ميزانية طعامه يستطيع ان يقتصد منها اقتصاداً محموداً بدون ادنى ضرر يلحق صحته. فيتمكن بذلك من النجاة من مخالب المضاربين بالاطعمة ممن يغتنمون مثل هذه الفرص في الصعود فيغالون في مضاعفة اسعارهم ويقال على الجملة ان المرء يأكل اكثر مما تقتضيه حاجته الحقيقية وان فيه ميلاً الى ان يكثر من الاطعمة الغالية ثم ان فقدان التربية البيتية تدعو الى الاسراف حيث لا يجب

وبينا نرى الوقاد يهتم قبل كل شيء بان يعرف حق المعرفة قوة آلته المحركة وما يجب من المواد لادارتها وما تعطيه من العمل ونرى مربي الحيوانات لايقصر عن درس طبيعة دوابه وما ينبغي لها من العلف وينفع اكثر في تنمية الحيوانات التي يتجر بها نرى الانسان لايهتم بتة بوظائف اعضائه وما يجب لجسمه

ومن الاوهام الرئيسة في التغذية ان المرء يقوى كلما اكثر من الطعام ولذلك ترانا نحاول الاكثار ما امكن من الاطعمة ونحمل ابناءنا على ان يقضموا ويخضموا من الطعام زيادة على رغباتهم ونشاهد الامهات يحتلن انواع الحيل ليجعلن من اولادهن شرهين يتناولون كميات كثيرة من الاغذية ولا يفاخرن بهم الا اذا تناولوا كمية من الحساء بدعوى ان ذلك يكبرهن .

ومن الغريب اننا اذا التقينا برجل متعب في صحته وكثيراً مايكون الافراط في التغذية السبب في ذلك لانلبث ان ننصح له ان يتناول اغذية مقوية وانا اذا بحثنا في هذه المسألة عن أمم بنور التجربة والنظر الصحيح نرى ان الاقلال من التغذية بالاقتصار على كمية تقرب من الحد الاوسط اللازم للاعضاء نتيقن ان من يعمل ذلك لايضعف بل على العكس يقوى

فقد جرب احد اطباء الدانيمرك مدة شهرين الاقتصار من الطعام على مارخص ثمنه وكثرت تغذيته فاصبح بعد ضعفه قوياً يستطيع التصعيد في النجاد وكان من قبل عاجزاً عن ذلك فكان يتناول في الصباح جريش الشعير مطبوخاً بالماء مضافاً اليه شيء

من اللبن والسكر والعنب وفي المساء يأكل في العادة قطعة من الخبز بالزبدة وسلطة من البطاطة او البقول وكان طعام الظهر اهم الوجبات وكلها تدور على الحبوب والبقول بين سوائل وموائع وهي بكميتها اقل مما يتناوله الفرد في العادة . وحذا حذوه كثير من زبنه سائرين في ذلك على خطة اليابانيين والهنود في الاقلال من الطعام في الاغلب وقد جرب الاستاذ شتيدن من اميركا الاقلال من كمية طعامه فجادت صحته وقويت اعصابه وكثر نشاطه على العمل ولكنه لم يحذف اللحوم والاسماك من وجبات اكله ثم جربوها في ١١ جنديًا مدة ستة اشهر فثبتت منافعها بالتجارب والفحص الدقيق وكان الوقت شتاء والبرد قارسًا فلم يشعروا ببرد ولم تنقص قوتهم بل زادت حتى انهم ظلوا بعد هذه المدة سائرين على هذا النحو ثم جربها الاستاذ في جماعة من المصارعين فتبين ان قوام زادت كثيرًا مما ادهش القائمين على هذه التجارب

وجربوا في فرنسا هذه الطريقة في رجل كان يصاب بوجع الشقيقة فلم يعتم ان شفي كل الشفاء فدام على اقلاله واقتصر على البقول والخضر وعلى القهوة والمربيات واللبن ولم يتناول شيئًا من المشروبات غير الماء الصافي وفي خلال هذه التجربة كان يرتاض بركوب الدراجة فيقطع من ٦٠ الى ٨٠ كيلومترا كل يوم بدون ان يشعر بتعب وقلت ساعات نومه وقويت نفسه على المشاق وسكنت اخلاقه من دون بلاهة . ويفهم من قائمة طعام الطبيب الدانيمركي الومااليه ان اللحم قليل جدًا في وجباته ثم ان الاستاذ شتيدن وصف الاقلال منه وان الآخر كان حذف من طعامه اللبن والبيض واقتصر فقط على البقول

الجزر الطافية

رأت بارجة في صيف سنة ١٨٩٢ في عرض البحر قرب نيو يورك جزيرة طافية تقدر مساحتها بالف هكتار مغشاة بالاشجار طول الواحدة منها عشرة امتار وبعد شهرين شاهدت هذه الجزيرة باخرة اخرى قرب ترنوف فتكون قد قطعت في مدة شهرين نحو الف ميل بحري اي ١٨٥٢ كيلومترًا ولم يعد يراها احد بعد . ومن المحتمل ان هذه الجزيرة هي قطعة من ارض ثابتة مفصولة من الشاطىء الشرقي من اميركا حملتها المياه الى بعيد ثم غمرتها وتركيب هذه الجزر قد يحدث من ثقل المياه التي ترتفع فجاءة بتأثير المياه الغزيرة او بسبب آخر . وتكون هذه الجزيرة في العادة ولكن منها ما هو معروف مثل الجزيرة القريبة من ويننغام احد بلاد ولاية ورمون . وتنشأ هذه الجزر

بطبيعتها بدون يد البشر واحياناً تكون في بحر الشمال من الجليد الذي يتكسر. ومنها الصناعي ينشأ كما هو الحال في اميركا من عمارة السدود والسكور التي تحدث تغييراً غير منتظر في معدل المياه . ففي بعض الجهات ترى جزر على سطحها ثم تغيب في اوقات معينة فان كتلة من الحشائش قد تغمر بحيرة برمتها الا قليلا فاذا ارتفعت المياه تنفصل هذه الكتلة عن البحيرة ويكون منها جزيرة طافية ثم تعود المياه فتغمرها وهكذا لاترى الجزيرة الا متى انحسر الماء او يحدث سبب سابق يرفع الجزيرة فتراها العيون

الخبز

عهدت الحكومة الانكليزية الى الدكتور هاميل ان يقدم تقريراً على الخبز فاثبت ان الطرق الحديثة المستعملة في طحن الدقيق في مطاحن اسطوانية ليست احسن من الطريقة القديمة في طحن الطحين بين حجرين ولكن هذه الطريقة القديمة لاتصلح لطحن حنطة اميركا الصلبة واقام الحجة على من يدعي ان الخبز الاسمر انفع للصحة من الابيض وقال بتفضيل الاخير على الاول في التغذية ورأى ان يعطى الاطفال خبزاً ابيض وشيئاً من الخبز الذي لم يقطع وفيه شيء من السمرة الاصلية وذلك للاولاد الذين يجعلون الخبز ام غذائهم لا لمن يتناول اللحم والبقول

نقل الدم

كان بعض الاطباء ينقل الدم من جسم الصحيح الى جسم العليل بواسطة أدوات لم معروفة عندهم ولكن كان الدم المنقول لا يخلو من كدورات مضرة وقد اخترع الآن احد أطباء نيو يورك آلة غريبة تنقي الدم المنقول الذي يحقن به باضافة شيء من الاوكسجين ومحلول قلوي والحديد في الماء فجرب ذلك في الضفادع والكلاب اولاً ثم جرب في المستشفيات في الآدميين فاسفر عن نتائج حسنة جداً

دين مجهول

اكتشفوا في جبال هوندوراس Honduras مجموعة اشياء من قبل التاريخ تدل على وجود عبادة غير معروفة اليوم وذلك في مكان ظنوه اولا معدن نحاس مهجور فرأوا مغارة مقدسة تدل على وجود ديانة كانت موجودة منذ الوف من السنين وان بها الماياس Mayas وهم شعب قديم جداً كان يعبد الخفاش وهذه الاشياء هي أجراس صغيرة تبلغ عشرة آلاف جرس ذات

حجم مختلف واشكال كثيرة وهذه الاجراس يشبه الصغير منها ازراراً عادية والكبير منها الاجراس الصغيرة او سقاطة الباب ومن الغريب ان أصوات كل جرس تختلف بعضها عن بعض وفي المغارة صور ايضاً يظن انها كانت من متممات العبادة وعرض مدخل المغارة نحو عشرة امتار وعمقه ١٨ متراً الى ٢٠ والاجراس مدورة هنا وهناك ومنها ماوضع في بعض الثقوب والجحور واكبرها لايكون حجمه عشرة سنتمترات من الديامتر ومن هذه الاجراس مايشبه الحيوانات الغليظة ومنها مايشبه السلاحف ذات العنق الطويل ومنها ما هو على صورة التنين الزحاف ومخلوقات غريبة ومنها مايشبه الخفاش ذات القرون والعيون المفترسة وغيرها من الحيوان ومن هذه الاجراس ماهو معمول من المعدن المطروق ومنها من المعدن المطرق مما دل ان المغارة كانت ملجأ لرهبان كان يدينون لرب اسمه زوتيا شيمكان ورد ذكره في التقاليد وكان له على امة المالياس سلطة غريبة ولعل علماء الآثار يهتدون الى سر هذه الموجودات لقرب عاصمة ناكو القديمة من بلاد هوندوراس لانه ورد ذكر تلك العاصمة في تاريخها ٠

البصل

استعمل بعض الاطباء البصل مؤخراً لمريض أصيب بضعف الكبد المشوش في الاستسقاء فابان عن احسن النتائج وسهل البول بحيث لايتأتى ذلك بالادوية المعتادة وهذا مادل على بعد نظر القدماء في القديم في نعو يلهم على البصل فقد كان اطباء المصريين والعبرانيين واليونانيين والرومانيين يحلون استعماله المحل الارفع وكان جند قيصر يمتازه في سيره اثناء قتاله للغلوا وشاع استعماله في اوربا من اواخر القرن السابع عشر الى اوائل القرن التاسع عشر في مداواة وجع المفاصل والرئية وامراض الصلب اما في الطب الحديث فقد ترك استعماله بتاتاً وها هم قد عادوا اليه

الحكم على فرنسا

طاف المستر اديسون المخترع الاميركي الشهير بلاد اوربا فسئل رأيه عن فرنسا فاصدر الحكم الآتي : ان مساكنها قبيحة لاراحة فيها ولا رفاهية وهي متأخرة عن بيوت الاميركان قروناً وفرنسا فائقة بطرقها البديعة التي تربط قراها و بلاد الاقاليم فيها بالحواضر والمدن وعلى مهندسي الممالك الاخرى ان يأتوا فرنسا ليتعلموا فيها على مهندسيها احسن دروس في صناعتهم اما طبخ الفرنسيس فقد حوى الذوق وجودة الطعم وحسن

الاسلوب بحيث جاء مطبخهم افضل مطابخ الامم المتمدنة وهذا ما دعا الى علو كعب الفرنسيس فبجودة الطعام ضمنوا لبلادهم الصحة وحسن الخلق والنجاح

التلغراف اللاسلكي

أفاد هذا التلغراف في مواطن كثيرة وثبت غناؤه في الدول والافراد فعزمت انكلترا ان تمد منه خطين الاول يسير من مالطة وقبرص وعدن و بومباي وسنغافورة وادلايدا الى زيلاندة الجديدة والثاني آخران يسيران على شاطىء افريقية من الشرق ومن الغرب فتتصل الهند بافريقية الجنوبية واوستراليا بجزيرة موريس وجزيرة نيلسون ومونترال تفاوض الهند الغربية توّاً فيكون لها ٢٥ محطة تحتاج الى ٣٧ مليون ونصف مليون من الفرنكات يتخابر بها الناس كل كلمة بعشرة سانتيمات وتربح منها الحكومة ١٥ مليون فرنك مسانهة ولا تنفق سوى ٥ ملايين

الالكحول في افريقية

يحاول عقلاء الانكليز ان يحظروا استعمال المشروبات الروحية في بلاد خط الاستواء وجنوبي افريقية وذلك بوضع العقبات في سبيله لانه ثبت انها آذت الوطنيين بصحتهم وقرض او كاد جنسهم وكانوا قبل دخوله عليهم سالمين اقوياء وما كانوا من قبل يسكرون الا بالمشروبات المخمرة المستخرجة من ماء النخل وجوز الكاكاو والذرة وهي مشروبات يقل ضررها بالنسبة لخمور اوربا ولذا اخذ زعماء الوطنيين يدعون الى الاسلام لانه يحظر استعمال المكيفات اذ قد وقع في نفوسهم ان عنصرهم آخذ من هذه الالكحول بالانحطاط . ويقول المقترح ان هذا الخطر واقع على الحكومة الانكليزية لان تلك الاقاليم الاستوائية تكتفي من المنبهات بالقهوة وجوز الكولا فهي اقل ضرراً من الجين والويسكي . واذا منعت الحكومة الانكليزية المسكرات من تلك الاقاليم الافريقية تخسر ثمانمائة الف جنيه كل سنة من جنوبي نيجريا فقط وستعتاض عن هذه الرسوم التي تنقص ميزانيتها بضرب ضرائب على الانفس

الصحافة الصفراء

يسمون بهذا الاسم الحديث تلك الصحف الاميركية التي تنشر اخباراً مزعجة واحاديث ملفقة تقيم وتقعد والحال ان هذا النوع من الصحافة قديم يرد عهدها في الحقيقه الى يوم قام بنيت مؤسس جريدة نيويورك هرالد واعلن بانه سيتخلى عما يسمونه بالمبادىء و يبحث خاصة فينشر قبل رصفائه اخباراً كثيرة وحوادث اليوم مفصلاً فيما

ينقل و يروي ماله دخل بحوادث البيوت وقصص العاشقين والسارقين والقاتلين واخبارهم الشخصية فما كاد يطبق هذه الخطة على العمل حتى سلقه الناس بالسنتهم وضرب غير مرة بالسياط وما كان يجيب على ذلك بغير طبعة خاصة من جريدته يقص فيها بنثره الشديد القارص مايكثر به جمهور قرائه الجدد ثم تبعه في ذلك صاحب جريدة الورلد . واهم ما في هذا الضرب من الصحف اليوم احاديث بعضها موهوم وتواريخ جنايات وطلاقات وفضائح وفظائع وفي اعداد ايام الآحاد وهي اكبر حجماً واغزر مادة ملحق مصور بالالوان وكثير من الاخبار اكثر من العادة وحوادث من شأنها ان تحدث تأثيراً شديداً وحركة اضطرب في القراء وتحبب اليهم الفضول والفزع . وقد امتازت الصحف الصفراء في سرد الجنايات فلا تكتفي ان تورد لقرائها تفصيلاً وافياً عن اعمال اللصوص على اختلاف ضروبها بل تعلمهم أيضاً الطرق الغريبة في القتل والسرقة . وهذه هي سيئات هذه الصحافة ولكن لها مزية أخرى هي انها داعية بل اكبر داعية للارتقاء والاصلاح الاجتماعي تنصرف لخدمة المصلحة العامة مستقلة في افكارها تحمل على الرشوة حملات هائلة تنتقد الاحتكار وتكشف القناع عن اعمال رجال السياسة وفضائحهم وتقاوم الحكومة البلوتوكراتية والامتيازات فهي خادمة أمينة للديمقراطية من هذا الوجه

ملح تونس

ثبت ان ارض تونس بطبيعتها قابلة لاخراج الملح الصناعي الذي هو انفع لتمليح الاسماك التي تصاد من شمال اوربا اكثر من الاملاح التي تستخرج من صقلية واسبانيا والبرتغال بل هو احسن ملح في العالم لانه خال من المواد القابلة التحليل ويستخرج منه الآن خمسمائة الف قنطار في السنة يخرج منها ٢٠٠ الف الى ايطاليا و ١٢٠ الفاً الى نروج و ١٠٠ الف الى بلغاريا و ٣٠ الفاً الى النمسا وقليل من القناطير تصدره تونس الى الجزائر وفرنسا ويمكن ان يستخرج من هذا الملح سنوياً ستمائة الف طن واستخراجه متوقف على اخذ امتياز من حكومة تونس

الأمومة والعزوبة

لما رأت بعض الولايات المتحدة ان زيادة المواليد في اميركا الشمالية ليست مما يرضي وان المهاجرين اليها يقل نسلها في الجيل الثاني من مقامهم فيها رأت ان تعمد الى قوانين تسنها لاكثار النسل وهكذا قرر مجلس نواب ايلينوا ان كل امرأة تلد بعد

سنتين من زواجها ولداً تقبض ٥٠٠ فرنك وتقبض مثل هذا المبلغ كما ولدت ولداً آخر اما اذا ولدت توأمين اوثلاثة فجائزتها تكون اكثر والحكومة تتقاضى هذه الجوائز من العزب فتأخذ من كل عزب تجاوز الخامسة والثلاثين ولم يتزوج خمسين فرنكاً في السنة ويتناقش مجلس النواب في ولاية فيسكونسين في ضرب ضريبة قدرها خمسة وعشرون فرنكاً في السنة على كل امرأة بلغت الخامسة والعشرين ولم تتزوج وربما ألفت هذه الولاية لجنة رسمية لتجد زوجاً لكل طالبة

التعليم في بورتوريكو

بورتوريكو جزيرة في ارخبيل البحر المحيط غربي هايتي سكانها زهاء مليون نسمة لم يكن فيها سنة ١٩٠٧ خزانة كتب بتة وها قد اصبح فيها اليوم ٢٣٣ خزانة كتب عامة ولما استولت الولايات المتحدة على هذه الجزيرة لم يكن فيها مدارس اما اليوم فقد بلغ عدد من يتعلمون من بنيها ١٢١٤٥٣ اي نحو تسع السكان وفي مدارس حدائق الاطفال (الكندر جارتن) ٢٣٠ طفلاً وفي المدارس الابتدائية التي أنشئت في ٦٦ مدينة من مدن الجزيرة ٣٩٩٠٧ تلامذة وفي مدارس القرى ٧١٦٣٠ وفي ٥٨ مدرسة ليلية ٨٦٢٤ تلميذاً تلامذتها من البالغين وعدد تلامذة المدارس العالية ١٠٧٨ وعدد تلامذة كلية سان جوان ٣٠٠ وقد انشئت هذه الكلية في ربو بدراس في البرية على ١١ كيلومتراً من سان جوان وفيها مدرسة للزراعة واخرى للصناعات الحرة وغيرها للمعلمين يتعلم فيها المعلمون والمعلمات . ولا تزال الحكومة في قرى بورتوريكو تعلم باللغة الاسبانية وقد بدأت تعين اساتذة من ابناء الجزيرة نفسها ولكن معظم المعلمين يأتون من الولايات المتحدة وتسعة اعشار التلامذة يتعلمون العلوم اليوم بالانكليزية وعما قريب تقوض اللغة الاسبانية خيامها من تلك الجزيرة وتحل محلها اللغة الانكليزية الى ابد الآبدين

مدارس الامهات

أنشؤا في الغرب مدارس لتعليم الامهات مايستطيعون معه دفع المهالك عن اولادهم وتقوية اجسامهم وحفظ صحتهم اذ قد ثبت ان جهل الامهات كثيراً ما يودي بالبنين والبنات وهذه المدارس تزداد انتشاراً في مدن اوربا

المقتبس

تاريخ الحضارة

مملكة الافرنج

الممالك البربرية

تأسيس الحكم الامبراطوري — لم يشأ ملوك البربر النازلين في الامبراطورية الرومانية ان يأتوا على المعاهد الامبراطورية فيبيدوها بل آثروا ان يخلفوا الامبراطرة ويسنوا الشرائع ويصدروا الاحكام ويجبوا الضرائب وعلى الجملة ان يحكموا كما حكم الامبراطور. هكذا كان شأن ملوك البورغوند والويزغوت والوندال في القرن الخامس ولكن ملك الاوستروغوت في ايطاليا تيودوريك قد بلغ في احتذاء ذاك المثال ارقى درجاته في القرن السادس فكان له في فارون قصر بني على مثال قصر الامبراطور مع وزيره وصاحب حاشيته ووكيل خرجه وامناء ماله وكان له ولاة ومحافظون يجبون الضرائب اما الغوت فظلوا محاربين ومنهم يتألف الجيش تحت اوامر الدوقات والكونتية منهم. وفي ظل هذا الحكم كان الايطاليون يعيشون بسلام كما كانوا على عهد الامبراطورية فانشأوا يصلحون المجاري والحمامات ودور التمثيل بل وشادوا ايضاً مصانع جيدة مثل قصر فارون ومسلة رافن وبدأ التمثيل يعود الى ما كان عليه وتفتح مدارس البيان لقبول الطلاب وعلى ذاك العهد نبغ بويس آخر شعراء اللاتين القدماء. (٤٧٠—٥٢٤) بيد ان الغوت لم يخضعوا زمناً طويلاً لهذا النظام فبعد موت تيودوريك كانت الملكة امالازونت تربي ابنها على يد اساتذة رومانيين فجاء رؤساء الجند يطلبون ان يربوا الطفل مع اترابه على الصيد وحمل السلاح على نحو ما تقضي بذلك العادة البربرية.

حكومة الميروفنجيين — كان ملوك الافرنج في غاليا اكثر توحشاً من تيودوريك

وحاولوا مع ذلك ان يحكموا البلاد عَلَى الطريقة الرومانية فمنح امبراطور القسطنطينية لكلوفيس لقب قنصل وبطريق فظهر في مدينة تور لابساً رداءً من الأرجوان وعَلَى رأسه التاج واقتسم اخلافه المملكة بينهم كما يقسم الملك ولكن كان لكل منهم قصره في البقعة التي كان يحكم فيها كلوفيس فيجلس عَلَى عرش من ذهب يحف به رجال الدولة بالقابهم الرومانية من قومس (كونت) الى صاحب الخاتم الى الحاجب وكان لبعضهم شعراء في قصورهم مثل الشاعر فنانتيوس فورتوناتوس الذي جاء من ايطاليا ونظم اكراماً لزواج برونهوت ابياتاً مختلة مصنعة اظهر فيها كوبيدون (اله الحب) فرحاً بالزواج والزهرة (الهة الجمال) لتذكر ان برونهوت جميل مثلها وكان الملك شيلبريك نفسه ينظم ابياتاً باللاتينية غاية في السقم والركاكة واخترع حروفاً جديدة مثل œ ، ō ، th ، W وكان يأمر الكونتية ان يمحوا بالنشاف (الخفان) رقوق كتب التعليم في المدارس العامة ليعيدوا كتابتها بحروفه الجديدة ويعنى بعلوم الدين ايضاً ويدعي ان العزة الالهية يجب ان يطلق عليها اسم واحد وقد قال لاحد الاساقفة هكذا ارىدك ان تعتقد انت واخوانك من علماء الكنيسة . ولما اتاه من ارسلهم الى القسطنطينية بالاقمشة والزين وأيقونات الذهب عرض ما اتوه به في قصره وعرض في الوقت نفسه حوضاً عميقاً من الذهب الذي كان امر بصنعه فكان يريه للناظرين باعجاب قائلاً انا الذي استصنعته للزينة ولارفع من قدر أمة الافرنج ولعمري كم استصنع اذا عشت من الاعلاق والتحف

تخاذل الميروفنجيين — لم يستطع هؤلاء المقلدون في المدنية الحديثة ان يطول عهدهم فان الافرنج كالفوت بلغوا من التوحش مبلغاً لم يقبلوا معه على النظام الملكي فكان المحاربون يحترمون ملوكهم لانهم كانوا من العنصر الميروفنجي ولكن خضوع موقت وكان المقاتلة اكثرهم عرامة يعيشون بالقرب من الملك وفي موكبه ويسميهم الملك رجاله وكثيراً مايكون هؤلاء اكثر سلطة من الملك . وفي سنة ٥٣٤ بينا كان الملكان شيلدبر وكولتير ذاهبين لتخريب بلاد البورغوند واراد تيري ان يبقى في مملكته جاءه رجاله يقولون له اذا لم تذهب الى بورغونديا مع اخوانك نتخلى عنك ونلحق بهم . يريدون تيري ان يقودهم لتخريب اوفرنيا . وبعد حين قال احد المقاتلين للملك كونتران : نحن نعلم ابن خبئت تلك الفأس الندية بدم اخوانك فانا نستطيع بها ان نقطع رأسك . وقد أخذ كونتران الفزع فقال ذات يوم في الكنيسة امام جمهور المؤمنين : اقسم عليكم

ايها الرجال والنساء الحاضرون هنا ان لاتقتلوني كما قتلتم اخواني من قبل . وكان هؤلاء المقاتلة الذين لاتدريب لهم يرضون بان يلحقوا بملوكهم في الحروب . لانهم كانوا يرجون في الحروب ان يعودوا وايديهم ملأى بالاسرى والغنائم على انهم كانوا لايودون اداء الضرائب وحاول بعض الملوك ان ينفذوا القانون الروماني الذي كانوا يرونه نافعاً في جباية المال وقد عهد تيودبر ملك الافرنج في اوستراز يا الى وزيره بارتنيوس ان ينظم امور الجباية فلما قضى نحبه انتقض الافرنج وذبحوا بارتنيوس في كنيسة تريف (٥٤٧) وبعد ثلاثين سنة امر شيلبريك بتنظيم قوائم بالاملاك وان تضرب ضريبة على الاراضي والعبيد وخربت مملكة شيلبريك في السنين التالية بما اصابها من الطوفان والحريق والاوبئة واوشك الملك ان يهلك بعد ان فقد ابنيه وكان القوم يذهبون الى ان الله عاقب شيلبريك على الجناية التي ارتكبها بوضع الضرائب على الناس . ولما رأت الملكة فردغوند اولادها قدمرضوا القت الى النار سجلات ضرائب المدن التي كانت خاصة بها واذ تردد زوجها ان يلقي سجلاته قالت له : وماذا يمنعك ان تحذوحذوي فاعمل عملي حتى اذا فقدنااولادنا الاعزة نخلص على الاقل من العقوبات الابدية (٥٨٠) . وفي سنة ٦١٤ اجتمع الاساقفة ورجال الملك واكرهوا الملك كولتير ان ينشر امراً بالغاء جميع الضرائب .

الحقوق الرومانية وملوك البربر — كان ملك الافرنج في القرن السابع ملكاً على جميع جرمانيا ولم يكن سكان هذه المملكة الواسعة أمة واحدة متحدة اجزاؤها بل كان لكل شعب لغته وعاداته ولم يكن في البلاد قانون واحد يخضع له الجميع على السواء وكان لكل انسان قانونه الشخصي خلال زهاء ثلاثة قرون (من القرن السادس الى التاسع) وقد احتفظ قدماء سكان الامبراطورية بالقانون الروماني اما البربر فكان كل واحد منهم يتبع عادة شعبه القديمة . وقد كتبت هذه العادات باللغة اللاتينية في عصور مختلفة فسميت قوانين البربر فنشأ بذلك قانون الافرنج (وهو يمنع النساء واولادهن من كرسي الملك) وقانون ريبوير وقانون الامان وقانون الفريزون وقانون البافاريين وبالجملة كانت القوانين بقدر عدد الشعوب . وهذه العادات التي جعلت فيها المواد كيفما اتفق تحتوي على بعض الفصول في حقوق التملك والمواريث ولكن معظمها نظام فيما يجب عمله في السرقات وحوادث القتل .

وكان البربر يرون ان الخصومات بين افراد ليست سوى جرائم ليس من شأن الحكومة

التدخل بها فاذا وقعت جناية قتل فمن شأن القتيل او أسرته ان ينتقموا من القاتل او من ذوي قرباه فكل شدة تؤدي الى انتقام اضطراري بين الأسرات تشبه الانتقام المألوف الى اليوم في جزيرة الكورس . ولقد كانت الحكمة لابطال هذه الفظائع تكره المجرم ان يدفع غرامة الى آل القتيل ليكفوا عن اخذ الثار . وفي قوانين البربر تحديد دقيق لقيمة هذه الغرامات فلكل امرئ قيمة بحسب حاله فاذا هلك فالقاتل يؤدي قيمته برمتها واذا جرح يدفع القاتل جزءاً من قيمته على نسبة شدة الجرح واذا ضرب رجل رجلاً في رأسه وشجه يدفع ١٥ سولاً من ذهب (السول خمسة فرنكات) واذا ضربه برأسه واخرج منه ثلاث عظام يغرم بثلاثين سولاً واذا ضربه على أم رأسه فظهر مخه يغرم بخمسة واربعين سولا . واذا قطع رجله او يده او جدع انفه يغرم بمئة سول واذا بقيت اليد المقطوعة معلقة يغرم فقط بخمسة واربعين سولاً واذا التوت اليد واستؤصلت يغرم باثنين وستين سولاً واذا قطع له ابهام يده او رجله يغرم بخمسة واربعين سولاً واذا قطع له اصبعه الثانية التي يشد بها القوس يغرم بخمسة وثلاثين سولاً وفي الاصبع الثالثة يغرم بخمسة عشر سولاً وعن الخامسة يغرم بخمسة سولات وعن الخنصر يغرم بخمسة عشر سولاً . وكانوا يحكمون على كل فرد في الحاكم بقانون شعبه قال أسقف في ليون في القرن التاسع ليس من النادر ان يجلس خمسة اشخاص معاً ويكون لكل منهم قانونه الخاص .

مملكة شارلمان

الكارولنجيون — لم يوفق ملوك الافرنج ان يخضعوا رعاياهم البربر اخضاع طاعة وعلى العكس فانهم منحوهم على التدريج جميع الاملاك الامبراطورية ليكون مقاتلتهم على مقربة منهم فغدا المحاربون ارباب أملاك عظمى وسكنوا في اراضيهم بين عبيدهم وخلعوا ربقة الطاعة فامسى الملك الميروفنجي شخصاً خاملاً منعزلاً . وقد نشأت في شرقي المملكة من انحاء اردين أسرة من كبار ارباب الاملاك لها بعض احترام من قومها ابوءهلها الى خضوع مقاتلة بلادها لامرها ودعا رئيس هذا البيت نفسه بدوق الافرنج ولما كان هؤلاء الافرنج في الشرق اكثر مضاء ونظاماً استباحوا حمى افرنج الغرب وغدا ملكهم مدير القصر لدى ملك الميروفنجيين واصبح السيد الحقيقي في المملكة عامة وبعد نصف قرن اراد احد الدوقات وهو بيبن لبريف ان يلقب نفسه ملكاً فسأل البابا زاخري رأيه فاجاب بان من حصلت له السلطة الملوكية يجب ان يكرم (٧٥٢) وعلى ذلك

نودي بيبين ملكاً عَلَى الافرنج وجاء القديس بونيفاس يمسحه هو وامرأته بالزيت المقدس فاصبحت الأسرة الكارولنجية من ثم أسرة ملوكية يحترمها الشعب وتقدسها الكنيسة ·

شارلمان — كان شارلمان بن بيبين أقدر ملوك البربر عَلَى الاطلاق فقد اخضع بسيف جنده جميع شعوب المانيا وتقدم الى الشرق نحو الالب والى الغرب نحو الابير ومملكته عبارة عن فرنسا والمانيا وايطاليا الشمالية [1] وقلق الباباوات في ايطاليا عَلَى ذاك العهد وحاذروا من اللومبارديين ومن ملوك البيزنطيين حتى انهم لم يكونوا في رومية من القوة بحيث يحترمهم الناس عَلَى الدوام · وكاد البابا ليون الثالث ذات يوم ان يذبح في احدى الفتن وضرب وديس بالارجل واضطر الى الفرار واستنجد الباباوات غير مامرة بملك الافرنج (بيبين وابنه شارلمان) وكانوا يحتاجون الى حام قادر يحميهم فظهر من شارلمان انه كفوء للذب عن حماهم ومنابذة من عاداهم · انتخب البابا ليون الثالث الجديد سنة ٧٩٥ فبعث الى شارلمان بمفاتيح قبر القديس بطرس المقدس وعلم مدينة رومية طالباً اليه ان يبعث باحد ليأخذ باسمه بيعة الشعب الروماني فاجاب شارلمان انني راغب ان أعقد معكم محالفة لا ينقض ابرامها يكون سداها الاخلاص ولحمتها الحب حتى انال البركة الرسولية من قداستكم ويكون لكرسي الكنيسة الرومانية المقدسة من اخلاصي مدافع عَلَى الدهر · وجاء شارلمان الى رومية سنة ٨٠٠ فتوجه البابا ونادى به امبراطوراً وعلى رواية اجنهارد صديق شارلمان ان هذا لم يتعمد هذه الحفلة بل ترك البابا يعمل ما يريد قال ولو شعر بما يراد عمله لما دخل الكنيسة ومع هذا رضي بان يلقب بامبراطور الرومانيين واغسطس وماعدا أحوالاً نادرة لم يرض ان يتخذ بديلاً عن اللباس الامبراطوري واحتفظ بلباسه الافرنجي وهو سروال من الكتان مشدود بعصيبات وقميص من الصوف يناط به زنار ثم رداء واسع

وهذا التتويج لم يزد في سلطة شارلمان ولم يكن حادثاً خطيراً وغاية ما في الامر ان اصبح في الغرب بعد ذاك الحين امبراطوراً يعترف البابا والاساقفة بانه ملكهم وانه حامي الكنيسة · واصبحت هناك سلطتان رسميتان البابا والامبراطور يحكمون الشعب ورجال الدين حكماً مشتركاً ·

---

(١) دع عنك الشعوب الصقالبة فيما وراء عبر الالب التي كانت تؤدي له الجزية صاغرة

حكومة الكونتية — لم يحاول شارلمان العمل بقانون الامبراطورية الرومانية بل ترك ارباب الاملاك معفون من الضرائب اذ رأى من ريع املاكه الخاصة مايكفي للانفاق على قصره والجيش لايكلفه شيئاً فلبس عليه من ثم الا ان ينشر الامن ويقيم ميزان العدل ويجمع المقاتلة اذا احتيج اليهم فكان الكونتية هم الذين يتولون هذه الوظائف ولكل مدينة (مثل تور انجر شارتر) كونت واحد وهو في العادة اعظم ارباب الاملاك في ذاك الصقع فكان هذا الكونت يحكم باسم ملك في كورته وحكمه نافذ على من تحت يده فيدعو المحاربين للحملات ويطارد الاشقياء وكان كثيراً عددهم يومئذ ويجمع كل سنة عدة مجالس للحكم في الخلاء يحضرها ارباب الاملاك في تلك الكورة مدججين باسلحتهم وكانت الكونتية في حاجة الى من يراقب حركاتهم اذ كانوا من السطوة والاستقلال في بلادهم حتى ان بعضهم دعوا انفسهم كونتية بنعمة من الله ولذا كانوا كثيراً مايستعملون سلطانهم لاضطهاد السكان . قال الكابيتولير ليون نريد ان لايكره الكونتية الرجال الاحرار ان يجزوا لهم عشب مروجهم او يحصدوا لهم حصادهم وان لايأخذوا بالقوة والاحتيال املاك الفقراء

فكان المرسلون من قبل الملك يطوفون كل سنة البلاد ليراقبوا اعمال الكونتية فيجمعون السكان في كل بلد ويسألونهم عما يشكون منه ثم يحملون الكونت على انصافهم مهددين اياه بغضب الملك عليه ولما سقط اعتبار الملك لم يستطع انفاذ مرسليه غدا كل كونت ملكاً صغيراً وتألفت من كل كونتية مملكة صغرى

رجال الدين في الحكومة — اصبح الاساقفة ورؤساء الاديار منذ ذاك العهد من علية القوم وارباب الاملاك الواسعة فيهم . ودخلوا على عهد شارلمان في الحكومة فكانت تعقد جلسة سنوية في قصر الملك للنظر في المسائل فيتشاور الاساقفة ورؤساء الاديار مع الكونتية ورجال الجيش واذ كانت هذه الفئات منورة اكثر من غيرها فهي التي كانت تسن القوانين وتدونها . وكان لكل مدينة كونتها وأسقفها فجعل شارلمان الأسقف مساوياً للكونت وامرهما ان يحكما معاً قائلاً انّنا نريد ان يعين الاساقفة الكونتية ويساعد الكونتية الاساقفة ليتمكن كل من الفريقين ان يقوم بعمله حق القيام . فكان على الاسقف ان يحرم اللصوص والعصاة وعلى الكونت ان يكره بالقوة من كانوا يعصون الاسقف ومكافأة للسلطة التي منحها الامبراطور لرجال الدين اصبح هو نفسه زعيم الكنيسة او أوسقف الاساقفة فكتب الى البابا : « ان من شأني ان

لندافع عن كنيسة المسيح المقدسة في الخارج من سطوات الكافرين وان نعززها في الداخل بحملها على الايمان الحقيقي ». فالامبراطور هو الذي يعين الاساقفة ورؤساء الاديار وهو الذي يرأس المجامع المقدسة

ولم يكن ملوك الافرنج من ثقوب الذهن بحيث يميزون بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية بل كانوا يمزجونها ويجعلون زمامها في يد واحدة . وهذا المزج في السلطة هو العلامة الفارقة في الحكومة الكارولنجية . فالحرب قائمة دائماً مدة قرون بين الامبراطور زعيم الدولة والبابا زعيم الكنيسة . ولم تدم معاونة الاساقفة الكونتية ايضاً فقد كتب شارلمان سنة ٨١١ في مرسوم صدر عنه : « أننا نريد ان نختلي باساقفتنا وكونتيتنا كلهم خاصة ولنبحث عن السبب الذي من أجله لايحبون ان يعين بعضهم بعضاً وعندها تجري المناقشة فنقرر الخطة التي يجب على الاسقف ان يختطها لنفسه في المسائل الدنيوية والخطة التي يسير عليها الكنت او غيره من رجال الدنيا في المسائل الكنسية » وكان هذا هو الحد الفاصل بين سلطة رجال الدين والحكومة التي بحث عنها شارلمان ولكن هذا الحد لم يوفق هو ولا أحد من اباطرة القرون الوسطى الى الظفر به

الجيش — عرف شارلمان بانه زعيم المقاتلين فقد قام في حياته بثلاث وستين حملة ولذلك قضت الحال ان يكون الشعب جيشاً يكفي تلك الحروب التي لاتنفك قائمة . كان جميع أرباب الاملاك من المحاربين الغزاة بحسب عادة الشعوب الجرمانية فاذا أراد الملك ان يحمل حملة يصدر أمره اليهم بالاجتماع في مكان يعينه فاذا بلغهم الامر اليوم لامناص لهم من الوقوف على قدم الاستعداد غداً اما المتخلف منهم فيغرمون غرامة شديدة وعلى الاساقفة ورؤساء الاديار من الخاصة ان يجيبوا الدعوة كما يجيبها العامة واليك كتاباً للدعوة للاجتماع ورد على رئيس الدير قولا : « نأمركم ان تحضروا في اجتماع يوم ٢٠ حزيران في رجالكم المسلحين المستعدين على مايجب فتذهبون الى المكان المعين وأنتم من الاستعداد على جانب يتيسر لكم معه ان تحاربوا في كل مكان نأمركم به ونعني بذلك ان تكونوا مسلحين تامة أدواتكم وذخائركم فيكون لكل فارس ترس ورمح ونصف سيف وسهم وجعبة مملوءة وتحمل مركباتكم أدوات مختلفة الاجناس من مثل الفؤوس والمراة والمثاقب والمحافر والمعاول والمساحي وغير ذلك من الادوات التي يحتاج اليها في الجيش وتحملون مؤونتكم عن ثلاثة أشهر وسلاحاً والبسة عن سنة ».

فكان يقضي على الغزاة ان يتجهزوا و يتسلحوا على نفقتهم ومن قل مالهم يأتون رجالة وسلاحهم ترس طويل ولكن كل من كان لهم مال يحاربون فرسانًا راكبين ومدججين بشكة حديد . وهذه الشكة غير مستحدثة بل استعملها الفرسان البارثيون وكانت أجسام الفرسان الذين يقاتلون في الجيش الروماني في القرن السادس مصفحة على تلك الصورة ولما أطلقت للحار بين حربتهم ان يتجهزوا كما يشاؤن آثروا من الجهاز مايقيهم الخطر اكثر من غيره وهكذا لم يبق مشاة في الجيوش وفي أواخر القرن التاسع لم يبق في اوربا الغربية من المقاتلة الا الفرسان اللابسون للحديد وهؤلاء هم فرسان القرون الوسطى .

دستور الحكومة — ان المراسيم الصادرة عن شارلمان هي مجموع ماكتبته حكومته وهي عبارة عن مناشير ونقارير وكتب ولوائح بسيطة ولم يكن معظم هذه المناشير الا ابن ساعته صدرت في غرض خاص ولكن من القوانين مايجب تطبيقه في المملكة كلها وقد حفظ بعضها ودخل في مصطلحات الشعوب في القرون الوسطى .

الآداب والمدارس — كان شارلمان يحب الآداب حبًا ساذجًا كما يحب غير المتعلمين ان يروا احيانًا السطور المكتوبة يحبها لانها تتراءى له انها غير منفصلة عن الدين المسيحي واليك ما كتبه سنة ٧٨٧ الى جميع اساقفة مملكته ورؤساء اديارها : «احسنوا استعمال ذكائكم بعد مشاورة المخلصين لنا فقد رأينا ان الأسقفيات والاديار في حكومتنا يجب عليها زيادة على الحياة المنظمة والقيام بالدين المقدس ان تبذل غيرتها في درس الآداب وان تعلمها الى من يقدر على تعلمها بعناية الله فان من يريدون ان يرضوا الخالق بان يعيشوا عيشة راضية لايتهاملون في سبيل مرضاته بان يتكلموا اطيب الكلام . ولما كان قد كتب الينا في السنين الاخيرة من عدة أديار يعرفوننا ان الاخوان الذين يعيشون فيها يضاعفون صلواتهم لنا فقد لاحظنا في معظم هذه المكتوبات التي فيها شعور الحق كلامًا غثًا لامتانة فيه ولذلك بدأنا نتخوف من ان يقل العلم في أسلوب الكتابة وان يفقد الذكاء فيكون اقل مما يجب لتفسير الكتب المقدسة ولذا نحرضكم ان تتنافسوا في الغيرة على التعلم لتستطيعوا ان تحسنوا فهم الكتب المقدسة على أيسر وجه وتحيطوا باسرارها احاطة راسخة » وعليه فقد امر ان يكون في كل كنيسة كاتدرائية او دير مدرسة فيكون في صحنها صف يقوم رجال الكنيسة على تخريج الاولاد فيه وكثيرًا ما كان يحضر شارلمان بنفسه في الدروس فيتعلم الاولاد القراءة والكتابة اللاتينية

وترنيم الصلوات ومن هؤلاء الاولاد كان شارلمان يختار الاساقفة ورؤساء الاديار ·

ولقد كان شارلمان يحب الادباء فجمع حوله عصابة بمجمع علمي مصغر ولقب الرجال الذين يؤلفون هذا المجمع باسم رجل عظيم من القدماء فاسم الكوين هوراس واسم ادالارد اوغسطينوس واسم انجيلبر هوميروس واسم تيودولف بندار واسم شارلمان داود · فيقضون الوقت في تأليف اشعار لاتينية وفي القراءة والانشاد وحل المعميات والاحاجي واليك جملة مستخرجة مما كتبه الكوين: ماهي الكتابة؟ — حافظة التاريخ — ماالكلام ؟ — خيانة الفكر — من يولد الكلام ؟ — اللسان -- ماهو اللسان ؟ — المدق الذي يضرب الهواء — ماهوالهواء ؟ — حافظ الحياة — ماهي الحياة ؟ — فرح السعداء وترح البائسين وتوقع الموت · »

والادبيات المأثورة عن هؤلاء الادباء يرغبون فيها مع انها صبيانية تشبه تمارين ابناء المدارس ولم يكن للبرابرة من الثقة بانفسهم مايجرؤن معه على ان يكونوا مبتكرين هم انفسهم بل كانوا يطمعون كل الطمع في احتذاء مثال القدماء ولذلك لم يوفقوا الى ايجاد ادبيات باقية على ان العناية التي بذلها شارلمان ورجال الدين وادباء عصره لم تكن عقيمة بأسرها فانه منذ نحو قرنين لم يكن في غالبا شيء يشبه الادب وما قط دونوا كتاباً بل ولا اخباراً وتكتب الكتابات الرسمية التي لايستغنى عنها (كالمواثيق والهبات والوصايا) باللغة اللاتينية البربرية وهي من سقم الخط بحيث يصعب حلها وبعد شارلمان اصبحت اللغة اللاتينية مضبوطة جداً والكتابة مقروءة للغاية تكاد تشبه الكتب المطبوعة ·

خراب مملكة شارلمان — لم يطل عمر مملكة شارلمان فان الافرنج لم يستطيعوا ان يقلعوا عن عادتهم في ان يروا الممالك كالاملاك تقسم بعد موت الملك بين اولاده على السواء بيد ان شارلمان نفسه وزع بلاده بين اولاده الثلاثة · فعاش لويز وحده وورث الكل ورزق لويز هذا ثلاثة اولاد ايضاً فاراد مستشاروه من رجال الكنيسة ان يرث الملك بكر اولاده فقط لتبقى مملكة واحدة وعضد الغزاة الافرنج اصغر الاولاد سناً ولكن غلب حزب الوحدة على امره فتعددت الممالك بتعدد اولاد كل ملك فكانت تنقل وتكثر على تلك النسبة · اما لقب الامبراطور فلم تتأت تجزئته بل كان يطلق على ملك واحد و يكون على العادة من أضعفهم سلطة مثل ملك ايطاليا و بعد سنة ٩٢٤ لم يعد احد يليق لهذا اللقب · فرأى مؤلفو ذاك العهد والحزن آخذ منهم تلك المملكة

العظمى ثانفنت ٠ وقد ألف فلوروس لشماس ليون مرثية بعد عقد عهدة فردون قال فيها : بدلاً من ملك لنا عدة أقيال و بدلاً من مملكة لنا اجزاء من مملكة ٠ وما من أحد اذ ذاك كان يظن ان تلك القطع تصبح ايضاً أمماً وان ذاك الاختلاف يكون ابرك من تلك الوحدة الرومانية

النظام الاقطاعي

المجتمع الاقطاعي

الطبقات الجديدة — اضمحلت في القرن العاشر القوانين الخاصة للامم البربرية المختلفة فقبل سكان جميع اوربا تقريباً عادات واحدة وأمتاز منذ ذاك الحين بعضهم عن الآخر لا باسمائهم بل بغنائهم وعملهم ولم يعد يجري ذكر للافرنج (الفرنك) ولا للرومان ولا للبورغونديين بل اصبحت الشهرة للفرسان والسادة والشمامسة والفلاحين قال احد الاساقفة في القرن الحادي عشر ان بيت الله مثلث فمن ابنائه من يحارب ومنهم من يصلي وغيرهم يعمل ٠ وبهذا المجتمع الجديد ابتدأ نظام دام الى أواخر القرن الخامس عشر ٠

الفرسان — قضي على كل رجل حر منذ عهد شارلمان ان يكون جندياً وقد جاء بعض الاسبانيين ممن طردهم المسلمون يسكنون في اقليم لانكدوك فقال لويز لدبونير وقد منحهم أراضي يستثمرونها انهم كسائر الرجال الاحرار يذهبون الى الجيش ٠ وكل من لا يريد ان يخدم الجندية او لا يستطيع ان يجهز نفسه للحرب يفقد حريته ٠ فلم يكن غير رجال السلاح يعدون من اهل المجتمع ومنذ القرن التاسع كان الجندي يحارب راكباً حصاناً على الدوام (واصبحت كلمة ميل اللاتينية ومعناها الجندي مرادفة لكلمة فارس) فيتقلد حساماً من الفولاذ ورمحاً طويلاً من خشب الدردار و يحمل للتوقي من الضرب مجناً طويلاً من الخشب والجلد و يلبس في الوغى قميصاً مغشى بحلق الحديد وفي أواخر القرن الحادي عشر استعيض عن هذا القميص بآخر من زرد الحديد يصل الى الركبة ويغمر حتى الذقن والرأس محفوظ بخوذة من الفولاذ والانف بمخرين يتنفس منهما ٠ وهذا الجهاز ثقيل متشعب يقتضي لاستخدامه عادة طويلة وخادم خاص ليحمل المجن ويضع الخوذة والدرع وهذا الخادم يسمى حامل المجن وباللاتينية (armiger) حامل الاسلحة

وفي القرن الحادي عشر انتهت الحال بهؤلاء الرجال المسلحين ان يؤلفوا منهم

طبقة وراثية فكان الابناء في أسرة من الفرسان يصبحون فرساناً والبنات الفرسان لا يتزوجن الا من فرسان ولا يحق لاحد ان يصلح فارساً الا اذا كان ابن فارس . وليست الفروسية صناعة بل منصب ورتبة ولم يكتف الفرسان على ذاك العهد ان يكونوا رجالاً احراراً بل دعوا انفسهم « الاشراف » ودخل في تلك الطبقة الممتازة الخدمة وحاملوا المجان من بعد القرن الثالث عشر فاصبحت كلمتا فارس وحامل المجن مرادفتين لكلمة شريف .

السادة — كل رجل عظيم في هذا المجتمع العسكري بأسره بعد رجل حرب حتى الكونتية والدوقات والملوك فبين الفرسان اذاً كثير من كبار ارباب الاملاك وقد نالوا من الملك املاكاً عظيمة على سبيل الهبة او ورثوها من آبائهم وتكون هذه الاملاك على الاقل قرية برمتها وفي الاعم الاغلب ان تكون عدة قرى . ويدعى هؤلاء المالكون العظام بحسب البلاد فمنى « البارونات » الرجال ومعنى « سير » او « سنيور » السادة او الاغنياء ويلقب نساؤهم بدام اي سيدة . واذ كان اولئك السادة اغنياء فهم في حل من ان يأخذوا لخدمتهم فرساناً آخرين ويذهبوا الى الحرب في رأس جيش صغير واصطلحوا على اتخاذ علم لهم يجتمعون تحته فيضم من شملهم ولذلك سموا العليين Bannerets

العطايا والاقطاعات — اعتاد المقاتلة البرابرة منذ عهد شارلمان ان يقسموا للزعيم الذي يقوم بالانفاق عليهم بالاخلاص له والاستماتة دونه فالمقاتل عندما يقسم هذا اليمين والزعيم متى قبله يكون ارتباطهم طول الحياة فكان الزعيم يدعو المقاتل أميني او رجلي او مقاطعي اوعبدي وهذا يسمي زعيمه سيدي فالمقاطع يصحب سيده الى الحرب ويخدمه حتى على المائدة فكان خادمه ورفيقه في الحرب . والسيد يؤدي اليه لقاء خدمته ما يعوله و يعطيه اسلحة والبسة وحصاناً واحياناً يعطيه ملكاً

ولقد اصبحت العادة في الافضال على المقاطعين باراض يستثمرونها عادة في فرنسا أواخر القرن التاسع (وربما نشأ ذلك من كون رجال الحرب نادرين في البلاد الفرنسوية) فالارض تعطى لقاء اجرة اقطاعاً او مستثمرة ثم اصبح في حكم العادة المطلقة ان كل مقاطع يتناول اقطاعاً وانه لاسبيل الى ان يملك المرء اقطاعاً ان لم يكن مقاطعاً لاحد ارباب الاملاك . واذا مات الاقطاعي يحق لابنه ان يخلفوه وكذا يتولى الفرسان ابا عن جد شؤون اقطاعاتهم فيغدون مستقلين عن ساداتهم الا قليلا ثم ان

السادة اقسموا لسادات اعلى منهم بان املاكهم نالوها منهم على سبيل الاقطاع فيقسم الدوقات والكونتية للملك الذي كان يمنحهم الحكم اقطاعاً. ويكاد يكون جميع السادات سادة ومقاطعين في آن واحد والاراضي الا قليلاً كانت تعتبر اقطاعات ومن هنا نشأ نظامها .

وهذا النظام الذي وضع في القرن العاشر قلما يشبه طرائد عهد شارلمان على ان الاسماء والاعتبارات بقيت بحالها فان المقاطع يقسم ايضاً يميناً يرتبط بها مدى الحياة وهذا مايدعونه العطية سموها Hommage لانها تجعل المقاطع رجل السيد واليك الصورة الشائعة في هذا الباب : ايها السيد لقد اصبحت من رجالك صاحب الاقطاع الفلاني واعدكم ان ارعى لكم حقكم وادفع عنكم كيد كل من يحيا و يموت . ويعد المقاطع لسيده الاخلاص له والمعاونة والمشورة ومعنى الاخلاص ان لا يضم مقاطعته ولا يقاتله ولا يعتدي على امرأته واولاده . ومعنى المعاونة له ان يعاونه سواء كان في المقاتلة دونه او في أنزاله احسن منزل واعطائه دراهم ومعنى المشورة ان يتقرب منه بنصحه و يعينه خصوصاً على الحكم والتصدر. وانتهت هذه الواجبات بان ضعفت وقلت حتى ان العطية لم تكن الا اصطلاحات مألوفة ولما غلب جوفروي دانجو تيبو دي بلوا في القرن الحادي عشر اضطره ان يتنازل له عن كونتية تور على سبيل المقاطعة وان يعطي لاميره عطية

رجال الدين — كان ينظر الى رجال الدين (اعضاء الكهنوت) بانهم خدمة الله وكانوا قادرين بغنام ايضاً . و يعتقدون ان اعطاء مال او اراضي للكنيسة كان من آكد الاسباب لمحو السيئات وانقاذ الروح فكان زعيم الكنيسة المقدس والرهبان خدمة لقديس يكافئون المعطي بتدخلهم في امره مع الله . وقد عثر في عطية خصصت لاحدى الكنائس المخصصة للقديس ايتن (١١٤٥) مانصه : « اعطيت الى ايتن الشهير العظيم جزءاً من ارثي في الارض ليكون لي من صلواته وصلوات اتباعه العفو عن خطيئاتي والنجاة الابدية » وكانت صكوك الهبات تبدأ بالعبارات الآتية : « علاجاً لروحي وارواح اجدادي » واحياناً يزيدون لدفن جسدي ولذلك يهب الواهبون اموالهم ليدفنوا في الكنيسة نفسها . فكان رجال الدين يأخذون احياناً قرى برمتها وهي عطايا السادات العظام واحياناً قطع ارض او ملكاً وهي عطايا الفرسان والفلاحين فالدير الذي يبدأ بان يمنح ملكاً واحداً يملك مئات من القرى

بعد والاساقفة ورؤساء الاديار وهم اصحاب تلك الاملاك العظيمة يصبحون سادة عظماء ليس بعد عظمتهم عظمة ·

العامة — اصبح جميع ارباب الاملاك خلال حروب القرن التاسع يكرهون على الحضور الى الجيش وكانوا الا قليلا من حلقة الفرسان فالارض كانت من ثم ملك الكنائس والسادات والفرسان وكلهم من كبار ارباب الاملاك لايزرعون بانفسهم وكانوا منقسمين الى محلات كبرى تسمى المدن وفي العادة ان المدينة كانت عبارة عماندعوه اليوم قرية والمحلة كانت بسعتها كالمديرية · وتكاد تكون جميع القرى الفرنسوية يرد عهدها الى تاريخ هذه المحلات في القرون الوسطى فالفلاحون الذين سكنوا هذه المدن سموا باسمها فسموهم العامة فلم يكونوا مالكين للارض بل كانوا يتوفرون على زرعها فقط فمنهم من كان من قدماء الرجال الاحرار الفقراء دخلوا في خدمة ارباب الاملاك كالمستعمرين او المزارعين ويسمون الاحرار والآخرون هم من نسل قدماء عبيد ارباب الاملاك ويدعون باسم العبيد الرومانيين وهؤلاء هم العبيد على ان العبد لم يكن كما كان العبد الروماني بل كان ساكنا في الارض التي يتوفر على زراعتها وله أسرة وبيت وحقل فسيده لم يكن يستطيع ان يجليه عن قريته ببيعه الى مكان بعيد ولا ان يأخذ امرأته واولاده ولا ان يأخذ منه داره ولا الحقل الذي كان ترك لاجداده وما كان العامي العبد اذاً منحطاً في درجته عن العامي الحر

حالة العامة — كان في المحلة العظمى في القرون الوسطى نوعان من الاراضي · فبعضها (وهو القسم الاعظم) ترك للفلاحين يحرثونها و يحتفظون بغلاتها والآخر (وفي العادة ان تكون الاملاك القريبة من دار السيد) يبقى لصاحب الملك ويقفى على الفلاحين ان يحرثوها ويزرعوها ويحصدوها له وفي ايامنا ترى الزراع عند مايكونون غير مالكين هم عملة بالمياومة اومزارعون وزراع القرون الوسطى هم مزارعون في ارضهم وعملة بالاجرة في اراضي المالك وهم بعضهم مع البعض من الاب الى الابن وصاحب الملك لايستطيع ان يأخذ ارضهم التي يشغلونها وهم يتوارثونها كما يتوارث الملك ولكنهم لقاء ذلك يتحملون عدة اعمال وحقوق اقطاعية

(١) يعطون المالك أجرة الارض وضرائب ومخصصات من الحنطة والعلف والبيض والدجاج ويسمونها العادات لانها مقررة بحكم العادة ويميز الفلاحون العادات الجيلة اي المخصصات الموضوعة من القديم عن العادات السيئة من مخصصات يضعها السيد

بالقوة خلافاً العادة

(٢) يجب عليهم ان يذهبوا الى ارض السيد يحرثونها و يحصدونها و يسمدونها و يقصلونها و يجففونها و يقطعون الخشب و يأتون بالقش وهذه هي السخرة .

(٣) عليهم ان يحملوا حنطتهم لطحنها في طاحون السيد وان ينقلوا الخبز الى فرن السيد و يحملوا العنب الى معصرته و يجب عليهم ان يدفعوا عن هذه الخدم المقررة عليهم مايقتضي لها من النفقات كما يحتم عليهم في السوق ان يستخدموا قياس السيد وميزانه و يدفعوا اجرتهما .

(٤) يتقاضون في قضاياهم الى السيد واذا ارتكبوا جنحة يدفعون للسيد غرامة يأخذها لنفسه واذا ارتكبوا جناية يحكم عليهم السيد بالاعدام و يصادر جميع مايملكون . والعدل اي حق جباية الغرامات هو دخل يتسرب الى جيب السيد و يعد في جملة مايملكه فيقول السيد : عدلي في المحلة الفلانية . فهو يبيعه و يعطيه اقطاعاً و يقسمه بين بنيه وليس من الامور النادرة ان يملك فارس نصف اوربع القضاء في قرية او القضاء في بعض البيوت . وينصب السيد في ارضه مشنقة رمزاً الى حقه واللصوص الذين يصلبهم عليها دليل ناطق بحقه في هذا الشأن . واذا تنازع سيدان في تولي احكام العدل في قرية (كما يحدث احياناً) يجيء رجال السيد المطالب ينزعون المصلوب و يأتون به الى مشنقة سيدهم واذا ربح القضية السيد الذي صلب المصلوب تعاد اليه جثة مصلوبه والا فيرجع اليه قميص مملوء تبناً بدله و يعيد الجثة او صورتها

فالعامة خاضعون كل الخضوع لسيدهم ولا يحق لهم ان يجتمعوا لفض مصالحهم واذا فعلوا يغرمهم بغرامات باهظة فهو قاضيهم الوحيد . قال احد مشرعي القرن الثالث عشر :انك ياهذا اذا أخذت شيئاً من عبدك زيادة على المخصص لك في القانون تأخذه وانت على خطر كما يأخذه اللص وليس بينك و بين عاميك من قاض الا الله[1] . ومع هذا الحال العامة كان اقل شدة مما كان عليه حال الفلاحين العبيد في القديم ولكنهم ليسوا بعد احراراً حقيقة فالفرسان يحتقرونهم لانهم يشتغلون في الارض ولانهم عزل من السلاح واصبحت كلمة عامي في لسانهم مرادفة لكلمة نذل .

---

(١) ندر جداً ان قام الفلاحون بثورة في القرون الوسطى ولانعلم من ثوراتهم سوى ثورة ٩٩٧ في نورمنديا وثورة الفظائع المعروفة بالحاكية في القرن الرابع عشر مما يدل على ان الفلاحين كانوا راضين عن حالتهم بل انهم لم يكونوا يرجون الخروج من حالتهم

الاخلاق

الحروب — جرت عادة الفرسان ان يتقاتلوا عادة لم اصبحت قاعدة فيحق لكل رجل يحمل السلاح ان يخوض غمار الحرب لاهانة تلحق به اولاعتداء على محله، فيبعث الفارس الى خصمه قفازه او بعض شعرات من خروفه دليل اعلان الحرب . ويدخل اتباع الخصمين وذووقرباهما في الحرب شاؤا ام أبوا و ينثالون على محلات العدو يستاقون ماشيته، و يحاصرون قصره و يحاولون القبض عليه ليفتدي نفسه منهم . وتصبح الحرب من ثم لعباً وتجارة فاللعب ليس فيه خطر كبير على المسلحين من الرجال بالدروع . واليك كيف وصف اوردر يك فيتال حرب بريمول (١١١٩) بين ملك فرنسا وملك انكلترا: بقي ١٤٠ فارساً أسرى عند الغالب ولكنني علمت انه لم يقتقل من التسعمائة شخص الذين حاربوا سوى ثلاثة اشخاص فقط وذلك لانهم كانوا مكتسين كلهم بالحديد من مفرقهم الى قدمهم وكان خوف الله والاخوة في حمل السلاح تدعوهم الى الاقتصاد في الطعان والتوقف في ضرب الاقران فيؤثر القرن ان يأسر صاحبه على ان يقتله . وكثيراً ما يرى الفرسان من الاوفق ان يطلبوا من الفلاحين والتجار الفدى فتنقلب الحرب الى لصوصية . وكان في عامة البلاد سادة على مثال توماديمارل الذي كان يستوقف التجار على الطرق و يسلبهم اثقالهم و يسجنهم في سجن قصره و يعذبهم ليكرههم على ان يفتدوا منه انفسهم . وقد ظل حق الحرب مرعياً في كثير من الولايات الى القرن الخامس عشر فلم يرد الفرسان ان يتخلوا عنه فكانت الحرب شغلهم الشاغل طول حياتهم . واليك كيف قص فولك كونت دانجو سير خاله جوفروي : «ان خالي صار فارساً في حياة ابيه وكانت حربه الاولى هي التي شهرها على جيرانه، فقام بقتالين احدهما على كونت بواتو والآخر على كونت مين واسرهما كليهما وحارب اباه ايضاً (١) ولما قضى ابوه صارت اليه كونتية آنجو فحارب كونت بلوا وأسره في الف من فرسانه، واضطره الى ان يتخلى له عن تور ين ثم حارب غليوم حاكم نورمنديا وحارب كونت بورج و كونت بواتو وفيكونت توار وكونت نانت و كونتية البريتونيين في رين وهوغ كونت مين الذي خان عهده . ومن اجل هذه الحروب وما بذله فيها من الشجاعة لقب بمارتل وحسنت خاتمته لانه رجع عن الفروسية وعن زخارف هذه الدنيا قبل وفاته بليلة وترهب في

(١) اضطر جوفروي هذه المرة الى الخضوع فاكرهه ابوه بحسب عادة جرمانية قديمة ان يجيء يتمثل امامه على يديه ورجليه وجل فرس على ظهره

دير القديس نقولا الذي بناه هو وابوه تزهداً ووقفوا عليه الوقوف من الاملاك

الابراج والقصور — كان السادة في عهد تلك الحروب في حاجة الى تحصين بيوتهم وكان التحصين في القرن العاشر مشعثاً جداً وهو عبارة عن حفرة عميقة يحميها من الخارج منحدر عليه عرائش واشجار وفي وسط ذاك السور ينشؤون أكمة وبيت السيد بني في ذروتها وما هو الا برج قوي من الخشب وبابه عال جداً عن سطح الارض ولا سبيل الى الوصول اليه الا بالمرور عَلَى لوح من الخشب متحرك منحدر من الباب الى آخر الخندق . ولمنع العدو من احراق البرج يغطونه بجلود حيوانات سلخت حديثاً . وهذه القلعة الغليظة هي البرج او بيت السيد اماسائر الاماكن فتعمر في السور في سفح الاكمة (فمنها مساكن للخدم واصطبلات واهراء) وكلها من توابع البرج .

واخذ القوم في القرن الحادي عشر (في بلاد الجنوب اولاً) يستعيضون عن العرائش وبرج الخشب بحائط وبرج من الحجر على نحو ما كان للرومان حوالى مدنهم الحصينة وسموا هذه القلاع باسم لاتيني كاستل او قصر (موقع صغير حصين) فقصر القرنين الثاني عشر والثالث عشر عبارة عن سور من الحجر على جوانبه ابراج وهو محاط من كل جانب بخنادق عميقة او هوى ووهاد وقد بنيت عند الاستطاعة في مكان حصين عَلَى منحدر عقبة كؤود او شقيف في ارض سهلة عَلَى اكمة صناعية فيها انواع الدفاع فاذا جاء العدو يرى اولا في مقدمة الخندق مايصده عن المرمى ثم الخندق الذي يجتازه سكان القصر يصل بينهما معبر نقال معلق بسلاسل وعليه حواجز ثم يصل الى اسفل حوائط السور التي اغلظوا سمكها و يقف المدافعون عَلَى الطريق المدوز الذي يمتد في الداخل عَلَى الحائط فيقذفون السهام والحجارة من الشرفات (زغاليل) وبماشي الخشب المعلقة فيحتوي عَلَى مساكن اهل القصر والمخازن والاصطبلات والحظائر والاهراء والكنيسة و بيت السيد وهذا البيت هو برج جسيم (من طراز بوجانسي من القرن الحادي عشر علوه اربعون متراً وعمقه ٢٤ وطراز كوسي من القرن الثالث عشر علوه ٦٤ متراً وعمقه ٣١) وهناك القاعة العظمى التي يستقبل فيها السيد ضيوفه (للسادات العظام فقط خارج قصورهم ردهة استقبال وهي القصر) وغرفة منامه وغرف أسرته وخزائنه وسجلاته وفي ذروة ذاك المكان السطح الذي يشرف منه الديدبان عَلَى الضواحي وفي الاسفل عَلَى طبقتين من الارض المحبس او المطبق وهو مظلم رطب لايخرج منه الا بسلم . فاذا داهم العدو السور يستطيع المحاصرون الذين يعتصمون في القصر ان يدافعوا

عنه رويداً رويداً وطبقة طبقة مادام الدرج الدوار ضيقاً . ويعيش السيد في قصره وباسمه يعرف بعدفيسي بوشاردي-مونمورانسي او أنجراند دي كومي . وللفارس كذلك بيت حصين ويطلق اسم بيته على اسم أسرته

الفروسية — اسلحة الفرسان ثقيلة الجرم فالواجب ان يتعلم الفارس استعمالها وحملها امتياز يجب ان يرخص للمرء بحملها فالمرء لا يولد فارساً حتى ولو كان ملكاً فمن القواعد المطلقة ان لا يكون المرء فارساً الا بعد التخرج في ذلك والاحتفال به . فعلى الشاب اللبق ان يتمرن على ركوب الخيل وان يحسن الضرب بالرمح والحسام وان يصد السلم . وما دام يتمرن على ذلك في بيت ابيه يبعث به ابوه الى سيد من اصحابه فيصبح الشاب بعد بضع سنين خادماً يحمل اسلحة معلمه فيقود كراءه ويعنى بتربيتها ويلبسه شكته ويخدمه على مائدته ويحمله في فراشه . فقد كان القدماء يرون من أعظم العار ان يخدم الانسان انساناً فلما اتى البربر اصبحت الخدمة من أمارات الشرف فالسائس يخدم الفارس وهذا يخدم سيده القوامسة (والكونتية) والدوقات ايضاً يخدمون الملك على المائدة في الحفلات .

فاذا بلغ السائس أشده يقبله احد الفرسان في جملة رجاله باحتفال وكان هذا ساذجاً اولاً والفارس يدفع الى المبتدىء سلاح فارس وهو عبارة عن ترس ودرع ورمح . ثم يصفعه على نقرته بجمع يده فالفارس الجديد يقفز على السرج ويرمح قليلاً واحياناً يتسابق مع بجدار (شخص من خشب) منصوب امام القصر وبهذا يكون الفارس فارساً وبعد حين حوالي القرن الثالث عشر أضيفت الى هذه الحفلة حفلات دينية في الكنيسة فيقام قداس وصلوات ووعظ يوجه الى الفارس اما العادات الفخمة في قبول الفارس على ما يصفونها في الاقاصيص الحديثة فلم توضع الا في القرن الخامس عشر . ولكل سائس الحق ان يصبح فارساً ولكن الواجب ان يكون غنياً ليتجهز بالسلاح والعدة وبعول سائساً وخدماً ولذلك يبقى معظم الشرفاء سواساً طول حياتهم

اخلاق الفرسان — لا يمتاز شرفاء القرون الوسطى عن الفلاحين بتعلمهم ولا بتهذيبهم فمعظمهم لم يكونوا يعرفون القراءة وما شأنهم الا الشرب والطعام والصيد والحرب وكانوا في العادة متوحشين قساة واحياناً جفاة غلاظاً فقد قتل ريشاردس قلب الاسد مثال الفروسية ٢٥٠٠ اسير من العرب وقد فقأ عيون خمسة عشر فارساً أسروا في حرب اثارها على فيليب اوغسطس واعادهم الى ملك فرنسا تاركاً لهم دليلاً منهم ابقى

له عيناً واحدة يبصر بها فأجابه فيليب اوغسطس على عمله بان فقأ عيون خمسة عشر فارساً من فرسان ريشاردس واعادهم اليهم تحت قيادة امرأة حتى لا يظن احد كما قال مادحه بانه دون ريشاردس قوة وشجاعة ولا ان يذهب الى انه يخافه . وفي سنة ١١١٩ فقأ اوستاش دي بروتل احد كبار السادة النورمانديين وصهر ملك انكلترا عيني احد الاشراف الذين كانوا عنده رهينة فاحتال والد المقلوعة عينه ان اخذ بنات اوستاش بواسطة جدهم وفقأ عيونهن وجدع انوفهن . وهذا الاغراق في الشدة والقسوة البربرية لم يزل مألوفاً الى القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر . وقد اصبح الفرسان بحياة التشرد على هذا النحو قساة القلوب غلاظ الطباع ولكن منحتهم بعض الفضائل التي تتطلبها الحروب وجعلتهم شجعاناً مفاخرين . والفارس التام الادوات الذي يتغنى الشعراء بمديحه ويحاول كل انسان تقليده هو الشجاع او صاحب الامانة والتدبير . وكانوا اذا سلحوا فارساً يقولون له : كن شجاعاً . والشجاع في عرفهم هو المقدام المفاخر الصادق الذي لايتلكأ بتة ولا يرجع عن قوله ولا يحتمل ابداً اهانة . فالشجاعة والصدق كانت ودامت الصفات الرئيسة في الشرف . والشجاعة معتبرة لا من حيث الخدم التي تؤديها بل لانهم كانوا يرونها جميلة في ذاتها والفارس قد يقتل نفسه حتى على غير جدوى لئلا يخالج احداً شك بانه اوجس خيفة . والموت خير من ان يدعى الرجل نذلاً كما جاء في قصيدة قديمة . وعلى الفارس ان يكون صادقاً براً بوعده وقوله ويفتضح خاصة اذا خان يمين الاخلاص الذي يقسمه لسيده ويكون كاذباً في ايمانه خائناً في فروسيته ومن العادة في برشلونة ان من لطم سيده بيده اوطعنه بلسانه او استباح قصره واستصفاه هو من اعظم من ارتكبوا اعظم الخيانات . يفهم ذلك من روح عدة قصائد نظمت في القرون الوسطى . فقد اضطر رنودي مونتوبان ان يعلن الحرب على سيده شارلمان فحاذر ان يؤذيه اقل ايذاء ولما أسره وقع على رجليه طالباً الصفح عنه . ولقد نال بوزيه تابع راول دي كامبري ماجلب عليه العار من سيده فسأله سائر الفرسان كيف يستطيع ان يظل على خدمته فاجاب: ان راولاً هو سيدي هو اكثر خيانة من جودا ولكنه سيدي فقالوا لم اجمعون انك محق بايرتيه

الشرف — يفاخر الفارس انه شريف وجندي ويعرف لنفسه فضلها فلا يشك فيه احد بل ولا يلحظ ذلك . وليس على احد ان يضربه او يهينه او يعاكسه لان ذلك مما يؤدي الى انه متهم بامانته وهو ايضاً لايتحمل ضربة ولا اهانة ولا تكذيباً و بثلم

شرفه في انظار الفرسان وفي نظر نفسه اذا لم ينتقم لذاته ممن رماه بالعار والشنار . وهذا الشعور هو الشرف وهو نتيجة كبرياء او اعجاب شديد فهو ينزل نفسه منزلة رفيعة ويشعر بالحاجة بانه يريد ان يشركه غيره بهذا الفكر . ولم يكن لليونان ولا للرومان لفظ للتعبير عن هذه الصفة بل انها نشأت في القرون الوسطى وستظل الى ايامنا دليل الشريف الحقيقي . فنقطة الشرف والرغبة في بقاء الشرف سالماً يصبح قاعدة سلوك الاشراف ومنفذاً لمكانتهم

حكومة الاقطاعات

استقلال ارباب الاملاك — ضعفت سلطة الملك منذ القرن التاسع فضعفت طاعة رعيته فاعتاد السادات من العامة والخاصة ان يكونوا مستقلين في بيوتهم فكل صاحب ملك (فارساً كان او رئيس دير) هو كالمليك الصغير في املاكه فحراثوه وخدمته هم رعاياه وله الحق ان يقودهم ويغرمهم ويحبسهم ويشنقهم وله مشنقة خاصة وله مناد يبلغ اوامره الى السكان ويحارب جيرانه وكثيراً مايصك نقوداً . قال احد فقهاء القرن الثالث عشر ان كل بارون هو مليك في ارضه . وكل محلة هي مملكة صغيرة بحيث ان رجال ذاك الحي يدعون اهل القرية المجاورة غرباء عنهم وكان في البلاد عدة الوف من هؤلاء الاقيال وكثيرون هم فرسان فقط لايملكون الا قرية واحدة اما غيرهم من الاغنياء فيلقبون بالفاظ سير وبارون ثم ان في كل ولاية رجلاً يلقب بلقب كونت او الدوق ويكون اعظم ارباب الاملاك في الولاية ولم يكن اجداده على عهد شارلمان سوى حكام في خدمة الملك بيد ان الملك في القرن العاشر لم يكن له قوة ليستعيد منهم السلطة لانهم اصبحوا كونتية ودوقات اباً عن جد واصبحت دوقياتهم وكونتياتهم اقطاعاً اي ملكاً وهي كسائر الاملاك يمكن بيعها ووقفها وتقسيمها ايضاً (كما وقع لدوقية غاسكونيا) او ان تنضم الى غيرها (كما وقع لكونتيتي تولوز وشامبانيا) واذا لم يعقب صاحبها ولداً ذكراً تنقل املاكه الى ابنته ويكون لها منها بائنة (دوطة) تعطيها زوجها (ويقال عندها ان الملك صار لامرأة) واذ ذاك يكون لكل ملك في مملكته سلطة ملك وكل ملك يحول مملكته كملك . وقد بات بهم الحال ان يمزجوا بين التملك والملك ولذلك كانت جميع سياسة الملوك في القرون الوسطى سياسة بيوت وأسرات وكل ملك كالفلاح لعهدنا يحاول ان يوسع ملكه وان يعول عياله

الملك — كان الملك اعلى سادات فرنسا كعباً وارقاهم منزلة وله لقب سام ويخضع له

الجميع ولكنه لم يكن اقدرهم بل كان لدوق نورمنديا وكونت تولوز املاك اوسع من املاكه ولم يكن بين الاخلاص الذي يرتبط به اولئك السادة العظام مع الملك الا عبارة عن حفلة ادبية لا يمنعهم من ان يعلنوا الحرب عليه حتى انهم كانوا اذا لم يريدوا نقض العهد علناً قلما يتضايقون منه . وقد وضع روبرت كونت فلاندر سنة ١١٠١ وفي عهدة عقدها مع ملك انكلترا الشرط الآتي: اذا هاجم لويس ملك فرنسا الملك هنري في نورمنديا يذهب روبرت في عشرة من الفرسان فقط الى جيش لويس و يبقى الخمسمائة فارس الآخرون في خدمة الملك هنري واذا زحف الملك لويس على انكلترا وأخذ معه الكونت يحتم على الكونت ان يأخذ معه ايضاً اقل ما يمكن من الرجال . ولقد بلغ التعجب مبلغه في بلاط لويس السابع عندما جاء أسقف ماند الى باريز يعترف بسلطة ملك فرنسا وقيل ان هذا البلد لم يخضع قط الا لاسقفه ولم يكن الملك كسائر السادة مطاعاً الا في محله واقتضى له اذا اراد ان يطاع في مملكة فرنسا ان يوسع املاكه على مر القرون و يدخل ولاياتها في ملكه الواحدة بعد الاخرى .

العادة — لم يكن لاهل القرون الوسطى قوانين محررة بل كانوا يعملون في كل مسألة بما سلف لاجدادهم منها و يسمون ذلك اتباع العادة ولم تكن العادة مكتوبة بل كانت تحفظ تقليداً حتى في القرن الثالث عشر ايضاً اذا حدث حادث مشتبه به يجمع اقدم السكان و يسألون عما رأوه يعمل في مثل هذا الشأن وهكذا كان لكل قرية عادتها حدثت مع الزمن ولم تكن تشبه عادة القرية المجاورة قال بومناورا لا يوجد في هذه المملكة سيدان حاكمان يعملان بعادة واحدة ومع هذا فان الصقع الواحد الذي تتشابه عاداته بعض الشيء يتألف منها عادة واحدة . والفرق الكبير كان بين بلاد الشمال حيث العادة كانت منبعثة من العادات الجرمانية و بين بلاد الجنوب التي احتفظت بعادات الحقوق الرومانية . و بعد فقد كان اهل القرون الوسطى يحبون العادة و يحترمونها لانها كانت القاعدة الوحيدة التي يهرعون اليها والسد الوحيد في وجه الظلم وعندهم ان العادة يجب بقاؤها ومن لا يحفظها يوشك ان يفتح سبيل الخصام الكثير بين الناس .

السلم والعدل — كان ارباب الاملاك في القرون الوسطى يوطدون دعائم السلام بين عبيد محلتهم و يحكمون بينهم (احكاماً تختلف جوراً وعدلاً) ولكن لم يوطد احد دعائم السلام بين ارباب الاملاك وكل منهم يحكم لنفسه بنفسه وذلك باشهار

الحرب على جاره و يقتضي لتقرير السلام ان يعدل الفرسان عن عادتهم في التقاضي الى السلاح وان يقبلوا بعض قضاياهم في محكمة وان يستعاض عن الحروب بقضايا ولذا كان لفظ سلم وعدل من الالفاظ المترادفة في القرون الوسطى واشد كان لملك في بعض البلاد (مثل نورمنديا وانكلترا ونابل واسبانيا) من الاقتدار ما يستطيع معه ان يكره الفرسان ان يحفظوا السلم للملك او للدوق وحاول الاساقفة في البلاد الاخرى ان يقنعوا الفرسان بتوطيد سلام الله ولكنهم لم يفلحوا ان يؤسسوا محكمة منظمة ·

فاذا اختصم اثنان من ارباب الاملاك قد يقرر جيرانها بان يفضوا الخلاف بينهما بواسطة محكمين او ان يكون سيدهما من السلطة بحيث يكرههما على المثول امامه وفي تلك الحال ينظر في الخلاف ضباط قصره و بعض الفرسان المجاورين وهذا ما يسمى محكمة السيد ولكن هذا الفصل متقطع وغير نافذ احياناً لان من يخسر في الحكم لا يسعه الا ان يعمد الى القتال · فقد كان هوغ في القرن الحادي عشر احد التابعين لأسقفية كامبري يستوقف تجار المدن و يقطع لحاهم و يطلب الفداء منهم و يخرب قرى الاسقف · فطلبه سيده هذا ثلاث مرات متتابعة ثم مثل بين يديه ولكنه ابى ان يعطي اقل تعويض فحكم فرسان محكمة الأسقف عليه بانه يؤخذ منه اقطاعه فلم يهتم هوغ بالامر وعاد الى منزله و بعد مدة اوقف الأسقف بالذات ·

المبارزة — كانت قضية من القضايا التي ينظر فيها الفرسان في محاكمهم اشبه بحرب فمتى اجتمع الخصمان يتضارب احدهما وصاحبه ومن فاز ربح القضية وكان يذهب القوم اذ ذاك الى ان الله كتب له الغلبة لانه محق في امره وهذا ما يسمونه بالقتال او المبارزة · فالقضاة الذين تتألف منهم المملكة يعمدون الى ان يحلفوا الخصمين بانهما يزعمان بان مع كل منهما الحق وان يختطوا الارض التي تقع فيها المبارزة وان يراقبوهما · فالمحكمة تأمر بالمبارزة لا عند حدوث جناية او اهانة بل للبت في امر محلة لمن تكون وفي اي قاعدة في العدل يجب اتباعها · وقد تبارز خصمان في القرن الثالث عشر بامر الفونس ملك قشتالة للحكم فيما اذا كان يدخل القانون الروماني الى مملكته · وكان الفرسان يعتبرون المبارزة اسهل ذريعة واشرفها للبت في قضية فلم يكن اذ ذاك مناقشة تجرى ولا حجة يدلى بها فلا جواب يجاب به الخصم الا القتال ·

ولم تؤلف المبارزة فقط في محاكم الفرسان بل في محاكم المدن بين اهل الطبقة الوسطى واحياناً بين الفلاحين في البرية فيتسلح المتقاتلون بالترس والعصا واذا كان احد الخصمين ليس

من القوة بحيث يستطيع البراز يعهد الى آخر ينوب عنه فكان القتال يجري في باريز حتى في محكمة الأسقف ولقد وقع شك في هذه العادة فسئل البابا اوجين الثالث رأيه فاجاب عليكم باستعمال عادتكم .

ولقد تأصلت عادة البراز تأصلاً تعذر معه استئصالها ولما ألغي البراز في المحاكم ظل ينظر اليه بانه الواسطة الوحيدة في قضايا استرداد الشرف المثلوم فهو كالمروءة بقية مما ابقته القرون الوسطى من عاداتها ولم يبق الا بفضل الاباء والمروءة

حكم الله — لا يستطيع النساء ان يتبارزن وكثيراً ما يمتنع منه الفلاحون وفي تلك الحال يعمد القوم الى استخدام ضرب آخر من ضروب احكام الله . فبعد قداس او صلوات تقام علنية للتوسل الى الله ان يظهر الحق كان يقضى على الرجل او المرأة بان يحمل حديدة محماة بضع خطوات او ان يغمس يده في اجانة ماء مغلي فاذا بخت يده بعد بضعة ايام من الجرح فحكم الله يكون له . واحياناً كانوا يأتون به في مستنقع الماء فاذا غرق فقد ربح واذا عام فقد خسر ويتسام على ان يلقوه في الماء يستحلف الكاهن الماء بهذا الكلام : ياماء أناشدك الله القادر الذي خلقك وامرك بان تقوم بحاجات الانسان بان لا تقبل هذا الرجل اذا كان مجرماً بل اجعليه يطوف على وجهك . واحياناً يكتفون بان يبلع المشتكى عليه قطعة من الخبز والجبن بعد ان يكونوا استحلفوهما بان تبقيا في حلق المشتكى عليه اذا كان كاذباً . وهذه المحن يسمونها الحكم . وقد كتبت الكنيسة كتاباً في الطقوس لكل واحد منها ولما اجتمع المجمع العام في لاتران سنة ١٢١٥ امر بالغاء هذه الكتب

الكنيسة في القرون الوسطى

تنظيم الكنيسة

الأسقفيات — احتفظت عامة المدن في المملكة الرومانية القديمة بأسقفياتها وابرشياتها . وكلما كانت البلاد في المانيا تدين بالنصرانية كان الملوك ينشئون كراسي اساقفة . فكما ان الكنيسة كانت تحظر ان تقيم أسقفاً في غير المدينة كان القوم يؤسسون في آن واحد مدينة وأبرشية . وكانت الابرشيات باجمعها قديمها وحديثها غنية جداً فلها املاك واسعة وقد تملك احياناً ولاية برأسها وقد منح الملوك للاساقفة براءات يحكمون بموجبها بلادهم بانفسهم . وجاء في صك الاعفاء انه ليس لموظف عام ان يدخل الى ارض هذه الكنيسة لا لجباية خراج ولا للحكم ولا للقبض على العبيد والاحرار الذين يسكنون

فيها . وبذلك اصبح الاسقف «ملكاً حقيقياً فكان اساقفة كولونيا ومايانس وتريف ثلاثتهم اكبر الامراء في المانيا.

مجامع الرهبان — خضع قسيسو الكاتدرائية (يسمون الكاتدرائية كل كنيسة في حاضرة أبرشية) اولاً للاسقف وأخذوا منذ القرن التاسع يعيشون عيشة مشتركة بحسب القاعدة التي جرى عليها الرهبان ومن هنا اشتق الاسم الذي اطلق عليهم وهو كاهن قانون Chanoine اي الخاضع للقاعدة ومجامعهم هي مجامع الكهنة او الرهبان. وكان الكهنة القانونيون يعيشون بادىء بدء مما خصص لهم من الطعام واللباس ولما وهب القوم للمجامع عطايا اصبحت تلك المخصصات ملكاً وكثيراً ما يكون متسعاً. فكان كل راهب قانوني يتمتع بدخل مخصص يتيسر له به ان يعيش عيشة سيد. ومعنى عاش فلان عيشة الكاهن القانوني انه عاش في سعة وبلهنية واذ استقلت المجامع عن الاساقفة اصبح القانون عليها ايضاً اقيالاً وملوكاً

الاديار — ما من ابرشية في القرون الوسطى الا وكان فيها عدة اديار للرهبان وكلهم محافظون على السنة التي سنها القديس بنوا ولكن كانت كل اخوية تؤلف ديراً مستقلاً يرأسه رئيسه . والدير عبارة عن مساكن للرهبان وبيت للرئيس وكنيسة ودار الضيافة (ينزلون فيها الغرباء) ومعامل ومخازن وبيوت الخدم والمزارعين فكان الدير على الاقل كناية عن قرية كبرى واحياناً مدينة صغرى (مثل لاربول وسان مكسان وفيز يلاي) وللدير املاك واسعة منتشرة احياناً في عدة ولايات فيبعث رئيسه الى الاملاك القاصية بضعة رهبان للسكنى تحت ادارة رئيس عليهم وهذه الاديار الصغيرة التابعة للكبيرة تسمى الطاعة. وتجري احكام رئيس الدير بمعونة الرهبان المجتمعين في مجمعهم ويكون تحت يده في الاديار الكبيرة رهبان لكل منهم وظيفة مثل مدير الدير ونائبه وقيم الثياب وقيم الطعام وقيم الخزانة وقيم الكتب ورئيس المنشدين ومدير المدرسة فيعيش الرهبان بعضهم مع الآخر وعليهم ان يلتزموا السكوت الا في بعض الساعات ويجتمعون قبل طلوع الفجر ليترنموا بصلاة السحر عند الاشراق ثم يقومون بالفرض الاول ثم يجيء وقت القداس والصلوات كاحد اجزاء الفرض الكهنوتي وصلاة النوم . واذ كانت سنة القديس بنوا تقضي بان يعمل كل راهب كانوا يعنون بحرث الارض او ملاحظة خدمتهم او صنع امتعة لزينة الكنيسة او نسخ مخطوطات . وقد وصف كثير من الرهبان عيشتهم في اديارهم ولكن الصورة تختلف باختلاف غنى

الدير وفقره وجدته وقدمه وحسن ادارته وسوئها

الخورنيات — لم تكن كنائس ولا قسيسون في غير المدن ايام الرومان ولما غدت البلاد مسيحية كلها أخذ كبار ارباب الاملاك والسادة ورؤساء الاديار والاساقفة ينشئون بيعاً ومعابد في محلاتهم فيعطي المؤسس لكنيسة قطعة ارض كافية تقوم بنفقات الكنيسة واطعام راهب و يصدق الأسقف عَلَى هذا التأسيس وعندئذ يخدم كاهن تلك الكنيسة (يكون لمؤسسها واعقابه الحق في تعيينه) ارواح اهل القرية و يجب عَلَى السكان ان يأتوا الى كنيسته و يطيعوه والارض التي بد يرشؤونها راهب تتألف منها خورنية او ادارة ولما تم هذا العمل (وكان ذلك نحو القرن العاشر في فرنسا) انقسمت جميع البلاد المسيحية الى خورنيات كما هي الى اليوم واصبح لكل قرية كنيسة او تبعت كنيسة القرية المجاورة لها . ودخل الدين الى المزارع الشاسعة واستطاع الفلاحون ان يتعبدوا بدون ان يأتوا المدن وغدوا يقيمون صلواتهم في كنائس قراهم حيث يجتمعون وصارت ابراج اجراسهم وقبابها ترى من بعيد وتدعو الاجراس المؤمنين الى الصلاة ولهم اجران معمودية لتعميد اولادهم وقبور ليدفنوا فيها موتاهم و بين اظهرهم كاهنهم يعلمهم الدين ولهم قديسهم اوحامي كنيستهم وعيده عيد للقرية وكثيراً ما كانت تسمى القرية باسمه .

الحرم — كان رجال الدين في القرون الوسطى اغنى من العامة واكثر تهذيباً وتعليماً منهم ولهم مع هذه قوة لا تغالب وهو انهم كانوا يناولون القربان الذي لا يستغني احد عن تناوله ولم يكن عَلَى ذاك العهد ملاحدة واذا حدث احياناً لاحد العامة ان نشز على الكنيسة او انه أساء الى راهب في حالة غضب فانهم كلهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً في اليوم الآخر و يتوبون و ينيبون لينالوا الغفران وكان رجال الدين يستعملون الاسلحة الروحية كما كانوا يدعونها في تأديب الجناة والعصاة فكان المجرم محروماً أي مطروداً من تناول القربان مع جمهور المؤمنين فكان الاسقف يقول اننا بموجب السلطة الالهية التي منحها القديس بطرس الى الاساقفة ننبذ فلاناً من حجر امه الكنيسة المقدسة فليلعن في المدينة وفي الحقول وفي بيته وعَلَى كل مسيحي ان لا يكلمه ولا يواكله وعَلَى اي راهب ان لا يقيم له القداس ولا يناول القربان وان يدفن كما يدفن الحمار كما ان هذه المشاعل التي القيناها من أيدينا ستنطفىء وان ضوء حياته سيخمد ان لم يتب و يقدم ترضية .

وقد بدئ في القرن الحادي عشر باستعمال المنع الكنائسي ضد السادة الذين كانوا يزدرون بالحرم فكان رجل الدين يحرم من تناول القربان السيد ومحلته. فلا يعقد عقد زواج في كل أرضه ولا يدفن ميت ولا يقرع جرس و ينال السكان ماينال سيدهم ولذلك يقضي عليهم ان يصوموا و يرسلوا شعورهم علامة الحداد. وعلى هذه الصورة كان رجال الدين يكرهون السادة ان يحترموا القوانين الدينية و يحظرون عليهم الاستيلاء على أرزاق الكنيسة.

اصلاح الكنيسة

اختلاط السلطات — كانت الميزة ضعيفة جداً في القرن الحادي عشر بين السلطة الروحية على الارواح والسلطة الزمنية على الاجساد فلم يكن الاساقفة ورؤساء الاديار رؤساء دينيين فقط بل كانت لهم حصة كبرى من السلطة السياسية فكانوا لما يملكون من الاملاك يعدون في السادة العظماء اي حكاماً على فلاحيهم واتباعهم من الفرسان ثم ان الملوك والامراء وكلهم من رجال السيف كانوا في حاجة الى رجال الكنيسة في شؤون الحكومة المرتبكة فالاساقفة هم الذين كانوا يتولون عنهم ذلك فيجلسون في قصورهم يكتبون أوامرهم ويملون احكامهم ويحكمون. ولم يقف الامر عند هذا الحد بل قد منح الاساقفة منذ عهد شارلمان نصيباً في أدارة الولايات وكان لكثير من الاساقفة في المانيا سلطة كسلطة الكونت. وهم مع حصولهم على سلطة سيد من العامة يخضعون لما يقضي به السيد. هم تابعون للملك كالكونتية فيحتم عليهم ان يقدموا للملك كالكونتية منائح ويخدموا في الجيش وكان جيش الملك في المانيا مؤلفاً من فرسان أتى بهم اساقفة ورؤساء اديار ولكن الملك كان يضطرهم احياناً ان يجيبوا الدعوة الى حمل السلاح بانفسهم. فقد كتب فيليب الاول الى رئيس دير سان ميدار اي سواسون ان القاعدة القديمة تقضي على فرسان الدير ان يحضروا بقيادة رئيس الدير للاشتراك بالحملات الملوكية وان على رئيس الدير ان يخضع لهذه العادة او يستقيل. فاستقال رئيس الدير وجاء خلفه الى الجيش.

الفكر السائد اذ ذاك — كان الاساقفة ورؤساء الاديار في القرن العاشر من ابناء السادات في العادة والكهنة والقسيسون من أبناء الفلاحين دخلوا في الرهبنة بدون ميل منهم بل لمجرد طاعة اهلهم او الاستمتاع بنعم الكنيسة. فكانوا يأتون الى كنائسهم باخلاق العامة فيقضون أوقاتهم في الصيد والشرب واللعب والتقاتل

ورؤساء الاديار يبددون أموال الدير ليعولوا عصابة من المتشردين وكثير منهم يتزوجون ويقفون كنيستهم على اولادهم . وقد شوهد في نورمانديا كهنة يتنازلون عن دورهم بائنة لبناتهم وكثير منهم كانوا أميين يحرفون كلام القداس بجهلهم وابتاع معظمهم مناصبهم من اناس من العامة وكانوا يبيعونها الى غيرهم من رجال الكنيسة . وتسمى هذه التجارة ببيع المقدسات الروحية (سيمونية) واصبح الاكليريكيون الخاصة جفاة غلاظاً جهلاء طامعين كالعامة وكان يقال ان الكنيسة قد سرى اليها الفكر السائد في ذاك القرن .

رهبنات جديدة — اوجس رجال الكنيسة المخلصون لا آدابها خيفة من هذه الفضائح فحملوا ارباب الغيرة منهم على تأسيس رهبانيات جديدة فجاء بعضهم من هذا العالم الفاسد وهربوا الى البادية مثل القديس برونو الذي جاء من شمالي فرنسا وتوغل في جبال دوفينه المتوحشة في بضعة من رفاقه وأسس رهبنة القلايين (شارتره او الكرتوسيين) وأسس احد عظماء الطليان القديس رومولاد في جبال طوسكانيا رهبنة الكامالدوليين . واراد آخرون استئصال هذه الفضائح مباشرة بادخال رجال الدين تحت قاعدة فبدأوا يشددون في نظام احد الاديار ليكون نموذجاً في اصلاح غيره . واهم مراكز الاصلاح كان دير كلوني اقدم الاديار وقد جرى اصلاحه في القرن الحادي عشر ودير سيتو الذي أسس سنة ١٠٩٤ وكلاهما في اقليم بورغونيا ودير كليرفو المؤسس سنة ١١١٥ او بريمونتره المؤسس سنة ١١٢٠ .

ولم يقصدوا بذلك ان يستعيضوا عن القاعدة القديمة التي وضعها القديس بنوا بل على العكس ان يضعوها موضع العمل بانفاذ نظام العمل على الرهبان والطاعة والفاقة مما بطل في الاديار بما تسرب اليها من افكار ذاك القرن . فمنع مؤسس دير كليرفو القديس برنارد رهبانه من لبس الفراء والدثر والقبعات وقضى بحظر جميع انواع الزينة حتى في الكنائس ولم يسمح بغير صليب من الخشب المنقوش وشمعدان كبير مشعب من الحديد ومباخر من النحاس . وبقي الرهبان كلهم بعد الاصلاح من البندكتيين ونقرر لتوقيف الخلل الذي دخل على ايسر وجه الى دير مستقل ان ترجع للدير المصلح ادارة الاديار المؤسسة او المصلحة على يده . وهكذا اصبحت اديار كلوني وسيتو وبريمونتره زعيمة رهبنة ولم تعد اديار رهبنتها اديارا كبرى بل بيعاً ومعابد تخضع لرئيس واحد وتبعث بمفوضين من قبلها يمثلونها في المجتمعات العامة في الرهبنة . فنجحت الرهبنات

في اسرع ما يمكن فكان لكلوني في القرن الثاني عشر زهاء اربعمائة راهب وينظر في شؤون الفي دير وكان لسيتو تحت طاعتها نحو ١٨٠٠ دير منتشرة في جميع اوربا وعندذلك بدأت المنافسة بين رهبان كلوني السود ورهبان سيتو البيض . وكان هؤلاء الرهبان المصلحون هم الذين اضطروا بقية رجال الدين ان يصلحوا اخلاقهم وهم الذين عضدوا البابا احسن عضد وحملوا المسيحيين كافة عامتهم وخاصتهم ان يحنوا رؤوسهم لسلطته . فقد كان غريغوريوس السابع البابا العظيم المصلح الحاكم من رهبان كلوني والقديس برنارد اللاهوتي العظيم في القرن الثاني عشر من رهبان سيتو .

كان من العادة القديمة في الكنيسة اذا اقر احد المؤمنين بخطيئة ارتكبها ان يقضي عليه القسيس بالتوبة قبل ان يغفر له ويدعه يدخل الكنيسة بين الناس وتجري هذه التوبة علنية اذا كانت الخطيئة ارتكبت كذلك . وكتبت في القرن الثامن كتب توبة فيها العقوبة المقدرة لكل خطإ . مضت قرون وهذه التوبات مثال القسوة واذلال النفس ففي بعض التوبات التي تطول سبع سنين كان يتحتم عَلَى التائب في السنة الاولى ان يقف حافياً امام باب المدينة يركع امام الداخلين يتوسل اليهم ان يصلوا له . والتوبات عبارة عن الصيام وترديد صلوات وضرب البدن بالعصي ثم انتظمت هذه الطريقة فرأى رجال الكنيسة ان ثلاثة آلاف ضربة بالعصا تعادل سنة في التوبة . وقد اشتهر احد نساك الطليان في القرن الحادي عشر واسمه دومينيك ولقب بالدارع بانه يتمكن في خمسة عشر يوماً ان يقوم بمئة سنة من التوبة واقروا ايضاً عَلَى ابتياع التوبة بالاعمال الصالحة مثل الحج ومنح العطايا الى الكنائس وكانوا يقولون ان للقديسين من الفضائل اكثر مما يجب لخلاصهم وهذه الفضائل الزائدة قد تألف منها كنز الغفرانات التي بها تشترى خطيئات المخطئين . ولدى الكنيسة هذا الكنز في الغفران تنفق منه عَلَى المؤمنين وفي وسعها ان تفضل منه عَلَى ارواح الموتى التي يراد تطهيرها وتطلب لقاء ذلك بعض المال . فالخاطىء لا يشتري الغفران (كما قيل ذلك خطأً) بل يبتاع التوبة فقط وبعبارة اخرى ان الكنيسة تعطيها له . هذه هي نظرية الغفرانات . فقد قال داميانوس اننا بما نأخذه من اراضي التائبين نمنحهم كمية من التوبة بحسب ما يعطوننا . وعَلَى هذا كانت التوبة قسمين احدهما وهي السهلة (ماينال بالغفران من العطايا والحج) وهذا يكفي الارواح الفاترة واوقات السكون والآخر وهو بربري (ضرب العصي) تطمئن اليه الارواح المتحمسة

وقد كان الغيورون من المسيحيين مثل القديس لويس والقديسة اليزابنة يلبسون قيصاً من الشعر و يضربون بعصا يد من يعترفون له . وفي اوقات الفزع الديني خلال الاوبئة والحروب تتألف عصابات من المضرو بين بالعصي يجتازون البلاد وأكتافهم عريانة وهم يضربون انفسهم حتى تسيل دماؤهم

انفصال الكنيسة الرومية — مضى دهر طويل لم يؤلف المسيحيون الروم في بلاد الشرق سوى كنيسة واحدة مع مسيحيي الرومان في الغرب فكان لهم عدة بطارقة في الاستانة والاسكندرية والقدس وانطاكية و يعترفون ايضاً بتقدم أسقف رومية ولكن بعد ان فتح العرب مصر وسورية لم يبق في الامبراطورية سوى بطريرك واحد وهو بطريرك القسطنطينية الذي أخذ ينافس البابا . ولما قطع البابا العلائق مع الامبراطور في القرن الثامن بشأن عبادة الصور بدأ المسيحيون الروم ان لاينظروا الى مسيحيي الغرب اخوانهم وكان بين الفريقين من اهل العالم المسيحي بعض فروق خفيفة في امور التعبد والمعتقد فالروم يعتقدون ان روح القدس لم ينبثق الا من الآب والغربيون يعتقدون انه ينبثق من الآب والابن معاً وان الابن من مادة الآب نفسها. والروم يستعملون الخبز في المناولة والغربيون خبزاً بدون خمير والروم يسمحون بزواج القسوس والغربيون يحظرونه .

وظهرت تلك العداوة الخفية بين الكنيستين جهاراً في القرن التاسع فعزل الامبراطور اغناس بطريرك القسطنطينية واقام عوضاً عنه فوتيوس احد قدماء الساسة والقواد وهو اكثر الناس تعلماً في زمنه ولم يكن راهباً بل اجتاز درجات الكهنوت كلها في بضعة ايام فتحزب البابا نقولا للبطريرك المقال وحرم فوتيوس واشياعه فجمع فوتيوس في الاستانة مجمعاً حكم على معتقدات اللاتين الخاصة بانها الحاد وحرم نقولا (٨٦٧) فاغتنم البابا فرصة تبديل الامبراطور ليجمع في القسطنطينية مجمعاً مسكونيا (٨٦٩)قضى بعزل فوتيوس وفسخ اعماله. وفي سنة ٨٧٩ فسخ مجمع جديد اوامر مجمع سنة ٨٦٩ واعلن بان البابا ليس سلطاناً على الكنيسة الا في الغرب فاجاب على ذلك بحرم فوتيوس الذي انقطع الى احد الاديار و بدا بذلك ان التقاطع بين الكنيسة اصبح مبرماً ولكن البابوات في أواخر القرن التاسع اصبحوا في ايدي بارونات رومية فأمسوا من الضعف بحيث لايستطيعون المقاومة في هذا الباب ولما شعر البابا أواسط القرن الحادي عشر بتوطيد مركزه في رومية والغرب بعث بنائبين من قبله يضمان

باحتفال في كنيسة القسطنطينية براءة الحرم الذي صدر من البابا على البطريرك واشياعه (١٠٥٤) فابت كنيسة الشرق ان تخضع وظل المسيحيون منذ ذاك العهد منقسمين الى كنيستين الكنيسة اللاتينية او الكاثوليكية التي خضعت للبابا والكنيسة الرومية او الارثوذكسية التي اعترفت ببطريرك القسطنطينية وليس الروم فقط هم اتباع هذه الكنيسة بل الروس والبلغار والصرب والرومانيون

الالحاد — كان الملاحدة (المراطقة) نادرين متفرقين في القرون الاولى والوسطى فبدأوا في القرن الثاني عشر يتكاثرون ولا سيما في جنوبي فرنسا وشمالي ايطاليا وانقسموا الى شيع مختلفة كثيراً يصعب علينا تمييزها ولا نعرفها الا بما ينقله عنها اعداؤها فمنهم من اقتبسوا من ملاحدة بلغاريا مذهب المانوي الفارسي القديم في تنازع الخير والشر وآخرون وهم الكاثاريون (الاطهار) فقراء ليون الفودويون كانوا ملاحدة بغضاً بفساد رجال الكهنوت في عصرهم وزعيم شيعة الفودويين فالدوس تاجر غني من اغنياء ليون كان ترجم له الكتاب المقدس باللغة العامية فاحب عملاً بحكمة الانجيل ان يوزع جميع ما يملك على الفقراء وأخذ يدعو الى الدين على رغم منع الأسقف عليه ذلك وكان انصاره يرفضون كل ما لا يرونه مسطوراً عندهم في التوراة مثل الصور والماء المقدس والقديسين والذخائر والمطهر والصوم والغفرانات وكانوا يقولون ان الكنيسة الرومانية ليست كنيسة المسيح بل كنيسة الشيطان وما الاحبار الا فريسيون يجب ان لا يملكوا شيئاً من حطام الدنيا بل ان يعملوا كما عمل الحواريون وان لا يقودوا اذ ليس في الكنيسة الحقيقية الا اهل التساوي فالعامة ليسوا دون الخاصة ولهم الحق ان ينشروا كما كان يبشر الرسل والعامي التقي هو اشد عراقة في الرهبنة ويحسن ان يتناول القربان من رجال الكهنوت اهل الخطيئات الحاكمين المتحكمين بالكنيسة فسر القربان المقدس والغفرانات لا فائدة فيه لان الايمان والتوبة يكفيان في السلامة . وكانت قوة هؤلاء الملاحدة باختلاطهم مع الشعب مباشرة يكلمونه بلسانه ويعيش وعاظهم عيش الفقر والشدة المخالفة لاخلاق احد رجال الدين الاغنياء الفاسدين احياناً ولكن معظم المسيحيين كانوا يفزعون من اسم الحاد وطفقوا عن رضى يخدمون رجال الكهنوت ليقضوا على الملاحدة ودعا البابا فرسان فرنسا فاعلنوا عليهم حرباً صليبية كما اعلنوها على المسلمين فذبحوا جميع سكان بزيير على نحو ما فعل الصليبيون في الشرق من ذبح الرجال والنساء في اورشليم . وقد حرم البابا الامبراطور فردريك الثاني في المانيا وهو نصف عربي

بشدته فاحرق كل من اشتبه فيهم انهم ملحدون.

ديوان التفتيش الديني — بعث البابا الى مدن اقليم لانكدوك بموظفين عهد اليهم البحث عمن يشتبه بهم بالالحاد وذلك ليستأصل الملاحدة عن بكرة ابيهم ومنحهم كل سلطة في القاء القبض على كل شخص ومحاكمته والحكم عليه واطلق لهم الحرية ان يعملوا بما يرونه مناسباً مبيحاً لهم ان يغفر بعضهم لبعض اذا بدرت منهم بادرة وهؤلاء المفتشون (وفي العادة ان يكونوا قسوساً) يستقدمون الرجال الذين يرمون بالزندقة و يسألونهم بدون ان يقولوا لهم اسماء من اظهر امرهم فاذا ابى المشتبه به الكلام يسجنونه و يضيقون الخناق عليه ولقدقال احدهؤلاء المفتشين ولطالما رأيت اناساً حبسوا على تلك الصورة سنين كثيرة فانتهى بهم الحال ان اقروا ايضاً باجرام لم قديمة وعادوا ايضاً يحملوهم على الاقرار يستعملون معهم طريقة التعذيب التي تركت منذ عهد الرومان واخذت بالاستعمال عند ظهورهم وكانت محكمة التفتيش تحكم بطريقة عرفية بدون استئناف تحكم على بعضهم بغرامات فاحشة او بحج بعيد وعلى غيرهم ان يحملوا على ثيابهم صلباناً صفراء تخاط عليها فتشعر بانهم مشتبه بامرهم امام القوم ويقضى على الآخرين ان يطوفوا تائبين يحملون العصي ليجلدوا. وغيرهم يسجنون مؤبداً في مطبق صغير مظلم على خبز الكرب وماء العذاب وبعضهم يحرقون في وقود الحطب وديوان التفتيش لاينفذ الحكم عليهم بنفسه بل يكتفي بان يدفعهم الى القاضي المدني العامي وهو يعيدهم الى الجلاد.

الرهبان الشحاذون — اصبحت الرهبنات الدينية التي حملت في القرن الحادي عشر على الفساد المستحوذ غنية غنىً فاحشاً فكان رئيس دير كلوني يسيح في موكب مؤلف من ثمانين فارساً والرهبان البيض الذين أرسلوا لتنصير الملاحدة قد حملوهم على العصيان بما رأوه من بذخهم ولذا دعت الحال الى وضع نظام جديد وذلك بما قام به القديس فرنسوا الايطالي والقديس دومينيك الاسبانيولي.

فكان القديس فرنسوا (ولد سنة ١١٨٢) ابن تاجر غني في آسيز تخلى عن المال وراح الى المدن يستوكف الاكف و يدعو الناس. فظنه القوم مختل الشعور ولعنه ابوه ولكن لين جانبه ولطفه وحماسته لم تلبث ان عقدت القلوب على حبه فاعجبت به وجاءه من تلقوا دعوته زرافات فعزم ان يضم شتاتهم وانشأ رهبنة الاخوان القاصرين (الفرنسيسكان) وكان القديس فرنسوا يعيش عيش التنسك يسهر و يصلي و يصوم

ويلبس مسحاً ويمزج رماداً في طعامه لئلا يلذه طعمه ويجلد نفسه كل ليلة بسلاسل من الحديد (ثلاث مرات واحدة عن نفسه واخرى عن أرباب الخطايا الاحياء، وثالثة عن ارواح المطهر) ومات مضجعاً عَلَى الارض بلا وطاء وكان خلافاً للجبساء منخفض الجناح راغباً في خلاص غيره يريد ان يكون من جماعته الفرنسيسكان نساك ابداً فقراء ولكن نساك يعيشون بين اظهر الناس ليحرضوهم عَلَى التقوى قال لتلامذته : اذهبوا اثنين اثنين مبشرين الناس بالسلام والتوبة للعفو عن خطيئاتهم . لا تخافوا شيئاً لاتعاندو للناس كالاطفال اوالمعتوهين ولكن بشروا فقط بالانابة والتجدد وكونوا عَلَى ثقة بان روح الله الذي يدير العالم ينطق بلسانكم . وكانت قاعدته بسيطة للغاية وهو ان لايملك الاخوان شيئاً بل ان يمضوا في هذا العالم كالحجاج والغرباء يخدمون الله بالفقر له والضراعة اليه والصدقات قصارى مايبلغون به ولا يخجلون من حالهم لان السيد المسيح سن لنا سنة الفقر . ويلبس الفرنسيسكان لباس الحاجين وهو عبارة عن ثوب من الصوف الغليظ له قبعة ومن هنا اشتق اسمهم (الكبوشيون) ويلبسون في ارجلهم نعالاً ويتمنطقون بحبل (ومن هنا سموا ايضاً الحباليين) ولا يعيشون الا من الصدقات

وكان القديس دومينيك (ولد سنة ١١٧٠) من النساك ايضاً لايشرب الخمر ويلبس مسحاً مع سلسلة حديد ومات مضطجعاً على الرماد وكان واعظاً وعظ عشر سنين في البلاد الالبية لهداية الملاحدة وهناك رأى كيف يطمح الشعب لسماع كلام الله وهو يتألم لما يرى من بذخ رجال الكهنوت . ومن سنة السير عَلَى القدم بالبسة ساذجة للغاية وأراد ان يكون على هذا كله في الامة رسل مبشرون فأنشأ جمعية الاخوان الواعظين جعل شأنهم ان يتكلموا في كل مكان بما فيه سلامة الارواح ووضع الفقر قاعدة لهم .

وهكذا كان الفرنسيسكان شحاذين فاصبحوا واعظين والدومينيكيون واعظين فاصبحوا شحاذين وكانت الرهبنتان تتشابهان من وجوه كثيرة [1] وكانتا كلتاهما منظمتين ولهما

---

(١) اقترح القديس دومينيك ان يمزج الرهبنتين فابى القديس فرنسوا يريد ذلك ان تكون كل رهبنة مثالاً للاخرى ومهمازاً يسوقها الى العمل فكانت الرهبنتان اولاً خصيمتين ومتخالفتين ولم يجيء القرن الخامس عشر الا وأخذت كل منهما تكره الاخرى وانتهت الحال بتقاتلهما وتدابرهما

قائد يقودهما يطيع البابا مباشـرة ولكن الدومينيكيين كانت علاقتهم بالسادة والملوك اكثر والفرنسيسكان بجمهور الشعب وامتدت كلمة هاتين الجمعيتين امتداداً لا يكاد يصدق فلم تدخل سنة ١٢٧٧ الا وكان للدومينيكيين ٤١٧ ديراً وكان للفرنسيسكان سنة ١٢٦٠ — ١٨٠٨ اديار وفي كل دير اثنا عشر راهبا على الاقل واذ كان اعتمادهم على الله الذي كان هربهم وخوانتهم كانوا يقبلون في جملتهم من الاخوان كل من جاءهم فمن يقصدونهم يعطونهم ثوبا وحبلاً وما عدا ذلك فيكلون أمره للعناية الالهية. ولقد عاش قدماء الرهبان خارجين عن العالم اما الرهبان الشحاذون فأختلطوا بالمجتمع وأذن لهم البابا ان يبشروا ويعرفوا ويدفنوا فأخذ المؤمنون يهرعون اليهم تاركين قسوسهم المعتادين وكان بذلك ثورة عظيمة وطدت سلطة البابا كل التوطيد

عدل الكنيسة -- كان في كل ابرشية منذ القرن الثالث عشر محكمة للكنيسة يجلس فيها مندوب الاسقف للحكم فينظر فيها في عامة القضايا التي لها مساس باحد الاكليريكيين اذ لم يكن يقبل ان عامياً يرفع يده على رجل من رجال الله فالاكليريكي اذا ارتكب جرماً لا يحكم عليه الا مثله وهذا من جملة امتيازات رجال الدين امتيازات يرغب فيها لان قضاة الكنيسة لا يحكمون بالاعدام بتاتا وكثيراً ما كان احد الاشقياء فراراً بنفسه من المشنقة يدخل في درجة من درجات الاكليروس ويتعلم صلاة باللاتينية ويظهر بمظهر ديني وقد امتدت سلطة المحاكم الكنائسية على العامة. فالكنيسة التي تدير اسرار القربان المقدس يجب ان تبت في كل المسائل التي لها علاقة بهذا الشأن ومثل هذه المسائل ليست بقليلة . فقد اصبح الزواج منذ ظهور الدين المسيحي سراً من اسرار القربان فيأتي الزوجان في شهودهما يقفان تحت دهليز الكنيسة فيسألهما الكاهن فيما اذا كانا يقبلان بالزواج فيقول الزوج انا باهذه ارضاك زوجة وتقول العروس انا باهذا ارتضيتك بعلاً ويأتي اهل المرأة يضمون يدها في يد زوجها ويبارك القسيس خاتم الزواج اشارة العقد ثم يدخلون كلهم الكنيسة [1] فيتلو القسيس القداس على الزوجين الراكعين المستورين بشعار خاص وهذه الحفلة جعلت الزواج في يد الكنيسة وكانت تكفي في عهد الرومان ارادة الزوجين لعقد القران كما تكفي ارادتهما لفسخه اما المسيحيون فعلى العكس لا يستطيعون الزواج الا اذا سمحت

(١) من عادة الافرنج ان يطيلوا في وصف كل ماله علاقة بهم ولكن سنيوبوس اطال في الشؤون الدينية الخاصة بقومه حتى خرج عن موضوع الحضارة جملة (المعرب)

الكنيسة (وكثيراً ما تحظره حتى بين الاهل البعيدين) فاذا تزوجوا كان زواجهم طول العمر لان سر الزواج لا يحل · وهكذا بطل الطلاق واذا تعذر التئام الزوجين لا تسمح الكنيسة الا بالتفريق بينهما ولا تحل رابطة الزواج مطلقاً ·

والكنيسة تحكم ايضاً في الوصايا لان الرجل لا يتأتى له ان يوصي الا بعد الاعتراف والاعتراف سر من الاسرار وتأبى الكنيسة ان تدفن من لم يعترف ولم يوص والعادة تقضي ان يكون في كل وصية وقف يحبس للكنيسة وترجع جميع القضايا في الوصايا الى محكمة الكنيسة · والكنيسة تحكم ايضاً على العامة المتهمين بجريمة تخالف الدين أمثال الزنادقة والمجرمين والمرابين (وذلك لان الكنيسة تحظر الربا) وزعم اينوسان الثالث ان من واجب الكنيسة ان تحكم في جميع الخطايا وكانت محاكم الكنيسة الى القرن السادس عشر اكثر عملاً من المحاكم العادية

البابوية

البابوية — البابوات في القرن العاشر كسائر اساقفة ايطاليا سقط تحت سلطة العامة من السادات الذين هم نصف لصوص في رومية فكانوا يخلون بعضهم ببعض في خرائب المعاهد القديمة ويشرفون على اختيار البابا الذي يشاؤن · فكان الكرسي المقدس ملكاً لأسرة من البارونات زمناً طويلاً ونساء تلك الأسرة تيودورا وماروزيا تنتخبان الحبر الاعظم فشوهد بابا في الثانية عشرة من عمره وآخر باع البابوية من خلفه وقد جعل الامبراطور هنري الثالث حداً لهذه الفضائح وذلك بان اخذ على نفسه تعيين البابا وما كان انصار الاصلاح يرضون ان تكون ارقى مناصب الكنيسة خاضعة لسلطة رجل من العامة ولقد وقف ليون التاسع الذي نصبه ابن عم الامبراطور بابا على أبواب رومية بصفة حاج واراد ان يجري انتخابه بحسب القانون من قبل رجال الاكليروس وشعب رومية ثم قرر مجمع لاتران سنة ١٠٦١ ان يجري انتخاب البابوات في المستقبل بمعرفة اساقفة المدن الصغرى في بلاد الاقاليم الرومية وان يصدق الامبراطور على انتخابه ولكن لم يلبث هذا القرار ان صرف النظر عنه · وهذه القاعدة في الانتخاب التي جرى العمل عليها بعد قد جعلت للباباوية استقلالاً عن شعب رومية والملوك الاجانب · ولما اصبح البابا مستقلاً اخذ يطهر الكنيسة من روح العصر بمنع زواج الرهبان وبيع الاشياء الروحية وتولية العامة للبابا

خصام على التولية — تقضي القوانين القديمة في الكنيسة ان ينتخب الأسقف

بمعرفة الكهنة القانونيين ورئيس الدير بمعرفة رهبانه واذ كان لكل ابرشية ولكل دير املاك واسعة اعطاها له الملك عَلَى سبيل الاقطاع وكان الملك ولا سيما في المانيا يطالب بحق تعيين من يستمتعون بهذه الاقطاعات فاذامات أُسقف او رئيس دير يحمل الكهنة القانونيون او القساوسة الى الملك علامات المنصب الأُسقفي اوالرئيس وهي العكاز رمز السلطة والخاتم رمز اتحاد الحبر مع الكنيسة فيختار الملك من يريده وفي العادة انه يختار احد رجال الكنيسة في قصره ويحلفه يمين التابعية له ويوليه اسبے يملكه زمام منصبه بان يدفع اليه العكاز والخاتم. وهذه العادة قد ثار لها المصلحون في الكنيسة. قال البابا اوربانوس الثاني أمن الممكن ان تكون الايدي التي تشرفت بالشرف العالي في ايجاد الخالق (كذا) بحيث يؤُول امرها الى العار بالخضوع الى ايد ملوثة بالسلب والدم. وما معني قبول منصب كنائسي من عامي الا الاتجار بالاشياء المقدسة وبذلك ارتكاب الخطيئة المميتة في بيع هذه المقدسات فطالب البابا من ثم ان يتخلى الامبراطور عن انتخاب الاساقفة ورؤساء الاديار ليكون انتخابهم بحسب القواعد القانونية. وكان الامبراطور يجيب عَلَى هذا المقترح بان الابرشيات والاديار جزء من الاملاك الامبراطورية وللامبراطور وحده الحق في ان يوليها من اراد. وعلى هذا الوجه ثار بين الامبراطور والبابا خصام عَلَى التولية. وانصار البابا في مطاليه القسيسون وانصار الاصلاح وانصار الامبراطور الاساقفة ورؤساء الاديار في المانيا ولومبارديا اتباعه والقساوسة المتزوجون وعندما احضر أُسقف كوار سنة ١٠٧٥ ليبلغ رئيس اساقفة مايانس الامر البابوي في حظر الزواج عَلَى القسيسين قام جميع الاكليروس الذين كانوا حاضرين المجلس مغاضبين شاتمين رئيس الاساقفة ومانعيه من قبول هذا الامر. ودام الاخذ والرد في ذلك نصف قرن (١٠٧٥—١١٢٢) وتعذر التوفيق فيه بسبب حقوق مداخيل الكنيسة او سلطة الاساقفة السياسية وقد حل البابا باسكال الاشكال بان قرر تنازل الاساقفة عن المدن والكونتيات والنقود والمكوس والقصور والاملاك والحقوق التي يعطيها الامبراطور لم. فلم يرض رجال الاكليروس عن هذا النظام ولما عقد الصلح سنة ١١٢٢ احتفظ الاساقفة بحقوق مداخيلهم وسلطتهم السياسية فسمح الامبراطور بانتخاب الاساقفة ورؤساء الاديار من قبل الكهنة القانونيين او القسوس وان يعطوهم العكاز والخاتم ولكنه ابقى حق توليتهم بالعلم كالامراء من العامة.

مناوشات البابا مع الامبراطور — كان البابا والامبراطور متفقين عَلَى ان يحكموا

مشتركين كما وقع على عهد شارلمان فلم يكن من حاجة لتمييز سلطة احدهما عن الآخر وتحديد حقوق كل منهما وكان يقال ان الله اعطى سيفين سيف السلطة الزمنية للامبراطور وسيف السلطة الروحية للبابا ليحكموا العالم معاً ولكن عندما اشتعلت جذوة الخلاف بين البابا والامبراطور اقتضى ان يتساءل الناس ما هي حقوق السلطة الروحية والسلطة الزمنية وعند اي حد تقف . وهي مسألة صعبة لم يتيسر للعصور المقبلة ان تحل عويصها ولا تزال تتناقش فيها بعد تحت اسم صلات الكنيسة بالحكومة

ولقد كان الناس في القرون الوسطى يثبتون فهم سلطتين متساويتين مستقلتين وهل البابا او الامبراطور هو الذي يحكم على الآخر وكل منهما يزعم ان سلطته رفيعة سامية فكان الامبراطور وارث القياصرة والملقب بالقابهم يطالب بحق الزعامة على العالم اجمع والبابا يقول ان الله باعطائه الى القديس بطرس الحق المطلق ان يحل و يربط في السماء وعلى الارض لم يستثن احداً بل اخضع اليه الامراء وجميع دول العالم وولاه اميراً على ممالك الدنيا . والبابا اسمى مقاماً من جميع الامراء وهو قاضيهم في وسعه اذا رآهم غير لائقين للحكم ان يحرمهم وان يعزلهم وان يجعل رعاياهم في حل من اخلاص البيعة لهم . وقد نفذ غريغوريوس السابع هذه الحكمة بعزل هنري الرابع . فطال الخصام بين السلطتين فبدأ في القرن الثاني عشر على التولية ودام بشأن حقوق الامبراطور على مدن لومبارديا الى سنة ١٢٥٠ فغلب الامبراطور لان سلطته على العالم وهمية ولم تكن له سلطة الا في المانيا وايطاليا ثم انه عاجز عن ان يبذل له الطاعة امراء الالمان ومدن الطليان

نفوذ البابا — اصبح البابا في القرن الثالث عشر وعنده رجال الكهنوت الذي قوي بالاصلاح والتهذيب زعيم العالم المسيحي بلا منازع فهو بصفته نائب المسيح يحكم على رجال الاكليروس كافة وهؤلاء يحكمون على جمهور المؤمنين وحفظ لنفسه الحق ان يجمع المجامع و يعزل الاساقفة و يغفر لكبار المجرمين و يعطي ما يلزم من النفقات فيتناول القربان على عرش عال و يقبل جماعته رجليه ولرسائله قوة الشريعة في الكنيسة كلها واليك كيف تحدد سلطته قال اينوشان الثالث : لقد وضع الخالق في سماء الكنيسة منصبين اعظمهما البابوية فهي تحكم على الارواح كما تحكم الشمس على النهار واقلهما الملك فهو على الاجسام كالقمر في الليل فالبابوية مفضلة على الملك كما تفضل الشمس القمر . وقد عهد سبحانه وتعالى الى القديس بطرس ان يحكم لا الكنيسة العامة فقط بل العالم فكما ان جميع

مخلوقات السماء والارض والجحيم تثني ركبتها امام الله هكذا كلهم يجب ان يخضعوا النائبه حتى لا يكون في الارض سوى قطيع واحد وراع واحد .

وقد كتب بونيفاس الثامن سنة ١٢٩٦ الى ملك فرنسا يقول : اسمع ياولدي كلام اب شفوق واياك ان تعتقد بان ليس فوقك يد وانك غير خاضع لزعيم رجال الدين . وكتب سنة ١٣٠٠ في المنشور المشهور ان الكنيسة واحدة هي جسم واحد ليس له الا رأس واحد لا رأسان كالمسخ وهذا الرأس هو خليفة القديس بطرس علمنا الانجيل ان في الكنيسة سيفين زمني وروحي تستعمل الكنيسة و يد البابا احدهما والثاني الكنيسة و يد الملوك بأمر البابا

مضت القرون الاولى وليس في الكنيسة سوى قوانين اي قواعد وضعتها المجامع وعندما عرف البابا سلطته الى جميع رجال الاكليروس اصبحت اوامره قوانين الكنيسة على نحو ما كانت قديماً اوامر الامبراطور الروماني شرائع للمملكة وقد جمع كراتين الراهب الابطالي في القرن الثاني عشر الاوامر التي نسبت لقدماء البابوات والف منها كتاباً سماه الديكري اي الامر . فزاد عليه البابوات في القرن الثالث عشر عدة مجاميع جديدة مؤلفة من رسائل البابوات التي ظهرت بعد جمع الرسائل الاولى وهكذا فكما ان يوستنيانوس ألف مادة الشريعة المدنية ألف البابوات مادة الشريعة القانونية التي ظلت قانوناً للكنيسة

المدنية الشرقية في الغرب

تقدم شعوب الشرق في القرون الوسطى — ليمثل القاري لعينيه المدنيتين اللتين كانتا في القرن الحادي عشر تقتسمان العالم القديم ففي الغرب مدن حقيرة صغرى واكواخ فلاحين وقلاع لاهندسة لها و بلاد مضطربة على الدوام بالحرب لايتأتى ان يسير فيها السائر عشرة فراسخ بدون ان يسلب و ينهب وفي الشرق مدن القسطنطينية والقاهرة ودمشق وبغداد وجميع مدن الف ليلة وليلة بما فيها من قصور المرمر والمعامل والمدارس والاسواق والحدائق الممتدة على بضعة فراسخ وتربة تروي احسن اروا غاصة بالقرى والضياع وحركة التجار التي لاتنقطع فتراهم يذهبون بسلام من اسبانيا الى فارس ولا شك ان العالم الاسلامي والعالم البيزنطي كانا اغنى واحسن نظاماً ونوراً من العالم الغربي فكان المسيحيون يشعرون بنقصهم في التهذيب ويعجبون ببلاهة بما يبدو لهم من غرائب الشرق ومن يحب التعلم يقصد الى مدارس العرب . وبدأ العالمان الغربي والشرقي في القرن

الحادي عشر يتعارفان ودخل المسيحيون البرابرة الى حمى المسلمين المدنين من طريقين الحرب والتجارة

الحروب الصليبية — انتهى المسلمون من جهادهم المقدس فشرع النصارى بجهادهم وكان ذلك الحروب الصليبية · وقد دبر شؤون الحرب الصليبية البابا اوربانوس الثاني في كلرمون وكان فرنسويا · وكان يقصد من هذه الحرب انقاذ البيت المقدس (اي قبر المسيح) من ايدي غير المسيحيين فمن يسافرون يحملون على اكتافهم صليباً او صليب البابا · ومن هنا اشتق اسم الصليبيين · فكان الصليبي حاجاً مسلحاً ووعد البابا كل من يشترك بهذه الحملة ان يعفو عنه من كل التوبات التي تحملها لقاء خطاياه · وانضم الى هؤلاء التائبين اناس من تجار الطليان وفرسان رغبت انفسهم بالغنيمة وانتفعوا من غلبات الصليبيين على المسلمين ليقيموا في سورية حيث انشأوا اربع امارات (كانت تسمى الافرنج) [1] وفي سنة ١٢٠٤ سير البنادقة حملة على القسطنطينية وفتحوا امبراطورية الروم ولقد بدأت هذه الحرب اواخر القرن الحادي عشر ودامت الى القرن الثالث عشر وكثيراً ما كانوا يتحدثون حتى القرن الخامس عشر بمعاودتها · وكانت آخر حملة من حملات الصليبيين في اسبانيا سنة ١٤٩٢ انتهت بأخذ غرناطة ·

صفة الحروب الصليبية — كانت الحروب الصليبية حملات مؤلفة من المسيحيين منظمة بمعرفة البابا زعيم النصارى العام فكان كل صليبي حاجاً مسلحاً تعفو الكنيسة عن جميع الذنوب التي وقع فيها فكان الحاجون يجتمعون جيوشاً ضخمة حول السادات القادرين او حول نائب البابا ولكن لا نظام في صفوفهم فهم احرار ان ينتقلوا من جيش الى آخر او ان يتركوا الحملة عندما يرون ان نذرهم قد تم · فالجيش الصليبي لم يكن سوى اجتماع عصابات تسير الى مقصد واحد من طريق واحد فكانوا يسيرون مشوشاً نظامهم على مهل راكبين خيولاً ضخمة لابسين دروعاً ثقيلة يحملون اثقالهم فينوءون بها كما ينوءون بخدمهم وبالنساء معهم فكانوا يضيعون اشهراً في اجتياز الامبراطورية البيزنطية وقتال فرسان الاتراك في آسيا الصغرى والرجال والخيول تموت في القفار التي لا ماء فيها ولا سبيل الى اخذ الميرة جوعاً وظمأً وتعباً وكانت الاوبئة التي تحدث في المعسكرات التي ينزلونها من قلة العناية والمادة والصوم المتعاقب بعد

---

(١) دعا العرب جميع مسيحيي الغرب بالافرنج لانهم كانوا في القرن التاسع يضمهم لواء مملكة الفرنك

الافراط في الطعام والشراب تحصد ارواحهم بالالوف . وكان من يبلغون سورية قليلاً عددهم ففني الرجال واي فناء في القرن الثاني عشر على هذه الصورة على طريق الارض المقدسة فضاق صدر الصليبيين من هذه الرحلات القتالة في البر واخذوا يعدلون عنها وفي القرن الثالث عشر قصدوا كلهم البلاد المقدسة من طريق البحر فكانت السفن الايطالية تقلهم وخيولهم الى الارض المقدسة في بضعة اشهر حيث يجاهدون الجهاد الحقيقي

كان الفرسان في قتالهم المسلمين اذا تساوى عدد المقاتلين قد يكتب النصر لهم وذلك لانهم كانوا بخيولهم الضخمة وسلاحهم الذي لا يتأتى خرقه يؤلفون كتائب متراصة لا يستطيع فرسان العرب الراكبون على خيول صغيرة ان يخرقوها بسهامهم وسيوفهم . نعم ان حروبهم لم تسفر عن نتيجة فعاد الصليبيون الظافرون الى اوربا ورجع المسلمون . وهذه الجيوش المتقطعة كانت تستطيع فتح الارض المقدسة ولكنها لم تكف لحفظها بيد انه كان ينضم الى أهل الصليب الذين اتوا النجاة بانفسهم من الخطايا رجال من الفرسان والتجار الذين قصدوا البلاد ليغتنوا فكانوا يعنون بحفظ البلاد وبهؤلاء كتب التوفيق التام في الحروب الصليبية باستخدامهم القوة الموقتة التي كان يوليها سواد الصليبيين . فكانوا يديرون الاعمال الحربية وينشئون ادوات الحصار ويأخذون المدن يتحصنون فيها بحيث يتوقعون عودة العدو . ولو ترك اولئك الصليبيون وانفسهم لما استطاعوا ان يقاتلوا في تلك البلاد القاصية فان الحملات ذات الأبهة التي كان الملوك قوادها (مثل لويس الثاني عشر وكونراد وفريدرك بربروس وفيليب اغسطس وملك الجر وسان لوي) قد اخفقت كلها اخفاقاً ذليلاً . والحروب الصليبية الوحيدة التي نجحت حقيقة (الاولى التي فتحت سورية والرابعة التي فتحت امبراطورية الروم) وكان قواد الاولى النورمانديون من ايطاليا والاخرى البنادقة . وكانت حماسة الصليبيين وشجاعتهم قوة عمياء لا ينتفع بها الا اذا كان المديرون لها اناساً من اهل التجربة . وما كان الصليبيون سوى معاونين والمؤسسون الحقيقيون للممالك المسيحية هم المتشردون والتجار ممن كانوا يشبهون المهاجرين المحدثين الذين كانوا يسافرون لاستيطان الشرق . وما كان هؤلاء المهاجرون قط من الكثرة بحيث تأهل بهم البلاد بل نزلوها متخذين لهم معسكرات بين اهلها الوطنيين ولم تكن الامارات الافرنجية سوى عبارة عن حكم أشراف يقوم به بضعة الوف من الفرسان الفرنسويين والتجار الايطاليين فليس لها من تماسك الاجزاء ما كان

لممالك الغرب التي تستند على الامم والشعوب فاشبهت هذه الامارات الممالك التي أسسها زعماء المهار بين العرب اوالاتراك حيث تمتزج الحكومة بالجيش وتهلك واياه . وطال عمر هذه الامارات قرنين وهي حياة تعد طويلة في الممالك الشرقية ولو تيسرت هجرة قوية لها لتوطدت أسسها ازاء آسيا الاسلامية والبيزنطية ولكن اوربا في القرون الوسطى لم تستطع ان تقوم بهذه المهاجرات

مضى نصف قرن ولم يشتغلوا بغير حرب صغار الامراء في سورية وكان مسلمو مصر يعيشون معهم بسلام وهذا زمن نجاحهم ولما أتى صلاح الدين على الخلافة بمصر فقرضها وتألفت بدلاً منها حكومة عسكرية في القاهرة هوجم المسيحيون من جهة مصر فلم يستطيعوا ان يقاوموا زمناً طويلاً (كما دلت على ذلك انتصارات صلاح الدين) فاذا كانوا احتفظوا بممالكهم قرناً آخر فذلك لان السلاطين لم يحرصوا ان يبيدوهم . لاجرم ان هذه الحروب كانت في نظر المسلمين كما هي في نظر المسيحيين جهاداً مقدساً ولكنها أنقطعت بمهادنات بضع سنين ولا ينبغي لنا ان نتصور جميع أمراء المسيحيين متحدين على أمراء المسلمين بل كانت المصالح السياسية أشد قوة من البغضاء الدينية ومابرح أمراء النصارى يتقاتلون بعضهم مع بعض كامراء المسلمين يقتل بعضهم بعضاً وقد حدث ان اميراً مسيحياً تحالف مع امير مسلم على امير مسيحي . وما قط كان الاتفاق تاما في جيش النصارى فالحماسة التي كانت تجمعهم لم تأت على منافستهم في التجارة ولا على تباغضهم الجنسي وكان النزاع دائما بين الامراء من مختلفي الممالك بين الفرنسيس والالمان والانكليز بين تجار جنوة وتجار البندقية بين التامبلية والاسبتالية (فرسان الهيكليين والمقربين) وكثيراً ما تقاتلوا . ومثل ذلك من الخلاف بين الصليبيين القادمين من اوربا والافرنج المقيمين في سورية . ولقد اتخذ الافرنج عادات الشرقيين لما عاشوا بين اظهرهم فاستعملوا الحمامات والالبسة المسترسلة ونظموا خيالة مسلحين على الطريقة الاسلامية وانشأوا يعاملون المسلمين معاملة المجاورين ولا يحاربونهم بدون داع . واراد فرسان الغرب القادمين وقد ملئت صدورهم غيظا على المسلمين ان يبيدوا كل شيء وقد حنقوا من هذا التسامح فكانوا اذا خرجوا من البحر ينقضون على الارض الاسلامية ويهرعون للتقاتل والنهب وكثيراً ما كانوا لا يسمعون لما ينصح لهم به مسيحيو البلاد الواسع اختبارهم في الحرب في الشرق اكثر منهم . ولقد وصف مؤرخو الغرب نصارى الارض المقدسة بالنذالة والخديعة والفساد ونسبوا اليهم خراب ممالك سورية . وليت شعري ماذا يكون

من الصدق في هذه التهم ؟ لاجرم ان هؤلاء المتشردين من الافرنج قد اغتنوا على اسرع وجه واخذوا يعيشون في بذخ باحتكاكهم بشعوب فاسدين قد سرت اليهم مفاسد كثيرة ولا سيما من ولد منهم في سورية وكانوا يدعونهم المهارى ولكن الصليبيين لم تكن لهم من المكانة ما يخولهم اصدار مثل هذه الاحكام فانهم انفسهم بفعلهم قد احدثوا من المصائب اكثر مما احدث نصارى سورية بترفهم

ياشرق

لاالصبر ينفعه ولا الجزع ... قلب يكاد شجاه يطلع
ياليل هذا ساهر قلق ... يرعى النجوم وقومه هجعوا
هل فيك ذو شجن يشاركني ... اشكو له مابي فيستمع
مرت الهموم فقمت ادفعها ... واذا همومٌ ليس تندفع
حلت بصدري لاتفارقه ... ان ضاق عنها فهي تتسع
من بات تدمع عينه اسفاً ... فانا فؤادي بات يدمع
اشفقت من دهري على املي ... واليوم انظر كيف ينقطع
وبلي عليه وهو يخدعني ... ادري حقيقته وانخدع

...

ياشرق لج بك العداة هوى ... ياشرق أغراهم بلك الطمع
وبنوك قد طبعوا على خلق ... وبلى سواه الناس قد طبعوا
عاشوا يؤلف بينهم وطن ... فتخالفوا فيه وهم شيع
يتفرقون على مذاهبهم ... وعلى الاخاء الناس تجتمع
جهلوا فاخضعهم تعصبهم ... والله لو علموا لما خضعوا
انذرتهم يوماً صوادعه ... لو مست الافلاك تنصدع
واريتهم زمناً ألم بهم ... يبري السهام لهم وينتزع
هنأتهم بالامس اذ نهضوا ... واليوم ارثيهم وقد وقعوا
اهديتهم ودي فما قبلوا ... اخلصتهم نصحي فما اتبعوا

والشيء يرخص حين تبذله   والشيء يغلو حين يمتنع

...

ماذا على الاقدار لو نزعت   عن حربها فعداتها نزعوا
واسترجعت عهد الصفاء لم   واذا تشاء فذاك يرتجع
قد اجهدتهم وهي عادمة   واظنها يوماً سترتدع

...

أبني بلادي قد مضت ام   هذا طريقهم الذي اشترعوا
انا حللنا في منازلهم   وقد انتجعنا حيثما انتجعوا
ولئن بطرنا مثلما بطروا   فلسوف نصرع مثلما صرعوا
ان تصبروا فلطالما صبروا   او تجزعوا فلشد ما جزعوا
لم تعدنا حال لهم عرضت   فحياتهم وحياتنا شرع
ابداً تعيش على مغالبة   الدهر يخفضنا ونرتفع
ونراه يتدع الخطوب لنا   حتى تفانت عنده البدع
لم ننتفع بتجارب سلفت   والحال لسنا بعد ننتفع
اشياخنا يمشي بهم كلف   وشبابنا يجري بهم ولع
يتحاربون على فؤادهم   والحرب تأخذ ضعف ماتدع
ما ذا لهم لله درهم   الناس قد عفوا وهم جشعوا
ان القصور بهن مقتعد   مثل القبور بهن مضطجع

...

أبني المسيح واحمد انتبهوا   ودعوا رجالاً منكم هجعوا
جاؤوا الورى والامر ملتئم   ثم انثنوا والامر منصدع
لم يرض احمد والمسيح بما   صنعوا فلا ترضوا بما صنعوا
أرواحكم من بعضها قطع   وجسومكم من بعضها بضع
لاتحسبن خلافكم ورعاً   ان ائتلافكم هو الورع
الملك تعليه مدارسه   تلك المساجد فيه والبيع
ويحب تموز (لعاشره)   لاتذكر الآحاد والجمع

...

لمن الطلول كأن عرصتها – لـموت منحرث ومزدرع
آياتهـا ورسومها درست – وخلا بهـا مشتى ومرتبع
سكانها عن محلها نزعوا – ولطالما في خصبها رتعوا
أسلافهم في غابها امتنوا – وبنوهم في سوحها فزعوا
شمخ الزمان بهم وقد شمخوا – واليوم يخشع اذ هم خشعوا
قد زل عنه الصفو اجمعه – وانتاب فيها الازلم الجذع
كم عاش في آجامها بطل – كالليث لا وان ولا ظلع
ثبت تجرد من مفاضته – بلقى الدجى درعا فيدرع
يلقى الردى والبيض مصلتة – واسنة الخطي تشترع
والخيل غضبى في اعنتها – والنطق منطبق ومنقشع
تمشي اللواحظ منه في ملك – يسمو الجلال به فيتضع

...

حتام هذا الجهل مطرد – والى م ذاك الغي متبع
تمضي الجدود بنا فيدركها – من خلفها عجز فترتجع
وكأن ريب الدهر في يده – سيف على الاعناق يلتمع
مايرتجي الاحرار من زمن – يزداد تيها كلما ضرعوا
اوفى على المضمار مرتقبا – يتسابقون به ويقترع
ان بلغوا غاياتهم هنئوا – او قصروا من دونها فجعوا
هل تحت هذا الافق من ام – جرعت كؤوسهم التي جرعوا
أحشاؤهم حرى فما ابتردوا – وكبودهم ظمأى فما انتقعوا
انا لاقوام لنا همم – للمجد تدفعنا فنندفع
العمر اهون ان يضيق بنا – والموت للاحرار متسع

القاهرة — ولي الدين يكن

اداب الدارس والمدرس

من استقرأ ما كتب في هذا الباب الواسع قديماً وحديثاً يرعدداً من المؤلفات والمقالات لا يأتي عليها الحصر ، ولا يخفى ان لروح كل عصر مظهراً فيما كتب في واجباته ومطالبه ، وكثير منها تبدل بتغيرها المبيس الحاجة الى ماهو اهم منها او اختلاف العادات في اطوارها وشؤونها الا ان ما يتقاضاه العلم من آداب القائمين عليه درساً وتدريساً تتلاقى اصوله مع كل زمان ومكان ، لذا رأيت من المهم نقل ابدع ما كتب في هذا الباب ، اذ الامة لا تبلغ اوج المجد الا بالعلم ولا علم الا بصلاح الدارس والمدرس والعالم والمتعلم اذهم القائمون على تهذيب الملكات وارشاد العقول ، والهادون الى صراط الحق وميزان العدل والصدق

وقد رأيت من احسن ما جمع في مقاصد هذا البحث الجليل ما أورده محيي الدين النووي — احد ائمة الرواية والدراية المشاهير — في مقدمة (شرح المهذب) فآثرت عنه خلاصة ما أثره عن اساطين الحكمة المتقدمين وجعلته مقالة موجزة

احكام درس العلوم الشرعية — انواع العلوم الشرعية لا تعد وفي احكامها ثلاثة اقسام

القسم الاول فرض العين منها ويقال له الضروري وهو درس المكلف ما تصح به عقيدته وتجزئ معه عبادته ، وتنفذ عقوده ومعاملته ، وما لاغنى له عنه مما يتناوله ويستعمله

ويدخل في ذلك درس امراض القلب كالحسد والعجب والبخل وامثالها من المهلكات فقد قال الغزالي : معرفة حدودها واسبابها وطبها وعلاجها فرض عين:

القسم الثاني فرض الكفاية ويقال له الحاجي وهو درس ما لابد للناس منه في اقامة دينهم كحفظ القرآن والاحاديث وعلومها والاصول والفقه والنحو واللغة ومعرفة رواة الحديث والاجماع والخلاف

ومنه ما يحتاج اليه في قوام امر الدنيا كالطب والحساب والهندسة

ومنه تعلم الصنائع التي هي سبب قيام مصالح الدنيا كالزراعة ونحوها

القسم الثالث النفل ويقال له التحسيني وهو كالتبحر في اصول الادلة والامعان فيما وراء القدر الذي يحصل به فرض الكفاية والتوسع في فنون الادب والمعقول

آداب المدرس

ام مايطلب منه ان يعتني به ادبه في نفسه وادبه في درسه

القسم الاول ادبه في نفسه — وذلك في امور (منها) ان يقصد بتعليمه وجه الحق سبحانه وتعالى لاتوسلاً الى غرض دنيوي كمال او جاه او شهرة او تكثير المختلفين اليه او نحو ذلك كما كان عليه سلف الامة فقد قال الشافعي رحمه الله : وددت ان الخلق تعلموا هذا العلم عَلَى ان لاينسب اليَّ حرف منه : وقال ايضاً : ما ناظرت احداً قط على الغلبة ووددت اذا ناظرت احداً ان يظهر الحق عَلَى يده :

(ومنها) ان يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها وحث عليها والخلال الحميدة والشيم المرضية التي ارشد اليها كالحلم والصبر والسخاء والجود وطلاقة الوجه من غير خروج الى حد الخلاعة وملازمة الورع والوقار والتواضع والتنظف في البدن واللبسة

(ومنها) الحذر من الحسد والرياء والاعجاب وتزكية النفس وازراء الناس وان كانوا دونه بدرجات

(ومنها) انه اذا ترخص في امر جائز وخيف ان يظن خلافه ان يخبر اصحابه ومن يراه حقيقة ذلك الفعل لينتفعوا ولئلا يأثموا بظنهم السيء

القسم الثاني ادبه في درسه — وذلك ان لايزال مجتهداً في الاشتغال بالعلم قراءة ومطالعة وتعليماً ومباحثة ومذاكرة وتصنيفاً

وان لايستنكف من التعلم ممن هو دونه في سن او نسب او شهرة او دين اوفي علم آخر بل يحرص عَلَى الفائدة ممن كانت عنده وان كان دونه في جميع هذا

وان لايستحي من السؤال عما لم يعلم روي عن اميرالمؤمنين عمر انه قال : من رق وجهه رق علمه : وروى البخاري عن عائشة ام المؤمنين قالت : نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن في الدين :

وان لايمنعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادة ما لايعرفه فقد كان كثير من السلف يستفيد من تلامذته ماليس عنده ، قال الامام النووي : قد ثبت في الصحيح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين وروى جماعات من التابعين عن تابعي التابعين ، وهذا عمرو بن شعيب ليس تابعياً وروى عنه اكثر من سبعين من التابعين ، وثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ لم يكن الذين كفروا عَلَى أبي بن كعب

وقال امرني الله ان اقرأ عليك : ويسمى هذا النوع رواية الاكابر عن الاصاغر

وان تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هي مطلوبه ورأس ماله فلا يشتغل بغيره فان اضطر الى غيره في وقت فعل ذلك الغير بعد تحصيل وظيفته من العلم

ادبه في تصنيفه

قال النووي : ينبغي ان يعتني بالتصنيف اذا تأهل له فيه يطلع عَلَى حقائق العلم ودقائقه ويثبت معه لانه يضطره الى كثرة التفتيش والمطالعة ، والتحقيق والمراجعة ، والاطلاع عَلَى مختلف كلام الائمة ومتفقه ، وواضحه من مشكله ، وصحيحه من ضعيفه ، وجزله من ركيكه ، ومالا اعتراض عليه من غيره ، وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد

وليحذر كل الحذران يشرع في تصنيف مالم يتأهل له فان ذلك يضره في دينه وعلمه وعرضه

وليحذر ايضاً من اخراج تصنيفه من يده الا بعد تهذيبه وترداد نظره فيه وتكريره

وليحرص على ايضاح العبارة وايجازها فلا يوضح ايضاحاً ينتهي الى الركاكة ولا يوجز ايجازاً يفضي الى المحق والاستغلاق

وينبغي ان يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق اليه اكثر والمراد بهذا ان لا يكون هناك مصنف يغني عن مصنفه في جميع اساليبه فان اغنى عن بعضها فليصنف من جنسه مايزيد زيادات يحتفل بها مع ضم ما فاته من الاساليب

وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع به ويكثر الاحتياج اليه

آداب تعليمه

التعليم هو الاصل الذي به قوام الدين والدنيا وبه يؤمن امحاق العلم وفي التنزيل الحكيم « واذاخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ليبلغ الشاهد منكم الغائب »

يجب عَلَى العلم ان يقصد بتعليمه وجه الله تعالى ، وان لا يجعله وسيلة الى غرض دنيوي لان ما كان خالصاً كان مستمراً غضاً في كل حين وما كان لغرض زال عند الظفر به ففات ما قصد له

ولا يمتنع من تعليم احد لكونه غير صحيح النية فانه يرجى له حسن النية . وربما

عسر في كثير من المبتدئين وتصحيح النية فالامتناع من تعليمهم يوٴدي الى تفويت كثير من العلم مع انه يرجى له تصحيحها اذا انس بالعلم وقد قال بعض السلف طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله : معناه كانت عاقبته ان صار لله

وينبغي ان يوٴدب المتعلم على التدريج بالآداب السنية والشيم المرضية، ويحرض على الاخلاص والصدق وحسن النية

وينبغي ان يرغبه في العلم ويذكره بفضائله وفضائل العلماء

وينبغي ان يحنو عليه ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسه وولده ، ويجريه مجرى ولده في الشفقة عليه والاهتمام بمصالحه ، ويعذره في سوء أدب وجفوة تعرض منه في بعض الاحيان فان الانسان معرض للنقائص

وينبغي ان يكون سمحاً يبذل ماحصله من العلم سهلاً على متبعيه متلطفاً في افادته طالبه مع رفق ونصيحة وارشاد الى المهمات وتحريض على حفظ مايبذله لهم من الفوائد .

ولا يدخر عنهم من انواع العلم شيئاً يحتاجون اليه اذا كان الطالب اهلاً لذلك

ولا يلقي اليه شيئاً لم يتأهل له لئلا يفسد عليه حاله فلو سأله المتعلم عن ذلك لم يجبه ويعرفه ان منعه ليس شحاً بل شفقة ولطفاً

وينبغي ان لايتعظم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع وفي التنزيل الكريم « واخفض جناحك للموٴمنين »

وينبغي ان يكون حريصاً على تعليمهم مهتماً به موٴثراً له ويرحب بهم عند اقبالهم اليه ويظهر لهم البشر وطلاقة الوجه ،ويحسن اليهم بعلمه وماله وجاهه ، ولا يخاطب الفاضل منهم باسمه بل بكنيته

وينبغي ان يتفقدهم ويسأل عمن غاب عنهم

وينبغي ان يكون باذلاً وسعه في تفهيمهم وتقريب الفائدة الى اذهانهم حريصاً على هدايتهم

ويفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه فلا يعطيه ما لا يحتمله ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة ، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته ، فيكتفي بالاشارة لمن يفهمها فهماً محققاً ويوضح العبارة لغيره ويكررها لمن لا يحفظها الا بتكرار .

ويذكر الاحكام موضحة بالامثلة من غير دليل لمن لايحفظ له الدليل فان جهل دليل بعضها ذكره له ويذكر الدلائل لمحتملها

ويذكر مايرد عَلَى المسألة وجوابه ان امكنه

ويبين الدليل الضعيف لئلا يغتر به فيقول : استدلوا بكذا وهو ضعيف لكذا ويبين الدليل المعتمد ليعتمد

وينبههم عَلَى غلط من غلط فيها من المصنفين فيقول مثلا : هذا هو الصواب واما ماذكره فلان فغلط او فضعيف قاصداً النصيحة لئلا يغتر به لا تنقيص القائل فان الانتقاد انما يكون للقول لا للقائل

ويبين له جملاً من اسماء المشهورين من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فمن بعدهم من الائمة والمشاهير وانسابهم وكناهم وأعصارهم وطرق حكاياتهم ونوادرهم ، وضبط المشكل من أنسابهم وصفاتهم ، وتمييز المشتبه من ذلك ، وجملا من الالفاظ اللغوية والعرفية ضبطاً لمشكلها وخفي معانيها فيقول هي مفتوحة او مضمومة او مكسورة مخففة او مشددة مهموزة او لا ، عربية او اعجمية او معربة وهي التي اصلها عجمي وتكلمت بها العرب ، معروفة او غيرها ، مشتقة او لا ، مشتركة ام لا ، مترادفة ام لا وان المهموز والمشدد يخففان ام لا ، وان فيها لغة اخرى ام لا

واذا وقعت مسألة غريبة لطيفة او مما يسأل عنها في المعاياة نبهه عليها وعرفه حالها في كل ذلك ويكون تعليمه اياهم كل ذلك تدريجاً ليجتمع لهم مع طول الزمان جمل كثيرات .

وينبغي ان يحرضهم عَلَى الاشتغال في كل وقت ويطالبهم في اوقات بمحفوظاتهم ويسألهم عما ذكره لهم من المعمات فمن وجده حافظاً مراعياً له اكرمه واثنى عليه وأشاع ذلك ، ومن وجده مقصراً لامه ويعيده له حتى يحفظه حفظاً واضحاً

وينبغي ان ينصفهم في البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وان كان صغيراً

وينبغي ان يقدم في تعليمهم اذا ازدحموا الاسبق فالاسبق ويتحرى تفهيمهم بايسر الطرق ويذكره مترسلاً مبيناً واضحاً ويكرر مايشكل من معانيه والفاظه حتى يفهموه ، واذا لم يكمل البيان الا بالتصريح بعبارة يستحي في العادة من ذكرها فيذكرها بصريح اسمها ولا يمنعه الحياء ومراعاة الادب من ذلك فان ايضاحها أهم من ذلك ، وانما يستحب الكناية في مثل هذا اذا علموا المقصود منها علماً جلياً وعلى هذا التفصيل يحمل

ماورد في الاحاديث من التصريح في وقت والكناية في وقت ،و يؤخر ماينبغي تأخيره و يقدم ماينبغي تقديمه ، ويقف في موضع الوقف ، ويصل في موضع الوصل

ويحسن خلقه مع جلسائه ويوقر فاضلهم بعلم اوسن او شرف اوصلاح ،و يتلطف بالباقين .

وينبغي ان يصرف يديه عن العبث وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة ،و يعم الحاضرين بالتفاته و يجلس في موضع يبرز وجهه لهم

و يقدم من دروسه أهمها فيقدم التفسير ثم الحديث ثم الاصولين ثم الاهم فالاهم ،ولا يقرأ الدرس و به مايزعجه كمرض او جوع او مدافعة الحدث او شدة فرح او غم

ولا يطيل مجلسه اطالة تملهم أو تمنعهم فهم الدرس أو ضبطه ، وليكن مجلسه واسعاً ولا يرفع صوته زيادة عَلَى الحاجة ولا يخفضه خفضاً يمنع بعضهم كمال فهمه

ويصون مجلسه من اللغط والحاضرين عن سوء الادب في المباحثة ، واذا ظهر من أحدهم شيء من مبادي ذلك تلطف في دفعه قبل انتشاره و يذكرهم ان اجتماعنا ينبغي ان يكون لله تعالى فلا يليق بنا المناقشة والمشاحنة بل سبيلنا الرفق والحياء واستفادة بعضنا من بعض واجتماع قلوبنا عَلَى ظهور الحق وحصول الفائدة

واذا سأل سائل عن أعجوبة فلا يسخرون منه

واذا سئل عن شيء لايعرفه او عرض في الدرس مالا يعرفه فليقل لا أعرفه اولا أتحققه ولا يستنكف عن ذلك فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : ياايها الناس من علم شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لايعلم الله اعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « قل ماأسألكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين » رواه البخاري

قالوا : و ينبغي للعالم ان يورث اصحابه لاادري : معناه يكثر منها ، ولا يضع ذلك من منزلته بل يدل عَلَى وفور عقله وعظم محله لان المتمكن لايضره عدم معرفته مسائل معدودة ، وانما يمتنع من لا ادري من قل علمه وقصرت معرفته وضعفت تقواه لانه يخاف لقصوره ان يسقط من أعين سائليه او سامعيه وهو جهالة منه فانه باقدامه عَلَى الجواب فيما لايعلمه يضر نفسه وغيره وقد يبوء بالخزي العاجل والاثم الآجل وفي الحديث « المتشبع بمالم يعطه كلابس ثوبي زور »

(آداب الدارس « المتعلم »)

اما آدابه في نفسه فكآداب المدرس وقد اوضحناها

ويتبغي ان يطهر قلبه من الادناس ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره ،وان يقطع العلائق الشاغلة عن كمال الاجتهاد ، ويرضى باليسير من القوت ويصبر على ضيق العيش قال ابو حنيفة رضي الله عنه: يستعان على العلم بجمع الهم ويستعان على حذف العلائق باخذ اليسير عند الحاجة

وقال الخطيب البغدادي : يستحب للطالب ان يكون عزبا ما امكنه لئلا يقطعه الاشتغال بحقوق الزوجة والاهتمام بالمعيشة عن اكمال طلب العلم

وان يتواضع للعلم وينقاد له ويأتمر بأمره كما ينقاد المريض لطبيب حاذق ناصح

ولا يأخذ العلم الا ممن كملت اهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته وكان له دربة وخلق جميل وذهن صحيح واطلاع تام

وينبغي ان ينظر معلمه بعين الاحترام والرجحان على اكثر طبقته فهو اقرب الى انتفاعه به ورسوخ ما سمعه منه في ذهنه وقد قال الشافعي : كنت اصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحا رفيقا هيبة له لئلا يسمع رفعها . وقال الربيع: والله ما اجترأت ان اشرب الماء والشافعي ينظر الي هيبة له

ويروى عن علي كرم الله وجهه قال : من حق العالم عليك ان تسلم على القوم عامة وتخصه بالتحية ، وان تجلس امامه ، ولا تشير عنده بيدك ولا تغمزن بعينك غيره ولا تقول قال فلان خلاف قوله ولا تغتابن عنده احدا ولا تسار في مجلسه ولا تاخذ بثوبه ولا تلح عليه اذا كسل ولا تشبع من طول صحبته فانما هو عليك كالنخلة تنتظر متى يسقط عليها منك شيء

ومن آداب المتعلم ان يتحرى رضاء المعلم وان خالف رأي نفسه ولا يفشي له سرا وان يرد غيبته اذا سمعها فان عجز فارق المجلس وان لا يدخل عليه بغير اذن واذا كان معه غيره قدم الافضل والاسن وان يدخل كامل الهيبة فارغ القلب من الشواغل متطهرا متنظفا بسواك وقص ظفر وازالة ريح كريه ويسلم على الحاضرين بصوت يسمعهم ويخص الشيخ بزيادة اكرام وكذلك يسلم اذا انصرف

ولا يتخطى رقاب الناس ويجلس حيث انتهى به المجلس الا ان يأذن المعلم او الحاضرون بالتقدم والتخطي او يعلم من حالهم ايثار ذلك ولا يقم احدا من مجلسه فان آثره غيره بمجلسه لم يأخذه الا ان يكون في ذلك مصلحة للحاضرين بان يقرب من الاستاذ ويذاكره مذاكرة ينتفع الحاضرون بها ولا يجلس وسط الحلقة الا لضرورة ولا

بين الصاحبين الا برضاهما واذا فسح له قعد ويحرص عَلَى القرب من الاستاذ ليفهم كلامه فهماً كاملاً بلا مشقة على شريطة ان لا يرتفع في المجلس عَلَى افضل منه

ويتأدب مع رفقائه وحاضري المجلس فان تأدبه معهم تأدب مع الاستاذ واحترام لمجلسه ويقعد قعدة المتعلمين ولا يضحك ولا يكثر الكلام بلا حاجة ولا يعبث بيده ولا غيرها ولا يلتفت بلا حاجة بل يقبل عَلَى الاستاذ منصتاً اليه ولا يسبق الى شرح مسألة او جواب سؤال الا ان يعلم رضاه فيستدل عَلَى فضيلة المتعلم

ولا يقرأ عَلَى استاذه عند شغل قلبه وملله وغمه ونعاسه ونحو ذلك مما يشق عليه أو يمنعه استيفاء الشرح ولا يسأله عن شيء في غير موضعه الا ان يعلم من حاله انه لا يكرهه ولا يلح في السؤال الحاحاً مضجراً ويغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه ويتلطف في سؤاله ويحسن خطابه ولا يستحي من السؤال عما اشكل عليه بل يستوضحه اكمل استيضاح فمن رق وجهه رق علمه ومن رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال .

واذا قال له الاستاذ فهمت فلا يقل نعم حتى يتضح له المقصود ايضاحاً جلياً لئلا يكذب ويفوته الفهم ولا يستحي من قوله لم افهم لان استيثاقه يحصل له مصالح عاجلة وآجلة فمن العاجلة حفظ المسألة وسلامته من كذب ونفاق باظهاره فهم مالم يكن فهمه منها ومنها وثوق الاستاذ باعتنائه ورغبته وكمال عقله وورعه وملكه لنفسه وعدم نفاقه ومن الآجلة ثبوت الصواب في قلبه دائما واعتياده هذه الطريقة المرضية والاخلاق الرضية وعن الخليل بن احمد منزلة الجهل بين الحياء والانفة

وينبغي اذا سمع الاستاذ يقول مسألة او يحكي حكاية وهو يحفظها ان يصغي لها اصغاء من لا يحفظها

وينبغي ان يكون حريصاً عَلَى التعلم مواظبا له في جميع اوقاته ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً ولا يذهب من اوقاته شيئا في غير العلم الا بقدر مالابدله منه من اكل ونوم وراحة وما اجمل قول الشافعي : حق عَلَى طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من العلم والصبر على كل عارض دون طلبه واخلاص النية لله تعالى في ادراك علمه نصا واستنباطا والرغبة الى الله تعالى في العون عليه

يقال : اجود اوقات الحفظ الاسحار ثم الغداة وحفظ الليل انفع من حفظ النهار لفراغ البال وهدوء الحركة ووقت الجوع انفع من وقت الشبع واجود اماكن الحفظ

الغرف وكل موضع بعد عن الملهيات ولا يحمد الحفظ بحضرة النبات والخضرة والانهار وقوارع الطرق لانها تمنع غالباً خلو القلب

واذا جفاه الاستاذ رجع اليه بالاعتذار واظهر ندمه وخطأه فذلك انفع له ديناً ودنيا وابقى لقلبه وقد قالوا : من لم يصبر على ذل التعلم بقي دهره في عماية الجهل

ومن آدابه الحلم والأناة وان تكون همته عالية فلا يرضى باليسير مع امكان الكثير وان لا يسوف في اشتغاله ولا يؤخر تحصيل فائدة وان قلت اذا تمكن منها لان للتأخير آفات ولا يحمل نفسه ما لا تطيق مخافة الملل

واذا جاء مجلس استاذه فلم يجده انتظر ولا يفوت درسه

واذا وجده نائماً لا يستأذن عليه بل يصبر حتى يستيقظ او ينصرف والاحسن الصبر كما كان السلف يفعلون

و ينبغي ان يغتنم التحصيل في وقت الفراغ والنشاط وحال الشباب وقوة البدن ونباهة الخاطر وقلة الشواغل قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة فقد قال الشافعي : تفقه قبل ان ترأس فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه :

و يعتني بتصحيح درسه الذي يحفظه تصحيحاً متقناً و يكرره مرات ليرسخ رسوخاً متأكداً ثم يراعيه بحيث لا يزال محفوظاً جيداً ، وليذاكر بمحفوظاته وليدم الفكر فيها

و ينبغي ان يبدأ من دروسه وفي الحفظ والتكرار والمطالعة بالاهم فالاهم ، واول ما يبتدئ به حفظ القرآن العزيز فهو اهم العلوم ، وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه الا لمن حفظ القرآن واذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالاً يؤدي الى نسيان شيء منه او تعريضه للنسيان ، و بعد حفظ القرآن يحفظ من كل فن مختصراً (١) و يبدأ بالاهم ، ومن اهمها الحديث والاصول والنحو ثم الباقي ثم يشتغل باستشراح محفوظاته و يعتمد من الشيوخ في كل فن اكملهم في الصفات السابقة وكلما اتقن مختصراً انتقل الى اكبر منه مع المطالعة المتقنة والعناية الدائمة المحكمة وتعليق ما يراه من النفائس والغرائب وحل المشكلات مما يراه في المطالعة او يسمعه من الاستاذ

(١) ليتأمل هذا الترتيب الذي اثرناه عن النووي الاثر له عن علماء القرون الاولى ولينظر هذه العناية البديعة التي لا يستكثر بعدها ان يأتي منها رجال ملأوا الدنيا شهرة وآثاراً

ولا يحتقرن فائدة يراها أو يسمعها في اي فن كانت بل يبادر الى كتابتها ثم يواظب عَلَى مطالعة ما كتبه

وليعتن بكل الدروس ويعلق عليها ما امكن فان عجز اعتنى بالاهم

و ينبغي ان يرشد رفقته وغيرهم من الطلبة الى مواطن الاشتغال والفائدة و يذكرلهم مااستفاده عَلَى جهة النصيحة والمذاكرة

ثمرة ذلك

قال الامام النووي بعد اثر ماتقدم: واذا فعل ماذكرناه ، وتكاملت اهليته ، واشتهرت فضيلته ، اشتغل بالتصنيف ، وجد في الجمع والتأليف ، محققاً كل مايذكره ، ومبيناً في نقله واستنباطه ، متحرياً لايضاح العبارات ، و بيان المشكلات مجتنباً العبارات الركيكات ، والادلة الواهيات ، مستوعباً بمعظم احكام الفن غير مخل بشيء من اصوله منبهاً على القواعد فبذلك تظهر له الحقائق وتنكشف المشكلات ، و يطلع على الغوامض وحل المعضلات ، و يعرف مذاهب العلماء والراجح من المرجوح ، ويرتفع عن الجمود عن محض التقليد ، و يلتحق بالائمة المجتهدين او يقاربهم ان وفق الله وبالله التوفيق اه كلام النووي

آداب يشترك فيها العالم والمتعلم

ينبغي لكل منهما ان لايخل بوظيفته لعروض مرض خفيف ونحوه مما يمكن معه الاشتغال وان لايسأل احداً تعنتاً وتعجزاً فالسائل تعنتاً وتعجزاً لايستحق جواباً

وان يعتني بتحصيل الكتب شراء واستعارة وليشتغل بنسخه اواستنساخه اذا كان نفيساً وليعتن بتصحيحه ، ولا يرتض الاستعارة مع امكان تحصيله ، فان استعاره لم يبطئ به لئلا يفوت الانتفاع به عَلَى صاحبه ولا يكسل عن تحصيل الفائدة منه ،ولا يمتنع من اعارته غيره لانه اعانة عَلَى العلم مع مافي مطلق العاريةمن الفضل (روي) ان رجلاً قال لابي العتاهية : اعرني كتابك قال: اني اكره ذلك قال : اماعلمت ان المكارم موصولة بالمكاره : فاعاره ، و يستحب شكر المعير لاحسانه. وليحذر من الابطاء بها عن اربابها قال الزهري : اياك وغلول الكتب : يعني حبسها عن اصحابها ، و بسبب حبسها امتنع غير واحد من اعارتها وانشدوا في ذلك اشياء كثيرة

(خاتمة)

هذه النبذة من آداب المدرس والدارس او المعلم والمتعلم مختصرة بالنسبة الى ماجاء

فيها وصنف في ابوابها وقد اردت أحياء ماقاله الائمة المتقدمون في هذا وتطرية ذكره لما فيه من الفوائد والحكم والنصائح التي هي نتيجة ما اوصى به السلف ايام استبحار العلوم ونضارتها في حضارة القرون الاولى، فليحرص المدرس والدارس عليها وليحافظ العالم والمتعلم على التخلق بها والاهتداء بها، فثمرة العلم العمل وبالله الاستعانة وعليه المتكل

دمشق جمال الدين القاسمي

مخطوطات ومطبوعات

مجموعة

المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٩١٠ الجلد الثالث من ٢٦ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ الى ٥ آذار سنة ١٨٦١ ص ٤٨٠ تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن صاحبي جريدة الارز طبع بمطبعة الصبر في جونية (لبنان) سنة ١٩١١

احسنا لتاريخ هذه البلاد كل الاحسان معربا هذا السفر النافع فان جميع الناس لا يتيسر لهم الوصول الى المظان الافرنجية التي أخذا عنها والبلاد في حاجة الى الاطلاع على مادار بشأنها وعن افكار الاجانب فينا . وان هذه المجموعة اذا كانت تفيد لبنان خاصة فان سورية عامة تستفيد من تعريبها لان حياة هذه البلاد كالسلسلة ترتبط حلقاتها بعضها ببعض . وكنا نود ان لا يتوسع المعربان في نقد اعمال معتمدي الدول ذوات الشأن في حوادث سنة ١٨٦٠ في سورية وان لا ينظرا الى كل ماأتته فرنسا في ذاك الحين باء الحكمة والانسانية وحب الخير والتجرد عن كل طمع سياسي فان آمال فرنسا في سورية معروفة منذ القديم وحمل اعمالها على مجرد الاحسان للبلاد ضرب من التجوز لا يحسن صدوره ممن يقف موقف المؤرخ والايام تدل على عكس دعواه . وقد اجاد المعربان في الترجمة عن الانكليزية والافرنسية واكثر مصادرهما فرنسوية فجاء الكتاب مشوقاً لولا وقوع بعض هنات لغوية واستعمالات غير مألوفة يسقط فيها اكثر كتاب العصر خصوصاً من لا يساعدهم الوقت على النظر البليغ فيما ينشئون وينقلون كارباب الصحف ولو كان في البلاد شيء من الرقي العلمي لتشاورت عدة ايد ماتخطه

الاقلام بالنظر فيه قبل نشره كما هو الحال في بعض بلاد الغرب الى اليوم ولاسيما قبل ان يكون اهل كل لغة من اللغات الافرنجية محكمين لملكة الانشاء في لسانهم وياحبذا يوم نرى في كل مطبعة من مطابعنا عالماً مصححاً يعني بتقويم المفوات اللغوية والبيانية وغيرها ليخرج جميع مانكتبه ونعربه سالماً من العيوب من كل وجه . وفي هذا المقام نعيد شكرنا للمعربين على نشاطهما وحسن بلائهما ونرجو لهما التوفيق الى اتمام بقية اجزاء الكتاب ونحث محبي الاطلاع ودرس تاريخ هذه البلاد ان يقتنوه و يتدارسوه فهو اول كتاب سياسي يتعلق بحياة هذه الديار

دورس الجغرافيا

للسيد عبد الهادي الاعظمي طبع بمطبعة دنكور في بغداد سنة ١٣٣٠ ص ٥٥

نرحب بكل كتاب علمي يصدر بالعربية في مصر وتونس والشام والعراق لانه دليل النهوض الحقيقي والامة العربية لاترقى الا اذا كان فيها كتب ابتدائية ووسطى وعليا في كل فن من فنون الحضارة . وقد اعتمد مؤلف هذه الرسالة على الكتب التركية وفقاً لبرنامج المعارف وتوسع في القسم الآخر وهو المتعلق بالبلاد العثمانية والقطر العراقي منها خاصة وخاطب التلميذ الصغير فيه خطاباً يروقه و يغرس فيه غرسة الوطنية ولسنا على رأي المؤلف في كلامه على تونس ولا في كلامه على طرابلس و بنغازي فقد قال في الاخيرتين « وهي التي عليها تحاربنا بل تحاربها اليوم ايطاليا تريد اغتصابها وهيهات فستبوء بالخسران عاجلاً ان شاء الله . . . وهناك اخوانكم المجاهدون يدعونكم الآن الاشتراك معهم في هذه السعادة الابدية الشهادة في سبيل حفظ الدين والوطن » فان هذه العبارات لادخل لها في رسالة في وصف البلدان تعلم للصبيان كما ان القصيدة التي اقتبسها في الاسطول آخر الرسالة لاصلة بينها و بين الموضوع بحال .

وقد وقعت في الرسالة تحريفات مطبعية ونحوية وجغرافية وغيرها شوهت وجه المعنى واخرجته عن القصد احياناً وكنا نود لو يعرى منها مصنف ألف للاحداث حتى يتطبعوا منذ نشأتهم على الصواب . منها قوله الجغرافيا الطبيعي والجغرافيا الرياضي والجغرافيا السياسي والصواب الطبيعية الرياضية السياسية لان لفظة الجغرافيا مؤنثة وقد طبع بذلك التركية ومنها قوله البر العتيق (لاوربا وآسيا وافريقية) والاصطلاح ان يقال العالم القديم كما يقال العالم الجديد لا البرا لجديد ومنها قوله (ص ١٦) ساوورنيا سجليا . للجزيرتين المعروفتين في البحر الابيض والصواب سارديتيا وصقلية ومنها ان

اسم عاصمة الجبل الاسود شتنيه والصواب ستنية اوچتنية وقوله جنوه في بلاد تركستان والصواب خيوة وجنوة في ايطاليا ومنها قوله ان مساحة سورية تبلغ ١٠٠ الف كيلومتر مربع والاصح ١١٥ الفاً وفي تقويم غوتا ان مساحة لواء القدس ١٦ الف كيلومترمربع ومساحة متصرفية لبنان ٣١٠٠ ولواء الزور ٧٨ الفاً (و يعد معظمه من سورية) وولاية سورية ٩٥٩٠٠ وولاية بيروت ١٦ الفاً وولاية حلب ٨٦٦٠٠ ونحو نصفها من بلاد سورية . واخطأ في قوله ان الجزائر دخلت في حوزة فرنسا منذ قرن تقريباً والصحيح انها بدأت في امتلاكها سنة ١٨٣٠ . ومن التحريفات في الاعلام قوله ان قصبة جرابوب اهم مدن السنوسيين في افريقية والصواب جغبوب وتابع اصطلاح بعض الكتاب في استعاضتهم عن « صلى الله عليه وسلم » بصلعم والاجدر بمقام النبوة ان يذكر اللفظ كله فان بعض علماء المشرقيات ممن طبعوا الكتب العربية في مطابع الغرب جروا على هذا الاصطلاح حب الاقتصار بادي بدء ثم رجعوا عنه فعسى ان يصلح المؤلف كل ذلك في طبعة ثانية و يعارض اسماء البلدان على ما طبع من كتب الجغرافية لعلماء العرب في اوربا ليتابعهم في اصطلاحهم وذلك في مثل كتاب معجم ما استعجم للبكري وتقويم البلدان لابي الفدا ومعجم البلدان لياقوت والمسالك والممالك لابن حوقل والتنبيه والاشراف للمسعودي ومسالك الممالك للاصطخري وصفة جزيرة العرب للهمداني والاعلاق النفيسة لابن رسته واحسن التقاسيم للمقدسي وكتاب البلدان لابن الفقيه ومسالك الممالك لابن خرداذبة وزبدة كشف الممالك للظاهري وعجائب البر والبحر لشيخ الربوة وغيرها من الكتب الممتعة التي تفهم منها اصطلاحات العرب وتعابيرهم . ومعظم ماذكروه لم يطرأ عليه تغيير على كثرة ارتقاء علم الجغرافيا في العهد الاخير . وفي الختام لانرى بداً من الثناء على المؤلف راجين ان يظل على نشر كل ما يبث المعارف بين الناشئة العربية

كتاب خالد

THE BOOK OF KHALID; BY AMEEN RIHANI,

هو مجلد في ٣٤٩ صفحة نشره بالانكليزية في نيويورك صديقنا امين افندي ريحاني وهو رواية فلسفية اجتماعية جمع فيها بين الكلام على المدنية الشرقية والمدنية الغربية واتى على ذكر الاوضاع الدينية والسياسية بلسان رشيق مفرط بالحرية شهد له العارفون بآداب اللغة الانكليزية انه يعد في الطبقة الاولى من احكام بيانها

وانه شاعر غير مدافع في منظومه ومنثوره فعسى ان يكون لكتابه بين العارفين بتلك اللغة من الوقع ما كان لكتبه باللغة العربية من الاثر في ازالة غشاوة الاوهام وعساه ينقله الى العربية فيستفيد منه المشارقة والمغاربة على حد سوى فالافريون اولى بالمعروف ومثله من يغار على انهاض الامة العربية و يتوفر على تعلمها مما علم

العقود اللؤلؤية

E. J.W. GIBB MEMORIAL. (VOL. III):THE PEARL-STRINGS; A HISTORY OF THE RESULIYY DYNASTY OF YEMEN, BY 'ALIYYU, BUU, L-HASAN 'EL-KHAZREJIYY

لليمن تواريخ كثيرة مختلفة الازمان ومن اكبر مؤرخيها ابو الحسن علي بن الحسن الخزرجي النسابة المعروف بابن وهاس المتوفى سنة ٨١٢ قال كاتب چلبي انه عني باخبار اليمن فجمع تاريخاً على السنين وآخر على الاسماء وآخر على الدول وغيرها . ومن جملة مصنفاته كتاب العقود اللؤلؤية فهو خاص تقريباً بتاريخ الدولة الرسولية نسبة الى بني رسول التي حكمت بلاد اليمن زهاء قرنين (٦٢٦ — ٨٤٥) وقد ظفر بعض علماء المشرقيات بنسخة منه في الهند فترجموه بالانكليزية ونشرت الآن جمعية تذكار «جب» ثلاث مجلدات من الترجمة وسينشر الاصل العربي عما قريب وقد ترجمه ونشره اربعة من ائمة المشرقيات في انكلترا وهم ردهوس وبراون ونيكلسون وروجرس وستفيض في الكلام على هذا التاريخ متى صدرت النسخة العربية منه ونكتفي الآن باسداء اطيب الثناء على من تمحضوا لخدمة الآداب والتواريخ العربية من العارفين بلغات الشرق من الغربيين ومن يعنون بنشرها امثال لجنة تذكار «جب»

دروس التاريخ الاسلامي

تأليف الشيخ محيي الدين الخياط القسم الرابع ص ٢٤٨ طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت وبنفقة المكتبة الاهلية فيها سنة ١٣٢٩

تكلمنا على الاجزاء الاولى من هذا الكتاب وهذا الجزء يشتمل على مجمل تاريخ الدولة العباسية وقد جعله المؤلف جملاً كل جملة او قطعة تحتوي خبراً يصح السكوت عليه وجعل في آخر كل درس اسئلة للطالب يجيب عليها فيدل بذلك ان كان فهم ما مر به من الحوادث او لم يفهمه . وذلك بتنسيق حسن وعبارة سهلة فصيحة لا شائبة فيها بحيث جاء كتابه مشوقاً في موضوعه لصغار الطلاب في التاريخ وقد جعل في الاخير صفحات فيها زبدة ما مر بالدارس ثم اتبعه بجدول يبين فيه ازمنة دولة الخلفاء الراشدين والدولتين الاموية والعباسية بالتاريخين الهجري والميلادي كل ذلك بحرف جلي وطبع

مشرق ويا حبذا لو شكل بعض الاعلام التي قد تشتبه على اكثر الطلاب وعساه يتدارك ذلك في الطبعة التالية وفقه الله لاتمام هذه السلاسل النافعة

اريج الزهر

تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٩—١٩١١ ص ٢٤٠

هو كتاب اخلاقي اجتماعي ادبي حوى ماكتبه المؤلف من المقالات في الموضوعات المختلفة في الصحف والمجلات بعبارات سليمة من التعقيد عارية عن الغلط اللغوي والبياني ترضاها الخاصة ولا تنبو عنها اسماع العامة كما اعتاد قلم المؤلف في الكتب المدرسية وغيرها مما نشره حتى الآن من منظومه ومنثوره . وكتابات مثل صديقنا المؤلف هي الحلقة الموصلة بين اكثر طبقات القراء والكتب العالية في الادب والاجتماع والاخلاق ومسهلة طرق تفهمها

وقد قدم لهذا الكتاب الشيخ محيي الدين الخياط الفاضل المشهور مقدمة رائقة بناها على حب الظهور وشرح ماله من الدخل في ارتقاء الامم بعبارات تجمع الى المتانة سلامة ثم عرف بصاحب المجموع واتى بنموذج من ادبه الغض وعرف المجموع وصاحبه بهذه الجملة « هذا المجموع هو « زهرة » شبيبة فاضلة فاح « اريجها » اذ لم تدنسها اوضار الترب ولم ينهكها ذبول الشرق فهو « زهر » اخلاق وفضائل بل هو غيرة مجسمة وحماسة تريد النهوض بناشئة الشرق والاشراف بهم على مدنية الغرب شأن اصحاب النفوس الكبيرة التي تريد الصعود من مدارج المجد والظهور من شرفات العلاء . »

ومن مقالات هذا السفر اللطيف . نهج البلاغة او اساليب الكلام العربي . ايها الانسان . الحظ رجال ام حظ وجدان . الى الامة العربية . التربية اساس النجاح . الانانية وحب الذات . رجال الاصلاح . الارادة . الالقاب والرتب . حديث مع النابتة . الانتقاد ومشارب المنتقدين . سعادة الحياة . دلائل التوحيد . ام القرى . مجلس الامة . المال والشرف . العادات . الميسر . الاستقلال الشخصي . القابلية والفاعلية . النظامات والامم . الثورة الادبية . السد الاجتماعي . الرابطة الدينية . الخرافات والبدع الدينية . العرب والترك . اللغة العربية وغير ذلك مما لا يخلو من الخطابيات للتأثير في الجمهور وهي تشف عن غيرة وطنية وارادة قوية في السعي لانهاض العقول

من كونها في الشرق الاسلامي . فنحث المتأدبين على اقتناء هذا الكتاب وفق الله موءلفه الى اتمام ما يريد من التأليف والنشر فان المؤلفين من المسلمين في بلاد الشام قلائل جداً والجيد فيهم اقل وبعض من يقتدرون على الوضع والنقل شغلوا بالخوض في الموضوعات السياسية الزمنية في الصحف فاضاعوا ملكاتهم الا قليلا وهيهات ان ترتقي أمة يكون معظم اهلها ساسة ولذا وجب علينا تكريم كل من يتصدى لنفع أمته من طريق الاصلاح العلمي والادبي والديني من اهل هذه الديار وفي جملتهم موءلف اريج الزهر .

البصائر

مجلة جديدة تصدر في بيروت مرة في الشهر لمنشئها جميل بك العظم وقيمة اشتراكها ريالان وعدد صفحاتها ٤٠ ومن مقالاتها مقالة في التنجيم والمنجمين واخرى في الخط ومشاهير الخطاطين وهي تطبع كل شهر ملزمة من مخطوط قديم وبدأت الآن بنشر كتاب تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين للفيروز ابادي صاحب القاموس . والمؤلف من الافاضل الذين يحسنون الكتابة بالتركية والعربية له اطلاع مع على المخطوطات العربيـة ووقوف على الادب وما ينبغي له ولذلك يرجى ان ينفع الآداب العربية بمجلته لانه يعرف الانتقاء ويحسن التأليف ويعد في جملة الاكفاء الذين أقدموا على نشر المجلات في الشام بعد حرية المطبوعات فعسى ان يثبت في خطته التي اختطها في مجلته والثبات أس النجاح في كل الاعمال ولا سيما العلمية التي قلما يجد عليها صاحبها تنشيطاً مادياً او معنوياً في بلاد تسعة اعشار اهلها أميون والمتعلم منهم لا يعرف غير القشور دع عنك من كتب لم درس الدروس العالية ومعظمهم لا يهتمون بغير التجارة والوظائف

اخبار وافكار

العرب والتجارة (١)

بين تخوم آسيا وافر يقية تيقظ شعب يعهد سكوتاً لكنه ميستولي على بلاد البحر الرومي ثم يتدخل لينافس الغر بيين ونحن الآن لا يمكننا ان نقول شيئاً عن الحروب الصليبية قبل ان نذكر طرائف عن تلك الامة العربية ونبيها محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى البعثة المحمدية. كان العرب انسباء اليهود يعيشون العيشة الرعائية غير انهم عشاق سفر امتازوا بحب التجول وقوة الهجوم وشدة الانفعال وليس لهم الا الشرف وحب الشعر والادب وبغض الكذب مذهب يدينون به على ان اكثر الاديان التي وجدت قبل البعثة المحمدية كانت تشابه العقيدة الفتشية وتجيز الاستلاب لا رابطة بين القبائل تضم الشعث سوى احتفالهم العام في ام القرى كل عام

كان الانبياء الحنيفيون منذ القرن السادس من التاريخ المسيحي تترى على العرب لقطع شأفة الوثنية وارجاعهم لملة ابيهم ابراهيم ومحمد احد هولاء الحنيفيين يدانه افصحهم لساناً واكثرهم اقناعاً للعقول

ولد محمد في مكة عام ٥٧٠ م بين القرشيين سدنة الكعبة ومروجي سلع عقائدهم القديمة فما قام ينذر ويكبر حتى خاصمه اهل قبيلته بل اقرب الناس اليه وقاوموه جد المقاومة فلم ير بداً من المهاجرة الى يثرب التي سميت بعدئذ بالمدينة وهنا ابتدأ تاريخ المسلمين الهجري موافقاً ١٦ تموز عام ٦٢٢ م

و بعد دخوله يثرب وجد بلداً طيباً لبذر بذور دعوته فاتخذ له انصاراً مخلصين اشتد بهم أزره فأعلن الحرب على المكيين ثم دخل مكة وطنه ظافراً وكسر فيها الاصنام ونشر الحكمة والكتاب وجمع شملهم بآصرة الوحدة الاسلامية العربية ثم توفي بعد أداء وظيفته العظمى عام ٦٣٢ .

الاسلام او الاستسلام الى الله بعث في اتباع محمد وانصاره روح النشاط والغيرة وعصبية ملكتهم زمام العالم وجعلتهم اساتذة. اذ في قرن واحد اي من عام ٦٣٢ الى ٧٣٢ استولى خلفاؤه الصحابة الراشدون والامويون الوارثون ومن بعدهم على سورية وفلسطين

(١) اقتطفناها من كتاب المختصر من تاريخ تجارة البشر لبولر يسون

والجزيرة سنة ٦٣٨ ومصر ٦٣٩ وفارس ٦٤٢ ثم تتابع استيلاؤهم على تركستان وقطعة من الهند وبلاد الارمن وقبرص واقريطش (كريت) وطرابلس الغرب وافريقية الشمالية كلها وعلى صقلية وسردينية والجزائر الباليارية ثم هجم تيارهم على بلاد غاليا الافرنجية وهدد هناك كيان النصرانية الا انه وقف ذلك التيار الجارف في بواطية عام ٧٣٢ م

وان استبحار عمرانهم وسرعة انتشار سلطتهم في المسكونة لما يساعدنا كثيراً على فهم مكانة المدنية العربية تلك المدنية التي يعتقد بدينها اليوم اكثر من ٣٠٠ مليون من البشر فقد كانت هذه الحضارة الباهرة في القرون الوسطى مزيجاً من المدنية البيزنطية والمسيحية وتم هذا المزيج المدني بامرين الاول عشق العرب للتجارة والثاني غرامهم بالاستعمار وقد قال نبي العرب الذي كان قائد قوافل في حداثته ثم صار تاجراً : (ان الله يحب المؤمن المحترف) وامر العرب ان يدرسوا فنون الادب والعلوم قائلاً (الناس عالم ومتعلم ولا خير فيما بينهما) و بذلك اصبحوا لذكائهم الوقاد وحب اطلاعهم على كل شيء يخوضون غمار العلوم الطبيعية والرياضية فابتدعوا الكيمياء و برعوا بها وطبقوا تلك العلوم على الزراعة والصناعة ولهم المنة على سائر الامم بارقامهم العربية النائبة مناب الرومانية و باستنباطهم فن الجبر والمقابلة واختصارهم الهندسة واعمالهم الجليلة الفلكية في ابحاث سمت الشمس ومعادلة الليل والنهار والبقع الشمسية فقد اصطنعوا الآلات العجيبة الفلكية كالاصطرلاب ونحوه واكتشف كيماويوهم واطباؤهم خواص الالكحول والنشادر وحامض الازوت والكبريت والمياه المعدنية وادخلوا في كثير من علاجاتهم مواد من نبات بلادهم الوطنية كالكافور والراوند والسنا المكي وقد اوصلتهم قرائحهم التاريخية لانشاء عمل شعري بديع وهو الف ليلة وليلة اقول وهم اسرع الناس لتدوين انسابهم وملاحمهم وابطالهم ورواية اشعارهم والكتابة في فلسفة التاريخ وفنون الاجتماع كابن خلدون وغيره من جهابذة الاسلام .

اما الفنون الجميلة فان العرب قد نهجوا فيها نهج البيزنطيين ولم يخالفوهم الا بعدم تجسيم الحيوان ولكنهم استعاضوا عنه بالنقش النباتي (Arabesque) من تشبك اوراق واقواس باهرة وفصفصة زاهرة وآطام ومعاهد (Monument) ساحرة كقصور تونس ومصر وبغداد وجامع عمر في القدس وجامع قرطبة والقصر في اشبيلية والحمراء في غرناطة الخ .

والعرب عمال زراعة ورجال براعة فقد برعوا في سقي الجنائن واخترعوا النواعير العجيبة بل ووطنوا النباتات والاشجار الافريقية والاسيوية في اوربا كالنخل والبرتقال والتوت والقطن وقصب السكر والذرة والارز والحنطة السوداء والزعفران والهندباء والخرشوف والسبانخ والباذنجان والطرخون والبصل والياسمين الخ .

وينسب اليهم اختراع طواحين الهواء ونواعير الماء . وهم هم الصناع المجيدون الاولى صنعوا الجلود القرطبية وعملوا البسط الفاخرة ونسيج الشف (برنجك) والحرير سيما الاقمشة الموصلية والاقمشة والاسلحة الدمشقية وماء الورد والورق المصنوع من الخرق البالية والقطن الذي كان يعمل في سمرقند وبخارى ودمشق وبلنسية ومعامل الزجاج الملون ومصانع الفخار اللامع والاواني المغربية وموارد اخرى عديدة بها اثرت بغداد وطليطلة وقرطبة .

وفي التجارة احرز العرب فوق النضال على سواهم فقد رقوا الصناعة البحرية ووضعوا قوانين لحقوق الملاحة واستعاروا بيت الابرة من الصينيين (بوصلة) وضبطوا التجارة بفن مسك الدفاتر اي ضبط وشرحوا الكفالة وانشأوا المصارف للفقراء ووضعوا السفاتج (كمبيالة) المألوفة وردود التمسك (بروستو) و بعثوا روح الحركة في مصارفنا الحديثة .

وكنت تراهم حيثما سكنوا مهدوا السبيل وأمنوها وعمروا المرافئ والفرض واصلحوا وانشأوا الفنادق والرباطات ورتبوا سير القوافل الاقتصادية ولم تكن المدن الاسلامية غير اوساط تجارية كبرى و بغداد دار السلام لم تكن من القرن الثامن للعاشر وميناؤها البصرة غير مستودعات للشرق بحذافيره فقد كان بها مليون من السكان وكان لتجارها الكبار علائق مع الموصل والبلاد الارمنية وفارس وتركستان (بخارى وسمرقند) والهند وجزائر الصوند (جاوة وصومطرا) التي كانت تبيع الاخشاب الثمينة وكانوا يواصلون الصين بطريقين بري وهو ما نهجه الرومانيون ممتد في سهول البابهر ووادي تاريم والآخر بحري وهو المحيط الهندي ومن محطاته مرفأ قانطون وستيغارة القديمة التي كانوا يجلبون منها الاقمشة الحريرية والاواني الصينية وقطن نانكين والورق الارزي وصمغ اللك ثم يرجعون ادراجهم الى بغداد لتوزيعها على سائر الجهات التي يستعمل اهلوها سكة الخلفاء . والدرهم الفضي كان يساوي نحو فرنك والدينار الذهبي مقدار ١٣ او ١٤ فرنكاً وقد اهدى هارون الرشيد خليفة بغداد لشارلمان الاقمشة الحريرية والعطور وشمعداناً

.شعباً من القلز (برونز) وساعة مائية كانت سبباً لاعجاب فرنجة ايكس لاشابل فقابله على ذلك بالخيول المطهمة والبغال المزينة وكلاب الصيد واقمشة مدنية فريز الصوفية.

وكانت بغداد متصلة بكابل لاسواقها الشهيرة مع سمرقند وحلب المرتبطتين بحبل من القوافل السيارة متين . وهكذا كان ينقل شال كشمير واقمشتها ومسك التبت وتركستان وعقاقيرهما على ظهور الجمال في الغدو والآصال . وكانت دمشق مدينة الصناعة الجميلة مركز تجارة شبه جزيرة العرب ومصر وسورية . وبواسطة ثغر السويس كانت تصل للعرب بضائع عدن وجدة . وقد تحول لمصر قسم عظيم من الحركة التجارية وذلك من البلاد التي نبتت فيها البذور الاسلامية كالشرق الاقصى ومنه الصين وماليزيا واصقاع قروماندل ومالابار وجزيرة مدغسكر وقد انشأ الخلفاء الفاطميون مصر القاهرة اي مدينة النصر ولا تبعد عن منفيس القديمة كثيراً

واحتفظت مدينة الاسكندرية مدياً بمكانتها السابقة وجرفت عربها نهر تراجان مرة ثانية وبه شدد وثاق النيل بالبحر الاحمر وسبروا باسفارهم اغوار بلاد الحبشان وكردوفان وأسسوا المكاتب التجارية في اقطار افريقية الشرقية ومونباسا وكيلوا وموزامبيق وصوفالا وميلندا وجلبوا منها المسحوق الذهبي والعاج وحراشف السلاحف البحرية واصبح في المغرب من العواصم الشهيرة كالقيروان ومرفأها السوس الصغير وارغلا وواحتها الغنية في الصحراء الجزائرية وتلمسان وفاس وغيرها من المدن الكبرى التي كانت ينابيع البيع والشراء والاخذ والعطاء

وكان سكان فاس ٥٠٠ الف وتصدر مختلف الاصواف والجواهر (المعادن) والعطور والجلود المراكشية واستمرت مستعمرات في فزان وطواط والسودان وكانت طمبكتو التي يقطعها نهر النيجر مجمعاً كبيراً من مجامع الوكلاء التجارية . واما قرطبة عاصمة الاندلس فقد كانت تحتوي على مليون من البشر وعلى ٢٧٣ الف بيت و٦٠ الف قصر (خلعت عليه جمالها الايام) وكانت في اشبيلية ٣٠٠ الف نسمة وطليطلة ٢٠٠ الف وكذلك غرناطة وقادس ومالقة والمرية ومرسية وجيان وطليطلة ومرقسطة وبرشلونة فقد كانت هذه البلاد تضم بين جوانحها مختلف الشعوب الاسبانية ومتباين الامم الغربية التي كانت ترد حياضها لتتناول أقداح العلوم والصنائع والفنون وجلب صنائع التبرج والزينة ودامت العلائق الاقتصادية زمناً بين بيزر ومونبلية الفرنسويتين وبين اسبانيا المسلمة.

واما برشلونة واشبيلية فقد كانتا من اكبر الموانئ الاسبانية وكانت الاولى ترسل سفنها للغرب وآسيا الصغرى ورودس والقسطنطينية وعقدت في مصر معاهدات شتى مع بيزا وجنوة الايطاليتين في مسائل الحوالات وسائر اعمال المصارف . واما اشبيلية فقد كانت تبعث اساطيلها وعماراتها للاوقيانوس الاطلانطيكي لمداهمة الجزائر البريطانية وبلاد القاع (هولاندة)

وان تعجب فاعجب للعرب كيف نبغ بينهم لأسفارهم المترامية اساتذة جغرافيون شذبوا باقل وقت كتاب بطليموس واكتشفوا بلاداً اخرى بغير أقدامهم لم توطأ ووسموا المصورات التقويمية للغربيين وأشربوهم ذوق التنقل وحب الترحال نخص بالذكر منهم المسعودي وابن حوقل وابن بطوطة والاصطخري ونرفع بين مشاهير الرواد راية سليمان وابي زيد حسان اللذين عاشا في القرن التاسع واقبا بالمحمديين وجاب اولهما شبه جزيرة مالقة واكتشف سلسلة الجبال المسماة باسمه لليوم وسبر طول نهر السند واطلع ثانيهما على أحوال ماليزيا والتبت واقطار المحيط الهندي الافريقية . وكم وكم عادت الحروب الصليبية على الغرب بخيرات لا تستقصى ولو لم يكن منها غير تحطيم قيود التعصي الكنسي لكفى . وذلك لما رآه الصليبيون من تسامح المسلمين ولساهل مشاهير أمرائهم كصلاح الدين الايوبي والملك العادل اللذين لقي منهم اهل الصليب كل شرف ولطف وتفضل وبضدها تتميز الاشياء ولذلك يمكننا ان نقول ان الكنيسة ورؤساءها كبطرس الراهب الذين أرادوا تقويتها ورفعة شأنها لم يسعوا لحتفهم الا بظلفهم لان تلك الحروب الصليبية لم تجدهم الا شراً .

واذا تألم الوجدان من تصالح الغرب مع الشرق وانقطاع ينابيع الدماء فلذلك فقد اكتسبت هاتان الامتان من الفوائد المادية والاخلاقية التي اذاقتهم طعم السعادة ما انساهم ايام الشقاء . وهكذا ترى التجارة انتشرت بعد الحروب الصليبية أكثر من انتشارها ايام المملكة الرومانية فتعودت اوربا من العرب عادات الفضيلة والمدنية وكل ما يهون الحياة ويحليها للانفس وابتدأ الغربيون يوطفون اقتباساً عن العرب مختلف انواع النبات والحيوان وأخذوا يصنعون الاقمشة القطنية والحريرية وسكر القصب والالكحول وقلدوا العرب في ازيائهم وحمل الاسلحة العربية ثم توطد الامن واتحدت العلائق بين البلاد المسيحية والاسلامية وذاق الصليبيون لذة الاسفار بعد حروبهم حتى صار الآسيويون من الرأس الاصفر لا يخشون من رحيلهم الى رومية وليون وبرشلونة

وباريس بل ولوندرا العصبية

انقلب مجن الزمان بعد تلك الحروب وزالت الريب والمخاوف وابتدأ المتصالحون يمتلكون هذه الارض يسبرونها ويشكون في هيئتها حتى جرهم ترقي الجغرفيا لاكتشافات عديدة في العلوم الطبيعية والفلسفية بله نقول ايضاً ان تلك الحروب الصليبية وان سبقت رواج أسواق التجارة غير ان هذه التجارة قد قربت متفرق المتحاربين ورأبت منهم الصدع واسقطت السلاح من ايديهم وقدمت الهيئة الاجتماعية كثيراً

دمشق المترجم : عز الدين شيخ السروجية

اخوان روح القدس

كل دعوة تجد في اميركا بلاد الغرائب انصاراً وكل مذهب يصادف اخواناً واخداناً . وقد قرأنا في المجلة مقالة في مذهب جديد نشأ منذ بضع عشرة سنة يزعم اربابه ان المرضى مأخوذون لايشفون الا بطرد الشيطان عن أجسامهم بضربات من التوراة . نشأ هذا المذهب في ولاية مين في دورهام ثم انتشر بفضل رئيسه فرانك ستانفورد الذي يدعوه اشياعه الياس الثاني ويرونه ظل الله على الارض على ان من لايعتقدون فيه يرونه من ابرع المشتغلين بالروحانيات Hypnotiseur اما الملحدون فيعتبرونه متعصباً محتالاً

ولما شرع هذا الرجل بتأسيس معبد لشيعته لم يكن يملك قرشاً فتبرع احد الاخوان بالارض وعمروها في مدة قليلة ومنهم المهندس والبناء ومنهم الذي اتى بالاحجار وآخر بالاخشاب وغيره بمواد البناء ومنهم من وقف ماله كله بحيث لم يمض على تأسيس هذه الشيعة ١٥ سنة اذ أسست سنة ١٨٩٦ حتى اصبح رأس مالها نصف مليون فرنك اتت كلها من صلوات يتلوها صاحب المذهب والاخوان يعتمدون على الله ولذلك يرون انه يغنيهم رب السماوات وقد زعموا ان الله بذاته اوهن بانشاء هذا المعبد وقدر انجازه على اتم صوره مع مايتبعه من مستشفى ذو اربع طبقات ومدارس ومساكن وغير ذلك فكانت الدراهم اذا نضبت يأتيهم الفرج من حيث لم يحتسبوا فيعاودون العمل ويزعمون ان مئات اووا الى هذا المستشفى فشفوا من اوصابهم من فالج وغيره بضرب كتاب التوراة على الحائط فما هوالا ان تغادر أجسامهم الشياطين التي تلبستها وقد ثبت ذلك فيما قالوا بالوف من الشهادات على ان التطبب في هذا المستشفى مجاني يدخله الاخوان وغيرهم

ويدعى ستانفورد انه ينفذ ارادة الله على الارض فيصعد كل يوم الى برج عال في المعبد ويكلم المولى كما كان يفعل موسى الكليم ليتلقى اوامره تعالى ثم يبلغها اخوانه فيجيبون عليها بالسكوت

واصل ستانفورد قس من اهل كنيسة البابتيست في نيوهامشير وهو قوي نشيط شاب تخلى اول امره عن كل ما يملك وبقي يسيح ثلاث سنين ونصفاً فنصح له اصحابه ان لايأتي ما اتى من ترك راحته وزوجته فلم يسمع وبث دعوته فتبلها من قبلها متأثرين من هيئته العظيمة وحركته الآمرة وكلامه المقنع وأسسوا المعبد في مكان عال مشرف على مدينة مين ووضعوا تحت امره مصرف الله وكل ما فيه للرب اقام ستانفورد وكيلا له.

ثم رأى هؤلاء الاخوان ان يبثوا دعوتهم في اقطار الارض فاتخذوا لهم اسطولاً يركبونه هم وحدهم وهم يتولون بانفسهم جميع اموره وهو عبارة عن سفينتين ويخت وهذا الاسطول ساعد ستانفورد واشياعه ان يطوفوا اهم بلاد الكرة الارضيه فبينا كنت تراهم في ليفربول اذا هم في فلسطين وكانت الصلوات تقام في غياب ستانفورد كما لو كان حاضراً يقيمها اكبر الجماعة سناً و يعتقدون بان روح صاحب المذهب لاتفتأ تدبر امرهم . وهم اشتراكيون بالفعل فينال كل اخ في اليوم كمية محدودة من الخبز والعاجين تقل وتكثر بحسب الايجاب من السماوات التي ينفذ أمرها ستانفورد وجميع الاخوان يعتمدون على الله ولا يحسبون حساب الغد بل الله كفيل بحاجاتهم و يعلم الاولاد كلهم في المدارس الاعتماد على الله بحيث ان هؤلاء الجماعة لايحزنون ولا يتأثرون حتى لمصابهم في اعزتهم فاذا مات لهم عزيز يحملوا في نعشه بدون احتفال ولا أبهة ولا يبكون عليه و يعتقدون ان الجسم هو غشاوة الروح التي يرفعها الله اليه وهو حر مطلق فيها وما التألم للمصاب الا وهم وعبارة عن قلة الحجة على عمل المولى ولايحفلون كثيراً بقبور موتاهم بل يكتبون اسم المتوفى بدون اسم أسرته بحيث يدرس بعد حين . وكان عدد هذه الشيعة ابان انشائها نحو مائتي نسمة ولم يزد عددهم كثيراً بعد ولكن لهم في جميع الولايات المتحدة اشياع يمثلون ستانفورد في مذهبه ومن هؤلاء الاخوان من كانوا اغنياء فتخلوا عن كل ماتملك ايديهم للطائفة ومنهم من كان يملك الخمسين او المئة الف فرنك

وقد كتب ستانفورد كيف تدار آسيا وافريقية واوربا والشرق الاقصى والصين

واليابان وجزائر مالايو ومصر وفلسطين وايطاليا وفرنسا وانكلترا لخدمة طائفته قال لقد اقنعتني هذه السياحات بانه من المتعذر نشر الانجيل بسرعة في مجموع شعوب الكرة الارضية فان هذا العمل من الاوهام لان كثيراً من البشر لم يسمعوا باسم الله قط ولا يعتقدون بشيء في حين ينبئ كل شيء بوجود الله الا هذا الانسان الذي يكفر بربه كما قال شاتوبريان فان عشب الوادي وارز الجبل تقدسه والحشرة تطن بمديحه والفيل يسلم عليه في الصباح والطير يتغنى باسمه في الاوراق والصاعقة تبث قدرته والبحر المحيط يعلن عظمته واتساع ملوكته وما غير الانسان منكر للصانع ولا اكاد اجد ثلاثة ملايين من سكان الارض كلهم لا يعرفون من هو المسيح واني لاعتقد بان الناس سيعرضون على الديان في اليوم الاكبر مقسومين الى قسمين قسم يقوده المسيح والآخر المسيح الدجال الى غير ذلك من العقائد وبعضه ملفق من الاديان السماوية وبعضه من عادات القوم وتقاليد صاحب المذهب

محصول الذهب والفضة

كتب ايف كويو الاقتصادي الشهير رئيس تحرير مجلة الاقتصاديين الباريزية مقالة في الذهب والفضة قال فيها ما تعريبه ملخصاً : كانت اوربا على عهد اكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ فقيرة جداً بالمعادن الكريمة تملك ما قيمته نحو مليار فرنك من الذهب والفضة وباكتشاف اميركا انصرفت الرغبة الى جلب الابيض والاصفر . ويؤخذ من تقرير وضعه بعض الاقتصاديين متخذين الكيلوغراماً واحداً قياساً فقدروا كيلو غرام الذهب بـ ٣٤٤٤ فرنكاً و ٤٤ سنتيماً وكيلو غرام الفضة بـ ٢٢٢ فرنكاً — انه بلغ محصول الذهب من سنة ١٤٩٣ — ١٥٢٠ — ٥٨٠٠ كيلوغرام قيمتها ٢٠ مليون فرنك ومحصول الفضة ٤٧ الف كيلو قيمتها ١٠ ملايين فرنك وهكذا تدرج المحصول بحسب الادوار حتى بلغ ما استخرج من الذهب من سنة ١٥٨١ — ١٦٠٠ — ٧٣٨٠ كيلو من الذهب قيمتها ٢٥ مليون فرنك و ٤١٨٩٠٠ كيلو من الفضة قيمتها ٩٣ مليوناً . وكان مجموع محصول الذهب والفضة من سنة ١٥٦١ الى سنة ١٥٨٠ — ١٨٠٠ مليون وفي العشرين السنة التالية بلغ مجموع ثمن المستخرج من المعدنين ٢٣٧٠ وهكذا بلغ مجموع قيمة ما استخرج من الذهب والفضة خلال مئة وسبع سنين ٤١٧٠ مليون فرنك اي نحو اربعة اضعاف ما كان في اوربا على عهد الفتح الاميركي سنة ١٤٩٢ ومع كل هذا فان اسبانيا لم تغتن بما ورد عليها اكثر من جميع ممالك اوربا من الذهب ووقعت في ضائقة

لا مثيل لها واصبح جند فيليب الثاني بلا طعام ولا علوفات فيعيشون بالنهب والحاجيات غالية غلاء فاحشاً ادى لوقوع الشكايات العامة

فحددوا سعر الحنطة ومنعوا اصدار المصنوعات الى اميركا كما منعوا اخراج الصوف فكان المعدنان الكريمان ينهالان على انفرس بواسطة صيارفة جنويين

وما برح الاقتصاديون منذ بودين في القرن السابع عشر الى لوك الى مونتسكيو الى دافيد هوم الى جايمس ميل الى نيكلسون واضرابهم يقولون في ارتفاع اسعار الذهب والفضة آراء وان اختلفت في الفاظها فآلها واحد فقد قال هوم : زيدوا البضائع تنزل قيمتها وزيدوا النقود ترتفع قيمتها . وقال الاستاذ نيكلسون : للذهب ريح التجارة ومد الصناعة وجزرها وكثرته وقلته يعلي او يخفض الاسعار العامة كالريح او الجزر يزيد او يخفف سرعة البواخر

وبعد فقد كان محصول الذهب مدة ٣٥٨ سنة اي من سنة ١٤٩٣ الى ١٨٥٠ ٤٧٥٢٠٠٠ كيلو قيمتها ١٦٧٣٦ مليون فرنك ومحصول الفضة ١٤٩٨٢٦٠٠٠ كيلو ثمنها ٤٠٦١٧ مليون فرنك وبلغ محصول الذهب من سنة ١٨٥١ الى ١٨٧٥ (١٦٤٤٨) مليون فرنك اي انه تضاعف وبلغ محصوله من سنة ١٨٧٦ — ١٩١٠ (٣٩) مليار فرنك اي ان مجموع محصوله في ٣٥ سنة ساوى المجموع السابق كله وزاد عليه ١٨ في المئة وقد زاد محصول الذهب منذ اكتشفت مناجمه في كليفورنيا سنة ١٨٤٩ وفي اوستراليا سنة ١٨٥٠

وزادت حركة الغنى في اوربا بعد سنة ١٨٤٧ وقت المجاعة ثم وقفت وقوفاً موقتاً زمن الثورات التي حدثت من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٤٩ في بعض بلاد اوربا وبعد قبول انكلترا لقانون حرية المقايضة فقبض الناس ايديهم وتعطلوا عن العمل ونهبت الاموال فلما زالت تلك الغشاوة عادت الحركة اكثر من قبل وكثر الطلب اكثر من العرض كما هي العادة في مثل هذه الاحوال بعد اشتداد النوازل وتكاثر الاهوال وكما كان معدنو الذهب في كليفورنيا واوستراليا يغرقون بما يستخرجونه من هذا المعدن الكريم وهم في حاجة للمصنوعات والمأكولات كانت الحركة تزيد بين الامم وتربح من ذلك البلاد الصناعية ارباحاً هائلة فضاعفت انكلترا من سنة ١٨٥٠ الى ١٨٥٦ خطوطها الحديدية فحدث ٤٠٠٠ ميل زيادة وأنفق من هذا الذهب في حرب القريم كمية ولكن كل حرب يعقبها ارتفاع في الاسعار . فالنشاط في الصناعة قد نشأ من جلب الذهب من

كليفورنيا واوستراليا الى شرقي الولايات المتحدة فانشأت خطوطاً حديدية كثيرة بحيث بلغ ما مدته من سنة ١٨٤٩ — ١٨٥٧ (٢١) الف كيلومتر ومن ذلك راجت سوق المضاربات والمصارف وكان من امر هذه الحركة في ارتفاع الاسعار ان عادت فحدثت ازمة ماليه في اميركا فاغلق فيها ١٥٠ مصرفاً دع عنك شركات الضمان التي افلست ولم يبق من مصارف نيو يورك سوى مصرف واحد من ٦٩ مصرفاً استطاع ان يؤدي ما عليه واصاب انكلترا من هذه الضائقة شيء كثير اذ كان لها في اميركا من الاموال ما تبلغ قيمته ثمانين مليون ليرة وعقيب حرب ايطاليا وحرب الشمال مع الجنوب في اميركا عادت الاسعار فارتفعت لا لكثرة الذهب بل لان الذهب اصبح يقايض عليه بورق

ولئن كان المعول على الذهب في مقايضات الامم فان البلاد ذات العيارين اي التي تتعامل بالذهب والفضة على حد سواء ظلت ينهال عليها الذهب ومع هذا لم ترتفع اسعار الحاجيات على تلك النسبة فالحنطة لم ترتفع الا بفضل الولايات المتحدة والسكر نزلت اسعاره لكثرة انتشار زراعة الشوندر و بفضل فتح برزخ السويس وتسهيل طرق الملاحة لم ترتفع اسعار الشاي وكثر محصول الحديد وخف سعره ولكن كثر الطلب عليه بسرعة وزادت اسعار اللحم والجلد زيادة فاحشة وكان من نتائج حرب النمسا و بروسيا ارتفاع الاجور كما كان من نتائج حرب فرنسا والمانيا ان صرف فيها مباشرة او بالواسطة ٤ مليار فرنك ثم انشئت في الولايات المتحدة والنمسا وروسيا الوف من الكيلومترات من الخطوط الحديدية . وكان من امر الغرامة الحربية التي اخذتها المانيا من فرنسا ان زادت الحركة في المانيا زيادة عظمى وكانت النمسا قد دخلت في جميع ضروب المضاربات وفرنسا تحتاج للمال وانكلترا تحتاج النقود لكثرة ما اصدرت منها الى خارج بلادها فحدثت فيها ازمة سنة ١٨٧٥ و بها نزلت الاسعار وهكذا ظل نزول الاسعار مطرداً منذ سنة ١٨٧٣ ماخلا بعض الاحوال القليلة ومنذ ذاك الحين لم يحدث من الحروب المهمة سوى الحرب الرومي العثماني الذي أنفقت فيه نفقات هائلة ولكن وسائط النقل وذرائع الانتفاع كثرت ونمت ونزلت اسعار الحبوب بما ورد على اوربا من حنطة الولايات المتحدة وكندا والهند وروسيا ثم حدثت حرب الترنسفال التي أنفقت فيها عدة مليارات من الفرنكات فاخذت الاسعار بالصعود ثم حدثت الحرب الروسية اليابانية فانفق فيها بضعة ملايين من مليارات الفرنكات ومن جملة الاسباب في ارتفاع الاسعار قلة مواشي

اوستراليا التي كان من جفاف سنة ١٩٠٣ ان نزل عددها من ١٠٦٠٠٠ رأس الى ٥٤ الفاً وكثر الطلب على الصوف وكذلك زاد محصول الحرير والطلب عليه ومع تكاثر الناس والطلب على الحنطة كان محصول الذهب واحداً بالنسبة للحنطة واللحم بيدان الذهب على زيادة محصوله السنة بعد الاخرى لم يكن السبب في ارتفاع الاسعار بل ان كثرته اقل من ترقي صناعات الفحم الحجري والحديد واذا قيس محصول الذهب بالنسبة لمجموع صناعة العالم فقيمته طفيفة جداً

فما يخرج من المعامل من أنواع الصناعات والمصنوعات وما يخرج من المزارع من انواع الغلات والثمرات اكثر بكثير مما يخرج من ركاز الذهب واذا حسبنا مجموع ما يخرجه سكان الارض وهم الف وستمائة مليون لا يعد محصول الذهب شيئاً في جانبه بل لا يكون واحداً في المئة من مجموع اعمال العالم وحاصلاتهم ثم ان ما يحصل من الذهب لا يتعامل بنحو نصفه فان محصوله الذي بلغ منذ اكتشاف اميركا الى اليوم ٦٩ مليار فرنك قد قدروا ما هو موجود في المصارف و بين ايدي الناس منه فلم يبلغ اكثر من ٣٦ ملياراً ونصف مليار من الفرنكات والنصف الآخر من محصول الذهب خزن او استعمل في بعض الصناعات واختلف الاخصائيون فيما تستغرقه الصناعات من الذهب ولم يتجاوز تقديرهم النصف من محصوله ولم ينقص عن الثلث الا قليلاً . وختم العالم صاحب هذه المقالة بحثه بالنتيجة التالية : (١) ان زيادة محصول الذهب كانت ابطأ بكثير من زيادة محصول الصناعات الرئيسة (٢) ان استخراج الذهب ليس الا صناعة صغيرة (٣) ان زيادة المستخرج من الذهب وان اكثرته فالطلب مازال يتجاوز العرض على الدوام (٤) ان زيادة المستخرج من الذهب في السنين الاخيرة لم يؤثر ادنى تأثير في ارتفاع اسعار بعض البضائع (٥) ان القائلين بنظرية الكمية لايقاومون من مراقبة الواقع .

الشيوخ في اوربا

احصى احد علماء الدانمرك عدد الشيوخ في اوربا الذين بلغوا المائة من عمرهم فوجدهم ٧٠٠٠ ووجد من احصائه ان اكثر البلاد التي يوجد بها من هذا القبيل هي البلقان اذ يبلغ عددهم ٥٠٠٠ من السبعة الآلاف المذكورة

و يوجد من كل مجموع هؤلاء الشيوخ ٣٨٨٣ بلغاريين و ١٠٧٤ رومانيين و٥٧٣ صربيين و٤٠١ اسبانيين و٢١٣ فرنسويين و١٩٧ ايطاليين و١١٣ نمسويين ومجريين

و٩٣ انكليزاً و ٨٩ روسيين و٧٦ المانيين و ٢٣ نروجيين و ١٠ اسوجيين و٥ بلجيكيين و ٢ دانمركيين

هبات الاميركيين

قالت مجلة العالم الجديد كان مبلغ الهبات المالية التي وهبها المحسنون الاميركيون في سبيل الخير والنفع العام في سنة ١٩١١ على ما علن في ختام هذه السنة ٢٥٨٤٧٥١٤٦٩٥ دولاراً وهو اعظم مبلغ وهب في سنة واحدة في اميركا بل ربما في العالم حتى الآن وكان الفائز بقصب السبق في مقدار البذل المثري والمحسن الشهير اندرو كرنجي الذي بلغت هباته في هذه السنة فوق الار بعين مليون دولار ولم تبلغ هبات روكفلر المثري الآخر الشهير غير ثلاثة ملايين و ثمانمائة وعشر ين الفاً ·

كيفما نظرت واينما حللت في اميركا تجد آثار هبات المحسنين ظاهرة تنطق بفضلهم وتخلد الذكر الجميل لهم · فالمكاتب الجميلة ومعاهد العلم الجليلة والمستشفيات والملاجئ الخيرية المؤسسة والمدارة بالهبات الخصوصية من هذه الآثار كثيرة جداً وفي كل سنة تنفق الملايين من احسانات الافراد في سبل متنوعة على الفقراء والمحتاجين عدا ما تبذله الحكومة والبلديات من هذا الوجه · وترى ملاجئ العجز ودور الصم والعميان والمقعدين والايتام قائمة في كل جهة شواهد على كرم افراد المحسنين · خل عنك ما يبذل في سبيل المتاحف ومعاهد الآثار والتهذيب وما ينفق على ارسال المبشرين ومساعدة رجال العلم وغير ذلك الف امر آخر تبسط له اكف المحسنين بسخاء يدل على محبة صحيحة للخير وللنفع العام ·

وقد يتصور معظم الناس ان بذل المال عند كبار المحسنين امر هين مازال هذا المال موجوداً وليس عليهم غير انفاقه الا ان الحقيقة تناقض هذا التصور لان بذل المبالغ الكبيرة من المال على مستقل بنفسه يقتضي درساً دقيقاً حين يقصد القيام به بحكمة تضمن حصول النفع · ولهذا يستخدم جون روكفلر جماعة خصوصيين من الرجال الذين لا اهتمام لهم الا بتوزيع هباته حيث يمكن تحقيق اتيانها بفائدة ومعظم المحسنين الكبار يتصرفون بمزيد التأني في بذلهم وكثيرون منهم يدرسون المشاريع التي يراد البذل في سبيلها درساً خصوصياً بنفوسهم على نحو ما يفعل مورغن وشيف وفي بعض الاحيان روكفلر لانهم يعتبرون انهم قد يبذلون ثرواتهم جزافاً اذا لم يتروّوا ويسلكوا سبيل الحكمة ·

يؤثر عن اندرو كرنجي قوله ان لا خير في الرجل الذي يموت غنياً و يذهب كثيرون الى انه عامل عَلَى انفاق كل ثروته قبل وفاته . الا ان محسناً اميركيا آخر سبق كرنجي الى العمل بمنطوق هذه العبارة فبذل كل ثروته البالغة سبعة ملايين دولار دون ان يحتفظ منها بشيء وهو الآن مقيم في احد الملاجئ التي أنشأها كرمه يقضي بقية ايامه بسلام . وهذا المحسن هو الدكتور د . ك بيرسون من هايلندز دايل . ايلينويز . الذي وهب في هذه السنة آخر ما كان يملك بمانيه بيته والارض المحيطة به .

ولكن الدكتور بيرسون لايعد من كبار محسني سنة ١٩١١ وان تكن هباته باجمالها كبيرة . بل يرد في المقام الثاني بعد كرنجي الدكتور صموئيل بالا احد اطباء لوس انجلس كاليفورنيا الذي وهب ثروة لاتقل عن عشرة ملايين دولار ورثها من امرته في بلاد المجر . وتخلى عن جميع القاب الشرف التي كانت له حينما تجنس بالجنسية الاميركية . وان في مثل الدكتور بالا واندرو كرنجي — وكلاهما غير اميركي المولد — اكبر برهان عَلَى استحقاق المهاجرين وعظم افادتهم لوطنهم الجديد ومقدار شعورهم مع اخوانهم الاقل منهم حظاً

ومن تنوع الغايات التي تناولتها احسانات سنة ١٩١١ ان السيدة ماري توتوشاستيان وقفت ثروتها البالغة خمسة ملايين دولار عَلَى اقامة ملجأ للنساء من بنات النعمة اللواتي اخنى عليهن الدهر واصبحن بلا ملجإ . وقد اقيم هذا الملجأ في لكستتن كنتكي وهو الوحيد من نوعه في هذه البلاد .

ومنها ايضاً ما سعى اليه احد اعاظم تجار شيكاغو جيمس باتن من تطهير الارض من السل الرئوي او الطاعون الابيض فقد خصص لذلك حتى الآن لا اقل من اربعة ملايين دولار وهو يوالي تبرعاته بدون حساب في هذه السبيل . اما دافعه الى ذلك فهو ان اخاه توفي بالسل اولاً ثم مالبث ان توفي ابنه فكان له بذلك باعث شخصي عَلَى مقاتلة المرض الوبيل زيادة عَلَى الباعث الانساني العمومي .

ومنها ايضاً ان الصحافي الاميركي الشهير جوزف بولتزر صاحب جريدة الورلد النيويوركية الذي توفي هذه السنة خصص مبلغ مليوني دولار لانشاء مدرسة صحافية في جامعة كولمبيا . وقد كان بولتزر مهاجراً ايضاً الا انه اصبح من اعظم الرجال الاميركيين العموميين وكان قوة معدودة في السياسة ومن اكبر قادة الرأي العام عَلَى الرغم من ابتلائه بالعمى في العشرين سنة الاخيرة من حياته

اما اعظم هبات هذه السنة وهي التي تفوق قيمتها المليون ونصف المليون على اختلاف غاياتها الخيرية والعلمية والتهذيبية فبيانها كما يأتي:

اندرو كرنجي	٤٠٧١١٣٠٠
الدكتور صموئيل بالاً	١٠٠٠٠٠٠
السيدة ماري تروترشاستيان	٥٠٠٠٠٠
بيتر بنت بريغهام	٥٠٠٠٠٠
جيمس باتن	٤٠٠٠٠٠
متشل فالنتين	٢٥٥٩٥١٤
جون د. روكفلر	٣٨٢٠٠٠٠
جون م. بورك	٢٠٠٠٠٠
وليم برايور	٢٠٠٠٠٠
الآنسة كاتون اوغستادي بوسيتر	٢٠٠٠٠٠
جوزف بوليتزر	٢٠٠٠٠٠
القائد .ت. كولمان	٢٠٠٠٠٠
السيدة روسل ساج	١٥٠٠٠٠
جورج كلايتون	١٥٠٠٠٠

المرأة في الولايات المتحدة

كتب البارون دستورنل دي كونستان من اعضاء مجلس الشيوخ في فرنسا مشاهداته في الولايات المتحدة فقال ان مسألة التربية المشتركة في الولايات المتحدة اي تربية الشبان مع الشابات قد انحل اشكالها في ولايات الغرب اما في ولايات الشرق فقد أخذوا يتناقشون فيها وذكر ماراه في كليات الشرق من امتزاج البنين بالبنات في المدارس الداخلية فتراهم يتعلمون ويلعبون ويرتاضون معاً وللفتيان اماكن خاصة لنومهم كما للفتيات بحيث ترى ربات الجمال يعملن فلايخفن الهواء ولا البرد ولاالحر ولاعيون الرجال وما قط سمع بعار ارتكب او فضيحة أتيت

ولقد كان يخامر خاطري وانا أرى اولئك الفتيان والفتيات يتراكضن و يتدارسن متروكين لغرائزهم ثم بدا لي بعد بالاختبار ان هذه التربية هي آكد الطرق الى الفضيلة وان استعمال الحرية احسن ذريعة واتم نظام وان فتيان الفرنسيس ليغلطون اذا

وهموا ان هذا النوع من التربية الاميركية لايخرج رجالاً أكفاء ونساء ذوات كفاءة فانا نرى ابناء هذه التربية يسيحون في اوربا واكثرهم لايعرفون لغاتها ويحسن رجولتهم ومثانتهم يحسنون التخلص في كل مكان فهم يرون ان تربيتهم المستقلة لاتفصلهم عن سائر العالم بل تقربهم

ولطالما سألني النساء ولا سيما في اقصى الغرب من اميركا حيث بلغ ارتقاء الجنس اللطيف اقصى كماله عن رأيي في حالة المرأة الاميركية والمرأة الاوربية وقالت لي احداهن انك اتيت من اوربا باوهام وتقاليد بشأن المرأة وكيف جاز للام الافرنسية ان تشك في عفاف ابنتها فلا تتركها بعد الغروب تسير وحدها فاجبتها بان بناتنا فلا نخاف عليهن من الوطني بقدر مانخاف مثلاً على الفتاة تسير وحدها في جادة باريز لكثرة مايجيء هذه العاصمة من اخلاط الزمر الذين يجيئون لينفقوا فيها اموالهم والفتاة لاسلاح معها لا ضد القانون فقط بل ضد الاخلاق التي يجب تجنبها قبل كل شيء

وقالت لي احداهن: ولا تظنن ان المرأة الاميركية سعيدة اكثر من المرأة الافرنسية فان زوجها او اباها لايشركها في حياته كما يشارك الفرنسوي زوجته او ابنته فالزوج الانكليزي يمر امام امرأته والمرأة الاميركية تمر امام زوجها اما المرأة الفرنسوية فانها تمر مع زوجها كتفاً الى كتف

نعم ان المرأة في فرنسا ولا سيما في البلاد التي لا يسيح فيها السائحون مثل مسقط رأسي «السارت» هي الحاكمة الحقيقية في بيتها وبعبارة ثانية ان الحاكم هو الرجل والمرأة هي الساهرة الرجل يأمر والمرأة توحي وتبذل كل ما في وسعها للقيام بكل ما تقتضيه منزلها من الاعمال فهي تباكر قبل زوجها توقد النار وتهيء الطعام وتوقظ الاجير او تضع العلف للدواب بيدها وتنفض الثياب وتطلي الاحذية وتعين زوجها لشد دوابه فاذا ماانصرف زوجها تضع كل شيء في الغرفة في محله وكذلك المطبخ والدار والقن والفناء والاصطبل وتلبس الاولاد وتفطرهم وترسلهم الى المدرسة وتصلح الثياب وتغسلها وتكويها وهي تتكلم وتحدث وتقدم الطعام الجيد لزوجها وتعمل له الحلويات وتبتاع حاجياتها من البقال وتستقبل ضيوفها باسمة وهي بهندام نظيف آمنة مطمئنة وهي تحسب حساب بيتها وتمتهن في هذه المقاطعات من لايعرفن الكتابة الاقليلاً ومع هذا ترى المرأة لاتخطيء فتدفع لهذا وتسلف ذاك وتوفي زيداً وتسلي زوجها وتدخل السرور على قلبه اذا كان كئيباً وتباحثه وتجادله فهي مستشارته وصاحبته ونصفه بل أحسن نصف فيه

ولذلك لاترى هذه المرأة تطالب بمثل مايطالب به غيرها من نساء اميركا وانكلترا من حق الانتخاب لان القانون وضعها موضعها اللائق بها

اقول هذا وانا الوم من استعملوا الشدة في انكلترا مع النساء المطالبات بحقوق الانتخاب فوضعوا المرأة في طبقة احط من طبقات الانسانية اما في الولايات المتحدة فلم يرتكب احط الساسة قط خطأً مع النساء كما ارتكب أحرار الانكليز حتى ان الرئيس روزفلت نفسه القائل بالشدة لم يقاوم المرأة في وقت من الاوقات وعاملها بالحسنى عَلَى الجملة

وان مسألة تصويت النساء تنحل عقدة بعد اخرى في الولايات المتحدة وما الذين يضحكون اليوم من مطالبة النساء بهذا الحق الا اناس سيضحك منهن غداً وهكذا كان حال كل المدافعين عن المطالب الشريفة وجميع المقدمين والمخترعين ضحك الناس منهم وهزأوا بهم ثم اخذوا بعد ذلك يبجلونهم و يقدسونهم وقد نجح النساء في الولايات المتحدة باشتراكهن في انتخابات البلدية حتى ان منهن رئيسات في بعض البلديات كما هن امهات صالحات و يشاركن الرجال في الاقرار عَلَى ميزانيات المعارف وانتخاب المعلمين للمدارس او اعضاء لدور الكتب دع عنك من دخل مرتين في التعليم وادارة المدارس وغرف التجارة والزراعة وقد كان للنساء الاميركيات يد طولى في تحرير الزنوج ثم عاد الرجال فاضطهدوهن واخرجوهن من دائرة العمل في انهاض بلادهن عَلَى نحو مايخرج الجناة والجانين فهن الآن لا يقتنعن الا بمشاركة الرجل فلا يكتفين بالنفوذ بل يردن العمل بل العمل مباشرة ٠ وقد ثبت لي ان النساء ممتعات في الانتخاب في المدن الداخلية حيث المرأة هي صاحبة الامر والنهي في منزلها لاحيث النساء يتلهين بملاهي السواحل وحاناتها كما هو الحال في سان فرنسيسكو ولولا النساء في هذه الولاية لاشتعلت جذوة الحرب بين الولايات المتحدة واليابان ولكنهن يلطفن من تغالي الرجال و يعدنهم الى حظيرة التعقل في كل حال

المدارس الابتدائية في اوستراليا

اوستراليا او هولاندة الجديدة جزيرة كبرى للغاية في المحيط الكبير وهي من اهم المستعمرات الانكليزية سكانها زهاء اربعة ملايين نصفهم من الاوربيين جاؤها لاستثمار مافيها من معادن الذهب والفحم والتوفر عَلَى تربية الماشية ومساحتها عبارة عن ٨٦٢١٥٥٦٧٣ كيلو متراً تنقسم الى عدة ولايات وتعد هذه الجزيرة احدى قارات

العالم الخمس وقد كتبت احدى العقائل فيها مبحثاً في مجلة مستندات الترقي الباريزية تصف مدارسها الابتدائية اللادينية التي تقتصر على تعلم العلوم فقط فقالت ان لنظام التعليم الابتدائي في اوستراليا مبدأين التعليم الاجباري والمجاني

وقد كان عدد من دخلوا المدارس العامية في السنة الماضية من الاولاد ٧٢٨٠٠٠ ولد ومجموع ماانفقته ولايات هذه الجزيرة على التعليم ٧٥ مليون فرنك

ولئن كانت المواد الجوهرية في التعليم الابتدائي الجيد موجودة ثمت منذ زمن طويل الا ان مدارس حدائق الاطفال لم تنشأ الا في العهد الاخير وكذلك مدارس تعليم البالغين. كان التعليم الابتدائي في مدارس اوستراليا دهراً طويلاً لادخل للدين فيه بتة ورأى الشرع هناك بالنظر لكثرة المذاهب الدينية ان ليس من الحكمة ادخال مسائل الدين ومناقشاته في المدرسة وان غايتها يجب ان توفي بحاجات التعليم والتربية وليس في البلاد غير ولاية غاليا الجديدة في الجنوب شذت عن هذه القاعدة منذ زمن بعيد وادخلت الى مدارسها تعليم التوراة نازعة في تعليمها منزعاً لايشعر بالتشيع لمذهب خاص من مذاهب النصرانية ومنذ زمن غير بعيد حذت هذا الحذو ايضاً ولايتان اقل مكانة من تلك وهما ولاية اوستراليا الغربية وولاية تاسمانيا فاخذتا تقرئان في مدارسهما شيئاً من كتب الدين بيد ان الولايات الراقية من حيث الصناعة والعلم مثل ولاية فيكتوريا واوستراليا الجنوبية وكنسلاندا قد احتفظن كل الاحتفاظ بمبدإ المدارس العلمانية .

ولم يبرح ولاة الامور ولا سيما في فيكتوريا يحرصون على تعرية المدارس من كل جدل ديني ويظهرون فضل هذه الطريقة في تنشئة اخلاق الاولاد ويبينون ماينشأ من العدول عن هذا المبدإ الذي ظهرت ثمراته . وشعار مدارس ولاية فيكتوريا في التعليم: « الاجبار والمجانية والعلمانية » ومعلوم ان الاجبار المدرسي مناف للتعليم الديني الاجباري لان هذا ربما مس العواطف الدينية في الاولاد او في اهليهم ممن قد تكون عقائدهم مخالفة لما يلقن اولادهم في المدارس

اما الكنائس فانها مخالفة لهذا المبدإ وهي بوجه الاجمال تناقض مبدأ التعليم اللاديني ولا سيما الكنائس البرتستانتية فانها تطالب بادخال تعليم التوراة على مثال ولاية غاليا الجديدة في الجنوب ولطالما حاولت نيل ذلك فكانت الاكثرية في جانب المدارس العلمانية اما الكنيسة الكاثوليكية فانها تفضل ان يكون التعليم علمياً محضاً من

ان تعلم في المدارس التوراة فقط على الطريقة البرتستانتية وتوشك ان تؤسس مدارس لابنائها خاصة يوم يقال لهم "تعلموا عينا" دينياً يخالف مذهب آبائكم. اما غير المتدينين والطبيعيون فانهم لا يقولون بتعليم ديني ولا باقامة شيء من الشعائر وقد سمحت حكومة فيكتوريا لآباء التلامذة ان يعلموا اولادهم تعليماً دينياً بواسطة قسيسين من مذهبهم وذلك بعد القاء الدروس النظامية اوقبلها. وليست قراءة التوراة اجبارية حتى في مدارس الولايات التي تعلم الدين

وعلى الجملة فان من ولايات اوستراليا من لم تلتزم الخطة اللادينية في التعليم ومنها من قبلت بتعليم التوراة مع سائر العلوم ولكل من التعليمين انصار ولها أثر في تربية أرواح الاولاد. ويقول خصوم التعليم اللاديني في اوستراليا ان حالة اخلاق الشبيبة في ولاية فيكتوريا أحط مما هي في سائر الولايات التي تعلم فيها التوراة ويقولون بان احدى دور توليد النساء في ملبورن كان فيها نصف الامهات الفتيات من سن ١٥ الى الـ ٢٠ و بعضهن من سن الـ ١٢ الى الـ ١٣ او الـ ١٤ فيجيبهم خصومهم على ذلك بان امثال هذه الدور للتوليد لاتقبل الا من كن «بكريات» من البنات ولذلك كان عدد عظيم ممن تؤويهن من النساء هن شابات للغاية

وقال الاستاذ آدم من كلية ملبورن ان عدد الجرائم قد تضاعف في فرنسا من سنة ١٨٦٦ الى ١٨٩٦ بسبب المدارس اللادينية وفاته ان التعليم الديني في خلال نصف هذه المدة كان اجبارياً في مدارس الفرنسيس وقد ادعى احد القائلين بالتربية اللادينية ان مدارس ولاية غاليا الجديدة اتت بانفع الثمرات بمدارسها الدينية اكثر من مدارس ولاية فيكتوريا اللادينية وان عدد الجنح والجنايات اكثر في الولاية الاخيرة من الولاية الاولى على انه لا يجب ان يفوتنا ان الاحصاء الذي يوردونه تأييداً لمدعاهم لا ينطبق مع حقيقة الواقع لان من الولايات مازاد نفوسها اكثر من غيرها ولذلك زادت جرائمها لا لفقدان التعليم الديني منها والحقيقة ان عدد الجرائم كان هكذا سنة ١٩٠٨

ولايات	تعليمها لاديني	ولايات	ذات تعليم ديني
٢٤٧	كنسلاندا	٤٩٦	اوستراليا الغربية
٢١٦	فيكتوريا	٣٢٠	غاليا الجديدة الجنوبية
١٢٩	اوستراليا الجنوبية	٢٩٢	تاسمانيا

وقد كان معدل الولادات غير الشرعية سنة ١٩٠٧ ٦،٦٦ في المئة في ايكوسيا على حين كان ٣،٩٩ في المئة في انكلترا وبلاد الغال من بريطانيا وكانت فينا من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٢ تعد في كل الف امرأة غير متزوجة او عزبة سنها من ١٥ الى ٤٥ ٦١ ولادة غير شرعية في حين كانت باريز تعد ٣٦ في كل الف اما سدني عاصمة اوستراليا كلها وفيها تعليم ديني فكان منها معدل الولادات غير المشروعة خلال تلك المدة ١٧،٩ في المئة وكان معدل الولادات في ولاية ملبورن اللادينية ١٣،٥ في المئة وادنبرغ ١٣،١ في المئة ولندرا ٦،٤ في المئة

ومتى علم لم انتشرت الرذيلة في بعض المدن التي ذكرناها ولا سيما في لندرا يعجب المرء ان يرى الى اية درجة يمكن تأثير طريقة التسجيل في الاحصاءات وكيف انتشرت طرق مقاومة الحبل انتشاراً فاحشاً . وما هذه الاحصاءات في الحقيقة بستند يصدق على سمو اخلاق بل ولا على انحطاطها الا الى حد محدود فان كثيراً من الولادات غير المشروعة تكون في أمة دليل الجهل اكثر مما هي دليل فساد الاخلاق ولا يصير الى دور التوليد الا الجاهلات اما الفاسدات من النساء فانهن يعرفن من اين تؤكل الكتف اذا وقعن في مأزق وحملن من حرام

بيد ان الاحصاءات في اوستراليا تثبت مكانة الاخلاق في الولايات التي اتخذت في مدارسها الحياد قاعدة في مسائل الدين ولكن هذه المكانة يحتزر المربون اللادينيون من نسبتها خاصة الى التعليم اللاديني ولا يعمدون الى الاستشهاد بالاحصاءات الا لرد حجج خصومهم في فوائد المدارس اللادينية اهـ

هذا ماقالته كاتبة المقالة ونحن لانثبت ولا ننفي الآن في ترجيح احدى الطريقتين الدينية واللادينية ولا سيما في هذه الديار المجهول أمرها فعسى ان لا يتأذى احد بما ننقله الشهر بعد الشهر عن مجلات الغربيين للعبرة والاستفادة وما القصد خدمة رجال الدين ولا غيرهم بل عرض اوضاع الغرب واهل الشرق معها وما يختارون

مدينة في حديقة

ينشئون الآن على مسافة خمسين كيلومتراً في شمالي لندرا مدينة في حديقة غناء لايواء اللقطاء واليتامى من الاولاد وكانت ربت ادارة هذه المدينة في معاهدها حتى اليوم منذ اربعين سنة وهووقت أنشائها ٧٠٤٣٦ طفلاً وأنشأت ٢٥ الف معهد في المستعمرات الانكليزية لهذا الغرض والغاية من انشاء هذه المدينة الجديدة تدريب

الاولاد عَلى حياة الزراعة ولا سيما في سهول كندا الفسيحة وستقسم المدينة الى ٢٨ داراً كل منها تؤوي ٣٠ ولداً ولكل دار حديقة وحقل يعمل فيه الاولاد يفصل كل بيت عن جاره وهناك مستشفى وحوض لتربية الاسماك ·

وقد سبقت المانيا فانشأت هذا النوع من المدن والحدائق الخارجة عن الحواضر والعواصم لتبقى هذه للاعمال والتجارة وتكون المدن الحديثة للصحة والراحة تعود بالانسان الى الطبيعة التي فقد الانسان الاستمتاع بها بما يراه في المدن الحديثة من بنايات ذات اربع او خمس طبقات · وقد رأى القائمون بذلك من الالمان ان الاراضي في الضواحي البعيدة رخيصة لاتخضع لقانون المضاربات و يشترط عَلى كل صاحب بيت مالكاً كان او مستأجراً ان يزيد في جمال بقعته جمالاً بما يغرسه فيها من الاشجار و ينشئه من الحدائق الانيقة و يشترط عليه ايضاً ان يبقي قطعة يغرس فيها انواع الزهور وحديقة وراء بيته يلعب فيها اولاده وقد أنشأ هؤلاء المفكرون في الضواحي حمامات ومحال اللعب ومكاتب للمطالعة ومحال للسماع مجانية ودور تمثيل ومتاحف ومستوصفات مجانية وملاجئ للامهات وغير ذلك من المنشطات وكلها بلا مقابل

اللبن

معظم بلاد الغرب تخرج من اللبن الحليب والزبدة والجبن وسائرمايتفرع من اللبن صنوفاً وضروباً وللبن تجارة واسعة تعد بالملايين وقدساعد عَلى انمائها نموالزراعةبالمراعي الكثيرة والوسائط العملية الوفيرة ولقد رأينا في اوربا فلاحاً يعيش هو وأسرته من بقرة او عنمتين ولذلك امثال في هذاالشرق ايضاً ولكن المتوفرين هنا عَلى تربيةالمواشي الحلوبة اقل بكثير من المتوفرين في الغرب عليها · فنجد في سويسرا ثلاثة أرباع الاراضي الزراعية مخصصة للمراعي وتقدر مساحتها بعشرين مليون هكتولتر وثمنها ٣٣٣ مليون فرنك ونصف المراعي يصرف بطبعه وسبعة ملايين هكتولتر تصرف لعمل الزبدة والجبن والباقي للحصول عَلى الطحين اللبني والشوكولاتا باللبن · وسويسرا تصدر معظم ماتعمله من اللبن المجمد والجبن والطحين اللبني الى البلادالخارجية وفي سويسرا مليون ونصف مليون رأس من الماشية و ٣٦٠ الفاً من المعزى ولكثرة مايرد عليها من الاجانب السائحين تجلب من البلاد الخارجية ٤٧ الف رأس بقر و ١١٨ الفاً من الخرفان و ١٥٠ الف خنزير في السنة وهكذا الحال في فرنسا والمانيا وغيرها من البلاد ففي تكون واردات المملكة العثمانية كلها من البانها بقدر واردات سويسرا فقط

وسويسرا بمساحتها اقل من نصف ولاية سورية و بنفوسها تقرب من نفوس القطر السوري فتأمل

المدارس الفرنسية
في الشرق

يستفاد من تقرير المسيو ديشانل ان عدد التلاميذ الذين تلقوا علومهم في المدارس الفرنسية في بلاد السلطنة وفي الشرق بلغ في العام المدرسي الاخير ١٠٤ آلاف منهم ٧٤ الف تلميذ في السلطنة و٢١ الفاً و ٥٠٠ في القطر المصري و ٢٩٠٠ في اليونانية و ٣٢٥ في كريت و ٦٦٧ في قبرص و ٢٠٠٠ في بلغاريا و ٢٠٠ في رومانيا و ٢٨٠٠ في ايران

اما عدد الذين تلقوا العلوم العالية فبلغ ٧٥٢ والعلوم التجارية وغيرها ١٦٩ والعلوم الثانوية ٩٩٤٣ والعلوم الابتدائية ٩١ الفاً و ٤٨٥

الطلاق في يابان

يزداد الطلاق في الغرب اليوم بعد اليوم ولكنه في الشرق اكثر ولاسيما في الشرق الاقصى فقد ذكرت احدى مجلات يابان انه كان سنة ١٨٧٠ بالنسبة للزواج ٨٤ في كل عشرة آلاف فتجاوز معدله اليوم ٢٥٠ في العشرة آلاف والمرأة هي التي تطلب في الغالب طلاقها وذلك بفضل التربية والتعليم فقد ارتقت المرأة اليابانية وشعرت بحب الحرية حتى انها لا ترى ان تقيد بزوج قيداً ابدياً . ولو تعلمت ماينفعها في منزلها وأسرتها على نسبة ماينفعها في توسيع عقلها لما آثرت على عيش الأسرة حياة غيرها وليس السبب في طلب المرأة اليابانية الطلاق سوء الاخلاق وخيانة الزوج والزوجة بل توسع المرأة في تقاضي حقوقها . قالت وقد اختلفوا في الغرب بامر الطلاق فالكاثوليك يحرمون من يأتيه و يرون ان عقد الزواج لا ينفصم الا بالموت والبروتستانت يحلونه ولكن بشروط والملحدون يعقدون ويحلون على هواهم ويرى بعض الاجتماعيين ان الطلاق هو الدواء الوحيد الشافي من أصعب أمراض المجتمع ونحن نقول ماقاله اسلافنا ان ابغض الحلال الى الله الطلاق

براميل القمامات

تضع مدينة باريز براميل امام بعض البيوت والمحال ليلقي فيها الباريزيون القمامات والكناسات التي يكسحونها من دورهم وشوارعهم يسمونها Poubelles نسبة لاحد

ولاة بار يز السابقين الذي ابتكر هذه الطريقة فوضع هذه البراميل لئلا تلقى القاذورات في كل مكان فيتأذى بها ابناء السبيل وتضر بصحة السكان ومن العجيب ان الافرنج يحسنون استخدام كل شيء و ينتفعون من كل مادة ومن كان يخيل اليه ان عشرة آلاف رجل وامرأة وولد يتوفرون كل يوم على البحث في هذه العلب والبراميل قبل ان يرفعها الكناسون في عجلاتهم و يلقونها في اماكن تستخدم لتسميد أراضي الضاحية فيعثرون فيها احيانًا على لقط لاتخطر في بال و يتناولون منها فضلات تقدر قيمتها ببضعة ملايين وهكذا يستخرج اليوم اللانولين Lanoline الذي لم يكن معروفا منذ عشرين سنة وهو يتألف من بقايا انسجة الصوف والخرق التي تغسل مما علق بها من المواد الدهنية والزيتية وغيرها ومن اللانولين يربح ارباب المعامل ارباحًا مهمة وكذلك الحال في قطع الزجاج التي يعزلونها من هذه العلب و يسحقونها ويمزجون مسحوقها ببلاط بورتلاند فيأتي منه مزيج يكون منه بلاط شفاف اقبل الناس على تبليط الدور والحوانيت به و يعملون من هذا المسحوق ايضًا قرميدًا يدخل في بعض الابنية . و يستخدمون ايضًا الزجاج المكسور وصوالة « بقايا » البقول والجلد والاحذية العتيقة والقفافيز البالية والمسامير القديمة المصدية والمفاتيح والاقفال المحطمة مما تظنه ربة البيت لا فائدة فيه .

وقد جرت بعض مدن اميركا على هذه القاعدة في انه لا شيء بدون نفع فأخذت تسحق هذه القمامات على اختلاف تركيبها وتجعلها ذرورًا يصير منها سماد نافع يحتوي من المواد النباتية والحديد النافع في اخصاب الارض . وكم للافرنج في هذه السبيل من اعمال يحيلون بها مالا يعتقد غناؤه الى مواد نافعة حتى لقد بلغ بهم التفنن في العلم ان اخذوا يجمعون الدخان الذي تقذفه المواقد العالية فيضر بالمزروعات ويحولونه الى قلي طيار وهذا النشادر يباع باثمان مهمة ويتجر به المتجرون

المخبز البلدي في بودابست

أنشئ هذا المخبز في عاصمة المجر سنة ١٩٠٣ وهو يكاد يكفي حاجات المدينة ومعاهدها و يخبز كل يوم ٣٨ الف كيلو من الخبز تخبز كلها بواسطة ادوات لا تمسها يد انسان في امكنة مستوفاة من حيث حفظ الصحة وقد كاد يقضي هذا المخبز على الخبازين في المدينة فاضطروا ان يخفضوا من اسعار الخبز ولكن الناس يقبلون على خبز المخبز لنظافته ورخص اسعاره والمخبز يدفع اجورًا لعملة اكثر من سائر الخبازة و يعملون في النهار ساعتين اقل من اخوانهم في الافران الاخرى

المقتبس

اللغة الانتقادية

هذه الرسالة الثانية في اللغة الانتقادية التي وعدت بها في رسالتي الاولى اسوقها محذوفاً منها مالا حاجة اليه ومقفاة بعض حروفها بمايعن للناشر قال المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

هذا كتاب يشتمل على ما صحفته العامة وغلطت فيه من كلام العرب الجاري في الالفاظ والكتب ورتبت ذلك ابواباً على حروف المعجم ليسهل على متأمله وجود مايريده وحفظ مايستفيده وبالله القوة والحول والمدة والطول فمن ذلك

حرف الالف

تقول العامة لك عليّ إمرة مطاعة بالكسر والصواب أمرة بالفتح ويقولون هذه ضبارة كتب والصواب إضبارة بالالف ويقولون قفلت الباب وغيره بغير الف والصواب اقفلته بالالف ويقولون وقية للتي يوزن بها والصواب أوقية بالالف مضمومة ويقولون عقدت العسل بغير الف والصواب أعقدت العسل بالالف ويقولون وعيت المتاع بغير الف والصواب وعيت بالالف اذا جعلته في وعائه ويقولون غفوت من النوم بغير الف والاه واب أغفيت بالالف

قلت يعلق في الذكر ان بعض كبار المحدثين استعمله كذلك

ويقولون شليت الكلب يذهبون بذلك الى إغرائه بالصيد والصواب اشليت والاشلاء ان تدعوه اليك وكذلك للناقة والشاة فاما إغراء الكلب بالصيد فهو الايساد تقول اوسدته واسدته اذا أغريته ويقولون للفارسي عجمي والصواب أعجمي بالالف ويقولون عتقت الفرس بغير الف والصواب اعتقت الفرس بالالف ويقولون حبست فرساً في سبيل

الله والصواب احبث بالالف و يقولون اطعمنا من قطايب الجزور والصواب ان يقول من اطايب الجزور و يقولون لية الشاة و إلية الشاة والصواب ان يقال هي ألية الشاة مفتوحة الالف والجمع أليات و يقولون بالرجل ابردة بفتح الالف والصواب ابردة بالكسر

قلت الابردة برد الجوف

و يقولون خذ لذلك الامر هبته والصواب ان يقال أهبته باثبات الالف وضمها واسكان الهاء و يقولون في صدره عليّ حنة والصواب ان يقال إحنة بالالف و يقولون عود يسر للذي يوضع عَلَى بطن المأسور وهو الذي يحبس بوله والصواب ان يقال هذا عود أسر باثبات الالف وضم السين و يقولون غلقت الباب فهو مغلوق والصواب ان يقال غلقت الباب فهو مغلق و يقولون غليت الماء فهو مغليّ والصواب ان يقال اغليت الماء فهو مغلىً باثبات الألف قال ابو الاسود

ولا اقول لقدر القوم قد غليت ولا اقول لباب الدار مغلوق

و يقولون اوميت اليه والصواب اومأت اليه بالف مهموزة مكان الياء و يقولون في استزادة الحديث ايهاً وذلك غلط وانما يقال في الاستزادة ايه فان قلت ايهاً فقد كففته عن الحديث و يقولون طفيت المصباح بالياء والصواب اطفأت المصباح بالهمزة واثبات الالف في اوله و يقولون هو الانجاص بنون قبل الجيم والصواب الاجاص بتشديد الجيم واسقاط النون قلت تتولد هذه النون في المضاعفات كثيراً حتى صححه بعضهم واثبته بالنون

و يقولون قد ابر يته من الدين والصواب ابرأته بالهمزة وانما يقال ابر يت الناقة اذا جعلت في أنفها برة

قلت البرة حلقة توضع في انف الناقة تقول أبر يتها و بروتها ايضاً والجمع براة وجمعه بعض المتأخر ين من شعراء العراق عَلَى برىً قال

لا تسمها جذب البرى او تدري ربة الخدر ما البرى والنسوع

و يقولون هي خية والصواب ان يقال هي آخية ممدودة مشددة وجمعها اواخي بالتشديد قلت وهي الطنب

و يقولون مشيت حتى عييت بغير الف والصواب أعييت بالالف و يقولون واكلت فلاناً اذا اكلت معه والصواب آكلته و يقولون قد وازرت فلاناً بمعنى جاز يته والصواب آزرته

و يقولون رجل اذَر بتشديد الرآء والصواب آدر ممدود مخفف بين الأُدرة قلت والادَر انفتاق يصيب الرجل في احدى الانثيين

و يقولون هي الوزة (طائر) والصواب الاوزة بالالف . و يقولون جبر القاضي رجلاً عَلَى كذا بغير الف يريدون قصره (اي رده اليه) والصواب أجبر بالألف . و يقولون شهدنا فلاس فلان بغير الف والصواب ان يقال افلاس فلان بالالف . و يقولون صار فلان حدوثة والصواب أُحدوثة و يقولون هو الرز والصواب الأُرز بتشديد الزاي . و يقولون قد انقع لون فلان بالنون وذلك غلط والصواب امتقع بالميم . و يقولون ترلعت والصواب أُولعت بالصيد بالف مضمومة . و يقولون شرعت باباً الى الطريق بغير الف والصواب أشرعت بالالف . و يقولون هدرت دم لرجل بغير الف والصواب أهدرت بالالف . و يقولون اذا كبر الرجل قد سن بغير الف والصواب أسن بالالف . و يقولون قلت الرجل في البيع بغير الف والصواب أقلت بالالف

قلت الاقالة في البيع الفسخ تقول أقلته البيع وقلته بالكسر ولا تقل قلت بالضم لانه من القول

و يقولون قد حصره المرض بغير الف اذا منعه من السفر او من حاجة يريدها والصواب أحصره المرض بالالف . و يقولون ضج القوم اذا صاحوا وجلبوا بغير الف والصواب اضجوا بالالف

قلت و يقال للمغلوب الجازع ضج اذا صاح

و يقولون قد وهمت في الصلوة بغير الف والصواب اوهمت بالالف و يقولون عتقت العبد بغير الف والصواب اعتقته بالالف

قلت و يقال عتق العبد بجعله فاعلاً اذا ملك نفسه وخرج من الرق

و يقولون كريت الدار فهي مكرية باسقاط الالف وتشديد الرآء والصواب اكريتها فهي مكراة . و يقولون زرى فلان بفلان بغير الف والصواب ازرى بالالف و يقولون عجلت الرجل اذا استعجلته بغير الف والصواب اعجلته اذا استعملته بالالف . و يقولون ابطيت علينا والصواب ابطأت علينا وقد استبطأتك . و يقولون بيني و بين فلان إمارة بالكسر والصواب أمارة بالفتح قلت الامارة هنا الموعد

الزائد من كلام ابن الجوزي

وتقول في اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر هذه ايام البيض اي ايام

الليالي البيض وسميت الليالي بيضاً لطول القمر من اولها الى آخرها والعامة تقول الايام البيض حتى ان بعض الفقهاء جرى في كتبه المصنفة على عادات العوام في ذلك وهو خطأ لان الايام كلها بيض وقرأت على ابي منصور اللغوي قال العرب تسمي كل ثلث من الليالي باسم · و يقولون قدراحت الجيفة والصواب اروحت · و يقولون اعرني سمعك والصواب ارعني و يقولون اللهم صل على محمد وذويه وهذا غلط لان العرب لم تنطق بذي الا مضافاً الى اسم جنس كقولهم ذومال والصواب على محمد وآله او واهله وقال ابو هلال العسكري يقول العوام شيء ازلي قديم و يصفون الله بالازلية وكل ذلك خطأ لا اصل له في العربية وانما قول الناس لم يزل موجوداً ولا يزال بنوا منه هذا البناء

قلت هذا عجب من ابي هلال فان العلم لابد ان يؤثر في اللغات ولا مفر من ان يزحزحها عن دائرة الجمود الضيقة فان هذا البناء وهو بناء علمي وكذلك امثاله وكل الاشتقاقات التي لا اصل لها في العربية الاولى ثم انقلاب اساليب البيان والالقاء والخطاب امور طبيعية لامناص عنها في لغة يتكلم بها الفلاسفة وتسيل بها اقلام كتاب الامة العربية يوم كانت ارقى امم العالم

على ان لهذه الكلمة مخرجاً عربياً فانها جاءت في الادعية الفصيحة وقال اللغويون ان ازلي منسوب الى لم يزل مثل نسبتهم الرمح الازني واليزني الى ذي يزن فكأنهم ابدلوا الياء الفاً

حرف الباء

و يقولون قد بنى فلان باهله والصواب قد بنى فلان على اهله و يقولون هذا غلام حين بقل وجهه بتشديد القاف والصواب بقل بتخفيفها و يقولون امة بكر بفتح الباء والصواب بكسر الباء وانما البكر الفتي من الابل و يقولون بديت بالشيء والصواب بدأت بالهمز و يقولون قد بسق الرجل بالسين لا يكادون يفرقون بين السين والصاد والصواب قد بصق بالصاد من البصاق واما بسق بالسين فهو من قولهم بسق الرجل اذا طال وكذا قولهم بسقت النخلة اذا طالت قال الله تعالى (والنخل باسقات لها طلع نضيد) و يقولون بهت اليه بكسر الباء والصواب بهت اليه بضم الباء

قلت معنى بهت اليه تنبهت وتفطنت وقد رويت بالكسر ايضاً ولعل الاصوب مافي الرسالة

و يقولون بطيخ بفتح الباء والصواب بطيخ بكسرها

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون بزر و بزور لما يزرع و يؤكل وهو خطأ والصواب بذر و بذور قلت وقد دون اللغويون الاثنين بهذا المعنى و يقولون لما يعجل من الزرع والثمار هرف والصواب قد بكر وهو الباكورة

قلت و يقول فلاح العراق اليوم للبكر من الزرع (هرفي) وهرف موجود في معاجم اللغة وكذلك أهرف

و يقولون هو البورق لهذا الذي يلقى في العجين بضم الباء والصواب البورق بفتحها لان ليس في الكلام فوعل بضم الفاء وكل ماجاء على (فوعل) فهو مفتوح الفاء نحو جورب وروشن و يقولون هذا البخور بضم الباء والصواب فتحها و يقولون البهار بفتح الباء والصواب بضمها والبالوعة والعامة تقول بلوعة بغير الف وتشددها و يقولون بلعت اللقمة بفتح اللام والصواب بكسر اللام و يقولون بعلا للزوج وان لم يدخل بها والصواب ان يقال اذا دخل بها بعل وقبل ذلك يسمي زوجاً وهو زوج على كل حال (قبل الدخول وبعده) و يقول خرج فلان الى برا (بتشديد الباء و بالف وهكذا يقولها العراقيون) والصواب الى بر و يقولون بورث والدي بفتح الراء والصواب بورث بكسر الراء قلت وكلاهما مدون

و يقولون بخست عينه بالسين والصواب بخصت بالصاد و يقولون بينها بين والصواب بون بالواو و يقولون امتلأت بطن فلان يؤنثون والصواب امتلأ بطن فلان مذكراً لان العرب تذكر البطن قال الشاعر

وانك ان اعطيت بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

و يقولون للاسود خاصة بهيم والصواب ان يقال لكل لون خالص لا يخالطه لون آخر بهيم سواء كان اسود او غيره

حرف التاء

يقولون تثاوبت والصواب تثاءبت بالهمز والمد ويقولون توضيت للصلوة والصواب توضأت بالهمزة و يقولون تعبيت والصواب بالدال و يقولون تجشيت بالياء والصواب تجشأت بالهمزة والجيم والاسم الجشأة و يقولون تخوم الارض بضم التاء والصواب تخوم بفتح التاء (كذا) و يقولون ذيك المرأة والصواب تيك المرأة و يقولون أترسة جمع ترس والصواب ترسة

ويقولون تغليت بالغالية (عطر) والصواب تغلفت بالغالية

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون ماهذا التباطي بالياء والصواب التباطوء بالهمزة والواو ويقولون دابة لاتردف والصواب لاترادف ويقولون هذه الشاة تشتر بالشين والصواب بالجيم ويقولون جاءت المرأة بتوأم والصواب بتوأمين وانما التوأم احدهما ويقولون تكريت للبلدة بكسر التاء والصواب بفتحها ويقولون ششتر ودستر للبلدة المعروفة (من بلدان ايران الجنوبية) بالدل والشين والصواب تستر بالتاء (والسين ايضاً) ويقولون التغار والصواب تيغار بياء بمد التاء على وزن تفعال

قلت والتيغار الاجانة وفي العراق اليوم يستعملونه في الموزونات ويقولون ثقل فلان بالثاء والصواب بالتاء ويقولون التذكار لمعاهد يهيج الحزن بكسر التاء والصواب بفتحها ويقولون تواترت رسل فلان بجعل التواتر في معنى الاتصال الذي ليس فيه انقطاع وهذا غلط منهم والصواب تواترت رسل فلان اذا جاءت منقطعاً بعضها عن بعض بين كل اثنين هنيهة قال الله تعالى (ثم ارسلنا رسلنا تترى) واصلها وترى من المواترة ومعناه منقطعة بين كل نبيين دهر قال ابو هريرة (لا بأس بقضاء رمضان تترى) اي منقطعاً

ويقولون تنهس النصارى بالهاء اذا اكلوا اللحم قبل صومهم وهو خطأ والصواب تنحس بالحاء اذا تركوا اكل اللحم وقرأت على ابي منصور اللغوي قال هذا غلط في اللفظ وقلب المعنى الى ضده فاما اللفظ فانما يقال بالحاء واما المعنى فانما يقال لهم ذلك اذا تركوا اكل اللحم ولا يقال لهم ذلك اذا اكلوه وقال ابن دريد وهو عربي معروف لتركهم اكل الحيوان ويقال تنحس اذا تجوع كما يقال توحش

حرف الثاء

ويقولون ثدي المرأة بكسر الثاء والصواب بفتحها ويقولون هو الثوم بفتح الثاء والصواب بضمها ويقولون هو الثالول بفتح الثاء والالف والصواب بضم الثاء وواو مهموزة مكان الالف والجمع ثآليل ممدود مهموز قلت والثآليل البثور

الزائد من كلام ابن الجوزي

يقولون رجل اثط بالف زائدة والصواب ثط بغير الف (وهو الكوسج من الرجال) وربما قالوا ثدي الرجل وانما هو ثندوة الرجل قلت قيل ان الثدي عام وروي فيه الكسر ايضاً وقد تقدم ان الصواب الفتح

ويقولون لما يكثر ثمنه هذا مثمن بكسر الميم الثانية وانما المثمن الذي صار له ثمن والصواب ثمين كما يقال رجل لحيم لما كثر لحمه وشحيم لما كثر شحمه

حرف الجيم

ويقولون جفن السيف بكسر الجيم صوابها بفتحها قلت والكسر مروي ويقولون جفيت الرجل بالياء صوابها جفوت بالواو ويقولون عندي جمام القدح ماء بفتح الجيم والصواب بكسر الجيم خاصة ويقولون جمام في الدقيق وغيره قلت الجمام ان يمتلئ المكيال وروي مثلث الجيم ويقولون جنازة بفتح الجيم وهي لغة والصواب جنازة بالكسر ويقولون الجدي بكسر الجيم والصواب الجدي بفتح الجيم وسكون الدال ويقولون في الجد الاب ابي والام هو جد فلان بكسر الجيم وذلك غلط وانما الجد الحزم في الامر تقول له جد في الامر اي حزم والصواب فتح الجيم ويقولون جليت السيف والعروس بالياء وليس كذلك وانما الصواب جلوت بالواو ويقولون لضرب من الخرز الجزع والجزع صوابها فتح الجيم واسكان الزاي فاما الجزع بكسر الجيم فجزع الوادي وهو منقطعه وقيل منحناه واما الجزع بتحريك الزاء فهو الخوف ويقولون هو الجد ضد الهزل بفتح الجيم صوابها بكسرها ويقولون للتي يغتسل بها جفنة بالكسر صوابها بالفتح قلت وهي هنا البئر ويقولون الجراب بالفتح وهي لغة صوابها بالكسر

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون ثياب جدد بفتح الدال والصواب بضمها ويقولون هذا الجورب والجوذاب والريح الجنوب بالضم والصواب بالفتح قلت الجوذاب على مثال فوعال في الرسالة وفي القاموس الجواذب بتقديم الالف على الذال وبضم الجيم ايضاً وهو طعام

ويقولون في الجمع والواحد جوالق ولا تفرق بين الجمع والواحد صوابها اذا ضممت فهو للواحد واذا فتحت فهو للجمع قرأت على شيخنا ابي منصور اللغوي قال الجوالق اعجمي معرب واصله بالفارسية (كواله) وجمعه جوالق بفتح الجيم وهو من نوادر الجمع ويقولون جهدت جهدي بكسر الهاء صوابها بفتحها ويقولون جرعت الماء والصواب الكسر ويقولون لبثرة تخرج في العين الكدكد والصواب الجدجد بجيمين مكان الكافين وهي لغة تميم وربيعة تسميها القمع ويقول الجرد بالدال المهملة والصواب بالذال المعجمة ويقولون لجمع جواب الكتب الجوابات والاجوبة وهو خطأ والصواب ان لا يجمع لانه كالذهاب قال سيبويه الجواب لا يجمع وقولهم جوابات كتبي واجوبة كتبي مؤلف

(مخترع) وانما يقال جواب كتبي

حرف الحاء

ويقولون وقع على حلاوة القفا بفتح الحاء صوابها ضمها ويقولون دقيق حوارى بفتح الحاء والتخفيف صوابها حوارى بضم الحاء وتشديد الواو قلت وهو الابيض من الدقيق والمحور منه المبيض ويقولون في اسنانه حفر بفتح الحاء والفاء صوابها باسكان الفاء ويقولون حنيت على الرجل اذا عطفت عليه بالياء صوابها بالواو ويقولون امرأة حصان بكسر الحاء صوابها بفتحها ويقولون حمة العقرب بالتشديد صوابها بالتخفيف ويقولون للطير حدة وحدى بالتاء والياء غير مهموزة صوابها حدأة بكسر الحاء وفتح الدال والف مهموزة والجمع حدآء ويقولون رجل حدث السن والصواب حديث السن فان قلت حدث لم تذكر السن فتقول فلان حدث لاغير ويقولون لما يحسى من الطعام الحسو بضم السين واسكان الواو والصواب الحسو بضم السين وتشديد الواو ويقولون حسبت في الحساب بكسر السين والصواب بفتح السين وانما يقال حسبت بكسر السين في معنى ظننت ويقولون حشيت الوسادة والوعاء بالياء والصواب حشوت بالواو

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون الحمام للدواجن التي تستفرخ في البيوت خاصة والصواب ان يقال لجميع ماله طوق الحمام مثل الفواخت والقماري والقطا ويقولون احدرت السفينة احدرها بكسر الدال من المضارع والصواب احدرها بضم الدال ويقولون قد آن احدار السفينة والصواب قد آن حدرها ويقولون حلقت الشيء اذا القيته من فوق الى تحت وهو خطأ والصواب حلقت اذا رميته الى فوق يقال حلق الطائر في كبد السماء اذا ارتفع ويقولون كان ذلك في حسابي والصواب في حسباني وليس للحساب ههنا وجه

قلت قالوا ان الصحيح كان في حسباني واما قولهم في حسابي فله وجه ايضاً ويقولون حلا الشيء في عيني بفتح اللام ص حلي بكسر اللام وانما حلا في فمي (لا في عيني) فهذا من الحلاوة والاول من الحلية . ويقولون في عينه حور بكسر الحاء وصوابها بفتحها قلت ويظهر من بعض المعاجم الضم فقط ويقولون قد حمض الشيء وحمض بكسر السين والميم والصواب بضمهما ويقولون في كنية الثعلب ابو الحسين والصواب ابو الحصين ويقولون للخارج من الحمام طاب حمامك خطأ وصوابها طاب حميمك او حمتك اي طاب عرقك لان عرق الصحيح طيب وعرق

السقيم خبيث و يقولون قد حدث امر عظيم بضم الدال قياساً على قولهم اخذني ماقدم وما حدث و يقولون فلان يحث في السير وفي الخير ايضاً صوابها ان يقال يحث في السير ويحض على الخير وقد فرق الخليل بن احمد فقال الحث في السير والسوق والحض فيما عداهما و يقولون احميت المريض صوابها حميته بغير الف و يقولون اذا وجدوا في ابدانهم سخونة اجد حمىً وصوابها اجد حمياً وقد بلغنا عن الصاحب بن عباد انه رأى احد ندمائه متغير السحنة فقال مالذي بك فقال حمى فقال الصاحب (قه) فقال النديم (وه) فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه

حرف الخاء

يقولون خمرت العجين اذا جعلت فيه الخمير وصوابه خمرت العجين بالتخفيف و يقولون اخصيت الفحل بالالف والصواب بغير الف فهو مخصي ولا يقال مخصى و يقولون فعلت ذاك خصوصية بضم الخاء والصواب بفتح الخاء قلت والضم معروف ايضاً

و يقولون خليت به بالياء والصواب بالواو

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون مائدة للخوان الذي يترك عليه الطعام سواء كان عليه الطعام او لم يكن ص خوان بكسر الخاء اذا لم يكن عليه طعام فاذا كان عليه طعام فهو مائدة و يقولون خاتماً للحلقة ان كان فيها فص او لم يكن ص ان كان فيها فص فهو خاتم وان لم يكن فهي حلقة و يقولون للذهب المصوغ هذا خلاص بفتح الخاء ص بكسرها قلت هو ما اخلصته النار من الذهب وهو الخلخال والخشخاش بفتح الخاء والعامة تكسرها وهي الخصية والعامة تقول الخصوة بالواو و يقولون اخطأ الرجل اذا تعمد الذنب ص خطئ فهو خاطئ ومنه الخطية وانما اخطأ يخطئ اذا اراد شيئاً فاصاب غيره وقال بعض المتأخرين

لا تخطون الى حط ولا خطأ ... من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا

فأي عذر لمن شابت مفارقه ... اذا جرى في ميادين الصبا وخطا

و يقولون لمن هلك له والد او ولد اخلف الله عليك وهو خطأ ص ان يقال لمن هلك له من يتعوض عنه كالولد اخلف الله عليك ولمن لا يتعوض عنه كالوالد خلف الله عليك اي كان خليفة

حرف الدال

و يقولون الدهليز بفتح الدال ص بكسر الدال و يقولون دحية الكلبي بفتح الدال ص بكسر الدال و يقولون هو الدخان بتشديد الدال والخاء ص بالتخفيف وجمعه دواخن والعامة تقول دخاخين و يقولون دم بتشديد الميم ص بالتخفيف و يقولون دنيت من الرجل اذا قربت منه ص دنوت منه بالواو و يقولون دوخلة بتخفيف اللام ص دوخلة بالتشديد قلت والتخفيف منقول فيها وهي ماتصنعه من اخواص النخل ظرفاً لتموره

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون دجاجة ودجاج بكسر الدال وهي لغة رديئة ص بفتح الدال و يقولون دمشق بكسر الدال والميم ص فتح الميم و يقولون دستور بفتح الدال ص ضمها وهو قياس كلام العرب كاسلوب وعرقوب وخرطوم و يقولون ورث فلان بكسر الراء ص بفتحها و يقولون الربة وموضع دفي بتشديدهما ص التخفيف فيهما و يقولون دنياً بالتنوين وهو غلط ص من غير تنوين لانها لا تنصرف بحال وسمعت بعض المتعبدين يقول اللهم اصلحنا في ديننا ودنيانا وهذا قبيح قلت وقال الفيروزابادي انها قد تنون

و يقولون في النسبة الى الدنيا رجل دنيائي بهمزة قبل ياء النسبة ولا وجه لذلك لانه اسم مقصور لاينصرف ص دنياوي ودنيوي و يقولون ايضاً للذي يحمل الدواة دواتي وهو غلط ص دووي لان تاء التأنيث تحذف في النسب كما تقول في النسبة الى مكة مكي والى فاطمة فاطمي و يقولون للشيء الحقير ذميم بالذال المعجمة ص بالدال وانما الذميم بالذال المعجمة السيء الخلق وقرأت على شيخنا ابي منصور قال الدمامة بالدال المهملة في الخلق وبالذال المعجمة في الخلق ويقولون للدودة التي هي كثيرة الارجل التي تدخل في الأذن دخان الاذن بالنون يشبهونه بالدخان ولامعنى لذلك ص دخال الأذن من الدخول

حرف الذال لابن الجوزي

وتقول للجماعة القليلة من اناث الابل ذود ولا يقال للذكور ذود والعامة لا تفرق و يقولون ذقن بالدال المهملة واسكان القاف صوابها بالذال المعجمة المفتوحة وفتح القاف و يقولون ذبل الريحان بضم الباء ص فتحها و يقولون فعلت كيت وكيت وقلت كيت وكيت ولا يفرقون بين المقال والافعال ص ان يقال ذيت وذيت كناية عن

المقال وكيت وكيت كناية عن الافعال

حرف الرآء

و يقولون ارهنت الرهن بالالف ص بغير الف و يقولون رميت بالقوس ص عن القوس و يقولون الرصاص بكسر الراء صوابها فتحها و يقولون رصع الدابة صوابها بالسين و يقولون رباعية بالتشديد صوابها بالتخفيف وكذلك رفاهية بالتخفيف و يقولون رقيت في السلم بفتح القاف صوابها بكسرها و يقولون الرق للذي يكتب به بكسر الرآء صوابها ان يقال بفتح الرآء وانما الرق بكسر الرآء الملك و يقولون للحكام تُرَى رسلك بفتح الرآء صوابها بكسرها يقولون شي اردي بتشديد غيرمهموز صوابها اردي بالتخفف مهموز

الزائد من كلام ابن الجوزي

والرئة مهموزة والعامة تشددها ورضي الله مقصور والعامة تمده و يقولون قد هبت الارياح صوابها الرياح ولو قالوا الارواح كان صحيحاً و يقولو هذا خبز الرقاق بكسر الرآء وصوابها ضمها و يقولون رمح على اي حالة كان وصوابها ان يقال له رمح اذا كان له زج وسنان والا فهو قناة و يقولون للزادة التي هي وعاء الماء زاوية ص ان يقال للبعير اوالحمار الذي يستقى عليه راوية فاماالتي فيها الماء فهي مزادة و يقولون لكل راكب ركب وهو غلط وانما الركب لراكب الابل دون غيرها و يقولون اردمت الباب فهو مردوم وصوابها ردمته فهو مردوم و يقولون فلان احمق من رجله يضيفون الى قدمه وصوابها من رجلة وهي البقلة الحمقاء لانها تنبت في مجاري السيول وليس لها اصل ثابت فتخطفها و يقولون رب مال كثير انفقته وهذا يناقض كلام العرب لان العرب تقول رب مال انفقته تشير الى القليل فلا يخبر بها عن الكثير

حرف الزاء

و يقولون في خلق فلان زعارة بالتخفيف ص زعارة بالتشديد قلت وهي الشراسة و يستعملونها مخففة و يقولون عندي زوج من الحمام ص زوجان يعني بذلك الذكر والانثى و يقولون الزيبق بفتح الباء من غير همز ص بكسر الباء والهمز و يقولون زهوت علينا يارجل بفتح الزاي و بالواو ص زهيت علينا بضم الزاي وكسر الهاء و يقولون هي أزجة جمع زج ص زججة بغير الف قلت وزجاج ايضاً

الزائد من كلام ابن الجوزي

يقولون هذا الزعرور والزنبور بالفتح ص الضم والزبيل بفتح الزاي فان كسرتها

رددتها نوناً فقلت زنبيل والعامة تقول زنبيل بفتح الزاي و يقولون زرنيخ بفتح الزاي ص كسرها ويقولون زهقت نفسه بفتح الزاء وكسر الهاء ص فتح الهاء و يقولون زيت الطعام اذا جعلت فيه الزيت ص زِته والزهم من الطير والدجاج والبط والدسم من دهن السمسم والجوز واللوز والزيتون والودك من الابل والبقر والغنم والعامة لا تفرق بين ذلك

(حرف السين)

و يقولون للطائر سماني بتشديد الميم ص سماني بالتخفيف و يقولون سفود بضم السين ص بفتحها والتشديد و يقولون كم سقي ارضك بالسين يريدون كم حظها من الماء وذلك غلط ص بكسر السين وانما السقي بفتح السين مصدر سقيت و يقولون سخرت به ص سخرت منه

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون انساغ الشراب فهو منساغ ص ساغ فهو سائغ وهو السميدع والسفرجل والسفود والسور والسعوط والسفوف والسوسن لنوع من المشموم والعامة تضم الجميع وهو السرداب والسقاء وسلخ الحية والسرقين واصله السرجين معرب بكسر السين والعامة تفتحها و يقولون هذا سداد من عوز بالفتح ص بالكسر و يقولون سيلان السكين بفتح السين والياء ص بكسر السين وسكون الياء وانشدوا

ولن اصالحكم ما دام لي مرس واشتد قبضاً على السيلان ابهامي

و يقولون الريح السموم بضم السين ص بفتحها و يقولون للعوام السوقة ص ان يقال لمن دون الملك سوقة لان الملك يسوقهم فينساقون له على مراده !!!

والواحد من اهل السوق سوقي والجمع سوقيون و يقولون جد في السرى في اي وقت كان سرى ص جدَّ في السرى اذا سار ليلا و يقولون لا اكلك سائر اليوم اي مابقي منه مأخوذ من سؤر الاناء وهو بقية ما فيه والعامة تشير بسائره الى جميعه و يقولون للمرأة ستي قال ابن الاعرابي ان كان من السودد فسيدتي وان كان من العدد فستي ولا أعرف في اللغة لستي معنى قال شيخنا ابو منصور قد تأوله ابن الانباري قال يريدون ياست جهاتي وهو تأول بعيد مخالف للمراد ص سيدتي

يتبع النجف : محمد رضا الشبيبي

الروضة الفيحاء

«في مشاهير النساء»

هذا كتاب جليل صنفه الامام العلامة اديب زمانه الشيخ يسن الخطيب ابن العلامة الشيخ خير الله بن محمود بن موسى الفاروقي الموصلي كان من افاضل اوائل القرن الثالث عشر في الموصل وهو احد اسلاف عائلة المرحوم سامي باشا الفاروقي صنف كتباً كثيرة منها تاريخه الذي ابتدأ فيه من الهجرة النبوية الى عصره ومنها كتابه الموسوم بعنوان لاعيان ذكر فيه ملوك الزمان ومنها كتابه الذي سماه الروض الزاهر ورتبه على حروف الهجاء ذكر فيه الملوك والسلاطين والوزراء وارباب المناصب والامراء ثم القضاة الاعلام ومشايخ الاسلام

ومنها الدر المنتثر في تراجم ادباء القرن الثالث عشر وغير ذلك مما يطول ذكره و يفوت حصره وقد رأيت في خزانة كتب مدرسة مرجان نسخة من كتاب الروضة الفيحاء بخط المصنف قال في ختامها تمت النسخة المباركة عصر يوم الثلاثاء غرة ذي القعدة الحرام على يد جامعها ومؤلفها الفقير اليه سبحانه يسن بن خير الله بن محمود ابن موسى الخطيب العمري غفر الله لهم ذنوبهم وستر بثوب عفوه ثلوبهم وذلك سنة اربع ومائتين والف من هجرة النبي المكرم صلى الله عليه وسلم

اول الكتاب الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان وميزه بالادراك على سائر اصناف الحيوان الى ان قال: و بعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى الغني يسن الخطيب العمري الموصلي اني منذ نشأت لم ازل اطالع كتب التواريخ المتقدمة واسرح نظري في رياض آداب اهل الكمالات حتى جمعت كتاباً فريداً ابتدأت به من سنة الهجرة الى اواني ثم جمعت كتاباً آخر سميته عنوان الاعيان ثم جمعت بعده كتاباً آخر سميته الروض الزاهر ثم احببت ان اجمع كتاباً في مشاهير النساء الى ان قال وسميته الروضة الفيحاء قال ورتبته على مقدمة ومقالتين وخاتمة فجاء بحمد الله كتاباً انيقاً وزهراً رائقاً ونشراً عابقاً معانيه ظاهرة ومحاسنه زاهرة

كتاب في محاسنه سرور مناجيه من الاحزان ناج

كراح في زجاج او كروح سرت في جسم معتدل المزاج

قال وجعلت المقدمة في فوائد لا يستغنى عنها ولا بد للمرء منها والمقالة الاولى في ذكر النساء المشهورات بالصلاح والمقالة الثانية في ذكر نساء اشتهرن بغير ذلك والخاتمة في ذكر بعض اذكياء النساء مع فوائد اخر وبعد ان ذكر المقدمة بنحو ست صحائف قال

المقالة الاولى في ذكر النساء الصالحات

وذكر منهن حوا ام البشر وانها كيف خلقت وماجرى عليها بعد الاكل من الشجرة وما كانت عليه من العلم والحلم وغير ذلك من صفاتها الحميدة

ثم ذكر بعض ازواج الانبياء وامهاتهم فذكر سارة زوج ابراهيم وهاجر ام اسمعيل ولوخا ام موسى وصفورة زوج موسى وآسية وزليخا ورحمة زوج ايوب وحنة ام مريم ومريم العذراء البتول وايشاع زوج زكريا وسارة زوجة داود وآمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم وعماته وخالاته ومرضعته حليمة السعدية وبناته وامهات المؤمنين وام معبد وهند بنت ابي سفيان واختها عزة وام كلثوم بنت عقبة وهند وفاطمة ابنتي عتبة وفاطمة بنت الوليد ورملة بنت شيبة وقتيلة بنت النضر بن الحارث وهي التي كتبت الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام لما قتل ابوها النضر بن الحارث بن كلدة

يا راكباً ان الاثيل مظنة من صبح خامسة وانت موفق
ابلغ به ميتاً فان تحية ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني اليه وعبرة مسفوحة جادت لمائحها واخرى تخنق

الى آخر الابيات المشهورة

وبسرة بنت صفوان والحولاء بنت ثويبت واسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه واختيها أم كلثوم وأم فروة وأم الخير بنت صخر ام ابي بكر الصديق رضي الله عنه وام حكيم بنت الحارث ودرة بنت ابي جهل واختها جويرة ودرة بنت ابي سلمة وزينب اختها وام كلثوم اختها الاخرى وأم جميل فاطمة اخت الفاروق رضي الله تعالى عنه وعاتكة بنت زيد بن الخطاب والشفاء بنت عبد الله وسهلة بنت سهيل وحبيبة بنت عبد الله ربيبة الرسول صلى الله عليه وسلم وحمانة بنت جحش واختها أم حبيبة وأم قيس بنت محصن وأم عبد الله بنت الوليد وفاطمة وزينب ابنتي الفاروق رضي الله عنه وام كلثوم بنت الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وعائشة بنت طلحة التيمية وفاطمة بنت الامام الحسين رضي الله عنه والخيزرانة زوج الخليفة المهدي العباسي وهي أم موسى

الهادي وهرون الرشيد فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز. خولة بنت ثعلبة ٠ حبيبة بنت سهل ٠ السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي رضي الله عنهم دفينة مصر ٠ ميسون بنت بجدل أم يزيد بن معاوية واقامت عند معاوية ثلاثة اعوام ودخل عليها يوماً فوجدها تنشد

ولبس عباءة وتقر عيني ... أحب الي من لبس الشفوف
وبيت تخفق الارواح فيه ... احب الي من قصر منيف

الى ان قالت

وخرق من بني عمي نحيف ... احب الي من علج عنيف

وذكر قصتها المشهورة

وام البنين بنت عبد العزيز بن مروان و بوران بنت الحسن بن سهل وزير المأمون تزوجها المأمون وضربت الامثال بعرسها ٠ زبيدة بنت جعفر بن منصور العباسي ٠ الحرة السيدة بنت احمد بن جعفر بن موسى الصليحي ملكة اليمن مولدها سنة اربعين واربعمائة تزوجها الملك المكرم احمد بن علي الصليحي صاحب صنعاء ٠ اسماء بنت خمارويه بن احمد بن طولون صاحب مصر

ام خالد زوجة يزيد بن معاوية ٠ قبيحة جارية المتوكل على الله الخليفة العباسي وتسميتها بذلك من باب تسمية الضد باسم الضد ٠ شغب جارية المعتضد بالله الخليفة العباسي ٠ جميلة بنت ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان صاحب الموصل ٠ تركان زوجة السلطان ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي ٠ زمرد بنت جاولي صاحب الموصل تزوجها تاج الملك بن صاحب دمشق زمرد زوجة الامير طغتكين الايوبي صاحب بلاد اليمن حنيفة بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب ولدت في قلعة حلب سنة ٥٨١ ملكة بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب تزوجها الملك الظاهر بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب ٠ ملكة بنت الملك العادل ايضاً تزوجها الملك المنصور محمد بن عبد الملك صاحب حماة ولما توفيت رثاها احد شعراء العصر بقوله

الطرف في لجة والقلب في سعر ... له دخان زفير طار بالشرر
لو كان من مات يفدى قبلها لفدى ... ام المظفر آلاف من البشر
ما كنت اعلم ان الشمس قد غربت ... حتى رأيت الدجى ملقى على القمر

وربيعة بنت نجم الدين ايوب وهي اخت السلطان صلاح الدين يوسف وشجرة الدر

جارية ايوب وقد قامت بالملك في مصر مدة وخطب باسمها وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين ووالدة الملك المنصور الخليل وتحاربت مع الافرنج وانتصرت عليهم وفي ذلك يقول ابن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته ... مقال صدق عن قؤول نصيح
اتيت مصراً تبتغي ملكها ... تحسب ان الزمر بالطبل ريح
وكل اصحابك اوردتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفاً لا يرى منهم ... غير قتيل واسير جريح
وقل لهم ان اضمروا عودة ... لاخذ ثار او لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشي صبيح

وام الواحد بنت القاضي العلامة حسين الحاملي · وام الفضل بنت عبد الصمد الهروية · وفاطمة بنت الحسن بن علي الاقرع · وفاطمة ام الخير بنت علي المعروفة ببنت زعبل · وشهدة بنت احمد بن الفرج · ونقية بنت غيث بن علي الصوري وكان لها مع فضلها شعر جيد من ذلك قولها

خدٌ من اهواه يحكي زحلا ... صبغوه من دمي كالعندم
ولماه عسلاً فيه الشفا ... وحماه كعبتي بل حرمي

ونفيسة بنت عبد الله الطرابلسي · وفاطمة بنت القاضي جلال الدين البلقيني · وخانم سلطان بنت السلطان سليمان خان · وهي خاتمة من ذكرن في المقاله الاولى

وقد بسط المصنف الكلام في بيان فضلهن وادبهن وذكر في وصف بعضهن انها كانت احسن اهل زمانها خطاً وادباً وعلماً في معقول ومنقول

ثم قال: المقالة الثانية في ذكر من اشتهرن بغير الزهد والصلاح

نذكر منهن دلوكة بنت الزباء قال وكانت في زمن موسى عليه السلام · وقطام واقبال وكانتا من ثمود زمن صالح عليه السلام · ورقاش اخت جذيمة الابرش · وعفيراء بنت عباد ويقال لها الشموس وهي اخت الاسود من قبيلة جديس · والنضيرة بنت الساطرون واسمه الضيزن ملك الحضر وهو من قبيلة قضاعة واصله من الجرامقة والزباء بنت عمرو الملكة وسودة الكاهنة وزينب بنت الحارث اليهودية · وسجاح بنت الحارث التميمية ولها قصة مشهورة مع مسيلمة الكذاب · وحبابة جارية يزيد بن عبد الملك بن مروان الاموي وقطام وهي امرأة من الخوارج من تيم الرباب · وست الملك بنت العزيز بالله العبيدي

وزني ملكة الروم كانت من بيت الملك ولها حسن رأي وتدبير ملكت الروم سنة ثمانين ومائة واقامت بالملك سبع سنين ايام هارون الرشيد · وتفانو ملكة الروم وهي زوجة ارمانوس ملك الروم · وعزة بنت جميل وهي التي قال فيها كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

ومزنة بنت عبد الله الكنثاني · وعنان جارية الناطفي · وبديعة بنت عبد الله زوجة السلطان قايتباي الشركسي سلطان مصر · وعباسة بنت الخليفة محمد المهدي العباسي · وبيرخان بنت الشاه طهماسب بن الشاه اسمعيل بن حيدر الصفوي · وبدونة زوجة توقيل ملك الروم وام جنكيز خان · وتركان خاتون بنت احد ملوك الترك · وسلطان بخت بنت تيمورلنك

ثم قال الخاتمة في ذكر اذكياء النساء وتنبيهن للمحة والاشارة

وذكر جملاً من نوادرهن وقصصاً فيماجرى منهن وحسن اجوبتهن من ذلك ان الملك العزيز كان في ايام ابيه يهوى جارية قينة فمنعه ابوه عنها فسيرت له شمامة عنبر مع الخادم فكسرها فوجد فيها زراً من ذهب فلم يفهم مرادها فنقل ذلك الى القاضي الفاضل فانشده ارتجالاً

ابدت لك العنبر في وسطه زر من التبر رقيق اللحام
فالزر في العنبر تفسيره زر هكذا مستتراً في الظلام

وقد امتد ذلك نحو عشر صحائف وبها تم الكتاب وجميع صحائفه مائتان وثمانون صفحة بقطع الربع نحو صحيفتنا هذه ومباحثه كلها ممتعة فيها فوائد كثيرة استطرادية وادب وافر وشعر باهر ونثر كالروض المزهر زاهر والكتاب شاهد على علو كعب مصنفه في العلوم الادبية وكمال معرفته بالفنون التاريخية تغمده الله برحمته

بغداد محمود شكري الالوسي

ابيات العادات[١]

من ابيات العادات قول الشاعر

يهب الجلاد بريشها ورعاتها كالليل قبل صباحه المتبلج

وهو مبني على عادة كانت لملوك العرب ذكرها الجاحظ وذلك انهم كانوا يغرزون الريش في اسنمة جمالهم يحمونها بذلك بشرف اصحابها ومنه يظهر لك المراد من قولهم في احاديثهم « فرجع النابغة من عند النعمان وقد وهب له مائة من عصافيره بريشها » . والعصافير إبل كانت للملوك نجائب وفي لسان العرب « وأعطاه مائة بريشها قيل كانت الملوك اذا حبت حباء جعلوا في أسنمة الابل ريشاً وقيل ريش نعامة ليعلم انها من حباء الملك وقيل معناه برحالها وكسوتها وذلك لان الرحال لها كالريش » اه .

واما قول ذي الخرق الطهوي

لما رأت إبلي حطت حمولتها هزلى عجافاً عليها الريش والخرق

قالت الا تبتغي عيشاً تعيش به عما تلاقي فشر العيشة الرنق

وقول الآخر

كأنها ريشة في غارب جرد في حيثما ضربته الريح ينصرف

فليسا مما تقدم بل المعنى ان هذه الابل قد دبرت ظهورها لانهم كانوا اذا ظهرت دبرة بظهر بعير غرزوا في سنامه إما قوادم نسر اسود وإما خرقة سوداء لتفزع الغربان فلا تسقط عليه لان الغراب مولع بنقر الدبر وعقرها حتى يبلغ الدأيات وهي عظام الكاهل ولهذا سمت العرب الغراب بابن دأية .

(ومنها) قول الحرث بن حلزة اليشكري في معلقته

عنناً باطلاً وظلماً كما تعتر عن حجرة الربيض الظباء

الحجرة بالفتح الناحية والمراد بها هنا موضع الغنم وأصل العتر الذبح في رجب وكانت العرب تنذره لآلهتها فيقول احدهم ان رزقني الله مائة شاة ذبحت عن كل عشرة شاة في رجب ويسمى هذا الذبح العتيرة والرجبية وهو مما نهى عنه الاسلام . والبيت مبني على عادة كانت لهم وهي ان الرجل كان اذا ضن وبخل بما نذر صاد الظباء فذبحها عوضاً

(١) راجع ماكتبته في صفحة ٥١٠ من مجلد السنة الماضية

عن الشياه والمعنى انكم تطالبوننا بذنوب غيرنا كما تذبح الظباء بدل الغنم . وقول كعب بن زهير في رثاء جوي المزني

لذرك والنذور لها وفاء اذا بلغ الخزاية بالغوها
كأنك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ماسيلقى سالبوها
فما عتر الظباء بحي كعب ولا الخمسون قصر طالبوها

معناه اننا وفينا لك ولم نقتنع في أخذ ثأرك بشيء يغني عما نذرته كما تذبح الظباء بدل الغنم وهو مثل ضرب به وكان جوي لما اصيب مر به رجل فقال اخا مزينة ماطرحك هذا المطرح فوالله انك من قوم مايحمونك فرفع رأسه اليه وهو يجود بنفسه فقال أعطي الله عهداً ليقتلن منكم خمسون ليس فيهم أعور ولا أعرج و بلغ قوله قومه فوفوا له بما قال

(ومنها قول عروة بن الورد انشده صاحب اللسان

واني وان عشرت من خشية الردى نهاق حمار انني لجزوع

عشر الحمار نهق او تابع النهيق عشر نهقات ووالى بين عشر ترجيعات في نهيقه فهو معشر ونهيقه يقال له التعشير . وكانت عادتهم ان الرجل منهم اذا ورد ارض وباء وضع يده خلف اذنه فنهق عشر نهقات نهيق الحمار ثم دخلها لزعمهم انه ان فعل ذلك امن من الوباء . وكان عروة خرج في رفقة الى خيبر فلما قربوا منها عشروا وابى هو ان يفعل فعلهم .

(ومنها) قول امرىء القيس بن حجر من قصيدة يصف بها رحيله الى قيصر

اذا قلت روحنا ارن فرانق على جامد واهي الاناجل ابترا
على كل مقصوص الذنابى معاود بريد السرى بالليل من خيل بربرا

الفرانق الذي يدل صاحب البريد على الطريق وبربر قبيلة توصف خيلها بالصلابة وقد يسأل لم كانت هذه الخيل مقصوصة الأذناب فالجواب انه كان من عادتهم قص اذناب بغال البريد ومنه قول الفرزدق

اتغضب ان أذنا قتيبة حزتا جهاراً ولم تغضب لقتل ابن خازم
وما منهما الا نقلنا دماغه الى الشأم فوق الشاحجات الروائم
تذبذب في المخلاة تحت بطونها محذفة الأذناب جلح المقادم

يعني بالشاحجات البغال والمراد هنا التي للبريد كما في كامل المبرد . واما الخيل فكانت

خاصة ببرد ملوك العرب في الجاهلية ولهذا ذكرها امرؤ القيس في بيته المتقدم لانه كان ملكا بريده الخيل اما تخصيصه خيل بربر بالذكر دون سواها من خيل العرب فقد قال عنه ابن رشيق في العمدة كانت الخيل البربرية تهلب اذنابها كالبغال لتدخل مداخلها في خدمة البريد وليعلم انها للملك اه قلت لعل ذلك كان لصلابتها كما قدمنا واما قص اذنابها فربما كان للاعلام بانها للبريد ولا يبعد انه كان طلباً للخفة في العدو كما كانوا يعقدون شعر الاعراف والاذناب في الحرب قال الشاعر

عقدوا النواصي في الطعان فلا ترى ... في الخيل اذ يعدون الا انزعا

وقال المتنبي

ويوم جلبتها شعث النواصي ... معقدة السبائب للطراد

والسبائب جمع سبيب وهو شعر الذنب ويجوز ان يكون لسبب آخر لم اقف عليه .
ثم اعلم ان عادة قص الاذناب كانت خاصة عندهم بخيل البريد دون عامة الخيل فانهم كانوا يستحبون طول اذنابها ويتمدحون به كما قال النابغة

وكل مدجج كالليث يسمو ... على اوصال ذيال رفن

وكما قال امرؤ القيس

لها ذنب مثل ذيل العروس ... تسد به فرجها من دبر

الفرج الفرجة التي بين الرجلين قال ابن رشيق اراد طوله لان العروس تجر ذيلها اما حياء واما من الخيلاء اه . قلت وعندي ان امرأ القيس لم يصب كل الاصابة في هذا الوصف لانهم قالوا يكره من الفرس ان يكون قصير الذنب وان يكون طويلاً يطأ عليه فليته جرى هنا على ما قال في معلقته

ضليع اذا استدبرته سد فرجه ... بضاف فويق الارض ليس بأعزل

فوصف ذنبه بالطول الا انه جعله فويق الارض لانه اذا بلغها وطئه برجليه وربما عثر به وذلك عيب ومنه يظهر لك ما في قول البحتري من الخطأ في الوصف

ذنب كما سحب الرداء يذب عن ... عرف وعرف كالقناع المسبل

(ومنها) قول انس بن مدرك

اني وعقلي سليكاً بعد مقتله ... كالثور يضرب لما عافت البقر

لان العرب كانت اذا اوردت البقر فلم تشرب لكدر الماء او لقلة العطش ضربوا الثور ليقتحم الماء لان البقر تتبعه كما يتبع الشول الفحل وكما تتبع اتن الوحش الحمار وكانوا

يزعمون ان الجن هي التي تصد الثيران عن الماء حتى تمسك البقر عن الشرب فتهلك. وقال الجوهري ان البقر اذا امتنعت عن شروعها في الماء لا تضرب لانها ذات لبن وانما يضرب الثور لتفزع هي فتشرب اه. وقيل اراد بالثور ثور الماء وهو الطحلب فاذا اورد البقار القطعة من البقر فعافت الماء وصدها عنه الطحلب ضربه ليفحص عن الماء فتشرب به فيكون ذكره هنا بعد البقر للالغاز به على السامع.

ومنه قول الاعشى

لكالثور والجني يضرب ظهره   وما ذنبه ان عافت الماء مشربا

والجني هنا اسم الراعي لا الواحد من الجن في قول.

(ومنها) قول النابغة

لكلفتني ذنب امرئ وتركته   كذي العر يكوي غيره وهو راتع

هكذا رواه الاصمعي وروى ابن الاعرابي (حملت علي ذنبه وتركته) والعر بضم العين المهملة قروح تخرج في مشافر الابل وقوائمها والبيت مبني على عادة كان يفعلها جهال الاعراب فكانوا اذا وقع العر في ابلهم اعترضوا بعيراً صحيحاً فكووا مشفره وفخذه يرون انهم اذا فعلوا ذلك ذهب العر من ابلهم كما كانوا يعلقون على انفسهم كعوب الارانب خشية العطب ويفقؤن عين فحل الابل لئلا تصيبها العين وهذا قول الاصمعي وابي عمرو واكثر اللغويين كما ذكر ابن السيد في الاقتضاب. وقيل انما كانوا يكوون الصحيح لئلا يعلق به الداء لا ليبرأ السقيم. وقيل هذا امر لم يكن وانما هو مثل لا حقيقة. وقيل اصله ان الفصيل اذا اصابه العر لفساد في لبن امه عمدوا الى امه فكووها فتبرأ ويبرأ فصيلها لان ذلك الداء انما كان يسري اليه في لبنها قال ابن السيد وهذا اغرب الاقوال واقربها الى الحقيقة

(ومنها) قول عبد الله بن عداء البرجمي

لو كنت جار بني هند تداركني   عوف بن نعمان او عمران او مطر

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم   لم يسلموه ولم تسنح له البقر

وذلك لان العرب كانت تتشاءم بالبقر لحدة قرونها

(ومنها) قول المثلم بن عمرو التنوخي

يمنعني لذة الشراب وان   كان قطايا كأنه العسل

حتى ارى فارس الصموت على   اكساء خيل كأنها الابل

وليس المراد انه امتنع عن الخمر لمجرد حزنه او لاشتغاله بأخذ الثأر كما هو ظاهر المعنى بل هو مبني على عادة كانت لهم وهي ان الواحد منهم اذا أصيب بوتر كان يعقد على نفسه نذراً في مجانبة بعض اللذات

(ومنها) قول مرة بن محكان التميمي في وصف ناقة نحرت وهو من شعراء الحماسة

زيافة بنت زياف مذكرة ... لما نعوها لراعي سرحنا انتحبا

امطيت جازرنا اعلى سناسنها ... فصار جازرنا من فوقها قتبا

ينشنش اللحم عنها وهي باركة ... كما تنشنش كفا قاتل سلبا

ينشنش اي يكشف و يفرق قال التبريزي في شرحه قال ابو محمد الاعرابي لو قال قائل لم قال وهي باركة ولم يذكر وهي مضطجعة وليس شيء من الحيوان يسلخ الا مضطجعاً قيل له من عادة العرب انهم اذا نحروا الناقة وخشوا ان تضطجع رفدها الرجال من جانبيها حتى تموت وهي باركة وذلك ان جزرهم اياها وهي باركة مستوية هو خير من جزرهم اياها وهي مضطجعة على جنبها فاذا ماتت جزلوها والجزل ان يجزوا اصل العنق مابين المنكبين حتى يسترخي العنق ولم يقطعوه كله وقد فصلوه ثم يكتنفها الرجال فيكتنف السنام رجلان وذلك ان يكون احدهما من جانبها من شق والآخر من الشق الآخر وآخران من قبل الكتفين وآخران من قبل العجز فثلاثة من جانب وثلاثة من جانب والسالخ واحد وهي باركة

(ومنها) قول القائل

اذا انتدى واحتبى بالسيف دان له ... شوس الرجال خضوع الجرب للطالي

كأنما الطير منهم فوق هامهم ... لاخوف ظلم ولكن خوف اجلال

احتبى الرجل اذا جمع ظهره وساقيه بعمامة او بيديه ومنه الحديث الاحتباء حيطان العرب اي ليس في البراري حيطان فاذا ارادوا ان يستندوا احتبوا لان الاحتباء يمنعهم من السقوط و يصير لهم كالجدار وقوله انتدى اي جلس في النادي والبيت مبني على عادة كانت لهم ذكرها التبريزي في شرح الحماسة وهي انهم كانوا يحتبون بالسيوف عند عقد جوار او حرب او تسويد رئيس وما يجري هذا المجرى لان السيف في امثال هذه الاحوال ربما مست الحاجة اليه ولذلك قال جرير

ولا يحتبى عند عقد الجوار ... بغير السيوف ولا يرتدى

وفي غير هذه الاحوال انما يحتبون بالاردية واشباهها

(ومنها) قول حاتم

أما والذي لايعلم السر غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم
لقد كنت اختار القرى طاوي الحشا محافظة من ان يقال لئيم
واني لاستحيي يميني وبينها وبين فمي داجي الظلام بهيم

المعنى اني أقري الضيف وانا طاوي الحشا لاني اوثره عَلَى نفسي · وقد يسأل عن مراده في البيت الثالث ولم كان يأكل في الظلمة والجواب انه بلغ من اكرام العرب للضيف ان احدهم ربما اطفأ النار وامسك عن الاكل واوهم الضيف انه يأكل ليشبع الضيف

(ومنها) قول الفرزدق

ولما تصافنا الاداوة اجهشت الي غضون العنبري الجراضم
وجاء بجلمود له مثل رأسه ليسقي عليه الماء بين الصرائم
عَلَى حالة لو ان في القوم حاتماً عَلَى جوده لضن بالماء حاتم

التصافن اقتسام الماء بالحصص وكانت عادتهم اذا كانوا في فلاة وقل الماء ولم يوجد معهم اناء صغير يقسمونه به تصافنوه بأن يضعوا في الاناء الكبير حصاة ويسكبون فيه الماء بقدر مايغمر الحصاة فيعطاه كل رجل منهم وقصة كعب بن مامة في المصافنة وتفضيله النمري على نفسه حتى مات عطشاً مشهورة وبسببها ضربوا به المثل في الجود وهو الذي عناه جرير بقوله لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

وما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك ياعمر الجوادا

بقي في هذه الابيات جرهم لفظ حاتم والوجه رفعه عَلَى انه فاعل لضن ولكنهم رووه هكذا تبعا لقوافي بقية القطعة وخرجوه على انه بدل من الماء في وجوده ولهم في ذلك خلاف وكلام طويل الذيل ليس هنا موضع استيفائه ولو خيرت لكنت اختار رفعه عَلَى الافواه تخلصاً مما تكلفوه · وقال التنوخي في الاقصى القريب ويروى (ضنت به نفس حاتم) ولا اشكال حينئذ والظاهر ان هذا اصلاح لارواية انتهى كلامه

(ومنها) قول القائل

لادر در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر
اجاعل انت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

العشر بضم ففتح والسلع بفتحتين ضربان من الشجر والبيقور البقر وكانت عادتهم

في الجاهلية الاولى انهم اذا استمتوا جعلوا السلع والعشر في اذناب البقر وعراقيبها واشعلوا فيها النار وحدروها من الجبال لتضج البقر ويمطرون على زعمهم وتسمى هذه النار نار الاستمطار . والبيت الثاني ذكر صاحب القاموس في مادة (سلع) ان فيه لسعة اغلاط لم يبينها هو ولا شارحه وبينها السيد عبد الرحمن العادي على ماظهر له وذكرها صاحب خلاصة الاثر في ترجمته وكلها اوجلها ليس من الغلط في شيء والله اعلم

القاهرة احمد تيمور

كتاب الف با

وقعنا خريف السنة الماضية على مخطوط عند الشيخ ناصر المخزومي العرابي من فضلاء جبل نابلس المعروفين عنوانه « الجزء الاول من كتاب الالباء في الف باء » نسخه ناسخه في ثالث رجب الفرد لسنة الف وهو مما وقفه احمد باشا الجزار على مدرسة جامعه نور احمدية في مدينة عكة « عكا » التي كان لها في ماضي الايام شأن مذكور ولا توجد فيها الآن من امهات الكتب سوى بعض المطبوعات لان الثورات الاهلية التي طار شرارها في القرن الثالث عشر تناولت تلك الكتب القيمة وفرقتها ايدي سبا وتجد اليوم بقية صالحة منها مبعثرة في انحاء فلسطين .

وقد سألنا صديقنا صاحب المقتبس عن هذا الكتاب فأجابنا بانه من انفس المؤلفات التي طبعت في مصر وبعث الينا بالجزئين الاول والثاني منه من مكتبة سليم افندي البخاري من علماء دمشق لنطالعها ونكتب عنها مجثاً ولولا ان اعاد علينا هذا الطلب وشجعنا بقوله : ما كل مخطوط مهم وما كل مطبوع بعرفه الناس لما رأينا ننقل الى قراء المقتبس بعض فصوله وهذا مجال لان نشكر الاستاذ البخاري على حواشيه التي علقها على الكتاب فجاءت كعقود نضيدة في جيد غادة حسناء اما المطبوع فقد طبع سنة ١٢٨٧ هجرية على نفقة جمعية المعارف التي طبعت ١٠٠ كتاب من طرازه

قال الشيخ الفقيه المحدث الزاهد الحاج ابو الحجاج يوسف بن محمد البلوي عرف بابن الشيخ بعد البسملة والحمدلة والصلوة اما بعد دام لنا ولكم السعد فاني عزمت بعد استخارة ذي الطول ومن بيده القوة والحول ورغبني اليه في السداد في العمل والقول على ان اجمع في هذه الاوراق كل معنى رق او راق مما هو عندي مستحسن

لامستخشن ومستملح لامستنبع واثبت فيه من الفوائد مايزري بالفرائد ومن بدائع العلوم والفهوم مايوثق به من التخوم الى النجوم وجعلت ما اولف فيه وابني لبعد الرحيم ابني ليقرأه بعد موتي و ينظر الي منه بعد فوتي اذ لم يلحق بعد لصغره درجة البلاء ولم يبلغ مرتبة العقلاء وارجو ان يجعله الله منهم ولا يقطع به عنهم فيكون ان شاء الله بقراءة هذا الكتاب في الزيادة الى ان يلحق بالسادة . »

و بعد ان استطرد الكلام في اسباب تأليفه الكتاب عقب عليه بقوله :

« اني اكرر الالف مع الباء وماشا كلها مراراً شتى ثم اشفعها بالوزن حتى تكون بيتاً بعد ان اضم اليهما كلمتين منشا كلتين باسم القافية وامت لنا ولكم العافية ويكون الشكل في الكل واحداً والمعنى على خلاف فأفهم ثم افعل ذلك بالالف مع سائر حروف المعجم ليكبر الكتاب و يكثر الكلام وتعظم الفائدة وتعم المنفعة الا انه لم يصح لي ذلك الا بضم الاشكال المؤتلفة في حروف المعجم على تأليف بلادنا بعضها الى بعض مثل الباء والتاء والثاء في بيت والجيم والحاء والخاء في آخر والدال والذال وغير ذلك و بالحري باجتماعها فيكمل منها كلها بيت و بيت وربما يضيق بعض الابيات عن جملتها فاذكرها خارجاً عن البيت وربما لا يتكمل الا بمعكوس اللفظة فاكمله بها ثم افسر اللفظة بماادريه وما وجدته في كتب اللغة وما ذكره العلماء واستشهد على ذلك بما احفظه من الشعر و بما قاله العرب وربماذكرت ماقاله غيرهم من المولدين المشهورين وربماذكرت شعر من لقيته من اشياخي وان لم يكن في ذلك حجة ففيه انس مع الثقة بمعرفتهم وفضل التقدم علينافي كل امرهم مع اني رأيت الفقيه القاضي اباالفضل عياض بن موسى رحمه الله قدساق في احد تواليفه شعراً الوزير ابي عبدالله محمدبن شرف رحمه الله وكان متأخراً قرأت في احد تواليفه خبراً ارخه بثمان عشرة واربعمائة فاستشهد ابو الفضل بذلك الشعر في ضرب من البلاغة ذكره وسيأتي ذلك الشعر في هذا الكتاب ان شاء الله لانه اعجبني فحفظته و بعد حفظه فيه اثبته ولي ايضاً في مثل ذلك الانشاد على غرضي استشهاد و بيني و بين ابي الفضل هذا في الاسناد شيخي الاجل الرفيع العماد ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الخبيري [1] عرف بابن قرقول رحمه الله لقيته وسمعت عليه واجاز لي جميع مالديه . رجع الكلام بعد فائدة على ماتقدم زائدة و ربما ذكرت من شعري مايليق بالباب وان لم يعد في اللباب لكن المرء بشعره شغف وان لم يكن ذا شرف كما يعجب بابنه وهو الجون ومن غير اللون الم تسمع قول بعضهم

(١) في المطبوع الحميري

والمرء يعجب بابنه وبشعره نعم ويطيب له غناؤه وان طال فيه عناؤه ويولع بتصنيفه ويأبى من تعنيفه اياك اعني يامؤلف الكتاب تاب الله على جميعنا احسن متاب ولي في هذا المعنى مما كتبت به الى الفقيه الخطيب ابي محمد عبد الوهاب بن علي رضي الله عنه اعرض عليه شعراً قلته بعد كلام ولا غرو كل امرىء مادح لمرء ومعجب بشعره وانا الذي اقول

كل امرىء يعجبه شعره حتى يراه ناقد غيره

في ابيات ذكرتها بكمالها في كتاب سميته تكميل الابيات وتتميم الحكايات مما اختصر للالبا في كتاب الف با وقد ذكرت سببه في اوله فانظرها هناك ان اردتها وبالله التوفيق وما احسن مابه اعتذر صاحب كتاب الزهر اذ قال

ويسيء بالاحسان ظناً لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون

« ويروي « يأتيك وهو بشعره مفتون » (١)

لكن يابني ان العاقل رحل عن هذه المعاقل وترك بها الجاهل فعادت كالمجاهل

احسن الله لي عزائي بنفسي ان يكن يحسن العزاء لمذنب

تدري من العاقل في هذا المعنى ابن المقفع الذي ارتدى بعقله وتقفع ومع هذا فمن الشعر ترفع وكان من البلاغة في قلمه ولسانه بحيث لا يبلغه احد من اهل زمانه

قيل له مالك لا تقول الشعر قال الذي ارضاه لا يجيء والذي يجيء لا ارضاه وقيل للمفضل لم لا تقول الشعر وانت اعلم الناس به قال علمي به يمنعني من قوله وانشد

ابى الشعر الا ان يفيء رديه علي ويأبى منه ما كان محكما

فياليتني اذ لم اجد حوك وشيه ولم اك من فرسانه كنت مفحما

ثم عاد فقال في صدر الكتاب : رجع القول الى صفة الابيات التي ذكرها بعد لم يأت مثال ماذكرته لك اب في بابه واخ واد وكذلك فكذلك الى آخر حروف المعجم فلما لم يتزن لي ذلك احتلت عليه وتركت هذا المعنى وقلت اب الذي هو المرعى واخ واد وجئت بواو العطف في اللفظة حتى تدخل في الوزن ويصح دخولها في العروض التي بنيت عليها وهي المتقارب الذي يحتاج (٢) من فعولن ثمانيا وسقت مع اب وات واث مما يكون على وزن فعل او فعل او فعل او فاع لان هذا كله في الوزن مع فعولن سواء وكذلك افعل في سائر الحروف واذكر خارج البيت ما هو على هذا الشكل مما لم يتزن

(١) لم ترد هذه العبارة من ويروى فآت في المطبوع (٢) يجتمع في المطبوع

اومايتزن واستغني عنه البيت على ماتراه ان شاء الله تعالى بعد هذا فاذا فرغت من البيت سقت معكوسه مثل وبا وتا وثا ثم افسره كذلك ثم اقول مقلوبه الف بين حرفين مثل وباب وتاب وثاب ثم أفسر كل لفظة منها ثم اقول مقلوبه ايضاً حرف بين الفين مثل وابا واتا واثا ثم ارجع الى القافية فافعل فيها مثل ذلك وربما كانت الواو من نفس الكلمة اذا لم اجد غيرها فاسوقها وانبه عليها مثل وكل الذي هو الرجل الضعيف العاجز سقته مع وكل اللفظة التي هي ضد بعض وكذلك وشل الماء الجاري من الجبل مع وشل بعض انامله وغير ذلك مما اقيم به شكل البيت ووزنه وربما جلبت فائدة ثانية وعكساً آخر يفيد علماً زائداً ثم اذكر مخارج الحروف وعملها ان كانت عاملة مع اشتراك سهلة قافية واحدة ليقرب المخرج ومايجمل عوض صاحبه في النطق ثم اذكر آخر البيت فصلا من الكلام المطول يكون عليه المعول وسيأتي تفسير هذا الفصل ان شاء الله فيما يستقبل فاقبل وقد اجتمع لي من ذلك تسعة وعشرون بيتاً عدد حروف المعجم لكن منها مكرر معكوساً ومقلوباً ومنها مالم يتكمل البيت الا بمعكوسه لقلة دوره في الكلام وزدت في اول الشعر ثمانية ابيات وفي آخره اربعاً من الكلمات المزدوجات المتشابهات الحروف المتماثلات الصنوف مثل الذي صنع ابن شرف في قوله « عزك عز لك فصار قصارذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدا » وله ايضاً مثل هذا وهو « نعمه يعمه تعمه نعمه بعمه نعمه » نعمة اسم رجل ويعمه يتحير من قوله تعالى في طغيانهم يعمهون وباقي الكلمات مفهوم الى غير ذلك مما يشكل حتى ينقط ويشكل ومثل الحريري في مقاماته

زينت زينب بقد يقد وتلاه ويلاه نهد يهد

في ابيات له وهذه الابيات المذكورة قبل الشعر وبعده اخذتها من شعر لي مطول من هذا النوع عدده ثمانية وعشرون بيتاً جمعته في جزء مع مالابن شرف من ذلك من منثور مع ابيات لي أخر عددها احد وار بعون بيتاً قصدت بها نوعاً من المعمى واللغز منها ابيات ثانية لا تقرأ البتة الا ان تشكل وتفسر مثل

تصيخ تصيح نضيخ بصبح اصخ بقيح نضيج نصح

وسأفسر لك هذا البيت مع الابيات الاثني عشر قبل الشعر وبعده في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وقد اودعت الكراسة المذكورة في كتاب التكميل المذكور وهذا الكلام الذي سقته منثوراً وفي صفة الابيات مذكوراً قد نظمته في ارجوزة لزومية ذات قافية لامية واعتنيت بهذا الاعتناء على ما فيه من العناء لانه الاصل في

الباب وعليه مدار الكتاب منه نبعت عيونه وتفرعت فنونه وهاهي ذه فعه حليتها [1] فته تزيد على المائه

قال ابن شيخ يملي — على الذي يستملي
هذا الكتاب اصلي — اعددته لاصلي
به عظيم الجهل — حتى يرى يا اهلي
بالقرب لا بالمهل — يذوب ذوب المهل
صنعته [2] من اجل — عهد الرحيم نجلي
وذاك لعلي — اسقيه من ذا العل
اذ قد روى من نهل — فهو اعز الاهل
باسم الحكيم العدل — سبحانه من عدل
ما ان له من عدل — رب بعلم عدلي
قربه لا تبعد لي — املاً منه عدلي
أفرغه فأملي — منه على المستملي
فصلاً واي فصل — في وصف شعر الاصل
هو قصيد يسلي — قارئه في رسل
يدر در الرسل — ليس بقول فسل
ولا حرام بسل — بل من بلي نسلي
لكل ام مسلي — ضمن وزن فعل
او فعل او فعل — واحتيل في المعتل
منه وفي المختل — حتى اذا ما حلي
وزن فعول خلي — وبعد هذا الفعل
زوجته كالاهل — لاختها في الشكل
لكنه بالشكل — يدري سم من فعل
وثعل من بعل — ونغل من بغل [3]
وجعل من جعل — وحمل من حمل

(١) في المطبوع حليتها (٢) وضعته اصلح

(٣) في المطبوع فعل من فعلي

وَجَمَل من جَمْل وَجَبَل من جبْل [1]
وحبل من حبل [2] ورمل من رمل
وذا كثير المثل يعجز عنه مثلي
فشل هذي السبل تخفى على ذي النبل
الا بضبط الرجل بالقيد او بالحجل
فارضع لبان الثقل [3] واعلم بان فعلي
لم اره يا شبلي لاحد من قبلي
جئت به في حفلي مسببا للنفل
فانهد به للختل ولا تخف من قتل
فهو كمثل النصل ابرزته للفصل
والفصل ضد الوصل تعلو به وتعلي
لأنه مستعل مستغلق لجهل
عليه اسبى قفل فصار شبه القفل
والمغرجين يغلي قلوبنا بالشغل
حتى اذا ما جلي عنه بكشف الجل
صقل ايبى صقل وخف بعد الثقل
واعلم ابا ذا العقل ان ليس ذا من نقلي
للغر بل للكهل من لم يكن ذا جهل
جمعته في مهل من جبل وسهل
فاختلطت بالهزل الفاظه والجزل
وهاكه يا خلي كمثل او خل
تحذه او تخل فرغت من سجل [4]
نفسي دعا الاجل بصوتي المهل
ودمعي المنهل يارب الف شملي

(١) حبل من حبل (٢) خبل من خبل والذي نراه ان احد هذين الشطرين سقط في النسخ حتى جاء الاخير فرداً (٣) في المطبوع الثمل (٤) نرى العجز منه احرى بالصدر

يا رب خفف حملي واغفر لعبد قل
بالذنب مستقل ياسيدي وقل لي
رضيت بالاقل منك فسر سهل حل
لاشرف المحل جنة عدن نزلي
لاتخشين عذلي مؤملاً لوصلي
مؤمنا من فصلي لك متاح فضلي
لك مباح بذلي وبعد ذا أصلي
علي الكريم الاصل احمد خير الرسل
وآله والنسل والحمد وهو الكلي
لله مولى الكل

ويلي ذلك قصيدة مهملة ثم شرحها وهي كموسوعة علمية جمعت من كل شيء احسنه وهاك مثالاً من الشرح في اول بيت

وآبَ وآبٍ وأبٌ وأبْ وات واثٌ وبلٍ وَبلٌ

فأما آب فمعنى رجع قال الشاعر

فآب معضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

وهذا البيت سيأتي تفسيره ان شاء الله تعالى في باب الضاد يقال منه آب يؤوب اوبا وايابا قال الله تعالى ان الينا ايابهم وآبت الشمس غابت والمآب المرجع وائتاب مثل آب فعل وافتعل بمعنى قال الشاعر

ومن يتق فان الله معه ورزق الله مؤتاب وغادي

ومآبة البئر حيث يجتمع الماء واسم الفاعل منه آيب ومنه الحديث آيبون تائبون وتوبا توبا لربنا اوبا لايغادر علينا حوبا الحوب والحوب الاثم وقد جاء في الحديث رويته حوبا بضم الحاء ووقع في المعاني لنحاس ان ابا ايوب طلق امرأته او عزم على ان يطلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان طلاق ام ايوب لحوب وقال المهدوي في قوله تعالى انه كان حوبا كبيرا الحوب الاثم وأصله الزجر للجمل فسمي الاثم حوبا لانه يزجر عنه والتحوب التأثم وهو ايضاً التحزن وهو ايضاً الصياح الشديد كالزجر وقرأ الكل حوبا بالضم وقرأه الحسن حوبا بالفتح كما وقع في الحديث والحاب مثل الحوب تقول حبت بكذا اي اثمت تحوب حوبا وحوبة وحيابة وفلان احوب واحق والحوبة ايضاً القرابة

جذمنا(١) قيس ونجد درانا ولنا الاب بها والمكرع

يقال كرعت الماشية اذا شربت الماء وهي فيه واقفة ثم كثر ذلك حتى سمي كل شارب كارعا

واما اب فعلى وجوه شتى يقال أب الرجل يؤب ابابة اذا تهيأ للسير وهو في ابابه اي جهازه وابت ابابة الشيء استقامت طريقته واب للشيء اذا تهيأ له قال الاعشى

صرمت ولم اصرمكم وكصارم اخ قد طوى كشحا واب ليذهبا

اي تهيأ وشمر للذهاب واب الرجل ابا اذا حن لوطنه قال هشام بن عقبة اخو ذي الرمة

واب ذو المحضر البادي ابابته وقوضت نية اطناب تخييم

ويقال أب يؤب وأوب يؤوب واب الرجل يده الى سيفه اذا ردها اليه ليستله واما ات فيقال اته يؤته اتا اذا غلبه بالكلام او بكته بالحجة قاله ابن دريد في الجمهرة واما اث فمن قولهم اث النبت يأث ويئث اكثر من يأث اثا اذا كثر ونبت اثيث وكذلك الشعر اثيث ايضا وكل شيء وطأته ووثرته من فراش او بساط فقد اثثته تأثيثا واثاث البيت من هذا قال الراجز

يخبطن منه نبته الاثيثا حتى ترى قائمه جثيثا

اي مجثوثا مقلوعا وفي القرآن العزيز من هذا اجتثت من فوق الارض والأثاث متاع البيت قال الله عز وجل اثاثا ورئيا يقال اث الرجل يأث اذا صار ذا اثاث قال الاعمش الأثاث المال تتمتع به الى حين الموت وقال المهدوي واحد الاثاث اثاثة كحمام وحمامة قاله الاحمر وقال الفراء لا واحد له من لفظه ويجمع على اثثة واثث وما قبل هذا فمن الجمهرة وانشد ابن دريد قول النميري وهو محمد ابن نمير ابن ابي نمير

اهاجتك الظعائن يوم بانوا بذي الزي الجميل من الاثاث

قال واحسب ان اشتقاق اسم الرجل اثاثة من هذا ويقال اثاثة بالضم والفتح وانشد لرؤبة

ومن هواي الرجح الأثائث تميلها اعجازها الأواعث

الوعثة العظيمة العجز والوعث من الرمل ماغابت فيه الأرجل وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من وعثاء السفر اي مشقته والأثائث الوثيرات

(١) اصلنا

الكثيرات اللحم وقد جمعوا اثيثة اثاثاً ووثيرة وثاراً قال صاحب العين أث الشعر يؤث اثاثة وهو اثيث وكذلك النبات وتأثث فلان اءاب خيراً وقال امرؤ القيس يصف الشعر

وفرع يغشى المتن اسود فاحم   اثيث كقنو النخلة المتعشكل

فرغ البيت و بقيت قافيته وقد اخرتها الى آخر بيت من هذا الباب ومما ضاق عنه ولو احتجته لاخذته مثل آت اسم الفاعل من أتى يأتي وسيأتي الكلام عليه في باب اثا وآب اسم شهر من شهور العجم وهو اغ‌ث

ثم يأخذ بعد ذلك بسرد حكايات وامثال لها صلة بالبحث ومن مروياته في فضل البلاغة وفضل العلم

« وصف يحيى بن زياد رجلاً بالبلاغة فقال اخذ بزمام الكلام فقاده احسن مقاد وساقه احسن مساق فاسترجع به القلوب النافرة واستصرف به الابصار الطامحة ٠ ومدح شاعر كاتباً فقال :

ان هز اقلامه يوماً ليعملها   انساك كل كمي هز عامله

وان اقر على رق انامله   اقر بالرق كتاب الأنام له

وهذا البيت من ابدع كلام سمع والتزام جمع ٠ »

وقيل لرجل قرشي مابال العرب تطيل كلامها وتقصرون معاشر قريش فقال بالجندل يرمي الجندل ان كلامنا يقل لفظه ويكثر معناه و يكتفي باوله و يستغنى بآخره

ومما يروق في الكتاب من الشوارد والفوائد اسماء الايام والشهور عند العرب وهي كما يلي وان اتى ذكرها في بعض الكتب الا انها تدل على مبلغ العناية التي بذلها المؤلف

الايام

الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
اول	اهون	جبار	دبار	مؤنس	عروبة	شيار

الشهور

المحرم	صفر	ربيع الاول	ربيع الآخر	جمادى الاولى
مؤتمر	ناجر	خوان	بصان ووبصان	الحنين

جمادى الأخرة	رجب	شعبان	رمضان	شوال	ذو القعدة
ربة او ربى	الأصم	وعل	ناتق	عاذل او وعلان	هواع

ذو الحجة
بركا

ويسمي العرب كل ثلاث ليال من الشهر باسم خاص

الثلاث الاولى (غرر) ٢ نفل ٣ تسع او عفر ٤ عشر[1] ٥ بيض ٦ درع ٧ ظلم ٨ حنادس ٩ دآدى ١٠ محاق

وقوله رواية « ماروئيت قبور اشد تباعداً بعضها من بعض من قبور بني العباس بن عبد المطلب عم الرسول ولدتهم امهم ام الفضل في دار واحدة واستشهد الفضل باجنادين ومات معبد وعبد الرحمن بافريقية وتوفي عبد الله بالطائف وعبيد الله باليمن وقثم بسمرقند وكثير « وامه سبا » اخذته الذبحة بينبع رحمهم الله

وقال في عرض كلامه عَلَى الخال وقد جمع ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي رحمه الله الخال في شعر له بعد ان ذكر الخال كذا والخال كذا نحو ماتقدم ثم قال والخال لفظة مشتركة تتصرف عَلَى معان كثيرة وقد وجدت ثعلباً والفضل وابن مقسم قد انشدوا ثلاثة عشر بيتاً آخر كل بيت منها خال بغير معنى الآخر ورأيت قائلها وقد اغفل الفاظاً أخر كان ينبغي ان تضم اليها فزدت فيها ابياتاً ضمنتها مالم يذكره الشاعر بلغت اثنين وعشرين بيتاً وفي الروايات اختلاف ذكرت منها ماوقع عليه الاستحسان وهي

اتعرف اطلالاً شجونك بالخال	وعيشاً غزيراً كان في العصر الخالي
ليالي ريعان الشباب مسلط	علي بعصيان الامارة والخال
واذ أنا خدن للغوي اخي الصبا	وللغزل المريخ ذي اللهو والخال
وللخود تصطاد الرجال بفاحم	وخد اسيل كالوذيلة ذي الخال
اذا رئمت ربعاً رئمت رباعها	كما رئم الميثار ذو الربية الخال
زمان اقدي من يروح الى الصبا	بعمي من فرط الصبابة والخال
وقد علمت اني وان ملت للصبا	اذا القوم كفوا لست بالرعش الخال
ولا ارتدي الا المروءة حلة	اذا ضن بعض القوم بالعصب والخال

(١) في المطبوع الرابعة عفر وقد جاء فيه وفي المخطوط ان العفرة الليلة السابعة والثامنة والتاسعة من الشهر

واني اذا نادى الصريخ اجبته ... على سابح عبل الشوى او على الخال
اذا قطعت عنس وذم خلاؤها ... فما هو بالواني القطوف ولا الخال
وانا لتقضي الخيل دون عيالنا ... فمن عاتق طرفا بمحض ومن خال
جياد تباري العاصفات ولا ترى ... بها من جبان يستبين ولا خال
واني لحاد للكماة الى العلا ... ولست بجاد للعروج ولا خال
واني لحلو للصديق مرزأ ... ولست بخيس في الرجال ولا خال
وان ضن خال المزن يوما بنيله ... فان ندى كفي مغن عن الخال
نماني الى العلياء كل سميذع ... تراه اذا حلت حبا القوم كالخال
حوينا جميع المجد جوداً ونجدة ... فما شئت من ليث هصور ومن خال
وما ابصرت عين لنا قط سيداً ... على حدج يزجي الى الرمس بالخال
فخالف بجاني كل قرن مهذب ... والا تخالفني فخال اذاً خالي
ومازلت حلفاً للسماحة والعلى ... كما احتلفت عبس وذبيان بالخال
وثالثنا سيف الحلف كل مهند ... لماريم من صلب العظام به خالي
حرام عليك الدهر خدع سراتنا ... فلا فهم في مجمع القوس او خال(١)

(١) الخال في صدر البيت الاول اسم موضع وفي عجزه الماضي وفي الثاني اللواء وفي الثالث التكبير والخيلاء وفي الرابع النكتة السوداء وفي الخامس الذى لا أهل له وفي السادس اخو الام وفي السابع الجبان وفي الثامن نوع من ثياب اليمن او الموضع الذي تحاك فيه وفي التاسع البعير الضخم وفي العاشر اسم فاعل من خلا البعير اذا حرن خففت همزته وفي الحادي عشر اسم فاعل من خليت الحلى اذا قطعته وفي الثاني عشر ظلع يعترض الدابة وفي الثالث عشر الذي يرعى الابل ويحسن القيام عليها وقولهم من هو خال مال او خائل مال وفي الرابع عشر الذي لا يعنى بامره ولا يهتبل به ويخلد الى الراحة وفي الخامس عشر خال السحاب وفي السادس عشر الجبل الضخم او الاكمة الصغيرة وفي السابع عشر الرجل الجواد شبه بخال السحابة وفي الثامن عشر ثوب يسجى به الميت وفي التاسع عشر فعل من امر خاليته اذا تركته وتخليت عنه وفي العشرين اسم موضع ثان وفي الحادي والعشرين قاطع واصله من قطع الخلى من النبت ثم يستعار في غير ذلك فلذلك ذكر في موضعين وفي الثاني والعشرين من خاليت الرجل مخالاة وخلاء اذا انفردت عنه — في المطبوع اذا انفردت به على خلوة —

الحاء والظاء في غير لغة العرب

من الحروف حرفان تختص بهما العرب دون الخلق وهما الحاء والظاء وزعم آخرون ان الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثير وان الظاء وحدها مقصورة على العرب ومنها ستة احرف للعرب ولقليل من العجم وهي العين والصاد والضاد والقاف والطاء والثاء. وما سوى الباقي (١) فللخلق كلهم من العرب والعجم. الا الهمزة فانها ليست في كلام العجم الا في الابتداء. وهذه الحروف تزيد على هذا العدد اذا أستعملت فيها حروفاً لا تتكلم بها العرب الا ضرورة فاذا أضطروا اليها حولوها عند التكلم بها الى اقرب الحروف من مخارجها فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء والفاء مثل بور اذا اضطروا اليها قالوا فور ومثل الحرف الذى بين القاف والكاف و بين الجيم والكاف وهي لغة سائرة في اليمن مثل جمل اذا اضطروا قالوا كمل واما بنو تميم فأنهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جداً فيقولون الكوم في موضع القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف اه من كلام ابن دريد

اول خطبة خطبها الرسول صلى الله عليه وسلم

قال بعد ان حمد الله تعالى واثنى عليه بما هو اهله : اما بعد ايها الناس قدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه الم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالاً وافضلت عليك فما قدمت لنفسك فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ثم ينظر قدامه فلا يرى شيئاً غير جهنم ومن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشرة امثالها الى سبعمائة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

آلات النبي صلى الله عليه وسلم

قوسان اسم أحداهما الزوراء والاخرى الصفراء. وكنانة اسمها الجمع. وسيف اسمه ذا الفقار لفقرات في وسطه. وراية تسمى العقاب وحربة تسمى النبعة. ودرعان تسمى احداهما ذات الفضول والاخرى فضة. وترس فيه تمثال كرأس الكبش. وقضيب يسمى الممشوق. ومرآة يقال لها المدلة. ورداء يسمى الحضرمي. وجفنة عظيمة يقال لها الغراء. وخمس من الخيل اسماؤها السكب، اللحيف، المرتجز، اليعبوب اللزاز. وبغلة اسمها دلدل وحمار اسمه العفير

(١) في المطبوع وما سواها

الفرق بين الايدي والايادي

فرق العرب بين يد النعمة و يد الرجل او بين المجاز والحقيقة فجمعوا التي من النعمة على ايادي ويدي والاخرى على ايدي ومن أحسن ما رأيت في ايادي جمع ايد قول ابي تمام بمدح

لقد زدت اوضاحي امتداداً ولم اكن بهيماً ولا ارضى من الارض مجهلاً
ولكن اياد صادفتني جسامها اغر فخلتني اغر محجلا

وقال بعضهم الايادي ثلاثة بيضاء وخضراء وسوداء فاليد البيضاء الابتداء بالمعروف واليد الخضراء المكافئة واليد السوداء المن بالمعروف

« الفرق بين القول والتكليم »

ان التكليم لايكون الا ثناء وفضيلة كما قال تعالى « وكلم الله موسى تكليما » والقول قد يكون ذماً وابعاداً كما قال تعالى لابليس « قال اخرج منها مذؤماً مدحوراً » والمسلمون مجمعون على انه لايقال كلم الله ابليس ولا هو كليم الله ولا انه تعالى كلم اهل النار و يقال في هذا قال لابليس كذا وقال لاهل النار كذا

« الفرق بين السنة والعام »

تسمي العرب السنة عاماً والعام سنة اتساعاً ولكن بينهما في حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرقاً ولا كلام افصح من القرآن فقد جاء فيه ماهو من هذا الغرض قال الله تعالى « تزرعون سبع سنين دأباً » والعرب تعبر عن الشدة والجوع بأسم السنة تقول اكلتهم السنون و يعبرون بالعام عن الرخاء والخصب قال تعالى بعد ذكر السنين التي تدل على الشدة « ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » فاتسق الكلام والتأم أحسن التئام

آنية الشراب

قال ابن الاعرابي :

١ اول الاقداح الغمر « بالضم » وهو الذي لايبلغ الري
٢ القعب « بالفتح » وهو قدر ري الرجل
٣ القدح : وهو يروي الاثنين والثلاثة وعلى رأي بعض اللغويين لايقال له قدح الا اذا كان ملآناً بماء او غيره والا فيطلق عليه اناء
٤ العس : « بالضم يعب فيه العدة (١)

(١) في المطبوع قعب فيه العروة اوالعب شرب الماء والجرع

٥ الرفد : بالكسر او الفتح اكبر من العس [١]

٦ التبن : « بالكسر » اكبر من الرفد [٢]

٧ الصحن : اكبر من الاثنين الاخيرين قال الشاعر

« الا هبي بصحنك فاصبحينا »

٨ العلبة : كالقدح الضخم يحلب فيها قال الشاعر

« ولم تسق دعد في العلب »

٩ الجنبة : اكبر من العلبة وهي تعمل من جلد البعير [٣]

١٠ الجوباة: دلو واسعة ضخمة [٤] قال ابو زيد كل اناء يدعى مهدى « بكسر اوله » مثل الجفنة والقصعة والقدح

١١ الفرق : اناء يسع ثلاثة آصع والصاع اربعة امداد الى آخره [٥]

« آنية المدام »

قال الكسائي : (١) الصحيفة : تشبع الرجل . (٢) المشكلة : تشبع الرجلين والثلاثة [٦] . (٣) الصحفة : تشبع الخمسة . (٤) القصعة تشبع العشرة . (٥) الجفنة : اعظم القصاع .

اوقات الشراب

الصبوح : شرب الغداة . القيل : الشرب نصف النهار . الغبوق : شرب العشي . الفحمة : الشرب بين المغرب والعشاء . الجاشرية: شرب السحر الصفح : الشرب في كل وقت

العاب صبيان العرب

(١) المفايلة : لعبة لفتيان الأعراب يخبؤن الشيء في التراب ثم يقسمونه فاذا اخطأ المخطيء قيل له فال رأيك يقال منه رجل فال الرأي وفيل الرأي و يقال ما كنت احب ان ارى في رأيك فيالة قال الكميت :

بني رب الجواد فلا تفيلوا فما انتم فنعذركم لفيل

---

(١) في القاموس . الرفد قدح يروي المشرين (٢) لم يذكره المطبوع بتاتاً
(٣) في المطبوع الجفنة والراجح انها جنبة (٤) في المطبوع الجوباة وفي القاموس الجوب
(٥) الفرق مكيال لأهل المدينة (٦) في المطبوع المكيلة وقد علق عليها الاستاذ البخاري بقوله لعله مشكلة وهو الصواب

اي لستم اولاد الضعيف الرأي وهو الفيل

(٢) عظم وضاح : لعبة الصبيان بالليل وهو ان يأخذوا عظماً ابيض شديد البياض فيلقوه ثم يتفرقوا في طلبه فمن وجده ركب اصحابه

(٣) الخطرة : وهي بالمخراق (١)

(٤) الخراج : وهي ان يمسك احدهم شيئاً بيده ويقول لسائرهم اخرجوا ما في يدي .

(٥) الضب : وهي ان يصور الضب في الارض ثم يحول احدهم وجهه ويقول ضع يدك على صورة الضب ثم يقال على اي موضع من الضب وضعته فان اصاب قمر « بمعنى غلب »

(٦) التقيبري : وهي بالتراب ايضاً يقال اتقر الصبيان فهم يتفرقون وقال الاصمعي في رجزه

كأن آثار الضرابي تلتقث (٢) حول تقيبري الوليد المنبحث (٣)

تراب ماهال عليك الجندث (٤)

(٧) : البحثة وهي تشبه الاولى ولعلها هي بعينها يخبؤن شيئاً تحت الارض في التراب ثم يصدع صدعين ثم يضرب الصبي بيده على احدهما او على بعضه فان قبض على الحب فيه قمر .

(٨) المقلا والقلة : المقلا عود يلعب به الصبيان فيضربون به القلة « بالتخفيف والقلة قطعة خشب صغيرة ينصبونها .

(٩) المرعار (٥) : لعبة اخرى

« الخيل المعروفة عند العرب

بنات الاعوج ، الوجيف ، لاحق ، بنات المسجد ، آل ذوي العقال ، واحس ، الغبراء ، الجرادة ، الحيفاء ، النعامة ، الشماء ، حافل ، الشقراء ، الاعقران ، الحرون ، مكتوم ، البطين ، قرزل ، الصريح ، الزبيب ، وعلوي

(١) المخراق المنديل يلف ليضرب به « القاموس » (٢) اللقث الأخذ بسرعة واستيعاب (٣) المنبحث اللاعب بالبحثة (٤) الجندث القابر والجبث الثقل عند القيام الجدث القبر « القاموس » (٥) قال عنها صاحب القاموس لعبة للصبيان ولم يزد ايضاً

« كنى الحيوانات عند العرب »

الجدي ابو حبيب . الفيل ابو الحجاج . الأسد ابو الحارث . الذئب ابو جعدة و يقال ابو جعفر . الضبع ام عامر وام عمرو . الدب ابو رياح . الخنز يرابو قادم و يقال ابو عقبة . الثعلب ابوالحصين . الكلب ابوخالد وابو ناصح عند بعضهم . السنور ابوخراش و يقال ابو غزوان . الغزال ابو الحسين . الجمل ابو صفوان و يقال ابو أيوب . الثور ابو مزاحم . الكبش ابوحاتم . النعجة ام فروة . التيس ابو المطرف . النمر ابو وثاب . الفهد ابو قرة . الفرس ابوطالب . الضب ابو حسيل . الاتان ام حلس . البرذون ابو مضاء . البغل ابو المختار . الحمار ابو زياد . القرد ابو قيس .

كنى الطيور

النسر ابو يحيى . الغراب ابو زاجر و يقال له ابن داية . الديك ابو اليقظان وابو حسان وأبو نبهان . ابو براقش « طائر يتلون الوانا وتسميه العامة ام حبيش و يقال هي الحرباء » . العقاب ام هيثم . الجرادة ام حبين . الحمامة ام عوف . الدجاجة ام مهدي . الهدهد ام حفص

وصف العيون

الاعشى الذي لا يبصر اذا اظلم عليه الوقت بالليل . الاغماش الضعيف البصر . الاخفش كذلك يزيد عليه صغر العين . الاحول الذي ينظر الى المحاجر . الاقبل الذي ينظر الى عرض انفه . الازرق الاخضر الحدقة . الاملح اشد من الزرق وهو الذي يضرب الى البياض . الادعج الشديد سواد العين . الاحور الشديد سواد العين الشديد بياض الابيض منها . الانجل الواسع العينين في حسن . الاشكل الذي يخالط الحمرة سواد عينيه . الاشهل ان تكون الحمرة اكثر من صاحب الشكلة

ومن رائع شعر المؤلف قطعة منها :

حبذا غادة كخوطة بان ... لو رآها الحكيم كررآها
ادبا جمعت وخلقا وخلقا ... أبواها بذلكم حبواها
رحماها عن ان تطار حماها ... وحماها عن ان تضام حماها
كم بها هام و يحه من همام ... فنهاها عن القبيح نهاها
رام منها الحرام قبلة ثغر ... فأبت ان يبوس فاها سفاها
قبل الارض حين لم يلق فاها ... ثم لما ولت قفاها قفاها

وذكر عند بحثه من الجد ومعانيه ان الجد بضم الجيم البئر تكون في الكلاء قال الاعشى :

مثل الفراتي اذا ماطما يقذف بالبوصي والماهر
ماتجعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر

الظنون البئر التي يظن ان فيها ماء ولا يكون والظنون الذي لايوثق بما عنده واللجب السحاب الذي له صوت واختلاط الاصوات من كل شيء لجب من الناس وغيرهم والبوصي السفينة والماهر السابح الحاذق وتفسير السابح العائم سبح في الماء سباحة من قوله تعالى كل في فلك يسبحون اي يسيرون وجد كل شيء جانبه والجد ايضاً شاطئ النهر وهو الجدة واكثر ما يقال جده بالماء وبها سميت جدة لانها ساحل بحر .

والغريب ان جد التي بمعنى بئر في الكلام[1] لم ترد في كتاب البئر[2] لابن الاعرابي من رجال القرن الثالث :

والكتاب كله على هذا النحو من جزالة الاسلوب ومتانة المعنى وقد رأينا من المناسب ان نختم بحثنا هذا بوصف منارة الاسكندرية احدى عجائب العالم السبع[3] قال :

اما انا فاخبرني مخبر بالاسكندرية ان داخل سورها اربعة آلاف مسجد وقال آخر ستة آلاف وان خارجها الف مسجد وكان ذلك اذ دخلتها سنة احدى وستين وخمسمائة وهي اصغر مما كانت اولاً اذ بناها الاسكندر باضعاف كثيرة رأيت بخارجها على نحو ميل منها باباً عظيماً اعني بناء باب قد تهدم ما حوله وبقي على قارعة الطريق بقبلتها يقال من ذلك المكان كانت المدينة اولاً وأما منارتها فبينها وبين المدينة نحو ميل أيضاً او اكثر بجنوبيها وهي في جزيرة صغيرة في الماء وقد بني منها الى البر رصيف في الماء طوله ستمائة ذراع أو أزيد وعرضه عشرون ذراعاً وارتفاعه فوق الماء ثلاثة اذرع فاذا هاج البحر غطى الماء ذلك الممشى ولكنه بحر لين بسبب الجزيرة والاحجار التي حول ذلك الموضع فيمشي الماشي عليه في الماء الى الكعبين او نحو ذلك فاذا انحسر الماء مشي في اليبس والمنارة في آخر الجزيرة وهي مربعة كل وجه خمسة وار بعون

(١) جدة البئر في موضع كثير الكلا، والبئر المغزرة والقليلة الماء ضد والماء القليل والماء في طرف فلاة والماء القديم «القاموس» (٢) راجع المقتبس ٦٠ ص ٣ (٣) العجائب السبع: أهرام مصر ، البساتين المعلقة في بابل قبر موز ولوس ملك كاريا، هيكل ديانا في افسيس، تمثال رودس . تمثال المشترى ، برج الرصد ولم يبق منها سوى الاول .

باعا والبحر يكثر في الممشى الذي حول البناء من جهة الشرق والجنوب بينه وبين الجدار اثنا عشر ذراعاً وارتفاعه من الماء الى الهواء ذلك المقدار الا أنه من جهة البحر اوسع أعني اول البناء الذي على الحجارة تحت الماء كأنه جبل ثم كلما طلع البناء ضاق حتى يرتفع عن وجه الارض ويبقى بينه وبين جدار المنارة القدر المذكور أولاً وقد أحكم الصاقه وبناؤه وافرغ بالرصاص في اقفال من حديد تمسك ذلك الكدان المنحوت الذي كل كدانة منه اطول من لوح البناء واغلظ من عرضه وهذا البناء الذي أصفه محدث لانه كان قد أنهد ذلك الجانب فبني أحسن من البناء القديم وفي الحائط الذي يلي البحر من جهة الجنوب كتابة بالخط القديم لاأدري ماهو وليست كتابة بقلم انما هي صور وأشكال من حجارة صلبة طوال (١) سود قد أدخلت في الكدان وقد أكل البحر وهواؤه الكدان فبرزت الحروف لصلابتها طول الالف منها فوق الذراع ورأس الميم قد خرج من البناء كدور فم البرمة الكبيرة وهكذا اكثر تلك الحروف على هذا الشكل وباب المنارة مرتفع عن الارض قد بني له ممشى طوله نحو مائة باع وتحت الممشى قبة قسي شبه القنطرة يدخل الفارس تحت القوس منها ولو رفع يده مالدرك السمك في الكبار منها وعددها ستة عشر قوساً اولها قصير ثم كلما مضى ارتفع حتى يتصل آخرها بالباب وهوارفعها سمكاً ودخلنا على الباب فشينا نحو اربعين باعاً فوجدنا على اليسار باباً مغلقاً لم ندر ما فيه ومشينا نحو ستين باعا فوجدنا باباً مفتوحاً فدخلنا من بيت الى بيت ثمانية عشر بيتاً سوى الزقاق التي نمشي فيها وهي بيوت ينفذ بعضها الى بعض وحينئذ علمنا ان جوفه فارغ وانما عددنا من عين يمين الزقاق ويساره ومشينا ستين باعاً فوجدنا اربعة عشر بيتاً ومشينا اربعة وعشرين باعاً فوجدنا سبعة عشر بيتاً ومشينا خمسة وخمسين باعاً وانتهينا الى الحزام الاول وليس هناك درج انما هي أرض مرتفعة قليلاً تدور بحجل عظيم تجد عن يمينك غلظ الحائط الذي لاتدري قدره وعن يسارك الحجل الذي فيه البيوت المذكورة كأنك تمشي في زقاق سعته سبعة اشبار وفوق الرأس سقف الواح من حجارة رأينا اذ اطلعناه فارساً يهبط وآخر يصعد حتى التقيا في الطريق ولم يضيق احدهما على الآخر فلما انتهينا الى الحزام الاول ذرعنا منه الى الارض بشريط في طرفه حجر فوجدناه احدى وثلاثين قامة وستارة حائط نحو من قامة وقام في الوسط نحل مثمن في كل وجه عشرة ابوع و بينه و بين الستارة خمسة عشر شبراً وغلظ الستارة سبعة أشبار او تسعة

(١) لعله الخط الهيروغليفي .

اشكل علي هذا الحرف من الام التي نقلت هذا منها لاني كتبت هناك هذا كله ومضيت اليه بالمداد والكاغد والشريط حتى لا اسقط منه شيئاً فانه عجب واي عجب والله خلقكم وما تعملون واكثر ظني انه تسعة ورأس هذا الحزام أضيق من اسفله فدخلنا في جوفه ومشينا خمسة عشر باعاً ووجدنا درجات رقينا فيها ثماني عشرة درجة وانتهينا الى الحزام الاوسط فذرعناه بالشريط فوجدناه الى الحزام الاول خمس عشرة قامة وقام في وسط ذلك الفضاء محل آخر مدور غلظه اربعون باعاً وبينه وبين المنارة تسعة اشبار ونصف فدخلنا فيه ايضاً وصعدنا احدى وثلاثين درجة وانتهينا الى الحزام الثالث فذرعنا منه الى الحزام الاوسط اربع قامات وفي وسطه مسجد بفتح على ابواب اربعة كالقبة ارتفاعه في الهواء نحو ثلاث قامات وخلفه عشرون باعاً وامامه منارة غلظها شبران ومنها الى المسجد خمسة اشبار فجميع بيوت التي دخلناها سبعة وستون بيتاً سوى الاول المتقفل يقال ان فيها مهاوي تنفذ الى البحر وطول المنارة على هذا الحساب ثلاث وخمسون قامة ومن الارض الى ماء البحر خمس وتحت الماء الظاهر نحو القامة او اكثر ترمي بالحجر من اعلاه فلا يقع الى الارض حتى يمس في الحائط لسعة اسفله وضيق اعلاه وانما بني هناك ليستدل به على البلد السائرون اليه في البحر وتوقد في اعلاه النار لاهل المراكب لئلا يضلوا وتقدهنا ارويه فلم تقدر تدخل مرسى البلد وكان رئيسنا ايضاً لم يكن دخله قبل ذلك فجعلنا وراءنا وادخلتنا الريح في موضع ليس فيه مرسى ثم سلم الله بعد ان اشرفنا على الهلكة وخرجت الينا القطائع من البلد فادخلونا البلد يوماً آخر وكانت العافية والحمد لله

ولم نر بأساً من ايراد اسماء بعض العلماء الاعلام الذين عاصرهم المؤلف وعاشرهم في القرن السادس من الهجرة واسماء بعض الكتب التي نقل منها او روى عنها

« العلماء »

الاستاذ الفقيه ابو عبدالله بن سورة · ابو اسحاق ابراهيم محمد الحميري عرف بابن قرقول · الفقيه المحدث ابو عبدالله محمد بن ابراهيم عرف بابن الفخار · الفقيه الخطيب ابو محمد عبد الوهاب بن علي العبش · الحافظ ابو الطاهر احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم السلفي الاصبهاني · الفقيه المحدث ابو محمد عبد الحق الازدي الاشبيلي · جعفر بن غياث · القاضي ابو محمد العثماني الديباجي · الاستاذ ابو محمد القرطبي · الشريف ابو محمد عبدالله بن عبد الرحمن العثماني نسبة الى عثمان بن عفان رضي الله عنه · الاستاذ ابو زيد عبد الرحمن بن الحسن الخثعمي السهيلي ويكنى اباالقاسم · الامام الزاهد الورع ابو عمران موسى بن عمران القيسي الميرتلي · وغيرهم من رجالات الفضل

اما الكتب التي نقل منها او روى عنها فهي كما يلي :

(بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد) اسم المؤلف القاضي ابو الفضل عياض (ادب الكتاب) ابن قتيبة (الشمائل) الترمذي (فضل القرآن) ابو عبيد (مشكل القرآن) ابن قتيبة (الدلائل) ثابت بن قاسم (شرح الشهاب) ابو القاسم ابراهيم بن الوراق (السير) ابن هشام (آداب الاسلام) ابن ابي زمنين (حلية الاولياء) ابو نعيم الحافظ (الموطأ) مالك (المحكم) ابو عمر المقري (الكامل) محمد بن يزيد (المفصلة في تأديب المعلمين) ابو الحسن علي بن محمد الغالبي (السير) ابن اسحاق (تاريخ الطبري) الطبري (شرح السيرة) ابو القاسم السهيلي (المقصورة) ابن دريد (التسلي عن الدنيا) ابو القاسم علي بن محمد عبدوس (بعض التواريخ) اسحاق بن الحسن (المعجم) البكري (الاموال) ابو عبيد (قوت القلوب) ابو طالب المكي (الاربعين) الثقفي (شرح خطبة ادب الكاتب) ابن السيد (الهداية) المكي (المعلم) المازري (الامالي وذيله) ابو علي (المعاني) النحاس (الجمهرة) ابن دريد (التفسير) ابن عباس (الفوائد) ابو قاسم الادريسي (الامثال) ابو عبيد القاسم بن سلام (شرح الامثال) البكري (تاج اللغة) الجوهري (اللآلي في شرح الامالي) ابو عبيد البكري (شرح الحديث) يوسف الخطابي (المعجم) ابو عمرو المقري (التفسير) ابن سلام (شرح السير) عبد الرحمن الخثعمي (الكبير) ابن اسحاق (المسند) البزار (السير) ابو داود (تفضيل العرب وعيون الاخبار والمعارف) ابن قتيبة (الجامع) معمر (القناعة) ابن البستي (الاربعين) الطوسي (المقنع) ابو عمرو المقري (شرف المصطفى) القاضي عياض (احوال السنة) ابن زمنين (الغريب) ابو عبيد (الفاصل بين الراوي والواعي) القاضي ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (الفصل للوصل) ابن ثابت (الطاعة والمعصية) علي بن معبد (الاعداد) القضاعي (الوثائق) ابن المندي (النوادر) ابو علي (الاعلام) الخطابي (الناسخ والمنسوخ) ابن شاهين (المعاني) ابو جعفر النحاس (النبات) ابو حنيفة (المسالك والممالك) ابو عبيد البكري (جامع الخير) ابو قاسم عتيق بن محمد الصقلي (الاخبار بفوائد الاخبار) الامام الحافظ ابو بكر ابراهيم بن محمد بن يعقوب البخاري (الامثال) ابو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهاني (الرقائق) ابن مبارك (الصحابة) ابو جعفر العقيلي .

وغير ذلك من امهات الكتب كالبخاري وتاريخه والترمذي والنسائي والمسعودي والاغاني انتهى

عبد الله مخلص   « حيفا » فلسطين :

نخبة الدهر

في عجائب البر والبحر

كثير من كتبنا كادت تفقد بتة لو لم يتداركها الافرنج بابتياعها منا اولاً وبنشرها بالطبع ثانياً ومن جملة هذه المخطوطات هذا الكتاب لشمس الدين ابي عبد الله محمد ابن ابي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي المعروف بشيخ الربوة . فبينا نجد من نسخ هذا التأليف اربع نسخ في شمالي اوربا فقط الاولى في كوبنهاغ والثانية في ليدن والثالثة في بطرسبرج والرابعة في لندن وفي هذه عدة نسخ منه لانجد من هذا الكتاب الذي ألف في دمشق بل ولا في سورية نسخة مخطوطة فيما نعلم حتى تداركه كل من المستشرق فرين الرومي والمستشرق مهرن الدانيمركي وطبعاه سنة ١٨٦٥ م ١٤٨٦ هـ ونسخ طبعه اليوم عزيزة جداً كسائر الكتب العربية التي يطبعها المستشرقون في اوربا لمنفعتهم الخاصة في الاكثر

وشيخ الربوة هذا كان من اعاجيب الدهر معاصراً لابي الفدا صاحب حماة العلامة المشهور قال فيه صاحب الدرر الكامنة انه كان يصنف في كل علم سواء عرفه ام لا لفرط ذكائه . قال الصفدي ولد سنة ٦٤٥ وعانى الاشغال فهو في علم الرمل والاوفاق ونحو ذلك وكان ذكياً وعبارته حلوة ماتمل محاضرته وكان يدعي انه يعرف الكيمياء ودخل على الافرم فاوهمه شيئاً من ذلك فولاه مشيخة الربوة وله السياسة في الفراسة مطبوع وله غيره مثل كتاب في الاصول ومن شعره

للنفس وجهان لاتنفك قابلة ... مما تقابل من عال ومستفل
كنحلة طرفاها في مقابلة ... فيها من اللسع مافيها من العسل

توفي في صفد سنة ٧٢٧ بعد ان لحقه صمم قبل موته وذهبت عينه الواحدة وكان صبوراً على الفقر والوحدة كثير الآلام والاوجاع وكتابه هذا « في العلم بهيئة الارض واقاليمها واناسيها واختلاف القدماء في ذلك وعلاماتها ومعمورها من البحار المتصلة والمنفصلة والجزائر والجبال والانهار والجرارات والآجام العظيمة والعيون والممالك

ومسالكها والامصار الكبار ورساتيقها والآثار القديمة والعمائر العظيمة والعيون والآبار والينابيع العجيبة والحيوان النادر الشكل والنبات الغريب والمعادن الذائبة المنطرقة وتوابعها في المعدنية والاحجار الشريفة الثمينة والتي تليها في الشرف والقيمة والتي تلي ذلك مما هو ممتاز من التراب لوصف خاص او خاصة ذاتها ووصف الوان الاحجار الثمينة وطبائعها وخواصها ونعت بقاعها ومعادنها وذكر اسباب توليدها على ما ذكره الاقدمون وذكر مساحة الارض ومسافات اقسامها بالساعات والاميال والبرد والفراسخ والدرج الفلكية وأطوال الجبال وعرضها ونعت الامم المبثوثين فيها وذكر معالم انسابهم وآبائهم الاولين وذكر عامة اختلاف الامم المشهورين منهم ونعت خلقهم وذكر خصائص البلاد المختصة ببقعة دون بقعة و بلد دون بلد وذكر ظواهر خصائص البشر المشتركة فيها مع النوع الانساني دون باقي الحيوانات ونعت معالم رسوم الملليين واسماء شهورهم واعيادهم وقرابينهم على ماوجد من آثار علومهم وما يتعلق بلوازم ذلك ولواحقه وختمته بصورة جغرافية دهانًا بالاصباغ وتخطيطًا محررًا على مثل مواقع الاطوال والعروض والاصقاع في المعمور لتكون مثالًا حسيًا مشاهدًا بالحس يشهد منه ماوضعت وصفه من الميثة وليكون الوصف برهانًا لما مثلت أمثلته بالجغرافية المذكورة وكل ماهو من الدهان به أزرق فهو مثال بحر مالح صغر او كبر دق او عرض وفي الزرقة من لون مخالف فهو مثال جبل او جزيرة وكل ماهو في ذلك وفي باقيها من لون اخضر فهو مثال بحيرة حلوة ونهر جار وكذلك طال او قصر دق او عرض وكل ماهو فيها من لون جلناري أو خمري أو اصفر أو حجري أو ابيض أو غير مستطيل مخطط خطوطًا بالسواد فهو مثال جبال وربوة مشهورة وكل ماهو صورة خط اسود مستطيل من مشرق الجغرافية الى مغربها فهو مثال فصل مابين اقليم واقليم من الاقاليم السبعة وما وراءها وما خلف خط الاستواء منها وكل ماصورة عمارة وتفصيل حجارة بالتخطيط فهومثال سور أو برج أومدينة أو هيكل مشهور في الارض »

هذا ماقاله المؤلف في وصف كتابه وهو كما تراه يحوي غير فن الجغرافيا فنونًا كثيرة مثل علم طبقات الارض وعلم المعادن وعلم خصائص الشعوب وعلم الانسان وعلم الحيوان وعلم الانساب والتاريخ والآثار وغير ذلك وقد اجاد كل الاجادة في وصف جغرافية بلاد الشام بحيث يصور لك حالتها في القرن السابع والثامن والغالب انه طافها كلها ولم يقصر في جغرافية مصر عن هذه الغاية . اما في بحثه عن الآثار فانه في الغالب ينقل كلامه عن

الافواه او عمن الفوا في القصص والحكايات ليدهشوا العامة وهنا يؤخذ كلامه بالحذر خصوصاً وكتابه قد وسمه بعجائب البر والبحر فهو يحشوه من هذا القبيل ومنها المفيد مع ذلك

اما في الجغرافية فقد وصف فيه بلاد السودان والزنج والبربر وغيرهم في أواسط افريقية مالم يطلع عليه علماء الجغرافية الا في العهد الاخير وكذلك وصف من ام جزائر البحر المحيط الهندي وما والاه من الامم واورد من اسمائهم مالايعرف الآن ولعله حرف بالطبع لان طبع هذا الكتاب يغلب عليه التحريف في الاكثر اما في اوربا فقد الم الماماً خفيفاً ببعض مدن جنوبها اما شمالها فاكتفى على عادة اكثر جغرافيي العرب بان قال انه يسكنها أقوام من الافرنج اما اميركا فلم تكن قد كشفت في عهده ولكن اجاد في الكلام على بحر الظلمات والاقيانوس الاطلانطيكي وما فيه من الجزر وعلى سواحله من المدن وبالجملة فان الكتاب نافع يدل على ارتقاء ذلك القرن وفيه بعض صور ولكن لا كالتي اشار اليها في مقدمته من الاصباغ الملونة والتفريق بين المدن والاصقاع بالوان متباينة ولكن مافيه من الصور يدل على تفننٍ وان قومنا العرب كانوا ايام حضارتهم أشبه بحال الغربيين اليوم يميلون الى تصوير المواد العلمية وان كان الاوربيون مبالغين في ذلك حتى يكادون لا يصدرون كتاباً بدون صور

وهاك الآن نموذجات ننقلها من الكتاب دلالة على فضل مؤلفه خلافاً لمن رماه بانه يخلط في تأليفه فما منا الا من رد ورد عليه وكفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

قال شيخ الربوة في ذكر توليد الجبال والهضاب والرمال والكلام على كيفية تكوين ذلك وعلته وسببه : قال العلماء بذلك ان الجبال الصغار والتلال قد تكون من الزلازل الكائنة من الرياح المحقونة في الارض المتموجة تحتها حيث ترفع بعضاً وتخفض بعضاً ومن صحة ذلك انه في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة كان المطر في الشام قليلاً وقصرت ينابيع العيون ارسل الله عز وجل زلزلة في ايام الصيف فخرجت العيون وزادت الانهار زيادة بقدر ما كانت ثلاث مرار واربع مرار وهذا صحيح وقد يكون باستيلاء الرياح العاصفة على بعض اجزاء الارض بالكشف والحفر الى ان يصير ماغلبت عليه غوراً ومن صحة ذلك انه في سنة تسع عشرة وسبعمائة كان على الجبل الاقرع شجر زيتون كثير نيف على ثلاثمائة فحمله الريح الى ارض بعيدة بترابه وكأنه لم يكن مخلوقاً الا من تلك الارض وكأنه لم يكن على الجبل شجر مزروع قط وفي تلك السنة ايضاً حملت الريح

ديراً يقال له دير سمعان قريب من تلك الارض بحجارة ورهبته وما كان في الدير من قمحهم وخبزهم وبقرهم ودوابهم وعددهم حتى كأنهم لم يكونوا ولم يعلم لهم خبر ولم يطلع لهم على أثر وسطر بذلك محضر شرعي وطلعوا به الى السلطان محمد بن قلاوون خلد الله سلطانه ورحم ملوك المسلمين اجمعين . وفي سنة سبعمائة نزل جبل عال شامخ في بيت المقدس بقرب من عين فروج التي على الطريق فبقدر ما كان مرتفعاً توطأ في الارض وهو الى الآن ارق مياه تنفق لها حركة على جزء من الارض دون الآخر فيحفر مايسيل فيه ويبقى مالا يسيل فيه راسياً ثم لاتزال السيول تغوص في الجزء الاول الى ان يعود غوراً ويبقى ماانحرف عنه سامياً ومن العجب العجيب مغارة بالشام يخرج منها جدول ماء مايجاوز كعبي قدم الخائض فيه فاذا دخلها الانسان وجدها واسعة طويلة المدى نحواً من اربعة آلاف خطوة تحت الارض والماء يقطر من جوانبها وهي كصورة الأزج الطويل والقبو المبني ولكنها مغارة منحوتة وتجد تحت كل ماء قطر من سقفها حجارة جامدة من الماء المتقاطر مختلفة الالوان والشكل فمنها كهيئة العسل في لونه وكهيئة الثمار وهيئة النجوم وهيئة الاعضاء وهيئة الحبوب وهيئة النقل وهيئات منوعة وكلها حجارة جامدة من تقاطر الماء . أصباغها صادقة في الحمرة والسواد وغيره وسميت مغارة العجب لذلك قالوا وقد تكون أنواع الحجارة في النار

وقال في ذكر نوادر الاحجار الثمينة المهدي بها بعض الملوك الى بعض وذكر قيمتها ومن ذلك ماوجد في خزائن الخلفاء والوزراء من الجوهر النفيس والذخائر الفاخرة الدرة اليتيمة وسميت بذلك لانها لم يوجد لها في الدنيا نظير حملها مسلم بن عبد الله العراقي الى الرشيد فابتاعها منه بتسعين الف دينار [1] ومنه الفص الياقوت الاحمر المسمى بالجبل كان وزنه اربعة عشر مثقالاً ونصفاً اشتراه الرشيد بثمانين الف دينار وكان للمتوكل فص ياقوت احمر وزنه ستة قراريط اشتراه بستة آلاف دينار وكان له سبحة فيها مائة حبة جوهر وزن كل حبة مثقال اشتريت كل حبة منها بالف مثقال . واهدى بعض ملوك الهند الى الرشيد قضيب زمرد اطول من ذراع على رأسه تمثال طائر ياقوت احمر لاقيمة له فقوم هذا الطائر بمائة الف دينار . ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى مولاه زياد فصاً من الياقوت الاحمر وقال : أنج بهذا كانت قيمته الف الف درهم

وسقط من يد الرشيد فص من ارض كان يتصيد بها فاغتم لفقده فذكر له فص

(١) راجع مبحث ثروة العرب في المجلد الثاني صفحة ٤٥٣ من المقتبس

ابتاعه صالح صاحب الموصل بعشرين الف دينار فاحضره ليكون عوضاً عما سقط منه فلم يره عوضاً . ووهب المأمون لحسن بن سهل عقداً قيمته الف الف درهم ومائة الف درهم وستة عشر الف درهم . وكان فيما أهدى ملك الهند الى كسرى جام ياقوت احمر فتحه شبر في شبر مملوء دراً قيمة كل درة الف وخمس مائة مثقال . وكان لمحمود صاحب غزنة حجر ياقوت كنصاب المرآة اذا ركب قبض عليه بيمينه فتبين طرفاه من جانبي يده حيث ينظر اليه الناس

ولما انهزم ابو الفوارس بن بهاء الدولة من اخيه سلطان الدولة بن بويه اباع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه لزين الدولة بعشرين الف دينار فقال له من غلطك تجعل هذا على جبهة فرسك وهذه قيمتها . ووجد في خزائن مروان بن محمد مائدة جزع ارضها بيضاء فيها خطوط سود وحمر وسعتها ثلاثة اشبار وارجلها ذهب يقال لها انها صنعت على شكل المشتري من اكل عليها لايشبع ولايتخم (؟ ووجد في خزائنه ايضاً جام زجاج فرعوني محكم غلظ اصبع وفتحه شبر وفي وسطه اسد ثابت وقدامه رجل جاث على ركبتيه وقد وضع سهماً في قوس بيده يريد ان يرمي الاسد ولم تعرف له خاصية وكان لانوشروان بساط يسميه بساط الشتاء مرصع بازرق الجوهر واحمره واصفره وابيضه واخضره فعمل اخضره مكان اغصان الاشجار والوانه بموضع الزهر والنوار فلما اخذ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وقعة القادسية حمل اليه في الفيء فلما رآه عمر قال ان امة ادت هذا الى اميرها لامناء ثم فرقه فوقع منه لعلي بن ابي طالب قطعة في قسمه مقدارها شبر في شبر باعها بخمسة عشر الف دينار

ولما فتح الملك الظاهر ركن الدين بيبرس رحمه الله سيس دخل بعض الغلمان الى دار صاحب سيس فوجد نرداً بيادقه ياقوت احمر واصفر وسكرجته من حجر الماس ورقعته زركش فخطف الغلام النرد فوقع منه قطعتان تركهما داهشاً فوقعت القطعتان المنسيتان في يد الملك الظاهر فقال ما كان الا كاملا فاستدعى بمريف سوق الصرف واراه القطعتين وقال له ان مسكت من هذا قطعة مع احد الناس فعلت معك كل خير فما كان الا قليلا وقد اتى الغلام ليبيعها فمسك واتي به الى الملك الظاهر فوجدوا الباقي معه فاخذه الملك الظاهر ودفع الى الغلام عشرة آلاف درهم

ولما كان الملك المنصور قلاوون رحمه الله بدمشق سنة اثنين وثمانين وستمائة احضر اليه من المدرسة الجوهرية مائدة ذهب وزنها ثمانية ارطال وربع بالدمشقي وعليها تمثال

دجاجة من ذهب وصيصان من ذهب في منقار كل واحد لؤلؤة بقدر الحمصة وفي منقار الدجاجة درة بقدر البندقة وفي وسط المائدة سكرجة من زمرد سعتها مثل كفة الميزان التي للدرهم السوقي الكبير مملوءة حبات من الدر قيل ان الملك الناصر صاحب حلب اودعها نجم الدين الجوهري فاكتنزها بدهليز مدرسته فوشى بها الى الملك المنصور جارية من جواري الجوهري وكان على جميع المائدة شبكة من ذهب منسوج صغيرة الاعين حاوية لكل ما في المائدة ولها ثمان قوائم

واهدى مقدم زاوية عكا الى الملك المنصور طشتاً من ذهب في وسطه بيت مربع له اربع خروق في اسفله يدخل منها دم الفصاد الى داخل البيت وفي البيت بسقفه تمثال انسان متواري في البيت ورأسه وعنقه بارز من سقفه وكلما سقط في الطشت من دم الفصاد وزن عشرة دراهم ارتفع ذلك التمثال بصدره وظهرت على صدره كتابة عشرة الدراهم ولا يزال كذلك الى مقدار ثلاث اواق دمشقية فيقف التمثال قائماً و يسمع من جوفه كلمة يونانية معناها حسبك حسبك اه

نقول ولا عجب فيما رواه شيخ الربوة في هذا الشأن ولكن من عرف ثروة العمال وثروة الملوك في القرون الوسطى لا يستعظم ما يبلغه من تلك الاخبار فقد ذكر ياقوت ان علي بن احمد الراسبي كان من عظماء العمال وأفراد الرجال في ايام المقتدر ووزارة علي ابن عيسى وكان يتقلد من حد واسط الى حد شهزور وكورتين من كور الاهواز جنديسابور والسوس وبادرايا وباكسايا وكان مبلغه خمسمائة الف الف وار بعمائة الف دينار في كل سنة ولم يكن للسلطان معه عامل غير صاحب البريد فقط لان الحرث والخراج والضياع والشجر وسائر الاعمال كان داخلاً في ضمانه فكان ضابطاً لاعماله شديد الحماية لها من الاكراد والاعراب واللصوص وخلف مالاً عظيماً وقد حمل من تركته لانه لم يعقب ما هذه نسخته : العين اربعمائة الف وخمسة وار بعون الفاً وخمسمائة وسبعة واربعون ديناراً الورق ثلاثمائة الف وعشرون الفاً وتسعمائة وسبعون مثقالاً . آنيه الفضة الف وتسعمائة وخمسة وسبعون رطلاً . ومما وزن بالشاهين من آنية الفضة ثلاثة عشر الفاً وستمائة وخمسة وخمسون درهماً ومن الند المعمول سبعة آلاف واربعمائة مثقال ومن العود المصري اربعة الآف وار بعمائة وعشرون مثقالاً ومن العنبر خمسة الآف وعشرون مثقالاً ومن نوافج المسك ثمانمائة وستون نافجة ومن المسك المنثور الف وستمائة مثقال ومن المسك الفا الف وستة وار بعون مثقالاً ومن البرمكية

الف وثلاثمائة وتسعة وتسعون مثقالاً ومن الغالية ثلاثمائة وستة وستون مثقالاً ومن الثياب المنسوجة بالذهب ثمانية عشر ثوباً قيمة كل واحد ثلاثمائة دينار ومن السروج ثلاثة عشر سرجاً ومن الجواهر حجران ياقوت ومن الخواتيم الياقوتية خمسة عشر خاتماً خاتم فصه زبرجد ومن حب اللؤلؤ سبعون حبة وزنها تسعة عشر مثقالاً ونصفاً ومن الخيل الفحول والاناث مائة وخمسة وسبعون رأساً ومن الخدم السودان مائة واربعة عشر خادماً ومن الغلمان البيض مائة وثمانية وعشرون غلاماً ومن خدم الصقالبة والروم تسعة عشر خادماً ومن الغلمان الاكابر اربعون غلاماً بآلاتهم وسلاحهم ودوابهم ومن اصناف الكسوة ماقيمته عشرون الف دينار ومن اصناف الفرش ماقيمته عشرة آلاف دينار ومن الدواب المهارى والبغال مائة وثمانية وعشرون رأساً ومن الجماز والجمازات تسع وتسعون رأساً ومن الحمير النقالة الكبار تسعون رأساً ومن قباب الخيام الكبار مائة وخمس وعشرون خيمة ومن الهوادج والسروج اربعة عشر هودجاً ومن العصائر الصيني والزجاج المحكم الفاخر اربعة عشر صندوقاً اه

ووصف شيخ الربوة خلجان النيل وخراج ارضه فقال خلجان النيل وهي سبعة كل واحد منها بحر احدها خليج الاسكندرية والثاني خليج دمياط والثالث خليج فيوم والرابع خليج دوس والخامس خليج المنهى والسادس خليج سخا والسابع خليج القاهرة وبلبيس وهذه الخلجان كان خراج النيل بها في ايام كيقاوس احد ملوك العالم الاول مائة الف الف وثلاثين الف دينار وجباه عمرو بن العاص في ايام معاوية اثني عشر الف الف دينار وجباه عبد الله بن ابي سرح اربعة عشر الف الف دينار وجباه القائد جوهر مولى العبيديين ثلاثة آلاف الف دينار ومائتي الف قال المعتنون بعلم ذلك ان سبب تقهقره ان الملوك لم تسمح نفوسها بما كان يصرف في الرجال المتوكلين بحفر خلجانه واصلاح جسوره ورزم قناطره وسد ترعه وكانوا على ما حكاه ابن لهيعة مائة الف رجل وعشرين الف رجل مرتبين على كور مصر سبعون الفاً للصعيد وخمسون الفاً لاسفل الارض

ويقال ان ملوك القبط كانوا يقسمون الخراج اربعة اقسام قسم لخاصة الملك وقسم لارزاق الجند وقسم لمصالح الارض وقسم آخر لحادثة تحدث ومسحت ارض مصر في ايام هشام بن عبد الملك بن مروان فكان مايركبه الماء العامر والغامر مائة الف الف فدان واعتبر احمد بن المدبر مايصلح للزرع بمصر وقت ولايته فوجده اربعة وعشرين

الف الف فدان والباقي قد استبحر وتاف واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوماً والحراث الواحد يحرث خمسين فداناً فكانت محتاجة الى اربعمائة الف حراث واربعين الف حراث والله اعلم

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاباً الى عمرو بن العاص وكان عاملاً بمصر يقول: اما بعد ياعمرو اذا أتاك كتابي فابعث اليّ جوابه تصف لي مصر ونيلها واوضاعها وما هي عليه حتى كأنني حاضرها فاعاد عليه مكتوباً بجواب كتابه يقول: بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد ياأمير المؤمنين فانها تربة غبراء وحشيشة خضراء بين جبلين جبل رمل وجبل كأنه بطن أقب وظهر اجب مكتنفها ورزقها مابين أسوان الى منشا احد البر يخط وسطها نهر مبارك الغدوات ميمون الروحات يجري بالزيادة والنقصان كمجاري الشمس والقمر له اوان تظهر اليه عيون الارض ومنابعها مسخرة له بذلك ومأمورة له حتى اذا اطلخم عجاجه وتغطغطت امواجه واغلولوت لججه لم يبق الخلاص الى القرى بعضها الى بعض الا في حقاف العقاب او صغار المراكب التي كأنها في الحبائل ورق الابابيل ثم عاد بعد انتهاء اجله نكص على عقبه كأول مابدا في دربه وطما في سربه ثم استبان مكنونها ومخزونها ثم انتشرت بعد ذلك أمة محقورة وذمة مغفورة لغيرهم ماسعوا به من كدهم ومايناولون بجهدهم شقوا بطون الارض وروابيها ورموا فيها من الحب مايرجون به التمام من الرب حتى اذا احدق فاستبق واسبل قنوانه سقى الله من فوقه الندى ورواه من تحته بالثرى وربما كان سحاب مكفهر وربما لم يكن وفي زماننا ذلك ياأمير المؤمنين مايغني ذبابه ويدر حلابه فبينما هي برة غبراء اذ هي لجة زرقاء اذ هي سندسية خضراء اذ هي ديباجة رقشاء اذ هي درة بيضاء اذ هي حلة سوداء فتبارك الله احسن الخالقين وفيها مايصلح احوال اهلها ثلثة اشياء اولها لاتقبل قول رئيسها على خسيسها والثاني يؤخذ ارتفاعها يصرف في عمارة ترعها وجسورها والثالث لايتأدى خراج كل صنف الا منه عند استهلاله والسلام اه ·

بضعة ايام في الجليل

لاتعرف البلاد كما هي الا برؤية القرى والدساكر قبل القواعد والحواضر فالفلاح ميزان العمران ان سعد سعدت البلاد كلها وان شقي شقيت خصوصاً في مثل هذا القطر الذي يعول على الزراعة في حياته . وتجارته وصناعاته ضعيفة ضئيلة .

قصدنا الى عكا هذه الآونة فشهدنا فيها [1] مالم نتمكن في العام الفائت من مشاهدته رأينا حيفا بلدة يهودية الا قليلاً وسألنا أحدهم عن عدد طلبة العلوم الدينية فيها يقيمون الشعائر وينظرون في احكام الحلال والحرام فلم نر احداً حتى اذا جئنا عكا كان اول اسئلتنا عن عدد طلبة العلوم الدينية فاخبرونا بان عددهم اليوم يتناقص وهم يبلغون نحو الثلاثين فقلنا قال خير اذا أتقنوا كلهم ما قنوه يسدون بعض الحاجة في ارض الجليل الذي ضعف فيه المسلمون في كل شيء ولا سيما في دينهم . والمسلم مهما تقلبت به الاحوال يحتاج الى امام وخطيب ومفت ونائب وواعظ . ولئن لم يساعدنا الوقت على الاختلاط ببعض هؤلاء الطلبة ولكننا شهدنا من فضل استاذهم الشيخ عبد الله الجزار وتقواه مارجح عندنا ان الفرع يتبع أصله والناس تبع لأئمتهم ومرشديهم

ليس الاستاذ الجزار اليوم كالجزار (احمد باشا) امس هذا كان يرهق الاشباح في هذه البلاد ايام استيلائه عليها وذاك يحيي الارواح بالعلوم الدينية واللسانية . الثاني بوشناقي والاول عربي . ذاك تولى زمام الاحكام فافسدها في القرن الماضي وهذا على قلة التقصير يعلم في بلد قل فيه من يحب ان يتعلم . هذا أقام مدرسته على انقاض المدرسة التي بناها ذاك فاعاد لبلده شيئاً من رونقها وجمع لطلبته مكتبة حافلة بالاسفار العلمية الدينية المختلفة يثقف بها عقول الطالبين المسترشدين . ولو سعى كل فقيه من فقهاء الاسلام بتعليم قومه على نحو مافعل الشيخ الجزار لما اضمحلت العلوم الاسلامية فوصلت الى الحالة السيئة التي نراها عليها الآن وأكثرهم يفتون ويؤمون ويخطبون و يعظون و يعلمون بلا علم ولا تقى .

بتنا ليلتنا في قرية ظاهر عكا اسمها المكر ولعلها المقر . ومن الغد ركبنا ومعنا دليل

---

(١) راجع ما كتبناه في ارض الجليل في الجزئين الاولين من السنة السادسة لمجلة المقتبس

بدلنا على طريق صفد فاغذذنا السير حتى وصلنا قرية الرامة [1] وهي في منتصف الطريق على نحو خمس ساعات من عكا وخمس من صفد بعد ان مررنا بقرية مجد الكروم وارض دير الاسد و بعنة ونحف ويجور. وزراعة هذه البلاد الحنطة والشعير والكرسنة والحلبة والبطيخ واشجارها التين والزيتون والليمون الحلو وهو في قرية الرامة فقط كما ان زيتونها أجود ماوقعت العين عليه في هذه الديار وما ذلك الا لان أهلها توفروا على العناية باشجارهم وحموها من فؤوس المحتطبين وأسنان المواشي وحوطوها وحرثوا ارضها وتلطفوا في قطف ثمرها حتى جادت غلة زيتونهم كل سنتين والزيتون هنا كما هو في معظم البلدان يحمل سنة ويمحل أخرى وتضمن أعشار زيتون الرامة فقط بألف ومائتي ليرة

مررنا بارض يجور فرأيناها عامرة أكثر من غيرها من القرى المجاورة و ألنا عن صاحبها فقيل لنا انه غني من أهل عكا اسمه فؤاد بك سعد فقلنا: سبحان الله أبت الدراهم الا ان تخرج اعناقها. هذا الرجل ينفق نعمة غناه في اصلاح التربة والغراس والفقير في جواره بكسله وقلة وسائطه يكاد لايجد سداداً من عوز ويعيش عيش القلة. نحن ممن يقول بحفظ ثروة الاغنياء وايجاد الاسباب ليزيدوا غنىً واقداماً على تنمية ثروتهم لانهم مادة الاقتصاد في البلاد ولكن على شرط ان يكونوا مثل ابن سعد يملك بضع قرى في لواء عكا وهو اغنى غني فيه تربو ثروته فيما بلغنا على مئة وخمسين الف ليرة جمع هو بعضها والبعض الآخر ورثه عن ابيه وورث عنه مضاء ومعرفة عملية واهلية للانشاء على الاصول جعلت منه رجلاً يفيد ويستفيد من غناه .

نحن لانعرف هذا الرجل الا بالاسم ولكننا عرفناه باعماله في ترقية زراعته وايجاد المعامل مثل معمل ثلج لعكا وآخر لحيفا ومعصرة زيت على الطريقة الاوربية في الرامة واخرى في المغار وغير ذلك من تجارة، وزراعته . اعجبنا بعمله لاننا رأينا في دمشق وحلب وبيروت وحمص وحماة ونابلس عشرات مثله بل اغنى منه، فلم نرهم مكترثين

(١) رامة هي بلدة كبيرة كما قال صاحب جغرافية الكتاب على نحو ٨ اميال غربي صفد و١٥ ميلاً من عكا بين الشرق والشمال الشرقي وهي غير خربة الرامة قرب بيت ليف وغير الرام الواقعة على ٦ اميال شمالي القدس وغير الرامة الخربة الواقعة على ٣ اميال الى الجنوب الشرقي من صور . وغير رامة المصفاة ورامة الجنوب التي ذكرت في الكتب المقدسة وغير رامة منزل بينها وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة الى مكة وفيها جاء المثل تسألني برامتين سلجماً

بالكسب على الاصول والانفاق كذلك رأينا غالبهم اغتنوا بالعرض امابارتفاع قيم الاملاك والعقارات او بطرق اخرى غير شريفة فحرصوا على ما بأيديهم ورأوا الخروج عن مألوف عادات الآباء في الاكتساب مما يقربهم من الفقر ·

قال لنا ثقة ان ابن سعد هذا ينفق في السنة من فضل ماله على تعليم بعض ابناء طائفته واقامة المعابد والمدارس لها في القرى مبلغاً لا يستقل به وقد كانت زراعته ومعاصره خير مرشد لجيرانه ولا سيما المسيحيين فقلدوه واصبحت المعامل القديمة تخرج الزيت احسن من ذي قبل وتربح كذلك ونحن لو جرى الاغنياء على هذه الصورة في تحسين مزارعهم والافضال من اموالهم بحسب الطاقة لرقيت البلاد في بضع سنين درجة مهمة في العمران ولكن من اغنيائنا من ابتلوا بالشح الممقوت والجهل المطبق حتى انهم ليضنون بالقرش في تعليم اولادهم ولا يستكثرون المئات ينفقونها على شهواتهم وتكبير مظاهرهم بالباطل في عيون العامة والجهلاء ·

رأينا من اغنياء دمشق وحلب و بيروت من افسدوا اخلاق الناس بما حملوه الى هذه البلاد من الموبقات وضروب الملاهي والشرور فمسيحيهم متفرنج ومسلمهم متترك عبد القوة وربيب الشهوة يرون المجد كل المجد في التزلف من الحكام لا يوقرون الا من يخافون ولا يجودون الا على ما يشتهون · مسلمهم ابطل الزكاة اهم اركان الاسلام حتى كاد يحبب الى النفوس الاشتراكية المفرطة والفوضوية الضارة · ومسيحيهم يرضخ لابناء طائفته بدراهم معدودة حب الشهرة وقطعاً للالسن كأن القوم نسوا ان انفاق المال في عمران البلاد والاخذ بايدي الفقراء من أهلها لتشلهم من فاقتهم وانقاذهم من جهالتهم سيعود عليهم ولو بعد حين بغنى أكثر ولذة ونفع والعمران سلسلة يرتبط اعلاها بادناها و يهتز اولها بحركة آخرها على السواء ·

نقول المسيحي والمسلم وما احرانا ان نقصر الكلام على المسلم الغني لانا رأيناه اشد ايغالاً في الارتباك بحياته وحياته والعدم سواء · نعرف رجلين في حلب ودمشق يملكان من المزارع الواسعة عشرات وتحسب ثروتهما بمئات الالوف من الليرات ورثا ذاك الغنى فأساآ الى العمران والانسانية فترى مزارعهما خربة لا ينوفران على تعهدها ولو صرفا عليها بضعة الوف من الليرات لاحييا بها الموات العظيم ونفعابها خلقاً كثيراً من السكان شغلاهم فيها عن الهجرة الى اميركا وقد افسدا الاخلاق بما ألفاه من الشهوات كل ذلك لانهما لم يربيا التربية المطلوبة فنشآ كالسائمة وقد فتحت عيونهما على ثروة لم يتعبا في جمعها

ان الاسف على عقول لايستفاد من ذكائها كالاسف على تربة لايستفاد من زكائها وكم في البلاد من اراض معطلة لايستطيع اكثر مالكيها تعهدها لكزازة في ايديهم وصغر في عقولهم وضعف في نظرهم . نحن لانلوم الصهيونيين وغيرهم من المستعمرين في بلاد الجليل وفلسطين بقدر مانلوم اولئك الذين يملكون الاملاك الواسعة مما لوطبقت الحكومة عليهم قانونها القاضي بنزع الملك من صاحبه اذا لم يزرعه ثلاث سنين متوالية لنزعت جانباً مهماً من الاراضي الزراعية في السهول والقيعان والجبال من يد مالكيها اومغتصبيها

نوجه هذا الكلام القارص للاغنياء لانهم هم مادة البلاد ولانا لانتوقع من الفقير عملاً يذكر وحكومته لم تربه التربية المطلوبة في الامس ليحسن العمل المطلوب منه اليوم . فقد مررنا في طريقنا الى صفد بقرى كثيرة وكنا نشهد الفرق محسوساً بين قرى المسلمين وقرى المسيحيين اولئك لم تعمل لهم حكومتهم الا انها سلمتهم لجباة الضرائب والعشور والاعانات وسوق من تسوق الى الجندية وتركهم لقمة في يد صاحب النفوذ وشيخ البلد لم تعمر لهم مدرسة ولا جامعاً ولم ترسل لهم طبيباً ولا واعظاً اما جيرانهم المسيحيون فقد اعتمدوا على ابرشياتهم ومطارنتهم واكثر هؤلاء على جانب عظيم من الغيرة والفضل فأسسوا لهم بيعاً ومدارس وكتاتيب وهزوا اكف اغنيائهم واهل الخير في بلاد الغرب واستعانوا باموالهم على الاعمال الناهضة على ماترى ذلك ماثلاً في كاثوليك حيفا والبصة وشفا عمرو وترشيحة والمغار من اهل هذه الديار ومطرانهم غريغور يوس حجار يسعى ليله ونهاره في انهاضهم ومن ورائه ووراء الطوائف النصرانية الاخرى الجمعيات الروسية والفرنسوية والالمانية والانكليزية والاميركانية والاسرائيلية تفتح المدارس في كل قرية ومزرعة فيها بضعة من الكاثوليك او الروم او البرتستانت اوالاسرائيليين

نعم ان المسلم في بلاده هذه جاهل لقلة من يتعهد امره وغيره يرقى السنة بعد الاخرى ومعرفة ذلك سهلة لكل من يختلط بالفريقين فيفهم درجة عقولهم ويقرأ صورة معايشهم وترتيب بيوتهم ونظام أسراتهم . ورقي الراقي منهم ناشيء من خروجهم على الاقل عن درجة الأمية واستنارة عقله بالتربية الجديدة

وبينا نرى وجيه قومنا اذا قدر له ان يفكر في تربية ولده يعهد بها الى مدارس الحكومة وهي احط مدارس يتصورها العقل في بلاد تدعي المدنية رجاء ان يجيء منه غداً موظف يعيش كلاً على عاتق الامة تشهد الوجيه في غير المسلمين يعلم اولاده

الصناعات الحرة كالهندسة والزراعة والتجارة وغير ذلك ولك بهذا ان تحكم على مستقبل اولادهم واولادنا ·

نحن لانعجب لارتقاء الزراعة في قرية الجاعونة من بلاد صفد ولا الجدل من اعمال طبرية ولا زمارين من عمل حيفا مثلا لانها ملك لجمعيات صهيونية غنية في الغرب تنفق عليها لمقصد دبني سياسي عن سعة · ولكننا نعجب كل العجب من مسلم لا يحذو في ترتيبه ومعاشه حذو اخيه المسيحي في مزارع الاسرائيليين تعمل رؤوس اموال شركاتهم ومعارف اوربا في تجويد الزراعة وفي مزارع الوطنيين غير المسلمين بعمل حب الترتيب وحسن التربية وارادة الكسب والرفاهية فقط ·

وبعد فكلما تقدم السائر من بعد قرية الرامة يتراءى له انحطاط الزراعة واهمال الفلاح المسلم لزيتونه وتينه وكرمه بل لغلاته السنوية بحيث اصبح دون مواطنه الدرزي والدروز عناية في الجملة باراضيهم وغرسها ومنهم في بعض قرى عكا ومنهم في قضاء صفد وبلادهم جبلية كما هي العادة · واهم ماشهدناه قبل صفد بساعتين شلال ماء يسقي احدى القرى هناك يجري من شاهق جبل عال ويضيع بين الصخور في الطريق وهو بمائه دون شلال تل شهاب في حوران الا انه يمكن استخدامه فيما نحسب لتنوير عكا وحيفا بالكهربائية وتسيير ترام كهربائي فيهما ·

وقد اصبحت بلاد صفد [1] وهي ٤٩ قرية ومزرعة جرداء من غاباتها بفضل الاهمال

---

(١) كتب نعيم افندي فاكهاني في جريدة المقتبس الاحصاء الآتي:

اهل صفد يتوفرون على زراعة الحبوب والفواكه والزيتون والعنب قليلة فيها وتجارتها ضعيفة لعدم وجود سكة حديدية والقضاء مؤلف من خمس واربعين قرية ونفوسه نحو ستين الفاً منهم ثلاثون الفاً مسلمون والفان مسيحيون كاثوليك وروم والف وخمسمائة دروز وستة وعشرون الفاً وخمسمائة اسرائيليون عثمانيون واجانب وفي صفد قنصلاتو للعجم وقنصلاتو لفرنسا وقنصلاتو للنمسا ووكيل لقنصل انكلترا ومستشفى ومدرسة للبروتستانت وعن قريب تتم كنيسة لهم وبنك للاسرائيليين وشعبة لبنك انجلو فلسطين وصراف وقهوتان الواحدة على الطرز الحديث واحيانا تمثل فيها روايات ادبية او يقام مغنى عربي والخمارات كثيرة تبلغ نحو اربعين وهي في البيوت والدكاكين والحكومة تعترف بثلاثين منها وفي صفد حمامان للاسرائيليين وواحد للمسلمين وسبعة افران للاسرائيليين واربعة للمسلمين ونزلان اسرائيليان وللحكومة اربع مدارس الواحدة رشدية والاخرى

وكانت منذ عشرين سنة كثيرة ومنها الضخم تسد الحاجة وتلطف الهواء وتعدل نزول الامطار حتى ان القوم هنا يبحثون عن جذوع الحراج للوقود والتدفئة الآن وماندري بم يصطلون و يوقدون بعد سنين

ومدينة صفد تربو نفوسها عَلَى ثلاثين الفاً نصفهم من الاسرائيليين وهي على عدة قمم وآكام عالية وفيها المياه مثل مدينة مرجعيون وقد جلب الماء في انابيب حديد الى اكثر احيائها من جبل بيرية الواقع جنوب صفد عَلَى نصف ساعة منها فكلف نحو الفي ليرة خفف عَلَى السكان بعض العناء في الاستقاء وحفظ ماءهم من الكدر ولو صرفت ادارة الشاقمة خمسة آلاف ليرة عَلَى طريق يربط صفد بطبرية والمسافة بينهما خمس ساعات ايضا لاتصلت صفد بالخط الحجازي واصبح ابن دمشق يأتي صفد في يوم واحد خصوصا والعلائق التجارية والزراعية مستحكمة بين الصفديين واهل ولاية سورية لمتاخمة قضائهم لقضاء القنيطرة حتى ان في صفد حياً خاصاً بالاكراد كما لهم في صالحية دمشق ٠

وطول جبل الزابود المشهور في كتب وصف البلدان نصف ساعة من شمالي ميرون للغرب وفي قمته مياه عذبة و يناوحه من الجهة الثانية جبل كنعان وهو اخصب وامرع وانقى هواء فصفد بين منفرج هذين الجبلين ولكنها هي ايضا مبنية عَلَى رؤوس جبال اشبه بمدينة الاستانة و يذكرون ان في رأس وادي الطواحين غربي صفد عيناً اسمها عين جن ينبجس منها ماء و ينقطع في الساعة ولا تزال كذلك عَلَى الدهر وماؤها يدير مطحنة ٠

والطريق من صفد الى طبرية كله انحدار قوي حتى يصل الى بحيرة طبرية والهواء

للاناث وثنتان ابتدائيتان وسبعة جوامع وكنيسة واحدة للكاثوليك ومدرسة واحدة وخمس كنائس للاسرائيليين وخمس مدارس ابتدائية دينية ومدرسة عالية للاتحاد الاسرائيلي (الاليانس) للذكور والاناث وواردات القضاء اثنا عشر الف ليرة من الاعشار و سبعة آلاف ليرة ويركو وتمتع وتسعمائة ليرة واردات البلدية ودخل البريد والبرق الفا ليرة ودوائر الحكومة كاملة اللهم الا هيئة العدلية وزراعة الاسرائيليين ارقى من زراعة غيرهم لانهم يزرعون عَلَى الطرز الحديث وقسم من الاهالي موظفون في الحكومة ومنهم من يتوفر عَلَى الزراعة ومنهم مكارون وحجارة و بناؤون وفي صفد كثير من الاسرات الشريفة القديمة

يختلف في الحال من البرودة الى الحرارة لوقوع صفد في رؤوس الجبال وارتفاعها ٨٣٨ متراً عن سطح البحر وهو الى ارتفاع في ارض الجليل ولانحطاط طبرية عن سطح البحر ٢٠٨ امتار . ولئن كانت صفد تعد من المدن المقدسة عند اليهود ويتزل المسيح الى الارض منها بحسب رأيهم فان المستعمرين من الاسرائيليين لم ينزلوها الا في القرن السادس عشر وقد استولى عليها الصليبيون واستخلصها منهم صلاح الدين يوسف ثم سقطت في يد الظاهر بيبرس واحتلها الفرنسيس سنة ١٧٩٩ مدة قليلة وفي سنة ١٨٣٧ اصابها زلزال جعل عاليها سافلها ولم يعد اليها بعض الرونق الا في العهد الاخير . ويقل الزيتون في قضاء طبرية اللهم الا ما كان في قريتي حطين ولوبية وعدد قرى هذا القضاء ٣٦ اكثرها ملك للصهيونيين و يوشكون ان يبتاعوا البقية الباقية فيحيونها بعد مواتها

اخبار وافكار

مخطوطات نادرة في مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة

اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى للشيخ ابراهيم بن محمد الاسيوطي . الاعلام باعلام بلد الله الحرام للشيخ قطب الدين المكي الحنفي . اعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام للشيخ عبدالكريم بن فخر الدين القطبي . الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين ابي اليمن عبد الرحمن العليمي . الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس للاديب ابي الحسن علي بن عبد الله بن ابي زرع الفاسي . اهداء اللطائف من اخبار الطائف للشيخ حسن بن علي العجيمي . البدر المتألق في محاسن جلق و يعرف بمحاسن الشام للسيد محمد بن السيد مصطفى الشهير بابن الراعي الدمشقي . بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد لعبد الرحمن بن علي الشهير بالديبع . تاريخ حلب مجهول مؤلفه . تحرير الاحكام في تدبير اهل الاسلام للقاضي بدر الدين محمد بن ابي بكر بن جماعة الكناني الحموي . تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام لتقي الدين الحسيني . تحفة الدهر ونفحة الزهر في اعيان المدينة من اهل العصر للعلامة عمر بن المدرس عبد السلام الداغستاني المدني . التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية للشيخ عبد الغني النابلسي . تاريخ السخاوي في المدينة المنورة (في دار

الكتب المحمودية) تراجم اعيان ابناء الزمان للفاضل حسن البدري الدمشقي الشهير ببدر الدين · ترغيب اهل المودة والوفاق في سكنى دار الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم للشيخ اسماعيل المدني · الترغيب في سكنى المدينة المنورة دار الحبيب له ايضاً · التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة للحافظ محمد بن احمد المطري (وهو كتاب مهم في تاريخ المدينة) · الجواهر الثمينة في محاسن المدينة للسيد محمد كبريت المدني · الحضرة الانسية في الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي · الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز له ايضاً · الحلية الحقيقية لا المجازية في الرحلة الحجازية لسيدي مصطفى البكري · الحلة الرضوانية الانجازية الدانية في الرحلة الحجازية الثانية له ايضاً · ومنها اردان حلة الاحسان في الرحلة الى جبل لبنان له ايضاً · دار السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة للعلامة حسن بن محمد الصنعاني · درر الفرائد المنظومة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة لعبد القادر بن محمد الانصاري · الدرة المنصان (؟) فيما يحدث في دولة آل عثمان لحسن بن كمال · رحلة الامام الشافعي من مكة المكرمة الى المدينة المنورة والتقاؤه بالامام مالك لسيدي عبد الوهاب الشعراني · رسالة في دعوى الشرف من جهة الام هل تصح ام لا لاسماعيل تائب · الروض المعطار في اخبار الاقطار في السير والاخبار لمحمد بن عبد المنعم الحميري · الروض المغرس في فضائل البيت المقدس لعبد الوهاب بن عمر الحسيني · الروضة المستطابة فيمن دفن بالبقيع من الصحابة (مجهول) زيارات الحرمين والقدس والشام وبيان مآثرها وفضلها على الدوام لاحمد بخاري · شذرات الذهب في اخبار من ذهب في التراجم المرتب على السنين من ابتداء الهجرة الى آخر القرن العاشر لعبد الحي الصالحي · الشرف المعلى في ذكر قبور مقبرة باب المعلا لجمال الدين القرشي الشيبي · شرف الانسان لمحمود بن عثمان المعروف بلامعي · الشمور بالعور وبيان اخبارهم لخليل بن ايبك الصفدي · شفاء الغرام باخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي · الصادح الصادع باطيب النغم في ترجمة عارف الحكم لمحمود الآلوسي · غربال الزمان للفتح بسيد ولد عدنان وهو مختصر مختصر السيد حسين الاهدل · اختصار تاريخ الاسلام لعبد الله بن يحيى العامري · الفتح القسي المقدسي في الفتح القدسي لمحمد الاصفهاني الشهير بالعماد الكاتب · فهرست كتب العلوم القديمة من تصانيف العرب واليونان والفرس والهند وغيرهم لابي الفرج محمد بن اسحاق الوراق المعروف بابن ابي يعقوب النديم · فيض المنان بذكر دولة آل عثمان لمحمد البكري الصديقي · قرة العيون في اخبار اليمن الميمون لوجيه الدين الشيباني · القصيدة اللامية في تاريخ الدولة الاسلامية

للشيخ صدر الدين الغزي وفيه شرح القصيدة · اللباب في معرفة الانساب وهو مختصر كتاب الانساب للسمعاني لابن الاثير الشيباني · مثير الغرام في فضل سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام لتاج الدين اسحاق ويليه فصول في مولد سيدنا موسى و يونس وما ورد في فضل الصحابة · محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر تلخيص كتاب الوسائل الى معرفة الاوائل لعلي دده · المختصر في اخبار البشر للملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة · المذيل على الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية لشهاب الدين المقدسي المعروف بابي شامة · المستجاد من فعلات الاجواد لابي محسن بن علي التنوخي · المستقصى في فضائل المسجد الاقصى لنصر الدين المقدسي · مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام لشمس الدين المزالي · منائح الكرم في اخبار البيت وولاة الحرم لتقي الدين التامي · نبذة في امور النقود الاسلامية للمقريزي · النجوم الزواهر في معرفة الاواخر لاحمد بن خليل الدمشقي الصالحي · اليمين في تاريخ عين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين للعتبي · الدر المنتظم في مناقب عارف الحكم لابراهيم افندي ابن احمد حمدي · تاريخ المدينة للمراغي · المحاضرات والمحاورات للامام السيوطي وبخطه كتاب عجيب

ابراهيم حمدي خربوطلي

الكبريات

اطول الاقنية في العالم

اطول قناة في العالم قناة مونت سانت غوذرد (ايطاليا) طولها ٤٨٤٨٠ قدماً اونحو عشرة اميال

وطول قناة مونت قينز (ايطاليا) · ٣٩٨٤٠ قدماً او نحو سبعة اميال

وطول قناة هوساك (ماسشوستس الولايات المتحدة) ٢٥٠٣١ قدماً اونحو اربعة اميال ونصف ميل

وطول قناة نوخستونغو ٢١٦٥٩ قدماً او نحو اربعة اميال

وطول قناة سيوترو ٢٠٠٢٨ قدماً او اربعة اميال

وطول كل من قناتي باسن وميدوي (انكلترا) ١٠٨٨٠ قدماً اوحوالى ميلين

اشهر جسور العالم

جسر بروكلن — بوشر بناء جسر بروكلن نيورك العظيم في سنة ١٨٧٠ واتم بناؤه في سنة ١٨٨٣ وقد كان خمسة عشر مليون دولار

جسر شلالات نياغارا — بني هذا الجسر المائل فوق شلالات نياغارا الشهيرة (الولايات المتحدة) من الفولاذ طوله ١٩١٠ أقدام وبلغ وزن الفولاذ الذي ذهب في سبيل بنائه اثني عشر الف قنطار وبلغت نفقاته تسعمائة الف دولار

ولهذه الشلالات العجيبة جسر آخر شيد بين سنة ١٨٥٢ وسنة ١٨٥٣ طوله ٨٢١ قدماً و يعلو عن سطح البحر ٢٤٥ قدماً ويحتمل ثقل اربعة آلاف وثمانمائة قنطار

جسر المافر — يبلغ طول ذلك الجسر ٣٢٧١ قدماً وهو مقام على حجر سماقي من الصوان كاف عشرات الالوف من الريالات

جسر بريطانيا — يقطع هذا الجسر الكبير مضيق منيا والس على علو ١٠٣ اقدام عن سطح البحر طوله ١٥١١ قدماً وقد اكمل في سنة ١٨٥٠ وكلف ٣٠٠٨٠٠٠ دولار

جسر لندن — بوشر ببناء جسر لندن الجديدة في سنة ١٨٢٤ واتم في سنة ١٨٣١ وشيد من الصوان وبلغت نفقاته ٧٢٩١٠٠٠ دولار . اما جسر لندن القديم فكان بدء تأسيسه في سنة ١١٧٦ واكمل في سنة ١٢٠٩ وهو أول جسر حجري أقيم في العالم .

وجسر كوابر ودال (انكلترا) بني سنة ١٧٧٩ وجسر بروتون (انكلترا) البالغ طوله ١٥٤٥ قدماً بني في القرن الثاني عشر للميلاد

جسر ريالتو (فينيقي) قبل ان بناء هذا الجسر هو على شكل او هيئة الملك ميخائيل وهو مبني من عقد واحد من الرخام طوله ٨٩٠ قدما ونصف قدم وأتم بناؤه في سنة ١٥٩١ واماجسر (سايز) (فينيقي) القاطع المسافة بين دار المجرمين ومكان الاعدام فقد بني في سنة ١٥٨٩

جسر الثالوث الاقدس — بني هذا الجسر في (فلورنس) سنة ١٥٦٩ من الرخام الابيض طوله ٣٢٢ قدماً ولا ند له من حيث احكام الصنعة وجمال الفن

وجسر كوفرد في (بافيا) بني في القرن الرابع عشر وله مئة عمود من الأعبل (الصوان) الجميل

جسر سنت لويس — هذا الجسر يقطع نهر مسيسبي العظيم في الولايات المتحدة طوله ١٥٢٤ قدماً وعرضه ٥٠ قدماً وله ثلاثة عقود كبرى من الفولاذ طول قطر وسطها ٥٠٠ من الاقدام وارتفاعه ٤٧ ونصف قدم وطول قطر العقد الثالث ٥٠٢ من الاقدام

وارتفاعه ٤٦ قدماً ودعامات تلك العقود مركوزة على ركائز صخرية على عمق ١٣٦ قدماً في الماء .

جسر شيكاغو — اقيم جسر شارع (رش) في شيكاغو (الولايات المتحدة) في سنة ١٨٨٤ وكلف ١٣٢٠٠٠ دولار وهو اكبر جسر يفتح ويغلق في العالم للتجارة العامة .

جسر فيكتوريا — بني هذا الجسر في منتريال كندا وهو من اكبر واشهر جسور العالم طوله نحو ميلين

جسر كليفلاند وهايو الولايات المتحدة طوله ٣٢١١ قدماً وعرضه ٦٤ قدماً وسمكه ٤٢ قدماً

اكبر أشجار العالم

اكبر أشجار العالم هي في قضاء كلفرس ومريوسا كلفرنيا الولايات المتحدة اكتشفها لاول مرة صياد اسمه (دود) في ربيع سنة ١٨٥٢ علو أصغرها ٢٧٥ قدماً وعلو اكبرها ٣٣٥ قدماً وقطرها ٤٣ قدماً وهي غريبة الشكل ويبلغ عددها ٤٢٧ شجرة .

اكبر حدائق العالم

اكبر حدائق العالم حديقة الصخر الاصفر في غربي الولايات المتحدة طولها من الشمال الى الجنوب ٦٥ ميلاً ومن الشرق الى الغرب ٥٥ ميلاً فتكون مساحتها ٣٥٧٥ ميلاً مربعاً وتعلو عن سطح البحر اكثر من ستة آلاف قدم ومشاهدها الطبيعية لامثيل لها في الدنيا .

علو اعظم الانصاب والبنايات في العالم

قدم	
١٠٠٠	علو برج ايفل (باريس)
٥٥٥	« نصب واشنطن الولايات المتحدة
٥٤٥	« بناية الامة في فيلادلفيا
٤٨٠	« اهرام مصر
٤٦٥	« كاتدرائية انتيورب بلجيكا
٤٧٤	« « ستراسبورغ فرنسا

قدم	
٤٤٨	علو كنيسة القديس بطرس رومية
٤١١	« » مارتن لاندشت المانيا
٤٠٠	» كاندرائية سالسبري انكلترا
٤٦٥	» كنيسة القديس بولس لندن
٣٨٦	» كاندرائية فلورنس ايطاليا
٣٨٦	» كنيسة فربورغ المانيا
٣٦٠	» كاندرائية سيفيل اسبانيا
٣٥٥	» » ميلان لومباردي
٣٦٥	« » بورتشت هولاندا
٢٨٤	» كنيسة الثالوث الاقدس نيورك
٢٦٠	» برج بروكلتي في نانكن الصين
٢٢٤	» كنيسة نوتردام في باريس
٢٢١	» نصب بانكرهل في مستشوشتس
١٧٩	» برج لنن في ايطاليا
١٧٥	» نصب واشنطن في بلتيمور الولايات المتحدة
١٥٣	« » فندوم في باريس

اوسع المعابد والدور في العالم

نفس	
٥٤٠٠٠	تسع كاندرائية القديس بطرس في رومية
٣٧٠٠٠	» كاندرائية ميلان
٣٢٠٠٠	» كنيسة القديس بولس في رومية
٢٥٠٠٠	» كاندرائية القديس بولس في لندن
٢٤٠٠٠	» تسع كاندرائية كنيسة القديس بترونيو في بولغانا
٢٤٠٠٠	» كاندرائية فلورنس في ايطاليا
٢٤٠٠٠	» كاندرائية انتيورب
٢٣٠٠٠	» جامع صوفيا في الاستانة

نفس	
٢٢٠٠٠	« كنيسة القديس يوحنا في رومية
٢١٠٠٠	« كاتدرائية نوتردرام في باريس
قدم	
١٢٠٠٠	« كنيسة القديس ستيفن في فينا
١٢٠٠٠	« كنيسة القديس دومينيك في بولفانا
١١٤٠٠	« كنيسة القديس بطرس في بولفانا
١١٠٠٠	« كاتدرائية فينا
١٠٠٠٠	« كاتدرائية القديس بطرس في منتريال
٨٠٠٠	« دار الخطابة في شيكاغو

أعلى جبال الدنيا

٢٨١٧٠	جبل حملايا
٢٥٣٨٠	« سوراتا اندس
٢١٧٨٠	« اليمانيا بوليفيا
٢١٤٤٤	« خيمورازو اكيودور
٢٠٦٠٠	« هندو افغانستان
١٩٤٠٨	« كوتوبا كسي اكيودور
١٩٥٥٠	« انتسيانا اكيودور
١٨٠٠٠	« سنت ايلياس اميركا
١٧٧٣٥	« بوبوكا تابتل مكسيك
١٦٠٠٠	« رواهاواي
١٥٩٠٠	« برون
١٥٧٧٦	« مونت بلاس
١٥٧٠٠	« موانا روس اوياهي
١٥٥٥٠	« روزا الب ساروبنيا
١٥٢٠٠	« نبخينكا اكيودور
١٥٠٠٠	« هوتني كلفرنيا

قدم		
١٤٧٩٦	«	فيروزز الاسكا
١٤٤٥٠	«	نشاستا كلفرنيا
١٤٣٢٠	«	بيك بيك كولوريدو
١٣٨٠٠	«	اوفر سومطرة
١٣٥٧٠	«	فرمونت بيك واليابان
١٣٤٠٠	«	لونك بيك كانتوما
١٣٠٠٠	«	رايز واشنطن
١٢٧٠٠	«	اراراط ارمينية
١٢٢٣٦	«	بيك اوف تزف جزائر كناري
١٢٠٠٠	«	ميلتسن مراكش
١١٥٧٠	«	هوداور بغن
١١٥٤٢	«	سبلون الب
١١٠٠٠	«	حرمون سورية
١٠٩٥٠	«	برودبو فرنسا
١٠١٥٨	«	القديسة هيلانة اوريغن
١٠٠٥٠	«	اتنا صقلية
٩٧٥٤	«	اليمبس يونان
٩٠٨٠	«	غوذار الب
٨٠٠٠	«	سينا بلاد العرب
٧٦٧٧	«	بنديوس يونان
٥٤٦٧	«	بلاك كالدونيا الجديدة
٦٢٣٤	«	واشنطن نيوهمشر
٥٤٦٧	«	مارسي نيورك
٤٤٠٠	«	هيتالا ايسلاند
٤٤٠٠	«	بني نفس سكوتلاندا
٤٢٨٠	«	مانسفيلد فرمونت

قدم

٤٣٦٠ » اوتوريكس فرجينيا

٤٠٣٠ » بن لورس سكوتلاندا

٣٨٥٠ » بار ناسيوس يونان

٣٩٣٠ » فيسينس نابلس

٣٢٨٠ » بن لوفند سكوتلاندا

أعلى براكين العالم

٢٣٠٠٠ علو بركان شاهاما (بيريو)

٢١٠٠٠ » ليوليلك (شلي)

٢٠٥٠٠ » اركيوبيا (بيرو)

١٩٨١٣ » كيامبي (اكيودور)

١٩٥٠٠ » كوتوكسي (بيرو)

١٩٢٠٠ » انتسينا (اكيودور)

١٨١٥٠ » سان جوزي (شيلي)

١٧٩٠٠ » سنت ايلياس (ألاسكا)

١٧٨٨٤ » بوبوكابتل (المكسيك)

١٧٣٧٠ » اوزيزابا (المكسيك)

١٧١٣٦ » القبار (اكيودور)

١٧١٣٠ » سانقي (اكيوادور)

١٦٥١٢ » كانتخيوسكيا (كامتخاكا)

١٥٧٠٠ » ازكاكيون (المكسيك)

١٥٥٠٠ » توليكا (المكسيك)

١٤٤٠٠ » شاستا (الولايات المتحدة)

١٤٠٠٠ » فيجياما (يابان)

١٣٩٥٣ » مايوناكيا (جزائر ساندوش)

١٣٧٦٠ » مايونالوا (جزائر ساندوش)

١٢٢٣٦ » كاتريني (جزائر كناري)

قدم

١٢٠٠٠ » القديسة هيلانة (الولايات المتحدة)

١١٢٢٥ » هود (الولايات المتحدة)

١٠٨٥٠ » تاميتي بيك (جزائر فرندلي)

١٠٨٧٤ » اتنا (صقلية)

ومن البراكين المشهوره في جميع اصقاع العالم بركان فيزوف علوه ٣٩٧٨ قدماً وبركان هيكلا علوه ٣٩٧٠ قدماً وبركان سترومبولي علوه ٣٠٠٠ قدم

لنكن نبراسكا (الولايات المتحدة): يوسف جرجس زخم

المسكرات في أوربا

صارت المسكرات في أوربا كأنها سيل جحاف لا يرد أو طاعون مبيد لايدفع وذلك على رغم الجمعيات المقاومة لها والوعاظ الناهين عنها وتقاويم الطب الدالة على شدة فتكها وعظم تأثيرها ولذلك ربما تخط أوربا فيما بعد بسببها انحطاطاً شديداً لا يدفعه عنها كل هذا العلم الشامل ولا كل هذه الاختراعات العامة

ولقد انبرى أحد الكتاب لذكر هذا الخطر الويل وبيان تأثيره في الشعوب والممالك على ماعرف البصير فكانت انكلترا في مقدمة ماذكر لكثرة اشتهارها بالخمر وادمان شعبها اياها ولكنه أشار الى كون السكر قد أخذ يتناقص فيها بمساعي الحكومة نفسها دون الجمعيات وذلك لانها فرضت على استخراج الخمور ضرائب شديدة فقلا ثمنها وقل المستخرج منها ولكن ويله مع ذلك لا يزال شديداً فيها لان أهلها ينفقون عليها كل سنة نحو ٥٥ مليون ج كما انهم ينفقون من ارواحهم ماينطبق على ذاك المقدار الجسيم ولهذا أخذ عددهم يقل وتناسلهم يضعف

ثم أشار الى المانيا فذكر ان الخطر فيها أشد وذلك لان أهلها ينفقون في السنة على خمورهم ١٥٠ مليون جنيه مع انهم اقل ثروة من الشعب الانكليزي كما أنه قد تبين من أمرهم ان الخمر بينهم على ازدياد متصل فانه بعد ان كان الفرد منهم يستهلك ٣٠ ليتراً من الجعة في سنة ١٩٠٣ صار الآن يستهلك ١٢٤ ليتراً بزيادة ٣٧ بالمائة وقد دلت أحوالها الحاضرة على ان المستهلك فيها يزيد كل سنة ٤٠ ليتراً لكل فرد من أهلها وهو ماينسبونه الى شدة التساهل من الحكومة بل الى ترغيبها وتشويقها لانها تجد من الخمور مورداً عظيماً لما يعينها على الانفاق الحربي كما ان نفس الشعب الالماني شديد الميل الى الشرب ولذلك

روي عن بسمارك أنه قال مرة ان الذي لايشرب الجعة لايعد انساناً وقد اجتمع مرة بكريسبي وزير ايطاليا قديماً وكان لايشرب فقال له : عجب كيف انت سياسي ولا تشرب

ومما يقوله ذلك الكاتب ان بلجيكا تعتبر أشد الممالك استهلاكاً للخمور ولا سيما الجعة التي لاتفوقها بها مملكة ولذلك ارتاعت حكومتها للامر وأخذت تساعد جمعيات المنع بكل جهدها حتى انها صارت تمد جرائدها بالاسعاف وتعفيها من رسوم البريد قصد ان تزداد انتشاراً بين الرعية و يزداد خوفهم من عواقب مايفعلون

اما سويسرا فالخطب فيها اشد لان أهلها يميلون الى الكحول أكثر منهم الى الخمور ولذلك حدثوا عنها أنه يموت بها ١٠ بالمئة من شبانها الذين فوق العشرين وان ٤٠ بالمئة من جرائمها تنسب الى السكر. ولكن الدانمرك اشد منها و بلاً فانه يموت من شبانها ٢٢ بالمئة وقد جن فيها سنة ١٨٩٩ — ١٦٩٤ نفساً كان منهم ٣٥٢ بسبب الخمر كما ظهر ان ٤٣ بالمئة من جرائمها منسوب الى السكر وعواقبه .

اما ايطاليا فلم يذكر عنها تقويماً ولكنه اشار الى ان السكر يتزايد فيها بازدياد غنى أهلها على حين مشهور ان الفقير هو الذي يشرب لان أوقاته أطول وهمومه أكثر

امافرنسا فقد ذكر عنها انها كانت من ٥٠ سنة معدودة أقل الممالك استهلاكاً للخمر فصارت الآن في مقدمتها وذلك بسبب الابسنت وحده فانه على انتشار عظيم كما انه مشروب شديد الفتك والاذى فقد كان الفرنسوي الفرد لايشرب في السنة كلها منذ ٥٠ سنة الا ثلاثة بينتات ونصف (البينت ١٥٠ درهماً) فصار الآن يشرب ٧٠ بينتاً قوة كحولها مئة درجة وهو مقدار يعدل ١٦٥ بينتاً من الكونياك .

ولقد كان في فرنسا منذ ٣٠ سنة خمارة واحدة لكل ١٠٩ من سكانها فصار الآن يوجد فيها خمارة لكل ٤٠ نفساً . وقد بلغ عدد حانات باريس وحدها حسب التقويم الاخير ٣٠ الفاً مع ان لندن التي تبلغ ضعفيها لايزيد عدد الخمارات فيها عن ستة آلاف .

ومما ذكره عن تأثير السكر في فرنسا انه يموت فيها كل سنة ١٥٠ الف نفس بالسل الرئوي وقد ذكر الاطباء ان اكثر هذا العدد يذهب في ذمة السكر ولولاه لكان السل ضعيفاً بسبب انتشار معرفة الصحة بين الجميع . و يقال انه يندر ان يمضي يوم دون أن يسقط في شوارعها عدة اناس موتى فجأة بسبب تأثير الابسنت بالخصوص . اما اسوج ونروج فانهما اقل الممالك سكراً لان حكومتيهما تقاومه بشدة وقد يكون ذلك لانهما اقل الدول تجهيزاً

واستعداداً للحروب على خلاف سائر اوربا فان اضطرارها الدائم للاستعداد قد صير أهلها على حرب دائمة مع الخمر لانها تقف معهما على الحياد ولا تفصل بينهما ولذلك تقتل الخمر من ابنائها من اجل ما يدعونه (السلم المسلح) اكثر ممن تقتلهم الحروب الحقيقية كحرب طرابلس الحاضرة فانه لو نظر الى عدد الذين يسقطون من قتلاها كل يوم ونظر الى عدد الذين يسقطون بالسكر في المستشفيات والشوارع لكان عدد قتلى الخمر اكثر عدداً من غرقى البحار لان التقاويم تدل على صدق ما قال

اما الخطر الذي يحيق باوربا الآن فليس من تأثير الخمر مباشرة بل من تأثيرها غير مباشرة وذلك لانه تبين للباحثين ان مدمني الخمر يلدون ابناء ميالين اليها كان اكثر مواليدهم يكونون ضعافاً ليس في اجسادهم قوة لمقاومة السقم. وقد قال احد الباحثين ان الذين تظفر بهم الشرطة من السكيرين والمجرمين بسبب السكر انما هم اقل جداً من الذين يظفر بهم الاطباء وسائر الناس أي ان الخمر لا تفضي الى ما يتعلق بالشرطة والحكم العمومي الا جزءاً يسيراً من افضائها الى الخبال التدريجي وضعف الذاكرة فضلاً عن الانتحار ولذلك اجمعوا على ان السكير يؤذي نفسه اكثر جداً مما يؤذي سواه

ومما حدثوه عن الخمور الطبيعية كالنبيذ أو المصنوعة كالجعة انها لا تؤذي بل قد تعد احياناً داخلة ضمن الغذاء لان نسبة الكحل فيها الى الماء وسائر المواد الممتزجة بها تعد نسبة مقبولة بخلاف الكحول كالابسنث والوسكي والكونياك وسائر المستقطرات القوية فانه لم يثبت لهم انها تكون غذاء للجسم الا من جهة كونها تحترق فداء عما كان يجب ان يحترق من الطعام نفسه اي انها تحترق في الجسم كما يحترق المنديل المبلول بالسبيرتو فانه حين يشتعل لا يحترق منه اولاً الا السبيرتو ويبقى المنديل سليماً فكأن السبيرتو بذلك قد رد عن المنديل خطر الاحتراق اذ قام للنار مقامه ولكن المنديل مع بقائه سليماً يصير متشوهاً ضعيف النسيج وعلى مثل هذا يكون الانسان الذي يغذي جسمه بالكحول دون الطعام

الزواج الهندي

يعتبرون الزواج في بلاد الهند من الضروريات المبرمة التي تلحق تبعتها الابوين ولذلك ظهر من احصاء اخير ان ٢٥٠ الفاً من البنات ممن لم يتجاوزن الخامسة قد عقدن لهن وتزوجن ومليونان من الفتيات الهنديات اصبحن زوجات قبل العاشرة من سنهن وستة ملايين ممن تختلف اعمارهن من ١٠ الى ١٥ وتسعة ملايين بين سن ١٥ و٢٠ الى

ومعلوم ان الخطبة والاحتفال بها متى انتهى لاتسلم الفتاة لعروسها قبل العاشرة او الثانية عشرة من عمرها و بذلك كثيراً ما نشاهد في الهند أمهات في الثالثة عشرة وجدات في الخامسة والعشرين

حماية الاطفال في انكلترا

الف القس بنيامين واف جمعية لحماية الاطفال من سوء معاملة الوالدين لان كثيرين من هؤلاء يجورون على اولادهم ولا يصل الى المحاكم الا ما قل من هذه الحوادث وهي تحكم فيها بشدة وتفرض العقوبات الرادعة على الوالدين غير ان ذلك لم يفد في تدارك الخلل اذ ندر من الاطفال من يجرأ على شكوى والديه فتألفت هذه الجمعية لتتخلل البيوت وتنقذ الاولاد من خشونة المعاملة والجور والقسوة

اولاد الانكليز

سنت انكلترا مؤخراً قانوناً جديداً لحماية الاطفال فقضت ان يغرم بخمس عشرة ليرة انكليزية كل والد او والدة يترك ابنه في غرفة فيها نار مشتعلة وكل والدين يحملان ابنهما او ابنتهما على الكدية ويمنع رجال الشرطة الفتيان والفتيات من استعمال الدخان ان لم تتجاوز سنهم السادسة عشرة وكذلك يحظر على كل طفل ان يدخل حانة ان لم يكن تجاوز الرابعة عشرة من سنه

الصحافة في العالم

تعد اميركا في مقدمة الدول بالنسبة لكثرة عدد الصحف فيها ففي الولايات المتحدة ٢١٤٣٥ جريدة منها ٢٥٠٠ يومية ومن هذه ٧٠٠ تطبع باللغة الالمانية و٣٠ باللغة الهولاندية والبقية بالانكليزية . ويبلغ ثمن الورق الذي تنفقه الصحافة الاميركية ١٣٠ مليوناً من الفرنكات في العام ويبلغ دخلها السنوي ٩٠٠ مليون من الفرنكات منها ٤٥٠ مليوناً قيمة البيع والاشتراكات و٥٠٠ مليون قيمة أجور الاعلانات . وفي كندا يبلغ عدد الجرائد ١٢٠٠ منها مائة يومية وفي كل جمهوريات المكسيك والبرازيل وشيلي ٣٠٠ وفي الجمهورية الفضية ٧٥٠ وفي جمهورية فنزويلا ١٧٠ وفي جمهورية خط الاستواء ٧٠

اما في اوربا فظهر في المانيا عشرة آلاف جريدة منها ١٥٠٠ يومية ثم تليها فرنسا وفي النمسا ٥٦٠٠ وفي انكلترا ٤٤٠٠ منها ٢٣٠ يومية وفي البلجيك ٢٠٠٠ منها عدد كبيراً يصدر يومياً . وفي ايطاليا ٣٥٠٠ منها مائة يومية وفي اسبانيا ٢٠٠٠ وفي روسيا

٢٠٠٠ منها ٢٠٠ يومية · وفي سويسرا ١٢٠٠ منها ٨٠٠ باللغة الالمانية و٣٥٠ باللغة الفرنسوية و٥٠ باللغة الايطالية وفي الدانيمرك ١٤٥٠ وفي اسوج ١٠٠٠ وفي هولاندا ٣٠٠٠ وفي نروج ٦٠٠ وفي العثمانية ٣٠٠ وفي اليونان ١٦٠ وفي بلغاريا والبرتغال والصرب أقل من مائة جريدة وفي اليابان ٣٠٠٠ منها ٤٠٠ يومية اما في مصر والجزائر وأفريقية الجنوبية فالصحف قليلة وفي اوستراليا ١٠٠٠ وفي الهند الانكليزية ١٨٠٠ وفي سيبريا ٢٠ واما الصين فلم يتيسر احصاء جرائدها بوجه التقريب وانما يقال ان لكل مليونين فيها جريدة واحدة لان فيها نحو مئتي جريدة

واجب المدرسة(١)

من المسائل التي لا ينازع فيها منازع ان من واجب المدرسة العناية بالتربية عنايتها بالتعليم وان المدارس تؤثر في الاخلاق كما تؤثر في العقول واذ كان هذا التأثير حاصلا فالواجب ان يكون تأثيراً صالحاً وهناك الصعوبة في هذا الشأن

من النظريات التي وضعها كبار ارباب العقول الراجحة في القرن الماضي ان نور العلم وحده يحرر العقل البشري من رقه ويسعده ويصلحه ولكي تقوم المدرسة بواجبها في التربية يقتضي لها ان تقرن التربية بالتعليم بقطع النظر عن التمييز بينهما فهي بتثقيفها العقل وتدريبها القضايا العلمية والنسب بينها يتأتى لها ان نقول انها تعمل في تربية الارادة

لاجرم ان حل مسألة التربية في المدرسة من المسائل التي لا تحل بسرعة فقد تساءل روسو في القرن الثامن عشر عما اذا كان النجاح العقلي ينتج الارتقاء الاخلاقي وزعم ان المدنية اذا ارادت الحصول على نتيجة حسنة بتحرير المرء من اوهام غريزية وتحويله الى عاقل حر يجب عليها ان يكون القول الفصل فيها لغايات الاخلاق في الطبيعة الانسانية وقد دلت التجربة وأحكام العقل ان التعليم صناعة يحسن و يقبح استخدامها كاللسان وفي مكنة التعليم ان تكون منه مادة للتربية ليست فيه ولذا كان من اللائق ان تعنى المدرسة بمهمتين مزدوجتين وأعني بهما التربية والتعليم وتعمد الى اتخاذ الطرق الجديدة بكل منهما · علينا ان نربي لان نقف عند حد التعليم وعند ذلك ينبغي لنا ان تنزل البيت والمجتمع منزلتهما من التأثير لان نعمل على تربية وجدان الطفل في المدرسة

(١) ملخصة من مقدمة كتاب مسائل في الاخلاق والتربية لاميل بوترو
Emile Bontroux — Questious de morale et d'éducation

فقط . و يرى بعضهم ان نشاط التربية بالحكومة تسن نظامها وهذا من الاحتكار الضار الذي يسود التربية في عيون الابناء وما التسلط على فكر الولد وعقله بالشيء المحمود ايضاً فالواجب على المربي ان ينشيء رجالاً قادرين على التفكر وان يسيروا بانفسهم لانفسهم على نظام الاخلاق مدفوعين بعامل الواجب وان تصح ارادتهم على ذلك بحيث يشعرون بانهم يعملون في هذا الشأن احراراً

يجب ان لا يفوتنا ان عقل الطفل فارغ من الافكار وان ميله الى ان يكون رجلا مذكوراً مما يستميله ويغويه . و يتأثر ضعفي تأثره اذا اضفت الى عمله الطبيعي في التعليم بما يمتعه بالحرية والشخصية فانه يتلقن افكارك على ايسر سبيل بل بشوق عظيم و يرى نفسه انها افكاره بعينها و يدعيها لنفسه . يصح على مثل حال الرجل الذي ينومه رجل بارع بالتنويم المغناطيسي فتكون ارادته ارادة منومه . هذه هي العثرة التي يجب عدم الاصطدام بها وآكد الطرق ان لا نقترب من تربية الضمير الا باحتراز شديد لان المدرسة لا ينبغي لها ان توهم الأُسرة والمجتمع بان يسندا اليها فقط في تربية اولادهما بل ان المدرسة تساعد على ذلك بكل ما فيها من قوة على صورة مساعدة معاونة لا مربية مسؤولة وحدها

هب ان المعلمين كانوا من خيار الناس وهذا مما يجب حتماً — في اخلاقهم — وان حياتهم واشخاصهم وحشمتهم في مهنتهم وكل اعمالهم واقوالهم كل ذلك يكون منه تعليم ادبي نافع الا وهو التعليم بالقدوة والمثال ولكن الامر لا يقف عند هذا الحد لان بين التعليم الذي هو مهذب مباشرة و بالضرورة و بين التربية التي ينظر اليها بانها منفصلة عن التعليم نقطة متوسطة الا وهي التربية بالتعليم وهذا هو من واجب المعلم فان وظيفته ان يعلم لا ان يعظ ولكن من مواد التعليم ما له علاقة بالاخلاق مباشرة فيجب والحالة هذه ان لا يفوتنا ان المعرفة ليست امراً عظيماً ولكن الفائدة في العمل وشتان بين درس استظهره التلميذ بلا غلط و بين الجهد في تطبيق ما تعلمه بالعمل . فقد قال سقراط ان من تشبع بعلم الخير تشبعاً حقيقياً لا يلبث ان يتقدم الى العمل به . لاجرم ان كل علم لا يؤثر بحيث يجعل الانسان احسن مما هو ولكن علم الاخلاق الصرف هو عامل مهم يؤثر في حياة المرء و يكون ذلك أشد اثراً فيه اذا رأى اساتذته يطبقون بانفسهم خطتهم على تعليمهم

ولقائل ان يقول اي التعاليم يجب ان يعلمها الاساتذة هل التعاليم النظرية امثال تعاليم

ارسطو وكانت . انا اقدر هذه التعاليم قدرها ولكن المدار في تربية الطفل اليوم على تعليمه معنى الحياة لا على الفكر لان تعاليم ذينك الفيلسوفين قد لا تقبلها عقول ليس لها عهد بالتمرن وهذه المبادئ هي الواجب والسعادة والحشمة والحق والحرية والسرور والمصلحة والتكافل والجهاد في الحياة والحياة الاجتماعية والمساواة والحياة الوطنية . امور كلها تبقى بدون ان يتغلب فيها فرع على آخر واذا كانت نظريات مجردة تبقى الى الابهام والغموض عرضة للاهواء في تبدلها وللاشخاص في حظوظهم فقد قال ديكارت ان الاخلاق اذا أريد بها منطوقها لا يتأتى لها ان تجيء الا بعد جميع العلوم وكيف تكون الاخلاق تامة والعلوم لا تزال في دور الارتقاء لم تتم وهل يرجى التمام من نقص وافضل الاساليب يتخذها من يريد في الحياة فلاحة ان يعمل بما يجري عليه اهل العرض والشرف في حياتهم الحقيقية وبعد فاذا كنا نلجأ الى مهندس لحل مسألة في الميكانيكيات العملية فنحن احرى بان نشاور من صناعته علم الاخلاق والواجبات Déontologue للحصول على حل مسألة اخلاقية ولكن لفكرنا الذي تتطلبه الحياة بنظرنا وحدسنا ومطالعاتنا ومعلوماتنا علاقة ببعض الافكار تتراءى لنا انها اهم واصدق واجمل واكثر متانة من غيرها ومن هذه الافكار نؤلف قانوناً نرى من الواجب ان لا نخونه . وكلما اتسعت معلوماتنا وذهنتنا يتسع اساس اخلاقنا ويعظم جهادنا ليكون لها اتساق وتماسك .

ان رجل العمل يعلم جد العلم ان الخير مناط بالشر في كل شيء فيتقبل كل ذلك صبرة واحدة على شرط ان يكون الخير متغلباً على نقيضه . ولا يسع المربي الآن يعلم ماهو موضوع قصورنا في الحياة الحقيقية فهو يأخذ اجمل التعابير عن الضمير الأدبي وامتنها على مثال الرجل الذي يعمل ويرى في حجر المجتمع ويبحث عن التوفيق بينها ويوقن بان المدنية التي اكتفى بها اليونان لا تكفي ابناء العصر الحديث وان هؤلاء يرون ايضاً اموراً جميلة في ذاتها في الأسرة والاخوة الانسانية والعلم والعدل واحترام الشعور والحرية والعمل والمساواة ويلقي في العقول ان احسن سلوك هو ما يوفق بين المصالح ويقلل من الاضرار ويجتنب القاء الافكار غير العملية في الامور الجازم بها وهو يعلم ان اعمال الانسان كلها يتطرق اليها الخلل من بعض الجهات فالاقتصار على حفظ الجيد منها من كل وجه يكون به الحكم عليها كلها

قال ارسطو الرجل الصالح هو بذاته قاعدة الفضيلة ومقياسها ولذلك كان خير الاخلاق ما علم بالعمل قبل النظر وخير معلميه من لم يستند على فكره وما نفضله نفسه

بل من بهم في قوله ولا يخصص بتكلم ما يستحب سماعه الكل فيقول لمستمعيه هذا خير وهذا شر كما يقول رب الأسرة هذا لا يعمل ويجب ان يعمل بهذا

الا وان الحكمة الصالحة لتنطبع في الذهن وتتردد في الخاطر وتختلط باجزاء النفس بلطف تركيبها واتساع فكرها ويكون لنا منها باعث او مبدأ للعمل ومادة للارادة فعلى المعلم الذي يريد ان يحسن التربية ان يملي على تلامذته كل يوم قطعة فيها عمل صالح او حكمة شريفة مستخرجة من متن الدين والاخلاق والآداب الانسانية يتعلمها الاولاد ويستظهرونها ويشرحها لهم الاستاذ ويستخرج منها مادة الحكمة ولم يعمل كبار الوعاظ عملاً سوى انهم شرحوا حكم الكتاب

وما التربية الخالصة الساذجة الا التي تصل الى غايتها بدون تصنع بل بالوسائط التي يوحيها العقل او الحب او يملمها النظر والاختبار ويتأفف بعض مشاهير علم التربية والتعليم من هذه الطرق الطبيعية ويحاولون ان يحلوا محلها الاساليب العلمية والصناعية فيرون ان الولد يطبع على نحو ما يريد مطبعه وان الغاية تبرر الواسطة ولذلك لا يرون بأساً باستعمال الحيل معه والكذب النافع عليه قال لوك (فيلسوف انكليزي ١٧٠٤) اذا اردت ان تأخذ بيد الاطفال للبحث عما ينفعهم فعليك ان تقدم بين ايديهم ما تريد تلقينهم اياه على نحو ما تقدم المسليات لا كما تعرض الواجبات وحتى يوقنوا بانك لا تجرب لغرض خاص عليك ان تنفرهم من كل ما تريد ان يتقوه وذلك بحملهم على عمله باساليب تستعملها حتى يتبعوا ويستحلوا لما تقرر لهم . انك اذا شاهدت ابنك يلعب كثيراً بالخذروف (الدوامة) فمره ان يلعب به عدة ساعات من النهار فلا يلبث ان يمل ويترك هذه التسلية فاذا عرفت ان تلقي في نفسه على هذه الصورة كراهية الالعاب التي يحبها فصور له العمل بها في صورة الامر فلا تعتم ان تراه في الحال يرجع من ذاته فرحاً نحو الامور التي تريد ان يحبها ولا سيما اذا عرضتها عليه في مظهر المكافأة لعمله للقيام بواجب اللعب الذي تأمره به وكيف يكون له من نفسه دافع وحماسة لطلب كتبه اذا وعدته بها جزاء تعجله في ضرب خذروفه خلال الوقت المعين للعب

اراد روسو ان يعلم اميلاً اصل التملك فاودع في نفسه ان يزرع حديقة فعمل ذلك لا اجابة لهوى نفس اميل بل اجابة لهواه كما اعتقد اميل ذلك واصبح معه كأنه اجير فدهش اميل عند ما رأى الباقلاء تنبت فقال له المربي ان هذا الشفان في هذه الارض شيئاً منك لك ان تطالب به ايا كان ورأى الباقلاء ذات يوم مقلوعة والارض محروثة

فصاح بالاصاب وباليأس ولدى البحث ومشاركة الطفل في الماء تبين ان البستاني هو الذي قطع الباقلاء ولما سئل عن ذلك اجاب اي حق لكم ايها السادة ان تندعوا اهو ملكي وتزرعوا في ارضي الباقلاء بدل البطيخ انني امنعكم فيما بعد ان تتنزهوا في حديقتي . و بهذا تم للمربي ماأراد من تعليم اميل معنى الملك .

و يرى بازدوو (الاخلاقي المالقي ١٧٩٠) ان لاتحدد حرية اللعب في الاولاد بل ان يعمل المعلم بحيث لايختار الاولاد العاباً اخرى غير التي يريد ان يرام يدرس ونهاوان تحدد رغائب الولد وقمع نفسه على مايكره ، فيمنع عنه شيء ولا يقال له السبب في منعه فاذا كان لايحب اللعبة الفلانية يكره على لعبها او الاكلة الفلانية يجوع ولا يقدم له غيرها وهكذا حتى يعتاد الحرمان والتقشف وهذا ماسماه بالرجوع الى الطبيعة يبد ان الواجب ان يجعل الاولاد امام الحقائق وجهاً لوجه لاامام اشباح مصنعة في التربية . والحقيقة وحدها حرية بان تعرض عليهم ولها قوة النفوذ الى عقولهم واي فرق في التأثير بين تعليم ينظر فيه للاشياء كأنها الفاظ وبين تعليم يبحث فيه تحت الالفاظ عن الاشياء فالقانون الذي يجب العمل به هو ان يكون المربي رجلاً ويحسن تربية الرجال اي الاطفال بتقريبهم من حجر الانسانية

اليمن والدولة العلية

من الاخبار التي لها علاقة كبرى بالاجتماع والعمران في هذه الديار الاتفاق الذي وقع عليه بين الامام يحيى امام الزيدية في اليمن وعزت باشا قائد اليمن العام بعد ان تكبدت الامة والدولة أموالاً وارواحاً عشرات من السنين واليك نص الوفاق ليحفظ في التاريخ وثيقة :

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — يجري الوفاق بين حضرة سمو الامام المتوكل على رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين وبين حضرة صاحب العطوفة قائد الحملة اليمانية عزت باشا المأذون من طرف الحكومة السنية على الوجه الآتي ويكون تصديقه من المرجع العالي وذلك فيما تصلح به أحوال جبال اليمن الآتي بيانها التي تجري فيها الآن ادارة الحكومة السنية العثمانية فعلاً وهي لواء صنعاء وما يحويه من أقضية صنعاء وعمران وحجة وكوكبان وحراز ماعدا صعفان وابن مقاتل ثم آنس وذمار ويريم ورداع ومن بلواء تعز من الزيديين ان كانوا نصف الناحيه فصاعداً .

٢ — يكون اجراء الاحكام الشرعية بين المتحاكمين ممن يسكن البلدان المذكورة آنفاً في جميع المواد واقامة الحدود على كل مرتكب لاسبابها كل ذلك على المذهب الزيدي ويكون تعيين الحكام وتبديلهم من قبل الامام وذلك بان يكتب الامام للولاية كتاباً بتعيينهم وتطلب الولاية تصديق ذلك من الاستانة على ان لا تتأخر مباشرتهم الوظيفة عندما يكتب الامام وتنفذ الحكومة جميع الاحكام التي تصدر من حكام الشرع ابتداء ومن حكم الاستئناف ان لم يقنع المحكوم عليه وطلب الاستئناف

٣ — اذا تظلم احد من محكمة الاستئناف واشتكى الى الامام يسأل سمو الامام الحكومة عن حقيقة ذلك واذا ظهر صدقه على صحة تظلمه اعيدت المحاكمة

٤ — تؤلف محكمة الاستئناف في مركز الولاية من رئيس واعضاء بتنخيبهم الامام وكما يصدق على تعيين الحكام يصدق على تعيينهم

٥ — اذا حكمت محكمة الاستئناف على الوجه المتقدم ذكره بالقصاص الشرعي الذي هو اعدام شخص قاتل قد استحق الحكم عليه بالاعدام شرعاً فعلى الحاكم ان يسعى اولاً في طلب العفو عن القاتل من ورثة القتيل أو ارضائهم بقبول الدية من القاتل فان لم يساعدوه رفعت المحكمة الاستئنافية الامر الى الاستانة وطلبت الاذن باجراء القصاص بعد التصريح بان الحاكم قد بذل مجهوده عند الورثة في طلب العفو وقبول الدية فلم يعفوه بشرط ان لا تزيد مدة صدور الارادة في ذلك على اربعة اشهر من وقت ارسال تقرير المحكمة المذكورة

٦ — عند ظهور مايستوجب تبديل الحاكم من سوء حاله فعلى الولاية ان تخبر الامام بذلك مع تبيين الاسباب الموجبة لتبديله والدلائل الشرعية وعلى الامام ان يبدل ذلك القاضي

٧ — للحكومة ان تنصب قضاة يحكمون بمذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بين من كان حنفياً من غير اهل جبال اليمن

٨ — اذا حصلت دعوى بين زيدي وآخر من اهل المذاهب الاخرى الاسلامية من غير اهل الجبال يكون الرجوع في تلك الدعوة الى محكمة مختلطة تتألف من زيديين وحنفيين واذا اختلفت القضاة في الحكم فالمعتبر حكم القاضي الذي من جهة المدعى عليه .

٩ — للقضاة المعينين في النواحي والاقضية ان يتخذوا لهم معاونين ممن يثقون بهم

يستخدمونهم في امورهم والمحافظة على انفسهم في احضار الخصوم على شرط ان لا يزيد عددهم على ستة رجال في النواحي وثلاثة في الاقضية وعلى الحكومة ان تؤدي لهم رواتبهم بصفة مباشرين او شرطيين اما اذا كان هؤلاء غير كافين فالحكومة تمدهم بمعاونين من رجال الضبط بحسب ماتقتضيه الحال

١٠ — ولاية الاوقاف والوصايا الى الامام

١١ — تعفو الحكومة السنية عن كل ماسبق من اهالي الجبال المذكورة من الجرائم والبقايا المقيدة الى تاريخ هذا المقرر والمقصود من الجرائم هي السياسية والتي وقعت في اثناء الحرب وتفرعاتها

١٢ — تعفو الحكومة السنية مثل عفوها عن اهل الجبال عن جميع السوابق والجرائم والبقايا في خولان ونهم وارحب مطلقاً وتعفو عن مقطوعيتهم الى مدة عشر سنين بشرط توقف اهل هذه الجهات عن كل مايورث نقصاً في جانب مأموري الحكومة وعن التعرض لما يخل بالامن العام في الطرق فان حصل من احد منهم او من جماعة منهم مخالفة لما ذكر ادب المخالف بخصوصه بما يستحقه شرعاً واذا صدرت المخالفة من اهل بلد اوجهة بالاتفاق وثبت ذلك عليهم لزم تأديبهم وسقطوا من مزية استحقاق العفو فيما بعد .

١٣ — لا يطالب احد من اهالي الجبال المذكورة بشيء غير التكاليف الشرعية الاعشار (بالخرص) والاغنام وبقية الانعام بانصاب الشرعي

١٤ — اذا وقعت شكاية الى الحكومة او الى حاكم الجهة المعين بنصب الامام من ظلم الجباة والخراصين (العمارين) او تبين من هؤلاء شيء من سوء الاستعمال لزم اولا تحقق الامر من جهة الحاكم واكبر موظف في الحكومة المحلية وماثبت بوجه شرعي كان الحكم به من الحاكم والاجراء من الحكومة

١٥ — لامانع لمن أراد ان يعطي الامام شيئاً عن طيبة خاطر وذلك ان يسلمه الى سمو الامام رأساً أو الى مأموري الاوقاف أوامناء الاراضي المرتبطة بالامام أو بواسطة مشايخ الدولة المختارين من الاهالي أو بواسطة الحكام

١٦ — للامام ان يأخذ بواسطة من يأتمنهم حاصلات الاراضي المرتبطة به وتأخذ الحكومة السنية اعشارها الشرعية

١٧ — ناحية الجبل الشرقي التابعة لقضاء آنس المؤلفة من العزل التي هي جبل

الشرق وبنو قشيب وبنو اسعد والمناور وبنو خالد وبنو سويد تعفى من جميع التكاليف مدة عشر سنين وبعد انقضاء هذه المدة فعليها ان تؤدي للحكومة الاعشار وسائر التكاليف الشرعية مثل غيرها من محلات الجبال

١٨ — يطلق الامام من عنده من رهائن جوار صنعاء وهي بنو الحارث وبنو حشيش وهمدان وبلاد البستان وسنحان وبلاد الروس وبنو بهلول وكذلك رهائن لاهل حراز وعمران

١٩ — تأمين اصحاب الامام واصحاب الحكومة وسائر الناس في ذهابهم وايابهم بتجارة أو غيرها واذا اتهم احد من الذين يدورون لاكتساب المعيشة بالسعي لما يسلب راحة الناس قبض عليه وسلم الى حاكم الشريعة لتحقيق حاله

٢٠ — بعد امضاء هذا الوفاق لا يتعدى فريق على الآخر في ماهو في ادارته الآن ·

حرر في اليوم السابع والعشرين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة والف عربية وفي السابع من تشرين الاول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة والف رومية اهـ

الاصلاح المدرسي

يشتغل علماء التربية في النمسا منذ سنين في اصلاح التعليم الثانوي والابتدائي فقرروا بعد البحث والنظر ان يكون الاصلاح اولاً بتطبيق التعليم على حاجيات الحياة الحديثة وان تقل تمارين الذاكرة · واذ كان التهذيب العام ينشئ شخصيات قوية فان التهذيب الخاص هو الذي يمكن الطالب من ان يكون له ثمرة من تعليمه فالواجب الاقلال من العلوم وان تضاعف العناية بالعمليات وان يقل الخضوع الاعمى وتكثر الحرية الذاتية والشخصية وبذلك يتيسر للطالب ان يكون لأسرته عوناً بدلاً من ان يكون مدة سنين عبئاً ثقيلاً عليها وهذا يتم بمعاونة اولياء التلامذة ومراقبتهم فيما يتعلمون فلا يتركون اولادهم وشأنهم يختارون من الصناعات مايروقهم ومن المواد مايسهل عليهم بل يهيئون ليتأتى لعقولهم ان تقبل انواع البناء عليها للانتفاع منها

افكار الشبان

وضع احد المولعين بالاحصاء سؤالاً عرضه على نحو ستمائة استاذ من اساتذة الكليات في فرنسا وهو باي رجل من رجال التاريخ أو أهل العصر الحاضر او الاشخاص الذين تعرفهم تحب ان تتشبه وما السبب في ذلك · فأجاب عليه ١٦٠٠

طالب عَلَى أختلاف في تفسيرهم الموضوع المقترح فبعضهم أختار ان يتشبه برجل من اهل محيطه مثل احد اترابه أو اقربائه ولا سيما أخواله أو معلميه و بعضهم آثر ان يتعلم الصناعة الفلانية فمن هؤلاء ٢٨٠٠ تلميذاً فهموا السؤال كذلك فاختار منهم ٤٨ تلميذاً الجندية و٥٠ الزراعة و٣٧ الطب و٣٠ الهندسة و٤٠ التجارة وقليل منهم من اختار التوظف والمحاماة والادب · وستمائة طالب رأوا ان يكونوا كاحد رجال التاريخ فوزعوا أصواتهم بين أقدم رجال العصور الغابرة الى عهدنا هـذا فبدأوا باورفيس وسقراط وانتهوا بلوتي ولبين وفيهم الشعراء والقصصيون والامراء ورجال السياسة والقواد والاقوياء والابطال وكان من ذلك لباستور ٥٧ صوتاً ولنابوليون ٤٣ ولفكتور هوغو ٣٦ وللامارتين ١٨ ولغامبتا ١٧ وقد تبين لجامع هذه الآراء التي لاتتجاوز اعمار كاتبيها الخامسة عشرة انهم اختاروا من اختاروا التشبه بهم اوالانتساب لصناعاتهم لما رأوه فيها من مظاهر النفع والبهرجة فالذين أختاروا الجندية أحبوها لان فيها ثياباً براقة وخوذات لطيفة والذين اختاروا السياسة لانها تؤهل صاحبها الى ان يكون نائباً عن مقاطعته في مجلس النواب و يقبض ١٥ الف فرنك مسانهة وقد غالوا في اجو بتهم السبب في ايثارهم للاشخاص والصناعات وكلها يستدل منها عَلَى نقص الروح الادبية مما يكتبون وشيوع الانانية وفقدان الغيرة والاماني الكريمة وقد علل جامع هذه الاجوبة قلة عناية الطليعة بالانشاء بان من العدل ان لانطالب التلميذ بتجويد كتابته في عصر الماديات وعصر الطيارات والكهربائية وان الروح الادبية في الكتابة كانت تحمد في القرون الماضية اما نحن فانا اذا وضعنا هذا السؤال عَلَى مثل اولئك التلامذة فلاشك ان معظم الاجوبة تكون مائلة الى التطلب لمناصب الادارية والجندية وقل من يحب أن يكون زارعاً أو تاجراً أو مهندساً أو معلماً لما وقر في نفوس القوم ان الشرف كل الشرف في خدمة الحكومة وما عدا ذلك فلا يخلو من غضاضة

المقتبس

مدن العرب

يظن بعض الجاهلين او المتجاهلين لحسنات المدنية الاسلامية ان العرب إبان عزهم لم يأتوا شيئاً يذكر في اعمال العمران وان قصاراهم ان تلقفوا بعض المدنية الفارسية واليونانية وتمتعوا بها بضعة قرون ثم نقلوها الى من بعدهم من امم المدنية الحديثة في الغرب ويقول بعضهم انهم كانوا في فن البناء دون الروم وان قصورهم الباقية لا تشهد بتفنن عجيب في الهندسة على ان الباقي من آثارهم الى اليوم في الاندلس ومصر والشام والعراق وفارس والهند شاهد ابد الدهر بابطال دعوى المدعين وما يحيك في صدورهم من الاهواء .

ولقد رأينا بعضهم يتوكأون في الحط من اقدار العرب في العمران على الفصل الذي عقده ابن خلدون في مقدمته في « ان العرب اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب » الذي قال في آخره : « وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه واقفر ساكنه وبدلت الارض فيه غير الارض فاليمن قرارهم خراب الا قليلاً من الامصار وعمران العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ اول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خراباً كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمراناً تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمداشر . »

هذا ما يحتجون به ولو علموا ان مقصد ابن خلدون بالعرب هنا البدو او البادية او العربان الرحل كما نسميهم لعهدنا لارتفع كل اشكال والا فان المدن التي مدنها العرب

ايام عزهم والامصار التي مصروها والقرى التي عمروها لاتدخل تحت حصر في كل قطر دخلوه ولو اياماً مما لم يتيسر لغيرهم من الامم كالترك مثلا الذين حكموا الاقطار الواسعة العامرة بطبيعتها ستمائة سنة ولا تكاد تعرف لهم مدينة أسسوها ولا مواتاً أخصبوه ولا ماء اسالوه وشغلهم الشاغل حروب وغزوات هكذا مضوا ايام القوة وهكذا الحال زمن الضعف .

ومن قرأ كتب وصف البلاد تجلى له مقدار عناية العرب ببناء مدنهم خذ لك على سبيل المثال مارواه الاقدمون في كيفية بناء سامرا او سُرّ من رأى احدى المدن العباسية التي أنشئت على دجلة على مسافة ثلاثين فرسخاً من بغداد فقد قالوا ان السفاح أراد ان يبني سامرا فبنى مدينة الانبار بحذائها وأراد المنصور بعد ما أسس بغداد بناءها فابتدأ بالبناء في البردان ثم بدا له وبنى بغداد واراد الرشيد ايضاً بناءها فبنى بحذائها قصراً وهو بازاء اثر عظيم قديم كان للاكاسرة ثم بناها المعتصم ونزلها في سنة ٢٢١ وكان الرشيد حفر نهراً عندها سماه القاطول واتى الجند وبنى عنده قصراً ثم بنى المعتصم ايضاً هناك قصراً ووهبه لمولاه اشناس فلما ضاقت بغداد عن عساكره واراد استحداث مدينة كان هذا الموضع على خاطره فجاءه وبنى عنده سر من رأى بنى داراً وامر عسكره بمثل ذلك فعمر الناس حول قصره حتى صارت اعظم بلاد الله وبنى بها مسجداً جامعاً في طرف الاسواق وانزل اشناس بمن ضم اليه من القواد كرخ سامرا وهو كرخ فيروز واقام ابنه الواثق بسامرا حتى مات بها ثم ولي المتوكل فاقام بالهاروني وبنى به ابنية كثيرة واقطع الناس في ظهر سرمن رأى في الحيز الذي كان احتجره المعتصم واتسع الناس بذلك وبنى مسجداً جامعاً فاعظم النفقة عليه وامر برفع منارة لتعلو اصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر اليها من فراسخ فجمعوا الناس فيه وتركوا المسجد الاول واشتق من دجلة قناتين شتوية وصيفية تدخلان الجامع وتتخللان شوارع سامرا واشتق نهراً آخر وقدره للدخول الى الحيز فمات قبل ان يتم وحاول المنتصر تتميمه فلقصر ايامه لم يتم ثم اختلف الامر بعده فبطل وكان المتوكل انفق عليه سبعمائة الف دينار

ولم يبن احد من الخلفاء بسر من رأى من الابنية الجليلة مثل مابناه المتوكل فمن ذلك القصر المعروف بالعروس انفق عليه ثلاثين الف الف درهم والقصر المختار خمسة آلاف الف درهم والوحيد الفي الف درهم والجعفري المحدث عشرة آلاف الف درهم والغريب عشرة آلاف الف درهم والشيدان عشرة آلاف الف درهم والبرج عشرة

آلاف الف درهم والصبح خمسة آلاف الف درهم والمليح خمسة آلاف الف درهم وقصر بستان الايتاخية ع٠رة آلاف الف درهم والتل علوه وسفله خمسة آلاف الف درهم والجوسق في ميدان الصخر خمسمائة الف درهم والمسجد الجامع خمس عشر الف الف درهم وبركوان للمعتز عشرين الف الف درهم والقلائد خمسين الف دينار وجعل فيها ابنية بمائة الف دينار والغرد في دجلة الف الف درهم والقصر بالمتوكلية وهو الذي يقال له الماحوزة خمسين الف الف درهم والبهو خمسة وعشرين الف الف درهم واللؤلؤة خمسة آلاف الف درهم فذلك الجميع مائتا الف الف واربعة وتسعون الف الف درهم

وكان المعتصم والواثق والمتوكل اذابنى احدهم قصراً او غيره امر الشعراء ان يعملوا فيه شعراً فمن ذلك قول علي بن الجهم في الجعفري الذي للمتوكل

وما زلت اسمع ان الملو	ك تبني على قدر أقدارها
واعلم ان عقول الرجا	ل تقضي عليها بآثارها
فلما رأينا بناء الاما	م رأينا الخلافة في دارها
بدائع لم ترها فارس	ولا الروم في طول اعمارها
وللروم ماشيد الاولون	وللفرس آثار أحرارها
وكنا نحس لها نخوة	فطامنت نخوة جبارها
وانشأت تحتج للمسلمين	على ملحديها وكفارها
صحون تسافر فيها العيون	اذا ماتجلت لابصارها
وقبة ملك كأن النجو	م تفضي اليها بأسرارها
نظمن الفسافس نظم الحلي	لعون النساء وابكارها
لو ان سليمان ادت له	شياطينه بعض اخبارها
لايقن ان بني هاشم	تقدمها فضل اخطارها

وقال الحسين بن الضحاك

سر من را أسر من بغداد	فاله عن بعض ذكرها المعتاد
حبذا مسرح لها ليس يخلو	ابداً من طريدة وطراد
ورياض كأنما نشر الزهـ	ـر عليها محبر الابراد
واذكر المشرف المطل من التـ	ـل على الصادرين والوراد
واذا روح الرعاء فلا تنـ	ـس رواعي فراقد الاولاد

وله فيها و يفضلها على بغداد :

على سر من راء المصيف تحية مجللة من مغرم بهواها
الا هل لمشتاق ببغداد رجعة تقرب من ظلـيها وذراها
ثلان أتى الله خير عباده عزيمة رشد فيهما فاصطفاها
وقولا لبغداد اذ ما انقسمت على اهل بغداد جعلت فداها
افي كل يوم شف عيني بالقذا حرورك حتى رابني ناظراها

قال ياقوت ولم تزل كل يوم سر من رأى في صلاح وزيادة وعمارة منذ ايام المعتصم والواثق الى آخر ايام المنتصر بن المتوكل فلما ولي المستعين وقويت شوكة الاتراك واستبدوا بالملك والتولية والعزل وانفسدت دولة بني العباس لم تزل سر من رأى في تناقص للاختلاف الواقع في الدولة بسبب العصبية التي كانت بيد امراء الاتراك الى ان كان آخر من انتقل الى بغداد من الخلفاء واقام بها وترك سر من رأى بالكلية المعتضد بالله امير المؤمنين كما ذكرناه في التاج وخربت حتى لم يبق منها الا موضع المشهد الذي تزعم الشيعة ان به سرداب القائم المهدي ومحلة أخرى بعيدة منها يقال لها كرخ سامرا وسائر ذلك خراب يباب يستوحش الناظر اليها بعد ان لم يكن في الارض كلها أحسن منها ولا اجمل ولا اعظم ولا آنس ولا اوسع ملكاً منها فسبحان من لا يزول ولا يحول

وذكر الحسن بن احمد المهلبي في كتابه المسمى بالعزيزي قال وانا اجتزت بسر من رأى منذ صلاة الصبح في شارع واحد ماد عليه من جانبيه دور كأن اليد رفعت عنها للوقت لم تعدم الا الابواب والسقوف فاما حيطانها فكالجدد فما زلنا نسير الى بعد الظهر حتى انتهينا الى العمارة فيها وهي مقدار قرية يسيرة في وسطها ثم سرنا من الغد على مثل تلك الحال فما خرجنا من آثار البناء الى نحو الظهر ولا شك ان طول البناء كان اكثر من ثمانية فراسخ .

وكان ابن المعتز مجتازاً بها مراً متأسفاً عليها وله كلام منثور ومنظوم في وصفها ولما استدبر امرها جعلت تنقض وتحمل انقاضها الى بغداد و يعمر بها فقال ابن المعتز

قد اقفرت سر من رأى وما لشيء دوام
فالنقض يحمل منها كأنها آجام
ماتت كما مات فيل تسل منه العظام

وكتب علي وجه حائط من حيطان سامرا الخراب

حكم الضيوف بهذا الربع انفذ من   حكم الخلائف آبائي على الامم
فكل ما فيه مبذول لطارقه   ولا ذمام به الا على الحرم

وكتب عبد الله بن المعتز الى بعض أخوانه يصف سر من رأى ويذكر خرابها ويذم بغداد وأهلها ويفضل سامرا : كتبت اليك من بلدة قد أنهض الدهر سكانها وأقعد جدرانها فشاهد اليأس فيها ينطق وحبل الرجاء فيها يقصر فكأن عمرانها يطوى وكأن خرابها ينشر وقد وكلت الى الهجر نواحيها واستحث باقيها الى فانيها وقد تمزقت باهلها الديار فما يجب فيها حق جوار فالظاعن منها ممحو الاثر والمقيم بها على طرف سفر نهاره ارجاف وسروره احلام ليس له زاد فيرحل ولا مرعى فيرتع فحالها تصف للعيون الشكوى وتشير الى ذم الدنيا بعد ما كانت بالمرأى القريب جنة الارض وقرارة الملك تفيض بالجنود اقطارها عليهم اردية السيوف وغلائل الحديد كأن رماحهم قرون الوعول ودروعهم زبد السيول من خيل تأكل الارض بحوافرها وتمد بالنقع سائرها قد نشرت في وجوهها غرراً كأنها صحائف البرق وامسكها تحجيل كاسورة اللجين ونوطت عذراً كالشنوف في جيش يتلقف الاعداء أوائله ولم ينهض أواخره وقد صب عليه وقار الصبر وهبت له روائح النصر يصرفه ملك يملأ العين جمالاً والقلوب جلالاً لا تخلف مخيلته ولا تنقض مريرته ولا يخطئ بسهم الرأي غرض الصواب ولا يقطع بمطايا اللهو سفر الشباب قابضاً بيد السياسة على قطار ملك لا ينتشر حبله ولا يتشظى عصاه ولا تطفى جمرته في سن شباب لم يجن مأثماً وشيب لم يراهق هرماً قد فرش مهاد عدله وخفض جناح رحمته راجماً بالعواقب الظنون لا يطيش عن قلب فاضل الحزم بعد العزم ساعياً على الحق يعمل به عارفاً بالله يقصد اليه مقراً الحلم ويبذله قادراً على العقاب ويعدل فيه اذ الناس في دهر غافل قد اطمأنت بهم سيرة لينة الحواشي خشنة المرام تطير بها اجنحة السرور ويهب فيها نسيم الحبور فالاطراف على مسرة والنظر الى مبرة قبل ان تخث مطايا الغير وتسفر وجوه الحذر وما زال الدهر ملياً بالنوائب طارقاً بالعجائب يؤمن يومه ويغدر غده على انها وان جفت معشوقة السكنى وحبيبة المثوى كوكبها يقظان وجوها عريان وحصاها جوهر ونسيمها معطر وترابها مسك أذفر ويومها غداة وليلها سحر وطعامها هنيء وشرابها مريء وتاجرها مالك وفقيرها فاتك لا كبغداد كم الوسخة الومدة الهواء جوها نار وارضها خبار وماؤها حميم وترابها سرجين وحيطانها نزوز وتشرينها تموز فكم من شمسها

من محترق وفي ظلها من غرق ضيقة الدار قاسية الجوار ساطعة الدخان قليلة الضيفان أهلها ذئاب وكلامهم سباب وسائلهم محروم ومالهم مكتوم لايجوز انفاقه ولا يحل خناقه حشوشهم مسايل وطرقهم مزابل وحيطانهم أخصاص وبيوتهم اقفاص ولكل مكروه اجل وللبقاع دول والدهر يسير بالمقيم ويمزج البؤس بالنعيم وبعد الحاجة انتهاء والمم الى فرجة ولكل سائلة قرار وبالله استعين وهو محمود على كل حال

غدت سر من را في العناء فيالها — فقفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

واصبح اهلوها شبيهاً بحالها — لما نسجتها من جنوب وشمأل

اذا ما امرؤ منهم شكا سوء حاله — يقولون لاتهلك اسى وتجمل

و يطول بنا المقال اذا اردنا استقصاء اسماء المدن العربية كلها من شواطئ بحر الظلمات في الغرب الى شواطئ المحيط الهندي في الشرق قال البلخي : ومن يحصي بناة المدن وواضعي القرى ومن يعلم مبادئ انشائها الا الله عز وجل وهبنا اخبرنا بمدن فارس على نحو ما نجد في كتبهم والمدن التي أحدثت في الاسلام لقرب العهد وجدة التاريخ فمن لنا بمدن الهند والصين والروم والترك وليس كل مدينة اوقرية مبنية منسوبة الى بانيها لانه قد تسمى المدينة باسم الباني او باسم لها قبل حدوثها او باسم ماء او شجر او شيء ما وقد يجوز ان يجتمع قوم بموضع من المواضع فيصير ذلك مدينة فهذا يبين لك ان كل مدينة لايوجب بانياً لها قاصداً اليها الى ان قال والكوفة مصرها سعد بن ابي وقاص وكان بها رمل فسميت به و يقال لها الكوفان والبصرة مصرها عتبة بن غزوان وسماها بحجارة بيض كانت في موضعها وواسط بناها الحجاج و يقال لذلك واسط القصب و يقال بل توسطت البصرة والكوفة و بغداد سميت باسم موضع كان قبلها و يقال لها الزوراء و يقال بغ اسم صنم وسمتها الخلفاء مدينة السلام واول من بناها جعفر المنصور بنى بها قصر الخلد بناها في الجانب الغربي من دجلة وجعل حواليها قطائع لحشمه ومواليه واتباعه كقطيعة الربيع والحربية وغيرها ثم عمرت وتزايدت فلما ملكها المهدي جعل معسكره في الجانب الشرقي فسمي عسكر المهدي وتزايدت بالناس والبناء .

قال البلخي : فاعلم ان المدن تبنى على ثلاثة اشياء على الماء والكلاء والحطب فاذا فقدت واحدة من هذه الثلاثة لم تبق . قال بعض الجغرافيين : مصرت البصرة على يد عتبة بن غزوان سنة اربع عشرة وعظم امرها حتى سميت قبة الاسلام ولها نخيل متصلة من عبداس الى عبدان نيف وخمسون فرسخاً ثم بني بعد ذلك واسط بناها

الحجاج بن يوسف سنة ثمان وسبعين وهي جانبان بينهما جسر على دجلة طوله ستمائة وثمانون ذراعاً وفي الجانبين جامعان ثم لما استخلف الله من بني العباس السفاح بنى مدينة قريبة من الكوفة وسماها الهاشمية ثم رحل عنها الى الانبار فعمرها وسكنها ولم يزل بها الى ان مات فلما ملك اخوه المنصور بنى على الدجلة بغداد ويقال ان اسمها بك دار معناه دار العدل بالتركية كأنهم قالوا الحاكم العادل وسميت مدينة السلام لانها يسلم فيها على الخلفاء ولأنها على دجلة نهر السلام وفي تسميتها بغداد وبغداد وبغداذ وكان ابتداء بنائها في سنة خمس واربعين ومائة وتم بناؤها في سنة تسع واربعين ثم ضاقت بالجند والرعية فبنى المهدي ولد المنصور مدينة تجاهها سماها الرصافة سنة احدى وخمسين ولبغداد من المدن والبلاد صرصر وقصر ابن هبيرة مدينة بناها يزيد بن عمر ابن هبيرة

واليك الآن شذرة قليلة مما عثرنا عليه بالعرض من مدن العرب وامصارهم فمنها شيراز وهي مدينة اسلامية بناها محمد بن ابي القاسم الثقفي على اثر بناء قديم ومدينة قم كورها الرشيد وجعل لها اثنين وعشرين رستاقاً بنيت زمن الحجاج سنة ثلاث وثمانين وكان مكانها تسع قرى تجمعت وصارت محالا وكان اسم احدى القرى كميدان فاسقطوا بعض الحروف للايجاز والاختصار وابدلوا الكاف قافاً

والمنصورية في الهند مدينة بنيت في صدر الاسلام وتسمى بالمندية تامبران كان موضعها غيضة يحيط بها خليج من نهر مهران · والحلة في العراق بناها سيد الدولة صدقة بن دبيس سنة خمس واربعين واربع مائة وتسمى الكوفة الصغرى لكثرة ما فيها من التشيع واردوبيل وتسمى ارديبل في بلاد اذربيجان مصرت ايام الرشيد وانما سميت باسم ارديبل بن ارميني ومراغة بناها محمد بن مروان بن الحكم وكانت قبل مراغة لدوابه فسميت بذلك ومرند بناها الافشين على اثر بناء قديم ومزيد بناها مراد بن الضحاك ومن بلاد ارمينية مدينة شمكور وكانت مدينة قديمة اخربتها الصناوردية ثم جددها بغا سنة اربعين ومائتين وسماها المتوكلية · ومن مدن الجزيرة مدينة اذرمة بناها الحسن ابن عمر بن الخطاب التغلبي · وبنى المنصور الى جانب مدينة الرقة قصبة ديار مضر مدينة وسماها الرافقة سنة خمس وسبعين فخربت الاولى وبقي الاسمان واقعين على مدينة واحدة ومن مدن حضرموت في اليمن مدينة الشحر ولم تكن بمدينة وكان الناس ينزلون منه في اخصاص فبنى الملك المظفر صاحب اليمن مدينة به حصينة بعد سنة سبعين

وتسعمائة . وكذلك بلاد مهرة ومصرها ظفار بناها احمد بن محمد وسماها الاحمدية في سنة عشرين وستمائة .

وجدد قتيبة بن مسلم سمرقند واحاط بها سوراً دوره سبعون الف ذراع وذلك سبعة عشر ميلا ونصف ميل هو بالفرسخ نحو ستة فراسخ ومدن بخارى كرمينية وبيكند والطواويس بناها قتيبة بن مسلم ايضاً . ومن مدن خراسان الجبلية ذوات الكور العريضة والاعمال الفسيحة سرخس وبوزجان وسامان وبيورد مدينة وزوزن وكومن بناها عبد الله بن طاهر . كما بنى مدينة شهرستان من اعمال خراسان وبنى في اقليم مازندران دهيان ثغراً على طرف مفازة كما بنى يزيد بن المهلب سنة ثمان وتسعين مدينة بكراباد في ذاك الصقع نفسه

وبنى عمرو بن العاص الفسطاط (مصر) وبنى احمد بن طولون القطايع ولما ملك العبيديون مصر بنى جوهر مولى المعز مدينة فوق القطايع وسماها القاهرة . وفي افريقية مدينة المهدية بناها المهدي العبيدي سنة ست وثلاثمائة ومدينة بونة بنيت بعد الخمسين واربعمائة ومدينة بجاوته وهي مدينة حسنة البناء طيبة الفناء بناها الناصر بن علناس احد بني حماد سنة سبع وخمسين واربع مائة . ومدينة وهران بنيت سنة تسعين ومائتين . ورباط الفتح في سلا من اعمال طنجة بناها عبد المؤمن وقصر الفرج بناه المنصور من بني عبد المؤمن . والسوس الاقصى يقال ان اول من عمره واجرى فيه الانهار عبد الرحمن بن مروان بن الحكم وفيه مدن كثيرة وقصبتها تامدلت مدينة سهلية جبلية مسورة من بناء عبد الله بن ادريس . ومن بلاد السوس مدينة ايغلي بانيها عبد الله بن ادريس ايضاً ومراكش بناها يوسف بن تاشفين الصنهاجي سنة ٤٩٠ ويلي مراكش فاس وهي مدينتان إحداهما عدوة الاندلس بنيت سنة ٢٩٢ والاخرى عدوة القرويين بنيت سنة ثلاث وتسعين ومائة . وسوق حمزة بناها حمزة بن سليمان العلوي وأشير بناها زيرى والمسيلة بناها محمد بن عبيد الله المهدي المنعوت بالقائم وسماها المحمدية وقلعة بني حماد بناها حماد بن زيري والقيروان اختطها عقبة بن نافع ومدينة بطليوس بالاندلس بناها عبد الرحمن بن مروان ومدينة تطيلة بنيت ايام الحكم بن هشام والهارونية من اعمال الفاكية بناها هارون الرشيد

وسلمية بالشام على سيف البرية بناها عبد الله بن صالح وعلي بن عبد الله بن عباس وطرابلس المستجدة بعد فتح طرابلس الشام بجيش المسلمين في مملكة الملك المنصور سيف

الدين قلاوون الصالحي بنيت في سفح ذيل من اذيال جبل لبنان بكورة من اكوار طرابلس بعدها عن طرابلس القديمة الخربة نحو من خمسة اميال على شاطئ نهر يجري الى البحر وهي المدينة المعروفة اليوم البعيدة عن الميناء المعروفة بميناء طرابلس الشام والمصر لمدينة انطرسوس معاوية بن ابي سفيان في ايام عثمان بن عفان حين غزا قبرص ومدينة عكا بناها عبد الملك بن مروان ومرعش من بناء خالد بن الوليد وجددها مروان ابن الحكم ثم المنصور بعده وسميت الثغور لان المطوعين من اهل الحوزة كانوا يرابطون فيها و يغزون مدن الروم · واذنة (اطنة) بناها الرشيد على نهر سيحان ·

وطرسوس بنيت في ايام هارون الرشيد والمصيصة بناها المنصور وعسكر مكرم نزلها مكرم بن مطرف اللخمي فصارت مدينة ونسبت اليه ·

ومدينة الاقلام بافريقية مدينة احدثها آل ادريس وسيله مدينة احدثها علي ابن الاندلسي احد خدم القائم بجانه وهي المرية من الاندلس محدثة ومدينة الزهراء بناها عبد الرحمن بن محمد خط فيها الاسواق كما قال ابن حوقل وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمتنزهات واجتلب الى ذلك بناء العامة وامر مناديه بالنداء الا من اراد ان يبني داراً او يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله اربعمائة درهم فتسارع الناس الى العمارة فتكاثفت وتزايدوا فيها فكادت ان تتصل الابنية بين قرطبة والزهراء ·

هذا ما التقطناه في هذه العجالة ولعل بعض الباحثين يتوسعون في هذا الموضوع في رسالة على حدة يذكرون فيها جميع ما اقامه العرب من الامصار والقرى واعمال العمران كالطرق والجسور والانهار والترع وغير ذلك مما يفيد في تصور المدنية العربية ويدعو الاخلاف الى التطريس على آثار الاسلاف

اللغة الانتقادية

٣

حرف الشين

و يقولون اشغلني الامر ص شغلني بغير الف و يقولون الشفة بكسر الشين وتشديد الفاء ص بفتح الشين وتخفيف الفاء و يقولون شتان ما بينهما ص شتان ماهما وشتان ما عمرو واخوه فاما انشادهم

لشتان ما بين اليزيدين في الندى   يزيد سليم والاغر ابن حاتم

فانما هو بيت مولد وليس بحجة على الفصحاء و بيت الاعشى يقفي عليه وهو قوله

شتان ما يومي على كورها   و يوم حيان اخي جابر

و يقولون دابة شموص بالصاد ص شموس بالسين وهي بينة الشماس اذا كانت تقمص عند الاسراج والركوب و يقولون اشرقت الشمس اذا طلعت وهو غلط وانما يقال اشرقت اذا اضاءت وصفت وشرقت بغير الف اذا طلعت

قلت ولا فرق بينهما عند بعض اهل اللسان و يقولون شلت يده بضم الشين ص بفتح الشين قلت لا مانع من ان نقوله بالضم مبنياً للمفعول ومثله اشلت بالالف

و يقولون اشحنت السفينة بالالف ص شحنت بغير الف و يقولون في اذن الجارية شنف بضم الشين ص بفتحها و يقولون شويت اللحم حتى اشتوى ص حتى انشوى وانما المشتوي الرجل الذي يشوي قلت وقد دون الحرفان معاً في هذا المعنى

و يقولون في يد فلان ورجله شقاق وذلك غلط انما الشقاق داء يكون في حوافر الفرس والدواب ص في يد فلان ورجله شقوق و يقولون لما يكون في الحائط وغيره من صدع شق بكسر الشين ص بالفتح فاما الشق بالكسر فهو نصف الشيء والشق ايضاً المشقة و يقولون شللت الثوب بالتشديد اذا خطته خياطة ضعيفة ص شللت اشله شلا بالتخفيف

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون شخص البصر بكسر الخاء وشهق الرجل بكسر الهاء ص فتحهما

قلت فاما في شهق فالكسر مدون في المعاجم مثل الفتح و يقولون شراع السفينة بضم الشين ص الكسر و يقولون الشحنة بفتح الشين ص بكسرها قال شيخنا ابو المنصور هو

اسم الرابطة من الخيل في البلد من اولياء السلطان لضبط اهله وليس باسم الامير او القائد كما تذهب اليه العامة والنسبة اليه شحني وهذه الكلمة عربية صحيحة واشتقاقها من شحنت البلد بالخيل اذا ملأته بها و يقولون للذي تأمره بالشم شم بضم الشين ص بفتحها و يقولون شفعت الرسوابن بثالث وهو خطأ ص شفعت الرسول بآخر لان الشفع في كلامهم بمعنى الاثنين و يقولون للمريض اشفاك الله وهو فساد للمعنى المقصود لان معنى اشفاك القاك على شفا هلكة ص شفاك الله و يقولون للكساء الذي يطرح تحت السرج و يلقى طرفه الى كفل الدابة (الكبش) وهو من تعريب المولدين ولم تعرف العرب ذلك ص الشليل و يقولون في تصغير الشيء (شوي) ص شييء

حرف الصاد

و يقولون صنجة الميزان بسين مكسورة ص صنجة الميزان بصاد مفتوحة و يقولون هو سماخ الاذن بالسين ص بالصاد و يقولون اصرفت الصبيان عن المكتب بالالف ص بغير الف و يقولون امرأة صبورة ص صبور بغير هاء و يقولون الصندوق بفتح الصاد ص بضمه

قلت الفتح وارد لكنه غير مشهور و يقال بالسين ايضاً

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون رجل صعلوك بفتح الصاد ص ضمها و يقولون الصحرا مقصور ص مدها و يقولون الصفر عن النحاس بكسر الصاد ص بضمها

قلت حكى الكسر ابو عبيدة وحده وهو غير معروف انما هو بالكسر بمعنى الخالي يقال مكان صفر من اهله اي خال وهذا بالكسر لا غير والظاهر ان (الفيروزبادي) اخطأ اذ ظن انه يضم بمعنى الخالي والصفر يقع على النحاس الاحمر واللاطون وهو ما يسميه العراقيون (الشبه) والشبه ايضاً عربية وهو بالفارسية (برنج)

حرف الضاد

و يقولون فلان لا يملك ضراً ولا نفعاً ص ضراً بفتح الضاد لا بالضم

قلت و يقال انه يضم و يقولون بفلان اي ببدنه ضعف بالفتح ص ضعف بضم الضاد

قلت الضعف في الرأي مفتوح وفي البدن مضموم و يقولون ذهب مال فلان ضياعاً بكسر الضاد ص بفتحها قلت هو بالكسر جمع ضائع

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون ضمر البطن بفتح الضاد وضم الميم ص فتح الضـاد والميم قلت والاول وارد ايضاً

ويقولون الضفدع بفتح الضاد والدال ص كسرهما قلت وصحح بعضهم فتحها وضم الضاد وفتح الدال ايضاً

والضبع بضم الباء وهو اسم للانثى والذكر ضبعان والعامة تقول الضبع بتسكين الباء وانما الضبع (بالتسكين) العضد ومنهم من يقول في الانثى ضبيعة

قلت وعن الصاحب في الانثى ضبعة وضبعانة وقد جمعوا الانثى والذكر عَلَى ضباع وهناك جموع اخرى . ويقولون قوى الله ضعفك وهذا دعاء عَلَى الشخص لا له ص قوى الله منك ماضعف

حرف الطاء

ويقولون طنفسة بضم الطاء والفاء ص طنفسة بكسرهما ويقولون امرأة طاهرة من الحيض وطالقة من الطلاق بالهاء فيهما ص طالق وطاهر بغير هاء ويقولون طاطيت رأسي بالياء ص بالف مهموزة ويقولون الطيرة باسكان الياء ص الطيرة بفتح الياء

قلت ويقال الطيرة بالسكون كما يقال الطورة

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون اعوذ بالله من طوارق الليل والنهار وهو غلط لان الطروق الاتيان بالليل خاصة ويقولون قرأت السبع الطول (هي سور القرآن الطويلة) بكسر الطاء ص بضمها وانما الطول بالكسر اسم للحبل ويقولون طوبيلك وطوباك ص طوبى لك

قلت قيل ان طوباك لغة وعلى هذا ينزل قول القائل

طوباك ياليتني اياك طوباك

وهو فيما اذكر مولد وطوبى قيل انها مصدر وقيل انها تأنيث الاطيب وهو عند سيبويه اسم جامل للدعاء وذكر الفيروزبادي انها جمع الطيبة وليس بصحيح كما قال ابن سيدة وطيبى لغة بعض العرب وهنا قصة ممتعة تدل على شدة تمسك العرب العرباء بصالحاتهم ولغاتهم حتى كأن وراءهم دافعاً فطرياً يحجزهم عن التفوه بما لا يعرفون . قال ابو عمرو ابن العلاء العالم المتوفى سنة ١٥٤ قرأ علي أعرابي بالحرم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طيبي لهم) قلت له طوبى لهم قال طيبي فعدت فعاد فلما طال علي قلت طوطو قال طي طي فتأمل

ويقولون على وجهه طلاوة بفتح الطاء وهي لغة ص بضمها

حرف العين

يقولون اعبث الرجل بالف ص بغير الف ويقولون في العود والحائط عوج بكسر العين ص عوج بفتح العين في كل ما انتصب وانما تكسر العين في قولهم في دينه عوج وفي الارض ايضاً بالكسر ويقولون هي عصاتي بتاء قبل الياء ص هي عصاي وزعم الفراء ان اول لحن سمع في العراق (هي عصاتي) وقالوا هذه عجوزة باثبات الهاء ص بغير هاء ويقولون عرج (من العرج) الرجل بفتح الراء ص بكسرها ويقولون ايضاً عرج في السلم بكسر الراء ص فتحها لاغير ويقولون عمدت كذا اذا قصدته بكسر الميم ص فتحها وانما يقال عمد بكسر الميم في قولك عمد البعير اذا اشتكى وعمد سنامه

قال العمد في البعيران ينشدخ سنامه ويقال للمحب عميد ومعمود من ذلك ويقولون عجم الزبيب وغيره باسكان الجيم ص عجم الزبيب بفتح الجيم وانما العجم باسكان الجيم صغار الابل ويقولون ماله دار ولا عقار بكسر العين ص بفتح العين والعقار النخل ويقال ايضاً بيت كثير العقار (وقد يضم) اذا كان كثير المتاع ويقولون عفيت عنه بالياء ص بالواو ويقولون عبرت الرؤيا بالتشديد ص بتخفيفها

الزائد من كلام ابن الجوزي

يقولون استكثر من الزاد خوف العوز بكسر العين ص بفتحها ويقولون رجل اعزب ص عزب ويقولون كثرت عيلة فلان ص كثر عياله والعيلة الفقر ومنهم من يقول عائلته وليس بشيء ويقولون للمرأة ايام البناء عروس ص ان يقال للمرأة والرجل ايضاً عروس وفي امثال العرب — كاد العروس يكون اميراً — قال الشاعر

وهذي عروس باليمامة خالد

ويقولون في تصغير عين عوينة ص عيينة ويقولون هذه لغة عمرانية ص عبرانية وقل عايرت الميزان والمكيال وعاير ميزانك ومكيالك ولا تقل عيره وهم المعايرون ولا تقل المعيرون وقل عيرت فلاناً كذا ولا تقل بكذا قالت ليلى

وعيرتني داء بامك مثله وأي حصان لا يقال له هلا

ويقولون لجميع الأغاني عزف ص ان يقال لما فيها عود عزف واذا لم يكن لم تقل لما عزف ويقولون لجميع اوكار الطائر عش ص اذا كان من عيدان مجموعة فهو عش وان كان نقباً في جبل او حائط فهو وكر

حرف الغين

و يقولون هو منديل الغمر باسكان الميم ص بفتح الميم · قلت والغمر الدسم و يقولون اغاظني الشيء وقد اغظتني ياهذا بالف ص بغير الف

قلت و بالالف موجود يقال اغاظه وغايظه وغيظه ايضاً · و يقولون فلان كثير الغيبة في الناس بفتح الغين ص بكسرها و يقولون فلان يغير على اهله وهو كثير الغيرة بكسر الغين ص يغار بالف وهو كثير الغير بفتح الغين

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون الغضارة بكسر الغين والغسول بضم الغين ص فتحهما و يقولون غربت الشمس بضم الراء ص فتحها و يقولون للمطر في اي وقت جاء غيث او مطر ولا مفرق ص ان كان في ابانه فهو غيث وان لم يكن فهو مطر · قلت الظاهر ان المطر اسم عام يقع على السحاب في جميع اوقاته اما الغيث فقد يقال انه المطر الذي تغاث به البلاد في ابان الحاجة اليه

حرف الفاء

و يقولون فقعت عينه وفقيتها ص فقأت عينه بالهمزة و يقولون فال مشدد اللام بغير همز ص وهو الفأل مخفف مهموز · قلت لعله مهموز في الاصل اما الاسم فكثيراً مايحذف الهمز منه · و يقولون فكاك الرقبة بكسر الفاء ص فتحها و يقولون فتح النصارى بفتح الفاء اذا اكلوا اللحم وافطروا ص بالكسر

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون هي الفلكة (الفلكة تل صغير مستدير) بكسر الهاء ص فتحها والفص ايضاً مفتوح الفاء وكسره لغة رديئة

قلت الشائع اليوم ضم فائه وهي لغة ايضاً الا ان الافصح الفتح ففاؤه اذاً مثلثة

و يقولون الفلفل بكسر الفائين ص ضمهما · قلت و بكسرهما مدون ايضاً

و يقولون فلسطين بفتح الفاء ص كسرها و يقولون فركت المرأة زوجها بفتح الراء ص بكسرها

قلت انما هو بالفتح شاذ وليس غلطاً · والفيء لايكون الا بعد الزوال واما الظل فمن اول النهار الى آخره والعامة تسمي الفيء ظلا ولا تفرق و يقولون لبائع الفاكهة فاكهاني والعرب لا تلحق الالف والنون في النسبة الا في اسماء مخصوصة زيد فيها للمبالغة كما

قالوا للعظيم الرقبة رقباني وللكثيف اللحية لحياني ص فاكهي

حرف القاف

و يقولون قتل فلان شر قتلة بفتح القاف ص بكسر القاف والمراد الحالة لا المرة الواحدة فالحالة كالركبة والجلسة والاكلة والمرة الواحدة لاتكون الا مفتوحة و يقولون قد اخذته قصراً بالصاد ص قسراً بالسين و يقولون قنع الرجل بفتح النون اذا رضي ص قنع بالكسر يقنع اذا رضي وقنع (بالفتح) اذا سأل

قلت الفيروزبادي فتح عين الفعل في الاثنين وهو خطأ على الظاهر فانك تقول قنع قنوعاً اذا سأل بالفتح وقنع قناعة بالكسر اذا رضي

و يقولون اقريت الضيف بالف ص بغير الف . قلت قريت الضيف واقتريته ايضاً لااقريته

و يقولون قد قصر الصلاة بالتشديد ص قد قصر من الصلاة بتخفيف الصاد

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون قسطنطينية بتشديد الياء ص بتخفيفها وهي قوارة القميص بضم القاف والتخفيف وكذلك قياس كل ما كان فضلة كالقصاصة والقراضة والعامة تفتح القاف وتشدد الواو

قلت قوارة الثوب مانقطعه مستديراً منه تقول قاره وقوره وكذلك اقتاره . ويقال للانبوبة المبرية قلم لانها قلمت اي قطعت فاذا لم تبر لم تسم قلماً بل يقال انبوبة والعامة تسميها قلماً كيف كانت و يقولون للمسافرين الراجعين منهم والمارين (الذاهبين) ققل ص ان يقال ققل للراجعين خاصة

قلت يعلق في الذهن من الشوارد انهم يقولون للمسافر الذاهب قافل تفاؤلاً بقفوله اي رجوعه

و يقولون القفاء ممدود و يجمعونه على اقفية وهو غلط ص قفا مقصور وجمعه اقفاء ممدود

قلت لم يذكر بعض اهل اللسان جمعه على اقفية ولا لوح الى مده كما في الرسالة ورسمه آخرون ممدوداً اثناء الكلام عليه بعد ذكره مقصوراً في العنوان والظاهر جواز جمعه في الكثرة على اقفية ايضاً اما مده فاما ان يكون قليلا او ضعيفاً مأخذه

و يقولون هذا قوام امرك بفتح القاف ـ بكسرها و يقال مافعلت هذا قط تريد به الماضي لانه من قططت اذا قطعت اي مافعلته فيما انقطع من عمري ولا افعله ابداً والعامة تقول في المستقبل لاافعل هذا قط ولا افعله ابداً وهو غلط وقط هذه مشددة الطاء. فاما قط فهي اسم مبني على السكون مثل قد ومعناها حسب وربما استعملت العامة كل واحدة في معنى الاخرى

حرف الكاف

و يقولون الكتان بكسر الكاف ـ بالفتح ويقولون كافيت الرجل على فعله بالياء بغير همز ـ مهموز و يقولون كلوه بالواو ـ بالياء مكان الواو

و يقولون اكببت الرجل لوجهه ـ كببته بغير الف

قلت لايصح عند كثير من اهل اللسان ان تقول اكبه لوجهه كما تقول كبه لوجهه بمعنى القاه عليه فتعديه بهذا المعنى وانما تقول اكب على الشيء اي لازمه واقبل عليه وهو قاصر غير متعد او تقول كببته لوجهه فاكب لمطاوعة الفعل وهذا قاصر ايضاً وقيل ان هذا الحرف من النوادر التي يعدى ثلاثيها (كب) دون رباعيها (اكب) ومجد الدين الفيروزبادي اجاز ان يقال كبه واكبه ايضاً اما في القرآن فلم يرد الا كبه وجاء في بعض الروايات (فاكبوا رواحلهم) فقيل ان الصواب (كبوا) فالقدر الذي لا نشك فيه ان كبه افصح من اكبه ان لم نقل ان الثانية من الاغاليط

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون اكرة بالف ـ بغير الف (كرة) . قلت في القاموس انها لغية فيها وكذلك هي في كثير من كتب الفلسفة القديمة و يستعملون في الجمع (اكر) اكثر من (كرات)

ونقول كريت النهر اكريه واكريت الدار اكريها والعامة تقلب هذا فيقولون اكريت النهر وكريت الدار و يقولون كفة الميزان بفتح الكاف ـ بكسرها

قلت قيل ان الفتح لغة وقال الاصمعي كل مستدير فهو كفة بالكسر ككفة الميزان وكل مستطيل فهو كفة بالضم ككفة الثوب وهي حاشيته . وكفة كل شيء حاشيته

و يقولون للاناء من الزجاج كاس وان لم يكن فيها شراب ـ انها لا تسمى كأساً الا اذا كان فيها شراب فان لم يكن فيها فهو قدح وزجاجة وقد تسمى قدحاً وزجاجة

وان كان فيها شراب قال حسان

يزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل

ولا يسموها كأساً الا وفيها شراب سموا الشراب كأساً قال الاعشى

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

ويقولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى كافة اصحابه وهو غلط لان كافة مايكف الشيء في آخره فهو كقولك جاء الناس طراً ص ان يقال وعلى آله واصحابه كافة وفي العوام من يقول حدثني كافة الناس ص حدثني الناس كافة ومنهم من يقول حدثني الكافة وهو غلط لان كافة لا يدخلها الف ولام

حرف اللام

ويقولون لص بكسر اللام ص بفتح اللام . قلت الظاهر ان الافصح الفتح قال بعضهم وبالضم لغة وفي القاموس ويثلث

ويقولون لثة بتشديد الثاء وفتح اللام ص بكسر اللام وتخفيف الثاء وجمعها لثات

ويقولون لهوت عن الشيء اذا تركته صليت بالياء لابالواو وانما هو بالواو من اللهو لاغير ويقولون لجيت اليه بالياء ص لجأت بالهمزة ويقولون للشطرنج والنرد لعبة بكسر اللام ص بضم اللام

ويقولون قد لبست عليه الامر بتشديد الباء ص بالتخفيف

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون لحت الشيء بكسر الميم ولحث الكلب بكسر الهاء وهو في ليان من العيش بكسر اللام ص فتحهن قلت الليان الرخاء والرفاهية . ويقولون لثمت فاها بفتح الثاء ولججت باهذا بفتح الجيم ولحست الاناء بفتح الحاء ولعقت العسل بفتح العين ص كسرهن ويقولون اللحاق بكسر اللام ص فتحها وهي لحمة الثوب بفتح اللام والعامة تضمها اما لحمة النسب فبالضم ويقولون لسعته الحية والعقرب ولايفرق ص لسعته لكل ما يضرب بذنبه كالزنبور والعقرب فاما مايضرب بفيه كالحية فيقال لدغ ويقال لما يأخذ باسنانه كالسبع والكلب نهش ويقولون فعلت هذا بعد اللتيا والتي بضم اللام ص فتحها لان العرب اذا صغرت الذي والتي اقرت فتحة اوائلها وزادت الفاً في اواخرها عوضاً عن ضم أولها (للتصغير) فقالوا في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي ذاك وذلك ذياك وذيالك ويقولون لعل فلاناً قد قدم ص لعله قد يقدم لأن لعل لترقب الآتي المستقبل

ويقول بعض من يتفاصح في مثل بغداد والبصرة (ما بين لابتيها مثل فلان) وهذا

خطأ وانما ذاك في المدينة لانها بين لابتين واللابة الحرة وهي الارض ذات الحجارة السوداء

حرف الميم

ويقولون حديث مستفاض ص مستفيض ويقولون حديث مقارب بفتح الراء ص بكسرها . قلت والمقارب من الحديث والدين والرأي وما اشبه ما كان بين الجيد والردي والمقبول والمردود

ويقولون مرأة بلا همز ص بالهمز والجمع مرأتي ويقولون ماء مالح ص ملح ويقولون سمك مالح ص مليح ومملوح ويقولون مغزل للذي تغزل به المرأة بفتح الميم ص بكسرها ويقولون ملحفة ومروحة ومطرقة بفتح الميم ص بكسرها ويقولون ميزر بفتح الميم والطراح الهمز ص بكسر الميم وبالهمزة ويقولون للقراض المقص بفتح الميم ص بكسرها ومنهم من يضمها فيقول المقص

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون المنارة والمرقاة بكسر الميم ص فتحها والمريخ بكسر الميم والعامة تفتحها والمعدن بكسر الدال ومست الشيء بالكسر (وبالفتح ايضاً) ويقولون المطران بكسر الميم ص بضمها قال ابن السكيت يقال اخذ في فوادي مغص (بسكون الغين) ولا تقلها بتحريك الغين ويقولون المروحة بفتح الميم ص بكسرها ولا تفتحها الا ان تريد الموضع الذي تخترقه الرياح قال الشاعر

كأن راكبها غصن بمروحة   اذا تدلت به او شارب ثمل

ويقولون للذي يستصبح على ابواب الملوك منيار ص منوار لانه من النور او من النار ويقولون الميضة لما يتوضأ منه وفيه ص ميضأة ويقولون طريق مخوف ومرض مخوف ص مرض مخيف وطريق مخوف ويقولون (المارستان) بكسر الراء ص بفتحها وبعضهم يتفاصح فيقول البيمارستان وهو اعجمي عرب

ويقولون للشيء المبسوط مبرطح ص مفلطح ويقولون مهندز بالزاء ص بالسين لاغير قال شيخنا ابو منصور هو مشتق من المنداز فصيرت الزاء سيناً لانه ليس في كلام العرب زاء بعد الدال والاسم الهندسة ويقولون لذي الفنون من العلوم متفنن ص مفنن وقد افتن اخذ من كل فن والمتفنن الضعيف وقد تفنن اخذ من الفنن وهو مالان وضعف من اعلى الغصن ويقولون ملاك الدين الورع بفتح الميم ص بكسرها ويقولون هذا شيء معيوب

ومثبوت ص معيب ومثبت وشيء مصلوح ص مصلح . وقلب متعب والعامة تقول متعوب ورجل مبغوض ص مبغض و يقال خاتم مصاغ وشعر مقال و بيت مزار وفرس مقاد ص في الجميع ان تجعل موضع الالف واواً و تقول رجل هيوب يهابه الناس ص مهيب وانما الهيوب الجبان الذي يهاب من كل شيء و يقولون فلان اعله الله فهو معلول وذلك خطأ وانما يقال عله فهو معلول اذا سقاه العلل وهو الشرب الثاني ص اعله فهو معل و يقولون فلان قد جدر (بالتضعيف) فهو مجدور لتكثير الفعل وتكريره وهو خطأ فان الجدري داء لايتكرر ص جدر بالتخفيف و يقولون مقص ومقراض لحديدتين يقص بهما و يقرض ص المقصان والمقراضان

وحكى شيخنا ابو المنصور اللغوي ان النضر مرض فدخل عليه الناس يعودونه فقال له رجل من القوم مسح الله ما بك فقال لاتقل مسح وقل مصح الم تسمع قول الاعشى

واذا الخمرة فيها ازبدت   افل الازباد فيها فمصح

فقال الرجل لابأس فيها بالسين فانه قد يعاقب الصاد فيقوم مقامها فقال النضر فينبغي ان تقول لمن اسمه سليمان صليمان وتقول قال رصول الله

ثم قال النضر لايكون الا في اربعة مواضع اذا كانت مع الطاء كسطر وصطر ومع الخاء كسخر وصخر ومع القاف كسقب وصقب ومع الغين كسدغ وصدغ فاذا تقدمت هذه الاحرف السين لم يجز ذلك فلا يجوز ان تقول خصر وخسر وقسب وقصب وطرس وطرص

حرف النون

و يقولون انشه الله اي رفعه بالالف ص بغير الف . قلت انعش مثبت عند بعض اللغويين ولكن الجوهري يأباه

و يقولون انجع فيه الدواء بالالف ص نجع بغير الف . قلت ونجع مضعفاً وانجع ايضاً مدونان

و يقولون قد انشوت في نعمه بالواو ص نشيت بالياء و يقولون مكان ندي بتشديد الياء ص ندٍ منقوص و يقولون نصحتك ص نصحت لك . قلت انما نصحت لك افصح والا فان نصحتك موجودة وكثير استعمالها

و يقولون النكس في المرض بفتح النون ص ضمها و يقولون ابو نواس بفتح النون

وتشديد الواو ص ضم النون وتخفيف الواو و يقولون تركته ص باللام(نثل)و يقولون جاء نعي فلان بسكون العين ص كسر العين و تشديد الياء وانما النعي بتسكين العين هو مصدر نعيته نعياً و يقولون نشقت ريحاً بفتح الشين ص بكسرها و يقولون مائة ونيف بتخفيف نيف ص تشديده . قلت قيل انه قد يخفف وقيل هو لحن عند الفصحاء و يقولون نبحت عليه الكلاب ص نبحته الكلاب

حرف الواو

و يقولون اوعدت الرجل يريدون الخير ص بغير الف و يقولون الوداع بكسر الواو ص بفتحها و يقولون اوعيت العلم اذا حفظته ص وعيته بغير الف و يقولون في صدره علي وغر بتحريك الغين ص اسكانها قلت ويحرك

و يقولون للحمل وقر بفتح الواو ص بكسرها وانما الوقر بفتح الواو الثقل

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون الوقود بضم الواو يعنون الحطب ص بفتحها و يقولون هذا الاناء قد وسع الطعام بفتح السين ص كسرها و يقولون لدويبة اصغر من الضب الورن بالنون وهو خطأ ص باللام وجمعه الورلان وقرأت على شيخنا ابي منصور قال لم يجتمع الراء مع اللام من لغة العرب الا في حروف يسيرة هذا احداها وارول جبل معروف وجرل وهي الحجارة المجتمعة .

حرف الهاء

و يقولون هجيب الرجل بالياء ص بالواو و يقولون الناس في هرج بفتح الراء ص باسكانها فاما الهرج بفتح الراء فهو ان يسدر البعير من شدة الحر وشدة الطلاء بالقطران

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون هاتم وهاتموه ص هاتوا وهاتوه و يقولون فيما يشيرون اليه هو ذا ص هاهوذا . قلت و يغلط كتاب العصر هنا كثيراً

و يقولون هوى الشيء اذا هبط ص ان يقال هوى الشيء سواء كان هابطاً او صاعداً قال الشاعر

بينما كن في ملاكة فالقـ ... ـاع مسراعاً والعيس تهوي هوياً
خطرت خطرة على القلب من ذكر ... اك وهناً فما استطعت مضياً
قلت للشوق اذ دعاني لبيـك ... وللحاديين ردوا المطيا

قلت يقال ان الهوي بالفتح للصعود وللهبوط اما البيت فيشبه ان لايكون شاهداً في المقام لان الهوي في السير المضي فيه دون قيد اصعاد او انحدار

حرف الياء

و يقولون نظرت شملة و يمنة ـ يمنة وشامة و يقولون فلان لايحلي ولا يمري ـ لايحلي ولا يمر و يقولون فلان مايتدى عَلَى اصحابه ـ مايتندى عَلَى اصحابه

الزائد من كلام ابن الجوزي

و يقولون مص يمص وشم يشم بالضم في المضارع ـ بالفتح و يقولون يسوى القماش يساوي قلت يساوي افصح و يسوى قليل

و يقولون للمعرض عنهم هو يلهو عنا ـ يلهى بفتح الهاء يقال لهى عن الشيء يلهى اذا شغل عنه و يقولون الفأر يقرض بضم الراء ـ بكسرها قال ابن دريد ليس في الكلام يقرض (بالضم) البتة

باب

يشتمل عَلَى ماوضعته العامة في غير موضعه

وهو من كلام الخليل ابن احمد البصري

فمن ذلك اشفار العين تذهب الناس الى انها الشعر الثابت عَلَى حرف العين انما الاشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر والشعر هو الهدب

فصل

ومن ذلك الطرب يذهب الناس الى انه الفرح دون الجزع وليس كذلك انما الطرب خفة تصيب من شدة السرور اومن شدة الجزع ومن ذلك الرفقة يسمونها قافلة ذاهبة وراجعة ـ ان تسمى قافلة اذا رجعت ومن ذلك الحشمة يضعها الناس موضع الاستحياء وليس كذلك انما هي بمعنى الغضب و يقولون للمصيبة مأتم وكنا في مأتم يريدون بذلك المصيبة وانما المأتم النساء يجتمعن في الخير والشر والجمع مآتم ـ ان يقال كنا في مناحة والحمام يذهبون الى انها الدواجن التي تستفرخ في البيوت خاصة ـ ان الحمام ذوات الاطواق مثل الفواخت والقماري والقطا و يسمون الظل فيأ يذهبون بذلك الى انهما شيء واحد ـ ان يكون الظل غدواً وعشياً من اول النهار الى آخره والفيء لايكون الا بعد الزوال فلا يقال لما قبل الزوال فيء وانما سمي بالعشي فيأ لانه ظل فاء عن جانب الى جانب اي رجع من جانب الغرب الى جانب الشرق والفيء الرجوع و يجعلون ايضاً الفقير والمسكين

شيئاً واحداً فالفقير الذي لايملك شيئاً والمسكين الذي له بلغة من العيش و يجعلون الكذب والخلف شيئاً واحداً فالخلف لما يستقبل وذلك ان تقول سأفعل كذا ولا تفعله والكذب فيما مضى وذلك ان تقول فعلت كذا ولم تفعله و يغلطون فيقولون قد احتسب له ابن او بنتاً اذا ماتا صغيرين او كبيرين انما الصواب ان يقال احتسب ابنه و بنته اذا ماتا كبيرين فان ماتا صغيرين قيل افترط فرطاً و يقولون فلان حسيب يعنون بذلك انه جيد الآباء ماجدهم وذلك غلط انما الحسيب في نفس الرجل يقال رجل حسيب وان لم يكن له آباء اشراف وامجاد فان كان ماجد الآباء شريفهم قلت رجل شريف او ماجد لاغير

باب الخفيف

و يقولون اختفيت من كذا اي استترت وانما الاختفاء اظهارك الشيء ص ان يقال في الاستتار استخفيت و يقولون آخر الداء الكي ص آخر الدواء الكي وقال آخرون آخر الطب الكي و يقولون شن عليه درعه اي صبها بشين معجمة ص بسين مهملة وانما يقال شن عليهم الغارة بشين معجمة اي فرقها وكذلك شن الماء على شرابه اذا فرقه عليه فان اراد ان يصبه عليه صباً سهلاً قال سن الماء على وجهه بسين مهملة و يقولون هزل الرجل والدابة بفتح الهاء ص هزل بضم الهاء وكسر الزاء في الرجل والدابة من الهزال وانما يقال هزل بفتح الهاء والزاء في المزح خاصة و يقولون خمست القوم اخمسهم وعشرتهم اعشرهم بضم الميم من خمست وضم الشين من عشرت اذا صرت لهم خامساً وعاشراً وليس كذلك انما الصواب اخمسهم بكسر الميم واعشرهم بكسر الشين الا الاربعة والسبعة والتسعة فانك تقول فيها اربعهم واسبعهم بالفتح

النجف محمد رضا الشبيبي

مباحث لغوية[(١)]

كلمتان لهما من مناقب الحرب والجدال ما لاعظم الامم المجاهدة وان الخوف ليأخذ مني مأخذه امامهما وكأني اسمع تلك المشاتمات التي علت زمناً كلما اردت ان اخطو خطوة الى حماهما. وكذلك فأن المناقشات اللسانية عندنا كثيراً ما ظهرت في شكل المناقشات اللغوية على اني لم املك نفسي اليوم من ان اكتب شيئاً في هذه المسألة وانا اعلم ماضيها المهيب وما ذلك لاني أراها سهلة ذات جاذبة بل لاني اجدها في هذا الزمن الأخير تحتاج الى بحث وتدقيق على انه لو لم يكن هذا الاحتياج وسيلة كافية للعود اليها لكان لنا من تلك المسابقة [(٢)] التي اخترعتها شهبال اكبر سائق للتمسك بأهدابها.

---

(١) معربة عن مجلة شهبال التركية

(٢) وضع ثلاث مسابقات. الاولى: ان يترجم الى التركية نظماً احدث هذه الآثار الموسيقية (ابداء قارمن ماسقوت) بشرط ان يكون الوزن واللحن. وافقاً للاصل وللمجيد ١٠ ليرة. الثانية: ان يترجم الى التركية أمراض الحافظة وامراض الارادة أو أمراض الشخصية لمؤلفها ريبو احد فلاسفة فرنسا وللمحسن ١٠ ليرات والثالثة ان تجد لاثنتي عشرة لفظة اجنبية مقابلاً عربياً اوتركياً أوفارسياً على ان يكون المقابل كلمة واحدة اوفي حكمها والجزاء ليرة واحدة فلو اشترك العرب بهذه لخدموا لغتهم خدمة تذكر لأني اوقن بحرنا الخضم ان نجد فيه درراً تقابل تلك الدرر وتفوقها

فيحسن لدى العرب والترك استعمالها وبهذا يحيا موات اللغة اوتشتق — ان لم تجد — اسماً من فعل معناه يناسب معنى تلك الكلمة وبهذا يتسع نطاق اللسان. وهاهي الكلمات التي طلب مقابلها جعلت حذاءها ما ارسله لها الادباء واختارته ادارة شهبال من المثات كمقابل موافق لتلك الكلمات

bibliographie كتبنامه، كتبشنامى، كتبشناسلق ورجحها على قول من قال: مبحث كتب، معرفت كتب، كتب منتشرة، فهرست آثار، تصنيف كتب، مبحث أحوال كتب، علم أحوال كتب، اسامئ كتب، مدارك كتب، مراجع كتب جامع آثار تصنيف مؤلفات فهرست مؤلفات، تدقيق مؤلفات

boycottage مقاطعه، مقاصره ورجحها على نبذ اقتصادي، نبذ تجاري، تجريد، تحريم

نعد من الاستيلاء أنواعاً فنقول الاستيلاء السياسي والاستيلاء الاقتصادي الخ وله نوع آخر لطيف يتميز عن غيره بأنه يطلبه من يريد هو ان يستولي عليهم الا وهو الاستيلاء العلمي فلا اصول الحماية في المكوس ولا بناء السدود ولا جمع الجيوش في الحدود يمنعه ان كان مقدراً . يمر مثل الطيارة من فوق هذه جميعها وهو آمن في سربه يتبختر حتى يصل الى المحل الذي تخير . يأبى عليك ان دعوته ويجور عليك ان تركته ، وهو كضياء الشمس يحرم من الحياة من لم يتطلبه . ان رمت ان ترفع اليه فاخضع وان

---

caprice مراق ورجعت على هاجس تلون ، كيف ، ذوق سليم

club محفل ورجحها على منتدى ، مسبط ، مجمع ، دار العارفين ، نادي ندوه . . .

concert مطربه ورجحت على مسامره ، مسامره ، موسيقيه ، حفله موسيقيه ، جميت .

conférence خطابه ، موعظة ورجحها على خطاب ، خطبه ، مشاوره ، مداوله ، محاضره ، مجلس مكالمه ، موعظه ، مؤتمر ، مخاطبه

décort نكار ورجحت على تزيينات ، زينت ، مزينات اثاثية ، اثاث تزيين ، تجملات .

monologue سجال سو بله نبش ، تكالم ورجحها على بسط حال ، وسوسه نطق مداح كليم مجراس

paradoxe بداعت ورجحت على غريبة ، عجيبة ، اعجوبة ، نادره ، فاذه تباين خوارق ، خارقه

surprise مفاجأة ورجحت على مفابصه ، حيرت بغتة ، بغتة ، تحبير ، مغفلة محيره تصادف غير منتظر

taximètre پاره ساعتي اجرتنما مسافه نويس . ورجحت على مقياس مقدار ميزان مسافه مقياس في

caricature مجورسمي ، تصويرهجائي ، رسم هجائي رسم هجوي ، مضحكه ، مستهزأه ، لوح مخيل ، لوحه هجو ، تهزيل ، رسم مفضح وهنا والله مجال واسع للعلم ويا ليتني كنت من اهل هذا الميدان حتى حات فيه ولئن ساءني اني قصرت عن ذاك فانه ليسرني املي بأن ارى اللغويين من قراء المقتبس لا يضنون بما عندهم ويشمرون الساق ويخوضون هذا البحر مع من يخوض

شئت ان تكون حراً فاستسلم اليه امراً .... ماشد تضرعنا لاعتابه الآن ! نذهب أفواجاً الى برلين وباريز ولوندرا ونيويورك حتى الى يابان ولسوف ندعو سنين عديدة ان يجيبنا لطفاً منه وتفضلاً فاذا اجاب فلسوف يحملنا من غير شفقة علينا

احماله الكثيرة ذرة ذرة   نعم ذا تذلل ولكن العز فيه

***

ان اصلح احتلال يصلح هو الاستيلاء العلمي ولكن اذا تأخرت قليلاً قليلاً عن تدارك مايلزم لثوائه — اعني الكلمات والاصطلاحات — فانه يأتي بها من عنده . اما هو فهو من النجابة وحسن العشرة بمكان واماتوابعه اللفظية فانهاو باللاسف شكسة شرسة سيئة العشرة فاذا رأت قليلاً من التسامح هجمت عليكم فأذهبت حسن الذوق من أفواهكم

فأن كنتم تحبون ان تدفعوا عنكم هذه التهلكة فبادروا باحضار الكلمات والاصطلاحات .

هذه احدى حاجاتنا التي لاتتناهى . نحن اليوم في موقف اذا اردنا ان نحفظ استقلال لساننا — كما نحفظ استقلال ملكنا — وجب علينا فيه ان نزيد — كما زدنا قوة الجيش — كتيبة كلماتنا ونتسقها وننظمها . وكما انه من الفرض منع نفوذ الغرب اذا اخذنا حضارته فكذلك من اللازم وضع سد منيع امام حلول لسانه عندما نأخذ علومه وفنونه . ولكن نرى معيشتنا الجديدة تسهل علينا سرعة اختلاط اللغات . دخلت بيننا اليوم كلمات كنا ننظر اليها بعين غريب قبل ثلاث سنوات مثلاً

قار بكاتور يست آنكت پارلمانتير ديموكراسي بو بكوتاژلخ ولست اشك في انه سوف يتزايد هذا الحلول الوخيم بسائق المدنية وحرية المداولات .

لست ممن يميل الى الفرار من الاجانب واني لارى من الافراط ان نطرد من حدودنا كلمات تتركت (١) ونقيم بدلها كلمات من مصنوعاتنا المحلية . ولكنني اعد ذلك ربما كاذباً ان كانت كل افادة جديدة تحوجنا الى اخذ كلمة غريبة واقول انه لا ينبغي من الآن فصاعداً ان نترك دائرة ملك لساننا مفتحة لكل طفيلي من الكلمات غريب ولو عنينا بهذه القاعدة الى الآن وتجشم كل محرر كلفة اختراع كلمة تركية مقابل كلمة اجنبية يرى نفسه مضطراً الى استعمالها لما كان تكدر صفو لساننا بتلك الكلمات المبرقشة التي تباين لهجتنا ولكان لتلك الكلمات المخترعة رجاء في حياتها عند من يسمعها لاول

(١) مثل پوسته ، تلغراف ، شمندوفر ، واپور

مرة ويثملها . ابداع اصطلاح جديد لنا اليه حاجة ووضعه في زي معقول مقبول هو اصعب من تبديل كلمة عمت . وكم من كلمة جديدة احدثها اهل الفضل والاحسان من الكتاب دخلت منذ زمن غير بعيد الى ا اتنا وهي تستعمل فيه بكل رشاقة [1]

حتى انه لا يمكنني ان اسمي الواضع واين كيف تلقاها الناس منذ وضعها الى الآن واصور صفحات حياتها واني لاذكر بعض تعبيرات لم يتم دور تأليفها ولم يمض عليها عمر تشتد فيه قوتها بأن يقبلها فيما يكتبه كاتب غير الذي اخترعها وها نحن نرى احد الكتاب المحترمين استعمل ثلاث او اربع مرات كلمة «ذهنيت» بمعنى mentalité [2] واني بدون أن اناقش في مكانتها اللغوية — حتى ولو كان فيها غلط من جهة — فاني ارضى باستعمالها بكل منة لانه لا ينبغي للعطشان ان يرد نصف قدح من الماء اذا لم يجد كأساً دهاقاً . ولا ريب في ان المترجمين من بين الذين خدموا الوطن بافكارهم واقلامهم هم اكثر الناس تشكياً من النواقص اللغوية والاسلوبية [3] في هذا اللسان . ان الافكار الجامحة التي فهمت ولكنها استعصت على من فهمها ان يفهمها غيره هي غول المترجمين ان معرفة اللسانين -- كيفية وكمية — لها دخل عظيم في اداء الترجمة حقها لكن لا ينكر ان اقدر الناس ترجمة تفتاب القينة بعد القينة حمى الحمية المتولدة من فقر اللسان عند ما يترجم كتاباً له قليل علاقة بدقائق الافكار والمعاني

انها لا تزول جميع المشاكل باختراع كلمة تقابل كلمة اجنبية اذ انه يوجد طرق مختلفة في اداء البيان يستحيل ان يؤدي مآلها بتلك البلاغة بوسائط أُخرى . وهذا القسم من الرقي في الأسلوب مؤخر عن تكامل الكلمات وابطأ منه سيراً فيجب علينا اليوم

(١) استثمار ا - تهداف ا آبده انسياق مقابل viser' explaiter instinct momument للكاتب

هل عند قراء المقتبس كلمات احسن من هذه تقابل الكلمات الافرنسية تمام المقابلة ام نقبلها على علاتها وتكون في العربية مثلها في التركية مقابلة لهاته اللغات للمترجم

(٢) يومي الى د . ك ومقالاته في صباح اذ لم ار انا قبله من استعملها وهنا نسأل قراء المقتبس ايضاً عن كلمة اخرى اوفق للقواعد الصرفية وتؤدي المعنى المراد حق الاداء

(٣) راجع جريدة المقتبس ٧٥٨ : وفي التعريب من الصعوبة ما لا يتذوق مريره الا من يعانيه من المصنفين ولا سيما في وضع الاصطلاحات العلمية وصوغها بلفظ عربي مبين ... وفيها (اي تلك المصنفات) .. الجمل الغثة الباردة والتراكيب الركيكة

اذاً ان نعجل في رقي الكلمات فقط

حدود رخصتنا في ابداع الكلمات

كل يوم ينال لساننا قطرة لفظ او معنى تسير به سيراً مطرداً وان كان غير محسوس فتوسعه حتى تجمعت لدينا في ربع عصر كتابة كلمات لو كان من الممكن ان نخابر اجدادنا لامكننا — مع فضلهم المحتمل — ان نملأ لهم صحائف مكاتيب طويلة عريضة بتركية لا يفقهونها . فمن اين اتت هذه الكلمات الجديدة مسألة ؟ ذات بال :

كان التجدد في الماديات والمجردات يأتينا و يأتي معه باسمائه فكلمة تياترو ، غزته ، دوكتور ، اومنيبوس ، لوكوموتيف ، ميكروب ، بروتستو ، تواليت ، بيانو ، انسيكلوبيديا الخ وغيرها مما نتوالى لو اوردنا عدها دخلية دخلت بيننا لانها لم تترجم بكلمة معقولة تقابلها ومهما كانت لهذه الكلمات من السلاسة اللفظية في لسانها فلا احد ينكر انها تستثقل عندنا لتباين اللهجتين .

وما عدا جماعة هاته الكلمات الاجنبية التي تعيش معتزلة عن كلماتنا اعتزال الاجانب في بلادنا عنا فانك تجد معمورة لسانية أسست من مولداتنا القومية وضعها ارباب الحمية من الكتاب هي اصل الثروة عندنا على ما ارى . واني لاذكر على وجه المثال بعض كلمات من تلك الكلمات المحترمة المجاهدة التي تسعى في قضاء حاجاتنا المبرمة : تدرج ، صائت ، صامت ، عنعنه ، تعويض ، تصويت محيط ، كراسة ، واحه ، طياره ، احصائيات [1]

ان الكلمات الوطنية و باللاسف نتألم لسوء طالعها من انها عرضة للاستثقال من لدن اهلها اكثر من الكلمات الاجنبية اذ انا في الاغلب نعامل اصطلاحاتنا الجديدة معاملة شديدة ، ولا ترى تلك الكلمة العثمانية المحدثة في وجهنا اثر تبسم مقدار ماتراه كلمة غيرها اجنبية . نحن اولاء اهل العنف والشدة نوقف تلك الكلمة المسكينة امامنا ونفحص عن حسبها ونسبها ثم نتوهم لها عيباً في زيها وحضارتها ورشاقتها كأنه شرف لها ان تكون مملوكة لنا واما الالفاظ الاجنبية فانها ترى منا حسن المعاملة كأن بها نفخرنا فلا نسأل — وحاشاها — من اين اتت او ذهبت ونرى البحث عن زيها وحضارتها ورشاقتها منافياً لعلو شأنها وان لها عندنا زلفى . وكيف لا تمن علينا وهي في الاغلب برهان

(١) وهي تقابل Voyelle. nuance · conson · traditione·
fascicule · milieu . résonance . compensation
statistique . aéroplane . oasis

الكاتب

لنا عَلى عرفاننا وتحصيلنا ولذلك نرى الشرف بالانتساب — ولا اقول بالمالكية لما تأدينا — اليها ·

ان من ينظر الى الكلمات المحدثة بعين الشبهة ليسوا سواء في اصولهم · فمنهم من يعترض عَلى اساس الابداع ويقول لاحق لنا بايجاد اصطلاح تركي او عربي او فارسي · — لو أردت ان اقايس اللغة بالسياسة لوسمت هؤلاء باسم جديد لايحبونه باسم مرتجع لانهم يريدون ان يقفوا — وهو الارتجاع — باللسان حيثما هو واقف · وانا اترك هؤلاء وحدهم بين تلك المشاكل التي تحيق بهم عندما يرومون ان يفهمونا شيئاً فاماان يفطنوا لغلوهم في افكارهم فيميلون الى الاعتدال واماان يذهبوا بخطإهم — كداء عياء لايرجى شفاؤه — الى آخر العمر ·

اما في الصورة الثانية فمن الاسراف في المنطق ان يدعي الانسان في اقتناعهم واما في الصورة الاولى فيكفيهم مانورده الآن ·

ومنهم من يعارض طرز الابداع لااصوله وليس لهم ادنى ارتباط بالارتجاع اللساني وهم —ان جاز التلقيب— الاحرار المعتدلون · يقول هؤلاء :لنطلب كلمات جديدة لعلومنا الجديدة ومشاعرنا ولكن تلك الالفاظ التي نجدها ان كانت عربية او فارسية وجب ان تكون مستعملة عند اهل ذاك اللسان ولا ينبغي لنا ان نشتقها نحن من عند انفسنا اذ لاحق لنا بالتصرف في مايملكه لسان آخر · ان لهذا الكلام الذي يوصينا بالحرية المعتدلة حظاً عظيماً من الصحة ولكن تزلزل بعض مايستندون اليه يمنع من ان نستخرج نتيجة صادقة ·

يقولون : « لاحق لاحد بالتصرف في ملك لسان غيره » لقد صدقوا ولا ادعي خلاف ماذكروا ولكن ارى نقطة فارقة : امن التصرف في ملك العربي والفارسي ان نشتق كلمة من احدهما وفقاً للقواعد ونستعملها في لساننا ؟ فلو لزم عَلى الفرض ان نجد اسماً لتلك الآلة المسماة fiche وهي التي تستعمل لتصنيف الاوراق في اصول الملف « الدوسية » وقت انا وتجاسرت — لما ارى بين مادة « ficher » و « نشب » من التعادل — وكلفتكم قبول كلمة نشيبة عَلى وزن فعيلة فماذا تقولون ? — لم تستعمل العرب بعد كلمة بهذا الوزن من نشب ولذلك لايجوز ان نستعملها · اهكذا كنتم تدعون وتعانون · فسنا واشتققنا فما بالكم تعترضون وكل يوم نرى معاني الالفاظ العربية والفارسية في لساننا تعم وتخص وتتغير ونرى بعض تراكيب لم تسمع في العربية ولا في

الفارسية ثم لايتبس احد ببنت شفة . انسكت اذا لم نجد كلة صالحة في لغتنا القومية لاداء المعنى الذي نريده ولم نرها حاضرة في اللسان العربي والفارسي وهما منبع اقتباسنا ام نقبل التعبير الاجنبي بعينه ؟ وشق آخر مضحك وهو ان ننتظر العرب والعجم يحسون بهذا الاحتياج الذي نحس به و يخترعون لنا الكلمة اللازمة . انجد ظل رقي للسان في هذه الاحتمالات الثلاثة ؟!

كنت ادرس انا ورفيق لي بعض آثار الغرب الفلسفية وكلما وقف بنا اصطلاح صعب الترجمة قال لي ذاك الشقيق : اترى تلك الامة المعظمة تسكت اذا ارادت ان تؤدي هذا الفكر ! — هيهات ! سكتت عن تلك الافكار وعن اخرى مثلها لاتحصى على ان رفيقي لم يعتم ان فهم تلك الحقيقة المفجعة . وهاك ترى ان تلك الامة المعظمة مفتقرة الى كلمات كثيرة واشكال بيان عديدة ولئن ساغ لنا ان نتأخر في احداث اشكال البيان لتأخرها الطبيعي كما ذكرت فانه لايجوز ان نتأخر لحظة في اختراع الكلمات ولو بتحكم .

هذه حال جميع الالسنة التي تريد ان لاتموت وتحب ان تسير مع رقي الزمان كتفاً لكتف . كم من كلة في الانكليزية والافرنسية حتى وفي الالمانية التي اشتهرت ثروتها في الاشتقاق اقتبست بتحكم يسير او غير يسير من لغة اخرى ميتة او حية . فقولنا للسان كالتركي نسي منذ امد مديد تكامله في دائرته القومية لايسوغ لك أن تقتبس من هنا ولا يجوز لك ان تأخذ من هناك . وان أخذت فأن عليك شروطاً انت بها مقيد — ولعلها شروط يستحيل اداؤها — فهو امافتل له واما اسر بين يدي تلك العناصر الاجنبية .

فكتب اليه الاديب الفاضل ا . ك .

ايها الكاتب المحترم !

اصبتم اذ خصصتم قسماً من صحائف شهبال للمباحث اللسانية فقد سر ولا ريب كل من له امل بنمو هذا اللسان . وان اردت الحق فأن احتياج هذه الامة الى الاصلاحات اللسانية كاحتياجها الى الطرق والجسور والمرافئ والمصانع بل تلك اهم واعظم . لانه يقال ماذا عسى ان يكون لامة لالسان لها

ذكرتم نقص اللغة والاسلوب الذي جعل المترجمين يشتكون منه فهل مما ينظر اليه بعين التسامح مانراه من الفساد وعدم الاطراد في الاملاء ؟ فما هذا الشكل المشوش في

املائنا ؟ اذا كانت نظارة المعارف لانفكر في اتخاذ تدبير بجمع اوانهـا لانقدر ان تفكرا او انها تفكر وليس في وسعها ان تطبق ماتريد فقد وفى الواجب حقه اركان الصحافة التركية مثل شهبال وغيرها اذا فتحوا لهذا البحث صحائفهم .

ايستحق المؤاخذة من يضع المشكلات امام كلمات تدخل الينا من جديد ؟

اذا كنا كذلك فهذا اثر صلاح يحق لنا ان نسر به لاننا لم نتباعد ولا قليلاً في التصرفات اللسانية عن هذا الاهمال مرض اجتماعي اشتهرنا به في جميع شؤوننا وكانت نتيجته ان امتلأ لساننا بالكلمات الاجنبية وتغير معنى كثير من الكلمات التي أخذناها من العربية والفارسية متبعين فياضين لاثراء لساننا .

فلو طلبنا قبل التصاق الكلمات الاجنبية بلساننا مقابلها واخذنا الكلمات العربية والفارسية بمعانيها الصحيحة لخدمنا لساننا خدمة يتدرج بها الى الكمال واني لآمل ان يشترك جميع ارباب القلم بكل ارتياح بتلك المسابقة التي وضعتموها رجاء اختراع كلمات تقابل تلك الكلمات الاجنبية . وان مداولة الافكار في ساحة المطبوعات ليكونن سداً منيعاً امام تلك المخاطرة اعني استيلاء الكلمات الاجنبية . ان من يقول ان لا اذن لنا في اختراع كلمة تركية او فارسية او عربية لم يقل شيئاً ولكن من لايرى اتباع قيد لساني عند وضع اصطلاح جديد يضمه لسلسلة اللغات العثمانية فهو عندي ايضاً على غير شيء . اذا كانت الكلمة المخترعة تركية فبها والا فأن كانت عربية فأني احب ان اقول : انه ينبغي ان تكون مما يحويه اللسان العربي وان تكون مما يجوز استعمالها قواعد ذاك اللسان .

ان المناسبة المعنوية بين Fichet ونشب ظاهرة جداً ولكن اذا كانت العرب لم تستعمل صفة مشبهة من مادة نشب فأنك تصيب ، على مااظن ، من لايهش اليها ولو كانت من السلاسة بمكان ويقول : « لنا الحق بأيجاد كلمة جديدة تدل على فكر جديد بدون جديد ودونها الى مجموعة اللغات العثمانية ولكن لاحق لنا باختراع كلمة عربية في لساننا التركي » .

لابد ان نشير الى كلمة « نشيبة » الجديدة عندما ندخلها الى لغتنا بأنها عربية ولكن العرب لايقبلونها بين كلماتهم العربية بدعوى ان نشيبة من مادة نشب غير مستعملة عند العرب . افلا يكون هذا من الغرائب ؟ !

نعم قد تغير معنى بعض كلمات عربية في لساننا مثل كلمة « تحسس » من مادة « حس » فان معناها في العربية طلب الشيء والبحث عنه فهل نقصد بها هذا المعنى بعينه اذا قلنا

نحسات وطنبورونيه ? — لا · وكذلك بعض المصادر الثلاثية فقد جرى على لساننا مزيدها خلافاً للعرب ومنها « تسرير » فانه وان يكن موجوداً في العربية الا انه بمعنى بلغ ماء النهر او الحوض سرة الرجل · فهل نستعمله نحن بهذا المعنى ? قال ارباب القلم من الاتراك في انفسهم يشتق من الفرح تفريح فهلا يشتق من السرور تسرير فعلوها وزادوها كلمة مغلوطة لاتقبلها العرب بالطبع بين الكلمات العربية · على ان هذه الاحوال لاتكون لنا سنداً يساعدنا ان لا نتبع قيداً في احداث كلمات جديدة لان الباطل لايقاس عليه ولنا احتياج لنعلم العربية فينبغي ان تنفعنا في العربية تلك الكلمات المستعملة في التركية ومن الغرائب بل من المؤلمات ان لا نقدر ان نستعمل في العربية كلمة عربية نستعملها في التركية او ان نضطر الى استعمالها بغير معناها الذي نعهده · فعلنا ذلك ولكن ينبغي ان لانفعلها بعد هذا وان لانزيد في سقطات لساننا · رأيت في احدى جرائدنا التركية قبل سبع او ثماني سنوات ان في مصر وجدوا مقابل « كارت دو ويزيت » تركيب بطاقة الزيارة اما البطاقة فهي موصلة (بوصلة) توضع بين الامتعة يكتب فيها مقدار تلك الامتعة وقيمتها فاقتبسوا تلك الكلمة واحدثوا هذا التركيب وهو جميل يقابل الافرنسي كل المقابلة · وانا اظن ان امثال محرر شبال من ارباب القلم ممن لهم قدرة كافية في اللسان اذا تعمقوا في ابحاثهم وجدوا اوفق مقابل للكلمات الاجنبية التي تدل على معان وافكار جديدة

***

هذا ماوددت تعريبه وانا ارى تلك المسابقة الثالثة وما يتلوها من امثالها فرصة لتكثير سواد الكلمات العربية فاغتنموها وعند كم من علت اللغة بلحييه فلا يعسر عليه اذا سئل ان يجيب من غير تردد بما يوافق المطلوب · وعلى الجرائد العربية والمجلات نقل هذه المسابقات عيناً اولا وترجمة الكلمات الاجنبية بجملة — لابكلمة — تؤدي معناها حق الاداء ثانياً حتى اذا كان رجل يحسن اللغة العربية ولا يعرف الاجنبية فلا نحرم من علمه و ينظر الى المعنى الذي ذكرناه له بجملة او جمل فينتخب له كلمة توافقه فنقول له مثلاً ماذا تسمى آلة من خشب او حديد تسمر على جدار وفيها أعواد يعلق عليها الثياب فلا أظنه الا قائلاً لكم يمكن ان تسميها شجاراً · وان تضع من نفسها مسابقات أخرى مثلها ثالثاً ومن كان منها ذات ثروة جعلت للمجيد جائزة على اني ارى اكبر جائزة للعالم ان يخدم لغته وان يقال انه ابو عذرة هذه الكلمة · وكيف يجوز لنا ان نبقى

على الجياد وان تنظر من بعيد وغيرنا يتصرف في لغتنا كيف يشاء ولست اريد بذلك ان تمنعهم عن الاقتباس والتصرف لكني اريد ان يعلم اخواننا العرب ان من الواجب عليهم ان يشتركوا في تلك المباحث اللغوية ولو بلغتهم ان لم يعرفوا التركية ويناقشوهم حتى يتبين الحق فنفيد ونستفيد · نفيد اخواننا الاتراك اذ نعطيهم كلمة خالية عن الغلط الصرفي مؤدية لمعنى المرادهم في حاجة اليها ونستفيد اذ نحن ايضاً احوج منهم الى امثال تلك الكلمات

روم ايلي ر·ب

الالقاب العلمية

ليس في الايدي مستند يركن اليه في تاريخ حدوث الالقاب العلمية في الملة الاسلامية والظاهر انها حدثت في النصف الاخير من عهد بني العباس وشاعت وتأصلت زمن ملوك الطوائف ثم على عهد الدولتين الجركسية والعثمانية في هذه الديار ايام اصبح العلم عبارة عن رسوم والعلماء هم الذين يقربهم الملوك والحكام ولو كانوا اجهل من قاضي جبل بل اصبح امر الالقاب اقرب الى الهزل منه الى الجد فصارت جملة « اعلم العلماء المحققين » تطلق على كل صعلوك نال منصبه في القضاء او الافتاء او التدريس بالشفاعة أو القرابة أو الارث لان العلم في الثلاثة القرون الاخيرة اصبح يورث كما يورث الماعون والحرثي والعقار والمزرعة

نعم غدت الالقاب العلمية التي لم تطلق على ابي حامد الغزالي وابي عمرو الجاحظ وابي الوليد ابن رشد وابي النصر الفارابي الاشق الانفس تطلق على من يحتاجون ان يرجعوا الى الكتاب بل على عامة ليس لهم من أدوات العلم الا انهم اهتموا بالبياض ولبسوا الجبة على الزي المتعارف لهم وان الفاظ العالم والعلامة والامام والرباني [1] والحبر [2] التي لم تطلق على اكثر حملة

(١) الرباني العالم المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلوم قبل كبارها وقال محمد بن علي بن الحنفية لما مات عبد الله بن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وروي عن علي انه قال الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع واتباع كل ناعق والرباني العالم والراسخ في العلم والدين أو العالم العامل أو العالي الدرجة في العلم وقيل الرباني المتأله العارف بالله تعالى (٢) قال ابن سيدة في المخصص ابن السكيت الحِبر والحَبر (بكسر الحاء وفتحها) العالم وقال صاحب العين هو العالم من علماء الديانة مسلماً كان او ذمياً بعد ان يكون كتابياً والجمع احبار

الشريعة والعلم أيام نضارة الدين أصبحت تطلق على الجهلاء لعهدنا فبعد ان كانت هذه الالفاظ تجعل لافراد في الامة امتازوا ميزة ظاهرة بعقولهم وعلومهم وقد تستعرض القطر بل الاقطار بل العصر والاعصار ولا تجد واحدا استحق هذه الالقاب صرت اذا دخلت في عهدنا الى مدينة صغيرة كطرابلس الشام تظن نفسك وجميع من لهم شيء من الذكر قليل أو تولوا منصبا ولو حقيرا في خدمة الحكومة يعطون لقب «العالم الفاضل» و «العلامة الفاضل» و «الامام المحدث» بدون نكير

كان يقال لجبير بن زهير الحضرمي «عالم أهل الشام» وللخليل بن أحمد «علامة البصرة» ولمالك بن أنس «امام دار الهجرة» ولعبد الله بن عباس «ربائي هذه الامة» أما اليوم فان الفاظ عالم وعلامة وامام تطلق على المخرقين والمتنطعين الذين لم ينفعوا الامة بشيء فقد كان يلقب بالعلامة الاول قطب الدين الشيرازي كما يطلق لقب العلامة الثاني على سعد الدين التفتازاني على نحو ما أطلق على ارسطو لقب المعلم الاول وعلى الفارابي لقب المعلم الثاني

تشدد القوم في اطلاق القاب التفخيم حتى على العلماء صيانة لالقابهم من الابتذال فرأينا العصام في حاشيته على الجامي لايوافق الجامي باطلاقه على ابن الحاجب لفظ «العلامة المشتهر في المشارق والمغارب» فقال ان في وصف ابن الحاجب بالعلامة نظرا لان هذا اللفظ انما يناسب فيما بين العلماء من جمع جميع أقسام العلوم كما هو حقه من العلوم العقلية والنقلية وليس ابن الحاجب الامن العلماء في العلوم النقلية . ولذا خص من بين العلماء قطب الملة والدين الشيرازي بالعلامة حيث سبق العلماء كلهم في جميع أقسام العلوم

هكذا كان أدب سلفنا أما اليوم فقد استرسل عباد المظاهر في هذا الشأن فسموا الى تلك الالقاب الشريفة التي لم يجوزوا اطلاقها على مثل ابن الحاجب الامام المحقق في فنه وبلغت الحال ببعضهم ان صاروا يكتبونها بأيديهم عن أنفسهم كأن العلامية والعالمية والامامية لاتثبت في الاذهان الا بمثل هذا العمل

وعندنا ان الاحرى بمن تدور معارفه على الفقه وحده أن يسمى فقيها ان كان ممن برزوا حقيقة في أصوله وفروعه ومن اقتصر على الاصول وحده أن يسمى أصوليا ومن غلب عليه علم الحديث أن يقال عنه حديثيا والا فان كلمة عالم لا تقال الا لمن يعمل بما يعلم كما قال بعضهم وان شئت فقل لمن يظهر فيه أثره و يمتزج باجزاء نفسه أي امتزاج قال ابن جني : لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابسة صار كأنه غريزة ولم يكن على أول دخوله فيه ولو كان كذلك لكان متعلما لا عالماً

جرت على هذه القاعدة الامم الراقية قديماً وأمم المدنية الحديثة لعهدنا فلم يطلق على سقراط وأفلاطون وأرسطو الفلاسفة ألقاب العلماء في بلاد اليونان الا بعد ان قضى كل منهم سنين في التعلم وسنين في التعليم وهكذا رأينا الامم الحديثة لم تطلق على نيوتن وهكسلي وكونت وكانت وكيتي اسم عالم الا بعد ان درسوا الدروس النظامية كلها وبرزوا على رجال عصرهم بفنون مخصوصة أبرزوا فيها آثار علمهم وأثروا في محيطهم

ومن عجيب الاخلاق ان من ينتسبون لشيء من علوم الدين في عهدنا يعز عليهم الا أن تبقى الفاظ العالم والمحقق والعلامة محصورة باهل طبقتهم كأنَّ من يعلم الهندسة أو الطب أو الحقوق أو الصحافة أو السياسة لا يستحق أن يعد في العالمين ولو أبيدت عليه أمثلة كثيرة يريدون أن تبقى هذه الالفاظ لهم وكذلك بعض المشتغلين بهذه العلوم الدنيوية يعز عليهم أن يطلقوا الالقاب العلمية على من لا يعلمون علومهم في حين رأينا صاحب ارشاد القاصد وصاحب كشف الظنون عدا العلوم كلها دينية ودنيوية وسياها كلها علوماً حتى السحر والطلسمات والشعبذة فذكر الاول من أنواعها مئة نوع والثاني مئة وخمسين نوعاً

وغريب كيف أخرج بعضهم في القديم اسحق بن ابراهيم الموصلي من سلك الفقهاء وكان أحرى أن يعد بينهم لانه يلحن الانغام ويخترع ضروب الغناء ويشتغل بآلات الطرب مع انه ليس دون علماء عصره بعلومهم ولكن غلب عليه

الغناء فعدوه في الندماء كما غلب الشعر على بعضهم فعدُّوه في الشعراء أمثال أبي نواس وما هو في الحقيقة الا من كبار علماء العربية

وانا اذا استقرينا التاريخ على اختلاف العصور نجد أن المنصفين من المؤرخين يذكرون العالمين بغير العلوم الدينية كما يذكرون علماء الدين لانهم كلهم أعضاء نافعون في المجتمع فقد كان خالد بن يزيد الاموي من أهل القرن الاول عالم قريش بالكيمياء والطب بصيرًا بهذين العلمين وكان أبو الفضل الحارثي من أهل القرن الخامس عالمًا بالهندسة والفلك والحساب والتقسيمات والهيئة ونقش الرخام وضرب الخيط والطب ومحمد القيسراني من أهل القرن الخامس أيضًا عالمًا بالمساحة والميقات والفلك ورضوان الخراساني من أهله أيضًا عالمًا بالرياضيات. وأبو المجد ابن أبي الحكم من أهل السادس عالمًا بالطب والهندسة والنجوم والموسيقى والعدد والغناء والايقاع والزمر وسائر الآلات عمل ارغنًا وبالغ في اتقانه وكان ابن الصلاح من أهل السادس عالمًا بالحكمة متميزًا بالطب وموفق الدين بن المطران من السادس عالما بالطب والفلسفة وابن المؤيد العرضي ورفيع الدين الجيلي وعز الدين الاربلي من أهل السابع علماء بالفلسفة والرياضيات

وهكذا لو استقصينا كتب التراجم لعثرنا من أسماء المشتغلين بغير العلوم الدينية على سلسلة طويلة وكلهم أطلق عليهم اسم العالم والمحقق والامام والعلامة على رغم أنوف المكابرين وذكرتهم الاعصار بآثارهم اكثر ممن جعلوا مناصب الدين والقابه سبيا الى الدنيا ونيل الحظوة من العامة والزلفى من السلاطين والامراء

وقد رأينا بعض المشتغلين بعلوم الشريعة لعهدنا يتخلصون من اطلاق لفظ عالم وعلامة على من لم يتزي بزيهم الخاص بأن يطلقوا عليه اسم الكاتب على ان لفظة كاتب التي يحتقرونها قلَّ في المعدودين من يستحقها قال ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه اليه فيقال فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه الى الكتابة فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفتقر اليه

من الخوض في كل فن اه

وهذا التحكم البارد في الحط ممن أحصوا في بعض الفنون التي يجهلها أكثر المتعممين ولا يعدونها علما في نظرهم تخرج كثيرا من الأئمة من عداد العلماء بحسب عرفهم ممن لم تكن الكتابة الا من جملة مايعلمون أمثال الجاحظ فانه بحسب عرفهم كاتب فقط لانه مجيد في الانشاء للغاية وكذلك القاضي الفاضل وابن خلدون وابن فضل الله وأبو الفدا وغيرهم من مشاهير العلماء الذين كانوا أئمة في الانشاء هذا لان أولئك الاعلام لم يؤلفوا أولم يريدوا أن يؤلفوا في الفقه والاصول والكلام والحديث على حين ورد في الكتاب العزيز « يعلمه علماء بني اسرائيل » فاطلق تعالى عليهم لفظ علماء وجاء فيه « والذين أوتوا العلم درجات » قال الراغب ان هذا تنبيه منه تعالى على تفاوت منازل العلوم وتفاوت أربابها

ولقد شاهدنا مايضحك من تحكم بعض أرباب الصحف السيارة في الالقاب العلمية حتى آل الامر ببعض الفضلاء أن يستنكفوا من ذكر أسمائهم بين أناس لايلحقون غبارهم بحال لان محرر كل صحيفة يعطي من الالقاب لمن يحبه مايستحي العاقل من اطلاقه على أفضل أهل العصر ويمنع ذلك عن المستحق يريد بذلك اسقاطه حتى قال بعضهم من العلامة أن لاتكون للمرء علامة فما دامت لفظة علامة تطلق على المغفلين من الطلبة فأجدر بمن يستحقون هذه اللفظة أن يزهدوا فيها وهكذا لفظ «الاستاذ» و « المعلم » و « الفاضل » وهذه اللفظة اليوم تطلق على تسعة أعشار من يقرأون ويكتبون .

وبعد فان سلسلة الارتقاء وسلسلة الانحطاط نمط واحد يتبع بعضها بعضاً في كل أمة والتغالي في الالقاب من جملة تعلق الامة بل من يطلق عليهم الخاصة منها بالقشور دون اللباب . وما أجدر أرباب الصحف والمجلات أن يتخلوا عن هذه الالقاب التي لاميزان لها ولامقياس وان يذكروا الاسماء مجردة كما هو اصطلاح الامم الراقية كالانكليز والاميركان والفرنسيس والالمان بل كما كان اصطلاح أجدادنا العرب صدر الاسلام والجديرون بالوصف تنم أوصافهم عنهم من مثل

التعليم زمنا وتخريج طلبة راقين أو الاجادة في التأليف وغيرذلك من سمات الفضل والعلم قال المقدسي ان مراتب السادات مثل جليل وفاضل رسم الرسائل لا رسم التصانيف . والجرائد والمجلات كالكتب لا تخرج عن حد التأليف في صورة أخرى ولذا وجب أن تعرى من الفاظ التمجيد ولا سيما اطلاق الالقاب العلمية على من تذكرهم لان في ذلك تضليلا للمقول واستهزاء بمقادير أهل الاقدار

الخزانة التيمورية

في مصر على انحلال محسوس في العزائم بعد سن طلب العلم همة عالية تشهدها لبعض الافراد فيكفر العامل عن ذنب الخامل ويشفع العالم بجهل الجاهل فقد انقطعت الرغبات في المطالب العالية بعض الشيء وقلّ في مصر النوابغ وان عمّ التعليم أهل الطبقتين الوسطى والعليا في المدن والحواضر وكانت أكبر آفة على العلوم والمعارف هنا ماوقر في نفوس القوم من أن العلم يرادمنه التوظف والكسب لا لما فيه من الفوائد المعنوية الشريفة وقلّ ان رأينا رجلا في مصر اشتغل للعلم من حيث هو علم لا لمغنم عاجل يغنمه أو لمظهر مبهرج يفوز به ومن تلك الفئة الصالحة التي تنزع لخدمة العلم والآداب من حيث منافعها المعنوية وأغراضها السامية أحمد بك تيمور أحد سراة هذه العاصمة وعلمائها العاملين عرفناه منذ اثني عشرة سنة يختلف الى شيوخ الادب واللغة في القاهرة يذاكرهم ويأخذ عنهم ويجعل منزله مجمعاً للعالمين والمتأدبين والطالبين لم تبهره النعمة ولم يبطره المال والجاه بل كان يصرف فضل نعمته في ترقية نفسه ومن استطاع ابلاغ النور اليهم وما كتبه في الصحف والمجلات حتى اليوم أدل دليل على ماهنالك من أدب غض ونظر سديد

فيما يعانيه من الابحاث ولقد كنا نلحظ ان صديقنا من غلاة الكتب كما هو من الغلاة في طلب اللغة والتاريخ والادب ولكن ما كان يدور بخلدنا أن يجمع مع الزمن خزانة كتب قلَّ لشرقي ان جمع مثلها في هذا العصر الا مايقال عن خزانة كتب رضا باشا في الاستانة ولكن المزية التي في الخزانة التيمورية ان صاحبها عارف معرفة كافية بكل ماحوته من أسفار العلم وقد اقتناها بمعرفته وفضل نعمته من مال حلال مال الزراعة المبارك ولعل خزانة كتب شيخ الاسلام عارف حكمت بك التي سبلها على الناس في مدينة الرسول تشبه الخزانة التيمورية كما تقرب منها بعدد المجلدات

تفضل تيمور بك باعارتنا كل ما طلبناه من مخطوطات خزانتـه ومطبوعاتها في السنين الثلاث الاولى لهذه المجلة فتكلمنا على بعض النوادر منهـا ولكن لم يكتب لنا أن نراها كلها الا هذه المرة وقد دعانا والاستاذ الشيخ طاهر الجزائري الى احدى مزارعه في قويسنا من عمل مديرية المنوفية في الدلتا فاغتنمنا هـذه الفرصة لنصف هذه الخزانة التي طالما أعجبنا وأعجب بها غلاة الكتب في المشرق والمغرب خصوصا ونحن في صحابة أحد كبار شيوخ العلم ومرجع العارفين بدرر الاسفار في ديار العرب وهو الذي تولى الترجيح في اختيار الاندر فالاندر وناهيك بما يرجحه الاستاذ

أقام تيمور بك ردهة كبرى في أعلى قصره في قويسنا نقل اليها كتبه من القاهرة ليخلو هناك بنفسه ويتوفر على المطالعة والمراجعة في ذاك الهواء الطلق البعيد عن الضار من جراثيم المدنية الحديثة ويخلص من تزاحم الانفاس وتشعب العوامل القاطعة في العواصم عن الطلب والتبحر والتأمل ففزع بكتبه وأدبه الى أرض الدلتا أخصب بقاع هذا الوادي الخصيب يحمل أسفار العلم والادب الى ركاز الابريز ورغام الذهب

وبعد فقلما رأينا عملا خاصا أو عاما منسقا تنسيق المكتبة التيمورية فالمكتبة بالفهرس البديع الذي دونه لها جامعها فجعل كل علم مع علمه وقرن كل شكل الى

مثله يسهل احضار أي كتاب منها في دقيقة مع ان مجلداتها لا تنقص عن ثمانية آلاف مجلد منتقاة ومن خلق صاحبها انه لا يضن بأندر كتبه على المشتغلين والمستنسخين على خلاف سنة بعض غلاة الكتب في مصر والشام ممن لا يسمحون بالنظر الى كتبهم ولا باستنساخها والاخذ منها ولو كانوا ينظرون فيها آونة الفراغ لهان الخطب فيهم ولكنهم منعوها عن الناس فأمست مظلومة في قماطرهم و يابئس مايعملون

وهاك الآن النادر من مخطوطات هذه الخزانة التي نرجو لها زيادة النمو على هذا النحو تنشر قائمتها خدمة لأهل العلم والادب ممن أخذوا النفس باحياء آثار العرب ولا سيما علماء المشرقيات في ديار الغرب وكبار الطابعين في هذا الشرق العربي داعين لصاحبها المنوه بقدره أن يطل على مضائه و بذله في اقتناء كل نفيس وعلى همته وصحته بالوفور والنماء

التفسير

مختصر الانصاف لابن هشام النحوي

تفسير ابن عطية الاول والثاني

زاد المسير لابن الجوزي (الثاني والثالث)

نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي (الاول)

تفسير جزء عم للرماني

تعليق على اماكن من التنزيل لابن أبي شريف

أحكام القرآن للقرطبي (الجزء الاول)

البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني

الجزء الثالث من اعراب القرآن لابن النحاس كتب سنة ٦٤١

اعراب مشكل القرآن لمكي كتب سنة ٤٩٠ ونيف

مبهمات القرآن للسهيلي (منه نسختان احداهما في المجاميع)

الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي

مختصر العقد النظيم في كنايات القرآن وغريبه لابن أبي المعالي الانصاري

الرعاية في تجويد القرآن لمكي

النشر في القراآت العشر لابن الجزري

مصطلح الحديث

الخلاصة في معرفة الحديث وأصوله للطيبي (نسختان الثانية في مجموعة ١٧٢)

الفية السيوطي (نسختان)

شرح الفية العراقي للمصنف (وهو الشرح الصغير ولم يعثر على الكبير الى الآن)

شرح بغية الطالب الحثيث للشمني

الحديث

مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك الحاكم على الصحيحين

جامع الاصول لابن الاثير

مختصر جامع الاصول للمروزي

فضائل القرآن وأدبه ومعالمه لابي عبيد القاسم ابن سلام

شهاب الاخبار للقضاعي وشرحان عليه

حاشية الشمني على الشفا

علل الحديث لابي حاتم الرازي (وهو من أهم كتب علل الحديث)

العقائد

المطالب العالية للفخر الرازي

شرح العبري على طوالع البيضاوي

التحبير في أسماء الله للقشيري

المجلد الثاني من الابانة لابن بطة وهو سبعة أجزاء

الجزء الرابع من الجمع بين العقل والنقل لابن تيمية من النسخة الكبرى والذي طبع مختصر

عمدة الاكياس في عقائد الزيدية لابن صلاح الشرفي
رسالة انقاذ البشر من القضاء والقدر للشريف المرتضى ضمن مجموعة ١٦٩ عقائد
المعارف العقلية للغزالي ضمن مجموعة ٢٥٢ عقائد

الاصول

المحصول للفخر الرازي
الجزء الاول من الاحكام للآمدي
شرح ركن الدين على مختصر ابن الحاجب
شرح العبري على منهاج البيضاوي
الجزء الاول من نهاية الوصول للارموي

الفقه

الفتح الرباني للامام المتوكل ملك فاس ٢٨٣
٣٢٠ جزء من تقريرات ابن رشد على المدونة
٧٩٧ القواعد الكبرى للعز بن عبد السلام
٢٨٨ القواعد للزركشي
٣٠٦ نظم مفردات الامام ابن حنبل المقدسي
١٩٣ الفتح الرباني في مفردات ابن حنبل الشيباني للدمنهوري
٢٢٩ و ٣٣٣ نسختان من الافصاح في اختلاف المذاهب الاربعة لابن هبيرة

أخلاق

١٨٥ صولة العقل على الهوى لابن الجوزي

الحكمة

٦٧ تعليقات الشيخ الرئيس ابن سينا

اللغة

الغريبين للهروي

التنبيه على ماوقع في الغريبين من الخطأ للسلامي
بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لصاحب القاموس
مشارق الانوار للقاضي عياض وهو في غريب الحديث (نسختان)
الزاهر في غرائب الفاظ الامام الشافعي للازهري
المغرب للمطرزي (ثلاث نسخ)
الغريب المصنف لابي عبيد
المرصع لابن الاثير (وقد طبع في أوربا) في الآباء والامهات والابناء والبنات والاذواء والذوات
تبين المناسبات بين الاسماء والمسميات
مختصر اصلاح المنطق الاصل لابن السكيت والاختصار لابي القاسم الراغب والظن انه لابي الحسين الوزير المغربي
تحرير الرواية لتقرير الكفاية وهو شرح كفاية المتحفظ لابن الطيب الفاسي
شرح ابن دريد على منظومته في الممدود والمقصور
المترادف للاصمعي
مثلث قطرب (في كراسة وهو أول مؤلف في المثلثات)
المثنى تأليف محمد بن بدر الدين المنشي
التكملة والذيل على درة الغواص للجواليقي (نسختان)

الصرف

تصريف ابن مالك ويليه شرحه لابن اياز النحوي
متن عقود الزواهر للقوشجي في الوضع والصرف والاشتقاق

النحو وسر العربية

الخصائص لابن جني
حواشي ابن هشام على الالفية

رسالة في معاني الحروف للرماني

المسائل الحلبية لابي علي الفارسي

البلاغة

قانون البلاغة لابي طاهر محمد بن حيدة البغدادي

الجامع الكبير لعز الدين بن الاثير

التبيان لابن الزملكاني وهو مختصر دلائل الاعجاز

الشعر

شرح الاعلم الشنتمري على الدواوين الستة (النابغة وعنترة وطرفة بن العبد وزهير وعلقمة الفحل وامرؤ القيس وقد طبع منه شرح طرفة)

ديوان قيس بن الخطيم

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس

شرح ديوان جرير

شرح ديوان ذي الرمة

شرح المعلقات للنحاس

٢٧٠ شرح معلقة عمرو بن كلثوم للنحاس

شرح لامية العرب لابن الاجدك والعكبري (والشرح العكبري نسخة أخرى)

المبهج في شرح أسماء رجال الحماسة لابن جني

معاني الشعر للاشنانداني

حماسة الخالديين

الحماسة البصرية لعلي بن فرج البصري

شرح ديوان أبي تمام للتبريزي وقطعة صالحة من شرح الصولي

ديوان ابن الرومي في ثلاث مجلدات

عبث الوليد لابي العلاء المعري

نسخة من ديوان أبي فراس بها زيادة على المطبوع
رد على رد وهو رد لابن السيد البطليوسي على مارد به عليه أبو بكر بن العربي في شرحه شعر أبي العلاء
ديوان ابن الخياط
منتخب نزهة الالباء فيما يروى عن الادباء للشيخ عبد العزيز بن جماعة والاصل له أيضاً (بخط مؤلفه)
شرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون بها زيادات كثيرة من غير المصنف نمرة ٣٩٩

الادب

١٩ مختارات رسائل الجاحظ
جلوة المذاكرة وخلوة المحاضرة للصلاح الصفدي
المضنون به على غير أهله لعز الدين الزنجاني
رسالة في الحنين الى الاوطان للجاحظ (ضمن مجموع رقم ٣٥١)

التاريخ

مختصر تاريخ الاسلام للذهبي
طبقات الحفاظ للسيوطي لخصها من طبقات الذهبي وذيل عليها
الطالع السعيد الجامع لاسماء نجباء أعالي الصعيد للادفوي
الوافي بالوفيات للصفدي (ستة أجزاء منه)
ذيل الدرر الكامنة لمؤلفه ابن حجر وبخطه
اعتاب الكتاب لابن الآبار
الكوكب الثاقب لعبد القادر السلوي الاندلسي

الطب

شرح أرجوزة ابن سينا لابن رشد

أصول الطب لعلي بن رضوان

مختصر مفردات ابن البيطار لابن منظور صاحب لسان العرب

غنية اللبيب حيث لايوجد الطبيب لابي الحسن القرشي

الفلك

منتهى الادراك في تقاسيم الافلاك لمحمد بن أحمد الحسيني الخرقي المتوفى سنة ٥٣٣

كتاب الامام يوسف بن عمر بن رسول ملك اليمن في صناعة الاصطرلابات وعملها عليه اجازات من علماء الهيئة

فنون منوعة

كتاب المسائل والاجوبة لابن السيد البطليوسي

القانون في علم البيزرة وهي تربية الصقور للصيد وأصناف معالجتها

الاقوال الشافية والفصول الوافية للملك علي بن داود الغساني الشهير بابن رسول في الخيل وما يتعلق بها

الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية للطوفي

المجاميع

١٢ رسالة في أصول الهمزات التي في الاسماء والافعال والحروف لابن خالويه وقبلها و بعدها رسالة في الهمزات أيضا

٣٩ نكت على مقامات الحريري مما علق من مؤلفها

عروض الامام ابن معطي

بديع الامام ابن معطي

نسب عدنان وقحطان للمبرد

٥٠ مايذكر و يؤنث من الانسان واللباس لسليمان بن محمد النحوي

أسماء الخيل وفرسانها لابن الاعرابي

نسب الخيل في الجاهلية والاسلام لابن الكلبي
كتاب الامثال لابي عكرمة الضبي
٨٠ عجالة المبتدي في علم النسب للحازمي
٨٩ بغية المؤانس من بهجة المجالس لابي عثمان بن ليون
لمح السحر من روح الشعر له أيضا اختصره من روح الشعر لابن الجلاد
١٠٥ أسماء الاسد وكناه وأسماء الذئب وكناه لابن الصاغاني
١٣٩ قصيدة ابن الدريهم في حل المترجم
١٥٢ المقالات الفاخرة في النصيحة الباهرة للزمخشري

ذيل التفسير

الدر النثير شرح التيسير للمالقي
التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي
مشكلات الكتاب للشاطبي (لابي عبد الله محمد الاندلسي عرف بالشاطبي)
الاشارات الالهية للطوفي
بديع القرآن لابن أبي الاصبع

الحديث

المغني عن الحفظ لعمر بن بدر الدين الموصلي (أورده صاحب القاموس في سفر السعادة)
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد لابن عبد البر (الجزء الخامس)

الاصول

البحر المحيط للزركشي في ثلاث مجلدات

الفرائض

كفاية الفارض المرتاض في التنبيه على ما أغفله جمهور الفراض لابن صفوان

الاخلاق

الآداب الشرقية والمصالح المرعية لابن مفلح

اللغة

التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي
غريب الحديث لابي عبيد (مخروم الاول والآخر)
أبنية الافعال لابن القطاع
شرح ابن جني المسمى بالمنصف على تصريف المازني
سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي

الشعر

شرح الشريف الغرناطي على مقصورة حازم

الادب

التشبيهات المشرقية لابن عون الكاتب

الرياضيات

تكميل التذكرة لعمر الفارسي الفه للملك أبي الفدا

الفنون المنوعة

رسالة في الفتوة لادريس ابن بيدكين التركماني

هذه هي الاسفار التي تشتد الحاجة الى طبعها واحيا ئها في الدرجة الاولى واليك أسماء مايطبع وينشر بعدها :

التفسير

١٥٤ تفسير أبي الليث السمرقندي
الجزء الثالث من الوسيط والوجيز
تقريب التفسير للفالي
تفسير علم الدين السخاوي

نواهد الابكار للسيوطي

حواشي البيضاوي

تفسير سورة الرحمن للزبيدي

أحكام البسملة للفخر الرازي

تفسير انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية وكتاب آخر

١٢٣ كتاب أسباب النزول

الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ضمن ثلاث رسائل

رسالة في اثبات واو الثمانية

كتاب الوقف والابتداء للغزالي

العنوان في القراآت السبع لابن خلف

شروح الشاطبية

شروح مورد الظمآن في الرسم

ارشاد المبتدي للقلانسي في مجموعة ١٨٦ ومعها أرباع القرآن

مصطلح الحديث

حاشية ملا علي قاري على نزهة النظر نسختان

شرح جاد المولى على البيقونية

حديث

التنقيح للزركشي والتوشيح للسيوطي

شروح مشارق الانوار

الدرر الزاهرة للسلمي

أمالي الباغندي

مختصر درر البحار للسيوطي

زيادات الجامع الصغير للمؤلف

شرح الاربعين النووية (أنظر مجاميع الحديث)

٢٥٧ رسالة في الاحاديث المتشابهة
١٧٥ تخريج الاحاديث والاذكار النووية لابن حجر
٢٢٩ اسباب الحديث لابن حمزة

العقائد

٢٠٤ قصد السبيل للكوراني
١٩١ تحقيق الاولى للزملكاني
٥٩ الامامة الكبرى للذهبي
٦٠ طريقة الاستعاذة في الامامة لابي هاشم
١٧٦ روضة الافهام اوالتاريخ عن سيرة ابن عبد الوهاب الاحسائي
١٧٨ كتاب في الفرق الاسلامية والكفرة للفخر الرازي
١٧٧ رسالة في الرد على البكتاشية

اصول

٨٦ لباب الاصول للسيد الجرجاني

الفقه

٢٣٦ الكلمات الشريفة في تنزيه ابي حنيفة لنوح افندي ابن مصطفى
١٩٥ نزهة العين في زكاة المعدنين للعلامة حسن الجبرتي
نسختان من شرح الصدر الشهيد على الجامع الصغير
٣٢١ حاشية ابي السعود على الاشباه والنظائر (في جزءين غير كاملة التأليف)
٢٨٥ تعارض البينتين للخصاف
٢٨١ تحرير المقال في احكام بيت المال للدنوشري
٨٨ الحدود والاحكام
٣٠٧ خبايا الزوايا للزركشي
٣١٠ البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان لابن العماد
٢٣٠ تيسير الوقوف للمناوي

٩١٢ توقيف الحكام في الانكحة لابن العماد
٣٥٩ جزءمن مسائل الخلاف للدبوسي
١٦٢ تقويم النظر بجداول في الخلاف
٣١٢ كشف المروط عن محاسن الشروط
٣٦٦ الكشف التام عن ارث ذوي الارحام للمحلي الشافعي

التصوف

٧٨ القول المحمود لسبط الشرنبلالي
١١٢ تأييد الحقيقة العلية للسيوطي
٤٠ معه محض النصيحة للغزالي
٩٥ مجموعة لسيدي أحمد زروق

الاخلاق

١٨٢ وصية الامام الشافعي وبهامشها وصية ابن خفيف
١٨٣ الآداب الملوكية لابي نصر الفارابي
١١٧ عيون الاخبار للخمي
١ الذريعة للراغب نسخة يغلب عليها الصحة
١٦٧ محاسن الاسلام
١٩٩ رسالة للعضد في الاخلاق
٩٤ لمح الفكر لسبط الغزالي
١٠٩ نصيحة الحكام
أربع رسائل في الاخلاق
١٤١ غرائب الاول للغزالي
١١٢ نهاية الرغبة في الحسبة
١٩٥ أحكام الاحتساب الفه سنة ١٢٦٧
١٤٩ فيض الحرم

١٩٤ فيض الحرم

الحكمة

رسالة المعاد لابن سينا

شروح عينية ابن سينا

٨٣ الاستبصار فيما تدركه الابصار للقرافي (في علم المناظر)

٥٣ مجموعة في الحكمة

٥٥ مجموعة اخرى

٨٦ مجموعة اخرى

المنطق

٤٤ الآيات البينات

٧٧ تعريب الرسالة الفارسية للسيد لولده

١٧ مجموعة

آداب البحث

١١ شيخ الاسلام على السمرقندي

١٣ مجموعة في آداب البحث

اللغة

٦ سفر السعادة للسخاوي

٣٢ الوجوه والنظائر

٣٥ تحفة الاريب في غريب القرآن لابي حيان

٥٥ دستور اللغة

٥٦ تاج المصادر لابي جعفر محمد البيهقي

نسخ من مقدمة الادب

٧٨ نظم الفصيح لابن جابر

٨٥ سر الصناعة لابن جني

٨٦ المعجم لابي هلال العسكري

١١٦ كتاب التذكير والتأنيث لابي حاتم السجستاني
١١٧ مختصر في المؤنث والمذكر
١١٨ عقد الجوهرة في المؤنث والمذكر
١٦٠ الالفاظ المعربة للسيوطي
١٦٣ المقتضب
١٦٤ بحر العوام
١٧٩ مجموعة بها الاحاجي النحوية للزمخشري
١٨٤ مجموعة في اللغة
١٨٥ مجموعة في اللغة

الصرف

٣٠ الهارونية وعليها شرحان
٣٢ اتحاف الرفاق في الاشتقاق

النحو وسر العربية

١٩٠ الخصائص للقرافي
١٨٤ الكواكب الدرية في استخراج الفروع من القواعد النحوية للاسنوي
١٤٥ فرحة الاديب لابي محمد الاعرابي
١٧٣ شرح ابن بابشاد على مقدمته
١٥٧ اختصار المفصل
١٢٩ اللباب للعكبري
١٦٧ شرح الفية ابن معطي للشريشي
١٥٥ المقدمات لابن اياز
٢٧٣ شرح شواهد التحفة الوردية للمغني
حاشية الدماميني على المغني
٦٢ شرح الارشاد

١٧٢ النكت للسيوطي
رصف المباني في حروف المعاني
اعراب الكلمات الغريبة
اعراب بعض مشكلات في الحديث والشعر
٢٧١ مجموعة في النحو
الفية ابن معطي
٢٧٢ مجموعة بها حاشية المكي على التوضيح

البلاغة

نصرة الثائر
زهر الربيع للتنوخي
١٠٠ رشف النبيه من ثغر التشبيه
شرح بديعية صفي الدين الحلي للجزائري
٨٣ الدر الثمين في محاسن التضمين
٧١ الاحاجي والالغاز للخطيري
شروح عروض ابن الحاجب للفيومي

الشعر

٣١٧ ديوان جيران العود
« الوزير ابن الزيات
« السري الرفا
« ابن نباتة السعدي
« ابن حيوس
« ابراهيم الغزي
« الامير صلاح الدين الكاملي و به خروم
« محيي الدين ابن عبد الظاهر

ديوان الباعونية

٢٩٨ وسائل السائل

٣٢٣ شرح القصيدة الحميرية لنشوان

شرح المقريه للسندوبي

نسخ من شرح بانت سعاد للتبريزي

شرح الشقرطاسية ضمن نمرة٤١٢

قصيدة ابن الدريهم في المديح النبوي

شرح لامية ابي العلا لتاج الدين في مجوعه نمرة ٣٤٢

الادب

٣١ رسائل الحصكفي

جمع الجواهر للحصري

٣٠٠ العزيز المحلي

٣٠٢ منثور الحكم ناقص الآخر

٢٩٠ سوابغ النوابغ شرح الكلم النوابغ

الاعلان بالتوبيخ التاريخ

٦٤٨ تاريخ الافغان والعجم

« المدينة المطري

« تحقيق النصرة

شرح البسامة في تاريخ اليمن

٧٢٤ تاريخ الكبسي

نسختان من كوكب الروضة

الوفا والمختار كلاهما في السيرة النبوية

نور العيون لابن سيد الناس

تنزيه المصطفى المختار عن مالم يثبت من الآثار

الجزء التاسع عشر من الجرح والتعديل لابن ابي حاتم

الكاشف في رجال الصحاح الستة

تقريب التهذيب لابن حجر بخطه

كتاب الالقاب لابن حجر

٥٤ طبقات الحنفية للتميمي

طبقات الشافعية للاسدي

طبقات الحنابلة العليمي

الاول من تاريخ بغداد

المجموعة التاجية

شرح قلائد العقيان لابن ذاكور

مختصر قلائد العقيان لابن فضل الله العمرى

الطب

أغذية المرضى للسمرقندي

التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي خلف

الصناعة

عمدة الكتاب في صفة الاقلام والمداد

فنون متنوعة

الفوائد الخاقانية

مفتاح السعادة

مدينة العلوم

الاحكام الملوكية لابن منكلي

المجاميع

٣٥ بها أرجوزة في فصول السنة لابن سينا

٣٢ بها أصول وضوابط للنووي

١٤٤ قرة التمام في شرح آداب الفهم والافهام

١٥٩ رسالة في أسماء الرسوم التي على الآلة ذات الصفائح

١٦١ شرح الاربعين النووية لاربعة من العلماء التاودي وابن شقرون وبيس وابن كيران شرح كل واحد عشرة أحاديث

١٦٢ الغاز ابن فرحون

١٧١ رسالة في قضاته عليه الصلاة والسلام وبها تحذير الخواص من أكاذيب القصاص وبها رسالة للشيخ عيسى العروضي وجبل المقطم

١٧٢ رسالة الصاغاني في موضوعات شهاب الاخبار يليها رد عليها للحافظ العراقي

١٧٥ رسالة في آداب حملة العلم للحافظ الذهبي

١٨٦ رسالة المحاسبي في التصوف

ذيل التفسير

فنون الافنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي

شرح ملا علي قاري على رائية الشاطبي في الرسم

البرهان في علوم القرآن للزركشي

الفتوحات الربانية للمرحابي

مصطلح الحديث

تدريب الراوي للسيوطي وبها تقريرات وزيادات

الحديث

عوالي الامام مالك

الاصول

تشنيف الاسماع للقوصي

التصوف

حاشية الخوافي على عوارف المعارف

الحكمة

الابصار والمبصر لابي حسن العاملي

النحو

الحاشية الهندية للدماميني على المغني

شعر

نزول الغيث للدماميني

العنجوس او الشبث او المالوش او السكاروب

La Courtilière

١ : مدخل للبحث

ثلاثة أشياء ترقي البلاد أعظم الرقي وترفعها الى أوج المدنية والعمران وهي العلم والصناعة والزراعة. فاذا وجدتها في صقع قلت: هناك أيضاً الفلاح والنجاح. والحال ان المقتبس كثيرا مابحث عن العلوم وطرق أبوابها المختلفة. وتعرض أيضاً في بعض الاحيان للصنائع، الا انه كثيرا ما أغفل الزراعة، معين ثروة البلاد وسبب رقيها. ولست أريد الآن ذكر منافع هذا الفرع من الحضارة فهذا مذكور على الالسنة ومستفيض الخبر بين الناس كلهم أجمعين. انما أريد أن أبين هنا ضرر آفة تفتك بالزراعة أعظم فتك وتتلف اتعاب الزرّاعين في عدة سنين في قليل من الزمن. أريد الكلام عن العنجوس، وقبل أن أمعن في البحث أذكر ماهذه اللفظة ومرادفاتها من الحظ في اللغة فأقول:

٢ . حظ هذه الالفاظ من اللغة

العنجوس لم ترد في ديوان من دواوين اللغة التي بايدينا ان مطولة وان مختصرة. وهذا

مايدلك على ان معاجمنا على ضخامة مجلداتها وكثرة صفحاتها لاتحوي كل اللغة بل جزءاً منها . ويستحب أن يسعى اللغويون في وضع معجم جامع للشوارد والاوابد والضوابط والروابط ولمصطلحات أصحاب العلوم والصنائع والفنون على ضربيها وفروعها حتى تكون تلك الدواوين مرجعاً يعود اليه كل عربي في كل موضوع ومصطلح

هذه اللفظة وان لم تذكر في كتب فنون اللغة الا أن الاسكافي نص عليها في كتابه مبادي اللغة والمؤلف كما تعلم من أهالي أوائل المائة الخامسة من الهجرة وكان من المجلين في اللغة في عصره . فالاعتماد عليه مما يركن اليه قال المذكور في الصفحة ١٥٧ من النسخة المطبوعة في مصر بمطبعة السعادة مانصه : العنجوس (وضبطها وزان صعفوق أي بفتح وسكون وضم . والمشهور ان ماجاء على وزن فعول يكون مضموم الاول كزنبور وصندوق (ويجوز في هذا الفتح) والصنبور والطنبور والعتوت والعنبوج والعنجوف والعنجول والعنجوج ونحوها . دخال الاذن وقيل : بل هو الذي يفسد المزارع ويخلخل مسادّ الماء بالفارسية وارسوه (كذا) ويدنا أوسع المعاجم الفارسية ولم نر فيه هذا اللفظ الفارسي . ولاشك ان الواقف على طبع هذا الكتاب صحف هذه الكلمة كما صحف كثيرا غيرها . وقد يقال في معنى هذا الحرف انه يدل على معنى دخال الاذن عند قوم من العرب ويعني المالوش عند قوم آخرين أو عند أغلب العرب . فان كان بالمعنى الاول فهو من أصل سامي قديم من « عجش » بالشين المثلثة في الآخر ومعناه لسع ولدغ وغرز في اللغة الارمية . وان كان بالمعنى الثاني فهو من « عجس » العربية ومعناها : قبض على الشيء أو شد القبض عليه . وهو من خواص المالوش . كما ستراه في مايلي من وصفه العلمي

الشيث وزان السيب مثل العنجوس في الاختلاف في وصفه قال في التاج : دويبة كثيرة الارجل عظيمة الرأس من أحناش الارض (وهذا هو وصف دخال الاذن الكبير) وقيل : هي دويبة واسعة الفم مرتفعة المؤخر تخرب الارض وتكون عند الندوة وتأكل (صغار) العقارب وهي التي تسمى (عند قوم من

العرب) شحمة الارض اه . وهذا أدق وصف جاء للقدماء في المالوش . واللفظة مشتقة من لفظة سامية مشتركة المعنى في جميع الفروع من شبث به بمعنى تعلق لتعلق كلتا هاتين الحشرتين بفريستهما

المنجوس والشبث من كلام العرب الفصيح . وأما أهل الشام فيسمون هذه الدويبة المخربة « المالوش(١) »والكلمة من أصل سرياني (أرمي) من ملش أي نزع الشيء . ونتفه وخرطه وقشره وخربه . وكل ذلك من أعمال المالوش هذا فضلا عن ان اللفظة سريانية المعنى والمبنى واللفظ على انه قد يكون من أصل عربي فصيح من ملش الشيء . اذا فتشه بيده كأنه يطلب فيه شيئا . على ان فاعول من الاوزان الخاصة بالارمية وان وردت الفاظ عربية موزونة هذا الوزن فالارجح اذًا انها أرمية أي سريانية

وأما أهل العراق فيسمون هذه الدويبة « الكاروب » وزان « المالوش » واللفظة مشتقة من كرب الارض أثارها وقلبها . وهذا العمل كما رأيت من خصائص هذا الحيوين . على ان بعضهم يغلطون فيسمونه « الكرنيب » ويلفظونها « الجرنيب » بجيم مثلثة فارسية . وهو غلط . لان الكرنيب هو نوع من الجعل يقع في كرناف النخل وأهل العراق يسمون الكرناف كرنيباً وهو أصول السعف التي تبقى بعد قطعه في جذع النخلة . وكان الاصل في هذه اللفظة «جعل الكرناف أو الكرنيب» فحذف المضاف وبقي المضاف اليه من باب شهرة الشيء

٣ وصفه العلمي

العناجيس : طائفة من الاحناش من رتبة المستقيمات الاجنحة Orthoptéres من جنس الجدجد . اسم هذه الدويبة الفرنسوي العامي Taupe-Grillon واسمها الفصيح عندهم Courtilière والانكليز يسمونها Mole-Cricket أي الخلد الجدجد واسمها العلمي Gryllotalpa بالمعنى الانكليزي وسميت كذلك لمشابهتها لهذين الحيوانين معاً بظواهرها

(١) المقتبس : المعروف الحالوش بالحيم لا بالميم

يداهذه الدويبة عريضتان مفلطحتان قويتان كأنهما يدا الخلد . وهماسننتان وقاطعتان من الداخل . تتخذهما بمنزلة منشار ومر وهي تنشر بهما ما يمكن نشره من أصول الاشجار وعروقها وجذورها ، وتحفر بهما ما يمكن حفره . وفكاها قويان صلبان

بدنها ضخم كالابهام مكتنل وهي تجر نفسها جرا على الارض . وهي دميمة الصورة جهمة الوجه لونها أسمر وغريبة الخلقة كأن بها قعسا لبروز صدرهاواندغام رأسها فيه . ورأسها بيضي الشكل منحن نحو الارض يذكرك شكله بشكل رأس السرطان تقريبا ماخلا لونه . وجناحاها طويلان بكفاية ومطويان طي الشبابك ويتجاوزان الغمدين . وقدها كبير بالنسبة الى مجموع سائر أعضائها وينتهي بطنها بشوكتين مفصلتين شعراوين طويلتين بعض الطول

والمنجوس يرى في جميع الربوع ويعيش كما يعيش الخلد أي تحت الارض وهو كثير التخريب والضرر ولا يعرف له منفعة الى الآن

وللمنجوس تباينات منها: المنجوس المشهور Gryllotapa communis, او vulgaris طوله من ٣ الى ٥ سنتيمترات ولونه أطحل وفي عصعصه شوكة مخروطة معوجة حادة وغمداه بطول البطن ضعفين . وهو يقضي شتاءه غائرا في الارض في حالة الخمول والجمود فاذا أقبل الربيع نشط من عقاله وغادر خلوته المظلمة خارجا منها بثقب يثقبه صعدا ويبقي مرقى له وطريقا ينسل منه عند الحاجة . وعند الهيج يقف الذكر ربيئة عند فوهة الثقب ويسمع دويا دقيقارخيما تلتذ به الانثى فتقرب منه . وبعد اللقاح تضع الانثى من ٢٠٠ الى ٣٠٠ بيضة في ثقب محفور تحت قارعة رزدق من الرزادق فتنقف بعد شهرعن فراخ شديدة البياض لااجنحة لها كأنها الخراطين فتنمو رويداً رويداً وتتطور من حالة الى حالة حتى تبلغ أشدها في الصيف التالي

والمنجوس يحفر الدهاليز والاروقة الطويلة في باطن الارض ويخددها أخاديد كثيرة . وهو بلية من بلايا البساتين والحقول والمزارع . وقد ظن جمهور من الناس

في سابق العهد ان هذه الدويبة من اكلة الحشائش أو البقول . وليس الامر كذلك انما تقطع الجذور والاصول والعروق التي تقف في وجهها وقوف العقبة الكؤود طلباً لرزقها . وهي لاتأكل الا ما تجده من دود الهوام والحشرات وصغارها . الا ان قطعها للجذور يتلف أشجارا كثيرة و يميتها بتاتا .

٤ً طريقة اتلافه

هذا العنجوس أعيى حيلة الفلاحين والزراعين حتى أيسوا من اتخاذ الوسائل لمحاربتـه أو مطاردته . فأشار بعضهم ان تحفر في الارض موارد عـديدة تكون جدرانها وحوافيها مقطوعة قطعاً قائماً قياما فاذا جاءت لتردها سقطت فيها ولم تعد تستطيع ان تخرج منها .

وذكر آخرون ان أحسن طريقة لاتلاف المناجيس هو ان تحفر في الارض حفر مربعة ويلقى فيها السماد فتسرع للحال تلك الدويبات لتطلب فيها رزقها من الحشرات فاذا صارت فيها أخذت بعثات وقتلت

وان شئت طريقة ثالثة فادفن في الارض جرارا مدهونة الداخل بدهان الخزف فاذا دخلتها لم تستطع الخروج منها لزلقها كلما حاولت الخروج منها . الا ان هذه الذرائع ليست مما يعمل بها في الارضين الواسعة بل في البساتين الصغرى . ومما يساعد على اتلافها الجرذان والفئران وكثير من الطيور والله الواقي

بغداد (سائسنا)

التعليم في مصر

انحصر الامل في العهد الاخير بارتقاء المعارف في اللغة العربية بالقطر المصري لانه من بلاد العرب في نقطة متوسطة ولان الذين يتكلمون بالعربية من ابناء هذا اللسان في شمالي افريقية وغربي آسياهم تحت سلطة حكومتين تريد كل منهما ان تنشر لسانها وتقضي على لسان البلاد الاصلي ففرنسا لاتعنى الا بتعليم اللغة الافرنسية في الجزائر وتونس وستكون كذلك في مراكش والدولة العثمانية لاتعلم غير التركية حتى في المدارس الاميرية الابتدائية في الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن وطرابلس وبرقة ولذلك بات الرجاء معقودا بمصر وحدها . وهذا الرجاء قد عظم خصوصا بعد ان أصبح التعليم الابتدائي واكثر الثانوي بالعربية وأصبحت مدرسة الزراعة العليا تدرس منذ هذه السنة بالعربية واذا دام هذا الارتقاء الذي حدث بهمة ناظري معارف مصر سعد زغلول باشا واحمد حشمت باشا فسيكون المصير تدريس الطب والحقوق والهندسة وغيرها أيضا من التعليم العالي باللغة العربية فيعود للبلاد رونقها . نعم ان مصر تنفق على التعليم قليلا بالنسبة لما تنفقه أصغر الحكومات الاوربية كسويسرا وهولاندة والبلجيك مثلا ولكن الزيادة اذا اطردت في ميزانية المعارف توشك بعد مدة ان ترقى درجة عالية واناطة التعليم المحلي بمجالس المديريات (١) منذ سنة ١٩١٠ بزيادة مبلغ طفيف في المئة على أموال الاطيان سيكون من ورائه فائدة كبرى وبعض المدارس التي أنشئت ثانوية وبعضها مدارس للبنات وعند مجالس المديريات الآن ٤٥١٧٣ صبيا و ٥٥٠٠ بنت في الكتاتيب عدا ١٠٠٠٠ صبي في المدارس التي هي اعلى منها وهذه المدارس ستقلل عدد الأميين في مصر

---

(١) تقرير معتمد انكلترا عن المالية والادارة والحالة العمومية في مصر والسودان سنة ١٩١١

وبلغ عدد التلامذة في المدارس التي تحت نظارة ادارة المعارف في سنة ١٩١١ ١٥١٦٩ و ٢٧١٣ في مدارس تعليم معلمي الكتاتيب و ٧٧٤٩ في المدارس الابتدائية و ١٦٤٤ في المدارس والفرق الصناعية و ٢١٦٠ في المدارس الثانوية و ٥٦ في الرسالات المصرية وتراقب نظارة المعارف ٣٥٩٠ كتابا للذكور والاناث فيها من الجنسين ٢١١٤٨٥ و ٣٢ مدرسة ابتدائية ومنها ١٩ لمجالس المديرات فيها ٥٥٢٢ و ١٤ مدرسة صناعية زراعية فيها ٢٠٩٣ ومدرسة ثانوية فيها ٢٢٣ و ٣ مدارس لتعليم معلمي الكتاتيب وفيها ٢٢٦ ومدرسة لتعليم الممرضات والقوابل وفيها ٢٩ واصلاحية الجيزة وفيها ٥٩٨

والتقدم في ترقية التعليم في الكتاتيب مطرد تحت مراقبة الحكومة وقد بلغت مساعدتها التي اعطتها ٢٢٩٨٢ جنيها وعدد الكتاتيب الخصوصية التي تراقبها الحكومة وتعطيها الاعانات ٣٤٥٥ وكان عند نظارة المعارف ١٤٦ كتابا تحت ادارتها الخاصة فيها ٣٦١ معلما و٧١ معلمة و ٩٩٠١ من الصبيان و ٥٢٦٨ من البنات و ١٣ من هذه الكتاتيب خاصة بالبنات

ولا يزال عدد المدارس الابتدائية تحت اشراف نظارة المعارف رأساً ٣٢ مدرسة منها ١١ في القاهرة و ٢١ في الاقاليم ونقص تلامذتها ٨٨٨ عن العام السابق لتوسع مجالس المديريات في أمر التعليم اما بانشاء مدارس ابتدائية جديدة أو باسعاف بعض المدارس التي كانت موجودة من قبل ومجموع ما في مدارس الصبيان الابتدائية التي للمعارف وعددها ستون ١٣٤٠٥ وأعدت الاموال اللازمة لانشاء مدرسة ثانوية جديدة في أسيوط تحت مراقبة المعارف وتفكر الحكومة في مراقبة المدارس الثانوية الخصوصية ومساعدتها كما فعلت في الكتاتيب والمدارس الصناعية

وزادت الرغبة في الاثنتي عشرة سنة الاخيرة في تعليم البنات وأنشئت لهن مدارس جديدة انشأتها المعارف أو الافراد ثانوية وكتاتيب وأصبح عدد مدارس البنات التابعة لنظارة المعارف والتي تحت مراقبتها ٢٧١٣ وعدد التلميذات

فيها ٢٥٠٢٣ وكان نمو التعليم الزراعي والتجاري والصناعي سريعا سنة ١٩١١ فدارس المعارف من هذا النوع ١٢ مدرسة وغيرها ١٤ وعدد التلامذة في الاولى ٢٠٩٧ وفي الاخرى ١٩٦٨ وانشئت بعض المدارس الزراعية وأصلحت دروسها وبرامجها وبلغ عدد التلامذة في المدارس الصناعية ١٦١٧ فشمل التعليم العملي في مدرسة الهندسة علمي السائلات والميكانيكيات واستخدم مكان توليد النور للتجارب في الصناعة الكهربائية وجعلت مدرسة الفنون التي انشأها الامير يوسف كال في القاهرة سنة ١٩٠٨ وفيها الآن ١١٥ تلميذا تحت مراقبة المعارف وأدخل فيها عملا برغبة منشئها اسلوب جديد يزيد ميل التعليم فيها الى الخطة العملية ويزيد ارتباطها بالفنون الوطنية ومنشيء هذه المدرسة يقوم بنفقاتها ووسعت مدرسة التدبير المنزلي وسيعلم البنات تدبير المنزل الا قليلا . وفتحت مدرسة للمحاسبة والتجارة فيها ١٥٠ تلميذا ماعدا الدروس التجارية الليلية التي تعطى في القاهرة والاسكندرية ونال شهادة مدرسة الطب ٢٧ والحقوق ٧٩ وبلغ عدد مدارس المعلمين سبعا للرجال وثنتين للنساء وعدد تلامذتها كلها ١١٨٣ وكان عدد الرسالة المصرية في اوربا ٥٢ تلميذا في انكلترا و ٦ في فرنسا و ١ في النمسا وارسل مجلسا مديريتي الدقهلية والجيزة تلامذة الى أوربا ليتعلموا علم التعليم فارسل أربعة الى بلجيكا و ٣ الى انكلترا و ٣ الى فرنسا

وبلغ عدد طلبة الازهر والمعاهد الدينية الاخرى في الاسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط ١٤٠٠٠ و ٥٢٤ استاذا وفي مدرسة القضاء الشرعي الآن ٣٩١ طالبا ٣٥ في القسم الاعلى وتخرج منها هذه السنة ١٢ طالبا وهو الصف الاول . هذه خلاصة ماتم وأهم شيء ان الحكومة منحت مئة ألف جنيه لمجالس المديريات تستعين بها على انشاء المدارس الحديثة وتأثيثها وتجهيزها وا كثر هذه المدارس قد نجز كما زادت ميزانية المعارف ثلاثين ألف جنيه لاصلاحات وأعمال قامت بها لمعاهد التعليم

بين دمشق والقاهرة[1]

سادتي الاخوان

يعجز البيان عن توفية صداقتكم حقها ومقابلة عواطفكم الجميلة بمثلها فقد كسوتم وطنيكم هـذا حلة تقصر عنها قامته وظهر احساسكم الشريف في مظهر انساه ما لقيه من المشاق في سبيل الوصول الى حماكم فدمتم ودامت عوارفكم كهفاً يلجأ اليه في الملمات وعلم نور يستضاء به في الظلمات ، ولقد كنت بيت العزم منـذ شهرين ان ازور مصركم في الشتاء المقبل لالتقي من خلفتهم فيها من خلص الاصدقاء مصريين وعثمانيين ولكن قضت الاقدار ان أهبط مصر في صيفها وأهلها يرحلون عنها على ان مصر حلوة في فصولها الاربعة لان السر في السكان لا في المكان كما كنت أود ان أشخص اليها من طريق البحر المطروق في ست وثلاثين ساعة موفورة لي اسباب الراحة لا ان أوافيها من طريق البر المهجور على مطية اقضي في السير والسرى من دمشق الى القاهرة أربعة عشر يوما وألقى فيها من فقد الراحة مايلقاه في العادة السفار في القفار

ان ماحملني على انتيابكم في هذه الحال تعرفونه باجمعكم وليس ببدع ان ينال مثله كل من يتصدى لطلب الاصلاح وينشد الحق والعدل في بلاد حكمت قرونا بالاستبداد ولم تكتب لها السلامة منه ، ومن ابتلي بذلك يستطيب الاذى اذا انتج عمله نفعا للخير العام .

قضيت في الشهر الفائت ثلاثة وعشرين يوما في زيارة مدينة الرسول وآثار وادي موسى أو بترا المعروفة بالعربية الصخرية وبلاد مآب أي الكرك وأرض الشراة

---

(١) وهي محاضرة القيناها هذا الشهر في نزل أدن بالاس (قصر عدن) على جمهور من اخواننا السوريين والمصريين

التي كان يسكنها بنو العباس في أيام بني مروان ومنها خرجوا بالدعوة لدولتهم وأرض البلقاء التي كانت مصايف لبني أمية أيام حكومتهم في دمشق وغير ذلك من الاقاليم في أقصى حدود بلاد الشام الجنوبية ومن هذه الاقاليم ما وصل اليه الخط الحجازي ومنها ما يقصد اليه على الدواب فلما عدت الى دمشق استريح من وعثاء السفر فاجأتني الحكومة المحلية بما عودتنيه أيام الحكم المطلق والحكم المقيد من خرق قانون الحرية الشخصية والفكرية ومحاولة النيل مني بلا موجب .

سعيت وطائفة من اصدقائي في سورية بعد انتشار القانون الاساسي ان يكون في بلادنا دستور حقيقي يستمتع به العثمانيون على اختلاف عناصرهم ونحلهم ولكن الفئة المتغلبة على الحكومة في الاستانة والمرسلة بصنائعها الى الولايات ابت وخصوصا بعد سقوط وزارة رجل السياسة العثمانية كامل باشا الا ان يكون الدستور استبدادا في صورة حرية فكنا كلما طالبنا بمطلب من مطالب الاصلاح الطفيف اتهمونا أنواع التهم بل كنا معهم كما قال ابن أبي طالب « كراكب الصعبة ان أشنق لها خرم وان أسلس لها تقحم » فالحكومة بل الحاكم الذي كان يرهقنا زمن الاستبداد ويشردنا على اننا ناقمون على حكومة المخلوع حتى اضطررنا ان نقضي أربع سنين في هذا القطر فراراً من الحيف عاد في الدور الذي يدعونه بالحرية يرمينا بالارتجاع ثم بالدعوة لانكلترا ثم بالدعوة لحكومة عربية الى غير ذلك مما يختلقون من ضروب الافتراء الذي لا يستنكف كل ضعيف في حكومة هذا الشرق التعس من أن يلصقه بمن لا يقدر على حجاجه بالبرهان اذا دله على عيوبه لينفيها ونصح له بالاعتدال تطول ايامه ولا تساوره اسقامه .

في مثل هذه الحالة يسارع مثلي الى الهرب من وجه الظلم اذ لا قانون هناك يأخذ للضعيف من القوي وما القانون عندهم الا هوى النفوس ولا رواج الا للزور والنفاق ولا عجب فقد قال ابن خلدون ان الدول اذا تنزهت عن التعسف والميل والافن والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجر عن قصد السبيل نفق في سوقها

الابريز الخالص واللجين المصفى وان ذهبت مع الاغراض والحقود وماجت بسماسرة البغي والباطل نفق البهرج والزائف .

ولذا أرسلنا ساقينا للريح ساعة بلغنا ان الحكومة المحلية في سورية تريد القبض علينا على نحو ماقبضت على شقيقنا احمد المدير المسؤول لجريدة المقتبس فسرنا (يوم ١٧ نيسان (ابريل) ١٩١٢) بدون ريث بين حدائق صالحية دمشق حتى بلغنا الزاوية الغربية الشمالية منها في المكان المعروف بقبة السيار ومنها قصدنا الى دمر من طريق الجبل مشيا على القدم ثم انصرفنا من دمر الى المزة بالتصعيد في الجبل أيضا وهناك اختبأنا في احدى قرى وادي العجم اياما حتى تهيأت لنا أسباب المزيمة على حصان في صحابة صديق لنا قديم رافقنا من اقصى حدود وادي العجم فمررنا من طريق معوج اجتزنا فيه أرض المزة و بلاس والاشرفية وصحنايا والدرخبية والطيبة وشقحب ثم دير العدس والحارة من قرى اقليم الجيدور المعروف عند الافرنج بايتورة حتى بلغنا النقرة من بلاد الجولان التي يسميها الفرنجة غولانيتيد فرقدنا بالقرب من نهر الرقاد وكنا هومنا في الليلة الثالثة على مقربة من نهر الاعوج المعروف في الكتب المقدسة باسم فرفر من عمل وادي العجم

وفي الجولان اتصلنا بجماعة من تجار الابل ذاهبين الى مصر فسايرناهم وقطعنا سهول الجولان ومراعيه و بتنا في الليلة الثالثة دون عقبة فيق ومن الغد هبطنا العقبة وهي لاتقل عن ساعتين وتعد من أعظم عقاب بلاد الشام ومنها يشرف المرء على أراضي الغورغور بيسان و بحيرة طبرية ونهر الشريعة أي الاردن وليس على هذا النهر العظيم سوى جسر قديم متداع وجسر بنات يعقوب فقطعنا الاول سباحة على الدواب ثم توقلنا الجبل الى موقع الدلايكة وهو واد بين جبلين منفرجين متآزرين من عمل طبرية عاصمة الاردن القديمة بل عاصمة الجليل أصبح أكثره ملكا للصهيونيين من مهاجرة الاسرائيليين الاوربيين يستنبتونه و يستثمرونه على طريقتهم المتعارفة في ديار الغرب حتى لقد تحس للحال بالفرق بين زراعة الوطنيين وزراعة المهاجرين فقرية

مما ملكهم أرقى بزراعتها مرات من قرية كفر سبت وسكان هذه من مهاجرة الجزائر فبتنا ثالث الليلة في سوق الخان بلد الصبيح على ساعتين من الناصرة وفي سفوح جبل الطور المشهور في التاريخ المسيحي

وفي اليوم الرابع اجتزنا غابة غبياء من شجر البطم فرأيناها آيلة للخراب كما تؤول الآن غابات سورية كلها اللهم الا ما كان من غابات لبنان التي تزيد ولا تنقص وقطعنا هذه الحراج في ساعة ونصف حتى بلغنا قرية دبورية وفي منقطع أرض هذه الدسكرة يبتدىء مرج ابن عامر أو سهل يزرعيل المذكور غير مامرة في التوراة ، قطعناه بالعرض في أربع ساعات حتى بلغنا قرية اللجون ومنها دخلنا في وادي عارة من عمل نابلس وطوله ثلاث ساعات وهو ضيق النطاق متوازي الاضلاع خصب الرباع وفي آخره كان آخر عهدنا بجبال سورية اذ لم نعد نرى بعده جبلا يذكر حتى بلغنا أرض مصر في جهات العريش وقطية فلمحنا عن بعد جبلا في الرمال يسمونه جبل الحلال و بتنا الليلة الخامسة في عيون الاساور على ساعتين من قيسارية (١) وهي قرية يسكنها مهاجرون من البوشناق وكانت من المدن الكبرى العامرة في القديم ، وفي اليوم السادس اجتزنا قرى بلاد نابلس مثل قاقون وقلنسوة والطيرة ومسكة حتى بلغنا نهر العوجاء على ساعة ونصف من يافا وعنده حططنا رحالنا وطريق هذا اليوم والذي قبله عامر بالحبوب ويكثر الزيتون في بلاد نابلس احدى امهات مدن السامرة من كور فلسطين (٢) وتقل المياه حتى

---

(١) قيسارية بفتح أوله واسكان ثانيه بعدسين مهملة وألف وراء مهملة مكسورة نمياء أخت الواو مخففة غير مشدودة وهاء التأنيث من ثغور الشام حاصرها معاوية سبع سنين الاشهراً وفتحها و بعث بفتحها الى عمر فقام عمر رضي الله عنه فنادى الا ان قيسارية قد فتحت قسرا — قاله البكري في معجم مااستعجم (طبع المانيا) (٢) في نزهة المشتاق للشريف الادريسي : اماحدود فلسطين وهي أول أجواز الشام وحدودها مما يلي المغرب مقدار أربعة أيام وذلك من رفح الى اللجون وعرضه من يافا الى ريحا مسيرة يومين وديار قوم لوط والبحيرة المنتنة وزغر الى بيسان والبرية تسمى الغور لانها بغمة بين جبلين .

يضطر الاهلون ان يستقوا من أماكن بعيدة ، وفي اليوم السابع اجتزنا بقرى الساحل امثال جبنة سدود مجدل بر برة بئر هديهد غزة وقضينا الليل في دير البلح وفي اليوم الثامن بدأ سيرنا في رمال على نحو ثلاث ساعات من غزة و بعد ان سرنا ست ساعات دخلنا في رفح اول حدود مصر والشام وقد كانت تنتابني الهواجس تلك الليلة أحاذر ان أقع في يد عدو للحرية أو ان أجالس من يستدل بذكائه على انني لست من تجارة الابل في العير ولا في النفير أو لاناقة لي في ذاك القطيع ولاجمل فما فتحت عيني قبيل الغسق الا وأنا أنشد بيت المتنبي

تدبير ذي حنك يفكر في غد وهجوم غرّ لايخاف عواقبا

فتفاءلت خيرا بالنجاة وان كنت لاأحب التفاؤل ولا التشاؤم ولا ابني اعمالي على الاحلام والمرائي حتى اذا قيل لي ها أنت في رفح تدوس تربة مصر قلت ما احراها ان تدعى فرحا لارفحا ليكون لكل شيء من اسمه نصيب ولا غرو فليس أحلى من النجاة على من كان يتوقع الخطر أو من الوصل على من طال به السهاد والسهر

ومن عجيب ما لاحظته في أراضي فلسطين التي شهدت لحكومتها بعض اثر من عمل مثل انشائها بعض الجسور على الاودية في حين لم أر عملا عمرانيا في ولايتي سورية و بيروت كأن مجاورة لواء القدس للاراضي المصرية عدت فلسطين أو القسم الاعظم منها من ارتقاء بلاد الفراعنة فصحت عزيمة حكومة القدس على ان تمد جسوراً على الاقل وتعبد الطرق بعض الشيء لاجرم ان العلى تعدي كما قال أبو تمام ، ولقد كنا كلما اقتربنا من غزة نحس بتغير المشاهد في بلاد أشبه بهوائها وزراعتها بالبلاد المصرية والناس يكادون يشبهون سكان الصعيد بالبستهم ولهجاتهم وهذا من عدوى الجوار وكثرة اختلاط المتجاورين من سكان القطرين فانك كما ترى جمهورا كبيرا من جالية المصريين في يافا وغزة هكذا تجد الجميز والموز من أشجار البلاد الحارة شائعين في صقع غزة .

دخلنا اليوم التاسع في رمال ولم يكن يتغير شكلها خمسة أيام متوالية الى أن قالت

الاسماعيلية هاأناذه . وهـذه الرمال كانت تعرف قديما بالجفار جمع جفر وهي البئر القريبة القعر الواسعة لم تطو قال ياقوت وهي أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشبي متصلة برمال تيه بني اسرائيل والخشبي بينه و بين الفسطاط ثلاث مراحل كما في معجم البلدان فيه خان وهو أول الجفار من ناحيـة مصر وآخرها من ناحية الشام قال أبو العز مظفر بن ابراهيم ابن جماعة بن علي الضرير العيلاني معتذرا عن تأخره لتلقي الوزير الصاحب صفي الدين بن شكر وكان قد تلقي الى هذا الموضع

قالوا الى الخشبي سرنا على لهف ... نلقى الوزير جموعا من ذوي الرتب
ولم تسر قلت والمولى ونعمتـه ... ماخفت من تعب ألقى ولا نصب
وأنما النار في قلبي لغيبتـه ... فخفت أجمع بين النار والخشب

وكل الجفار رمال سائلة بيض في غربيها منعطف نحو الشمال بحر الشام وفي شرقيها منعطف نحو الجنـوب بحر القلزم وسميت الجفار لكثرة الجفار بارضها ولا شرب لسكانها الامنها وكان فيها لعهد ياقوت نخل كثير ورطب جيد وهوملك اقوام متفرقين في قرى مصر يأتونه ايام لقاحه فيلقحونه وايام ادراكه فيجتنونه وينزلون بينه باهاليهم في بيوت من سعف النخل والحلفاء وفي الجادة السابلة الى مصر عدة مواضع عامرة يسكنها قوم من السوقة للمعيشة على القوافل وهي رفح والقس والزعقا والعريش والورادة وقطية وفي كل موضع من هذه المواضع عدة دكاكين (١) قال المهلبي واعيان مدن الجفار العريش ورفح والورادة والنخل في جميع الجفار كثير وكذلك الكروم وشجر الرمان (اما نحن فلم نر كرما ولا رمانا ولا دكانا ولا خانا) وأهلها بادية متحضرون ولجميعهم في ظواهر مدنهم أجنة واملاك واخصاص فيها منهم كثير ويزرعون في الرمل زرعا ضعيفا يؤدون فيه العشر وكذلك يؤخذ من ثمارهم ، ويقطع في وقت من السنة الى بلدهم من بحر الروم طير من السلوى يسمونه المرغ (والمرغ هو

(١) قال المقدسي فاما الجفار فقصبتها الفرما ومدنها البقارة الورادة العريش وأما الحوف فقصبتها بلبيس ومن مدنها مشتول جرجير فاقوس غيفا دقهو قونة بر يم القلزم

الطير بالفارسية) يصيدون فيه ماشاء الله يأكلونه طريا ويقتنونه مملوحاً ويقطع أيضا اليهم من بلد الروم على البحر في وقت من السنة جارح كثير فيصيدون منه الشواهين والصقور والبواشق وقل ما يقدرون على البازي وليس لصقورهم وشواهينهم من الفراهة ما لبواشقهم وليس يحتاجون لكثرة أجنتهم الى الحراس لانه لا يقدر أحد منهم يعدو على أحد لان الرجل منهم اذا أنكر شيئا من حال جنانه نظر الى الوطء في الرمل ثم قفا ذلك الى مسيرة يوم ويومين حتى يلحق من سرقه وذكر بعضهم انهم يعرفون أثر وطء الشاب من الشيخ والابيض من الاسود والمرأة من الرجل والعاتق من الثيب فان كان هذا حقا فهو من أعجب العجائب

قلت وبعض ماقاله هذا المؤرخ من الاستدلال بالاقدام على الاشخاص صحيح والوطء يبقى أثره في الرمل اياما وليس من الصعب ان يتأثر المرء هنا من استباح جنته فانه اذا علا نشزاً من هذه الرمال وهي عبارة عن تلعات ومنعرجات ومنفرجات وأحادير لا يلبث ان يشاهد السائر من مسيرة ساعات. وفي اليوم العاشر اجتزنا بالعريش وهو من البحر الابيض على نصف ساعة فالمسعوديات على الساحل وفي الحادي عشر عنا بالمزار وفي الثاني عشر بالجنادل وفي الثالث عشر بأبي المغين وفي الرابع عشر مررنا بقطية وبتنا بعراص ، وفي الخامس عشر بلغنا الاسماعيلية فالقاهرة .

هذا هو الطريق الذي كان يطرقه المصريون والشاميون منذ عرف التاريخ وكثيرا ما كان بعضهم يؤثرونه على ركوب المراكب والسفن الشراعية لما كان فيهما من الاخطار ايام لم يكن البخار يسير مراكب البحار قطعناه في أربعة عشر يوما وكان اجدادنا يقطعونه في أربعة أيام على خيل البريد ومن هذا الطريق سار عمرو بن العاص سنة ١٩ للهجرة لفتح مصر فنزل العريش ثم اتى الفرما وبها على رواية البلاذري قوم مستعدون للقتال فحاربهم فهزمهم وحوى عسكرهم ومضى الى الفسطاط ، والفرما أو الفرماء كان حصنا على ضفة البحر يحمل اليه ماء النيل في المراكب من تنيس ويخزن أهله ماء المطر في الجباب وكان بعض أهلها قبطا وبعضهم من العرب وقد ورد ذكرها كثيرا في شعر أهل القرون الاولى وفي الفرما أرق الخليفة المأمون رضي الله عنه لما سار

الى مصر فبات فيها وقد ذكر بغداد ونعيمها وقصورها فقال

لليلك كان بالميدا ن اقصر منه بالفرما

غريب في قرى مصر يعاني الهم والسدما

والميدان من احياء دار السلام والسدم الهم مع الندم والحزن ذكر المقريزي ان الدرب الذي يسلك فيه الى مصر في القرن التاسع للهجرة لم يحدث الابعد الخمسمائة من سني الهجرة عندما انقرضت الدولة الفاطمية . وفي المسالك والممالك ان الطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلا (كذا والميل بحسب اصطلاحهم ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي والذراع أربعة وعشرون اصبعاً والاصبع أربع شعيرات ظهر واحدة الى ظهر الاخرى والشعيرة أربع شعيرات من ذنب بغل) ثم الى جاسم بلد أبي تمام الطائي أربعة وعشرون ميلا ثم الى فيق أربعة وعشرون ميلا ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة أميال ومن طبرية الى اللجون عشرون ميلا ثم الى القلنسوة عشرون ميلا ثم الى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلا والطريق من الرملة الى ازدود (؟) اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلا ثم الى أم العرب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا ثم الى جرير ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس أحد وعشرون ميلا ثم الى الفسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا فهذه ثلثمائة وخمسة وستون ميلا تبلغ نحو سبعمائة كيلومتر

وكان الدرب المسلوك من مصر الى دمشق من بلبيس الى الفرما في البلاد التي كانت تعرف ببلاد السباخ من الحوف ويسلك من الفرما الى أم العرب وهي بلاد خراب على البحر فيما بين قطية والورادة فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية في سنة تسعين وأربعمائة أغار بغدوين صاحب الشوبك على العريش وهو يومئذ عامر بطل السفر حينئذ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البرمع العرب مخافة الفرنج الى ان استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس من أيدي

الفرنج في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فصار يسلك هذا الدرب على الرمل الى ان ولي ملك مصر الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل فأنشأ مدينة الصالحية في سنة أربع وأربعين وستمائة فلما ملك الظاهر بيبرس البندقداري رتب البريد في الطرقات حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل الى دمشق في أربعة ايام ويعود في مثلها فصارت أخبار الممالك ترد اليه في كل جمعة مرتين ويتحكم في ممالكه بالعزل والولاية وهو مقيم بالقلعة وانفق في ذلك مالا عظيما حتى تم ترتيبه وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وستمائة

ومازال أمر البريد مستمرا فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من الخيل المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواس وللخيل رجال يعرفون بالسواقين وأحدهم سواق يركب مع من رسم بركوبه خيل البريد ليسوق له فرسه ويخدمه مدة مسيره ولا يركب أحد خيل البريد الا بمرسوم سلطاني وتارة يمنع الناس من ركوبه الا من انتدبه السلطان لمهماته وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم سلطاني قال صاحب الخطط وكانت طريق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد مايحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره ولكثرة ما كان فيه من الامن ادركنا المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لاتحمل زادا ولا ماء فلما أخذ تيمورلنك دمشق وسبى أهلها وحرقها في سنة ثلاث وثمانمائة خربت مراكز البريد واشتغل أهل الدولة بما نزل بالبلاد من المحن عن اقامة البريد فاختل بانقطاعه طريق الشام خللا فاحشا

قالوا والبريد خيل تشترى بمال السلطان ويقال لها السواس والملوفات وهي مفرزة على عربان ذوي اقطاعات عليها خيول موظفة تحضر في هلال كل شهر الى كل مركز أصحاب النوبة بالخيل فاذا انسلخ الشهر جاء غيرهم وهم لهذا يسمون خيل الشهارة وعلى الشهارة وال من قبل السلطان يستعرض في رأس كل شهر خيل أصحاب النوبة فيه ويدوغها بالداغ السلطاني وقد أنشأ امراء مصر وملوكها مثل كريم الدين وكيل الخاص الناصري والملك الاشرف خليل وفخر الدين كاتب

لماليك وناصر الدين الدوادار التنكزي وطاجار الدوادار وكافل الشام الطنبغا والظاهر بيبرس البندقداري وغيرهم خانات ورباطات وفنادق ومساجد وآباراً ودساكر لابناء السبيل وكان الطريق في بعض الادوار يتحول قليلاً من أول السكورة الى آخرها ولكنه لم يخرج قط في كونه من مصر من الغرب الى الشرق ثم يعرج في بلاد الشام نحو الشمال قليلا حتى دمشق

وكان حمام الزاجل الذى هو بمثابة تلغراف أجدادنا يسير من القاهرة الى بلبيس ومنها الى الصالحية ومن الصالحية الى قطية ومن قطية الى الورادة ومن الورادة الى غزة ومن غزة الى القدس ومن غزة الى نابلس ومن غزة الى لد ومن لد الى قاقون ومن قاقون الى جينين ومن جينين الى صفد ومن جينين الى بيسان ومن بيسان الى اربد ومن اربد الى طفس ومن طفس الى الصنمين ومن الصنمين الى دمشق

وكان الثلج ينقل على الهجين من بلاد الشام الى حضرة السلطان بقلعة الجبل بالقاهرة وقد جاء زمن وهو لايحمل الا في البحر خاصة — كما جاء في التعريف بالمصطلح الشريف — من الثغور الشامية بيروت وصيدا ويفرض على البقاع وبعلبك ارفادهما في ذلك وكان يسيرا فكثر وقرر منه على طرابلس مما استقر على جبة بشري والمنيطرة من عمل لبنان اليوم . والمراكب تأتي دمياط في البحر ثم يخرج الثلج الى الشرابخانات الشريفة ويخزن في صهريج أعد له وأصبح في القرن الثامن يحمل في البر والبحر ومدة ترتيب حمله من حزيران (يونيو) الى آخر تشرين الثاني (نوفمبر) وعدة نقلاته في البر ٧١ نقلة متقاربة مدة مابينها وقد صار يزيد على ذلك ويجهز بكل نقلة بريدي يتداركه ويجهز معه ثلاج خبير بحمله ومداراته يحمل على فرس بريد ثان والمرصد في كل نقلة خمسة احمال والمستقر في كل مركز له ستة هجن خمسة للحمل وواحد للهجان قال العمري ولايصل الثلج متوفرا الا اذا أخذ الثلج الجلد وأجيد كبسه واحترز عليه من الهواء فانه أسرع اذابة له من الماء . وكذلك كانت المناور مواضع رفع النار في الليل والدخان في النهار للاعلام بحركات العدو

وقد أرصد في كل منور الديادب والنظارة لرؤية ماوراءهم وايراء ماامامهم وهي من اقصى ثغور الاسلام الى حضرة السلطان بقلعة الجبل حتى ان المتجدد بكرة بالفرات كان يعلم بها عشاء . وهذه المناور بدخانها ونيرانها اشبه بالهليوستا والانجكتيف لعهدنا

هكذا كان طريق مصر الى القرن التاسع للهجرة وهذا اقصى مابلغته مدنية القوم في اسباب النقل والراحة وينزل اليوم في هذه النفود أي الرمال المتراكمة كما يسميها العرب اناس من عرب مصر يرجعون في أصولهم الى بطون وافخاذ معروفة عندهم تعرفهم بسيماهم ضئال الاجسام صفر الوجوه على نحو ماوصفهم واصفوهم في القرون الوسطى وهم شاوية يقومون على تربية الشاء ولهم جمال قليلة وزروعهم في الاكثر الشعير في الشتاء والبطيخ في الصيف ولهم نخيل قليل في بعض واحاتهم وبالقرب من سبخاتهم ولا حجر في ديارهم يبنون به بيوتهم ومساكنهم حقيرة يصنعونها من الخوص فلاهم بادية يأوون الى الخيام ولاهم حضر كالعرب النازلين منذ القديم في ريف مصر كالفيوم والشرقية وغيرهما من مديريات القطر مثلا ولهجاتهم أقرب الى لهجة سكان جنوبي سورية منها الى اللهجة المصرية ومن فلسطين يكتالون وفي فلسطين يقضون شطرا من السنة في رعي أغنامهم وما عزهم ولم تعمل الحكومة المصرية شيئاً لارتقائهم سوى انها نشرت اعلام الامن على ربوعهم . ولذلك ترى تجار الابل يأتون بها من بلاد نجد والجزيرة والشام ولا يزالون يحاذرون اعتداء السراق عليها حتى يبلغوا رفح وعندها يوقنون بانه لايضيع لهم في تلك البادية عقال بعير وكان عرب هذه النفود من قبل مثلا سائرا في الاعتداء على السابلة وهم اليوم معفون من الضرائب والخدمة العسكرية وغريب كيف لاينالهم قسط من مدنية مصر فحرموا منها كما حرموا من الاستمتاع بماء النيل العذب وتربة واديه الممرعة

هذه النفود هي الحد الطبيعي بين مصر والشام بل الحد الصناعي الذي اصطلحت عليه مؤخرا الحكومتان المصرية والعثمانية في رفح والعقبة بل الحد الفاصل بين قارتي آسيا وافريقية لم يحل في كل الازمان دون اختلاط أهل هذين القطرين

الشقيقين ومن قرأ تواريخ الجبرتي وابن اياس والسخاوي وابن حجر والغزي وغيرهم يدرك ان هجرة السوري الى مصر ترد الى مئات من السنين ومن بحث في انساب من تولوا اعمال الحكومة المصرية وشاركوا مصر في سعودها ونحوسها من العلماء والتجار والصناع يجد فيهم كثيرا من الشاميين وكذلك الحال في المصريين ببلاد الشام فلا عجب اذا كان حظ مصر والشام واحدا في السراء والضراء وعلاقتهما الاقتصادية موفورة مستحكمة وليس اعلق بالقلوب من الصلات المالية . واذا نرى الشام أمس واليوم وغداً تتأثر لاقل أزمة مالية في مصر كما ان هذه تتأذى من العوارض السماوية أو الارضيه كلما اجتاحت الشام فمصر والشام هما قطران بالاسم ولكنهما بالفعل قطر واحد جرى الاصطلاح على تسمية كل منهما باسم وكل منهما متمم لصاحبه حتى لقد سئل أحد عمال الدولة العلية في القرن الماضي عن رأيه في القطرين فقال مصر مزرعة حسنة والشام مصيف جميل .

واذ قد عرفنا ان أجدادنا احسنوا الانتفاع من مجاورة القطرين العزيزين ساغ لنا ان نطالب في هذا العهد بزيادة أواخي الاخاء بينهما من طريق البر على نحو ما هي عليه من طريق البحر فيسعى العقلاء من الماليين الى نيل امتياز يربط عاصمة الشام بعاصمة مصر بخط حديدي عريض حتى يأتي الراكب في أربع عشرة ساعة بدلا من أربعة عشر يوما واذا أحب القائمون بالامر الاكتفاء بوصل السكة الجديدة مع أقرب الطرق الى مصر فما عليهم الا ان يكتفوا الآن بايصاله الى القدس وهذه ستتصل هذا العام بخط حيفا مبدإ السكة الحجازية من محطة العفولة والمسافة بينهما ستقصر لا تقل كيلو متر تعد على نفقة ادارة الخط الحجازي ومعلوم ان حيفا مرتبطة بدرعا ودمشق وعندها يسهل على ابن مصر الاصطياف في جبال الشام وتبعث هذه بحبوبها وثمارها وترسل مصر الى سورية بشيء من مدنيتها وعلومها وانتظامها ويخلص كل من يريد ان يخلص الى مصر من هذه الرمال الموحشة المرعشة والمفازة المدهشة المعطشة التي تعوذ منها كل من اجتازها وقاسى الامرين من مائها البشع المر المهوع المتروح ولولا انني تسليت عن المأكل والمشرب في الايام الخمسة

التي قضيتها في اجتياز هذه المفاوز بما سمعته من أحاديث رفاقي العرب في الابل حتى صرت كأنني بعض رعاتها لطال علي أمرها ولكني حملت النفس على ان تتعلم الصبر من تلك الجمال وطبقت فيها بالعمل ما قرأته بالنظر ايام الطلب من مصطلحات العرب في ابلهم وحداثهم فصار مذهبي ولا فخر جماليا بعد ان كان جماليا وعلمي بالاباعر عمليا وكان من قبل نظريا .

وكأن رحلتي في الشهر الماضي الى الحجاز وجنوبي الشام ونزولي على أهل البادية من أهل المدر والوبر كانت مقدمة لما امتحنت به هذا الشهر من مواكلة الاعراب في صحفة واحدة والتخلي عن الملعقة والشوكة والسكين والفوطة والكأس والاكل من أطعمتهم وهي الثمن ارز العراق والبرغل جريش الحنطة والتمر والخبز المعمول بالملة أو على الصاج يسجر ببعر الاباعر والادام في هذه الايام يخالطه رمل وهذا يدخل في كل مأكول ومشروب تسفوه الرياح طوعا أو كرها ولقد صدق الواصفون منذ القديم لهذه القفار بان « الخبز اذا أكل يوجد الرمل في مضغه فلا يكاد يبالغ فيه »

واني أحمد الله اليكم على اني قضيت أيام هذه الرحلة ولياليها برمتها لم أطالع فيها جريدة ولا مجلة ولا كتابا ولا وقعت عيني على ورقة ولا مسكت قلما ولا كتبت محاضرة ولا مقالة ولا نكتة ولا قيدت شاردة ولم أسمع غير حداء الابل وغناء الاعراب ولم يصل فكري الى أبعد من عمل القهوة البدوية وأكل التمر ولم يبلغ أذني غير أحاديث الابل فاصبحت ولله المنة استعذب تردادها استعذابي اترديد أخبار المدنية . ومن نعم المولى علي اني رأيت صورة مصغرة من عيش أهل جزيرة العرب تمشي بين بلاد الشام ومصر ودرست نموذجا صالحا من أخلاق العرب بالاختلاط بتجار الجمال ورعاتها ممن كانوا يختلفون الينا ونختلف اليهم كل مساء وصباح فلم أسمع كلمة هجر و بذاء وتجديف قط وما تبينت في أخلاقهم الا الجد الذي ليس وراءه جد والعزيمة التي تخور أمامها العزائم والبحث على الدوام فيما يقوم بسبيله من التجارة والعناية برعية ابلهم والقيام على صحتها فكان وجود السبل

والارطة والقطف والحمط من العريش الى قطية فالاسماعيلية وغير ذلك من الاشواك والاعشاب كالشيح والرتم التي تستطيبها انعامهم أهم لديهم من كل حديث واشهى لقلوبهم من كل نغمة وافعل في نفوسهم من كل نعمة من نعم الجمال والكمال

قضيت وبالدماذني اسبوعين كاملين في عالم الاباعر والبعران والابل والحوار والبطين والبطنان والكثيب والكثبان وشين وزين وتردوتصدر وندلج ونسري وننشد ونمرح ونضحي ونعشي وغير ذلك من فصح العربية الباقية على أسلات ألسن أولئك العرب الاميين ولو أردت أن استوفي ماسمعته من هذا القبيل لاستغرق مجلداً برأسه وما أحلى ما سمعته من أحدهم وهو يقول لصاحبه يافلان خذ من فلان كذا جنيها وأنت الفالج أي الرابح من الفلج وهو الظفر وكيف لا أوخذ بما وعيت ورأيت وأنا طول هذه الفترة لم أسمع نميمة ولا غيبة ولاشهدت كذبا ولا منكراً وكان أولئك الاعراب باجمعهم مواظبين على صلواتهم بدون تكلف يتيممون يوم يقل ماؤهم ولا يسرفون فيه اذا وجد . أخلاق طاهرة متينة ما كنت أظنها باقية في البادية وأرجو أن لاتفقد بتاتا من أهل الحضر ولو تهيأ لسكان اليمن ونجد خاصة شيء من المدنية الصحيحة لفاقوا ولاجرم الانكليز السكسونيين باخلاقهم وأناتهم وروَيتهم واني لما خبرت القوم أيقنت بفساد القضية التي وضعها أحد الباحثين في أصول الشعوب من أن الطيش والرعونة والفسق تغلب على سكان البلاد الحارة ومع ان بلاد هؤلاء الاعراب من الاقاليم الحارة جعلت منهم التربية الدينية المعتدلة أهل اعتدال وكمال ورجال مال وأعمال

هذا وقد أطلت حواركم حتى خفت عليكم التبرم بحديثي واني حامد شاكر لكل ما تم علي لايقاني بان الحوادث أكبر معلم ولولا الحادثة الاخيرة في دمشق لما تيسر أن أبلغ مصر من شرقها وان استمتع بلقيا كم الآن وأرجو أن يدوم لي هذا الاستمتاع ولكن على شرط أن يقيض الله للبلاد العثمانية من يغار على مصالحها وينقذها من سقطتها . واسأل قاهر الجبابرة والسلاطين أن يمن علينا بنعمة الراحة أجمعين

مطبوعات ومخطوطات

الحضارة القديمة

تأليف أحمد بك كمال (ص ٣٨٣) طبع بمطبعة مجلة الجامعة المصرية

أهدانا محمد كامل افندى فيضي مدير مدرسة القاهرة وأحد أصحاب مجلة الجامعة المصرية نسخة من هذا الكتاب النفيس والمؤلف أعظم أثري في هذا القطر وكتابه هذا محاضرات كان يلقيها على تلاميذ الجامعة في حضارة قدماء المصريين يلخص بها خلاصة اختصاصه بهذا الموضوع الجليل وهو مكتوب بأسلوب ساذج ومحلى بالرسوم والصور بحيث يلمُّ قارئه الماماً كافيا بالتاريخ القديم وآثار الفراعنة في مصر

الحضارة الاسلامية

تأليف أحمد زكي باشا (ص ٨٤) طبع في مجلة الجامعة المصرية

وأتحفنا المومأ اليه أيضا بنسخة من هذا الجزء النفيس وهو أيضا محاضرات مما كان يلقيه البحاثة المؤلف على طلبة الجامعة المصرية وفيها كلام نافع على أحوال الامة العربية قبل ظهور الاسلام ثم كلام موجز على دول الاسلام وانتشار كلمة التوحيد والتدوين والخط وغير ذلك مما كاد يكون الاستاذ المصنف متفردا في البحث فيه

ليالي الروح الحائر

تأليف محمد لطفي افندي جمعة طبع على نفقة مكتبة التأليف بمصر سنة ١٩١٢ (ص ١٩٢)

مؤلف هذا الكتاب من خيرة الخطباء والكتاب في مصر نشر عدة رسائل وكتب تعريبا وتأليفا وآخر كتبه هذا السفر اللطيف الذى جمله في صورة

رواية والحقيقة انه كتاب في الاصلاح السياسي والاجتماعي والادبي ومن فصول الكتاب ما يأخذ بمجامع القلب ويفيد إثارة عواطف النفس ومنها ما يشير به المؤلف الى أمور لا يوافقه عليها الكثيرون اليوم في هذا الشرق كتبها باسلوب صريح دل على تفانيه في الحرية والتسامح

حكم نابوليون

ترجمة محمد لطفي افندي جمعة طبع على نفقة مكتبة التأليف بمصر سنة ١٩١٢ (ص ١٦٩)

وهي حكم أثرت لنابوليون أعظم الفاتحين في القرن الماضي صدرها بترجمة حياته وعربها على أسلوب سهل حرية بان يتدارسها أبناء المستقبل فيستفيدون الكلم الملاح من المأثور عن ذاك السفاح .

كلمات نابوليون

تعريب ابراهيم افندي رمزي طبع بمطبعة الهداية بمصر سنة ١٩١٢ (ص ١٣٥)

هذا الكتاب هو عين الكتاب الذي سبق الكلام عليه عربه الكاتبان عن مصدر واحد و ياليتهما اكتفيا باحدى الترجمتين وصرفا الوقت في نقل كتاب آخر وهذه الترجمة كالتي قبلها حسنة والمترجم أيضا من أدباء مصر العاملين

اياك

تعريب ابراهيم أفندي رمزي طبع بمطبعة الهداية (ص ٥٦)

رسالة فيما يجب للرجل المتحضر ان يتخطاه ولا يقع فيه من الاطوار والاقوال والعادات حرية بان يتدارسها ناشئتنا ليربوا على العادات الصحيحة والاطوار الرجيحة

الوسيط في تراجم أدباء شنقيط

تأليف الشيخ أحمد بن الامين الشنقيطي

طبع بالمطبعة الجمالية بالقاهرة ١٣٢٩ — ١٩١١ (ص ٥٤٢)

اهدانا محمد أمين أفندى الخانجي الكتبي طابع هذا الكتاب وعشرات غيره من الكتب النفيسة نسخة من هذا السفر وفيه كلام بديع على أدباء ذاك القطر وشعرائه وعلمائه وتخطيط البلاد وعاداتها واخلاقها واقتص اديانها والمؤلف من كبار اللغويين في هذا العصر املى هذا الكتاب من محفوظه فسد بما نقله من شعر ابناء قطره واخبارهم ثلمة مهمة في عالم الادب وزاد الكتاب رونقا جمال وضعه وطبعه وشكله.

الاعلام بمثلث الكلام

لمحمد بن مالك النحوي الاندلسي المتوفى سنة ٦٧٢ ويليه كتاب
المقصور والممدود له أيضا وعليهما شرح لناشرهما
الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي
طبع بالمطبعة الجمالية سنة ١٣٢٩ (ص ٢٨٨)

هذا الكتاب من المهمات التي لا يستغني عن الانتفاع بها كل طالب لاحكام ملكة اللغة وكيفية النطق بالفصيح نظمها ابن مالك شعرا سلسا مشكولا بالشكل الكامل وعلق عليها الشيخ الشنقيطي ما يقتضي لها من الشرح لئلا يتعاصى على الطالب فهمها فجاءت من الكتب الجديرة بان لا يغفل عنها عشاق اللغة وان يتدارسوها كما يتدارس طلاب النحو ألفية ابن مالك فنشكر معلق حواشيها على همته ونشاطه

ديوان الشماخ

طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٧ ص ١٢٠

نشر هذا الديوان للشماخ بن ضرار الغطفاني الصحابي الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي أيضا وهو من الدواوين التي تقوي ملكة الادب ويستفاد من سلاستها وحكمها وقد جاء الشرح أوسع من الاصل

مختارات البارودي

لمحمود سامي باشا البارودي المتوفى سنة ١٣٢٢
بالقطع الكامل طبع بمطبعة الجريدة بمصر سنة ١٣٢٧ — ١٣٢٩
« أربعة أجزاء في ١٨٠٣ ص »

البارودي أكبر شعراء العصر والشعراء قد يكونون في اختيارهم أعظم منهم في شعرهم كما قيل عن أبي تمام الطائي في حماسته ولعل البارودي الذي صرف شطرا من أوقاته في أخريات ايامه قد وفق الى ذلك فقد جمع من شعر ثلاثين شاعرا من فحول الشعراء المولدين ما فر به عن الطلاب عناء كبيرا ورتب مختاراته على سبعة أبواب وهي الادب والمديح والرثاء والصفات والنسيب والهجاء والزهد اما الشعراء الذين اختارهم فهم بشار بن برد العباس بن الاحنف أبو نواس مسلم بن الوليد أبو العتاهية ابن الزيات أبو تمام البحتري ابن الرومي ابن المعتز المتنبي أبو فراس الحمداني ابن هاني الاندلسي السري الرفاء ابن نباتة السعدي الشريف الرضي أبو الحسن الهاني مهيار الديلمي أبو العلاء المعري صردر ابن سنان الخفاجي ابن حيوس الطغرائي الغزي ابن الخياط الارجاني الابيوردي عمارة اليمني سبط ابن التعاويذي ابن عينين. وقد علق عليه جامعه شرحا وجيزا لغويا وعني بتصحيحه كاتب يده الشيخ ياقوت المرسي وفيه شكل على الابيات المشكلة وطبعه جيد وحرفه مشرق يوفر على ابناء العصر ممن ضاقت أوقاتهم عن ان تتسع لكل شيء اذا اقتنوه وتدارسوه فعلى جامعه فقيد الادب والشعر تنهل ديم الغفران

اخبار وافكار

المستعمرة اليهودية في أسوان

جزيرة أسوان أو مدينة الفيل المعروفة عند اليونان باسم الفنتين وتسمى أيضا قبح و بالعربية جزيرة البربا وجزيرة الذهب و بالمصرية القديمة مدينة أبو هي من البلاد التي توفر علماء الآثار على البحث فيها والتنقيب في ارجاء عادياتها وصرفوا على ذلك الاموال الطائلة فظفروا ببعض المستندات التاريخية وقد كتب أحد علماء الفرنسيس في مجلة السكورسبوندان مقالة في نزول اليهود هذه الجزيرة قال فيها اننا نجهل الحوادث الخاصة التي دعت جماعة من الاسرائيليين ان يأتوا من مملكة اليهودية فنزلوا جزيرة أسوان ولا نعلم الا ان هناك حملة عسكرية اقامها المصريون على مايظهر تقوية للحامية في مدخل القطر المصري الجنوبي . وقد كان من افتتاح بختنصر لمدينة اورشليم أكبر حامل لكثير من اليهود على ان يهاجروا الى مصر عرفنا ذلك مما كتبه النبي أرميا وقد قادهم نيكاو الى تلك الاصقاع ونزلوا فيها بصورة قطعية واصبح معظمهم جنودا وزراعا وكانوا يسقون حقول القثاء و يزرعون الحبوب و يجنون التمر ومع هذا لم ينسوا بلادهم الاصلية بل توطنوا على شاطيء النيل ولم يبرحوا يتذاكرون في العجائب التي حدثت زمن موسى الكليم ومازال بهم الدهر حتى ألفوا هذه الجزيرة التي نزلوها وتعلموا لغتها وعاداتها ولقد كانت أوراق البردي كلها سنة ٤٠٠ قبل المسيح ايام استقلت مصر تحت سلطة ملك من بنيها مكتوبة باللغة الآرامية وهي اللهجة التي أصبحت على عهد الفرس لغة دولية تعلمها الاسرائيليون في وقت قليل . ولم يكن من فرق يمتاز به يهود مصر الا من حيث الدين فهم يعبدون رب آبائهم ويدعونه اياهو رب السماء والمصريون يعبدون كيروم ورأسه رأس حمل وهم يركعون امامه في حين يذبح اليهود الحمل قربانا كل يوم . وقد كتبت الغلبة للمصريين على الاسرائيليين فدكوا لهم معبدهم وجعلوا عاليه

سافله حتى قال الاسرائيليون في أسوان لقد أتى علينا ثلاث سنين ونحن نلبس الخيش ونصوم واصبح نساؤنا كالايامى ولم نتطيب ولم نشرب خمرا ولم نقدم قربانا ولا بخورا ولا ذبيحة في هذا المعبد الذي تداعت أركانه . واذ قد حرموا من معبدهم في أسوان انحصروا في دائرة ضيقة مقفلة على صورة تذكرهم بما ألفوه من العادات في بلادهم ومابرحت هذه الحال بالديانة الموسوية حتى أتت عليها عبادة الاوثان الشائعة في ذات الزمن وعندها قام النبي أرميا يتنبأ قائلا ان جميع رجال بلاد اليهودية النازلين في أرض مصر سيفنيهم السيف ويأخذهم الجوع وتمت هذه الكلمات بالفعل اذ هلك اليهود في أسوان في ثورة عامة على ما يظهر . وانا اذا لم تصلنا أخبار ما أبداه الاسرائيليون من المقاومات في الغارات فقد انتهت الينا أحوالهم الخاصة فنعلم مثلا ان شريعة موسى تضيق جدا على النساء اما نساء الفتين مدينة الفيل فالظاهر انهن كن أقل رقا من غيرهن ونعرف عادات الاسرة اليهودية وأن الباثنات (الدوطات أو الجهاز) هي عبارة عن مرايا وكؤوس من الصفر والبسة من الصوف وفرش من ورق البردي ونعرف اولئك المهاجرين على ما كان لهم من الشواغل الحربية والمدنية وانهم كانوا يصرفون آونة فراغهم في النظر في الآداب ومن الاسف ان العلماء لم يظفروا بشيء من رسائلهم المقدسة ولو وفقوا لذلك لاقاموا بها عماد التاريخ الادبي بل أتمن عمدة في بنيانه

الكبريت والخصب

اثبت العلماء ان زهر الكبريت اذا اضيفت منه كمية قليلة الى التربة المنوعة التي تجعل في الاواني لتربية الزهور ونحوها يؤثر تأثيرا مهما جدا في الانبات ويزيد غلة المزروع زيادة كبرى خصوصا في التربة المستعملة على الدوام

سماد البوتاس

للاملاح المحلولة من البوتاس شأن عظيم بين مخصبات التربة وما من نبات ينمو بدون ان يتناول ولو كمية قليلة منه في التراب وكم استعمل في هذا السبيل

فكان منه ان ضاعف غلة الارض واهم مناجم البوتاس في بلاد المانيا ولذا احتكر تجار هذه البلاد تجارة هذا السماد في العالم بما القوه من النقابات وتحكموا في أسعاره على ماشاؤا . واذ كانت تربة الولايات المتحدة على خصبها لاتستغني عن هذا السماد فقد بلغ ماجلبته من السماد الالماني سنة ١٩٠٠ ٢١ مليون فرنك وفي سنة ١٩١٠ ٦١ مليونا وفي ١٩١١ ٧٦ مليونا واذادامت هذه الزيادة مطردة مما لا مناص منه كان على الولايات المتحدة بعد عشرين سنة أن تنفق في السنة على هذا الغرض مليارين ومائتي مليون فرنك وقد بذل مجلس نواب أميركا ثلاثة ملايين ليرة للبحث عن السماد الذي يمكن استخراجه من بعض جبال البلاد حتى لا تضطر الى اخراج مبلغ كبير لشراء السماد الالماني ولكن أعمال اللجنة في ذلك لم تأت بثمرة وكذلك فعل غيرها واذ يئس الباحثون من العثور على السماد المطلوب من اليابسة أخذوا يفكرون في استخراجه من البحر اذ أن في ماء البحر كمية من املاح البوتاس ولذا كان المحيط الكبير حوضا لا ينفد منه البوتاس وحسبوا انه اذا استخرجت من البحار جميع املاح البوتاس الموجودة فيه يتأتى الحصول على طبقة من السماد تغطي أراضي الولايات المتحدة على علو ٣٠ مترا على انه من الصعب استخراج ما ينبغي الآن للفلاحين من الكميات وان ثبت للطبيعيين ان النباتات الكبرى في المحيط الهادي، تحتوى على كميات وافرة من الاملاح وهذه النباتات اسمها باللسان النباتي نبر وستيس و يمكن استنباتها بكميات وافرة في البحار الاميركية من تخوم المكسيك الى المحيط الشمالي ويبلغ طول الواحدة عشرين مترا تتألف منها غابات غيباء وكل طن يجفف من هذا النبات يحتوي على ٢٤٠ كيلو من ملح البوتاس تساوى مئة فرنك ويقدرن بان كل هكتار من سطح البحر يحتوي على مائتي طن من هذا النبات والحكومة الاميركية تفكر كل التفكر بهذا المشروع الحيوى

تلفون الصم البكم

تأسف أحد العارفين من الصم البكم في الغرب واسمه ويليام شواف لانه محروم هو واخوانه من التخاطب بالتلفون فاخترع طريقة جديدة تفي بهذا الغرض واستعمل النور بدلا من الصوت على طريقة أسهل من الراديوفون لايحتاج معها المخاطب الى الـكلام مع مخاطبه الا ان يمعن النظر في آلة امامه فيها الحروف والارقام التي تتألف منها الـكلمات والاعداد والمصابيح الـكهربائية لاتضيء الا اذا اشتغلت الآلة الـكاتبة وتنطفيء بانطفائها . هذا اختراع الصم البكم لانفسهم بانفسهم فمتى يخترع يا ترى في الشرق من سلمت حواسهم من الآفات .

اعماق البحار

ثبت لاحد الاخصائيين في درس الابعاد ان المحيط الا تلانتيكي يمتد من اسلاندة فيبلغ ١٥ الف كيلو متر طولا وعلى جانبيه حوضان يبلغ عمق البحر فيهما من ٤٠٠٠ الى ٦٠٠٠ متر وفي بعض الاماكن لا يكون أكثر من مئة متر وان هذه المحال كثيرة الاسماء وأعمق محل في البحر الاتلانتيكي يقدر ب ٨٣٤٠

الفلسفة الحسية

واضع هذه الفلسفة المسماة بالبوزيتيفيزم هو اغست كونت الفرنسوي وعن فلسفته أخذ الفيلسوف سبنسر الانكليزي ولهذه الفلسفة في ديار الغرب انصار كثيرون ولم يعدم الشرق اناسا يقلدون أيضا في قبول مبادئه فمنهم فئة في القاهرة واخرى في الاستانة ولا ندري ان كانوا قبلوا الفلسفة الحسية بعد دراستها أو تناولوها تقليدا .

ولهذا الفيلسوف ميل شديد للاسلام وحسن ظن به وكثيرا مايوصي بتلاوة القرآن والتوراة والنظر فيهما وكان لكونت اعتقاد جازم بمستقبل الاسلام ويعجب بما قام به من الخدم للمدنية ذكر ذلك غير مرة في كتبه ولاسيا في كتابه الى الصدر الاعظم رشيد باشا سنة ١٨٥٣ وذكرت مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية ان المسيو

كريستيان شرفيلس قدجمع مؤخراً أقوال الفيلسوف كونت في المادة مقدماً لها مقدمة طلب فيها التضامن بين الاسلام والفلسفة الحسية قال وعلى فرض ان الاسلام صار الى خطر فلا يكون له ملجأ أضمن من دين الانسانية اي فلسفة كونت .

عيون النبات

أثبت أحد كبار اساتذة النمسا في النبات ان لكثير من النباتات حاسة النظر و يمكن تشبيهها بالحيوانات الصغرى وخلاياها تشبه خلايا الهوام التي بها تبصر ومعلوم ان للذباب العادي أربعة آلاف خلية وسبعة عشر الفا للفراش وقد أيد هذا الرأي بعض اساتذة من انكلترا وقالوا ان للنباتات عيونا حقيقية كعيون النحل تميز بها مايعرض امامها بعيدا كان أو قريبا

غلاة الكتب

يعلق غلاة الكتب مكانة زائدة على الجلود ولذا بعثت اليهم جمعية الفنون في لندرا بانذار جميل تدعوهم فيه الى السهر على المضار التي تحدث من الحشرات التي تغشى الجلود وهي معرضة لها في الاكثر لامناص لها منها . وجلد السختيان والخنزير والرق الحقيقي أقل تعرضا لعبث هاته الهوام وليس جلد الثيران وجلود روسيا مما يجدر الاعتماد عليه في وقاية الكتب اما القماش والمقوى البسيط فيجب البتة ابعادهما من كل مكتبة يحترم مافيها و يغالى بحفظه و بقائه .

النفقات الكمالية

لو ارتقى في الشرق فن الاحصاء ولاسيما في مصر لثبت ان التغالي في الكماليات والتفاني في سبيل الطرب والموبقات يزداد شهرا فشهرا بل يوما فيوما وما غلاء أسباب المعاش بالذي يحول دون الاقبال على دور التمثيل والصور المتحركة والموسيقى والرقص والتزحلق والالعاب المختلفة ولكن ليس هذا شأن البلاد الراقية فقد أحصت باريز ما أنفق الناس في دور تمثيلها فبلغت مداخيلها في السنة الماضية نحو ٥٩ مليوناً من الفرنكات أو نحو مليونين وار بعمائة الف جنيه هذا على حين لم يتجاوز ماجمع لاعانة البائسين في تلك العاصمة الكبرى ٢٥٤ الف جنيه فتأمل

كيف يقبل الناس على المسليات ويرغبون عن الباقيات الصالحات

ملك الصحافيين

يعرف قراء الصحف اليومية أن من جملة من غرقوا في الباخرة تيتانيك التي غرقت في شهر ابريل الماضي في مياه أميركا وغرق فيها نحو ١٥٠٠ رجل وامرأة من انحاء العالم المستر وليام ستيد صاحب مجلة المجلات وملك الصحافيين في انكلترا مغيث الملهوفين وخادم الانسانية الامين ولسنا نتطال هنا الى كتابة ترجمة الرجل فترجمته تشبه تراجم أكثر العصاميين في العالم تعلم في مدرسة ابتدائية فقط ثم عمل في التجارة سبع سنين ثم اتصل بالصحافة مدفوعا اليها بعامل الولوع بها وأنشأ منذ سنة ١٨٨٩ مجلة المجلات الانكليزية وهو في الاربعين من عمره فامتازت وهي شهرية بمقالاتها السياسية المؤثرة ولكننا نريد أن نذكر له مزية من أكبر المزايا فيه وهو انه يلتهب اذا سمع ظلما نال شعبا مظلوما ولطالما شدد الوطأة على حكومته في تهورها بحرب البوير ودافع عن البوير حتى اضطرت حكومته بعد انفاق النفقات الطائلة و بذل عشرات الالوف من الانفس أن ترجع الى رأيه العادل العاقل وكل الامم كما قال أحد واصفيه مهما بلغ من عظمتها تراها كالاطفال تكشر عن نابها قبل تناول الدواء الذي يصفه الطبيب . وله اليد الطولى في انشاء محكمة السلام في لاهاي وهو الذي قابل معظم ملوك الارض وأعاظمها وعلمائها واشتهر بمحادثاته السياسية التي سن سنتها ولطالما كان يدل على الملوك والامراء وأرباب المال من ذلك ادلاله على قيصر روسيا وقوله له تنصرف الآن عظمتكم لترى القيصرة والاولاد فصرف هو القيصر بدلا من أن يصرفه القيصر ومن ذلك انه اجتمع بسلطان العثمانيين في صدد مسألة اعتداء الطليان على طرابلس الغرب وأراد السلطان أن يهديه هدية فخاف ستيد من ذلك أن يكون وساما أو غير ذلك من أدوات التشريف في الحكومات فلحظ السلطان ذلك وقال له مثلك لا يمنح وساما فرتبتك أعظم الرتب واراد السلطان أن يهديه علبة لفائف من الذهب فقبلها ولكن بعد ان أهدى هو للسلطان مسكة قلم من الذهب أيضا ولم يرض ستيد ان يأخذ قط

نفقة ينفقها في سبيل من السبل لاجل غرض يتعلق بملك أو أمة بل كان يصرف من جيبه مع انه ليس من أرباب اليسار الزائد وقد رأينا من يزيدون عليه مئة ضعف بثروتهم حتى في انكلترا يسعون الى المطامع الدنيئة ولذلك عظم موقع ستيد من النفوس حتى انه نسي حقوق الصداقة مع سيسل رودس الغني الانكليزي الكبير يوم الحرب البويرية وحمل عليه حملة منكرة لان هذا كان من النافخين في ضرام حرب الترنسفال في حين كان رود يريد ان يدفع مليون جنيه لستيد لينشئ بها جريدة يومية لامثيل لها بين صحف العالم المتمدن تباع على مكانتها مجاناً لتبث الافكار الصحيحة خالية من مؤثرات رجال السياسة والماليين والتجار والمحتالين والمشتركين والمبتاعين وغيرهم لتكون صحيفة بيضاء نقية لاتقول الا الحق ولا تدعو لغير العدل. كان ستيد الحركة الدائمة في العالم يطوف لاقناع الامم والحكومات باقامة العدل يفكر أثناء السفر ويكتب في البحار وعنايته بمجلته جعلتها في مقدمة مجلات العالم وكذلك كان في كل عمل تولاه قبلها ولا سيما رئاسة تحرير البال مال غازت وكان على جانب من التدين كبير يقول بامور في الارواح لايقول بها المشتغلون بالابحاث الطبيعية وبقي على تدينه الى آخر حياته فهو خدم الانسانية طول حياته وخدم امته أجل خدمة وسجن مرة لفرط حريته وخرج بعد ثلاثة أشهر أقوى همة مما كان قبل السجن وبالجملة فهو تمثال الصحافي الحقيقي بعلمه وتجاربه ومضائه وشرف نفسه وبعده عن المطامع لا كاكثر الصحافيين في الشرق والغرب لصوص في صورة صلحاء وابالسة يقولون قول الملائكة ويفعلون فعل الخنازير وما الفضل في الحقيقة في نبوغ هذا الصحافي العظيم الا السلامة محيطه ومن كانت امته كالامة الانكليزية في حبها الحق والعدل كان حريا ان يعمل مثل ستيد الاعمال الكبرى التي لايحلم بها كل انسان

فقيد دمشق

فقدت دمشق عالما أديبا من الطراز الاول استاذنا السيد محمد المبارك الجزائري عن ٦٧ سنة كان فيها مثال الادب الرائع والاخلاق الفاضلة وكرم النفس.

درس كما يدرس أهل عصره فحفظ القرآن واتقن العلوم العربية والدينية واختص باللغة والادب ثم بالتصوف ومما استظهره مقامات الحريري فكان يتلوها كلها لايخرم منها جملة وعلى اسلوبها نسج في شعره ونثره فكثرت الفاظهما وجناساتهما أكثر من معانيهما ومقاصدهما وله قدم راسخة في النقد الادبي واللغوي قل ان يدانيه فيه أحد في سورية . وللاستاذ محاورات وقصائد ورسائل ورحلات أهدى معظمها في صباه للامير عبد القادر الحسني الجزائري واشتغل في آخر عهده بالطريق يمازجه حسن العشرة والظرف وكان مجلسه على وقار فيه اشبه بمجالس الادباء منه بمجالس المتصوفة والفقهاء هذا مع سماحة اليد وطلاقة الوجه بحيث لم يدخل منزله أحد على كثرة من كان يغشاه من مريديه الا و يكرمه جهد طاقته و يصدر عنه بفائدة أدبية أو اخلاقية تستميل قلبه وكانت له طريقة في معالجة صرع المصابين بالنوبات العصبية وغيرها لاتعرف لها تعليلا علميا . وقد قرأ لتلاميذه ومريديه كتبا كثيرة في التصوف والادب والحديث والتفسير وصحح ماوقع في أكثرها من الاغلاط والاوهام فبرهن لمن عرفه انه أديب في حقيقته صوفي في مظهره طويل النفس حتى في الجزئيات طاب ثراه

قصة

نتائج الاهمال (١)

دخلت عشية ذات يوم مكاناً عاماً تعرض فيه الصور المتحركة لاقضي ليلة من ليالي همومي فانصرف بالفرج عن السياسة فبينما أسرح الطرف لاختار محلا للجلوس لفتت نظري فتاة مسدمة لا تجاوز الرابعة عشرة سنة تمشي رقصا وتتيه عجباً بملاءة من الحرير الاسود مزركشة بانواع التخاريم ضيقة الاطراف والاذيال تكاد تظهر أعضاؤها فيرى الناظر اليها خصرها النحيل الذي زاد نحولا بضغط

(١) بقلم شكري بك العسلي

المشد وهو محاط بزنار من الحرير الاسود ويرى نهديها نافرين وكفلها بارزا وكأن هذا المظهر غير كاف حتى أخرجت شعرها المتجعد من فوق جبينها الوضاح كأنه اكليل من الازهار وزان الخالق جبينها بقوسي حاجبيها وأما عيناها النجلاوان واجفانها المتكسرة وأهدابها البارزة فقد زينتها بكحل اسود خص بغانيات مصر كحل يزدن به كحلهن جمالا يسحرن بغمزهن قلوب الناظرين ولها أنف مستو يعلو نصفه برقع شفاف من الحرير الابيض زاد تصنع الفتاة وجمالها بهاء ورونقا ومثلها في بياض ناصع على انها قريبة من البياض ولما دخلت لفتت رأسها الى الجانب الايمن فتراءى من تحت البرقع جيد اشبه بجيد الغزال مطوق بطوق من الذهب وهي مكشوفة الزندين كأنها ذاهبة الى مرقص على النمط الافرنكي فقلت في نفسي ما هذا التبرج ? وهل بعد ذلك اقول أنها في حجاب ! على انه اعجبني تستر بعض السيدات المصريات بما يطلقن عليه الحجاب الشرعي اذ لا يتيسر للمرء لايراهن متبرجات تبرجا جاهليا وكيف يجوز للشريفة العفيفة أن تتبرج لغير زوجها ? وما التبرج الجاهلي الا دليل السذاجة وسلامة الطوية أو دليل خبث النية أو عادة سيئة .

أسفت عند ما رأيتها دخلت الى أمثال تلك الامكنة العامة وحيدة وليس معها مكلف من محارمها يدفع عنها أذى المتهتكين ومن الاسف دخول السيدات الى الامكنة العامة حيث يختلطن بالرجال ويسمعن من الالفاظ ما يؤذيهن وما هذا العمل الاخرق لآداب الشرق وشرف الحجاب

دخلت تلك الفتاة محلا خاصا فدعاني حب الاطلاع على الامور المغروس في فطرة الانسان ان أراقب اعمالها فدنوت من المحل الذي جلست فيه وما أشد دهشتي وقد شهدتها تتعاطى كؤوس بنت الحان مع حبيب يغازلها فاشتد غيظي وزدت هما وكدراً ولم تمض بضع دقائق حتى دخل فتى مصري و بصق في وجه الفتاة وعنفها بكلام مخجل فلما رأته ارتعدت له فرائصها ووقعت هي وحبيبها في اضطراب ووجل ثم رجع الفتى وأتى برجل من الشرطة وأخذ يراقب مكانهما فسمعتها تقول « يادهوتي

بعرضك ياسيدي وانا اعمل ايه دي الوقت » فقال لها تربصي وخرج وأتى بعربة فركب فيها مع الفتاة وذهب فتبعه الفتى والشرطي بعربة أخرى فتبعتهما بعربة ثالثة الى أن وصل الحبيبان الى احدى المخافر ونزلا معاونظرا الى الفتى نظرة تهديد وهما بالدخول الى المخفر لكن الفتى المصري ظل سائرا مع البوليس فتبعتهما مسافة قليلة ثم نزلت ووقفت أراقب اعمال الحبيبين فرأيت انهما لم يدخلا بل ركبت الفتاة المركبة بعد ان كلمت الشاب بضع كلمات وذهبت وبقي هو امام المخفر ثم رجع ذلك الفتى وكلم حبيبها هنيهة غير قليلة وأنا أنظر اليهما واستخرج المعاني من حركاتهما وأشاراتهما فتبين لي ان الحبيب كان يؤنب الفتى على عمله وكان الفتى يأتي بحركات تدل على الاعتذار . ثم تصافحا وتفارقا .

هم الحبيب بالرحيل فدنوت منه وخاطبته بلطف : أيسمح لي سيدي بأن أكلمه واسأله عن بعض الامور وأنا راج عفوه على جرأتي لمشافهته من غير سابق معرفة فأجابني بكل لطف لك ذلك وكرامة .

سيدي اعلم اني رجل غريب عن هذه الديار قام في ذهني ان أدرس أحوالها لاقف على الحياة الاجتماعية في هـذا القطر وقد راقبت اعمالك وما جرى لك مع الفتاة المسلمة من أوله الى آخره ولاحظت ان في المسألة غرابة وأمراً ذابال وان وراء الستار أمورا لم أكشفها عن بعد فهل تسمح لي بان تقص علي جلي الامر لاعلم ان كنت مخطأ في ظني أم انا مصيب ولا يدخلك ريب مني لأني فهمت أكثر ما تخلل القصة ولا احتاج الا الى كشف الحقيقة فاطلعني عليها لئلا أخلط في ظنوني

— ما اسمك ومن أنت قبل كل شيء . — أنا فلان

— أو أنت فلان كم سمعت باسمك — نعم أنا فلان

— لي الشرف بمعرفتك أما أنا فأني . . . .

— تشرفت بحضرتك هات اذا قص عليّ أمرك كله ولك الفضل

— مادمت في علم من أمرنا فها نذا أقص عليك ماوقع لي بجملته ولكن

تعال وتفضل لنجلس في مكان فجلسنا في قهوة قريبة ثم شرع في الحديث يقول :

اعلم ياسيدى ان لي صديقا عرفني الى هذه الفتاة وهي من عائلة كريمة ولا تزال تلميذة في احدى المدارس الداخلية وكان بينها وبين الصديق روابط واجتماعات دامت نحو عام وصادف أني وجدتها عند صديقي فقدمني اليها فمال قلبي اليها واقتنصت الفرص فطلبت الاجتماع بها فوعدتني هذه الليلة الى ذلك المكان لان ليلة السبت ليلة دخولها المدرسة فالمدرسة لا تهتم لتأخرها على ما يظهر وأهلها يعلمون انها ذهبت الى المدرسة فتحتال على عمدة المدرسة وأهلها في آن واحد وهكذا كانت تفعل مع صديقي الذي أغواها اغواء الشيطان ولعب بعقلها في كتبه الغرامية وهي لا تزال في سن طفولتها لا تعرف كيف تفكر في مستقبلها وشرفها مع شرف أسرتها فسحرلبها واستحوذ على عواطفها فانقادت له طيعة حتى صارت لا تبالي بشيء يمس عفافها ولا يخفى عليك أن أكثر الجاهلات يعتقدن ان الفتاة اذا كانت بالغة فهي حرة تتصرف بشخصها كما تشاء .

— فقلت تبالك أيتها الحرية كم أساء اليك الجاهلون والجاهلات وكم ارتكبت باسمك الفظائع البشرية دخلت الشرق من الغرب بعد فقد حريته الطاهرة فلم يأخذ منك الا حرية الرقص والمداعبة وحرية تناول الكؤوس على رؤوس الاشهاد والتفاخر بالمقامرة واعتبار القمار دليلا على المدنية وحرية التبرج وفي الجملة حرية كل شيء يمس الفضائل ومحاسن الاخلاق وما يجرح العواطف الشريفة ولم يأخذ منك حرية الكلام والاجتماع والجمعيات ولا حرية الكتابة والطبع والمطبوعات ولا حرية التعليم التي فيها الحياة ولذلك فشا الفساد في الشرق وأصبحت الرذائل مكان الفضائل على اننا في حاجة الى حرية فاضلة وأما حرية تلك الرذائل فانها لا تثمر الا فساد الاخلاق وموت الفضيلة وتخدير الشعور والاحساس وقتل الشعب وإماتة الجامعة وذل الامة .

وحبذا غيرة الحكومة المصرية في منعها الحشيش حبا باحياء النفوس التي أماتها والعواطف التي خدرها وليت الحكومة تبذل مثل هذه العناية في منع التهتك

ولعب القمار الذي فيه الدمار .

مهلا ياسيدي لقد حركت عواطفي وجرحت فؤادي وأخجلتني على انها هي التي شجعتني فلولا اني رأيت منها ميلا وأنست منها حنواً لما أقدمت على طلب الاجتماع بها .

— تباً لكم معشر الرجال ما أقسى قلوبكم تصرفون اقتداركم و معارفكم في التسلط على قلوب النساء الضعيفة وهل تنتظر مقاومة تتمثل فيها العفة والعقل عفة تمنع قلب هذه الفتاة الضعيفة التي لاتزال في مهد الطفولية بين صفوف الطالبات من تضليل الرجال وحبائلهم الشيطانية ولا ريب بان صديقك هو الذي اغواها وافسد اخلاقها نعم انا لا أشك بان الوسط الذي تنشأ فيه الفتاة من اكبر العوامل المؤثرة في نفسها ولكنني لاأجهل ايضا ان حسن التعليم واتقان التربية في المدارس وشدة الاعتناء تصلح ما فسد في البيت وربما قرأت عن جيش المجاهدين في بلاد اسوج كيف يحاربون البغاء ويخاصون الباغيات من العهر والفجور فتصبح العاهرة بفضل هذا الجيش المنظم مثال الطهر والعفة فالفتاة التي نشأت على تربية حسنة ثم زينتها المدرسة بالآداب والفضائل وثقفت عقلها وأحسنت تعليمها لا يستهويها فاسد مثل صديقك ولكن نقص التربية البيتية وعدم الاعتناء في المدرسة وهذه الحرية الفاسدة ومهارة أمثال صديقك تفسد الملائكة فما بالك بالنساء وماقلوبهن الاهواء فلنرجع الى حديثنا

— كان موعدنا هذه الليلة فخرجت الفتاة من بيت أبيها تحمل ما يلزمها في المدرسة وأتت اليّ لاقضي معها ساعة أنس وطرب فلما جاءت أدخلتها المحل الذي أعددته لها فلما دخلت طلبت لها الجعة فما بدأنا بالشرب حتى فاجأنا الفتى المصري وبصق في وجهها وشتمها وخرج يستقدم الشرطي كما رأيت فأخذها الخوف الشديد وداخلني الريب فكنت أكثر منها خوفا فسألتها عنه فقالت هو ابن عمي فطار عقلي وأخذت افكر بماذا افعل فخطر ببالي التظاهر بالشجاعة لأني خفت من ان يكون الامر مدبرا ليتهموني بها على ان الجاني كان صديقي فخرجت

من المكان واخذتها معي فركبنا العربة وذهبنا الى المخفر لاشكو الرجل والشرطي لانهما اعتديا على حريتنا

— بئست تلك الحرية

— ولما رأى الفتى دخولنا الى المخفرة ذهب مع الشرطي فسارعت بارككاب الفتاة وأرسلتها الى مدرستها واذ رجع الفتى عرضت له قصتي فقال انه من جمعية سرية تناهض البغاء والفجور وانكر انه ابن عمها ولكنه يعرفها واخبراني عن امرتها ثم تفارقنا على ذلك واشهدك والله على اني تبت توبة نصوحا ولن أفعل مثل هذه الافعال لان الخوف الذي استولى علي لم أصادفه في حياتي وبعد ان مكثنا هنيهة من الزمان تفارقنا على امل دوام المحبة

فهذه قصة واقعية حذفت منها ما حذفت لئلا يفهم الناس ابطالها ونشرتها لتبرهن للذين لا يفهمون معنى الحرية ان الحرية الفاضلة انما وجدت لرقي الشعوب وراحتهم ولكن امثال هذه الحرية الفاسدة لاتقوم بشعب بل تكون علة انحطاطه بعلمه وادبه واخلاقه ونفوسه وماله

صدور المقتبس

يعود المقتبس اليوم الى الصدور في القاهرة بعد ان فارقها نحو أربع سنين الى دمشق متخلصا من مشاغب السياسة ومتاعبها . وكأننا شعرنا بما نلقاه في خلال هذه السنة السابعة لاصدار المجلة فاشرنا في المقدمة الى اننا سنتخلى عن السياسة الآن لننصرف جملة واحدة الى خدمة العلم فها قد تحقق ظننا مكرهين وعدنا الى هذا القطر السعيد مغبوطين وسيكون لنا من محيطه الواسع ومدنيته الغضة مايدعونا بحول الله الى تجويد عملنا هذا أكثر مما جودناه فنخدم قراء العربية فيما نؤلفه ونترجمه ونبحث فيه وننتقده ويكتبه لنا مؤازرونا الكرام في البلاد العربية وغيرها حتى نبلغ بالمقتبس الدرجة التي نتوخاها المناسبة لرقي البلاد والامة والله المسؤول ان يسددنا الى الصواب ويجلو لنا غامض العلوم والآداب بمنه وحسن تيسيره

المقتبس

تاريخ الحضاره

مترجم عن الافرنسية

نتائج الحروب الصليبية = كانت نتيجة الحروب الصليبية قصيرة العمر فلم تستطع مملكة القدس أن تقاوم المسلمين بل انحلت سنة ١٢٩١ ودك البزنطيون أساس الامبراطورية اللاتينية التي أسست سنة ١٢٠٤ ولكن القبر المقدس أخذ يجذب اليه كل سنة ألوفا من الحجاج فخصصت لنقلهم سفن تقلع من البندقية وجنوة ومارسيليا وهكذا ابتدأت الصلات المنظمة بين ايطاليا والشرق

ولم تكن توجد أدوات الزينة وحاصلات البلاد الحارة وابازير الهند (كالفلفل وجوز الطيب والزنجبيل والقرفة) والعاج وحرير الصين والاقمشة والبسط والسكر والقطن والورق الا في أسواق الاستانة وبغداد والاسكندرية وكانت هذه السلع التي يرغب فيها الغربيون من وراء الغاية ويبذلون في سبيلها كل مرتخص وغال تربح أرباحا فاحشة فقد بدأ أهل البندقية رعايا الامبراطورية البزنطية يتجرون مع بزنطية : وأخذ الناس في أوربا في القرن الثاني عشر يؤثرون أن يذهبوا لاستبضاع متاجر الشرق من مصادرها فتبعث المدن التجارية الكبرى في ذلك العهد كالبندقية وجنوة وبيزا سفنها الى موانئ فلسطين حيث كانت تصل قوافل دمشق وبغداد وكان للبنادقة في القرن الثالث عشر حي خاص في القسطنطينية بعد أخذها ومكاتب تجارية حتى البحر الاسود حيث يتجرون وطربزون وسمح أمراء المسلمين في مصر وطرابلس الغرب بالتجارة مع رعاياهم وعقدت البندقية وجنوة معاهدات تشبه هذه فاخذت مراكب البندقية وجنوة ترد بصورة منظمة الى الاسكندرية

تقل الابازير والاقمشة وعلى هذا فالصلات بين الغرب والشرق قد بدأت بحرب بين المؤمنين وانتهت بمسائل بين المتجرين وآخر تجار الالمان وكانوا الى القرن الحادى عشر يجلبون بضائع الاستانة بركوب المراكب فى نهر الدانوب أن يجتازوا جبال الالب ويبتاعوها من تجار ايطاليا فتغير طريق التجارة الاعظم وترك طريق الدانوب وأصبح طريقها من الاسكندرية مارا بالبندقية فتنية برنير فا كسبورغ فنورمبرغ

الصلات بين الشرق والغرب — تحضر الغربيون باحتكاكهم مع الشرقيين وانه ليتعذر القول فى تحديد الطريق التى دخل منها الى اوروبا اختراع من اختراعات الشرق فهل انتهت الينا من طريق أهل الصليب (١) فى فلسطين أومن طريق التجار الايطاليين أو العرب فى صقلية أو من المغاربة فى أسبانيا ولكن يمكن تقدير الحساب عما نحن مدينون به للعرب وهذا الحساب يطول شرحه

فقد أتانا من العرب (أولا) الحنطة السوداء والهليون والقنب والكتان والتوت والزعفران والارز والنخيل والليمون والبرتقال والبن والقطن وقصب السكر التى صبحت اهم زراعات اميركا (ثانيا) معظم صناعاتنا فى التزين مثل الاقمشة الدمشقية القطنية والسختيان واقمشة الحرير المزركشة بالفضة أو الذهب والشاش الموصلى والتفوف (البرنجك) والصندل والحبر والمخمل الذى زيد اتقانه فى ايطاليا بعد حين والزجاج والمرايا التى قلدوها فى البندقية والورق والسكر وعمل الحلويات والمشروبات (ثالثا) مبادىء كثير من علومنا كالجبر وحساب المثلثات والكيمياء والارقام العربية التى اقتبسها العرب من الهنود فسهل بها الحساب مهما كان صعبا . دع عنك السحر وعمل التعاويذ التى اعتقد فيها الايطاليون الى يوم الناس هذا وحجر الفلاسفة الذى كان بعض امراء الالمان يبذلون من مالهم للبحث عنه حتى القرن السابع عشر وذلك بواسطة صناع الذهب أو الكيماويين

ولقد جمعت العرب وقربت جميع الاختراعات والمعارف المأثورة عن العالم القديم فى الشرق (كيونان وفارس والهند بل والصين) وهم الذين نقلوها الينا وقد

(١) ربما بولغ فى تقدير حظ الصليبيين من هذه الحضارة وذلك لان اهل الصليب فى فلسطين لم تكن لهم صلات الامم محاربين من المسلمين جاؤا الى عالم الاسلام حديثا وهم برابرة متوحشون

دخلت كثير من الالفاظ العربية فى لغاتنا (١) وهى تشهد بما نقلناه عنهم . و بواسطة العرب دخل العلم العربى الذى اصبح بربريا فى غمار المدنية فاذا كان لافكارنا وصناعاتنا ارتباط بالقديم فان جماع الاختراعات التى تجعل الحياة سهلة لطيفة قد جاءتنا من العرب

تأثير الحروب الصليبية فى المعتقدات — اثر الاحتكاك بالشرق فى الافكار الدينية بين المسيحيين ايضا فقد تحمسوا اولا للنزال والطعان ولما شاهدوا المسلمين عن أمم رأوا بينهم رجالا أشداء منورين كرماء أمثال صلاح الدين الذى أخلى سبيل أسرى المسيحيين بدون فدية و بعث بطبيبه الى أحد زعماء الصليبيين وقد مرض ليداويه فبدأ المسيحيون يحترمون المسلمين واذ أراد الصليبيون أن يثبتوا فضائل الديانة المسيحية للمسلمين واليهود تناقشوا بينهم فاضطرتهم المناقشة أن يقابلوا بين الاديان الثلاثة ومن هذه المقابلة استنتج بعضهم ان الاديان الثلاثة باطلة اذ ان كل واحد منها يدعى بأنها حقيقية وما عداها باطل فقالوا انه جاء ثلاثة دجالين عظام (كذا) موسى و يسوع المسيح ومحمد (صلوات الله عليهم) فخدعوا اليهود والنصارى والمسلمين وهذه الجملة نسبت خطأ الى الامبراطور فريدريك الثانى وسرت فى ايطاليا فى القرن الثالث عشر . واستنتج آخرون العكس فقالوا ان الاديان الثلاثة حسنة كلها وقصوا هذا المثل : كان لرجل خاتم له ارتباط بارثه وكان يحب أولاده الثلاثة بدرجة واحدة فصنع خاتمين اثنين يشبهان خاتمه ودفع الى كل واحد منهم خاتما ثم مات الاب فأنشأ كل من الاولاد الثلاثة يطالب بالارث الذى له علاقة بالخاتم فقضى القاضى بان يرث الارث ثلاثتهم فالنصارى والمسلمون واليهود كلهم ثلاثة أبناء لاب واحد سماوى أراد أن يكون لكل منهم حظ من ارثه . وقد جعل المسيحيون فى آخر هذه القصة اختلافا فقالوا انهم أتوا بمريض وأمسكوه الخواتم الثلاثة فشفى عند ما مس الخاتم الحقيقى والمعجزة محك الدين الحق . والمعجزات قالت ان النصرانية أفضل

فرنسا في القرن الثالث عشر

الملكية الفرنسوية فى القرون الوسطى

ارتقاء الملكية على عهد الكابتيين — لم يكن ملك فرنسا سيدا الا فى مملكته جاء

(١) مثل الالكحول والاكسير والجبر والانبيق والمخدع والصفة والتميمة وفرح وكوخ ودار الصناعة وأميرال وسمت الرأس والرقم وصفر وغيرها

القرن الثانى عشر وأملاكه لا يعتد بها فكانت سياسة البيت الملكى فى فرنسا سياسة أسرة من الفلاحين تبحث فى توسيع أملاكها فيقتنى أفراده بالبيع والزواج والفتوح أملاكا يضمونها الى أملاكهم رويدا رويدا فيبسطون أيديهم مرة على ولاية وأخرى على كونتية صغيرة (سانس وملون) وأحياناً على محلة صغرى (مثل مونلرى و بوجنسى) وقد زادت أملاك البيت المالك على عهد فيليب أغسطس ثلاثة أضعاف ما كانت عليه بأخذ أملاك دوج نورمانديا . فكثر عديد الفرسان فى جيش الملك كما كثر المال فى خزائنه والرعايا فى أملاكه أكثر من كل أمير فى فرنسا وأصبح أقدر سيد فى مملكته وأناب عنه فى أملاكه المنتشرة فى أقطار فرنسا حكاما أخذوا يضيقون خناق وكلاء كبار السادات ليجعلوا اسم سيدهم محترما فى كل صقع وناد

باريز على عهد فيليب اغسطس — كانت باريز فى القرن التاسع على عهد حصار النورمانديين لا تتجاوز رقعة الجزيرة وفى أواخر القرن الثانى عشر امتدت على ضفتى السين ولكى يجعل فيليب أغسطس الاحياء الجديدة بمأمن من هجمات العدو انشأ حول المدينة التى وسعها على هذه الصورة سورا غليظا ذا ابراج لاتزال ترى الى اليوم بعض بقاياه وظلت المدينة أبدا فى الوسط وهناك كانت الكنيسة السكاندرائية (التى أصبحت بعد كنيسة نوتردام) ومقر الاسقف وقصر الملك (حيث جمع سان لوى فيما بعد مجلس نوابه وأصبحت دار العدل أوديوان المظالم) وعلى الشاطىء الايسر من ناحية جبل سانت جنيفيف طلبة المدارس ورجال الكهنوت الذين يختلفون الى المدارس ومن هذه الجهة انتهى السور امام طرف جزيرة نورتل مارا بجبل سانت جنيفيف وامتد الى نهر السين قبالة متحف اللوفر . وعلى الشاطىء الايمن يبدأ السور قبالة المدينة و ينتهى باللوفر . وكان السكان فى هذه البقعة الضيقة يزدحمون حتى لا يضيعوا فراغا عظيما فكانت الازقة ضيقة معوجة مظلمة لا بلاط فيها ولا نور . وليس فيها بوليس تقرع كل مساء علامة الانصراف الى البيوت فيعودالاهالى الوديعون الى منازلهم و يغلقون أبوابهم وكانت الازقة عرضة للصوص والمتشردين من كل جنس ومن الخطر الجلل ان يلقى المرء نفسه فى التهلكة باجتيازها .

وما كان لمدينة باريز ادارة عامة بل كانت مبنية على أرض شطرمنها فقط ملك الملك وكانت عدة احياء ولا سيما ما بنى منها خارج السور من الارباض مبنية فى املاك الاديار التى كانت بادىء بدء بنيت فى القرى مثل سان جرمان دى برى (بالقرب من

برى أو كلرك الذى كان يمتد الى شاطئ السين) سان مرتان دى شان وسانت جنيفيف وليس الملك هو السيد فى هذه الاحياء بل رئيس الدير وله الحق لا ان يتقاضى كراء البيوت التى بنيت فى املاكه بل ان ينظر فى محكمته فى قضايا السكان والجرائم المرتكبة فى حيه اجمع .

و بعد فما كانت باريز جسما واحدا حتى ان شطرها الذى هو ملك خاص للملك يكن منظما تنظيم المديريات كما كانت كثير من المدن الصغرى (مثل أمين وسواسون و بوفى وغيرها) وليس لباريز سجل مديرية ولا شيخ بلد ولا مرقب بل كان العملة الذين يعملون عملا وحدا والتجار الذين يتجرون بصنف واحد فى باريز وفى غيرها من المدن يجتمعون اجتماعات لكل منها نظامه وصندوقه وزعماؤه . وكانت أقوى النقابات فى باريز نقابة تجار الماء أى النواخذة مجهزى المراكب الذين كانوا يتجرون على السفن فى نهر السين ولهم زعيم سموه أمين التجار (شاهبندر) ومجلس ادارة مشايخ البلد ومالبث أمين التجار ومشايخ البلدان عدوا بمرور الايام ممثلى الطبقة الممدنة فى باريز وسمى البيت الذى كانوا يجتمعون فيه منزل المدينة أو المجلس البلدى وسمى اجتماعهم جماعة المدينة ولا يزال لمدينة باريز الى اليوم شعار من قارب بقلوع رمزا الى جماعة تجار الماء وأول من سعى فى تحسين عاصمته فيليب أغسطس رأس ملوك فرنسا فلم يسورها بسور فقط بل رصف بعض أزقة المدينة وطم البواليع القذرة التى كانت حول قصره وما بدأت اقامة المصانع الجميلة الا فى القرن الثالث عشر ولم يبق فى باريزنا الحديثة من باريز فيليب أغسطس سوى قبة جرس سان جرمان دى برى وكنيسة سان جوليان لو بوفر الصغرى

سان لوى — كان سان لوى ملكا تام الادوات على نحو مايطلب فى القرون الوسطى مسيحيا خاضعا وفارسا شجاعا وقاضيا شديدا حاز جميع الفضائل التى تبلغها مدارك أهل عصره من مثل التقوى والشجاعة والعدل يحضر قداسين فى اليوم و يصلى الغداة و يلبس المسح و يغسل أرجل الفقراء و يعترف و يتناول تكفيرا عن سيئاته و يأمر بطرد اليهود واحراق الزنادقة وثقب السن المجدفين بحديدة محماة فتراه فى الحرب يتقدم صفوف رجاله وما قط شوهد فارس مثله كما قال جوانفيل فهو حكيم القرن يتأدب مع الله و يشعر بما يجب عليه بان يحكم بين الناس بالعدل وكثيرا مايذهب الى غابة فنسين ليجلس تحت سنديانة أو فى حديقة المدينة وكل من لهم شأن يأتونه

فيكلمونه بدون ان يزعجهم مزعج من الحجاب فيحكم بينهم فيامهم فيه مختلفون وأقصى امانيه ان يحكم فى الجميع حكما عادلا لاهوى للنفس فيه . صلب أحد كبار سادات المملكة انكران دى كوسى ثلاثة من الطلبة لانهم اصطادوا فى قصره فقبض الملك عليه وجاء به الى قصره فطلب بقية السادات بحسب العادة ان يدفع هذا السيد عن نفسه بالبراز فابى سان لوى ذلك قائلا ان مسائل الفقراء والكنائس والاشخاص الذين تنبغى لهم الشفقة لايجب المرء ان يسترسل فيها على هذه الصورة فيجعل الحكم للغالب فاغتاظ السادات وخرجوا من قصره فترك الملك هذا الموضوع ووضع المسألة على بساط الحكم فهتف أحد الاشراف مستهزئا لو كنت ملكا لصلبت بارونيانى نسمعه الملك وقال له : ماتقول ياجان هل تقول ان الواجب ان أصلب بارونيانى لاليس الامر كذلك بل انى معاقبهم اذا أساؤا . ولقد كان الشعور بالعدل عظيما فى سان لوى بحيث رفعه الى مستوى أعلى السادة وحظر البراز فى كل بلاده وأصبحت جميع المسائل التى كان يتحاكم فيها الى البراز يحكم فيها بحجج وشهود لان القتال كما قال ليس طريقا الى الحق و بهذا فقد قدس سان لوى المملكة الفرنسوية وعود القوم ان يروا ملك فرنسا مصدر العدل كله .

معاهد سان لوى — نفع سان لوى بالقدوة والاحترام الذى حازه أكثر مما نفع بالقوانين والانظمة ولقد ظن زمنا طويلا انه سن جملة من القوانين كانوا يسمونها نظامات سان لوى ثم ادركوا ان هذه النظامات الموهومة لم تكن سوى تاليف مجموعتين فى الحقوق أخذتا من العادات وكتبتا فى أواخر القرن الثالث عشر على يد أناس من أرباب التجارب غير معروفين ولاعلاقة لهم بالملك . وظن أيضا ان سان لوى ألف براءة او لوائح حقوق الكنيسة فى فرنسا ثم ثبت ان هذه اللوائح المزعومة قد وضعت فى القرن الخامس عشر وربما كانت بعد لوائح شارل السابع والاوامر الصادرة حقيقة عن سان لوى هى أوامر البراز ولوائح لتنظيم حسابات المستخدمين فى املاكه .

الحياة العقلية والصناعية

كلية باريز — كان بباريز كما كان لعامة الابرشيات مدرسة ملحقة بالكاتدرائية وكان لكثير من الاديار مدارس خاصة بها (مثل سان جرمان دى برى وسان جرمان

لو كمروا وسانت جنيفيف) وقد كثر عدد الطلبة حتى ضاقت بهم الجزيرة فاخذوا ينزلون الضفة اليسرى من السين وهناك بين سنتى ١١٠٣ و ١١٢٠ كان احد العامة من الشبان الذين جمعوا الى الجمال طلاقة و بيانا واسمه ابلارد وهو أ كثر أهل عصره استنارة (و يعرف قليلا من اليونانية والعبرانية) يلقى دروسه فى الفلسفة على ثلاثة آلاف مستمع وما كانت تسع هذا الجمهور قاعة ولا ردهة فجعل ابلارد يلقيها بين الكروم فى جبل سانت جنيفيف .

وكان من العادة الجارية ان يعقد أهل الحرفة الواحدة اجتماعات فكما يجتمع الخياطون والحذاءون وصانعو الاجواخ وأهل كل حرفة على حدتها هكذا ألف الرجال الذين يعنون بالمدارس اجتماعا خاصا وقد وقع استحسان البابا على هذا الاجتماع فى القرن الثالث عشر فسمى مدرسة باريز كلية (أى مجموع) المعلمين والطلبة فى باريز وكان لها رئيس منتخب وخدمتها ومحكمتها التى لها الحق وحدها فى ن تقضى بين الاساتذة والتلامذة وكثيرا ما تختلف كلية باريز مع أمين التجار فيعطيهم الملك الحق دونه . وقد صلب أمين تجار باريز سنة ١٤٠٣ طالبين قبض عليهما فى منازعة كالتى كانت تحدث كل يوم فى تلك الطرق الضيقة الغاصة بالمتشردين فاغلقت الكلية صفوفها فكانت هذه الوسيلة ذريعة الى نيل تعويض فاضطر أمين التجار أن يذهب لانزال المصلوبين باحتفال وأن يدفنهما و يقدم اعتذاره للكلية لانه خرق امتيازاتها

وانقسمت الكلية الى حلقات انقسامها الى ضروب من التعليم فبعد ان أدخل اليها تعليم الحقوق والطب (ولم يكن هذان العلمان يدرسان فى باريز قبل القرن الثالث عشر) صار لها أربع مدارس اللاهوت والحقوق والطب والفنون . وكانت مدرسة الفنون تحتوى على جميع علوم الترفيوم (النحو والبيان والمنطق) والكوادرفيوم (الحساب والموسيقى والهندسة والفلك والفلسفة) و يقبض الاساتذة رواتب كما يتناولون أجورا من المستمعين ودرسهم مكتوب على دفتر يأتون فيتلونه على المسامع (١) و يسكن الطلبة وهم من أعمار مختلفة فى المدينة ولكن منذ قام بعض المحسنين فى القرن الثالث عشر وأنشأوا دورا لقبول الطلبة الفقراء أخذ كثيرون يعيشون داخليين فى هذه المدارس على طريقة جروافيها على نظام الاديار وكان لكل مدرسة ثلاث درجات فى التعليم

(١) هذه العادة مازالت الى اليوم فى المانيا فان الدرس يسمى تلاوة

ينتقل الطالب من احداها بعد ان يثبت علمه بفحص وقضية يثبتها أوجدل يناضل فيه ثم يصبح بكلوريا أو معلما أو دكتوراً وكان القوم يرغبون فى نيل هذه الدرجات الثلاث لان صاحبها يجد له عملا فى الكنائس والمحاكم أو المدارس على أيسر وجه

وكانت كلية باريز فى القرن الثالث عشر أعظم مدرسة فى اوربا تؤوى زهاء عشرين ألفا من الطلبة على اختلاف بلادهم. وهى التى رسمت لاوربا صورة التعليم العالى وحذت كليتا اكسفورد وكمبردج الانكليزيتان حذوها ولما أراد أمراء الالمان تاسيس مدارس فى بلادهم انشأوا كلهم كليات جروا فيها على مثال كليات باريز ومنها انتهت الينا طريقة الرتب وتقسيم المدارس الذى لا يزال على حاله القديم فى المانيا (١)

الحقوق الرومانية — مافتىء الايطاليون يضعون الحقوق الرومانية موضع العمل وقد أخذوا فى القرن الحادى عشر يدرسونها فى ايطاليا درسا أصوليا فى كتب يوستنيانوس (٢) فكان الاساتذة والطلبة يجتمعون فى بولون و بلغ عددهم عشرة آلاف طالب واشتغلوا قرنين فى تفسير كتب القوانين الرومانية والتعليق عليها سطرا سطرا وتألف من شروحهم ذيل علق عليه علماء القانون فى القرن الثالث عشر شروحا جديدة وكانت الولايات الجنوبية فى فرنسا فقط (حتى ولاية أوفرن) تعمل بالقانون الرومانى اما ولايات الشمال فتجرى على العادة ويحكم مجلس النواب فى باريز بموجب العادة

بيد انه كان للقوانين الرومانية الترجيح على العادة وذلك لانها هى التى دونت وهى وحدها تدرس فى المدارس فكانت تسمى العقل أو الحق أى خلاف العادة بلا زيادة ولا نقص و يقضى القضاة والمحامون الذين يحملون شهادات الحقوق بضع سنين فى دراستها بعضهم فى بولون والآخر فى اورليان أو مونبليه . وكان القانون الرومانى فى عدة مواد يحكم بخلاف العادة فتشبع علماء القانون بهذا الحق وادخلوه بالتدريج حتى

---

(١) سميت مدرسة الفنون فى المانيا بمدرسة الفلسفة اما فى فرنسا فقد قسمها نابوليون الى قسمين الآداب والعلوم (٢) كثيرا مادار على الالسن ان الحقوق الرومانية قد نسيت بتة الى ان جاء أهل بيزا بمخطوط من مجموعة الفتاوى (بندكيت سنة ١١٣٥ ظفروا به فى نهب مدينة امالفى والامر الواقعى الوحيد فى هذه القصة هو انه كان فى بيزا مخطوط من مجموعة الفتاوى معتبرة جدا

على غير معرفة منهم فى العادة و بدا أدماج القانون الرومانى فى القرن الثالث عشر ودام الى آخر القرن السادس عشر فتعدلت به العادات القديمة كل التعديل ولا سيما وقد أضعف سلطة السادة والمديريات التى سكت عنها القانون الرومانى وقوى سلطة الملك وحكامه لان المشرعين قد طبقوا على الملك كل ما كان يعطيه القانون للامبراطور الرومانى من الحقوق كما طبقوا على عماله كل ما يعطيه القانون الرومانى لولاة الرومان وحكامهم وفى قانون الرومان (ان مايقضى به الامبر يكون قانونا نافذا) فاصبحت هذه الحكمة قاعدة الحكومة فى فرنسا ثم فى المانيا وكانت أساس السلطة المطلقة .

رحلة الى المدينة المنورة

البلقاء

على نحو مائتين وأربعين كيلو مترا من جنوبي دمشق بين نهر الاردن غربا وزملة العليا في طريق الحج شرقا ونهر الزرقاء شمالا و وادي الموجب جنوبا اقليم واسع خصيب سهلي جبلي اسمه البلقاء طوله من الشمال الى الجنوب ١٨ ساعة للفارس المجد وعرضه من الغرب الى الشرق ١٦ ساعة او نحو مئة كيلو متر في مئة كيلو متر وهذا الاقليم الذي يبلغ بمساحته ربع جمهورية سويسرا هو اليوم جملة عمل قضاء السلط ما عدا مسيرة ساعتين من الجنوب داخلة في عمل الكرك وقد حد القدماء اقليم البلقاء بانه بين الشام ووادي القرى وقالوا ان فيه مدنا عظمى كثيرة وان قاعدته عمان وقيل ان السلط هي راموت جلعاد احدى مدن الملجاء ومدن اللاويين المذكورة في الكتاب المقدس وربما اشتق اسمها الحاضر الصلت أو السلط من لفظه لاتينية « سالتوس » ومعناها الجبال المشجرة وكانت فيما مضى مدينة أسقفية في العهد المسيحي وقد دك المغول قلعتها ثم أعاد بناءها الظاهر بيبرس البندقداري .

وموقع السلط على منحدر جبلين متناوحين اشبه بمدينة زحلة في لبنان وكانت منذ ثلاثين سنة خالية من الحدائق والبساتين فتوفرت همة اهلها على استثمار

الاشجار والبقول فجاد ا كثرها بما عندهم من العيون التي تروي زروع الوادي اما ما كان وراء المدينة من التلعات والآكام فقد كان حراجا الى عهد قريب وآثار بعض سنديانه وملوله مابرحت ماثلة للعيان ولكن القوم قطعوها واستعاضوا عنها بزراعة الكروم التي يعد عنبها وزبيبها اجمل ماتحمله هذه الشجرة المباركة في سورية وقد يكون العنقود الواحد رطلا شاميا واكثره بلا بزر يصدر من زبيبه ماتقدر قيمته كل سنة بنحو خمسة عشر الف ليرة وفي جوار السلط قليل من شجر الزيتون سألنا احد شيوخهم عن السبب الذي دعا الى عدم استكثار القوم من غرسه فقال لاتذكرنا بغباوتنا فقد حملنا سعيد باشا شمدين احد متصرفي نابلس ايام كان قضاؤنا تابعا لنابلس على ان نغرس في هذه الاودية التي تراها مئة الف زيتونة فوقع في نفسنا ان في الامر دسيسة من الحكومة تريد بها وضع الضرائب الفاحشة على املاكنا وتسجيل اراضينا على صورة لانعود معها ملاكها الحقيقيين فصدعنا بالامر في الظاهر وغرسنا الوفا من شجر الزيتون ولكن اتدري كيف تخلصنا منه بعد ؟ كان احدنا يجيء ليلا الى غرسة الزيتون فيحركها حتى لايطلع جذعها وهكذا لم يبق من كل ماغرسه السلطيون الاماتشاهده اليوم في جوار القصبة وقليل ماهو

قلنا وعجيب تبدل تصورات الناس فرجال الحكومة بالامس كانوا يحملون الناس على زرع الاشجار ويزينون لهم اقتناء الاراضي للزراعة واليوم يطلب الاهلون في هذا القضاء وفي غيره الاراضي الموات ليحيوها ولايعطون طلبتهم وكذلك الحال في كل مكان نزلناه في طريق يثرب فان الاهلين احسوا بفوائد الارض هكذا رأينا اهل الشراة من عمال الطفيلة ومعان وهكذا سمعنا شكوى اهل الكرك وتبوك ومدائن صالح اجمع على طلب ذلك الحاضر والبادي ولكن لاحياة لمن تنادي. في حين ورد في قانون الاراضي ان كل من يحيي ارضا مواتا تبعد عن القرى والدساكر مقدار مايسمع الصوت فهي له فاين هذا القانون المسطور من عمل الحكومة اليوم

قرأنا سطور الهمة والنشاط في وجوه السلطيين مسلميهم ومسيحييهم وان كانت القاعدة في سورية كلها ان يكون المسيحيون اكثر نشاطا وتعلما من اخوانهم في

الوطنية . و بلدهم هذا ساعدته الطبيعية فساعدها أهله أيضا ودخل في طور العمران ويوشك ان يعد في جملة العظيمات من المدائن والبلدان .

وسكان مدينة السلط اليوم نحو ١٦ الف نسمة يبلغ المسيحيون منهم على اختلاف الطوائف نحو أربعة آلاف ومعظمهم الى اليوم يلبسون زيا كزي أهل حوران وهو كوفية وعقال وعباءة وجزمة حمراء وعادات القوم هنا أشبه بعادات البادية مع انهم حضر . وفي السلط قليل من الصناعة وتجارتها واسعة مع القبائل النازلة في البلقاء والرحالة في تلك الارجاء و بين عمان على الخط الحجازي والسلط نحو خمسة وعشرين كيلو مترا جعل بعضه من جهة السلط طريقا معبدا ومتى أكمل تسافر العربات والسيارات بين السلط والخط الحديدي في ساعتين وهي الآن أربع ساعات على الدواب واذا تم اتصال السلط بالقدس بطريق معبدة تسير عليها المركبات أيضا تعمر السلط عمرانا مهما وهي على بعد ٤٠ ميلا الى الشمال الشرقي من بيت المقدس و ٤٠ ميلا الى الجنوب الشرقي من نابلس ونحو ١٨ ميلا شرقي الاردن

ومن سوء حظ هذا القضاء ان معدن الفوسفات الذي نال امتيازا بتعدينه من جبل السرو في منتصف الطريق بين عمان والسلط المهندس نظيف أفندي الخالدي المقدسي على ان ينشيء فرعا بالخط الحديدي من السلط الى عمان يتصل بالسكة الحجازية ومرفأ في حيفا — من سوء الحظ ان قد حسبوا نفقاته فوجدوها لا تفي بها وارداته ولعل الحكومة تتساهل بعض الشيء في شروطها لتقوى عزيمة تلك الشركة على استثمار هذا المعدن من قضاء السلط فيتسنى لها أو لشركة أخرى تعدين سائر المعادن التي حبتها بها الفطرة

على نحو ساعة من قصبة السلط منظر من أجمل مناظر سورية ونعني به جبل يوشع الواقع على علو ١٠٩٦ مترا عن سطح البحر وهو مشرف على جزء عظيم من فلسطين فيمتد امامك وادي الاردن كأنه بساط ذو ألوان كثيرة ومن خلال ذلك نهر الاردن تراه كالحية يتلويه حتى يصل الى البحر الميت أو بحيرة لوط . ومن النبي يوشع تشاهد جبل الزيتون في الشمال الغربي و يقابلك جبل عيبال وجرزيم

ثم جبل الطور وما يناوحه من الجبال المحيطة ببحيرة طبرية ومن بعيد جبل الشيخ وبه تنتهي هذه المنظرة من الشمال

ويقول العارفون من الافرنج ان الاعتقاد بالنبي يوشع الذي يذبح له البدو ويتقربون اليه هو من التقاليد الاسرائيلية القديمة وان بناء قبره يرد الى زهاء ثمانمائة سنة . وليوشع مقام أيضاً في جبل نابلس قرب قرية حارث وجبل يوشع في البلقاء أشبه بيوشع تبه سي أي ذروة يوشع في قرية بكوز المطلة على بحر مرمرة وخليج القسطنطينية هذا منظره بحري وذاك منظره بري ومن غريب التقاليد ان البدوي يحلف بالله ولكنه لا يحلف بشعيب ومقام شعيب على ساعتين من السلط أيضاً .

كانت عمان قصبة البلقاء فانحطت في أواخر القرن الماضي بما تواتر عليها من الزلازل وغارات البادية حتى جلا عنها بقايا سكانها الاصليين فانزلت فيها الحكومة منذ ٣٤ سنة سمائة أسرة من الجركس من عشائر مختلفة هاجروا الى البلاد العثمانية من ولاية كوبان الروسية وأخذوا يردون غارات البادية واعتمدوا في عمرانها على مضائهم وشجاعتهم وبنوا على انقاض مدينة ضخمة قرية لهم وساعدتهم مياه نهر الزرقاء فغرسوا الاشجار وانشأوا الحدائق وأتوا بطريقتهم المألوفة لهم في الزراعة ببلادهم وقد هلك منهم اناس كثير من الفتن والامراض حتى توطدت اقدامهم واغتنوا واصبحت الحكومة بعد ان كانت تأخذ من عمان مئة ريال في السنة تتقاضى نحو ثلاثة آلاف ليرة ولا تلبث ان تزيد بزيادة عمران عمان واتساع تجارتها على أيدي النشيطين من النابلسيين والدمشقيين ومعظم تجارة البلقاء في أيديهم اليوم

تقول انها كانت مدينة عظيمة والدليل ان انقاض دار تمثيلها كبيرة جداً تكفي لجلوس ثلاثة آلاف نسمة وفي مسرحها ٤٥ صفاً على شكل نصف دائرة وفيها آثار قلعة مهمة ومعظم بيوتها بنيت باحجار المدينة القديمة وكذلك قرية رأس عمان الحديثة الواقعة على قيد غلوة من عمان وسكانها جراكسة أيضاً .

لاجرم ان الجركس ادخلوا روحاً جديدة الى هذا القضاء من التوفر على الزراعة والنشاط المستمر وان الاهلين تعلموا منهم بعض الشيء الاان عمال الحكومة أساؤا

الاستعمال فسلبوا اما كان للاهلين من الاراضي والمزارع العامرة ليعطوها للمهاجرين الجركس والشّشن والتر كمان كما فعلوا بعين صويلح وعيون الحمر فقد كانتا مسجلتين باسم أصحابهما فاعطتهما الحكومة للمهاجرين وذلك لانه كتب للجراكسة ان يتولى مأمورية الطابو في هذا القضاء ثلاثة منهم على الولاء فكانوا يساعدون اخوانهم وابناء جلدتهم على سلب الاراضي منهم وتسجيلها باسم المهاجرين وعلى هذه الصورة أخذ المهاجرون الناعور ووادي السير والزرقاء والرصيفة وغيرها . صبر الناس على هذا الجور زمنا حتى صحت عزيمة بعض عشيرتي الخرشان والجبور على ان يزرعوا الموقر والعليا والنقيرة وهي على نحو ثلاث ساعات من شرقي معان يسير في اراضيها الراكب عشر ساعات كما ان بعض السلطيين يزرعون اليوم في سهل السكبد في الغور وهذا السهل جيد التربة جدا لا حجر فيه ولا مدر ولو أحبت الحكومة احياء الموات حقيقة لاوعزت للاهلين ان يحيوا أراضي الموقر والعليا كلها فان فيها زهاء الف بئر معطلة تحيا بعناية قليلة

واعظم عشائر هذا القضاء بنوصخر وهم يتنقلون بين الغور في الشتاء وأراضي البلقاء العالية في الربيع وفي الصيف يتوفرون على حصاد الاراضي التي لهم في جهات الزيزاء ومادبا وهما مديريتان تابعتان للسلط كما ان عمان مديرية تابعة لها أيضا . ونفوس قضاء السلط المحررة اليوم ٤٢ الفا ولو احصي بنوحسن وبنو صخر والبادية لبلغ سكانه مئة الف او يزيدون ولو ارتفع فيه علم الامن كما يجب واعطيت الاراضي الموات للاهلين وسجلت عليهم بحيث لا ينازعهم فيها منازع لان أكثر المنازعات تثور على الاراضي لبلغ سكان هذا القضاء نصف مليون نسمة بعد عشر سنين

وأهم العاديات التاريخية في هذا القضاء قصبة مادبا فقد كانت كاحدى الخرب منذ نحو ثلاثين سنة فهاجر اليها جماعة من مسيحيي الكرك اعطتهم الحكومة اياها خربة فعمروها فما هو الا أن وجدوا فيها آثارا مهمة مثل سوق طوله ١٤٠ مترا له عمد على الجانبين وبينا كانوا يحفرون في انقاض الكنيسة ليقيموا كنيسة جديدة عثروا سنة ١٨٩٧ على قطعة من الفسيفساء في الصحن

فرفعوا عنها المعاول وأزالوا ما كان علق عليها بتوالى الايام من التراب والاحجار فاذا هو أثر عظيم من آثار القدماء هو مصور (خريطة) فلسطين وما فيها من المعاهد المقدسة والكنائس ولو سلمت كلها من معاول الذين حفروها لبلغ ثمنها المليونين والثلاثة من الليرات ولكن القطعة الصالحة الباقية منها تدل على تلك المدينة القديمة التي تمتعت بها مادبا قديما منذ عهد الاسرائيليين الى الموآبيين الى العرب النبطيين الى المكابيين وكانت في عهد هؤلاء قلعة مهمة واستولى عليها هيركان ملك اليهود قبل المسيح وأصبحت على عهد الرومانيين جزءاً من بترا أو العربية الصخرية. وآثار الفسيفساء كثيرة في هذه القرية رأينا بعضها في الدور الخاصة تلمع فتأخذ بالابصار اما انقاض دورها ومعابدها وأحواض مياهها فحدث عنها ولا حرج وقد دخل أهلها في المدنية اليوم بفضل مدرستي الروس واللاتين اللتين أنشئتا فيها وليس بين سكانها أناس من المسلمين الا بعض باعة وحراثين

قال ابن خرداذبة ان ظاهر البلقاء كان كورة من كور دمشق كان جبل الغور وكورة مآب وكورة جبال وكورة الشراة وكورة عمان كانت كل منها أقليما برأسه قال الشاعر

سلم على دمن أقوت بعمان واستنطق الربع هل يرجع بتبيان

قال ياقوت ان مدينة جرش هي شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وعرف السواد بانها نواح قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها وفي أرض البلقاء عدة بلاد ورد لها ذكر في التاريخ العربي مثل قرية جادية التي ينسب اليها الجادي وهو الزعفران وقرية مؤتة من المشارف التي كانت بها تطبع السيوف المشرفية والموقر الذي كان ينزله يزيد بن عبد الملك قال كثير

سقى الله حيا بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب

والقسطل نزله الوليد بن يزيد وهو قرب البلقاء وخلفه فيه عمه العباس وكان الوليد يستوطن الزيزاء. وفي البلقاء قصر الازرق والقدين قريب من حصن الازرق والقدين قيل انه من عمل حوران ومعظم الروايات على انه من عمل البلقاء

العمران والسكة الحجازية

ان كان لدور الاستبداد حسنة فاعظم حسناته سكة حديد الحجاز التي مدت في عهد المخلوع وبتزيين قرينه أحمد عزت باشا العابد وانتهى منها حتى الآن القسم الاعظم من دمشق الى المدينة المنورة وطوله ١٣٠٣ كيلومترات ومن حيفا الى درعا ١٦١ كيلو مترا فانفق عليها فيما بلغنا ثلاثة ملايين ليرة ونصف صرف قسم مهم منها في مدينة دمشق فانتفع منه الملتزمون والتجار والزراع والعملة وبعض أرباب الصناعات والفنون وانفق القسم الاعظم في ثمن أدوات وقاطرات ومركبات وحديد من معامل أوربا

وما كاد ينتهي الخط الى المدينة حتى نهضت البلاد بعض الشيء ولا سيما دمشق والمدينة وحيفا نهضة اقتصادية لا يستهان بها وحسن حال التاجر والمزارع وسارت الامور الاقتصادية على نسق مرتب معقول فلم يعد في التجارة ذاك الكساد الذي نعهده في دمشق ولا التقهقر الذي كان في حيفا ولا الغلاء الفاحش في اسعار المدينة وهكذا انتفعت المحطات على طول الخط من دمشق الى المدينة وعددها ٧٥ محطة ومحطات حيفا ودرعا وعددها ١٥ فاخذت كل محطة بقدر حظها من العمران وانتفع منها في الاكثر ما كان له اثر قديم في الارتقاء

ولو كانت الحكومة تلتفت بعض الالتفات لعمران البلدان لاخذت بايدي كل من يودون انشاء بيوت ودكاكين وخانات وفنادق في المحطات واعطتهم مئات الدونمات يجعلونها حدائق ويبنون عليها مساكن على شرط ان يعمروها في مدة تعينها لهم واذا أمكن ان تمنح بعض محاويجهم اعانة مالية قليلة يستعينون بها على التعمير فكيف لاندهش والحالة هذه اذا رأيناها ورأينا عمالها يوقفون من يبنون المساكن في مثل مدائن صالح وعددها لا يقل عن خمسين محلاً بدعوى انه لا يسوغ انشاء مدينة الا بارادة سنية فهلا استصدرت الارادات السنيات في الحث على مثل هذه المشروعات التي لا يتصور انفع منها في البلاد

هكذا فعلت الحكومة مع من يريدون اقامة الدور والحوانيت ولم تقصر في

وضع العقبات في سبيل من يريد غرس أشجار البرتقال لانه ثبت انها تجود في تربة هذه البلدة الرملية . وليت الادارة تحمل الحكومة على ترغيب الناس في انشاء الدور والحدائق لما في ذلك من الفوائد لعالها اذ يستغنون باسرائهم عن صرف أوقات الفراغ في المقامرة ومعاقرة الخمرة ويقل عدد من يتعاطونها منهم

نعم ان من المحطات مالا ينبت فيه شيء بحسب الظاهر ولا تمطره السماء الا ساعات غير معلومة في السنة ولا سيما بعد أرض البلقاء وهواؤها جاف حار محرق وعمرانها متوقف على عمل كثير طويل ومال غزير ليس بقليل فامثال هذه المحطات تترك الآن وينشط كل من يود اعمار الاراضي الموات قرب المحطات وانشاء دور وحوانيت فيها ولو فعلت الحكومة لاستغنت مع الزمن عن حراسة هذا الخط بكتائب من الجنود ترابط على طول السكة واقامة اثنتي عشرة قلعة من المدينة الى المدينة وهي اليوم تجعل في كل قطار يسافر من بعد لواء حوران الى المدينة جملة من الجند النظامي المسلح لحماية الركاب من عيث البادية اذا حدث حادث لاقدر الله .

نقول عيث البادية ولو أعملت الحكومة الفكر منذ اليوم الذي نوت فيه تمديد هذا الخط الحربي الديني التجاري لاوسعت لهم من تلك السهول الخصيبة في لواء الكرك ما كانوا الآن استغنوا بزراعته عن شن الغارات وايذاء السابلة طمعاً في اقتناص مايتبلغون به ولتوفروا على تربية مواشيهم وزروعهم كما يتوفر اليوم بنو حسن في قضاء عجلون وبنو صخر في قضاء السلط والحويطات في معان والمجالي والضمور والطراونة في الكرك وغيرهم في غيرها وكل هؤلاء من العرب الرحل يتأنسون بقدر مايدخل النور على أولادهم ويستمرؤن ارباح الزراعة والماشية ولا شك انهم يعدلون بتة عن الغارة كلما أسكنت الاصقاع التي في جوارهم وخف الاعتداء عليهم .

ولسكة الحجاز الفضل الاكبر في تأنيس شارد البدو اذ عرفوا بان قوة الدولة مهمة في كبح جماح كل معتد . ومذ أخذت تصدر حاصلاتهم الى الاسواق التجارية الكبرى فكانت الحبوب تكسد في بعض السنين الماضية في جهات لوائي الكرك

وحوران فاصبحت اليوم تسافر الى القاصية .وأبواب الشام والحجاز والبحر مفتحة امامها .وهكذا يقال في السمون والجبن والالبان والاصواف التي تحصل من نياقهم ومعزاهم واغنامهم وابقارهم

في لواء الكرك وحده أراض موات تكفي لاعالة كل أهل البادية من العرب خصوصاً وهم الموصوفون بذكاء فطرتهم ومضاء عزائمهم فاذا توفرت لهم الاسباب تحصل الفائدة الاقتصادية والعمرانيـة المطلوبة من السكة الحجازية فتعمل هذه في نقل الانفس والاموال والمتاجر السنة كلها لا كما هي اليوم تشتغل أشهرا معدودة من السنة في موسم الحج ثم تبلى بالفتور الا قليلا . وان من عرف ان هذا الخط عمر بالاعانات التي جمعت من أقطار العالم الاسلامي وهمـة ضباط العثمانيين وكتائب جنودنا وان مئات هلكوا في سبيل انشائه بحيث لم يكن بعد الكيلو متر الواحـد الا على اشلاء بضعة من رجالنا يوافق على تساهل ادارة السكة مع الضباط والجنود والخط خط عسكري

ولقد لاحظنا ان القطار الحجازي يقطع المسافة اليوم بين دمشق والمدينة في ثلاثة ايام بلياليها يقف منها في المحطات الكبرى مثل درعا ومعان وتبوك والمدائن نحو اثنتي عشرة ساعـة دع عنك الوقت الذي يصرفه في المحطات الصغرى وان معدل سيره على عشرين كيلو مترا في الساعة فلو تدبرت الادارة في اختصار هذه المدة في الوقوف وحملت قاطراتها على الاسراع قليلا في سيرها وسراها لجاز القطار المسافة بين دمشق والمدينة وبين حيفا والمدينة في يومين وليلتين فتوفر على الناس بعض عناء السفر واذا رأت الادارة انه مما يلائم مصلحتها الاقتصادية تنزيل اسعار الركوب في الدرجة الاولى والثالثة وأجرة الركوب في الثالثة من دمشق الى المدينة أربع ليرات وفي الدرجة الاولى ثماني ليرات فاسقطت منها على الاقل ثلاثين في المئة استفادت فيما نحسب أكثر وكثر الذاهبـون والجائون وعظمت الفوائد من ذلك فعندها تقصد المدينة أكثر من الآن للزيارة والتجارة ويقصد الحجازيون بلاد الشام ليصطافوا ويتجروا

وليت الحكومة تتساهل في الاعتماد على ابناء البلاد وتختار الجند الذين يحرسون الخط من ابناء حوران مثلا فهم أقدر على تحمل المشاق من ابن مدن آسيا الصغرى وسورية ومقدونية ونظنها في التجربة التي جربتها في الطابور الذي ألفته من الشروق بالاجرة وسمته هجين سوار أي فرسان الهجين والشروق هم سكان شرقي المدينة أي نجد قد ثبت لها ان ابن هذه البلاد انفع في خدمتها اذا شبع من ابن البلاد القاصية والفارس النجدي اليوم يتناول ٤٥٠ قرشا صحيحا في الشهر هو وهجينه نظن وما الجندي يكلف الحكومة أقل من ذلك فضلا عن تعرضه للهلاك من هواء بادية العرب وكذلك يقال لادارة السكة ان تختار عمالها من العارفين لغة البلاد قبل ان يعرفوا التركية لان في ذلك فوائد مهمة للخط نفسه واذا كان لابد من الاستكثار من ابناء آسيا الصغرى وغيرها في جملة عمالها فما عليها الا ان تشترط عليهم تعلم العربية وبذلك تتضاعف خدمتها للادارة وللبلاد معا على ان ابن العراق والجزيرة والحجاز أقدر في كل حال على تولي اعمال هذه السكة خصوصا في النصف الاخير منها من جهة المدينة

ولقد لاحظنا على ادارة السكة اهمال عمالها للنظافة في المركبات ولا سيما في الدرجة الاولى بحيث انها لا تزيد الراكب فيها راحة الا بكون مقاعدها مفروشة بالمخمل (القطيفة) وهي أضيق من مقاعد الدرجة الثالثة ولا يخفى على القائمين بامر السكة الحجازية ان التدخين محظور في القطار في الدرجات الثلاث باوربا دع تعاطي المسكرات وانه ليسوءنا ما رأيناه من ان بعض موظفي الحكومة الذين كانوا آتين من المدينة المنورة يسطون في مركبات الدرجة الاولى سفرة الشراب ويتعاطونه مع النقول اللازمة له والاغاني التي يطربون بها كأنهم في حانة أو بيت خاص من غير نكير يؤذون بذلك جلساءهم ويكونون بعملهم أعظم عار على المسلمين والاسلام

فليت ادارة الشركة تحظر الشراب في القطارات والمحطات على ركابها وعمالها مباشرة وتغرم من يجرأ على خرق حرمة شريعة الاسلام وقانون المدنية الحديثة غرامة ثقيلة تربي كل مقترف لهذه الكبيرة فان كان من عمال الحكومة الا من

عصم الله من يفسدون اخلاق الرعية بما يعودونهم اياه من احتساء كؤوس الراح في المديريات والاقضية والالوية والولايات فما احرى الحكومة ان تكف مفاسدهم على الاقل عن قصاد البلد الطيب رحمة بالانسانية والاسلام

بعض أعمال الكرك

قال غرس الدين (١) الظاهري واما المملكة الكركية فليست هي من الشام وهي مملكة بمفردها وتسمى مآب وهي مدينة حصينة معقل من معاقل الاسلام بها قلعة ليس لها نظير في الاسلام ولا في الكفر تسمى حصن الغراب لم تكن فتحت عنوة قط وانما فتحها المرحوم صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد فتح القدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت بيد البرنس ارناط وكان يتعرض الى حجاج بيت الله الحرام

وقال ان الشوبك كانت مدة بيد الافرنج وهي مضافة الى الكرك وحصينة أيضا ومسيرة معاملة الكرك من العلى الى زيزة مقدار عشرين يوما بسير الابل وهي بلاد عدية بها قرى كثيرة ومعاملات والمسالك اليها صعب في منقطعات قليلة الماء حتى انه اذا وقف أحد على درب من دروبها يمنع مائة فارس اه .

بلدان في لواء الكرك طالما سمعنا بهما وهما قصبة الكرك وقصبة السلط فالاولى كنا نتوهمها أهم مما رأيناها والثانية رأيناها أهم مما سمعنا به من وصفها وهذا من جملة الاسباب التي تدعو أهالي البلقاء ان يطلبوا الى الحكومة جعل السلط في التقسيمات الادارية مركز لواء بضم أراضي بني حسن من قضاء عجلون وعمل حوران اليه وجعل مادبا قضاء وعمان قضاء والزيزاء قضاء وبذلك يتوفر على أهل القاصية من لواء الكرك العناء الشديد الذي يلاقونه بشد الرحال الى حاضرة اللواء كلما عرض لهم عمل فقد بلغني ان أكثر الناس يستنكفون من اداء الشهادة اذا طلبوا اليها من السلط الى الكرك مثلا وينكرونها ويتحملون الاثم في ذلك لان الشاهد

(١) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

يستحيل عليه ان يضيع بضعة أيام في الذهاب والاياب ويتكلف مالا طائلا نفقة في السكة الحديدية وأجرة دواب

فاذا اختار ابن السلط مثلا ان يذهب الى الكرك يضطر اما الى المسير ثلاثة أو أربعة أيام على الدواب ذهابا ومثلها ايابا واما ان يركب دابة ٢٥ كيلو مترا من السلط الى عمان ومن هذه وهي في الكيلو متر ٢٢٢ يركب القطار الحجازي الى القطرانة وهي في الكيلومتر ٣٢٦ ومنها يركب دابة الى الكرك مسيرة ست ساعات وهكذا يتكلف من له عمل طفيف في مركز اللواء الى مال جزيل ووقت طويل.

وانكى من ذلك ان معان وهي في الكيلو متر ٤٨٩ بل ان تبوك وهي في الكيلومتر ٦٩٢ بل ان مدائن صالح وهي في الكيلومتر ٩٥٥ اذا اضطر أهلها الى قصد الكرك يقطعون هذه المسافة في السكة الحديدية أو الدواب وكلاهما شاق يحتاج لوقت ومال فتقسيم لواء الكرك الاداري مشوش مضطرب وما احراه ان يقسم لوائين احدهما مركزه السلط كما تقدم والثاني يجعل مركزه في معان أو اذرح وهي مدينة متوسطة من اللواء ولكنها اليوم خربة لاساكن فيها وكانت من المدن العامرة قبل الاسلام و بعده حتى ان أهلها صالحوا في غزوة تبوك على الجزية فبلغت مائة دينار في كل رجب وذكر المقدسي انها مدينة متطرفة حجازية شامية وعندهم بردة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعهده وهو مكتوب في ادم وبذلك يستدل انها كانت عامرة في القرن الخامس للهجرة بل عامرة الى عهد قريب وكانت هي ومآب مدينتي الشراة

وأرض الشراة من الشوبك الى رأس النقب كما يحددها الاهلون اليوم أي مسيرة يوم طولا وعرضها ساعتان وهي الارض المفلوحة مؤلفة من تلعات واودية وفيها عيون غزيرة لاتقل عن أربعين عينا لايمتنع باكثرها وقسم منها الآن في عمل قضاء الطفيلة والاخر في قضاء معان وعلى جنوب الشراة بلاد طيء أوجبال طيء وهي الحد الجنوبي لسورية كما عرفها العرب قال حاتم الطائي وقد أغارت

طيّ على ابل الحارث بن عمرو الحنفي وقتلوا ابنا له : (١)

الا انني قد هاجني الليلة الذكر ... وماذاك من حب النساء ولا الاشر
ولكنني مما أصاب عشيرتي ... وقومي باقران حواليهم الصبر
ليالي نمسي بين جوز ومسطح ... نشاوى لنا من كل سائمة جزر
فياليت خير الناس حيا وميتا ... يقول لنا خيرا و يمضي الذي ائتمر
فان كان شر فالعزاء فاننا ... على وقعات الدهر من قبلها صبر
سقى الله رب الناس سحا وديمة ... جنوب الشراة من مآب الى زغر
بلاد امريء لايعرف الذم بيته ... له المشرب الصافي وليس له الكدر

وفي اذرح عين ماء غزيرة فوق اراض واسعة يمكن تشجيرها كلها ولها قلعة لاتحتاج الا الى ترميم خفيف وهي على أربع ساعات الى الغرب الشمالي من معان وعلى ثلاث ساعات من وادي موسى وانقاض دورها وعقودها وعمدها موجودة لاتحتاج الا الى بنائين فتكون مدينة تامة الادوات في بضعة اسابيع وفيها اليوم انقاض ثلاثة طواحين

ربما يستهجن بعضهم ان نقترح جعل مركز لواء الكرك في اذرح وهي خراب وترك الكرك وهي المشهورة بتاريخها خلقت بمالها من المركز الحصين الواقع على جبل عال خال من أطرافه لتكون عاصمة كبرى فضلا عن مركز لواء ولكن مراكز الحكومات يجب ان تكون في بقعة متوسطة والكرك منحرفة عن طريق السكة الحديدية ومنحرفة عن نقطة دائرة اللواء وعمرانها القديم لايشفع لها ان تكون الحاكمة على مدائن صالح وهذه من الكرك على زهاء ٦٦٠ كيلومترا ! بل الاجدر ان تكون العقبة وتبوك ومدائن صالح كلها لواء خاصا برأسه اذا أرادت الحكومة تحضير البادية وحكم أهلها على مايجب

ولعل بعضهم يعترض بقوله ان العمران مستحيل في هذه الاصقاع مادامت

(١) في ديوانه المطبوع بلندن سنة ١٨٧٢

خالية من السكان ولا ماء فيها ولا كلاء ولكن الحكومة الصالحة تجذب اليها الانفس كما تحمل الاموال وناهيك بان عشيرة الفقرا وهي لاتقل عن ٨٠٠ بيت تنتقل بين تبوك ومدائن صالح تسكن في مدة قليلة وذلك لان الاراضي موجودة بكثرة والمياه اذا حفر في الارض ثلاثة أو أربعة امتار تنبط حالا والبقاع التي ينزلونها مستعدة كل الاستعداد لزراعة البرتقال والنخل فاذا أخذت الحكومة بايديهم فذاقوا لذة الكسب يعدلون عن عيش الغزو الذي يسوقهم اليه فقرهم ولايلبثون ان يصبحوا كسائر العرب الساكنة يدفعون الضرائب ويخدمون في الجندية مثل عامة العثمانيين

لانعتقد ان الكرك يتراجع عمرانها اذا نقل منها مركز اللواء لانه بمادهمها من الفتنة الاخيرة فدخربت بحيث لم تعد صالحة لسكنى أهلها ولاموظفيها الابعد بضع سنين على ان الحكومة قد جعلتها نحو عشرين سنة مركز لواء ولم ترمم ثلمتها ولا أتمت مكتبها الكبير ولا مسجدها الجامع فانت الآن اذا دخلتها تنقبض نفسك من بلد ترى الخراب يتحيفه من كل جانب فتشاهد وعينك تدمع خرابا في العقول وخرابا في النبات وخرابا في الجماد ومثل هذا البلد يعمر بالعلم والعرفان أكثر من عمرانه بالسيف والسنان .

تنقبض النفس من الكرك على جمال في طبيعتها وهي تطل من جهاتها الاربع على مناظر لطيفة ومنها البحر الميت ووادي الاردن الى أعالي جبال أريحا وذلك لانها كانت في معظم ادوارها التاريخية ظالمة مظلومة واشتهر اهلها بحب الغارة على عهد الاسرائليين والموآبيين وحاربها شاول وداود وقاومت قلعتها جورام وملك اليهودية فرجعا عنها مدحورين واضمحل الموآبيون في القرن الثاني قبل المسيح واصبحت الكرك مفتاح تلك البلاد على عهد الصليبيين واستولى عليها رودي شاتليون الذي يسميه مؤرخو العرب البرنس ارناط وذلك لانها حاكمة على طرق قوافل مصر وبلاد العرب القادمة الى سورية ولذلك حاربها صلاح الدين يوسف بن ايوب حربا عوانا وأقام الايوبيون فيها وحصنوها ومازال ملوك مصر والشام يحاصرونها ويقتلون واهلها عليها وآخر اعمال الكركيين ذبحهم عسكر ابراهيم باشا المصري

ثم فتنتهم الاخيرة المشؤمة ويبلغ المسيحيون في الكرك نحو أربعة آلاف نسمة اكثرهم روم وفيهم لاتين وقليل من البرتستانت وفيها مدارس حقيرة لذكورهم وأناثهم ولئن كان المسيحيون اليوم على مستوى جيرانهم المسلمين وكانوا نحو ١٥ ألفا قبل الحوادث الاخيرة أرارقى بقليل في المدنية فسيكون مستقبل هذه البلاد لهم وناهيك بان تلامذة المكتب الرشدي اليوم وهم زهاء ثلاثين تلميذا كلهم من أولاد المسيحيين واذا كان فيهم التلميذ الواحد أو الاثنان من ابناء المسلمين فيكون كسلانا غير مواظب هذا في مدارس الحكومة فما بالك في المدارس الطائفية المسيحية وتجارة البلد بايدي اناس من أهل دمشق والخليل ولكنهم فقدوا أموالهم في الفتنة ولم يعوضوا عنها حتى الآن سوى سبعة في المئة مما قدر لهم

ولم تبق الفتن من العاديات القديمة مايذكر في هذه المدينة اللهم الا انقاض دائرة وجميع هذه الديار كانت عامرة وهي اليوم مأوى الغراب والبوم وناهيك بان اللجون الواقعة على ساعتين من الكرك كانت بحسب مارأينا من انقاض ارتجتها الضخمة من المدن المهمة فاصبحت اليوم والحكومة تسكن فيها طائفة من المهاجرين وتعمر لهم دورا فلا يلبثون ان يرحلوا عنها اذ رأوا نا اقص نفوسهم فيها بسبب الماء والهواء وتركوا منازلهم خاوية فانزلتهم الحكومة في بعض انحاء البلقاء ومآندري كيف انقلبت طبيعة تلك البلاد المأهولة قديما حتى لم تعد المدينة منها تصلح لان تكون مزرعة حقيرة لفساد هوائها ومائها فسبحان القابض الباسط المعمر المدمر

العربية الصخرية

طريق الكرك من القطرانة وطريق وادي موسى من معان يبتدئان بتراب كلسي ممزوج بصلصال لااستعداد فيه للزراعة اليوم ولذلك تظنك اذا توسطت تلك السهول وعرضها نحو ثلاث ساعات من الخط الحديدي تظنك في قفر بلقع حتى اذا انتصف الطريق تتراءى لك بعض عيون وزروع والمسافة بين معان ووادي موسى سبع ساعات للراكب كما هي بين القطرانة والكرك . ووادي موسى هو

قرية الجي وعلى نحو ساعة منه بترا أو العربية الصخرية كما يسميها الافرنج وسماها العرب سلعا والسلع الشقوق في الجبال والغالب ان سلعاً قسم من العربية الصخرية وهي عبارة عن جبال (اذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها) وحدثنا من زار خرائب الحجر أو مدائن صالح انهادون خرائب بترا بمكانتها .

وكان ابترا هذه أيام عز طويل على عهد الادوميين والنبطيين العرب وقدماء الرومان والمكابيين وامتد حكمها الى دمشق وكان بيدها زمام التجارة مدة قرون في هذا الشرق الاقرب ولم تنحط الا بارتقاء مملكة فارس وانبساط ظل سلطان تدمر ولما جاء الاسلام كانت خرائب كما هي اليوم والغالب ان بقايا مجدها أتت عليها الزلازل فدكتها كما دكت غيرها من المصانع والآثار

اذا أشرف الراكب على قرية وادي موسى يرى روح النعيم فيها خصوصا ويكون قد قطع ساعات في صقع أجرد أمرد ليس فيه من الاشجار الا الزعرور ولا من الغلات الاقليل من الحنطة والشعير لكن في وادي موسى حدائق بديعة تسقى من العيون الدافقة عليها من الهضاب المجاورة حتى تخال نفسك لماتراه من بهجة الخضرة انك في صقع عامر زاهر فاذا قصدت الى عاصمة بترا وتجلت في السيك أي دخلت بين الجبلين المتناوحين العاليين وكل قطعة منهما تبلغ ألوفا من الامتار المربعة علوها من ٣٠ الى ٥٠ متراً وأنت تسير في طريق لا يقل عرضه عن خمسة أذرع ولا يزيد عن عشرة ليس فيه الا الاحجار والحصا أو مسايل ماء لا ينبت فيها الا الرتم والطرفاء تشاهد في الاعالي النواويس والقصور والمسلات محفورة في الصخر وينفرج الطريق مسيرة نحو ثلث ساعة وينقسم قسمين قسم ذات اليمين وفيه تتمة المدينة والقسم الآخر جبال طبيعية تمتد الى بعيد وتتصل بجبل هارون من أجمل المناظر المشرفة على تلك الاودية والجبال

وهنا تمثل أمامك قصر فخم يسميه الناس خزنة فرعون والغالب انه كان معبدا لايزيس أنشىء على عهد الامبراطور ادريانوس الذي زار هـذه المدينة

سنة ١٣١ وفي واجهة هذا القصر رواق يتقدمه بضعة أعمدة كبرى وفوقها ثلاثة أعمده أصغر منها ونقوش وتيجان وربما كان يصعد الى العلية بلولب من الصخر بدليل ما يشاهد في الحائط من أثر الادراج واذا دخلت هـذا الرواق ترى على اليمين قاعـة كبرى تلمع أحجارها وتموج كأنها خرجت الآن من يد نقاشها وفي الجهة اليسرى قاعة مثلها وفي الصدر القاعة الكبرى أو الردهة المدهشة وكل هذه العمدان والسواري والتيجان والقاعات والرواق محفور في الصخر أو في هذا الجبل قطعة واحدة فكأن الحجر كان بيد صانعي هذا الهيكل وغيره من الهيا كل والنواويس والقصور كالطين يجعلون منه ما يشاؤن والذي يزيد في الدهشة ان الحجر أحمر في هذه الجبال أو من نوع الحجر الرملي ولكنه بمتانته كالصخر الاصم ثم ترى عليه ذلك اللمعان فمن موجة حمراء الى أخرى زرقاء الى مثلها بيضاء الى جانبها دكناء فسبحان من أنشأ هـذا الصخر هنا منقطع النظير ورزق بانيه يدا صناعا تتفنن في تقطيعه ونقره بما فاق به البناة في سائر عاديات سورية. فان كانت قلعة بعلبك تنم عن ذوق سليم وعلم واسع في النقش وجر الاثقال فان هذه العاديات الخالدة الازلية تنادي بلسان حالها هذه عظمة الديان الى جانب عظمة الانسان .

وترى الى جانب الآثار قساطل الفخار في جانب السيك الذي يشبه من بعض جهاته الفج الواقع في شمالي مدخل قرية معلولا في جبل سنير (قلمون) وذلك على علو القامة استحجرت مع الصخر حتى كأنها بعضه وهناك على بضع دقائق من خزنة فرعون كان في الغالب مخزن ماء هذه العاصمة برمتها وعلى مقربة من مخزن الماء وهو منقور في الجبل أيضا ملعب التمثيل نقر في الصخر وله ٣٣ ممشى لجلوس المتفرجين ويسع ٣٠٠٠ نسمة وفي هذا الجوار أقدم النواويس وأهمها وبعد ذلك يجيء قصر البنات وهو بناء من الحجر رصفت حجارته كما ترصف الابنية الضخمة من قلاع وابراج وأسوار ونحوها والغالب انه كان للمتأخرين شبه دار للحكومة وهو مما عمر قبل عهد الاسلام وهناك ولا سيما في خربة النصارى آثار بعض اديار يدل اسمها ورسمها على انها من عمل المسيحيين عند ما كانت لهم حكومة هنا على عهد الرومان

واليونان وعلى مقربة من تلك الجبال الشوامخ والمنفرجات والادوية بعض نواويس وآثار ولكنها دون آثار بترا في المكانة وفي جبل الصبراملعب أو صورة تمثل قتالا بين سفن حربية

ويقول بعض علماء الآثار من الالمان (١) ان معظم القبور التي حفرت على مثال قبور الحجر يرد عهدها الى الملك اريتاس الرابع أحد ملوك بترا أي ٩ و ٣٠ سنة قبل المسيح وبعده وليس في وادي موسى أعمدة من قبل الحكم الروماني عليها وان مايشاهد من صور أبي الهول وايزيس ورؤوس الحملان يدل على ان هذه البلاد تأثرت بالمدنية المصرية والمسلتان الموجودتان في النجر تمثلان ربي النبطيين اللات ودوزارس وانها كانت مركز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون على الاقل وان المدنية اليونانية دخلت وادي موسى على عهد البطالسة فاختلط العنصران المصري والسوري وظل القول الفصل فيها للمدنية اليونانية الى عهد اريتاس الرابع وفي بترا ٨٥١ مصنعاً من القبور والمعابد والمذابح

وبالجملة فان من أراد ان يتوسع في درس هذه المدينة الازلية وجب عليه ان يصرف اياما في خرائبها كما يفعل بعض سياح الافرنج وعلماء الآثار منهم فيقصدونها يضربون فيها خيامهم ويصرفون في امتاع النظر بها الاسبوع والاسبوعين وعلى من يحب التوسع في البحث ان يستعين بما كتبه علماء الآثار من المصنفات في وصف هذه المصانع بالانكليزية والالمانية والافرنسية وغيرها من لغات المدنية الحديثة

في جوار هذه العاديات المدهشة المنبثة بمدنية راقية جدا ينزل نحو الف نسمة من العرب يأتون اياما قلائل الى الحي او وادي موسى لتعهد زروعهم السقي ثم ينتقلون في الصيف والشتاء في جبال الشراة على ساعتين أو ثلاث أو أربع من بلادهم في خيام الشعر وهم فرقتان تؤلف الاولى من عرب الشرور وبني عطا والثانية من الهلالات والعبيدية والعلايا ويغلب عليهم الفقر ومنهم من يزرع في أراضي الحويطات والنعيمات على مقربة من بلادهم بالخمس وليس فيهم من يقرأ ولا من يكتب وفي وادي موسى

(١) المقتبس م ٦ ص ٨٨

مدير عين حديثا يتبع قضاء عمان كما ان في الشوبك مديراً ويلبس أهل وادي موسى السكوفية والعقال ويسمونه المربر أي المفتول والعباءة وقفطانا مدولا بدون سراويل وفي أرجلهم نعل يعملونه من جلد البعير وينوطون به حبلة يدخل منها باهم الرجل لتعلق وفي الفاظهم بعض فصح مثل قولهم سرى لسير الليل وقولهم الهدوم للثياب العتيقة وقولهم الريف للاراضي الخصبة والقابلة للداية وغير ذلك . ويعنون كثيرا بتربية البقر والغنم والماعز ولا ابل عندهم مثل بني صخر

وما يشكوه أهل معان يشكو منه أهل وادي موسى يشكون من ان الاراضي المباخس غير مسجلة باسمائهم وان عشيرتي النعيمات والمويطات تدعي ملكيتها الى حين هذه لم تسجل نفوسها في سجلات الحكومة ولا تدفع الا مايصيبها من الاموال الاميرية وهي رحالة تضرب في الفجاج الى نجد وابعد من نجد ولا تتوفر على زراعة الارض كلها واذا قتل البدوي أحد أهل البلدين يفر فلا يلوي على شيء واذا قتل الفلاح من أهل معان ووادي موسى رجلا من أولئك البدو تتقاضاه الحكومة الدية وتحبسه وترهقه فكأن الحكومة لاتقوى الا على كل ضعيف خفيف الحال . سألنا أحد كبار شيوخ وادي موسى هل زرت باعماه مدينة دمشق في حياتك فأجاب انني لم أزرها أنا ولا أحد من أهل بلدي وأنى لي بزيارتها والطريق عشرة أيام لراكب المطايا وفي السكة الحديدية احتاج الى أجرة لم أملكها حياتي فتأمل .

وبعد فان من أجمل المناظر اذا خرجت من السيك أو من الصدفين أي جانبي الجلمين وفارقت تلك القنن والقلل تقصد الى عين موسى صعدا في هضاب عنقاء شماء وأطللت على تلك المدينة التي يستحيل على أي جيش من جيوش العالم ان يفتحها ويستبيح حمى من فيها اذا أرادت الدفاع تشرف من ورائها على أراض واسعة جدا تظلها بحراً من أشعة الشمس وهي وادي العربة طوله ثلاثة أيام الى الغرب وعرضه الى الشمال أربعة من العقبة الى الغور وفي تربته حصا وأحجار ورمال واملاح وينابيع قليلة وبالقرب منها بعض الخضرة كما تجدها

وهناك بعض الاشجار البرية ويقصد البدو هذا الوادي في الشتاء لانه غور يرعون فيه مواشيهم كما يقصد أهالي الطفيلة والكرك والسلط ماجاورهم من الاغوار الى الغرب من ديارهم ويقصدون جهات الشرق في الربيع ويتوسطون في الشتاء والصيف

هذا نموذج من عيش أهل المجر والمدر من البوادي ممن تشهد خيامهم السوداء كما قال ابن معتوق في وصفها

قطع من الليل البهيم على الثرى سقطت وفيها أنجم الجوزاء

والتي قالت فيها الشاعرة الاعرابية يوم زوجت في دمشق واسكنت القصور والدور من اللبن والحجر

لبيت تخفق الارياح فيه أحب الي من قصر منيف

أو كما قال الشاعر

الحسن يظهر في شيئين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر

ولقد أحببنا ان نجربه للمرة الاولى فنزلنا ليلة في أرض ايل على شيخ من عرب الشرور اسمه محمد ابراهيم وأخرى في بير البيطار على محمد أبي الفرج شيخ بني عطا وهذان المنزلان على مقربة من وادي موسى وكنا بتنا ليلة في الزيزاء عند فواز بن سطام شيخ مشايخ بني صخر فرأينا العيش البدوي على اختلاف طبقاته ديمقراطيه وارستقراطيه وعمنا في العراء تخفق علينا الرياح وخرجنا عن مألوف العادات فشربنا من كأس شرب بها عشرات قبلنا فلم تغسل كفناجين القهوة وأكلنا الجريش ممزوجا باللبن الرائب والمرق عليه رقاق تعلوها قطع اللحم والدهن بدون ملعقة ولا شوكة ولا سكين ولا صفحة خاصة ولا منديل فوا كلناهم وسامرناهم وحدثناهم وحدثونا واستنصحنا بعضهم لنصرح له أي العيشين أفضل لهم البداوة أم الحضارة فقلنا له انتم بالنظر لما نشأتم عليه أبقوا على بداوتكم واقتربوا من المدنية ماسمحت لكم نفوسكم ولكن اياكم ان تغفلوا عن تعليم أولادكم لينشأوا نشأة مدنية أكثر من نشأتكم وعندها اذا أحبوا ان ينقطعوا عن عيش الخلاء بتة تيسر لهم ذلك . اني أخاف عليكم أيها العرب اذا عاشرتم الحضر فاكثرتم من عشرتهم ان تنسوا

المكارم العربية ويختلط عليكم أمركم وتضيعون فطرتكم السليمة الى ماتئن منه حضارتنا من النفاق والكذب والزور والخديعة ولولا الغارات لآثرت ان أعيش في هذه الديارات بين البوادي ولو أشهرا معدودة من السنة «يتبع»

مصر والمملكة الاسلامية

لعالم جغرافي عربي

من أمهات كتب الجغرافيا العربية القديمة التي احياها بالطبع دي كوي احد أئمة المشرقيات في الغرب وطبعتها مطبعة بريل في ليدن من بلاد هولاندة طبعة ثانية سنة ١٩٠٦ كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» لشمس الدين أبي عبدالله محمد ابن احمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري ذكر فيه الاقاليم الاسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والانهار ووصف امصارها المشهورة ومدنها المذكورة ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة وعنصر العقاقير والآلات ومعادن الحمل والتجارات. واختلاف أهل البلدان في كلامهم واصواتهم والسنتهم وألوانهم ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم ونقودهم وصروفهم وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وما يحمل من عندهم واليهم وذكر مواضع الاخطار في المفازات وعدد المنازل في المسافات وذكر السباخ والصلاب والرمال والتلال والسهول والجبال والحواوير والسماق (؟) والسمين منها والرقاق ومعادن السعة والخصب ومواضع الضيق والجدب وذكر المشاهد والمراصد والخصائص والرسوم والممالك والحدود والمصارد والجروم والمخاليف والزموم والطساسيج والتخوم والصنائع والعلوم والمباخس والمشاجر والمناسك والمشاعر»

قال: «وعلمت انه باب لابد منه للمسافرين والتجار ولا غنى عنه للصالحين والاخيار اذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء وتطلبه القضاة والفقهاء وتحبه العامة والرؤساء وينتفع به كل مسافر ويحظى به كل تاجر وما تم لي جمعه الا بعد جولاني

في البلدان ودخولي أقاليم الاسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي الى الادباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل أحد والتفطن في هذه الاسباب بفهم قوي حتى عرفتها ومساحة الاقاليم بالفراسخ حتى اتقنتها ودوراني على التخوم حتى حررتها وتنقلي الى الاجناد حتى عرفتها وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها وتفطني في الالسن والالوان حتى رتبتها وتدبري في الكور حتى فصلتها وبحثي عن الاخرجة حتى أحصيتها مع ذوق الهواء ووزن الماء وشدة العناء وبذل المال وطلب الحلال وترك المعصية ولزوم النصح للمسلمين بالحسبة والصبر على الذل والغربة والمراقبة لله والخشية بعد ما رغبت نفسي في الاجر وطمعتها في حسن الذكر وخوفتها من الاثم وتجنب الكذب والطغيان وتحرزت بالحجج من الطعان ولم أودعه المجاز والمحال ولا سمعت الا قول الثقات من الرجال »

وقال في موضع أخر في ذكر الاسباب التي عاينها في تأليف كتابه ويفهم منها مبلغ تعبه في وضعه ترجمته لنفسه على اسلوب هو الادب بعينه والا بداع الغريب قال:

اعلم ان جماعة من أهل العلم ومن الوزراء قد صنفوا في هذا الباب وان كانت مختلة غير ان أكثرها بل كلها سماع لهم ونحن فلم يبق أقليم الا وقد دخلناه واقل سبب الا وقد عرفناه وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر في الغيب فانتظم كتابنا هذا ثلاثة أقسام احدها ما عايناه والثاني ما سمعناه من الثقات والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة في هذا الباب وفي غيره وما بقيت خزانة ملك الا وقد لزمتها ولا تصانيف فرقة الا وقد تصفحتها ولا مذاهب قوم الا وقد عرفتها ولا أهل زهد الا وقد خالطتهم ولا مذكرو بلد الا وقد شهدتهم حتى استقام لي ما ابتغيه في هذا الباب

ولقد سميت بستة وثلاثين اسما دعيت وخوطبت بها مثل مقدسي وفلسطيني ومصري

ومغربي وخراساني وسلمي ومقريء وفقيه وصوفي وولي وعابد وزاهد وسياح ووراق ومجلد وتاجر ومذكر وامام ومؤذن وخطيب وغريب وعراقي و بغدادي وشامي وحنفي ومتأدب وكري ومتفقه ومتعلم وفرائضي واستاذ ودانشومند وشيخ ونشاسته وراكب ورسول وذلك لاختلاف البلدان التي حللتها وكثرة المواضع التي دخلتها ثم انه لم يبق شيء مما يلحق المسافرين الا وقد أخذت منه نصيباً غير الكدية وركوب الكبيرة فقد تفقهت وتأدبت وتزهدت وتعبدت وفقهت وادبت وخطبت على المنابر وأذنت على المنائر وأممت في المساجد وذكرت في الجوامع واختلفت الى المدارس ودعوت في المحافل وتكلمت في المجالس واكلت مع الصوفية الهرائس ومع الخانقائية الثرائد ومع النواتي العصائد وطردت في الليالي من المساجد وسحت في البراري وتهت في الصحاري وصدقت في الورع زمانا وأكلت الحرام عيانا وصحبت عباد جبل لبنان وخالطت حينا السلطان وملكت العبيد وحملت على رأسي بالزنبيل واشرفت مرارا على الغرق وقطع على قوافلنا الطرق وخدمت القضاة والكبراء وخاطبت السلاطين والوزراء وصاحبت في الطرق الفساق وبعت البضائع في الاسواق وسجنت في الحبوس وأخذت على أني جاسوس وعاينت حرب الروم في الشواني وضربت النواقيس في الليالي وجلدت المصاحف بالكرى واشتريت الماء بالغلا وركبت الكنائس (؟) والخيول ومشيت في السمائم والثلوج ونزلت في عرصة الملوك وبين الاجلة وسكنت بين الجهال في محلة الحاكة وكم نلت العز والرفعة ودبر في قتلي غير مرة وحججت وجاورت وغزوت ورابطت وشربت بمكة من السقاية السويق واكلت الخبز والجلبان بالسيق ومن ضيافة ابراهيم الخليل وجميز عسقلان السبيل وكسيت خلع الملوك وأمروا لي بالصلات وعريت وافتقرت مرات وكاتبني السادات ووبخني الاشراف وعرضت على الاوقاف وخضعت للاجلاف ورميت بالبدع واتهمت بالطمع وأقامني الامراء والقضاة أمينا ودخلت في الوصايا وجعلت وكيلا وامتحنت الطرارين ورأيت دول العيارين واتبعني الارذلون وعاندني الحاسدون وسعي بي الي السلاطين ودخلت حمامات

طبرية والقلاع الفارسية ورأيت يوم الفوارة وعيد بر بارة وبئر بضاعة (١) وقصر يعقوب وضياعه ومثل هذا كثير ذكرنا هذا القدر ليعلم الناظر في كتابنا انالم نصنفه جزافا ولا رتبناه مجازا و يميزه من غيره فكم بين من قاسى هذه الاسباب وبين من صنف كتابه في الرفاهية ووضعه علي السماع

ولقد ذهب لي في هذه الاسفار نوق عشرة آلاف درهم سوى مادخل علي من التقصير في أمور الشريعة ولم يبق رخصة مذهب الا وقد استعملتها قد مسحت على القدمين وصليت بمدها متان ونفرت قبل الزوال وصليت الفريضة على الدواب ومع نجاسة فاحشة على الثياب وترك التسبيح في الركوع والسجود وسجود السهو قبل التسليم وجمعت بين الصلوات وقصرت لافي سفر الطاعات غير اني لم أخرج عن قول الفقهاء الائمة ولم أؤخر صلاة عن وقتها بتة ومامررت في جادة و بيني و بين مدينة عشرة فراسخ فادونها الافارقت القافلة وانتقلت اليها لانظرها وربما اكتريت رجالا يصحبوني وجعلت مسيري في الليلة لارجع الى رفقائي مع اضاعة المال والهم

و بعد فقد أجاد المقدسي في تأليفه ماشاء وشاءت الاجادة ومن يتعب في جمع مواد مصنفه مثل ما تعب يجيء منه آية يستفاد منها على الدهر فلم يترك شاردة في الجغرافية الطبيعية مما يتعلق بطبائع الارض ومياهها وجبالها وبحيراتها وسهولها الا وذكره على أحسن صورة عرفها العلم لعهده وكذلك لم يدع فائدة في علم خصائص الشعوب والجغرافيا السياسية والاقتصادية الا ألم به الماما لايستطاع أكثر منه في عصره وهو القرن الرابع . وعلى كثرة ما أتى من المواد في كتابه الذي لايتجاوز الخمسمائة صفحة من هذه الطبعة فانك تجد كل فائدة قد ذكرت في موضعها بتنسيق غريب أدهش من نظر فيه من علماء المشرقيات في الغرب فأيقنوا بما رأوه ان فضل الله غير محصور بأمة معينة ولا بزمن خاص .

---

(١) بئر بضاعة بالضم وقد تكسر كما في التاج بئر معروفة بالمدينة كان يطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والمتن قطر رأسها ستة أذرع .

ولقد كنا نقول ونحن نطالع ماورد فى كتاب أحسن التقاسيم فى وصف بلاد الشام وفلسطين ان هذا الفصل أجمل فصول هذا السفر لان المؤلف قدسى يحسن معرفة بلاده ووصف ما حوت من الميزات والخيرات ولكن من طالع الكتاب برمته تتجلى له اجادته فى وصف جميع بلاد الاسلام ومايجب على المطالع معرفته منها واليك الآن ماقاله فى اقليم مصر،

هذا هو الاقليم الذى افتخر به فرعون على الورى وقام على يد يوسف باهل الدنيا فيه آثار الانبيا والتيه وطورسينا ومشاهد يوسف وعجائب موسى واليه هاجرت مريم بعيسى وقد كرر الله فى القرآن ذكره واظهر للخلق فضله أحد جناحى الدنيا ، ومفاخره فلا تحصى ، مصره قبة الاسلام ونهره أجل الانهار وبخيراته تعمر الحجاز وباهله يبهج موسم الحاج وبره يعم الشرق والغرب قد وضعه الله بين البحرين واعلى ذكره فى الخافقين حسبك ان الشام على جلالها رستاقه والحجاز مع اهلها عياله وقيل انه هو الربوة ونهره يجرى عسلا فى الجنة قد عاد فيه حضرة أمير المؤمنين ونسخ بغداد الى يوم الدين وصار مصره أكبر مفاخر المسلمين غير ان جدبه سبع سنين متوالية ، والاعناب والاثيان به غالية ، ورسوم القبط به عالية ، وفى كل حين تحل بهم الداهية ، عمره مصر بن حام بن نوح عليه السلام وهذا شكله ومثاله.

وقد جعلنا اقليم مصر على سبع كور ست منها عامرة ولها أيضا أعمال واسعة ذات ضياع جليلة ولم تكثر مدائن مصر لان أكثر أهل السواد قبط ولا مدينة فى قياس علما هذا الا بمنبر فاولها من نحو الشام ثم الجفار ثم الحوف ثم الريف ثم اسكندرية ثم مقدونية ثم الصعيد والسابعة الواحات . فاما الجفار فقصبتها الفرما ومدنها البقارة الورادة العريش . واما الحوف فقصبتها بلبيس ومن مدنها مشتول جرجير فاقوس غيفا دبقو تونة بريم القلزم . واما الريف فقصبتها العباسية ومن مدنها شبرو دمنهور سنهور بنها العسل شطنوف مليج محلة سدر محلة كرمين المحلة الكبيرة سندفا دميرة بورة دقهلة محلة زيد محلة حفص محلة زياد سنهور الصغرى بربس

واما اسكندرية فهى القصبة أيضا ومن مدنها الرشيد مريوط ذات الحمام براس واما مقدونية فقصبتها الفسطاط وهو المصر ومن مدنها العزيزية الجيزة عين شمس واما الصعيد فقصبتها أسوان ومن مدنها حلوان قوص أخميم بلينا علاقى اجمع بوصير الفيوم اشمونين سمسطا تندة طحا بهنسة قيس وبازاء الحوف جزيرتان فى بحيرتين فيهما تنيس ودمياط.

الفرما على ساحل بحر الروم وهى قصبة الجفار على فرسخ من البحر عامرة آهلة عليها حصن ولها أسواق حسنة وهى فى سبخة وماؤها مالح وحولها مصايد السلوى معدن الاسماك الجيدة و بها اضداد عدة وخيرات كثيرة وهى مجمع الطرق مذكورة سرية غير ان ماءها مالح وطيرها مزمن وهذه الكورة كلها رمال ذهبية والمدن التى ذكرناها وسطها وفيها طرق ونخيل وآبار وعلى كل بريد حانوت الا ان الريح ربما العبت بالرمال فغطت الطريق والسير فيها صعب .

بلبيس قصبة الحوف كبيرة كثيرة القرى والمزارع عامرة بنيانهم من طين والمشتول كثيرة الطواحين ومنها يحمل أكثر ميرة الحجاز من الدقيق والكعك وأحصيت فى وقت من السنة فاذا هو يبلغ ثلاثة آلاف حمل جمل فى كل اسبوع كلها حبوب ودقيق . والقلزم بلد قديم على طرف بحر الصين يابس عابس لا ماء ولا كلأ ولا زرع ولا ضرع ولا حطب ولا شجر ولا عنب ولا ثمر يحمل اليهم الماء فى المراكب ومن موضع على بريد يسمى سويس على الجمال ماء آجن ردى ومن أمثالهم ميرة أهل القلزم من بلبيس وشربهم من سويس يأكلون لحم التيس ويقدون سقف البيت هى أحد كنف الدنيا مياه حماماتهم زعاق وحشة مملولة والمسافة اليها صعبة غير ان مساجدها حسنة و بها قصور جليلة ومتاجر مفيدة هى خزانة مصر وفرضة الحجاز ومعونة الحاج واشترينا يوما بدرهم خطبا فاحتجنا له بدرهم حطبا وهذه الكورة غير طيبة ولا أرى فى ذكر بقية مدائنها فائدة .

العباسية هى قصبة الريف عامرة طيبة قديمة شربهم من النيل موضع الريف والخصب بنيانهم أفرج من بنيان مصر بها أضداد تحمل اليها وجامع حسن من الآجر رفقة سرية والمحلة الكبيرة ذات جانبين اسم الجانب الآخر سندفا بكل جانب جامع وجامع المحلة وسطها وجامع ثالث على الشط لطيف وهذه أعمر و بها سوق زيت حسن والناس يذهبون و يجيئون فى الزواريق شبهتها بواسط ودميرة أيضا على الشط طويلة عامرة بها بطيخ نادر

الاسكندرية قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبدين شربهم من النيل يدخل عليهم أيام زيادته فى قناة فيملأ صهاريجهم وهى شامية الهواء والرسوم كثيرة الامطار جامعة الاضداد جليلة الرستاق جيدة الفواكه والاعناب طيبة نظيفة بناؤهم من الحجارة البحرية معدن الرخام و بها جامعان وعلى جبابهم أبواب تغلق بالليل كيلا يصعد منها اللصوص وسائر المدن

عامرات طيبات وفى نواحيها خرنوب و زيتون ولوز ومزارع على البعل وثم يصب النيل فى بحر الروم وهى مدينة ذى القرنين ولها قصة عجيبة

الفسطاط هو مصر فى كل قول لانه قد جمع الدواوين وحوى أمير المؤمنين وفصل بين المغرب وديار العرب واتسع بقعته . وكثر ناسه . وتنضر اقليمه واشتهر اسمه . وجل قدره . فهو مصر مصر . وناسخ بغداد . ومفخر الاسلام ومتجر الانام وأجل من مدينة السلام . خزانة المغرب . ومطرح المشرق . وعامر الموسم ليس فى الامصار آهل منه . كثير الاجلة والمشايخ . عجيب المتاجر والخصائص . حسن الاسواق والمعايش الى حماماته المنتهى . ولقياسيره لباقة و بها . ليس فى الاسلام أكبر مجالس من جامعه ولا أحسن تجملا من أهله ولا أكثر مراكب من ساحله . آهل من نيسابور . وأجل من البصرة . وأكبر من دمشق . به أطعمة لطيفة . وادامات نظيفة . وحلاوات رخيصة كثير الموز والرطب . غزير البقول والحطب . خفيف الماء صحيح الهواء . معدن العلماء . طيب الشتاء . أهله أهل سلامة وعافية . ومعروف كثير وصدقة . نغمتهم بالقرآن حسنة ورغبتهم فى الخير بينة . وحسن عبادتهم فى الآفاق معروفة . قد استراحوا من أذى الامطار . وأمنوا من غاغة الاشرار . ينتقدون الخطيب والامام . ولا يقدمون الاطيبا وان بذلوا الاموال قاضيهم أبدا خطير والمحتسب كالامير ولا ينفكون أبدا من نظر السلطان والوزير ولولا عيوب له كثير ما كان له فى العالم من نظير . وهو نحو ثلثى فرسخ طبقات بعضها فوق بعض

وكانت جانبين الفسطاط والجزيرة ثم شق بعض الخلفاء من ولد العباس خليجا على قطعة منها فسميت تلك القطعة الجزيرة لانها بين العمود والخليج وسمى خليج أمير المؤمنين منه شربهم ودورهم أربع طبقات وخمس كالمنابر يدخل اليهم الضياء من الوسط وسمعت انه يسكن الدار الواحدة نحو مائتى نفس وانه لما صار اليها الحسن بن أحمد القرمطى خرج الناس اليه فرآهم مثل الجراد فهاله ذلك وقال ما هذا قيل هؤلاء نظارة مصر ومن لم يخرج أكثر . وكنت يوما أمشى على الساحل واتعجب من كثرة المراكب الراسية والسائرة فقال لى رجل منهم : من أين أنت قلت : من بيت المقدس قال : بلد كبير اعلمك ياسيدى أعزك الله ان على هذا الساحل وما قد أقلع منه الى البلدان والقرى من المراكب مالو ذهبت الى بلدك لحملت أهلها وآلاتها وحجارتها وخشبها حتى يقال كان ههنا مدينة . وسمعتهم يذكرون انه يصلى قدام الامام يوم الجمعة نحو عشرة آلاف رجل فلم أصدق حتى خرجت مع المتسرعة الى سوق الطير فرأيت

الامر قريبا مما قالوا

وأبطأت يوما عن السعى الى الجمعة فالفيت الصفوف فى الاسواق على أكثر من ألف ذراع من الجامع ورأيت القياسير والمساجد والدكاكين حوله مملوءة من كل جانب من المصلين وهذا الجامع يسمى السفلانى من عمل عمرو بن العاص وفيه منبره حسن البناء فى حيطانه شيء من الفسيفس على أعمدة رخام أكبر من جامع دمشق والازدحام فيه أكثر من الجوامع الستة قد التفت عليه الاسواق الا ان بينها و بينه من نحو القبلة دار الشط وخزائن وميضاة وهو أعمر موضع بمصر وزقاق القناديل عن يساره وما يدريك مازقاق القناديل والجامع الفوقانى من بناء بنى طيلون أكبر وأبهى من السفلانى على أساطين واسعة مصهرجة وسقوفه عالية فى وسطه قبة على عمل قبة زمزم فيها سقاية مشرف على فم الخليج وغيره وله زيادات وخلفه دار حسنة ومنارته من حجر صغيرة درجها من خارج والحد بين أسفل وفوق مسجد عبد الله قد بنى من مساحة الكعبة

و يطول الوصف بنعت أسواقه وجلالته غير انه أجل أمصار المسلمين وأكبر مفاخرهم وآهل بلدانهم ومع هذه الكثرة اشتريت به الخبز الحوارى ولا يخبزون غيره ثلاثين رطلا بدرهم والبيض ثمانية بدانق والموز والرطب رخيص يجيء أبداً اليه ثمرات الشام والمغرب وتسير الرفاق اليه من العراق والمشرق و يقطع اليه مراكب الجزيرة والروم تجارته عجيبة ومعايشه مفيدة وأمواله كثيرة لاترى أحلى من مائه ولا أوطأ من أهله ولا أحسن من بزه ولا أبرك من نهره الا انه ضيق المنازل كثير البراغيث عفن كرب البيوت قليل الفواكه مياه كدرة وآبار وضرة ودور قذرة و بق منتن وجرب مزمن . ولحوم عزيزة . وكلاب كثيرة . و يمين فظيعة . ورسوم وحشة. ابداً على خوف من القحط وانقطاع النهر واشراف على الجلا . وتربص بالبلا . لا يتورع مشايخهم عن شرب الخمور ولا نساؤهم عن الفجور للمرأة زوجان وترى الشيخ سكران وفى المذهب حزبان مع سمرة وقبح لسان

والجزيرة خفيفة الاهل الجامع والمقياس على طرفها عند الجسر مما يلى المصر وبها بساتين ونخيل ومتنزه أمير المؤمنين عند الخليج بموضع يسمى المختارة والجيزة مدينة خلف العمود كانت الطريق اليها من الجزيرة على جسر الى ان قطعه الفاطمى بها جامع وهى أعمر وأكبر من الجزيرة والجادة منها الى المغرب و يلقى الخليج العمود تحت الجزيرة عند المختارة .

والقاهرة مدينة بناها جوهر الفاطمى لما فتح مصر وقهر من فيها كبيرة حسنة بها جامع بهى وقصر السلطان وسطها محصنة بابواب ممددة على جادة الشام ولا يمكن أحد دخول الفسطاط الا منها لانهما بين الجبل والنهر ومصلى العيد من ورائها والمقابر بين المصر والجبل والعزيزية قد اختلت وخربت عامتها وكانت المصرفى القديم وبها كان ينزل فرعون وثم قصره ومسجد يعقوب و يوسف. وعين شمس مدينة على جادة الشام كثيرة المزارع بها مسد النيل أيام زيادته جامعهم فى السوق والمحلة مدينة على نهر الاسكندرية بها جامع لطيف وليس بها كثير أسواق غير انها عامرة نزيهة الشط حسنة النهر يقابلها صندفا به جامع عامر شبهتها بواسط الا انه ليس بينهما جسر يعبرون فى المراكب. وحلوان مدينة من نحو الصعيد ذات مغاير ومقاطع وعجائب بها حمام من فوق حمام آخر وسائر المدن على عمود النيل وخليجه

وأسوان قصبة الصعيد على النيل عامرة كبيرة بها منارة طويلة ولها نخيل وكروم كثيرة وخيرات وتجارات وهى من الامهات واخميم مدينة كثيرة النخيل على بعض شعب النيل ذات كروم ومزارع منها كان ذوالنون الزاهد وهذه الكورة أعلى أرض مصر وفيها يخرج النيل والفيوم جليل به مزارع الارز الفائق والكتان الدون ولها قرى سرية تسمى الجوهريات والعلاقى مدينة فى آخر الكورة على طريق عيذاب واما الواحات فانها كانت كورة جليلة ذات أشجار ومزارع والى اليوم يوجد فيها صنوف الثمار وأغنام ونعم قد توحشت متصلة بارض السودان تمس طرف اقاليم المغرب و بعض يجعلونها منه

تنيس بين بحر الروم والنيل بحيرة فيها جزيرة صغيرة قد بنيت كلها مدينة وأى مدينة هى بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب أسواق ظريفة وأسماك رخيصة و بلدة مقصودة وثم ظاهرة وساحل نزيه وجامع نفيس وقصور شاهقة ومدينة مفيدة رفقة الا انها فى جزيرة ضيقة والبحر عليها كحلقة ملولة قذرة والماء فى صهاريج مغلقة أكثر أهلها قبط والبلاذات تطرح الى الطرق و بها يعمل الثياب والاردية الملونة وثم موضع قد نضد فيه موتى الكفار بعض على بعض ومقابر المسلمين وسط البلد.

دمياط تسير فى هذه البحيرة يوما وليلة ربما لقيك ماء حلو وأزقة ضيقة الى مدينة أخرى وهى أطيب وأرحب وأوسع وأفسح. وأحزب وأكثر فوا كه

وأحسن بناء وأوسع ماء . وأحذق صناعا . وأرفع بناء وأنظف عمالا . وأجود حمامات . وأوثق جدارات . وأقل أذيات . من تنيس عليها حصن من الحجارة كثيرة الابواب وفيها رباطات كثيرة خربت ولهم موسم كل سنة يقصدها المرابطون من كل جانب و بحر الروم منها على صيحة دور القبط على ساحله وثم يفيض النيل فى البحر . وشطا قرية بين المدينتين على البحيرة يسكنها القبط واليها ينسب هذا البز وطحا قرية بالصعيد يعمل بها ثياب الصوف الرفيعة ومنها كان الفقيه الامام أبو جعفر الازدى و يصنع ببهنسة الستور والانماط والكتان الرفيع مزارعه ببوصير

جمل شؤن هذا الاقليم

هذا اقليم اذا أقبل فلا تسأل عن خصبه ورخصه واذا أجدب فنعوذ بالله من قحطه بعد سبع سنين حتى يأكلون الكلاب و يقع فيهم الوباء المبرح أشد حرا من سواحل الشام و يبرد فى طو به برداً شديداً به نخيل كثيرة وعامة ذمته نصارى يقال لهم القبط و يهودقليل . كثير المجذمين و بيت الجرب لانه سفن وأ كثر أدمهم السمك . وعلى مذاهب أهل الشام غير ان أ كثرفقائهم مالكيون الاترى انهم يصلون قدام الامام و يربون الكلاب

وأعلى القصبة وأهل صندفا شيعة وسائر المذاهب بالفسطاط موجودة ظاهرة وثم محلة الكرامية وجلبة للمعتزلة والحنبلية والفتيا اليوم على مذاهب الفاطمى التى نذكرها فى اقليم المغرب . والقراآت السبع فيه مستعملة غير ان قراءة ابن عامر أقلها ولما قرأت بها على أبى الطيب بن غلبون قال دع هذه القراءة فانها عتيقة قلت: قيل لنا عليكم بالعتيق قال :فعليك بها . قرأت عليه لابى عمرو فكان يأمرنى بتفخيم الراء من مريم والتوربة والغالب عليهم والمختار عندهم قراءة نافع وسمعت شيخا فى الجامع السفلانى يقول : ماقدم فى هذا المحراب امام قط الاوهو يتفقه لمالك و يقرأ لنافع غير هذا يعنى ابن الخياط قلت : ولم ذلك قال لم نجد أطيب منه وكان شفعويا أبوعمريا ولم أر فى الاسلام أحسن نغمة منه لغتهم عربية غيرانها ركيكة رخوة وذمتهم يتحدثون بالقبطية وهو بلد التجارات يرتفع منه أديم جيد صبور على الماء ثخين لين والبطائن الحمر والمملختات ، والمثلث هذا من المصر ومن الصعيد الارز والصوف والتمور والخل والزبيب ومن تنيس لا دمياط الثياب الملونة ومن دمياط القصب

ومن الفيوم الارز وكتان دون ومن بوصير قريدس الكتان الرفيع ومن الفرما الحيتان ومن مدنها القفاف والحبال من الليف فى غاية الجودة ولهم القباطى والازر والخيش والقباداني والحصر والحبوب والجابان ودهن الفجل والزنبق وغيرذلك

الخصائص . ولا نظير لاقلامهم وزاجهم ورخامهم وخلهم وصوفهم وخيشهم و بزهم وكتانهم وجلودهم وحذوهم وهملختانهم وليفهم ووزهم وموزهم وشمعهم وقندهم ودقهم وصبغهم ور يشهم وغزلهم واشنانهم وهريستهم ونيذتهم وحمصهم وترمسهم وقرطهم وقلقاسهم وحصرهم وحمرهم و بقرهم وحزمهم ومزارعهم ونهرهم وتعبدهم وحسن نغمتهم وعمارة جامعهم وحلومهم وحيسهم وحيتانهم ومعايشهم وتجاراتهم وصدقاتهم كل ذلك فى غاية الجودة

وقد اجتمع بها من خصائص فلسطين القلقاس وهوشىء على قدر الفجل المدور عليه قشر وفيه حدة يقلى بالزيت و يطرح فى السكباج والموز وهو على مقدار الخيار عليه مزود رقيق يقشر عنه ثم يؤكل له حلاوة وعفوصة والجميز وهو أصغر من التين له ذنب طو يل والترمس وهو على قدر الظفر يابس مر يحلى و يملح والنبق وهو على قدر الزعرور فيه نواة كبيرة حلو وهو ثمرة شجرة السدر و يز يدون عليهم بالنيدة وهى السمنوا غير انه عجيب الصنعة يبسط على القصب حتى يجف و ينعلك ودهن البلسان من نبت ثم

والنقود القديمة المثقال والدرهم ولهم المزبقة خمسون بدينار و يكثرون التعامل بالراضى وقد غير الفاطمى النقود الاهاذ ين وأبطل القطع والمثاقيل.والمكاييل الو يبة وهى خمسة عشر منا والاردب ست و يبات والتليس ثمان وهى بطالة والرسوم بجوامع هذا الاقليم اذا سلم الامام كل يوم صلاة الغداة وضع بين يديه مصحفا يقرأ فيه جزءا و يجتمع الناس عليه كما يجتمع على المذكر ين ولهم آذان ينفردون به على طر يق النياحة ثلث الليل الاخير وله قصة يأثرونها و بين المشائين جامعهم مختص بحلق الفقهاء دائمة القراء وأهل الادب والحكمة ودخلتها مع جماعة من المقادسة فر بما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين دوروا وجوهكم الى المجلس فننظر فاذا نحن بين مجلسين على هذا جميع المساجد وعددت فيه مائة وعشرة مجالس فاذا صلوا العشاء أقام البعض الى ثلث وأ كثر سوقهم اذا رجعوا من الجامع ولا ترى أجل من مجالس القراء به و به مجلس للمتاعبين ولهم اجراء و يضر بون على جوامعهم شراعات وقت الخطبة مثل البصرة و يخلو أسواقهم أيام الجمع

قل مايلبسون ثوبا غسيلا او نعلاقد امتعطت ولايكثرون أكل اللحم و يكثرون الاشارة فى الصلاة والنخع والمخاط فى المساجد و يجعلونه تحت الحصر و يخبزون فى الرساتيق وقت البيادر مايكفيهم الى عام قابل ثم ييبسونه و يخبؤنه ولهم باذهنجات مثل أهل الشام أهل تحمل وثرو وتملق بعينهم الكبرى و رأس الله والصغرى وحق على يحبون روؤس السمك و يقال انهم اذا رأوا شاميا قد اشترى سمكا اتبعوه فاذا رمى روؤسها أخذوها يكثرون أكل الدلينس أقذر شيء حيوان بين زلفتين صنبرتين يفلقان و يحسى مثل المخاط

ومن عيوبهم ضعف قلوبهم وقلة ثمارهم وأهل الشام ابدا يعيبونهم و يسخرون منهم و يقولون مطر أهل مصر الندى وطيرهم الحدا وكلامهم سيدى رخو مثل النسا أعزك الله مالك كذا أكلهم الدلينس ونقلهم الحمص وجبنهم الحالوم وحلواهم النيد وقطائفهم الخناز بر وعينهم كفر

وأما النيل فلم أذق ولاسمعت ان فى جميع الدنيا ماء أحلى منه الانهر المنصورة وزيادته من شهر بؤنة الى شهر توت وقت عيد الصليب ولهما سدان أحدهما بعين شمس ترعة تسدبالحلفاء والتراب قبل زيادته فاذا أقبل الماء رده السد وعلا الماء على الجرف أعلى القصبة فيسقى تلك الضياع مثل بهتيت والمنيتين وشبرو ودمنهور وهو سد خليج أمير المؤمنين فاذا كان يوم عيد الصليب وقت انتهاء حلاوة العنب خرج السلطان الى عين شمس فامر بفتح هذه الترعة وقد سد أهل الجرف أفوا أنهارهم حتى لايخرج الماء منها وجعلوا عليها الحراس فينحدر الماء الى ضياع الريف كلها والترعة الاخرى أسفل من هذه وأعظم غير ان السلطان لا يحضرها و يبين فتحها النقصان فى النيل وهى بسردوس والمقياس بركة وسطها عمود طويل فيه علامات الاذرع والاصابع وعليه وكيل وأبواب محكمة يرفع الى السلطان فى كل يوم مقدار مازاد ثم ينادى المنادى زادالله اليوم فى النيل المبارك كذا وكذا وكانت زيادته عام الاول فى هذا اليوم كذا وكذا وعلى الله التمام ولاينادى عليه الابعد ان يبلغ اثني عشر ذراعا الا مايرفع الى السلطان حسب والاثنا عشر ما يعم ضياع الريف فاذابلغ أربعة عشر سقى أسفل الاقليم فاذابلغ ستةعشر استبشر الناس وكانت سنة مقبلة فان جاوزها كان خصب وسعة فاذانضب الماء أخذوا فى الحرث والبذر وفى ايام زيادته تبحر مصر حتى لايمكن الذهاب من هذه الضيعة الى الاخرى الافى الزوارق فى بعض المواضع

الفسطاط جبل فيه معدن الذهب ولهم معادن زاج الحبر لاترى مثله وطين يسمى الطفل وفى المقطم مقاطع حجارة بيض حسنة تنشر كما ينشر الخشب . ثم ذكر مشاهد مصر مع الاحتراز من الخرافات الشائعة بشأنها فى الجملة قال وعلى صيحة من الفسطاط موضع يسمى القرافة فيه مسجد وسقايات حسنة وخلق من العباد وموضع خلوة وسوق لطلاب الآخرة وجامع حسن ومقابرهم فى غاية الحسن والعمارة ترى البلد غبراء والمقابر بيضا ممتدة على طول المصر فيها قبر الشافعى وذكر بعض عجائب مصر مثل هرمى الجيزة وقال انها مقابر الا ترى الى ملوك الديلم بالرى كيف اتخذوا على قبورهم قبابا عالية واحكموها جهدهم وعلوها طاقتهم كيلا تندرس وذكر منارتى عين شمس أو مسلتيها ومغاير حلوان وبرابى الصعيد ومنارة الاسكندرية وعدد الشهور القبطية وقال ان طول مصر من بحر الروم الى النوبة أقل من شهر وعرضه من الجنوبى ثمانى مراحل ومن الشمالى اثنتا عشرة وللدخلة ؟؟ عند بحر القلزم أربع مراحل وأما الولايات فللفاطمى وهم فى عدل وأمن لانه سلطان قوى غنى والرعية فى راحة وثم سياسة ونفاذ أمر وكل سامع مطيع من الاركان سرا وعلانية لايخطب الا لامير المؤمنين حسب . ثم ذكر خراج مصر نقلا عن قدامة ابن جعفر وابن الفقيه الى ان قال :

وسألت بعض المصريين ببخارا عن الخراج فقال ليس على مصر خراج ولكن يعمد الفلاح الى الارض فيأخذها من السلطان ويزرعها فاذا حصد ودرس وجمع وشمت بالعرام وتركت ثم يخرج الخازن وأمين السلطان فيقطعون كرى الارض ويعطى مابقى للفلاح قال وفيهم من يأخذ من السلطان تقوية فيزاد عليه فى كرى الارض بمقدار ما اقتطعه قال فلا يكون لاحد ثم ملك وضيعة قل لا اللهم الا ان يكون رجل قد اشترى ممن اقطعه السلطان فى القديم أو وهبها فاحتاج هو اوذريته الى ثمنها فباعها لعامة الناس

وقال : وأما الضرائب فثقيلة بخاصة تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل وأما الثياب الشطوية فلا يمكن القبطى ان ينسج (لعله ينسج) شيئا منها الا بعدمايختم عليها بختم السلطان ولا ان تباع الا على يد سماسرة قد عقدت عليهم وصاحب السلطان يثبت مايباع فى جريدته ثم تحمل الى من يطويها ثم الى من يشدها بالقش ثم الى من يشدها فى السفط والى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم يأخذه ثم على باب الفرضة يؤخذ أيضا شئ وكل واحد يكتب على السفط علامته ثم تفتش

المراكب عند اقلاعها و يؤخذ بتنيس على زق الزيت دينار ومثل هذا واشباهه ثم على شط النيل بالفسطاط ضرائب فقال رأيت بساحل تنيس ضرائبيا جالسا قيل قبالة هذا الموضع فى كل يوم الف دينار ومثله عدة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الاسكندرية وبالاسكندرية أيضا على مراكب الغرب و بالفرما على مراكب الشام و يؤخذ بالقلزم من كل حمل درهم

وهنا ذكر المسافات بين بلاد الاقاليم بحساب المراحل وكل ذلك مشبع بالفوائد العمرانيـة التى لاتكاد تراها فى الكتب الاخرى الملمة بذكر البلاد الاسلاميـة ولا باس بان نختم هـذا الفصل بنموذج آخر من كتاب المقدسى فى ذكر مملكة الاسلام قال :

اعلم ان مملكة الاسلام حرسها الله تعالى ليست بمستوية فيمكن ان توصف بتربيع أو طول وعرض وانما هى متشعبة يعرف ذلك من تامل مطالع الشمس ومغاربها ودوخ البلدان وعرف المسالك ومسح الاقاليم بالفراسخ وسنجتهد فى تقريب الوصف وتصويره لذوى العقول والافهام ان شاء الله تعالى الشمس تغرب فى حافة بلد المغرب و يرونها تنزل فى البحر المحيط وكذلك أهل الشام يرونها تغيب الى بحر الروم واقليم مصر ياخذ من البحر الرومى طولا الى بلد النوبة ويقع بين بحر القلزم وتخوم المغرب و يمتد المغرب من تخوم مصر الى البحر المحيط مثل الشريطة يضغطه من قبل الشمال بحر الروم ومن قبل الجنوب بلدان السودان و يمتد اقليم الشام من تخوم مصر نحو الشمال الى بلد الروم فيقع بين بحر الروم وبادية العرب و تتصل البادية و بعض الشام بجزيرة العرب و يدور على الجزيرة بحر الصين الى عبادان من ارض مصر و يتصل أرض العراق بالبادية و بعض الجزيرة و يتصل بتخوم العراق الشمالية اقليم أقور فيمتد الى بلد الروم وقد تقوس عليه الفرات من نحو الغرب و وقع خلف الفرات بقية البادية وطرف من الشام فهذه اقاليم العرب و وقعت خوزستان والجبال على تخوم العراق الشرقية وطائفة من الجبال واقليم الرحاب على تخوم أقور الشرقية و وقعت فارس وكرمان والسند خلف خوزستان على صف واحد البحر جنوبيها والمفازة وخراسان شماليها وتاخمت السند وخراسان من قبل الشرق بلدان الكفر وتاخمت الرحاب بلد الروم من قبل الغرب والشمال و وقع أقليم الديلم بين الرحاب والجبال والمفازة وخراسان فهذه مملكة الاسـلام فتدبرها وفيها تقتل وتعرج لمن شقها من شرقها الى غربهـا الا ترى انك اذا اخذت

من البحر المحيط الى مصر كنت على الاستواء ثم تميل يسيرا الى العراق ثم تنفتل فى أقاليم الاعاجم وخراسان مائلة الى جهة الشمال أولا ترى ان الشمس تطلع عن يمين بخارا من نحو اسبيجاب .

وأما مساحتها على الوصف الذى شرحناه فانك تاخذ من البحر المحيط الى القيروان مائة وعشرين مرحلة ثم الى النيل ستين مرحلة ثم الى دجلة خمسين مرحلة ثم الى جيحون ستين مرحلة ثم الى نونكث خمسة عشر يوما ثم الى طراز خمسة عشر يوما وان عطفت الى فرغانة فمن جيحون الى أوزكنت ثلاثون مرحلة وان عطفت الى كاشغر فاربعين مرحلة . ووجه آخر تأخذ من سواحل اليمن الى البصرة خمسين يوما ثم الى اصفهان مائة فرسخ وثمانية وثلاثين ثم الى نيسابور ثلاثين مرحلة ثم الى جيحون عشرين مرحلة ثم الى طراز ثلاثين مرحلة وهذا على الاستواء ويسقط اقليم مصر والمغرب والشام . وأما العرض فمختلف جداً لان اقليم المغرب قليل العرض وكذلك مصر ثم اذا حاذيت الشام اتسعت المملكة ثم لاتزال تتسع حتى تصير وراء جيحون الى بلد السند نحو ثلاثة أشهر وأما أبو زيد فجعل العرض من ملطية مارا على الجزيرة والعراق وفارس وكرمان الى أرض المنصورة ولم يذكر المراحل الا انها تكون نحو أربعة أشهر غير عشرة أيام والذى ذكرنا ابين وأتقن فمن أقصى المشرق بكاشغر الى السوس الاقصى نحو عشرة أشهر .

قدر للخليفة سنة ٢٣٢ مايرتفع من الخراج والصدقات سوى الحمايات والجبايات من جميع المملكة فبلغ الفى الف وثلاثمائة الف وعشرين ألفا ومائتين وأربعة وستين دينارا ونصفا قال وحسب خراج الروم للمعتصم فبلغ خمسمائة قنطار وكذا قنطارا فاذا به أقل من ثلاثة آلاف ألف دينار فكتب الى ملك الروم ان أخس ناحية عليها اخس عبيدى خراجها أكثر من خراج أرضك . وطول المملكة على ماقدمنا ألفان وستمائة فرسخ كل مائة فرسخ ألف ألف ومائتا ألف ذراع فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربعة وعشرون اصبعا والاصبع ست حبات شعير مصفوفة طولا بعضها الى بعض والميل ثلث الفرسخ وفى البريد خلاف بالبادية والعراق اثنا عشر ميلا وبالشام وخراسان ستة الا ترى كيف بنى بخراسان على كل فرسخين رباط ورتب فيه أصحاب البريد فبهذا ناخذ اه .

ولا يسع المنصف بعد تلاوة هذه النموذجات من المصنف العلامة الا ان يحبذ علماء العرب فيما دونوه بحسب ما انتهى اليه ارتقاء العلم فى عصورهم واذا

وقع لهم مايؤخذ اليوم عليهم وهو قليل جدا بحسب ماادانا اليه البحث والتنقيب فان هذا لايقدح فى أسفارهم ولا يحول بيننا و بين احيائها وتدارسها على علاتها خلافا لما يتبجح به المتنطعون من المتفرنجين منا ممن لم يسعدهم الحظ ان يدرسوا كتابا عربيا وغاية علمهم انهم قرأوا مبادىء العلوم باللغات الافرنجية وجمدوا عليها جمود بعض الفقهاء على ماقاله المتاخرون منهم وترك الرجوع الى الاصل الصحيح من كتب السنة بدعوى ان المتاخرين حرروا كل شىء فلم يبق بنا حاجة الى الاخذ عمن قبلهم

اللغة الانتقادية

رأينا فى اللغة مجلدا شاذ الطرفين قديم الخط والورق صغير الحجم والقطع غير ان اسلوبه وصحة عبارته ووصفها تقتضى قدم تاليفه كما ان ترسل المؤلف ووفور مادته وسعة اطلاعه حتى انا لم نعثر فيما قرأنا منه على نقل أو تعويل الا نادرا توجب ان يكون أحد أئمة اللسان ولعل أديبا من صرعى الكتب والآثار يطلع على ماننشره منه فيطلعنا على مصنف الكتاب وعلى حقيقة الكتاب

هذا وفى الموجود من أول المجلد كلام على المترادفات ثم أبواب فى مباحث لغوية مفيدة مرتبة على زنات الاسماء والافعال وفيه فصول مختلفة ممتعة والذى يهمنا مباحثه الانتقادية فقد جاء فيها مانصه

باب ماهو مكسور الاول مما فتحته العامة أو ضمته

فمما فتحته الصنارة والجنازة والرطل للمكيال والجص والرخو والاثمد وضربت علاوته أى رأسه وأيضا ماعلق على البعير والجمع العلاوى وعلاوة الريح وسفالتها بالضم واستعمل فلان على الشام وما أخذ أخذه وأخذت باخذنا أى بخلائقنا والجراب والاهليلجة واللثة وفلان ينزل العلو والسفل والطنفسة والدهليز وشاعرت المرأة نمت معها فى شعار وشعار القوم فى الحرب والترياق والدرياق والسواك والوشاح والديوان والدباج وجمام القدح وأما الجمام (بالضم) ففى الدقيق ونحوه وفصح النصارى اذا افطروا واكلوا اللحم والمرفق مرفق اليد وما يرتفق به وانفحة الجدى وقيل منفحة وأنت على رياس أمرك و رياس السيف مقبضة والعامة تقول رأس أمرك

ومما تقوله العامة بالضم صوان الثوب لما يصان به ودابة بها قماص وعمرشهريز وكمرى ومما الفتح فيه لغة الرطل للمكيال والمسترخى من الرجال والبزر ويوم الاربعاء وأما جرو الكلب والاصبع فبالكسر والضم والفتح

باب ماتتكلم فيه بالصاد مما تتكلم العامة فيه بالسين وبالعكس

نبيذ أو لبن قارص يقرص اللسان ويوم قارس والبرد قارس وسمك قريس وليلة ذات قرس ولا تقل بالصاد

بخصت عينيه وبخست حقه وبصق بصاقة وبزق ولا تقل بسق وبسق النخل طال وبسق فلان فى علمه علا ويقال لحجر يتالق (بصاقة القمر) قص الشاة والقس تتبع النمائم وقد أفرصك الامر واصل الفرصة ان يتفارص القوم الماء القليل فيكون لهذا نوبة ولذاك نوبة فيقال جاءت فرصتك أى وقت استقائك قسرة قهره وقصره حبسه وامرأة قصيرة ومقصورة أى محبوسة دابة شموس أى بينة الشماس عند الاسراج أو المشى والصندوق وصنجة الميزان ولا تقل سنجة والرساغ حبل يشد فى رسغ البعير يمنعه من الانبعاث والصماخ ولا تقل السماخ واصاخ الى الشىء استمع وتقصصت اثره وتفسست صوته بالليل واخذه حصر احتبس بطنه وأسر احتبس بوله

باب مايغلط فيه العامة فيتكلم بالياء واتماهو بالواو

جفوت الرجل فهو مجفو ولا تقل جفيته وأما قول الشاعر

فليس بالجافى ولا المجفى

ثبنى على جنفى حنوت عليه وحنيت وامرأة حانية أقامت على وادها فلم تتزوج وحنيت العود والظهر وحنوتهما هجوته فهو مهجو ولا تقل هجيته فلوت المهر وافتليته فصلته عن أمه غذوته غذاء حسنا عزوته انتبه فهو معزو وعزوته الى أبيه نسبته وعزيته لغة واعتزيت الى أبى وقروت الارض قروا تتبعتها وقريت الضيف أقريه قرى وقرا غلوت فى القول غلوا وغليت عليه من شدة الغيظ أغلى غليا وغليانا خلوت به اخلو خلوة وخليت دابتى خليا جززت لها ومنه المخلى لما تختلى به

قات خليت دابتى أى جززت لها الخلى وهو الاخضر أو الرطب من النبات يقال اخلت الأرض أى كثر خلاها والواحدة خلاة

عنوت أى خضعت وعنوت فى بنى فلان صرت فيهم عانيا أى أسيرا وعنت الارض بالنبات تعنوعنوا ظهر نبتها وأعناه المطر وعنيت فلانابكلامى حزا السراب الشخص يحزوه حزوا رفعه وحزى فلان الشيء يحز به حز يا خرصه وتقول كم تحزى هذا النحل عتوت يافلان تعتو عتوا ولا تقل عتيت وجلوت الصفر وجلوت عن البلد اجلو جلاء وعفوت عنه عفوا و بينهما بون بعيد أى تفاوت، وماأحوله اذا كان محتالا وقد تحول أى احتال ورجل حول وماأحيله لغة وهى الحول والحيل

أبوت الرجل أبوه صرت له أبا وماله أب يابوه وأبيت الشيء أباه اباء وسروت الثوب عنى أسروه سروا وسريت بالليل وأسريت

ماجاء على فعلت مما تكسره العامة او تضمه

عسيت ودممت عينى وعطس وشعل وسبح ولمح ونكل وكللت من الاعياء وكفل به وجهد ووجد وعتب وحرص ولعب سال لعابه ونحل جسمه ونحلت فلانا أعطيته ونحلت القول نحلة ولغب وغثت نفسه وغثا السيل وغلت القدر وولغ الكلب ولهث من الاعياء وذوى العود وذبل وجمد الماء وخمدت النار تخمد وعمد وقصد وعجز عن الامر وعجزت المرأة كبرت عجيزتها وعجزت (مضعفا) صارت عجوزا وهدت النار وهمد الثوب بلى وغوى الرجل جهل وغوى الفصيل لم يرتو من لبان أمه ثم لا يروى من اللبن حتى يموت هزالا وامازعف وصلح وفسد فالضم فى ثلثها لغة

باب ماتتكلم فيه بفعلت مما تغلط فيه فتقول افعلت

نعشت الرجل رفعته ومنه نعش الميت ونجع فى الرجل الدواء وفى الدابة العلف ونبذت النبيذ والشيء من يدى وشغلته وسعرهم شرا وجملت الشحم واجتملته أذبته وهزلت دابتى وفى المنطق هزلا ووقفته على كذا ودابتى و بشيء على ولدى وجنبت الريح وشملت ودبرت وأجنبنا واشملنا وأدبرنا دخلنا وجنبنا وشملنا اصابتنا و برق ورعد السماء والرجل يتهدد وحكى أرعد وعدته خيرا وشرا فان اسقطوا الخير والشر قيل فى الشر أوعدته وكذلك اذا ذكروا الباء معه قالوا وعدته بشر وكبه الله لوجهه وعلفت الدابة أورسنتها وخششت للبعير وعظت فلانا وحميت المريض

باب ماتتكلم فيه بافعلت مما تتكلم العامة فيه بفعلت

أديته أعنته واستأديت الامير عليه أنيته أعطيته وأتيته قصدته أبدرنا طلع علينا

البدر و بدرنا الى كذا أبريت الناقة جعلت لها برة و بريتها حسرتها وأبسست بالغنم للماء
و بالابل للحلب صوت بها و ناقة بسوس تدر بالابساس و بس السويق لته بالسمن
بشرت الارض عند نبتها وما أحسن بشرتها و بشرت الاديم قشرت باطنه أبعته
اعرضته للبيع و بعته من فلان أبغيته أعنته على الطلب و بغيته طلبته أبقل الرمث
فهو باقل و بقل وجهه خرج شعره وناب البعير طلع أترب استغنى وترب افتقر أتلد
فى أرض كذا أقام وتلد قدم اتبعت القوم اذا سبقوك فلحقتهم واتبعتهم وتبعتهم مروا بك
فمضيت معهم أثرى بنوفلان كثرمالهم والارض كثرثراها وثرى يثرى فرح وثرونام
كثرنام أثللت كذا أصلحته وثللت البيت هدمته ومنه ثل عرشه أى ذهب عزه
أجبرته على الامر أكرهته وجبرت الفقير أعطيته والعظم جبر أى انجبر أجحد قل
خيره وجحد أنكر أجرب فلان جربت ابله جربا أجررت الفصيل شققت لسانه
بخلال يمنعه عن الرضاع وفلانا الرمح طعنته فتركته فيه يجره والفرس رسنه وجر
الحبل وجريرة جناية أجز النخل حان ان يجز وجززت النعجة والكبش وحلقت
التيس والعنز ولا يقال فيها جززت أجم الامر دنا وجم الماء جموما اجتمع فى البئر
والفرس جماما ترك أياما من الركوب وأجرم جريمة جنى جناية وجرم الصوف جزه
والنخل صرمه ونخل جريم أجزرت القوم أعطيتهم جزرة يذبحونها أى شاة سمينة
والجميع جزر وجزرت الجزور نحرتها وجزر الماء قل أجاب قتبه جعل عليه جلدة
رطبة ثم تركها حتى يبس وجلب على فرسه جلبا صاح أجمع أمره عزم عليه وجمعت
الشىء جمعا وجمعت المرأة لبست الخمار والدرع والملحفة معا أجمل الحساب وفى
صنيعه اجمالا وجمل الشحم واجتمله اذابه والجميل المذاب منه أجنى الثمر أدرك
وجنيته جنا أجبته بكذا اجابة وجابة وجبت الصخرة خرقتها أحددت السكين
وحددت حده غضبت وحدت المرأة واحدت تركت الزينة أحبر جلده ترك حبارا
وحبرا ترك أثرا وحبره سره والحبرة والحبر السرور احتبست فرسى فى سبيل الله
وأحبسته فهو محتبس وحبست فلانا فى الحبس أحجل بعيره أطلق يده اليمنى وقيد
اليسرى وحجل الغراب أحجم عن الامر كف وحجم الحاجم فلانا والصبى ثدى
أمه وفلان جمله جعل له حجاما لئلا يعض و بعير محجوم أحذيته أعطيته وحذونه
جلست بحذائه وحذوت النعل بالنعل وحذت الشفرة يده قطعتها والنبيذ يحذى
اللسان أحسبته أكثرت له حتى قال حسب وحسبت الحساب حسابا وحسبانا

وحسيبة أحمدته وجدته محمودا أحصره منه من سير أوحاجة وحصره العدو ضيق عليه والحصير المحتبس ورجل حصير وحصور لا يخرج من ثمن الشراب ما يخرجه أصحابه أحميت المسمار وحميت المكان أحمات البئر القيت فيها الحماة وحماتها نزعت منها الحماة وأحال حالت ابله فهي حيال والماء صبه وبالدين على فلان وحال انقلب عن العهد والقوس انقلبت عن العطف والحول يقال فيه حال وأحال اخطبك الصيد أي أمكنك أخطب الحنظل صار خطبانا وذلك اذا صار فيه خطوط خضر وخطب في النكاح خطبة وعلى المنابر خطبة أخفق فلان لم يغنم والنجم تولى للمغيب وخفق الطائر بجناحه خفقا وخفقانا والقلب خفقا والريح خفقانا وخفقه بالسيف وأخفقه ضربه أخلفت النجوم اذا لم يكن فيها مطر والرجل في ميعاده وأخلف الله عليك يقال لمن ذهب ماله وخلف الله عليك فيمن مات لهميت وخلف فلان فلانا صار له خليفة وجاء بعده وفوه خلوفا تغير والشيء فسد أخليت المكان أصبته خاليا أخلد بالمكان أقام به ورجل مخلد أسن ولم يشب وخلد خلودا بقي أدلجت سرت ليلا وهي الدلجة وادلجت سرت من آخره ادممته صادفته مذموما وذممته عبته اذال فرسه أو غلامه استهان بها وذال يذيل تبختر ارم القوم سكتوا والعظام صار فيها رم أي مخ وقدرمت عظامه أي بليت وفلان شأنه والغنم نباتها أكلته أربع ولدله في شبابه وأربع وربع حم ربعا وربع الحبل فتله على أربع قوى ارجع أهوى بيده الى خلفه ليتناول شيئا ارمل فلان نفد زاده وأرمل الحصير ورمله نسجه ورمل بين الصفا والمروة رملانا أرمى على السبعين واربى وأرماه عن ظهر دابته وأذراه ورمى الرقبة ارهن في كذا اسلف ورهن الرهن ولا يقال ارهن الرهن وأما قول الشاعر

فلما خشيت أظافيره نجوت وارهنتهم مالكا

فمن روى وارهنتهم مخطيء أزبد الماء وزبده أعطاه وأطعمه الزبد ازهر النبت ظهر زهره ازريت به قصرت وزريت عليه عبته اسفر اشرق وسفر بيته كنسه والريح السحاب وفلان بين القوم سفارة صار رسولا فهم والمرأة نقابها كشفته والسفير ما تحات من ورق الشجر فتكنسه الريح وأسررت الشيء كتمته وأعلنته وسررت الصبي قطعت سره والسرة التي تبقى اساف الرجل هلك ماله وساف المال يسوف هلك ورماه بالسواف وقال الاصمعي هو السواف بالضم كالقلاب والبخار وساقه سوفا شمه اسمك الثوب خلق وسمك عينه فقاها اسد قال السداد

النجف (العراق) محمد رضا الشبيبي (الباقي للآتي)

مطبوعات ومخطوطات

بداية المجتهد ونهاية المقتصد

للامام ابن رشد الشهير بابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥ طبع بالمطبعة الجمالية بمصر

كلما بحث الباحثون في تركة السلف الصالح يعثرون على اسفار ممتعة تدل على علو كعب القوم في التفنن في التأليف ولا سيما ما خدم الشريعة واللغة والادب منه. وهذا الكتاب الذى طبعه محمد امين افندي الخانجي الكتبي وشركاؤه نقلاعن النسخة المولوية المخطوطة بخزانة كتب أحمد بك تيمور هي احدى تلك الحسنات ادخرتها الايام في القماطر لتخرج للناس في هذا العصر الحاضر والكتاب فى مجلدين أجيد طبعه وشكله فجاء تاما كأكثر مطبوعات الخانجي الكتبي وقد اثبت فيه المؤلف من « مسائل الاحكام المتفق عليها والمختلف فيها بادلتها والتنبيه على نكت الخلاف فيها ما يجري مجرى الاصول والقواعد لما عسى ان يرد على المجتهد من المسائل المسكوت عنها في الشرع وهذه المسائل في الاكثر هي المسائل المنطوق بها في الشرع أو تتعلق به تعلقا قريبا وهي المسائل التي وقع الاتفاق عليها أو اشتهر الخلاف فيها بين الفقهاء الاسلاميين من لدن الصحابة رضي الله عنهم الى أن فشا التقليد وقبل ذلك » فنثني على طابعه ونحث المشتغلين بالفقه والقانون على اقتناء هذا الكتاب البديع باسلوبه وموضوعه

الادب الصغير

لابن المقفع نشره أحمد زكي باشا

بمطبعة العروة الوثقى الاسلامية بالاسكندرية (١٣٢٩ — ١٩١١ ص ٧٨)

نشر أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري في السنة الثالثة من المقتبس كتاب الادب الصغير لابن المقفع نقلا عن مخطوط عثر عليه عند أحد أعيان بعلبك ثم ضممناه الى رسائل البلغاء التي نشرناها تحمل في مطاويها جميع ماعرف لعبد

الله بن المقفع ولعبد الحميد الكاتب من الرسائل والشذرات وهاقد نشر صديقنا زكي باشا هذه الرسالة مرة ثانية نقلا عن مخطوط ظفر به في احدى مكاتب الاستانة وقدم لها مقدمة في الأخلاق وأشار على عادة ثقات العلماء الامناء الى مصدر رسالته وأنه استعان بما نشره الشيخ الجزائري في المقتبس وعلق شروحا لغوية خفيفة على المتن بطبع مشرق للغاية وورق جيد بحيث جاء قرار نظارة المعارف العمومية بمصر بشأن تدريس هذا الكتاب في جميع مدارسها الابتدائية أحسن دليل على مساعدة حكومة مصر للآداب واختيار النافع من المطبوعات لانهاضها من كبوتها فللناشر الثناء على همته العالية

حديث عيسى بن هشام

أو فترة من الزمن لمنشئه محمد بك المويلحي
طبعة ثانية على نفقة الشيخ محمد سعيد الرافعي الكتبي بمصر
(سنة ١٣٣٠ ص ٤٦٣)

منشيء هذا الكتاب من كتاب الدرجة الاولى في مصر بل في البلاد العربية كان نشر مقالات متابعة في جريدة مصباح الشرق خيالية في الظاهر وحقيقية في الباطن وصف فيها حال مصر في أخلاقها وعاداتها ثم جمعها في كتاب أعيدت طبعته الاولى قال فيه أما بعد فهذا الحديث حديث عيسى بن هشام وان كان في نفسه موضوعا على نسق التخييل والتصوير فهو حقيقة متبرجة في ثوب خيال لانه خيال مسبوك في قالب حقيقة حاولنا أن نشرح به أخلاق أهل العصر وأطوارهم وأن نصف ماعليه الناس في مختلف طبقاتهم من النقائص التي يتعين اجتنابها والفضائل التي يجب التزامها وقد وفى الكتاب بهذا الغرض من كل وجه فمثل حياة مصر الاجتماعية ولا سيما أهل السرف والترف من بنيها وربما بالغ في الاحايين في ذلك للتأثير في قلب القاريء بقوة البلاغة التي كثيرا ما يعمد الى التسجيع في ابرازها ولكنه سجع لا أثر للتكلف فيه على الجملة يدل على علو كعب المؤلف في الادب

ومبالغته في التنميق والتنسيق . وقد رأينا بعض ألفاظ لا تلتئم مع تلك الدرر والغرر منها

في ص ٣٣ يرتكن على توقد ذهنه و ١١٢ ارتكانا على نهار أصومه و ١٥٧ كنا نرتكن عليه ص ٥٧ فلا يأبهون بها و ٢٠٠ كنت آبه بها ص ٦٤ المقاطعة على الشاهد ٦٨ امتثلت لنصائحك ص ٧٣ امتلأ الباشا تعجبا واندهاشا ص ٧٩ كان يضرب بغنائي (غنائي) المثل ص ٨٧ سيما الرضاء بالمقسوم ص ١٩٠ أخذت هذه الحانوت ص ١١٥ لا يثقون ببعضهم بعضا . وفيها تحرير الاوراق وتسطير الصكوك و ١٣٦ حرر طلبا ص ١٣٥ تحصلت عليها بطرق مختلفة . تحرى عن مسألة ١٣٧ صعد ثانيا الى السلم فوجدناه مزدحما بجملة أناس ١٨٦ سبب الهلاك والنجاء (النجاة) ٢٦٣ أسرعت بالخروج أطلب النجاء ١٨٨ احتذاء لما ترسمه ظروف الاحوال ٣٠٢ وهو بالسن الذي لم يصل فيه بعد الى التمام ٢٠٨ لكنما الاضمن عندي ١٢٠ وهؤلاء المتشدقون ٢٤٤ لا يؤثر عليهم ٣٢٢ فأحصى ما فيه عدا ٣٧٩ رأس متصدعة ٣٩٦ نستفيد من واسع علمه أمورا شتى مسافة من الزمن ٤٠٧ بعد طول التنقل والتطور مثل هذه الاهرام وخلافها ٤٢٨ وعدنا الى المدينة وقدمد من الغروب حبالته ليقتنص من الاصيل غزالته فتفرقت نفسها شعاعا ٤٤٤ طلب مني أن نحيي الليلة بالسمر وأن أقاتها معه بالسهر الخ

ومن هذه الالفاظ والتراكيب ما هو بعيد عن مناحي الفصحاء دخيل في اللغة أو ضعيف في التركيب ولفظه في غير موضعه ولعل المؤلف الفاضل يعيد نظره في هذه النقدات فان منها ما هو من لغة الجرائد ومنها ما هو من اللغة العامية المصرية ولعله لا يضن على الآداب بنفثاته بعد اليوم فهو من أعظم الناعين على الموظفين فعسى أن لا تشغله الوظائف عن معاناة الكتابة لاثارة الافكار كما شغلت غيره ممن ابتلوا مؤخرا في مصر بالتوظف فطلقوا الاقلام طلاقا بتاتا

مجموعة اعمال المؤتمر المصري

طبع بالمطبعة الاميرية بمصر سنة ١٩١٢

عقد بعض أقباط مصر مؤتمرا في السنة الماضية طلبوا فيه الى الحكومة المصرية والانكليزية بعض مطالب سياسية واجتماعية منها ان تعطل الحكومة يوم الاحد بدلا من الجمعة أو مع الجمعة ومنها ان يمكن بعض ابنائهم من تولي بعض الوظائف الكبرى كالمديرين (الولاة) أسوة بالمسلمين الى غير ذلك من المطالب فهب مسلمو مصر على الاثر وعقدوا في مصر الجديدة من ضواحي القاهرة مؤتمرا عاما من كبار أرباب العقول والمفكرين والاعيان في القطر دام من يوم السبت ٣٠ ربيع الثاني ١٣٢٩ الى يوم الاربعاء ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٢٩ تليت فيه خطب عديدة ومطالب في الاصلاح رشيدة فجاء ماقالوه نسخة صحيحة تتمثل فيها حالة مصر الفكرية وان مصر على انحطاط في بعض شؤونها الاجتماعية هي ارقي بلاد الاسلام لامحالة

وكل من قرأ مادار في ذاك المؤتمر من المطالب وبسط فيه من الآراء وفصل فيه من الخطب البليغة المدهشة يوقن بان خاصة المصريين لايقلون عن خاصة الاوربيين ولكن قضي على الشرق ان يكون بافراده مهما قويا وبمجموعه ضعيفا ضئيلا ومما راقنا من خطب المؤتمرين في الاقتصاد والاجتماع والادارة خطبة محمود بك أبو النصر المحامي ومحمد حافظ بك رمضان المحامي وصالح بك حمدي حماد من الكتاب وابراهيم بك غزالى من الاعيان واحمد بك عبد اللطيف المحامي والشيخ عبد العزيز شاويش من الكتاب وابراهيم بك الهلباوي المحامي والسيدة باحثة بالبادية من الاديبات ومحمد بك أبو شادي المحامي والسيد علي يوسف الصحافي (وقد تكلمنا على خطابه في السنة الماضية) وعلي بك الشمسي من الاعيان وابراهيم بك رمزي من أرباب الصنائع وجبرائيل بك كحيل المحامي وعبد الستار بك الباسل من الاعيان وعبد الخالق بك مدكور من التجار ويوسف بك نحاس الحقوقي

وعمر بك لطفي المحامي وهاشم بك مهنا المحامي ومحمد بك علي المحامي وأحمد أفندى الالفي من ارباب الزراعة . وأنت ترى ان عدد المحامين أكثر من غيرهم ومعظمهم كانوا بمقترحاتهم وأقوالهم الى أقصى مايتصور من السداد مما دل على ان مصر غنية برجال القضاء فيها ولو تيسران يشارك في المؤتمر موظفو الحكومة المصرية لتليت فيه من الآراء السديدة أمور كثيرة غير ماسمعناه فاعجبنا به فان فيهم رجالا هم من خيرة المفكرين والعالمين ولكن كان للمؤتمر شبه صفة سياسية ورجال الادارة والقضاء يمنعون في معظم الامم من المشاركة في الاعمال السياسية الظاهرة

تنزيه القرآن عن المطاعن

لقاضي القضاة عبد الجبار بن احمد المتوفى سنة ٤١٥
طبع بالمطبعة الجمالية على نفقة المكتبة الازهرية لصاحبها الشيخ محمد سعيد الرافعي سنة ١٣٢٩ ص ٤٣٦

مؤلف هذا الكتاب شيخ المعتزلة بل من أكبر مشايخهم الذين قال فيه الحاكم وليس تحضرني عبارة تحيط بقدر محله في العلم والفضل فانه الذي فتق علم الكلام ونشر بروده ووضع فيه الكتب الجليلة التي بلغت المشرق والمغرب . وكان الصاحب يقول فيه هو أفضل أهل الارض ومرة يقول هو أعلم أهل الارض ومصنفاته كثيرة قيل انها بلغت أربعمائة الف ورقة في كل فن . وكتابه هذا املاه في تفصيل ما بين المحكم والمتشابه عرض فيه سور القرآن على ترتيبها و بين معاني ماتشابه من آياتها مع بيان وجه خطاء فريق من الناس في تأويلها . وهو لايستغني عنه مولع بالبحث في الكتاب العزيز واسراره . ويليه مقدمة التفسير لابي القاسم الراغب الاصفهاني وناهيك بكل ماخطته أنامل هذا المؤلف الذي أجاد في كل ما كتب . والغالب ان الناشر اعتمد على نسخة دار الكتب الخديوية في طبع الكتاب الاول وعلى نسخة أحد العلماء في نشر مقدمة التفسير اوياحبذا لواشار في المقدمة الى الاصل

المطبوع عنه تتميما للفائدة وليزيد شكر العلم الاسلامي له .

الاخبار الطوال

لابي حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨١

لمصححه وضابط الفاظه وناشره الشيخ محمد سعيد الرافعي

طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ ص ٣٨٣

طبع هذا الكتاب في ليدن من بلاد هولاندة وتداوله أهل العلم واستفادوا منه على مافيه من الاخبار الواهية الضعيفة وقد أعاد طبعه صاحب المكتبة الازهرية عاهدا الى الشيخ محمد الخضري من فضلاء المدرسين في هذه العاصمة أن يعلق على كل قطعة عنوانا لئلا يكون الكتاب جملة واحدة وبذلك أصبح قريب المنال على أهل هذا الشرق وياليت الناشر أشار الى النسخة التي أخذ عنها حرمة لعمل العاملين سواء كان اعتماده على نسخة مخطوطة أو مطبوعة لتزيد الثقة

الدولة والجماعة

لاحمد شعيب بك ترجمه محب الدين افندي الخطيب

طبع بمطبعة المؤيد بمصر ١٣٣٠ — ١٩١٢ ص ٦٧

احمد شعيب بك من علماء العثمانيين وكتابهم خا ، كتبا ورسائل مهمة وكتب في مجلات الترك مقالات دلت على عقل واسع وتحقيق لا يستهان به وقد ترجم له محب الدين أفندي الخطيب أحد كتاب المؤيد هذه الرسالة البديعة التي قصد بها تنبيه قومه الى سلوك محجة الصواب في نشأتهم الدستورية وتجنب الطفرة في تكييف نظام الحكومة وقدم لها صديقنا رفيق بك العظم مقدمة ابانت عن غرض الرسالة والمت بذكر من ضرب في العلوم الاجتماعية بسهم وذكر المعرب ترجمة المؤلف وتأثيراته في اندية الترك فله الثناء على نشاطه وعساه يوفق الى ترجمة المفيد من امثال هذا الكتاب

ديوان أبي الحسن

نظم الشيخ محمد خبر الطباع طبع بمطبعة الفيحاء بدمشق
سنة ١٣٣٠ (ص ٩٨)

جمع هذا الديوان احمد أفندي عبد في دمشق وفيه ماقاله الناظم في أوقات مختلفة واغراض شتى وشرحه محمد سليم أفندي الحنفي وشعر الناظم بين شعر الفقهاء وشعر متوسطي الشعراء ولو طال عمره لجادت ملكته ولو اتسع الوقت لكل من يعانون القريض وتدبروا أساليب شعر القدماء والبارعين فيه من المحدثين أولو كتب لا كثرهم ان يطلعوا على مانظمه شعراء الافرنج بلغاتهم لما أقدم معظمهم على نشر شيء من منظوماتهم فان المديح والغزل والتشطير والتخميس من أعظم ماابتليت به هذه اللغة ولا سيما في ايامها الاخيرة . والشعر لو انصف الناس لما نشروا منه الا ابلغه فانه مما لا يطاق فيه التوسط مثل الموسيقى والخطابة والتصوير . ومن لم يرزق طبعا سليما في البيان منظومه أومنثوره فالاشبه به ان يمشي مع طبعه واستعداده والابدت مقاتله وقصر في خدمة أمته

اخبار وافكار

الكاثوليك في أميركا

اذا كانت الكثلكة تتراجع في بعض الممالك الاوربية فانها على تزايد في الولايات المتحدة وهي البلاد التي اتسع صدرها لكل مذهب ونحلة وطريقة . فقد بلغ عدد الكاثوليك فيها ١٥٠١٥٥٦٩ نسمة هذه السنة وكانوا منذ عشر سنين ١٠٩٧٦٧٥٧ وعدد رهبانهم هناك ١٧٤٩١ ولهم ١٣٩٣٩ كنيسة و٤٠ رئيس أساقفة . وثلاثة كرادلة و٩٧ أسقفا و٨٣ مدرسة أكليريكية فيها ٦٠٠٦ طلاب و ٢٣٩ مدرسة عالية للذكور و٧٠١ مدرسة للاناث و ٥١١٩ معبد مدرسة فيها ١٣٣٣٧٨٦ تلميذ يتعلمون في المدارس التابعة وعندهم ٤٧١١١ يتيماً يربون في ملاجيء

اليتامى و بذلك بلغ عدد من يتعلمون التعليم الكاثوليكي في أميركا الشمالية ١٥٤٠٠٤٩ تلميذا وتلميذة فتأمل هذا التفاني في بث الدعوة الدينية في بلاد هي اعرق الامم في حب المادة والماديات

عملة الهنود

خمسة عشر مليونا من الشعب الهندي البالغ زهاء ثلثمائة مليون نسمة يعملون في المعامل والمناجم والترامواياث و يتنقلون في البلاد يبحثون عن عمل لهم لا يهمهم الا ان يدخنوا و يشربوا و يأكلوا ولا يدخرون شيئا لمستقبلهم بل يصرفون في المشروبات الروحية واللذائذ الجسمية مايحصلونه ورزقهم قليل وان العامل الانكليزي ليعمل هناك ثلاثة أضعاف العامل الهندي و بالطبع تزيد عمالته أي أجرة عمله على تلك النسبة .

خزانة كتب عجيبة

افتتحت في نيو يورك خزانة كتب من أدهش الخزائن وكانت ثلاث خزائن ولا فجمعت في واحدة فيها جميع أسباب الراحة للمطالعين بحيث تراهم في غرفها كأنهم في بيوتهم يخرجون الكتب اللازمة لهم بايديهم ويعيدونها كذلك على صورة لاتحدث تشويشا على سائر المطالعين . وهذه المكتبة تعير الكتب اللازمة الى البيوت خاصة وفيها مطبعة لطبع الفهارس ومعامل للتجليد وأدوات لتوليد الكهربائية لايقاد عشرين الف مصباح ولو جمع طول قماطر هذه الخزانة لبلغ مئة كيلو متر وقد كلفت نحو مليوني جنيه

المعمرون

اثبتت احدى الاوانس المهذبات ان أرباب الصناعات والفنون اطول الناس اعمارا واستشهدت باسماء كثير من المصورين والنقاشين مما كانو يحركون أناملهم وهم بعد السبعين والثمانين والتسعين والمئة من حياتهم وقالت ان بعد المفننين يجيء جمهور اللاهوتيين والفلاسفة بطول اعمارهم وبلاد بلغاريا اطول الناس اعمارا ففيها ١٣٨٣ ممن بلغوها مئة من عمرهم أي واحد في المئة من السكان ثم تجيء رومانيا وفيها ١٠٧٤ والصرب وفيها ٥٧٣ ثم اسبانيا ٤١٠ ثم فرنسا ٢١٣ وايطاليا ١٩٧ ثم النمسا فانكلترا فروسيا فالمانيا فنورماندیا

الخشب الصناعي

اخترع أحد الفرنسيس خشبا صناعيا يقوم مقام الخشب الطبيعي ويخدم التجارة خدمة جلي وطريقة ذلك تحويل القش الى مادة صلبة كالبلوط والزان فيخمر وتضاف اليه بعض المواد الكيماوية ثم يضغط هذا العجين في قوالب بحسب الطلب منها الدقيق ومنها الكثيف ومنها الطويل ومنها القصير ومنها الاسطواني ومنها متوازي الاضلاع ويمكن نشر هذا الخشب كما ينشر الخشب الطبيعي واذ كان القش رخيصا جدا في كل محل أصبح ثمن هذا الخشب رخيصا أيضا وهذا

الخشب يستعمل للدف. تتأجج منه نار عظيمة ولا ينبعث منه دخان كثير ويستعمل أيضا لصنع الثقاب أو عيدان الكبريت وخشبه احسن من الحور وأقل ثمنا ويصنع منه ورق الصر ويستعمل في أمور أخرى

الخطر على المدنية

كتب أحد كتاب الانكليز مبحثا في هذا الشأن قال فيه ان فلسفة التاريخ قد جلت الماضي أحسن تجلية ولذلك يسوغ اتخاذها خطة معينة للحاضر والمستقبل والامم كالاسر تكبر وتنمو كل النمو ثم تنحط بالتدريج فتستبدل قوتها ضعفا وعظمتها انحطاطا وكم من أمة حكمت العالم فاصبحت اليوم نسيا منسيا خلفتها غيرها وهذه سينالها ما نال سالفتها . ولقد اختلفت أزمان الحضارات في القديم فلم تدم حضارة مصر أقل من خمسة آلاف سنة ودامت حضارة بين النهرين ثلاثة آلاف ومثلها حضارة الصين في حين أن حضارة فارس وآثينا واسبارطة والبندقية لم تدم كل منها أكثر من بضعة قرون . ومثل هذه العلائم مشاهدة في عامة الامم وهي من المثول بحيث ان المؤرخ عند ما يكشف عن أعراض الامراض في أمة يحكم على آخرتها حكما أكيدا . وقد لاحظ بعضهم أن ترك التقاليد الدينية يتقدم أبدا سقوط الممالك وان الافراط في قبول الدخيل من الناس والتفاني في الديمقراطية والاشتراكية مجلبة الانحلال في الشعوب على ان هذه الآراء قد لا تصدق وتمر بها الامم لا تصيبها بائقة . ويؤكد كثير من المتشائمين ان فرنسا ذاهبة لانحلالها وأول ما ينعونه عليها قلة تناسلها وعدم الاتحاد بين أجزائها مما يورث البلاد ضعفا وحب المال الذي ساق الشعب الفرنسوي لاحتقار الفنون والجمال بل الشرف وكل ذلك ليس من الحجج الدامغة في هذا الشأن فان هناك حوادث تقلق الاجتماعيين كل القلق من مثل زيادة عدد المجانين سنة فسنة فقد كان عدد البله في الولايات المتحدة سنة ١٨٨١ — ٣٦٣ في كل مئة الف فاصبحوا اليوم ٤٢٩ وصعد عددهم في روسيا من ٣٢ في العشرة آلاف سنة ١٧٨١ الى ٢٦ سنة ١٨٩٥ وكان

عدد المختل شعورهم في ايرلاندا سنة ١٨٨٩ — ٧٥ الفا فاصبحوا سنة ١٩٠٨ تسعين ألفا ومعدل المجانين في انكلترا ٤ في المئة وعدد الجرائم يزيد كثيرا و بعض البلاد كانكلترا تتحسن حالها من هذا القبيل . وخير الذرائع التي يعمد اليها للاصلاح ادخال التحسين الطبيعي والاخلاقي

الخطر الاصفر

لايزال المفكرون في الغرب يذهبون مذاهب في تقدير الاخطار التي ستنشأ بعد قرن اوقرنين من الخطر الاصفر اي ترقي الصين واليابان وانكفاء شعوبهما على الغرب يخربون مدنيته ويجعلون أعزة اهله أذلة وقد كتب احد المحققين من الانكليز مقالاً في هذا الصدد قال فيه ليس الخطر في تجريد الصين مليوني رجل من جندها يسيرون متراصة صفوفهم على اوربا يخربون كما خربت المرئس البلاد فان الصيني يكره الحرب بفطرته ولا يدعى لحمل السلاح الا لتوطيد الامن ايام السلام وما منهم من يعرض حياته للخطر لقاء بضعة دريهمات يقبضها اجرة عمله بل الخطر كل الخطر في انحلال نظام الصين الحالي وهجرة اهلها الى اوربا واميركا بالملايين يكاثرون اهلها ويزاحمونهم في الصناعة والاعمال المختلفة وقد عرفوا بعضاتهم وصبرهم الذي لايوصف بحيث اذا كثروا في ديار الغرب تختل بوجودهم الميزانية الاقتصادية والصناعية فهم اذا هاجروا الى بلد كالحلمة الطفيلية يورثونها ضعفا ويقوون بمواردها ويقطعون عيش اهلها هذا ما ادركته اميركا واوستراليا فوقفتا تقاتلان اخطارهم بما فيهما من قوة

التعليم الديني الياباني

لاتعلم يابان في مدارس الحكومة دينا من الاديان مثل فرنسا وسويسرا وايطاليا وأميركا وهذه القاعدة جرت عليها منذ ثلثمائة سنة سنها ياياس مؤسس دولة توكوكاوا وحافظت عليها الحكومات التي خلفته وكان الكهنة البوذيون قبل أسرة الشوغن ومجموعة المائة قانون التي حصرت السلطة كلها في يدها يعلمون قواعد الدين في معابد المدارس ، وعلى تسامح ياياس مع البوذيين الذين أنشأ لهم معابدهم باضطهاد

أشياع المذاهب الاخرى رأى أن حكم كونفوشيوس على النحو الذى يستعمله اليابانيون تسكن الشبيبة ونحظر على كهنة بوذا أن يدخلوا في مدارس الحكومة ثم تبين أن الكنائس على اختلاف مذاهبها التى كانت تحاول تنصير اليابانيين لا ينشأ منها الا مشاكل في الآراء فلما أعلن الميكادو سنة ١٨٧١ دستوره الجديد أغلق أبواب المدارس كلها عن دخول دين من الاديان اليها وهذا العمل السديد وقع الاستحسان عليه ودلت التجارب في هذه المدة على ضرورته على ان كثيرا من البوذيين والمتنصرين ما زالوا يزعمون ان سبب انحلال الاخلاق في اليابان حظر تدريس المذاهب فى المدارس ولكن التعليم الديني يمكن تدريسه خارج المدرسة بدون عائق وهذا ما جرت عليه جميع الحكومات بالتدريج لانه من أقوى الدواعى الى استقلال العقل ويرى بعض كتبة يابان — وعنهم ننقل هذه الآراء ان البوذيين وغيرهم يدخلون في التعاليم الدينية مبادي، لا تنطبق على مبادي، الحكومة ولذلك كان حظر تعليم الدين أولى

سكة الصحراء

قالت المجلة الباريزية انمشروع سكة حديد الصحراء الذي كبرت في تصويره الاماني لم ينل من التنشيط ما كان يتوقع له على ما فيه من الغناء والفائدة والقوم يفكرون اليوم فيمشروع اوسع منه اي ان المشروع الجديد لايقتصر على مد خط حديدي في صحراء افريقية بل في خط يقطع افريقية فيجتاز المسافة من وهران في الجزائر الى رأس الرجاء الصالح في الجنوب اي قارة افريقية باجمعها وهو خط حديدي طوله عشرة آلاف كيلومتر وبذلك يتيسر السفر من لندرا الى الترنسفال في تسعة ايام ومن انفرس الى الكونغو البلجيكية فى خمسة ايام وقد مدت الآن ثلاثة آلاف كيلومتر في افريقية الجنوبية وستمائة في ولاية وهران فبقي اذا ٦٤٠٠ كيلومتر وهي مسافة اقل من مسافة خط سيبريا الحديدي التي تمد على طول ٨٦٠٠ كيلو متر واهم عقبة فى هذا الباب اجتياز الصحراء اي بين الجزائر والسودان والمسافة الفا كيلو متر تسكون في بلاد قاحلة لاتجارة فيها واذا استطاع عقل الانسان ان

يحول الفيضانات السنوية التي تجري في نهر النيجر بواسطة خزانات وسدود ويروي بها ذاك السطح العظيم الممتد شمال تمبكتو على نحو ماجري في مصر وبعبارة ثانية اذا بلغ من الذكاء الانساني ان يحول مياه النيجر الى الصحراء تسقط معظم الصعوبات المنتظرة من مد هذ الخط

شرائع بابل

كتب أحدهم يقابل بين شرائع بابل وشريعة موسى فقال ان شريعة البابليين عبارة عن أحكام صادرة في أحوال معينة خاصة ومنها ماعرف منذ عرف تاريخ أشور الا ان الفكر القائل بان هذه الشريعة كانت مجموعة في كتاب واحد قد رده المؤرخون ولكن ثبت ان بابل كان لها قانون مسطر منذ عهد حمورابي المعاصر لابراهيم وكان الناس خاضعين لاحكامها في جميع المملكة من بلاد عيلام الى فلسطين ومن أهم أحكام هذه الشريعة عقوبة الاعتداء على الملكية أو التملك فقد كان السارق يعاقب بالاعدام الا قليلا وذلك لان بلاد بابل كانت تجارية والاعتداء على الامن العام يعد أعظم ماس للملكية والامن هو عامل عظيم في الحياة الانسانية فشريعة بابل من هذه الجهة تختلف عن شريعة موسى وذلك لان هذه الشريعة في الزمن الذي وضعت فيه كانت الحرب أكثر من التجارة شغل الاسرائيليين الشاغل وبينا كانت حياة الفرد نافعة للمجموع برمته كانت ملكية الافراد قليلة المكانة بالنسبة وهكذا الحال في الاختلاف بين الشريعتين يعرف ذلك من قانون الارث فقد كان الاب في بابل حراً بان يقف جزءاً مهما من ماله على ولد يتبناه أو يحبه أكثر من أولاده بوصية يوصي بها والنساء قد يمنعن من ارث ازواجهن فى حالات مخصوصة مما لاأثر له في الشريعة الموسوية. وان توريث الثروة بوصية يوصي بها المالك لتدل على تقدم في درجات المدنية وأفكار راقية في مسائل حقوق الملكية. قال وان جمع قوانين بابل قد أثر في شرائع آسيا الغربية كما أثر في الشعوب السامية

القهوة وسمها

عرف منذ زمن ان في القهوة مادة سمية تحدث في بعض الاشخاص تأثيرات فسيولوجية وأوجاعا عصبية وقلبية واضطرابات معدية وضعفا في المجموع العصبي وقد استخرجت هذه المادة التي سموها « كافيين » سنة ١٨٢٠ واستعملت دواء مسهلاً ومشهيا ولكنها اذا أخذت بدون معرفة تضر كل الضرر وكثير من الناس يقعون في اخطارها اذا أفرطوا في تناول القهوة على غير معرفة . وقد شبهوا الاعراض التي تصيب المكثرين من القهوة بالاعراض التي تصيب المكثرين من الالكحول فالقهوة كالمشروبات الروحية تلذ بطعمها وريحها وقلما تورث نشاطا في الجسم الا ان الكافيين يضاعف وظائف القلب ويحدث قلقاقد يشفعه دوار وأوجاع رأس واضطرابات احيانًا فينبغي والحالة أخذ رأي الطبيب في استعمال القهوة لان المئة غرام من القهوة الخضراء تحتوي من المادة المسمة بحسب جودة القهوة ورداءتها ما لا يقل عن ثمانية بالالف ولا تزيد عن اثنين في المئة والقهوة المستعملة في الغالب تحتوي جزءاً واحدا في المئة من الكافيين وثلاثة فناجين قهوة في اليوم لا يقل ما فيها من هذه المادة عن ثلاثة في الالف . والعلماء اليوم يبحثون لايجاد طريقة يستخرجون بها المادة السامة دون ان تفقد القهوة رائحتها وطعمها

غلات طرابلس الغرب

بحثت احدى المجلات الافرنجية في حاصلات طرابلس بمناسبة احتلال الطليان فقالت ان تجارتها اليوم تجري بالمقايضة الا قليلا فيعطي البائع مثلا تمرا لقاء بضائع أخرى وأشجار النخيل أهم غنى السكان يدفع عنها خراج بقدر اعدادها كما هو الحال في مصر حيث تدفع كل نخلة عوائد نحو ٤٠ سنتيما . ويقدر عدد النخيل في طرابلس بنحو مليوني نخلة تجود محصولاتها بقدر ما يستطيع أهلها ريها من العيون الطبيعية او آبار الواحات وتحتاج كل نخلة لثلث لترماء في الدقيقة حتى لا تهلك ولكنها اذا سقيت نصف لتر تجود أكثر من ذلك . الماء موجود بكثرة تحت سطح

جراثيم مضرة أقلها الزبائن في معد الآكلين وقد وضعوا لذلك قيودا يغرم بغرامات فاحشة كل من يخالفها ورسموا بان يغطى كل شيء ان لم يكن في الواح زجاج فلا أقل باقمشة تغطيها كما بل ان ولاية تكساس حظرت بيع البياعات في الازقة للفواكه والبقول لانه لا يعقل أن يسرن بما يحملن ساعات في الشوارع ولا يصيبها الغبار دع عنك جس المبتاعين لها وكثيرا ما تكون أيديهم قذرة . وقد ارتأى أحدهم أن أحسن واسطة لاتقاء الاخطار المنبعثة من الغبار اذا عجزت الحكومات عن دفعه ان يكون للناس من انفسهم لانفسهم مراقب فلا يبتاعون من بائع يعرض ما يبيع من المأكولات على هذه الصورة وبذلك يفهم الباعة ما ينبغي لهم اتقاؤه حتى تروج بضائعهم فيتعلمون بالقدوة وهو رأي حسن نافع خصوصا في مثل بلاد الشرق حيث فقدت قوانين الحسبة القديمة ولم يخلفها من قوانين المجالس البلدية الحديثة ما يشدد على السوقة والمرتزقة في بياعاتهم ليراعوا الصحة فيها ويتقوا الوجدان فقد رأينا الناس علموا باعة المشروبات أن الاولى غسل الاواني كل مرة بماء جديد فشاعت هذه الطريقة في بعض المدن وحبذا لو تسري الى بلاد الاقاليم والارياف

القرود الضخمة

للقرود الضخمة في جنوبي افريقية ذكاء مدهش حتى ان سكان تلك البلاد يظنون جنسها قد رزق مزية التكلم وانه يمتنع عنه مخافة أن يستعبد ويكره على العمل وقد استشهد أحد رحالة الانكليز الى تلك البقاع بحادثتين تثبتان ذكاء القرود الاولى انه كان لاحد عمال السكة الحديدية قرد يربيه فأصيب صاحبه بعاهة اقتضت قطع ساقيه فكان قرده يتولى أكثر عمله وعمله عبارة عن فتح ابرة الخط في أوقات مرور القطارات والحادثة الاخرى هو انه كان لصاحب قطيع قرد يرسله في غنمه بدلا من الراعي يقيها من كل سوء بل يبالغ في وقايتها ولاسيما في اوقات الخطر والعواصف ويفهم القرد بادنى اشارة ومنه ما يستخدم في تقديم الشراب ومناولة الكؤوس والاكواب

الارض ولكن قلة معرفة الاهالي باصول الري الزراعي دعتهم الى ان يعتمدوا على الطرق القديمة العقيمة في السقيا فاول ماء يستخرجونه مالح وحار لانه مستق من عمق قليل والاحسن ان ينزل في امتياح الماء الى العرق الثاني والثالث ليكون الماء نقيا بارداً غزيرا . والامطار غزيرة على الجملة في طرابلس ويكون منها ماء شروب بقدر الكفاية وان يكن هطولها احياناً رذاذا لاوابلا ولا ينشأ عنها فيضان في العادة الا نادرا جدا والآبار الارتوازية العادية التي حفرت في ذلك الصقع قد أتت بفائدة وتروي البئر الواحدة اربعة آلاف نخلة وغلات الزيتون حسنة للغاية ولكن الزيت الذي يصنع منه في البلاد غير حسن الطريقة واذا استخرج على الطريقة المدنية يكون منه مورد ربح عظيم ويزرع في طرابلس شجر اسمه السيارتي المعروف بخاصياته في التداوي وفي طرابلس مناجم كثيرة والطبقات الجيولوجية في البلاد منوعة مثل الفوسفات والنطرون والكبريت. ويمكن ان يربى النعام في ذلك القطر لانه لا يحتاج الا الاماكن فسيحة ويغتذي في الاحايين بالعلف والحبوب فينافس ريشه وتجارته اسواق رأس الرجاء الصالح في جنوبي افريقية خصوصاً بعد انشاء طرق للمواصلات وعدم الاعتماد في النقل على الجمالة والجمال

خزن الماء

وفق أحد كبار المهندسين في أميركا الى اختراع طريقة تخزن الماء في الشتاء لتستخدم في الزراعة زمان الصيف وهو ان تجعل الارض أثلاما كبرى وتحفر في بعضها خنادق تساق اليها أمطار الشتاء وقد نفعت الطريقة العلمية التي اعتمد عليها واذا ظهر نجاحها أكثر لا تلبث أن تعم عالم الزراعة فتخصب بها كل أرض غير قابلة اليوم للزراعة بحسب الظاهر ولا سيما في شمالي افريقية وغربي آسيا

الحرب على الغبار

أثارت بعض الولايات المتحدة الاميركية حربا عوانا على الغبار اذ ثبت في الصحة ان ما يعلق منه الحلويات والفواكه المعروضة للبيع في حوانيت الباعة ينقل

الجراثيم الضارة الى الآ كلين ورأت الحكومة ان يحظر على بائعات البقول والفوا كه ترك أحد من المبتاعين يمس شيئاً مما يبيعون وان لا ينقلونه مكشوفاً فأما أمكن ومن خالف ذلك غرّم بغرامات باهظة ورأى بعضهم ان خير طريقة لتربية بائعي الفوا كه والبقول والحلويات ومنهم من يعرضون بياعاتهم للغبار ان يمتنع الناس عن أخذ شيء يخالف هذا القانون وبذلك يضطر الباعة الى العمل بقواعد الصحة كما فعل بعض المدنيين في الشرق واستنكفوا من الشرب من آنية باعة المبردات والمثلجات الا بعد غسلها فاضطر معظمهم ولا سيما في الحواضر الى العمل بهذه الطريقة

اكتشاف أميركا

القى الرحالة نانسن محاضرة في الجمعية الجغرافية في لندن قال فيها ان أول من نزلوا الى أميركا قبل كابوت هم النورمانديون في القرن العاشر للميلاد وهم المهاجرة الاول الذين اجتازوا البحر المحيط وكانت الملاحة قبلهم مقصورة على التنقل بين الشواطىء القريبة ولا يتجشمون خطر البحار واجتيازها من عرضها وسافر الايسلانديون في القرن العاشر أيضاً فبلغوا غروا نلاندة وأسسوا على الشاطىء الجنوبي الغربي منها مستعمرتين تشهد لذلك أسماء المدن التي وردت في أدبياتهم القديمة وسنة ٩٩٩ كانت أول رحلة رحلها الرحالة أريك الاحمر الايسلاندي في المحيط

نساء الحثيين

أثبت الاستاذ كارستان من كلية ليفربول ان كاهنات الحثيين كن من أشجع النساء المتشبهات بالرجال في الامم القديمة . والحثيون احدى الامم السبع التي حالت دون تقدم الاسرائيليين نحو الارض المقدسة وهؤلاء الحثيون هم أول شعب جند النساء في الجيش فالنساء الشبيهات بالرجال المشهورات في علم الاساطير اليونانية هم الاصل فيها . وقد اكتشف الاستاذ المشار اليه في قبور حفرت في الصخر في بوغاز كوي من آسيا الصغرى صوراً من هذه الكاهنات المسلحات ومنهن من كانت تقاتل فارسة ومنهن تقاتل راجلة وهن من حول رب لهن يدافعن عنه وبوغاز كوي (أو

بوغتا كوى) من مدن الحثيين المشهورة وقد فقد نساء الحثيين صفتهن الدينية عندما داهم الحثيين الفريجيون والمصريون والاسرائيليون فأبلى نساء الحثيين في تلك الحروب بلاء حسنا مدافعات عن أربابهن ووطنهن وقد أخذت بعثة انكليزية تبحث عن آثار تلك البلاد لما عرف من ان الحثيين هم من أكبر امم آسيا الصغرى قبل زمن ابراهيم وكانت لهم مستعمرات في القرن الرابع عشر قبل الميلاد تؤدي اليهم الجزية مثل مستعمرات قيليقية وليكاونيا وفريجيا وليديا قاوموا الاسرائيليين زمنا طويلا ولم يضمحل عمرانهم الا بعد تسعة قرون قبل الميلاد فضعفت شجاعة نسائهم .

الطب في نينوى

جرت حفريات في السنة الماضية في محل مدينة نينوى القديمة وظفر فيها باشياء تدل على ان علم الطب وعملياته قد ارتقت في بلاد أشور قبل المسيح بستة قرون . فمن عشرين الف لوحة اكتشفت وهي من مكتبة الملك أسور بانيبال الفاتح العظيم لمصر وبابل الذي نقل رعاياه الى بلاد السامرة — مئات تبحث في المداواة وطرق الوقاية ووصفات الاطباء فكانوا يصفون للسكيرين الامتناع عن كل شراب كما يصفون الصيام لمن أفرطوا في الاكل . وأكثر ما كان يستعمل في بلادهم من الادوية الزيت وزيت الخروع وشراب التمر والعسل والملح وكثيرا ما كانوا يستعملون التغميز (التمسيد) ومن أصيب بالصفراء يدلك ببصلة الى غير ذلك من الوصفات الساذجة والمداواة العجيبة

القبلات الضارة

تبين من ابحاث مدير المعمل الكيماوي في ولاية انديانا باميركا ان من الاولاد كثيرون أصيبوا بالسل متنقلا اليهم من قبلات قبلهم اياها بعض المصابين من أقرباثهم في أفواههم فنقلوا اليهم جراثيم العدوى فتأصلت فيهم واضنتهم وان القبلات أوردت الاطفال حياض المنيات فالاحسن التقليل من التقبيل والا فيصاب الصغار والكبار بامراض سارية من هذا القبيل

ألمنة البولونيين

وضع الدكتور نيكيز كتاباً في الالمان والبولونيين وصف فيه الطرق التي سلكتها ألمانيا لألمنة البولونيين اي جعلهم المانا في اقليمي بوزانيا وسيلزيا قال ان بسمرك غداة الحرب السبعينية قضى بان يعلم بالالمانية في جميع بلاد بولونيا البروسية وتناول هذا التعليم سنة ١٩٠٠ التعليم الديني فاخذ البولونيون يقاومون ذلك كل المقاومة والحكومة تمد الى كل قوة في اخضاعهم لتعلم الالمانية وترك لغتهم حتى تلقى الاساتذة في المدارس أوامر من الحكومة لاستخدام العصا والضرب باليد والرجل ومع ان الحكومة عاقبت آباء التلامذة الذين حاولوا اقامة الحجة على هذا الضرب من التعليم بعقوبات شديدة للغاية لا يسعنا ان نقول بان المانيا استطاعت ان تبدل الروح البولونية ولا ان تضعف الايمان البولوني ولا الرجولية البولونية

فحبذا لو علمت كذلك كل أمة تحاول أخرى ان تقضي على لغتها خصوصاً اذا كانت اللغة المحكومة أشرف من اللغة الحاكمة وانبذ مادة ومعنى.

مدارس تدبير المنزل

كثرة المعامل في أوربا دعت النساء في معظم الممالك ان يقبلن عليها ويتركن ما خصص لهن من ادارة البيوت حتى ان بعض بلاد المانيا وسويسرا أخذت تجد صعوبة زائدة في ايجاد خادمات وغيرهن لادارة شؤون البيوت فارتأت سويسرا ان تنشيء مدارس تعلم تدبير المنزل للفتيات فيعلمن الطبخ والخبز وعمل الحلوى والمربيات وشغل الابرة والغسيل والكي وهندام البيوت ومبادىء الصحة والحساب وينلن لدن خروجهن شهادات تسمح لهن بايجاد عمل للحال وكثير منهن يرجعن الى بيوت آبائهن وقد ثبتت حسنات هذه المدارس وهذا التعليم في تلك البلاد فيا حبذا لو أسس مثلها في هذه الديار فان الفتيات الفقيرات لا يجدن ما يعشن به وكثيراً ما يضطررن الى الاتجار بالاعمال المحظورة لياكلن ويشربن ولو كن متعلمات بعض المبادىء في ادارة شؤون البيوت لهان على أكثر أهل اليسار في هذا القطر

وغيره ان يستخدموهن بدلا من الاجيرات والطهاة الغرباء

الموسيقى العربية

رفع نجيب أفندي نحاس المحامي الى معتمد انكلترا بمصر تقريرا باللغة الفرنسوية عن الموسيقى العربية قال فيه : يظن الاوربيون ان موضوع الموسيقى العربية فقير للغاية لا يستحق الاهتمام وهذا ناتج عن كون الموسيقى العربية غير متقنة في ايامنا هذه لانه تنقصها قواعد التأليف وامتزاج الاصوات ولكن من تأمل الحانها الفاها غاية في الرقة واللذة وتأكد انها بقية علم كان زاهرا في العصور الغابرة

ولذلك سعيت منذ ١٥ سنة في البحث عن أصول هذا الفن الجميل ووقفت الى مؤلفات مكتوبة بخط اليد ومحفوظة في أوربا ففي مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة نظارة المستعمرات في لندن عثرت على ١٥ مؤلفا باللغة العربية والفارسية . وكذلك في مكاتب باريز وفينا وميلانو وليدن فانني عثرت على ١٤ مؤلفا أخرى . وقد اتضح لي منها ان الموسيقى كانت زاهية زاهرة ايام الخلفاء . فاجتهدت في استخراج الابعاد التي يتكون منها المقام العربي من القرار الى الجواب فالفيتها ١٧ بعدا خلافا للابعاد الاوربية فانها ١٢ بعدا فقط . وقد أجمع المؤلفون الاوربيون على ذلك عدا بعضا منهم فانهم خالفوهم الى درس ناقص في هذه المؤلفات . ومن ضمن من كتبوا في هذا الموضوع فاتيس وابروس وكيزفيتر والبارون همر بور جستال ولا ند والبارون كارا دي فو وألي سميث وآخرون وقد امتحنت الارقام الحسابية بالطريقة الجبرية وبطريقة التونومتر وفحصت الآلات المحفوظة في متحف سوت كنسنجتن الذي تكلم عنها كارل أنجل في كتابه الثمين عن ذلك المتحف

ولما كان هناك فرق بين الابعاد العربية والاوربية فلا يمكن احداث الانغام العربية على الآلات الاوربية ولذلك اهتممت بصنع بيانو شرقي في برلين ولقد خصصت جانبا من سفري هذا الى أوربا لتتميم هذا البيانو ومتى تم اسعى في اصطناع الآلات الاخرى كآلات النفخ الخشبية والنحاسية وقد وضعت طريقة

لكتابة الموسيقى العربية بعلامات تكتب من اليمين الى الشمال على سبعة أسطر لسهولة الاستعمال ومتى تم تركيب هذه الآلات سأؤلف جوقة تضرب واؤلف أوبرا كوميك وما أشبه ذلك

ولما كان ذلك يستلزم اهتماما فائقاً مني وقضاء وقت طويل ومصاريف اصطناع هذه الآلات وانشاء مدارس لتعليم الموسيقى العربية بحسب الطريقة العلمية التي سأدونها في الكتاب الذي ساطبعه قريبا فقد فكرت في ان انشرف واضع مشروعي هذا تحت رعاية فخامتكم السامية فكل بلدة في أوربا لها مدرسة للموسيقى على نفقة الحكومة وسيكون ذلك في مصر أيضا اذا شملتم مشروعي هذا بعين الرعاية وكلفت نظارة المعارف العمومية في مصر الاهتمام بمساعدة هذا المشروع مساعدة مالية وأدبية .

ولا يخفى ان هذه المدارس الموسيقية في مصر ستساعد على تربية الشبيبة المصرية وتهذيبها لان الموسيقى لغة الارواح ترفع النفس الى الرغائب الحميدة وتميل بالعقل والقلب الى محبة الخير . ومتى وجدت في مصر موسيقى عربية مؤلفة على قواعد العلم ومنظمة تنظيم الموسيقى الاوربية صار لمصر مزية أخرى في عيون السياح وكتبت لها في سلم الحضارة والارتقاء درجة أعلى لان الموسيقى هي لغة التمدن والارتقاء

إحصاء زراعى لمصر

أحصت الحكومة المصرية الاراضي الزراعية في السنة الزراعية التي ابتداؤها شهر ستمبر (ايلول) سنة ١٩١١ وانتهاؤها شهر أغسطس (آب) سنة ١٩١٢ فكان الشتوي

النوع	س	فدن	جنائن	١٨	٢٨١١٩ الجملة
خشخاش	٠٩	٦٥٥	حمص	١٠	١١٢١
ترمس	٠٥	٩٩٠٠	حلبة	١١	٥٣٠٠٠
قرطم	٢٢	١٠٧٩	كتان	٠٧	٧٣٢٤

عدس	٠٧	٦٣٣٤٤	بصل	٠٩	٢٦٣٩٢
أصناف مختلفة	٧٣	١٥٨٢٧	جلبان	٠٤	٣٢٧٩٧
شعير	٢٢	٣٦٤٠٥٠	برسيم	١٩	١٣٦٨٣٦٥
فول	١٧	٥١٧٣١٨	قمح	١٩	١٢٨٢٩٣٥
الصيفي :					
بطيخ وشمام	٠٤	٢٣٥٩٥	بقول	١٤	٢٢١٢٩
نيلة	١٣		سمسم	٠٢	٢٦٩١
حناء	١٥	١٣٤٢	فول سوداني	١٤	١٢٥٧٣
قصب	٠٦	٧٩٥٧٣٨	ذرة		»
أرز	٠٨	٢٠٦٢٤	قطن عفيفي أصيلى	٠١	٣٩٨٣٦
قطن نو باري	١٤	٩٦٨٥٦٦	« اشموني	٠٩	٢٤٤٢٦٥
« عباسي	١٣	٣٦٣٥٤	« ميت عفيفي	٠٢	٨١٩١٠
« يانوفيتش	١١	٢٤٩٢٣١	« سكلاريدس	٢٠	١٩٧٤٥٠
اجمال المزروع	٠٦	٣٦٧١٢٨٨			
تنزيل منزرع بالتكرار	٠٥	٢٣٩٥٨٣٤			
صافي الزمام	٠١	٥٣٨٥٤٥٤			
ضم بور قآن	٢٣	٢٣٩٣٢٤٨			
أصل التكليف	١٨	٧٦٨٣٣٣٢			

اللدنيات

مات مؤخرا في البلجيك رجل اسمه انطون الشافي أو الكريم وكان يعمل النصال فلم يكتب له ان تعلم مايخرجه عن الامية وقضى بعض حياته وهو يدعي شفاء المرضى وكم مقعد اقامه على رجليه ومن أعمى رد اليه بصره وكان يدعي ان الايمان هو العامل الوحيد في شفاء قاصديه للاستشفاء على يديه ممن يغشون منزله بالمئات كل يوم حتى ضاقت صدور الاطباء الرسميين منه لانه كاد يقطع ارزاقهم

فاقاموا عليه دعوى فحكمت المحكمة ببراءته لانه لم يكن يتقاضى اجرة عن عمله وعند ذلك أسس له مذهبا سماه الانطونيني نسبة اليه فكثر اشياعه وأي كثرة في اقطار العالم . وقد تبرع أحد عشاقه بمئة الف فرنك ليبنى له في جميس من بلاد بلجيكا معبد وقدم محضر فيه ١٣٠ الف توقيع يطلب فيه للحكومة البلجيكية ان تعترف بالمذهب الانطونيني بانه من الاديان الرسمية وتأسست شعب لمذهبه في بعض مدن فرنسا . قالت المجلة التي ننقل عنها بعد ان أوردت أحاديث لبعض من أولعوا بهذا الرجل ان دعوى شفاء الاسقام كانت مألوفة في كل عصر عرفتها الهند ويونان ورومية بل الغاليون أجداد الفرنسيس ولطالما ملأوا الحواضر والقرى وهم متوفرون على ممارسة صناعتهم التي كانت تعد من توابع السحر تحرمها الكنيسة أو تتسامح فيها أو تقتل أهلها الا ان هذا الاضطهاد لم يفتر عزائمهم وعادوا في كل قرن يحيون من رمادهم فالظاهر ان عنصرهم لا يفنى ولوفني الدهر يقاومون بعقولهم ارتقاء العلم ونشوء الاخلاق واتساع الافكار بالبحث والنظر وكم فيهم من جلبهم الما - حتى في هذا العصر وسألوهم أسئلة وغمروهم بنوالهم والاغرب من ذلك ان في باريز بحسب احصاء دائرة الشرطة زهاء عشرة آلاف عراف وعرافة انتشروا في اشرف احياء الاشراف منها وأكثرها سكانا يمارسون صناعتهم بأمن ويعيشون من هذه الاباطيل تحت سمع حكومة الجمهورية مؤلهة العقل ونظر العلماء الذين كشفوا كل غامض أو كادوا

المصافحة والصحة

قالت احدى المجلات الافرنجية ان المصافحة تكفي للدلالة على صحة المتصافحين فهزة الكف اذا كانت ثابتة حرة من رجل مخلص حسن الصحة يكون فيها دائما قليل من القوة ولكن هذه القوة اذا تجاوزت حد اللياقة في اللمس والادب تدل على ضعف موقت في الارادة وتشعر باضطراب من يهز كفك وان اليد التي تمتد رخوة بدون ضغط تدل على ضعف في الجسم والفكر ولو موقت واذا صافحك مصافح بسرعة وعصبية فتستدل من ذلك على مزاج حاد سريع الانفعال .

واليد التي لاحركة فيها الكسلانة تدل على ضعف صاحبها والحمى ليست أكثر دلالة من اليد على مزاج صاحبها فأقل لمس المصاب بها يكفي في تشخيص مرضه .

ازالة البقع

اذا سقطت الدهون والشحوم على خشب غرفة الطعام فازالة بقعها سهل للغاية على شرط ان تتداركها في الحال وهي طرية وذلك بان تضع على البقعة روح النفط بنتين وتتركه عليها ساعتين ثم تمسحه بدون فرك وتلقي على البقع طبقة صغيرة من السعوط وتمر حديدة محماة فوقها فالسعوط يأكل الدهن والشحم كما يأكل النفط بنتين والبنزين والسبيرتو بقع الثياب

أصل الجعة

قالت مجلة التواريخ السياسية والادبية : ليس من السهل ان نبين أصل البيرا أوالجعة التي تصرف منها اليوم كميات وافرة وغاية ماعلم ان البشر حاولوا في ادوار مختلفة ان يتبردوا بغيرمياه العيون الصافية من الاشربة فكان لهم من اللبن وعصير الفاكهة والعسل والحب المسحوق مادة يعملون منها أشربة مخمرة ومنه جاء شراب القوميس (ابن افرس) والخمر وخمر التفاح (السيدر) والأنجاص والجعة وشراب العرعر اهتدى البشر الى صنعها كلها بعقولهم فنقلها الخلف عن السلف وقد بحث الباحثون المحققون في انكلترا والمانيا والنمسا وهي البلاد التي يبالغ سكانها في تعاطي الجعة عن زمان ظهورها وكتبت المجلدات الضخمة في قدم الجعة ولم يستطع أولئك الباحثون ان يصلوا الى أصلها وغاية ماعرف ان ديودور الصقلي وهير ودتس المؤرخ أثبتا ان المصريين عرفوا الجعة قبل المسيح بألفي سنة والغالب ان الملك أوزيريس كان رأس صناع الجعة و بائعها وقد دلت أوراق البردي التي عثر عليها ان مدينة بلوزة على شاطىء النيل اشتهرت بمعاملها لصنع الجعة وقد يرد على هذا الرأي أن صنع الجعة انتقل من الهند كما انتقلت مبادىء سائر الحضارات

المقتبس

تاريخ الحضارة

مترجم عن الافرنسية

علم الكلام — بقي علم اللاهوت خلال القرون الوسطى العلم الرئيسي (ولمدرسة اللاهوت في جميع الكليات التقدم على سائر المدارس) وقد توفر على الفلسفة خاصة ارباب العقول العاملة وكان لمشاهير علماء القرون الوسطى امثال ايلاروسان توما ودونس سكوت والبر الكبير القدح المعلى في الفلسفة وليس علم المدرسة اوعلم الكلام سوى فلسفة مطبقة على اللاهوت فكان المتكلمون يتقبلون تعاليم الكنيسة كلها. قال كيتموند اسقف افرسا لايجب ان يفهم المرء اولا ليعتقد بعد بل يجب ان يعتقد أولا ليفهم بعد ذلك . وقال سان توما بعد حين من الدهر : ان حقيقة العقل ليست على تناقض مع حقيقة الايمان المسيحي . ثم ان علماء الكلام درسوا فلسفة ارسطو (عرفوها من ترجمات رديئة باللغة اللاتينية نقلت من ترجمات عربية) وقد أعجبوا بمنطقه فكانوا يذهبون الى انهم باستعمالهم طرق البرهان يحلون المسائل التي لم تحلها الكنيسة .وهذه المسائل: قد تكون دقيقة مثل قول بطرس لومبارد : اذا كان الله يقدر ان يعرف من الاشياء أكثر مما يعلم . وقال دونس سكوت : اذا كانت الصعوبة في ان يكون مولودا هي خاصية في تركيب الشخص الاول في اللاهوت . وقال سان توما: اذا كان جسد المسيح عاد الى الحياة وعليه جروح وفيما اذا كانت الحمامة التي ظهر

فيها الروح القدس هي حيوان حقيقي

وكان علماء الكلام من أكبر العاملين فقد مات دونس سكوت (الدكتور المحقق) في الحادية والثلاثين وقد ألف ١٢ مجلدا من قطع النصف ولخص سان توما (الدكتور العام) في كتابه الموسوم جميع افكار القرون الوسطى وعلى مختصر كتابه المعول في اللاهوت بالمدارس الاكليركية الكاثوليكية . واخترع ريموند لول في القرن الرابع عشر الصناعة العظمى وهي اداة للبرهان يتأتى بها حل جميع المسائل بدون استخدام الذهن . واذ كان المتكلمون لا يستخدمون الا البرهان الاستقرائي دون ملاحظة الحوادث لم يزيدوا شيئا على العلم البشرى وظلت فلسفتهم كما يقولون هم أنفسهم خادمة لعلم اللاهوت .

خزائن الكتب والادب العلمي — كان في الاديار العظمى أبدا بعض القسوس لا عمل لهم الا استنساخ الكتب وتزيينها فينقلون المخطوطات التي استعارتها أديارهم من غيرها . وعلى هذه الصورة أسست خزائن الكتب فلم تجاوز بضع مئات من المجلدات (فكان في فيكان ١٤٨ وفي سان يفرول ١٣٨) لان الكتب كانت نادرة والرق عزيزا وجميع الكتب كانت باللاتينية ومعظمها كتب عبادة وتنسك مثل الكتاب المقدس وآباء الكنيسة وكتب الطقوس وحياة القديسين وكان القسوس على صلاتهم لا يسمحون لغير هذا النوع من الكتب ويقولون ان كتب شيشرون وكتب فرجيل لا تنفع في سلامة النفس بيد أنه كان في بعض الاديار التي يغلب عليها حب الادب بالاكثر شيء من المؤلفات اللاتينية الأخرى مثل مصنفات شيشرون وفرجيل وهوراس وبلين ليون والتعزية لبو يس .

كتب رجال الاكليروس كالاساقفة ورؤساء الاديار والقسس في القرون الوسطى كثيرا من المؤلفات لانفسهم فكانوا يؤلفون في الادب والشعر ورسائل في اللاهوت وتواريخ يسرد فيها جميع أحداث العالم منذ البدء الى زمن المؤلف ووقائع مؤلفة من أخبار جافة جدا تكتب سنة فسنة تذكر فيها أخبار المجاعات والاوبئة والمذنبات والحروب ووفاة الملوك أورؤساء الاديار . كل ذلك باللغة اللاتينية وانشاء مطول مزهر مصنع تكثر فيه الاستشهادات أشبه بلغة تلميذ يتعلم اللاتينية . وكان رجال القرون

الوسطى جبناء الفكر يعتقدون أنفسهم أحط جدا ممن سلفوهم ولا يطعمون الافي أن يقلدوهم وانك لتجد في آدابهم بعض الافكار صرح بها بقوة و بعض صحف حية في تواريخهم ولكن أدبياتهم أدبيات طلبة فهم قوم اجتهدوا وأعوزهم الابداع .

أدب العامي — اما عامة المدن والقصور ممن لا يعرفون اللاتينية فقد اقتضت لهم كتب باللغة العامية لغة الرومان (المشتقة من اللاتينية) وهكذا نشأ نحو أواخر القرن الحادى عشر الادب الجديد فابتدأ من الشعر كما جرت العادة فى أنواع الآداب فسموا هؤلاء الشعراء المتجولين وهم الذين يتجولون في شمالي فرنسا و يؤلفون أشعارهم بالفرنسوية ويسمون شعراء الجنوب الطوافين وهم يؤلفون بلغة أقاليم البروفانس (البروفانسال) وكان بعضهم فرسانا وصناعة الاخر الشعر و يسمونهم المشعبذين كانوايذهبون الى الاسواق الكبرى حيث يجتمع أغنياء التجارويقصدون قصور أعاظم السادة فى أيام الاعياد و يغنون ومعهم ربابة صغيرة وهذه الاشعار ذات الثمانيـة أو العشرة مقاطع سميت بالاغاني لانه كان يتغنى بها وسميت (بلغة البروفانسال رومانسية) لأنها كانت باللغة الرومانية . وكان شعراء الجنوب اكثر خفة ولغوا فينظمون قطعا صغيرةمن الهجاء أو اغاني العشق أو اغاني الليل واغاني السحر. وشعراء الشمال أميل الى المديح يتمون بالحروب والغارات وحملات شارلمان ورفاقه وارتور ملك الغال و بحروب الاسكندر فكانت أغانيهم أغاني العمل وقد نظموا من هذا القبيل مدة ثلاثة قرون فى الولايات الفرنساوية فى الشمال ووجد فى أيامنا منها زهاء ألف قطعة في مخطوطات منسية من القرن الرابع عشر ومن يعلم كم فقد من نظرائها . ومن المتفق عليه بينهم ان اجملها ما كان قديما مثل اغاني رولاند وراول دى كامبرى وكارن لوتهرين واشعار كريتن دى تروا . ومما يسم قصائد القرون الوسطى سواء كانت بلغةالرومان أو اللغة اللاتينية الهوس في التقليد والشرح واذ لم يكن لشعراء القرن الثاني عشر أمثلة يحتذونها ذهبوا مع الطبع ونطقوا بما شعروا به ووصفوا ماراوا . ولم يأت الشعراء في القرون التالية غير التوسع في القصائد القديمةواصلحوها ثم حدثت القصائد ذات العشرين والثلاثين ألف بيت التى لا يحكم على غير المتأدبين بتلاوتها .

منشأ الهندسة الرومانية — لما أخذ المسيحيون في القرن الرابع يحتفلون على ملأ

الناس بعباداتهم كانوا يجتمعون في كنائس كبرى وهي قاعات عظيمة مسطحة السقف تكون محكمة مدنية وسوقا للتجار في آن واحد فكان المؤمنون يقعدون في ساحة التجار أو الصحن وهو مقسوم الى رواقات تقسمها صفوف من السوارى ومحل المحكمة على شكل نصف دائرة وأعلى الصحن كان بمثابة محراب يجلس فيه الاسقف والقسس . وقد احتفظت الكنائس المسيحية زمنا باسم البازيليك (البيعة الكبرى) وصورتها ان تتألف من صحن كبير على جانبيه صحنان صغيران ومحراب يسمى عقدا بسبب العقد الذى يغطيه ثم تصوروا ان يبنوا في مقدم الكنيسة برجا أو برجين نجعل فيه الاجراس وان يستعيضوا عن السوارى الخفيفة بدعائم مصمتة وان يجعلوا بدلا من الخشب والسقف المسطح المعرض للحريق بناء من حجر على شكل عقد و بذلك نشأت هندسة جديدة سميت الرومانية لانها نشأت في بلاد الرومان . فقد بدأت في ايطاليا الشمالية وجنوبي فرنسا في القرن الحادى عشر ولكنها انتشرت في جميع أوربا الغربية والكنائس الكاتدرائية الكبرى في ورمس وسبير فى المانيا هي كنائس رومانية ولا يزال في كثير من القرى في وادى الرون وفي اوفرنيا ونورمانديا كنائس قديمة على الشكل الروماني اذ لم تمكنها حالتها المالية من ابدال ذاك القديم بطرز من البناء الجديد

الهندسة الرومانية — لما كانت الكنائس الرومانية قد بنيت فى بلاد مختلفة وعصور متطاولة على يد مهندسين لم يتبعوا اصولا واحدة فى الهندسة فقد بعد الشبه بينها ولذلك ترى لاوفرنيا هندسة خاصة بها ومثل ذلك لنورمانديا ولالمانيا . ولكنها كلها ترجع الى مبدأ عام وهو ان الجزء الاكثر زينة أى الواجهة متجهة نحو الغرب وقبة الجرس (وأحيانا تكون قبتان) تقوم فوق الواجهة وتنتهي بذروة محدودة وتشرف على الكنيسة بأسرها والرتاج أو الباب الأعظم يكون في أسفل الكنيسة ومنه يدخل المصلون وهو محنايا منقوشة وأحيانا لا يبلغ الداخل الرتاج قبل أن يجتاز دهليزا وهو ذو سوار في مقدم البناء والرتاج يؤدى الى صحن الكنيسة الاعظم في الوسط وعلى الجانبين عمد متينة تضمها أروقة تحمل الحوائط الداخلة التي تجتمع في أعلى البناء فيتألف منها عقد ومن كل جهة من الصحن الاكبرين صف الاعمدة والحائط الخارجى من الكنيسة صحنان صغيران ويسميان الجانبان الواطئان فالصحن الكبير والجانبان

الواطئان يفصل بينها رواق عريض عال ينتهي في كل طرف من أطرافه برتاج متطرف يشبه رتاج الواجهة (وأحيانا تعلوه قبةجرس) ثم يكون الخورس على شكل مدور على خط مستقيم مع الصحن الاعظم ولكنه أعلى منه يضع درجات والصحنان الواطئان يمتدان على جانبيه وكثيرا مايحيطان به من الوراء وكل هذا الشطر من البناء الذي يسمونه الرأس مغطى بقبة

وتحت الخورس غرفة معقودة وهي الناووس فيها ذخائر القديسين وتضاء الكنيسة بنوافذ تطل على الصحنين الواطئين أو الصحن الاعلى وقد أقيم في الخارج لكي تدعم الحوائط الخارجية لتحمل ثقل العقود الباهظ دعائم قوية جعلوها سندا من جانبي الكنيسة بين النوافذ وأرتجة الصحنين الواطئين وقباب الجرس كلها وأقبيتها ونوافذها على صورة العقود أي على شكل نصف دائرة مثل الابنية الرومانية القديمة وقد جعل شكل الكنيسة على صورة الصليب ورجله الذي هو عبارة عن ثلاثة أرباع مجموع رقعة المكان مؤلف من الصحن وماعلى جانبيه من الفنائين الواطئين وفيه يجتمع الناس والرواق العريض العالي يمثل ذراع الصليب والرأس المدور هو القلب وهو المحل المقدس من الكنيسة يجلس فيه رجال الدين وتقام فيه الحفلات الدينية.

هندسة رسم البيكارين — بدأ المهندسون الذين بنوا الكنائس نحو منتصف القرن الثاني عشر يستعيضون عن العقود المدورة بعقود على رسم البيكارين . وقد أحدث هذا الاختراع الذي تيسر به انشاء عقود أعلى وأخف انقلابا في هندسة الابنية . فظل الرسم العام في الكنيسة واحدا : صليبا رجله الصحن والرأس محرابه (خورس) ولكن بدلت جميع تفاصيل البناء اذ بنيت العقود كلها على رسم البيكارين لاعلى صورة قوس فارتفع الصحن الاوسط الى علو شاهق وارتفع الصحنان الواطئان أيضا وأصبحا فنائين حقيقيين . واستغني عن العمد المصمتة التي كانت تمسك العقود بجملة من العمد الصغيرة الخفيفة وجعل فوق الاسناد التي تمسك الحوائط الخارجية زوافر (نصف قناطر) عظمى مارة مثل جسر هوائي فوق الصحن تدعم حائط الصحن الاكبر الاوسط من جهة واذ كانت القناطر الضيقة موطدة البنيان على هذه الصورة ساغ أن تكون فروج البناء أكبر علوا وسعة فانفرج الحائط الذي كان في الكنيسة

الرومانية يشغل أكثر من نصف الجانبين وجعلت مكانه نوافذ. فغدت النوافذ القسم الرئيسى من الكنيسة وهي على ضروب متنوعة منها نوافذ على شكل المبضع تستعمل لقباب الاجراس خاصة وهي فروج عظيمة تقسمها عميدات طويلة رقيقة الى قسمين وتشبه فرجة تتخلل الكنيسة من أعلاها الى أسفلها والنافذة من الجوانب الخارجة مزينة منقوشة من داخلها وخارجها بتخاريم من الحجر زينت بالزجاج وفوق الارتجة نافذة عظمى مدورة يسمونها الوردة وهي أيضا تتخللها تخاريم على شكل الورد وليس للسوارى تيجان بل تنتهي في ذروتها بباقة من الورق معمولة من حجر.

تغشى الكنيسة كلها من داخلها وخارجها نقوش من الحجر فمنها ما هو على الرتاج والنوافذ فوق الاسناد وفي طرف الزوافر وفي جميع طبقات قبة الجرس ومقدم البناء. ولقد مهر النقاشون فغدوا ينوعون تزييناتهم فكانوا يرسمون أوراق الحجر على مثال نباتات البلاد مثل القراص والعوسج والحسك والورد وعليها مسحة من الظرف وتماثيل القديسين التي تزيد الارتجة والكوى والمشاهد المصورة فوق الرتاج مشهورة بما فيها من الحياة والحقيقة وتمثل الميازيب حيوانات خيالية وشياطين غريبة الصور أو بشعتها معلقة في الفضاء وكل ذلك اختراع غريب مستفيض. وصور القبور ولا سيما في القرن الخامس عشر كثيرا ما تكون من بدائع النقش وقد بدأت هذه الطريقة في البناء نحو منتصف القرن الثاني عشر في ارباض باريز من أملاك ملك فرنسا (وربما كان ذلك في كنيستي سان ديني ونويون) ومن هناك انتشرت فى انحاء فرنسا كافة ثم في سائر بلاد أوربا وكانت هذه الطريقة هي المعول عليها منذ القرن الثالث عشر الى أواخر القرن الخامس عشر في كل من فرنسا والمانيا وانكلترا. وأخذ المهندسون الايطاليون فى القرن السادس يبنون على مثال القدماء فنازعوا بذلك هندسة أواخر القرون الوسطى نزاعا شديدا واذ كانوا اتخذوه بمثابة اختراع للبرابرة الذين داهموا ايطاليا وهم الغوت فقد سموه الغوتي وبقي هذا التعبير لتحقير هذا الطرز من البناء يطلق عليه. وليس من ينكر اليوم ان الهندسة الغوتية هندسة متانة وابداع فاجمل كنائس القرون الوسطى مثل كنيسة نوتردام دى بارى وكاتد رائيات ريمس ولاون وأمين وبوفي وكولون وستراسبورغ وبال وفريبورغ كلها كنائس غوتية.

الطرز الغوتي المدني — استعملت الهندسة الغوتية بادئ بدء للكنائس ثم استعملت في الابنية الاخرى . ففي القرن الرابع عشر والخامس عشر خصوصاً نهض بعض السادة وأغنياء المدن فبنوا لانفسهم قصورا وفنادق وبنت المدن مجالس بلدية ولا يزال كثير من هذه الابنية باقيا الى اليوم أثرا باهرا من آثار الهندسة ففي أقليم الفلاندر مجالس البلديات في بروج وايبر واودنارد وفي فرنسا قصر العدلية في روان ونزل جاك كور في بورج . واهم ما في هذه الابنية المدنية مقدم البناء فهي في المجالس البلدية تشبه مقدم بناء الكنيسة والمرقب يقوم مقام قبة الجرس وواجهة الفنادق الخاصة تطل في العادة على فناء داخلي ويفصل بين النوافذ صليب من الحجر (ومنه اشتق اسم المشبك) وهي مزينة بابراج صغيرة من الورق وقد فتحت في السقوف طيقان بديعة والاجنحة والابراج على شكل حقة الفلفل وهي في جميع الزوايا بارزة عن الواجهة والزوايا كلها مزدانة بتماثيل صغيرة وداخل الحجر مزين بغصون او صور منقوشة بالوان جميلة . وربما لم تعمل ابنية كهذه في البهجة واللطف .

الطرز الغوتي المتلألئ — كلما تقدمنا نحو أواخر القرون الوسطى رأينا الكنائس مغشاة برسوم ونقوش منوعة بديعة وأكثرها في الاستعمال ورق الملفوف المعوج اعوجاجا غريبا فالكنيسة كانت والحالة هذه تشبه وشيا من الحجر وهذا ما يسمونه الغوتي المشعشع شاع في القرن الخامس عشر خصوصا وأهم ما صنع منه في ذلك العصر كنيسة وستمنستر في انكلترا وبرج سان جاك في فرنسا وسان أوان في روان . واعتاد القوم أن يزهدوا في الطرز الغوتي المتلألئ وان يعدوه افسادا للطرز الغوتي الخالص . لاجرم ان أجمل الكنائس بناء هي من العهد الاول لاختراع الطرز الغوتي ولكن معظم الدور الجميلة هي من بناء القرن الخامس عشر .

صفة البناء الغوتي — لم يتفق الناظرون على التأثير الذى ينشأ من الكنائس الغوتية فان معظم الزوار تملك عليهم مشاعرهم بما يرون من جلال تلك العقود العالية والسواري الصغيرة كالغابة بكثافتها وهي في الجو محلقة وبمنظر هذه القباب للاجراس المحددة والاوراق المعوجة والغيلان المتخيلة والانوار التي ترسل من خلال الزجاج الملون وقفص الحجر والزجاج الذى يظهر انه لا يقوم الا بمعجزة كل ذلك مما يحدث أثر

صناعة قابلة العطب ومخالفة للطبيعة واجتهاد قوى لبلوغ السموات العلي . ومن هنا نشأ هذا الرأى الشائع وهو ان الهندسة القوطية هي نتيجة سامية لعصر متألم تعذبه الحاجة الى اللانهاية . ويقول بعض أهل هذه الصناعة ان هذه الهندسة على العكس تمتاز بنظامها المعقول وترتيبها المدقق في اطرافه واعطافه والتأثير العام الذى يحدثه تأثير حياة قوية رائقة فيها البهجة والانس .

« التوسع في الحريات السياسية وارتقاء الطبقات النازلة »

تحرير المدن

• صكوك التحرير — معظم مدن فرنسا قرى قديمة (١) يملكها احد السادة على ما استبان من اسمائها فان (فيل) (المدينة) او فيلا معناها المحلة حتى ان المدن التي يرتقي عهد تأسيسها الى الرومان قد سقطت في أيدى أساقفتها (مثل أمين ولاون وبوفي) أو في يد الملك (مثل أورليان وباريز) أو في أيدى بعض الامراء (مثل انجر التي كانت للكونت دانجو وبوردو للدوق اكيتين)فكان السيد أو وكيله يحكم كما يحكم سيد على سكانه فيكرههم على اداء المال ويقضي بينهم ويحكم عليهم وكثيرا ماياخذ منهم بضائعهم أو يوقفهم بدون سبب لانه كان القاضي فيهم وحده . وكانت المدن في القرن العاشر حقيرة للغاية لاتمتاز عن القرى الا بأنها محاطة بسور .

غدا السكان في القرن الثاني عشر أكثر غنى فأخذوا يرغبون في النظام المرتب وأخذ بعضهم يشقه عصا الطاعة أو باداته مبالغ باهظة يتوصلون الى ان ينالوا من سيدهم وعودا يسجلونها في صك فكان السيد يقول انني أعلم الجميع انني أمنح أهل مدينتي العادات الآتية وذلك بأن يدفعوا الى من الآن فصاعدا المبلغ الفلاني كل سنة في وقت كذا وأتعهد بان لاأتقاضاهم شيأ غيره . وجرت العادة في هذا الصك أن يشفع بقائمة الغرامات مثل قولهم « من يضرب غيره بجمع كفه يؤدى الي ٣ سولات غرامة ومن يلبطه برجله يدفع خمسة واذا سال دمه سبعة ومن يستل مدية أو حساما بدون أن يضرب بها يؤدى ٦٠ سولا واذا ضرب عشر ليرات ومن يبصق على غيره يسمى

(١) من زهاء ٥٠٠ مدينة فرنسوية تكاد تكون ثمانون منها من المدن الرومانية القديمة

أجذم ويدفع لى ٧ سولات الخ » ويشترط أحيانا أن لا يعد الدم الذى يجرى من الانف دما مسفوحا وان الاولاد في سن الثانية عشرة فنازلا اذا تضاربوا لا يغرمون ومن شأن الصك أو العهد أن يحدد كل التحديد مبلغ الغرامة أى ما يحق للسيد أن يتقاضاه عن كل خطأ يرتكب . واليك الصورة التى عرف بها أحد رؤساء الاديار في القرن الثاني عشر واسمه كيبردى نوجان هذا العهد الذى عقد بين المدينة وسيدها: «ان لفظة مديرية من الالفاظ الجديدة الممقوتة ومعناها ان العبيد يدفعون مرة واحدة في السنة فقط الى سيدهم الدين المعتاد لقاء عبوديتهم له واذا ارتكبوا بعض الذنوب لا يؤدون سوى غرامة معينة من قبل أما سائر السخرات والتكاليف المختلفة التى تتقاضى في العادة من العبيد فانهم يعفون منها بتاتا . وهذه اللائحة في تعيين الواجبات نحو سيدهم تسمى عادات وحرية أو تحريرا . فقد عنيت جميع المدن أن تنال مثلها فبدأت الحركة في أواخر القرن الحادى عشر في مدن الجنوب وفي الشق الآخر من فرنسا في اقليمي فلاندر و بيكارديا حيث كان التجار الذين يغتنون من التجارة ومنها امتدت الى أوربا بأسرها بحيث انه لم ينقض القرن الرابع عشر حتى لم يبق بلاد لم تحصل على حريتها المديريات – كان في المدن عدة ضروب من السكان وأرباب الصناعات والعملة المرتبين بحسب حرفهم ومنهم وتجار وبيوت لها شيء من الغنى تعيش به بدون أن تعمل ويدعى مجموعهم « البورجوا »أى سكان مدينة حصينة (بورج) وهم محافظون على الاعتصام بطاعة سادتهم ولكن بحسب الشروط المذكورة في عهداتهم وهذه الشروط تختلف اختلافا كثيرا . فلم يكن لهؤلاء السكان في معظم المدن من الحقوق الا أن يعينوا أناسا منهم يسمونهم أهل الحشمة وهؤلاء هم نصحاء وكيل السيد و يعينونه على جباية الضرائب. أما في المدن التي نالت حظا أوفر (مثل بوفي وليل وديجون وناربون وتولوز) فقد رخص لسكانها أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم وهناك كانت المديريات الحقيقية. جاء في صك العهد الذى نالته مدينة بوفي ان كل واحد يعاون الآخر ولا يسمح بأن يؤخذ منه شيء . وكان يكفى اذا اعتدى غريب على أحد سكان ليل أن ينادى باالبورجوازية أى ياالسكان المدينة فيهرع الى نجدته من كان حاضرا منهم ومن يتخلف يغرم وللمديرية ماللفارس من الحقوق فلها أن تحارب أعداءها وتخرب بيوتهم .ولها طابع تختم به عهودها

علامةعلى حقها كما ان لها خزانة تضع فيهامالها ومرقبا فيه جرس تدعو به سكان المدينة الى حمل السلاح (والمرقب هو كبرج الجرس عند سكان المدن)ومجلسا بلديا أى دار يجتمع فيها رجال المدينة يعني مجلس الرجال الذين يحكمون المديرية .

رجال المدينة — يتألف رجال المدينة من اعضاء المديرية فيكونون تارة اربعة وأخرى اثني عشر وآونة مئة وأحيانا متساوين فى العدد ويرأسهم رئيس في الاحايين فيدعون في الجنوب القناصل وفي الشمال شيوخ البلد او مشايخ الحرف او الحكام يختارون من اشراف المدينة وكثيرا ما ينتخب بعضهم بعضا أو يتوارثون الحكم أبا عن جد ولم يفكر أحد قط في القرون الوسطى ان يطالب بالمساواة سواء كان ابن المدن أو من الاشراف . ولهؤلاء الاشراف على السكان سلطة مطلقة فهم الذين يقضون فى الدعاوى ويحكمون على المجرمين ويجبون الخراج ويحتفظون بمفاتيح الابواب فيمدون السلاسل في الشوارع وقت الخطر ويقرعون جرس المرقب وعلى صوته يهب السكان باجمعهم مدججين بأسلحتهم و يقفون طوع ارادة رؤسائهم وعليهم ان يحضروا أيضا الى المجلس الاعظم الى الساحة والى المقبرة أو الى الكنيسة للمفاوضة في المسائل العامة ولا سيما لاستماع قرارات رجال المدينة .

العدل المدني — ليس لابن المدينة ان يأخذ حقه بسلاحه كما هو شأن الفارس بل عليه ان يعمد الى رجال المدينة أو نائب السيد ليعيدوا اليه حقه المهضوم وذلك في محكمة أبناء المدينة و يطبقوا في هذه المحكمة مفاصل العادة القديمة فالمهان أو قريب المصاب يقف موقف المدعي فيبين الجرم ويركع على الارض و يضع يده على ذخائر القديسين ويقسم بان ذلك الرجل ارتكب الجرم و يحلف المدعي عليه بالعكس كلمة كلمة وقد تقضي المحكمة أحيانا عليهما بان يتبارزا بالعصي ومن غلب منهما يحكم عليه . واذا أتي المدعي بشهود يجب علي كل منهم ان يقسم اليمين مرددا الكلمات ذاتها من ان المدعى عليه مجرم واذاحلف شاهدان يحكم على المدعي عليه ومن الصعب ايجاد شاهدين كل حين اذ يطلب من الشاهد ان يكون قد رأى الجرم يرتكب بعيني رأسه .

يجرى كل ذلك علنا وأحيانا في العراء ولا يسجل شيء مما يقرر فبعد البراز أو الايمانات تصدر المحكمة حكمهقرأاقدوه علنا وهو : « بحسب الحقيقة التي وعاها شايخ

نوكوته وأوفرنيا) لكن على قلة .

ولقد نال من لم يحررهم ساداتهم حريتهم وقضت العادة بأن كل عبد يستطيع أن يغادر قريته على شرط أن يخلع طاعة سيده والسيد يحتفظ بالارض ويجب عليه أن يطلق سراح خادمه .

معاهد انكلترا في القرون الوسطى

السكسونيون — كان ينزل جنوبي بريطانيا العظمى منذ القرن السادس أناس من المحاربين الجرمانيين سكسونيين وانكليزيين الذين كانوا يأتون من سهل المانيا الشمالية الواسع المضب (المملوء بالضباب) القاحل. بلغوا هذه الارض مسلحين عصابات مع اسراتهم وقد ابادوا الشعوب القديمة او طرحوها الى اطراف البلاد الى جبال كورنوال القاحلة و بلاد الغال وكانوا من الجرمانيين الخلص شقر الشعور زرق العيون ضخام الاجسام ممتلي العضلات بيض الوجوه عظاما في ما كانهم عظاما فى حروبهم يقضون النهار على المائدة (في قصور ملوكهم اربع وجبات من الطعام كل يوم) فيزدردون ابقارا برمتها و يشربون شراب العسل ملء اوانيهم كما يتعاطون شراب العسل المخمر الذى يسكر اقوى الرجال ومتى طفحوا يتغنون بملاحم محاربيهم يحبون الحروب حتى انهم لما تنصروا ايضا كانوا يحبون ان يموتوا والاسلحة بأيديهم . قال الدوق دي نورتومبرلاند وهو على فراش المرض : اى عار علي يلحقني اذا انا لم امت في الحروب التي خضت غمراتها وان اموت كما يموت البقر ضعوا لى درعي وسيفي وخوذتي وترسي وفأسي المذهبة حتى يموت المحارب العظيم وهو في حالة القتال

ولقد كانوا يقتلون سكسونيهم مع سكسونيهم والاقرباء بعضهم مع بعض . رأينا توستي أخا آرولد فى القرن الحادى عشر مغاضبا من نيل أخيه الحظوة من الملك ذاهبا الى أحد القصور الملوكية حيث كان أدب آرولد مأدبة ويقتل خدمة آرولد يقطع رؤوسهم وينثر اعضاءهم ويجعلها في أواني الجعة وشراب العسل ويبعث الى الملك يقول له : اذا قصدت الى قصرك تجد فيه زادا طيبا من اللحم المملح . وبذلك يعد رجال تلك الاحقاب شجعانا مخلصين صادقين لآبائهم وساداتهم فى لعب السيوف اشداء على الاعداء والاولياء وقد ورد في القصيدة السكسونية الوحيدة التى ابقتها الايام ان

بيوفولف البطل مات دفاعا عن شعبه بانقاذه من تنين كان يحرس كنزا . . اليك منشأ الأمة الانكليزية : مقاتلة متوحشون سفاكون ولكنهم أهل مضاء واخلاص .

النورمانديون - كان السكاندينافيون (الدانيمركيون والنوروجيون والسويديون) في القرن التاسع كما كان الجرمانيون في القرن الرابع أهل غارة متوحشين وثنيين تقضي عادتهم ان يرث ولد واحد من أبيه بيته وماله أما سائر الاولاد فينضمون عصابات بعضهم الى بعض ليذهبوا في طلب الثروة . فالمقاتل البربري اذا لم يخلف له أهله مايعيش به يرى من دواعي شرفه أن ينال الغنى بحد الحسام و يعتبر العمل مخلا بشرفه فاذا لم يكن مالكا يسرق وينهب واذا جاور السكاندينافيون البحر أصبحوا قرصانا فتبحر العصابة منهم في قوارب خفيفة ذات قلوعين بقيادة زعيم تختاره من بين ملوك البحار الذين طالما فاخروا بأنهم لم يناموا تحت سقف ولم يفرغوا قرن الجعة بالقرب من الدور المأهولة . تذهب تلك العصابات ذات اليمين وذات الشمال فمنها من ضربت نحو الشمال تفتح ايسلاندا وغيروانلاندا واعتصمت أخرى في القلاع تنهب السفن وتستاق القطعان هكذا كان شأن رؤساء القرصان المشهورين في جومسبورغ الذين أرغوا البحر البلطيكي وأزبدوه خلال قرنين وقد آثر أكثر تلك العصابات أن يقصد الى البلاد التي حازت شطرا من المدنية مثل فرنسا والمانيا وايطاليا واسبانيا فنزلوا فجأة على الشواطىء وساروا في الأنهار ينهبون الدور ويهاجمون المدن اذا كانت حصينة و يشتدون في معاملة الكهنة لكراهة فيهم بصفتهم وثنيين فكانوا يقولون اننا أقمنا لهم قداسا من الرماح . وكانوا يدعون في انكلترا الدانيمركيين وفي غيرها رجال الشمال (النورمانديين) وقد قبلت العصابة الرئيسة فيهم أن تستوطن فرنسا وكانت الولاية التي أصبحت نورمنديا خاملة لم تشتهر قط و بعد قرن ونصف عرفت في جميع أوروبا فاقتبس النورمانديون في الحال الدين المسيحي واللغة الفرنسوية (ولم يتكلم باللغة الدانيمركية الا في بايو) وتألفوا مجتمعا وكان هذا المجتمع المؤلف من القرصان على نظام وترتيب أكثر من غيره . فكان الدوق مطاع الكلمة فيهم يعدل بين قومه كلهم واقليم نورمانديا الوحيد في أقاليم فرنسا الذى حظرت فيه الحرب الخاصة وكان العدل منظما عاما للجميع . ولقد رويت من هذا القبيل قصة خاتم الذهب الذى ظل

معلقا على شجرة بدون أن يجرأ انسان أن يسرقه ومع هذا فقد احتفظ النورمانديون على كر الدهور بأجسامهم الضخمة الشقراء وبالمضاء والاقدام على العمل الذى انتقل اليهم من أجدادهم المتشردين .

الفتح النورماندى — زعم غليوم دوق نورمانديا انه ورث من تاج انكلترا فاعطاه البابا الحق في ذلك وبعث اليه بعلم مقدس فجمع جيشا قويا نحو ستين ألف متشرد ليسترد مملكته وكلهم من الفرنسيس ووعدهم بأن يمنحهم أراضي و بعد ان كتبت لهم الغلبة اهمل أمر جنده وتركهم يعولون أنفسهم ويسكنون بيوت السكسونيين الذين حاربوه ويحلون في املاكهم ويأخذون بالقوة اماءهم او وارثاتهم وهكذا يصبحون ارباب املاك وشرف (وهذا مادعي بفتح انكلترا) واصبح بعد ذلك معظم الاشراف والاحبار فرنسيا ولم يقتبسوا اخلاق السكسونيين اذ كانوا يحتقرونهم بل ظلوا يتكلمون بالافرنسية ويعيشون عيش فرسان الفرنسيس فيبعثون بأولادهم الى نورمنديا ليعلموهم اللغة وقضوا بأن لا يتكلم في المدارس الا باللغة الافرنسية او اللاتينية وبقيت اللغة الافرنسية مدة ثلاثة قرون لسان الملك والبلاط والاشراف والقضاة وظلت الحال على هذا المنوال الى اواخر القرن الرابع عشر والقوم يؤلفون قصائد افرنسية وقد اعتذر شاعر يقصد القصيد باللغة الفرنسوية عما ارتكب من غلطات اللسان بقوله عفوا عما بدر مني فاني انكليزي .

الملوكية — حكم الملوك الجدد مملكة انكلترا كما حكموا دوقية نورمانديا والنظام والترتيب رائدهم واخذوا يستبطنون اسرار مملكتهم واختار الملك اناسا من الاشراف (البارونات) يطوفون البلاد طولا وعرضا يبحثون عن الاراضي و يسجلون جميع املاك انكلترا مبينين لكل واحد كيف تسمى الدار ومن يملكها وكم كان ثمت من الاراضي والعبيد والعامة والاحرار والمراج والمروج والمراعي والمطاحن مع أثمانها كلها وهكذا الف كتاب Domesday-book وبفضل هذا الاحصاء العام استطاع ان يعرف مبلغ قوته ومن هو الشعب الذى يبذل له طاعته وذلك من الشروط الضرورية في الحكم على ما نرى ولم توفق غير نورمانديا وانكلترا ان تحققاه في القرون الوسطى ثم ذكر الملك ان كل انسان حر (لا كبار السادة من اتباعه بل جميع الفرسان) ويقسم ان يذود

عن حياض أرضه ويحمي شخصه من اعتداء العدو واستطاع الملك على هذه الحال أن يجمع في جيشه جميع فرسان انكلترا .

ولقد استخدم الملك في كل كونتيته التي قسمت المملكة بها اقساما عاملا وهو الفيكونت وأخذ من القرن الثاني عشر يبعث بقضاة جوالين وكان لدى الملك مجلس يبت في المسائل الكبرى وقضاة يقضون في المسائل التي لها علاقة بالملك (وتسمى هذه المحكمة مقعد الملك) وقضاة للنظر في حساباته ومداخيله (وكان هؤلاء هم قضاة الرقعة. سموا كذلك لأنهم كانوا يجتمعون حول منضدة مغشاة ببساط على صورة رقعة الشطرنج) وكان المستشارون والقضاة ونواب القواسة (فيكونت) ينصبون ويعزلون من قبل الملك ولهم الحق باسم مواليهم أن يسيطروا على أعظم السادات وأن يطلبوهم الى التقاضي وأن يحكموا عليهم. ويحظرون عليهم أن يحاربوا بينهم كما كان شأن أشراف فرنسا وكل من كان يداهم عدوه في انكلترا بحجة انه يريد أخذ حقه بيده يحاكم لانه نقض سلام الملك ولم يكن فى جميع أوروبا مملكة حازت مثل هذا النظام ولا ملك أطيع كل هذه الطاعة .

النباله الانكليزية — قسمت انكلترا الى محلات كبرى يقوم على زراعتها العامة والمزارعون وتسمى كل محلة بيتا أى منزلا وتتألف منها قرية وكان للسادات الذين يدعون بالافرنسية بارونات وبالانكليزية لوردات عدة بيوت مجموعة في سمط واحد وملك أعظم سادات انكلترا من خمسمائة الى ستمائة محلة ودعوا بلقب (كومس كونت) (وبالانكليزية آرل) وكانت هذه البيوت منبثة في انحاء انكلترا عامة ولم يكن للقومس كما في فرنسا ولاية هو الحاكم المتحكم فيها وحده يشهر حربها واليه يرجع أمرها وكان قوامسة انكلترا من الغنى على جنب عظيم يبد أنهم لم يكونوا ملوكا كما كان أمثالهم في فرنسا .

ولقد كثر عدد الفرسان بادىء بدء فكانوا في القرن الحادى عشر ستين ألف رجل شاكي السلاح وصاحب ملك ومن العادة أن يملك كل واحد بيتا واذا حظر عليهم الملك أن يتقاتلوا لم يلبثوا ان نسوا سريعا المران على الحروب والذوق فيها وبينا كان الفرسان في فرنسا يحاربون مدفوعين بعامل الهوى والتلذذ كان فرسان

انكلترا منذ القرن الثاني عشر يرون خدمة الجندية وطاعة الملك فيها ضربا من ضروب السخرة الشاقة ولذلك دعت الحال الى أن يحمل الملك أرباب الاملاك أن يجهزوا بجهاز الفرسان ولما عرض عليهم أن يشتروا منه أنفسهم بدفع بدل مالي عن الخدمة قبل أكثرهم مقترحه والجذل آخذ منهم . وجاء زمن (١٣٧٨) أصدر الملك فيه أمره الى نواب قوامسته ان يكرهوا جميع الرجال الذين يتجاوز دخلهم العشرين جنيها انكليزيا على الدخول في غمار الفرسان . ولقب فارس على كثرة رغبة الناس فيه في فرنسا كان مزهودا فيه كل الزهد في انكلترا فيكتفي هنا أشراف الانكليز أن يظلوا من حملة السلاح (سلاحدار) يعيشون في الفلاة متوفرين على حرث أراضيهم وما من فارق يميزهم عن صغار الاحرار. في حين كان في فرنسا لمن يريد أن يكون شريفا أن يكون من نسل أب شريف أما في انكلترا فيرون شريفا كل من كان له دخل كاف ليعيش برفاهية فان المزارع الذى أغتني يصبح شريفا . ولم يكن من فرق بين أشراف الحقول في القرن الخامس عشر وبين صغار أرباب الاملاك غير الثروة ولذا لم تصبح النبالة الانكليزية طبقة لا يدخلها غير أهلها مناقضة لسائر الطبقات كما في فرنسا

العهد العظيم — كان الملك في انكلترا قويا والاشراف ضعفاء وهو على يقين بانه مامن رجل من رعاياه يستطيع ان يقاومه ولذلك يسيء استعمال قوته فيضطر الاشراف ان يمدوه بالمال و يغتصب منهم اراضيهم وغلاتهم وماشيتهم و يسجنهم من دون ماسبب و يعدمهم بلا حكم . ولقد شوهد رجل يقتل لانه ضرب أيلا كان في غابة الملك و بقيت طريقة الحكم قرنا ونصفا على هذا المنوال وانتهى الامر بالبارونات ان بلغوا من الضعف مبلغا لم يستطيعوا معه ان يقاوموا منفردين بل اشتركوا ليقاوموا تلك القوة يدا واحدة فاغتنموا فرصة كان فيها جان سان تر في حرب مع ملك فرنسا وحاجته ماسة الى معاضدتهم فهددوه سنة ١٢١٥ بان يتخلوا عنه حتى اكرهوه ان يقسم لهم أيمانا علنا بان يحترم في المستقبل جميع ضروب الحرية أى حقوق الرجال الاحرار في مملكته . وكتبت وعوده في عهد دخل في ٦٣ مادة ختمه الملك بطابعه وكان هذا هو الصك العظيم المرشد واليك المادتين الرئيستين منه : لا يوضع مال جديد على جميع

المملكة قبل ان يراجع مجلسها العام. لا يوقف رجل حر ولا يحبس ولا ينفى ولا يؤذى بوجه من الوجوه ولا نقبض ولا نأمر بالقبض على أى شخص الا بحكم على الاصول بين اقرانه و بحسب عادة البلاد . وهكذا تعهد الملك (أولا) ان يكف عن اموال رعاياه ويعف عن أخذ حاجاتهم الا برضاهم (ثانيا) ان يحترم اشخاصهم بحيث لا يجازيهم الا بعد صدور حكم على الاصول.

على ان هذا التعهد لم يخرج عن حد الوعد وما من قوة تحظر على الملك ان ينقضها وكثيرا ما نقضه الا ان الملك عند جلوسه يجدد هذه الوعود { وقد جدد الصك العظيم ٣٣ مرة } . وهذا القسم ينبه الملك الجديد على الاقل الى واجبه وهذه الوعود مسجلة في عهد علني يعرفها كل انكليزي يذكر للرعايا فيه ان لهم الحق ان لا يؤخذ مالهم ولا يوقفوا بحسب رغائب الملك. ومن هذين الفكرين نشأ ترتيبان ابقيا عليهم حريتهم وهما مجلس النواب ومجلس المحكمين. فالعهد العظيم يقضي بان للملك حقوقا كما ان للامة حقوقا فهو أساس حريات انكلترا

اصل مجلس المحكمين — للملك في انكلترا الحق فقط ان يقضي في الجنايات ويحكم بالاعدام فهو يعين القضاة ويبعث بهم يطوفون مملكته . ففي كل سنة وفي كل بلد في أوقات معينة يأتي قاض من قبل الملك يؤلف باسمه مجلسا عاما يحضره الاحرار والاشراف وسادات الكورة ويسمونه مجلس قضاء الجنايات { وقد حفظ هذا الاسم وانتقل الى اللغة الافرنسية } فينظر القاضي في الدعاوى والجنايات التي ارتكبت في المملكة ويستعين باثني عشر رجلا شريفا ويحلفهم ان يقولوا بعدل مايعرفونه ويبدأ بالتحقيق لكشف الغطاء عن الحقيقة ويسألهم اى المدعيين محق في دعواه اذا كان المدعى عليه مجرما أو بريئا يحكم في مسائل الجنايات بموجب أجوبتهم بين الخصمين وكان يسمى هذا الضرب من الحكم التحقيق البلدى(١) والاثناعشر رجلا من الفرسان الذين أخذت آراؤهم يسمون المحلفين او المحكمين وهكذا نشأ مجلس المحلفين (ولم ينظر اولا الا فى القضايا المتعلقة بالاملاك ومنذ القرن الثالث عشر أصبح ينظر في

(١) أشبه مجلس المحلفين بادىء بدء مجلس التفتيش الديني واسمهما واحد وهو التفتيش واذ كان عمل المجلس مختلفا أصبح الاول مجلس حرية والآخر مجلس اضطهاد

المسائل الجنائية) وقد اخترع القضاة هذا المجلس لتسهيل عملهم فكان أعظم ضمان من ظلم القضاة لانه بطلق الحكم على المتهم للوطنيين. وما مجلس المحلفين الامن الاوضاع التي يعجب بها في انكلترو عنها أخذه جميع أمم أوروبا تقريبا

مجلس نواب انكلترا — كانت الاموال التي تجبى للملك من أملاكه والغرامات التى تتقاضى باسمه تكفي لنفقة داره والادرار على رجاله واذا نشبت الحرب لا تعود تكفيه بتاتا فيكتب الى جميع أرباب الشأن من أمته ويستدعى الاساقفة والبارونات برسائل خاصة فيجتمعون لديه ويقررون بينهم الضريبة التي يرخص للملك أن يجبيها وكانت هذه المشورة مقصورة زمنا على كبار الرجال (وهم الذين أخذوا من (جان) العهد العظيم) وفي أواخر القرن الثالث عشر سمح لكل مدينة وقصبة أن تبعث برجلين من أبنائها. ولكل مجلس مديرية أن يرسل فارسين يختارهما ولم يحي هؤلاء النواب أولا الا استماع مايقرره كبار السادات ليحملوا خبره الى بلادهم ثم قبلوا بالدخول في المناقشة. وقد سمى هذا المجلس الكبير بالبارلمان (مجلس الشورى) ولا يستدعيه الملك الا ليسأله تقريرا في جباية مال الا ان العادة جرت بأن البارلمان قبل أن يمنح الملك مايريد يضطره الى سماع شكاويه وكثيرا مايسأله اصلاح ادارته أو عزل عماله. وهذه طريقة في الحكم بالواسطة وحاول البرلمان مرات أن يجعل على الملك رقباء الا ان هذا تخلص منهم ولم تثبت العادة في ذلك الاان القوم اعتادوا الاستئناس بفكر ان الواجب على الملك كل سنة أن يجمع المجلس.

مضى زمن طويل والسادات الاساقفة يدعون وحدهم فقط ولذا كانوا يجلسون على انفراد ويتألف منهم مجلس اللوردات (النبلاء) وفرسان الكونتيات وسكان المدن الذين تبعث بهم البلاد يؤلفون مجلسا جديدا وهو مجلس العموم (النواب). والى هذا التنظيم ترجع شؤون انكلترا فبدلا من أن يتحد صغار الاشراف مع كبارهم لمقاومة الطبقة الوسطى (كما حدث في فرنسا) قد اتحدوا على العكس معها وظل اللوردة قرنين يقودون مجلس النواب وفي خلال حرب الوردتين أفنى بعضهم بعضا بحيث انه لم يبق سنة ١٤٨٦ غداة تولت أسرة تودور زمام ملك انكلترا سوى ٢٥ لوردا وأحدث الملك لوردات من جديد الا ان الجدد منهم لم يحوزوا ما كان للقدماء من

الاعتبار . وأخذ مجلس النواب في القرن السادس عشر يدير شؤونه بنفسه و يستمتع بماله من السلطة . هكذا نشأ مجلس نواب انكلترا الذي تكفل وحده بجعل الانكليز بمأمن من الدفاع عن حقوقهم من الاستبداد الملكي فالبارلمان هو من الاوضاع المبتكرة خاص بانكلترا احداجميع الامم المدنية أن يروا من الشرف احتذاء مثاله

الامة الانكليزية — امتزج السكسونيون والنورمانديون كل الامتزاج في القرن الخامس عشر فتألفت منهما الامة الانكليزية بعدان كانا شعبين متباينين وأصبحت لغتاهم لغة واحدة جديدة وهي اللغة الانكليزية التي أصلها اللغة السكسونية القديمة وهي لغة الشعب وتشبه لغة الاقاليم التي لايزال ألمان الشمال يتكلمون بها الى اليوم. اما اللغة الافرنسية لغة الشرفاء فانها لم تأت الا بألفاظ علمية ومصطلحات في الحقوق والسياسة والفلسفة (بيد أنها تهزعت في النطق بحيث لاتكاد تعرف) فامتزجت اللغتان حتى بات من المتعذر تركيب جملة انكليزية بدون الرجوع الى الكلمات السكسونية

وما كانت الامة الانكليزية في أواخر القرن الخامس عشر أمة رجال البحر والتجارة كما هي اليوم ومامن شيء كان يدل على ما يكون مصيرها فقد كانت المدن صغيرة حقيرة الأربع منها فقط يزيد سكانها على عشرة آلاف نسمة حتى ان صوف الغنم الانكليزي لم يكن ينسج في انكلترا بل يبيعه الانكليز من حاكة فلاندر على نحو ماتقدم أوستراليا اليوم صوفا للمعامل الانكليزية وما كان لهم بعد اسطول ولا ملاحون وهم عبارة عن فلاحين ومربي حيوانات ومع هذا فقد كان يلاحظ الناظر فيهم صفات تكون أمة عظمى ألا وهي النشاط وفكر الاستقلال و بطل القصائد الانكليزية روبين هود زعيم اللصوص عاش في الغابة يقتل حراسها ورجال الشحنة ومع هذا كان يجود على فقراء الاكارين وقد صادف ذات يوم على جسر « جان » الصغير الذي لم يرض أن يذل له فأخذا يقتتلان بالعصي حتي رنت عظامهما فسقط روبين في الماء وهكذا أصبحا أحبابا وأخذ الانكليز يحبون هذه المقاتلات التي يخرج منها المتقاتلان وقد كسرت ثناياهما وانثلت خاصرتاهما واليك المديح الوحيد الذي مدح به أمته أحد أشراف الانكليز السير جون فورتسكو : كثيرا ما شوهد في انكلترا ثلاثة أو أربعة من اللصوص ينقضون على سبعة أو ثمانية من أبناء الحشمة و يقتلونهم بأجمعهم

أماني فرنسا فلم يشاهد سوى سبعة أو ثمانية من اللصوص ليس لهم من الجرأة الاما يستطيعون معه ان يسرقوا ثلاثة أو أربعة من أهل العرض ولذا كان المصلوبون من الرجال في انكلترا خلال سنة بدعوى اللصوصية والقتل أكثر مما كان في فرنسا محكوم عليهم منهم بمثل هذه الجرائم مدة سبع سنين . ولذا احتاج هؤلاء الانكليز حاجة لاتغالب الى الاستقلال. قال هذا المؤلف بعينه: ان الملك لا يستطيع ان يحكم على هذه الشعوب بغير القوانين التي أقروا هم عليها ولذلك لا يستطيع ان يجبي منهم ضرائب بدون رضاهم. ثم قابل بين رفاهية الفلاح الانكليزي وشقاء الفلاح الفرنسوي فقال ان كل ساكن في هذه المملكة يتمتع بالثمرات التي تأتيه بها أرضه وماشيته يستعملها كما يشاء ومامن أحد يحول دونه ودون الاستمتاع بها اغتصابا ولا يطلب قط الى التقاضي الا امام القضاة العاديين وبحسب قانون البلاد ولذا أغتني أهل هذه الديار فملكوا الذهب والفضة وجميع الحاجيات فتراهم لا يشربون ماء بتة اللهم الا ان يكون ذلك على سبيل التوبة ويطعمون لحوما وأسماكا بكثرة وأقمشتهم من جيد الصوف فهم أغنياء باثاثات بيوتهم وبادوات الزراعة وفي كل مامن شأنه ان يجعل الحياة وديعة

مدن القرون الوسطى

الفتح الالماني — تخلت الشعوب الجرمانية بهجرتها الى الغرب لتدخل الى الامبراطورية الرومانية عن بلاد الشرق لشعوب من عنصر آخر وهم السلافيون (الصقالبة) حتى لقد غدت جميع البلاد الواقعة شرقي الالب ملكا لقبائل من السلافيين وقد صادف القديس بونيفاس حتى على شواطئ الفولدا أناسا من السلافيين هزؤا منه وسخروا وبقي ماوراء ذلك من مستنقعات شواطئ بحر البلطيق شعوبا قديمة (كالبروسيين والليتوانيين والفيلنديين) وهذه الشعوب وثنية محاربة ولكنها رديئة السلاح منقسمة الى قبائل لاقبل لها بالمقاومة فشرع الالمان في تنصيرهم واخضاعهم وأنشأ ملوك جرمانيا بلادا على التخوم وأطلقوا لقوامستها حرية الحكم كما يشاؤون ومن هذه البلاد نشأت الثلاث الامارات الالمانية الرئيسة وهي امارة براندبورغ شمالي مملكة بروسيا وامارة ميسني وسط مملكة الساكس والامارة الشرقية في جنوبي مملكة النمسا وأسسوا أيضا أسقفيات بعثت من قبلها بمرسلين

أخذ التنصر يجري ببطء (من القرن العاشر الى الرابع عشر) بطرق مختلفة فدان بالمسيحية أمراء الصقالبة في معظم البلاد على أيدي نسائهم اللاتي تنصرن وحطموا الاصنام وأكرهوا رعاياهم على قبول الدين المسيحي وكان من يتناول اللحم في الصوم الكبير من أهل بولونيا تقلع أسنانه عقابا له . وبقي السكان في تلك البلاد صقالبة . ونال زعيمهم الوطني لقب دون أو ملك (١) ويعترف بأنه من عمال الامبراطور ولم تكن معظم هذه الامم على شيء من التعصب ولما جاء برنارد الاسباني الى بومرانيا لينال الشهادة أخذ في تحطيم الاصنام المقدسة فاكتفى الوثنيون بضربه واذ قد ظل على الدعوة الدينية أركبوه على قارب في نهر الاودر قائلين اذا كنت كثير الرغبة فيما أنت آخذ نفسك بسبيله فاذهب لبث دعوتك بين الاسماك والطيور وعلى العكس تمرد بعض الشعوب في الشمال فان الاوبتريين ذبحوا ملكا يريد أن ينصرهم (١٠٦٦) و بعد ذلك قام الليفونيون وكان آباهم الفرسان الالمان وعمدوهم مكرهين يسرعون في أثر الجيش يلقون بأنفسهم في نهر الدونا ليغتسلوا من العماد وعلى أولئك القوم أعلن الالمان حربا أبادوهم فيها وقد فتح قوامسة الحدود بلاد الواند (التي سميت براند بورغ) وفتح فرسان الرهبنة التوتينية بلاد بروسيا وفرسان حملة السيوف ليفونيا وليستونيا فكانوا يحرقون القرى ويذبحون الرجال و يعودون بالنساء والاولاد وقد كثر بيع الاسرى السلافيين في بلاد ألمانيا كلها حتى أصبحت كلمة سلافي في الافرنسية والالمانية مرادفة لكلمة عبد و بقيت كذلك وقد باد الواندیون (ولم يبق منهم الا بقايا لجأوا الى مستنقعات سبرى وعاد البروسيون والليفونيون رعايا وهكذا فتح العنصر الالماني ثلاث ولايات جديدة براندبورغ و بروسيا وليفونيا .

الاستعمار الالماني — كانت السهول العظمى من نهري الاودر والفيستول منخفضة رطبة ومغشاة بغابات وسط البطائح فولاية براندبورغ (رملة ألمانيا) لم تكن غير صحراء كثيبة من الرمل ولا يزال الرمل الى اليوم عند ما يهب الريح يسد أبواب البيوت

(١) ملوك بوهيميا أو بولونيا قومس مورافيا دوقات سيلزيا ومكلمبورغ و بومرانيا وليتوانيا و مثل ذلك وقع للمجر وهم شعب بربري من أصل فنلندي فانهم تنصروا وأصبح زعيمهم ملكا على هنغاريا

وعند شيخ البلد في أرض فلامن مفاتيح عين البلد يوزع كل صباح على السكان ما يحتاجون اليه من الماء فاستدعى أمراء الالمان والسلافيون من ألمانيا فلاحين وأرباب صنائع(١) يأتون ان احبوا لزرع هـذه الرمال واستثمار الغابات وتأسيس مدن وأنشأ الالمان يهاجرون عن رضو خلال قرنين وأتت ألوف من الاسر الالمانيـة تتوطن في القفار الشاسعة من الشرق كما يذهب الناس في أيامنا لاستيطان صحارى أميركا الشاسعة . فكان الامير يبيع من أحـد الملتزمين قطعة من غابة أو طريدة من الارض تكفي لانشاء قرية فيجلب الملتزم فلاحين ويوزع عليهم الاراضي حصصا حافظا لنفسه مالا ويجبيه في أوقات معينة فيكون حاكمهم الوارث الا أن الفلاحين يبقون أحرارا لأنهم هم الذين أحيوا موات الارض ويحتفظون بعاداتهم الالمانية . واذا أريد تأسيس مدينـة يقيم لها الملتزم خنادق وحوائط في جهاتها الاربع ويؤسس فيها سوقا يحفظ لنفسه الحق أن يأخذ منها رسوما. جرت هذه الاعمال الكبرى على مهل تحت طي الخفاء ولقـد شغل مؤرخو تلك الايام بذكر حروب الامبراطرة فلم يفكروا في ان يلموا بالصورة التي جرت في تأسيس ألوف من القرى ومئات من المدن في براندبورغ و بومرانيا و بروسيا وسيلزيا و بوهميا . ونشأت في الجهة الاخرى من نهر الالب ألمانيا حديثة ألمانيا العاملين والجنود ألمانيا النمساويين والبروسيين الذين آل اليهم فيما بعد أمر جميع أمم ألمانيا القديمة

المدن الحرة — أسست المدن الرئيسة في ألمانيا حول قصر الملك (٢) أو حول بيت أسقف (٣) أو أمير فالملك أو الاسقف سيد المدينة والتجار مستأجروه لان أرض المدينة ملكه وأرباب الصناعات عبيده يعملون له ولرجاله وفرسانه وخدامه يحكمون على الصناع والسوقة . وكلما نما الشعب يتخلى السيد عن النظر في شؤون السكان حتى انتهت الحال أن لا يتناول سوى رسوم مقررة من الصناع أخلاف العبيد

---

(١) وجاء أيضا هولانديون أنشأوا سدودا وجففوا البطائح على طول الالب والاودر

(٢) مثل اكس لاشابل وفرنكفورت

(٣) مثل كولون وستراسبورغ ومايانس وهمبورغ وبريم وغيرها

فلم يعد فى المدن سوى رجال أحرار فالمدن التي زاد نجاحها في القرن الثاني عشر هى من أملاك الاساقفة جاء في المثل الالماني « ما أحلى عيش المرء في ظل العكاز فيجمع الاسقف خدامه وأهم التجار في مجلس ليحكموا مدينته » ولم يكن هذا المجلس سوى مجلس للاسقف. ولما قوى نفوذ المدن في القرن الثالث عشر وطردت أساقفتها أصبح ذاك المجلس مجلس المدينة وغدت له سلطة أمير فكان يقضي ويشهر الحرب ويخاطب الامبراطور مباشرة وتسمى المدينة المدنية الحرة (١) لأنها لم تخضع لسيد .

الصنائع — قسم الصناع الى طوائف صغيرة منذ كانوا عبيد الاسقف يعملون له ولرجاله وكل طائفة تؤلف من صناع يحترفون حرفة واحدة ويخضعون لاحد خدام الاسقف وتسمى مهنة (أى خدمة) وزعيمها وكيل الدير أو شيخ الحرفة وذلك مثل مهنة الحدادين ومهنة السروجيين ومهنة الخياطين وغيرها ومن هنا اشتق اسم صنعة (٢) بالمعنى الذى نطلقه عليها وأصبح أرباب الصناعات أحرارا بالتدريج فبدلا من أن يصنعوا لسادتهم وهم يعولونهم يعملون لحسابهم ويبيعون مايعملون في السوق وظلوا منظمين طوائف بحسب الحرف ويتألف من كل حرفة جماعة ولهم صندوقهم العام وعلمهم الذين يحملونه في الحفلات ويرفعونه اذا خرجت المدينة لقتال ولهم حاميهم المقدس (فللنجارين القديس يوسف وللسكافين القديس كرين) ورؤساؤهم من أهل الصناعة نفسها (ويسمون في فرنسا شيوخ الحرف) ولهم نظاماتهم وبحسب عادة القرون الوسطى كانت عادات لاحاجة لتدوينها .وفي فرنسا لم تدون عادة صناعات باريز الافي أواسط القرن الثالث عشر وهذا القانون يبين الشروط التي بها يقبل المرء في هذه الصناعة . فيبدأ الولد بأن يكون خريجا على معلم في الصنعة فيعلمه المعلم صناعته

---

(١) أصبحت مدن الاساقفة المدن الحرة وأهمها الست المدن على الرين كولون، مايانس، ستراسبورغ، سبير، ورمس، بال والمدن التي كانت ملك الامبراطور تسمى المدن الحرة الامبراطورية وكانت مستقلة أيضا مثل نورمبرغ وأولم وأوغسبورغ

(٢) أشبه تنظيم الصناعات في شمالى فرنسا تنظيمها في المدن الالمانية ولكنه أقل وطأة .

ويطعمه ويؤويه فالخريج يعمل لحسابه ويخضع له وللمعلم الحق أن يضربه وبعد بضع سنين يصبح الخريج رفيقا ولا يزال يعمل باسم معلمه وله أن يغادر معلمه ويذهب الى غيره فالرفقة هم أناس متنقلون وكثير منهم ينتقلون من مدينة الى أخرى يعرضون على أرباب الصناعات أن يشتغلوا معهم وبقيت هذه العادة فى فرنسا جارية في تنقل صاحب الصنعة في أطراف البلاد . ومن كانوا على شيء من الغنى يفتحون حوانيت ويصبحون معلمين ولهؤلاء فقط الحق في أن يعطوا آراءهم في مجلس أهل الصناعة وتبين القوانين كيف يجب العمل ويحظر على العامل أن يشتغل في غير دكانه وبذلك يتيسر للجمهور أن يراقبه . ويحظر عليه أن يعمل على نور المصباح لئلا يعمل عملا رديئا ويمنع من استعمال مواد أخرى أو عمل اشياء تخالف القدر الذى أمر به القانون فالصياغ مثلا لا يطلون الذهب بالفضة وصناع التماثيل لا يستعملون الا اجناسا مخصوصة من الخشب واذا كان ثوب الجوخ اكبر أو اقل عرضا من القياس المقرر يصادر ويغرم صانعه ويحتفظ اهل الصنعة بشرفهم وشرفهم ان لا يبيعوا الا بضائع حسنة السرد والتقدير ولذا كان يراقب بعضهم بعضا أشد المراقبة ثم انهم يعضدون بعضهم بعضا امام الغرباء وامام سائر ارباب الحرف وليس لاحد فى المدينة الحق ان يصنع سلعة او يبيعها الا معلمو الصناعة فيغرم كل رجل يفتح دكان خياط قبل ان يقبل في صناعة الخياطين وتغلق دكانه تحق عمل شيء من الصناعة ويعبا ملك خاص لاهل تلك الصناعة فالخياطون يمنعون باعة الخلق (الاسمال) من بيع ثياب جديدة لان لهم وحدهم الحق فى ذلك وما عمل باعة الخلق الا ان يبيعوا ألبسة عتيقة وصانعو اللحم يتقاضون على السروجيين ليمنعوهم من عمل اللحم وذلك لان صناعات القرون الوسطى كانت تحاذر من المنافسة كثيرا .

وأهم ارباب الحرف هم الخبازون والقصابون والحاكة والصباغون والبناؤون والدباغون وصانعو الاسلحة والنجارون وعدد الصناعات متوقف على مكانة المدينة وليس فى كثير من المدن الالمانية سوى ١٨ او ٢٠ صناعة وكان فى باريز زهاء مئة حرفة وذلك لان عدة صناعات مختلفة يمكن جمعها فى صناعة واحدة أو انه يتيسر تجزئة الصناعة الواحدة الى عدة حرف (فى باريز مثلا ثلاث حرف لصنع السبحات)

الخزانة الزكية

أو مجموعة كتب احمد زكى باشا المصرى

ليس في بلاد الاسلام بلدة كمصر ضاهتها بنهضتها وضارعتها برجالها ، ولا أرض كتب لها ان اقتبست من مدنية الغرب القدر الكافي الذى قام منذ نحو قرن بفضل عصابة فاضلة تشبعت بالحضارة الحديثة والحضارة القديمة فاتت من جلائل الاعمال ما أعجب به البعيد والقريب

واسم أحمد زكى باشا أمين سر الوزارة المصرية اليوم (سكرتير مجلس النظار) وأحد نوابغ مصر في هذا العصر يجب أن يثبت في القائمة الاولى من أسماء أولئك العاملين الاخيار .

ربما يقول بعض الحاسدين (وهل خلا يوما ذو نعمة من حاسد جاحد) ـ : « ان عين الحب رمداء ، فأنت ياهذا تنوه بأصدقائك كثيرا في حين ينزلهم المنصفون منازلهم، ويزنونهم بمعيار نراك لاتحسن استعماله. فلا تستهويهم المحبة في نقد رجالهم وتقدير أعمالهم . » وجوابنا لمن يقول هذا و يدعي ان زكي باشا يعرف فقط كيف يظهر لقومه مسائل يحسنها: أن من حفظ حجة على من يحفظ ، ونحن قد نظرنا في أكثر أعماله العلمية منذ زهاء اثني عشرة سنة وأطلنا التأمل في كتبه تأليفا كانت أو ترجمة وفي مقالاته ومحاضراته (١) وحكمنا العقل ونبذنا الهوى ثم انقلبنا ونحن على مثل اليقين

---

(١) اليك بعض مانعرفه من كتبه وآثاره المطبوعة :

الاربعة عشر يوماً سعيداً فى أيام عبد الرحمن الناصر (ترجمة عن الافرنسية)

موسوعات العلوم العربية وبحث على رسائل اخوان الصفا (بالعربى)

تقويم العرب قبل الاسلام (ترجمة عن الافرنسية)

الرق فى الاسلام (بالعربية والتركية)

الدنيا فى باريس (رحلة الى معرض سنة ١٩٠٠)

السفر الى المؤتمر (رحلة فى ارجاء أوربا سنة ١٨٩٢)

المعارف العمومية بالديار المصرية (عن اللغة الفرنسية)

بحث عن اختراع البارود والمدافع وما قاله العرب فى ذلك (بالفرنسية)

بأن أمثاله قلائل في مصر والشرق، وانه عامل أمين في خدمة أمته، ولغته جدير أن يقرن في العلم والعمل مع نظرائه من أساتذة الغرب .

أمثال صديقنا هذا هم ولا جرم صفوة أجيال أتت على مصر وهي تنهض حتى وصلت بفضل حكومتها — لا التي تناهض أبناءها الراشدين بل تأخذ بأيديهم — الى هذه الدرجة من الرقي ويمتاز على كثير من الخاصة بعضائه ونشاطه . عرفه بذلك قومه وهو يافع فشاب، وهو اليوم كذلك في سن الكهولة . وقد وصل بجده وعصاميته الى المناصب العالية، فلم تشغله الزخارف والبهارج عن السير بما أخذ النفس به من التعلم والتعليم منذ وعى ورشد . وأكبر دليل تقدمه على اثبات دعوانا هذه خزانة كتبه التي جمعت فأوعت من نفائس القدماء والمحدثين والشرقيين والغربيين ولا عجب فاختيار المرء شاهد عقله

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره

بدأ زكي باشا بجرثومة مكتبته وهو تلميذ بمدرسة الحقوق الخديوية سنة ١٨٨٣ فكانت النقود التي يعطيه اياها أخوه محمود بك رشاد رئيس المحكمة الابتدائية

نقد المهدة النبوية (الموجودة صورتها فى دير الطور) (بالفرنسية)
بيان الوسائل الموصلة الى احياء الآداب العربية بديار مصر (بالفرنسية)
بحث على طريقة احياء الفنون والصنائع الاسلامية بديار مصر (بالفرنسية)
تقرير عن الكتب التى خلفها العرب بالاندلس (بالفرنسية والعربية)
بحث على الترجمة العربية لكتاب الفيلسوف يسطرس الذى حاول تجديد الوثنية وعبادة الاصنام (بالفرنسية)
بحث على الفيوم و بلاده فى أيام الايوبيين (باللغة الفرنسية)
كلمة على محمد على الكبير بمناسبة عيده المئوى (فرنسوى وعربى)
سيرة فخرى باشا (بالعربى والافرنسى والانكليزى)
سيرة رياض باشا (مقالتان مع احداهما ترجمتها بالفرنسية)
تسامح المسلمين مع أهل الاديان الاخري (نشرها المقتبس)
الترقيم وعلاماته فى اللغة العربية (بالعربى)
غرام العرب بالكتب (نشرها المقتبس)
قاموس الجغرافية القديمة (بالعربى والفرنسوى)
بحث على علاقات المصريين مع الاندلسيين « على ادبى تاريخى » (باللغة الفرنسية)

الاهلية بالقاهرة سابقا يشترى بها كتبا افرنجية مما يستطيع التلميذ أن يقتصده من نفقته أما الكتب الثمينة فكان أخوه يشتريها بماله فيضم اليها الكتب التى كان أخذها من المدارس جوائز ومن الاساتذة الفاحصين على سبيل التشجيع ومن ذلك تولد فيه الغرام بالكتب كما قال لنا عن نفسه

فمكتبته والحالة هذه جمعت انتخابا واختبارا. وما برح يضم اليها من الكتب العربية والافرنجية التي يمكن أن تفيد الانسان في مباحث عمومية ترجع الى ارتقاء الشرق ولما قرأ التواريخ وتخيل المجد الكبير الذى أثله العرب في مدنيتهم من غير أن يقف على تفاصيل ذلك حدثته نفسه بأن يجعل خزانة كتبه مرجعا لمن يريد ارجاع المجد الى الشرق. ولذلك كان يقتني كل كتاب يصل اليه أو يقع تحت طاقته حتى تكون منها مجموعة ابتدائية فكانت أكبر مساعد للاستمرار على تكثيرها.

ولما دخل صاحب هذه الخزانة في خدمة الحكومة أخذ يخصص نصف راتبه

السفر من الارض الى القمر (رواية لجول فرن نشرتها الجريدة)
قبيل الاعدام (رواية لفكتورهوجو نشرتها الجريدة)
تحقيق جغرافى تاريخى عن أهل الكهف (باللغة الفرنسية)
دروس فى الحضارة الاسلامية
خطبة افتتاح الجامعة المصرية
(فى الاسباب التى ارتقى بها الاسلام) (باللغتين العربية والفرنسية)
تاريخ المشرق (فى الازمان القديمة) ترجمة عن الفرنسية
بحث على سراديب الخلفاء الفاطميين بالقاهرة (باللغة الفرنسية)
الطيران فى الاسلام (باللغة الفرنسية وترجمة الى التركية)
محاضرة ارتجالية على التجارة فى الاسلام (نشرها المقتبس)
محاضرة على الشام والحرية (نشرها المقتبس)
بحث على مؤاساة العميان فى دول الاسلام (باللغة الفرنسية)
مصر والجغرافيا (عن الفرنسية)
العرب وأميركا (محاضرة طويلة)
بقايا العرب الخالدة فى أوربة أوربا (والدلائل اللغوية المؤيدة لذلك)
وغير ذلك محاضرات ورسائل ومقالات وخطب كثيرة فى العلم والادب والصنائع والفنون.

الشهري لمشترى الكتب والنصف الثاني لسائر حاجياته وكثيراً ما كان يزيد نصف المخصص لابتياع الكتب على نصف الضروريات وما برحت أكبر ديونه الى هذا العهد للوراقين والطباعين وبائعي الكتب الجديدة والعتيقة في أوروبا ومصر. ولما سافر الى أوروبا أول مرة سنة ١٨٩٢ رجع ومعه غنيمة كبرى من الكتب وكلها افرنجية مما يلزم الشرق وبعد ذلك اتسعت أمانيه وأصبح همه ان يكون لخزانته مزية حتى غدت الآن تستحق ان تكون مرآة يرى فيها الطالب معارف الشرق وعلومه سواء كانت من نفثات الشرقيين العرب مسلمين أو غير مسلمين اومن قرائح الافرنج. وأكثر كتب الافرنج عنده بالافرنسية ومنها ما كتب باللاتينية والالمانية والانكليزية والايطالية. وهو يحسن الافرنسية احسانه للعربية وله المام بالايطالية والانكليزية والاسبانية يستعين به في معرفة ما قد يحتاج اليه اثناء مباحثه. ولطالما سمع الخطبة العلمية في الجمعية الجغرافية الخديوية التي هو وكيلها باللغة الفرنسية فنقلها ارتجالا الى العربية وبالعكس من العربية الى الافرنسية ولطالما فعل ذلك في مؤتمرات المستشرقين في أوروبا وهو ينوب عن الحكومة المصرية فيها. وهذا من جملة الاسباب التي كثرت بها صلاته مع علماء المشرقيات في الغرب حتى لا يكاد امام من أئمتهم الا ذاكره في الموضوع الذي يغلب عليه واستفادمنه .

وما زال صاحب هذه الخزانة يسعى وراء غايته كلما ذهب الى أوربا في مهمة علمية فيعود بنفائس الكتب وغرائبها مما يرجع كله الى اظهار حضارة العرب وفضلهم حتى اجتمعت لديه الآن معظم الكتب العربية التي طبعها علماء الافرنج المستشرقين منذ القرن الخامس عشر للميلاد الى يوم الناس هذا. وحصل أيضا على مجموعة نادرة تحوى معظم التراجم أو المباحث التي خاض غمارها علماء الفرنجة ولا سيما ما يتعلق منها بالعرب والاسلام وقد زار سورية زيارة علمية عقيب انتشار الدستور العثماني وكان لابناء دمشق حظ وافر من الاخذ من معارفه وانتفع ناشئتها بحديثه وخطبته الرنانة وأعجب الخاصة من القوم ببيانه وتحقيقه العلمي وودوا لو زار سورية كل سنة واحد من أمثاله فتوخى افادتها وتعليمها .

ذهب الى الاستانة مرات فوجد المجال فسيحا فيما هو بصدده من احياء آثار

العرب ووقع على كنوز في مكاتبها قلما وفق للاطلاع عليها أحد اقبله . و بمعاونة حسين حلمي باشا الصدر الاسبق تيسرت له المطالب وفتحت له الابواب بعد الحرية العثمانية واشتغل كما يشاء. وللماعلم الجناب الخديوى بالامر عاونه على ما أخذ النفس به ولا عجب فالحكومات الرشيدة تعرف ان لا رونق لبلادها بدون علم . والعلم في الشرق لم تقم له سوق نافقة الا في ظل الملوك العاقلين فان تنشيطه من خصائص الجميات والامراء المفضلين . على نحو ما كان في العرب ولا يزال الى عهد قريب . فرأى صديقنا (وذلك مذهبه منذ القديم) ان الناسخ ماسخ لا يعول عليه في نقل الكتب النادرة فاستحسن النقل بالفوتوغراف ليكون لديه الاصل برمته. واستحضر من سفرته هذه زهاء مئة كتاب بالتصوير الشمسي وكلها نفائس كان يظن أنها مفقودة. فلما رأت الحكومة المصرية هذه الهمة الفائقة و بحثت في هذا العمل المجيد كان أول مظاهر له الجناب الخديوى ورئيس الوزارة الحالي محمد باشا سعيد وناظر معارف مصر أحمد حشمت باشا فاحبوا ان يكون الشرف كله لمصر لا لمصرى واحد، خصوصا ومصر اليوم هي المكلفة باحياء مجد العرب ووارثة تراثهم المأمونة عليه .

فرأى امام هذه العناية العالية ان يقدم هدية لامته وأهل بلده فاوقف مكتبته كلها ولا يقل ثمنها عن اثني عشر ألف جنيه بمكاتبها وخزائنها وقماطرها وكراسيها وكل مايتعلق بها. فأكبر الجناب الخديوى هذه الخدمة فاصدر أمره بتخصيص قسم مستقل من دار الكتب الخديوية منعزلا عنها وخاصا باحمد زكي باشا يشتغل فيه طول حياته لنفع أمته و بلاده . والذى حدا الواقف على هذا العمل منذ الآن انه خشي أن يأتيه القدر المحتوم فجأة فتبدد كتبه أيدى سبا. خصوصا وقد رأى العبرة بعينه في كتب على باشا مبارك والامير محمد ابراهيم والشيخ رضوان العفش وحسين باشا حسني وغيرها من المكاتب المصرية الخاصة التي اشترى بعض نفائسها وضمها الى خزانته. فأوقف مايملك منذ اليوم وأخرجه من داره قال : أخرجت المكتبة من ملكي حتى اذا جاءني أمر ربي ذهبت وليس في النفس حاجة. لان ثمرة عمرى وهي الكتب موضوعة في كلاءة الامة والحكومة فلا يعبث بها وارث ولا شبه وارث خصوصا واني أعتقد ان من يوقف شيئا على الخير و يؤجل نفاذه الى ما بعد موته لا يكون له الحق في طلب الثواب عند الله لانه تبرع

مما آل الى ورثته. واني لاحب تجديد العمل بالسنة الشريفة . فقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله أى الصدقة أفضل قال : أن تتصدق وأنت صحيح حريص تأمل الغنى وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان (رواه البخارى في صحيحه)

لم يقف الواقف عند هذا الحد بل انه مابرح في كل يوم وفي كل شهر يشترى كتبا من أوربا و يستحضر الاسفار الثمينة بالفتوغرافيا من الاستانة و يضم هذا وذاك الى مجموعته النفيسة ليكتفي الباحث بمافيها عن غيرها . ومن مميزات مكتبته أنها تضم أمهات الكتب في كل فن وعلم ومطلب لان جامعها أراد أن يغتني بها عن الرجوع الى دار الكتب الخديوية . وفيها كتب كثيرة من المطبوعات في مصر والهند والعراق والشام وغيرها مما لايكاد يوجد فى دار الكتب الخديوية . دع الكتب الكثيرة المحفوظة التي حوتها وقلت نظائرها في دار الكتب الكبرى هذا مع حفظ النسبة والاعتراف الصحيح الصريح بأن دار الكتب الخديوية بالنسبة لهذه الخزانة أوسع مادة وأغزر قيمة ولكن خزائن الافراد قد يكون فيها من النوادر والوفاء بالحاجة مالا يسقط على مثله في الخزائن العامة . وكيف يكون وجه للمفاخرة بين مجموعة جمعها رجل فرد بوسائله الذاتية وهو لم يرث عن أهله قرشا واحدا و بين دار كتب هي مجمع مابقى مماخلفه السلاطين والملوك والامراء وأهل الثروة والكبراء من أعيان المصريين. قال صديقنا في عظمة دار الكتب الخديوية: وناهيك بمكتبة نفحها اسماعيل بنفحاته ، وتولاها توفيق بعناياته، ثم شملها عباس برعاياته، ولا يمكن التنصيص على تعيين ماعنده من النفائس ولطالما شهد عال دار الكتب الخديوية أنفسهم على مافيها من الذخائر والاعلاق ويكفي انك مهما درت فى ديار مصر وقلبتها من أدناها الى أقصاها من دور الحكومة الرسمية ومن معاهد العلم العمومية حتى ولو ذهبت الى الدفترخانة المصرية لاتجد فيها أثرا لجريدة الوقائع المصرية التي كانت تصدر في أوائل عهدها أيام محمد علي. ولكنك اذا أتيت الخزانة الزكية تجد قسما عظيما منها وتقرأ فيها المعجب المطرب مما يدل على حالة البلاد في تلك الايام وانت لو التمسته بالمنكاش في تضاعيف الكتب او بمساءلة الشيوخ لاتصل اليه بتة هذا مثال واحد من امثلة كثيرة .

وتمتاز هذه الخزانة بأنها تجمع الكتاب النفيس بما تقلب عليه من الادوار والاطوار فتجد منه مخطوطا بخط اليد أولا ومطبوعا ببولاق ثم نسخا مطبوعة منه في الشرق والغرب ان لم تجد ترجمته الى اللغة الفرنسية فى الغالب أو في الانكليزية أو الاسبانية أو اللاتينية أو الايطالية أو الالمانية. ثم المباحث التي كتبها جهابذة العلماء على الكتاب او على المؤلف. بحيث ان الباحث يتيسر له والحالة هذه أن يستوفي موضوعه بأسهل شيء وان يكمله بحسب حاجته ومقدار همته.

من الكتب النادرة المخطوطة عنده أربعة أجزاء لابن عساكر وأربعة اجزاء من مرآة الزمان لابن الجوزى ونسخة كاملة من تاريخ ابن خلدون عليها خط الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر ونسخة من الجزء الرابع من تاريخ الجبرتي و يظن انه يحتوى على فصول كثيرة اضطروا الى حذفها من النسخة التي طبعت فى بولاق لان فيها مافيها مما يختص بمحمد علي ولكنه لم يحقق ذلك بطريقة يقينية غير ان ضخامة الجزء تجعل الظن أقرب الي اليقين خصوصا والصفحة من المخطوط تعادل ثلاث صفحات من المطبوع علي الاقل فتزيد بأقل تقدير ١٥٣ صفحة من المخطوط واذا أضيف اليها ٤٠ صفحة من المخطوط ايضا فيكون مجموع المطبوع فى النهاية العظمى ومع التسامح الزائد معادلا لالف صفحة من المخطوط وربما كان مايبقى بعد ذلك من المخطوط هو عبارة عن مجموع الفصول والجمل والعبارات التي استصوبوا حذفها من الاصل لبعض الاعتبارات وذلك يعادل خمسين صفحة من نسخة بولاق المطبوعة سنة ١٢٩٧ هـ ومن الغريب ان صاحب النسخة المطبوعة نص على ان طبعته « بلا زيادة ولا تحسين ولا اجادة » ولكنه لم يفصل هذا المجمل ولم يقل لنا انه لم ينقص منها شيأ.

وفيها مجموعة الكتب التى صدرت في بولاق وفى مطبعة اركان حرب الجهادية المصرية وفى مطبعة مدرسة الطب المصرية. ومما يجب الفات النظر اليه بهذه المناسبة ان محيي مصر محمد على كان يأمر بأن يذكر في كل كتاب طبع علي عهده بأنه هو الثاني أو الثالث أو الرابع من نوعه. يعرف ذلك من النظر فى كتب زكي باشا. فعنده قاموس للغة العربية. والطليانية مطبوع في زمن محمد على وهو ثانى كتاب ظهر في مطبعة بولاق الاميرية أما الكتاب الاول الذى طبع في بولاق فلا نعلمه وليس لهذا الكتاب أثر في الخزائن

الاخرى ذلك عدا الكتب المطبوعة في ديار الشام والجزيرة (الموصل) وتونس والجزائر ومراكش وجزيرة مالطة وغيرها .

ومن مميزاتها ان فيها مجموعة من المجلة الآسياوية الباريزية منذ أول عدد صدر منها سنة ١٨٢٢ الى الآن، ونسخة من لسان العرب على ورق كتان . وفيها أكبر مجموعة في الشرق لما كتب عن اللغة العربية مما هو من أبحاث علماء الشرق وعلماء الافرنج بحيث ان الحكومة المصرية تجد فيها كل مايلزمها « في وضع معجم جامع للشوارد والاوابد والضوابط والروابط ولمصطلحات أصحاب العلوم والصنائع والفنون على ضروبها وفروعها حتى تكون تلك الدواوين رجعا يعود اليه كل عربي في كل موضوع ومصطلح » (١) يوم تصح عزيمتها على ابراز هـذا الاثر النفيس الخالد .

ومن الكتب النفيسة كتاب في الفتوة في الاسلام وفيه ابواب في مكارم الاخلاق بحسب الطريقة الاسلامية و ينتهي بفصل طويل في مجالس الفتوة ونظامها الداخلي وهو أشبه شيء بنظام الماسون واصطلاحاتهم ورموزهم وأعمالهم وقبول الاجانب في زمرتهم . وهو فصل مهم ولا يوجد هذا الكتاب في مجموعة أخرى فيما نعلم . ومنها كتاب تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد الذى تكلمنا عليه منذ بضع سنين فى مجلة المقتطف وهي النسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب .

ومن مميزاتها كتب الطب المطبوعة في أوربا بالعربية والافرنجية، ومنها مايتعلق بالفلسفة والعلوم كالكيمياء والطبيعة والفلك والميكانيكا والآلات الروحانية (المفرغة من الهواء) وكتب ابن سينا ومنها القانون وجزء من الشفاء مطبوع في مدينة رومية سنة ١٥٩٣ بعد اختراع الطبع بمدة قليلة و يتلوه كتاب النجاة في المنطق .

ومن مخطوطات هذه الخزانة قطعة من تاريخ الدولة الاموية من أول خلافة الوليد ابن عبد الملك الى انقراض الدولة العباسية وهي على رأى صاحب الخزانة أوفى تاريخ معروف لهاتين الدولتين و يظهر ان المؤلف كتب كتابه في مصر عقب انقراض الدولة العباسية مباشرة لانه يشير الى شيخه وأستاذه ابن الأنجب الساعي . ومنها تاريخ محمد علي باشا مؤسس الاسرة الخديوية للشيخ خليل بن احمد الرجبي بعثه علي وضعه الشيخ محمد

---

(١) انظر المقالة التي كتبها المحقق ساتسنا على هذه الامنية فى صفحة ٥٩٤ من المقتبس السابع

العروسي يحتوى على حالة مصر قبل الفرنسيس وحالة أمرائها وأخلاق محمد علي وعلى اخراجه من كان بمصر من المفسدين من المماليك وغيرهم وعلى تعميره لارض مصر واحياء قطرها بالزرع وعلى بعض آثاره من الابنية والعمارات وعلى ذكر احياء دولة الكتبة المسلمين وعلى ما أنشأه من السفن وعلى ذكر العساكر الجهادية ووجوب اتخاذهم بالادلة الشرعية والسؤال عن القوانين الموسومة للعساكر الجهادية هل هي مطابقة بعد للشرع الشريف أم لا

ومن مخطوطاتها الدر الثمين في تاريخ اليمن في أيام الامام محمد بن عايط ، وكتاب روح الروح فيما حدث بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح في اليمن . وفي الخزانة كتب منقولة بالفتوغرافيا وهي من الامهات أو النوادر ولا بأس بأن نشير الى بعض ماحوته خزانتنا الزكية من الكتب المأخوذة بالتصوير الشمسي فمنها تاريخ السودان في أيام محمد علي وكتاب المجاراة والمجازاة للصفدي ونسختان من الهدايا والتحف للخالديين ومختصر ذخيرة ابن بسام للاسعد بن مماتي والتذكار الجامع لمن ملك طرابلس ومن كان بها من الاخيار وهو التاريخ الوحيد فيما نعلم الذى ألف في هذه المملكة على انفراد . والامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدى (في ثلاثة اجزاء) والبصائر الذخائر له أيضا (في خمسة أجزاء) ومقدمة ابن خلدون وعليها تصحيح المؤلف وخطه . والشعور بالعور وهو قاموس لاعلام المشاهير الذين أصيبوا بفقد احدى أعينهم ، وصبح الاعشى نسخة كاملة سبع مجلدات فرغ المؤلف منها سنة ٨١٤ وهذه النسخة مكتوبة سنة ٨١٧ وهي أجود من النسخة المبتورة الموجودة في دار الكتب الخديوية ورايات المبرزين واعلام المميزين لابن سعيد الاندلسي .

ومن المخطوطات رحلة الشيخ محمد بشير البرتلي من بلاد توات الى الحرمين وصف فيها الصحارى والبلاد في القرن الثاني عشر للهجرة وقطعة منقولة بالفتوغرافيا من كشف البيان عن وصف الحيوان ، وهو موسوعات ألفها فتح الله السكندرى الذى كان في أيام السلطان الاشرف برسباى وهي عبارة عن ستين جزءا موجودة بخط المؤلف فى المكتبة السليمانية وفي مكتبة طوبقبو بالاستانة . وفي هذه القطعة معلومات وافية غريبة عن المؤلف والمهم ذكر قائمة الكتب التي نقل عنها وهى تربو على الثلاثة

آلاف كتاب . من المخطوطات من عيون التواريخ لابن شاكر جزآن (ومنه عدة أجزاء في المكتبة الظاهرية بدمشق وكتاب ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه وارجوزة الصفدى في جميع الذين حكموا دمشق الشام الى عصره ورسالة اخرى في ذات الموضوع على ترتيب حروف الهجاء وفي المكتبة الاحمدية في حلب) ومن المنقول بالفتوغرافيا سير اعلام النبلاء للذهبي أصله في أربعة عشر جزءاً ضخمة وكان موجودا في القاهرة وفيها فقد الجزء الاول والثاني ثم انتقلت النسخة كما قال زكي باشا في جملة ماانتقل من كتب مصر الى القسطنطينية وهناك ضاع الجزء الاخير فبقي من الكتاب ثلاثة عشر جزءاً . ومن المخطوطات كتاب الجنى الداني في حروف المعاني لبدر الدين ابن أم القاسم ومنها التحفة الوردية للعلامة عبد القادر البغدادى وهو كتاب مفيد جدا بالادب وحسبنا في التعريف به نسبته لمؤلفه . وألطف ما فيه ما كتبه المؤلف بخطه فى آخره :

« قابلها مؤلفها وصحح ماتيسر منها فان كاتبها لايكاد يكتب كلمة صحيحة لابارك الله فيه فانه أتعبني فى تصحيحها من غير نسخة فان الاصل كان عنده ليكتب منه وما تيسر بعد تمام الكتابة مقابلة ما كتبه بالاصل فان مستكتب هذه النسخة كان مسافرا نفع الله بها من كتبت لاجله وهو الوزير الجليل والصدر النبيل عبده باشا الشهير بنشانجى باشا لطف الله به في الدارين آمين. قاله بفمه وكتبه بقلمه الفقير الى الله تعالى محبه عبد القادر البغدادى لطف الله به وبأسلافه وبجميع المسلمين . وتم ذلك في الليلة الرابعة عشرة من شهر رمضان من شهور سنة ١٠٨٧ .وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على عبده وخليله محمد وآله وصحبه وسلم الى يوم الدين . »

وهذه العبارة تؤيد مذهب زكي باشا من ان الناسخ ماسخ .

ومن أهم المخطوطات في هذه المكتبة مجموعة كاملة للمؤلفات العربية الخاصة بالكتابات السرية المعروفة الان بالشفرة وكيفيتها عند العرب واستخراجها . قال صاحب هذه الخزانة وكانت العرب تسمى هذا الفن بفن الترجمة وحل التراجم وحل المترجم والذى يشتغل بذلك المترجم (بكسر الجيم) ولذلك ترى المؤلفين الاقدمين مثل ابن النديم وغيره عند مايتكلمون على الكتب المنقولة عن اليونانية والفارسية يستعملون

في الغالب لفظة النقل ولا يستعملون لفظة المترجم ولا الترجمة الانادرا . ولما كان هذا العلم خفيا خاصا بأسرار الحكومات الاسلامية فكان مضنونا به ولا يصل الجمهور اليه فلذلك جهل كثير من الناس معنى هذه الكلمة حتى ان كتب اللغة لاتشير اليها بل ان شراح المقامات (عند ماأشار الحريري اليها في احدى مقاماته) جهلوها ولم يفسروها وتحلوا فيها بل ان صاحب لسان العرب نفسه لم يذكرها كان عارفا تمام المعرفة بهذا الفن وكان هذا الفن مستعملا في الدول الاسلامية من أيام المأمون الى الحروب الصليبية فأخذه الافرنج عن المسلمين الذين أخذوا مبادئه عن اليونانيين ثم رده الافرنج الينا . ولجهلنا بمعارف أهلنا اخترناه باسمه الجديد عند الافرنج وهو الشفرة التى نقلها الافرنج عن كلمة صفر العربية واستعملوها بمعنى الارقام لأنهم استخدموا الارقام بدلا من الحروف في الكتابات السرية ثم اننا جعلنا بدل الشفر لفظة الجفر لتقارب المخرجين خصوصا وان الجفر كان يستعمل فى الالغاز بالحوادث المستقبلة فصار من هناك شبه علاقة جعلت العامة تعتقد ان الجفرة المستعملة الان هي مأخوذة من لفظة جفر المستعملة في كتابة الملاحم . والصواب غير ذلك .

و يضيق بنا المجال اذا أردنا الافاضة أكثر من ذلك في وصف هذه الخزانة. ومما فيها كثير من المصورات (الخرائط) المعمولة في أيام العباسيين و بعدهم وخريطة افرنجية صنع العلامة فلامار يون الفلكي عن السماء وما فيها من الكواكب عليها أسماء الكواكب بالعربي والفرنساوى وضعها زكي باشا . ومنها مجموعة الفرمانات الصادرة باللغة التركية بخصوص الحكومة المصرية من أول محمدعلى الى آخر اسمعيل. ومجموعة أخرى من المصورات لبلاد الاناضول المشهورة مرسومة مدنها بالالوان ترينها ظاهرة مجسمة لواحد من أرباب الفنون المسلمين . وفيها صورة جميلة للسلطان صلاح الدين الايوبي

ومن مزايا هذه المكتبة ان صاحبها مثل صديقنا احمد بك تيمور يعرف مافي خزانته، ليس جماعة للكتب فقط. وعلى بعضها شروح وحواش وورق ومفكرات. وتجد فيها الكتب المطبوعة النفيسة أكثر من المخطوطة والعربية أكثر من الافرنجية والخزانة التيمورية أغنى بمخطوطاتها وأحسن بتنسيقها كما ان الخزانة الزكية أغنى

بمطبوعاتها النادرة . ولكل منها مزية تختلف باختلاف محيط صاحبها وأسبابه ومعارفه.
ومن غريب الاتفاق اننا كنا هذه المرة أيضا مع أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري يوم زيارة المكتبة الزكية زيارة طويلة لنستملي من صاحبها البحاثة بعض مالقفناه عنه آنفا. على اننا نعرف خزانته منذ ثماني سنين وكان حفظه الله رخص لنا بالاختلاف اليها يوم كانت في داره بعابدين أي وقت أحببنا ، كما فعل الان، وأن نأخذ منها مانشاء ونرجعه متى نشاء ، وقد فعل هذه المرة كذلك ولم يخص بهذه النعمة الادبية الا افرادا معدودين من أصحابه . وانا لنرجو في الختام أن تطول أيام أحمد زكي باشا لينفع مصر وكل قطر بعلمه و بعلم هذ الشرق الغربي بهمته ويزيد في نهوضنا العلمي والادبي بمشاركته الغربيين ومنافستهم في احياء آثار سلفنا

﴿ الامة الانتقادية ﴾

« بقية ما في الجزء الماضي »

أشرعت بابا الى الطريق وشرعت لكم في الدين شريعة. أشب الله قرنه والرجل شب ولده وشب الغلام يشب شبابا والنار والحرب شبوبا وشبا . اشتهرنا في المكان أقمنا فيه شهرا وشهر سيفه وأمره شهرا وشهرة. أشكيته ألجأته الى أن يشكو واذا نزعت عن شكايته وشكوته شكايه. أشجاه أغصه وسجاه حزنه . أشكل علي الامر وشكلت الكتاب والظاهر فيهما شكولا. أسررت الشي‌ء أظهرته ، وسررت الملح والاقط نشرته ليجف ، أشاف على كذا وأشفي أشرف ، وشفت كذا أشوفه جلوته ، أشخص الرامي جاز سهم الغرض، و بفلان اغتابه وشخص لسفره شخوصا و ببصره فتح عينه . اشمر رافعا رأسه وشممت الشي‌ء شما وشميما ، أشاد بذكره رفعه و بالشي‌ء عرفه، وشاده بشيده شيدا أي جصصه بالشيد وهو الجص، أشعب الرجل مات أو فارق فراقا لا يرجع وشعب كذا الأمر بينه وفرق بينه ومنه سمي المنون شعوبا ، أصحت السماء وصحا السكران يصحو صحوا أصعد في الارض وصعد في الجبل قال أبو زيد ولم يعرفوا صعد

أصاف الرجل ولد له بعد ما أسن، وصاف السهم عن الهدف عدل . أضاع الرجل كثر ضياعه وضاع الشيء يضيع ضيعة وضياعا وضاعه كذا يضوعه حركه ومنه تضوع الطيب تحركت ريحه ، أضرب عن الامر وفى بيته أقام وضرب في الارض خرج فيها باغيا للرزق، أضجوا صاحوا وجلبوا وضجوا جزعوا، أطل عليه أشرف، وطل دمه أبطله أطرق الرجل سكت فلم يتكلم ، وأطرق الابل تبع بعضها بعضا وطرق طروقا أتى ليلا . أطلي الرجل مالت عنقه ، وطليت الابل من الجرب ،وهو يطليه أي يمرضه، أطاع له المرتع أي اتسع وأمره اطاعة لاغير، وطاع له انقاد ،أطلع النخل خرج طلعه وأطلعت من فوق الجبل واطلعت ، أطاف به ألم ، وطاف حوله يطوف طوفا وطاف طوفا ، واطاف يطاف أطيافا اذا ذهب الى الغائط وطاف الخيال يطيف طيفا ، أعجمت الكتاب وعجمت النوى عضضته ، أعرضت عن الشيء وعرضت العود على الاناء والسيف على الاناء والسيف على فخذيه والجند وقيل قد فاته العرض كقولك القبض والنقض والخبط والرفض لما يقبض ويرفض وينقض ، أعنته من العون وعنته أصبته بعين فهو معيون أعرته كذا وعرته صيرته أعور، أعلق الحابل وقع في حبالته الصيد ، أعيت فى المشي وعيت في المنطق فانا عيي وعي . أغلقت الباب ولا تقل مغلوق وأغفيت ولا تقل غفيت أغث الحديث فسد ، وغثت الشاة هزلت . أغل الجازر ترك في الاهاب لحما وأغل وغل خان وغل صدره غلا وأغل صار له غلة . أغبر في طلب الحاجة جد فيها وأثار الغبار وغبر بقي والغبر بقية اللبن في الضرع وبقية الليل . أفلق في كذا جاء بفلق أي عجب وفي العلم برع وفلق الهامة والصخرة أي شقها. أفرى الذئب بطن الشاة اذا شقه، وهو يفرى الفرى اذا جاء بالعجب، أفرق من علته وفرق شعره و بين الحق والباطل، أفليت صرت في فلاة وفليت رأسه وشعره وفليت بالسيف ، أفتق قرن الشمس أصاب فتقا فبدأ منه وفتق الطيب والناس من عرفات دفعوا أفرضت وجبت فيها الفريضة ، أفصح الاعجمى وفصح اللحان . أقفلت الجند من مبعثهم فقفلوا قفلا وقفولا وخيل قوافل ضوامر . أقرن له اطاقه، والرمح رفعه، وقرن بعيرين فى حبل و بين الحج والعمرة أقلعت عنه الحمى وهو في قلع من حماه، وأقلع عما كان عليه ،وقلعت الشيء من أصله،أقبرته صيرت له قبرا يدفن به ،وقبرته دفنته . أقصيته أبعدته وقصوت البعير فهو مقصو ، قطعت طرف أذنه وجمل

مقصو ومقصي ولاتقل أقصى أقبست الرجل علما وقبسته نارا جئته بها فان طلبها هو قيل أقبسته أقم الفحل الابل لقحها جميعا، وقم البيت كنسه، أقدته وأسقته أعطيته خيلا يقودها و يسوقها، أقرأت المرأة اذا طهرت واذا حاضت. أقات على الشي أقتدرعليه وقات أهله قوتا والقوت الاسم وماعنده قيت ليلة وقيتها، أكرى الكرى ظهره وأخذ كروته (كذا) وأكرى نقص وقيل زاد والحديث اطاله والشيء اخره وقال فقيه العرب من سره النسا ولانسا فليكر العشاء وليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقل غشيان النسا، وكروت بالكرة كروا ضربت بها أكب علي العمل وكب الاناء وكبه الله لوجهه. الاح من ذلك اشفق و بحقي ذهب به ولاح البرق والسيف يلوح لوحا. الوى به ذهب به والقوم بلغوا الرجل والبقل صار لويا اى بعضه يابسا و بعضه فيه ندوة ولوى يده ليا ولواه بالدين مطله ليانا. امقر الشيء صار مرا والمقر الصبر ومقر عنقها دقها. الامحاق ان يهلك المال كمحاق الهلال وماحق الصيف شدة حره ومحقت الشيء امتعت عنه استغنيت وقول الراعي

خليطين من شعبين شتى تجاورا قديما وكانا بالتفرق أمتعا

قال الاصمعي ليس أحد يفارق صاحبه الا أمتعه بشيء يذكره فكان ما أمتع هذان تفرقا ومتع النهار ارتفع ونبيذ مانع شديد الحمرة وحبل مانع جيد أنصلت الرمح نزعت نصله أنصلته ركبت عليه النصل ومنصل الاسنة (رجب) لانهم كانوا ينزعون الاسنة فيه فلا يحاربون. أنهدت الحوض أى ملأته وحوض نهدان ونهدت للعدو أى نهضت له. أنصف فلان صاحبه وقد أعطاه النصفة ونصف النهار ينصف والازار ساقه بلغ نصفها والقوم نصافة خدمهم والناصف الخادم أنضيت البعير هزلتها فهو نضو ونضيت السيف وانتضيته سللته ونضاو به القاه والخضاب نصل. أوعيت المتاع في الوعاء ووعيت العلم حفظته أوهمت مائة في الحساب أسقطتها ومن صلاتي ركعة أوغل في البلاد تباعد ووغل في القوم دخل فيهم وهم يشربون من غير ان دعي ورجل واغل ووغل وفي الطعام وارش أوزعه أغراه ووزعه كفه وقيل (لابد للسلطان من وزعة) أى كفقه. أولع بكذا والاسم الولوع وولع يلع ولعا وولعانا كذب. أهجد البعير القى جرانه علي الارض وهجد هجودا نام ليلا

باب ما يضعه العامة في غير موضعه

أطعمنا خبزَ ملة وخبزا مليلا ولا تقل اطعمنا ملة فانها الرماد الحار•ماء اغمر وماالشد غموره ورجل غمر الخلق واسعه وفى صدره غمر اى غل ورجل غمر من قوم اغمار تبين فيهم الغمارة والغمر القدح وفي فلان ميل (بالسكون) وفي الحائط ميل (بالتحريك) قحط الناس وقحط المطر فاظ الميت يفيظ فيظا و يفوظ فوظا ولا تقل فاظت نفسه وفاض الاناء يفيض فيضا • عرج صار اعرج وعرج عليه اقام • لاح سهيل بدا والاح تلألأ • تسمع بالمعيدى لا ان تراه منسوب الى تصغير معد فاجتمع التشديدان فخفف الغل في العطش وفيما يقيد به والغل العداوة يقال خرجنا نتنزه اذا خرجنا الى البساتين وانما التنزه التباعد عن الماء والريف فلان بنزهة عن الماء والشراب وفلان نزيه بعيدعن اللوم وتنزهوا بحرمكم عن القوم ابعدوها عنهم وعزت اليك بكذا واوعزت • صدقة المراة وصداقها • ماء ملح وسمك مليح ومملوح ولاتقل مالح افعل كذا وخلاك ذم اى لاتذم ولا يقال ذنب ضربة لازم وقيل لازب ولاتب جاء باضبارة من كتب واضامة وللجمع اضابير واضاميم • شيء ثقيل ورزين وامراة ثقال رزان الفحال لايقال الافي النخل جمعه فحاحيل وعينان الكتاب وعنوانه وعلوانه وقد عنونته وعلونته مهلا يقال للواحد والجمع والمذكر والمؤنث على لفظ واحد ويقول لايغني عنك مهل وهلم كذلك ومنهم من يقول هلما وهلموا وهلمي وهلمي تقول ايه اذا استزدته وايها اذا كففته وويها اذا اغريته وواها اذا تعجبت منه وتقول صه ومه اذا سكت عليه واذاوصلت قلت صه ومه يافلان واذا قيل هل لك في كذا قلت لي فيه او مالى فيه ولا تقل ان لى فيه هلا ومعنى ذلك هل لك فيه حاجة فحذفت الحاجة من السؤال والجواب

ان اخطأت فخطئني وان أصبت فصوبني وان اسأت فسوء علي اى قل لى اسأت وسوأت عليه ماصنع أى قبحته واخطأ وخطيء لغتان يقال (مع الخواطيء سهم صائب) لمن يخطيء كثيرا و يصيب مرة ورجل أعسر يسر ولا تقل أيسر و يأمن باصحابك وشايم اى خذ بهم يمنة وشامة تكلم فلان فما اسقط حرفا وما أسقط بحرف كقولك أدخلته ودخلت به وغفلت عنه واغفلته وجن عليه الليل واجنه وقيل جنه جاء بالضيح (الشمس) والريح ولا تقل الضيح النقد عند الحافرة اى عند أول كلمة وقال تعالى

أنا لمردودون في الحافرة) اى في أول امرنا فلان يسئل ولا تقل يتصدق في معناه فلان وفلانة كناية عن الآدميين والفلان والفلانة عن البهائم · عايرت الموازين عيارا ولا تقل عيرتها وعيرته بذنبه · عاد الظليم صاح يعار عرارا ولا تقل عر · كانا متهاجرين فاصبحا يتكالمان ولا تقل يتكليان أخوه بلبان أمه ولا تقل بلبن أمه وهذه عصا وعجوز واتان وعرس وفهر · وقتب لواحد الاقتاب أى الامعاء وقدوم واضحى كلها مؤمنات لايدخلهن الهاء وسميت الاضحى بجمع اضحاة اى الشاة التي يضحى بها يقال اضحاة وأضحى واضحية والجمع اضاحي وضحية والجميع ضحايا

ومما تضعه العامة في غير موضعه

تقول للمعلف أرى وانما الآرى والاخية محبس الدابة والجميع الاوارى والاواخي تأديت بالمكان تحبست به وارت القدر لصق بأسفلها شيء من الاحتراق كبر حتى صار كأنه قفه اى الشجرة البالية لايقبل منه صرف ولا عدل الصرف الحيلة من قولك انه يتصرف يقال أكذب من دب ودرج أى أكذب الاحياء والاموات يقال درج القوم اذا انقرضوا هو نسيج وحده لمن لاشبه له وأصله ان الثوب الكريم لاينسج على منواله غيره احمق ما يتوجه اى مايحسن ان يأتي الغائط وأصل الغائط المطمئن من الارض وكان من يقضي حاجته الى الغائط فقيل ذلك لمن قضى حاجته التيمم أصله القصد وصار اسما لمسح · الوجه واليدين بالتراب المسافة المفازة أصلها من السوف الشم وكان الدليل اذا ضل بفلاة شم التراب فعلم انه على الطريق وكثر استعماله فصاروا يسمون البعد المسافة · لبيك وسعديك تأويله البابا لبعد الباب اى لزوما لطاعتك يقال الب بالمكان اقام به مرحبا وأهلا اى أتيت سعة واهلا فلا تستوحش حياك الله و بياك حياك ملكك والتحية الملك و بياك اعتمدك بالخير يقال اعرابي جلف أصله من اجلاف الشاة وهي الشاة المسلوخة بلا رأس ولا قوائم ولا بطن خاس · الطعام والبيع اصله من خاست الجيفة في أول ماتروح فكأنه كسد حتى فسد · لاتبلم عليه اى لاتقبح أصله من أبلمت الناقة ورم حياؤها من شدة الضبعة وابلم الرجل ورمت شفتاه توحش للدواء اى اخل جوفك له يقال بات وحشا اذا لم يطعم و باتوا أوحاشا ليلتين · الاسير اصله انه كان يؤخذ فيربط بالقد واسره اى شده فصار الاسير اسما للمأخوذ قال الله تعالى

ابن عوف رجل قوى . رجع بخفي حنين لمن رد عن حاجته قيل انه كان رجل ادعى الى أسد بن هاشم فأتى عبد المطلب وعليه خفان احمران فقال عبد المطلب لاوثياب هاشم ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع فقالوا رجع حنين بخفيه فصار مثلاً. الشرف والمجد يكونان بالآباء يقال شريف ماجد والحسب والكرم بالنفس وان لم يكن آباء لهم شرف. يقال فلان شولة الناصحة وشولة كانت امة رعناء تنصح مواليها ونصيحتها وبال عليهم. الطفيلي منسوب الى طفيل رجل من اهل الكوفة يأتي الولائم من غير ان يدعي اليها يسمى طفيل الاعراس فكان يقول وددت ان الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى على شيء منها والعرب تسمى الطفيلي في الطعام . الوارش وفي الشراب الواغل. بقرطى مارية هي مارية بنت ارقم. قولهم في تحية الملك (ابيت اللعن) اى ابيت ان تأتي ما تلعن به. قرم الى اللحم وعام الى اللبن ورجل عيمان وامرأة عيمى. يقال ام وعام اى هلكت امرأته وماشيته فيصير ايما وعيمان. ووحمت المرأة اشتهت شيئاً على حملها والماشية تكون من الابل والغنم وناقة ماشية كثيرة الاولاد البعير كالانسان للمذكر والمؤنث تقول هذا بعير وهذه بعير كقولك هذا انسان وهذه انسان، والجمل كالرجل والناقة كالمرأة والبكر كالفتى والبكرة كالفتاة والقلوص كالجارية. الفقير الذى له بلغة. والمسكين من لاشيء له، الارامل المساكين من الرجال والنساء وارمل نفد زاده وعام أرمل وسنة رملاء قليلة المطر . رمح ذوالحافر وركض ذوالخف وضبط البعير بيده. المزاد ما يستقى فيه الماء والراوية مايحمل عليه الماء وقد رويت القوم استقيت لهم الماء ضفرت . المرأة الشعر ولها ضفيران وضفران ولا تقل ضفيرتان. الزوج يقال للرجل والمرأة وقيل زوجه وزوجته امرأة وتزوجتها وليس من كلامهم تزوجت بها وأما قوله تعالى (وزوجناهم بحور عين) فمعناه قرناهم وقيل هي لغة ويقال زوجا حمام للذكر والانثى. الغلط فى الكلام والغلت في الحساب يقال غلط وغلت. توضأت وضوءاً وقد وقدت النار وقودا ووقدا وقدة والوقود حطب يوقد به والطهور والغسول والبخور والذرور والسقوف والسعوط والسنون والسحور والفطور مايفعل به ذلك . واللبوس مايلبس والقرور والبرود ماء بارد يغتسل به وقد اقتررت والسدوس الطيلسان وسدوس أسم رجل. والعلوق مايعلق بالانسان و به سميت المنية علوقا. السموم والحرور

الريح الحارة. والذنوب لحم أسفل المتن. والدلو فيها ماء القيوء دواء يشرب للقيء. العقول دواء يمسك به البطن والمشوش ماتمش به اليد أى تمسح والمش مسح اليد بالشيء الخشن والرقوء مايرقأ به الدم هو شبوب لكذا أى يزيدفيه ويقويه والصعود مكان فيه ارتفاع والكؤد العقبة الشاقة وهبوط وحدور وحطوط شبوب اسم للمنية خاصة القرقل لما تقول له العامة القرقر والقاقوزة والقازوزه فاما القاقزة فمولدة هو مضطلع بحمله أى قوى مفتعل من الضلاعة وفرس ظليع ولا يقال مضطلع والراكب الذى على البعير والاركوب أكثر من الركب وهم أصحاب الابل والركاب الابل الواحد راحلة ولا واحد من لفظها . زيت ركابي يحمل على الابل والفارس راكب الفرس والحمار والبغل وقيل حمار و بغال ورحال وخيالة رجل نابل ونبال من النبل فان يعمله فنابل رجل سايف وسياف وتراس ودراع ومتقوس ومتنبل معه هذه الاشياء وفارن معه سيف ونبل ومقنع عليه مغفر والمؤدى والمدجج والشاك والشائك التام السلاح

البغايا الفواجر والطلائع فواحدة الاماء بغي وواحدة الطلائع بغية اى طليقه في سبيل الله انت ولا تقل في سبيل الله عليك طو بي لك ولا تقل طو باك مابه من الطيب ولا تقل من الطية سخرت منه ولا تقل به وعجوز ولا تقل عجوزة تلك وتيك ولا تقل ديك كلية ولا تقل كلوة وكليته اصبت كليته حسبي كذا أو حسبي من كذا واحسبني كذا كفاني ولا تقل بسى قدى من كذا وقدني وقطي وقطنى و يحسبي كذلك

النجف (العراق)

محمد رضا الشبيبي

اثار العرب الخالدة(١)

في اوربة

اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء! بيدك الخير انك على كل شيء قدير!

«قرآن شريف»

سادتي

أقرؤكم تحية العرب فاقول لكل فرد: سلام عليك،

واثني بتحية الاسلام فاقول لكم جميعا: السلام عليكم.

واعزز هذه التحية المزدوجة بما اخذه الافرنج عن العرب فاقول لكم بمراعاة المعنى الصحيح: Salamalek

∴

هذه الكلمة، ايها السادة، وان كان الافرنج نقلوها الى معنى التملق والمبالغة في الخضوع والخنوع والخشوع، لكنها في الحقيقة تدلنا على تأثير الحضارة الاسلامية على امم الغرب في اوربا. افليس من سنة هذا الكون ومن نواميس العمران

(١) محاضرة ألقاها أحمد زكي باشا بنادي موظفي الحكومة بالاسكندرية مساء يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٢

ان الاحتكاك بين الاقوام المختلفة وان اختلاط الشعوب المتباينة لابد ان يترتب عليها تأثير لبعضها على البعض الاخر حتى يظهر هذا التأثير في الاحوال العامة وفي الشؤون الخاصة ؛ ذلك التأثيرمصدره قوة الحضارة. فيكون ضعيفا ضئيلا أو قويا جسيما بحسب ماوصلت اليه الامة الغالبة من الارتقاء في سلم المدنية،وبقدرمانالته من السيطرة والرجحان

فأيما أمة استبحر العمران بين أبنائهافلا بد لها من التبسط في الارض والتغلب على الامم،فلا تلبث أن يكون لها سلطان(ولومعنوى) على البطون والعشائر التي تجاورها أو تمازجها أوتأتمر بكلمة منها . وأثر ذلك يظهرللمتأمل المتفكر كجبين الصبح ووضح النهار في الامور المعاشية من زراعة وصناعة وتجارة ، بل في الاخلاق والعادات والطباع، بل في العلوم والمعارف ، بل في الجد والهزل والوقار والخلاعة .

لست أذهب بكم بعيدا في اثبات هذه الظاهرة العمرانية وهذا الناموس الاجتماعي وانما أناشدكم أن تنظروا عن أيمانكم وشمائلكم وفيما بين أيديكم . أفلا ترون الرجل من قومنا ممن يكاد لايحسن التلفظ بلغة أمه وأبيه ، ولم يرزقه الله الماما قليلا برطانات الاعاجم ، أفلا ترونه يبادر صاحبه ومشا كله عند ما يلقاه في ليل أو نهار : « بونجور مون شير ، بون سوار ؟ »

أفليس من المحقق المجزوم به ان أبناءنا سيقولون في الغيط وفي البيت « جود مورننج ماى دير، جود نيت ؟ » بل قد خرجت هذه الكلمة من أفواههم !

ذلك لعمرى من خور النفوس وضعف الطبيعة وانحطاط الاخلاق . وقد يكون من باب التنطع عند العلماء ، ومن باب الحذلقة (الحفلطة) في انصاف العلماء (وهم شر الناس) . وأما الجاهلون فحسبهم انهم جهال . ويقيني ان التنطع والحذلقة من الامور التي لابد لنا من محاربتها لنكون قوامين على لغتنا وذاتيتنا ، وليكون لنا سعي مشكور في احياء آدابنا وأحياء بلادنا .

على ان موضوعي في هذه الليلة سيضطرني في كثير من المقامات الى التذكير بألفاظ أجنبية مأخوذة عن العربية لايبين لكم ماتركه أجدادنا من الآثار الباقية والمآثر

الخالدة في الامم الاورية . فعلى سبيل التمهيد ومن باب الدخول في الموضوع أستأذنكم في القاء جملة صغيرة باللغة الفرنسية يتغلغل بها الكلام وليأخذ الحديث برقاب بعضه بعضا .

Messieurs, vous Serez probablement ébahis et ahuris, lorsque je vous dirai que les vocables ébahis et ahuris sont de souche arabe!

لاجرم أن يأخذكم العجب وتتولاكم الدهشة اذا قلت لكم ياسادتي ان كلمتي Ebahi . ahuri مشتقتان عن جرثومة عربية محضة فالاولى (ونظيرها عند الطليان فعل baire مأخوذة من قول العرب فلان حائر بائر . وأما الثانية فهي من قولهم بهرت فلانا فانبهر . فهل يصح لاحد أن يحار بعد الآن فى ذلك الاشتقاق) وقد ظهر السبب فبطل العجب ؟ وهذا كما ترى !

أقف هنا قليلا . ولا أزيدكم علما بأن الفرنسيين كثيرا ما يستعملون كلمتي Et voilà وتحليلها اللغوى « وانظر الى ذلك » أو كما يقول عامتنا «أهو كده» «هو كذا » ويضارع ذلك قول العرب : « وهذا كما ترى. » تلك الجملة ترد كثيرا في مسامرات أبى حيان التوحيدى مع وزير بغداد كما تراه فى كتاب الامتاع والمؤانسة الذى أحضرته فى هذا العام من خزائن القسطنطينية . وربما حاضرت قومي به وبموضوعه فى فرصة أخرى .

ذكرت لكم في الجملة الفرنسية كلمة ثالثة وهى كلمة Souche . واصلها عربي ايضا. ولو نطقنا بها على طريقة الطلاينة لقلنا : « سوكي » اولو بحثنا عما يقابلها عندهم لوجدنا zocco. zicca فلو سقنا الآن آية من القرآن لظهر اصل الاشتقاق . قال الله تعالى فى وصف الصحابة : ﴿ رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة . ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه (فراخه وورقه) فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع (الآية) .

اخذ الافرنج كثيرا من طرق العرب واساليبهم فى الزراعة كما سنبينه فيما يجيء، واخذوا معها الالفاظ تارة وهي في حالة المفرد وتارة في حالة الجمع . ومن هذا القبيل كلمة souche التي نحن بصددها اخذوها عن « سوق » جمع « ساق » ثم حرفوا معناها عن اصله فنزلوا بها الى باطن الارض وجعلوها بمعنى الجرثومة والاصل : ثم توسعوا فيها فاطلقوها على جميع المعاني التي تدل عليها الجرثومة في اللغة العربية حساً ومعنى ، حقيقة ومجازا

وهنالك الفاظ كثيرة جدا تدل على تأثير العرب في الافرنج تأثيرا باقيا الى الآن :

نعم ان المعالم قد ذهبت بها الايام والعوادى ، ولكن أثرها قد بقي . فالاطلال تحدث الباحث الشاعر ، وتستوقف الناظر والمسافر وتناجي الضمائر والخواطر ، بما كان للعرب في تلكم البلاد من المآثر والمفاخر .

وسأغترف لكم نزرا يسيرا مما علمت انه مأخوذ عن العربية وقد تأصل في اللغة الفرنسية الجيلة (وما يتبعها من اللهجات الخاصة ببعض الاصقاع في فرنسا) وفي اللسان الطلياني (وما تولد عنه أو من اللهجات الشائعة في شبه الجزيرة الطليانية وما اليها من الجزر الأخرى) وفي لغتي الاسبانيين والبرتقاليين (وما تفرعا عنه أو تفرع عنهما في ربوع الاندلس بحسب الاصطلاح الجغرافي العربي من الرطانات المتداولة الآن أو التي قضى عليها ناموس النشوء والارتقاء بالدخول في خبر كان) .

قلت لكم انى سأغترف من ذلك شيئا ، ولست أتعدى كلمة الاغتراف قبل أن أحيطكم علما بأن الافرنج أخذوا عنها كلمة carafe الفرنسية و caraffa الطليانية و caraffa الصقلية و carrafa الاسبانية . ولكنهم كلهم تطابقوا على نقل اللفظ العربي من المصدرية الي الاسمية . فهو عندهم لاناء من زجاج يوضع فيه الخمر أو الماء . ومن ذا الذى في مصر الآن اذا ذهب الى محل تجارة مذكور لا يكون قوله مفهوما اذا طلب مشترى الكاراف ؟! نعم ان الطالب والمطلوب يتفاهمان وكلاهما بغير العربية لايتراطنان أوهما بها يتراطنان . لا أريد أن أتشبه بهذا البائع و بهذا المشترى ، فلا أجول امامكم في مضمار لست من فرسانه . فالمامى بالانكليزية

قليل٫و بالالمانية هو والعدم سواء٫ و باليونانية كالصفر على يسار الارقام، الى ماهنالك من لغات أخرى قد أخذت عن العربية طائفة صالحة من الالفاظ والمسميات مما يتعلق بالعلوم أو بحاجات المعيشة والارزاق، كما اننا نأخذ الان عنهم بعقل و بدون تعقل، و بفكر و بلا تروحتى أصبحنا عالة على تلك الالسنة الاعجمية فيما قد نجد له بديلا وعنه غناء في لغتنا. دع عنك الالفاظ التي يتواضع العلماء عليها لأغراض مخصوصة أو لمستحدثات لم تكن معروفة، فهذا النوع من الالفاظ ملك شائع لجميع بني الانسان. وهكذا سنة الله في خلقه: يوم لنا و يوم علينا، ﴿ وتلك الايام نداولها بين الناس ﴾

وأنا أملي (استغفر الله) بل الواجب علينا جميعا معاشر الناطقين بالضاد، وأهل مصر على التخصيص، أن نتضافر ونتعاون في هذا العصر العباسي الزاهر وفي ظل مليكنا الرحيم و بعناية رجال حكومته الحاضرة، فنكون عصبة واحدة ونعمل عملا متواصلا متواليا حتى يتسنى لنا احياء آدابها لتجديد العلوم فيها، ولايجاد بواعث الارتقاء المنشود. فتلك لعمري هي الخطة الوحيدة التي تجعل لنا مقاما كريما بين الناس، كما كان لأجدادنا السابقين الى الغايات.

أيها السادة

سبق لهذا العاجز الذى يناجيكم الآن أنه ألقى محاضرة بين يدى سيدى العباس بمناسبة افتتاح الجامعة المصرية. وقد أبنت فيها ان أهل الاسلام انما تسنموا ذروة المجد بالرحلة الي لامصار وقطع البحار، عملا بالأمر الرباني الذى أوجب علينا المشي في مناكب الارض، والسعي في طلب الرزق، والرزق على معنيين: مادى وأدبي، كما لايخفى،

عمل اسلافنا بهذه الاية الحكيمة فنالوا مانالوا، وعكسناها فصرنا الى ماصرنا هؤلاء نحن نرى مئات المصريين اذا جاء القيظ يقولون: «هلم بنا الى أوربا للاصطياف! هذه رحلة الصيف التي كانت لايلاف قريش!» وفاتهم ان رحلة الصيف كانت لكسب المال الحلال من التجارة، وللاستفادة بالمنافع المرتبطة بالارتحال: أماقومنا الان، فالسواد الاعظم منهم يهرع الى أوربا فى كل عام، وأنتم أعلم بالغرض الذى

يرمون اليـه و بالهدف الذى يترامون عليـه وحواليـه . اهم ينفرون خفافا وثقالا (استغفر الله) بل خفافا متأبطين ماخف حمله وثقلت موازينه ، يحملون ورقا يغني عن الورق تـكذيبا للشاعر الذى قال لممدوحه :

أهديتني ورقا لم تهـدني ورقا قل لى بلاورق ماينفع الورق

ولو عاش هذا الشاعر الى عصرنا لا كتفى من ممدوحـه بالتوقيع على ورقة من السفاتج (التي يسميها أصحابنا بالـكمبيالات) أو من المصرف الذى يخزن فيه أمواله بالامضاء على شيك من الشيكات ., تلك الـكلمة الثانية أصلها عربي عن اللغه الفارسية فهي الصك وجمعه الصكوك اخذ الافرنج هذا اللفظ عن العرب في جملة ما اخـذوه عنهم من اصطلاحاتهم التجارية والمالية فقال شيك *Chèque* .

أصحابنا يهجروننا في الوقت الذى تحتاج فيه زراعاتهم الى عناياتهم ! وفي ذلك مافيـه من الضرر عليهم وعلي بلادهم ! ناهيك بانهم لايتشبهون بالطير وهو كما يقول الناس صغار الاحلام ليتهم تشبهوا بالطير ! تغدو خماصا وتروح بطانا . وأما أصحابنا فيتهافتون علي أوربة بطانا وقد تأبطوا ماجمعوه أو اقترضوه من المال و يرجعون الينا خماصا بل صفر الوجوه ، صفر الجيوب .

افرأيتم أولئك الفلاحين الذين اغناهم الحظ ، وهم لا يكادون يفقهون لغـة أمهم وأبيهم ، افرأيتموهم حينما يقولون : انا ذاهبون للبلد الفلاني لاجل الـكور *Cure* ؟ يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون وماهي الـكور *Cure* (الاستشفاء والتـدبير الصحي) ؟ كلمـة سمعوها فاعجبتهم غرابتها واستعملوهـا وهم لايدرون لها معني ولا يقيمون لها وزنا ولا يعملون على تحقيقها فعلا وعملا !

غير اني في هذا الشهر المبارك شمت بارقة من الامل ولعلها مبشرة بغيث ينهمل فى المستقبل ، واعني به المستقبل القريب

فقد تشرفت وجهورا كبيرا (الواو هنا واو المعية) من أكابر الموظفين بتناول الافطار بالامس على المائدة الخديوية في حضرة ولى الامر فى مصر حفيد محمدعلي ولا فخر ، الجالس على تخت المعز وبنيه القابض على صولجان صلاح الدين وذراريه ، الوارث لتاج

الظاهر ، المتحلي باكليل الناصر ، المستوى على عرش المؤيد ، المتبوء لأريكة الاشرف(١) ، مولانا وولى نعمتنا المقر الاشرف الحاج عباس حلمي الثاني محيي الآداب، العربية .

فقد حدثنا عن اعجابه بفتى من فتيان مصر رآه يجول في جبال الالب فمابين فرنسا وسويسرا منقبا في بطون الوهاد منقرا فوق ظهور الانجاد مستجوبا صياصي الاجبال . وغايتـه من ذلك أن يتعرف ما أبقاه العرب هنالك من المآثر والآثار أو ماتركوه من الرسوم الدوارس والاطلال .

لم يكتف المليك بهـذه الرعاية التي تتطال نحوها رقاب المجتهدين من أبنائه ، بل بالغ في الفضل فأوصى رجال حكومته بأن يساعدوا هذا الرجل (وهو محمود بك سالم) عند عودته ليتمكن من اتمام عمله الجليل وسعيه المشكور فيما يرجع بالفائدة على مصر خصوصا وعلى الشرق عموما .

لا ريب عندى ان رجال الحكومة فاعلون لأنهم يقدرون كل عمل نافع حق قدره ولأنهم قادرون على تعضيد كل مشروع مفيد .

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

كيف لا والاشارة قد صدرت من الامير أدام الله لنا وجوده، وأتم عليه نعمته وأيده بروح منه حتى يكون حكمه السعيد مرشدا الى سر التقدم الذى نبتغيه لتجديد

(١) فى هذه العبارة اشارة الى أكابر الخلفاء والسلاطين الذين حكموا مصر ورفعوا شأنها . فالمعز لدين الله هو الخليفـة الفاطمى الذى أسس القاهرة والجامع الازهر، وصلاح الدين هو رأس الدولة الايوبية ومنشىء المدارس الكثيرة بمصر والشام والظاهر بيبرس البندقدارى هو السلطان الذى اشتهر بفتوحاته وبما أسسه من دور الكتب الكثيرة بمصر والشام وأما الناصر محمد بن قلاوون فهو أجل سلاطين مصر وقد شمل برعايته أهل الفنون والعلوم وظهرت فى عهده أكبر الموسوعات العربية وكان السلطان الملك المؤيد المحمودى مغرما باقتناء نفائس المصنفات ومن أكبر أنصار العلم وقد اشتهر بالاطلاع الواسع حتى لقبه التاريخ بلقب «شيخ» وأما الاشرف فهو السلطان قايتباى الذى ازدانت القاهرة فى عصره بأجمل الآثار الفنية البديعة فى الصناعات العربية على اختلاف أنواعها حتى أصبحت القاهره فى أيامه كعبة يحج اليها العلماء وجنة زاهرة لارباب الفنون الجميلة .

المكارم بفضل حشمه ورجاله الذين وهبهم الله من العلم والحلم مايؤذن برفع شأن الأمة المصرية

لهذا السبب أردت أن أتعجل في القيام بالمفروض علي من امتثال هذه الاشارة والعمل بها فيما يدخل فى دائرتي و يصل اليه مقدوري .

أردت أن أمهد الطريق امام ذلك الصديق - حتى اذا ماعاد بالسلامة محمود بك سالم وجد النفوس متشربة بفائدة المشروع ورأى الارض صالحة لهذا الغرس الطيب . فيكون شعارنا كلنا : حى علي خير العمل !

ذلك هو البعث الذى نبتغيه بعد ان طال السبات ، ذلك هو النشور الذى ننشده للشرق ! فالحياة تجدد فى كل يوم عن يمينه في الشرق الاقصي وعن شماله فى أوربا وأميركا وهوجامد فيموقفه كانه فيالبرزخ. أفلاتكون حركة من وراءهذاالسكون؟

نعم فالحركة من مميزات الحياة . ونحن والحمد لله فينا بقية وان كان بعض الناس ينظر الينا فيخالنا كالنائمين في البرابي أو كأهل الكهف ؟

بماذا تجدد الحياة في الشرق ؟

بالرحلة لعمرى ! كما ابتدأ دبيبها وكما انتعشت بها الامة العربية في ايام الامويين والعباسيين. فمن المعلوم ان الوسيلة الواحدة تنتهى دائما الى غاية واحدة وان المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما .

فلعل هذه الخطة الجديدةالتي كنت ولا ازال اسعى وراءها منذ ربع قرن تصبح سنة بيننا وأنا اليوم علي يقين من تحقيق الاحلام . فالداعى اليها اليوم ليس احد افراد الامة وانما هو صاحب التاج ، والناس علي دين ملوكهم .

هذا وانني لأبيع الحكمة الا بحسن الاستماع ولا آخذ عليها ثمنا الا فهم القلوب وهذا كما ترى !

يطربني وايم الله ان أرى هذه السنة الجديدة متداولة بيننا معاشر المصريين فيرحل المقتدر منا الى اوربا بشرط ان يجعل نصب عينيه العمل على الاستفادة مما وصل اليه اهلوها فى حلبة الفضل وميدان التقدم .

لست انكر على الراحلين ان يضيعوا معظم وقتهم وان يصرفوا جل مالهم في

لذات انفسهم وشهوات بطونهم . ولكني اناشدهم الله واناشدهم امهم (مصر) ان يجعلوا الثلثين لهم والثلث لها أوأن يعملوا بقول الشاعر :

ولله مني جانب لا أضيعه وللهو مني والخلاعة جانب

بل اكتفي منهم ان يخصصوا لوطنهم نصيبا زهيدا من اغترابهم فالذرة يتكون منها الطود الشامخ والقطرة هي اصل العباب الزاخر

املي فيهم ان يعودوا لنا بكتاب من كتب اجدادنا التي ليست في خزائننا (والخطب سهل فما عليهم الا ان يصدروا أمرهم لأى انسان من المشتغلين بالنقل بواسطة التصوير الشمسي) املي فيهم ان يرجعوا الى اهلهم واهل بلادهم بفائدة (والامر ميسور فما عليهم الا ان ينظروا بالعيون التي خلقها الله وان يعتبروا بالعقول التي اودعتها الحكمة الربانية في رؤوسهم) . ان في اوربة الآن لآية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

فكما كانت الرحلة سببا في تقدم الشرق في أيام السلف الصالح ، فكذلك تكون ان شاء الله بفضل الجيل الحاضر وما يتلوه من الذراري والاعقاب

* * *

كيف وصل المسلمون الى اوربة ؟

بقطع البحر الفاصل بيننا و بينها . هذا البحر الذى نسميه الان بالبحر الابيض المتوسط Méditerranée والذى كان يسميه اسلافنا بالبحر المتوسط لتوسطه بين اراضي افريقيه واسية واوربة واسمه المشهور عندهم ايضا بحر الروم . ولو انهم سموه بالبحيرة الاسلامية لكانوا قالوا حقا واثبتوا صدقا . فقد امتلكه المسلمون وامتلكوا ما فيه من الجزائر مثل : ميورقه ومنورقة (وهى المعروفة الان بجزائر الباليار وكان المسلمون يسمونها بهذين الاسمين و باسم الجزائر فقط واما القطر الجزائرى المشهور Algérie فاسمه عندهم مأخوذ من اسم عاصمته Alger جزائر بين مزغنه او بني مزغونة) ثم صقلية ، وقورسقة واقريطش (المعروفة الان باسم كريد) وكل هذه الجزائر كانت الحضارة الاسلامية فيها باهية باهرة زاهية زاهرة.

اما الجزائر الصغرى فيكان شانها كذلك مثل قبرس وردوس ومالطه . واثار الاسلام ايضا باقية الى الان ولعلكم ترتاحون الى العلم بان مالطه كانت سوق الادب العربي فيها رائجة كان صاحبها اسمه القائد يحيي صنع له احد المهندسين صورة لمعرفة اوقات النهار بالصنج فقال ابو القاسم بن رمضان المالطى لعبد الله ابن السمط المالطى أجز الله هذا المصراع

جارية ترمي الصنج بها النفوس تبتهج

فقال

كأن من احكمها الى السماء قد عرج
فطالع الافلاك عن سر البروج والدرج

أما بحر الارخبيل وجزائره فلم يدخلا فى حكم العرب بصفة أكيدة حقيقية وانما كانوا يغيرون فيه عليها من حين الى حين تبعا لعلاقاتهم مع الروم صلحا وهدنة وسلما وحربا . هذا البحر هو بحر الارخبيل أو بحر هيجاى Ægée فانتم ترون انه شيء وبحر سفيد بشيء آخر . ولا عبرة بما يرد فى هذه الأيام في كثير من الجرائد العربية بمناسبة الحرب الحاضرة والكلام على الارخبيل وجزائره العثمانية ـ فان الذين وقفوا أنفسهم على الترجمة فيها قد وقفوا عند ما رأوا بحر إيجه Egée ورأوا فى كتب الجغرافية التركية أو المعربة عن هذه اللغة لفظة بحرسفيد فاغتروا وغرروا بالقارئين اذ قالوا انه بحر سفيد . أطلقوا على هذا البحر اسم « سفيد » لانه غير متعارف فى مصر وظنوا أنهم أفادوا وأدوا الامانة حقها . فكانوا مصداقا جديدا للمثل السائر عند الطليان وهو Traduttore Tradittore ومعناه الترجمان خوان ويصح لنا أن نترجم ذلك مع التساهل ومراعاة ملكة اللسان المصرى بقولنا « المترجم مبرجم » والبرجمة غلظ الكلام .

فأملي أن تصل كلمتى هذه الى أرباب الاقلام فلا يعودون الى مثل هذا التخليط .

قلت لكم ياسادتي ان المسلمين عبروا البحر فامتلكوا جزائره وجعلوها قواعد تقوم عليها أعمالهم في الفتوح كما هو شأنها اليوم مع الدول العظمى . ومنها ذهب المسلمون الي أوربة فامتلكوا ماقدروا عليه واحتلوا ماتيسر لهم ، وأغاروا علي ماأرادوا .

ذهبوا بأساطيل مؤلفة من الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام . تلك الأساطيل التي تغنى بها الشعراء بما لاحاجه للاشارة اليه الان لئلا يتشعب معنا الكلام فيخرج عما يقتضيه المقام . وانما أردت لفت الانظار الى أن الدول التى تريد اعلاء كلمتها وحفظ بيضتها لابدلها من امتلاك ناصية البحار وذلك لا يكون الا بتلك الحصون الماخرات الشامخات المشمخرات . فان البحر له الشأن الأكبر فى رفع شأن الدول وسلاطة بعضها على بعض بحق و بغير حق . وحسبكم ماهو حاصل الان بين سمعكم و بصركم في البحر الابيض المتوسط وفي بحر الارخبيل بل وفى البحر الاحمر المعروف في كتب الجغرافيا العربية ببحر القلزم نسبة الى مدينة القلزم (Clizma) التي قامت مقامها وعلى القرب منها مدينة السويس

أخذ العرب عن اليونان اسم الاسطول للدلالة على مجموع السفن التى تباشر الحرب في البحر كما أخذنا نحن الان عن الافرنج كثيرا من اصطلاحاتهم البحرية . ومن ذا الذى ركب منكم البحر ولم يحتجزله قمرة في الباخرة ؟ هذه القمرة هى طليانية المنبت والمحتد Camera ومعناها الغرفة والحجرة والاوضة. فان هى الا معاوضة ومقايضة كما ان البحر اذا انحسر عن البر من هنا طغى على الشط المقابل له في ناحية أخرى . ناموس عام تجلى ظواهره في كل أعمال الانسان وفى سائر أحوال العمران كذلك كان شأن الافرنج منذ قرون ولقد بقيت الاسماء العربية متعارفة عندهم وفي كل لغاتهم وليس لهم سبيل الى تبديلها بغيرها . اذكر من ذلك مثالا واحدا لأنه الأس وبمثابة الرأس فلفظة أميرال عربية الاصل وهو عندنا أمير الماء كما تراه في موسوعات النويرى. بتر القوم النصف الاخير من باب التلطيف والتخفيف كما هو شأننا أيضا في تعريب الكلمات الاعجمية . وقد جئنا الآن نجاريناهم على التعبير بهذا الحرف و بما تركب معه فنحن نقول : أميرال ، كنترأميرال ، فيس اميرال.

من هو أول أميرال مسلم ؟

هو العلاء بن الحضرمى الصحابي الجليل عليه رحمة الله فهو أول مسلم ركب البحر للغزو وكان ذلك من جهة الشرق في الخليج الفارسي من عمان والبحرين .

وأما أول أميرال مسلم ركب بحر الروم للغزو فهو معاوية بن أبي سفيان حينما كان

عاملا على الشام في خلافة عثمان بن عفان .

ثم ان المسلمين شغفوا بالجهاد في البحر وامتلاك بعض جزائره . والذى يهمنا بصفتنا مصريين هو أن نعرف ان أول تأسيس دار الصناعة كان في جزيرة مصر (جزيرة الفسطاط) في سنة ٥٤ هجرية وان الاسطول بمعناه الحقيقي كان انشاؤه للمرة الاولى في بلادنا في أيام عنبسة بن اسحق والى مصر باسم الخليفة المتوكل العباسى الذى سنذكره بمناسبة المنجنيق عما قريب) وكان ذلك في سنة ٢٣٨ وكانت مصر انما تصد بأسطولها غارات الروم وغيرهم من أمم أوربة .

وأما الهجوم فلم يكن من شأنها الا في حالة العدوان عليها . وذلك لأنها من حيث الفتح والتوسع فى الاستعمار ما كانت تطمح في غير رودس وقبرس .

والسبب في ذلك أنها تركت أمر الجزائر الاخرى للبلاد الاسلامية القريبة منها فكانت تونس توجه همتها البحرية الى صقلية وسردانية ، وكان المغرب الأقصى متكفلا بجزائر ميورقة ومنورقة ويابسة Ivice, Iviza, Ibiza وشطوط الاندلس وسواحل فرنسا

ولكن تونس سبقت مصر في اتخاذ الاساطيل في أيام عاملها حسان بن النعمان بأمر الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ للهجرة :

بلغت الاساطيل الاسلامية من الجلالة انه كان لايدخلها « غشيم – على قول الامام المقريزى – ولاجاهل بأمور الحرب وكان لخدامها حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في أن يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه . » وقد أفادنا أيضا ان العناية بالاساطيل الاسلامية في مصر انما قويت منذ قدوم المعز لدين الله اليها . وأن المقدم على الاسطول كان اميرا كبيرا من اعيان امراء الدولة واقواهم نفسا (وهو الاميرال) وكان الاسطول يزيد في ايام المعز على ستمائة قطعة ثم اخذ في الانحطاط ولكن لم ينقص قط عن مائة قطعة فكان الخليفة يحضر بنفسه تجهيز الاسطول وتفريق النفقة على رجاله . حتى اذا تهيأ للاقلاع ركب الخليفة الى منظرة المقس (محل جامع اولاد عنان الان) تتوديعه باحتفال باهر فيكون له يوم مشهود يزيد فيه بهاء ورواء حركات الاسطول المعروفة الان بالمناورات البحرية والحربية (Les Manœuvres navales)

وقد بلغ من عنايتهم بالاسطول ان دار الصناعة في مصر ما كان يدخلها احد را كبا الا الخليفة ووزيره وذلك فى يوم الاحتفال بفتح النيل اى جبر الخليج الذى انطمس الان وصار طريقا للترامواى وأضحى الاحتفال الآن معروفا بموسم وفاء النيل

كان للاسطول في ايام صلاح الدين ديوان مخصوص يسمي ديوان الاسطول وسلمه لأخيه الملك العادل . فكان هذا الديوان يشبه ما كان معروفا فى ايام محمد علي بديوان البحرية وما هومعروف بديار اوربة بنظارة البحرية . وهو الان صفر في مصر فلا عين ولا أثر .

وكانت اسكندرية ودمياط هما الميناءان الحربيان البحريان فى ديار مصر وضف اليهما مدينة تنيس التى هي الان خراب بلقع واما الفسطاط (مصر القديمة) وقوص (من أعمال الصعيد) فكانتا من اعظم الموانى النيلية وفيهما يكون انشاء السفن الحربية التى ترابط بتلك الثغور وتذهب للغزو فى البحر لاجل اعلاء كلمة مصر وجعل رايتها خفاقة في الخافقين

ماهى القطع التي كان يتألف منها الاسطول في الدول الاسلامية ؟

هي الأعواديات والأغربة والبركوشات والحراريق (أوالحراقات)والشلنديات والمسطحات . ويتبعه سفائن أخرى تجيء في المرتبة الثانية من المكانة وان كانت حاجته اليها شديدة وسنتكلم عليها عما قريب .

سارت الاساطيل الاسلامية باسم الله مجراها ومرساها فأرست على سواحل الجزر وشطوط أوربة . وألقت مراسيها وهي الاناجر جمع أنجر لفظة يونانية عربوها فقال الفرنسيون Ancre واشتقوا منها المصدر Ancrer ثم ربط العرب مراكبهم بالحبال الغليظة وهي الامراس والمرار جمع مر فسمى الطليان ذلك الحبل amarra وتوسع فيها الفرنسيون فقالوا amarrage, amarrer مثل ما صنع العرب حينما قالوا أمر السفينة أوالشيء بمعنى ربطهما بهذا الحبل الغليظ القوى المتين وعلى ذكر الحبل اذكر بأنه هو و Câble الفرنسية بمعني واحد وان اللفظة الثانية مأخوذة عن ذلك الأصل العربي .

ولا يسعنى أن أتجاوز الشط وأتتبع العرب في سيرهم قبل أن أقول انهم حينما استقرت قدمهم بالسواحل أنشأوا فيها دور الصناعة على مثل ماذكرنا في مصر وتونس

فقال الطليان في أول الامر Darsena (دار الصناعة) فكان مثلهم في ذلك مثل أهل اسبانيا والبرتقال. ثم قال الطليان tarzana ثم arzana ثم arzanale ثم arsenale واستمروا على هذا اللفظ الأخير الى يومنا هذا ومنه كلمة الفرنسيين arsenal فلما جاء محمد علي وتقلد أمر مصر وأراد احياءها رأى ان ذلك لايتم الا بانشاء الاسطول. فاستحدث دار الصناعة في الاسكندرية وانشأ الاسطول واستخدم في ذلك كثيرا من الاتراك والطليان وغيرهم من بني الاصفر فلذلك جارى أجدادنا الاقربون هؤلاء الاقوام فاستردوا منهم كلمتنا العربية البحتة المحتة المحضة مصبوغة بلون افرنكي ضاعت معه معالمها الاصلية فقالوا كما قال الترك «ترسانه» بل تركها بعضهم أكثر من الترك أنفسهم فقال «ترسخانه» من باب المبالغة في التضليل وتعفية الآثار الأصلية. وقد استحكمت هاتان الكلمتان في استعمال الخاصة والعامة حتى لاسبيل لاقتلاعهما أو الاقلاع عنهما مع ان الطليانيين لا يزالون الى اليوم والى مابعد اليوم يقولون Darsena ولكن للدلالة على القسم الداخل في جوف الميناء حيث يربطون السفن المحتاجة للتعمير بعد نزع آلاتها وجهازاتها.

ماهي الوظيفة الاساسية لدار الصناعة ؟؟

انشاء السفن واصلاح ماعساه يحدث فيها من العوار.

أخذ الافرنج الكلمة الثانية وصنعوا منها كلمة avarie ثم أطلقوها أيضا على جميع أنواع العوار في السفن والسلع وغير ذلك.

ومن المعلوم ان انشاء السفن يدعو الى مانسميه نحن الان بالقلفطة على يد القلفاط فهذان اللفظان نالهما مانال دار الصناعة فانهما معربان عن اللغات الاوربية التي أخذتها عن اللغة العربية. وهذا كما ترى.

رأى أجداد الافرنج عملة المسلمين يشتغلون فى دور الصناعة بالقلافة فيقلفون المراكب فقالوا calfa من فعل «قلف» العربي ثم اضافوا اليه علامة المصدر فى لغتهم بعد زيادة حرف التاء للتوصل للنطق بين ساكنين كما يقولون فى حالة الاستفهام (a-t-il ؟) قال فى تاج العروس قلف السفينة قلفا خرز الواحها بالليف وجعل فى خللها القار (الزفت) والاسم القلافة بكسر القاف افليس هو هذا الذى يفعله القلفاط

يا ابناء السبالة ويا اولاد الانفوشي ! فانتم في ذلك شهود عدول

كل اسطول لابدله من سفائن تحمل الزاد والمتاع والكراع . فمنها التى نسميها اليوم (بالنقالات) transports اما الاساطيل الاسلامية فكانت تخدمها القراقير جمع قرقور اخذ الطليان هذا اللفظ فقالوا carraca وقال الفرنسيون carraque لاتعجبوا من التباعد بين الاصل والفرع فان الانتقال من لغة الى اخرى يدلنا على ماهو اشد وابعد ولتعلمن نبأه بعد حين ولكن اذا علمتم ان البرتقاليين يقولون في تسمية هذه السفينة carroira ثبت لكم صدقي ولقد استرجعنا اللفظ منهم فى هذه العصور الحديثة ولكن مفرنجا فقلنا كراكة من قول الطليانيين carraca ولكن بمعنى آخرلنوع آخر من السفن التى تستعمل لنزع الطين والرمال من قاع النهر والترع والخلجان ومن قاع الموانى والمعابر البحرية فى نظير المركب المسمى عند الفرنسيين Drague وكان لابد لكل اسطول من سفائن خصوصية لحمل الخيل وهى التى تسمى بالطرائد جمع طريدة (وذلك خلاف الطراد وجمعه طرادات) أخذ الافرنج هذا الاسم فقال الطليان tarida ثم tareta وقال الفرنسيون tartane ولكن للدلالة على سفائنها الشراعية التى تمخر في البحر الابيض المتوسط غربا . من توابع الاسطول الفلائك جمع فلوكة فقال الطليان feluca وقال الفرنسيون felouque وكذلك الشباك فقالوا chebec, sciabecco ومن توابعه القوارب فقالوا Corvette من اللفظ المفرد وهو قارب وربما يصح القول بانهم أخذوه من غراب بقيت على كلمة بشأن الشلنديات التي ذكرتها فى أسماء مراكب الاسطول . فمفردها شلندى (ولا ادرى ما أصله في العربية) وربما كان أصله عن اللاتينية وهو chelandium واخذه الروس فقالوا schelanda وقال الطليان scialando والفرنسيون chaland واسترجعناه منهم بطريق التعريب والتقريب والتمثيل والتأهيل فقلنا (صندل) واصبح هذا الاسم بحريفاته عندهم وعندنا علما على السفائن المخصصة لنقل البضائع مثل المواعين جمع ماعونة التي قال فيها الفرنسيون maknonne وقال الطليان makona, maona, magona ارجعوا بنا قليلا الى البحر

فان الاسطول قد تصادفه الرياح بما لاتشتهيه وقد تعاكسه الامواج فيلقى النوتية والنواتية nantonniers منه الامرين وهول البحر وهوله يعرفهما كل من اقتحم لجته فالملاحون يسمون اضطراب الموج الشديد بالهولة فقال الفرنسيون في ذلك houle للموج المتعالي كالجبال وقد تعاكسه الريح التي تهب من الجنوب الشرقي فبقى الاسم الثاني في ذاكرة الافرنج فقال الطليان scirsceo sirreco — sciloceo واما الفرنسيون فاطلقوا عليه sicoc sicocco وكل ذلك مأخوذ من الشرق والشروق اما رياح الموسم فيسميها الفرنسيس mousson والطليان mousone ولاتعجبوا لوضعهم النون بدل الميم في آخر الكلمة فلهم في التبديل شيء كثير من هذا القبيل وحسبنا انهم جميعا يسمون مدينة سواكن Souakino فلنأخذ النون من هناك ونضعها بدل الميم هنا لترد كل شيء. لأن أصله لان كلة rendre و rendera عندهم مأخوذة من الاصل العربي وهو الرد ولا عجب فان اللاتينيين قالوا Redd-ere باضافة علامة المصدر فزاد الطليان وللفرنسيس نونا من عندهم وليس لنا في ذلك شأن معهم ولكنهم عند نحت الاسم يردون الكلمة الى جرثومتها العربية فيقولون فى تقديم الحساب وفي تسليم الحصون

Reddition des comptes, reddition d'une place fortifiée

نعود الى الاسطول ونقول انه بعد ان لقي من البحر مالقي دخل الى الميناء ولعدم خبرة الربان اصطدم بشعب فقال الافرنج فى ذلك récif تشبيها له ببروز الرصيف في الشوارع والطرقات التي أنشأها العرب فيما بعد بتلك البلاد ثم دخل الاسطول الى الميناء في كلاءة الله وحفظه وفعل ما سنأتي على بيانه. وصل الى المحل الذى يأمن فيه من عبث الرياح وثوران الأمواج وهو الموضع الذى يسميه الاسبانيون والبرتقاليون cala والفرنسيون cale وقد استعمله الفرنسيون أيضا لجوف السفينة.

الفاظ أصلها مشتق من كلمة كلأ العربية بمعنى حرس وحفظ.

وهذا كما ترى.

ماذا صنع الاسطول؟

اصطف للقتال ونصب المنجنيق . هذه كلمة يونانية استلحقها العرب وأضافوا اليها النون الاولى لتدخل في أوزانهم .

عادة المغاربة جرت بأنهم لايضعون نقط الاعجام فوق الفاء والقاف وتحت الياء متى كانت هذه الحروف مفردة أوفي آخر الكلمات .

اذ في هاتين الحالتين لايمكن حدوث التباس بينهما وبين مايشابههما من الحروف الأخرى. فلو تصورنا ان بعضهم كتب اسم هـذه الآلة الحربيـة على هـذا المثال « منجنيق » وفرضنا ان ذيل الحرف الاخير انطمس بسبب ما فأصبح « منجنيو » فاننا لو أردنا أن نرسمها وهي على هذا الشكل بحروف افرنكية لتحصلنا على

mangonneau منجنيو و بنطقهم منجنو بغير تشـديد النون وان كانت مكتوبة مرتين وهو الاسم الذى أطلقه الفرنسيون على المنجنيق

أتعبتكم بذكر البحر والحرب وأنتم أهل السلام فهل تحبون الذهاب الى العراق والدخول بسلام في مدينة السلام، مدينة بغداد؟

كانت مدينة أبي جعفر (بغداد) جنة الدنيا في عهد هارون والمأمون وخصوصا فى أيام المتوكل . وكان فيها شاعر يسمى أبو العبر له أحوال عجيبة وأمور غريبة وكان من المجان الذين يقل نظيرهم في الدنيا . وقد تكفلت كتب التواريخ والادب بشرح أموره وكان يزيد في كل سنة حرفا في اسمه حتى انتهى بعد بضعة سنوات الى: أبي العبرطرد طيل طلبري بك بك بك كان المتوكل يلبسه قميصا من حرير ثم يرمي به في المنجنيق الى نهر دجلة فمتى حذفه المنجنيق في الهواء صاح : الطريق الطريق (كما نقول الآن وسع وسع) ثم يقع في الماء فيأتي السباح و يستخرجونه من الماء وكان فى أحد قصور المتوكل زلاقة ما أشبهها بالتوبوجان Tobogan الموجود الآن في مصر الجديدة (واحة عين شمس) فكان الخليفة يأمره بالجلوس عليها ومن هناك ينحدر ساقطا من فوق الزلاقة حتى يقع في البركة فيطرح الخليفة الشبكة فيخرجه كما تخرج السمك . وفي ذلك يقول شاعرنا :

ويأمرني الملك فيطرحني في البرك
ويصطادني بالشبك كأني من السمك

فعل المنجنيق بالحصون أفاعيله وتم له النصر فخلا الجو والبر للعرب فنزلوا وقاتلوا وفازوا ثم شنوا الغارات على الاقطار النائية تمهيدا للتسلط عليها فقال أصحابنا Algarade في الغارة وقال الاسبانيون في المغاورين almogavarès ولا يزال أهل ايطاليا يقولون magavero للدلالة على الجندي وعلى المزراق الذى يعتقله وقالوا في الغازى alguazil (وذهب بعضهم الى أنها مأخوذة من الوزير) ولاعجب من اضافة الجيم في هذه الحالة الثانية فانهم يضيفونها على جميع الكلمات العربية المبدوءة بحرف الواو فيقولون في الوضوء alguado وفي الوادى الكبير guadalkivir وهكذا ومن كلمة alguazil اشتق الفرنسيون قولهم argousin لحارس المذنبين المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ورأوا العرب يستعملون السبطانة وهي آلة لرمى البندق وصيد الطيور فقال الاسبانيون cerbatana و sebratana والبرتقاليون saravatana و sarabatana وأما الطليانيون فقالوا cerbattana واقتصر الفرنسيون على sarbacane وربما كان من هذه الجرثومة قول الاسبانيين zarabande وقول الفرنسيين sarabande رأوهم يستخدمون الحمة وهي نوع من السكاكين فقالوا couteau وربما كان هذا اللفظ مأخوذا عن صيغة الامر من قول العرب : قط يقط قطا أما الخنجر فقال الطليان فيه cangiaro والفرنسيون alfange وعلى ذلك قول شاعرهم

De nos honteaux soldats les alfanges errantes,

A genoux ont jeté leurs armes impuissantes.

وقالوا في الزغاية وهي نوع من الحراب العربية : Zagaie تجتمع العساكر عادة على صوت البوق ولكن الاسبان حينما أخذوا هذه الكلمة ونقلوها الى لغتهم قالوا albogue لزمارة الراعي . ومتى اجتمعت العساكر للعرض والتمرين فان الفرسان تختال بخيولها وقد يختال الفرس فيدور على نفسه وذلك قول العرب كركر الفرس أخذ

الفرنسيون ذلك اللفظ فقالوا caracoler وما أجمل امرىء القيس حين وصف الفرس بشطرة واحدة كل كلمة منها تدل على حركة مخصوصة وتجعل السامع يتخيلها واقعة حاصلة بحضرته قال

مكر مفر مقبل مدبر معا   كجلمود صخر حطه السيل من عل

وكانت السهام في ذلك الوقت هي التي يترامى المتحاربون بها . ولا يزال العرب مشهورين باصابة القبلة وهي الهدف والغرض والقرطاس. فقال الفرنسيون في هذا المعنى cible من كلمة قبلة . ولا أزيدكم علما بأن السهام توضع في الكنانة وهي الجعبة غير ان اشتباك العرب بالفرس والترك جعلهم يختارون كلمة من غير لسانهم وهي التركاش بهذا المعنى فقال الطليان turcasso ثم قالوا carcasso كما قال الاسبان carcax وكما قال البرتقاليون carcas والفرنسيون carquois وأنتم تعلمون ان الفرنسيين كانوا الى عهد قريب ينطقون بحرفي oi كما ينطقون بحرفي ai ولكنهم عدلوا عن كتابة oi في أمثال هذا المقام وابقوا carquois على حالها رسما ونطقوها بالنطق الجديد فلذلك صار بينها و بين أصلها العربي بون بعيد .

الى هنا وضعت الحرب أوزارها فاستقرت قدم الفاتحين وعرضوا جيوشهم تخفق فوقها الرايات والاعلام والبنود . فأخذ الفرنج هذه الكلمة الاخيرة فقالوا في بند المعربة عن الفارسية bande دلالة على الجماعة المنضوين تحت لواء واحد ثم أطلقوها من هذا القيد وقال الطليانيون فى ذلك bandière والفرنسيون bannière وأخذنا عن الطليانيين كلمتنا مطلية فنحن نقول الآن بنديرة .

ماذا كان لون راياتهم ؟

كان تبعا لشعار الدولة القائمة في دمشق أو بغداد أو القاهرة . فشعار بني أمية من الالوان الخضرة في الملابس والبياض في الرايات أخذوا البياض عن اللون الذى كان يعتم به النبي صلى الله عليه وسلم وأما بنو العباس فشعارهم السواد في الحالتين . أخذوا ذلك فيما يقال عن اللون الذى اختاره رسول الله يوم حنين و يوم فتح مكة . فانه عقد

لعمه العباس راية سوداء وقيل ان ذلك يرجع الى حزنهم علي ابراهيم بن محمد أول القائمين بالدعوة العباسية . فان مروان بن محمد الجعدى المنبوذ بالحمار وهو آخر بني أمية حينما ضيق عليه الخناق قال الرجل لشيعته : لا يهولنكم قتلي . فاذا تمكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم العباس . فلما قتله مروان لبس أشياعه كلهم السواد حدادا وحزنا عليه حتى اذا صار اليهم هذا الأمر أعنى الخلافة جعلوا السواد شعارهم في كل أمورهم وكانت جنودهم تعرف باسم المسوده فكانت المسودة تتقابل مع المبيضة (أى لابسي البياض من الموالين للأمويين) والناس على فريقين بعضهم يسود و بعضهم يبيض حتي عم السواد سواد العراق وخفق على جميع الآفاق . اللهم الا في الاندلس فانها عادت أموية بفضل عبد الرحمن الداخل وكان شعارها الخضرة فى الرايات كما يراه الانسان فى البقايا المحفوظة الى الآن فى دور التحف بمدريد وغيرها من أمصار اسبانيا

ولقد تغالى الاندلسيون أيام دولتهم في كراهة السواد حتى انهم لم يستعملوه فى الحزن والحداد فكانوا يلبسون الثياب البيض فقط فى الحداد لئلا يتشبهون بالعباسيين في شيء ما حتي عند وقوع المصائب وكوارث الايام .

ولقد تجددت فى هذه الايام ذكرى الاندلسيين فى حدادهم على يد غادة من فتيات أمركا وهي تظن انها مبتدعة للبس البياض فى حالة الحداد . أشير الى أرملة الخواجه أستور صاحب القناطير المقنطرة من الدنانير والملايين المملينة من الذهب الوهاج فانه بعد ان غرق حديثا في الباخرة تيتانيق titanic وهي لاتزال في ربيع العمر وريعان الشباب رأت من الواجب عليها أن لاتشوه محاسنها بلبس السواد على ماجرت به العادة الشائعة الآن في جميع أقطار العالم فاختارت البياض . فمن لى بتعريف هذه الغادة المعينة بانها ليست من المجتهدات وانها انما كانت لعرب الاندلس من المقلدات .

ومن غريب مايتعلق بالسواد والنساء ان الظافر خليفة الفاطميين بمصر لما قتله وزيره . بعث نساء الخليفة بشعورهن الى الصالح طلائع بن رزيك وهو يومئذ عامل بمنية ابن الخصيب (أعني انه كان مدير المنيا بحسب اصطلاحنا الادارى الآن) فاسرع لنجدتهن . ورأى أن

يستميل الامة المصرية وأجنادها اليه لاجل اغاثة الحريم والدفاع عن بيضة الخلافة فعقد تلك الشعور على رؤوس الرماح (كما هو الحال الآن في وضع جدائل الشعر فوق المزاريق التي يعتقلها الرماحة فى أوربة وفي مصر) وأقام الرايات السود من باب الحزن على الخليفة المقتول وعلى ماحل بالقصرين وساكنات القصرين من بيت الخلافة واعلانا بالحرب لأخذ ثار الظافر فدخل القاهرة على هذه الصورة. فكان ذلك من الفأل العجيب وهو ان مصر انتقلت الى المسودة (بني العباس) ورجعت الي حكمهم بعد ذلك بخمس عشرة سنة في أيام العاضد آخر الفواطم وعلي يد صلاح الدين الذى يسميه الافرنج كلهم Saladin فكان السواد شعارها الرسمي تبعا لراية أمير المؤمنين miramolin حتى جاءت دولة المماليك فصار لون الرايات هو الاصفر. كانت لهم راية سلطانية كبيرة صفراء وهي مطرزة بالذهب وعليها ألقاب السلطان. وبعدها راية عظيمة صفراء أيضا وفي رأسها خصلة من الشعر وهي التي تسمى بالجاليش. ويتلو ذلك رايات صفر صغار تسمى السناجق

فلما جاءت الدولة العثمانية صار اللون الرسمى هو الاحمر يتوسطه الهلال المحبوب الذى ترمقه العيون وتلتف حوله القلوب.

فلنقف الآن تحت الهلال ونترك البقية الباقية لمحاضرة أو محاضرات تالية ان شاء الله

احمد زكى

مطبوعات ومخطوطات

﴿ مؤلفات الدكتور شميل ﴾

قليل في المؤلفين المتقدمين والمتأخرين من رزقوا شجاعة الدكتور شبلي شميل وصراحته في المجاهرة بآرائه العلمية والفلسفية والاجتماعية عرف بذلك منذ نحو أربعين سنة فعد في مصر والشام أحد أفراد قلائل جدا وربما كان فردا في بابه نبت المؤلف في كفر شيما من جبل لبنان ودرس الطب في كلية الاميركان وأتقن اللغة الافرنسية فسهل عليه الكتابة بها كما سهل عليه الكتابة بالعربية وهو ينظم الشعر يتوخى فيه المعاني العلمية والاجتماعيـة وهاجر الى مصر منـذ أربعين سـنة ولولا ذلك لاضطهد وأوذي كثيرا خصوصا ومن مذهبه الدعوة الى العلم المحض الجديد والزهد في التعاليم القديمة كيف كانت حالها وهو ناشر مذهب دارون في النشوء والتحول باللغة العربية وهذا المذهب هو الذي يدعي بعضهم أنه يقول بأن أصل الانسان قرد والحقيقة انه « لايقول ان القرد أصـل الانسان وان الحمار أصـل الفرس بل ان الانسان والقرد والفرس وسائر الاحياء في الطبيعة قاطبة من أصل واحد في نشوئها من مواد الطبيعة وبمجرد قواها وقد تغيرت تبعا لناموس المطابقـة حتى بلغت مبلغها الآن بالانتخاب الطبيعي » فمذهب دارون الذي أثار ضجة كبرى في هـذا الشرق الادنى يوم ظهوره بالعربيـة هو مذهب علمي محض يدرس اليوم في المدارس الحرة من غير نكير وهو لايضر بجوهر الاديان على مايقول بعض الباحثين فيه بيد ان الحكمة تقضي على المتشبعين به أمثال صديقنا الشميل أن يدعوا اليه ولا يغضوا من شأن تعاليم رسخت في النفوس فوقرتها على توالي القرون وعندنا ان المبادىء العلمية كانت تربي قبولا من

النفوس في بلادنا أكثر مما رأت ولم يعرض أربابها بما هو أعز عزيز على الناس شربوا تقديسه مع لبن أمهاتهم وهيهات أن يحولوا عنه بمجرد دعوة داع أو تعريض معرض .

والكتب التي بين أيدينا من مؤلفات الشميل هي كتاب فلسفة النشوء والارتقاء وقع في ٣٧٧ صفحة طبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩١٠ وكان نشر أكثره في مجلة المقتطف العلمية كبيرة المجلات العربية ومجموعة ثانية وهي كجزء ثان للكتاب فيها موضوعات شتى عمرانية طبيعية علمية تاريخية أدبية سياسية تقريرية انتقادية فكاهية مما نشره المؤلف في جرائد ومجلات كثيرة فضم شتاته وقد طبع في مطبعة المعارف بمصر وهو يقع في ٣٤١ صفحة والكتاب الثالث رسالة في آراء الدكتور شبلي شميل طبعت بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٩١٢

مؤلفات الحسيني

من الناس من يؤلفون ارادة النفع العام ومنهم من يؤلفون للاتجار بما يؤلفون وكلتا الطبقتين نافعة ومن أهل الطبقة الاولى صديقنا أحمد بك الحسيني أحد سراة القاهرة وفقهائها القانونيين وآخر ما أهدانا من كتبه ورسائله ما طبعه في مطبعة كردستان العلمية « كتاب بهجة المشتاق في بيان حكم زكاة أموال الاوراق » وهو بحث عصري ديني بحث فيه في الاوراق المالية عند الامم كلها وحكمها ونظامها وطبق ذلك على الشريعة الغراء وهو في ٣٣١ صفحة والكتاب الثاني « البيان في أصل تكوين الانسان » وهو في ٢٠٨ صفحات والرسالة الثالثة في كتاب اعلام الباحث بقبح أم الخبائث في ١٥٤ صفحة والرسالة الرابعة في الاصول المسماة تحفة الرأي السديد الاحمد لضيا التقليد والمجتهد في ٨٤ صفحة وهذه الرسائل كلها مما تشتد حاجة العصر اليه لدفع الحرج عن الناس وتعليمهم الدين أو بعض مسائله العويصة مطبقاً على أحكام العلم والعقل فجزى الله المؤلف أفضل ما يجازى عاملا لا يتوقع من عمله الا الاصلح والانفع بما يعلم ويفهم

طبقات الامم

تأليف جرجي بك زيدان طبعه بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١٢ ص ٢٨٦
لمنشىء الهلال جرجي بك زيدان نفس طويل في التأليف وتفنن في ابتداع المبتكرات من الموضوعات ولا سيما ماراق منها طبقة خاصة من القراء وآخر تآليفه هذا السفر وهو يبحث في أصول السلائل البشرية وكيف نشأت وتفرعت الى طبقات وانتشرت في الارض وما تقسم اليه كل طبقة من الأمم أو القبائل وخصائص كل أمة البدنية والعقلية والأدبية ومنشأها ودار هجرتها ومقرها الآن وعاداتها وأخلاقها وآدابها وأديانها وسائر أحوالها وقد اعتمد فيه على اشهر من كتب بالانكليزية في هذا الموضوع وأضاف اليه بعض مايلذ ويفيد من المعلومات العربية وحلاه بأنموذجات من صور كل جنس من أجناس البشر فجاء يجمع الى الفائدة العلمية الخفيفة النكتة الفكاهية الظريفة تنتفع به الخاصة وتحرص عليه العامة فنهنه بكتابه الجديد ونرجو له التوفيق الى تأليف عشرات من أمثاله خدمة للغة وآدابها

حكم النبي محمد

للفيلسوف تولستوى وشيء عن الاسلام وأوروبا نقله عن الروسية سليم افندى قبعين طبع بمطبعة التقدم بالقاهرة سنة ١٩١٢ — ١٣٣٠ ص ٧٩
اعتاد صديقنا المعرب أن يتحف العالم العربي الحين بعد الآخر بشيء مما يكتبه المفكرون في روسيا ولا سيما ماله علاقة بالاسلام والمسلمين يتلطف في ترجمته وبوشك أن يكون وحده الذاهب بفضل هذه المزية في النقل عن الروسية ولا نذكر من المعربين عنها الا أناسا لا يبلغون عدد الانامل من أبناء سورية عربوا شيئا قليلا عن لغة السلافيين . أما هذه الرسالة فقد قال في وصفها المترجم «رأى الفيلسوف تحامل جمعيات المبشرين في قازان من أعمال روسيا على الدين الاسلامي ونسبتها الى صاحب الشريعة

الاسلامية أمورا تنافي الحقيقة تصور للروسيين تلك الديانة وأعمال صاحب تلك الشريعة بصورة غير صورتها الحقيقية فهزته الغيرة على الحق الى وضع رسالة صغيرة اختار فيها عدة أحاديث من احاديث النبي محمد عليه السلام ذكرها بعد مقدمة جليلة الشأن واضحة البرهان وقال هذه تعاليم صاحب الشريعة الاسلامية وهي عبارة عن حكم عالية ومواعظ سامية تقود الانسان الى سواء السبيل ولا تقل في شيء عن تعاليم الديانة المسيحية »

وقد رد المعرب الاحاديث الى أصولها وضم اليها مقالات نشرها بعض كتاب الروس فى مجلاتهم بفضائل الاسلام وحقيقته فنشكر للمترجم ونرجو أن تصح عزيمة كل عارف بلغة أجنبية أن ينقل لقومه مايهمهم من الموضوعات وينقصها من المعلومات والايضاحات

الحكمة المشرقية

تعريب محمد لطفي افندى جمعه طبع على نفقة مجلة البيان ص ١٠٠

معرب هذا الكتاب من رجال المحاماة والقلم والخطابة يعرفه القراء بما عرب وألف حتى اليوم فهو مثال النشاط المصرى ونموذج الكاتب الاجتماعي العصرى وكتابه هذا آخر مانشره للناس وهو ذو اسفار ثلاثة الاول حكم فتاحوتب الحكيم الوزير المصرى الثاني كلستان للشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازى الثالث كتاب التعليم الراقي للمرأة في اليابان للفيلسوف الياباني أو نادايجا كو . وفيها كلها من الحكم الروائع والكلم النوابغ مايجدر بالمتأدب الاخذ به وحبذا لوضاعف المترجم وأمثاله من الاكثار من مثل هذه الاسفار ليدفعوا عن الناشئة قليلا من السموم التي تنفثها في النفوس روايات الغرام والفوضى وأخبار اللصوص التي أضرت بآداب جمهور كبير من المطالعين فى هذا القطر وفي غيره من الاقطار العربية وحبذا لو صحت همة نظارة المعارف المصرية على منعها فهو أول واجباتها ومحاربة الرذائل لا يقل في النفع العام عن الاخذ بأيدى الفضائل

بلوغ المرام من أدلة الاحكام

لشيخ الاسلام احمد بن حجر العسقلاني طبعه عبد الرحمن افندى بدران سنة ١٣٣٠ — ١٩١٢ — ص ٢٨٠

ان ماطبع من كتب الحديث في هذه الديار لم يبلغ القدر الذى طبع منه فيما نعلم في بلاد الهند وهذا المختصر يشتمل على الاصول والادلة الحديثية للاحكام الشرعية بين المؤلف عقب كل حديث من أخرجه من الأئمة وهو نافع لطلاب الأثر وطلاب الاحكام معا فلطابعه الشكر الجزيل

عجالة المتأدب

ويليه رسالة لقط الحكمة تأليف صالح بك حمدى حماد طبع سنة ١٣٣٠—١٩١٢ بمطبعة مدرسة والدة عباس الاول بالقاهرة

مؤلف هذه العجالة كتب وترجم كثيرا في الموضوعات التي تنفع وتنهض بالقراء الى مستوى راق وتلقنهم الافكار الصحيحة وآخر كتبه هذا السفر جمع فيه حكما ومواعظ قديمة وحديثة منظومة ومنثورة عزاها لاربابها وقدم لكل فصل كلاما نافعا من عنده يؤثر في نفس القارىء وبعده لتناول الحكمة المستشهد بها جزاه الله عن الآداب خيرا .

بلاغة الانكليز

أو مختارات لوبان تعريب محمد افندى السباعي طبع بمطبعة التقدم بمصر سنة ١٩١٢ فى ثلاثة أجزاء صغيرة تبلغ زهاء ٣٥٠ صفحة

أهدتنا مكتبة البيان للسيد عبد الرحمن البرقوقي هذا الكتاب النافع معربا بقلم السباعي أفندى وهي مختارات من كبار المؤلفين الانكليز فى الحكمة والادب والتاريخ

والاخلاق والاجتماع منها ما يلذ المطالع العربي ومنها مالايقدر له قيمة الامن قرأه بلغته الاصلية وتشبع بروح اللغة المنقول عنها وعرف عادات أهلها ومناحيهم وما يستطيبونه من القول وما يمجونه والكتاب على عادة المعرب فى مانقله جيد ممتع وفقه الله الى ترجمة أمثاله من الكتب النافعة ككتاب التربية لسبنسر والابطال لكارلايل وغيرهما من معرباته

كتب ورسائل مختلفة

أحسن القصص تأليف صالح بك حمدى حماد فيها ثلاث روايات عصرية مصرية مؤلفة: الاولى رواية الاميرة براعة في ١٤٢ صفحة والثانية رواية ابنتي سنية في ١٥٢ والثالثة رواية بين عاشقين في ١٣٧

حقائق عن الانتخابات النيابية في العراق وفلسطين وسورية لحقي بك العظم

الاسلام والاصلاح تقرير رسمي للسر ر بشار وود في الاسلام نشره محب الدين افندى الخطيب

اخبار وافكار

ثرثرة النساء

يقول احد علماء الانكليز ان ماشاع على الألسن من ان في دم المرأة أن تكون ثرثارة أمر ثابت من طريق العلم أيضا وناشىء حقيقة من توارد الدم الى دماغها على صورة تخالف توارده الى رأس الرجل فالمرأة يرد عليها أعظم كمية من الدم الشرياني واصلا الى تقرتها على حين يصل الى الرجل أحسن الدم وأغزره الى الدماغ من جزئه الأعلى أو الى الجبهة وعلى ذلك فيكون عمل الدم في الذكر والانثى مختلفا فالقسم الوراثى من الدماغ هو مركز الحواس وهو محل حاستي النظر والسمع في حين ان القسم

الاعلى يحتوى علي مركز الارادة والشهوات والرغبات الناشئة من الشعور الداخلى . فالتأثير المنبه الناشي، من غزارة الدم في كلا القسمين يدل اذا علي السبب فى رؤية المرأة الاشيا، بسرعة ولماذا تتلو بسرعة أكبر وتتكلم أسرع من الرجل وتلتذ بكلامها وتهنأ أكثر من الرجل فان لطف قواها فى المدارك الحساسة وشدة ذكائها وتأثرها متنبهة فيها أكثر من رفيقها الرجل ثم ان مجرى الدم في الرجل أغزر في الجزء الخارجي يهبه غرابة فى ظواهره العاليـة من حيث الاعمال العقلية وحكما أهدأ وارادة أقوى ولذلك كانت المرأة ثرثارة أكثر من الرجل — قالته جريدة الماتين .

تفوق الرجال

نشرت الكاتبة المدونة صوفيا نادجدا في احدى صحف لندن ابحاثا جديدة بشأن اختلاف الاحساس في الحواس فقالت ان المرأة اسمى من الرجـل فى اللمس والرجل اسمى منها في الشم ويختلف الرجل والمرأة في الحكم علي الطعم فالرجل يشعر بالمرارة أكثر من المرأة وهذه تشعر بالحلاوة أكثر وحاسـة السمع في الرجل أقوى منها في المرأة وغلط رؤية الالوان عنـد المرأة أندر منـه عند الرجال وبينا نرى من يغلطون في تمييز الالوان من الرجال على معدل واحد فى كل ٢٥ أو ٣٠ نرى عـدد النسا، واحدة في كل ٢٥٠ بل ١٠٠٠ وهكذا في القابليات الادبية في الجنسين فقد تبين بالاستقراء ان صفة الهدو، هي فى الرجال علي معـدل ٢٥ فى المئة في حين هي فى النسا، علي معدل ٢٠ وقد فرض علي ٢٥ طالبا و ٢٥ طالبة أن يكتبوا فى آن واحد ومهلة حددت لهم مايستطيعون كتابته من الكلمات فكان معدل ما كتبه الطلاب ١٣٧٥ كلة وما كتبه الطالبات ١١٢٨

البقول الشافية

كتب طبيب في جريدة الطان مبحثا في البقول الشافية قال فيه ان الحروب في القديم لم تكن ضارة كل الضرر بل أتت بمنافع عادت على القائمين بالشي، الكثير

فان نساء مقدونية كن يسرن مع جيش الاسكندر ليهيئن لازواجهن المحاربين طعامهم وبذلك عرفن البصل اليابس والبصل الطرى والجرجير التي يتناولها المصريون ولولم يداهم الاسكندر ابن فيلبس بلاد الهند لما استطاع العالم القديم أن يعرف الفاصولية واللوبيا . وأخذ سكان غاليا عن أهل فوسه اليونان الذين داهموا اقليم البروفانس الزيتون وصنع الخبز وعاد القرطاجنيون من حملتهم على سردينيا يحملون البقدونس ووجد أحد الانكليز في فرجينيا البطاطا على عهد الملكة اليزابت وبالجملة فانا عرفنا معظم البقول المائية بالاختلاط كثيرامع شعوب الشرق والغرب ومن هذه البقول البصل فقد عرف القدماء خواصه فى ادرار البول ولطالما كان حساء البصل الدواء الحقيقي يورث الرجال قوة وقد رأى أحد كبار أطباء القرن الثامن عشر ان أربع بصلات تسحق فى قليل من الخمر الابيض تفتح الكلى وتسهل مجرى البول كما تسهل جميع العقاقير الحادة وقد عاد أحد اطباء بوردو منذ سنتين بعد ان نسي الاستشفاء بالبصل يسمح لاحد المصابين بالاستسقاء باستعماله مقليا ومشويا ومطبوخا فبعد ان كان بطنه مملوءا ماء اخذ يخف انتفاخه ويرجع الى حالته الطبيعية وعللوا ذلك لما فيه من ازوت البوتاس الطبيعي الموجود بكثرة فى لب البصل وقد استعمل الدكتور دلكاشه في باريز البصل علاجا لاحدى البنات كانت اصيبت بالخناق ثم بالكلب وامتلأت ساقاها ماء وعسر عليها البول فلم تكد تستعمل البصل الا وارتفع البول من ٢٥٠ غراما الى لتر واحد وخف الورم وزال هذا ويلاحظ ان بعض المعد ترى البصل بطيئا على الهضم . ولطالما استعمل الثوم فى الشفاء من الطاعون والوباء ورائحته تتبخر من الجلد والرئتين والتنفس ولذلك حظر اليونان الدخول الى المعبدعلي كل من تناوله فهو مضاد للتعفن أحسن من المواد غير الطبيعية التي نستعملها اليوم وكنا نشير على الناس بالاكثار من استعماله لولا انه نمام تنم عليه روحه وأنفاسه .

ثم ان الارضي شوكى استعمل زمنا مسحوقا للشفاء من الحميات المتقطعة ولبه اذا طبخ في الزبدة (القشطة) يكون لذيذا للناقهين وينفع المصابين بالبول السكرى ومثل ذلك يقال في الجزر والفاصولية وأحسن طريقة في الانتفاع من البقول أن لاتغلى كثيرا لتفقد خاصية مافيها من الاملاح النافعة بل أن تطبخ على البخار كما يطبخها من حتموا

على أنفسهم التغذى بالبقول أو على الطريقة الانكليزية ويكفي أن تجعل في سلة من المعدن تناط في القدر فوق ماء غال و بذلك تجمع الى اللذاذة فائدة . ويحتوى الجزر على صبغة كماوية واملاح وفوسفات البوتاس وسكر وغير ذلك من الحجيرات والمواد النافعة في التداوى

واختلف العلماء في الهليون فمن قائل بأنه دواء أكثر منه طعام ومن مدع انهسم وقد قال الطبيب فريدريك في أوائل القرن الثامن عشر ان الشراب المعمول من جذوع الهليون يسكن الخفقان وهو أحسن مسكن للقلب والهليون أحد الجذوع الخمسة المدرة للبول وأحسنه البرى أما المزروع في الحدائق فقد فقد من خاصياته بقدر مازاد في طعمه ولذاذته وتكثر مائيته فتكون ٩٣ في المئة منه واذ كان الهليون يهيج الكلى خصوصا فيمن تجاوزوا الخمسين بحيث قد ينشأ عنه ضرر فالاولى لهم الابتعاد عنه أو يستشيرون طبيبهم في ذلك

ولقد كان الخس مما يرغب فيه القدماء ومنهم من يستعمله عقيب الطعام ويرون انه مرطب للون وفيه من المواد ماينفع في تنقية الاحشاء من الفضلات ويدخل مع الكراث في حساء البقول . وهذا الحساء اذا أخذ باردا على الريق يكون مصلا نافعا شافيا من اضطراب المعدة ومن الامساك الشديد ومانعا من التعفن ويمكن ان يتناول حارا ممزوجا بقليل من الشعرية والسميد وتحضيره سهل وهو أن يغلي لترمن الماء مع ملعقة صغيرة من الملح الاسمر وتلقى فيها كراثتان وجزرة ولفتة ونصف خسة وقليل من الهندباء المسحوقة وان تغلى من عشرين الى خمس وعشرين دقيقة لا أكثر والا فتصبح مرة والمقصد مزجها لاجعلها حساء

وكان للملفوف أيضا عند أجدادنا موقعمهم ولطالما وصفه كبار الاطباء الاقدمين لما فيه من الكبريت وقد أوصى كوبلر أحد اطباء القرن التاسع عشر في استعماله لامراض الجلد وتحسين التنفس واذا صعب هضمه فلا بأس بأن يضاف اليه اثناء طبخه ملعقة من بيكربونات الصودا وكذلك السبانخ فان فيه حديديا حيا بكمية وافرة ولذلك ينفع كثيرا ارباب فقر الدم وفساده وهو ملين بما يحتوى من المواد الغروية والكر والاحسن لمن فيهم مغص ان يبتعدوا عن تناوله . ومثل ذلك يقال في القرع

والجرجير والخردل الذى يهيج الاحشاء و يطهر الامعاء ولا ينبغي الاكثار منه لفتح القابلية للطعام في البلاد الحارة فانه يضر

هذا وان البطاطا قد ارتأى احد كبار اطبائنا انها نافعة للمصابين بالبول السكرى يتناول منها المصاب به ١٥٠٠ غراما لما فيها من املاح البوتاس الخاصة الغزيرة بحيث ان الكيلو غرام منها يحتوى من المواد القلوية التي لا تحويها معظم المياه المعدنية التي تستعمل في امراض الكبد .

عظمة الجبان وشناؤه

كتب بول غولتيه في الطان مقالة تحت هذا العنوان قال فيها ان من لم يدخل لجبن قلبه بعض الاحايين ينعي على نفسه بأنها متوسطة فى مداركها وقابلياتها وانها غير مستعدة للنبوغ والتفنن ومن لم يدخل فى طور من الجبن ولو قليل في صباه يستحيل عليه أن يلبس لكل حالة لبوسها بدون تردد على العكس في الشبان الذين يجربون انفسهم فى مواطن الجبن والشجاعة فانهم من ارباب العقول المبتذلة على ان الجبن في المرء ينبغي ان يكون محطة واحدة فى حياته وصعب اذا تأصل الجبن بقليل من الخجل والخوف فهو نوع من الاضطراب لايخلو منه امرؤ وان وشفور زعيم الاشتراكيين ليصفر وجهه ويجبن قليلا امام الجمهور وكذلك المحامي بالي المشهور وكذلك كان شأن نابوليون الأول وهو يقف امام شعبه فيتماسك وكم أصيب بهذا الجبن رجال ولا سيما من الممثلين والمحاضرين والواعظين وكم من رجل يعد في كبار الخطباء فاذا جئته تقدم له رجلا يحمر خجلا وكم من آخر يخوفه ابنه ويحسب له ألف حساب ومن ألوف يخشون بأس نسائهم ومن آخرين يخشون بأس الرجال وكم من أستاذ يخاف من تلاميذه فيجبن امامهم وكان وهو تلميذ لايخاف بادرة أحد وكم من رجل كبير العقل واسع المدارك يجبن اذا التقى وأحمق لأنه يدرك هول الموقف فلا يتيسر له أن يتفاهم واياه بالنظر للفروق بينهما

والجبناء هم الذين غرز فيهم الجبن بالفطرة بدون أن يجبهم أحد فيجبنون لأنفسهم بدون أدني سبب فيخفق قلبهم ويحمرون و يصفرون و يهتزون وتضيق

أنفاسهم وقد يصابون بمغص وغشيان وكم من ممثلة كبيرة أصيبت قبل الدخول الى المرسح بمثل هذه الاعراض وكم من امرىء أضاع صوابه فلم يعرف ماذا يقول وماذا يريد فسلبت منه حاسة القول وحاسة الارادة وغاب فلم يع على نفسه يسكت فلا يحير جوابا و يغيب عن حضور ذهنه ومثل ذلك يصيب الطلبة في الفحوص وكم منهم من أخفق بسبب هذا الجبن. ولطالما شكا الفيلسوف جان جاك روسو والمقنن مونتسكيو من جبن ينالهما حتى قال الاخير عن نفسه ان الجبن كان آفة حياتي

الجبان يضحك الناظرين منه فقد يرفع صوته في محل يجب خفضه و يخفضه في محل الرفع وتختل حركاته وقد يخرج من الغرفة و يقع من تعلق رجله بالبساط وربما حفر الكبير وكبر الصغير وربما ظنه الحضور أحمق أخرق لاعقل له ولا معرفة ولذلك لا ينجح في حياته وكم من واحد يدفعه حب المال أن يذهب الى أقصى الارض فيستفيد من ضعفه و يظهر كذلك وليس هو سعيدا في حبه وربما كان هو المحب الحقيق بحيث ان كل انسان مولع بالحب مهما بلغ من جسارته يصبح جبانا أمام محبوبه فلا يحب. والنساء لا يأخذ بمجامع قلوبهن الا الجسورون وليس للجبان حظ من النساء وما أقسى الحكم عليه في ذلك لانه لم يكن جبانا الا طمعا في العواطف

وفي تلك الحال يغير الجبن أخلاق المصابين اذا لم يستطيعوا التخلص منه ومن يتفوقون عليه يكونون في الغالب دونه على ان الجبان قد يختار العزلة عن الناس لئلا يناله منهم مايضره في عزة نفسه و ينزله عن كبريائه على ان الجبان لا يظل على جبنه الا لضعف في ارادته وتضاؤل في امتلاك اضطراباته والدليل على ذلك ان الجبن يزيد و ينقص بحسب الحالة الصحيحة والاحمرار يكون على أتمه فيهم يحمرون بسبب و بلا سبب فهم يشبهون راكب الدراجة يخاف السقوط فتخونه رجلاه فيسقط وكم منهم من بقوا عازبين ولم يستمتعوا باللذائذ وكم منهم فكروا في الانتحار ليخلصوا مما هم فيه

وأحسن دواء للخلاص من الجبن ان لم يكن سهلا فهو ممكن أن يعمد الى عمل كل مايقوى المجموع العصبي وأكثر ماينجع فيه التأني وتربية الارادة. وبالجملة فان الجبن محطة في الحياة يجب أن يقف فيها الشباب وهي جوهرية تنقذ الرجل الذي يتربي بأن تكرهه على ان يحسن قياد نفسه وتعده لحياة داخلية دع أن الجبن في أكثر

الاحيان هو نتيجة استعداد لان يأتي صاحبه بالبدع والغرائب وقصارى القول ينبغي أن يتفاءل خيرا للجبان على شرط أن يداوى نفسه ومثله هو الذى يخادنه التوفيق بأن يكون رجلا فى هذه الحياة

الامم والحمامات

أرسل الدكتور كين أحد أطباء مانشستر بلاغا من ألطف ما كتب الى المجلس الصحى في يورك من بلاد الانكليز بشأن نظافة الجسم الانساني والحمامات قال بعد البحث الدقيق انه في كل عشرين نزيلا فى الفندق واحد فقط يستحم وفي مقدمة المستحمين الضباط ثم من اعتادوا الألعاب الرياضية أما رجال الدين فهم اقل الطبقات استحماما واذا وضعنا الامم ترتيبا في الاستحمام فيكون رجال الانكليز فى المقدمة ثم الايكوسيون والايرلنديون ثم نساء الامريكان ثم نساء الانكليز ثم رجال أميركا ثم الفرنسيس والالمان وهؤلاء على مستوى واحد والسر في تفوق نساء الأميركان على نساء الانكليز فى النظافة هو ان نساء الاميركان لايتحاشين من الخروج بألبسة النوم في الفنادق امام النزلاء بخلاف الانكليزيات فانهن يتحامين ذلك أدبا وتعففا هـذا ماقاله انكليزى فى حين كان من الامور الثابتة فى اوروبا ان اكثر اهلها نظافةهم الانكليز والسر فى نظافة الانكليز ان الاستحمام في معظم فنادقهم مجاني في حين ان الاستحمام فى الفنادق ولا سيما في البلاد التوتونية يكلف الفرنكين والثلاثة كل مرة اما فى الشرق فمن العجيب ان تقل النظافة مع بذل الماء وتسهيل الوسائط عما كانت عليه في القرون الوسطى مثلا

اللؤلؤ

نشرت المجلة الفرنسوية مبحثا في اللؤلؤ آتونا تحصيله فيما يلي : كان اللؤلؤ الذى ترغب فيه كل ذات ظرف اليوم مشهورا عند المصريين والبابليين والاشوريين والصينيين وورد ذكره فى العهد القديم والعهد الجديد واطالما اولع بحبه الشرق ولا

تسكل حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة الا اذا كان فيها كلام على اللؤلؤ ومازالت جميع بلاد الاسلام تبتاعه ويكتفون منه بما حضر مهما كان حجمه لان أسبابهم المالية لاتساعدهم على ابتياع المدور منه ولا يستعملونه الا مثقوبا يجعلونه في الاساور والعقود ويدخل في بعض العقاقير ولا سيما فى بلاد الصين التي تستعمل مسحوق اللؤلؤ في كثير من الادوية زعما منهم بأن مسحوقه يعيد الى الشيخ نشاط الشاب في الخامسة والعشرين من عمره وهذا الاعتقاد في نفع اللؤلؤ قديم فقد قيل ان كلوبطرا ملكة مصر تناولت لؤلؤة حلتها في الخل وكانت تعتقد بغناء هذا الدواء . وقد دخل استعمال اللؤلؤ الى فرنسا على عهد هنرى الثاني على يد كاترينا دى ميدبسيس ولم يستعمله الناس كلهم الا منذ نحو عشرين سنة بل كان خاصا بالعظماء والعظيمات ولطالما أحبت اسبانيا و بولونيا وجزء من الروسيا الشرقية اللؤلؤ وعدته من أنواع الزينة الوطنية ومنذ نحو عشرين سنة شاع استعماله في انكلترا وايطاليا شيوعه في فرنسا ثم أخذ ينتقل الى جميع بلاد أوروبا و يصل أميركا الشمالية والجنوبية والنساء يرغبن اليوم فى اقتناء اللؤلؤ بحيث كادت الأثمان التي تبذل فيه تعد في فصل مالا ينتج من رأس المال فأصبحت مغاوص اللؤلؤ لاتقوم بما يطلب منها كل سنة حتى رأوا أن يبتاعوا القديم منه المستخرج من جمهوريات أميركا الوسطى وهو الذى يصاد فى بناما وكوستاريكا فبلغت أثمانه عشرين ضعفا مما كانت تساوى ويبتاع أهل اسبانيا و بولونيا وروسيا لؤلؤهم من الهند والصين فيرقبون افلاس الراجات أو ملوك الهند بعض السنين ليخرجوا عن لؤلؤهم العظيم وان كان يعز عليهم ذلك كما يعز على الصينيين أن يبيعوا لؤلؤهم خصوصا ما كان منه مدفونا مع آبائهم وأجدادهم لان العادة عندهم أن تدفن مع الميت جواهره وحليه ولا يلبث اللؤلؤ القديم أن يبتاع من المشرق فينقطع أثره وهذا السبب فى غلاء ثمن اللؤلؤ فان مايعاد منها أصبح نادرا ولا يعاد اليوم الا الصغير الحجم ففي سنة ١٩١١ التي كانت من السنين الجيدة في صيد اللؤلؤ فى الخليج الفارسي لم يستخرج سوى نحو أربعين لؤلؤة تجاوز الواحدة الخمسة والعشرين قمحة وهو أحسن موسم للؤلؤ في بحار العالم كله وتقدر قيمة مايستخرج من الخليج الفارسي سنويا من أربعين الى ستين مليون فرنك ويختلف شكل اللؤلؤ بحسب اصدافها وقعر البحار التي تعيش فيها فاذا

كان قعر البحر كلسياجاء اللؤلؤ أبيض واذا كان حديدياجاء لؤلؤه ملونا واللؤلؤ يستخرج وعن منطقة مستطيلة في بحار الارض في خليج فارس الى جزيرة مرغريتا الى فنزويلا فمصايد أوستراليا فمصوع وتاهيتي وبناما وكاليفورنيا والجزائر الهولاندية وغير ذلك وخير الصدف ما استخرج من المصايد القديمة أما المصايد الحديثة فتنضب بسرعة ولا توازى العناء في الاستثمار

قد يظن بعضهم ان من يصيدون اللؤلؤ أغنياء والحقيقة ان صائديه فقراء ويختلف عددهم بين ستين وثمانين ألفا في شاطئ جزيرة العرب والمتجرون به من تجارهم الاغنياء لا يزيد عددهم على خمسة عشر شخصا ومصائد اللؤلؤ على ١٥٠ الى ٢٠٠ ميل من شاطئ بلاد العرب يقضون أعظم المشقات في صيده ويغوصون ثلاث دقائق في الغالب ومنهم من يهلك غرقا أو تعضه سمكة ولا يستطيع أن يغوص اكثر من خمس سنين ثم يضعف. قال الكاتب ولما رايت ماحل ببعض هؤلاء الغواصين ذكرت او باش باريز فقلت في نفسي ليت الحكومة ترسلهم ليعملوا في صيد اللؤلؤ الاشغال الشاقة فان هلاكهم واقع لامحالة والبلاد تنجو منهم واعظم سوق تقام للؤلؤ في العالم مدينة بومباى يقصدها تجاره من بلاد العرب ومصوع وسيلان وجزائر جاوة وغيرها من مصايد المحيط الهندى وفيها تكون لسماسرة هذا الجسم الكريم شدة وعرامة واهم تجاره انكليز كان اهم مصائده بأيدى انكلترا وقيمة المستخرج منه تقل سنة عن اخرى وربما جاء يوم استعيض عنه في الزينة بالاحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والزبرجد على ان بعض معادن هذه آخذ بالنقص ايضا وتجارته اليوم تساوى مئات الملايين من الفرنكات وكم اغتني منه تجار من الانكليز والايطاليين والالمان خصوصا ايام كان يباع بثمن بخس ولم تكن الانظار متجهة اليه اما اليوم فندر من يبيع بثلاثة اضعاف مايشترى وفي الماضي كان ذلك من المألوف

الاسراف في القهوة

يزيد غرام العالم اليوم بعد اليوم باستعمال القهوة فالفرنسوى يصرف في السنة كيلو غراما ونصفا من البن والالماني كيلو غرامين ونصفا والامريكي ثلاثة ونصفا

والبلجيكي خمسة ونصفا والعثماني ستة ونصفا والبرازيلي سبعة والانكليزي يكتفي بكيلو واحد . قالت المجلة راوية هذا النبأ وليت شعري هل اعتدال الانكليزي في القهوة نشأ عنه سكونه في عراك هذا العالم العصبي

الالكحول والامية

لاحظوا في المانيا ان الانتشار لا لكحول علاقة بتعليم الشعب فالعملة الذين يطالعون أكثر من غيرهم ولاسيما الصحف أقل استعمالا للالكحول ممن لا يطالعون ففي اقليم ورتمبرغ حيث تجد للسكان رغبة زائدة في المطالعة وتباع الصحف كثيرا يقل شاربو المسكرات أكثر من ولاية بوزن الالمانية التي يرغب سكانها عن المطالعة وتقل صحفها وبذلك تسقط دعوى من قال ان العملة يزيد تعاطيهم المسكرات كلما قل عملهم وكثر فراغهم .

أكبر محطة

تعمر الآن في اميركا أكبر محطة من محطات السكة الحديدية في العالم وهي محطة سكة بنسلفانيا نيويورك وتنتهي سنة ١٩١٥ تكلف تسعمائة مليون فرنك وأهم مافيها الشرفات التي تبنى لقبول الركاب وهم نازلون من القطار والخطوط الحديدية تعلو قليلا عن سطح الارض وتقام فوق المحطة عمارات ذات عشرين طبقة

الحمى المعاودة

قالت الطان : ان للحمى المعاودة شدة خاصة بسبب انتشارها العفني وهي تكثر في أفريقية الشمالية وأفريقية الوسطى وينتقل ميكروبها الحلزوني بواسطة الحشرات الطفيلية ولا سيما القمل وقد أكد نيكول وبيلزو ونسل ان هذه الحشرات لايمكن أن تنقل الميكروب الى الاشخاص الذين ليس في جلدهم آفة او جرح فبحث العلماء منذ ذاك العهد عن كيفية انتقال المرض فاثبتوا ان الميكروبات عند ماتلحق بالحشرات تتبدل وتصبح مرئية بالمجهر وتدخل الى الباطن فتنمو وتتكيف تكيفها الاول بعد ثمانية ايام وهكذا يمكن التوقي من الحمى المعاودة اذا اعتنى السكان باهلاك الحشرات بدون

سحقها والظاهر ان الحميات المعاودة المنتشرة في بعض اقاليم روسيا وآسيا وايرلاندة وكندا التي يسكنها اناس قلما يحفلون بالقواعد الصحية لها نفس هذه الوسائط في الانتقال والعدوى

الصناعة في النمسا

وجدت الصناعة النمساوية لها مصرفا عظيما في بلادها اذ زادت في الجمهور القدرة على الابتياع بزيادة لجور العمال وسهولة استخدام العاملين لايديهم وابدانهم ويستدل على زيادة المصروف من البضائع وقلة الصادر منها بنمو عدد المعامل في تلك الامبراطورية فقد كان عددها سنة ١٩٠٢ — ١١٩٥٤ مشروعا للصنع الحاصلات الصناعية وتحويلها فاصبح عددها سنة ١٩٠١ — ١٤٥١٧ اي بزيادة ٢٥٦٣ منها ٢٦٣٩ معملا للنسيج و ٢٩٦٧ معملا لصنع الحجر والفخار والخزف والزجاج و ٢٣٣٥ معملا للمواد المأكولة و ١٥١٨ معملا للمعادن و ١٤٦٧ معملا للسلال و ٩٢٥ معملا للحاصلات الكيماوية وقد كان يعمل ١٧٣٣٠٠٠ شخص سنة ١٩٠٢ في هذه المعامل المختلفة والبيوت وعددها كلها ١٠٣١١٤ وتبلغ اجورهم ١٠٥ ملايين كورون فاصبح عددهم سنة ١٩١٠ ٢٦٦٦٠٠٠ شخص واجورهم ١٨٩٠ مليون كورون يعملون في ٢٣٠٠٠ معملا ومحلا فزيادة عدد العملة ٣١ فى المئة والاجور ٥٧ في المئة يدل على ان قوة الاستهلاك في الناس قد نمت فى النمسا على معدل واسع

السكك الحديد الهوائية

يراد بالسكك الحديد الهوائيـة النقالات المحتوية على ادوات للجر وطرق للدفع مؤلفة من سلك أو اسلاك معروفة من القديم ولم تستخدم في الصناعة ببلاد الغرب الا سنة ١٨٣٤ في حين كانت معروفة فى نابولى ففي متحفها قطعة من السلك نحاس وجدت في خرائب بومبي وقد عرفت هـذه النقالات الهوائية منذ زهاء الف سنة في يابان والصين جعلوا لها اسلاكا من الياف نباتيـة ليجتازوا عليها الانهار والاودية العميقة ولكن أول وصف لسكة حديد هوائية لم يجر الا سنة ١٤١١ كما شوهد مسطورا في مخطوط محفوظ في مكتبة فينا ثم شاع استعمالها وأخذ اللومبارديون يعمدون اليها فى اجتياز الانهار ونقل التراب لعمارة الحصون وفي كتاب لرجل ظهر في البندقية

نحو سنة ١٦١٧ أول تخطيط لسكة حديد هوائيـة تستعمل لنقل الاشخاص وكانت المانيا في العهد الحديث أسبق الامم الى استخدامها فقد استعملوها سنة ١٨٧٢ في بناء الحصون في متز ثم أولع بذلك الاميركان

الحبوب النافعة

للفوسفور دخل كبير فى قوام الجسم الانساني كان البشر فى أيامهم الاولى يحصلون عليه من البانهم ولحومهـم ولما شرعوا يزرعون الحنطة و يمصرون الامصار و يختطون القرى أخذوا يعمدون الى البقول في الحصول على الفوسفور اللازم قال الدكتور هالم فى الطان أن الارز الذى هو أن الارز هو أساس غـذاء المشارقة يحتوى على ١٤ فى المئة من الحامض الفوسفورى وفيه غذاء كاف حديدى ومطبوخه نافع فى الشفاء من الاسهال أكثر من جميع الاحسية والعدس على مايظهر من تاريخ عيسو كان له شأن عظيم فى القديم وفي العدس ٧ غرامات و٥٥ في المئة فيها فوسفات بل هي غنية بالحديد وكذلك يقال في الشعير وهو غذاء نافع والقرطمان فيه مادة فوسفورية جيدة وهو يدخل في كثير من الدقيق المستعمل في تغذية الاطفال وفيـه ١٤ فى الالف من الفوسفات وهو نافع جدا للمصابين بالبول السكرى . والحنطة كانت في كل قرن غذاء نافعا تأتي بالفوسفات المطلوب في الأجسام وكان أجدادنا يتناولون الخبز أسمر بما فيه فنفعهم لان فيه ٧٠ في الالف من هذه المادة في حين لايحتوى الابيض أكثر من نحو واحـد فى الالف من الفوسفات ولذلك يفضل الاسمر على الابيض فى الصحة وقد قال بعض علماء الصحـة ان انتشار داء ضعف المجموع العصبي (النوراستنيا) ناشيء من تناول الدقيق الابيض في الخبز وأحسن الخبز ما كان وسطا لا أبيض ولا أسود والابيض منه قد كان منه مرض الزائدة الدودية المنتشر في هـذا العصر . وقد قال الدكتور ان الحبل والرضاع يأخذان المرأة فوسفورا كثيرا و كذلك يفقد المرء فوسفورا كثيرا اذا كان مصابا باحدى الامراض المعـدية كالسل والقرمزية والحمى التيفوئيدية ومن أصيب بالهم والغم وأنهك عقله بالاشغال الفكرية ومن استرسل فى شهواته وفي بيض الدجاج معوض مهم عن الفوسفور لان فيـه ١٣ في الالف فاوصى المتعوبين والمعمرين أن يتناولوا في الصباح عند قيامهم من النوم صفار بيضه تمزج بسكر ناعم فى فنجان قهوة وتخلط بلطف في قهوة سوداء لا تكون غالية كثيرا

كتاب الادب والمروءة

« عني بنشره الشيخ طاهر الجزائري »

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين قال صالح بن جناح : اعلم ان العرب قد تجعل للشيء الواحد اسماء وتسمى بالشيء الواحد اشياء فاذا سنح لك ذكر شيء فاذكره باحسن اسمائه فان ذلك من المروءة وانما المرء بمروته فالمروءة اجتناب الرجل مايشينه واجتنابه مايزينه وانه لامروءة لمن لاادب له ولاادب لمن لاعقل له ولاعقل لمن ظن ان في عقله مايغنيه ويكفيه عن غيره وشتان مابين عقل وافر معه خمسون عقلا كلها وافر مثله واوفر منه ومن عقل وافر لافادة معه وفي ذلك اقول شعراً :

وما ادب الانسان شيء كعقله * ولا زينة الا بحسن التأدب

وقال ان الافئدة مزارع الالسن فمنها ماينبت مازرع فيه من حسن ولاينبت ماسمج ومنها ماينبت ماسمج ولاينبت ماحسن ومنها ماينبت جميع ذلك ومنها مالاينبت شيئاً وان من المنطق لما هو اشد من الحجر وانفذ من الابر وامر من الصبر واحر من الأسنة وانكد من زحل ولربما احتقرت كثيراً منه على حرارته ومرارته ونكده مخافة ماهو احر منه وامر وافظع وانكد وفي ذلك اقول شعراً :

لقد اسمع القول الذي كاد كلما * يذكرنيه الدهر قلبي يصدع
فابدي لمن ابداه مني بشاشة * كأني مسرور بما منه اسمع
وما ذاك من عجب به غير انني * ارى ان ترك الشر للشر أقطع

وقال في ذي الوجهين : من اظهر ماتحب او تكره فانما يقاس مااضمر بما اظهر لانك لاتقدر ان تعرف ما اسر وقال :

ليس المسيء اذا تغيب سوءه * عندي بمنزلة المسيء المعلن
من كان يظهر ما احب فانه * عندي بمنزلة الامير المحسن
والله اعلم بالقلوب وانما * لك مابدا لك منهم بالالسن
ولقد يقال خلاف ذلك انما * لك مابدا لك منهم بالاعين

وقال في الصدود : اما بعد فقد احضرتني من صدك ماآيسني من ودك ولم يزل يجري في لحظك مايدخلني في رفضك ويدلني على غل صدرك وفي ذلك اقول شعراً :

تظل في قلبه البغضاء كامنة * فالقلب يكتمها والعين تبديها
والعين تعرف في عيني محدثها * من كان من حزبها او من يعاديها
عيناك قد دلتا عيني منك على * اشياء لولاهما ما كنت ادريها
ان الامور التي تخشى عواقبها * ان السلامة منها ترك مافيها

وقال في كثرة المال وقلته : لاتستكثر مال احد ولاتستقله حتى تعلم ماعياله فان من كثر ماله وعياله فهو مقل ومن قل ماله وعياله فهو مكثر

وقال في ذكر الاحمق ودخوله فيما لايعنيه : واكثرهم دخولا فيما لايدخل فيه وارضاهم بما لايكفيه — عدوه اعلم بسره من صديقه وصديقه قد غص منه بريقه ولايثق بمن نصحه ولايتهم من خدعه ولايأمن الا من يخونه ولايحفظ الا ممن يحفظه ولايكرم الا من يهينه اشبه شيء خلقا باللئيم ان احسنت اليه لم يشكر وان اسأت اليه لم يشعر لا ينفعك من وجه الا ضرك من وجوه : ان اقبل عليك لم يسرك وان ادبر عنك لم يضرك ان افسد شيئا لم يحسن ان يصلحه وان اصلح شيئا افسده ان احبته فرأى منك حسنا لم يحسن ان ينشره وهو مع ذلك بخطئه اشد اعجاباً من العاقل بصوابه ان جلس الى العلماء لم يزدد الا جهلا وان جلس الى الحكماء لم يزدد الا طيشا وانما جعل نفسه المحدث لهم يكلفهم ان يكونوا المنصتين له اعيا الناس اذا تكلم وابلدهم اذا تعلم واصحبهم لمن يشينه وارفضهم لمن يزينه واشدهم في موضع اللين والينهم في موضع الشدة واجبنهم في موضع الشجاعة ان افتقر عجب من الناس كيف يستغنون وان استغنى عجب من الناس كيف يفتقرون لا يفهم ان حدثته ولا يفقه ان افهمته ولا يقبل ان وعظته ولا يذكر ان ذكرته وفي ذلك اقول شعرا :

المرء يصرع ثم يشفى داؤه * والحمق داء ليس منه شفاء
والحمق طبع لايحول مركب * ما ان لاحمق فاعلمن دواء

وقال في ذكر الهوى : ان من الناس من اذا هوي عمي ومنهم من اذا هوي ابصر مرة وعمي اخرى ومنهم من اذا هوي لم يكد يخفى عليه شيء وهو اللبيب العاقل الحليم الكامل الذي ان اعجبه امر نظر الى هواه وعقله فان اتفقا اتبعهما وان اختلفا اتبع

عقله وترك هواه وكان امره معتدلا يشبه بعضه بعضاً وقليل ماهم وفي ذلك اقول شعرا :

املك هواك اذا دعاك فربما * قاد الحليم الى الهلاك هواه
الله يسعد من يشاء بفضله * واذا اراد شقاءه اشقاه

وقال ايضاً في الناس تحسن وجوههم عند حاجاتهم وتغير وجوههم عند غناهم شعراً :

ارى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم الينا
وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن اوجههم علينا
ومنهم من سيمنع ما لديه * ويغضب حين يمنع ما لدينا
فان يك فعلهم سمجا وفعلي * قبيحا مثله فقد استوينا

وقال فيمن فعل امراً لا يحسن ان يحتال له : اعلم ان من قاتل بغير عدة او خاصم بغير حجة او صارع بغير قوة فهو الذي صرع نفسه وخصم نفسه وقتل نفسه فان ابتليت بقتال احد او مخاصمته او مصارعته فاحسن الاعداد له واعرف مع ذلك عدته وابصر حجته واخبر قوته كما يخبر قوتك وحجتك وعدتك فان رأيت تقدما والا كان التأخر قبل التقدم خيراً من التندم بعد التقدم وفي ذلك اقول شعراً :

اذا ما اردت الامر فاعرفه كله * وقسه قياس الثوب قبل التقدم
لعلك تنجو سالما من ندامة * فلا خير في امر اتى بالتندم

وان من الناس من يرزق حجة او عدة او قوة فتكون عدته هي التي تقتله وقوته التي تصرعه وحجته التي تخصمه وذلك انه ربما ادل نقاتل قبل ان يعلم اهو اعد ام الذي يقاتله وكذلك في الذي يخاصمه و يصارعه فاذا هو قد قتل او صرع او خصم فلم ينفعه جودة عدته ولا قوة حجته حين اتى الامر من غير جهته وفي ذلك اقول :

اذا ما اتيت الامر من غير وجهه * تصعب حتى لا ترى منه مرتقا
فان الذي يصطاد بالفخ ان عتا * على الفخ كان الفخ اعتى واضيقا

وقال في الذي يعاتب الناس بغير مودتهم و يوجب حق نفسه عليهم : لا تدع الناس الى برك واجلال امرك وتعظيم قدرك بالمعاتبة ولكن ادعهم الى ذلك بما تستوجبه منهم وانظر الامر الذي اكرم به من هو ابعد منك وقرب به من انت اقرب منه فالزمه فانك ان تلزمه لم تحتج معه الى معاتبة ولا استبطاء حق لانك ان

دعوتهم الى تكرمتك بغير ماتستوجب التكرمة به فانما دعوتهم الى اهانتك امابكلام يجرحك واما بفعال تفدحك وان دعاهم الى ذلك فضلك اجابوا اما بثناء يرفعك او بجزاء ينفعك ·

وقال في معرفة الاخوان انك لن تعرف اخاك حق المعرفة ولن تخبره حق الخبرة ولن تجربه حق التجربة وان كنتما في دار واحدة حتى تسافر معه او تعامله بالدينار والدرهم او تقع في شدة او تحتاج اليه في مهمة فاذا بلوته في هذه الاشياء فرضيته فانظر فان كان اكبر منك فاتخذه ابا وان كان اصغر منك فاتخذه ابنا وان كان مثلك فاتخذه اخا وكن به اوثق منك بنفسك في بعض المواطن وقال: كن من الكريم على حذر ان اهنته ومن اللئيم ان اكرمته ومن العاقل ان احرجته ومن الاحمق ان مازحته ومن الفاجر ان عاشرته ولا تدل على من لا يحتمل ادلالك ولا تقبل على من لا يحب اقبالك وكن حذراً كأنك غر وكن ذاكراً كأنك ناس والزم الصمت الى ان يلزمك التكلم فما اكثر من يندم اذا نطق واقل من يندم اذا لم ينطق واذا ابتليت فعند ذلك تعرف جودة منطقك وقلة زللك وسعة عفوك وقلة حيلتك ومنفعة قوتك وحسن تخلصك واعلم ان بعض القول اغمض من بعض وبعضه ابين من بعض وبعضه اخشن من بعض وبعضه الين من بعض ولو كان واحدا فان الكلمة اللينة لتلين من القلوب ماهو اخشن من الحديد وان الكلمة الخشنة لتخشن من القلوب ماهو الين من الحرير وان اعظم الناس بلاء وادومهم عناء واطولهم شقاء من ابتلي بلسان مطلق وفؤاد مطبق فهو لايحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت واعلم ان ليس يحسن ان تجيب من لا يسألك ولا تسأل من لايجيبك وفي ذلك اقول شعرا (١)

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ماأورد الامر اصدرا

وقال في الرفق بالدواب: ان رفق الرجل بدوابه وحسن تعاهده لها وقيامه عليها عمل من اعمال البر وسبب من اسباب الغنى ووجه من وجوه المروءة: وقال التدبير مع المال القليل خير من المال الكثير مع سوء التدبير وانما المنفقون ثلاثة جواد مبذر وكريم مقدر ولئيم مقتر وفي ذلك اقول شعرا:

رب مال سينعم الناس فيه * وهو عن ربه قليل الغناء

---

(١) نسبة هذين البيتين الى نفسه من قبيل الوهم فانهما من قصيدة النابغة الجعدي

كان يشقى به وينصب حينا * ثم امسى لمعشر غرباء
ماله عندهم جزاء اذا ما * انعموا فيه غير سوء الثناء
رب مال يكون غما وذما * وغني يعد في الفقراء

وقال في تصنيف الطعام اذا كنت ممن يؤكل طعامه، وتحضر مائدته ويؤكل معه فليكن الذي يتولى صنعة طعامك من الب الناس في عمله وانظفهم في يديه ولا تدع اعلامه ان احسن ولا انذاره ان اساء فان تعتبك عليه خير من تعتب الناس عليك واعلم ان لكل شيء غاية وان غاية الاستنقاء التنظيف في الاستنجاء والاكثار من الماء حتى يستوي اليدان والريح والمنظر فانه لاطيب اطيب من الماء ولو انه المسك وما اشبهه من الاشياء وانما يستدل على نظافة الرجل بنقاء اثوابه وانما يكون القذر في الحمقى من الرجال والنساء وبه يستدل على بلادتهم وفي ذلك اقول شعراً

ولا خير قبل الماء في الطيب كله * وما الطيب الا الماء قبل التطيب
وما انظف الاحرار في كل مطعم * وما انظف الاحرار في كل مشرب

وقال في صفة العدو والصديق: احرص ان لا يراك صديقك الا انظف ماتكون ولا يراك عدوك الا احصن ماتكون فاما الصديق فان كان الذي اعجبه منك خلقك او خلقك ولما كان يحبك فكلما ازددت حسنا كان حبه لك اكثر ورغبته فيك اوفر (واكثرك عنده واكبر لك في صدره) (١) وادوم له على عهدك واما العدو فليس شيء اعجب اليه من دمامتك وخساستك فاحترس منه واظهر الجميل فليس شيء اعجب اليه من التمكن منك فانظر ان لا يكون شيء اعجب اليك من التحصن منه

وقال في العقل والادب: اعلم ان العقل امير وان الادب وزير فان لم يكن وزير ضعف الامير وان لم يكن امير بطل الوزير وانما مثل العقل والادب كمثل الصيقل والسيف فان الصيقل اذا اعطي السيف اخذه فصقله فعاد جمالا ومالا وعضدا يعتمد عليه ويلتجأ اليه فالصيقل الادب والسيف العقل فاذا وجد الادب عقلا ثقفه ووفقه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف واذا لم يجد عقلا لم يعمل شيئاً لانه لا يصلح الا ماوجد وان من السيوف لما يصقل ويسقى ويخدم ثم يباع بادنى الثمن ومنها ماباع بزنته دراوز برجدا وذلك على نحو الحديد وجودته او رداءته وكذلك الرجلان يتأدبان بادب واحد ثم يكون احدهما انفذ من الآخر اضعافاً مضاعفة وانما ذلك على

(١) وجدت هذه الجملة بالاصل من غير نمط طبعها

قدر العقل وقوته في الاصل وفي ذلك قلت شعراً

وقد يصلح التأديب من كان عاقلا * وان لم يكن عقل فلن ينفع الادب

وقال في المراء : اذا اجتمع اهل نوع فتذاكروا عَلَى نوعهم ذلك فلم يكن اصل كل واحد منهم ان ينفع بما اسمع وينتفع بما سمع فاعلم ان تذاكرهم ذلك من اول المراء يصدع العلم ويوهن الود ويورث الجود ويفشي الشحناء ويغل القلب وفي ذلك اقول شعراً

تجنب صديق السوء واصرم حباله * فان لم تجد عنه محيصاً فداره
واحبب صديق الخير واحذر مراءه * تنل منه صفو الود مالم تماره

وقال في الحكمة : اما مايسمع من كثير من الحكمة فان اوله شيء يخطر على الافئدة اذا خطر وهو اصغر من الخردلة وادق من الشعرة واوهن من البعوضة ثم تحركه الالسنة وتنبذه الافئدة كما يحاك البرد وكما يمد النهر فيعود اكثر من الكثير واوثق من الحديد واثمن من الجوهر واحسن من الذهب وانفع من كليهما لانه يزيد في المنطق ويذكي الذهن ويعين على الابلاغ ويتجمل به القائل ويتقلب فيه كيف يشاء ويختار منه مايشاء فينتفع به اللطيف ويفيل به السخيف ويتزيد به الكثيف ويتأيد به الضعيف ويزداد به الايد قوة في منطقه وبلاغة في كتبه فيكون في حفظه منفعة للخطباء في خطبهم وللبلغاء في بلاغتهم وكتبهم وللكرماء في بشاشتهم وللشعراء في قصائدهم فاذا كنت ممن يؤلف حكمة او يضع رسالة او يذكر في مهمة فلا تكمه قلبك ولاتكره ذهنك فانه اذا اكره كل ووقف ولكن ان كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له والتأخر عنه على التقدم فيه فان الذهن يجم كما يجم البئر ويصفو كما يصفو الماء .

وقال في الكلام واخراجه : اعلم ان مثل الكلام كمثل الحجارة فمنها ماهو اعز من الذهب والفضة ومنها مالايعطى في الصخرة العظيمة منه درهم وفي ذلك قول شعراً

وما الحجر الكبير اعز فيما * ظفرت بــه من الحجر الصغير
وكم ابصرت من حجر خفيف * صغير بيع بالثمن الكثير

وقال في طلاقة الوجه وحسن الخلق : كن اسهل ماتكون وجهاً واظهر ماتكون بشراً واقصر ماتكون امدا واحسن ماتكون خلقا والين ماتكون كنفاً واوسع ماتكون

اخلاقاً فان الايام والاشياء عقب ودول فان انكرت منها شيئاً يوماً ما كان (ما) انكرت منها شيئاً خفيفاً على اهل الشماتة وعلى اهل الصفاء واحذر ان تحزن من يحبك وتفرح من يحسدك فلم ار في مصاب الدهر مصيبة اوحش من تغيير النعمة وان انت لم تنكر منها شيئاً ودامت لك بما تريد فما من الدنيا شيء تناله بدعة ورفق الاوهو اهنأ مما نيل بتعب ونصب فاما من كفي وعوفي فما يصنع بالغضب والتضايق وانما هم العمر ونكد الدهر وفي ذلك اقول شعراً

ماتم شيء من الدنيا علمت به * الا استحق عليه النقص والغير
ولا تغير من قوم نعيمهم * الا تكدر منه الورد والصدر
فعاد غما ولن تلق امرأ ابدا * (اغنى) من ملك ايام يفتقر

وقال في الكذب :

كذبت ومن يكذب فان جزاءه * اذا ما اتى بالصدق ان لا يصدقا

وقال فيه ايضاً

اذا ما رأيت المرء حلواً لسانه * كذوباً فايقن انه لاحيا له
ولاخير في الانسان ان لم يكن له * حياء ولا في كل من لاوفا له

وقال في الاخوان

ليس من كان في الرخاء صديقاً * وعدو الصديق بعد الرخاء
عدة في اخائه لصديق * انما ذاك عدة الاعداء
لوظفرنا بذي اخاء امين * لاشتريناء اخاءه بالغلاء
لو وجدنا اخا متينا امينا * لاتخذنا اخاءه للشفاء

اما الرفقاء في السفر والجلساء في الحضر والخلطاء في النعم والشركاء في العدم فاحفظ مصاحبتهم وواظب على اخائهم وفي ذلك اقول شعراً

وكنت اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فاحسن حين يحسن محسنوهم * واجتنب الاساءة ان اساؤا
وابصر مايعيبهم بعين * عليها من عيوبهم غطاء
اريد رضاهم ابدا وآتي * مشيئتهم واترك ما اشاء

لاتبتدئن احداً بصغير مما يكره ولا بكبيره ولا بقليل مما يسخط ولا بكثيره فان ابتداك احد بشيء من ذلك فقدرت على الانتصار منه فعفوت او انتصرت فما احسن

جميع ذلك الا ان العفو اكرم والانتصار اعز وكلاهما حظ وفي ذلك اقول شعراً
(فماذات باب بحمده فيما علمت عليه من طرق الصواب ..
واي الناس الأم من سفيه * يقول ولايخاف من الجواب

وقال في الجهل : اياك والجهل فانما تجهل على ثلاثة رجل انت اعز منه ورجل هو اعز منك ورجل انت وهو في العز سواء فاما جهلك على من انت اعز منه فلوم واما جهلك على من هو اعز منك فخيف واما جهلك على من هو مثلك فهراش مثل هراش الكلبين ولن يفترقا الا مفضوحين او مجروحين وليس هذا من فعال الحكماء والعلماء الحليم ارزن والجهول انقص وفي ذلك اقول شعراً

ماتم علم ولا حلم بلا ادب * ولاتجاهل في قوم حليان
ولا التجاهل الاثوب ذي دنس * وليس يلبسه الا سفيهان

وقال في رؤية الرجل وخبره ان من الناس من يعجبك حين تراه وتزداد عند الخبرة اعجابا (به) ومنهم من تبغضه حين تراه وعند الخبر تكون له اكثر بغضاً ومنهم من يعجبك مخبره ولا يعجبك منظره ومنهم من يعجبك منظره ولا يعجبك مخبره وفي ذلك اقول شعراً

ترى بين الرجال العين فضلا * وفيما اضمروا الفبن الغبين
ولون الماء مشتبه وليست * تخبر عن مذاقته العيون
فلا تعجل بنطق قبل خبر * فعند الخبر تنصرم الظنون

وقال ايضاً في ذلك

وما صور الرجال بها امتحان * وما فيها لمعتبر بيان
ولكن فعلهم ينبيك عنهم * به تجب الكرامة والهوان
وما الانسان لولا اصغراه * سوى صور يصورها البنان

وقال ايضاً

لم ازل ابغض كل امرئ * وجهه احسن من خبره
فهو كالغصن يرى ناضراً * ناعما يعجب من زهره
ثم يبدو بعده ثمر * فيكون السم في ثمره

وقال في النهي عن القبيح : واذا رأيت من احد امراً فنهيته عنه فلم يحمدك ولم يذم نفسه على مكانه او يحدث حدثا تعلم انه قد انتفع بمقالتك فان ذلك عيب

آخر قد بدا لك منه لعله اقبح من الذي نهيته عنه وفي ذلك اقول شعراً :

ولا نهيت غوياً من غوايته * الا استزاد كأني كنت اغريه
ولا نصحت له الا تبين لي * منه ابتغاه كأني كنت اغويه

وقال في المؤاخاة : لا تؤاخ احداً الا على اختيار منك له وارتضاء منك به واتفاق منه لك فاذا اتفق امركما كذلك فاعلم ان كلاكما يحسن ويسيء ويصيب ويخطيء ويحفظ ويضيع فوطن نفسك على الشكر اذا حفظ وعلى الصبر اذا اضاع وعلى المكافأة اذا احسن وعلى الاحتمال والمعاتبة اذا اساء فان معاتبة الصديق اذا اساء احب الى الحليم من القطيعة في معاشرة من تؤاخيه وفي ذلك اقول شعراً :

واذا عتبت على امريء احببته * فتوق ضائر عتبه وسبابه
والن جناحك ما استلان لوده * واجب اخاك اذا دعا لجوابه

واحرص ان تعرف موقعك من كل احد حتى من ابيك وامك فان من السخافة ان تكون لاخيك فيما يحب ويكون لك فيما تكره وما اقبح ان تكون له فيما يكره ويكون لك فيما تحب واعلم ان من تنفعك صداقته ولا تضرك عداوته الكريم الذي ان احسنت اليه كافاك وان اسأت اليه عاتبك واما من تضرك عداوته ولا تنفعك صحبته فهو الجاهل السفيه اللئيم وفي ذاك اقول شعراً :

من الناس من ان يرض لا تنتفع به * ولكن متى يسخط فما شئت من ضرر
ضعيف على الاعداء لكن قلبه * اشد اذا لاقى الصديق من الحجر

وقال في تقلب الدنيا شعراً :

انما الدنيا سراج * ضوءه ضوء معار
بينما غصنك غصن * ناعم فيه اخضرار
اذ رماه الدهر يوماً * فاذا فيه اصفرار
وكذاك الليل يأتي * ثم يمحوه النهار

وقال في المداراة : اذا هبطت بلداً اهلها على غير ما تعرف وانت على غير ما يعرفون فالزم كثيراً من المداراة فما اكثر من دارى ولم يسلم فكيف من لم يكن منه مداراة وفي ذاك اقول شعراً :

يا ذا الذي اصبح لا والداً * له على الارض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم * فاي نفس بعده خالده

ان جئت ارضا اهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

وقال لاتقاتلن احداً تجد من قتاله بدّاً فانما الحق لمن غلب ولا غالب الا الله وان آخر الدواء الكي فلا تجعله اولاً وفي ذلك اقول شعراً :

وكم رأينا من اخي غبطة * اصبح مسروراً وامسى حزينا
وكم فتى يركب طاحونة * للحرب قد اصبح فيها طحينا

وقال في الاعسار والايسار :

كم من صديق لنا ايام دولتنا * وكان يمدحنا قد صار يهجونا
اني لاعجب ممن كان يصحبنا * ما كان اكثرهم الا يراؤنا
لم ندر حتى انقضت عنا امارتنا * من كان ينصحنا اوكان يغوينا
من كان ينصفنا ما كان يصحبنا * الا ليخدعنا عما بايدينا

وقال في الصلة والتفضل : لايكن من وصلك احق بصلتك منك بصلته ولا من تفضل عليك اولى بالتفضل منك عليه فانما انت وهو كرجلين ابتدرا اكرومة فقصر احدهما وبلغ الآخر فانما القاصر قصر عن حظ نفسه واما البالغ فبلغ بجميل امره وعظيم قدره

وقال في القدر : اذا كان الرجل لبيباً فاعلم انه كامل ولكن لن يقدمه ذلك الى ما كان يطالب ولن يؤخره عما كان يحاذر الا بقدر يلحق به ماطلب ويسبق به مايحذر وان من الناس من يؤتى منطقاً وعقلاً ولا يؤتى مالاً ومنهم من يؤتى مالاً ولا يؤتى غيره فيحتاج مع ماله الى عقل ذي العقل ومنطقه ويحتاج ذو العقل الى مال ذي المال ورفده وينهض هذا بهذا وهذا بهذا (١) (فليس لاحدهما اذاً غنى عن الآخر) فاحوج الملك الى السوقة واحوجت السوقة الى الملك

وقال في التفاضل : لاتقل فلان اغنى مني وانا احزم منه فانه لو جمع العقل والشدة والشجاعة والمال واشباه ذلك لقوم وبقي قوم لاشيء لم لهلكوا ولكن الله عز وجل قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات فاوتي بعضهم عقلاً وبعضهم قوة وبعضهم مالاً مع اشياء ممايكون فيه صلاحهم وبه معايشهم ثم احوج بعضهم الى بعض فعاشوا وانما مثل الرجل ورزقه ومثل عقله وادبه ومروءته وحكمه كمثل الرامي ورميته فلا بد للرامي من سهم ولابد

(١) في الاصل فليس لايهما اذا

لسهمه من قوس ولابد لقوسه من وتر ولابد لجميع ذلك من قدر يبلغ به مارشق ويصيب به مايبلغ ويجوز به ماأصاب والا فلاشيء فالرامي الرجل والرمية الرزق ولايجمع بينهما عقل ولاعز ولاشيء من ذلك الا بقدر وفي ذلك اقول شعراً :

مالقوس الاعصا في كف صاحبها * يرعى بها الضان او يرعى بها البقر
او عود بان وان كانت معقفة * حتى يضم اليها السهم والوتر
وان جمعت لها هذين فهي عصا * حتى يساعد من يرمي بها القدر

وقال : ان حسن السمت وطول الصمت ومشي القصد من اخلاق الانقياء وان سوء السمت وترك الصمت ومشي الخيلاء من اخلاق الاشقياء فاذا مشيت فوق الارض فاذكر من تحتها وكيف كانوا فوقها وكيف حلوا بطنها وكيف كانوا اسماً واعلم ان ابن آدم اعز من الاسد واشد من العمد مالم تصبه ادنى شوكة وادنى مرض وادنى مصيبة فاذا اصابه شيء من ذلك وجدته اهون من الذرة وامهن من البعوضة فلا يغرك تجبره وتكبره وتفرعنه واستطالته وفي ذلك اقول شعراً :

ولاتمش فوق الارض الا تواضعاً * فكم تحتها قوم هم منك ارفع
فان كنت في عز وحرز ومنعة * فكم طاح من قوم هم منك امنع

وقال في الغنى والقنوع : ان الغنى في القلب فمن غنيت نفسه وقلبه غنيت يداه ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه وفي ذلك اقول شعراً :

اذا المرء لم يقنع بشيء فانه * وان كان ذامال من الفقر موقر
اذا كان فضل الله يغنيك عنهم * فانت بفضل الله اغنى وايسر

وقال في الرأي والمشاورة : اذا استشير نفر انت احدهم فكن آخر من يشير فانه اسلم لك من الصلف (١) وابعد لك من الخطأ وامكن لك من الفكر واقرب لك من الحزم وفي ذلك اقول شعراً :

ومن الرجال اذا زكت احلامهم * من يستشار اذا اشتشير فيطرق
حتى يجول بكل واد قلبه * فيرى ويعرف مايقول فينطق
فبذاك يطلق كل امر موثق * وبذاك يوثق كل امر يطلق
ان الحليم اذا تفكر لم يكد * يخفى عليه من الامور الاوفق

وقال في النهي عن مجالسة اهل الاهواء والبدع ومحادثتهم : اما هذه الاهواء فاني

(١) في الاصل الصدق

لم ار احداً ازداد فيها بصيرة الا ازداد فيها عمى لان امر الله اعز من ان تلحقه العقول ولم ار اثنين تكلما فيها الا رأيت الكل واحد منهما حجة لا يقدر صاحبه على دفعها الا بالشبهة والمغالطة واما بالنصيحة فلا ومن غالط في هذا او مثله فانما يغالط نفسه وعليها يخادع واياها يخدع او اراد ان يخادع به والله اعز من ان يخدع لقد نبئت ان الله تبارك وتعالى اوحى الى نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لاتجادل اهل الاهواء فيوقعوا في قلبك شيئاً يوردك به الى النار فهذا امر نهي عنه موسى عليه السلام وقد اعطي التوراة فيها هدى الله وقد كلم الله موسى تكليما فكيف بغيره من اهل الاهواء ولم يزل الصالحون يتناهون عن الهوى والمراء فيه والجدل به ولم ار قياساقط تم ولا كلاماً صح الا وفيه كلام بعد كثير فالسنة ان لايتكلم في شيء من الاهواء بالهوى و بغير الاتباع للكتب المنزلة والسنن للرسل الصادقة وفي ذلك اقول شعراً :

اذا اعطي الانسان شيئاً من الجدل * فلم يعطه الا لكي يمنع العمل

وما هذه الاهواء الا مصائب * يخص بها اهل التعمق والملل

وقال في النميمة : اياك والنميمة فانها لاتترك مودة الا افسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ولاضغينة الا اوقدتها ثم لابد من عرف بها او نسب اليها ان يتحفظ من مجالسته ولا يؤتى بناحيته وان يزهد في مناقشته وان يرغب عن مواصلته وفي ذلك اقول شعراً :

تمشيت فينا بالنميم وانما * يفرق بين الاصفياء النمائم

فلازلت منسوباً الى كل آفة * ولازال منسوباً اليك اللوائم

وفي مثله اقول

كالسيل في الليل لايدري به احد * من اين جاء ولا من اين يأتيه

فالويل للعهد منه كيف ينقصه * والويل للود منه كيف يبليه

وقال: اذا قيل لك اي شيء اطول فقل الكلام واذا قيل لك اي شيء اقصر فقل الكلام لان الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لالف كلمة وقد يكون جوابها الف كلمة واكثر ولن تدرك الكلام حتى تذره ولن تذره حتى تحذره وفي القول خطأ كثير وبعضه صواب وان الصمت منه لاصوب فاترك منه مالاتنتفع بأخذه وخذ منه مالاتقدر على تركه واسجن لسانك كما تسجن عدوك واحذره كما تحذر غائلته

وقال في تاديب النفس: اذا ابصرت بعض ماتكره من غيرك فأسرع الرجعة منه

قبل ان يبصره منك من يستريبه واحمد الله الذي احسن اليك وبصرك عيوب نفسك ونبهك للرجوع عن غيك واذا اخبرك بعيبك صديق قبل ان يخبرك به عدو فاحسن شكره واعرف حقه فان خبر العدو تعييب وخبر الصديق تأديب وفي ذلك اقول شعراً

ولن يهلك الانسان الا اذا اتى * من الامر مالم يرضه نصحاؤه

وقال في الحاسدين : اعلم انك لن تلقى من الخير درجة ولن تبلغ منه مرتبة ولن تنزل منه منزلا الا وجدت فيه من يحسدك وانما الحاسد خصم فلا تجعله حكما فانه ان حكم لم يحكم الا عليك وان قصد لم يقصد الا اليك وان دفع لم يدفع الا حقك وفي ذلك اقول شعرا :

ولو كنت مثل القدح النبت قائلا * الا ما لهذا القدح ليس بقائم

ولو كنت مثل النصل الفيت قائلا * الا ما لهذا النصل ليس بصارم

(١) تم ادب صالح بن جناح بفضل منشئ الروح ومجري الرياح الملك الوهاب الفتاح وذلك في سلخ شهر ذي القعدة سنة ١٠٨٦ والحمد لله اولاً وآخراً وباطناً وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تنبيه

لم نقف على ترجمة صاحب هذا الكتاب فيما بين ايدينا من الكتب وانما رأينا له ذكراً في كتاب العلم للحافظ بن عبد البر . حيث قال احسن ماقيل في الصمت ماينسب لعبد الله بن طاهر وهو

اقلل كلامك واستعذ من شره * ان البلاء ببعضه مقرون

واحفظ لسانك واحتفظ من عيه * حتى يكون كانه مسجون

وكل فؤادك باللسان وقل له * ان الكلام عليكما موزون

فزناه وليك محكما في قلة * ان البلاغة في القليل تكون

وقد قيل ان هذا الشعر لصالح بن جناح والله اعلم وهو اشبه بمذهب صالح وطبعه اه

(١) هكذا وجد في الاصل المنقول عنه

الحكومات وشرائعها

عرف الانسان منذ نشأته ان الاتحاد ذريعة لنيل سعادته ووسيلة للحصول على مراده فمال بالفطرة الى الاجتماع تكاتفاً على ما يتعلق بامر معيشته من مجموع وترحال ومأكل ومشرب ودعاه الى ذلك داعي العجز والتقصير للقيام بمقتضيات حياته المدنية كالصناعة والزراعة على اختلاف اصنافها والعلم على تعداد انواعه فكان اجتماعه قسرياً ضرورياً لراحته ورفاهته عبرت عنه الحكماء بقولها الانسان مدني بالطبع اي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم .

ولما كان الانسان ميالاً بالطبع الى الظلم والعدوان كان من الضروري لاجتماعه وجوب وجود وازع يدفع بعض الناس عن بعض ويهتم باصلاح شؤونهم واحوالهم ومعيشتهم والا تضعضعت دعائم العمران ووهت اسبابه وقواعده لانه ليس من الممكن عقلياً اجتماع افراد بدون اتفاق فيما بينهم على كيفية نيل المعاش واقتسام الرزق ولا يمكن ذلك الاتفاق الا بوجود وازع عادل يحدد حقوق كل فرد وواجباته طبقاً لقواعد ادبية اجتماعية تعرف الآن بالشريعة وهي ولئن اختلفت مبدأ باختلاف العادة والمكان لا تختلف غاية وهي المحافظة على حقوق الانسان لقيام المجتمع البشري كما قال العلامة ابن خلدون في مقدمته : « ولكي يتم للانسان الاجتماع لابد له من سنن يكفله ولابد من العدل في هذه السنن اي مراعاة مصالح الجمهور المتبادلة ولابد من احترامها كذلك والا انفصمت عروة الاجتماع وتداعت دعائمه . ولكن لما كان الانسان كثيراً مالا يسلك من نفسه الطرق المثلى المؤدية الى ذلك اما عن عتو او غرور او عن جهل وذهول كان لا بد له من اقامة قوة يناط بها المحافظة على المقرر من السنن والاقتصاص ممن يحيد عن جادتها والا آل به الحال الى الفوضى اي لابد له من وازع يكون منه اذا لم يمكن ان يكون من سواه يدفع عدوان بعضه عن بعض ويهتم باصلاح شؤونهم » اه

فهكذا نشأت الشرائع والحكومات ولم تكن الاولى بداءة بدء سوى مجموع عوائد وآداب بعضها مافرضته الاديان واخرى ماقضت الاحوال باتباعه عفواً فاخذت ترتقي بعدئذ بارتقاء الانسان الى ان وصلت الى ماهي عليه الآن كما انه « لا ينكر تغيير الاحكام بتغيير الازمان » .

فما الشريعة سوى خطة تسري الحكومة بموجبها فتحدد حقوق الجميع وهي مسؤولة

بالطبع لدى هذا النظام عما تفعله بالنظر الى رعاياها كما ان ارباب العائلات مسؤولون لدى نظامهم عما يفعلون بالنظر الى عائلاتهم لا بل تبعة الحكومة اعم من مواجب ارباب العائلات لان رب العائلة تطالبه أسرته وهو مسؤولية لها ولذمته في حين تطالب الرعية الحكومة والرعية مجموع أسر عديدة فتكون مسؤولة لها وللوطن كما قال ارسطو : « العالم بستان سياجه الدولة والدولة سلطان تحيا به السنة والسنة سياسة يسوسها الملك والملك نظام يعضده الجند والجند اعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية عبيد يكنفهم العدل والعدل مألوف وبه قوام العالم » .

فينتج اذن مما تقدم ان نشوء الشرائع والحكومات كان قديماً بقدوم اول اجتماع نظراً لما في طبيعة الانسان الحيوانية من الاثرة والعدوان التي تحول دون اجتماعه وتآلفه لولا حاكم عادل يحد لكل حقوقه حسب الشرائع المفروضة فتاريخ الشرائع مرتبط بتاريخ الحكومات وتاريخ الاجتماع البشري كل الارتباط اي لم يمكن الاجتماع دون الحكومات لتحفظ كيانه وتذب عن حماه وتدفع عن حوزته ولم تكن الحكومات دون الشرائع لتسير بتوجيها فتحدد بالقسط والسوية حقوق الجميع ولم تكن الشريعة بدون حكومة تسنها ولم تكن الحكومة بدون جمعية تحكمها كما قال الموبذان بن بهرام في حكاية البوم التي نقلها المسعودي « الملك لا يتم عزه الا بالشريعة ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الله وبه قوام العالم » . اهـ .

قلنا ان الشريعة لم تكن بادئ بدء سوى مجموع آداب وعوائد قضت الاحوال باتباعها عفواً ثم اخذت ترتقي بارتقاء الانسان الى ان وصلت الى ما هي عليه الآن من الرقي والفلاح فهي اذن مرآة صافية ينعكس عليها مركز الامة في الجسم الاجتماعي كما ينعكس عليها ايضاً من عوائدها واخلاقها ما يظهر لنا تأخرها او تقدمها . فمن اطلع على شرائع الفرس واليونان قديماً واهل سومطرة مثلاً في القرن الماضي ووقف على ما جوزته شرائعهم من سلخ جلد المجرم بالقتل وسحقه بين صخرين او طمره حياً في الرماد حتى يموت تحته خنقاً الى غير ذلك من الفظائع الحيوانية كأن يلقوا المجرم الى السباع او يمزقوا جسده بالكلاليب او يحرقوه حياً او يشدوا اطرافه الى اربع افراس فيمزق المجرم بالقتل اربا اربا عرف حق المعرفة فظاظة طبائعهم وقسوة قلوبهم وغلظة اكبادهم

وحكم حكماً باتاً على تلك الامم بسكرة الجهل وتسكعها في مهامه الخمول لان قساوتها وانحطاط اخلاقها وعوائدها كانت تنجلي في شرائعها باجلى بيان على بقائها تحت وقر الجهل ووراء ظل الارتقاء .

واذا رجعنا فوقفنا على كثير من شرائع ام اوربا المتمدنة الآن كانكلترا وفرنسا والمانيا وغيرها من ام العالم المتمدين كاميركا وخصوصاً شرائع مملكتنا العثمانية نحكم بالطبع على وجوب رقي تلك الامم لما ينجلي منعكساً على مرآة شرائعهم الصافية من حسن العوائد وطيب الاخلاق ما يضطرنا ان نقول بارتقاء تلك الامم طبقاً لارتقاء شرائعها . ولكن لماذا لا يصدق هذا الحكم على امتنا العثمانية وشريعتها من احسن الشرائع ونظامها من اقوم النظامات ؟ لماذا لا يصدق علينا هذا الحكم بل لماذا نحن في تأخر ؟ الاننا من جنسية غير جنسيتهم ونحن ذرية الذين اشتهروا بالصناعة والتجارة والحماسة والشجاعة والفتوحات والفصاحة والمعارف والحكمة ؟ ام لانهم اقرب منا استعداداً للارتقاء ونحن من القوم الذين افاض الله عليهم من بركات الحجى ما اقام لهم الاندماج في سلك الرتبة الاولى بين مراتب بني آدم ؟ كلا ليست هذه من الاسباب التي اودت بامتنا بعد ان كان لها من بسطة الملك واستفحال الكلمة ونفوذ الشوكة مالم تصل اليه امة من ام اوربا المراقية . ولكن هو ضعف الادارة في الاعمال وعدم تنفيذنا الاوامر الشرعية والقوانين المفروضة وقلة رجالنا الامناء المخلصين كانت من جملة امراضنا الاجتماعية فقلدنا كما قيل كبار الاعمال لصغائر الرجال اي وضعنا الشيء في غير موضعه فاصبح الوالي ظالماً والقاضي محابياً والجندي خائناً وامر الشريعة لغواً لا يعمل به ولا ينفذ فلابدع اذا فسدت الامة بفساد الحكومة التي هي بمنزلة الرأس منها وقد اجاد القائل :

واذا رأيت الرأس وهو مهشم ايقنت منه تهشم الاعضاء

وهكذا يستنتج ان سلامة الوجود موقوف على سلامة النظام وسلامة النظام يكفلها حسن العمل وذلك مترتب بالطبع على ادارة مستقيمة حسنة تصدر من رجال مخلصين امناء لان الادارة ميزان كل حكومة وقوام كل مملكة كما ان الرجال سياج الامة يذبون عن حوضها و يدرؤن طوارئها فيذهبون بها من غمرات الخلل الى سواحل النظام والسعة كما قال انو شروان « الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واستقامتهم وتنفيذهم اوامر الشريعة المفروضة من الله » .

فاذا كانت شريعتنا من اقوم الشرائع ونظامنا من احسن النظامات وحكومتنا لا تعمل به فهو لغو ومعتبر حبر تسير بموجبه الحكام فتحدد بالسوية حقوق الكل وواجباتهم · التعليم اجباري بمملكتنا المحروسة ولكن من يرد عليه هذا الامر ولا يسقط في يده ومن يعمل به من الحكومة ؟ توسيع الطرق وتطهير الشوارع وتسهيل اسباب النقل ومراقبة اسعار ضروريات الانسان من واجبات المجلس البلدي في كل ولاية مثلاً ولكن هل تسير اعضاؤه على خطة واجباتهم فتحافظ على راحة الشعب ورفاهته وتوسع الطرق وتطهر الشوارع حتى قال بها احدهم مرة «ان اهالي دمشق تود لو تزرع الاشجار في شوارعها لتكثر الامطار فتتخلص من الغبار الذي لا يسكنه غير مياه السماء» · شريعتنا تحرم الرشوة بالطبع فتقول «ماحرم اخذه حرم اعطاؤه» ولكن العاملين بها قلبوا الآية فحللوا الاخذ والعطاء · «التصرف على الرعية — كما ورد في القانون — منوط بالمصلحة فيلزم ان يولى في المناصب اهلها ولا يكلف الناس مالا يحتمل ويدفع الظالم عن المظلوم ويؤمن السبل ويدفع الاذى» ولكننا نحن نقلد الوظائف لمن لا يصلح لها فنضع الشيء بغير موضعه ونساعد الظالم على المظلوم وان كنا ندري بان ذلك مبدأ الخلل ·

وخلاصة القول ان شريعتنا من احسن الشرائع واقومها لو نعمل بموجبها ولكن فساداً طرأ على افكار العاملين بها فغيروا المعاني وصحفوا الالفاظ وحرفوها طبقاً لمآربهم ومقاصدهم ·

المكلية بيروت : حبيب جرجي كحالة

النحام ومرادفاته

١ً تمهيد

اصعب مافي اللغة العربية تحقيق الالفاظ العلمية ولا سيما مايتعلق منها بعلم المواليد. فترى اغلب المعاجم تخبط في هذا البحث ولا خبط عشواء · ولهذا يحسن بالعلماء ان يحققوا تلك الالفاظ و يتتبعوها تتبعاً علمياً محضاً حتى يصرح اللبن عن الرغوة و يعول عليها الكتاب من مؤلفين ومعربين ولا يبقوا سائرين في الوعث فيكابدون من العناء والجهد الامرّين · ومن جملة الالفاظ التي تحتاج الى تحقيق كلمة « نحام » من الطير وهانحن نثبت مايزيل الشك في هذا الباب فنقول :

٢ً النحام في كتب العرب

قال في حياة الحيوان : النحام طائر على خلقة الاوز واحدته نحامة ، يكون آحاداً وازواجاً في الطيران واذا اراد المبيت اجتمع رفوفاً ، فذكوره تنام واناثه لاتنام وتعد لها مبايت فاذا نفرت من واحد ذهبت الى آخر · اه المقصود من ايراده · — وقال داود الانطاكي : النحام : طير دون الاوز ، قيل انه شديد الحرارة ينفع المبرودين وهو مجهول · — وقال ابن البيطار : النحام هو من طيور الماء · ابن ماسويه : لحمه من اكرم لحوم الطير وافضلها · · · وفي التاج : النحام ، كغراب : طائر احمر كالاوز اي على خلقته · قال الجوهري يقال له بالفارسية «سرخ آوي» وهكذا ضبطه الازهري وابن خالويه · وغلط الجوهري في فتحة وشده وضبطه السهيلي كضبط الجوهري · اه · — قلنا : الاسم الفارسي الحقيقي هو سرخ آب او سرخاب و يلفظها بعضهم سرخ آوي على لغة قلب الباء واواً وهي لغة كثيرين من الفرس الاقدمين والمحدثين ومن اسمائه بالفارسية ايضاً « خرچال » كما جاء في «برهان قاطع» — وعلى ذلك يكون النحام هو المسمى بالفرنسوية Flamant او Flammnt وبالانكليزية Flamingo وبلسان العلماء او اللاتينية Phoenicopterus

٣ً سبب تسميته عند العرب

لم يتعرض اللغويون لسبب تسمية هذا الطائر بهذا الاسم · وعندنا انه مشتق من النحم او النحيم وهو صوت كالزحير او فوقه ، يخرج من هذا الطائر عند الطيران · وفعال بالضم من الصيغ الدالة على الفاعلية وان لم ينبه عليها النحاة كشجاع وخشاش

(وهو الماضي من الرجال) وقد يزاد على هذه الصيغة الياء للمبالغة ويبقى المعنى على ماهو كقولهم : القطامي وهو الصقر . قال الاصمعي : « القطامي مأخوذ من القطم وهو الشهوان للحم وغيره . » وهذا الكلام يدل على ان اللغويين انتبهوا لصيغة فعال او فعالي للفاعلية

٤ تصحيف النحام ومرادفاته

صحف كثير من الكتاب هذه الكلمة لجهلهم اياها . ومن اشهر من صحفها احمد فارس الشدياق الشهير فقد قال في كتابه شرح طبائع الحيوان ص ٢٨٢ : النحاف (بفاء في الآخر) هذا طائر طويل ضخم وفي غاية الحسن الى آخر مانقله عن الافرنج . وقد جاءت بهذه الصورة القبيحة في عدة مؤلفات نقل عنها دوزي في كتابه « الملحق بالمعاجم العربية » في مادة نحف .

وممن اخطأ في اسمائه الاب بلو اليسوعي في معجمه الفرنسوي العربي المطبوع سنة ١٩٠٠ قال في تعريب Flamant : غواص ، طائر طويل الارجل لونه احمر زاه ، نحام . اه . فالغواص غير النحام على ماأثبته العرب والعلماء الاقدمون والمحدثون .

ونحن العراقيين نسميه في ديارنا « الغرنوق » وهو كثير الوجود في البطائح والآجام والمستنقعات وفي القاموس : الغرنوق كزنبور وفردوس : طائر مائي اسود وقيل ابيض او الغرنوق او الغرنيق : الكركي او طائر يشبهه . » اه ويجب ان تصلح عبارة القاموس هكذا : الغرنوق كزنبور وفردوس : طائرمائي ويريد به العراقيون النحام والكلمة معربة عن اليونانية Geranos بمعنى الكركي وقد وردت بهذا المعنى ايضاً عندهم والغرنوق في بلاد السودان هو نوع من الكركي اسمه العلمي Grus balearica وعند اهل المغرب هو نوع آخر من الكركي اسمه العلمي Grus virgo — ومن اسمائه في العربية الشرخاب قال السيد المرتضى في التاج في مادة سرحب او في مستدركها : السرخاب بالضم ، اهمله الجماعة وذكره احمد بن عبد الله التيفاشي في كتاب الاحجار وقال : انه طائر في حجم الاوز (اي ان كبر جسمه بكبر جسم الاوز وهو امر لا اختلاف فيه لكن لايراد بذلك انه بطول الاوز كما يؤخذ من كلام الدكتور امين افندي المعلوف في المقتطف ٣٦ : ٧٧٦) احمر الريش ويوجد ببلاد الصين والفرس واهل مصر يسمونه البشمور (واليوم يسمونه البشروش وهي تصحيف اختها) ويعلقون ريشه في المراكب للزينة . يوجد في عشه حجر قدر البيضة اغبر اللون فيه نكت بيض رخو المحك في

خواص لانزال المطر في غير اوانه . اهـ . نقله . ولم يذكر المؤلف ان اللفظة فارسية الاصل . وهي كذلك وقد وردت في دواوين لغتهم . وهي كلمة مركبة من « سرخ » اي احمر . و« آب » اي ماء واظن ان الاصل في هذا الاسم ما معناه : الطائر الاحمر السابح في الماء » ثم اختصروا العبارة فقالوا ما معناه : الاحمر الماء . — والظاهر ان الافرنج المستشرقين الذين نقلوا المعاجم الفارسية الى لغتهم لم يهتدوا الى حقيقة هذا الطائر . فقد قال فلرس Vullers في معجمه الكبير الفارسي اللاتيني ما هذا نصه: Genus avis aquaticoe rubri coloris ومعناه ضرب من الطير المائي احمر اللون . ولم يذكر اسمه باللاتينية ثم قال: و يسميه البعض « خرجال » ايضاً . ثم زاد على ما تقدم : Anas casarca اي بط بري . فانت ترى من هذا انه لم يعرف ما يقابله عند العلماء . وكذلك لم يعرف حقيقته جنصن في ديوانه الكبير الفارسي العربي الانكليزي . وذكر هناك انه نوع من البط المائي . والبط الاوز عند العرب بمعنى واحد في كتبهم اللغوية . فهذا القول يوافق وصف العرب للنحام اي انه على خلقة الوز . ولم يذكر صاحب التاج البشمور في مظنتها وان كان ذكرها استطراداً في مادة سرخب ولم اعثر عليها في معاجم اللغة العربية التي وصلت اليها يدي .

ومن اسمائه الفارسية ايضاً « ميش مرغ » ايضاً . لكن البعض يقولون ان المسمى بهذا الاسم هو الحبارى . لا النحام . على حد ما اختلف العرب في تعريف الغرنوق .

واما لفظة البشاروش او البشروش فقد وجدتها في كتب متون اللغة الفرنسية التركية منها . معجم و . ويزنطال المطبوع في مطبعة قرمبت في الاستانة في مادة Flamant الا انه ذكرها مصحفة بياء مثناة في الاول بدلاً من الباء الموحدة اي « يشاروش » وهكذا ذكرها ايضاً ش . سامي في معجمه الفرنسي التركي . والاصح في كل ذلك البشاروس بباء مثلثة فارسية في الاول وشين او سين في الآخر وهي من اصل فارسي « پشرو » او « پيش‌رو » اي المقدم او الامام او الماشي امام الكل . وسبب هذه التسمية هو ان هذه الطير اذا سارت في طلب رزقها تولى احدها قيادتها ليحذرها من الخطر اذا داهمها وحالما يشعر هذا الولي الامين بشقة تحصل وان كانت بعيدة يبادر الى الاهابة بها بصوت عالٍ كصوت البوق فتنهيأ كلها للطيران حالاً (راجع شرح طبائع الحيوان لاحمد فارس الشدياق ص ٢٨٣)

وقد صحف التونسيون كلمة بشاروش او بشروش بصورة شبروش وقد نقلها دوزي

في معجمه المذكور وقال ان بوسيه وتريسترام ذكراها بمعنى النحام . قلنا : وكذا نقلها ايضاً غاسلين في معجمه الكبير الفرنسوي العربي . فانظر حرسك الله كيف يجيء الاسم الواحد مصحفاً بموجب لغات البلاد والعباد . وكيف ان للحيوان الواحد اسماء عديدة بدون ان تذكرها المعاجم . وحاصل ماجاء من اسماء النحام الفصيحة والمصحفة هي : النحام والنحاف والغرنوق والبرخاب والبشمور والبشروش والبشروس والبشاروش والبشاروس ولعل له اسماء اخرى لم نقف عليها واحسن هذه الاسماء كلها النحام لانها من اصل سامي اذهو كذلك باللغة الارمية مع الالف الزائدة في الآخر وهو من مزايا لغتهم اي (نحاما) واما سائر الالفاظ فهي من اصل يوناني او فارسي او تركي ونحن في غنىً عنها .

٥ً النحام على ماوصفه علماء الافرنج العصريون

قال علماء الافرنج في تعريفه ووصفه : جنس من الطير يدنو من السوابح بمنقاره ويشبه الشاهمرجات بساقه لطولها ولهذا عزل عن كلتا الطائفتين وجعل في طائفة خاصة به هي فروع من طائفة الشاهمرجات او الخوائض اي الطويلات السوق . وهو صغير الجسم طويل الساق حتى يبلغ طولها زهاء متر ورأسه صغير ومنقاره صلب وفي حافتيه صفيحات على عرضيهما على حد مايرى ذلك في البط وهو معوج عند منتصفه واذا اراد ان يصطاد فريسته كالهلاميات والدود والهوام والحشرات وبيض السمك التي يراها على ارياف الغدران والمستنقعات يقلب رأسه بان يضع الفك الاعلى اسفل حتى يتمكن من ان يتصرف في عقافته . — وهو يطير جماعات تعرف بالرفوف (جمع رف) لكثرة افرادها ويتقوّم من هيئتها مثلث على حد ماتفعله الكراكي . واذا حطت على الارض اصطفت صفين كالعسكر وعشها عبارة عن مدرق تركبها ركوباعند الحضانة كما يركب الانسان الحصان ولها صوت كصوت النفير هو النحيم . ولحمها لذيذ ولاسيما لسانها . واليوم يرغب في هذه الطير لريشها وهي اصناف منها : البشروس اونحام الاقدمين (١) وبالفرنسوية Flammant des anciens وبلسان العلم Phœni-

---

(١) البشروس هو المسمى بالفرنسوية مامعناه : نحام الاقدمين ، والنحام المشهور Bécharu, F. Commun وهذه هي المشهورة عندهم وقد اخذوها عن العرب الذين نقلوها عن الفرس . والافرنج لم يعرفوا الى اليوم اصل هذه الكلمة وقد مر بك انها منحوتة من « پيش رو » اي المتقدم او الامام .

copterus ruber وريشه كله وردي بديع اللون ماخلا الجناحين فانهما احمران ملتهبان ومثل لونها لون المنقار وهو كثير الوجود في العراق وفي ديار فرنسا الواقعة على سواحل بحر الروم · — والنحام الاحمر او البهمن (١) F. rouge وبلسان العلم Ph. bahamensis وهو كثير الوجود في اصقاع اميركة الجنوبية وهو اصغر قداً من النحام السابق ذكره ولونه ازهى وابهى · والنحام ذو الرداء الناري F. à Manteau de feu وبلسان العلماء Ph. ignicapillus ولونه احمر واضح وهو يوجد في انحاء باتاغونية وبوئيس ايرس · — والنحام القزم F. pygmée وباللاتينية minor ويكون في ربوع الرجاء الصالح وفي سنغال وهو دون ماجانسه من هذا الطائر بنصف

وهذه الطيور تعيش غالباً في القصباء والحلفاء والآجام والغياض وهي تبحث عن رزقها فيها كما يفعل البط والوز تغط مناقيرها فيها لتقم على قوتها · واكثر ماترى انها تجتمع جماعات من ٢٠ الى ٣٠ طائراً · وسيرها ثقيل ومرتبك واذا نامت قامت على رجل واحدة وضمت الاخرى الى الاولى او تحت بطنها وتخفي رأسها تحت جناحها واذ كانت كثيرة الحذر يقوم احدها ديدباناً اذا نام سائر الاخوة والاخوات او اذا ذهبت تسترزق · وهي تخاف الانسان اكثر مما تهاب الحيوان · ولهذا اذا اراد الصيادون قنصها اختفوا في جلد حصان او بقرة وذهبوا اليها · واذا اطلقوا عليها البندقية نالوا منها عدداً وافراً والسبب انها لاتروع من طلقاتها ولا من رؤية مايموت منها ولهذا لاتبعد كثيراً عن مسقطها فيصاب منها كثير · هذا جل مايقال عن النحام ، وفي الختام اقرأك السلام ·

بغداد ساتسنا

---

(١) البهمن نعت فارسي معناه الطويل اليد وهي الساق في الطيور · ولا ادري كيف سمي العلماء هذا النحام بالبهمن بنعت فارسي اللهم الا ان يكونوا قد اخذوه عن الشرقيين

كتاب مخطوط

عثرنا في هذه الايام على كتاب مخطوط ذهب منه الجزءآن الاول والثالث ويدل على ذلك ماجاء في خاتمة هذا الجزء

« تم الجزء الثاني يتلوه ان شاء تعالى اول الجزء الثالث المقصد الثاني في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية »

وتاريخ كتابته عام ١١٩٣ هـ كتبه عطوة بن علي الهونيني موطنا العباسي مولدا (١) صحائف الكتاب ٤٥٦ طوله ٣٣ سانتيما وعرضه عشرون سانتيما ورقه نباتي وخطه واضح جلي اسطر كل صحيفة ثمانية وعشرون سطراً

اما مؤلف الكتاب فلم نجد له ذكراً فيه ويظهر انه شافعي المذهب ومن رجال اوائل القرن التاسع الهجري ودليلنا على ذلك انه في ذكره لملوك الطبقة الرابعة من ملوك مصروهم الترك ذكر آخرهم الملك المنصور عبد العزيز وحصره في قلعة دمشق والقبض عليه واستبداد المستعين بالله بالامر من غير سلطان وذلك في ثاني عشر ربيع الاول سنة خمس عشرة وثمان مائة

موضوع الكتاب

اول الكتاب « الفصل الثاني من الباب الثاني من المقالة الاولى في الكلام على نفس الخط وفيه سبعة اطراف » وفيه هنا مباحث في فضيلة الخط وحقيقته وسبب وضعه وفي عدد الحروف وفي تحسين الخط وقواعد تتعلق بالكتابة وفي مقدمات تتعلق في اوضاع الخط وقوانين الكتابة وذكر قوانين يعتمدها الكاتب في الخط وهنا بحث عن الاقلام المستعملة في ديوان الانشاء بزمانه وقال وسيأتي في المقالة الثالثة في الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الاقلام وذكر المذاهب في اصل الاقلام وهي ستة (١) مختصر الطومار (٢) وقلم الثلث الثقيل (٣) والخفيف و(٤) قلم التوقيعات و(٥) قلم الرقاع و(٦) قلم الغبار هذا مجمل مافي هذا الجزء من المباحث وكلها جليلة ويظهر ان هذا الجزء يشتمل على مقالتين المقالة الاولى في الكلام على مايحتاج اليه الكاتب وقد فقد من هذه المقالة الباب الاول

---

(١) العباسية وهونين من قرى جبل عامل الاولى من اعمال صور والثانية من اعمال مرج عيون

والمقالة الثانية موجودة برمتها وهي في المسالك والممالك تشتمل على اربعة ابواب وتحت كل باب تقسيمات وتفريعات تفوت الاحصاء وكلها في موضوعات مفيدة

الباب الاول في ذكر الارض على سبيل الاجمال وفيه يبحث عن معرفة شكل الارض وما اشتملت عليه من الاقاليم وفي اطوالها وفي ذكر البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان وفي كيفية استخراج جهات البلدان والابعاد الواقعة بينها هذا اجمال مايشتمل عليه الفصل الاول من الباب الاول والفصل الثاني في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء ومقراتهم في القديم والحديث وما انطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم وما كانت عليه من الترتيب وما هي عليه في عهد مؤلف الكتاب قال واما من وليها (الخلافة) فعلى اربع طبقات الطبقة الاولى الخلفاء من الصحابة (رض) الطبقة الثانية خلفاء بني امية الطبقة الثالثة خلفاء بني العباس الطبقة الرابعة خلفاء بني العباس بالديار المصرية وذكر خلفاء الطبقات الاربع وسني توليتهم الخلافة ووفياتهم ومقراتهم

وفي الفصل الثاني من الباب الثاني بحث جليل عن ترتيب الخلافة في الصدر الاول وشعارها وبحث في تولية الملوك من الخلفاء والوظائف المعتبرة عندهم

والباب الثالث في ذكر مملكة مصر ومضافاتها وفيه طرفان الطرف الاول في الديار المصرية وفيه سبعة مقاصد المقصد الاول في فضلها ومحاسنها المقصد الثاني في ذكر خواصها وعجائبها وما بها من الآثار القديمة المقصد الثالث في ذكر نيلها ومبتدئه ومنتهاه وهنا قال وقد ذكر الحكماء انه ينحدر من جبل القمر اما بفتح القاف والميم كما هو المشهور واما بضم القاف وسكون الميم وهنا بحث في طول النيل وعرضه والبلاد التي يمر فيها وفي زيادته ونقصه ومقاييسه

المقصد الرابع في ذكر خلجانها وبحيراتها والخامس في جبالها والسادس في زروعها ورياحينها وفواكهها والسابع في ذكر مواشيها ووحوشها وطيورها والثامن في ذكر حدودها والتاسع في ابتداء عمارتها والعاشر في ذكر قواعدها القديمة والمستقرة والحادي عشر يشتمل على ذكر خططها

والفصل الثالث من المقالة الثانية في ذكر كور الديار المصرية واعمالها والفصل الرابع في ذكر ملك الديار المصرية جاهلية واسلاماً وطبقاتهم والفصل الخامس من الباب الثالث من المقالة الثانية في ذكر ترتيب احوال الديار المصرية وفيه بحث في ذكر معاملاتها وما يتعامل به وزناً وما يتعامل به معاده وفي الفلوس المطبوعة بالسكة وغير

المطبوعة وفي المثمنات والمكيلات والمقيسات وارض الزراعة والابنية والاقمشة والاسعار وفي الجسور والمعابر والجسور البلدية وري السواقي وهنا بحث في طرق زراعة الارض وصنوف الزروع

و بحث في وجوه اموالها الديوانية والمقصد الثالث في ترتيب المملكة وفيه بحث عما كانت عليه في زمن عمال الخلفاء من حين الفتح الى آخر الدولة الاخشيدية كذكر الآلات الملوكية من التاج والقضيب والسيف والدواة والرمح والدرقة والحافر والمظلة والاعلام والنقارات والخيام وفي حواصل الخليفة وهذا فيما كانت عليه احوال الديار المصرية في عهد الفاطميين وفي هذا المقصد ابحاث تتعلق في الوظائف والدواوين وفي مواكب الخلافة المختلفة في الاوقات المختلفة و يذكر في هذا المقصد قصيدة عمارة اليمني التي يرثي فيها الفاطميين بعد انقراض دولتهم واستيلاء السلطان صلاح الدين الايوبي عليها وصف بها مملكتهم وعدد مواكبهم وحكى مكارمهم وجلى محاسنهم واوردها برمتها

ثم يذكر احوال الدولة الايوبية ورسومها واحوال الدول التي انتقلت اليهم الديار المصرية الى زمان المؤلف

وهنا ابحاث مفيدة يتجلى منها ما كانت عليه احوال الدول القديمة من الترتيب والانتظام والفصل السادس من المقالة الثانية في المملكة الشامية وما يتصل بها من بلاد الارمن وبلاد الجزيرة بين الفرات ودجلة مما هو مضاف الى هذه المملكة وفيه اربعة اطراف

الطرف الاول في فضل الشام وخواصه وعجائبه وفيه مقصدان الاول في فضل الشام الثاني في خواصه وعجائبه وهنا يذكر مايراه فيه من العجائب كحمة طبريا وقبه العقارب بمدينة حمص وعين فوارة داخل البحر المالح على القرب من ساحل مدينة طرابلس ووادي الغور الى غير ذلك

الطرف الثاني في حدوده وابتداء عمارته وتسميته شاماً وفيه مقصدان الاول في حدوده الثاني في ابتداء عمارته

الطرف الثالث في انهاره وبحيراته وفيه خمسة مقاصد الاول في ذكر الانهار العظام في بلاد الشام الثاني في ذكر بحيراته الثالث في ذكر جباله وهنا جاء فيه عن جبل عاملة ماهذا نصه

« وهو جبل ممتد في شرقي ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى يقرب من مدينة صور وعليه شقيف ارنون نزله بنو عاملة بن سبا من عرب اليمن عند تفرقهم بسيل العرم

فعرف بهم والمقصد الرابع في ذكر زروعه وفواكهه ومواشيه والخامس في ذكر مواشيه والسادس في ذكر النفيس من مطعوماتها

الطرف الرابع في ذكر جهاته وكوره وقواعده المستقرة واعمالها وفيه مقصدان الاول في ذكر جهاته وكوره القديمة وهنا يذكر اصطلاح القدماء بتقسيمه الى خمسة اجناد جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين

المقصد الثاني في ذكر قواعده المستقرة واعمالها القاعدة الاولى دمشق واعمالها غزة والرملة وقاقون وهي الجهات الساحلية والجبلية وهي القدس والخليل ونابلس والقبلية عمل بيسان وبانياس ومنها قلعة الصبيبة وعمل الشعراء وعمل نوى وعمل اذرعات وعجلون والبلقاء والصلت وصرخد وبصرى وزرع والشمالية وهي بعلبك وعمل البقاع البعلبكي وعمل البقاع العزيزي وعمل بيروت وعمل جبيل وعمل صيدا والشرقية وهي على ضربين الضرب الاول ماهو داخل في حدود الشام وهو غربي الفرات ويشتمل على خمسة اعمال حمص ومصياف وقارا وسلمية وتدمر الضرب الثاني وذكر منها الرحبة وجعبر

القاعدة الثانية حلب وذكر اعمالها الساحليه والجبلية ومن اعمالها الرها

القاعدة الثالثة حماة وذكر اعمالها القاعدة الرابعة اطرابلس وذكر اعمالها والخامسة صفد وذكر اعمالها وهي احد عشر عملا وهي عمل تبنين وهونين وجاء فيه عند ذكرهما « وهما حصنان بنيا بعد الخمس مائة بين صور وبانياس بجبل عاملة المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة وجعل العثماني في تاريخ صفد قلعة هونين من عمل الشقيف واهل هذا العمل رافضة »

القاعدة السادسة الكرك وذكر اعمالها وهي الشوبك وزعر ومعان

الطرف الثاني من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثالثة فيمن ملك البلاد الشامية وملوكها وهو على قسمين الاول ملوكها قبل الاسلام وهم اربع طبقات الطبقة الاولى الكنعانيون الثانية الاسرائيليون الثالثة الفرس الرابعة اليونان والرومان

القسم الثاني من ملوك الشام ملوكه في الاسلام وهم على ضربين الضرب الاول عمال اصحابه (ص) فمن بعدهم من نواب الخلفاء الى حين استيلاء الملوك عليه

الضرب الثاني من وليها ملكا

الطرف الرابع من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية في ذكر احوال

المملكة الشامية وفيه مقصدان

المقصد الاول في ترتيب نياباتها على ماهي مستقرة عليه قال « قد تقدم ان الممالك المعتبرة بالبلاد الشامية ست ممالك في ست قواعد وكل مملكة منها قد صارت نيابة سلطنة مضاهية للمملكة المستقلة»

ثم ذكر كل نيابة واحوالها في المعاملات ونحوها على مثال ماذكره من احوال الديار المصرية في الفصل الخامس من الباب الثالث من المقالة الثانية

المقصد الثاني ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق وهو على ضربين الضرب الاول ماهو خارج عن حاضرتها من النيابات والولايات قال « وقد تقدم ان لدمشق اربع صفقات غربية وهي الساحلية والقبلية والشمالية والشرقية ففي الصفقة الاولى وهي الغربية عشر نيابات وخمس ولايات فاما النيابات فمنها غزة والقدس والولايات فمنها ولاية الرملة واللد وقاقون وبلد الخليل ونابلس

واما الصفقة القبلية وهي الثانية ففيها نيابات وثمان ولايات فاما النيابات فالاولى منهما نيابة قلعة صرخد ونيابة عجلون واما الولايات فالاولى ولاية بيسان وواليها جندي الثانية ولاية بانياس وواليها جندي تارة وتارة امرة عشرة الثالثة ولاية قلعة الصبيبة الرابعة ولاية الشعراء الخامسة ولاية اذرعات السادسة ولاية حسبان والصلت من البلقاء السابعة ولاية بصرى واليها جندي الصفقة الثالثة الشمالية وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات فاما النيابة فنيابة بعلبك واما الولايات فالاولى ولاية البقاع البعلبكي الثانية ولاية بيروت الثالثة ولاية صيدا الصفقة الرابعة الشرقية وبها ثلاث نيابات واربع ولايات

ثم ذكر نيابة حلب على نحو نيابة دمشق ونيابة اطرابلس ونيابة صفد ومنها ولاية تبنين وهونين وولاية الشقيف

الفصل الثالث من الباب الثالث من المقالة الثانية في المملكة الحجازية وفيه طرفان الطرف الاول في فضل الحجاز وخواصه وعجائبه الطرف الثاني في ذكر حدوده وابتداء عمارته الخ

وذكر قواعده وهي مكة المشرفة وهنا ذكر ملوكها قبل الاسلام وفي الاسلام وهم طبقات وبين ترتيبها والمدينة الشريفة وذكر نواحيها واعمالها وملوكها وامراءها قبل الاسلام وهم ثلاث طبقات الاولى التبابعة الثانية العمالقة الثالثة ملوكها من بني اسرائيل وفي الاسلام وهم اربع طبقات الطبقة الاولى من كان بها في صدر الاسلام الطبقة

الثانية عمال الخلفاء بني امية الطبقة الثالثة عمالها في زمن خلفاء بني العباس الطبقة الرابعة امرآء الاشراف من بني حسين الى عهد المؤلف

ثم ذكر ترتيب المدينة النبوية فقال اما معاملاتها فعلى ماتقدم في الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدراهم الخ

الباب الرابع من المقالة الثانية في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية وفيه اربعة فصول الفصل الاول في الممالك والبلدان الشرقية عنها وما ينخرط في سلكها من شمال او جنوب وفيه اربعة مقاصد الاول في الممالك الصائرة الى بيت جنكيز خان وفيه جملتان الجملة الاولى في التعريف باسم جنكيز خان ومصير الملك اليه الثانية في عقيدة جنكيز خان ٠

ثم يذكر ممالك جنكيزخان على التفاصيل وهي مملكتان الاولى مملكة ايران و يذكر حدودها واقاليمها وهي بابل والمدائن وبغداد وسر من رأى والاقليم الاول الجزيرة الفراتية الاقليم الثاني العراق وقواعدها ومدنها ومن المدن التي بالعراق هيت والحيرة والكوفة والبصرة وواسط وحلوان والحلة والنهروان والابلة والقادسية وعبادان

الاقليم الثالث خوزستان والاهواز الاقليم الرابع فارس الاقليم الخامس بلاد الديلم الاقليم السادس بلاد الجبل ٠

ثم يذكر بعد ذلك طبقات ملوكها جاهلية واسلاماً وترتيب هذه المملكة كعادته في غيرها ٠

المملكة الثانية مما بأيدي بني جنكيز خان مملكة توران ٠ هذا جل مافي الكتاب من الموضوعات وندع الكلام عنه بتفصيل اكثر حتى نقف على آراء الباحثين فيه ولعل فيهم من لا يجهل اسم الكتاب واسم مؤلفه المجهولين لنا ٠

على اننا سنوالي البحث عن الجزئين المفقودين منه علنا نعثر عليهما والكتاب عثرت عليه انا وصديقي الاستاذ الشيخ احمد رضا ٠

النبطية — جبل عامل : سليمان ظاهر

مرآة الشباب

ايصدقه العلاء فيستريبُ ... ويدعوه الفسوق فيستجيبُ
وتخطبه الكؤوس فيجتبيها ... شمولاً دون لذعتها اللهيب
كأن شروبها اذ يحتسيها ... ربيبٌ حين اعوزه النجيب
يحرق ارتماً اثر ارتعاص ... بدا منه بجبهته قطوب
تحجب لبه استار عي ... فتكنفه المثالب والعيوب
مرى يبغي العلاء فحين دانى ... ورود حياضه شسع القريب
وحالت دونه اكواب دن ... ترشفها فادركه الشحوب
فتى عبثت به ايدي التصابي ... كما في الطير قد عبث الربيب
رماه بدائه وانسل كوب ... وهل يأتي بغير الغي كوب
وراقته مداعبة الغواني ... ففاز برشده الصوت الرطيب
ارته لحاظهن ضروب سحر ... وللغادات من سحر ضروب
فبات كأن في اذنيه وقراً ... اذا ناداه مرشده اللبيب
وظل ولا طبيب لما عراه ... وهل ينجي من الموت الطبيب
اذا خطبته مكرمة تولى ... وان نادته غانية يجيب
تعاطيه الكؤوس فتاة دل ... فيطرب وهو لو علم الكئيب
وتطوي عرسه الايام صبراً ... وساقيه بدرهمه لعوب
ترى الدينار يرقص في يديه ... وقد اضنى بنيه طوى مذيب
اذا ما مومس خطرت تدلى ... وتابع خطوها وله وثوب
يحن الى دنو فتاة سوء ... وقد ظمئت حليلته العروب
ويؤنسه حديث ذوات تيه ... وقد مجته منهن القلوب
ينام نهاره حتى اذا ما ... تصرم هب يحدوه الغروب
تؤم به غوايته فيسعى ... فلا نصب يقيه ولا لغوب
يجوب بغاء غانية قفاراً ... وما لسوى الهوى قفراً يجوب
ويركب متن حدثان الليالي ... فيلوي حيثما ابتدئ الركوب
يهب الى الشبيبة بعد عجز ... ويهجرها اذا يبدو النضوب

كأن شبابه كرة ازدهاء يطيف بها ومشرقه المغيب
كأن حياته حانت عليه نجاد من الحياة بما يطيب
كأن سنيه احلام صب صحا فاذا نضارتها نكوب
كأن حجاه غادر أصغريه وآلي في الشيبة لايؤوب

***

متى يدن المشيب يثب هداه اليه كأنما الموت المشيب
وزجر الشيب اعمل في نفوس من السمر اللدان اذا تصيب

دمشق : خير الدين الزركلي

مطبوعات ومخطوطات

ثلاثة كتب

كتاب الالفاظ الكتابية وكتاب الفاظ الاشباه والنظائر وكتاب الألفاظ

هذه ثلاثة كتب مختلفة العناوين ومختلفة اسماء المؤلفين والموضوع واحد والنص واحد والمؤلف الحقيقي واحد لكن قضى التسرع على ناشريها ان يصدروها باسماء مؤلفين هم غير كتابها او مصنفيها كما سترى .

فالعنوان الاول هو اسم الكتاب الذي تولى طبعه الاب لويس شيخو . فقد جاء في مفتتح السفر المذكور وهو الذي بايدينا ماهذا نقل حرفه : «كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني . اعتنى بضبطه وتصحيحه الاب لويس شيخو اليسوعي . طبع سابعة بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٨ برخصة نظارة المعارف الجليلة في الاستانة العلية . حق الطبع محفوظ للمطبعة . »

والعنوان الثاني هو اسم الكتاب الذي عني بنشره احد علماء بغداد واليك ماجاء في صدره : «كتاب الفاظ الاشباه والنظائر للامام اللغوي عبدالرحمن بن سعيد الانباري عليه رحمة الباري . وهو كتاب لم ينسج عَلى منواله ناسج ، ولم يسلك طريق منهاجه ناهج ، مشهور عند ارباب اللغة والادب ، منتزع من اوعية السنة العرب . قديم التصنيف ، عجيب الترتيب والتأليف ، سليم من الغلط ، حسن الاسلوب والنمط . وقد طبع بعد تصحيح ابي البركات خير الدين السيد نعمان ابن المفسر المشهور السيد

محمود افندي الالوسي زاده ، مفتي بغداد ، سهل الله تعالى له كل مطلب ومقصد يراد ، آمين . — التمثيل الاول . — طبع برخصة نظارة المعارف في القسطنطينية سنة ١٣٠٢ . (هـ — ١٨٨٤ — ١٨٨٥ م) طبع في مطبعة ابو الضيا . »

والعنوان الثالث هو اسم الكتاب المذكور على رواية صاحب كتاب الفهرست (اي ابن النديم الورّاق) فقد قال في ص « ١٣٧ » عبدالرحمن بن عيسى الهمداني (بالدال المهملة (كاتب بكر بن عبدالعزيز ابي دلف . وكان شاعراً كاتباً وله من الكتب : كتاب الألفاظ . » وقال في ص ١٧١ من كتابه المذكور : « كتاب الألفاظ (وفي الاصل المطبوع الفاظ وهو غلط الطبع) لعبد الرحمان بن عيسى الهمداني » (بالدال المهملة)

فاي العناوين هو الاصح وما اسم المؤلف من التحقيق ؟

قلنا : اصح هذه العناوين هو ما ذكره ابن النديم لان المؤلف قديم وله اتم الوقوف على اسماء الكتاب والمصنفين وكل من يطالع كتابه الفهرست يشهد له بسعة الاطلاع وغزارة العلم فعنوان الكتاب هو اذاً « كتاب الالفاظ » وزيادة « الكتابية » هي من النساخ ، وزيادة الاشباه والنظائر هي من زيادة النساخ ايضاً او من الواقف على طبعه وعليه فالاوفق ان يعاد العنوان الى صحته بدون زيادة .

واما اسم المؤلف الحقيقي فلا جرم انه الاسم الذي اورده ابن النديم اي : عبد الرحمن بن عيسى الهمداني (بدال مهملة) وميم ساكنة نسبة الى همدان وهي قبيلة باليمن من حمير ينسب اليها جماعات عديدة من العلماء . لا نسبة الى همذان بميم مفتوحة وذال معجمة فان هذه اسم بلدة في بلاد فارس . ووهم الطابع في هذا الاسم هين . لكن وهم العلامة الآلوسي عظام لانه وان كان قد كتب على اول صفحة من الكتاب انه لابن الانباري فكيف جاز له ان يكتب على رأس كل صفحة من صفحاته (وهي ١٣٢) هذه الكلمات : كتاب الالفاظ لعبد الرحمن بن عيسى . فكان يجب عليه ان يطابق احد الامرين على الآخر اما ان يقول انه لابن الانباري في صدر الكتاب وفي مثانيه واما ان ينسبه الى ابن الانباري اولاً وآخراً . على ان عمله هذا ابان كل الابانة انه غالط لامحالة . ومن غريب الامران الشيخ الآلوسي ذكر ترجمة ابن الانباري قبل ان يذكر مقدمة المؤلف ولما اورد هذه المقدمة قال فيها : « قال عبد الرحمن بن عيسى حماد : الصناعات مختلفات . . . فكيف لم ير البون

البين بين النسبين وهما واضحان متميزان . على ان الانسان اذا تذكر هذا الكلام المأثور : لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة . تحقق ان اعظم العلماء قد يزل مع ماعليه من حسن النية واخلاص الطوية .

وفي نسب صاحب كتاب الالفاظ بعض الاختلاف فطبعة بيروت تقول في ترجمة عبدالرحمن وفي المقدمة : عبدالرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني الكاتب . وطبعة الاستانة تقول : « عبد الرحمن بن عيسى حماد وابن النديم يقول : « عبد الرحمن بن عيسى الهمداني » . فلا غرو ان اسم حماد داخل في نسب عبد الرحمن لكن هل ترى كان من اجداده ام لقب ابيه . فهذا مالا يتضح الا بعد التنقيب عن هذا الامر في عدة نسخ وفي ذكر نسب المؤلف كمعجم الادباء لياقوت . ولهذا لانجزم فيه .

ومن غريب الامران طابع النسخة البيروتية مع وفرة اطلاعه على المطبوعات العربية في الشرق والغرب لم يذكر طبعة هذا الكتاب في القسطنطينية ، فهل كان منه جهلاً او تجاهلاً ؟ نقول : الاليق ان نقول انه فعل ذلك منه لان نسخة الاستانة وان طبعت قبل نسخته فانها لم تطبع الا قبل اربعة اشهر فقط ولما كانت مطبوعات الاستانة قليلة الشهرة تخلو الحاضرة من الجرائد العربية يومئذ هان لنا ان نفهم جهله لما يطبع هناك . وعلى كل فكان الاجدر به ان يذكر هذه الطبعة في النسخ التي جدد نشرها بعدئذ . ولعل الامر فاته بالمرة وهذا ليس ببعيد . اما بعد الآن فهو ليس بمعذور .

وان سألتني اين النسختين هي الفضلى : أالطبعة الآلوسية ام الطبعة البيروتية ؟

قلنا : عليك ان تعلم قبل هذا ان الطبعتين وان كانتا تتفقان بعض الاحيان تختلفان في اغلب المرار . وهذا الاختلاف موجود في الابواب وفي كثرة المواد . فانك مثلاً تجد تارة ابواباً غير مذكورة في الطبعة الآلوسية وهي مذكورة في الطبعة البيروتية وطوراً بالعكس . ثم انك تجد في الباب الواحد مادة وافرة في نسخة دون النسخة الاخرى . هذا فضلا عن الاختلاف في تتالي الابواب وفي عناوينها ثم انك تجد في الطبعة الالوسية اغلاط طبع لاتحصى كما ان اغلاط الطبعة البيروتية في اللغة كثيرة

وقبل ان نصدر حكم المفاضلة بين النسختين نذكر باب المعايب في كلتا الطبعتين ليمكنك ان تقبل حكمنا او ترذله بعد الاطلاع على مثال يكون لك بمنزلة قياس تقيس عليه ماورد في كلتا الطبعتين

١ : جاء في الصفحة ١٢ من كتاب الالفاظ المطبوع في الاستانة ماهذا نصه :

باب المعايب

يقال ثلب فلان (حاشية . قال الواقف على تصحيحه : لعله فلانًا بالنصب ، ولكنه كتب بالدفع (كذا . وهذا من غلط الطبع والاصح : الرفع) في الاصل مصححه) قال صاحب هذه المقالة : الاصح ان يقال : ثلب فلانًا . واما فلان فمن غلط الناسخ لاغير) ، وقصبه ، وشتره ، وضربه ، وسمع به ، وندد به ، وشرد به ، وشبعه ، وتنقصه وعابه ، وجد به ، ووقع به ، وشعث منه ، والحم عرضه ، وقرع صفاته ، ورتغ في عرضه وسبه ، وقذعه ، وزوده الخنا ، واخذ من جنبه ، وقرع مسامعه ، ومزق اديمه ، وقرع مروته ، ونحت اثلته بالفتح ، واخذ من عرضه ، واتبعه القبيح ، وذكر معايبه ، ومثالبه ، ومعايره ، ومشائنه ، ومناقصه ، ومخازيه ، ومساويه ، ومقابحه ، ومقاذره ومفاضحه ، وسوآته ، ومساآته . قالت ليلى الاخيلية :

لعمرك ما بالموت عار على الفتى اذا لم تصبه في الحيوة المعاير

والقذع ، والخنا ، والرفث ، والفحش هو القبيح من الكلام . ويقال فلان بذي اللسان ، ملحب ، سباب . وقد بذوٌ يبذوٌ بذاءة ، والازراء ، والطعن والقدح ، والغميزة (كذا) والتعيير ، في طريق واحد ، ويقال : كانت من فلان نواقر ، وبوادر ، وقوارص ، وشتايم . وقد سفه علينا فلان سفاهة ، ولم يكن سفيهاً وتقول : نعوذ بالله من قوارعه ، وقواذعه ، ونواقره ، وقوارص لسانه .

٢ : وجاء هذا الباب في الصفحة ٢٠ من الطبعة البيروتية بهذه الصورة :

باب الثلب والطعن

تقول : مازال فلان يذكر معايب فلان ، ومثالبه . ومساوئه . ومقابحه . ومشاينه . ومقاذره . ومناقصه . ومخازيه . ومعايره . ومساءته . وسوآته .

قالت ليلى الاخيلية في المعاير :

لعمرك مافي الموت عار على الفتى اذا لم تصبه في الحيوة المعاير

ويقال : ثلب فلانًا ، وتنقصه . وعابه . (ويقال :) عيرته كذا ، ولايقال بكذا . قال النابغة :

وعيرتني بنو ذبيان خشيته وهل عليَّ بأن اخشاك من عار

ويقال : نكرت على فلان ماصنع وانكرته ونكرته . (ومنه قول القرآن الجليل :)

نكروا لها عرشها اي غيروه ٠

ويقال : سبعه ، وجدبه جدباً ، وقصبه ، وجرحه ، وشزبه ، وشزبه ، وشزعليه ، وضرسه ، وشعث منه ، وسمع به ، ونددبه ، وزرى عليه ٠ (يقال :) زرى فلان على فلان قوله اذا عابه ، ونقصه زرياً ، وازرى به اذا صغره ازراء ، وقدح فيه ، وطعن عليه ، ونقم عليه ومنه وفي عرضه سبه ، وقذعه ، وقفاه يقفوه ، وطاخه بقبيح اذا لطخه به ، ووقع فيه ، وقرع صفاته اذا قال قبيحاً في عرضه ٠ ونحت اثلته ، واستطال في عرضه ، (والفحش ، والقذع ، والخنا ، والرفث ، القبيح من الكلام) ٠ (يقال : فلان بذيء اللسان ، ملحب ، وسباب ، والحمه عرض فلان اذا امكنه من شتمه ٠ (والازراء ، والطعن ، والقدح ، والغميزة ، والتعيير (في طريق واحدة) ٠ (وتقول :) قد كانت في فلان قوارص ، ونواقر ، وشتائم ٠ (فتقول :) نعوذ بالله من قوارعه ٠ ولواذعه ، ولواذغه ، وقوارص لسانه ، وبذيء فلان يبذأ ، وبذو يبذو بذاءة ، وقد سفه علينا سفاهة ، ولم يكن سفيهاً وقد سفه ٠

فانت ترى بين هاتين النسختين فرقاً ظاهراً ٠ والصواب والغلط يتجاذبان الطرفين فمرة يكونان في هذه النسخة ومرة في تلك فتمسك انت بما يوافق الصحة ٠

وبعد هذا التبيين نقول : ان نسخة بيروت اصح طبعاً من نسخة الآلوسي ٠ فان الاغلاط التي وردت في طبع هذه الاخيرة تنفر كل انسان من مطالعتها ٠ ومع ذلك ففيها من الفوائد مالا نراها في النسخة البيروتية ٠ ولهذا يجدر بأحد الادباء ان يجمع بين النسختين ويصحح الواحدة على الاخرى ليكسب رضا الجميع في احياء مآثر السلف

الخلاصة

كتاب الالفاظ (ولا يجوز لك ان تغير هذا العنوان بقولك : كتاب الالفاظ الكتابية ٠ او كتاب الفاظ الاشباه والنظائر) هو لعبد الرحمن بن عيسى (بن) حماد الهمداني نسبة الى همدان القبيلة اليمانية المشهورة ٠ وليس لعبد الرحمن بن محمد بن سعيد الانباري ، لاسيما اذا علمت ان ابن الانباري ولد سنة ٥١٣ وتوفي سنة ٥٧٧ وان الهمداني توفي سنة ٣٢٠ وان من النسخ القديمة الكتابة التي ظفر بها الطابع البيروتي ما كتب سنة ٥٢٢ اي تسع سنوات بعد ولادة ابن الانباري فلا يعقل انه الف كتابه في هذا العمر ٠ وعليه يجب تصحيح ماورد من الخطأ والوهم في هذا الباب ٠ فان تفعل تحظ بالصواب ٠

ساتسنا

وصف كتاب جامع التعريب ، بالطريق القريب ·

من تأليف احد علماء القرن الثاني عشر الهجري او السابع عشر الميلادي

في جامع مرجان من جوامع بغداد خزانة كتب جليلة من وقف نعمان الآلوسي المؤلف الشهير ابن المؤلف الكبير محمود الآلوسي · وبين كتبها الخطية كتاب اسمه جامع التعريب ، بالطريق القريب · الا ان صاحبه لم يذكر اسمه لا في صدر الكتاب ولا في عجزه · والظاهر انه عالم من علماء القرن الحادي عشر للهجرة نقول ذلك تقريباً وتكهناً لا تأكيداً وتثبيتاً· اعتماداً على كلام صاحب كشف الظنون المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ-١٦٥٨ م اذ يقول عن معرب الجواليقي : « وهو كتاب لم يعمل فيه اكثر منه » فالظاهر من هذا القول ان الحاج خليفة لم يعرف هذا الكتاب الذي نشير اليه لعدم وجوده يومئذ · والا لما قال تلك العبارة · ثم ان مؤلف جامع التعريب لم ير كتاب الخفاجي لانه لو رآه او كان ممن عاش قبله لذكره ايضاً في مقدمته وعليه نظن ان الكاتب كان في عصر الحاج خليفة والخفاجي نفسيهما

وهذا الكتاب من اوسع واحسن ما كتب في هذا الموضوع والنسخة الموجودة امامنا حسنة الخط طولها ٢٢ سنتيمتراً في عرض ١٧ وفيها ٣٦٠ صفحة وفي كل صفحة ٢٥ سطراً وهي مجلدة بالسختيان والكاغد اخضر اللون · قال الناسخ في آخرها : تمت كتابته في سلخ جمادى الاولى سنة ١٢٠٢ بخط افقر الورى واضعفهم الى الغني القوي عبد الكريم بن احمد بن محمد الطرابلسي الخلوتي الحنفي غفر الله له ذنوبه آمين »

واذا وقفت على مقدمته عرفت بعد منزلته · قال : « الحمد لله الذي صان بلغة العرب الكتاب والسنة · واظهر بها على غيرها من اللغات الفضل والمنة · ومنع بمن اقامه بضبطها الاجنبي والغريب · وميز لهم ما وقع بها من الاعجمي وما فيه التعريب احمده على التوفيق لسلوك الادب · ولزوم تحصيل فضائل العجم والعرب اما بعد فاني بعد ان وقفت على كتاب المعرب ابتداع الاستاذ ابي منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الجواليقي شكر الله مسعاه · وجعل الجنة مقره ومثواه · كان محتاجاً الى تتمة في الترتيب · وزيادات فائقة في آثار التعريب · ظفرت بكتاب التزييل والتكميل · مما استعمل في اللفظ الدخيل · الذي جمعه الفاضل الشيخ جمال الدين عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد العزيز بن ابي بكر بن موشى المذري الرثوقي الشهير والده بشيشي

(ويروى بسيسي) بخطه . فوجدته والله قد افرغ الوسع في التتبع والاستشهاد . بهمة تقارب رتبة الاجتهاد . بل احسن فيه الجمع وحسن الترتيب . معونة للطالب والاديب . غير ان فيه تكراراً واطالة ربما تفضي الى الكسل والملالة . فاحببت ان اختصر من الاصل مازاد جرياً على المالوف والمتعارف والمعتاد ، مع رعاية الاختصار والايجاز . وتبيين مايتحقق به الاحاطة والامتياز . مع زيادات وحسن تلخيص . تباعداً عن الاسهاب والتمحيص . وسميته : جامع التعريب . بالطريق القريب . والله اسأل المعونة والتوفيق . » — ثم قال : باب الهمزة مع الالف : آب وهو يكتبها هكذا آاب اي بالف ممدودة وراءها الف هاوية كما كان يفعل الاقدمون في مثل هذه الالفاظ . ثم يذكر بعدها آاجاص . آاجر . آاجنقان . آاذار . آادم ... الخ . وهو يشرح كل لفظة شرحاً مشبعاً لايبقي لمستزيد زيادة .

الا أن الناسخ وان كان حسن الخط وخطه تعليق الا انه لايحسن النسخ ولهذا فقد مسخ الفاظاً كثيرة لجهله معناها فصورها بصورة مألوفة السمع سهلة الفهم لكن لا تنطبق على بقية العبارة . فلهذا يحتاج القارئ الى التيقظ التام في تصفح الكتاب . وفي شرحه بعض الالفاظ شروح ضافية الذيل ، ناقلاً اياها عن عدة كتاب سبقوه مما يحرص عليها كل الحرص . وربما خرج في كلامه الى مالا محل له كما كان يفعل المصنفون في سابق العهد . — والمؤلف قد ادخل في سفره الفاظاً جمة لم ترد في معربات الجواليقي ولا في شفاء الغليل ولا في غيرهما من مؤلفات هذا القبيل . ولهذا نرى طبعه من الضروريات . وربما ذكر في كتابه اعلام المدن والرجال لكنها دون الالفاظ الجنسية عدداً واعتناء

وقد حان لنا ان نعطي مثالاً من كلامه ونذكر ماجاء في « ابو جاد » من الشرح وقد ورد في الصفحة ١١ من النسخة المذكورة . وهذا نصه بحرفه :

أبو جاد لفظ سرياني قيل هو اسم ملك من الاول وكذا هوز . حطي وقيل اسم لاول ايام الاسبوع قال سيبويه . ابوجاد وهوز وحطي بياء مشددة اسماء عربية واما كلمن وسعفص وقريشات « ١ » فانهن اعجميات لايتصرفن وانشد:

اتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة احرف متتابعات
وخطوا لي ابا جاد وقالوا تعلم سعفصا وقريشات

(١) والاصح ان يقال هنا قرشت

قال ابوسعيد السيرافي : فصل سيبويه بين ابي جاد وهوز وحطي فجعلهن اعجميات · وكان ابو العباس يجيز ان يكن كلهن اعجميات · وقال بعض المحتجين بسيبويه : انه جعلهن عربيات لانهن مفهومات المعاني في كلام العرب · وقد جرى ابو جاد على لفظ لايجوز الا ان يكون عربياً تقول هذا ابو جاد · ورأيت اباجاد · وعجبت من ابي جاد قال ابو سعيد : والذي يقول انهن اعجميات غير مبتعد عندي ان كان يريد بذلك الاصل فيها العجمة لان هذه الحروف عليها يقع تعلم الخط بالسرياني وهي معارف · وقال بعضهم : جاد في قولك : ابو جاد مشتق من جاد يجود او من الجواد وهو العطش او من قولهم جوداً له اي جوعاً له ! ووقع الناس في ابي جاد اي في باطل قال الامام قطرب : قولهم ابجد هو ابو جاد وانما حذفت واوه لانه وضع لدلالة المتعلم · فكره التطويل والتكرار واعادة المثل مرتين فكتبوا ابجد بغير واو والف لان الالف في ابجد والواو في هوز قد عرفت صورتاهما وكل مامثل من الحروف استغني عن اعادته · قال ابوعبد الله حمزة بن الحسن الاصفهاني يقال : ان اول من وضع الكتابة العربية قوم من الاوائل نزلوا في عدنان بن أدد فاستعربوا ووضعوا هذه الكتابة على عدد حروف اسمائهم فكانوا ستة نفر اسماؤهم : ابجد · هوز · حطي · كلمن · سعفص · قرشت · وانهم ملوك مدين رئيسهم كلمون فهلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام فقالت اخت كلمون ترثيه :

كلمون هد ركني هلكه وسط المحلة (١)
سيد القوم اتاه الحتف ثاو وسط ظله
جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحله

هذا وقد توهم الصغاني ان حمزه قائل هذه الابيات في كتابه التنبيه على حدوث التصحيف · وليس كذلك ثم وجد ما جاء بعدهم حروفاً ليست من اسمائهم وهي ستة الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين فسموها الروادف » ويدل على كون ابجد وما بعدها اسماء رجال وضعوا الكتابة العربية عليها كون هذه الكلمات الواقعة على حروف الهجاء لم تزل مستعملة على ممر الدهور عند كل امة وجيل من سكان الشرق والغرب متداولة في الاعداد النجومية وكذا هنا عند السريانيين فهي الاصل الذي

(١) ويروى : كلمون هد ركني · هلكت وسط المحلة

يتعلم منه الهجاء «١» وتبعهم في ذلك الاسرائيليون من اليهود والنصارى يدرسونه صبيانهم في كنائسهم قائلين هجاء العبرانية الف . باء كمل . دالث . يتبعونه بما بعده على حكاية لغتهم وهذا هو الذي عربه عرب الاسلام فقالوا ابجد مكان الف . باكمل دالث . قال ابن دريد : في حروف الهجاء العربي حرفان لايجريان الا على لسان العرب ولا يوجدان في لغات سائر الامم وهي الظاء (٢) والحاء وخولف في الحاء بأنها موجودة في السريانية والعبرانية والحبشية وقيل الضاد لاتقع في لغة الروم كما ان الصاد لاتقع في لغة الفرس (٣) والذال لاتقع في لغة السريانيين كما انه لا يقع في لغة العرب لام بعدها شين وكما لا يقع فيها حرفان من حروف الهجاء لفظهما واحد متجاورين في اوائل الاسماء نحو شش كك وقد يقعان في اواخرها نحو تكك ومشش الا في اسماء اصلها فارسية كخوبيات (٤) ووددان كما انه لا يقع الدال في لغة الفرس في اوائل الاسماء والافعال وانما تقع في اواخرها وأواسطها وكون اصل الهجاء العربي مؤسس

(١) قلت : ليست هذه الحروف اسماء ملوك ولا اسماء ايام الاسبوع في سابق العهد . كما انها ليست بالفاظ عربية الاصل ولا هي معارف او نكرات ولا هي اعلام واضعي الكتابة العربية ولا ... ولا ... ولا ... وانما هي كلمات جمعت فيها حروف المعجم تسهيلاً لحفظها متتابعة على الترتيب الذي وضعه لها الفنيقيون في اول عهد تدوينها حروفاً مقطوعة عن صورها الاصلية التي كانت تصور بها . وقد فعلوا ذلك ايناساً للمتعلم بالفاظ مستعملة في معنى من المعاني بعد مللهم من تركيبات مهملة هجائية لامعنى لها في ذاتها . وقد قطعوها تقطيعاً يحصل منه معنى عند العرب ليتيسر حفظها وهناك من آراء كتاب العرب ماتراه مبسوطاً في كتاب الف باء للبلوي والقاموس للفيروزابادي والتاج للسيد المرتضى ومروج الذهب للمسعودي ومقدمة ابن خلدون وغيرها لغيرهم . وقد ضربنا عنها صفحاً لانها كلها من هذا الوادي الغريب . — هذه الحاشية لي . لكن في النسخة الخطية حواش لرجل اسمه « رياضي » وكل مرة تكون الحاشية له نجعل في آخرها « رياضي » لكي لاتنسب الينا ما هو الى غيرنا . فليحفظ .

(٢) كذا والاصح الضاد

(٣) وقد يوجد حرف الصاد في لغة الفرس حتى قالوا « صد » يعني المائة وهي بالسيف في الاصل كذا في اللغات الفارسية (رياضي)

(٤) ولعل الاصح : كخوبيان

على : « ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ » هو قياس ابت ث والف من حروفها وبا وجمل تجري في العربية مجرى ابجد في السريانية لكن هذا الخبر صادر عن رجل كان يولد الاخبار على الامم الذين بادوا كعاد وثمود وطسم وجديس واضرابهم واذا احتاج الى توليد اشعار يؤكد بها تلك الاخبار خرج ملتمساً ممن يحسن الشعر من الاعراب تقديره ان يقول شعراً من جنس مراده فكانوا يعلمون مثل كلون هد ر كني وهذا الرجل هو الذي ادعى على آدم عليه السلام انه انشد

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم وريح (١) وزال بشاشة الوجه المليح
وبدل اهلها اثلاً وخمطاً بجنات من الفردوس فيح
وجاورنا عدو ليس ينأى (٢) لعين لايموت فنستريح

(٣) فلو لا رحمة الرحمن اضحى للمع من جنان الخلد ريح (؟) كذا . والاصح : يكفك

فيا اسفاً على هابيل ابني قتيلاً قد توسد في الضريح

فنسب معاواته (٤) الى نبي الله شعراً ركيكاً واهي الركن ضعيف الامر ذا اقواء مع ثبوت ان الاقواء من اقبح عيوب الشعر وعدم مطابقة قوله تغيرت البلاد ومن عليها واين كانت بقاع تلك البلاد ومن كان عليها اذ ذاك . علي بن هشام قال في كتابه التيجان بعد انشاده هذا الشعر . قال جبير ابن مطعم ليس هو الى آدم عليه السلام بل هو منقول اليه وهود عليه (كذا) واستخف منه زعم من قال ان ابليس اجاب عنها بقوله :

---

(١) ويروى تغير كل ذي حسن وطيب . وقل ... ويروى ايضاً : تغير كل ذي لون وطعم . وقل .... (راجع نفح الطيب ١ : ٣٦ « ومروج الذهب » طبع باريس : ١ : ٦٥ .

(٢) ويروى ينسى ...

(٣) ويروي بعد ذلك :

وقتل قاين هابيل ظلماً فوا اسفاً على الوجه المليح
فمالي لا اجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة علي غماً وما انا من حياتي مستريح

(٤) والاصح : معاياته اي كلامه الذي لايهتدى له .

تنح عن البلاد وساكنيها فقد في الخلد ضاق بك الفسيح
وكنت تعيش وزوجك في رخاء وقلبك من ذوي الدنيا فريح
فما انقلبت مكايدتي ومكري الى ان فاتك الثمن الربيح
فلو لا رحمة الجبار اضحى بكفك من جنان الخلد ريح

ولعمري كم من مفسر ومؤرخ يذكر هذا الشعر ولم ينبه على ضعفه ووضعه فكم ترك الاول للآخر . وكم دام من السخف عَلَى الخواطر . وقد جاءت روايات عارية من الحال (١) محققة للحال من الانبار الى الحيرة ثم من الحيرة الى مكة والطائف وتسويده ماروي عن يحيى بن جعدبة انه قال سألت المهاجر بن من اين صارت اليكم الكتابة بعد ان لم تكونوا كتبة فقالوا من الحيرة فسألنا بعده من اهل الحيرة ممن اخذتموها فقالوا من اهل الانبار وروى ابن الكلبي والهيثم بن عدي : ان الناقل لهذه الكتابة من العراق الى الحجاز حرب بن امية وكان قدم الحيرة قدمة فعاد الى مكة بها . قال : وقيل لابي سفيان بن حرب ممن اخذ ابوك هذه الكتابة . فقال من اسلم بن سدرة وقال سألت اسلم ممن اخذت هذه الكتابة فقال من واضعها مرامر بن مرة فحدوث هذه الكتابة للعرب قبيل الاسلام صحيح يؤيده حدوث آلات لم تكن قبل كالخطاب والشعر والبلاغة فانها قريبة الميلاد من اقبال دولتهم وقد كانوا عبروا الدهر الطويل وهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون وكان لحمير كتابة يسمونها المسند منفصلة غير متصلة وكانت مباينة لكتابة العرب على حدة في اللغة والسير بعيدة الدار من بلادهم في منقطع الترب على شاطئ البحر جيرانًا للحبشة والزنج وكانوا يحظرون تعليمها على العامة مع انه كان لا يتعاطاها الا من اذن له في تعلمها فلذلك دخلت دولة الاسلام وليس بجميع اليمن من يقرأ ويكتب ...

وجل كتابات الامم من سكان الشرق والغرب اثنتا عشرة كتابة وهي العربية والحميرية والفارسية والعبرانية واليونانية والرومية والقبطية والبربرية والاندلسية والهندية والصينية والسريانية فخمس منها اضمحلت وبطل استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الاسلام وهي الحميرية والقبطية والهندية واليونانية والصينية واربع مستعملات في بلاد الاسلام وهي العربية والفارسية والسريانية والعبرانية واما

(١) الحال بمعنى الخالي من الحلية .

العبرانية فنوع واحد لاتتفنن وانما تتغير بخصيص اقلامها حال التجويد او التعليق ٠ واما الفارسية فتسعة فنون على ماذكر ابو جعفر محمد بن المؤيد المتوكلي فانه زعم ان الفرس كان امام ملكها مقرعن اصناف ايراداتها (كذا) سبع كتابات وهي يرم « ١ » دفيره و كشتة « ٢ » دفيره ونيم كشته « ٣ » دفيره ٠ وفروده « ٤ » دفيره ٠ وسف « ٥ » دفيره ٠ فمعنى الاولى الكتابة العامية والثانية الكتابة المغيرة والثالثة الكتابة المغيرة نصفها والرابعة كتابة الرسائل والخامسة كتابة السر وكانت كالترجمة والسادسة كتابة الدين وكان يكتب بها قرآنهم وكتب شرائع دينهم والسابع جامع الكتابات يشتمل على لغات الامم من الروم والقبط والبربر والهند والصين والترك والنبط والعرب وكانت كتابة العامة من بينها ترسم قلما وعشرين قلماً لكل قلم منها اسم على حدة نحو مايقال في الخط العربي خط التجاويد ٠ وخط الثلث ٠ وخط القراطيس ٠ وخط التحرير وخط التعليق وكانت صناعة الكتابة ذات اسماء مختلفة تلزم فنون طبقات الاعمال وقد نسي اكثر اسمائها لكثرتها فقد كانت غير ذلك فدرست وصاروا يستعملون منها هذه الانواع السبعة كما كانوا يستعملون في المخاطبات اللغات الخمس الفهلوية والدرية والفارسية والخوزية والسريانية ٠ فالاولى كان بها كلام الملوك في مجالسهم وهي منسوبة الى فهله الواقعة اسماً على خمسة بلدان وهي : اصبهان والري وهمدان وماه نهاوند وآذربيجان والثانية لغة مدن المدائن وبها كان يتكلم من بباب الملك وهودر بالفارسية والغالب عليها من لغات اهل المشرق لغة اهل بلخ والثالثة كان يجري بها كلام الموابدة ومن ناسبهم من كور بلاد فارس والرابعة منسوبة الى خوزستان وكورها الثلاث وبها كان يتكلم الاشراف في الخلوات كالتعري في الحمام والابزن والمغتسل والخامسة منسوبة الى كور بلدسورستان اعني العراق والسريانيون هم النبط وبها كان يجري كلام حاشية الملك عند التماس الحوائج وشكي الظلامات وكان للفرس « كتابة العصا » حكاها السلماني وكانت ملوك الفرس تودعها الاسرار في مخاطبة خواصها وعمالها ولم يكن بخط ولا باعداد ولا بما يجري مجراهما وانما كانت تعمد الى جلد ابيض فتقد منه سيراً طويلاً ثم تعمد الى عصي الفيج او المكاري فتلف السير عليها وتضم حروف السير بعضها الى بعض ثم تدعو بمسامير وتركبها عليها ثم تكتب فاذا

« ١ » ويروى رم دبيريه « ٢ » ويروى كشته دبيريه « ٣ » ويروى : نيم كسته دبيريه « ٤ » ويروى وفروده دبيريه « ٥ » ويروى راز سهريه

انتهت الكتابة حلت تلك المسامير وكشف ذلك السير عن العصي فكان ما كان منها الا نقط متفرقة ثم تلف السير وتجعل كالطبق ويقال للمكاري اذا نزلت منزلا فضع طعامك عليه لتوهم انه طبق طعامك فيكون هذا دأب الرسول الى مبلغ المكتوب فح يرد لف السير على العصي كما كان رسم بان يجعل الثقب التي في السير تجاه الثقب التي في العصي ويشك المسامير في الثقب ثم يضعها عند المكتوب اليه فهذه الكتابة التي كانت اذا ضم بعضها الى بعض امكن قراءتها واذا نشر زالت صورتها وتعذرت قراءتها وسئل احمد بن علي المتوكل عنها فاخذ درجاً من كاغد فكسر منه شبيهاً بورقتين وضم اثناءه بعضها الى بعض ثم كتب عليه شيئاً يقرأ ثم نشره وبسطه فصار في كل موضع من الورقتين كالعلامة والنقطة فهذا الذي اريد بقول الشاعر:

اي كتاب بالطي تعرفه　　وعندهم تبين احرفه

وانشر مما يزيل صورته　　وكتبنا كلها تخالفه . اه بحرفه

فانت ترى من هذا المثال، الطويل المقال، الواسع المجال، ان هذا الكتاب الجليل من احسن ماصنف في هذا القبيل . ولا سيما لان الكاتب قد احاط بكثير من الالفاظ التي لم يذكرها من سبقه الى هذا الموضوع . بل ولم ينوه بها من جاء من بعده . ولهذا نتمنى ان يخرج هذا التصنيف اليتيمة الى عالم المطبوعات . لينتفع به محبو اللغات . ويقف على بعض محتوياته مالا يوجد في كثير من المصنفات . قيض الله اديباً فاضلاً يعنى به . انه عظيم كريم .

بغداد :　　　　　　　　　　ساتسنا

تقارير المجمع العلمي السميثوني

عن سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ — ١٩١١

Annual Report of the Smithsonian institution
1909—1910—1911

عودنا هذا المجمع الاميركي ان يتحفنا كل عام بتقرير عن اعماله السنوية وذلك بكتاب ضخم يخصص القسم الاكبر منه لنشر مايظهر في عالم المطبوعات من الابحاث والمحاضرات العلمية سواء ظهرت في اوربا او اميركا . وامامنا الآن ثلاثة من هذه

التقارير الاول لسنة ١٩٠٩ واهم ما فيه من الابحاث بحث في مستقبل العلوم الرياضية وبحث فيما ذا يميز المناطيد وآخر في تقدم الطبيعيات وآخر في مسألة النتروجين من الوجهة الحربية وآخر في مذنب هالي وعودته وآخر في طبقة الهواء العليا وآخر في البلورات وغيره في الصخور النارية وفي البراكين وفي حفظ الموارد الطبيعية وفي البعثة البريطانية الى القطب الجنوبي وآخر في رسم بحر غيرينلاند ورحلة في افريقية من النيجر الى النيل ومحاضرة في ماضي العراق وحاضره ومستقبله القاها السير وليم ويلكوكس في الجمعية الجغرافية الانكليزية . ومبحثان في النشوء الحيواني ومذهب داروين . وآخر في قدم الانسان في اوربا وآخر في نسبة العلم الى حياة البشر وآخر في نسبة الحشرات الى الامراض وآخر في المقاومة الطبيعية للامراض السارية واسعافها وهذه الابحاث كلها من اقلام نخبة رجال العلم في اوربا واميركا .

اما تقرير سنة ١٩١٠ فهو كالذي سبقه في الحجم والاتقان وان كان ادق والطف من الاول ورقاً واهم موضوعاته : بحث في تزاويق البسط والسجاد وفي تقدم فن الطيران حديثاً وآخر في الانتفاع بالاراضي المقفرة في غربي الولايات المتحدة وآخر في القوة الكهربائية من نهر المسيسبي وآخر في وسائط التأمين في معامل الفولاذ في الولايات المتحدة وغيره في نقل الرسوم بواسطة التلغراف السلكي واللاسلكي . والآراء الحديثة في تركيب المادة . التقدم الحديث في وسائط تجربة المفرقعات . السبكترسكوب . مسائل فلكية في المناطق الجنوبية صلاح الارض للحياة في المستقبل . حفظ الغابات بحث في معرفة نوع الجنين وآخر في ريش النعام . نظرة من الوجهة الاقتصادية والجغرافية في الشعوب السلافية المعاصرة . وآخر في سكان الكهوف في العالم الجديد والقديم . حالة المزارع الصحية والسل وانتشاره .

ويحوي تقرير سنة ١٩١١ كثيره ابحاثاً مفيدة في الطبيعيات والفلك والحيوان والكيمياء وطبقات الارض وحفظ الصحة الى آخر ما نشر من الموضوعات الحديثة خلال تلك السنة .

وهذه التقارير في الجملة غاية في الاتقان والدقة مزدانة بالرسوم حسب ما تتطلبه الابحاث والناظر اليها يشعر برقي هذا المعهد العلمي سنة عن سنة نفع الله العلم به وا كثر من امثاله في العالم . وقيض لهذا الشرق العربي اناساً يخدمونه في الماديات ليخرجوا به من عالم الادبيات والخطابيات .

اخبار وافكار

ايطاليا والاسلام

قال لنا ذات يوم احد علماء الشرقيات من الالمان اندري السر الاعظم في غلبتنا الفرنسيس في حرب السبعين فذكرنا له ماحضرنا من الاسباب فقال : لاهذا ولا ذاك وانما كنا معاشر الالمان عارفين بما عند جيراننا حق المعرفة اما هم فكانوا يجهلون حقيقتنا ولذلك كتب النصر لنا .

ولقد حملت مجلة العالم الاسلامي الباريزية مبحثاً للمسيو انطوان كاباتون من مستشرقي فرنسا تحت عنوان « ايطاليا دولة اسلامية » فآثرنا نقل لبابه الى العربية ليعلم من لا يعلم ان كل امة لا تعرف ما عند جارتها تغلبها كما غلب الالمان الفرنسيس وان التمجد بالقديم وحده دون ان يكون لصاحبه شيء من دواعي الشرف الحقيقي الطريف مما يلقي بالامم من قمم العز الى دركات الذل وان الشرق بدون ان يعد له قوة تعادل قوة الغرب يزدرده هذا و يقضي عليه سنة الله في خلقه . قال العالم الفرنسوي :

ان معاهدة لوزان الاخيرة التي اعترفت بامتلاك ايطاليا الفتاة لليبيا قد ادخلت ايطاليا في مصاف الدول الاسلامية فان اثرت الحرب بين ايطاليا والعثمانية في المسألة العثمانية البلقانية كل التأثير فقد اثرت في مكانة ايطاليا ونفوذها ووجهتها السياسية والاقتصادية ايضاً . واعتبرت حملة طرابلس حادثاً جديداً لقسمة قارة افريقية بين الدول الاوربية وعنواناً حديثاً لسلطان المدنية الغربية الطامعة القوية على الغفلة الشرقية .

وراحت ايطاليا مدفوعة بعوامل التذكارات الماضية وما اصابها من الفشل بين جاراتها ومنافساتها تريد الظهور في القبض على قيادة بلاد البحر المتوسط .

وما من حرب منذ سنة ١٨٥٠ وقعت موقع القبول عند الشعب الايطالي مثل حربها الاخيرة اذ تلقتها الامة الايطالية بالبهجة على اختلاف طبقاتها ومن النساء من ارسلن ثلاثة اولاد لارابع لهن الى ديار الحرب وخرجن يودعنهم ويقلن « لتحيي الحرب » فلقيت الحملة في ذهابها وايابها من ضروب الاكرام في بلادها شيئاً كثيراً ولا تسل عن فرح القوم يوم شاهدوا ابناءهم عائدين يحملون شارة الاستعمار لبلاد ربما كان ابناؤها في المستقبل جيش ايطاليا الاسود .

وحدث ماشئت ان تحدث عما صدر في ايطاليا من الكتب والرسائل والصحف في وصف طرابلس وبرقة وما الى ذلك يوم نادت ايطاليا : هيا الى الحرب وعضدتها الصحف والحكومة على اختلاف صبغاتها في هذه الدعوة لا ليكون لايطاليا مجد ومصرف اقتصادي فقط بل لتكون على قيد غلوة من بلادها اراض مخصبة ينزلها ابناؤها الذين يكثرون كثرة زائدة ولذلك كانت ايطاليا تمجد بحماسة تمازجها سذاجة اقل حرس يعود من ليبيا وكيسه على ظهره كما كانت تتألم لاقل نقد يأتيها من الخارج .

فالاسلوب العملي العظيم الذي وقفت اليه ايطاليا لوضع الحرب اوزارها قد انتهى بتمجيد الامة الايطالية . بعثت ايطاليا مئة الف مقاتل على اسطولها الفاره لتقضي كل القضاء على الاتراك والاعراب ممن لم يتيسر لحماستهم الدينية وحبهم للاستقلال ان ينوبا مناب الاسلحة المنظمة والذخائر والجند والنظام .

اغتبطت ايطاليا بفتح طرابلس وبرقة واثبتت انها الوارثة الوحيدة لمملكة رومية التي كانت الحاكمة على العالم في القديم وحققت امانيها منذ خابت يوم ضمت فرنسا تونس اليها سنه ١٨٨١ وانهزمت في الحبشة سنة ١٨٨٩ لانها عادت فاصبحت مملكة مستعمرة بما فتحته من ليبيا التي فتحتها رومية منذ الزمن الاطول ايام كانت ضفاف البحر المتوسط للروح الايطالية معازاً يحفزها كما كانت الاستانة معازاً للروح الصقلبية « السلافية » .

ولقد طمحت ايطاليا في كل زمن الى هذا الشاطئ من البحر المتوسط فحملت اولاً القوة والسلام الروماني ولما انحلت عرى هاتين المادتين تحت ضربات البرابرة عادت توجه وجهها الى تلك الوجهة ايضاً لا الى الشمال فكان البحر المتوسط ميدان عمل جنوة وبيزا والبندقية واما لفي وباري وسالرن ولم يقنع تجارها بان يغتنوا بالاتجار باقمشة الهند وفارس وجزيرة العرب وافاويتها وابازيرها بل اخذوا برزانة يؤيدون النفوذ اللاتيني في آسيا الصغرى ومصر والحبشة وكان من انتشار الاسلام وقوته في القرن الثامن ان ضربت هذه الفتوح التي تذكر بفتوح رومية ايام عظمتها ضربة شديدة فاحتقر المسلمون ايطاليا على سمو مدارك ابنائها ومرونة اخلاقهم واغاروا عليها فادخلوا على قلوب اهلها الهول والفزع فكان الجلاد عظيماً ولئن وفقت ايطاليا الى طرد العرب من صقلية فان نجاح مدنها الساحلية في الجنوب قد تراجع وظلت جنوة وبيزا متأثرتين وعادت البندقية فوجهت وجهتها الى آسيا الصغرى .

وكان من الحروب الصليبية ان تهيأت لايطاليا اسباب الانتقام فان هذه الغارات وان كان بابلوات رومية هم الذين املتها عقولهم قد بذل فيها العنصر الايطالي بما عرف به من الحمية الممزوجة بقليل من التبجح من حسن السياسة اكثر مما بذل من الشجاعة

فاقتصر الايطاليون في الحرب الصليبية على مرافقة جيوش اوربا الى آسيا وبينا كان ملوك الامم الاخرى تقيم ممالك صغرى في الارض المقدسة كان الايطاليون يقطفون ثمرات تلك الحملات ٠ وقد ثبت هذا الدهاء السياسي الايطالي في الحملة الصليبية الرابعة فانه انتج لجنوة و بيزا ان ربحتا كثيراً واستأثرت البندقية بتجارة آسيا الصغرى وامتلاك اراض مخصبة على الشواطئ الشرقية من البحر المتوسط وجزء من الاستانة ٠ ولما سقطت القسطنطينية في ايدي محمد الثاني سنة ١٤٥٣ حالت دون هذا السير النافع ومع هذا فان البندقية بما اتته من عجائب المهارة وحسن المأتى بل بجهادها العلني قد احتكرت جميع تجارة اوربا مع الشرق ٠

وبهذا الاحتكاك غير المنفصل تمت للبندقية على قوتها البحرية والتجارية معرفة الشعوب الاسلامية حق المعرفة اكثر من كل اوربا وكان من العادة الجارية مع طبقة التجار من ابنائها ان يتكلموا بالتركية والعربية و يألفوا بعض العادات والمصطلحات الشرقية ولكن جاءت قوة في القرون الثلاثة التالية اكثر من قوة البندقية على مالها من الصلات التجارية مع العناصر الاسلامية فزادت عليها لانها روحية تطمع في امتلاك العالم ونعني بها « البابوية » ٠

فان احلام كنيسة رومية قد استطاعت ان تمتد الى الخارج و يكون لها مطلب اعلى من الربح حتى انها في عهد غارات الجرمانيين كانت تحلم ان تقبض ذات يوم على قياد الوحدة وحب الاستيلاء الذي سقط بسقوط دولة القياصرة فاحسنت صلاتها مع المسيحيين بل ومع الوثنيين في الشرق ممن تطمع في تنصيرهم وادركت كل الادراك الخطر الناشئ من امتداد كلمة الاسلام على اوربا المسيحية ٠ ومع ان الحملات الصليبية قد اخفقت وقوة الايمان قد اثلمت في القائمين بها مابرحت كنيسة رومية الى اوائل القرن السابع عشر تطالب باعمال اخرى وفي هذا العهد كان الضعف اخذ ينال العثمانيين ٠

بيد ان رومية شعرت في الحملة الصليبية الثانية ان السيف وحده غير كاف في مثل هذا الجهاد ورأت ان تعارض التعصب الاسلامي بطوائف متماسكين في التخادم من

غيوري الاوربيين او الشرقيين لتقطع اوصال المسلمين قطعاً ادبياً بعد ان اوقفتهم عن سيرهم المادي · وما فتئت رومية منذ القرن الثاني عشر والثالث عشر تحاول تنصير جميع الشعوب الآسياوية التي ظلت على وثنيتها فبعثت الى بلاد المسكوب وفارس وارمينية والتاتار والتبت ومغوليا والصين والارخبيل الهندي وفوداً من اهل الذكاء والحصافة ممن خلفوا لنا رحلاتهم ومذكراتهم اليومية عهدت اليهم ان يسبروا غور امراء تلك البلاد لينصروهم او ليتحالفوا واياهم على الاقل ضد المسلمين · وكان نصيب مصر والحبشة ايضاً البحث عن مثل هذا الشأن ·

فلم تلبث الرهبنات العظمى ان انشئت مثل الدومينيكانيين والفرنسيسكانيين واليسوعيين والكبوشيين والكرمليين واللعازريين ليكونوا جنداً مخلصاً في خدمة امام الاحبار وتفتح تلك البلاد لدخول النصرانية اليها · فانبث جيش من الرهبان على اختلاف مظاهرهم في قارتي آسيا وافريقية الشمالية لافتتاحها ونشر الانجيل فيها ثم نشر المدنية الغربية تخبط القائمون بالامر اولاً ولم يهتدوا لاحسن الطرق في العمل فانهال الفرنسيسكانيون والدومينيكانيون يفادون بارواحهم ويصبرون على ضروب العذاب في سبيل دعوة الشعوب الاسلامية في افريقية الشمالية الى الدين المسيحي وكانت الطرق التي عمدوا اليها على تحمس فيها ممزوجة بكثير من الجهل فشعروا في الحال ان الضرورة تقضي على من يريد دعوة احد الى دينه ان يتكلم بلغته على الاقل ليتفاهم الداعي والمدعو فنادى القوم من كل مكان بضرورة انشاء مدارس لتعليم اللغات كان رايموند لول داعيتها الذي لم ينله تعب ولا نصب ·

فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ الذي كان برئاسة اكليمنس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وسلامنكة دروس عربية وعبرانية وكلدانية من شأنها تخريج وعاظ واهل جدل اشداء لتنصير المسلمين واليهود وانشأ الفرنسيسكانيون والدومينيكانيون في اديارهم دروساً من هذا القبيل ليعدوا رهبانهم لنشر الانجيل ومنذ ذلك العهد اصبحت ابطاليا مهد حركة نجحت في المشرقيات واخذوا بنوع خاص يدرسون العبرية للتعمق في فهم اسرار التوراة وتنصير اليهود واللغة العربية لتنصير المسلمين وكان اساتذة العبرية يتخرجون باعلم العلماء الربانيين واساتذة العربية كانوا ممن رحلوا الى بلاد اللغة التي اخذوا يدرسونها ويصحبهم بصفة معيدين اناس من المسلمين او من السوريين الموارنة ممن كانوا يعلمونهم العربية بالعمل ورأى هؤلاء القسس بحكم الضرورة ان

ينتقلوا من اللغة العامية الى اللغة الفصحى ليشتد ساعدهم في فهم المسائل الفلسفية ورد حجج المخالفين باسلوب فلسفي ادبي ·

ومن اجل هذه الغاية اهتموا ايضاً بمصر والحبشة ومن مدارسهم نشأ العلماء الأول من الاقباط والحبش والامحريين ولكن دراسة اللغة العربية بقيت الحاكمة المتحكمة في شبه جزيرة ايطاليا فكان ينظر الى تعلمها انه من الحاجات الماسة لكل تجار المدن البحرية · فقد وضع احدهم سنة ١٢٦٥ باللغة العربية كتاب المعاهدة التجارية بين تونس وجمهورية بيزا وظلت العربية مألوفة في عدة اماكن من ايطاليا الجنوبية عقيب احتلال العرب صقلية فكانت في بلاط ملوك نورمانديا وهو هانستوفين وفريدريك الثاني ودي منفروا لغة العلم العالي والشعر والادب · وما كانت العربية على ما فيها من القسائد المقيمة المقعدة والعواطف المؤثرة لتحمل امثال شارل دانجو على تحمسه لدينه ان يخاف عاديتها بل كان الاطباء والطبيعيون في قصره امامن الاسرائيليين او من المسلمين المتحلين في عقائدهم وكان الطب هو الجواز الذي سارت به الفلسفة العربية عندما قام جيراردي كرمون الشهير في اوائل القرن الثالث عشر في ظل دولة فريدريك الثاني بترجم بعض كتابات ابن سينا الفيلسوف ·

وفي القرن الثالث عشر ترجم المعلم موسى من اهل بارمة من العربية الى اللاتينية كتاب ابقراط في امراض الخيل فتسربت فلسفة ابن رشد من امثال هذه الطرق ولم تلبث ان صادفت قبولاً بين ناشئة ايطاليا حتى شكا من ذلك جهاراً بترارك في القرن الخامس عشر اذ رأى في تلقف فلسفة ابن رشد دليل الالحاد والازدراء باليونانية واللاتينية · وكثير من الادباء والعلماء من غير طبقة الرهبان كانوا يرون من موجبات الفخر في القرن التالي ان يعرفوا اللغة العربية سائرين على سنة بيك دي لاميراندول

وعلى توفر بعضهم على نشر كتب في الجدل مع المسلمين حتى قبل ان يترجم القرآن باحدى اللغات الغربية فان عشاق العربية كانوا يرون من الحيطة ودواعي الغيرة ان يمرنوا انفسهم على ترجمة رسائل في الطب ينقلونها عن العربية اذ لم يكن احد يجهل مكانة العرب في هذا الفن وبذلك يرون انهم ينجون من الاتهام بالزندقة وقد اصبح اندري ار يفابن في البندقية حجة في هذا الباب وانشأ هؤلاء المترجمون يدققون علاوة على ذلك كل التدقيق فيما ينشرون فكان لهم اسلوب علمي حقيقي · ولما رأى اندري مونكاجون بللون في القرن الخامس عشر ان تراجم ابن سينا القديمة واطباء بلاط

فريدريك الثاني لبس فيها عناية ذهب بحكم دراسة اللغة العربية في دمشق واتم تعليمه الشرقي بالرحلة في مصر وسوريا وفارس وآسيا الصغرى رحلة طويلة وذلك قبل ان يعود الى كلية بادو ليشرح لتلامذته فلسفة ابن سينا . وقصد جيرولامو رانوزيو احد اطباء البندقية بلاد الشام ايضاً في سنة ١٤٨٣ ليتبحر في فهم فلسفة ابن سينا ويعلق شروحاً على ترجمته عليها .

وكان من سقوط القسطنطينية وهجرة علماء من اليونان الى ايطاليا وكثيرمن نصارى الشرق واختراع الطباعة وقيام الاصلاح ان هبت في ارجاء ايطاليا حركة النهضة العلمية التي تجلت في اجمل مظاهرها في الدروس الشرقية ولاسيما في دروس العربية والاسلام .

كانت الحركة في تعلم المشرقيات عامة وافرادية معاً انتشرت كل الانتشار بفضل الكردينال فريدريك دي مديسيس في فلورنسا والباباوات في رومية والكردينال بوروميه في ميلان والكردينال باربار يكو في بادو ومن تقدمهم مثل باباغانيني الذي نشر في مدينة البندقية اول طبعة من القرآن باللغة العربية ولكن هذه الطبعة لم تلبث ان أبيدت بغيرة دينية خرقاء وكان من الأسقف اغوستينوجو يستنياني المشغوف بالدروس الشرقية ولا سيما العربية والعبرية ان قبل من فرنسيس الاول بتدريس اللغة العبرية بعد ان صرف ثروته في اقتناء مجموعات من المخطوطات المهمة في العبرية والعربية والكلدانية والرومية وكان تيزيو امبرو كيوقومس (كونت) البونز مستشرقاً مدققاً

وهكذا كانت ايطاليا كما اولع علماؤها باللغة العربية وتشربوا روحها تميل كل الميل الى الاقطار التي كان يتكلم فيها . وقد نشر اندريا اريفابن من مانتو اول طبعة ايطالية من القرآن بيد ان كل هذه الاعمال على جلالتها لا تعد شيئاً في جانب انشاء مطبعة أسرة ميديسيس المالكة والمطبعة الشرقية لبث الدعوة ومطبعة بادو وكليتها واحداث مملكة امبروز في ميلان وكل ذلك بغية تنصير المسلمين والوثنيين . فقد طبعت مطبعة ميديسيس ١٨ الف نسخة من الانجيل باللغة العربية سمته (اربعة اناجيل يسوع المسيح سيدنا المقدسة) وارسلتها مع تجار لتباع بثمن بخس في البلاد العربية او التي تفهم بها العربية على صورة حازمة لا يظهر منها المقصد الذي يرمي اليه دعاة الدين .

وكانت النية معقودة قبل كل شيء على اعلان حرب صليبية جديدة روحية على الاسلام يدخل اليها بالوسائل العلمية وعني الباباوات الادباء امثال ليون العاشر واكليمنس السابع

عناية خاصة بتأسيس خزائن كتب من المخطوطات تسلب من المسلمين الاعداء القدماء لتكون من ذلك مجموعات نفيسة في دار كتب الفاتيكان اما غريغوريوس الثالث عشر فكان لايرى احسن في النجاح من تنصير الناس وابادتهم وانشأ يوليوس الثاني في مدينة فانو على بحر الادرياتيك اول مطبعة عربية احتفل ليون العاشر بافتتاحها سنة ١٥١٤ بنشرها اول كتاب طبع بحروف عربية وهو كتاب « صلاة السواعي » · وكان في رومية مطبعة حجرية شرقية انشأها سافاري دي بريف الذي ظل سنين طويلة سفيراً لملك فرنسا في القسطنطينية وهو نفسه الذي حفر أمهات الحروف العربية التي نقلت عنها مطبعة الامة في باريز اشكالها · ونشر منذ سنة ١٦١٣ كتاب التعليم المسيحي ·

وظل الكردينال فردينانددي ميديسيس متماً لذوق أسرته في حب المعارف الشرقية فابتاع مخطوطات شرقية باسم البابا وكان يدير بطريركيات انطاكية والاسكندرية ومملكة الحبشة ادارة روحية وانشأ على نفقته مطبعة ميديسيس وولى عليها ريموندي الذي ولد سنة ١٥٣٦ في نابولي وهي اكثر البلاد التي كانت العربية منتشرة فيها · فكان باللغات الشرقية التي يتقنها ولاسيما العربية قدوة الداعين الى تعلم المشرقيات ونشر بالعربية كتاب نحو وكتب ابن سينا وغيرها فكانت مطبوعاته بحسن طبعها ووضعها موضوع الاعجاب العام وبعد ان قضى ريموندي نحبه لم تعد أسرة ميديسيس تفكر في اعلان الحرب الروحية على المسلمين بواسطة الكتب بل عمدت الى احداث الاضطرابات العملية ·

ولم تشا رومية ان تكون في خدمة المعارف الشرقية بالمطابع والمكاتب والمدارس دون أسرة ميديسيس في بث هذه الدعوة لتنتشر بها الدعوة للاسلام فقد صارت بفضل البابوات ميدان درس ونشر كل مايرقي عقول القسيسين الذين تنتدبهم رومية لفتح العالم فتحاً روحياً يتخرجون في المدارس ما امكن بلسان البلاد وعاداتها ومعتقداتها التي يريدون بث دعوتهم فيها ودار الكتب ثم لم هذه المعلومات فيعثرون فيها على ماسطره اسلافهم في رحلاتهم الى البلاد التي عنوا بتنصير اهلها وما تلقفوه من معتقداتهم وعاداتهم ولهجاتهم وصناعاتهم و يقضى على كل قسيس ان يكتب بعد مقامه في القاصية كتابة او رسالة تخدم هذا الغرض · ومطبعة بث الدعوة تنشر كل مايؤلف من هذا القبيل وتترجم الى لغات شرقية كثيرة الكتب المسيحية والردود على الاسلام وكان للغة العربية الشأن الاول من بين هذه اللغات التي تطبع فيها المطبعة وهي عشرون لغة شرقية

وما كان القصد من هذه العناية الا دينياً محضاً بادئ بدء ولم يكن العلم الشرقي الا واسطة تساعد على علم الجدل وكذلك اللغة العربية لم تكن الا سلاحاً يقاتل به الاسلام ولذلك كانت المدرسة الاكليركية الشرقية في بادو لاترى غضاضة عليها ان تشتغل بالعلم المجرد احياناً للأثر الذي يحدث عنه وكانت المطبعة والمكاتب الشرقية من المتممات لتلك المدرسة لذهابها بفضل الشهرة وتأثيرها في الافكار ·

وقد تخرج بالاستاذين ماراسي واغابيتو عدة من التلامذة باللغة العربية فصنفوا فيها وافادوا وتعاقب اثنان من الكرادلة على ابرشية بادو كان كل منهما يتنافس في عصره في خدمة الدروس الشرقية · وهذا كان شأن ميلان فان فريدريك بورومة بث فيها روح العلوم الشرقية وبعث منذ سنة ١٦٠٦ الى الشرق يبتاع بالاثمان الباهظة كتباً ومخطوطات شرقية فأسس المكتبة الامبروزية الشهيرة ولم يكثر تلامذة المدرسة التي أسسها لهذا الغرض بل كانوا قلائل امتازوا باخصائهم وكان ثمة اساتذة خاصة من مسيحيي الشرق او المسلمين المحدين ولطالما عطف عليهم ونشطهم وتخرج في مدرسة امبرواز انطونيوجيجي باللغة العربية فكان لها مجداً اثيلاً ·

عد القرنان السادس عشر والسابع عشر عصر ازدهار الدروس الشرقية ولاسيما اللغة العربية في ايطاليا اما القرن الثامن عشر فكان عصر الانحطاط التام اذ قلت فيه حتى الغيرة الدينية والحماسة العقلية ولم ينشأ فيه سوى الكردينال ميزوفانتي الخارقة في اتقان اللغات المتنوعة فكان مفخراً للعلم الايطالي وقد تقاسم جمهور الشعب اقيال وملوك متوسطون صار معهم الى الشقاء والعبودية اما الطبقة العالية فقد حرمت من الاشتراك في ادارة شؤون بلادها ينهكها الاستبداد المدقق او اضطهاد النمسا الشديد فنسيت في لذائذها المادية حريتها وعلو منزلتها العقلية ·

وفي سنة ١٦٩٠ احترقت مطبعة ميديسيس ثم اعيد انشاؤها وبعد ان تقلبت عليها الاحوال ونقلت الى باريز بامر الامبراطور نابليون أعيدت الى ايطاليا وفيها طبع اعاظم مستشرقي الطليان امثال اماري وسكياپارلي وكويدي كتبهم وما نشروه من آثار العرب · ولما فتح نابليون مصر واعلن للمسلمين بانه يراعي معتقداتهم وحقوقهم وانه لاأرب له الا قتال المماليك احلاف انكلترا رأى ان يستولي على قلوب المصريين فظهر لهم بمظهر الحياد وحسن الخدمة وبعث يجلب مطبعة لبث الدعوة الشرقية من ايطاليا فأتته الى مصر واخذ يطبع بها الكتب خدمة للسياسة والتجارة ·

فأصيبت من ثم المطابع الشرقية في ايطاليا بضربات السياسة والحوادث وبقيت المدرسة الاكليركية وخزائن كتبها في بادو بمعزل وعلى ماعرف به المستشرق العالم بالعربية اسباني من سعة الفضل فانه لم يتيسر لبلاده ان تعيد الحياة للشرقيات بعد انطفأت جذوتها بالفتن والكوائن وانقراض بيت ميديسيس ٠ ونشأ للعربية استاذ في القرن الثامن وهو القس فللا درس في كلية بلرمة ونشر بعض الكتب ولكن القرن التاسع عشر امتاز بآدابه كما امتاز بالحياة في ايطاليا التي هبت قوية حرة وراحت ترفرف نحو كل ما كان فيه مجدها ايام تاريخها المجيد فأزهرت فيه الدروس الشرقية ولاسيما الدروس العربية والعلوم الاسلامية ٠ فكانت الولايات الجنوبية في ايطاليا تخرج ابطالاً في المشرقيات امثال المؤرخ والسياسي ميشل اماري الذي نشر احسن تاريخ للمسلمين في صقلية وكثيراً من الكتب التي تدل على فضل علم وتدقيق ٠ ودروس العربية في كليتي فلورنسا وبيزا ونشأ معه الاستاذ سكيا بارللي مدرس العربية في فلورنسا ثم بوناز يا مدرس كلية نابولي واغناس كويدي الذي هو اليوم احد الزعماء المبجلين من علماء المشرقيات من الطليان وهكذا نشأ لايطاليا اجلة من المتبحرين في علوم الشرق ولغاته وامراء يفضلون على العلماء في طبع مايلزم ونشره ٠

وكان امتياز ايطاليا قديماً بنشر المعارف في كل البلاد فاصبحت كذلك في عهد وحدتها تريد ان تجعل لكل اقليم حظاً من هذه الخدمة ولم تلبث صعوبة الحياة الحديثة والاطماع القديمة التي بظهر انها اليوم العامل في حياة الممالك الاوربية ان تحدو ايطاليا السياسية الى الانتفاع من هذه المعارف النظرية انتفاعاً عملياً ٠

ولما تمت لايطاليا وحدتها لم تر لها نصيباً من المغانم في ارض اوربا فوجهت وجهتها منذ ثلاثين سنة الى ان تضع يدها على مالم يكتب له الاستعمار الاوربي من حوض البحر المتوسط فرأت اولاً ان تبعث بالفقراء من ابنائها في صقلية وسردينيا الى تونس اذ قد رأت فرنسا قبضت على قياد الجزائر واسبانيا على الريف وانكلترا على مصر ولكن سرعان ما اخفقت احلامها باعلان فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ فبقيت امامها طرابلس الغرب ولكنها لم تجرأ ان تحل بها ولذلك ابعدت في اطماعها بادئ بدء فارادت الاستئثار ببلاد الشاطئ الشرقي من افريقية فكان فيها مرسلوها وعلماؤها دعاة لما تريد ايطاليا القيام به ٠

واذ كانت مصر على قربها من ايطاليا وغناها وعراقتها في الاسلام مما يكون منه

الخطر كانت هي اول غاية انصرفت اليها كهنة الطليان وتجارهم وكانت ايطاليا منذ القرن السادس عشر مركزاً لتعليم الآداب القبطية وقد انشأت تعلم علم الآثار المصرية والقبطية في بيزا لتثبت بذلك انها لا تريد ان تكون غريبة عن علم كانت لها القدم الراسخة قديماً في الابداع فيه وكانت للغة الحبشية المقام الاول في ايطاليا لانها رأتها اقرب الى بث الدعوة في نساطرة الحبش وان التجارة تمكن بدون ان يصطدم الايطالي مع الاسلام الذي لا يتساهل ٠

وفي اوائل القرن التاسع عشر انشأت ايطاليا مجمعاً ومدرسة لتنصير الافريقيين وتعليم دعاة لهذا الغرض تأخذهم من ابناء تلك البلاد وتربيهم ليعودوا الى مساقط رؤوسهم يحيون فيها روح دينهم الجديدة ولكن هذا العمل في التنصير اخفق لما حال امامه في كل مكان من بث دعوة الاسلام ونشر الدعوة البروتستانتية فاقتصرت ايطاليا من ثم على غرس نفوذها في تلك البلاد واعداد الاسباب لمطامع الاستعمارية ٠

فكانت سياسة ايطاليا حازمة محتشمة اولاً في سنة ١٨٦٩ عند ما فتحت ترعة السويس ابتاعت شركة الملاحة الايطالية روباتينو من زعيمين مستقلين مرفأ اساب بالقرب من جزيرة بريم على الشاطئ الافريقي من البحر الاحمر لجعلته محطة لسفنها الذاهبة الى الشرق الاقصى ولما خاب ظن ايطاليا في الاستيلاء على تونس ابتاعت من هذه الشركة سنة ١٨٨٢ جميع ماتملكه في تلك الارجاء بمبلغ ٤١٠ آلاف فرنك فكانتها كثيراً وارسلت حملة لتأديب قبائلها المجاورة مثل الدناكل والصومال من المسلمين فذبحوا لها رجالها سنة ١٨٩٤ وعادت فبعثت بحملة الى مصوع وبعثت انكلترا جيشاً الى البحر الاحمر للدفاع عن سواكن ومصوع من عصاة السودان واقترحت على ايطاليا ان تكون الحملة مشتركة على ان تكون مصوع لايطاليا ويحق لها بسط سلطانها على الحبشة فبادرت الى احتلال مصوع وتيسر لايطاليا باعمال حربية قليلة ان تضم ارضها الى ارض اساب ٠

ولكن بسط حمايتها على الحبشة نشأت عنه كارثة غير متوقعة وذلك بان جيوشها ما كادت تصل الى البحر الاحمر حتى تحالف امراء الحبشة وجعلوا نجاشيهم جوهانس امبراطوراً عليهم فقتل هذا حملة للطليان مؤلفة من ستمائة شخص عن بكرة ابيها سنة ١٨٨٧ فارسلت ايطاليا عشرين الف رجل فلم يكادوا ينزلون الى البر حتى فتك فيهم الجوع والحصار ودهمهم ثمانون الفاً من الحبشان فانهزمت ايطاليا شر هزيمة في سكانتي

(١٨٨٨) ثم استمالت اليها النجاشي منليك واعدة اياه بان يكون هو امبراطور الحبشة دون جوهانس ولكنه لم يغترر بامانيها بل رد الايطاليين رد الابطال عن حياض بلاده فذبح سنة ١٨٩٥ اناس من المستعمرين الايطاليين في امبا الاكاجي وبعد بضعة اشهر سحقت الحبشة لايطاليا جيشاً مؤلفاً من خمسة وصبعين الف ايطالي في ادوا فاضمحلت آمال ايطاليا بعد ذلك وقنعت بما ترك لها من الموانئ هناك وراح ابناؤها ينتشرون في تونس ومصر وعلماء المشرقيات المتضلعين من العربية من ابنائها يرفعون شأنها الماضي في الحضارة وتقاليدها القديمة في النصرانية ·

واتفق ان احد رجال البيت الخديوي الامير احمد فؤاد باشا تعلم في المجمع العلمي العسكري في تورينو فكان منه بعد ذلك ان عقد انفع الصلات مع ايطاليا كما بدأ ذلك منه سنة ١٩٠٨ وقد عين رئيساً للجامعة المصرية لتعلم العلوم الحديثة للمصريين ونظم الجامعة بمشورة عالم فرنساوي مشهور المسيو مسبرو وكانت اكثر الدروس تلقى بالعربية فكان من الاساتذة كويدي وناللينو ومالو الايطاليين الذين درسوا الدروس التي عهدت اليهم بالعربية ·

ومنذ ذاك العهد مالت الافكار في ايطاليا الى طرابلس الغرب لتكون لها اهراء حنطة كما كانت للرومان قديماً وذلك لانها بصرف المال وبذل الوقت والعناية بزراعتها سيكون منها مورد ربح عظيم وتجد فيها اليد العاملة من الطليان مجالاً واسعاً للاستعمار فرأت ايطاليا ان يكون الفتح الاستعماري مشفوعاً بالرفق والرحمة والتساهل في معاملة الشعوب الاسلامية وان يكون اساس الاستعمار في تلك الاقطار المصالح الاقتصادية وان تدار البلاد بايدي اعظم رجال الادارة ممن تعلم منهم وزارات المستعمرات الاوربية دروساً في الاستعمار ·

واخذت ايطاليا بتنظيم كلية بادو التي كانت اتخذتها جمهورية البندقية منذ قرنين مدرسة لتخريج رجال سياستها وتراجمتها وسماسرتها تدرس فيها العربية والفارسية والتركية ولاسيما العربية وستعنى هذه المرة بالعربية اكثر ليكون من متخرجيها اعظم الاداريين المستعمرين لليبيا وتضاف الى دروسها اللهجات البلقانية المتنوعة ممن تتجر معهم البندقية وايطاليا · ولمدينة جنوة درس عربي طالما تناوب تدريسه اعاظم مستشرقيها وهي اليوم تطالب بان يكون لها امتياز بتخريج رجال الادارة والاستعمار بانشاء كلية بحرية استعمارية فيها وكذلك سيكون من كلية بولون اثر عظيم في تخريج

رجال بالعربية كما لهم منهم حظ ليس بقليل الآن · وفي رومية في مدرسة الدعوة الى الايمان درسان للعربية والسريانية وكذلك مدرسة القديس ابولينير فان درس العربية يدرسه فيها الاسقف بوغاربني وتفتخر كلية الحكومة اللادينية في رومية بان فيها درساً للغة العربية وآدابها بزعامة الاستاذ سكياپار بللي والحبشية تحت نظارة كويدي · وفي جنوب شبه جزيرة ايطاليا المملوء بتذكارات اسلامية والقريب من حيث الوضع الجغرافي من بلاد المسلمين كلية بلرمة التي يدرس العربية فيها كل من الاستاذين نالينو وبوونازا واقتصرت نابولي على تعليم العربية بالعمل كما تعلمها بالنظر ايضاً · وفي نابولي مجمع شرقي يعلم بالعمل اللغات الحية في آسيا وافريقية وفيه تلامذة صينيون وهنود وبلغاريون ومصريون وفلاخيون واليابانيون ويونان · وفي سنة ١٩٠١ اعيد تنظيم هذا المجمع على مثال مدرسة اللغات الشرقية في باريز ويمتاز بان دروسه مجانية ولا يمتحن الطلاب فيه

لا جرم ان فتح طرابلس الغرب سيزيد في نجاح هذه المدرسة فيكون لايطاليا الحظ بان تكون دولة تحيا فيها المدنيات الشرقية في البحر المتوسط على ما يبدو الآن لاعين الشعوب الاسلامية النازلة في حوض البحر المتوسط من ان هذه الدولة حديثة العهد بنفوذها بما ترسله من فقراء المستعمرين والعاملين القادرين على منافسة اليد العاملة الوطنية اهـ

كليات المانيا

الكليات او الجامعات او دور الفنون في المانيا هي المدارس العالية المحتوية على الفروع الآتية : الاولى شعبة الالهيات، الثانية شعبة الحقوق ، الثالثة شعبة الطب ، الرابعة شعبة الفلسفة (وهذه اربعة فروع (١) الفلسفة المجردة وعلم التربية والمنطق (٢) علم الالسن والادبيات (٣) التاريخ والجغرافيا وتاريخ الصنائع والموسيقى (٤) السياسيات وعلم الاقتصاد) الخامسة شعبة الرياضيات والطبيعيات (وهي الرياضيات وعلم الفلك والحكمة الطبيعية والكيمياء والحيوانات والنباتات وطبقات الارض) · فعدد كليات المانيا اثنتان وعشرون · نصفها في بروسيا والنصف الثاني في سائر الحكومات المتحدة وهاك اسماء المدن الموجودة بها مع تاريخ تأسيسها وعدد طلابها في نصف السنة التدريسية الشتائية من سنة ١٩١١

تاريخ التأسيس	عدد الطلاب	الكليات
١٨٠٩	١٤٥٤٣	برلين (بروسيا)
١٤٧٢	٠٧٥٩٦	مونيخ (بافيرا)
١٤٠٩	٠٥٨٠٤	ليبسيك (سكسونيا)
١٨١٨	٠٤١٠٧	بون (بروسيا)
١٥٠٢	٠٢٨١١	هالله (بروسيا)
١٥٦٧	٠٢٥٠٦	استراسبورغ (الزاس لورين)
١٧٠٢	٠٢٤٢٩	برسلاو (بروسيا)
١٤٥٧	٠٢٣٨٧	فرايبورغ (بادن)
١٧٣٧	٠٢٣٥٥	غوتنغن(بروسيا)
١٧٧١	٠٢٢٩٦	مونستر (بروسيا)
١٣٨٦	٠٢١٨١	هايدلبرغ (بادن)
١٥٢٧	٠١٩٣٦	مار بورغ (بروسيا)
١٤٧٧	٠١٩١٣	توبينكن « ورتمبرغ »
١٥٥٨	٠١٧٥٣	يينا « ساكس وايمار »
١٥٤٤	٠١٦١٤	كنغسبرغ « بروسيا »
١٦٦٥	٠١٥٧٠	كيل « بروسيا »
١٤٠٢	٠١٥٠٩	ورتسبورغ « بافيرا »
١٦٠٧	٠١٤٠٩	كيش « هس »
١٧٤٣	٠١٠٩٩	ارلانكن « بافيرا »
١٤٥٦	٠١٠٣٤	كرايفسوالد « بروسيا »
١٤١٩	٠٠٩٠٣	روشتوك « مكلبورغ »
١٩١٣	جديدة	فرانكفورت على ماين «بروسيا »
	٦٣٧٥٥ =	المجموع

ومن هذا المجموع ٥٠٠٠ طالبة تقريباً . وعدا ذلك فان في غالب المدن مدارس عالية عملية ، هندسية ، زراعية ، صناعية ،تجارية ، حربية ومراصد فلكية ودور معلمين ومعلمات .

الحنطة في فرنسا

قالت الماتين : ان اكثر ام الارض مقطوعية للحنطة هي الامة الفرنسوية ثم ايدت قولها بالاحصاء التالي وهو احصاء سنة ١٩٠٩ الذي يمكن اعتباره كمتوسط كمية الحنطة التي تناولتها مقطوعية ٩٠٩

مقطوعيتها	(الف قنطار)	المقطوعية الفردية
فرنسا	٩٨٤٣٢	٢٤٥
المانيا	٥٧٦١٣	٠٤٩
النمسا والمجر	٥٧١٢٠	١٤١
اسبانيا	٤٠١٦٧	٢٤١
الجزر البريطانية	٧٣٩٤٤	١٤٧
ايطاليا	٦٤٤٤٨	١٤٩
روسيا (اوربا وآسيا)	١٧٨٤٠٠	١٤١
الولايات المتحدة	١٤٩٠٠٥	١٤٦

فيتبين مما تقدم ان المقطوعية الشخصية هي في فرنسا اكثر منها في سواها · وان في الاشاعات المتداولة على السنة الناس في الخارج ان الفرنسويين يكثرون من اكل الحنطة والضفادع شيئاً صحيحاً اي ان احد قسمي الخبر صحيح اما الثاني فخرافة

ثم اذا اعتبرت المقطوعية من الوجهة العامة كان الفرنسويون بعد روسيا الشاسعة الاطراف والولايات المتحدة العجيبة في طليعة سائر الامم في المقطوعية · وان في الجدول الآنف دلالة على مقدار مقطوعية كل شعب من الحنطة · بقي ان نعلم كيف تتحوط كل امة لاملاء اهرائها التي تفرغ في كل عام · على انه لابد من التمييز بين البلاد التي تزيد مقطوعيتها من الحنطة عن حاصلاتها والتي تزيد حاصلاتها الخاصة عن مقطوعيتها فمن الفئة الاولى

حاصلاتها	(الف قنطار)	الفرق
المانيا	٣٧٥٥٧	٢٠٠٥٦
النمسا والمجر	٤٩٩٣٦	٧١٨٤

حاصلاتها	(الف قنطار)	الفرق
انكلترا	١٧٤٨٦	٥٦٤٥٨
ايطاليا	٥١٨١٣	١٢٦٣٥

فاعظم البلاد استيراداً للحنطة هي انكلترا ثم المانيا حليفتها · اما فرنسا واسبانيا فان محصولها من الحنطة يعادل على نوع ما مقطوعيتها وبيان ذلك

حاصلات	الف قنطار	الفرق
فرنسا	٩٧٧٥٢	٦٨٠
اسبانيا	٣٩٢١٩	٩٤٨

اما البلاد التي تزيد حاصلاتها عن مقطوعيتها فروسيا وحدها في اوربا ثم رومانيا · اما البلاد الاخرى فكلها واقعة وراء البحار وبيان ذلك

	المقطوعية	الحاصلات
روسيا	١٧٨٤٠٠	٢٣٠٢٨٨
رومانيا	٧٠٤٠	١٦٠٣٢
الولايات المتحدة	١٤٩٠٠٥	١٨٥٩٨٠
كندا	٣٠٠٥١	٤٥٣٨١
الهند الانكليزية	٦٦٤٨٧	٧٧٦١٦
اوستراليا	١٤١٣٧	٢٤٦٠٧
الارجنتين	٨٨٤٨	٣٥٦٥٥

ولهذه الارقام من الوجهة السياسية مكانة عظمى فالجزر البريطانية تستطيع ان تستمد من مستعمراتها ثلاثة ارباع ماينقصها لمقطوعيتها · وان مانقوله هنا عن الحنطة يصح ايضاً في اللحوم وسائر الحبوب الغذائية · فالقوة البحرية الانكليزية الضخمة تضمن ورود الاقوات اليها بانتظام وهي مسألة حيوية بالنسبة اليها لانه اذا استطاع العدو ان يمنع عنها الاقوات اللازمة هلكت بالمجاعة · ومثل ذلك يقال في دول التحالف الثلاثي فهي لا قوام لها بدون وصول المؤونة اللازمة لها من الخارج · واهم البلاد التي تستورد منها روسيا وهي عدوتها · فاذا امسكت عنها الحنطة في ابان الحرب وكانت لها (اي روسيا) بحرية قوية هلكت ام التحالف الثلاثي جوعاً · وان هذه الحاجة حاجة استيراد المؤن من الخارج لتزيد عاماً فعاماً بسبب ازدياد الناس في اوربا في

الآونة الاخيرة وتجد البرهان على ذلك المقارنة الآتية :

	الكمية المستوردة	(الف قنطار)
	١٨٨١	١٩٠٩
المانيا	٣٠٨٥	٢٠٠٥٦
النمسا والمجر	٤١٣	٧١٨٤
انكلترا	٣٥٥٢٠	٥٦٤٥٨
ايطاليا	٤٨٥	١٢٦٠٥

اما فرنسا التي ما كانت قط تستورد كميات كبيرة فقد استوردت في سنة ١٨٨١ اثني عشر مليونًا و٨٦٤ الف قنطار اي اكثر مما استوردته دول التحالف الثلاثي بثلاث مرات . وسبب ذلك ان سكان المانيا كانوا في ذلك العهد ٤٤ مليونًا مقابل ٦٤ مليونًا في ١٩٠٩ و٦٧ مليونًا اليوم . وكانت النمسا ٣٨ مليونًا وهي اليوم ٥٣ مليونًا . وان ازدياد عدد السكان في اوربا كلها ليضطرها ان تستورد حاجتها من الحنطة من الخارج . وهذا الاضطرار يقضي بوجوب الاعتماد على عمارة تجارية كبيرة واسطول حربي ضخم اه .

اموال الفرنسيس

لفرنسا وحدها في القروض التي عقدتها الدولة منذ سنة ١٨٥٥ الى الآن مبلغ ٨٤٦ مليون فرنك يضاف اليها مالها من الاموال في المشاريع الآتية :

	مليون فرنك
في البنك العثماني	٦٣
« سكة حديد ازمير	٧١
« « القدس ويافا	١٨
« « دمشق حماه	١٢١
« « سلانيك	١٢٧
« معدن هركلي	٢٩
« مرفأ ازمير	١١
« « بيروت	١٤

	مليون فرنك
« « الاستانة	٣٧
« مياه الاستانة	١٧
« شركة حصر الدخان	١٦

يكون المجموع مليارا و٣٧٠ مليون فرنك يضاف اليها الديون غير المنتظمة وهي :

	فرنك
الديون الموحدة العثمانية	٣٨٦٦٠٠٦٠٠٠
تحويلات الروملي	١١٦٤٠٠٦٠٠٠
ديون اخرى	٧٥٦٠٠٠٦٠٠
سلفات متفرقة	٧٦٠٠٠٦٠٠٠

٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠ | ٢٠
١٠٠ | ١٥

هذا عدا عن الاموال المستثمرة في بعض المشاريع الثانوية وهي كثيرة ايضاً فاذا اضفنا اليها سائر الديون العثمانية بلغ المجموع نحو ثلاثة مليارات من الفرنكات تزيد فائدتها ٢٥ في المئة من مجموع دخل الدولة كله ويضاف الى ذلك القرض الاخير وهو ٧٠٠ مليون فرنك .

طلابنا في فرنسا

الغالب ان معظم من يدرسون العلوم من ابناء العثمانيين في كليات اوربا ينزلون فرنسا ويختارون من كلياتها كلية باريز وكلية ليون فكرونوبل فمونبلية فنانسي ثم يكون من طلبتنا اناس في كليات المانيا فانكلترا فالنمسا .

وقد ذكرت الطان احصاء في عدد طلاب الكليات في فرنسا جاء فيه ان عدد طلاب الكليات في فرنسا ٤١١٠٩ طلاب وطالبات منها ٤٠٥٦ من الفتيات والباقون ذكور اي ان نحو عشر الداخلين في المدارس الجامعة هن من الجنس اللطيف وبلغ عدد الاجانب من الطلبة ٣٨١٩ اي نحو عشرة في المئة من مجموع الطلبة و٤٠٥٦ طالبة فيكون مجموع الطالبين والطالبات من غير الفرنسويين في كليات فرنسا ٧٨٧٥ من اصل ٤١١٠٩

واكثر الطلبة الاجانب يدرسون الحقوق و يأتون من الشرق فقد بلغ عدد طلبة رومانيا ٢٥٧ والروس ٢٤٣ والمصريين ١٦٣ والعثمانيين ١٢٤ اي نحو ثلثي عدد الاجانب ثم ٨٣ بلغاريًا و٣٦ المانيًا و٢٨ يونانيًا و٢٧ صربيًا و٢٥ نمساويًا مجريًا و٣٣ لوكسمبرغيًا و٢١ اميركانيًا جنوبيًا و١٧ سويسريًا وثلثا الطلبة الاجانب في الطب هم من الروس الذين يبلغ عدد ابنائهم ٨٦١ ثم يجيء العثمانيون وعددهم ٨٧ والبلغار ٦٧ والرومان ٥٩ واليونان ٣٩ والذين يدرسون العلوم من الروس ٩٥٠ ومن العثمانيين ٧٠ اما عدد الدارسين في الآداب فهم ٧٠٩ من الروس و٢٣٣ من الالمان و١٤١ من الانكليز و٧٠ من الطليان فيكون مجموع طلبة الاجانب في كليات فرنسا كما يلي : ٢٧٦٩ روسيًا ٤٠٨ رومانيين و٣٢٣ عثمانيًا و٢٨٩ المانيًا و٢٢٣ بلغاريًا و٢١٤ مصريًا و١٩٠ انكليزيًا و١٥٤ نمساويًا مجريًا و١٣٠ ايطاليًا و١٠٦ من الولايات المتحدة و١٠٦ من اليونان و٣٨ سويسريًا و٨١ من اميركا الجنوبية و٥٢ صربيًا و٥٢ افريقيًا و٤٧ لوكسمبرغيًا و٤٠ اسبانيوليًا و٣٦ من الالزاس واللورين و٣١ سويديًا ونروجيًا و٢٧ بلجيكيًا و٣٦ من اميركا الوسطى و٢٥ ايرانيًا و٢٣ برازيليًا و١٩ برتغاليًا .

تربية النساء

بينا نحن مع قومنا في اول درجة من سلم الارتقاء ولما لم نصعدها اذا بنساء الغرب قد بلغن شوطًا في التعلم لا يكاد يصدقه شرقي فقد ثاقفن الرجال في التعليم والتهذيب حتى كدن يفقنهم و بالغن في انهاض بنات جنسهن حتى تطاولن في بعض الممالك الى المطالبة باشراكهن في الحياة السياسية فنلن في فنلندا ونروج واوستراليا والولايات المتحدة الاميركية ما املن في هذا الشأن ولا يمضي زمن طويل حتى ينال نساء بريطانيا العظمى حقوقهن في الانتخاب كما نال سكان تلك الممالك الاربع المذكورة وهن يحاولن في فرنسا ان يكاثرن الرجال في المجامع العلمية فيكون منهن اعضاء في اكبر مجالس العلم في باريز وعمالاتها

وان الباحث ليمل اذا اراد نقل بعض مايكتب النساء الغربيات من المقالات والابحاث و يلقين من المحاضرات والخطب في هذا الشأن وفيهن مديرة المدرسة العالية والمحامية والصحافية والطبيبة والعاملة بالطبيعة والفلك والكيمياء والهندسة والمعلمة وآخر ما قر عليه قرار العالمات من النساء في انكلترا ان بين الرجل والمرأة اختلافًا اساسيًا هو

في المرأة بالنسبة للرجل صعوبة الحياة وطولها وطول سلسلة مصائبها وقوتها على مقاومة الامراض وندرة نبوغها و بعض ما اختصت به من العاهات كالجنون والجرائم ·وهن يحاولن هناك ان تربى المرأة تربية تتأهل بها للكسب وتصير صالحة للقيام بوظيفة الامومة على ما يجب

قال اميل فاكي : كانت المرأة لاول عهدها دابة ثم حيوانا داجنا ثم رقيقة ثم خادمة ثم قاصرة وهاهي اليوم تحاول ان تثبت رشدها وتسجله في سجلات القانون · ولقد صح ان النساء النبيلات و بنات الطبقة الثانية في الناس كن في القرون الوسطى يشاركن في الحياة البلدية و يدخلن المجالس فقد قادت جان دارك الجيوش وارسلت كاترين دي سين في القرن الرابع عشر سفيرة الى افنيون الى حضرة البابا وحكمت مرغريتا دوجة ساقوا بلاد القاع على عهد ابن اخيها شارل الخامس وكثيرات من الاميرات في ذاك العهد تولين الاحكام وتعاطين التجارة والادارة ومنهن من علمن في كليات ايطاليا واسبانيا

ولما جاء القرن الخامس عشر والسادس عشر انقلب الامر فكان من نتائج الاصلاح الديني ان اتجهت الافكار نحو احياء العبرانية ومصطلحاتها كما كان من نتائج النهضة الاتجاه صوب الاوضاع اليونانية بيد ان التعليم الذي كان لا بأس به و يلقنه الفتيات في الاديار قد حرمن منه بعد اقفالها

فالتربية التي حيل دون النساء خلال ثلاثة قرون الاخذ بها في الغرب قد بدأت بتربينها فانتج ذلك تلك الحركة الادبية الباهرة في القرن الثامن عشر في فرنسا وبريطانيا العظمى وما كان عزوف نساء اسبانيا عن الاختلاط واعتزالهن اعتزال الشرقيات في خدورهن وجهلهن الا سبب انحطاط امتهن

يجب ان يصبح النساء امهات قبل كل شيء ولهذا وجب عليهن ان يقوين مدار كهن و ينرن عقولهن · ان ميزات الرجل وميزات المرأة متمم بعضها للآخر وهي ضرورية لارتقاء المجتمع الارتقاء الذي تخيله للمستقبل وكل تغيير يحدث في تربية المرأة وفي قبولها في الاعمال الخاصة اليوم بالرجال يجب ان يجري على فكر علمي وعلى طريقة التجربة وباحتراز واحتياط وان يلاحظ فيها الاخلاق الفطرية في المرأة ويميز بينها و بين الصفات الثانوية الخ·

هذا ماحكم به العلامة المشار اليه على المرأة وهو الحكم المعتدل المعقول اما نحن فعلى رأيه نحب ان تكون المرأة اماً قبل كل شيء ولكن اماً مهذبة التهذيب الراقي في الجملة

تخفف عن الرجل عناءه وتنتشل هذا المجتمع من سقوطه فتأثير المتعلمة الواحدة اكثر من الف جاهلة وانا موقنون بان ارتقاء المرأة البلغارية واليونانية والصربية كان اعظم باعث لارتقاء تلك الامم والظفر بنا في مواقع الدفاع عن ذمارنا وديارنا لاجودة سلاحهم وكثرة نصرائهم اما نحن فقد حرمنا التربية البيتية كما حرمنا التربية المدرسية الحقيقية وهذا جماع انحطاطنا • نريد لنساء الاسلام التعليم الابتدائي الراقي الآن ثم ترتقي درجته

معادن القطر المصري

انشأ المستر جون ولس المفتش الاول في مصلحة المعادن المصرية سابقاً مقالة شائقة عن المعادن في هذا القطر قال فيها :

اختلف الناس في مسألة التعدين في القطر المصري في السنوات العشر الماضية وتضاربت آراؤهم فيها فوضعها بعضهم موضع الهزء والسخرية واحلها آخرون محلاً رفيعاً من الاهتمام ولاسيما الذين جالوا في هذا القطر وجابوا صحاريه وتمكنوا من مشاهدة الاعمال التي عملها القدماء لاستخراج الذهب والنحاس والحجارة الكريمة والتنقيب فيها • فالحصون القديمة والآبار والمحطات التي لاتزال آثارها ماثلة الى اليوم تشهد على مابلغته مصر من حسن النظام في عهد حكامها الاقدمين وكذلك اتساع بعض المناجم القديمة والطرق التي كانت تستخرج بها المعادن لاتترك مجالاً لتخرص المتخرصين

ولكن الناس في ايامنا هذه لاينظرون الى الشيء من الجهة الخيالية بل ينظرون اليه من الوجهة المادية او الربح الذي يعود عليهم منه • فهل المعادن التي في مصر كافية لان تكفل الربح للذين يستخرجونها والفائدة للقطر المصري ؟

ومن رأيي ان المعادن موجودة في مصر بكميات وافرة تعود على القطر بفائدة اقتصادية كبيرة ولكن بشرط ان تعير الحكومة المصرية هذه المسألة الاهتمام اللازم وان تشجع رواد التعدين في بلادها وتحسن شروط الامتيازات الحاضرة وتحمي مصالح اصحابها اكثر مما تحميها الآن • ولايسعني المقام في هذه العجالة ان ابحث في مسألة التعدين بحثاً مستفيضاً فاحصر كلامي لذلك في المعادن التالية وهي اهم المعادن التي في مصر

الذهب — في الصحراء الشرقية كثير من المناجم القديمة وبعضها كبير جداً ولكن ظهر من الابحاث التي اجريت فيها ان استئناف العمل فيها على نمط عظيم لايعود بربح يذكر على الشركة او الشركات التي تقوم به الا انه يستدل من العروق الغنية التي

في تلك المناجم ان استئناف العمل فيها قد يعود بالربح على الشركات الصغيرة او المعدنين الذين يملكون رأس مال كان للقيام بذلك . ولامشاحة في ان الابحاث التي اجريت في مصر الى الآن كانت قاصرة جداً ولا يبعد ان تؤدي الابحاث المقبلة الى اكتشاف رواسب مهمة جداً من التبر الدنيء في الصخور المتبلورة والمتكتلة

وقد اظهر التعدين في بعض المناجم ولا سيما في منجمي ام يارت وبرامية ماخمصت به عروق الذهب في بعض الطبقات الصخرية في مصر من الغنى فان هذين المنجمين استخرج منهما ماقيمته مئتا الف جنيه من الذهب الابريز من كمية قليلة من التبر والدلائل كلها تدل على انه لا يبعد ان يعثر على عروق تكون غنية بتبر الذهب مثل العروق التي عثر عليها في الايام الغابرة .

النحاس — موجود في اماكن عديدة ولكنه لا يؤمل ان يكون من استخراجه ربح يذكر في اي مكان من الاماكن التي فيها تبره .

الرصاص — موجود في الطبقة الطباشيرية المتوسطة من طبقات الاعصر الثلاثية وفي الصخور الكلسية التي في سواحل البحر الاحمر بين الدرجة ٢٦ والدقيقة ٣٠ والدرجة ٢٤ من العرض الشمالي بكثرة تدعو الى البحث عنه على نمط عظيم . وقد اهتم بأمره في جبل الرصاص منذ اربع سنوات او خمس .

الزمرد — في سقايط وأم حربة وسواها مناجم قديمة لاستخراج الزمرد وبعض هذه المناجم كبير جداً وقد بلغ العمل فيها اعظمه في العصر «اليوناني الروماني» واستأنفت شركة من شركات المستر ستيتر العمل فيها على نمط صغير فعثرت على حجارة جميلة من الزمرد ولكن الشركة لم توال العمل ولا كانت مهتمة به الاهتمام اللازم علاوة على ان احوال المعيشة في الصحراء الشرقية كانت غاية في الصعوبة ولم تكن اسباب الوصول اليها سهلة في تلك الايام مما جعل مواصلة العمل فيها ضرباً من المحال

الزبرجد — يوجد منه حجارة جميلة في جزيرة القديس يوحنا (جزيرة الزبرجد) الواقعة ازاء رأس بناس في درجة ٢٤ من العرض الشمالي . وفي هذه الجزيرة شركة انكليزية فرنسوية تستخرج حجارة الزبرجد منها الآن

المنغنيس — يوجد اوكسيد المنغنيس في شبه جزيرة سيناء وهو طبقات متسعة في دوائر كبيرة يبلغ مسطح الدائرة منها عدة أميال مربعة وهذه الدوائر تعد الآن ليستخرج منها المنغنيس حينما تسهل سبل النقل والشحن .

الحديد — يوجد طبقات متسعة من معدن الحديد الى الشمال من رأس بناس ولكنه يحتوي على كمية كبيرة من التيتانيوم ولا ينتظر ان يأتي في حالته الحاضرة بفائدة اقتصادية تذكر

الفوسفات — القطر المصري اغنى بلدان العالم بصخور الفوسفات وهي توجد بمقادير عظيمة في سواحل البحر الاحمر بين الدرجة ٢٦ والدرجة ٢٧ من العرض الشمالي وفي الضفة الشرقية من النيل جنوبي قنا وفي الواحتين الداخلة والخارجة ٠ اما الطبقات التي في سواحل البحر الاحمر فان شركات عديدة تعمل فيها الآن لاستخراج الفوسفات منها وكل الدلائل تدل على انها ستنجح نجاحاً باهراً ٠ والافكار متجهة الآن الى استخراج فوق الفاسفات (سوبر فوسفات) والابحاث جارية الآن في ذلك

الزيت — تقدمت الابحاث التي بدئ بها في خليج السويس منذ بضع سنوات تقدماً عظيماً فثبت منها ان مقادير كبيرة جداً من زيت البترول موجودة على عمق غير بعيد في رأس جمسه ٠ والزيت الذي ظهر هناك من اعلى الاصناف واجودها وهو يحتوي من ١٥ الى ٣٠ في المئة بنزيناً ومن ٣٠ الى ٤٠ في المئة من زيت الاضاءة وقليل من الزيت الثخين الذي يستعمل في تزييت الآلات ومن ٣ الى ٦ في المئة من الشمع ولايحوي شيئاً من زيت الوقود او الفضلات ٠ ولكن مستقبل الزيت في القطر المصري يتوقف بالاكثر على وجوده في الطبقة الرملية التي يختلف عمقها بين ٢٦٠٠ و ٣٥٠٠ قدم فاذا ظهر من المباحث التي يجرونها الآن انه موجود في هذه الطبقة صارت مصر في مقدمة البلدان التي تستخرج الزيت

الملح — موجود في القطر المصري بمقادير كبيرة جداً وتختلف سماكة الطبقات الموجودة فيها من بضع اقدام الى الف قدم

الصودا — توجد كربونات الصودا بمقادير وافرة جداً في وادي النطرون والصحراء الغربية ٠

حجارة البناء الثمينة — في الصحراء الشرقية بالقطر المصري اجمل انواع الحجارة التي تستعمل في زخرفة الابنية وتزويقها واشهر هذه الحجارة واجملها كلها الحجر السماقي الاحمر (البرفير) الذي في مقاطع جبل الدخان والحجر الناري اللماع (ديوريت) في مقالع كلوديانوس

صلصال الخزف — في القطر المصري نحو ستة آلاف نفس يشتغلون بصنع مواعين

الخزف البسيطة · والاتربة الصالحة لصنع جميع الانواع من الخزف القاسي المشوي والمواسير موجودة بكثرة في مصر ولكن لاينتظر ان تتقدم هذه الصناعة الى حد تصير كافية لسد حاجة القطر واصدار شيء منها الى الخارج الا بعد ان تحل مسألة الوقود وترخص اثمانها ويسهل الوصول اليها

الوقود — لم يبحث الى الآن عن الوقود عدا زيت البترول بحثاً وافياً · والحطب المتحجر في صعيد مصر لايقابل بسائر انواع الفحم التي ترد من الخارج فهو والحالة هذه من ادنى انواع الوقود واقلها قيمة ولكنه يحتوي على كمية كبيرة من الكربون وقد يمكن تحويلها الى غاز محترق بواسطة احد الاجهزة الملائمة فاذا تحقق ذلك سهل الانتفاع بالطبقات الدلغانية التي تكثر في الصعيد واستخدامها في ادارة الآلات الرافعة وغيرها من الاعمال الصناعية ·

وقد لايبعد ان يوجد الغاز في الحالة الطبيعية بجوار السويس وحلوان والاحوال الجيولوجية هناك تحمل على اجراء المباحث بهذا الصدد

الفحم — لادليل الى الآن يثبت وجود الفحم في مصر ولكن يحتمل العثور على فحم تجاري في شبه جزيرة سيناء اذا بحث عنه بحثاً منتظماً الا ان معلوماتنا الجيولوجية القليلة عن تكوين الصخور الكربونية في سيناء لاتخولنا ابداء رأي قاطع في هذه المسألة المهمة ·

دول الحضارة

بحثت احدى المجلات الاوربية عن مساحة الدول الثلاث المانيا وانكلترا وفرنسا وعن عدد نفوسها وثروتها العامة وواردات سكانها وحكوماتها وتجاراتها الخارجية ومحمول بواخرها التجارية والحربية وقد جاء فيها مايلي :

	مساحة اراضيها	عدد سكانها	زيادة النفوس	
المانيا	٥٤٠،٨٥٨	٦٤،٩٢٦،٠٠٠	١٣،٦ في الالف	عن تحرير سنة ١٩١٠
انكلترا	٣١٣،٦٠٧	٤٤،٩٠٢،٠٠٠	١١، « «	
فرنسا	٥٣٦،٤٦٣	٣٩،٦٠٠،٠١٠	١،٨ « «	

	الثروة العمومية	الواردات السنوية العامة
المانيا	٣٤٠ مليار فرنك	٥٠ مليار فرنك

انكلترا	٣٢٠ « «	٤٥ « «
فرنسا	٢٨٧ « «	٣٥ « «

واردات الحكومات سنوياً (عن سنة ١٩١١)

المانيا	١٠ مليارات فرنك
انكلترا	٥ « «
فرنسا	٥ « «

	التجارة الخارجية	محمول السفن التجارية (عن سنة ١٩١٢)
المانيا	٢٤ مليار فرنك	٣٠٢٣ الف طن
انكلترا	٢٧ « «	١١٦٨٣ « «
فرنسا	١٤ « «	١٤٦٢ « «

محمول السفن الحربية

المانيا	٩٩٥٤٠٠ طن
انكلترا	٦٠١٦٥٠٠ «
فرنسا	٦٤٣٠٠٠ «

فضل القراءة

خطب ارنست لافيس عالم الفرنسيس ومؤرخهم في احدى مدارس القرى في فرنسا خطبة على من اتموا دروسهم من ابناء الفلاحين قال: ياأولادي الاعزة. اخاف ان يكون بين من يغادرون منكم المدرسة الآن اناس يقولون في انفسهم: لادروس ولافروض ولادفاتر ولاكتب خلصت من كل هذا. فالى امثال هؤلاء اوجه كلامي اريد ان ازيل عنهم ما انخدعوا به. كلا ايها الاصحاب الصغار ليس الامر كذلك ولم يقف عند هذا الحد. فان زمان الدراسة قصير لايتأتى تخريج رجل في خلاله فالواجب ان تظلوا على طلب الاستفادة والتعلم ولكنكم ستقولون اننا مضطرون ان نعمل لنتعلم كيف نعيش. أعرف هذا وثقوا باني لاارغب في ان يقضي جماع الفرنسيس حياتهم على نحو مايقضيها اهل صناعتي في القراءة والكتابة جالسين على الكراسي. فسترون الآن باني لااطالبكم بمايشق عليكم القيام به مهما كان نوع الحرفة التي تحترفون بها.

يجب عليكم ان لاتتوقعوا من اساتذتكم كل تهذيبكم وان تتعلموا ان تكونوا اساتذة انفسكم فانتم لاتدركون كم يعمل المرء في انهاض نفسه اذا اراد · وما من امرىء ينهض بكم اكثر من نهوضكم بانفسكم · اني آمل بادىء بدء منكم ان تبقوا كتبكم المدرسية عندكم وربما لم تكن تروقكم مطالعتها واستظهارها واللعب يشغلكم ولكنكم الآن لستم مضطرين الى تلاوتها لاستظهارها بل تتلونها متى راقكم وعلى النحو الذي يروقكم ·

بعد ايام قليلة اذا امطرت السماء ذات يوم اوكان اليوم يوم احد تذكروا بان الصفحات الفلانية من الكتاب الفلاني قد اعجبتكم فاعيدوا قراءتها واني لأعجب اذا لم تروقكم اكثر من ذي قبل لانكم تفهمونها احسن لسببين الاول لانكم في سن النمو العقلي والثاني لانكم تقرأون لاتتعلمون بل للتلذذ ·

في كل مديرية من مديرياتنا دروس ومحاضرات تلقى على الكبار في الاعمار فاحضروها وفي كل مدرسة مكتبة فاستعيروا من كتبها وابتاعوا كل مدة كتاباً ولا تكثروا بل اكتفوا بثلاثة او اربعة كتب في السنة فالكتب اليوم رخيصة وبضعة فرنكات تكفي لان تؤلفوا منها مكتبة حافلة بالجملة وتصبحون مثالاً لابناء الطبقة الوسطى بمن لاتحدثهم انفسهم ان يبتاعوا كتاباً واعتنوا مهما كان نوع المسكن الذي تسكنون فيه ان تنصبوا لكم لوح خشب تضعون عليه كتبكم وغطوها لتأمن من الغبار واللوثات · ومن اللائق ان تكون الكتب مغطاة احسن تغطية واذا تقدمتم قليلاً في السن عودوا انفسكم تلاوة الجرائد فتجدون في جرائد الشعب مادة تنيرون بها عقولكم في الحوادث العظمى التي تجري في بلادكم وجميع بلاد العالم

انتم هنا من ابناء المزارعين وستكونون كذلك في مستقبلكم والشتاء والليالي طويلة في المزرعة فالاولاد يرقدون في فرشهم والحيوانات في حظائرها ولاشيء يشغلكم في الليل فكيف بقضاء الوقت في النافع وقد كان الزارع في القديم يحيك كزوجته جوارب وغيرها وقد اهملت هذه العادة · وقيل لي ان عادة قضاء السهرات والزيارات بين الجيران قد بطلت ايضاً · دقاق الساعة يروح ويجيء في السكون فكأنه يعد الحياة قطرة قطرة و يقول عند كل دقة ها قد سقطت نقطة اخرى والمرء من وراء ذلك يكتئب ويمل · ولكل حرفة ساعات من الملل تشبه هذه

افزعوا اذا انقطعتم عن العمل لتلاوة كتاب واقرؤا بصوت جهوري وكرروا ماتقرأونه فقد كان خالي في هذه القرية عشاباً فلاحاً وهو يتلو قصص لافونتين آونة

فراغه لم يبق على غيرها من كتبه المدرسية فكان يتلوها بتدبر في خلواته وجلواته بصوت عال وبأدبها تأدب وبحكمتها قضى حياة طيبة اوقات الفراغ فدفعت عنه الملال

اما انتم فعصركم عصر لايجوز فيه اللغو فقد طويت المسافات في الارض وكانت من قبل واسعة الاطراف بحيث تكفي المرء الآن بضعة اسابيع ليطوفها وبعض الثواني لنبعث بفكرنا بل بصوتنا الى بعد الوف من الكيلومترات وقد قربنا من السماء والنجوم قريبة من مجهر الراصد والتبحر بما فيها من الاودية والجبال المرسومة على خارطة كأنها تشير وتنادي بمحاثة يبحث فيها . وقرب مابين القطبين الشمالي والجنوبي وارباب الرحلات اقتربوا منها والجبال قد خرقت وجعلت في بطونها الانفاق والطيارات تحوم من فوق قممها والثلوج ترى عليها من فرقها الى قدمها والترع تحيط بالارض وقد فتحت والصحاري بعدت الا بالحديد الذي يخرقها وهاهم الآن يخططون سكة حديدية بين المحيط الاتلانتيكي والبحر الهندي والبحر الرومي والبحر الجنوبي . وممالك اوربا القديمة تنشئ ممالك في القارة السوداء وسيكون من هذا الاختلاط اجناس جديدة وأمم لايعلم مستقبلها كما لم يكن يعلم مستقبل اوربا منذ خمسة آلاف سنة حكماء مصر ولا بلاد كنعان . لم تكن اوربا في عصر من العصور اعمل منها الآن اخذت شعوبها تتحاب وما قط احب احد وطنه حبه له الآن والحروب وان انتشبت فسيأتي يوم تقدس كل الامم معبد الهاي او قصر السلام الذي يؤمل دعاته ان تبث كلمتهم في الشعوب فتبطل الحروب .

الامم تطمح في الحرية اكثر من قبل وبهاء التيجان قد اصفر وفي كل مكان انتشر الفكر الديمقراطي واضطر الحكومات الى العناية بكل مايجعل الحياة موطدة الاركان . والعلم لايزال يرتقي في المكاتب والمعامل الكيماوية والصناعية وفي كل يوم خبر عظيم . اول امس بلغنا ان يابانياً من تلامذة باستور اكتشف في معمل كيماوي في اميركا ميكروب الكلب وامس وصل علم الطيارات في الهواء الى ماوصل فماذا نعلم غداً .

ولذا اوصيكم ان لاتبقوا منعزلين عن هذه الحركة وجاهلين بزمانكم وبلادكم اي اناساً بدون تاريخ ولاوطن . انكم بذلك تنحطون ولايكون لكم ماتفاخرون به فعليكم ان تتعلموا بكل الطرق : باطالة المكث في المدرسة ، بالقراءة ، باطالة الروية في تجارب الحياة . تقومون اليوم بشيء وغداً بآخر ولاتزالون على التدريج تزداد

معلوماتكم وتنسق في رؤوسكم وتنشأ مادتكم من الافكار والعواطف فتعرفون زمانكم وتحسنون كيف تعيشون · واختم كلامي بتوصيتكم باقتناء لوح خشب تضعون عليه كتبكم واعدكم باني اعطي لوحاً لمن يطلبه مني وهو مدهون وملمع ايضاً اه ·

المرأة القديمة

حاضر المسيو بنلفه من اعضاء مجمع العلوم في باريز نادي الطلاب في تلك العاصمة فيما كان للمرأة في القديم من التأثير العقلي والادبي ومما قاله : اننا نتخيل باننا نتهورونبتدع شيئاً جديداً لاننا نفتح السبل امام المرأة والفتاة اليوم للتوفر على دراسة العلوم والآداب والصناعات العقلية وهذا وهم لا حقيقة وذلك لاننا نحن اخلاف الرومان مباشرة اولئك الذين رزقوا عقولا لا تحب الحقيقة المجردة وفيها من المتانة شيء كثير ولكنها قصيرة فقصر سيوفهم تخدع بمجارة مجتمعنا الحاضر ونظن اننا اتينا امراً فرياً · ولكن اذا رجعنا الى الامم التي كانت أعظم الشعوب في اشتراك غيرها بثمرات الارتقاء البشري وكانت الموجدة الحقيقية للمدنية واعني بهم اليونان ومصر ولاسيما اشور يثبت معنا ان المرأة شاركت الرجل منذ العصور القديمة لا في الجمال فقط بل في البحث عن الحقيقة · والظاهر ان المرأة في تلك القرون التي كان فيها الرجال اقرب الى الطبيعة بما خصت بـه من الادراك هي الدليل البصير الفطري تقود الرجل في ابحاثه الطويلة المعقولة المدققة · ولقد تجلى تأثير النساء المرافات عند جميع الشعوب اليونانية الذين كانوا تلامذة كهنة بلاد اشور وكلدية · فقد كان الفيلسوف فيثاغورس ناشر تعاليم العلم الاشوري في يونان يحنو على امرأته تيانو الجميلة حنو حب وعبادة ومن فلسفته ان الرجل اختص بالعقل والقوة المنطقية والمرأة بالنظر العقلي فاذا كان الرجل في هذا العالم الغريب في اسراره مفكراً فان المرأة ناشرة للافكار

وكان هذا الفكر الذي هو نتيجة الازمان القديمة والمأثور عن كهنة الوثنيين والبابليين على الجملة جماع العلوم المأثورة عن البشر وهذا الفكر هو الذي تترجم عنه للجمهور اساطير اليونان ومصر وما كان للمرأة من الشأن في مواعظ الوحي الغريبة فكان النساء العذارى في غابة دودون المظللة المختصات بعبادة المشتري هن اللاتي كن يحسن التعبير عن اللغة السبيلية المنبعثة من البلوط المقدس وكان العذارى ايضاً في غابة سيكاوب عند عمد الكرنك يستقبلون حجاج المصريين الذين يسألون المولى تعالى · ولقد قام في

دودون والكرنك على ماجاء في اساطير هيلاد ومصر فتاتان أُخذتا أسيرتين من مركب فينيقي وهما اللتان انشأتا المعبدين واصبحتا كاهنتين وسماهما اليونان الرسولتين اي الناقلتين من بلاد القاصية الحقائق الجديدة ·

الفلاح الغربي

يختلف التعليم في اوربا واميركا باختلاف البلدان فتعليم البلاد التي تغلب فيها الصناعات غير تعليم الاقاليم الزراعية والكور التي يكثر فيها التجار غير الكور البحرية الساحلية وتعليم بلاد الغابات غير تعليم بلاد البقول والزروع واقاليم المعادن والمناجم غير تعليم الصيد البحري وهكذا يلقن اطفالهم التعليم الذي يناسبهم و يتعدى العلم قصور الاغنياء الى اكواخ الفقراء و يشترك بالنور المدني والقروي وترتقي الامة بمجموعها والبلاد بجملة اطرافها ·

ولقد عرف الغربيون ان العمل الزراعي يشبه معملاً ومهما تقلبت عليه العناية والتحسين لا يزال عبارة عن منزل ولا يصلح الفلاح ان لم يصلح تدبير البيت و بذلك يتأتى له ان ينتفع الانتفاع المطلوب من تربية الحيوانات والالبان كما ينتفع فلاح الدانيمرك مثلاً فنقل وفيات الاطفال بانتشار المعارف الصحية وتقل الموبقات والسرقات بتعليم الفلاحين جوهر الدين الصحيح وتعلم الام الفلاحة فتخرج الفلاحين الصالحين

قالوا ان الغربيين اكثروا لفائدة الرجال من تأسيس المعاهد لتكميل الرجل الفلاح في صناعته ولم يكتفوا بالمدارس فقط بل عنيت به الجمعيات والنقابات وكثرت عليه المحاضرات والمسابقات والمعارض يرى فيها الادوات وتحسينها وانواع الزراعات ونموها وان بعض بلدان الغرب اقتصرت من تعليم الفلاحات القدر الكافي من الدروس الابتدائية وحبستهن في قن الدجاج والمطبخ ومعمل اللبن يعملن ماخلقن له والفته فلم تحصل لهن أنسة بالاساليب الزراعية الحديثة لينتفعوا على ما يجب من الالبان والبيض والطيور

رأت بعض الامم ان المدارس الزراعية وغيرها لاتفيد الفائدة المطلوبة من انارة عقول جميع ابناء القرى القاصية كما تنار عقول القرى الدانية فأنشأت مدارس موقتة سيارة تقيم في القرية بضعة اسابيع تعلم اهلها ما يلزمهم لتحسين حالهم وتقوم بعمليات مسريعة وان كانت غير منتظمة قليلاً ولا تامة ولكنها نافعة في الجملة

لسويسرا مدارس للخادمات ومدارس لاتقان تدبير المنزل ومدارس عالية لتعليم المعلمين والمعلمات في هذه الفنون وانشأوا في ايرلاندا و بولونيا وهنغاريا جمعيات نسائية وانشأ النساء في القسم الفلامندي من بلجيكا « اندية للفلاحات » وهي عبارة عن مجتمعات ومدرسة للنساء والبنات معاً بل هي ضرب من الكليات الشعبية وفرع للاناث من مدرسة جامعة للعامة يعنى فيها بالتعليم الصناعي والاخلاق المحلية وهي لحن خيرملاجئ نوّ ويهن

تكلم احدهم في جريدة الطان على هذه الاندية فقال ان برنامج التعليم فيها يدهش بسعته وقد تبين مع هذا انه اسفر عن نتيجة حسنة لما دار من الكلام عليها في المؤتمر الدولي الثالث الذي عقده القائمات بهذا الامر من البلجيكيات في مدينة غاندفظهرت بالارقام فائدة هذه الاندية التي بلغ عددها في تلك البلاد الصغيرة فقط ١٨٣ منتدى فيه من الداخلات ٢١٤٤٠٦ نسوة وانتشرت الاندية في بولونيا والولايات المتحدة وغيرها انتشار الحانات من جديد في بلادنا . اما برنامج الدروس التي تعلمها الاندية للبنات والنساء فهي علم ولادة الاطفال وتربية اجسامهم وعلم التربية والتعليم وصحة البيت والاصطبل وقواعد التغذية المقوية الاقتصادية ومضار الالكحول والاسعافات الطبية الموقتة للمرضى والجرحى ونظام القن واصول عمل الجبن والسمن وتربية الطيور وتربية الاشجار وتربية النحل وتعهد المباقل وعلم عمل المربيات والحلاوى وعلم الحساب ومضار الاشتراء بالدين والخياطة وتفصيل الثياب والغسيل والكي واحترام التقاليد وطاعة مبادئ الاخلاق الدينية .

وبالجملة يتعلمن دائرة معارف مختصرة سهلة يعلمنها بناتهم ونساؤهم في القرى لينجبن فلاحين صالحين ويتوفرن على حسن استثمار الثروة من الاراضي والحيوان ويعشن عيش المرفهات الطاهرات المقتصدات والنساء في بلجيكا هن اللائي اخذن على عواتقهن هذا الواجب مع القسيسين وفي اميركا يتولى ذلك المبشرون والكهنة وكذلك في بولونيا .

رسالة في الكلمات المعربة

لابن كمال باشا (١) المتوفي سنة ٩٤٣

عني بنشرها سليم افندي البخاري عن مخطوط قديم في مكتبة جميل افندي الشطي

بسم الله الرحمن الرحيم

زد نعمًا جدت بها يا كريم حامداً لمن علم آدم الاسما وعد اختلاف الالسنة من الآيات العظمى ومصلياً عَلَى من شرف بعض لغة الفرس بالتلفظ فسن التكلم بها وافاد للتعريب نوع تيقظ وعَلَى فارسي ميدان صحبته من آله وصحابته · وبعد فهذه رسالة في التعريب عَلَى ترتيب انيق غريب جمعتها حين التصفح لكتب اللغات المعزوة الى الاثبات الثقات تمييزاً للعربي القح من الاعجمي الكح (٢) رفعا للالتباس واشارة لفوائد الاقتباس

(مقدمة) في القاموس التعريب تهذيب المنطق من اللحن وفي الصحاح تعريب الاسم الاعجمي ان تتفوه به العرب عَلَى منهاجها عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم ان طه واليم والطور والربانيون بالسريانية والقسطاس والفردوس والصراط بالرومية ومشكاة وكفلين بالحبشية وهيت لك بالحورانية وبه قال فقهاء العلماء

وزعم اهل العربية ان القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء لقوله تعالى بلسان عربي مبين قال ابو عبيد الصواب عندي مذهب فيه تصديق للفريقين وذلك ان هذه الحروف اصولها اعجمية كما قاله الفقهاء الا ان العرب حولتها عن العجمة الى الفاظهم ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلامهم فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال انها اعجمية فهو صادق قال في الارتشاف : الاسماء الاعجمية عَلَى ثلاثة اقسام قسم غيرته العرب والحقته بكلامها فحكم (٣) ابنية العربية

---

(١) المقتبس : كمال باشا زاده شمس الدين احمد بن سليمان ولد في ادرنة ووجهت اليه المشيخة الاسلامية واتقن العربية والتركية والفارسية اتقاناً جيداً ودرس وصنف وتوفي سنة ٩٤٣ وكان يلقب بمفتي الثقلين وله يد طولى في الفقه والتفسير والحديث والعلوم الشرقية (٢) بالضم القح اي الخالص

(٣) قوله فحكم ابنية العربية الخ سقط هنا من كلام الناسخ كلمتان فاختلت العبارة وصوابها هكذا : فحكم ابنيته حكم ابنية العربية الخ وكذلك في قوله فلا يعتبر في القسم الاول وصواب العبارة : فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الاول ·

نحو درهم وبهرج وقسم غيرته ولم تلحقه بابنية كلامها فلا يعتبر في القسم الاول نحو آجر وسيسنبر (١) وقسم تركوه غير مغير (٢) فلما لم يلحقوها بابنية كلامهم لم يعد منها مثال الاول خراسان لم يثبت فيه فعالان ومثال الثاني خرم أُلحق بسلم وكركم أُلحق بقمقم قال ائمة اللغة تعرف عجمة الاسم بوجوه (١) النقل من ائمة اللغة (٢) خروجه من اوزان العربية نحو ابريسم (٣) وجود نون ثم راء نحو نرجس فان ذلك مفقود في لسان العرب (٤) وجود دال بعدها زاي نحو مهندز (٥) اجتماع الصاد والجيم نحو الجص والصولجان (٦) اجتماع الجيم والقاف نحو الجردق (٧) ان يكون خماسياً او رباعياً عاريا من حروف الذلاقة وهي الباء والراء والفاء واللام (٣) والنون فانه متى كان عربياً فلا بد ان يكون فيه شيء منها نحو سفرجل وقذعمل وقرطعب وجحمرش

فائدة: حروف لا يتكلم بها العرب الا اذا اضطرت فحينئذ يحولونها عند التكلم الى اقرب الحروف من مخرجها وذلك الباء العجمية بين الباء والفاء والجيم العجمية بين الجيم والشين والكاف العجمية فاذا تلفظوا بلفظ بر قالوا فر وفي چون شون في قولهم چون بود اي كيف كان وفي گل جل كما في جلنار .

الالف : (الله) اصله لاها حذفت الفه الاخيرة للدلالة عَلَى التعريب وادخل عليه الالف واللام ليدل عَلَى انه غير مشتق (آمين) هو صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كرو بد وقيل تعريب همين اي همين في خواهم او همين في بايد (الآنك) الأسرب العجمية (ابراهيم) العجمي اختلف في تعريبه (ابريز) معرب پرويز (الابريسم) هو القز النيء معرب ابريشم واما الحرير فهو الابريسم المطبوخ (الابريق) كوزله عروة وانبوبة معرب آبريخ (الاجاص) العجمي اذ الجيم (٤) لا يجتمعان في كلمة عربية (آزر) عد في المعرب عَلَى قول من قال انه ليس بعلم لابي ابراهيم ولا للصنم وعن معتمر بن سليمان انه قال سمعت ابي يقرأ واذ قال ابراهيم لابيه آزر بالرفع

---

(١) الريحانة التي يقال لها النمام ه

(٢) قوله فلما لم يلحقوها الخ هذه العبارة كما تراها مشوشة سقط منها كلمات ووقع في بعضها تحريف وصوابها: فلم يلحقوه بابنية كلامهم لم يعد منها وما الحقوه بها عد منها مثال الخ .

(٣) قوله واللام والنون سقط من كلام الناسخ كلمة والميم بعد واللام اذ هي من الحروف المذكورة ه (٤) قوله اذ الجيم لا يجتمعان سقط من العبارة كلمة : والصاد

قال بلغني انها بمعنى يا اعوج انها اشد كلمة قال ابراهيم لابيه وقال بعضهم هي بلغتهم يامخطي (الاستاذ) معرب استاد (الاستبرق) اخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك انه الديباج الغليظ معرب استبره (الاسطرلاب) هي مرآة للشمس وضعت لمعرفة الاوضاع الفلكية لغة رومية في القاموس اللاب رجل سطر اسطراً و بنى عليها حساباً فقيل اسطرلاب ثم مزجا ونزعت الاضافة فقيل الاسطرلاب معرفة انتهى ومدار هذا التفسير عَلَى المناسبة اللفظية مع ثبوت ان اللاب اسم الواضع (الاسطوانة) هي السارية والعمد والنون اصلية وهي أفعوالة مثل اقحوانة لانه يقال اساطين مسطنة معرب استون (الاسفست) هي الرطبة معرب سپست (اسماعيل) قال الجواليقي في المعرب ان العرب كثيراً ما يجترؤن عَلَى الاسماء الاعجمية فيغيرونها بالابدال قالوا اسماعيل واصلها اشمائيل فابدلوا لقرب المخرج قال و يبدلون مع بعد المخرج وقد ينقلونها الى ابنيتهم و يزيدون (اشنة) لقب جماعة من المحدثين من اهل اصفهان (اصفهان) اصلها اسباها اي الاجناد لانهم كانوا سكانها او لانه لما دعاهم نمرود الى محاربة من فى السماء كتبوا فى جوابه : اسباه آن ندكه باخداجنك كند. اي الجند ليس ممن يحارب الله (الافرنجة) جيل من اهل الانجيل معرب افرنك (افريز) الحائط بالكسر طنفه معرب (الاقليد) قال ابن دريد الاقليد والمقليد المفتاح معرب كليد (الاملج) دواء معرب امله (الاميص والآمص) مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن معرب باخاميز (الانبج) ثمرة شجرة هندية معرب انب (الانج) (١) هي المرساة من آلات السفينة تلقى في البحر اذا رست رست (الانجيذخ) هو الذي يثبت فيه ما عَلَى الناس معرب ناجيره (٢) (انقره) بلد بالروم معرب انكرويه (٣) (الاوارج) هو ما ينقل اليه الانجيذخ ثم ينقل الى جريدة الاخراجات وهي عدة اوارجات معرب اواره (الايارجة) بالكسر وفتح الراء مسهل معروف وجمعه ايارج معرب اياره وتفسيره الدواء الآلهي.

الباء : (الباج) اجعل الباجات باجاً واحداً اي لوناً واحداً واصله بالفارسية باها اي لون الاطعمة (الباذق) هو النيء من ماء العنب اذا طبخ ادنى طبخة حتى يذهب اقل من ثلثه وغلى واشتد وقذف بالزبد وانه حرام قليله وكثيره قال خواهر زاده هو

---

(١) كذا في الاصل وصوابه الانجر (٢) قوله معرب ناجيده كذا في الاصل وفي الاوقيانوس: معرب انجيده فليراجع (٣) كذا في الاصل ولعل الصواب انكورية .

فارسي معرب لانه في العجم يسمى باده (الباري) والبارية والبارياء والبوري والبورية والبورياء هي الحصير المنسوج معرب بوريا والجمع البواري (الباشق) نوع من ذوات المخلب معرب باشه (الباطية) اناء متسع معرب بادية (البابغاء) بالمد الاكارع معرب بايبا (؟) (البخت) الجد فارسي (البد) بالضم الصنم معرب بت (البرباد) هو العلاوة فارسي (البودج) السبي معرب برده (بزرج) بضم اوله وثانيه وبفتح اوله علم معرب بزرك اي الكبير (البرق) الحمل معرب بره (البريد) هو في الاصل البغل وهي كلمة فارسية اصلها بريده دم اي محذوف الذنب لان بغال البريد كانت محذوفة الاذناب فعربت الكلمة وخففت ثم سمي الرسول الذي يركبه بريدا وفي الحقائق هو البغلة المبترة ثم الرسول المحمول عليها ثم سميت به المسافة (بز) بالضم لقب ابراهيم بن عبد الله النيسابوري المحدث معرب بز للماعز (البستان) هو الحديقة معرب بوستان (البسد) كسكر المرجان معرب بشد (بسطام) بلد معرب اوستام (البطاقة) رقعة فيها رقم المتاع رومية (البطريق) القائد سمي به عظيم رهابنة النصارى (البط) طائر معروف معرب (بغداد) اسم اعجمي معناه عطية الصنم معرب بيك داد سماها الاصمعي دار السلام (بغشور) بالفتح بلد بين هراة وسرخس والنسبة بغوي على غير قياس معرب كوشور اي الحفرة المالحة (البوس) التقبيل فارسي معرب (البهرمان) العصفر او الحناء فارسية (البوصي) ضرب من السفن معرب بوزي (بوشنج) معرب بوشنك بلد من هراة منه ابو الحسن الداودي المحدث (البيزار) حامل البازي معرب بازيار (البيعة) ذكر الجواليقي انه معرب .

التاء : (تاريخ) الكتاب كلمة معربة (التخت) السرير معرب (التخريص) بالكسر بنيقة الثوب معرب تهريز (الترياق) دواء السموم رومي معرب ترياك والفصحى الدرياق بالدال المهملة (التنور) الكانون يخبز فيه وصانعه التنار ذكر الثعالبي انه معرب تنير (التوت) اعجمي معرب اصله توث او توذ فأبدلت العرب من الثاء المثلثة او الذال المعجمة تاء ثنوية (التوتياء) حجر يكتحل به معرب

الجيم : (الجاموس) معرب كاوميش (الجبت) صنم لقريش ليس من محض العربية اذ لا يجتمع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف ذولقي كذا في المزهر (الجرامقة) قوم بالموصل من العجم (الجربان) بالضم والتشديد لبنة القميص معرب كريبان (الجريز) هو الحب الحنال ومنه الجريزة معرب كريز (الجردق) الرغيف

كرده اذ الجيم والقاف لا تجتمعان في كلمة الا ان يكون (١)معرباً او حكاية صوت (الجرزة) خرجوا بايديهم الجرزة هي المقامع جمع جرز اظنه معرب كرز (الجرصن) دخيل قيل هو البرج وقيل مجرى ماء مركب في الحائط وعن البزدوي جزع يخرجه الانسان من الحائط ليبني عليه (الجرم) الحار معرب كرم (الجرموق) شيء يلبس فوق الخف معرب غرموك اذ الجيم والقاف لاتجتمعان في كلمة عربية (الجريب) المزرعة اوالفدان منها معرب كري (الجزر) بالتحريك أرومة توكل معرب (الجزاف) معرب كزاف ومنه المجازفة في البيع و بيع جزيف مجتزف (الجص) ويكسر معرب كج اذ الجيم والصاد لا تأتلفان في كلام العرب فابدلت الجيم من كاف لا تشبه كاف العرب والصاد من جيم العجمية لاتشبه جيم العرب (الجلاهق) البندق (٢) (الجلسان) قال الاعشى : لنا جلسان عندها و بنفسج ، يريد نثار الورد معرب كلشن وفي الصحاح معرب كلستان (الجل) قال الاعشى : وشاهدنا الجل والياسمين ، هو الورد فارسي معرب (الجلنار) بضم الجيم وفتح اللام المشددة زهر الرمان معرب كلنار (الجلنجبين) الورد مع العسل معرب كل انكبين (الجناح) الاثم معرب كناه (الجنبذة) ماارتفع واستدار كالقبة معرب كنبد (الجوارش) مركب هاضم معرب كوارش (الجوالق) وعاء معرب جوال (الجوز) فارسي معرب (الجوزل) فرخ الحمام معرب جوزه (الجوهر) كل ثمين من الاحجار معرب كوهر واما الجوهر المقابل العرض ففوعل من الجهر سمي به لظهوره (الجهابذة) جمع جهبذ هوالبندار اي الصراف والتاء للدلالة على التعريب في القاموس بالكسر هو النقاد الخبير (جهنم) طبقات النار معرب كهنام و يمكن اعتبار اخذها من الجهم وهو الباسر (الجيسوان) جنس من الخر النخل معرب كيسوان ومعناه الذوائب

الحاء : (الحب) هو الدن معرب خنب وخم مخفف منه ذكر ابوحاتم ان الحاء في الحب بدل من الخاء وهذا لم يذكره النحويون وليس بالممتنع

الخاء : (خجسته) بضم الخاء وفتح الجيم وسكون السين اسم نساء اصفهانيات من رواة الحديث العجمية معناها المباركة (الخرص) بالكسر الدب معرب خرس (الخز) فارسي معرب (خش) في قول الاعشى معرب خوش اي الطيب

(١) هكذا في الاصل ولعله تحريف من الناسخ والصواب : الا ان تكون معربة او حكاية صوت (٢) اي الذي يرمى به

(الخشكنانج) (١) نوع من الخبز محشو بلب اللوز والسكر معرب خشكنان (خشنام) اي الطيب الاسم معرب خوش نام (الخلنج) كسمند شجر فارسي معرب قال:

يضرب الجيش بالجيوش و يسقي لبن البخت في قصاع الخلنج

(الخنبجة) الدن الصغير معرب خنبجه (الخندريس) الخمر القديمة معرب (الخندق) معرب اصله كنده اي المحفور (الخوان) هو السماط معرب خوان (الخوذة) هي البيضة معرب خود (الخورنق) كغضنفر قصر للنعمان الاكبر معرب خورنكاه اي موضع الاكل والشرب (خيوق) بالكسر بلد بخوارزم معرب خيوه

الدال : دارابجرد بلد بفارس معرب دارابكرد (الداناج) العالم معرب دانا (الدرابنة) البوابون جمع دربان بالفارسية (الدرب) الباب الواسع معرب دروازه (دروز) الثوب معروفة معرب (درواسج) بالفتح ما قدام القربوس من فضلة دفة السرج معرب دروازه كاه (الدست) هو الوسادة والصدر واللباس ودست القمار في الاساس فلان حسن الدست شطرنجي حاذق (الدستبند) ما يجبر به الكسر فارسي « الدستجة » الحزمة من البقل وغيره معرب دسته « الدستور » بالضم هو النسخة المعمولة للجماعات التي منها تحريرها معرب « الدستيج » اناء يحول باليد معرب دستي « الدشت » الصحراء معرب او اتفاق اللغتين « الدكان » فارسي معرب « الدلق » دويبة معرب دله « الدمق » ثلج وريح معرب دمه «الدمهكر» الاخذ بالنفس معرب دمه كير « الدولاب » شيء على شكل الناعورة يستقى به الماء فارسي معرب « الدهبرج » مشددة الراء معرب ده پره اي عشر ريشات « الدهقان » رئيس القوم ومقدم اصحاب الزراعة معرب ده خوان « الدهليز »ما بين الباب والدار فارسي « الدينار » معرب اصله دنار فابدل من احدى النونين ياء « الديبوز » (٢) ثوب ذو نيرين معرب دو پود

الراء: «الراهنامج» كتاب الطريق يسلك به الربابنة البحر و يهتدون به في معرفة المراسي وغيرها معرب راه نامه «الرزداق والرستاق» هو السواد والقرى معرب روستا «الرصاص» معرب ارزيز فابدلت الزاء صاداً وحذفت الهمزة من اوله واسمه بالعربية الصرفان «الرمق» قطيع الغنم معرب رمه «روزة» (٣) البيت فارسي معرب «الروشن» معرب

(١) في شفاء الغليل : خشكنان معروف تكلمت به العرب قديماً ه

(٢) كذا في الاصل ولم اره في المعاجم (٣) لعلها روزنة بمعنى الكوة

معناه جيزي بيرون آورده براي روشناي (الروح) (١) معرب روحا حذفت الفه للتعريب «الروط» بالضم النهر معرب رود «الرهوج» «٢» في الصحاح يشبه ان يكون فارسياً معرباً وفي ادب الكاتب الرهوج الهملاج«٣» واصله راهورا«٤»

الزاء : الزئبق كدرهم وزبرج معرب ژيوه ومنه ما يستقى من معدنه ومنه ما يستخرج من حجارة معدنية بالنار «الزاج» ملح معروف معرب زاك «الزرافة» في كتاب سيبويه خلق الله الزرافة يديها اطول من رجليها هي مساة باسم الجماعة لانها في صورة جماعة من الحيوان وجاء بها ابن دريد مضمومة الزاي وشك في كونها عربية «الزرجون» بالتحريك الخمر وقيل الكرم قال الاصمعي هي فارسية معربة اي لون الذهب والانسب ذهبي اللون «الزردج» ماء العصفر المنقوع معرب «الزرمانقة» بالضم جبة صوف معرب اشتربانه اي متاع الجمال «الزرياب» بالكسر ماء الذهب معرب «الزط» جيل من الهند معرب جت والقياس يقتضي فتح معربه «الزماورد» (٥) معرب والعامة تقول بزماورد «الزنج» جيل من السودان معرب زنك • الزنديق • معرب زند اسم كتاب المجوس الذي جاء به زردشت المزعوم انه نبيهم فنسبوا اليه ثم عرب وعن ابن دريد عن ابي حاتم الزنديق فارسي معرب كأن(٦) اصله عنده زنده اي يقول بدوام بقاء الدهر وفي القاموس هو بالكسر من الثنوية او القائل بالظلمة والنور او من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية او من يبطن الكفر ويظهر الايمان او هو معرب زن دين اي دين المرأة • لها بقية •

(١) كذا في الاصل ولعلها محرفة ولم يظهر لي شيء في توجيهها

«٢» عبارة الصحاح: الرهوجة ضرب من السير قال العجاج : مياحة تميج مشياً رهوجا ويشبه ان يكون فارسياً معربا اه

«٣» قال في مادة هملج: الهملاج من البراذين واحد الهماليج ومشيها الهملجة فارسي معرب اه

«٤» قوله راهورا خطأ من الناسخ وصوابه رهوار ويحرف بالتركية الى رهوان كما في الاوقيانوس اه

«٥» في القاموس هو طعام من البيض واللحم وفي حواشي الكشاف : هو الرقاق الملفوف باللحم اه

•٦• عبارة ابي حاتم كما في المزهر : كأن اصله عنده زنده كرد زنده الحياة وكرد العمل اي يقول بدوام الدهر اه

نحن واوربا (١)

ايها السادة الاخوان :

التاريخ كما لا يخفى عليكم يلقح فكراً جديداً وتاريخ كل امة مرآة اعمالها تنعكس عليها صورتها . فلا يشقن على بعضكم اذا سمعوا في هذه الجلسة كلاماً في تاريخنا السياسي الاخير لم يعهدوه من قبل او لم ينطبق مع رغائبهم فالافضل لكل امة تريد النهوض ان تعرف ماضيها حق معرفته وتقف على ما دبره ويدبره اعداؤها لها من ان تحدث بالخيالات وتتمجد بالاباطيل فصديقك من صدقك لا من صدقك . وفي الماضي لمن بقي اعتبار .

موضوعنا الليلة علاقة اوربا بالمملكة العثمانية وعلاقتنا باوربا نفيض فيه بقدر ما تساعد الحال لتجلى لنا الحوادث والكوارث التي جرت في هذا الشرق العثماني وخصوصاً في بلاد البلقان التي قامت حكوماتها الصغرى منذ اسبوعين تجاذبنا حبل السلطة في مقدونية بل في بلاد الروم ايلي اي املاك الدولة العلية في قارة اوربا

قد يعد من يلقي ادنى نظر في تاريخ العرب الفاتحين من اغلاط الفتح التي ارتكبها بنو أمية ان قذفوا باحد قوادهم الى شبه جزيرة اسبانيا يفتحون جزءاً مهماً منها سموه الاندلس فهزم العرب سكان البلاد الاصليين الى الجبال ولم يفكر من جاء بعد الفاتحين في طريقة للخلاص من عاقبة امرهم كأن يدخلوهم في الاسلام او يخضعوهم بحد الحسام او يجلوهم عن ارضهم بسلام .

وقد ادرك سيد بني أمية امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مغبة نزول المسلمين في ارض يحيط بها اصحابها الاول من اطرافها فامر احد عماله ان يرسم له مصور بلاد الاندلس يريد اجلاء العرب عنها لان مقامهم فيها غير طبيعي . وبعد وفاة هذا الخليفة ترك ذاك الامر وشأنه وتأصل الاسلام في ربوع الاندلس وازهرت به مدنية العرب هناك فقامت الاندلس بنحو النصف من هذه المدنية الباهرة والباقي تم في بغداد وغيرها من عواصم الاسلام الكبرى ولم يجل المسلمون عن غرناطة آخر عاصمة للعرب في بلاد الاندلس الا سنة ٨٩٧ للهجرة اي ان نظرية عمر بن عبد العزيز صحت بعد ثمانية قرون وكأنه ادرك بسديد نظره رحمه الله ان الاخلاف لا يسيرون

(١) محاضرة لنا في نادي الحرية والائتلاف بدمشق مساء الخميس في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٠

عَلَى سنة الاسلاف في الحساب للعواقب وانهم ربما شغلوا بما في الاندلس من الخيرات عن قطع شأفة العدو وكذلك كان ٠

ففتح الاندلس وان اورث العرب ذلا في الآخر فقد اورثهم عزاً واي عز في الاول واستفادت اوربا كلها من حضارة الاسلام باحتكاكها بالاندلسيين العرب ووقوفها عن امم عَلَى علومهم وآدابهم وصناعاتهم وزراعتهم ومصانعهم فالاندلس كانت اول فتح للمسلمين في قارة اوربا انتهت باجلائهم عنها كما أن فتح العباسيين جزيرة صقلية سنة ٢١٢ كان من الاغلاط في الفتح فلم تدم في يد المسلمين سوى نحو قرنين ونصف فاستولى عليها الملك روجار سنة ٤٨٥ هـ بعد ان انقطع امداد المسلمين عنها لاشتغال كل جهة بما يخصها من الفتن ٠

هاتان الغلطتان لبني أمية و بني العباس في فتح بلاد قصية عنهم انتهتا باخراجنا عما ملكنا بعد قرون و بنو عثمان ارتكبوا مثل هذا الغلط في الفتح بان توسعوا في مد سلطانهم شرقي اوربا بعد فتح القسطنطينية وتركوا لاهل البلاد المغلوبة حريتهم المذهبية ولغاتهم القومية فظلوا في حرب دائمة معهم لا تكاد تلقي اوزارها حتى تعود فيوقد العدو أوارها ٠ واوربا لم تبرح تسر اخراجنا من قارتها منذ ازمان لاعتقادها باننا شعب آسياوي لا يليق بنا ان نأوي الى غير كننا اذ القاعدة عندهم ان اوربا للاوربيين كما ان اميركا للاميركيين ولكننا نشهد الآن و يا للاسف ان آسيا ليست للآسيويين ولا افريقية للافريقيين

ان ما يسميه الافرنج بالمسألة الشرقية يرجع في الحقيقة الى امتلاك العرب ارض الاندلس وانتباه افكار الاوربيين الينا يرد عهده الى اليوم الذي تقدم فيه جيش المسلمين الى بوتيه من ارض فرنسا فهزم شارل مارتل جيش المسلمين في اواخر الثلث الاول من القرن الثامن للميلاد ٠ واكثر من ناصبونا العداء من الاوربيين في حروب الصليبيين اهل فرنسا والمانيا و بولونيا و بريطانيا وايطاليا في الاغلب وكانت هذه الامم اذ ذاك عَلَى مستوى واحد تقريباً بقوتها ومدنيتها ٠ و بحرية البرتقال والاسبانيول اعظم بحرية حربية للدول الاوربية في القرون الوسطى كما كانت اقوى بحرية تجارية في تلك الازمان للبيزيين والطوسكانيين والجنويين اهل ايطاليا اليوم

ولقد عرف ادوارد دريول المسألة الشرقية بما ترجمته : « ملك الاسكندر الكبير

البلاد الواقعة بين البحر المتوسط والبحر الاسود والصحراء من الغرب ونهر السند • الاندوس • من الشرق اي الطريق من اوربا الى الهند وجاء بعده الرومان فلم يصلوا الى نهر دجلة الا نادرا وكان للفرس ايضا بعض العظمة والمجد . وفي القرن السابع والثامن امتدت المملكة العربية ايضا من البحر المتوسط الى نهر السند واتصلت تخومها من آسيا الى المملكة المقدونية ما عدا قسما طفيفا في الجنوب . ومن القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر كانت غارات البرابرة الذين توطنوا اوربا واضطربت آسيا الغربية تلك المنطقة التي هي اوربية وآسيوية معاً بمن هاجر اليها من الشعوب واستولت مملكتا جنكيز خان وتيمورلنك على جميع البلاد من آسيا الصغرى الى نهر الفنج . وظلت القسطنطينية زمناً آخر سياجا لاوربا في وجوه الفاتحين المداهمين من الشرق الاقصى او من نجاد آسيا الوسطى . ودك آخر تيار من هؤلاء المهاجمين الآسياويين سنة ١٤٥٣ اسوار مدينة القسطنطينية معقل النصرانية من الاسلام وامتدت المملكة العثمانية زهاء اربعة قرون على اوربا الشرقية وآسيا الغربية من الخليج الفارسي الى نهر الطونة (الدانوب) الى البحر الادرياتيكي وتدخل سلطان القسطنطينية في القرن السادس عشر في مسائل اوربا وكان قد حالف ملك فرنسا واخضع على نهر الطونة الاوسط التخوم الالمانية وقد بلغت هذه السطوة في عهد سليمان الكبير (١٥٢٠—١٥٦٦) ذروة المجد والعظمة .

« ولكن تغلب العثمانيين لم يغرس في البلاد المفتحة ولا سيما في اوربا جذوعاً عميقة فنزلوا على الامم المغلوبة بدون ان يحاولوا الامتزاج بها وربما كان من المتعذر مزج العثمانيين وهم من عنصر تتري مع اليونان او الصقالبة • السلافيين • وهم من عنصر آري او اختلاط المسلمين بالمسيحيين . واكتفى العثمانيون بالقاء الرعب من سطوتهم في نفوس المغلوبين على امرهم وباطفاء كل ثورة بالشدة المتناهية . دام ذلك الى زمن ضعفت فيه تلك القوة ايام اصبح السلاطين يؤثرون العيش بين جواريهم على اقتحام الحروب وغدا الينجرية « الانكشارية » وهم متزوجون رحالون وامر الحرب في ايديهم يشتدون فيه اشتداد قسوة وجبروت ومنذ ذاك العهد اي منذ القرن السادس عشر ضعفت المملكة العثمانية وتراجعت حدودها مضغوطة على نفسها وذهبت نضرتها وجمدت مائيتها كالثمرة تتغضن اذا عتقت

« فنزول المسلمين في اوربا وفي آسيا على ضفاف خليج القسطنطينية • البوسفور •

وجناق قلعة . الدردنيل ، قد نشأت عنه المسألة الشرقية وماتاريخها في الحقيقة سوى تاريخ ارتقاء الامم المجاورة باقتطاع بلاد من الشعوب الاسلامية . ثم ان لهذه المسألة صفات دينية وذلك لان تغلب محمد الثاني وسليمان القانوني عَلَى اراض هي من صميم الاراضي المسيحية كان بمثابة تغلب راية الهلال عَلَى الصليب فان محمداً الثاني قد نزع من جدران كنيسة اياصوفيا الصور النصرانية وزكو السلطان سليمان علم النبي الاخضر عَلَى اسوار بلغراد وحمله حتى وصل به الى اسوار فينا وطرد من رودس فرسان القديس يوحنا الاورشليمي وهم بقايا الصليبيين ومانراه في عهدنا من تغلب الروس عَلَى العثمانيين وثورات الممالك المسيحية في البلقان ان هو الا اخذ لثار الصليب من الهلال . وان الشعوب المسيحية في كل مكان سواء كان في تركستان او جنوبي القافقاس وعَلَى نهر الطونة وفي الارخبيل وسورية ومصر حتى الهند لتهزم عَلَى الاسلام . وهذه حرب صليبية هائلة تعد حروب الصليبيين في القرون الوسطى بالنسبة اليها الاعيب اطفال .

ولما كان امتلاك هذه الاصقاع ذات التاريخ القديم ذا شأن خطير وكان للامم الاوربية في آسيا فيما وراء نهر السند وبحر آرال مصالح حيوية وكان يتأتى لصاحب القسطنطينية وآسيا الشرقية ان يكون سيد القارة القديمة اصبحت اوربا تنظر والقلق آخذ منها الى تطور المسألة الشرقية وتكونها فروسيا بما لها من اتساع رقعة الملك وما فيها من جدة الشباب وقوة اليقين تشرف عَلَى الشرق من شماله من نهر الطونة الى جبال البامير ولفرنسا عَلَى عامة ضفاف البحر المتوسط الشرقية مصالح مادية ومعنوية قديمة للغاية لا يتيسر لها ان تخلى عنها بدون ان تغدر بمن اعتادوا منذ الحروب الصليبية ان يعتمدوا عليها . ومملكة النمسا والمجر التي هي من بلاد الطونة لا تريد ان يقطع عليها طريق الارخبيل والمانيا البروسية تحاذر ان تعود النمسا فتتطلع الى اصقاع الرين والالب تدفعها الى الجنوب وانكلترا التي لا تود ان تقطع الطريق الموصل من البحر المتوسط الى الهند ومن قبرص ومصر وافغانستان تحاول ان تحصر الروس فيما وراء عبر البحر الاسود وبحر الخزر خصوصاً وهي ترى تلك الكتلة من الجليد واعني روسيا لا تزال ابداً في تزلق وانهيال .

وهكذا يتواثب جميع ابناء يافث لاتينيهم ويونانيهم جرمانيهم وانكليزيهم السكسوني وصقلبيهم وروسيهم عَلَى بلاد البامير طائفين حول شعوب مصر والساميين بين النهرين والعثمانيين في آسيا الصغرى يتواثبون عَلَى ضرب هذه الشعوب الغربية

التي اتت عَلَى غير ميعاد فاحتلت البلاد الواقعة بين نهر السند والبحر المتوسط فاصلة بين الفرعين العظيمين من الاسرة الهندية الاوربية ممن قضت الاقدار عَلَى ما يظهر ان ينضم احدهما الى الآخر ٠

• بيد ان تاريخ المسألة الشرقية لعهدنا قد برز في مظهر اقتصادي فهي احدى صور الجهاد في الحياة الذي قد يقتتل في سبيله شعبان عَلَى ما بينهما من لحمة القرابة ولقد فتحت بفتح ترعة السويس الطريق التجارية العظمى الى العالم القديم فربط بين ٣٥٠ مليونا من الاوربيين و٢٥٠ مليونًا من الهنود و٤٠٠ مليون من الصينيين وفيها تحمل من المحيط الهادي الى المحيط الاتلانتيكي • بحر الظلمات • ماراً بالعالم القديم جميع الحاصلات التي نعيش بها كل يوم ٠ ولانكلترا المقام السامي عَلَى البحر المتوسط والبحر الاحمر والمحيط الهندي وتملك فرنسا الشاطئ الشمالي والشاطئ الجنوبي من البحر المتوسط الغربي ولها في الشرق مصالح وتقاليد اعظم منهاولهافي الشرق الاقصى مصالح حديثة تزعم الانتفاع منها ٠ ولا ترضى روسيا ان تظل منعزلة في سهول بلاد الشمال بل يقتضي لها مصارف عَلَى بحر حر كالبحر المتوسط والمحيط الهندي والمحيط الباسيفيكي وجميع الامم الاوروبية محتاجة لمكان عَلَى هذه الطريق التجارية العظمى اذ الظاهر ان من يتنحى عنها من الامم يقضى عليه ان يعدل بان يكون له شأن في الحركة الاقتصادية الشديدة في الازمان المقبلة

• فالشرق الذي بدأ فيه التاريخ عاد فغدا اخص ميدان للتاريخ وتاريخه الجديد اذا جرى التنظير بينه و بين التاريخ الماضي ذو الوان واشكال غريبة يحمل في مطاويه عَلَى الجملة فجائع وفظائع لما فيه من تداخل الحوادث التي تتألف منها السياسة الحديثة وربما كانت حياة الشعوب القديمة لم تبد لانظارنا ساذجة اكثر من حوادث اليوم لاننا لا نعرفها حق المعرفة ولم نعش عيش اهلها اه •

هذا ما قاله دريول في كتابه المسألة الشرقية ترجمته بحرفه وفيه عَلَى ايجازه حقيقة تاريخية راهنة وان كانت روح التحامل تبدو من معظم ما يكتبه الغربيون عَلَى الشرقيين والعاقل من يأخذ من كل كلام عبرة ٠ ومسألة البلقان من اهم فروع المسألة الشرقية ان لم تكن اهمها ٠ ومادتها التي تحيا بها نزوع الشعوب البلقانية الى الثورة والانتقاض وإثارة احدى الدول الاوربية ذات المصلحة لمن يريد ان يتحرر من الحكم العثماني قال رينه پينون في كتابه اوربا والمملكة العثمانية وعليه اكثر

اعتمادي فيما سيريكم: ان الامم في اوربا الغربية بما لها من القوة تعارض المشاريع العظيمة فلم يبق الا الشرق حيث الخميرة لينة والحدود تكاد تكون غير معينة حيث شبه جزيرة البلقان ولا سيما آسيا العثمانية فهي ميدان جديد للتوسع للاقتصادي والنفوذ السياسي والى تلك الاصقاع توجه الدول العظمى اطماعها ومنافساتها

ثم ان المملكة العثمانية هي الحاكمة الشرعية على تلك المواقع الحربية المشرفة على الطرق العظمى في الارض تلك الطرق التي هي شرط في كل تغلب بحري وكل تفوق عالمي وهي البوسفور والدردنيل والسويس فجميع طرق الهند تجتاز البحار العثمانية او الارض العثمانية ولذلك دارت جميع المحالفات الكبرى والوفاقات الاوربية منذ زهاء قرن حول المسألة الشرقية وباسبابها تنعقد وباسبابها تحل تلك العهود والمواثيق

فسياسة اوربا ترجع بالنظر الى الدولة العلية ومستقبلها الى مبدأين متعارضين احدهما يؤدي الى التدخل في شؤونها والآخر يرمي الى سلامتها . فالمبدأ الاول منبعث من تأثيرات دينية او فلسفية او انسانية كما يدعون وعلى ضروب من الاشكال ومنه حدثت في القديم الحروب الصليبية . ولقد اخرجت اوربا الدين من السياسة فلم تفلح في القضاء على العواطف المستكنة في حنايا التضامن المطلوب بين الشعوب المسيحية امام غير المسيحية وكثيراً ما بدت في التاريخ الحديث آثار هذا التضامن وزاد عليها بعد الثورة الفرنسوية مبدأ حقوق الشعوب وحقوق الانسان فاصبحت حجة يتوكأ عليها ارباب الاحزاب الحرة او الثورية في الغرب وبها يستعينون على دك عروش الظالمين الذين عدونا نحن في جملتهم معاشر العثمانيين على غير انصاف

ومن نتيجة مبدإ التدخل طرد العثمانيين من جميع البلاد التي لا يؤلف المسلمون فيها اكثرية السكان وتحرير جميع الشعوب المضطهدة . يريدون بالشعوب المضطهدة الشعوب البلقانية وغيرها وتدخل الدولات في شؤوننا نحن المعدودين في مصاف الدول الاوربية العظمى ولكن على طريقة فيها الغبن الفاحش علينا

وكلما قمنا ثورة او اشتددنا في ارهاق من يريد الخروج عن الجماعة وهو حق لنا لو انصفونا لانهم يأتون مثله مع من ينبذ طاعتهم يرموننا بكل كبيرة وقد عدوا علينا من الكبائر التي لا تغتفر ما اتيناه من الشدة سنة ١٨٧٧ و١٨٩٤—١٨٩٥ التي قالوا عنها انها لا تناسب مناحي المدنيين كأنهم يريدوننا ان نعاقب القاتل بالعفو حالا ومن

يريد ان يؤسس مملكة في مملكتنا بالابتسام له وطلب رضاه !

ضمنت المعاهدات للدولة العثمانية مركزها من الحق العام الاوروبي ولكن سرعان ما تنقض تلك العهود المسطورة اذا كان من ورائها نفض عنصر من شعوب البلقان يده من طاعة سلطنتنا · ولقد تعهدت ثلاث دولات اوروبية في حرب القريم سنة ١٨٥٦ بموجب معاهدة باريز ان تدافع بالسلاح عن سلامة المملكة العثمانية ولما استبيح حماها سنة ١٨٧٧ اي في الحرب الروسية لم ينتطح عنزان ولا تحرك منهم لحقن الدماء انسان قال ينون : انا اذا اخبينا انصاف العثمانيين في كثير من المواطن نقول انهم ليس لهم ذنب الا كونهم عثمانيين · وهو كلام المؤرخ العاقل ·

ولطالما كانت حجة حماية غير المسلمين في المملكة العثمانية من الاسباب التي تتذرع بها حكومات الغرب ولا سيما فرنسا التي سبقت غيرها الى هذه الدعوى منذ عهد فرنسيس الاول بما افضل عليه احد سلاطيننا العظام من الرعاية واللطف ولذا ترى حقوق العناصر في هذا الشرق تذكر في المعاهدات فقد ذكرت في المادة التاسعة من معاهدة باريز وفي المادة الثالثة والعشرين والحادية والستين من معاهدة برلين ولكن عَلَى صورة مرنة كالمطاط يمد الى تأويلها حينما يكون مأرب لاحدى الدول تريده منا ويغض عنها اذا لم يكن لهن ثمت باعث عَلَى التدخل في احوالنا

ولقد كان من سياسة انكلترا منذ استولت عَلَى بلاد الهند ان تكون طريقها اليها سالمة من العوائق والمضايق لان في الهند ثروة انكلترا والهند شرط وعلامة عَلَى استيلائها عَلَى البحار وقبضها عَلَى قياد الشؤون الاقتصادية فالهند هي المملكة كما عرفها ديزرائيلي الوزير الانكليزي المشهور وجرى عَلَى ذلك اخلافه · وقبل فتح ترعة السويس كان من حكم الاستانة وجناق قلعة وله منفذ الى بحر الارخبيل او كان له سلطان عَلَى طرق قافقاسيا يستطيع منها النزول عَلَى ارمينية او فارس الى ما بين النهرين والخليج الفارسي — من كانت هذه قوته وبلاده يكون منه خطر دائم عَلَى الطرق الارضية او البحرية الى الهند او التجارة الشرقية فان القفار المحيطة بمصر ليست مما يحمي ترعة السويس حماية كافية وكثير من الشعوب منذ عهد كيكاوس (كمبيز) والاسكندر داهموا مصر وفتحوها براً آتين اليها من آسيا فان جيش نابوليون سافر من مصر وداهم سورية وجيش ابراهيم باشا هدد الاستانة مرتين فليس القفر والحالة هذه سداً يحول دون اغارة المغيرين وهجمات الفاتحين

ولذا كان همّ انكلترا منذ رفعت علمها عَلَى الهند ان لا يكون في الاستانة حكومة تخاف عاديتها وان تكون ارمينية وسورية وفارس عَلَى سلام واياها ومن اجل هذا مدت انكلترا يدها الينا غير مرة تريد مؤاخاتنا في السياسة ومحالفتنا عَلَى السراء والضراء وكانت تريدنا عَلَى ان نتحضر ونقوى كما حضرت اليابان وقوتهم فضربوا عدوتها امس في الشرق الاقصى ضربة تشيب لها النواصي ولكن قدر الله بان يعبث عبد الحميد واعوانه مدة طويلة بالسياسة العثمانية سائرين فيها عَلَى الهوى ثم قامت في عهد الدستور تلك الفئة المتغلبة وقبضت عَلَى امر الامة وسارت بنا في تيه لا يؤدي الا الى خدمة افكار الجامعة الجرمانية

تريد روسيا ان يكون لها منفذ الى البحر المتوسط لا تدوس للوصول اليه الا ارضها ولذلك كان لها من وصية بطرس الاكبر كل حين حاث يستحثها والنمسا تطمع ان تخلص الى سلانيك كذلك عَلَى الخطة التي تتصورها فالاستانة وسلانيك هما بيت القصيد في السياسة الشرقية ونقطة الدائرة في الحقيقة طريق الهند لا تزعج فيها انكلترا . ولذلك كانت تهتم بالمسألة الشرقية اكثر من جماع الدول والاهتمام عَلَى قدر المعرفة بالواجب ومن يهدد في حياته لا يلام اذا عمد الى اتخاذ كل سبب يقيها من المصارع وسلامة المملكة العثمانية مما قالت به انكلترا سنة ١٨٣٣ واستعملته سلاحاً ضد محمد علي ولويز فيليب

قال بينون : ان انكلترا تقوي الدولة العلية كمن يقوي معقلا للدفاع فهي التي تدفعها في سبيل الاصلاح واللامركزية للقضاء عَلَى المطالب المزعجة التي تتذرع بها شعوب البلقان وهي تنصح للسلطان ان يزجها عَلَى التدريج في السلطنة الناهضة الى التجدد المتسامحة في تقاليدها الحرة النيابية وبهذا المؤثر كتب خط كلخانة سنة ١٨٣٩ وتمت التنظيمات الخيرية سنة ١٨٥٦ وتطبيق اصول الحكومة الحرة الانكليزية قد اتى باحسن النتائج لبلاد الدولة العلية . ان كل ما يتم في بلاد يكون للدين الشأن الاول في تأليف الوطنية فيها بغية التدرج بها الى مدارج اللامركزية الادارية كان معرضاً للاخفاق وكذلك الاصلاح السياسي والاجتماعي يؤدي الى فشل تام اما الغاء الانكشارية والاصلاح العسكري في السلطنة فقد تكللا بالنجاح بحيث ان الدولة العثمانية بعد انقلابها في قبول التجدد اصبحت اشد اسلاماً مما كانت بل اقرب الى الآسياوية بل اقوى من حيث الجندية مما كانت

ولشد ما بذلت انكلترا من الجهد بعد ولا سيما في الحرب الروسية العثمانية للدفاع عن مصلحة العثمانيين لان في الدفاع عنها مصلحة لها تريد سلامتنا ليسلم لها طريق الهند بقوتنا وروسيا تريد ان يكون الخليجان [جناق قلعة وخليج الاستانة] حرين للتجارة البحرية ولبسط سلطانها لتحرير الشعوب السلافية ولكن انكلترا غلبت عَلَى امرها ونجحت سياسة بطرسبرج و برلين وفينا وكانت متفقة يداً واحدة عَلَى تحرير شعوب البلقان الشمالية واحتلال النمسا للبوسنة والهرسك واقتطاع روسيا لبعض املاكنا مثل باطوم والقرص واردهان من ارمينية واحتلت انكلترا جزيرة قبرص لتكون مشرفة عَلَى طريق ارمينية وآسيا الصغرى وسورية لئلا تداهم جيوش روسيا ذات يوم الهند من طريق الخليج الفارسي او من الاسكندرونة او من سورية فخرجت انكلترا ظافرة بحسن سياستها فنالت روسيا مناوئاتها هي من روسيا ومنا ولله ما يفعل العقل والتوفيق السياسي ٠

ولقد تجلى في مؤتمر برلين وكان البرنس بسمرك رأسه ورئيسه سلطان الدهاء في السياسة فتلطف الوزير الالماني في مراعاة حقوق النمسا وروسيا وحكومات البلقان كل التلطف فهو بدفعه النمسا الى التقدم نحو سلانيك يخدم الامة الجرمانية لان تزايد السكان في المانيا سيضطرها ذات يوم لان يكون لها منفذ خاص مثل سلانيك نحو البحر المتوسط ان لم يكن في يدها مباشرة فلا اقل من ان يكون في يد النمسا واغلق في روسيا طريق الاستانة عن سكة رومانيا واصبحت رومانيا صديقة الالمان وعدوة الروس لان هؤلاء اضطروها الى اخلاء اقليم بسرابيا لقاء دبروبجه وكان من نتائج مؤتمر برلين ان اخفقت آمال الروس من البلقان بعد حربها معنا ونالت حقوقاً ضعيفة فمن مؤتمر برلين نشأ التحالف الثلاثي بين المانيا والنمسا وايطاليا والوفاق بين روسيا وفرنسا وكان من دهاء انكلترا ان اشركت المانيا في الدفاع عن مصالح الشرق من اعتداء روسيا فتمكنت في مؤتمر برلين بابعاد القوة المسكوبية عن ترعة السويس وطرق الهند وان قربت منها المانيا ٠ والحقيقة ان المانيا قد ربحت في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ بفضل بسمرك كما ربحت ايطاليا بفضل كافور في مؤتمر باريز سنة ١٨٥٥

سلكت كل من الحكومات الصغرى الاربع التي تكونت في معاهدة برلين في سياستها مسلكا يوافق مصالحها فاقتربت رومانيا من المانيا لتنجو من روسيا والطريق

التي توصلها الى الاستانة واقترب الجبل الاسود من روسيا لئلا تكون النمسا وصية عليه لجوار وارادت الصرب ان تحذو هذا الحذو ولكن علائقها الاقتصادية بالنمسا دعتها الى ان تمسك بيدها الاولى النمسا وبالاخرى روسيا

اما بلغاريا فان الحرب التي شهرت من اجلها قد احيت في النفوس فكرة عودة بلغاريا العظمى الى العالم فتكون لها البلاد حتى بحر الارخبيل والى حدود البانيا وابواب سلانيك ولكن معاهدة برلين قضت بان تكون بلغاريا الاصلية ولاية مستقلة وتكون الروم ايلي الشرقي للعثمانيين هي وسائر البلاد المقدونية الا ان الروم ايلي الشرقي عاد فانضم الى تلك الولاية المستقلة سنة ١٨٨٥ وعين اميراً عليهما البرنس باتنبورغ ابن اخت القيصر وهذا الضم مغاير لبنود معاهدة برلين ولولا المحالفة الثلاثية لنقضت تلك المعاهدة عروة عروة مع معاهدتي فرنكفورت وسان ستفانو

ولما اخفقت الدول في المحافظة عَلَى حالة البلقان قامت اليونان والصرب تريدان ان تنالا تعويضاً يوازي مانالته بلغاريا من الروم ايلي الشرقي وبلغ الحنق من امبراطور روسيا اسكندر الثالث ان حمل البرنس باتنبرغ عَلَى التنازل عن الملك فانتخب مجلس الامة البلغاري سنة ١٨٨٧ بنفوذ النمسا والمانيا البرنس فردينان دي ساكس كوبورغ غوتا من ضباط الجيش النمساوي والمجري وهو الامير الحالي الذي بايعوه ملكاً عَلَى البلغاريين منذ اربع سنين

وفي سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٦ احدثت الوقائع الارمنية المشؤمة في الاستانة وارمينية مبنية عَلَى احلام اخفقت وقد نجحت فيها السياسة الروسية اكثر من الانكليزية لان قسماً مهماً من الارمن هم في ارض روسيا وهم لا يؤلفون اكثرية في ولاية من ولايات ارمينية وكردستان ٠

ولما رأت روسيا نفسها محصورة عَلَى تخوم البلقان ارادت ان يكون لها منفذ ولو الى الشرق الاقصى وكانت سكتها الحديدية الى سيبيريا قد اشرفت عَلَى النجاز فتلقت من ذلك انكلترا واغتنمت فرنسا هذه الفرصة ففتحت جزيرة مدغسكر وضمت مستعمراتها الافريقية بعضها الى الآخر وحلت المسائل المختلف عليها بينها وبين انكلترا في افريقية وفي آسيا ثم نشأت مسألة الكونغو وسيام وشاطئ غربي افريقية

وكان لانكلترا يد طولى في تأخير مسألة كريت ونزعها منا وكريت اخت ارمينية في الصورة والشكل وان كانت غاية كل منهما متباينة وللمانيا يد كبرى في جعل

كريت تحت حماية السلطان وامارة البرنس جورج اليوناني آثرت ذلك عَلَى ان تراها لقمة سائغة لانكلترا كما كانت مصر وقبرص من اجل طريق الهند وبذلك ازداد نفوذ المانيا في الاستانة وصار لسياستها الموقع الاول الذي بدا في موتمر برلين فكان منه عموم النفع لشؤونها التجارية والاقتصادية . وفي سنة ١٨٩٧ عقدت روسيا مع النمسا والمجر محالفة عَلَى حفظ السلام في البلقان وكبح جماح المتناغين بجنسيتهم من عناصرها وفي سنة ١٩٠٣ اتفقت ذانك الدولتان عَلَى بروغرام مورتزج لاصلاح مقدونية وبذلك تعدل نفوذ الالمان في الاستانة

مسألة المضايق اوالمضيقين البوسفور والدردنيل مرتبطة بالمسألة الشرقية اشد ارتباط ولطالما تألمت روسيا من اعتزالها وراء البحر الاسود تملك بعض شواطئه ولكنها لاتستطيع ان تنفذ منه فشبهوا مقامها هناك بالمسجون في قصر لا يستطيع الخروج منه ولولا انكلترا لقبض الروس عَلَى قياد المضيقين ومن قبض عليهما قبض عَلَى منافذ البحرين الاسودوالابيض ولما سار ابراهيم بن محمدعلي باشا المصري بجيوشه سنة ١٨٣٣ من سورية الى آسيا الصغرى وكاد يهدد الاستانة لم ترَ الدولة الا ان تستعين لدفع غائلته بالاسطول الرومي فبعثت دولة القياصرة اسطولاً الى قرن الذهب في خمسين الف جندي حتى اذا امنت السلطنة شر ذاك المهاجم واراد الاسطول ان يعود من حيث اتى بعد ان كان مروره في المضيقين لاول مرة وبوارجه الحربية ترفع اعلامها اراد تعويضاً عن ذلك فعقدالباب العالي مع حكومة القيصر معاهدة خنكار اسكله سي وبموجبها تحمي روسيا المضيقين حماية حقيقية بحد السلاح فغضبت انكلترا من هذا العهد الذي يضر بمصلحتها وما زالت تتفنن في اساليب السياسة حتى اضطرت الدول ان تعقد موتمراً في لندرا سنة ١٨٤١ وكتبت فيه معاهدة جاء في بندها الرابع ان المضيقين لا يفتحان لدولة من الدول تسير فيهما بوارجها فسقطت بذلك معاهدة خنكار اسكله سي واصبح من حق سلطان العثمانيين ان يغلق المضيقين في وجوه الدول وليس من حقه ان يفتحهما فتقيد بذلك قيداً لا ينطبق مع ما تدعيه حكومات اوربا من مراعاتها لحقوق السلطنة وسلامة استقلالها .

ثم ان انكلترا اضطرت روسيا بموجب هذه المعاهدة ان لا يكون لها سوى عدد معين من السفن في البحر الاسود ولا تنشيء دوراً للصناعة (ترسانات) عَلَى شواطئه وبذلك سد البحر الاسود في وجه روسيا فلم يبق بحيرة عثمانية كما كان عَلَى عهد كاترينا

الثانية و بطرس الاكبر ولا بحيرة روسية كما قضت معاهدة خنكار اسكله سي وهذا المنع لا يتناول بالشدة المعينة سائر دول اوربا الخمس الكبرى ولا سيما كبيرتها انكلترا فقد دخل الاسطول الانكليزي والفرنساوي ليضربا مع الجيش العثماني قلعة سواستبول الروسية وهكذا اصبح ما يحرم عَلَى روسيا لا يستحيل عَلَى غيرها فكأن معاهدة لندرا يقصد بها اتقاء عادية الروس عَلَى البحر المتوسط فقط وقد أيد البند القاضي بالحجر عَلَى روسيا وراء المضيقين سنة ١٨٤١ في معاهدات ١٨٥٦ و١٨٧١ و١٨٧٨

****

في الامثال العربية لاتطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع وهذا مما ينطبق عَلَى حكومات البلقان الاربع المجاورة للاملاك العثمانية فانها بعد ان استقلت الاستقلال التام وصار لها عَلَى صغر حجمها ملوك ومجالس نيابية حداها الغرور ان تتوسع في بلادها ولا سبيل الى ذلك الا باقتطاع شيء من الاراضي العثمانية وكيف السبيل اذا كان علم الامن مرفرفاً فوق ربوعنا ؟

ولذا عمدت اليونان والصرب والبلغار الى تأليف عصابات من ابنائها وفيهم كثير من خاصتهم المتعلمين في المدارس العليا تلقي الفوضى وترتكب انواع التعذيب والقتل في ربوع مقدونية التي تريد كل منها الاستئثار بها او ببعضها ومقدونية هي عبارة في عرفهم عن ولايات سلانيك ومناستر وقوصوه: والحقيقة ان مقدونية هي مهد الاسكندر حيث ترى عاديات پلا و پيدنا وامفيپوليس فكان معدل من تهلكهم عصابات الهول والارهاب من الاهلين التي نسمة كل سنة يذبح اكثرهم كما تذبح النعاج فخربت هذه البلاد وكانت من قبل من اكثر بلاد الله عمراناً وعادت كما قال يننون زراعتها بائرة وخصبها جدباً ولطالما فاضت تربتها السوداء في تلك السهول المنبسطة لبناً وعسلاً فامست لاتعطي سوى غلات ضئيلة لا تكاد تسد عوز السكان وكثرت في حقولها النباتات الطفيلية من العوسج والاعشاب الضارة وتجردت الآكام من غاباتها الغيباء بما سطا عليها من اسنان الواشي واخذت الامطار تنهال عَلَى المنحدرات لا يقف شيء في سبيلها تحمل التربة الصالحة للزرع فتؤلف منها بطائح ويجمع كثير في هذه التربة الزكية تحملها السيول الى خليج سلانيك بحيث لا يأتي عليه مئة سنة الا ويطم كالحوض المطبق وانحصرت القرى في اعماق الاودية

او رؤوس الآكام المنحدرة ولم يبق في تلك الارض مزرعة ولا بيت منفرد واخذت الاكواخ ينضم بعضها الى الآخر خوفاً وهلعاً

نعم ان هاته العناصر التي ادعت المدنية هي التي تهرق دماء الابرياء وتدعي انها من رسل المدنية والسلام والذنب في ذلك عَلَى اوربا التي كانت بعض حكوماتها تسر حسواً في ارتغاء وتدفع البلقانيين الى ارتكاب المنكرات من الايقاع بالانفس والعبث بالاموال وبالعروض وقد اشترطت اوربا في مؤتمر الاستانة ومؤتمر سان ستفانو ان تجري الاصلاحات في الولايات العثمانية من قارة اوربا ولكن اي اصلاح تقوم به دولة والعدو المجاور يرسل عليها كل يوم عصابات تستبيح السفك والفتك وان المرء ليحزن اذا اراد احصاء مابذلته هذه الامة من دمائها منذ قرن فقط في سبيل بقاء الروم ايلي في ايدينا

لما استقلت حكومات البلقان الشمالية في مؤتمر برلين لم تعط ولاية الروم ايلي الشرقية لبلغاريا لان البلغار بين ليسوا فيها اكثرية ولكن بلغاريا خرقت هذا البند من المعاهدة وضمت اليها تلك الولاية وهكذا الآن تحدثها نفسها ان تستولي عَلَى مقدونية او جزء مهم منها مع ان العنصر البلغاري هو بعض سكان هذا الاقليم اذ فيه صربيون ويونان وفلاخيون دع الاتراك والارناؤد فمقدونية هي مزيج من عدة عناصر وليس في حقوق البشر قانون يقضي بانفصالها عنا وذلك لان الفاتحين لتلك البلاد منذ عهد البلاسجيين قد تركوا فيها آثاراً وهذه البلاد التي نشأ فيها الاسكندر فاتح العالم قد اقتبست اموراً من اليونان ومن الرومان ومن الصقالبة ومن البلغار ومن العثمانيين لان كل امة حكمتها استولت عَلَى سهولها اما الجبال فكانت معاقل طبيعية لمن ارادوا الاحتفاظ من السكان بقومياتهم ولغاتهم ومن هؤلاء تألفت كتلة قامت تناغي بعد بالاستقلال وكل امة من ام الطونة الاربع اي بلغاريا والصرب ورومانيا واليونان تدعي ان سكان مقدونية جزء من عنصرها مع ان لغاتهم متباينة وكذلك اديانهم وكل منها بذلت في سبيل تكثير الناطقين بلغتها اموالاً طائلة وعلمت تاريخها وامجادها وانسابها حتى انك تجد في مناستر تاجراً ولد البانيا ثم تبلغر اي صار بلغاريا ثم يونانياً اما الآن فهو روماني وهذا من اضحك ماسمع في التبدل . ومن خان لغة ابيه وامه كان خائناً بالطبع للغة التي ينحلها ايضاً ويدعي الانتساب لاهلها زوراً

يقول كتاب الافرنج ان الدولة العلية لم تقم بالاصلاحات التي تقررت في الولايات المقدونية ولو وفت بالوعد لما فتح سبيل لتلك الدويلات ان تطالب بشيء للبلاد المجاورة لها ولما قامت يونان تقول ان لغتهـا ومدنيتها هي الحاكمة المتحكمة في مقدونية منذ عرف التاريخ ولا ادعت الصرب ولا بلغاريا ولا رومانيا مثل هذه الدعوى ولكن الموظفين العثمانيين اذا تركوا وشأنهم يهملون اصلاح حالة البلاد ونحن نقول ماقاله صديقنا لطفي فكري بك لو قمنا من انفسنا بالاصلاحات في الروم ايلي وطبقنا القانون الذي كنا سنناه لتنفذه في ارجائها لما احتجنا الى من يحثنا عَلَى ما يجب علينا القيام به من تلقاء انفسنا ولكن امراض الشرق كثيرة ومرض الاهمال احد تلك الادواء القتالة

ولقد انتهت الحال سنة ١٩٠٢ في مقدونية عقيب وقوع حوادث مزعجة ان بعث الباب العالي مفتشاً عَلَى الولايات الثلاث وتألفت لجنة مختلطة من خمس دول لاصلاح مالية هذه الولايات وجيء بضباط ايطاليين وفرنسويين والمـان وروس وانكليز لاصلاح سلك الجندرمة الذي طالما جلب الويلات بخلله عَلَى البلاد العثمانية فدرست اللجنة مالية الولايات الثلاث فاذا ميزانيتها سنة ١٩٠٦ تبلغ ٢٤٦٨٠٤٠٥٠ ليرة عثمانية يصرف منها ١٤٤٨٠٤٠٨٠ عَلَى الجندية ويصيبها ٣٥٤ الف ليرة من ديون الدولة فلم تقدر اللجنة ان تعدل شيئاً من النفقات الحربية ونظرت في ميزانية الملكية وهي ٨٢٣ الفاً فتعذر عَلَى الدول ان يطالبن حكومتنـا بتطبيق الاصلاحات العمرانية وكان من ذلك تساهل معتمديها في قبولهن زيادتنا ثلاثة في المئة عَلَى الرسوم الجمركية ولانكلترا ستون في المئة من مجموع ما يرد عَلَى السلطنة العثمانية من الواردات فنالت بريطانيا وغيرهـا من الدول ذوات الشأن امتيازات وتمديد مهلات ومنحت حقوقاً اخرى علاوة عَلَى مالها في الارض العثمانية ·

تمكنت الحكومة العثمانية بعد سنة ١٩٠٤ من كبح جماح العصابات لان كثيراً من رؤسائها ولا سيما البلغارية منها هلكوا بايدي جنودنا · وهنا يجب ان يعرف بان سواد البلغاريين في مقدونية اكثر من غيرهم من العناصر غير المسلمة وهم اهل النشاط والحرب وثلاثة ارباع من هاجر من بلاد مقدونية الى اميركا هم من البلغـاريين والمهاجرون فيها لا يقلون عن مئة الف · وقد اغتنوا كما اغتنى بعض السوريين ومنهم من عاد الى بلاده فابتاع الاراضي بالثمن الباهظ وتخلص بعضهم من سلطة

الاغنياء ارباب المزارع الواسعة وعمروا الدار والعقار · وليست الهجرة من ممالك البلقان الى اميركا وغيرها باقل من هجرة السكان من الروم ايلي حتى لقد هاجر خمسة عشر الف يوناني من جهات وارنة في بلغاريا سنة ١٩٠٦ الى اثينة وغيرها عقيب مناوشات قتل فيها افراد من اليونانيين والبلغاريين وذلك بداعي تعيين اسقف يوناني في وارنه ·

اقول عقيب مناوشات وما احرانا ان نقول عداوات فان اليوناني يكره البلغاري والبلغاري يكره الصربي والبلغاري يمقت الروماني والجبلي يتألم من الصربي عَلَى صورة يستغرب من قرأ تاريخهم امس كيف يتفقون اليوم اتفاقاً مريعاً لم تخرج عنه سوى رومانيا المرتبطة مصالحها بمصالحنا واعجب منه ان نرى روسيا عقب مؤتمر برلين بعد ان كانت في البلقان هي الكل والكل رضيت بان تشاركها في نفوذها دولة النمسا والمجر واغرب من كل هذا ان ايطاليا وفرنسا والنمسا والمانيا وروسيا وانكلترا كلها تنادي بسلامة المملكة العثمانية وحفظ الحالة الحاضرة في البلقان مراعاة لمصالحها لان كل واحدة تستفيد من الروم ايلي وهو في ايدي العثمانيين من حيث التجارة والامور العمرانية والمالية اضعاف اضعاف ما تستفيد منه لو كان لاقدر الله في يد غيرنا من حكومات البلقان وذلك لان القوم في اوربا يستفيدون من اهمالنا وعدم عنايتنا بالمصالح المالية بخلاف غيرنا لو كان له سلطان عَلَى شبه جزيرة البلقان كلها فانه يقطع عَلَى الماليين والمتجرين الاوربيين ارزاقهم ويحاربهم حرباً اقتصادية شعواء ·

نعم تعلم الدول الست ان اهل كل عنصر من العناصر البلقانية اقوى عَلَى قلة عديدهم في التشيع لابنائهم الناطقين بلغتهم من العثمانيين بمجموعهم عَلَى كثرتهم فان الصربي مسلماً كان او كاثوليكياً او ارثوذكسياً يهتم لمصلحة بلاده اكثر مما يهتم التركي والعربي ! وكأن هذا الخلق خاص بشبه جزيرة البلقان الاقليلا فقد رأينا الارناؤط مسلميهم ومسيحيهم يدافعون يداً واحدة عن كل ما فيه سلامة وطنيتهم ولغتهم لم تفرق بينهم المذاهب والنحل وكذلك البلغار يتعلقون بالجنسية اكثر من تعلقهم بدينهم وهذا الخلق ضعيف جداً في ديارنا وما برح اهل كل نحلة يتشاغبون بحب بعضهم بعضاً ولو كانوا لا تجمع بينهم لغة ولا وطن ولا قرابة جنسية ·

اقترحت انكلترا لما رأت عجزاً في ميزانية الولايات المقدونية الثلاث لكثرة ما ينفق من اموالها عَلَى الحامية هناك ان ينزل عدد الحامية ليتوازى الدخل والخرج

ويستطيع اهل الشأن اذ ذاك ان يقوموا بالاصلاح المطلوب لمقدونية ولكن الدولة العلية تعلم اكثر من كل دولة ان سلامتها في الروم ايلي معقودة بناصية جيشها وان عهود الدول ومحالفاتهن تشتمل عليها لا لها فقد ضمنت لها معاهدة باريز سلامة املاكها من التمزق ومع هذا فقدت بعدها ولايات كثيرة ولم يقم من دول اوربا من يقول ان اقتطاع ارض عثمانية مخالف لتلك المعاهدة التي اقرتها الدول او معتمدوها

وانا اذا وصمتنا اوربا بالظلم في بعض شؤوننا فلا يسعها الا ان تعدنا مظلومين عَلَى الاكثر ولا سيما فيما يتعلق بالمسائل الاقتصادية الحيوية من استثمار الخيرات والتجارات والصناعات في السلطنة قال بنون : لا تزال ميزانية النافعة (الاشغال العمومية) في السلطنة في حالة التكون او كالجنين لم يتكون فالاجانب هم الذين ينشئون الخطوط الحديدية والمرافيء والارصفة والترامووايات والفنادق وهم الذين يبيعون المدرعات والنسافات والمدافع والبنادق وكل المعدات التي تلزم للجيش وهم يعدنون المناجم ويؤسسون شركات الملاحة وقد اعتادوا ان يحملوا الى البلاد العثمانية ادوات المدنية الحديثة عَلَى شرط ان يكون فيها ربح لهم وتجتهد كل حكومة في ان تنال مشاريع اكثر ثمرة من غيرها وبذلك تنحصر منافسة الدول العظمى في الاستانة يراد بها الاعمال الاقتصادية

ولطالما كان من المعتمدين السياسيين سماسرة للمتجرين والصانعين وللمبير غليوم الثاني حطة عليه ان يكتب الى السلطان عبد الحميد شخصياً ليضمن طلبية كبرى للصناعة الالمانية والعثماني يدخن نارجيلته في ظل شجرة دلب قديمة . يرى هذا وهو يدهش من تكالب الغربيين عَلَى الاعمال وتنافسهم في سبيل الكسب واغتنائهم من بلاده ووضع ايديهم عَلَى مصادر ثروتها وحياتها والسلطان هو الذي يمنع هذه الامتيازات (هذا الكلام قبل الدستور) في الظاهر وهو صاحب الوقت ولا حرية له في رفض ما يعرض عليه لان للدول التي تطلب مدرعات وجنوداً تستعملها حين الحاجة لضمانة ديونها ولاستصناع بضائع في معاملها وهي تراقب المالية وتنظر في مسائل الديون العمومية ولا يمل شيء الا بفضل رؤوس اموالهم وعَلَى ايدي مهندسيهم ولا يخضع رعاياهم بموجب قانون الامتيازات الاجنبية للقوانين العثمانية ولا يحكم في مسائلهم غير قناصلهم . وللاجانب مدارس لاولادهم ومدارس داخلية وكليات ورهبان واطباء وادارات بريد وبرق وليس للبوليس العثماني ولا لجابي الاموال

اقل سلطة عليهم فكل واحد منهم كائن لا يمس فالسلطان يحكم ولكن الاجانب يتمتعون وذلك لانهم ملوك المال اه

يتمتع الاجانب في البلاد العثمانية بسعيهم الحثيث ونفوسهم التي لا تمل واعلام دولهم التي تحميهم فبعد ان كان لفرنسا منذ التقديم المقام الاول في التجارة نازعتها انكلترا حتى استأثرت باكثر من مجموع نصف الصادرات والواردات ثم جاء الدور لالمانيا بعد مؤتمر برلين فان كانت هذه الدولة قد فتحت ولايتين وهما الالزاس واللورين فتحاً سياسياً فقد فتحت الولايات العثمانية فتحاً اقتصادياً فانشأت البيوت التجارية والمصارف والمدارس ومن اهم الامتيازات التي نالتها سكة حديد بغداد تصل بين الاستانة والخليج الفارسي ولكن انكلترا لم تغفل عن ذلك لانها تحاذر من ان يصل احد الى الهند من غير طريقها وارادتها فلحت البادية فيما يقال بسلاح انكليزي هندي وبعثت عيونها طول الخط الحديدي ولما لم يعد ثم انتبهت للتجارة مع العثمانية حكومة ايطاليا والنمسا وكل الدول تنازعنا بل تتنازع حياتنا الاقتصادية والمدنية العثمانية كما قال بعضهم فيها مجال لكل طالب على فقرها بل ان فيها مجالاً للعثمانيين انفسهم لو يعملون

ولما ايقنت انكلترا بالخطر على مصالحها في الشرق ولا سيما الهند بتهديد الالمان خليج فارس بسكتهم الحديدية الجديدة من الاستانة الى بغداد ارادت تأمين طريقها الى هندها بتطويق بلاد العرب بطوق من حمايتها فاثارت اولا مسألة تحديد التخوم بين مصر وسورية وذلك في المسألة التي عرفت بمسألة العقبة وطابة سنة ١٩٠٦ فاستأثرت مصر التي هي محتلة لها بشبه جزيرة سينا وامنت انكلترا من هذه الجهة وكانت عقدت مع فرنسا عقداً في سنة ١٩٠٤ تكون انكلترا بموجبه حرة في وادي النيل كما تكون فرنسا حرة بعملها في شمالي افريقية وينتج من ذلك قبض فرنسا على قياد حكومة مراكش حتى اصبحت جرائد الفرنسيس تذكر اليوم اخبار المغرب الاقصى في باب المستعمرات كما تذكر تونس والجزائر والسنيغال ومدغسكر وسيام والهند الصينية. وهكذا جعلت السياسة للعقبة وطابة اسماً في التاريخ وكانت من قبل نكرة كما جعلت الحملة التي سيرتها فرنسا منذ بضع سنين من اعالي وادي النيل مثل ذلك لقرية فاشودة وانتهت بالوفاق الفرنساوي الانكليزي وكما اشتهر بور ارثور في الشرق الاقصى الذي زحزح اليابان عنه الروسيين عقيب

معركة لم يسمع في التاريخ باعظم منها وكان من ذلك ان عاد الروس ادراجهم من الشرق الاقصى واشتهرت بورارثور

نقول طوقت انكلترا شبه جزيرة العرب بطوق من حمايتها ومن عرف كيف اخذت مضيق باب المندب وعدن وبريم منذ القديم لا ينكر وضع حمايتها عَلَى صاحب الكويت لتدعي بعد ان حوض الخليج الفارسي انكليزي محض كما وضعت حمايتها عَلَى امير مسقط اهم سلاطين عمان وحمت صاحب البحرين وصاحب لحج فطوقت بذلك الجزيرة لتأمن غائلة الالمان والله اعلم ماذا يخبأ المستقبل للعراق والشام واليمن والحجاز ونجد والجزيرة وكل هذا تسأل عنه حكومة الاستبداد الماضية التي ارادت ارضاء المانيا فاغضبت انكلترا فكانت النتيجة خسارتنا عَلَى كل حال

وكذلك الشرق يقتسمه الغرب وحكوماته تشتغل بالباطل كما حدث لجارتنا ايران فوقعت بين يدي انكلترا وروسيا هذه ادعت ان منطقتها من الشمال وتلك استأثرت بالجنوب وكان من اختلال الامن في بلادها حجة توكأت عليها السياسة الحديثة كما كان كذلك في العهد الاخير من مراكش مع فرنسا ·

ومن اخلاقنا معاشر الشرقيين اننا نذكر الداء عند وقوعه ولو قيل لنا ان نتخذ شيئاً من الاحتياط القليل بادئ بدء هزأنا بالمشير علينا واستسلمنا للاقدار فالاخطار فقد رأينا مثلاً فرنسا نشرت مدارسها في الشرق العثماني والمصري اي انتشار حتى كادت تدعي ان لها حق الحماية عَلَى رعايا بعض اصقاعنا بحجة حماية اناس في الشرق وقد حذت حذوها ايطاليا فنشرت عَلَى فقرها مدارسها باموال خصصتها لها في ميزانيتها في طرابلس وبرقة · وان ذكرى هذين القطرين ليرمض قلب كل عثماني اليوم · وفعلت مثل ذلك في بعض بلاد الارناؤد وكذلك تفعل المانيا في بلاد الاناضول ووادي الفرات فتنشئ اليوم مدارس المانية تحت رعاية امبراطورها كما انشأت في فلسطين ومثل ذلك فعلت روسيا في ديارنا وكل يوم امتيازات جديدة وحقوق علينا اكيدة ·

ومنذ حرب السبعين بين المانيا وفرنسا لم ترَ اوربا دولتين او ثلاثاً التقتا في حرب ماعدا حرب الصرب وبلغاريا سنة ١٨٨٥ ونرى مصالحها تفض بينها بالسلام سلام عليهم وحرب عَلَى غيرهم · وكل مدة نسمع بعض زعمائهم وملوكهم يجتمعون ويتفاوضون سراً فلا نلبث ان نرى ازمة في احدى بقاع الشرق لا تحل الا بربح

جماعة المتفاوضين . نعم يشرب بعضهم نخب الآخر كما قال يبنون و يتآخون و يتصافحون وفي الحقيقة هم يجسون الارض ليكونوا عَلَى ثقة منها فيما اذا نشبت عليها حرب حقيقية وهذه سياسة غريبة كل الغرابة في مظاهرها المتناقضة في هذا العهد وما قط كانت الحقائق العميقة مختلفة عن الظواهر التي تغشاها كل هذا الاختلاف قال : « وعلينا ان لا يفوتنا انه ربما تحدث مشاكل غير منتظرة في الشرق لان فيه فقط تجد اوربا بلاداً بكراً واصقاعاً جديدة لم تورق حتى الآن ادوات الاقتصاد الحديثة فليس يرجى في اوربا الغربية والوسطى الآن حروب فتح وغلبة وليس فيهما امة تستطيع ان تربح من الاخرى ولذلك ظهرت منافساتهن في الاصقاع النائية واذ كانت اوربا مغلقة في وجوههن وآسيا الشرقية لا تقبل وصاية دولة عليها بتة وافريقية لم تأت حتى الآن بثمرة تذكر لم يبق امام ام اوربا غير التنازع في المملكة العثمانية عَلَى مصارف جديدة لصناعاتهم واعمالهم وتجاراتهم » !

هذه جملة حالنا مع اوربا وهي اقرب الى ان تكون لمجتها لهجة المتشائم لا لهجة المتفائل ومع هذا فاننا بما عرف من تاريخنا وتاريخ غيرنا من الامم لا يزال الرجاء معقوداً في مضائنا وعقول القائمين الآن بالامر فينا ولا ينقصنا الا ان نجمع عَلَى الخير كلمتنا ونجعل العلم والعمل رائدنا فليس الخطأ فيما وقع علينا من الحيف هو خطأ الحكومة فقط بل ان المحكوم عليهم مسؤولون كثيراً عن كل ضعف بدا وكل شر نجم يسألون عن تفاشلهم وتخاذلهم وعن فساد اخلاقهم وقلة نظرهم في عواقب امرهم وصبرهم عَلَى جهلهم وادعاء المعرفة و بذلهم في التافه وكزازة ايديهم في المآزق

كلنا يعلم ان حياتنا السياسية مقرونة ببقاء هذه الدولة العلية العثمانية آخر مملكة قوية مستقلة من الممالك الاسلامية وان دولتنا اليوم في بحران شديد فاين اغنياؤنا يبذلون عن سعة لاعانة الامة عَلَى الاقل في كسوة ابنائنا المجاهدين في الروم ايلي بعض ما يصرفونه عَلَى شهواتهم . انني والله اخجل من تسطير تلك الصدرات والجوارب والاعتنة القليلة التي لم يجد ملوك المال فينا بغيرها وقد رأينا احدهم وثروته كلها من رقاب الفلاح وسرقة الخزينة لا ينفق في هذا السبيل ربع ما انفقه لاستحصال رتبة او اخذ منصب او مكافأة عَلَى وسام فاين هذا وامثاله من ذاك اليوناني الذي تبرع لحكومته باربعة ملايين فرنك تبتاع بها بارجة حربية !

ان هذا التضامن المشهود عَلَى اشده في الحكومات الاوربية والاميركية هو الذي

اعوزنا اليوم فتركنا هدي كتابنا الكريم واردنا تقليد المحدثين فصرنا كالعقعق اراد مشية الحجل فنسي مشيته ولم يحسن تقليد من يريد تقليده · اننا اذا تضامنا نضع الاشياء مواضعها واذا تفاهمنا نجح في تأليف احزابنا وحزب عدونا ونامن على مستقبلنا السياسي والاقتصادي والا فكل كلام ضائع وكل سعي في انهاضنا هباء فتدبروا رحمنا الله واياكم فليس للدهر بصاحب من لم ينظر في العواقب والسلام بعدد ما سجل التاريخ لاجدادكم من المآثر وعد لهم من الايام الغر المحجلة فقد قيل :

الناس كالناس والايام واحدة والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

مدينة كربلاء

١ً معناها اللغوي

كربلاء بالمد تطلق اسم علم لبلدة من ديار عراق العرب واقعة في البر بعيدة عن الفرات ، وكانت فيما سلف اسم قطعة من ارض فيها قرية بجانبها المزارع وفي اشتقاق لفظة كربلاء آراء عديدة منها : اولاً انها مأخوذة من كربل وهو نبات له نور احمر مشرق يقال انه الحماض · ثانياً انها مشتقة من الكربلة بهاء وهي الرخاوة في القدمين · وقيل ثالثاً انها من الكربلة بمعنى المشي في الطين يقال جاء مكربلاً كأنه يمشي في الطين · وقيل رابعاً انها من الكربلة بمعنى الخوض في الماء والخلط ، وقيل خامساً انها مأخوذة من الكربلة بمعنى تهذيب الحنطة وتنقيتها من القسطل كالغربلة ومنه ما جاء في هذا البيت :

يحملني حمراء رسوباً للثقل قد غربلت وكربلت من القصل

سادساً قال قوم : انها حديثة الوضع مشتقة من الكرب والبلاء تخففت ونحتت وصارت كربلاء · سابعاً قيل انها كلمة كلدانية معناها حرم الله وهذا القول اقرب الى الصحة من غيره لانه كان في تلك الديار معبود وله حرم فسمي باسم الهيكل · ثامناً ذكر صاحب دبستان المذاهب ان المجوس يزعمون ان لفظة كربلاء مشتقة من كلمتين فارسيتين معناهما العمل العلوي · واللفظتان هما « كار بالا » فعربتها العرب بكربلاء وهذا رأي ضعيف وضعفه ظاهر · وهم يزعمون انها كانت بيوت نيران ومعابد لهم في الزمن السالف ، والعصر الغابر ·

٢ً كربلاء القديمة

ذكر لي ثقات ان كربلاء الحالية التي فيها قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما هي غير كربلاء القديمة التي كانت المزارع في ربضها حين ورود الحسين اليها بل ان كربلاء القديمة واقعة في الجنوب الشرقي من البلدة الحالية ويطلق عليها اليوم اسم كربلة (١) بهاء . وذكر آخرون انها واقعة في الشمال الغربي من كربلاء الحالية مما يلي ارض القرطة وهي اليوم مكان مرتفع يسمى باصطلاح الناس « العرقوب » ويبعد موقعها عن قبر الحر بن يزيد سبعة آلاف متر ، وارضها من املاك آل بحر العلوم وهي أسرة شريفة في كربلاء . ويستدلون بما ذكره المؤرخون في دواوين اخبارهم من ان الحسين رضي الله عنه حين اقامته بارض الطف ابتاع الارض التي تلي قبره من اهل نينوى (٢) والغاضرية (٣) بستين الف درهم وتصدق بها عليهم وشرط

(١) كربلة هذه ارض واسعة حول مدينة كربلاء تسقى من نهر مبتعد من الحسينية معروف باسمها ، وكانت قبلاً خراباً ينعق فيها البوم والغراب ابتاعها النواب ناصر علي خان اللاهوري من الحكومة العثمانية وبنى فيها ابنية شامخة وبذل في سبيل اعمارها اموالاً جزيلة فعمرت واخصبت واستفاد منها اضعاف ما بذله الا انها لما انتقلت الى احفاده من بعده عاد اليها الخراب فذهبت محاسنها وخربت تلك الابنية الشاهقة والقصور الشامخة ، ولم يبق منها الا شيء لا يكاد يستحق التنويه به .

(٢) نينوى بكسر اوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو بوزن طيطوى : هي احدى القرى التي كانت بالطف من سواد الكوفة وهي غير نينوى الموصل ، وكانت قبلا عامرة زاهرة بالعلوم والآداب كسائر القرى الاسلامية وعاصر عمرانها زمن الصادق جعفر بن محمد ثم اخذت بالانحطاط رويداً رويداً حتى طمست معالمها واندرست آثارها ودخلت في خبر كان في اوائل القرن الثالث الهجري . وموقعها اليوم بحسب التحقيق شرقي بلدة كربلاء قريبة من الفرات محاذية لكوود طويريج — طويريق (قضاء الهندية) وهي الآن رواب وتلال فيها آثار جمة لو عنيت الحكومة بالبحث عن آثارها لانكشف الغطاء وازيل الستار عن تاريخها الغامض بما تصل اليه يد التنقيب والاجتهاد ، ولم يزل الاهلون يطلقون على تلك الروابي المرتفعة لفظة نينوى وهي من جملة الآثار في لواء كربلاء

(٣) بالغين المعجمة وبعدها الف يليها ضاد معجمة مكسورة في آخرها ياء

ان يرشدوا الى قبره من يزوره ثلاثة ايام ولم يذكروا انه اشترى ارضاً تسمى كربلاء، وهو دليل واضح يشير الى ان كربلاء كانت من ارض الطف بعيدة عن قبر الحسين،

ولهم دليل آخر اوضح بياناً من المتقدم وهو : انه لم يسم في وقت من الاوقات سابقاً محل القبر الشريف وما اتخذ حوله من الدور والابنية باسم كربلاء ، وتأييد ذلك يؤخذ من كلام علي رضي الله عنه : «كأن باوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين نواويس (١) وكربلا» فنفى بكلامه هذا ان يكون محل قبره الشريف كربلاء

منسوبة الى غاضرة من بني اسد وهي قرية من نواحي الكوفة واقعة على مقربة من قبر عون بن عبدالله بن جعفر الطيار في شماليه ، وهناك آثار قلعة حصينة تعرف بقلعة بني اسد ، والبناء القائم منها الى اليوم مقدار ذراع ونصف وعرض سورها ثلاثة اذرع بالحديد البغدادي وكبر الآجرة ذراع بغدادي في مثله فهي اذاً مربعة الشكل . وكانت الغاضرية سابقاً قرية طار صيتها في الآفاق على عهد الدولة الاموية وادرك عمرانها اوائل الدولة العباسية وكان الزمان يحاربها ويقارعها فتارة تغلبه واخرى يغلبها ، ولم تزل بين صعود وهبوط ورقي وانحطاط حتى فاظت النفس الاخير في اواسط الدولة العباسية ، ولم يبق منها الا اطلال دارسة وآثار بالية ، وانقاض تنطق بما كان لها في الازمنة الغابرة ، من الشأن الخطير ، والعمران المنقطع النظير .

(١) النواويس هي الآن مقابر مفردها ناووس على وزن فاعول واللفظة دخيلة في العربية ، وهذه القطعة واقعة في شرقي كربلاء مما يلي بحيرة السليمانية في محل يقال له (براز علي) وزان ذهاب ، وتتصل بنهر الحسينية ، ويوجد في هذه القطعة الآثار المؤيدة لصحة موقعها ووجودها كالتلال والروابي المرتفعات ويستخرج منها احياناً توابيت الخزف ، وفي داخلها طريق ضيق للغاية ، ويوجد في قعره تراب اصفر اللون يرميه العرب في النار فتفوح منه رائحة كريهة يشمها الانسان من مكان بعيد ، وهذا مما يقوي استدلالنا على وجود هذه البلدة اوالقرية في عهد علي رضي الله عنه ولعل الرائحة التي تشم من ذلك التراب حين رميه بالنار تنبئنا بانها اجساد بالية قديمة ، وذكر احدهم ان النواويس التي وردت في عرض كلام علي واقعة مما يلي قبر الحر بن يزيد الرياحي ، وعرف بعضهم موضع كربلاء بانه مجاور لقبر ابن حمزة على النهر المشهور بنهر الحلة قريب من الوادي العتيق وفي هذا القول نظر اذ ليس

بل انها عَلَى ما يظهر خارجة عنها · وانما اطلقت لفظة كربلاء عَلَى هذه القطعة الحالية لمجاورتها للقطعة التي كانت تسمت بهذا الاسم وهي كربلة ·

٣ ً ما يجاور كربلاء من المواطن المختلفة

وحول كربلاء مواطن مختلفة منها : الطف بالفتح والفاء مشددة ·· وهو في اللغة ما اشرف من ارض العرب عَلَى ريف العراق قال الحموي فيما رواه عن الاصمعي وانما سمي طفاً لانه دنا من الريف من قولهم خذ ما طفالك واستطف اي ما دنا وامكن ·· وقال ابو سعيد سمي الطف لانه مشرف عَلَى العراق من اطف عَلَى الشيء بمعنى اطل وقيل انما سمي بالطف لانه طرف البرية مما يلي الفرات وكان يجري بجنبها ، وطف الفرات ما ارتفع منه ، وقيل هو الشاطئ منه ، وكان في الطف عدة عيون جارية وقرى ومزارع كثيرة ·

وفي حدوده مواطن منها (باخمرا) بالراء عَلَى سبعة عشر فرسخاً من الكوفة وهي التي قتل فيها ابراهيم بن عبدالله اخو صاحب النفس الزكية بامر المنصور العباسي ، ومنها السماوة (١) قريبة من ذي قار (٢) ونضرب صفحاً عن سائر ما في حدودها

لدى قائله ادلة تاريخية ، واسانيد نقلية تؤيد صحة دعواه بل ان ذلك من باب الحدس والتخمين لا من باب الاستدلال واليقين

(١) بفتح اوله و بعد الالف واو · وانما سميت السماوة لانها ارض مستوية لا حجر بها ، وهي غير السماوة الحالية التي هي اليوم احدى اقضية لواء الديوانية من اعمال بغداد

(٢) وهو موضع قرب السماوة القديمة والحيرة وقعت فيه حرب بين العرب وكان قائدهم هاني بن مسعود والفرس وكان قائدهم اياس بن قبيصة الذي كان استعمله كسرى بعد قتله النعمان وسبب ذلك ان النعمان قبل قتله كان اودع ذخائره واسلحته وامواله عند هانيء فاراد ان يأخذ ما خلفه النعمان وطالب هانئاً بها فأبى تسليمها وغضب كسرى لذلك و بعث عامله اياساً في جند العرب بالعدة الثقيلة ، والفرس بالفيلة ، فالتقى بهانيء الذي كان اخذ عدته واستعد للامر عند ذي قار ، فاقتتل الجيشان وثبت العرب ثباتاً جميلاً وفر الفرس من ميادين القتال وانكسروا شر كسرة وكان ذلك للسنة الثالثة للبعثة ، ومنذ ذلك اليوم عرفت بحرب ذي قار ، وقد انتصف العرب من الفرس ونقمت القبائل عَلَى اياس ·

ونقتصر على ما تلي حدودها وهي الفرات في شرقيها وشماليها وعين التمر التي من قراها شفاثا (١) والقطقطانة (٢) وعين الصيد (٣) والرهيمة (٤) في جنوبيها

وكانت ارض الطف من ديار الفرس ومسالحهم بالقطقطانة ، و ينصب من قبلهم الحكام عليها ثم تملكها الاسكندر المقدوني بعد محاربته ملك الفرس دارا بن بهمن وتقسيمه ديارهم بين ملوك الطوائف فانتهز العرب الفرصة لما في انفسهم من ريف العراق وكثرة خصبه واستبشروا بما وقع بين الملوك من الاختلاف رطمعوا بغلبة الاعاجم على ما يلي بلادهم منه او مشاركتهم فيه ، فاجتمع رؤساء العرب وقرروا المسير اليها وانتزاعها من ايدي اكاسرة الفرس ، وكان اول من سار اليها على ما ذكر الطبري الحيقار بن الحيق في جماعة من قومه واخلاط من الناس ثم سار مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم اللات ، ومالك بن زهير بن فهم بن تيم اللات وغطفان بن عمرو وزهير ابن الحارث، وصبيح بن صبيح فيمن نحى عنهم من عشائرهم وحلفائهم، ونزلوا الانبار الى محل الحيرة في طف الفرات وغربيه وما والاها من المظال والاخبية ، لا يسكنون بيوت المدر ، ولا يجامعون اهلها فيها ، واتصلت جماعتهم فيما بينها ، وكانوا يسمون عرب الضاحية . فكان اول من ملك منهم عليهم مالك بن فهم الى ان ظهر اردشير بن بابك وتغلب على سائر ملوك الطوائف وقهرهم ودان له الناس وضبط الملك واسترجع الطف من العرب واقر جذيمة الابرش على ما هو عليه من تملكه الحيرة وكان ملك جذيمة الابرش على الحيرة و بشاطئ الفرات وما والاها بعد ابيه مالك بن فهم وفي آخر عهد الدولة الساسانية كان ينصب على ارض الطف عامل من قبل كسرى مستقل بامره لا يتأمر عليه ملك الحيرة ، وكان العامل عليها في عهد كسرى يزدجرد

(١) وتعرف عند الاتراك باسم (شفاثية) ناحية من نواحي كربلاء واقعة في الجهة الغربية منها على مسافة ٩ ساعات وهي كثيرة القرى والدساكر

(٢) بالضم ثم السكون ثم قاف اخرى مضمومة وطاء اخرى و بعد الالف نون وهاء . . موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف ، كان سجن النعمان بن المنذر . . اه ملخصاً عن ياقوت .

(٣) هي احدى العيون التي كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه و بين العرب بعد وقعة ذي قار .

(٤) تصغير رهمة وهي ضيعة قرب الكوفة

قيس بن مسعود بن خالد · وهو الذي امره كسرى ان يعين اياس بن قبيصة الطائي عَلَى هانئ بن مسعود الشيباني وكان اياس ملكاً في الحيرة مكان النعمان بن المنذر ملكه كسرى بعد قتله النعمان · وكان سبب وقوع هذه الحرب وقعة ذي قار وذلك ان كسرى طلب تركة النعمان بن المنذر من هانئ فأبى تسليمها فوقعت تلك الحرب الطاحنة كما تقدم ·

وكانت قرى الطف قبل الفتح الاسلامي ضياعاً لكبار العجم ، ولما ورد سعد بن ابي وقاص العراق كتب من لهم الضياع الى كسرى وحرضوه عَلَى ارسال الجيوش لصد غارات المسلمين خوفاً من ان يستولوا عليها فبعثوا حضور رستم القائد الفارسي الكبير لحرب الاسلام فوقعت بايدي المسلمين بعد حرب القادسية والمدائن وتشتت شمل الفرس فيهما ، ولما تم الامر للمسلمين اقطعوها واليها يشير الاقيشر الاسدي في قصيدته المشهورة :

اني يذكرني هنداً وجارتها بالطف صوت حمامات عَلَى نيق
نبات ماء معاً بيض جآجئها حمر مناقرها صفر الحماليق
ابدي السقاة بهن الدهر معملة كأنما لونها رجع المخاريق
افني تلادي وماجمعت من نشب قرع القواقيز افواه الاباريق

٤ ما يرادف اسم كربلاء

تعرف كربلاء او المحل الذي فيه قبر الحسين باسماء مختلفة منها الحائر واختلف علماء اللغة في وجه تسميته ، قال ياقوت مع اللغويين : الحائر حوض يصب اليه مسيل الماء من الامطار سمي بذلك لان الماء يتحير فيها و يرجع من اقصاه الى ادناه ، وقيل انها سميت بالحائر بعد ان اطلق المتوكل العباسي الماء عَلَى القبر الشريف فحار حول القبر ، وارتفع القبر في الهواء باذن الله ، او لامر آخر حاصله عدم وصول الماء الى القبر ، وقيل هو المكان المطمئن فيجتمع فيه الماء فيتحير فيه ولا يخرج منه ونشاهد اليوم مصداق هذا القول من انخفاض محل القبر الشريف وماحوله من الحرم والاورقة والصحن والغرف المحيطة بالصحن والمتشرف بالزيارة اذا اراد الدخول من اي جهة شاء يتحدر الى ارض الصحن الشريف وهو الآن قد ارتفع كثيراً بالنسبة الى ما كان عليه من الانخفاض عند بناء السراديب وفرش ارض الصحن بالرخام ·

٥ موقع كربلاء الحالي

قد رأيت فيما تقدم من كلامنا ما هو موقع كربلا في الزمن الحالي ونأتي بذكر حدودها في الزمن الحالي فنقول: كربلاء واقعة على ضفة نهر الحسينية قريبة من الدرجة ٣٢ عرضاً ونحو الدرجة ٤٢ طولاً من باريس ، وهي في الجنوب الغربي من بغداد وعلى بعد ٨٠ كيلومتراً منها ، ويحدها من الشمال الشرقي مدينة بغداد ، ومن الشرق الجنوبي مدينة الحلة او خرائب بابل القديمة ،ومن الجنوب والغرب برالشام. وهي تعد من امهات مدن العراق لكثرة نفوسها واتساع تجارتها ، وخطورة مركزها، والذي اذاع شهرتها الحالية فطبق الخافقين وجود قبر ريحانة الرسول واخيه اذ يأتي لزيارة هذه الاماكن المشرفة كثير من المسلمين من كل حدب وصوب ، فيزورونها كل عام ، كما يزورون البيت الحرام ، وهي الآن تعد مركز لواء يقسم الى عدة اقضية ونواح وقرى .

٦ مساحتها ونفوسها وتقسيماتها

تقدر مساحة لواء كربلاء ب ٢٣٠٠٠ كيلو متر مربع ، وارضها خالية من الجبال والآكام ، قليلة الغابات ، كثيرة العيون والينابيع ، وهي بلدة متموجة بالسكان يبلغ عدد سكانها ٧٥٠٠٠ الف نسمة منها ٢٠ الفاً من العثمانيين و٤٠ الفاً من الايرانيين وبعض الاجانب المختلفي العناصر ، و ١٥ الفاً من الزوار والغرباء الوافدين من ديار قاصية ، وربوع نائية ، كديار العجم والهند والافغان وكورقاف (قفقاسية) وفيها عدد قليل من اليهود وليس فيها نصارى ، وهذا كبير بالنسبة الى مدينة من مدن العراق ككربلاء ، ولكن هذا ربما زاد الى ضعفيه ايام الزيارات في شهر ذي الحجة والمحرم فانك ترى ازقتها ضيقة على اتساعها ، وفنادقها الكثيرة مملوءة باخلاط الناس .

وينقسم لواء كربلاء اداريا الى ثلاثة اقضية وهي مركز قضاء كربلاء والهندية والنجف، والى سبع نواح : وهي ثلاث منها في مركز القضاء واسماؤها :المسيب والرحالية وشفاثا . وواحدة في الهندية وهي الكفل . واربع في النجف وهي : الكوفة . والرحبة والناجية . وهور الدخن .

٧ زراعتها وتجارتها وارداتها

ارض كربلاء خصبة للغاية . وتمتاز عن كثير من اراضي العراق بكثرة ينابيعها. وزراعتها متقدمة بعض التقدم الا انها و ياللاسف لم تزل على النمط القديم . وبدون

اصول علمية . وتقدر الارض المزروعة في كربلاء بـ ٣٣٦٥٦٩ فداناً . وحاصلاتها عبارة عن القمح والشعير والعدس والذرة والارز وفي كربلاء بساتين كثيرة فيها النخيل . واهلها يعنون عناية عظيمة بزراعته وهم خبيرون بما يعود عليه بالجودة ونمو الثمر . والتمر عندهم من المعايش الثانوية بعد القمح . وليس فيه شيء الا وله منفعة واستعمال عندهم . وقد بلغ من عنايتهم بالنخل ان طول جذع النخلة في بعض بساتينهم ربما تجاوز ٦٨ قدماً وطول سعفها اثنتي عشرة قدماً . وجاء في الاحصائيات الاخيرة الرسمية ان غلة التمر في لواء كربلاء تقدر سنوياً بثلاثين الف طن . وهي كمية وافرة تدل على ما وصلت اليه كربلاء من الرقي والتقدم المادي في عالم الزراعة .

وحيواناتها الاهلية كثيرة . ويولد في كربلاء كل سنة من البقر ٤٢٠٠٠ ومن الجاموس ٢٠٠٠٠ ومن الخيل ١٥٠٠٠ ومن الحمير ١٨٠٠٠ ومن البغال ١٦٠٠٠ ومن الجمال ٢٠٠٠٠ ومن الاغنام وسائر الماشية ٥٠٠٠٠٠ والمحصولات على كثرتها لا تكاد تسد عوز السكان لكثرة المختلفين اليها

واما تجارتها فخطيرة جداً وواسعة ممتدة الى سائر الجهات العراقية . ولها علاقة تجارية بايران . ومما يزيد امتداد تجارتها واتساعها وجود تجار كثار من الايرانيين والهنديين . ومن اهالي ما وراء النهر الذي اتخذوا كربلاء موطناً لهم يجلبون اليها بضائع واموالاً من بلادهم ويأخذون بدلها من حاصلات كربلاء ويرسلونها الى ديارهم ومن اجل ذلك ترى اسواق كربلاء مشحونة ببدائع الصنائع ونفائس المنسوجات واغلبها فارسية . ويباع في اسواقها من السجاد الثمين البديع الصنع ما لا يباع نصفه في بغداد . وترى في حوانيتها الزعفران الفاخر الخالص من كل شائبة وغش مما لا تجد مثله في اغلب المدن العراقية

وتختلف واردات كربلاء مع توابعها بين ٤٥ الف و ٧٠ الف ليرة عثمانية . ونفقاتها لا تتجاوز ٧ آلاف ليرة . ولو عنيت الحكومة بارسال موظفين عارفين لغة اهل البلاد غيورين على مصالح الدولة . واسرعت فانجزت اعمال سدة الهندية وشقت الجداول وحفرت الانهار القديمة المندرسة . وعاملت الفلاح بالرفق واللين وصانت حاصلاته من كل اذى لازداد دخل الخزينة وتضاعفت وارداتها ولما احتاجت في السنوات الاخيرة الى ان تمد يد العوز الى الغرب

٨ً هواؤها وانهارها

يختلف هواء كربلاء باختلاف فصول السنة . ولا يختلف كثيراً عن سائر مدن العراق والحر والبرد شديدان في كربلاء ولكنهما في بعض الاحايين يابسان . واحياناً تشتد وطأة الشتاء . وربما نزلت الحرارة الى ٨ درجات في المدينة و ١٦ في البرية . ويشتد الحر في كل سنة حتى يبلغ ٤٨ درجة في الظل . وكان قبل نصف قرن يبلغ ٥٠ درجة الا انه كان يحتمل بعض الاحتمال اذا كان يابساً والهواء غربياً او شمالياً . اما اذا كان شرقياً فتضيق الانفس وتحرج الصدور . ويشتهي السكان سكنى القبور . ويقتل الحر كل سنة عدة اناس بامراض مختلفة تتولد من حمارة القيظ . ومما تقدم تعلم ان هواء كربلاء رديء جداً في فصلي الشتاء والصيف . اما في فصلي الربيع والخريف فمعتدل للغاية

ليس في كربلاء نهر يعتمد عليه غير الحسينية (بالتصغير) . وهذا قد حفره السلطان العثماني سليمان خان القانوني سنة ٩٤١ هـ ١٥٣٤ م لما افتتح بغداد وكان اهل كربلاء يشربون مياه الآبار قبل حفر الحسينية لبعدها عن الفرات . وامتداد الحسينية سبع ساعات او ٣٥ كيلومتراً وصدره من نهر الفرات على بعد ٣ كيلومترات من جنوبي ناحية المسيب . ويصب ماؤه في بطيحة (ابو دبس) على بعد اربع ساعات من جنوب غربي كربلاء وتنضب مياه الحسينية في القيظ . فتحرج الصدور وتضيق الانفس . ويغلو ثمن الماء ويضطر الاغنياء الى جلب الماء من اماكن بعيدة واما الفقراء فيحفرون الآبار . ويشربون مياهها فتتولد الامراض . وتفشو بينهم فشواً ذريعاً . وتفتك بالنفوس . والاشهر التي ينضب في اثنائها ماء الحسينية هي : حزيران . تموز . آب . ايلول . وسبب ذلك ان الحكومة قد اهملت امر هذا النهر وتهاونت في كري مجراه بادي بدء حتى استفحل الخطر ويخشى من انقطاع المياه طول فصول السنة

٩ً وصف كربلاء وعمرانها

كربلاء مدينة واسعة الارجاء حافلة الاسواق . كثيرة المساجد . منظرها يبهج يسر الناظرين . وموقعها يستوقف الابصار . لها سور خرب كان أقيم لحفظها من غارات الاعراب بعد وقعة الوهابية ثم هدمه والي بغداد نجيب باشا سنة ١٢٥٨ هـ و ١٨٤٢ م بان سلط المدافع عليه من الجهة الشرقية على اثر ما وقع في كربلاء من

الفتن في ذلك العهد . واذا اتيتها وانت قادم من النجف او المسيب يذهب، يبصرك نور مآذنها وقباب جوامعها المغشاة بصفائح من الذهب الابريز . وتدهشك ساعاتها المبنية عَلَى بروج شاهقة ترى من مكان بعيد .

وكربلاء تقسم الى قسمين عتيقة وجديدة . فالعتيقة ضيقة الازقة يكثر فيها التعاريج لا يتجاوز عرضها مترين . وبناؤها عَلَى الطرز القديم . وشوارعها مملوءة اوساخا واقذاراً ودورها عَلَى غير نظام . الا ان ما يباع في اسواقها بديع الصنع ونفيس الطرز . واكثر سكانها ايرانيون وبينهم عدد قليل من مختلفي العناصر . واما القسم الجديد . فاسواقه عريضة وشوارعه فسيحة عَلَى خط مستقيم تجري فيها الرياح جرياً مطلقاً لا حائل يحول دونها . وليس فيها تعاريج . ويخترق هذا القسم عرضاً خمس جادات وطولاً اربع متصلة بعضها ببعض ويختلف عرض ازقتها بين ١٦ و١٨ متراً وطولها بين ٢٠٠ و٢٥٠ متراً عَلَى شكل هندسي جميل . وهناك ساحة تعرف بساحة الميدان تنار بروح الزيت الحجري ويوجد في وسطها بناء أقيم تذكاراً للحرية . وفي هذا القسم دوائر البلدية والبرق والبريد . وبيوت الكبار والاشراف وعمال الحكومة . وسائر الطرق تنار بالقناديل والمصابيح ذات الزيت الحجري .

وفي كربلاء مستشفى فخم ذو بناء شامخ يناطح السحاب محفوف بالاوراد والازهار من جميع جهاته ومنظره بهيج يأخذ بمجامع القلوب صرف عَلَى بنائه ٥٠٠٠ ليرة ولم يكمل بعد . وفيها دار حكومة حسنة مشيدة الاركان . وثكنة قوية للجند ودائرة بلدية . وقنصلية انكليزية وروسية وايرانية ووكلاؤها مسلمون . ومدارس دينية كثيرة ومدرستان ابتدائيتان احداهما للهنود والاخرى للايرانيين فيهما ما يناهز ١٥٠ طالباً ويصرف عليهما من جيوب اهل الفضل . ومدرسة ابتدائية واخرى من النوع الرشدي . يصرف عليهما من واردات الحكومة . وفيها كتاتيب عددها زهاء ٥٠ تتردد اليها ما يناهز الف صغير يتعلمون فيها مبادي القراءة والخط . وفيها جامعان كبيران فخمان احدهما يسمى جامع الحسين . والآخر جامع العباس . وهما اهم ما في كربلاء من الآثار وسيأتي ذكرهما مع تاريخ بنائهما ووصفهما في فصول خاصة ننشرها في اجزاء مقبلة :

بغداد ابراهيم حلمي

رحلة الى المدينة المنورة

« تتمة ما في الجزء السابع »

في مدينة الرسول

ما ذا يرجى لراكب القطار الحديدي ان يراه ليصفه والقطار يسرع في سيره مواصلاً الليل بالنهار وكل بقعة من البقاع بين دمشق عاصمة الاسلام الثانية ويثرب عاصمة الاسلام الاولى تحتاج الى عدة علماء يتوفرون على دراسة ما فيها من الآثار العادية والتاريخية والطبقات الارضية والاحداث الجوية والمواليد الثلاثة الطبيعية او المملكة النباتية والحيوانية والجمادية ولكن عابر سبيل يمر كالسهم منطلقاً لا يطالب بمثل ما يطالب به الباحث محققاً مدققاً فمعذرة الى من يتوقعون ان يروا في رحلتنا هذه فائدة تخرج عن حد ما وقع عليه النظر في ايام معدودة

ركبنا من محطة القطرانة في الكيلومتر ٣٢٦ الى المدينة فوقف بنا القطار ساعات في المحطات الكبرى وهي معان في الكيلومتر ٤٨٩ وتبوك في الكيلو متر ٦٩٢ ومدائن صالح في الكيلومتر ٩٥٥ ثم المدينة في الكيلومتر ١٣٠٣ وكانت المناظر تختلف علينا اختلاف الاهوية وكلما تقدمنا نحو الحجاز نشعر بالحرارة . وكان الوقت شهر آذار والطريق التي سلكها الخط الحجازي غريبة تدل على حذق في الهندسة وتفنن وهي لا تبعد كثيراً عن الطريق التي كان يسلكها الراكب الشامي مدة ثلاثة عشر قرناً فيما نعلم اللهم الا ما اقتضته الهندسة من التعاريج كما شاهدنا ذلك في المحل المسمى ببطن الغول وغيره

والجبال غريبة التكوين في الطريق من بعد تبوك فبعضها هرمي الشكل والآخر اسطواني وبعض متساوي الاضلاع وآخر زاوية منفرجة او حادة او قائمة جعلت في بسائط منظمة منفرجة تسير ساعات بل اياماً بسير الجمال ولا ترى الا رمالاً وصخوراً وليس من الغابات الا الهشيم (الهيش) في بعض الاصقاع او السلم والسمر وهما اكثر شجر الحجاز . والجبال مصهورة حمراء او كما قال البكري (معجم ما استعجم) في وصف الجبال بين مكة والمدينة انها كلها تضرب الى الحمرة تنبت الغرب والغضور والثمام

وان المرء لتحدثه نفسه وهو يطوي البيد طي السجل للكتاب من دمشق الى المدينة

كيف كان الحجاج قبل السكة الحديدية يقطعون هذه الاودية والتلول والجبال والحرات والبرقات في ثلاثين يوماً عَلَى الجمال والبغال والخيل ومن يتعب وهو راكب في القطار الحديدي ثلاثة ايام كان حرياً بان يهلك وهو عَلَى ظهور المطايا او في الحفات والهوادج والمحارات ثلاثين يوماً يضاف اليها عشرة اخرى من المدينة الى مكة ولكن هي العادة تسهل الاشياء والتعب ينال الراكب في الايام الاولى ثم يدمن و يمرن

اعلى نقطة في هذا الطريق اليوم العقبة تعلو ١١٥٣ متراً عن سطح البحر والمطالع تعلو ١١٤٢ متراً وفي بعض هذه الرمال يمكن اتباط المياه وفي بعضها مياه يستقي منها العرب الرحالة هناك وابناء السبيل فان عشيرة الفقراء ومنازلها من تبوك الى مدائن صالح لا تقل عن ثمانمائة بيت وقبيلة بني عطية تنزل من المدور الى المعظم وهي تزيد عن الفي بيت فلو صرفت عناية الحكومة الى اسكان هاتين العشيرتين واعطائها الاراضي مجاناً والصالح منها للزراعة كثير لما اتت بضع سنين الا ودخلت هذه الموامي والمفازات في دور عمران تغني ساكنيها عن شن الغارات او مد الاكف لابناء السبيل في استوكاف الصدقات .

ومن آسف ما رأيناه في الخط الحديدي ولا سيما بعد بلاد الشام ان الاولاد والبنات والرجال والنساء يأتون يلتقطون ما تجود به اكف الراكبين من الخبز والادام يلتهمونه التهاماً وقد كاد يقتلعم الجوع كما صهرت شمس الحجاز ابدانهم وانك اذا اعطيتهم نقوداً لا ترضيهم بمثل ما يرضون بكسرات من الخبز القفار . فكأن القفار لا ينفع فيها الا الخبز القفار . وعندنا ان اعظم صدقة يتصدق بها قاصدو البقاع الطاهرة في السكة الحجازية ان يحملوا معهم ما تسمح به نفوسهم من الخبز والادام يوزعونه في المحطات عَلَى هؤلاء المحاويج المدقعين وذلك ريثما تصح عزيمة ولاة الامر عَلَى تهيئة اسباب المعاش لهم

ليس من الرأي السديد ان يعلم شعب او اكثره عَلَى الشحاذة بل ان يعود العمل والاعتماد عَلَى النفس ولكن ارضاً لم تشفق عليها سماؤها حرية بان يكون لابنائها عناية من حكومتها فان معظم ما نسمع به من الغزوات والغارات منبعث عن جوع مذيب والجوع كافر . فيساق الغازون الى الموت او ينالون ما يتبلغون به لسد رمقهم . وكل من قطع الطريق من مكة فالمدينة فدمشق يحدثك من فقر عرب تلك الانحاء

ما هو العجب العجاب ومن الغريب ان الحكومة العثمانية لم تفكر حتى اليوم في احداث موارد للرزق يعيش منها عرب الحرمين وغيرهم ممن ارمضت نفوسهم القلة ٠

واذ كان بعض قبائل الحرمين يعيشون من اجور الجمال باكرائها في موسم الحج للحجاج بين جدة ومكة و بين هذه والمدينة تعذر تمديد الخط الحديدي من المدينة الى مكة الآن او تفتح الحكومة موارد جديدة يعيش منها عشرات الالوف من اهل البادية تعيضهم عن العيش من كري جمالهم في الجملة وما يتصوره بعض عمال الدولة ممن قضوا سنين في نجد والحجاز من ان العرب لا يتحضرون الا اذا اهلكت جمالهم برمتها فيضطرون الى السكنى و يكفون عن الغزو فهو كلام لم يراع به قائله حالة العمران والمكان و كيف يتخلى الاعراب عن تربية الانعام وهي تدر عليهم رزقاً يسدون به بعض حاجتهم يستثمرون البانها وصوفها وشحمها وجلدها وعظامها و يبيعون حوارها وما يكبر من نياقها وجمالها ٠ ومصر وحدها تبتاع من جمال الجزيرة العربية كل سنة ما لا يقل عن مئة الف ليرة

في الحجاز منافع كثيرة غفلت عنها الحكومة فلم تعرف حتى الآن غير ارهاف الحد وعندي انها لو استعاضت مثلاً عن بناء اثنتي عشرة ثكنة من العلا الى المدينة التي صرفت عليها ١٨٤ الف ليرة ببعض حقول تنشئها لاعراب تلك الانحاء وطرق للكسب توجدها لهم ومدارس ساذجة تعلم فيها بنيهم و بناتهم موجزات تنفعهم في دينهم ودنياهم لاحسنت صنعاً

ولا يستهان بعدد السكان هنا فان جهينة و بلي والحويطات لا تقل عن سبعين الف رجل واكبر قبائل المدينة حرب وهي خمسون الفاً في الوجه و ينبع والعلا والعقبة من اعمال المدينة مائتا الف محارب كما قدر بعض العارفين وفي قضاء السوارقية عرب مطير وهتيم ٠ وهتيم يقدر مطير في العدد والمدد ٠ وحدود المدينة تمتد الى الفرع من جهة مكة وسكانها بادية كلهم وفيها قرى واسعة وقرى جوار المدينة اثنتا عشرة قرية ٠ والفرع لا تحكمها مكة ولا المدينة ، وقوتهم كلهم الارز الهندي والدقيق والتمر واللبن والاقط ، واقل العرب واشرهم في اطراف هتيم ، مطير ٠ ومع كل ما في هذا القطر من الفقر تصدر منه بعض الحاصلات كالجلد والصمغ والتمر والاغنام والجمال والخيل ، الصوف ، السمن ولو مد الخط الحجازي الى مكة فالبحر الاحمر ومن مكة الى صنعاء اليمن لتضاعفت صادرات الحجاز واليمن والشام ووارداتها وامكن الناس

ولا سيما الحجاج الخلاص من عاديات البدو بين الحرمين و زاد عدد الحاجين كل سنة ثلاثة او اربعة اضعاف عددهم الآن .

تقول عرب الحرمين وهم كالسائمة اشرار منذ القديم عَلَى ما انبأنا التاريخ ظلوا عَلَى جاهليتهم الاولى لم يلطف الاسلام من شرتهم الا قليلاً فهم يحاولون بكل ممكن ان يحولوا دون تمديد الخط او تجعل لهم مرتبات سنوية يتقاضونها و يأمنون تقاضيها عَلَى الدهر وهي لا تقل مسانهة عن ربع مليون جنيه والعقل يعذرهم فيما يأتون لان من يدافع عن رزقه يعذر والحكومة وهي الوصية الطبيعية عَلَى الضعفاء حتى يقووا مضطرة بحكم الشرائع ان تنظر في حياة ابنائها لا ان تهلكهم جوعاً وعرياً وتعفي فقيرهم وغنيهم كما هي الآن من الجندية ودفع شيء من الضرائب ولو كانت تأخذ من الموسرين لتفضل عَلَى المعسرين لحمدت خطتها اكثر .

يعيش كثير من سكان المدينة ومكة من الصدقات والاوقاف ورواتب الحكومة وربما غالى بعضهم في هذا الاتكال ولكن كيف السبيل وتجارة بلادهم ضعيفة لا تروج الا اياماً مخصوصة من السنة في موسم الحج وتكاد زراعتهم تنحصر في بعض البساتين القليل ريعها التي تروى من مياه الآبار بالدلاء ثم ان العلوم التي تبعث الهمم عَلَى الاعمال الاقتصادية مفقودة من بلادهم لندرة من يعرفها منهم و بلادهم لا يدخلها الا المسلمون وربما كان فيمن يزورونها طبقات راقية ولا سيما الهنود والمصريون ولكنهم لا يطيلون مقامهم الا بقدر ما يزورون او يجيء الراقون منهم ولا تمل لهم الا التجرد عن الدنيا لا يخالطون ولا يعاشرون

لا جرم ان السكة الحجازية قد نفعت سكان يثرب كما نفعت سكان دمشق لان الزوار كثر عددهم عَلَى طول السنة والتجارة دبت فيها روح جديدة في الجملة والاختلاط بالام نبه افكار سكان طيبة الاصليين الى قصورهم في ميدان العلم والتعلم . تقول السكان الاصليون وعددهم لا يكاد يبلغ ثمن السكان والباقون شاميون ومصريون ونجديون وعراقيون وتركيون وجاويون ويمانيون وزنجباريون وسودانيون وجزائريون وتونسيون ومراكشيون رسنغاليون وصينيون رهنديون قفقاسيون وطاغستانيون وجراكسة واكراد و كرجيون وايرانيون . افغانيون ، بخاريون و بلوجستانيون وغيرهم من شعوب الاسلام يأتون هذه البلدة الطيبة ينقطعون فيها للعبادة في مسجد خاتم النبيين صلى الله عليه وعَلَى آله وسلم .

للمسلمين معرضان دينيان مهمان احدهما وهو الاكبر في جبل عرفات كل سنة مرة والآخر في مسجدي مكة ويثرب طول السنة ولذلك تسمع فيهما معظم اللغات في آسيا وافريقية وترى فيهما كل السحنات من ابيض واحمر واصفر واسود ممن تفرع من الجنسين الآري والسامي ولذلك تجد المدينة المنورة اقرب الى ان تكون برج بابل لاختلاط اللغات والسحنات والعادات منها الى ان تكون عربية وهي بلد النبي العربي وفي صميم بلاد العرب ٠ والمدينة بطبيعتها تشبه احدى مدن الارياف في مصر لان نحو ربع سكانها مصريون صعايدة ونصف الربع مغاربة والباقون مجنسون عَلَى ما يخمن المخمنون لا عَلَى مايحصي العادون لان البلاد العثمانية كلها ليس فيها احصاء يعتمد عليه بل كثير من اصقاعها ليس له احصاء بالمرة كالحجاز مثلاً

كنت اؤمل ان ارى عناية الحكومة بالمدينة ، هي مهبط ارواح المسلمين في مشارق الارض ومغاربها اكثر من عنايتها الآن اذا صح اثبات شيء من العناية لها هنا ، ومن الاسف انها لا تقدر هذا الامتياز المعنوي العظيم الذي تتمتع به دولة الخلافة العظمى صاحبة الحرمين الشريفين ولو قدرته حقيقة لبذلت كل ما عز وهان في سبيل عمران البلدين الطيبين ، ولما استطاعت نظارة الاوقاف فيما بلغنا ان تلتهم اوقاف الحرمين عَلَى كثرتها وهي لا تقل عن ١٧ الف ليرة في الشهر لا يصرف منها عَلَى الحرم النبوي كل سنة اكثر من خمسة آلاف ليرة لان الائمة والخطباء والمؤذنين ليس لهم من الرواتب ما يكفيهم فقد تجد الواحد يتناول راتباً قدره ريالان ونصف في الشهر !

وليس معنى هذا ان تصرف كل هذه الاوقاف رواتب للائمة والخطباء والمطوفين والمزورين والناظرين والمؤذنين بل ان يصرف قسم منها عَلَى عشرات منهم تكفيهم ذل الطلب ، ويصرف الباقي في مرافق الحرمين الشريفين ثم عَلَى تزيين البلدين وفتح الشوارع والجادات فيهما وجلب المياه وتوزيعها في مناهل وغرس الحدائق وانشاء المتنزهات والساحات فمن اعظم ما شهدناه ان لا يكون في طيبة سوى شجيرات مع انه كان عَلَى الحكومة لو غرست كل سنة عشرين شجرة ان يصح لديها منها الوف تحسن الهواء ويكون منها مورد يصرف في مرافق المدينة وكل حكومة تريد العمران لا يصعب عليها تحقيقه مهما حاربها الجو وما طبيعة هواء المدينة باصعب من طبيعة عدن ومع هذا اصبحت عدن بحكومتها جنة عدن بعدان كانت جحيماً تود من نزولها كل سائح

منذ عرف التاريخ

تقول العمران , ما احرانا ان تقول الامن والامان اولاً لانه هو اول ما تطالب به الحكومة فقد شهدنا الحامية وافرة جداً في المدينة بالنسبة لسائر المدن العثمانية ومع هذا ترى اللصوص , قطاع الطريق يسلبون وربما يقتلون كل من يصادفونه خارج السور ليلاً واحياناً نهاراً . ولقد كنت نازلاً في الفندق الوحيد الكبير الذي بناه احد الوطنيين خارج السور بالحجر الاسود طبقات , كلف نحو عشرين الف ليرة وهو على قيد غلوة من سور البلد اقضي عند بعض الاحباب الى اول الهزيع الثاني من الليل ومع ان الحكومة الاتحادية كانت اصحبتني بدون طلب مني بشرطيين يراقبان اعمالي ارهاباً لي فان اصحابي كانوا يتكلفون ايصالي الى النزل كل ليلة خوفاً من اللصوص اما انا فكنت اعد الخطب سهلاً مع قطاع السابلة اكثر من الخطب باولئك اللصوص الطغام في صور حكام ومن يكتفي بالمال والمتاع , يعفو عن قطع الاعناق لا يسوءك بقدر من يسرق و يقتل . القتل انواع ومنه القتل المعنوي الذي ارتكبته عصابات الهول والارهاب و بلغت بها القحة في استعماله حتى في البلد الطاهر في حين من دخله كان آمناً .

ثم انني لاعجب لتراخي الحكومة هناك في تقرير الامن في نصابه فان اختلال اسباب الراحة قضت على صاحب كل عربة تقل الحجاج ان يدفع « خوة » او « باجاً » للصوص الاعراب الذين يستوفون خوة ايضاً من بساتين المدينة ما خلا بساتين كبار الاشراف . وهذه المسائل المحسوسة لا يجرأ احد من اهل المدينة ان يكتبها في الصحف او يرفعها الى المقامات العليا لان طواغيت الحكومة هناك , هم لا يعدمون انصاراً من الاهلين المنافقين يرهقون الكاتب و يختلقون عليه الزور للايقاع به اذا شمروا . ومن اغرب ما تحققت ان الحكومة قلما ترسل محافظاً للمدينة ممن ترضى سجاياهم في الجملة بل ان معظمهم على شاكلة بصري وعثمان : شدة في غير موضعها وعدم معرفة بالامور الادارية واشياء ليس هذا محل سردوها

تأملت كثيراً في مسجد الرسول اثناء الصلوات وغيرها فما رأيت الا خشوعاً من جميع من يختلفون الى الحضرة النبوية الشريفة ولا سيما من غير الناطقين بالعربية فقلت في نفسي — وقد سمعت خطبة الجمعة , وهي لا تخرج عن حد التزهيد في العمل والاعراض عن الدنيا كسائر خطب الجوامع في بلاد الاسلام خلافاً لما كانت عليه

سنة السلف الصالح ولكن «لبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً» كما قال علي كرم الله وجهه فوارحمتاه لغربة الاسلام—

لو ادار هذه القوة المنوية رجال دين سليم وعقل راجح لكانت فوائد هذا الاجتماع من حيث الدين والمدنية اضعاف اضعاف فوائده اليوم فكما ارسل عليه الصلاة والسلام شعاعاً من نور حكمته قلب به العالم وغير بشريعته الطاهرة نظام الامم هكذا يحمل دعاة دينه والمؤتمنون على تراثه وسياسة المهتدين بهديه ماتستنير به العقول في هذا المجمع الجامع ويعم ضياؤه سكان الخافقين وهذا من القوى المهمة التي اضعناها وكم ضاعت في بلادنا مواهب وقوى ·

لم اشهد في المدينة عناية بامور النظافة والاسلام جعلها من اول الفروض فان في المدينة عشرات من التكايا والزوايا منها نحو ٢٥ تكية للهنود فقط كلها تحتاج لاشراف رجال الصحة عليها وكذلك الحال في المستشفيات · اما المدارس والكتاتيب فهي تشبه بضعفها سائر فروع الاعمال واللغة العربية لا تكاد تجد لها من العناية في المدارس الاميرية نصف مالها في مدارس لبنان الاهلية ! فكأننا ابت الاقدار الا ان نكون حتى في بلادنا غرباء · ويكفي ان يقال من جملة التمثيل في هذا الباب ان الورق الرومي والروبيات الانكليزية معمول بها في المدينة اكثر من النقود العثمانية

واهم خزائن الكتب في المدينة خزانتان مكتبة السلطان محمود العثماني ومخطوطاتها ومطبوعاتها تافهة لا شأن لها واكثرها من المشهور ونظامها وسط · واحسنها وربما كانت خير مكتبة في البلاد العثمانية كلها بنظامها وانتقاء امهاتها هي مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت افندي ففيها نحو عشرة آلاف مجلد كتبت بخطوط المشهورين من الخطاطين كأن تجد الكتاب ذا العشرين جلداً مكتوباً بخط مشرق بديع في مجلد او مجلدين وفي هذه المكتبة من التسهيل من المطالعين والعناية براحتهم ما لا تكاد تجد مثله في دار الكتب الخديوية بمصر لعهدنا وماذلك الا لكثرة ريعها وانفاقه في سبله واختيار القيمين عليها وادرار المشاهرات الكافية عليهم

وبعد فان مسجد الرسول على كثرة عناية ملوك الاسلام بامره في كل دولة وحكومة ليس من السعة وجودة البنيان باكثر من جامع السلطان احمد او اياصوفية من جوامع الاستانة وان كان يشبههما في طرز بنائهما فهو اقل سعة من جامع الازهر بالقاهرة والجامع الاموي بدمشق كان هذا المسجد الشريف والمسلمون قليل عددهم لا يتجاوزون

عشرات الالوف ثم كبره بعض الملوك بحسب ما اقتضت الحال ، ولو نظرنا اليوم الى عدد المسلمين ، وهم لا يقلون عن ٢٥٠ مليونا ، وعددنا من يحج و يزور منهم كل سنة لاقتضى لنا ان نجعل سعة الحرم المدني اربعة اضعاف ماهو الآن عَلَى الاقل وتزينه بجميع اسباب المدنية الحديثة التي لا يحرمها الشرع ولا تنم عن اسراف .

قال ابن قتيبة في المعارف : روى ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن نافع ان عبدالله بن علي اخبره ان المسجد يعني مسجد المدينة كان عَلَى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً بلبن وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل فلم يزد فيه ابو بكر شيئا وزاد فيه عمر ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيره و بنى جداره بالحجارة المنقوشة و بالفضة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج ووسعه المهدي سنة ستين ومائة ، وزاد فيه المأمون زيادة كثيرة ووسعه والمؤذنون فيه من ولد سعد القرظ مولى عمار بن ياسر وقرأت عَلَى موضع زيادة المأمون امر عبدالله عبد الله بعمارة مسجد رسول الله سنة اثنتين ومائتين طلب ثواب الله وطلب جزاء الله وطلب كرامة الله فان الله عنده ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً امر عبدالله عبدالله بتقوى الله ومراقبته و بصلة الرحم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتعظيم ما صغر الجبابرة من حقوق الله واحياء ما اماتوا من العدل وتصغير ما عظموا من العدوان والجور وان يطاع الله ويطاع من اطاع الله ويعصى من عصى الله فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الله والتسوية بينهم في فيئهم ووضع الاخماس مواضعها

معجم ما استعجم

المؤلفات كالاشخاص منها ما يخادنه السعد فيشتهر وتتداوله الايدي الجيل بعد الجيل والقرن بعد الآخر ومنها ما ينسى ولا يظهر ومنها بين بين . وكتاب معجم ما استعجم لابي عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن ابي مصعب البكري الوزير هو من الكتب التي عزت قبل الطباعة و بعدها لقلة ما استنسخ منها في عصر مؤلفها و بعده في الغالب حتى ان ياقوتاً الرومي في معجم البلدان قال ان لابي عبيد كتاب المسالك والممالك (ولعله المطبوع) وكتاب معجم ما استعجم من اسماء البقاع ولم اره بعد البحث عنه والتطلب له . ولكن ما عز على المتقدم تهيأ للمتأخر فان ابراهيم الجنيني من اهل دمشق اكمل نسخ هذا الكتاب الممتع سنة ١١٠٠ في دمشق وكان اكمل الجزء الثاني سنة ١٠٩٥ اذ لم يجد الاول ثم بلغه ان في مكة نسخة منه عند الشيخ حسن بن العجيمي و بعد ثلاث سنين ارسل له هذا انه جاء مع رجل نسخة من مصر فنسخها و بعثها لصاحبه الدمشقي فاكمل نسخته وهذه النسخة بعينها هي التي نقلت في جملة الوف من كتب العلم من دمشق عاصمة الشام وعمرت بها مكاتب المانيا منذ منتصف القرن الماضي اذ كان القوم هنا لا يحرصون على غير الدينيات واللسانيات من الاسفار

ولقد قيض الله لنشر هذا المصنف البديع عالماً من علماء المشرقيات من الالمان الاستاذ وستنفيلد شيخ اللغة العربية في عصره المتوفى سنة ١٨٩٩ فنشره كما نشر معجم البلدان لياقوت ونشر نحو مائتي كتاب من كتب المسلمين في التاريخ والجغرافيا والنسب وغيرها مثل طبقات الحفاظ للذهبي والاشتقاق لابن دريد وسيرة ابن هشام والانساب للسمعاني والمشترك وضعاً والمختلف صقعاً لياقوت وعجائب المخلوقات وآثار البلاد للقزويني ووفيات الاعيان لابن خلكان فاستحق شكر الامة العربية بل الآداب العربية كما استحق ذلك الاستاذ دي كوي الهولاندي الذي طبع ثمانية تآليف في الجغرافية لائمة هذا الشأن من الاقدمين وسماها المكتبة الجغرافية العربية .

وابو عبيد البكري هو كما قال ابن مكتوم عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري من اهل شلطيش سكن قرطبة يكنى اباعبيد روى عن ابي مروان بن حيان ابي بكر المصحفي وابي العباس العذري سمع منه بالمرية واجاز له ابو عمر بن عبدالبر

الحافظ وغيرهم وكان من اهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بمعاني الشعر والغريب والانساب والاخبار متقناً لما قيده ضابطاً لما كتبه جميل الكتب مهتماً بها يمسكها في ثياب الشرب اكراماً لها وصيانة وجمع كتاباً في اعلام نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام اخذه الناس الى غير ذلك من تواليفه وتوفي رحمه الله في شوال سنة سبع وثمانين وار بعائة ·

وترجمه الفتح ابن خاقان في قلائد العقبان بما صورته : « عالم الاوان ومصنفه ومقرط البيان ومشنفه بتواليف كأنها الخرائد وتصانيف ابهى من القلائد حلى بها من الزمان عاطلاً وارسل بها غمام الاحسان هاطلاً ووضعها في فنون مختلفة وانواع واقطعها ماشاء من اتقان وابداع واما الادب فهو كان منتهاه ومحل سهاه وقطب مداره وفلك تمامه وابداره وكان كل ملك من ملوك الاندلس يتهاداه تهادي المقل للكرى والآذان للبشرى بَيْدَ هناة كانت فيه فانه رحمه الله مباكر للراح ولا يصحو من خمارها ولا يمحو رسم ادمانه من مضمارها ولا يريح الا بَيْنَ تعاطيها ولا يستريح الا الى معاطيها قد اتخذ ادمانها هجيره ونبذ من الاقلاع نبذ عاصم بن الايمن مجيره فلما حان انقراض شعبان وانصرامه كانت فيه مستبشعة الذكر مستشنعة النكر تمجها الاوهام والخواطر و يثبتها السماع المتواتر

وقد اثبت له ما يشهد لك بتقدمه و يريك منتهى قدمه رأيته وانا غلام ما اقمر هلالي ولا نبع في الذكاء كوثري ولا زلالي في مجلس ابن منظور وهو في هيئة كأنما كسيت بالبهاء والنور وله سبلة يروق العيون ايماضها و يغرق السواد ياضها وقد بلغ سن ابن محلم وهو يتكلم فيفوق كل متكلم فجرى ذكر ابن مقلة وخطه وافيض في رفعه وحطه فقال :

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته ودت جوارحه لو اصبحت مقلا
فالدر يصفر لاستحسانه حسداً والورد يحمر من ابداعه خجلا

وله فصل من كتاب راجع به الفقيه الاستاذ ابا الحسن بن دريد رحمهما الله : وتالله اني لا اطعم جنى محاورتك فيقف في اللهاة واجد لتخيل مجالستك ما يجده الغريق للنجاة واعتقد في محاورتك ما يعتقده الجبان في الحياة

متى تخطي[4] الايام في بان ارى بغيضاً يناءي او حبيباً يقرب

ورأيت رغبتك في الكتاب الذي لم يتحرر ولم يتهذب وكيف التفرغ لقضاء ارب

والنشاط قد ولى وذهب فما اجده الا كما قيل :

نزوا كما استكرهت عائر نفحة من فارة المسك التي لم تفتق

وان يعن الله عَلَى المراد فيك والله يستفاد و برغبتك اخرجه من الوجود الى العدم واليك يصل ادنى ظلم بحول الله

« وله فصل من رقعة يهنئ بها الوزير الاجل ابابكر بن زيدون بالوزارة : اسعد الله بوزارة سيدي الدنيا والدين واجرى لها الطير الميامين ووصل بها التأييد والتمكين والحمد لله عَلَى امل بلغه وجذل قدسوغه وضمان حققه ورجاء صدقه وله المنة في ظلام كان اعزه الله صحبه ومستبهم غدا شرحه وعطل نحو كان حليه وضلال دهر صار هديه ·

فقد عمر الله الوزارة باسمه ورد اليها اهلها بعد اقصاد »

هذا هو المؤلف اما تأليفه فقد جعله عَلَى حروف المعجم ولكن عَلَى طريقة المغاربة اوالطريقة الافريقية لاطريقة المشارقة فبدأ : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي · وحقق فيه اسماء البقاع والبلاد والمياه والجبال والبحيرات في بلاد العرب من الحجاز وتهامة . اليمن . الشام . العراق ونجد والموصل · وغريب والله حال مؤلفي الغرب : اندلسي يعني ببلاد المشرق يجيدولا اجادة المشارقة انفسهم · وهذا الكتاب ضروري كما يقول دوزي المستشرق الهولاندى لمن يدرسون التاريخ القديم والجغرافيا وشعراء الاقدمين والحديث فيذكر المؤلف رسم البلد او البقعة و يعين مكانها و يستشهد بكثير من الاشعار التي ورد فيها ذكر هذه البلدة ·

قال المؤلف هذا كتاب معجم مـا استعجم ذكرت فيه جملة ما ورد في الحديث والاخبار والتواريخ والاسفار من المنازل والديار والقرى والامصار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات والحرار منسوبة محددة · وقد افاض في المقدمة في الكلام عَلَى جزيرة العرب وحدودها وقبائلها وما الى ذلك من الفوائد الجغرافية فاستغرق نحو ٥٥ صفحة من هذه الطبعة التي طبعت في غوتنغن (المانيا) سنة ١٨٧٦ عَلَى الحجر والغالب انها بخط ناشره الاستاذ وستنفلد اجزل الله ثوابه · واليك مثالاً من وصفه خراسان :

« خراسان بلد معروف قال الجرجاني معنى خر كل وأسان معناه سهل اي كل

بلا تعب وقال غيره ومعنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس والعرب اذا ذكرت المشرق كله قالوا فارس فخراسان من فارس وعلى هذا تأويل حديث النبي صلى الله عليه وسلم لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من اهل فارس انه على اهل خراسان لانك ان طلبت مصداق هذا الحديث في فارس لم تجده اولاً ولا آخراً وتجد هذه الصفة نفسها في اهل خراسان دخلوا في الاسلام رغبة ومنهم العلماء والنبلاء والمحدثون والمتعبدون وانت اذا اجملت المحدثين في كل بلد وجدت نصفهم من خراسان وجل رجالات الدولة من خراسان البرامكة والقحاطبة وطاهر وبنوه وعلي بن هاشم وغيرهم واما اهل فارس فكانوا كنار خمدت لم يبق لهم بقية ولا شريف يعرف الا ابن المقفع وابنا سهل الفضل والحسن »

ومما قاله في رسم « ضرية » وحليت (ص ٦٣٧) جبل اسود في ارض الضباب بعيد ما بين الطرفين كثير معادن التبر وكان به معدن يدعى النجادي كان لرجل من ولد سعد بن ابي وقاص يقال له نجاد بن موسى به سمي ولم يعلم في الارض معدن اكثر منه نيلاً لقد اثاروه والذهب غال بالآفاق كلها فارخصوا الذهب بالعراق والحجاز ثم انه تغير وقل نيله وقد عمله بنو نجاد دهراً قوم بعد قوم .. »

ومن فوائده ايضاً ما قاله فيما يؤنث من البلاد ويذكر قال : الغالب على اسماء البلاد التأنيث والمؤنث منها على احد امرين اما ان تكون فيه علامة فاصلة بينه وبين المذكر كقولك مكة والجزيرة واما ان يكون اسم المدينة مستغنياً بقيام معنى التأنيث فيه عن العلامة كقولك حمص وفيد وحلب ودمشق وكل اسم فيه الف ونون زائدان فهو مذكر بمنزلة الشام والعراق نحو جرجان وحلوان وحوران واصفهان وهمذان انشد الفراء

فلما بدا حوران والآل دونه نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا

وانشد ايضاً عن الكسائي

سقيا لحلوان ذي الكروم وما صنف من تينه ومن عنبه

هكذا رواه صنف بضم الصاد ورواه يعقوب صنف بفتحها وقال يقال صنف التمر اذا ادرك بعضه ولم يدرك بعض فان رأيت شيئاً من ذلك مؤنثاً فانما يذهب فيه الى معنى المدينة والاغلب على فيد التأنيث وكذلك بعلبك وقد تقدم ذكر ذلك في رسومها وقال ابو حنان هي مِنى وهو مِنىً وانشد اللوجي

سقى منىً ثم رواه وساكنه وماثوى فيه واهي الودق مُنبعق

وقال الفراء الغالب على منىً التذكير والاجراء والغالب على فارس التأنيث وترك الاجراء. قال الشاعر:

لقد علمت ابناء فارس انني على عربيات النساء غيور

وهجر الغالب عليه التذكير وربما انثوها وقد انشدنا شعر الفرزدق في تأنيثها وسمع العرب قال الفراء انما اجرت العرب هنداً ودعداً وجملا وهي مؤنثات ولم يجروا حمص وفيد وتوز وهي مؤنثات على ثلاثة احرف لانهم يرددون اسم المرأة على غيرها ولا يرددون اسم المدينة على غيرها فلم تردد ولم تكثر في الكلام لزمها الثقل وترك الاجراء وقال ابوحاتم حجر اليمامة يذكر ويؤنث قال وفلج مذكر على كل حال وعمان الغالب عليها التأنيث وقباء واضاخ فيذكران ويؤنثان وبدر مذكر قال الله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وحنين مذكر لانهما اسمان لماء قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وربما انثته العرب لانه اسم للبقعة قال حسان

نصروا نبيهم وشدوا ازره بحنين يوم تواكل الابطال

والحجاز واليمن والشام والعراق ذكران ومصر مؤنثة قال الله تعالى لي ملك مصر وقال تعالى ادخلوا مصر وقال عامر بن واثلة الكناني لمعاوية اما عمرو بن العاص فانطقته مصر واما قول الله عز وجل اهبطوا مصراً فانه اراد مصراً من الامصار وقرأ سليمان الاعمش اهبطوا مصر وقال هي مصر التي عليها سليمان بن علي فلم يجرها. ودابق يذكر ويؤنث من ذكر قال هو اسم للنهر ومن انث قال هو اسم للمدينة قال الشاعر في الاجراء

بدابق واين مني دابق

وانشد الفراء في ترك الاجراء

لقد ضاع قوم قلدوك امورهم بدابق اذ قيل العدو قريب

ونجد مذكر قال الشاعر

فان تدعي نجداً ادعه ومن به وان تسكني نجداً فيا حبذا نجدا

وبغداد تذكر وتؤنث وقد مضى القول في ذلك وذكرنا كم من لغة فيها وصفون وقنسرون وماردون والسيلحون مؤنثات وكذلك نصيبون وفلسطون وقد مضى القول في اعرابها وحراء الغالب عليه التذكير والاجراء وربما انثوه وقد مضى الشاهد على ذلك واجاز الفراء ان تقول هذه حراء بالاجراء تقول هذه ثم تذهب الى الجبل كما

تقول الف درهم والكلام هذا الف درهم وثبير مذكر وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير وكبكب معرفة مؤنث لا تجرى وهو اسم للجبل وما حوله وقد تقدم انشاد بيت الاعشى فيه اه ·

هذه نموذجات من الكتاب وهو جمة فوائد للتأدبين والعالمين وقد وقع في زهاء ٨٥٠ صفحة واضاف اليه ناشره فهرساً عاماً باعلامه على عادة علماء المشرقيات في اسفارنا التي يحبونها بالطبع في بلادهم ·

مسير ومصير

كل فرد لغاية هو غاد لا يرى غيرها طريق سداد
باذلاً جهده وراء الاماني حثيثاً يسعى لها في جهاد
غير ان الغايات مختلفات فهي بين الاصلاح والافساد
والذي ينظر الخلائق في الدنيا بعيني بصيرة وانتقاد
لا يرى غير طامع يجمع الما ل ويغنى وراغب في ازدياد
فكأن الانسان ما جاء الا لمعاش ما بين ماء وزاد

***

قل لمن يجهل الحياة تفكر في مصير الآباء والاجداد
كيف كانوا واين صاروا واين الرسل اين القرون من قبل عاد
اين اين الملوك اين الرعايا اين اين القواد للاجناد
اين اين البناة اين المباني اين من شيدوا كذات العماد
اين اسكندر واين هرقل اين نمرود اين ذو الاوتاد
اين قارون اين فرعون موسى اين كسرى وقيصر ذو الآ د
اين من كتبوا الكتائب للحر ب وصالوا بالمرهفات الحداد
اين من كانوا يحرصون على الما ل ومن كان كعبة القصاد
هذه دورهم تجيبك عنهم لو يجيب الجماد صوت المنادي !
صرعتهم كأس المنون ولما يستفيقوا حتى اوان التنادي
وغدوا يحملون من بعد عرش الـملك في موكب على الاعواد
وجفاهم اخوانهم وبنوهم وجميع الحجاب والقواد

واستقروا في ضيق اللحد باسعـــد مقر السيوف في الاغماد
ورضوا بالتراب بعد فراش من حرير موثر ووساد
جمعتهم دار المنون جميعاً وهم من قبائل وبلاد
فغدا الضد يألف الضد طوعاً وغريب تآلف الاضـداد
ومليك الزمان منهم له الدو د نديم بعد الحسان الخراد
كل هذا وانت تطغى وتغتر بدنيـا مصيرها للنفـاد !
انت في كل حالة حيث صاروا صائر خلفهم بلا استعداد

***

سعد ان الانسان اصلحه الله ظلوم من ساعة الميلاد
ذو نفاق وذو خداع وذو مكر وذو شرة وذو استبداد
ايهـا المرء انت اشرف مخلو ق عَلَى الارض ذو حجى وقاد
ايها المرء انت احسن خلق اللـــه خلقاً واحسن الاحاد
لم يكن خلقك الذي جئت فيه عبثاً كالوحوش او كالجماد
بل لامر لا بل امور كثار انت عنهن غافل في رقاد
طاعة الله رأسها فهو رب النا س رب الفناء رب المعاد
مرسل الريح منشيء السحب داحي الا ارض بل رافع الطباق الشداد
واحد ماله بكل شريك جل عن والد وعن اولاد
قربته الظنون من كل شيء نزهتهُ العقولـ عن انداد

***

انما الفضـل لو علمت هو العلم وبذل الندى وبيض الايادي
والنهى والاباء مع شمم الانف وغوث اللهيف بالانجاد
طلب المجد عزة النفس حسن الذكـــر نيل الفخار طولـ النجاد
سعة الخلق عفة الجيب نفع الا ناس طراً من حاضر او باد
سيرة العدل لهجة الصدق حفظ الا عهد حفظ الذمام صدق الوداد
جمل عارف بتفصيلها من حاز مجداً من طارف وتلاد
ايهـا الغافل انتبه من رقاد ان ذا العصر ليس عصر الرقاد
ان ذا العصر عصر رب المساعي ان ذا العصر عصر واري الزناد

ان ذا العصر عصر جذب ودفع   عصر نيل العلى بطول السهاد
ان ذا العصر عصر نور وهدي   عصر علم عصر الحجى والسداد
عصر سبق ومفخر ورقي   عصر سير البخار والمنطاد

***

ليت شعري متى تلين قلوب   من أُناس قست كهم الصلاد
فيؤاسي الغني منهم اخا الفقر ويضحي الشحيح سمح الايادي
ويعيش الفتى بارغد عيش   لا يرى عيش خسة ونكاد
وتمر الايام طراً عَلَى النا   س يعدونها من الاعياد
ويصير الغبي منهم نبيهاً   عارفاً بالاصدار والايراد
ويعود من قد دعي لاذاة   حين يدعو كنافخ في رماد
ثم تغدو ترعى مع الذئب شاء   وظباء النقا مع الآساد

***

لست ادري وليتني كنت ادري   اي يوم تزول فيه العوادي
اي يوم يموت فيه غواة !   قد تمادوا في الغي اي تماد
كم أضلوا عن المدى واستبدوا   بالديانات ايما استبداد !
كلما قام مصلح ثم يدعو   هم اليه رموه بالالحاد
فمتى يا ترى يبدد شمل   ذو اجتماع من عصبة الاوغاد
ومتى تسترد بغداد مجداً   سالفاً لهفتي عَلَى بغداد !
يوم كانت في عصر هرون تزهو   مثل زهو الربيع بالاوراد
وتمر المياه منها فتسقي   جنة بعد جنة في الوهاد
وتشد الرحال من كل فج   لحمى ربعها ومن كل واد
كل ركب قد سار يقفوه ركب   أمها من شواسع الابعاد
فهي ملقى الآمال نجح الاماني   منجع الناس منهل الوراد

***

« ياسواد العراق (يفضك) الجد   ب » فصرت البياض وسط السواد !
يا سواد العراق فيك كنوز   يعلم الله ما لها من نفاد
يا سواد العراق امحلك القو   م وقد كنت روضة المرتاد

يا سواد العراق ابنك ذا اليو م من الضغط في ثياب حداد !
يا سواد العراق تبكيك عين الـ شعر ذا اليوم عن سواد المداد !
يا سواد العراق شلت يمين ذات اثم دلت عليك الاعادي

***

ليتني كنت في الزمان اماماً شيمتي شيمة الكريم الجواد
وهماماً تخشى لقاه كماة الـ حرب في يوم معرك وجلاد
فاذيق الطغاة طعم المنايا واكبد البغاة اهل العناد
وابيد الخمول والجهل والظلـ م وجيش النفاق من بغداد
ثم امسي في كل قطر ومصر قاعداً للطغاة بالمرصاد
وارى القتل والشهادة في دعـ واي غاي المنى وكل المراد
حبذا الموت في سبيل المعالي والمنايا في خدمتي لبلادي

***

ان خير القريض ما كان منه يطرب السامعين بالانشاد
والذي نظمه يقص على القا ريء وعظاً يذيب صم الجماد
فهو طوراً ما بين امر ونهي وهو طوراً ما بين حاد وهاد
وهو حيناً بين المآتم ناع واواناً بين العرائس شاد
خالي الذكر من احاديث لبنى وسليمى وزينب وسعاد
سلس اللفظ والعبارة جزل معجز باهر كشعر زياد (١)
ان هذا ياسعد غاية سؤلي ان هذا يا سعد جل اعتقادى
هو مقصودي الذي طول عمري أتمناه من صميم فؤاد
ان أكن مخطئاً فاني ابن انثى اومصيباً فمن صحيح اجتهاد

بغداد كاظم الدجيلي

---

(١) يريد به زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني

مطبوعات ومخطوطات

الى القارئ الكريم بعض ما عثرنا عليه من المخطوطات النادرة في دار كتب شيخ الاسلام عارف حكمت بك في المدينة المنورة التي ورد ذكرها في مكان آخر من هذا الجزء مما هو جدير بالاحياء ولم يطبع فيما نعلم

الزبد والضرب في تاريخ حلب لشيخ الاسلام رضي الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي الحلبي الحنفي في المجموع نمرة ٥٩ وهو المجموع الثالث

وقع في ١٤ ورقة وهو مختصر من كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن جرادة العقيلي الحلبي انتزعه من تاريخه الكبير المشهور المرتب على الحروف والاسماء وضمنه ما وصل اليه ووقع عليه من ذكر امراء حلب وولاتها وملوكها ورعاتها وبعض من عثر عليه من الوزراء والقضاة والملوك والرعاة .

طبقات القراء تأليف محمد بن سلام الجمحي اوله قال : ابو محمد انبأنا ابو طاهر محمد بن احمد بن عبدالله بن نصر بن يحيي القاضي انبأنا ابو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال انبأنا ابو عبدالله محمد بن سلام الجمحي قال والشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلم والصناعات منها ما تثقفهُ العين ومنها ما تثقفهُ الاذن ومنها ما تثقفهُ اليد ومنها ما يثقفهُ اللسان من ذلك اللوءلوء والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره وهو تحت نمرة ٦٦٨

كتاب التشبيهات لابي اسحق البغدادي قال فيه زادك الله في الآداب رغبة وللعلوم محبة ودلك على الحجة ووفقك للحجة واعانك على طلبك بالرشد واظفرك بالغرض عند الفحص سألتني اعزك الله ان اثبت لك ابياتاً من تشبيهات شعراء الواقعة وبدائعهم فيها الظريفة وقد تقدم الناس اعزك الله في اختيار الشعر وتمييزه غير انهم لم يصنفوه ابواباً وذلك ان الشعر مقسم الى ثلاثة انحاء منهُ المثل السائر كقول الاخطل :

فاقسم المجد حقاً لا يحالفهُ حتى يحالف بطن الراحة الشعر

وكقول الفرزدق :

ذل العدو فانا لا نلين له حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ومنه الاستعارة الفريدة كقول الطرماح :

فقلت لها يا أم بيضاء انني هر يق شبابي واستشن أديمي

وكقول الحطيئة :

قد ناضلوك فابدوا من كنانتهم مجداً تليداً ونبلاً غير انكاس

ومنه التشبيه الواقع النادر كقول امرئ القيس في العقاب :

كأن قلوب الطير رطباً و يابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

والكتاب في جزء لطيف كتب سنة ٤٦٦ وخطه مقروء

التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة لجمال الدين ابي عبدالله بن احمد المطري فيه فضل المدينة وما جاء في فضل مسجد الرسول والروضة ووصف الجامع وابوابه ومساجد المدينة والآبار التي تنسب الى النبي صلى الله عليه وسلم واودية المدينة ووادي العقيق وحدود الحرم

الجواهر الثمينة في محاسن المدينة للسيد محمد كبريت المدني كتب عام ١٢٧٠

تقديم الابدان في تدبير الانسان للعلامة ابي الحسن علي يحيى بن عيسى بن جزلة المطبب البغدادي اوله بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق فسوى وقدر فهدى وامرض وشفا وصلواته على انبيائه ورسله الامنا من عرف ان الله رشحهُ بكماله الذي هو صلاح ماله ضن بعمره ان يغبن في ايامه وتدبيره ان يغلب على اعوامه فلا ينفق عمره الا في اهم أموره اليه ولا يقطع دهره الا بما عودها عليه من مصالح دنياه واخراه وعمارة عاجلته وآجلته : قدم للمقتدي بالله وهو مجلد ضخم بالحجم الكامل فيه جميع ما عرف من انواع الامراض وطرق علاجها وخواص النباتات والعقاقير وغير ذلك مما يفيد جداً وقد كتبت هذه النسخة سنة ٣٩٧ (؟) وعبارة الكتاب من السهل الممتنع تذكر بعبارة القانون لابن سينا المطبوع في اوربا

نصر من الله وفتح قريب للسيد محمد كبريت المدني فيه تراجم فضلاء المدينة المنورة

غربال الزمان المفتخ بسيد ولد عدنان اختصار يحيى بن ابي بكر العامري من تاريخ الامام اسعد اليافعي وهو مرتب على السنين فيه الوقائع وتراجم المشاهير الى سنة ٧٥٠

البرق المتألق في محاسن جلق للراعي الشهير بابن خداو يردي المتوفى سنة ١١٩٥ فيه وصف محاسن دمشق شعراً من شعره ومن شعر غيره وآثار عمرانها وذكر انهار دمشق نهر المنيحى والزبديني والوسطاني والغربي ودرمينا والماصية والحاجي والبالاني

والزابون والملك والشيداني نهر تل الذهب بيت نائم حزرما الغريفة المثبن والبلالية العبادة الجامعي البير وكليبا وعين ترما وكفر بطناجسرين حمورباوسقبا الافتريس وغير ذلك من الانهار التي لا تعرف اليوم والعيون والاودية ومنها ما لا يعرف ايضاً نسخة سنة ١١٩٩ (ومنه نسخة في دار الكتب الخديوية بمصر)

النجوم الزواهر في معرفة الاواخر للبودي الدمشقي من اهل القرن التاسع ذكر فيه الاواخر كما ذكر السيوطي الاوائل اي آخر من صنع كذا وآخر من كان كذا .

مخدرات القصور في تاريخ اهل العصور تأليف ابن قطري البجيري المؤرخ المصري المتوفى سنة ٨٩٨ وهو مختصر في التاريخ

كتاب ايمان العرب لابي اسحق التجيرمي الكاتب في المجموع نمرة ٥٤ وهي في خمس ورقات بالخط الدقيق فيها ما كان يقسم به العرب وبه يستدل عَلَى اديانهم ومعتقداتهم قبل الاسلام

الدين والاسلام

او الدعوة الاسلامية لمؤلفه الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطا النجفي

طبع في مطبعة العرفان في صيدا الجزء الاول صفحة ٢٢٤

لم يظهر هذا الكتاب الى عالم الوجود حتى تسابقت انامل الكتاب لتقريظه واستفزاز الهمم لمطالعته فتاقت نفسي للوقوف عليه اذ ان موضوع الدعوة للاسلام من المباحث التي يهتم لها كل الاهتمام لا سيما ومعالم الهمم قد درست للدعوة والعزائم قد خارت لاظهار مميزاته من مطابقة أصوله للعقل والعلم ونواميس الاجتماع فلقد تلاعبت به ايدي الجهلاء وشوه محاسنه من انصاع للامراء من العلماء الذين حجبتهم شهواتهم ونفوسهم الدنيئة عن الدعوة اليه وعن معرفة ما عليهم من الواجبات نحوه وقل من زمن بعيد من انبرى لتبرئته من الوصمات التي الصقها به بعض من يجهلون حقيقته او الذين يحكمون عَلَى الاسلام بالمسلمين والاسلام محجوب بالمسلمين حتى قيض الله لنا يعسوب المصلحين الشيخ محمد عبده المصري فجاهر بمؤاخاة الدين للعلم والعقل وفسر قسماً من الكتاب الكريم عَلَى اسلوب صحيح لم يسبقه اليه احد من العالمين ولكن قضت المشيئة الالهية ان يقضى عليه قبل ان يتم عمله العظيم وما ينوي به من الاعمال المصلحة للمسلمين .

لم يقع نظري عَلَى هذا الكتاب حتى اخذته وطالعته بروية وانعام نظر فالفيته

كتاباً نفيساً بل درة يتيمة جمع فاوعى من المسائل الدينية والعلمية والاجتماعية وقطع بقوة حججه السنة الملحدين المقلدين الذين بخسوا من قدر العقل وكادوا يقضون عَلَى الانسانية بمزاعمهم الفاسدة فاوجدوا الشرور في البشر وزينوا للناس حب الشهوات وهتك الاعراض حتى استباحوا الرذائل وافسدوا الاخلاق

عَلَى اني لاحظت بعض أمور اثناء مطالعتي هذا السفر النفيس لم ار بداً من اظهارها حرمة لحرية النقد التي يحترمها ولا ريب امثال الاستاذ المؤلف ٠

(اولاً) نهج المؤلف في كتابه منهج التطويل الذي يأباه عصرنا الحاضر في حين تخوله ملكته البيانية ، وقوته العربية في فن الكتابة ان يسلك طريق الاختصار الممدوح عَلَى قاعدة (الفاظ قليلة وافكار متعددة) فان مؤلفات المرحوم محمد عبدة التي هي خير مشكاة يجب عَلَى علمائنا ان يحذوا حذوها قد سلك فيها مسلكاً غريباً لما حوته من الفصاحة والاختصار حتى سهل عَلَى جميع طبقات الناس مطالعتها فجمع في رسالة التوحيد تلك الافكار العظيمة في هذه الوريقات القليلة ولقد وفاه حقه السيد لطفي المنفلوطي بقوله : كاد يكتب الشريعة الاسلامية بلسان صاحبها ٠ فلو سلك مؤلفنا هذا المسلك في كتابة لكان حجمه نصف ماعليه اليوم فتسهل مطالعته عَلَى جميع الناس ويعم نفعه وهي اقصى الغاية التي ننشدها لان الكتاب المطول مهما كان له من الشأن لا يقرأوه غير الخواص من الناس٠

(ثانياً) لقد حمل المؤلف عَلَى الملحدين حملة شعواء وكان الاجدر به ان يتجنب تلك الالفاظ ويجتزيء بالادلة الناهضة التي اقامها لان الحكمة تقضي باستعمال الرفق واللين مع المعاندين وان تدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة فيسلكون طريق الحق ولقد اثبت علماء الاجتماع ان المكابر المعاند يزداد طغياناً اذا دعي بالشدة نعم ان الملحدين لعمر الحق اكبر ضربة قاضية ولكننا بغير الرفق واللين لا نستطيع ان نستحوذ عَلَى قلوبهم حتى يميلوا الى الحق ولقد علمنا القرآن كيف يجب علينا ان ننهج مع مثل هؤلاء الجامحين فقال : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » وقال ايضاً : « فقولا له قولاً ليناً لعله يذكر او يخشى » فهذا فرعون مع ارتكابه اكبر جريمة عَلَى وجه البسيطة امر الله نبيه ان يسلك معه سبيل الرفق واللين فاستعمال المؤلف الشدة مع هؤلاء مدعاة للنفور فلو اضاف مع البراهين الثابتة التي اقامها قولاً ليناً لكان اولى ٠

(ثالثاً) لو تجرد الكتاب عن بعض الفلسفة القديمة لكان اقوى لاقناع الخصم لانها اصبحت امام العلم الحديث ضعيفة الدعائم عَلَى ان المؤلف قد ايد اكثر القضايا بالادلة المنطقية والفلسفة الحديثة الا انه استعمل في باب الالهيات بعض التعليلات القديمة .

(رابعاً) تعرض المؤلف اثناء بحثه لعلي كرم الله وجهه وعصمته وكان الاجدر بامثال المؤلف ممن نضج علمه وكمل ادراكه ان يترك هذا البحث لغيره من المشتغلين بالقشور لانهم أحق بالخوض في غماره لان الجزئيات قد حجبتهم عن الاشتغال بالكليات وليس معنى هذا الآن مناظرة المؤلف في هذا البحث او نقض القضايا التي اقامها لان الاشتغال بمثل هذه الامور مدعاة لضياع الوقت دون جدوى لاسيما والاجانب تتوثب لتقسيم املاكنا وذهاب استقلالنا وقد قال مرة احد فلاسفة الالمان بينما نكون في الجبال والآكام نستخرج المعادن يكون المسلمون مشتغلين ببعض مسائل دينية فرعية يتناظرون و يتناقشون . وكان الاولى بالمؤلف ان يضرب كشحاً عن هذا البحث وهب ان الحق في جانبه فان العقل يقضي عليه بارتكاب اخف الضررين لان المسلمين لم تتفرق كلمتهم و يذهب مجدهم الا بمثل هذه الاختلافات الضئيلة التي لا يقام لها وزن فصرنا نقول شيعي وسني ووهابي و و الخ وما نحن الا أخوة نجتمع متحدين تحت لواء التوحيد

عَلَى ان هذه الهفوة تستكبر من المؤلف لانه عالم غزير المادة كبير العقل درس حالة المسلمين الروحية والاجتماعية ووصف لها انجع ترياق لدائها . عَلَى ان هذا التشيع لم يكن الا بقية من بقايا التقليد الذي جر عَلَى المسلمين هذا الويل والثبور . وصفوة القول ان هذا الكتاب من انفع الكتب الدينية والاجتماعية والفلسفية الحديثة فيجدر بالكبار والصغار ان يقتنوه فهو خير دعوة اخرجت للناس .

دمشق عبد الفتاح السكري

التاريخ الكبير

للحافظ ابي القاسم بن عساكر طبع بمطبعة روضة الشام سنة ١٣٢٩ — ١٣٣٠
(ص ٣٦٣ ج ١) (ص ٤٦٤ ج ٢)

مضت الاعوام والباحثون من العلماء وجمهور المتأدبين من المطالعين يتشوقون لان يروا تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر متداولاً في ايديهم ولكن ضخامة حجمه

بكثرة المكررات والاسانيد عَلَى اسلوب المحدثين دعت الى احجام الطابعين عن طبعه حتى قيض الله له في السنة الماضية خالد افندي قارصلي صاحب مطبعة روضة الشام فطبع تاريخ دمشق في دمشق عاهداً الى الشيخ عبدالقادر بدران بحذف مايراه زائداً في الكتاب ولا يضر اغفاله بالجوهر فحذف ما ارتآه الصواب وابقى مالا بوسع حجم الكتاب فجاء وان لم تقر به اعين العلماء لانهم يحبون ان يشاهدوا التآليف عَلَى الصورة التي صدرت بها عن مؤلفيها خصوصاً وفيه ما اغفل المصحح تصحيحه من الاغلاط التي تدل عَلَى ضعفه في التاريخ فهو بالنظر لشهرة مؤلفه رحمه الله سينفع طبقة كبيرة من الجمهور و يغنيهم عن المطول ولو الى وقت معلوم ولذلك لا يكاد يستغني عن اقتنائه كل محب للمطالعة راغب في الوقوف عَلَى ماضي هذه العاصمة ورجالها الذين طبقوا الآفاق بشهرتهم . فنشكر للطابع جزيل خدمته و بعد همته في زمن قل جداً الآخذون بأيدي العلم والآداب الراجعون الى الماضي بل تراهم كلهم وقد شغلهم الحاضر والمستقبل عن النظر في الماضي وهيهات ان ينجح في حاضره من لم يعرف حالة غابره .

دروس الجغرافيا

تأليف فوزي بك العظم طبع في المطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٩١٢ — ١٣٣٠

(ص ٤٨ مع ٢٤ شكلاً)

يسرنا جداً ان بعض المتنورين من ابناء هذا الوطن العزيز اخذوا ينقلون الى اللغة العربية الشريفة مبادئ العلوم التي لم يستغن البشر عن معرفتها في دور من ادوارهم ومن ذلك ما اصدره مصنف هذه الرسالة في الجغرافيا العامة فقد اودع موجزاً ما يقتضي عَلَى الصغار بل والكبار الانتفاع منه لان علمي الجغرافيا والتاريخ لا يزهد فيهما الا ناقص العقل راغب في الجهل . فما احرى مدارسنا الاهلية ان تعتمد مثل هذا الكتاب تنشيطاً لمؤلفه ورغبة في تعلم الناشئة علم تقويم البلدان عَلَى هذا الاسلوب النافع للشيب والشبان

العباسة

هي احدى روايات رصيفنا جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال بمصر نقلها الى الافرنسية وطنينا ميشل افندي بيطار احد اساتذة مدرسة اللغات الشرقية في باريز ونسق لغتها المسيو شارل موليه وقدم لها المسيو كلود فارير مقدمة قال في اولها

ما ترجمته: في سنة ٧٣٢ للميلاد حدثت فاجعة ربما كانت من اشأم الفجائع التي انقضت عَلَى الانسانية في القرون الوسطى وكان منها ان غمرت العالم الغربي مدة سبعة او ثمانية قرون ان لم نقل اكثر في طبقة عميقة عَلَى التوحش لم تبدأ بالتبدد الا عَلَى عهد النهضة وكاد عهد الاصلاح يبيدها الى كثافتها . هذه الفاجعة هي التي اريد ان امقت حتى ذكراها , اعني بها الغلبة المكروهة التي ظفر فيها عَلَى مقربة من بواتيه برابرة المحاربين من الافرنج بقيادة الكارولنجي شارل مارتل عَلَى كتائب العرب والبربر الذين لم يحسن الخليفة عبدالرحمن جمعهم عَلَى ما يقتضي من الكثرة فانهزموا راجعين ادراجهم

في ذاك اليوم المشؤم تراجعت المدنية ثمانية قرون الى الوراء . يكفي المرء ان يطوف في حدائق الاندلس او بين العاديات التي لاتزال تأخذ بالابصار مما يبدو من عواصم السحر والخيال اشبيلية وغرناطة وقرطبة وطليطلة ليشاهد والألم الغريب آخذ منه ما عساها ان تكون بلادنا الفرنسوية لو انتقذها الاسلام الصناعي الفلسفي السلمي المتسامح — لان الاسلام مجموعة كل هذا — من الاهاويل التي لا اسماء لها وكان منها ان اجتحت خراب غاليا القديمة التي استعبدها اولاً لصوص اوستراز يا (١) ثم اقتطعوا جزءاً منها قرصان النورمانديين ثم تجزأت , تمزقت وغرقت في دماء ودموع وفرغت من الرجال بما انبعث في ارجائها من الدعوة للحروب الصليبية ثم انتفخت بالجثث بما دهمها من الحروب الخارجية والاهلية الكثيرة المدد حدث ذلك عَلَى حين كان العالم الاسلامي من نهر الوادي الكبير الى نهر السند يزهر كل الازهار في ظل السلام تحت اعلام اربع دولات سعيدة الاموية والعباسية والسلجوقية والعثمانية

ليس هذا فصلاً في التاريخ الرسمي من التاريخ الكاذب الذي تعلمه المختصرات لصغار الطلبة من الفرنسيس في مدارسنا بل هو التاريخ الحقيقي الذي يتعلمه المرء بنفسه مما يجتازه من البحار و يقطعه من الاراضي و يقلبه من خزائن الكتب الاجنبية وليس هذا بعزيز عَلَى حياة سائح يريد ان يثبت عقيب رحلة له ما يمس منه باطراف اصبعه

(١) اوستراز يا او مملكة الشرق هي مقابل نوستريا التي كانت تؤلف مملكة الغرب واوستراز يا هي شطر عظيم من غاليا الافرنجية تشمل تورنج ودوجيات آلبماني وبافيرا وفريز وجميع البلاد الواقعة بين انهار الرين والموز والاسكوت وكانت عاصمتها متز وقد أسست هذه المملكة في اوربا سنة ٥١١

تلك الكذبة الكبرى السفيهة التي اراد معلمونا ولا يزالون يريدون وضعها امام اعيننا كأنها حقيقة بل هي الحقيقة

اني لمعجب بان اقدم لجميع الفرنسو يين من اصحاب الارادة الذين يتوخون نبذ الاوهام القديمة وليس لهم وقت ولا فراغ لمباشرة رحلتين او ثلاث في الارض للبحث عن الحقيقة — الحقيقة الناصعة — هذا الكتاب البسيط الذي يوفر عنهم الرحلة الى بغداد ودمشق واسبانيا الجنوبية فيوحي اليهم كل الايحاء ما هو مسرة العيون والعقول ويصور لهم الصورة الحقيقية بل الصورة الطبيعية للاسلام في القرن السابع والتاسع ذاك الاسلام الذي قضى عليه الكارولنجي المتوحش ونبذه خارج فرنسا بضربات عظيمة من مطرقته .....

الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية

طبع بمطبعة المقتبس سنة ١٣٣٠ (ص ١٠٥)

غالى معظم من كتبوا في دمشق من ابنائها في الوصف او افرطوا في الشكاية ولكن المقرر الثابت انها من خيرة البلاد بطبيعتها وها قد الف احد الدمشقيين محمد افندي عزالدين عربي كاتبي هذه الرسالة فلم يخرج فيها عن خطة المادحين المعجبين والمديح مما تألفه نفوس الجمهور في الاغلب فذكر ما نقله القصاصون في فضائل دمشق ومن نزلها من الصحابة وبعض معاهدها ولا سيما الدينية واحسن في وصف اعمالها الجديدة مثل الخطوط الحديدية والاحياء الجديدة وما القيجة ومستشفى الغرباء فحبذ من اراد تحبيذهم تزلفاً ولم يذكر السلطان نورالدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد وان هذا المستشفى بني ببقايا اموال مستشفاه النوري وما جمع من الاعانات بعد بالضرب والتجبيه والترويع . وقد اودع كتابه شيئاً من الاقاصيص التي تقل بعضها عن ضعاف العقول ممن حشروا انفسهم خطأ في الاعصر الاخيرة بين المؤلفين مثل ما نقله (ص ٢٥) عن الشيخ ابي العباس احمد بن قدامة صاحب الكرامات والاحوال الظاهرة انه مشى على نهر يزيد بقبقاب في رجليه فلم تبتلا وطالع ليلة فكدرت عليه الضفادع باصواتها فقال ايتها الضفادع قد اذيتمونا باصواتكم فاما ان ترحلن عنا واما ان نرحل عنكن فاصبح وليس في النهر شيء من الضفادع ومن ثم لم يسكن نهر يزيد ضفادع الى الآن !

ومن هذا البحر والقافية اتى المؤلف بامور منتقدة عند جمهور المحققين من رجال

الدين والمدنية مما نبه عليه الاعلام في كل عصر امثال ابن تيمية وابن الحاج وعشرات غيرهم . وكنا نود ان تعرى التآليف الحديثة من نقل هذه الاخبار الواهية وان لا ينقل المؤلف مثلاً من جملة الفوائد ان « دمشق النائم بها كالعابد بغيرها » حتى يزيدنا خبالاً فوق خبالنا فاننا احوج الى من يقوي هممنا منا الى من يضعفها برواية هذه المثبطات . فعسى ان يحذف المؤلف من كتابه كل ما لم يصححه المحدثون والمتفقهون والمؤرخون من الاخبار المضعوفة المرذولة ويقتصر على الصحاح والافتكون مضار هذه الكتب اكثر من منافعها بكثير

الدعوة الى الاصلاح للشيخ محمد الخضر بن الحسين

طبع بالمطبعة الرسمية العربية بتونس عام ١٣٢٨ — ١٩١٠ (ص ٤١)

ثم معظم تآليف التونسيين الاخيرة على فضل علم وادب وان خاصتهم لا يؤلفون في الغالب الا اذا اعتقدوا واعتقد الناس فيهم الكفاءة العلمية وقد تلطف مؤلف هذه الرسالة في موضوعه الجليل فافاض في الحاجة الى الدعوة وفي الدعوة في نظر الاسلام وفي شرائطها والاخلاص فيها وآدابها وآثار السكوت عنها والاذن في السكوت عنها واسباب اهمالها وقال في خاتمة ما يدعو الى اصلاحه وهوما نورده نموذجاً على نبذته النافعة : « ولما افتقرت الامة في حفظ بقائها وصلاح عيشها الى جملة من الوسائل كالصنائع وبعض الفنون الحكمية كانت داخلة في واجبات وفيها كما صرح بذلك ابو اسحق الشاطبي وغيره من الراسخين في علوم الشريعة فان عظم مصلحتها والخطر الذي ينشأ عن اضاعتها واضح في الدلالة على وجوب التعلق باسبابها ولكن الاسلام لم يفتح عين المكلف في كل موضع من مواضع اصلاحها او اعطى لتفاصيلها قواعد كما فعل في قسم العبادات والمعاملات والجنايات وانما ارشد الى اصول مطالبها ثم فوض في وجوه عملها ومعرفة ماهو الاصلح في وسائلها الى الفطرة السليمة والعقول الراجحة كما قال صلى الله عليه وسلم في واقعة تأبير النخل (انتم اعلم بامور دنياكم) فان التمييز فيها بين الحسن والقبيح من المطالب التي لا تفوت مداركهم و يسعها طوق عقولهم

وقد يسبق غير العارف بالشرائع الى الخبرة يبعض نظامات مدنية ولهذا لم يضع الاسلام حرجاً على اخوانه اذا كانوا غير المسلمين وعملوا على مثالهم فيما يحسن في نظرهم من مقتضيات المدنية وتراتيبها كالصنائع والفلاحة والتجارة وحفظ الصحة وماشاكلها

فان اعراضنا عن اخذ ما بايدي المخالفين من المعارف والاستنباطات المفيدة في هذه الحياة يقضي بنا كما قال ابو حامد الغزالي الى ان نضرب عن كل صالح سبقونا اليه

و يتعين عَلَى المرشد لاصلاح هذا القسم ان يجيد البحث عن احوال الامم الاخرى و يعرف اسباب ارتقائهم وعلل سقوطهم وتركيب الاقيسة و يؤيد بها الافكار المستقيمة و يثبت بها صواب ما تهديه اليه البصيرة الكاملة »

هذا ما يقوله احد اساتذة الجامع الاعظم « الزيتونة » في تونس ثاني مدرسة دينية عالية في العالم الاسلامي فمتى يكون كذلك لسان حال سائر مدرسينا ومقالهم فتجمع هذه الامة الدين الى الدنيا ونور العقل الصحيح الى التعليم السماوي الرجيح

الحرية في الاسلام

كتاب للاستاذ التونسي المشار اليه القاه في صورة مسامرة وأجاد في تحديد حقيقة الحرية والشوري والمساواة والحرية في الاموال والحرية في الاعراض والحرية في الدماء والحرية في الدين والحرية في خطاب الامراء وآثار الاستبداد كل ذلك بعبارات تستعذبها النفوس لسلاستها وتدل عَلَى بعد غور منشئها و بعد نظره في المسائل الاجتماعية والدينية ·

حياة اللغة العربية

هي مسامرة ايضاً طبعت في تونس لصاحب كتاب الدعوة الى الاصلاح والحرية في الاسلام المنوه بقدره تكلم فيها عَلَى تأثير اللغة في الهيأة الاجتماعية واطوار اللغة وخصائصها وتراكيبها واساليبها وابداع العرب في التشبيه واقتباسهم من غير لغتهم وارتقاء اللغة مع المدنية واتحاد لغة العامة والعربية الى غير ذلك من الفوائد التي أجاد المؤلف في سردها و بيانها فله الشكر عَلَى خدمته الاسلام ولغته خدمة عقل وروية ·

التبيان في تخطيط البلدان

لاسماعيل بك رأفت طبع بمصر سنة ١٣٢٩ (ص ٥٠٩)

لصديقنا مؤلف هذا الكتاب يد طولى في التاريخ والجغرافيا وهو اليوم استاذ الجغرافيا وعلم الشعوب «التنوغرافيا» في الجامعة المصرية واستاذ التاريخ العام والجغرافيا في دار العلوم في القاهرة وهذا الكتاب هو الجزء الاول من سلسلة كتب سينشرها بعد ان يلقيها دروساً عَلَى طلاب الجامعة وهو يحتوي عَلَى وصف قارة افريقية واحوالها

الطبيعية والجغرافية من مثل انهارها و بحيراتها وجبالهاوجزائرها ومعادنها وحيواناتها واجناسها البشرية وصناعاتها ووصف ضاف لبلاد مراكش والجزائر وتونس وطرابلس و برقة والصحراء الكبرى وما فيها من الامور الطبيعية والصناعية عَلَى اسلوب استبان به ان المؤلف ذاق فنه كل الذوق واحسن في شرحه وجمع المواد اللازمة من كتب الجغرافية القديمة والحديثة والتاريخ والرحلات ولا سيما الرحلات التي كتبت بالالمانية والانكليزية والافرنسية بحيث جاء الكتاب مجموعة فوائد يود كل عربي ان يرى مؤلفه موفقاً الى نشر الاجزاء الباقية من كتابه بهذا التوسع النافع والوصف المشبع وقد رأينا بعض تساهل طفيف وشيء من الالفاظ نقل عن الافرنجية بغير الالفاظ المألوفة مثل قوله الكوارتز (ص ٣٥) وهو الصوان والبازالت (ص ٥٥ و ٦٣) والمشهور الحجر البركاني والجرانيت وهو المعروف بالشام بالشحم واللحم وهو نوع من الصوان والكوتشو ويترجمه المترجمون بالمطاط والارددواز و يترجمونه بلوح الحجر وقال ايتوبيا ورأس عشم الخير والدين الفتشي وجزيرة زنزبار ولوقال بلاد الحبشة والزنوج ورأس الرجاء الصالح والدين الوثني وجزيرة زنجبار لتابع العرب والمألوف في ترجمته ٠ وهناك بعض اغلاط مطبعية مثل قسطنطينة لاحدى بلاد الجزائر فانها وردت مرات بهذا الرسم وهي قسنطينة وعسى ان يحرر كل ذلك صديقنا المؤلف في الطبعة الثانية و يضيف الى كتابه الخرائط العربية التي وعد بها فاغفل الطابعون الحاقها بها ونشكره عَلَى غيرته عَلَى الآداب والمعارف

التجارة العصرية

تأليف السيد عبدالحق بن وكاف

طبع بالمطبعة المولوية بفاس عَلَى نفقة مولاي الحفيد سنة ١٣٢٩ (ص ٣٧٦)

ربما كان هذا الكتاب من اوائل الكتب العصرية التي ابرزتها عقول ابناء الاسلام في الغرب الاوسط وقد ضمنه المؤلف مباحث تجارية وقتية عَلَى أصول الفقه المعمول به في الجزائر افاض في القسم الاول في الفقه التجاري الفرنسوي وفي الثاني بمسك الدفاتر وفي الثالث بالمراسلات التجارية الوقتية بعبارات سهلة كثيراً ما يمزجها المؤلف — وهو محدث ومدير مدرسة فاس — بالفاظ افرنجية لها مقابل بالعربية ولكنها شاعت كذلك في تلك البلاد لاختلاط السكان بالفرنسيس والطليان والاسبانيين والبرتغاليين ٠

وقد اهدى كتابه وهو من ابناء الجزائر الى علماء بلده ومشايخه مسلمين وافرنسيين ممن اخذ عنهم هذا العلم وغيره وأجادت المطبعة في طبعه بحروف مشرقه مشرقية غير الحروف المعهودة المغربية اكثر الله من امثال المؤلف الساعين لترقية ابناء بلادهم من طريق العلم والعمل على المناحي العصرية النافعة

آداب العرب

لابراهيم بك العرب طبع بالمطبعة الاميرية بمصر سنة ١٩١١ ص ١١٢

كانت جريدة المقتبس تنشر الحين بعد الآخر قصائد بتوقيع « العرب » على لسان الحيوانات مثل قصائد الشاعر لافونتين الفرنسوي فوقعت من قرائها موقع الاستحسان الكثير لسلاستها وتضمينها الحكم الرائعة وقد انتبهت نظارة المعارف المصرية الى فوائد هذه القصائد فطبعتها على نفقتها اجمل طبع بالشكل الكامل لتكون مثالاً يحتذيه طلاب الآداب ولغة العرب من قلم الشاعر ابراهيم العرب وهي مئة قصيدة يقرأها كل طبقات القراء فيعجبون بما فيها من ادب غض وحكمة ناصعة وقد تقرر تدريسها في المدارس الابتدائية بمصر بنين و بنات فعسى ان يعتمد عليها ايضاً مديرو المدارس الاهلية في الشام ليقتبس من فوائدها ابناء الفرات والساجور والعاصي والاردن و بردى والكلب بعض ثمرات ابناء النيل المبارك الذي اصبح عيالاً عليه في استقاء المعارف والآداب العربية

تاريخ مدينة زحلة

تأليف عيسى افندي اسكندر المعلوف

طبع بمطبعة « زحلة الفتاة » في زحلة (لبنان) سنة ١٩١١ (ص ٣٩٨)

اشتهر مؤلف هذا الكتاب بين الباحثين من اهل هذه الديار بما نشره حتى اليوم من رسائله وكتبه ومجلته « الآثار » وكتابه هذا نافع في تاريخ اكبر مدينة لبنانية وما جاورها مثل بلاد المتين و بعلبك والبقاع ووادي التيم ووادي القرن ووادي الزبداني وغيرها ومعظم الكلام على هذه البلاد ورد بالعرض فاطال المؤلف الكلام على تاريخ سهل البقاع خاصة كما اطال عن زحلة وذكر اخبار البيع والمآوي (انطيوش) وتاريخ انشائها . و بيع لبنان ليست من الكاتدرائيات المهمة ولا من العاديات القديمة بل ان اكثرها بيوت صغيرة حديثة لايهم التاريخ ولا فن البناء متى انشئت . ونحن نسامحه فيما اقتبسه من مجلة المقتبس (ص ٤٠) من نقل خلاصة ما كتبناه في رحلتنا الى

قلون الاسفل وقلون الاعلى في السنة الرابعة والخامسة ولم يعزه الينا مع انه من مشاهداتنا وتحقيقاتنا الخاصة لم يسبق لاحد قبلنا ان خاض عبابه فيما نعلم

ولا نوافق المؤلف على دعواه ان اسم زحلة مأخوذ من زحل الرجل عن مكانه اذا تنحى وتباعد ومنه المزحل اسم مكان للموضع يزحل اليه او مصدر ميمي وتمحله الاسباب لهذه التسمية وكذلك لا نستحسن استشهاده بقصيدته في وصف مناظر زحلة (ص ١١) فانها ليست من الشعر المستملح واين قصيدته من قصيدة خليل افندي مطران في وصف خرائب بعلبك وكان على المؤلف ان لا يفوته ذكرها خصوصاً وقد استشهد بشعر هو دون تلك الطبقة بمراحل مثل شعر المعلم نقولا الترك فانه ليس من الشعر الواجب تدوينه اذ هو عار عن صفات الشعر

وقد توهم (ص ٣٧) ان القبة الكائنة على قمة جبل قاسيون بدمشق هي قبة المرصد الفلكي الذي كان بناه الامويون (والحقيقة ان الباني هو المأمون العباسي ثم اولغ بك التتري) مع ان هذه القبة محدثة من جملة المناور التي كانت توقد فيها النار لنقل الاخبار في الليل كما كان حمام الزاجل يطير بالنهار وطرز بناء القبة لا يتجاوز المئة السابعة للهجرة ولا نذكر اننا قرأنا لها اسماً الا في كتاب عجائب المقدور في اخبار تيمور وهو مما كتب في القرن التاسع

واخطأ في قوله (ص ٣٨) ان بيت لهيا هي الآن من قضاء راشيا وكانت قديماً من غوطة دمشق والصحيح ان قريتين كانتا معروفتين بهذا الاسم احداهما في وادي التيم لا تزال معروفة والاخرى في الغوطة خلافاً لما قلناه في رحلتنا بين بلاد الآراميين والفينيقيين في السنة السادسة من المقتبس كما انه اخطأ في استنتاجه (ص ٤٠) ان جبل قلون سمي بهذا الاسم اليوناني ومعناه الاقليم والمناخ لان جودة هواء هذا الجبل مشهورة وليس في اليونانية ما يشعر بهذه التسمية

وجوّد صاحبنا الكلام على جغرافية زحلة وهوائها ومائها وعمرانها ونباتاتها وحيواناتها وتربتها وصخورها وحوادثها القديمة والحديثة ومشاهيرها واسرها ونهضتها بعبارات سهلة خالية من الشوائب وتنسيق لطيف وعلق على كلامه حواشي مفيدة على البلدان والقرى التي يذكرها فنرجو له التوفيق الى ابراز غيره من الرسائل والكتب النافعة في التاريخ والسير

ديوان الهلالي

طبع بمطبعة حماة سنة ١٣٢٩ ص ٢٦٨

ناظم هذا الديوان الشيخ محمد الهلالي الحموي المتوفى سنة ١٣١١ من مشهوري الشعراء المتأخرين ومعظم ديوانه اماديح لأناس من معاصريه وان كان بعضهم يستحق المديح غير ان اكثرهم لا يستحقون ان يذكروا بكلمة خير لانهم ما جبلوا الا على الشر ولكن أناساً من متأخري الشعراء جعلوا الاكتساب بالشعر حرفة لهم فيطنبون في كل من يفضل عليهم و يتمحلون له المناقب التي لو تيسر جمع بعضها في فرد لعد مصلح عصره وعالم دهره وسيد مصره . وهاك نموذجاً من مدحه المحمود في عالم الامراء في زمانه الامير عبدالقادر الحسني الجزائري :

شام برق الشام وقت السحر ... فاستفزته دواعي السهر
وصبا لما استمالته الصبا ... من شذا الربوة ذات الشجر
ربوة ذات قرار ومعفا ... ومعين ونسيم عطر
جنة الله التي في الارض قد ... فاخرت زهر السما بالزهر
بقصور لم تزل تجلى بها ... قاصرات الطرف فوق السرر
وخدور لبدور طلع ... قد سلبن الحور حسن الحور
خرد من كل خود وجهها ... عبرة بالحسن للمعتبر
وفتاة كمهاة في الخبا ... تأسر الاسد بطرف الجؤزر
بانة قامتها غصن نقا ... في كثيب بارز مستتر
يا لها عبسية ان غضبت ... عبلة الردف بلحظ عنتري
بابي ناهدة بنت ثما ... ن وست ضرة للقمر
اخت شمس في سماء مطلع ... فرقد الفرق بليل الشعر
بجبين ان تندى عرقاً ... رصع الشمس بشهب الدرر
ما سواها الكوكب الدري في ... افق الحسن البديع الانور
لست انسى اذ غدت تسفر عن ... غرة تشرق تحت الطرر
حبذا سين ثنايا صانها ... ميم ثغر فيه عين الخضر
وبروحي اعين نرجسها ... يحرس الورد بروض الخفر
اعين سكرى وكسرى في الهوى ... ابداً من جفنها المنكسر

لا يغرنك منها ضعفها انها عندي لاحدى الكبر
واعناني بقسي من حوا جب ترمي بسهام القدر

الى ان يقول في مدحه :

سيدي الغازي الذي منه الجزا ئر كانت للندى في ابحر
اسد الله عَلَى اعدائه حين يسطو بالحسام الذكر
لو تراه والعدى في رهج قسور الفتك ببهم الحمر
قسور منه يفرون كما فر ابليس الغوي من عمر
بطل منتقم لله لا لهوى النفس ولا للبطر

وقال يهجو اهل بلده من قصيدة :

نفر عن النور المبين من العمى نفروا الى ظلم الضلالة نفارا
حمر لقد خلق الشعير لهم فلا عجب اذا لم يفهموا الاشعارا
فقهاء انى يفقهون وان من عاداتهم ان يحملوا الاسفارا
عدد بلا عدد لذاك نعدهم لصغارهم بين الكبار صغارا
اف لما غرسوه من عيب ومن غرس المعايب يجن منه العارا
شركاه مكر لم تزل اشراكهم تصطاد من اوكارها الاطيارا
خسروا فلازر بحت تجارة خاسر اضحى باسواق الاذى سمسارا
شروا الضلالة بالهدى عمداً ومن غالي الشريعة ارخصوا الاسعارا
علماء تصريف بتحريف الكلا م عن المواضع يمنة ويسارا
لبسوا الرياء فشف عن اوزارهم وكفى بذاك فضيحة وشنارا
ركبوا الكبائر معجبين لكبرهم بنفوسهم فاستصغروا استصغارا
وتبادروا فتفاخروا في اخذهم مال اليتيم مغانماً ومغارا
من كل محتال تراه ثعلباً طوراً وطوراً بالمكايد فارا
متفلسف كالسامري كهانة وكعجله تركيبة وخوارا
كالماء دينا والتراب كثافة والنار خلقاً والهواء قرارا
جبري اذا لم ترشه قدري اذا استمطقته واريته الدينارا
فاسأل صلاة الصبح عنه هل لها علم به واستخبر الاعصارا
شيخ اذا استدعيته لخصومة بوديعة لا يدعي الانكارا

بل يدعي ضاع المتاع ولم يخف يوم اللقا التقرير والاقرارا
او جئته مستشفعاً في شفعة علماً بان الجار يرعى الجارا
يسعى ليسقط حقها متحيلاً في صرة مجهولة مقدارا
حيل اذا حولت ظاهر امرها تلقى بواطنها وبا وقمارا
واضيعة الاسلام في وادي حما لو لم يكن لبني النبي جوارا
وادٍ به العاصي تجرأ واعتدى وعلى الشريعة قد طغى وتجارا

الى ان قال :

وطن توطنه البلا وسطا على جيرانه داعي البلاء وجارا
وعلى نواحيه نواعير النوا ح من البيوت تساجل الانهارا
حزناً على الارض التي قد انبتت بعد القرنفل والورود بهارا
كانت حماة الشام تدعى شامة بين البلاد ولحماة ديارا
واليوم حمى شؤمها عمت فلا تروى لها السبع البحار اوارا
سل سيدي علوان عن عنوانها لما عليها بالدعاء اشارا
واستقص ذلك بالتواتر انه عند الثقات يصحح الاخبارا
فدع الملام اذاً فاني لست او ل قاطع بفروعها الاشجارا
هي منبتي والى حماها نسبتي ولرب شوك انبت الازهارا
وهي العروس محاسناً لكنما شؤم الحماة ينفر الاصهارا

نبذة مختصرة في الصحف العربية المصورة

للفيكونت فيليب دى طرازي

طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٣

ذكر كاتب هذه الرسالة وهو عربي من اهل بيروت الجرائد العربية المصورة التي صدرت منذ عرفت الطباعة الى الآن في الاقطار المختلفة فكان مجموع صحف المسلمين المصورة في سورية ١٧ وعدد صحف المسيحيين ١٤ وفي القطر المصري ٤٢ مسيحية و ٢١ اسلامية و ٧ لجمعيات وفي تونس ٤ للمسلمين وثنتان لليهود وواحدة لجمعية وفي اوربا اربع لمسيحيين و ١١ لاسرائيليين وفي اميركا ٦ للمسيحيين فبلغ مجموعها ١٢٩ صحيفة ظهر اكثر من نصفها في مصر كما صدر اكثر من نصفها على يد نصارى سورية ٠

سورية

نشر صديقنا خير الله افندي خير الله مبحثاً طويلاً في سورية باللغة الافرنسية صدرت به مجلة العالم الاسلامي الباريزية عددها الثاني من السنة السادسة فجاء في ١٤٣ صفحة محلى بصور بعض مشاهير الادباء والاديبات من اهل بلادنا فبدأ بوصف بلاد الشام وأصول شعوبها واحصاء نفوسها واديانها وشيعها المستقلة , الحركة العلمية فيها ووصف مدارس الاجانب والوطنيين من المسيحيين وافاض في صحافتها ولا سيما الصحافة البيروتية واللبنانية ومطابعها قديماً والحياة الاجتماعية والادبية والسياسية فيها الى غير ذلك من الفوائد التي تشف عن بحث وتجارب والايضاحات التي يحتاج الى معرفتها ابن البلاد دع غيره من الغرباء

وقد افاض في موضعين من مبحثه بذكر ايادي فرنسا على سورية في نهضتها العلمية فقال اننا قوم نحب فرنسا وقد تأدبنا بلسانها وآدابها ولكن حبنا لها لا يدعونا الى ان ننسى انفسنا , وقد استشهد بجملة من مبحثه المنتقد « المسألة الاجتماعية والمدرسية في سورية » الذي لخصناه للقراء في مجلد السنة الثالثة من المقتبس فابان عن علم فيما خاض عبابه فقال لم نتشرف بان نكون فرنسيساً بل نحن سوريون نحب فرنسا حباً بالآداب والافكار الفرنسوية نحن معها كالسويسريين من سكان لوزان والبلجيكيين من سكان لج « يتكلمون بالافرنسية ولكنهم ليسوا فرنسيساً » يجب ان تكون لنا اللغة الافرنسية لا أداة من ادوات الزينة الفارغة بل دعامة متينة من دعائم الاخلاق ومن مصلحة سورية كما انه من مصلحة السياسة الافرنسية ان يحتفظ الرجال في بلادنا باخلاقهم الوطنية ومشخصاتهم الخاصة متعلمين في مدرسة فرنسا متشبعين بافكارها ودارسين آدابها وهذا امر سهل لانا اذا آثرنا التربية الافرنسية فذلك لانها توافق عقولنا وميولنا اكثر من سواها . وقال ان على فرنسا ان لا تنسى ما قدمت لسورية وتختار من رجالها من يحسنون تنمية تلك البذرة من المدنية التي بذروها في تربة الشام

والخلاصة ان الكاتب تساهل جداً في تسرب التربية الافرنسية الينا مما هو ولا جرم مدرجة الى ضياع مشخصاتنا وقوميتنا وقوله ان التربية الفرنسوية موافقة لميولنا ودرجة عقولنا فيه نظر لان من نشأوا على التربية التركية او التربية الاميركانية او الانكليزية او التربية الروسية او الرومية من ابنائنا يدعون مثل هذه الدعوى اما نحن فالاجدر بنا ان نأخذ عن كل أمة من أمم اوربا ما عندها من الفضائل والصناعات

والعلوم ونكون لنا مع الزمن مدنية عربية وطنية تلتئم مع الكل ولكنها ليست لأحد

وقد لاحظنا على المؤلف انه غالى في تقدير عدد الموارنة في سورية بأربعمائة وخمسين الفاً والظاهر انهم لا يزيدون عن ثلثمائة وخمسين الفاً على ان الاحصائيات ناقصة في هذا الباب كما قال. ثم انه غالى في ترجمة بعض الاشخاص فقد رأيناه قال في احدهم انه فوق الاحزاب وانه لم يخدم الا المصلحة العامة وما قط فكر في نفسه ولو تعمق في البحث لعرف ان الواقع يخالفه وليس مثل كلام المرء واعماله دليلاً على نياته ومبادئه . وقد تفضل الصديق المنشئ فاستشهد بقولنا في ارتقاء المسيحيين عن جيرانهم المسلمين وهو الفكر الذي طالما جاهرنا به ولكنه فاته ان في المسلمين والمسيحيين ايضاً رجالاً من ابناء سورية عملوا للمصلحة العامة وخدموا الآداب والمدنية بكتاباتهم ورسائلهم وكتبهم امثال الشيخ طاهر الجزائري والسيد عبد الرحمن الكواكبي والشيخ رشيد رضا والشيخ جمال الدين القاسمي ورفيق بك العظم وحقي بك العظم والشيخ محمد بدر الدين النعساني والشيخ احمد رضا والشيخ سليمان الظاهر والشيخ احمد عارف الزين وزكي بك مغامز وعبدالله افندي مخلص وجرجي افندي يني والشيخ عبد القادر المغربي والدكتور عبد الرحمن شهبندر وفارس افندي الخوري وعبد الوهاب بك الانكليزي وشفيق بك المؤيد وشكري بك العسلي وقسطاكي بك الحمصي ومحمد علي افندي حشيشو وغيرهم من حملة الاقلام ودعاة الاصلاح ولعله لم يلم بتراجمهم الماماً كافياً فاقتصر على من عرف منهم

بساط العقيق

في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق

تأليف السيد حسن حسني عبد الوهاب طبع بالمطبعة التونسية سنة ١٣٣٠ في تونس صفحة ٩٢

عرف مؤلف هذا الكتاب بما نشره في مجلة المقتبس من رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني ملقى السبيل لابي العلاء المعري وما علق عليها من الحواشي المفيدة الدالة على انه من الاساتذة الذين يعملون على طريقة غربية شرقية اي على الاصول الاوربية الحديثة يمازجها التشبع بروح الحضارة العربية وقد الم في كتابه هذا بشيء من حضارة الاسلام في افريقية وما وصلت اليه القيروان من درجات الرقي الباهر

ونظام الحكومة العربية والهيئة الاجتماعية عَلَى اسلوب جديد لاحشو فيه يدعم اقواله بالادلة التاريخية نقلاً عن ثقات المؤرخين والجغرافيين فيصور لك ما بلغتهُ بلد الكاتب من الارتقاء عَلَى عهد ابن رشيق اديب القطر التونسي وشاعره الذي وضع له ترجمة حافلة آخر الكتاب الذي دل بمجموعه على علو كعبه في التاريخ والادب ولو كان جميع من يبرزون تآليفهم للناس يتعبون بالبحث فيها كما بحث هذا المؤلف لظلت معظمها من التآليف التي تصبر عَلَى غابر الاحقاب ولذلك نشكره باسم الادب العربي ويا حبذا لو حذا حذوه غيره من نبهاء الاقطار وكتبوا عن اقطارهم وشعرائهم وادبائهم عَلَى الطريقة المشار اليها ٠

تاريخ الحرب العثمانية الايطالية

تأليف سليم افندي قبعين طبع بمطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٣٠ — ١٩١٢

عرف صديقنا مؤلف هذا الكتاب باختيار اجمل الموضوعات في ما يكتب وينشر مما يجمع بين العلم واللذاذة وآخر ما ابرز من قلمه هذا السفر الممتع جعله عشرة اجزاء تقع في نحو ستمائة صفحة ضمنها حالة طرابلس وبرقة وجغرافيتهما وتاريخهما ثم الحرب الطرابلسية وما كان من اثرها وما تخللها من الوقائع نقلاً عن مصادر انكليزية وروسية وافرنسية وتركية وغيرها وحلى كل جزء برسوم عديدة تصور الوقائع والمواقع لنظر المطالع فجاء كتابهُ فرداً في بابه سد نقصاً كبيراً في باب التواريخ العربية وخلد لمن عاونوا في الحرب معاونة مالية او بدنية او عقلية اجمل ذكرى لا تمحى من الاذهان او يمحى مصور طرابلس وبرقة من كتب تقويم البلدان فنهنئ المؤلف النشيط عَلَى عمله النافع ونسأل له التوفيق الى ابراز امثاله ترجمة كان او تأليفاً

الرحلة اليمانية

تأليف السيد شرف عبدالمحسن البركاتي طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ — ١٩١٢ ص ١٢٧

دون المؤلف في هذه الصفحات رحلته مع الامير الاكبر الشريف حسين باشا امير مكة المكرمة الى بلاد عسير لمقاتلة السيد محمد بن علي الادريسي القائم في ذاك القطر فذكر المراحل وما وصل اليه من المعلومات عن احوال تلك الجهات في العلم والاقتصاد وغيرهما فدل عَلَى بعد نظر وفضل وذكاء ٠ وأفاض في الكلام عَلَى اليمن ثم تكلم عَلَى جزيرة العرب الا اننا رأيناه غالى في وصف شعبذات الادريسي مما لا

نظن ان رجلاً تعلم في مصر عَلَى ما هو المعروف تحدثه نفسهُ في مثل هذا التصرف بأتيه وكنا نريد ان تُنزه هذه الرحلة النافعة عن التعرض لمثل هذا اذ ان من عادات السياسيين ان يتهموا خصومهم انواع التهم وما ننس ما قاله مؤرخو الحكومة في الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي وجماعته وما افتروه عليهم ثم ثبت للتاريخ خلافه. وانا نتلقى العبارات التي اوردها صاحب هذه الرحلة وربما كان نقلاً عن غيره بغاية الاحتراس وعساه ينظر في ذلك ويبحث عنه من الثقات ويضيفه الى طبعة ثانية من كتابه فتكون رحلته تاريخاً حقيقياً خالداً لا اثر فيه لاهواء السياسة وعَلَى كل فنشكر الكاتب عَلَى رحلته ونرجو ان ينظر نظراً بليغاً في عبارة الكتاب وطبعه في المرة التالية.

مطبوعات الآباء اليسوعيين

ثلاثة كتب جديدة اهدتنا اياها ادارة المطبعة الكاثوليكية في بيروت الاول «اطرب الشعر واطيب النثر من قدماء الادباء واهل العصر» وهذا القسم الاول وهو اطرب الشعر كان ظهر في مجلة المشرق ومعظمه في موضوعات دينية لاناس اذا تجوزنا وعددناهم نظامين فلا نعدهم في الشعراء بحال لان الشعر شعور واكثر هذه القصائد التي رآها مدير المشرق من الكلم النوابغ كالخرنوب رطل نشارة في درهمات من العسل بل معظم القصائد لا وزن فيها ولا قافية ولا لفظ ولا معنى وغريب بعد كل ذلك ان تنشر هذه القصائد عَلَى انها عنوان البلاغة والفصاحة لتحداها طلابهما ولو انصف ناشرها لرمى بها في سلة سقط المتاع ولما اتعب الطابع بصف حروفها والقراء بمطالعتها لئلا تخدش عليهم ملكتهم العربية وكان الواجب ان ينشر لهم الشعر العالي لمن اشتهروا في هذا العصر بجودة قريضهم وسلاسته امثال اسماعيل صبري واحمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران وشكيب ارسلان ومعروف الرصافي وعبدالمحسن الكاظمي وطانيوس عبده ونقولا رزق الله وعشرات غيرهم في مصر والشام والعراق وهم حملة راية القريض وأمراء البيان بلا جدال ومثل هذه القصائد او معظمها تخجل الجرائد الساقطة من نشرها دع تجليدها في كتاب وبيعها من الناس لتفسد لهم ملكاتهم وما الداعي الى نشرها الا لانها تضرب عَلَى نغمة تهتز لها اوتار قلوب ناشريها وحبك الشيء يعمي ويصم

الكتاب الثاني «المذاكرات الجغرافية في الاقطار السورية» هي كراسة في ٦٤

صفحة من قلم الاب هنري لامنس المولاندي اليسوعي كان نشرها في مجلة المشرق وقد ألم بها بحالة سورية الطبيعية والاقتصادية و بمعض ما كتبه العرب في وصفها في القرون الوسطى واجاد المؤلف كل الاجادة في التعريف بذلك وكنا نود لو اتم هذه السلسلة المفيدة لانه يكتب عن بحث طويل و ينقب في كل ما نشره في هذه الديار من المصنفات تنقيب عالم ضليع في موضوعه واسع الافق في المادة العربية والافرنجية التي يستقي منها ولو كان لكل من يؤلفون من الكفاءة في موضوعاتهم ما للاب لامنس لاستراح النقاد من نقد التآليف الغثة التي تصدر من مطابع الشام ومصر خصوصاً ولتوفرت عَلَى الامة اغلاط وخرافات تزيدها اغلاطاً عَلَى اغلاطها وخرافات الى خرافاتها

الكتاب الثالث « قانون بني عثمان المعروف بآصف نامه » تأليف لطفي باشا وزير السلطان الكبير نشره الاب لويس شيخو علق عليه بعض حواش وفيه فائدة تاريخية نافعة لمن يتتبع تاريخ العثمانيين يعرف اسلوبهم في ادارتهم وسياسة بلادهم ايام عزهم

البرامكة

اعتاد صديقنا الموسيو لوسين بوفا من علماء المشرقيات ان يأتي الحين بعد الآخر الى عالم العلم بابحاث شرقية رقيقة تمد ابتكاراً وابداعاً في بابها وآخر ما كتب بالافرنسية بحث في البرامكة وتاريخهم نقلاً عن مؤرخي العرب والفرس وقد وقع بحثه في ١٤٤ صفحة افاد فيها واجاد عَلَى عادته والم بجميع ما ينبغي ان يعرف عن هذه الاسرة التي كان لها شأن واي شأن في اوائل الدولة العباسية

تقويم البشير عن سنة ١٩١٣

هذه هي السنة السادسة والثلاثون لظهور هذا التقويم المفيد وهو في هذه السنة من تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي مدير جريدة البشير وفيه فوائد غزيرة مثل حساب السنة بل السنين والاوقات والاعياد والاصوام واسماء الرؤساء الروحيين ورؤساء الممالك وقناصل الدول ومعلومات نافعة عن ولاية بيروت ومتصرفية لبنان والولايات العثمانية واحوالها الادارية واسماء قرى جبل لبنان وشذرات مدنية وتاريخية وجدول السلاطين العثمانيين وولاة العهد والجرائد والمجلات العربية في السلطنة وتعريفات البرد والتلغرافات والسكك الحديد وجداول النقود الى غير ذلك

من الفوائد التي تهم مما دل عَلَى ان العناية بهذا التقويم تزيد سنة عن سنة بفضل مؤلفه و بعد نظره

دروس الفقه

تأليف الشيخ محيي الدين الخياط

طبع في المطبعة الاهلية في بيروت

تعنى المكتبة الاهلية في بيروت بطبع مختصرات مدرسية عَلَى نفقتها ومنها هذا الموجز اللطيف وهو يشتمل عَلَى ثلاثة فصول في اربعة وثلاثين درساً تفصل بها عقائد الاسلام واحكام العبادات عَلَى الطريقتين النقلية والعقلية في ٧٢ صفحة

المطالب العلية في الدروس الدينية

تأليف الشيخ محمد راغب الطباخ

طبع في مطبعة البهاء بحلب سنة ١٣٣٠

هذا القسم الاول من هذه الدروس النافعة العملية في العبادات وما يقتضي للصغير معرفته وقد قررت اللجنة العلمية ومجلس معارف ولاية حلب تدريسه لتلامذة السنة الاولى والثانية في المكاتب الابتدائية ٠ والمؤلف من رجال النهضة السورية بفضله وفضيلته

بغية الراغبين وقرة عين اهل البلد الامين

فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة ام المؤمنين

تأليف السيد عبدالله الزواوي طبعت بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٣٠

هذه الرسالة تشتمل عَلَى ذكر احوال عين زبيدة التي يستقي منها اهل مكة المكرمة وما لها من المنافع العمومية للقاطنين بتلك البقاع المقدسة والوافدين عليها من جميع الاقطار مع بيان الاصلاحات التي احدثته اللجنة المؤلفة لذلك تحت رعاية سيادة شريف مكة المكرمة وذكر مباحث تتعلق بخطط هذا البلد الامين وغير ذلك

الاربعون حديثاً المسلسلة

جمعها عبدالله افندي الكزبري طبعت بمطبعة الفيحاء بدمشق سنة ١٣٣٠

هي اربعون حديثاً مسلسلة بالسادة الاشراف متصلة سلسلتها بامير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم رآها جامعها في ثبت

محدث الديار الشامية في عصره الشيخ عبدالرحمن الكزبري · وقد جعل لها مقدمة بنسب بيت الكزبري اجداده فله الشكر

قاموس القضاء العثماني

لسليمان افندي مصوبع طبع بمطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٣٠

كتاب من اجل الكتب التي صدرت تحت سماء سورية في العهد الاخير يحتوي عَلَى جميع الاحكام الشرعية والقانونية المتعلقة بالمعاملات العادية والتجارية والمحاكمات والعقوبات والفرائض والاوقاف ومقررات المعاهدات والامتيازات المعطاة للاجانب والرؤساء الروحيين من الملل غير المسلمة مضافًا الى بعض النصوص الغامضة الشروح المعلقة عليها والمقررات الرسمية المفسرة لها مع مقررات الدوائر التشريعية التي وضعت لحل بعض الاحكام القانونية · كل ذلك عَلَى حروف المعجم يسهل الاهتداء الى مواده · وقد اعتمد فيه المؤلف وهو من رجال المحاماة في صيدا عَلَى مصادر متنوعة عثمانية ومصرية تدل عَلَى تضلعه من هذا الفن الجليل وتلطفه في التنسيق والوضع وقد صدر من الكتاب حتى الآن ثلاثة اجزاء وقعت في ٣٦٠ صفحة فنرجو للمؤلف التوفيق الى اكمال عمله العلمي النافع

في بلاد الناس او رحلة الشتاء والصيف

لصاحبها عبدالمجيد افندي كامل

الجزء الاول طبع بمطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٣٠ — ١٩١٢

هي رحلة موجزة رحلها المؤلف في بعض بلاد ايطاليا وسويسرا وفرنسا ووصف فيها ما اثر في نفسه وفيه النافع كما فيه شؤون لا تخلو منها بعض الرحلات الحديثة من الاحاديث الخاصة التي لا علاقة لها بالعموميات ولا تفيد الجمهور مثل الكتاب المنشور في صفحة ٤٢ وما تبع ذلك من اتهام المؤلف المصري بتهمة التجسس عَلَى بعض ابناء وطنه في اوربا · وقد قدم المؤلف رحلته الى عبد المجيد افندي نجل ساكن الجنان السلطان عبدالعزيز خان

كتاب الملهوف عَلَى قتلى الطفوف

للامام رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس البغدادي

طبع بمطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٢٩

مؤلف هذه الرسالة من علماء الشيعة في القرن السادس جمع فيها خبر مقتل آل

البيت عليهم السلام وما تقدم هذا العمل الفظيع في تاريخ الاسلام وما تأخر عنه من الوقائع المؤلمة عَلَى اسلوب مؤثر وقد وقع في ١٦٠ صفحة صغيرة

هداية المتعلمين الى ما يجب في الدين

للشيخ احمد رضا طبعت بمطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٣٠

هي رسالة مختصرة فيما يجب عَلَى المسلم معرفته وما يحتم عليه الاعتقاد به عَلَى طريقة السؤال والجواب الفه المؤلف لافادة ابناء المدارس من ناشئة الوطن العاملي اي لابناء الشيعة في بلاد بشارة وقد مزج فيه الاعتقاد الديني بالاعتقاد الزمني واورد ما يجب عَلَى من يتمذهب بمذهبه اعتقاده في الامامة

آثار ذوات السوار

لجامعه محمد علي افندي حشيشو طبع بمطبعة العرفان في صيدا صفحة ١٦٠

أجاد مؤلف هذا الكتاب وهو من نوابغ مدينة صيدا في اختيار هذا الموضوع لافادة الجنس اللطيف والجنس النشيط معاً وذلك بجمعه عن اوثق كتب الادب الحكايات والقصص ، الاشعار والاجوبة التي صدرت عن النساء في صدر الاسلام وعهد نضارة لغة العرب وقد علق عَلَى بعض الالفاظ اللغوية شرحاً موجزاً يحل غامض المعاني فجاء كتابه جديراً بان تعتمده في التدريس مدارس البنات العربيات ليعرفن كيف كانت جداتهن في الفضل والكمال و يأخذن البلاغة من معينها الصافي من الكدورات

ديوان الادب

في نوادر شعراء العرب

لنسيم افندي الحلو طبع بمطبعة العرفان في صيدا سنة ١٩١٢

خص جامع هذا الكتاب الجزء الاول في نوادر الشعراء الاقدمين والثاني في نوادر الشعراء المعاصرين وعزا كل قصة او قصيدة او بيت لقائله فجاء كتابه مسلياً لطيفاً وحبذا لو كثرت امثال هذه الكتب والرسائل التي يراعى فيها الادب وذوق البلاد لتقوم مقام بعض الاقاصيص المعربة عن اللغات الافرنجية التي كتبت لامة غير امتنا وهي لا تفيدنا في آدابنا ولا قلامة ظفر دع ما في اكثرها من الركاكات المستهجنة وقلة الادب

رسائل متنوعة

الاولى ثلاث رسائل للشيخ حسن الشطي طبعت بمطبعة روضة الشام سنة ٣٢٨ وهي رسالة في الكلام عَلَى البسملة الشريفة ورسالة في مبحث التقليد والتلفيق ورسالة في فسخ النكاح عَلَى المذهب الحنبلي

الثانية كتاب مصر وسورية وهي مجموعة مقالات ادرجت في جريدة النصير البيروتية لنسيم افندي ملول ·

الثالثة ابناء الفقر اكثر تأثيراً في ترقية الهيئة الاجتماعية من ابناء الغني للمقيلة على صائغ كساب وهو خطاب طبع في مجلة الحسناء

الرابعة تقرير جمعية الملجإ الصحي التدرني في ظهر الباشق قرب قرية رومية لبنان ١٩١١ — ١٩١٢ وفيه خلاصة اعمال هذا الملجإ واسماء من تبرعوا له وقانونه

اخبار وافكار

المستعمرات الاجتماعية

احدثت حماية الاولاد المهملين المتشردين والمجرمين عناية فائقة في جميع بلاد الغرب منذ ثلاثين سنة وكان السابق الى الدعوة للنظر في هذا الامر الخطير جول سيمون الفيلسوف الفرنسوي ثم تابعه كثير من اهل البحث والنظر والفلسفة وفي جملتهم الفيلسوف ريبو وقد ذهب الباحثون في ذلك مذهبين فمنهم من رأى اخذ الولد المجرم من اهله لئلا يؤثر فيه محيطهم وان يسلم الى اسرة شريفة تنظر في تربيته وتقدم عَلَى تهذيبه وقد نجحت هذه الطريقة كثيراً الا ان بعض الباحثين في الجرائم يزعمون انها لا تنتج نتيجة حسنة حقيقة في احوال كثيرة من شأنها ان تحمل الولد عَلَى ارتكاب الجرائم منذ صغره لفساد طرأ عليه ومن رأيهم ان مدارس الاصلاح او مستعمرات التوبة تنجع في تحسين حالة الاولاد الفاسدين ليس الا وبهذا النظر انشئت معاهد للاولاد في البلاد الغربية مثل الولايات المتحدة والمانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا والمجر والبلجيك وهولاندة وسويسرا

وأهم ما انشئ من نوعها ما كان في سويسرا فان اساسها النظام يعيش فيها الاولاد مطلقة حريتهم بدون ان يخضعوا لمراقبة الحراس عليهم ويعنى بهم عناية لا يشعرون بثقل عليهم بها وهم محفوفون بكل ما يساعد عَلَى تربيتهم في محيط ادبي واذا نظر اليهم

المرة لاول وهلة بظنهم تلامذةداخليين متمتعين بحريتهم ولهم حرية تامة في اعمالهم يذهبون ويجيئون كما يشاؤن و يتكلمون كما يفكرون و يعملون بدون ان يستولي عليهم ادنى خوف من سلطة فوق رؤوسهم ولا يلاحظون انهم مراقبون يعيشون كأنهم في عائلة متمتعين بحماية خالية من القسوة الظاهرة ومن مرض منهم يعنى بامره عناية فائقة كأنهم بين اهلهم وذويهم وهكذا لا يزالون بهم حتى ينسوا ان ماضيهم كان سيئاً و يكفرون عما قدمت ايديهم بتحسين الاخلاق وتوسيع العقل وهذه الطريقة تعدهم للدخول ذات يوم في المجتمع الذي يتلقاهم كأنه نسي ما أتوا سابقاً

و بعد ظهر كل احد يعطون دروساً في التربية في صورة محاضرات تؤخذ موضوعاتها من تاريخ مدنيات الامم . وتكون هذه المحاضرات بحسب سني الاولاد يلقيها معلمون او معلمات واذا شوهد ان احد الاولاد لم يجع فيه نصح القائمين على اصلاحه يعزل عن رفاقه بدون ان تساء معاملته . و بالجملة فكان خير طريقة في هذا الباب طريقة التربية على الاسلوب البيتي وتكون هذه المستعمرات في الفلاة وسط الغابات حيث يجتمع الاولاد فرقاً فرقاً كل فرقة مؤلفة من خمسة عشر ولداً تحت نظارة معلم يسمونه ابا الاسرة و يسكن معهم في مستعمرتهم و يعيش وإياهم يلعب العابهم و يعنى باصلاح ذكائهم او اعداده و يهيء لهم مستقبلهم بان يعلم كل واحد منهم صناعة وقد كان سنة ١٩٠٠ في سويسرا ٣٦ معهداً مثل ذلك فيها ١٥٧٨ ولداً

حماية الطيور

تفكر انكلترا في سن قانون تحظر به صيد الطيور الا قليلاً اذ ثبت ان النافع منها في اهلاك الحشرات قد يصاد فيعود من ذلك ضرر كبير على الزراعة . والناس بعد التفنن في اسلحة الصيد عادوا فانشأوا اسلاكاً كهربائية يضعونها فيصعقون بها دفعة واحدة عشرة آلاف طير فاذا شاعت هذه الطريقة في كل مكان لا تلبث ضروب الطيور ان تنقرض وقد حسب العلماء انه اذا انقرض الطير لا تمضي ثماني سنين حتى لا تعود الارض صالحة لسكنى الانسان . ورأى بعضهم ان خير طريقة لمنع صيد الطيور ان تشدد الحكومات فيه كثيراً وان يعاونها الناس على تنفيذ القوانين كأن يعلم المعلم في المدرسة منافع الطيور ومضار فقدها لانهم تحققوا في اوربا ان المدارس التي عني معلموها بنصح التلاميذ ان لا يأخذوا اعشاش الطيور ليلعبوا بها قد اتت بنتائج حسنة وقد أقاموا في المجر سنة ١٩٠٧ عيداً سنوياً للطيور اشترك فيه

زهاء مائتي الف ولد وقد وزعت النمسا في السنة الماضية اربعة عشر عش صناعي مجاناً وفي المانيا يعاقب من يزيل وكنة احد الطيور بغرامة مائتي مارك وربما حبس احياناً ولكي ينال المرء الحق في وضع بلبل في قفص يجب عليه ان يطلب رخصة خاصة ويدفع رسماً لمنفعة بيوت الاحسان اما سويسرا فان قانونها لحماية الطيور اشد من كل بلد حتى لقد يصح ان تسمى هذه الجمهورية محبة الطيور — عن مجلة الدنيا الفرنسوية ·

لاتقاء الحر

اشتدت الحرارة هذه السنة في اكثر الاقطار وقد كتبت بعض المجلات الاوربية نصائح صحية للناس خلال فصل الصيف جاء فيها ان ما يعمد اليه الناس من استعمال المثلجات والمبردات قد ينشأ منه احتقان مختلف الاشكال ويحدث تعباً في الجسم واعياء فالمبردات لا ترطب الجسم بل تثقل على المعدة وتفسد الطعام الذي فيها وتتعب الكلى والمثانة بيد ان العرق مفيد لانه عبارة عن غسل الداخل نحو الخارج لانه يحذف المواد الوسخة من الجسم ولا سيما جوهر البول والحامض البولي ولكن ذلك لا يطلب بتناول المثلجات بل بالرياضة المعتدلة على شرط ان يغير المرء ثيابه كلما عرق لئلا يبرد جسمه بهذا التبخر وينبغي الامتناع في الحر عن المشروبات الروحية وان لا يتعرض المرء للشمس فلا يخرج ان امكن من محله وقت اشتدادها واذا خرج فلا بأس بان يحمل شمسية ويحمل على عنقه منديلاً ويلبس البسة رفيعة تكون الى البياض اقرب واسعة بحيث يتخللها الهواء وان يقلل من الطعام ولا سيما ما كان منه مهيجاً ويكون على الاكثر الباناً وبقولاً وينبغي ان تكون الثمار ناضجة جداً مطبوخة عند الاقتضاء وان يمتنع عن الزبدة والمربيات وان يقتصر على الماء المقطر النقي يؤخذ عند العطش بكمية قليلة او تؤخذ مياه معدنية مكفولة من ينابيعها وان يستحم المرء وينام مغطى قليلاً لئلا يخالف الهواء في الليل فما يضر بصحة النائم التنقل من حر الى برودة ولا بأس بان يفتح باب غرفة النوم اذا كانت متصلة بغرفة اخرى يلعب فيها الهواء او تكون متصلة بدهليز

رسالة في الكلمات المعربة

لابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٢

تابع ما قبله

السين : الساباط موضع بالمداين معرب بلاس آباد و بلاس اسم رجل وصوّب تعريبه من شاه آباد معناه معمور الملك والساباط سقيفة بين دارين تحتها طريق (الساذج) هو المجرد او الاطلس معرب ساده (السبج) هو الخرز الاسود معرب شبه (السبيج) البقير وهو القميص معرب شبي (السبذة) بالتحريك شبه المكتل معرب (السنوقة) هي التي وسطها نحاس او رصاص ووجهها فضة معرب سه توبه (١) (السجنجل) هي المرآة رومية معربة (السجيل) عن مجاهد انه فارسي اوله حجارة وآخره طين معرب سنك كل اي حجارة طين (السجين) ذكر ابو حاتم في كتاب الزينة انه غير عربي (السخت) قال ابو عبيدة ربما وافق الاعجمي العربي كما قالوا غزل سخت اي صلب وقيل السخت الشديد وربما استعملت العرب بعض الفاظ العجم كما قالوا للمسح بلاس (السختيان) وبفتح جلد الماعز اذا دبغ معرب (السدير) فارسي معرب اصله سدلي (٢) اي قبة في ثلاث قباب متداخلة (السرادق) ستر الدار معرب سراپرده هذا ما عليه الاكثر واما ما قيل انه معرب سراطاق فمبني على المناسبة اللفظية (السرداب) بناء تحت الارض للصيف معرب (السرقين) الروث معرب سركين (السفتجه) كقرطقة ان يعطى مالاً لاحد وللآخذ مال في بلد المعطى فيوفيه اياه ثمة فيستفيد امن الطريق وفعله السفتجة بالفتح معرب سفته (السكباج) حساء حامض معرب سركبا (السكر) ما ينعقد من ماء القصب معرب شكر (السكنجبين) شراب قامع للصفراء معرب سركنكبين (السمرج) استخراج المال في ثلث مرات معرب سه مره (سمرقند) معرب شمركند قال ابن خلكان ان شمر اسم جارية للاسكندر مرضت مرضاً شديداً فوصف لها الاطباء ارضاً ذات هواء طيب واشاروا له بظاهر

---

(١) قوله معرب ستوبه في ترجمة القاموس : نقلاً عن شارحه معرب:سه توي وفي الاختري معرب عن ستو وفي طلبة الطلبة للنسفي سه تاه وفي شفاء الغليل معرب سه تا اي ثلاث طبقات فليحرر اه

(٢) قوله سدلي كذا في الاصل وصوابها سه دل اه

صفة فاسكنها اياه فلما طابت بنى به مدينة وكند بالتركي المدينة فكأن يقول بلد شمر (السمند) دابة نارية معرب سمندر (السميذ) نوع من الخبز معرب (السنباذج) حجر المسن معرب (سنجة) الميزان مفتوحة و بالسين افصح من الصاد فانه معرب سنك (السندس) بالضم ضرب من رقيق الديباج معرب بلا خلاف (السوذنيق والسوذق) بفتح السين فيهما الصقر وقيل الشاهين عن الغوري وكذلك السوذانق بضم السين وكسر النون وكلها فارسي معرب (السور) الضيافة فارسية شرفها النبي صلى الله عليه وسلم (السياسة) في النجوم الزاهرة ان جنكيز خان قسم ممالكه بين اولاده الثلاثة واوصاهم بوصايا لم يخرجوا عنها و بقوا مع كثرتهم واختلاف اديانهم الى ذلك يعبرون عن ذلك سه سيا فثقل الى لسان العرب فغيروا الترتيب فقالوا سياسة (السيب) التفاح فارسي معرب ومنه سيبويه اي رائحته لقب عمرو بن عثمان النحوي الشيرازي (السيرج) معرب شيره روغن ·

الشين : (الشاروف) هي المكنسة معرب جاروب (الشاكري) الاجير والمستخدم معرب چاكر (الشبكرة) العشا معرب فعلله من شبكور وهو الاعشى (الشص) مايصاد به السمك معرب شت (الشطرنج) معرب شترنك والسين لغة فيه او من الشطارة من القاموس وفي الاخير نظر (الشفارج) كملابط وهو الطبق فيه السكرجات معرب پيشپارج (الشمختر) كسفرجل اللئيم المنحوس معرب شوم اختر اي منحوس الطالع (الشنقار) نوع من ذوات المخلب معرب سنقر (الشوذر) هي الملحفة معرب چادر (الشيطرج) بالكسر دواء معروف معرب چرنك (١)

الصاد : (الصرد) البرد فارسي معرب (الصرم) الجلد معرب چرم (صرمنجان) ناحية من نواحي ترمذ معرب چرمنكان (الصقر) نوع من ذوات المخلب معرب چرخ (٢) (الصك) كتاب الاقرار معرب چك (الصنار) في الاساس الدلب الصنار منه يتخذ النواقيس معرب چنار (الصنج) آلة باوتار يضرب بها معرب چنك (الصولجان) هو المحجن لعله معرب چوكان ·

الطاء : (الطاجن والطيجن) مولدة اذ الجيم والطاء لا تجتمعان في كلمة عربية

---

(١) القاموس معرب چيترك بالهندية وفي الاوقيانوس چترك

(٢) قوله چرخ بالخاء المعجمة محرف وصوابه چرغ بالغين المعجمة كما في ترجمة القاموس اه

(الطازج) الطري معرب تازه ومن الحديث الصحيح الجيد النقي (الطباشير) معرب تباشير (الطبرزذ) نوع من السكر كأنه نحت بالفأس معرب تبرزذ وعربيته المبرت ومعناه المضروب بالبرت وهو الفأس (الطراز) بالكسر علم الثوب معرب (الطرخون) نبات معرب اصل عروقه العاقر قرحا (الطست) معروف معرب تشت (الطشتخان) معرب تشت خوان (الطنبور) معرب اصله دنبه بره شبه بالية الحمل (الطنجير) بالكسر معرب تنجره (الطيلسان) مثلثة اللام عن عياض معرب تالسان ٠

العين : (العراق) قال الاصمعي اصلها بالفارسية ويران شهر اي البلد الخراب فعربوها فقالوا العراق (العسكر) اصله لشكر في الاساس له عسكر من مال اي كثير وشهدت العسكرين اي عرفة ومنى فلا يطلق الا عَلَى جم غفير وجمع كثير (عيسى) عَلَى مسماه الصلاة والسلام معرب ايشوع

الغين : (الغيذار) الحمار معرب من الرومية (المغناطيس) حجر يجذب الحديد معرب (الغساق) (١) البارد المنتن بلسان الترك ٠

الفاء : (الفالج) مكيال ضخم معرب ياله (الفالوذ والفالوذق) معربان ونقل فالوذج (٢) (الفاليز) ارض يزرع فيها مثل البطيخ والخيار معرب پاليز (الفانيذ) ضرب من الحلواء معرب پانيد (الفرانق) دليل البريد معرب پروانك (الفرجار) معرب پركار (فرزان) الشطرنج بالكسر معرب فرزين بالفتح (الفرسطون) هو القبان رومية (الفستق) كقنفذ معرب پسته (الفلفل) معروف معرب پلپل (الفلج) (٣) بالتحريك معرب فنك (الفنزج) رقص العجم يأخذ بعضهم بيد بعض معرب پنجه (الفوتنج) دواء معرب پونتك (فور) بلد بساحل بحر الهند معرب پور (فهرس) الكتاب معروف فهرست (الفيج) هو المندب (٤) الساعي معرب پيك (الفيروزج) نوع من الاحجار معرب پروزه (الفيل) دابة معروفة معرب پيل (الفيلسوف) محب الحكمة معرب اصله فيلاسوفا وفيلا هو المحب وسوفا هي الحكمة

---

(١) كسحاب وشداد (٢) قوله ونقل فالوذج كذا في الاصل ولعل الصواب ويقال فالوذج

(٣) قوله الفلج كذا في الاصل باللام وصوابها الفنج بالنون وهو حيوان يتخذ جلده للفراء ويقال هو ثعلب طرابلس الغرب اه

« ٤ » قوله المندب هكذا في الاصل ولعل الصواب الندب وهو الخفيف في الحاجة

ومنه اشتقت الفلسفة كما اشتقت السفسطة من سوفسطا معناه الحكمة المزخرفة ومنه اسطا بالتركي (الفيهج) ما يكال به الخمر معرب ·

« القاف » «قابوس» قابوس ممنوع للعجمة والمعرفة معرب كابوس «١» «القالب» بفتح اللام معروف كالبدر «٢» اتفق انه وازن الخاتم والعالم فظن انه من القلب « القانون » الطريق والقياس دخيل « القبج » معرب كبك لان الجيم والقاف لا تجتمعان في كلمة عربية « القراميد » هي الآجر لعلها معربة يقال بناء مقرمد مبني بالآجر وبنى بيته بالقراميد « القرد » العنق معرب كردن « القرمز » دود يصبغ به « قرميسين » بالكسر بلد قرب الدينور معرب كرماشاهان « قسبند » معرب كسبند لما يشد في الوسط او كوسبند للشاة « القسطاس » صلاية الطيب «٣» رومية « القسي » هو الدرهم الذي خالطه غش وتدليس قال وخمسي «٤» منها قسي وزائف قال الفارسي ان هذه اللفظة معربة ليست باصل في كلامهم ويقال فعيل من القسوة « القطونا » الذي يضاف اليه البزر فيقال بزر قطونا اعجمي معرب « القفشليل » المغرفة معرب كفجه ليز « القفنجر » القواس معرب كانكر « القنطار » اثناعشر الف اوقية رومية « القهندز » هو الحصن القديم معرب كهن دز ولا يوجد في كلامهم دال ثم زاي بلا واسطة « القوش » الصغير (٥) معرب كوچك (القيروان) معرب كاروان ·

الكاف : (الكاغذ) هو القرطاس معرب (الكراسة) بالتشديد واحدة الكراس الجزء من الصحيفة والكراريس جمع معرب كراسة بالتخفيف (الكرباس) بالكسر ثوب من القطن معرب اصله بالفتح غيروه لعزة فعلال (الكرج) كقنبر هو المهر معرب كره (الكرد) العنق معرب كردن (الكسج) كبرقع الكسب معرب (الكستيج) بالضم خيط غليظ يشده الذمي فوق ثيابه دون الزنار معرب (٦) (كسرى) لقب ملوك الفرس معرب خسرو اي واسع

«١» قوله معرب كابوس في القاموس والاوقيانوس هو معرب كاووس

«٢» قوله معروف كالبدر كذا في الاصل وفي العبارة تحريف وصوابها هكذا: بفتح اللام معرب كالب واتفق انه الخ اه «٣» قوله صلاية الطيب اي مدق الطيب

«٤» اوله : ومازودني غير سحق عمامة، وخمسي الخ والبيت لمزرد كما في اللسان اه

(٥) قوله الصغير اي صغير الجثة كما في القاموس يقال رجل قوش بالضم صغير الجثة

(٦) قوله معرب اي معرب كستي اه

الملك (الكس) المن فارسي معرب • الكمك • نوع من الخبز يتزود به معرب كاك • الكلاب • خشبة يشد في رأسها عقافة منها او من الحديد معرب قلاب • الكنز • المال المدفون لعله معرب كنج • الكنيسة • في القاموس هي معبداليهودواوالنصارى او الكفار وذكر الجواليقي انه معرب كنشت وتبين من تحرير صاحب القاموس عدم اختصاص الكنيسة باليهود ولا يقدح في ذلك اختصاص كنشت بهم لان اختصاصه لا يوجب اختصاص معرب به • الكوز » اناء له عروة معرب كوزة • الكيمياء • دخيلة•

الميم : (الماجشون) لقب عالم مشهور معرب ماه كون (المارستان) دار المرضى معرب بيمارستان ويسمى دار الشفاء تفاؤلاً كالسليم والمفازة (المالج) ما يطين به معرب ماله « المترس » خشبة توضع خلف الباب فارسية اي لا تخف « المج » بالفتح حب معرب ماش • المجوس • ذكر الجواليقي انه معرب • المرنج •• ١ المرد والوجه ضم ميمه لانه معرب مرده • المرجان • ذكر الجواليقي انه معرب • المردارسنج • وقد تسقط الراء الثانية معرب مردارسنك • المرزجوش • بالفتح المردقوش معرب مرزنكوش • المستقة • فرو طويل الكمين تفتح التاء وتضم معرب مشته • المسك • بالفتح معرب مشك • المسك • بالكسر معرب مشك • المسيح • لقب عيسى ع م وهو من الالقاب المشرفة معرب مشي • ٢ • معناه المبارك عبرية كما قال في موشى موسى • مشكدانة • بالكسر وبالشين المعجمة لقب عبدالله بن عمر بن ابان المحدث لطيب ريحه واخلاقه فارسية معناه • ٣ • موضع المسك • مصر • علم بلدة عظيمة مشهورة بام الدنيا معرب مصرايم • المنجنيق • «٤» جمع موبذان اوموبذ بضم الميم وفتح الباء فقيه المجوس • المواتيد • هي البقايا واحدها معرب ماتده • المهرجان • هو فصل الخريف معرب مهركان • المهرة • هي الخرزة كان النساء يتحببن بها معرب • الميبختج • هو المطبوخ من الانبذة معرب مي نجته • الميزاب • فارسي معناه الاصلي بل الماء عربوه بالهمز ولهذا جمعوه على مآزيب•

• ١ • قوله المرنج المرد الخ عبارة القاموس المرتج • اي بوزن جعفر • المردارسنج وليس بتصحيف مرنج والوجه ضم ميمه لانه معرب مرده اه

• ٢ • كذا في الاصل وصوابه مشيح • (٣) الصواب معناها

• ٤ • قوله المنجنيق جمع الخ سقط من العبارة شيء ولعل الاصل هكذا المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة معربة من جهنيك • الموابذة • جمع موبذان الخ

النون : • الناخذاة • مالك سفينة البحر او وكيله معرب والجمع النواخذة • النارجيل • جوز الهند اعجمي بَنيّ على غير ابنية العرب • النارنج • ثمر معروف معرب نارنك • النبريج • بالكسر الكبش يخصى فلا يجز له صوف ابداً معرب نبريده • النبهرجة • هي الزيف الردي • معرب نبهره • النردشير • لعب معروف وضعه اردشير بن بابك ولهذا يقال له النردشير • النسف • بجيل معرب نخشب • النشا • لب القمح المنقوع معرب نشاسته حذف شطره • نهاوند • مثلثة النون • ١ • والكسر عن الصغاني والضم عن اللباب بلد من بلاد الجبل جنوبي همذان اصله نوح آوند لانه بناها • النموذج • بفتح النون مثال الشيء معرب نموده والانموذج لحن • النيرنج • معرب نيرنك وجمعه النيرنجات • النيروز • اول يوم من السنة الشمسية معرب نوروز • نيسابور • قال نصر بن محمد بن ابي الفنون النحوي سين العربية شين في العبرية فالسلام شلام واللسان لشان والاسم اشم

الواو : • الونج • بالتحريك مدينة نسف معرب ونه منه الامام المحقق ابو حفص عمر بن احمد النسفي •

الهاء • الهاون • المنجاز معرب هاوون الهربذ • كزبرج خادم نار المجوس معرب هربذ جمعه هرابذة • الهملاج • بالكسر من البراذين المهملج فارسي معرب • الهنداز • بالكسر الحد معرب اندازه ومنه المهندز لمقدر مجاري القني والابنية وانما صيروا الزاي سيناً لانه ليس في كلامهم زاي قبلها دال وانما كسروا اوله وهو في الفارسي مفتوح لعزة بناء فعلال في غير المضاعف • مهندم • يقال شيء مهندم اي مصلح على مقدار وهو معرب اندام مثل مهندس اصله اندازه • الهيولى • اصل الشيء من اصطلاحات الحكماء وليس بعربي محض في القاموس الهيولى القطن وشبه الاوائل طينة العالم به •

الياء : • اليارق • الجبارة وهو الدستبند العريض • الياسمين • نوع من الرياحين معرب • الياقوت • نوع من الجواهر اجوده الاحمر معرب • اليشب • حجر معروف معرب يشم اليوم • ٢ • معرب يوما حذف الفه للتعريب • اليهود • فارسي معرب يهوذا كأنهم سموا باكبر اولاد يعقوب او عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل

انما الله آله واحد فرية الشرك وبال الجاحد

• ١ • قوله النون والكسر سقط من العبارة كلمة : الفتح اي الفتح والكسر عن الصغاني • • ٢ • قوله اليوم الخ كذا في الاصل ولم اظفر به في كتب اللغة •

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

حامداً لمن جعل العقل في جامع هيكل الانسان كالشمع ومصلياً عَلَى اشرف افراد وصفوا بالجمع وعَلَى آله واصحابه كل واحد منهم كالالف وخلف من بعدهم خلف و بعد فهذه جامعة لالفاظ وضعت بالعربية بالجمع اعتباراً للاجزاء كالافراد « نطفة امشاج » جمع مشج او مشيج لماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها (برمة اعشار) مكسرة عَلَى عشر قطع او عظيمة لا يحملها الا عشرة • ثوب اسمال » اي اخلاق وما عليه الاسمل اواسمال ، رمح اقصاد جمع قصد وجمع قصدة هي القطعة من الشيء اذا انكسر من قصدت العود اذا كسرته ورمح اقصاد قال الاخفش هذا احد ماجاء عَلَى بناء الجمع • قلب اعشار • اي متوزع (بلد اخصاب) و (بلد سباسب) يكون الواحد يراد به الجمع كأنهم جعلوه اجزاء (ارض احامس) اى جدبة (جفنة اكسار) اي عظيمة موصلة وفي الاساس هي المقاري الكبار المشعبة (حبل ارمام) اي خلق رم قوسه اصلحها ورم العظم والحبل وحبل ارمام (بئر انشاط) تخرج دلوها بجذبة واحدة (حلة انواف) من النوف نقط بياض في اظفار الاحداث (حبل ارماث) اى خلق (ماء اسدام) عَلَى وصف الواحد بالجمع مبالغة اي متغير (ثوب شراذم) لمابلي وتقطع (معاجياع) اي ساغبه (نعم اغفال) لا سمات عليها (ثوب اكياش) هو الذي اعيد غزله (غزل انكاث) استفدته من قوله نقضت غزلها انكاثاً (حبل انكاث) منكدث (ثوب اخلاق) انما قالوا اثواب اخلاق ارادوا ان نواحيه اخلاق (نعل اسماط) اي غير مخصوفة (سراويل اسماط) اي غير محشوة •

(١) وجدت هذه الرسالة في المجموعة التي نقل عنها ايضاً

المدنية السياسية
في
القرن العشرين

اما حان خوض المأزق المتلاحم ... وهن يراع فيه مسم الاراقم
فقد ضج من وقع البلاء وبرحه ... (بنو الشرق) حتى ضاق ذرع المكارم
واكبر اقطاب الشعوب تعصباً ... رمونا به من قبل شد التمائم
فلو مر منهم طارق الطيف بيننا ... وريع لدكوا مشمخر الدعائم
وثارت اساطيل ، وطارت مطاود ... ودبت جيوش بالقنا والصوارم
ولو عقد الموت الزؤام عجاجه ... وخيم مثل العارض المتراكم
وسدت فجاج الشرق اشلاء اهله ... وجاش بآذيّ الدم المتلاطم
لما انحدرت من مقلة الغرب عبرة ... ولا ارتفعت في الغرب صيحة لائم
ولا قيل اين السلم؟ والعدل؟ والمحجى ... ولا اين — انجيل المسيح المسالم —
فقد بات في (مراكش) السيف مصلتاً ... يراوح ما بين الطلى والحلاقم
ودارت رحى الاهوال في ارض (برقة) ... وذاق (بنو طهران) مر العلاقم
وهبت الى (دار الخلافة) عصبة ... من القوم والاضغان ملء الحيازم
وهدد (فرديناند) (١) قوم (محمد) ... باندلس اخرى غداة التصادم
فأين ملوك الغرب؟ اين رجاله؟ ... فتأخذهم للسلم غضبة ناقم
فان كان ضعف المرء ذنباً يشينه ... فلا خير في ملك ولا شرع حاكم
وكيف يكون النهي والامر في يد ... ملوثة من مهدها بالجرائم

***

فيا لك من عصر يلوذ بظله ... ثعالب في زي الليوث الضراغم
يخالب فيهم (ذو السياسة) تربه ... ويرهف للعدوان غرب العزائم
ويزعم ان الصدق ملء اهابه ... ويطلب صون السلم من كل هاجم
وما الشر كل الشر الا لأنه ... يحاول باسم الخير جر المغانم

---

(١) في هذا لفتة الى التاريخ الذي يعيد نفسه لان الذي اخرج العرب من اوربا هو فرديناند والذي يتهدد الترك اليوم فرديناند البلغاري

وقد در الغرب فالقوم كلهم ملائك لم يعلق بهم وهم واهم
فما انتفخت اوداجهم من تعصب ولا امتلأت احشاؤهم من سخائم
وقد ارض شرفوها بوطنهم فما عرفت من بعدهم عيب واصم
وان غض منهم خوضهم في ضلالهم وشعث منهم سعيهم بالنمائم
تعرض سيف ٠ وانبرت بندقية ودافع عنهم مدفع غير واجم
وذاك مايدلي به القوم ان كبت بهم حجة او عن قمع مخاصم
جهلنا ولم ندرك حقيقة امرهم وران عَلَى الالباب ريب المزاعم
كنار يحول الليل دون دخانها فيخفى ويبدو ضوءها غير قاتم

***

فياليت اسرار الطبيعة لم تزل محجبة في الغيب عن كل عالم
فلا يرفع البارود في الناس صوته ويبرم فيهم حكمه غير راحم
ولا تذر الارجاء مخترعاتهم تموج بانواع الحتوف الغواشم
فنقنع بالجهل الذي فيه راحة وننعم في غي الظنون الرواجم
فلا يزع (العلم الحديث) عن الهوى نفوساً أبت الا ركوب المظالم
فما هذبوا بالعلم الا سلاحهم وياويح علم بات معول هادم
يصب عَلَى البلدان سوط عذابه وينسف فيها كل عال وقائم
ويعصف بالارواح في كل غارة تقام بها الاعراس بين المآتم

***

يقولون — هذا القرن — تم شبابه فكان ربيع الدهر جم المواسم
وحسبك (بالعشرين) طيشاً وخفة تجر عَلَى الانسان شل المغارم

***

فيا رب قد كانت (لآدم) وحده جنانك ما من كاشح او مزاحم
يروح ويغدو في النعيم مسبحاً بحمدك مغموراً بفيض المراحم
فما هي الا هفوة منه مرة فاصبح ذاك المجد اضغاث حالم
فهل جنة من بعد هذا لنسله وقد هتكوا بالبغي ستر المحارم
وبات طلاع الخافقين بجورهم ولم يقرعوا من اجله سن نادم
ففجر من الطوفان ثجاج مائه ليغسل عنا رجس تلك المآثم

أجل!! انت عدل!! تلك آثار (تدمر) (وبابل) في طي المدى المتقادم
وقد باد ملك الروم الا رسومه وكم قبل ملك الروم غير مقاوم
وكم شحذ اليونان رأياً مسدداً فطاش بهم عند الخطوب الدواهم
وذلك ما زاد التفجع والاسى وعلمنا كيف احتقار المظائم

***

فيا دولاً ذل القضاء لامرها فسادت صروح الملك فوق الجماجم
وكاثر كثبان الرمال عديدها وقامت باعباء الامور الجسائم
رويداً — فان الدهر مازال صرفه يدور — وان الملك ليس بدائم

***

ويا رمم القتلى بكل تنوفة ويا لهب النيران بين العواصم
ويا دارس الاطلال في كل دمنة ويا ماثل الآثار بين المعالم
ويا موج (بحر الروم) في كل ساحل ويا خافقات الريح بين العوالم
فني حدثي التاريخ عن مدنية يثار لكفيها الوحش ابناء آدم

الديار المصرية فؤاد الخطيب

تذكرة ابن العديم

ابن العديم هو عمر كمال الدين العقيلي الحلبي رئيس الشام المتوفى سنة ٦٦٦ « كان محدثاً فاضلاً حافظاً مؤرخاً صادقاً فقيهاً مفتياً منشئاً بليغاً كاتباً محموداً درس وافتى وصنف وترسل عن الملوك وكان رأساً في الخط المنسوب لا سيما النسخ والحواشي » وله التصانيف الرائقة منها تاريخ حلب ادركته المنية قبل اكمال تبييضه وله كتاب الدراري في ذكر الدراري صنفه للملك الظاهر غازي وقدمه له يوم ولد ولده الملك العزيز وكتاب الاخبار المستفادة في ذكر بني جرادة وكتاب في الخط وعلومه وآدابه ووصف ضروبه واقلامه وكتاب رفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري وكتاب تبريد حرارة الاكباد في الصبر على فقد الاولاد . قال ياقوت : وكان اذا سافر يركب في محفة تشيله بين بغلين ويجلس فيها ويكتب . وقد رحل الى العراق ومصر والحجاز وتولى من اجداده خمسة قضاء القضاة في حلب على التوالي ومن شعره

فوا عجبا من ريقه وهو طاهر حلال وقد اضحى علي محرما

هو الخمر لكن اين للخمر طعمه ولذته مع انني لم اذقهما

ولابن العديم شعر مستملح ونثر عذب ومن كتبه التي ابقتها الايام كتاب التذكرة دخل دار الكتب الخديوية بالقاهرة مجلد منه في بضعة اجزاء اولها الجزء الخامس وآخرها الجزء السادس عشر وهي في ٢٠٥ ورقات صغرى اولها :

لعلي بن ابراهيم بن عبد المحسن بن قرناص الخزاعي الحموي :

جفني يحفنك قد جفاه هجوعه والقلب واصله عليك ولوعه

وسقام جسمي فيك عز ذهابه والنوم عز على الجفون رجوعه

ومما جاء فيها :

انشدني منجب الدين ابن الامان المذكور قال انشدني القاضي وجيه الدين مهلب ابن الصنديد الشيزري قال انشدني للامير شرف الدولة ابن منقذ نفسه وكانت الزلزلة قد خربت شيزر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وسقطت القلعة على اخيه واولاده وزوجته الخاتون اخت شمس الملوك فسلمت دونهم ونبشت من الردم فجاء نور الدين محمود بن زنكي الى شيزر وتسلمها وطلب من زوجة اخيه ان تعلمه بالمال وتهددها فقالت له ان الردم سقط عليها وعليهم ونبشت سالمة دونهم ولا تعلم بشيء وان كان لم

شيء فهو تحت الردم وكان شرف الدولة غائباً فلما حضر ورأى شيزر وماحل بها وعاين زوجة اخيه بعد العز في ذلك الذل عمل :

لبس الصباح من المساء بامثل فاقول لليل الطويل الا انجلي
شلت يد الايام ان قسيها ما ارسلت سهماً فاخطأ مقتلي
لي كل يوم كربة من نكبة يهمي لها جفني وقلبي يصطلي
يا تابع دولة هاشم بل يا ابا التيجان بل يا قصد كل مؤمل
لو عاينت عيناك قلعة شيزر والستر دون نسائها لم يسدل
لرأيت حصناً هائل المرأى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل
لا تهتني فيه السعاة لمسلك فكأنما تسرب بقاع مهول

منها ويشير الى زوجة اخيه المذكورة

نزلت بكى رغم الزمان ولوحوت يمناك قائم سيفها لم تنزل
فتبدلت عن كبرها بتواضع وتعوضت من عزها بتذلل

منها وانا اخوك مقال جا(؟) محصلا سبلاً وازمع وهو غير محصل
ودفنت بين ثلاثة ضاجعتهم كالليث ضاجعه، ثلاثة اشبل

وقال قاضي القضاة كمال الدين بن العديم في المجلد الثاني :

نقلت من خط ابي عمرو الطرسوسي لابي القاسم الحسن بن الحسين التميمي الواساني يمدح الامير ابا الفضائل سعيد بن شريف بن سيف الدولة بن حمدان ويسأله في رد حمامه وداره وكانتا مقبوضتين مقتطعتين لبعض الجند

لو كنت امدح مجدا لشرعت في بحر الندا
واقمت بالتأميل مولا نا الامير السيدا
اولى الملوك بان يبا ط به الرجاء ويقصدا
واحق ان يهب الطر يف لسائل والمتلدا
داري وحمامي اق ل لديك من ان يوجدا
فعلا الغداة كقطرة مدت خليجاً مزبدا

فوعده ابو الفضائل باطلاقها فكتب اليه بتنجز توقيعاً بذلك

يا أيها الملك الجليل ظني بك الحسن الجميل
ولعبدك المسكين في حمامه خطب جليل

مالي اليه بغير تو قيع اروح به سبيل
فامنن بتوقيع به يامن له المجد الاثيل

فاطلق له ذلك وسلمه اليه فقال يشكره لما تسلم ذلك

ايها السيد استمع قول عبد لم يشبه بالزور والبهتان
بل هو الحق اشهد الله والنا س وآتي عليه بالبرهان
انت والله فهي بالغة الا يمان اهل اليمن والايمان
وحقيق بان يبلغك الله برغم الاعداء اقصى الاماني

***

يا امير القلوب قاد هواها واشتراها باوفر الاثمان
فهي تعنو له وتمحضه النص ح بلا ريبة ولا ادهان
ذاك ان القلوب تملك بالاحسان والخوف مالك الابدان

***

لا يرى ان يقول لا ابدا لفظاً بها او اشارة ببنان
وكريم المزاح ان حضر الزا د لبسط الآكيل والندمان
اقرب القوم منه من جاء للحا جة غرثان عند وضع الخوان
وحفي بفتية ليس منهم غير ماضي العزيم ثبت الجنان
ووفي بعهده طاهر القلـ ب جدود في نصحه غير وان
دهره بين نثرة وحسام وجواد ذي ميعة وسنان
غير صاغ الى سماع أغان مطربات ولا كعاب غوان
فهو والمجد مثل طرفي رهان اوشقيقين ارضعا بلبان

***

ما تكنى ابا الفضائل حتى فضل الناس بين قاص ودان
وتسمى باسم السعادة والا سماء موصولة العرى بالمعاني
هو والله مشتري فلك اصبح باليمن دائم الدوران
سار في برجه فاطفأ بالسعد نحوس المريخ والدبران
طرف الله عين عداه وان ساء عدوا ماقلت عين الزمان
وكفانا فيه الملمات ما صوب نجم او لاح برق يمان

فوحق الانعام والكهف والطو ر وطه وسورة الرحمان
لو تركنا نختار بين الاماني وضقنا وهن بالارسان
مابلغنا في الحدس والظن معشار سرور نراه وأي عيان
يا كريماً آباؤه امراء الـ ـعرب والعجم من بني ساسان
آل حمدان سادة الناس مذ كا نوا قديماً في سالف الازمان
وأحق الملوك بالفخر من اضـ ـحى أميراً على بني حمدان
سيد يشتري الثناء ويخشى الا ـه في سره وفي الاعلان

***

فلأنت الاحق قد علم الا ه بان تصطفى لهذا المكان
باتفاق من سائر الناس من حـ ـيي معد معاً ومن قحطان
نحن مادمت آخذاً بزمام الملك من ريب دهرنا في امان
لا يخاف البريء مناولا ييأس جان من رأفة وامتنان
احمد الله يا سعيد على انك كهفي من كل انس وجان
وعلى انني بجودك في ظـ ـل من العيش ناضر فينان

***

قد تحيرت والمهيمن في شكرك مالي بما بديت بدان
اي شيء يجز بك عني ومالي غير ودي وغير شكر لساني
وهما يقصران عنه ولو كنت كقس في النطق اوسحبان
غير اني قد بعت نفسي مولانا وان لم اساو ما اولاني
نخذ الآن عهدتي وارض من عبدك ما يستطيعه امكاني
لأكون امرءاً تقصيت جهدي في جزاء الاحسان بالاحسان

للسابق ابي اليمن محمد بن الخضر المعري

حلب معهد الصبا والتصابي فسقاها الوسمي ثم الولي
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بحبها البحتري

***

فلديها كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعي والفلسفي
غير اني ارى الاطايب شزراً وحليف الافلاس عنها قصي

وقال في عبد الودود النحوي

كشف رأس النحوي غير عجيب ‏ هل رأى الناس أيلا بعمامه

هو صدر ان كان زهداً وعلماً ‏ قصر الثوب وانكشاف الهامه

ودعوه فالعذر فيما أتاه ‏ ليس يخفى وظالم من لامه

لو تخلى من المحالـــ لامسى ‏ بيته في خلو اطلالـــ رامه

طالما جاع في الزمان محق ‏ مثل ماضاع زاهد علامه

وكتب الى بعض الرؤساء يشكو رجلاً يقال له ابن العقيدة من اهل حلب

العبد يشكو علة في جسمه ‏ والبك يشكو علة في حاله

وابن العقيدة في الاساءة زائد ‏ لا ينتهي عن لؤمه وسفاله

بك ايها الكافي الامير اعوذ من ‏ وغد اصر على قبيح فعاله

الخادم على صورة لا يمكنه معها المثول بالحضرة السامية وشكوى ما استمر عليه من سوء معاملة هذا الوغد المذكور والله لولا الحياء وانه ممن لا يخفضه الهجاء لكويته بميسم يشق لناره ويبقى على الاعقاب اوشناره ولكنه خليق عرضه اللئيم وفي ذمة مقداره الذميم والرأي للحضرة في زجره عما هو عليه وأمره بما يعود لمصلحة الخادم علوه ان شاء الله تعالى .

وكتب الى انسان صائغ عمل له شيئاً فسير اليه اجرته واعتذر

خذ ما تيسر يا ابا منصور ‏ واعذر فقد اسرفت في التقصير

ومع الثناء فما تضيع صنيعة ‏ عندي لرب صناعة واميز

الدرام المرام اطال الله بقاه مولاي

فاما صناعته فتجل عن الورق والعين ولا تقابل بالكثير من هذين النوعين ورأيه في قبولـــ ما بعثت به والرجوع في ذلك الى كرم اخلاقه ومنصبه الموفق ان شاء الله ه

وقال : كتب الي كمال الدين القاسم بن القاسم الواسطي يطلب تبناً

ما زلت تحفر تبرا ‏ ونحن نطلب تبنا

وللكرام تشاد الا ‏ على وبالحمد تبنى

وقد رميناك سعيا ‏ من المديح وصبنا

فاسق الثرى الجعد ياغيث كل جدب وصبنا

ففي كالك داع دعا بنا فأجبنا

وانشدني عزالدين عبدالعزيز بن سالم بن محمد الحراني

قال انشدت لسنان صاحب الدعوة الرازية

لو كنت تعلم كل ما علم الورى طراً لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب ان من يهوى خلاف هواك ليس بعالم
فاستحي ان الحق اصبح ظاهراً عما تقول وانت شبه النائم

هذه نموذجات من هذه التذكرة وفيها الممتع النافع وبا حبذا لو سمحت عزيمة احد علماء مصر بنشر الموجود منها لانها اثر نفيس خصوصاً وهي مكتوبة بخط صاحبها وفيها من الاشعار والاخبار ما يلذ و يفيد

حب الوطن

خطب ارنست لافيس من مشاهير علماء الاجتماع والتاريخ واحد اعضاء المجمع العلمي الفرنساوي في احدى المدارس الفرنساوية خطبة في حقيقة الوطن قال فيها : الوطن ارض ينزلها أناس يخضعون لنظام واحد ٠ وقد صرفت العناية الكبرى لتأليف مثل هؤلاء الجماعة وتحديد مثل هذه الارض ٠ حتى انك لترى الاقاليم المتنائية التي هي اليوم خاضعة لسلطان واحد تكاد تكون متحدة في ميولها ورغائبها بعد ان كانت من قبل مشتتة ٠ جاء زمن كان فيه اقليم بيكارديا (من اعمال فرنسا) ابعد عن اقليم برتانيا واقليم بروفانس (فرنسا) مما ترى عليه اليوم فرنسا بعيدة عن اميركا والهند ٠ ولطالما عملت الطبيعة ثم السياسة ثم الحديد ثم النار ثم العقل والقلب قروناً عديدة حتى هيأت لنا هذه الارض التي نسكنها والسماء التي تظلنا

علمكم التاريخ كيف عمل ملوكنا لتأليف اجزاء المملكة الفرنساوية فضموا اشتات ولاياتها واحدة بعد اخرى فكانت اول صلة ربطت اقليم بيكارديا باقليم برتانيا واقليم غاسكونيا باقليم بروفانسيا وغيرها ٠ انها خضعت لملك واحد فاصبح آباؤنا باسرهم فرنسويين لانهم صاروا كلهم رعايا ملك فرنسا فكان بذلك اول اجتماع وطني وهو اتحاد الجميع في الطاعة لملك واحد ٠ فاهتم الشعب لما يصدر عن الملك من الاعمال وراح اجدادنا يتحدون يداً واحدة في الاعمال الحربية فقدموا لذلك مالهم ودمهم فكان

اذا كتب النصر لملك الفرنسيس تغتبط الامة بامرها وتسر واذا نكست اعلامه تبتئس وتكتئب . وتأصلت العادة في النفوس بان تضطرب لامر واحد في ساعة واحدة فنشأ من ذلك في بلادنا شعور وطني

ثم تجلت مظاهر الاجتماع بما انتجته العقول من الاعمال فأحدثت الامة الفرنساوية لغتها . فان كنا اليوم نتكلم بلغة هي من اجمل لغات العالم فذلك لان اجدادنا قد بذلوا كل نفس ونفيس قروناً عديدة حتى يجملوها في هذا الجمال والقبول . فعلم الادب هو بمنزلة الاعتراف العام في امة تودعه تصوراتها في الوجود وتصوراتها في الانسان . كانت الآداب الفرنساوية ترجماناً عبر عن فكر فرنسا واخلاقها الخاصة بها وجعل من الجماعة التي ضمت السياسة شملهم جماعة ربطت بينهم الاخلاق

مضى زمن طويل كانت فرنسا فيه متفقة مع مليكها في الافكار وذلك لاعتقاد الفرنسيس ان الملك كان نائب الله تعالى عَلَى الارض يجب حبه وخدمته كما يجب المولى ويطاع .

ايها الجمهور يون الصغار انه يصعب عليكم قليلا ان تدركوا هذا الشعور . ولكل زمن اخلاقه والمتأخر قد لا يعي حال المتقدم . ومن الضلال ان لا يعترف بان هذه الاخلاق كانت فيما سلف مستحكمة شائعة كما ان من الضلال ان يحاول بعضهم احياءها بعد ان ماتت واضمحلت .

جاء يوم عَلَى فرنسا استشاطت فيه غضباً من مليكها لانه كان يحب الخصام فتصلب في رأيه واشتد في عناده وفي معاملتها ولكن صبر اجدادنا كان غريباً في شكله طويل النفس من وراء الغاية . فكانت الامة تقاسي ضروباً من سوء الاستعمال من عدم التساوي وقلة العدل والظلم المطبق . ولم تلبث ان اقامت الحجة ولكن كلمتها ذهبت كصرخة في واد ثم رفعت صوتها بالشكوى اعلى من ذي قبل وأخذت تتناغى بالحرية والعدل والانسانية فكان من ذلك الثورة فسقط مع الملك طبقات الاشراف وزالت امتيازاتهم وكانت لهم من قبل حقوق خاصة بين ظهراني الامة فاشترك جميع الفرنسويين عَلَى السواء في الوطن الذي اتحدت كلمته وتماسكت اجزاؤه وطفقت فرنسا تحاب مباشرة واحبت فوق حبها لنفسها ما تناغت به من العدل والحرية والانسانية ولذلك حق لها ان يحب ابناؤها انفسهم كما أحبوا بلادهم حباً مازج اللحم والدم . فوطنيتنا الثورية كانت من اجمل العواطف التي عرفها التاريخ .

ايها الاولاد : ليس وطننا ارضاً فقط بل هو عمل انساني بديء به منذ قرون ونحن نكمله وانتم تتناوبون العمل بعدنا . ان ما قام به اجدادنا منذ الاصل وذكرى اعمالهم وافكارهم وحركات عقولهم ولغتنا وفكرنا وكيفية فهمنا معنى الحياة مع ما خصت به ارضنا من الخصب والامراع وما تجود به علينا سماؤنا من الحسن والاحسان وما عرفت به اصقاعنا من المناظر البهجة وبلادنا الشمالية من الضباب المتكاثف والجنوبية من الصحو الممتع وبحارنا الخضراء وبحرنا الازرق — كلها ارثنا العزيز هي وطننا ابنة الطبيعة وابنة الفكر .

ولكن وطنكم ليس وحيداً بين الاوطان في هذا العالم . هناك اوطان كثيرة تحيط بكم ألفت على غير الصورة التي تألف بها وطنكم كالمانيا او ايطاليا اللتين كان نشوءهما بطيئاً وكانكلترا التي كان نشوءها سريعاً . هذه الاوطان قننت قوانينها وانشأت لغاتها وآدابها وكل منها قد أبانت عن عواطفها وافكارها في الطبيعة والانسانية كما أبنا نحن . ولكل منها افكارها التي تخالف افكارنا ونبوغها الذي لا ينطبق مع نبوغنا وكل من تلك الاوطان يحبه ابناؤه كما تحب فرنسا ابناءها

ماذا يجب ان تكون عليه عواطف تلك الاوطان وسلوكها بعضها مع بعض ? هذه مسألة هي الآن مما يشغل الاذهان ويهيجها وتنقسم في تصورها الافكار . فقد كان الشعور الذي تشعر به كل منها مدة قرون هو البغض والسلوك الذي تسلكه هو الالتجاء الى الحرب . والظاهر انه لم يكن يتأتى للمرء ان يحب وطنه بدون بكره وطن غيره .

وظاهر ان الحرب لم يكن يتيسر اتقاؤها في زمان كانت فيه التخوم غير مستقيمة على حالة واحدة بين الممالك لان هذه لم تكن بعد تألفت وعرفت لها كياناً . ولطالما كانت الحرب حادثاً يدعو الى نماء أمة وعملاً يؤدي الى تحديد تخومها . وهكذا ربيت فينا غريزة الشدة المغروسة فكانت من موجبات بقاء تلك الممالك وذلك لان الانسانية ليست طبيعية في الناس وأصبحت الحرب من وظائف الحكومة فيولد الملوك زعماء حرب والناس ضباطهم ومن كان ادنى طبقة منهم يختارون الدخول في الحروب ليرزقوا منها ويحترفوا بها .

ولطالما كانت الجيوش تقف على قدم الدفاع أبداً وتنشب الحرب لاستخدام تلك الجيوش وتمرينها . وتحلى اعوام السلام كأنها اعوام فارغة على ان تلك الاعوام

الخالية كانت قليلة · ومن جملة الدواعي التي تدعو المحاربين الى اهراق الدماء قديماً كنت ترى المصلحة السياسية والكبر والتشهي والعادة هي الفاعل الاكبر فيها · وكان ذلك من الادوار الهائلة في تاريخ الانسانية ونحن اليوم نعده من آثار البربرية وعلائم التوحش ·

***

وخطب المشار اليه ايضاً في احدى المدارس فقال :

اذا سئلتم لماذا يدرس لكم اساتذتكم النحو والحساب تجيبون للحال : ليعلمونا التكلم والحساب وهما امران ظاهرة ضرورتهما · واذا سئلتم لماذا يعلمونكم تقويم البلدان تبادرون بالجواب في الحال فتقولون حتى نعرف فرنسا بلادنا ونتصور الارض التي هي بلاد البشر · ولكن ربما ارتبكتم اذا سئلتم فائدة تدريسكم التاريخ

ان الاربعين في السن التي انتم فيها يبدو كأنه شيخ هرم منذ مائة سنة اومائتين او ثلثمائة واكثر · ولا شك انكم تنكرونه ولا علاقة لكم بهم واذ كانوا هم آمنين مطمئنين في موتهم فعليهم ان يتركوا صغار الاحياء آمنين بدلاً من ان يملوا دروس اسمائهم وقائمة اسمائهم بحركاتهم وسكناتهم وبارقام تواريخهم وازمانهم

ولكنكم ايها الابناء مخدوعون باعتقادكم بان الماضي بعيد · هو قريب منا ومجاور لنا وهاءنذ أبينه لكم في بضع كلمات: ولد لويس الرابع عشر سنة ١٦٣٨ اي منذ ٢٦٠ سنة وانا الذي لم ابلغ سن الهرم بعد عرفت في « نوفهون » رجلاً ادرك المعاصرين للويس الرابع عشر

ويدعى هذا الرجل كوُول وكثيرون ممن جلسوا الآن على هذه المقاعد يذكرون المومأ اليه فقد مات سنة ١٨٥٦ في التسعين من عمره كما تجدون ذلك مزبوراً على شاهدة قبره المصنوعة من الرخام الابيض · وكانت سني اذ ذاك اربع عشرة سنة وكنت أراه كل يوم الا قليلاً وكان خال خالي الكبير شهد أموراً هائلة مدهشة فرأى لويس السادس عشر يرفع على المشنقة ودستور فرنسا القديم يمزق كل ممزق وفرنسا مولعة بحياة خيالية جديدة · فأخذ يوحي بروح القرن الثامن عشر الذي تعلمت مذ ذاك ان احبه حتى في اوهامه وخيالاته لانه كان قرناً في الشقاء والبربرية وتلاه قرن من الهناء والانسانية ·

فالمسيو كوُول ولد اذاً في سنة ١٧٦٦ وبلغ سنة ١٧٧٦ سن الرشد · وفي ذلك

الزمن لحي ولا شك بعض أناس من ابناء الثمانين في نوفيون · وعليه فالرجل الذي كان في سن الثمانين سنة ١٧٧٦ قد ولد سنة ١٦٩٦ وكان في سن البلوغ عندما قضى لويس الرابع عشر نحبه سنة ١٧١٥ · وبهذا فانتم ترون ان هذا الملك الذي يتراءى لكم انه بعيد العهد جداً قد مسستموه بايديكم الا قليلاً

ان المائة والتسعة والثمانين عاماً التي مرت بين موته و بينكم هي مدة قصيرة من الزمن ينبغي لها ثلاثة رجال وانا الذي أخاطبكم وخالي وذاك الرجل الثمانيني اذا امسك احدنا بيد صاحبه نصل الى هذا العهد وعلى هذا فليس من حاجة الى سلسلة طويلة من الرجال لبلوغ الزمن الذي جاء فيه المسيح الى العالم بل يكفي ثلاثون رجلاً

بعد بضع سنين ترون يا اولادي متى انقضت ألوف من القرون ان الانسانية تتكلم عن الازمان القديمة · اما الآن فاننا لا نستطيع ان نقول عن رجل مات منذ امد بعيد جداً فلا حق لكم اذاً ان تجيدوا عن الماضي كما تحيدون عن امر بعيد أبداً واذ كان قريباً منا كثيراً لا يجب ان يتطالع احدكم لئلا يحمل على النظر فيه قليلاً · ان هذا التطالع اذاً ينفعكم و به تطيلون حياتكم بان تضيفوا ازمنة الى زمانكم كأنكم عشتم فيها · نحن قلما ننعم في حياتنا القصيرة ولذلك نحلم بخلود روحنا · اما التاريخ ففيه لنا ضروب من الخلود وراء حجب الماضي و يظهر لي اني بصرف حياتي في دراسته قد بلغت الآن من العمر على الاقل خمسة او ستة آلاف سنة · وانا اتنزه في فضاء واسع طافح بالانوار والظلمات والحركات وأتنفس برئتين واسعتين

بيد ان في معرفة التاريخ شيئاً غير هذا واحسن منه في الاثر فالتاريخ هو الفارق العظيم بين الانسان والحيوان · فالكلب يجهل ما بذل من العناية الطويلة وما أثر فيه نوع التربية حتى صار كلب صيد او كلب راع · فهو لا يتمثل امامه تاريخ جد ه من الكلب الاول جده الاعلى الى ايامنا هذه · والرجل الذي لا يصعد الى طبقة اجداده وهم في مغاورهم الاولية ليراهم حيث كانوا يأتون بالصيد و يمصون نخاع العظام المكسرة بقدوم من الحجر هو كلب وزيادة · هو لا يتبع آثار الانسانية الى الدرجة التي بلغناها من المقام الانساني · والاحساس الظاهر من تكريم الانسانية لا يقتبس من غير التاريخ

معرفة التاريخ توضح سبيل محبة الوطن · الوطن مكان الانسانية الذي ولدنا فيه و يمتاز عن سائر الاوطان بالطبيعة بل بالتاريخ اي بمجموع اعمال وافكار متتابعة

تألف منها ما قدر لنا من سعادة وشقاء . فعليكم ان لا تجهلوا كيف اصبحت فرنسا من اعظم الامم — ولا يكفي لان يكون المرء فرنسويًا ان يولد في فرنسا كما هو شأن اشجار الحور والصفصاف عندنا بل ان التاريخ هو الذي يطلعنا عَلَى ما قام به اسلافنا و يعلمنا ما يقضي علينا القيام بمثله

فمن السهل ان يميز العمل الذي تم في خلال القرون الاخيرة . ان هذا المعاصر للويس الرابع عشر الذي ذكرته لكم منذ حين كان رعية لملك كان يعتقد نفسه — بل وكان بالفعل — سيد رعاياه ومالك ارواحهم واشباحهم فابادهم بحر به وبما انفق عَلَى قصوره واعياده وافراحه وتركهم يعذبون في ظل ادارة ممقوتة واكره العقول عَلَى الاغضاء عن افكارها واضطهد الوجدانات وحبس وشرد وملأ سجون الباستيل بالرجال والمطابق المؤبدة عَلَى انه لم يكن رديئًا كما لم يكن غبيًا لانه كان عَلَى جانب من الذكاء . ولم يكن ساقطًا لانه كان محتشمًا في سره وعَلَى شيء من العدل . ولكن الزمن اذ ذاك كان يبيح تلك الاخلاق . وكان كل ما يأتيه الملك يعتقد — ومعظم الشعب يوافقه عَلَى اعتقاده — بان له الحق ان يعمل ما يريد بحيث انه لم يحزن الا اذا قلبت الايام له ظهر المجن ولا يتأثر وجدانه بل انه يأسف قليلاً يبدو عليه في حفلته وهو عَلَى سرير الملك بكلم وارثه المحزون الذي دعي لويس الخامس عشر .

نعم كانت تلك الاعصر عصور عدم المساواة الاجتماعية المعتدلة بدون نقض ولا ابرام . فكان يوصف الفلاحون من غير حرج في مملكة فرنسا — التي هي ضرب من جدول الايام الوطني — بانهم (وان كانوا اكثر عدداً من غيرهم فليسوا مما يجب الاحتفال به بل لنا ان نقول فقط بان منهم تجبى الضرائب وانهم يزرعون الارض ليغذوا المدن) واليك ايضاً كيف كانوا يعرفون الاعمال الصناعية الميكانيكية بانها سافلة ساقطة . وكان الفقراء وحدهم يرزحون تحت اعباء الحكومة باسرها وهي تطلب من الناس مالا يستطيعون ان يقوموا ببعضه وارباب الطبقات المختلفة من الاعيان سامت الملوك برفاهيتها وهي تستند اليها و يستندون عليها وعاقبة ذلك سحق الفقير

لكم ان تقيسوا ما قمنا به من الاعمال وما حدث من الفروق بين هذا العصر والعصر السالف وما أظن احداً في صحة من عقله يزعم بان عصرنا عصر سيئات . نعم ان الاصلاح لم يتم اذ لا تزال نرى الشقاء الطبيعي والادبي والظلم مستحكماً . انكم عَلَى

صغر سنكم تعرفون هذه الويلات وكثير منكم يراها قريبة منه · فمن بيوت ضيقة رديئة تحوي عوامل الفناء والأسر الوحيدة العديدة التي بقيت في فرنسا تصفر الوانها في الأكواخ الساكنة فيها وينهكها السكر الذي ربما نشأ من الشقاء وربما زاده وأدامه وبذاء الكلام والحركات السفيهة · وانكى من ذلك مشاهد اولئك المحتشمين الذين لا يفتأون يقلقون ويخافون الفاقة وهم على طيب قلوبهم يحبون منقطعة آمالهم · وبين السواد الاعظم وخيار الناس من الفرق العظيم الناتج من اختلاف التربية ما هو معروف موصوف · فالجهل في السواد الاعظم يكاد يكون عاماً يتناول صفات الناس وصفات الوطن

ان ما يجب ان يعمل ايها الاولاد هو ان نتابع العمل فيما بدأنا به تحرر المجتمع الفرنسوي ما امكن من ضروب الشقاء والمظالم الانسانية التي لم تستأصل شأفتها

هذا العمل شاق ولا يخلو من مخاطر وذلك لاننا نحاول للمرة الاولى ان نرفع ما سقط ونقوم ما انحنى · وظاهر بان الناس كلهم كيفما دارت الحال لا يقدرون على الاضطلاع باعباء الزعامة وانه يجب شيء من النظام ابداً وشيء من الترتيب وبديهي بان بعضهم يتساءلون عمن يقوم على هذا النظام وهذا الترتيب

لا نعجب ان نرى كثيراً من الناس وفيهم اهل الحشمة والصلاح يضطربون ويقلقون ويتكرون علينا ما تعد الامة له ونحلم به من تحسين مستقبلها · هذه الفئة من الناس هي التي تريد منا ان نرجع الى افكار اجدادنا واخلاقهم ولكني لا أرى باي حق يقفون في النقطة الفلانية بدل النقطة الفلانية من الطريق المؤدية الى الكهوف · ؟ التاريخ باجمعه طافح باخبار الرجوع عن التقاليد وبعبارة ثانية ليست التقاليد الا انتقالاً من الماضي للحاضر يأخذ منها الناس ما يريدون وما يستطيعون ويبذلون ما شاؤوا او يخدمون او يفيقون ما أرادوا · وما تقليد يقف في زمن معين الا انه اشبه بحدود لا تتعدى ·

نعم انا مدرك ما هناك من مخاوف واسمع اصوات الانعواء واشعر بآهات الاحتاد · تذكر الصحف وقائع يومية محزنة وهناك الاحلام اللطيفة تعدنا بامور جميلة · ولكن الانسانية لم يهدأ لها بال قط · وما قط عاشت بدون شهوات واحقاد وبدون احلام ومطامع · اما انا فاني معجب بما مر علي من ايام البؤس والسخط عجبي من السكون الذي يتم فيه هذا العمل العظيم في العالم ·

لو ذكرت لكم هنا ما حدث في هذه المقاطعة وحدها لطال بي المطال ولطالما اصابها ما أصاب باريز نفسها . اذكروا فيها ايام سنة ١٨٤٨ والفتن اليومية التي حدثت عَلَى عهد لويز فيليب وايام الثورة والتمرد عَلَى عهد الحكم القديم عهد لويس الرابع عشر وحركات القرون الوسطى الهائلة اما اليوم فليس فيها شيء من هذا يباكر الناس مضاجعهم فينامون ملء جفونهم آمنين مطمئنين

انا لا أتنبأ فلا اقول بان الدهر لنا بالمرصاد عَلَى انني لا اعتقد بالتقلبات الدائمة المحزنة فقد حدث نجاح عظيم في العقل العام . ان حق الكتابة والخطابة وحق الانتخاب قد أتت عَلَى حق الثورة . ايها الاصدقاء انكم لن تنسوا ابداً ان كل قوة يعد جناية في البلاد المتمتعة بحرية جمهورية .

يعلمونكم في المدرسة روح التكافل والتضامن وقاعدته « اعن نفسك بنفسك » وشعاره « اعينوا بعضكم بعضاً » وهذه القاعدة هي أساس الاخاء العملي ثم تجيء بعد اعمال المحسنين الشريفة اى ارادة الامة الفرنسوية تحفظ الحياة من الامراض التي تهددها والطفولية من الاعمال وسوء التربية والعمل من الحوادث والشيخوخة من الشقاء وتعطي الضعيف واسطه للمناقشة مع القوي وتقسم الاعمال العامة والتكاليف الاميرية العسكرية عَلَى نصاب العدل . وما النظام الجمهوري الا باحث عن العدل .

الا فلنكبر دائرة الرجاء والآمال بحسن المآل وما الخير الا ثمرة جهادنا العظيم وسرعته أكثر مما نتصور . واذكروا ان الطريق قصيرة بين معاصر لويس الرابع عشر وبيننا فالتاريخ ما خلا الفضائل التي قلتها لكم يحوي اجمل الفضائل الا وهو تقوية الامل اه

هذا ما قاله علامة الفرنسيس لطلبة بلاده ترجمناه لتنذيره هذه الامة العربية لان الامم متشابهة في تواريخها واحوالها وليت كبار رجالنا يتنزلون تنازل كبار رجال الغرب الى مخاطبة الناشئة بمثل هذا اللسان العذب والافكار السديدة فلا خير الا في التعليم ولا تعليم الا للشبان رجال المستقبل .

الجغرافي الادريسي وصاحب صقلية

من مبحث لاحمد باشا زكي

لما آلت الى الملك رجار النورمندي مقاليد الاحكام في جزيرة صقلية رأى ماعليه اهلها المسلمون من الحضارة والعرفان ومكارم الاخلاق فجعل بطانته منهم وتقرب اليهم رغبة في رفع منار ملكه على ما جرت سنة الاسلام وقد تولع بعلم الجغرافيا وبحث في ممالكه عن اساطينه في تلك الايام · فارشده المسلمون الى شريف من سلالة الادارسة الذين تملكوا مراكش وانتهى اليهم الحكم في مالقة واحوازها بجنوب الاندلس ثم دالت دولتهم و بقي نفر منهم كانوا ملوك العلماء وان كانوا قد أضاعوا التاج والصولجان وفقدوا الحكومة والسلطان

ذلك هو الشريف ابو عبدالله محمد بن محمد عبدالله بن ادريس المعروف باسم الشريف الادريسي

فاستقدمه رجار و بالغ في اكرامه والعناية به ليفوز بشيء من علومه وليتعرف بواسطته ماهية بلاده صقلية واحوالها و بلغ من اكرامه له انه كان كلما دخل عليه هرع لاستقباله عند الباب ثم اجلسه الى جانبه على سرير الملك ، حتى اذا ما أتم المحاضرات معه وأفاده بما اراد ثم هم بالخروج ، شيعه الملك بنفسه الى عتبة القصر

وقد انتهى الامر بذلك الملك العاقل انه طلب من صاحبه تأليف كتاب ليعرف به جغرافية بلاده وجغرافية المعمورة بامرها وصنع له كرة من الفضة تمثل الارض وما على سطحها من البلدان ثم صنف له كتابه الذي كنا نسمع به ولا نرى الا ترجمته الفرنسية الكاملة و بعض شذرات عربية طبعها الافرنج وهي خاصة ببعض البلاد التي تهمهم مثل كلام الشريف على الاندلس فقد طبعه الاسبان مع ترجمته الى الاسبانية ومثل كلامه على ايطاليا وصقلية فقد طبعه اثنان من افاضل علماء الطليان ونقلاه الى لغتهما ايضاً · ومثل كلامه على فلسطين فقد طبعه احد علماء الالمان باللغة العربية لاحتوائه على البيت المقدس وما يليه من البقاع التي ظهرت فيها النصرانية

ثم طبع اثنان من افاضل العلماء الهولانديين قطعة من هذا الكتاب تتضمن ذكر الاندلس و بلاد المغرب ومصر والسودان وعنيا بترجمتهما الى اللغة الفرنسية مع الشروح اللغوية والجغرافية الضافية الشافية

هذه خلاصة وجيزة مما اعلمه (وهو كثير) من هذا الكتاب الفريد الجليل وقد كنا ابناء العرب ولا نزال الى هذا اليوم لا نعرف سوى ما سبق من القطع التي تفضل الافرنج بل تصدقوا علينا بطبعها من هذا الكتاب النفيس المكتوب بلغتنا ولفائدتنا . فانعكست الآية وجاءنا النور ضئيلاً من الغرب وما زلنا اذا احتجنا الى شيء من ثمراته اضطررنا لاقتطافه من الترجمة الفرنسية وفيها ما فيها . وفي حاجتنا وفاقتنا الى تلك الترجمة من العيب علينا والحط من كرامتنا فضلاً عن عدم امكان الوقوف على الحقائق كما هي

ولم يكن في دار الكتب الخديوية منه الا الجزء الاول مكتوباً بخط جميل ومنقصاً للصورات (الخرط) الجغرافية ولكن فيه تشويها كثيراً وتحريفاً يجعل الفائدة منه قليلة . فلذلك كانت عنايتي منصرفة الى الحصول على نسخة كاملة منه حيثما وجهت عزيمتي لجمع نفائس الكتب التي تكون أساساً لاحياء الآداب العربية بديار مصر . وقد وفقني الله لطلبتي وحصلت على اربع نسخ كاملة منه وهي الآن بدار الكتب الخديوية . ومتى حان الوقت المناسب لطبعها اخرجناها للناس اظهاراً لمجد العرب وتعريفاً للكاشحين بمآثرهم الخالدة التي لا ينكرها الامن كان في قلبه مرض ولا يجحدها الا الجاهل الذي يعميه الغرض

أما الكتاب فعنوانه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ولما كان علماء الاسلام يعرفون الفضل لذويه فقد كادوا يتناسون هذا العنوان ولا يذكرون هذا الكتاب الا مقروناً باسم الملك الافرنجي الجليل الذي كان سبباً في تأليفه . فترى علماء المسلمين يذكرون في مصنفاتهم باسم (كتاب رجار) اذا كانوا من اهل المشرق وباسم (كتاب اجار) اذا كانوا من المغاربة وذلك تخليداً لذكرى ذلك الملك الفاضل

ومما يحسن ذكره في هذا المقام ان رجار طلب من الادريسي قبل اشتغاله بتأليف هذا الكتاب ان يصنع له كرة تمثل الارض بما عليها وقدم للشريف كمية وافرة من الفضة الخالصة فصنع له الكرة على ما يشتهي . وقد بقي من هذا المعدن النفيس شيء كثير جداً فتركه الملك له . ورجاه رجار ان يتقبله دليلاً على انه يعرف فضله

ولم يكن علم الشريف قاصراً على الجغرافية والفلك بل كان بارعاً في معرفة الطب وعقاقيره . وقد ألف في هذا الفن كتاباً اصبح الآن معدوماً بالكلية . ولكن من يمعن النظر في مفردات ابن البيطار يعرف قيمة هذا الكتاب . فقد نقل عنه كثيراً في كتابة

الباقي بين ايدينا باصله العربي وبترجمته الفرنسية

ولا بأس ان نذكر شيئاً من مقدمة كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لتعريف القارئ بالثناء المستطاب الذي خلد به الادريسي ذكرى رجار · على ممر الادهار والاعصار

قال الشريف الادريسي : « أفضل ما عني به الناظر ، واستعمل فيه الافكار والخواطر ، ما سبق اليه الملك المعظم رجار المعتز بالله ، المقتدر بقدرته ، ملك صقلية وايطالية وانكبردة وقلورية معز امام رومية الناصر للملة النصرانية · اذ هو خير من ملك الروم بسطاً وقبضا · وصرف الامور على ارادته ابراماً ونقضا ، ودان في ملته بدين العدل ، واشتمل عليهم بكنف التطول والفضل ، وقام باسباب مملكته احسن قيام ، واجرى سنن دولته على افضل نظام واجمل التئام · وافتتح البلاد شرقاً وغرباً · واذل رقاب الجبابرة من اهل ملته بعداً وقرباً · بما يحويه من جيوش متوفرة العدد والعدد · واساطيل متكاثفة متناصرة المدد · صدق فيها الخبر الخبر · واستوى في معرفتها السمع والبصر · فأي غرض بعيد لم يصل اليه · ولم يخطر عليه ؟ وأي مرام عسير لم يحظ به ولم يتيسر لديه؟ اذ الاقدار جارية بوفق مبتغياته وارادته · والسعادات خادمة له ومتصرفة على اختياره في حركاته وسكناته · (واستمر الشريف على هذا المنوال الى ان قال) :

« لما اتسعت اعمال مملكته ‏····· احب ان يعرف كيفيات بلاده حقيقة ويقتلها يقيناً وخبرة · ويعلم حدودها ومسالكها براً وبحراً · وفي أي اقليم هي ···· مع معرفة غيرها من البلاد والاقطار ····· بطلب مافي الكتب المؤلفة في هذا الفن ···· مثل كتاب العجائب للمسعودي ، وكتاب ابي نصر سعيد الجيهاني ، وكتاب ابي القاسم عبيد ابن خرداذبة ، وكتاب احمد بن عمر العذري ، وكتاب ابي القاسم محمد الحوقلي البغدادي ، وكتاب جاناخ ابن خاقان الكيماكي ، وكتاب موسى بن قاسم القردي ، وكتاب ···· اليعقوبي ، وكتاب اسحق بن الحسن المنجم ، وكتاب قدامة البصري ، وكتاب بطليموس القالوذي ، وكتاب ارسيوس الانطاكي ، فلم يجد ذلك فيها مشروحاً مستوعباً مفصلاً ···· فأحضر لديه العارفين بهذا الشأن ···· فلم يجد عندهم اكثر مما في الكتب المذكورة فلما رآهم على مثل هذه الحال ، بعث الى سائر بلاده فأحضر العارفين بها المتجولين فيها ···· »

ثم أشار الادريسي الى صنع الكرة الفضية وانها عظيمة الجرم ضخمة الحجم ، في وزن اربعمائة رطل بالرومي ، في كل رطل منها مائة درهم واثنا عشر درهماً ، وقال انها تضمنت صور الاقاليم ببلادها واقطارها وسيفها وريفها وخلجانها وبحارها ومجاري مياهها ومواقع انهارها وعامرها وغامرها ... والطرقات ... والاميال ... والمسافات ... والمشاهد ... الى ان قال انه طلب تأليف كتاب مطابق لما في اشكالها وصورها غير انه يزيد عليها بوصف احوال البلاد والارضين في خلقها و بقاعها واماكنها وصورها و بحارها وجبالها وانهارها ومواتانها ومزدرعاتها وغلاتها ، واجناس بنائها وخواصها والاستعمالات التي تستعمل بها والصناعات التي تنفق فيها والتجارات التي تجلب اليها وتحمل عنها والعجائب التي تذكر عنها وتنسب اليها ، وحيث هي من الاقاليم السبعة مع ذكر احوال اهلها وهيئاتهم وخلقهم ومذاهبهم وزيهم وملابسهم ولغاتهم وان يسمي هذا الكتاب بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وكان ذلك في العشر الاول من ينير الموافق لشهر شوال الكائن في سنة ثمان واربعين وخمسمائة فامتثل فيه الامر وارتسم الرسم

وعند ما جاء ذكر جزيرة صقلية قال الادريسي ما نصه :

ان جزيرة صقلية فريدة الزمان فضلاً ومحاسن ووحيدة البلدان طيباً ومساكن وقديماً دخلها المتجولون من سائر الاقطار والمترددون بين المدن والامصار وكلهم اجمعوا على تفضيلها وشرف مقدارها ، واعجبوا بزاهر حسنها ونطقوا بفضائل ما بها وما جمعته من مفترق المحاسن وضمنته من خيرات المواطن

ثم تخلص الى مدح رجار الاول بن تنقريد ثم عاد الى مدح رجار الثاني . ثم عاد الى الكلام على الجزيرة وقال :

(فأما صقلية المقدم ذكرها فاقدارها خطيرة ، واعمالها كبيرة ، و بلادها كثيرة ، ومحاسنها جمة ، ومناقبها ضخمة ، فان نحن حاولنا احصاء فضائلها عدداً وذكرنا احوالها بلداً بلدا ، عز في ذلك المطلب وضاق فيه المسلك ، لكنا نورد منها جملاً يستدل بها ويحصل على الغرض المقصود منها ان شاء الله تعالى !)

الامة والتعليم

نشر جبرائيل سيابل من علماء فرنسا كتاباً سماه (التربية والثورة) تكلم فيه على واجبات الحكومة نحو الرعية وواجبات الرعية نحو الحكومة , لا سيما عامة الشعب وسوادهم الاعظم . يقع في ٢٥٠ صفحة وهاك تعريب ثلاث فصول منه قال في حقوق الامة في التعليم , وهو مقدمة الكتاب :

من راقب الامور بنظر الناقد البصير لا يلبث ان يتجلى ان الانطباع على الديمقراطية لا يتأتى الا اذا كان له عون من الافراد انفسهم فالديمقراطية هي في الحقيقة تربية وتعليم لا خلقة , وملكة ارثية ولا تنشأ العبودية الا من ضعة النفس , ولا يتحمل الظلم الا من لؤم طباع من يخضعون له ويتقبلونه بقبول حسن

فينبغي بالحالة هذه ابدال الاوضاع والقوانين وطرائق الاستهلاك كما ينبغي قلب حالة الافراد حتى اذا تم لهم ذلك لا يعقون ان يتلبوا كيان المجتمع على صورتهم ومثالهم . ولهذا اقتضى ان لا تخضع الامة خضوعاً اعمى فتكتفي بان يكون لها رأي في انتخاب نوابها . بل كان على عامة افرادها ان يكون لكل منهم وجدان ووقوف على ما هم آخذون انفسهم به من موازرة مجتمعهم وحكومتهم . وهكذا يتبدل الاشخاص اذا ابدلت الاشياء فيتعلمون بالتربية كيفية الوصول الى معاملة حكوماتهم لهم بالعدل والقسط وينشأ لهم مجتمع مستقل لا يكون الظلم حليفه ولا الاعنات رديفه

***

اذا سلمنا ان التعليم حق للجميع وان على العارفين المتعلمين فروضاً عينية يقومون بها لنفع الجاهلين الاميين فلا نرانا اتينا بفكر خارق للعادة لم يعهد له نظير فقد اعتقد جميع العارفين والعالمين بانه ينبغي تصفية ينابيع المعارف والعلوم ليتيسر ان يستقي من موردها افراد الامة وتعم فوائدها هذا الحيوان الناطق

ومن العبث ان نقول ان العلماء يعملون على بث فضل علومهم سعياً وراء اغراض لهم خاصة وارضاء لما في صدورهم من الانانية وحب الذات او حرصاً على فائدة ينالها بعضهم او البلوغ مرقاة من مراقي الكمال تقصر عنها يد المتناول وما على المدارس والكليات الجامعة الا ان تأخذ بيد الامة في هذا السبيل وتعرفها مصالحها وتعلمها ما يتعلق به كيانها

وحري بنا ان ندعو الى الافكار التي تقل العناية بها لانها تبدو في مظهر يفهم منه انها طبيعة عامة لا تحتمل الجدال والقيل والقال وان تدبرها يجلي لنا معناها واصلها لانا كثيراً ما نراها تحمل في مطاويها معتقدات تشكو من وجودها ومبادي، هي في الحقيقة قوة هذا العصر وشرفه الاثيل . وهذه الافكار الجديدة الغربية هي ان يكون لجميع الناس حق الاشتراك في درك الحقيقة وان يكون عليهم واجبات يقضي بها عليهم واجب العلم وان تكون بين العلماء وعامة الامة روابط ادبية ليوحوا اليهم بما في صدورهم من علم صحيح ويشاطروهم ما حازوه من نعمة العقل الواسع الفهم الجم

واذا استفتيت التاريخ عن هذه الطريقة التي نراها انجع الطرق في تعليم الامة لا تجد لها اثراً في العصور السالفة اذ لم يكن اذ ذاك رابطة روحية بين خاصة الامة وعامتها بل كان الخاصة يحكمون والعامة يخضعون . وكنت ترى السياسة بايدي الملك ومستشاريه تضعف بضعفهم وتقوى بقوتهم والمملكة تفنى في شخص واحد يعمل ما يزين له هواه وحسابه على الله . وكنت تشهد تحت ايدي المفكرين والعاملين اصنافاً واجيالاً من الخلق هم الدهماء وعامة الشعب يعملون ويشقون وقلما تعنيه اذهانهم للمطالبة بحقوقهم الا اذا بلغت منهم الشدة والاعنات والجور مبالغها

اما في هذا المجتمع الحديث فان العلماء والفلاسفة — وهؤلاء الذين يراقبونهم — يعرضون لبحث عن الحقيقة التي لا تخلو من خطر لما ينجم عنها من القلب والابدال وهم يؤلفون مجتمعاً صغيراً هو الى الخيال اقرب منه الى الحقيقة . مجتمعاً لا قانون له وليس له نظام مكتوب . نشأ بنفسه لنفسه تحدوه مطالب ارتقاء العلم وتسوقه ضرورة المراقبة على العقول . وهذا المجتمع الذي تجلى فيه وحدة العقل البشري هو مشترك بين الامم ينتقل من بلد الى أخرى . واعضاؤه المتشبعون بافكار واحدة والمتضامنون في عمل مشترك لا دخل فيه لهوى الافراد يتراسلون ويعرضون المسائل كل بعضهم على الآخر ويقترحون حلها بينهم واذا سنحوا فسياحتهم ليمتعوا ابصارهم برؤية بعضهم وليتعارفوا ويتعاشقوا ويتبادلوا افكارهم على صورة مخاطبات تكون عاقبتها بينهم كثرة المراسلة

وفي رسائل الفيلسوفين ديكارت الفرنسوي وليبنز الالماني شهادة حية ناطقة بأثار العلماء في مبادلة الافكار وتوفرهم على تحرير العقول من رقها البحث عن الحقي

وكان من دواعي الاتصال بين العلماء اعتمادهم على اللغة اللاتينية وهي اللغة التي كان يتكلم ويكتب بها جميع المتنورين

وكلما كان هذا النهج يتضح ويصير الى المحسوسات اقرب والى البحث لا الى التصور والى تقسيم الاعمال بين اهل الاشتغال من الرجال — كان العلماء يدركون بان حاجتهم بعضهم الى بعض ماسة كل المساس ، ان اعمالهم ينبغي لها ان تكون متجهة الى مركز واحد وانهم كلما اتحدت وجهتهم نحو فكر واحد واشتركوا يداً واحدة في عمل واحد أصبحوا كابناء الوطن الواحد الذين يسعون الى ابلاغ بلادهم مبالغ الكمال

قام بيل الكاتب الفرنسوي (١٦٢٥ — ١٧٩٨) المبشر بدعوة الفيلسوف فولتير بالاصلاح والتجأ الى هولاندة لان ظلم لويس الرابع عشر جعل تلك المملكة الصغيرة ارض الافكار الحرة وهناك أخذ ينشر كراسة على شكل مجلة تحت عنوان ينبئ بما تنطوي عليه من المعاني الحسان وهو « اخبار جمهورية الآداب » وهذه الجمهورية التي لا حد لها ولا تخوم كانت ولا جرم تجل عن المصالح المادية والمطامع ومزاحمة الامراء ومنها اخذت الانسانية تدخل في طورها المعهود وعظمتها الفائقة ولكن ما الفائدة من تعارف العلماء واجتماعهم واي خير يرجى اذا ألفوا من افرادهم نخبة لا اتصال بينها وبين عامة الامة وجهلوا احوال الامة لان كيانها عدم واجتماعها مثل العرى

جاء القرن الثامن عشر فامتزجت الفلسفة بالحياة واصبحت تنطق بلسان الناس وتبدو باشكال متنوعة . فدخلت روحها في الروايات والقصص والوقائع التمثيلية والهزلية والمحاورات واستخدمت لغاياتها ما بدر على قلم الفيلسوف فولتير من قوارص الاستهزاء والتهكم وما انبعثت به قريحة الحكيم ديدرو وما تدفق من معين البلاغة على لسان جان جاك روسو . أخذت الفلسفة تحمل حملاتها على السلطة المطلقة وتدك معالم الاوهام وتفتح العيون لتريها سخف السخفاء وكانت تنظر الى ذلك من قبل نظر الاستئناس لتكرره على النظر . ونبه الافكار الى الغفلة التي أصيب بها الناس في عاداتهم واخلاقهم وتهزأ بمن لم ينطبع بطابع التسامح وبمن لا تشمئز نفسه من الظلم الفاضح وتبين مسافة الخلف الذي حدث بالتدريج بين هذه الاعمال البربرية والوجدان البشري ، وذلك على الرغم من انصار التقليد والحافظين على الاوهام والخيالات وهناك نشأت قوة جديدة واعني بها قوة « الرأي العام » على ان هذا الرأي العام

لا يزال مقصوراً على ارباب التصور ، صادراً عن خاصة الناس ، علية القوم من ارباب الاموال . الاملاك . قادة الافكار من الفلاسفة . ربات الافكار من النساء . وكلهم بما امتازوا به من ضروب التمييز على غيرهم من عامة الشعب قد احرزوا نعمة التمييز . الفكر .

***

وقال من فصل آخر : عمت الثورة الفرنسوية دائرة الانسانية فادخلت فيها الناس على اختلاف اجناسهم . عمت ولم تخصص وتوسعت في مراميها ومعانيها وراحت تعامل جماع الخلق مطبقة ما ورد في فلسفة ارسطو من تعريف الانسان بانه حيوان عاقل قائلة بانه اذا كان كذلك فلا يتأتى ابعاده من حيز العقل كما لا يتيسر طرده من الانسانية . فالتعليم حق لا ينادي به المرء الا اذا نادى بنفسه . لقد قرأت في قاعدة تمثال السياسي دانتون هذه الكلمة : « التعليم اول ما تحتاجه الامة بعد الخبز الذي تأكله » وكلنا يعلم ان الديمقراطية نشأت من المعاركات , المناهضات , المقاومات , لا تزال تسلك سبل النجاح , الارتقاء

لا غنية للديمقراطية عن خبرة رجال كما لا يسعها ان تقدر الذكاء , العلم والفضيلة حق قدرها , لا مشاحة في ان الديمقراطية تأتي على الحواجز التي كانت تحول بين الطبقة العالية , جمهور الامة فتدكها من اساسها ذلك لان المجتمع يختار كبار الرجال من جمهور اهل البلاد ممن ينشؤن ابداً بين ظهراني عامة الناس , لا يزالون ينمون , يتجددون بما يصدر اليهم من حوض القوة , النشاط واعني بهذا الحوض البلاد فاذا اعتزل هؤلاء الرجال , اقتصروا على الاجتماع بابناء طبقتهم محتقرين ما عداها فانهم يقضون على انفسهم بالضعف وعلى امرهم بالفشل . ليس الشعب هو الجمهور بل هو الامة وهو هو الحاكم المتحكم . والفكر لا يكون الا مجردات ونظريات اذا لم يكن له كيان وحقيقة تؤثر في عقول ابناء الامة وارادتهم . وعلى الطبقة الخاصة من الناس وهي في الاصل ممتزجة بجهلاء الامة , اهل الوضاعة منهم ان يكون لها اتصال بالشعب وعليها ان تعمل على اقناعه لتنال ثقته . تتصل به وتشركه في معرفة الحقيقة السامية التي تخضع لناموسها الارادات مختارة . وعلى مجموع من يتألف منهم المجتمع الديمقراطي ان يشتركوا في الحياة الوطنية

مطالب الوطن بان مطالب التمدن هي هي أعز مصالحنا التي نرمي الى نيلها

وتستلزم هذه المطالب ان لا يكون حق الامة في التعليم من الشرائع الممسوخة فقد فرضنا آنفاً من باب التجوز ان كل امرئ هو شخص في ذاته وان كل حي خلق على صورة البشر هو انسان وقسمنا بينهم السلطة التي كانت في القديم محصورة في يد فرد واحد فعلينا ان لا نحجم فيما ندعو اليه وقد اوشكنا ان نفلح فيه الا وانه يجب اذا اردنا ان تتفق الاخلاق مع الاوضاع وان لا تناقض الحقيقة مبادئ الوطنية الرئيسة ان يقدر كل فرد على القيام بالواجبات الناشئة من الحقوق التي له ومن الضروري ان يكون الانسان خلقاً يعقل لانا فرضنا له ذلك وبنينا قواعد كلامنا عليه . تعليم عامة الامة هو من النتائج المعقولة في اشراكها بالانتخابات ينبغي ان يكون للامة من العقل ما تتقي به غوائل التفرق واختلاف الآراء . ان يكون لها من معدات التعليم ما تحسن معه ان تسير في الخطة المثلى وتجري في مهيع السداد وهذا لا يصح لها الا اذا احرز افرادها نصيباً من الذكاء والنظر في العواقب وثبات الجنان . الديمقراطية لا تغفل عن تعليم الامة الا اذا كان امرها لجماعة من المتوحشين من اجل هذا ضاعفت الجمهورية الفرنسوية عدد المدارس والكتاتيب ودور المعلمين والصنائع .

من اجل هذا عرف العلماء والفلاسفة ما يجب عليهم القيام به من خدمة البشر فانتهوا من وراء الغاية بكشف القناع عن محيا الحقيقة ورأوا من اقدس فروضهم ان يسعوا السعي الحثيث الى بثها في عقول الامة صغيرها وكبيرها . من اجل هذا نريد ان نجعل للعقول حظا من ادراك القوانين الضرورية وان يتناهى الافراد في بلوغ اسمى المطالب والامة تصير الى الانحطاط اذا نزعت منها هذه الفكرة . فيتألف من ذلك المجموع أمة تعضدها ارادتها في اختيار احسن الامور وتوقن ان العلم يبين وحده حقيقة ما ينبغي وما يجب ان يكون

ومن ارباب الافكار من يذهبون الى ان فرنسا اخطأت القصد في ثورتها فكان عليها ان تنير عقول العامة قبل ان تسعى الى تحريرهم من رق السياسة وانها بعملها هذا قد حلت عرى الصلة التي كانت بين الخاصة والعامة وأصبح القول الفصل للاكثرية الجاهلة لا للاقلية العاقلة وان فرنسا بدأت من النهاية وهي طريقة غريبة في العمل ويقولون اننا أسأنا بتأسيس اوضاعنا على الاماني الواهية باستنادنا على العامة والغوغاء من مجموع الامة واننا اخطأنا ان بنينا على خيوط العناكب هذا

الشبح من هذيان الفلسفة · فلسفة المساواة بين ابناء الوطن الواحد واسمنا المجتمع والتمدن الى من · الى الرجل الفطري الذي بين ايدينا · الى العامي الذي يطوف الشوارع · الى حيوان شر يومفترس فاسق · على انني أرى على الرغم مما يقول اولئك المتفلسفون ان من الامور ما ينبغي ان يبدأ به من غاياته وهكذا يشرع في الاعمال العظيمة كلها · فالشاعر لا ينظم قصيدته من ابيات ملتحم آخرها باولها · والمصور يرسم التقاطيع اولا · والصانع يرى بادي بدء ما يريد صنعه دفعة واحدة فيتصوره في مجموعه ويحصر فيه ذهنه · وهذا الباعث الداخلي هو الذي يحمله على ان يفادي بصرف العمر كله ليحكم صناعته ويشرك الناس فيما وقع في نفسه انه جميل نافع فالفكر يخترع صوراً جديدة من الخير ليحققها ليجدر بالام كما يجدر بالافراد ان يجعلوا نصب اعينهم في حياتهم واجباً كبيراً لا يغفلونه · وليت شعري هل كان ارباب الاصلاح منا يحظون بالرجل الرشيد لو قعدوا يتوقعون طلعته وهل كانوا يفوزون من عملهم بطائل و يقوم بيننا داعي الحضارة ينادي حي على الفلاح ·

ألا ان تعليم الامة اليوم من اعز مصالحنا لان فيه السلامة العامة · على اني لا آسف اذا كانت المصلحة طوعاً او كرهاً من جانب العدل والحقيقة · ولكن دعونا من التلميح فالامور لا تسير بدون مسير وتعليمنا لا تقوم له قائمة بما تصدره نظاراتنا من المنشورات وما يلقيه بعضهم من الخطب وما يصرح به آخرون — كل هذه لا تعفينا من الاعتماد والسعي في اصلاح الحال والاعتماد على انفسنا لصلاح المآل

لا نتمدن ونحن نتوقع ان تجرى الامور من نفسها على محور السداد فلن يقع الا ما نحسن ارادته ومصيرنا بيدنا وسعادتنا مناط هممنا · فعلى كل فرد منا ان تكون له ارادة ثابتة ان يكون كما يحق له ان يكون وكما يجب عليه ان يكون ·

على الرجل الحر ان يتعلم وان يتيقظ كل التيقظ لما فيه عظمته التي هو ضمين حارس لها وان يثق كل الثقة بان ليس في الاعمال ما هو وضيع في ذاته وان العظائم في هذه الدنيا هي مجموع ثمرة اعمال كثيرة فاذا عمل المرء لنفسه فنتيجة عمله عائدة عليه وعلى الناس اجمعين

***

وقال في معنى المدارس الحرة اي اللادينية ما نصه :

الحنق والغضب ايها الاساتذة هما من العواطف التي لا يليق ان تسري الى

قلوبكم لانها منافية للمهمة التي عهدت اليكم من انارة العقول وتربية الملكات .
فالمدرسة ولا أزيدكم علماً ليست لشيعة مخصوصة ولا لاهل حزب معين بل هي للامة بمجموعها ولذلك لا ينطبق مع مصلحتها ان تكون خطتها القاء بذور الكراهة والتناكر لان لابناء البلاد عَلَى اختلاف أصولهم واديانهم الحق ان ينبسطوا في بقاعها ورباعها وعليهم حقوق يقضونها عَلَى حد سواء

واني لأغتبط كما رأيت بان من الواجب عَلَى الاستاذ ان لا يدك قواعد الاوهام والخرافات الا باقامة ما يخلفها من الحقائق السامية وكما رأيته مضطراً بحكم الضرورة الى تجنب كل مشاغبة واعتراض وان يلقي في الاذهان ما ثبت ووقع موقع الحس ولم يقبل النقض من حقائق العلم ولا ينكر الا مالا يسعنا الاعتقاد به عن ايمان واخلاص

المدرسة الحرة التي لا تمس فيها الشعائر والعواطف ليست مما تجعل التعليم مشوشاً لا قيمة له ولا تأثير وتسلب المعلم الجرأة التي تعينه عَلَى القيام بعمله الشاق . وما معنى المدرسة الحرة الذي اقصده الا انها لا تنكر عَلَى معتقد اعتقاده ولا تحمل عَلَى الوجدانات وتنزع الى ما دخل اعماق القلوب . المدرسة الحرة هي التي تهتم من وراء الغاية بمناهضة الاوهام كما تعنى باقامة دعائم الحق بمعنى انها تبذل جهدها فيما يجمع العقول في ظل مشرب واحد لا يوزعها ولا يهزعها . المدرسة الحرة هي التي اذا ناهضت الكاذب في كذبه والكافر في كفره والمتعصب في تعصبه فمناهضتها بان توحي الى القلوب حقائق ادبية لا يجسر امرؤ ان يجادل في صحتها جهاراً .

ليست المدرسة سلاحاً يستخدم للحرب ولا أداة تستعمل للغلبة بين الاحزاب . وليست المدرسة الحرة من الاوضاع الصناعية العارضة بل اني أرى لها في الماضي أصولاً تشعبت منها وقواعد قامت عليها . ان لها من التاريخ اثراً وحكمة وهي موافقة لما تم للعلم من الارتقاء وما نشأ عليه الوجدان البشري

قام العلم المجرد منذ القرن السادس عشر مقام علم اللاهوت بفضل المذاهب الفلسفية العملية ووضعها موضع التطبيق . قام العلم المجرد يحقق نفسه ويزكيها بما عظم من امره واتسعت به سلطته التي أمد بها الانسان وسلطة فيها عَلَى الوجود . لم تقم قط الوحدة الوطنية منذ ثار ثائر الثورة الفرنسوية عَلَى وحدة الدين والمذهب . وهذا ما دعا الى ان يكون في المجتمع المدني مبادي تخوله البقاء والنهوض . وهكذا

يرجع الحق الديني القديم القهقرى على التدريج أمام الحق البشري ٠ وينبعث من ذلك بالتدريج فكر جديد بان يكتفي المجتمع بما لديه من المقومات والمشخصات ٠ وانه بما ينشأ في وسطه من الاوضاع البشرية ثمين في ذاته غني باسمه وصفاته يورث الناس قوة تبعثهم على ورود موارد الكمال ٠ وان لم معها كانت اديانهم وفلسفتهم ومزاعمهم عن العالم الثاني من المجتمع الذي يوليهم الذكاء والارادة ما يرتفعون به الى الانسانية الحقيقية ٠ والمجتمع في مكنته بل هو مضطر الى ان يهب اعضاؤه المؤلف منهم تربية فيها جميع المواد اللازمة والحاجات المبرمة والغايات السامية

يتعذر بعد الآن على المدرسة ان تنصبغ بصبغة الدين لان العلم والمجتمع قد نزعا عنهما تلك الصبغة ولان المرء اصبح له مجموعة افكار بشأن العالم والحياة هو كان اصلاً لها وعنه انبعثت وصدرت لان الاديان التي يزعم كل منها ان الله أوحى اليها بالحقيقة المطلقة وعهد اليها بالدعوة الى انتحالها ٠ هذه الافكار التي أتت من الانسان نفسه هي التي بها نتحد الارادات في الناس على قدر القرائح والعقول

انا ندعو في مدرستنا الحرة الى تحرير العقول من التشيع للمذاهب وندفع فيها التأثيرات التي لا يقول بها العلم ٠ نريد في هذه المدرسة انه لا بقاء للمجتمع الا اذا عمل بسنة العقل وتأثر بالمؤثرات الدنيوية فالعقل يعرب في كل وجدان عن نتيجة العمل الانساني الجليل الذي يبني الفكر على أسلوبه ومباديه

***

وقال في المدرسة الحرة ما تعريبه :

أُعيذك من اتخاذ الوطن موطناً للبغضاء والشحناء ومن جعل اسمه مرادفاً للحروب والفتن الشعواء ٠ إ يا هذا الأمم الكبرى الحديثة بانها متضامنة لا غنية لاحداها عن الاخرى وان مصالح كبار اهل الوطن الواحد متحدة فهم يبطلون الحروب ويتوصلون الى كبح جماح الام وحظر الانتقام عليها ويصنعون لها ما يجب عليها من اسباب التحكيم في مسائل الخلاف ويحببون الى نفوسها الاحسان والسلام

اذا كنت تريد يا هذا ان تحبب بلادك الى الناس فاياك ان تعمد الى قلوب الناشئة الموكول اليك تهذيبهم فتغرس فيها ما يعبث بوجداناتهم بل حاول ان تطهر قلوبهم وتعرضها كما ينبغي لنا ان نراها ٠ علم الناشئة واغرس في نفوسهم ملكة الشعور بعظمة أمنيتهم الحقيقية ٠ اكشف لهم حجاب الماضي واعرض على انظارهم تاريخهم

ولا تنس ان تطلعهم على حاضرهم وترشدهم الى مستقبلهم . علمهم ما يقوي ارادتهم في طلب العدل وثقتهم في الحق ولقنهم ما يستطيعون معه ان يفادوا بنفوسهم ليبيوا مدنية افضل من المدنية الحاضرة .

ثق بان من الناس من لا يتوقفون عن ورود موارد الردى مدفوعين بتوهم الكمال اذا عرفت كيف تلقي في نفوسهم ان هذا الكمال هو مادة حياتهم وبدونه لا تقوم لهم قائمة فان صح ان هذا التناهي في الكمال مناف للشدة وازهاق الارواح وجميع ضروب القتل ولا يكون الا بتوطيد دعائم السلم بين الامم فلا تطلب الى ما تريد صلاحهم ان يتطاولوا فقط الى الدفع عن حياتهم وحبها والادلال بقدرها بل سهل في نظرهم بذل مهجهم في سبيل حرب واحدة وأعني بها حرب المطالبة بحقوقنا والحرب في الدفاع عن استقلال أمتنا .

أنشئت المدارس لتخريج جميع من يتخرجون فيها احراراً وطنيين . فوظيفتكم ايها المعلمون ان تعلموا اولاد الامة . ومن المتعذر عليكم ان لا تخذلوا بمطالبها المشروعة او ان تعاكسوها في مقاصدها على حين انكم تعرفون حاجاتها وآلامها . نعم انتم معلمون ووظيفتكم قد حدتكم الى مالا يعرفه غيركم او يعرفه وينساه .

استفدتم من تجاربكم اليومية ما مكنكم من الوقوف على حالة الطبيعة البشرية وان هذه الطبيعة كثيراً ما تخطئ محجة الصواب وانها في ذاتها ليست صالحة وانه ينبغي لها ان تخضع فينا كلنا لنظام العقل والارادة . تحظر عليكم مهمتكم ايها الاساتذة امراً واحداً وهو انه لا يتيسر لكم ان تعتقدوا بانه يكفي انتظار الجنة او الاامها .

انتم عارفون بانه لا يكفي تغيير الاوضاع السياسية لتبديل الناس بتبديلها وان خير الطرق في تربية المجتمعات ان توجد الافراد الذين تتألف منهم العناصر التي في الحقيقة سداها ولحمتها . فسياستكم في تعليم الاولاد ان تعرفوهم قدر الكد والعمل وان صلاح المجتمع بصلاحهم انفسهم . اذا فعلتم ذلك تبدؤن بتحرير الامة على ما ينبغي من قيودها واذا حررتموها بقدر ما في وسعكم من عبودياتها الباطنية واعددتم لها سلاحاً لا تغلب معه كان ثقافتها الاعتدال والشجاعة وحب العدل فانكم تعدون المجتمع المقبل بعملكم هذا لان يكون فيه رجال أكفاء احرار يتولي الاعمال والعيش في المجتمع . يتهمكم خصوم المدرسة الحرة بان مدرستكم هي أداة حرب يقصد بها حرب الكنيسة وانها مخالفة لروح السلطة الروحية . ولكن فاتهم ان التعليم العامي

« العلماوي » هو نقيض التعليم الديني وان من شأن المدرسة الحرة ان تبتعد عن اشهار الحروب بين العقول وان تعمل على ربط أواخي الاخاء والسلام المتبادل بين العالمين ·

قال ادغار كيني سنة ١٨٤٩ في كتابه « تعليم الامة » : طالماذهبت الى ان المجتمع الحديث قائم على مبدإ لا يستطيع القيام به غيره · وعلى هذا المبدإ قام حقه المطلق في تعليم العلوم المدنية · أساس هذا المجتمع الذي يربط بين اجزائه ويمنعه من السقوط هو ان فيه نقطة لا يمكن تعليمها بمثل السلطة التي اتخذتها لنفسها احدى الاديان الرسمية · هذا المجتمع يقوم على مبدإ حب اهل الوطن الواحد بعضهم بعضاً بقطع النظر عن معتقداتهم ·

فمن الذي يا ترى يتولى نشر هذا المذهب الذي هو في الحقيقة مادة العالم الحديث وهيولاه ؟ يتولاه بالفعل لا بالقول · من يعلم الكاثوليكي ان يكون أخا اليهودي ؟ هل يعلم ذلك وهو الذي من أصول دينه ان يلعن اليهودي ؟ من يعلم البرتستانتي حب البابوي ؟ ألوثيروس صاحب المذهب البرتستانتي ؟ ام البابا امام الاحبار · ومع هذا ينبغي ان يجتمع اهل الاديان الاربعة الذين اعتادوا ان يتبادلوا كره بعضهم بعضاً تحت لواء واحد يضم شملهم الحب المشترك ؟ من يأتي بهذه الآية ؟ ومن يجمع هؤلاء الاعداء الالداء ؟ لا شك انه لا يجمعهم الا مبدأ سام عام · يجمعهم مبدأ ليس لاهل بيعة خاصة · هذا هو اساس التعليم الحر اه

هذا الكلام على شدة فيه مسلم به كله اذ ان وظيفة المدرسة ان تنقل تجارب الانسانية في الادب تنقل هذا الارث المشترك في الحقائق المنشودة التي يهم ان يشترك فيها الناس اجمعون · يتيسر جمع الناس تحت لواء الحقائق الكبرى فمن العقل ان يتعلم اولاد الامة الواحدة ان يتكلموا لغة اخلاقية مشتركة ويفزعوا الى مبادئها يتخذوها قاعدة تجري عليها افكارهم واعمالهم ·

يقولون ان من غرض المدرسة الحرة ان تدك قواعد البيعة الكاثوليكية التي تزعم ان لها على المجتمعات البشرية حق السيطرة الروحية ممنوحة لها من الخالق تعالى · ولكن مما توصف به القرون الحديثة منذ عهد الاصلاح الى عهد الثورة الفرنسوية التي لم تنته من عملها الى اليوم ان تكون البلاد بجميع ما فيها من الاعمال آخذة تصبغ بصبغة دنيوية

ليست المدرسة الحرة العامية من العوارض التي نشأت في المجتمع من ذاتها بل هي نتيجة حوادث ماضية وهي من لوازم المجتمع في فصل الشؤون الدينية عن الدنيوية . فالمدرسة الحرة ليست بهذا النظر عدوة الاديان الصحيحة بل تجلها وترى ان في مكنتها ان تربي ابناءها عَلَى يدها وحدها

جاء زمن كانت فيه العادات والاخلاق بل الحق برمته مرتبطة بالدين فكان من الكنيسة ان توسعت في سلطتها الروحية بدون رقيب . من يقصر حقه عَلَى الظلم يضطهده والظلم يقضي بان اكون القوة تحت امره ويدير دفة الشؤون الدنيوية ويقمع العصاة ولكن المجتمع المدني بعد ان قاسى كثيراً من الظلم قد تخلص منه ورأى انه يحسن القيام بادارة نفسه بنفسه . وتاريخ الفرنسو يين لونظرنا فيه مناف للكهنوتية ولطالما حاول اجدادنا ان ينزعوا ربقة الخضوع للكنيسة

فصل الكنائس عن الحكومة يعقبه جعل المدارس حرة فهو تنفيذ لمبدإ واحد هو لا يترجم بالفعل الا عما هو مغروس في طبائعنا وقوانيننا وافكارنا واعني بذلك فصل الحياة السياسية عن الحياة الدينية وان تقوّل في ذلك الخصوم ما تقولوا .

الا واننا لقوم لا نريد الانحاء عَلَى الاديان ونزعها من النفوس ليدين الناس « بالعدم » بل نريد ان لا تكون عَلَى اعمالنا وعمالنا وحكومتنا ومجتمعنا مسحة دينية . نريد ان يكون الدين كما هو حقيقة . نريد ان ننفي عنه ماليس له . نروم ان يكون الدين لله وللمرء بينه و بين نفسه لا علاقة بينه و بين الحكومة ونحن بعملنا هذا لا نشهر حرباً بل نلقي سلاما .

***

وقال ايضاً في المدرسة الحرة :

ايها السادة : اننا لم نتخلص من سلطة الكنيسة لنبدلها بظلم طائفة الموظفين المنافقين . نحن لا نقول بالالحاد الرسمي كما لا ندعو الى الاعتقاد بالدين بحجة شرعية وضمان الحكومة . فالالحاد الرسمي هو ابشع مظاهر التعصب وعدم التسامح . ان الحكومات الجديدة تقصد الى الباس جميع اعمالها لباس العامية التدريجية فلا علاقة للقانون اصلاً بالمذاهب والنحل بل ان له من الاوضاع البشرية ضامناً ومن المصلحة العامة ما يقوم عليه أساسه . فليس الزواج سراً من الاسرار الدينية بل هو عقد مدني وليس الملك كما قيل تعضده قوة سماوية ويمسح المسحة المقدسة ويستمد

حقه الالهي من السموات العلى بل هو من الشعب وهو يمثل ارادة مجموع الامة · وسوف يكون بعد الآن كل ما هو ديني لاعلاقة له بالاجتماع: الدين من خصوصيات النفس لا اتصال له الا بالوجدان الشخصي

ألقت اختلافاتنا الدينية بيننا العداوة والبغضاء فانقسمنا بها على انفسنا ولا يتأتى ان يحف السلام ارضنا والائتلاف ديارنا ولا ان يكون لنا منها اوب مشترك · لا يسوغ ان تكون المدرسة العامة الا كما تكون الحكومة مصبوغة بغير الصبغة الدينية فاذا استوفت هذا الشرط وحده تصبح ما يجب ان تكون وتقوم بما هو دعامتها ومادة حياتها · ان جمهور بتنا لا تبحث عن مبدإ وحدتها في تعليم ديني بل هي تعلن باستقلالها عن كل سلطة روحية وترى ان لها من نفسها ما يرفع بنيانها وان لها من مراميها الخاصة جميع ما هو قوام حياتها وبقائها ·

في وسع جمهور يتنا ايها السادة ان تنفح ابناءها كلهم تربية أساسها ما يجمع شملهم لا ما يشتت جامعتهم · وبدون الاتحاد في الافكار والمقاصد لا يكون المجتمع الانساني الاموطن كره وتشتيت حقيقي · وبدون التربية المشتركة والتعليم الاخلاقي العامي لا وطن ولا جامعة · فالتربية الوطنية في الحكومات التي تدعي انها تملك رقاب الناس بحق سماوي هي من توابع التربية الدينية · ووجود القس فيها ضروري ليدعو الى الطاعة العمياء ويؤله الشخص الحاكم الذي هو المملكة باسرها · اما الديمقراطية فلا تخرج عن حدودها ولا تخضع المرء الى ارادة عرفية بل تطلب الى افرادها ان يخضعوا للقانون الذي ليس هو الا ما يرضي المجتمع على شروط تضمن فيه السلام والبقاء

ترى الجمهورية ان تقبض على عنان التربية · ولكن اي تربية وماذا يكون نوعها وكيف يلتئم هذا النوع من التربية مع احترام الحرية والوجدانات الشخصية · اننا نحصر انفسنا في أمور تافهة ونقتصر على تعداد الواجبات بدون ان نعد لها اسبابها فيتعلم اولادنا هذه القواعد المزوقة المتسلسلة بدون ان يفهموها فالطفل يتعلمها ولكنه لا يفهمها ·

ان كنتم ايها الاساتذة تريدون ان تعدوا افكاراً حرة قوية فعليكم ان تخففوا من الاكثار على الذاكرة وتستعيضوا عن ذلك بتمرين العقل · ينبغي لكم اذا رغبتم في ان تجعلوا التعليم الاخلاقي تربية للضمائر ان تقوموا مع من عهد اليكم امرهم من

الاطفال بما يجلي لاعينهم معه الحق وتذكروا لهم فوائد التربية على اختلاف ضروبها هي نتائج مبدإ يفهمه الفكر وترتضيه الارادة ويحببه الشعور · وبهذه الشروط فقط تصبح الحقائق التي تعلمونها حقيقة حية مرتبطة باعمال الفكر الذي يوليها على الدوام ما يكشف القناع عنها و يظهرها في مظهر الحق كما جد تطبيقها ·

وما دمت يا هذا تعدد الواجبات العامة وتأمر بالنظافة والاعتدال والشجاعة فالعالم يوافقونك على ما تقول ومتى حاولت ان ترجع هذه الامور الى مبدإ عام وصرحت بفكر عام في الحياة وقيمتها ومعناها فهناك تختلف الافكار وتتعارض ·

لا تعملوا على ما فيه هضم حقوق الوجدانات واستعبادها بان تلقنوها اعتقادات لا تحلم النفوس ان تدافع عنها بحجة انكم تريدون ان تعدوا عقولاً حرة ذات كفوء للعمل · الحكومة الجمهورية لها الحق في البقاء بل يجب عليها ان تحرص عليه وتحتاط لنفسها وتدافع عن حوزتها · فهي قائمة على محض احترام الحريات المتبادلة ومن حقها بل من واجبها ان تعد جيلاً من الناس يكون منه ضمان بقائها وارتقاء قوانينها ·

يعتقد بعضهم في جمهوريتنا بانها جعلت للفرد كياناً فراح يخيل اليه بانه عنصر من المجتمع لا يقوم بغيره · نعم ان افراد جمهورية حرة لا يتأتى الا ان يكونوا رجالاً فيجب ان يكون لهم من انفسهم ما يعلي مقامهم في عيونهم و يرفعهم عن دركات البهيمية لتكون لهم ارادة وحرية فيفهمون معاني الاعتدال والحكمة والمفاسد والخرافات · فالمرء اذا انقسم على نفسه واستعبد لشهواته لا يكون الا متعدداً مشتتاً له علاقة بكل شيء الا بنفسه · واول مايفرض على الانسان ان يجعل لنفسه كياناً في افكاره واعماله ومضاء نفسه ·

لا يعد الانسان انساناً الا بين الناس وكل ما يحرره من عبوديته القديمة و يعلي مقامه عن دركات البهيمية و يصفه بالاوصاف الجليلة و يحدد له عمله (سواء كان بالعلم او بالصنائع او بالاخلاق) ينشأ من مساعدة الافكار بعضها لبعض ومن مشاركة الارادات والمقاصد · أنا لست انساناً حقيقياً الا اذا ارتضيت بقانون الاشتراك والتضامن بحيث اكون مديناً للمجتمع ومساعداً لجميع اخواني في البشرية ولهم علي من الحقوق مثل مالي عليهم اه·

هذه شذرات من هذا الكتاب النافع ولو اتسع لنا هنا المجال اكثر من الآن لاقتبسنا منه فوائد كثيرة وهو كله على نسق واحد لا حشو فيه ولا لغو فمن فصوله

الممتعة الفصل الذي عنوانه تعاون الافكار وكليات الشعب وفصل التعليم العالي عند الشعب وفصل التربية والثورة او الانقلاب وفصل قصر الشعب وفصل كلية الشعب واعمال العملة وكليات الشعب وفلسفة الشعب والتعليم الثانوي والفلسفة وغير ذلك من الممتع الرائق فيا حبذا لو صحت عزائم من يحسنون التعريب عن اللغات الافرنجية الى ترجمة مثل هذه الاسفار النافعة باللغة العربية فيبثوا فيها روحاً عالية جديدة وذلك افيد للناس من مشاغب السياسة والاحزاب لانه هو الاساس ولا بناء بدون أس قوي ·

اخبار وافكار

حفظ المكاتب

يحسن اصحاب المكاتب صنعاً اذا ارادوا ابقاء كتبهم سالمة ان يقوموا بالاحتياطات الآتية : يتقون اولاً استعمال الخزائن ذات الزجاج ما عدا بعض الكتب الثمينة جداً التي تنفض عَلَى الدوام وذلك لان الهواء لا يتخللها ويبقى جوها محصوراً مما يساعد الحشرات الضارة كالارضة عَلَى الاضرار بها وتكون مستوبلاً للعفن والجراثيم . ثم انه يجدر ان يوضع وراء الكتب بعض قطع من الجوخ او الصوف مغموسة بروح صمغ البطم « التربنتين » والبنزين وحامض الفنيك او عصير التبغ بحسب ما يتيسر للانسان . وهذا الاحتياط اذا جدد من حين الى آخر يعطي نتائج حسنة

اوائل المعادن

نشرت المجلة الاسبوعية مقالة في اول استعمال المعادن قالت فيها ما ترجمته : يجب الرجوع الى ما قبل التاريخ ايام استخرج الانسان من الحجر والقرن والعظام مواد صناعته واكتشف اكتشافاً رنَّ في العالم صداه ونعني به المعادن فكان باكتشافه اياها كأنه ظفر بالطبيعة واتجهت اعمال البشر بعد الى وجهة لا تزال الى اليوم تتكاثر فوائدها فقد بدأ عصر المعادن حوالى نحو العشرين قرناً قبل الميلاد ولا تبرح سلسلته آخذة بالتسلسل حتى يأتي العلم عَلَى تسجيل جميع موارد الارض . فيطلق الكيماويون اسم معدن عَلَى جسم بسيط قابل للتأكسد اذا اصابه الاوكسجين ويرى الاقتصاديون في المعدن اداة نقدية غلاؤها ناشئ من ندرتها ويرى ارباب الصنائع الاختراعات المنوعة التي ظهرت من مادة مختلفة كان حسن استعمالاتها عَلَى الدوام ان تكثر الغنى وتدمث العناصر وتستخدمها .

كان الذهب اول معدن استعمل في حين ان الفضة عَلَى كثرتها في ايامنا لم تستخدم الا مؤخراً وآخر معدن اكتشف هو الراديوم وبين المعدن الاول والمعدن الاخير زهاء خمسة وخمسين معدناً منوعاً دخلت في الاستعمال واصبحت مساعدة عَلَى المدنية عَلَى اختلاف الاعصار

اننا اذا اردنا الوقوف عَلَى تاريخ المعادن مدققاً يجب علينا الرجوع الى العهد الذي كان الناس يعملون من الحجر سلاحهم وهذا لا يقل عن خمسة آلاف سنة وبفضل

بحث العلماء تبين ان الذهب كان يستعمله القدماء اذ وجد في مقابرهم مطرقاً عَلَى صورة حلي و بالنظر لندرة الذهب وصلابته في الجملة لم يدخل في استعمال الادوات العادية بل اقتصروا عَلَى جعله صلة بين العصرين العظيمين العصر الحجري الذي انقضى والعصر النحاسي (البرونزي) الذي ادى بالانسانية الى اكتشاف الحديد اي الى ابواب الازمان التاريخية . ثم ظهر النحاس وعم استعماله في اشياء كثيرة ولكنه قليل البقاء فقد اعترف مطرقوه باديء بدء بلينه فمزجوه بغيره ليقوى فخلطوه بالزرنيخ والانتيمون اولاً ثم بالقصدير . عَلَى ان ظهور المعادن في العمل يوافق بحسب ما يظهر اول عهد عدنت فيه المعادن وليس الامر كذلك لان المناجم سابقة ذاك الحادث المهم فان البشر مذ عرفوا يصقلون الحجر قبل ان يعرفوا المعادن بازمان قد بحثوا في الارض وكان من المعدنين الاولين ان استثمروا اولاً حجر الصوان فكانوا يحفرون الآبار والدهاليز برؤوس الايائل ليستخرجوا منها المعادن وكان من الحركات الجيولوجية التي ساعدت عَلَى تأليف الكرة ان جعلت الارض غنية برؤوس عروق المعادن فظهرت عَلَى سطحها واخذت المياه الغزيرة الجارية الى قرارة الانهار تلقي عَلَى الضفاف اجزاء معدنية فلم يكن اذاً المعدنون بل الباحثون الذين حملوا الى بوتقة الانسان الاول المعادن الاصلية المخلوطة بالاتربة وغيرها . ومنذ أُلوف من السنين جرى تعدين كثير من المعادن في طور سينا بالشرق وفي كورنوال في انكلترا وفي مور بيهان واليه والكروز وفينا في فرنسا بل كما جاء في كتاب علم الآثار قبل التاريخ انه انتشرت من البحر المتوسط الشرقي معرفة مزج المعادن في بلاد الغرب بواسطة الطرق التجارية التي فتحت في العصر النحاسي واحدث العصور قبل العصر الحجري وقد وقع تعدين مناجم اسبانيا منذ الزمن الاطول فساعد ما استخرج منها عَلَى انتشار الصنائع في اوربا الجنوبية وانتقلت تجارة المعادن من قبيلة الى أُخرى عَلَى شواطئ الاتلانتيك حتى بلغت الجزائر البريطانية وفي هذه ايضاً اكتشفت مناجم غزيرة نفق ما استخرج منها في اسواق الشمال والغرب بل والجنوب

وقد انتقل تطريق المعادن من الشرق الى الغرب ودلت بعض الآثار التي وجدت مصورة في صورة نصفية بارزة من عهد الدولة الخامسة المصرية و بعض ما وجد من الاثقال الحديدية في سويسرا بانه كان في ذاك العهد مقاييس قابلة للوزن وان التجارة كانت تربط اذ ذاك جمعاً من البشر او من الاجناس

المالوش

قرأت اخيراً في مجلة المقتبس ما كتبه البحاثة اللغوي ساتسنافي العنجوس فازددت بفضله معرفة و بابحاثه العديدة المفيدة شغفاً منها بحثه في تلك الحشرة الفتاكة مما شف عن تفانيه في خدمة لغتنا العربية ونهضتنا الحديثة

وفى بحث العنجوس اللغوي حقه فوفر عَلَى طلاب الزراعة عناء تنقيب كثير ثم وصف خلق العنجوس جيداً وذكر بعض طرق اتلافه وما يتعلق من البحث بالزراعة العلمية وجيزاً . لذلك احببت تفصيل ما اجمل في ذلك ملماً باطراف الموضوع ، ذاكراً اصدق الوسائل المتخذة في ديار الغرب لمحاربة ذلك العدو لمحب الزراع و بفيد البقاع ان شاء الله فأقول :

المالوش او العنجوس او الشبث او الكاروب او ما يسمى في الشام بالعالوش حشرة من رتبة المستقيمات الاجنحة من جنس الجداجد (الصراصير) تسميه عامة الفرنسيين تارة بالحراثة وطوراً بسرطان الارض وأخرى بالخلد الجدجد . واسمه العلمي الخلد الجدجد العام لان يدي هذه الدويبة القبيحة عريضتان مفلطحتان قويتان جداً تشبهان يدي الخلد و يقيم المالوش في الاراضي المزروعة ضيفاً كريماً ويفضل حدائق البقول والمغارس الشجرية والحقول الخفيفة التربة والأماكن الرملية الرطبة كالاباطح والمنخفضات فيحفر ليلاً سراديب سطحية عديدة يطول بعضها كثيراً و يسير عَلَى الدوام في تلك الدهاليز المخددة للامام لا يلوي عَلَى شيء فيمزق بفكيه الجذور الدرنية كالبطاطة والجزر والشمندر فتكون له تلك السراديب ميادين يطارد فيها مختلف الحشرات اما المواضع التي خددها المالوش فتعرف باصفرارها وذبول نباتاتها

اختلف علماء الحشرات كثيراً في مأكول هاته الحشرة فقال بعضهم : انها من آكلات النبات والحيوان معاً ومنهم المهندس العالم الزراعي غينو احد مؤلفي دائرة المعارف الزراعية الكبرى . وقال آخرون : انها من آكلات الحشرات فقط ولكنه قد يأكل بقايا النبات والحشرات المخلوطة وفرقة ذهبت الى انها لا تأكل سوى الحشرات والديدان منها الاستاذ بيكار فقد برهن عَلَى قوله بعدة تجارب ناطقة بفساد مذاهب الآخرين وقد امتحنت هذه الحشرة في عطلتي الصيفية الحاضرة بان وضعت مالوشين في اناء وتركتها في الجوع الشديد ثلاثة ايام مع النبات الاخضر ثم بعد

ذلك فحصت النبات فاذا هو كما وضعته لم يتغير ثم أتيت للمالوش الكبير ببعض ديدان التفاح فكان يلتهمها بنهم وسرعة

كذلك اختلف علماء الحشرات والزراعة في ضرر المالوش ونفعه والمذهب المعتدل ان العناجيس نافعة في الارض المزروعة حبوباً لأكلها الديدان والحشرات الضارة وعدم اضرارها بالحبوب ضرراً يذكر ولكنها ضارة جداً فيما اذا كانت كثيرة في بساتين الخضر فقد تتلف الزرع برمته واذا كانت قليلة في الارض فتستوي كفة نفعها مع كفة ضررها ثم لنفرض انها مفقودة فان الدوبيات الضارة التي كانت تلتهمها في وجودها تتسلط على النبات في غيابها ولربما كان مما تفترس ماهو أضر في بعض البلاد منها فتنتفع الاراضي كثيراً ولما كانت بلادنا العربية لم تعتد بعد محاربة هذه الحشرات الفتاكة اعتيادها الحروب الدينية التي اخرتنا قروناً كثيراً ، باضت الحشرات لاتبالي، وفرخت خالية الهم والبال حتى صارت من ألد اعداء الفلاحة الشرقية واكبر مصائب الزارعين ولذلك وجب علي ان اشرح اصدق الحيل المتخذة في ديار الغرب لاتلافها وهي :

١ ان تسقى الارض قليلاً لاخراج الحشرات منها عند الهجيرة لان هذه المواليش تعشق الماء والرطوبة ومتى صارت على سطح الارض سهل التقاطها واهلاكها وقد ذكر لي رفيقي في درس الزراعة هاشم افندي البهلوان المعروف من ابناء طرابلس الشام ان فلاحي القرى الطرابلسية كالمنية وغيرها يتخذون هذه الطريقة في قتل المواليش

٢ ان تصب في ثقوب سراديب المواليش الخارجية بعض السوائل الخانقة كالزيت وكبريت الفحم او مستحلب البترول والصابون وتحضر المستحلب باخذ ٤٠ جزءاً من البترول وجزء من الصابون و ٢٠ جزءاً من الماء والصابون يقطع قطعاً صغيرة و يغلى في الماء حتى يذوب فيرفع عن النار و يزاد عليه البترول و يحرك جيداً وهو سخن حتى يختلط البترول بمذوب الصابون وعند الاستعمال يمزج الرطل بعشرة ارطال ماء و يصب في ثقوب المواليش و يعد هذا المستحلب من قاتلات الحشرات بانواعها فليستعمل لشربة الليمون برش الاشجار بالمضخة

٣ يهلكون كل سنة في الاراضي الرملية حوالى برلين اكثر من مئة الف من هذه المخربات وذلك انهم يملؤن قصريات (شقفات الفخار للزهور) ماء يصبون

عليها ربعين نقطة من زيت النفط (خلاصة التر تينا) و يدفنو . هذه القصريات في عمق خمسة سنتمترات في الارض فتتهافت المواليش لتموت في مائها غرقاً وقد ذكر هذه الطريقة الالمانية الاستاذ « لاربالتربة » مدير دار الاستحضار الزراعية في مقاطعة الالب المخفضة وأحد اساتذة مدرستنا .

٤ً اما في الاراضي المزروعة تبغاً (توتون) فقد ظفر المفتش الزراعي العثماني في ولاية آيدين بطريقة نجح بها كل النجاح في ابادة المواليش وهي : ان تسلق عرانيس الدرة وترفعها من المرجل والقدر قبيل النضج و بعد تجفيف الدرة تطحن حبوبها مع حامض الزرنيخوس وتذر الدقيق عَلَى الارض ثم يدفن فيها بواسطة المشط قبل زراعة الدخان بعشرة ايام وعندئذ يجب ابعاد الطيور الداجنة عن تلك الارض المسمومة . واني اوصي اهالي جبل عامل ولواء اللاذقية بهذه الطريقة الناجحة الفعالة .

٥ً ان لاتهمل التفتيش عن اوكار المواليش في اشهر ايار وحزيران وتموز تظهر مثل كتل من التراب مرتفعة محاطة ببعض النباتات الجافة وحينئذ تحفر في هذه الكتل مقدار ٦٥ سنتمتراً فتجد فيلجة (شرنقة) من التراب يابسة فتأخذها بعناية واحتياط لئلا تكسر الفيلجة فيقع بيض المالوش عَلَى الارض ثم تسحق الفيلجة كل السحق والاحسن ان تطرحها في النار .

٦ً ذكر بعض كبار المزارعين في فرنسا حيلة تتمكن بها من اتلاف هذه المواليش من الارض بتاتاً في مدة سنتين او ثلاث وأرى طريقته هذه انفع الحيل المتخذة في حين انها قليلة النفقات ولا تضايق المزروعات وهي ان تحفر في الارض قنوات معوجة يكون بين القناة والاخرى ثلاثة او اربعة امتار وعمقها يختلف من ٢٥ الى ٣٠ سنتمتراً . ثم تملأ تلك الاقنية سرقيناً « زبلاً » خالطه قش وبعمرسواء كان سرقين خيل او بقر ثم تغطي الجميع بالتراب فان سرف المواليش تهرع للقنوات كي تدفأ في السرقين وتتخذه لها مشتى حيث تدخل في دور التطور والاستحالة وينبغي فتح القنوات في شهر ايار المقبل برفع السرقين بالتدريج فتجد ان تلك المواليش بالغة والسرفات التي لم يتم بعد تطويرها فتبيدها عن آخرها

وفي الارض كثير من الحشرات تأكل بيوض المواليش . والبيض ينقف بعد ثلاثة اسابيع او شهر عن فراخ بيضاء صغيرة . وقد زعم بعض علماء الحيوان ان المالوشة تأكل جزءاً من فراخها واثبت قوم انها تدافع بالعكس عنها وتفتش لها عَلَى

ما يغذيها والغالب ان المالوشة تموت بعد ما تبيض كاكثر الحشرات المنظورة ·
اما البيضة فانها صفراء بحجم بزرة القنب (القنبزة) وقشرتها متينة جداً توجد متلاصقة مع اخواتها · اما الفراخ فانها تعيش العيشة الاشتراكية مدة شهر ثم تتفرق فتتطور الى ثلاثة اطوار الى آخر تشرين الاول وحينئذ يكون طول الدويبة سنتمتراً ونصفاً فاما ان تحفر لها حفرة او ان تلتجيء للمزابل لقضاء فصل الشتاء في حالة التخدر والسبات الطويل فتبقى كذلك للربيع القادم وفيه تتطور ايضاً طورين ثم تبلغ في ايار اوحزيران وفيهما ترتكب هذه المواليش اكبر فظائع التخريبات في المزروعات

اور يزون (فرنسا) عزالدين شيخ الدروجية

اليابان والافيون

ذكرت الصحف الاوربية عام ١٨٥٣ مع الاسف ان عادة تدخين الافيون لم تقتصر على بلاد الصين بل تعدتها الى انكلترا نقل اليها استعمالها اناس من البحارة الصينيين كانوا مستخدمين في اخراج شحن البواخر اما اليوم فقد اختلفت الاحوال كل الاختلاف فما من بلد في الغرب الا سرى اليها استعمال هذا المخدر المضر فسرت الى اوربا عدوى فاحشة اذ ثبت في احوال مدهشة ان الموانئ الغربية تؤدي اموالاً طائلة في سبيل الحصول على الافيون الذي انتشر في موانئ المانيا بواسطة بحريتها كما سرى الى موانئ فرنسا · واميركا الشمالية مصابة به كثيراً حتى اثبت الدكتور ورخت بالاحصاء ان ٥٨٠٠ رجل من البيض في نيويورك يستعملون الافيون وزهاء ٨٠٠٠ في شيكاغو يستعملونه على الرغم مما يبذل في محاربة هذا المخدر المضر ·

ولم تنج سوى مملكة واحدة من هذا الخطر · ومن الغريب انها اقرب جارة للصين ونعني بها يابان المتصلة معها على الدوام مباشرة · وقد الف المسيو ميراين كتاباً ممتعاً يفهمه العامة ولا ينفر منه الخاصة يقصد به إثارة حرب صالحة صحية على الافيون ابان فيه ان الياباني الذكي العفيف لا حظ بادئ بدء السقوط الشخصي وضعف الجنس الناشئين من هاتين الرذيلتين : الافيون والالكحول · ولذا عزفت نفس الياباني عن ان يكون حشاشاً وسكيراً

ولم يخطئ حكام تلك البلاد الاهتداء لجادة المثلى في اتقاء هذا الدء الهائل ومنعه من التسرب الى بلادهم بل صدرت الاوامر لاول العهد بان يعاقب بالقتل كل متعاط

للافيون والى اليوم يجازى شاربه بالاشغال الشاقة وضربت عقوبات وغرامات شديدة على من يهرب الافيون حتى لم يعد يجرأ صاحب سفينة ان يحمله

والاحسن من كل ذلك ان يابان لما ملكت بلاد فورموز وكوريه شرعت في العمل لما من شأنه ابطال استعمال الافيون فيهما على أسلوب بطيء ينقذ السكان من تلك المفسدة فجعلت التدخين بالافيون على المصابين به من قبل متوقفاً على رخصة ينالونها ليستطيعوا الجري مع شهواتهم وهذه الرخصة تحدد الكمية التي يسمح لهم باخذها . واحتكرت الحكومة عمل الافيون وبيعه وهي لا تبيعه لغير من الفوا شربه وثبت في لجنة خاصة انهم مبتلون به وذلك باثمان فاحشة تضطرهم الى ابطال استعماله .

قالت الطان البار يزية بعد ايراد ما تقدم : وهذا خير مثال في الوقاية الاجتماعية قامت به مملكة الشمس المشرقة على ما رأيت . اما نحن فنقول ان الحكومة المصرية على محاربتها في الظاهر لاستعمال الحشيش مابرح شائعاً في اهلها و ياللاسف على اختلاف طبقاتهم اما فتح العثمانية والمصرية صدر بلادهما لما يرد من ديار الغرب من المشروبات الروحية المختلفة الصنع والاسم فانه مما نسأل الله منه السلامة على صحة السكان وعقولهم وآدابهم وبينا نرى عجائب في الشرق الاقصى من سهر حكومته على كمال سكانه نشهد العكس من حكومات الشرق الادنى بتساهلها فيما يورث اهله النقص والانحلال

عصابة ضد الجنون

الجنون من اعظم النوائب التي اشتدت وطأتها على الجنس البشري فقد اثبت الاحصاء في جميع البلاد ان معدل المختل شعورهم اخذ بالتضاعف الى حد يدهش المفكرين وجميع طبقات المجتمع يصاب منه افراد وكثير من الناس يعلمون اسبابه ولا يتقونها . يعلم الشبان والكهول والشيوخ ان كثرة التأثر ومجاراة الشهوات من اعظم العوامل في الجنون ومع هذا تراهم لا يتوقفون عن اتيان الرذائل التي تقودهم الى المستشفيات فالموت الزؤام . وما من احد الا و يعلم ان الافراط في استعمال الالكحول والمشروبات مدرجة الى اختلال الشعور ومع هذا ترى السكارى مدمنين على اقداحهم واهل الشهوات في مسراتهم وافراحهم وهذا ما حدا القائمين على الصحة والآداب في الغرب ان يحاربوا تعاطي المسكرات بكل ما في وسعهم وانشأوا لذلك

النقابات والجمعيات فانتفع من ذلك كل من انكلترا وايرلاندا وفرنسا ورأت جمعية التعاون الاميركية ان نشر التعليم العلمي النفسي بين العامة انجع الذرائع في القضاء عَلَى الجنون او عَلَى الاقل في تخفيف ويلاته وذلك لان الانسان اذا لم يكن ابله يوءثر الصحة عَلَى المرض والحرية عَلَى السجن في ملجإ فعمدت الى استعمال الطريقة التي كانت استعملت في نشر التوراة بين الخاصة والعامة

وقد ترأس تلك الجمعية مديرو المستشفيات والمصاح واشهر اطباء العته وأخذت تنشر بمئات الملايين نشرات فيها بيان مايصيب المرء بتسامحه في تعاطي المسكر الذي يوءدي الى الجنون فتتداولها الايدي ويقرأها بامعان الشبان والاطفال والبالغون والبنات والنساء والامهات فتتمثل لاعينهم هذه البلية وتنهال امثال هذه النشرات عَلَى الاطباء ونظار المدارس ورجال الكنائس ومديري المعامل والمصانع والتجار الذين يستخدمون الرجال والنساء وارباب المطاعم والفنادق وباعة المسكرات والمرتزقة مشفوعة بالرجاء اليهم ان يساعدوا تلك العصابة الشريفة كَي بث دعوتها في العامة وقد ثبت موءخراً ان معدل الداخلين الشهري الى المستشفيات من المعتوهين والمعتوهات قد نزل عن ذي قبل·

قلنا الا يليق بمن عدوا انفسهم منا في زمرة الخاصة القائلين بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يفكروا في مثل هذه الاصلاحات الاجتماعية ومداواة العلل التي حدثت فينا من انتشار الموبقات والمسكرات بدلاً من ان يكفر بعضهم بعضاً عَلَى غير طائل ويسعوا للشهرة من غير ابوابها ناسين باعمالهم هدي كتابهم وسنة رسولهم وهيهات ان يرزق العقل السليم من حاد عن سنن الشرع السمح والمدنية الصحيحة

جيش السلام

مات في انكلترا رجل غريب الشأن من رجالها وهو القائد بوث موءسس جيش السلام توفي عن ٨١ سنة قضاها في خدمة الانسانية وكان أجير خياط في السنة الخامسة عشرة من عمره ثم بلغ به تقواه وحنانه الغريب كَي نحو ما يكون عليه بعض اهل مذهبه فقام في ذهنه ان يدعو قومه وابناء نحلته خاصة الى العطف عَلَى البائسين وموءاساة المنكوبين ووعظ السكيرين والفاسدين واللاعبين واذ كان هو من أسرة فقيرة وعرف معنى الفقر بالعمل جاء لندن سنة ١٨٤٨ وتوطن في افقر احيائها بين المحاويج من ابنائها وبدأ يعظهم ويعلمهم ويبث دعوة الانجيل فيهم فاستمال

ببلاغته قلوب الشعب وتعدى من الوعظ الخاص لابناء مذهبه الى الوعظ العام فأخذ يطوف انكلترا ينشر الكلم الطيب و يؤاسي من اخنى عليهم الدهر و يدخل أناساً في جمعيته ولم يلبث ان خرج عن اهل مذهبه واسس له مذهباً جديداً وذلك عقيب زواجه فنشر في الناس تعليماً مسيحياً كان ايضاً نظاماً عسكرياً فكسا رجاله كسوة الجند واوجد رتباً ووزع مناصب وادخل في جيشه الرجال والنساء ثم انشأ عدة جوقات موسيقية وجريدة وأخذ ينشر الاعلانات الكثيرة عن مذهبه

ولقد هزأ القوم بصاحب هذا المشروع لاول امره ولكنه ثبت عليه فأخذ ينمو السنة بعد الاخرى وكثر اشياعه وجيشه في اقطار الارض ودخل فيه حتى الزنوج ولقد اضطرت فيكتوريا ملكة انكلترا ايام ملكها ان تستدعي الى قصرها القائد بوت وتلتمس معونته في الهند واوستراليا فقام في هذا السبيل باعظم الخدم للامة الانكليزية .

هذا ما قرأناه في الصحف الافرنجية وقد ذكرت مجلة التواريخ السياسية والادبية نبذة في وصف جيش السلام بقلم احد اعضاء المجمع العلمي الكونت دوسونفيل قال فيها : ان هذا الجيش كان سبب السخرية منه لاول امرة وانك لا تتمالك من الضحك عند ما ترى ضباطه يلبسون في رؤوسهم قبعات من القش صغيرة سوداء تحيط بها شريطة حمراء ومنذ تأسيس هذا الجيش سنة ١٨٧٨ عَلَى يد القائد بوت ما زال عرضة للمعارضة الشديدة الوحشية بل والاضطهاد ولا سيما في البلاد البرتستانتية من انكلترا فتغلب هذا القائد عَلَى جميع هذه المصاعب بنشاط غريب وحقق جزءاً عظيماً من نياته التي ألمَّ بها في كتابه « الشقاء ببلاد الانكليز » وهو كتاب يبين ما في مطاوي المدنية الانكليزية من الجروح النغارة وما في نظامها السياسي المدهش من النواقص فتمكن بذلك ان يجعل من جيش السلام جمعية زاهرة غنية يلجأ اليها الناس من حكومات و بلديات وجمعيات

والذي يزيد قوة جيش السلام في لندرا وغيرها هو انها تجمع في ادارة واحدة الاعمال المختلفة التي يتم احدها الآخر ولها الآن في عاصمة الانكليز نحو خمسين معهداً مختلفة المقاصد منها ما يؤوي الامهات ومنها ملاجئ للبائسين يبيتون فيها ومنها مخابز ومعامل للمعاونة بالعمل وملاجئ للنساء وللاولاد والغاية الاساسية التي يرمي اليها هذا الجيش ان يقوي ملكة الاخلاق في افراده و يربي والحق معه فيما يراه ان

المرء الذي صار الى البؤس بصنعه او بتأثير الاحوال فيه فعاش فقيراً بتكفف الايدي لا يعود الى حالة حسنة الا بالعمل فايجاد عمل للداخلين في جيش السلام هو اعظم هم الجمعية لانها ترى ان العمل يرفع الانسان و يساعده عَلَى التخلق بالاخلاق الفاضلة ·

ولهذه الجمعية في لندرا سبعة معامل للمعاونة بالعمل في الصناعات المختلفة وفي تنوع الاعمال مجال للانتفاع بكفاآت البائسين عَلَى اختلاف ضروبهم ممن لا عمل لهم فلهم معمل نجارة عظيم لا يعمل الا بتوصيته عَلَى ما يطلب منه من الاعمال وجميع مصنوعاته حسنة وله معمل كبير يجمع فيه الخرق البالية من شوارع لندرا فتسير كل صباح ٣١ عربة الى جهات مختلفة تحمل قمامات المدينة ولا سيما الورق القديم والمقوى العتيق والجرائد البالية والخرق والكناسة عَلَى انواعها فتحملها الى فناء المحل فتوزع عَلَى غرف تنقيها ثم تجعل اكداساً وترسل الى فرنسا والولايات المتحدة تباع من معامل الورق · ويعمل في هذا المعمل ثلثمائة نسمة يعيشون من حاصلات عملهم

ولهذا الجيش معامل للنساء كما له معامل للرجال وهي معامل المعونة بالعمل وملاجئ الليل ومعامل النساء للخياطة وغسيل الثياب · ويستخدم في ادارة هذه المعامل ستمائة امرأة ولكل منها رتبة من رتب الجندية ففيهن كما في الرجال قائدة عشرة وأخرى قائدة مائة وأخرى قائدة الف وغير ذلك مما قالوا ان السبب في اطلاقه عَلَى افرادهم وافرادهن حفظ النظام والطاعة وهذا القانون يشبه قانون الجمعيات الدينية عند الكاثوليك ولكنه جاء في صورة أخرى والجميع يعلمون الاحسان والشفقة عَلَى بني الانسان ومن النساء الداخلات في الجمعية من هن من بنات الطبقة الاولى طبقة الاشراف ومنهن من اهل الطبقة الوسطى يتأدبن كلهن بآداب الانجيل عَلَى مذهب مؤسس طريقتهن القائد بوث·

الشعب الانكليزي

في المدينة الغربية رذائل وفضائل ومن الاسف اننا اخذنا في الشرق رذائلها قبل فضائلها فتسربت الى ابنائنا وكادت تقوض اركان مجتمعنا وكل يوم نحن منها في شأن ولكن الحضارة في العادة تدخل و يدخل معها كل شيء فاذا ارتقى فرع من فروعها يتبعه الفرع الآخر وان كان لا علاقة له به او هو يخالفه من كل الوجوه والفرق بيننا و بين الامم الغربية ان خاصتهم هناك يحاربون تلك الجراحات بمواعظهم اقوالا معم

وجمعياتهم وحكوماتهم ونحن معها سكوت لا نتكلم كالبله المتناومين ومن تسميهم منا الخاصة لا يحلمون بغير منافعهم ومظاهرهم

الشعب الانكليزي باتفاق الآراء ارقى شعوب الارض اخلاقاً واكثرهم حرية واستقلال افكار ومع هذا ترى الجنون يزيد معدله فيهم بهذه الحضارة وتكثر امراضهم من آثارها وذلك لانتشار المسكرات فيهم وشدة الجهاد في الحياة ثم ان العهر يزيد على معدل ذلك للشقاء المتحوذ وقلة الاحتفال بالدين مع ان الشعب الانكليزي من اكثر الشعوب تمسكاً بالاديان

ظهر في باريز تاريخ الشعب الانكليزي في القرن التاسع عشر لمسيو هالفي من علماء الفرنسيس وفيه العجب العجاب من احوال البريطانيين قال فيه ان اخلاق هذه الامة غريبة الشكل في المحاكم فان منظر الجلسات في المسائل الجنائية يدهش به الغريب وذلك انك ترى مكتب القاضي غاصاً بالزهور وكذلك مكتب كاتب المحكمة ويحمل الضباط والمحضرون باقات زهور ايضاً ويحمل القاضي في رأسه شعراً مستعاراً فاذا اراد اصدار حكمه يخلي السبيل للناس فيسمح بدخولهم وفيهم كثير من الجميلات المعشوقات من بنات الولاية او المقاطعة فيقفن يستمعن للاحكام ومنها مايكون بالاعدام شنقاً فيتظاهرن بالتأثر ثم يخرجن من هناك ولا يلبثن ان يرقصن رقصهن اللطيف والمحكوم عليه يفكر في صدور الحكم عليه وهو بين ذلك الجمع من ربات الدلال والظرف

وكذلك ترى الغرابة في الانتخابات لمجلس العموم فانها تدوم خمسة عشر يوماً ويدفع المترشحون جميع نفقات الناخبين ومن انبسطت يده بالعطاء اكثر وزاد اطعمته واشربته فاستطابها منتخبوه كانت غلبته للنيابة مضمونة ويكفي ان يقال ان ثلاثة مرشحين عن يوركشير سنة ١٨٠٧ انفقوا لنيل كرسيين في مجلس النواب خمسمائة الف ليرة انكليزية حتى اذا ظفر اثنان منهم لم يسلما من اهانة الامة التي كانت تلقي عليهما الاوساخ والاوحال فكان الانكليز بذلك يقتدون باجراء طرق الرومان في رومية ممن لم يكونوا يحمدون الامة يوم مبايعتهم قبل ان ينالهم خصومهم بانواع السخرية والشتائم

وليس تاريخ الانكليز غريباً فقط بل هو معلم ايضاً وفيه مثال واضح من تغالي القوم في الامور الاقتصادية حتى أدى ذلك الى مفاسد لم تحمد مغبتها وهو انهم

يريدون ان تخرج من معاملهم اعمال مهمة بقليل من الوقت والنفقة ولذلك اضطر اربابها الى استخدام النساء بدل الرجال لخضوعهن اكثر من الرجال ولقلة أجورهن قال المؤلف وهناك فوائد اخرى وهو ان النساء قد يستخدمن في جلب رضى ارباب المعمل والزائرين له والاخذ في عنان الشهوات ثم ان من المعامل ما يستخدم صغار الاولاد في الاعمال الخفيفة فيدخلون تلك الاماكن الرطبة يعملون خمس عشرة ساعة فتتأثر صحتهم وأناملهم و يصابون بعاهات تشوه وجوههم وتفسد عقولهم

ولقد كاد حب الذات في ارباب الاعمال الاقتصادية يزيد في المعامل عدد المشوهة اجسامهم الفاسدة اخلاقهم لو لم يفكر القوم باتخاذ الدواء الناجع فلما رأوا ما حل بتلك الطبقات مما وصف اعراضه الشعراء والادباء والصحافيون ورجال السياسة ووعاظ الدين على اختلاف مذاهبهم قاموا كلهم يداً واحدة ليزيلوا هذا الضرب من العبودية وخف بعض ارباب المعامل العاقلين فقللوا من ساعات العمل واكثروا من أجور العمال مع مراعاة النسبة بين دخلهم وخرجهم و بذلك وجد الانكليز بعض المسكنات لتلك الادواء ولعل عقول خاصتهم تهديهم الى معالجة غيرها والا فتوشك ان تصاب المدنية الانكليزية بما أصيبت به المدنية الرومانية واليونانية ٠

الخوف

خطب ارنست لافيس علامة الفرنسيس خطاباً في الخوف في مدرسة نوفيون آن تيراش (فرنسا) قال فيه ان من النقائص التي يجب ان تتغلب عليها التربية نقصاً تتساهل فيه المدرسة والأسرة معاً وذلك لان المدرسة لا يبدو فيها هذا النقص خصوصاً وان غير المطيع والطائش من التلامذة يلقي الاضطراب في نظام المدرسة اكثر من الجبان فهذا وديع والمعلمون يقدرون وداعة التلامذة قدرها اما الأسرة فانها غالباً قد ترتكب غلطاً كبيراً باعتمادها على الخوف اداة من ادوات التربية ولقد نشأت من الخوف شرور كثيرة لان صاحبه يخشى الألم والموت بل ان حياته كلها معذبة بنتائجه وليس الذنب على الاولاد بل على من ربوهم واورثوهم خلة الخوف فان لقانون الوراثة تأثيراً كبيراً في الخوف سواء كان في الانسان او في الحيوان والخوف قديم كتقدم الانسان وليس فيه عار عليكم معاشر الطلبة ٠

ولقد قال ديكارت الفيلسوف العظيم : « لا تكفي الارادة لبث الشجاعة من

مرقدها وتزع الخوف من أصوله بل تجب العناية في النظر الى المعقولات والمحسوسات والامثولات التي تقنع المرء بان الخطر غير عظيم وان الامن قد يكون في الدفاع اكثر منه في الفرار وان المجد والسرور في الظفر في حين لا يتوقع الاسف والعار من الفرار »

انكم يا هؤلاء تخافون في العادة من البرق والصاعقة والقعقعة المسموعة والاشباح المرئية في الظلمة والكلب الذي تصادفونه في الشارع والبقرة التي تحدق النظر فيكم بينا انتم تجتازون احدى المراعي ولكن قولوا لي كم بقرة نطحتكم وكم عدد الكلاب التي عضتكم فان الاشباح التي ترونها في ظلام الليل الدامس قد لا تكون اذا اوقدتم النور الا فساطينكم او سراويلكم وكم من قعقعة سمعتموها ونشأ عنها ظهور لص امامكم والرعد كم من مرة اهلككم

لا جدال بانه قد تحدث صواعق وسرقات واعتداآت ولكنها لا تخرج عن كونها حوادث تحصى وتنشر في الصحف اذا عراكم الخوف فاذكروا بانكم شعرتم به اكثر من مرة ولم يصبكم منه شيء فهو اذاً قد هزأ بكم فقولوا له : يا هذا انا عارف بك فدعني مستريحاً . اذا فعلتم ذلك فانتم ولا شك سائرون في طريق الشجاعة

أريد ان اقنعكم الآن بالقاعدة التي سنها ديكارت بان الامن قد يكون مع الدفاع اكثر مما يكون في الهرب . وهذا الكلام مؤيد بالمثل القائل بالخوف لا يتوقى الخطر (العرب يقولون من التوقي عدم الافراط في التوقي) بل ان الخوف كثيراً ما يحدث الخطر

الكلب دائماً ينتصب على رجليه لانه اعتاد ذلك فاذا وضع انفه في الارض وشم حيواناً يسرع في العدو والبقرة اذا خلصت من رعيتها تنظر بعينيها امامها فيظن الولد ان الكلب يتأثره والبقرة تريد ان تبطش به ومن عدا امام الكلب والبقرة كان اقرب الى الخطر على نفسه . ولعل الوقت قد حان لان يدرس الاولاد في المدارس الابتدائية دروساً في الشجاعة يكون اول عمل لها التغلب على الخوف والدهشة .

ولكن كل تربية لا تأثير لها اذا لم تؤازروها انتم انفسكم يجب عليكم ان تنعموا انفسكم بالجرأة انكم اذا قستم انفسكم بأناس من اترابكم لا يرون الا ما يقع نظرهم عليه مباشرة ولا يحاولون الهروب تؤكدون انكم دونهم في القدرة على السير وضعاف

في النظر وايا كم ان تفوتكم وسيلة لغرس الشجاعة في نفوسكم

انكم لا تتمكنون من التغلب كل التغلب عَلَى الخوف بل تتخلصون منه بعض الشيء واني طالما كنت في طفوليتي والى الآن أخاف الرعد لانني رأيت صاعقة انقضت عَلَى بضعة امتار مني واخشى الفئران الى اليوم وقرضها الخفيف وان قيل لي عند ما كبرت ان الحيوانات الصغيرة لا تأكل الكبيرة . فما يطلب منكم اليوم هو ان لا تخافوا بتة بل ان لا تخافوا من خوفكم وان تحاربوه وتغلبوه وبعد ذلك تحرزون مكافأة حسنة . تحرزون المجد والسرور كما قال ديكارت والمجد من شأن الكبار اما انتم معاشر الصغار فالسرور خاص بكم لا سيما اذا وقعت ابصاركم عَلَى الشجعان فان نفوسكم تحدثكم بانكم لا تغارون منهم لانكم صرتم شجعانًا بصنيعكم واصبحتم معجبين بعملكم اعجابًا لا يمازجه هزؤ ابناء هذا الزمان بل اعجابًا يستحثكم للتغلب في الاوقات الضنكة بمجرد الاعتماد عَلَى نفوسكم

اذا اهتزت عظام ارجلكم وسوقكم خوفًا وهلعًا فخاطبوا ما علا فوقها من جثمانكم خاطبوا العقل وقولوا له ان هيكل العظام اذا اضطرب فان جزءنا الاعلى مأوى العجب بانفسنا ومقر الشعور بالواجب ومهما بلغ من حالتنا في حياتنا فقد تعرض لنا احوال تدعونا الى ان نختار طريق الشرف او غيره فلنبتعد عن الجبن يسير في طريقه ولنسر في طريق السلامة

ايها الاطفال الاعزة ان هذا هو شعور عظمتنا الشخصية وشرفنا وواجبنا الذي يحدث الشجاعة في كل فرد منا ويقويها هذا هو الشعور نفسه الذي يمازجه حب الوطن فيدعو الى الشجاعة الوطنية . للأمم ساعات من الخطر . فانكم تسمعون الحين بعد الآخر انه ستنشب الحرب قالوا ذلك في السنة الماضية ويقولون مثله الساعة وانا أحدثكم وسيقولونه غدًا نعم ان الحرب حادث عظيم مدهش ان فرنسا التي غلبت وهي تشكو من جرح لا يزال فيها نفارًا تعرفه حق المعرفة ولكنها مع ذلك لا تبدي حراكًا هي ليست دون سائر الامم في اعجابها بنفسها واحتقارها لها ولكنها في الباطن تعرف قيمة نفسها تشعر بان فيها فضائل وقوى قد اخرجتها غير ما مرة في القرون الماضية من الهوى التي ظن بانها تدهورت فيها وتاريخها عظيم مجيد بسلاحها مجيد بعقلها . انها كسائر الامم قد أتت شيئًا من الشر فاستحقت عليه بعض الاحايين اللعنات ولكنها كفرت عن سيئاتها بحسنات كثيرة فقد حررت شعوبًا من رقهم لا يزالون يذكرون

لها يدها عليهم واوحى اليها عقلها السمح المستنير فلقنت أناساً من بلاد مختلفة قيمة الانسان ولم يبرحوا يذكرونها بعملها فهي تعرف نفسها شريفة بين الامم نعم ان العالم حولها وقد تغير كثيراً من نصف قرن فقام شعب بالقرب منا يذكرنا كل حين بلسان البغضاء والقحة بانه عظيم قوي · ومع ان هذا الشعب قوي وعظيم فان فرنسا التي لا تهدد احداً لا تخاف احداً بتاتاً بل هي تعلم انها فرنسا عَلَى كل حال ·

الافرنج والنزهات

لا تكاد تطلع عَلَى صحيفة سياسية وعلمية من صحف الافرنج في الصيف الا وتجدها ملأى بوصف المتنزهات والحمامات والجبال والبحيرات والغابات واخبار رحلات الخاصة منهم الى الاصقاع ذات البهجة والرياض الممرعة الخصيبة فمن قائل مثلاً ان جان جاك روسو الفيلسوف هو الذي سن للفرنسيس سنة التنقل في البلاد وحبب اليهم عيش الخلاء وعشق الطبيعة ومن مدع ان برناردين دى سان بير هو داعية ذلك ومن زاعم ان شاتوبريان كان امتن واحكم في دعوته ومن قائل ان من حبب الحمامات البحرية الى الناس هما الاب بوهورس ومارمونتل ومن حبب التصعيد في الجبال هولا روشفوكولد الحكيم والخلاصة فان للغربيين غراماً في الطبيعة يريدون ان يرجعوا اليها في مآكلهم وملابسهم واجسامهم ومنامهم ورياضتهم · وكل واحد من خاصتهم يبحث في فرع من هذه الفروع ويتفانى في حث قومه عَلَى جلب المصالح ودرء المفاسد والاخذ بحظ وافر من هذا الوجود اغتناماً للصحة قبل المرض واستدامة للنعمة والرخاء والرفاهية وحباً بصد الناس عن غشيان المدن الكبرى مخافة ان تفرغ الحقول والقرى لان سكنى العواصم مضر بالصحة مضعف للابدان مقصر للاعمار وعمران هذا العصر في عواصمه عَلَى كثرة ما فيها من انواع الراحة والرفاهية اقرب الى افساد الصحة وانهاك القوى مما كان في العصور السالفة وكيف يطيب الهواء في مدينة كباريز سكانها ثلاثة ملايين ولندرا سكانها سبعة ملايين هذا ما يخوض ادباء الغرب وعلماؤه عبابه فما قول سادتنا الخاصة في مصر والشام والعراق وتونس فمن منهم ناض في مثل هذه الموضوعات وحبب الى الناس النزهات والرحلات عَلَى طريقة الغربيين ليحبب اليهم اوطانهم ويعرفهم رجالهم ويبحث عن أمور لا يتيسر لكل انسان ان يحصل عليها ويتعب المفكرون في جمعها ونشرها فيأخذها جمهور القراء هينة لينة ·

الافرنج عَلَى تغاليهم بالبحث عن شؤونهم الداخلية وعاداتهم ورجالهم واعمالهم و بلادهم لا يغفلون عن شؤون غيرهم وقد اصاب بلادنا حظ اوفر من عنايتهم فكانت بلاد العرب اومصر والشام والجزيرة والعراق واليمن والحجاز ونجد ومراكش والجزائر وتونس وطرابلس و برقة موضوع ابحاثهم العلمية والاثرية والتاريخية والاقتصادية مما نخجل من كثرته اذا سمعنا باسمائه ولا نكاد نجد الفرد والفردين منا يتوفرون عَلَى البحث في النافع من حالات بلادنا وآخر ما كتب عن الارض المقدسة رحلة للمسيو كومزكار يللو ذكر فيها البلاد التي نشأ منها عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وزارها وكان زار من قبل بلاد اليونان والصين واليابان وكتب فيها رحلات كثيرة وقد وصف مسيره من دمشق وما رآه من جلالة مواكب الحجاج القاصدين الى بيت الله الحرام فوصف الاماكن التي حط فيها رحاله حتى بلغ القدس وقال انه لم يبق من طبرية عاصمة الاردن غير خرائب قصور هيرودت والبحيرة المقدسة ووصف قنا والناصرة وما يتخلل تلك الربوع من الجلال والجمال الروحاني وذكر في رحلته ما تهم معرفته من احوال البلاد ولم يكثر من التفاصيل المملة وقال انه بات في قصر احد باشاوات سورية واستغرب من عظمة ذاك القصر كيف لم تكن فيه امرأة تؤنس ربعه وتدخل السرور عَلَى ساكنيه

وقد وصف مواكب الحجاج من دمشق وقال انهم مجموعة منوعة من العادات واللغات والقوميات وان التركي يريد العثماني — والعثمانيون كما قال اكثر المسلمين تأثراً بالمدنية الغربية — يضع عَلَى رأسه منديلاً ابيض مزيناً بالزهور يجعله عَلَى طربوشه ثم وصف الفارسي وثيابه والعربي وعباءه وابناء جبل طوروس والتتر من اهل تفليس وازوف وسباستبول وغيرهم وقال لا بد ان يكون بينهم من يملك القصور الفخمة والحدائق الغناء و يعيش عيش الكبراء في الرخاء ومع هذا اذا قصدوا الى الاماكن الطاهرة يتناسون كل هذا العيش الخضال و يساوون الفقراء من الحجاج في ما كلهم التي لا يوجد منها الا الجشب الغليظ في البادية و ينامون في العراء لا يبالون بحمارة القيظ ولا صبارة القر وعجب الرحالة من قوم لا تربطهم جامعة غير رابطة الايمان وقال ما اعجب صفوفهم وكتائبهم وهي تسير عَلَى هذا النحو وعجب من وساخة الآسياويين من الحجاج وكيف يتواكلون من صحفة واحدة وفيهم ذو العاهة ولا يأنف الباقون

ولا ينكر المنكرون وقال انه لو كان بعض ذلك في الغرب لقامت القيامة فالشرقي في نظره لا يحسن النظافة وقال انه علم من بعض علماء دمشق ان المسلمين لا يحجون كلهم فلو كان من كتب عليهم الحج ستين مليوناً مدة خمس عشرة سنة لاقتضى ان يحج كل سنة اربعة ملايين في حين لا يجتمع في عرفات اكثر من مائة الف وقال ان اخلاص المسلمين في العبادة يوم يقصدون الحج لم ير مثله في كنيسة القديس بطرس في رومية يوم يحضر المسيحيون من اقطار الارض في الحفلات العامة ولا في البيع الكبرى القديمة في ساجان دي كومو بوستل امام ضريح الرسول (الحواري) ولا في لوزد من اعالي جبال البيرنيه وهي محج كثيرين ولا في اشبيلية في الجمعة المقدسة ولا في روسيا يوم يأتي فلاحوها المتعصبون يضربون رؤوسهم وجباههم على بلاط المعابد ولا في اية مدينة مسيحية . وهكذا استرسل في وصف تقوى المسلمين وتفانيهم في إقامة شعائر دينهم نقل بعضه عن احد علماء دمشق وبعضه مما علقه من عنده وقال ان المسلمين مولعون بلقب « حاج » اكثر مما اولع اهل المملكة العثمانية بلقب « بك » او « باشا » وفي الكتاب أمور حرية بالتدبر فكأن كاتبه مغرم باظهار فكره في شأن البلاد التي دخلها والمعاهد التي زارها وقد حمد مقامه في فلسطين في اديار الفرنسيسكانيين ووصفهم بالطبع اجمل وصف

حياة بابل

ذكرت بعض الصحف العلمية ان التوراة ترجع تاريخ بابل الى اكثر من سبعة وثلاثين قرناً قبل المسيح وكانت على عهد ملكها العظيم بختنصر اي قبل الميلاد بستة قرون عاصمة العالم باجمعه وسكانها خمسة وعشرين مليوناً وهي من الارتقاء على جانب عظيم جداً وموقع بابل على الفرات وقد اشتق اسمها « حديقة الحدائق » من خصبها وامرائها . دمرها الفرس على عهد قورش وخلفائه وتركوها انقاضاً ينعق فيها غراب الدمار وها هي اليوم منذ اكثر من الفي سنة عبارة عن قفر يجيء بعض العلماء فيستنطقون آثاره و يتعرفون اخباره

وسكان هذا المكان الذي طالما بكى في ارجائه ابناء صهيون الاسرائيليون هم أناس من العرب الرحالة ولكن ذلك لم يطمس من ذكرى حضارتها معلماً فقد ذكر هيرودتس المؤرخ ان بابل اخصب البلاد بحنطتها تأتي حبتها مئة وزيادة بيد ان العلم الحديث حل هذا المعمى في خصب تلك الاصقاع وهو انه كانت تروى كلها فلو تهيأت لها

خزانات وسدود كما كان لها على عهد سعادتها كما تهيأ لمصر خزان اسوان فروى النيل عشرات الالوف من الافدنة التي كانت محرومة من السقيا لعاد الى بابل خصبها المدهش وأتت السنبلة مئة سنبلة وزيادة

ولقد وقع في ذهن الاسكندر الكبير في آخر عهده ان يعيد الى ذلك الصقع بهاءه القديم فانشأ ترعتي بالاكوبوس والنهروان وطول الواحدة ٤٨٠ كيلومتراً وطول الثانية ٢٥٦ كيلومتراً لجلب مياه دجلة الى داخل المدينة الا ان اخلافه غفلوا عما بدأ بعمله فعادت البلاد باهتة خربة وهاان السير و يليام و يلكوكس الانكليزي قام في ذهنه منذ سنين ان يعيد ما كان بدأ به اسكندر المقدوني فوضع مشروعاً في الري على صورة اوفق من المشروع القديم وهو يكلف ٧٥٠ مليون فرنك و يقسم تلك البقعة الى ست مناطق تحيا الاولى بعد الثانية وكل ما تم لاحداها امر سقياها تقوم بنفقات ما صرفته على اعمال الري فيها و بذلك تحيا الاراضي الواقعة على شاطئ دجلة والفرات فالبذار يزرع في الخريف فترويه الامطار حتى اذا جاء آذار ونيسان وفاض الرافدان دجلة والفرات تسق تلك الاراضي بمياههما الصيف كله فهل تحقق يا ترى هذه الاحلام و يعود الى بابل عزها في سالف الايام ام يبقى امر ري العراق في عالم الخيال او كلاماً في كلام

خمر الشام

اكتشف بالقرب من مدينة بوردو في فرنسا ناووس من القرن الاول للميلاد وشوهدت على مقربة من هيكل العظام زجاجة مستطيلة وشكلها يخالف شكل الزجاج المعمول في بلاد غاليا وقد حلل العلماء ما فيها فرأوه خمراً واستدل الباحثون ان هذا الخمر من صنع سورية اذ كانت خمورها تحمل الى جنوبي فرنسا كثيراً و يستطيبها الناس كل الاستطابة وذلك بفضل ما كان من الصلات التجارية المستحكمة القديمة بين بلاد الشام وفرنسا

المدنية

كتب احد علماء فرنسا في المجلة البار يزية مقالة تحت عنوان هل المدنية في ارتقاء او انحطاط قال فيها : ان الناظرين الى المدنية فريقان فريق يرى ما فيها من العظمة والمنافع المادية التي سخرها الانسان لامره وآخر يذهب الى ان الارتقاء على عمومه لا يتأتى له الا ان يسير على الدوام سيراً سريعاً . ويرى هذا الفريق الا خير ان كل

شيء يمو من حسن الى احسن وان البشر يبذلون الجهد للوصول الى هذه الغاية النافعة و يقولون ان العالم ارتقى في مدارج النشوء والنمو حتى صار الانسان الى ما صار اليه فورث قوى عاملة وما نشوء نظام الكون الا نشوء العقل البشري والانقلابات الشديدة تحدث اضطرابًا موقتاً ولكن ينشأ عنها مايبعث الكفاءات من مرقدها و يضم القوى المبعثرة و يحملها عَلَى ان تتجه وجهة جديدة يستقيم جريها و بالاجمال فالمدنية لا تعود القهقرى ولا تقف في مركز واحد بل هي سائرة عَلَى الدوام بيد ان التاريخ علمنا ان الاعالي تسفل والاستعباد يزول وفكر اعظمة والانحطاط متلازمان تلازم الجبال والاودية والليل والنهار والشباب والهرم والحياة والموت

انهُ من المتعذر الوقوف فأما ارتقاء متواصل او سقوط تام و بقدر الصعود يكون النزول فالولد الذي يكذب مرة يقوى في المرة الثانية اكثر عَلَى التفوه بالاكاذيب فتضعف اخلاقه عَلَى تلك النسبة و يعود فيرتكب افظع من ذلك وكذلك الحال في الاجتماعيات فان من يغوي فتاة يغوي فتى وهذان يغويان آخرين ومن تسومح في عقابه من المجرمين يعود فيبث دعوته في العقول و يكثر سواد اصحابه فيكثر في المجتمع الفاسدون

الرجل المتحضر لا يقابل الرجل المتوحش اي الذي يعيش وحده بعيداً عن المجتمع نعم ان المدنية لا اثر لها اذا فقدت الصلات الاجتماعية ولكن الحياة الاجتماعية تستلزم عادات كثيرة واشكالاً منوعة من الحياة واساليب منوعة الصفات والحالات فقد قال اللغو بون ان المدنية هي مجموعة آراء واخلاق تنشأ من العمل المتبادل في الصناعات والديانات والفنون النفيسة والعلوم . وزاد بعضهم عَلَى هذا التعريف ما يلحق ذلك من المناحي العديدة في الصلات الاجتماعية كتبادل الحاصيل وتبادل العواطف والافكار . بل ان هذا التحديد لا يشعر بان مدنية كذا كاملة فرب شعب ذي مدنية ولكنها جميلة او قبيحة رائقة او غير رائقة انسانية او ظالمة عَلَى نحو ما يكون للمرء خلق حسن او رديء فالصناعات قد تكون جميلة او رديئة والاديان سليمة او خرافية والعلوم نافعة او ضارة

كل شيء يرتقي مع هذه المدنية في مآكلها ومشاربها وملابسها وسائر حالاتها وما ننس لا ننس ان الفاً وستمائة شخص غرقوا في باخرة واحدة (تيتانيك) وكان منهم من دفع ٢٢٠٠٠ فرنك اجرة سفرة خمسة ايام ونصف يوم ليركب في حال من

الكبر والتفخل ليس بعدها غاية ٠ ان الحرص عَلَى هذه المدنية هو الذي اورث المجتمع امراضاً وهموماً وافقد العالم الحياة الطبيعية فكثرت الامراض العصبية وداء المفاصل والبول السكري وضعف المجموع العصبي بل لقد كثر الجنون حتى اكد احد العارفين من اطباء الانكليز وقد هاله تكاثر عدد المختل شعورهم من أمته في العهد الاخير ان انكلترا سيتعادل عقلاؤها ومجانينها بعد ثلثمائة سنة ٠

ان المدنية أتت عَلَى كثير من محسنات الطبيعة وعادات الاجداد الفاضلة فنزعتها من النفوس وفي هذه الحركة الاجتماعية يقول بعضهم كلما كثر عدد الناهضين يزيد عدد الساقطين ٠ لا جرم ان التجارة لو لم توجد لما عرف الافلاس ولو لم تنشأ السكة الحديدية لما وقعت هذه الوقائع المزعجة في المصادمات وغيرها ولكن الشعب الاعرق في المدنية هو الذي يقلل من الافلاس بين التجار ومن المصادمات في الخطوط الحديدية بدون ان يوقف حركة التجارة ولا حركة القطارات بل يفعل ما بينهما ويجعل اعمالها في مأمن ٠ ومثل ذلك يقال في كل شيء ٠ يقال في التعليم والصحافة وحقوق الانتخاب والمضاربات والادب والصناعة بل ينطبق عَلَى كل ما في حركة المدنية من قمع وزوان ونظام وخلل وجرأة وجبن ٠ ان تغلب الاجسام عَلَى العقول هو انحطاط في المدنية ٠ ان ضعف نظام الاسرة وروابطها واحتقار الاخيار والتنصل من التبعات والزهد في التقاليد والخلاص من كل شكيمة ووازع هو دليل انحطاط المدنية

اننا اذا نظرنا للمتمدنين وهم الاقلية في العالم نراهم في معاملة المتوحشين الذين هم دونهم عَلَى ثلاثة ضروب فمنهم من يعاملون من هو الاحط منهم باستثمارهم ومنهم باستعمارهم ومنهم بتمدينهم وهؤلاء قلائل جداً فالمستثمرون يبحثون عن مورد ثروة عند الامم التي يبيعونها مصنوعاتهم والمستعمرون ينقبون عن زيادة ثروة ونفوذ بان يحملوا بالتدريج الامم المنفردة عَلَى الاشتراك بالحياة الاقتصادية والتشبه بالنازلين عليهم وهؤلاء يدوم لهم استعمار الارض طويلاً بالنسبة لغيرهم ٠ اما الساعون في تمدين أمة فهم الذين يلقنوها معنى الحياة السامية والعمل لما فيه نشر الفضائل والسلام في الأسر وبث الوطنية والدين عَلَى نحو ما كانت تعمل الامم القديمة في ايام عزها ٠

ولقد قيل ان فرنسا لم تحسن استثمار من وضعت ايديها عليهم من الامم وهذا مما يدعو الى مدحها لا الى القدح فيها وذلك لان فرنسا ليست من الطمع عَلَى جانب

عظيم كغيرها وهي رحيمة بمن تغليهم على امرهم . ويقولون ايضاً انها لاتحسن الاستعمار وفي هذا الكلام شيء من الحق وذلك لان اولادها ليسوا كثاراً فلا تستطيع ان تبعث الى القاصية منهم بمن يستحقون اسم المستعمرين الحقيقيين وانها في البلاد التي ارسلت اليها ابناءها كما هو الحال في الجزائر وتونس قد عملت والثقة مل صدرها ما تستطيع ان تري أعدائها واحبابها النقاط الضعيفة منه ومما لاينكر على امتنا انها كانت ولا تزال في مقدمة من يحمل علم المدنية والتمدين وذلك لان ابناءها يستهينون بالاتعاب و يبذلون قلوبهم وحياتهم لنشر ما يعتقدونه . ان مستعمرينا يعلمون من يستعمرونهم الذوق على العمل واحترام المرأة والبعد عن المسكرات (؟) ومرسلينا يعلمون السود والصفر تعاليم التوراة يضاف اليها تلقينهم الاعتدال والفضائل البيتية ومثال الاحسان لانهم يجمعون ايتامهم و يعنون بمرضاهم و يلقنونهم معنى التوفر على الزراعة وتربية الحيوانات والبناء و يمهدون السبيل للعاملين . فالمدنية اذا لم تمدن ابداً فان لها بانتشارها على هذه الصورة المقام الاول بين وسائطنا في الحضارة فان من لا يمدن يستعمر استعماراً رديئاً ومن لا يستعمر لا يأمن ان تكون له قدرة على الاستثمار طويلاً و بالجملة فان كل أمة لا تحتفظ بسلسلة المراتب في طرق العمل والنفوذ على اساليبها الثلاثة بل ان لكل أمة تلقي الاضطراب في ذلك تدخل عليها جراثيم من الانحطاط تنمو اليوم بعد اليوم .

ها قد انقضى الزمن الذي كان يعتقد فيه المعتقدون ان لا سبيل الى الكسب من شعب الا بافقاره لمنافسة بين المعطي والآخذ فان هذه القاعدة منافية للحقيقة لان من يفقر رعاياه والتابعين له ومستعمريه بل وجيرانه يفتقر هو ايضاً وما يغني التاجرين في المقايضات يغني المتقايضين في المدنيات والاستثمار الذي يذل البعض يفسد الآخرين وكلاهما يتأثران منه . شعرت بذلك الممالك الكبرى في القديم وكذلك كان الحال في اسبانيا والبرتغال : نعم اننا نعرف اليوم كيف تضاعف المقايضات والتجارات ولا نطلب اكثر من ان نرى الزنوج يغلون من نبات المطاط لنربح منه ما نبتاع به قطناً كثيراً وادوات تشغلها . لانطلب اكثر من ان نرى شواطيء دجلة والفرات وقد اصبحت من الخصب بما تستطيع معه ان توصي في بلادنا على خطوط حديدية وقاطرات . و ياليت شعري هل يجد اولئك الشعوب اسباباً تمكنهم من بناء عاصمة كبابل التي كان محيطها المسور يستغرق محيط مدينة باريز وفرسال وسان دني وسان جرمان واذا وفقوا

تلك المدينة ايام معرض كليفورنيا ليكون سجلاً توضع عليه اسماء الزائرين الذين بلغوا ١٣٥ الفاً وضعوا تواقيعهم عَلَى سبعة آلاف صفحة . وطول كل صفحة ٧٧٥ سنتمتراً ووزنه ٢٥٠ كيلوغراماً

نفقات حرب عامة

حسب الاستاذ شارل ريشه ما تكلفه حرب عامة اذا نشبت في اوربا فكانت كل يوم ٢٧٤ مليوناً ونصف مليون من الفرنكات تنفقها الدول العظمى فقط .

نجاح اميركا

كانت رؤوس الاموال التي وضعتها الولايات المتحدة منذ سنة ١٩٠٠ الى ١٩١٠ في الاعمال الزراعية فقط ٢٠٤٣٩٠٠٠ دولار فبلغت ٤٠٩٩١٠٠٠ دولار اي انها تضاعفت وتجاوزت رؤوس الاموال التي وضعت في المشاريع الزراعية في العشر سنين المذكورة من ٨٩٧٥٠٠٠ دولار الى ١٨٤٢٩٠٠٠ دولار اي زادت عن الضعف اما الاموال التي استخدمت في السكك الحديدية فكانت سنة ١٩٠٠ ١٢٦٣٠٠٠ دولار فاصبحت سنة ١٩١٠ ١٤٣٨٧٠٠٠ فتأمل

جرحى الحروب

قالوا ان الخرطوش في العهد الجديد يقل القتل به اكثر من الخرطوش قديماً ولكن الاحصاء دل عَلَى خلاف ذلك فقد قتل في حرب المانيا سنة ١٨٧٠ واحد من كل خمسة اشخاص واليابان في منشوريا قتل لهم واحد من كل ثلاثة فقد كان المحاربون الالمان عَلَى ذلك العهد ٦٥٠ الفاً فبلغ مجموع جرحاهم ١١٦ الفاً ومجموع محاربي الروس ٥٩٠ الفاً فبلغ جرحاهم ١٧٠٦٠٠ واليابان في منشوريا ٥٤٠ الفاً جرح منهم ٢٢٠ الفاً .

مالية الدولة العثمانية

ها قد مضى زهاء نصف قرن عَلَى عقد الدولة العثمانية قرضاً لها وذلك عَلَى عهد حرب القريم فكثرت ستداناتها في العشرين سنة التالية في اسواق الشرق ولما بهظتها ديونها توقفت سنة ١٨٧٦ عن الدفع وبعد خمس سنين تألفت ادارة الديون العمومية فكانت اول حجر في اساس المالية العثمانية . وبمناسبة الحرب بين الدولة وحكومات البلقان الاربع كثر تحدث الاقتصاديين في مالية دولتنا وهاك خلاصة ماقالوه مؤخراً قال بعضهم :

لا تزال موارد القراطيس العثمانية في اسواق اوربا غزيرة ويؤخذ من الخزينة العثمانية الاخيرة ان الدين العثماني الموحد كان في اول آذار الماضي ١٢٦ مليوناً و ٩٣٩١ ليرة يضاف اليها مليون ليرة اقترضته بلدية الاستانة والشطر الرابع من قرض ولاية بغداد وهذا بيانه : ٥٠٤١٤٦٤٧٥٧ الدين الموحد والسندات ١٨٤٢٧٥٤٦٢٠ دين مضمون بجزية مصر وقبرص ٢٤٣١٩٤٩٤٤ قرض تتناول ضمانته مباشرة ٣٠٤٧٦٣٤٤١٤ قرض مضمون بدخل صندوق الدين ٢٤٤٦٠٣٤٦٥٦ قروض تديرها الحكومة

و ينبغي ان يحذف من هذه القروض قرض سنة ١٨٥٥ وفائدته ٤ بالمئة وقرض ٩١ وفائدته ٤ بالمئة ايضاً وقرض ٩٤ وفائدته ٣ ونصف بالمئة لان هذه مضمونة بجزية مصر وزيادة دخل جزيرة قبرص وهي من اضمن القروض في نظر حملة القراطيس

ثم ان قروض ٩٣ و ٩٤ تدفع شركة حصر التنباك وشركة السكك الحديدية الشرقية ضمانتهما للصارف مباشرة وعليه يكون الباقي قروض الموحد العثماني وقروض سندات اليانصيب العثماني وهذا قد خص بهما بموجب امر سلطاني بعض الموارد كالثمغة ورسوم الكحول والحرير والملح والدخان يتولى ادارتها صندوق الديون العمومية وقد اربى الدخل كثيراً عَلَى النفقة اللازمة للصندوق والاسهم

ففي سنة ١٩١٠ الى ١٩١١ بلغ دخل صندوق الدين ٥ ملايين و ٦١٤٣٣٥ ليرة اخذ منها لنفقات الادارة ٩٦٤٤٢٣٧ ليرة وبقي ٤ ملايين و ٩٧٤٠٩١ ليرة يؤخذ منها لاستهلاك الاسهم المخصصة بهذه الموارد ولدفع سندات اليانصيب مليونان و ١٥٧٤٣٧٥ ليرة فتكون زيادة الدخل مليوناً و ٩٣٩٤٧٢٣ تعطي الحكومة الثلاثة الارباع والربع الآخر يعطى لخزانة صندوق الدين

هذا و يظل الدخل اكثر من النفقة ولو حذفنا نقص دخل الصندوق من الولايات التي احتلتها الحكومات البلقانية فقد جاء في الكتاب الذي قدم للسفراء في شهر ك ١ الماضي ان معدل دخل تلك الولايات في العام ٧١٣٠١٥ ليرة يضاف اليه مبلغ ٤٨٩٩٠ ليرة من اثمان الملح فيكون المجموع ٧٦٢٠٠٥ ليرات اي عبارة عن ٣٢ بالمئة من مجموع الدخل واذا افترضنا نقص دخل الدخان من هذه النسبة كان مجموع النقص مليوناً و ٤٨٣٠٥ ليرات وقد ذكرنا قبلاً ان زيادة دخل الدين الصافية هي مليون و ٩٣٩٧٢٣ ليرة وعليه تكون الزيادة الباقية حتى بعد حذف دخل الولايات التي

يحتلها البلقانيون ٨٦٥٤١٨ ليرة

وقال بعضهم: لاينكر ان الدولة العلية بفقدها الولايات الاوربية قد خسرت ٣٠ في المئة من دخلها لكن من عرف ان هذه الولايات كانت تستهلك في السنوات الثلاث الاخيرة ٢٣ في المئة من مجموع نفقات السلطنة يرى ان خسارة مدخولها لا تؤثر في حال الخزينة . ثم ان الحرب الاخيرة لم تضطر العثمانية الى ان تنفق اكثر مما كانت تنفقه عند ما كان لها ٦٠ الفاً من الجنود في البانيا لاخماد ثورتها و ٥٠ الفاً في ازمير ومن ٦٠ الى ٧٠ الفاً في طرابلس الغرب ومثلها في اليمن ولم يتأخر رعايا الدولة عن دفع الاموال المفروضة عليهم حتى ان زيادة الدخل في بيان نظارة المالية الاخير بلغ ٢٤٥٠٩٤٧٣١ ليرة عثمانية و بلغ مجموع ضريبة الحرب في شهر واحد ٤٢٢٤٩٥ ليرة عثمانية . وعليه ان كانت الحكومة العثمانية تحتاج الى المال فما ذلك الا لسد العجز السابق .

مدارس الفلاحين في الدانيمرك

نشرت المجلة الفرنسوية مبحثاً معاً تحت هذا العنوان بقلم العقيلة لوز كروبي فآثرنا تلخيصه ليضم الى ما سبق لنا نشره من نوعه في سني المقتبس السابقة قالت الكاتبة: عَلَى شاطئ بحر البلطيق بلاد صغيرة سعيدة واعني بها الدانيمرك التي تضاعفت تجارتها الخارجية في الخمس عشرة سنة الاخيرة لتوفرها عَلَى استثمار ارضها وقيامها عَلَى تربية الماشية حتى اصبحت لديها الالبان دافقة كالسيل المنهمر وجمعت بواسطة معامل اللبن منها ما تجعله جبالاً من الزبدة والسمون ترسله الى انكلترا فتتناول اثمانه ذهباً وهاجاً . تقسمت في هذه البلاد الثروة تقسيماً كثيراً ومع هذا لا ترى الفلاح يعجز عن القيام بالاعمال الكبرى التي يقتضي لها رؤوس اموال عظيمة اذ قد تألفت شركات تعاون ضمت اليها نحو تسعة اعشار ارباب الاراضي وغدت البلاد تستثمر بادق قواعد العلم الحديث فيحلل اللبن مرتين في الشهر في معامل التحليل التي تشعر صاحب الملك باقل تغيير يحدث في حالته وتبين له ما يجب ادخاله من التعديل في تغذية الماشية . وبهذه العناية و بالحذق في اختيار اجناس البهائم اصبح معدل الدخل السنوي للبقرة الدانيمركية يزيد عن واحد من خمسة في خلال العشر السنين الاخيرة

وهكذا تفحص التربة ايضاً فحصاً كيماوياً في المعامل و يجري اصلاحها عَلَى هذا النحو والفلاحون هم الذين يتولون اعمال هذه الشركات بانفسهم و يحاسبون ارباب الاملاك

مثله ممتعاً بصحته وقواه ٠ وكانت امه من بيت علم وابوه واعظاً دينياً فتعلم من والدته في صباه حب القديم والميل الى القصص ولطالما غنت له الاغاني الوطنية والاناشيد الدينية التي كان بها في حياته الفرد المقدم فاصبح شاعراً بما لقنته اياه امه من الشعور و بواسطة الاناشيد الدينية التي ينشدها الفلاحون كل يوم اثر في افكار فلاحي بلاده وتعلم اللاتينية وكان يحمله معلمه عَلَى الاختلاف الى بيوت الفلاحين فاستفاد من هذه الزيارات اكثر مما استفاد من دروس النحو والصرف فتعلم كيف يحب الفلاح وكان اذ ذاك عَلَى غاية الفقر وشعر بتنمية حبه للطبيعة والخلاء مما كان احد مصادر شعره ٠ لبس ثياب الوعظ وانخرط في سلك المبشرين و بعد سنين خلع ثيابه وذهب الى لندرا فأثرت هذه الرحلة تأثيراً شديداً فيه اذ لم يكن قبلها يعيش الا عيش الكتب والدفاتر فاخذت نفسه بما رآه في الانكليز من الحياة العملية النشيطة وما خصوا به من الذوق في الرياضات الطبيعية وتأصل فيهم من حب الاستقلال الشخصي ولا سيما ما عرف عن مدارسهم من حيث اعداد اخلاق شبانهم ورجع من هذه السياحة و «الشمس في عينه وعالم جديد في قلبه » واخذ ينسج في اشعاره باللغة الدانيمركية الدارجة عَلَى مثال قدماء شعراء الانكليز وهي ترمي الى انه ليس من شعور وطني بدون شعور ديني وان الادوار التاريخية التي خلت من الايمان هي ادوار لامجد لها وكل يقظة مسيحية هي يقظة وطنية وعَلَى هذا المحور يدور المترجم به في اشعاره وكتاباته كلها واعماله الاجتماعية ولقد صرح في احدى المجتمعات انه من العبث اخذ السلاح للدفاع عن الوطن اذا لم يكن المرء متشبعاً بالشعور الديني ٠ فمن ثم كان يرى اثارة الشعور الوطني بالايمان في مدارسه الجديدة ٠

وفي سنة ١٨٣٢ نشر لاول مرة في مقدمة كتابه الميثولوجيا الكبرى فكرة مدرسته وفي سنة ١٨٤٤ في اجتماع حضره بضعة ألوف من الفلاحين الوطنيين خطب القوم فأثرت خطبته في النفوس فراح وهو عَلَى ابواب الشيخوخة يعزي نفسه بانه سيرى اعماله تكلل بالنجاح ولو كان في هذه السن اذ له اسوة حسنة بخريستوف كولمب الذي ذهب لفتح العالم الجديد وقد ابيض فوده وعارضه ٠ دعا بخطابه امته الى احياء شعورها الديني والوطني وان انقى مصادر الحياة العقلية والادبية يجب ان تكون منه عَلَى طرف الثمام نتناولها عَلَى اسرع وجه وان ينشأ في المدارس الجديدة تعليم حي عصري وطني لتنسى الدانيمرك ما اصابها من المصائب والهزائم وانسلاخ اراضيها

وانفصال النروج عنها وضياع مقاطعة شلشويق وكانت الدانيمرك تشعر بحاجتها الى النهوض وان تدافع عن الفكر الوطني في النفوس لان تيار الشعور الالماني يتدفق عليها فاقتضى لها ان تحمي حمى لغتها الدانيمركية وعَلَى هذا الفكر أنشئت مدرسة رودنج التي اصبحت بعد كلية ازوف ومنها انبعثت نغمة الوطنية الدانيمركية واللغة الدانيمركية وقد رأى غروندويج في مدرسته ان تجري عَلَى غير الاسلوب الفني المتعارف وان يقصد منها تربية العقول وتفتح امام التلميذ كل السبل الجديدة وبقوي الشعور الوطني والديني والاخلاقي والجمالي و يعلم وطنيين مستنيرين مستعدين اذا خرجوا من بيوتهم ان يتعلموا الزراعة او صناعة أخرى ولذلك سمى مدارسه «كلية الشعب» تعلم تعليماً جديداً ولا تخول المتخرج منها امتيازاً ولا تعطيه شهادة · فلم يطلب هذا الرجل من مدرسته ان تخرج تلامذة عَلَى النحو الذي تخرجه مدارس الحكومة فيمتاز متخرجها بما نال من الدرجة بين اقرانه ومجتمع اخوانه بل ان يكون من تخرج منها عَلَى استعداد للرجوع الى المكان الذي غادره ولكن بروح غير روحه الاولى

اخفق غروندويج ونجح واخفاقه لم يزده الا مضاء حتى بلغ عدد مدارسه العليا من سنة ١٨٦٤ الى ١٩٠٤ (٧١) مدرسة ولطالما شكا من ان الاشعار التي نشرها محتذاة من الانكليزية او من اللغة الدانيمركية القديمة لم تؤثر الا في طبقة مستنيرة من الشعب في حين يؤثر ان يراها تفعل في عقول الفلاحين ولكن نفعت في احياء لغة القوم عَلَى نحو ما نفعت كليات الحكومة ومدارسها عَلَى ان تلك الاشعار لم يكن يمضي يوم ولا ليلة الا وتنشد في البلاد اشتركت في الاقبال عليها مدارسه ومدارس الحكومة وكنائس الدانيمرك واديارها ·

يبقى التلميذ الى الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من سنه في المدرسة يتقن فيها اللغة الدانيمركية ثم يعود الى المدرسة العليا فيزيدها احكاماً كما يبالغون في تعليم التاريخ الدانيمركي وبذلك انبعثت الوطنية الدانيمركية من مرقدها ولا يسأل كل تلميذ في مدارسه سؤالاً بمفرده بل يوجه الى التلامذة كلهم سؤال واحد يجيبون عليه ومدارسه تدفع أجورها واجرة كل تلميذ من ٢٠٠ الى ٢٥٠ كوروناً (الكورون فرنك واحد وار بعون سنتيماً) و يجتهد المعلمون ان لا يضغط اهل التلامذة عَلَى اولادهم و يضطروهم الى الذهاب بالمدرسة حتى ان المعلمين اذا رأوا التلميذ يريد الهرب يأذنون له بالذهاب ولا يسألون عنه عَلَى ان ذلك من النوادر ·

وصف غروندويج فكر مدرسته بما يلي : يجب ان تحسن تعليم التلامذة معنى الحياة البشرية وطبيعتهم الخاصة وان يلقنوا الفروض المحتمة عَلَى الوطني و يعرفوا واجبات الوطن وان يؤثر فيهم ببسيط الكلام فيعلمهم التاريخ والانشاد الحي والاعجاب بما هو عظيم وجميل , بالاجتماع يلقنهم العمل المتبادل المشترك والابتهاج السليم واللذة واللعب ·

وقد قاوم طريقته كثير من اهل العلم والطبقة العليا والفلاسفة في بلاده وقالوا ان طريقته تخرج تلامذة محدودة عقولهم في حين يجب تعليمهم تعليماً اوربياً يحتوي اموراً كثيرة ولطالما هزأ بهذه الطريقة الفيلسوف العظيم كيركجارد وقال عبثاً يحاول غروندويج نشر التعليم عَلَى هذا الاسلوب ولذا اخفقت طريقته في المدن ولم تجدلها مكاناً الا في قلوب الفلاحين وهذا ما كان يتناغى به صاحبها

زرت احدى مدارس الفتيات عَلَى طريقة غروندويج في فريدريكسبورغ وفيها مائتا فتاة , كان الوقت شتاء وفي الشتاء تعمر المدارس لان الحقول لا عمل فيها فرأيت الدار ساذجة لا زينة لها ولكنها بهجة بين نضرة الخضرة والنباتات المعرشة و يدخل الهواء العطر من النوافذ المفتحة والتلميذات يستمعن لما يلقى عليهن من المنبر وهن في الغالب لا جمال لهن بل هن شقر الوجوه والشعور فيهن ظرف ولطف وحسن صحة وكلهن عَلَى غاية من النظافة وحسن الهندام يلبسن فساطين من القماش الزاهي · وهن من طبقة لا تجد فيهن شريفة ولا من بنات الاعيان بل هن اجيرات في الحقول والمزارع وخادمات و ترى ايديهن مسمرة عَلَى نحو مما تشاهد ايدي كل الفتيات في بلاد السكاندينافيا حتى تلميذات الكليات العليا لانهن عرفن بحبهن للرياضيات البدنية فيتلو عَلَى مسامعهن الاستاذ قطعة في تاريخ الدانيمرك كوصف معركة فريدريسيا التي قضى فيها القائد ري وكان فيها الظفر موقتاً وعقبه ضياع مقاطعة شلشويق هولستاين و يذكر الخطيب تذكارات مؤلمة وقد حضر الاجتماع مستمعات من مقاطعة شلشويق عَلَى الرغم من حظر الحكومة الالمانية عليهن الحضور · حضرن ليأخذن ما لا يتيسر لهن في مقاطعتهن من الآداب الدانيمركية فكن موضوع التأثر كما كان كلام الخطيب وانكفأن كلهن يبكين و ينتحبن و يرفعن اصواتهن متأثرات ولا سيما عند ما يختمن الجلسة بانشاد النشيد الدانيمركي القديم و بعد ساعة عادت البهجة الى المدرسة اذ انتقل الفتيات الى قاعة الالعاب الرياضية , لهذه الالعاب

في هذه المدارس العليا كما هو في جميع سكاندينافيا مكانة عظمى في حياة كل فرد عَلَى نحو ما يرى في الالعاب الاولمبية في استوكهلم · ومنذ عشر سنين زاد الاقبال عَلَى الرياضات الجسمية حتى انك لتجد العملة والمستخدمين والفلاحين ذكورهم واناثهم يعمدون الى التريض بعد عملهم واقتنع القوم بفائدة هذه التربية الطبيعية حتى اخذ كثير من اساتذة الالعاب الرياضية في الدانيمرك يلقون دروساً مجانية في الليل عَلَى من يريد انسانية منهم ووطنية · ومن عرف ان هوءلاء الفتيات يصبحن بعد امهات وتلد الواحدة من ستة الى ثمانية اولاد وهي في صحة تامة يوافق بان للالعاب الرياضية مكانة وطنية حقيقة · وكما ان للعب مقاماً سامياً في المدارس العليا للبنات فكذلك الانشاد والغناء يروحن به نفوسهن ويتعلمن الافكار السديدة بما يتسرب اليهن من الحكم خلال النغم · ويتعلمن بالانشاد الصوتي كيف يكون النظام والاجتماع وما اناشيدهن الا مظهر من مظاهر حسن اخلاقهن وصحتهن واتفاق ارادتهن ومتى انتهت الرياضة يتفرقن في الحديقة فيأخذ بعضهن يخيط وآخريات يقرأن وغيرهن يركبن الدراجات وهي الرفيقات التي لا تفارقها المرأة الدانيمركية · ولا يشتغلن بالحديقة لان موءسس هذه الطريقة كان يرى انهن اذا تعاطين عملاً يدوياً لا يبلغن العمل العقلي الا وهن متعبات · ويدققن في هندامهن ولا شيء يحول دونهن او يحظر عليهن حريتهن تامة مطلقة يعشن مع اساتذتهن ومعلماتهن وأسرات معلميهن ومعلماتهن عيشاً بيتياً مشتركاً لا شيء يشق عليهن ويحسن استعمال ما يخولن من الحقوق · قال احد اساتذة هذه المدارس انني قضيت حياتي برمتها في هذه البيوت فلم اسمع فيها قط كلمة هجر تنافي الادب ولم اشهد خصاماً ردياً وهذا ناشيء من شيئين وهما امتياز هذا الشعب الوديع اللطيف المعتدل واللسان المهذب الذي يستعمله الاساتذة منذ اول يوم مع التلاميذ والتلميذات فيبلغون به شغاف القلوب ولامرأة مدير المدرسة تأثير في جعل حياة الفتيات مفرحة لطيفة والمدير يكون مستشار الأسرات عَلَى كثرتها لان اولادهم درسوا في مدرسته

اما مواد التعليم فتدور عَلَى التاريخ والجغرافيا وعلم الادب واللغة الدانيمركية والرياضة البدنية وحفظ الصحة والاقتصاد الاجتماعي ومبادئ التاريخ الطبيعي والنفسي والكيمياء وتعطى دروس خاصة لمن يتأخرون وهم نوادر في دروس النحو والحساب واذ كان من الصعب في بضعة اشهر من السنة تعليم مختصرات من هذه

العلوم دع المطولات كانت الدروس تلقى بصفة محادثات تنبه شعور التلميذ وتبعثه ان يدرس بواسطة المكاتب العامة المحاوية بانواع الكتب كل ما يغلب عليه من الفنون وتكون المحاضرات مما يعين عقله عَلَى التفكر والعمل ولذلك كانت المسامرات والاحاديث التي يلقيها القائمون عَلَى تلك المدارس منوعة الاساليب . وشخصية المدير توءثر في ادارة المدرسة بنوع خاص فمن المديرين من يغلب عليه التاريخ فيخاطبون العواطف في طلبتهم ومنهم من تغلب عليه الاجتماعيات فيخاطب العقل ومنهم الدين ومنهم العلم فالتعليم منوع الاساليب و يرجع الى دائرة واحدة . وتقبل بعض المدارس تلاميذ من الجنسين اللطيف والنشيط وقد اكدت مدرسة اسكوف وفيها اربعمائة تلميذ وهي في مدينة وعليها شيء من مسحة الارستوقراطية ان تعليم الجنسين قد اسفر عن نتائج حسنة عَلَى نحو ما اكد غيرها من المدارس التي اتبعت هذه الطريقة و بين معلمي مدارس الحكومة ومعلمي هذه المدارس صلات كبرى ومن اولئك من يحضر دروس معلمي المدارس العليا عملاً بقاعدة موءسسها من ان التعليم العلمي عند من اخذوا انفسهم بتعلم الادب وتمحضوا له يضل جادة الصواب ان لم يشفعه تعليم حالة الشعب فيتعلم المتعلم الحياة و يقف عَلَى الحركة الحاضرة قال وهكذا الحال في التعليم الاهلي فانه يفقد مكانته عَلَى اسرع ما يمكن و يكون قشوراً لا لباب فيه ان لم يمزج عَلَى الدوام بالدرس العلمي .

يعيش المعلمون في هذه المدارس مع أسراتهم و يذهبون خلال العطلة المدرسية وهي ثلاثة اشهر في السنة الى جميع اماكن الاجتماع . يختلفون الى الاعياد الدينية والمحاضرات والاسواق الكبرى والى كل مكان يعلمون ان أناساً فيه يجتمعون فيتكلمون عن مدرستهم و يدعون الفلاحين اليها في الخريف . و بذلك يستكثرون من الطلبة والحكومة لا تراقب هذه المدارس وتدفع لكل واحدة اتى عليها ثلاث سنين اعانة نقدية من ٣ الى ٤ آلاف كورون والمعلمون من الطبقة الراقية في علمهم و يكونون في الغالب ممن شعروا بميل الى صناعة التعليم وهم في سن العشرين ولهم اجتماعات ونقابات فلا يدخل في سلكهم ضعيف ولا ساقط في فضائله وعلمه والشعب يعرض عن كل من لا يسوغ ان يتولى تربية بنيه ممن عرف بالالحاد ولم يتربَ بآداب الدين . وفي كل سنة تدعو المدرسة من تخرجوا في مدارسها من الفتيان والفتيات وأسراتهم فيأتون من كورتهم مسرعين يصرفون اليومين والثلاثة في الغناء والرقص

وسماع المحاضرات ومن كان منزله بعيداً ينام في المدرسة

وبهذه الطرق التي تعمد اليها المدارس العليا وفقت للتأثير في الافكار فصار الفلاحون في الدانيمرك يبذلون لها اوقاتهم واموالهم وكم من مدرسة جمع لها في بضعة ايام من بضع قرى الثلاثون الف كورون واعطيت لمدير المدرسة لقاء وصل بسيط يتصرف فيها كما يشاء نعم ان المعلمين والمديرين يعيشون عَلَى ما يجب في هذه المدارس التي نجحت بافضالهم وفضائلهم فاخذوا يحتكون بالفلاح عَلَى حين نجد امثالهم في الممالك الاخرى قد يترفعون عنه واستماتوا في تربية الشعب فبذلوا كل قوتهم وبارادتهم المجمة ودعواتهم التي لم يملوا من بثها نبهوا الفلاح الدانيمركي من غفلته التي كان فيها منذ قرون · وكل بلد يقوم فيها مثل هذا النشاط تخصب في ربوعها العلوم والآداب لا محالة

مدينة لا ذباب فيها

اجمعت الآراء عَلَى ضرورة قتل الذباب ولكن لم يظفروا حتى الآن بالطرق للخلاص من هذا الضيف الثقيل المخطر الذي ينشر جراثيم العدوى بدخوله في كل مكان وتلقيحه في كل مادة مضار عدواه · وقد وضع مؤتمر الصحة في ولاية انديانا احدى الولايات المتحدة قاعدة اوصى فيها بابادة هذه الآفة وهي « اقتلوا الذباب باي صورة كانت ولكن اقتلوه » جملة يرددونها في كل صفحة من صفحات كتاب الصحة · وكانت مدينة ويلتون في اركانساس اكثر البلاد ابتلاء بهذه الهوام تنشر من الاوبئة اشياء منها فعمد رجال الصحة فيها الى استعمال الادوية كلها للوقاية فيها فخابت مساعيهم · وقد قررت لجنة خاصة ان الواسطة الوحيدة ان تطهر اماكن العدوى وان يحارب الذباب بكل حيلة فعهدت البلدية الى احد الاخصائيين ان يعد دواء ناجعاً للقضاء عَلَى العفن فاكثر في المدينة من حب حامض البير والتجبين ويجدد رشه اربع مرات في النهار ودامت هذه الحرب شهراً فلم يبق بعده اثر لهذا العدو الهائل وتخلصت المدينة من الذباب فخفت حمى التيفوس بذلك عَلَى التدريج وجادت الصحة اي جودة وبذلك يفهم ان الحكومات اذا ارادت ان تعمل الحسن للامم توفق له مهما كان صعب الطريقة

نادي المعمرين

أُنشيءَ حديثاً في طوكيو عاصمة اليابان ناد للشيوخ الذين لا يقل عمرهم عن التسعين سنة برئاسة الكونت اوليما الياباني ويقال ان بين من يضمهم النادي الآن اثني عشر

عضواً عمر الواحد منهم ١١٠ سنوات وقد قيل شبيه الشيء منجذب اليه· ان الطيور عَلَى اشكالها تقع

ازالة الحبر عن البسط

ان امهل طريقة يمكنك بها ازالة الحبر عن الطنافس او البسط ان تأخذ شيئاً من الملح الناعم وتذره عَلَى الحبر ومتى اسود الملح ترفعه وتضع غيره مكانه

احياء الازهار الميتة

ان الطريقة لاحياء الازهار بعد ذبولها هي ان تقطع قليلاً من اصولها ثم تغمس هذه الاصول في ماء يغلي فالحرارة الشديدة تنبه الزهرة وتعد اليها الحياة التي اوشكت ان تفقدها وتجعلها كأنها مقطوفة منذ هنيهة

اكلة الخبز

في الاحصاءات الاخيرة ان كل دانيمركي يأكل في السنة ٢٨٧ كيلوغراماً من الخبز والبلجيكي ٢٧٤ كيلوغراماً والفرنسوي ٢٣٤ والسويسري ٢١٢ كيلوغراماً والالماني ٢٠٩ كيلوغرامات والاسباني والنمساوي ١٩٥ كيلوغراماً والايطالي١٢٥ والبرتغالي ١٠٢ كيلوغرامين · اما العربي فليس له محل من الاعراب في هذا الاحصاء ولعله من اكثر الامم تناولاً للخبز اذ ليس عنده الآن الا الخبز القفار وربما جاءه زمن لا يحصله فيكتفي باكل البقول والثمار

ثروة سويسرا

احصى الاستاذ سنيجر ثروة سويسرا عَلَى وجه التقريب فكانت نحو ٤٥٢٨ مليون فرنك واغنى مقاطعاتها مقاطعة برن التي بلغت ثروتها العامة ٢٤٤٤ مليوناً ثم مقاطعة فود ١٧٤٣

نساء فنلندا

تبين بالاستقراء ان المرأة في فنلندا لما صار لها شأن في وظائف الشرطة في بلادها قل الفجور بل كاد يقضى عليه كل القضاء وذلك ان من وظيفة الشرطيات الفنلنديات ان يسهرن عَلَى اخلاق الفتيات وان يسعين في ايجاد اعمال ومحال يأوي اليها الاولاد المهملون او اللقطاء والعجائز

العناية بالمرأة

لما كان للمرأة في ولاية كولورادو في الولايات المتحدة حق الانتخاب كالرجال منذ

زمن طويل فقد وفقت الى وضع قانون لحماية الأمومة في البلاد ذلك ان كل الامهات اللائي لا مورد لهن يعشن منه سواء كن عازبات او متزوجات او ايامى يقبضن من خزانة الحكومة معاونات مالية مهمة تسمح لهن بتربية اولادهن عَلَى ما يجب ·

الانسجة الجديدة

آخر الازياء الجديدة من البسة النساء الفساطين المصنوعة من الخرز المنسوج الذي يشبه الحرير بلمعانه ومرونته وقد اخترع هذا النسيج في النمسا والوانه عَلَى غاية من اللطف تختلف بين الابيض والاخضر والوردي والبحلي (الليلكي) والاصفر وله لمعان كلمعان الماس · وتصنع ايضاً اقمشة من الياف معدنية معمول من احجار ليفية لطيفة عَلَى اللمس جداً ومتينة للغاية · ولهذه الالبسة امتياز بانها يمكن تنظيفها عند ما تجعد او تتسخ ويكفي لذلك ان تكوى · ويصنعون ايضاً جوخاً يدعونه جوخ الحديد يستعمله الخياطون لعمل قبات الثياب · ويعمل هذا الجوخ من الصوف المعمول من الحجر الكلسي وهذا الحجر يمزج ببعض المواد الكيماوية وينشف في تنور او يطلق عليه مجرى هواء شديد الحرارة فيستحيل الى مادة بيضاء صوفية تكون عند اخراجها من التنور ملونة الاشكال معمولة طويلة وقصيرة عَلَى نحو ما يعمل الجوخ والثوب او السروال المعمول من هذا الجوخ الحديدي لا يتلوث بلوثات من الدهن ومرونته تشبه مرونة ادق صوف من الماعز · ومن جملة الاصناف الجديدة من هذا النوع نسيج الورق او الحطب او القنب فان نسيج الورق قد خدم اليابانيين خدمة نافعة خلال حربهم مع الروس وهو احسن ما يكون لصنع الازياء العسكرية الرسمية وتعمل منه اليوم فساطين للسهرات والبسة للحمامات وان مدينة طوكيو عاصمة اليابان لتصدر الى انكلترا والمانيا وفرنسا كميات وافرة منه · ويعمل اليابانيون من هذا القماش قفافيز للايدي ايضاً · اما قماش القنب والحطب فيكون متيناً للغاية يمزج ببعض المواد الكيماوية التي كتم مخترعوها اسرارها فيباع بكميات رابحة في المستعمرات البريطانية

ذكاء الحيوان

كان للناس منذ القديم آراء متناقضة في مسألة ذكاء الحيوان فقد قال بيكورس الفيلسوف اليوناني ان للحيوانات روحاً كما للانسان وقال ارسطو والرواقيون من فلاسفة اليونان ان ليس للحيوانات ذكاء يعتد به وورثت النصرانية مثل هذا الرأي

الاخير فاثبتت لهم الغريزة ونفت عنهم العقل الذي لا حاجة لهم به واعتبر الفيلسوف ديكارت الحيوانات بانها ادوات بسيطة تعمل من نفسها ولا تعرف ما تعمل وكانت فلسفة القرن الثامن عشر مناقضة لهذا الرأي ونسب الفيلسوف لايبنز للحيوانات عملاً نفسياً منحطاً عن القوى الانسانية وذهب الماديون من الفلاسفة مذهب ابيكورس مثبتين بان النفس متعلقة بالدماغ وان النفس البشرية غير خالدة كالحيوان وذهب مثل هذا المذهب ايضاً ملاحدة القرن التاسع عشر فاثبت كارل فوكت ولويزنجنر فكراً سامياً للحيوان في الذكاء وقال داروين وهو الذي يرى ان الانسان مرتق عن الحيوان بترقي الانواع بان غريزة الحيوان هي الممثلة لصفاته المطلوبة التي هي قوية في الحيوان وقد بلغت في الانسان ارقى طبقاتها · واقترب العلم الحديث من هذه النظريات بان اثبت للحيوان قوى ودرجه بحسب اجناسه واصوله بان وضع في الدرجة ذوات الثديين التي هي في سلم الكائنات قريبة من الجنس البشري فاعترفوا بان للكلب شعوراً من العقل والذكاء اللذين طالما اقام البراهين عليهما وثبت ان حصان هانس يحسب ويجمع ويطرح بلا غلط ويجيب على المسائل العويصة باشارات لا تخطئ وبذلك ثبت ان للحيوانات نفوساً كما للانسان وانها من الذكاء على جانب ·

الاتحاد الاوربي

تكتب المجلات الكبرى في الغرب الحين بعد الآخر مقالات في الدعوة الى اتحاد اوربي عام تكون به دول اوربا يداً واحدة في الخصام والسلام ومن ذلك مانشرته احدى المجلات الانكليزية الخطيرة مؤخراً قالت ان من الامور الثابتة ان الحالة الحاضرة في اوربا ليست مما يبعث على الرضى فهي تفقد على التدريج المكانة التي كانت لها فيما سلف من الايام على حين تنشأ أمم اخرى امامها وتبلغ بالتدريج الدرجة الاولى · والسبب في هذا الانحطاط هو ان ممالك اوربا لا تبرح على الدوام مسلحة بعضها على الآخر سواء كان للدفاع او للاغارة · والافراط في التسليح على هذا النحو يدل بصراحة على ما بينهن من الحذر والحسد فان اوربا تنفق كل سنة عشرة مليارات من الفرنكات لاطعام جيوشها فاذا نشبت الحرب تحتاج الى ثلاثة اضعاف هذا المال لتضرب العدو المفاجي · والطريقة التي جرت عليها اوربا ستقودنا لا محالة الى الحرب وانا اذا نظرنا الى حالة الامم المختلفة نجد المانيا بعد حروب كثيرة قد وفقت الى تأييد سلطانها ولكن من يحميها من المشاكل مع البلاد الخارجية ان لم تكن قوائم سيوف

ابنائها . وهكذا الحال في فرنسا وغيرها من الممالك . فان نزع السلاح من اوربا لا يمكن الحصول عليه الا بعقد اتفاق عام وائتلاف تام ثم اذا فرضنا ان ذلك ميسور فكم ينبغي له من الوقت وكم تدوم مدته على ان المتحتم على اوربا ان تشبه من حيث الاقتصاد الولايات المتحدة الاميركية فيكون اذ ذاك نفوذها عظيماً و يتيسر لها ان تقاوم المهاجمات وتخرج ظافرة من جميع حروبها . يبحث الآن في عقد اتفاق بريدي عام وفي تأليف مكتب للعمل دولي واشياء من هذا القبيل مما يكون من ورائه اعداد المواد لعقد التحالف الاوربي العام ونحن نقترح الجمع بين أسرة كبيرة اوربية تكون ممالكها الجنوبية ابناء ذلك التحالف فيكون هذا مؤلفاً من ست دول وهي تدعو سائر الدول الى الاشتراك معها و يدور محور التحالف على الاحتفاظ بالحالة الحاضرة ولاشك ان كثيراً من الامم تفادي بمصلحتها للمصلحة العامة واذ كانت الحكومات لا تحكم بدون مظاهرة الشعب فعلى الشعب ان يعد الافكار لقبول هذه الدعوة للاتحاد العام

تبدل المناخ

تنبأ كثير من العلماء بامكان تبدل يطرأ على الارض وقدروا بان كثرة ما ينفق من حامض الكربون في الهواء لكثرة انفاق الفحم سيكون السبب في ذلك وقد اكد احد اساطين العلم مؤخراً بان المناخ يتغير والحرارة تشتد مستشهداً لذلك بترقي البشر في صرف الفحوم وزيادته سنة عن سنة وان كمية الحامض الكربوني تنمو على ذلك المعدل وقد أحصي ما أنفق من الفحم سنة ١٨٩٩ فكان ٧٢٣٤٢٨٧٤٥٤ طناً ولم يكن المنفق منه قبل عشر سنين اكثر من ٥١١٤٥١٨٤٣٥٨ طناً مما يدل على سرعة الزيادة و يدعو الى تقدير ما سينفق من الطنات في القرن العشرين بمليار طن فتتضاعف كمية الكربون في الهواء وتحفظ الكرة حرارتها فتكون الحرارة في الارض كلها اكثر من الاول . والعلماء يتوقعون فيما اذا كانت هذه الزيادة في الحرارة تضر بجودة الهواء .

الاشجار التاريخية

في سنة ١٨٦٠ غرس البرنس دي غال في حديقة نيويورك الوسطى بيده شجرة دردار اميركية وشجرة بلوط انكليزية احتفالاً بمرور خمسين سنة على معاهدة غاند ومنذ ذلك العهد نجحت هاتان الشجرتان واصبحتا من الجمال بحيث لا تضاهيهما شجرة

من نوعهما وعمرهما. ومن الادواح الضخمة التاريخية في العالم شجرة البارون هومبلد القائمة في وادي ارغوا في جمهورية فنزويلا فانها اكتشفت في القرن السادس عشر ولا تزال الى اليوم على مثل ضخامتها يوم اكتشافها وكانت استدارة اغصانها ٥٦١ قدماً وهي الآن كذلك. ومن الاشجار الضخمة في العالم الشجرة المعروفة بشجرة التين في اوروتاتا التي ما برح طائفة الكوانش في تنريف تعظمها وقد ثار اعصار هائل سنة ١٨٧١ فالقى بها الى الارض وكان قطر جذعها ٤٦ قدماً. ويقال ان يونان لم تبرح فيها الشجرة التي كانت تظل باغصانها افلاطون وهو يحادث سقراط. ومن الاشجار التاريخية ثلاث شجرات في جزيرة القديسة هيلانة التي نفي اليها نابليون وبين جذوعها قضى هذا الفاتح. ومنها نخلة جورج واشنطون محرر اميركا ولا يقل عمرها عن قرنين وهي اجمل مثال في الاشجار التاريخية

سكر النبا

النبا نوع من النخيل ذو ورق كبير مركب على شكل ريش او مشط مجتمع في رأس ساقها. وهو يكثر في عدة اصقاع من الارض ولا سيما في جزائر الفيليبين ويستخرج منه الكحول بلغ دخله في العام الماضي زهاء ٨٠ الف هكتولتر ويستعمل ورقه في نسج الحلفاء كما تصنع منه اغطية للدور وورق للفائف ويؤكل ثمره نيئاً اومطبوخاً وقد انبأ المكتب العلمي في مانيلا جمهور الزراع والصناع انه اكتشف طريقة يمكن معها استخراج مادة سكرية تنافس سكر القصب وتفوقه بالرخص. وتعيش شجرة النبا خمسين سنة وكل فدان زرع من النبا يعطي غلات وافرة جداً. ولعل بهذا السكر يرخص سكرنا

اعاجيب الحاسبين

ظهر في المكسيك حيسوب من اعاجيب الدهر هو فتى الآن في الثامنة من عمره اسمه ميشل البرتومانتيلا وهو ابن صراف في تلالثالبلاد ومنذ سنتين كان كاقرانه ليس فيه شيء من خوارق العادات بينا كان ابوه ذات ليلة يجتهد في حساب احد التواريخ ليكون مطابقاً ليوم احد دهش لما رأى ولده يجيبه في الحال على هذا الاشكال. ولما رآه يحسن الاجابة عاد فسأله عن يوم ٢٤ كانون الثاني ١٨٣٩ اي الايام كان فأجابه الطفل بعد تفكر ثانيتين انه كان يوم الخميس. وعند ذلك دعا والدا الطفل جيرانهما لالقاء الاسئلة عليه فكان من جملة ما سألوه عنه اي يوم يكون يوم ٢٤

كانون الثاني سنه ٢٠٠٠ فاجاب يوم الاثنين وقد فحصت المجامع العلمية هذا الولد فاعجبت به اذ لم تجد في قواه النفسية شيئاً فوق العادة لانه يكاد يقرأ ويكتب قراءة وكتابة بسيطة ·

ولهذا الولد امثال فان في جامعة هارفرد الاميركية تلميذاً اسمه وليام جايمس سيديس كان منذ الخامسة من سنه يحسب الايام والسنين بحساب سريع عقلي وفي ايطاليا ولد أمي جاء باريز فادهش العلماء بسرعته في الحساب وقد سألوه من جملة الاسئلة ان يخرج لهم الجذع المكعب للرقم ٢٧ فحل هذا الاشكال في ١٠ ثوان· وجاء في القرن الماضي حيسوب زيراه كولبورن اشتهر اي شهرة فسئل وكان في السادسة من عمره اذا كانت الساعة الدقاقة تدق ١٥٦ مرة في اليوم فكم دقة تدق في مائتي سنة · وسألوه عن مكعب رقم ١٤٤٩ وأي مبلغ اذا ضرب بنفسه يكون حاصله ٩٩٨٠٠٠ فكان جوابه لا يطول على كل سؤال من هذه الاسئلة اكثر من اربع ثوان

وجاء في الفرنسو بين هنري موندر فادهش المجامع العلمية وقد كان مرة ذاهباً الى تور من طريق الحقول فصادف فتاتين غريبتين وكان هو في الخامسة عشرة من سنه فسألهما هل لكما ان تقولا لي سنكما بتقدير السنين وانا اقول لكما كم يبلغ من الثواني فقالت له احداهما ان سني تسع عشرة سنة فقال لها في الحال انك عشت ٥٩٩ مليون ثانية و ١٨٤ الف ثانية · وممن يحشر في هذه الزمرة فيتو مانجياميل الذي حزر في نصف دقيقة ما هو الجذر المكعب من عدد ٣٤٥٩٦٤٤١٦ والحيسوب المشهور الالماني زخريا داز الذي كان في الخامسة عشرة من عمره يعمل جلسات عامة يسأل فيها هذه الاسئلة المشكلة مع القلم والدواة · ومثلها جديدياه بوكستون الذي كان يجد بواسطة الحساب العقلي الجذع المكعب من عدد ٦٠ رقماً· ومن الغريب ان هؤلاء الاولاد الخوارق الذين يحصرون ابداً اذهانهم في هذه الموضوعات ليسوا في الاغلب الا ابناء فلاحين لا يقرأون ولا يكتبون وهم بينما يعرفون ما لا يتصور العقل اصعب منه من المسائل لا يحسنون معرفة طريق البلدة التي عاشوا فيها وهم يعمرون حافظين لقواهم العقلية فسبحان من خص من شاء بما شاء ·

فن الاعلانات

لا يعرف منشأ الاعلانات حق المعرفة فقد اكتشفت في ثيبة اعلانات على ورق

البردي كتبت منذ زهاء ثلاثة آلاف سنة · واستعمل اليونان واسطة لطيفة للاعلان فكانوا يخرجون منادياً ينادي في الشوارع يكون من اهل الفصاحة والبلاغة ليأخذ بمجامع القلوب في الازقة والجواد و يختارونه ممن خفت مشيته وكان جميل الشكل و يصحبونه مع هذا بموسيقار ليلفت الانظار عَلَى طول الشوارع بادواره ونغماته ومن هذه العادة بقيت في اوربا بقية الى اليوم عند المعلنين · واستعمل الرومانيون الاعلانات ليعلنوا عن دور التمثيل وقتال المتصارعين وكانوا يلصقونها في پومپي تحت الاروقة · ولقد تألفت في فرنسا منذ القرن الثاني عشر نقابة للمنادين ينوبون عن الاعلانات وعن السماسرة وتستخدمها الحوانيت والحانات للمبالغة بمديح بضائعها فيسير المنادون في الشوارع العظمى ومصباح في ايديهم وقد ملؤوا سروراً وظرفاً وزاد اختراع الطباعة في انتشار الاعلانات كثيراً ثم منذ انتشرت الصحف الاولى زادت الاعلانات · وافتتح بارتولوزي واشياعه في القرن السابع عشر عهد الصور والنقوش بماء الفضة وظلت طريقتها وحيدة بصنعها · ثم جاء فاتو الذي تفنن في الاعلانات عَلَى مارزق من قريحة وقادة واحسن ما صنع من هذا القبيل لرجل اسكافي يبيع موءخراً من امبراطور المانيا · ونحو سنة ١٨٧٠ ظهر جول شيريه وكان آية في فن الاعلانات ورسمها وجاء بعده غراسه الذي برع واي براعة في نقش الزجاج وجلود الكتب والبطاقات فانتشر فن الاعلان عند الفرنسيس سنة ١٨٩٠ وعنهم شاع في اسبانيا والمانيا وبلجيكا وانكلترا كما شاع في اميركا وهكذا كثر تفنن الافرنج في الاعلانات حتى صار البارع في وضعها وصنعها يعد من المفضلين عَلَى الانسانية مثل مخترع الطباعة ومخترع البخار و يعيش عيشة حسنة بما ينهال عليه من الاجور والرواتب

التربية الاجتماعية (١)

اخواني الاعزاء

لا بد انكم قرأتم اموراً كثيرة عن ذلك الفيلسوف الانكليزي الشهير داروين. اصطدمت مخيلة هذا العالم الطبيعي صاحب الفكر الثاقب والنظر النافذ بحادثة فجائية تجلت امامه اينما حل وحيثما ذهب، حادثة عامة وجدها تتناول جميع ما يدخل تحت عنوان الحياة نباتاً كان ام حيواناً: تلك الحادثة، كما تعلمونها هي التنازع على البقاء او بتعبير اخص من عزم على محافظة حياته وجب عليه ان يتجهز لرد طوارق الحدثان التي لا بد من ان يصطدم بها في كل آن

جالت نظره تلك الحادثة العامة فابتدأ من ساعته يبحث عن دواعي ذاك النزاع والاسباب التي تؤدي لتقوية بعضهم وتفوقهم واضعاف الآخرين وتقهقرهم. فمن جملة الاسباب التي وجدها، الصبر على شدائد الطبيعة، والتفوق من جهة الاقتدار المادي والمعنوي، وتزايد النسل عند فريق اكثر من الآخر غير انه لم يقف عند هذا الحد بل واصل البحث والتنقيب حتى ظهر له بان نتيجة هذا النزاع الدائم بين العناصر الحية هو «بقاء الانسب في العالم» وان السيادة مع تقلب الازمان تبقى في ايدي اولي العزم والتدبير فوجد على توالي الايام ان الضعيف محكوم عليه والقوي حاكم، او بعبارة اقرب الى الحقيقة، الضعيف يموت والقوي يسود.

فهذه حقيقة قد ايدها علماء كثيرون قبل داروين، وفي جملتهم الفيلسوف العربي الشهير ابن رشد فانه قال: (ليس للضعيف على مدى الازمان الا حالتان، اما ان يموت مذلولاً واما ان يتمثل باقوى منه فيكتسب صفاته وبذلك يقوى فيسهل عليه النزاع في معامع الحياة) ولكن داروين، ايها الاخوان، لم يكتف

«١» محاضرة الناطق محمد افندي حيدر من نوابغ سورية المتخرجين من كليتي الاستانة وباريز في المنتدى الادبي في عاصمة السلطنة يوم ١٤ كانون الاول ١٩١٢

باثبات ماذكرنا بل تدرج من القانون العمومي ، قانون بقاء الانسب ، وظهر بنظريته المشهورة التي طالما تجاذبتها العقول وتشاحذت بها القرائح والاذهان وهي : الارتقاء في العالم .

سردت لكم ايها الاخوان هذه العبارات ، لا لانني ار يدشرح نظرية ذلك العالم المدقق ، ولو اردت ذلك حقيقة لاضحككم حالي لعلمكم ان الوقت ضيق جداً وان شرح تلك النظرية يتوقف عَلَى معرفة مسائل جمة لاتدخل في موضوعنا كما اني لست بقادر عَلَى اتيانها ، وانما اردت ان اذكركم والذكرى تنفع ، ان الحياة ليست كما يتوهمها كثير منا . فالطفل لدى خروجه من حجر امه يقع في ارتباك ظاهر لما يتهاجم عليه من العوارض الكثيرة : فلمس يد تؤذيه ولفحة قر تؤثر فيه . فيربو و ينمو بين حرص الطبيعة وصعوبة المعيشة وكلما تقدم في السن كثرت احتياجاته وتراكمت عليه المشاكل وتضاعفت عَلَى جانبيه الرقباء حتى اذا ما اراد شيئاً وجد الوفاً من الموانع تزاحمه

فهذه المنافسة او بالأحرى هذا النزاع والتزاحم يتجلى بكل سعته وشدته عند مايخرج الانسان من المدرسة اذ يكون حينئذ قد قبض عَلَى زمام ارادته وافلت من الحماية العائلية فيدخل اذ ذاك في حياة جديدة يطلب الرغيف والزاد متكلاً عَلَى قوة ساعديه وقيمة كسبه فالوسط الذي يلجه يجد فيه اناساً كثيرين يزاحمونه عَلَى مرغوبه و يحولون بينه و بين مطلوبه . وهناك الطامة الكبرى اذا لم يكن قادراً عَلَى دفع المشكلات وازالة العثرات .

فحالة الامم خصوصاً في وقتنا هذا لاتختلف عن حالة الافراد ان لم تكن اشد وطأة واعظم خطراً . فالامة التي لاتنظر الى حقائق الامور بعين الاعتبار وتهمل نفسها بمجاراة مجاوريها في سبيل الرقي الادبي والمادي تمسي ولا شك متدهورة في هاوية الدمار من حيث لاتشعر تختار الأسر وهو اشأم اصناف الانتحار وافظعه .

قلنا انه يجب عَلَى كل امة ان تنظر الى عواقب الامور وتسعى بكل جهدها وطاقتها وتستعمل جميع الوسائط لترقية ابنائها لا لترقيتهم بصورة مطلقة اذ ان ذلك لايكفي ، بل لايصالهم الى درجة يقدرون بها ، بواسطة التعاون والتضامن بينهم ، عَلَى الاحتفاظ بحريتهم وشخصيتهم لاجرم انكم تعلمون ايضاً ان بعض الامم في حالة من الرقي تختلف درجاته غير ان الرقي الذي اقصده هو الرقي النسبي ولا يجهل احد

منكم ان فرنسا تجتهد كل الاجتهاد لتزيد نفوسها ويحق لها ان تضطرب كل الاضطراب في الوقت الحاضر · اوبينا ترى نفوسها تزداد مائة وثلاثة آلاف في خمس سنين اي من تاريخ ١٩٠٥ الى ١٩٠٩ فالمانيا قد ازدادت في الوقت نفسه ، بما يربو عن الاربعة ملايين ومائتين وسبعة واربعين الفاً في حين ان انكلترا وعدد سكانها ٣٦ مليوناً ماعدا نفوس ايرلاندا واسكوتلاندا قد ازدادت سنة ١٩٠٩ فقط بما يقدر بار بمائة وثلاثة عشر الفاً فالزيادة المطلقة التي وقعت في فرنسا في هذه المدة هو سبب ضعفها لعدم كفايته بالنسبة لمجاوريها فهذه الزيادة العظيمة في المانيا تدعوها ان تزيد عسكرها الى ٧٠٠ الف مقاتل في وقت السلم وان تتداخل في مسائل اغادير وغيرها مضطرة لامختارة وتحتل اصقاعاً جديدة لتعينها وقت الشدة

ذكرت لكم هذا المثل لالفت نظركم الى اننا في ضيق وان الوقت حرج جداً ومن ضيع الفرصة لاينفعه ان يعض اصابعه و يندم حيث لاينفعه الندم ·فيكتفي بمدح ماضيه و بعقديديه امام المستقبل · فمن احب وطنه وعشقه حقيقة وجب عليه قبل كل شيء ان يصلح نفسه ويزينها بالعلوم العصرية ثم يفكر بان هناك امة لها عليه حقوق عديدة منها حق بقائه فيجتهد اذ ذاك للقيام بواجبه نحوها وايصالها الى درجة الرقي والاسعاد ، درجة تمنحها حق البقاء بين الامم الحية

اخواني ؛ لاتظنوا بانني اعرض بالذين يفاخرون بماضيهم لاني اعتقد ان الانسان لايمكنه تسلق سلم المعالي الا اذا عرف نفسه ومعرفة النفس لاتتم الا بمعرفة الآباء والاجداد وما تركوا من الآثار · لان الانسان ليس ابن يومه بل ربيب امسه وان هناك سلسلة تربطه ، شاء ام ابى بالماضي · وما اصدق ماقاله الفيلسوف الشهير رنان « الأمة مؤلفة من امواتها اكثر من احيائها » فمن اراد خدمة امته كان جديراً بان يبحث عن ماضيها و يدرس تاريخها و يكشف التراب عن تلك الجذور التي تسنده في حياته دون ان يراها ثم يستعين بها لخدمة مبدإه وتعزيز غايته ، غير انني قصدت بقولي اذ ذاك من يتحمس مفاخراً بقوميته مع انه يجهل اصلها وفروعها يجهل رجالها وآثارها ؛ قصدت بقولي من يصرخ دائماً ؛ امتي ؛ امتي ، كانت صاحبة علم ومجد ، صاحبة مدنية عظيمة ، اوليست هي مهد المدنية الغربية ؟ · · · · وكلها جمل مفخمة سمعها من رفيقه واكتفى بترددادها في كل محفل ومحضر دون ان يفكر بان الالفاظ لا قيمة لها اذا لم تستند على دلائل علمية وادلة حية

من احب امته فليبحث عن احوالها وآثارها وليجتهد في تلقيح ماهو موافق من المدنية الغربية فيها . نحن العرب ، يقال عنا اننا اذكياء ؛ فلو سلمنا بهذه القضية أليس يجدُر بنا ان نفهم الان اننا في القرن العشرين ، قرن الجهاد المتمادي والسعي المتوالي وان الذكاء وحده لايكفل للانسان حياته اذا لم يأخذ بالاسباب بارادة اشد من الحديد . نعم ان هذه الصفات صعبة المنال غيرانه يجب عَلَى الانسان امام المصاعب ان لايقنط ان الامة التي لاتعتمد عَلَى حالها وليس لها ثقة بافرادها تكون قد اساءت الظن بنفسها ومن اساء الظن بنفسه تدرج الى اليأس وهناك الطامة الكبرى اذ ليس بنتيجة اليأس الا الفتور والخمول .

فحينئذ يجب عَلَى كل امة ان تنتبه كالافراد لشخصيتها وتتأهب الى يوم معلوم . يوم لابد ان تختبط مع غيرها فيه فاذا كانت خبيرة متيقظة في امورها حازت قصب السباق والا وقعت كما هي حالتنا الان في هوة الذل والهوان

تذكرون ولا ريب قول ذاك الحكيم الاجتماعي مونتسكيو بحق القوة : « القوة تجري الى ان تصادف مانعاً فيصدها » فهذا القول ينطبق عَلَى جميع القوات طبيعية كانت ام اجتماعية . أليست تشكلات اوربا السياسية وتجمعها حول الائتلاف والائتلاف مستندة عَلَى هذه النظرية اوليس ضعفنا وتشتت شملنا هو الذي اطمع الحكومات البلقانية ان تزحف علينا بقواتها وترغب في ابتلاعنا . التساهل بالامور وحسن النية والاتكال عَلَى الغير امور لذيذة . لانها هينة التناول ولكن و باللاسف اننا نرى السياسة متلونة ولا تلون الحرباء لاثقة بها مطلقاً . وما التساهل وحسن النية بالامور الا بلاهة ومسكنة .

كنت اظن اننا قد اعتبرنا بما قد اتى عَلَى رؤوسنا من الدروس التي اوشكت ان تقضي علينا بتاتاً ؛ كنت اظن انه لم يبق احد في المملكة العثمانية الا وقد اعتبر بما قد انتهت اليه سياستنا العنصرية التي بعثرت قوانا وكادت تفرق فلو بنا بعضها عن بعض ولكني وجدت و باللاسف — بالرغم عما كنت آمل — منشئاً يكتب الاسطر الآتية في جريدة تنتشر في العاصمة : « العناصر المختلفة التي تعيش في السلطنة العثمانية لايمكنها ان يكون لها قوة نافذة بجانب العنصر التركي . منذ خمسة عصور ونحن عائشون تحت عنوان العثماني ، ففي القرن العشرين ينبغي ان نعيش تحت عنوان الترك ؟ »

لم اذكر لكم معشر الشبان الكرام هذه الامثولة الا على سبيل الاستطراد وليس جديراً بالانسان ان يغالي بسوء الظن ، لان التسامح واجب والتعاضد ضروري خصوصاً في الهيئات الاجتماعية — غير انه ينبغي عليه ان لا يحسن الظن بمن لا يستحقه وان ينظر الى المستقبل بعين الدقة خصوصاً اذا كانت حياة امة في موضع البحث وان يعتمد على نفسه واجتهاده وعند الحاجة يكون مقتدراً على العمل بوصية الشاعر :

وإذا بليت بظالم كن ظالماً * وإذا لقيت ذوي العدالة فاعدل

اخواني الكرام ؛

اريد الآن ان اتكلم عن التربية الاجتماعية او بالاحرى عما تحتاج اليه التربية الديموقراطية · والذي دفعني لتخصيص البحث في هذا الموضوع ظاهر على ما اظن · لان هذا الفرع من التربية هو الذي شغل اكثر المفكرين لتناوله جميع الافراد وله في وقتنا الحالي مكانة عظمى عند الامم الراقية

ان الوقت الذي كانت تسعد به الامم بمجيء رجل ذي دهاء يتولى امورها قد قل حظه وسيدفن عن قريب بين صفحات التاريخ وان الدور الذي كان الامر فيه بيد شخص واحد يتصرف كيف يشاء قد مضى وانقضى وها نحن الآن في زمن ، لصغير القوم وكبيرهم حقوق يطالب بها ووظائف يدعى الى القيام عليها؛ يشترك برأيه بمهام الامور و يضع اسمه في كل مسألة تتعلق بحياة امته وارتقائها فمن ثم وجب عليه ان يكون قادراً على تمييز الغث من السمين ليفيد الهيئة الاجتماعية التي ينتمي اليها بسعيه وعلمه· هذه المسألة من اهم المسائل الاجتماعية قدرتها الامم الغربية حق قدرها وهي تشتغل ليلاً ونهاراً بتطبيقها ، بنشر العلم وتعميم الفائدة بين جميع ابنائها حتى يكون كل فرد مفيداً لامته برأيه وسعيه وعلمه وماله ·

ان من الافراد من يعلقون آمالهم وترقية امتهم على حياة شخص واحد · ان الامة التي لا يمكنها ان تكون معجن الرجال والتي تعلق شقاءها وسعادتها على شخص واحد ليس لها حق ان تدخل في مصاف الامم الحية · الامة الحية هي من اذا فقدت بالمرستون اتاها بيكونسفيلد ومن اذا اضاعت بيكونسفيلد جاءها غلادستون ثم شامبرلين ، فساليسبوري ، فبلسفور فاسكويس من الرجال الدهاة والامة الحية هي التي تملك امثال هؤلاء الرجال ولا يهمها اذا سقط واحد فان هناك جماً غفيراً قادراً على ان يخلفه · فالروح الاساسية هي التي تأتي بالاعمال العالية هي روح الامة من حيث

المجموع ولا تظنن ان بسمارك كان يمكنه ان يفعل مافعل و يوحد العنصر الجرماني تحت سيطرة واحدة لو لم يكن مستنداً على امة غذاؤها العلم والانتظام اعني بهما التربية المدرسية والروح العسكرية ولا نظنن بان تيير الفرنسوي كان يستطيع دفع الخمسة مليارات و يخلص وطنه بمدة وجيزة لو لم يكن وراءه امة تعودت الاقتصاد وتأصلت فيها مزايا الاستثمار .

فحري بنا نحن ابناء العرب ان نقتفي اذا اردنا لنفسنا حياةً حرةً أثر تلك الامم وان نبث روح التربية الديموقراطية بكل صقع من انحاء جزيرة العرب وسورية

ان الاخصائيين في هذا الفن قد عرفوا التربية بصور عديدة فقد قال الفيلسوف الالماني (كانت) التربية تنمية الصفات الكمالية في الانسان بقدرما تستطيع طبيعته او بقدر ما يتحمل استعداده . ونقول مادام تكور دوسوسور وهي آنسة اشتهرت بهذا الفن : « تربية الطفل ، هو ايصاله لحالة يقدر بها ان يفي بوظائفه الحيوية بأحسن صورة : » و يرى هربرت سبنسر ان التربية هي احضار الطفل للحياة الكاملة ؛ وعرفها جيمس ميل الفيلسوف الاميركاني هكذا . « المقصد من التربية جعل الطفل آلة سعادة لنفسه ولغيره »

و بعد فان جميع ماذكرناه من التعاريف في التربية يتعلق بغايتها لا بذاتها ولا يخلو احدها من الابهام . لانه اذا سُئلنا ماهي الحياة الكاملة وما هي السعادة يصعب علينا ان نجاوب جواباً شافياً لأن هذه الكلمات تدل على اشياء نسبية لايمكن حصرها ثم فهمها . عرف جان جاك روسو التربية بذاتها فقال « التربية هي صنعة تنمية الاطفال واعداد الرجال » نحسن هذا التعريف هو انه قصير ومختصر غير ان قصره المفرط ولد فيه نوعاً من الابهام .

ولذا ارجح التعريف الاتي وان كان مطولاً غير انه يدل على المقصود و يؤلف بين التعاريف التي ذكرناها « التربية هي مجموع الاعمال المفكرة لمعاونة طبيعة الانسان في ترقية خصائصه الجسمية والعقلية والاخلاقية ، بقصد تكامله واسعاده وايفاء وظيفته الاجتماعية فهذا التعريف يجلو للانظار بان التربية ينبغي لها ان تنطبق على الصفات الثلاث المتمم بعضها بعضاً في الانسان وهي الصفة الجسمية والفكرية والأخلاقية .

استأذنكم ان اتبع كلمتي في التربية الديموقراطية بما يتعلق بالمعلومات الاساسية والصفات الفكرية والارادية التي يجب ان تؤسس في عقل الطفل من حيث انه عضو فعال وان يكون بحثي بصورة خاصة في الولد الذي دخل مدرسة لتكميل ما نعمله لاجل ذلك خصصت بحثي بالتربية وتركت تربية الاسرة والتربية اللامدرسية (اذا صح التعبير) اي التربية الذاتية بعد الخروج من المدرسة · ولي بذلك مأرب يهم حياتنا العربية ·

لا بد انكم اطلعتم عَلَى بعض المقالات التي نشرت في المدة الاخيرة عَلَى صفحات الجرائد في دمشق تحت هذا العنوان المبادىء العالية فتوالت المقالات عَلَى اثر انتشار المقالة الاولى حتى ظن انه يوجد اختلاف بين آراء الكتاب في هذا الشأن ولكن الخلاف لم يكن الا اختلافاً وهمياً لمن ادعى انه لا اصلاح الا باصلاح الاسرة فقد نطق بالصواب لان العائلة عَلَى التحقيق هي اساس كل جمعية وقوامها · غير انه اذا سئل كيف تصلح الاسرة ، فماذا يكون اذاً الجواب ؟

ايتمكن الابوان ان يتوفرا عَلَى تربية ابنهما او بنتهما مع انهما لا يفقهان ما هي التربية وما معناها ؟ وهل يكفي ان يلقن الآباء والامهات معنى التربية بواسطة المحاضرات والمؤلفات والجرائد وهل هم يحسنون القراءة واذا قرؤا وتوصلوا لفهم معنى التربية هل يتمكنون من تطبيقها وهل يمكننا ان نغير طبائعهم وعاداتهم بعد ان وصلوا الى تلك السن ونعلمهم الثبات والدوام في العمل لاجل ان يتيسر لهم اقتطاف الثمرات ام يمكننا ان ندخل البيوت ونأخذ النفس بتربية الاطفال · كل هذا وهم باطل اذا فلنوجه انظارنا الى المدارس لان هناك آمالنا وهناك مستقبلنا هناك يمكننا ان نؤثر في الطفل ونغرس فيه بقدر الامكان بعض الطبائع الحسنة ونعلمه الثبات والمضاء انني لا انكر ما للمؤلفات والمحاضرات من الخدم العظيمة بهذا الشأن كما انني اعتقد ان تلك الخدم بالرغم من مكانتها ثانوية بالنسبة لتربية امة كأمتنا ·

قلت ان المكتب هو الذي يجب ان يكون المبدأ لتربيتنا : لان الولد الذي يتيسر له نيل تربية حقيقية في المدرسة يمكنه ان يؤثر في اصلاح أسره وان يكون سبباً لاسعاد اولاده وترقية امته في المستقبل · ولكن من لنا بأن يربي تلك التربية التي اشرنا اليها في مدارسنا · أولئك الرجال الذين يعلمون فيها الآن ؟ فكفى بنا ذهولاً واسمحوا لي بأن اهتف الى الغرب الغرب ·

لنرجع الى موضوعنا اي الى كيفية المعلومات الاساسية والصفات التي تتعلق بالفكر والارادة والتي يجب عَلَى المعلم ان يلقنها تلميذه بصفة عضو من اعضاء هيئة اجتماعية ديموقراطية ولذا فلنبدأ بالتربية العقيلة لان التربية الجسمية المدرسية وضررها معلوم عند الجميع ·

قلت فلنبدأ بالتربية الفكرية لان الطبيعة الاخلاقية في الرجل وان كانت هي التي تعطيه القوة اللازمة لاقتحام المصاعب غير ان الذكاء هو الذي ينير طريقها ويعين لها وظيفتها

وعليه فالتربية يجب ان يكون اساسها العلم وان تستند في جميع اوقاتها عَلَى مكتشفاته واصوله الثابتة · لاننا في قرن الحقائق العلمية ، والخرافات الناشئة عن الجهل ، التي تدرس في مدارسنا بدون ان يشعر بها المعلم هي لائقة بعصر كان للخرافات والتخريفات فيه حظ ومجال · فالعقل البشري في عصرنا هذا خاصة لا يطأطئ بسهولة امام البداهة العلمية

ولكن ماذا يفهم من قولنا بأن العلم يجب ان يكون روح التربية الفكرية في مجمع ديمقراطي ؟

هل يمكننا ان نطلب من الخلق بان يملكوا كلهم فنون العلم بحذافيرها ويشملوا بها · كلا ! فان ذلك لا يدخل تحت دائرة الامكان · وحيث ان الجمعية مرتبة من اعضاء مختلفين في استعداداتهم وطبائعهم فقسم منهم بطبيعة الحال يبرع مثلاً بالعلوم الاجتماعية وآخر بالعلوم الرياضية وآخر بالتجارة والصنائع والزراعة ··· الخ · · وعَلَى كل منهم ان يكون عالماً في صنعة آمراً كان او مأموراً وما العالم الا من اخصى في شعبة من شعب الفنون الحاضرة فعليه ليس المقصد ، كما قال رنان ، ان يكون كل الافراد علماء بل المقصد ان يشترك الكل بثمرات العلم او بعبارة اجمل كما قال توسيديد ليس المقصد ان يكون فرد قادراً عَلَى حل كل المعادلة بل يكفي ان يقتدر عَلَى ادراك النتيجة من حلها

فعليه ماذا يترتب لاستحصال هذه النتيجة العامة التي يجب ان تشمل الجميع بدون استثناء ؟ او بعبارة اخص واوضح ماهي الامور الضرورية التي يلزم نشرها بين جميع ابناء العرب تلك الامور ثلاثة · اولاً نشر الحد الاصغر من المعارف الاساسية بين جميع ابناء الناطقين بالضاد ثانياً تأسيس عادات فكرية حسنة

ثالثاً نشر بعض المعلومات العامة التي تتعلق بالمكتشفات الفنية

الحد الاصغر الذي يجب نشره من المعارف لايمكن تحديده بصورة قطعيـة ، لانه يتغير بتغير الاحوال والاستعدادات فمنهم من يبرعون ومنهم من يتأخرون غير ان القاعدة العامة هو ان يبتدأ بنشر المعلومات الابتدائية التي هي بمثابة الا ّلات الضرورية لترقية الفكر في المستقبل كالقراءة والكتابة و بعض قواعد اللسان العربي والحساب باضافة بعض المعلومات التي تتعلق بالتاريخ و بما يحيط بالانسان اذ لابد منها لمعرفة الماضي والحال وانارة طرق المستقبل فاذا تمت هذه المعلومات الابتدائية بصورة مختصرة معقولة و بواسطة المدارس عَلَى الاخص تمكن الرجل من ان يوسع معارفه فيما بعد بدرس المؤلفات وسماع المحاضرات هذا اذا لم يدخل في احدى المدارس العليا ولم يساعده الحظ عَلَى اتمام عقبات التعليم ·

غير ان المقصد الاساسي من تلقين هذه المعلومات الابتدائية يلزم ان ينصرف لتأسيس عادات وطبائع فكرية حسنة بحيث يكون الرجل صاحب فكر سليم في جميع افعاله ومحاكاته وان يتعود فهم الحقائق بدون ان ينخدع بالظواهر وان يرى ، كما قـال المسيو الفرد كروازى ، مدير كلية العلوم الادبية بباريس ، من وراء الـكلمات المعاني ، ومن وراء المعاني ، الاشياء بذاتها · المقصد من المعرفة ان يستطيع الانسان فهم الحقائق والحكم عَلَى الاشياء لايتيسر الا بالاطلاع عَلَى كنهها ومعرفة النواميس التي تدار بها ·

سلامة الفكر تقتضي نفوذ النظر وشدة الثبات لنيل المقصد والذي يجب ان يولد عند الطفل الميل لمعرفة الحقائق لاجل ان يستخدمها ، يجب كما يقول ديكارت الفيلسوف ، ان نمتثل بالاشياء بدلا من ان نقودها بيوتنا الهوائية · الطبيعة لاتنقاد لمن يغضب عليها بحمق وجهالة ، لان الغضب وسواه عندها سواء · ومـا ذا يأترى ، نفع كيكاوس عند ما اخذ السوط بيده وجلد به البحر ليؤدبه عَلَى هيجانه امامه ·

فعليه يجب علينا ان نعود الطفل النظر في الاشياء بعين البصيرة والتروي وان نولد عنده طبيعة البحث عن حقائق الامور والمثابرة عَلَى العمل ليتلذذ بثمراته ·

قلت ان المثابرة عَلَى العمل والبحث ضرورريان لكل شخص اذا اراد ان يتمتع بثمرات حياته وانا و باللاسف معاشر ابناء الشرق واخص ابناء العرب تنقصنا هذه الفضيلة الاجتماعية ؟ لان لذة التحصيل ومعنى الحياة لم تمـازج ارواحنا · فالذي يخرج منا

من احدى المدارس العالية يعد نفسه انه وصل الى منتهى الكمال في العلم ؟ فيعقد يديه و يتمدد عَلَى سريره كأنه بلغ الغاية القصوى · هذه حالتنا الآن وهذه حالتنا من زمن ليس بقريب · درس كلوت بك احد المستشرقين اخلاق العرب عَلَى عهد محمد علي باشا الكبير بمصر وسورية فامتدح منهم واعجب بذكائهم وسرعة انتقالهم وقال انهم لايقصرون عن ابناء الغرب شيئاً غير انهم يملون بسرعة ولا يداومون العمل بصورة جدية

فهذه الخصلة ، ايها الاخوان ، من اتعس النقائص الاجتماعية في زمننا هذا ولقد ثبت ان الالمان لم ينجحوا و يبرزوا اكثر الامم الا لأن هذه الصفة قد امتزجت بطباعهم وقبضوا عليها اكثر من غيرهم · فيمكننا نحن العرب ، والامثال عديدة احتذاء مثال الناهضين بان نعطي للحياة حقها ونتخلق بهذه الصفة الضرورية لنا اذا اردنا ان نخدم انفسنا ونقوم بامتنا

بقي عليَّ ان اقول كلمةً في القسم الثالث الا وهي الافكار العامة التي يجب ان تلقن للطفل في صغره · اول شيء يمكننا ان نعلمه للطفل ان يعرف شخصه ومن هو والى اي أسرة ينتمي ، و باي لسان امة ينطق ومن هي تلك الامة التي يرتبط بها بعاداته وطباعه ثم ننتقل به الى الامم الاخرى بحيث تدخل في ذهنه النقطة الاساسية وهي الفرق بين الماضي والحاضر فنشأ له بذلك فكرة عامة وهي فكرة الرقي الدائم في العالم · يلزم ان يعرف ان العالم لايتبع الاهواء والاهوية في تقلباته ودورانه بل هناك نظام وقوانين يدار بها و يخضع لها لابد انكم توهمتم بعظم هذه التعابير التي ذكرتها كالرقي الدائم والنظام في العالم ، وسألتم انفسكم كيف يمكن تلقين ولد حديث السن فهم هذه الحقائق العالية ولربما ضحك بعضكم في سره من هذا الفكر

نعم ليس المقصد ان يدخل المعلم في تفاصيل هذه المسائل لانه يستحيل عليه افهامها كلها للطفل ولكن يمكنه ابداً ان يوضح مااشرنا اليه بيان الخطوط الاولى فقط المدونة في التواريخ والكتب الاجتماعية · وعَلَى وجه الاستدلال اريدان انقل لكم عبارة للمؤرخ العالم الكبير المسيو لافيس احد اعضاء المجمع العلمي بباريز قال : « ان التقلبات التي اتت عَلَى الانسانية مرئية محسوسة ولا حاجة للانسان ان يكون عالماً نحريراً اوفيلسوفاً كبيراً ليتمكن من الوقوف عَلَى سرير الروح البشرية التي تقلبت بين الاعصر الغابرة ليكتشف المعلم بتفهيم شروط الحياة بين الادوار المهمة فقط وليقل

مثلاً ان الانجيل يفرق مابين كليشمنستر لاشيل واتاليارسين والحروب الصليبية و بين اشيل والسيد والصليب بين افلاطون و باسكال و بين الفروق الاساسية بين القسمين فعندها يحس الولد من نفسه بانه منقاد بتاريخ الانسانية على الدوام . وفي الوقت نفسه يقوده معلم التاريخ من الجمعيات الابتدائية الى ان يوصله الى الجمعيات الحاضرة بشرط ان يوقفه عَلَى الاصول و يهمل مادون ذلك من الفروع .

و بديهي انه لايمكن استحصال هذه الشروط ولا يتيسر توسيع الفكرة واثارة الذهن اذا لم يكن هناك حرية فكرية مطلقة . فالحرية هي غذاء الفكر وقوامه و بدونها يصبح الفكر كالعضو المعطل عن الحركة فبعد ان يمضي عليه مدة من الزمن يتحضر ثم يعجز عن الاتيان بعمل واحد احب ان اذكر لكم هذه الامثولة التاريخية بهذا الشأن .

دخلت الدوجة دورليان ذات يوم سنة ١٨٤٢ ومعها ولدها على فيكتور هوجو وسألته ماذا يجب ان تعلم ولدها فقال لها : يجب ان تعلميه ان فرنسا تقيد العالم باسره وان الذكاء يقيدها . ما ذا كان القصد من هذا الجواب ياترى ؟ القصد ، هو انه اذا ساعد الحظ ابنها الدوج دي باري وجلس عَلَى سرير السلطنة بعد والده لوي فيليب ، يعرف ان الفكر حاكم عَلَى كل شيء وان مراعاته واجبة حتى عَلَى الملوك فبالحقيقة لايقف شيء امام الانسان اذا كان متبصراً مستنداً عَلَى حرية الفكر وقوة الارادة .

وها انذا اختم حديثي بكلمات عن التربية الاخلاقية الاجتماعية فاقول :

تعرفون ولا بد ان قسماً من الاخلاق قد تكون عَلَى مدى الازمان وسير الايام بصورة قطعية فالمذاهب والاديان العالية كلها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل : يلزم عليك ان تطيع والديك وتعين جارك وتحافظ عَلَى حرمتك وتصبر عَلَى الاحن والآلام وتفتش عَلَى السعادة باكتساب الفضائل فهذه الاحكام هي احكام ثابتة ، تتعلق بغايات عالية و بمقاصد شريفة . غير ان هناك صفات أخرى من الاخلاق بالنسبة الى التشكلات الاجتماعية الحاضرة يجب ان تضاف الى القسم الاول وان ترسخ في عقول الاطفال وهذه الصفات تدعى بالاخلاق المدنية فاريد ان اجعلها كلمتي الاخيرة .

المقصد من الاخلاق المدنية مزدوج فمن جهة ، هو توليد فكر الاستقلال

الشخصي في الطفل وجعله قادراً على ان يأتي باعمال شخصية مثمرة ؛ ومن الجهة الاخرى الـقاء حسن التأليف بين الاعمال واستقلال الارادة وسوقها الى هدف معين . فالمراد من الاول هو الشخص ومن الثاني الجمعية . فالاول يقوي الفرد على السعي والعمل والثاني يحمله على اشراك مساعيه مع غيره فنقول بذلك لتأمين منفعة الشخص ومنفعة الهيئة الاجتماعية معاً . ولا شك بانه يتيسر للامة رقيها ونجاحها اذا كان الافراد اقوياء متقدمين على فكر التعاون والتضامن .

الرجل القوي صاحب الاستقلال الشخصي والجرأة المدنية هو ، على مذهب سقراط ، من تغلب العقل فيه على الاميال والذي اذا تحقق لديه عمل نافع وغاية شريفة مشى نحوها بقدم ثابتة دون ان يبالي بكثرة الموانع وازدحام المهالك .

المستر روزفلت ، رئيس جمهورية اميركا الشمالية سابقاً ، هو مثال مجسم في هذا الشأن ومن درس حياته ومناقشاته الاجتماعية الى الآن يدرك انه هو ذاك الرجل الذي يقول في كتابه (الحياة المتينة) : الامة لا يمكنها النجاح اذا لم تعود اولادها بذل الجهد . لا لاجتناب المصاعب ، بل لقمعها ، ولا للبحث عن الراحة فقط ، بل عن معرفة احراز الظفر من ايدي المشاكل والمخاطر . يجب على الرجل ان يفرح اذا اتى بعمل الرجال و يسر اذا جرأ على تحمل الصعوبات وكد وجد وحافظ على نفسه وعلى من يلوذ به ، يجب على المرأة ان تكون مـدبرة لبيتها ، رفيقة لزوجها ، عاقلة لا تجزع من كثرة الاولاد الاقوياء الاشداء حولها . فرجاؤنا الى ابناء العلم والتعليم على الاقل ان يبذلوا الجهد في سبيل انشاء هذه الصفات العالية بين الناشئة الجديدة ومن يليهـا

و يكـفي ان يكون الافراد اقوياء اذا لم تنور افئدتهم بحب المنفعة العامة وتعلق آمالهم وغاياتهم برقي الشعب الذي يرجعون اليه ؟ الرجل المتفرد لا قيمة له وما قيمة المرء الا بقيمة الهيئة الاجتماعية التي ينتسب اليها . وهل ينكر احد ان مبدأ الترقي والمدنية هو التعاون والاخلاص المتقابل بين الافراد ! ليست هي الجمعية التي تحمل الفرد ان يتجول بكل حرية و يظهر استعداده ولياقته اينما كان . اذاً يجب على كل فرد ان يحب امته و يسعى لارضائها واسعادها ، تلك الامة التي ضمته الى حجرها وضمنت له الحياة ثم دربته الى ان تيسر له استنارة مداركه واعماله . الرجل الذي يتبرأ من امته و يهمل امرها بعد ان اخذ غذاءه منها هي ولا شك ، غنية عنه وعن

امثاله ومن يقدر المنفعة العامة ويخدمها ولو كان ذلك يؤدي في بعض الاحيان الى ضرره الذاتي ، فهو مبجل في جميع الازمنة في نظر امته ونظر الانسانية ·

حكمت اثينة ظلماً عَلَى سقراط بشرب السم · فبدلاً من ان يركب العار ويفر من قانون امته رضي بحكم الجمهور وتجرع كأس المنون صابراً غير جازع فحب الامة وحسن المفاداة بمنافعنا الخسيسة يجبها يجب ان ينير افئدتنا! ويعلي مقاصدنا وما احسن ما كتب عَلَى نصب قبر احد اولئك الابطال الذين فادوا بارواحهم في حرب ترموبيل حباً بامتهم: ايها العابر اذهب وخبر اسبارطة اننا لم نمت في هذا المكان الا حباً باعلاء شرفها وتأييد حريتها ! وهل فعلت الاعراب اقل من ذلك وما السائق الذي دفع طارق بن زياد ان يحرق المراكب وينادي بعسكره : الموت او الظفر ؟ وما الذي ساق محمداً المنصور الوزير الاندلسي الشهير ان يتمدد عَلَى الطريق ويصد الفارين بنفسه اذا لم يكن حب الوظيفة وحب الامة والوطن ·

الفضيلة التي تأمر الانسان ان يضع نفسه دون مبادئه العالية هي من اول الفضائل التي سطرها التاريخ عَلَى صفحاته · فلنجد ايها الاخوان ؛ لاكتسابها فان لنا باكتسابها الفوز العظيم

ترعة السويس وتجارة الشرق

عرف أن التجارة اول نشأتها لم تتجاوز البحر المتوسط بل حصرت في سواحل فينيقية وبلاد الكلدان والعربية وغيرها من بلاد المشرق ايام توفرت لديها المعارف والعلوم واينعت فيها ثمار الصنائع والفنون حتى صارت محط رحال التجارة بين المشارق والمغارب وخزينة الاموال ومورد الخيرات والمكاسب يهرع اليها الفاتحون من كل فج وصوب ليشاطروها الارباح العظيمة ويسلبوها الصنائع العجيبة ويتهافت عليها الغزاة تهافت الفراش عَلَى السراج ولكنهم ما كانوا ينتفعون بذلك بل كان تهافتهم وبالاً عليهم في كل آن ·

وبقيت شآبيب المرابح والخيرات تنهل عَلَى الشرقيين فتتدفق عليهم سيول الثراء من سحاب الكد والجد الى ان نظر اليهم الزمان بعين ملؤها الحسد فالهم الافرنج ان يكتشفوا طريقاً جديداً الى الهند فآل الامر الى فاسكودي غاما ذلك الرجل العظيم الذي وجد طريقاً حول رأس الرجاء الصالح وحول بذلك المشروع

جانباً كبيراً من تجارة الهند والصين ليستقي به ربوع الغرب فارتشفت من معينه انكلترا واسبانيا والبرتقال وهولاندة حتى عمت الفائدة اغلب اقسام اوربا وبقي للشرقيين مذ ذاك الوقت جزء يسير من التجارة يرد بطريق حلب ودمشق ومصر نظراً لما كانوا يحملون انفسهم على المخاوف والاخطار ويركبون الغرر والاهوال في طريقهم حول رأس الرجاء الصالح او افريقية واخذ يتزايد يوماً فيوماً الى ان فتحت ترعة السويس سنة ١٨٦٩ على يد دي لسبس المهندس الفرنسوي الشهير فدار بذلك دولاب التجارة وعم نفعها العالم غير انها مع كثرة منافعها اليه ما كانت لتخلو من مضار للسلطنة التي فتحت فيها وذابت مهج رجالها في حفر رمالها وعطلت من اجلها تجارتها بل كانت منفعتها لمن قاوم في انشائها اشد المقاومة الا وهي السلطنة الانكليزية التي استأثرت باكثر فوائدها ٠

اجل ان فتح تلك الترعة كان سبباً من اهم الاسباب لتوسيع تجارة العالم وامتدادها لكن الذين باشروا ذلك المشروع وكابدوا فيه عرق القربة قد قلب لهم الدهر ظهر المجن وتبدل نعيمهم بالبؤس كما يشهد بذلك شرقي سورية واسفل العراق ومدينة حلب التي كانت مركز المواصلات التجارية بين اوربا والهند قد فقدت واردات تجارتها وعكس ذلك البصرة اذ صار لها بطريق السويس اوسع الابواب لتصدير حاصلاتها كما تدلنا الآثار على ذلك ٠

كان طريق فاسكودي غاما الى الهند حول رأس الرجاء الصالح طريقاً خطراً يتجرع فيه المسافرون كأس الضيم وتقتحم السفن قحم المهلكات حتى كانت تتراخى مدة السفن الذاهبة الى الهند فكانت تقضي في سفرها اكثر السنة ولم يكن وصولها معروفاً حق المعرفة ولذلك أجبرت التجار ان تخزن جانباً كبيراً من البضائع في مخازنها حذراً من ان لا يكون في مخازنها ما يفي بالمطلوب اذا ما أعيقت السفن عن الوصول اليهم في الوقت المعين ٠ اما الآن وقد صارت مدة السفر ثلاثين يوماً لا غير فاستغنى التجار عن المخازن الكبيرة وابتدأت تطلب بضائعها من الشرق وهي على يقين من وصولها في الوقت المعين وزد على ذلك فأن نقل الحنطة من الهند واللحم من اوستراليا وزيلندا الجديدة لم يكن ممكناً قبل فتح الترعة اما الآن فقد صار من اوسع ابواب التجارة ٠

وقد ادرك كثيرون من عظماء رجال العالم كرعمسيس ونخو ودارا هشتاسب وبطليموس ونابليون وغيرهم مكانة تلك الترعة التجارية فحفر رعمسيس الثاني سنة

١٣٠٠ ق · م ترعة وصل بها فرع النيل البلوسي بالبحر الاحمر وما كانت تصلح الا لتسرب المياه وربما كان ذلك مقصده الاكبر · وعزم نحو سنة ٦٠٠ ق · م على تتميمها لولا ما انبأه العرافون ان بحفرها ينتفع بها اعداء بلاده وما قرره ايضاً مهندسوه من ان مياه البحر الاحمر اعلى من سطح مصر فخاف عندئذ على بلاده وتوقف عن حفرها بعد ما اهلك فيها نحواً من ٢٠٠٠٠ نفس من المصريين · ثم اشتغل بها دارا هشتاسب وبطليموس الثاني كما انبأنا التاريخ فحفرا تلك الترعة وبقيت الى ان ردمتها الرمال قبل ايام طرباروس فاصلحها في القرن الثاني وعادت الرمال فردمتها مرة اخرى الى فتوح العرب من سنة ٦٣٨ الى ٦٤٠ فاصلحها عندئذ عمرو بن العاص قائد جيوش عمر بن الخطاب وسماها ترعة امير المؤمنين · ثم طمها بعده الخليفة المنصور ابو جعفر ثاني الخلفاء العباسيين ليقطع الطعام عن محمد بن عبد الله حينما خرج عليه في المدينة فبقيت مطمورة من ذلك الحين الى ان احتفرها الحاكم بامر الله من الخلفاء الفاطميين في مصر وجعلها صالحة للملاحة حتى ردمتها الرمال مرة اخرى وبقيت الآثار تدلنا على ذلك ·

ثم جاء نابوليون الى مصر ورأى آثار تلك الترعة فجال في خاطره ان يحتفرها فيقدر عندئذ ان ينقل جنوده الى الهند فيجبر الانكليز على الخروج من تلك الديار وهكذا عرض مشروعه هذا على مهندسه الموسيو لو پير ووقع فيما وقعت به المصريون من قبل وقال ان سطح البحر الاحمر اعلى من سطح البحر المتوسط بعشرة امتار فاذا فتحت الترعة خشي من طغيان الماء · فبقيت المسألة على بساط البحث الى ان قضت الاحوال بخروج نابوليون من مصر فسقط طبعاً مشروعه وخرج وهو يردد هذه الكلمات :

« ان هذا العمل العظيم لم يقدر لي عمله ولعل الدولة العثمانية تسترجع عظمتها يوماً ما باتمامه » ·

وظلَّ مهندسو ذلك العصر يعتقدون بارتفاع سطح البحر الاحمر عن البحر المتوسط الى ان قام المهندس الفرنساوي الشهير بوردالو سنة ١٨٦٤ وقرر ان لافرق بين ارتفاع البحرين فانفذت عندئذ فرنسا وانكلترا والنمسا لجنة مؤلفة من الموسيو تلابوت والمستر ستيفنس والسينيور نجرلي فتحقق الامر عندئذ غير ان المهندس الانكليزي لم يتصوب لسياسة فتح تلك الترعة ولخوفه انهيال الرمال عليها وخسارة الهند بذلك المشروع فعاد الى وطنه واضعف عزيمة مواطنيه فأثر فيهم كلامه

وعدلوا عن انشائها ٠

و بقيت تلك المسألة موضوع البحث الى ان قضت الامور بان يتم هذا المشروع الخطير عَلَى يد دي لسبس المهندس الفرنساوي بعد ما استقرى طويلاً ووقف على فحوى ما ارتآه المهندسون في ذلك المشروع وعرف ان تجارة البلاد تتضاعف بها كل عشر سنوات ٠ وهكذا آلى عَلَى نفسه بان يفتح تلك الترعة فألف شركة غنية تحت عنوان (شركة ترعة السويس العامة) لتقوم بهذا العمل فذهب الى الاستانة للسعي في هذا المشروع فلم يلقَ هناك الا ما يميت الآمال و يثبط العزائم وهكذا آب الى بلاده خجلاً و بقي مدة في وطنه الى ان بلغه تولية سعيد باشا عَلَى مصر سنة ١٨٥٤ فاسرع اليه اذ كانت بينهما صداقة متينة العرى واقنعه بوجوب فتح تلك الترعة التي بها يتوسع نطاق التجارة وتجر مصر ذيول الثراء فاثر فيه كلامه واقتنع بما قاله دي لسبس وعقد امتيازاً مع تلك الشركة يليه اثنا عشر بنداً اهمها ان مدة الامتياز ٩٩ سنة تبتدئ من يوم فتح الترعة وعند انقضاء المدة تستلم الحكومة جميع اعمال الشركة فتقوم مقامها في كل عمل واضيف لهذا البند بانه يجوز للشركة اطالة المدة او تجديد الامتياز بشرط ان تزيد ماتدفعه للحكومة من صافي الارباح وانها (اي الحكومة) تأخذ ١٥ في المئة من صافي الارباح عدا ربحها من الاسهم التي تكون لها والخمسة والثمانين الباقية من المائة يعطى منها ٧٥ للمساهمين و ١٠ في المئة للمؤسسين ثم ان الشركة تعين بالاتفاق مع الحكومة المصرية مايؤخذ عَلَى السفن من رسم المرور من الترعة ويجري هذا الرسم عَلَى سفن جميع الدول بلا تمييز

وفي ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ فتحت الترعة لمرور المراكب فاجتازها خمسون سفينة باحتفال عظيم اعد فيه اسماعيل باشا معدات عظيمة ودعا اليه ملوك اوربا وامراءها فصرف لذلك الاحتفال اموالاً طائلة كانت سبباً من اهم الاسباب لتأخر صندوق الحكومة المصرية في ذلك الحين٠ وهكذا ابتدأت الشركة ورأس مالها ٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك مؤلف من ٤٠٠،٠٠٠ سهم سعر السهم ٥٠٠ فرنك بعد ما تعددت عليها المحاكمات وتوقفت عن العمل مدة سنتين وحكموا بتلك المسألة امبراطور فرنسا في ذلك العهد فرجع الامر الى من يقوم به وعادت الشركة للعمل بهمة ونشاط ونجحت نجاحاً عظيماً لم تنجحه قط شركة مساهمة مثلها

و بعد فان ماانفقه اسماعيل باشا على الاحتفال عند فتح الترعة ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك وهو السبب الاكبر الذي بعثه على بيع حصة مصر من اسهم السويس وهكذا سنة ١٨٧٥ قد باع اسماعيل باشا تلك الاسهم وعددها ١٧٦٦٠٢ من الاسهم ثمن السهم ٥٠٠ فرنك فاسرع الكلونل ستانتن قنصل انكلترا في مصر واشتراها باسم الحكومة الانكليزية بقيمة اربعة ملايين جنيه التي قد قدر ثمنها سنة ١٩٠٦ باحد وثلاثين مليونًا من الجنيهات .

وهنا يجب ان يضاف اقتراح الشركة للحكومة المصرية الا وهو ان تعطي الشركة للحكومة المصرية اربعة ملايين من الجنيهات مقابلة اطالة امتيازها وان تقسطه اقساطاً يكون آخرها سنة ١٩١٢ وان تعطيها ايضاً اربعة في المئة من صافي ربحها السنوي في العشر سنوات الاولى من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٠ وستة في المئة في العشر سنوات الثانية وثمانية في المئة في العشر السنوات الثالثة وعشرة في المئة في العشر السنوات الرابعة و١٢ في المئة في المدة الباقية للامتياز اي من سنة ١٩٦١ الى سنة ١٩٦٨ ثم تعطيها نصف صافي ربحها السنوي مدة الاربعين سنة التي يطال فيها الامتياز ولكن اذا قلّ الربح في سنة من السنين عن مئة مليون فرنك فالشركة تأخذ ٥٠ مليونًا والباقي للحكومة او اذا صادف في سنة من السنين ايضاً ان ربحها ٥٠ مليونًا فالشركة تأخذ الربح كله ولا تتداخل الحكومة فيه . ونظراً لما صار للحكومة من قسم الارباح قد سمح لها ان يكون في الشركة عضوان نائبان عن الحكومة فيها وهكذا انتخبت الحكومة نائبين عنها يمثلانها في الشركة .

وهذا بيان عدد البواخر التي مخرت الترعة في كل سنة منذ فتحها الى سنة ١٩٠٨ وبيان الرسوم التي حصلتها الشركة في كل سنة

سنة	عدد البواخر	الرسوم المحصلة بالفرنكات
١٨٦٩	١٠	٥٤٤٦٠
١٨٧٠	٤٨٦	٥١٥٩٣٢٧
١٨٧١	٧٦٢	٨٦٩٩٣٦٧٣٢
١٨٧٢	١٠٧٥	١٦٦٤٠٧٦٥٩١

سنة	عدد البواخر	الرسوم المحصلة بالفرنكات
١٨٧٣	١١٧٣	٢٢،٨٩٧،٣١٩
١٨٧٤	١٢٦٤	٢٤،٨٥٩،٣٨٣
١٨٧٥	١٤٩٤	٢٨،٨٨٦،٣٠٢
١٨٧٦	١٤٥٧	٢٩،٩٧٤،٩٩٨
١٨٧٧	١٦٦٣	٣٢،٧٧٤،٣٤٤
١٨٧٨	١٥٩٣	٣١،٠٩٨،٢٢٩
١٨٧٩	١٤٧٧	٢٩،٦٨٦،٠٦٠
١٨٨٠	٢٠٢٦	٣٩،٨٤٠،٤٨٧
١٨٨١	٢٧٢٧	٥١،٢٧٤،٣٥٢
١٨٨٢	٣١٩٨	٦٠،٥٤٥،٨٨٢
١٨٨٣	٣٣٠٧	٦٥،٨٤٧،٨١٢
١٨٨٤	٣٢٨٤	٦٢،٣٧٨،١١٥
١٨٨٥	٣٦٢٤	٦٢،٢٠٧،٤٣٩
١٨٨٦	٣١٠٠	٥٦،٥٢٧،٣٩٠
١٨٨٧	٣١٣٧	٥٧،٨٦٢،٣٧٠
١٨٨٨	٣٤٤٠	٦٤،٨٣٢،٢٧٣
١٨٨٩	٣٤٢٥	٦٦،١٦٧،٥٧٩
١٨٩٠	٣٣٨٩	٦٦،٩٨٤،٠٠٠
١٨٩١	٤٢٠٧	٨٣،٤٢٢،١٠١
١٨٩٢	٣٥٥٩	٧٤،٤٥٢،٤٣٦
١٨٩٣	٣٣٤١	٧٠،٦٦٧،٣٦١
١٨٩٤	٣٣٥٢	٧٣،٧٧٦،٨٢٧
١٨٩٥	٣٤٣٤	٧٨،١٠٣،٧١٧
١٨٩٦	٣٤٠٩	٧٩،٥٦٩،٩٩٤
١٨٩٧	٢٩٨٦	٧٢،٨٣٠،٥٤٥

سنة	عدد البواخر	الرسوم المحصلة بالفرنكات
١٨٩٨	٣٥٠٣	٨٥،٢٩٤،٧٦٩
١٨٩٩	٣٦٠٧	٩١،٣١٨،٧٧٢
١٩٠٠	٣٤٤١	٩٠،٦٢٣،٦٠٨
١٩٠١	٣٦٩٩	١٠٠،٣٨٦،٣٩٧
١٩٠٢	٣٧٠٨	١٠٣،٧٢٠،٠٢٠
١٩٠٣	٣٧٦١	١٠٣،٦٢٠،٢٦٨
١٩٠٤	٤٢٣٧	١١٥،٨١٨،٤٧٩
١٩٠٥	٤١١٦	١١٣،٨٦٦،٧٩٦
١٩٠٦	٣٩٧٥	١٠٨،١٦١،٨٩٦
١٩٠٧	٤٢٦٧	١١٦،٠٠٠،٠٩٦
١٩٠٨	٣٧٩٥	١٠٨،٤١٣،٤١٠

بيروت — حبيب جرجي كحالة

اوضاع الدولة الفاطمية

مقتبسه من الدروس التي يلقيها الشيخ محمد الخضري مدرس
تاريخ الامم الاسلامية في الجامعة المصرية

الصناعة والاسطول

الصناعة هي المكان الذي أعد لانشاء المراكب البحرية وهي بمصر على قسمين نيلية وحربية فالحربية هي التي تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتسير من ثغر الاسكندرية وثغر دمياط وتنيس والفرما الى جهاد الروم والفرنج وهي التي كان يقال لها الاسطول واما النيلية فانها تنشأ لتمر في النيل صاعدة الى أعلى الصعيد ومنحدرة الى اسفل الارض لحمل الغلال وغيرها

ولم يكن غزو البحر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الشيخين ابي بكر وعمر وكان عمر يكره الغزو فيه ويراه مخاطرة وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر ان صف لي البحر وراكبه فان نفسي تنازعني اليه وانا أشتهي خلافها

فكتب اليه يا امير المؤمنين اني رأيت البحر خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد حزن القلوب وان زل ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق . فقال عمر : لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً ابداً

وأول غزو فيه كان في عهد عثمان واول غاز معاوية بن ابي سفيان اذن له به عثمان على شرط انه ينتخب الناس ولا يقرع بينهم فمن اختار الغزو طائعاً حمله واعانه وغزا عبد الله بن سعد أمير مصر سنة ٣٤ في وقعة ذات الصواري وكانت له . وكان ذلك سبباً لاهتمام المسلمين بانشاء المراكب الحربية فبعث عبد الملك بن مروان لما ولي الخلافة الى عامله على افريقية حسان بن النعمان يأمره باتخاذ صناعته بتونس ومنها كانت غزوة صقلية في ايام زيادة الله الاول بن ابراهيم بن الاغلب على يد شيخ الفتيا اسد بن الفرات .

قال ابن خلدون وذكر تعليل امتناع المسلمين من ركوب البحر للغزو في اول الامر والسبب في ذلك ان العرب لبداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والفرنجة لممارستهم احواله ومرباهم في التقلب على اعواده مرنوا عليه واحكموا الدربة بثقافته

فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت امم العجم خولا لهم وتحت ايديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية امماً وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصراً بها فتاقت انفسهم الى الجهاد فيه وانشأوا السفن والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من امم الكفر واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان اقرب الى هذا البحر وعلى ضفته مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس

واول ما أنشئ الاسطول في مصر في خلافة المتوكل على الله العباسي عندما نزل الروم على دمياط سنة ٢٣٨ فملكوها وقتلوا بها جمعاً كثيراً من المسلمين وسبوا النساء والاطفال ومضوا الى تنيس فأقاموا بأشتومها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الاسطول وصار من أهم مايعمل بمصر وانشئت الشواني برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر وانتدب الامراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم اولادهم الرماية وجميع انواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون

مجاربة العدو وكان لا ينزل في رجال الاسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب هذا وللناس اذ ذاك رغبة في جهاد اعداء الله واقامة دينه . لاجرم ان كان لخدام الاسطول حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في انه يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه

وكانت الغزوات بين المسلمين والروم سجالا ينال المسلمون من العدو و ينال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضاً لكثرة هجوم اساطيل المسلمين على بلاد العدو فانها كانت تسير من مصر ومن الشام ومن افريقية فلذلك احتاج الخلفاء العباسيون الى الفداء ولم يقع فداء في عهد الدولة الاموية وانما كان ينادى بالثغر بعد الثغر في سواحل الشام ومصر والاسكندرية و بلاد ملطية و بقية الثغور الجزرية الى ان كانت خلافة الرشيد . فوجد أول فداء بين المسلمين والروم سنة ١٨٩ وآخر فداء كبير كان سنة ٣٣٥ في خلافة المطيع فهي عهد الدولة الاخشيدية بمصر والذي شرع فيه هو الاخشيد محمد بن طغج

وقويت العناية بأمر الاسطول في مصر منذ قدم المعز لدين الله وانشأ المراكب الحربية واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد واعتناء بالاسطول وواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والشلنديات والمسطحات وتسييرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواد الاسطول في آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مدونة منهم عشرة أعيان يقال لهم القواد وتصل جامكية كل واحد الى ٢٠ ديناراً ثم الى ١٥ ثم الى عشرة ثم الى ثمانية ثم الى دينار بن وهي أقلها

ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيها من النطرون وكان يعين من القواد العشرة واحد فيصير رئيس الاسطول و يكون معه المقدم والقادس فاذا سار الى الغزو كان هو الذي يقلع بهم و به يقتدي الجميع فيرسون بارسائه و يقلعون باقلاعه ولا بد ان يقدم على الاسطول امير كبير من اعيان امراء الدولة واقواهم نفساً و يتولى النفقة في غزاة الاسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا اراد النفقة فيما تعين من المراكب السائرة (كانت في ايام المعز تزيد على ٦٠٠ قطعة وآخر ماصارت اليه في آخر الدولة نحو ٨٠ شونة وعشر مسطحات وعشر حمالة فما تقصر عن مائة قطعة) فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال فيجتمعون وكانت لهم المشاهرة والجرايات في مدة

ايام سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفا يقال لهم النقباء فاذا اجتمعوا اعلم النقباء المقدم فاعلم بذلك الوزير فطالع الخليفة فيقرر يوما للنفقة فيحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الانشاء عَلَى العادة و يجلس الخليفة عَلَى هيئته في مجلسه و يجلس الوزير في مكانه و يحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفي والكاتب فيجلس المستوفي من داخل عتبة المجلس و بجانبه من وراء عتبة الباب كاتب الجيش في قاعة الدار وشرط هذا المستوفي أن يكون عدلا من اعيان الكتاب واما الكاتب فكان في غالب الامر يهوديا

فاذا تهيأ المال ادخل الغزاة مائة مائة فيقفون في أخريات من هو واقف للخدمة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون اسماؤهم قد رتبت في اوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة فيستدعي المستوفي من تلك الاوراق المتفق عليهم واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذي هو فيه الى الجانب الآخر فاذا تكملت عشرة وزن الوزانون لهم النفقة لكل واحد خمسة دنانير فيسلمها له النقيب وتكتب باسمه وبيده وهكذا الى الآخر واذا تم ذلك ركب الوزير بين يدي الخليفة وانفض الجمع

واذا تكاملت النفقة وتجهزت المراكب و تهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل النيل بالمقس عند منظرة المقس فيجلس فيها الخليفة برسم وداع الاسطول ولقائه فاذا جلس للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر للحركات بين يديه وهي مزينة بأسلحتها ولبودها وما فيها من المنجنيقات فيرمي بها وتنحدر المراكب وتقلع وتفعل سائر ماتفعله عند لقاء العدو ثم يحضر المقدم والرئيس بين يدي الخليفة فيودعهما و يدعو للجماعة بالنصر والسلامة و يعطي للمقدم مائة دينار والرئيس عشرين و ينحدر الاسطول الى دمياط ومن هناك يخرج الى البحر فيكون له ببلاد العدو صيت عظيم ومهابة قوية

والعادة انه اذا غنم الاسطول ما عسى ان يغنم لايتعرض السلطان الى شيء منه الا ما كان من الاسرى والسلاح فانه للسلطان وما عداهما من المال والثياب ونحوهما فانه لغزاة الاسطول لايشاركهم فيه احد . واذا قدم الاسطول خرج الخليفة ايضا لمنظرة المقس وجلس فيها للقائه

ولم يزل الاسطول عَلَى ذلك الى ان كانت وزارة شاور ونزل ملك الافرنج عَلَى بركة الحبش فأمر شاور بتحريق مصر وتحريق مراكب الاسطول فحرقت ونهبها العبيد

فيما نهبوا . ولها ذكر يعود في عهد الدولة الايوبية وقد كان بمصر صناعات (ترسانات)

(١) وهي اقدم الصناعات صناعة الجزيرة بنيت سنة ٥٤ هـ ثم اعتنى احمد بن طولون بانشاء المراكب الحربية في هذه الصناعة واطافها بالجزيرة ولم تزل هذه الصناعة الى ايام الاخشيد فحول موضعها الى البستان المختار

(٢) صناعة مصر بناها الاخشيد وكان موضعها يعرف بدار بنت الفتح بن خاقان زوج احمد بن طولون والسبب في نقل الصناعة انه رأى ان صناعة يحول بينها و بين صاحبها الماء ليست بشيء فحول الصناعة الى ساحل مصر سنة ٣٢٥ وكان اذ ذاك عندها سلم ينزل منه الى الماء وكانت مراكب الاسطول مع ذلك تنشأ في الجزيرة وفي صناعتها الى ايام الآمر فلما ولي المأمون بن البطائحي انكر ذلك وامر ان يكون انشاء الشواني والمراكب النيلية الديوانية بصناعة مصر وانشأ بها منظرة لجلوس الخليفة يوم تقدمة الاسطول ورميه فاقر انشاء الحربيات والشلنديات بصناعة الجزيرة وكان بهذه الصناعة دهليزماء بمساطب مفروشة بالحصر العبدانية بسطاً وتأزيراً وفيها محل ديوان الجهاد وكان يعرف في الدولة الفاطمية ان لايدخل من باب هذه الصناعة أحد راكبا الا الخليفة والوزير اذا ركبا في يوم فتح الخليج عند وفاء النيل ولم تزل هذه الصناعة عامرة الى ماقبل سنة ٧٠٠ ثم صارت بستاناً

(٣) صناعة المقس بناها عَلَى قول ابن ابي طي في تاريخه المعز لدين الله وانشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر عَلَى مينا

وقال المسبحي ان العزيز بالله بن المعز هو الذي بنى دار الصناعة التي بالمقس وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبراً وحسناً وفي سنة ٣٨٦ وقعت نار في الاسطول وقت صلاة الجمعة فاحرقت خمس عشاريات واتت عَلَى جميع مافي الاسطول من العدة والسلاح حتى لم يبق منه غير ستة مراكب فارغة لاشيء فيها

وكان العزيز قدامر قبل موته بتجديد عمارة الاسطول فأنشئت مراكب بدل المحترقة بغاية السرعة وقد طرحت في البحر بين يدي الحاكم

وكان في البهنساوية وسفط يشن والاشمونين والاسيوطية والاخميمية والقوصية اشجار لاتحصى من سنط لها حراس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الاسطول فلا يقع منها الا ماتدعو الحاجة اليه وكان فيها ماتبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار

الخراج

لم يكن مقدار مايجبى من الاراضي المصرية لعهد هذه الدولة متساوي المبلغ في جميع ادوارها بل كان يزيد و ينقص حسب الاهتمام بالاصلاح الذي هو اساس كثرة الجباية

فقد كان الخراج في السنة التي دخل فيها جوهر القائد ٣٦٤٠٠٠٠ دينار وفي عهد الوزير الناصر للدين الحسن بن علي اليازوري وزير المستنصر اراد ان يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليقابس بينهما فتقدم الى اصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع مايجري في ديوانه وماعليه من النفقات فعمل ذلك وسلمه الى متولي ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فتنظم عليه عملا جامعا واحضره اياه فرأى ارتفاع مصر ٢٠٠٠٠٠٠ دينار يقف منها عن معلول ومنكسر على موتى وهراب ومفقودين ٢٠٠٠٠٠ دينار و يبقى منها ٨٠٠٠٠٠ دينار يصرف منها

٣٠٠٠٠٠ دينار للرجال عدا واجباتهم وكساويهم

١٠٠٠٠٠ دينار ثمن غلة للقصور

٢٠٠٠٠٠ دينار نفقات القصور

١٠٠٠٠٠ دينار عمائر وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك وغيرهم

٧٠٠٠٠٠ الجملة

١٠٠٠٠٠ بان يحمل كل سنة الى بيت المال المصون

فحظي بذلك عند سلطانه وخف على قلبه وهذا هو ديوان الخاص و بعد موت اليازوري انتهى ارتفاع الارض السفلى الى ما لانسبة له من ارتفاعها الاول وكانت قبل الفتن ٦٠٠٠٠٠ دينار فاتضع الارتفاع وعظمت الواجبات

ولما صلحت البلاد في عهد امير الجيش وولده الافضل امر الافضل بعمل تقدير ارتفاع مصر فجاء خمسة ملايين دينار وكان متحصل الامراء مليون اردب

وفي وزارة المأمون بن فاتك البطائحي سنة ٥٠١ وهو وزير الآمر رأى من اختلال احوال الرجال العسكرية والموظفين وتضررهم من كون اقطاعاتهم قد خس ارتفاعها وان في كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجبى بالعسف وتردد الرسل من الديوان الشريف بسببها فخاطب الافضل بن امير الجيوش في ان يحل الاقطاعات و يروكها

وعرفه ان المصلحة في ذلك تعود عَلَى المقطعين والديوان لان الديوان يحصل له من هذه الفواضل جملة يحصل بها بلاد متورة فاجاب الى ذلك وحل جميع الاقطاعات وراكها واخذ كل من الاقوياء والمميزين يتضررون ويذكرون ان لهم بساتين واملاكا ومعاصر ونواحيهم فقال له من كان له ملك فهو باق عليه لايدخل في الاقطاع وهو محكم ان شاء باعه وان شاء آجره فلما حلت الاقطاعات امر الضعفاء من الاجناد ان يتزيدوا فيها

فوقعت الزيادة في اقطاعات الاقوياء الى ان انتهت الى مبلغ معلوم وكتبت السجلات بأنها باقية بايديهم الى مدة ٣٠ سنة لايقبل عليهم فيها زيادة واحضر الاقوياء وقال لهم : ماتكرهون من الاقطاعات التي كانت بيد الاجناد قالوا : كثرة عبرتها وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن بها فقال لهم : ابذلوا في كل ناحية ماتحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا في العبرة الاولى فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى ان بلغت الحد الذي رغب كل منهم فيه فاقطعوا وكتب لهم السجلات عَلَى الحكم المتقدم فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد متورة بما كان مفرقاً في الاقطاعات بما مبلغه ٥٠٠٠ دينار

وفي سنة ٥١٥ في عهد المأمون صدر سجل يتضمن المسامحة بالبواقي الى سنة ٥١٠ ويلغ ما انتهت اليه هذه المسامحة الى حين ختم السجل

٢٦٧٢٠٦٧٦٧ دينار

٦٧١٠٠٥ ورق

٣١٨١٠٠٢٣٩ أردب غلة

وغير ذلك كثير من الاصناف التي كانت تقبل بها الارض وقد ذكرت متصلة في هذا السجل

ولما انتهى الى المأمون مايعتمد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كابد فيها المشقة والتعب وتسليمها الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه وخرج امره باعفاء الكافة اجمعين والضمناء والمعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ماداموا مغلقين وبأقساطهم قائمين وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديواني المجلس والخاص الاميرين السعيدين الخ

الخراج

اصدر المأمون بن فاتك البطائحي وزير الخليفة الآمر بالله منشوراً بمساحة الارض بعد ان تجاوز للزراع عن الديون التي عليها للحكومة . وبعد ان مسحت الارض وصل اليه مكاتبة من الوالي والمشارف ومن كان في صحبته لكشف الاراضي والسواقي ومساحتها متضمنة ما اظهره الكشف واوضحته عَلَيّ من بيده السواقي وهم عدة كثيرة ومن جملتها ساقية مساحتها ٣٦٠ فدانا تشتمل عَلَى النخل والكرم وقصب السكر وخراجها في السنة عشرة دنانير وما يجري من الاعمال هذا المجرى وانهم وضعوا يد الديوان عَلَى جميعها وطلبوا من ارباب السواقي مايدل عَلَيّ مابايديهم فذكروا انها انتقلت اليهم ولم يظهروا مايدل عليها وقد صيروا ملاكها الى الباب تحت الحوطة ليخرج الامر بما يعتمد عليه في امرهم وعند وصولهم وقع الترسيم عليهم الى ان يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقي فان هذه الاملاك برمتها لاتقوم بما يجب عليها فوقف المذكورون للمأمون يوم جلوسه للمظالم فامر بحضورهم بين يديه وتقدم الى القاضي جلال الملك ابي الحجاج يوسف بن ايوب المغربي وهو يومئذ قاضي القضاة لمحاكمتهم فجرى لهم معه مفاوضة اوجبت الحق عليهم والزمهم بالقيام بما يستغرق اموالهم واملاكهم فحصل من تضررهم ما اوجب العاطفة عليهم واخذهم بالخراج من بعد وان يضرب صفحاً عما تقدم . وكتب بذلك منشور يصح ان يسمى مبدأ اصلاح عظيم . وقد اباح فيه لكل من يرغب في عمارة ارض حلفاء دائرة وادارة بئر مهجورة معطلة ان يسلم ذلك اليه ، ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج الا في السنة الرابعة من تسليمه اياه

***

وكان ذلك المنشور سبباً لحصول الاجتهاد في تحصيل مال الديوان وعمارة البلاد بترقية الفلاح

وفي المنهاج في احكام الخراج ان ارتفاع البلاد المصرية والفلسطينية والطرابلسية سنة ٤٨٣ الهلالية الموافقة لسنة ٤٨٠ الخراجية كان ٠٠٠ر١٠٠ر٣ دينار عينا وان الذي كان يؤدى في سنة ٤٦٦ الهلالية الموافقة لسنة ٤٦٦ الخراجية قبل عهد بدر امير الجيوش كان مبلغه ٠٠٠ر٨٠٠ر٢ دينار وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ٠٠٠ر٣٠٠ دينار مما اعرب عن حسن العمارة وشمول العدل

وجبى القاضي الموفق ابو الكرم بن معصوم التنيسي عينا خالصا الى بيت المال بعد المؤن والكلف ٢٠٠٠٠٠ را دينار ثم بعده لم يجبها احد هذه الجباية حتى انقرضت الدولة الفاطمية

وفي اواخر الدولة اعيدت الاموال الهلالية التي كان ابن طولون اسقطها وصارت تعرف بالمكوس وكانت نحو مئة الف دينار وهي التي ابطلها صلاح الدين

ومما يبين اهتمام الافضل بن الجمالي بعمارة البلاد ان ابا البركات بن ابي الليث رئيس ديوان المجلس رغب ان يتبجح على الافضل بكثرة ما توفر عنده من الاموال وسأله ان يشاهده قبل حمله وذكر انه ٧٠٠٠٠٠ دينار خارجاً عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير في صناديق بجانب وجعلت الدراهم في صناديق بجانب آخر وقام ابن ابي الليث بين الصفين فلما شاهد الافضل ذلك قال لابن ابي الليث ياشيخ تفرحني بالمال وتربة امير الجيوش ان بلغني ان بئراً معطلة او ارضاً بائرة او بلداً خراب لاضرب عنقك فقال: وحق نعمتك لقد حاشى الله ايامك ان يكون بها بلد خراب او بئر معطلة او ارض بور فابى ان يكشف عما ذكر

دواوين المال

كان في الدولة الفاطمية جملة دواوين لبيان مايرد على الدولة من المال وما ينصرف وكان بها نظام يسيرها على السداد فاولها ديوان المجلس (الخاص)

وصاحبه هو المتحدث في الاقطاعات ويخلع عليه وينشأ له السجل والمرتبة والمسند والدواة والحاجب ومعه جملة كتاب وفيه يحصر مايخرج من الانعام في العطايا والرسوم المعتادة في غرة السنة والضحايا والرتب من الكسوات للاولاد والاقارب والجهات وارباب المراتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا وما يرسل اليهم من الملاطفات ومقادير الصلات للمترسلين بالمكاتبات ثم يضبط ما ينفق في الدولة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت وهذا بيان

دينار

٣٠٠٠ الصرة المنعم بها في اول العام

٢٠٠٠ ثمن الضحايا

٧٠٠٠ ماينفق في دار الفطرة فيما يفرق على الناس

١٠٠٠٠ ماينفق في دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها
٢٠٠٠ ماينفق في معمر فتح الخليج غير المطاعم
٣٠٠٠ ما ينفق في سماط شهر رمضان
٤٠٠٠ ماينفق في سماط الفطر والنحر

٣١٠٠٠ المجموع

وهذا خارج عما يطلق للناس اصنافا من خزائنه من المآكل والمشارب والمواصلة من الهبات وما تخرج به الخطوط من التشريفات والمسامحات وما يطلق من الاهراء من الغلات

وفي هذه الخدمة كاتب مستقل بين يدي صاحب ديوانه ادملي ومعه كاتبان آخران لتنزيل ذلك في الدفتر

ديوان الرواتب

يشتمل هذا الديوان عَلَى اسماء كل مرتزق وجار وجارية وفيه كاتب اصيل لطراحة وفيه من المبيضين والمعينين نحو عشرة انفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ومباشرة من استجد وموت من مات ليوجب استحقاقه عَلَى النظام المستقيم وفي هذا الديوان عدة عروض

الاول: يشتمل عَلَى راتب الوزير وهو في الشهر ٥٠٠٠ دينار ومن يليه من ولد واخ من ٣٠٠ دينار الى ٢٠٠ دينار ولم يقرر لولد وزير ٥٠٠ دينار سوى شجاع بن شاور ثم حواشيهم عَلَى مقتضى عدتهم من ٥٠٠ الى ٤٠٠ الى ٢٠٠ خارجا عن الاقطاعات

الثاني: حواشي الخليفة واولهم الاستاذون المحنكون عَلَى رتبهم وجواري خدمهم التي لايباشرها سواهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومشاد التاج وزمام الاشراف والاقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم ١٠٠ دينار ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له في الشهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم عَلَى الف نفس ولطبيب الخاص لكل واحد خمسون ديناراً وان دونها من الاطباء برسم المقيمين في القصر لكل واحد عشرة دنانير

الثالث: يتضمن ارباب الرتب بحضرة الخليفة فاوله كاتب الدست الشريف وجاريه ١٥٠ ديناراً ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهما ٧٠ ديناراً و بقية الازمة

على العساكر السودان من ٥٠ الى ٤٠ الى ٣٠ ديناراً

الرابع : يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يليه لقاضي القضاة ١٠٠ دينار ومثله داعي الدعاة ولكل من قراء الحضرة عشرون ديناراً الى ١٥ الى عشرة ولخطباء الجوامع من عشرين ديناراً الى عشرة وللشعراء من عشرين ديناراً الى عشرة

الخامس : يشتمل على ارباب الدواوين ومن يجري مجراهم واولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه ٧٠ ديناراً وديوان التحقيق جاريه ٥٠ دينارا وديوان المجلس اربعون وصاحب دفتر الحبس ٣٠ وكاتبه خمسة دنانير وديوان الجيوش وجاريه ٤٠ دينارا والموقع بالقلم الجليل ٣٠ ولجميع اصحاب الدواوين الجاري فيها المعاملات لكل واحد عشرون دينارا ولكل معين من عشرة دنانير الى سبعة الى خمسة

السادس : يشتمل على المستخدمين بمصر والقاهرة لكل واحد منهم في الشهر خمسون دينارا والحماة بالاهراء والمناخات والجوالي والبساتين والاملاك وغيرها لكل منهم من عشرين ديناراً الى ١٥ الى ١٠ الى خمسة دنانير

السابع : الفراشون بالقصور برسم خدمتها وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج اليها وخدمة المناظر الخارجة عن القصر فمنهم خاص برسم خدمة الخليفة وعدتهم ١٥ رجلا منهم صاحب المائدة وحامي المطابخ من ٣٠ دينارا الى ماحولها ولهم رسوم متميزة ويقربون من الخليفة في الابسطة التي يجلس عليها ويليهم الرشاشون داخل القصر وخارجه ولهم عرفاء ويتولى امره استاذ من خواص الخليفة وعدتهم نحو ٣٠٠ رجل وجاريهم من ١٠ الى خمسة دنانير ومقدموهم اصحاب ركاب الخليفة وعدتهم اثنا عشر مقدماً منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب اليمين ولكل من هؤلاء المقدمين في كل شهر ٥٠ دينارا ولهم نقباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقررون جوقا على قدر جواريهم . جوقة لكل منهم خمسة عشر ديناراً وجوقة لكل منهم عشرة دنانير وجوقاً لكل منهم خمسة دنانير ومنهم من ينتدب في الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب في الاعمال التي يدخلونها وهم الذين يحملون الملحقات لركوب الخليفة في المواسم وغيرها

واول من قرر العطاء لغلمانه وخدمه واولادهم الذكور والاناث ولنسائهم وقررلهم ايضا الكسوة العزيز بالله . هذه كانت العروض او بعبارة اخرى فصول الميزانية

الميزانية

اذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدم بعمل الاستيمار لتلك السنة تمام ذي الحجه منها فيجتمع كتاب ديوان الرواتب عند متوليه وتحمل العروض اليه فاذا تحررت نسخة التحرير بيضت بعد ان يستدعى من المجلس اوراق بالادرار الذي يقبض بغير خرج وفي الادرار ماهو مستقر بالوجهين فيضاف هذا المبلغ بجهاته الى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها حتى لايفوت من الاستيمار شيء من كل ما تقرر شرحه ويعلم مقداره عينا وورقا وغلة وغير ذلك فيكتب ذلك كله باسماء المرتزقين واولهم الوزير ومن يلوذ به وعلى ذلك الى ان ينتهي الجميع الى ارباب الصر فاذا كمل استدعي له من خزائن الفرش وطاء حرير بشدة وشرابة لاماسكه اما خضراء او حمراء . ويعمل له صدر من الكلام اللائق بما بعده فاذا فرغ من ذلك حمل الى صاحب ديوان النظر ان كان . والا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة ان كان مستبدا او الوزير لاستقبال المحرم من السنة الآتية في اوقات معلومة فيتأخر في العرض وربما يستوعب المحرم ليحيط العلم بما فيه فاذا كمل العرض أخرج الى الديوان . وقد شطب على بعضه وكان ينتقص قوم للاستكثار ويزاد قوم للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما كانت تقتضيه الآراء في ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان وعلامة الاطلاق خروجه من العرض

وقيل انه عمل مرة في ايام المستنصر فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع احد بما فيه فقيل له معاذ الله يامولانا ماتم انعام الا لك . ولا رزق الا من الله على يديك فقال ما ينتقض به امرنا . ولا حظنا وما صرفناه في دولتنا باذننا . وتقدم الى كاتب الانشاء بامضائه للناس من غير عرض . ووقع عن الخليفة بظاهره . الفقر مر المذاق ، والحاجة تذل الاعناق ، وحراسة النعم بادرار الارزاق ، فليجروا على رسومهم في الاطلاق ، ماعندكم ينفد وما عند الله باق

ووقع في خلافة الحافظ على استيمار الرواتب مانصه : امير المؤمنين لايستكثر في ذات الله كثير الاعطاء ولا يكرره بالتأخير له والتسويف والابطاء ولما انتهى اليه ما ارباب الرواتب عليه من القلق للامتناع عن ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقلقت نفوسهم وساءت ظنونهم شملهم برحمته ورأفته وأمنهم مما كانوا

وجلين من مخافته ٠ وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيداً للانعام والمن ٠ وتهنئة بصدقة لاتتبع بالاذى والمن ٠ فليعتمد في ديوان الجيوش المنصورة اجرآء ماتضمنت هذه الاوراق ذكرهم على ماالفوه وعهدوه من رواتبهم وايجاباتها عَلَى سياقها لكافتهم ٠ من غير تأول ولا تعنت ولا استدراك ولا تعقب ويجروا في مسبباتهم عَلَى عاداتهم لا يخل من امورهم ما كان مبرما ٠ ولا ينسخ من امرهم ما كان محكما ٠ كرما من امير المؤمنين وفعلاً مبروراً وعملاً بما اخبر به عز وجل في قوله تعالى « انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا » ولينسخ في جميع الدواوين بالحضرة ان شاء الله تعالى اه

***

قال المقريزي نقلاعن كنز الدرر في سنة ٤٦ ه عرض عَلَى الحاكم بامر الله الاستيمار باسم المتفقهين والقراء والمؤذنين بالقاهرة ٠ ومصر (الفسطاط) وكانت الجملة في كل سنة ٧١٫٣٣٣ ديناراً وثلث او ربع دينار فامضي جميع ذلك

ديوان التحقيق

هو ديوان مقتضاه المقابلة عَلَى الدواوين وكان لايتولاه الا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق برأس الديوان وهو متولي النظر ويفتقر اليه في اكثر الاوقات

ديوان النظر

هو أجل دواوين الاموال وصاحبه يتولى النظر عَلَى العمال والعزل والولاية ومن يده عرض الاوراق في اوقات معلومة عَلَى الخليفة او الوزير ولم يرفيه نصراني الا الاحزم ولم يتوصل اليه الا بالضمان

ولصاحب هذا الديوان الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من امراء الدولة وتخرج له الدواة بغير كرسي وهو ينتدب المترسلين لطلب الحساب والحث عَلَى طلب الاموال ومطالبة ارباب الدولة ولا يعترض فيما يقصده من احد من ارباب الدولة

وكانت دواوين المال بدار الامارة بجوار مسجد ابن طولون الي ان بنى الوزير

يعقوب بن يوسف دار الوزارة الكبرى فنقلت اليها الدواوين و بعد موته نقلت الى القصر ولم تزل به حتى استبد الافضل امير الجيوش وعمر دار الملك بمصر فنقل اليها الدواوين ولما قتل عادت الى القصر ولم تزل به حتى انتهت الدولة الفاطمية

ديوان الانشاء

لما كانت مصر دار امارة كان بها ديوان البريد و يقال لمتوليه صاحب البريد واليه مرجع ماورد من دار الخلافة على ايدي اصحاب البريد من الكتب وهو الذي يطالع باخبار مصر وكان للامراء كتاب ينشئون عنهم الكتب والرسائل الى الخليفة وغيره فلما صارت مصر دار خلافة كان القائد جوهر يوقع على قصص المرافعين الى ان قدم المعز لدين الله فوقع بنفسه وجعل امر الاموال وما يتعلق بها الى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن فوليا اموال الدولة ثم فوض العزيز بالله امر الوزارة ليعقوب فاستبد بجميع احوال المملكة وجرى مجرى جعفر بن يحيي البرمكي مع الرشيد وكان يوقع ومع ذلك في امراء الدولة من يلي البريد وجرى الامر فيما بعد على ان الوزراء يوقعون وقد يوقع الخليفة بيده فلما كانت ايام المستنصر بالله وصرف ابا جعفر محمدبن جعفر المغربي عن وزارته افرد له ديوان الانشاء فوليه مدة طويلة وادرك ايام امير الجيوش بدر الجمالي · وصار يلي ديوان الانشاء بعده الاكابر الى ان انقرضت الدولة الفاطمية وهو بيد القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني الذي صار صاحب ديوان الانشاء في الدولة الصلاحية

***

قال المقريزي وكان لايتولى ديوان الانشاء الا اجل كتاب البلاغة و يخاطب بالشيخ الاجل و يقال له كاتب الدست الشريف و يسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة من يده وهو الذي يأمر بتنزيلها والاجابة عنها للكتاب والخليفة يستشيره في اكثر اموره ولا يحجب عنه من قصد المثول بين يديه وهذا امر لا يصل اليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالي · وكان جاريه ١٢٠ ديناراً في الشهر وهو اول ارباب الاقطاعات واربابِ الكسوة والرسوم والملاطفات ولاسبيل ان يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه احد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وفراشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسند والدواة لكنها بغير كرسي وهي

من اخص الدوي و يحملها استاذ من استاذي الخليفة

وكان للخليفة كاتب التوقيع بالقلم الدقيق وهو كاتب يذاكر الخليفة فيما يحتاج اليه من كتاب الله وتجويد الخط واخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به في اكثر الايام. ومعه استاذ من المحنكين موهل لذلك ولهذا الكاتب رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست

و يكون صحبته للجلوس دواة محلاة فاذا فرغ من المجالسة التي في الدواة كاغداً فيه عشرة دنانير وقرطاسا فيه ثلاثة مثاقيل من مثلث خاص ليتبخر به عند دخوله الى الخليفة ثاني مرة . وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وفراش بقدم اليه مايوقع عليه . وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لايدخل اليه احد الا باذن وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم والكساوي وغيرها

اما التوقيع باسم الجليل فهي ايضاً رتبة جليلة و يقال لها الخدمة الصغرى ولها طراحة والمسندان بغير فراش لترتيب مايوقع فيه

النظر في المظالم

كانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر و بين يديه النقباء والحجاب فينادي المنادي بين يديه يا ارباب الظلامات فيحضرون ثمن كانت ظلامته مشافهة ارسلت الى الولاة والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم ممن ليس من اهل البلدين (مصر والقاهرة) احضر قصة بامره فيستلمها الحاجب منه فاذا جمعها احضرها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما اشار اليه الموقع الاول ثم تحمل في خريطة الى الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج في الخريطة الى الحاجب فيقف على باب القصر و يسلم كل توقيع لصاحبه . فان كان الوزير صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبالته قاضي القضاة ومن جانبيه شاهدان معتبران ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق و يليه صاحب ديوان المال و بين يديه صاحب الباب واسفهسلار العساكر و بين ايديهما النواب والحجاب على طبقاتهم و يكون الجلوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الاسبوع وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها (يعتمد ذلك ان شاء الله) و يوقع في الجانب الايمن منها (وقع بذلك) فتخرج الى صاحب

ديوان المجلس فيوقع عليها جليلاً ويخلي مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم ابداً الحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع في المسامحة والتسويغ والتحبيس (قد انعمنا بذلك) و (وقد امضينا ذلك) وكان اذا اراد ان يعلم ذلك الشيء الذي انهي وقع (ليخرج الحال في ذلك) فاذا احضر اليه اخراج الحال علم عليه فان كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه (وزيرنا السيد الاجل وذكر نعمته المعروف به امتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك ان شاء الله تعالى) فيكتب الوزير تحت خط الخليفة (يمتثل امر مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه) ويثبت في الدواوين

وكان بالقصر الكبير موضع يقال له السقيفة يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة ان يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة ونادى بصوت عال (لا اله الا الله محمد رسول الله) عليه علي ولي الله فيسمعه الخليفة فيأمر باحضاره اليه او يفوض امره الى الوزير او القاضي او الوالي.

ومن غريب ما وقع من المظالم في ايام الحافظ لدين الله انه خرج من انتدب بعد انحطاط النيل من العدول والكتاب الى الاعمال لتحرير ما شمله الري وزرع من الاراضي وكتابة المكلفات لخرج الى بعض النواحي من يمسحها من شاد وناظر وعدول وتأخر الكاتب ثم لحقهم واراد التعدية الى الناحية لحمله ضابط تلك المعدية الى البر وطلب منه اجرة التعدية فنفر فيه الكاتب وسبه وقال انا ماسح هذه البلدة وتريد مني حق التعدية فقال له الضامن ان كان لي زرع فخذه وقلع لجام بغلة الكاتب والقاه في معديته فلم يجد بداً من دفع الاجرة اليه حتى اخذ لجام بغلته فلما تم مساحة البلد وبيض مكلفة تلك المساحة ليحملها الى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجملة بزيادة عشرين فدانا وترك بياضا في بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة واخذ الخطوط عليها بالصحة ثم كتب في البياض الذي تركه — ارض الجام باسم ضامن المعدية عشرين فدانا قطعية — كل فدان اربعة دنانير عن ذلك ثمانون ديناراً وحمل المكلفة الى ديوان الاصل وكانت العادة اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر ندب من الجند من فيه حماسة وشدة ومن الكتاب العدول وكاتب (نصراني) فيخرجون الى سائر الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على ماتشهد به المكافات المذكورة فينفق في الاجناد وكان من العادة ان يخرج الى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة بل ينتدب قوم سواهم

فلما خرج الشاد والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا ارباب الزروع ومن جملتهم ضامن المعدية فلما حضر الزم باداء ٢/٣ ٢٦ دينار عن نظير ثلث المال الثمانين ديناراً عن خراج ارض الجام فانكر الضامن ان تكون له زراعة بالناحية وصدقه اهل البلد فلم يقهل الشاد ذلك وكان عسوفاً وامر به فضرب بالمقارع واحتج بخط العدول على المكلفة وما زال به حتى باع معديته وغيرها واورد ثلث المال الثابت في المكلفة وسار الى القاهرة فوقف تحت السقيفة واعلن بما تقدم ذكره فامر الخليفة الحافظ باحضاره فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وقص له ما اتفق منه في حق الكاتب النصراني وما كاده به فاحضر المتحدث في الدواوين وهو الموفق ابن الخلال وجميع ارباب الدواوين واحضرت المكلفات التي عملت للناحية في عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض الجام ذكر البتة فحينئذ امر الحافظ باحضار ذلك الكاتب وامر بان يطاف به و يشهر في سائر الاعمال

الحسبة ودار العيار

نقل المقريزي عن ابن الطوير — واما الحسبة فان من تسند اليه لا يكون الا من وجوه المسلمين واعيان المعدلين لانها خدمة دينية وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع اعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجامعي القاهرة ومصر يوماً بعد يوم و يطوف نوابه على ارباب الحرف والمعايش و يأمر نوابه بالختم على قدور الهراسين ونظر لحمهم ومعرفة من جزاره وكذلك الطباخون و يتتبعون الطرقات و يمنعون من المضايقة فيها و يلزمون رؤساء المراكب ان لا يحملوا اكثر من وسق السلامة وكذلك مع الحمالين على البهائم و يلزمون السقائين بتغطية الروايا بالاكسية ولها عيار وهو ٢٤ دلواً كل دلو اربعون رطلا وان يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهي زرق و ينذرون معلمي الكتاتيب بان لا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا في مقتل وكذلك معلمو العلوم بتحذيرهم من التغرير باولاد الناس و يقفون من يكون سيء المعاملة فينهونه بالردع والادب و ينظرون المكاييل والموازين وللمحتسب النظر في صاحب العيار و يخلع عليه و يقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ولا يحال بينه و بين مصلحة اذا رآها والولاة تشد معه اذا احتاج الى ذلك وجار به ٣٠ ديناراً في كل شهر

وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعير فيه الموازين بأسرها وجميع الصنج وكان ينفق على هذه الدار من الديوان السلطاني فيما تحتاج اليه من الاصناف كالنحاس والحديد والخشب والزجاج وغير ذلك من الآلات واجر الصناع والمشارفين ونحوهم ويحضر المحتسب او نائبه الى هذه الدار ليعير المعمول فيها بحضوره فان صح ذلك امضاه والا امر باعادة عمله حتى يصح وكان بهذه الدار امثلة يصحح بها العيار فلا تباع الصنج والموازين والاكيال الا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة الى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم فتعير في كل قليل فان وجد فيها الناقص استهلك واخذ من صاحبه بهذه الدار والزم بشراء نظيره مما هو محرر بهذه الدار ثم سومح الناس وصار يلزم من يظهر في ميزانه اوصنجه خلل باصلاح ما فيها من فساده والقيام باجرته

قاضي القضاة

لم يتسم قاضي مصر بقاضي القضاة الا منذ عهد الدولة الفاطمية تشبهوا في ذلك بحال بغداد

وكان الخليفة هو الذي يعين القاضي الا اذا كان هناك وزير رب السيف فانه هو الذي يقلد القضاء نيابة عنه

وتكون رتبة القاضي اجل رتب ارباب العمائم وارباب الاقلام ويكون في بعض الاوقات داعيا فيقال له حينئذ قاضي القضاة وداعي الدعاة ولا يخرج شيء من الامور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص على طراحة ومسند حرير ويجلس الشهود حواليه يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم و بين يديه خمسة من الحجاب اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم اليه وله اربعة من الموقعين بين يديه اثنان يقابلان اثنين وله كرسي الدواة وهي دواة محلاة بالفضة تحمل اليه من خزائن القصور

و يقدم اليه من القصور بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون ارباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلى ثقيل وراءه دفتر فضة ومكان الجلد حرير وتأتيه في المواسم الاطواق ويخلع عليه الخلع المذهبة

ولا يتقدم على القاضي احد في محضر هو حاضره من ارب سيف ولا قلم اولا يحضر

املاكا ولا جنازة الا باذن ولا سبيل الى قيامه لاحد وهو في مجلس الحكم ولا يعدل شاهد الا بامره و يجلس بالقصر في يومي الاثنين والخميس اول النهار للسلام عَلَى الخليفة

وكان له النظر في ديوان الضرب لضبط مايضرب من الدنانير وكان القاضي لا يصرف الا بجنحة ولا يعدل احد الا بتزكية عشرين شاهداً عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ولا يحتمي احد عَلَى الشرع ومن فعل ذلك ادب

وكان القضاة عَلَى مذاهب الشيعة الاسماعيلية في الفروع الا في عهد الوزير ابي علي بن الافضل فانه عين اربعة قضاة يقضي كل منهم بمذهبه امامي واسماعيلي وشافعي ومالكي

داعي الدعاة

داعي الدعاة يلي قاضي القضاة في الرتبة و يتزيا بزيه في اللباس وغيره ووصفه ان يكون عالما بمذاهب اهل البيت يقرأ عليه و يأخذ العهد عَلَى من ينتقل من مذهبه الى مذهبهم و بين يديه من نقباء المعلمين ١٢ نقيباً وله نواب كنواب الحكم في سائر البلاد و يحضر اليه فقهاء الدولة ولهم مكان يقال له دار العلم وللجماعة منهم عَلَى التصدير بها ارزاق واسعة وكان الفقهاء منهم ينفقون عَلَى دفتر يقال له مجلس الحكمة في كل يوم اثنين وخميس و يحضر مبيضا الى داعي الدعاة فيأخذه و يدخل به الى الخليفة في هذين اليومين فيتلوه عليه ان امكن و يأخذ علامته بظاهره و يجلس بالقصر لتلاوته عَلَى المؤمنين في مكانين للرجال عَلَى كرسي الدعوة بالديوان الكبير وللنساء بمجلس الداعي فاذا فرغ من تلاوته حضروا اليه لتقبيل يده فيمسح عَلَى رؤوسهم بمكان العلامة (خط الخليفة) وله اخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر واعمالها لاسيما الصعيد ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله الى الخليفة بيده فيفرض له الخليفة منه مايعينه لنفسه وللنقباء وفي الاسماعيلية من يحمل $\frac{2}{3}$ ٣٣ دينار عَلَى حكم النجوى وكانت الدعوة تلقى الى المدعوين مرتبة كما سبق فاذا تمت الدعوات حسب الترتيب اخذ عَلَى المريد العهد والميثاق ان يستر جميع ماعرف الا ما اطلق له ان يتكلم به وان ينصح و يخلص للامام

ومن اشهر من قلد وظيفة داعي الدعاة ابو نصر هبة الله بن موسى بن ابي عمران

الذي له مع ابي العلاء المعري مراسلات تدل علو كعبه في العلم والعرفان والجدل وسببها انه سمع بيت المعري المشهور وهو قوله

غدوت مريض العقل والرأي فالقني لتخبر انباء العقول الصحائح

فكتب اليه من رسالة . فشددت اليه راحلة العليل في دينه وعقله الى الصحيح الذي ينبئني انباء الامور الصحائح وانا اول ملب لدعوته معترف بميزته وهو حقيق ان لا يوطئني العشواء فيسلك في الجاهل ولا يعتمد فيمايورده تلبيس الحق بالباطل واول سؤالي عن امر خفيف فان استنشقت نسيم الصبا سقت السؤال الى المهم اسأله عن العلة في تحريمه على نفسه اللحم واللبن وكل مايصدر الى الجود من منافع لحيوان الخ

حول كربلاء

«١» وصف جامع الحسين

ان الذي يجلب المسلمين الى كربلاء هو وجود قبر الحسين بن بنت رسول الله واخيه العباس بن علي رضي الله عنهم وقبور اصحابه واعوانه الذين استشهدوا معه في واقعة الطف او يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م وبذلك اصبحت كربلاء مقدس الشيعة ومزارهم فيأتي اليها في كل سنة لزيارة التربتين — تربة الحسين وتربة العباس — من كل حدب وصوب زرافات وجماعات جماعات قادمين اليها من ديار قاصية وربوع نائية كديار العجم وربوع الهند وآسيا الوسطى حيث يكثر الشيعيون ولهذا ترى كربلاء لاتخلو من غرباء يعدون بالالوف للغرض نفسه به وها نحن نصف للقرآء مافي جامع الحسين من الابنية الضخمة والتزيينات الفاخرة التي هي من اخر مايجود به تقى الشيعة وتدينهم وحبهم لآل البيت مستغنين عن وصف جامع العباس لقرب المشابهة بين الجامعين ان وضعاً وان زخرفاً فنقول :

جامع الحسين من المساجد العجيبة الرائقة البديعة الصنع ، الفائقة الحسن وهو من اعظم مساجد العراق شأناً ، واتقنها هندسة وصناعة ، وابدعها حسناً وبهجة ، وهو على شكل مستطيل طوله قرابة ٧٠ متراً في عرض يقارب ٥٥ متراً وللمسجد ٦ ابواب فخمة جميلة الوضع وعلى كل باب طاق مرتفع معقود بالحجر القاشاني وكل باب ينتهي بك الى حي من احياء المدينة ، وفناء المسجد كله فضاء واسع فسيح الارجاء

مفروشة ارضه بالرخام الابيض الناصع وكذلك جداره فان وجه اسفله مغشى بالرخام الى طول مترين ، وما فوق ذلك مبني بالقاشاني الجميل القطع والنحت ، ويحيط بفناء الصحن جدار يحصنه قد اقيم عليه طبقتان وفي الطبقة السفلى قرابة ٦٥ غرفة جميلة امام كل غرفة ايوان قوسي الشكل معقود بالحجر القاشاني ،

وفي وسط فناء الصحن الروضة المقدسة وهي من اعجب المباني واتقنها وابدعها شكلاً ، وفر حظها بالمحاسن ، واخذت من كل بديعة بطرف يدخل اليها من عدة ابواب ليس هنا محل ذكرها واشهر ابوابها الباب القبلي وهو من الفضة النفيسة الصياغة وفي جوانبه سهوات محكمة البناء بديعة الشكل على هيئة المحاريب مرصعة بقطع من المرائي تأخذ بمجامع القلوب ، امامه صفة مفروشة ارضها بالرخام وكذلك جدارها الادنى فانه موّزر به الى مترين مرصع كله بالزجاج ترصيعاً هندسياً يقل نظيره وسقف هذه الصفة قائم على دعائم محكمة من الساج وهذا الباب ينتهي من الداخل الى رواق يحيط بالحرم —الروضة— من شرقيها وجنوبيها وغربيها وعن يمينك تجد قبر حبيب بن ظاهر وعليه مشبك من الشبه فتدخل باستقامة الى باب آخر من الفضة الناصعة العجيبة الصياغة الى مقام محكم الصنع ملون بالوان زاهية بديعة ، وهو الروضة او الحرم الذي فيه قبر الحسين وطوله ١٠ امتار و ٤٠ سنتمتراً وعرضه ٩ امتار و ١٥ سنتمتراً وفي داخله من انواع التزاويق وروائع الصنعة مايحير العقول واكثر ذلك مغشي بالذهب الوهاج فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق ، يحار بصر متأملها في محاسنها ، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها ، ومما زادها بهجة وزخرفة وجود الجواهر النفيسة ، وقناديل الذهب والفضة ، وغير ذلك من المعلقات الغالية الثمن على القبر الشريف التي اهداها اليه ملوك الفرس وسلاطين الهند في عصور مختلفة مما يعجز قلم البليغ عن وصفها والاحاطة بكل ماهنالك من نفائس المجوهرات ونوادر الآثار

وفي اقصى الحرم مصطبة نفيسة تحتها رم الامام ، والمصطبة بديعة الصنع والنقش والحفر عجيبة الصبغ والتلوين ترى من وراء مشبك من الفضة الناصعة (١) وهو ذو اربعة اركان وفي جانب الطول منه ٥ شبابيك وفي العرض ٤ شبابيك وعرض كل شباك منها ٨٠ سنتمتراً و يتفرع من وسط الجانب الشرقي منه مشبك صغير من الفضة

---

(١) لغة العرب العدد السادس من المجلد الثاني

ايضاً على ضريح ابنه علي الاكبر الذي قتل معه — وهو غير علي زين العابدين الذي قيد مع الاسرى الى الشام — وطول مشبك الحسين ٥ امتار ونصف متر في عرض ٤ امتار ونصف متر وارتفاعه ٣ امتار ونصف متر وطول مشبك الابن متران و ٦٠ سنتمتراً في عرض متر و ٤٠ سنتمتراً ، وفي اعلى مشبك الحسين ١٦ آنية مستطيلة الشكل كلها من الذهب الابريز وفي كل ركن من المشبكين رمانة من الذهب يبلغ طولها قرابة نصف متر وسماء ذلك الحرم مغشاة بقطع من المرئي على شكل لا يقدر ان يصفه واصف .

وفي الزاوية الجنوبية من الحرم قبر الشهداء، وهم ملحودون في ضريح واحد وعلى وجه تلك الزاوية مشبك من الفضة الناصعة طوله اربعة امتار و ٨٠ سنتمتراً وهو عبارة عن ٤ شبابيك عرض كل واحد منهم ٧٥ سنتمتراً وارتفاعه متر و ٧٠ سنتمتراً ، ويغطي الحرم كله قبة شاهقة مغشاة من اسفلها الى اعلاها بالذهب الابريز، وفي محيطها من الاسفل ١٢ شباكاً عرض كل شباك متر واحد من الداخل ومتر و ٣٠ سنتمتراً من الخارج وبين كل شباك وشباك متر و ٢٥ سنتمتراً من الداخل ومتر ونصف متر من الخارج ويبلغ ارتفاع القبة من اسفلها اي من سطح الحرم الى اعلاها قرابة ١٥ متراً ،

وفي هذا الجامع ثلاث مآذن كبيرة يناطحن السحب بذهابهن صعداً في الهواء، اثنان منها مطليتان بالذهب الوهاج وهما حول الحرم والثالثة مبنية بالقاشاني وهي ملتصقة بالسور الخارجي من الجانب الشرقي وهناك ايضاً ساعة كبيرة مبنية على برج شاهق يراهما المرء من مكان قصي ، وصفوة القول ان الكاتب مهما اوتي من البلاغة والفصاحة والاجادة في الوصف لا يمكنه ان يصف كل ما في هذا المسجد الفخم من الابنية والاروقة والتزيينات وما كتبناه ليس الا ذرة من جبل او نقطة من بحر زاخر ،

«٢» لمحة تاريخية في بناء المسجد والقبر

يرتقي تأسيس القبر الى ايام قتل الحسين وما يؤخذ من كلام جعفر بن قولويه في كتابه «كامل الزيارة» ان الذين دفنوا الحسين رضي الله عنه اقاموا رسماً لقبره ونصبوا له علامة وبناء لا يدرس اثره وفي سنة ٦٥ ﻫ ٦٨٤ م قدم لزيارة رمسه سليمان بن صرد الخزاعي مع الثائرين لاخذ ثارات الحسين واصحابه ، وقد ازدحموا

على قبره كازدحام الناس على الحجر الاسود ولم يكن اذ ذاك ما يظلل قبره الشريف وجاء في «كنز المصائب» ان المختار بن ابي عبيد الثقفي قام بتشييد قبره واتخذ قرية حوله ، وذكر صاحب كنز المصائب عن ابي حمزة الثمالي — المتوفى في عهد المنصور العباسي — عن ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق مانصه «.. فاذا اتيت الباب الذي يلي الشرق فقف على الباب وقل .. ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء .....» وايد هذا المعنى خبر المجلس الطوسي في المجلد ٢٢ من البحار ٨٠ — ١٠٢ «طبع ايران» والسيد ابن طاووس في اقبال الاعمال صفحة ٢٨ «طبع عجم» وهذا مايدلك على ان له باباً شرقياً وغربياً وخلاصة القول انه كان في اواخر الدولة الاموية واوائل الدولة العباسية بناء ذوشأن على قبره ومع هذا فقد كان الامويون يقيمون على قبره المسالح لمنع الوافدين اليه من زيارته .

ولم يزل القبر بعد سقوط بني امية وهو بعيد عن كل انتهاك لاشتغال الدولة العباسية بادارة شؤون الملك ولظهورها بادي الامر مظهر القائم بارجاع سلطة الهاشميين وغير خفي ان القائمين بالدعوة كانوا من اهل خراسان . واكثر هؤلاء ان لم نقل كلهم كانوا من انصار آل هاشم ، ولما رسخت قدم العباسيين في البلاد وقمعوا الثورات جاهروا بمعاداة شيعة علي «رضي الله عنه» ولكنها كانت خفيفة الوطأة ايام المنصور والمهدي والهادي ، وثقلت وطأتها عليهم ايام الرشيد فانه تظاهر بمناهضة العلويين فسجن كبارهم وفتك بساداتهم واهان عظماءهم حتى انه سجن عدداً كبيراً من سادات آل البيت وخرب قبر الحسين وقطع السدرة وكرب موضع القبر ولعل ذلك كان لارتيابه من شيعة علي ، ولما جاء دور المأمون تنفس الشيعة الصعداء واستنشقوا اريج الحرية الرطيب وكان المأمون يتظاهر بحبه آل البيت حباً جماً حتى انه استعاض بلبس السواد وهو شعار العباسيين بلبس الخضرة وهو شعار العلويين واوصى بالخلافة من بعده لعلي الرضا بن موسى الكاظم ولعل ذلك كيد منه ذخبه الأمين واسترضاء لمناصريه الخراسانيين ، وفي زمن المأمون اعيد موضع القبر واقيم عليه بناء شائع ،

وبقي الحال على هذا المنوال والشيعة في حالة حسنة الى ان جاء دور المتوكل فضيق الخناق عليهم وطاردهم في الآفاق وامر بهدم قبر الحسين وحرث ارضه واسالة الماء اليه واقام في المسالح اناساً يترصدون لمن يأتي لزيارته اويهتدي الى موضع قبره فحصل للشيعة من ذلك كرب عظيم ، وقد نالت فرقة الشيعة شيئاً في الحرية على عهد

المنتصر وكان هذا محباً لآل البيت ومقراً بآلمم رافعاً مكانتهم معظماً قدرهم ومن حسناته اليهم انه شيد قبر الحسين ووضع ميلاً عالياً يرشد الناس اليه ، وفي خلافة المسترشد بالله ضاقت الارض عَلَى رحبها بالشيعة لما اخذ المسترشد جميع ما اجتمع في خزانة القبر من الاموال والجوهرات فانفق عَلَى جيوشه قائلاً ان القبر لا يحتاج الى خزينة الا انه لم يتعرض للبناء ولم يمسه بسوء من ذلك الحين اخذت كربلاء بالاتساع فاتخذت الدور وشيدت القصور واقيمت الاسواق

وكان البناء الذي شيد في عهد المنتصر قد سقط في ذي الحجة سنة ٢٧٣هـ ٨٨٦م فقام الى تجديده محمد بن زيد القائم بطبرستان في خلافة المعتضد العباسي سنة ٢٨٣هـ ٨٩٦م وقد زار القبر عضد الدولة بن بويه ٣٧٠هـ ٩٨٠م بعد ان بالغ في تشييد الابنية حول الضريح وكان عدد من جاور القبر في ذلك العهد من العلويين ٢٢٠٠ نسمة فاجزل لهم عضد الدولة في العطايا وكان مابذل لهم مائة الف رطل من التمر وكان آل بويه من انصار مذهب الشيعة واستفحل التشيع عَلَى عهدهم حتى ان معز الدوله امر سنة ٣٥٢هـ ٩٦٣م باقامة المأتم في عاشوراء فكان ذلك اول مأتم اقيم في بغداد وفي سنة ٤٠٨هـ ١٠١٧م شبت النار حول الضريح من شمعتين كبيرتين سقطتا عَلَى المفروشات فالتهمت النار القبة وتعدتها الى الاروقة ولم يبق من المسجد الا السوروشي/ من الحرم فرمم وهو الذي وصفه ابن بطوطة في رحلته وفي سنة ٧٦٧هـ ١٣٦٥م شيد السلطان ادريس الايلكاني المسجد والحرم واتمه واكمله ولده السلطان حسين وقد وجد تاريخ هذا البناء عَلَى المحل المعروف عند اهالي كربلاء بنخل مريم فيمايلي الراس وقد شاهده محمد بن سليمان بن زويز السليماني وقد كان ازال هذا التاريخ سنة ١٢١٦هـ ١٨٠١م وفي سنة ٩٣٢هـ ١٥٢٥م اهدى الشاه اسماعيل الصفوي صندوقاً بديع الصنع الى القبر الطاهر وفي سنة ١٠٤٨هـ ١٦٣٨م شيد السلطان مراد الرابع العثماني القبة المنورة وجصص خارجها وفي سنة ١١٣٥هـ ١٧٢٢م نهضت زوجة نادر شاه وكريمة حسين الصفوي الى تعمير المسجد المطهر وانفقت عَلَى ذلك اموالاً لاتحصى ، وفي اوائل القرن التاسع عشر اهدى فتح علي شاه احد ملوك ايران شبكة من الفضة وهي اليوم موجودة عَلَى القبر وفي ١٢١٦هـ ١٨٠١م امر محمد علي خان بتزيين الحرم الشريف وتعميره وبذل لذلك مبالغ وفيرة ، و يوجد اليوم في احدى ابواب الفضة فوق الآيات القرآنية فيما يقابل

الوجه الشريف ، وحوالى هذا التاريخ امرت زوجة فتح علي شاه بتذهيب المأذنتين ، وفي سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٦٥ م غشيت قبة الحرم بالذهب على نفقة ناصر الدين شاه كما هو مكتوب على حائطها فوق الشبابيك بسطر من ذهب فيه بعض الآيات ولم يحدث بعد ذلك مايهم تدوينه سوى ما جددت انشاءه في العهد الاخير ادارة الاوقاف ، هذا مجمل ما يمكن الوقوف عليه من تاريخ المسجد والقبر وربك علام الغيوب ،

«٣» وصف خزائن الائمة في النجف وكربلاء

يوجد في كربلاء والنجف خزائن قديمة العهد فيها آثار ذات قيمة لاتثمن نذكر منها خزانتين للحسين والعباس «رضي الله عنهما» في كربلاء وخزانتين للامام علي كرم الله وجهه وقد حوت هاتان الاخيرتان من الآثار التاريخية النفيسة مالا يمكن وصفه لانهما بقيتا بعيدتين عن اذى الوهابيين ابان حملتهم على العراق في اوائل القرن التاسع عشر ، واما خزائن الحسين والعباس فقد اتلفتها يد الضياع وذهب اكثر ما فيها اثناء الغارة الوهابية على كربلاء .

اما خزينتا الامام علي في النجف فقديمتان منها واحدة لم تفتح ولم ترها عين انسان الا مرة واحدة حينما اتى ناصر الدين شاه في اواخر سنة ١٨٧٠ م لزيارة قبور الائمة في العراق ، وكان ذلك بارادة سنية استحصلها من السلطان عبد العزيز خان وقد حضر احتفال فتحها كمال باشا ناظر الاوقاف ، وبناء على التماس ناصر الدين شاه من السلطان عبد العزيز أخرج منها قنديل مرصع بالحجارة الكريمة قيمته ٦٥٠٠ ليرة فعلق على المصطبة التي تحتها رمم الامام وهذا القنديل لايزال موجوداً الى اليوم ، وقد اهدى ناصر الدين شاه الخزانة سيفاً ثميناً مرصعاً باليواقيت والجواهر و بعد ان تفقد ناصر الدين شاه مافيها من الآثار النفيسة اقفلت وختم على قفلها مدحت باشا والي بغداد وكمال باشا ناظر الاوقاف ، وقد اختلف الناس في تخمين ما في هذه الخزانة من الجواهر فالبعض يدعي ان ماحوته من المجوهرات تناهز قيمته ٣٠ مليوناً من الجنيهات حتى قيل ان هناك درة كبيرة لاتثمن محفوظة في ظرف من الزجاج ومن الاقوال المأثورة فيها انها « تقوم باعمار العراق لو خرب » وهذه تعد اليوم من جملة المعلقات الفاخرة على ضريح الامام علي ومما يؤخذ من اقوال القيم على اموال وخزائن

الامام وهو مايسمى عندهم «كليددار» «١» ان مافي هذه الخزانة وحدها تساوي قيمتهُ من ٦٠٠ الف ليرة الى ٧٠٠ الف ليرة

اما الخزانة الثانية فليست مفتوحة في كل وقت ولا يدخلها كل احد ومن نفائس ماحوته تاج ثمين عريق في القدم كان اهداه احد سلاطين الهند قيل ان ثمنه يساوي ١٠٠٠ جنيه عثماني وهناك سيف مرصع بالزمرد يقدر ثمنه بالفي ليرة ، وفيها سجادات ثمينة دقيقة الصنع كان يجلس عليها ملوك الفرس وكل قطعة منها تساوي الف جنيه، واما ما فيها من شالات الكشمير والانسجة التي تحار لها العقول وتستوقف الابصار فما لا يحصيه احد ولا يحيط به واصف مهما اوتي من البلاغة

ويوجد اليوم على ضريح الامام علي تحف نفيسة ومعلقات لا نظير لها منها ظرف من الزجاج فيه تاج مرصع بالحجارة الكريمة يقال انه تاج ملك من ملوك ايران المتأخرين ، هذا عدا ما هناك من القناديل الذهبية والمعلقات البديعة الشكل ، ومما يدخل في عداد ذلك مكتبة مخصوصة حوت نفائس المخطوطات العديمة النظير منها نسخة من القرآن الكريم بخط الحسين بن علي بن ابي طالب الى غير ذلك من نوادر الكتب وثمين المخطوطات ،

واما خزانة العباس فهي اغنى الخزائن بعد خزانتي الامام علي وهي عبارة عن مستودع اسلحة هو عبارة عن غرفتين مملوءتين اسيافاً ذات غرارين «قامه» وذات حد واحد ، والذي يؤسف له اهمال ولاة الامر هذه الاسلحة القديمة التي اصبحت اثراً بعد عين ،وفيها صناديق عديدة مشحونة بانواع الشالات الثمينة واستار من الحرير المقصب ، ومسارج «شمعدانات» ذهبية فاخرة ، وسيف ذهبي مرصع محلى بالنقوش الدقيقة ، وابرة كبيرة من الالماس ذات قيمة غالية ،ومسرجة «شمعدان» فاخرة مرصعة بالحجارة الكريمة قيل انها تساوي الف جنيه ، هذا عدا السجاد الثمين المزدان بابدع التصاوير واغرب النقوش ، منها سجادة مصنوعة من الحرير دقيقة الصنع اهداها الى الخزانة الشاه عباس وقد كتب على حاشيتها «كلب استانة حضرة عباس» اى «كلب عتبة حضرة العباس»

اما خزانة الامام الحسين فلم يبق منها على ما اعلم شيء جدير بالذكر ، وكل ماهناك

«١» لفظة مركبة من كلمتين هما «كليد» اي اقليد وهو المفتاح والكلمة يونانية و «دار» اي صاحب فتكون معناها صاحب المفتاح اوحامله

١٦ اناء مستطيلاً كلها من الذهب الابريز وهي الآن موجودة في اعلى مشبك الحسين وقد مر ذكرها، وسبب فقر خزانة الحسين ناشئ من وقوعها في ايدي الوهابيين وسنصف في غير هذا الموطن مانهبه الوهابيون من خزانة الحسين من مجوهرات وغيرها

اظنك تتعجب من غنى هذه الخزائن ولكن لو علمت ان كربلاء على اتساعها وكثرة سكانها لايوجد فيها اليوم مدرسة ثانوية لازداد عجبك، ولو طفت قرى كربلاء واعمالها واحدة بعد اخرى لرأيت كلها — عدا النجف الاشرف التي هي اليوم مقر العربية وموطن ادبائها وفضلائها — في اسوإ حال بل: لرأيت الجهل متفشياً بين ابنائها، على اني اقول لو ان اهل الحل والعقد في العراق يؤلفون جمعية يثق بها الناس لبيع هذه الآثار في اسواق اوربا ويشترون باثمانها عقارات او يشقون جدولاً او يفتحون بها مصرفاً زراعياً اهلياً يساعد الفلاحين على قضاء حاجاتهم، وترويج مصالحهم، وينشئون مدرسة عالية في النجف او كربلاء، تدرس فيها العلوم الحديثة بالعربية بشرط ان يستقدموا اساتذة من علماء مصر والشام وينفقوا عليها من ريع تلك العقارات او من مكاسب المصرف لخدموا المجتمع العراقي خدمة تذكر فتشكر وكانت الفائدة عامة، بل هناك ماهو اكثر فائدة واعظم شأناً وهوانهم ينشئون باثمانها بواخر يسيرونها في نهر الفرات او يمدون سكة حديدية بين بغداد وكربلاء فتقرب البلاد بعضها من بعضها وتنمو الثروة وتزداد التجارة، ومن ريعها ينفقون على المدرسة، اذ هذا الزمن زمن التفكر بالمستقبل والعمل الى مافيه خير المجتمع لا وقت الكسل والخمول والانعكاف على القديم، واي خير في خزائن لاتفيد الامة في وقت الحاجة والضيق، في وقت يتسابق الاقوام الى الاستضاءة بنبراس الحضارة ونحن في ظلمات الجهل تائهون، وتتراكض الشعوب الى اقتطاف ثمار الفنون اليانعة ونحن عن ذلك لاهون، ولا اظن ان احداً يعارض هذه الفكرة او يحول دون ابرازها الى الوجود سواء كان من رجال الحكومة او من رجال الجعفرية هذا واني احث ادباء النجف على ان يكونوا اول القائمين بهذا الامر لانهم قادة العراق وذوو الامر والنهي فيه، فينشئون مقالات في هذا الشأن مظهرين ارتياحهم لذلك، وربك الهادي الى طريق الصواب

« ٤ » نبذ من تاريخ كربلاء القديم والحديث

لم تكن كربلاء في العهد العهيد قبل الفتح الاسلامي بلدة تستحق الذكر، ولم يرد ذكرها في التاريخ الا نادراً واكثر ذلك في عرض الكلام عما كان يقع في الحيرة وقرى الطف من الوقائع . وكانت قبل ان يفتحها المسلمون قرية حقيرة عليها مزارع وضياع لدهاقين العجم ، وكان سكانها اهل حراثة وزراعة وظلت كذلك الى ان افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٤ هـ و٦٣٥ م وكان الفاتح لها ابن عرفطه بامر سعد ابن ابي وقاص قائد جيوش المسلمين في حرب القادسية ، وقد كانت العرب صممت على ان تجعلها مباءة لجيوشها ومركزاً لادارة ما فتحوه من ديار الحيرة فاتخذوها بادي بدء معسكراً ثم رحلوا عنها عند ما انكروا وخامة هوائها وكثرة ذبابها فنزلوا الكوفة . والى ذباب كربلاء اشار رجل من اشجع في قصيدته :

لقد حبست عن كربلاء مطيتي — وفي العين حتى عاد غثاً سمينها
اذا رحلت من منزل رجعت له — لعمري وايها انني لاهينها
ويمنعها من ماء كل شريعة — رفاق من الذبان زرق عيونها

ولما رحل المسلمون عنها قل شأنها وكادت تعفو رسومها ويخفى ذكرها وما زالت كذلك الى ان عاد ذكرها ما احدث حولها سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م من الحوادث الخطيرة التي ادهشت العالم الاسلامي الا وهي وقعة كربلاء او الطف المحزنة التي قتل فيها الحسين بن علي ونفر قليل من اصحابه « رضي الله عنهم » لمطالبته بالخلافة وانفه من مبايعة يزيد بن ابي سفيان لانه يرى نفسه احق بها منه ، ومن ذلك الحين ذاع صيت هذه المدينة في الآفاق وانتشر في الاقطار ، وقد جاء ذكرها في اشعار العرب ودواوينهم ومع هذا لم تكن في القرن الاول الهجري عامرة ، ومع ما كان في انفس الهاشميين وشيعتهم من مجاورة قبر الحسين لم يتمكنوا من اتخاذ الدور وتشييد البنايات خوفاً من سلطان بني امية ، وقد اخذت في التقدم في اوائل الدولة العباسية ورجعت القهقرى في ايام الرشيد وقد ازداد خرابها في ايام المتوكل لانه هدم قبر الحسين فرحل عنها سكانها، ثم اخذ الشيعة ايام المنتصر يتوافدون الى كربلاء افواجاً افواجاً ويعمرونها، ثم ضخمت في القرن الرابع للهجرة وقد زارها عضد الدولة بن بويه سنة ٣٧٠ هـ ٩٨٠ م وكانت مدينة

عامرة آهلة بالسكان يقطنها آلاف النفوس وقد وصفها ابن بطوطة قال:

هي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل و يسقيها ماء الفرات ، والروضة المقدسة داخلها ، وعليها مدرسة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والخارج وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخلها احد الا باذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الابواب استار الحرير ، واهل هذه المدينة طائفتان اولاد دخيل واولاد فائز و بينهم القتال ابداً وهم جميعاً امامية ولاجل فتنهم تخربت هذه المدينة اه

ولم تزل كربلاء بين صعود وهبوط ورقي وانحطاط تارة تنحط فتخضع لدول الطوائف وطوراً تعمر متقدمة بعض التقدم الى ان دخلت في حوزة الدولة العثمانية سنة ٩٤١ هـ و ١٥٣٤ م واخذت تتنفس الصعداء مما اصابها من نكبات الزمان وحوادث الدهر التي كادت تقضي عليها ، و بقيت وهي مطمئنة البال مدة طويلة تزيد على ثلاثة قرون لم تر في خلالها ما يكدر صفو سكانها حتى اذا جاءت سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م جهز الامير سعود الوهابي جيشاً عرمرماً مؤلفاً من ٢٠ الف مقاتل وهجم بهم على مدينة كربلاء وكانت على غاية من الشهرة والفخامة ينتابها زوار الفرس والترك والعرب فدخل مسعود المدينة بعد ان ضيق عليها وقاتل حاميتها وسكانها قتالاً شديداً، وكان سور المدينة مركباً من افلاق نخيل مرصوصة خلف حائط من طين ، وقد ارتكب الجيش فيها من الفظائع مالا يوصف حتى قيل انه قتل في ليلة واحدة ٢٠ الف نسمة و بعد ان اتم الامير مسعود مهمته الحربية التفت نحو خزائن القبر وكانت مشحونة بالاموال الوفيرة وكل شيء نفيس فاخذ كل ماوجد فيها . وقيل انه فتح كنزاً كان فيه اموال جمة جمعت من الزوار ، وكان من جملة ما اخذه لؤلؤة كبيرة وعشرون سيفاً محلاة جميعها بالذهب ومرصعة بالحجارة الكريمة ، واوان ذهبية وفضية وفيروز والماس وغيرها من الذخائر النفيسة الجليلة القدر ، وقيل ان من جملة مانهبه سعود اثاثات الروضة وفرشها منها ٤٠٠٠ شال كشميري و ٢٠٠٠ سيف من الفضة وكثير من البنادق والاسلحة وقد صارت كربلاء بعد هذه الوقعة في حالة يرثى لها ،

وقد عاد اليها بعد هذه الحادثة من نجا بنفسه فاصلح بعض خرابها واعاد اليها العمران رويداً رويداً وقد زارها في اوائل القرن التاسع عشر احد ملوك الهند فاشفق على حالتها و بنى فيها اسواقاً حسناء و بيوتاً قوراء اسكنها بعض من نكبوا ،

و بني للبلدة سوراً حصيناً لصد هجمات الاعداء، واقام حوله الابراج والمعاقل ونصب له آلات الدفاع عَلَى الطرز القديم وصارت عَلَى من يهاجمها امنع من عقاب الجو فامنت عَلَى نفسها وعاد اليها بعض الرقي والتقدم

وفي سنة ١٢٤١ هـ ١٨٢٥ م وقعت واقعة عظيمة تعرف بوقعة «المناخور — امير الاخور» اي امير الاصطبل ، وذلك ان الدولة العثمانية كانت في ذلك الزمن ضعيفة لاختلال الجيش الانكشاري واستقلال البلاد القاصية واشتغالها بمحاربة العصاة في البلقان وطموح محمد علي والي مصر الى الاستقلال واستقلال علي باشا دلنلي تبه في الباني، ، وكان واليا عَلَى العراق اذ ذاك داود باشا وكان ثقيا عادلاً ورعاً مشهوراً بالدهاء وفرط الذكاء الا انه كان شديد الحرص عَلَى الانسلاخ من جسم الدولة والاستقلال بالعراق اسوة بمن تقدمه ، فسعى بادي بدء الى جلب قلوب الاهالي بما انشأه من العمارات والبنايات والجوامع والتكايا . وقرب علماء العراق وبالغ في اكرامهم ونظم جيشاً كبيراً وسلحه عَلَى الطرز الجديد حينئذ، فقام بعد ذلك يدعو الناس الى بيعته ، ولكثرة ما كان لديه من الاعوان بايعته اكثر مدن عراق العرب الا كربلاء والحلة فرفعا راية العصيان وعند ذلك سير جيشاً ضخماً بقيادة امير اصطبله وكانت عشيرة عقيل تعضده فاخضع القائد الحلة واستباح حماها ثم جاء كربلاء فحاصرها ثمانية عشر شهراً ولم يقو عَلَى افتتاحها لحصانة سورها ومناعة معاقلها ، ولما رأى ذلك اقلع عنها ثم كر عليها ثانياً وثالثاً فلم يفز بامنيته الا بعد حصار طالت مدته اربع سنوات من سنة ١٢٤١ هـ ١٨٢٥ م الى سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٢٩ م وكانت نتيجتها ان اسر الجيش نقيب كربلاء فسجنه داود باشا في بغداد

وفي سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م شق اهالي كربلاء عصا الطاعة عَلَى الدولة وابوا اداء الضرائب والمكوس وكان والي العراق نجيب باشا ، فجهز جيشاً بقيادة سعد الله باشا وسيره الى كربلاء فحاصرها حصاراً شديداً وامطر المدينة بوابل قنابله ولم يساعده الحظ عَلَى افتتاحها لان سورها كان منيعاً جداً وقلاعها محكمة لا يمكن للقائد الدنو منها ، ولما اعيت به الحيل الحربية التجأ الى الخداع فاعطى الامان للعصاة وضمن لهم عفو الحكومة فاخلوا القلاع وجاؤه طائعين فقبض عليهم وسلط المدافع عَلَى جهة السور الشرقية فهدمها واصلى المدينة ناراً حامية ، ففتحها وارتكب فيها كل فظاعة وشناعة ، ودخل بجيشه الى صحن العباس وقتل كل من لاذ بالقبر

وبهذه الموبقات اعاد سلطة الحكومة الى تلك الربوع

وفي سنة ١٢٩٣ ه ١٨٤٢ م ظهرت فتنة في كربلاء تعرف بفتنة (علي هدلة) وذلك ان جماعة من المفسدين حرضت الاهالي عَلَى مناواة الحكومة وكانت افكار الاهالي مستعدة لقبولها فالفت عصابة بقيادة « علي هدلة » وقابلت الجيش العثماني ودحرته في مواقع متعددة . ولما رن صدى هذه الحادثة في الاستانة فلقل السلطان المخلوع واصدر ارادة سنية بارسال الجيوش الى كربلاء وهددها وقتل من فيها عن بكرة ابيهم . وناط تنفيذ الارادة بعاكف باشا والي بغداد والمشير حسين فوزي باشا وكان هذا قائداً عاماً للجيش فجاء الاثنان كربلاء يصحبهما احد نقباء بغداد السابقين وضربوا المضارب قرب المدينة ، فلم ير الوالي في المدينة آثار العصيان والتمرد . وقد علم بعد البحث الطويل ان العصاة عصابة ارتكبت اثماً واقترفت ذنباً يطاردها الجيش وليس من العدل هدم المدينة وتنفيذ الارادة السنية عَلَى سكانها واخذ البريء بجريرة المذنب فاحجم عن تنفيذ ذلك وفاتح القائد العام بابى هذا الا الاصرار عَلَى تنفيذ الاوامر فنجم من ذلك خلاف بينهما فراجعا الاستانة وخاطباها بالامر وبعد اخذ ورد صدر الامر بالعفو ، فرحل الجيش عنها بعد ان قبض عَلَى مثيري الفتنة وموقدي نيرانها فادهم الى بغداد وهناك القاهم في اعماق السجون

بغداد : ابراهيم حلمي

فجر العام الجديد

افقت اذشارف الدجى اجله	وودعته النجوم مرتحله
ونجمة الليل علقت سحراً	شرارة النور فهي مشتعله
ومقلة الفجر في انتباهتها	ما برحت بالظلام مكتحله
لا سائر في السبيل منصرف	في طاعة او مباكر عمله
الا خفير يمشي عَلَى مهل	حمى عليه نعاسه العجله
يجيل في كفه هراوته	او ينفخ البوق طارداً ملله
والغيث عمر الحياه سادلة	خيوطه من سحائب هطله
يغزل للارض سندساً بهجاً	فتكتسي في الربيع ما غزله

والريح رعناء في تهجمها ... على زجاج الكوى ومقتتله
تشتد في عصفها لتسلكهُ ... مقبلة تارة ومنفتله
ترومه عنوة فيعجزها ... والنور باللين نافذ خلله

***

ذكرت ايامنا التي سلفت ... فداخلتني صبابة ووله
كم غدوة نرشف الصبوح بها ... اطرافها بالظلام متصله
يدير كأس الطلى مشعشعة ... فتصبح الشمس في الضحى خجله
فنحتسيها من كف فاتنة ... عصيت فيها اللوام والعذله
وحتى نخال النجوم هاوية ... والارض في مشيها بنا ثمله
ونحسب الدهر في كهولته ... والشيب غض الشباب مقتبله
واطيب العمر ما انطوى وطوى ... وقائع المرء ما عليه وله
وليس مستقبلاً نشك به ... امانه قد نصيب او وجله
كيف يهز الغد الفتى جذلا ... وربما كان فجره اجله
لولا التمني لماله غده ... وحقه ان يخاف ما جهله
اطل طفل الزمان فابتسمت ... له ثغور الخلائق الجذله
فهل يطيل ابتسامهن وهل ... يرعى الرجاء الذي لنا قبله
مروحاً حانياً على امل ... غض ابوه الزمان قد نحله
وهل يؤاسي الجراح منعطفاً ... على اخي الوجد شافياً علله
اذا اجن الظلام آنسه ... بالبدر او حمل الصبا قبله
وان يخنه في نفسه عرضاً ... حقق فيمن يحبه امله

***

وهل يفي او ترى لياليه ... غاشية بالخطوب مشتمله
تمر بالناس غير مشفقة ... وبالاماني غير محتفله

***

سر عن العالمين محتجب ... عليه ستر للغيب قد سدله

دمشق ... جرجي الحداد

مطبوعات ومخطوطات

الاشارات الالهية للتوحيدي

في المكتبة الظاهرية بدمشق الجزء الاول من هذا الكتاب لابي حيان التوحيدي صاحب المقابسات (المقتبس م ١ ص٣٠٢) من كبار المنشئين في عصره وائمة العلم والادب وكتابه في مخاطبة النفس جاء في اوله : اللهم انا نسألك ما يسأل لا عن ثقه ببياض وجوهنا عندك وافعالنا معك وسوالف احساننا قبلك ولكن عن ثقة بكرمك الفائض وطمعاً في رحمتك الواسعة نعم وعن توحيد لا يشوبه اشراك ومعرفة لا يخالطها انكار وان كانت اعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة نسألك ان لا ترد علينا هذه الثقة بك فتشمت بنا من لم يكن له هذه الوسيلة اليك يا حافظ الاسرار و يا مسبل الاستار و يا واهب الاعمار و يامنشئ الاخيار و يا مولج الليل في النهار و يا مصافي الاخيار و يامداري الاشرار و يا منقذ الابرار من النار والعار عد علينا بصفحك عن زلاتنا وانعشنا عند تتابع صرعاتنا وحطة حالنا معك في اختلاف سكراتنا وصحواتنا وكن لنا وان لم نكن لانفسنا لانك اولى بنا واذا خفنا منك فابرح خوفنا منك برجائنا فيك واذا غلب علينا يأسنا منك فتلقه بالامل فيك الخ

وقال من فصل : ايها المحاور والصديق المجاور كيف اتكلم والفؤاد هائم بكل واد والخاطر خال من كل حاد وهاد ام كيف اشكو والسر ظاهر باد ام باي شيء اتعلل وكل ما اجده مردد ومعاد ام عَلَى من اعتمد وكل احد اراه فهو لي ضد ومعاد . انفاسي محترقة بالحسرات ودموعي مترقرقة بين النغمات والزفرات وكبدي مشتعلة عَلَى المناظر والهيئات ويقظتي جارية عَلَى الرسوم والعادات واحلامي عارية من كل ماله حاصل وثبات ونفسي رهينة بالسيئات مفتونة بالحسنات بالسوانح والخطرات مغبونة عن الحسنات والصالحات . الجهات دوني منسدة والوجوه امامي مسودة ان قلت قيل هذا زور و بهتان وان اشرت قيل هذا غرور وعدوان وان سكت قيل هذا سهو ونسيان فليت من ابتلاني بما لا طاقة لي به رحمني مما لا غنى لي عنه او ليت من طردني عن بابه اهلني لعتابه او ليت من جرعني مر فراقه اخطر عَلَى بالي حلاوة لقائه او ليت من غمسني في بحر البلوى طرحني الى ساحل

المنى او ليت من حظي عن درجات المخدومين رقاني الى مقامات الخدم الخ .

وقال من رسالة : حرام على قلب استنار بنور الله ان يفكر في غير عظمة الله حرام على لسان تعود ذكر الله ان يذكر غير الله حرام على نفس طهرت من ادناس الدنيا لله ان تدنس بشيء من مخالفه الله حرام على عين نظرت الى ملكة الله ان تحدق الى غير الله حرام على كبد ابتلت بالثقة بالله ان تطمئن الى غير الله حرام على من لم ير الخير الا من الله ان يجدد طمعاً في غير الله حرام على من شرف بخدمة الله ان يتضع بخدمة غير الله حرام على من ألف فناء الله ان يعرج الى غير الله حرام على من تلذذ بمناجاة الله ان يناجي غير الله حرام على من رتع في نعمة الله ان يعبد غير الله الخ

واكثر الكتاب على هذا النمط وهو في مجلد ضخم يغلب عليه التحريف والتصحيف

التحفة الظريفة

في خزانة كتب عبد القادر بك المؤيد من فضلاء دمشق

نسخة من «كتاب التحفة الظريفة الحاوية من كل نكتة لطيفة المسماة بمجموعة الحكيم» جمع السيد حسن بن السيد عثمان الحكيم جمعه سنة ١١٨٨ في عصر بارت فيه بضاعة الادب وجدت القرائح وتراجعت العلوم ومن احسن ما رأينا في آخر الكتاب تقاريظ بعض ادباء عصره وفقهائه في دمشق واكثرها شعر ضعيف ركيك فمنها تقريظ لحمزة افندي زاده وآخر للسيد علي العمادي ولاحمد افندي العمادي والسيد كمال الدين البكري ومحمد شاكر افندي العمري والشيخ احمد الشمسي العمري والشيخ عمر العمري والشيخ محمد العمري والسيد عبد الفتاح مغيزل والشيخ علي الشمعة والسيد خليل بن قرا مصطفى والشيخ محمد البصيري والسيد مصطفى اللوجي والسيد عبد الحليم اللوجي والسيد يحيى العطار والسيد محمد امين العطار والشيخ محمد البصير وخليل افندي المحاسني والشيخ محمد الطباع الحلبي والشيخ علي المجلد والشيخ صالح بن الشيخ محمد الدسوقي والحاج احمد الرباط ومن ارق الشعر الوارد بيتان للشيخ علي الشمعة وهما قوله

ابدى لنا حسن الشريف لطائفاً قد صاغها لذوي النهى مجموعا
كل المفرق من محاسن عصره اضحى لدى مجموعه مجموعا

وقد رتب الجامع كتابه على خمسة عشر باباً الاول في نوادر العرب الثاني في المغفلين الثالث في القضاة الرابع في المعلمين الخامس في المتنبين السادس في النحاة السابع في الاطباء الثامن في الشعراء التاسع في الاحاجي والرسائل العاشر في الاجوبة المسكتة الحادي عشر في نوادر النساء والجواري والمغنيات الثاني عشر في نوادر الغلمان والخدم الثالث عشر في نوادر البخلاء الرابع عشر في نوادر الطفيلية واخبار الطعام والاكل الخامس عشر في نوادر شتى مختلفة المعنى

ومن نوادره : خرج الحجاج بن يوسف الثقفي يتصيد فرأى اعرابياً فقال له ايها الاعرابي كيف تقول في الحجاج وافعاله فقال الاعرابي : ايش اقول في رجل غشوم ظلوم مشؤوم ما ولي هذ القطر اشر منه لعنه الله ولعن من ولاه هاينا فبينما هو كذلك اذ احاطت به الجند فقال الحجاج : خذوا لهذا قال الاعرابي لمن يليه : من هذا فقالوا له : الحجاج فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ثم ناداه ياحجاج قال : قل ما تشاء قال له : السر الذي كان بيننا احب ان يكون مكتوماً فضحك الحجاج واطلقه

وخرج الحجاج ذات يوم متنزهاً فرأى اعرابياً فقال له : ايها العربي من خير العرب قال قريش قال ولم ذلك قال : لان النبي صلى الله عليه وسلم منهم قال : فمن اشر العرب قال : ثقيف قال : ولم ذلك قال لان الحجاج منهم قال اتدري من انا قال لا قال انا الحجاج قال الاعرابي جعلت فداك اتعرف من انا قال لا قال انا مولى بني عامر اجن في كل سنة ثلاثة ايام وهذا اليوم اشدها فضحك ووصله واطلقه ٠

وقيل خطب المنصور يوماً بالشام فقال في خطبته ينبغي لكم ان تحمدوا الله على ما وهب لكم في ايامي فاني منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم في ايام بني مروان فقام اليه اعرابي كان في المسجد فقال ان الله اكرم من يجمع علينا انت والطاعون معاً ٠

وقف المأمون على باب طحان فنظر الى حمار له يدور بالرحى وفي عنقه جرس فقال للطحان : لم جعلت هذا الجرس في عنق الحمار فقال ربما ادركني النوم فاذا لم اسمع حس الجرس علمت ان الحمار قد وقف فاصيح عليه ليدور قال أرأيت لو وقف وحرك رأسه بالجرس فقال ومن اين للحمار عقل مثل عقلك ايها الامير حتى

يفعل مثل هذا ·

وحكي انه أم رجل من الظرفاء قوماً اياماً وكانوا من التغفل بمكان عظيم وكانوا يطعمونه الخبز والكامخ لا يزيدونه شيئاً فصلى بهم يوماً الصبح فقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا ائمتكم الكامخ بل لحماً فان لم تجدوا لحماً فبيضاً وسمناً ومن لم يفعل ذلك منكم فقد خسر خسراناً مبيناً وقرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة فان لم تجدوا بيضاً وسمناً فسمكاً فان لم تجدوا سمكاً فلبناً او حليباً ولا تمخضوه تمخيضاً ومن لم يفعل ذلك فقد افترى اثماً عظيماً فلما فرغ من صلاته جاؤا واعتذروا له عن التقصير في حقه وانه لم يكن عندهم خبر بهذه الآيات العظيمات المومى بها في الائمة ثم سألوه في اي سورة هذه الآيات الشريفات فقال لهم في سورة المائدة في حزب الاكل لاي شيء سميت سورة وهي تقي عن مثل هذا كثير ·

والكتاب على هذا النمط وفيه من الحكايات ما لا يصح ان يقرأ لكل انسان لعدم الالف بامثاله في هذا العصر ومن الاشعار التي رواها قصائد هجوية لمصطفى بك البرزي واهاجي عبيدي باشا وفيه رسالة لرجب الحريري مداعباً صديقاً له يقال له ابن الخليفة في بعلبك ورسالة الوهراني التي كتبها على لسان بغلته وعلقها في عنقها وسيبها في دار الامير عزالدين ابن منوسك (المقتبس المجلد الاول) ورسالة ابي نواس المزلية الى بعض اصحابه ورسالة ابن الطيلوني الى القاضي عمر المغربي ورسالة ابي بكر الخوارزمي الى البديهي · الى غير ذلك من النوادر والاشعار ·

لغة العرب

يسرنا ان نرى الاعمال العلمية تنمو النمو المطلوب في بلاد العرب ولا سيما في مصر وتونس والعراق والشام اكثر الاقطار العربية مدنية واقدمها في الاخذ بمذاهب العلم والتعليم · ومجلة لغة العرب لصديقنا الاب انستاس الكرملي هي في مقدمة ما يفاخر به من الاعمال التي ظهرت في عهد الحرية الصحافية في الشام والعراق فان المقالات التي تنشرها رصيفتنا في اللغة والنقد الادبي وتاريخ العراق وعمرانها هي على جانب عظيم من التحقيق على نحو ما عودنا قلم منشئها الاستاذ بل ان ما ينشر فيها على ايجازه حري بان يخلد في خزائن الكتب دليلاً على حالة العراق

العلمية في هذا العهد وقد بلغ بها صاحبها في مدة لم تبلغ الحولين مبالغ المجلات التي مضى عليها سنين كثيرة تعاني البحث والنقل وزادت انها علمية محضة لا تتعرض للابحاث الدينية فجدير بالمتأدبين والمستنيرين ان يستفيدوا مما تنشره الشهر بعد الشهر لخدمة الآداب العربية وان تعد في الاندية العلمية في جملة حسنات المحسنين في التأليف الذين يقدمون على خدمة العلم والادب بعد ان يدرسوا موضوعاتهم و يمرنوا فيها اعواماً طويلة ليدخلوا البيوت من ابوابها ولو كتب لعامة مجلاتنا التي صدرت منذ اربعين سنة الى الان ان يكون منشوءها اكفاء لعملهم لما بارت بضاعة العلم هذا البوار المخجل ولنفعت في تثقيف العقول اضعاف اضعاف ما نفعت

كتاب طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ ﻫ نشره الاب لويس شيخو طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ١٢٤)

هذا الكتاب النفيس الذي وفق رصيفنا منشئ مجلة المشرق الى نشره تباعاً في مجلته هو اشبه بفهرست ابن النديم وقد احسن الناشر في وضعه وطبعه وتعليق حواش عليه على عادته في معظم ما نشره من كتب العرب . ومن هذا الكتاب يعرف الانسان اشتغال العرب بالعلوم المختلفة ويتصفهم ولا يغمطهم حقهم . وقد كنا في احد اعداد هذه السنة اشرنا الى ما وقع للاب شيخو من التحريف وصححناه بما هدانا اليه النظر والفكر فتفضل الناشر المنوه به باضافة بعضه الى آخر كتاب الطبقات على عادة الباحثين المنصفين في اثبات كل عمل لعامله لا كالذين يحدو بهم ضيق عطنهم الى الاستئثار بما سبق له غيرهم ليقال انهم هم كل شيء وغيرهم لا شيء وفق الله الناشر الى نشر امثاله لخدمة الاداب والمعارف

اخبار وافكار

هو عنوان كتاب وقع في ٢٢٧ صفحة لمؤلفه امين افندي الغريب صاحب جريدة الحارس

وهو مجموعة ادب وتاريخ نشره في جريدته في اوقات مختلفة ونعم العمل . وحبذا لو حذا حذوه غيره من كتاب الصحف فان في مقالاتهم ما ينبغي حفظه

لتداوله الايدي في صورة الكتب عَلَى الدهر ·

تاريخ بعلبك

اهدانا ميخائيل افندي موسى ألوف نسخة من الطبعة العربية الثالثة من كتابه تاريخ بعلبك وفيه وصف مدقق لتاريخ هذه المدينة ولا سيما قلعتها الشهيرة نقلا عن اصح المصادر الافرنجية والعربية والتجارب الطويلة التي وقعت للمؤلف وفي الكتاب صور بعض التماثيل والاحجار وما وجد عليها من النقوش والكتابات الاثرية مما دل عَلَى فضل وتدقيق وكان حريًا بان تزدان به المكاتب · واحق الناس بمعرفة تاريخ بلد اهله · فنشكر المؤلف عَلَى هذه التحفة التى طبعت عشر مرات باللغات الاجنبية مما دل عَلَى الاقبال عليها للانتفاع بما حوت

دروس الاشياء

هو مختصر في هذا الفن فيه ابحاث عن الانسان والحيوان والنبات وطبقات الارض والحكمة الطبيعية والكيمياء تأليف فوزي بك العظم وسليم افندي هاشم من ادباء دمشق وقد حلياه باثنين وثمانين شكلا و بسطا عبارته بسطًا لا يعلو عن مفهوم المبتدئ فنشكرهما عَلَى عنايتهماونرجو لهما التوفيق الى اكمال هذه السلسلة النافعة لطلاب المدارس ولا سيما الاهلية

رسائل مختلفة

(امثال الشرق والغرب) ليوسف افندي توما البستاني

اختيارات شيخ الاسلام ابن تيمية جمعها تلميذه ابن قيم الجوزية طبعت بمطبعة روضة الشام بدمشق

رسالة في مسائل الامام داود الظاهري جمعها الشيخ محمد الشطي المتوفى سنة ١٣١٧ طبعت بمطبعة روضة الشام

ديوان تذكرة الغافل عن استحضار المآكل لمحمد افندي الخالد چلبي الحمصي جعل ريعه اعانة لبناء مدرسة الاتحادالوطني بحمص طبع بمطبعة حماة سنة ١٣٣٠

كتاب الجرح والتعديل للشيخ جمال الدين القاسمي نشر في مجلة المنار بمصر

كتاب العمل بالاصطرلاب لعلي بن عيسى المنجم من اصحاب الهيئة في القرن الرابع للهجرة عني بنشره في المشرق الاب لويس

شيخو اليسوعي طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٣

رسالة الخط الجديد ومنافعه وهو دعوة الى كتابة الحروف منفصلة طبع على نفقة جمعية اصلاح الحروف ونشر المعارف في الاستانة سنة ١٣٣٠

اخبار وافكار

البشر والهجرة

يكاد يكون في درجة الثبوت ان البشر نما عددهم منذ عرف التاريخ على الرغم مما نالهم من الطوارئ التي ذكرها التاريخ من مثل الحروب والاوبئة او الاسباب الاخرى التي تفقر النمو وتقال التناسل ومع هذا فقد كان النسل كثيراً في اوربا منذ بضعة قرون وان كان يكثر موت الاولاد في الطفولية اكثر من اليوم وتلتهم الاديار جانباً من الرجال والنساء يتعطلون عن التناسل وليس ترك الارياف والقرى ونزول الحواضر والمدن مقصوراً على بلد خاص او صقع معين بل هو ظاهر في كل مكان في البلاد الاوربية القديمة مثل سويسرا والمانيا وفرنسا وانكلترا ونروج والبلجيك وهولاندة ظهوره في البلاد التي اخذ سكانها بالنمو مثل الولايات المتحدة وكندا واوستراليا فترك الارياف عام يشترك فيه جميع الاجناس السلتيون: كاللاتين والسلافيون كالروس والبلقانيين والسكسونيون كالانكليز ولا يظهر ان للاوضاع السياسية والاجتماعية دخلاً فيه وما من حكومة من الحكومات خالية منه حتى ان طريقة تقسيم الاملاك لا تمسك الانسان في الحقول وليس في قوانين المواريث ما يظهر انه اسمى من غيره فقد خضعت لسلطان الهجرة حتى البلاد المتماسكة الاجزاء مثل فرنسا وانكلترا والمجر وروسيا والولايات المتحدة واوستراليا والارجنتين فان اصقاعاً كبيرة استعمرت منذ زمن طويل في الولايات المتحدة ولا سيما ولايات انكلترا الجديدة قد خضعت لهذا النظام فترك اهلها قراهم لينزلوا الى الحواضر يسكنونها فنمت بذلك المدن نمواً هائلاً بالنسبة لمجموع البلاد فقد سكان مدينة بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية مليوناً وثلثمائة الف في حين بلغ سكان جميع هذه البلاد ستة ملايين نسمة تدخل فيها العاصمة ومساحة اراضي الارجنتين خمسة اضعاف مساحة فرنسا وهكذا تجد النمو بادياً في مدن الولايات المتحدة كنيويورك وشيكاغو

وفيلادلفيا وسان لوي وسنسيناتي و بوسطون وسان فرنسيسكو وسنل واورليان الجديدة كما هو باد في ملبورن وسدني من عواصم اوستراليا

هذا ماقاله احد الاقتصاديين في جريدة الاقتصاد وعقب عليه بقوله تحمل روس اموال كثيرة من العالم القديم اي من اوربا تستثمر في العالم الجديد فالمليون من الفرنكات يستثمر في ارض فرنسا فيعود بربح سنوي يختلف بين ثلثمائة اومائتي الف فرنك اذا حسبنا جميع الايدي التي تتناوله فتربح منه على حين لو جرت تنمية هذا المليون في البلاد الاجنبية لاتعود من الفائدة باكثر من ٤٠ الى ٤٥ الف فرنك ٠

ان من يهاجر الى القاصية كمن يتركون قراهم ليستوطنوا المدن المجاورة يبحثون عن رفاهية اسمى مما تمتعوا به و يظنون بانهم يحققون امانيهم في النجاح بانتقالهم الى محيط يصرفون فيه قواهم بما يعود عليهم بالنفع اكثر ٠ ومعنى ذلك يدور على البحث عن اجرة اكثر وهذا هو الباعث الاول على هذه النقلة بل الباعث الوحيد فالاجور هي العامل الوحيد الذي يدعو الناس الى التنقل في عصرنا اما حب الهواء الجيد والحياة الاجتماعية ولطف الاخلاق وسلاسة العمل فليس لها محل من الاعراب في جملة هذه الحال

ترى العامل في الولايات المتحدة واوستراليا ينتقل من المدن الى القرى و بالعكس لان الاجور واحدة في الزراعة والصناعة وكلها رابحة والقاعدة العامة في ذلك ان المدن والقرى تمسك السكان متى كانت اجورهم مضمونة وحالتهم مأمونة فقد قل المهاجرون من المانيا منذ كثرت صناعتها ونمت بحريتها وتجارتها و يقل المهاجرون من المجر وروسيا وايطاليا متى حسنت حالة الزراعة فيهاوانتظمت اسباب التملك وجودت الاسباب الاقتصادية اي الاجور فاذا كانت البلاد الجديدة تستميل اليها المهاجرين بمئات الالوف بل بالملايين فذلك لانها توزع اجوراً عالية واوربا وانكلترا وفرنسا واسبانيا وايطاليا وروسيا والمجر تبقي اليد العاملة في الحقول اذا ارتفع سعر الاجور الزراعية وذلك لا يكون الا بتنويع الزراعة وتكثير المحاصيل والمواشي وتكثير الايراد ولو قلت اسعار الحاصلات

ان هولاندة التي تعتبر بمجموعها ارضاً فقيرة لان في استثمارها صعوبة قد كثر سكانها اليوم كثرة زائدة بفضل عملهم بحيث حق على الهولانديين ماقاله فرنكلين

« بالقرب من رغيف الخبز يولد رجل » والمرء كلما دفعته الحاجة يحسن الاحتيال على المعاش واميركا واوستراليا الى اليوم لم تستثمر من ارضها خيراتها كلها بل ان خصبها هو المساعد فقط على العكس في غربي اوربا فان العمل هو الذي يستثمرها وبعد فان المجتمعات لا تتحرك بالنظريات بل بالعمليات وكل نظرية تخالف المصالح الحاصلة المبنية في الدول لا يتأتى ان تجري في العمل الا اذا جعلت هذه المصالح قيد النظر

غلاء المعيشة

ذكرت احدى الصحف الافرنجية ان غلاء المعيشة ابتدأ سنة ١٨٩٥ فلم يلبث في السنين الاخيرة ان صار فاحشاً جلب نظر رجال الحكومات والاقتصاديين واحدث في جميع الامم الصناعية قلقاً عظيماً بين العملة في حين ان غلاء النقود احدث اضطرابات شديدة في مصالح التجار المالية فزادت الاسعار في انكلترا والمانيا وفرنسا والولايات المتحدة وكندا وربما كان الغلاء في هذه الممالك اكثر مما هو في بريطانيا العظمى وهذا ناشئ من زيادة الرسوم الجمركية على المصنوعات والغلات فالواجب اذاً ان نعرف اسباب هذا الارتفاع في الاسعار · فقد نظر رجال السياسة والتجار والاقتصاديون بما بدا لهم من ظواهر هذه المسألة فاقتنعوا بان السبب الوحيد هو زيادة محصول الذهب وهذا السبب قد يمكن قبوله لان الذهب زاد محصوله زيادة هائلة منذ سنة ١٨٩٠ في مناجم الترنسفال خاصة فصعد المستخرج منه في عشرين سنة من ٥٨٩٠٠٠٠ ٨٢ جنيه الى ١٣٦٠٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٠ ومع هذا فالواجب ان ننظر بان معظم الذهب لا يتداول نقوداً بل يدخل في الصناعات وقد استغرقت منه في السنين الاخيرة كل من الهند ومصر واليابان واميركا الجنوبية والمكسيك كمية وافرة

وقد ادخرت فرنسا والمانيا والولايات المتحدة كميات وافرة من الذهب احتياطاً ومع هذا فان النقود بدلاً من ان تعتدل اسعارها ارتفعت على الرغم من كثرة الذهب فغلاء الاسعار ينسب الى نمو طريقة « الكريديتو » فان الموارد الاقتصادية في بلد واراضيها الخصبة وبواخرها ومعاملها وادواتها ومادتها واموالها اي مجموعة ثروتها هي اساس الكريديتو التي ينظر اليها ارباب المصارف والماليون لا وفرة الذهب وكثرة محصوله ·

وانا اذا القينا نظرة على ماضي اعمال العالم خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة نرى انه حدث مع التوفر على الاستزادة من محصول الذهب عناية فائقة في المشاريع الاقتصادية النافعة وكثرت انواعها في البلاد كلها . واخذت البرازيل والارجنتين وسائر ممالك اميركا كثيراً من رؤوس الاموال الاوربية وكان من الثروات الطبيعية في غربي كندا والهبة التي هبت في صناعات الولايات المتحدة ونهضة الصناعة اليابانية وكل ما كان من النهضات على هذا النحو . وقد جاء ذلك في آن واحد مع نمو محصول الذهب . ولا ننس تأثير الموارد الجديدة في حركة التجارة عامة وكان اول نتيجة لما تم قلة رأس المال في المسائل الداخلية وغلاء اسعار الفائض وهذا هو العامل الاكبر الذي اثر في التجارة ثم ان بعض الحوادث قدرت كثيراً من الحاصلات الصناعية في العالم وقلت عدد العاملين وذلك مثل حرب الترنسفال ومنشوريا وما اقتضى لهما من النفقات العسكرية في العالم بأسره . فبواسطة التجنيد حيل بين ملايين من العاملين وبين اعمالهم واشتغل من جهة ثانية ملايين من ارباب الصنائع في اعداد العدد الحربية فنتج من ذلك غلاء الاسعار . واذا اعتبرنا سرعة ارتقاء الصناعات الزراعية نشهد ان جزءاً عظيماً من ريع البلاد الغنية يصرف في الرفاهية والتبرج ثمن ادوات الزينة مما يؤثر في اسعار الحاصيل بوجه عام ثم ان اقراض الاموال للبلاد الاجنبية قد زاد العملة التي تعمل بايديها في اميركا الشمالية والجنوبية فانتهى بهجرة الناس من اوربا بكثرة زائدة . ولكن التعديل سيجري بين العرض والطلب ولامناص من نزول الاسعار عند ما ترتقي الزراعة وموارد المناجم في الاصقاع الجديدة فتكثر بذلك المآكل والمواد الاولية التي تزيد عن معدل الذهب المضروب نقوداً تتداوله الايدي .

السود والاميون في اميركا

اثبت الاحصاء الاخير في الولايات المتحدة مسألة من اهم ما عرف في امر الزنوج وارتقائهم في التربية فان زنوج الجنوب لم يصلوا في دور من ادوار تاريخهم الى مثل درجتهم اليوم في القراءة والكتابة فزاد عدد المتعلمين منهم في العشر سنين الاخيرة زيادة كلية . لما قام ابراهيم لنكلن وحرر العبيد منذ ٤٩ سنة كان عدد غير الاميين في الزنوج ٣ او ٤ في المئة فاصبح عدد القارئين الكاتبين اليوم ٧٠ في المئة وكان عدد الاميين من الزنوج سنة ١٩٠٠ ٤٤ في المئة فاصبح اليوم ٣٠ وهذا الارتقاء

يزيد كثيراً عن تقدم البيض في اميركا لان معدل قلة الاميين في البيض ٦ و ١ في المئه في حين كان في الزنوج ١٤ في المئة

وقد كان معدل المتعلمين من الزنوج في الولايات التي لا يلقون فيها مقاومة اقل من معدلهم في الولايات التي يصادفون فيها انواع التسهيلات فاستدل الباحثون بان الضغط على الزنجي بعلمه وحرمانه من التمدن هو من اعظم الدواعي لاقباله عليه وقد رأوا فروقاً عظيمة في نفقات مدارس الزنوج ومدارس البيض واجور الاساتذة وعددهم والتعليم الذي يرغب فيه الزنوج هو الابتدائي اما الثانوي فقليل من يقبل عليه منهم ، وعلى قلة العناية في مدارس الزنوج في القرى من حيث النظافة والصحة فان قسماً كبيراً منهم يرغب في اتقان فن الزراعة والصنائع اليدوية وفن الطبخ والخياطة وقد جعلوا التعليم عندهم من الدين على نحو ما ينظر اليه عند الاسرائيليين فترى الكنيسة والمدرسة في كل مكان جنباً الى جنب وفيهما يتعلم الزنجي ويرتقي وهم انفسهم يبذلون لتعليم اولادهم الاموال الطائلة فقد انفقوا في هذا السبيل منذ وقع تحريرهم ٣٠ مليار دولار ، ولذا اصبح في الغرب عدد الاجتماعيين والاقتصاديين لا يقولون بان للجنس تأثيراً في المرء بل ان للتربية المقام الاول واذا أريد الانتفاع بالزنجي حقيقة فمن اللازم اللازب تربيته والقيام بما يتم له حاجياته في الحياة

حال العثمانية الاقتصادية

كتب احد مراسلي الصحف في العاصمة العثمانية مقالة شرح فيها مركز العثمانية الاقتصادي مستنداً على احدث التقاويم قال :

السكان والمساحة : ان مجموع مساحة العثمانية مليون و ١٥٠ الف ميل مربع منها ٦٥ الفاً مساحة العثمانية في اوربا و ٦٨٠ الفاً مساحة العثمانية في آسيا و ٤٠٠ الآف مساحة العثمانية في افريقية اما عدد سكانها فيبلغ في بعض التقاويم ٣٠ مليوناً وفي غيرها ولعله الاصح ٢٥ مليوناً يتوزعون هكذا نحو ٦ ملايين في اوربا و ١٧ مليوناً في آسيا ومليون ونصف في افريقية

الاراضي الزراعية . اما الاراضي المزروعة من هذه البلاد الواسعة فبلغت (حسب التقويم الرسمي المطبوع سنة ١٩٠٨) ٥٣٤٤ ميلاً مربعاً في اوربا اي اكثر قليلاً من ٨ في المئة من مجموع مساحة العثمانية في اوربا واليك بيان ما في كل

ولاية منها بالاميال المربعة

ادرنة	١٦٩٠	سلانيك	٩٥٩	مناستر	٠٨٠٣
چتالجه	٠١٣٢	قوصوة	١٣٤٧	يانيا	٠٣٩٩
شتلجة	١٣٢	الاستانة	٠٠١٤	والمجموع	٥٣٤٤

والقسم الاكبر من هذه الاراضي تختص بزراعة الحبوب وهو يبلغ ٤٧٠٥ اميال مربعة اي ٨٨ من المئة من المجموع.

اما مساحة الاراضي الزراعية في الاملاك العثمانية في آسيا فتبلغ ٢٧٠٢٧ ميلاً مربعاً اي ٤ في المئة من مجموع مساحتها و٨٠ في المئة من هذه الاراضي الزراعية تختص بزراعة الحبوب ومساحة الاراضي الزراعية في عثمانية افريقية ٦٩٠ ميلاً مربعاً فقط اي نحو سدس في المئة من مجموع مساحتها و٩٨ في المئة منها لزراعة الحبوب

الصادرات والواردات : اعتمد كاتب هذه المقالة في تبيان صادرات الدولة ووارداتها على تقرير حديث اصدرته الحكومة في بيان مركز الدولة العثمانية التجاري حتى ٣١ آذار سنة ١٩١١ فبلغ فيه مجموع الواردات التي يؤخذ عنها رسوم كمركية ٨٠٥٥٠٩٦٥٠٣ ليرات والواردات التي لا يؤخذ عنها رسوم (كالتي تختص بالسفراء والقناصل والمعاهد الدينية والعلمية والادوات الزراعية الحديثة وغيرها) ٢١٥٠٦٤٨ ليرة و بلغت واردات التنباك والدخان ١١٤٧٥٧ ليرة

اما الصادرات من العثمانية من البضائع ذات الرسوم فبلغت ١٩٦٤١٤٠٦٨ ليرة ومن البضائع التي لا رسوم عليها ١٢٥٤٩٦ ليرة ومن الملح والملح المسلمة لادارة الديون العمومية ١٦٧٧٤٨ ليرة ومن الدخان المسلم لشركة حصر الدخان ٢٧٦٦٨٧٦ ليرة ومجموع الصادرات كلها ٢٢٤٧٤١٨٨ ليرة

وفي الجدول الآتي تفصيل هذه الصادرات والواردات ذات الرسوم حسب المراكز الكمركية الرئيسة

صادرات	واردات	المراكز الكمركية
٤١٩٣٩٦٠	١٢٢٨٨٦٨٩	الاستانة وملحقاتها
١٤٥٣٨٥٣	٠٤٦٢٧٣٤٥	سلانيك
٠٦٠٩٦٦٢	٩١٩٣٢٣٠٩	دده اغاج
٠٠٠٥٨٥٦	٠٠٨٢٣٢٦٧	بروزة
٦١١٨٤٤٨	٠٤٧٢١٨٤١	ازمير
١٣٩٥٨٧٣	١١٤٥٥١٤	الاسكندرونة
١٨٧٦٥٦٦	٠٤٩٦١٦٠٣	بيروت
٠٩٣٠٩٣٦	٠١٩٤٦٥٢٧	بغداد

١٦١٠٤٣٤	٠٢٢٢٧١٨٥	طرابزون
٠٣٧٣٩٩٩	٠٠٥٨٧٤٨٠	طرابلس الغرب
٠٣٠١٥٨٠	٠٠٤٨٢٥٦٦	الحديدة
٠٠٤٢٩٠١	٠٠٦٦٦٢٨٢	جدة
١٩٤٦٤٠٦٨	٣٥٥٠٦٥٠٨	المجموع

السكك الحديدية : وهذا بيان السكك الحديدية الممتدة في انحاء الدولة في اوربا وآسيا

(١) في اوربا	كيلو متر
الاستانة — مصطفى باشا	٣٥٩
ادرنة — دده اغاج	١٤٩
بابا اسكى — قرق كليسا	٠٤٥
سلانيك — اسكوب	٢٤٣٬٠٩٠
اسكوب — متروبجه	١١٩٬٠٨٠٠
« — زيفتشه	٠٨٥٬١٠٩
سلانيك — مناستر	٢١٨٬٠٦٦
« — الاستانة	٥١٠٬٥٨٩
المجموع في اوربا	١٧٣٠٬٤٥٤

(٢) في آسيا

حيدر باشا — ازميد	٠٩٣٬١٥٠
ازميد — انقرة	٤٨٥٬٥٦١
اسكي شهر — قونية	٤٤٥٬٤٤٣
قونية — اركلي بورغدو	٢٠٠
بورغدوحلب (تحت البناء)	٨٠٠
فرعان صغيران	٠١٤
ازمير — قصبة وتمديداتها	١٦٩
مغنيسيا — صوما	٠٩٢
الاشعر افيون قره حصار	٣٥٢٬٦١٦
صوما — باندرما (تحت البناء)	١٩٠
ازمير — آيدين وتمديداتها	٥٥٣٬٩٠٣
بيروت — دمشق	١٤٩٬٢٠٤
دمشق — حوران	١٠٠
رياق — حلب	٣٣١
حمص — طرابلس	١٠٤
مرسين طرسوس اطنه	٠٦٧
يافا القدس وتمديداتها	٠٨٧
مودانية بروسة	٠٤٢
دمشق — المدينة	١٠٣٢
« — حيفا	١٦٣
المجموع في آسيا	٥٦٥٨٬٨٨٧

الاموال الاجنبية في الممالك العثمانية

نشرت مجلة الشرق الادنى بيانًا للاموال الاجنبية المستعملة في بلاد الدولة العثمانية يظهر منه ان هذه الاموال تبلغ نحو مائة مليون جنيه اكثرها للفرنسويين والالمانيين والانكليز كما ترى في الجداول التالية

القسم الاول سكك الحديد

للانكليز منها	السكة بين ازمير وآيدين ورأس مالها	٤٥٨٧٧٤٧	جنيها
للالمان	سكة الاناضول » »	١١٨٠٠٠٠٠	جنيه
»	» بغداد » »	٧٠٨٠٠٠٠	»
»	» سلانيك مناستر » »	٣٢٠٠٠٠٠	»
»	» مرسين طرسوس آيدين » »	٤١٥٥٠٠	»
	والمجموع	٢٢٤٩٥٥٠٠	
للفرنسويين	سكة يافا والقدس	٩٦٠٠٠٠	
»	» مودانيا بورسة	١٥٣٠٠٠	
»	سلانيك والقسطنطينية	٦٨٠٠٠٠٠	
»	ازمير وقصبة	٥٧٠٢٤٠٠	
»	دمشق وحلب	٥٦٧٤٩٤٠	
		٩٢٨٩٣٤٠	
للنمسويين	سكة الحديد الشرقية	٢٠٠٠٠٠٠	
	بنك سكة الحديد الشرقية	٣٥٠٠٠٠٠	
	سندات سكة الحديد الشرقية ذات النصيب	١٥٦٣٢٥٤٠	
	والمجموع الكلي	٦٧٥٠٥١٢٧	

القسم الثاني سكك الترامواي وما اشبهها

شركة سكة الترامواي في الاستانة	٦١٨١٨٠
» الترامواي الكهربائي في سلانيك	٢٤٠٠٠٠
» ترامواي دمشق والنور الكهربائي	٢٤٠٠٠٠
» » بيروت » »	٣٣٦٠٠٠
» » ازمير » »	٢٢٧٢٠
» الامنيبوس في الاستانة	٢٧٢٧٢
شركة » سكة النفق «التونيل» من غلطة الى بك اوغلي	٢٥٠٠٠٠
	١٧٣٤١٧٢

القسم الثالث شركات البواخر

شركة البواخر الخيرية	١٨١٨١٨
« الرفاصات ورؤساء الميناء	٠٤٠٠٠٠
« بواخر قرن الذهب	٠٩٠٩٠٩
« بواخر ازمير	٠٤٥٤٥٤
	١٧١٨٥٣

القسم الرابع المرافئ والارصفة

شركة رصيف الاستانة	١٦٥٣٠٠٠
« مرفأ بيروت	٠٥٤٠٠٠٠
« رصيف ازمير	٠٤٤٠٠٠٠
« مرفأ سلانيك	٠٥٢٠٠٠٠
« رصيف سافز	٠٢٥٠٠٠٠
« مرفأ حيدر باشا	٠٦٤٠٠ ٠٠
	٤٠٢٥٠٠٠

القسم الخامس شركات الماء والغاز والكهربائية

شركة مياه الاستانة (تركوس)	٢٨٠٠٠٠
« « بيروت	٣٦٠٠٠٠
« « ازمير	٢٧٠٠٠٠
« « اسكدار وقاضي كوي	٠٦٧١٨٠
« « سلانيك	٣٨٠٠٠٠
« غاز الاستانة	٢٣٠٠٠٠
« « اسكدار	١٦٨٨٦٠
« « بيروت	٢٥٨٠٠٠
« « ازمير	١٢٥٠٠٠
« الكهربائية بسلانيك وازمير	١٠٠٠٠٠
	٢٢٤٠٠٤٠

القسم السادس المصارف

المصرف السلطاني العثماني	١٠٠٠٠٠٠٠
المصرف العثماني الاهلي	١٠٠٠٠٠٠
مصرف سلانيك	٨٠٠٠٠
المصرف الالماني الشرقي	١٦٠٠٠٠٠
مصرف فلسطين الالماني	٢٥٠٠٠٠
مصرف العثمانية التجاري الصناعي	٥٠٠٠٠٠
الشركة التجارية الشرقية	١٢٠٠٠٠
مصرف مدللى	٣١٨١٨٠
شركة بنك الانجلو لفنتين	١٠٠٠٠٠
شركة الانجلو فلسطين	١٠٠٠٠٠
	١٤٧٨٨١٨٠

القسم السابع شركات المعادن

شركة باليافرادين المعدنية	١٦٤٠٠٠
- كسندر المعدنية	١٨٠٠٠٠
- هرقلية للفحم الحجري	١٢٥٩٧٣
- قراسون للتعدين	٢٠٠٠٠٠
- صلنتزيا	٣٢٠٠٠٠
- البورق	٢٧٠٠٠٠
	٢١٨٥٧٢٠

القسم الثامن شركات التبغ والتقطير

شركة الرجي	١٦٠٠٠٠٠
- التنباك	٧٠٠٠٠٠
- التبغ الشرقي التجارية	٢٥٠٠٠٠
- سلانيك التجارية	٢٠٠٠٠٠
- بومنتي للتقطير	١٦٠٠٠٠
	٢٩١٠٠٠٠

القسم التاسع

شركة لتأمين العثمانية	٤٦٠٠٠٠
شركات اخرى صناعية وتجارية الخ	٢٨٧٠٠٠

وبناء على ذلك يكون مجموع هذه الاموال كلها ٢٠٨٦٤٢٠ ٩٩٠ جنيهاً وهاك خلاصتها

القسم الاول سكك الحديد رأس مالها	٣٧٥٠٥١٢٧	جنيهاً انكليزياً
« الثاني الترامواي والامنيبوس	١٧٣٤١٧٢	«
« الثالث شركات الملاحة	٣٥٨١٨١	«
« الرابع شركات المرافئ والارصفة	٤٠٣٥٠٠٠	«
« الخامس شركات الغاز والماء والكهربائية	٣٢٤٠٠٤٠	«
« السادس المصارف	١٤٧٨٨١٨٠	«
« السابع شركات التعدين	٢١٨٥٧٢٠	«
« الثامن شركات الدخان والاستقطار	٢٩١٠٠٠٠	«
« التاسع شركة التأمين	٤٦٠٠٠٠	
« شركات مختلفة	٢٨٧٠٠٠٠	

وليس للانكليز في هذه الشركات كلها الا ١٠٥١٥٤٩٧ ليرة اي اقل من عشرين مليون ليرة والباقي للفرنسويين والالمانيين والنمسويين

أندية العراق (١)

١ً نظرة في نهضة العراقيين الحديثة

عصور خلت، وادوار مضت على هذا القطر النكد الحظ، وهو يتقلب على الجمر من شدة ما اصابه في الازمنة الاخيرة من الصدمات ونزل به من الكوارث والبلايا، وناله من المصائب والرزايا، بعد ان تقلص ظل الخلافة العباسية، فانهارت دعائم تلك البنايات الشامخة، واندكت تلك الصروح الشاهقة، وتزلزلت اركان ذاك العرش الفخم، وانقلب بصاحبه الى الحضيض الاسفل، ففقدت البلاد

(١) من مقالة لصاحب التوقيع نشرت في جريدة المقتبس اليومية

تندب رجالها ، والعروش اصحابها ، والمدارس طلابها ، حتى خلت الديار من كل معهد علمي ، واقفرت الربوع من كل اثر صناعي ، ولولا ان تواريخ تخبرنا بمدنيتهم البائدة ، وآثاراً نراها كل يوم باعيننا تنطق بعظمتهم ، وضخامة ملكهم ، وخطورة حضارتهم ، فتذكرنا بعزنا الداير ، ومجدنا الغابر ، لانقطع حبل الامل من كل نهوض ، و بات الباحثون يجزمون بان استرجاع ذلك المجد الاثيل ، ضرب من الاماني والغرور ·

و بعد فان العراق لم يقصر في مجاراة الامم الحية التي اخذت تحارب الجهل بما في وسعها ، وتندفع اندفاعاً عظيماً الى الوصول الى الدرجة المطلوبة من المدنية والعمران ، لو لم يحل بينه و بين مايتمناه استبداد المستبدين ، وظلم الظالمين الذين اخذوا على عاتقهم محاربة الامة و بخسها حقها ، واحتجان مرافقها ، ووضع العقبات الكؤود في طريقها وسيرها نحو العمران والرقي لاسيما وفي العراق من الرجال العظام من شهدت بفضلهم ، وغزارة علمهم كبار الامم ·

٢ آثار النهضة و بوارقها

في العراق اليوم نهضة ادبية اجتماعية تبشرنا بمستقبل زاهر ، فقد ثبت لدى المراقبين انه قد جاء اليوم الذي تظهر فيه مقدرة الامم ، وحياة الشعوب والوقت الذي يجب ان ينبذ فيه اولو الغايات من كل ملة غاياتهم ، و يزع فيه الاولياء الى ايثار المصلحة العامة ، ويتحرك فيه الجامدون ليعلم انهم احياء وا لحياة اليوم مضمونة بالاجتماع والاجتماع انما يتم بالتعاضد على جلب الخير ، ودفع الضير ، ومما يستدل على وجود تلك النهضة اندفاع جماعات من الطبقة المنورة من كل ملة ونحلة الى تأسيس اندية ادبية ، وتأليف جمعيات علمية ، تضم شتاتهم ، وتجمع متفرقهم ، وتقرب بعضهم من بعض ، وتبث المبادئ القويمة ، والتربية الصحيحة بين الناشئة الحديثة بان تجرد الامة منها سيوفاً صقيلة تقارع بها اعداءها وتفتخر بها اذا فاخرت كل امة بناشئتها ، و يرجع تاريخ هذه النهضة الادبية ، والعلمية معاً الى اوائل الدستور وها نحن ذاكرون مافي بغداد وما يجاورها من المواطن والربوع من اندية العلم والسياسة شارحين للقراء مايهمهم من تاريخ تأسيسها وعدد اعضائها ، ومكانتها بين القوم وما ظهر لها من الآثار ·

٣ نادي الاتحاد والترقي

ليس من يجهل تاريخ هذه الجمعية التي حارب رجالها الحقيقيون سلطة عبد الحميد فصبروا على الضيم ، وعرضوا بنفوسهم للهلاك واملاكهم وثروتهم للنهب والسلب ففارقوا اوطانهم التي اكتنفتهم سماؤها ، وجمعتهم ارضها هربا من سلطان المستبدين ووطأة سلطته عليهم ، ومع ما كانوا عليه في ديار الغربة من قلة الانصار وضيق ايديهم لم ييأسوا من تخليص هذه الامة من تلك السلطة الجائرة ، ولم يلبثوا ردحاً من الزمن الا واستمالوا عظام رجال الدولة الى تأييد مبادئهم ونشر افكارهم ، وقد عظم امرهم جلالة وازداد شأنهم خطورة بدخول كثير من الضباط وقادة الجيش في حزبهم ، فتوصلوا بهؤلاء الرجال الى استمالة الجيش كله وتنفيذ مقرراتهم ، ولما تم الامر لهم اعلنوا الدستور في ١٠ تموز سنة ١٩٠٨ في مناستر غير ملتفتين الى معارضة عبد الحميد ورجاله ، عند ذلك استبشرت الامة وتلقت افعالهم بارتياح وفرح لا مزيد عليهما فتأسست لهذه الجمعية اندية في كل ولاية ولواء بل في كل قضاء وناحية منذ ذلك التاريخ ، وكان عدد اعضاء الاتحاد بادئ الامر يناهز الفي نسمة كلهم من سادات البلاد وكبارها وعلمائها واشرافها ، ولكن هذا العدد اخذ يتناقص رويداً رويداً حتى لم يبق فيها الا بعض اناس تمسكوا بمبادئهم ، ولم يزل النادي مفتحة ابوابه الا ان المترددين اليه قليلون ولما عاد امرهم الى النجاح عاد اغلب الذين كانوا قد تبرأوا منه .

٤ نادي الحرية والائتلاف

كانت قوة المعارضين في السنة الاولى والثانية من اعلان الدستور ضعيفة لا يعبأ بها ، وذلك لشدة شغف الناس بالدستور ومكانة ثقتهم برجال الاتحاد ، ولما دخلت السنة الثالثة قويت شوكة المعارضين بما انضم اليهم من شبان العرب الاذكياء وقادة افكارهم ، وكان لهم في المجلس ما يناهز ٥٠ نائباً اكثرهم مبرزون في فنون الخطابة ، ومتضلعون من علوم الاجتماع وانضم اليهم كثيرون من نواب العناصر غير المسلمة لاشتراك مصالحهم وارتباط مقاصدهم والا وهو اعطاء العناصر حقوقها فاخذت فكرة المعارضة منذ ذلك الحين تنتشر انتشارا رائعاً في معظم الاقطار العثمانية وكانت مقصورة على بعض شبان الامة ممن رضعوا افاويق العلم وتشربت قلوبهم بالمبادئ الحرة ، ولكن مالبث ذلك زمناً قصيرا الا وعم سائر

الطبقات ، وشعرت الامة بأسرها بضرورة تقوية المعارضين الذين انشأوا حزباً دعوه اولا باسم « الحزب الحر المعتدل » ثم اطلقوا عليه ثانياً اسم « حزب الحرية والائتلاف » فتأسس لهذا الحزب المعارض نواد عظيمة فرعية في ربوع مختلفة منها نادٍ انشئ في البصرة برئاسة مبعوث البصرة ومتقدم العرب السيد طالب بك النقيب وفي البانيا و بعض ولايات الاناضول اقيمت الحفلات واعلنت المسرات بتأسيس شعب له ·

وفي سنة ١٣٢٩ اسس فرع لحزب الحرية والائتلاف في بغداد فتهافتت الادباء على الانخراط فيه حتى دخله في ايام قلائل مايربو على ٣٠٠ نسمة كلهم من ارقى طبقات بغداد علما وفضلا ·

ومن مبادي هذا الحزب ، منح العناصر حقوقها المغصوبة واعطاء كل ذي حق حقه ، وتوسيع مأذونية الولايات اي اعطاؤها اللامركزية فكل ولاية تتصرف بشؤونها وتعمل ماينهض بها و يجعلها في مصاف البلاد الراقية بدون مراجعة الاستانة و بعبارة اخرى ادارة البلاد على النوع الذي عليه بلاد النمسا لتعدد عناصرها واختلاف شعوبها كالبلاد العثمانية ، ومنها : تعيين ولاة عارفين لغات اهل البلاد وان لم يكونوا من ابنائها وجعل التدريس باللغة المحلية وغير ذلك من المبادي المنيفة ، مالو عمل بها منذ اعلان الدستور لكانت اوطاننا في مقدم الاوطان ·

هذا مالنا من الاندية السياسية اي اثنان فقط والآن ننتقل الى تعديد الاندية العلمية فنقول :

١ً النادي الوطني العلمي

وهو ناد علمي دأبه السعي وراء ماينهض بالعرب و يحكم عرى رابطتهم ، و يقوي جامعتهم ، و يضم شتاتهم و يجمع متفرقهم اسسه سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م جماعة من ارقى طبقات الامة الاسلامية في العراق ، واكثرهم ممن درسوا في المعاهد العلمية الكبرى وجابوا البلاد العربية في الطول والعرض ، ووقفوا على اسرار تقهقرها ، وقد سنوا لهم نظاما طبع سنة ١٣٣٠ في مطبعة الآداب دونوا فيه مقاصدهم وغاياتهم واليك ما جاء في المادة الثانية من ذلك النظام بنصه :

مقاصد هذا النادي نشر العلم في انحاء العراق باحداث مكاتب وطنية مختلفة ، و بث التربية القومية بين الناشئة ، ومعاونة المحتاجين على التحصيل

وتسفير الطلاب المعوزين الى دار السعادة واوربا وتعيين اساتذة لتدريس اللغات الست : العربية والتركية والفارسية والافرنسية والانكليزية والالمانية وتعيين طبيب خاص لمعاينة المحاويج واعطاؤهم الادوية اللازمة مجاناً وتعيين واعظ من اجل العلماء لوعظ العامة وتعليمهم احكام الدستور التي لاحياة لنا بدونها ولفت انظار الناشئة الى المذاكرات العلمية والسامرات والمحاضرات الادبية وتعليمهم فن الخطابة بالطرق الحديثة وحفظ اوقات الشبان من الالعاب الملهية وتوفير معلوماتهم وتوسيع مداركهم وتأليف لجنة حقوقية تدافع عن دعاوي البائسين المنقطعين وتأسيس جمعية لتعريب الكتب من جميع اللغات الحية ، واصدار مجلة علمية ، تاريخية ، ادبية ، اه الى آخر ما هنالك من المطالب السامية ٠

وكان هذا النادي في اوائل نشأته مقصوراً على بعض اشياء تافهة كغرف القراءة وغيرها ، ولما طرق اسماع السيد طالب بك النقيب خبر حاجة النادي الى معاونته ، قام وامدهم باموال وفيرة ساعدتهم على ابراز بعض مقرراتهم الى حيز الوجود ، فافتتحوا مكتبة شائقة حوت نفائس الكتب العصرية ، ومدرسة ليلية يدرس فيها مبادئ اللغات العربية والتركية والفرنساوية والانكليزية ، وهم الآن في سعي متواصل لانشاء مدرسة باسم « مدرسة المستنصرية » احياء لاسم ذلك المعهد العلمي الخطير الذي كان له القدح المعلى في تمدن العرب الفخم في القرون الخالية ، وتلقى فيه الخطب العلمية والمحاضرات الادبية

٢ً نادي اتحاد الشبيبة

هو ناد علمي اسسه شبان من منوري الافكار سنة ١٩١٠ م ، وقد امدنا احدهم بما يجري فيه ويراد من تأسيسه لجهلنا ماهناك من المطالب والمساعي قال: قصدنا من تأسيسه فك القيود والاغلال من اعناق ابناء طوائفنا التي طوقنا بها الاكليروس الذين احتبسوا مرافقنا وعبثوا باوقافها ٠ وقد لاقى اعضاء نادينا في سبيل ذلك صعوبات جمة وعقبات كادت تحول دون اتمام مقاصدنا وتحقيق امانينا لولا ان همة اعضائنا الكبيرة ذللت كل صعب واجتازت كل ماوضع في طريقهم من العقبات ونحن الآن في تحمس شديد وسعي متواصل لابراز امانينا الى عالم الوجود وقد ظهر من آثارنا غرفة قراءة ومكتبة مشحونة بنفائس الكتب قديمها وحديثها ، ويا حبذا لو عضدنا في مشاريعنا الخطيرة كبار القوم والمثرون منهم

بمساعدتهم اياها في الماديات والمعنويات ، ويأخذون بايدي القائمين بشؤونه فيحصلون في المستقبل القريب على فوائد جمة لم تخطر على فكر ولم تمر ببال اه

٣ الاتحاد العثماني

جمعية اسرائيلية « صهيونية » مقصد اعضائها الوحيد شراء المزارع لسكنى الصهيونيين فيها وتتخذها مستعمرات كما هي الحال في سورية تأسست هذه الجمعية سنة ١٣٢٩ هـ و ١٩١١ م وكان لهذه الجمعية جريدة تدعى « التفكر » صدر منها ثلاثة اعداد باللغتين العربية والتركية وكان محرر العربية فيها احد شبان المسلمين وكان يظن في هذه الجمعية خيراً ، حتى اذا ازيل الستار عن اعمالها ورأى منها ما يحقق اقوال الناقمين عليها اعتزل تحريرها فاحتجبت الجريدة لذلك عن الصدور ، حتى ان معظم شبان الاسرائيليين الصادقين بوطنيتهم ابوا الدخول فيها وعرفوا اكثر مساعيها ، ومن آثار هذه الجمعية انها افتتحت مدرسة ليلية تدرس فيها اللغات الاجنبية ، اما اليوم فهي مقصورة على ٢٠ عضواً من الاسرائيليين الذين يودون استعمار البلاد باخوانهم واستلاب املاك وطنييهم .

٤ نادي الترقي الجعفري العثماني

وهو ناد علمي ادبي اسسه كبار الجعفرية واعاظمهم في بغداد سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٨ م . وذلك لما رأوا ناشئتهم الحديثة معرضة لسباع مفترسة من الجهل انشأوا هذا النادي الفخم لاصلاح شؤون فرقتهم ومسابقة غيرها من الفرق في الحضارة والعلوم والآداب ومما يسر له انه نجح نجاحاً باهراً وذلك بما بذله ارباب الغيرة من الاموال الوفيرة . ومن آثاره انه افتتح مدرسة كانت قبل اربع سنوات ابتدائية يدرس فيها اكثر العلوم الحديثة باللغة العربية ، واما اليوم فقد اصبحت بفضل النابغين من الجعفريين اعدادية وفيها من التلامذة ما يناهز ٤٠٠ طالب كلهم من ابناء العرب ، والامل وطيد بان سيكون لها شأن عظيم فتسترد العربية على يدها مجدها القديم ، والنادي هو اليوم عبارة عن لجنة ادارية تدير شؤون المدرسة وتراقب اعمال اساتذتها .

٥ المحفل الكاثوليكي

هو اول محفل وطني اسس في بغداد وكان انشاؤه سنة ١٣٠٦ هـ و ١٨٨٩ م وكان مقصوراً على القاء الخطب العلمية والادبية والاجتماعية وكان اعضاؤه من

سراة الكاثوليك في بغداد .

وكان يصدر تقويماً يدون فيه خلاصة اعماله وعدد اعضائه واسماء المتبرعين له وذكر عناوين الخطب وموضوعات المحاضرات التي القيت فيه وقد صدر منه ثلاثة اعداد لثلاث سنوات وهي سنة ١٨٨٩ و١٨٩٠ و ١٨٩١ احذا عداما حواه من الفوائد الجمة والنبذ الجغرافية والتاريخية المفيدة ، ولا يزال هذا المحفل حياً له اليد الطولى في نهضة شبان النصارى الحديثة وعدد اعضائه يناهزون ٦٠ شاباً كلهم من افاضل الطائفة الكاثوليكية واذكاهم واطلعهم على اللغات الافرنجية والوطنية

٦ً النادي البغدادي

تأسس هذا النادي سنة ١٩١٢ م ومقاصده على ماجاء في الفصل الاول من برنامجه في سنة تأسيسه : السعي وراء تنظيم المجتمع العراقي وتعويد الشعب سماع المسامرات وحضور المباحثات الادبية والتجارية والتنزهات الصحية ، واعضاؤه كلهم من شبان الاسرائيليين ممن اخذوا العلم عن اساتذة اجانب في بغداد هذا اذا لم يكونوا قد ربوا في احضان علماء الغرب ويشترط على من يدخل هذا النادي ويكون عضواً فيه ان يدفع رسماً قدره ست ليرات عثمانية سلفاً في السنة الاولى ، وفيما بعدها يدفعها اربعة اقساط ، ولهم اجتماعات خاصة بالاعضاء فلا يشرف على اعمالهم ومقرراتهم احد

٧ً خلاصة البحث

ترى مما تقدم ذكره ان عدد اندية العلم والسياسة في بغداد ستة ، منها اثنان سياسيان وهما النادي الاتحادي والنادي الائتلافي ، وستة اندية علمية اثنان منها للمسلمين وهما النادي العلمي الوطني ونادي الترقي الجعفري العثماني ، واثنان للمسيحيين وهما اتحاد الشبيبة والمحفل الكاثوليكي ، واثنان للاسرائيليين وهما الاتحاد العثماني والنادي البغدادي ، كل ذلك كان في مدة اربع سنوات مع مالاقته في خلالها من العقبات على ان هذا العدد وان يكن قليلاً بالنسبة الى عظمة بغداد وضخامتها فانه سيتزايد الى اضعافه بهمة الناشئة الحديثة التي نبذت التقاليد القديمة ظهرياً واستعدت للايام واهوالها ، ولا ريب فان شبيبة كالشبيبة البغدادية يجب عليها ان يظهر على بدها فوق مايتصور مادام ذلك الدم العربي يجري في عروقها ،

بغداد ابراهيم حلمي

اقدم اثر

جاء في « الاجبشيان غازيت » ما تعريبه : ارسل الاستاذ « ريزنر » من علماء الآثار المصرية الى مديري متحف الآثار السامية في هارفرد ومتحف الفنون الجميلة في بوسطن بالولايات المتحدة الاميركية نتيجة ابحاثه في تنقيباته في الآثار المصرية العتيقة عند ابي الهول اذ قد اكتشف عدة اكتشافات مهمة ينتظران تساعد كثيراً على كشف اسرار المسائل التي طمستها مرور العصور والاجيال ٠

فقد عثر الاستاذ (ريزنر) على معبد بجوار تمثال ابي الهول كان شيده قدماء المصريين لاجل عبادة الشمس وهو اقدم من كل الاهرامات اذ يرجع تاريخه الى قبل ميلاد السيد المسيح بـ ٦٠٠٠ عام فهو اذاً اعظم الآثار المصرية قدماً في التاريخ المصري بلا جدال ٠ « ومينا » او « مينيس » كما يلفظون اسمه في بعض الاحيان هو اول ملك مصري اكتشف علماء العصر الحالي بواسطة تمثاله المعلومات التاريخية الخاصة بالتاريخ المصري القديم وهو الذي اشتهر بادعائه الالوهية في عصره واشتهر ايضاً بانهُ الواضع لشكل ابي الهول الحالي وقد وجد قبره في هذا المعبد ٠ ويوجد في هذا نفق تحت الارض يؤدي الى كهوف لم يدخل احد اليها الآن لان اعمال التنقيب والحفر لم يبدأ بها الا منذ ستة شهور فقط

ان ابا الهول في مكانه مصنوع حقيقة من صخر طبيعي لكن يوجد بجانبه كهوف ومباني مدينة من ذهب قد وصلت اعمال الحفريات للقاعة الامامية للمعبد ويبلغ مقدار اتساعها ٦٠ قدما طولاً في ١٤ قدما عرضاً ومتصلة بدهاليز تؤدي الى معبد الشمس الواقع عند مخالب ابي الهول وهذه الدهاليز بشكل منعرجات متقاطعة وقد وجدوا كميات عظيمة من الرموز وتماثيل الشمس بينها مقدار كبير مصنوع من الذهب وفي تلك التماثيل اسلاك متصلة باجراس صغيرة كان يحركها ويدقها الكهنة ليستحضروا بها ارواح الموتى

وفي داخل ابي الهول وجد ايضاً اهرام صغيرة مع ان ابا الهول مصنوع من زمان طويل قبل بناء الاهرام الكبرى ومن رأي الاستاذ (ريزنر) ان شكل الاهرام في تلك الايام كان عبارة عن ساعة شمسية ومن رأيه ايضاً ان ابا الهول كان رب الشمس واهرام خيوبس المعروف الذي هو اكبر الاهرام الحالية وهو عبارة عن آلة توقيت وساعة دقيقة مضبوطة ليس الا

ومن رأى هذا الاستاذ ايضاً ان القطر المصري اليوم كان عبارة عن مدينة كبرى عظيمة متسعة الارجاء قد اكتشف اطرافها اما ما في داخلها فربما لا يمكن اكتشافه بتة . ويرجو الاستاذ (ويزر) ان يكتشف ضمن تلك الآثار الثمينة اسرار الكهنة المصريين الذين كانت اعمالهم السحرية موضع الدهشة والعجب

وقد اشار الاستاذ الى ما يجده في عمليات الحفر والتنقيب من الصعوبات والمتاعب غير العادية لان العربان الذين يساعدونه في هذا العمل يرفضون قطعياً ان يرقدوا في قاعة المعبد و يقولون انها تحوي الشياطين والجن فمن يرقد فيها يلقى حتفه

الزراعة

وعبادة الطبيعة في الصين

مما لا مرية فيه ان الصين واليابان والشرق الاقصى هي البلاد الوحيدة التي تعبد فيها الطبيعة بكل اختلاف مظاهرها بل هم الشعب الوحيد في تكريم الزراعة وتعظيمها وكل من احب الاحاطة بهذا الموضوع ان يقرأ تاريخ الصين ليعلم ما يتجشم ابناؤها من المشاق في خدمة تلك الاراضي القاحلة و بعدئذ يعرف مقدار الثروة التي يمكن المزارع ان يجنيها عند الاقتضاء من ارضه ولو كانت مجدبة قاحلة ولا مشاحة بان المعارف الزراعية متأخرة جداً في الصين وآلات الحرث لا تزال على حالها الاول من الانحطاط بيد انهم يستعيضون عن جهلهم احوال الزراعة وتأخر الموارد التي تسهل لهم النجاح بثبات قد لا يوجد له مثيل عند باقي الامم

وليس في الصين بقعة من الارض تصلح للزراعة لم تعمل فيها ايدي العمال والزراع وهي على اتساعها تعطي كلها موسمين في السنة وليس في الدنيا مملكة اراضيها مقطعة كالصين ومفصولة بعضها بسياج عن الآخر وحفر صغيرة او بجدران قليلة الارتفاع والسبب في ذلك ان كل صيني يمتلك ارضاً لذاته وكل منهم يريد ان يخدم الارض التي ورثها عن آبائه وزرعها اجداده ولهذا فان كل صيني لا يستأجر عاملاً لزراعة اراضيه

ان ملوك الصين ابناء ماء السماء قد اعاروا منذ القديم اهتمامهم للزراعة والفلاحة حتى ان الكثيرين منهم قد اشتهروا بهذا الامر اشتهاراً عظيماً ولم يزل الاهالي حتى اليوم يعظمون ذكرهم و يقدسونه

وفي كل سنة يرأس الامبراطور حفلة عظيمة يقيمونها في عيد الطبيعة لدى

يقع في اليوم الثالث والعشر بن من الشهر القمري الثالث حساباً صينياً وهو يوافق اواخر شهر آذار وقد وضع هذا العيد احد الملوك من سلالة هان وهم الذين حكموا الصين قبل المسيح بالف ومئتي سنة وتقام هذه الحفلة في بكين عاصمة الصين بظاهرة فخمة

و يستعد الامبراطور لهذه الحفلة بصوم ثلاثة ايام متوالية وفي اليوم المعين يذهب الى هيكل الزراعة العظيم المشيد في وسط العاصمة ومن خلفه مالا يعد من جماهير الاهالي ومن حوله امراء الاسرة المالكة مرتدين ابهى ملابسهم الحريرية يتقدمه اربعون شيخاً من كبار المزارعين واربعون شاباً لابسين ملابس غريبة مصنوعة من القش

والهيكل مبني وسط سهل فسيح وقد اقيم فيه اربعة مذابح لعبادة السماء والارض والمشترى وشنبون وهو من اقدم ملوك الصينيين واول من علم شعبه منافع الزراعة وامرهم بتكريمها فيتقدم الامبراطور نحو المذبح المخصص لعبادة السماء فيركع امامه ثلاثاً و يضع عليه هدية من الاثمار ثم يدنو من محراث اصفر ذهبي اللون يربط به ثوران يذبحان بعد انتهاء الحفلة و يقدمان ضحية للسماء فيقبض على المحراث بيمينه وعلى سوط بيساره و يرسم في الارض ثمانية خطوط وفي اثناء هذه الحفلة ينشد الكهنة صلاة مختصة باكرام الطبيعة

و يحرق الثمانون فلاحاً الذين يحضرون هذه الحفلة اثمن البخور في مجامر ثمينة و يضعون من الحبوب التي تنتج في الاثلام التي حرثها الامبراطور ورجال حاشيته اقراصاً يتركونها مدة ثلاثة اشهر على المذبح المخصص لعبادة السماء

وهيكل الزراعة من اغرب بنايات بكين يعلقون على جدرانه او يضعون على قواعد رخام فيها كل الآلات والادوات والملابس التي يستعملها كل من اتخذ الفلاحة حرفة له و يضعون في الجهة اليمنى كثيراً من القبعات التي يلبسها الاهالي واسواطاً متنوعة ومكانس ومجارف وصناديق لحفظ الغلال ومذاري خشبية ذات ثلاث شعب يستعملها المزارعون لتذرية الارز كل هذه الآلات يصبغونها باللون الاصفر وهو اللون المخصص للامبراطور فلا يجوز لسواه من الاهالي استعماله

و يقيمون على قاعدة من الفلز بقرة عظيم بطنها مبقور يظهر فيه عدة عجول خزفية وهي رمز للحيوان المقدس الذي يطوفون به باحتفال عظيم في بعض المدن

الصينية ابان الحصاد· و يكره الصينيون السمن كرهاً عظيماً لانهم يعتقدون ان البقر خلق لاجل ان ينتج و يشتغل لا للانتفاع بلبنه و يضعون ازاء آلات العمل العامة التي تعرض في قاعة خاصة كل اشكال الاختراعات القديمة والحديثة المختصة بالزراعة وناعورة لم تزل مستعملة في اراضي كان مى كيان الواسعة ودولاباً ليس فيه مسمار ولم تدخله قطعة من الحديد بل هو مصنوع من الخشب وجرناً حجرياً موضوعاً في طرفه مدقة يحركها رجلان وفي الجهة الاخرى آلتان للحرث والزرع وفي مؤخر هذه علبة تنتهي بثلاثة انابيب خيزران تتساقط منها الحبوب و يفرزون محلاً خاصاً لمجرفة فضية يقدمون لها اعظم الاكرام لان المجرفة لم تزل الآلة الزراعية التي يفاخر فيها الفلاح الصيني

الاموال المنقولة

رفع العالم الاقتصادي الفريد نايمرك الى المجمع الاحصائي الدولي المجتمع في عاصمة النمسا بحثاً جديداً تناول فيه احصاء الاموال المنقولة في العالم· وقد قدر المتداول منها بين الايدي في آخر سنة ٩١٢ بقيمة ثمانمائة وخمسين مليار فرنك· ورالم بما طرأ في السنتين الاخيرتين من الاختلالات السياسية والمالية والاقتصادية و بعد ان قدر ما لحق بعض المنقولات المحدودة الثمن من انحطاط الاسعار في الآونة الاخيرة فبلغ الثمانمائة مليار فرنك قال ان الرصيد الصافي لقيمة الاموال المنقولة في آخر سنة ٩١٢ منها ما يقارب ثلثمئة مليار فرنك مبذولة لاستثمار الخطوط الحديدية في العالم اما الاموال المنقولة الخاصة فيقدرها كما يلي

انكلترا	من	١٤٥	الى	١٥٠	ملياراً
الولايات المتحدة	«	١٣٥	«	١٤٠	«
فرنسا	«	١٠٨	«	١١٥	«
المانيا	«	١٠٠	«	١١٠	«
روسيا	«	٣٢	«	٣٥	«
النمسا والمجر	«	٢٥	«	٢٦	«
ايطاليا	«	١٦	«	١٨	«
اليابان	«	١٤	«	١٦	«

وزادت الاموال المنقولة في المانيا بين سنتي ٩٠٨ او ١٩١٢ عشرين الى خمسة

وعشرين ملياراً · وزادت في انكلترا خمسة عشر ملياراً في حين لم تزد في فرنسا عَلَى خمسة الى عشرة مليارات وفي روسيا عَلَى مليارين الى ثمانية · وفي ايطاليا عَلَى ستة مليارات · وفي البلجيكا والهولاندا عَلَى اربعة · نعم ان بعض هذه الارقام يمكن المناقشة فيه ولكن مهما يكن فان تبريز المانيا في هذا الباب لا ريب فيه عَلَى ان معظم الارباح استخدمت لتوسيع المشاريع القديمة او لتأسيس اعمال جديدة · اما التوفيرات فبقيت عَلَى حالها والاموال المتداولة كانت قليلة وهذا ما يجعل المانيا تحت رحمة اول ازمة تحصل اه

المدارس الفرنساوية في الشام

نشرت جريدة الابكودي باريس فصلاً طويلاً عن المدارس الفرنساوية في سورية جاء فيه : ان اليسوعيين يديرون مع مدرستهم الكلية ١٤٠ مدرسة يتلقى العلم فيها ١٢٠٠٠ تلميذ والآباء الكبوشيون يديرون ١٥٥ مدرسة فيها ٦٣٥٥ تلميذاً واللعازريون يديرون ١٤٩ مدرسة فيها ٧٣٣٨ طالباً · وراهبات المحبة يتعلم في مدارسهن اكثر من ٣٠٠ يتيم و٥٨٧ يتيمة و٥٠٩ اولاد صغار خارجيين و٣٨٦٧ بنتاً داخلية ماعدا مدارسهن في القرى · ومدارس الفرير في بيروت وطرابلس والاسكندرونة فيها ٢٠٠٠ تلميذ تقريباً · وفي مدارس الفرير ماريست ٩٥٣ تلميذاً وراهبات الناصرة عشر مدارس منها واحدة داخلية ومجموع تلامذتها ١٣٨٦ وراهبات العائلة المقدسة سبع مدارس فيها ١٤٠٠ تلميذة وراهبات الظهور المرسلية ٣٠ مدرسة فيها ٣٧٦٦ تلميذة وهذا كله ماعدا تلاميذ المدرسة العلمانية في بيروت التي تحتوي عَلَى ٢٠٠ تلميذ تقريباً ومدارس الاليانس الاسرائيلية التي يبلغ عدد تلاميذها الاربعة آلاف

اما عدد المدارس الاخرى الانكليزية والالمانية والروسية والاميركية في سورية فلا يتجاوز الثلاثمائة مدرسة ومجموع عدد التلامذة فيها لا يزيد عن ٢٣٠٠٠

العمل والاسعار

سعر كيلة الحنطة	سعر الليرة العثمانية	اجرة العمل	الصناعة	السنة الهجرية
قروش	قروش	قروش		
٧٠	١١٦	١٢	المعلم	١٢٨٧
		٦	العامل	

		٥	العامل	
٨٠	١٢٤	١٤	المعلم	١٢٩٥
		٧	العامل	و١٢٩٧
		٦	العامل	
٥٧	١٣٠٤	٤٨	المعلم	١٣٣٠
		١٢	العامل	١٣٣١

هكذا كانت اجرة العامل واسعار النقود والغلات منذ اربعة واربعين عاماً في دمشق وما زالت ترتقي حتى اصبحت كما رأيت بكثرة الذهب واستثمار بعض الاراضي البائرة وازدياد عدد النفوس ومثل ذلك يقال في العراق وفي مصر

وهذه الاسعار في قاعدة الشام غير مطردة تنزل وتعلو بحسب المواسم وكثرة النقود ولكن اجرة العامل والماهن تكاد تكون واحدة لقلة العملة والبنائين والنجارين وغيرهم من اهل الحرف الذين قد تدعوهم الحالة الى الهجرة الى اقطار اخرى ولاسيما الى اميركا

صدور المقتبس

أُصيبت هذه المجلة في السنة الماضية بعوارض كثيرة حالت دون اصدارها في مواعيدها على النحو الذي اعتادته في معظم ادوارها فاضطرتنا الاحوال السياسية الى ان نلحق بمصر من طريق البرية وعطلت الحكومة المقتبس اليومي على الصورة التي سبق لها مثلها في سنة ١٣٢٧ والمثل لكاتنا الفاجعتين ناظم باشا والي سورية الاسبق بعينه ومينه فمكثنا اشهر الربيع والصيف في القاهرة اصدرنا خلالها جزئين وبعض الثالث ثم عدنا في الخريف الى دمشق مضطرين ومطبعة المقتبس قد اكرهنا الوالي على بيعها ليصعب علينا بذلك اصدار المقتبس ثانية فاضطررنا اولاً الى الطبع في مطبعة لم تكن على استعداد كافٍ لطبع المجلة ثم طال بحثنا عن ورق جيد حاضر في السوق فلما تمت المعدات في الجملة تتابعت الازمات السياسية بانتشار الحرب البلقانية المشؤومة فارتبكت الاحوال الاقتصادية في البلاد حتى انقطعنا مدة عن الطبع مكرهين وهانحن الآن نختم السنة السابعة سنة ١٣٣٠ هـ في اواخر سنة ١٣٣١ اي اننا اصدرنا من حيث المجموع اجزاء سنة في سنتين ولذلك لا نعد سنة الحرب التي اهتزت بويلاتها

اعصاب السلطنة ونال الشام بل مصر حظ وافر من هذا الاضطراب

وانا لنشكر كل من اهتموا لصدور المقتبس واخذوا بيدنا في نشره ونشطوه بمادياتهم وادبياتهم اكثر الله من امثالهم الذين يهتمون للعلم والمعارف كما انا نثني الثناء الاطيب على موازري المجلة في مصر والشام والعراق وتونس وغيرها ممن لم يعقهم عدم الاطراد في صدورها عن ارسال ابحاثهم ومقالاتهم لتطبع فيها ونعدهم باننا نبدأ منذ اول جزء يصدر في المحرم من السنة الثامنة (١٣٣٢) بنشرها اتباعاً بحسب اوقات ورودها ليعم نفعها قراء العربية ونستميح طبقة الخاصة عذراً على مابدر من اغلاطنا واغلاط المطابع فهو لا يخفى على فطنة القراء في الجملة وعذرنا اليهم في عدم العناية ماتقدم خصوصاً و بعض الملازم طبعت بدون ان نصححها بانفسنا مع التقلقل الذي نالنا في مملكة لم تستقر حتى الآن حالتها السياسية على محور معلوم. وصفاء جو السياسة هو الميزان الاكبر في سير الاعمال ولا سيما العلمية فان الفشل الذي نالنا في الروم ايلي وطرابلس و برقة وجزر الارخبيل قد اصاب شرر شره كل من له علاقة بهذا الوطن العثماني على اختلاف في الدرجات

ونسأله تعالى وهو خير مسؤول ان يجعل سنتنا القادمة سنة راحة وصفاء لنتمكن من خدمة الامة العربية في الفروع التي كتب لنا الخوض في غمارها فيما سلف من الاعوام وفي النية ان نجود الابحاث ونعنى بالتقاط درر الفوائد جهد المستطيع حتى تكون هذه الصحيفة جعبة علم وادب تجمع الى متانة القديم طلاوة الحديث فلا يسأم من مطالعتها عشاق الاوابد والشوارد واليه تعالى نبرأ من سيئات اعمالنا وشرور انفسنا ونسأله وقايتنا من عثرات الزمان وعثرات القلم واللسان والتنكب بنا عن تيه الباطل اللجلج الى جادة الحق الابلج انه كريم جواد